



المصحف الشريف مع تفسير القرآن للبقاعي ٢

٨٢

المجلد الثاني من تفسير البقاعي

الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم المناسبات للبقاعي

تأليف سيدنا
ومولانا الشيخ الإمام العالم
العلامة أوحد البحر الفهامة المحقق
المدقق الحجة إبراهيم بن عمر بن حسن
ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي
تغمده الله تعالى برحمته

برسم مطالعة خزانة المقام العالي الوزيري علي باشا أدام دولته

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه عليه السلام مقصودها الإعلام بإمهال المدعوين والحلم عنهم والرفق بهم إلى أن يكونوا أكثر الأمم زيادة في شرف داعيهم صلى الله عليه وسلم وعلى هذا المقصد الشريف دل اسمها بطريق الرمز والإشارة لتبيين أهل الفطنة والبصارة وذلك أن في أولها من الحروف المقطعة وذلك أنه لما كان ختام سورة مريم حاملا على الخوف من أن يهلك أمته صلى الله عليه وسلم قبل ظهور أمره الذي أمره الله به واشتهار دعوته لقلة من آمن به منهم ابتدأه سبحانه بالطاء إشارة بمخرجها الذي هو من رأس اللسان وأصول الثنيتين العليين إلى قوة أمره وانتشاره وعلوه وكثرة أتباعه لأن هذا المخرج أكثر المخارج حروفا وأشدها حركة وأوسعها انتشارا وبما فيها من صفات الجهر والإطباق والاستعلاء والقلقلة إلى انقلاب ما هو فيه من الإسرار جهرا وما هو من الرقة فخامة لأنها من حروف التفخيم وأنه يستعلي أمره وينتشر ذكره حتى يطبق جميع الوجوه ويقلقل سائر الأمم ولكن يكون ذلك بما تشير إليه الهاء بمخرجها من أقصى الحلق على حد بعده من طرف اللسان مع طول كبير وتماد كثير وبما فيها من صفات الهمس والرخاوة والانفتاح والاستفال والخفاء مع مخافته وضعف كبير ووهن وخفاء عظيم ومقاساة شدائد كبار مع نوع فخامة واشتهار وهو وإن كان اشتهارا يسيرا يغلب هذا الضعف كله وإن كان قويا شديدا وقراءة الإمالة لها تشير إلى شدة الضعف وقراءة التفخيم وهي لأكثر القراء مشيرة إلى فخامة القدر وقوة الأمر بما لها من الانفتاح وإن دل على أنه ليس كذلك أنه لتخافته ملد بني الأصفر وإن كان معنى الحرفين يا رجل فهو إشارة إلى قوته وعلو قدره وفخامة ذكره وانتشار أتباعه وعموم أمره وإن كانا إشارة إلى وطء الأرض فهو لاحق إلى قوة التمكن وعظيم القدرة وبعد الصيت حتى تصير كلها مملكة له ولأتباعه وملكا لأمرائه وأشياعه والله أعلم وذكر أهل العراق في تاريخه أن هجرة الحبشة كانت في السنة الثامنة من المبعث فالظاهر على ما يأتي في إسلام عمر رضي الله عنه أن نزول هذه السورة أو أولها كان قرب هجرة الحبشة فيكون سبحانه قد رمز له صلى الله عليه وسلم على ما هو الألذ في محادثة الأحباب من صريح الخطاب بعدد مسمى الطاء إلى أن وهن الكفار الوهن الشديد يقع في السنة التاسعة من نزولها وذلك في غزوة بدر الموعد في سنة أربع من الهجرة وبعدد اسمها إلى أن الفتح الأول يكون في السنة الحادية عشرة من نزولها وذلك في عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة عند نزول سورة الفتح ورمز له بعدد مسمى الهاء إلى أن مبدأ النصرة بالهجرة في السنة الخامسة من نزولها وبعدد اسمها إلى أن النصر بالفعل يقع في السنة السابعة من نزولها وذلك في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة وبعدد جمع اسميهما لا بعدد اسميهما إلى أنه في السنة الثالثة عشرة من نزولها يكون الفتح الأكبر بالاستعلاء على مكة المشرفة الذي كان سببا قريبا للاستعلاء على جميع الأرض وذلك في أواخرها في رمضان سنة ثمان من الهجرة وكان تمامه بفتح الطائف بإرسال وفدهم وإسلامهم وهدم طاغيتهم في سنة تسع وهي السنة الرابعة عشرة وبعدد اسميهما إلى أن تنطبق أكثر الأرض بالإسلام يكون في السنة الثامنة عشرة من نزولها وذلك بخلافة عمر رضي الله عنه في السنة الثالثة عشرة من الهجرة والله أعلم بسم الله الواسع الحلم التام القدرة الرحمن الذي استوى في أصل نعمته جميع خلقه الرحيم الذي أتم النعمة على أهل توفيقه ولطفه طه أي تخلص بالغ من كل ما يخشى وطهر عظيم وطيب منتشر في كل قطر إلى نهاية العرش الذي هو التابع لمن له الإحاطة التامة بكل عيب وإليه ترجع الأمور المنقية كما اجتمعت أسماؤه كلها في غيب هو الذي جعل الود للمتقين والهدى للمهتدين

هذه السورة

والتي قبلها من أقدم السور المكية قال ابن هشام في تهذيب السيرة قال ابن إسحاق حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال قالت لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تبارك وتعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم فذكر إرسالهم إليه هدايا ليردهم إليهم وأن بطارقته كلموه في ذلك وأنه أبى حتى يسمع كلامهم وأنه طلبهم فأجمع أمرهم على أن يقولوا الحق كائنا فيه ما كان فدخلوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم ولم تدخلوا به في دين أحد من هذه الملل قالت فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته

وعفافه

وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان فلما قهرونا وظلمونا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله شيء فقال له جعفر نعم فقال له النجاشي فاقرأه علي فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشي إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم ذكر تأمينه لهم ورده هدايا قريش ورسلهم خائبين

وقال ابن هشام

قال ابن إسحاق وحدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة رضي الله عنها قالت والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر رضي الله عنه في بعض حاجاتنا إذ أقبل عمر ابن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه وكنا نلقى منه البلاء أذى وشدة علينا فقال إنه للانطلاق يا أم عبد الله قلت نعم والله لنخرجن في أرض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا فجاء عامر رضي الله عنه بحاجته تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال أطمعت في إسلامه قلت نعم قال لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام قال ابن إسحاق وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهم وكانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون بإسلامهم من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من قومه بني عدي بن كعب قد أسلم رضي الله عنه وكان أيضا يستخفي بإسلامه فرقا من قومه وكان خباب بن الأرت رضي الله عنه يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه رضي الله عنهم قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة لم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة فلقيه نعيم ابن عبد الله رضي الله عنه فقال أين تريد يا عمر قال أريد محمدا هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم رضي الله عنه والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال وأي أهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت رضي الله عنهم معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب بن الأرت رضي الله عنه في مخدع لهم أو في بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت قالا له ما سمعت شيئا قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد رضي الله عنهما فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه هم رضي الله عنهما نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له يا أخي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خباب رضي الله عنه خرج إليه فقال له يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فإني سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عمر عند ذلك فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف فقال حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فأذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال عمر يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم ان عمر قد اسلم تفرق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا في انفسهم حين اسلم عمر بن الخطاب مع اسلام
حمزة رضي الله عنهما وعرفوا انهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم قال هذا حديث الرواة من اهل
المدينة عن اسلام عمر رضي الله عنه حين اسلم وكان اسلام عمر بعد اسلام حمزة رضي الله عنهما بثلاثة ايام كما بينت ذلك في حاشيته شرح
العقايد عن فوايد تمام الرازي وصفوة الصفوة لابن الجوزي قال ابن هشام قال ابن اسحاق وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما قال لما اسلم عمر قال اي قريش انقل للحديث فقيل له جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
وغدوت اتبع اثره وانظر ما يفعل وانا غلام اعقل كل ما رايت حتى جاءه فقال له اعلمت يا جميل اني اسلمت ودخلت في دين محمد قال
فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر رضي الله عنه واتبعت ابي حتى اذا قام على باب المسجد صرخ باعلا صوته يا معشر قريش وهم
في انديتهم حول الكعبة الا ان ابن الخطاب قد صبا قال ويقول عمر رضي الله عنه من خلفه كذب ولكني قد اسلمت وشهدت ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله وثاروا اليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم قال وطلح فقعد وقاموا على راسه
وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله ان لو كنا ثلاثماية رجل لقد تركناها لكم او تركتموها لنا قال فبينما هو على ذلك اذ اقبل
شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شانكم قالوا صبا عمر قال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون
اترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا عن الرجل قال فوالله لكانما كانوا ثوبا كشط عنه وفي الروض الانف
للامام ابي القاسم السهيلي ان يونس روى عن ابن اسحاق ان عمر قال حين اسلم رضي الله عنه • الحمد لله ذي المن الذي وجبت
له علينا ايادٍ ما لها غِيَر • وقد بدانا فكذبنا فقال لنا • صدق الحديث نبي عنده الخبر

وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى • ربي عشية قالوا قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زللي • بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة • والدمع من عينها عجلان يبتدر
ايقنت ان الذي تدعوه خالقها • فكاد يسبقني من عبرة درر
فقلت اشهد ان الله خالقنا • وان احمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق اتى بالحق من ثقة • وافي الامانة ما في عوده خور

علم ان المقصود من السورة كما تقدم تشريف هذا النبي صلى الله عليه وسلم باعلامه بالرفق بامته
والاقبال بقلوبهم حتى يملاؤا الارض كثرة كما انزل عليهم السكينة وهم في غاية الضعف والقلة وحماهم ممن يريد قتلهم ولين قلب عمر
رضي الله عنه بعد ما كان فيه من الغلظة وجعله وزيرا ثم حماه بعدوه وتامينه صلى الله عليه وسلم من ان يسلوا بعذاب
وبانه يموت بينهم قبله لا كما وقع للمهلكين من قوم نوح وهود عليهما السلام ومن بعدهم بما دل عليه افتتاح هذه بنفي الشقا وختم
تلك بجعل الود وغير ذلك والدليل الى هذا التامين انه سبحانه لما ختم تلك باهلاك القرون واثارة الاثم بعد ابدا القوم اللد
ولم يختم سورة من السور الماضية بمثل ذلك كان ذلك ربما افهم انه قد انقضت مدتهم وحل بوارهم واتى دمارهم وانه لا يؤمن منهم
لما فيهم من اللدد الا من قد آمن فحصل بذلك من الغم والحزن ما لا يعلم قدره الا الله لان الامر كان في ابتدايه ولم يسلم منهم الا نفر يسير
جدا فكشف سبحانه الروع بقوله ما انزلنا اي بعظمتنا عليك وانت اعظم الخلق القرآن اي اعظم الكتب الجامع لكل خير والدافع
لكل ضير الذي يسرناه بلسانك لتشقى اي لتتعب قلبك بكونك من اول المرسلين تابعا بعد استيصال قومك وشقائهم بانذارك
الا اي لكن انزلناه تذكرة اي تذكيرا عظيما لمن يخشى ممن اشرنا في اخر التي قبلها الى بشارته ايماء الى انه سيكون فيهم من المتقين من تابع
كثرته اعجاز هذا القرآن ودوامه وما فيه من الجمع المشار اليه بالتعبير بالقرآن لجميع ما في الكتب السالفة من الاحكام اصولا وفروعا
والمواعظ والدقايق والمعارف والآداب واخبار الاولين والآخرين ومصالح الدارين وزيادته عليها بما شاء الله لان كثرة الامة على
قدر جلالة الكتاب والتعبير عن لكن بالاشارة الى انه يمكن ان يكون من باب ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
واشار بالمصدر الجاري على غير الفعل في قوله تنزيلا الى انه يتمهل عليهم ترفقا بهم ولا ينزل هذا القرآن الا نجما الا لاستهمر وشرحا
لصدورهم وتسكينا لنفوسهم ومدا لمدة البركة فيهم بتردد الملايكة الكرام اليهم كما انه لم يهلكهم بمعاصيهم اكتفاء ببينة ما في
الصحف الاولى بل ارسل اليهم رسولا لئلا يقولوا ربنا لولا [illegible] اقتضته حكمته وتمت به كلمته ولما كان رجوعهم الى الدين على
ما شاهد منهم من الشدة والانفة والشماخة التي سماهم الله بها قوما لدا في غاية البعد شرع سبحانه يذكر بقدرته اشارة الى ان
القلوب بيده يقلبها كيف شاء كما صورها كيف شاء وارشادا الى الرفق والاناة فقال ملتفتا من التكلم الى الغيبة لئلا يلتبس على ما اقتضته النون من
العظمة مقدما ما اقتضى الحال تقديمه من سكن المدعوين المعتنى بكرتهم وهدايتهم من اريد منهم ممن خلق الارض المنخفضة ولما قدم
الارض اعلاما بالاعتناء بجمعها بالرفق بسكانها ليملاها بالايمان منهم تحقيقا لمقصود السورة تشريفا للمنزل عليه اتبعها محل الانزال
على سبيل الترقي من مرتبة العز الى ما كثر في خزانة العرش فقال والسموات العلى في ستة ايام ولو شا لكانا في لحظة ولما كان

القادر قد لا يكون ملكا قال دالا على ملكه مادحا له بالقطع خبر المبتدا المحذوف الرحمن مفتتحا بالوصف المفيض للنعم العامة للطايع والعاصي
ثم ذكر خبرا ثانيا دالا على عموم الرحمة فقال على العرش الحاوي لذلك كله استوى اي اخذ في تدبيره لك منفردا مخاطبا العباد بما يفهمونه
من قولهم فلان استوى اي جلس معتدلا على سرير الملك فانفرد بتدبيره وان لم يكن هناك سرير ولا كون عليه اصلا وهذا روح هذه العبارة كما ان روح
قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما القلوب بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف شاء انه سبحانه
عظيم القدرة على ذلك وهو عليه يسير خفيف كخفة ما هو كذا حاله وليس المراد ان هناك اصبعا اصلا نبه على ذلك حجة الاسلام الغزالي
ومنه اخذ الزمخشري ان يد فلان مبسوطة كناية عن جواد وان لم يكن هناك يد ولا بسط اصلا ولما كان الملك قد لا يكون
مالكا قال معمما الاشرف على العادة له ما في السموات اي كله من عاقل وغيره وما في الارض جميعه وما بينهما اي السموات والارض وما
تحت الثرى وهو التراب الندي سواء قلنا انه اخر العالم فما تحته العدم المحض ام لا فيكون تحته الثور او الحوت او غيرهما ولما
كان الملك لا ينتظم غاية الانتظام الا باحاطة العلم وكان الملك من الادميين قد لا يعلم احوال اقصى ملكه كما يعلم احوال ادناه لا سيما
اذا كان واسعا ولذلك يختل بعض امره اعلم انه سبحانه بخلاف ذلك فقال حاثا على مراقبته والاخلاص له وان تجهر بالقول اي بهذا
القرآن للبشارة والنذارة او لغير ذلك او بغيره فانه عالم به وغير محتاج الى الجهر فلا تتكلف ذلك في غير ما امرت بالجهر به لغرض
غير الاسماع فانه يعلم السر وهو ما ناجى به الانسان مخافته واخفى من ذلك وهو ما في الضماير مما تخيلته الافكار ولم يبرز الى
الخارج وغيره من الغيب الذي لم يعلمه غيره تعالى بوجه من الوجوه ومنه ما سيكون من الضماير ولما كان من هو بهذه الاوصاف
من تمام القدرة والعلم ربما ظن ان له منازعا نفى ذلك بقوله معلما ان هذا الظن باطل قطعا لا شبهة له وان ما مضى ينتج قطعا الله
مفتتحا بالاسم الاعظم الحاوي لصفات الكبر وغيرها لا اله الا هو ثم علل ذلك بقوله له اي وحده الاسماء الحسنى اي صفات الكمال
التي لا يصح ولا يتصور ان يشوبها نقص ما بل هو متصف بها دايما اتصافا حقيقيا لا يمكن انفكاكه كما يكون لغيره من الاتصاف ببعض المحاسن
في بعض الاحايين ثم يعجز عنه في وقت آخر او بالنسبة الى زمان آخر ولما اتبع ذلك قصة موسى عليه السلام مصدرة باستفهام تقرير
بواو عطف ارشد ذلك الى ان المعنى هل تعلم له سميا اي متصفا باوصافه او بشيء منها له مثل ذلك الوصف مثل فعله ولما كان
الجواب قطعا لا ثبتنا انه لا متصف بشيء من اوصافه فعطف على هذا المقدر قصة موسى عليه السلام او يكون التقدير هل علمت بما ذكرناك به
في هذه الآيات انا نريد ما هو علينا يسير بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل من اسعادك في الدارين بتكثير اجرك وتفخيم امرك
بتكثير اتباعك ونعطف عليها لقصة شاهدا محسوسا على ماله من الاتصاف بما انفى عن غيره من الاسماء الحسنى ولا سيما ما ذكرها من
الاتصاف بتمام القدرة والتفرد بالعظمة وانه يعطي هذا المصطفى بانزال هذا الذكر عليه وايصاله منه اليه النصر على الملوك
وساير الاضداد والتمكن في اقطار البلاد وكثرة الاتباع واعزاز الانصار والوزرا والاشياع وغير ذلك بمقدار ما بين كرمهما
من التفاوت فان ابتدا امر موسى عليه السلام انه اتى النار ليقتبس لاهله منها نارا او يجد عندها هدى فتح بذلك من هدى الدارين
والنصر على الاعدا كما سيقص هنا ما فتح وهذا النبي الكريم كان ابتدا امره انه يذهب الى غار حرا فيتعبد الليالي ذوات العدد
ويتزود لذلك احد ايام حوله قبل النبوة بمدد تدريبا له وتقوية لقلبه فاتته النبوة وهو في مضمارها سابر والى وجه ابعز
صابر بل طاير وموسى عليه السلام راى حين اتته النبوة آية العصى واليد ومحمد صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة لا يمر بحجر ولا شجر الا
سلم عليه كما اسنده ابن اسحاق في السيرة وغيره عن جابر بن سمرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف
حجرا كان يسلم علي قبل ان ابعث فقال تعالى مقررا بينهما على انه يذكر له منه ما يكفي في تسليته وتقوية قلبه وتسكين الهموم الذي نوه
في امره صلى الله عليه وسلم وغشوا قريشا حين تخلفوا لتسعة الذين اليهم ورضوا بقولهم لهم وعليهم فيكون فايدة الاستفهام ان
يقرع اذنه الشريفة للسماع وقلبه العظيم للوعي وهل اتاك اي يا اشرف الخلق حديث موسى مادبا الى التاسي بموسى عليه السلام
في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدايد وشاهدا بذكر ما في هذه السورة من سياق قصته ما اجمل منها في سورة
مريم ومقررا بما ظهر في اساليبها ما تقدم من انه مقصد السورة من انه يسعده ولا يشقيه ويبرز على جميع شانئيه باعزازه على اهل بلده
بعد اخراجهم له كما اعز موسى عليه السلام على من خرج من بلادهم خايفا يترقب ترغيبا في الهجرة ثالثا بعد ما رغب فيها اولا بقصة اصحاب الكهف
وثانيا بقصة ابرهيم عليه السلام وانه يعلي قومه على جميع اهل الارض وينقذهم به بعد ضعفهم من كل شيء ويعين نفرهم ويجعلهم
ملوك الارض ويذل بهم الجبابرة ويهلك من علم شقاوته منهم كما فعل بقوم موسى واشار بانجاء موسى عليه السلام على يد عدوه والقاء
المحبة عليه وهداية السحرة دون فرعون وقومه وعبادة بني اسرائيل العجل بعد ما راوا من الآيات والنعم والتحريم رجوعهم عنها
الى عظيم قدرته على التصرف في القلوب لمن كاد يبخع نفسه لكفرهم بهذا الحديث اسفا وكذا ما في قصة آدم عليه السلام من قوله
فنسي ولم نجد له عزما وقوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ولعله اشار بقوله واحلل عقدة من لساني الى كما انعم الله به
عليه من تيسير هذا الذكر بلسانه وارشد بدعا موسى عليه السلام بشرح الصدر وتيسير الامر وطلب وزير من اهله الى الدعا
بمثل ذلك حتى دعا المنزل عليه هذا القرآن بان يؤيد الله الدين باحد الرجلين فاتى باعظم وزير عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما مضى

هذا الى تمام ما اشتمل عليه سياق قصة موسى عليه السلام هنا اتماما لتبكيت اليهود على تعليمهم قريشا ان يسئلوا النبي صلى الله
عليه وسلم عن الروح وما ذكر معها من دقايق من امر قصة نبيهم صلى الله عليه وسلم لا يعلمها احد منهم او الاحد افهم منها ان الموعد
كان يوم الزينة ومنها ايمان السحرة ايمانا كاملا ومنها تهديد فرعون بتصليبهم في جذوع النخل ومنها القاء السامري لاثر الرسول فاني
لا ارى احدا من اليهود يعرف ذلك واخبرني بعض فضلائهم انه لا ذكر لذلك عندهم وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما
ذكر سبحانه قصة ابرهيم عليه السلام وما منحه واعطاه وقصص الانبياء بعده بما خصهم به واعقب ذلك بقوله تعالى اولئك الذين
انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وكان ظاهر الكلام تخصيص هؤلاء بهذه المناصب العلية والدرجات المنيفة الجليلة لا سيما
وقد اتبع ذلك بقوله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا كان هذا مظنة اشفاق وخوف
فاتبعه تعالى بملاطفة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ملاطفة المحبوب المقرب المجتبى فقال ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولما
فقد ختمت سورة مريم بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا بعد قوله وتنذر به قوما لدا وقد راى
عليه السلام من تأخر قريش عن الاسلام ولددها ما اوجب اشفاقه وخوفه عليهم ولا شك انه عليه السلام يحزنه تأخر ايمانهم ولذلك
قيل له فلا تحزن عليهم فكانه عليه الصلاة والسلام ظن ان سيستصعب المقصود من استجابتهم او ينقطع الرجاء من انابتهم فيطول العناء
والمشقة فبشره سبحانه بقوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فلا عليك من لدد هؤلاء وتوقفهم فيستجيب من انطوى على الخشية اذا
ذكر وحرك الى النظر في آيات الله كما قيل له في موضع آخر فلا يحزنك قولهم ثم اتبع ذلك سبحانه تعريفا وتأنيسا بقوله الرحمن على العرش استوى
الى اول قصص موسى عليه السلام فاعلم سبحانه ان الكل خلقه وملكه وتحت قهره وقبضته لا يشذ شيء عن ملكه فاذا شاء هدايته من
وفقه لم يصعب امره ثم اتبع ذلك بقصة موسى عليه السلام وما كان منه في البداية صغيرا في اليم وما جرى بعد ذلك من عجيب الصنع
وهلاك فرعون وظهور بني اسرائيل وكل هذا اعلام وتأكيد القصد المتقدم وهذا الوجه الثاني اولى من الاول والله اعلم انتهى اذ اي
حديثه حين **رأى نارا** وهو راجع من بلاد مدين **فقال لاهله امكثوا** اي مكانكم واتركوا ما انتم عليه من السير ثم علل امره بقوله **اني
آنست** اي ابصرت في هذا الظلام ابصارا بينا لا شبهة فيه من انسان العين الذي يتبين به الاشيا ومن ذلك بما يسر من الانس ضد
الذين هم ظاهرون ما يوحشهم **نارا** فكانه قيل فكان ماذا فقال معبرا باداة الترجي لنقض الخبر الذي عبر به في النمل بالهدى
لعلي آتيكم اي اترجى ان اجيئكم **منها بقبس** اي بشعلة من النار في راس خطبة فيها جمر تقيس على برد هذه الليلة **او اجد على مكان النار
هدى** اي ما اهتدي به لان الطريق كانت قد خفيت عليهم ودل على قرب وصوله اليها بالفاء في قوله **فلما اتاها** ولما
كان في الابهام ثم التبيين تشويق وتعظيم بني للمفعول قوله **نودي** اي من الهادي الذي لا هادي غيره ثم بين المراد بقوله **يا موسى** ولما
كان المقام للتعرف بالايادي تلطفا قال مؤكدا تنبيها له على تعرف انه كلامه سبحانه من جهة انه يسمعه من غير
جهة معينة وعلى غير الهيئة التي عهدها في مكالمة المخلوقين مسقطا في قراءة ابن كثير وابي عمرو وابي جعفر بالفتح وحاكيا بقول مقدر
عند الباقين **اني انا ربك** اي المحسن اليك بالخلق والرزق وغيرهما من مصالح الدارين **فاخلع نعليك** كما يفعل بحضرات الملوك ادبا
ولتنال لك بركتها ولتكون متهيئا للاقامة غير ملتفت الى ما وراءك من الاهل والولد ولذا قال اهل العبارة النعل يعبر بها عن
الزوجة ثم علل بما يرشد الى انه تعالى لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان فقال **انك بالوادي المقدس** اي المطهر عن كل ما لا يليق
بافنية الملوك ثم فسره بقوله **طوى** ولما كان المعنى فاني اخترته تشريفا له من بين البقاع لمناجاتك عطف عليه قوله
وانا اخترتك اي للنبوة **فاستمع** اي انصت ملقيا سمعك معملا قلبك للسماع **لما** او اخترتك للذي وقدم استمع اهتماما به **يوحى**
او يقال لك مني سرا مستورا عن غيرك سماعه وان كان في غاية الجهر كما يفعل الحبيب مع حبيبه من صيانة حديثهما عن ان تعالى بما
يجعل له من الخلوة اعلاما بعلو قدره وفخامة امره ثم فسر الموحى باول الواجبات وهو معرفة الله تعالى فقال مؤكدا لعظم الخبر
وخروجه عن العادات **انني انا الله** فذكر الاسم العلم لان هذا مقامه اذ الانسب بالملطوف به بعد التعرف اليه بالاكرام
الاقامة في مقام الجلال والجمال ولما كان هذا الاسم العلم جامعا لجميع معاني الاسماء الحسنى التي علت ان يتصف بها او يسمى
منها حق الاتصاف غيره تعالى حسن تعقيبه بقوله **لا اله الا انا** ولما تسبب عن ذلك وجوب افراده بالعبادة قال
فاعبدني اي وحدني ثم خص من بين العبادات معدن الانس والخلوة وآية الخضوع والمراقبة وروح الدين فقال **واقم الصلاة**
اي التي اضاعها خلوف السوء اشارة الى انها المقصود بالذات من الدين لانها اعلى شرايعه لانها حاملة على المراقبة بما فيها
من دوام الذكر والاعراض عن كل سوى وذلك معنى **لذكري** وذلك انسب الاشيا لمقام الجلال بل هي الجامعة لمظهري
الجمال والجلال ثم علل الامر بالعبادة بانه لم يخلق الخلق سدى بل لا بد من اماتتهم ثم بعثهم لاظهار العظمة ونصب موازين العدل
فقال مؤكدا لانكارهم معبرا بما يدل على سهولة ذلك عليه جدا **ان الساعة آتية** اي لا ريب في اتيانها فهي اعظم باعث على الطاعة
ولما كان بيان حقيقة الشيء مع اخفاء شخصه ووقته وجميع احواله موجبا في الغالب لنسيانه والاعراض عنه فكان غير
بعيد من اخفائه اصلا وراسا قال مشيرا الى هذا المعنى **اكاد اخفيها** اي اقرب من ان اجرد اخفاها فلذا يكذب بها الكافر بلسانه

والعاصي

والعاصي بعصيانه فالكافر لا يصدق بكونها والمؤمن لا يستعمل غفلة عنها فراقبني فان الامر يكون بغتة ما من لحظة الا وهي
صالحة للترقب ثم بين سبب الاتيان بها بقوله **لتجزى** اي بايسر امر واهونه **كل نفس** كائنة من كانت **بما تسعى** اي توجد من السعي
في كل وقت كما يفعل كل من امر ناسا بعمل من النظر في اعمالهم ومجازاة كل بما يستحق ولما كانت لما تقدم في حكم المنسي عند اغلب الناس
قال **فلا يصدنك عنها** اي عن ادامة ذكرها ليتم التشمير في الاستعداد لها **من لا يؤمن بها** باعراضه عنها وحمله غيره على ذلك تزيينه بما او
من المتاع الموجب للتكاثر المثمر لامتلاء القلب بالمباهاة والمفاخرة فان من انصد عن ذلك غير بعيد الحال ممن كذب بها والمقصود من العبارة
نهي موسى عليه السلام عن التكذيب فعبر عنه بنهي من لا يؤمن عن الصد اجلالا لموسى عليه السلام ولان صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب
فذكر السبب ليدل على المسبب ولان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب
فكانه قيل كن شديد الشكيمة صليب المعجم لئلا يطمع احد في صدك وان كان الصاد الجم الغفير فان كثرتهم تصل الى الهوى لا الى
البرهان وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله نبه عليه
الكشاف ثم بين العلة في التكذيب بها والكسل عن التشمير لها بقوله **واتبع** اي بغاية جهده **هواه** فكان حاله حال البهائم التي لا
عقل لها تنفيرا عن مثل حاله ثم اعظم التحذير بقوله مسببا **فتردى** اي فتهلك اشارة الى ان من ترك المراقبة لحظة حاد عن الدليل
ومن حاد عن الدليل هلك ولما كان المقام مرشدا الى ان يقال ما جوابك يا موسى عما سمعت وكان تعالى عالما بانه يبادر الى الجواب
بالطاعة في كل ما تقدم طوى هذا المقال مومئا اليه بان عطف عليه قوله **وما تلك** اي العالية المقدار **بيمينك يا موسى** مالم
مريدا بعد تأنيسه بسؤاله عما هو اعلم به منه اقامة البينة لديه بما يكون دليلا على الساعة من سرعة القدرة على ايجاد ما لم
يكن بقلب العصى حية بعد تحقق انها عصاه بقرب النظر اليها عند السؤال عنها ليزداد بذلك ثباتا ويثبت من رسل اليهم
قال هي اي ظاهرا وباطنا **عصاي** ثم وصل به مستانفا بلذيذ المخاطبة قوله بيانا لمنافعها خوفا من الامر بالقائها كالنعل
اتوكؤا اي اعتمد وارتفق واتمكن **عليها** اي اذا اعييت او عرض لي ما يحوجني الى ذلك من زلق او هبوط او صعود او طفرة او ظلام
ونحو ذلك ثم ثنى بعد مصلحة نفسه بامر رعيته فقال **واهش** اي اخبط الورق وقال ابن كثير قال عبد الرحمن بن القاسم عن الامام
مالك والهش ان يضع الرجل المحجن في الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثمره ولا يكسر العود فهذا الهش ولا يخبط قال وكذا قال
ميمون بن مهران وقال ابو حيان والاصل في هذه المادة الرخاوة يقال رجل هش **بها على غنمي** ولما كان كمال اهل ذلك
الزمان يخاف التطويل على الملك فيقطع على نفسه ما هو فيه من لذة المخاطبة كما قيل اجلس على البساط واياك والانبساط وطمعا في
سماع كلامه سبحانه فقال مجملا **ولي فيها مآرب** اي حوائج ومنافع يفهمها الالبا ولما كان المحدث عنه لا يعقل واخبر عنه
بجمع كثرة كان الانسب معاملته معاملة الواحدة المؤنثة فقال **اخرى** تاركا للتفصيل فكانه قيل فماذا قيل له فقيل **قال
القها** اي العصى وانسه بقوله **يا موسى فالقاها** اي فتسبب عن هذا الامر المطاع انه القاها ولم يتلعثم **فاذا هي** في الحال
ظاهرا وباطنا **حية** عظيمة جدا يطلق عليها لعظمها في نهاية امرها اسم الثعبان والحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير
والكبير **تسعى** سعيا خفيفا يطلق عليها لاجله في اول امرها اسم الجان نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انها صارت حية صفرا لها
عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى صارت ثعبانا فهي في عظم الثعبان وسرعة الجان ولما كان ذلك امرا مخيفا
استشرف السامع الى ما يكون من حاله عند مثل هذا بعد ذلك فاستانف اخباره بقوله **قال** اي الله تعالى ربا له على ما يكون
منها عند فرعون **خذها ولا تخف** مشيرا الى انه خاف منها على عادة الطبع البشري ثم علل النهي عن الخوف بقوله **سنعيدها**
بعظمتنا عند اخذك لها بوعد لا خلف فيه **سيرتها** اي طريقتها **الاولى** من كونها عصى فهذه آية بينة على ان الذي يخاطبك هو
ربك الذي له الاسماء الحسنى فنزلت عليه السكينة وبلغ من طمانينته ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها فاذا هي عصاه وبين
بين شعبتيها ولما اراه آية في بعض ما في الآفاق اراد ان يريه آية في نفسه فقال **واضمم يدك** من جيبك الذي يخرج
منه عنقك **الى جناحك** اي جنبك تحت العضد تنضم على ما هي عليه من لونها وما لها من الحريق **تخرج** فالاية من باب الاحتباك والجناح
اليد والعضد والابط والجانب قاله في القاموس ولا يعارض هذا ما في القصص لانه اطلق الجناح هناك على اليد وسمي احق به
وهنا على الجنب الذي هو موضعها تسمية للمحل باسم الحال **بيضاء** بياضا لماعا كالشمس يتعجب منه ولما كان البرص ابغض شيء
الى العرب قال نافيا له ولغيره ولم يسمه باسمه لان اسماعهم له مجاجة ولان نفي الاعم من الشيء ابلغ من نفيه بخصوصه **من غير سوء**
اي برص ولا غيره حال كونها **آية اخرى** انفعل ما امرتك به من القاء العصى وضم اليد او فعلنا ذلك من احالة العصى وكون اليد
ومن مبادئ انك لمناجاتك **لنريك** في جميع ايام نبوتك **من آياتنا الكبرى** ليثبت بذلك جنانك ويزداد ايقانك فكانه قيل لماذا
يفعل بي هذا فقيل لنرسلك الى بعض المهمات **اذهب الى فرعون** اي لترده عن عتوه ثم علل الارسال اليه بقوله موكدا لان طغيان
احد بالنسبة الى شيء ما للملك الاعلى مما يستبعد **انه طغى** اي تجاوز وخرج من العبودية فادعى الربوبية واشار الى ما حصل
له من الضيق من ذلك بما عرف من انه امر عظيم وخطب جسيم يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح

وقلبه ضابط كما صرح به في سورة الشعراء بقوله قال رب اشرح اي وسع لي ولما ابهم المشروح ليكون الكلام اوكد بتكرير المعنى في
طريقي الاجمال والتفصيل قال رافعا لذلك الابهام صدري للاقدام على ذلك والى استصعابه بقوله ويسر لي ثم بين ذلك الابهام بقوله
امري والى استجارة نفسه عن الابانة لهم عن المراد بقوله واحلل ولما كان المعنى هنا لا يحتمل غيره او انه لم يسل بقاه في عرجال
الدعوة عدل عن طريق الكلام الماضي فقال عقدة من لساني اي مما فيه من الحبسة عن الاتيان بجميع المقاصد من الجمرة التي وضعها في فيه وهو عند
فرعون كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ولما كان سؤاله هذا انما هو لله ولذلك اقتصر على قدر الحاجة فلم يطلب زوال الحبسة
كلها اجابه بقوله يفقهوا قولي والى اعتقاد صعوبة المقام مع ذلك كله وطلب التاييد بنصير بهمه امره في قوله واجعل لي اي مما
تختص به وتبين اهتمامه بالاعانة كما يقتضيه الحال فقدم قوله وزيرا اي ملجأ يحمل عني بعض الثقل وفيا وهي من اهلي لاني به اوثق لكونه علي
اشفق ثم ابدل منه قوله هرون وبينه بقوله اخي اي لانه اجدر اهلي بتمام مناصرتي واجاب الدعا في قراة ابن عامر فقال اشدد
بقطع الهمزة مفتوحة به ازري اي قوتي وظهري واشركه بضم الهمزة مسندا الفعلين الى ضميره على انهما مضارعان وقراة الباقين بوصل
الاول وفتح همزة الثاني على انهما امران مسندان الى الله تعالى على الدعا في امري اي النبوة ولما الهم سؤاله هذا انه فيه غرضا
اشار الى انها ليست مقصودة له لامر يعود على نفسه بذكر العلة الحقيقية فقال كي نسبحك اي بالقول والفعل بالصلاة وغيرها
كثيرا فافصح عن المراد بالمعاضدة انما هو لتمهيد الطريق اليه سبحانه ولما كان التسبيح ذكرا خاصا لكونه بالتنزيه الذي
اعلاه التوحيد اتبعه العام فقال ونذكرك اي بالتسبيح والتحميد كثيرا فان التعاون والتظاهر اعون على تزايد العباده لانه مهيج
للرغبات ثم علل طلبه لاخيه لاجل هذا الغرض بقوله انك كنت بنا بصيرا قبل الاقامة في هذا الامر في انك جبلتنا على ما يلائم ذكرك
وشكرك وان التعاضد مما يصلحنا وكل ذلك تدريب لمن اراد عليه هذا الذكر على مثله وتذكير بنعمة تيسيره بلسانه ليزداد شكرا
وذكرا ولما تم ذلك كان موضع توقع الجواب فاتبعه قوله قال اي الله قد اوتيت باسهل امر سؤلك اي ما سالته يا موسى
من حل عقدة لسانك وغير ذلك ولو شيت لم افعل ذلك ولكني فعلته منا مني عليك ولما كان انجاوه من فرعون حيث ولد في
السنة التي يذبح فيها الابنا قالوا وهي الرابعة من مولد هرون عليه السلام بيد فرعون وفي بيته امرا عظيما التفت الى مقام
العظمة مذكرا له بذلك تنويرا لبصيرته وتقوية لقلبه اعلاما بانه ينجيه منه الآن كما انجاه في ذلك الزمان ويزيده بزيادة
السن والنبوة خيرا فيجعل عزه في هلاكه كما جعل اذ ذاك عزه في وجوده فقال ولقد مننا اي انعمنا انعاما مقطوعا به كما يليق
بعظمتنا عليك فضلا منا مرة اخرى غير هذه ثم ذكر وقت المنة فقال اذ اي حين اوحينا اي بما لنا من العظمة الى امك اي بالالهام
ما يستحق لعظمته ان يوحى به ولا يعلمه الا نبي او من هو قريب من درجة النبوة ثم فسره بقوله ان اقذفيه اي الق ابنك
في التابوت وهو الصندوق فعلوت من التوب الذي معناه الرجوع تفاولا به وقال الحرالي هو وعاء ما يعز قدره والقذف مجاز
عن المسارعة الى وضعه من غير تمهل لشي اصلا اشارة الى انه فعل مضمون السلامة كيف ما كان والتعريف لانه نوع من الصناديق
اشد الناس معرفة به بنو اسرايل فاقذفيه اي موسى عليه السلام عقب ذلك بتابوته او التابوت الذي فيه موسى عليه
السلام في اليم اي البحر وهو النيل الذي هو اهل لان يقصد ولما كانت سلامته في البحر من العجايب لتعرضه للغرق وقلب
الريح للتابوت او بكسره في بعض الجدر او غيرها او بجريه مستقيما مع اقوى جريه من الماء الى البحر الملح وغير ذلك من الآفات اشار الى تحتم
تنجيته بلام الامر عبارة عن معنى الخبر في قوله جاعلا البحر كانه ذو تمييز ليطيع الامر فليلقه اي التابوت الذي فيه موسى
عليه السلام او موسى بتابوته اليم بالساحل اي شاطي النيل سمي بذلك لان الما يسحله اي يقشره الى الجانب البيت الذي لفعل كله هربا
من شر صاحبه وهو فرعون وهو المراد بقوله جوابا للامر ياخذه اي موسى عليه السلام عدو لي ونبه على محل العجب باعادة لفظ في
قوله وعدو له فانه ما عادى بني اسرايل بالتذبيح الا من اجله والقيت عليك محبة اي عظيمة ثم زاد الامر في تعظيمها ايضاحا بقوله مني
اي يحبك كل من رآك لما جبلتك عليه من الخلال الحميدة والشيم السديدة لتكون اهلا لما اريدك له ولتصنع اي تربى بايسر امر تربية عظيمة
بمن هو ملازم لك لا ينفك عن الاعتنا بمصالحك عناية شديدة على عيني اي مستعليا على حافظيك غير مستخف في تربيتك من احد
ولا خوف عليك منه وانا حافظ لك حفظ من يلاحظ الشي بعينه لا يغيب عنها فكان كل ما اردته فلما راك هذا العدو احبك وطلب
لك المراضع فلما لم تقبل واحدة منهن بالغ في الطلب كل ذلك امضاء لامري وابقا لا لامر به نفسه لا بغيره ليزداد العجب من احكام
السبب ثم ذكر طرفا الصنع فقال اذ اي حين تمشي اختك اي في الموضع الذي وضعوك به لينظروا الكل مرضعه فتقول بعد ادرانك
لآل فرعون هل ادلكم على من يكفله اي يقوم بمصالحه من الرضاع والخدمة ناصحا له فقالوا نعم فجات بامك فقبلت ثديها فرجعناك
بسبب قولها الى امك حين لتهم عليها كي تقر اي تبرد وتسكن عينها وتربيك آمنة عليك غير خايفة ظاهرة غير مستخفية
ولا تحزن بفراقك او بعدم تربيتها لك وبذلها الجهد في نفعك وقتلت نفسا بعد ان صرت رجلا من القبط دفاعا عن رجل من
قومك فطلبت بها واراد واقتلك فزاد غمك لذلك فنجيناك اي بما لنا من العظمة من الغم الذي كان قد نالك بقتله خوفا من
جريرته بان اخرجناك مهاجرا الديارهم نحو مدين وفتناك فتونا اي خلصناك من محنة بعد محنة مرة بعد مرة على انه جمع فتن او فتنة

على ترك الاعتداد بالتنا ويجوز ان يكون مصدرا كالشكور واول الفتون ولادته عام الذبح ثم القاوه في البحر ثم منعه الرضاع من غير ثدي امه
ثم جره لحية فرعون ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ثم قتله القبطي ثم خروجه الى مدين في الطريق المهيع خايفا يترقب ثم ايجاره نفسه عشر سنين
ثم اضلاله الطريق ثم تفرق غنمه في ليلة مظلمة فلبثت سنين اي كثيرة في اهل مدين مقيما عند نبينا شعيب عليه السلام يربيك بادابه
وصاهرته على ابنته ثم جيت اي الآن على قدر اي وقت قدرته في الازل لتكليمي لك ونبوتك وهو بلوغ الاشد والاستوا وارسالك الى فرعون
لامضي فيه قدرتي الذي ذبح ابنا بني اسرايل خوفا منه بحيث غير مستقدم ولا مستاخر ياموسى واصطنعتك اي ربيتك بصنايع المعروف
تربية من يتكلف تكون المربى على طريقة من الطرايق لنفسي اي لتفعل من مرضاتي في تمهيد شرايعي وانفاذ اوامري ما يفعله من يصنع
للنفس من غير مشارك فهو تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم فلما تمهد ذلك كله بعد علم نتيجته اعادها في قوله
اذهب انت كما تقدم امري لك به واخوك كما سالت باياتي التي اريتك وغيرها مما اظهره على يدك ولا تنيا اي تفترا وتضعفا
في ذكري الذي تقدم امري حملته غاية دعايك بل ليكن مع كونه ظرفا محيطا بجميع امرك في غاية الاجتهاد فيه واحضار القلب له وليكن
اكثر ما يكون عند لقاء فرعون ان عبدي كل عبدي الذي يذكرني عند لقاء قرنه فانه لك اعون شي على المراد ثم بين المذهوب اليه بقوله
موكدا النفس الذهاب لانه لشدة الخطر لا يكاد طبع البشر يجمع جزم الامر به فقال اذهبا الى فرعون ثم علل الارسال اليه بقوله
موكدا الماضي ولزيادة التعجيب من قلة عقله فكيف بمن يتبعه انه طغى ثم امرهما بما ينبغي لكل آمر بالمعروف من الاخذ بالاحسن فالاحسن
والاسهل فالاسهل فقال مسببا عن الانتها اليه ومعقبا فقولا له قولا لينا ليلا يبقى له حجة ولا يقبل له معذرة لعله يتذكر ما
مر له من تطوير الله له في اطوار مختلفة وحمله فيما يكره على ما لم يقدر على الخلاص منه بحيلة فيعلم بذلك ان الله ربه وانه قادر على ما يريد
منه فيرجع عن غيه فيومن او يخشى اي ويصل الى حال من يخاف عاقبة قولكما لتوهم الصدق فيكون قولكما تذكرة فيرسل معكما بني اسرايل
ومعنى الترجي ان يكون حاله حال من يرجى منه ذلك لانهما من ثمرة اللين الدعا جري الكلام في هذا وامثاله على ما يتعارفه العباد في محاوراتهم
وجاء القران على لغتهم وعلى ما يعنون فالمراد اذهبا انتما على رجايكما وطمعكما ومبلغكما من العلم وليس لهما اكثر من ذلك ما لم يعلما واما علمه
تعالى فقد اتى من وراء ما يكون قاله سيبويه في باب من النكرة يجري مجرى ما فيه الالف واللام من المصادر والاسما ولما كان فرعون
في غاية الجبروت وكان حاله حال من يهلكهما الا ان يمنعهما الله وارادا علم ما يكون من ذلك قالا ربنا اي ايها المحسن الينا ولما
كان اخبارهما بالخوف مع كونهما من جهة الله من شانه ان لا يكون وان يكن اكرا فقالا اما لغير فيه باظهار التولي لسائله ابلاغا في اظهار
الشكوى ليباني الجبر على قدر ما يظهر من الكسر انا نخاف لما هو فيه من المكنة ان يفرط اي يعجل علينا بالعقوبة قبل تمام البلاغ
عجلة من يطفر ويثب الى الشي او ان يطغى فيتجاوز الى اعظم مما هو فيه من الاستكبار قال لا تخافا ثم علل ذلك بما هو مناط النصر
والحياطة للولي والاهلاك للعدو فقال موكدا اشارة الى عظيم الخبر وتثبيتا لمضمونه لانه خارج عن العوايد واثبت النون
الثالثة على وزاد تاكيدهما انني معكما لا اغيب كما يغيب الملوك اذا ارسلوا رسلهم اسمع وارى اي لي هاتان الصفتان لا يخفى علي
شي من حال رسولي ولا حال عدوه وانتما تعلمان من قدرتي ما لا يعلمه غيركما ولما تمهد ذلك تسبب عنه تعليمهما ما تقولان
فقال موكدا للذهاب ايضا لما مضى فاتياه فقولا اي له ولما كان فرعون ينكر ما تضمنه قولهما اكد سبحانه فقال انا
ولما كان التنبيه على معنى الموازرة هنا كما تقدم مطلوبا تثنى فقال رسولا ربك الذي رباك فاحسن تربيتك بعد
ان اوجدك من العدم اشارة الى تحقيره بانه من جملة عبيد مرسلهما تكذيبا له في ادعاية الربوبية ثم سببا عن رسالتهما اليه
قولكما فارسل معنا عبيده بني اسرايل ليعبدوه فانه لا يستحق العبادة غيره ولا تعذبهم بما تعذبهم به من الاستخدام والذبح
ثم علل دعوى الرسالة بما يثبتها فقالا مفتتحا بحرف التوقع لان حال السامع لادعا الرسالة ان يتوقع دلالة على الارسال قد جيناك
باية اي علامة عظيمة وحجة وبرهان من ربك الذي لا احسان عليك الا منه موجبة لقبول ما ادعيناه من العصى واليد وغيرهما
فاسلم تسلم وفي تكرير مخاطبته بذلك تاكيد لتبكيته في ادعاء الربوبية ونسبته الى كفران الاحسان فسلام عليك خاصة
ان قبلت هدى الله والسلام اي جنسه على جميع من اتبع بغاية جهده الهدى عامة واذا كان هذا الجنس عليهم كان
من المعلوم ان العطب على غيرهم فالمعنى وان ابيت عطبت واكد لانكاره قولهما انا اي لانا قد اوحي الينا من ربنا ان العذاب
اي كله لان اللام للاستغراق او الماهية وعلى التقديرين تقتضي قصر ثبوت هذا الجنس ودوامه لما تفهمه الاسمية على كل من
كذب وتولى اي اوقع التكذيب والاعراض وذلك تقتضي انه ان كان منه شي على مصدق كان منقضيا واذا انقضى كان كانه لم يوجد
وفي صرفا الكلام عنه تنبيه على انه ضال مكذب وتعليم للادب ولما كان التقدير فاتياه فقولا انا رسولا ربك الى آخر ما
امرا به وتضمن قولهما ان لمرسلهما القدرة التامة والعلم الشامل تسبب عنه سواله عن تعيينه استانفا الاخبار عن جوابه
بقوله قال اي فرعون مدافعا لهما ما المناظرة لا بالبطش ليلا ينسب الى السفه والجهل فمن اي تسبب عن كلامكما هذا الذي
لا يجترى على مواجهته به احد من اهل الارض اني اسالكما من ربكما الذي ارسلكما ولم يقل ربي حيدا عن سواء النظر وصرفا للكلام
عن الوجه الموضح لخزيه ولما كان موسى عليه السلام هو الاصل في ذلك وكان ربما طمع فرعون بمكره وسوء طويته في حبسه

تحصل فى لسانه أنزده بقوله يا موسى قال له موسى على الفور ربنا اى موجدنا ومربينا ومولانا الذى أعطى كل شىء مما تراه فى الوجود خلقه اى ما هو عليه مما هو به اليق فى المنافع المنوطة به والاثار التى تنشأ عنه من الصورة والشكل والمقدار واللون والطبع وغير ذلك مما يفوت الحصر ويجل عن الوصف كان فى افاضة الروح من الجلالة واللطف ما يضمحل عنده غيره من المعانى وبه اشار الى ذلك بحرف التراخى فقال ثم هدى اى كل حيوان منه مع ان فيها العاقل وغيره الى جميع منافعه فيسعى لها ومضاره فيحذرها فثبت بهذه المباينة والمفاصلة مع اتحاد نسبة الكل الى الفاعل انه واحد مختار وان ذلك لو كان بالطبيعة المستندة الى النجوم او غيرها كما كان يعتقده فرعون وغيره لم يكن هذا التفاوت ولما لم يكن لاحد بالطعن فى هذا الجواب قبل لانه لا دليل فيه ولا خلل مع رشاقته واختصاره وشموله بالجمع الى غاية مضماره صرف الكلام عنه سرعة خوفا من الافتضاح بزيادة موسى عليه السلام فى الايضاح فيظهر الفساد من الصلاح الى شىء يتسع فيه المجال ولا يقوم عليه دليل فيمكن فيه الرد واخبر عنه سبحانه على طريق الاستيناف بقوله قال فما اى تسبب عما تضمن هذا من نسبة ربك الى العلم بكل موجود اى اقول لك فما بال اى خبر القرون الاولى الذى هو فى غاية ...

[illegible]

... دال على العلم الحكيم قال منبها على انتشار انواره وجلالة مقداره مؤكدا لاجل انكار المنكرين ان فى ذلك اى الانشاء على هذه الوجوه المختلفة لايات على منشئه لاولى النهى اى العقول التى من شأنها ان تنهى صاحبها عن الغى ومن عمى عن ذلك فلا عقل له اصلا لان عقله لم ينفعه وما لا ينفع فى حكم العدم وذكر ابن كثير هنا ما عزاه ابن اسحاق فى السيرة لزيد بن عمرو بن نفيل وابن هشام لامية بن ابى الصلت

وانت الذى من فضل من ورحمة • بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت الا يا اذهب وهرون فادعوا • الى الله فرعون الذى كان باغيا
فقولا له آانت سويت هذه • بلا وتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له آانت رفعت هذه • بلا عمد ارفق اذا بك بانيا

وقولا له آانت سويت وسطها • منيرا اذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يخرج الشمس بكرة • فيصبح ما مست من الزرع ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب فى الثرى • فيخرج منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه فى رؤسه • ففى ذاك آيات لمن كان واعيا

ولما اخبر سبحانه عما خلق فى الارض من المنافع الدالة على تمام علمه وباهر قدرته على وجه دال على خصوص القدرة على البعث لما سبحهم وغيرهم من يقر لله بالوحدانية ولا يقر بقول اهل الاسلام ان الروح جسم لطيف سار فى الجسم سريان النار فى الفحم بل يقول انها ليست بجسم ولا قوة فى جسم ولا صورة لجسم وليست متصلة به اتصال انطباع ولا حلول فيه بل ...

[illegible]

الدواعي على الإتيان للعيد والنظر إلى تلك المغالبة التي لم يكن مثلها ولما تشوف السامع إلى ما كان من موسى عليه السلام
عند ذلك استأنف سبحانه الخبر عنه بقوله قال لهم أي لأهل الكيد وهم السحرة وغيرهم موسى حين رأى اجتماعهم ناصحاً لهم
ويلكم يا أيها الناس الذين خلقهم الله لعبادته لا تفتروا أي لا تتعمدوا أن تصنعوا استعلاء على الله كذباً بجعلكم آياته العظام
الثابتة سحراً لا حقيقة له وادعائكم أن ما تخيلونه حق وليس بخيال وإشراككم به وسبب عنه قوله فيسحتكم أي يهلككم قال الرازي
وأصله الاستئصال بعذاب أي عظيم نظهره بينكم وقد خاب كل من افترى أي تعمد كذباً على الله أو على غيره فتنازعوا أي
تجاذبوا السحرة أمرهم بينهم لما سمعوا هذا الكلام علماً منهم بأنه لا يقدر أن يواجه فرعون بمثله في جميع جنوده وأتباعه ثم يسلم منه
إلا من الله معه وأسروا النجوى أي كلامهم الذي تناجوا به وبالغوا في إخفائه فإن النجوى الإسرار لئلا يظهر فرعون وأتباعه على عوارهم
من اختلافهم الذي اقتضاه لفظ التنازع فكأنه قيل ما قالوا حين انتهى تنازعهم فقيل قالوا أي السحرة بعد النظر وإجالة الرأي مما
خيلهم به فرعون تملقاً منه وتقرباً إليه بما ينفر الناس عن موسى وهرون عليهما السلام ويثبطهم عن اتباعهما وإن غلبا لأنه لا ينكر
أن يغلب ساحر ساحراً آخر إن هذان أي موسى وهرون وقرئ هذان بالألف على لغة من يجعل المثنى بالألف في كل حال قال أبو حيان
وهي لغة لطوائف من العرب بني الحرث بن كعب وبعض كنانة وخثعم وزبيد وبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة لساحران لا شك
في ذلك منهما يريدان أي بما يقولان من دعوى الرسالة وغيرها أن يخرجاكم أيها الناس من أرضكم هذه التي ألفتموها وهي وطنكم
خلفاً عن سلف بسحرهما الذي أظهراه لكم وغيره ولما كان كل حزب بما لديهم فرحون قالوا ويذهبا بطريقتكم هذه السحرية
التي تعبتم في تمهيدها وأفنيتم فيها أسلافكم أعمارهم حتى بلغ أمرها الغاية وبدينكم الذي به قوامكم المثلى أي التي هي أمثل الطرق
فيكونا أثر بما يظهرانه منها عند الناس منكم ويصرفا وجوه الناس إليهما عنكم ويبطلا ما لكم بذلك من الأرزاق والعظمة عند الخاص
والعامة وغير ذلك من الأغراض فأجمعوا كيدكم أي لا تدعوا منه شيئاً إلا جئتم به ولا تختلفوا فتضعفوا ثم ائتوا إلى لقاء موسى وهرون
للمباراة لهما صفاً أي مصطفين مستوين في السباق ليستعلي أمركم عليهما فتفلحوا والاصطفاف أهيب في صدور الرائين
ولما كان التقدير فمن أتى كذلك فقد استعلى عطف عليه قولهم محققاً وقد أفلح اليوم في هذا الجمع الذي ما اجتمع مثله قط
من استعلى أي غلب ووجد علوه أي فعلوا ما تقدم وأتوا صفاً ولما كانوا جديرين بأن يقولوا ما ينفعهم في مناصبة
موسى عليه السلام استؤنف الإخبار عنه بقوله تعالى قالوا أي السحرة متأدبين لأن لين القول مع الخصم إن لم ينفع لم يضر يا موسى
إما أن تلقي أي ما معك مما تناظرنا به أولاً وإما أن نكون نحن أول من ألقى ما معه قال أي موسى مقابلاً لأدبهم بأحسن منه ولأنه
فهم أن مرادهم الابتداء وليكون هو الآخر فتكون له العاقبة بتسليط معجزته على سحرهم فلا يكون بعدها شك لا ألقي أنا أولاً بل ألقوا أنتم أولاً
فانتهزوا الفرصة لأن ذلك كان مرادهم بما أفهموه من تغيير السياق والتصريح بالأول فألقوا فإذا حبالهم وعصيهم التي ألقوها قد كادوا
أنه يخيل إليه وهو صفينا تخييلاً مبتدئاً من سحرهم الذي كانوا قد فاقوا فيه أهل الأرض أنها لشدة اضطرابها تسعى سعياً وإذا
كان هذا حاله مع أنه أثبت الناس بصراً وأنفذهم بصيرة فما ظنك بغيره فأوجس أي أضمر بسبب ذلك وحقيقته أوقع ولجساً أي خاطراً
وضميراً ولما كان المقام لإظهار الخوارق على يديه فكان ربما فهم أنه أوقعه في نفس أحد غيره كان المقام للاهتمام بتقديم المتعلق
فقال لذلك لا لمراعاة الفواصل في نفسه أي خاصة وقدم ما المقام له والاهتمام به فقال خيفة موسى مثل ما خاف من عصاه
أول ما رآها كذلك على ما هو طبع البشر وللنظر إلى الطبع عبر بالنفس لا بالقلب مثلاً ولما كان ذلك وكان من المعلوم أن الله معه
وأنه جدير بإبطال سحرهم استأنف الخبر عنه بقوله قلنا بما لنا من العظمة لا تخف من شيء من أمرهم ولا غيره ثم علل ذلك بقوله وأكده
أنواعاً من التأكيد لاقتضاء الحال إنكار أن يغلب حد ما أظهروا من سحرهم لعظمه إنك أنت أي خاصة الأعلى أي الغالب علية ظاهرة هي
لا شبهة فيها وألق وأشار إلى يمن العصا وبركتها بقوله ما في يمينك من هذه العصا التي قلنا لك أول ما شرفناك بالمناجاة وما تلك
بيمينك يا موسى ثم أريناك منها ما أريناك تلقف بقوة واجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك بما أشار إليه حذف التاء ما صنعوا أي
فعلوه بعد تدرب كثير عليه وممارسة طويلة ثم علل ذلك بقوله إنما أي إن الذي صنعوا أو إن صنعهم مما رأيته وهالك أمره ولما
كان المقصود تحقير هذا الجنس أفرد ونكر لتنكير المضاف وتحقيره فقال كيد ساحر أي كيد سحري لا حقيقة له ولا ثبات سواء كان
واحداً أو جمعاً ولو جمع لخيل أن المقصود العدد ولما كان التقدير فهم لا يفلحون عطف عليه قوله ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس
حيث أتى أي كيف ما سار وأية سلك فإنه إنما يفعل ما لا حقيقة له فامتثل ما أمره به ربه من إلقاء عصاه فكان ما وعده به سبحانه
من تلقفها ما صنعوا من غير أن يظهر عليها زيادة في حجم ولا غيره مع أن حبالهم وعصيهم كانت شيئاً كثيراً فعلم كل من رأى ذلك حقيته وبطلان
ما فعل السحرة فبادر السحرة منهم إلى الخضوع لأمر الله ساجدين مبادرة من كأنه ألقاه ملق على وجهه ولذلك قال تعالى بعد
أن ذكر مكرهم واجتهادهم في معارضة موسى عليه السلام وحذف ذكر الإلقاء وما تسبب عنه من التلقف لأن مقصود السورة القدرة
على تليين القلوب القاسية فألقي السحرة أي فألقاهم ما رأوا من أمر الله بغاية السرعة وبأيسر أمر سجداً على وجوههم قال الأصبهاني
سبحان الله ما أعظم شأنهم ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق

بين الإلقائين فكأن قائلاً قال هذا فعلهم فما قالوا فقيل قالوا آمنا أي صدقنا ولما كان سياق هذه السورة مقتضياً لتقديم هرون
عليه السلام قال برب هرون وموسى بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه سبحانه لا يشقيه بهذا القرآن بل يهدي الناس به ويذلل له فيجعل
العرب على شماختها أذل شيء لوزرائه وأنصاره وخلفائه وإن كانوا أضعف الناس وقبائلهم أقل القبائل مع ما في ذلك من الدليل على صدق
إيمانهم وخلوص إذعانهم بتقديم الوزير المترجم ترقياً في درج المعرفة ممن أوصل ذلك إليهم إلى من أمره بذلك ثم إلى من أرسله شكراً للمنعمين بالتدريج
لا يشكر الله من لا يشكر الناس وهذا إنما احتيج إليه هنا لا لهذا فقط وذكروا اسم الرب إشارة إلى أنه سبحانه أحسن إليهما بإعلائهما
على السحرة وعلى من كانوا يقرون له بالربوبية وهو فرعون الذي لم يغن عنهم شيئاً فكانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء بررة
في أمثالها من آي هذه السورة وغيرها مما قدم فيه ما يتبادر أن رتبته التأخير وبالعكس لأنحاء من المعاني دقيقة هي التي حملت بعض من لم يرسخ
إلى أن يقول إن القرآن يراعي الفواصل كما يتكلف بلغاء العرب السجع وتبعه جمع من المتأخرين تقليداً وقد عاب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حين
قال أسجع كسجع الجاهلية أو قال الكهان وقد علم مما ذكرته أن المعنى الذي بنيت عليه السورة ما كان يخطر إلا بتقديم هرون ويؤيد ذلك
أنه قال هنا إنا رسولا وفي الشعراء رسول وقد قال الإمام فخر الدين الرازي كما حكاه عنه الشيخ أبو حيان في سورة فاطر من النهر إنه لا
يقال في شيء من القرآن إنه قدم أو أخر لأجل السجع لأن معجز القرآن ليست في مجرد اللفظ بل فيه وفي المعنى وقد قال القاضي أبو بكر الباقلاني
في كتابه إعجاز القرآن ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن وذكره أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه ثم رد على المخالف بأن قال
والذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي
السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه
التي تؤدي المعنى المقصود فيه وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره ومتى
انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى ثم استدل على ذلك بأشياء نفيسة أطال فيها وأجاد
رحمه الله وقد تقدم في آخر سورة براءة ما ينفع جداً في هذا المرام ولما كان موسى عليه السلام هو المقصود بالإرسال استأنف
تعالى الإخبار عن فرعون عند ما جبهه ذلك فقال قال أي فرعون للسحرة منكراً عليهم وأضمر اسمه هنا ولم يظهره كما في الأعراف لأن مقصود
السورة الرفق بالمدعوين والحلم عنهم وهو غير أهل لذكر اسمه في هذا المقام آمنتم أي بالله له أي مصدقين ومتبعين لموسى قبل أن آذن
لكم في ذلك إيهاماً بأنه سيأذن فيه ليقف الناس عن المبادرة إلى الاتباع بين خوف العقوبة ورجاء الإذن ثم استأنف قوله معللاً
تخييلاً لأتباعه صداً لهم عن الاقتداء بهم إنه لكبيركم أي في العلم الذي علمكم السحر أي فلم تتبعوه لظهور الحق بل لإرادتكم شيئاً من المكر وتفقهوا
عليه قبل حضوركم في هذا الموطن وهذا أعلى عادته في تخييل أتباعه بما يوقفهم عن اتباع الحق ولما خيلهم شرع يرهبهم
السحرة فقال مقسماً فلأقطعن أي بسبب ما فعلتم أيديكم على سبيل التوزيع وأرجلكم أي من كل يداً ورجلاً من خلاف فإذا قطعت
اليد اليمنى قطعت الرجل اليسرى ولأصلبنكم وعبر عن الاستعلاء بالظرف إشارة إلى تمكينهم في المصلوب فيه تمكن المظروف في ظرفه
فقال في جذوع النخل تبشيعاً لقتلكم ردعاً لأمثالكم ولتعلمن أينا أي أنا أو رب موسى الذي قال إنه أوحي إليه أن العذاب على
من كذب وتولى أشد عذاباً وأبقى أي من جهة العذاب أي أينا عذابه أشد وأطول زماناً ولما علموا ما خيل به على عقول
الضعفاء تهويلهم ما أخبر تعالى عن ذلك بقوله مستأنفاً قالوا لن نؤثرك أي نقدم أمرك بالاتباع لك لنسلم من عذابك الزائل على ما جاءنا
أي على لسان موسى عليه السلام من البينات التي عايناها وعلمنا أنه لا يقدر أحد على مضاهاتها ولما بدؤوا بما يدل على الخالق
من الفعل الخارق ترقوا إلى ذكره بعد معرفته بفعله إشارة إلى علو درجه فقالوا والذي أي ولا نؤثرك بالاتباع على الذي فطرنا
أي ابتدأ خلقنا إشارة إلى شمول ربوبية الله تعالى لهم وله ولجميع الناس وتنبيهاً على عجز فرعون عند من استخفه وفي جميع أقوالهم
هذه من تعظيم الله تعالى عبارة وإشارة وتحقير فرعون أمر عظيم ولما تسبب عن ذلك أنهم لا يبالون به علماً بأن ما فعله
فهو بإذن الله قالوا فاقض أي فاصنع في حكمك الذي تمضيه ما أنت قاض ثم عللوا ذلك بقولهم إنما تقضي أي تصنع بنا ما تريد
أن قدرك الله عليه هذه الحياة الدنيا أي إنما حكمك في مدتها على الجسد خاصة فهي ساعة تعقب راحة ونحن لا نخاف إلا
ممن يحكم على الروح وإن فني الجسد فذاك هو الشديد العذاب الدائم الجزاء بالثواب أو العقاب ولعلهم أسقطوا الجار تنزلاً
إلى أن حكمه لو فرض أنه يمتد إلى آخر الدنيا لكان أهلاً لأنه لا يخشى لأنه زائل وعذاب الله باق ثم عللوا تعظيمهم لله واستهانتهم
بفرعون بقولهم إنا آمنا بربنا أي المحسن إلينا بطول أعمارنا مع إساءتنا بالكفر وغيره ليغفر لنا من غير نفع يلحقه بالفعل أو ضرر
يدركه بالترك خطايانا التي قابلنا بها إحسانه ثم خصوا بعد العموم فقالوا وما أكرهتنا عليه وبينوا ذلك بقولهم من السحر
لنعارض به المعجزة فإنه كان لا يحمل لنا عصيانك فيه لأن الله أحق بأن يتقى […] إن الذين كانوا من القبط من السحرة اثنان فقط
والباقون من بني إسرائيل أكرههم فرعون على تعلم السحر وروي أنهم رأوا موسى عليه السلام قائماً وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون
إن الساحر إذا نام بطل سحره فهذا لا يقدر على معارضته فأبى عليهم وأكرههم على المعارضة ولما كان التقدير فربنا
أهل التقوى وأهل المغفرة عطفوا عليه مستحضرين لكماله والله أي الجامع لصفات الكمال خير جزاء منك فيما وعدتنا به

وأبقى ثوابا وعقابا والظاهر ان الله تعالى سلمهم من فرعون ويؤيده قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون قاله ابو حيان ٧ هـ
وسياتي في اخر الحديد ما هو صريح في نجاتهم ثم عللوا هذا الختم بقولهم انه من يات ربه اى الذى رباه واحسن اليه بان اوجده وجعل
له جميع ما يصلحه مجرما اى قاطعا ما امره به ان يوصل فان له جهنم دار الاهانة لا يموت فيها ابدا مع شدة عذابها بخلاف عذابك
الذى ان اشتد امات فزال سريعا وان خف لم يخف وكان اخره الموت وان طال ولا يحيى فيها حياة ينتفع بها ومن ياته اى ربه
الذى احسن وربّاه مؤمنا اى مصدقا به ولما قدم ان مجرد الكفر يوجب العذاب كان هذا محلا يتوقع فيه الاخبار عن
الايمان بمثل ذلك فقال قد اى ضم الى ذلك تصديقا لايمانه انه عمل اى في الدنيا الصالحات التى امر بها فكان صادق الايمان ٧
مستلزم لصالح الاعمال فاولئك اى العالو الرتبة لهم اى لتداعى ذواتهم بمقتضى الجبلة الدرجات العلى التى لا نسبة
لدرجاتك التى وعدتناها منها ثم بينوها بقولهم جنات عدن اى اعدت للاقامة وهيئت فيها اسبابها تجرى من تحتها الانهار
اى من تحت غرفها واسرّتها وارضها فلا يراد موضع منها لان يجرى فيه نهر الا جرى ثم بين بقوله خالدين فيها ان اهلها هيئوا
ايضا للاقامة ولما ارشد السياق والعطف على غير معطوف عليه ظاهر الى التقدير فذلك الجزاء العظيم والنعيم المقيم
جزاء الموصوفين لتزكيتهم انفسهم عطف عليه قوله وذلك جزاء كل من تزكى اى طهر نفسه بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة
وفي هذا تسلية للصحابة رضوان الله عليهم فيما كان يفعل بهم عند نزول هذه السورة اذ كانوا مستضعفين ولما
بين سبحانه استكبار فرعون المدعى في قوله فكذب وابى وحتمه سبحانه بانه يهلك العاصى كائنا من كان وينجى الطايع اتبع
ذلك شاهدا محسوسا عليه كفيلا ببيان انه لم يغن عن فرعون شيء من قوته ولا استكباره فقال عاطفا على ولقد اريناه اياتنا
ولقد اوحينا اى بعظمتنا تسهيلا لما ياتي من الامور الكبار الى موسى غير مكترثين بشيء من اقوال فرعون ولا افعاله وهذا الايحاء
بعد ما تقدم من احوال السحرة بمدة مديدة جرت فيها خطوب طوال كانت بسببها الايات الكبار وكانها حذفت لما دل عليه
من قساوة القلوب والمراد هنا الانتهاء لما تقدم من مقصود السورة ان اسر اى سر ليلا لان السرى سير الليل وشرفهم
بالاضافة اليه فقال بعبادى اى بنى اسرايل الذين لبثت قلب فرعون حتى اذن في مسيرهم بعد ان كان قد ابى ان يطلقهم
او يكف عنهم العذاب فاقصد بهم ناحية بحر القلزم فاضرب لهم اى اعمل بضرب البحر بعصاك ولذلك سماه ضربا ولما
كان ضرب البحر بالعصى سببا لوجود الطريق الموصوفة اوقع الفعل عليها فقال طريقا في البحر ووصفها بالمصدر مبالغة فقال
يبسا حال كونها او كونك لا تخاف والمراد بها الجنس فانه كان لكل سبط طريق دركا اى ان يدركك شيء من طغيان البحر
او باس العدو او غير ذلك ولما كان الدرك مشتركا بين اللحاق والتبعة اتبعه بقوله ولا تخشى اى شيئا غير ذلك اصلا
انفاذا لامرى وانفاذ المراد سلكك لاستنقاذهم وسوقه على هذا الوجه من اظهار القدرة والاستهانة بالمعاندة مع كبريائه
وتمكنه استدلالا شهوديا على ما قرر اول السورة من شمول القدرة واحاطة العلم للبشارة باظهار هذا الدين بكثرة الاتباع
وابارة الخصوم والاسعاد برد الاضداد وجعل بغضهم ودا وان كانوا قوما لدا ثم اتبع ذلك قوله عطفا على ما تقديره فبادر
امتثال الامر في الاسراء وغيره فاتبعهم اى اوجد التبع والمسير وراء بنى اسرايل على بلههم وضعفهم فرعون بجنوده على كثرتهم
وقوتهم وعلوهم وعزتهم فكانوا كالتابع الذى لا معنى له بدون متبوعه فغشيهم اى فرعون وقومه من اليم اى البحر الذى
من شانه ان يؤم [illegible] فقال ما غشيهم اى امر لا يحتمل العقول وصفه حق وصفه فاهلك اولهم واخرهم وقطع ٧
دابرهم لم يبق منهم احدا وما شاكت احدا من عبادنا المستضعفين شوكة واضل فرعون على تمرده قومه مع ما لهم من
قوة الاجساد ومعاينتها ولما كان اثبات الفعل لا يفيد العموم نفى ضده ليفيده مع كونه اوكد واوقع في النفس هم
وادوع لها فقال وما هدى اى ما وقع منه شيء من الهداية لا لنفسه ولا لاحد من قومه فتم الدليل الشهودى على تمام القدرة
على انجاء الطايع واهلاك العاصى ولما كان هذا موجبا للشوف الى ما وقع لبنى اسرايل بعده قال تعالى شافيا لهذا الغليل
اقبلنا على بنى اسرايل ممتنين بما مضى وما ياتي قايلين يا بنى اسرايل معرفين لهم انا نظرنا الى السوابق فاكرمناهم لاجل ابيهم ولما
كان درء المفاسد وازالة الموانع قبل جلب المصالح واستدرار المنافع قال قد انجيناكم بعظمتنا الباهرة من عدوكم الذى كنتم
لاحقر شيء عنده ولما تفرغوا للانقياد لما يراد منهم من الطاعة قال وواعدناكم اى كلكم كما مضى في البقرة عن نص التوراة
بحضرتنا والاعتزاز بموطن رحمتنا جانب الطور الايمن اى الذى على ايمانكم في توجهكم هذا الذى وجوهكم فيه الى بيت ابيكم ابرهيم عليه
السلام وهو جانبه الذى يلي البحر وناحية مكة واليمن ولما بدا بالمنفعة الدينية ثنى بالدنيوية فقال ونزلنا اى
بعظمتنا عليكم بعد انزال هذا الكتاب في هذه المواعدة لانعاشكم واحياكم المن والسلوى لا يبقى اشباحكم فبدا بالاحياء الملكى من
العبادة ثم اتبعه نعمة الكتاب الدال عليها ثم بالرزق المقوى ودل على نعمة الاذن فيه بقوله كلوا ودل على نعمته بقوله
من طيبات ما ودل على عظمته بقوله رزقناكم من ذلك ومن غيره ولما كان الغنى والراحة سبب الشماخة قال ولا
تطغوا فيه بالادخار الى غد في غير يوم الجمعة ولا بغير ذلك من البطر واغفال الشكر بصرفه في غير الطاعة فيحل اى ينزل

يجب في جنبه الذى هو اولى الاوقات به على قراءة الجماعة بالكسر ونزولا عظيما وبروكا شديدا على قراءة الكسائي بالضم عليكم غضبي
فيهلككم الهلاك وكل من يحلل عليه غضبي منكم ومن غيركم فقد هوى اى كان حاله حال من سقط من علو ولما كان الانسان محل
الزلل وان اجتهد رجاه واستعطفه بقوله وانى لغفار اى ستار باسبال ذيل العفو لمن تاب اى رجع عن ذنوبه من الشرك وما
يقاربه وامن بكل ما يجب الايمان به وعمل صالحا تصديقا لايمانه ولما كانت رتبة الاستمرار على الاستقامة في غاية العلو
عبر عنها باداة التراخي فقال ثم اهتدى اى استمر على العمل الصالح متحريا به ايقاعه على حسب امرنا وعلى اقرب الوجوه المرضية
لنا له الى ذلك غاية التوجه كما دل عليه صيغة افتعل وكانه لما رتب الله سبحانه منازل قوم موسى عليه السلام عامة
والسبعين المختارين منهم خاصة في الجبل كما مضى عن نص التوراة في سورة البقرة وواعده الكلام بعد ثلاثين ليلة لم يعين لهم اولها
وكانه لاشتياقه الى ما راى من التصرف اليه بمقام الجمال لم يتوقف على خصوص اذن من الله تعالى في اول وقت الاتيان اكتفاء
بمطلق الامر السابق في الميعاد فتعجل بعشرة ايام عن الوقت الذى علم الله ان الكلام يقع به بعد الثلاثين التى ضربها الملك وامر موسى
عليه السلام قومه عند موضعه وتقدم اليهم في اتباعه والكون في اثره للحلول في الاماكن التى حدها الله لهم وامر السبعين المختار
بمثل ذلك وكانهم لما مضى لبثوا لما كانوا راوا من مقام الجلال ولما مضت الثلاثون بعد ذهاب موسى عليه السلام لم يكن ذلك
الوقت الذى اراد الله ان يكون المناجاة فيه فزاده عشرا فظن بنو اسرايل الظنون في تلك العشر ووقع لهم ما وقع من اتخاذ
العجل ولما كان ذلك وكان اعظم ما مضى في اية الامتنان عليهم والتعرف بالنعم اليهم المواعدة لهدايتهم بالايات المرئية
والمسموعة وختم ذلك بالاشارة الى الاجتهاد في الاقبال على الهدى اتبع ذلك ذكر ضلالهم بعد رؤية ما يبعد معه كل البعد المام
من راه بشيء من الضلال لكل ذلك اظهارا للقدرة التامة على التصرف في القلوب بضد ما يظن بها وكان تنجز المواعيد الذ شيء
للقلوب واشهاه الى النفوس وكان السياق مرشدا حتما الى ان التقدير فاتوا الى الطور لميعادنا وتمموا اجابته الا
بامرنا ومرادنا وتعجل موسى صفينا الصعود فيه مبادرا لما عنده من الشوق الى ذلك المقام الشريف وتاخر مجى قومه عن
الاتيان معه ففعلنا ما اخر قومك عن الاتيان معك فعطف عليه قوله وما اعجلك اى اى شيء اوجب لك العجلة في المجى ٧
عن قومك وان كنت بادرت مبادرة المبالغ في الاسترضا يا موسى فهلا اتيتم جملة وانتظرتم امرا جديدا بخصوص الوقت الذى
استحضرتكم فيه قال موسى ظنا منه انهم اسرعوا وراه هم واتى باسم الاشارة واسقط منه ها التنبيه لانه لا يليق في
خطاب الله قاله ابن هبيرة ولم ار احدا من الاصفيا خاطب ربه بذلك وانما خاطبه به الكفار لغباوتهم فقالوا اربنا هؤلاء
الذين كانوا عوامل دونك في امثالها واما الحزن فقد ذكر سر التعبير بها في موضعه اولاء اى هم في القرب بحيث يشار اليهم
كائنين على اثرى اى ماشين على اثار مشيى قبل ان ينطمس اى لم اسبقهم الا بشيء جرت العادة في السبق بمثله بين الرفاق
وهذا انبا منه على ما كان عهده اليهم واكد فيه عليهم ثم اعتذر عن فعله فقال وعجلت انا بالمبادرة اليك جريا على عادة
اهل القرب كما يحق له فناداه رب اى ايها المسارع في اصلاح شاني والاحسان الى لترضى عنى رضى اعظم ما كان قال الرب سبحانه
فانا اى تسبب عن عجلتك عنهم انا قد فتنا اى خالطنا بعظمتنا مخالطة مميلة محيلة قومك بتعجلك ولما كانت الفتنة
لم تستغرق جميع الزمن الذى كان بعده وانما كانت في بعضه ادخل الجار فقال من بعدك وكان ذلك بعد تمام المدة التى ضربتها لهم وهى
الثلاثون بالفعل وبالقوة فقط من اول ما فارقتهم فضربك لتلك المدة هو الذى كان سبب الفتنة لزيادة ايام الغيبة بسببه
لانا زدنا في اخر المدة بمقدار ما عجلت به في اولها فلما تاخر رجوعك اليهم حصل لهم الفتون بالفعل فظنوا مرجمات الظنون
ولما عمهم الفتنة الا اثنى عشر الفا من اكثر من ستماية الف الحق الضلال على الكل فقال واضلهم السامرى اى عن طريق
الرشد بما سبب لهم روى النسائي في التفسير من سننه وابو يعلى في مسنده وابن جرير وابن ابى حاتم في تفسيرهما عن ابن عباس
رضى الله عنهما في حديث الفتون ان موسى عليه السلام لما واعده ربه ان يكلمه استخلف على قومه اخاه هرون عليه السلام ٧
واجلهم ثلاثين يوما وذهب فصامها ليلها ونهارها ثم كره ان يكلم ربه وريح فمه متغير فمضغ شيئا من نبات الارض فقال له ربه
او ما علمت ان ريح الصايم اطيب من ريح المسك ارجع فصم عشرا فلما راى قوم موسى انه لم يرجع اليهم ساءهم ذلك وكان هرون
عليه السلام قد خطبهم وقال انكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عوارى وودايع ولكم فيها مثل ذلك وانا ارى ان
تحتسبوا ما لكم عندهم ولا احل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين اليهم شيئا من ذلك ولا ممسكيه لانفسنا
فحفر حفيرا وامر كل قوم عندهم من ذلك من متاع او حلية ان يقذفوه في ذلك الحفير ثم اوقد عليه النار فاحرقه فقال لا يكون
لنا ولا لهم وكان السامرى من قوم يعبدون البقر جيران لبنى اسرايل ولم يكن من بنى اسرايل فاحتمل مع موسى وبنى اسرايل حين
احتملوا فقضى له ان راى اثرا فقبض منه قبضة فمر بهرون فقال له هرون يا سامرى الا تلقى ما في يدك وهو قابض عليه
لا يراه احد طوال ذلك اليوم فقال هذه قبضة من اثر الرسول الذى جاوز بكم البحر ولا القيها لشيء الا ان تدعو الله
اذا القيتها ان يكون ما اريد فالقاها ودعا له هرون فقال اريد ان يكون عجلا فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع وحلية

او يحاسبوا وجديد فصار عجلا اجوف ليس فيه روح له خوار قال ابن عباس رضي الله عنهما لا والله ما كان له صوت قط انما كانت الريح تدخل في دبره فتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنوا اسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وانت اعلم به قال هذا ربكم ولكن موسى اضل الطريق فقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع الينا موسى فان كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رايناه وان لم يكن ربنا فانا نتبع قول موسى وقالت فرقة هذا عمل الشيطان وليس بربنا ولم نؤمن به ولا نصدق واشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل واعلنوا التكذيب به الحديث ثم سبب عن اخباره سبحانه له بذلك قوله فرجع موسى لما اخبره ربه بذلك الى قومه اي الذين لهم قوة عظيمة على ما يحاولونه غضبان اسفا اي شديد الحزن او الغضب واستانف قوله قال اي لقومه لما رجع اليهم مستعطفا لهم يا قوم وانكر عليهم بقوله الم يعدكم ربكم الذي طال احسانه اليكم وعدا حسنا اي بانه ينزل عليكم كتابا حافظا ويكفر عنكم خطاياكم وينصركم على اعدائكم الى غير ذلك من اكرامه ولما جرت العادة بان طول الزمان ناقض للعزائم مغير للعهود كما قال ابو العلا احمد بن سليمان المعري • لا انسينك ان طال الزمان بنا • وكم حبيب تمادى عهده فنسي • وكان عليه الصلاة والسلام قريب العهد بهم انكر طول العهد بقوله مستانفا مسببا عما تقدم ا ترك ربكم مواعيدكم لكم وقطع معروفه عنكم فطال عليكم العهد اي زمن لطفه بكم فتغيرتم عما فارقتكم عليه كما يتغير اهل الرذايل والاخلال في العزائم لضعف العقول وقلة التدبر ام اردتم بالنقض مع قرب العهد وذكر الميثاق ان يحل عليكم بسبب عبادة العجل غضب من ربكم المحسن اليكم اي وكلا الامرين لم يكن اما الاول فواضح واما الثاني فلا يظن باحد ارادته والحاصل انه يقول انكم فعلتم ما لا يفعله عاقل فاخلفتم اي فتسبب عن فعلكم ذلك انا خلفتم موعدي في اجلال الله والاتيان الى الموضع الذي ضربته لكم لكلامه لي وانزال كتابه على احسانا اليكم واقبالا عليكم وكانه اضاف الموعد اليه اذ كان مع الله واعطاهما له او انه لما كان اخلافا لوعد المؤكد المعين الذي لا شبهة فيه لما نصب عليه من الدلايل الباهرة واوضحه من البراهين الظاهرة لا يكون الا نسيانا لطول عهد او عنادا لسوء قصد وكان من ابلغ المقاصد واوضح التقرير الجاء الخصم بالسؤال الى الاعتراف بالمراد سالهم عن تعيين احد الامرين مع ان طول العهد لا يمكن ادعاؤه فقال لما معناه اطال عليكم العهد بزيادة عشرة ايام فنسيتم فلم يكن عليكم في الاخلاف جناح ام اردتم ان يحل عليكم الغضب فعاندتم فكانت لانه من الاحتباك ذكر طول العهد الموجب للنسيان اولا دليلا على حذف العناد ثانيا وذكر حلول الغضب ثانيا دليلا على انتفاء الجناح اولا وسر ذلك انه ذكر السبب الذي هو طول العهد ادل على النسيان الذي هو المسبب واثبات الغضب وهو المسبب انكى من اثبات سببه الذي هو العناد ولما تشوف السامع الى جوابهم استانف ذكره فقال قالوا ولما كان المقصود من هذا السياق كله اظهار عظيم القدرة عبر عن ذلك بقوله حكاية عنهم الاعتراف بما قررهم موسى عليه السلام به من العناد معتذرين عنه بالعذر والاعتذار به لا يدفع العقوبة المرتبة على الذنب ما اخلفنا موعدك بملكنا اي لقد صدقت فيما قلت ولكنا لم نفعل ذلك ونحن نملك امرنا هذا على قراة الجماعة بالكسر وعلى قراة نافع وعاصم بالفتح المعنى ولنا ملكة نتصرف بها في انفسنا وعلى قراة حمزة والكسائي بالضم كانهم قالوا ولنا سلطان قاهر لامورنا على انهم قد ذكروا ان القراات الثلاث لغات بمعنى واحد قال في القاموس ملكه يملكه ملكا مثلثة احتواه قادرا على الاستبداد به والمعنى ان السامري زين لهم ذلك ووسوس به الشيطان فما دروا الا وقد سقطوا حتى كانهم يقادون اليه بالسلاسل وقيل هذا كلام من لم يعبد اعتذروا بانهم كانوا قليلا لا قدرة لهم على معاودة من عبده وهذا كله اشارة الى انه تعالى هو المتصرف في القلوب فهو قادر على ان يرد كما رد قريشا والعرب من بعد عنادهم ولددهم وفسادهم ولكنا حملنا اوزارا اي اثقالا من النقدين هي اسباب الاثام كما تقدم في الاعراف ان الله امرهم في التوراة ان يستعيروها من القبط لخروجهم بها وكان هذا ما كان خيانة في ذلك الشرع او ان الله تعالى اباح لهم ذلك في القبط خاصة من زينة القوم الذين لم تكن نعرف قوما غيرهم وغيرهم ليس حقيقا باطلاق هذا اللفظ عليه وهم القبط فقضى لنا ان نقذفها في النار وتوفرت الدواعي على ذلك واشتدت بحيث لم نتمالك فقذفناها فكذلك اي فتعقب هذا انه مثل ذلك الالقا القى السامري وهو صيغ انضم اليهم من قبط مصر التي ما كان معه اما من المال واما من اثر الرسول كما مضى وياتي وكان لقاؤه كان اخرا ولما كان خروج التمثال عقب القائه جعل كانه المتسبب في ذلك فقيل مع العدول عن اسلوب التكلم استهجانا لنسبة امر العجل الى المتكلم فاخرج لهم اي لمن شربه وعبده وجعل الضمير للغيبة يويد قول من جعل هذا كلام من لم يعبد العجل والمعنى عند من جعله من كلام العابدين انهم دلوا بذلك على البراة منه والاستقذار له ولما كان شديد الشبه للعجول قيل عجلا وقدم قوله جسدا المعرف انه حلية صورة لا معنى على قوله له خوار لئلا يسبق الى الوهم انه حي فتم عليه لحمه على اعتقاد الباطل فقالوا اي فتسبب عن ذلك ان السامري قال فاتبعه عليه من اسرع في الفتنة اول ما راوه هذا مشيرين الى العجل الذي هو على صورة ما هو مثل في الغباوة الهكم واله موسى فنسي اي فتسبب عن انه الهكم ان موسى عليه السلام نسي بعده له عن هذا المكان موضعه فذهب يطلبه في مكان غيره او نسي ان يذكره لكم ولما كان هذا سببا للانكار

على من قال هذا قال افلا يرون اي افلا لوا ذلك فتسبب عن قولهم عماهم عن رؤيته ان اي انه لا يرجع اليهم قولا والاله لا يكون ابكم ولا يملك لهم ضرا فيخافوه كما كانوا يخافون فرعون فيقولوا ذلك خوفا من ضره ولا نفعا فيقولوا ذلك رجاء له ولما كان الذنب مع العلم ابشع والضلال بعد البيان اشنع قال عاطفا على قوله قال يا قوم الم يعدكم او على قوله قالوا ما اخلفنا ولقد قال لهم هرون اي مع ان من لم يعبده لم ينكروا ردا من عبده ولما كان قوله لهم في بعض ذلك الزمان قال من قبل اي من قبل رجوع موسى مستعطفا لهم يا قوم ثم حصر امرهم ليجمع فكرهم ونظرهم فقال انما فتنتم اي وقع اختباركم فاختبر ثم في صحة ايمانكم وصدقكم فيه وثباتكم عليه به اي بهذا التمثال في اخراجه لكم على هذه الهيئة الخارقة للعادة واكد لاجل انكارهم فقال وان ربكم الرحمن اي الذي اخرجكم من العدم ورباكم بالاحسان الرحمن خاصة الذي فضله عام ونعمه شاملة فليس على بر ولا فاجر نعمة الا وهي منه قبل ان يوجد العجل وهو كذلك بعده ومن رحمته قبول التوبة فخافوا منع نعمه بمعصيته وارجوا اسباغها بطاعته فاتبعوني بغاية جهدكم في الرجوع اليه واطيعوا امري في دوام الشرف بالخضوع لديه ودوام الا عليه يدفع عنكم ضره ويفيض عليكم خيره ولما كان هذا موضع ان يسال عن جوابهم لهذا الامر الواضح الذي لا غبار عليه قيل قالوا بفظاظة وجمود لن نبرح عليه اي على هذا العجل عاكفين اي مقيمين مستديرين مجتمعين وانحا بنا في ذلك حتى يرجع الينا موسى فدافعهم بهم وابه وكان معظمهم قد ضل فلم يكن معه من يقوى بهم فخاف ان يجاهدهم الكافرين فلا يفيد ذلك شيئا ويقتل بعضهم فيجي لهم اخرون من ذوي رحمه الاقربين فيصير بنو اسرائيل فرقة يبعد ضم شتاتها وتلافي دمائها وكانوا قد غيوا الرجوع برجوع موسى عليه السلام مع انه لم يامره بجهاد من ضل انما قال له واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فراى من الاصلاح اعتزالهم الى ان ياتي فلما ذكر ما قال هرون عليه السلام التفتت النفس الى علم ما قال له موسى عليه السلام لانه خليفته عليهم مع كونه راسا في نفسه فوقع هذا العتاب بقوله مستقطا اخبر اخيه لما تقدم من ذكره ويأتي هنا ما لا بد له عليه ولم تدع اليه ضرورة في هذه السورة التي من اعظم مقاصدها الدلالة على تليين القلوب قال اي موسى يا هرون انت نبي الله واخي ووزيري وخليفتي فانت اولى الناس بان الومه واحقهم بان اعاتبه ما منعك اذ اي حين رايتهم ضلوا عن طريق الهدى واتبعوا سبيل الردى من اتباعي في سيرتي فيهم من الاخذ على يد الظالم طوعا او كرها اتباعا لا تزيغ فيه عما يحبه لك بوجه من الوجوه شيئا من زيغ وعبر عن هذا التاكيد بزيادة لا من قوله ان لا تتبعني كما تقدم غير مرة ان النافي اذا زيد في كلام كان نافيا لضد مضمونه فيفيد اثباتا للمضمون ونفيا لضده فيكون ذلك في غاية التاكيد افعصيت اي اتكبرت عن اتباعي فتسبب عن ذلك انك عصيت امري واخذ بلحيته وبراسه يجره اليه غضبا لله تعالى فكانه قيل ما قال له فقيل قال مجيبا له مستعطفا بذكر اول وطن ضمهما بعد نفخ الروح مع ما له من الرقة والشفقة يا ابن ام فذكره بها خاصة وان كان شقيقه لانه بسوها ما بسوه وهي ارق من الاب لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعره ثم علل ذلك بقوله اني خشيت ان تقول ان اشتددت عليهم حتى يصل الامر الى القتال فرقت بين بني اسرائيل بفعلك هذا الذي لم يجد شيئا لقلة من كان معك وضعفكم عن ردهم ولم ترقب قولي اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولم تقل واردد دهم ولو ادى الامر الى السيف وهذا كما كان النبي صلى الله عليه وسلم مامورا بالصفح والحلم والمدافعة باللين عن ضعف الناصر وقلة المعين فلما فرغ من نصيحة اقرب الناس اليه والحقهم بنصيحته وحفظه على الهدى اذ كان راس الهداة تشوف السامع الى ما كان من غيره فاستانف تعالى ذكره بقوله قال اي موسى عليه السلام لراس اهل الضلال معرضا عن اخيه بعد قبول عذره جاعلا ما تسبب لهم سببا لسواله عن الحامل له عليه فما خطبك اي امرك هذا العجيب العظيم الذي حملك على ما صنعت واخبرني العزيز العليم انك انت اضللتهم به يا سامري قال السامري مجيبا له بصرت من البصر والبصيرة بما لم يبصروا به من امر الرسول الذي جاوزنا البحر فقبضت اي فكان ذلك سببا لان قبضت قبضة اي مرة من القبض اطلقها على المقبوض تسمية للمفعول بالمصدر من اثر فرس ذلك الرسول اي المعهود فنبذتها في الحلي وزينته الملقى في النار او في العجل وكذلك اي وكما سولت لي نفسي اخذ اثره سولت اي حسنت وزينت لي نفسي نبذها في الحلي فنبذتها فكان منها ما كان ولم يدعني الى ذلك داع ولا حملني عليه حامل غير التسويل ولما كان فعله هذا مفرقا لبني اسرائيل عن طريق الحق التي كانوا عليها وجامعا لهم على عبادة حيوان هو من اخس الحيوانات وعلى نفسه بكونه صار متبوعا في ذلك الضلال لكونه كان سببه عوقب بالنفرة من الانسان الذي هو اشرف الحيوان ليكون ذلك سببا لضد ما تسبب عن فعله فيعاقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اشد منها وذلك انه منع مخالطة الناس منعا كليا فلا يتصل باحد ولا يتصل به احد بل يكون وحيدا طريدا ما دام حيا فلذلك استونف الاخبار عن هذا بقوله تعالى قال له موسى عليه السلام فاذهب اي تسبب عن فعلك اني اقول لك اذهب من بيننا او حيث ذهبت فان لك في الحياة اي ما دمت حيا ان تقول لكل من رايته لا مساس اي لا تمسني ولا امسك فلا تقدر ان تنفك عن ذلك لارادة الاله الحق ذلك بك وترغيبك فيه بما افادته اللام لتعلم انت ومن تبعك انكم كنتم على اعظم ضلال في ترك القادر على كل شيء واتباع ما لا قدرة له على شيء وان لك بعد الممات موعدا للثواب

قبال

وللعقاب ان لك موعدا لن تخلفه مبنيا للفاعل وللمفعول اى لا يكون خلفك ولا تكون انت خلفه بل يكون كل منكما مواجها لصاحبه لا
انفكاك له عنه كما انك فى الحياة لا تقدر ان تنفك عن النفرة من الناس فاختر لنفسك ما يحلو ولما ذكر ما للاله الحق من
القدرة التامة فى الدارين اتبعه عجز العجل فقال وانظر الى الهك اى بزعمك الذى ظلت اى دمت فى مدة يسيرة جدا بما اشار
اليه تخفيف التضعيف عليه عاكفا مقبلا مواظبا مواظبا جاهدا لنحرقنه اى بالنار وبالمبرد كما سلف عن نص التوراة
وكان معنى ذلك انه احماه حتى لان فهان على المبارد ثم لننسفنه اى لنذرينه اذا صار سحالة فى اليم اى البحر الذى اغرق الله
فيه الفرعون وهو اهل لان يقصد فيجمع الله سبحانه التى هى من حليهم واموالهم فيحميها فى نار جهنم ويكويهم بها ويجعلها
من اشد العذاب عليهم وكذا الفعل اظهارا لعظمة الله الذى امر بذلك وتحقيقا للصدق فى الوعيد فقال انما الهكم جميعا
الله اى الجامع لصفات الكمال ثم كشف المراد من ذلك وحققه بقوله الذى لا اله الا هو اى يصلح لهذا المنصب احد غيره
لانه وسع كل شىء علما تمييز محول عن الفاعل اى احاط علمه بكل شىء فكان على كل ممكن قديرا فكان كل شىء اليه فقيرا وهو غنى عن كل شىء
وجوده يباين وجود غيره وذاته تباين ذات غيره وصفاته تباين صفات غيره ولما العجل الذى عبدوه فلو كان حيا كان مثلا
فى العبادة فلا يصلح للالهية بوجه ولا فى عبادته شى من حق وكان القياس على ما يتبادر الى الذهن حيث نفى عنه العلم بقوله ان لا يرجع اليهم
قولا والقدرة بقوله ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ان يثبتا هنا للاله الحق ولكنه اعتنى باثبات العلم الواسع لاستلزامه القدرة على كل ما
يمكن ان تتعلق به بافادة الاسباب للشىء المراد ومنع الموانع عنه فيكون لا محالة ولو لم يكن كذلك لكان التخلف المحتمل اما بما يفيد
مقتضيا او يمنع مانعا وادل دليل على ذلك قوله تعالى ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء والاستلزام اثبات
القدرة المحيطة العلم الشامل خروج قسم المحال الذى ليس من شان القدرة ان يتعلق به ولما تمت هذه القصة على هذا الاسلوب
الاعظم والسبيل الاقوم متكفلة بالدلالة على القدرة على ما دعا اليه الاشارة من البشارة اول السورة بتكثير هذه الامة ورد العرب
عن غيهم بعد طول التمادى فى العناد والتنكب عن سبيل الرشاد الى ما تخللها من التسلية باحوال السلف الصالح والتاسية
مفصلة من ادلة التوحيد والبعث وغير ذلك من الحكم بما يبعث الهمم على معالى الشيم كان كانه قيل هل يعاد شى من القصص
على هذا الاسلوب البديع والمثال الرفيع فقيل نعم كذلك اى مثل هذا القص العالى فى هذا النظم العزيز الغالى لقصة موسى
ومن ذكر معه نقص عليك اى بما لنا من العظمة التى لا يعجزها شى واشار الى جلالة علمه بقوله من انباء اى اخبار ما قد سبق
من الازمان والكوائن الجليلة زيادة فى علمك واجلالا لمقدارك وتسلية لقلبك واذهابا لحزنك بما اتفق للرسل من قبلك
وتكثيرا لبيناتك وزيادة فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند
وكابر وقد اتيناك من عظمتنا تشريفا لك وتعظيما لقدرك من لدنا اى من عندنا من الامر الشريف بمزيد خصوصيته بنا
ولطيف اتصاله بحضرتنا من غيب غيبنا ذكرا عظيما جليلا جامعا لما اظهرناه من امرنا فى التوراة وما ابطناه من سرنا
فى الانجيل وما اودعناه من سكينتنا فى الزبور مع ما خصصناه به من لطايف المزايا وعظايم الاسرار يعرف بمجرد تلاوته
انه من عندنا لما يشهد له من الروح ويذاق به من الاخبات والسكون ويرى له من الجلالة فى الصدور مع القطع بان احدا لا يقدر ان يعارض
وضمناه تلك القصص مع ما زدنا فيه على ذلك من المواعظ والاحكام ودقايق اشارات الحقايق متكفلا بسعادة الدارين وحسنى
الحسنيين لمن اقبل عليه كان يذكر الله بكل ما يريد من العلوم النافعة ولما اشتمل هذا الذكر على جميع ابواب الخير فكان كل ما
ليس فيه اصل شقاوة محضة وضلالا بعيدا قال يقص عليه من انباء ما ياتى كما قص من انباء ما سبق من اعرض عنه اى عن ذلك الذكر
وهو عام فى جميع من يمكن دخوله فى معنى من من العالمين فانه يحمل ولما كان المراد استغراق الوقت قال يوم القيمة وزرا
اى حملا ثقيلا من العذاب الذى سببه الوزر وهو الذنب جزاء لاعراضه عنه واشتغاله بغيره خالدين فيه لا انفكاك لهم عنه
وجمع هنا حملا على المعنى بعد الافراد للفظ تنبيها على العموم لئلا يغفل عنه بطول الفصل ويظن ان الجماعة تمكنهم المدافعة
ويمكن ان يراد بالوزر الحمل الثقيل من الاثم ويكون الضمير فى فيه للعذاب المسبب عنه فيكون استخداما كقوله

اذا نزل السماء بارض قوم — رعيناه وان كانوا غضابا

ولما كانوا منكرين ليوم القيمة صرح بذلك منابذا مع قرب العهد بذكره قارعا لاسماعهم به مجريا له اجراء ما هو به جدير
من انه متحقق لا مرية فيه فقال وسا اى وبئس وبين اصحاب السوء فقال لهم اى ذلك الحمل يوم القيمة حملا ثم شرح لهم بعض
احوال ذلك اليوم من ابتدائه فقال مبدلا من يوم القيمة يوم ننفخ اى بعظمتنا على قراءة ابى عمرو وبالنون مبنيا للفاعل فى الصور
فيقوم الموتى من القبور ونحشر اى بعظمتنا المجرمين منهم الذين قطعوا ما امر الله به ان يوصل وعدل عن ان يقول ونحشرهم لبيان
الوصف الذى جرهم الى الاعراض عن الذكر يومئذ اى يوم اذ يكون لهم ما تقدم زرقا اى زرق العيون والجسوم على هيئة من
ضرب تتغير جسمه حال كونهم يتخافتون ولما كان التخافت وهو المسارة بالكلام قد يكون من اثنين من قبيلتين فيكون كل
منهما خايفا من قومه اقل ما اما لو كانا قبيلة واحدة لانه يدل على ان ذلك الخوف طبع لازم فادالا على الروية وعمومه

بينهم اى يتكلمون خافضى اصواتهم من الهيبة والجزع ولما كانت الزرقة ابغض الوان العيون الى العرب لعدم الفهم لها
والمخافتة ابغض الاصوات اليهم لدلالتهما على سفول الهمة والجبن وكانوا من الزرقة اشد نفرة لان المخافتة قد يتعلق بها
غرض بينهما سبحانه كذلك ثم بين ما يتخافتون به فقال ان اى يقول بعضهم لبعض ما لبثتم اى فى الدنيا استقصارا لمدة الراحة
فى جنب ما بدا لهم من المخاوف او غلطا ودهشة الا عشرا اى عقدا واحدا لم يزد على الاحاد الا بواحد وهو لو انه سنون
سن من يبلغ الحلم فكيف اذا كان شهورا واياما فلم يعرفوا لذة العيش باى تقدير كان ولما كان علم ما ياتى اخفى من علم ما
سبق اتى فيه بمظهر العظمة فقال نحن اعلم من كل احد بما يقولون اى فى ذلك اليوم اذ يقول امثلهم طريقة فى الدنيا فيما
يحسبون اى اقربهم الى ان يكون طريقته مثل ما يطلب منه ان اى ما لبثتم ودل على المعدود المحذوف من الاول الايام بقوله
الا يوما اى مبدا الاحاد لا مبدا العقود كما قال فى الاية الاخرى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
كذلك كانوا يؤفكون فلا يزالون فى افك وصرف عن الحق فى الدارين لان الانسان يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه
ويجوز ان يكون المراد ان من قال ان لبثهم يوم واحد امثلهم فى نفس الامر لان الزمان وان طال انما هو يوم متكرر ليس مرادا لهم
لنفسه وانما هو مراد لما يكون فيه فان كان خيرا كان صاحبه محمودا ولم يضره قصره وان كان شرا كان مذموما ولم ينفعه
طوله ويجوز ان يكون انث اولا ارادة لليالى لانها محل الراحة المقصودة بالذات فكان كانهم قالوا لم يكن لنا راحة
الا من يسير جدا اكثره اول العقود ونص الامثل على اليوم الذى يكون الكد فيه للراحة فى الليل اشارة الى انهم ما كان لهم فى
اللبث فى الدنيا راحة اصلا ولم يكن سعيهم الا نكدا كله كما يكون السعى فى يوم لا ليلة له لم يستراح فيها وان كانت فيه راحة
فهى ضمنية لا اصلية ولما اخبر عن بعض ما سبق ثم عن بعض ما ياتى من احوال المعرضين عن هذا الذكر فيما ينتجه لهم اعراضهم عنه
وختم ذلك باستقصارهم مدة لبثهم فى هذه الدار اخبر عن بعض احوالهم فى الاعراض فقال ويسالونك عن الجبال مما يكون حالها يوم
ينفخ فى الصور شكا منهم فى البعث وتوقفا مع الوهم فى انها تكون موجودة على قياس جمودهم لا محالة لانها اشد الاشيا قوة واطولها
لبثا وابعدها مكثا فيمنع بعض الناس من سماع النفخ فى الصور ويحمل البعض بحكم رجع الهوا الحامل للصوت الى آذانهم فى غير جهته
ولا يستقيم القصد الى الداعى فقل اى فتسبب عن علمنا بانهم يسالونك هذا السوال انا نقول لك قل او يكون على تقدير
شرط اى فاذا سالوك فقل لهم وهذا بخلاف ما نزل بعد وقوع السوال عنه مثل الروح وقصة ذى القرنين فان الامر بجوابه
على طريق الاستيناف لما هناك من استشراف النفس للجواب ينسفها اى يقلعها من اماكنها ويذريها بالهوا ربى المحسن الى بنصرى
فى يوم القيمة نصر الابلغ كنه نسفا عند النفخة الاولى فيذرها اى اماكنها قاعا اى ارضا ملساء صفصفا اى مستويا
كانه صف واحد لا اثر للجبال فيه لا ترى اى بالبصر ولا بالبصيرة فيها اى مواضع الجبال عوجا بوجه من الوجوه وعبر عنها بالكسر
وهو للمعانى ولم يعبر بالفتح الذى يوصف به الاعيان ومواضع الجبال اعيان لا معان نفيا للاعوجاج على ابلغ وجه بمعنى انك لو جمعت
اهل الخبرة بتسوية الاراضى لاتفقوا على الحكم باستوايها ثم لو جمعت اهل الهندسة فحكموا مقاييسهم العلمية فيها لحكموا بمثل الذى
ولا امتا اى شيا مرتفعا كالكربة او نتوا يسيرا او شقا او اختلافا وقال البيضاوى والزمخشرى الامت النتو اليسير قال
الغزالى فى الدرة الفاخرة ينفخ فى الصور فتطير الجبال وتفجر الانهار بعضها فى بعض فيمتلى عالم الهواء ماء وتنتثر الكواكب
وتتغير السماء والارض ويموت العالمون فتخلو الارض والسما ثم قال ثم يكشف سبحانه عن بيت فى سقر فيخرج لهيب النار فيشتعل
فى البحور فتنشف ويدع الارض جمرة سوداء والسموات كانها عكر الزيت والنحاس المذاب ثم يفتح تعالى خزانة من خزاين العرش فيها بحر
الحياة فيمطر به الارض وهو كمنى الرجال فتنبت الاجسام على هيئتها الصبى صبى والشيخ شيخ وما بينهما ثم تهب من تحت العرش
نار لطيفة فتبرز الارض ليس فيها جبل ولا عوج ولا امت ثم يحيى الله اسرافيل عليه السلام فينفخ من صخرة القدس فتخرج الارواح
من ثقب فى الصور بعددها كل روح الى جسدها حتى الوحش والطير فاذا هم بالساهرة ولما اخبر سبحانه بزوال ما يكون
منه العوج فى الصوت قال يومئذ اى اذ ينفخ فى الصور فتنسف الجبال يتبعون اى اهل المحشر بغاية جهدهم الداعى اى للنفخ
منتصبين اليه على الاستقامة لا عوج له اى للداعى فى شى من قصدهم اليه لانه ليس فى الارض ما يحوجهم الى التعريج ولا يمنع الصوت
من النفوذ على السوا وقال ابو حيان اى لا عوج لدعايه بل يسمع جميعهم فلا يميل الى ناس دون ناس ولما اخبر بخشوعهم فى
الحدث والانقياد للدعوة اخبر بخشوع غير ذلك من الاصوات التى جرت العادة بكونها عن الاجتماع فقال وخشعت الاصوات
اى ارتخت وخفيت وخفضت وتطامنت لخشوع اهلها للرحمن الذى عمت نعمه فيرجى كرمه ويخشى نقمه فلا اى فيتسبب عن رجاو
انه لا تسمع الا همسا اخفى ما يكون من الاصوات وقيل اخفى شى من اصوات الاقدام ولما تقرر ما للاصوات من الانخفاض
وكان قد اشير فيما مضى الى وقوع الشفاعة من بعض اخصايه باذنه وكان الحشر للحساب بعرض التقريب لبعض والتبعيد لبعض وكانت
العادة جارية بان المقرب يشفع للمبعد لما بين اهل الجمع من الوصل والاسباب المقتضية لذلك وكان الكفار يزعمون ان الهتهم
تشفع لهم قال نافيا لان تقع شفاعة بغير اذنه معظما ذلك اليوم بالابدال منه مرة بعد مرة يومئذ اى اذ كان ما تقدم لا تنفع

الشفاعة اى لا تكون شفاعة ليكون لها نفع لانه قد ثبت بما مضى انه لا صوت وتقرر فى تحقيق المحصورات من علم الميزان ان السالبة
الحقيقية لا تستدعى وجود الموضوع فى الخارج واما حول العبارة لان المقصود بالذات النفع فنفيه بادى بدء اقطع وفرع
السمع به اولا اهول وافزع الا اى لا شفاعة من اذن له الرحمن العام النعمة ورضى له قولا ولو الايمان المجرد ولما
نفى ان تنفع شفاعة بغير اذنه علل ذلك كما سلف فى اية الكرسى بقوله يعلم ما بين ايديهم اى الخلائق وهو كل ما يعلمونه وما خلفهم
وهو كل ما غاب عنهم علمه اى علمه سبحانه محيط بهم فهو يمنع قلوبهم فى ذلك اليوم بما يوجد من الاسباب ان تهم بما لا يرضاه
ولا يحيطون به علما ليحترزوا مما يقدره عليهم وعلما تمييز منقول من الفاعل اى ولا يحيط علمهم به قاله ابو حيان والاقرب عندى
كونه منقولا عن المفعول الذى تعدى اليه الفعل بحرف الجر اى ولا يحيطون بعلمه فيكون ذلك اقرب الى ما فى اية الكرسى ولما
ذكر خشوع الاصوات اتبعه خضوع ذويها فقال وعنت الوجوه اى ذلت وخضعت واستسلمت وجوه الخلائق كلهم وخصها
لشرفها ولانها اول ما يظهر فيه الذل للحى الذى هو مطلع على الدقائق والجلائل وكل ما سواه جماد حيث ما نسبت حياته الى حياته
القيوم الذى لا يغفل عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كسبت وقد خاب اى خسر خسارة ظاهرة من حمل منهم ظلما ٤٧
ولما ذكر الظالم اتبعه الحليم فقال ومن يعمل ولما كان الانسان محل العجز وان اجتهد قال من الصالحات
اى التى امر الله بها بحسب استطاعته لانه لن يقدر الله احد حق قدره ولن يشاد الدين احد الا غلبه وهو مؤمن ليكون بناؤها
على الاساس وعبر بالفا اشارة الى قبول الاعمال وجعلها سببا لذلك الحال فقال فلا يخاف ظلما بان يزاد فى سيئاته او ينقص من حسناته
لان الجزاء من جنس العمل وقراءة ابن كثير بلفظ النهى محققة للمبالغة فى النفى ولا هضما اى نقصا من جزائه وان كان هو لم يوف المقام
حقه لانه لا يستطيع ذلك واصل الهضم الكسر واما غير المؤمن فلو عمل امثال الجبال من الاعمال لم يكن لها وزن ولما
اشتملت هذه الايات على الذروة من حسن المعانى فبشرت ويسرت وانذرت وحذرت وبينت الخفايا واظهرت الخبايا مع ما
لها من جلالة السبك وبراعة النظم كانت كانه قيل تنبيها على جلالتها انزلناها على هذا المنوال العزيز المنال وكذلك اى
ومثل هذا الانزال انزلناه اى هذا الذكر كله بعظمتنا قرانا جامعا لجميع المعانى المقصودة عربيا مبينا لما اودع فيه لكل
من له ذوق فى اساليب العرب ولما كان اكثر هذه الايات محذرا قال وصرفنا اى بما لنا من العظمة من الوعيد اى ذكرناه
مكررا له محولا فى اساليب مختلفة وافانين متنوعة مؤتلفة ولما ذكر الوعيد اتبعه ثمرته فقال لعلهم يتقون اى ليكون
الناظر لهم بعد ذلك على رجاء من ان يتقوا ويكونوا به فى عداد من يجدد التقوى كل حين بان تكون له وصفا مستمرا وبالحذر الحامل على اتخاذ
الوقاية مما يحذر او فى عداد من يحدث اى يجدد هذا التصريف لهم ذكرا اى ما يستحق ان يذكر من طرق الخير فيكون سببا للخوف
الحامل على التقوى فيردهم عن بعض ما دعوا اليه النفوس من النقايص والبوس ولما بلغت هذه الجمل نهاية الاعجاز
فاشتملت على غاية الحكمة دالة على ان لقائلها تمام العلم والقدرة والعدل فى احوال الدارين فتسبب عن سوقها كذلك ان كان له
من العظمة ما افهمه قوله معظما لنفسه الاقدس بما هو له اهل بعد تعظيم كتابه تعليما لعباده ما يجب له من الحق ذا الاصبعة
التفاعل على مزيد العلو فتعالى الله اى بلغ الذى لا يبلغ الواصفون وصفه حق وصفه من العلو امرا لا يحتمله العقول فلا
يلحقه شئ من الحاد الملحدين ووصف المشركين الملك الذى لا يعجزه شئ ولا ملك فى الحقيقة غيره الحق اى الثابت الملك فلا
زوال لكونه ملكا فى زمن ما ولعظمة ملكه وحقيته ذاته وصفاته صرف خلقه على ما هم عليه من الامور المتباينة ولما
كانت هذه الايات فى ذم من اعرض عن هذا الذكر كان التقدير فلا تعرض عنه بل اقبل عليه لتكون من المتقين الذاكرين ولما
كان هذا الحث العظيم ربما اقتضى للسابق فى التقوى المبالغة فى المبادرة اليه فيستعجل بتلقفه قبل الفراغ من ايحايه قال عاطفا على
هذا المقدر ولا تعجل بالقران اى بتلاوته ولما كان النهى عاما لجميع الاوقات المستقبلة دل عليه بالجار لئلا يظن انه خاص بما يسع
زمان القبل جملة واحدة فقال من قبل ان ولما كان النظر الى فراغ الايحاء لا الى موح معين بنى للمجهول قوله يقضى اى ينهى ٤٧
اليك وحيه من الملك النازل اليك من حضرتنا به كما انا لم نعجل بانزاله عليك جملة بل نزلناه لك ترتيلا ونزلناه اليك تنزيلا
مفصلا تفصيلا وموصلا توصيلا كما اشرنا اليه اول السورة فاستمع له ملقيا جميع ما ملكك اليه ولا تساوقه بالقراءة فاذا فرغ
فاقراه فانا نجمعه فى قلبك ولا نشقيك بانسايه وانت مصغ اليه ولا بتكليفك للمساوقة بتلاوته وقل رب ايها المحسن الى
بافاضة العلوم على زدنى علما اى بتفهيم ما انزلت الى منه وانزال غيره كما زدتنى بانزاله وتحفيظه لتمكن من معرفة الاسباب
المفيدة لتتبع الحلول لك فانه كما تقدم على قدر احاطة العلم يكون شمول القدرة وفى هذا دليل على ان التانى فى العلم بالتدبر والقاء السمع
انفع من الاستعجال المتعب للبال المكدر للحال واعون على الحفظ لمن وعى شيئا حتى لو عى حفظه غاية الحفظ وروى الترمذى وابن ماجه
والبزار عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما والحمد لله
على كل حال واعوذ بالله من حال اهل النار افاده ابن كثير فى تفسيره ولما ذكر سبحانه بقصة موسى عليه السلام ما اشار
اليه اول السورة مما هو عليه من الحلم والتانى على عباده وذو الامهال لهم فيما هم عليه من النقض بالنسيان للعهود والنقض للمواثيق واتبعها

اى من غيرهم صح

مدح هذا الذكر الذى نادانا اليه وذم من اعرض عنه وختمه بما عهد اليه صلى الله عليه وسلم فى امره نهيا وامرا اتبع ذلك سبحانه
قصة آدم عليه السلام تحذيرا الى الركون الى ما يسبب النسيان وحثا على رجوع من نسى الى طاعة الرحمن وبيانا لان ذلك الذى فرده
من حلمه وانها له عادة سبحانه من القدم وصفته التى كانت ونحن فى حيز العدم وانه جبل الانسان على النقص فلو اخذهم
بذنوبهم ما ترك عليها من دابة فقال عاطفا على قوله وكذلك انزلناه حكما عربيا او كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق مؤكدا
لما تقدم فيه وعهد به من امر القران ومحذرا من الاخلال بذلك ولو على وجه النسيان ومنجزا لما وعد به من قص انباء المتقدمين مما
يوافق هذا السياق ولقد عهدنا بما لنا من العظمة الى آدم اى البشر الذى اطلعناه على كثير منها فى النهى عن الاكل من الشجرة
من قبل اى فى زمن من الازمان الماضية قبل هولاء الذين تقدم فى هذه السورة ذكر نسيانهم واعراضهم فنسى عهدنا واكل منها مع علمه
من تلك العظمة بما لا ينبغى ان ينسى معه ذلك العهد المؤكد بتلك الجلال فعددناه عليه ونوعه فى ذلك المنهى ناسيا ذنبا لعلو
رتبته عندنا فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين فكيف بما فوق ذلك ولم نجد بالنظر الى ما لنا من العظمة له عزما اى قصدا
صلبا ماضيا وارادة نافذة لا تردد فيها كارادات الملائكة عليهم السلام والمعنى انه لم يتعلق علمنا بذلك موجودا ومع ذلك عفونا عنه
ولم نخرجه عن رتبة الاصطفا ولما كان المقصود من السورة كما سلف الاعلام بالحلم والاناة والتلطف بالتانى والقدرة
على المعرض ذكر مقلة آدم عليه السلام هذه فى هذه السورة بلفظ المعصية مع التصريح بانها على وجه النسيان وذكر ذلك اولا مجملا
ثم اتبعه تفصيله ليكون ذلك مذكورا مرتين تاكيدا للمعنى المشار اليه وتقريرا وتحذيرا من الوقوع فى منهى وارشادا لمن غلبه طبع
النقص الى المبادرة الى الندم وتعاطى اسباب التوبة ليتوب الله عليه كما فعل بادم عليه السلام فقال واذ اى اذكر هذا واذكر حين
قلنا بما لنا من العظمة اى ذكر قولنا فى ذلك الوقت للملائكة اى المجبولين على مضى العزم والتصميم على القصد من غير مانع تردد ولا عايق
فتور اسجدوا لادم الذى خلقته بيدى فلم تامرهم بذلك الا بعد ان اصطفيناه ونحن عالمون بما سيقع منه وانه لا يقدح فى رتبة اصطفائه
فان الحلم والكرم من صفاتنا والرحمة من شاننا فلا ياس من عودنا بالفضل والرحمة على من بالغ فى مقاطعتنا من قومك الذين وصفناهم باللدد
فسجدوا اى الملائكة الا ابليس الذى نسب الله الى الجور والاضلال بالحكمة فكفر فايس من الرحمة وسلب الخير فاصر على اضلال الخلق بالتلبيس
نكاية قبل ما كان من حاله فى عدم سجوده فقيل أبى اى تكبر على ادم فعصى امر الله فقلنا بسبب ذلك بعد ان حلمنا عنه ولم نعاجله بالعقوبة
يا آدم ان هذا الشيطان الذى تكبر عليك عدو لك دائما لان الكبر الناشئ عن الحسد لا يزول ولزوجك لانها منك فلا يخرجنكما
اى لا تصغيا اليه بوجه فيخرجكما وجه النهى اليه والمراد هما تنبيها على ان لهما من الجلالة ما ينبغى ان يصانا عن ان يتوجه اليهما نهى واسند
الاخراج اليه لزيادة التحذير والابلاغ فى التنفير وزاد فى التنبيه بقوله من الجنة اى فانه لا يقصر فى ضركما وارادة ازالتكما عنها
ولما نص سبحانه على شركهما له فى الاخراج فكان من المعلوم شركتها له فى اثاره وكانت المراة تابعة للرجل فكان
هو المخصوص فى هذه الدار بالكل فى الكد وكان اغلب تعبه فى امر المراة افرد بالتحذير من التعب لذلك وعدا العفيها بالنسبة الى تعبه
عدما وتعريفا بان امرها ينبغى ان يتصلب فادها الى الخير والاقادته الى الصبر وعبر عن التعب بالشقا زيادة فى التحذير منه فقال
فتشقى اى فتتعب ولم يرد شقاوة الاخرة لانه لو ارادها ما دخل الجنة بعد ذلك لان الكلام المعتاد بعد الفاخبر والخبر لا يخلف
ثم علل شقاوته على تقدير الاخراج بوصفها بما لا يوجد فى غيرها من الاقطاب التى يدور عليها كفاف الانسان وهى الشبع والرى والكسوة
والكن ذاكرا لها بلفظ النفى لنقائضها ليطرق سمعه باسماء اصناف الشقوة التى حذره منها ليصير بحيث يتحامى السبب الموقع فيها
كراهة لها فادمت عليه القدرة الباهرة علم انه لا ينبغى حذر من قدر فقال ان لك اى علينا الا تجوع فيها اى يوما ما ولا تعرى
فلا يجرد باطنك ولا ظاهرك وانك لا تظما بالتهاب القلب فيها ولا تضحى اى لا تكون بحيث يصيبك حر الشمس والمعنى
انه لا يصيبك حر فى الباطن ولا فى الظاهر فوسوس اى فتعقب تحذيرنا هذا من غير بعد فى الزمان ان وسوس اليه الشيطان
المحترق المطرود وهو ابليس اى القى اليه على وجه الخفا بما مكناه من الجرى من هذا النوع مجرى الدم وقذف المعانى فى قلبه وكانه عبر
بالى لان المقام لبيان سرعة قبول هذا النوع للنقايص وانه من بعد او لانه ما انهى اليه ذلك الا بواسطة زوجه ولذلك عدى
الفعل عند ذكرهما باللام وكانه قيل ما دس اليه فقيل قال يا آدم ثم ساق له العرض مساق العرض ابعادا لنفسه من التهمة
والعرض وشوقه اليه اولا بقوله هل ادلك فان النفس شديدة الطلب لعلم ما تجهله وثانيا بقوله على شجرة الخلد اى التى من
اكل منها خلد فان الانسان احب شئ فى طول البقاء وثالثا بقوله وملك لا يبلى اى لا يخلق اصلا فكانه قال له بلسان الحال
او القال نعم فقال شجرة الخلد هذه مشيرا الى التى نهى عنها ما بينك وبين الملك الدايم الا ان تاكل منها فاكلا اى فتسبب عن
قوله فتعقب ان اكل منها هو وزوجه متبعين لقوله ناسيين ما عهد اليهما فبدت لهما لما حرقا من ستر النهى وحرمته
سواتهما وقوعا للمامور رامته من اخراجهما مما كانا فيه وطفقا اى شرعا يخصفان اى يخيطان او يلزقان عليهما من ورق
الجنة ليستر اعوراتهما وعصى آدم وان كان انما فعل فعل المنهى ناسيا لان عظم مقامه وعلو رتبته يقتضيان له مزيد الاعتنا
ودوام المراقبة مع ربط الجاش ويقظة الفكر ربه اى المحسن اليه بما لم ينله احد من بنيه من تصويره له بيده واسجاد ملائكته له

ومعاداه من عاداه فغوى من الغواية وهي الضلال ولذلك قالوا المعنى فضل عن طريق السداد فلخطأ طريق التوصل الى الخلد بمخالفة
امره وتوصيته لم يبن له عن رتبة الاصطفا لان رحمته واسعة وحلمه عظيم وعفوه شامل فلا يمنك امرا القوم الله فانا قادرون
على ان نقبل بقلوب من شينا منهم فنجعلهم من اصفى الاصفيا ونخرج من الاصلاب من شينا منهم من يجعل قلبه معدن الحكمة والعلم ولما
كان الرضى عنه مع هذا الفعل الذي اسرع فيه في اتباع العدو وعصيانا لولي لا حاجة به اليه مستبعدا جدا اثبت ذلك هو
تعالى مشيرا اليه باداة التراخي فقال ثم اجتباه ربه اي المحسن اليه فتاب عليه اي بسبب الاجتبا بالرجوع الى ما كان عليه من
طريق السداد وهدى بالحفظ في ذلك كما هو الشان في اهل الولاية والقرب ولما كانت دور الملوك لا تحتمل مثل ذلك
وكان قد تقدم سبحانه عنايته بادم عليه السلام اهتماما به وكان الخبر عن زوجه وعن ابليس لم يذكر فكانت نفس السامع لم تسكن
عن تشوفها الى سماع بقية الخبر اجاب عن ذلك بانه اهبط من داره المقدسة الحامل على المخالفة والمحول وان كان قد هيا ذ بالاجتبا
لها فقال على طريق الاستيناف قال اي الرب الذي انتهكت حرمة داره اهبطا منها ايها الفريقان ادم وتبعه وابليس جميعا
ولما كان السياق لوقوع النسيان والاخلال العزم بعد اكيد العهد حرك العزم وبعث الهمم بايقاع العداوة التي تنشا
عنها المناكدة فتبعث الهمم وتثير العزايم فقال في جواب من كانه قال على اي حال يكون الهبوط بعضكم لبعض عدو وهو صادق
بعداوة كل من الفريقين الفريق الاخر فريق ابليس الذين هم الجن بالاضلال وفريق الانس بالاحتراز منهم بالتعاويذ والرقى وغير ذلك
وبعداوة بعض كل فريق لبعضه فاما اي فتسبب عن ذلك العلم بانه لا قدرة لاحد منكم على التحرز من عداوة الاعادي ولا حرز لكم من قبلي
الا اتباع امري فاما يأتينكم اي ايها الجماعة الذين هم اصل ذوي الشهوات من المكلفين مني هدى تحترزون به عن استهواء العدو
واستزلاله فمن اتبع عبر بصيغة افتعل التي فيها تكلف وتمييز للتبع الناشي عن شدة الاهتمام هداي الذي اسعفته به من اوامر
الكتاب والرسول المؤيد بدلالة العقل والتعبير بصيغة افتعل قال فلا يضل اي بسبب ذلك عن طريق السداد في الدنيا ولا في
الاخرة اصلا ولا يشقى اي في شيء من سعيه في واحدة منهما فان الشقا عقاب الضلال ويلزم من نفيه نفي الخوف والحزن بخلاف العكس
فهو ابلغ مما في البقرة لان المدعو اليه في ذلك مطلق العبادة والمقام في هذه للخشية والبعث على الجد بالعداوة الا تذكرة لمن يخشى
وللاقبال على الذكر من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا والتحفظ من المخالفة ولو بالنسيان فنسي ولم نجد له عزما قال
الرازي في اللوامع والشقا فراق العبد من الله والسعادة وصوله اليه وقال الاصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله عز
وجل لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض اي ضل ونفل الرضيع تبعد الترك لما ينفعه بالمجاوزة
عن ذكري الذي هو الهدى فان له ضد ذلك معيشة حقرها سبحانه بالتانيث ثم وصفها بانه وطع وصف وهو مصدر يستوي
فيه المذكر والمؤنث والجمع وغيره فقال ضنكا اي ذات ضنك اي ضيق لكونه على ضلال وان راى انه على غير ذلك في السعة هو
والراحة فان ضلاله لا بد ان يرديه فهو ضنك لكونه سببا للضيق وايلا اليه من تسمية السبب باسم المسبب مع ان المعرض عن الله
لا يشبع ولا يصل الى ان يقنع مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق
ولا ينفك عن مساواة الهموم وتعاقب الهموم مع انه لا يرجو ثوابا ولا يامن عقابا فهو لذلك في اضيق الضيق لا يزال همه اكبر من وجده
لو كان لابن ادم واد من ذهب لابتغى اليه ثانيا ولو ان له واديين لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب
متفق عليه عن انس رضي الله عنه وهكذا حال من اتبع نفسه هواها واما المقبل على الذكر بكليته فهو قانع راض بما هو فيه مستكثر من ذكر
الله الشارح للصدور الجالي للقلوب فهو في اوسع سعة فلا تغتر بالصور وانظر الى المعاني ولما ذكر حاله في الدنيا اتبعه قوله
ونحشره يوم القيمة اعمى وكان ذلك في بعض اوقات ذلك اليوم قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا اخرج من القبر خرج بصيرا فاذا سيق الى المحشر
عمي ويكون ذلك وهو اقرب الى مفهوم العبارة في بعض اهل الضلال ليجتمع مع نحو قوله ابصر بهم واسمع يوم ياتوننا وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله
عنهما في الصحيح من هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيمة ثم استانف قوله قال متذكرا بالنعمة السابقة استعطافا
فالآن من شان كل مسلف نعمة ان يربها وان قصر المنعم عليه وفائدة ان ذلك انما يكون منهما يفي للصلح موضع رب ايها المحسن الى المسبغ نعمه
علي لم حشرتني في هذا اليوم اعمى وقد كنت اي في الدنيا او في اول هذا اليوم بصيرا فكانه قيل بم اجيب فقيل قال له ربه كذلك
اي مثل هذا الفعل الشنيع فعلت في الدنيا او المعنى مثل ما قلت كان ثم فسر على الاول وعلل على الثاني فقال اتتك اياتنا على عظمها
التي هي من عظمتنا فنسيتها اي فعاملتها باعراضك عنها معاملة المنسي الذي لا يبصره صاحبه فقد جعلت نفسك اعمى البصر والبصيرة
عنها كما قال تعالى الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكذلك اي ومثل ذلك النسيان الفظيع وقدم الظرف ليشتد تشوفه للمظروف
ويعظم احضاره لفهمه فقال اليوم تنسى اي تترك على ما انت عليه من الشقا بالعمى والنار فتكون كالشيء الذي لا يبصره احد فلا يلتفت اليه
وكذلك اي ومثل هذا الجزاء الشديد نجزي من اسرف في متابعة هواه فتكبر عن متابعة اوامرنا ولم يؤمن مكذبا بآيات ربه فكفر
احسانه اما بالتكذيب واما بفعله فعل المكذب ولما ذكر ان هذا الضال كان في الدنيا معذبا بالضنك وذكر بعض ماله
في الاخرة قال معظما لما لهم من التكذيب ولعذاب الاخرة باي نوع كان اشد اي من عذاب الدنيا وابقى منه فان الدنيا دار زوال

وموضع

بك

وموضع قلعة وارتحال ولما كان ما مضى من هذه السورة وما قبلها من ذكر مصارع الاقدمين واحاديث المكذبين بسبب العصيان على
الرسل سببا عظيما للاستبصار والبيان كانوا اهلا لان ينكر عليهم لنومهم لعماهم فقال تعالى أفلم يهد اي يبين بيانا يقود الى المقصود
لهم اي هؤلاء الذين ارسلت اليهم اعظم رسلي وفاعل يهد مضمون قوله كم اهلكنا اي على ما لنا من العظمة ولما كان المراد تعميم
الزمان بالاهلاك لانه اهول ونظرا الى قوله اخر مريم وكم اهلكنا قبلهم من قرن اسقط الجار فقال قبلهم اي كثرة اهلاكنا لمن
تقدمهم من القرون بتكذيبهم لرسلنا حال كونهم يمشون اي هؤلاء العرب من اهل مكة وغيرهم في مساكنهم اي مساكن البعض من
عاد وثمود وغيرهم الدالة على البقية ويعرفون خبرهم بالتوارث خلفا عن سلف انا ننصر اولياءنا ونهلك اعداءنا ونفعل ما شئنا
والاحسن ان لا يقدر مفعول ويكون المعنى افلم يقع لهم البيان الهادي ويكون ما بعده استينافا مبينا لما وقع به البيان ثم عظم ما في
ذلك من البيان بقوله استينافا ان في ذلك اي الاهلاك العظيم الشان المتوالي في كل امة لايات عظيمات البيان لاولي النهى
اي العقول التي من شانها النهي عما لا ينبغي فضلا عما يضر فانها تدل بتواليها على قدرة الفاعل وتخصيص الكافر بالهلاك والمؤمن بالنجاة
على تمام العلم مع عموم القدرة وعلى انه تعالى لا يقر على الفساد وان امهل الى غير ذلك مما له وازع من عقله ولما هددهم باهلاك
الماضين ذكر سبب التاخير عنهم عاطفا له على ما ارشد الى تقديره السياق وهو مثل ان يقال فلو اراد سبحانه تعجيل عذابهم ولولا كلمة
اي عظيمة ماضية نافذة سبقت في ازل الازال من ربك الذي عودك بالاحسان بانه يعامل بالحلم والاناة وانه لا يستاصل مكذ
بل يمد لهم ليرد من شاء منهم ويخرج من اصلاب بعضهم من يعبده وانما فعل ذلك اكراما لك ورحمة لامتك لانا كما قلنا اول السورة ما انزلنا
عليك القران لتشقى باهلاكهم وان كانوا قوما لدا ولا بغير ذلك وما انزلناه الا ليكثر اتباعك فيعملوا الخيرات فيكون ذلك زيادة
في شرفك والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا لكان اي
العذاب لزاما اي لازما اعظم لزوم لكل من اذنب عند اول ذنب يقع منه فكان يستاصل مكذبيك لشرفك عنده وقربك لديه ولما
تم الكلام عطف على اصله ما حذف فجرم لفهمه ما مضى وفعله عن الاول ولم يجمعهما ليكون الخبر مذكورا مرتين فيكون ابلغ في المراد
ولولا اجل مسمى ضربه لكل شيء لكان الامر كذلك ايضا لكنه سبقت رحمته غضبه فهو لا يعجل وضرب الاجل فهو لا ياخذ قبله وكل من
سبق الكلمة وتسمية الاجل مستقل بالامهال فكيف اذا اجتمعا فتسبب عن العلم بانه لا بد من استيفا الاجل وان زاد العاصي في العصيان
تسليم الامور الى الله وعدم القلق في انتظار الفرج فقال فاصبر على ما يقولون لك من الاستهزا وغيره ولما كان الصبر شديدا
على النفس منافرا للطبع لان النفس مجبولة على النقايص مشحونة بالوساوس امر منه لاجل من يحتاج الى الكمال بما ينهض بها من حضيض الجسم
الى اوج الروح بمعالي التحلي بالكمالات والتخلي من الرعونات وبدا بالاول لانه العون على الثاني وذكر اشرف الحلى فقال وسبح بحمد ربك
اي اشتغل بما يسبحك من عذابه ويقربك من جنابه بان تنزه من احسن اليك عن كل نقص حال كونك حامدا له باثبات كل كمال وذلك بان تصلي
له خاصة وتذكره بالذكر من غير ملتفت الى شيء سواه قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر والظهر وعن السياق
في قوله ومن اناء الليل اي ساعاته جمع انو بكسر ثم سكون اي ساعة لان العبادة حينئذ افضل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب
ولان العبادة اذ ذاك اشق وادخل في التكليف فكانت افضل عند الله فسبح اي بصلاة المغرب والعشا ايذانا بعظمة صلاة الليل وكرر الامر
بصلاتي الصبح والعصر اعلاما بمزيد فضلهما لان ساعتيهما ابان الطي والبعث فقال واطراف النهار ويؤيد ما فهمته من ان ذلك تكرير
لهما ما في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر
فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
فافعلوا ثم قرا هذه الاية والا لم يكن في الاية مزيد حث عليهما خاصة على ان لفظ انا واطراف صالح لصلاة التطوع من الرواتب وغيرها
ليلا ونهارا وافاد بذكر الجار في الانا التبعيض لان الليل محل الراحة ونزعه من الاطراف لتيسر استغراقها بالذكر لان النهار موضع
النشاط واليقظة ويجوز وهو احسن ان يكون المراد بما قبل الطلوع الصبح والظهر والعصر لان النهار له اربعة اطراف اوله
واخره واخر نصفه الاول واول نصفه الثاني والكل مستغرق بالتسبيح ولذلك نزع الجار اما الاول والاخر فبالصبح والعصر
واما الاخران فبالتهيؤ للصلاة ثم الصلاة نفسها وحينئذ تكون الدلالة على فضيلة الصبح والعصر من وجهين التقديم
والتكرير والى ذلك الاشارة بالحديث واذا اريد ادخال النوافل حملنا الاطراف على الساعات والله الهادي ولما
كان الغالب على الانسان النسيان فكان الرجا عنده اغلب ذكر الجزا بكلمة الاطماع ليلا ياس فقال لعلك ترضى اي افعل هذا
لتكون على رجاء من ان يرضاك ربك فيرضيك في الدنيا والاخرة باظهار دينك واعلاء امرك ولا يجعلك في عيش ضنك في
الدنيا ولا في الاخرة هذا على قراءة الكسائي وابي بكر عن عاصم بالبنا للمفعول والمعنى على قراءة الجماعة بالبنا للفاعل لتكون على رجاء
من ان تكون راضيا دايما في الدنيا والاخرة ولا تكون كذلك الا وقد اعطاك ربك جميع ما تؤمل ولما كانت النفس ميالة
الى الدنيا مرهونة بالحاضر من فاني العطايا وكان تخليها عن ذلك هو الموصل الى حزبها المؤذن بعلو همتها قال مؤكدا ايذانا
بصعوبة ذلك ولا تمدن مؤكدا له بالنون الثقيلة عينيك اي لا تطول نظرهما بعد النظرة الاولى المعفو عنها قاصدا

النظر للاستحسان الى ما متعنا بما لنا من العظمة التي لا ينقصها ما نعطي اعداءنا به في هذه الحياة الفانية أزواجا اي اصنافا منهم
متشاكلين منهم اي من الكفرة زهرة اي تمتيع الحياة الدنيا لا ينتفعون به في الآخرة لعدم صرفهم له في اوامر الله فهو مصدر
من المعنى مثل جلست قعودا ثم علل تمتيعهم بقوله لنفتنهم فيه اي نفعل بهم فعل المختبر فيكون سبب عذابهم في الدنيا بالعيش
الضنك لما مضى وفي الآخرة بالعذاب الاليم فصورته نعمة ومعناها نقمة لمن تأمل حق التأمل فما انت فيه خير مما هم فيه ورزق
ربك الذي عوده اولياءه وهو في دار السفر الكفاف الطيب المقرون بالتوفيق خير من زهرتهم لانه يكفي ولا يطغى
ويزداد لما بذل في جنابه فيعلى وأبقى فانه وفقك لصرفه في الطاعة فكتب لك من اجره ما توفاه يوم الحاجة على وجه لا يمكن
احدا من الخلق حصره وتكون الدنيا كلها فضلا عما في ايديهم اقل من قطرة بالنسبة الى بحر واضافة رزقه دون رزقهم
اليه سبحانه وان كان الكل منه للتشريف وفي التعبير بالرب الايذان بالحل وفيه اشارة الى ظهوره عليهم وحيازته
لغنائمهم كما هو الشأن في الصالحين والطالحين ولما امر بتزكية النفس اتبعه الاعلام بان منها تزكية الغير لان ذلك دال
على الاخلاص وادل واجدر بالخلاص كما دل عليه مثل السفينة الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يأمر بالمعروف
ومن يتركه فقال وأمر اهلك بالصلاة كما كان ابوك اسمعيل عليه السلام لتقودهم الى كل خير ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ولم يذكر الزكاة لدخولها في التزهيد بالآية التي قبلها ولما كانت شديدة على النفس عظيمة النفع قال واصطبر
بصيغة الافتعال عليها اي على فعلها مفرغا نفسك لها وان شغلتك عن بعض امر المعاش لانا لا نسئلك رزقا اي لا نكلفك
طلبه لنفسك ولا لغيرك فانا بما لنا من العظمة نأبى ان نكلفك امرا ولا نجعل ما يشغلك عنه ولما كانت النفس مكلية
مصروفة الى امر المعاش كانت كانها تقول فمن اين يحصل الرزق فقال نحن بنون العظمة نرزقك لك ولهم ما قدرناه لكم من اي جهة
شئنا من ملكنا الواسع وان كان يظن انها بعيدة ولا ينفع في الرزق حول محتال فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا تدابروا في تحصيله
والسعي فيه فان كلا من الجاد فيه والمتهاون به لا ياتيه اكثر مما قسمناه له في الازل ولا اقل فالمتقي لله المقبل على ذكره
الواثق بوعده قانع راض فهو في اوسع سعة والمعرض متوكل على سعيه فهو في كد وشقاء وجهد وعناء ابدا والعاقبة اي
الكاملة وهي التي لا عاقبة في الحقيقة غيرها وهي الحالة الجميلة المحمودة التي تعقب الامور اي تكون بعدها للتقوى اي لاهلها
ولاهمومه على الرزق وغيره نوازي الصلاة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اخرجه احمد عن حذيفة رضي
الله عنه وعلقه البغوي في آخر سورة الحجر وقال الطبراني في معجمه الاوسط حدثنا احمد هو ابن يحيى الحلواني حدثنا سعيد هو
ابن سليمان عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
نزل باهله الضيق امرهم بالصلاة ثم قرأ وأمر اهلك بالصلاة الآية لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن سلام الا بهذا الاسناد
تفرد به معمر وقال الحافظ عماد الدين اسمعيل بن كثير في تفسيره وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبد الله بن ابي زياد القطواني
حدثنا سيار حدثنا جعفر عن ثابت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصابته خصاصة نادى اهله يا اهلاه
صلوا صلوا قال ثابت وكان الانبياء عليهم السلام اذا نزل بهم امر فزعوا الى الصلاة وقد روى الترمذي وابن ماجه كلاهما
في الزهد وقال الترمذي حسن غريب من حديث عمران بن زائدة عن ابيه عن ابي خالد الوالبي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى واسد فقرك وان لم تفعل ملأت
صدرك شغلا ولم اسد فقرك وروى ابن ماجه من حديث الضحاك عن الاسود عن ابن مسعود رضي الله عنه سمعت نبيكم
صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت
به الهموم احوال الدنيا لم يبال الله في اي اوديتها هلك وروى ايضا من حديث عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن ابان عن ابيه
عن زيد بن ثابت رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت الدنيا همه فرق الله عليه امره وجعل
فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له امره وجعل غناه في قلبه واتته
الدنيا وهي راغمة ولما قدم في هذه السورة ما ذكر من قصص الاولين واخبار الماضين مبكتا بذلك من امر قريشا بالتعنت
من اليهود فلم يقدروا على انكار شيء منه ولا توجيه طعن اليه وحلله ببدائع الحكم وغرائب المواعظ في رشيق الكلم وختم ذلك
باعظم داع الى التقوى عجب منهم في كونهم لا يذعنون للحق انفة من المجاهرة بالباطل او خوفا من سوء العواقب فقال وقالوا
ولعله عطف على ما تقدير في حيز قوله افلم يهد لهم الى قوله ان في ذلك لآيات من نحو ان يقال وقد ابوا ذلك ولم يعدوا واشياء
منه آية لولا اي هلا ولم لا يأتينا اي محمد صلى الله عليه بآية اي مثل آيات الاولين من ربه المحسن اليه دالة على صدقه
ولما تضمن هذا انهم لم يعدوا واشياء من هذه البينات التي اتى بها على من تقدمه آية مكابرة استحقوا الانكار فقال
أولم اي الم يأتهم من الآيات في هذا القرآن بما خصصناك به من الاحكام والحكم في ابلغ المعاني بارشق النظوم ما اعجز بلغاءهم
واذكم فصحاءهم فدل قطعا على انه كلامي او لم تأتهم بينة ما اي الاخبار التي في الصحف الاولى من صحف ابرهيم وموسى وعيسى

وداود عليهم السلام في التوراة والانجيل والزبور وغير ذلك من الكتب الالهية كقصص آدم وموسى المذكورين في هذه السورة وغيرهما
مما تقدم من قصة لها كما هي عند اهلها على وجوه لا يعلمها الا قليل من حذاقهم من غير ان يخالط العلماء منهم او من غيرهم من غير ان يعتقد
احد منهم على معارضة ما اتى به في قصتها من النظم المعجز قطعا انه لا معلم له الا الله المرسل له وان ما اتى به منها شاهد لما في الصحف
الاولى من ذلك بالصدق ولانه كلام الله فهو بينة على غيره لاعجازه فجميع الكتب الالهية مفتقرة الى شهادته افتقار المحتج عليه الى الشهادة
الحجة ولا افتقار له بعد العجز عنه الى شيء اصلا فهو اعظم من آيات جميع الانبياء اللاتي يطلبون مثلها بما لا يتقايس ولما
تبين بذلك انهم يطعنون بما لا شبهة لهم فيه اصلا اتبعه ما كان لهم فيه نوع شبهة لو وقع فقال عاطفا على ولولا كلمة ولو انا
أهلكناهم معاملة لهم في عصيانهم بما يقتضيه مقام العظمة بعذاب من قبله اي من قبل هذا القرآن المذكور في الآية الماضية
وما قاربها وفي قوله ولا تعجل بالقرآن صريحا وكذا في مبنى السورة فما انزلنا عليك القرآن لتشقى لقالوا اي يوم القيامة ربنا
يا من هو متصف بالاحسان الينا لولا اي هلا ولم لا ارسلت ودلوا على عظمته وعلو رتبته بحرف الغاية فقالوا الينا رسولا
اي يأمرنا بطاعتك فنتبع اي فيتسبب عنه ان نتبع آياتك التي تجيئنا بها ولما كان اتباعهم لا يستغرق زمان القبل قالوا من
قبل ان نذل بالعذاب بهذا الذل ونخزى بالمعاصي التي عملناها على جهل هذا الخزي فلاجل ذلك ارسلناك اليهم واقمنا بك الحجة عليهم
ونحن نترفق بهم ونكشف عن قلوب من شئنا منهم ما عليها من الرين بما ننزل من الذكر ونجدد من الآيات حتى نصدق امرك ونعلي شانك
ونكثر اتباعك وننصر اشياعك ولما علم بهذا ان ايمانهم كالممتنع وجدالهم لا ينقطع بل ان جاءهم الهدى طعنوا فيه وان عذبوا
قبله تظلموا كان كانه قيل فما الذي افعل معهم فقال قل كل اي مني ومنكم متربص اي منتظر حسن عاقبة امره ودوائر الزمان
على عدوه فتربصوا فانكم كالبهائم ليس لكم تامل ولا تجوزون الجائز الا عند وقوعه فستعلمون اي عما قريب بوعد لا خلف فيه
عند كشف الغطاء من اصحاب الصراط اي الطريق الواضح الواسع السوي اي الذي لا عوج فيه ولا انثناء فهو من شانه ان يوصل الى
المقاصد ولما كان صاحب الشيء قد لا يكون عالما بالشيء ولا عاملا بما يعلم منه قال ومن اهتدى اي من الضلالة تحصل
على جميع ما ينفعه واجتنب جميع ما يضره نحن ام انتم ولقد علموا يقينا ذلك يوم فتح مكة المشرفة واشتد اغتباطهم بالاسلام ودخلوا رغبة
في الحلم والكرم ورهبة من السيف والنقم وكانوا بعد ذلك يعجبون من توقفهم عنه ونفرتهم منه وهذا معناه انه صلى الله عليه
وسلم ومن اتبعه هم السعداء الاغنياء الراضون في الدنيا والآخرة وهو عين قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فقد انطبق
الآخر على الاول ودل على ان العظيم يعامل بالحلم فلا يعجل

سورة الانبياء عليهم السلام

مقصودها الاستدلال على تحقق
الساعة وقربها ولو بالموت ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير لان موجدها لا شريك له يعوقه عنها وهو من لا يبدل القول
لديه والدال على ذلك اوضح دلالة مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الانبياء عليهم السلام ولا يستقل قصة منها استقلالا ظاهرا
بجميع ذلك كما سيبين ولا تخلو قصة من قصصهم عن دلالة على شيء من ذلك فنسبت الى الكل والله الموفق بسم الله الحكم العدل
الذي تمت قدرته وعم امره الرحمن الذي ساوى بين خلقه في رحمة ايجاده الرحيم الذي يخص من شاء من عباده في معاده لما
ختمت طه بانذارهم بانهم سيعلمون الشقي والسعيد وكان هذا العلم تارة يكون في الدنيا بكشف الحجاب بالايمان وتارة بمعاينة
ظهور الدين وتارة بحلول العذاب بازهاق الروح بقتل او غيره وتارة ببعثها يوم الدين افتتحت هذه باجلى ذلك وهو اليوم
الذي يتم فيه كشف الغطاء فيتنقل فيه الخبر من علم اليقين الى عين اليقين وحق اليقين وهو يوم الحساب فقال تعالى اقترب
للناس اي عامة انتم وغيركم حسابهم اي في يوم القيامة واشار بصيغة الافتعال الى مزيد القرب لانه لا امة بعد هذه ينتظر
امرها ولان الفاعل معلوم لتهذيب النفس في تعيينه كل مذهب ولا يصح ان يراد بالحساب الجزاء فيكون ذلك تهديدا بيوم بدر
والفتح ونحوهما ويكون المراد بالناس حينئذ قريشا او جميع العرب والحساب احصاء الشيء والمجازاة عليه بخير او شر وهم اي والحال
انهم من اجل ما في جبلاتهم من النوس وهو الاضطراب الموجب لعدم الثبات على حالة الا من نفعه الله منهم من هذا النقص وهم
قليل جدا في غفلة فهي تعليل لاخر تلك على ما تراه لانهم اذا انشروا وعلموا او اذا بادتهم الوقائع علموا انهم بالموت ومن بقي منهم بالذل
المزيل لسماحة الكبر اهل الحق من اهل الباطل وقوله معرضون كالتعليل للغفلة اي احاطت بهم الغفلة بسبب اعراضهم
عما ياتيهم منا وسياتي ما يؤيد هذا في قوله آخرها بل كنا ظالمين والانسب العقول قاضية بانه لا بد من جزاء المحسن والمسيء وقال
الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما تقدم قوله سبحانه لا تمدن عينيك الى قوله فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى
قال تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون اي لا تمدن عينيك الى ذلك فانما جعلناه فتنة لهم ثم يؤخذون بغير حق ويسأل
عن قليل ذلك وكثيره لتسألن يومئذ عن النعيم والامر قريب اقترب للناس حسابهم وايضا فانه تعالى لما قال وتنذر به قوما
لدا وهم الشديدو الخصومة في الباطل ثم قال وكم اهلكنا قبلهم من قرن الى آخرها استدعت هذه الجملة بسط حال الابدية
بتانيسه عليه السلام وتسليته حتى لا يشق عليه لددهم فتضمنت سورة طه من هذا الغرض بشارته بقوله ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى وتانيسه بقصة موسى عليه السلام وما كان من حال بني اسرائيل وانتهاء امر فرعون ومكايدة موسى عليه السلام

سورة الانبياء

لد فرعون ومن تبعه الى ان قصمه الله واهلكه واورث عباده ارضهم وديارهم ثم ابتعت بقصة ادم عليه السلام ليرى
نبيه صلى الله عليه وسلم سنته في عباده حتى ان ادم عليه السلام وان لم يكن امتحانه بذريته ولا مكابدته من ابناء جنسه فقد
كابد من ابليس ما قصه الله في كتابه وكل هذا تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا تقرر لديه انها سنة الله تعالى في عباده هان
عليه لدد قريش ومكابدتهم ثم ابتدئت سورة الانبيا بتقية هذا التانيس فبين اقتراب الحساب ووقوع يوم الفصل المحمود فيه
ثمرة ما كوبد في ذات الله والمتمنى فيه ان لو كان ذلك اكثر والمشقة اصعب لجليل الثمرة وجميل الجزاء اتبع سبحانه ذلك بعظات
ودلايل وبسط ايات واعلم انه سبحانه قد سبقت سنته باهلاك من لم يكن منه الايمان من متقدمي القرون وسالفي الامم ما
امنت قبلهم من قرية اهلكناها وفي قوله انهم لا يؤمنون تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في امر قريش ومن قبيل ما الكلام
بسبيله وقد تضمنت هذه السورة الى ابتداء قصة ابرهيم عليه السلام من المواعظ والتنبيه على الدلالات وتحريك العباد
الى الاعتبار بها ما يعقب لمن اعتبر به التسليم والتفويض لله سبحانه والصبر على الابتلاء وهو من مقصود السورة وفي قوله تعالى
ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين اجمال لما فسره النصف الاخير من هذه السورة من تخليص الرسل
عليهم السلام من قومهم واهلاك من اسرف وافك ولم يؤمن وفي ذكر تخليص الرسل وتاييدهم الذي تضمنه النصف الاخير من لدن
قوله ولقد اتينا ابرهيم رشده الى اخر السورة كمال الغرض المتقدم من التانيس وملائمة ما تضمنته سورة طه وتفسير لمجمل وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا انتهى ولما اخبر سبحانه عن غفلتهم واعراضهم دل على ذلك بقوله ما ياتيهم
واغرق في النفي بقوله من ذكر اي وحي يذكر بما جعل في العقول من الدلايل عليه سبحانه ويوجب الشرف لمن اتبعه من ربهم المحسن اليهم
بخلقهم وتدبيرهم قديم لكونه صفة له محدث انزاله الا استمعوه اي قصدوا سماعه وهو اجد الجد واحق الحق وهم اي والحال
انهم يلعبون اي يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء به ووضعه في غير موضعه وجعلهم استماعهم له لارادة الطعن فيه فهو قريب
من قوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لاهية قلوبهم اي غارقة في اللهو مشغولة به عما حداها اليه القران ونبهها عليه
الفرقان وحذرها منه البيان قال ... في اللوامع لاهية مشتغلة من لهيت الهى او طالبة للهو من لهوت الهو انتهى
ويمكن ان يراد بالناس مع هذا كله العموم ويكون من باب قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وقوله صلى الله عليه وسلم لا احصي
ثناء عليك وان يخص بالكفار ولما ذكر ما يظهرونه في حالة الاستماع من اللهو واللعب ذكر ما يخفونه من التشاور في الصد
عنه واعمال الحيلة في التنفير عنه والتوثق من بعضهم لبعض في الثبات على المجانبة له فقال عاطفا على استمعوا واسروا اي الكفار
المحدث عنهم النجوى اي بالغوا في اسرار كلامهم بسبب الذكر لان المناجاة في اللغة السر كذا في القاموس وقال الامام ابو عبد الله القزاز
في ديوانه والنجوى الكلام بين الاثنين كالسر والتشاور ولما اخبر بسوء ضمايرهم ابدل من ضميرهم ما دل على العلة الحاملة
لهم على ذلك فقال الذين ظلموا ثم بين ما تناجوا به فقال هل اي فقالوا في تناجيهم هذا معجبين من ادعايه النبوة مع مماثلته لهم في البشرية
على هذا الذي اتاكم بهذا الذكر الا بشر مثلكم اي في خلقه واخلاقه من الاكل والشرب والحياة والموت فكيف يختص عنكم بالرسالة
ما هذا الذي جاءكم به مما لا تقدرون على مثله الا سحر لا حقيقة له فحينئذ تسبب عن هذا الانكار في قولهم افتاتون السحر وانتم
اي والحال انكم تبصرون باعينكم انه بشر مثلكم وببصايركم ان هذه الخوارق التي ياتي بها يمكن ان يكون سحرا فيالله العجب من قوم راوا
ما اعجزهم فلم يجوزوا ان يكون عن الرحمن الداعي الى الفوز بالجنان وجزموا بانه من الشيطان الداعي الى الهوان باصطلاء النيران
والعجب ايضا انهم انكروا الاختصاص بالرسالة مع مشاهدتهم لما يخص الله به بعض الناس عن بعض من الذكا والفطنة
وحسن الخلايق والاخلاق والقوة والصحة وطول العمر وسعة الرزق ونحو ذلك من العيافة والقيافة والزجر والكهانة ويابون
اصحابها لسؤ الفهم عما عندهم من ذلك من العلم ولما كان الله تعالى لا يقر من كذب عليه فضلا عن ان يصدقه ويويده ولا يخفى عليه شيء
حتى يلزم عليه نقض ما اراده قال دالا على صدقه ومنبها على موضع الحجة في امره على قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم
جوابا لمن كانه قال فماذا يقال لهولاء على قراءة الباقين قل ربي المحسن الي بتاييدي بكل ما يبين صدقي ويحمل على اتباعي يعلم
القول سواء كان سرا او جهرا ولما كان من يسمع من هاتين المسافتين يسمع من اي مسافة فرضت غيرهما وقطعا لم يحتج الى جمع
على انه يفهم ارادة الجنس فقال في السماء والارض على حد سوا لانه لا مسافة بينه وبين شيء من ذلك وهو اي وحده السميع العليم
يسمع كل ما يمكن سمعه ويعلم كل ما يمكن علمه من القول وغيره فهو يسمع سركم ويبطل مكركم ويسمع ما انسبه اليه من هذا الذكر
فلو لم يكن عنه لزلزلني وقد جرت سنته القديمة في الاولين باهلاك المكذبين وتاييد الصادقين وانجايهم من نوح عليه
السلام الى هذا الزمان لعلمه بحال الفريقين وستعلمون لمن تكون العاقبة وقد اشار الى هذا في هولاء
الانبيا عليهم السلام الذين دل بقصصهم في هذه السورة على ما تقدمها من الاحكام والقضايا وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه
وكنا لحكمهم شاهدين وكنا بكل شيء عالمين وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ان الارض
يرثها عبادي الصالحون ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم كانت اقوالهم في امر القران قد

اضطربت

قصة

اضطربت والاضطراب من امارات الباطل وكان وصفهم له بانه سحر مما يهول السامع ويعلم انه معجز فربما ادى الى الاستبصار
في امره اخبر انهم نزلوا به عن رتبة السحر على سبيل الاضراب فقال بل قالوا اي عن هذا الذكر الحكيم انه اضغاث احلام اي تخاليط
نايم مثله الباطل وان كان ربما صدق والاخبار ببعض المغيبات التي كشف الزمان عن انها كما اخبر القران ثم نزلوا عن ذلك الى وصف يوجب
لاعظم النفرة عنه ومحض الطعن فيه فقالوا بل افتراه اي تعمد وضعه من عند نفسه ونسبه الى الله ولما كان ذلك لا ينافي كون مضمونه
صادقا في نفسه قالوا بل هو شاعر اي يخيل ما لا حقيقة له كغيره من الشعراء نتربص به ريب المنون لانه بشر كما تقدم فلا بد ان يموت
ونستريح بعد موته واليه اشار اخر التي قبلها قل كل متربص الى اخره فاضطربت اقوالهم وعولوا اخيرا على قريب من السحر في نفي الحقيقة
ولما كانوا يصفون القران بجميع هذه الاوصاف جملة يقولون لكل شخص ما راوه انسب له منها نبه الله سبحانه كل من له لب على بطلا
كلها بتناقضها بحرف الاضطراب اشارة الى انه كان يجب على من قالها على قلة عقله وعدم حيايه ان لا ينتقل الى قول منها الا بعد الاعراض
عن الذي قبله وانه مما يضرب عنه لكونه غلطا ما قيل الا عن سبق لسان وعدم تامل سترا للعناد وتدليسا للجحود ولو فعل ذلك
لكانت جديرة بانكشاف بطلانها لمجرد الانتقال فكيف عند اجتماعها ولما كانت نسبته الى الشعر اضعفها شانا واوضحها
بطلانا لم يحتج الى اضراب عنه وعبروا في الاضغاث بوصف القران تاكيدا للعيبة وفي الافترا والشعر بوصفه صلى الله عليه وسلم
لذلك ولما انتج لهم ذلك على زعمهم القدح في اعظم المعجزات سببوا عن هذا القدح طلب اية فقالوا فليأتنا اي دليلا على رسا
بآية اي لانا قد بينا بطعننا ان القران ليس باية ثم جلوا الصفة بقولهم كما اي مثل ما وبنوا الفعل للمفعول اشارة الى انه من صحت
الرسالة كان ذلك بزعمهم من غير تخلف لشيء اصلا فقالوا ارسل الاولون اي بالايات مثل تسبيح الجبال وتسخير الريح وتفجير الما هم
واحيا الموتى وهذا تناقض اخر في اعترافهم برسالة الاولين مع معرفتهم انهم بشر وانكارهم رسالته صلى الله عليه وسلم لكونه بشرا
ولم يستحيوا ابدا لتناقض من المكابرة فيما اتاهم به من انشقاق القمر وتسبيح الحصا ونبع الما والقران المعجز مع كونه اميا الى غير ذلك
ولما اشار سبحانه الى فساد طعنهم بما جعله هباء منثورا ونقض قولهم الذي سببوه عنه الاقرار بالرسل البشريين
وباياتهم اتبعه بيان ما عليهم فيه فبين اولا ان الايات تكون سببا للهلاك فقال جوابا لمن كانه قال ربما اجيبوا الى ما اقترحوه
ليؤمنوا ما امنت اي بالاجابة الى الايات المقترحات ولما كان المراد استغراق الزمان جرد الظرف عن الخافض فقال قبلهم
اي قبل كفار مكة المقترحين عليك واغرق في النفي فقال من قرية ولما كان المقصود التهويل في الاهلاك وكان اهلاك القرية
دالا على اهلاك اهلها من غير عكس دل على اهلاك جميع المقترحين تحذيرا من مثل حالهم بوصفها بقوله في مظهر العظمة المقتضي لاهلاك
المعاندين اهلكناها اي على كثرتهم وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وما من الانبيا نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر واشار بذلك الى انه لم يسلم عند الباس الا قرية
واحدة وهم قوم يونس عليه السلام لانهم امنوا عند روية المخايل وقبل الشروع في الاهلاك وهو اشارة الى ان سبب الايمان
مشيئته سبحانه لا الايات ولما كانوا احق قبلهم ان لم يكونوا دونهم حسن الانكار في قوله افهم يؤمنون اي كلا بل لا
يؤمنون ولو جاتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم حين لا ينفع الايمان وقد قضينا في الازل ان لا نستاصل هذه الامة اكراما
لنبيها فنحن لا نجيبهم الى المقترحات لذلك ولما بين اولا ان الايات تكون سببا للهلاك فلا فايدة لهم في الاجابة الى ما اقترحوه
منها بعد بطلان ما قدحوا به في القران بين ثانيا بطلان ما قدحوا به في الرسول بكونه بشرا جاز الرسل الذين كانوا من قبله
كانوا اترابهم من جنسه فما لهم ان ينكروا رسالته وهو مثلهم بل عليهم ان يعترفوا له عند ما اظهر من المعجز كما اعترفوا لاولئك
كل ذلك قطعا عن ان يتمنى احد اجابتهم الى التاييد بملك ظاهر فقال عاطفا على امنت وما ارسلنا ولما كان السياق
لانكار ان يكون النبي بشرا وكان الدهر كله ما خلا قط جزء منه من رسالة اما برسول قايم واما بنقل اخباره وكان تعميم الزمان
انسب فقال من غير حرف جر اي في جميع الزمان الذي تقدم زمانك في جميع طوايف البشر الا رجالا نوحي اليهم بالملايكة سرا
من غير ان يطلع على ذلك الملك غيرهم كما اقتضته العظمة من التخصيص والاختيار والاسرار عن الاغيار وذلك من نعم الله على خلقه
لان جعل الرسل من البشر امكن للتلقي منهم والاخذ عنهم ولما لم يكن لهم طريق في علم هذا ان لم يقبلوا خبره عن القران
الا سؤال من كانوا يفزعون اليهم من اهل الكتاب ليثبتوهم على ما هم عليه من الشك والارتياب قال فاسئلوا اهل الذكر ثم
نبه على انهم غير محتاجين فيه الى السؤال بما كان قد بلغهم على الاجمال من احوال موسى وعيسى وابرهيم واسمعيل وغيرهم عليهم السلام
بقوله معبرا باداة الشك محركا لهم الى المعالي ان كنتم اي بجبلاتكم لا تعلمون اي لا اهلية لكم في اقتباس علم بل كنتم اهل تقليد محض
وتبع صرف ولما بين انه على سنة من مضى من الرسل في كونه رجلا بين انه على سنتهم في جميع الاوصاف التي حكم بها على البشر في العيش
والموت فقال وما جعلناهم اي الرسل الذين اخترنا بعثهم الى الناس ليامروهم باوامرنا ولما كان السبب في الاكل ترتيب
هذا الهيكل الحيواني على ما هو عليه لا كونه متكثرا او متحدا فقال جسدا اي ذوي جسد لحم ودم متصفين بانهم لا ياكلون الطعام
بل جعلناهم اجسادا ياكلون ويشربون وليس ذلك بمانع من رسالتهم قال ابن فارس في المجمل وفي كتاب الخليل ان الجسد لا يقال

بها

لله

ب

لك

لغير الانسان من خلق الارض ثم عطف على الاول قوله وما كانوا خالدين اى باجسادهم بل ماتوا كما مات الناس قبلهم وبعدهم د
اى لم يكن ذلك فى جبلتهم وانما تميزوا عن الناس بما ياتيهم عن الله سبحانه ورسولكم صلى الله عليه وسلم ليس بخالد فتربصوا كما اشار اليه
ختم طه فانه متربص بكم وانتم عاصون للملك الذى اقترب حسابه لخلقه وهو مطيع له فايكم احق بالامن بين ان الرسل كالمرسل
اليهم بشر غير خالدين بين سنته فيهم وفى اممهم ترغيبا لمن اتبع وترهيبا لمن امتنع فقال عاطفا باداة التراخى فى مظهر العظمة
لما ارشد اليه التقدير من مثل بل جعلناهم جسدا ياكلون ويشربون ويعيشون الى انقضا اجالهم ويموتون وارسلناهم
الى اممهم يحذرونهم وانذروهم وعلموهم كما امرناهم ووعدناهم ان من امن بهم اسعدناه ومن كفر واستمر اشقيناه وانا نهلك من
اردنا من المكذبين فامن بهم بعض وكفر اخرون فلم نعاجلهم بالاخذ بل صبرنا عليهم وطال بلاء رسلنا بهم ثم صدقناهم بما اقتضت
عظمتنا واكد الامر بتعدية الفعل من غير حرف الجر فقال الوعد اى بانجائهم واشار باداة التراخى الى انهم طال بلاؤهم بهم وصبرهم
عليهم ثم احل بهم سطوته واراهم عظمته ولذلك قال مسببا عن ذلك فانجيناهم اى الرسل بعظمتنا ولكون السياق لانهم
فى غاية الغفلة التى نشا عنها التكذيب البليغ الذى اقتضى تنويع القول به الى سحر واضغاث وافترا وشعر فاقتضى مقابلته
بصدق الوعد منه سبحانه عبر بالانجا الذى هو اقتلاع من وهدة العذاب فى غاية السرعة ومن نشاء اى من اتباعهم اشارة الى ان سبب
الانجا المشية لان التصديق موجب له لانه لا يجب عليه سبحانه شىء واهلكنا اى بما تقتضيه العظمة المسرفين كلهم الذين علمنا
ان الاسراف لهم وصف لازم لا ينفكون عنه ولما انقضى ما لزمهم بسبب الانكار لرسلية البشر من الاقرار برسلية رسولهم
صلى الله عليه وسلم لكونه مساويا لهم فى النوع والاتيان بالمعجز وما فعل بهم وباممهم ترغيبا وترهيبا وختم ذلك بانه اباد المسرفين
ومحى ذكرهم الا بالشر التفت الى الذكر الذى طعنوا فيه فقال مجيبا لمن كانه قال هذا الجواب عن الطعن فى الرسول قد عرف فما الجواب عن الطعن
فى الرسول قد عرف فما الجواب عن الطعن فى الذكر معرضا عن جوابهم لطانعه من الاشارة بحرف الاضراب الى انما طعنوا به فيه لا يقوله عاقل
مبينا ما لهم فيه من الفطنة التى هم لها رادون والنعمة التى هم بها كافرون لقد اى وعزتنا انزلنا بما لنا من العظمة اليكم يا معشر
قريش بل العرب قاطبة كتابا اى جامعا لجميع المحاسن لا يغسله الماء ولا تحرقه النار فيه ذكركم طول الدهر بالخيرات العظيم والشرف عصيتم
وبه شرفكم على سائر الامم بشرف ما فيه من مكارم الاخلاق التى كنتم تتفاخرون بها وبشرف نبيكم الذى تقولون عليه الاباطيل وتكثرون فيه
القال والقيل ولما تم ذلك على هذا الوجه نبه ان يتعين على كل ذى لب الاقبال عليه والمسارعة اليه لحسن جدا قوله منكرا
عليهم منبها على ان علم ذلك لا يحتاج الى غير العقل المجرد عن الهوى افلا تعقلون ولما كان التقدير فان لم تقبلوه شرفنا من
ظلمتم برده عنادا اهلكناكم كما اهلكنا من كان قبلكم عطف عليه قوله وكم قصمنا اى بعظمتنا من قرية جعلناها كالشى اليابس
الذى كسر فتباينت اجزاؤه والاناء الذى فيه فانفك ماؤه واشار بالقصم الذى هو افظع الكسر الى انها كانت باجتماع الكلمة
وشدة الشكيمة كالحجر الرخام فى الصلابة والقوة وكم فى هذا السياق تقتضى الكثرة ثم علل اهلاكها واصطلامها بقوله كانت ظالمة
ثم بين الغنى عنها بقوله وانشانا اى بعظمتنا كان الدهر لم يخل قط بعد ادم عليه السلام من انشاء وافنا فكان المراد ان
الانشا بعد الاهلاك مستغرق للزمان على التعاقب بيانا لان المهلكين ضروا انفسهم من غير افتقار اليهم اسقط الجار فقال
بعدها قوما اى اقويا وحقق انهم لا قرابة قريبة بينهم بقوله اخرين ثم بين حالها عند احلال الباس بها فقال فلما احسوا اى ادرك
اهلها بحواسهم باسنا اى بما لنا من العظمة اذا هم اى من غير توقف اصلا منها اى القرية يركضون هاربين عنها مسرعين كمن
يركض الخيل اى يحركها بعد العقد وبعد تجبرهم على الرسل وقولهم لهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا فنادتهم لسان الحال تقريعا
وتبشيعا لحالهم وتفظيعا وصورا لتهكم بهم باعظم صورة فقال لا تركضوا وارجعوا الى قريتكم الى ما ولما كان [illegible]
انما هو على العيش الرافه لا على كونه من معط معين بنى للمفعول قوله اترفتم فيه اى منها ويجوز ان يكون بنى للمجهول اشارة الى غفلتهم
عن العلم بمن اترفهم او الى انهم كانوا ينسبون نعمتهم الى قواهم ولو عدوها من الله لشكروه فنفعهم كان اعظم ما يوسف
عليه بعد العيش الناعم المسكن قال ومساكنكم اى التى كنتم تفخرون بها على الضعفاء من عبادى بما اتقنتم من بنيانها واوسعتم من فنائها
وعليتم من مقاعدها وحسنتم من مشاهدها ومعاهدها لعلكم تسالون فى الايمان كما كنتم تسالون [illegible] بما عندكم من الانعم
ومزيد الحمية والعظمة او تسالون فى الحوائج والمهمات كما تكون الروسا فى مقاعدهم العلية ومراتبهم البهية فيجيبون سائلهم بما
يشاؤا على تؤدة واحوال مهل تخالف احوال الراكض المعجل ولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ولما كان كانه
قيل بم اجابوا هذا المقال قيل قالوا حين لا ينفع قولهم عند نزول الباس يا ويلنا اشارة الى انه حل بهم لانه لا ينادى الا القريب
وترققا له كما يقول الشخص لمن يضربه يا سيدى كانه يستغيث به ليكف عنه وذلك غباوة منهم وعمى عن الذى احله بهم لانهم
كالبهائم لا ينظرون الا السبب الاقرب ثم عللوا احلوله بهم تاكيدا لترفقهم بقولهم انا كنا اى جبلة لنا وطبعا ظالمين حيث
كذبنا الرسل وعصينا امر ربنا فاعترفوا حيث لم ينفعهم الاعتراف لفوات محله فما اى فتسبب عن احلالنا ذلك الباس بهم
انه ما زالت تلك دعواهم اى الدعوة البعيدة عن الخير والسلامة وهى قولهم يا ويلنا دعواهم يرددونها لا دعوى لهم غيرها

حتى

لان الويل ملازم لهم غير منفك عنهم وترققهم له غير نافعهم حتى جعلناهم بما لنا من العظمة حصيدا كالزرع المحصود
كان هذا وما بعده مثل حلو حامض فى الرمان جعلا خبرا واحدا ليكون جعل مقتصرا على مفعولين فقال خامدين اى جامعين للانقطاع والخمود
لا حركة لهم ولا صوت كالنار المضطرمة اذا ابطل لهيبها ثم جمرها وصارت رمادا ولم يك ينفعهم ايمانهم واعترافهم بالظلم وخضوعهم لما
راوا باسنا ولما ذمهم باللعب وبين انه يفعل فى اهلاك الظالم وانجاء العدل فعل الجاد باحقاق الحق بالانتقام لاهله وازهاق
الباطل باجتثاثه من اصله فكان التقدير وما ينبغى لنا ان نفعل غير ذلك من افعال الحكمة العرية عن اللعب فلم نخلق الناس عبثا يعصوننا ولا
يواخذون عطف عليه قوله وما خلقنا اى بعظمتنا التى تقتضى الجد ولا بد كان خلق سما واحدة يكفى فى الدلالة على الحكمة فكيف
باكثر منها وحد فقال السما اى على علوها واحكامها والارض على عظمتها واتساعها وما بينهما مما دبرناه لتمام المنافع من اصناف البدايع وغرايب
الصنايع لاعبين غير مريدين بذلك تحقيق الحقايق وابطال الاباطيل بل خلقنا ذلك لكم انه عظيمة كافية فى الوصول الينا ليظهر العدل
فى جزا كل بما يستحق مشحونة بما يقوت الاجسام ويبهج النفوس ويشرح الصدور ويروح الارواح ويبعث على الاعتبار كل من له استبصار
لدلالته على حكمتنا ووجوب وحدانيتنا فاتخذتم انتم ما زاد منه على الحاجة لهوا صادا عن الخير داعيا الى الضير ولما نفى عنه
اللعب اتبعه دليله فقال لو اردنا اى على عظمتنا ان نتخذ لهوا يكون لنا منسوبا فى لهو النسا واللهو قال الاصفهانى صرف الهم
عن النفس بالقبيح لاتخذناه اى بما لنا من العظمة من لدنا اى مما يليق ان ينسب الى حضرتنا بما لها من تمام القدرة وكمال العظمة وباهر
الجلالة والحكمة وذلك بان يكون بحيث لهو لا جد فيه اصلا ولا يخالطه شىء من الكدر ولا يتوقف من يراه فى تسميته لهوا لا يكون له عنده
اسم غير ذلك كما لو ان شمسا اخرى وجدت لم يتوقف احد فى تسميتها شمسا كما قال تعالى فى السورة الماضية وقد اتيناك من لدنا ذكرا
اى فهو بحيث لا يتوقف احد فى انه من عندنا وانه ذكر وموعظة كما مضى تحقيقه لو لم يرد ذلك فلم يكن وما اتخذتموه لهوا فانا خلقناه لغير
ذلك بدليل ما فيه من الشواغل والمنغصات والقواطع فاتخذتموه انتم من عند انفسكم لهوا فكان اكثره لكم ضرا وعليكم شرا وحظ الجاهل
عنه بما ظهر وله منه ما بطن وعلى هذا يكون المراد من حضرتنا الخاصة بنا الخفية التى لا يطلع عليها غيرنا لان ما للملك لا يكون مبتذلا ولكن
لم نذكر الا ما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته توحد السما هنا وجمعها فى غير هذا الموضع لاقتضا الحال ذلك كان هذا
مما ينبغى ان ننزه الحضرة العلية عنه وعن مجرد ذكره ولو على سبيل الفرض اشار الى ذلك باداة شرط اخرى فقال ان كنا فاعلين
اى له ولكنه لا يليق بجنابنا فلم نفعله ولا نكون فاعلين له بل واستعار لهذا المعنى القذف والدمغ تصويرا للمحق بجعل الحق كانه جرم
صلب كالصخرة قذف بها على جرم رخو اجوف فقال نقذف اى انما شاننا ان نرمى رميا شديدا بالحق الذى هو هذا الذكر الحكيم
الذى انزلناه جدا كله وثابتا جميعه لا لهو فيه ولا باطل ولا هو مقارب لشى منهما ولا تقدرون ان تتخذوا شيا منه لهوا الجاد ا
يطابقكم عليه منصف فنحن نقذف به على الباطل الذى اخذتموه من عند انفسكم فيدمغه اى فيمحقه محق المكسور الدماغ فاذا هو
فى الحال زاهق اى ذاهب الروح اى هالك ثم عطف على ما افادته اذا قوله ولكم اى واذا لكم ايها المبطلون الويل مما تصفون
اى من وصفكم لكل شىء بما تهوى انفسكم من غير اذن منا لانكم لا تقفون على حقايق الامور فان وصفتم القران بشى مما تقدم من قذفنا عليه
بما يبين بطلانه بان لكل عاقل انه يجب عليكم ان تنادوا الويل ليصليكم كل الميل وان وصفتم الله او الدنيا او غيرهما بكذلك انما انتم
متعلقون بقشور وظواهر لا يرضاها الا بعيد عن العقل محجوب عن الادراك ثم عطف ايضا على ما لزم من ذلك القذف قوله وله
من فى السموات اى الاجرام العالية وهى ما تحت العرش وجمع السما هنا لاقتضا تعميم الملك ذلك ولما كانت عقولهم
تدرك تعدد الاراضى وحد فقال معبرا بالموصول تاكيدا للاشارة الى ما يلزمهم من ادعا ان ما دعوه شريكا اما ان لا يكون له واما
ان يكون المملوك شريكا وكلاهما لا يعقل ومن فى الارض وذلك شامل على ان التعبير بمن لتغليب العقلا للسموات والارض لان الارض
فى السموات وكل سما فى التى فوقها والعليا فى العرش وهو سبحانه ذو العرش العظيم كما سياتى قريبا فدل ذلك دلالة عقلية على
انه مالك الكل وملكه كانوا يصفون الملائكة بما لهم الويل من وصفه خصهم بالذكر معبرا عن خصوصيتهم وقربهم
بالعندية تمثيلا بما نعرف من اصفيا الملوك عندنا التعبير بعند من مجرد القرب فى المكانة لا فى المكان فقال ومن عنده لا اى بهم له
حاك كونهم لا يستكبرون عن عبادته بنوع كبر طلبا ولا ايجادا ولا يستحسرون اى ولا يطلبون ان ينقطعوا عن ذلك [illegible]
ذلك قوله يسبحون اى ينزهون المسبح للتنزيه بانواع التنزيه من الاقوال والافعال التى هى عبادة فهى مقتضيه مع نفى النقايص
اثبات الكمال الليل والنهار اى جميع اناءهما دائما ولما لم يصرح هنا بانكارهم ولا ما [illegible] منه من الاستكبار لم يوكد ولا
عطف بالواو فقال لا يفترون اى عن ذلك فى وقت من الاوقات بخلاف ما فى فصلت فان الامر فيها مبنى على تقدير استكبارهم المشار
لانكارهم المقتضى للتاكيد وكل هذا فى حيز اذا اى اذا انزلنا شيا من القران منبها على انا وبكم مبينا لا باطيلكم فاجاه ظهور [illegible]
للباطل والويل لكم والملك له سبحانه منزها عن كل نقص ثابتا له بالعبادة كل كمال ويجوز ان يعطف على نقذف كانوا
عند هذا البيان جديرين بان يبادروا الى التوحيد فلم يفعلوا كانوا حقيقين بعد الاعراض عنهم بالتوبيخ والتهكم والتعنيف فقال تعالى ام اتخذوا
اى اعلموا ان كل شى تحت قهرنا فاتخذوا فيه امرا فرجعوا عن ضلالهم ام لم يعلموه او علموا ما [illegible] فاتخذوا الهة ولما كانت معبوداتهم

اصناما أرضية من حجارة ونحوها قال من الأرض اى التى هم مشاهدون لانها وكل ما فيها طوع مشيئته هم اى خاصة ينشرون
اى يحيون شيئا مما فيها من الاجسام النامية حتى يستحقوا بذلك صفة الالهية وافادة السياق الحصر يفيد انه لو وقع الانشار لاحد على
وجه يجوز مشاركة غيره له لم يستحق العبادة وفى هذا الاستفهام تهكم بهم بالاشارة الى انهم عبدوا ما هو من ادنى ما فى الارض مع انه
ليس فى الارض ما يستحق ان يعبد لان الانسان اشرف ما فيها ولا يخفى ما له من الحاجة المبعدة عن تلك الرتبة الشما ولما كان الجواب
قطعا لم يتخذوا الهة بهذا الوصف ولا شئ غيره سبحانه يستحق وصف الالهية اقام البرهان القطعى على صحة نفى اله غيره برها
ن التمانع وهو اشد برهان لاهل الكلام فقال لو كان فيهما اى السموات والارض اى فى تدبيرهما ولما كان الاصل فيما
بعد كل من الا وغير ان يكون من جنس ما قبلهما وان كان مغايرا له فى العين صح وضع كل منهما موضع الاخر واختير هنا التعبير باداة
الاستثنا والمعنى للصفة اذ هى تابعة لجمع منكور غير محصور لافادة اثبات الالهية سبحانه مع النفى عما عداه لان لو لما فيها
من الامتناع معينة للنفى فالكلام فى قوة ان يقال ما فيهما الهة الا الله اى مدبرون غير من تفرد بصفات الكمال ولو كان فيهما الهة
غيره لفسدتا لنقضا العادة بالخلاف بين المتكافئين المودى الى ذلك ولقضا العقل بامكان الاختلاف اللازم منه امكان
التمانع اللازم منه امكان عجز احدهما اللازم منه ان لا يكون الها لحاجته واذا انتفى الجمع انتفى الاثنان من باب الاولى لان الجمع
كلما زاد كان فعضهم بعضا اقبل للفساد كما نشاهد ولما افاد هذا الدليل انه لا يجوز ان يكون المدبر لهما الا واحدا وان
ذلك الواحد لا يكون الا الله قال فسبحان الله اى فتسبب عن ذلك تنزه المتصف بصفات الكمال رب العرش الذى هو نهاية المعلومات
من الاجسام ورب ما دونه من السموات والاراضى وما فيهما المنفرد بالتدبير كما ينفرد الملك الجالس على السرير عما يصفون مما يوهم نقصا
ما ثم علل ذلك بقوله لا يسأل اى من سائل ما عما يفعل اى لا يعترض عليه لانه لا كفؤ له فى علم ولا حكمة ولا قدرة ولا عظمة ولا غير ذلك
فليس فى شئ من افعاله لاتقانها موضع سؤال فمهما اراد كان ومهما قال فالحسن الجميل فلو شا لعذب اهل سمواته واهل ارضه وكان
ذلك منه عدلا حسنا وهذا مما يتمادح به اولوا الهمم العوال • كما قال عامر الخصفى فى هاشم بن حرملة بن الاشعر

احيا اباه هاشم بن حرمله • يوم الهباآت ويوم اليعمله • ترى الملوك عنده مغربله • يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

قال ابن هشام فى مقدمة السيرة قبل امر البسل بقليل انشدنى ابو عبيدة هذه الابيات وحدثنى ان هاشما قال لعامر قل فى بيتا جيدا
اثيبك عليه فقال عامر البيت الاول فلم يعجب هاشما ثم قال البيت الثانى فلم يعجبه ثم قال الثالث فلم يعجبه فلما قال يقتل ذا الذنب ومن لا
ذنب له اعجبه فاثابه عليه ومن العجب ما رايت فى كلام الامدى من ان الشهرستانى قال فى الملل وقد سال بعض الدهرية
ارسطاليس فقال اذا كان لم يزل ولا شئ غيره ثم احدث العالم فلم احدثه فقال لم غير جائز عليه لان لم تقتضى علة والعلة محمولة فيما هى
علة له من معلول فوقه ولا علة فوقه وليس بمركب فتحمل ذاته العلل فلم عنه منفية وهم يسألون من كل سائل لما فى افعالهم من الخلل
بل هم يعجزون عن اكثر ما يريدون ولما قام الدليل ووضح السبيل واضمحل كل قال وقيل فانمحقت الاباطيل قال منبها لهم على ذلك
ام اى ارجعوا عن ضلالهم لما بان لهم غيهم فيه فوحدوا الله ام اتخذوا ونبه على ان كل شئ دونه وانه ان الهتهم بعض من ذلك باثبات الجار
فقال موبخا لهم مكررا لما مضى على وجه اعم طالبا البرهان تلويحا الى التهديد من دونه الهة من السما او الارض او غيرهما ولما
كان جوابهم اتخذنا ولا نرجع امر بجوابهم فقال قل هاتوا برهانكم على ما ادعيتموه من عقل ونقل كما اتيت انا ببرهان النقل المؤيد
بالعقل ولما كان الكريم سبحانه لا يؤاخذ بمخالفة العقل ما لم ينضم اليه دليل النقل اتبعه قوله مشيرا الى ما بعث الله
به الرسل من الكتب هذا ذكر اى موعظة وشرف من معى ممن آمن بى وقد ثبت انه كلام الله بعجزكم عن معارضته فانظروا هل تجدون
فيه شيئا يؤيد امركم وذكر اى وهذا ذكر من قبلى فاسألوا اهل الكتابين هل فى كتاب منهما برهان لكم ولما كانوا لا يجدون
شبهة لذلك فضلا عن حجة اقتضى الحال الاعراض عنهم غضبا فكان كانه قيل لا يجدون لشئ من ذلك برهانا بل اكثرهم اى هؤلاء
المدعوين لا يعلمون الحق بل هم جهلة والجهل اصل الشر والفساد فهم يكفرون تقليدا فهم اى فتسبب عن جهلهم ما افتتحنا به السورة
من انهم معرضون عن ذكرك وذكر من قبلك غفلة منهم عما يراد بهم واشتغالا باللعب فعل القاصر عن درجة العقل وبعضهم معاند مع
علمه الحق وبعضهم يعلم فيقبل كما افهمه التقييد بالاكثر ولما كان التقدير بيانا لما فى الذكرين ولو اقبلوا على الذكر لعلموا انا
اوحينا اليك فى هذا الذكر انه لا اله الا انا فما ارسلناك الا لنوحى اليك ذلك عطف عليه قوله وما ارسلنا اى بعظمتنا ولما كان
الارسال بالفعل غير مستغرق للزمان المتقدم لانه كما ان الرسالة لا يقوم لها كل احد فكذلك الارسال لا يصلح له كل زمن اثبت الجار
فقال من قبلك واعرق فى النفى فقال من رسول فى شيع الاولين الا نوحى اليه من عندنا انه لا اله الا انا ولم يقل نحن لئلا
يجعلوها وسيلة الى شبهة تما ولهذا قال فاعبدون بالافراد وترك التصريح بالامر بالتخصيص بالعبادة لفهمه من المقام ولان
فانهم كانوا [illegible] لا يعبدونه ولكنهم يشركون تنبيها على ان كل عبادة فيها شوب شرك عدم ولما دل على نفى مطلق
الشريك عقلا ونقلا فانتفى من كل فرد يطلق عليه هذا الاسم عجب من ادعائهم الشركة المعينة بالولد فقال عاطفا على قوله
واسروا النجوى وقالوا اى الضمير لخزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله وقيل اليهود حيث قالوا انه سبحانه صاهر الجن

فكانت منهم الملائكة اتخذ اى تكلف كما يتكلف من يكون له ولد الرحمن اى الذى كل موجود من فيض نعمته ولدا ولما
كان ذلك اعظم الذنب نزه سبحانه نفسه عنه بجمع التنزيه فقال سبحانه اى تنزه عن ان يكون له ولد لان ذلك يقتضى المجانسة
بينه وبين الولد ولا تصح مجانسة النعمة للمنعم الحقيقى بل الذين جعلوهم له ولدا وهم الملائكة عباد من عباده انعم عليهم بالايجاد
كما انعم على غيرهم لا اولاد فان العبودية تنافى الولدية مكرمون بالعصمة من الزلل ولذلك فسر الاكرام بقوله لا يسبقونه اى
لا يسبقون اذنه بالقول اى بقولهم بمعنى انهم لا يقولون شيئا لم يأذن لهم فيه ويطلقه لهم ولما كان الواقف عما لم يؤذن
له فيه قد لا يفعل ما امر به قال وهم بامره اى خاصة اذا امرهم يعملون لا بغيره لانهم فى غاية المراقبة له فجمعوا الى الطاعة بين
القول والفعل وذلك غاية الطاعة ثم علل اخباره بذلك بعلمه بما هذا المخبر به مندرج فيه فقال يعلم ما بين ايديهم اى ما لم
يعملوه وما خلفهم مما عملوه او يكون الاول لما عملوه والثانى لما لم يعملوه لانك تطلع على ما قدامك ويخفى عليك ما خلفك اى ان علمه
محيط باحوالهم ماضيا وحالا ومالا لا يخفى عليه خافية ثم صرح بلازم الجملة الاولى فقال ولا يشفعون اى فى الدنيا ولا فى الاخرة
الا لمن ارتضى فلا تطمعوا فى شفاعتهم لكم بغير رضاه وبلازم الثانية فقال وهم من خشيته اى لا من غيرها مشفقون اى دائما ولما
نفى الشريك مطلقا ثم مقيدا بالولدية اتبعه التهديد على ادعائه بتعذيب المتبوع الموجب لتعذيب التابع فقال ومن يقل منهم اى من
كل من قام الدليل على انه لا يصلح للالهية حتى العباد المكرمون الذين وصف كرامتهم وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم كما رواه البيهقى
فى الخصائص من الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما انى اله ولما كانت الرتبة التى تحت رتبة الالهية كثيرة بعض ليدل على من استغرق
بطرقها الاولى فقال من دونه اى من دون الله فذلك اى اللعين الذى لا يصلح للتقريب اصلا ما دام على ذلك نجزيه اى بعظمتنا جهنم
لظلمه فافهم تعذيب مدعى الشرك تعذيب اتباعه من باب الاولى وهذا على سبيل الفرض والتمثيل فى الملائكة مع احاطة علمه بانه لا
يكون وما ذاك الا لقصد تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد ودلائل النبوة للبيهقى فى باب التحدث بالنعمة والخصائص
ان هذه الاية مع قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك دليل على فضله صلى الله عليه وسلم على اهل السما ولما كان
مقتضيا للسؤال عن غير هذا من الظلمة قيل كذلك اى مثل هذا الجزا الفظيع جدا نجزى الظالمين كلهم ما داموا على ظلمهم ولما
انكر سبحانه اتخاذهم الهة من دونه تارة بقيد كونها ارضية وتارة بقيد كونها سماوية وتارة مطلقة لتعم كلا من القسمين وغيرهما
واستدل على ذلك كله بما لم يبق معه شبهة فدل بتفرده على انه لا مانع له مما يريده من بعث ولا غيره وكان علمهم لا يتجاوز ما فى
السموات والارض قال مستدلا على ذلك ايضا مقررا لهم بما يعلمونه او ينبغى ان يسألوا عنه حتى يعلموه لتمكنهم من ذلك فاسألوا اهل
الذكر حالا له فى اسلوب العظمة أو لم اى الم يعلموا ذلك بما اوضحناه من دلائله ولم يروا ولكنه اظهر للدلالة على انهم يعطون
انوار الدلائل عنادا فقال ير اى يعلم علما هو كالمشاهدة الذين كفروا اى ستروا ما يعلمون من قدرة الله فادى ذلك الى الاشتهار
والنقص فصار ذنبهم غير مغفور وسعيهم غير مشكور وحذف ابن كثير الواو العاطفة على ما قدرته مما هدى اليه السياق
ايضا لا للاستفهام بما دل عليه ختام الاية التى قبل من البعث والجزا المقتضى للانكار على من انكره فكان المعنى على قراءته يجزى كل
ظالم بعد البعث المرير المنكرون لذلك قد رتبنا عليه بما ابدعنا من الخلائق وانما انكر عليهم عدم الرؤية بسبب ان الاجسام
وان تباينت لا ينفصل بعضها عن بعض الا بقادر يفصل بينهما فمن البديهى لاستحالة ان يرتفع شئ منها عن الاخر منفصلا عنه بغير
رافع لا سيما اذا كان المرتفع ثابتا من غير عماد ولا كثيف وهو عظيم الجسم كبير الجرم وذلك دال على تمام القدرة والاختيار والتنزه
عن كل شائبة نقص من مكانى وغيره فصح الانكار عليهم فى عدم علم ذلك بسبب انهم علموا الخلائق ما يعلمونه ان السموات
والارض ولما كان المراد الاخبار عن الجماعتين لا عن الافراد قال كانتا ولما كان المراد شدة الاتصال
والتلاحم اخبر عن ذلك بمصدر مفرد وضع موضع الاسم فقال رتقا اى ملتزقتين رتقة واحدة على وجه الماء والرتق فى اللغة
السد والفتق الشق ففتقناهما اى بعظمتنا اى بان ميزنا احدهما عن الاخرى بعد التكوين المتقن وفتقنا السما بالمطر
والارض بانواع النبات بعد ان لم يكن شئ من ذلك ولا كان معد ولا على شئ منه لاحد غيرنا عن ابن عباس رضى الله عنهما وعطاء
والضحاك وقتادة كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهوا وعن مجاهد وابى صالح والسدى كانت مؤتلفة
طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع طبقات ولما كان خلق الماء سابقا على خلق السموات والارض قال وجعلنا
اى بما اقتضته عظمتنا من الماء اى الهامر ثم الدافق كل شئ حى مجازا من النبات وحقيقة من الحيوان خرج
الامام احمد وغيره عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم اخبرنى عن كل شئ فقال كل شئ خلق من ماء ولذلك
اجاب صلى الله عليه وسلم ذلك الذى وجده على ماء بدر وساله ممن هو بقوله نحن من ماء ولما كان هذا من تصرفه
فى هذين الكونين ظاهرا ومنتجا لانهما وكل ما فيهما ومن فيهما بصفة العجز عن ان يكون له تصرف ما تسبب عنه انكار عدم ايمانهم
فقال افلا يؤمنون اى بان شيئا منهما او فيهما لا يصلح للالهية لا على وجه الشركة ولا على وجه الانفراد وبان صانعهما
ومبدع النامى من حيوان ونبات منهما بواسطة الما قادر على البعث للحساب للثواب او العقاب بعد ان صار الميت ترابا

بماء يستتبعه لذلك ولما كان من القدرة الباهرة ثبات الارض من غير حركة وكان الماء ادل دليل على ثباتهما وكانت الارض اقرب في
الذكر من السماء اتبع ذلك قوله وجعلنا بما لنا من العظمة في الارض جبالا رواسي اي ثوابت كراهة ان تميد بهم وتضطرب
فيهلك المياه كل شيء حي فيعود نفعها ضرا وخيرها شرا كان المراد من الرواسي الشدة والحزونة لتقوى على الثبات وتسبب
وكان ذلك مقتضيا لابعادها وحفظها عن الدلة والليونة بين انه خرق فيها العادة ليعلم انه قادر مختار لكل ما يريد فقال
وجعلنا بما لنا من القوة الباهرة والحكمة البالغة فيها اي الجبال مع حزونتها فجاجا اي مسالك واسعة سهلة ثم ابدل منه
قوله سبلا اي مذللة للسلوك ولولا ذلك لتعسر او تعذر الوصول الى بعض البلاد لعلهم يهتدون الى منافعهم من ديارهم
وغيرها والى ما فيهما من دليل الوحدانية وغيرها فيعلموا ان وجودها لو كان بالطبيعة كانت على نمط واحد مساوية للارض نهد
مساوية في الوصف وان كونهما على غير ذلك دال على ان صانعهما قادر مختار متفرد باوصاف الكمال ولما ذكرهم
بالسموات والارض على عظمته ثم فصل بعض ما في الارض لملابستهم له وخص الجبال لكثرتها في بلادهم اتبعه السماء فقال وجعلنا
اي بعظمتنا السماء وافردها مع ارادة الجنس لان اكثر الناس لا يشاهدون منها الا الدنيا ولان الحفظ للشيء الواحد اتقن سقفا
اي للارض لا فرق بينها وبين ما يعهد من السقوف الا ان ما يعهد منها لا يسقط منه الا ما يضر وهذه مشحونة بالمنافع واكثر ما
ينزل منها ما لا غنى للناس عنه مع آلات الضياء وعلامات الاهتداء والزينة التي لا يقدر قدرها كان ما يعرفون
من السقوف على صغرها لا تثبت الا بالعمد ويتمكن منه المفسدون ويحتاج كل قليل الى اصلاح ونبههم بين ان هذا السقف
على سعته وعلوه على غير ذلك فقال محفوظا اي عن السقوط بالقدرة وعن الشياطين بالشهب فذكر باعتبار السقف واشار
الى كثرة ما حوى من الآيات مؤنثا باعتبار السماء او العدد الدال عليه الجنس لان العدد اولى بالدلالة على كثرة الآيات والنجوم
متفرقة في الكل فقال وهم اي اكثر الناس عن آياتها اي من الكواكب الكبار والصغار والرياح والامطار وغير ذلك من الدلائل
التي تفوت الاحصاء الدالة على قدرتنا على كل ما نريد من البعث وغيره وعلى عظمتنا بالتفرد بالالهية وغير ذلك من اوصاف
الكمال من الجلال والجمال معرضون لا يتفكرون فيما فيها من التسيير والتدبير بالمطالع والمغارب والترتيب القويم الدال
على الحساب الذي عليه سائر المنافع ولما ذكر السماء ذكر ما ينشأ عنها فقال وهو اي لا غيره الذي خلق الليل والنهار
وانفعهما آيتيهما فقال والشمس اي هي آية النهار وبها وجوده والقمر الذي هو آية الليل ولما ذكر اعظم
آياتهما فافهم بقية الكواكب استأنف لمن كأنه قال هل هي كلها في سماء واحدة كل اي من ذلك في فلك فكأنه قيل ما ذا
تصنع فقيل ذاكرا ضمير العقلاء لاسناد فعلهم اليها يسبحون اي كل واحد يسبح في فلكه الذي جعل به ولما ذكر الصارم
لبنات للاعمار الطوال والقصار من الليل والنهار كأنه قيل فيفنيان كل جديد ويبليان كل حديد فعطف عليه قوله وما
جعلنا اي لما لنا من العظمة التي اقتضت تفردنا بالبقاء لبشر وحقق عدم هذا الجعل باثبات الجار فقال من قبلك الخلد
ناظرا الى قوله وما كانوا خالدين بعد قوله هل هذا الا بشر مثلكم وهذا من اقوى الادلة على ان الخضر عليه السلام مات وتجاب بان
الحياة الطويلة ليست خلدا كما في حق عيسى عليه السلام لكن قوله صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في
الارض بعد اليوم وقوله لا يبقى على راس مائة سنة ممن هو على ظهر الارض اليوم احد وقوله وددنا لو ان موسى عليه السلام
قص علينا من امرهما وامثال ذلك يدل على موته دلالة لا تقبل ادعا حياته بعدها الا بظاهر منه ولما كان قولهم بل هو
شاعر مشيرا الى انهم قالوا نتربص به ريب المنون كما اتفق لغيره من الشعراء وكان ينبغي ان لا ينتظر احد لاحد من الاذى الا ما يتحقق سلامته
منه توجه الانكار عليهم والتسلية له بمنع شماتتهم في قوله أفإن اي ايتمنون موتك فان مت فهم اي خاصة الخالدون
فالمنكر تقدير خلودهم على تقدير موته الموجب لانكار تمنيهم لموته لحق الهمزة دخولها على الجزاء وهو فهم وانما قارنت الشرط لان
الاستفهام له الصدر ولما ثم ذلك انتج قطعا كل نفس اي منكم ومن غيركم ذائقة الموت اي فلا يفرح احد ولا يحزن
بموت احد بل يشتغل بما يهمه واليه الاشارة بقوله ونبلوكم اي نعاملكم معاملة المبتلي المختبر ليظهر في عالم الشهادة الشاكر
والصابر والمؤمن والكافر كما هو عندنا في عالم الغيب بان نخالطكم بالشر الذي هو طبع النفوس فهي اسرع شيء اليه فلا يخلو
منه الا من خلصناه لنا والخير مخالطة كبيرة واكد فعل البلاء بمصدر من معناه معترفون بالها تعظيما له فقال فتنة
اي كما يفتن الذهب اذا اريد تصفيته بمخالطة النار له على حالة عظيمة محيلة مميلة لكم لا يثبت لها الا الموفق والينا
اي بعد الموت حتما الا الى غيرنا ترجعون للجزاء حسب لا حكم لاحد اصلا لا ظاهرا ولا باطنا كما في هذه الدار وكذا في هذه الدار معنى
بغير ذا الحكم فلا يكون الا ما نريد فاشتغلوا بما ينجيكم منا ولا تلتفتوا الى غيرنا فان الامر صعب وجدوا فان الحال جد ولما
اخبر سبحانه عن اعراضهم عن الساعة تكذيبا واستدل على كونها بتنزهه عن العبث في خلق هذا العالم وتعاليه عن جميع صفات
النقص واتصافه باوصاف الكمال الى ان ختم ذلك بمثل ما ابتدأ به على وجه اصرح وكان فيه تنبيههم على الابتلاء وكان الابتلاء على
قدر النعم فكان صلى الله عليه وسلم اعظم شيء ابتلوا به لانه لا نعمة اعظم من النعمة به ولا شيء اظهر من آياته عطف عليه قوله

واسروا

واسروا النجوى قوله واذا رآك اي وانت اشرف الخلق وكلك جد وجلال وعظمة وكمال الذين كفروا فلظهورهم على ان ظلمهم الذي
اوجب لهم ذلك هو الكفر وان كان في ادنى رتبة تبشيعا له وتنبيها على انه يطمس الفكر مطلقا ولما كان من المعلوم انه صلى الله
عليه وسلم في غاية البعد عن الهزء فاك منبها على انهم اغرقوا في الكفر حتى عموا الذروة ان اي ما يتخذونك اي حال الرؤية وسيعلم من هو
منهم عما قليل الجد كالك الا هزوا اي يجعلون بجمال انفسهم على ضد ما تعتقده عين الهزء فيكل شيء منه ثم بين استهزاءهم به بانهم
يقولون انكارا واستصغارا اهذا الذي يذكر اي بسوء آلهتكم والذكر يكون بالخير والشر فاذا دلت القرينة على احدهما اطلق
عليه وهم اي والحال انهم على حالة كانوا بها اصلا في الهزء وهي انهم بذكر الرحمن الذي لا نعمة عليهم ولا على غيرهم الا منه وكرر
الضمير تعظيما لما اتوا به من القباحة فقال هم اي بظواهرهم وضمائرهم كافرون اي ساترون لمعرفتهم به فلا عجب ممن هو محل
للهزء لكونه انكر ذكر من لا نعمة منه ولا نقمة اصلا بالسوء وهو يذكر من كل نعمة منه بالسوء ويهزأ به ولما كان من آيات
الاولين التي طلبوها العذاب بانواع الهول وكانوا هم ايضا قد طلبوا ذلك واستعجلوا به عجل لنا قطنا ونحو ذلك وكان الذي جرأهم
على هذا حلم الله عنهم بالمهالة لهم قال معللا لذلك خلق وبناه للمفعول لان المقصود بيان ما جبل عليه والخالق معروف الانسان
اي هذا النوع ولما كان مطبوعا على العجلة قال من عجل فلذا يكفر لانه اذا خولف بادر الى الانتقام عند القدرة فظن
بجهله ان حال غيره كذلك وان التاخير ما هو الا عن عجز او عن رضى ثم قال مهددا للمكذبين سأريكم حتما آياتي العاصمة والعاصمة
بحق النبي صلى الله عليه وسلم ومن عندكم من اتباعه المستضعفين وخلاصهم من ايديكم وجعلهم سحا في حلوقكم حتى يلاشي ما انتم عليه
وغير ذلك من العظائم فلا تستعجلون اي تطلبوا ان اوجد العجلة بالعذاب او غيره فاني منزه عن العجلة التي هي من جملة نقائصكم
ذم العجلة وهي ارادة الشيء قبل اوانه ونهى عنها قال دالا على اعلها عاطفا على ما مثل اهذا ويقولون اي في استهزائهم
بأولياء الله متى هذا وتهكموا بقولهم الوعد اي باتيان الآيات من الساعات ومقدماتها وغيرها وزادوا في الالهاب والتهييج
لاوليائه فقالوا ان كنتم صادقين اي عريقين في هذا الوصف جدا بما دل عليه الوصف وفعل الكون ولما علوا في الاستهزاء
لكانوا اجهل الجهلة باستحالة الممكن استأنف الجواب عن ذلك بنفي العلم عنهم في الحال والمآل دون المعاينة على طريق التهكم بهم
والاستهزاء بهم لو يعلم الذين كفروا وذكر المفعول به فقال حين اي لو تجدد لهم علم ما بالوقت الذي يستعجلون به وذكر ما
اضيف اليه ذلك الوقت فقال لا يكفون اي فيه بانفسهم ضعفا وعجزا عن وجوههم التي هي اشرف اعضائهم النار بهم
استسلاما وعجزا ولا عن ظهورهم التي هي اشد اجسادهم نعرف من هذا انها قد احاطت بهم وانهم لا يكفون عن غير هذين من باب
الاولى ولا هم ينصرون اي ولا يجدد لهم نصر ظاهرا ولا باطنا بانفسهم ولا بغيرهم لم يقولوا شيئا من ذلك الكفر والاء
والاستعجال ولكنهم لم يعلمون ذلك بنوع من انواع العلم الا عند الوقوع لانه لا امارة لها قاطعة بتعيين وقتها ولا تاتي
بالتدريج لغيرها وهذا معنى بل تأتيهم اي الساعة التي هي ظرف لجميع تلك الاهوال وهي معلومة لكل احد فهي مستحضرة
في كل ذهن بغتة فتبهتهم اي تدعهم باهتين حائرين ثم سبب عن بهتهم قوله فلا يستطيعون ردها اي لا يطلبون طوع
ذلك لهم في ذلك الوقت لياسهم عنه ولا هم ينظرون اي يمهلون من مهل ما للتدارك كما امد لهم فيها فياسهم في
التفريط في الاوقات التي امهلوا فيها في هذه الدار وصرفهم اياها في لذات اكثرها اكدار كان التقدير حاق بهم
هذا باستهزائهم بل اتبعه ما يدل على ان الرسل في ذلك شرع واحد تسلية له صلى الله عليه وسلم وتاسية فقال عاطفا على واذا
رآك ولقد مؤكدا له لمزيد التسلية بمساواة اخوانه من الرسل وبتعذيب اعدائه ولما كان المحرق نفس الاستهزاء لا كونه
من معين بنى للمفعول قوله استهزئ برسل اي كثيرين كان معنى التنكير عدم الاستغراق اكد بالخافض فقال من
قبلك فحاق اي احاط ونزل ونفذ بالذين سخروا منهم لكفرهم ما كانوا بما هو لهم كالجبلة به يستهزئون من الوعود الصا
كبعض من سالوا الاتيان بمثل اياتهم كقوم نوح عليه السلام ومن بعدهم ولما هددهم بما مضى مما قام الدليل على قدرته عليه
وحيثية لرقوقهم مع المحسوسات بما وقع لمن قبلهم وكان الامان عن مثل ذلك لا يكون الا بشيء يوثق به امر ان ينبههم على ذلك بقوله
قل من يكلؤكم اي يحفظكم ويؤخركم ويكثر رزقكم وهو استفهام توبيخ ولما استوى بالنسبة الى قدرته حذرهم
وغفلتهم قال بالليل اي وانتم نائمون ولما كانت مداهمة عذابه غير ممكنة لنائم ولا يقظان قال والنهار اي وانتم
مستيقظون كان لا منعم بكلاءته ولا غيرها سواه سبحانه ذكرهم بذلك بصفة الرحمة فقال من الرحمن الذي
لا نعمة بحراسته ولا غيرها الا منه حتى امنتم مكره ولو يقطع احسانه فكيف اذا اضربكم بسوط جبروته وسطوة قهره وعظمته
كان الجواب قطعا ليس لهم من يكلؤهم منه وهو معنى الاستفهام الانكاري قال مضربا عنه بل هم اي في امنهم من سطواته
عن ذكر ربهم الذي لا يحسن اليهم غيره معرضون فهم لا يذكرونه اصلا فضلا عن ان يخشوا باسه وهم يدعون انهم اشكر الناس
للاحسان ولما ارشد السياق الى ان التقدير اصحيح هذا الذي اشرنا اليه من انه لا مانع لهم منا دل بقوله انكارا
عليهم ام لهم آلهة موصوفة بانها تمنعهم نوب الدهر كانت جميع الرتب تحت رتبته سبحانه ابتساما

فقال بحصر المهم من دوننا اي من مكروه من تحت ارادتنا ومن جهة غير جهتنا ولما كان الجواب قطعا ليس لهم ذلك وهو معنى
الاستفهام استانف الاخبار بما يؤيد هذا الجواب ويجوز ان يكون تعليلا فقال لا يستطيعون اي الالهة التي يزعمون انها تنفعهم
او هم لانهم لا مانع لهم من دوننا نصر انفسهم من دون ارادتنا فكيف بغيرهم او يكون ذلك صفة لآلهة على طريق التهكم ولا هم
اي الكفار او الالهة منا اي بما لنا من العظمة يصحبون بوجه من وجوه الصحبة حتى تصير لهم استطاعة بنا فانسدت عليهم
ابواب الاستطاعة اصلا ورأسا ولما لم يصلح هذا لان يكون سببا لاجترائهم اضرب عنه قايلا في مظهر العظمة اشارة الى
ان اغترارهم به سبحانه مع ما له من دلايل الجلال من اعجب العجب بانيا على نحو لا كالئ لهم منه ولا مانع بل متعنا اي بعظمتنا
هؤلاء اي الكفار على حقارتهم او الاضراب عن عدم استطاعتهم للنصر والمعنى ان ما هم فيه من الحفظ انما هو منا لا لحل تمتيعهم بما
لا يغتر به الاغمر ولا من مانع يمنعهم وآباءهم من قبلهم بالنصر وغيره حتى طال عليهم العمر فكان طول سلامتهم غارا لهم بنا
فظنوا انه لا يغلبهم على ذلك التمتيع شيء ولا ينزع عنهم ثوب النعمة ولما اقام الادلة ونصب الحجج على انه لا مانع لهم من الله هو
تسبب عن ذلك الانكار عليهم في اعتقاد غيره فقال أفلا يرون اي يعلمون علما هو في وضوحه مثل الرؤية بالبصر انا بما لنا
من العظمة وصورها كان بحربه من عظمته على ايدي اوليائه فقال نأتي الارض اي التي اهلها كفار اتيان غلبة ثم بتسليطنا اولياءنا
عليهم ولما كان الاتيان على ضروب شتى بينه بقوله ننقصها من اطرافها بقتل بعضهم ورد من بقي عن دينه الى الاسلام
فهم في نقص واولياؤنا في زيادة ولما كانت مشاهدتهم لهذا مرة بعد مرة قاضية بانهم المغلوبون تسبب عنه انكار غير ذلك
فقال أفهم اي خاصة الغالبون اي مع مشاهدتهم لذلك امر اوليائنا ولما تبين الخلف في قولهم على كثرتهم وادعائهم الحكمة
والبلاغة وتعليمهم على كثرتهم وزعمهم القوة والشجاعة بينا ان اقوالهم الناقضة لذلك من عند الله بما ثبت من استقامة معانيها
واحكامها بعد ما اتضح من اعجاز نظومها وحسن انتظامها فامر ان يبين لهم ذلك بقوله قل انما انذركم ايها الكفار بالوحي اي
الآتي به الملك عن الله فلا قدح في شيء من نظمه ولا معناه والحال انكم لا تسمعون على قراءة الجماعة والحال انك لا تسمعهم على قراءة ابن
عامر بضم الفوقانية وكسر الميم ونصب الصم ولكنهم لما كانوا لا ينتفعون بالانذار لتصامّهم وجعلهم اصابعهم في آذانهم
وقت الانذار عدهم صما واظهر الوصف لتعليق الحكم به فقال ولا يسمع الصم الدعاء اي ممن يدعوهم اي يكون معطوفا على ما تقديره
ان كانت اسماعكم صحيحة سمعتم فاجبتم ونبه بقوله اذا ما ينذرون على ان المانع لهم مع الصمم كراهة الانذار وبالتنا
على كل منذر كان المنذر لا يترك الاستعداد لما ينذر به من العذاب الا اذا كان قويا على دفعه بين انهم على غير ذلك فقال ولئن
اي لا يسمعون والحال انه لا قوة بهم بل ان مستهم اي لاقتهم ادنى ملاقاة نفحة اي رائحة يسيرة مرة من المرات من عذاب ربك
المحسن اليك بنصرك عليهم ليقولن وقد اذهلهم امرها عن نخوتهم وشغلهم قدرها عن كبرهم وحميتهم يا ويلنا الذي لا نرى
الآن بحضرتنا غيره انا كنا اي بما لنا ما هو في ثباته كالجبلات ظالمين اي عريقين في الظلم في اعراضنا وتصامّنا رفقا
وتذللا لعله يكف عنهم ولما بين ما افتتحت به السورة من اقتراب الساعة بالقدرة عليه واقتضاء الحكمة له وان كل احد
ميت لا يستطيع شيئا من الدفع عن نفسه فضلا عن غيره وختمت الآيات باقرار الظالم بظلمه وكانت عادة كثير من الناس
الجور عند القدرة بين انه تعالى بخلاف ذلك فذكر بعض ما يفعل في حساب الساعة من العدل فقال عاطفا على قوله بل
تأتيهم بغتة ونضع فابرزه في مظهر العظمة اشارة الى هوانه عنده وان كان لكثرة الخلائق واعمال كل منهم متعذرا عندنا
الموازين المتعددة بتعدد الموزونات وانواعها ولما كانت الموازين آلة العدل وصفها به مبالغة فقال
القسط اي العدل المميز للاقسام على السوية ولما كان يوم الجزاء علة في وضع المقادير عبر باللام ليشمل مع ما يوضع فيه
ما وضع الآن لاجل الديونة فيه فقال ليوم القيامة الذي انتم عنه لاعراضكم عن الذكر غافلون ولما جرت العادة
بان الملك قد يكون عادلا ويظلم بعض اتباعه بين ان عظمته في احاطة علمه وقدرته تأبى ذلك فبنى الفعل للمفعول فقال فلا
اي فتسبب عن هذا الوضع انه لا تظلم اي من ظالم ما نفس شيئا من عملها وان كان اي العمل مثقال حبة هذا على قراءة الجماعة
بالنصب والتقدير على قراءة نافع بالرفع وان وقع او وجد من خردل او احقر منه وانما مثل به لانه غاية عندنا في القلة
وزاد في تحقيق بضمير التأنيث لاضافته الى المؤنث فقال اتينا بها بما لنا من العظمة في العلم والقدرة وجميع صفات الكمال
لحاسبناه عليها والميزان حقيقي ووزن الاعمال على صفة يصح وزنها معها بقدرة من لا يعجزه شيء ولما كان تحصيل الحساب
كلهم على كل ما صدر منهم امرا باهرا للعقل حقره عند عظمته فقال وكفى بنا اي بما لنا من العظمة حاسبين اي لا يكون في
الحساب احد مثلنا ففيه توعد من جهة ان معناه انه لا يروج عليه شيء من خداع ولا يقبل غلطا ولا يضل ولا ينسى الى غير ذلك
من كل ما يلزم منه نوع لبس او شوب نقص ووعد من جهة انه يطلع على كل حسن قصد وان دق وخفي ولما قدم في قوله
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وغيره انهم اعرضوا عن هذا الذكر تعللا باشياء منها طلب آيات الاولين ونبه على افراطهم في الجهل
بما رد وامن السرف بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم ومر الى ان ختم بالتهديد بعذابه وانه يحكم بالقسط وكان كتاب موسى

عليه

عليه السلام بعد القرآن اعظم الكتب السماوية وكان اهل الكتاب قد اعرضوا عنه غير مرة على زمن موسى عليه السلام بعبادة العجل وغيره
وبعد موته مع كون المرسل به اثنان تعاضدا على البلاغ وتقرير احكامه بعد ان بهر العقول بما اتيا به من الآيات التي منها كما بين
في سورة البقرة والاعراف التصرف في العناصر الاربعة التي هي اصل الحيوان التي بدأ الله منها خلقه ومقصود السورة
الدلالة على اعادته ومنها ما عذب به من اعرض عن ذكر موسى وهرون عليهما السلام الذي هو ميزان العدل لما انتشر من الضياء
المورث للتبصر الماحق للظلام فلا يقع متبعه في ظلم وكان الحساب تفصيل الامور ومقابلة كل منها بما يليق به وذلك
بعينه هو الفرقان قال سبحانه بعد آية الحساب عاطفا على لقد انزلنا ولقد آتينا بما لنا من العظمة موسى وهرون
اي اخاه الذي سأل ان يشد ازره به الفرقان الذي تعاضدا على البلاغ والالزام بما دعا اليه حال كونه مبينا لسعادة
الدارين لا يدع لبسا في امر من الامور وضياء لا ظلام معه فلا ظلم للمستبصر به لان من شان من كان في الضياء ان لا يضع
شيئا الا في موضعه وذكرا اي وعظا وشرفا ولما كان من لا ينتفع بالشيء لا يكون له منه شيء قال للمتقين اي الذين
صار هذا الوصف لهم شعارا حاملا لهم على التذكر لما يدعو اليه الكتاب من التوحيد الذي هو اصل المراقبة ثم بين التقوى
بوصفهم بقوله الذين يخشون اي يخافون خوفا عظيما ربهم اي المحسن اليهم بعد الايجاد بالتربية وانواع الاحسان بالغيب
اي قبل ان يكشف لهم الحجاب وهم من الساعة التي تضع فيها الموازين وتداعرض عنها الجاهلون مع كونها اعظم حامل على كل خير
ومبعد من كل ضير مشفقون لانهم لقيامهم بما يحققون وينصب الموازين فيها عالمون ولما ذكر ان كان موسى عليه
السلام وكان العرب يشاهدون ان ظهرانيهم اليهود للتمسك به والمعاملة على ذلك والاغتباط حتى انهم على كتابهم الذي هو اشرف منه
فقال وهذا اشار اليه باداة القرب ايماء الى سهولة تناوله عليهم ذكر اي عظيم ودلهم على انه اثبت الكتب واكثرها
فوايد بقوله مبارك ودلهم على زيادة عظمته بما له من قرب الفهم والاعجاز وغيره بقوله انزلناه ثم انكر عليهم رده
ووبخهم في سياق دال على انهم اقل من ان يجتريوا على ذلك منبه على انهم اولى بالمجاهدة في هذا الكتاب من اهل الكتاب في كتابهم
فقال أفانتم له اي لتكونوا دون اهل الكتاب برد ما انزل الشرف لكم عليهم وعلى غيرهم مع انكم لا تنكرون كتابهم منكرون
اي انه لو انكره غيركم لكان ينبغي لكم مناصبته فكيف يكون الانكار منكم ولما كان مقصد السورة الدلالة على القدرة
على ما استبعده العرب من اعادة الحيوان بعد كونه ترابا وبدا ذكر الانبياء بمن صرفه في العناصر الاربعة كما تقدم مفصلا
ذلك من التوراة في سورة البقرة والاعراف اشارة الى ان من استبعد عليه ما جعله الى بعض عبيده اعمى الناس تلاه من
الانبياء بمن سخر له واحدا من تلك العناصر مرتبا لهم على الاخف في ذلك فالاخف على سبيل الترقي فبدأ بذكر من سخر له
عنصر النار مع التنبيه للعرب على عماهم عن الرشد بانكاره للشرك بعبادة الاوثان على ابيه وغيره ودعائهم الى الله
والمجاهدة في الله على الحق الجهاد وهو اعظم آباء الراوين لهذا الذكر والمتمسكين بالشرك تقليدا للآباء اثباتا
للقدرة الباهرة الدالة على التوحيد الداعي اليه جميع هؤلاء الاصفياء هذا مع مشاركته بانزال الصحف عليه لموسى ومحمد
عليهما السلام ومشاركته لهما في الهجرة واذا تاملت ما في سورتي الفرقان والشعراء ازداد ما قلته وضوحا فانه لما اخبر تعالى
انهم قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة بدأ بقصة موسى الذي كتب له ربه في الالواح من كل شيء وقومه مقرون بعظمة
كتابه وانه اوتي من الآيات ما بهر العقول وكفر به مع ذلك كثير منهم ولما قال في الشعراء ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الآية كما هنا صنع كما صنع هنا من البداءة بقصة موسى عليه السلام والاتباع بذكر ابرهيم عليه السلام فقال تعالى ولقد
آتينا بما لنا من العظمة ابرهيم رشده اي صلاحه واصابته وجه الامر واهتداءه الى عين الصواب وادل الدلالة واعرف العرف
واشرف القصد الذي جبلناه عليه وقال الرازي في اللوامع والرشد قوة بعد الهداية انتهى واضافه اليه اشارة الى انه
رشد يليق به على علو مقامه وعظيم شانه لا جرم ظهر عليه اثر ذلك من بين اهل ذلك الزمان كلهم فانار الاسلام على غيره من الملل
من قبل اي قبل موسى وهرون عليهما السلام وكنا بما لنا من العظمة به ظاهرا وباطنا عالمين بانه جبلة خير يدوم
على الرشد ويترقى فيه الى اعلى درجاته لما طبعناه عليه بعظمتنا من طابع الخير وتعليق اذ قال اي ابرهيم لابيه وقومه
بعالمين اشارة الى ان قوله لما كان باذن منا ورضى لنا نصرناه وهو وحده على قومه كلهم ولو لم يكن برضينا لمنعناه منه
بنصر قومه عليه وتمكين النار منه فهو مثل ما مضى في قوله قل ربي يعلم القول في السماء والارض ومفهوم هذا القيد لا يضر لانه
لا يحمي ما ينفيه من المنطوقات وان شئت فعلقته بآتينا ثم ذكر مقول القول في قوله منكرا عليهم محقرا لاصنامهم في اسلوب التجاهل
لانها دعوى جهلهم بدليله ما هذه التماثيل اي الصور التي صنعتموها مما تلبسها ما فيه روح جاعلين لها ما لا يكون الا لمن
لا مثل له ومن الاصنام التي انتم لها اي لاجلها وحدها مع كثرة ما يشابهها وما هو افضل منها عاكفون اي مواظبون الاقبال
عليها مواظبون على ذلك فباي معنى استحقت منكم هذا الاختصاص وانما هي مثال للحي في الصورة وهو اعلى منها بالحياة التي افاضها
الله عليه ولما انا لهم بهذا القاصم استانف الخبر سبحانه عن جوابهم بقوله قالوا مستوين انفسهم بالبهائم التي تقاد ولا علم لها

حد

بما فيه ثت له وجدنا آباءنا لها خاصة عابدين فاقتدينا بهم لا حجة لنا غير ذلك ولما ظلوا في الجمل غير محتشمين من اقرارهم
على انفسهم به بالاستناد الى محض التقليد بعد انقلابهم من ادنى شبهة فضلا عن دليل استانف تعالى الاخبار عن جوابه بقوله قال
اي منبها لهم بسوط التقريع على ان الكلام مع آبائهم كالكلام معهم لقد كنتم واكد بقوله انتم لاجل صحة العطف لان الضمير المرفوع
المتصل حكمه حكم جزء الفعل هذا مع الاشارة الى الحكم على ظواهرهم وبواطنهم وآباؤكم اي من قبلكم في ضلال قد احاط بكم
احاطة الظرف بالمظروف والمسلوك بالسلك مبين ليس به نوع من الخفا [ولما] لم تكن عادته مواجهة احد بما يكره استانف
الاخبار عنهم بما يدل عليه فقال قالوا ظنا منهم انه لم يقل ذلك على ظاهره اجئتنا في هذا الكلام بالحق الذي يطابقه الواقع ام
انت من اللاعبين فظاهر كلامك غير حق قال بانيا على ما تقدم ليس كلامي لعبا بل هو جد وهذه التماثيل ليست اربابا بل ربكم
الذي يستحق منكم اختصاصه بالعبادة رب السموات والارض اي مدبرهن لقيام مصالحهن الذي فطرهن اي اوجدهما وشقهما
ظلمة العدم وانتم وتماثيلكم مما فيهما من مصنوعاته انتم تشهدون بذلك اذا رجعتم الى عقولكم مجردة عن الهوى وانا على ذلكم
الامر المبين من انه ربكم وحده فلا يجوز عبادة غيره من الشاهدين اي الذين يقدرون على اقامة الدليل على ما يشهدون به لانهم لم
يشهدوا الا على ما هو عندهم مثل الشمس لا كما تفعلون انتم حين اضطركم السؤال الى الضلال ولما اقام البرهان على اثبات
الاله الحق اتبعه البرهان على ابطال الباطل فقال وتالله وهو قسم والاصل في القسم البا الموحدة والواو بدل منها والتا
بدل من الواو وفيها مع كونها بدلا زيادة على التاكيد بالتعجب فاكد الاخبار باني كائد بعجب من تسهل الكيد على يدي انتهى وفيها ايضا
انها تدل على رجوع التسبب باطنا فكانها اشارة الى انه بعد ان تسبب في ردهم عن عبادتها ظاهرا بما خاطبهم به يتسبب في
ذلك ثانيا باطنا بافسادها لاكيدن اكده لانه مما ينكر لشدة عسره والكيد الاحتيال في الضرر اصنامكم اي هذه التي عكفتم
عليها انا بين الذي خلقكم واياها اي لافعلن بها ما يسوءكم بضرب من الحيلة [ولما] كان عزمه على ايقاع الكيد في جميع الزمان
الذي يقع فيه توليهم في اي جزء تيسر له منه اسقط الجار فقال بعد ان تولوا اي توقعوا التولي عنها وحقق مراده بقوله
مدبرين لا يردكم من الدليل العقلي على تحقيق الحق اذ لم تكونوا من اهله الى الدليل الحسي على ابطال الباطل ولما كانوا في غاية
التعظيم لاصنامهم لرسوخ اقدامهم في الجهل لم يقع في اوهامهم قط ان ابرهيم عليه السلام يقدم على ما قال وعلى تقدير اقدامه
الذي هو عندكم من قبيل المحال لا يقدر على ذلك فتولوا الى عيدهم وقصد هو ما كان عزم عليه فشمر في انجازه تشميرا يليق بتعليقه
اليمين بالاسم الاعظم فجعلهم اي عقب توليهم جذاذا وقطعا جمع جذاذة مكسرة مفتتة من الجذ وهو القطع الا كبيرا واحدا لهم
اي للاصنام او لعبادها فانه لم يكسره وجعل الفاس معه لعلهم اي الضلال اليه وحده يرجعون عند الزامه لهم بالسؤال
فتقوم عليهم الحجة اذ لو لم يترك غيره معه لربما زعموا ان كلا يحيل الكلام الى الآخر عند السؤال فالغرض من الاعراض فلما عادوا الى
اصنامهم فوجدوها على تلك الحال علم انه لا بد لهم عند ذلك من امر ما بل فاستونف الاخبار عنه بقوله قالوا اي اهل
الضلال من فعل هذا الفعل الفاحش بآلهتنا ثم استانفوا الخبر عن الفاعل فقالوا مؤكدين لعلمهم ان ما اقامه الخليل عليه
السلام على بطلانها يميل القلوب الى اعتقاد ان هذا الفعل حق انه لمن الظالمين حيث وضع الاهانة في غير موضعها فان الآلهة
حقها الاكرام لا الاهانة والانتقام قالوا اي بعضهم لبعض سمعنا ولم يريدوا التعظيم مع شهرته وشهرة ابيه وعظمهما
فيهم ليجتري عليه من لا يعرفه فنكروه بقولهم فتى اي شابا من الشبان يذكرهم اي بالنقص والعيب يقال له ابرهيم يعنون
هو الذي يظن انه فعله قالوا مسببين عن هذا كارهين لان ياخذوه سرا فيقال اخذ بغير بينة وهم كفرة وتدخلا لهم في دينهم
فالى الله المشتكى من قوم يأخذون اكابر اهل دينهم بغير بينة بل ولا ظنة فاتوا به الى بيت الاصنام على اعين الناس
اي جهرة والناس ينظرون اليه نظرا لا خفاء معه حتى كانه ماش على ابصارهم متمكنا منها تمكن الراكب على المركوب وعبر بالعين
عن البصر ليفهم الاكابر وجمع القلة للافادة الباقي الكثرة فيفيد الاعيان قلة ما لبلا يتوهم من جمع الكثرة جميع الناس مطلقا
لعلهم اي اذا راوه يشهدون اي انه فعل بالآلهة هذا الفعل وانه ذكرها بسوء فيكون ذلك مسوغا لاخذه بذلك او يشهد
بفعله بعضهم لان الشيء اذا احضر كانت احواله بالذكر اولى منها اذا كان غائبا وكان هذا عين ما قصد الخليل عليه السلام ان يبين
في هذا المحفل الذي لا يوجد مثله ما هم عليه من واضح الجهل المنقص فلما فعل ولما كان احضاره معلوما انهم لا يتاخرون عنه
استانف الاخبار لما يقع التشوف له فقال قالوا منكرين عليه مقررين له بعد حضوره على تلك الهيئة أانت فعلت هذا
الفعل الفاحش بآلهتنا يا ابرهيم قال مبهتا لهم وملزما بالحجة بل فعله كبيرهم غيرة من ان يعبد معه من هو دونه وتقييده
بقوله هذا اشارة الى الذي تركه بغير كسر يدل على انه كان فيهم كبير غيره وكذا التنكير فيما مضى من قوله الا كبيرا لهم وهذا مع كونه
تهكما بهم وكناية عن انهم لا عقل لهم لعبادتهم من يعلمون انه لا يقدر على فعل ما تنبيه على قباحة الشرك وانه لا يرضى به اله بل ينكر
من عبد غيره وكل ما عبد من دونه ان كان قادرا غيره على مقامه العظيم ومنصبه الجسيم [ولما] لم يجبهم بذلك فلم يكن احد
رآه حتى يشهد على فعله وكانوا اذا احلوهم بعبادتهم ووضع الطعام لهم محال من يعقل سبب عنه امرهم بسؤالهم فقال فاسألوهم

اي عن الفاعل ليخبروكم به ان كانوا ينطقون على زعمكم انهم آلهة يضرون وينفعون فان قدروا على النطق امكنت منهم القدرة والا
فلا [ولما] سوال الصحيح فواضح واما غيره فكما يسال الناس من جرح او قطعت يده او رجله او ضرب وسطه وبقيت فيه
بقية من رمق واسناده الفعل الى ما لا يصح اسناده اليه وامره بسواله بعد الاضراب عن فعله متضمن لانه هو الفاعل ولما
كان روح الكلام اقراره بالفعل وجعلهم موضع الهزء لانهم عبدوا ما لا قدرة له على دفاع اصلا تسبب عنه قوله
تعالى الدال على حيرتهم فرجعوا اي الكفرة الى انفسهم بمعنى انهم فكروا فيما قال فاضطرهم الدليل الى ان يحققوا انهم على محض
الباطل وان هذه الشرطية الممكنة عقلا غير ممكنة عادة فقالوا اي خاطب بعضهم بعضا مؤكدين لان حالهم يقتضي انكار
ظلمهم انكم انتم خاصة الظالمون لكونكم وضعتم العبادة في غير موضعها لا ابرهيم فانه اصاب في اهانتهم سوا المحز
ووافق عين الغرض وفي انكم بعد ان عبدتموها ولا قدرة لها تركتموها بلا حافظ ولما كان رجوعهم الى الضلال بعد هذا
الاقرار الصحيح الصريح في غاية البعد عبر باداة مشيرا الى ذلك فقال ثم نكسوا اي انقلبوا في الحال غير مستحيين مما يلزمهم
من الاقرار بالسفه حتى كانهم قلبهم قالب لم يمكنهم دفعه على رؤوسهم فصار اعلاهم اسفلهم برجوعهم عن الحق الى الباطل
من قولهم نكس المريض اذا رجع الى حالته الاولى قائلين في مجادلته عن شركائهم لقد علمت يا ابرهيم ما هؤلاء لا صحيحهم ولا جريحهم
ينطقون فكانوا انما فاهوا به ظانين انه ينفعهم ممكنين لابرهيم عليه السلام من حلايل المقاتل [ولما] تسبب عن قولهم هذا
اقرارهم هذا افتعبدون ونبههم على ان جميع الرتب تتضاءل دون رتبة الالهية بقوله من دون الله اي من ادنى رتبة من تحت رتبة
الملك الذي لا ضر ولا نفع الا بيده لاستجماعه صفات الكمال ولما كانوا في محل ضرورة بسبب تكسير اصنامهم راجين من
ينفعهم في ذلك قدم النفع فقال ما لا ينفعكم شيئا لترجوه ولا يضركم شيئا لتخافوه [ولما] اثبت ان معبوداتهم هذه
في حيز العدم فكانوا العبادتها دونها استانف تبكيتهم لذلك باعلى كلمات التحقير التي لا تقال الا لما هو غاية في القذارة فقال
اف اي تقذر وتحقير مني وفي الاحقاف ما يعين استحضاره هنا ثم خص ذلك بهم بقوله لكم ولما تعبدون ولما كانت
عبادتهم على وجه الاشراك وكانت جميع الرتب تحت رتبته تعالى وكانت اصنامهم هذه في رتبة منها سافلة جدا اثبت الجار فقال
من دون الله اي الملك الاعلى الذي اتاكم وقدركم [ولما] تسبب عن فعلهم هذا وضوح انه لا يغتر به عاقل انكر عليهم وجهلهم
على ترك الفكر تنبيها على ان فساد ما هم عليه يدرك ببديهة العقل فقال افلا تعقلون اي وانتم شيوخ قد مرت بكم الدهور
وحنكتكم التجارب ولما وصل بهم الى هذا الحد من البيان فدحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل
فانقطعوا انقطاعا فاحشا اشار سبحانه الى الاخبار عن ذلك بقوله استينافا قالوا عادلين الى العناد واستعمال القوة الحسية
حرقوه بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه فعلا هو اعظم مما فعل بآلهتكم وانصروا آلهتكم التي جعلها جذاذا واشار التعبير
باداة الشك وبفعل الكون واسم الفاعل الى ان ذلك لا يسوغ وليس الحامل عليه الا جهلة غلبت على الفطرة الاولى السليمة
في قوله ان كنتم فاعلين اي النصر لها فان النار اهول المعاقبات وافظعها فهي ازجر لمن يريد مثل هذا الفعل واتركوا
الجدال فانه يورث ضد ما تريدون ويؤثر عكس ما تطلبون فعزموا على ذلك فجمعوا الحطب شهرا وصعدوه في جوبة من الارض
احاطوا بها جدارا كما في الصافات حتى كان ذلك الحطب كالجبل واضرموا فيه النار حتى كان على صفة لم يوجد في الارض
قط مثلها حتى ان كان الطائر ليمر بها في الجو فيحترق ثم القوه فيها بالمنجنيق فقال حسبي الله ونعم الوكيل اخرجه البخاري
عن ابن عباس رضي الله عنهما ولابي يعلى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما القي ابرهيم عليه السلام في النار
قال اللهم انك في السما واحد وانا في الارض واحد اعبدك وقال البغوي اتاه خازن المياه فقال ان اردت اخمدت النار واتاه
خازن الرياح فقال ان اردت طيرت النار في الهوا فقال ابرهيم عليه السلام لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل
فاراد الله الذي له القوة جميعا سلامته منها فعبر عن ذلك بقوله سبحانه استينافا فالجواب من اراد تشوفه الى ما كان من امره
بعد الالقا فيها قلنا اي بعظمتنا يا نار كوني بارادتنا التي لا يتخلف عنها مراد بردا ولما كان البرد قد يكون ضارا
قال وسلاما فكانت كذلك فلم تحرق منه الا وثاقه [ولما] كان المراد اختصاصه عليه السلام بهذا قيده به ولما
كان المراد حياته ولا بد عبر بحرف الاستعلا فقال على ابرهيم اي فكان بما اردنا من سلامته [ولما] من طريق البخاري
عن ام شريك رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على ابرهيم وقال ابن كثير وقال
ابن ابي حاتم حدثنا عبد الله بن اخي ابن وهب حدثنا عمي جرير بن حازم ان نافعا حدثه قال حدثتني مولاة الفاكه ابن المغيرة
المخزومي قالت دخلت على عائشة رضي الله عنها فرايت في بيتها رمحا فقلت يا ام المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح فقالت نقتل به
هذه الاوزاغ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار لم تكن في الارض دابة الا اطفأت
عنه غير الوزغ فانه كان ينفخ على ابرهيم فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ولما قدم ما فيه على شدة
الاهتمام به لانه انه حكم بسلامته من كيدهم عندهم به فكيف بما بعده قال عاطفا على ما تقديره فالقوه فيها

رم

يعجم بانهم لا وقات فيهم فانحسم لابرهيم عليه السلام امر الحجة عليهم استانف سبحانه الاخبار عنه بقوله قال منكرا عليهم موبخا لهم مسببا عن اقرارهم

وارادوا به كيدا اى مكرا فى اضراره بالنار وبعد خروجه منها فجعلناهم اى بما لنا من الجلال ولما كانوا قد ارادوا
بما صنعوا له من العذاب ان يكون اسفل اهل ذلك الجمع وكان السباق لتحقيق امر الساعة الذى هو مقصود السورة وكان الصارف
اليها المفرط فيها بالتكذيب بها قد خسر خسارة لا جبر لها لفوات محل الاستدراك قال الاخسرين لان فضيحتهم فى الدنيا
الموجبة للعذاب فى الاخرى كانت بنقيض فعلهم الذى كادوه به ولم يذكر سبحانه شعيبا عليه السلام مع انه سخر له النار
فى يوم الظلة فاحرقت من عصاه لان فعل النار بقومه كان على ما هو المعهود من امرها بخلاف فعلها مع ابرهيم عليه السلام فانه
على خلاف المعتاد وقد وقع مثل هذا لبعض اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم وهو ابو مسلم الخولانى طلبه الاسود العنسى لما
ادعى النبوة فقال له اتشهد انى رسول الله قال ما اسمع قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فامر بنار فالقى فيها
فوجدوه قائما يصلى فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما وقدم المدينة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فاجلسه عمر بينه
وبين ابى بكر رضى الله عنهما وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى ارانى من امة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابرهيم خليل الله
ولما كان انجاؤه وهو وحده ممن ارادوا به هذا الامر العظيم من العجايب فكيف اذا انضم اليه غيره ولم يكن فى ذلك
الغير انه تمنعهم عنه كما كان فى ابرهيم عليه السلام قال ونجيناه اى بعظمتنا ولوطا اى ابن اخيه وصديقه لكونه امن به
وصدقه من بلادهما كوثى بلاد العراق منتهيين الى الارض المقدسة ولعله عبر بالى الدالة على تضمين نجى انتهى للدلالة على
ان هناك غاية طويلة فانهما خرجا من كوثى من ارض العراق الى حران ثم من حران الى الارض المقدسة التى باركنا فيها بان ملاناها
من الخيرات الدنيوية والاخروية بما فيها من المياه التى لها حياة كل شى من الاشجار والزروع وغيرها وما ظهر منها من الانبيا
عليهم السلام الذين ملأوا الارض نورا للعالمين كما انجيناك انت يا اشرف اولاده وصديقك ابا بكر رضى الله عنه الى طيبة
التى شرفناها بك ونشرنا من انوارها فى ارجاء الارض واقطارها ما لم ينبت مثله قط وباركنا فيها للعالمين بالخلفاء الراشدين
وغيرهم من العلماء والصالحين الذين انبثت خيراتهم العلمية والعملية والمالية فى جميع الاقطار ولما اولد له فى
حال شيخوخته وعجز امرأته مع كونها عقيما وكان ذلك دالا على الاقتدار على البعث الذى السياق كله له قال ووهبنا
دالا على ذلك بنون العظمة له اسحاق اى من شبه العدم وترك شرح حاله لتقدمه اى فكان ذلك دليلا على اقتدارنا على
ما نريد لا سيما من اعادة الخلق فى يوم الحساب ولما كان قد يظن انه لتولده بين شيخ فان وعجوز مع يأسها عقيم كان
على حالة من الضعف لا يولد لمثله معها نفى ذلك بقوله ويعقوب نافلة اى ولدا لاسحاق زيادة على ما دعا به ابرهيم عليهما
السلام ثم نمى سبحانه اولاد يعقوب وهو اسرائيل وذرياتهم الى ان ساموا النجوم عدة وبادوا الجبال شدة وكلا من هؤلاء
الاربعة وعظم رتبتهم بقوله جعلنا صالحين اى مهيئين لطاعتهم لله بكل ما يريدونه او يرادون له او يراد منهم
وهذا اشارة الى ان العاصى هالك لا يصلح لشى وان طال عمره واشتد امره لان العبرة بالعاقبة ولما ذكر انه اعطاهم
رتبة الصلاح فى انفسهم ذكر انه اعطاهم رتبة الاصلاح لغيرهم فقال معظما لاماميتهم وجعلناهم ائمة اى اعلاما ومعالما
يقتدى بهم فى الدين بما اعطاهم من النبوة ولما كان الامام قد يدعو الى الردى ويصد عن الهدى اذا كانت امامته
ظاهرة لا يصحبها صلاح باطن احترز عن ذلك بقوله يهدون اى يدعون الناس من وفقناه للهداية بامرنا وهو الروح
الذى هو العمل المؤسس على العلم باخبار الملائكة به عنا ولافهام ذلك عطف عليه قوله معظما لوحيه اليهم واوحينا
اليهم اى ايحاء فعل اى ان يفعلوا الخيرات كلها وهى شرايع الدين ولعله عبر بالفعل دلالة على انهم امتثلوا كل ما اوحى اليهم
ولما كانت الصلاة ام الخيرات خصها بالذكر فقال واقام الصلاة قال الزجاج الاضافة عوض عن تاء التانيث يعنى
فيكون من الغالب لا من القليل وكان سر الحذف تعظيم الصلاة لانها مع نقصها عن صلاتنا بما اشار اليه الحذف بهذه المنزلة من
العظمة فما الظن بصلاتنا ولما كانت الصلاة بين العبد والحق وكان روحها الاعراض عن كل فان عطف عليها قوله
وايتاء الزكاة اى التى هى مع كونها احسانا الى الخلق مما دعت الصلاة الى الانسلاخ عنه من الدنيا ففعلوا ما اوحيناه اليهم
وكانوا لنا دائما جبلة وطبعا عابدين اى فاعلين بكل ما يامرون به غيرهم فعل العبد مع مولاه من كل ما يجب له من الخدمة
ويحق له من التعظيم والحرمة ولما كان سبحانه قد سخر لصديقه لوط عليه السلام اهلاك من عصاه فى اول الامر بحجارة
الكبريت التى هى من النار وفى اخره بالماء الذى هو اقوى من النار تلاه به فقال ولوطا اى واتينا او واذكر لوطا ثم استأنف
قوله اتيناه اى بعظمتنا حكما اى نبوة وعملا محكما بالعلم وعلما مزينا بالعمل ونجيناه بانفرادنا بالعظمة ولما
كانت مادة قرا تدل على الجمع قال من القرية المسماة سدوم واى من عذابهم وجميع شرورهم وافرد تنبيها على عمومها بالقلع
والقلب وانه كان فى غاية السهولة والسرعة وقال ابو حيان وكانت سبعا عبر عنها بالواحدة لاتفاق اهلها على الفاحشة
التى كانت قبل انجائنا له منها تعمل الخبائث بالذكران وغير ذلك من الطغيان فاستحقوا النار التى هى ام المولمات بما
ارتكبوا من الشهوة المحظورة لعدهم لها احلى الملذذات والغرق بالماء القذر المنتن الذى جعلناه مع انا جعلنا من الماء كل شى حى

لا يعيش فيه حيوان فضلا عن ان يتولد منه ولا ينتفع به لما خامره من القذر الذى لا يمتزج له ولما كان فى هذا اشارة الى
اهلاك القرية وان التعذيب ودمرنا عليهم تعدى انفصاله عنهم علله بقوله انهم كانوا اى بما جبلوا عليه قوم سوء اى ذوى
قدرة على الشر بما لهم فى الاعمال السيئة فاسقين خارجين من كل خير ثم زاد الاشارة وضوحا بقوله وادخلناه اى دونهم
بعظمتنا فى رحمتنا اى فى الاحوال السنية والاقوال العلية والافعال الزكية التى هى سبب للرحمة العظمى ومسببة عنها ثم علل
ذلك بقوله انه من الصالحين اى لما جبلناه عليه من الخير ولما اتم سبحانه قصة لوط المناسبة لقصة الخليل عليهما السلام
بحجارة الكبريت ولقصة نوح بالماء الذى غمرت فيه قراه السبع اتبع ذلك قصة نوح عليه السلام الذى بحر له من الماء ما لم يبحر لغيره
لعمه لجميع الارض دانيها وقاصيها واطيها وعاليها فقال ونوحا اذ نادى دعا ربه انى مغلوب فانتصر ولا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ونحو من الدعاء ولما كان دعاؤه لم يستغرق الازمنة الماضية اثبت الجار فقال من قبل اى من قبل
لوط ومن بعد ممن فاستجبنا اى اردنا الاجابة واوجدناها بعظمتنا له فى ذلك النداء ثم سبب عن ذلك قوله فنجيناه اى
بعظمتنا نجية عظيمة واهله الذين دام ثباتهم على الاسلام وصلتهم به من الكرب العظيم من الاذى والغرق قال
ابو حيان والكرب اقصى الغم والاخذ بالنفس وهو هنا الغرق عبر عنه باول احوال ما ياخذ الغريق ونصرناه اى
مخلصين له ومانعين ومنتقمين من القوم اى المتصفين بالقوة الذين كذبوا اى اوقعوا التكذيب له باياتنا اى بسبب اتيانه
بها وهى من العظمة على امر لا يخفى ولما كان التقدير ثم اهلكناهم علله بقوله انهم كانوا قوم سوء لا عمل لهم الا ما يسوء
فاغرقناهم اى بعظمتنا التى اتت عليهم كلهم اجمعين حتى من قطع الكفر بين نوح عليه السلام وبينه من اهله فصار لا يعد
من اهله لاختلاف الانتساب بالدين ولما كان ربما قيل لم قدم ابرهيم ومن معه على نوح وهو ابوهم ومن اولى العزم وموسى
وهرون على ابرهيم وهو كذلك اشار بقصة داود وسليمان على جميعهم الصلاة والسلام الى انه ربما يفضل الابن الاب
فى امر فربما قدم لاجله وان كان لا يلزم منه تقدمه مطلقا مع ما فيها من امر الحرث الذى هو انسب شى لما بعد غيض الماء
فى قصة نوح عليه السلام هذا فى اوله واما اخره فما بينه من مثال الدنيا فى بهجتها وغرورها ثم انقراضها ومرورها
ومن تصريف داود عليه السلام فى الجبال وهى اشد التراب الذى هو اقوى من الماء وفى الحديد وهو اقوى تراب الجبال
وسليمان عليه السلام فى الريح وهى اقوى من التراب فقال وداود اى اول من ملكه الله من انبياء بنى اسرائيل وسليمان ابنه
اذكرهما واذكر شانهما اذ اى حين يحكمان فى الحرث الذى انبت الزرع وهو من اطلاق اسم السبب على المسبب كالسماء على المطر والنبت
قيل كان ذلك كرما وقيل زرعا اذ نفشت اى انتشرت ليلا بغير راع فيه غنم القوم الذين لهم قوة على حفظها فرعته
قال قتادة النفش بالليل والهمل بالنهار وكنا اى بعظمتنا التى لا تقر على خلاف الاولى فى شرع من الشروع لحكمهم اى الحكمين
والمتحاكمين اليهما شاهدين لم يغب عنا ذلك ولا شى من امرهم هذا ولا غيره فلذلك غيرنا على داود عليه السلام تلك الحكومة
مع كونه وليا وهو ماجور فى اجتهاده لان الاولى خلافها فانه حكم بان يملك صاحب الحرث الغنم بما افسدت من الكرم فكانه
راى قيمة الغنم فيه ما افسدت ففهمناها اى الحكومة بما لنا من العلم الشامل والقدرة الكاملة على دفع من نشاء سليمان
فقال يسلم الغنم لصاحب الكرم لينتفع بلبنها ونسلها وصوفها ومنافعها ويعمل صاحبها فى الكرم حتى يعود كما كان
فياخذ حرثه ويرد الغنم الى صاحبها وهذا ارفق بهما وهذا ادل دليل على ما تقدمت الاشارة اليه عند قل ربى يعلم
القول وكنا به عالمين اذ قال لابيه وفيه رد عليهم فى غبطهم من النبى صلى الله عليه وسلم فى تسفيه الاباء والرد عليهم كما
فى قصة ابرهيم عليه السلام لانه ليس بمستنكر ان يفضل الابن اباه ولو فى شى والاية تدل على ان الحكم ينقض بالاجتهاد
اذا ظهر ما هو اقوى منه ولما كان ذلك ربما اوهم شيئا فى امر داود عليه السلام نفاه بقوله دالا على انهما على الصواب
فى الاجتهاد وان كان المصيب فى الحكم انما هو احدهما وكلا اى منهما اتينا بما لنا من العظمة حكما اى نبوة وعملا مؤسسا على
حكمة العلم وهذا معنى ما قالوه فى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشعر حكما اى قولا صادقا مطابقا للحق وعلما مؤيدا
بصالح العمل وعن الحسن رحمه الله لولا هذه الاية لرايت القضاة قد هلكوا ولكنه اثنى على سليمان عليه السلام لصوابه
وعذر داود عليه السلام باجتهاده انتهى واتبعه من الخوارق ما يشهد له بالتقدم والفضل فقال وسخرنا اى بعظمتنا
التى لا يعيبها شى ولما كان هذا الخارق فى التنزيه لم يعد الفعل باللام زيادة فى التنزيه وابعادا عما ربما اوهم غيره
فقال مقدما ما هو ادل على القدرة فى ذلك لانه ابعد عن النطق مع داود الجبال اى التى هى اقوى من الحرث حال كونهن
يسبحن معه ولو شئنا لجعلنا الحرث او الغنم يكلمه بصواب الحكم ولم يذكر ناقة صالح لانها مقترحة موجبة لعذاب
الاستيصال فلم يناسب ذكرها هنا لما اشار اليه قوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وهذه الايات التى ذكرت هنا ليس فيها شى مقترح والطير التى سخرنا لها الريح التى هى اقوى من الجبال واكثر
سكناها الجبال سخرناها معه تسبح وكنا فاعلين اى من شاننا الفعل لامثال هذه الافاعيل ولكل شى نريده بما لنا من

اى ذكر جنس صح

العظمة المحيطة فلا تستكثروا علينا امرا وان كان عندكم عجيبا وقد اتفق نحو هذا لغير واحد من هذه الامة ولما كان
مطرف بن عبد الله ابن الشخير اذا دخل بيته سبحت معه انيته هذا مع ان الطعام كان يسبح بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم
والحصى وغيره ولما ذكر التسخير بالتسبيح اشار الى تسخير الحديد الذي هو اقوى تراب الجبال واصلبه واصعبه
فقال وعلمناه اي بعظمتنا صنعة لبوس قال البغوي وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الاسلحة كلها وهو
كالحلوب والركوب • اي لتلبسوه في حربكم والتالة في عمله الحديد ليجتمع له الى العلم سهولة العمل فياتي كما يريد
لتحصنكم اي اللبوس او داود او الله على قراءة الجماعة في حصن مانع وهو معنى قراءة النون الدال على مقام العظمة عند ابي
بكر عن عاصم ورويس عن يعقوب وقراءة ابي جعفر وابن عامر وحفص بالفوقانية للدروع نظرا الى الجنس من باسكم الكائن
مما يحصل من بعضكم لبعض من شدائد الحرب لا من الباس كله فهل انتم شاكرون لنا على ذلك لتوحدونا وتومنوا بانبيائنا
قال البغوي قال قتادة اول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود عليه السلام وكانت من قبل صفائح والدرع يجمع الخفة
والحصانة ولما كان قد سخر لابنه سليمان عليه السلام الريح التي هي اقوى من بقية العناصر قال ولسليمان معبرا باللام لانها
كانت تحت امره لنفعه ولا ايهام في العبارة الريح قال البغوي وهي جسم لطيف ممتنع من الطعه بالقبض عليه ويظهر للحس بحركته
ولما سليمن عليه السلام يامر بالخشب فيضرب له فاذا حمل عليه ما يريد من الدواب والناس والة الحرب امر العاصف
فدخلت تحت الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخا فمر به شهرا في غدوته وشهرا في روحته انتهى ملخصا فكان الريح
مسخر له ولكن لما كان السياق هنا لبيان الاقتدار على الافعال الغريبة الهائلة قال عاصفة اي شديدة الهبوب هذا
باعتبار عملها ووصفت بالرخا باعتبار لطفها بهم فلا يجدون لها مشقة تجري بامره اذا امرها غادية ورائحة ذاهبة الى
حيث اراد وعائدة على حسب ما يريد انه في ايه ولما كان قد علم مما مضى من القران لحامله المعتني بتفهم معانيه ومعرفة
اخبار من ذكر فيه انه من بني اسرائيل وان قرارهم بالارض المقدسة فكان من المعلوم انه يجري بها الى غيره وكان الحامل الى مكان ربما
تعذر عوده مع المحمول عبر بحرف الغاية ذاكرا لمحل القرار دلالة على انها كما حملته ذاهبا الى حيث اراد من قاصر ودان
حملته الى قراره ايابا فقال الى الارض التي باركنا اي بعظمتنا فيها وهي الشام وكنا اي ازلا وابدا باحاطة العظمة بكل شيء
من هذا وغيره من امره وغيره عالمين فكنا على كل شيء قادرين فلولا رضانا بانه لغيرنا عليه كما غيرنا على من قدمنا امورهم وهذا
من طراز قل ربي يعلم القول كما مضى وتسخير الريح له كما سخرت للنبي صلى الله عليه وسلم ليالي الاحزاب قال حذيفة رضي الله عنه
حتى كانت تقذفهم بالحجارة ما تجاوز عسكرهم فهزمهم الله بها وردوا بغيظهم لم ينالوا خيرا واعم من جميع ما اعطي الانبياء عليهم
السلام انه اعطي صلى الله عليه وسلم التصرف في العالم العلوي الذي جعل سبحانه منه الفيض على العالم السفلي بالاحمرة
لطباقه بالاسرا تارة وبامساك المطر لما دعا بسبع كسبع يوسف عليه السلام وبارساله اخرى كما في احاديث كثيرة
واتي مع ذلك بمفاتيح خزائن الارض كلها فردها صلى الله عليه وسلم ولما ذكر تسخير الريح له ذكر انه سخر له ما اغلب
عناصر النار والريح للعمل في الماء مقابلة لارتفاع الحمل في الهوا باستفال الغوص في الماء مجمع في مجمع وقد خنق نبينا
صلى الله عليه وسلم العفريت الذي جاءه بشهاب من نار واسر جماعة من اصحابه رضي الله عنهم عفاريت اتوا الى تمر الصدقة
وامكنهم الله منهم ويعملون عملا اي عظيما جدا ولما كان اقدارهم على الغوص اعلى ما يكون في امرهم وكان المراد اسخر
اقدارهم على ما هو ادنى من ذلك مما يريد منهم نوع الجار فقال دون ذلك اي تحت هذا الامر العظيم او غيره من بنا ما يريد
واصطناع ما يشا من الصنايع العجيبة والاثار الغريبة وفي ذلك تسخير الماء والتراب بواسطة الشياطين فقد ختم عند
انتهاء الاشارة الى تسخير العناصر لمن سخر له العناصر الاربعة كما ابتدا بذلك وكنا اي بعظمتنا التي تغلب كل شيء لهم
حافظين من ان يفعلوا غير ما يريد ولم يذكر هود عليه السلام هنا وان كان قد سخر له الريح لان عملها له كان على مقتضى
العادة في التدمير والاذى عند عصوفها وان كان صار خارقا بقوته والتي لسليمان عليه السلام للنجاة والمنافع
هذا مع تكررها فامرها الطهر وفعلها ادنى والطهر ولما ثم سبحانه ذكر من سخر لهم العناصر الاربعة التي منها
الحيوان المحكوم بعثه تحقيقا لذلك ذكر بعدهم من وقع له امر من الخوارق يدل على ذلك اما باعادة او حفظ او ابدا
وبدا بمن اعاد له ما كان اعدمه من اهل ومال وسخر له عنصر الماء في اعادته لجسمه وجلده لان الاعادة هي المقصودة
بالذات في هذه السورة فقال وايوب اي واذكر ايوب قالوا وهو ابن اموص بن رزوم بن عيص ابن اسحاق ابن ابرهيم عليهم
السلام وكان صاحب البثنية من بلاد الشام وكان الله قد بسط عليه الدنيا فشكره سبحانه ثم ابتلاه فصبر اذ
نادى ربه اي المحسن اليه في عافيته وضره بما اتاه الله من صبره اني مسني الضر بتسليطك الشيطان علي في بدني
واهلي ومالي وقد طمع الان في ديني وذلك انه زين لامراة ايوب عليه السلام ان تامره ان يذبح لصنم فانه يبرا ثم يتوب
ففطن لذلك وحلف ليضربنها ان برا وجزع من ذلك والشكوى الى الله ليست من الجزع فلا تنافي الصبر وقال سفيان

عينيه

عيينه ولا من شكى الناس وهو في شكواه راض بقضا الله تعالى وانت اي والحال انك انت ارحم الراحمين فافعل بي ما يفعله
الرحمن بالمضرور وهذا التعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وربه بابلغ صفاتها ولم يصرح فكان ذلك الطف
في السؤال فهو اجدر بالنوال فاستجبنا له اي اوجدنا اجابته ايجاد من كانه طالب لها بسبب ندايه هذا بعظمتنا في قدرتنا على الامور
الهايلة وسبب عن ذلك قوله فكشفنا اي بما لنا من العظمة ما به من ضر بان امرناه ان يركض برجله فنبع له عين من ماء فيغتسل فيها
فينبت لحمه وجلده احسن ما كان واصحه ودل على تعاظم هذا الامر بقوله واتيناه اهله اي اولاده وما تبعهم من حشمه احييناهم له
بعد ان كانوا ماتوا ومثلهم اي واوجدنا له مثلهم في الدنيا فان قوله معهم يدل على انهم وجدوا عند وجدان الاهل حال كون
ذلك الكشف والايتا رحمة اي نعمة عظيمة تدل على شرفه بما من شانه العطف والتحنن وهو من تسمية المسبب باسم السبب
وفخمها بقوله من عندنا حيث لا يشك من نظر ذلك انا ما فعلناه الا رحمة منا وان غيرنا لم يكن يقدر على وذكرى اي عظة عظيمة
للعابدين كلهم ليتاسوا به فيصبروا اذا ابتلوا بغمة الضر ولا يظنوا انها لهوانهم ويشكروا اذا ابتلوا بنعمة السرا لئلا
يكون عين شقائهم واتبعه سبحانه بمن انبع له من زمزم ماء باقيا شريفا اشارة الى شرفه وشرف ولده خاتم الرسل ببقا رسالته
ومعجزته فقال واسمعيل اي ابن ابرهيم عليهما السلام الذي سخرنا له من الماء بواسطة الروح الامين ما عاش به صغيرا بعد ان كان هالكا لا
محالة ثم جعلناه طعام طعم وشفا سقم دايما وصناه وهو كبير من الذبح فدنجه ابوه واجتهد في اتلافه امتثالا لامرنا فلم يتذبح
كما اقتضته ارادتنا وادريس اي ابن شيث بن ادم عليهم السلام الذي احييناه بعد موته ورفعناه مكانا عليا وهو اول نبي
بعث من بني ادم عليه السلام وذا الكفل الذي قدرناه على النوم الذي هو الموت الاصغر فكان يغلبه فلا ينام الا قليلا ويقوم الليل
ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فقدره الله على الحياة الكاملة في الدنيا التي هي سبب الحياة الكاملة
في الاخرى وهو خليفة اليسع عليه السلام استخلفه على ان يتكفل له بصيام النهار وقيام الليل وان لا يغضب قيل انه ليس بنبي
وعن الحسن انه نبي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه الياس وقيل هو يوشع بن نون وقيل زكريا عليهم السلام ولما قرنهم
لهذه المناسبة استانف مدحهم فقال كل اي كل واحد منهم من الصابرين على ما ابتليناه به فاتيناهم ثواب الصابرين وادخلناهم
ودل على عظمة ما لهم عندنا سبحانه بقوله في رحمتنا فعلنا بهم من الاحسان ما يفعله الراحم بمن يرحمه على وجه عمهم من جميع جهاتهم فكان
ظرفا لهم ثم علل بقوله انهم من الصالحين لكل ما يرضاه الحكيم منهم بمعنى انهم جبلوا جبلة خير فعملوا على مقتضى ذلك ثم اتبعهم من هو اعز
حالا منهم في الحفظ فقال وذا النون اي اذكره اذ ذهب مغاضبا اي على هيئة المغاضب لقومه بالهجرة عنهم ولربه بالخروج عنهم
دون الانتظار لاذن خاص منه بالهجرة وروي عن الحسن ان معنى فظن ان لن نقدر عليه ان لن نعاقبه بهذا الذنب اي ظن انا نفعل معه
فعل من لا يقدر وهو تعبير عن اللازم بالملزوم مثل التعبير عن العقوبة بالغضب وعن الاحسان بالرحمة وفي امثاله كثرة فهو احسن الاقوال
واقومها رواه البيهقي في كتاب الاسما والصفات عن قتادة عنه وعن مجاهد مثله واسند من غير طريق عن ابن عباس رضي الله عنهما
معناه وكذا قال الاصبهاني عنه ان معناه لن نقضي عليه بالعقوبة وانه قال ايضا ما معناه فظن ان لن نضيق عليه الخروج من القدر
الذي معناه الضيق لا من القدرة ومنه فقدر عليه رزقه وروى البيهقي ايضا عن الفرا ان نقدر بمعنى نقدر مشددا او بحكم هو
وانشد عن ابن الانباري عن ابي صخر الهذلي • ولا عائدا ذاك الزمان الذي مضى • تباركت ما تقدر يقع لك والشكر •
فنادى اي فاقتضت حكمتنا ان عاتبناه حتى استسلم فالقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت وغاص به الى قرار البحر ومنعناه
من ان يكون له طعاما فنادى في الظلمات من بطن الحوت الذي في اسفل البحر في الليل فهي ظلمات ثلاث نقله ابن كثير عن ابن مسعود
وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم ان لا اله الا انت ولما نزهه عن الشريك عم فقال سبحانك اي تنزهت عن كل
نقص فلا يقدر على الانجا من مثل ما انا فيه غيرك ثم افصح بطلب الخلاص بقوله ناسبا الى نفسه من النقص ما نزه الله عن مثله اني
كنت اي كونا كبيرا من الظالمين اي في خروجي من بين قومي قبل الاذن فاعف عني كما هي شيمة القادرين ولذلك قال تعالى مسببا عن
دعائه فاستجبنا له اي اوجدنا الاجابة بايجاد من هو طالب لها تصديقا لظنه ان لن نعاقبه انا عند ظن عبدي بي والاية
ان شرط الكون مع من يطلب الخير دوام الذكر وصدق الالتجا ولما في اللوامع وشرط كل من يلتجي الى الله ان يبتدي
بالتوحيد ثم بالتسبيح والثنا ثم بالاعتراف والاستغفار والاعتذار وهذا شرط كل دعا انتهى ولما كان التقدير
خلصناه مما كان فيه عطف عليه قوله تنبيها على انهما نعمتان لان امره مع صعوبته كان في غاية الغرابة ونجيناه اي بالعظمة البالغة
تنجية عظيمة وانجيناه انجاء عظيما من الغم اي الذي كان الجاه الى المغاضبة ومن غيره قال الرازي واصل الغم الغطا على
القلب انتهى فالقاه الحوت على الساحل واظله الله بشجرة القرع ولما كان هذا وما تقدمه امورا غريبة اشار
الى القدرة على امثالها من جميع الممكنات وان ما فعله من اكرام انبيائه عام لاتباعهم بقوله وكذلك اي ومثل ذلك الانجا
العظيم الشان والتنجية ننجي اي بمثل تلك العظمة انجاء عظيما وننجيهم تنجية عظيمة فالاية من الاحتباك ذكر التنجية
اولا دل على مثلها ثانيا وذكر الانجا ثانيا يدل على مثله اولا وسر ذلك الاشارة الى شدة العناية بالمومنين لانهم

ليس لهم كصبر الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما اشار اليه حديث اشد الناس بلا الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى المرء على قدر
دينه فيسلهم سبحانه من البلا كما تسل الشعرة من العجين فيكون ذلك مع السرعة في لطافة وخفاء بما اشار اليه قراءة ابن عامر
وابى بكر عن عاصم بتشديد الجيم لادغام النون الثانية فيه او يكون المعنى ان من دعا منهم بهذا الدعا اسرع نجاته فان المومن متى حصلت
له هفوة راجع ربه فنادى معترفا بذنبه هذا النداء ولاسيما ان مسه سوط الادب فبادر اليه الهرب ولما كان حاصل امر
يونس عليه السلام انه خرج من بطن لم يعهد الخروج من مثله عطف عليه قصة زكريا عليه السلام في هبته له ولدا من بطن لم يعهد
الخروج من مثله عطف عليه قصة زكريا عليه السلام الحمل من مثله في العقم والياس ناظرا الى ابيه ابرهيم عليه السلام اول من ذكر بقصته
في احاد العناصر فيما اتفق له من مثل ذلك في ابنه اسحاق عليهما السلام تكريرا لاعلام العلة وتقريرا للقدرة التامة فقال وزكريا
اى اذكره اذ نادى ربه ندا الحبيب القريب فقال رب باسقاط اداة البعد لا تذرني فردا اى من غير ولد يرث ما اتيتني من الحكمة
ولما كان من الوارث من يحب من يحجبه عن الارث ويشاركه فيه ومنهم من لا يحب ذلك ويسعى في اهلاك من يحجبه او ينقصه
ومنهم من ياخذ الارث فيصرفه في المصارف القبيحة على ما تدعوا اليه شهوته وحاجته ومنهم من ياخذه بعفته فينفذ وصايا
الموروث ويصل ذا قرابته واهل وده ويتصدق عنه ويبادر الى كل ما كان يحبه وينفعه كالذي كان يفعله لنفسه وكرم طبعه مع كونه
مجبولا على الحاجة والنقص وكان الله هو الغني الحميد الحكيم المجيد قال ملوحا بمقصده في اسلوب الالهاب والتهييج وانت اى والحال
انك خير الوارثين لانك اغناهم عن الارث واحسنهم تصرفا وكثيرا ما يمنح ارث بعض عبيدك عبيدا آخرين فانت الحقيق بان
تفعل في ارثى من العلم والحكمة ما احب فتهب لي ولدا تمن عليه بذلك فاستجبنا له بعظمتنا وان كان في حد من السن لا حراك به معه
وزوجه في حال من العقم لا يرجى معه حبلها فكيف وقد جاوز سن الياس ولذلك عبر بما دل على العظمة فقال ووهبنا له يحيى
وارثا حكيما نبيا عظيما واصلحنا له خاصة من بين اهل ذلك الزمان زوجه اى جعلناها صالحة لكل خير خالصة له ولا
سيما لما مننا عليه به من هذه الهبة بعد ان كانت بعقمها وكبرها غير صالحة له بوجه يعد عليه غير تام اسنانها فالبيان لخيرية
الموروث والوارث والمصلحة للولادة فقال موكدا ترغيبا في مثل احوالهم وانها مما يلتذ بذكره ويعجب من امره انهم كانوا مجبولين في
اول ما خلقناهم جبلة خير مميتين لانهم يسارعون في الخيرات اى يبالغون في الاسراع بها مبالغة من يسابق آخر ودل على عظيم انعامهم بقوله
ويدعوننا مستحضرين جلالنا وعظمتنا وكمالنا رغبا في رحمتنا ورهبا من سطواتنا وكانوا اى جبلة وطبعا لنا خاصة خاشعين
اى خائفين خوفا عظيما يحملهم على الخضوع والانكسار ولما استدل على الساعة بما وهب لهولاء القوم من اهل الطاعة من النصر
في العناصر وغيرها الى ان ذكر انه خرق العادة في ابداع يحيى عليه السلام بين والدين لا يولد لمثلهما لان اباه زكريا عليه السلام كان قد
صار على حالة من الكبر ويبس من الاعضا عظيمة وامه كانت مع وصولها الى مثل تلك الحال عاقرا في حال شبابها تلاه بابداع اجالته
عيسى عليه السلام الذي هو علم للساعة على حال اغرب من حاله فاخرجه من انثى بلا ذكر اشارة الى قرب الوقت لضعف الامر كضعف
الانثى بالنسبة الى الذكر فقال والتي احصنت فرجها اى حفظته من الحلال والحرام حفظا يحق له ان يذكر ويتحدث به لانه غاية
في العفة والصيانة والتخلي عن الملاذ الى الانقطاع الى الله تعالى بالعبادة مع ما جمعت الى ذلك من الامانة والاجتهاد في متانة
الديانة فنفخنا على ما لنا من العظمة التي لا يدانى اوجها نقص ولا يقرب من ساحتها حاجة ولا وهن فيها اى في فرجها كما في
التحريم نفخا هو من جناب عظمتنا ودل على عظم خلوصه وصفائه بقوله من روحنا اى من روح يحق له ان يضاف الينا بجلالته وطهارته
فكان من ذلك النفخ حبل وولد ولعله اضاف هنا النفخ اليها لا الى فرجها وحده ليفيد انه مع خلق عيسى عليه السلام به وافاضة
الحياة به عليه حسا ومعنى احياها هي به معنى بان قوى به معانيها القلبية حتى كانت صديقة مناهلة لان احيا بخير البشر في الجنة
وخص هذه السورة بهذا لان مقصودها الدلالة على البعث الذي هو افاضة الارواح على الاموات وعلى الجملة
هذه عبارة عن ابداع عيسى عليه السلام في رحم مريم عليها السلام من غير نطفة ولما قدمته من السر في اضافة النفخ الى جملتها اتبع ذلك
قوله وجعلناها وابنها اى بتلك العظمة العظمى آية جعلهما نفس الآية لكثرة ما كان فيهما من الاعاجيب ولما كان ما فيهما
من ذلك ليس مقصودا لذاته بل لتقرير امر عيسى عليه السلام لم يقل آيتين او ليلا يظن ان نفس العدد مقصود فينقص المعنى للعالمين
اى في ان الله قادر على كل شيء لا سيما البعث الذي هو اتيه يتحدث به بعدهما جيل بعد جيل وعالم بعد عالم وامة بعد امة الى
قيام الساعة التي هو علمها وحفظنا ابنها بعلمنا وحكمتنا وقدرتنا وعظمتنا ممن كاده ورفعناه الى محل قدسنا وختم به الا
المذكورين هنا لانه خاتم المجددين لهذا الدين المحمدي وهو دليل الساعة وكتابه اعظم كتاب بعد التوراة التي ابتدا باصحابها
ذكر هولاء الانبيا عليهم السلام خلا القران الذي عجزت لبلاغته الانس والجان
قال متى احد المترجمين الاربعة للانجيل واغلب السياق له بعد ان ذكر مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام كما مضى في آل عمران فلما سمع
يسوع مضى من هناك في سفينة الى البرية منفردا وسمع الجمع فتبعوه ماشين من المدينة فلما خرج ابصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم
وابرا اعلاءهم ومرضاهم وقال مرقس فلما خرج يسوع ابصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم لانهم كانوا كخراف لا راعي لها فبدا يعلمهم وبعد

ساعات كثيرة جاء تلاميذه اليه وقال متى ولما كان المسا اتى تلاميذه وقالوا ان المكان قفر والساعة قد جازت اطلق الجمع يذهبوا الى القرى
المحيطة فيبتاعوا لهم طعاما فقال لهم اعطوهم انتم ليأكلوا فقالوا ليس ههنا الا خمس خبزات وحوتان فقال لهم قدموهم الى ههنا وامرهم
باجلاس الجمع على العشب وقال مرقس الاخضر احزابا احزابا فجلسوا رفافا رفافا مائة وخمسين خمسين وقال يوحنا فقال لفيلبس من اين
نبتاع لهولاء خبزا قال له ليجربه فقال فيلبس ما يكفيهم خبز بمائتي دينار وقال اندراوس اخو شمعون الصفا ان ههنا صبيا معه خمسة
ارغفة شعير وسمكتان فقال يسوع مروا الناس بالجلوس وقال متى واخذ الخمس خبزات والحوتين ونظر الى السما وبارك وقسم واعطى
الخبز لتلاميذه وقال مرقس وقسم الحوتين وناول التلاميذ الجمع فاكل جميعهم وشبعوا ورفعوا من فضلات الكسر اثني عشر سلا مملوة قال
مرقس من السمك وكان عدد الآكلين خمسة الاف رجل سوى النسا والصبيان وقال يوحنا فقالوا حقا ان هذا هو النبي الجائي الى العالم
فعلم يسوع انهم اجمعوا ليختطفوه ويصيروه ملكا فمضى الى الجليل وقال متى وللوقت امر تلاميذه ان يصعدوا الى السفينة ويسبقوه
الى العبر ليطلق الجموع وقال يوحنا ليعبروا الى كفرناحوم وكان ظلاما وقال متى فاطلق الجمع وصعد الى الجبل منفردا ليصلي وقال
مرقس وللوقت تقدم الى تلاميذه بركوبهم السفينة ويسبقوه الى العبر عند بيت صيدا ليطلق هو الجماعة فلما ودعهم ذهب
الى الجبل ليصلي قال متى فلما كان المسا وكان وحده هناك والسفينة في وسط البحر فضربتها الامواج لمعاندة الريح لها قال يوحنا
فمضوا نحو خمسة وعشرين غلوة او ثلاثين وقال متى وفي الهجعة الرابعة من الليل جاءهم ماشيا على البحر فاضطربوا وقالوا انه خيال
ومن خوفهم صرخوا فكلمهم قائلا انا هو لا تخافوا اجابه بطرس وقال ان كنت انت هو فامرني ان آتي وكاد ان يغرق فصاح قائلا يا رب
نجني فللوقت مد يسوع يده واخذه وقال له يا قليل الامانة لم شككت فلما صعدا السفينة سكن الريح قال يوحنا وللوقت
صارت الى الارض التي ارادوها وفي الغد نظرت الجموع الذين كانوا معه في عبر البحر انه ليس هناك سوى سفينة واحدة وان يسوع
لم يركبها مع تلاميذه لكن تلاميذه مضوا وحدهم وكانت سفن اخر وافت من طبريه حتى انتهت الى الموضع الذي اكلوا فيه الخبز الذي
بارك عليه لحين لم ير الجماعة يسوع هناك ولا تلاميذه ركبوا تلك السفن واتوا الى كفرناحوم يطلبون يسوع فلما قصدوه
في عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت ههنا اجاب يسوع وقال الحق الحق اقول لكم انكم لم تطلبوني لنظركم الآيات بل لاكلكم
الخبز فشبعتم اعملوا لا للطعام الزايل بل للطعام الباقي في الحياة المويدة الذي يعطيكموه ابن البشر قال لست اعمل بمشيئتي لكن
بمشيئة الذي ارسلني ثم قال لقد كتب في الانبيا انهم يكونون باجمعهم معلمين الحق اقول لكم من يومن بي له الحياة الدايمة قالوا ما نصنع
حتى نعمل اعمال الله قال عمل الله هو ان تومنوا بمن ارسله قال متى ولما عبروا جاؤا الى ارض جنيسار قال مرقس فارسوا وخرجوا من السفينة
انتهى فعرفه اهل ذلك المكان وارسلوا الى جميع تلك الكور فقدموا اليه كل المسقومين وطلبوا اليه ان يلمسوا طرف ثوبه
فقط وكل من لمسه خلص ولما دل ما مضى من قصص هولاء الانبيا وغيرهم على ان لله القدرة الباهرة والقول الفا
الشاملة للبعث وغيره وكان ذلك دالا على التوحيد الذي هو اصل الدين وانهم كلهم متفقون عليه بالتصريح من البعض هنا
ومن الباقين فيما سبق كان انتاجه فذلكة هذه القصص وما تقدمها من هذه السورة فلذلك اتصل به قوله مخاطبا لمن قال الحمد
افانتم له منكرون ان هذه اى الانبيا الذين ارسلناهم قبل نبيكم صلى الله عليه وسلم رجالا نوحي اليهم كما انه رجل يوحي اليه
لا اباوكم ولا ما وجدتموه عليه امتكم اى مقصودكم ايها الخلق بالاقتدا او في الاهتدا حال كونها امة قال البغوي واصل
الامة الجماعة التي هي على مقصد واحد انتهى واكد سبحانه هذا المعنى فقال واحدة كما في الخبر انهم اولاد علات امهاتهم
شتى ودينهم واحد لا اختلاف بينهم اصلا في التوحيد الذي هو الاصل ولا في توجيه الرغبات الينا وقصر النظر علينا
علما منهم بما لنا من صفات الكمال وان كل شي فالينا مفتقر ولدينا خاضع منكسر فاتبعوهم في ذلك ولا تحيدوا واعتمدوا
تضلوا وانما فرقناهم وجعلناهم عددا بحسب الامم المتشعبة في الازمان المتطاولة وانا لم نجعل لاحد منهم الخلد
ولغير ذلك من الحكم فبثثناهم في الاقطار حتى ملاوها من الانوار ولما كان المقصود تعيين المراد من غير لبس عدل
عن صيغة العظمة فقال وانا ربكم اى لا غيري في كل زمان وكل مكان لكل امة لاني لا اتغير على طول الدهر ولا يشغلني شان
عن شان فاعبدون دون غيري فانه لا كفو لي ولما كان من المعلوم انهم لم يفعلوا اعرض الى اسلوب الغيبة ايذانا
بالغضب فكان التقدير في جواب من كانه قال ما فعلوا لم يطيعوا امري في الاجتماع على ما جمعتهم عليه من عبادتي التي هي
سبب لجلب كل خير ودفع كل ضير ولا انتدوا الى ذلك بالكمل من عبادي فعطف عليه قوله وتقطعوا اى بخالفة للامر
بالاجتماع ولما كان الدين الحق من الجلاء والعظمة والملايمة للنفوس بحيث لا يجهله ولا ياباه احد نصح لنفسه وان جهله
لقي ادنى تنبيه في المبادرة اليه وترك ما سواه كاينا ما كان فكان خروج الانسان عنه بعد ان كان عليه في غاية البعد
فضلا عن ان يتكلف ذلك بمنازعة غيره المودية الى الافتراق والتباغض ولا سيما ان كان ذلك الغير قريبه او صديقه
وكانت صيغة التفعل من القطع صريحة في التفرق وتفيد العلاج والتكلف وكانت تاتي بمعنى التفعيل والاستفعال
عبر بها ولما كان في غاية البعد ان يقطع للانسان امر نفسه كان تقديم الامر اهم فقال امرهم فنصبه بفعل التقطع

لانه بمعنى التقطيع كما قاله البغوى وغيره او بمعنى الاستفعال كما قالوا فى تجبر وتكبر ولما كان فى غاية العجب ان يكون التقطيع واقعا
منهم بهم وان يكون مستغرقا لطرفيه قال بينهم اى فكانوا فرقا كل فرقة على شعبة من ضلال زينها لها هواها فلم يدعوا شيئا من الامر بغير
تقطيع وكان العطف بالواو دون الفا كما فى المومنون لان ترك العبادة ليس سببا للتقطع بل ربما كان عنه الاجتماع على الضلال كما يكون فى
اخر الزمان وكما قال تعالى كان الناس امة واحدة الاية وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ولما كان كانه قيل
فماذا يفعل بهم قال كما هو غاية فى الدلالة على باهر العظمة وتمام القدرة ليكون اشد فى الوعيد وصادع التهديد كل اى من هذه الفرق
وان بالغ فى التمرد الينا على عظمتنا التى لا يكافيها شئ لا الى غيرنا راجعون فنحكم بينهم فيتسبب عن ذلك انا نجازيهم اقامة للعدل فنعطى
كلا من المحق التابع لاصفيائنا والمبطل المايل الى الشياطين اعدائنا ما يستحقه وذلك هو معنى قوله تعالى فارقا بين المحسن والمسئ
وتحقيقا للعدل وتشويقا بالفضل فمن يعمل اى منهم الآن من الصالحات وهو اى والحال انه مومن اى بان يعمله على الاساس
الصحيح فلا كفران اى ابطال بالتغطية لسعيه بل نجزيه عليه بما يستحقه ونزيد من فضلنا وانا له اى لسعيه الآن على عظمتنا
كاتبون وما كتبناه فهو غير ضايع بل باق لنطلعه عليه يوم الجزا بعد ان تغطيه قدرة على تذكره فلا يفقد منه شيئا قل او جل
ومن المعلوم ان قسيمه ومن يعمل من السيئات وهو كافر فلا نقيم له وزنا ومن عمل منها وهو مومن فهو فى مشيئتنا ولعله حذف هذين
القسمين ترغيبا فى الايمان ولما كان هذا غير صريح فى ان هذا الرجوع بعد الموت بينه بقوله وحرام اى وممنوع ومحجور
على قرية اى اهلها اهلكناها اى بالموت بعظمتنا انهم لا يرجعون اى الينا بان يذهبوا تحت التراب باطلا من غير احساس بل الينا
يرجعون احياء كما بدأناهم فى البرزخ منعمين او معذبين نعيما وعذابا دون النعيم والعذاب الاكبر ولعله دل على ما قدرته قوله حتى
اذا فتحت بعد حبسها السد الذى تقدم وصفنا له وان فتحه لابد منه وقراءة ابن عامر بالتشديد تدل على كثرة التفتيح او على كثرة الحادث
من الفتح وان كان واحدة وان ما اشار اليه الطلاق قراءة الجماعة بالتخفيف ياجوج وماجوج فخرجوا على الناس وعبر عن كثرتهم التى
لا يعلمها الا هو سبحانه بقوله وهم اى والحال انهم من كل حدب اى نشز عال من الارض ينسلون اى يسرعون من الانسلال
وهو تقارب الخطا مع السرعة كمشى الذيب وفى العبارة ايماء الى ان الارض كرية واقترب الوعد الحق وهو حشر الاموات الذى
يطابقه الواقع اذا وجد قربا عظيما كان الوعد طالب له ومجتهد فيه ولما دلت صيغة افتعل على شدة القرب
كما فى الحديث انا والساعة كهاتين ذا المثل الحامل المتم الذى لا تدرى اهلها متى تضع كان ذلك الوعد فقام الناس من قبورهم فاذا هى
شاخصة اى واقفة جامدة لا تطرف لما دهمهم من الشدة ويجوز وهو اقرب ان تكون اذا هذه الفجائية هى جواب اذا الشرطية
وهى تقع فى المجازاة سادة مسد الفا فاذا جاءت الفا معها تعاونتا على وصل الجزا بالشرط فيتاكد فالمعنى اذا كان الفتح
ووقع ما تعقبه فلجأت الشخوص ابصار الذين كفروا اى منهم لما بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبونه من الاهوال قايلين ياويلنا
اى حضرنا الويل فهو نديمنا فلا مدعو لنا غيره قد كنا اى فى الدنيا فى غفلة من هذا اى مبتدئة من اعتقاد هذا البعث فكنا
نكذب به فعمتنا الغفلة ولما كان من الوضوح فى الدلايل والرسوخ فى الخواطر بحيث لا يجهله احد اضربوا عن الغفلة
فقالوا بل كنا ظالمين اى بعدم اعتقاده واضعين الشئ فى غير موضعه حيث اعرضنا عن تامل دلايله والنظر فى مخايله وتقبل
كلام الرسل فيه فانكرنا ما هو اضوء من الشمس ولما كان هذا محلا يخطر بالبال فيه الهتهم بما يرجونه منها من
النفع قال مخاطبا لهم ارادة التعنيف والتحقير انكم واكده لانكارهم مضمون الخبر وما تعبدون ايها المشركون من الاصنام
والشياطين ولما كانوا يعبدون له سبحانه طوعا وكرها مع الاشراك قيد بقوله دالا على ان رتبة ما عبدوه من
ادنى المراتب الكاينة تحت رتبته سبحانه من دون الله اى الملك الاعلى الذى لا كفوء له ولما كانوا يرمى بهم فى
جهنم رمى الحجارة الصغار التى تسمى الحصبا الى المحصوب اسراعا واكراها فيكونون وقودها من غير احراج قال حصب
جهنم اى الطبقة التى يلقى المعذب بها بالتجهم والعبوسة والتكره ثم اكد ذلك بقوله استينافا انتم لها واردون
اى داخلون دخول ورد الحمى على حالة هى بين السواد بالدخان والاحمرار باللهب ولما قرعهم من هذا الكلام بما لا جواب
لهم عنه غير المكابرة اعرض عنهم الخطاب استهانة بهم واحتقارا لهم فقال لو كان هؤلاء اى الذين اهلوهم لرتبة الالهية
وهم فى الحقارة بحيث يقذف بهم فى النار قذفا الهة اى كما زعم العابدون لهم ما وردوها اى جهنم اصلا فكيف على هذه
الصفة ثم اخبر عنهم وعنها بقوله وكل اى منهم ومنها فيها اى جهنم خالدون لا انفكاك لهم عنها بل يحمى بكل منهم فيها
على الاخر لهم اى لمن فيه الحياة من المذكورين العابدين مطلقا والمعبودين الراضين كفرعون فيها زفير اى تنفس عظيم على غاية
من الشدة والمد تكاد تخرج معه النفس ويقرنون بالمستهم زيادة فى عذابهم حيث جعل المعبود الذى كان يطلب منه السعادة
زيادة فى الشقاوة فصار عدوا ولا يكون انكا من مقارنة العدو ولما كانت نعمة الاخبار مما يعدم الفراد ويعظم
الاكدار قال وهم فيها لا يسمعون حذف المتعلق لكل مسموع قال ابن كثير قال ابن ابى حاتم حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا
ابن فضيل حدثنا عبد الرحمن يعنى المسعودى عن ابيه قال قال ابن مسعود رضى الله عنه اذا بقى من يخلد فى النار جعلوا فى توابيت

من نار فيها مسامير من نار فلا يرى احد منهم انه يعذب فى النار غيره ثم تلا عبد الله يعنى هذه الاية قال ورواه ابن جرير من حديث حجاج
ابن محمد عن المسعودى عن يونس بن خباب عن ابن مسعود فذكره ولما ذكر حالهم وحال معبودهم بغاية الويل كان موضع السوال
عمن عبد وهم من الصالحين من نبى او ملك وغيرهما من جميع من عبده سبحانه لا يشرك به شيئا فقال مبينا انهم ليسوا مرادين بشئ من ذلك
على وجه يعمهم وغيرهم من الصالحين ان الذين سبقت لهم منا اى على ما لنا من العظمة التى لا يحاط بها الحسنى اى الحكم بالموعدة البالغة
فى الحسن فى الازل سواء ضل باحد منهم الكفار فاطروه او لا اولئك اى العالو الرتبة عنها اى جهنم ولما كان الغور
مطلق الابعاد عنها لا لكونه من مبعد مبين قال مبعدون برحمة الله لانهم احسنوا فى العبادة واتقوا وهل جزاء الاحسان الا الا
قال ابن كثير فى تفسيره قال ابو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن على بن سهل الانماطى حدثنا ابرهيم بن محمد بن عرعرة حدثنا يزيد بن ابى حكيم
حدثنا الحكم يعنى ابن ابان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء عبد الله بن الزبعرى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال تزعم
ان الله انزل عليك هذه الاية انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون قال ابن الزبعرى قد عبدت الشمس
والقمر والملائكة وعزير وعيسى ابن مريم اكل هولاء فى النار مع الهتنا فنزلت ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون
وقالوا الهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ثم نزلت ان الذين سبقت لهم الاية رواه الحافظ ابو عبد الله
فى كتاب الاحاديث المختارة انتهى وفى السيرة ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغه اعتراض ابن الزبعرى قال كل من احب ان يعبد
من دون الله فهو مع من عبده انهم انما يعبدون الشياطين ومن امرهم بالعبادة وقد اسلم ابن الزبعرى بعد ذلك رضى الله عنه
ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ولما كان اقل ما يلى من المكروه سماعه قال لا يسمعون حسيسها اى حركتها البالغة
وصوتها الشديد فكيف بما دونه لان الحس مطلق الصوت او الخفى منه كما قال البغوى فاذا زاد حروفه زاد معناه وهم
اى الذين سبقت لهم الحسنى فيما ولما كانت الشهوة وهى طلب النفس اللذة لا تكون الا بليغة عبر بالافتعال دلالة على
عظيم ما هم فيه من اللذة فقال اشتهت انفسهم فى الجنة خالدون اى دايما ابدا ولما كان معنى ذلك ان سرورهم
لا يزول ولا يكدر بقوله لا يحزنهم اى يدخل عليهم حزنا على قراءة الجماعة حتى نافع بالفتح من حزنه او يجعلهم حزينين على قراءة
ابى جعفر بضم ثم كسر من احزنه رباعيا فهى اشد فالمنفى فيها كونه يكون لهم صفة الفزع الاكبر فما الظن بما دونه وتتلقاهم
اى تتلقيا بالغا فى الاكرام الملائكة حينما توجهوا قايلين بشارة لهم هذا يومكم اضافة اليهم لانهم المنتفعون به
الذى كنتم فى الدنيا ولما كان ظانبو على الوعد فيه الرسل والكتب والاولياء من جميع الاتباع بنى الفعل للمفعول
افادة للعموم فقال توعدون اى بحصول ما تتمنون فيه من النصر والفوز العظيم والنعيم المقيم فابشروا فيه بجميع ما
يسركم ولما كانت هذه الافعال على غاية من الاهوال تتشوف بها النفس الى معرفة اليوم الذى تكون فيه قال
تعالى شافيا لعى هذا السوال زيادة فى تهويل ذلك اليوم لمن له وعى يوم اى يكون هذه الاشيا يوم نطوى اى بما
لنا من العظمة الباهرة السماء طيا فتلون كانها لم تكن ثم صورطيها بما يعرفون فقال مشبها للمصدر الذى دل عليه الفعل
كطى السجل اى الكاتب الذى له العلو والقدرة على مكتوبه للكتاب اى القرطاس الذى يكتبه ويرسله الى احد وانما قلت
ذلك لان السجل يطلق على الكتاب وعلى الكاتب قاله فى القاموس واخترت للفاعل لفظ السجل لما مضى فى سورة هود عليه
السلام من ان هذه المادة تدور على العلو وللمطوى لفظ الكتاب الدال على الجمع لكونه لازما للطى مع ان ذلك انسب لما
جعل كل منهما مثالا له وقراءة المفرد لمقابلة لفظ السما والجمع للدلالة على ان المراد الجنس لجميع السموات تطوى قال
ابن كثير قال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حدثنا محمد بن احمد بن الحجاج الرقى حدثنا محمد بن سلمة عن ابى الواصل عن ابى المليح عن الازدى
عن ابى الجوزاء الازدى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال يطوى الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والارضين السبع بما
فيها من الخليقة يطوى ذلك كله بيمينه حتى يكون ذلك بمنزلة خردلة ولما كان هذا عند من لا يعلم اعظم استبعاد
من استبعادهم اعادة الموتى قال دالا عليه معبرا له الى العقول بتشبيه الاعادة بالابدا فى تناول القدرة لهما
على السوا فانه كما اخرجه بعلمه من خزاين قدرته كذلك يرده بعلمه فى خزاين قدرته كما يصنع فى نور السراج ونحوه اذا طفئ
وكذا فى غيره من جميع الاشيا كما اى مثل ما بدانا اى بما علم لنا من العظمة اول خلق اى تقديرا اى تقدير كان نكره
ليفيد التفصيل واحدا واحدا بمعنى ان كل خلق جل او قل سوا فى هذا الحكم وهو انا نعيده اى بتلك العظمة
بعينها غير يايسين له ولا غافلين ولا عاجزين عنه كما كان متصاغر الاجزا فقدرناه نضمه بعد امتداده وما كان
ميتا فاحييناه نميته بعد حياته وما كان حيا فامتناه نحييه بعد موته ونعيدهم من التراب من بداناه منه
والحاصل ان من اوجد شيئا لا يبعد عليه التصرف فيه كيف ما كان روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون الى الله عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده الاية
اول من يكسى ابرهيم عليه السلام يوم القيمة الا انه يجاء برجال من امتى فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب اصحابى

حسان

لعنه

هم

لعبد

نعماء

فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله شهيد فيقال ان هولاء لم يزالوا
مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم ثم اعلم ان ذلك امر لا بد منه بالتعبير بالمصدر تاكيدا لما انكروه وبالغوا في انكاره فقال **وعدا** واكد
ذلك بقوله **علينا** وزاد بقوله **انا كنا** اي ازلا وابدا على حالة لا تحول **فاعلين** اي شاننا ان نفعل ما نريد لا كلفة علينا في شي من
ذلك بوجه **ولما** ذكر صدقه في الوعد وسهولة الافعال عليه وكان من محط كثير مما مضى ان من فعل ما لا يرضى الله غير عليه كائنا من كان
ومن فعل ما امر به نصره وايده ولو بعد حين كما اشير اليه بقوله تعالى قل ربي يعلم القول في السما والارض وما بعده من اشكاله حتى ختم
بقوله اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها الاية قال تعالى عاطفا على لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وما عطف عليه من اشباهه
مذكرا بما وعد على لسان داود عليه السلام **ولقد كتبنا** اي على عظمتنا التي نفوذها محقق لا تخلف له اصلا **في الزبور** اي الذي انزلنا
على داود عليه السلام ولما كان المكتوب المشار اليه لم يستغرق ما بعد الذكر المراد من الزبور اشار الى التبعيض
باثبات الجار فقال **من بعد الذكر** اي الكلام الداعي الى الله الدال عليه من الدعا والمواعظ والتسبيح والتمجيد الذي ابتدا انا به
الزبور **ان الارض** اي جنسها الشامل لبقاع ارض الدنيا كلها ولارض المحشر والجنة وغير ذلك مما يعلمه الله **يرثها عبادي**
وحقق ما افادته اضافتهم اليه من الخصوص بقوله **الصالحون** اي المتخلقون باخلاق اهل الذكر المقبلين على ربهم الموحدين له
المشفقين من الساعة الراهبين من سطوته الراغبين في رحمته الخاشعين له كما اشرنا اليه بقولنا قل ربي يعلم القول وما ضاهاه
وبذكر ما سلف في هذه السورة من شاهد ذلك من قصص هولاء الانبيا الذي ضمناها بعض اخبارهم دلالة على ان العاقبة لمن ذكرنا
لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ان الارض لله يورثها من يشا من عباده اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
وفي هذا اشارة بالبشارة بانه تعالى يورث هذه الامة على ضعفها ما اورث داود وابنه سليمان عليهما السلام على ما اعطاهما
من القوة من الانة الحديد والريح والحيوانات كلها من الجن والانس والوحش وغير ذلك والمراد بهذا الكلام والله اعلم ظاهر
فانه ابتدا سبحانه بالزبور بالاذكار والمواعظ الى ان قال في المزمور السادس والثلاثين وهو قبل ربعه هذا اللفظ بعينه
بيان ذلك قال المزمور الاول طوبى للرجل الذي لم يتبع راي المنافقين ولم يقف في طريق الخاطيين ولم يجلس في مجالس
المستهزئين لكن في ناموس الرب مشيئته وفي سنته يتلو ليلا ونهارا فيكون كمثل الشجرة المغروسة على مجاري المياه التي تعطي
ثمرتها في حينها وورقها لا ينتثر وكل ما يعمل يتم ليس كذلك المنافقون بل كالهباء الذي تذريه الرياح عن وجه الارض فلهذا
لا يقوم المنافقون في القضا ولا الخطاة في مجمع الصديقين لان الرب عالم بطريق الابرار وطريق المنافقين تبيد
المزمور الثاني لماذا ارتجت الشعوب وهذت الامم بالباطل قامت ملوك الارض ورؤساها وائتمروا جميعا على الرب وعلى مسيحه
لنقطع اغلالهم ونلقي عنا نيرهم الساكن في السما يضحك بهم والرب يمقتهم حينئذ يكلمهم بغضبه وبسخطه يرجفهم انا اقمت
ملكا منه على صهيون جبل قدسه لاخبر ميثاق الرب الرب قال لي سلني فاعطيك الشعوب ميراثك وسلطانك على اقطار الارض
لترعاهم بقضيب من حديد ومثل انية الفخار تسحقهم من الان تفهموا ايها الملوك وتادبوا يا جميع قضاة الارض اعبدوا الرب
بخشية سبحوه برعدة الزموا الادب لئلا يسخط الرب عليكم فتضلوا عن سبيله العادلة اذا ما توقد رجزه عن قليل طوبا لهم
المتوكلين عليه **المزمور الخامس** استمع يا رب قولي داعيا وكن لدعاي مجيبا وانصت الى صوت تضرعي فانك ملكي والهي
واني لك اصلي في غد واني استمع يا رب طلبتي لاني اقف امامك بالغداة وتراني لانك اله لا ترضى الاثم ولا يحل في مساكنك شرير
ولا يثبت مخالفو وصاياك بين يديك ابغضت جميع عاملي الاثم وابدت كل الناطقين بالكذب الرجل السافك الدما الغاش
الرب يرذله وانا بكثرة رحمتك ادخل بيتك واسجد في هيكل قدسك مستشعرا خشيتك اهدني يا رب بعدلك من اجل اعداي
سهل امامك طريقي فانه ليس في افواههم صدق قلبهم الاثم في قلوبهم حناجرهم قبور مفتحة والسنتهم غاشة دنهم يا الله ومن
كثرة نفاقهم ارفضهم لانهم اسخطوك يا رب ويفرح بك جميع المتوكلين عليك والى الابد يسرون وفيهم تحل بركتك ويفتخر بك كل
محبي اسمك لانك يا رب تبارك الصديق وكمثل سلاح المسرة كللتنا **المزمور السادس** يا رب لا تبكتني بغضبك ولا تؤدبني
برجزك ارحمني يا رب فاني ضعيف اشفني يا رب فان عظامي قلقت ونفسي جزعت جدا وانت يا رب نج نفسي وخلصني برحمتك فليس في الموت
من يذكرك ولا في الجحيم من يشكرك تعبت في تنهدي احمم في كل ليلة سريري وبدموعي ابل فراشي ذبلت من السخط عيناي ابعدوا
عني يا جميع عاملي الاثم فان الرب سمع صوت بكاي الرب سمع صوت تضرعي الرب قبل صلاتي يخزى ويبهتون جميع اعداي ويرجعون
ويسقطون جدا عاجلا **وفي المزمور التاسع** اشكرك يا رب من كل قلبي واقص جميع عجايبك افرح واسر بك وارتل لاسمك العلي
حين تولى اعداي على ادبارهم يضعفون ويبيدون من بين يديك لانك قضيت لي وانتقمت لي استويت على العرش يا ديان الحق
زجرت الشعوب ابدت المنافق اسقطت اسمه الى الابد والى ابد الابد لانك ابدت سلاح العدو وافنيت مدائنه وازلت
ذكرها الرب دايم الى الابد اعد كرسيه للقضا ليقضي للمسكونة بالعدل ويدين الشعوب بالاستقامة **المزمور الثاني**
حتى متى يا رب تنساني الى التمام حتى متى يا رب تصرف وجهك عني حتى متى تترك هذه الافكار في نفسي والهموم

والاوجاع

والاوجاع في قلبي النهار كله حتى متى يعلو اعدوي علي انظر الي واستجب لي يا رب والهي انر عيني لئلا انام ميتا ولئلا يقول
عدوي اني عليه قد قدرت والمضطهدون لي يفرحون اذا انا زللت وانا على رحمتك توكلت قلبي بخلاصك يفرح ارتل للرب
الذي صنع لي حسنا واسبح اسم الرب العالي **المزمور الرابع عشر** يا رب من يسكن في مسكنك او من يحل في طور قدسك
ذاك الذي يمشي بلا عيب ويعمل البر ويتكلم في قلبه بالحق ولا يغش بلسانه احدا ولا يصنع بقريبه سوءا ولا يلتمس لجيرانه عارا
عيناه تنشا الاثمة يمجد اتقيا الرب يحلف لقريبه ولا يكذب ولا يعطي فضته بالربا ولا يقبل الرشوة على الازكيا
الذي يفعل هذا يدوم ولا يحول الى الابد **المزمور السادس عشر** استمع يا الله بري وانظر الى تواضعي وانصت لصلاتي
شفتين غير غاشتين من قدامك يخرج قضاي عيناي تنظر ان الاستقامة بلوت قلبي وتعاهدتني جربتني فلم تجد في ظلما ولم
يتكلم فمي باعمال الناس من اجل كلام شفتيك حفظت طرق صعبة اكمل دبيبي في سبلك لكي لا تزل خطاي واذا
واذا ما دعوتك استجب لي اللهم انصت الي سمعك وتقبل دعاي يا مخلص المتوكلين عليك خلصني بيمينك من المضادين لي
احفظني مثل حدقة العين وبظلال جناحك ظللني من وجه المنافقين الذين اجهدوني واعداي الذين اكتنفوا نفسي تعقدت شحومهم
وتكلمت افواههم بالكبرياء عندما اخرجوني احاطوا بي نصبوا عيونهم ليضربوا الى الارض استقبلوني مثل الاسد المستعد للفريسة
ومثل الشبل الذي ياوي في خفية قم يا رب ادركهم وعرقلهم ونج نفسي من المنافقين ومن سيف اعدايك اللهم عن قريب شتتهم في الارض
اقسمهم في حياتهم **المزمور السابع عشر** احبك يا رب قوتي الرب رجاي وملجاي ومخلصي الهي عوني عليه توكلي ساتري
وخلاصي وناصري اسبح الرب وادعوه انجو من اعداي لان غمرات الموت اكتنفتني واودية الاثمة افزعتني احاطت بي اهوال الجحيم
شباك الموت ادركتني وعند شدتي دعوت الرب والى الهي صرخت سمع من هيكل قدسه صوت دعاي امامه يدخل الى مسامعه
تزلزلت الارض وارتعدت تحركت اساسات الجبال وتزعزعت من اجل ان الرب غضب عليها صعد الدخان من رجزه والتهبت
النار امامها اشتعل جمرا وطاطا السموات والضباب تحت رجليه طار على اجنحة الرياح جعل الظلمة حجابه تحوطه مظلته
مياه مظلمة في سحب الهوى من الضياء ظلاله ومن بريق نور وجهه جعل الغمام يجري بين يديه بردا وجمر نار ارعد الرب من السما
وابدى العلي صوته ارسل سهاما وفرقهم واكثر البرق وازعجهم واتلفهم ظهرت عيون المياه وانكشفت اساسات المسكونة
من انتهارك يا رب ومن هبوب ريح سخطك ارسل من العلي واخذني نشلني من المياه الغزيرة وخلصني من اعداي الاشداء ومن
المبغضين لي لانهم تقووا اكثر مني سبقوني في يوم حزني كان لي في يوم جزعي الرب صار لي سندا اخرجني الى السعة وانقذني
لانه تراف بي خلصني من اعداي الاشدا المبغضين جازاني الرب مثل بري ومثل طهر يدي يعطيني لاني حفظت سبل الرب
ولم ابعد من الهي اذ كل احكامه قدامي وعدله لم ابعده عني اكون معه بلا عيب وكن ترد جهة خطاي جازاني الرب مثل بري
ومثل طهر يدي امامه مع العفيف عفيفا تكون ومع البار بارا تكون ومع الملتوي ملتويا تكون ومع المختار مختارا تكون
من اجل انك تنجي الشعب المتواضع وتذل اعين المتعظمين وانت يا رب تضي سراجي لاني بك انجو من الرصد وبالاهي اعبر
السور والله لا ريب في سبله كلام الرب مختبر مخلص جميع المتوكلين عليه لا اله مثل الرب ولا عزيز مثل الاهنا الله
الذي عضدني بقوته جعل سبلي بلا عيب ثبت قدمي وعلى المشارق رفعني علم يدي القتال شدد ذراعي مثل قوس نحاس
اعطاني نصرة الخلاص يمينه نصرتني وادبه اقامني الى التمام حكمتك علمتني وسعت خطاي تحتي ولم تضعف قدماي
اطلب اعداي وادركهم ولا ارجع حتى افنيهم ارميهم فلا يستطيعون القيام يسقطون تحت قدمي عضدتني بقوة في
الحرب جعلت كل الذين قاموا علي تحتي ابدت اعداي استاصلت الذين شنئوني صرخوا فلم يكن لهم مخلص رغبوا الى الله
فلم يستجب لهم سحقتهم مثل الثرى امام الريح وكمثل طين الطرق اطاوهم نجني من مقاومة الالسن صيرني راسا على الشعوب
الشعب الذي لا اعرفه تعبد لي سمع لي بسماع الاذن بنو الغربا اقبلوا واطاعوني ولم يومن بي بنو الغربا حي هو الله
وتبارك الاه خلاصي تعالى الرب الذي انقذني الله الذي ثبت لي الانتقام اخضع الشعوب تحتي ونجاني من اعداي ورفعني
على الذين قاموا علي ومن الرجال الاثمة نجاني لذلك اشكرك يا رب بين الشعوب وارتل اسمك
الهي الهي لماذا تركتني تباعدت عن خلاصي بقول جهلي الهي دعوتك بالنهار فلم تستجب لي وفي الليل فلم يكن مني جهلا انت كاين في
القديسين يا فخر اسرائيل بك امن اباونا وتوكلوا عليك فنجيتهم وصرخوا اليك فخلصتهم رجوك فلم يخزوا وانا دودة
ولست انسانا عار في الناس مرذول في الشعب كل من راني مقتني تكلموا بشفاههم وهزوا رووسهم وقالوا اتكل على
توكل على الرب فلينجه وليخلصه ان كان يحبه وانت من البطن اخرجتني ومذ كنت ارتضع من ثدي امي اتكلت اليك وعليك من
الرحم توكلت ومن بطن امي انت الهي فلا تبعد عني فان الشدة قريبة فليس من يخلصني احاطت بي عجول كثيرة اكتنفتني جماعة
الاشرار ثقبوا يدي ورجلي وعدوا جميع عظامي ثيران سمان فتحت افواهها علي مثل الاسد الزائر المفترس ومثل الما
اهرقت عظامي وصار قلبي مثل الشمع المذاب في وسط بطني يبس قواي مثل الفخار ولصق لساني بحنكي والى تراب الموت

ان لسني احاطت بي كلاب كثيرة ٢ كنفتني جماعة الاشرار ثقبوا يدي ورجلي واحصوا جميع عظامي نظروا الي وشتموني واقتسموا
بينهم ثيابي واقترعوا على لباسي وانت يا رب فلا تبعد من معونتي انظر الى تضرعي نج من السيف نفسي ومن يد الكلاب التي احتوشتني ومن
فم الاسد خلصني ومن العز المتعالي على تواضعي لابشر باسمك اخوتي وبين الجماعة امجدك ايها الخايفون من الرب مجدوه يا جميع ذرية
يعقوب سبحوه يخشاه كل زرع اسرايل لانه لم يهن ولم يرذل دعوة المسكين ولا صرف وجهه عني وعند دعاي استجاب لي يا كل
المساكين ويشبعون ويسجد قدامه جميع قبايل الشعوب لان الملك للرب وسلطانه على الامم تاكل وتسجد قدام الرب جميع ٧
ملوك الارض وبين يديه يجثوا جميع هابطي التراب لله يحيي نفسي وذريتي له تتعبد اخبروا ابا الرب ايها الجيل الآتي وحدثوا
بعدله ليرى الشعب الذي يولد صنع الرب **المزمور الثلاثون** عليك يا رب توكلت فلا اخزى الى الابد خلصني وانقذني بعدلك
انصت لي بسمعك واستنقذني عاجلا كن لي الها نصيرا وملجا ومخلصا لانك عوني وملجاي وباسمك ترشدني وتعينني وتخرجني
من هذا الفخ الذي اخفي لي لانك ناصري وفي يدك اسلم روحي نجني يا رب اله الحق شنات الذين يغتبطون بالاوثان الباطلة
وانا على الرب توكلت افرح واسر برحمتك لانك نظرت الى تواضعي وخلصت نفسي من الشدايد ولم تسلمني في ايدي الاعدا
اقمت رجلي في السعة ارحمني يا رب فاني حزين جزعت عيناي من سخطك ونفسي وقواي فنيت عمري بالاحزان وسني بالزفرات ضعفت
بالمسكنة قوتي وقلقت عظامي صرت عارا في اعداي وجيرتي ورهبة لمن عرفني من عاينني تباعد عني ونسوني في قلوبهم
مثل الميت صرت مثل اناء مكسور لاني سمعت سب جميع من حولي هووا اي وعند اجتماعهم علي جميعا تواموا ان لا ياخذوا نفسي فانا يا رب
عليك توكلت قلت انت الهي وفي يديك قسمي نجني من يدي اعداي والطاردين لي بضيني وجهك على عبدك وخلصني برحمتك يا رب
لا تخزني فاني دعوتك يخزى المنافقون ويهبطون الى الجحيم تبكم الشفاه الغاشة المتقولة على الصديق بالزور والبهتان
ما اكثر رحمتك يا رب لجميع خايفيك اعددتها لمن اعتصم بك امام بني البشر استرتهم في كنفك من اشرار الناس وفي ظلال
وجهك وقيتهم من مقاومة الالسن تبارك الرب الذي انتجب له الاصفيا في المدينة العظيمة انا قلت في تحيري اني سقطت
من حذاء عينيك ولذلك سمعت صوت تضرعي حين دعوتك حبوا الرب يا جميع اصفيايه فان الرب يبتغي الحق ويكافي المتكبرين
بتعظيم تشتد قلوبكم وتتقوى ايها المتوكلون على الرب **المزمور الثالث والثلاثون** ابارك الرب في كل حين وكلا وان تسبحه
في فمي بالرب تفتخر نفسي فليسمع اهل الدعة ويفرحون عظموا معي الرب وشرفوا اسمه اجمعون انا طلبت الرب فاجابني ومن شدايدي
نجاني اقبلوا الى الرب واستنيروا به فان وجوهكم لا تخزى ان المسكين دعا فاستجاب له الرب ومن جميع احزانه خلصه ملاك
الرب يحوط اتقياه وينجيهم ذوقوا وتيقنوا طيب الرب طوبى للرجل المتوكل عليه اتقوا الرب يا جميع قديسيه لانه لا
منقصة لاتقيايه الاغنيا افتقروا وجاعوا والذين يطلبون الرب لا يعدمون كل الخيرات هلموا ايها الابنا واسمعوا مني لاعلمكم
مخافة الرب من هو الرجل الذي يهوى الحياة ويحب ان يرى الايام الصالحة اكفف لسانك من الشر وشفتيك لا تتكلم
بالغدر وابعد عن الشر واصنع الخير اطلب السلامة واتبعها فان عين الرب على الابرار وسمعه الى تضرعهم وجه الرب على
صانعي الشر ليمحوا ذكرهم من الارض الابرار دعوا فاستجاب لهم ومن جميع شدايدهم نجاهم الرب قريب من منسحقي القلوب
مخلص متواضعي الارواح كثيرة هي احزان الصديقين ومن جميعها ينجيهم الرب يحفظ جميع عظامهم وواحد منها لا ينكسر موت
الخطاة سيء ومبغضوا البار يهلكون الرب ينجي نفوس عبيده ولا يخيب المتوكلين عليه **المزمور الرابع والثلاثون**
حاكم يا رب الذين يظلمونني قاتل الذين يقاتلونني خذ سلاحا وترسا وقم لمعونتي استل سيفا وردبه اعداي الذين يرهقونني
وقل لنفسي انا مخلصك يخزى ويبهت طالبوا نفسي يرتدون على اعقابهم ويخزى الذين يتفكرون في الشر ويكونون كالغبار
امام الريح وملاك الرب يخزيهم تكون طريقهم زلقة ظلمة عليهم وملاك الرب يطاردهم لانهم اخفوا لي فخا بغير حق عيروا
نفسي فلياتهم الشرك بغتة والمصيدة التي اخفوها تاخذهم وفي الحفرة التي حفروها يسقطون نفسي تبتهج بالرب وتنعم بخلاصه
عظامي كلها تقول يا رب من مثلك منجي المسكين من يد القوي والفقير والبايس من يد الذين يختطفونه قام علي شهود الزور
وعما لم اعلم سايلوني جازوني بدل الخير شرا وابادوا نفسي وانا عندما لجوا علي لبست مسحا وبالصيام اذللت نفسي وصلاتي
عادت الى حضني مثل قريب واخ كنت لهم صرت كالحزين الكييب في تواضعي اجتمعوا علي وفرحوا اجتمع علي الاشرار ولم اشعر امتلوا
ولم يندموا اخزوني وهزاوا بي وصروا اسنانهم علي يا رب الى متى تنظر نج نفسي من شر ما نصبوا ومن الاسد نج وحدتي ٧
لا شكرك يا رب في الجموع الكثيرة وفي الشعب الصالح ارتلك لا يسر بي المعادون لي ظلما الذين يشنؤوني باطلا ويتغامزون
بعيونهم لانهم لم يتكلموا بالسلام وبالدغل يفكرون وعلى المتواضعين في الارض يقولون الكذب فتحوا على افواههم وقالوا
نعما نعما قد قرت عيوننا اللهم قد رايت لا تغفل لا تبعد عني يا رب انظر سريعا في قضاي الهي وربي كن في ظلامتي واحكم لي
مثل برك يا ربي والهي لا تسرهم بي ليلا يقولوا في قلوبهم تبتهج نفوسنا ولا يقولوا قد ابتلعناه يخزون ويبهتون جميعا
الذين يفرحون بمساتي يلبس الخزي والبهت المتعظمون بالقول علي يسر ويفرح الذين يهوون بري ويقولون في كل حين عظيم

هو

هو الرب الذين يريدون سلامة عبده لساني يتلو اعدالك ويمجدك النهار كله **المزمور السادس والثلاثون**
لا تغبط الاشرار ولا تنافس بغاة على الاثم لانهم مثل العشب سريعا يجفون ومثل البقل الاخضر عاجلا يذبلون توكل على الرب
واصنع الخير واسكن في الارض وعش من نعيمها استبشر بالرب ليعطيك مطلوبات قلبك واكشف سبيلك للرب وتوكل
عليه وهو يصنع لك يخرج مثل النور عدلك ومثل الظهيرة احكامك اخضع للرب واضرع اليه لا تغبط الرجل
المستقيم في طريقه المقيم على اثمه ولا رجلا يعمل خلافا للناموس كف من السخط ودع الغضب لا تبار الشرير فان
الاشرار جميعا يبيدون والذين يرجون الرب يرثون الارض عن قليل لا يوجد الخاطي ويطلب مكانه فلا يوجد اهل
الدعة يرثون الارض ويتنعمون بكثرة السلامة المنافق يرصد الصديق ويصر عليه اسنانه والرب يهزا به لانه قد علم
ان يومه يدركه استل الخطاة سيوفهم واوتروا قسيهم ليصرعوا المسكين والبايس ويقتلوا المستقيم القلب تدخل
سيوفهم الى قلوبهم وتنكسر قسيهم اليسير للصديق خير من كثرة غنى الخطاة لان سواعد الخطاة تنكسر والرب يحفظ
الابرار الرب يعرف ايام صديقيه التي لا عيب فيها وميراثهم الى الابد ولا يخزون في زمان سوء وفي ايام الشدايد
يشبعون لان الاثمة يبيدون واعدا الرب حين يرتفعون ويتمجدون يذهبون مثل الدخان ويضمحلون الخاطي يقترض
ولا يوفي والبار يتراف ويعطي لان مباركيه يرثون الارض ولاعنيه يستاصلون الرب يقوم خطا الانسان ويهديه
في الطريق ان سقط البار لم يجزع لان الرب يمسك بيده كنت صبيا وشخت ولم ار صديقا رفض ولا ذريته طلبت
خبزا النهار كله يترحم ويقرض ونسله مبارك ابعد عن الشر وافعل الخير واسكن الى ابد الابد لان الرب يحب
العدل ولا يضيع اصفياه يحفظهم الى ابد الابد الاثمة يهلكون ونسل الخطاة يستاصلون الصديقون هم
يرثون الارض ويسكنون فيها الى ابد الابد فم الصديق ينطق بالحكمة ولسانه يقول العدل سنة الهه في قلبه ولا تزل
قدماه الخاطي يرصد البار ويهم بقتله والرب لا يسلمه في يديه ولا يدخله في الحكم ترج الرب واحفظ طرقه وهو
يرفعك لترث الارض وتعاين الخطاة يبيدون رايت المنافق يتعالى ويتطاول مثل ارز لبنان مررت به فلم اجده
وطلبت موضعه فلم اصبه تمسك بالدعة واستر الاستقامة فان عاقبة الرجل المستقيم سلامة الخطاة جميعا
يبيدون وبقايا الاشرار يستاصلون خلاص الابرار من عند الرب وهو ناصرهم في زمان الشدايد الرب عونهم وينجيهم
وينقذهم من الخطاة ويخلصهم لانهم توكلوا عليه **ولما** كان ما ذكر في هذه السورة من الحكم والدلايل والقصص اعظم
شافيا حكيما ومرشدا هاديا عليما قال واصلا بما تقدم اشارة الى انه نتيجة **ان في هذا** اي الذي ذكرناه هنا من
الادلة على قدرتنا على قيام الساعة وغيرها من الممكنات وعلى ان من ادعى علينا امرا اتيناه عليه وجعلنا العاقبة له فيه
فهو صادق محق وخصمه كاذب مبطل **لبلاغا** لامرا عظيما كافيا في البلوغ الى معرفة الحق فيما ذكرناه من قيام الساعة
والوحدانية وجميع ما تحصل به البعثة **لقوم** اي لاناس اقويا على ما يقصدونه **عابدين** اي معترفين بالعبودية لربهم الذي
خلقهم اعترافا مطابقة الافعال بغاية الجد والنشاط **ولما** كان هذا مشيرا الى رشادهم فكان التقدير فما
ارسلناك الا لاسعادهم والكفاية لهم في البلوغ الى جنات النعيم عطف عليه ما يفهم سببا التاخير لا يجاد ما يستعجله
عن العابدين من العذاب فقال **وما ارسلناك** اي لعظمتنا العامة على حالة من الاحوال **الا** على حال كونك **رحمة للعالمين**
كلهم اهل السموات واهل الارض من الجن والانس وغيرهم طايعهم بالثواب وعاصيهم بتاخير العقاب الذي كنا نستاصل
به الامم فنحن نمهلهم ونترفق بهم اظهارا لشرفك واعلاء لقدرك حتى نبين انهم مع كثرتهم وقوتهم وشوكتهم وشدة
ما لهم عليك لا يصلون الى ما يريدون منك ثم نرد كثيرا منهم الى دينك ونجعلهم من اكابر انصارك واعاظم اعوانك
بعد طول ارتكابهم الضلال وارتباكهم في اشراك المحال وايضاعهم في الجدال والمحال فيعلم قطعا انه لا ناصر لك
الا الله الذي يعلم القول في السماء والارض ومن اعظم ما يظهر فيه هذا الشرف في عموم الرحمة وقت الشفاعة العظمى
يوم يجمع الاولون والاخرون وتقوم الملايكة صفوفا والثقلان وسطهم ويموج بعضهم في بعض من شدة ما هم فيه
يطلبون من يشفع لهم في ان يحاسبوا ليستريحوا من ذلك الكرب اما الى جنة واما الى نار فيقصدون اكابر الانبيا نبيا نبيا
عليهم الصلاة والسلام والتحية والاكرام فيحيل بعضهم على بعض وكل منهم يقول لست لها حتى ياتوا صلى الله
عليه وسلم فيقول انا لها ويقوم معه لوا الحمد فيشفعه الله وهو المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون
والاخرون وقد سقت اكثر احاديث ذلك في سورة غافر عند ولا شفيع يطاع **ولما** كان البلاغ الذي رتب
هذا الاجله هو التوحيد المثمر لتمام العز ابتع الاشارة الى تاخيرهم الايما الى تحذيرهم فقال **قل** اي لكل من
يمكنك له القول **انما يوحى الي** اي ممن لا موحي بالخير سواه وهو الله الذي خصني بهذا الكتاب المعجز **انما الهكم**
كان المراد اثبات الوحدانية لا لاله يجمع على الهيئة منه وممن كرر ذكر الاله فقال **اله واحد** لا شريك له اي لم

يوح الي في امر الاله الا الوحدانية وما الحكم الا واحد لم يوح الي فيما تدعون من الشركة غير ذلك فالاول من قصر الصفة على الموصوف اي الحكم على الشيء اي الموحى به الي مقصور على الوحدانية لا يتعداها الى الشركة والثاني من قصر الموصوف على الصفة اي الاله مقصور على الوحدة لا يتجاوزها الى التعدد والمخاطب بهما من يعتقد الشركة فهو قصر قلب ولما انضم الى ما مضى من الادلة العقلية في امر الوحدانية هذا الدليل السمعي وكان ذلك موجبا لان يخشى انجاز ما توعدهم به فيخلصوا العبادة لله اشار الى ذلك مرهبا ومرغبا بقوله فهل انتم مسلمون اي مذعنون له ملقون اليه مقاليدكم متخلون عن جميع ما تدعونه من دونه لتسلموا من عذابه وتفوزوا بثوابه ففي الاية ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ولما كان توليهم بعد هذه القواطع مستبعدا اشار الى ذلك بايراده باداة الشك فقال فان تولوا اي لم يقبلوا ما دعوتهم اليه فقل اي لهم آذنتكم اي اعلمتكم ببراءتي منكم واني غير راجع اليكم ابدا كما انكم تبرأتم مني ولم ترجعوا الى قصد عليكم ان لا صلح بيننا مع التولي كعلمي وعلم من اسعى لشاهبو الجميع ما تظنونه ينفعكم فهو كمن بينه وبين اعدائه هدنة فاخشى منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر ذلك النبذ واشاعه فلم يخفه عن احد منهم وهو مما اشتهر انه بلغ النهاية في الفصاحة والوجازة والمعنى جميع ما ارسلت به ولم اخص به احدا دون احد وهذا كله معنى على سواء اي ابدا انا مستعليا على امر بصف وطريق عدل ليس فيه شيء من خفاء ولا غش ولا خداع ولا غدر بل نستوي فيه نحن وانتم ولما كان من لازم البراءة من شخص الايقاع به كان موضع ان يقولوا هزؤا على عادتهم نبذت الينا على سواء فعجل لنا ما توعدنا به فقال وان اي وما ادري اقريب جدا بحيث يكون قربه على ما تشعرونه ام بعيد ما توعدون من عذاب الله في الدنيا بايدي المسلمين او بغيرهم او في الاخرة مع العلم بانه كائن لا محالة وانه لا بد ان يلحق من اعرض عن الله الذل والصغار ولما كان من المقطوع به من كون الشك انما هو في القرب او البعد ان يكون التقدير لكنه محقق الوجود لان الله واحد لا شريك له وقريب عند الله لان كل ما حق ايجاده قريب علله بقوله انه اي الله تعالى يعلم الجهر ولما كان الجهر قد يكون في الافعال بينه بقوله من القول مما تجاهرونه به من المطاعن وغيرها ذلك ونبه تعالى على ذلك لان من احوال الجهر ان ترتفع الاصوات جدا بحيث تختلط ولا يميز بينها ولا يعرف كثير من حاضريها ما قاله اكثر القائلين فاعلم سبحانه بانه لا يشغله صوت عن آخر ولا يفوته شيء من ذلك ولو كثر ويعلم ما تكتمون مما تضمرونه من المخازي كما قال تعالى اولها قل ربي يعلم القول في السماء والارض ومن لازم ذلك المجازاة عليه بما يحق لكم من تعجيل وتاجيل فستعلمون كيف تخيب ظنونكم ويحق ما اقول فتقطعون باني صادق عليه ولست بساحر ولا حالم ولا كاذب ولا شاعر فهو من ابلغ التهديد فانه لا ابلغ من التهديد بالعلم ولما كان الامهال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة قال وان اي وما ادري اي ايكون تاخير عذابكم نعمة لكم كما تظنون او لا ولما كان الى كونه نقمة اقرب قال معبرا اعما قدرته لعله اي تاخير العذاب وابهام الوقت فتنة لكم اي اختبار من الله ليظهر ما يعلمه منكم من الشر لغيره لانه حالكم حال من يتوقع منه ذلك ومتاع لكم تتمتعون به الى حين اي بلوغ مدة اجالكم التي ضربها لكم في الازل ثم ياخذكم بغتة اخذة يستاصلكم لها ولما كان اللازم من هذه الايات تجويز امور يهتم سامعها وتقلقه للعلم بان الله تعالى له ان يفعل ما يشاء من عدل وفضل وكان من العدل جواز تعذيب الطايع وتنعيم العاصي كان كانه قيل فما قال الرسول الشفوق على الامة حين سمع هذا الخطاب فقيل قال مبتهلا الى الله تعالى هذا على قراءة حفص وعلى قراءة الجمهور لما علم سبحانه ان ذلك مطلق امره صلى الله عليه وسلم بما ينجي من يتعلق من اتباعه فقال قل رب ايها المحسن الي في نفسي واتباعي بامتثال امرك واجتناب نواهيك احكم اي انجز الحكم بيني وبين هؤلاء المخالفين بالحق اي بالامر الذي يحق لكل منا من نصر وخذلان على ما اجريته من سنتك القديمة في اوليائك واعدائك ما ننزل الملائكة الا بالحق اي الامر الفصل الناجز قال ابن كثير وعن مالك عن زيد بن اسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق وفي الاية اعظم حث على لزوم الانسان بالحق ليتاهل لهذه الدعوة ولما كان التقدير فربنا المنتقم الجبار له ان يفعل ما يشا وهو قادر على ما توعدون عطف عليه قوله وربنا اي المحسن الينا اجمعين ثم وصفه بقوله الرحمن اي العام الرحمة لنا ولكم بادرار النعم علينا ولولا عموم رحمته لاهلكنا اجمعين وان كان معناه لانا لا نقدره حق قدره ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة والحاصل انه لما سال الحق المراد به الهلاك للعدو والنجاة للولي افرد الاضافة اشارة الى تخصيصه بالفضل وافرادهم بالعدل سال العون عم بالاضافة والصفة تنوعا بترجيح جانبه بالعون وان شملتهم الرحمة وان من رحمتهم خذلانهم عما هم عليه من الشر فقال المستعان اي المطلوب منه العون وهو خبر المبتدا الموصوف على ما تصفون مما هو ناشيء عن غفلتكم الناشئة عن اعراضكم عن هذا الذكر من الاستهزا والقذف بالسحر وغيره والمناصبة بالعداوة والتوعد بكل شر فقد انطلق اخر السورة على اولها بذكر الساعة ردا على قوله اقترب للناس حسابهم وذكر غفلتهم واعراضهم وذكر القرآن الذي هو البلاغ وذكر الرسالة بالرحمة لمن

نسبوه الى السحر وغيره وتفصيل ما استعجلوا به من ايات الاولين وغير ذلك وقام الدليل بالسمع بعد العقل على تحقق امر الكل بانه سبحانه لا شريك له يمنعه من ذلك وانه يعلم السر واخفى وهو رحمان فمن رحمته ايجاد يوم الدين ليجازي فيه المحسن باحسانه والمسيء بكفرانه وفي ذلك اعظم ترهيب في اعلى حاث على التقوى للنجاة في ذلك اليوم وهو اول التي تليها والله الموفق

سورة الحج

مقصودها الحث على التقوى المعلية عن دركة الاستحقاق للحكم بالعدل الى درجة استيهال الانعام بالفضل في يوم الجمع للفصل واسب ما فيها لذلك الحج وهو ظاهر بسم الله الذي انتصبت عظمته خضوع كل شيء الرحمن الذي عم برحمته عدله كل شيء موجود الرحيم الذي خص بفضله من شاء من ذوي عدله لما ختمت التي قبلها بالترهيب من الفزع الاكبر وطي السما واتيان ما يوعدون والديمومة بما يستحقون وكان اعظمه ذلك يوم الدين افتتحت هذه بالامر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم فقال يا ايها الناس اي الذين تقدم اول تلك انه اقترب لهم حسابهم اتقوا ربكم اي احذروا عقاب المحسن اليكم بانواع الاحسان بان تجعلوا بينكم وبينه وقاية الطاعات وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما افتتحت سورة الانبيا بقوله تعالى اقترب للناس حسابهم وكان واردا في معرض التهديد وتكرر في مواضع منها كقوله تعالى والينا ترجعون سأريكم اياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وهم من الساعة مشفقون كل الينا راجعون واقترب الوعد الحق انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب الى ما تخلل هذه الاي من التهديد وشديد الوعيد حتى لا تكاد تجد امثال هذه الاي في الوعيد والانذار بما في الساعة وما بعدها وما بين يديها في نظائر هذه السورة وقد ختمت من ذلك بمثل ما به ابتديت اتصل بذلك ما يناسبه من الاعلام بهول الساعة وعظيم امرها فقال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الى قوله ولكن عذاب الله شديد ثم اتبع هذا ببسط الدلالات على البعث الاخير واقامة البرهان يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الايات ثم قال ذلك بان الله هو الحق اي اطرد هذا الحكم العجيب وصح من نقلكم من حاله الى حاله في الارحام وبعد خروجكم الى الدنيا وانتم تعلمون ذلك من انفسكم وتشاهدون الارض على صفة من الهمود والموت الى حين نزول الما فتحيى وتخرج انواع النبات وضروب الثمرات تسقى بماء واحد ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى كما احياكم اولا واخرجكم من العدم الى الوجود واحيى الارض بعد موتها وهمودها كذلك تاتي الساعة من غير ريب ولا شك ويبعثكم لما وعد من حسابكم وجزائكم فريق في الجنة وفريق في السعير انتهى امرهم بالتقوى علل ذلك مرهبا لهم بقوله ان زلزلة الساعة اي الذي تقدم التحذير منها في الانبياء بدءا وختما وما بين ذلك اي شدة اضطرابها وتحركها العنيف المزيل للاشياء عن مقارها ازالة عظيمة بما يحصل فيها من الاصوات المختلفة والحركات المزعجة المتصلة من النفخ في الصور وبعثرة القبور وما يتبع ذلك من عجائب المقدور وقت القيام واشتداد الزحام وذلك لان زلزل مضاعف زل اذا زال عن مقره بسرعة ضوعف لفظه لتضاعف معناه قال البغوي الزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحال الهايلة انتهى وهو من اضافة المصدر الى الفاعل والمفعول فيه شيء عظيم اي لا يحتمل العقول وصفه قال ابن كثير اي امر كبير وخطب جليل وطارق مفظع وحادث هائل وكائن عجيب انتهى وهذا للزلزلة نفسها فكيف بجميع ما يحدث في ذلك اليوم الذي لا بد لكم من الحشر فيه الى الله ليجازيكم على ما كان منكم لا يبقي منه نقير ولا قطمير ولا يخفى قليل ولا كثير مما تطير له القلوب ولا تثبت له النفوس فاعتدوا واجتهدوا واعداكم من الاهوا والشياطين كان المراد بالساعة القيام وما والاه جعل مظروفا له لذلك اليوم الذي يموج فيه الوقت الى افتراق الفريقين الى داري الابعاد والاسعاد والهوان والغفران فقال تعالى يوم ترونها اي الزلزلة او كل مرضعة اضمرها قبل الذكر تهويلا للامر وترويعا للنفس تذهل اي تنسى وتغفل حائرة مدهوشة وهو العامل في يوم ويجوز ان يكون عامله معنى الكلام اي تستعظمون هذا ذلك اليوم عند المعاينة وان كنتم الان تكذبون ويكون ما بعده استينافا ودل بالسور على عموم تاثيره لشدة عظمته فقال كل مرضعة اي بالفعل عما ارضعت من ولدها وغيره وهي من ماتت مع ابنها رضيعا قال البغوي يقال مرضع بلا ها اذا اريد الصفة مثل حايض وحامل فاذا ارادوا الفعل ادخلوا الها يعني فيدل حينئذ على انها متلبسة به وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقطه قبل التمام رعبا وفزعا وهي من ماتت حاملا والله اعلم فان كل احد يقوم على ما مات عليه قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام انتهى ويؤيد ان هذه الزلزلة تكون بعد البعث ما في الصحيحين وغيرهما مسلم في الايمان وهذا لفظه والبخاري عند تفسير هذه الاية عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه رفعه يقول الله عز وجل يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال يقول اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من الف تسعمائة وتسعة وتسعين فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها الحديث والاحاديث في ذلك كثيرة ومعارضها ضعيف والمناسب ايضا لما في اخر تلك من قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وما تبعه ان هذه الزلزلة بعد القيام من القبور

سورة الحج

ثم

بل

يوم نطوي السماء إذا السماء انفطرت الى قوله علمت نفس ما قدمت وأخرت ويمكن أن يكون المراد هذا وما قبله لأن يوم الساعة
طويل فنسبته الكل اليها على حد سوا ولما كان الناس كلهم يرون الزلزلة ولا يرى الانسان السكر الا من غيره قال في الزلزلة
ترونها وقال في السكر وترى الناس سكارى اي لما هم فيه من الدهش والحيرة والبهت لما شاهدوا من حجاب العز وسلطان
الجبروت وسرادق الكبريا ثم دل على ان ذلك ليس على حقيقته بقوله نافيا لما يظن اثباته بالجملة الاولى وما هم بسكارى
اي من الخمر ولما نفى ان يكونوا سكارى من الخمر اثبت ما اوجب لهم تلك الحالة فقال ولكن عذاب الله ذي العز والجبروت
شديد فهو الذي اوجب ان يظن بهم السكر لانه اذهب خوفه حولهم وطير هوله عقولهم ولما افهم العطف الا
ان الناس قسمان وان التقدير فمن الناس من يؤمن فيتقي فينجو من شر ذلك اليوم الذي اقتضت الحكمة اظهار العظمة فيه ليزداد
حزب الله فرحا وحزب الشيطان غما وترحا عطف عليه قوله ومن الناس اي المذبذبين المضطربين من لا يسعى في اعلاء نفسه
وتهذيبها فيكذب فيوبق بسوء اعماله لانه يجادل في الله اي في قدرة الملك الاعظم على ذلك اليوم وفي غير ذلك من شؤونه
بعد ان جاءه العلم بها اجترا على سلطانه العظيم بغير علم بل بالباطل الذي هو جهل صرف فيترك اتباع الهداة النصحا
ويتبع بغاية جهده في جداله كل شيطان اي يحترق بالشر مبعد باللعن ولما كان السياق لذم متبعه اشار الى
انه لا قصد له في اتباعه الا الشر لانه لا لبس في امره بصيغة المبالغة كما مضى في النسا ويأتي في الصافات فقال مريد
اي متجرد للفساد لا شغل له غيره فهو في غاية العراوة عليه قال البيضاوي واصله العري ولما كتب اي قضي وقدر على سبيل
الحتم الذي لا بد منه تعبيرا باللازم عن الملزوم عليه اي على ذلك الشيطان انه من تولاه اي فعل معه فعل الولي مع وليه
باتباعه والاقبال على ما يزينه فانه يضله بما يبغض اليه من الطاعات فيخطي سبيل الخير ولما تفرع عن توليه
باضلاله لان الضلال مكروه الى كل احد بين انه اضلال لا هدى معه اصلا فقال ويهديه اي بما يزين له من الشهوات الحاملة
على الزلات اعلاما بانه ان كان له هدى الى شيء فهو الى عذاب السعير ولما حذر الناس من ذلك اليوم واخبر ان
منهم من يكذب به وعرف بمآله فافهم ذلك ان منهم من يصدق به فيكون له ضد حاله وكان كثير من المصدقين يعملون على المكذبين
اقبل عليهم سبحانه اقبالا انبا رحمة لهم منبها على انه ينبغي ان لا يكون عندهم نوع من الشك في ذلك اليوم لما عليه من الآيات
في الآفاق وفي انفسهم فقال منادا لا علية بالامرين يا ايها الناس اي كافة ويجوز ان يراد المنكر فقط وعبر بالناس الذي هو
من اسفل الاوصاف لذلك واشارة الى ان المنكر والعامل عمله وان كان مصدقا هم اكثر الناس وعبر باداة الشك اشارة
الى ان الذي يقتضيه الحال جزمهم به فقال ان وبين انه ما عبر بها الا للتلويح للشك في امرهم بجعل الشرط ماضيا
ودل بكان وبالظرف على تمكن الريبة منهم فقال كنتم في ريب اي شك وتهمة وحاجة الى البيان من البعث وهو قيام
الاجسام بارواحها كما كانت قبل مماتها سوا استعظاما لان يقدر عليه فانا خلقناكم بقدرتنا التي لا يتعاظمها شيء
من تراب لم يسبق له اتصاف بالحياة ثم من نطفة حالها ابعد شيء عن حال التراب فانها بيضا سايلة لزجة صافية
كما قال من ماء دافق واصلها الماء القليل قاله البغوي واصل النطف الصب قاله البيضاوي ثم من علقة اي قطعة
دم حمرا جامدة ليس فيها اهلية للسيلان ثم من مضغة اي قطعة لحم صغيرة جدا تطورت اليها النطفة مخلقة بخلقة
الآدمي التمام وغير مخلقة اي انشاناكم من تراب يكون هذا شانه وهو انا ننقله في هذه الاطوار الى ان يصير مضغة
فتارة نخلقها ونكون منها آدميا وتارة لا نخلقها بل نخرجها من الرحم فاسدة او نحرقها حرارته او غير مخلقة تخليقا تاما بل
ناقصا مع وجود الروح لشق الذي كان شق آدمي وسطيح الذي كان علوا بلا اسفل ونحوهما لنبين لكم كمال قدرتنا وتمام
حكمتنا وان ذلك ليس كاينا عن الطبيعة لانه لو كان عنها لم يختلف فدل اختلافه على انه عن فاعل مختار قادر فهاب
وحذف المفعول اشارة الى انه يدخل فيه كل ما يمكن ان يحيط به العقول ولما كان التقدير فنجهض منه ما لا نشا
اتمامه عطف عليه قوله ونقر في الارحام اي من ذلك الذي خلقناه ما نشاء اتمامه الى اجل مسمى قدرناه لاتمامه
ما بين ستة اشهر الى ما يزيد من الزيادة على ذلك بحسب قوة الارحام وضعفها وقوة المخلقات وضعفها وكثرة ما تتغذى به
من الدما وقلته وركاكته وخبثه الى غير ذلك من احوال وشؤون لا يعلمها الا بارئها جلت قدرته وتعالت عظمته واما
ما لم نشا اتمامه فان الارحام تمجه بقدرتنا وتلقيه دون التمام او تحرقه فيضمحل ثم نخرجكم بعد ذلك طفلا
اي في حال الطفولة من صغر الجثة وضعف البدن والسمع والبصر وجميع الحواس لئلا تهلكوا امهاتكم بكبر اجرامكم وعظم
اجسامكم وهو يقع على الجمع وعبر به دونه للتساوي في ضعف الظاهر والباطن ولما ذكر اضعف الضعف
ذكر اقوى القوى عاطفا له عليه لما بينهما من المهلة باداة التراخي فقال ثم اي نمد اجلكم لتبلغوا بالانتقال في اسنان
الاجسام فيما بين سن الرضاع الى حال اليفاع الى زمان الاحتلام وقوة الشباب والتمام اشدكم اي نهاية كل شدة قدرناها
لكل واحد منكم ومنكم من يتوفى قبل ما بعد ذلك من سن الشيخوخة ومنكم من يرد بالشيخوخة وبناه للمجهول اشارة

الى

الى سهولته عليه مع استبعاده لو لا تكرر المشاهدة عند الناظر لتلك القوة والنشاط وحسن التواصل بين اعضائه والارتباط
الى ارذل العمر وهو سن الهرم فتنقص جميع قواه لكيلا يعلم ولما كان السياق للقدرة على البعث الذي هو التحول من حال
الجمادية الى صحة بغاية السرعة اثبت من الابتدائية للدلالة على قرب زمن الجهل من زمن العلم فربما بات الانسان في غاية الاجتهاد
لما يعلم والحذق فيه فعاد في صبيحة ليلته او بعد ايام يسيرة جاهلا من غير كبير تدريج لا يعلم شيئا وافهم اسقاط حرف الانتهاء انه
ربما عاد اليه علمه وربما اتصل جهله بالموت بخلاف ما مضى في النحل فقال من بعد علم كان اوتيه شيئا بل يصير كما كان طفلا
في ضعف الجواهر والاعراض لتعلموا ان ذلك كله فعل الاله الواحد المختار وانه لو كان فعل الطبيعة لازداد بطول البقا
نموا في جميع ذلك وقد علم بعود الانسان في ذهاب العلم وصغر الجسم الى نحو ما كان عليه في ابتدا الخلق قطعا ان الذي اعاده الى
ذلك قادر على اعادته بعد الممات والكون على حال الرفات ولما تم هذا الدليل على الساعة بحكم المقدمات واضح النتايج
وكان اول الايجاد فيه غير مشاهد فعبر عنه بما يليق اتبعه دليلا آخر محسوسا وعطفه على ما ارشد اليه التقدير من نحو قوله
تجدون ايها الناس ما ذكرناه في انفسكم فقال وترى معبرا بالرؤية الارض ولما كان في سياق البعث عبر بما هو
اقرب الى حال الموت فقال هامدة اي يابسة مطمئنة ساكنة سكون الميت ليس بها شيء من نبت ولعله افرد الضمير توجيها
الى كل من يصلح ان يخاطب بذلك فاذا اي فتسبب عن ذلك انا اذا انزلنا عليها ماء من مكان لا يوجد فيه ثم ينزل منه الا بقدرة عظيمة وقهر باهر
فاذا انزلنا بما لنا من العظمة عليها الماء اهتزت اي تحركت بنجوم النبات الناشي عن التراب والماء وانبتت بتقديرنا
من كل زوج اي صنف عادلناه بصنف آخر جعلناه تمام نفعه به بهيج اي مونق من اشتات النباتات في اختلاف انواعها
وطعومها وروايحها واشكالها ومنافعها ومقاديرها رايقة المناظر لايقة في العيون والبصاير قال الرازي فكما ان النبات
يتوجه من نقص الى كمال فكذلك الآدمي يترقى من نقص الى كمال ففي المعاد يصل الى كماله الذي اعد له من البقا والغنى والعلم والصفا
والخلود اي للسعيد منه في دار السلام مبرا عن عوارض هذا العالم انتهى ولما قرر سبحانه هذين الدليلين رتب
عليهما ما هو المطلوب والنتيجة فقال على طريق التعليل ذلك اي الذي تقدم من الامر بالتقوى والترهيب من جلال الله بالحشر
والاستدلال عليه بالتصرف في تطوير الانسان والنبات الى ما في تضاعيفه من انواع الحكم واصناف اللطايف بان اي بسبب
ان تعلموا ان الله اي الجامع لاوصاف الكمال هو اي وحده الحق اي الثابت اتم ثبات بحيث يقتضي ذلك انه يكون كلما يريد فانه
لا ثبات مع العجز وانه يحيي الموتى اي قادر على ذلك بانه كما سيأتي هو العلي الكبير وانه على كل شيء من الخلق وغيره قدير انما
امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وان الساعة التي تقدم التحذير منها وهي وقت حشر الخلايق كلهم آتية لا ريب
فيها بوجه من الوجوه لما دل عليها مما لا سبيل الى انكاره بقول من لا مرد لقوله وهو حكيم فلا يخلف ميعاده ولا يسوغ بوجه
ان يترك عباده بغير حساب وان الله لما له من الجلال والحكمة يبعث بالاحيا من في القبور لحضورها والفصل بينهم
فيها في كل ما اختلفوا فيه لما تقدم لان ذلك من العدل الذي لا امر به وبه يظهر كثير من صفاته سبحانه اتم ظهور والحاصل ان
المراد انه سبحانه فعل ما تقدم وفعل ما ذكر من ايجاد الانسان والنبات في هذه الاطوار ليعلم انه قادر على هذه الامور
وعلى كل شيء ومن اي فمن الناس الذين كانوا اندروا وفقوا عن الايمان قبل هذا البيان من امن عند سماع هذه القواطع ومن الناس
وهم من اشتد تكاثف طبعه من يجادل اي بغاية جهده في الله اي في قدرته وما يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته بعد
هذا البيان الذي لا مثل له ولا خفاء فيه بغير علم اتاه عن الله على لسان احد من اصفيائه اعم من ان يكون كتابا او غيره ولا هدى
ارشده اليه عقله اعم من كونه بضرورة او استدلال ولا كتاب منير صح لديه انه من الله ومن المعلوم انه بانتفا هذه البلا
لا يكون جداله الا بالباطل ثاني عطفه اي رخي البال معرضا متكبرا متمايلا ولا ويا عنقه لذلك كما قال تعالى واذا تتلى عليه
اياتنا ولى مستكبرا والعطف في الاصل الجانب وموضع الميل ولما دل السياق على انه اكثف الاقسام طبعا عبر عن ضلاله
بقوله ليضل اي غيره عن سبيل الله ايهاما لذلك لان هذا لا يقصده عاقل فالقسم الاول تابع ضال وهذا داع لاهل الضلال
هذا على قراءة الضم للجمهور وعلى قراءة الفتح لابن كثير وابي عمرو ورويس عن يعقوب بخلاف عنه من ضل يكون من باب التهكم كما تقدم
غير مرة اي انه من الحذق بحيث لا يذهب عليه ان هذا اضلال فما وصل اليه الا بقصد له ولما ذكر فعله وثمرته ذكر ما اعد له
عليه فقال له في الدنيا خزي اي اهانة وذل وان طال زمن استدراجه بتنعيمه حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه
ونذيقه اي بما لنا من العظمة يوم القيمة الذي يجمع فيه الخلايق بالاحيا بعد الموت عذاب الحريق اي نجعله يحس بالم العذاب
بالحريق كما يحس الذائق بالشيء كما احرق قلوب المهتدين بجداله بالباطل ويقال له حقيقة او مجازا ذلك اي العذاب العظيم
بما اي بسبب ما قدمت يداك اي عملك ولكنه جرت عادة العرب ان تضيف الاعمال الى اليد لانها اكثر آلة اكثر العمل
واضافة ما يؤدي اليهما انكا وان اي وبسبب ان الله اي الذي له الكمال كله ليس بظلام اي بذي ظلم ما للعبيد ولو
تركك بغير عذاب لكان في مجاري عاداتكم ظلما او لا تسويه المحسن بالمسي وثانيا بترك الانتصار للذين عادوك فيه واذيتهم

من اجله ويأتي في فصلت ما ينفع هنا ولما بين قسمي المصارحين بالكفر الكثيف والاكثف صريحا والفهم المؤمن المخلص عطف على
على ذلك المذبذب فقال ومن الناس ولذلك عبر بالناس الذي مدلوله الاضطراب والتردد دون ان يضمر من يعبد الله اي
يعمل على سبيل الاستمرار والتجدد بما امر به الاله الاعظم من طاعاته على حرف فهو من لزلة كزلة من يكون على حرف شفير او جبل
او غيره لا استقرار له وكالذي على طرف من العسكر فان راى غنيمة قر وان توهم خوفا طار وفر وذلك معنى قوله فان اصابه
خير اي من الدنيا اطمأن به اي بسببه وثبت على ما هو عليه وان اصابته فتنة اي مصيبة ولو قلت بما يشير اليه التأنيث
في جسمه او معيشته يختبر بها ويظهر خبؤه للناس انقلب على وجهه لتهيؤه للانقلاب بكونه على شفا جرف فسقط عن ذلك
الطرف من الدين سقوطا لا رجوع له بعد البته ولا حركة له معه فان الانسان مطبوع على المدافعة بكل عضو من اعضائه عن وجهه
فلا يمكن منه الا بعد نهاية العجز والمعنى انه رجع الى الوجه الذي كان عليه من الكفر او الشك رجوعا متمكنا وهذا بخلاف
الراسخ في ايمانه فانه ان اصابته سراء شكر وان اصابته ضراء حمد وصبر فكل قضاء الله له خير ولما كان انقلاب
هذا مفسدا لاخرته بما ناله من الوزر وغير نافع له في استدراك ما فاته من الدنيا كانت فذلكة ذلك قوله خسر الدنيا
اي بسبب ان ذلك لا يرد ما فاته منها ويكون سبب التغيير عليه وذهاب بركته ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه والآخرة بفوات اجر الصبر وحصول
اثم الجزع ثم عظم مصيبته بقوله ذلك اي الامر العظيم هو اي لا غيره الخسران المبين روى البخاري في التفسير
عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح
وان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء ثم بين هذا الخسران الذي رده الى ما كان فيه قبل الايمان الحرف في
بقوله يدعوا اي يعبد حقيقة او مجازا مع التجدد والاستمرار بالاعتماد على غير الله ومتابعة واياك نستعين ولما
كان ما سوى الله دونه نبه على ذلك بقوله من دون الله اي ادنى رتبة تحت رتبة المستجمع لصفات الكمال ولما
كان المقتضي للعبادة انما هو الفعل بالاختيار واما الفعل الذي يقتضيه الطبع والقسر عليه فلا عبرة به في ذلك فانه لا قدرة على
الانفكاك عنه فلا حمد لفاعله نبه على ذلك بقوله ما لا يضره اي بوجه من الوجوه ولا ترك الضر ان وجد منه ولو اسقطت ما من
الثاني لظن ان الذم يشترط فيه انتفاء الضر والنفع معا حتى ان من دعي ما انتفى عنه احدهما لم يذم ذلك اي الفعل الدال
على اعظم السفه وهو دعاء شيء انتفى عنه القدرة على النفع او شيء انتفى عنه القدرة على الضر هو اي وحده الضلال البعيد
عن الحق والرشاد الذي اوصل الى فيافي مجاهل لا يتأتى الرجوع منها وذلك لان الاول لو ترك عبادته ما قدر على منع حسانه
والثاني لو تفاداه ما وصل الى نفعه ولا ترك ضره فعبادتهما عبث لانه استوى فعلها وتركها ولما كان الاحسان
جالبا للانسان من غير نظر الى مورده لان القلوب جبلت على حب من احسن اليها بين ان ما قيل في جانب النفع انما هو على سبيل
الفرض فقال يدعوا ولما كان ما فرض ولا فيما عبر عنه بما قد يكون غير عاقل فيكون ما صدر منه لعدم العقل ازال
هذا الايهام بقوله لمن اي لذا عمال من ضره ولو بعبادته الموجبة لاعظم الشقا اقرب من نفعه الذي يتوقع منه ولما
كانت الولاية الكاملة لا تنبغي الا لمن يكون توقع النفع منه والضر على حد سوا لقدرته على كل منهما باختياره وكان العشير لا يصلح
الا ان كان مأمون العاقبة وكان هذا المدعو ان نظر اليه في جانب الضر وجد غير قادر عليه او في جانب النفع فكذلك
وان فرض توقع نفعه او ضره كان خوف ضره اقرب من رجا نفعه استحق غاية الذم فلذلك استأنف تعالى وصفه بقوله
معبرا في ذمه بالاداة الموضوعة لمجامع الذم لبئس المولى لكونه ليس مرجوا النفع كما هو مخشي الضر ولبئس العشير لكونه
ليس مأمون الضر فهو غير صالح للولاية ولا للعشرة بوجه ولما افهم ما تقدم ان هذا الاله المدعو اليه قادر على كل
من النفع والضر بالاختيار وان تجويز الوقوع لكل منهما منه على حد سوا نبه على ذلك بقوله مستأنفا ان الله اي الحائز لجميع صفات
الكمال المنزه عن جميع شوائب النقص يدخل الذين آمنوا برسله وما دعت اليه من شأنه وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات
الخالصة الشاهدة بثباتهم في الايمان بعد ما ضرهم في الدنيا بانواع المصائب تطهيرا لهم مما اقترفوه من الزلات واهوتهم
اليه الهفوات جنات تجري من تحتها اي من اي مكان اردت من ارضها الانهار ولما كان هذا امرا باهرا دل على
سهولته بقوله نصا تحقيقا مما افهمه السياق من وصفه للاختيار ان الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما يفعل ما يريد من كل نفع
وضر ولما تم الدليل على خسران هذا المنقلب وربح الثابت وكان هذا مفهما ان من رجاه لما وعد به بادر الا
قبال عليه ولم ينفع الا نفسه ومن لم يرج ذلك اعرض عن الله سبحانه منقلبا على وجهه فلم يضر الا نفسه زجر عن حال
هذا الثاني العابد على حرف بقوله من كان يظن اي ممن اصابته فتنة ان لن ينصره الله ذو الجلال والاكرام في حال
من احواله في الدنيا والآخرة فاعرض عنه انقلابا على وجهه فانه لا يضر الا نفسه وان ظن انه لا يضرها فليمدد بسبب
اي حبل او شيء من الاشيا الموصلة له الى السماء التي يريدها من سقف او سحاب او غيرهما ولما كان مد ذلك متعسرا

او متعذرا عبر بما يتفرع عليه باداة التراخي فقال ثم ليقطع اي ليوجد منه وصل وقطع اي ليبذل جهده في دفع القضا والقدر عنه
وهي لام امر عند من حركها بالكسر فانما لشدة الحركة في المزاولة للذهاب الى السفل الدال على عدم العقل وهم ابو عمرو وابن عامر
وورش عن نافع ورويس عن يعقوب او اسكنها وهم الباقون فلينظر ببصره وبصيرته هل يذهبن كيده ما يغيظ
اي شيئا يحصل له منه غيظ او يكون المعنى فليفعل ما يفعله من بلغ منه الغيظ بان يربط حبلا بسقف بيته ثم ليربطه في عنقه
ثم ليقطع ما بين رجليه وبين الارض ليختنق وهذا كما يقال لمن ادبر عنه امر فجزع اضرب براسك الجدار ان لم ترض هذا مت غيظا
ونحو ذلك والحاصل انه ان لم يصبر على المصائب لله طوعا صبر عليها كرها مع ما ناله من اسباب الشقا ولما
بين سبحانه هذه الآيات المرتبة في هذه الاساليب العلية هذا البيان الشافي الهادي باعجاز حكمه بين انه معجز ايضا بنظمه
فقال وكذلك اي ومثل ما بينا هذه الآيات المرتبة التي انزلناها كلاما لبيان حكمها واظهار اسرارها انزلناه اي الكلام
كله بما لنا من العظمة الباهرة آيات بينات معجزا نظمها كما كان معجزا احكامها ولما كان الكلام بينا في ان التقدير ليعلم
اذا اضل ضال مع هذا البيان ان الله يضل من يريد عطف عليه قوله وان اي وليعلم ان الله اي الموصوف بالاكرام كما هو
موصوف بالانتقام يهدي اي بآياته من يريد اي لتبين قدرته واختياره اراحة لهم من يقول اذا كانت الآيات مكرهة
والمسموعة في هذا الحد من البيان فما لاكثر الناس على ضلالهم تتخلف فيهم المسببات عن اسبابها ولما كان ذلك موجبا
للسؤال عن حال الفريقين المهتدي والضال اجاب عن ذلك ببيان فرق الضلال لان هذه السورة اتم نظر الى يوم الجمع الذي هو
مقصود السورة التي قبلها فقصد الى استيعاب الفرق تصوير الذلك اليوم بالتي صورة وقرن بكل من قبلهما فقصد الى
استيعاب الفرق فرتبها اهل الكتاب موافقة في معناه فقال ان الذين آمنوا اي من اي فرقة كانوا وعبر بالفعل ليشمل الاقرار
باللسان الذي هو ادنى وجوه الايمان والذين هادوا اي انتحلوا اليهودية على اي حال كانوا من ايمان وكفران ولما
كان اليهود قد عبدوا الاصنام متقربين بها الى النجوم كما مضى في المائدة اتبعهم من شابههم فقال والنصارى ثم اتبعهم من اشبه
بعض فرقهم في قولهم بالهين اثنين فقال والمجوس وهم عبدة النار ثم ختم باعم الكل في الضلال كما فتح باعمهم في الهدى فقال والذين
اشركوا الشموله كل شرك حتى الاصغر في الريا وغيره ان الله اي الملك الاعظم الذي له الملك كله وهو احكم الحاكمين يفصل بينهم
يوم القيمة فيجازي كلا بعمله على ما تقتضيه في مجاري عاداتكم ويقتص لبعضهم من بعض ويميز الخبيث منهم من الطيب ثم علل ذلك بقوله
ان الله اي الجامع لجميع صفات الكمال على كل شيء من الاشيا كلها شهيد فلا شيء الا وهو به عليم فهو لذلك على كل شيء قدير كما مضى بيانه
في وسع كل شيء علما في طه وقال الحرالي في شرح الاسماء الحسنى الشهادة رؤية خبرة بطية الشيء ودخلته ممن له غنا في امره فلا شهادة
الا بخبرة وغنا ممن له اعتدال في نفسه بان لا يحيف على غيره فيكون ميزان عدل بينه وبين غيره فيحق له ان يكون ميزانا بين كل متدا
ممن يحيط بخبرة امريهما وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وبحسب احاطة علم
الشهيد ترهب شهادته ولذلك ارهب شهادة شهادة الله على خلقه قل اي شيء اكبر شهادة قل الله ولما كان
انما الاحاطة والخبرة والرقبة لله كان بالحقيقة لا شهيد الا هو انتهى ولما كان جميع ما تقدم في هذه السورة دالا
على انه على كل شيء قدير وانه يفعل ما يريد وختم ذلك بانه بكل شيء عليم علما لا ريب ولا يغيب شيء عنه فاقتضى ذلك قيوميته وكان
بحيث يستعظم لاجله الخلائق يلمعا ساحوا لهم قرر ذلك في جواب من كأنه سأل وهو في معنى العلة فقال الم تر ان الله الحائز
لجميع الكمال المتراعي كل نفس يسجد له اي يخضع منقادا لامره مسخرا لما يريد منه فيخبر من هو في غاية الاجتهاد في العبادة والاخلا
فيها من في السموات ولما كان السياق مقتضيا للابلاغ في صفة القيومية بشهادة ذكر الفصل بين جميع الفرق اكد باعادة
الموصول فقال ومن في الارض ولما دخلت غير العاقل في العاقل فبالتغليب وان خصصت بالعاقل فهم خضوع غيره من باب الاولى
ذكر ما يعم العاقل وغيره اتبعه باشرف ما ذكر مما لا يعقل لان كلا منها عبد من دون الله او عبد شيء منه فقال والشمس والقمر
والنجوم من الاجرام العلوية فعبدة الشمس حمير والقمر كنانة والدبران تميم والشعرى لخم والثريا طي وعطارد اسد والمرزم
ربيعة قاله ابو حيان ثم اتبع ذلك اعلام الذوات السفلية فقال والجبال اي التي نحتت منها الاصنام والشجر التي عبد
بعضها والدواب التي عبد منها البقر كل هذه الاشيا تنقاد لامر الله ومن المعلوم لكون هذه لا تعقل ان امرها هو
مراده منها ولما كان العقلاء من المكلفين قد دخلوا الى قوله ومن في الارض دخولا اوليا وكان السجود المدوح عليه
انما هو الموافق للامر لا الموافق للارادة المجردة عن الامر قال كذا الا على ارادته هنا بتكريرهم وتقسيمهم بعد ادخالهم في سجود
الارادة وتعميمهم وكثير من الناس اي يسجد سجودا هو منه عبادة شرعية يحق له الثواب وكثير اي منهم حق عليه
العذاب بقيام الحجة عليه بكونه لم يسجد لمجد الامر الذي حجده كان كافرا وان كان ساجدا عابدا بالمعنى اللغوي الذي
هو الجري مع المراد وعلى القول بان هذا في تقدير عامل من لفظ الاول بغير معناه هو قريب من الاستخدام الذي يعاد
فيه ضمير على لفظ مرادا منه معنى آخر والآية من الاحتباك اثبات السجود في الاول دليل على انتفائه في الثاني وذكر

عيبن

ص

العذاب في الثاني دليل على حذف الثواب في الاول ولما علم بهذا ان الكل جارون مع الارادة منقادون تمام انقياد تحت
طوع المشية وانه انما جعل الامر والنهي للمكلفين سببا لاسعاد السعيد منهم واشقاء الشقي لاقامة الحجة عليهم على ما
يتعارفونه من احوالهم فيما بينهم كان المعنى فمن يكرم الله بتوفيقه لامتثال امره فما له من مهين فعطف عليه ومن يهن الله اي
الذي له الامر كله بمتابعة الامر فما له من مكرم لانه لا قدرة لغيره اصلا ولعله انما ذكره وطوى الاول لان السياق
لاظهار القدرة واظهارها في الاهانة اتم مع ان اصل السياق للتهديد ثم علل ان الفعل له لا لغيره بقوله ان الله اي الملك
الاعظم يفعل ما يشاء اي كله فلو جاز ان يمانعه غيره ولو في لحظة لم يكن فاعلا لما يشاء فصح انه لا فعل لغيره قال ابن كثير
قال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن شيبان الرملي حدثنا القداح عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنه انه قيل له ان ههنا رجلا
يتكلم في المشية فقال له علي يا عبد الله خلقك الله لما يشاء او لما شئت قال بل لما يشاء قال فيمرضك اذا شاء او اذا شئت
قال بل اذا شاء قال فيشفيك اذا شاء او اذا شئت قال بل اذا شاء قال فيدخلك حيث شئت او حيث يشاء قال بل حيث يشاء
قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف وقد مر في سورة يوسف عند ان الحكم الا لله عليه توكلت
ما ينفع هنا ولما قسم الناس الى مخالف وموالف اتبعه جزاءهم بما يرغب الموالف ويرعب المخالف على وجه موجب للامر
بالمعروف الذي من جملته الجهاد لوجهه خالصا فقال هذان اي الساجد والجاحد من جميع الفرق خصمان لا يمكن منهما المسالمة
الكاملة وكل منهما في طرف ولما اشار بالتثنية الى ان كل فرقة منهم صارت مع كثرتها وانتشارها باتحاد الكلمة
في العقيدة كالجسد الواحد صرح بكثرتهم بالتعبير بالجمع فقال اختصموا اي اوقعوا الخصومة بغاية الجهد ولما كانت
الفرق المذكورة كلها مثبتة وتدحمدا كرتهم النعمة قال في ربهم اي الذي هم باحسانه اليهم معترفون لم يختصموا بسبب غيره
اصلا وحمزة بن المطلب اسد الله واسد رسوله وعبيدة بن الحارث وعلي بن ابي طالب الذين هم اول من برز للمخاصمة بحضرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم بالكفرة من بني عمهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة في
غزوة بدر اولى الناس بهذه الاية لما روى في الصحيح عن ابي ذر رضي الله عنه انا اول من يجثو بين يدي الرحمن انه كان يقسم
انها نزلت فيهم ولذلك قال علي رضي الله عنه انا اول من يجثو بين يدي الرحمن عز وجل يوم القيمة للخصومة اخرجه البخاري
في صحيحه ولعله رضي الله عنه اول الثلاثة قام لما امرهم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فانه كان اشبهم ولما
ذكر خصومتهم وشرطها ذكر جزاءهم عليها في فصل الامر الذي قد مر ذكره وبدا بالترهيب لان الانسان اليه احوج فقال
فالذين كفروا منابذين لامر ربهم قطعت تقطيعا لا يعلم كثرته الا الله بايسر امر مما لا امر لغيره لهم الان وهيئت وان
وافقوا امر ادبهم بمخالفتهم امره ثياب من نار تحيط بهم وهي على مقادير هم سابغة عليهم كما كانوا يسبلون الثياب في
الدنيا تعاظما وتكبرا حال كونهم يصب اذا دخلوها من فوق رؤسهم الحميم اي الماء الحار حرارة لا يدرى مقدارها
الابالذوق اعاذنا الله منه واستانف الاخبار عنه بقوله يصهر اي يذاب واصله المخالطة الشديدة به من شدة
حرارته ما في بطونهم من شحم وغيره والجلود فيكون اثره في الباطن والظاهر سوا ولهم مقامع جمع مقمعة بكسر ثم فتح
وهي عمود حديد يضرب به الراس والوجه ليرد المضروب عن مراده ردا عنيفا ثم نفي المجاز بقوله من حديد اي يقمعون بها كلما
ارادوا اي كلهم فالبعض بطريق الاولى ان يخرجوا منها اي من تلك الثياب او من النار كان السياق للخصومة اولياء
الله المتصفين بما هو مقصود السورة من التقوى للكفار المنابذين لها بكل اعتبار اقتضى ذلك بشارة للاولياء ونذارة للاعداء
قوله زيادة على ما في السجدة من غم عظيم لا يعلم قدر عظمه الا الله اعيدوا بايسهل امر فيها كانهم يضربون بلهيب النار
فيرفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا قاله الحسن وانهم يضطربون في تلك الثياب المقطعة
من النار الى ان يكادوا ان ينفصلوا منها وهم في النار ثم يردون كما كانوا وذلك اشد في العذاب مقولا لهم ارجعوا صاغرين
مناسبين لعمومها وذوقوا عذاب الحريق اي العذاب البالغ في الاحراق ولما ذكر ما لاحد الخصمين وهم الكافرون اتبعه
ما للاخر وهم المؤمنون وغير السياق بالتاكيد لمن كان يسال عنه معظما له باثبات الاسم العلم الجامع ابتداء بالاهتمام فقال
ان الله اي الذي له الامر كله يدخل الذين امنوا عبر في الايمان بالماضي ترغيبا في المبادرة الى ايقاعه وعملوا الصالحات تصديقا
لايمانهم وعبر بالماضي اشارة الى ان من عمل الصالح انكشف له ما كان محجوبا عنه من حسنه فاحبه ولم ينفك عنه جنات تجري
اي دائما من تحتها الانهار اي المياه الواسعة ايضا اردف من اوضها حريك ثمر في مقابلة ما يجري من فوق رؤس اهل النار
يحلون فيها في مقابلة ما نزل من بواطن الكفرة وظواهرهم من اساور كان مقصودها الحث على التقوى المعلية
الى الانعام بالفضل شوقا اليه باعلا ما يعرف من الحلية فقال من ذهب ولؤلؤا وقراءة نافع وعاصم بنصبه دليل عطفه بالجر
على اساور ولباسهم فيها حرير في مقابلة ثياب الكفار كما كان لباس الكفار في الدنيا حريرا ولباس المؤمنين دون ذلك وقد
ورد في الصحيحين عن عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس الحرير في الاخرة لم يدخل الجنة عن عمر رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه

وسلم قال لا تلبسوا الحرير فان من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الاخرة قال ابن كثير قال عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس الحرير في الاخرة
لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير انتهى وذلك في الصحيحين وغيرهما عن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال انما يلبس هذه من لا خلاق له في الاخرة فيوشك لتشبهه بالكفار في لباسهم ان يلحقه الله بهم فلا يموت مسلما
والله الهادي وهدوا اي بايسهل امر بهداية الله اعم من ان يكون السبب القريب لذلك العقل وحده او مع الرسول او الكتاب
او غير ذلك وهو حال من الذين امنوا وما بعدها ختم به لئلا يطول الفصل بين الفعل ومعموله ولتكون محاسنهم محيطة بذكر جزائهم
الجنة اشارة الى دوامها الى الطيب من القول فلم يزالوا في حال حسن وهدوا وبني الفعل ايضا للمفعول اشارة الى سهولة
الهداية لهم والانقياد منهم ولذلك لم تذكر العزة واكتفى بذكر الحمد فقيل الى صراط الحميد الذي وفقهم لسلوك ما يحمدون عليه
فيحمدون عاقبته فكان فعلهم حسنا كما كان قولهم حسنا فدخلوا الجنة التي هي اشرف دار عند خير جار وحلوا فيها اشرف الحلى
كما تحلوا في الدنيا باشرف الطرائق هذا بعد ان جاوروا اشرف الذكر في الدنيا عكس حال الكفار في افتراق ما ادخلهم ما كلما ارادوا
الخروج منها اعيدوا فيها مع ما نالهم من سوء الذكر باقبالهم كالبهائم على الفاني مع خسته لجحوده واعراضهم عن الباقي مع
شرفه لغيابه ولما بين ما للفريقين وتضمن ما للفريق الثاني بيان اعمالهم الدالة على صدق ايمانهم كرر ذكر الفريق الاول
لبيان ما يدل على استمرار كفرهم وتوكيد بيان جزائهم فقال ان الذين كفروا اي اوقعوا هذا الفعل الخبيث
كان المضارع قد لا يلحظ منه زمان معين من حال او استقبال بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار كقولهم فلان
يعطي ويمنع قال عاطفا على الماضي ويصدون اي ويديمون الصد عن سبيل الله الملك الاعظم باقتسامهم طرق مكة وقول
بعضهم لمن يمر به حرج فينا ساحر واخر يقول شاعر واخر كاهن ولا يستمعوا منه فانه يريد ان يردكم عن دينكم حتى قال بعض من
اسلم لم يزالوا بي حتى جعلت في اذني الكرسف مخافة ان اسمع شيئا من كلامه وكانوا يؤذون من اسلم الى غير ذلك من اعمالهم
ولعله انما عبر بالمضارع رحمة منه ليكون كالشرط في الكفر فيدل على ان من ترك الصد ذا اعنه الكفر وان طال في الزمنه
ويصدون عن المسجد الحرام ان تقام شعائره من الطواف فيه بالبيت والصلاة والحج والاعتمار ممن هو اهل لذلك من اولياء
ثم وصفه بما بين شديد ظلمهم في الصد عنه فقال الذي جعلناه بما لنا من العظمة للناس اي كلهم ثم بين جعله لهم بقوله
سواء العاكف فيه اي المقيم والباد اي الزائر له من البادية قال الرازي في اللوامع سواء رفع بالابتداء والعاكف خبره
وصلح مع تنكيره للابتداء لانه كالجنس في افادة العموم الذي هو احسن العهد ولما ذكر الكفار ودليل كفرهم
بما استعطفهم وزاد في الاستعطاف بحذف الخبر عنهم ودل اخر الاية على انه نذيقهم العذاب الاليم عطف عليه ما
ينفر عن وصفهم فقال ومن يرد فيه اي شيئا من افعال الكفار من الصد المذكور وغيره او يقع منه ارادة لشيء من ذلك بالحاد
اي مصاحبة تلك الارادة وملاصقة وملابسة بجور عن الامر المعروف وميل واعوجاج ولما كان ذلك يقع على
مطلق هذا المعنى بين المراد بقوله بظلم اي في غير موضعه واما صد الكفار عنه فانه بحق لانهم نجس لا ينبغي قربانهم
المحال المقدسة وكذا صد الحائض والجنب والخائن نذقه ولما كان المشروط نوعا من فعلة الكفار ان الخبر عن الكفار
ولما ذكر الفريقين وجزا كل وختمه بذكر البيت اتبعه التذكير به وتجهيله لما
الغافلين لما رتب هذا الجزاء على ارادته بما فذرته فيه من التذكير بالنعمة الحاملة على التقوى التي هي مقصد السورة بما فيه من الوفادة على الله مع التجرد من المحيط والخضوع
للرب والاجتماع في المشاعر موقفا في اثر موقف ولما فيه من الحث على التنسك بابيهم الاعظم ابرهيم عليه السلام فقال تقريعا
وموبخا لمن اشرك في بقعة اسست على التوحيد من اول يوم عطفا على قوله اول السورة اتقوا واذ اي واذكروا اذ بوأنا
بما لنا من العظمة ولما لم يجعله سبحانه سلفه بنفسه قصر الفعل عن التعدية الى مفعوله الاول فقال لابرهيم
اي قدرنا له مكان البيت اي الكعبة وجعلناه له مباءة اي منزلا يبوء اليه اي يرجع لانه لما يودعه فيه من اللطائف
اهل لان يرجع اليه من فارقه ويحن اليه ويشتاق من باعده وينقطع اليه بعض ذريته من المباءة بمعنى المنزل وبواه اياه
وبواه له اي انزله قال في ترتيب المحكم وقيل هيأته ومكنت له فيه ويدل على ان ابرهيم عليه السلام اول من بنى البيت
ما في الصحيح عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال
بيت المقدس قلت كم بينهما قال اربعون سنة ولما كان ابرهيم عليه الصلاة والسلام نبيا كان من المعلوم ان تبويه
له لاجل العبادة فكان المعنى قلنا له انزل اهلك ههنا وتردد الى هذا المكان للعبادة فلبه الفرع بقوله ان لا تشرك
بي شيئا فابتدا باس العبادة وراسها وعطف على النهي قوله وطهر بيتي عن كل ما لا يليق به من قذر حسي ومعنوي
من شرك ووثن وطواف عريان به كما كانت العرب تفعل للطائفين اي به ولما تقدم العكوف فاستغني عن
اعادته قيل والقائمين اي حوله تعظيما لي كما يفعل حول عرشي وفي الصلاة ولان العكوف بالقيام اقرب الى المقصود
السورة والركع ولما كان كل من الطواف والقيام عبادة براسه ولم يكن الركوع والسجود كذلك عطف ذلك هو

لهم

بصدهم

بنا

واتبع هذا لما بينهما من كمال الاتصال اذ لا ينفك احدهما عن الاخر في الصلاة فقال السجود اى المصلين صلاة اهل الاسلام الاكمل
واذن في الناس اى اعلمهم وناد فيهم بالحج وهو قصد البيت على سبيل التكرار للعبادة المخصوصة بالمشاعر المنصوصة يأتوك
اى يأتوا بيتك الذى بنيته لذلك مجيبين لصوتك باذننا سامعين طايعين مخبتين خاشعين من اقطار الارض كما يجيبون صوت الداعى
من قبلنا اذا دعاهم بعد الموت بمثل ذلك رجالا اى مشاة على ارجلهم وعلى كل ضامر اى هزيل من طول السير من الابل لبعد الشقة
وعظم المشقة ولما كان الضامر يطلق على كل من الذكر والانثى من الجمال وكانت الانثى اضعف النوعين فكان الحكم عليها بالاتيان
المذكور حكما على الذكر الذى هو اشد بطريق الاولى اسند الى ضميرها فقال معبرا بما يدل على التجدد والاستمرار واصفا الضوامر التى
انهتها كل يأتين اى الضوامر من كل فج عميق اى طريق واسع بين جبلين عميق اى بعيد مخفض بالنسبة الى علو جباله قال ابو
حيان واصله البعد سفلا انتهى حفاة عراة ينتقلون من مشعر من مشاعر الحج الى مشعر ومن مشهد الى مشهد محو عين بالدعوة
خاشعين للهيبة خايفين من السطوة راجين للمغفرة ثم يتفرقون الى مواطنهم ويتوجهون الى مساكنهم كالسايرين الى مواقف الحشر
يوم البعث والنشر المتفرقين الى دارى النعيم والجحيم المصدقون بان خليلنا ابرهيم عليه السلام نادى بالحج
فاجابه بقدرتنا كرامة له من اراد الله حجه على بعد اقطارهم وتناءى ديارهم ممن كان موجودا فى ذلك الزمان وممن كان فى
ظهور الاباء الاقربين او الابعدين صدقوا ان الداعى من قبلنا بالنفخ فى الصور يجيبه كل من كان على ظهرها ممن حفظنا جسده
او سلطنا عليه الارض فمزقناه حتى صار ترابا وما يبرح لكن الاذن لكل علينا يسير ولما كان الانسان ميالا الى الفوايد
مستشرفا الى الجميل العوايد علل الاتيان بما يرغبه سبحانه من فضله ما يقصده من امر المعايش فقال ليشهدوا اى يحضروا بهم
حضورا تاما منافع لهم اى لا للمعبود دينية ودنيوية فانه كما جعل سبحانه تلك المواطن ماحية للذنوب جالبة للقلوب
جعلها جالبة للفوايد جارية على احسن العوايد سالبة للفقر جابرة للكسر ولما كانت المنافع لا تطيب وتثمر الا بالتقوى
وكان الحامل على التقوى الذكر قال ويذكروا اسم الله اى الجامع لجميع الكمالات بالتكبير وغيره عند الذبح وغيره اعلاما بانه
المقصود الذى تتبعه جميع المقاصد لانه ما جمعهم على ما فيه فى تلك الارض القفر والاماكن الغبراء الا هو بقدرته الكاملة وهمم
وقوته الشاملة لا اسم شئ من الاصنام كما كانت الجاهلية تفعل فى ايام معلومات اى علم انها اول عشر فى ذى الحجة الذى يوافق اسمه
مسماه لا ما سموه به وسماه غيره على ما حكم به النسئ وفى هذا اشارة الى ان المراد به الاكثار اذ مطلق الذكر مندوب اليه
فى كل وقت وفى التعبير بالعلم اشارة الى الوجوب استفراغ الجهد بعد القطع بان الشهر ذو الحجة اسما ومسمى فى تحرير اوله واما ايام
التشريق فانها لما كانت مبنية على العلم بامر الشهر الذى امر به هنا فانتج العلم بيوم العيد لم يحتج فى امرها الى عزالعد
فلما عبر عنها به دون العلم ولما كانت النعم لا جل اموالهم قال تعالى مرغبا لهم ومرهبا على اى مبركين بذكره وحامدين
على ما رزقهم ولو شاء محقه من بهيمة ولما كانت البهيمة مبهمة فى كل ذات اربع فى البر والبحر بينها بقوله الانعام
من الابل والبقر والغنم بالتكبير عند رؤيته ثم عند ذبحه وفيه حث على التقرب بالضحايا والهدايا وكذلك التفت
الى الاقبال عليهم وتركيبهم بيد وعلى الاستعجام والخفاء والانغلاق وعدم التمييز وتركيبهم على الرفاهية والخفض
والدعة ولما ذكر سبحانه العبادة لخاطب بها ابرهيم عليه السلام تنبيها على انها لعظم المعبود لا يقوم لها
على وجهها الا الخلص اقبل على العابدين كلهم بالاذن فى ما يسر لهم من منحة التمتع تنبيها على النعمة حثا على الشكر
فقال مسببا عما اندرج من ذلك من الذبح فكلوا منها اى ان شئتم اذا طوعتم لها ولا تمتنعوا كاهل الجاهلية فالاكل من
التطوع به لا يخرجه عن كونه قربانا فى هذه الحنيفية السمحة منة على اهلها تشريفا لنبيها صلى الله عليه وسلم
والاكل من الواجب لا يجوز لمن وجب عليه لانه اذا اكل منه لم يكن مخرجا لما وجب عليه بكماله واطعموا البايس اى الذى
اشتد حاجته من بين كسيح اذا ساءت حاله وافتقر وبين انه من ذلك لا من بؤس لكرم الذى معناه اشتد فى الحرب بقوله
الفقير واكد هذا الحث من سواكن ونفى عنه الريب بقوله بعوده الى الاسلوب الاول فى قوله ثم ليقضوا اى يقطعوا وينهوا
يوم النحر بعد طول الاحرام تفثهم اى شعثهم بالغسل وقص الاظفار والشارب وحلق العانة ونحو ذلك وليوفوا
نذورهم اخذا من الفراغ من الامر والخروج من كل واجب وليطوفوا فكونه للاحرام الم وحث على الاكثار منه
والاجتهاد فيه بصيغة التفعل وعلى الاخلاص بالاخفاء بحسب الطاقة بالادغام واللامان ساكنتان كما هى قراءة
ابى عمرو وابن عامر وروس عن نافع وقنبل عن ابن كثير وروس عن يعقوب فى ليقضوا وقراءة ابن ذكوان عن ابن عامر وحده
فى ليوفوا وليطوفوا ويصح ان يكون للعلة عطفا على ليشهدوا ويكون عطفها باداة التراخى لطول المدة على ما هو مفهومها
مع الاشارة الى التعظيم فى الرتبة ويصح ان يكون للامر على قراءة الباقين بالاسكان وقوله بالبيت اى من ورائه ليعم الحجر
ومتى نقص عن اكمال الدوران حوله اذ فى جزء لم يصح لانه لم يوقع مسمى الطواف فلا تعلق بالباء فى التبعيض ووصفه
بقوله العتيق اشارة الى استحقاقه للتعظيم بالقدم والعتق من كل سوء ثم اشار الى تعظيم الحج واعماله هذه

بقوله

بقوله ذلك اى الامر الجليل العظيم الكثير المنافع دينى واخرى ذلك ولما كان التقدير فمن فعله سعد ومن انتهك شيئا
منه شقى عطف عليه قوله ومن يعظم اى بغاية جهده حرمات الله ذى الجلال والاكرام كلها من هذا وغيره وهى الامور التى
جعلها له تحث على فعلها او تركها اى التعظيم الحامل له على امتثال الامر فيها على وجهه واجتناب المنهى عنه كالطواف عريانا
والذبح بذكر اسم غير الله فهو كاين خير له عند ربه الذى اسدى اليه كل ما هو فيه من النعم فوجب عليه شكره فان ذلك يدل
على تقوى قلبه لان تعظيمها من تقوى القلوب وتعظيما للجلال الله وانتهاكها شر عليه عند ربه ولما كان التقدير
فقد حرمت عليكم اشياء ان تفعلوها واشياء ان تتركوها عطف عليه قوله بيانا لان الاحرام لم يؤثر فيها كما اثر فى الصيد
واحلت لكم الانعام وهى الابل والبقر والغنم كلها الا ما يتلى اى على سبيل التجديد مستمرا عليكم تحريمه من الميتة
والدم وما اهل لغير الله به خلافا للكفار فى افترائهم على الله بالتعبد بتحريم الوصيلة والبحيرة والسائبة والحامى
واحلال الميتة والدم ولما الهم ذلك تحليل السوايب وما معها وتحريم المذبوح للانصاب وكان سببه للكلية
الاوثان سبب عنه قوله فاجتنبوا اى بغاية الجهد اقتداء بالاب الاعظم ابرهيم عليه السلام الذى تقدم الايماء له
بمثل ذلك عند جعل البيت له مباءة الرجس اى القذر الذى من حقه ان يجتنب من غير امر بينة ومنه بقوله من الاوثان
فانه اذا اجتنب السبب اجتنب المسبب ولما كان ذلك كله من الزور واتبعه النهى عن جميع الزور وزاد فى
تشنيعه وتغليظه اذ عدله كما قال النبى صلى الله عليه وسلم بالشرك فقال واجتنبوا اى بكل اعتبار قول الزور
اى جميعه وهو الانحراف عن الدليل كالشرك المؤدى الى لزوم عجز الاله وتحريم ما لم ينزل الله به سلطانا من السائبة
وما معها وتحليل الميتة ونحوها مما قام الدليل السمعى على تحريمه كما ان الحنف الميل مع الدليل ولذلك اتبعه قوله
حنفاء لله الذى له الكمال كله فلا ميل فى شئ من فعله وانما كانا كذلك مع اجتماعهما فى مطلق الميل لان الزور
تدور مادته على القوة والوعورة والحنف كما مضى فى البقرة على الرقة والسهولة فكان الزور معرضا عن الدليل
بما فيه من الكثافة والحنيف مقبلا على الدليل بما له من اللطافة ولما افهم ذلك التوحيد اكده بقوله
غير مشركين به اى شيئا من اشراك بل مخلصين له الدين ودل على عظمة التوحيد وعلوه وفظاعة الشرك وسفوله
بقوله زاجرا عنه عاطفا على ما تقديره فمن امتثل ذلك اعلاه اعتداله الى الرفيق الاعلى ومن يشرك اى يوقع شيئا من الشرك
بالله الذى له العظمة كلها لشئ من الاشياء فى وقت من الاوقات فكانما خر من السماء لعلو ما كان فيه من اوج التوحيد
وسفول ما انحط اليه من حضيض الاشراك ولما كان الساقط من هذا العلو متقطعا لا محالة اما بسباع الطير
او بالوقوع على جلد عبر عن ذلك بقوله فتخطفه الطير اى قطعا بينهما وهو نازل فى الهوى قبل ان يصل الى الارض
او تهوى به الريح اى حيث لم يجد فى الهوا ما يمسكه فى مكان من الارض سحيق اى بعيد فى السفول فيتقطع حال
وصوله الى الارض بقوة السقطة وشدة الضغطة لبعد المحل الذى خر منه وزل عنه فالاية من الاحتباك خطف
الطير الملزوم المتقطع اولا دال على حذف التقطع ثانيا والمكان السحيق الملزوم لبلوغ الارض ثانيا دليل على حذف
ضده اولا ثم عظم ما تقدم من التوحيد وما هو مسبب عنه بالاشارة باداة البعد فقال ذلك اى الامر العظيم
الكبير ذلك فمن راعاه فاز ومن حاد عنه خاب ثم عطف عليه ما هو اعم من هذا المقدر فقال ومن ويجوز ان يكون
حالا اى اشير الى الامر العظيم والحال انه من يعظم شعاير الله اى معالم دين الملك الاعظم التى ندب اليها وامر
بالقيام بها فى الحج جمع شعيرة وهى المنسك والعلامة فى الحج والشعيرة ايضا البدنة المهداة الى البيت الحرام وقال
البغوى واصلها من الاشعار وهو اعلامها ليعرف انها هدى انتهى ولعله ماخوذ من الشعر انتهى لانها اذا جرحت
قطع شئ من شعرها او ازيل عن محل الجرح فيكون من الازالة وتعظيمها استحسانها فتعظيمها خير له لانه على تقوى قلبه فانها
اى تعظيمها من اى مبتدا من تقوى القلوب التى من شانها الشعور بما هو اهل لان يعظم فتعظيمها متق وقد علم بما ذكرته حق
الامر العام جاير للارادة انه حذف من هذه جملة الخبر ومن قوله ومن يعظم حرمات الله سبب كونه خيرا له وهو التقوى
ودل على ارادته هناك بذكره هنا وحذف هنا كون التعظيم خيرا ودل عليه بذكره هناك فقد ذكر فى كل جملة ما دل على
ما حذف من الاخرى كما تقدم فى قد كان لكم اية فى فئتين فى ال عمران وانه يسمى الاحتباك وتفسيرى للشعاير بما ذكرته من الامر
العام جاير للارادة ويكون اعادة الضمير على نوع منه نوعا من الاستخدام فقوله لكم فيها منافع ما للبدن والنعم المهداة
او مطلقا منافع بالدر والنسل والظهر ونحوه فكلما كانت سمينة حسنة كانت منافعها اكثر دينا ودنيا الى اجل
مسمى وهو الموت الذى قدرناه على كل نفس او النحر ان كانت مهداة او غير ذلك وهذا تعليل للجملة التى قبله فان المنافع
حاملة لذوى البصاير على التفكر فيها لا سيما مع تفاوتها والتفكر فيها موصل الى التقوى بمعرفة انها من الله وانه قادر
على ما يريد وانه لا شريك له ولما كانت هذه المنافع دنيوية وكانت منفعة نحرها اذا اهديت دينية اشار الى

تعظيم الثاني باداة التراخي فقال ثم محلها اي وقت حلول نحرها بانتهائكم بها الى البيت العتيق اي الى فنائه وهو الحرم كما
قال تعالى هديا بالغ الكعبة ولما كان التقدير جعل لكم سبحانه هذه الاشياء مناسك عطف عليه قوله ولكل امة
اي من الامم السالفة وغيرها جعلنا بعظمتنا التي لا ينبغي ان تخالف منسكا اي عبادة او موضع عبادة او قربانا فانه يكون مصدر
نسك كنصر وكرم نسكا ومنسكا ويكون بمعنى الموضع الذي يتعبد فيه والذي يذبح فيه النسك وهو الهدي وقال ابن كثير ولم
يزل ذبح المناسك واراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل ثم اتبع هذا الجعل علته بيانا لانه ليس مقصودا في نفسه
فقال ليذكروا ولما كان الدين سهلا سمحا ذا يسر رضي بالدخول فيه بالظاهر فقال اسم الله اي الملك الاعلى وحده على ذبا
وقرابينهم وعباداتهم كلها لانه الرزاق لهم وحده ثم علل الذكر بالنعمة تنبيها على التفكر فيها فقال على ما رزقهم فوجب شكره
به عليهم من بهيمة الانعام ولما علم ان الشارع لجميع الشرائع الحقة واحد وان علة نصبه لها ذكره وحده تسبب عنه
قوله فالهكم اي الذي شرع هذه المناسك كلها ولما كان الاله ما تحق له الالهية بما تفرد من اوصافه لا ما سمي الها قال
اله ووصفه بقوله واحد اي وان اختلفت فروع شرائعه ونسخ بعضها بعضا ولو اقتصر على واحد لربما قال متعنتهم ان
المراد اقتصارا على واحد مما تعبدهم والتفت الى الخطاب لانه اصرح واجدر بالقبول ولما ثبت كونه واحدا وجب
اختصاصه بالعبادة فلذا قال فله اي وحده اسلموا اي انقادوا بجميع ظواهركم وبواطنكم في كل ما امر به او نهى عنه ناسخا
كان او لا وان لم تفهموا معناه كافعال مناسك الحج ولما امر بالاسلام من يحتاج الى ذلك ايجادا او تكميلا او ادامة
وكان الاسلام موسهولة الانقياد من غير كبر ولا سماحة وكان منشا الطمانينة والتواضع اللذين هما انسب شي لحال الحاج المتجرد
من المخيط المكشوف الراس الطالب لوضع اوزاره وتخفيف اصاره لستر عواره اقبل سبحانه على الراس من المامورين الحائز
لما يمكن المخلوقين ان يصلوا اليه من رتب الكمال وخلال الجمال والجلال اشارة الى انه لا يلحقه احد في ذلك فقال وبشر
المخبتين اي المتواضعين المنكسرين من الخبت للارض المنخفضة الصالحة للاستطراق وغيره من المنافع ثم بين علاماتهم
فقال الذين اذا ذكر الله اي الذي له الجلال والجمال وجلت اي خافت خوفا مزعجا قلوبهم ولما كان في ذكر الحج
وكان ذلك مظنة لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الانكاد ولاسيما وقد كان اكثر المخالطين مشركين لان السورة مكية قال عاطفا
غير متبع ايذانا بالرسوخ في الاوصاف والصابرين الذين صار الصبر عادتهم على ما اصابهم كائنا ما كان ولما كان
ذلك شاغلا عن الصلاة قال والمقيمي الصلاة اي وان حصل لهم من المشاق بافعال الحج وغيره ما عسى ان يحصل ولذلك عبر بالوصف دون
الفعل اشارة الى انه لا يقيمها على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل الا راسخ في حبها فهم لما تمكن من حبها في قلوبهم والخوف
من الغفلة عنها كانهم دائما في صلاة ولما كان ما يحصل فيه من زيادة النفقة ربما كان مقعدا عنه رغب فيه بقوله ومما
رزقناهم لكونه نعمة منا لا بحولهم ولاجل عظمتنا يحسنون ظن الخلف ينفقون اي يجددون بدله على الاستمرار بالهدايا
التي يغالون في اثمانها وغير ذلك احسانا الى خلق الله امتثالا لا لامر كالحب الباذل لما يودعه تعالى فيه من الماء والمرعى ولما
قدم سبحانه الحث على التقرب بالانعام كلها وكانت الابل اعظمها خلقا واجلها في انفسهم امرا خصها بالذكر في سياق تكون فيه
مذكورة مرتين معبرا بالاسم الدال على عظمها او انه خصها لانه خص العرب بها دون الامم الماضية فقال عاطفا على قوله جعلنا
منسكا ويكون التقدير والله اعلم فاشركناكم مع الامم الماضية في البقر والغنم والبدن اي الابل المعروفة بعظم الابدان
جعلناها اي بعظمتنا وزاد في التذكير بالعظمة بذكر الاسم الاعظم فقال لكم من شعائر الله اي اعلام دين الملك الاعظم ومناسكه
التي شرعها لكم وشرع فيها الاشعار وهو ان يطعن بحديدة في سنامها تمييزا لما يكون منه هديا عن غيره ولما نبه على
ما فيها من النفع الديني نبه على ما هو اعم منه فقال لكم فيها خير بالتسخير الذي هو من منافع الدنيا والتقرب الذي هو من منافع
الاخرة روى الترمذي وحسنه وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن ادم يوم
النحر عملا احب الى الله من هراقة الدم وانه ليؤتى يوم القيمة بقرونها واظلافها واشعارها وان الدم ليقع من الله بمكان
قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا وللدارقطني في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما انفقت الورق في شي افضل من نحيرة في يوم عيد ولما ذكر ما فيها سبب عنه الشكر فقال فاذكروا
اسم الله اي الذي لا سمي له عليها اي على ذبحها بالتكبير حال كونها صواف قياما معقلة الايدي اليسرى فلولا تعظيمه
بامتثال شرائعه ما شرع لكم ذبحها وسلطكم عليها مع انها اعظم جرما منكم واقوى فاذا وجبت جنوبها اي سقطت سقوطا
بردت به بزوال ارواحها فلا حركة لها اصلا قال ابن كثير وقد جاء في حديث مرفوع ولا تعجلوا النفوس ان تزهق وقد رواه
الثوري في جامعه عن ايوب عن يحيى بن ابي كثير عن فرافصة الحنفي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ذلك ولما
كان ربما ظن انه يحرم الاكل منها للامر بتقربها لله قال نافيا لذلك فكلوا منها اي اذا كانت تطوعا ان شئتم الاكل فان
ذلك لا يخرجها عن كونها قربانا واطعموا القانع اي المتعرض للسؤال بالخضوع والانكسار والمعتر اي السائل وقيل بالعكس

وهو

وهو قول الشافعي رحمه الله قال في كتاب اختلاف الحديث والقانع هو السائل والمعتر هو الزائر والمار قال الرازي في
اللوامع واصله في اللغة ان القاف والنون والعين يدل على الاقبال على الشي ثم تختلف معانيه مع اتفاق القياس فالقانع
السائل لاقباله على من يساله والقانع الراضي الذي لا يسال كانه مقبل على الشي الذي هو راض به ولما كان تسخير
مثل هذا الفعل على هذه الكيفية مع قوتها وكبرها امرا باهرا للعقل عند التامل نبه عليه بالتحريك للسؤال عما
هو اعظم منه فقال كذلك اي مثل هذا التسخير العظيم المقدار سخرناها بعظمتنا التي لولاها ما كان ذلك لكم وذللناها
لبلادتها مع عظمها وقوتها ولو شئنا جعلناها وحشية لعلكم تشكرون اي لتتاملوا ذلك فتعرفوا انه ما قادها
لكم الا الله فتكونوا لكم حال من يرجى شكره فتوقعوا الشكر بان لا تحرموا منها الا ما حرم ولا تحلوا الا ما احل وتهدوا
منها ما حث على اهدائه وتتصرفوا فيها بحسب ما امركم حث على التقرب بها مذكورا اسمه عليها وكان ذلك
من مكارم الاخلاق وكان كثير يفعله وكانوا ينضحون في البيت ونحوه بدماء قرابينهم ويشرحون اللحم ويضعونه حوله
زاعمين ان ذلك قربة وقد كان بعض ذلك شرعا قديما نبه سبحانه على نسخ ذلك بان نبه على ان المقصود منه روحه
لا صورته فقال لن ينال اي يصيب ويبلغ ويدرك ولما كان السياق للحث على التقريب له سبحانه كان تقديم اسمه
على الفاعل انسب للاسراع بنفي ما قد يتوهم من لحاق نفع او ضر فقال معبرا بالاسم العلم الذي حمي عن الشركة بكل اعتبار
الله اي رضى الملك الذي له صفات الكمال فلا يلحقه نفع ولا ضر لحومها الماكولة ولا دماؤها المهراقة ولكن
يناله التقوى اي عمل القلب وهي الصفة المقصودة لها ان تقي صاحبها سخط الله وهي التي استولت على قلبه حتى حملته
على امتثال الاوامر التي هي وقايات لذلك الكائنة منكم الحاملة على التقرب التي لها يكون له روح القبول المحصلة
للمامول قال الرازي في اللوامع وهذا دليل على ان النية الخالصة خير من الاعمال الموطنة انتهى فاذا النية سبحانه
النية قبل العمل فتلقي اللقمة قربانا كما ترى في احدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل ويقع الدم منه بمكان فالنفي لصورة
لا روح لها والاثبات لذات الروح فقد تفيد النية من غير عمل كما قال صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ما معناه ان
بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم فيه حبسهم العذر ولا يفيد العمل بغير نية والنية
هي التي تفيد الجزاء سرمدا والله الموفق ثم كرر التنبيه على عظيم تسخيرها منبها على ما اوجب عليهم به فقال كذلك اي
التسخير العظيم سخرها اي الله الجامع لصفات الكمال لكم بعظمته وغناه عنكم لتكبروا ذكر التكبير صورة
بالاسم الاعظم فقال الله وضمن التكبير فعل الشكر فكان التقدير شاكرين له على ما هداكم اي على هدايتكم له وللامور العظيمة
التي هداكم اليها ولما كان الدين لا يقوم الا بالبشارة والنذارة وكان السياق لاجل ما تقدم من شعائر الحج ومعالم الحج
والنحر بالبشارة التي ذكرها مشيرا الى النذارة بواو العطف ليؤذن ان التقدير فانذر ربما الداعي المسيئين وبشر المحسنين
اي الذين اوجدوا الاحسان لافعالهم صورة ومعنى ولما ذكر سبحانه الحج المذكر للمهاجرين ما وطنهم بعد المخاصمة التي انزلت في غزوة
بدر وذكر ما يفعل فيه من القربات عظم اشتياق النفوس الى ذلك وتذكرت علو المشركين الذين يصدون عن سبيل الله والمسجد
الحرام وظهورهم ومنعهم لمن اراد هذه الافعال على هذه الاوصاف الخالصة والاحوال الصالحة وقيامهم له فاجابهم سبحانه
عن هذا السوال بقوله ان الله اي الذي لا كفوء له يدفع عن الذين امنوا لانهم بدخولهم في الايمان لم يكونوا مبالغين في الخيانة
ولا في الكفر فهو يحبهم فكيف بالمحسنين الذين ختمت بهم الاية السالفة اي فيظهرهم على عدوهم هذا في قراءة ابن كثير وابي عمرو
ويعقوب بغير الف وفي قراءة الباقين مبالغة باخراج الفعل على المبالغة فكانه قال بشرهم بان الله يدفع عنهم ولكنه تعالى
اظهر الاوصاف ليفهم انها مناط الاحكام وللتعميم فعبر بالفعل الماضي ترغيبا اي كل من اوقع هذا الوصف في الخارج ايقاعا
ما دفع عنه ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الذي له صفات الكمال لا يحب اي لا يكرم كما يفعل المحب كل خوان في امانته
مانع لعباده من بيته الذي هو للناس سواء العاكف فيه والبادي كفور لنعمته بالتقرب الى غيره فهو يفعل مكارم الاخلاق
صورة ليس فيها معنى اصلا لا يصححها ذكر الله وحده ولا يجملها بالاحسان واتى بالصفتين على صيغة المبالغة لان نقائص الانسان
لا يمكنه ان يفعلها خالية عن المبالغة لانه يخون نفسه بالعزم اولا والفعل ثانيا وغيره من الخلق ثالثا وكذا يخون ربه
سبحانه وهكذا في الكفر وغيره ولما كانت الخيانة منبع النقائص كانت المبالغة فيها اكثر ولما كان كانه قد
قيل كيف تكون المدافعة وبمن فقيل بعباده المومنين عبر عن ذلك بقوله اذن واشار بقراءة من بناه للمجهول الى سهولة ذلك عليه
سبحانه للذين يقاتلون اي الذين فيهم قوة المدافعة في المدافعة بالقتال بعد ان كانوا يمنعون منه بمكة ويومرون
بالصفح ثم ذكر سبب الاذن فقال بانهم ظلموا اي وقع ظلم الظالمين لهم بالاخراج من الديار والاذى بغير حق
كان التقدير فان الله اراد اظهار دينه بهم عطف عليه قوله وان الله اي الذي هو الملك الاعلى وكل شي في قبضته وجود
عطفه على قوله ان الله يدفع اي باذنه لهم في القتال وانه على نصرهم وابلغ في التاكيد لاستبعاد النصر اذ ذاك بما للكفار

من الكبر والقوة وللمؤمنين من الضعف والقلة فقال لقدير ثم وصفهم بما بين مظلوميتهم على وجه يحببهم ويوثقهم بالله فقال
الذين اخرجوا من ديارهم الى الشعب والحبشة والمدينة بغير حق اوجب ذلك الا ان يقولوا اي غير قولهم او الا قولهم ربنا
الله المحيط بصفات الكمال الموجب لاقرارهم في ديارهم وحبهم ومدحهم واقتفاء آثارهم فهو من باب ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وفي سوقه كذلك مساق الاستثناء عند من يجعله منقطعا اشارة الى
ان من اخلص لله صوّب الناس اليه سهام مكرهم ولم يدعوا في اذاه شيئا من جهدهم ولما ذكر مدافعته وذكرها
بالمؤمنين بين سرها عموما ليفهم منها هذا الخاص وصورها تقريبا لفهمها فقال عاطفا على ما تقديره فلولا اذن الله لهم لكان
الشرك ظاهرا والباطل باستيلاء الجهلة على مواطن الحج قاهرا ولولا دفع الله اي المحيط بكل شيء علما وقدرة في كل شريعة هم
ونبي من كل نبي له رسله الناس اي عموما بعضهم ببعض اي بتسليط بعضهم على بعض لهدمت صوامع وهي معابد صغار
مرتفعة للرهبان وبيع للنصارى وصلوات اي كنائس لليهود ومساجد اي للمسلمين اخرها لتلوّن بعيدة من الهدم
قريبة من الذكر يذكر فيها اسم الله اي الملك الذي لا ملك غيره ولعل العدول عن الاضمار الى الاظهار للاشارة الى اختلاف
ذكره تعالى في الاماكن المذكورة بالاخلاص وغيره كثيرا لان كل فرقة تريد هدم ما للاخرى بل ربما اراد بعض اهل ملة اخراب بعض
معابد اهل ملته فيدفعه الله بمن يريد من عباده واذا تاملت ذلك وجدت فيه من الاسرار ما يدق عن الافكار فانه تعالى لما اذن
باكثار الناس الفساد نصب لهم من الاضداد ما يخفف كثيرا من العناد ولما كان التقدير ولكن لم تهدم المذكورات لان الله
دفع بعضهم ببعض وجعل بعضهم في نحور بعض عطف عليه او على قوله اذن ولينصرن الله اي الملك الاعظم واظهر وكرر
تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال من ينصره كائنا من كان منهم ومن غيرهم بما يهيئ له من الاسباب اجراه على الامر المعتاد
وبغير اسباب خرقا للعادة كما وقع في كثير من الفتوحات كخوض العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه البحر الملح الى جوانا بالبحرين واقتحام
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الدجلة مع عظمها في ذلك العام وطموها وزيادتها وعلوها وزلزلة اسوار حمص بالتكبير
وتهدم كثير من بيوتها على اتقان بنيانها واحكام قواعدها واركانها ونحو ذلك ثم علل نصره وان ضعف المنصور بقوله
ان الله اي الذي لا كفؤ له لقوي اي على ما يريد عزيز لا يقدر احد على مغالبته ومن كان ناصره فهو المنصور وعدوه المقهور
ولقد صدق سبحانه فيما وعد به فاذل بانصار دينه رضي الله عنهم جبابرة اهل الارض وملوكهم ومن اصدق من الله حديثا ولما
وصف نفسه سبحانه بما يقتضي تمكين منصوره الذي ينصره وصفهم بما بين انما لهم لا لهوى بعد ان وصفهم بانهم اوذوا بالاخراج
من الديار الذي يعادل القتل فقال الذين ولما كان وقت النصر منهما اخره بيوم الفصل عبر باداة الشك ليكون ذلك آية
على الاخلاص المخلص في القتال فقال ان مكناهم بما لنا من العظمة في الارض باعلائهم على اضدادهم اقاموا الصلاة التي هي عماد الدين
الدالة على المراقبة والاعراض عن تحصيل الفاني واتوا الزكاة المؤذنة بالزهد في الحاصل منه المؤذن بتحمل النفس للرحيل
وامروا بالمعروف وهو ما عرفه الشرع واجازه ونهوا عن المنكر المعرف بانه لا انس لهم الا به سبحانه ولا خوف لهم الا منه
ولا رجا الا فيه والآية دالة على صحة خلافة الائمة الاربعة ولما كان هذا ابتدا الامر بالجهاد وكان عقب
ما ادى عداوة اوليائه فطال دابهم لهم فكان التقدير كما ارشد اليه العطف على غير مذكور عطفا على ولولا دفع فلله
بادية الامور عطف عليه قوله ولله اي الملك الاعلى المحيط بكل شيء عاقبة الامور فيمكنهم كان لا محالة لكرة كرها
وطيه للبادية منبه على انه تعالى يجعل للشيطان كما هو المشاهد في الاغلب حظا في البادية ليتبين الصادق من الكاذب
والمزلزل من الثابت واما العاقبة فهي متمحضة له الى ان لا يكون لاحد ذلك العاقبة التي لا يكون لاحد فيها امر حتى انه لا ينطق احد
الا باذن خاص ولما كان في ترغيب هذه الآيات وترهيبها ما يعطف العاقل ويقصف الجاهل طوى حكم العاقل لفهمه مما
سبق وهو فان يؤمنوا ابك مكناهم في الارض ودل عليه بعطف حكم الجاهل على غير مذكور في سياق يسلي به نبيه صلى الله
عليه وسلم ويعزيه ويؤنسه ويوبيه فقال وان يكذبوك اي احزنهم وان كانوا امكن الناس فقد فعلت بمن قبلهم ذلك
فلا يحزنك امرهم فقد كذبت واتى سبحانه بتاء التانيث تحقيرا للمكذبين في قدرته وان كانوا اشد الناس ولما
كانت هذه الامم لعظمهم وتمادي ازمانهم كانهم قد استغرقوا الزمان كله لم يات بالجار فقال قبلهم قوم نوح وكانوا اطول
الناس اعمارا واشدهم اقتدارا ولما لم يتعلق في هذا السياق غرض بالمخالفة في ترتيبهم ساقهم على حسب ترتيبهم
في الوجود فقال وعاد اي ذوو الابدان الشداد وثمود اولو الابنية الطوال في السهول والجبال وقوم ابرهيم
المتجبرون المتكبرون وقوم لوط الانجاس بما لم يسبقهم اليه احد من الناس واصحاب مدين اربابا الاموال المجموعة من
خزائن الضلال ولما كان موسى عليه السلام قد اتى من الآيات المرئية المسموعة بما لم يات بمثله احد ممن تقدمه فكان
تكذيبه في غاية من البعد غير سبحانه الاسلوب تنبيها على ذلك وعلى ان الذين اطبقوا على تكذيبه القبط واما قومه فما
كذبه منهم الا اناس يسير فقال وكذب موسى وفي ذلك ايضا تعظيم للتاسية فقال ثم اخذتهم ونبه سبحانه وتنجيم للتسلية

فامليت للكافرين اي تسبب عن تكذيبهم اني امهلتهم بتاخير عقوبتهم الى الوقت الذي ضربته لهم وعبر عن طول الاملا
باداة التراخي لزيادة التاسية فقال ثم اخذتهم ونبه سبحانه على انه كان في اخذهم عبر وعجائب واهوال وغرائب
بالاستفهام في قوله فكيف كان نكير اي انكاري لافعالهم فليحذر هؤلاء الذين اتيتهم باعظم ما اتى به رسول قومه مثل
ذلك ولما كانت هذه الامم السبعة اكثر اهل الارض بل كانت امة منهم اهل الارض كما مضى بيانه في الاعراف فكيف
بمن عداهم ممن كان في ازمانهم وبعدهم واخبر سبحانه ان عادته فيهم الاملاء ثم الاهلاك تسبب عن ذلك تهويل الاخبار
عنهم وتكثيرهم فقال تعالى شارحا للاخذ والاهمال على طريق النشر المشوش فكاين من قرية اهلكناها كهؤلاء المذكورين وغيرهم
وفي قراءة الجماعة غير ابي عمرو بالنون اظهار للعظمة وهي اي والحال انها ظالمة فهي فتسبب عن اهلاكها انها خاوية اي
متهدمة ساقطة اي جدرانها على عروشها اي سقوفها بان تقصفت الاخشاب اولا من كثرة الامطار وغير ذلك من الاسرار
فسقطت ثم سقطت عليها الجدران او المعنى خالية قد ذهبت ارواح اربابها بذهاب سكانها على بقاء سقوفها ليست بمحتاجة
الى غير السكان وكم من بئر معطلة من اهلها مع بقاء بنائها وفوران مائها وقصر مشيد اي عال متقن محصن لانه لا يشيد
اي يحصن الا الذي يقصد رفعه خلت القصور من اربابها وافتقرت موحشة من جميع اصحابها بعد كثرة التضام في نواديها
وعطلت الابار من ورادها بعد الازدحام بين رائحها وغاديها دانيه ونائيه حاضره وباديه ولما كان جزا
المشيد وهي من اركانه ويخلق من جدرانه لم يحسن التشديد في وصف القصر كما حسن في وصف البير ولما كان هذا
واعظا لمن له استبصار وعاطفا له الى العزيز الغفار تسبب عنه الانكار عليهم في عدم الاعتبار ركضا في اسفارهم التي كانوا
يرون فيها هذه القرى على الوجه الذي اخبر به سبحانه لما كانت على غير ذلك الوجه عدما فقال تعالى افلم يسيروا اي
في الارض اي وهم بصراء ينظرون باعينهم ما يمرون عليه من الآيات المرئية من القرى الظالمة المهلكة وغيرها وقرينة الحث
على السير دال على البصر ولما كان الجواب منصوبا علم انه منفي لانه مسبب عن همزة الانكار التي معناها النفي وقد دخلت
على نفي السير فنفته فاثبتت السير عريا عما افاده الجواب وهو قوله فتكون اي فيتسبب عن سيرهم ان تكون لهم قلوب
واعية يعقلون بها ما راوه بابصارهم في الآيات المرئيات من الدلالة على وحدانية الله تعالى وقدرته على الاحيا والاماتة
متى اراد فيعتبروا به فانتفا القلوب الموصوفة متوقف على انتفاء نفي السير الذي هو اثبات السير وكذا الكلام في الاذان
من قوله او اي او تكون لهم ان كانوا عمي الابصار كما دل عليه حمل هذا تتميما اذان يسمعون بها الآيات المسموعة المرجحة
عن تلك القرى وغيرها ان كانت بصائرهم عريا عن الفهم بمجرد الرؤية فيتدبروها بعقولهم فانه لا يضرهم فقد الا
عند وجود البصاير ولما كان الضلال للانسان انما هو عمى البصاير دون الابصار نفى العمى اصلا عن الابصار لعدم ضرره
مع انارة البصاير وخصه بالبصاير لوجود الضرر به ولو وجدت الابصار مسببا عما مضى مع ما ارشد اليه من التقدير
فقال فانها لا تعمى الابصار اي لعدم الضرر بعماها للمستنير البصيرة ولكن تعمى القلوب واكد المعنى بقوله التي في الصدور
لوجود الضرر بعماها المبطل لمنفعة صاحبها وان كان البصر موجودا فاحتيج في تصوير عماها الى زيادة تعيين لما تعورف
من ان العمى انما هو للبصر اعلاما بان القلوب ما ذكرت غلطا بل عمدا تنبيها على ان عمى البصر عدم بالنسبة الى عماها والمراد
بالقلب لطيفة ربانية روحانية مودعة في اللحم الصنوبري المودع في الجانب الايسر من الصدر لها به تعلق حير عقول
الاكثر في دراك انه هل يضاهي تعلق العرض بالجسم او الصفة بالموصوف او المتمكن بالمكان وهذه اللطيفة
هي حقيقة الانسان سميت قلبا للمجاورة والتعلق وهي كالفارس والبدن كله كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس
من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين بالآخر فلذلك نفى عمى الابصار اصلا وراسا لتلاشي ضرره بالنسبة الى عمى البصاير
ولما قدم سبحانه ان الضال المضل له خزي في الدنيا وقدم انه يدفع عن الذين امنوا وينصرهم وساق الدليل على
الدليل الشهودي على ذلك لمن كان جامد الفهم معتبرا بالوهم بالقرى الظالمة التي انجز هلاكها وختم بانكار عماهم
عن ظاهر الآيات البينات قال عاطفا على ومن الناس من يجادل معجبا منهم وموضحا لعماهم ويستعجلونك ويجوز وهو
احسن ان يكون هذه الجملة حالا من فاعل يسيروا فيكون مما انكر عليهم بالعذاب الذي يتوعدهم به تكذيبا واستهزاء
والحال انه لن يخلف الله الذي لا كفؤ له وعده فلا بد من وقوعه لكن الطول عندهم من الزمن قصير عنده وقد ينجز الوعد
وقد يؤخر بعد الوعد الى حين يوما واقل او اكثر لان قضاءه سبق انه لا يكون الا في اجل يظهر ها المرتاب من عباده وان
يوما اي واحدا عند ربك اي المحسن اليك بتاخير العذاب عنهم اكراما لك كالف سنة ولما كان المقصود
هنا التطويل عبر بالسنة تنبيها عليه وكانت السنون قد تختلف قال مما تعدون لانا بامكم تناسب اوهامكم
وازمانكم تناسب شانكم وهو حليم لا يستطيل الزمان وقادر لا يخاف الفوت ولما دل على نصر اوليائه وقهر
اعدائه بشهادة تلك القرى وختم بالتعجيب من استعجالهم مع ما شاهدوا من اهلاك امثالهم واعلمهم ما هو عليه من الاناة

واتساع العظمة وكبر المقدار عطف على فكاين من قرية اهلكناها بعد طول امهالها قوله وكاين من قرية اي من اهلها املت لها اي امهلتها كما امهلتكم وهي ظالمة كظلمكم بالاستعجال وغيره ثم اخذتها اي بالعذاب والي المصير بانقطاع كل حكم دون حكمي كما كان مني البدء فلم يقدر احد ان يمنع من خلق ما اردت خلقه ولا ان يخلق ما اراد خلقه فلا تغتروا بالامهال وان تمادت الايام والليال واحذروا عواقب الوبال وان بلغتم ما اردتم من الآمال ولعله انما طوى ذكر البدء لانه احتجب فيه بالاسباب فغلب فيه اسمه الباطن ولذلك ضل في هذه الدار اكثر الخلق وتوقفوا مع الاسباب ولما كان الاستعجال لا يطلب الا من الرسول وكان لا اخبار باستهزائهم وشدة عماهم ربما اوهم الاذن في الاعراض عنهم اصلا ورأسا قال سبحانه وتعالى مزيلا لذلك منبها على ان مثله انما يطلب من المرسل لا من الرسول قل اي لهم ولا يصدنك عن دعائهم ما اخبرناك به من عماهم يا ايها الناس اي جميعا من قومي وغيرهم انما انا لكم نذير اي وبشير وانما طواه لان المقام للتخويف ويلزم منه الامن للمنتهي فيأتي البشارة ولان النذارة هي المقصود الاعظم من الدعوة لانه لا يقدم عليها الا المؤيدون بروح من الله مبين اي لكل ما ينفعكم لتلزموه ويضركم لتتركوه لا انه اعجل لكم العذاب ثم تسبب عن كونه مبينا العلم بان وصف البشارة مراد وان طوي فدل عليه سبحانه بقوله تفصيلا لاهل البشارة والنذارة فالذين آمنوا اي اقروا بالايمان وعملوا اي تصديقا لدعواهم ذلك الصالحات لهم مغفرة لما فرط منهم من التقصير لانه لن يقدر احد ان يقدر الله حق قدره ولما كان هذا اول الاذن في القتال الموجب لمنابذة الكفار ومهاجرة الاهل والاموال والديار وكان ذلك مع كونه في غاية المشقة موجبا للفقر عادة قال محققا له ومنبها على انه سبب الرزق ورزق اي في الدنيا بالغنائم وغيرها والآخرة بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كريم لا خسة فيه ولا دناءة بانقطاع ولا عزة اصلا ما داموا على الانصاف بذلك هذا فعله بهم فهو عكس ما وصف به مدعوا الكفار من انه ضره اقرب من نفعه ولما كان في سياق الانذار قال معبرا بالماضي زيادة في التخويف والذين سعوا اي وبغوا السعي ولو مرة واحدة بشبهة من الشبه ونحوها في آياتنا اي التي نصبناها لله الدالة علينا مرئية او مسموعة معاجزين اي مبالغين في فعل ما يلزم في زعمهم منه عجزنا ومعجزين اي معتقدين انهم يعجزوننا باخفاء آياتنا واضلال الناس وصدهم عنها بالقاء الشبه والجدال اتباعا للشيطان المريد من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير كشبه الاتحادية الذين راج امرهم على كثير من الناس مع انه لا شيء اوهى من شبههم ولا اظهر بطلانا ولذلك راج امرها على اهل الغباوة فان الداعية منهم يقول لمن يغره هذا الظاهر من الكلام لا يقول به عاقل فالمراد به اسرار دقيقة وراء طور العقل لا يصل اليه الا بالرياضة والكشف وما درى المغرور ان ابا طالب كان اعقل من هذا الذي ينسب اليه ذلك الهذيان الظاهر فان شعره احسن من شعره وبديهته اعظم من بديهته وروينه احكم من رويته وقد راى من الآيات من النبي صلى الله عليه وسلم ما لا مزيد عليه مع ماله من القرابة ما هو معروف ومن المحبة ما يفوت الحصر ومع ذلك فقد اصر من الضلال على ما لا يرضاه حمار لو نطق على ان هذا المغرور وقد لزمه بتحسين الظن بهؤلاء الكفار اساءة الظن باشرف الخلق النبي صلى الله عليه وسلم في قوله من راى منكرا الحديث الذي في بعضه وابانه وليس وراء ذلك اي الانكار بالقلب مثقال حبة من ايمان وقد افردت لبيان ضلالهم كتبا لما استطار من شررهم ومس من ضررهم منها المطول والمختصر لا مزيد على بيانها وظهور سلطانها اولئك البعداء البغضاء اصحاب الجحيم استحقاقا بما سعوا فان شاء تاب عليهم وان شاء كبهم فيها ليعلموا انهم هم العاجزون هذا في الآخرة وسيظهر سبحانه في الدنيا ايضا عجزهم بكشف شبههم وحج القلوب النيرة لها مع ذلهم وانكسارهم وهوانهم وصغارهم حتى لا يقدروا ان ينطقوا من ذلك بحيث شغفة علمائهم ان مثلها لا يقوله عاقل ولما لاح من ذلك ان الشيطان القى للكفار شبها يعاجزون بها جدالهم في دين الله الذي امر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم باظهاره وتقريره واشهاره عطف عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم قوله وما ارسلنا اي بعظمتنا من قبلك ثم اكد الاستغراق بقوله من رسول اي من ملك او بشر بشريعة جديدة يدعوا اليها ولا نبي سواء كان رسولا او لا مقررا بالحفظ لشريعة سابقة كذا قال النسفي وغيره في الرسول وهو مدخول في عدة آيات منها بانبياء بني اسرائيل الذين بين موسى وعيسى عليهم السلام فان الله تعالى سماهم رسلا في غير آية منها ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل فالصواب ان يقال النبي انسان اوحي اليه بشرع جديد او مقرر فان امر بالتبليغ فرسول ايضا والتقييد بشرع لاخراج مريم وغيرها من الاولياء الا اذا تمنى اي تلا على الناس ما امره الله به او حدثهم به واشتهى في نفسه ان يقبلوا حرصا منه على ايمانهم شفقة عليهم القى الشيطان في امنيته اي ما تلاه او حدث به واشتهى ان يقبل من الشبه والتخيلات ما يتوقفه منه اولياؤه فيجادلون به اهل الطاعة ليضلوهم وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا كما يفعل هؤلاء فيما يعترون به في وجه الشريعة اصولا وفروعا من قولهم ان القرآن شعر وسحر وكهانة وقولهم لو شاء الله ما اشركنا وقولهم هؤلاء شفعاؤنا وقولهم ان ما قتله الله بالموت حتف انفه اولى بالاكل مما ذبحتم

وقولهم نحن اهل الله وسكان حرمه لا نخرج من الحرم فنقف في الحج بالمشعر الحرام ونقف الناس بعرفة ونحن نطوف في ثيابنا وكذا من ولدناه واما غيرنا فلا يطوف الا عريانا ذكرا كان او انثى الا ان يعطيه احد منا ما يلبسه ونحو ذلك مما يريدون ان يطفئوا به نور الله وكذا ما ولات الباطنية والاتحادية وانظارهم التي الحدوا فيها يضل بها من يشاء الله ثم يمحوها بمن اراد من عباده وما اراد من امره فينسخ اي فيتسبب عن القائه انه ينسخ الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما ما يلقي الشيطان ولما كان ابطاله سبحانه للشبه انما لا بحكام لا يتطرق اليه بعلو رتبته فيبطله بايضاح امره وبحج القلوب له قال مشيرا الى ذلك وجلالة ثم يحكم الله اي الملك الذي لا كفوء له آياته اي يجعلها جلية فيما اريد منها وادل بيانه شبهه اصلا عبر باداة التراخي فقال دليل على ان هذا هو المراد مع الافتتاح بالمعاجزة في الآيات الحامل بقوله عطفا على ما تقديره فالله على ما يشاء قدير والله اي الذي له الامر كله عليم اي بتلقي الشبه حكيم بايراد الكلام على وجه لا يؤثر فيه عند من له ادنى بصيرة وكذا ما قضى في السورة ويأتي من ذكر الجدال ذكر سبحانه ما حكم به من تمكين الشيطان من هذا الالقا ذكرا العلة في ذلك فقال ليجعل ما يلقي الشيطان اي في المتلو والمحدث به من تلك الشبه في قلوب اوليائه فتنة اي اختبارا وامتحانا للذين في قلوبهم مرض لسفولها عن حد الاعتدال من اللين حتى صارت مائية تقبل كل صورة ولا تثبت فيها صورة وهم اهل النفاق المتلقفون للشبه الملقنون لها والقاسية قلوبهم عن فهم الآيات وهم من علت قلوبهم عن ذلك الحد الى ان صارت حجرية وهم المصارحون بالعداوة فهم في ريب من امرهم وجدال للمؤمنين قد انتقشت فيها الشبه فصارت ابعد شيء عن الزوال ولما كان التقدير فانهم حزب الشيطان واعداء الرحمن عطف عليه وانهم هكذا الاصل ولكنه اظهر تنبيها على وصفهم فقال وان الظالمين اي الواضعين لاقوالهم وافعالهم في غير مواضعها كفعل من هو في الظلام لفي شقاق اي خلاف بكونهم في شق غير شق حزب الله بمعاجزتهم في الآيات بتلك الشبه التي تلقوها من الشيطان وجادلوا بها اولياء الرحمن بعيد عن الصواب ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون وليعلم الذين اوتوا العلم باتقان حججه واحكام براهينه وضعف شبه المعاجزين وبنى فعله للمجهول تعظيما لثمرته في حد ذاته لا بالنسبة الى معط معين انه اي الشيء الذي تلوته او حدثت به الحق اي الثابت الذي لا يمكن زواله من ربك اي المحسن اليك بتعليمك اياه فانا لحق كلما جودل اهله ظهرت حججه واسفرت وجوهه وصحت براهينه وعمرت حججه كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فيؤمنوا به لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من ضعف تلك الشبه فتخبت اي تطمئن وتخضع له قلوبهم وتسكن به نفوسهم فان الله جعل فيها السكينة فجعلها زجاجية صلبة صافية رقيقة بين المائية والحجرية نافعة بفهم العلم وحفظه والهداية به لمن يقبل عنهم من الطالبين كما ينفع الحب بقبول طائفة منه لطائفة من الماء وابقاء ما يقدره الله من الكلا وغيره وحفظ طائفة اخرى لطائفة اخرى منه لشرب الحيوان ولما كان التقدير فان الله اسكن قلوبهم الخشية لما وهبهم من العلم عطف عليه قوله وان الله بجلاله وعظمته لهاديهم ولكنه اظهر تنبيها على سبب العلم فقال لهادي الذين آمنوا في جميع ما يلقيه اولياء الشيطان الى صراط مستقيم يصلون به الى معرفة بطلانه فيوصلهم ذلك الى سعادة الدارين ولما كان التقدير فلا يزالون عليه حتى يصلوا اليه عطف عليه قوله ولا يزال الذين كفروا اي وجد منهم الكفر وطبعوا عليه في مرية اي شك يطلبون ان السكون اليه منه اي من اجل القاء الشيطان وما القاه او مبتدئ منه حتى تأتيهم الساعة اي الموت او القيمة بغتة اي فجأة بموتهم حتف الانف او يأتيهم عذاب يوم عقيم بقتل فيه جميع ابنائه منهم ولا يكون لهم فيه شيء مما يرجونه من نصر او غيره كما سعوا لجدالهم والقاء الضلالات في اعقام الآيات فاذا انكشف لهم الغطاء بالساعة او بالعذاب الموصل الى حد الغرغرة امنوا ادب البهائم التي لا ترى الا الجزئيات فلم ينفعهم ذلك لفوات شرطه وقد زالت بحمد الله عن هذه الآية بما قررته الشكوك وانفضحت مخيلات الشبه وانقمعت مضلات الفتن من قصة الغرانيق وما شاكلها مما تعالى عنه ذلك الجناب الرفيع والحمى العظيم المنيع ولم يصح شيء من ذلك كما صرح به الحافظ عماد الدين ابن كثير وغيره وكيف وقد منع الشيطان من مثاله صلى الله عليه وسلم في المنام كما قال صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه من راني في المنام فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي وقد تولى الله سبحانه حفظ الذكر الحكيم بحراسة السموات وغيرها انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم ولما كانوا من الكثرة بمكان كان كانه قيل كيف يغلبون فقال جوابا عن ذلك الملك يومئذ اي يوم اذ يأتيهم ذلك اما في القيمة او في الدنيا لله اي المحيط بجميع صفات الكمال وحده يتغلب اسمه الظاهر بان يجري امره فيه على غير الاسباب التي يعرفونها ولما كان كانه قيل ما معنى اختصاصه به وكل الايام له قيل يحكم بينهم اي المؤمنين والكافرين بالامر الفيصل لا حكم فيه ظاهرا ولا باطنا لغيره كما ترونه الآن بل يمشي فيه الاحكام على اتم قوانين العدل ولذلك سبب ظهور الحكم عنه قوله مفصلا بادئا باظهار التفرد بالحكم باكرام من كانوا قاطعين بهوانهم

في الدارين مع ان تعذيبهم او فوق المقصود السورة فالذين آمنوا وعملوا اي وصدقوا دعواهم الايمان بان عملوا الصالحات
وهي ما امرهم الله به ولما كانت اثابته تعالى لاهل طاعته تفضلا منه نبه على ذلك باعراء الخبر عن الفاء السببية
بخلاف ما ياتي في حق الكفار فقال في جنات النعيم في الدنيا مجازا لما لم اليها مع ما يجدونه من لذة المناجاة واستشعار القرب
وفي الاخرة حقيقة بما رحمهم الله به من توفيقهم للاعمال الصالحة والذين كفروا اي غطوا ما اعطيناهم من المعرفة بالادلة
على وحدانيتنا وكذبوا باياتنا ساعين بما اعطيناهم من الفهم في تعجيزها بالمجادلة بما يوحي اليهم اولياوهم من الشياطين من الشبه
وقرن الخبر بالفا ايذانا بانه مسبب عن كفرهم فقال فاولئك اي البعداء عن اسباب الكرم لهم عذاب مهين بسبب ما سعوا في
اهانة اياتنا مريدين اعزاز انفسهم بمغالبتها والتكبر عن اتباعها ولما كان المشركون يمنعون بهذه الشبه وغيرها كثيرا
من الناس الايمان وكانوا لا يتمكنون بها الا ممن يخالطهم رغب سبحانه في الهجرة فقال والذين هاجروا اي اوقعوا الهجرة ديارهم
واهليهم في سبيل الله اي طريق ذي الجلال والاكرام التي شرعها فكانت نظرنا المهاجرتهم فلم يكن لهم بها غرض اخر ولما
كان اكرما كان من الهجرة القتال لقصد الاعدا للمهاجرين بالمصادمة عند تحقق المصارمة قال معبرا باداة التراخي اشارة
الى طول العمر وعلو الرتبة بسبب الهجرة ثم قتلوا اي بعد الهجرة والحق به مطلق الموت فضلا منه فقال او ماتوا اي من غير
قتل ليرزقنهم الله اي الملك الاعلى رزقا حسنا من حين تفارق ارواحهم اشباحهم لانهم احيا عند ربهم وذلك لانهم
ارضوا الله بما انخلعوا منه مما الفوه طول اعمارهم واسلموا اباوهم من قبلهم واموالهم واهليهم وديارهم ولما كان التقدير
فان الله تعالى المابر من احبابهم ورزقهم وغيرهم عطف عليه قوله وان الله اي الجامع لصفات الكمال بعظمته وقدرته على
الاحيا كما قدر على الاماتة لهو خير الرازقين يرزق الخلق عامة البر منهم والفاجر فكيف بمن هاجر اليه ويعطي عطا لا يدخله عد
ولا يجويه حد وكما دلت الاية على تسوية من مات في سبيل الله برباط او غيره في الرزق بالشهيد دلت السنة ايضا
من حديث سلمان وغيره رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا اجرى عليه الرزق وامن الفتانين
ولما كان الرزق لا يتم الا بحسن الدار وكان ذلك من افضل الرزق قال دالا على ختام التي قبل ليدخلنهم مدخلا اي
دخولا ومكان دخول على قراة نافع وابي جعفر بفتح الميم وادخالا ومكان ادخال على قراة الباقين يرضونه لا يبغون به بدلا
بما ارضوه به مما خرجوا منه ولما كان التقدير فان الله لشكور حميد وكان من المعلوم قطعا انه لا يقدر احد ان يقدر
الله حق قدره وان اجتهد لان الانسان محل الخطا والنسيان فلو وجد بذلك هلك وكان ربما ظن ظان انه لو علم ما قصروا
فيه لغضب عليهم عطف على ما قدرته قوله وان الله اي الذي عمت رحمته وتمت عظمته لعليم اي بمقاصدهم وما عملوا مما يرضيه
وغيره حليم عما قصروا فيه من طاعته وما فرطوا في جنبه سبحانه ولما ختم هذه الايات التي فيها الاذن للمظلومين
في القتال بصفة الحلم فكان ذلك مخيلة لوجوب العفو عن حقوق العباد كما في شريعة عيسى عليه السلام نفى ذلك بقوله اذنا
للمهاجرين فمن اخرجهم من ديارهم ان يخرجوا من دياره ويذيقوه بعض ما توعده الله به من العذاب المهين ذلك اي الامر المفرد
من صفة الله تعالى في ذلك ومن عاقب من العباد بان اصاب حظه بمصيبته يرجو فيها العافية بمثل ما عوقب اي عوج
علاج من يطلب حسن العاقبة به من اي معاقب كان فلم يتجاوز الى الظلم ثم بغي اي من اي باغ كان عليه بالعود الى حقه
لاجل حقه ولما كان ما يحصل للمبغي عليه بالكسر عودا على بدء من الذل والهوان مبعدا لان ينجبر اكد وعده
فقال لينصرنه الله اي الذي لا كفو له ولما قيد ذلك بالمثلية وكان ذلك امرا خفيا لا يكاد يوقف عليه فكان
ربما وقعت المجاورة خطا فظن عدم النصرة لذلك افهم تعالى ان المواخذة انما هي بالعمد بقوله ويجوز ان يكون التقدير ندبا
الى العفو بعد ضمان النصرة ان الله لعزيز حكيم ومن عفا واصلح فقد تعرض لعفو الله عن تقصيره ومغفرته له توبة فهو
احتباك ذكر النصرة دليل العزة والحكمة وذكر العفو منه سبحانه دليل حذف العفو من العبد ان الله اي الذي احاط بكل
شي قدرة وعلما لعفو اي عمن انتصر من ظالمه او لمن بغى عليه غفور لمن انتقم ممن بغى عليه ولما ختم بهذين الوصفين ذكر من الدليل
عليهما امرا جامعا للمصالح عاما للخلائق يكون فيه وبه الاحسان بالخلق والرزق فقال ذلك اي معرفة اتصافه
بهذين الوصفين بان الله المتصف بجميع صفات الكمال يولج لاجل مصالح العباد المسيء والمحسن الليل في النهار فيمحو ظلام
بضيائه ولو شاء مواخذة الناس لجعله سرمدا فتعطلت مصالح النهار ويولج النهار في الليل فينسخ ظلامه بضيائه
ولولا ذلك لتعطلت مصالح الليل او يطول لاحدهما حيث يرد استيلا ما طبع عليه على ضد ما طبع عليه الاخر لما يراد
من المصالح التي جعل ذلك لاجلها وان الله بجلاله وعظمته سميع لما يمكن ان يسمع بصير اي مبصر عالم لما يمكن ان يبصر
دايم الاتصاف بذلك فهو غير محتاج الى سكون الليل ليسمع ولا لضياء النهار ليبصر لانه منزه عن الاعراض وهو لتمام قدرته
وعلمه لا يخاف في عفوه غايلة ولا يمكن ان يفوته امر او يكون التقدير ذلك النصر والعفو بانه قادر وبانه عالم ولما
وصف نفسه سبحانه بما ليس لغيره فبان بذلك تغيير ما سواه بفعله علله بقوله ذلك اي الاتصاف بتمام القدرة وشمول العلم

بان الله الحاوي لصفات الكمال القادر على اخراج المعدوم وتجديد ما فات من نشر الاموات وغيره هو وحده الحق اي الواجب
الوجود ولما كان سبحانه فوق كل شي بقهره وسلطانه قال محقرا لهم وان ما تدعون اي دعا عبادة وهم لا يسمعون
من دونه اي من هذه الاصنام وغيرها ولم يتقدم هنا من الدليل على بطلان الاوثان مثل ما ذكر في لقمان ندعي الحال الى التاكيد
بضمير الفصل فقال هو الباطل لانه ممكن وجوده وعدمه فليس له من ذاته الا العدم كغيره من الممكنات وان الله لكونه هو
الحق الذي لا كفو له هو وحده العلي الكبير وكل ما سواه سافل حقير تحت قهره وامره فهو يحيي الموتى كما تقدم اول السورة
ولما تضمنه رزقه سبحانه للميت في سبيله بقتل وغيره على احيايه له ودل سبحانه على ذلك وعلى انه خير
الرازقين بما له من العظمة وختم بهذين الوصفين اتبعه دليلا اخر على ذلك كله بايات مشاهدة جامعة بين العالم العلوي
والسفلي فاضية بعلوه وكبره فقال الم تر اي ايها المخاطب ان الله اي المحيط قدرة وعلما انزل من السماء ماء بان يرسل
رياحا فتثير سحابا فتمطر على الارض الملسا ولما كان هذا الاستفهام المتلو بالنفي في معنى الاثبات لرؤية الانزال لكونه
فيه معنى الانكار عطف على انزل معقبا له على حسب العادة قوله معبرا بالمضارع تنبيها على عظمة النعمة بطول زمان اثر
المطر وتجدد نفعه فتصبح الارض اي بعد ان كانت مسودة يابسة ميتة هامدة مخضرة حية نابتة ممتعة نامية
بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد ولم ينصب على انه جوابه ليلا يفيد نفي الاخضرار وذلك لان الاستفهام من حيث فيه
معنى الانكار نفي لنفي رؤية الانزال الذي هو اثبات لرؤيته فيكون ما جعل جوابا له منفيا لان الجواب متوقف على ما هو جوابه
فاذا انتفى ما عليه التوقف انتفى المتوقف عليه اي اذا انتفى الملزوم انتفى اللازم واذا انتفى السبب انتفى المسبب كما تقدم في
فتكون لهم قلوب فلو نصب تصبح على انه جواب للاستفهام لكان المعنى ان عدم الاخضرار متوقف على نفي النفي للانزال الذي
هو اثبات الانزال وهو واضح الفساد افاده شيخنا الامام ابو الفضل رحمه الله ولما كان هذا انتاجا للاشيا
من اضدادها لان كلا من الما في رقته وميوعه والتراب في كثافته وجموده في غاية البعد عن النبات في ينوعه وخضرته
ونموه وبهجته قال سبحانه منبها على ذلك ان الله اي الذي له تمام العز وكمال العلم لطيف اي بسبب الاشيا عن اضداده
ولما كان الاحسان في رزقه خبير اي مطلع على السراير وان دقت فلا يستبعد عليه احيا من اراد بعد موته
اقتضى ذلك انهى التصرف لانه لا بد بعد اخلاط الما بالتراب من امور يشا عنها النبات على تلك الهيات الغريبة
المختلفة ولما كان السياق فاوجب ذلك ان يكون هو المالك المطلق قال له ما في السموات اي التي انزل منها الما
لاثبات البعث والانفراد بالملك والدلالة على ذلك اقتضى الحال التاكيد باعادة الموصول فقال وما في الارض
التي استقر فيها وذلك يقتضي ملك السموات والارضين لان كل واحدة في التي فوقها حتى ينتهي الامر الى عرشه سبحانه
ولما كان من المالوف عندنا ان المالك فقير الى ما في يده مذموم على امساكه الذي لا يجود اصلا ان يكون لغيره فقال وان الله اي الذي له الاحاطة التامة لهو اي وحده الغني
بالتغير وعلى ذلك له بالتدريج انه بخلاف ذلك
اي عنهما وعما فيهما ما خلق شيا منهما او فيهما لحاجة له اليه بل لحاجتكم انتم اليه الحميد في كل ما يعطيه او يمنعه
لما في ذلك من الحكم الخفية والجلية ثم استدل على ذلك بقوله تعالى الم تر اي ايها المخاطب ان الله اي الحائز لصفات
الكمال من الجلال والجمال سخر لكم فضلا منه ما في الارض كله من مسالكها وفجاجها وما فيهما من حيوان وجماد وزروع
وثمار ولما كان تسخير السلوك في البحر من اعجب العجب قال والفلك اي وسخرها
لكم موسقة بما تريدون من البضايع ثم بين تسخيرها بقوله تجري في البحر اي العجاج المتلاطم بالامواج بريح طيبة على لطف وتودة
ولما كان الراكب فيها مع حثيث السير وسرعة المر مستقرا كانه على الارض عظم الشان في تسييرها بقوله بامره
ولما كان امساكها على وجه الماء مع لطافته عن الغرق امرا غريبا كامساك السما على متن الهوا عن الوقوع اتبعه قوله
ويمسك السماء ثم فسر ذلك بقوله مبدلا ان تقع مع علوها وعظمها وكونها بغير عماد على الارض التي هي تحتها ولما
اقتضى السياق انه لا بد ان تقع لا تحلاله الى المنع ونوعها لانها جسم كثيف عظيم ليس له من طبعه الا السفول اشار
الى ذلك بقوله الا باذنه اي فتقع اذا اذن في وقوعها حين يريد طي هذا العالم وايجاد عالم البقا ولما
كان هذا الجود الاعظم والتدبير المحكم محض كرم من غير حاجة اصلا اشار اليه بقوله ان الله اي الذي له الخلق والامر
بالناس اي على ظلمهم لرؤوف اي بما يحفظ من سرايرهم عن الزيغ
ولما كان الجماد كله متاعا للحيوان اقتضى تقديم قوله
بارسال الرسل وانزال الكتب ونصب المناسك الذي يجمع معظمها البيت الذي بوّاه لابرهيم عليه السلام وهو
التوحيد والصلاة والحج الحامل على التقوى التي بنيت عليها السورة فان الرافة كما قال الحرالي الطف الرحمة وابلغها
فالمرؤوف به تقيه عنايته الرافة حتى تحفظ بشراها في سر ظهوره ما يستدعي العفو وتارة تكون هذا الحفظ بالقوة
بنصب الادلة وتارة بضم الى ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب وهذا خاص لمن له بالمنعم نوع وصلة رحيم

دها

بما ثبت لهم عموماً من الدرجات على ما سمحهم به من ثمرات ذلك الحفظ من الاعمال المرضية لما تقدم في الفاتحة من ان الرحيم خاص اكرم
بما رضاه الالهية وتقدم في البقرة تحقيق هذا الموضع ولما بين سبحانه جلائل من اياتها الدين واتبعها الاعانة لاهله
على المعتدين وختم بما بعد الموت للمهاجرين ترغيباً في منابذة الكافرين وعرف بما له من تمام العلم وشمول القدرة ومثل ذلك بانواع
من التصرف في خلق السموات والارضين واتبعه بالدلالة على انه كله لنفع الادميين نعمة منه تلا ذلك بما هو اكبر منه نعمة منه
عليهم فقال وهو اي وحده الذي احياكم اي عن الجمادية بعد ان اوجدكم من العدم بعد ان لم تكونوا شيئاً منه عليكم مستقلة لزم
منها المنة بما تقدم ذكره من المنافع الدنيوية لتستمر حياتكم اولا والدينية لتنتفعوا بالبقاء ثانياً ثم يميتكم ليكون الموت واعظاً
لاولي البصائر منكم وزواجراً لهم عما طبعوا عليه من الاخلاق المذمومة ثم يحييكم للتجلي لفصل القضاء واظهاراً للعدل في الجزاء
ولما علم ان كل ما في الوجود من جوهر وعرض نعمة على الانسان حتى الحياة والموت وكان من اجل الاشيا وكانت افعاله
معرضة عن رب هذه النعم بالعبادة لغيره او التقصير في حقه على عموم فضله ختم الاية سبحانه بقوله ان الانسان لكفور
اي بليغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النعم المحيطة به ولما تقدم ذكر المناسك وكان لكثرة الكفار قد يقع في النفس ان
اقامتها معجوز عنها وكشف سبحانه غمة هذا السؤال باية ان الله يدافع عن الذين امنوا وما بعدها فاتبع ذلك علمنا بتصرفه
التام بقدرته الباهرة وعلمه الشامل المقتضي لاقبال العباد اليه واجتماعهم كلهم عليه لمن شك في قدرته على اظهار دينه
بعد اقعته عن اهله او نازع فيه فهو كفور وذكرنا ظاهرا اوكد هذا الخطاب بالحرف الموكد لما اجاب به عن ذلك السؤال
من تمام العلم وشمول القدرة انه هو الذي مكن لكل قوم ما هم فيه من المناسك التي بها انتظام الحياة فان وافقت الامر الالهي
كانت سبباً للحياة الابدية والا كانت سبباً للهلاك الدائم وهو سبحانه الذي نصب من الشرائع لكل قوم ما يلائمهم
لانه بتغيير الزمان بايلاج الليل في النهار على مر الايام وتوالي الشهور والاعوام بسبب من الاسباب لاجل امتحان العباد
واظهار ما خبا في جبلة كل منهم من طاعة وعصيان وشكر وكفران ما يصير الفعل مصلحة بما يقتضيه من الاسباب بعد
ان كان مفسدة وبالعكس لاقتداره على كل شي واظهاراً لاقتداره كما قال تعالى عند اول ذكر النسخ الم تعلم ان الله على كل شي قدير
الايات فعلم ان منازعتهم فيه كفر فلذلك اتبع هذا قوله من غير عاطف لما بينهما من تمام الاتصال لكل امة اي في كل زمان
جعلنا اي بما لنا من العظمة منسكاً اي شرعاً لاجتماعهم به على خالقهم حيث وافق امره ولاجتماعهم على اهوائهم اذا لم
يوافقه وعن ابي جرير ان اصل المنسك في كلام العرب هو الموضع الذي يعتاده الانسان ويتردد اليه اما لخير او لشر
ولما كان بحيث ان ما اراده سبحانه كان لا محالة قال هم ناسكوه اي متعبده ونبه لانه لا نزاع عنهم من تعاديهم
فيه حتى يستقيم لهم امر لاسعادهم به او اشقائهم لمن شك في قدرتنا على تمكينهم منه فهو كفور فان وافق الامر كان رحمة
وايماناً وان خالفه كان كفراً وخسراناً ولما كان فتح حكم باظهار دينه على الدين كله وبان الكفار على كثرتهم يغلبون
بعد ما هم فيه من البطر اعلم بذلك بالتعبير بصيغة الزجر لهم بقوله تسبيباً عن هذه العظمة فلا ينازعنك في الامر اي بما
يلقيه الشيطان اليهم من الشبه ليجادلوا به من طعنهم في دينك بالنسخ بقولهم لو كان من عند الله لما امر اليوم بشي ونهى عنه
غداً لانه يلزم منه البداء فليس الامر كما زعموا بل هو دال على العلم بالعواقب والاقتدار التام على شرع المذاهب وغير
ذلك من الشبه كما مضت الاشارة اليه فلا تلتفت اليهم في شي من غوائله كائناً ما كان وروي انها نزلت بسبب جدال
الكفار بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما في الذبائح وقولهم للمؤمنين تاكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم ولا تاكلون ما
قتل الله يعنون الميتة ولما كان النهي عن المنازعة في الحقيقة له صلى الله عليه وسلم الهاباً وتهييجاً الى الاعراض عنهم
لانهم اهل لذلك لان كيدهم في تضليل والاقبال على شانه وكان التعبير بما تقدم من تحويله اليهم لتاكيد الامر مع دلالته
على اجلاله صلى الله عليه وسلم عن المواجهة بالنهي عطف عليه قوله وادع اي اوقع الدعوة لجميع الخلق الى ربك اي
المحسن اليك بارسالك بالحمل لهم على كلما امرك به متى ما امرك ولا يهولنك قولهم فانهم مغلوبون لا محالة ولا تخاف
عاقبة من العواقب بل اقدم على الامر وان ظن ان فيه الهلاك فانه ليس عليك الا ذلك واما نظم الامور على نهج السداد
في اظهار الدين وقهر المعاندين فالى الذي امرك بتلك الاوامر واحكام الشان في جميع الزواجر ثم علل ذلك بقوله انك
مؤكداً له بحسب ما عندهم من الانكار لعلى هدى مستقيم فانه تاصيل للعلم الغزير وان طرقه التغيير ولما
امره بالاقبال على ما يهمه والاعراض عن منازعتهم في صيغة نهيهم عن منازعته علمه الجواب ان ارتكبوا منهيه بعد الا
جتهاد في دفعهم لما لهم من اللجاج والعتو فقال وان جادلوك اي في شي من دينك بشي مما تقدم من اقوالهم السفسافة
او بغيره فقل معرضاً عن عيب دينهم الذي لا ابين فساداً منه الله اي الملك المحيط بالعز والعلم اعلم بما تعملون مهدداً
لهم بذلك مذكراً لنفسك بقدرة ربك تأمين بذلك المنازعة من حيث دقت متوكلاً على الذي امرك بذلك في حسن تدبيرك
والمدافعة عنك ومجازاتهم بما سبق علمه به مما يستحقونه قال الرازي في اللوامع وينبغي ان يتادب بهذا كل احد فان

اهل

٢٥

اهل الجدل قوم جاوزوا حد العوام بتجدلهم ولم يبلغوا درجة الخواص الذين عرفوا الاشيا على ما هي عليه فالعوام منقادون
للشريعة والخواص يعرفون اسرارها وحقائقها واهل الجدل قوم في قلوبهم اضطراب وانزعاج ولما امره بالاعراض
عنهم وكان ذلك شديداً على النفس لتشوقها الى النصر رجاه في ذلك بقوله مستانفاً محذراً لهم الله اي الذي لا كفؤ له يحكم
بينكم اي بينك مع اتباعك وبينهم يوم القيمة الذي هو يوم التغابن فيما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة فيه اي خاصة
تختلفون في امر الدين ومن نصر ذلك اليوم لم يبال بما حل به قبله وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال البغوي والا
ختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين الى خلاف ما ذهب به الاخر ولما كان حفظ ما يقع بينهم على كثرتهم في طول
الازمان امراً هائلاً اتبعه قوله الم تعلم ان الله بجلال عزه وعظيم سلطانه يعلم ما في ولما كان الباقي لحفظ
احوال الثقلين للحكم بينهم وكان اكثر ما يتخيل ان بعض الجن يبلغ استراق السمع من السماء الدنيا لم تدع حاجة الى ذكر اكثر منها
فافرد معبراً بما يشمل لكونه جنساً الكثير ايضاً فقال السماء والارض مما يتفق منهم ومن غيرهم من جميع الخلائق الحيوانات وغيرها
ولما كان الانسان محل النسيان لا يحفظ الامور الا بالكتاب خاطبه بما يعرف مع ما فيه من تعجيب القدرة فقال ان
ذلك اي الامر العظيم في كتاب كتب فيه كل شي حكم بوقوعه قبل وقوعه وكتب جزاءه ولما كان جمع ذلك في كتاب امراً
بالنسبة الى الانسان متعذراً اتبعه التعريف بسهولته عنده فقال ان ذلك اي علم ذلك الامر العظيم بلا كتاب وجمعه في
كتاب قبل كونه وبعده على الله اي الذي لا حد لعظمته وحده يسير ولما اخبر سبحانه ان الشك لا يزال الظرف لهم لما يلقي
الشيطان من شبهه في قلوبهم القابلة لذلك بما لها من المرض وما فيها من الفساد الى اتيان الساعة وعقب ذلك بما ذكر من الحكم
المفصلة والاحكام المشرفة المفضلة الى ان ختم بانه وحده الحكم في الساعة مرهباً من تمام علمه وشمول قدرته قال معجباً
ممن لا تنفعه الموعظة ولا يجوز الواجب وهو يوجب المحال عاطفاً على ولا يزال ويعبدون اي على سبيل التجديد والاستمرار
من دون الله اي من ادنى رتبة من رتب الذي قامت جميع الدلائل على احتوائه على جميع صفات الكمال وتنزهه عن شوائب النقص
ما لم ينزل به سلطاناً اي حجة واحدة من الحجج ولما كان قد يتوهم ان عدم انزال السلطان لا ينفيه قال مزيلاً لهذا
الوهم وما ليس لهم به علم اي اصلاً وما اي والحال انهم ما لهم ولكنه اظهر اشارة الى الوصف الذي استحقوا به الهلاك
فقال للظالمين اي الذين وضعوا التعبد في غير موضعه بارتكابهم لهذا الامر العظيم الخطر واكد النفي واستغرق المنفي
باثبات الجار فقال من نصير اي ينصرهم من الله لا مما اشركوه به ولا من غيره لا في مدافعة عنهم ولا في اثبات حجة لمذاهبهم
تنفي ان يكون احد يمكنه ان ياتي بنصره تبلغ القصد بان يغلب المنصور عليه واما مطلق نصر لا يفيد بما تقدم من شبهه
الشيطان بلا ولما ذكر اعتراضهم بما لا يعرف بنقل ولا عقل ذكر انكارهم لما لا يصح ان ينكر فقال واذا تتلى اي على
سبيل التجديد والمتابعة من اي تال كان عليهم اياتنا اي المسموعة على ما لها من العظمة والعلو حال كونها بينات
لا خفا بها عند من له بصيرة في شي مما دعت اليه من الاصول والفروع تعرف بالفراسة في وجوههم هكذا كان الاصل ولكنه
ابدل الضمير بظاهر يدل على عنادهم فقال في وجوه الذين كفروا اي يلبسوا الكفر المنكر اي الانكار الذي هو منكر
في نفسه لما حصل لهم من الغيظ ثم بين ما لاح في وجوههم فقال يكادون يسطون اي يوقعون السطوة بالبطش والعنف
بالذين يتلون عليهم اياتنا اي الدالة على اسمائنا الحسنى وصفاتنا العلا القاضية بوحدانيتنا مع كونها بينات
في غاية الوضوح في انها كلامنا لما فيها من الحكم والبلاغة التي عجزوا عنها ولما استحقوا بانكارهم وما ارادوه
من الاذى لاولياء الله النكال بشبه اعلامهم بما استحقوه قال مؤذناً بالغضب بالاعراض عنهم امراً له صلى الله
عليه وسلم بتهديدهم قل أفأنبئكم اي اتقون كما خبركم خبراً عظيماً بشر من ذلكم الامر الكبير من الشر الذي اردتموه
بعباد الله التالين عليكم للايات وما حصل لكم من الضجر من ذلك فكانه قيل ما هو فقيل النار ثم استانف قوله متهكماً
بهم بذكر الوعد وعدها الله العظيم الجليل الذين كفروا جزاء لهم على همهم هذا فبئس الموعد هي وبئس المصير ولما
اخبر تعالى عن انه لا حجة لعابد غيره وهدد من عاند اتبعه بان الحجة قائمة على ان لكل الغير في غاية الحقارة ولا قدرة له
على دفع ما هدده به عابدوه ولا على غيره فكيف بالصلاحية لتلك الرتبة الشريفة والخطة العالية المنيفة فقال منادياً
اهل العقل منهم منبهاً عاماً يا ايها الناس ولما كان المقصود من المثل تعقله لا قايله بني للمفعول قوله
ضرب مثل اي حاصله ان من عبد من هو امثالكم بل هم احقر منكم فاستمعوا اي انصتوا متدبرين له ثم فسره بقوله
ان الذين تدعون اي في حوائجكم وتجعلونهم الهة من دون الله اي الملك الاعلى من هذه الاصنام التي انتم لها معترفون
ولما تدعون فيها مفترون لان سلب القدرة عنها بين انها في ادنى المراتب لن يخلقوا ذباباً اي لا قدرة لهم على ذلك
الآن ولا يتجدد لهم هذا الوصف اصلاً في شي من الازمان على حال من الاحوال مع صغره فكيف بما هو اكبر منه ولو
اجتمعوا اي الذين دعوهم شركاء له اي الخلق فهم في هذا امثالكم وان اي والحال انه من هذا انهم عاجزون مقاومة الذباب

خلاف

فاندان يسلبهم الذباب اى الذى تقدم انه لاقدرة لهم على خلقه وهو غاية فى الحقارة شيئا من الاشيا جل او قل مما تطلونهم به
من الطيبا وتضعونه بين ايديهم من الاكل او غيره لايستنقذوه اى يوجد واخلاصه او يطلبوه منه لهم فى هذا احقر منكم تجهيد
التمثيل به فى الاستلاب الوقاحة ولهذا يعود عند الابلاغ فى الذب فلو كانت وقاحته فى الاسد لم ينج منه احد ولكن اقتضت الحكمة
ان تصحب قوة الاسد النفرة ووقاحة الذباب الضعف وهو واحد لاجمع نفى الجمع بين العباب والمحكم ان ابن سيدة قال انه الصواب
ثم قال وفى كتاب ما تلحن فيه العامة لابى عثمان المازنى ويقال لهذا ذباب واحد وثلاثة اذبة لاقل العدد والكثير ذبان وقول
الناس ذبابة خطا ولا تقله ولما كان هذا ربما اوهم قوة الذباب عرف ان المقصود غيره ذلك بقوله فذلكة للكلام من
اوله ضعف الطالب اى للاستنقاذ من الذباب وهو الاصنام وعابدوها والمطلوب اى الذباب والاصنام اجتمعوا فى
الضعف وان كان الاصنام اضعف بدرجات ولما انتج هذا جهلهم بالله عبر عنه بقوله ما قدروا الله اى
الذى له الكمال كله حق قدره فى وصفهم بصفته غيره كاينا من كان فكيف وهو احقر الاشيا ولما كان كانه قيل
ما قدره قال ان الله اى الجامع لصفات الكمال لقوى على خلق كل ممكن عزيز لا يغلبه شئ وهو يغلب كل شئ بخلاف اصنامهم وغيرها
ولما نصبا الدليل على ان ما دعوه لا يصلح ان يكون شئ منه الها بعد ان اخبر انه لم ينزل اليهم حجة بعبادتهم لهم وختم بما
له سبحانه من وصفى القوة والعزة بعد ان اثبت ان له الملك كله تلا دليلا بدليله الذى تقتضيه سعة الملك وقوة السلطان
من ان الحج على السنة الرسل باوامره ونواهيه الموجب لاخلاص العبادة له المقتضى لتعذيب تاركها فقال الله اى الملك
الاعلى يصطفى اى يختار ويخلص من الملايكة رسلا الى ما ينبغى الارسال فيه من العذاب والرحمة فلا يقدر احد على صدهم عما
ارسلوا له ولاشك ان قوة الرسول من قوة المرسل ومن الناس ايضا رسلا ياتون عن الله بما يشرعونه لعباده لتقوم عليهم بذلك
حجة النقل معضومة الى سلطان العقل فمن عاداهم خسر وان طال استدراجه ولما كان ذلك لا يكون الا بالعلم قال
ان الله اى الذى له الجلال والجمال سميع اى لما يمكن ان يسمع من الرسول وغيره بصير اى مبصر عالم بكل ما يمكن عقلا ان يبصر
ويعلم بخلاف اصنامهم ولما كان المتصف بذلك قد يكون وصفه مقصورا على بعض الاشيا اخبر ان صفاته محيطة بذلك
فقال يعلم ما بين ايديهم اى الرسل وما خلفهم اى علمه محيط بما هم مطلعون عليه وبما غاب عنهم فلا يفعلون شيا الا باذنه
فانه يسلك من بين ايديهم ومن خلفهم رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم وان ظن الجاهلون غير ذلك لاحتجابه سبحانه
وتعالى فى الاسباب فلا تبغ فى فكرا صلا ان المحيط علما بكل شئ الشامل القدرة لكل شئ بكل رسولا من رسله الى نفسه فتكلم
بشئ لم يرسله به ولا انه يمكن شيطانا او غيره ان يتكلم على لسانه بشئ بل كل منهم محفوظ فى نفسه لا ينطق عن الهوى
ان هو الا وحى يوحى محفوظ عن تلبيس غيره انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والى الله اى الذى لا كفوء له وحده
ترجع اى بغاية السهولة بوعد فصل لابد منه الامور يوم يتجلى لفصل القضا فيكون امره ظاهرا لا خفا فيه و لا
يصدر شئ من الاشيا الا على وجه العدل الظاهر لكل احد انه منه ولا يكون لاحد التفات الى غيره والذى هو بهذه الصفة له
ان يشرع ما يشا وينسخ من المشروع ما يشا ويحكم بما يريد ولما انتبه سبحانه ان الملك والامر له وحده وانه قد
احكم شرعه وحفظ رسله وانه يمكن لمن يشا اى دين شا وختم ذلك بما يصلح للترغيب والترهيب وكانت العادة جارية
بان الملك اذا برز امره وانبثت دعاته اقبل اليه مقبلون خاطب المقبلين الى دينه وهم الخلص من الناس فقال
يايها الذين امنوا اى قالوا امنا تصديقا لقولكم اركعوا واسجدوا اى صلوا الصلاة التى شرعها للامين فانها راس العبادة
لتكون دليلا على صدقكم فى الاقرار بالايمان وخص هذين الركنين فى التعبير عن الصلاة بهما لانهما لمخالفتهما الهيات المعتادة
هما الدالان على الخضوع فحسن التعبير بهما عنها جدا فى السورة التى جمعت جميع الفرق الذين فيهم من يستقبح لما غلب عليه
من العتو بعض الهيات الدالة على ذلك خص اشرف العبادة ثم عم بقوله واعبدوا اى بانواع العبادة ربكم المحسن
اليكم بكل نعمة دنيوية ودينية ولما ذكر عموم العبادة اتبعها ما قد يكون اعم منها مما صورته صورتها وقد يكون
بلا نية فقال وافعلوا الخير اى كله من القرب كصلة الارحام وعيادة المرضى ونحو ذلك من معالى الاخلاق بنية وبغير نية
حتى يكون لكم ذلك عادة فيخف عليكم عمله لله وهو قريب من ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال ابو حيان بدا بخاص ثم بعام ثم
باعم لعلكم تفلحون اى لتكون حالكم حال من يرجو الفلاح وهو الفوز بالمطلوب قال ابن القطاع افلح الرجل فاز بنعيم
الاخرة وفلح ايضا لغة فيه وفى الجمع بين العباب والمحكم الفلح والفلاح الفوز والبقا وفى التنزيل قد افلح المومنون اى
نالوا البقا الدايم فى الخير وافلح الرجل ظفر ويقال لكل من اصاب خيرا مفلح ولما كان الجهاد اساس العبادة وهو
مع كونه حقيقة فى قتال الكفار صالح لان يعم كل امر بمعروف ونهى عن منكر بالمال والنفس بالقول والفعل بالسيف وغيره
وكل اجتهاد فى تهذيب النفس واخلاص العمل ختم به فقال وجاهدوا فى الله اى الملك الاعظم الذى لا كفوء له فى كل ما
ينسب اليه سبحانه لا يخرج منه شئ عنه كما لا يخرج شئ من المظروف عن الظرف حق جهاده باستفراغ الطاقة فى

ايقاع

ايقاع كل ما امر به من جهاد العدو والنفس على الوجه الذى امر به من الحج والغزو وغيرهما جهادا يليق بما افهمته الاضافة
الى ضميره سبحانه من الاخلاص والقوة فانه يهلك جميع من يصدكم عن شئ منه ولما امر سبحانه بهذه الاوامر اتبعها
بعض ما يجب به شكره وهو كالتعليل لما قبله فقال هو اجتباكم اى اختاركم لحمل الرسالة فيكم والرسول منكم وجعله اشرف
الرسل ودينه الزم الاديان وكتابه اعظم الكتب وجعلكم لكونكم اتباعه خير الامم وما جعل عليكم فى الدين الذى
اختاره لكم من حرج اى ضيق بكون نوع عذر لمن يتوانى فى الجهاد الاصغر والاكبر كما جعل على من كان قبلكم كما تقدم ذكر بعضه
فى الفروع وغيرها اعنى ملة ولما كان اول المخاطب بهذا قريشا ثم مضر وكانوا كلهم اولاد ابرهيم عليه السلام حقيقة
قال ابيكم ابرهيم اى الذى ترك عبادة الاصنام ونهى عنها ووحد الله وامر بتوحيده بامر تغيير وابتقليد الابا
فالزموا دينه لكونه ابا ولكونى امرت به وهو اب لبعض المخاطبين من الامة حقيقة ولبعضهم مجازا بالاحترام
والتعظيم فيعم الخطاب الجميع وله لك حثهم على ملته بالتعليل بقوله هو اى ابرهيم عليه السلام سماكم المسلمين
فى الازمان المتقدمة من قبل اى قبل انزال هذا القران فنوه بذكركم والثنا عليكم فى سالف الدهر وقديم الزمان
فكتب ثناوه فى كتب الانبيا تتلى على الاحبار والرهبان وسماكم ايضا مسلمين فى هذا الكتاب الذى انزل عليكم من بعد
انزال تلك الكتب كما اخبرنا عز عوته فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك لانه بانتفا الحرج يطابق الاسم المسمى
ويجوز ولعله احسن ان يكون هو سماكم تعليلا للامر بحق الجهاد بعد تعليله بقوله هو اجتباكم فيكون الضمير لله تعالى
ويشهد له بالحسن قراءة ابى رضى الله عنه بالجلالة عوضا عن الضمير اى ان كل امة تسمت باسم من تلقا نفسها والله
تعالى خصكم باسم الاسلام مشتقا له من اسمه السلام مع ما خصكم به من اسم الايمان اشتقاقا من اسمه المومن فاثبت لكم
هذا الاسم فى كتبه واجتباكم لاتباع رسوله ولما كان الاسم اذا كان ناشيا عن الله تعالى سوا كان بواسطة نبى
من انبيائه او بغير واسطة يكون مخبرا عن كمال المسمى وكان التقدير رفع عنكم الحرج وسماكم بالاسلام لتكونوا اشد الامم
انقيادا لتكونوا خيرهم علل هذا المعنى بقوله ليكون الرسول يوم القيمة شهيدا عليكم لانه خيرهم والشهيد
يكون خيرا ولكون السياق لاثبات مطلق وصف الاسلام فقط لم يقتض الحال تقديم الظرف بخلاف اية البقرة فانها
لاثبات ما هو اخص منه وتكونوا بما فى جبلاتكم من الخير شهداء على الناس بان رسلهم بلغتهم رسالات ربهم لانكم قدرتم
الرسل حق قدرهم ولم تفرقوا بين احد منهم وعلمتم اخبارهم من كتابكم على لسان رسولكم صلى الله عليه وسلم فبذلك كله
صرتم خيرهم فاهلتم للشهادة وصحت شهادتكم وقبلكم الحكم العدل وقد دل هذا على ان شهادة غير المسلم ليست
مقبولة ولما ندبهم لان يكونوا خير الناس تسبب عنه قوله فاقيموا اى فتسبب عن انعامى عليكم بهذه النعم
وامتنانى بكم فى هذا المقام الشريف انى اقول لكم اقيموا الصلاة التى هى زكاة قلوبكم وصلة ما بينكم وبين ربكم واتوا
الزكاة التى هى طهرة ابدانكم وصلة ما بينكم وبين اخوانكم واعتصموا بالله اى المحيط بجميع صفات الكمال فى جميع ما امركم
به من المناسك التى تقدمت وغيرها لتكونوا متقين فيدفع عنكم من يريد ان يحول بينكم وبين شئ منها ويقيكم هول الساعة ثم
علل اهليته لاعتصامهم به بقوله هو اى وحده مولاكم اى المتولى لجميع اموركم فهو ينصركم على كل من يعاديكم بحيث
تتمكنون من اظهار هذا الدين من مناسك الحج وغيرها ثم علل الامر بالاعتصام وتوحده بالولاية بقوله فنعم المولى
اى هو ونعم النصير لانه اذا تولى احدا كفاه كلما اهمه واذا نصر احدا اعلاه على كل من خاصمه ولا يزال العبد يتقرب
الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته الحديث انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وهذا نتيجة التقوى وما قبله
من انواع الطاعة دليلها فقد انطبق اخر السورة على اولها ورد مقطعها على مطلعها والله الهادى

سورة المومنون

مقصودها اختصاص المومنين بالفلاح واسمها واضح الدلالة على ذلك بسم الله الذى له الامر كله
فلا راد لامره الرحمن الذى من عموم رحمته الابلاغ فى البيان الرحيم الذى خص من اراد بالايمان لما
بندا الذين امنوا وامرهم باصول الدين خاصة وعامة وختم بالصلاة والزكاة والعصمة به سبحانه موصوفا بما ذكر اوجب ذلك توقع
المنادين كل خير فابتدئت هذه بما يثمره الاعتصام به سبحانه فى الصلاة وغيرها من خلال الدين فى الدارين فقال تعالى مفتتحا بحرف
التوقع قد وهى نقيضة لما تثبت المتوقع وتقرب الماضى من الحال ولما ستعقبه افلح اى فاز وظفر الان بكل ما يريد ونال البقا
الدايم فى الخير المومنون وعبر بالاسم اشارة الى ان من اقر بالايمان وعمل بما امر به فى اخر التى قبلها استحق الوصف الثابت
لانه اتقى وانفق مما رزق فافلح ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ثم قيدهم بما يلزم من الصدق فى الايمان فقال
الذين هم اى بضمايرهم وظواهرهم فى صلاتهم اضيفت اليهم ترغيبا لهم فى حفظها لانها بينهم وبين الله وهو غنى عنها
هم المتقون لها خاشعون اى اذلا ساكنون متواضعون مطمينون قاصرون بواطنهم وظواهرهم على ما هم فيه قال الرازى
خايفون خوفا يملأ القلب حرمة والاخلاق تهذيبا والاطراف تاديبا اى خشية من ان ترد عليهم صلاتهم ومن ذلك خفض البصر

الى موضع السجود قال الرازي فالعبد اذا دخل في الصلاة رفع الحجاب واذا التفت ارخي قال وهو خوف في موجب ينيقظه
واستكانة ثم تارة يكون في المعاملة ايثارا ومجاملة وانصافا ومعدلة وفي الخدمة حضورا واستكانة وفي السر تعظيما وحيا وحرمة
والخشوع في الصلاة يجمع الهمة لها والاعراض عما سواها وذلك بحضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجا والحيا واذا كان
هذا حالهم في الصلاة التي هي اقرب القربات فهم به فيما سواها اولى وقال ابن كثير والخشوع في الصلاة انما يحصل لمن فرغ قلبه لها
واشتغل بها عما عداها واثرها على غيرها وحينئذ يكون راحة له وقرة وجعلت قرة عيني في الصلاة رواه احمد والنسائي عن انس
رضي الله عنه يا بلال ارحنا بالصلاة رواه احمد عن رجل من اسلم رضي الله عنه **ولما** كان كل من الصلاة والخشوع صادا
عن اللغو اتبعه قوله **والذين هم** بضمايرهم التي تبعتها ظواهرهم **عن اللغو** اي ما لا يعنيهم وهو كل ما يستحق ان يسقط ويلغى
معرضون اي تاركون عمدا قصدا واجامعين لفعل ما يعني وترك ما لا يعني **ولما** جمع بين قاعدتي بنا التكاليف فعل الخشوع
وترك اللغو وكان الانسان محل العجز ومركز التقصير فهو لا يكاد يخلو عما لا يعنيه وكان المال يكفر الماضي من الايمان فضلا
عما ذكر منها على سبيل اللغو فكان يكفر اللغو وغير اليمين من باب الاولى حذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها اتبعه قوله
والذين هم واثبت اللام تقوية لاسم الفاعل فقال **للزكوة** اي التزكية وهي اخراج الزكاة اولا داء الزكاة التي هي اعظم مصدق
للايمان **فاعلون** ليجمعوا في طهارة الدين بين القلب والقالب والمال قال ابن كثير هذه مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة سنه
اثنين من الهجرة والظاهر ان التي فرضت بالمدينة انما هي ذات النصب وان اصل الزكاة كان واجبا بمكة كما قال تعالى في سورة الانعام
واتوا حقه يوم حصاده **ولما** اشار الى بذل المال على وجهه طهرة وان حبسه عن ذلك تلفه اتبعه الايماء الى ان بذل الفرج
في غير وجهه نجاسة وحفظه طهرة فقال **والذين هم لفروجهم** في الجماع وما داناه بالظاهر والباطن **حافظون** اي دايما لا يتبعونها شهوتها بل هم قايمون عليها بما يلونها ويضبطونها وذكرها **حافظون** اي دايما لا يتبعونها شهوتها
تبعا اللغو الداعي اليها وبذل المال الذي هو من اعظم اسبابها عظيم المناسبة ثم استثنى من ذلك فقال **الا على ازواجهم** اللاتي ملكوا
ابضاعهن بعقد النكاح ولعلو الذكر عبر بعلى **او ما ملكت ايمانهم** رقابه من السراري وعبر بما لقربهن مما لا يعقل لنقصهن
عن الحرائر الناقصات عن الذكور **فانهم غير ملومين** اي على بذل الفرج في ذلك اذا كان على وجهه **ولما** كان من لم يكتف بالحلال
مكلفا نفسه طلب ما يضره سبب عن ذلك قوله معبرا بما يفهم العلاج **فمن ابتغى** اي تطلب متعديا **وراء ذلك** العظيم
المنفعة الذي وقع استثناؤه بزنا او لواط او استمنا بيد او بهيمة او غيرها **فاولئك** البعيدون من الفلاح **هم
العادون** اي المبالغون في تعدي الحدود ولما يورث ذلك من اختلاط الانساب وانتهاك الاعراض واتلاف الاموال وايقاد
الشر بين العباد **ولما** كان ذلك من الامانات العظيمة اتبعه عمومها فقال **والذين هم لاماناتهم** اي في الفروج وغيرها
سواكانت بينهم وبين الله كالصلاة والصيام وغيرهما او في المعاني الباطنة كالاخلاص والصدق او بينهم وبين الخلق كالودايع
والبضايع فعلى العبد الوفا بجميعها **ولما** كان العهد اعظم امانة بلا هاية نبههم على عظمه فقال **وعهدهم راعون**
اي حافظون بالقيام والرعاية والاصلاح **ولما** كانت الصلاة اجل ما عاهد فيه من امر الدين واكده وهي من الامور الخفية
التي وقع الايمان عليها لما خفف الله فيها على هذه الامة باتساع زمانها ومكانها قال **والذين هم على صلوتهم** التي وصفوا
بالخشوع فيها **يحافظون** اي يجددون تعهدها بغاية جدهم لا يتركون شيئا من مفروضاتها ولا مسنوناتها ويجتهدون في
كمالاتها وحدت في قراءة حمزة والكسائي للجنس وجمعت عند الجماعة اشارة الى اعدادها وانواعها ولا يخفى ما في افتتاح هذه الاوصاف
واختتامها بالصلاة من التعظيم لها كما قال صلى الله عليه وسلم واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة **ولما** ذكر مجموع هذه الاوصاف
العظيمة فخم جزاءهم فقال **اولئك** اي البالغون من الاحسان اعلى مكان **هم** خاصة **الوارثون** اي المستحقون لهذا الوصف
المشعر ببقائهم بعد اعدائهم فيرثون دار الله لقربهم منه واختصاصهم به بعد ارثهم ارض الدنيا التي وعدوا عليها على قلتهم
وضعفهم اعدانا الكفار على كثرتهم وقوتهم فكانت لهم العاقبة فيها لهم كما كتبنا في الزبور ان الارض يرثها عبادي الصالحون
لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم **الذين يرثون الفردوس** التي هي اعلى الجنة وهي في الاصل البستان العظيم
الواسع يجمع محاسن النبات والاشجار من العنب وما ضاهاه من كل ما يكون في البساتين والاودية التي تجمع ضروبا من النبت
فيحوزون منها بعد البعث ما اعد الله لهم فيها من المنازل وما كان اعد للكفار لو اسلموا او لم يخرجوا بخروج ابويهم من الجنة
هم خاصة **فيها** لا في غيرها **خالدون** وهذه الايات اجمع ما ذكر في وصف المومنين روى الامام احمد في مسنده والترمذي
في التفسير من جامعه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه
كدوي النحل فنزل عليه يوما فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا
واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت على عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد
افلح المومنون حتى ختم العشر ورواه النسائي في الصلاة وقال منكر لا نعرف احدا رواه غير يونس بن سليم ويونس لا نعرفه وعن

ابو حيان

ترجيعاً لحالها قبل كونها عظاماً فسترنا تلك العظام وقويناها وشددناها بالروابط والاعصاب ولما كان التصوير
ونفخ الروح من الجلالة بمكان اي مكان اشار اليه بقوله ثم انشأناه اي هذا المجموع بعظمتنا خلقاً آخر اي عظيماً جليلاً متحركاً
ناطقاً خصيماً مبيناً بعيداً من الطين جداً قال الرازي واصل النون والشين والهمزة يدل على ارتفاع شيء وسموه ولما كان هذا
التفصيل لتطوير الانسان سبباً لتعظيم الخالق قال فتبارك اي ثبت ثباتاً لم يثبته شيء بانحاد جميع صفات الكمال وتنزه
عن كل شائبة نقص فكان قادراً على كل شيء ولو داناه شيء من عجز لم يكن تام الثبات ولذلك قال الله تعبيراً بالاسم العلم الجامع
لجميع الاسماء الحسنى واشار الى جمال الانسان بقوله احسن الخالقين اي المقدرين اي قدر هذا الخلق العجيب هذا التقدير
ثم طوره في اطواره ما بين طفل رضيع ومحتلم شديد وشاب نشيط وكهل عظيم وشيخ هرم الى ما بين ذلك من شؤون لا يحيط بها
الا اللطيف الخبير ولما كانت اماتته ما صار هكذا بعد القوة العظيمة والادراك التام من الغرائب وكان وجودها فيه
وتكررها عليه في كل وقت قد صيرها امراً مالوفاً وشيئاً ظاهراً مكشوفاً وكان عتو الانسان على خالقه وتمرده ومخالفته لامره
نسياناً لهذا المالوف كالانكار له اشار الى ذلك كله بقوله مبالغاً في التاكيد ثم انكم ولما كان الممكن ليس له من ذاته
الا العدم نزع الجار فقال بعد ذلك اي الامر العظيم من الوصف بالحياة والمد في العمر في آجال متفاوتة لميتون واشار
بهذا النعت الى ان الموت امر ثابت للانسان حتى في حال حياته لازم له بل الصق به من ذاته الا العدم ولما تقرر بذلك
القدرة على البعث تقرراً لا يشك فيه عاقل قال نافياً ما يوهمه اعراء الظرف من الجار ثم انكم وعين البعث الاكبر التام الذي
هو محط الثواب والعقاب لان من اقر به اقر بما هو دونه من الحياة في القبر وغيرها فقال يوم القيامة اي الذي يجمع فيه جميع الخلائق
تبعثون تنقصه عن تاكيد الموت تنبيهاً على ظهوره ولم يخله عن التاكيد لكونه على خلاف العادة وليس في ذكر هذا نفي للحياة
في القبر عند السؤال ولما بين لهم ان فكرهم فيهم يكفيهم في اعتقاد البعث بعينهم اتبعه دليلاً آخر بالتذكير بخلق
ما هو اكبر منهم وتذكيرهم بخلقه وخلق ما فيه من المنافع لاستبقائهم فقال ولقد خلقنا فوقكم جميع جهة العلو في
ارتفاع لا تنذر كونه حق الادراك سبع ولارادة التعظيم اضاف الى جمع كثرة فقال طرائق اي سماوات لا تتغير عن حالتها
التي دبرناها عليها الى ان نريد وبعضها فوق بعض متطابقة وكل واحدة منها على طريقة تخصها وفيها طرق لكواكبها قال الامام
عبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي سميت طرائق لانها مطارقة بعضها فوق بعض انتهى وهذا من قولهم فلان على طريقة اي
حالة واحدة وهذا مطراق هذا اي تلوه ونظيره وريش طراق اذا كان بعضه فوق بعض وقال ابن القطاع والطرق جناح
الطائر اي مبنياً للمجهول البس الريش الاعلا الاسفل وقال ابو عبيد الهروي والطرق جناح الطير اذا وقعت ريشة على التي
تحتها فالبستها وفي ريشه طرق اذا ركب بعضه بعضاً وقال الصغاني في مجمع البحرين والطرق ايضاً بالتحريك في الريش
ان يكون بعضها فوق بعض وقال ابن الاثير في النهاية طارق النعل اذا صيرها طاقاً فوق طاق وركب بعضها على بعض
وفي القاموس والطراق ككتاب كل خصفة يخصف بها النعل ويكون حذوها سواء وان يقور جلد على مقدار الترس فيلزق
بالترس وقال القزاز يقال ترس مطرق اذا جعل له ذلك وقال الصغاني في المجمع والمجان المطرقة التي يطرق بعضها على بعض كالنعل
المطرقة اي المخصوفة بعضها على بعض ويقال اطرقت بالجلد والعصب اي البست وقال ابو عبيد طارق النعل اذا صير خصفاً
فوق خصف وقال في الخصف هو الطباق طاق على طاق واصل الخصف الضم والجمع وقال القزاز وطارقت بين النعلين والثوبين
جعلت احدهما فوق الآخر انتهى واصل الطرق الضرب ومع كون السموات مطارقة بعضها فوق بعض فهي طرق للملائكة يتنزلون
فيها باوامره سبحانه وتعالى ولما كان اهمال الشيء بعد ايجاده غفلة عنه وكان البعث احداث تدبير لم يكن كما ان الموت
كذلك بين ان مثل تلك الافعال الشريفة عادته سبحانه اظهاراً للقدرة وتنزهاً عن العجز والغفلة فقال وما كنا اي
على ما لنا من العظمة عن الخلق اي الذي خلقناه وفرغنا من ايجاده وهو احداث ما لم يكن بقدرتنا التامة وعلمنا الشامل
غافلين بل دبرناه تدبير الحكماء ربطناه باسباب ينشأ عنها مسببات يكون بها صلاحه وجعلنا في كل منها ما ينبغي ان يكون
فيها من المنافع وفي كل ارض كذلك وحفظناه من الفساد الى الوقت الذي نريد فيه طي هذا العالم وابراز غيره ونحن مع ذلك
كل يوم في شان واظهار برهان نعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها اذا شئنا انفذنا السبب
فينشأ عنه المسبب واذا شئنا منعناه مما هيء له فلا يكون شيء من ذلك الا بخلق جديد فكيف يظن بنا انا نترك الخلق بعد
موتهم سدى مع ان فيهم المطيع الذي لم نوفه ثوابه والعاصي الذي لم ننزل به عقابه ام كيف لا نقدر على اعادتهم الى
ما كانوا عليه بعد ما قدرنا على ابداعهم ولم يكونوا شيئاً ولما ساق سبحانه هذين الدليلين على القدرة على البعث
اتبعهما بما هو من جنسهما ومشاكل للاول منهما وهو مع ذلك دليل على ختام الثاني من انه من اجل النعم التي يجب شكرها
فقال وانزلنا اي بعظمتنا من السماء اي من جهتها ماء بقدر لعله والله اعلم بقدر ما يسقي الزروع والاشجار ويحيي
البراري والقفار وما تحتاج اليه البحار مما تنصب فيها الانهار اذ لو كان فوق ذلك لاغرقت البحار الاقطار ولو كان

دون ذلك لادى الى جفاف النبات والاشجار فاسكناه بعظمتنا في الارض بعضه على ظهرها وبعضه في بطنها ولم نعمها
بالذي على ظهرها ولم نغور ما في بطنها ليعم نفعه ويسهل الوصول اليه وانا بما لنا من العظمة على ذهاب به اي على
اذهابه بانواع الاذهاب بكل طريق بالافساد والرفع والتغوير وغير ذلك مع اذهاب البركة التي تكون لمن كان معه
لقادرون قدرة هي في نهاية العظمة فاياكم والتعرض لما يسخطنا ولما ذكر انزاله سبب عنه الدليل الافقي
على البعث فقال فانشانا اي فاخرجنا واحيينا لكم خاصة به اي بذلك الماء الذي جعلنا منه كل شيء حي جنات
اي بساتين تجن اي تستر داخلها بما فيها من نخيل واعناب صرح بهذين الصنفين لشرفهما ولانهما اكثر ما عند العرب من الثمار
وسمى الاول باسم شجرته لكثرة ما فيها من المنافع المقصودة بخلاف الثاني فانه المقصود من شجرته ولما كان التقدير منها
وهي طرية تتفكهون عطف عليه قوله ومنها اي بعد اليبس والعصر تاكلون اي تجددون الاكل بالادخار ولعله قدم
الظرف تعظيماً للامتنان بها ولما ذكر سبحانه ما اذا عصر كان ماء لا يتبع للاصطباح اتبعه ما اذا عصر كان دهناً يعم
الاصطباح والاصطباغ وفصله عنه لانه ادل على القدرة فقال وشجرة اي وانشانا به شجرة اي زيتونة تخرج من طور
ولما كان السياق للامداد بالنعم ناسبه المد فقال سيناء قال الحافظ عماد الدين ابن كثير وهو طور سينين
وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون وقال صاحب القاموس
والطور الجبل وجبل قرب ايلة ويضاف الى سيناء وسينين وجبل بالشام وقيل هو المضاف الى سيناء وجبل بالقدس عن
يمين المسجد وآخر عن قبلته به قبر هرون عليه السلام وجبل براس العين وآخر مطل على طبرية انتهى وهو اسم مركب من الاسمين
وقيل بل هو مضاف الى سيناء ومعنى سيناء الحسن وقيل المبارك وقيل هو حجارة معروفة وقيل شجر وكانه خصه من بين الاماكن
لقربه من المخاطبين او لانه مهبط القران وهم العرب ولغرابة نبات الزيتون به لانه في بلاد الحر والزيتون من نبات الارض الباردة
ولتخصيصه لانه لا يكون نبته مما انزل من السماء من الماء لعلوه جداً وبعده من ان يدعي ان ما فيه من الندا او من الماء من البحر لان الامام
ابا العباس احمد بن القاص من قدماء اصحاب الشافعي حكى في كتابه ادلة القبلة ان يصعد الى اعلاه في ستة آلاف مرقاة وستمائة
وست وستين مرقاة قال وهي مثل الدرج من الصخر فاذا انتهى الى مقدار النصف من الطريق يصير الى مستواه من الارض فيها
اشجار وماء عذب وفي هذا الموضع كنيسة على اسم ايليا النبي عليه السلام وفيه مغار ان ايليا عليه السلام
لما هرب من ازبيل الملك اختفى فيه ثم يصعد من هذا الموضع في الدرج حتى ينتهي الى قلة الجبل وفي قلته كنيسة بنيت على
على اسم موسى عليه السلام باساطين رخام ابوابها من الصفر والحديد وسقفها من خشب الصنوبر واعلا سقوفها الجمل
رصاص قد احكمت بغاية الاحكام وليس فيها الا رجل راهب يصلي ويبخر ويسرج قناديلها ولا يمكن احداً ان ينام فيها
البتة وقد اتخذ هذا الراهب لنفسه خارجاً من الكنيسة بيتاً صغيراً ياوي فيه وهذه الكنيسة بنيت في المكان الذي
كلم الله فيه موسى عليه السلام وحواليه اي حوالي الجبل من اسفله ستة آلاف ما بين دير وصومعة للرهبان المتعبدين
كان يحمل اليهم خراج مصر في ايام ملك الروم للنفقة على الديارات وغيرها وليس اليوم بها الا مقدار سبعين راهباً
ياوون الدير الذي داخل الحصن وفي اكثرها ياوي اعراب بني رماده وعلى الجبل ما به صومعة واشجار هذا الجبل
اللوز والسرو واذا هبطت من الطور اشرفت على عقبة تهبط منها فتسير خطوات فتنتهي الى دير النصارى حصين
عليه سور من حجارة منحوتة ذات شرف عليه بابان من حديد وفي جوف هذا الدير عين ماء عذب وعلى هذه العين دائر
من حجارة لئلا يسقط في العين احد وقد هيء براتج رصاص تجري فيها الماء الى كروم لهم حول الدير ويقال ان هذا الدير
هو الموضع الذي راى موسى عليه السلام فيه النار في شجرة العليق وقبلة من بها دبر الكعبة وفيه يقول القائل
عجباً للطور من شانك موسى حين ناجاك بالكلام الجليل والطور من جهة كور مصر منه الى القلزم على البر
مسيرة اربعة ايام ومنه الى فسطاط مصر سبعة ايام انتهى كلام ابن القاص
المذكور هل به اشجار الزيتون فاخبرني انه لم ير به شيئاً منها وانما راها فيما حوله في قرار الارض وهي كثيرة وزيتونها
مع كبره طيب غزير فان كان ذلك كذلك فهو اغرب مما لو كانت به لانه لعلوه ابرد مما سفل من الارض فهو بها اولى ولعله
والله اعلم انما خصه تقدير الله تعالى ان يكون عدد الدرج ما ذكر موافقة زمان الايجاد الاول والمكان
الانبا الاول وذلك ان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام وهو الايجاد الاول وكلم موسى عليه السلام
وكتب له الالواح في هذا الجبل ثم انزل له التوراة وهي اعظم الكتب بعد القران وبالكتب السماوية والرابع
الربانية انتظام النبا الاول كما سلف في الفاتحة والانعام والكهف ولما ذكر سبحانه انشاءه هذه
الشجرة بهذا الجبل البعيد عن مياه البحار لعلوه وصلابته او بما حوله من الارض الحارة ذكر غيرها عن عادة الانجاد
بوجه آخر عجيب فقال تنبت اي بالماء الذي لا دهن فيه اصلاً نباتاً على قراءة الجمهور او انباتاً في قراءة ابن كثير وابي عمرو

ورويس عن يعقوب بضم الفوقانية وكسر الموحدة ملتبسا ثمرها بالدهن وهو في الاصل مايع لزج خفيف يتقطع ولا يختلط
بالماء الذي هو اصله فيسرج ويدهن به وكانه عرفه لانه اجل الادهان واجلها ولما كان الماكول منها الدهن
والزيتون قبل العصر عطف اشعارا بالتمكن فقال وصبغ اي وتنبت بشي يصبغ اي يلون الخبز اذا غمس فيه او اكل به للآكلين
وكانه نكره لان في الادام ما هو اشرف منه والذ وان كانت بركته مشهورة روى الامام احمد عن ابي اسيد مالك بن ربيعة
الساعدي الانصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة
وللترمذي وابن ماجة وعبد بن حميد في مسنده وتفسيره كما نقله ابن كثير عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة وقال ابو حيان وخص هذه الانواع الثلاثة
من النخل والعنب والزيتون لانها اكرم الشجر واجمعها للمنافع ولما دل سبحانه على قدرته بما احيى بالماء حياة قاصرة
عن الروح اتبعه ما افاض عليه به حياة كاملة فقال وان لكم في الانعام وهي الابل والبقر والغنم لعبرة تعبرون
بها من ظاهر امرها الى باطنه مما له سبحانه فيها من القدرة التامة على البعث وغيره ثم استانف قوله نسقيكم ولما
كان الانعام مفردا لكونه اسم جمع ولم يذكر ما يسقي منه انث الضمير بحسب المعنى وعلم ان المراد ما يكون منه اللبن خاصة
وهو الاناث فهو استخدام لانه لو اريد جميع ما يقع عليه الاسم لذكر الضمير فلذلك قال مما في بطونها اي تحيله
لكم شرابا نافعا للبدن موافقا للشهوة تلتذون به مع خروجه من بين الفرث والدم كما مضى في النحل ولكم فيها اي جماعة
الانعام وقدم الجار تعظيما لمنافعها حتى كان غيرها عدم منافع كثيرة باستسلامها لما يراد منها مما لا يتيسر من اصعب
منها وباولادها واصوافها واوبارها وغير ذلك من اثارها ولما كان التقدير تصرفونها في تلك المنافع عطف
عليه مقدما للجار تعظيما لماكولها فقال ومنها تاكلون بسهولة من غير امتناع ما عن شيء من ذلك ولو شا لمنعها منكم
وسلطها عليكم ولو شا لجعل لحمها لا ينضج او جعله قذرا لا يوكل ولكنه بقدرته وعلمه هياها لما ذكر وذللها له
ولما كانت المفاوتة بين الحيوانات في القوى وسهولة الانقياد دالة على كمال القدرة وكان الحمل للنفس والمتاع
عليها وعلى غيرها من الحيوان من اجل المنافع بحيث لولا هو لتعطلت اكثر المصالح ذكره فيها مذكرا بغيرها في البر ملوحا به
وذاكرا لمحامل البحر تصريحا فقال مقدما للجار عدا لحمل غيرها بالنسبة الى حملها لعظيم وقعه عدما وعليها اي
الانعام الصالحة للحمل من الابل والبقر في البر ولما كان من المعلوم من تذليلها على كبرها وقوتها
وامتناع غيرها على صغره وضعفه انه لا فاعل لذلك الا الله مع ان الممتن به نفس الحمل لا بالنظر الى اجزاء مبني للمفعول قوله
تحملون بانعامه عليكم بذلك ولو شا لمنعه فتذكروا عظيم قدرته وكمال صنعته وعظموه حق تعظيمه واشكروه
على ما اولاكم من تلك النعم واخلصوا له الدين لتفلحوا فتكونوا من الوارثين ولما كان التقدير فلقد حملنا نوحا ومن
اردنا ممن امن به من اولاده واهله وغيرهم على الفلك واغرقنا من عاند من اهل الارض قاطبة بقدرتنا ونصرناه عليهم
بعد ضعفه عنهم بايدنا وقوتنا وجعلناه وذريته هم الوارثين وكنتم ذرية في اصلابهم وكثرناهم حتى ملانا منهم الارض
دلالة على ما قدمنا من تفردنا كما اجرينا عادة هذا الكتاب الكريم بذكر عظيم البطش بعد ادلة التوحيد واتبعنا بعض
الرسل الذين عمتم بهم وعرفتم بعض اخبارهم باين انكر الان رسالة البشر لانكار رسالة هذا النبي الكريم عطف عليه
يهدد باهلاك الماضين للرجوع عن الكفر ويذكر بنعمة النجاة للاقبال على الشكر ويسلي هذا النبي الكريم ومن معه
من المومنين بمن كذب قبله من النبيين واوذي من اتباعهم ويدل على انه يفضل من عباده من يشا بالرسالة كما فضل
طينة الانسان على سائر الطين وعلى ان الفلاح بالارث والحياة الطيبة في الدارين مخصوص بالمومنين كما ذكر اول السورة
فذكر نوحا لان قصته اشهر القصص ولان قومه كانوا اهل الارض ولم تغن عنهم كثرتهم ولا نفعتهم قوتهم ولانه
الاب الثاني بعد الاب الاول المشار اليه بالطين ولان نجاته ونجاة المومنين معه كانت بالفلك المختوم به الاية قبله
فقال ولقد ارسلنا اشار بصيغة العظمة الى زيادة التسلية بما اتاه من الايات مما مثله امن عليه البشر وقام
هو صلى الله عليه وسلم بالحق القيام نوحا اي وهو الاب الثاني بعد ادم عليهما السلام الى قومه وهم
جميع اهل الارض لتواصل ما بينهم لكونهم على لغة واحدة فقال اي فتسبب عن ذلك ان قال يا قوم ترفقا بهم
اعبدوا الله اي الملك الاعظم الذي لا كفو له وحده لانه الحكم وحده لاستحقاقه بجميع خلال الكمال واستانف
على سبيل التعليل قوله ما لكم واعرق في النفي بما هو حق العبادة فقال من اله اي معبود بحق غيره فلا تعبدوا
سواه ولما كانت ادلة الوحدانية والعظمة باعطا الثواب واحلال العقاب في غاية الظهور لا تحتاج
الى كثير تامل تسبب عن ذلك انكاره لامنهم من مكره والخوف من ضره فقال افلا تتقون اي تخافون ما ينبغي الخوف منه
لتخافوا سطوته فتجعلوا لكم وقاية من غضبه فتعملوا بما تقتضيه التقوى من افراده بالعبادة خوفا من ضركم ورجا

لنفعكم

لنفعكم فقال اي فتسبب عن ذلك ان كذبوه بان قال الملأ اي الاشراف الذين ملاوا ونبههم الصدور عظمة ولما كان اهل
الارض كلهم اذ ذاك قبيلة واحدة لاجتماعهم في لسان واحد قدم قوله الذين كفروا اي بالله لان التسلية ببيان التكذيب اتم
والصلة هنا وصف ذم لا يحصل بها لبس ولا اضعف في النظم بخلاف ما ياتي وكان اتخاذهم كانت مما يرغب في الشناعة عليهم بان عرف
انهم من اقرب الناس اليه بقوله من قومه لمن هو دونهم ما هذا اي نوح عليه السلام الا بشر مثلكم اي فلا يعلم ما لا تعلمون فانكروا
ان يكون بعض البشر نبيا ولم ينكروا ان يكون بعض الطين انسانا وبعض الماء علقة وبعض العلقة مضغة الى اخر فكانه قيل فما
حمله على ذلك فقالوا يريد ان يتفضل عليكم اي يتكلف الفضل بادعا مثل هذا عليكم لتكونوا اتباعا له ولا خصوصية له به
دونكم ولما كان التقدير فلم يرسله الله كما ادعى عطف عليه قولهم ولو شاء الله اي الملك الاعلى ارسال اليكم وعدم عبادة
غيره لانزل لذلك ملائكة وما علموا ان القادر على تفضيل بعض الجواهر بجعلها ملائكة قادر على تفضيل ما شاء ومن شاء بما يشاء من الملا
وغيرها ولما كان هذا متضمنا لانكار رسالة البشر صرحوا به في قولهم كذبا وبهتانا كما كذب فرعون واله حيث قالوا مثل هذا
وكتمهم المومن برسالة يوسف عليه السلام ما سمعنا بهذا اي بارسال نبي من البشر يمنع ان يعبد غير الله بقصد التقريب اليه فجعلوا
الاله حجرا واحالوا كون النبي بشرا في اباينا الاولين ولا سمعنا بما دعا اليه من التوحيد ولما نفوا عنه الرسالة وحصروا
امره في قصد السيادة وكانت سيادته لهم بمثل هذا عندهم من المحال قالوا ان اي ما هو الا رجل به جنة اي جنون في قصده
التفضل بما يورثه بغضه وهضمه ولا نعرف له وجها مخصصا به فلا نطيع له فيه ابدا فتربصوا به اي فتسبب عن الحكم بجنونه
انا نامركم بالكف عنه لانه لا حرج على مجنون حتى اي الى حين لعله يفيق او يموت فكانه قيل فما قال فقيل قال عندما ايس من فلاحهم
رب انصرني اي اعني عليهم بما كذبون اي بسبب تكذيبهم لي فان تكذيبا لرسول استخفاف بالمرسل فاوحينا اي فتسبب عن دعايه
انا اوحينا اليه ان اصنع الفلك اي السفينة ولما كان يخاف من اذاهم له في عمله بالافساد وغيره قال باعيننا اي انه
لا يغيب عنا شيء من امرك ولا من امرهم وانت تعرف قدرتنا على كل شيء فثق بحفظنا ولا تخف شيا من امرهم ولما كان لا
يعلم تلك الصنعة قال ووحينا ثم حقق له بلاهم وقربه بقوله فاذا جا امرنا اي بالهلاك عقب فراغك منه وفار التنور
قال ابن عباس رضي الله عنهما وجه الارض وفي القاموس التنور الكانون يخبز فيه ووجه الارض وكل مفجر ماء وجبل قرب المصيصة
انتهى والاليق بهذا الامر صرفه الى ما يخبز فيه ليكون اية في اية فاسلك اي فادخل فيها اي السفينة من كل زوجين
من الحيوان اثنين ذكرا وانثى واهلك من اولادك وغيرهم الا من سبق عليه لا له القول منهم بالهلاك لقطع ما بينك
وبينه من الوصلة بالكفر ولما كان التقدير فلا تحمله معك ولا تعطف عليه لظلمه عطف عليه قوله ولا تخاطبني
اي بالسوال في النجاة في الذين ظلموا عامة ثم علل ذلك بقوله انهم مغرقون اي قد حتم القضا عليهم ونحن نكرمك عن سوال لا يقبل
ولما قدم ذلك لان درء المفاسد بالنهي عما لا يرضى اولى من جلب المصالح اتبعه الامر بالشكر فقال فاذا استويت
اي اعتدلت انت ومن معك اي من البشر وغيرهم على الفلك ففرغت من امتثال الامر في الحمل فقل لان علمك بالله ليس كعلم غيرك
فالحمد منك اتم واذا قلت اتبعك من معك فانك قدوتهم وهم في غاية الطاعة لك ولهذا افرد في الجزا بعد العموم في الشرط
الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال في الايجاد والاعدام لله اي الذي لا كفو له لانه المختص بصفات المجد الذي نجانا بحملنا فيه
من القوم الاشدا الاعتيا الظالمين الذين حالهم لوضعهم الاشيا في غير مواضعها حال من يمشي في الظلام فلك الحمد بعد افنايهم
كما كان لك الحمد في حال ابدايهم وابقايهم والحمد في هذه السورة المفتتحة باعظم شعيرة بعد الايمان الاول وهي الصلاة
الموصوفة بالخشوع كالحمد في سورة الايجاد الاول الانعام بقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
ولما اشار له بهذا القول الى السلامة بالحمل اتبعه الاشارة الى الوعد باسكان الارض فقال وقل رب انزلني
في الفلك ثم في الارض وفي كل منزل تنزلني به وتورثني اياه منزلا موضع نزول وانزالا مباركا اي اهلا لان يثبت فيه
اوبه ولما كان الثنا اعظم مهيج على اجابة الدعا وكان التقدير فانت خير الحاملين عطف عليه قوله وانت خير المنزلين
لانك تجلي بذلك كل مسلم وتعطيه كل مراد ولما كانت هذه القصة من اغرب القصص حث على تدبرها بقوله ان في ذلك اي
الامر العظيم الذي ذكر من امر نوح وقومه وكذا ما هو جهاد له لآيات اي علامات دالات على صدق الانبيا في ان المومنين هم
المفلحون وانهم الوارثون للارض بعد الظالمين وان عظمت شوكتهم واشتدت صولتهم وان اي وانا بما لنا من العظمة
كنا بما لنا من الوصف الثابت الدال على تمام القدرة لمبتلين اي فاعلين فعل المختبر لعبادنا بارسال الرسل ليظهر في عالم الشهادة
الصالح منهم من غيره ثم نبتلي الصالحين منهم بما يزيد حسناتهم وينقص سيئاتهم ويعلي درجاتهم ثم نجعل لهم العاقبة فنبلي بهم
الصالحين بما يوجب دمارهم ويخرب ديارهم ونمحوا اثارهم هذه عادتنا المستمرة الى ان نرث الارض ومن عليها فيكون البلا مبين
ولما بين سبحانه تكذيبهم وما عذبهم به وكان القياس موجبا لان من ياتي بعدهم يخشى مثل مصرعهم فيسلك غير سبيلهم
ويقول غير قيلهم بين انه لم ينفعهم العبر فارتكبوا امثال احوالهم وزادوا على اقوالهم وافعالهم لارادة ذلك من الفاعل

يكة

ده

المختار الواحد القهار وايضا فانه لما كان المقصود مع التهديد والدلالة على القدرة والاختيار الدلالة على تخصيص المومنين
بالفلاح والبقا بعد الاعدا وكان اهلاك المترفين ادل على ذلك اقتصر على ذكرهم وابهمهم ليصح تنزيل قصتهم على كل من ادعى فيهم
الاتراف من الكفرة ويترجح ارادة عاد لما اعطوا مع ذلك من قوة الابدان وعظم الاجسام وبذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما
وارادة ثمود لما فى الشعرا والقمر مما يشابه بعض قولهم هنا وللتعبير عن عذابهم بالصيحة ولموافقتهم لقوم نوح فى تعليل ردهم
بكونه بشرا وطوى الاخبار عمن بعدهم بغير التكذيب والاهلاك لعدم الحاجة الى ذكر شىء غيره فقال ثم انشانا اى احدثنا
واحيينا وربينا بما لنا من العظمة ولما لم يستغرقوا زمان البعد اتى بالجار فقال من بعدهم قرنا اى امة وجيلا
ولما كان ربما ظن ظان انهم فرقة من المهلكين نجوا من عذاب سائرهم كما يكون فى حروب سائر الملوك عبر عن انجائهم بانشائهم
حقق انهم احدثوا بعدهم فقال اخرين فارسلنا اى فتعقب انشانا لهم وتسبب عنه ان ارسلنا ولما كان المقصود
الابلاغ فى التسلية عدى الفعل بفى دلالة على انه عمهم بالابلاغ كما يعم المظروف الظرف حتى لم يدع واحدا منهم الا ابلغ فى امره
فيهم رسولا منهم فكان القياس يقتضى مبادرتهم لاتباعه لعلمهم بما حل قبلهم لاجل التكذيب ولمعرفتهم غاية المعرفة لكون
النبى منهم بما جبلناه عليه من المحاسن وما ربيناه به من الفضايل ولان عزه عزهم ولدعايه لهم الى ما لا يخفى حسنه عاقل ولا يأباه
منصف ثم بين ما ارسل به بقوله ان اعبدوا الله اى وحده لانه لا مكافى له ولذا حفظ اسمه فكان لا سمى له ثم علل ذلك بقوله ما لكم
ودل على الاستغراق بقوله من اله غيره ولما كانت المثلات قد خلت من قبلهم فى المكذبين وانا اخص صروفها بالظالمين
فتسبب عن علمهم بذلك انكار قلة خوفهم لانهم فى عدم تحرزهم من مثل مصارعهم قال افلا تتقون اى تجعلون لكم وقاية مما ينبغى الخوف
منه فتجعلوا وقاية تحول بينكم وبين سخط الله ولما كان التقدير فلم يومنوا ولم يتقوا اذاب قوم نوح عطف عليه قوله
وقال الملا اى الاشراف الذين يملاون بهم الصدور فكانما اقترن بالواو اعظم فى التسلية مما خلا منها على تقدير سوال
لدلالته هذا على ما عطف عليه ولما كانت القبايل قد تفرقت بتفرق الالسن قدم قوله من قومه اهتماما وتخصيصا
للابلاغ فى التسلية ولانه لو اخر لكان بعد تمام الصلة وهى طويلة ثم بين الملا بقوله الذين كفروا اى غطوا ما يعرفون من
ادلة التوحيد والانتقام من المشركين وكذبوا بلقاء الاخرة لتكذيبهم بالبعث ولما كان من لازم الترف صحح
اشارة الى انه تطر كونه سعادة فى الدنيا قاطع فى الغالب عن سعادة الاخرة لكونه بيان القطع حاملا على الاشر والبطر والتكبر
حتى على المنعم فقال واترفناهم اى والحال انا بما لنا وعلى ما لنا من العظمة نعمناهم فى الحياة الدنيا اى الدانية بالاموال والاولاد
وكثرة السرور يخاطبون اتباعهم ماهذا اشاروا اليه تحقيرا له عند المخاطبين الا بشر مثلكم اى فى الخلق والحالة ووصفوه
بما يوهم المساواة فى كل وصف فقالوا ياكل مما تاكلون منه من طعام الدنيا ويشرب مما تشربون اى منه من شرابها فكيف
يكون رسولا دونكم ولما كان التقدير فلين اتبعتموه انكم لضالون عطف عليه ولين اطعتم بشرا مثلكم فى جميع ما يامرونك
انكم اذا اى اذا اطعتموه لخاسرون اى مغبونون لكونكم فضلتم مثلكم عليكم بما يدعيه مما نحن له منكرون ثم بينوا انكارهم بقوله
ايعدكم انكم اذا متم ففارقت ارواحكم اجسادكم وكنتم اى وكانت اجسادكم ترابا باستيلا التراب على ما دون عظاما
وعظاما مجردة ثم بين الموعود به بعد ان حرك النفوس اليه وبعث بما قدمه اتم بعث عليه فقال مبدلا من انكم الاولى لطول الفصل
للمعنى انكم مخرجون اى من تلك الحالة التى صرتم اليها فراجعون الى ما كنتم عليه من الحياة على ما كان لكم من الاجسام ثم استانفوا
التصريح بما دل عليه الكلام من استبعادهم ذلك فقالوا هيهات هيهات اى بعد بعد جدا بحيث صار ممتنعا ولم يرتفع ما
به بل قطع عنه تحقيقا له فكان كانه قيل لاى شىء هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون ولما كانوا قد ابعدوا التاكيد فى
التبعيد كانهم قالوا انا لا نبعث اصلا اتصل به ان هى اى الحالة التى لا يمكن لنا سواها الا حياتنا الدنيا اى التى هى اقرب
الاشيا الينا وهى ما نحن فيها ثم فسروها بقولهم نموت ونحيى اى يموت منا من هو موجود وينشا اخرون بعدهم وما نحن
بمبعوثين بعد الموت فكانه قيل فما هذا الكلام الذى يقوله فقيل كذب ثم حصروا امره فى الكذب فقالوا ان اى ما هو
الا رجل ونبهوه على ترك مثل ما خاطبهم به بقولهم رجل افترى اى تعمد على الله اى الملك الاعلى كذبا والرجل لا ينبغى له
مثل ذلك او هو واحد وحده لا يلتفت اليه وما نحن له بمومنين اى بمصدقين فيما يخبرنا به من البعث والرسالة ثم استانف
قوله قال رب اى ايها المحسن الى بارسالى اليهم وغيره من انواع التربية انصرنى اى اوقع لى النصر بما كذبون فاجابه ربه
بان قال عما قليل اى من الزمن واكد قلته بزيادة ما ليصبحن نادمين على تخلفهم عن اتباعك ولما تسبب عن دعائه
ان تعقب هلاكهم وعد الله له بذلك قال تعالى فاخذتهم الصيحة اى التى كانها لقوتها لا صيحة الا هى ويمكن ان تكون على بابها
فتكون صيحة جبريل عليه السلام ويكون القوم ثمود ويمكن ان تكون مجازا عن العذاب الهايل بالحق اى بالامر الثابت من العذاب الذى
اوجب لهم الذى لا يمكن مدافعته لهم ولا لاحد غير الله ولا يكون كذلك الا وهو عدل فجعلناهم بعظمتنا التى لا تدانيها عظمة
بسبب الصيحة غثاء كانهم اعجاز نخل خاوية جاثمين امواتا يطرحون كما يطرح الغثا وهو ما يحمله السيل من نبات ونحوه م

فيسود ويبلى فيصير بحيث لا ينتفع به ونجينا رسولهم ومن معهم من المومنين فخاب الكافرون وافلح المومنون وكانوا هم
الوارثين للارض بعدهم ولما كان هلاكهم على هذا الوجه سببا لهوانهم عبر عنه بقوله فبعدا اى هلاكا وطردا ولما
كان كانه قيل لمن قيل لهم ولكنه اظهر الضمير تعميما وتعليقا للحكم بالوصف تحذيرا لكل من تلبس به فقال للقوم اى الاقويا
الذين لا عذر لهم فى التخلف عن اتباع الرسل والمدافعة عنهم الظالمين الذين وضعوا قوتهم التى كان يجب عليهم بذلها فى نصر
الرسل فى خذلانهم ولما كانت عادة المكذبين ان يقولوا تكذيبا هذا تعريض لنا بالهلاك فصرح ولا ندع جهدا فى الحلاله (?)
بنا والتعجيل به الينا فانا لا ندع مما نحن عليه لشىء وكان العرب ايضا قد ادعوا ان العادة بموتهم وانشا من بعدهم شيا فشيا
لا لتحذر قال تعالى رادعا لهم ثم انشانا اى بعظمتنا التى لا يبصرها تقديم ولا تاخير واثبت الجار لما تقدم فقال من بعدهم
اى من بعد من قدمنا ذكره من نوح والقرن الذى بعده قرونا اخرين ثم اخبر بانه لم يعجل على احد منهم قبل الاجل الذى حده له بقوله
ما تسبق ولعله عبر بالمضارع اشارة الى انه ما كان شىء من ذلك ولا يكون واشار الى الاستغراق بقوله من امة اجلها اى الذى
قدرناه لهلاكها وما يستاخرون عنه وكلهم اسفرت عاقبته عن خيبة المكذبين وفلاح المصدقين وجعلهم بعدهم الوارثين
وعكس هذا الترتيب فى غيرها من الايات فقدم الاستيخار لانه فرض هناك مجى الاجل فلا يكون حينيذ نظر الا الى التاخير ه
ولما كان قد املى لكل قوم حتى طال عليهم الزمن فلما لم يهدهم عقولهم لما نصب لهم من الادلة واسبغ عليهم من النعم
واحل بالمكذبين قبلهم من النقم ارسل فيهم رسولا دل على ذلك باداة التراخى فقال ثم ارسلنا اى بعد انشا كل قرن منهم
وطول امهالنا له ومن هنا يعلم ان بين كل رسولين فترة واضاف الرسل اليه لانه فى مقام العظمة وزيادة فى التسلية فقال
رسلنا تترى اى واحدا بعد واحد قال الرازى من وتر القوس لاتصاله وقال البغوى والاثر الخبر اتبعت بعضه بعضا
وبين الخبرين هنيهة وقال الاصبهانى والاصل وترى فقلبت الواو تاء كما قلبوها فى التقوى فجا كل رسول الى امته قايلا
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولما كان كانه قيل فكان ماذا قيل كلما جا امة ولما كان فى بيان التكذيب
اضاف الرسول اليهم ذما لهم لانهم خصوا بالكرامة فابوها وللقصد للتسلية ايضا فقال رسولها اى بما امرناه به من التوحيد
ولما كان الاكثر من كل امة مكذبا اسند الفعل الى الكل فقال كذبوه اى كما فعل هولاء بك لما امرتهم بذلك
فاتبعنا القرون بسبب تكذيبهم بعضهم بعضا فى الاهلاك فكنا نهلك الامة كلها فى آن واحد بعضهم بالصيحة د
وبعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بغير ذلك فقد اخذنا لهم على غير العادة من اهلاكنا لهم جميعا وانجاء
الرسل ومن صدقهم والمخالفة بينهم فى نوع العذاب انا نحن الفاعلون بهم ذلك باختيارنا لا الدهر وانا ما فعلنا ذلك
الا بسبب التكذيب ولما كانوا قد ذهبوا لم يبق عند الناس منهم الا اخبارهم جعلوا اياها فقال وجعلناهم
احاديث اى اخبارا يسمر بها ويتعجب منها ليكونوا عظة للمستبصرين فيعلموا انه لا يفلح الكافرون ولا يخيب المومنون
ولا شىء يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث
ولما تسبب عن تكذيبهم هلاكهم المقتضى لبعدهم قال فبعدا لقوم اى اقويا على ما يطلب منهم لا يومنون اى لا
يتجدد منهم ايمان وان جرت عليهم الفصول الاربعة لانه لا مزاج لهم معتدل ولما كان ال فرعون قد انكروا الايمان
لبشر مثلهم كما قال من تقدم ذكره من قوم نوح والقرن الذى بعدهم وكانوا اترف اهل زمانهم واعظمهم قوة واكثرهم عدة
وكانوا يستعبدون بنى اسرايل وكان قد نقل الينا من الايات التى اظهر رسولهم ما لم ينقل الينا مثله لمن تقدمه د
صرح سبحانه بهم وكانت الرسالة اليهم كانت بعد فترة طويلة دل عليها بحرف التراخى فقال ثم ارسلنا اى بما لنا
من العظمة موسى وزاد فى التسلية بقوله واخاه هرون اى عاضدا له وبيانا لان اهلاك فرعون وآله جميعا مع انجاء
الرسولين معا ومن امن بهما لارادة الواحد القهار لافلاح المومنين وخيبة الكافرين باياتنا اى المعجزات بعظمتها
وسلطان مبين اى حجة ملزمة عظيمة واضحة وهى حراسته وهو وحده واعلاوه على كل من ناواه وهم مع قوتهم ملك الارض
وعجزهم عن كل ما يرومونه من كيده وهذه وان كانت من جملة الايات لكنها اعظمها وهى وحدها كافية فى ايجاب التصديق
الى فرعون وملايه اى وقومه ولكن لما كان الاطراف لا يخالفون الاشراف عدهم عدما ومن لوازم انا لنقدر ان اعبدوا الله
ما لكم واشار بقوله فاستكبروا الى انهم اوجدوا الكبر عن الاتباع فيما دعوا اليه عقب الابلاغ من غير تامل ولا تثبت وطلبوا
ان لا يكونوا تحت امر من عاملهم واشار بالكون الى فساد جبلتهم فقال وكانوا قوما اى اقويا عالين على جميع من يناويهم من
امثالهم ولما تسبب عن استكبارهم وعلوهم انكارهم للاتباع قال فقالوا انومن اى بالله مصدقين لبشرين
ولما كان مثل وغير قد يوصف بهما المذكر والمونث والمثنى والجمع دون تغيير ولم تدع حاجة الى التثنية قال
مثلنا اى فى البشرية والماكل والمشرب وغيرهما مما يعترى البشر كما قال من تقدمهم وقومهما اى والحال ان قومهما لنا
عابدون اى فى غاية الذل والانقياد كالعبيد فنحن اعلى منهما بهذا ويا ليت شعرى ما لهم لما جعلوا هذا شبهة لم يجعلوا

عجزهم عن اهلاك الرسل وعمايا تؤتيهم من المعجزات فرقانا وما جوابهم عن ان من الناس الجاهل الذي لا يهتدي لشيء والعالم الذي يفوق الوصف من فاوت بينهما واذا جاز التفاوت بينهما في ذلك فلم لا يجوز في غيره ولما تسبب عن هذا الانكار التكذيب فتسبب عنه الهلاك قال فكذبوهما اي فرعون وملاؤه موسى وهرون عليهما السلام فكانوا اي فرعون وآله وبنيه بصيغة المفعول على عظيم القدرة فقال من المهلكين اي باغراقنا لهم على تكذيبهم اشارة الى انهم لم يهلكوا بانفسهم من غير مهلك مختار بدليل اغراقهم كلهم بما كان سبب انجاء بني اسرائيل كلهم ولم تغن عنهم قوتهم في انفسهم ثم قوتهم على خصوص بني اسرائيل باستعبادهم اياهم ولا امر بني اسرائيل ضعفهم عن دفاعهم ولا ذلهم لهم وصغارهم في ايديهم ولما كان ضلال قومهما الذين استنقذاهم من عبودية فرعون وقومه اعجب وكان السامع متشوقا الى ما كان من امرهم بعد نصرهم ذكر لكونه مبتدئا له بحرف التوقع مشيرا الى حالهم في ضلالهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ولقد اتينا اي بعظمتنا موسى الكتاب اي الناظم لمصالح البقاء الاول بل والثاني ولما كان كتابهم لم ينزل الا بعد هلاك فرعون كما هو واضح لمن تامل سياق قصتهم في القرآن وكان محال هلاك القبط معرفا ان الكتاب لبني اسرائيل اكتفى بضميرهم فقال لعلهم اي قوم موسى وهرون عليهما السلام يهتدون اي ليكون حالهم عند من يعلم العواقب حال من ترجى هدايته فانه جعلهم في ذلك في مقام الترجي ان فيهم من لم يهتد قال ابن كثير وبعد ان انزل التوراة لم يهلك امة بعامة بل امر المومنين بقتال الكافرين انتهى ولا يبعد على هذا ان يكون الضمير في لعلهم للقرون الحادثة المدلول عليها بقوله قرونا وربما ارشد الى ذلك قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وقد ختم الهلاك العام بالاغراق كما فتح به والنبيان اللذان وقع ذلك لهما دعا كل منهما على من عصاه وكلاهما مثله النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر في الشدة على العصاة بعمر رضي الله عنه الذي اطاعه النيل والحاج جيشه الدجلة باذن الله ولما كان من ذكر كلهم قد رد وامن جاهم لاستبعادهم استبعادا لان يكون الرسل بشرا وكان بنو اسرائيل الذين اعزهم الله ونصرهم على عدوهم واوضح لهم الطريق بالكتاب قد اتخذوا عيسى مع كونه بشرا الها اتبع ذلك ذكره تعجيبا من حال المكذبين في هذا الصعود بعد ذلك النزول في امر من ارسلوا اليهم وجرت على ايديهم الايات لهدايتهم فقال وجعلنا اي بعظمتنا ابن مريم نسبه اليها تحقيقا لكونه لا اب له وكونه بشرا محمولا في البطن مولودا لا يصلح لرتبة الالهية وزاد في تحقيق ذلك بقوله وامه وقال آية اشارة الى ظهور الخوارق على ايديهما حتى كانهما نفس الاية فلا يرى منهما شيء الا وهو آية ولو قال ايتين لكان ربما ظن انه يراد حقيقة هذا العدد ولعل في ذلك اشارة الى انه تمت به اية القدرة على ايجاد الانسان بكل اعتبار من غير ذكر ولا انثى كادم عليه السلام ومن ذكر بلا انثى كحوا عليهما السلام ومن انثى بلا ذكر كعيسى عليه السلام ومن من الزوجين كبقية الناس والمراد ان بني اسرائيل مع الكتاب الذي هو آية مسموعة والنبي الذي هو آية مرئية لم يهتد اكثرهم ولما كان اهل الغلو في عيسى وامه عليهما السلام ربما تشبثوا من هذه العبارة بشيء حقق بشريتهما واحتياجهما المنافي لرتبة الالهية فقال واويناهما اي بعظمتنا لما قصدهما ملوك البلاد الشامية اهلاكهما الى ربوة اي مكان عال من الارض واحسن ما يكون النبات في الاماكن المرتفعة والظاهر ان المراد بها عين شمس في بلاد مصر قال ابن كثير قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ليس الربا الا بمصر والماء حين يرسل تكون الربا عليها القرى ولولا الربا غرقت القرى وروي عن وهب بن منبه نحو هذا انتهى ذات قرار اي منبسط صالح لان يستقر فيه لما فيه من المرافق ومعين اي ماء ظاهر للعين ونافع كالماعون فرع اشتق من اصلين ولم يقدر من خالفه من الملوك وغيرهم على كثرتهم وقوتهم على قتله لا في حال صغره ولا في حال كبره كما مضى نقله عن الانجيل وصدقه عليه القرآن مع كونه مظنة لتناهي الضعف بكونه من انثى فقط ولا ناصر له الا الله ومع ذلك فانجح الله امره وامر من اتبعه وخيب الكافرين ورفعه اليه ليؤيد به هذا الدين في آخر الزمان ويكون للمومنين حينئذ فلاح لم يتقدم مثله

ذكر شيء من الدلايل كونه آية من الانجيل

قال يوحنا احد المترجمين للانجيل واغلب السياق له فاني خلطت كلام المترجمين الاربعة ثم بعد ايام المظال قال لهم يسوع اي الاثنا عشر تلميذا له تحول من ههنا الى يهودا البرية ليبصروك الاعمال التي تعمل لانه ليس احد يعمل شيئا فيجب ان يكون علانية اذ كنت تعمل هذه الاشيا فاظهر نفسك للعالم فقال لهم يسوع اما وقتي فلم يبلغ واما وقتكم فانه مستعد في كل حين لن يقدر العالم ان يبغضكم وهم يبغضوني لاني اشهد عليهم ان اعمالهم شريرة اصعدوا انتم الى هذا العيد فاني لا اصعد الان ثم قال ولما انتصف ايام العيد صعد يسوع الى الهيكل فبدا يعلم وكان اليهود يتعجبون ويقولون كيف يحسن هذا الكتاب ولم يعلمه احد فقال تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني فمن احب ان يعمل مرضاته فهو يعرف تعليمي لا بل هو من الله او من عندي ان من يتكلم من عنده انما يطلب المجد لنفسه واما الذي يطلب مجد الذي ارسله فهو صادق وليس فيه ظلم اليس اعطاكم الناموس وليس فيكم احد يعمل بالناموس ثم قال وفي اليوم العظيم الذي هو آخر العيد كان يسوع قائما ينادي كل من يؤمن بي كما قالت الكتب تجري من بطنه انهار ما الحياة وان الجمع الكثير سمعوا كلامه فقالوا هذا نبي حقا واخرون قالوا هذا هو المسيح واخرون قالوا لعل المسيح من الجليل يأتي اليس قد قال الكتاب انه من نسل داود من بيت لحم قرية

داود

داود دخاصته بان المسيح فوقع بين الجموع خوف من اجله قال متى حينئذ جا الى يسوع من يروشليم كتبة وفريسيون قايلين لماذا تلاميذك يتعدون وصية المشيخة اذ لا يغسلون ايديهم عندما ياكلون وقال مرقس ثم اجتمع اليه الفريسيون وبعض الذين جاؤا من يروشليم فنظروا الى تلاميذه ياكلون الطعام بغير غسل ايديهم لان الفريسيين وكل اليهود لا ياكلون الا بغسل ايديهم تمسكا بتعليم شيوخهم والذين يشترونه من الاسواق ان لم يغسلوه لا ياكلونه واشيا اخر كثيرة تمسكوا بها من غسل كؤوس واواني ومصاع واسرة وساله الكتبة والفريسيون لم تلاميذك لا يسيرون على ما وصت به المشيخة قال متى فاجابهم وقال لماذا انتم تتعدون وصية الله من اجل سنتكم الم يقل الله اكرم اباك وامك والذي يقول كلاما رديا في ابيه وامه يستاصل بالموت وانتم تقولون من قال لابيه او لامه ان القربان شيء ينتفع به فابطلتم كلام الله من تقليدكم وانتم قال مرقس وتفعلون كثيرا مثل هذا انتهى يا مراؤن حسنا تنبا عليكم شعيا قايلا ان هذا الشعب قريب مني بفيه ويكرمني بشفتيه وقلبه بعيد عني بعيد وبي باطلا يعلمون تعليم وصايا الناس ودعا الجمع وقال لهم اسمعوا وافهموا ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان لكن الذي يخرج من الفم ينجس الانسان حينئذ جا اليه تلاميذه وقالوا اعلم ان الفريسيين لما سمعوا الكلام شكوا فاجاب وقال كل غرس لا يغرسه ابي السماوي يقلع دعوهم فانهم عميان يقودون عميانا اجابه بطرس وقال فسر لنا المثل فقال حتى انتم لا تفهمون اما تعلمون ان كل ما يدخل الى الفم يصل الى البطن وينطرد الى المخرج فاما الذي يخرج من الفم فهو يخرج من القلب هذا الذي ينجس الانسان لانه يخرج من القلب الفكر الشرير القتل الزنا الفسق السرقة وشهادة الزور التجديف هذا هو الذي ينجس الانسان فاما الاكل بغير غسل فليس ينجس الانسان وقال مرقس ان كل ما كان خارجا يدخل الى جوف الانسان لا يقدر ان ينجسه لانه لا يتصل الى القلب بل الى الجوف ويذهب الى الخارج والذي يخرج من فم الانسان هو الذي ينجس الانسان لانه من داخل يخرج افكار سوء فجور زنا قتل سرقة شره شر غش فسق عين شريرة تجديف تعاظم جهل هذا كله شر من داخل يخرج فينجس الانسان انتهى وفيه مما لا يجوز اطلاقه في شرعنا الاب كما تقدم غير مرة ولما بين ان عيسى عليه السلام على منهاج اخوانه من الرسل في الاكل والعبادة وجميع الاحوال زاد في تحقيق ذلك بيانا لمن ضل بان اعتقد فيه ما لا يليق به فقال مخاطبا لجميعهم بعد اهلاك من عاندهم من قومهم على وجه يشمل ما قبل ذلك ردا لمن جعله موجبا لانكار الرهبانية وتبكيتا لمن ابتدع الرهبانية من امة عيسى عليه السلام اعلاما بان كل رسول قيل له بمعنى هذا الكلام فعمل به فكانوا كانهم نودوا به في وقت واحد فعبر بالجمع ليكون اجمع له فيكون ادعى لقبوله يا ايها الرسل من عيسى وغيره كلوا انتم ومن نجيناه معكم بعد اهلاك المكذبين ولما علوا عن رتبة الناس فلم يكونوا راضين لم يقل مما في الارض وعن رتبة الذين امنوا لم يقل من طيبات ما رزقناكم ليكونوا اعابة من نظرا الى النعمة او حذرا من النقمة كما مضى بيانه في سورة البقرة بل قال من الطيبات اي الكاملة التي منت عليكم بحلها لكم واحلالها وازالة الشبهة عنها وجعلها شهية للطبع نافعة للبدن منعشة للروح وذلك ما كان حلالا غير مستقذر لقوله تعالى يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ودل سبحانه على ان الحلال عون على الطاعة بقوله واعملوا صالحا اي سرا وجهرا غير خائفين من احد فقد اهلكت عدوكم واورثتكم ارضهم ولم يقيد عملهم بشكر ولا غيره اشارة الى انه لوجهه ليس غير فانهم دائما في مقام الشهود في حضرة المعبود والفنا عن كل سوى حتى عن الفنا ثم حثهم على دوام المراقبة بقوله اني بما اي بكل شيء تعملون عليم اي بالغ العلم ولما كان هذا التعليل لا لما سبقه من الامر عطف على لفظه قوله وان بالكسر في قراءة الكوفيين وعلى معناه لما كان يستحقه لو ابرزت لام العلة من الفتح في قراءة غيرهم هذه اي دعوتكم ايها الانبيا المذكورون اجمالا وتفصيلا وملتكم المجتمعة على التوحيد والجماعة التي الجتها معكم لمن المومنين امتكم اي مقصدكم الذي ينبغي ان لا توجهوا هممكم الى غيره او جماعة اتباعكم حال كونها امة واحدة لا اشتات فيها اصلا فما دامت متوحدة فهي مرضية وانا ربكم اي المحسن اليكم بالخلق والرزق وحدي فمن وحدني نجا ومن كثر الارباب هلك ولما كان الخطاب في هذه السورة كلها للخلص من الانبيا ومن تبعهم من المومنين قال فاتقون اي اجعلوا بينكم وبين غضبي وقاية من جميع عبادي بالدعا الي وحدي انتهى لا فرقة اصلا بخلاف سورة الانبيا المصدرة بالناس فان مطلق العبادة اولى بدعوتها ولما كان من المعلوم قطعا ان التقدير فاتقى الانبيا الله الذي ارسلهم وتجمعوا احمل ما ارسلهم به من عظيم الثقل فدعوا العباد الى الله واراد واجمعهم عليه عطف عليه بفا السبب قوله معبرا بفعل التقطع لانه يفيد التفرق فتقطعوا اي الامم وانما اضمرهم لوضوح ارادتهم لان الاية التي قبلها صرحت بان الانبيا ومن تبعهم امة واحدة لا اختلاف بينها فعلم قطعا ان الضمير للامم ومن نشا بعدهم ولذلك كان النظر الى الامر الذي كان واحدا الاهم فقدم قوله امرهم اي في الدين بعد ان كان مجتمعا متصلا بينهم فكانوا شيعا وهو معنى زبرا اي قطعا كل قطعة منها في غاية القوة والاجتماع والثبات على ما صارت اليه من الهوى والضلال لكل شيعة طريقة في الضلال عن الطريق الامم والمقصد المستقيم وكتاب زبروه في اهويتهم ولم يرجعوا انفسهم بما دعتهم اليه

الهداة من الاجتماع والالفة فاهلكوها بالبغضة والفرقة وموصوفون بانه مفعول أن لنقطع على ما مضى تحرجه في الانبياء
وقد ظهر كما ترى ظهورا بينا ان هذه اشارة الى الناجين من امة كل نبي بعد اهلاك اعدائهم اي ان هذه الجماعة الذين انجيتهم معلم
امتكم حال كونهم امة واحدة متفقين في الدين لا اختلاف بينهم وكما ان جماعتكم واحدة فانا ربكم لا رب لكم غيري فاتقون ولا يخالف
احد منكم امري ولا تختلفوا وتفترقوا البلاء عذب العاصي منكم كما عذبت اعداكم ولما كان هذا مما لا يرضاه عاقل
اجيب من كانه قال هل رضوا بذلك مع انكسا فضره بقوله **كل حزب** اي فرقة **بما لديهم** اي من ضلال وهدى **فرحون**
اي مسرورون دون هؤلاء انهم راضون غير منزعج الضال منهم على ما جانبه الرسل من الهدى ولا ملتفت الى الاعتبار بما اتفق لامهم بسبب
تكذيبهم من الردى ولما انتج هذا ان الضلال واد وضح لا يكشفه الا ذو الجلال سبب عنه سبحانه قوله بتسلية لرسوله
صلى الله عليه وسلم **فذرهم** اي اتركهم على شر حالهم **في غمرتهم** اي الضلالة التي غمرتهم بها **حتى حين** اي الى وقت ضربناه لهم من قبل
ان نخلقهم ونحن عالمون بكل ما يصدر منهم على انه وقت يسير ولما كان الموجب لغرورهم ظنهم ان حالهم في نيل الارزاق من الاموال
والاولاد حال الموعود لا المتوعد انكر ذلك عليهم تنبيها لمن سبقت له السعادة وكتبت له الحسنى وزيادة فقال **ايحسبون** اي
اضعف عقولهم **انما** اي الذي **نمدهم** على عظمتنا **به** اي نجعله مددا لهم **من مال** بسطهم **وبنين** نمتعهم بهم ثم اخبر عن ان بلبل قراة
السلي بالبا الحيثية فقال **نسارع لهم** اي به بادرنا له عليهم في سرعة من يبارى آخر **في الخيرات** التي لا خيرات الا هي لانها محمودة
العاقبة ليس كذلك هو وبال عليهم لانه استدراج الى الهلاك لانهم غير عاملين بما يرضي الرحمن بل هم يسارعون في اسباب السرور
ولا يكون عن السببا الاسبابه ولكنهم كالبهايم **لا يشعرون** انهم في غاية البعد عن الخيرات سنستدرجهم من حيث لا يعلمون هم
ولما ذكر اهل الافتراق اتبعهم اهل الاتفاق فكان كانه قيل فمن الذي تكون له الخيرات فاجيب بانه الخائف من الله فقيل
معبرا بما يناسب اول السورة من الاوصاف باديا بالخشية لانها الحاملة على تجديد الايمان **ان الذين هم** اي بواطنهم **من خشية**
ربهم اي الخوف العظيم من المحسن اليهم المنعم عليهم **مشفقون** اي دائموا الحذر **والذين هم بايات ربهم** المسموعة والمرئية
لا ما كان مرجعه غيره **يؤمنون** لا يزال ايمانهم يتجدد شكرا لاحسانه اليهم ولما كان المؤمن قد يعرض له ما يقدح في ايمانه
من شرك جلي او خفي قال **والذين هم بربهم** اي الذي لا محسن اليهم غيره وحده **لا يشركون** اي شيئا من شرك في وقت من الاوقات كما
لم يشركه في الاحسان اليهم احد ولما اثبت لهم الايمان الخالص نفى عنهم العجب بقوله **والذين يؤتون ما اتوا** اي يعطون
ما اعطوا من الطاعات وكذا قراءة يحيى بن الحرث وغيره ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا من اعمال البر لتتفق القراءتان في
الاخبار عنهم بالسبق ثم ذكر حالهم فقال **وقلوبهم وجلة** اي شديدة الخوف قد دخل في دواخلها وجال في كل جزء منها لانهم عالمون
بانهم لا يقدرون الله حق قدره وان اجتهدوا وانه علل ذلك بقوله **انهم الى ربهم** اي الذي طال احسانه اليهم **راجعون** بالبعث
فيحاسبهم على النقير والقطمير ويجزيهم بكل قليل وكثير وهو الناقد البصير قال الحسن البصري ان المؤمن جمع ايمانا وخشية
والمنافق جمع اساءة وامنا ثم اثبت لهم ما افهم انه ضد لاضدادهم فقال **اولئك** اي خاصة **يسارعون** اي يسبقون
سبق من يسابق اخر **في الخيرات** فافهم ذلك ضد ما ذكر لاضدادهم بقوله **وهم لها** اي اليها خاصة اي الى غاياتها ولكنه
عبر باللام اشارة الى زيادة القرب منها والوصول اليها مع الامن لجعل الخيرات ظرفا للمسارعة من لجزها على حقيقتها التعديه
سابقون لجميع الناس لانا نحن نسارع لهم في المسببات اعظم من مسارعتهم في الاسباب ويجوز ان يكون سابقون بمعنى غالبين من
وادي سبقت رحمتي غضبي اي انهم مطيقون لها ومعانون عليها **ولا** اي والحال انا لا نكلفهم ولكنه عم فقال **نكلف نفسا** اي كافر
او مؤمنة **الا وسعها** فلا يقعد عاص على ان يقول كنت غير قادر على الطاعة ولا يظن بنا مؤمن انا نواخذه بالزلة والهفوة
فان احدا لا يستطيع ان يقدرنا حق قدرنا لان مبنى المخلوق على العجز ولما كانت الاعمال اذا تكاثرت وامتد زمنها
تعسر وتعذر احصرها الا بالكتابة عامل العباد سبحانه بما يعرفون مع غناه عن ذلك فقال **ولدينا** اي عندنا على وجه
هو اغرب الغريب **كتاب** وعبر عن كونه سببا للعلم بقوله **ينطق** بما اثبت فيه من اعمال العباد من خير وشر صغير وكبير
بالحق الثابت الذي يطابقه الواقع قد كتبت فيه اعمالهم من قبل خلقهم لا زيادة فيها ولا نقص نعرض الحفظة كل يوم
عليه بما كتبوه مما شاهدوه بتحقيق القدر له فيجدونه محررا باعدادهم واوقاته وجميع احواله فيزدادون به ايمانا ومن
حقيته انه لا يستطاع انكار شيء منه ولما افهم ذلك نفي الظلم صرح به فقال **وهم** اي الخلق كلهم **لا يظلمون** من ظالم
ما بزيادة ولا نقص في عمل ولا جزا ولما كان التقدير ولكنهم بذلك لا يعلمون قال **بل قلوبهم** اي الكفرة من الخلق ويجوز
ان يكون هذا الاضطراب بدلا من قوله بل لا يشعرون **في غمرة** اي جهالة قد اغرقتها **من هذا** اي الذي اخبرنا به من الكتاب
الحفيظ فهم به كافرون **ولهم اعمال** واثبت الجار اشارة الى انه لا عمل لهم يستغرق رتبة الدون **من دون ذلك** اي مبتدئة
من ادنى رتبة التكذيب من ساير المعاصي لاجل تكذيبهم بالحساب المستلزم لتكذيبهم بالبعث المستلزم لعدم الخوف المستلزم
للاقدام على كل معضلة **هم لها** اي دائما **عاملون** لا شيء يكفهم الا عجزهم عنها ولما كانوا كالبهايم لا يخافون من المهلكة

الا عند المشاهدة غني علمهم عنها لكنهم كالبهايم بالاخذ فقال **حتى اذا اخذنا** اي بما لنا من العظمة **مترفيهم**
الذين هم الرؤسا القادة **بالعذاب** فبركت عليهم كلاكله واباحت بهم اعجازه واوائله **اذاهم** كلهم المترف
ومن تبعه من باب الاولى **يجأرون** اي يصرخون ذلا وانكسارا وجزعا من غير مراعاة لنخوة ولا استكبار واصل الجار
رفع الصوت بالتضرع قاله البغوي فكانه قيل فهل يقبل اعتذارهم او يرحم انكسارهم فقيل لا بل يقال لهم بلسان الحال
او القال **لا تجأروا اليوم** بعد تلك الهمم فان الرجل من لا يفعل شيئا عبثا ثم علل ذلك بقوله **انكم منا** اي خاصة
لا تنصرون اي بوجه من الوجوه ومن عدم نصرنا لم يجد له ناصرا فلا فائدة لجواره الا اظهار الجزع ثم علل عدم نصرهم
لهم بقوله **قد كانت اياتي** كانت عظمتها التي استحقتها الاضافة اليه يكفي في الحث على الايمان بمجرد سماعها
مبني للمفعول قوله **تتلى عليكم** اي هي احلى الاشياء من اوليائي وهم الهداة النصحاء **فكنتم** اي كونا هو كالجبلة **على**
اعقابكم عند تلاوتها **تنكصون** اي ترجعون القهقرى امامامتحانا او معنى والماشي كذلك لا ينظر ما وراه ومصارعه
فيه مع الكسر الضم ولم يقرا به ولا شاذ دلالة على انه رجوع كبر وبطر فهو بالهوينا ولو قرئ بالضم لدل على القوة
فالفهم النفرة والهرب قال في القاموس نكص على عقبيه ينكص وينكص رجع عما كان عليه من خير وفي الشر قليل وعن الامر
نكصا ونكوصا ونكاكا وعلى ما ذكرت دل باتباعه ما بعده من حال كونكم **مستكبرين به** اي بذلك النكوص لا لشيء غير
الاستكبار من هرب او غيره ذوي سمر في امرها بالقول الهجر وهو الفاحش ولعله انما قال **سامرا** بلفظ المفرد لان
كلا منهم يتحدث في امر الايات مجتمعا مع غيره ومنفردا مع نفسه حديثا كثيرا لحديث السامر الذي من شانه ان لا
يمل وقال **تهجرون** اي تعرضون عنها وتقولون فيها القول الفاحش فاسنده الى الجمع لان بعضهم كان يسمعها ولم يكن
يفحش القول فيها او يحتمل ان يجمع جمع على مثل ذلك لان الجمع جدير بان يوجد فيه من يبصر الحق فيامر به ولما
كانت الايات لما فيها من البلاغة المعجزة والحكم المعجبة داعية الى تقبلها بعد تاملها وكانوا يعرضون عنها ويفحشون في
وصفها تارة بالسحر واخرى بالشعر وكرة بالكهانة ومرة بغيرها تسبب عن ذلك الانكار عليهم فقال معرضا عنهم ايذانا
بالغضب مسندا الى الجمع الذي هو اولى بالقاء السمع **افلم يدبروا القول** اي المتلو عليهم بان ينظروا في ادباره وعواقبه
ولو لم يبلغوا في نظرهم الغاية بما اشار اليه الادغام ليعلموا انه موجب للاقبال والوصال لا الوصف بالهجر والملال ولعله
عبر بالقول اشارة الى ان من لم يتقبله ليس باهل لفهم شيء من القول بل هو في عداد البهايم **ام جاءهم** في هذا القول من الاوامر
بالتوحيد الاتي به الرسول الذي هو من نسل اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام وما ترتب على ذلك من الاوامر التي لا يجهل حسن
فعلها عاقل والنواهي التي لا يشهد بقبح اتيانها العالم بقطعها الجاهل ومن الرسالة برسول من البشر **ما لم يات**
اباءهم الاولين الذين بعد اسمعيل وقبله ولما كان الرجال الكامل من عرف الرجال بالحق بدا بما اشار اليه
ثم اعقبه بمن يعرف الشيء بالالف به ثم بمن يعرف الحق بالرجال فقال **ام لم يعرفوا رسولهم** اي الذي اتاهم بهذا القول
الذي لا قول امثاله ويعرفوا نسبه وصدقه وامانته وما فاقهم به من معالي الاخلاق حتى انهم لا يجدون نقيصة اذا حققت
الحقائق لنقيصة يذكرونها ولا وصمة يتخلونها كما دلت عليه الاحاديث الصحاح منها حديث سفين بن حرب الذي في
اول البخاري في سوال هرقل ملك الروم له عن شانه صلى الله عليه وسلم **فهم** اي فتسبب عن جهلهم به انهم **له** اي
نفسه او للقول الذي اتى به **منكرون** فيكونوا ممن جهل الحق لجهله حال الاتي به فلم يجر شيا من رتبة الناس لا رتبة
العلما الناقدين ولا رتبة الجهال المقلدين وفي هذا غاية التوبيخ لهم بجهلهم وبعنادهم بانهم يعرفون انه اصدق
الخلق واعلاهم في كل معنى جميل ثم يكذبونه ولما فرغ مما قد يجر الى الطعن في القول او القائل
اشار الى العناد في امر القائل والقول والرسول بقوله **ام يقولون** اي بعد تدبر ما اتى به وعدم عثورهم فيه
على وجه من وجوه الطعن **به** اي رسولهم **جنة** فلا يوثق به لانه قد يخلط فياتي بما فيه مطعن وان خفي وجه الطعن
فيه في الحال ولما كانت جميع هذه الاقسام منتفية ولا سيما الاخير المستلزم عادة للتخليط المستلزم
للباطل فانهم اعرف الناس بهذا الرسول الكريم وانه احلمهم خلقا واشرفهم خلقا واطهرهم شيما واعظمهم هما
وارجحهم عقلا وامتنهم رايا وارصنهم قولا واصوبهم فعلا اضرب عنها وقال **بل** اي لم يتلبسوا عند سماع
الايات بشيء واو بحر والاعتناء دنيء مما مضى وانما فعلوا ذلك لان هذا الرسول الكريم **جاءهم بالحق** الذي لا
تخليط فيه بوجه ولا شيء اثبت منه ولا ابين مما فيه من التوحيد والاحكام ولهذا وضح ذلك تحديهم بهذا
الكتاب فعجزوا وهو بحيث لا يجهله منصف **واكثرهم** اي والحال ان اكثرهم **للحق كارهون** متابعة للاهوا الردية
والشهوات البهيمية عنادا وبعضهم يتركونه جهلا وتقليدا او خوفا من انتقال الصبا وبعضهم يتبعه توفيقا
من الله وثباتا ابدا ولما كان لما قيل ما له سلطان بحسب اهوايهم فكانوا يتبعونه ويسترجحون

من هذه المخالفات التي جرت الى المشاحنات فاوجبت اعظم المقاطعات قال مبيّنا فساد ذلك ولعله حال من فاعل كاده فان
جزاء اخبرني بسوء لكونه حالا لاجماذكره الشيخ سعد الدين في بحث المسند او هو معطوف على ما تقدم فلو تركوا الكبر لاحبوه ولو
احبوه لاتبعوه ولو اتبعوه لانصلحوا واصلحوا ولو اتبع الحق اى في الاصول والفروع والاحوال والاقوال أهواءهم اي
شهواتهم التي تهوى بهم لكونها اهواء بما اشار اليه الافتعال لفسدت السموات على علوها واحكامها والارض على كثافتها
وانتظامها ومن فيهن على كثرتهم وانتشارهم وقوتهم بسبب ادعاءهم بتعدد الالهة ولو كان ذلك حقا لادى برهان التمانع الى
الفساد وبسبب اختلاف اهوائهم واضطرابها المفضي الى النزاع كما ترى من الفساد عند اتباع بعض الاعراض في بعض الازمان
الى ان يصلحها الحق بحكمته ويقمعها بهيبته وسطوته ولكنا لم نتبع الحق اهواءهم بل اتيناهم بعظمتنا بذكرهم وهو الكتاب
الذي هو في غاية الحكمة ففيه صلاح العالم وتمام انتظامه فاذا تامله الجاهل صدعن جهالته فسعد في اقواله وافعاله وبان له
الخير في ساير احواله واذا تدبر العالم عرج به الى نهاية كماله فخنينئذ يأتي لسؤال عما نزله فتخضع الرقاب وعما انزل عليه
فيعظم في الصدور وعن قومه فتجلهم النفوس وتنكس لمهابتهم الرؤس فيكون لهم اعظم ذكر واعلا شرف ولما جعلوا
ما يوجب الاقبال سببا للادبار قال معجبا منهم فهم عن ذكرهم اى الذي هو شرفهم معرضون لايفوتنا باعراضهم مراد ولا يلحقنا
به ضرر انما ضرره عايد اليهم وراجع في كل حال عليهم ولما ابطل تعالى وجوه طعنهم في المرسل به والمرسل من جهة
جهلهم مرة ومن جهة ادعاءهم البطلان اخرى نبههم على وجه اخر هو اعرف الناس ببطلانه ليثبت المدعى من القضية اذا انتفت
وجوه المطاعن فقال منكرا ام تسألهم اى على ما جئتهم به خرجا قال البغوي اجرا وجعلا وقال ابن مكتوم في الجمع بين العباب والمحكم
والخرج والخراج شئ يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم والخراج غلة العبد والامة وقال الزجاج الخراج الفيء
والخرج الضريبة والجزية وقال الاصبهاني سئل ابو عمرو بن العلا فقال الخراج ما لزمك ووجب عليك اداوه والخرج
ما تبرعت به من غير وجوب ولما كان الانكار معناه النفي حسن موقع فاء السبب في قوله فخراج اى لم تسألهم ذلك
ليكون سؤالك سببا لاتهامك وعدم سؤالك بسبب ان خراج ربك الذي لم تقصد غيره قط ولم تحل عن بابه وقتا ما خير
من خراجهم لان خراجه غير مقطوع ولا ممنوع عن احد من عباده المسيئين فكيف بالمحسنين وكانه سماه خراجا اشارة الى انه
اوجب رزق كل احد على نفسه بوعد لا خلف فيه وهو خير الرازقين فانه تعالى يعلم ما يصلح كل مرزوق وما يفسده فيعطيه
على حسب ما يعلم منه ولا يحوجه الى سؤال ولما كانت عظمة الملك مقتضية لتقبل ما اتى منه والتشرف به على اى حال
كان نبه على انه حق يكسب قبوله الشرف لو لم يكن من عند الملك فكيف اذا كان من عنده فكيف اذا كان ملك الملوك
ومالك الملك فكيف اذا كان الاتي به خالصة العباد واشرف الخلق كما اقام عليه الدليل بنفي هذه المطاعن كلها
فقال عاطفا على آتيناهم وانك اى مع انتفاء هذه المطاعن كلها لتدعوهم اى بهذا الذكر مع ما قدمنا من الوجوه الداعية
الى اتباعك بانتفاء جميع المطاعن عنك وعما جئت به الى صراط مستقيم لا عوج فيه ولا طعن اصلا كما تشهد به العقول
الصحيحة فمن سلكه اوصله الى الغرض فحاز كل شرف والحال انهم ولكنه عبر بالوصف الحامل لهم على العمى فقال وان
الذين لا يؤمنون بالاخرة فلذلك لا يخشون العقاب فيها عن الصراط اى الذي لا صراط غيره لانه لا موصل الى المقصد
غيره لناكبون اى عادلون متنحون ما يكون منحرفون في ساير احوالهم سايرون على غير منهج اصلا بل خبط عشو لانه يجوز
ان يراد مطلق الصراط وان يراد النكرة الموصوفة بالاستقامة ولما وصفوا بالكميل وكان ربما قال قايل ان خوادهم
المذكور انما سلوك في الصراط بين انه لا اعتداد به لعروضه فقال ولو رحمناهم اى عاملناهم معاملة المرحوم في
ازالة ضره وهو معنى وكشفنا اى بما لنا من العظمة ما بهم من ضر وهو الذي عرض جوارهم بسببه للجوا اى تمادوا
تماديا عظيما في طغيانهم الذي كانوا عليه قبل هذا الجوار وهو افراطهم في مباينة الحق والاستقامة يعمهون
اى يفعلون من التحير والتردد فعل من لا بصيرة له في السير المنحرف عن القصد الجاير عن الاستقامة قال ابن كثير فهذا
من باب علمه بما لا يكون لو كان كيف كان يكون قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما فيه لو فهو مما لا يكون ثم
اتبع هذا الدليل تاييدا له ما يدل على انهم لا يسلكون الصراط الا اضطرارا فقال ولقد اخذناهم اى بما لنا من العظمة
بالعذاب اى بمطلقه كالظما وحرب الله عليهم في بدر وغيرها فما استكانوا اى خضعوا خضوعا هو كالجبلة لهم لربهم
المحسن اليهم عقب المحنة وحقيقته ما طلبوا ان يكونوا له ليلزموا مقام العبودية من الذل والخضوع والانقياد لاوامره
تاركين حظوظ انفسهم والحاصل انه لما ضربهم بالعذاب كان مرجعهم ان يكونوا له لا لشركايهم فما عملوا المقتضى ذلك ايجادا
ولا طلبا وما يتضرعون اى يجددون له دعاء بالخضوع والذل والخشوع في كل وقت بحيث يكون لهم عادة بل هم على ما جبلوا عليه
من الاستكبار ولعتوا لا اذا التفت حلقتا البطان ولم يبق لهم نوع اختيار دبر ليل بما ارشد اليه حرف الغاية من ان التقدير
بل استمروا على عتوهم حتى اذا فتحنا بما لنا من العظمة ودل على انه فتح عذاب فقال عليهم بابا اى من الابواب التي تقهرها

من شيئا عجيب تعلوه امرها ولا يستطيع دفعها ذا عذاب شديد يعني القتل والاسر يوم بدر قاله ابن عباس رضي الله عنهما
او القحط الذي سلطه عليهم اجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف اذا هم فيه
اى ذلك الباب مطرقون لا يقدرون منه على نوع خلاص مبلسون اى متحيرون ساكتون على ما في انفسهم ايسون لا يقدرون
ان ينطقوا بكلمة ودا خلون في الابلاس وهو عدم الخير مناهلون لسكني بولس وهو بحر جهنم لعدم حملهم التضرع وصفا لهم
لازما غير عارض والخوف من الله شعارا دايما غير مفارق استحضارا لقدرته واستكبارا لعظمته ثم التفت الى الخطاب بهم
استعطافا فانعامهم لانه عند التذكير بعد ابهم اقرب الى ايابهم فقال وهو اى ما استكانوا له والحال انه هو لا غيره الذي
انشا لكم يا من يكذب بالاخرة على غير مثال سبق السمع والابصار ولعله جمعها لان التفاوت فيها اكثر من التفاوت في السمع
والافئدة التي هي مراكز العقول فكنتم بها اعلى من بقية الحيوانات جمع فؤاد وهو القلب لتوقده وتحرقه من التفود وهو
التحرق وعبر به هنا لان السياق للانعاظ والاعتبار وجمعه جمع القلة اشارة الى عزة من هو بهذه الصفة ولعله جمع
الابصار كذلك لاحتمالها للتبصير ولما صور لهم هذه النعم وهي بحيث لا يشك عاقل في انه لا امثال لها وانه لو
تصور ان يعطى شيا منها آدمي لم يقدر على مكافاته حسن تبكيتهم في كفر المنعم لها فقال قليلا ما تشكرون لمن اولاكم
هذه النعم التي لا امثال لها ولا يقدر غيره على شي منها معادا عليكم انكم اشكر الناس لمن اسدى اليكم اقل ما يكون من النعم التي يقدر
على مثلها كل احد تكتنم بذلك ارذل من الحيوانات العجم صما بكما عميا ولما ذكرهم بهذه النعم التي هي دالة على خلقهم
صرح به في قوله وهو اى وحده الذي ذرأكم اى خلقكم وبثكم في الارض ولما ذكرهم بابدايهم المتضمن للقدرة
على اعادتهم مع ما فيهما من الحكمة وفي تركهما من الاخلال لها صرح به فقال واليه اى وحده تحشرون يوم النشور
ولما تضمن ذلك احياءهم واماتتهم صرح به على وجه عام فقال وهو اى وحده الذي من شانه انه يحيي ويميت
ولما كانت حقيقة البعث ايجاد الشي كما هو بعد اعدامه ذكرهم بامر طالما لابسوه
فلا مانع له من البعث ولا غيره مما يريده
وعالجوه ومارسوه فقال وله اى وحده لا لغيره اختلاف الليل والنهار اى التصرف فيهما على هذا الوجه يوجد كلا منهما
بعد اعدامه كما كان سوا فدل تعاقبهما على تغيرهما وتغيرهما بذلك وبالزيادة والنقص على انهما مغيرا لا يتغير وانه لا مثل
لهما وانما الفعل له وحده وانه قادر على اعادة المعدوم كما قدر على ابتدائه بما دل على قدرته وبهذا الدليل الشهود بين
للجاحدين ولذلك ختمه بقوله منكرا تسبب ذلك لعدم عقلهم أفلا تعقلون اى يكون لكم عقول لتعرفوا ذلك فتعملوا بما
ولما كان معنى الاستفهام الانكاري النفي حسن بعده كل الحسن
يقتضيه من اعتقاد البعث الذي يوجب سلوك الصراط
قوله بل وعدل الى اسلوب الغيبة للايذان بالغضب بقوله قالوا اى هؤلاء العرب مثل ما قال الاولون من قوم
نوح ومن بعدهم ثم استانف قوله قالوا اى منكرين للبعث متعجبين من امره أإذا متنا وكنا اى بالبلى بعد الموت ترابا وعظاما
ولما كان تحط العناية في هذه السورة الخلق والايجاد
نحو ثم اكدوا الانكار بقولهم أإنا لمبعوثون اى من باعث ما
قولهم نحن واباؤنا على قولهم هذا اى البعث
والتهديد لاهل العناد حكى عنهم انهم قالوا لقد وعدنا
من قبل بخلاف النمل فان تحط العناية فيها الايمان بالاخرة فلذلك قدم قوله هذا فالمراد وعد ابايهم على السنة
من اتاهم من الرسل غير ان الاخبار بقوله جعله وعدا للكل على حد سوا ثم استانفوا قولهم ان اى ما هذا الا اساطير
الاولين اى كذب لا حقيقة له لان ذلك معنى الانكار المؤكد ونفوه هذا النفي المحتم امره ان يعيرهم باشياء لهم بها معترفون
ولها عارفون يلزمهم من تسليمها الاقرار بالبعث قطعا فقال قل اى مجيبا لانكارهم البعث ملزما لهم لمن الارض اى على عظمها
وكثرة عجايبها ومن فيها على كثرتهم واختلافهم ان كنتم اى بما هو كالجبلة تعلمون اى اهلا للعلم وكانه تنبيه على انهم انكروا
شيئا لا ينكره عاقل ولما كانوا معترفين بذلك اخبر عن جوابهم قبل جوابهم ليكون من دلايل النبوة واعلام الرسالة بقوله
استينافا سيقولون اى قطعا ذلك كله لله اى المختص بصفات الكمال ولما كان ذلك دالا على الوحدانية
والتفرد بتمام القدرة من وجهين كون ذلك كله له ولكونه يخبر عن عدوه بشي فلا يمكنه التخلف عنه قال قل اى لهم اذا
قالوا لك ذلك منكرا عليهم بتنبيه لعدم تذكرهم ولو على ادنى الوجوه بما اشار اليه الادغام أفلا تذكرون اى بذلك المركوز
في طباعكم المقطوع به عندكم ما غفلتم عنه من تمام قدرته وباهر عظمته فتصدقوا بما اخبر به من البعث الذي هو دون ذلك
وتعلموا انه لا يصلح شي منه وهو ملكه ان يكون شريكا له ولا ولدا وتعلموا انه لا يصح في الحكمة اصلا انه يترك البعث لان افلكم
ولما ذكرهم بالعالم السفلي لقربه تلاه بالعلوي لانه اعظم فقال على
لا يرضى بترك حساب عبيده والعدل بينهم
ذلك المنوال مرقيا لهم اليه قل من رب اى خالق ومدبر السموات السبع كما تشاهدون من حركاتها وسير نجومها ورب
العرش العظيم الذي انتم به معترفون سيقولون لله اى الذي له كل شي هو رب ذلك على قراءة البصريين والتقدير لغيرهما
ولما تاكد الامر
ذلك كله لله لان معنى من رب الشي لمن الشي فتفيد اللام الملك صريحا مع افادة الرب التدبير

وزاد الوضوح حسن التهديد على التمادي فقال قل منكرا عليهم عدم تسببه لهم التقوى افلا تتقون اي تجعلون بينكم وبين
حلول السخط من هذا الواسع الملك التام القدرة وقاية بالمتاب من انكار شيء يسير بالنسبة الى هذا الملك العظيم هين عليه
وقد بدأهم بالعالمين العلوي والسفلي امره بان يقررهم بما هو اعم منهما واعظم فقال قل من بيده اي خاصة ملكوت
كل شيء اي من العالمين وغيرهما والملكوت الملك البليغ اي الذي لا نقص فيه بوجه قال ابن كثير كانت العرب اذا كان السيد فيهم
فاجار احدا لا يخفر في جواره وليس لمن دونه ان يجير عليه لئلا يفتات عليه ولهذا قال تعالى وهو يجير اي يمنع
ويغيث من يشاء فيكون في حرز لا يقدر احد على الدنو من ساحته ولا يجار عليه اي ولا يمكن احدا ابدا ان يجير جوارا يكون مستعليا
عليه بان يكون على غير مراده بل يأخذ من اراد وان نصره جميع الخلائق ويعلي من اراد وان تحاملت عليه كل المصائب فيبقى كالشمس انه لا يرد
ما نافعه ولا ولد يصانعه او يضارعه وقال ابن كثير وهو السيد العظيم الذي لا اعظم منه الذي له الخلق والامر ولا معقب لحكمه
الذي لا يمانع ولا يخالف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولما كان هذا برهانا تاما مع انه ظاهر لا يخفى على احد قد يحجم فيه من
له غرض في اللدد الهبهم الى المبادرة الى الاعتراف به وهيجهم بقوله ان كنتم اي كونا راسخا تعلمون اي في عداد من يعلم ولذلك استأنف
قوله سيقولون لله اي الذي بيده ذلك خاصا به والتعبير لغير البصريين ذلك كله لله لان المراد السؤال عن الملك ولما
كان جوابهم بذلك يقتضي انكار توقفهم في الاقرار بالبعث استأنف قوله قل منكرا عليهم تسبيب ذلك لهم ادعاء انه سحر
والصرف عن الحق كما يفعله المسحور فانى تسحرون اي فكيف بعد اقراركم بهذا كله تدعون ان ما وعد به بالبعث سحر في قولكم افانا
السحر وانتم تبصرون ومن اين صار لكم هذا الاعتقاد وقد اقررتم بما يلزم منه شمول العلم وتمام القدرة ومن اين تخيلون الحق باطلا
او كيف تفعلون فعل المسحور بما تأتونه من التخليط في الاقوال والافعال وتخدعون وتصرفون عن كل ما دعا اليه ولما
كان الانكار بمعنى النفي حسن قوله بل اي ليس الامر كما يقولون لم تأتهم بسحر بل او يكون المعنى ليس هو اساطير بل اتيناهم فيه على
عظمتنا بالحق اي الكامل الذي لا حق بعده كما دلت عليه الادلة فكل ما اخبر به من التوحيد والبعث وغيرهما فهو حق وانهم لكاذبون
في قولهم انه سحر لا حقيقة له وفي كل ما ادعوه من الولد والشريك وغيرهما مما بين القرآن فساده كما الزمهم بما اقروا به في جواب
هذه الاسئلة الثلاثة ولما كان من اعظم كذبهم ما اشار اليه قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قال ما اتخذ الله
اي الذي لا كفؤ له واعرق في النفي بقوله من ولد لا من الملائكة ولا من غيرهم لما قام من الادلة على غناه وانه لا مجانس له ولما الزمهم
باقرارهم انه يجير ولا يجار عليه وان له السموات والارض ومن فيهما ولما كان الولد اخص من مطلق الشريك قال
وما كان اي بوجه من الوجوه معه فافاد بفعل الكون نفي الصحة لينتفي الوجود بطريق الاولى من اله وزاد من لتاكيد
النفي ولما لزمهم الكذب في دعوى الالهية بولد وغيره من اقرارهم هذا اقام عليه دليلا عقليا لبطلان الالهية
والعقلي فقال اذا اي اذ لو كان معه اله اخر لذهب كل اله بما خلق بالتصرف فيه وحده ليتميز ما له مما لغيره ولعلا
بعضهم اي بعض الالهة على بعض اذا تخالفا وامرهم فلم يرض احد منهم ان يضاف ما خلقه الى غيره ولا ان يمضي فيه امر
على غير مراده كما هو مقتضى العادة فلا يكون المغلوب الها للعجز ولا يكون مجيرا غير مجار عليه بيده وحده ملكوت كل شيء وفي ذلك
اشارة الى انه لو لم يكن ذلك الاختلاف لامكن ان يكون فكان امكانه كافيا في ابطال الشركة لما يلزم ذلك من امكان العجز المنافي
للالهية كما بين في الانبياء ولما طابق الدليل الالزام على نفي الشريك نزه نفسه الشريفة بقوله ما هو نتيجة ذلك
سبحان الله اي المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن كل شائبة نقص عما يصفون من كل ما لا يليق بجنابه المقدس من الشريك
والولد وغيره ثم اقام دليلا اخر على كماله بوصفه بقوله عالم الغيب ولما كان العلم بذلك لا يستلزم علم الشهادة
كما للنائم قال والشهادة ولا عالم بذلك غيره ولما كان من الواضح الجلي انه لا مدعي لذلك ومن ادعاه غيره كان كذبه
لا محالة وان من تم علمه تمت قدرته فاتضح تفرده كما بين في طه تسبب عنه قوله فتعالى اي علا العالم المشار اليه علوا
عظيما عما يشركون فانه لا علم لشيء منه فلا قدرة فلا صلاحية لرتبة الالهية ولما اقام الدليل على كذبهم بالادلة
على عظمته وتعاليه عن كل ما يقول الظالمون فبين لهم الامر غاية البيان بعد ان هددهم بمثل قوله وما يشعرون حتى اذا اخذنا
مترفيهم بالعذاب ونحوه من قبل ما اتى له بالماضين واحله بالمكذبين وكان من المعلوم انه ليس بعد الاعذار الا ايقاع القضا
وانزال البلاء وكان من الممكن ان يعم سبحانه الظالم وغيره بعذابه لانه لا يسأل عما يفعل امره ان يعوذ من ذلك اظهارا لعظمة
الربوبية واعلاما للنبي صلى الله عليه وسلم من مزيد الشفقة على امته مؤمنهم وكافرهم اما تريني اي ان كان لا بد ان تريني
قبل موتي ما يوعدون ثم نبهه على الزيادة في الضراعة بتكرير النداء بصفة الاحسان تعبدا وتخشعا وتذللا وتخضعا
اشارة الى ان الله سبحانه له ان يفعل ما يشاء فينبغي لاقرب خلقه اليه ان يكون على غاية الحذر منه فقال رب فلا تجعلني
باحسانك الي وفضلك علي فيهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الوصف تعميما للدعوة وتعليقا للحكم بالوصف فقال
في القوم الظالمين اي الذين اعمالهم اعمال من يمشي في الظلام فهي في غير مواضعها فضلا عن ان اكون منهم فانه لو شاء ان يجمعهم العذاب

دعهم

ولما ارشد التعبير باداة الشك الى ان التقدير فانا على العفو عنهم وعلى
نقم من جاوزهم لوخامة الظلم وسوء عاقبته
الاملاء لهم لقادرون عطف عليه قوله موكدا لما لهم من التكذيب المتضمن للطعن في القدرة وهم المقصودون بالتهديد وانا
اي بما لنا من العظمة على ان نريك اي قبل موتك ما نعدهم من العذاب لقادرون ولما لاح من هذا ان اخذهم وتاخيرهم
في الامكان على حد سواء وكانوا يقولون ويفعلون ما لا صبر عليه الا بمعونة من الله كان كانه قال فماذا افعل فيما تعلم من امورهم فقال امرا
له بدوا وانه ادفع وفخم الامر بالموصول لما فيه من الابهام المشوق للبيان ثم بافعل التفضيل فقال بالتي هي احسن اي من الاقوال والافعال
السيئة ثم خفف عنه ما يجد من ثقلها بقوله نحن اعلم اي من كل عالم بما يصفون في حقك وحقنا فلو شئنا
بالصفح والمداراة كان الصبر
منعناهم منه او عاجلناهم بالعذاب وليس احد باغير منا فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
عليه لا يطاق الا به سبحانه امره بالدعاء بذلك فقال وقل رب ايها المحسن الي اعوذ بك اي التجئ اليك من همزات
الشياطين اي ان يصلوا الى وساوسهم التي هي كالنخس بالمهماز في الاقحام في السيئات والبعد من مطلق الحسنات فليعيب
بالاحسن منها كما سلطتهم على الكافرين تؤزهم الى القبائح ازا واعوذ بك رب ايها المربي لي ان يحضرون اي ولو لم يصل
الى وساوسهم فان حضورهم هلكة وبعدهم بركة لانهم مطبوعون على الفساد لا ينفكون عنه ولما كان اصر اوقات
حضورهم ساعة الموت وحالة الفوت فانه وقت كشف الغطا عما كتب من الخطا وان اللقا وتحتم السفول او الارتقاء عقب
ذلك بذكرها تنبيها على بذل الجهد في الدعاء والتضرع للعصمة فيه فقال معلقا بقوله تعالى بل لا يشعرون او مبلسون مبينا
بحرف الغاية على انه سبحانه يمد في ازمانهم استدراجا لهم حتى او يكون التقدير كما يرشد اليه السياق فلا اكون من الكافرين
المطيعين للشياطين حتى اذا جاء وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعله كل مذهب فقال احدهم الموت فكشف له الغطا
وظهر له الحق ولاحت له بوارق العذاب ولم يبق في شيء من ذلك ارتياب قال مخاطبا لملائكة العذاب على عادة جهله
ووقوفه مع المحسوس دأب البهائم رب ارجعون اي الى الدنيا دار العمل ويجوز ان يكون الجمع له تعالى وللملائكة او للتعظيم
على عادة مخاطبات الاكابر لا سيما الملوك او لقصد تكرير الفعل للتاكيد ولما كان في تلك الحالة ليس على القطع من
الياس من النجاة لليأس من العمل لفوات داره مع وصوله الى حد الغرغرة قال لعلي اعمل اي لاكون على رجاء من ان اعمل صالحا
فيما تركت من الايمان وتوابعه قال البغوي قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات
ولكن تمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته ليعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر اذا رأى العذاب وقال ابن
كثير كان العلاء بن زياد يقول لينزل احدكم نفسه انه قد حضره الموت فاستقال ربه فاقاله فليعمل بطاعة الله عز وجل
ولما كان القضاء قد قطع بانه لا يرجع ولو رجع لم يعمل قال الجبار تعالى انها كلمة اي مقالته رب ارجعون الى
اخره هو قائلها وقد عرف منه الخداع والكذب فهي كما عهد منه لا حقيقة لها ولما كان التقدير فهو لا يجاب
اليها عطف عليه قوله جامعا معه كل من ماثله لان عجز الجمع يلزم منه عجز الواحد ومن ورائهم اي من خلفهم ومن امامهم
محيط بهم برزخ اي حاجز بين ما هم فيه وبين الدنيا والعقبة مستمر لا يقدر احد على رفعه الى يوم يبعثون اي يجدد
بعثهم بايسر امر واخفه واهونه ولما عين ذلك بالبعث فتشوفت النفس الى ما يكون بعده وكان مما تقدم ان الناس
بعد ان كانوا امة واحدة في الاجتماع على ربهم تقطعوا قطعا وتحزبوا احزابا وتعاضدوا بحكم ذلك وتناصروا قال نافيا لذلك
فاذا نفخ اي بايسهل امر النفخة الثانية وهي نفخة النشور والنفخة الثالثة للصعق في الصور فقاموا من القبور
او من الصعق فلا انساب وهي اعظم الاسباب بينهم يذكرونها يتفاخرون بها يومئذ لما دهمهم من الامر وشغلهم من
البأس وحبسهم من الدهش ودهمهم من الهول وعلموا من عدم نفعها الا ما اذن الله فيه بل يفر الانسان من اقرب الناس اليه وانما
انسابهم الاعمال الصالحة ولا يتساءلون اي في التناصر لانه انكشف لهم ان لا حكم الا لله وانه لا تغني نفس عن نفس شيئا
فتسبب عن ذلك انه لا ينصرهم الا الاعمال التي رحم الله بالتيسير لها ثم بقبولها ولذلك قال فمن ثقلت موازينه اي
بالاعمال المقبولة ولعل الجمع لان لكل عمل ميزانا يعرف انه لا يصلح له غيره وذلك ادل على القدرة فاولئك اي خاصة
ولعله جمع للبشارة بكثرة الناجي بعد ان افرد للدلالة على كثرة الاعمال او على عموم الوزن لكل فرد هم المفلحون
لانهم المؤمنون الموصوفون ومن خفت موازينه لاعراضه عن تلك الاعمال المؤسسة على الايمان فاولئك خاصة
الذين خسروا انفسهم لاهلاكهم اياها باتباعها شهواتها في دار الاعمال وشغلها باهوائها عن مراتب الكمال ثم علل ذلك
او بينه بقوله في جهنم خالدون وهي دار لا يفك اسيرها ولا ينطفي سعيرها ثم استأنف قوله تلفح اي تغشى بشدة
حرها وسمومها ووهجها وجوههم النار فتحرقها كما تطلع بغيرها وهم فيها كالحون اي متقلصوا الشفاه عن الاسنان
مع عبوسة الوجوه وتجعدها وتقطيبها شغل من هو ممتلئ الباطن كراهية لما دهمه من شدة المعاناة وعظم المقاساة
في دار النعيم كما ترى الروس المشوية ولا تناقض بين نفي التساؤل هنا واثباته في غيره لانه في غير التناصر بل في التلاوم والتقا[illegible]

تعالى
[illegible]

والتخاصم على ان المقامات في ذلك اليوم طويلة وكثيرة فالمقالات والاحوال لاجل ذلك متباينة وكثيرة وسيأتي عن ابن عباس رضي الله عنهما في سورة الصافات نحو ذلك ولما جرت العادة بان المعذب بالفعل يضم اليه القول اجيب من قد يسأل عن ذلك بقوله ألم اي يقال في تأنيبهم وتوبيخهم ألم تكن آياتي التي انتهى عظمها الى اعلى المراتب باضافتها الي ولما كان مجرد كونها في الايمان نبه على ذلك بالبناء للمفعول فقال تتلى عليكم اي تتابع لكم تلاوتها في الدنيا شيئا فشيئا ولما كانت سببا للايمان فجعلوها سببا للكفران قال فكنتم اي كونا انتم عريقون فيه بها تكذبون وقدم الظرف للاعلام بمبالغتهم في التكذيب ثم استانف جوابهم بقوله قالوا ربنا ايها المسبغ علينا نعمه غلبت علينا شقوتنا اي اهواؤنا التي قادتنا الى سوء الاعمال التي كانت سببا ظاهرا للشقاوة ولما كان التقدير فكنا معها كالماسورين تؤزنا اليها هم الشياطين ازا عطف عليه قوله وكنا اي بما جبلتنا عليه قوما ضالين في ذلك عن الهدى أقوياء في موجبات الشقوة فكانت سببا للضلال عن طريق السعادة ولما تضمن هذا الاقرار الاعتذار وكان ذلك ربما سوغ الخلاص وصوابه قولهم ربنا يا من عودنا اخرجنا منها اي النار تفضلا منك على عادة فضلك ورددنا الى دار الدنيا لنعمل ما يرضيك فان عدنا الى مثل تلك الضلالات فانا ظالمون فاستوقف جوابهم بان قال لهم كما يقال للكلب اخسئوا اي انزجروا زجر الكلاب وانطردوا واعن مخاطبتي ساكتين سكوت هوان فيها اي النار ولا تكلمون اصلا فانكم لستم باهل لمخاطبتي لانكم لم تزالوا متصفين بالظلم ومنه سؤالكم هذا المفهم لان اتصافكم به لا يكون الا على تقدير عودكم بعد اخراجكم ولما كانت الشماتة اشد السرور للشامت والخزي للمشموت به علل ذلك بقوله إنه كان اي كونا ثابتا فريق اي ناس استضعفتموهم فهان عليكم فراقهم لكم وفراقكم لهم وظننتم انكم تفرقون شملهم من عبادي اي الذين هم اهل للاضافة الي لخلوصهم عن الاهواء يقولون مع الاستمرار ربنا ايها المحسن الينا بالخلق والرزق آمنا اي اوقعنا الايمان بجميع ما جاءتنا به الرسل لوجوب ذلك علينا لامرك لنا به ولما كان عظم المقام موجبا لتقصير العابد وكان الاعتراف بالتقصير جابرا له قالوا فاغفر لنا اي استر بسبب ايماننا عيوبنا التي كان تقصيرنا بها وارحمنا اي افعل بنا فعل الراحم من الخير الذي هو على صورة الحنو والشفقة والعطف ولما كان التقدير فانت خير الغافرين فانك اذا سترت ذنبا انسيته لكل احد حتى للحفظة عطف عليه قوله وانت خير الراحمين لانك تخلص من رحمته من كل شقاء وهوان بالجلال الايماني والخلاص من كل كفران ولما تسبب عن ايمان هؤلاء زيادة كفران اولئك قال فاتخذتموهم سخريا اي موضعا للهزء والتلهي والخدمة لكم قال الشهاب السمين في اعرابه والسخري بالضم الاستعباد وسخريا بالضم منها والسخري به وزهاء الهزء والمكسور منه تعني على الغرائب وفي النسبة دلالة على زيادة قوة في الفعل كالخصوصية والعبودية حتى انسوكم اي لانهم كانوا السبب في ذلك بتشاغلكم بالاستهزاء بهم واستعبادهم ذكري اي ان تذكروني فتخافوني بافعالكم بكليتكم على ذلك منهم ولما كان التقدير فتركتموه فلم تراقبوني في اوليائي عطف عليه قوله وكنتم اي باخلاق من كالجبلة منهم اي خاصة تضحكون كأنهم لما مرنوا افواههم الى الاستهزاء بهم عد ضحككم من غيرهم عدما ولما تشوفت النفس بعد العلم بما فعل باعدائهم الى جزائهم قال اني جزيتهم اي مقابلة على عملهم اليوم بما صبروا اي على عبادتي ولم يشغلهم عنها ما لهم باذاكم كما شغلكم عنها التذاذكم باهانتهم فوزهم دونكم وهو معنى قوله انهم هم اي خاصة الفائزون اي الناجون الظافرون بالخير بعد الاشراف على الهلكة وعبر العبارة لافادة الاختصاص والرسوخ وكسر الهمزة حمزة والكسائي على الاستئناف ولما كان الفائز وهو الظافر من لم يحصل له بؤس في ذلك الامر الذي فاز به وكان قد اشار سبحانه بحرف الغاية وما شاكله الى انه مد لاهل الشقاء في الدنيا في الاعمار والارزاق حتى استهانوا بالعباد السعداء فكان ربما قيل ان اعداءهم فازوا بالاستهزاء بهم والرفعة عليهم في حال الدنيا وكان سبحانه قد اسلف ما يرد ذلك من الاخبار بانه خلدهم في النار واعرض عنهم وزجرهم عن كلامه وكان انعم اهل الدنيا اذا غمس في النار غمسة ثم سئل عن نعيمه قال ما رأيت نعيما قط فكان ذلك محل التفريع الاشقياء بسبب تضييع ايامهم وتنديمهم عليها تشوف السامع الى انه هل يسألهم عن نعيمهم في الدنيا الذي كان جديرا امنهم بالشكر فقابلوه بالكفر والاستهزاء باوليائه فاجاب تشوفه ذلك مجهلا لهم ومندما ومنبها على ان نومهم في الدنيا لغفلته التي هي احقر من قطرة في جنب بحر عدم بقوله قال تأسيفا على ما اضاعوا من عبادة يسيرة تورثهم سعادة لا انقضاء لها وارتكبوا من لذة قليلة اعقبتهم بؤسا لا آخر له هذا على قراءة الجماعة وبين سبحانه بقراءة ابن كثير وحمزة والكسائي ان القول بواسطة بعض عباده الذين اقامهم لتعذيبهم اعراضا عنهم تحقيقا لما اشار اليه ولا تكلمون فقال قل اي يا من اقمناه للانتقام ممن اردنا لهؤلاء الاشقياء الذين غرتهم الحياة الدنيا على ما يرون من قصر مدتها ولعبها باهلها فكفروا بنا واستهزؤوا بعبادنا كم لبثتم في الأرض على تلك الحال التي كنتم تعدونها

فوزا عدد سنين انتم فيها ظافرون ولاعدائكم قاهرون ولعله عبر بما منه الانبات الذي معناه المحيط اشارة الى ان ايام الدنيا ضيقة حرجة وان كان فيها سعة ولا سيما للكفرة بكفرهم وخبثهم ومكرهم الذي جرهم الى اضيق الضيق واسوء العيش قالوا استقصارا له في جنب ما راوا من العذاب واستنفادا لانفسهم ظنا ان مدة لبثهم في النار يكون بمقدار لبثهم في الدنيا لبثنا يوما وتعليمهم ذكروا العامل تلذذا بطول الخطاب او تصريحا بالمراد دفعا للبس والارتياب ثم زادوا في التقليل فقالوا أو بعض يوم ولما كان المكث في الدنيا اذا ارادوا تمشيته كذبهم قالوا لمن اخبروه فتوقف في خبرهم سل فلانا ايثارا بالجبابرة وستر العوارهم جروا على ذلك تماديا منهم في الجهل بالعليم القدير في قولهم فاسئل اي لتعلم صدق خبرنا او بسبب ترددنا في العلم بحقيقة الحال لتخبر بحقيقة المدة العادين ويحتمل ايضا قصد الترقيق عليهم بالاشارة الى ان ما هم فيه من العذاب شاغل لهم عن ان يتصوروا اشياء حاضرا محسوسا فضلا عن ان يكون ماضيا فضلا عن ان يكون فكريا فكيف ان كان حسابيا ولما كان ذلك على تقدير تسليمه لا ينفعهم لان الجزاء بالعذاب على عزمهم على التمادي في العناد على مر الآباد المصدق منهم بالانهماك في الفساد اجابهم الى قصدهم في عدمهم بعبادة صالحة صادقة على مدة لبثهم طال او قصر بقوله على طريق الالهام لمن تشوف الى معرفة جوابهم قال اي الله على قراءة الجماعة وبينت قراءة حمزة والكسائي ان اسناد القول اليه سبحانه مجاز عن قول بعض عباده العظماء فقال على طريق الاول قل اي لهؤلاء الذين وقع الاعراض عنهم ان اي ما لبثتم اي في الدنيا الا قليلا اي هو من القلة بحيث لا يسمى بل هو عدم لو انكم كنتم اي كونا هو كالجبلة تعلمون اي في عداد من يعلم في ذلك الوقت لما اثرتم الفاني على الباقي ولا اقبلتم على ما يشغلكم وتركتم الخلاعة التي لا يرضاها عاقل ولا تكون على تقدير الرضى بفعلها الا بعد الفراغ من المهم ولكنكم كنتم في عداد البهائم وفي ذلك تنبيه للمؤمنين الذين هم الوارثون على الشكر على ما منحهم من السرور وما هلاك اعدائهم وابرائهم ارضهم وديارهم مع اعزازهم والبركة في اعمارهم بعد ان احتجتم منهم في الدنيا شتم بادامة سعادتهم في الآخرة وشقاوة اعدائهم ولما كان حالهم في ظنهم ان لا بعث حتى اشتغلوا بالفرح والبطر والفرح والاستهزاء باهل الله حال من يظن ان لعبث على الله الملك الحق المبين سبب عن ذلك عطفا على قوله فاتخذتموهم سخريا انكاره عليهم في قوله أفحسبتم ويجوز ان يكون معطوفا على مقدر نحو احسبتم انا نهملكم فلا نستطيف مظلومكم من ظالمكم أفحسبتم انما خلقناكم على ما لنا من العظمة عبثا اي عابثين وللعبث منا او منكم لا لحكمة اظهار العدل والفضل حتى اشتغلتم بظلم انفسكم وغيركم قال ابو حيان والعبث اللعب الخالي عن فائدة وانكم اي وحسبتم انكم إلينا اي خاصة لا ترجعون بوجه من الوجوه لاظهار القدرة والعظمة في الفضل واخرج ابن ابي حاتم في تفسيره وابو يعلى الموصلي في الجزء الرابع والعشرين من مسنده والبغوي في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه انه رقى رجلا مصابا بهذه الآية الى آخر السورة في اذنه فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال وفي سندهما ابن لهيعة قال ابن كثير وروى ابو نعيم عن محمد بن ابراهيم بن الحارث عن ابيه رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وامرنا ان نقول اذا امسينا واصبحنا أفحسبتم الآية قال فقرأناها فغنمنا وسلمنا ولما كان التقدير ليس الامر كما حسبتم علل ذلك بقوله فتعالى الله اي الذي له الجلال والجمال علوا كبيرا عن العبث ثم وصفه بما ينافي العبث فقال الملك اي المحيط باهل مملكته علما وقدرة وسياسة وحفظا ورعاية ولما كان بعض ملوك الدنيا قد يفعل ما ينافي شيم الملوك من العبث بما فيه من الباطل اتبع ذلك بصفة تنزهه عنه فقال الحق اي الذي لا يتطرق للباطل اليه في شيء من ذاته ولا صفاته فلا زوال له ولا لملكه فانى يأتيه العبث ولما كان الحق من حيث هو قد يكون له ثان نفى ذلك في حقه تعالى بقوله لا إله إلا هو فلا يوجد له نظير اصلا في ذات ولا صفة ومن يكون كذلك يكون حائزا لجميع اوصاف الكمال وخلال الجلال والجمال متعاليا عن سمات النقص والعبث مزاد في صفات النقص لخلوه عن الحكمة التي هي اس الكمال ثم زاد في التعيين والتاكيد للتفرد بوصفه بصفة لا يدعيها غيره فقال رب العرش اي السرير المحيط بجميع الكائنات العالي عليها علوا لا يدانيه شيء ثم وصف العرش لانه في سياق الحكم بالعدل والتنزه عن العبث بخلاف سياق براءة والنمل فانه للقهر والجبروت بقوله الكريم اي الذي تنزل منه الخيرات الحاصلة للعباد مع شرف جوهره وعلو رتبته ومدحه ابلغ مدح لصاحبه والكريم من ستر مساوي الاخلاق باظهار محاسنها وتنزه عن كل دناءة قال القزاز واصل الكرم في اللغة الفضل والرفعة ولما كان التقدير فمن دعا الله وحده فاولئك هم المفلحون الوارثون في الدارين عطف عليه قوله ولما كانوا الغنيهم ينسبون الدعي ومن يدع مع الله اي الملك الذي لا كفؤ له لاحاطته بجميع صفات الكمال إلها آخر ثم ايقظ من سنة الغفلة ونبه على الاجتهاد والنظر في ايام المهلة له سبحانه باسمين او اكثر الى الشرك فيه بقوله ولما كان المراد ما يسمى برهانا ولو على ادنى الوجوه الكافية بقول الاعدل منه ولا انصف فقال لا برهان له به اي بسبب دعائه ذلك فانه اذا اجتهد في عبر بالباء للاستعلاء دون على المفهمة للاستعلاء لغاية الانصاف لغاية البيان فقال

اقامة برهان على ذلك لم يجد بل وجد البراهين كلها قائمة على نفي ذلك داعية الى الفلاح باعتقاد التوحيد والصلاح هذا المراد
لانه يجوز ان يقوم على شيء غيره برهان فانما حسابه اي جزاؤه الذي لا يمكن زيادته ولا نقصه عند ربه الذي رباه ولم
يربه احد سواه وعمره بالاحسان ولم يحسن اليه احد غيره الذي هو اعلم بسريرته وعلانيته منه نفسه فلا يخفى عليه شيء من امره
افهم كون حسابه عنده هذا المحسن احد امرين اما الصفح به وام الاحسان واما الخسران بسبب الكفران قال على طريق الجواب
لمن سال عن ذلك انه لا يفلح ووضع الكافرون موضع ضميره تنبيها على كفره وتعميما للحكم فصار اول السورة واخرها مفهما لان الفلاح
مختص به المؤمنون ولما كان الامر كذلك امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد في انقاذ عباده حتى بالدعاء لله في اصلاحهم
ليكون الختم بالرحمة للمؤمنين كما كان الافتتاح بفلاحهم فقال عاطفا على قوله ادفع بالتي هي احسن فانه لا احسان احسن من الغفران او على معنى
فاكرم لسبهم الذي بينته قراة ابن كثير وحمزة والكسائي بالامر وقل او يكون التقدير فاخلص العبادة له وقل لاجل ان احدا لا يقدره
حق قدره رب ايها المحسن الي اغفر وارحم اي اكثر من تعليقها بين الصنفين في امتي لتكثرها فان في ذلك شرفا لي ولهم فانت خير
الغافرين وانت خير الراحمين فمن رحمته افلح بما توفقه له من امثال لما اشرق اليه اول السورة فكان من المؤمنين فكان من الوارثين
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فقد انطبق على الاول هذا الاخر • يعوذ كل مؤمن وحصنه كل كافر • نسال الله
ان يكون لنا ارحم راحم وخير غافر • انه المتولي للسرائر • والمرجو لاصلاح الضمائر •
مقصودها مدلول اسمها المودع قبلها المراد منه انه تعالى شامل العلم اللازم منه تمام القدرة اللازم منه اثبات الامور على غاية
الحكمة اللازم منه تاكيد الشرف للنبي صلى الله عليه وسلم الذي اللازم منه شرف من اختاره لصحبته على منازل قربهم منه
واختصاصهم به اللازم منه غاية النزاهة والشرف والطهارة لام المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي مات النبي صلى الله عليه
وسلم وهو عنها راض وماتت هي رضي الله عنها صالحة محسنة وهذا هو المقصود بالذات ولكن اثباته يحتاج الى تلك المقدمات
بسم الله الذي تمت كلمته فبهرت قدرته الرحمن الذي طهرت الحقائق كلها بشمول رحمته الرحيم الذي شرف من اختاره بحفظه
في التي قبلها بتحريم الزنا والحث على الصيانة وختم تلك الاية بذكر الجنة المنتضي للبعث استدل عليه وذكر
ما تبعه من تهديد وعمل الى ان فرغت السورة واخبر في اخرها بتبكيت المعاندين يوم الندم بقوله الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم
بها تكذبون وبقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا كل ذلك رحمة منه لخلقه ليرجع منهم من قضى بسعادته ثم ختم بقوله وانت خير
الراحمين ولما سبحانه هذه السورة بانه من على المخاطبين ببيان ما خلقوا له من الاحكام لانهم لم يخلقوا سدى
بل للتكاليف تعبديهم بها برفع الشارع وتحسم مادة الشر فتوجب الرحمة والعطف لسلامة الصدر دينا فيهم من الجنسية فقال
خبرا عن مبتدى تقديره هذه سورة اي عظيمة ثم رغب في امتثال ما فيها مبينا ان تنوينها للتعظيم بقوله انزلناها
اي بما لنا من العظمة وتمام العلم والقدرة وفرضناها اي قررناها وقدرناها واكثرنا فيها من الفروض واكدناها
وانزلنا فيها بشمول علمنا ايات من الحدود والاحكام والمواعظ والامثال وغيرها مبرهنا عليها بينات لا اشكال
فيها رحمة منا لكم لمن قبلها دخل في دعوة نبينا التي لقناه اياها في اخر تلك فرحمه خير الراحمين ومن اباها فلم يدخل في التبكيت
بقولنا الم تكن اياتي تتلى عليكم ونحوه وذلك معنى قوله لعلكم تذكرون اي لتكونوا اذا تاملتموها اي السورة مع ما قبلها من الايات
المرققة والقصص المحذرة على حاجة من لا يعلم العواقب من ان تتذكروا ولو نوعا من التذكر كما اشار اليه الادغام بما ترون فيه
من الحكم ان الذي نصبها لكم وفصلها اليه ما ترون لا يترككم سدى فتقبلوا على جميع اوامره وتنتهوا عن زواجره ليغفر لكم ما قصرتم
فيه من طاعته ويرحمكم بتنويل ما لا وصول لكم اليه الا برحمته وتتذكروا ايضا بما يبين لكم من الامور ويكشف عنه الغطاء من الا
حكام التي اعمت عنها حجب النفوس وسترتها ظلمات الاهوية ما جبل عليه الادميون فتعلموا ان الذي تحبون ان يفعل معكم
يجب عليكم ان تفعلوه معه والذي تكرهونه من ذلك يكرهه غيركم فيكون ذلك حاملا لكم على النصفة فيثمر الصفا والالفة
والوفا فتكونوا من المؤمنين المفلحين الوارثين الداخلين في دعوة البشير النذير بالرحمة وقال الامام ابو جعفر بن الزبير
في برهانه لما قال تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الاية ثم قال تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون استدعى
الكلام بيان حكم العادي في ذلك ولم يبين فيها فاوضحه في سورة النور فقال تعالى الزانية والزاني الاية ثم اتبع ذلك بحكم اللعان
والقذف والحق مع ذلك الاخبار بقصة الافك تحذيرا للمؤمنين من زلل الالسنة رجما بالغيب وتحسبونه هينا وهو عند الله
عظيم واتبع ذلك بعد بوعيد محبي شياع الفاحشة في المؤمنين بقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
الايات ثم بالتحذير من دخول البيوت الا بعد الاستيذان المشروع ثم بالامر بغض الابصار للرجال والنسا ونهي النساء عن
ابداء الزينة الا لمن سمى الله سبحانه في الاية وتكررت هذه المقاصد في هذه السورة الى ذكر حكم العورات الثلاث ودخول
بيوت الاقارب وذوي الارحام وكل هذا مما تبرا ذمة المؤمن بالتزام ما امر الله فيه من ذلك والوقوف عندما حده تعالى
من ان يكون من العادين المذمومين في قوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون وما تخلل الاي المذكورات

وتسوغ عليها مما ليس من الحكم المذكور فلا استجرار الاي اياه واستدعايه ومظنة استنباط ذلك وبيان ارتباطه التفسير
وليس من شرطنا هنا والله سبحانه يوفقنا لفهم كتابه انتهى ولما كان مبنى هذه الدار على الانساب في التوارث
والامامة والنكاح وغير ذلك ومبنى تلك الدار على الاعمال لقوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ وكان قد حث في اخر تلك
على الستر والرحمة حذر سبحانه رحمة منه في اول هذه من لبس الانساب ولبس الاعراض وقطع الاسباب معلما ان الستر
والرقة ليسا على عمومهما بل على ما يحل سبحانه فقال مخاطبا للايمة ومن يقيمونه الزانية وهي من فعلت الزنا وهو ايلاج
فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا وقدمها لان اثر الزنا يبدو عليها من الحبل وزوال البكارة ولانها اصل الفتنة
بهتك ما امرت به من حجاب التستر والتصون والتحذر والزاني ولما كان المعنى الاسم الموصول ادخل الفا
في الخبر فقال فاجلدوا اي فاضربوا وان كان اصله ضرب الجلد بالسوط الذي هو جلد كل واحد منهما اذا لم يكن محصنا
بل كان مكلفا بكرا بما بينته السنة الشريفة مائة جلدة فبدا بحد الزنا المشار اليه اول تلك بقوله تعالى فمن
ابتغى وراء ذلك فهم اله فاولئك هم العادون وفي التعبير بلفظ الجلد الذي هو ضرب الجلد اشارة الى انه لا يكون
مبرحا بحيث يتجاوز الالم الى اللحم ولما كان هذا ظاهرا في ترك الشفقة عليهما صرح به لان من شان كل من يجوز على
نفسه الوقوع في مثل ذلك ان يرحمهما فقال ولا تاخذكم اي على حال من الاحوال بهما رافة اي لين ولعله عبر بها اعلاما بانه
لم ينه عن مطلق الرحمة لان الرافة اشد الرحمة او ارقها وتكون عن اسباب من المرؤف به وكذا قوله في دين الله اي الذي شرعه
لكم الملك المحيط بصفات الكمال اشارة الى ان الممنوع منه رحمة تودي الى ترك الحد او شيء منه او التهاون به او الرضى عن
منتهكه لا رقة القلب المطبوع عليها البشر كما يحكى عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه بكى يوم فتحت قبرس وضربت رقاب
ناس من اسراها فقيل له هذا يوم سرور فقال هو لذلك ولكني ابكي رحمة لهؤلاء العباد الذين عصوا الله فخذلهم وامكن منهم
ولما علم سبحانه ما طبع عليه عباده من رحمة بعضهم لبعض حث على هذا الحكم بالامر والنهي زاد في التهييج اليه
والحض عليه بقوله ان كنتم اي بما هو كالجبلة التي لا تنفك تؤمنون بالله اي الملك الاعظم الذي هو ارحم الراحمين فما شرع
ذلك الا رحمة للناس عموما وللزانيين خصوصا فمن نقص سوطا فقد ادعى انه ارحم منه ومن زاد سوطا فقد ظن انه احكم واعظم منه
ولما ذكر بالايمان الذي من شرطه التزام الاحكام وكان الرجاء غالبا على الانسان اتبعه ما يرهبه فقال واليوم الاخر
الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير والخفي والجلي ولما كان الخزي والفضيحة اعظم عند بعض الناس من ضرب السيف فضلا
عن ضرب السوط قال وليشهد اي يحضر حضورا تاما عذابهما طائفة اي جماعة يمكن اطافتهما اي تحلقها وحفوفها بكل منهما من المؤمنين
العريقين اشهارا للامر بما نكالا لهما وعن نصر بن علقمة ان ذلك ليدعى لهما بالتوبة والرحمة وفي كل هذا اشارة ظاهرة الى ان اقامة الحدود
والغلاظة فيها من رحمته سبحانه المشار اليها بقوله وانت خير الراحمين ولما كان في ذلك من الغلاظة على الزاني لما ارتكب من
الحرام المتصف بالعار ما يفهم مجانبته صرح به ما نعا من نكاح المتصف بالزنا من ذكر وانثى اعلاما بان وطء من اتصف به من رجل او
امراة لا يكون الا زنا وان كان بعقد فقال واصلا له بما قبله الزاني لا ينكح اي لا يتزوج الا زانية او مشركة اي المعلوم
اتصافه بالزنا مقصور نكاحه على زانية او مشركة وذلك محرم فهذا تنفير للمسلمة عن نكاح المتصف بالزنا حيث سويت بالمشركة هم
ان عاشرته وذلك يرجع الى من نكحت زانيا فهي زانية او مشركة اي فهي مثله او شر منه ولو اقتصر على ذلك لم يكن منع من ان ينكح
العفيف الزانية فقال تعالى مانعا من ذلك والزانية لا ينكحها اي لا يتزوجها الا زان او مشرك اي والمعلوم اتصافها بالزنا
مقصور نكاحها على زان او مشرك وذلك محرم فهو تنفير للمسلم ان يتزوج بمن اتصفت بالزنا حيث سوي في ذلك بالمشرك وهو يرجع
الى ان من نكح زانية فهو زان او مشرك اي فهو مثلها او شر منها واسند النكاح في الموضعين الى الرجل تنبيها على ان النسا لا حق لهن
في مباشرة العقد ثم صرح بما افهمه صدر الاية بقوله مبنيا للمفعول لان ذلك يكفي المؤمن الذي الخطاب معه وحرم ذلك اي نكاح
الزاني والزانية تحريما لا مثنوية فيه على المؤمنين وعلم من هذا ان ذكر المشرك والمشركة لزيادة التنفير ثم ان هذا الحكم نسخ كما قال
امامنا الشافعي رحمه الله موافقة لابن المسيب بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهو جمع ايم وهو من لا زوج له من الذكور والاناث
فاحل للزاني ان ينكح من شاء وللزانية ان تنكح من شاءت وقراة من قرا لا ينكح بالنهي راجعة الى هذا لان الطلب قد يجي للخبر كما يجي الخبر
للطلب والله اعلم قال الشافعي رحمه الله في الام في جزء مترجم باحكام القران وفي جزء بعد كتاب الحج الكبير والصغير والضحايا
ما جاء في نكاح المحدودين فذكر الاية وقال اختلف اهل التفسير في هذه الاية اختلافا متباينا اخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن مجاهد
ان هذه الاية نزلت في بغايا من بغايا الجاهلية كانت على منازلهن رايات قال في الجزء الاخر وكن غير محصنات فاراد بعض المسلمين
نكاحهن فنزلت الاية بتحريم ان ينكحن الا من اعلن بمثل ما اعلن به او مشرك وقيل كن زواني مشركات فنزل لا ينكحهن الا زان مثلهن
او مشرك وان لم يكن زانيا وحرم ذلك على المؤمنين وقيل هي عامة ولكنها نسخت اخبرنا سفين عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب
انه قال هي منسوخة نسختها وانكحوا الايامى منكم فهي من ايامى المسلمين فهذا كما قال ابن المسيب ان شا الله تعالى وعليه دلائل

من الكتاب والسنة ثم استدل على فساد غير هذا القول بان الزانية ان كانت مشركة فهي محرمة على زناة المسلمين وغير زناتهم بقوله
تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الاية ولا خلاف في ذلك وان كانت مسلمة فهي بالاسلام محرمة على جميع المشركين بكل نكاح بقوله تعالى
فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ولا خلاف في ذلك ايضا وبانه لا اختلاف بين احد من اهل العلم
ايضا في تحريم الوثنيات عفايف كن او زواني على من امن زانيا كان او عفيفا وبان النبي صلى الله عليه وسلم جلد بكرا في الزنا وجلد امراة
ولم نعلمه قال للزاني هل لك زوجة فتحرم عليك اذا زنيت ولا يتزوج هذا الزاني ولا الزانية الا زانية او زانيا بل قد روي ان
رجلا شكى من امراته فجورا فقال طلقها قال اني احبها قال استمتع بها يشير الى ما رواه ابو داود والنسائي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امراتي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال اني لا اصبر عنها قال فامسكها ورواه البيهقي
والطبراني من حديث جابر رضي الله عنه وقال شيخنا ابن حجر انه حديث حسن صحيح انتهى قال الشافعي وقد روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال لرجل ان ينكح امراة احدثت انكحها نكاح العفيفة المسلمة انتهى بالمعنى وقال في الجزء الذي بعد الحج فوجدنا
الدلالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في زانية وزان من المسلمين لم نعلمه حرم على واحد منهما ان ينكح غير زانية ولا زان ولا حرم
واحدا منهما على زوجه ثم قال فالاختيار للرجل ان لا ينكح زانية وللمراة ان لا تنكح زانيا فان فعلا فليس ذلك بحرام على واحد منهما ليست معصية
واحد منهما في نفسه تحرم عليه الحلال اذا اتاه ثم قال وسواء حد الزاني منهما او لم يحد او قامت عليه بينة او اعترف لا يحرم زنا واحد
منهما ولا زناهما ولا معصية من المعاصي الحلال الا ان يختلف دينا هما بشرك وايمان انتهى **وقد علم** انه لم يرد ان هذا الحكم
نسخ باية الايامى فقط بل بما انضم اليها من الاجماع وغيره من الايات والاحاديث بحيث صير ذلك دلالتها على ما تناوله سببها متيقنا كدلالة
الخاص على ما تناوله فلا يقال ان الشافعي رحمه الله خالف اصله في ان الخاص لا ينسخ بالعام لان ما تناوله الخاص متيقن وما تناوله
العام ظاهر مظنون وكان هذا الحكم وهو الحرمة في اول الاسلام بعيد الهجرة لئلا يغلب حال المفسد على المصلح فيحمل بعض الاخيار
كما اشير اليه في البقرة عند ولا تنكحوا المشركات الاية وفي المائدة عند ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله **وهو من وادي**
قوله عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ۝ فكل خليل بالمخالل يقتدي
والجنسية علة الضم والمشاكلة سبب المواصلة والمخالفة توجب المباعدة وتحرم الموالفة وقد روى ابو داود في الادب
والترمذي في الزهد وقال حسن غريب عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر احدكم
من يخالل وروى الامام ابو يعلى الموصلي في مسنده قال حدثنا يحيى بن معين حدثنا سعيد بن الحكم حدثنا يحيى بن ايوب حدثني يحيى بن
سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت كانت امراة بمكة مزاحة يعني فهاجرت الى المدينة الشريفة فنزلت على امراة شبه لها
فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت صدق حبي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف قال ولا اعلم الا قال في الحديث ولا نعرف تلك المراة وسياتي عند والطيبات للطيبين تخريج
الارواح جنود مجندة وقال الامام ابو بكر احمد بن مروان الدينوري في كتاب المجالسة حدثنا احمد بن علي الخزاز حدثنا مصعب بن
عبد الله عن ابي غزية الانصاري قال قال الشعبي يقال ان لله ملكا موكلا بجمع الاشكال بعضها الى بعض انتهى وعزاه شيخنا
الحافظ ابو الفضل بن حجر في تخريج احاديث مسند الفردوس الى انس رضي الله عنه وقال لنا لبقا الاشكال ويروى ان امير
المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خطب اهل الكوفة بعد ثلاثة ايام من مقدمه عليهم فقال يا اهل الكوفة قد علمنا شراركم
من خياركم فقالوا كيف وما لك الا ثلاثة ايام فقال كان معنا شرار وخيار فانضم خيارنا الى خياركم وشرارنا الى شراركم فلما
تقررت الاحكام واذعن الخاص والعام وضرب الدين بجرانه ولم يخش وهي شي من بنيانه نسخت الحرمة وبقيت الكراهة
او خلاف الاولى والله الموفق **ولما كان** ... توطئة لبراءة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها كما ياتي ايضاحه عند
والطيبات للطيبين لانها قرينة خير العالمين واتقاهم واعفهم ولان كلا منها ومن صفوان رضي الله عنهما بعيد عما رمي به شهير
بصدع واليه الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم من يعذرني في رجل بلغ اذاه في اهلي والله ما علمت على اهلي الا خيرا
ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وفي رواية ما علمت عليه من سوء قط ولا دخل بيتي قط الا وانا حاضر ويقول
عائشة رضي الله عنها عن صفوان رضي الله عنه انه قتل شهيدا في سبيل الله وهذا اسوى الايات المصرحة والاعلام المفصحة
فهو والطيبون تلويح قبل بيان وتفريج واشارة بعد عبارة وتوضيح يجتمع في براءة الصديقة رضي الله عنها دليلا عقليا
شهوديا ان اكتنفا الدليل النقلي فكانا سورا عليه وحفظا من تطرق طعن اليه وفي ذلك من فخامة امرها وعظيم قدرها
ما لا يقدره حق قدره الا الذي خصها به **ولما** نفر سبحانه من نكاح من اتصف بالزنا من رجل او امراة وبدا لان نكاح
المراة للزاني مظنة لزناها بتنفير الاناث بما يوهم جواز اطلاق الزنا عليهن بمجرد نكاح من علم زناه وذلك بعد
ان ابتدا في حد الزنا بالانثى ايضا لان زناها اكبر شرا واعظم فضيحة وضرا عطف على ذلك تحريم القذف بما يوجب
تعظيم الرغبة في الستر وصيانة الاعراض واخفا الفواحش فقال ذاكرا الجمع لان الحكم باقامة الحد عليه يفهم اقامته

الحد

الحد على الواحد من باب الاولى ولا ابهام فيه لان الجمع اذا قوبل بالجمع اقتضى التوزيع **والذين يرمون** اي بالزنا **المحصنات** جمع محصنة
وهي هنا المسلمة الحرة المكلفة العفيفة والمراد القذف بالزنا بما ارشد اليه السياق سابقا ولاحقا ذكورا كان الرامون او اناثا
وخص الاناث وان كان الحكم عاما للرجال تنبيها على عظيم حق ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ولان الكلام في حقهن اشنع **ولما**
كان اقدام المجترى على القذف مع ما شرط فيه لدرء الحد ارادة الستر بعيدا اشار اليه باداة التراخي فقال **ثم لم ياتوا**
اي الى الحاكم **باربعة شهدا** ذكور **فاجلدوهم** ايها المؤمنون من الائمة ونوابهم **ثمانين جلدة** لكل واحد منهم لكل محصنة ان لم
يكن القاذف اصلا ان كانوا احرارا وحد العبيد نصف ذلك لاية النسا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فهذه
الاية مخصوصة بتلك اذ لا فرق بين الذكر والانثى ولا بين حد الزنا وحد القذف **ولا تقبلوا لهم** اي بعد قذفهم على هذا الوجه
شهادة اي شهادة كانت **ابدا** للحكم بافترائهم ومن ثبت افتراؤه سقط الوثوق بكلامه **ولما** كان التقدير فاولئك هم
قد افتروا عطف عليه تحذيرا من الاقدام عن غير تثبت **واولئك** اي الذين تقدم ذمهم بالقذف فسفلت رتبتهم جدا **هم الفاسقون**
اي المحكوم بفسقهم الثابت لهم هذا الوصف وان كان القاذف منهم محقا في نفس الامر **ولما** كان من اصل الشافعي
رحمه الله ان الاستثناء المتعقب للجمل المتواصلة المتعاطفة بالواو عايدا الى الجميع سوا كانت من جنس او اكثر الا اذا منعت
قرينة اعاد الاستثناء هنا الى الفسق ورد الشهادة دون الحكم بالجلد لان من تمام التوبة الاستسلام للحد والاستحلال
منه ولقرينة كونه حقا لادمي وهو لا يسقط بالتوبة في قوله تعالى **الا الذين تابوا** اي رجعوا عما وقعوا فيه من القذف وعزموا
وندموا عليه وعزموا على ان لا يعودوا وكما بين في البقرة في قوله الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا واشار الى ان الجلد لا يسقط
بالتوبة بقوله مشيرا بادخال الجار الى ان قبولها لا يتوقف على استغراقها الزمان الاتي **من بعد ذلك** اي الامر الذي اوجب لهما
وهو الرمي والجلد فان التوبة لا تغير حكم الرامي في الجلد وانما تغيره في رد الشهادة وما تسبب عنه وهو الفسق واشار
الى شروط التوبة بقوله **واصلحوا** اي بعد التوبة بمضي مدة يظن بها حسن الحال وهي سنة يعتبر بها حال التائب بالفصول
الاربعة التي تكشف الطباع **ولما** كان استثناؤهم من رد الشهادة والفسق كان التقدير فاقبلوا شهادتهم ولا تصفوهم
بالفسق علله بقوله **فان الله** اي الذي له صفات الكمال **غفور** اي ستور لهم ما اقدموا عليه لرجوعهم عنه **رحيم** اي يفعل
بهم من الاكرام فعل الراحم بالمرحوم في قبول الشهادة **ولما** كان لفظ المحصنات عاما للزوجات وكان لهن حكم غير ما
تقدم لحرجهن بقوله **والذين يرمون** اي بالزنا **ازواجهم** اي من المؤمنات الاحرار والاما والكافرات **ولم يكن لهم** بذلك
شهدا الا انفسهم وهذا يفهم ان الزوج اذا كان احد الاربعة كفى لكن يرد هذا المفهوم كونه حكاية واقعة لا شهود
فيها وقوله في الاية قبلها ثم لم ياتوا باربعة شهدا فانه يقتضي كون الشهدا غير الرامي ولعله استثناه من الشهدا هو
لان لعانه يكون بلفظ الشهادة ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا يقبل في ذلك على زوجته قال ابن الرفعة في الكفاية لامرين
احدهما ان الزنا تعرض لمحل حق الزوج فان الزاني مستمتع بالمنافع المستحقة له فشهادته في صفتها تتضمن اثبات جناية
الغير على ما هو مستحق له فلم تسمع كما اذا شهد انه جنى على عبده والثاني ان من شهد بزنا زوجته فنفس شهادته دال على اظهار
العداوة لان زناها يوغر صدره بتلطيخ فراشه وادخال العار عليه وعلى ولده وهو ابلغ في العداوة من مولم الضرب
وفاحش السب قال القاضي الحسين والى هذه العلة اشار الشافعي رحمه الله وهي التي حكاها القاضي ابو الطيب في باب حد
قاطع الطريق عن الشيخ ابي حامد **فشهادة احدهم** اي على من رماها **اربع شهادات** من خمس في مقابلة اربعة شهدا **بالله**
اي مقرونة بهذا الاسم الكريم الاعظم الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال والجمال **انه لمن الصادقين** اي فيما قذفها به
والخامسة ان لعنة الله اي الملك الاعظم **عليه** اي هذا القاذف نفسه **ان كان من الكاذبين** فيما رماها به ولاجل قطعه
بهذه الايمان المغلظة بصدقه وحكم الله بخلاصه انتفى عنه الولد فلزم من نفيه الفرقة المؤبدة من غير لفظ لعدم صلاحيته
ان يكون فراشا له لان الولد للفراش ولا يصح اللعان الا عند حاكم ولا يخفى ما في هذا من الابعاد عن القذف بوجوب مزيد الاحتياط
لما في ذلك من التكرير والاقتران بالاسم الاعظم والجمع بين الاثبات وما يتضمن النفي والدعا باللعن المباعد لصفة المؤمن فاذا فعل
الزوج ذلك سقط عنه العذاب بحد القذف واوجبه على المقذوفة فلذلك قال تعالى **ويدرا** اي يدفع **عنها** اي المقذوفة **العذاب**
اي المعهود وهو الحد الذي اوجبه عليها ما تقدم من **ان تشهد اربع شهادات** من خمس **بالله** الذي له جميع الاسماء الحسنى والصفات
العلى كما تقدم في الزوج **انه لمن الكاذبين** فيما قاله عنها **والخامسة** من الشهادات **ان غضب الله** الذي له الامر كله فلا كفو له
عليها وهو ابلغ من اللعن الذي هو الطرد لانه قد يكون بسبب غير الغضب وسبب التغليظ عليها الحث على اعترافها بالحق لما يعضد الزوج
من القرينة من انه لا يتجشم فضيحة اهله المستلزم لفضيحته الا وهو صادق ولانها مادة الفساد وهاتكة الحجاب وخالطة
الانساب **ان كان** اي كونا راسخا **من الصادقين** اي فيما رماها به روى البخاري في التفسير وغيره عن ابن عباس وغيره رضي الله عنهم
ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما رضي الله عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة

أوجدا في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام وانزل
عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم اليهما فجا هلال فشهد والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها
وقالوا انها موجبة فتلكات ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ابصروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحما فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شان
وقد روى البخاري ... نظاير بسهل بن سعد رضي الله عنه ان سبب نزولها قصة
مثل هذه لعويمر رضي الله عنه وقد تقدم انه لا يمتنع ان يكون للاية الواحدة عدة اسباب معا او متفرقة ولما حرم سبحانه بهذه
الاعراض والانساب نصانة لذلك الدما والاموال علم ان التقدير فلولا انه سبحانه خير الغافرين وخير الراحمين لما فعل بكم ذلك
ولفضح المذنبين واظهر سراير المستخفين ففسد النظام واطبقتم على التهاون بالاحكام فعطف على هذا الذي علم تقديره قوله
ولولا فضل الله اي بما له من الكرم والاتصاف بصفات الكمال عليكم ورحمته اي بكم وان الله اي الذي احاط بكل شي قدرة وعلما تواب
اي رجاع بالعصاة اليه حكيم يحكم الامور فيمنعها من الفساد بما يعلم من عواقب الامور لفضح كل عاص ولم يوجب اربعة شهدا استرا لكم
ولامر بعقوبته بما توجبه معصيته ففسد نظامكم واختل نقضكم وابرامكم ونحو ذلك مما لا يبلغ وصفه فتذهب النفس فيه كل مذهب
فهو كما ترى مسكوت عنه ابلغ من منطوق به ثم علل ما اقتضته لولا من نحو ولكنه لم يفعل ذلك افضالا عليكم ورحمة لكم بقوله
على وجه التاكيد لما عرف من حال كثير ممن غضب لله ولرسوله من ارادة العقوبة للافكين بضرب الاعناق منبها لهم على ان ذلك يجر الى مفسدة
كبيرة ان الذين جاءوا بالافك اي اسوا الكذب لانه القول المصروف عن مدلوله الى ضده المقلوب عن وجهه الى قفاه وعرف زيادة بشيع
له في هذا المقام حتى كانه لا افك الا هو لانه في حق ام المومنين عايشة رضي الله عنها وهي من احق الناس بالمدحة لما كانت عليه من الحصانة
والشرف والعفة والكرم فمن رماها بسوء فقد قلب الامر عن احسن وجوهه الى اقبح اقفايه وترك تسميتها تنزيها لها عن هذا المقام
ابعادا للمصون جانبها العلي عن هذا المرام عصبة اي جماعة اقلهم عشرة واكثرهم اربعون فهم لكونهم عصبة يحمي بعضهم لبعض
فيشتد امرهم لان مدار مادة عصب على الشدة وهم مع ذلك منكم اي ممن يعد عندكم في عداد المسلمين فلو فضحهم الله في جميع ما اسروه
واعلنوه وامركم بان تعاقبوهم بما يستحقون على ذلك لفسدت ذات البين بحمايتهم لانفسهم وهم كثير وتعصب اوداهم لهم لان الامر خارق
يعصم به من ذلك كما كشفت عنه التجربة حين خطب النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يعذرني من رجل بلغ اذاه في اهلي حتى كادوا يقتتلون
لولا اسكتهم النبي صلى الله عليه وسلم فالله سبحانه برحمته بكم يمنع من كيدهم ببيان كذبهم وبحكمته يستر عليهم ويخفيهم لتنحسم
مادة مكرهم وتنقطع اسباب ضرهم ولما كان هذا مقتضيا للاهتمام بشانهم اتبعه قوله تحقيرا لامرهم مخاطبا
للمخلص وخصوصا النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعايشة وامها وصفوان بن المعطل رضي الله عنهم لا تحسبوه اي الافك
شرا لكم ايها المومنون بان يصدقه احد او تنشا عنه فتنة بل هو خير لكم بثبوت البراة الموجبة للفخر الذي لا يلحق بتلاوتها
على مر الدهور بالسنة من لا يحصى من العباد في اكثر البلاد وتسلية الرسول والصديقين بذلك مع الثواب الجزيل بالصبر على مرارة
هذا القيل وثبوت اعجاز القران بعد اعجازه بالبلاغة بصدقه في صيانة من اثنى عليها في ذلك الدهر الطويل الذي عاشته مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعه الى ان ماتت رضي الله عنها اتقى الناس ديانة واطهرهم صيانة وانقاهم عرضا واطهرهم
نفسا فهو لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الاخرى الى غير ذلك من الحكم التي رتبها بارئ النسم من الفوايد الدينية والاحكام
والاداب ولما كان لا شفا لغيظ الانسان اعظم من انتصار الملك الديان له علل ذلك بقوله لكل امرئ منهم اي الافكين
ما اي جزا ما اكتسب بخوضه فيه من الاثم الموجب لشقايه وصيغة الافتعال من كسب تستعمل في الذنب اشارة الى ان الاثم يترتب
على ما حصل فيه تصميم وعزم قوي صدقه العمل بما فيه من الجد والنشاط وبجرد في الخير اشارة الى ان الثواب يكتب بمجرد فعل
الخير بل ونيته والذي تولى كبره اي معظمه باشاعته والمجاهرة به منهم له مما يخصه لامعانه في الاذى عذاب عظيم
اعظم من عذاب الباقين لانهم لم يقولوا شيا الا كان عليه مثل وزره من غير ان ينقص من اوزارهم شيا
وقصة الافك
معروفة في الصحيح والسنن وغيرهما شهيرة جدا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق بعدما انزلت اية الحجاب
وكانت معه الصديقة بنت الصديق زوجته ام المومنين عايشة رضي الله عنها تحمل في هودج لها فافتقدت عقدا لها ليلة فرجعت
الى الموضع الذي تخلت فيه فالتمسته فرحل النبي صلى الله عليه وسلم وحملوا هودجها وهم يظنونها فيه فلما رجعت فلم
تجد احدا اضطجعت مكان هودجها رجا ان يعلموا بها فيرجعوا وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني رضي الله عنه قد عرس
من ورا الجيش فاصبح في مكانهم فلما راها وكان يراها قبل الحجاب استرجع واناخ راحلته فوطئ على يدها ولم يتكلم بكلمة غير
استرجاعه فركبت ام المومنين رضي الله عنها وكان يمشي بها حتى لحق بالجيش وهم نزول في نصف النهار فتكلم
اهل الافك فيهما رضي الله عنهما وكان من سمي منهم عبد الله بن ابي المنافق وزيد بن رفاعة ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش وحسان

ابن ثابت قال عروة بن الزبير في ناس آخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله هكذا ذكر واحسان منهم وانا والله لا اظن به ذلك
اصلا وان جاءت تسميته في الصحيح فقد يخطئ الثقة لاسباب لا تحصى كما يعرف ذلك من مارس نقد الاخبار وكيف يظن به ذلك ولا
شغله بامداح النبي صلى الله عليه وسلم والمدافعة عنه والذم لاعدايه وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل
عليه السلام معه فاقسم بالله ان الذي ايد بجبريل عليه السلام ما كان ليكله الى نفسه في مثل هذه الواقعة وقد سبقني الى هذا
الحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقي رحمه الله وكيف لا ينافح عنه وهو القائل فان ابي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء [illegible] يمدح عايشة رضي الله عنها ويكذب من نقل عنه ذلك

حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا • نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لوي بن غالب • كرام المساعي مجدها غير زايل
مهذبة قد طيب الله خيمها • وطهرها من كل شين وباطل
فان كان ما بلغت عني قلته • فلا رفعت سوطي الي اناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي • لال رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس فضلها • تقاصر عنها سورة المتطاول

وقال الحافظ ابو عمر بن عبد البر في الاستيعاب وانكر قوم ان يكون حسان خاض في الافك وجلد فيه ورووا عن عايشة
رضي الله عنها انها برأته من ذلك انتهى واستمر اهل الافك في هذا اكثر من شهر والله تعالى عالم بما يقولون وان قولهم كاد يقطع
اكباد [illegible] اليه وهو قادر على تكذيبهم عند اول ما خاضوا فيه ولكنه سبحانه اراد للناس رفعة الدرجات وللاخرين الهلاك
فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم والصديق وآله رضي الله عنهم وكل من احبهم وهم خير الناس والله سبحانه يملي للافكين ويمهلهم
وكان كما قال ابو تمام الطائي في قصيدة العمري كذا فليجل الخطب او يفدح الامر وليس لعين لم يفض دمعها عذر
وحين علمت عايشة رضي الله عنها بقول اهل الافك سقطت مغشيا عليها واصابتها حمى بنافض واستاذنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اتيان بيت ابيها فاذن لها فسالت امها عن الخبر فاخبرتها فاستعبرت وبكت وكان ابو بكر رضي الله عنه في علية
يقرا فسمع حسها فنزل فسال امها فقالت بلغها الذي ذكر من شانها ففاضت عيناه واستمرت هي رضي الله عنها تبكي حتى ظنت
ان البكا فالق كبدها وساعدتها على البكا امراة من اولي الوفا والمواساة والكرم والايثار ومعالي الشيم الانصار
رضي الله عنهم فكانت تبكي معها وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة رضي الله عنها جاريتها بريرة رضي الله عنها
فاستعظمت ان يظن في عايشة مثل ذلك وقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصايغ على تبر الذهب الاحمر وخطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على المنبر واستعذر ممن تكلم في اهله وما علم عليهم الا خيرا وشهد صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق المصدوق بصلاح صفوان بن المعطل رضي الله عنه وانه ما علم عليه الا خيرا فكاد الناس يقتتلون فسكتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخل بعد ان صلى العصر على عايشة رضي الله عنها وهي تبكي والانصارية معها فوعظها
فاجابت واجادت فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك المجلس فاخذه ما كان ياخذه من البرحا قالت عايشة
رضي الله عنها فاما انا حين رايت من ذلك ما رايت فوالله ما فزعت وما باليت قد عرفت اني بريئة وان الله غير ظالمي واما
ابواي فوالذي نفس عايشة بيده ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن انفسهما فرقا من ان ياتي الله
بتحقيق ما قال الناس قالت فرفع عنه واني لاتبين السرور في وجهه وهو يمسح عن جبينه العرق ويقول ابشري يا عايشة
فقد انزل الله براءتك فكنت اشد ما كنت غضبا فقال لي ابواي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمده ولا احمدكما
ولا احمد الا الله الذي انزل براءتي لقد سمعتموه فما انكرتموه ولا غيرتموه وانزل الله تعالى ان الذين جاءوا بالافك العشر الايات
قالت عايشة رضي الله عنها والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله والذي نفسي بيده ما كشفت كنف
انثى قط قالت ثم قتل بعد ذلك شهيدا في سبيل الله ولما اخبر سبحانه بعقابهم وكان في المومنين من سمعه فسكت
ومنهم من سمعه فتحدث به متعجبا من قايله او مستثبتا في امره ومنهم من كذبه اتبعه سبحانه بعتابهم في اسلوب خطابهم
مبنيا على من كذبه فقال مستانفا محرضا لولا اي هلا ولم لا اذ سمعتموه ايها المدعون للايمان كان
هذا الافك قد تمالى عليه رجال ونسا قال ظن المومنون والمومنات اي منكم وكان الاصل ظننتم ولكنه التفت الى الغيبة
منبها على التوبيخ وصرح بالنسا ونبه على الوصف المقتضي لحسن الظن تخويفا للذي ظن السوء من سوء الخاتمة بانفسهم
حقيقة خيرا وهم دون من كذب عليها فقطعوا ببراءتها لان الانسان لا يظن في الناس الا ما هو متصف به او باخوانهم لان المومنين
كالجسد الواحد او ظنوا ما يظن بالرجل لو خلا بامه وبالمراة اذا خلت بابنها فان نسا النبي صلى الله عليه وسلم امهات المومنين

وهم دون من كذب عليهما فقطعوا ببراءتها لان الانسان لا يظن في الناس الا ما هو متصف به او باخوانهم لان المومنين كالجسد الواحد او ظنوا ما يظن الرجل لو خلا بامه وبالمراة اذا خلت بابنها فان نسا النبي صلى الله عليه وسلم امهات المومنين وقالوا هذا افك اى كذب عظيم جلب منكب على وجهه مبين اى واضح في نفسه موضح لغيره وبيانه وظهوره ان المرتاب يكاد يقول خذوني فهو يسعى في التستر جهده فاتيان صفوان بعايشة رضي الله عنهما راكبة على جمله داخلا بها الجيش في نحر الظهيرة والناس كلهم يشاهدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ينزل عليه الوحي ادل دليل على عدم الريبة اهل الريب اول دليل على البراءة وكذب القاذفين ولو كان هناك ادنى ريبة لجاء كل منهما وحده على وجه من التستر والدهر يعرف به خيانته فالامور تذاق ولا يظن الانسان بالناس الا ما في نفسه ولقد عمل ابو ايوب الانصاري وصاحبته رضي الله عنهما بما اشارت اليه هذه الاية قال ابن اسحاق حدثني ابي اسحق بن يسار عن بعض رجال بني النجار ان ابا ايوب خالد بن زيد رضي الله عنه قالت له امراته ام ايوب رضي الله عنها يا ابا ايوب الا تسمع ما يقول الناس في عايشة رضي الله عنها قال بلى وذلك الكذب اكنت يا ام ايوب فاعله قالت والله ما كنت لافعله قال فعايشة والله خير منك وروى البغوي انه قال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الاية الاتية على وفق قوله رضي الله عنه ثم علل سبحانه بيان كذب الافكين بان قال موبخا لمن اختلقه واذاعه ملقنا لمن نديه الى ظن الخير لولا اى هلا ولم لا جاءو اى المفترون له اولا عليه ان كانوا صادقين باربعة شهداء كما تقدم من ان القذف لا يباح الا بها ولما تسبب عن كونهم لم ياتوا بالشهدا اكذبه قال فاذ اى فحين لم ياتوا بالشهدا اى الموصوفين فاولئك اى البعداء من الصواب عند الله اى في حكم الملك الاعلى بل وفي هذه الواقعة بخصوصها في علمه هم الكاذبون اى الكذب العظيم ظاهرا وباطنا ولما [illegible] لهم باقامة الدليل على كذب الخايضين في هذا الكلام انهم استحقوا الملام وكان لذلك رعبا لاهل التقوى بين انهم استحقوا بالتقصير في الانكار عموم الانتقام في سياق مبشر بالعفو فقال عاطفا على ولولا الماضية ولولا فضل الله اى المحيط بصفات الكمال عليكم ورحمته اى معاملته لكم بمزيد الانعام الناظر الى الفضل والاكرام اللازم للرحمة في الدنيا بقبول التوبة والمعاملة بالحلم والاخرة بالعفو عمن يريد ان يعفو عنه منكم لمسكم اى عاجلا عموما فيما افضتم اى اندفعتم على اى وجه كان فيه بعضكم حقيقة وبعضكم مجازا بعدم الانكار عذاب عظيم اى يحتقر معه اللوم والجلد بان يهلك فيتصل به عذاب الاخرة ثم بين وقت حلوله وزمان تعجيله بقوله اذ اى مسكم حين تلقونه اى تجتهدون في تلقي اى قبول هذا الكلام الفاحش والقايه بالسنتكم باشاعة البعض وسؤال اخرين وسكوت اخرين وتقولون وقوله بافواهكم تصوير لمزيد قبحه واشارة الى انه قول لا حقيقة له فلا يمكن رسامه في القلب بنوع دليل واكد المعنى بقوله ما ليس لكم به علم اى بوجه من الوجوه وتنكيره للتحقير وتحسبونه بدليل سكوتكم عن انكاره هينا وهو اى والحال انه عند الله اى الذي لا يبلغ احد مقدار عظمته عظيم اى في حد ذاته ولو كان في غير ام المومنين رضي الله عنها فكيف وهو في جنابها المصون وهي زوجة خاتم الانبيا وامام المرسلين عليه افضل الصلاة والتسليم ولما بين فحشه وشناعته وقبحه وفظاعته عطف على التاديب الاول في قوله لولا اذ سمعتموه تاديبا ثانيا فقال ولولا اذ اى وهلا حين سمعتموه قلتم اى حين السماع من غير توقف ولا تلعثم وفصل بين اداة التحضيض والقول المحضض عليه بالظرف لان الظروف تنزل من الشي منزلة نفسه لوقوعه فيها وانها لا انفكاك لها عنه ولان ذكره منبه على الاهتمام به لوجوب المبادرة الى المحضض عليه ما يكون اى ما ينبغي ولا يصح لنا ان نتكلم حقيقة بالنطق ولا مجازا بالسكوت عن الانكار بهذا اى بمثله في حق ذي الناس فكيف بمن اختارها العليم الحكيم لصحبة اكمل الخلق ثم [illegible] على شدة تعززكم منه بان وصلتم بهذا النفي قولكم سبحانك تعجبا من ان يخطر بالبال في حال من الاحوال ولما كان تنزيه الله تعالى في مثل ذلك وان كان للتعجب اشارة الى تنزيه المقام الذي وقع فيه التعجب تنزيها عظيما حسن ان يوصل بذلك قوله تعليلا للتعجب والنفي هذا بهتان اى كذب يبهت من يواجه به ويحيره لشدة ما يفعل في القوى الباطنة لانه في غاية الغفلة عنه لكونه ابعد الناس منه ثم هوله بقوله عظيم والمراد ان الذي ينبغي للانسان اولا ان لا يظن باخوانه المومنين ولا يسمع فيهم الا خيرا فان غلبه الشيطان وادخل شيا من ذلك في ذهنه فلا يتكلم به ويبادر الى تكذيبه ولما كان هذا كله وعظا لهم واستصلاحا ترجمه بقوله يعظكم الله اى يرقق قلوبكم الذي له الكمال كله فيمهل بحلمه ولا يهمل بحكمته وعلمه بالتحذير على وجه الاستعطاف ان اى كراهة ان تعودوا لمثله ابدا اى ما دمتم اهلا للسماع ثم عظم هذا الوعظ والهب سامعه بقوله ان كنتم مومنين اى متصفين بالايمان راسخين فيه فانكم لا تعودون فان عدتم فانتم غير صادقين في دعواكم الاتصاف به ويبين الله اى بما له من الاتصاف بصفات الجلال والاكرام لكم الايات اى العلامات الموضحة للحق والباطل من كل امر ديني او دنيوي والله اى المحيط بجميع الكمال عليم فثقوا ببيانه حكيم لا يضع شيا الا في احكم مواضعه وانه وقع عليكم فهم كذلك فلا تتوقفوا في امر من اوامره واعلموا انه لم يختر لنبيه عليه الصلاة والسلام الا الخلص من عباده على حسب منازلهم عنده وقربهم من قلبه ولما كان من اعظم الوعظ بيان ما يستحق على الذنب من العقاب ادبهم تاديبا ثالثا اشد من الاولين نفا لواعظا ومقبحا لحال الخايضين في الافك ومحذرا ومهددا ان الذين يحبون عبر بالحب اشارة الى انه لا يرتكب هذا مع شناعته الا محب له ولا يحبه الا بعيد عن الاستقامة ان تشيع اى

تنتشر بالقول او الفعل الفاحشة اى الفعلة الكبيرة القبح وتصير لها شيعة يحامون عليها في الذين امنوا ولو كانوا في ادنى درجات الايمان لكيلا يسنم ذروته وتبوا غايته لهم عذاب اليم ردعا لهم عن ارادة اشاعة مثل ذلك لما فيه من عظيم الاذى في الدنيا بالحد وغيره مما ينتقم الله منهم به والاخرة فان الله يعلم هل كفر الحد عنهم جميع ما تكبهم ام لا والله اى المستجمع لصفات الجلال والجمال يعلم اى له العلم التام فهو يعلم مقادير الاشيا ما ظهر منها وما بطن وما الحكمة في ستره او اظهاره او غير ذلك من جميع الامور وانتم لا تعلمون اى ليس لكم علم من انفسكم فاعملوا بما علمكم الله ولا تتجاوزوه تضلوا ولما ختم بالحكم عليهم بالجهل وكان التقدير فلولا فضل الله عليكم ورحمته بكم لعجل هلاك المحبين لشيوع ذلك بعذاب الدنيا كما ارشد اليه ما ياتي من العطف على غير معطوف ليكون موصولا بعذاب الاخرة عطف عليه قوله مكررا التذكير بالمنة بترك المعاجلة حاذفا الجواب منها بالتكرير والحذف على قوة المبالغة وتهويل ولولا فضل الله اى الحائز لجميع الجلال والاكرام عليكم ورحمته بكم وان اى ولولا ان الله اى الذي له القدرة التامة فسبقت رحمته غضبه رؤوف بكم في نصب ما يزيل جهلكم بما يحفظ من سرائركم بارسال الرسل وانزال الكتب ونصب الحدود والزواجر عن الجهل الحاملة على التقوى التي هي ثمرة العلم فان الرافة كما تقدم في الحج وغيرها نعيم المروف به لاهل الطف الرحمة واعلاها على اقوم سنن حتى تحفظ بمسراها في سن ظهور ما يسند على العفو وتارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الادلة وتارة بضم الى ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب بما للمروف به من الوصلة بسهولة الانقياد وقوة الاستعداد رحيم بما يثبت لكم من الدرجات على ما منحكم به من ثمرات ذلك الحفظ من الاعمال المرضية والجواب محذوف تقديره لترككم في ظلمات الجهل تعمهون فثارت بينكم الفتن حتى تفانيتم ووصلتم الى العذاب الدائم بعد الهم اللازم ولما اخبرهم بانه ما انزل لهم هذا الشرع على لسان هذا الرسول الرؤوف الرحيم الا رحمة لهم نبههم على ان يحذرهم موارد الجهل نهاهم عن التمادي فيه في سياق معلم انا لداعي اليه الشيطان العدو فقال سارا لهم بالاقبال عليهم بالندا يا ايها الذين امنوا اى اقروا بالايمان لا تتبعوا اى تجهدوا كم خطوات اى طرق الشيطان اى لا تاتموا به ولا تسلكوا مسالكه التي تحمل على سلوكها بتزيينها في شي من الاشيا وكانه اشار بصيغة الافتعال الى العفو عن الهفوات ولما كان التقدير فانه من يتنكب عن طريقه يات بالحسنى والمعروف عطف عليه قوله ومن يتبع الى العزم الثابت من غير ان يكون مخطيا او ناسيا واظهر ولم يضمر لزيادة التنفير خطوات الشيطان اى يفعل به يقع في مهاوي الجهل الناهي عنها كل شر فانه اى الشيطان يامر بالفحشا وهي ما افرط قبحه والمنكر وهو ما لم يجوزه الشرع فنهوا ولا يقصد اعلى الضلال فان لم يحصل تنزل الى ادناه وربما درج بغير ذلك ومن المعلوم ان من اتبع من هذا سبيله عمل بعمله فصار في غاية السفول وهذا اشد في التنفير من اعادة الضمير في فانه على من والله الموفق ولما كان التقدير فلولا فضل الله عليكم لاتبعتم الشيطان مع اسرع بالقبائح عطف عليه قوله ولولا فضل الله اى ذي الجلال والاكرام عليكم اى بتطهير نفوسكم ورفعها عما تعشقه من الدنايا الى المعالي ورحمته لكم باكرامكم ورفعكم بشرع التوبة المكفرة لما حرالية الجهل من نقائص الاقوال وسفساف الافعال ما زكى اى يطهر وينمى زكى اى طهر ونما منكم واكد الاستغراق بقوله من احد وعم الزمان بقوله ابدا ولكن الله اى بجلاله وكماله يزكي اى يطهر وينمي من يشاء من عباده من جميع ادناس نفسه وامراض قلبه وان كان العباد واخلاقهم في الانتشار والكثرة بحيث لا يحصيهم غيره فلذلك زكى منكم من شا فصانه عن هذا الافك وحذل من شا حتم الاية بما لا تصح التزكية بدونه فقال والله اى الذي له جميع صفات الكمال سميع اى لجميع اقوالهم عليم بكل ما يخطر في بالهم وبشاعته من احوالهم وافعالهم فهو خبير بمن هو اهل للتزكية ومن ليس باهل لها فاشكروا الله على تزكيته لكم من الخوض في مثل ما خاض فيه غيركم ممن حذله نوعا من الخذلان واصبروا على ذلك منهم ولا تقطعوا احسانكم عنهم فان ذلك يكون زيادة في زكاتكم وسببا لاقبال من علم فيه الخير منهم فتقبلت توبته وغسلت حوبته وهذا المراد من قوله ولا ياتل اى يحلف مبالغا في اليمين اولوا الفضل منكم الذين جعلتهم بما اتيتهم من العلم والاخلاق الصالحة اهلا لبر غيرهم والسعة اى بما اوسعت عليهم في دنياهم ولما كان السياق والسباق واللحاق موضحا للمراد لم يحتج الى ذكر اداة النفي فقال ان يوتوا ثم ذكر الصفات المقتضية للاحسان فقال اولي القربى وعددها باداة العطف تكثيرا لها وتعظيما لامرها واشارة الى ان صفة منها كافية في الاحسان فكيف اذا اجتمعت فقال والمساكين اى الذين لا يجدون ما يغنيهم وان لم تكن لهم قرابة والمهاجرين لاهلهم وديارهم واموالهم في سبيل الله اى الذي عم الخلائق بجوده لما له من الاحاطة بالجلال والاكرام وان انتفى عنهم الوصفان الاولان فان هذه الصفات موذنة بانهم ممن رضي الله وتعدادها جعلها علة للعفو دليل على ان الزاكي من غير المعصومين قد يزل فتدركه الزكاة بالتوبة فيرجع كما كان وقد تكون الثلاثة لموصوف واحد لان سبب نزولها مسطح رضي الله عنه فالعطف اذن للتمكن في كل وصف منها ولما كان النهي عن ذلك غير صريح في العفو وكان التقدير فليوتوهم عطف عليه مصرحا بالمقصود قوله وليعفوا اى عن للمسي بان يمحوه ويقطعوا بما يسيلونه عليه من استار الحلم حتى لا يبقى له اثر ولما كان المحو لا ينفي التذكر قال وليصفحوا اى يعرضوا عنه اصلا وراسا فلا يخطروه لهم على بال ليثمر ذلك الاحسان ومنه الصفوح وهو الكريم ولما كانت لذة الخطاب تنسي كل عتاب اقبل سبحانه بفضله ومنه وطوله على اولي الفضل مرغبا في ان يفعلوا بغيرهم ما يحبون ان

يبعل بهم مرهبا من ان يشدد عليهم ان شددوا فقال الا تحبون اي يا اولي الفضل ان يغفر الله اي الملك الاعظم لكم اي ما قصرتم
في حقه وسبب نزولها كما في الصحيح من حديث عايشة رضي الله عنها ان اباها رضي الله عنه كان حلف بعد ما برا الله عايشة رضي الله عنها
ان لا ينفق على مسطح ابن خالته لكونه خاض مع اهل الافك وفي تفسير الاصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما اقسم ناس من الصحابة فيهم ابو بكر
رضي الله عنهم ان لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الافك ولا ينفعوهم فانزل الله هذه الاية وناهيك بشهادة الله جل جلاله للصديق
بانه من اولي الفضل فيا له من شرف ما اجلاه ومن سودد وفخار ما اعلاه ولا سيما وقد صدقه رضي الله عنه بالعفو عمن شنع على عرض فواده
ومهجة كبده وهي الصديقة زوجة خاتم المرسلين وخير الخلايق اجمعين والحلف على انه لا يقطع النفقة عنه ابدا فيا لله من اخلاق
ما ابهاها وشمايل ما اطهرها وازكاها واشرفها واسناها ولما كان الجواب قطعا كما اجاب الصديق رضي الله عنه بلى والله
انا لنحب ان يغفر الله لنا وكان كانه قيل فاغفروا والمراد اسا اليكم فالله حلم عن ايجازيهم على اساتهم اليكم ان شا والله عليم
شكور يشكر لكم ما صنعتم اليهم عطف عليه قوله والله اي مع قدرته الكامله وعلمه الشامل غفور رحيم من صفته ذلك بان
ان شا يغفر لكم ذنوبكم بان يمحوها فلا يدع لها اثرا ويرحمكم بعد محوها بالفضل عليكم كما تعلتم معهم فان الجزا من جنس العمل ولما كان
الختم بهذين الوصفين بعد الامر بالعفو ربما جرا على مثل هذه الاساة وصل به مرهبا من الوقوع في مثل ذلك قوله معمما للحكم ان الذين
يرمون اي بالفاحشة المحصنات اي اللاتي جعلن انفسهن من العفة في مثل الحصن ولما كان الهام بالشيء والمقدم
عليه عالما بما يرمي به منه جاعلا له نصب عينيه اكد معنى الاحصان بقوله الغافلات اي عن السوء حتى عن مجرد ذكره ولما
كان وصفا الايمان حاملا على كل خير ومانعا من كل سوء نبه على ان الحامل على الوصفين المتقدمين انما هو التقوى وصفا لهن
من الفطنة الى ما لله عليهن من الحقوق فقال المومنات ولما ثبت بهذه الاوصاف البعد عن السوء ذكر جزا القاذف
كنا عنه وتحذيرا منه بصيغة المجهول لان المحذور اللعن لكونه من معين وتنبيها على وقوع اللعن من كل من ياتي منه فقال
لعنوا اي ابعدوا عن رحمة الله وفعل معهم فعل المبعد من الحد وغيره في الدنيا والاخرة ثم زاد في تعظيم القذف لمن هذه اوصافها
فقال ولهم اي في الاخرة عذاب عظيم وقيد بوصف الايمان لان قذف الكافرة وان كان محرما ليس فيه هذا المجموع وهذا الحكم وان
كان عاما فهو لاجل الصديقة بالذات وبالقصد الاول وفي ما فيه من التشديد الذي قل ان يوجد مثله في القران من الاعلام
بعلي قدرها وجلي امرها في عظيم فخرها ما يجل عن الوصف ثم اتبع ذلك ذكر اليوم الذي يكون فيه اثر ذلك على وجه زاد الامر عظما فقال
يوم تشهد عليهم اي يوم القيمة في ذلك المجمع العظيم السنتهم ان ترفعوا عن الكذب وايديهم وارجلهم ان الكذب السنتهم كذبا
وفجورا ظنا ان الكذب ينفعهما بما كانوا يعملون من هذا القذف وغيره ثم زاد في التهويل بقوله يوميذ اي اذ تشهد عليهم
هذه الجوارح يوفيهم الله اي المحيط علما وقدرة وله الكمال كله دينهم اي جزاهم الحق اي الذي يظهر لكل احد من اهل ذلك المجمع
العظيم انهم يستحقونه فلا يقدر احد على نوع طعن فيه ويعلمون اي في ذلك لانقطاع الاسباب ودفع كل حجاب ان الله اي الذي
له العظمة المطلقة فلا كفو له هو اي وحده الحق الثابت امره لا امر لاحد سواه المبين الذي لا اوضح من شانه في الوهيته وعلمه وقدرته
وتفرده بجميع صفات الكمال وتنزهه عن جميع سمات النقص فيندمون على ما فعلوا في الدنيا مما يقدح في المراقبة ويجري عليه الغفلة ولما
ان كثير وامهات المومنين اولى بالدخول في هذا من كل محصنة لا سيما التي كانت سبب النزول وهي عايشة بنت الصديق رضي الله عنهما
وقد اجمع العلما قاطبة على ان من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به الذين ذكروا في هذه الاية فانه كافر لانه معاند للقران هي
وفي بقية امهات المومنين رضي الله عنهن قولان اصحهما انهن كهي والله اعلم انتهى وقد علم من هذه الايات وما سبقها من اول السورة وما
لحقها الى اخرها ان الله تعالى ما غلظ في شي من المعاصي ما غلظ في قصة الافك ولا توعد في شي ما توعد فيها واكد وشنع ووبخ وقرع
كل ذلك اظهارا لشرف رسوله صلى الله عليه وسلم وغضبا له واعظاما لحرمته وصونا لجانبه ولما تضمن ما ذكر من صفته
تعالى علمه بالخفيات اتبعه ما هو كالعلة لاية الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة دليلا شهوديا على براة عايشة رضي الله عنها
فقال الخبيثات اي من النسا وقدم هذا الوصف لان كلامهم فيه فاذا انتفى ثبت الطيب للخبيثين اي من الرجال ولما
كان ذلك لا يفهم ان الخبيث مقصور على الخبيثة قال والخبيثون اي من الرجال للخبيثات اي من النسا ولما انتج هذا ان اهلها
رضي الله عنها لانها قرينة اطيب الخلق اكده بقوله والطيبات اي منهن للطيبين اي منهم والطيبون للطيبات بذلك قضى
العليم الخبير ان كل شكل ينضم الى شكله ويفعل افعال مثله وهو سبحانه قد اختار لهذا النبي الكريم لكونه اشرف خلقه خلص
عباده من الازواج والاولاد والاصحاب كنتم خير امة اخرجت للناس خيركم قرني وكلما ازداد الانسان منهم من قلبه صلى الله
عليه وسلم قربا ازداد طهارة وكفى بهذا البرهان دليلا على براة الصديقة رضي الله عنها فكيف وقد انزل الله العظيم في
براتها صريح كلامه القديم وحاطه من اوله واخره بهذين الايتين المشيرتين الى الدليل العادي وقد تقدم عند اية الزاني ذكر
حديث الارواح جنود مجندة ومالاية لكنه لم يبين عن تخريجه وقد خرجه مسلم في الادب من صحيحه وابو داود في سننه من
حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف

وفي

وفي رواية عنه ان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا والارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف وهذا الحديث روي ايضا عن عايشة ام المومنين وعلي بن ابي طالب وسلمان
الفارسي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وعمرو بن عبسة رضي الله عنهم وقد علقه البخاري في صحيحه حديث عايشة
رضي الله عنها بصيغة الجزم ووصله في كتاب الادب المفرد وكذا الاسمعيلي في المستخرج وابو الشيخ في كتاب الامثال وتقدم عزوه
الى ابي يعلى ولفظ حديث ابن عمر رضي الله عنهما فما كان في الله ايتلف وما كان في غير الله اختلف اخرجه ابو الشيخ في الامثال ولفظ
حديث ابن مسعود رضي الله عنهما عنه فاذا التقت تشاموا كما تشام الخيل فما تعارف منها ايتلف وفي بعض الفاظ ابي هريرة
رضي الله عنه تطوف بالليل فما تعارف منها ايتلف الحديث واما حديث علي رضي الله عنه فرواه الطبراني في الاوسط في ترجمة محمد
الفضل السقطي وابو عبد الله بن منده في كتاب الروح عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه يا ابا حسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث اسالك عنهن هل عندك منهن علم
قال علي وما هن قال الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا فقال علي رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف قال عمر واحدة والرجل يحدث
الحديث اذ نسيه اذ ذكره فقال علي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من القلوب قلب الا وله سحابة
كسحابة القمر بينما القمر مضي اذ علته سحابة فاظلم اذ تجلت عنه اذ ذكر فقال عمر رضي الله عنه اثنتان وقال الرجل يرى الرويا
فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد او امة ينام فيستثقل نوما الا عرج
بروحه الى العرش فالتي لا تستيقظ الا عند العرش فتلك الرويا التي تصدق والرويا التي تستيقظ دون العرش فتلك الرويا
التي تكذب فقال عمر رضي الله عنه ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي اصبتهن قبل الموت وكذا اخرج الطبراني حديث سلمان
لحديث ابي هريرة رضي الله عنهما والشد والابيات انا القلوب لاجناد مجندة لله في الارض
بالاهواء تعترف فما تعارف منها فهو موتلف وما تناكر منها فهو مختلف ولما ثبت هذا
كانت نتيجته قطعا اولئك اي العالوا الاوصاف بالطهارة والطيب مبراون ببراة الله وبراة كل من له تامل في مثل هذا
الدليل مما يقولون اي العرفة الاخابث لانها لا تكون زوجة الطيب الطيبين الا وهي كذلك ولما ثبت لهم البراة اشا
الاخبار بجزايهم فقال لهم مغفرة اي لما قصروا فيه ان قصروا ولما كان في معرض الحث على الانفاق على بعض الافكين قال
ورزق كريم اي يحيون به حياة طيبة ويحسنون به الى من اسا اليهم ولا ينقصه ذلك لكرمه في نفسه بسعته وطيبه وغير
ذلك من خلال الكرام ولما انهى سبحانه الامر في براة عايشة رضي الله عنها على هذا الوجه الذي كساها به من الشرف
ما كساها وحلاها برونقه من مزايا الفضل ما حلاها وكان اهل الافك قد فتحوا بافكهم هذا باب الظنون السيية عداوة من ابليس
لاهل هذا الدين بعد ان كانوا في ذلك وفي كثير من سجاياهم اذ كانوا منهم بدا الشرك على الفطرة الاولى امر تعالى ذوي العلم
اناديهم وساوسه بوسواسه من الاراء بالتنزه عن مواقع التهم والتلبس بما يحسم الفساد فقال يا ايها الذين امنوا اي الزموا
انفسهم هذا الدين لا تدخلوا اي واحد منكم ولعله خاطب الجمع لانهم في مظنة ان يطردوا الشيطان بستر بعضهم
بحضرة بعض بلباس التقوى فمن حان منهم منعه اخوانه فلم يمكن منه شيطانه فنهي الواحد من باب الاولى بيوتا غير بيوتكم
اي التي هي سكنكم حتى تستانسوا اي تطلبوا بالاستيذان ان يانس بكم من فيها وتانسوا به فلو قيل له من فقال انا لم يحصل
الاستيناس لعدم معرفته بل الذي عليه ان يقول انا فلان يسمي نفسه بما يعرف به ليونس به فيوذن له او ينفر منه فيرد وتسلموا
على اهلها اي الذين هم سكانها ولو بالعارية منكم فتقولوا السلام عليكم اادخل وتطرقوا الباب ان كان قد لا يسمع
الاستيذان ليوذن لكم ذلكم الامر العالي الذي امرتكم به خير لكم مما كنتم تفعلونه من الدخول بغير اذن ومن تحية الجاهلية
لانكم اذا دخلتم بغير اذن ربما رايتم ما يسوءكم واذا استاذنتم لم تدخلوا على ما تكرهون هذا في الدنيا واما في الاخرى فاعظم
وقد روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يجبه احد فليرجع وكان هذا اذا ظن ان صاحب البيت سمع
ولما كان كل انسان لا يسعه عن احوال ليكره ان يطلع عليها او تقطع عليه قال لعلكم تذكرون اي لتكون حالكم حال
من يرجى ان يتذكر برجوعه الى نفسه عند سماع هذا النهي فيعرف ان ما يسوءه من غيره يسوء غيره منه فيفعل ما يجب ان يفعل معه
خوفا من المقابله لان الجزا من جنس العمل وكل ما يجب عليه في غير بيته يستحب في بيته بنحو التنحنح ورفع الصوت بالذكر ونحوه على ما
اشار اليه حديث النهي عن الطروق ليلا لئلا يرى من اهله ما يكره ولما كان السكان قد يكونون غايبين والانسان لكونه عورة
لا يجب ان يطلع غيره على جميع اموره قال فان لم تجدوا فيها اي البيوت التي ليس لها سكنا لكم احد قد يمنعكم فالله يمنعكم منها نعم ثم الذي
المفاسد فلا تدخلوها اي ابدا حتى يوذن لكم من اذن لنا باذن شرعي من الساكن او غيره لان الدخول تصرف في ملك الغير او حقه فلا يحل بدون
اذنه ولما كان كانه قيل فان اذن لكم في شي ما استاذنتم فيه فادخلوا عطف عليه قوله وان قيل لكم من قايل ما اذا استاذنتم في بيت

وكان خاليا او فيه احد ارجعوا فارجعوا اي ولا تستنكفوا من ان تواجهوا بما تكرهون من صريح المنع فان الحق احق ان يتبع وللناس عورات
وامور لا يحبون اطلاع غيرهم عليها ولما كان في المنع نقص يوجب غضاضة وحرا في الصدر وعد سبحانه عليه بما يجبر ذلك فقال على طريق
الاستئناف اي الرجوع المعين اي اطهر وانمى فان فيه طهارة من غضاضة الوقوف على باب الغير ونماء بما يلحق صاحب البيت من الحيا
عند امتثال امره في الرجوع مع ما في ذلك عند الله ولما كان التقدير فالله يجازيكم على امتثال امره وكان الانسان قد يفعل في البيوت
الخالية وغيرها من الامور الخفية ما يخالف ما ادب به سبحانه مما صون به مصلحة وهو مفسدة عطف على ذلك المقدر قوله والله
اي الملك الاعلى ولما كان المراد المبالغة في العلم قدم الجار ليصير كانه اختصاص عن علم شي فقال لكما اعلم غيره فقال
بما تعملون اي وان تستر امره على احد من الخلق عليم لا يخفى عليه شي منه وان دق فاياكم ومشتبهات الامور فاذا وقفتم للاستئذان
فلا تقفوا تجاه الباب ولكن على يمينه او يساره لان الاستئذان انما جعل من اجل البصر وتحاموا النظر الى الكوى التي قد يبطن منها احد
من اهل البيت ليعرف من على الباب هل هو ممن يؤنس به فيؤذن له او لا فيرد ونحو هذا من اشكاله مما لا يخفى على متشرع فطن يطير
طائر فكره في فسيح ما اشار اليه مثل قوله صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل فالتفت فهي امانة رواه احمد وابو داود والترمذي
عن جابر رضي الله عنه ولما كان من الاماكن التي قد لا يوجد بها احد ما يباح الدخول اليه لخلوه او عدم اختصاص النازل به
كالخانات والربط اتبع ما تقدم التعريف بانه لم يدخل في النهي فقال مستانفا ليس عليكم جناح اي ميل بلوم اصلا ان تدخلوا
بيوتا كالخانات والربط غير مسكونة ثم وصفها بقوله فيها متاع اي استمتاع بنوع انتفاع كالاستظلال ونحوه لكم ويدخل
فيه المعد للضيف اذا اذن فيه صاحبه في اول الامر ووضع الضيف متاعه فيه لان الاستئذان لئلا يهجم على ما يراد الاطلاع
عليه ويراد طيه عن علم الغير فاذا لم يخف ذلك فلا معنى للاستئذان ولما كان التقدير فالله لا يمنعكم مما ينفعكم ولا يضر غيركم
عطف عليه قوله والله اي الملك الاعظم يعلم في كل وقت ما تبدون واكد باعادة الموصول فقال وما تكتمون تحذيرا من ان يتحرجوا
احدا في مباح بما يؤذيه ويضيقوا عليه متعللين باصل الاباحة او يؤذن لكم في منزل فتبطنوا فيه الخيانة فانه وان وقع الاحتراز
من الخونة بالحجاب فلا بد من الخلطة لما يدعو اليه الانسان من الحاجة الى العشرة ولذلك اتصل به على طريق الاستئناف قوله تعالى
معبلا على اعلاهم فهما واشدهم لنفسه ضبطا دون بقيتهم اشارة الى صعوبة الامر وخطر المقام محوقا لهم بالاعراض عنهم بالتردي
برداء الكبر والاحتجاب في مقام الغضب قل للمؤمنين معبرا بالوصف اشارة الى عدم القدرة على الاحتراز من المخالط بعد الخلطة وانه لا
يعف فيها الا من رسخ الايمان في قلبه لخفاء الخيانة حينئذ بخلاف ما سبق في المنع من الدخول حيث كان التعبير بالذين آمنوا يغضوا
اي يخفضوا ولا يرفعوا بل يكفوا اعما نهوا عنه ولما كان الامر في غاية العسر قال من ابصارهم باثبات من التبعيضية اشارة الى العفو
عن النظرة الاولى وان الماخوذ به انما هو التمادي ولما كان النظر بريد الزنا قدمه ولما كان حفظ الفرج لخطر المواقعة اسهل
من حفظ البصر ولانه لا ينفعل به عن غير اختيار حذف من ليقصد التعميم فقال ويحفظوا فروجهم اي عن كل حرام من كشف وغيره ولم يستثن
الزوجة وملك اليمين استغناء عنه بما سبق في المؤمنون ولان المقام للتهويل في امر الحفظ والتشديد ورغب في ذلك بتعليله
بقوله ذلك اي الامر العالي العظيم من كل من الغض والحفظ الذي امرتهم به ازكى لهم اي اقرب الى ان ينموا ويكثروا ويطهروا واحسانا
ويمنى ويبارك لهم فان الزنا مجلبة للموت بالطاعون ويورث الفقر وغيرهما من البلايا ما من قوم يظهر فيهم
الزنا الا اخذوا بالسنة رواه احمد عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ورواه عنه ابو القسم عبد الرحمن بن عبد الحكم في كتاب الفتوح
ولفظه ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا اخذوا بالفنا وما من قوم يظهر فيهم الربا الا اخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا
الا اخذوا بالرعب الزنا يورث الفقر رواه البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما اذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة رواه ابن ماجة
والبزار وهذا لفظه عن ابن عمر رضي الله عنهما والبيهقي ولفظه الزنا يورث الفقر وفي رواية له ما ظهرت الفاحشة في قوم قط
يعمل بها فيهم علانية الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان الا اخذوا
بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من اموالهم الا منعوا القطر من السما فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا
عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فاخذ بعض ما كان في ايديهم وما لم يحكم ائمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما انزل الله الا جعل
الله باسهم بينهم وفي الترغيب للمنذري عن ابن ماجة والبزار والبيهقي عنه رضي الله عنه نحو هذا اللفظ وفي آخر السيرة عن ابي بكر
رضي الله عنه في خطبته عند ما ولي الخلافة لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط
الا عمهم الله بالبلاء وفي الموطا عن مالك عن يحيى بن سعيد انه بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما ظهر الغلول في قوم الا القي
في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في قوم الا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم
بغير الحق الا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد الا سلط عليهم العدو وروى الطبراني في الاوسط عن ابي ذر رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا اكثرت الفاحشة كثر الفساد وجار السلطان وفيه امثلهم في ذلك لزمان المداهن اذا ظهر الربا والزنا
في قرية اذن الله في هلاكها رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ولما كان المعنوي فروى الامام احمد عن ابي امامة رضي الله

عنه

عنه قال ما من مسلم ينظر الى محاسن امراة ثم يغض بصره الا اخلف الله له عبادة يجد حلاوتها قال ابن كثير وروي هذا مرفوعا عن ابن عمر
وحذيفة وعائشة رضي الله عنهم ولكن في اسانيدها ضعف وساق له شاهدا من الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ
ان النظر سهم من سهام ابليس مسموم من تركها من مخافتي ابدلته ايمانا يجد حلاوته في قلبه فعلم من ذلك ان من تخلق بما امره الله
هنا كان قلبه موضعا للحكمة وفعله اهلا للنجح وذكره مقرونا بالقبول ولما كان الزكا متضمنا التكثير والتطهير
وكان الكلام هنا في غض البصر وكان ظاهرا جدا في الطهارة لم يدع داع الى التاكيد بالتصريح بالطهارة واما اية البقرة فهي
لما كانت في العضل وكان لا يكون الا عن ضغائن واحن فكان الولي ربما ظن ان منعها عن عضلها عنه اطهر له ولها اكد العبارة
بفعل الزكاء بالتصريح بما افهمه من الطهارة ولما كان المقام صعبا لميل النفوس الى الدنايا واتباعها للشهوات علل
هذا الامر مرغبا ومرهبا بقوله ان الله اي الذي لا يخفى عليه شي لما له من الاحاطة الكاملة خبير ولما كان ذا وازع
الجامع ذلك ما نتعاطيه فلا يحالفنا الا بالمعالجة وتدرب عبر بالصنعة فقال بما يصنعون اي وان تناهوا في اخفائه ودققوا
في تدبير المكر فيه ولما بدا بالقومة من الرجال ثنى بالنسا فقال وقل للمؤمنات فرغب ايضا بذكر هذا الوصف الشريف
يغضضن ولما كان المراد الغض عن بعض المبصرات وهم المحارم قال من ابصارهن فلا يتبعنها النظر الى منهي عنه من
رجل او غيره واجابوا عن حديث عائشة رضي الله عنها في النظر الى لعب الحبشة في المسجد باحتمال انها كانت دون البلوغ لانها قالت
فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو ويحفظن فروجهن عما لا يحل لهن من كشف وغيره ولما كان
النسا حبايل الشيطان امرن بزيادة الستر بقوله ناهيا عن الزينة ليكون النهي عن مواقعها من الجسد اشد واولى ولا يبدين
زينتهن اي كالحلي والفاخر من الثياب فكيف بما وراها الا ما ظهر منها اي كان بحيث يظهر فيشق التحرز في اخفايه فبدا من غير قصد
كالسوار والخاتم والكحل فانها لا بد لها من مزاولة حاجتها بيدها ومن كشف وجهها في الشهادة ونحوها ولما
كان اكثر الزينة في الاعناق والايدي والارجل وكان دوام ستر الاعناق ايسر وامكن خصها فقال وليضربن من الضرب وهو
وضع الشي بسرعة وتحامل يقال ضرب في عمله اخذ فيه وضرب بيده الى كذا اهوى وعلى يده امسك وضرب الليل بارواقه اقبل
والضارب الليل الذي ذهبت ظلمته يمينا وشمالا وملات الدنيا والضارب الطويل من كل شي والمتحرك ولما كان المقصود
من هذا الضرب تعطيل الخمار وهو ما الاصق الجيب منه عداه بالبا فقال بخمرهن جمع خمار وهو منديل يوضع على الراس وقال ابو حيان وهو
المقنعة التي تلقي المراة على راسها على جيوبهن جمع جيب وهو خرق الثوب الذي يحيط بالعنق فالمعنى حينئذ يغطين بها الى ما
تحت العنق ويسبلنها من جميع الجوانب ويطولنها سترا للشعر والصدر وغيرهما مما هنالك وكانه اختير لفظ الضرب اشارة
الى قوة القصد للستر واشارة الى العفو عما قد يبدو عند تحرك الخمار عند مر او له شي من العمل قال ابو حيان وكان النسا
يغطين رؤسهن بالاخمرة ويسدلنها من وراء الظهور فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر عليهن وروى البخاري في التفسير
عن عايشة رضي الله عنها قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزلت وليضربن بخمرهن شققن مروطهن وفي رواية اخذن ازرهن
فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها يعني فسترن بما فضل من الازار ههنا الملاءة ولما كان ذكر الجيب ربما اوهم خصوصا في
الزينة عم بقوله ولا يبدين اوكده لبيان من يحل الابداء له ومن لا يحل وللتاكيد زينتهن اي الخفية في اي موضع كانت من عنق وغيره
وهي ما عدا الوجه والكفين وظهور القدمين بوضع الجلباب وهو الثوب الذي يغطي الثياب والخمار قاله ابن عباس رضي الله عنهما
الا لبعولتهن اي ازواجهن فان الزينة لهم جعلت قال ابو حيان ثم ثنى بالمحارم وسوى بينهم في ابداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم
في الحرمة بحسب ما في نفوس البشر فالاب ليس كابن الزوج انتهى فقال تعالى او آبائهن اي فان لهم عليهن من الشفقة ما يمنع النظر
بالشهوة ومثلهم في هذا المعنى سوا الاعمام والاخوال وكل منهما والد مجازا بدليل واله ابائك ابراهيم واسمعيل او آبا
بعولتهن فان رحمتهم لاولادهم مانعة او ابنائهن فان لهن عليهم من الهيبة ما يبعد من ذلك او ابناء بعولتهن فان هيبة
ابائهم حائلة او اخوانهن فان لهم من الرغبة في صيانتهن عن العار ما يحفظ من الريبة او بني عدل به عن جمع التكسير لئلا يتوالى
اربع همزات من غير فاصل حصين فينقص عذوبته اخوانهن او بني اخواتهن فانهم كابنائهن او نسائهن اي المسلمات واما
غير المسلمات فحكمهن حكم الرجال روى سعيد بن منصور في سننه عن عمر رضي الله عنه انه كتب الى ابي عبيدة رضي الله عنه ينهى
عن دخول الذميات الحمام مع المسلمات وقال فانه لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان ينظر الى عورتها الا اهل ملتها وفي
مسند عبد بن حميد نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما او ما ملكت ايمانهن اي من الذكور والاناث وان كن غير مسلمات لما لهن عليهم
من الهيبة وحمل ابن المسيب الاية على الاماء فقط قال ابو حيان قال الزمخشري وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي
منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون ابنة بحدل الكلابية ان معاوية رضي الله عنه دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال
هو خصي فقالت يا معوية اترى المثلة به تحلل ما حرم الله انتهى وقصة مابور ترد هذا وقوله الكلابية قال شيخنا في
تخريج الكشاف صوابه الكلبية باسكان اللام او التابعين اي للخدمة او غيرها غير اولي الاربة اي الحاجة الى الاستمتاع

بالنسا من الرجال كالشيوخ الفانين ومن بهم علة منعت شهوتهم وكذا من كان ممسوحا لنقصه ما يورد او من الطفل اى من جنسه
والطفل الصغير ما لم يبلغ الحلم او خمس عشرة سنة وهو فى الاصل الرخص الناعم من كل شئ وكانه سمى بذلك لانه يخرج ملتبسا بالتراب
الذى يأكله الحامل قال فى القاموس وطفل النبت كفرح وطفل بالضم تطفيلا اصابه التراب والاطفال كغراب وسحاب الطين اليابس
قال القزاز وسميه اهل نجد الكلام والعامة تقول للجنين منه طفل الذين لم يظهروا اى يعلوا بالنظر المقصود للاطلاع على عورات
النسا لعدم بلوغ سن الشهوة لذلك ولما نهى عن الاظهار نبه على امر خفى منه فقال ولا يضربن بارجلهن اى والخلاخيل او
غيرها من الزينة فيها ولما كان ذلك لمطلق الاعلام بناه للمفعول فقال ليعلم ما يخفين اى بالساتر الذى امر به من زينتهن
بالصوت الناشئ من الحركة عند الضرب المذكور وفى معنى ذلك التطيب والنهى عن ذلك يفهم النهى عن موضعه من الجسد من باب الاولى
ولما انهى سبحانه ما امره صلى الله عليه وسلم بالتقدم فيه الى الرجال والنسا وكان من المعلوم ان العبد الحقير المجبول
على الضعف الموجب للتقصير لن يقدر على ان يقدر المولى العلى الكبير حق قدره وان ابلغ فى الاجتهاد وزاد فى التشمير اتبعه التلطف
بالاقبال عليهم فى الامر بالتوبة لهم اليه اشارة الى ان الامر فى غاية الصعوبة وان الانسان لكونه محل الزلل والتقصير وان اجتهد
لا يسعه الا الاحسان الرحيم الرحمن فقال وتوبوا الى الله اى ارجعوا الى طاعة الملك الاعلى مهما حصل منكم زيغ كما كنتم تفعلونه
فى الجاهلية جميعا رجالكم ونساؤكم ايها المؤمنون والتعبير بالوصف اشارة الى علو مقام التوبة بانه لا يقدر على ملازمتها الا
راسخ القدم فى الايمان عارف بانه وان بالغ فى الاجتهاد واقع فى النقصان وهذا الامر للوجوب واذا كان للراسخين فى الايمان فمن دونه
من باب الاولى لعلكم تفلحون اى لتكونوا على رجاء من الفوز بالمطلوب الذى مضى اول سورة المؤمنين تعليقه بتلك الاوصاف التى
منها رعاية الامانة ولاسيما فى الفروج قال الغزالى فى كتاب التوبة من الاحيا ان الانسان من حيث جبل على النقص لا يخلو عما يوجب عليه التوبة
فان خلا فى بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عنه فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر
المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور فى العلم بالله وصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك
اسبابه بالتشاغل باضداده رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو فى حق الادمى عن هذا النقص وانما يتفاوتون
فى المقادير ولما تقدم سبحانه الى عباده فى الامور العامة للاحوال والاشخاص فى الزنا واسبابه بحكم وتقرر ووعظ وحذر ونهى
اتبعه اسباب العصمة التى بها تمام العون على التوبة فقال مرشدا وانكحوا الايامى مقلوب ايائم جمع ايم ووزنه فيعل من ام عينه ياء وهو
العزب ذكرا كان او انثى ثيبا او بكرا منكم اى من احراركم واغنى لفظ الايم عن ذكر الصلاح لانه لا يقال لمن قصر عن درجة النكاح
والصالحين اى للنكاح من عبادكم وامائكم اى ارقائكم الذكور والاناث احتياطا لمصالحهم وصونا لهم عن الفساد وامتثالا
لما ندب اليه حديث تناكحوا تكاثروا فانى اباهى بكم الامم يوم القيمة ولما كان الزواج كلفة يهاب لاجلها لما طبع الادمى
عليه من الهلع وقلة الوثوق بالرزق اجاب من كانه قال قد يكون الانسان غير واجد لكونه معدما بقوله ان يكونوا اى كل من ذكر
من حر او عبد والتعبير بالمضارع يشعر بانه قد يكون فى النكاح ضيق وسعة فقرا اى من المال يغنهم الله اى الذى له
الكمال كله اذا تزوجوا من فضله لانه قد كتب لكل نفس رزقها فلا يمنعكم فقر من نكاحهم وعن ابن ابى حاتم عن ابى بكر الصديق
رضى الله عنه انه قال اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وقال البغوى قال عمر رضى الله عنه عجبت
لمن يبتغى الغنى بغير النكاح وقرا هذه الاية وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال التمسوا الغنى فى النكاح وتلا هذه الاية
رواه ابن جرير ولاحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله عنه رفعه ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد
العفاف والمكاتب يريد الادا والغازى فى سبيل الله ويؤيده ما فى الصحيح من حديث الواهبة نفسها حيث زوجها صلى الله
عليه وسلم لمن لم يجد ولا خاتما من حديد ولما كان التقدير فالله ذو فضل عظيم عطف عليه قوله والله اى ذو الجلال
والاكرام واسع عليم اى هو بسعة قدرته يسوق ما كتبه للمراة على يد الزوج وبشمول علمه يسبب اسبابه ولما امر
سبحانه بما يعصم من الفتنة من غض البصر بما يحصن من النكاح وحث عليه بالوعد بالاغنا وكان هذا الوعد فيما بعد النكاح
وتقدم الكلام فيه ترغيبا للانسان فى التوكل والاحسان وكان قبله ما قد يتعذر لاجله اما بعدم وجدان المهر وما
يطلب منه تقديمه او بعدم رضى العبد وعزم يكون وليه رفيقا او غير ذلك اتبعه قوله حاثا على قمع النفس الامارة عند العجز
وليستعفف اى يبالغ فى طلب العفة وايجادها عن الحرام الذين لا يجدون نكاحا اى قدرة عليه وباعثا اليه حتى يغنيهم الله
اى الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال من فضله فى ذلك الذى تعذر عليهم النكاح بسببه ولما كان من جملة الموانع كما
تقدم خوف الرق على الولد لمن له من الرقيق همة عليه ونفس ابية اتبعه قوله والذين يبتغون اى يطلبون طلبا عازما الكتاب
اى المكاتبة مما ملكت ايمانكم ذكرا كان او انثى وعبر بما اشارة الى ما فى الرقيق من النقص فكاتبوهم اى ندبا لانه معاوضة تتضمن
الارفاق على ما يؤديه نجما فاذا اداه عتق ان علمتم فيهم خيرا اى تصرفا صالحا فى دينهم ودنياهم لئلا يفسد حالهم بعد
الاستقلال بانفسهم قال ابن كثير وروى ابو داود فى كتاب المراسيل عن يحيى ابن ابى كثير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان

ان علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس انتهى ولعله عبر بالعلم فى موضع الظن لذلك واتوهم وجوبا اذا ادوا اليكم من
مال الله اى الذى عم كل شئ بنعمته لانه الملك الاعظم الذى اتاكم ولو بحط شئ من مال الكتابة ولما امر سبحانه
بالجود فى امر الرقيق تارة بالنفس وتارة بالمال نهاهم عما ينافيه فقال ولا تكرهوا فتياتكم اى امائكم ولعله عبر بلفظ الفتوة
هزا لهم الى معالى الاخلاق وتخجيلا من طلب الفتوة من امته على البغاء اى الزنا لتاخذوا منهن مما ياخذنه من ذلك ولما
كان الاكراه على الزنا لا يتصح الا عند ارادة العفة وكان ذلك نادرا من امه قال ان باداة الشك اردن تحصنا وفى ذلك زيادة
تقبيح للاكراه على هذا الفعل حيث كانت النسا مطلقا يتعففن عنه مع انهن مجبولات على حبه فكيف اذا لم يمنعهن مانع
خوف او حياء كالاماء فكيف اذا اذن لهن فكيف اذا الجئن اليه واشار بصيغة التفعل وذكر الارادة الى ان ذلك لا يكون
الا عن عزمة بالغة وزاد فى تصوير التقبيح بذكر علة التزام هذا العار فى قوله لتبتغوا اى تطلبوا طلبا حثيثا فيه رغبة
قوية باكراههن على هذا الفعل الفاحش عرض الحيوة الدنيا فان العرض متحقق فيه الزوال والدنيا مشتقة من الدناءة
ولما نهى سبحانه عن الاكراه رغب الموالى فى التوبة عند المخالفة فيه فقال ومن يكرههن دون ان يقول وان
اكرههن وعبر بالمضارع اعلاما بانه تقبل التوبة ممن خالف بعد نزول الاية وعبر بالاسم العلم فى قوله فان الله اعلاما بان
الحلال غير مؤيس من الرحمة ولعله عبر بلفظ بعد اشارة الى العفو عن الميل الى ذلك الفعل عند مواقعته ان رجعنا الى الكرا
بعد فان النفس لا تملك بغضه حينئذ فقال من بعد اكراههن غفور اى لهن وللموالى بستر ذلك الذنب ان تابوا رحيم
بالتوفيق للصنفين الى ما يرضيه ولما اتم سبحانه هذه الايات فى براءة عايشة رضى الله عنها ومقدماتها وخواتيمها
قال عاطفا على قوله اولها وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون ولقد انزلنا اى بما لنا من العظمة ترغيبا لكم وترهيبا
اليكم اى لتتعظوا ايات مبينات مفصل فيها الحق من الباطل موضح بالنقل والعقل بحيث صارت لشدة بيانها تبين هى لمن
تدبرها طرق الصواب كما اوضحنا ذلك لمن يتدبر فى براءة عايشة رضى الله عنها وما تقدمها وتبعها مما هو صلاحكم فى الدين
والدنيا ومثلا اى شبها باحوالكم من الذين خلوا من قبلكم اى من احوالهم بما انزل الله اليهم فى التوراة فى احوال المخالطة
والزنا وقذف الابريا كيوسف ومريم عليهما السلام وبرائتهم كما تقدمت كثير امثلته فى سورة المائدة وغيرها مما صار فى حسن
سبكه فى هذا الكتاب وبديع حبكه عند اولى الالباب كالامثال السائرة والافلاك الدائرة وموعظة للمتقين بما فيه من
الاحكام والفواصل المنبئة عن العلل المذكرة بما يقرب من الله زلفى وينور القلب ويوجب الحب والالفة ويذهب
وحر الصدر ثم علل انزاله لذلك على هذا السنن الاقوم والنظم المحكم بقوله الله اى الذى احاطت قدرته وعلمه نور اى
ذو نور السموات والارض لانه مظهرهما بايجادهما وايجاد اهلهما وهاديهم بالتنوير بالعلم الجاعل صاحبه بهدايته
الى الصراط المستقيم كالماشى فى نور الشمس لا يضع شيئا فى غير موضعه كما ان الماشى فى النور لا يضع رجلا فى غير موضعها
اللايق به ولا شك ان النور هو ما به تظهر الاشيا وتنكشف فهو سبحانه مظهرهما وبهما وما فيهما دال على ظهوره
وانه تام القدرة شامل العلم حاو لصفات الكمال منزه عن شوائب النقص وفى اخر الشورى ما ينفع جدا هنا ولما كان
من المحال ان يضل عن نوره وهو ملك الخافقين احد من سكانهما بين وجه خفائه مع ظهور ضيائه واتساعه وقوة شعاعه
حتى ضل عنه اكثر الناس فقال مبينا باضافة النور الى ضميره ان الاخبار عنه بالنور مجاز لا حقيقة مشبها على ان اياته
الهادية تلوح خلال الشبهات الناشئة عن الاوهام الغالبة على الخلق التى هى كالظلمات مثل نوره اى الذى هدى به
الى سبيل الرشاد فى خفائه عن بعض الناس مع شدة ظهوره وهو اياته الدالة عليه من اقواله وافعاله كمشكاة اى مثل كوة
اى خرق لكن غير نافذ فى جدار قال البغوى فان كان لها منفذ فهى كوة ولما كان دخل المشكاة فى هذا المثل خفيا
نفقه مما تشويقا الى شرحه اتبعه قوله شارحا له فيها مصباح اى سراج ضخم ثاقب وهو الذبالة اى الفتيلة الضخمة
المتقد من الصباح الذى هو نور الفجر والمصباح الذى هو الكوكب الكبير قال البغوى واصله الضوء انتهى فاذا كان
فى المشكاة اجتمعت اشعته فكان اكثر ضوءا واشد انارة ولو كان فى فضاء لافترقت اشعته واى بقية الكلام استينافا
على تقدير سؤال تعظيما له فقال المصباح فى زجاجة اى قنديل ولما كان من الزجاج ما هو فى غاية الصفا بين ان
هذه منه فقال الزجاجة كانها اى فى شدة الصفا كوكب شبهه به دون الشمس والقمر لانهما يعتريهما الخسوف
درى اى متلالئ بالانوار فانه اذا كان فى زجاجة صافية انعكست الاشعة المنفصلة عنه من بعض جوانب الزجاجة
الى بعض لما فيها من الصفا والشفيف فيزداد النور ويبلغ النهاية كما ان شعاع الشمس اذا وقع على ماء او زجاجة صافية
تضاعف النور حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك النور والدرى قال الزجاج ماخوذ من درا اذا اندفع منقضا
فتضاعف نوره ولما كان من المصابيح ايضا ما يكون نوره ضعيفا بين ان هذا ليس كذلك فقال توقد
اى المصباح بان اشتد وقده ولما كان هذا الضوء يختلف باختلاف ما يتقد فيه فاذا كان دهنا صافيا

خالصًا كان شديدًا او كانت الادهان التي توقد ولما كان هذا الضوء يختلف بخلاف ما يتقد فيه فاذا كان دهنًا صافيًا خالصًا
كان شديدًا او كانت الادهان التي توقد ليس فيها ما يظهر فيه الصفا كالزيت لانه ربما بلغ في الصفا والرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض وشعاع
يتردد في اجزائه قال من شجرة اي زيتها مباركة اي عظيمة الثبات والخيرات لطيف منبتها زيتونة ولما كان الزيت يختلف باختلاف
شجرته في اصحابها الشمس وبروزها لها لان الشجر ربما ضعف وخبث ثمره بحايل بينه وبين الشمس بين ان هذه الشجرة ليست كذلك فقال لا
شرقية اي ليست منسوبة الى الشرق وحده لكونها بحيث لا تتمكن منها الشمس الا عند الشروق لكونها في لحف جبل يظلها اذا انتصفت
الشمس للغروب ولا غربية لانها في سفح جبل يسترها من الشمس عند الشرق بل هي بارزة للشمس من حين الشروق الى وقت الغروب فيكون
ثمرها انضج فيكون زيته اصفى قال البغوي هذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والكلبي والاكثرين فهي لزكاء عنصرها وطهارة منبتها
وبروزها للشمس والرياح بحيث يكاد زيتها لشدة صفائه يضيء ولو لم تمسسه نار ولما علم من هذا ان لهذا المثل
انوارًا متظاهرة بمعاونة المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت فلم يبق مما يقوي نوره ويزيده اشراقًا ويمده باضاءة بقية
قال في الممثل له نور على نور اي ان العلم الرباني عظيم الاتساع كلما سرحت فيه النظر واطلقت عنان الفكر اتى بالغرايب ولا
يمكن ان يوقف له على حد ولما كان الاخبار عن مضاعفة هذا النور موجبًا لاعتقاد انه لا يخفى عن احد اشار الى انه بشمول
علمه وتمام قدرته يعمي عنه من يريد مع شدة ضيائه وعظيم لالائه فقال يهدي الله اي بعظمته المحيطة بكل شيء لنوره
من يشاء كما هدى الله من هدى من المومنين لتبرئة عايشة رضي الله عنها قبل انزال براءتها بكون الله اختارها لنبيه صلى الله عليه
وسلم ولا يختار له الا طيبًا طاهرًا وما شاكل ذلك وعلم ان يتم ذلك ويضل الله عن نوره من يشاء وعلم ان وجه كونه ضل عنه
اكثر الناس انما هو ستر القادر له بنقص في حس من يريد سبحانه اضلاله لنقص في النور والنجم تستصغر الابصار صورته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر كما سياتي ايضاح ذلك عند قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ومر انفا في حديث علي
رضي الله عنه في الارواح ما ينفع هنا ولما كان كانه قيل ضرب الله هذا المثل لكم لتدبروه فتنتفعوا به عطف
عليه قوله ويضرب الله اي بما له من الاحاطة بكمال القدرة وشمول العلم الامثال للناس لعلمه بها تقريبًا للافهام لعلهم
يهتدون والله اي الذي له جميع صفات الكمال بكل شيء اي منها ومن غيرها عليم يبين كل شيء بما يسهل سبيله فتفوا بما
يقول وان لم تفهموه فاتهموا الفكر واعملوا النظر فيه يفتح لكم سبحانه ما انغلق منه ولما كان كانه قيل في اي
شيء تكون هذه المشكاة قال شافيًا لعي هذا السوال في بيوت اي في جدران بيوت بجمع دلالة على ان المراد بالمشكاة الجنس
لا الوحدة وفي وحدتها وحدة الات النور اشارة الى عزته جدًا اذن الله اي مكن بجلاله فاباح وندب واوجب ان ترفع حسًّا
في البنا ومعنى باخلاصها للعمل الصالح من كل رابع اذن له سبحانه في ذلك نعلي المرء اذا دخلها ان يتحصن من العدو بما رواه ابو داود
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال عقبة بن مسلم فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني ساير اليوم ويذكر
من كل ذاكر اذن له سبحانه فيها اسمه اي ذكرًا صافيًا عن شوب وخالصًا عن غش يسبح اي يصلي وينزه له اي خاصة فيها
بالغدو اي الابكار بصلاة الصبح والاصال اي العشيات ببقية الصلوات فيفتتحون اعمالهم ويختمونها بذكره ليحفظوا فيما
بين ذلك ويبارك لهم فيما يتقلبون فيه وجمع الاصيل ليحقق ان المراد الظهر والعصر والمغرب والعشا قال البغوي لان
اسم الاصيل يجمعها رجال اي رجال لا تلهيهم تجارة اي بيع او شرى او غيرهما مطمع لهم فيها ربح ولما كان الانسان
قد يضطر الى الخروج بالبيع عن بعض ما يملك للاقتيات بثمنه او التبلغ به الى بعض المهمات التي لا وصول له اليها الا به او تحصيل
ما لا يملك كذلك مع ان البيع في التجارة ايضًا هو الطلبة الكلية لانه موضع تحقق الربح الذي لا صبر عنه قال ولا بيع اي وان لم يكن على
وجه التجارة والبيع يطلق بالاشتراك على التحصيل الذي هو الشري وعلى الازالة عن ذكر الله اي الذي له الجلال والاكرام مطلقًا
بصلاة وغيرها فهم في كل وقت في شهود ومراقبة لمن تعرف اليهم بصفات الكمال ولا يلهيهم ذلك عن اقام الصلاة التي هي طهرة الارواح
اعادها بعد ذكرها بالتسبيح تصريحًا بها تاكيدًا لها وحثًّا على حفظ وقتها لانه من جملة مقوماتها وكذا جميع حدودها ولو باوجز ما يكون
مرادًا في الكمال بما اشار اليه حرف الهاء اشعارًا بان هذا المدح لا يتوقف على اعلى الكمال ولا عن ايتاء الزكاة التي هي زكاء الاشباح
ونماؤها وخص الرجال مع ان حضور النسا المساجد سنة شهيرة اشارة الى ان صلاتهن في بيوتهن افضل لما روى ابو داود في سننه
وابن خزيمة في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة المراة في بيتها افضل من
صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها والمخدع الخزانة وللامام احمد والطبراني وابن خزيمة والحاكم
عن ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير مساجد النسا قعر بيوتهن ولاحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما عن
ام حميد امراة ابي حميد الساعدي رضي الله عنهما انها قالت يا رسول الله اني احب الصلاة معك قال قد علمت انك تحبين الصلاة معي
وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير من

صلاتك

صلاتك في مسجدي قال فامرت فبني لها مسجد في اقصى بيت من بيتها واظلمه وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل ولما وصف
الرجال المذكورين بما وصفهم به ذكر علة فعلهم لذلك زيادة في مدحهم فقال يخافون يومًا وهو يوم القيمة هو بحيث تتقلب فيه
اي لشدة هوله تقلبًا ظاهرًا بما اشار اليه اثبات التاء القلوب والابصار اي بين طمع في النجاة وحذر من الهلاك ويمكن ان يقال
المشكاة والله اعلم هي المساجد والزجاج هي الرجال والمصابيح هي القلوب ولالؤها ما تشتمل عليه من المعاني الحاملة على الذكر والبيوت
الموصوفة هي مثال الابدان التي صفاها الله من الادران وطبعها على الاستقامة والزيت مثال لما وضع سبحانه فيها من جميل الاسرار
وقد ورد في بعض الاخبار ان المساجد لاهل السموات كالنجوم لاهل الارض وفي معجم الطبراني الاوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما
كمشكاة قال الجوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي في قلبه والشجرة ابرهيم عليه السلام لا شرقية
ولا غربية لا يهودي ولا نصراني ولما بين تعالى افعال هؤلاء الرجال التي اقبلوا بها عليه واعرضوا عما عداه بين غايتهم فيها
فقال ليجزيهم اي يفعلون ذلك ليجزيهم الله اي في دار كرامته بعد البعث بعظمته وجلاله وكرمه وجماله احسن ما عملوا اي جزاءه
ويغفر لهم سيئه ويزيدهم من فضله على العدل من الجزا ما لم يستحقوه كما هي عادة اهل الكرم ولما كان التقدير فان الله
لجلاله وعظمته وكماله لا يرضى ان يقتصر في جزاء المحسن على ما يستحقه فقط عطف عليه بيانًا لان قدرته وعظمته لا حد لها قوله
والله اي الذي لا كفو له فلا اعتراض عليه يرزق من يشاء ولما كان المعنى رزقًا يفوق الحد ويفوت العد عبر عنه بقوله
بغير حساب فهو كناية عن السعة ويجوز ان يكون مع السعة التوفيق فيكون بشارة بنفي الحساب في الاخرة ايضًا اصلًا وراسًا
لان ذلك المرزوق لم يعمل ما فيه درك عليه فلا يحاسب او يحاسب ولا يعاقب فيكون المراد بنفي الحساب نفي عسره وعقابه
ويجوز ان يراد الرزق كفافًا وقد ورد انه لا حساب فيه روى ابن كثير من عند ابن ابي حاتم بسنده عن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلايق سيعلم
اهل الجمع من اولى بالكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يحاسب ساير الخلايق
ولما اخبر تعالى ان الذين اتبعوا نور الحق سبحانه وصلوا من جزائه بسبب ما هداهم اليه النور من الاعمال الصالحة الى حقايق هي
في نفس الامر الحقايق اخبر عن اضدادهم الذين اتبعوا الباطل فما لنجاحهم الا الوعرة الناشية من ابصار بصايرهم وبين تلك الانوار
بضدها لهم فقال والذين كفروا اي ستروا بما الزموه من الضلال ما انتشر من نور الله اعمالهم كاينة في يوم الجزاء كسراب
وهو ما تراه نصف النهار في البراري لاصقًا بالارض يلمع كانه ماء وكلما قربت منه بعد حتى يتصل الى الجبل ويمحو فيخفى قال الرازي
في اللوامع والسراب شعاع ينكشف فينسرب ويجري كالماء تخيلًا وقال ابن كثير يرى عن بعد كانه بحر طام وانما يكون ذلك بعد نصف
النهار واما الال فانما يكون اول النهار يرى كانه ماء بين السما والارض وقال البغوي والال ما ارتفع من الارض وهو شعاع يرى
بين السماء والارض بالغدوات شبه الملاة يرفع الشخوص يرى فيه الصغير كبيرًا والقصير طويلًا والرقراق وهو ما يكون بالعشايا
وهو ما ترقرق من السراب اي جاء وذهب بقيعة جمع قاع ومواضع سهلة مطمينة قد انفرجت عنها الجبال والاكام
قاله في القاموس وقال ابو عبد الله القزاز في ديوانه القيعة والقاع واحد وهما الارض المستوية الملسا يخفق فيها السراب
الفرا القيعة جمع قاع كجار وجيرة وقال الصغاني في مجمع البحرين والقاع المستوي من الارض والجمع اقواع واقوع وقيعان
صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها والقيعة مثل القاع وهو ايضًا من الواو وبعضهم يقول هو جمع وقال ابن جرير والقاع
المستوي من الارض ما انبسط من الارض واتسع وفيه يكون السراب وقال عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرايب قال الفرا القاع مستنقع
الماء والقاع المكان المستوي الواسع في وطاة من الارض يعلوه المطر فيمسكه ويستوي نباته وجمعه قيعة وقيعان يحسبه
الظمان اي العطشان الشديد العطش من ضعف العقل ماء فيقصده ولا يزال سايرًا حتى اذا جاءه اي جا الموضع الذي توهم
به لم يجده شيئًا من الاشيا فلم ينفعه قصده غير زيادة التعب وبعده عن مواطن الرجا فيشتد ياسه وتنقطع
حيلته فيهلك وهكذا الكافر يظن اعماله تجديه شيئًا فاذا هي قد اهلكته ولما كان الله محيطًا بعلمه وقدرته
بكل مكان قال ووجد الله اي قدرته المحيط بكل شيء عنده اي عند ذلك الموضع الذي قصده لما تخيل فيه الخير فخاب ظنه
فوفاه حسابه اي جزاء عمله على ما تقتضيه اعماله على حكم العدل فلم يكفه هذا الجاهل خيبته وكمدًا انه لم يجد ما قصده شيئًا
كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار لا يفك اسيرها ولا يخمد سعيرها ولما كان سبحانه لا يحتاج
الى كاتب ولا يدخل عليه لبس ولا يصعب عليه ضبط شيء وان كثر ولا يعجزه احد ان يتاخر عما يريد به بنوع حيلة عبر عن ذلك
بقوله والله اي الذي له القدرة الكاملة والعلم الشامل سريع الحساب اي لانه لا يحتاج الى حفظ بقلب ولا عقد باصابع
ولا شيء غير ذلك ولكنه عالم بذلك كله قبل ان يعمله العباد وبعد عمله له لا يعزب عنه منه ولا من غيره شيء ولما
بين بهذا المثال انهم لم يصلوا الى شيء غير التعب المثمر للعطب وكان هذا لا ينفعه بنفسه عاقل ضرب مثالًا اخر بين فيه الحال
لهم على الوقوع في مهول الاول وهو السير بغير دليل الموقع في خبط العشوا كالماشي في الظلام فقال عاطفًا على كسراب فقال

أو للتخيير أي اعمالهم لكونها لاعنة لامنفعة لها كسراب ولكونها خالية عن نور الحق كظلمات او للتنويع فانها إن كانت حسنة
الظاهر فكالسراب او قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة في بحر هو مثال لقلب الكافر
لجي اي ذي لج هو اللج اشارة الى انه عميق لا يدرك له قرار لان اللج معظم الماء ويكون جمع لجة ايضا والاوفق هنا ان يكون منسوبا الى الجمع لانه
اهول والمقام للتهويل قال القزاز في ديوانه ولجة البحر معروفة وهو الموضع الذي لا ترى منه ارضا ولا جبلا وبحر لجي واسع اللجة
وجمع اللجة لجج ولج يغشاه اي يغطي هذا البحر ويعلوه او اللجي الكائن فيه موج وهو مثال ما يغشى قلبه من الجهل والشك كائن من
فوقه اي هذا الموج موج آخر من فوقه اي هذا الموج الثاني المركوم على الاول سحاب قد غطى النجوم وهو مثال الدين والختم والطبع هـ
على القلب فلا سماء تبصر ولا ارض ولما كان هذا امرا مهولا اشار الى هوله وتصويره بقوله ظلمات اي من البحر والموج والسحاب
بعضها ولما كان المراد استغراق الجهة لترتيب الجار فقال فوق بعض متراكمة فلذلك يبعد كل البعد ان ينفذ فيها بصر
ولذلك قال إذا أخرج اي الكائن في هذا البحر بدلالة المعنى وان لم يجر له ذكر يده وهي اقرب شيء اليه لم يكد اي الكائن فيه يراها اي يقرب
من ذلك فضلا عن ان يكون لان الله قد ستر عنه كل نور بهذه الظلمات المتكاثفة وهو مثال العمل وانه عدم لما تقدم من ان العدم كله ظلمة هـ
فلا عمل له يكون شيئا ولا يقرب من ذلك لانه لا اهلية له بوجه ومن لم يجعل الله اي الملك الاعظم له نورا من الانوار وهو قوة الايجاد
والاظهار فما له من نور اصلا لانه سبحانه يستر عنه نوره وان كان ملك السموات والارض عمن يشاء بحجب الالهية لانه قادر على ما يريد
ولما كان قيام الانوار وظهورها كل ظهور انما هو بالنور حسا بالايجاد ومعنى بجعل الموجودات آيات مرئيات تدل على موجدها
قال تعالى دالا على ما اخبر به من انه وحده نور السموات والارض اي موجدهما بعلمه وقدرته ومن ان من كساه من نوره فاز في يوم البعث الذي يجازى
فيه الخلق على ما يقتضيه العلم الذي هو النور في الحقيقة من مقادير اعمالهم ومن اعراه من النور هلك الم تر اي تعلم يا رأس العابرين بمرتبة
الاحسان علما هو في ثباته كما بالمشاهدة ان الله الحائز لصفات الكمال يسبح له اي ينزه عن كل شائبة نقص لاجله خاصة بما له
فيه من القدرة الكاملة من في السموات ولما كان مبنى السورة على شمول العلم والقدرة فقال والارض اي بما وكل ما فيهما
بلسان حاله او له مقاله وعرف ان المراد العموم بعطفه بعض ما لا يعقل وعبر بمن لان المخبر به من وظائف العقلاء ولما كان
امر الطير ادل لانه اعجب قال مخصصا والطير صافات اي باسطات اجنحتها في جو السماء لا شبهة في انه لا يمسكهن الا الله هـ
وامساكه لها في الجو مع انها اجرام ثقيلة وتقديره لها فيه على القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرته ولما كان العلم توصف
به ما هو سببه كالكتاب المصنف ونحوه ويشتق للشيء اسم فاعل مما لابسه كما يقال ليله نائم ونهاره صائم ولا تزال تطلع على خائنة
منهم وكانت اسطر القدرة مجودة على كل كائن شديدة الوضوح في صفحات كل شيء فكانت الكائنات بذلك دالة على خالقها وماله
من كل صفة كمال صح اطلاق العلم عليها واسناده اليها فقال كل اي من المخلوقات قد علم اي بما كان سببا له من العلم بما
فيه من الآيات الدالة المعلمة بما لموجده من صفات الكمال صلاته اي الوجه الذي به وصلته بمولاه ونسبته اليه وتسبيحه
اي الحال الذي به براءة صانعه من الشين وتعاليه عن النقص قد صرحت بذلك السن احوالها بيانا عن بيان مقالها هذا بقيامه صامتا
جامدا وهذا بنموه مهتزا رابيا الجاء وقهرا وهذا بحركته بالارادة وقصده وجوه منافعه وبعده عن احوال مضاره بمجرد فطرته
وما اودع في طبيعته وهذا بنطقه وعقله ونباهته وفضله مع ان نسبة كل منهم الى الارض والسماء واحدة ويدل على ذلك دلالة
واضحة ما روى الامام احمد في المسند عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان نوحا عليه السلام اوصى ابنه عند موته
بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو كن حلقة مبهمة فصمتهن وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق
وقال الغزالي في الاحياء وروي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وما هي يا رسول الله قال قل
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق
الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيامة لك ثوابه قال الحافظ زين الدين العراقي رواه المستغفري في الدعوات
عن ابن عمر رضي الله عنهما وقال غريب من حديث مالك ولا اعرف له اصلا من حديث مالك ولما كان التقدير فالله قدير على جميع تلك
الشؤون عطف عليه قوله والله اي المحيط علما وقدرة عليم بما يفعلون بما ثبت مما اخبركم به في هذه السورة عن فاتني اقوالكم هـ
واحوالكم وضمائركم وافعالكم وقد تقدم في الاعراف عند اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ما ينفع هنا ولما
اخبر عما في الكونين بما يستلزم الملك على ابهى وجوه التمام المستلزم للقدرة على البعث اخبر عنهما بالتصريح به فقال ولله اي الذي
لا مالك سواه ملك السموات والارض مع كونه مالكا مسخرا متصرفا جميع ذلك فهو جامع للملك والملك ولما كان التقدير
ومن الله المبدأ للكل بالايجاد من العدم عطف عليه قوله والى الله اي الذي له الاحاطة بكل شيء المصير اي لهم كلهم بعد الفناء وانما
طوى هذا المقدر لانه لا خلف فيه ولما اخبر بذلك تقرر ملكه وقدرته على البعث على حسب ما وعد به بعد ان تحرر ملكه
دل عليه بتصرفه في العالم العلوي والسفلي بما يدل على القدرة على الاعادة فقال الم تر ان الله اي ذا الجلال والجمال يزجي اي

يسوق بالرياح وسيأتي الكلام عليه في النمل وقال ابو حيان ان الازجاء يستعمل في سوق الثقيل برفق سحابا اي بعد ان انشأه
من العدم تارة من السفل وتارة من العلو ضعيفا رقيقا متفرقا قال ابو حيان وهو اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق
سحابة الى سحابة وهو معنى ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بعد ان كانت قطعا في جهات مختلفة ثم يجعله ركاما في غاية
العظمة متراكبا بعضه على بعض بعد ان كان في غاية الرقة فترى اي في تلك الحالة المستمرة الودق اي المطر قال القزاز
وقيل هو احتفال المطر يخرج من خلاله اي فتوقه التي حدثت بالتراكم والعصار بعضه من بعض وينزل من السماء اي من جهتها
مبتديا من جبال فيها اي في السماء وهي السحاب الذي صار بعد تراكمه كالجبال وبعض فقال من برد وهو ماء منعقد وبين
ان ذلك بارادته واختياره بقوله فيصيب به اي المطر والبرد على وجه النقمة او الرحمة من يشاء من الناس وغيرهم ويصرفه
عمن يشاء صرفه عنه ثم نبه على ما هو غاية في العجب في ذلك مما في الماء من النار التي ربما نزلت منها صاعقة فاحرقت ما لا تحرق النار
فقال يكاد سنا اي ضوء برقه وهو اضطراب النور في خلاله يذهب اي هو ملتبسا بالابصار لشدة لمعه وتلألؤه فتكون قوة
البرق دليلا على تكاثف السحاب وبشيرا بقوة المطر ونذيرا بنزول الصواعق ثم ذكر ما هو ادل على الاختيار فقال مترجما لما مضى بزيادة
يقلب الله اي الذي له الامر كله بتحويل الظلام ضياء والضياء ظلاما والنقص تارة والزيادة اخرى مع المطر تارة والصحو اخرى
الليل والنهار فينشأ عن ذلك التقلب من الحر والبرد والنمو والينوع واليبس ما يبهر العقول ولهذا قال منبها على النتيجة
ان في ذلك اي الامر العظيم الذي ذكر من جميع ما تقدم لعبرة لاولي الابصار اي النافذة والقلوب النافذة يعبرون منه الى معرفة
ما لمدبر ذلك من القدرة التامة والعلم الشامل الدال قطعا على الوحدانية ولما ذكر احوال الخافقين دليلا على
وحدانيته وفصل منها الآثار العلوية ذكر ما يسقي الارض وطوى ذكر ما ينشأ عنه من النبات للعلم به ذكر احوال ما يتكون به من
الحيوانات دليلا ظاهرا على الاعادة وبرهانا قاهرا للمنكرين لها فقال والله اي الذي له العلم الكامل والقدرة الشاملة خلق كل
دابة اي مما تقدم انه يسبح له ولما ذكر هنا انواعا من الحيوان نكر بخلاف ما في الانبياء فقال من ماء اي دافق هو اعظم
اجزاء مادته كما خلق النبات من ماء هامر كذلك وفاوت بينه مع كون الكل من الماء الطاهر الذي لا انفع وتعينه فمنهم اي الدواب هـ
ولما كان في سياق التعظيم وكان قد اعطى كل نفس من الادراك ما تعرف به منافعها ومضارها عبر عن الكل باداة من يعقل وان
كانوا اصنافا وبين في التمييز فقال من يمشي على بطنه اي من غير رجل وقدم هذا لكونه ادل على القدرة وسماه مشيا استعارة هـ
ومشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين اي ليس غير ومنهم من يمشي على اربع اي من الايدي والارجل وفي هذا تنبيه على من يمشي على اكثر من ذلك
واليه الاشارة بقوله يخلق الله وعبر باسم الجلالة اعلاما بتناهي العظمة وقال ما يشاء دلالة على انه فعله بقدرته واختياره
لا مدخل لشيء غير ذلك فيه الا بتسخير العزيز العليم ولما كانت هذه الادلة ناظرة الى البعث اتم نظر وكانوا منكرين له
اكد قوله ان الله اي الذي له الكمال المطلق على كل شيء من ذلك وغيره قدير ولما انقضى ما اراد سبحانه وتعالى من صفات
الكمال والتنزه عن كل شائبة نقص وقامت ادلة الوحدانية على ساق واستقت براهين الالوهية اي اتسقت قال مترجما
لتلك الادلة لقد انزلنا اي في هذه السورة وما تقدمها بما لنا من العظمة آيات اي من الحكم والاحكام والادلة والامثال
مبينات لا خفاء في شيء منها عند احد من الخلق لان الله قد ارادها هداية لكم بعضكم بالبيان وبعضكم بخلق الاذعان والله اي
الملك الاعظم يهدي من يشاء من العباد كلهم الى صراط مستقيم بالقوة بانزال الآيات والفعل بخلق الايمان والاخبات
فيؤمنون ايمانا قلبيا ثابتا ولما كان اخفاء هذه الآيات عن البعض بعد بيانها اعجب من ابدائها فيه فكان السياق ظاهرا
في ان التقدير والله يضل من يشاء فيكفرون بالآيات والذكر الحكيم وكان الخروج من نورها بعد التلبس بها الى الظلام اشد
عجبا عطف على ما قدرته مما دل عليه السياق اتم دلالة قوله دليلا شهوديا على ذلك المطوي معجبا ممن عمي عن دلائل التوحيد
التي اقامها تعالى وعددها واوضحها بحيث صارت كما ذكر تعالى اعظم من نور الشمس ويقولون اي الذين ظهر لهم نور الله هـ
بالسنتهم فقط آمنا بالله الذي اوضح لنا جلاله وعظمته وكماله وبالرسول الذي علمنا كمال رسالته وعمومها بما
اقام عليها من الادلة واطعنا اي واوجدنا الطاعة لله وللرسول وعظم المخالفة بين الفعل والقول باداة البعد
فقال ثم يتولى اي يرتد بانكار القلب ويعرض عن طاعة الله ورسوله ضلالا منهم عن الحق فريق منهم اي ناس يقصد و
الفرقة من هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ولما كان ينبغي ان يكون وقوع الارتداد منهم كما اشير اليه في غاية البعد
وان كان في اقل زمن اشير اليه باداة التراخي واكد ذلك بقوله مثبتا الجار من بعد ذلك اي القول السديد الشديد
المؤكد مع الله الذي هو اكبر من كل شيء ومع رسوله الذي هو اشرف الخلائق وما اولئك اي البعداء البغضاء الذين صار
توليهم في محل البعد بالمؤمنين اي بالكاملين في الايمان قولا وعقدا وانما هم من اهل الوصف اللساني المجرد عن المعنى
الايقاني ولما فضحهم بما اخفوه من توليهم فتح عليهم ما اظهروه فقال معبرا باداة التحقق واذا دعوا اي
الذين دعوا الايمان من اي داع كان الى الله اي ما نصب الملك الاعظم من احكامه ورسوله ليحكم اي الرسول بينهم

بما اراه الله اذا فريق منهم اى ناس يجبولون على الاذى المعرق معرضون اى فاجؤا الاعراض اذا كان الحق عليهم لاتباعهم اهواهم مفاجاة توذن بثباتهم فيه وان يكن اى كونا ثابتا جدا لهم اى على سبيل الغرض الحق اى بلا شبهة ياتوا اليه الى الرسول مذعنين اى منقادين تم انقياد لما وافق من اهوايهم لعلمهم انه دائر مع الحق لهم وعليهم لا لطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
كان سبب فعلهم هذا بعد اظهار هم الطاعة مشكلا ناسب ان يسال عنه فقال تعالى مبينا له بعد التنبيه على ما يحمله من الحالات افى قلوبهم مرض اى نوع فساد من اصل الفطرة يحملهم على الضلال ام ارتابوا بان حدثت لهم شبهة اعمتهم عن الطريق ام ليس فيهم خلل لا اصلى ولا طارى بل الخلل فى الحاكم فهم يخافون ان يحيف اى يجور الله الغنى عن كل شىء لان له كل شىء عليهم بنصب حكم جائر وهو منزه عن الاغراض ورسوله الذى لا ينطق عن الهوى بضرب امر زائغ وقد ثبتت عصمته عن الاذى ناس نه هم
ولما لم يكن شىء من ذلك كاينا اضرب عنه فقال بل اولئك اى البعدا البغضا هم اى خاصة الظالمون اى الكاملون فى الظلم لان قلوبهم مطبوعة على المرض والريب لان فيها نوعا واحدا منه وليسوا يخافون الجور بل هو مرادهم اذا كان الحق عليهم
ولما نفى عنهم الايمان الكامل بما وصفهم به كان ذلك كانه سيل عن حال المومنين فقال انما كان اى دايما قول المومنين اى العريقين فى ذلك الوصف واطبق العشرة على نصب القول ليكون اسم كان وعلل الاسمين فى التعريف وهو ان وصلتها لانه لا سبيل عليه للتنكير ولشبهه كما قال ابن جنى فى المحتسب بالمضمر من حيث انه لا يجوز وصفه كما لا يجوز وصف المضمر وقرا على رضى الله عنه بخلاف وابن ابى اسحاق قول بالرفع اذا دعوا اى من اى داع كان الى الله اى ما انزل الملك الذى لا كفو له من احكامه ورسوله ليحكم اى الله بما نصب من احكامه او الرسول صلى الله عليه وسلم بما يخاطبهم به من كلامه بينهم اى فى حكومة من الحكومات لهم او عليهم ان يقولوا سمعنا اى الدعا واطعنا اى بالاجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم
ولما كان التقدير فاولئك هم المومنون عطف عليه قوله واولئك اى العالوا الرتبة هم خاصة المفلحون الذين تقدم فى اول المومنين وصفهم بانهم يدركون جميع ما مولهم
ولما رتب سبحانه الفلاح على هذا النوع الخاص من الطاعة هم اتبعه عموما الطاعة فقال ومن يطع الله اى الذى له الامر كله ورسوله اى فى الاذعان للقضا وغيره فيما ساه وسره من جميع الاعمال الظاهرة ويخش الله اى الذى له الجلال والاكرام بقلبه لما مضى من ذنوبه ليحمله ذلك على كل خير كما كان الصحابة رضوان الله عليهم اذا وقع احد منهم فى تقصير ياتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فيقول طهرني ويلقى احدهم الرجوع فلا يرجع فى تطهير الانسان على نفسه وقع ذلك لرجالهم ونسائهم رضى الله عنهم اجمعين واحيانا على امنا هجهم وحشرنا فى زمرتهم
ويتقه اى
ولما افرد الضمير اشارة الى قلة المطيع جمع ليلا يظن انه واحد فقال فاولئك العالوا الرتبة هم الفايزون بالملك الابدى ولا فوز لغيرهم
ولما ذكر سبحانه ما رتب على الطاعة الظاهرة التى هى دليل الانقياد الباطن ذكر حال المنافقين فيه فقال عاطفا على ويقولون لانه ليس المراد منه الا مجرد القول من غير ارادة تقييد بزمان معين واقسموا انه وكانه عبر بالماضى اشارة الى انهم لم يسمحوا به اكثر من مرة ولما دل عليه من زيادة الخضوع والذل بالله اى الملك الذى له الكمال المطلق واستعار من جهد النفس قوله فى موضع الحال جهد ايمانهم اى غاية الاقسام لئن امرتهم اى بامر من الامور ليخرجن مما هم متلبسون به من خلافة كاينا ما كان الى ما امرتهم به وذلك انهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك ان خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا قاله البغوى فكانه قيل ماذا تفعل فى احتبارهم تقبل الامر او صح من ذلك كان لكل حق حقيقة ولكل فعل ادلة قل اى لهم لا تقسموا اى تحلفوا فان العلم بما انتم عليه لا يحتاج الى الاقسام وليكن المحرك لكم الى الخروج محبة الامتثال لا الزام الاقسام وفيه اشارة الى انهم اهل للاتهام

وفى يمينك ما ذا انت واعده • ما دل انك فى الميعاد متهم

ثم علل ذلك بقوله طاعة اى هذه الحقيقة معروفة اى منكم ومن غيركم وارادة الحقيقة هو الذى سوغ الابتدا بها مع تنكير لفظها لان العموم الذى تصلح له كما قالوا امن اعرف المعارف ولم تعرف بال ليلا يظن انه للعهد ذكرى او نحوه والمعنى ان الطاعة وان اجتهد العبد فى اخفايها لا بد ان تظهر مخايلها على شمايله وكذا المعصية لانه ما اسر عبد سريرة الا البسه الله رداها رواه الطبرانى عن جندب رضى الله عنه وروى مسدد عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال لو ان رجلا دخل بيتا فى جوف بيت فادمن هناك عملا اوشك الناس ان يتحدثوا به وما من عامل عمل عملا الا كساه الله رداء عمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر ولابى يعلى والحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه عن ابى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان احدكم يعمل فى صخرة صما ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كاينا من كان ثم علل اظهاره للخبث بقوله ان الله اى الذى له الاحاطة بكل شىء خبير بما تعملون وان اجتهدتم فى اخفايه فهو يبصب عليه دلايل يعرفه بها عباده فالحلف غير مغن عن الحالف والتسليم غير ضار للمسلم
نبه على خداعهم واشار الى عدم الاغترار بايمانهم والى قبول شهادة المتوسم فيهم امر بترغيبهم وترهيبهم مشيرا الى الاعراض عن عقوبتهم فقال قل اطيعوا ايها الذين اقروا بالايمان الله اى الذى له الكمال المطلق واطيعوا الرسول اى الذى

منهاجهم

له الرسالة المطلقة باطنا وظاهرا الا كالمنافقين فان تولوا اى توجد منكم التولية عن ذلك عصيانا له ولو على ادنى وجوه التولية بما اشار اليه حذف التا تضلوا فلا تضروا الا انفسكم وهو معنى قوله فانما عليه اى الرسول ما حمل اى من التبليغ ممن اذا احمل احد اشيا فلا بد من حمله له او حمل ما هو اثقل منه وعليكم ما حملتم من القبول وليس عليه ان يقسركم على الهداية وان تم بقوله وان تطيعوه اى بالامتثال على كل ما يامركم به تهتدوا اى الى كل خير انه لا هداية لهم بدون متابعته
روى عبد الله بن الامام احمد فى زيادات المسند عن النعمان بن بشير رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب قال فقال ابو امامة الباهلى رضى الله عنه عليكم بالسواد الاعظم قال فقال رجل ما السواد الاعظم فنادى ابو امامة هذه الاية فى سورة النور فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم
ولما كان ما حمله الرسول صلى الله عليه وسلم مبهما عينه بقوله وما على الرسول اى من جهة غيره الا البلاغ المبين اى التبليغ الذى يحصل به البلاغ من غير شك اما بالايضاح وحده او مصوما الى السيف فما دونه من انواع الزواجر
ولما لاح بهذا الاذن فى الكف عن قتل النبى صلى الله عليه وسلم للمنافقين لئلا يقول الناس ان محمدا استنصر بقوم فلما نصره الله بهم اقبل يقتلهم فيمتنع من يسمع ذلك من الدخول فى الاسلام فيكون مفسدة قتلهم اعظم من مفسدة ابقايهم لان الدين لم يكن حينئذ تمكنا لا يؤثر فيه مثل ذلك تشوفت النفوس الى ان هذا الحال هل يستمر فجلى الله عنها هذا الكرب بقوله بيانا لان تمكن الدين غير مفتقر اليهم سواء اقبلوا او ادبروا وعد الله اى الذى له الاحاطة بكل شىء الذين امنوا وهو مع ذلك كالتعليل لما قبله ترغيبا لمن نظر فى الدنيا نوع نظر وقيد بقوله منكم تصريحا باهل القرن الاول ليكون ظاهرا فى اخراج المنافقين المتولين بالاعراض اشارة الى انهم لا يزالون فى ذل وضعة وقدم هذا الوعد اهتماما به لما ذكر بخلاف ما ياتى فى سورة الفتح وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات من الاذعان للاحكام وغيرها واكد غاية التاكيد بلام القسم لما عند اكثر الناس من الريب فى ذلك فقال ليستخلفنهم فى الارض اى ارض العرب والعجم بان يمد زمانهم وينفذ احكامهم كما استخلف اى طلب واوجد خلافة الذين من قبلهم اى من الامم من بنى اسرايل وغيرهم من كل من حصلت له مكنة وظفر على الاعدا بعد الضعف الشديد كما كتب فى الزبور ان الارض يرثها عبادى الصالحون وكما قال موسى عليه السلام ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وليمكنن لهم اى فى الباطن والظاهر دينهم اضافه اليهم اشارة الى رسوخ اقدامهم فيه وانه ابدى لا ينسخ الذى ارتضى لهم حتى يقيموا الحدود فيه من قتل وغيره على الشريف والوضيع سواء كان الواقعون فى ذلك عصبة ام لا لا يراعون احدا ولا يخافون لومة لايم لانه لا يضر اذ ذاك ادبار مدبر كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عن الحرورية كانه انذر ان ادركهم ليقتلنهم قتل عاد بعد ان كف عن قتل راسهم ونهى عن قتله وهو واحد فى غزوة حنين
ولما بشرهم بالتمكين اشار لهم الى مقداره بقوله وليبدلنهم واشار الى عدم استغراق هذا الامن العام لجميع الزمان باثبات الجار فقال من بعد خوفهم هذا الذى هم فيه الان امنا اى عظيما بمقدار هذا الخوف فى زمن النبوة وخلافتها ثم اتبع ذلك نتيجته بقوله تعليلا للتمكين وما معه يعبدوننى اى وحدى وصرح بالمراد بيانا لحال العبادة النافعة بقوله لا يشركون بى شيئا ظاهرا ولا باطنا لان زمانهم يكون زمن عدل فلا يحابون فيه بالرغبة والرهبة
روى الطبرانى فى الاوسط عن ابى بن كعب رضى الله عنه قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم المدينة واوتهم الانصار رضى الله عنهم رمتهم العرب عن قوس واحد فنزلت ليستخلفنهم فى الاية ولقد صدق الله سبحانه ومن اصدق من الله حديثا ففتح سبحانه لهم البلاد ونصرهم على جبابرة العباد فاذلوا رقاب الاكاسرة واستعبدوا ابنا القياصرة ومكنوا شرقا وغربا مكنة لم تحصل قبلهم لامة من الامم كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لى الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها يعرف ذلك من طالع فتوح البلاد واجمعها واحسنها النصف الثانى من سيرة الحافظ ابى الربيع بن سالم الكلاعى وكتاب شيخه ابن حبيش ايضا جامع ولا اعلم شيئا انفع فى رسوخ الايمان بعد حفظ القران من مطالعة السير والفتوح وسيرة الكلاعى جامعة للامرين ونظمى للسيرة فى القصيدة التى اولها

ما بال جفنك هامى الدمع هامره • وبحر فكرك وافى الهم وافره

اجمع السير يسر الله اكمال شرحها امين
ولما قتلوا عثمان رضى الله عنه وخرجوا على على ثم ابنه الحسن رضى الله عنهما نزع الله ذلك الامن كما اشير اليه بمن وتنكير امنا وجا الخوف واستمر يتطاول ويزداد قليلا قليلا الى ان صار فى زماننا هذا الى امر عظيم والله المستعان
ولما كان التقدير فمن ثبت على دين الاسلام وانقاد لاحكامه واستقام نال هذه البشرى عطف عليه قوله ومن كفر اى بالاعراض عن الاحكام او غيرها او هو عطف على يعبدوننى لان معناه ومن لم يعبدنى
ولما كان الفاسق الكامل انما هو من مات على كفره فحبط عمله فكان بذلك كفره مستغرقا لزمانه دون من مات مسلما وان كان كافرا فى جميع ما مضى له قبل ذلك اسقط الجار فقال بعد ذلك اى الاستخلاف العظيم على الوجه المشروح فاولئك البعدا من الخير هم خاصة الفاسقون اى الخارجون من الدين خروجا كاملا لا تقبل معه معذرة ولا تقال لصاحبه عثرة

بل تقام عليهم الاحكام بالقتل وغيره ولا يراعى فيهم ملام ولا تاخذهم رافة عند انتقام كما تقدم او لا لسورة فيمن لزمه الحد
ولعل الايه تشير الى اهل الردة هذه البشرى وكان التقدير فاعملوا واعبدوا واعطف عليه قوله واقيموا الصلاة
اى فانها قوام ما بينكم وبين ربكم مع انه يصح عطفه على قوله واطيعوا الله فيكون من مقول قل واتوا الزكاة فهى نظام ما بينكم
وبين اخوانكم واطيعوا الرسول اى المحيط الرسالة فى كل ما يامركم به فانما هو عن امر ربكم لعلكم ترحمون اى لتكونوا عنده من يحمل
العواقب على رجاء من حصول الرحمة ممن لا راحم فى الحقيقة غيره ولما كان للكفار من الكثرة والقوة بمكان كان الحال جديرا بتاكيد معنى
التمكين جوابا لسؤال من كانه قال وهل ذلك ممكن فقال لا تحسبن اى ايها المخاطب الذين كفروا اى وان زادت كثرتهم على العدد وجاوزت
عظمتهم الحد فان ذلك الحسبان ضعف عقل لان الملك لا يعجزه من تحت قهره ويجوز ان يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لزيادة تحقيقه
لانه على قدر عظمة المخاطب يكون انجاز الوعد معجزين لاهل ودنا فى الارض فانهم ماخوذون لا محالة وماويهم اى مسكنهم ومرجعهم
بعد الاخذ النار كانت شكلى الشى لا تكون الا بعد الصيرورة اليه قال ولبئس المصير مصيرها فكيف اذا كان على وجه لا تشكى
ولما كان الملل من شيم النفوس فكان تدريج الكلام فى المقاصد لاسيما الاحكام شيئا فشيئا خلال مقاصد اخرى اوقع فى القلب
وانهى الى الطبع لاسيما اذا كان على وجوه من المناسبات عجيبه وضروب من الاتصالات هى مع دقتها غريبه دبر الله تاصيلها بتفصيلها
فابتدا السورة بطائفة منها وفصلها بدرر الوعظ وجواهر الحكم والحث على معالى الاخلاق ومكارم الاعمال ثم وصلها بالالهيات
التى هى اصولها وعن علم مقاماتها تفرعت فصولها فلما ختمها بالتمكين لاهل هذا الدين وتوهين امر المعتدين شرع فى اكمالها باثبات
بقيه احوالها فاكد الملاحكم به من التلبس وما ختمه من ذلك من التوهين وتحذيرا مما ختمه به من العذاب المهين وتحقيقا لما الزم به
من الطاعة ولزوم السنة والجماعة فقال واصلا بما ختم به الاحكام الاولى من الامر بانكاح الايامى والكف عن اكراه البغايا
اثر الذين لم يظهروا على عورات النساء يا ايها الذين امنوا اى من الرجال والنساء اما للتغليب واما لان النساء اولى بحفظ العورة
ليستاذنكم تصديقا لدعوى الايمان الذين ملكت ايمانكم من العبيد والاما البالغين ومن قاربهم للدخول عليكم كراهة الاطلاع على
عوراتكم والتطرق بذلك الى مسائكم والذين ظهروا على عورات النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وقيده بقوله منكم ليخرج الارقا والكفار
ثلاث مرات فى كل دور ويمكن ان يراد ثلاث استيذانات فى كل مرة فان لم يحصل الاذن رجع المستاذن كما تقدم المرة الاولى من الاوقات
الثلاث من قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم و الثانية حين تضعون ثيابكم اى التى للخروج بين الناس
والاتصال بثياب النوم وخص هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب واثبت من فى الموضعين دلالة على قرب الزمن من الوقت
المذكور لضبطه واسقطها فى الاوسط دلالة على استغراقه لانه غير منضبط ثم علل ذلك بقوله ثلاث عورات اى اختلالات فى التستر
والتحفظ واصل العورة كما قال البيضاوى الخلل ولانه لما كانت العورة تبدو فيها سميت بها لكم لانها ساعات وضع الثياب
والخلوة بالاهل وبين حكم ما عدا ذلك بقوله مستانفا ليس عليكم اى فى ترك الامر ولا عليهم يعنى العبيد والخدم والصبيان
فى ترك الاستيذان جناح اى اثم واصله الميل بعدهن اى فى جميع ما سوى هذه الاوقات اذا هجموا عليكم ثم علل الاباحة فى غيرها
مخرجا لغيرهم مبينا ان حكمة الاستيذان فى كل وقت كما مضى بقوله طوافون عليكم اى لعمل ما تحتاجونه فى الخدمة كما انتم طوافون
عليهم لعمل ما يصلحهم ويصلحكم فى الاستخدام بعضكم طائف على بعض لعمل ما يعجز عنه الاخر ويشق عليه فلو عم الامر بالاستيذان
لادى الى الحرج ولما اعلى سبحانه البيان فى هذه الايات الى حد يعجز الانسان لاسيما وهى فى الاحكام والكلام فيها يعيى
اهل البيان وكان السامع لما جبل عليه من النسيان يذهل عن ان هذا هو الشان فى جميع القران قال مشيرا الى عظم شانها فى
تفريقها وبيانها كذلك اى مثل هذا البيان يبين الله بما له من احاطة العلم والقدرة لكم ايها الامة خاصته الايات فى الاحكام
وغيرها بعلمه وحكمته والله الذى له الاحاطة العامة بكل شئ عليم بكل شى حكيم تيقن ما يريده فلا يقدر احد على نقضه وختم
الاية بهذا الوصف يدل على انها محكمة لم تنسخ كما قال الشعبى وغيره افاده ابن كثير وحكى مثله عن ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير
ولما بين حكم الصبيان والارقا الذين هم اطوع للامر واقبل لكل خير اتبعه حكم البالغين من الاحرار فقال واذا بلغ الاطفال
منكم اى من احراركم الحلم اى السن الذى يكون فيه انزال المنى برؤية الجماع فى النوم هذا اصله والمراد سن مطلق الانزال فليستاذنوا
على غيرهم فى جميع الاوقات كما استاذن الذين من قبلهم على ما بين فى اول الايات التى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
ونقل ابن كثير عن يحيى ابن ابى كثير وسعيد بن جبير ان الغلام اذا كان رباعيا يستاذن فى العورات الثلاث على ابويه فاذا بلغ الحلم
فليستاذن على كل حال ولما كانت ايات الاستيذان اتقن حاسم لمواد الشرور كما اعظم فاتح لابواب الفتن وكان اخراج الكلام
فى احكام الحلال والحرام مع التهذيب والبيان فى النهاية من الصعوبة وكان فطم النفوس عما الفته فى غاية من العسر شديد اسناد
سبحانه الى ذلك بتكرير اية البيان اشارة الى انها لما لها من العلو جديرة بالتاكيد والى ان البلغاء يستبعدون القدرة على البيان
كلما اريد على هذا السنن فقال كذلك اى مثل ذلك البيان الذى بينه فى ايات الاحكام يبين الله بما له من صفات الكمال
لكم مع ما لكم من خلال النقص اياته اى العلامات الدالة عليه من هذه الفرعيات وما رقت اليه من الاصليات فاضافها اليه سبحانه

نوطها

تعظيما لها اشارة الى انها مقدمة للايات الالهيات لان من لم ينفرغ عن مكدرات الافكار لم يطهر ذلك المطار وحثا على تدبر ما
تقدم منها لاستحضار ما دعت اليه من الحكم وفصلت به من المواعظ وتنبيها على ما فيها من العلوم النافعه دينا ودنيا وزاد فى
الترغيب فى العلم والحكمة اشارة الى ان ذلك سبب كل سعادة فقال والله اى المحيط بكل شئ عليم حكيم روى الطبرانى
وغيره عن انس رضى الله عنه قال لما كان صبيحة احتلمت دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته انى قد احتلمت فقال لا تدخل
على النسا فما اتى على يوم كان اشد منه ولما ذكر سبحانه اقبال الشباب فى تغيير حكم الحجاب اتبعه الحكم عند ادبار الشباب
فى القاء الظاهر من الثياب فقال والقواعد وحقق الامر بقوله من النساء جمع قاعد وهى التى قعدت عن الولد وعن الحيض كبرا وعن
الزوج ولما كان هذا الاخير قطبها قال اللاتى لا يرجون نكاحا اى لعدم رغبتهن فيه او لوصولهن الى حد لا يرغب
فيهن معه فليس عليهن جناح اى شى من الحرج فى ان يضعن ثيابهن اى الظاهرة فوق الثياب السائرة بحضرة الرجال بدليل ان مسعود
رضى الله عنه من ثيابهن قال ابو صالح تضع الجلباب وهو ما يغطى ثيابها من فوق كالملحفة وتقوم بين يدى الرجل فى الدرع
والخمار غير متبرجات بزينة اى متعمدات لوضع ما ابيح لهن وضعه اظهار وجوههن مع الزينة او غير متظاهرات بالزينة
قال فى الجمع بين العباب والمحكم تبرجت المراة اظهرت وجهها وفى القاموس تبرجت اظهرت زينتها للرجال انتهى
برج تدور على الظهور كما مضى فى الحجر وقال البيضاوى واصل البرج التكلف فى اظهار ما يخفى انتهى وكانه اشير بصيغة التفعل
الى ان ما ظهر منها من وجهها او زينتها عفوا غير مقصود به الفساد لا حرج فيه ولما ذكر الجائز وكان ابدا الوجه داعيا
الى الريبه اشار اليه بقوله ذاكرا المستحب بعثا على اختيار افضل الاعمال واحسنها وان يستعففن اى يطلبن العفة بدوام
الستر وعدم التخفف بالقاء الجلباب والخمار خير لهن من الالقا المذكور ولما كان ما ذكر من حالهن من المخالطة على ذلك
الوضع معلوما انه لا يخلوا عن كلام كان التقدير فالله فى وضع الحرج عنهن رؤف بهن رحيم عطف عليه قوله والله اى الذى له
جميع صفات الكمال سميع اى لكلامهن اذا خاطبن الرجال هل يخضعن فيه ويتصنعن فى ترخيم الصوت به او يلقينه على الحالة
المعروفة غير المنكرة عليم بما يقصد ونحوه بكل شى ولما اتم سبحانه ما ذكر من حرمات البيوت المستلزمة لصيانة الابضاع
على وجه يلزم منه احراز الاموال اتبعه ما يباح من ذلك للاكل الذى هو من اجل مقاصد الاموال اجتماعا وانفرادا فقال
فى جواب من كانه سال هل هذا التحجير فى البيوت سار فى الاقارب وغيرهم فى جميع الاحوال ليس على الاعمى حرج اى فى مواكله
غيره وما ياتى من الاحكام وان كره غيره اكله لمديه كيفما اتفق فانه مرحوم والاستيذان من اجل البصر ولا على الاعرج
الذى لا يرجى حرج وان تقذر منه بعض المترفين فانه يجامعه فى انه يرحم لنقصه ولا على المريض اى مرضا يرجى لعرج او غيره
حرج كذلك لمرضه واخر لرجاء برئه ولا على انفسكم اى ولا على غير من ذكر وعبر بذلك تذكيرا بان الكل من نفس واحده ان
تاكلوا من بيوتكم اى التى فيها عيالكم وذكرها سبحانه لئلا يحصل من تركها لو تركها ريبه وليدخل فيها بيوت الاولاد
لانهم من كسب الاب اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه انت ومالك لابيك او بيوت ابائكم وان بعدت انسابهم
ولعله جمع لذلك فانها من بابكم وحرمتها حرمتكم او بيوت امهاتكم كذلك وقدم الاب لانه اجل وهو حاكم بيته دائما والمال له او
بيوت اخوانكم فانهن بعدهم من اجل ان ولى البيت من الابوين والاب او الام بالنسب والرضاع فانهم من اولى من رضى بذلك بعد الوالدين
لانهم منكم وهم اولياء بيوتهم او بيوت اخواتكم فانهن بعدهم من اجل ان ولى البيت اذا كن من زوجات الزوج او بيوت اعمامكم فانهم
شقائق اباكم سواء كانوا اشقا او لاب او ام ولو افرد العم لتوهم انه للشقيق فقط فانه اخو بالاسم او بيوت عماتكم فهن بعد الاعمام
لضعفهن ولانه ربما كان اولياء بيوتهن الازواج او بيوت اخوالكم لانهم شقائق امهاتكم او بيوت خالاتكم اخرهن لما ذكر او ما
ملكتم مفاتحه اى التصرف فيه بوجه من الوجوه كالوكالة او صديقكم الذى تعرفون رضاه بذلك ولو بقرينة كما كانوا العادة
ولذلك اطلقه وان لم يكن امكنكم من مفاتحه بل كان عياله فيه كل ذلك من غير افساد ولا حمل ولا ادخار وقد عدل الصديق هنا
بالقريب تنبيها على شريف رتبة الصداقة ولطيف سرها وخفيف امرها وافرد لعزته وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق
ان جعله الله كالنفس والاب ومن معه قال الاصبهانى وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن
الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه فى الاكل ولما ذكر معدن الاكل
ذكر حاله فقال ليس عليكم جناح اى شى من الاثم الذى من شانه ان يميل بصاحبه عن السواء فى ان تاكلوا جميعا اى مجتمعين
وان كان بعضكم ناقص الخلقة لان من كان معرضا للافات جدير بان يرحم المبتلى ولا يستقذره حذرا من انعكاس الحال ولما
رغب اول الاسلام لما كان فيه اكثر الناس من الضيق فى المواساة والاجتماع مع الضيوف ترغيبا ظن به الوجوب مع ما
كانوا عليه من الكرم الباعث على الجود والاجتماع للاجر بالمحتاج خفف عنهم بقوله او اشتاتا اى متفرقين لغير قصد
الاستقذار والترفع والاضرار وان كان الاكل فى جماعة افضل وابرك كما يفهمه تقديمه فقد روى الامام احمد
وابو داود وابن ماجة عن وحشى بن حرب عن ابيه عن جده ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا نأكل ولا نشبع قال فلعلكم تأ

كلون

متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه ولابن ماجة عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة مع الجماعة ذكر موطن الاكل وكيفيته ذكر الحال التي يكون عليها
الداخل الى تلك المواطن وغيرها فقال مسببا عما مضى من الاذن معبرا باداة التحقيق بشارة بانهم يطيعون بعد ان كانوا
يحرجوا من ذلك حين انزل تعالى لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فاذا دخلتم اي بسبب ذلك او غيره بيوتا اي ما دونا
فيها اي بيوت كانت مملوكة او لا مساجد او غيرها فسلموا عقب الدخول على انفسكم اي اهلها الذين هم منكم
دينا وقربا وعبر بذلك ترغيبا في السلام والاحسان في الاكرام ولتصلح العبارة لما اذا لم يكن فيها احد فيقال لجيئين
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيكون من الاستعمال في الحقيقة والمجاز تحية مصدر من المعنى دون اللفظ اي اوقعوا
الدعا للمحيا بسلامة وحياة وملك وبقا من عند الله اي هي جديرة لتمام حسنها ان تضاف الى من له الكمال كله سبحانه
مباركة اي ثابتة اعظم ثبات بكونها موافقة لما شرع الله من خالص قلوبكم طيبة تلذذ السمع ووصف البيان تنبيها على
ما في هذه الايات من الحسن والاحسان فقال مستانفا جامعا من غير مرة كذلك اي مثل هذا البيان العظيم الشان يبين الله اي المحيط
بكل شيء لكم الايات التي لا اكمل منها [ولما] كان الله تعالى لعلمه وحكمته وعزته وقدرته ولطفه وخبرته قد خلق عقلا
نيرا يهتدي الى الحق والى طريق مستقيم وقسمه بين عباده وخلق فيهم انواعا من العوائق لتكل العقل عن النفوذ وعلى حسب الاحكام
من الهوى والكسل والفتور والملل جعلها حجبا تحجبه عن النفوذ وتستر عنه المدارك وتمنعه من البلوغ الا باضاف
ومجاهدات تكل النفس عنها القوى وتضعف عندها العزائم فلا يكاد الماهر منهم يرتب قياسا صحيحا لغلطه في المقدمات
فتكون النتيجة حينئذ فاسدة القاعدة واهية الاساس فكانوا لا يزالون لذلك مختلفين حتى يوصلهم الاختلاف الى الاحن والمشاجرة
والفتن فيجرهم الى السيف وذهاب النفوس وتلف الارواح فانزل سبحانه لهم في كل وقت شرعا يليق بذلك الزمان على لسان
رسول من رسله عليهم الصلاة والسلام جعل ذلك الشرع مطابقا للعقل السوي والنور الضوي والمنهل الروي والسبب
القوي من تمسك به هدى ولم يزغ حد فيه سبحانه حدودا واقام فيه زواجر لتظهر حكمته ويتضح علمه وقدرته فصارت شرائع
متفقة الاصول مختلفة الفروع بحسب الازمنة اشارة الى ان الفاعل في تغيير الاحكام بحسب الازمان واحد مختار هم
وامتحانا للعباد تمييزا لاهل الصلاح منهم من اهل الفساد وكانت الاغارة على شيء من الاعراض والاموال على غير ما اذن فيه
تذهب العقول وتعمي البصائر ختم الاية بقوله لعلكم تعقلون اي لتكونوا على رجاء عند من يصح منه الرجاء من ثبات هذا
الوصف لكم وهو ضبط النفوس وردها عن الاهوية باتباع ايات الشرع التي انزلها الذي كرر وصفه هنا بانه عليم حكيم ٥
فلا تتولوا بعد قولكم سمعنا واطعنا عن الاذعان للاحكام وانتم معرضون [ولما] كان سبحانه قد نفى عنهم الايمان
بالتولي عن الاحكام وبالامارات ان نظمه احسن نظام حتى ختم بما اوما الى ان من عمي عن احكامه بعد هذا البيان مسلوب
العقل وكرر في هذه السورة ذكر البيان تكريرا اشارة الى المعاني لما من بيان حتى صارت مشخصات للعيان ومن جاز وصف
الايمان بحسن الاستيذان وكان امر الرسول صلى الله عليه وسلم اجل موطن تجب الاقامة فيه ويهجر ما عداه من الاوطان فتصير
الارض برحبها ضيقة لاجله محظورا سلوكها من جراه بمنزلة بيت الغير الذي لا يحل دخوله بغير اذن قال معرفا بذلك على طريق
الحصر منا بالسلب وما اولئك بالمؤمنين مبينا عظيم الجناية في الذهاب عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم المقتضي للجمع من غير اذن
انما المؤمنون اي الكاملون الذين لهم الفلاح الذين امنوا بالله اي الملك الاعلى ورسوله ظاهرا وباطنا [ولما]
كان الكلام في الراسخين كان الموضع لاداة التحقيق فقال واذا اي وصدقوا ايمانهم بانهم اذا كانوا معه اي الرسول
صلى الله عليه وسلم على امر جامع اي لهم على الله كالجهاد لاعداء الله والتشاور في مهم وصلاة الجمعة ونحو ذلك لم يذهبوا
عن ذلك الامر خطوة الى موضع من الارض ولو انه بيوتهم لشيء من الاشيا ولو انه اهم مهماتهم لانه اخذ عليهم الميثاق بالطاعة
في العسر واليسر والمنشط والمكره حتى يستاذنوه فياذن لهم لان المامور به قد صار منزلهم وماواهم ومثواهم وصار
كل ما سواه من الاماكن والامور له عليه الصلاة والسلام دونهم لا حظ لهم فيه فلا يحل لهم ان يخلوا حسا او معنى
الا باذنه وهذا من عظيم التنبيه على علي امره وشريف قدره وذلك انه سبحانه كما امرهم بالاستيذان عند الدخول
عليه وعلى غيره افرده بامرهم بالاستيذان عند الانصراف عنه صلى الله عليه وسلم وجعل رتبة ذلك تالية لرتبة الايمان
بالله والرسول وجعلها كالتسبيب له مع تصدير الجملة باداة الحصر وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت
صلته بالرتب الثلاث شرحا له نفى عن المؤمنين الذهاب الى غاية الاستيذان فافهم ان المستاذن مؤمن
صرح بهذا المفهوم ليكون اكد فقال تشديدا في الاخلال بالادب بين يديه صلى الله عليه وسلم وتاكيدا لحفظ حرمته
والادب معه لئلا يتشوش فكره في اسلوب اخر وبيانا لان الاستيذان مصداق الايمان ان الذين يستاذنونك اي يطلبون
اذنك لهم اذا ارادوا الانصراف في شيء من امورهم التي يحتمل ان يمنع منها اولئك العالوا الرتبة خاصة الذين يؤمنون

اي يوجدون الايمان في كل وقت بالله الذي له الامر كله فلا كفوء له ورسوله [ولما] ناظم لاثبات خصال الايمان
قصرهم على الاستيذان تسبب عن ذلك اعلامه صلى الله عليه وسلم بما يفعل اذ ذاك فقال فاذا استاذنوك اي هؤلاء الذين
صحت دعواهم وشدد عليهم تاكيدا لتعظيم الادب معه صلى الله عليه وسلم بقوله لبعض شانهم ومهما تشتد الحاجة اليه
فاذن لمن شئت منهم قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة فمن اراد ان يخرج لعذر قام بحياله
فيعرف انه يستاذن فياذن لمن شا قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده وقيل كان ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم
ومقدميهم في الدين والعلم لا يخذلونهم في نازلة من النوازل [ولما] اثبت له بهذا التفويض من الشرف ما لا يبلغ وصفه
افهمهم ان حال المستاذن قاصر عن حال المفوض الملازم كيفما كانت فقال واستغفر لهم الله الذي له الغنى المطلق فلا
تنفعه طاعة ولا تضره معصية او يكون الكلام شاملا لمن صحت دعواه وغيره ثم علل ذلك ترغيبا في الاستغفار وتطييبا
لقلوب اهل الاوزار بقوله ان الله اي الذي له صفات الكمال غفور اي له هذا الوصف فهو جدير بان يغفر لهم ما قصروا
فيه رحيم اي فكل ما امرهم به فهو خير لهم وان تراى لهم خلافه [ولما] اظهرت هذه السورة بعمومها وهذه الايات
بخصوصها من شرف الرسول ما بهر العقول لاجل ما وقع للمنافق من التجرؤ على ذلك الجناب الاثم والمنصب الاتم وعلم منه انه صلى
الله عليه وسلم في كل امره وجميع شانه خصوصية ليست لغيره صرح بذلك تفخيما للشان وتعظيما للمقام لبيان ادب من اصل عن
المنافق او توانى في امره فقصر عن مدى اهل السوابق فقال منبها على ان المصائب سبب لاظهار المناقب او اشهار المعايب
لا تجعلوا اي يا ايها الذين امنوا دعاء الرسول اي لكم الذي توقعه بينكم ولو على سبيل العموم في وجوب الامتثال كدعاء
بعضكم بعضا فان امره عظيم ومخالفته استحلالا كفر ولا تجعلوا ايضا دعاكم اياه كدعاء بعضكم لبعض بمجرد الاسم بل تادبوا
معه بالتفخيم والتبجيل والتعظيم كما سن الله بنحو يا ايها النبي ويا ايها الرسول مع اظهار الادب في هيئة القول والفعل بخفض
الصوت والتواضع [ولما] كان بعضهم يظهر الموافقة ويبطن المخالفة حذر من ذلك بشمول علمه وتمام قدرته فقال
معللا مؤكدا محققا معلما بتجديد تعليق العلم الشهودي كلما جدد احد خيانة لدوام اتصافه باحاطة العلم من غير نظر
الى زمان قد يعلم الله اي الحائز لجميع صفات المجد ان ظننتم ان ما تفعلونه من التستر يخفى امركم على رسوله صلى الله عليه وسلم
فهو سبحانه يعلم الذين يتسللون وعين اهل التوبيخ بقوله منكم اي يتكلفون سل انفسهم ليجعلوا ذهابهم في غاية الخفا
لواذا اي تسللا مستخفين به بتستر بعضهم فيه ببعض يقال لاذ بالشيء لوذا ولواذا وملاوذة استتر وتحصن فهو مصدر
لتسلل من غير لفظه ولعله ادخل قد على المضارع ليزيد اهل التحقيق تحقيقا ويفتح لاهل الريب الى الاحتمال طريقا هم
فانه يكفي في الخوف من النكال طروق الاحتمال وسبب عن علمه قوله فليحذر اي يوقع الحذر الذين يخالفون اي يوقعون مخالفته
بالذهاب متجاوزين معرضين عن امره اي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خلافه ان تصيبهم فتنة اي شيء يخالطهم في الدنيا
فيحيل امورهم الى غير الحالة المحبوبة التي كانوا عليها او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة وهذا يدل على ان الامر للوجوب
حتى يصرف عنه صارف لترتيب العقاب على الاخلال به لان التحذير من العقاب انما يكون بعد قيام المقتضي لنزول العذاب
[ولما] اقام سبحانه الادلة على انه نور السموات والارض بانه لا قيام لشيء الا به سبحانه وختم بالتحذير لكل مخالف
انتج ذلك ان له كل شيء فقال الا ان لله اي الذي له جميع المجد جميع ما في السموات ولثبوت انه سبحانه محيط العلم والقدرة
لم يقتض المقام التاكيد باعادة الموصول فقال والارض اي من جوهر وعرض ومما له ايضا لان الارض في السما وكل سما في
التي فوقها حتى ينتهي ذلك الى العرش الذي صرح في غير اية انه صاحبه وهو سما ايضا لعلوه عما دونه فكل ما فيه له وذلك ابلغ
لدلالته بطريق المجاز مما لو صرح به فدل ذلك بعد الدلالة على وجوده على وحدانيته وكمال علمه وقدرته [ولما]
كانت احوالهم من جملة ما له كان من المعلوم انها لم تقم في اصلها ولا بقا لها الا بعلمه وانها بخلقه فلذلك قال محققا مؤكدا
مرغبا مرهبا قد يعلم ما انتم ايها الناس كلكم عليه اي الان والمراد بالمضارع هنا وجود الوصف من غير نظر الى زمان ولو عبر
بالماضي لتوهم الاختصاص به والكلام في ادخال قد عليه كما مضى انفا باعتبار اولي النفوذ في البصر واهل الكلال والكدر
ويوم اي ويعلم ما هم عليه يوم يرجعون اي بقهر قاهر لهم على ذلك لا يقدرون له على دفاع ولا نوع امتناع اليه وكان
الاصل ما انتم عليه ولكنه اعرض عنهم تهويلا للامر ويكون ذلك خاصا بالمتولين المعرضين اشارة الى انهم ينافسون الحساب
ويكون سر الالتفات التنبيه على الاعراض عن المكذب بالغيبة والاقبال على المصدق قصودا لتنفيس الكلام عن الجفاة الاغبيا
اللئام فينبئهم اي فيتسبب عن ذلك انه يخبرهم تخبيرا عظيما بما عملوا فليعدوا لكل شيء منه جوابا والله اي الذي
له الاحاطة الكاملة بكل شيء من ذلك وغيره عليم فلذلك انزل الايات البينات وكان نور الارض والسموات فقد رد
الختام على المبدا والتحم الاخر بالاول والاثنا والله الهادي

سورة الفرقان

مقصودها انذار عامة المكلفين
بما له سبحانه من القدرة الشاملة المستلزمة للعلم التام المدلول عليه بهذا القران المبين المستلزم لانه لا موجود على الحقيقة سواه

فهو الحق وما سواه باطل وتسميتها بالفرقان واصح الدلالة على ذلك ان الكتاب ما نزل الا للتفرقة بين الملتبسات وتمييز الحق من الباطل
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فلا يكون لاحد على الله حجة **بسم الله** الذي له الحجة البالغة لاحاطة علمه وعظمته وشمول علمه وقدرته
الرحمن الذي عم بنعمة الفرقان اهل الايمان والكفران **الرحيم** الذي خص من شاء من عباده بملابس الرضوان ختم سبحانه تلك بسعة الملك
وشمول العلم وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم والتنبيه بما جاوز الحد افتتح هذه بمثل ذلك على وجه مع كونه اضخم منه هو برهان عليه فقال **تبارك**
اي ثبت ثبوتا مع اليمن والخير الذي به سبقت الرحمة الغضب والتعالي في الصفات والافعال فلا ثبوت يدانيه ولا يكون ذلك كذلك الا تمام قدرته
ولا تمام قدرته الا شمول علمه وهذا الفعل مطاوع بارك وهو مختص بالله تعالى لم يستعمل لغيره ولذلك لم ينصرف بمستقبل ولا اسم فاعل ثم وصف
نفسه الشريفة بما يدل على ذلك فقال **الذي** ولما كان تكرار الانذار الذي هو مقصود السورة انفع وتفريقه في اوقات من ارسله
اصدع للقلوب واردع وكان ايضاح المشكلات والفرق بين الملبسات اعوز ما يكون عليه عبر بما يدل على الفرق وقدمه فقال **نزل الفرقان**
اي الكتاب الذي نزل جملة الى سماء الدنيا فكان كتابا ثم نزل مفرقا بحسب المصالح فسمي لذلك فرقانا ولانه الفارق بين كل ملتبس فلا يدع حقا الا
بينه ولا حقا الا اثبته ولا باطلا الا نفاه ومحقه فبه انتظام الحياة الاولى والاخرى فكان قاطعا على علم منزله ومن علمه الباهر انزاله
على عبده اي الذي لا احق منه باضافته الى ضميره الشريف لانه خالص له لا شائبة لغيره فيه اصلا ولم يجر لمخلوق ما جاز من طهارة الشيم
وارتفاع الهمم ولانك ان الرسول دال على مرسله في مقدار علمه وكثرة جنده واتساع ملكه الله اعلم حيث يجعل رسالاته ثم علل انزاله عليه
بقوله **ليكون** اي العبد او الفرقان ولما كان العالم ما سوى الله وكان ربما ادعى مدع ان المراد البعض لانه قد يطلق اللفظ على جزء معناه
بدلالة التضمن وكان الجمع لا بد ان يفيد ما افاده المفرد بزيادة جمع ليعرف ان المراد المدلول المطابقي مع التصريح باستغراق جميع الانواع
الداخلة تحت مفهوم المفرد واختار جمع العقلاء تغليبا اعلاما بانهم المقصودون بالذات فقال **للعالمين** اي المكلفين كلهم من الجن
والانس والملائكة ولما كان كل من الكتاب والمنزل عليه بالغا في معناه عبر بما يصح ان يراد به المنذر والانذار على وجه المبالغة فقال
نذيرا اي وبشيرا وانما اقتصر على النذارة للاشارة الى البشارة بلفظ تبارك ولان المقام لها ختم به تلك من اعراض المتولين
عن الاحكام ونفي الايمان عنهم بانتفاء الاسلام وفيه اشارة الى كثرة المستحقين للنذارة ولا التفات الى من قال ان الرازي والبرهان النسفي
نقلا الاجماع على انه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الملائكة فان عبارة الرازي في بعض نسخ تفسيره لكنا اجمعنا على انه لم يرسل الى الملائكة وفي
اكثر النسخ بينا بدل اجمعنا على انه لو اتفقت جميع النسخ عليها لم تضر لانها غير صريحة في ارادة الاجماع ولان الاجماع لا يثبت بنقل واحد
لا سيما في مثل هذا الذي ظاهر الظواهر على خلافه ولم يرد مانع منه واما البرهان النسفي فمن الرازي اخذ وعبر بعبارته فصار واحدا
وقد بينت ذلك عند قوله تعالى في سورة الانعام لانذركم به ومن بلغ بيانا شافيا لا ارتياب معه بل ولو قيل ان الاية على ظاهرها لا خصوص
فيها بالعقلاء وتكليف كل شيء بحسبه لكان وجيها وبذلك صرح الامام تاج الدين السبكي في اول الترشيح في قوله واصلي على نبيه محمد المصطفى المبعوث
الى كل شيء وكذلك المحب الطبري في احد القرى لقاصد ام القرى وذلك لانه صلى الله عليه وسلم ما دعا جامدا ولا شجرا كغير الانسان الا اجابه
بما هو مقتضى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها الاية دعا غير مرة عددا من اغصان الاشجار فاتته تسجد له ثم امرها
بان ترجع الى مكانها ففعلت ودعا الضب وغيره من الحيوانات العجم فاطاعته ودعا الاشجار غير مرة فسمعت وامر الجبل لما رجف فادع
وارسل الى نخل واحجار بامرهن بالاجتماع ليقضي لشهن حاجة ففعلن ثم ارسل بامرهن بالرجوع الى اماكنهن فاجبن وغمز الارض فنبع منها
الماء وارسل سهمه الى البئر فجاشت بالرواء الى غير ذلك مما هو مضمن في دلائل النبوة بل ولا دعا طفلا رضيعا الا شهد له لكونه على الفطرة
الاولى الى غير ذلك مما هو دال على ظاهر الاية المقتضي لزيادة شرفه صلى الله عليه وسلم من غير محذور يلزم عليه ولا نص يخالفه والله
الهادي **وقال** الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما تضمنت سورة النور بيان كثير من الاحكام كحكم الزنا ورمي الزوجات
والقذف والاستئذان والحجاب واسعاف الفقير والكتابة وغير ذلك والكشف عن مغيبات من تغاير حالات تبين بمعرفتها والاطلاع
عليها الخبيث من الطيب كاطلاعه سبحانه نبيه والمؤمنين على ما تقوله اهل الافك وبيان سوء حالهم واضمحلال محالهم في قصة المنافقين في
اظهارهم ضد ما يضمرون ثم كريم وعده للخلفاء الراشدين وعد الله الذين امنوا منكم ثم ما نص به تعالى من نفي الحذر قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لواذا الى اخر الاية فكان مجموع هذا فرقانا يعتضد به الايمان ولا ينكره منكر بالرحمن يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصحة رسالته
ويوضح مضمن قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم من عظيم قدره صلى الله عليه وسلم وعلى جلالة اتبعه سبحانه بقوله تبارك الذي نزل الفرقان
على عبده وهو القران الفارق بين الحق والباطل والمطلع على ما اخفاه المنافقون وادعوه من المكر والكفر ليكون للعالمين نذيرا
فيحذرهم من مرتكبات المنافقين والتشبه بهم ثم تناسج الكلام والتحم جليل المعهود من ذلك النظام وتضمنت هذه السورة من
النعي على الكفار والتعريف ببهتهم وسوء مرتكبهم ما لم يتضمن كثير من نظائرها كقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام الايات
وقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقولهم لولا نزل عليه القران جملة واحدة وقولهم وما الرحمن الى ما تضمنت هذه وتخللها
ولهذا اختتمت بقاطع الوعيد واشد التهديد وهو قوله سبحانه فقد كذبتم فسوف يكون لزاما انتهى ولما تقدم ذكر
منزل الفرقان سبحانه وذكر الفرقان والمنزل عليه على طريق الاجمال اتبع ذلك تفصيله على الترتيب فبدأ بوصف المنزل سبحانه

بما هو ادل دليل على ارادة التعميم في الرسالة لكل من يريد فقال **الذي له** اي وحده **ملك السموات والارض** فلا انكار لان يرسل
رسولا الى كل من فيهما **ولم يتخذ ولدا** ليتكبر على رسوله **ولم يكن له شريك في الملك** ليناقضه في الرسالة او يقاسمه اياها فيكون
بعض الخلق خارجا عن رسالته او مراعيا لامر غير امره ولما كان وقوف الشيء عند حد بحيث لا يتعداه ان يتعداه الى حد شيء اخر سواه
فيه الحيوان لا يتعدى على جعل نفسه جمادا ولا اعلى من الحيوان وهو الجماد لا يمكنه جعل نفسه حيوانا ولا اسفل من رتبته الجماد الى غير ذلك
مما يعجز الخلق عن شرحه دالا على انه مخلوق مربوب قال تعالى **وخلق** اي احدث احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية **كل شيء** اي مما ادعي
فيه الولدية او الشركة وغيره ولما كان تعديه سوى كل شيء لما يصلح له وهياه لذلك قال شارحا ومحققا لمعنى خلق **فقدره** في
ايجاده من غير تفاوت **تقديرا** اي لا يمكن ذلك الشيء مجاوزته فيما خلق لاجله وهيئ ويسر له الى غيره بوجه من الوجوه
ذكرهم بما ركز في فطرهم من العلم عجب منهم لكل ذي عقل في جملة حالية فيما جاءوا به من المشاهدة فقال مضمرا للفاعل اشارة الى انجاز
نسبة هذا الفعل الى فاعل معين توبيخا لهم وارشادا الى المبادرة من كل سامع الى نفيه عنه فقال **واتخذوا** اي كلفوا انفسهم
ولما كان علوه لا يحد لكانت الرتب السافلة عن رتبته لا تحصى نبه على ذلك بالجار فقال **من دونه**
عبدة الاوثان ان اخذوا
اي بعد ما قام من الدليل على انه الاله وحده من الحيثيات التي تقدمت **الهة** المتخذون مشاهدون لانهم كما قال تعالى **لا يخلقون شيئا** اي لا
ولما كان المنعت ربما ادعى انهم مع ذلك غير مخلوقين قال **وهم يخلقون** اي بما يا
العجز منهم لا يكون منهم ايجاد شيء فهم دون من عبدهم
ولما قرر انه القادر على كل شيء وكانت انعم
فيهم من التغيير والطواعية لمشيئته سبحانه ومن ذلك ان عبدتهم افتعلوهم بالنحت والتصوير
اكثر وجودا وكانا دليلا على الشيء خلقه سبحانه له اخبران ذلك الغير لا يقدر على ضر نفسه ولا بالاعدام فقال معبرا باداة العقلاء
تهكما بعابديهم حيث اقاموهم في ذلك المقام او تغليبا لان منهم والملائكة وعزيرا والمسيح عليهم السلام **ولا يملكون** اي الاتخذ لهم
بوجه من الوجوه **لانفسهم ضرا** ولذلك قدمه ونكره ليعم فلما ثبت بذلك انهم خلقه ولكن كان ربما قال متعنت انهم يملكون ذلك ولكنهم
يتركونه عمدا لان احدا لا يريد ضر نفسه قال **ولا نفعا** اي ولو بالقليل على حالة واحدة وعبدتهم يقدرون على ما اراد الله من ذلك على حد
الكسب فهم اعلى منهم وعبادة الاعلى لمن دونه ليست من افعال العقلاء ولما كان للموت والحياة ما ليس لغيرهما من عظيم الشان اعاد
العامل فقال **ولا يملكون** وقدم الموت لان الحياة اكثر فقال مبتدئا بما هو من باب الضر على نسق ما قبله **موتا** اي لانفسهم ولا لغيرهم
ولا حياة اي من العدم **ولا نشورا** اي اعادة لما طوي من الحياة بالموت وعطفها بالواو وان كان بعضها مسببا عما قبله اشارة الى ان
كل واحد منها كافية في سلب الالهية عنهم لما ثبت من العجز ولما وصف منزل الفرقان بما لا يحيط به علم احد غيره من السؤدد
فاتضح بذلك اعجاز المنزل الذي ابان ذلك وهو هذا القران وانه وحده الفرقان عجب من حال المكذبين به فقال موضع **وقال**
الذين كفروا اظهارا للوصف الذي حملهم على هذا القول وهو ستر ما ظهر لهم ولغيرهم كالشمس والاجتهاد في اخفائه **ان** اي ما **هذا**
اي القران **الا افك** اي كذب مصروف عن ظاهره ووجهه هو اسوأ الكذب **افتراه** اي تعمد كذبه هذا النذير فكان قولهم هذا
موضع العجب لكونه ظاهر الخلل ولما كان الانسان مطبوعا على انه يتكثر بادنى شيء من المحاسن فيجب ان يظهر عنه ولا ينسب
شيء منها الى غيره كان العجب من ذلك واظهر عوارا قولهم **واعانه** اي محمدا **عليه** اي القران **قوم** اي ذوو كفاية حبوه بما يفسر
به دونهم وزادوا ابعدا بقولهم **اخرون** اي من غير قومه فقيل ارادوا اليهود وقيل غيرهم ممن في بلدهم من العبيد النصارى وغيرهم
فلذلك تسبب عنه قوله تعالى **فقد جاءوا** اي في ذلك **ظلما** بوضع الافك على ما لا اصدق منه ولا اعدل **وزورا** اي ميلا مع خلا
عظيمة عن السنن المستقيم في نسبة اصدق الناس واطهرهم خليقة واتوهم طريقة الى هذه الدنايا التي لا يرضاها لنفسه
اسقط الناس فانها مع كونها دنية في نفسها مضمونه الفضيحة قال ابن جرير واصل الزور تحسين الباطل وتاويل الكلام
ولما بين تناقضهم اولا في ادعائهم في القران ما هو واضح المنافاة لنفسه لوصفه وثانيا بانه اعين عليه بعد ما
اشعرت به صيغة الافتعال من الانفراد اتبعه تعالى تناقضا لهم اخر بقوله معجبا **وقالوا** اي الكفار **اساطير** جمع اسطارة واسطورة
الاولين من نحو احاديث رستم واسفنديار فصرحوا انه ليس له فيه شيء **اكتتبها** اي طلب كتابتها له **فهي** اي فتسبب عن تكلفه ذلك
انها **تملى** اي تلقى من ملق ما الفا مستمرا دائما **عليه** من الحاصل الذي اكتتبها فيه في اوقات الفراغ **بكرة** قبل ان ينتشر الناس
واصيلا اي وعشيا حين ياوون الى مساكنهم او دائما ليتكلف حفظها بعد ان تكلف تحصيلها بالانتساخ لانه امي وهذا كما ترى
لا يقوله من له مسكة في عقل ولا مروة فان من المعلوم الذي لا يخفى على عاقل ان انسانا لو لازم شيئا عشرة ايام بكرة وعشيا لم
يبق ممن يعرفه ويطلع عليه على احواله احد حتى عرف ذلك منه فلو انكره بعد لا افتضح فضيحة لا يغسل عنه عارها ابدا فكيف
والبلد صغير والرجل عظيم شهير وقد ادعوا انه مصر على ذلك الى حين مقالتهم وبعدها لا ينفك وعيروه بانه معدم
يحتاج الى المشي في الاسواق وهو يدعوهم الى المعارضة ولو بسورة من مثله وفيهم الكتاب والشعراء والبلغاء والخطباء
وهم اكثر منه مالا واعظم اعوانا فلا يقدرون ولما رموه بهذه الاقوال التي هم فيها في خبط عشواء وكانت مع كونها
ظاهرة العوار عند من له ادنى استبصار تروج على بعض العرب بعض الرواج مع سعة عقولهم وصحة افكارهم لشبه واهية

مكنهم فيها التقليد وشدة الالف لما هم عليه في الزمن المديد امره سبحانه بجوابهم مستانفا فقال قل اي ردا على بطلان ما
قالوه منددا عليهم انزله اي القرآن من جزائن علمه خلافا لجميع ما تقولتموه الذي يعلم السر اي كله لا تخفى عليه منه خافية فكيف
بالجهر في السموات والارض فهو يجيبكم عن كل ما تقولتموه في وفي كتابه وان اسررتموه ويبين جميع ما يحتاج اليه العباد في الدارين في
كلام معجز لفظا ومعنى على وجه يتحقق كل ذي لب انه لا يقوله الا عالم بجميع المعلومات ولا يحيط بجميع المعلومات سواه
وهذا ظاهر جدا من اخباره بالماضي بما يصدقه العلماء من الماضين وحكمه على الآتي بما يكون ضربة لازم واظهاره الخبء واحكامه
لجميع ما يقوله وقد جرت عادته سبحانه بالانتقام ممن كذب عليه باظهار كذبه اولا ثم باخذه ثانيا ثم عذابه العذاب الاكبر ثالثا
فستنظرون من يفعل به ذلك وقد بان لعمري صدقه بما وقع من الامور الثلاثة ولما كان من المعلوم ان العالم بكل شيء قادر على
كل شيء كما مضى تقريره في سورة طه وكانت العادة جارية بان من علم استخفاف غيره به وكان قادرا عليه عاجله بالاخذ اجيب
من كانه قال فما له لا يهلك المكذبين له بقوله مرغبا لهم في التوبة مشيرا الى قدرته بالستر والانعام ومبينا لفائدة انزاله
اليهم هذا الذكر من الرجوع عما تمادت عليه اذهانهم من الكفر وانواع المعاصي انه كان ازلا وابدا غفورا اي بليغ الستر لما يريد من
ذنوب عباده بان لا يعاقبهم عليها ولا يؤاخذهم بها رحيما بهم في الانعام عليهم بعد خلقهم برزقهم وتركيب العقول فيهم ونصب
الادلة لهم وارسال الرسل وانزال الكتب فيهم وامهاله لهم في تكذيبهم اي فليس لامهاله لهم وعظهم بما ينزله اليهم سبب الا رحمته
وغفرانه وعلمه بان كتابه صلاح لاحوالهم في الدارين ولما اتم سبحانه ما اراد من ذكر المنزل والمنزل واخبر عن طعنهم في المنزل
الذي هو المقصود بالذات من الرسالة واقام تعالى بذلك الدليل على كذبهم اتبعه الاخبار عن طعنهم في الرسول الآتي به فقال
متعجبا من عقولهم التي يعد وبها اصفى العقول افكارا واعلاها انارا فيما ابدوه من ذلك مما ظنوا انه دليل على عدم الرسالة ولا يصح
منه تفلح ان يكون شبهة لذي مسكة من امره فضلا عن ان يكون دليلا وقالوا اي مستفهمين تهكما بوصفه قادحين فيه بفعله
قول من هو على ثقة من ان وصف الرسالة ينافيه ما لهذا والاشارة على هذا الوجه تفهم الاستهانة والتصغير ثم اظهروا السخرية بقولهم
الرسول اي الذي يزعم انه انفرد عن بقية البشر في هذا الزمان بهذا الوصف العالي ياكل الطعام اي مثل ما ناكل ويمشي في الاسواق
اي التي هي مطالب الدنيا كما نمشي ولما كانت ترجمة ما مضى ما له مثلنا وهو يدعي الاختصاص عنا بالرسالة اتبعوه التنابيه على عدم
كونه على واحد من وجوه مباينة على سبيل التدلي جوابا لمن كانه قال فماذا يفعل بقولهم لولا اي هلا وهي ها هنا للتوبيخ وهو مراد هم
انزل اي من السماء بن اي منزل كان مسهتيا اليه اي على الهيئة التي هو عليها في السماء ملك اي من ملائكة الله على هيئاتهم المباينة لهيئات
الآدميين فيكون بالنصب جوابا للتحضيض ذلك الملك وان كان هو انسانا معه نذيرا فيكون ممتازا بحال ليس لواحد منا ولا
ليكون اهيب في النذارة لما له من الهيئة والقوة وكانهم عبروا بالماضي اعلاما بان مرادهم كونه في الظهور لهم على غير الهيئة التي يجرم
بها من تجدد نزول الملك عليه في كل حين مستترا اجيث لا ينظره غيره اولان الملك يمكن ان يكون على حالة المصاحبة له للنذارة دائما
لا يتحول عنه بصعود الى السماء ولا غيره بخلاف الكنز فانه للنفقة فان لم يتجدد كل وقت نفد هذا اسر التعبير ما لي دون على التي هي للتعبير
بالوحي ولذا لم يعبروا بالمضارع في قولهم منزل لين على تلك الدرجة او يلقى اي من اي ملق كان ولما كان الالقاء الى على
العلو مع ادات الاستعلاء التي تقدم التعبير بها في هو عليه السلام مع الانزال الى حرف الغاية فقالوا اليه اي ان لم يكن له
تلك الحالة كنز اي يوجد له هذا الامر ويتجدد له العلاوة غير مكترث ولا معبوء به برفعه عن ما لنا العامة من كل وجه وايضا
التعبير في هذا وفي الذي بعده بصيغة المضارع ادل على تكالبهم على الدنيا وانها اكبر همهم ثم تنزلوا ايضا فقولهم او تكون له
ان لم يكن له شيء مما مضى جنة اي بستان او حديقة كما لبعض اكابرنا ياكل منها فتنفرعه كما يتعاطاه في بعض الاحايين من طلب
المعاش ويكون غناه اعزله واجلب للخواطر اليه واحث لعكوف الاتباع عليه واجمع فيما يريد هذا على قراءة الجماعة بالياء التحتية
هذا على قراءة الجماعة وعلى قراءة حمزة والكسائي بالنون يكون المعنى انا اذا اكلنا منها كان ذلك اجلب لنا الى اتباعه وما قالوه كله
فاسد ان لم يدع هو صلى الله عليه وسلم ولا احد من اتباعه انه هو ولا احد من الانبيا قبله مباين للبشر ولان وصفا من اوصاف
البشر الذاتية ينافي النبوة والرسالة واما الاستكثار من الدنيا فهو عائق في الاغلب عن السعر الى دار الكرامة وموطن
السلامة وحامل على التجبر ولا يفرح به الا دنيا الهمم وخفة ذات اليد لا تقدح الا في ناقص يسيل الناس تقربا او تلوحا لا
ارادة لتكميل نفسه بالحطام الفاني وقد شرف الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك بما له من صفات الكمال والاخلاق العوال
ولما كانوا بهذا واضعين الكلام في غير مواضعه بعيدين عن وجه الصواب قال متعجبا من امرهم وقال الظالمون فاظهر
الوصف الموجب لهم ذلك ان اي ما تتبعون ان اتبعتم الا رجلا مسحورا اي يتكلم بما لا يجدي بحالة كذلك حال من غلب على عقله بالسحر
او ساحرا صار السحر له طبعا فهو يفرق بما جاء به بين المرء وزوجه وولده ونحو ذلك وعبروا بصيغة المفعول اشارة الى هذا وهو
انه لكثرة ما يقع منه من ذلك صار كانه يتشاغله عن غير اختياره ولما تم سبحانه ما ذكر من اقوالهم الناشئة عن ضلالهم التفت
سبحانه الى رسوله صلى الله عليه وسلم مسليا له فقال انظر ثم اشار الى التعجب منهم بان ما قالوه يستحق الاستفهام بقوله كيف

ضربوا

ضربوا وقدم ما به العناية فقال لك الامثال فجعلوك تارة مثلهم في الاحتياج الى الغذاء وتارة نظيرهم في التوسل الى التوصل الى
الارباح والفوائد بلطيف الحيلة وغزير العقل وتارة مغلوب العقل مختلط المزاج تاتي بما لا يرضى به عاقل وتارة ساحرا تاتي بما
تعجز عنه قواهم وتحير فيه افكارهم فضلوا اي عن جميع طرق العدل وسائر انحاء البيان بسبب ذلك فلم يجدوا قولا يستقرون عليه
وابعد واحدا فلا يستطيعون في الحال ولا في المآل بسبب هذا الضلال سبيلا اي سلوك سبيل من السبل الموصلة الى ما يستحق
ان يقصد بل هم في مجاهل موحشة وفيافي مهلكة ولما ثبت انه لا وجود لهم لانهم لا علم لهم ولا قدرة وانهم لا يمن لهم ولا بركة
لا على انفسهم ولا غيرهم اثبت لنفسه سبحانه ما يستحق من الكمال الذي يفيض به على من يشاء من عباده ما يشاء فقال تبارك اي ثبت ثباتا
مقترنا باليمن والبركة لا ثبات الا هو الذي ان شاء فانه لا مكره له جعل لك خيرا من ذلك اي الذي قالوه على طريق التهكم ثم
ابدل منه قوله جنات فضلا عن جنة واحدة تجري من تحتها الانهار اي تكون ارضها عيونا نابعة اي موضع اريد منه اجراء نهر جرى
فهي لا تزال ريا تغني صاحبها عن كل حاجة ولا تحوجه في استثمارها الى سقي ولما كان القصر وهو البيت المشيد ليس مما
يستمر فيه الجعل كالجنة التي هي صفتها عبر فيه بالمضارع ابدانا بالتجديد كلما حصل خلل يقدح في مسمى القصر فقال ويجعل
لك قصورا اي بيوتا مشيدة عظيمة تسكنها بما يليق بها من الحشم والخدم قال البغوي والعرب تسمي كل بيت مشيد قصرا
وهذه العبارة الصالحة فيا دهم لعلمهم بان مرسله قادر على ما يريد لكنه سبحانه اغناه عن ذلك بتاييده بالاعوان من الملائكة
والانس والجان حتى اضمحل امرهم وعيل صبرهم ولم يناسبحانه ما اشار اليه في هذه الآية الشريفة في هذه الدنيا الفانية
واخره الى الآخرة الباقية وقد عرض سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم ما شاء من ذلك في الدنيا فاباه روى البغوي من طريق
ابن المبارك والترمذي عن ابي امامة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت
لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك ودعوتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وروى من طريق
ابي الشيخ عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك ان حجزته
لتساوي الكعبة فقال ان ربك يقرا عليك السلام ويقول لك ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل عليه السلام
فاشار الي ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكئا ويقول آكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وسياتي في سورة سبا عنه واسلنا له عين القطر ما يتمم هذا ولا يبعد عندي ان يكون اشير بالآية الشريفة
وان كانت في اسلوب الشرط الى ما فتح عليه صلى الله عليه وسلم من الحدائق التي لم يكن مثلها في بلاد العرب لما فتح الله عليه خيبر ووادي
القرى وتصرف في ذلك بنفسه الشريفة واكل منه والى ما فتح على اصحابه من بعده من بلاد فارس والروم ذات القصور والجنان
التي لا مثل لها ولذلك عبر في الجنات بالماضي وفي القصور بالمضارع وابهوا قصور كسرى بن هرمز فان لا لائق بمقام الملوك ان يكونوا
راتبهم اوسع من عباراتهم فاذا ذكروا شيئا ممكنا على سبيل العرض كان من ارادتهم ايجاده ويحبون ان يكتفي منهم بالايماء وان يعتمد على
تلويحهم اعظم مما يعتمد على تصريح غيرهم وان يعد المعروض منهم بمنزلة المنجز ومن به من غيرهم والممكن في كلامهم كالواجب فما
ظنك بملك الملوك القادر على كل شيء وهو قد صرف سبحانه الخطاب الى اعلا الناس فهما واغزرهم علما وقد اراه
سبحانه بما يكون من ذلك من بعده في غزوة الخندق وروى البيهقي في دلائل النبوة عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق ليحفر جعل على كل عشرة اربعين ذراعا وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه رجلا
قويا فاختلف فيه المهاجرون والانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت فخرجت لهم صخرة بيضاء مدورة
قال عمرو فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبر هذه الصخرة
فاخبره فاخذ صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضربها ثلاث ضربات صدع فيها في كل ضربة صدعا وكسرها في الثالثة
وبرقت مع كل ضربة برقة اضاءت ما بين لابتي المدينة حتى لكان مصباحا في جوف ليل مظلم وكبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع كل برقة تكبيرة ثم اخذ بيد سلمان فرقي فساله سلمان فقال للقوم هل رايتم ما يقول سلمان قالوا نعم
يا رسول الله بابينا انت وامنا قد رايناك تضرب فيخرج برق كالموج فرايناك تكبر لا نرى شيئا غير ذلك فقال اضاءت لي
من البرقة الاولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب ومن الثانية القصور الحمر من ارض الروم كانها انياب
الكلاب ومن الثالثة قصور صنعاء كانها انياب الكلاب واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها فاستبشر
المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صادق بان وعدنا النصر بعد الحصر وطلعت الاحزاب فقال المسلمون هذا ما وعدنا الله
ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقال المنافقون في ذلك ما اشار اليه الله تعالى في القرآن
ثم ان الله تعالى كذب المنافقين وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم واستنقذوا من كنوز كسرى فافتتح اصحابه رضي الله عنهم
جميع ما ذكر وغلبوا على سائر مملكة الفرس واليمن واكثر الروم واستنقذوا من كنوز كسرى وقيصر ما يفوت الحصر وقد كان صلى الله
عليه وسلم تصرف في ذلك من ذلك الوقت تصرف الملاك لان وعد الله لا خلف فيه بل غايبه اعظم من حاضر غيره وموعوده

كنوزهم

لله

او نوى من ياجر سواه فاعطى صلى الله عليه وسلم تميم بن اوس الدارى بلد الخليل عليه السلام من ارض الشام من مملكة الروم واعطى حريم
ابن اوس الذى يقال له شويل كرامه بنت عبد المسيح بن بقيلة من سبى الحيرة من بلاد العراق من مملكة فارس وكل منهم قبض ما اعطاه
عند الفتح كما يعرفه من طالع كتب الفتوح على ايام الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم اجمعين هندى ان هذا انما اشارت اليه
الاية الشريفة نزه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عنه وفتحه على اصحابه تشريفا لهم بازالة اهل الشرك عنه وانعاما
عليهم به تصديقا لوعده واكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم بنصر اوليائه وتكثير امته وحصر ذلك كثير ممن كان من القائلين
ما لهذا الرسول الى اخره وقد كان قادرا على ان يعوضه بجميع ذلك قبل بعد موته ولكنه لم يفعل لان ذلك اوضح فى الامر لانه
نصر على خلاف ما ينصر به اهل الدنيا من غير جنود كثيرة ظاهرة ولا اموال وافرة ولا ملوك معينة قاهرة بل كانت الملوك عليه
ثم صاروا كلهم اهون شىء عليه بيد اصحابه من بعده واجابه ولما ثبت بما اثبت لنفسه الشريفة من الكمال انه لا مانع من ايجاد
ما سالوه مساق التوبيخ الا عدم المشيئة لا لعجز من الجاعل ولا هوان بالمجعول له تسلية له صلى الله عليه وسلم فى اسلوب مشير بانه
يعطيه ذلك سلاه ايضا بان ما نسبوه اليه لا يعتقدونه حقيقته فاضرب عن كلامهم قايلا بل اى لا اظن انهم كذبوا بما جئتهم
لانهم يعتقدونه ويقيل كذبا وافتراء للقرانا ونقصا ما لاكلك الطعام ومشيك فى الاسواق او فى شئ من احوالك او لا يظن
انهم يكذبون بقدرته تعالى على ما ذكر انه ان شاء جعله لك بل او المعنى دع التفكر فيما قالوه من هذا فانهم لم يقتصروا فى التكذيب
عليه بل كذبوا بالساعة اى بعد ربنا علينا واستقر ذلك فى انفسهم دهورا طويلة واخذوه خلفا عن سلف واشربت قلوبهم
حب هذا الحطام الفانى وتعبدت اوهامهم بهذه الظواهر كالبهايم تعسر انفكاكهم عن ذلك بما جاءهم من البيان الذى لا يشكون فيه
فاجترؤا لذلك على العناد فاجترؤا لذلك على العناد لعدم الخوف من اهوال يوم القيمة كما قال تعالى عن اهل الكتاب وغرهم فى دينهم
ما كانوا يفترون واعتدنا اى والحال انا اعتدنا اى هيانا بما لنا من العظمة لمن كذب من هؤلاء وغيرهم بالساعة سعيرا اى نارا
شديدة الاتقاد بما اعطوا الحريق فى قلوب من كذبوهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام واتباعهم رضى الله عنهم اذا رأتهم اى اذا كانت
بحيث يمكن ان يروها وتراهم لو كانت مبصرة من مكان بعيد وهو اقصى ما يمكن رؤيتها منه وهم يساقون اليها سمعوا لها اى خاصة ٧
تغيظا اى صوتا فى غليانها وفورانها كصوت المغيظ فى تحرقه ونكارته اذا غلا صدره من الغضب وزفيرا اى صوتا يدل على تناهى الغضب
وزفيرا واصله صوت يسمع من الجوف ولما وصفها ملاقاتها لهم وصف لقائهم فيها فقال واذا القوا اى طرحوا طرح اهانة
ليجعلوا بايسر امرهم لاقين منها اى النار مكانا ووصفه بقوله ضيقا زيادة فى فظاعتها مقرنين بايسر امر ايديهم الى اعناقهم
فى السلاسل او حبال المسد او مع من اغواهم من الشياطين والتقرين جمع شئ الى شئ فى قرن وهو الحبل دعوا هنالك اى فى ذلك الموضع ٧
البغيض البعيد عن الرفق ثبورا اى هلاكا عظيما فيقولون يا ثبوراه لانه لا منادم لهم غيره وليس بحضرة احد منهم سواه
قال ابن جرير واصل الثبر فى كلام العرب الانصراف عن الشئ فالمعنى حينئذ دعوا انصرافهم عن الجنة الى النار الذى تسببوا فيه بانصرافهم
عن الايمان الى الكفر فلم يكن لهم تمييز الا استحضارهم لذلك تاسفا وتندما فاجيبوا على طريق الاستيناف بقوله تعالى لا تدعوا اليوم
ايها الكفار ثبورا واحدا لانكم لا تموتون اذا حلت بكم اسباب الهلاك وادعوا ثبورا كثيرا لا يا حد الاحصا ولا اخر له فانكم
وتمنيتم فيما يوجب ذلك لان انواع الهلاك لا انبار حكم اصلا ولكنه لا موت ولما كانت عادتهم تجويز الممكن من كل ما
يحذرون منه من الخلق فقضى الحال سؤالهم هل اعد والماهود واية من الخالق عدم امرا لا فى سياق الاستفهام عن المفاضلة بينه
وبين ما وعد المتقون تنبيها على انه اعلى رتبة من الممكن فانه واقع لا محالة وتهكما بهم فقال تعالى قل اذلك اى الامر العظيم الهول
الذى اوعدتموه من السعير الموصوفة ولما كانت عادة العرب فى بيان فضل الشئ دون غيره الاتيان بصيغة افعل تنبيها على
ان سلب الخير عن مقابله لا يخفى على احد او يكون ذلك على طريق التنزل وارخاء العنان تنبيها للعاقل على انه يكفيه فى الرجوع ٧
عن الغى طروق احتمال الكون بما هو عليه مفضولا فقال خير ام جنة الخلد اى الاقامة الدايمة التى وعد المتقون اى وقع الوعد
الصادق المحتم لهم بها عن وعد هو الوعد الذين خافوا فصدقوا بالساعة جاعلين بينهم وبين اهوالها وقاية مما امرتهم به الرسل ثم حقق
تعالى امرها تاكيدا للبشارة بقوله كانت اى تكونت ووجدت بايجاده سبحانه لهم جزاء على تصديقهم واعمالهم ومصيرا
اى مستقرا ومنتهى وذلك مدح الجزاء لانه اذا كان فى محل واسع طيب كان اهنا له ولا كذلك كما ان العقاب اذا كان فى موضع ضيق
شنيع كان انكا واوجع وهو استفهام تقريع وتوبيخ لمن كان يعقل فيجوز الممكنات ولما ذكر تعالى نعيمهم بها ذكر نعيمهم
فيها فقال لهم فيها اى الجنة خاصة لا فى غيرها ما يشاؤن من كل ما تشتهيه انفسهم خالدين لا يبغون عنها حولا كان
اى ذلك كله على ربك اى المحسن اليك بالاحسان الى اتباعك وعدا ولما اشار سبحانه الى ايجاب ذلك على نفسه ٧
العظيمة بالتعبير بعلى والوعد وكان الانسان لا سيما الكريم مجبولا على عزة النفس لا يكاد يسمح بان يسال لما لا يتحقق حصوله قال
مسؤلا اى حقيقا بان يسال انجازه لان سائله خليق بان يجاب سؤاله وتحقق ظنونه وآماله فالمعنى انه اذا انضاف الى تحتيمه
الشئ على نفسه سؤال الموعود به اياه انجزه لا محالة وهو من وادى اجيب دعوة الداعى اذا دعان وفيه حث عظيم على الدعاء وترجيه

كبير للاجابة كما وعد بذلك سبحانه فى اجيب دعوة الداعى وادعونى استجب لكم وان لم يرها الداعى الا بجاز فان الامر على ما رواه
الامام احمد والبزار وابو يعلى قال المنذرى باسانيد جيدة والحاكم وقال صحيح الاسناد عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه بها احدى ثلاث اما ان يعجل له دعوته
واما ان يدخرها له فى الاخرة واما ان يصرف عنه من السوء مثلها قالوا اذا نكثر قال الله اكثر وللحاكم عن جابر رضى الله عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال يدعو الله بالمؤمن يوم القيمة حتى يوقفه بين يديه فيقول عبدى انى امرتك ان تدعونى ووعدتك
ان استجيب لك فهل كنت تدعونى فيقول نعم يا رب فيقول اما انك لم تدعنى بدعوة الا استجيب لك اليس دعوتنى يوم كذا وكذا
لغم نزل بك ان افرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم يا رب فيقول انى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة
اقضيها لك فلم تر قضاها فيقول نعم يا رب فيقول انى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن الا بين له اما ان يكون عجل له فى الدنيا واما ان يكون ادخر له فى الاخرة فيقول المؤمن فى ذلك
المقام يا ليته لم يكن عجل له شئ من دعائه ولابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا فى الدعا فانه لن يهلك مع الدعا احد وللترمذى والحاكم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة وللترمذى وابن ماجة عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لى وفى رواية لمسلم والترمذى لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او
قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا
قال المنذرى يستحسر اى يمل ويعيى فيترك الدعا انتهى وقد فهم من الاية ومن الحديث فى استثناء الاثم وقطيعة الرحم ان ما لا اثم
من سؤاله موعود باجابته ونواله فليدع الانسان به موقنا بالاجابة ولما ذكر لهم حالهم فى الساعة معه سبحانه اتبعه
ذكر حالهم مع معبوداتهم من دونه فقال بالالتفات الى مظهر العظمة فى قراءة الجماعة ويوم اى قل لهم ما امرتك به واذكر لهم يوم يحشرهم
اى المشركين بما لنا من العظمة التى ابرزها فى ذلك اليوم من القبور وقرا ابو جعفر وابن كثير ويعقوب وحفص عن عاصم بالياء التحتية فيكون الضمير
للرب وما يعبدون اى من الملائكة والانس والجن وغيرهم ممن يعقل وممن لا يعقل ونبه على شمول ذلك وعلى عدم اهليتهم بقوله
من دون الله اى الملك الاعلى الذى لا كفوء له وذكرها بلفظ ما اشارة الى ان ناطقها وصامتها جماد بل عدم بالنسبة اليه سبحانه
بما اشار اليه التعبير بالاسم الاعظم الدال على جميع الكمال مع ان ما موضوع على العموم للعقلا وغيرهم وان كان اكثر استعماله فى غير
العقلا وعبر سبحانه بقوله فيقول باعادة ضمير الغيبة بعد التعبير بنون العظمة فى نحشر فى قراءة غير ابن عامر لتقدم الجلالة الشريفة
تحقيقا للمراد ونصا بجانبه واعلاما بان المراد بالنون العظمة لا الجمع وقرا ابن عامر بالنون موحد الاسلوب ءانتم اى ايها المعبودات
بالاء المحق الضمير سوالا عن المضل لان ضلال العبد معروف فلا يسال عنه اضللتم بالقهر والخداع والمكر عبادى هؤلاء حتى عبدوه
كما فى الاية الاخرى ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فى امثالها من الايات وكما فى الحديث القدسى انى خلقت عبادى حنفا كلهم
فاجتالتهم الشياطين ام ولما كان السؤال كما مضى عن الفاعل لا عن الفعل كان لا بد من قوله هم اى باختيار منهم لاهمالهم استعمال
ما اعطيتهم من قويم العقل وشديد النظر ضلوا واوصل الفعل به ونزع كما فى هداه الطريق بدون الى لكثرة الدور وللاشارة
الى قوة الفعل فقال السبيل الذى نهجته ونصبت عليه الادلة القاطعة والبراهين الساطعة قالوا اى المعبودات الحى منهم والجماد
المطيع والعاصى سبحانك اى تنزهت عن ان ينسب الى غيرك قدرة على فعل من الافعال ولما انتج التنزيه انه لا فعل لغيره
سبحانه عبروا عنه بقولهم ما كان ينبغى اى يصح ويتصور لنا ان نتخذ اى نتكلف ان ناخذ باختيارنا من غير ارادة منك من
دونك وكل ما سواك فهو دونك من اولياء اى ينفعوننا فانا مفتقرون الى من ينفعنا لحاجتنا وفقرنا فكيف نترك من بيده كل
شئ وهو اقرب الينا فى كل معنى من معانى الولاية من كل شئ من العلم والقدرة وغيرهما الى من لا شئ بيده وهو ابعد بعيد
من كل معنى من معانى الولاية فلو تكلفنا حملة قربنا لم يكن ذلك وهذه عبارة صالحة سواء كانت من الصالحين من عبيد من الانبيا
والملائكة وغيرهم فان كانت من الصالحين فمعناها ما كان ينبغى لنا ذلك فلم نفعله وانت اعلم كما قال تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس الاية وان كانت من الجمادات فالمعنى ما كنا فى حيز من يقدر على شئ من ذلك ولكن فعلوه بطرا ٧
وان كانت من مثل فرعون فالمعنى ما كان لنا هذا ولكن هم انزلوها هذه المنزلة بمجرد دعائنا لهم كما يقول ابليس فما كان لنا عليهم
من سلطان الا ان دعوناهم فاستجابوا وذلك لعدم نظرهم فى حقائق الامور فالقى الكل الى الله يوميذ السلم فثبت انهم ليسوا
فى تلك الرتبة التى انزلوهم اياها وفايدة السؤال مع شمول علمه تعالى تبكيت العابدين وزيادة حسراتهم واسفهم وتغيظ ٧
المؤمنين اذا سمعوا هذا الجواب هذا مع ما فى حكايته لنا من الموعظة البالغة وقراءة ابى جعفر بالبنا للمفعول بضم النون وفتح الخا
واضحة المعنى اى نتخذ احدا الهة تتولى امورنا ولما كان المعنى انا ما اضللناهم انما اذا قدر من الملائكة ونحوهم تواضع وانما
من غيرهم فان المضل فى الحقيقة هو الله وفى الظاهر بطرهم للنعمة واتباعهم الشهوات التى قصرت بهم عن امعان النظر واوقعتهم

مع الظواهر حسن الاستدراك بقوله ولكن اى ما اضللناهم نحن وانما هم ضلوا بارادتك لانك انت متعتهم وآباءهم فى الحياة الدنيا بما
تستدرجهم به من لطايف المنن واطلت اعمارهم فى ذلك حتى نسوا الذكر الذى لا ينبغى ان يطلق الذكر على غيره وهو الايمان بكل ما ارسلت به
سبحانك رسلك برهان ما نعرفه كل عاقل من نفسه بما وهبته من غريزة العقل من انه لا يصح بوجه ان يكون الاله الا واحدا ابا بين لعاقل
وبين ذكر ذلك الا يسير بامل مع البراءة من شوايب الحظوظ والحاصل انك سببت لهم اسبابا لم يعبدوا على الهداية معها فانت الملك
الفعال لما تريد لا يفعل لاحد سواك وكانوا اى فى علمك بما قضيت عليهم فى الازل قوما بورا هلكى ولما كان هذا امرا واقعا لا
محالة التفت اليهم متبكتا فقال معبرا بالماضى بعد قد المقربة المحققة فقد كذبوكم اى المعبودون كذبوا العابدين بسبب القائهم
السلم المقتضى لانهم لا يستحقون العبادة لكونهم مقهورين مربوبين بما اى بسبب ما تقولون ايها العابدون من انهم يستحقون
العبادة وانهم يشفعون لكم وانهم اضلوكم وفى قراءة ابن كثير بالتحتانية المعنى بما يقول المعبودون من التسبيح لله والادعاء
فى دعائكم انهم اضلوكم ولما تسبب عن القائهم السلم وتخليهم عمن عبدهم انه لا نفع فى ايديهم ولا ضر قال فما تستطيعون
اى المعبودون صرفا اى لشئ من الاشياء عن احد من الناس لا انتم ولا غيركم من عذاب ولا غيره بوجه حيلة ولا شفاعة ولا مفاداة
ولا نصرا بمغالبة وهو نحو قوله تعالى لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ولما كان التقدير فمن يعدل منكم ابتاع هذا
الوعظ بوضع العبادة فى موضعها نثبه جوابا جليلا عطف عليه ما المقام له فقال ومن يظلم منكم بوضعها فى غير موضعها
وباعتقاده فى الرسل ما لا ينبغى من انه لا ينبغى لهم ان يكونوا مثل الناس فى الاكل والطلب لمعيشته ونحو ذلك نذقه فى الدنيا
والآخرة بما لنا من العظمة عذابا كبيرا ولما ابطل سبحانه ما قدحوا به رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر ما جرائهم عليه وما
اعد لهم وله ولاتباعه ونفى ما زعموه فى معبوداتهم وختمه بتعذيب الظالم ذكر ما ظلموا فيه من قولهم مال هذا الرسول ونحوه فبين
ان ما جعلوه من ذلك وصمة فى حقه هو سنته سبحانه فى الرسل من قبله اسوة لنوعهم البشرى واتبعه سن فقال زيادة فى
التسلية والتعزية والتاسية وما ارسلنا بما لنا من العظمة ولما كان المراد العموم اعراه من الجار فقال قبلك اى يا
محمد احدا من المرسلين الا وحالهم انهم ليأكلون الطعام كما تاكل ويأكل غيرك من الادميين ويمشون فى الاسواق كما تفعل
ويفعلون اكلا وحالهم الاكل والمشى لطلب المعاش لحال سائر الادميين وهم يعلمون ذلك لما سمعوا من اخبارهم وهذا تاكيد من الله
تعالى لانهم لا يكذبونه عليه الصلاة والسلام ولا يعتقدون فيه نقصا وابطال لحجتهم بما قالوه من ذلك واقامة للحجة على
عنادهم وانهم انما يقولونه وامثاله لما تقدم من رسوخ التكذيب بالساعة فى نفسهم وجعلنا اى بالعطاء والمنع بما لنا
من العظمة بعضكم لبعض فتنة بان جعلنا هذا نبيا وخصصناه بالرسالة وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا وهذا فقيرا
وحرمناه الدنيا ليظهر ما نعلمه من كل من الطاعة والمعصية فى عالم الغيب للناس فى عالم الشهادة فنختبر الفقير بصبره
على ما حرم مما اعطيه الغنى او جزعه والملك ومن فى معناه من الاشراف بصبرهم على ما اعطيه الرسول من الكرامة والبلوغ
بالقرب من الله الى ما لا يبلغونه مع ما هم فيه من العظمة فلاجل ذلك لم اعط رسولى الدنيا وجعلته ممن يختار العبودية والكفاف
بطلب المعاش فى الاسواق لابتليكم فى الطاعة له خالصة فانى لو اعطيته الدنيا وجعلته ممن يختار الملك لسارع الاكثر
الى اتباعه طمعا فى الدنيا وهذا معنى اتصبرون فانه علة ما قبله اى لنعلم علم شهادة هل تصبرون فيما امتحناكم به ام لا
كما كنا نعلمه علم غيب لتقوم عليكم بذلك الحجة فى مجارى عاداتكم وفى هامع الهلية تهديد بليغ لمن تدبر وجوز ان يكون الاستفهام
استينافا للتهديد ولما كان الاختبار ربما اوهم نقصا فى العلم وكان احسانه سبحانه الى جميع الخلق دون احسانه
الى سيدهم وعينهم وخلاصتهم ودينهم محمد صلى الله عليه وسلم وكان اعلمهم تنزيها وتعظيما وكان امتحانهم بجعله
نبيا عبدا مع كونه فى غاية الاكرام له ربما ظنوه اهانة نفى ما لعله يوهمه كل من الاستفهام والامتحان فى حق الله سبحانه
وحق نبيه صلى الله عليه وسلم فقال صارفا وجه الخطاب اليه وكان ربك اى المحسن اليك احسانا لم يحسنه الى احد
سواك لا سيما بجعلك نبيا عبدا بصيرا بكل شئ فهو عالم بالانسان قبل الامتحان لم يفده ذلك علما لم يكن وهو سبحانه
يضع الامور فى حاق مواضعها وان رئى غير ذلك فينبغى على كل احد التسليم له فى جميع الامور فانه يجر الى خير كبير والتدبر
لاقواله وافعاله بحسن الانقياد والتلقى فانه يوصل الى علم غزير وما اراد بابتلايك بهم وابتلائهم بك فى هذا الاذى
الكبير الا اعلا شانك واسفال امرهم ولتعلمن نباه بعد حين ولما ذكر هذا الابتلا بعد ان ذكر اول السورة ما هو
سبحانه عليه من العظمة من سعة الملك وكثرة الصنائع والاحسان الى جميع الخلق وكان من حق كل مربوب ان يتعرف الى ربه
كائنا من كان لا سيما اذا كان بهذه الصفة لينال من احسانه ويتعزز به على اقرانه اتبع ذلك انه كشف الابتلا عن انه لا
بصر لهم فقال تعالى وقال واظهر فى موضع الاضمار الوصف الذى هو امارة موجب لعمايهم فقال الذين لا يرجون اى ليست
لهم عقول لكونهم نسوا لقاءنا فهم لا يعملون عملا يطمعون فى اثابتنا لهم عليه بعد الموت على ما يعلمون لنا من العظمة التى من
رجاها كانت له فسعد ومن اعرض عنها كانت عليه فهلك فصار لذلك عقولهم تبعا لشهواتهم فصاروا يتعرفون الجمادات

سموها اربابهم ويقصدونها ويسمون لها رجاء للمحال والانهماك فى الضلال تذكرا لرجالهذا الغرض مع انه يلزمه عدم الخوف
لولا اى هلا ولم لا ولما كان مرادهم تجهيلهم ان يروهم كلهم دفعة واحدة عبر بالانزال فقال انزل اى على اى وجه كان من اى
منزل كان علينا الملائكة اى كما انزلت عليه فيما زعم او نرى ربنا بما له الينا من الاحسان وما لنا نحن من العظمة بالقوة بالاموال
وغيرها فيامرنا بما نريد من غير حاجة الى واسطة ولما كان هذا القول مما لا ينبغى لبشر ان يجرى عليه لان فيه اعتراضا على
من لا يحد وصف عظمته ولا تدرك مقاصد حكمته قال مصدرا بحرف التوقع لما ارشد اليه السياق جوابا لمن كانه سال لما حالهم
فى هذا لقد اى وعزتنا لقد استكبروا اى طلبوا بل اوجدوا الكبر ولما لم يكن لكبرهم ثمرة فى الظاهر لانه لا يعود بالضرر
على احد غيرهم قال فى انفسهم اى بطلب رؤية الملائكة ولما كان حاصل امرهم انهم طلبوا رتبة النبى الذى واسطته الملك
وزادوا عليه رؤية جميع الملائكة الاخذين عن الله وزادوا على ذلك بطلب الرؤية قال وعتوا اى جاوزوا الحد فى الاستكبار بما
راموا من طلبهم رؤية جميع الملائكة ورؤية الملك الجبار وزاد فى تاكيد هذا المعنى لاقتضاء المقام له بقوله عتوا كبيرا وبيان انهم
ما قالوا هذا الا عتوا وظلما ان ما جاءهم من الآيات التى اعظمها القرآن دلهم قطعا بعجزهم عن الاتيان بشئ منه على صدقه صلى الله
عليه وسلم عن الله فى كل ما يقوله وفى حسن هذا الاستيناف وفحوى هذا السياق دلالة على التعجب من غير لفظ تعجب فالمعنى
ما اشد استكبارهم واكبر عتوهم ثم بين لهم حالهم عند بعض ما طلبوا فقال يوم وناصبه ما دل عليه لا بشرى يرون الملائكة
اى يوم القيمة او قبله فى الغزوات او عند الاحتضار لا بشرى اى من البشر اصلا يومئذ للمجرمين اى لاحد ممن قطع ما امر
الله به ان يوصل ولبيان ذلك اظهر موضع الاضمار ويقولون اى فى ذلك الوقت حجرا محجورا اى نطلب منعا منكم ممنوعا اى
مبالغا فى مانعيته ويجوز ان يراد بالمفعول الفاعل والمعنى واحد فى انهم يريدون ان يكون بينهم وبين الملائكة مانع عظيم يمنعهم
منهم قال ابو عبيدة وهذا عوذة للعرب يقوله من خاف آخر فى الحرم او فى شهر حرام اذا لقيه وبينهما تره وقال سيبويه
يريد البراءة من الامر ويبعد عن نفسه امرا فكانه قال احرم ذلك حراما محرما وقبل ذلك ان يقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا
فيقول حجرا اى سترا وبراءة من هذا فهذا ينتصب على اضمار الفعل وعبر بالمضارع اشارة الى دوام تجديدهم لهذا القول بعد
مفاجاتهم به حال رؤيتهم لهم لعظيم روعتهم منهم بخلاف ما بعد فانه عبر فيه بالماضى اشارة الى انه كائن لا محالة ولما كان المريد
لابطال الشئ لشدة كراهته له لا يقنع فى ابطاله بغيره بل ياتيه بنفسه فيبطله عبر بقوله وقدمنا اى بما لنا من العظمة الباهرة فى
ذلك اليوم الذى يرون فيه الملائكة سواء كان فى الدنيا او الآخرة الى ما عملوا من عمل اى من مكارم الاخلاق من الجود وصلة الرحم والحلم
والنجدة فى الخير واغاثة الملهوف ونحوه فجعلناه لكونه لم يؤسس على الايمان وانما هو للهوى والشيطان باطلا لا نفع فيه وهو
معنى هباء وهو ما يرى فى شعاع الشمس الداخل من كوة مما يشبه الغبار فهو اشبه شئ بالعدم لانه لا نفع له اصلا ولما كان الهباء
يرى مع السكون منتظما فاذا حركته الريح تناثر وذهب كل مذهب فعظم دخوله فى حيز العدم مع انه محسوس قال مبلغا فى وصف
اعمالهم منثورا وهو صفته وقيل مفعول ثالث لجعلنا الذى جعلنا الاعمال جامعة لحقارة الهباء والتناثر اصلا ولما علم من هذا
ان التقدير فكانوا بحيث انهم لا قرار لهم اذ كانت النار مقيلهم تلاه بحال اضدادهم فقال اصحاب الجنة يومئذ اى يوم اذ يرون
الملائكة خير مستقرا اى مكانا يصلح للاستقرار لطيبه ويكونون فيه فى اكثر اوقاتهم مستقرين على سرر متقابلين يتحادثون
اشارة الى ان منزل اولئك لا يمكن الاستقرار فيه واحسن مقيلا اى مكانا يكون فيه الاستراحة فى مثل وقت القيلولة للاسترواح
بازواجهم والتمتع بما يكون فى الخلوات دون ان وقت الحساب على طوله يقصر على المومنين حتى يكون كما من اول النهار الى وقت القايلة
فيقيلون فى رياض الجنة حتى يفرغ الناس من الحساب وعبر بافعل التفضيل تهكما بهم او انه عبر بذلك لما كان الكلام عاما لاحوال
الدنيا والآخرة وهم قاطعون بانهم فى الدنيا احسن حالا من المومنين لما هم فيه من السعة فى المال والكثرة والقوة وبلفظ الحسن اشارة
الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور ونحوه ولما كان للكفرة فى هذه الدار من العز والقوة والفخامة ما
يتعجبون معه من مصير حالهم وحال اخصامهم الى ما ذكر بين ان الامر فى ذلك اليوم على غير ما نعهده فقال عاطفا على يوم يرون ويوم
تشقق اى تشققا عظيما وان كان فيه خفا على البعض بما اشار اليه حذف تائه السماء بالغمام اى كما تشقق الارض بالنبات
فيخرج من خلال شقوقها واشار الى حمل من طلبوا انزالهم دفعة واحدة بقوله ونزل اى بالتدريج بامرهم لا يمكنهم التخلف عنه
بامر من لا امر لغيره الملائكة الذين طلبوا ان يروهم فى حال واحد تنزيلا اى بايديهم صحايف الاعمال قال ابن عباس رضى الله عنهما
تنشق السماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر من اهل سماء الدنيا ممن فى الدنيا من الجن والانس ثم تشقق السماء الثانية فينزل
اهلها وهم اكثر من اهل السماء الدنيا واهل الارض جنا وانسا ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة واهل كل سماء يزيدون على اهل السماء
التى قبلها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش ولما كان ذلك اليوم سببا لانكشاف الامور ومعرفة انه لا ملك
لسواه سبحانه لانه لا يقضى فيه غيره قال الملك يومئذ اى اذ تشقق السماء بالغمام ثم وصف الملك بقوله الحق اى الثابت
معناه ثباتا لا يمكن زواله ثم اخبر عنه بقوله للرحمن اى العام الرحمة فى الدارين ومن عموم رحمته وحقية ملكه ان يسر قلوب

اهل وده وبتعذيب اهل عداوته الذين عادوهم فيه لتضييعهم الحق باتباع الباطل ولولا اتصافه بالرحمة لم يدخل احدا الجنة ومعنى
التركيب ان ملك غيره في ذلك اليوم انما هو بالاسم الذي تقدم له في الدنيا تسميته به فقط لا حكم له اصلا ولا ظاهرا كما كان في
الدنيا **وكان** اي ذلك اليوم الذي تظهر فيه الملائكة الذين طلب الكفار رؤيتهم **يوما على الكافرين** اي فقط **عسيرا** شديد
العسر والاستعسار ... كان حاصل حالهم انهم جانبوا اشرف الخلق الهادي لهم الى كل خير وصاحبوا غيره ممن يقودهم
الى كل شر بين عسر ذلك اليوم الذي انما اوجب جراءتهم تكذيبهم به بتناهي ندمهم على فعلهم هذا فقال **ويوم يعض الظالم** اي لفرط
تأسفه لما يرى فيه من الاهوال **على يديه** اي كليهما فيكاد يقطعهما لشدة حسرته وهو لا يشعر حال كونه مع هذا الفعل
يقول اي يجدد في كل لحظة قوله **يا ليتني اتخذت** اي اخذت بغاية جهدي وكلفت نفسي ان اخذ في الدنيا **مع الرسول سبيلا** اي عملا واحدا
من الاعمال التي دعاني اليها واطعته طاعة ما لما انكشف لي في هذا اليوم من ان كل من اطاعه ولو لحظة حصلت له سعادة
بقدرها وعض اليد والانامل وحرق الاسنان ونحو ذلك كناية عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما فتذكر الرادفة دلالة على
المردوف فيرتفع الكلام في طبقة الفصاحة الى حد يجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند
المكني عنه **ولما** تأسف على مجانبة الرسول تندم على مصادقة غيره بقوله **يا ويلتى** اي يا هلاكي الذي ليس لي منادم غيره
لانه ليس يحضرني سواه ... كان يريد محالا عبر باداته فقال **ليتني لم اتخذ فلانا** يعني الذي اضلني بتسميته باسمه وانما
كنى عنه وهو سبحانه لا يخاف من المناداة ولا يحتاج الى المداجاة ارادة للعموم وان كانت الآية نزلت في ظالم معين **خليلا**
اي صديقا اوافقه في اعماله لما علمت من سوء عاقبتها ثم استانف قوله الذي يتوقع كل سامع ان يقوله **لقد** اي والله لقد **اضلني
عن الذكر** اي عمى على القران الذي لا ذكر في الحقيقة غيره وصرفني عنه والجملة في موضع العلة لما قبلها **بعد اذ جاءني** ولم يكن
لي منه مانع يظهر عن اضلاله **ولما** كان التقدير ثم ها هو قد خذلني احوج ما كنت الى نصرته عطف عليه قوله **وكان الشيطان**
اي كل من كان سببا للضلال من عتاة الجن والانس **للانسان خذولا** اي شديد الخذلان يورده ثم يسلمه الى اكره ما يكره لا ينصحه
ولو اراد لما استطاع بل هو في شر من ذلك لان عليه اثمه في نفسه ومثل اثم من اضله **ولما** ذكر سبحانه اقوال الكفار الى
ان ختم بالاضلال عن الذكر وكان من انواع اظهارهم للتكذيب به وانه مشتغل في غاية الطرب له والاهتزاز به والتعجب منه والمعرفة
بانه يكون له نبا اشار الى ذلك بقوله عاطفا على وقالوا ما لهذا الرسول معظما لهذه الشكاية منه صلى الله عليه وسلم تخويفا
لقومه لان الرسل قبله عليهم السلام كانوا اذا اشتكوا انزل بقومهم عذاب الاستئصال **وقال الرسول** يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم **يا رب** ايها المحسن الي بانواع الاحسان الذي اعظمه الرسالة وعبر باداة البعد هضما لنفسه مبالغة في التضرع
ان قومي اي قريشا الذين لهم قوة وقيام ومنعة **اتخذوا** اي بتكليف انفسهم ضد ما تحمل **هذا القران** اي المقتضي للاجتماع عليه
والمبادرة اليه **مهجورا** اي متروكا فاشار بصيغة الافتعال الى انهم عالجوا انفسهم في تركه علاجا كثيرا لما يرون من حسن نظمه
ويذوقون من لذيذ معانيه ورائق اساليبه ولطيف عجائبه وبديع غرائبه كما تعرف به قصة ابي جهل وابي سفيان بن حرب والاخنس
ابن شريق حتى كانوا يستمعون لقراءته ليلا كل واحد منهم في مكان لا يعلم به صاحباه ثم يجمعهم الطريق اذا اصبحوا فيتلاومون
ويتعاهدون على ان لا يعودوا ثم يعودون حتى فعلوا ذلك ثلاث ليال ثم اكدوا على انفسهم العهود حتى تركوا ذلك كما هو مشهور في
السير **ولما** كان في هذا الكلام معنى الشكاية وشدة التحرق وعظيم التحزن كما يشير اليه اثبات يا التي للبعد على خلاف ما
جرت به العادة في نداء الخواص الذين هم اخصهم والاستفهام عن سبب هجرانهم له مع ما لهم اليه من الدواعي كان كانه قيل ذلك باق من
فعله عادا لحسدا لك وعطف عليه **وكذلك** اي ومثل ما فعلنا من هذا الفعل العظيم وانت اعظم الخلق لدينا **جعلنا** بما لنا
من العظمة **لكل نبي** اي من الانبياء قبلك رفعة لدرجاتهم **عدوا من المجرمين** الذين طبعناهم على الشغف بقطع ما يقتضي الوصل
فاضللناهم بذلك اهانة لهم فاصبر كما صبروا فاني ساهدي بك من شئت وانصرك على غيرهم واكرم قومك عن عذاب الاستئصال
تشريفا لك ... كان هذا موطنا تتعلق فيه النفوس مشوفة الى الهداية بعد هذا الطبع والنصر بعد ذلك الجعل كان
كانه قيل لا تحزن فلنجعلن لك ولنا من نهديه للايمان ولننصرنهم على عدوهم كما فعلنا بمن قبلك بل اعظم حتى تفضي امم من
ذلك العجب ولا يسعهم الا الخضوع لهم والدخول في ظلال عزكم **ولما** كان ذلك لكثرة المعادين امرا يجول له الاستبعاد
قال عاطفا على ما تقديره ثم نصر اخوانك من الانبياء عليهم السلام على من جعلهم اعداءهم ربك الذي ارسلهم **وكفى بربك** اي المحسن
اليك **هاديا** يهدي بك من قضى بسعادته **ونصيرا** ينصرك على من حكم بشقاوته **ولما** ذكر سبحانه شكايته من هجرانهم
للقران وقرر عداوتهم له ونصرته عليهم اتبع ذلك بما يدل عليه فقال عاطفا على ما مضى من الاشياء في الشبه والظاهر
موضع الاضمار تنبيها على الوصف الذي حملهم على هذا القول **وقال الذين كفروا** اي غطوا اعداوة وحسدا ما تشهد عقولهم
بصحته من ان القران كلام الله لاعجازه لهم متفرقا فضلا عن كونه مجتمعا وغطوا ما وضح لهم من اثاره الظاهرة الشاهدة لوحدانيته
وغير ذلك من صفاته العلية **لولا** اي هلا **ولما** كانوا لشدة ضعفهم لا يكادون يسمحون بتسمية القران تنزيلا

فضلا عن ان يسندوا انزاله الى الله تعالى نبوا المعقول في هذه الشبهة التي اوردوها قولهم **نزل عليه** عبروا به
بصيغة المفعول التفعيل المشيرة الى التدريج والتفريق استجلابا للسامع لئلا يعرض عنهم اشارة الى ان ذلك غير مراد فقالوا
القران اي المقتضي اسمه للجمع ثم صرحوا بالمراد بقولهم **جملة** واكدوا بقولهم **واحدة** اي من اوله الى آخره بمرة ليتحقق انه من عند
الله ويزول عنا ما نتوهمه من انه هو الذي يرتبه قليلا قليلا فنعتبرهم بما يدل على التفريق ثم يبلغ في مرادهم فانهم ارغبوا السامع
في الاقبال على كلامهم بتوطينه على ما يقارب مراده ثم ازالوه بالتدريج انهم ازالوه فكان في ذلك من المناجاة بالروعة
والانماط بما امل من المقاربة ما لم يكن في ازل والله اعلم **ولما** كان التقدير وما له ينزل عليه متفرقا وكان للتفريق
فوائد جليلة اشار سبحانه الى عظمتها بقوله معبرا للاشارة الى ما اشتملت عليه من العظمة باداة البعد **كذلك** اي انزلناه
شيئا فشيئا على هذا الوجه الذي انكروه **لنثبت به فؤادك** بالاعانة بتردد الرسل بيننا وبينك وبتمكينك وتمكين اتباعك
من تفهم المعاني وتخفيفا للاحكام في تحملها اهل الاسلام بالتدريج على حسب المصالح ولتاتي الحكمة في الناسخ والمنسوخ
لما رتب فيه من المصالح وتسهيلا للحفظ لا سيما والامة امية لا تقرا ولا تكتب وتلقينا للاجوبة في اوقاتها وتعظيما للاعجاز
لان ما تحدى بنجم منه فعجز عنه علم ان العجز عن اكثر منه اولى فالحاصل ان التفريق ادخل في باب الاعجاز وفي كل حكمة فعلم
ان هذا الاعتراض فضول ومماراة من ضيق العطن وقلة الحيلة وحرج الحظيرة دأب المقطوع المبهوت لان المدار الاعجاز
واما كونه جملة او مفرقا فامر لا قادح لهم فيه وليست الاشارة بجملته محتملة لان يكون للكتب الماضية لان نزولها انما كان منجما
كما بينته في سورة النساء بنص التوراة المشير اليه نص كتابنا لا كما يتوهمه كثير من الناس ولا اصل له الا كذب من بعض اليهود
اليهود شبهوا بها على اهل الاسلام فمشت على اكثرهم وشرعوا يتكلفون لها اجوبة واليهود الآن معترفون بان التوراة نزلت
في نحو عشرين سنة والله الموفق **ولما** كان انزاله مفرقا احسن الكل بقوله عطفا على الفعل الذي تعلق به كذلك **ورتلناه**
ترتيلا اي فرقناه في الانزال اليك تفريقا في نيف وعشرين سنة وقال البغوي قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين
في ترسل وتثبت انتهى واصله ترتيل الاسنان وتفليجها كنور الاقحوان **ولما** كان التقدير فقد بطل ما اتوا به
من هذا الاعتراض عطف عليه قوله **ولا ياتونك** اي المشركون **بمثل** اي باعتراض في ابطال امرك يخيلون به لعقول الضعفاء
بما يجتهدون في تنميقه وتحسينه وتدقيقه حتى يصير عندهم في غاية الحسن والرشاقة لفظا ومعنى **الا جئناك** اي في
جوابه **بالحق** ومن الالف واللام الدالة على الكمال العرف ان المراد به الثابت الذي لا شيء اثبت منه فيزهق ما اتوا به لبطلانه
ويفتضح بعد ذلك الستر فضيحة تخجل القائل والسامع القابل ... كان التقدير في الاصل بالحق منه وانما عبر
بالحق كيلا يفهم ان لما ياتون به وجها في الحقية عطف عليه قوله **واحسن** اي من مثلهم **تفسيرا** اي كشفا لما غطي الفهم
من ذلك الذي جلوا به وادعوا انهم اوضحوا به وجها من وجوه المطاعن لحيرة اكثر السامعين بحسنه **ولما** انتجت
هذه الآيات كلها انهم معاندون لربهم وانهم يريدون بهذه السؤالات ان يضلوا سبيله ويحقروا امكانته ويهددوا
منزلته علم قطعا انه يعمهم دار الشقا وكان ذلك ادل دليل على انهم اعمى الناس عن الطرق المحسوسة فضلا عن الامثال
المعلومة والتفسير للمدارك الغامضة وانهم احقر الناس لانه لا ينتقص الافاضل الا ناقص ولا يتكلم الانسان الا فيما هو
خير منه قال معادلا لقوله اصحاب الجنة يومئذ خير واضعا لما تقدم انه اظهر موضع الاضمار من قوله الذين كفروا **الذين
يحشرون** اي يجمعون قهرا ماشين مقلوبين **على وجوههم** او مسحوبين **الى جهنم** كما انهم في الدنيا كانوا يعملون ما كانهم معه لا يبصرون
ولا نظر لهم في انفسهم تؤزهم الشياطين ازا فان الآخرة مرآة الدنيا مهما عمل هنا رؤي هناك كما ان الدنيا مزرعة للآخرة
مهما عمل فيها جنيت ثمرته هناك روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة
قال اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة يعني الراوي عن انس بلى وعزة ربنا
ولما وصف المتعنتين في امر القران بهذا الوصف استانف الاخبار بانهم متصفون بما رموا به من ان الاتيان
بالقران مفرقا وضع للشيء في غير موضعه **اولئك** اي البعداء البغضاء **شر** اي شر الخلق **مكانا واضل سبيلا** حيث عموا عن
طريق الجنة التي لا اجلى منها ولا اوسع وسلكوا طريق النار التي لا اضيق منها ولا اوعر وعموا عن ان القران نجوما اولى لما تقدم
من اللطائف وغيرها مما لا يحيط به الا الله تعالى وسبيلا تمييز محول عن الفاعل اصله ضل سبيلهم واسناد الضلال اليه
من الاسناد المجازي **ولما** بين انهم كذبوه وعادوه واشار بآية الحشر الى جهنم الى انه لا يهلكهم بعامة عطف على عامل النبت
تسلية له وتخويفا لهم قوله **ولقد اتينا** اي بما لنا من العظمة **موسى الكتاب** كما اتيناك بينا فيه الشرائع والسنن والاء
وجعلناه هدى ورحمة وانزلناه اليه منجما في نحو عشرين سنة يقال انها ثماني عشرة كما انزلنا اليك هذا القران في
نيف وعشرين سنة كما بينت ذلك في آخر سورة النساء وغيرها على ان احدا ممن طالع التوراة لا يقدر على انكار ذلك فانه بين
من نصوصها وزاد في التسلية بذكر الوزير لان الرد للاثنين ابعد وفيه اشارة الى انه لا ينفع في ايمانهم ارسال

ملك كما اقترحوا ليكون معه نذيرا فقال وجعلنا بما لنا من العظمة معه اخاه ثم بينه بقوله هرون وبين محط الجعل بقوله
وزيرا اى معينا فى كل امر بعثناه به وموضع ذلك نبى ولا نبا فى بين الوزارة والنبوة ولما كانت الواو لا ترتب فلم
يلزم من هذا ان يكون هذا الجعل بعد انزال الكتاب كما هو الواقع رتب عليه قوله فقلنا اى بعد جعلنا له وزيرا ولما
كان المقصود هنا من القصة التسلية والتخويف ذكر حاشيتيها اولها واخرها وبها الزام الحجة والتدمير فقال
اذهبا الى القوم اى الذين فيهم قوة وقدرة على ما يحاولونه وهم القبط الذين كذبوا باياتنا اى المرئية والمسموعة من الانبيا الماضين
قبل اتيانكما فى عالم الشهادة والمرئية والمسموعة منكما بعد اتيانكما فى علمنا فذهبا اليهم فكذبوهما فيما اراياهم واخبراهم
من الايات لما طبعناهم عليه من الطبع المهيئ لذلك ولما كان السياق للانذار بالفرقان طوى امرهم الا فى عذابهم فقال
فدمرناهم اى لذلك تدميرا باغراقهم اجمعين على يد موسى عليه السلام فى البحر لم نبق منهم احدا مع ما اصبناهم به قبل ذلك
من المصائب مع اجتهاد موسى عليه السلام فى احيائهم بالايمان الموجب لابقائهم فى الدارين عكس ما فعلنا بموسى عليه السلام
من النجاة من الهلاك بالغاية فى اليم وابقائه مع اجتهادهم فى اعدامه وجعلنا لكل منهما حظا من جرم هذا الملح الاجاج موعظا حمهم
وهذا عذب فرات عنصرا من الجنة فليحذر هؤلاء الذين تدعوهم من مثل ذلك ان يفعلوا مثل فعل اولئك ولما هدد المكذبين
باهلاك الاولين الذين كانوا اقوى منهم واكثر وقدم قصة موسى عليه السلام لمناسبة الكتاب فى نفسه اولا وفى نجيحه
ثانيا اتبعه اول الامم لانهم اول ولما فى عذابهم من الهول ولمناسبة ما بينه وبين عذاب القبط فقال وقوم اى ودمرنا قوم
نوح لما كذبوا الرسل لتكذيبهم نوحا لان من كذب واحدا من الانبيا بالفعل فقد كذب الكل بالقوة لان المعجزات هى البرهان
على صدقهم وهى متساوية الاقدام فى كونها خوارق لا يقدر على معارضتها فالتكذيب بشئ منها تكذيب بالجميع لانه لا فرق
ولانهم كذبوا من مضى من الانبيا عليهم السلام فيما سمعوه من اخبارهم ولانهم عللوا تكذيبهم بانه من البشر فلزمهم تكذيب كل رسول
من البشر كان كانه قيل باى شئ دمروا فقال اغرقناهم كما اغرقنا الفرعون باعظم مما اغرقناهم به وجعلناهم
اى قوم نوح فى ذلك للناس آية اى علامة على قدرتنا على ما نريد من احداث الماء وغيره واعدامه والتصرف فى ذلك بكل ما نشاء
كان من نريد بما اهلكنا به عدوه واعتدنا اى هيأنا تهيئة قريبة جدا واحضرنا على وجه ضخم شديد تام التقدير وكان
الاصل لهم ولكنه اظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال للظالمين اى كلهم فى اى زمان كانوا لاجل ظلمهم بوضعهم الاشيا فى غير
مواضعها عذابا اليما لا سيما فى الاخرة ولما ذكر احد الامم المهلكة بعامة واولها وكان اهلاكهما بالما ذكر من بينهما ممن اهلك
بغير ذلك اظهارا للقدرة والاختيار وطوى خبرهم بغير العذاب لانه مما مضى فى سياق الانذار فقال وعادا اى ودمرنا عادا
بالريح وثمودا بالصيحة واصحاب الرس اى البئر التى هى غير مطوية قال ابن جرير والرس فى كلام العرب كل محفور مثل البئر
والقبر ونحو ذلك اى دمرناهم بالخسف وقرونا بين ذلك الامر العظيم المذكور وهو بين كل اثنين من هذه الامم كثيرا هى
مما يقول فيه العلى الكبير انه كثير اسند البغوى فى تفسير امة وسطا فى البقرة عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر فما ترك شيئا الى يوم القيمة الا ذكره فى مقامه ذلك حتى اذا كانت
الشمس على رؤس النخل واطراف الحيطان فقال اما انه لم يبق من الدنيا فيما مضى الا كما بقى من يومكم هذا الا وان هذه الامة
توفى سبعين امة هى اخرها واكرمها على الله عز وجل واخرجه الترمذى فى الفتن واحمد والطبرانى وابن ماجة فى الفتن ايضا
لكن ببعضه وليس عند واحد منهم اللفظ المقصود من السبعين امة وفى بعض الفاظهم وجعلنا نلتفت الى الشمس هل بقى منها
شئ وهذا يدل على ان الذى كان قد بقى من النهار نحو العشر من العشر وهذا يقتضى اذا اعتبرنا ما مضى لهذه الامة من الزمان
ان يكون الماضى من الدنيا من خلق ادم عليه السلام فى يوم الجمعة الذى يلى الستة الايام التى خلقت فيها السموات والارض
اكثر من مائة الف سنة والله اعلم ولما قدم سبحانه انه يأتى فى هذا الكتاب بما هو الحق فى جواب امثالهم بين انه فعل بالجميع
هذا فقال تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم وتاسية وبيانا لتشريفه بالعفو عن امته وكلا اى من هذه الامم
ضربنا بما لنا من العظمة له الامثال حتى وضح له السبيل وقام من غير شبهة الدليل وكلا تبرنا تتبيرا اى جعلناهم
فتاتا قطعا بليغة التقطيع والتكسير لا يمكن غيرنا ان يصلها ويعيدها الى ما كانت عليه قبل التفتيت ولما ذكر
الاهلاك بالماء وبغيره وكان الاهلاك بالماء تارة بالبحر وتارة بالامطار وختم بالخسف ذكر الخسف الناشى عن الامطار
بحجارة النار مع الغمر بالماء دلالة على تمام القدرة وباهر العظمة وتذكيرا بما يرونه كل قليل فى سفرهم الى الارض المقدسة
هم وافتتح القصة باللام المؤذنة بعظيم الاهتمام مقرونة بحرف التحقيق اشارة الى انهم لعدم الانتفاع بالايات
كالمنكرين للمحسوسات وغير الاسلوب تنبيها على عظيم الشان وهز السامع فقال ولقد اتوا على القرية اى هؤلاء
المكذبون من قومك وقال على القرية وان كانت مدائن سبعا او خمسا كما قيل تحقيرا لشانها فى جنب قدرته سبحانه واهانة
لها بسبب عذابه ودلالة على جمع الفاحشة لهم حتى كانوا كانهم شئ واحد كما دل عليه التعبير بمادة قرا الدالة على الجمع

التى امطرت اى وقع امطارها ممن لا يقدر على الامطار سواه بالحجارة ولذا قال مطر السوء وهى قرى قوم لوط ثم خسف بها
وغمرت بماء ليس فى الارض مثله فى انواع الخبث قال البغوى كانت خمس قرى فاهلك الله اربعا منها ونجت واحدة وهى صغر
وكان اهلها لا يعملون العمل الخبيث ولما كانوا يمرون عليها فى اسفارهم وكان من حقهم ان يتعظوا بحالهم فيرجعوا عن ضلالهم
تسبب عن ذلك استحقاقهم للانكار الشديد فى قوله افلم يكونوا اى بما فى جبلاتهم من الاخلاق العالية يرونها اى فى اسفارهم
الى الشام ليعتبروا بما حل باهلها من عذاب الله فيتوبوا ولما كان التقدير بلى راوها اضرب عنه بقوله بل اى لم يكن
تكذيبهم بسبب عدم رؤيتها وعدم علمهم بما حل باهلها بل بسبب انهم كانوا يكذبون بالقيمة كانه لهم طبع
كان عود الانسان الى ما كان من صحته محبوبا له كان ينبغى لهم لو عقلوا ان يعلقوا رجاءهم بالبعث لانه رجوع الى الحياة
فهو كرجوع المريض لا سيما المدنف الى الصحة فلذلك قال معبرا بالرجا منبها على هذا لا يرجون نشورا بعد الموت ليخافوا الله
عز وجل فيخلصوا له فيجازيهم على ذلك لانه استقر فى انفسهم اعتقادهم التكذيب بالاخرة واستمروا عليه قرنا بعد قرن حتى تمكن
تمكنا لا ينفع معه الاعتبار الا لمن شاء الله ولما اثبت تكذيبهم بالاخرة عطف عليه تحقيقا له قوله مبينا انهم لم
يقتصروا على التكذيب بالممكن المحبوب حتى ضموا اليه الاستهزاء بمن لا يمكن اصلا فى العادة ان يكون موضعا للهزء واذا راوك
اى مع ما يعلمون من صدق حديثك وكرم افعالك لو لم تاتهم بمعجزة فكيف وقد اتيتهم بما بهر العقول ان اى ما يتخذونك الا هزوا
عبر بالمصدر اشارة الى مبالغتهم فى الاستهزاء مع شدة بعده صلى الله عليه وسلم عن ذلك يقولون محتقرين اهذا وتهكموا مع الانكار
فى قولهم الذى بعث الله اى المستجمع لنعوت العظمة رسولا فاخراجهم الكلام فى معرض التسليم والاقرار وهم فى غاية الجحود
بالغ الذروة من الاستهزاء فصار المراد عندهم ان هذا الذى ادعاه من الرسالة مما لا يجوز ان يعتقد ثم استانفوا معجبين من
انفسهم بتخليص غيرهم من الالتفات الى ما ياتى به من المعجزات قائلين ان اى انه وعرف بان ان مخففة لاتيانه باللام فقال ليضلنا
اى بما ياتى به من هذه الخوارق التى لا يقدر غيره على مثلها واجتهاده فى اظهار النصح عن الهتنا هذه التى سبق الى عبادتها من هو افضل
منا راايا واكثر للامور تجربة كانت هذه العبادة مغمة لمفارقة الطرف عن الاصنام نفوه بقولهم لولا ان صبرنا بما
لنا من الاجتماع والتعاضد عليها اى على التمسك بعبادتها ولما لزم قولهم هذا ان الاصنام تغنى عنهم نفاه مهددا
مؤكدا التهديد لفظاعة ظلمهم بقوله عطفا على ما تقديره فسوف يرون او من يرى منهم اكثرهم قد رجع عن اعتقاد ان هذه هى
الاصنام الهة وسوف يعلمون اى فى حال لا ينفعهم فيه العمل وان طالت مدة الامهال والتمكين حين يرون العذاب اى فى
الدنيا والاخرة من اضل سبيلا هم او الداعى لهم الى ترك الاصنام الذى ادعوا اضلاله بقولهم ليضلنا اخبره
تعالى بحقيقة حالهم فى ابتدائهم وما لهم وكان ذلك مما يحزنه صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على رجوعهم ولدوم ما ينفعهم
واجتناب ما يضرهم سلاه بقوله معجبا من حالهم ارايت من اتخذ اى كلف نفسه ان اخذ الهه هواه اى انهم جعلوا الالهة
بانزاله الى رتبة الهوى فهم لا يعبدون الا الهوى وهو ميل الشهوة وترامى النفس الى الشئ لا شبهة لهم اصلا فى عبادة
الاصنام يرجعون عنها اذا حلت فهم لا ينفكون عن عبادتها ما دام هواهم موجودا فلا يقدر على كفهم عن ذلك الا القادر
على صرف تلك الاهوا وهو الله وحده فلا يقدر على كفهم عن ذلك الا القادر وهذا كما تقول فلان اتخذ سميره كتابه اى
انه قصر نفسه على مسامرة الكتاب فلا يسامر غير الكتاب وقد يشاركه فى مسامرة الكتاب غيره ولو قلت اتخذ كتابه سميره
لانعكس الحال فكان المعنى انه قصر نفسه على مطالعة السمير ولم ينظر فى كتاب فى وقت السمر وقد يشاركه غيره فى السمير او
قصور السمير على الكتاب والكتاب على السمير كما قصر الطين على الخزفية فى قولك اتخذت الطين خزفا فالمعنى ان هذا المذموم
قصر نفسه على تاله الهوى فلا صلاح له ولا ارشاد وقد يشاركه الهوى غيره ولو قيل من اتخذ الهه هواه لكان المعنى انه
قصر هواه على الاله فلا غى له لان هواه تابع لامر الاله وقد يشاركه فى تاله الاله غيره قال ابو حيان والمعنى انه لم يتخذ
الها الا هواه انتهى فلو عكس لقيل لم يتخذ هوى الا الهه وهو اذا فعل ذلك فقد سلب نفسه الهوى فلم يعمل به الا فيما
وافق امر الهه ومما يوضح لك انعكاس المعنى بالتقديم والتاخير انك لو قلت فلان اتخذ عبده اباه لكان معناه انه
عظم العبد ولو قيل انه اتخذ اباه عبده لكان معناه انه اهان الاب وسواء فى ذلك اتيانك به هكذا على وزان ما
فى القران او نكرت احدهما فانك لا تجد يعرف فيه يختلف فى انه اذا قدم الحقير شرفه واذا قدم الشريف حقره
وكذا لو قلنا اتخذ اصطبله مسجدا او صديقه ابا او عكست ولو كان التقديم لمجرد العناية من غير اختلاف فى الدلالة
قدم فى الجاثية الهوى فان السياق والسباق له وحاصل المعنى انه اضمحل وصف الاله ولم يبق الا الهوى ولو قدم
الهوى لكان المعنى انه زال وغلبت عليه صفة الاله فلم يكن النظر الا اليه ولا الحكم الا له كما فى الطين بالنسبة
الى الخزف سوا والله اعلم ولما كان لا يقدر على صرف الهوى الا الله تسبب عن شدة حرصه على هدايتهم قوله افانت
تكون ولما كان مراده صلى الله عليه وسلم حرصا عليهم ورحمة لهم ردهم عن الغى ولا بد عبر باداة الاستعلاء فى قوله

عليه وكيلا اي من قبل الله بحيث يلزمك ان ترده عن هواه الى ما امر به قسرا الله لست بوكيل ولكنك رسول ليس عليك الا
البلاغ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات انتفى الردع عن الهوى قسرا بالوكالة نفى الرد طوعا بتقبيح الضلالة
تذكر المانع منه بقوله معادلا لما قبله منكرا حسبانه لا كونه هو الحاسب وانكر كونه هو الحاسب مع ماله من العقل الرزين
والراي الرصين ويكون يحسب معطوفا على يكون أم تحسب أن أكثرهم اي هؤلاء المدعوين يسمعون اي سماع من ينزجر ولو
كان غير عاقل كالبهائم أو يعقلون ما يرون ولو لم يكن لهم سمع حتى يطمع في رجوعهم باختيارهم من غير قسر ولما كان
هذا الاستفهام مفيدا للنفي اثبت ما افهمه بقوله إن اي ما هم إلا كالأنعام اي في عدم العقل لعدم الانتفاع به
بل هم أضل اي منها سبيلا لانهم لا ينزجرون بما يسمعون وهي تنزجر ولا يشكرون للمحسن وهو وليهم ولا يجانبون المسي
وهو عدوهم ولا يرغبون في الثواب ولا يخافون العقاب وذلك لانا حجبنا شموس عقولهم بظلال الجبال الشامخة من ضلالهم
ولو امنوا لانقشعت تلك الحجب واضاءت انوار الايمان فابصروا غرائب المعاني وتبدت لهم خفايا الاسرار ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم فكما ان الانسان وان كان بصيرا لا يميز بين المحسوسات ما لم يشرق عليها نور الشمس فهو
فكذلك الانسان وان كان عاقلا ذا بصيرة لا تدرك بصيرته المعاني المعلومات على ما هي عليه ما لم يشرق عليها نور الايمان
لان البصيرة عين الروح كما ان البصر عين الجسد ولما كان من المعلوم انهم يسمعون ويعقلون وان المنفي انما هو انتفاعهم بذلك
كان موضع عجب من صرفهم عن ذلك نعقبه سبحانه بتصرفه في الامور الحسية مثالا للامور المعنوية ولان عمله في الباطن
بنين اذا شابه المعارف كعمله في الظاهر سواء دليلا على سلبهم النفع بما اعطاهموه بين جمود المعرضين على
دلايل الصانع وتنامي جهلهم وفساد طريقهم وكان المراد من العبد في تعرف ذلك ان ينظر في افعال سيده بعين الحقيقة نظرا
ينفي لديه الاغيار فلا يرى الا الفاعل المختار خاطب راس المخلصين الناظرين هذا النظر حثا لاهل وده على مثل ذلك فقال
ذاكرا الانواع من الدلايل الدالة على وجود الصانع واحاطة علمه وشمول قدرته مشيرا الى ان الناظر في هذا الدليل لوضوحه
في الدلالة على الخالق كالناظر الى الخالق معبرا بوصف الاحسان تشويقا الى ادامة النظر اليه والاقبال عليه ألم تر
واشارا الى عظم المقام وعلو الرتبة بحرف الغاية مع اقرب الخلق منزلة واعلاهم مقاما فقال إلى ربك اي المحسن اليك والاصل
الى فعله واشار الى زيادة التعجيب من امره بجعله في معرض الاستفهام فقال كيف مد الظل وهو ظلمة ما منع ملاقاة نور الشمس
قال ابو عبيد وهو ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفي ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال والظل هنا الليل لانه ظل الارض الممدود
على قريب من نصف وجهها مدة يحجب نور الشمس بما قابل قرصها من الارض حتى امتد بساطه وضرب فسطاطه كما حجب ظلام ظلالهم
انوار عقولهم وغفلة طباعهم نفوذ اسماعهم ولو شاء لجعله اي الظل ساكنا بادامة الليل لا تذهبه الشمس كما في
الجنة لقوله وظل ممدود وان كان بينهما فرق ولكنه لم يشا ذلك بل جعله متحركا بسوق الشمس له ولما كان ايجاد
النهار بعد اعدامه وتبيين الظل به عقب ابهامه امرا عظيما وان كان قد هان لكثرة الالف اشار اليه باداة التراخي ومقام
العظمة فقال ثم جعلنا اي بعظمتنا الشمس عليه دليلا اي يدور معها حيثما دارت فلولا هي ما ظهر ان لشيء ظلا ولولا النور ما عرف
الظلام والاشيا تعرف باضدادها كانت ازالته شيا فشيا بعد مده كذلك من العظمة بمكان قال منبها على فضل مدخول
ثم وترتيبه متصاعدا في درج الفضل فما هنا افضل مما قبله وما قبله اجل مما تقدمه تشبيها لتباعد ما بين المراتب الثلاث في الفضل
بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ثم قبضناه اي الظل والقبض جمع المنبسط إلينا اي الى الجهة التي نريدها لا يقدر احد غيرنا ان
يحوله الى جهة غيرها قال الرازي في اللوامع وهذه الاضافة لان غاية قصر الظل عند غاية تعالي الشمس والعلو موضع الملائكة وجهة
السما التي فيها ارزاق العباد ومنها نزول الغيث والغياث واليها ترتفع ايدي الراغبين وتشخص ابصار الخائفين انتهى قبضا
يسيرا اي هو مع كونه في قبضة بحيث يعسر ادراكه حق الادراك سهل علينا ولم نزل ننقصه شيا فشيا حتى اضمحل كله او الا
يسيرا ثم مددناه ايضا بسير الشمس وحجبها ببساط الارض قليلا قليلا اولا فاولا بالجبال والابنية والاشجار ثم بالروابي
والاكام والتراب وما دون ذلك حتى تكامل كما كان وفي تقديره هكذا من المنافع ما لا يحصى ولو قبض لتعطلت اكثر مرافق
الناس بالظل والشمس جميعا فالحاصل انه يجعل بواطنهم مظلمة بحجبها عن انوار المعارف فيصيرون كالماشي في الظلام ويكون
نفوذهم في الامور الدنيوية كالماشي بالليل في طرق قد عرفها ودربها بالتكرار وحديث علي رضي الله عنه في الروح الذي مضى
عنده والطيبات للطيبين في النور شاهد حتى لهذا الامور المعنوي والله الموفق ولما تضمنت هذه الاية الليل
والنهار قال مصرحا بهما دليلا على الحق واظهارا للنعمة على الخلق وهو اي ربك وحده الذي جعل كان ما مضى
في الظل امرا دقيقا فخص به اهله وكان امر الليل والنهار ظاهرا لكل احد عم فقال لكم الليل اي الذي تكامل به مد الظل
لباسا اي ساترا للاشيا عن الابصار كما يستر اللباس والنوم سباتا اي نوما وسكونا وراحة هو عبارة عن كونه موتا اصغر
طاويا لما كان من الاحساس قاطعا عما كان من الشعور والتقلب دليلا لاهل البصاير على الموت قال البغوي وغيره واصل

السبت

السبت القطع وفي جعله سبحانه كذلك من الفوايد الدينية والدنيوية ما لا يعد وكذا قوله وجعل النهار نشورا اي
حياة وحركة وتقلبا بما اوجد فيه من اليقظة المذكر بالبعث المهيئة للتقلب برد ما اعدمه النوم من جميع الحواس حياة
وحركة وتقلبا ان لقمان قال لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر فالاية من الاحتباك ذكر السبات اولا دليلا
على الحركة ثانيا والنشور ثانيا دليلا على الطي والسكون اولا ولما دل على عظمته بتصرفه في المعاني بالايجاد والاعدام
وختمه بالاماتة والاحيا باسباب قريبة اتبعه التصرف في الاعيان بمثل ذلك دالا على الاماتة والاحيا باسباب بعيدة وبداه
بما هو قريب للطافته من المعاني وفيه البشرى الذي ختم به ما قبله فقال وهو اي وحده الذي ارسل الرياح فقراه ابن كثير
بالافراد لارادة الجنس وقراه غيره بالجمع ادل على الاختيار بكونها تارة صبا واخرى دبورا ومرة شمالا وكرة دبورا جنوبا وغير
ذلك نشرا اي تبعث بارواحها السحاب كما تنشر بالنهار ارواح الاشباح بين يدي رحمته لعباده بالمطر ولما
كان السحاب قريبا من الريح في اللطافة والماء قريبا منهما ومسببا عما حملته الريح من السحاب اتبعهما به ولما كان في انزاله الدلالة
على العظمة بايجاده هنالك وامساكه ثم انزاله في الوقت المراد والمكان المختار على حسب الحاجة ما لا يخفى غير الاسلوب مظهرا للعظمة
فقال وأنزلنا من السماء اي حيث لا ممسك فيه لما غير سبحانه ماء ثم ابدل منه بيانا للنعمة به فقال طهورا اي طاهرا في نفسه
مطهرا لغيره اسم آلة كالسحور والسنون لما يتسحر به ويستن به ونقل ابو حيان عن سيبويه انه مصدر لتطهر المضاعف جرى على غير
فعله واما جعله مبالغة لطاهر فلا يفيد غير انه بليغ الطهارة في نفسه لان فعله قاصر ولما كانت هذه الافعال دالة على
البعث لكن بنوع خفا اتبعها بثمرة هذا الفعل دليلا واضحا على ذلك فقال معبرا بالاحيا لذلك معللا للطهور المراد به المتعدي عن جميع
ما يدنسه من ملوحة او مرارة او كدرة او نحو ذلك مما يمنع كمال الانتفاع به لنحيي به اي بالماء ولما كان المقصود باحياء
الارض بالنبات احياء البلاد لاحيا اهلها قال بلدة ولو كان ملحا او مرا او متكدرا لم تكن فيه قوة الاحيا ولما ذكره
ان يعم تخصيص البلاد اجرى الوصف باعتبار الموضع ليعم كل مكان فقال ميتا اي بما خرجت فيه من النبات بعد ان كان قد صار هشيما
ثم ترابا ليكون ذلك اية بينة على قدرتنا على بعث الموتى بعد كونهم ترابا ولما كان في مقام العظمة باظهار القدرة زاد على
كونه اية على البعث باظهار النبات الذي هو منفعة للرعي منفعة اخرى عظيمة الجدوى في الحفظ من الموت بالشرب كما كان اية
الاحيا حافظة بالاكل فقال ونسقيه اي الماء وهو من اسقاه من يسقاه ومما لغتان قال ابن القطاع سقيتك شرابا واسقيتك
والله تعالى عباده وارضه كذلك مما خلقنا اي بعظمتنا ولما كانت النعمة في انزال الماء على الانعام واهل البوادي وعموم
اكثر لان الطير والوحش يبعد في الطلب فلا يعدم ما يشرب خصهما بقوله أنعاما وقدم النبات لان به حياة الانعام والانعام
لان بها كمال حياة الانسان فاذا وجد ما يكفيها من السقي تجزأ هو بايسر شي واتبع ذلك قوله وأناسي كثيرا اي بحفظنا له في
الغدران لاهل البوادي الذين يبعدون عن الانهار والعيون وغيرهم ممن اردنا لانه تعالى لا يسقي جميع الناس على حد سواء
ولكن يصيب بالمطر من يشاء ويصرفه عمن يشاء ويبقي بعض الناس من غير ذلك ولذا انكر المذكورات كما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال ما من عام بامطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شا وتلا هذه الاية وقال البغوي وذكر ابن اسحاق
وابن جريج ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه قال ليس من سنة بامطر من اخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق
فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم فاذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك
الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي والبحار انتهى وكان السر في ذلك انه كان من حقهم ان يطهروا
ظواهرهم وبواطنهم ويطهروا غيرهم ليناسبوا حاله في الطهورية فلما تدنسوا بالفساد وراث تسببوا في صرفه عنهم ولما
ذكر سبحانه ادمر من انزال القران نحو ما احيا القلوب التي هي ارواح الارواح واتبعه ما لامه الى ان ختم بما جعله سببا لحياة
الاشباح فكان موضعا لتوقع العود الى ما هو حياة الارواح قال عاطفا على متعلق كذلك لنثبت منبها على فايدة اخرى لتنجيمه ايضا
ولقد صرفناه اي حينا القران كما قال ابن عباس رضي الله عنهما انه المراد ههنا ويؤيده ما بعده وجوها من البيان وطرقا
طرقا تعيي ارباب اللسان في معان كثيرة جدا بينهم في كل قطر عند كل قوم ليذكروا بالايات المسموعة ما ذكرنا في فطرهم من
الادلة العقلية المؤيدة بالايات المرئية ولو على ادنى وجوه التذكر المنجية لهم بما اشار اليه الادغام ولما كان القران
ثابتا ولا بد لمن انصف الى الايمان دل على ان المتخلف عنه انما هو معاند بقوله فأبى اي لم يرد أكثر الناس اي بعنادهم إلا كفورا
معتبرا كفرهم بالغاية ولما كان بعثتهم بان ينزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ربما اثار في النفس طلب اجابتهم الى
مقترحهم حرصا على هدايتهم رفقا وتما او الا الى انه لا فايدة في ذلك بان موازرة هرون لموسى عليهما السلام لم تغن عن القبط
شيا وثانيا بان المدار في وجوب التصديق للنذير الاتيان بما يعجز وكان ذلك موجودا في ايات القران المصرفة في كل زمان ومكان
بكل بيان فكانت كل اية منه قايمة مقام نذير قال مشيرا الى انه انما نزل لذلك لحكم يعلمها ولو شئنا لبعثنا اي بما لنا من العظمة
ونفوذ الكلمة في كل قرية نذيرا اي من البشر او الملايكة او غيرهم من عبادنا كما قسمنا المطر لان الملك كما قدمنا او لا السود

عدام

له

نعام

كله لنا ليس لنا شريك يمنع ذلك بما له من الحق ولا له مانع بما له من الارادة ولكنا لم نفعل لما في اياتنا القرآن من الكفاية في ذلك ولما في
انفرادك بالدعوة من الشرف لك وغير ذلك من الحكمة فلا تطع الكافرين فيما قصدوا ومن التفتير عن الدعاء بما يبدونه من المغرحا
او يظهرونه لك من المداهنة او من القلق من صادع الانذار ويخيلون انك لو اقللت منه رجوا ان يوافقوك وجاهدهم اي بالدعا
اي القرآن الذي تقدم التحديث عنه في ولقد صرفناه بابلاغ اياته مبشرة كانت او منذرة والاحتجاج ببراهينه جهادا كبيرا
جامعا لكل المجاهدات الظاهرة والباطنة لان في ذلك اقبال كثير من الناس اليك واجتماعهم عليك فيقوى امرك ويعظم خطبك
وتضعف شوكتهم وتنكسر سورتهم ذكر تعريف الفرقان ونشره في جميع البلدان بعد اثارة الرياح ونشر
السحاب وخلط الماء بالتراب لجمع النبات وتفريقه اتبعه تذكيرا بالنعمة وتحذيرا من احلال النقمة الحجر بين انواع الماء الذي
لا اعظم امتزاجا منه وجمع كل نوع منها على حدته ومنعه من ان يختلط بالآخر مع اختلاط الكل بالتراب المتصل بعضه ببعض فقال
عائدا الى اسلوب الغيبة تذكيرا بالاحسان بالعطف على ضمير الرب في اية الظل وهو اي وحده الذي مرج البحرين اي الماءين الكبيرين
الواسعين بان جعلهما مضطربين كما تشاهدونه من شان الماء وقال الرازي خلا بينهما كانه ارسلهما في مجاريهما كما ترسل الخيل في المرج
واصل المرج يدل على ذهاب ومجي واضطراب والتباس ولما كان الاضطراب موجبا للاختلاط وكانت ال دائرة بين العهد والجنس
تشوف السامع الى السؤال عن ذلك فاجيب بان المراد جنس الماء الحلو والملح لان البحر في الاصل الماء الكثير وبانه سبحانه منعهما من
الاختلاط مع الموجب له في العادة بقدرته الباهرة وعظمته القاهرة فقال هذا عذب اي حلو سايغ فرات اي شديد العذوبة
بالغ الغاية فيها حتى يضرب الى الحلاوة لا فرق بين ما كان منه على وجه الارض وما كان في بطنها وهذا ملح اي شديد الملوحة
اجاج اي مر محرق بملوحته ومرارته لا يصلح لسقي ولا شرب ولعله اشار باداة القرب في الموضعين تنبيها على وجود الوصفين
مع شدة المقاربة لا يلتبس احدهما بالآخر حتى انه اذا حفر على شاطئ البحر الملح بالقرب جدا منه خرج الماء عذبا جدا وجعل
اي الله سبحانه بينهما برزخا اي حاجزا من قدرته مانعا من اختلاطهما كان يلتقيان ولا يختلطان كان كل منهما بالا
ختلاط في صورة الباغي على الآخر فاتم سبحانه تقرير النعمة في منعهما الاختلاط بالكلمة التي جرت عادتهم بقولها عند التعوذ
تشبيها لكل منهما بالمتعوذ ليكون الكلام مع انه خبر محتملا للتعوذ فيكون من احسن الاستعارات واشهرها على البلاغة فقال
وحجرا اي منعا محجورا اي ممنوعا من ان يقبل رفعا كل هذا التاكيد اشارة الى جلالة هذه الآية وان كانت قد صارت لشدة الالف
بها معرضا عنها الى الغاية لتعرف بها قدرته وتشكر نعمته ولما ذكر تعالى قدرته في منع الماء من الاختلاط اتبعه القدرة
على خلطه لئلا يظن انه ممتنع تقريرا للفعل بالاختيار وابطالا للقول بالطبائع فقال معبرا بالضمير كما تقدم حثا على استحضار
الافعال والصفات التي تقدمت لتعرف الحيثية التي كرر الضمير لاجلها وهو اي وحده الذي خلق من الماء يخلطه مع الطين
بشرا كما تشاهدونه يخلق منه نباتا وشجرا وورقا وثمرا فجعله اي بعد ذلك بالتطوير في اطوار الخلقة والتدوير في ادوار
التربية نسبا اي ذكرا ينسب اليه وصهرا اي انثى يصاهر اي يخالط بها الى الذكر فقسم هذا الماء بعد التطوير الى ذكر وانثى
كما جعل ذلك الماء قسمين عذبا وملحا وخلط ماء الذكر بماء الانثى متى اراد فصور منه ادميا ومنعه من ذلك اذا اراد كما انه ميز
بين العذب والملح ويخلط بينهما اذا اراد بعلمه الشامل وقدرته التامة وكان ربك اي المحسن اليك بارسالك وانزال هذا
الذكر اليك قديرا على كل شيء وقدرته على ما ذكر من ابداع هذه الامور المتباعدة من مادة واحدة فهو يوفق من يشاء فيجعله عذب
المذاق سهل الاخلاق ويخذل من يشاء فيجعله مر الاخلاق كثير الشقاق او ملتبس الاخلاق عريقا في النفاق فارغب الى
هذا الرب الشامل القدرة التام العلم ائت له بهذه الادلة القدرة على كل شيء قال معجبا منهم في موقع الحال من ربك
عودا الى تهجين سيرتهم في عبادة غيره معبرا بالمضارع اشارة الى انهم لو فعلوا ذلك مرة لكان في غاية العجب فكيف وهو على
سبيل التجديد والاستمرار ومصورا لحالهم زيادة في تبشيعها ويعبدون اي الكفرة من دون اي من يعلمون انه في الرتبة
دون الله المستجمع لصفات العظمة بحيث انه لا ضر ولا نفع الا وهو بيده ولما كان هذا السياق لتعداد نعمه سبحانه
وكان الحامل للانسان على الاذعان رجاء الاحسان او خوف الهوان وكان رجا الاحسان مقبلا به الى المحسن في البر والاهلاك
قدم النفع فقال ما لا ينفعهم اي بوجه كان الخوف انما يوجب الانقياد لظاهر انفط اتبعه قوله ولا يضرهم
اي اصلا في ازالة نعمة من نعم الله عنهم فلا يخف عقلا ممن يترك من بيده كل نفع وضر وهو يتقلب في نعمه في يقظته ونومه
وامسه ويومه ويقبل على من لا ضر بيده ولا نفع اصلا واظهر في موضع الضمير بيانا للوصف الحامل على ما لا يفعله عاقل
وافراد تحقيرا لهم فقال وكان الكافر مع علمه بضعفه وعجزه على ربه المحسن اليه لا غيره ظهيرا اي معينا للشياطين الانس
والجن على اولياء الله والتعبير بعلى دال على انه وان كان معينا في نفسه حقيرا فاعل فعل العالي على الشيء والقوي الغليظ
الغالب له المعين عليه من قولهم ظهر الارض لما علا منه وغلظ وامر ظاهر لك اي غالب والظاهر القوي والمعين وذلك انه
يجعل لما يعبده من الاوثان نصيبا مما تفرد الله بخلقه ثم يجعل لها ايضا بعض ما كان سماه لله ويعادي اولياء الله من الانبياء وغيرهم

وينصب لهم المكايد والحروب ويؤذيهم بالقول والفعل مع علمه بان الله معهم لما يشاهده ويذوقه من خرقه لهم العوائد فكان هذا
فعل من لا يعبا بالشيء لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ان لا تعلوا على الله وهو في الحقيقة تهكم بالكفار لانهم يفعلون
ما يلزم عليه هذا اللازم الذي لا يتهور في خلده عاقل ولما كان التقدير تسلية له صلى الله عليه وسلم فالزم ما تامر به
ولا يحزنك ردهم عما انتم فيه فانا ما ارسلناك عليهم وكيلا عطف عليه قوله وما ارسلناك اي بما لنا من العظمة ولما كان
سياق السورة للانذار لما ذكر فيها من سوء مقالهم وقبح افعالهم حسن التعبير في البشارة بما يدل على كثرة الفعل ويفهم كثرة المتعلق
بشارة بكثرة المطيع وفي النذارة بما يقتضي ان يكون صفة لازمة فقال ونذيرا لكل من يعصي ولما وقع جوابهم عن قولهم لولا
انزل اليه ملك وكان تقديره فيقولهم او يلقى اليه كنز اشير الى مزيد الاهتمام بجوابه بابرازه في صورة الجواب لمن كانه قال ماذا تقول
لهم اذا تظاهروا وطعنوا في الرسالة بما تقدم وغيره فقال قل اي لهم يا اكرم الخلق حقيقة واعدلهم طريقة ما اسألكم عليه
اي على الابلاغ بالبشارة والنذارة من اجر لتتهموني اني ادعوكم لاجله او تقولوا لولا القي اليه كنز ليغنيني به عن ذلك فكانه يقول
الاقتصار عن التوسع في المال انما يكرم لمن يسال الناس وليس هذا من شيمي قبل النبوة فكيف بما بعدها فلا غرض لي حينئذ الا
نفعكم ثم اكد هذا المعنى بقوله مستثنيا لان الاستثناء معيار العموم الا من اي الا اجر من شاء ان يتخذ اي يكلف نفسه ويجا
هواه ويجعل له الى ربه سبيلا فانه اذا اهتدى بهداية ربه كان لي مثل اجره لا نفع لي من جهتكم الا هذا فان سميتم هذا اجرا
فهو مطلوبي ولا مرية في انه لا ينقص احدا شيئا من دنياه فلا ضرر على احد في طي الدنيا عني فافاد هذا فائدتين احدهما انه لا
لا طمع له اصلا في شيء ينقصهم والثانية اظهار الشفقة البالغة بانه يعتد بمنفعتهم الموصلة لهم الى ربهم ثوابا لنفسه
ولما كان المقصود ردهم عن عنادهم وكان ذلك في غاية الصعوبة وكان هذا الكلام لا يرد متعنتهم وهم الاغلب
الذين يخشى غائلتهم عطف على قل قوله وتوكل اي اظهر العجز والضعف واستسلم واعتمد في امرك كله ولا سيما في مواجهتهم
بالانذار وفي ردهم عن عنادهم ولما كان الوكيل يحمل عن الموكل ثقل ما اظهر له عجزه فيه ويقوم باعبائه حتى يصير كمن يحمل
عن اخر عينا محسوسة لا يضر عليه شيء منها اصلا عبر بحرف الاستعلاء تمثيلا بذلك فقال على الحي ولا يصح التوكل عليه الا بلزوم
طاعته والاعراض عما سواها ولما كان الاحياء من الخلق يموتون بين ان حياته ليست كحياة غيره فقال الذي لا يموت
اي فلا ضياع على من توكل عليه اصلا بل هو المتولي لمصالحه في حياته وبعد مماته ولا يلتفت الى ما سواه بوجه فانه هالك
وسبح بحمده اي نزهه عن كل نقص مثبتا له كل كمال ولما كان المسلي ربما وقع في فكره ان مسليه اما غير قادر على نصره
او غير عالم بذنوب خصمه وكان السياق للشكاية من اعراض المبلغين عن القرآن وما يتبع ذلك من الاذى اشار بالعطف على غير مذكور الى ان
التقدير فكفى به لك نصيرا وعطف عليه وكفى وعين الفاعل وحققه بادخال الجار عليه فقال به بذنوب عباده اي وكل ما سواه عباده
خبيرا لا يخفى عليه شيء منها واردف وصفه بما يقتضي انه مع ماله من عظيم القدرة بالملك والاختراع متصف بالاناة وشمول العلم
وحسن التدبير ليتاسى به المتوكل عليه فقال الذي خلق السماوات والارض اي على عظمهما وما بينهما من الفضاء والعناصر والعباد
واعمالهم من الذنوب وغيرها الا يعلم من خلق وقوله في ستة ايام تعجيب للغبي الجاهل وتدريب للفطن العالم في الحلم والاناة
والصبر على عباد الله في دعوتهم الى الله وتذكير بما له من عظيم القدرة وما يلزمهما من شمول العلم والمراد مقدار ستة من ايامنا
فان الايام ما حدثت الا بعد خلق الشمس والافلاك وان تخصيص هذا العدد لداعي حكمة عظيمة وكذا جميع افعاله وان كنا لا ندرك ذلك
هو الايمان وجعل الله الجمعة عيدا للمسلمين لان الخلق اجتمع فيه بخلق ادم عليه السلام فيه في اخر ساعاته ولما كان تدبير هذا
الملك امرا باهرا اشار اليه باداة التراخي فقال ثم استوى على العرش اي شرع في التدبير لهذا الملك الذي اخترعه واوجده وهم
ودونهم من حملته كما يفعل الملوك في ممالكهم لا غفلة عنده عن شيء اصلا ولا يحدث فيه ذرة من ذرات او معنى الا بخلق جديد منه سبحانه
ردا على من يقول من اليهود وغيرهم ان ذلك انما هو بما دبر في الازل من الاسباب وانه الان لا فعل له حاشا على الرد بقوله الرحمن اي
الذي سبقت رحمته غضبه فهو يحسن الى من يكفره فضلا عن غيره فاجدر عباده بالتخلق بهذا الخلق رسله والحاصل انه ابدع هذا
الكون واخذ في تدبيره بعموم الرحمة في احسانه لمن نسبه بالنسبة له الى الولد ويكذبه في انه يعيده كما بداه وهو سبحانه قادر
على الانتقام منه بخلاف ملوك الدنيا فانهم لا يرحمون من يعصيهم مع عجزهم ولما كان العلم لازما للملك سبب عن ذلك قوله
على طريق التجريد فاسأل به اي بسبب سؤالك اياه خبيرا عن هذه الامور وكل امر تريده ليخبرك بحقيقة امره ابتداء وحالا ومآلا
ولا يضيق صدرك بسبب هؤلاء المدعوين فانه ما ارسلك اليهم الا وهو عالم بهم فسيعلي كعبك عليهم ويحسن لك العاقبة ولما ذكر
احسانه اليهم وانعامه عليهم ذكر ما ادوه من كفرهم في موضع شكرهم فقال واذا قيل لهم اي هؤلاء الذين يتقلبون في نعمه ويغذوهم
بفضله وكرمه من اي قايل كان اسجدوا اي اخضعوا بالصلاة وغيرها للرحمن الذي لا نعمة لكم الا منه قالوا قول عال متكبر
كما تقدم في معنى ظهيرا وما الرحمن متجاهلين عن معرفته فضلا عن كفر نعمته معبرين باداة ما لا يعقل وقال ابن العربي انهم لما عبروا
بذلك اشارة الى جهلهم الصفة دون الموصوف ثم عجبوا من امره بذلك منكرين عليه بقولهم انسجد لما تامرنا فعبر واعنه بعد التجاهل

فى امره والانكار على الداعى عليه ايضا باداة ما لا يعقل وزادهم هذا الامر الواضح المقتضى للاقبال والسكون شكرا للمنعم وطمعا فى الزيادة ثم عجبوا من امره بذلك منكرين عليه بقولهم انسجد لما تامرنا فعبروا عنه بعد التجاهل فى امره والانكار على الداعى اليه ايضا باداة ما لا يعقل وزادهم نفورا الماعندهم من الحرارة الشيطانية التى تؤزهم ازا فلا نفرة توازى هذه النفرة ولا ذم ابلغ منه ولما ذكر حال النذير الذى ابتدا به السورة فى دعائه الى الرحمن الذى لو لم يدع الى عبادته الا رحمانيته لكفى فكيف بكل صفة جلال وجمال فانكروه اقتضى الحال ان يوصل به اثباته باثبات ما هم عالمون به من اثار رحمانيته تفصيلا ما اجمل بعد ذكر حال النذير ثم من الملك مصدرا له بوصف الحى الذى جعله مطلع السورة واذا ما تضمن انكارهم من نفيه فقال تبارك اى ثبت ثباتا لا نظير له الذى جعل فى السماء التى تقدم انه اخترعها بروجا وهى اثنا عشر برجا هى للكواكب السيارة كالمنازل لاهلها سميت بذلك لظهورها وبنى عليها امر الارض بتدبيرها فصولها وتحكم بها معايش اهلها ولما كانت البروج على ما نعهد لا تصلح الا بالنور ذكره معبرا بلفظ السراج وجعل فيها اى البروج سراجا اى شمسا وقرا حمزة والكسائى بصيغة الجمع للتنبيه على عظمته فى ذلك بحيث انه اعظم من الوف الوف من السرج فهو قائم مقام الوصف كما قال فى الذى بعده وقمرا منيرا ثم تنقلهما فيها وبغير ذلك من احوالهما التدبيرى اى ان العلم بوجوبه لا شك فيه فكيف يشك عاقل فى وجوده او فى رحمانيته بهذا العالم العظيم المتقن الصنع الظاهر فيه امر الحكمة ولما ذكر الايتين ذكر ما هما اياته فقال وهو الذى جعل الليل اى الذى ايته القمر والنهار الذى ايته الشمس خلفة اى ذوى حالة معروفة فى الاختلاف فيأتى هذا خلف ذلك بضد ما له من الاوصاف ويقوم مقامه فى كثير من المرادات والاشيا المقدرات وبعلم قدر الناسخ فيها ومن فاته شئ فى هذا قضاه فى ذاك قال ابن جرير والعرب تقول خلف هذا من كذا خلفة وذلك اذا جاء شئ مكان شئ ذهب قبله وفى القاموس ان الخلف والخلفة بالكسر المختلف فعلى هذا يكون التقدير جعلهما مختلفين فى النور والظلام والحر والبرد وغير ذلك من الاحكام وقال الرازى فى اللوامع يقال الامر بينهم خلفة اى نوبة كل واحد يخلف صاحبه والقوم خلفة اى يختلفون ولما كان الذى لا ينتفع بالشئ كالعادم له كان الشئ حق الجعل بالمجتنى للثمرة فقال لمن اراد ان يذكر اى ان يحصل له تذكر ولو على ادنى الوجوه بما دل عليه الادغام فى قراءة الجماعة بفتح الذال والكاف مشددتين لما يدله عليه عقله من ان التغير على هذه الحالة العظيمة لا يكون الا من مغير قادر عظيم القدرة مختار فيؤديه تذكره الى الايمان ان كان كفورا وقراءة حمزة بالتخفيف من الذكر تشير الى انه لا يدلا ن عليه من تمام القدرة وشمول العلم الدال قطعا على الوحدانية على غاية من الظهور لا تحتاج الى فكر بل يحصل بادنى التفات او اراد شكورا اى شكرا عظيما بليغا لنعم الله ليحمله ارادته تلك على الشكر ان كان مؤمنا بسبب ما الهم به ربه من الاتيان بكل منهما بعد هجوم الاخر لاجتناء ثمراته ولو جعل احدهما دائما لفاتت مصالح الاخر ولحصلت السامة به والملل منه والتوانى فى الامور المقدرة بالاوقات والكسل وفتر العزم الذى انما يثيره لتداركها دخول وقت اخر وغير ذلك من الامور التى احكمها العلى الكبير ولما ذكر عباده الذين خذلهم بتسليط الشيطان عليهم فصاروا حزبا للشيطان ولم يضفهم الى اسم من اسمائه ايذانا باهانتهم لهوانهم عنده وهم الذين صرح بهم قوله اول السورة نذيرا وختم بالذكر والشكر اشارة الى عباده الذين خلصهم لنفسه واشار اليهم سابقا بتخصيص الوصف بالفرقان فاتبع ذلك ذكرهم فقال عاطفا على جملة الكلام فى قوله واذا قيل لهم ولكنه رفعهم بالابتداء تشريفا لهم وعباد ويجوز ان يقال ولعله احسن انه سبحانه لما وصف الكفار فى هذه السورة بما وصفهم به من الفظاظة والغلظة للنبى صلى الله عليه وسلم وعداوتهم له ومظاهرتهم على خالقهم ونحو ذلك من خلاقتهم وختم بالذكر والشكر كان التقدير فعباد الشيطان لا يذكرون ولا يشكرون لما لهم من القسوة عطف على هذا المقدار اضداد هم واصفا لهم باضداد اوصافهم مبشرا لهم بضد جزائهم فقال وعباد الرحمن فاضافهم اليه رفعة لهم وان كان كل الخلق عباده واضافهم الى وصف الرحمة الابلغ الذى انكره اوليك تبشيرا لهم ثم وصفهم بضد ما وصف به المتكبرين عن السجود اشارة الى انهم تخلقوا من هذه الصفة التى اضيفوا اليها بامر كبير فقال الذين يمشون وقال على الارض تذكيرا بما هم منه وما يصيرون اليه وحثا على السعى فى معالى الاخلاق للترقى عنه وعبر عن حالهم بالمصدر مبالغة فى اتصافهم بمدلوله حتى كانوا اياه فقال هونا او ذوى هوان اى لين ورفق وسكينة ووقار واخبات وتواضع لا يؤذون احدا ولا يفخرون رحمة لانفسهم وغيرهم غير متابعين ما فيهم من الحرارة الشيطانية فبرئوا من حظوظ الشيطان لان من كان من الارض واليها يعود لا يليق به الا ذلك والاحسن ان يجعل هذا خبر العباد ويكون اوليك يجزون لمعرفة استينافا مشوقا اليه تشوف المستنتج الى النتيجة ولما ذكر ما امرهم به العلم من الفعل فى انفسهم اتبعه ما انتجه الحلم من القول لغيرهم فقال واذا دون القضاء العادة بتحقق هو ولم يقل والذين كبقية المعطوفات لان الخصلتين كشئ واحد من حيث رجوعهما الى التواضع خاطبهم خطابا ما بجهل او غيره فى وقت ما الجاهلون اى الذين يفعلون ما يخالف العلم والحكمة قالوا سلاما اى ما فيه سلامة من كل سوء وليس المراد التحية نقله الكسيبويه عن ابى الخطاب قال لان الاية فيما زعم مكية ولم يؤمر المسلمون يوميذ ان يسلموا على المشركين ولكنه على قولك تسلما لا خير بيننا وبينكم ولا شر انتهى ولا حاجة الى ادعاء نسخها باية القتال ولا غيرها لان الاغضاء عن السفها

وترك المقابلة مستحسن فى الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض والورع وكانه اطلق الخطاب اعلاما بان اكثر قول الجاهل الجهل ولما ذكر ما بينهم وبين الخلق من القول والفعل وكان الغالب على ذلك ان يكون جلوة نهارا ذكر ما بينهم وبين خالقهم من ذلك خلوة ليلا وذكر هذه المعطوفات التى هى صفات بالواو تنبيها على ان كل واحدة منها تستقل بالقصد لعظم خطرها وكبر اثرها فقال والذين يبيتون من البيتوتة ان يدركك الليل نمت او لم تنم وهى خلاف الظلول وافاد الاختصاص بتقديم لربهم اى المحسن اليهم برحمانيته يحيون الليل رحمة لانفسهم وشكرا لفضله ولما كان السجود اشد اركان الصلاة تقريبا الى الله لكونه اعلى الخضوع مع انه الذى اباه الجاهلون قدمه لذلك ليعلم بادى بدء ان القيام فى الصلاة فقال سجدا واتبعه ما هو يتلوه فى المشقة تحقيقا لان السجود على حقيقته فيتمحض الفعلان للصلاة وقياما اى ولم يفعلوا فعل الجاهلين من التكبر عن السجود بل كانوا كما قال الحسن رحمه الله نهارهم فى خشوع وليلهم فى خضوع ولما ذكر تهذيبهم لانفسهم للخلق والخالق اشار الى انه لا اعجاب عندهم بل هم وجلون وان الحامل لهم على ذلك الايمان بالاخرة التى كذب بها الجاهلون يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقدموا الدعاء بالنجاة اهتماما بدرء المفسدة واشعارا بانهم مستحقون لذلك وان اجتهدوا لتقصيرهم عن ان يقدروه سبحانه حق قدره فقال والذين يقولون ربنا اى ايها المحسن الينا اصرف عنا عذاب جهنم الذى احاط بنا لاستحقاقنا اياه الان تداركنا بعفوك ورحمتك بما وفقتنا له من لقاء من يوذينا بطلاقة الوجه لا بالتجهم ثم عللوا سؤالهم بقولهم ان عذابها كان اى كونا جبلت عليه غراما اى هلاكا وخسرانا ملحا محيطا لمن يعلق به لازما له دائما لمن عرى به لازما لا ينفك عنه ونحن كنا نيسر على من اذانا ولما ثبت لها هذا الوصف انتج قوله انها ساءت اى تناهت هى فى كل ما يحصل منه سوء وهى فى معنى بئست فى جمع المذام مستقرا اى من جهة موضع استقرار ومقاما اى موضع اقامة ولما ذكر افعالهم واقوالهم فيما بينهم وبين الخلق وقدمه والخالق واخره لان وجوبه يكون بعد ذلك ذكر احوالهم فى اموالهم نظرا الى قول الكفرة او يلقى اليه كنز وهداية الى طريق الغنى لانه ما عال من اقتصد فقال والذين اذا انفقوا اى للخلق او الخالق فى واجب او مستحب لم يسرفوا اى يجاوزوا الحد فى النفقة بالتبذير فيضيعوا الاموال فى غير حقها فيكونوا اخوان الشياطين الذين هم من النار ففعلهم فعلها ولم يقتروا اى يضيقوا فيضيعوا الحقوق ثم بين العدل بقوله وكان اى انفاقهم بين ذلك اى الفعل الذى يجب ابعاده ولما علم انه ما بين الطرفين المذمومين يكون عدلا صرح به فى قوله قواما اى عدلا سوا بين الخلقين المذمومين الافراط والتفريط تخلقا بصفة قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء وهذه صفة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة بل ياكلون ما يسد الجوعة ويعين على العبادة ويلبسون ما يستر العورة ويكن من الحر والقر قال عمر رضى الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهى رجل شيئا الا اشتراه فاكله ولما ذكر ما تحلوا به من اصول الطاعات من العدل والاحسان بالافعال والاقوال فى الابدان والاموال اتبعه ما تخلوا عنه من امهات المعاصى التى هى الفحشاء والمنكر فقال والذين لا يدعون رحمة لانفسهم واستعمالا للعدل مع الله اى الذى اختص بصفات الكمال الها اخر اى دعاء جليا بالعبادة له ولا خفيا بالرياء فيكونوا كمن ارسلت عليهم الشياطين فازتهم ازا ولما نفى عنهم ما يوجب قتل انفسهم بعبادتهم اياها اتبعه قتل غيرهم فقال ولا يقتلون اى عاما عن عمد الى اجهاد النفس اى رحمة للخلق وطاعة للخالق ولما كان من الانفس ما لا حرمة له بين المراد بقوله التى حرم الله اى منع منعا عظيما الملك الاعلى الذى لا كفوء له من قتلها الا بالحق بان تعمل ما يبيح قتلها ولما ذكر القتل الجلى اتبعه الخفى بتضييع نسب الولد فقال ولا يزنون اى رحمة لما قد يحدث من ولد ابقاء على نسبه ورحمة للمزنى بها ولاقاربها ان تنتهك حرماتهم مع رحمته لنفسه على ان الزنا ايضا جار الى القتل والفتن وفيه التسبب لايجاد نفس بالباطل كما ان القتل تسبب الى اعدامها بذلك وقد روى فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه سال النبى صلى الله عليه وسلم اى الذنب اعظم وفى رواية اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اى قال ثم ان تزانى بحليلة جارك فانزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية وقد استشكل تصديق الاية للخبر من حيث ان الذى فيه قتل خاص وزنى خاص والتقييد بكونه اكبر والذى فيها مطلق القتل والزنا من غير تعرض لعظم ولا اشكال لانها نطقت بتعظيم ذلك من سبعة اوجه الاول الاعتراض بين المبتدا الذى هو وعباد وما عطف عليه والخبر الذى هو اوليك يجزون على احد الاقوال بذكر جزاء هذه الاشياء الثلاثة خاصة وذلك دال على مزيد الاهتمام الدال على الاعظام الثانى الاشارة باداة البعد فى قوله ومن يفعل ذلك اى الفعل العظيم القبح مع قرب المذكورات فدل على ان البعد فى رتبها الثالث التعبير باللقى مع المصدر المزيد الدال على زيادة المعنى فى قوله يلق اثاما دون يأثم او يلق اثما اى جزاء اثمه الرابع التقييد بالمضاعفة فى قوله مستانفا يضاعف اى بانتهاك امر له العذاب جزاء ما اتبع نفسه هواها بما فيه من الحرارة الشيطانية

بين

عنه

بي

لما

هذا في قراءة عاصم بالرفع وهو بدل يلق في قراءة الجماعة لانهما تؤولان الى معنى واحد ومضاعفة العذاب والله اعلم اتيان بعضه
في اثر بعض بلا انقطاع كما كان يضاعف بينه كذلك وقراءة ابن كثير وابي جعفر وابن عامر ويعقوب بالتشديد تفيد مطلق
التعظيم للتضعيف وقراءة الباقين بالمفاعلة تقتضيه بالنسبة الى من يبادي اخر فيه فهي ابلغ الخامس التهويل بقوله يوم
القيمة الذي هو اهول من غيره بما لا يقايس السادس الاخبار بالخلود الذي اقلع رجائه ان يكون مكثا طويلا فقال عاطفا في
القراءتين على يضاعف ويخلد فيه السابع التصريح بقوله مهانا ولعله للاحتراز عما يجوز من ان بعض عصاة هذه الامة الذين
يريد الله تعذيبهم يعلمون انهم يخرجون ويدخلون الجنة فيكونون فاتهم مع العلم بالمال ليست على وجه الاهانة فما عظم الامر
من هذه الاوجه علم ان كلا من هذه الذنوب كبير واذا كان الاعم كبيرا كان الاخص المذكور اعظم من مطلق الاعم لانه زاد عليه
بما صار به خاصا فثبت بهذا انها كبائر وان قتل الولد والزنى بحليلة الجار اكبر لما ذكر فوضح وجه تقدير الاية للخير ولا يقال
ان الاشارة ترجع الى المجموع فالتهويل خاص بمن ارتكب مجموع هذه الذنوب لانا نقول السياق يابا لان تكرير لا افاد كما حققه لذي
ورود النفي على وقوع الخصال الثلاث حالة الاجتماع والانفراد فالمعنى لا يوقعون شيئا منها فكان معنى ومن يفعل ذلك ومن يفعل
شيئا من ذلك ليرد الاثبات على ما ورد عليه النفي فيحصل التناسب واما عدم منافاة الاية للترتيب فمن وجهين الاول ان الاول
في التقديم الاهتمام بما سبقت له الاية وهو التنفير المفيد للتغليظ فيكون كل واحد منها اعلا مما بعده الثاني ان الواو لا
تنافيه وقد وقعت الافعال مرتبة في الذكر كما رتبت في الحديث بثم فيكون مراد بها الترتيب والله الهادي ولما
انهى سبحانه تهديد الفجار على هذه الاوزار اتبعه ترغيب الابرار في الاقبال الى العزيز الغفار فقال الا من تاب اي رجع
الى الله عن شيء مما كان فيه من هذه النقائص وامن اي اوجد الاساس الذي لا يثبت عمل بدونه وهو الايمان واكد وجوده
وعمل ولما كان المرجوع عنه اعظم اكد فقال عملا صالحا اي موسسا على اساس الايمان ثم زاد في الترغيب بالاتيان بالفاء
ربطا للجزاء بالشرط دليلا على انه سببه فقال فاولئك اي العالو المنزلة يبدل الله وذكر الاسم الاعظم تعظيما للامر
واشارة الى انه سبحانه لا منازع له سيئاتهم حسنات اي يثبتهم على تلك السيئات لكونها ما كانت حسنات فيكتب لهم ثوابها
بعزمهم الصادق على فعلها لو استقبلوا من امرهم ما استدبروا بحيث اذا راى احدهم تبديل سيئاته بالحسنات يتمنى لو كانت سيئاته
اكثر وورد ان بعضهم يقول رب ان لي سيئات ما رايتها رواه مسلم في اواخر الايمان من صحيحه عن ابي ذر رفعه ولما
كان هذا امرا لم تجر العادة بمثله اخبر انه صفته سبحانه ازلا وابدا فقال مكررا الاسم الاعظم لئلا يقيد غفرانه بشيء مما مضى
وكان الله اي الذي له الجلال والاكرام على الاطلاق غفورا اي ستورا لذنوب كل من تاب بهذا الشرط رحيما له بان يعامله
بالاكرام كما يعامل المرحوم فيعطيه مكان كل سيئة حسنة روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت
في اهل الشرك لما نزل صدرها قال اهل مكة فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله الا من
تاب الى رحيما وروى عنه ايضا انه قال هذه مكية نسختها اية مدنية التي في سورة النساء اي على تقدير كونها عامة في المشرك وغيره
وروى عنه انه قال في اية النساء نزلت في اخر ما نزل ولم ينسخها شيء وقد تقدم في سورة النساء الجواب عن هذا وكذا ما رواه البخاري
عنه في التفسير ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا واكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو
اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ولما اشعرت الفاء بالتسبيب ودل تاكيد الفعل
بالمصدر على الاحتياج الى عمل كثير ربما جل عن طوق البشر واشار الى التطوق له بالوصفين العظيمين اتبع ذلك بيان الطريق
اليه بما اجرى من العادة فقال ومن تاب اي عن المعصية كبيرة كانت او ما دونه وعمل تصديقا لادعاية التوبة ولما
كان في سياق الترغيب اعراه من التاكيد فقال صالحا ولو كان كل من نيته وعمله ضعيفا ورغب سبحانه في ذلك بقوله معلما
انه يصل الى الله فانه يتوب اي يرجع واصلا الى الله اي الذي له صفات الكمال فهو يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات
متابا اي رجوعا عظيما جدا بان يرغبه الله في الاعمال الصالحة فلا يزال كل يوم في زيادة في نيته وعمله فيخف عليه ما
كان ثقيلا ويتيسر له ما كان عسيرا ويسهل عليه ما كان صعبا كما تقدم في ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بايمانهم ولا يزال كذلك حتى يحبه فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها
بان يوفقه للخير فلا يسمع الا ما يرضيه وهكذا ومن اجراه على ظاهره نعليه لعنة الله لمخالفته اجماع المسلمين ولما
وصف عباده سبحانه بانهم تحلوا باصول الفضائل وتخلوا عن امهات الرذائل ورغب في التوبة لان الانسان لعجزه لا ينفك عن
النقص وكان قد مدحهم بعد الاولى من صفاتهم بالحلم عن الجهل مدحهم قبل الاخرى من امداحهم وعقب تركهم الزنا بالاعراض اصلا
عن اللغو الذي هو اعظم مقدمات الزنا فقال والذين لا يشهدون اي يحضرون بحرا ما مع الهوى كما تفعل النار التي الشيطان
منها الزور اي القول المنحرف عن الصدق كذبا كان او مقاربا له فضلا عن ان يتفوهوا به ويقروا عليه قال ابن جرير واصل

الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل الى من يسمعه او يراه انه بخلاف ما هو به فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق
والشرك قد يدخل في ذلك لانه محسن لاهله حتى ظنوا انه حق وهو باطل ويدخل فيه الغناء لانه ايضا مما يحسن ترجيع الصوت
حتى يستحلي سامعه سماعه والكذب ايضا يدخل فيه بتحسين صاحبه اياه حتى يظن انه حق وعطف عليه ما هو اعم منه فقال
واذا مروا باللغو اي الذي ينبغي ان يطرح ويبطل سواء كان من وادي الكذب او العبث الذي لا يجدي قال ابن جرير وهو في كلام العرب
كل كلام او فعل باطل لا حقيقة له ولا اصل وما يستقبح مروا كراما اي امرين بالمعروف ناهين عن المنكر ان تعلق بهم امر او
نهي باشارة او عبارة على حسب ما يرونه نافعا او معرضين ان كان لا يصلح شيء من ذلك لاثارة مفسدة اكبر من ذلك ونحوه
رحمة لانفسهم وغيرهم واما حضورهم لذلك وسكوتهم فلا لان النظارة الى كل ما لم يسوغه الشرع هم شركاء فاعليه في الاثم
لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى به وسبب لوجوده والزيادة فيه ولما ذكر وضعهم الذي فاز قوابه اشار الى وصف الجملة
الذي سغلوا به فقال والذين اذا ذكروا اي ذكرهم غيرهم كائنا من كان لانهم يعرفون الحق بنفسه لا بقائله بايات ربهم اي الذي
ربهم لتذكر احسانه اليهم في حسن تربيته لهم بالاعتبار بالايات المرئية والمسموعة لم يخروا اي لم يفعلوا فعل الساقطين
المستعلين عليها الساترين لها زاد في بيان اعراضهم وصدهم عنها فقال منبها على ان المنفي القيد لا المقيد وهو الخرور
بل هو موجود غير منفي بصفة السمع والبصر صما وعميانا اي كما يفعل المنافقون والكفار في الاقبال عليها سماعا واعتبارا والا
عنها تغطية لما عرفوا من حقيتها وسترا لما راوا من نورها فعل من لا يسمع ولا يبصر كما تقدم عن ابي جهل وابي سفيان والاخنس بن شريق
وذلك وصف لعباد الرحمن بفعل ضد هذا انهم يسقطون عند سماعها ويكبون عليها سقوط سامع منتفع بسمعه بصير منتفع ببصره
وبصيرته سجدا وبكيا كما تقدم في اول اوصافهم وان لم يبلغوا اعلى درجات البصيرة بما اشارت اليه المبالغة بزيادة النون
في جمع العمي ولما ذكر هذه الخصلة المثمرة لما في الخصلة الاولى ختم بما ينتج الصفة الاولى فقال مودنا بان امامة الدين
ينبغي ان تطلب ويرغب فيها والذين يقولون علما منهم بعد اتصافهم بجميع ما مضى انهم اهل للامامة ربنا هب لنا من ازواجنا
اللاتي قرنتها بنا كما فعلت لنبيك صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله عنها في كلامك القديم وجعلت مدحها يتلى على تعاقب الازمان
والسنين وذرياتنا قرة ولما كان المتقون الذين يفعلون الطاعة ويسرون بها قليلا في جنب العاصين الى جمع القلة
ونكر فقال اعين اي بان نراهم يتقون بها لان الاقربين اولى بالمعروف ولا شيء اسر للمؤمن ولا اقر لعينه من ان يرى حبيبه يطيع الله فلما
طلبوا الان يطاع الله فتقر اعينهم بهم اما ان يكون مثلها في ذاتية منك اشد واما ان يكون على بابها ويكون للقسم هي الاعمال
اي هب لنا منهم اعمالا صالحة فجعلوا اعمالهم من يعز عليهم هبة لهم واصل القرة البرد لان العرب تتاذى بالحر وتستروح
الى البرد فجعل ذلك كناية عن السرور واجعلنا اي ايانا واياهم للمتقين اي عامة من الاقارب والاجانب ولما
كان المطلوب من المسلمين الاجتماع في الطاعة حتى يكون الكلمة في المتابعة واحدة اشاروا الى ذلك بتوحيد الامام وان كان
المراد الجنس فقالوا اماما اي فيكون علماء مخبتين متواضعين كما ينبغي ان امامة التقوى في افادة التواضع والسكينة لتحول الاجر
العظيم اذ الانسان له اجره واجر من اهتدى به فعمل بعمله من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ولما
وصف سبحانه عباده المؤمنين بضد اوصاف الكافرين من الرفق والسكينة والتواضع والحلم والطمانينة
والشكر لربهم والرغبة اليه والرهبة منه وقال الرازي فوصف مشيهم وخطابهم وانتصابهم له ودعاءهم ونفقاتهم
وتزاهتهم وتيقظهم وانتباههم وصدقهم ومحبتهم ونفعهم تشوف السامع الى ما لهم عنده بعد المعرفة بما للكافرين
فابتدا الخبر عن ذلك بتعظيم شانهم فقال اولئك اي العالوا الرتبة العظيموا المنزلة ولما كان المقصود انما
هو الجزاء بني للمفعول قوله يجزون اي فضلا من الله على ما وفقهم له من هذه الاعمال الزاكية والاحوال الصافية الغرفة اي
التي هي لعلوها واتساعها وطيبها لا غرفة غيرها لانها منتهى الطلب وغاية الارب لا يبغون عنها حولا ولا يريدون بها بدلا
وهي كل بناء عال مرتفع والظاهر ان المراد بها الجنس ولما كان العرب في غاية التعب لما فاتها الشهوات النفس
وهواها وطبع البدن رغب فيها بان جعلها سببا لهذا الجزاء فقال بما صبروا اي اوقعوا الصبر على امورهم ومرارة غربتهم
بين الجاهلين في افعالهم واقوالهم واحوالهم وغير ذلك من معالي خلالهم ولما كان المنزل لا يطيب الا بالكرامة والسلامة
قال ويلقون اي يجعلهم الله لاقين بايسر امر وعلى قراءة حمزة والكسائي وابي بكر عن عاصم بالتخفيف والبناء للفاعل والامر
واضح فيها تحية اي دعاء بالحياة من بعضهم لبعض ومن الملائكة الذين لا يرد دعاؤهم ولا يمترى في اخبارهم لانهم عن الله
ينطقون وذلك على وجه الاكرام والاعظام مكان ما اهانهم عباد الشيطان وسلاما اي من الله ومن الملائكة وغيرهم ود
وسلامة من كل افة مكان ما اصابوهم بالمصايب ولما كان هذا ناطقا بدوام حياتهم سالمين بصريحه وبعظيم
شرفهم بلازمه دل على انهم لا يبرحون عنه بقوله خالدين فيها اي الغرفة مكان ما ازعجوهم من ديارهم حتى هاجروا ودل على
علو امرها وعظيم قدرها بابراز مدحها في مظهر التعجب فقال حسنت اي ما احسنها مستقرا اي موضع استقرار ومقاما

أي موضع اقامته [ولما] ثبت أمر الرحمانية وظهر أمر الرحمن وما عليه عباده من الدعا الذي هو الخضوع والاخلاص وختم
أوصافهم الحسنة بالدعا حقيقة الدال على الاخلاص في الخضوع وذكر حسن جزائهم وكريم منقلبهم امر النذير ان يقول
لعباد الشيطان الذين تكبروا عن السجود للرحمن وعن الاعتراف والايمان ليرجعوا عن العصيان ويزداد المؤمنون في الطاعات
والايمان ان ربه لا يعبأ بمن لا يدعوه فمن ترك دعاءه فليرتقب العذاب الدائم فقال قل ما يعبأ اي يعتد ويبالي ويحفلكم
ممن يريد به في موضع التعبيه الآن على ان ما نافيه بكم ايها الكافرون ربي اي المحسن الي واليكم برحمانيته المختص لي بالاحسان
برحيميته واما خصه بالاضافة لاعترافه دونهم لولا دعاؤكم اي بداوكم له في وقت شدائدكم الذي انتم تبادرون اليه
فيه خضوعا له به ليجيبكم فاذا فعلتم ذلك انقذكم مما انتم فيه معاملة لكم معاملة من يبالي بالانسان ويعتد به ويراعيه
او لولا دعاؤه اياكم لتعبدوه رحمة لكم لتزكوا انفسكم وتنفعوا اعمالكم ولا تكونوا حطبا للنار فقد كذبتم اي فتسبب عن
ذلك انه تسبب طبايعكم ضد ما كان ينبغي لكم من الشكر والخير بان عصيتم بالالجا وحققتم وفرتم التكذيب بالرحمن بعد رحمتكم
بالبيان مع ضعفكم وعجزكم وتركتم ذلك الدعا له وعبدتم الاوثان وادعيتم له الولد وغيره من البهتان او ما يعتد بكم
شيئا من الاعتداد لولا دعاؤكم اياه وقت الشدايد فهو يعتد بكم لاجله نوع اعتداد وهو المدة التي ضربها لكم في الدنيا
لا غيرها بسبب انكم قد كذبتم او ما يصنع بكم لولا دعاؤه اياكم الى طاعته لانكم قد كذبتم فكنتم شرا من البهايم فدعاكم
فتسبب عن دعايه اياكم انكم فاجاتم الداعي بالتكذيب والحاصل انه ليس فيكم الان ما يصلح ان يعتد بكم لاجله الا الدعا
لانكم مكذبون وانما قلت الان لانما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال عكس لا فسوف اي فتسبب عن تكذيبكم انه مع
يجازيكم على ذلك ولكنه مع قدرته وقوته واختياره لا يعاجلكم بل يكون جزاء هذا التكذيب عنده نقصانا ما ضربه لكم
من الاجال وكل بعيد عندكم قريب عنده وكل ات قريب فتهيئوا واعتدوا لذلك اليوم لزاما اي لازما لكم لزوما
عظيما لا انفكاك له علم بحال وهذا تنبيه على ضعفهم وعجزهم وذلهم وقهرهم لان المالك من لا يكون الا كذلك فاسم
يوم بدر من افراد هذا التهديد فقد انطبق اخر السورة على اولها بالانذار بالفرقان لمن انكر حقية الرحمن والله ولي
التوفيق بالايمان [سورة الشعرا] مقصودها ان هذا الكتاب بين في نفسه باعجازه انه من عند الله مبين لكل ملتبس
ومن ذلك بيان احوال التي قبلها بتفصيله وتنزيله على احوال الامم وتمثيله وتسكين اسفه صلى الله عليه وسلم خوفا من ان يعم امته
الهوان بعدم الايمان وان يشتد قصدهم لاساءته بالاذى والعدو وان بما تفهمه سوف من طول الزمان بالاشارة الى اهلاك من علم
منه دوام العصيان ورحمة من ارادة للهداية والاحسان وتسميتها بالشعرا ادل دليل على ذلك بما يفارق به القران الشعر من علو
مقامه واستقامة مناهجه وعز مرامه وصدق وعده ووعيده وعدل تبشيره وتهديده وكذا تسميتها بالظلة اشارة الى انه
اعدل في بيانه وادل في جميع شانه من المقادير التي دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالمكيال والميزان واحرق من الظلة لمن
بارزه بالعصيان بسم الله الذي دل علو كلامه على عظمة شانه وعز مرامه الرحمن الذي لا يعجل على من عصاه الرحيم الذي
يحيي قلوب اهل وده بالتوفيق لما يرضاه طسم لعله اشارة الى الطهارة الواقعة بذي طوى من طور سينا وطيبة ومكة وطيب
ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم مما يجمع ذلك كله كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يرشد الى ذلك والى خلاص بني اسرائيل
بما سمعه موسى عليه السلام من الكلام القديم وبانمام امرهم بتهيئاتهم للملك باغراق فرعون وجنوده ونصرهم على من ناواهم
في ذلك الزمان بعد تطهيرهم بطول البلا الذي اوصلهم الى ذل العبودية وذلك كله اشارة الى تهديد قريش بانهم ان لم يتركوا
لددهم فعل بهم ما فعل بفرعون وجنوده من الاذلال باي وجه اراد وخلص عباده منهم واعزهم على كل من ناواهم [ولما]
فرق سبحانه في تلك بين الدين الحق والمذهب الباطل وبين ذلك غاية البيان وفصل عباد الرحمن من عباد الشيطان واخبر انه
عم برسالته صلى الله عليه وسلم جميع الخلايق وختم بتهديد الانذار لاهل الادبار بعد ان قال فقد كذبتم وكان حين نزولها
لم يسلم منهم الا القليل وكان ذلك ربما اوهم قرب اهلاكهم وانزال البطش بهم كما كان في اخر سورة مريم واشارت الاحرف المقطعة
الى مثل ذلك فاوجب الاسف على فوات ما كان يرجى من رحمتهم بالايمان والحفظ عن نوازل الحدثان وكان ذلك ايضا ربما اوجب ان
يظن ظان ان عدم اسلامهم لنقص في البيان ازال ذلك سبحانه اول هذه فقال تلك اي الايات العالية المرام الحائزة اعلى مراتب
التمام المؤلفة من هذه الحروف التي تتناطقون بها وكلمات لسانكم ايات الكتاب اي الجامع لكل فرقان المبين اي الواضح في نفسه انه
معجز وانه من عند الله وان فيه كل معنى جليل الفارق لكل مجتمع ملتبس بغاية البيان فصح انه فرقان كما ذكر في التي قبلها فان الابانة هي
الفصل والفرق فصار الاخبار بانه فرقان مكتنفا الانذار اول السورة التي قبل واخرها والله الموفق وقال الامام ابو جعفر
ابن الزبير لما عرفت سورة الفرقان بشنيع مرتكب الكفرة المعاندين وختمت بما ذكر من الوعيد كان ذلك مظنة لاسفه عليه السلام
وتاسفه على فوت ايمانهم لما جبل عليه من الرحمة والاشفاق فافتتحت السورة الاخرى بتسليته عليه السلام وانه سبحانه لو شاء لانزل
عليهم اية تبهرهم وتذل جبابرتهم فقال سبحانه لعلك باخع نفسك الايتين وقد تكرر هذا المعنى عند ارادة تسليته عليه السلام

كقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ولو
شاء الله ما فعلوه ثم اعقب سبحانه بالتنبيه والتذكير بالبر والى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم واذ نادى ربك موسى
وقل ما تجد في الكتاب العزيز ورود تسليته عليه الصلاة والسلام الا معقبه بقصص موسى عليه السلام وما كابد من بني
اسرائيل وفرعون وفي كل قصة منها احراز ما لم تحرزه الاخرى من الفوائد والمعاني والاخبار حتى لا تجد قصة تتكرر وان
ظن ذلك من لم يمعن النظر فما من قصة من القصص المتكررة في الظاهر الا ولو سقطت او قدر زوالها لنقص من الفائدة ما لا
يحصل من غيرها وسنوضح هذا في التفسير بحول الله ثم اتبع جل وتعالى قصة موسى بقصص غيره من الانبيا عليهم السلام
مع اممهم على الطريقة المذكورة وتانيسا له عليه السلام حتى لا يهلك نفسه اسفا على فوت ايمان قومه ثم اتبع سبحانه ذلك
بذكر الكتاب وعظيم النعمة به فقال وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك فيا لها كرامة تقصر الالسنة عن
شكرها وتعجز العقول عن تقديرها ثم اخبر تعالى انه بلسان عربي مبين ثم اخبر سبحانه بعلي امر هذا الكتاب وشايع ذكره على السنة
الرسل والانبيا فقال وانه لفي زبر الاولين واخبر ان علم بني اسرائيل من اعظم اية واوضح برهان وبينة وان تأمل ذلك كاف
واعتباره شاف فقال اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل كعبد الله بن سلام واشباهه ثم وبخ تعالى متوقفي العرب
فقال ولو نزلناه على بعض الاعجمين الاية ثم اتبع ذلك بما يتعظ به المؤمن الخائف من ان الكتاب مع انه هدى ونور قد يكون محنة
في حق طايفة كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فقال تعالى
في هذا المعنى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الايات ثم عاد الكلام الى تنزيه الكتاب واجلاله
عن ان تتسور الشياطين على شيء منه او تصل اليه فقال سبحانه وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم اي ليسوا اهلا له
ولا يقدرون على استراق سمعه بل هم معزولون عن السمع مرجومون بالشهب ثم وصى تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمراد
المؤمنون فقال فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين ثم امره بالانذار ووصاه بالصبر فقال وانذر عشيرتك الاقربين
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ثم اعلم تعالى بموقع ما توهموه واهلية ما تخيلوه فقال هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم ثم وصفهم وكل هذا تنزيه لنبيه عليه السلام عما تقولوه ثم هددهم وتوعدهم فقال وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون انتهى [ولما] كان قد قدم في تلك انه عم برسالته جميع الخلايق وختم بالانذار على تكذيبهم
في تخلفهم مع ازاحة جميع العلل ونفي كل خلل وكان ذلك مما يقتضي شدة اسفه صلى الله عليه وسلم على المتخلفين كما هو معهود
ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا على ما تقدم وذلك لما عنده صلى الله عليه وسلم من مزيد الشفقة وعظيم الرحمة قال تعالى مسليه
ويزيل من اسفه ويعزيه على سبيل الاستيناف مشيرا الى انه لا نقص في انذاره ولا في كتابه الذي يريد به ان يكون سببا لو توهم
عن الايمان وانما السبب في ذلك محض ارادة الله لعلك باخع نفسك اي مهلكها غما وقاتلها اسفا من بخع الشاة اذا بالغ في ذبحها
حتى قطع البخاع بكسر الموحدة وهو عرق باطن في الصلب وفي القفا وذلك اقصى حد الذابح وهو غير النخاع بتثليث النون فانه الخيط
الابيض في جوف الفقار ان اي لاجل الا يكونوا اي كونا كانه جبلة لهم مؤمنين اي راسخين في الايمان فكان كانه قيل هذا الكتاب
في غاية البيان في نفسه والابانة للغير وقد تقدم في غير موضع انه ليس عليك الا البلاغ انخاف وتشفق على نفسك من الهلاك
غما واسفا على عدم ايمانهم والحال انا لو شئنا لهديناهم طوعا او كرها والظاهر ان جملة الاشفاق في موضع حال من اسم
الاشارة كما ان الاية التي بعدها في موضع الحال منها اي نحن نشير الى الايات المبينة لمرادنا فيهم والحال انك لمزيد حرصك على
نفعهم بحال تشفق فيها عليك من لا يعلم الغيب من ان تقتل نفسك غما لاباءهم الايمان والحال انا لو شئنا اتيناهم بما يقهرهم
ويذلهم للايمان وغيره [ولما] كان المحب ميالا الى ما يريد حبيبه اعلمه ان كل ما هم فيه بارادته فقال ان نشا وعبر
بالمضارع فيه وفي الكهف وفي قوله ننزل اعلاما بدوام القدرة [ولما] كان ذلك الانزال من باب القسر والجبروت والقهر
قال عليهم وقال محققا للمراد من السماء اي التي جعلنا فيها بروجا للمنافع واشار الى تمام القدرة بتوحيدها فقال اية
اي قاهرة كما فعلنا ببعض من قبلهم بنتق الجبل ونحوه من السماء واشار الى تحقق اثرها بالتعبير بالماضي في قوله عطفا
على ننزل لانه في معنى انزلنا فظلت اي عقب الانزال من غير مهلة اعناقهم التي هي موضع الصلابة وعنها تنشا حركات الكبر
والاعراض لها اي للاية دائما ولكنه عبر بما يفهم النهار لانه موضع القوة على جميع ما يراد من التقلب والحيل والمدافعة خاضعين
جمعه كذلك لان الفعل لاهلها ليدل على ان ذلهم لها يكون مع كونهم جميعا ولا يغني جمعهم وان زاد شيئا والاصل ولكنه ذكر الاعناق
لانها موضع الخضوع فانه يظهر بلينها بعد صلابتها وانكسارها بعد شماخها والاشارة الى ان الخضوع يكون بالطبع من غير اهل
لما اتيناهم وخيرهم من عظمة الاية فكان الفعل للاعناق لاظهر والخضوع التطامن والسكون واللين ذلا وانكسارا وما
اي هذه صفتنا والحال انه ما ياتيهم اي الكفار من ذكر اي شيء يذكرونا به فيكون سبب ذكرهم وشرفهم من الرحمن اي الذي
انكروه مع احاطة نعمه بهم محدث اي بالنسبة الى تنزيله وعلمهم به واشار الى دوام كبرهم بقوله الا كانوا اي كونا هو

كالحلول لهم وأشار بتقديم الجار المؤذن بالتخصيص إلى ما لهم من سعة الأفكار وقوة الهمم بكل ما يتوجهون إليه وإلى أن إعراضهم
عنه من العجب ما يبعد الإعراض عن غيره عدماً فقال عنه أي خاصة معرضين أي إعراضاً هو صفة لهم لازمة ولما كان
حال المعرض عن الشيء حال المكذب به قال فقد أي فتسبب عن هذا الفعل منهم أنهم قد كذبوا أي حققوا التكذيب وقربوه كما تقدم
آخر تلك واستمروا على التكذيب بآياتنا ورسولنا ولما كان التكذيب بالوعيد سبباً في إتيانه وكان حالهم في تكذيبهم له صلى الله
عليه وسلم حال المستهزئ لأن من كذب بشيء خف عنده قدره فصار عرضة للهزء قال مهدداً فسيأتيهم سببه بالفاء وحققه بالسين
وقلل التنفيس عما في آخر الفرقان ليعلموا أن ما كذبوا به واقع وأنه ليس موضعاً للتكذيب بوجه أنباء أي عظيم أخبار وعواقب ما أي
العذاب الذي كانوا أي كوناً كأنهم جبلوا عليه به أي خاصة لشدة إمعانهم في جحده وحده يستهزءون أي يهزءون ولكنه
عبر بالسين إشارة إلى أن حالهم في شدة الرغبة في ذلك الهزء حال الطالب له وقد ضموا إليه التكذيب فالآية من الاحتباك ذكر التكذيب
أولاً دليلاً على حذفه ثانياً والاستهزاء ثانياً دليلاً على حذف مثله أولاً ولما كانت رؤيتهم للآيات السماوية والأرضية الموجبة
للانقياد والخضوع موجبة لإنكار تخلفهم عما تدعوا إليه فضلاً عن الاستهزاء وكان قد تقدم آخر تلك الحث على تدبر بروج السماء وما
يتبعها من الدلالات فكان التقدير ألم يروا إلى السماء كم أودعنا في بروجها وغيرها من آيات نافعة وضارة كالأمطار والصواعق
عطف عليه ما يشاكله من ذلك في الأرض في قوله معجباً منهم أولم يروا ولما كانوا في عمى عن تدبر ذلك عبر بالإله عليه
بحرف الغاية فقال إلى الأرض أي على سعتها واختلاف نواحيها وتربها ونبه على كثرة ما صنع من جميع الأصناف فقال كم أنبتنا
أي بما لنا من العظمة فيها بعد أن كانت يابسة ميتة لا نبات بها من كل زوج أي صنف مشاكل بعضه لبعض فلم يبق صنف يليق
بهم في العاجلة إلا أكثرنا من الإنبات منه من الأشجار والزروع وسائر النباتات على اختلاف ألوانها في زهورها وأنوارها وطعومها
وأقدارها ومنافعها وأد واحدها إلى غير ذلك من أمور لا يحيط بها حداً ويحصيها عداً إلا الذي خلقها مع كونها تسقى بماء واحد
والكريم وصف لكل ما يرضى في بابه ويحمد ويوصف اللئيم ولما كان ذلك باهراً للعقل منبهاً له في كل حال على عظيم
اقتدار صانعه وبديع اختياره وصل به قوله إن في ذلك أي الأمر العظيم من الإنبات وما تقدمه من العظات على كثرته لآية
أي علامة عظيمة جداً لهم على تمام القدرة على البعث وغيره كافية في الدعاء إلى الإيمان والزجر عن الطغيان ولعله وحدها
على كثرتها إشارة إلى أن الدوال عليه متساوية الأقدام في الدلالة فلا تحوج غيرهم واحد وغيرهم لا يرجعون لشيء و الحال أنه
ما كان في الشاكلة التي جبلتهم عليها أكثرهم أي البشر مؤمنين أي عريقين في الإيمان لأنه ما يؤمن أكثرهم إلا وهم مشركون وإن
أي والحال أن ربك أي الذي أحسن إليك بالإرسال وسخر لك قلوب الأصفياء وذوي عقل الأذكياء الأشقياء لهو ولما كان المقام
لإنزال الآية القاهرة قدم قوله العزيز أي القادر على كل من قسرهم على الإيمان والانتقام منهم الرحيم في أنه لم يعاجلهم
بالنقمة بل أنزل عليهم الكتاب ترفقاً بهم وبياناً لما يرضاه ليقيم به الحجة على من أريد للهوان ويقبل بقلوب من يختصه منهم
للإيمان قال أبو حيان والمعنى أنه عز في نقمته من الكفار ورحم مؤمني كل أمة انتهى ومن هنا شرع سبحانه في تفصيل آخر الفرقان
في إظهار القدرة بالبطش عند النقمة حيث لم تشكر النعمة بأن أبى المدعو الإجابة لدعوة الرسل وترك الداعي عقب الإنقاذ من
الشدائد التضرع للرسل وقص أخبار الأمم على ما هي عليه بحيث لم يقدر واحد من أهل الكتاب الذين هم بين ظهرانيهم على إنكار شيء من ذلك
ومن ثم قرع أسماعهم أولاً بقصتهم مع فرعون وموسى عليه السلام فصح قطعاً أن هذا الكتاب جلي الأمر على القدر ليس بكهانة ولا شعر
كما يشوكه ذلك عند إظهار التنبيه في آخرها بل هو من عند رب العالمين على لسان سيد المرسلين وصح أن أكثر الخلق مع ذلك هالك
وإن قام الدليل ووضح السبيل لأن سلك الذكر في قلوبهم شبيه في الضيق بنظر السهم فيما يرمى به وصح أنه سبحانه علي لهم ونعمهم عليهم
بما فيه حياة أديانهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وما فيه حياة أبدانهم بالإنبات بكل ما يحتاجونه إظهاراً لصفة الرحمة
ثم ينتقم منهم بعد طول المهلة وتماديهم في سكرات الغفلة كشفاً لصفة العز كل ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتخفيفاً
عليه وإعلاماً بأنه لا قصور في بيانه ولا تقصير لديه ولما اقتضى وصف العز الإهلاك ووصف الرحمة الإمهال وكان
الأول مقدماً وكانت عادتهم تقديم ما هم به أهم وهم لهم أعنى جعلت غايته فأتبع ذلك أخبار هذه الأمم دلالة على الوصفين
معاً ترغيباً وترهيباً ودلالة على أن الرحمة سبقت الغضب وإن قدم الوصف اللائق به فلا يعذب إلا بعد البيان مع طول
الإمهال ولعل لخلو قصة أبيهم إبراهيم عليه السلام من ذكر الإهلاك إشارة إلى البشارة بالرفق ببنيه العرب في الإمهال كما رفق
بهم بالإرسال والإنزال ولما كان مع ذلك في هذه القصة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يقاسيه من الأذى والنكد
وكانت التسلية بموسى وإبراهيم عليهما السلام أتم لما لهما من القرب والمشاركة في الهجرة والقصد إلى الأرض المقدسة وكان قد
اختص موسى عليه السلام بالكتاب الذي ما بعد القرآن مثله والآيات التي ما أتى بمثلها أحد قبله وأقر عينه بهداية قومه وحفظهم
بعده بالكتاب وسياسة الأنبياء المجددين لشريعته وعدم استئصالهم بالعذاب والانتقام بأيديهم من جميع أعدائهم وفتح بلاد
الكفر على أيديهم بعده صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك مما شابهوا به هذه الأمة مع مجاورتهم للعرب حتى في دار الهجرة وموطن النصرة

ليكون

ليكون في إقرارهم على ما يسمعون من أخبارهم أعظم معجزة وأتم دلالة قدمهما معظماً موسى عليه السلام والتحية والإكرام فإن كان المقصد
تسكين ما آذنه آخر تلك من خوف الملازمة بالعذاب نظراً إلى وصف العز فالتقدير اذكر إذ رحمنا بطول إمهالنا لقومك ونعم على
أشد ما يكون من الكفر والضلال في أيام الجاهلية برحمتنا الشاملة بإرسالك إليهم وأنت أشرف الرسل وإنزال هذا الكتاب الذي هو
أعظم الكتب واذكر إذ وعلى تقدير التسلية يكون العطف على تلك لأن المراد بها التنبيه فالتقدير خذ آيات الكتاب واذكر إذ نادى
ربك أي المحسن إليك بكل ما يمكن الإحسان به في هذه الدار وعلى تقدير الترهيب يكون التقدير اذكروا ولو بروا إذ نادى ربك وعداً وإذا
لذلك لأنا لنهود في بلادهم وفي حد العرب منهم فإما أن يكونوا عالمين بالقصة بما سمعوه منهم أو متهيئين لذلك لإمكانهم من سؤالهم
ثم ذكر المنادى فقال موسى وأتبعه ما كان له النداء فقال مفسراً لأن النداء في معنى القول أن ائت القوم أي الذين فيهم قوة وأي
قوة الظالمين أي بوضعهم قوتهم على النظر الصحيح المؤدي للإيمان في غير موضعها ولما كان كأنه قيل أي قوم قال مبدلاً إشارة إلى
أن العبارتين مؤداهما واحد لأنهم عريقون في الظلم لظلمهم أنفسهم بالكفر وغيره وظلم بني إسرائيل وغيرهم من العباد قوم فرعون
ولما كان المقصود بالرسالة تخويفهم من الله وإعلامهم بجلاله استأنف قوله معلماً بذلك في سياق الإنكار عليهم والإ
تشديد الغضب منهم والتسجيل عليهم بالظلم والتعجيب من حالهم في عظيم عسفهم فيه وأنه قد طال إمهاله لهم وهم لا يزدادون
إلا عتواً ولزوماً للموبقات ألا يتقون أي يحصل منهم تقوى ولما كان من المعلوم أن من أتى الناس بما يخالف أهواءهم لم يقبل
لخير من تشوف إلى معرفة جوابه أنه أجاب بما يقتضي الدعاء بالمعونة لما عرف من خطر هذا المقام بقوله ملتفتاً إلى نحو يا رب إن قومي
اتخذوا هذا القرآن مهجوراً قال رب أي أيها الرفيق بي إني أخاف أن يكذبون أي فلا يترتب على إتياني إليهم أثر ويبغون لي الغوائل
فاجعل لي قبولاً ومهابة تحرسني بها ممن يريدني بسوء ويجوز أن يريد بالخوف العلم والظن فيكون أن مخففة فيكون الفعلان معطوفين
على يكذبون في قراءة الجمهور بالرفع مع جواز العطف على أخاف فيكون التقدير وأخاف أنه أو قال إني ويضيق صدري عند
تكذيبهم أو خوفي من تكذيبهم لي انفعالاً كما هو شأن أهل المروات وأرباب علو الهمم لما غرز فيهم من الحرج والشدة في العزائم إذا
لم يجدوا مساغاً ولا ينطلق ونصب يعقوب الفعلين عطفاً على يكذبون على أن ناصبه لساني أي في التعبير عما ترسلني إليهم
به لما فيه من الحبسة في الأصل بسبب تعقده لتلك الجمرة التي لدغته في حال الطفولية فإذا وقع التكذيب أو خوفه وضاق القلب
انقبض الروح إلى باطنه فازدادت الحبسة فمست الحاجة إلى معين يقوى القلب فيعين على إطلاق اللسان عند الحبسة لئلا يختل
المدعو فأرسل أي فتسبب عن ذلك الذي اعتذرت به عن المبادرة إلى الذهاب عند الأمر أني أسألك في الإرسال إلى هرون
أخي ليكون رسولاً من عندك فيكون لي عضداً على ما أمضيه من الرسالة فيعين على ما يحصل من ذلك وليس اعتذاره بتعلل في
الامتثال وكفى بطلب العون دليلاً على التقبل لا على التعلل ولما ذكر ما يؤثر في الرسالة وقدم الإشارة إلى استكفافه
لأنه أهم أتبعه ما يترتب على طلق التأخر الظاهر لهم فضلاً عن مواجهتهم بما يكرهون فقال ولهم علي أي بقتلي نفساً منهم
وقال ذنب وإن كان المقتول غير معصوم تسمية له بما يزعمونه ولذلك قيد بلهم وأيضاً فلكونه ما كان أتاه فيه من الله تعالى
أمر بخصوصه فأخاف بسبب ذلك أن يقتلون أي مع ما أضمه إليه من التعرض لهم فلا أتمكن من أداء الرسالة فإذا كان هرون
معي عاضدني في إبلاغها وكل ذلك استكشاف واستدفاع للبلاء واستعلام للعاقبة لا توقف في القبول كما مضى التصريح به
في سورة طه ولما استشرفت النفس إلى معرفة جوابه عن هذه الأمور المهمة شفي عناؤها بقوله إعلاماً بأنه سبحانه
استجاب له في كل ما سأل قال قول كامل القدرة شامل العلم كما هو وصفه سبحانه كلا أي ارتدع عن هذا الكلام فإنه
لا يكون شيء مما خفت لا قتل ولا غيره وكأنه لما كان التكذيب مع ما قام على الصدق من البراهين المقوية لصاحبها الشارحة لصدره
المعلية لأمره عدماً وقد أجاب إلى الإعانة بأخيه قال فاذهبا أي أنت وهو متعاضدين إلى ما أمرتك به مؤيدين بآياتنا
الدالة على صدقكما على ما لها من العظمة بإضافتها إلينا ثم علل بأمنيه له بقوله إنا بما لنا من العظمة معكم أي كائنون عندكم وعند
الملهم فيمن اتبعكما من قومكما ثم أخبر خبراً آخر بقوله مستمعون أي سامعون بما لنا من العظمة في القدرة وغيرها من صفات
الكمال إلى ما تقولان لهم ويقولون لكما فلا نغيب عنكم ولا تغيبون عنا نحن نفعل معكما من المعونة والنصر فعل القادر الحاضر
لما يفعل بحبيبه المصغي له بجملته ولذلك عبر بالاستماع قال أبو حيان وكان شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير يرجح أن يكون
أريد بصورة الجمع والخطاب موسى وهرون فقط لأن لفظة مع تباين من يكون كافراً فإنه لا يقال الله معه وعلى أنه أريد
بالجمع التثنية حمله سيبويه وكأنهما لشرفهما عند الله تعالى عاملهما في الخطاب معاملة الجمع إذ كان ذلك جائزاً أن يعامل به
الواحد لشرفه وعظمته انتهى وهو كلام نفيس مؤيد بتقديم الظرف ويكون حينئذ خطابهما مشاكلاً لتعظيم المتكلم سبحانه
نفسه لأن المقام للعظمة وعظمة الرسول من عظمة المرسل على أنه يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البشارة بمن يتبعهما كما قدرته ويجوز
أن تكون المعية للكل كما في قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الآية ولما نفى سبحانه أن يكون شيء مما خافه موسى عليه السلام
على هذا الوجه المؤكد وكان ظهور ذلك في مقارعة الرأس أدل وأظهر صرح به في قوله فأتيا أي فتسبب عن ذلك الضمان بالحراسة

والحفظ اي اقول لكما ائتيا فرعون نفسه وان عظمت مملكته وجلت جنوده فقولا اي ساعة وصولكما ولمن عنده انا رسول
افرده مريدا به الجنس الصالح للاثنين اشارة بالتوحيد الى انهما في تعاضدهما واتفاقهما كالنفس الواحدة ولا تخالف لانه اما
وقع مرتين كل واحدة بلون او مرة بما يفيد التثنية والاتفاق فساغ التعبير بكل منهما ولم يثن هنا لان المقام لا اقتضا له للتثنية
على طلب نبينا صلى الله عليه وسلم الموازرة بخلاف ما مر في سورة طه رب العالمين اي المحسن الى جميع الخلق المدبر لهم ثم ذكر له ما
قصد من الرسالة اليه فقال معبرا باداة التفسير لان الرسول فيه معنى الرسالة التي تتضمن القول ان ارسل اي حل واطلق
واعاد الضمير على معنا رسول فقال معنا بني اسرائيل اي قومنا الذين استعبدتهم ظلما ولا سبيل لك عليهم نذهب بهم الى الارض
المقدسة التي وعدنا الله لها على السنة الانبياء من ابائنا عليهم السلام ولما كان من المعلوم انهما امتثلا ما امرهما الله
فاتيا وقالا له ما امرا به تشوفت النفس الى جوابه لهما فقال تعالى لنا ما ترى الى ما قيل قوله في التي قبلها وقالوا ما لهذا الرسول
ياكل الطعام وان يتخذونك الا هزؤا ونحو ذلك تسلية لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتحقيقا لمعنى قوله تعالى كلا
ومستمعون من ان فرعون وان بالغ في الابراق والارعاد لا يروع موسى عليه السلام شيء منه قال اي فرعون حين ابلغاه الرسالة
مخاطبا لموسى عليه السلام علما منه انه الاصل فيها ولحوج انما هو وزير منكرا عليه مواجهته بمثل هذا وما تا عليه ليكف
من جرانه بتضويب مثل هذا الكلام اليه الم نربك اي بعظمتنا التي شاهدتها فينا وليدا اي صغيرا قريب عهد بالولادة ولبثت
فينا اي لا في غيرنا باعتبار انقطاعك الينا وتعززك في الظاهر بنا من عمرك سنين اي كثيرة فلنا عليك بذلك من الحق ما ينبغي
ان يمنعك من مواجهتنا بمثل هذا او كانه عبر بما يفهم التكثير كناية عن مدة مقامه عنده بانها كانت نكدة لانه وقع فيما كان
يخافه وقاية ما كان يحتاط به من ذبح الاطفال ولما ذكر ما نحمله على الحياء منه ذكر ذنبا هو اهل لان يخاف من
عاقبته فقال كمولا له بالكناية عنه وفعلت فعلتك اي من قتل القبطي ثم اكد نسبته الى ذلك مشيرا الى انه عامله بالحلم
تجملا له فقال التي فعلت وانت اي والحال انك من الكافرين اي لنعمتي وحق تربيتي بقتل من ينتسب الي او عدة منهم
لسكونه عنهم اذ ذاك لانه لم يكن قبل الرسالة مامورا فيهم بشيء فكان مجاملا لهم فكانه قال وانت منا فما لك الان تنكر علينا
وتنسبنا الى الكفر قال مجيبا على طريق النشر المشوش واثقا بوعد الله بالسلامة مقرا بما دندن عليه من القتل لانه لم يكن متحققا
لذلك وما ترك قتله الا التماسا للبينة فعلتها اذا اي اذ قتلته وانا من الضالين اي لا اعرف ذنبا فانا واقف عن
كل وجهة حتى يوجهني ربي الى ما يشاء قال ابن جرير والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال انتهى
وتقدم في الفاتحة للحرالي في هذا كلام نفيس على ان هذه الفعلة كانت مني خطأ ففررت اي فتسبب عن فعلها وتعقبه
اي فررت منكم اي منك لسطوتك ومن قومك لاغرائهم اياك علي لما خفتكم على نفسي ان تقتلوني بذلك القتل الذي
قتلته خطأ مع كونه كافرا مهدر الدم فوهب لي ربي الذي احسن الي بتربيتي عندكم تحت كنف ابي امنة مما احذر ثم من
الظلم خوفا مني حكما اي علما اعمل به عمل الحكام الحكما وجعلني من المرسلين اي فاجهدوا الان جهدكم فاني لا اخافكم لقتل ولا غيره
ولما احتج في كلام فرعون من ... ونعتبر بدا بجوابه عن التعبير لانه الاخير فكان اقرب ولانه اهم ثم عطف عليه جوابه عما من به
فقال موبخا له مبكتا منكرا عليه غير انه حذف حرف الانكار راجعا لا في القول واحسانا في الخطاب وتلك اي التربية الشنعاء العظيمة
في الشناعة التي ذكرتها نعمة تمنها علي ولما كان سببها ظلمه لقومه جعلها نفسها فقال مبدلا منها منبها على احاطتها
واعلاما بانها بكونها نعمة اولى منها في عدها نعمة ان عبدت اي تعبيدك وتذليلك على ذلك الوجه البديع المبعد قومي بني اسرائيل
اي جعلتهم عبيدا ظلما وعدوانا وهم ابناء الانبياء ولسلفهم يوسف عليه السلام عليكم من المنة باحيا نفوسكم اولا وعتق رقابكم ثانيا
ما لا تقدرون له على جزا اصلا ثم ما كفاك ذلك حتى فعلت ما لم يفعله مستعبد فامرت بقتل ابنائهم فكان ذلك سبب وقوعي اليك
لاسلم من ظلمك كما مر بيانه ويأتي ان شاء الله تعالى مستوفا في سورة القصص ولما كلم اللئيم الزنيم الكليم العظيم بما رجى ان يكفه
عن مواجهته بما يكره ويرجعه الى مداراته فلم يفعل وفهم ما في جوابه هذا الاخير من الدمر له والتحجير واثبات القدرة التامة
والعلم الشامل لله بما دبر في امر موسى عليه السلام وانه لا ينهض لذلك بجواب ولا يجد له فيه قول عدل عنه الى جوابه عن الرسالة
بما يوهم به ايضا على قومه ليلا يرجعوا عنه فاخبر تعالى عن محاورته في ذلك بقوله على طريق الجواب لمن كانه قال ما قال له جوابا
لهذا الكلام الذي كانه السهام قال فرعون حايدا عن جواب موسى عليه السلام لما فيه من تانيبه وتعجيزه منكرا الخالقه
على سبيل التجاهل كما انكر هؤلاء الرحمن متجاهلين وهم اعرف الناس بغالب افعاله كما كان فرعون يعرف لقول موسى عليه السلام
لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وما رب العالمين اي الذي زعمت انكما رسوله فسال عما عن حقيقته وانما اراد في
الحقيقة انكاره ولما كان تعريف حقيقته سبحانه بنفسها محالا لعدم التركيب فكان تعريفها لا يصح الا بالخارج اللازم
الجلي تشوف السامع الى ما يجيب به منه فاستانف قوله اخبارا عنه قال اي موسى عليه السلام معرضا عن التعريف بغير الافعال
اعلاما بانه لا شبيه له وانه مباين وجوده لوجود كل شيء سواه معرفا له سبحانه باظهر افعاله مما لا يقدر احد على ادعاء

المشاركة

المشاركة فيه مشيرا الى خطابه في طلب الماهية بانه لا مماثل له اقول لك ولمن ادرك بطلب الحقيقة التمويه عليهم هو رب
اي خالق ومبدع ومدبر السموات كلها والارض وان تباعدت اجرامها بعضها عن بعض وما بينهما وذلك اظهر العالم
الذي هو صنعته وانتم غير مستغنين عنه طرفة عين فهذه هي المنة لا امساكك علي بالتربية الى حين استغنيت عنك وهذا هو
الاستعباد بالاحسان مع العصيان بالكفران لا استعبادك لقومي باهلاكهم وهم في طاعتك ولسلفهم عليكم من المنة ما لا
تجهلونه ان كنتم اي كونا راسخا موقنين اي متصفين بما عليه اهل العلم باصول الدين من البغية بما يعتقدون انصافا ثابتا والجواب
علمتم ذلك وعلمتم انه لا جواب اسد منه لان المذكور متغير فله مغير لا يتغير وهو هذا الذي ارسلنا اليك ان كان لكم يقين فانتم تعرفونه
لشدة ظهوره وعموم نوره قال اي فرعون لمن حوله من اشراف قومه مموها ايضا الا تستمعون اي تصغون اليه بجميع جهدكم لان
وهو كلام ظاهر انه يبهتهم على الانكار لانه سال عن الماهية فاجيب بغيرها ويحتمل غير ذلك لوضوح فيه فهو من خفي مكر هو
وبخ اللعين في جوابه وكان ربما ادعى ان الخافقين وما بينهما من الفضا غير مخلوق تشوف السامع الى جواب الكليم اسانف الشفا لنبي
هذا السوال بقوله قال اي موسى تخصيصا بعد ما عمم بشيء لا يمكن المنازعة فيه لمشاهدة وجوده وافراده بعد ان لم يكن ربكم اي الموجد
لكم والمربي والمحسن ورب اباءكم الاولين وفرعون الذي تعرفون بانه ربكم كان اذ ذاك عدما محضا او ما صرفا في ظهر ابيه فبطل
كون احد منهم ربا لمن بعده كما بطل كون احد ممن قبلهم من الهالكين ربا لهم لان لكل عدما ثم انما اوضح بذلك بطلان ما حملهم على اعتقاده من
ربوبيته لم يمالك ان قال ان رسولكم على طريق التهكم اشارة الى ان الرسول ينبغي ان يكون اعقل الناس ثم زاد الامر بقوله الذي
ارسل اليكم اي وانتم اعقل الناس لمجنون حيث لا يفهم عن حقيقة مرسله ثاليف يصلح للرسالة من الملوك فلما اسا الادب فاشتد
تشوف السامع الى معرفة جوابه عنه استانف تعالى الاخبار بذلك فحكى انه ذكر له ما لا يمكنه ان يدعي طاعته له وهو اكثر تغيرا واعجب
نقلا قال رب المشرق والمغرب اي الشروق والغروب ووقتهما وموضعهما وما بينهما اي من الناس الذين ليسوا في طاعتكم والحيوان
والجماد بسبب ما ترون من قدرته على تقليب النيرات من بزوغ الشمس والقمر والنجوم وافولها وما يظهر عنه من الليل والنهار
على تصاريف مختلفة وحركات متفاوتة لولا هي ما علمتم شيئا من اموركم ولا تمكنتم من احوالكم وهذا كله على نظام عجيب محكم
وترتيب غريب اقوم لا يقوم الا بمدبر قهار ولا يتم الا بفاعل واحد مختار عزيز جبار وهذا الدليل ابين الكل لتكرر الحركة فيه
وغير ذلك من معالمه ولذلك بهت نمروذ لما القاه عليه الخليل عليه السلام ولما دعاه صلى الله عليه وسلم باللين فاساء
الادب عليه في الجواب الماضي ختم هذا البرهان بقوله ان كنتم تعقلون اي فانتم تعلمون ذلك لخبرتهم بين الافراد بالجنون او العقل
بما اشار اليه من الادلة في مقابلة ما نسبوه اليه من الجنون بسكوتهم وقول عظيمهم بغير شبهة ردا لهم عن الضلالة وانقاذا
من واضح الجهالة فكان قوله انكا مع انه الطف واوضح مع انه استر واشرف ولما علم انه قد قطعه بما اوضح من الامر
ووصل معه في الغلظة الى ما ان سكت عنه اوهن من حاله وفتر من عزايم رجاله تكلم بما السكوت اولى منه فاخبر تعالى عنه بقوله
قال عادلا لعجزه عن الحجاج بعد الخوض فيه الى المغالبة التي هي ابين علامات الانقطاع لئن اتخذت الها غيري اي تعمدت اخذه وافرده
بتوجيه جميع قصدك اليه لاجعلنك من المسجونين اي واحدا ممن هم في سجوني على ما تعلم قال مدافعا بالتي هي احسن ارخا للعنان
لارادة البيان حتى لا يبقى عذر لانسان رجا النزوع عن الطغيان والرجوع الى الايمان لان من العادة الجارية السكون الى الانصاف
والرجوع الى الحق والاعتراف اولو اي اتسجنني ولو جئتك بشيء مبين اي لرسالتي قال مدافعا بالتي هي احسن طمعا في ان يجد موضعا
للتكذيب او التلبيس فات به اي تسبب عن قولك هذا اي اقول لك ائت بذلك الشيء ان كنت اي كونا انت راسخ فيه من الصادقين
اي فيما ادعيت من الرسالة والبينة وهذا اشارة الى انه بكلامه المتقدم مقتصر عنه في غير عدادهم فالقى اي فتسبب عن ذلك
وتعقبه ان القى ولما كان الكلام مع موسى عليه السلام فكان اضماره غير ملبس لم يصرح باسمه اكتفا بضميره فقال عصاه
اي التي تقدم في غير سورة ان الله تعالى اراه اياها فاذا هي ثعبان اي حية في غاية الكبر مبين اي ظاهر الثعبانية لا شك
عند رائيه فيه لا كما يكون عند الامور السحرية من التخيلات والتشبيهات ونزع يده اي التي كانت احترقت لما اخذ الجمرة وهو
في حجر فرعون وبذل فرعون جهده في علاجها بجميع من قدر عليه من الاطبا فعجز عن ابرايها نزعها من جيبه بعد ان اراه اياها
على ما يعهد منها ثم ادخلها في جيبه فاذا هي بعد النزع بيضاء للناظرين اي بياضا تتوفر الدواعي على نظره لخروجه عن العادة
بان له نورا كنور الشمس يكاد يغشي الابصار قال اي فرعون للملا حوله لما وضح له الامر يموه على عقولهم خوفا من ايمانهم ان
هذا لساحر عليم اي شديد المعرفة بالسحر وخص في هذه السورة اسناد هذا الكلام اليه لان السياق كله لتخصيصه بالخطاب
لما تقدم ونظرا الى ظلت اعناقهم لها خاضعين لان خضوعه هو خضوع من دونه فدلالته على ذلك اظهر ولا ينفي ذلك ان يكون
قومه قالوه اظهارا للطواعية كما مضى في الاعراف اوفقهم بما خيلهم به احمايهم لانفسهم فقال ملقيا بجلباب
الانفة لما دهمه من سلطان المعجز يريد ان يخرجكم من ارضكم اي هذه التي هي قوامكم بسحره اي بسبب ما اتى به منه فانه
يوجب استتباع الناس فيتمكن مما يريد ثم قال لقومه الذين كان يزعم انهم عبيده وانه الاههم ما دل على انه خار قواه

من حالي في اقتداري ومن عجزي
وانقطاعهم ومن حالك فيهما
من الحصر والغلظ والعجز

دقيق ولزم عليه انه لا يأتي بالمعجز
الا الصادق لانها تصديق من
الله للمدعي وعادته سبحانه
جارية في انه لا يصدق الكاذب

فحطّ عن سكينة كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه حتى جعل نفسه مأمورًا بعد ما كان يدّعي كونه آمرًا بل إلهًا قادرًا فماذا تأمرون
أي في مدافعته عما يريد بنا قالوا أي الملأ الذين كانوا أيا يأمرون به قبل المجيء ليقتلوه أرجه أي أخّره وأخاه ولم يأمروا بقتله لئلا
يأتي بما يعارضه سبحان من يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده فيهابه كل شيء ولا يهاب هو غير خالقه وابعث في المدائن حاشرين
أي رجالًا يحشرون السحرة وأصل الحشر الجمع بكرة يأتوك وكأنهم فهموا شدة قلقه فسكنوه بالتعبير بأداة الإحاطة وصيغة
المبالغة فقالوا بكل سحّار أي بليغ السحر عليم أي متناه في العلم به بعد ما تناهى في التجربة وعبّر بالبناء للمفعول إشارة إلى عظمة
فقال فجمع أي بأيسر أمر لما له عندهم من العظمة السحرة كأنه من غير منع لميقات يوم معلوم في زمانه ومكانه وهو ضحى يوم الزينة
كما سلف في طه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وافق يوم السبت في أول يوم من سنتهم وهو يوم النيروز وقيل أي يقول من
يقبل لكونه عن فرعون للناس أي كافة حثًّا لهم على الإسراع إلى الاجتماع بأمر فرعون وامتحانًا لهم هل رجعوا عن دينه علمًا منه بأن
ما ظهر من المعجزة التي منها عجز عن نوع أدنى لمن واجهه بما لا مطمع في مواجهته بأدناه لم يدع لبسًا في أنه مربوب مقهور وأن
ذلك موجب لاتباع موسى عليه السلام هل أنتم مجتمعون أي اجتماعًا أنتم راسخون فيه لكونه بالقلوب كما هو بالأبدان كلكم ليكون
أهيب لكم وزين لهم هذا القائل الثبات على ما كانوا عليه من الباطل بذكر جانب السحرة وإن كان شرط فيه الغلبة ولم يصرح بذكر جانب
موسى عليه السلام فقال لعلنا نتبع السحرة لأن من امتثل أمر الملك كان له حال من يرجى منه اتباع حزبه إن كانوا هم أي
خاصة الغالبين أي غلبة لا يشك في أنها ناشئة عن مكنة ونعرض عن أمر موسى الذي نازع الملك في أمره وهذا مرادهم
في الحقيقة وعبّر بهذا كناية عنه لأنه أدل على عظمة الملك وعبّر بأداة الشك إظهارًا للإنصاف استجلابًا للناس مع تعذرهم
لقطعهم بظفر السحرة لما رسخ في أذهانهم في الأزمنة المتطاولة من الضلال الذي لا علة لا لبس عن تربيته مع أن تغيير المألوف
أمر في غاية العسر وقال فلما بالفاء إيذانًا بسرعة حشرهم إشارة إلى ضخامة ملكه ووفور عظمته جاء السحرة أي الذين كانوا
في جميع بلاد مصر قالوا لفرعون مشترطين الأجر في حال الحاجة إلى الفعل ليكون ذلك أجدر بحصول الوعد ونجاح القصد أئن لنا
لأجرًا وساقوه مساق الاستفهام أدبًا معه وقالوا إن كنا أي كونًا نحن راسخون فيه نحن خاصة الغالبين بأداة الشك مع
جزمهم بالغلب تخويفًا له بأنه إن لم يحسن وعدهم لم ينصحوا له ثم قيل في جواب من كأنه سأل عن جوابه قال مجيبًا إلى ما سألوا
نعم أي لكم ذلك وزادهم ما لا أحسن منه عند أهل الدنيا مؤكدًا له فقال وإنكم إذًا أي إذا غلبتم لمن المقربين أي عندي وزاد إذًا
هنا زيادة في التأكيد لما يتضمن ذلك من البعاد عن الإيمان مع وضوح البرهان تحقيقًا على المخاطب بهذا كله صلى الله عليه وسلم
تسلية له في الحمل على نفسه أن لا يكونوا مؤمنين وما بعده ذلك من مسارعة السحرة للإيمان بعد ما ذكر من إقسامهم بعزته بغاية
التأكيد تحقيق لأنه فظلت أعناقهم لها خاضعين ولما تشوّف السامع إلى جواب موسى عليه السلام أجيب بقوله قال لهم
موسى أي مريدًا لإبطال سحرهم لأنه لا يمكن منه إلا بالقائهم لا لمجرد القائهم غير مبال بهم في كثرة ولا علم بعد ما خيروه كما في غير هذه
السورة ألقوا ما أنتم ملقون كائنًا ما كان ازدراء له بالنسبة إلى أمر الله فألقوا أي فتسبب عن قول موسى عليه السلام
وتعقيبه أن ألقوا حبالهم وعصيهم التي أعدوها للسحر وقالوا مقسمين بعزة فرعون مؤكدين بأنواع التأكيد إنا لنحن أي
خاصة لا نستثني الغالبون قول واثق من نفسه جازم على أنه لا يدع بابًا من السحر يعرفه إلا أتى به فكل من حلف بغير الله فهو
كأن يقول وحياة فلان وحق رأسه ونحو ذلك فهو تابع لهدي الجاهلية ولما تقدم إضمار اسم موسى عليه السلام
في الإلقاء الأول لأن الكلام كان معه فلم يكن التباس في أنه الفاعل وكان الكلام هنا في السحرة وختموا بذكر فرعون
وعزته صرح باسم موسى عليه السلام لنفي اللبس فقال فألقى أي فتسبب عن صنع السحرة وتعقيبه أن ألقى موسى وقابل جماعة
ما ألقوه بمفرد ما ألقى لأنه أدل على المعجزة فقال عصاه أي التي جعلناها آية له وتسبب عن إلقائه قوله فإذا هي تلقف
أي تبتلع في الحال بسرعة ونهمة ما يأفكون أي يصرفونه عن وجهه وحقيقته التي هي الجمادية بحيلهم وتخييلهم الظن أنه حيات
تسعى فألقي أي عقب فعلها من غير تلبث السحرة ساجدين أي فسجدوا بسرعة عظيمة حتى كأن ملقيًا ألقاهم من قوة إسراعهم
علمًا منهم بأن هذا من عند الله فأمسوا أتقياء بررة بعد ما جاؤوا في صبح ذلك اليوم سحرة ولما كان كأنه قيل هذا فعلهم
فما كان قولهم قيل قالوا آمنا برب العالمين أي الذي دعا إليه موسى عليه السلام أول ما تكلم ثم خصوه كشفًا لتلبيس فرعون
بما لا يحتمل غيره فقالوا مبدلًا رب ولم يدع داع هنا إلى العدول عن الأصل فقال عبارة عن كلامهم موسى وهرون أي الذين
أحسنا إلينا بالتنبيه عليه والهداية إليه وصدقهما بما أجرى على أيديهما ولما خاف فرعون اتباع الناس لهم لما يرون مما هالهم
من أمرهم وكان قد تقدم ما يعرف أن المنكر عليهم فرعون نفسه قال تعالى مخبرًا عنه قال من غير ذكر الفاعل أي فرعون لعدم اللبس في
ومقصود السورة غير مقتض للتصريح كما في الأعراف بل ملائم للإعراض عنه والإراحة منه منكرًا مبادرتهم موهمًا لأنه إنما يعاقب
على المبادرة بغير إذن لا على نفس الفعل وأنه ما عرضه إلا التثبت ليوهم بهذا التخييل الناس عن المبادرة بالإيمان إلى وقت ما في
آمنتم له أي لموسى عليه السلام أفرده بالضمير لأنه الأصل في هذه الرسالة وحقيقة الكلام أو قيم التصديق بما أخبر به عن الله

لاجله

لأجله إعظامًا له بذلك قبل أن آذن لكم أي في الإيمان ثم علل فعلهم بما يقتضي أنه عن مكر وخداع لا عن حسن اتباع فقال إنه أي موسى
عليه السلام لكبيركم ولما كان هذا مشعرًا بنسبته له إلى السحر وأنه أعلم منهم به فلذلك غلبهم أوضحه بقوله الذي علمكم
السحر فتواعدتم معه على هذا الفعل لتنزعوا الملك من أربابه هذا وكل من يسمعه يعلم كذبه قطعًا فإن موسى عليه السلام ما ربي
إلا في بيته واستمر حتى فر منهم إلى مدين لا يتعلم سحرًا ولا لقي ساحرًا ولا سافر إلا إلى مدين ثم لم يرجع إلا داعيًا إلى الله ولكن
الكذب غالب على قطر مصر وأهلها أسرع شيء سماعًا له وانقيادًا به ولما أوقف السامعين بما خيلهم به من هذا
الباطل المعلوم البطلان لكل ذي بصيرة أكد المنع بالتهديد فقال فلسوف تعلمون أي ما أفعل بكم أي تتسبب عما فعلتم أن
أعاقبكم عقوبة محققة عظيمة وأتى بأداة التنفيس خشية من أن لا يقدر عليهم فيعلم الجمع عجزه فيؤمنوا مع ما فيها في الحقيقة
على السحرة من التأكيد في الوعيد الذي لم يؤثر عندهم في جنب ما أشهدهم الله من الآية التي مكنتهم في مقام الخضوع ثم فسر
ما أبهم بقوله لأقطعن بصيغة التفعيل لكثرة القطع والمقطوعين أيديكم وأرجلكم ثم بين كيفية تقطيعها فقال من خلاف
وزاد في التهويل فقال ولأصلبنكم أجمعين ثم استأنف تعالى حكاية جوابهم بقوله قالوا ولما كان قد تقدم هنا
أنهم أثبتوا له عزة توجب مزيد الخوف منه حسن قولهم لا ضير أي ضرر أصلًا علينا تحصل به المكنة منا فيما هددتنا به بل لنا في الصبر
عليه إن وقع أعظم الأجر من الله وورد هذا النفي الشامل في هذه السورة إيذانًا بأنه لم ينفذ فرعون على عذابهم تحقيقًا لما في
أول القصة من الإشارة إلى ذلك بكلا ومستمعون فإن الإمكان من تابعي موسى عليه السلام يؤذيه ويضيق صدره ولما يأتي في
القصص من صريح العبارة في قوله أنتما ومن اتبعكما الغالبون ثم عللوا ذلك بقولهم إنا أي بفعلك ذلك فينا إن قدرك الله عليه
إلى ربنا أي المحسن إلينا وحده منقلبون أي ولا بد لنا من الموت فليكن على ما حكم به ربنا من الحالات وإنما حكمك على هذا الجسد
ساعة من نهار ثم لا حكم على الروح إلا لله الذي هو جدير بأن يثيبنا على ذلك نعيم الأبد وذلك معنى قولهم معللين ما قبله إنا
نطمع أن يغفر أي يستر سترًا بليغًا لنا ربنا الذي أحسن إلينا بالهداية خطايانا أي التي قدمناها على كثرتها ثم عللوا طمعهم
مع كثرة الخطايا بقولهم أن كنا أي كونًا هو لنا كالجبلة أول المؤمنين أي من أهل هذا المشهد وعبروا بالطمع إشارة إلى أن جميع
أسباب السعادة منه تعالى فكأنه لا سبب منهم أصلًا ولما قص سبحانه من حال الدعاة ما كفى في التسلية من قصد هذين النبيين بالأذى
والتهكم بمن دعوا إليه وجعلهما الأعلين ولم يضرهما ضعفهما وقلتهما ولا نفع عدوهما قوته وكثرته شرع يسلي بما أوقعه في حال السير فقال
طاويًا ما بقي منه لأن هذا ذكره عاطفًا على القصة وأوحينا أي بما لنا من العظمة حين أردنا فصل الأمر وإنجاز الموعود إلى موسى أن أسر
أي سر ليلًا حال اشتغال فرعون وجنوده بموت أبكارهم وتجهيزهم لهم بعبادي أي بني إسرائيل الذين كرمتهم مصاحبًا لهم إلى ناحية بحر القلزم
غير مبال بفرعون ولا منزعج منه وتزودوا اللحم والخبز الفطير للإسراع والطخوا أعتابكم بالدم لأني وصيت الملائكة الذين يقتلون
الأبكار أن لا يدخلوا بيتًا على بابه دم ثم علل أمره له بالسير في الليل بقوله إنكم متبعون أي لا يظن بهم لكثرة ما رأوا من الآيات يكفون
عن اتباعكم فأسرع بالخروج ليبعد واعتهم إلى الموضع الذي قدرت في الأزل أن يظهر فيه مجرى والمراد توافيهم عند البحر ولم يكنهم
إتباعهم عن موسى عليه السلام لعدم تأثره به لما تحققوا عنه من الحفظ لما تقدم من الوعد الشريف بذلك التأكيد ولما كان
التقدير فأسرى بهم امتثالًا للأمر بعد نصف الليل عطف عليه قوله فأرسل فرعون أي لما أصبح وأعلم بهم في المدائن حاشرين
أي رجالًا يجمعون الجنود بقوة وسطوة وإن كرهوا ويقولون تقوية لقلوبهم وتحريكًا لهممهم إن هؤلاء إشارة بأداة القرب
تحقيرًا لهم إلى أنهم في القبضة وأن البعد والماء بهم من النجو وبال فرعون من القوة فليسوا بحيث يخاف فوتهم ولا ممانعتهم لشرذمة
أي طائفة وقطعة من الناس ولما كانت قلتهم إنما هي بالنسبة إلى كثرة آل فرعون وقوتهم وما لهم عليهم من هيبة الاستعباد
وكان التعبير بالشرذمة موهمًا لأنهم في غاية القلة أزال هذا الوهم بالتعبير بالجمع دون المفرد ليفيد أنه خبر بعد خبر لا صفة وأن
التعبير بالشرذمة قليلون أي بالنسبة إلى ما لنا من الجنود التي لا تحصى وإن كانوا في أنفسهم كثيرين فلا كثرة لهم تمنعكم إليها
المحشودون من أتباعهم قال البغوي عن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون انتهى
وكل هذا بيان لأن فرعون مع تناهي عظمته لم يقدر على أثر ما في موسى عليه السلام ولا من اتبعه تحقيقًا لما تقدم من الوعد به في
أول القصة ولما ذكر ما يمنع الخوف من أتباعهم ذكر ما يوجب الحث عليه ويحذر من التقاعس عنه فقال وإنهم لنا ونحن على ما
نحن عليه من الكثرة والعظمة لغائظون أي بما فجعونا به من أنفسهم وما استعاروه من الزينة من أواني الذهب والفضة وفاخر الكسوة
فلا رحمة في قلوبكم تحميهم ولما كان مدار شرذمة على القطع فكان في التعبير بها إشارة إلى أنهم مع القلة متفرقون ليسوا
على قلب واحد وذكر أن في اتباعهم شفاء الغلل أتبعه ما ينفي عن المتقاعد العلل فقال وإنا لجميع أي وأنتم جماعة واحدة مجتمعون
بآيات الملك على قلب واحد ولما أشار بهذا الخبر إلى ضد ما عليه بنو إسرائيل مع قلتهم مما هو سبب للجراءة عليهم أخبر
بخبر ثان يزيد الجراءة عليهم وفيه مضادة لما أشار إليه بقليلون من الاستضعاف فقال حذرون أي ونحن مع اجتماع قلوبنا من شأننا
وطبعنا الحذر فنحن لا نزال على أهبة القتال ومقارعة الأبطال لا عائق لنا عنه بسفر ولا بغيره أما من حيث فبإفاضة الأموال عليكم

وادرار الارزاق فيكم ووضع الاشيا في مواضعها في الارض والرجال واما من جهتكم فباستعمال الامانة من طاعة الملك في وضع كل ما يعطيكم من مواضعه من اعداد السلاح والمراكب والزاد وجميع ما يحتاج اليه المحارب مع ما لكم من العزة والقوة وشماخة الانوف وعظم النفوس مع الجراة والاقدام والثبات في وقت الحقائق المحفوظ بالعقل المحوط بالحزم المانع من اجترا الاخصام عليكم ومكرهم لديكم فانه يحكى انه كان يتصرف في خراج مصر بان يجزيه اربعة اجزا احدها لوزرائه وكتابه وجنده والثاني لحفر الانهار وعمل الجسور والثالث له ولولده والرابع يفرق في مدن الكور فان لحقهم ظما او استبحار وفساد غلة او موت عوامل قواهم وروى انه تصدى قوم فقالوا نحتاج الى ان نحفر خليجا لنعمر ضياعنا فاذن في ذلك واستعمل عليهم عاملا فاستكثر ما حمل من خراج تلك الناحية اليه من المال فسال عن مبلغ ما انفقوه على خليجهم فاذا هو مائة الف دينار فامر بحملها اليهم فامتنعوا من قبولها ٧ فقال اطرحوها عليهم فان الملك اذا استغنى عمال رعيته افتقر وافتقروا وان الرعية اذا استغنت عمال ملكهم استغنى واستغنوا كان التقدير فاطاعوا امره ونفروا على كل صعب وذلول عطف عليه قوله معلما بما آل اليه امرهم **فاخرجناهم** اي بما لنا من القدرة اخراجا حثيثا مما لا يسمح احد بالخروج منه **من جنات** اي بساتين يحق لها ان تذكر **وعيون** لا يحتاج معها الى نيل ولا مطر **وكنوز** من الاموال تعرف بمقدار ما هم فيه من النعم الفاضلة عنهم مع ما هم فيه من تمام الاستعداد لمثل هذا المراد **ومقام** من المنازل **كريم** اي على صفة ترضي الراي له لانه على النهاية من الحسن لا يقال فيه ليته كان كذا او كان فيه كذا **ولما** كان الخروج عن مثل هذا انما يستنكرا اشار الى عظمة القدرة عليه بقوله **كذلك** اي مثل ذلك الاخراج العجيب الذي اراده فرعون من قومه في الرغبة وكمال الهيئة اخرجناهم نحن بان يسرنا له ولهم ذلك ووفرنا لهم الاسباب لما اقتضته حكمتنا او مثل ذلك الخروج الذي قصصناه عليك اخرجناهم اي كان الواقع من خروجهم مطابقا لما اخبرنا به عنه او الامر الذي قصصناه كله كما قلنا واولها انفدها واحسنها واجودها **واورثناها** اي تلك النعم السرية بمجرد خروجهم بالقوة وباهلاكهم بالفعل **بني اسرائيل** اي جعلناهم بحيث يرثونها لانا لم نبق لهم مانعا يمنعهم منها بعد ان كانوا مستعبدين تحت ايدي اربابها واما ارثهم لها بالفعل ففيه نظر لقوله في الدخان قوما آخرين **ولما** وصف الاخراج وصف اثره فقال مرتبا عليه بالفعل وعلى الايراث بالقوة **فاتبعوهم** اي جعلوا انفسهم تابعة لهم **مشرقين** اي داخلين في وقت شروق الشمس من صبيحة الليلة التي سار في نصفها بنوا اسرائيل ٧ ولولا تقدير العزيز العليم بخرق ذلك للعادة لم يكن على حكم العادة في اقل من عشرة ايام فانه امر يعجز الملوك مثله فيا لله من حشر ما اسرعه وجمع ما اوسعه واستمروا الى ان لحقوهم عند بحر القلزم كما تقدم في الاعراف شرح ذلك عن التوراة وتقدم سر تسييرهم في تلك الطريق ٧ **فلما تراءى الجمعان** اي صار بحيث يرى كل منهما الآخر **قال اصحاب موسى** ضعفا وعجزا استصحابا لما كانوا فيه عندهم من الذل ولانهم اقل منهم بكثير بحيث يقال ان طليعة فرعون كانت على عدد بني اسرائيل وذلك محقق لتقليل فرعون لهم وكانه عبر عنهم باصحاب دون بني اسرائيل لانه كان قد امن كثير من غيرهم **انا لمدركون** اي لانهم قد وصلوا ولا طريق لنا وقد صرنا بين سدين من حديد وماء العدو ورانا والبحر امامنا **قال** اي موسى عليه السلام وثوقا بوعد الله ناطقا بمثل ما كلمه به ربه في اول القصة من قوله **كلا** اي لا يدركونكم اصلا ثم علل ذلك تسكينا لهم بقوله **ان معي ربي** فكانهم قالوا وما داعاه يفعل وقد وصلوا قال **سيهدين** اي بوعد موكد عن قرب الى ما افعل مما فيه خلاصكم وتقدم في براءة سر تقديم المعية وخصوصها والتعبير باسم الرب **فاوحينا** اي تسبب عن كلامه الدال على المراقبة انا اوحينا ونوه باسمه الكريم جزاء له على ثقته به سبحانه فقال **الى موسى** وفسر الوحي الذي فيه معنى القول بقوله **ان اضرب بعصاك البحر** اي الذي امامكم وهو بحر القلزم الذي يتوصل اهل مصر منه الى الطور والى مكة المشرفة وما والاها **فانفلق** اي فضربه فانشق بسبب ضربه لما ضربه امتثالا لامر الله وصار اثني عشر فرقا على عدد اسباطهم **فكان كل فرق** اي جزء منه وقسم عظيم **كالطود** اي الجبل في اشرافه وطوله وصلابته بعدم السيلان **العظيم** المتطاول في السماء الثابت لا يتزلزل لان الماء كان منبسطا في ارض البحر فلما انفرق وانكشفت فيه الطرق انضم بعضه الى بعض فاستطال وارتفع في السماء **ولما** كان التقدير فادخلنا كل شعب منه في طريق من تلك الطرق عطف عليه **وازلفنا** اي قربنا بعظمتنا من قوم موسى قال البغوي قال ابو عبيدة جمعنا ومنه ليلة المزدلفة اي ليلة الجمع **ولما** كان هذا الجمع في غاية العظمة وعلو الرتبة اشار الى ذلك باداة البعد فقال **ثم** اي هنالك فانها ظرف مكان للبعيد **الآخرين** اي فرعون وجنوده **وانجينا موسى ومن معه** وهم الذين اتبعوه من قومه وغيرهم **اجمعين** اي لم نقدر على احد منهم الهلاك هـ **ولما** كان الاغراق بما به الانجا مع كونه امرا هائلا عجيبا وبعيدا اعتبر باداة البعد فقال **ثم اغرقنا** اي اغراقا هو على حسب عظمتنا **الآخرين** اي فرعون وقومه اجمعين لم يفلت منهم احد **ولما** تم ما وعد موسى عليه السلام فيما استفتحه اول القصة من كيد فرعون بما ثبت له من العظمة والمكنة في كثرة الجند وعظيم الطاعة منهم له في سرعة الاجتماع الدال على تمكنه في انفسهم وعظمته في قلوبهم رغبة ورهبة وظهر مجد الله في تحقيق ما وعد به سبحانه من الحراسة وزاد ما اقر به العيون وشرح به الصدور وكان ذلك امرا يهز القوى سماعه ويروع الالهام تصوره وذكره قال منبها على جلالة **ان في ذلك** اي الامر

العظيم العالي الرتبة من قصة موسى وفرعون وما فيها من العظات **لآية** اي علامة عظيمة على ما قال الرسول موجبة للايمان به في ان الصانع واحد فاعل بالاختيار قادر على كل شي وانه رسوله حقا **وما كان اكثرهم** اي الذين شاهدوها والذين وعظوا باسماعها **مؤمنين** اي متصفين بالايمان الثابت اما القبط فما آمن منهم الا السحرة ومؤمن آل فرعون وامراة فرعون والمراة التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام على ما يقال واما بنو اسرائيل فكان كثير منهم من لم يتعنت كل قليل ويقول ويفعل ما هو كفر حتى تداركهم الله على يد موسى عليه السلام ومن بعده واول ما كان من ذلك سؤالهم اثر مجاوزة البحر ان يجعل لهم الها كالاصنام التي مروا عليها واما غيرهم ممن تاخر عنهم فحالهم معروف وامرهم مشاهد مكشوف **وان ربك** اي المحسن اليك باعلاء امرك واستنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك **لهو العزيز** اي القادر على الانتقام من كل فاجر **الرحيم** اي الفاعل فعل البليغ الرحمة فهو يمهل ويدر النعم ويحوط من النقم ولا يهمل بل يرسل رسلا وينزل معهم ما يبين به ما يرضيه وما يسخطه فلا يهلك الا بعد الاعذار فلا تستوحش ممن لم يؤمن ولا يهمك ذلك **ولما** اتم سبحانه ما اراد من قصة موسى عليه السلام اتبعه دلالة على حميته قصة ابرهيم عليه السلام لما تقدم من انه شاركه فيه مما يسلي عما وقع ذكره عنهم من التعنتات في الفرقان ولما اختص به من مقارعة ابيه وقومه في الاوثان وهو اعظم آبا العرب ليكون ذلك حاملا لهم على تقليده في التوحيد ان كانوا لا ينفكون عن التقليد وزاجرا عن تشفيه آبائهم في عبادتها وتغيير سبحانه للسياق قبل وبعد وتعبيره بقوله **واتل** اي اقرا قراءة متتابعة مرجح للتقدير الاول في واذ من جملة اذكر وتغييره في التعبير بها لسياق ما تقدم وما تاخر لتنبيه العرب على اتباعه لما لهم به من الخصوصية **عليهم** اي على هؤلاء المعترضين بالاوثان المنكرين لرسالة البشر **نبا ابرهيم** اي خبره العظيم في مثل ذلك **اذ** اي حين **قال لابيه وقومه** منبها لهم على ضلالهم لا مستعلما لانه كان عالما بحقيقة حالهم **ما** اي اي شي وصور لهم حالهم تنبيها لهم على قباحتها فعبر بالمضارع فقال **تعبدون** اي تواظبون على عبادته **قالوا** مستبهجين بسوا له مظهرين الافتخار في جوابهم بإطالة الكلام **نعبد اصناما فنظل** اي فيتسبب عن عبادتنا لها انا نوفي حق العبادة بان ندوم **لها عاكفين** اي مطيعين لها على سبيل المواظبة متراكبين بعضهم خلف بعض حابسين انفسنا تعظيما لنا لحجر واعلموا ان هؤلاء في داء التقليد الناشي عن الجهل بنفس العبادة وظنهم مع ذلك انهم على طائل كبير وامر عظيم ظفروا به مع غفلة الخلق عنه كما دل عليه خطابهم في هذا الكلام الذي كان يغني عنه كلمة واحدة وهذا هو الذي وجب تفسير الطول بمطلق الدوام وان كان معناه الدوام بقيد النهار وزاد قوم ابرهيم عليه السلام ان استمروا على ضلالهم وابوا معهم فكانوا احطب النار ولم يتمكن من انقاذهم من ذلك ولم تكن له حيلة الا دعاؤهم فهو احد ذي بشد ايد الحزن ويجمع نفسه عليهم وهو موضع للتسلية **ولما** فهم عنهم هذا الرغبة اخذ يزهدهم فيها بطريق الاستفهام الذي لا انصف منه عن اوصاف بالجهم السؤال الى الاعتراف بسلبها عنهم مع علم كل عاقل اذا تعقل انه لا تصح رتبة الالهية مع فقد واحد منها فكيف مع فقدها كلها فقال تعالى مخبرا عنه **قال هل يسمعونكم** اي دعاءكم بمجرد سماع ثم صور لهم حالهم ليعتنوا الفكر فيه فقال معبرا بظرف ماض وفعل مضارع تنبيها على استحضار جميع الزمان ليكون ذلك ابلغ في التبكيت **اذ تدعون** اي استحضروا احوالكم معهم من اول عبادتكم والى الان هل سمعوكم وقتا ما اي ليكون ذلك مرجيا لحصول نفع منهم في وقت ما كان الانسان قد يعطف على الشي وهو غير سامع لكن لنفعه له في نفسه او ضر لعدوه كالنار مثلا وكان يحط قال العابد والداعي بالقصد الاول وبالذات جلب النفع قال **او ينفعونكم** اي على العبادة كما ينتفع اقل شي تقتنونه **او يضرون** على الترك **قالوا** لا والله ليس عندهم شي من ذلك **بل وجدنا آباءنا كذلك** اي مثل فعلنا هذا الفعل العالي الشان ثم صوروا حالة ابائهم في نفوسهم تعظيما لامرهم فقالوا **يفعلون** اي نحن نفعل كما فعلوا لانهم حقيقون منا بان لا نخالفهم مع سبقهم لنا الى الوجود فهم ارصن منا عقولا واعظم تجربة فلولا انهم راوا ذلك حسنا ما واظبوا عليه هذا مع انهم لو سلكوا طريقا حسية حصل لهم منها ضرر حسي ما سلكوها قط ولكن هكذا الذين يهون على الناس فيه التقليد بالباطل قديما وحديثا **ولما** وصلوا الى التقليد المحض الحائل عن ذي نظر كما تفعل البهائم والطير في تبعها الاولها **قال** معرضا عن جواب كلامهم بنقض اشارة الى انه ساقط لا يرتضيه من شم رائحة الرجولية **افرايتم** اي تسبب عن قولكم هذا اني اقول لكم ارايتم اي ان لم تكونوا رايتموهم رؤية موجبة لتحقق امرهم فانظروهم نظرا شافيا **ما كنتم** اي كونا هو كالجبلة لكم **تعبدون** مواظبين على عبادتهم **انتم** **ولما** اجابوه بالتقليد قال لهم ما معناه ردوا تقليدكم هذا الى اقصى غاياته فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وذلك مراده من قوله **وآباؤكم الاقدمون** اي الذين هم اقدم ما يكون هل لهم وصف غير ما اقررتم به من عدم السماع والنفع والضر **فانهم** اي فتسبب عن ذينكم وصفكم لهم بما ذكرتم اي اخبركم اخبارا مؤكدا انهم **ولما** كانت صيغة فعول للمبالغة اغنت في العدو والصديق عن صيغة الجمع ولا سيما وفي تشبيهه بالمصادر كالقبول والصهيل فقال مخبرا عن ضمير الجمع **عدو لي** اي انا صبهم بالسوء واعاملهم في ابطالهم ومحقهم معاملة الاعدا وكل من عبدهم كما قال في الاية الاخرى لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين اف لكم ولما تعبدون من دون الله وتالله لاكيدن اصنامكم كانوا هم

مشركين وكان في آبائهم الأقدمين من عبد الله وحده قال الا رب العالمين اي مدبر هذه الاكوان كلها كما قال موسى عليه السلام
لان ذلك اشهر الاوصاف واظهرها فانه ليس بعدوي بل هو وليي ومعبودي ثم شرع يصفه بما هم به عالمون من انه على الضد
الاقصى من كل ما عليه اصنامهم فقال الذي ولما لم يكن احد يدعي الخلق لم يحتج الى ما يدل على الاختصاص فقال
خلقني اي اوجدني على هيئة التقدير والتصوير فهو اي فتسبب عن تفرده بخلقي انه هو لا غيره يهدين اي الى الرشاد ولانه
لا يعلم باطن المخلوق ويقدر على كمال التصرف فيه غير خالقه ولا يكون خالقه الا سميعا بصيرا ضارا نافعا له الكمال كله ولا
شك ان الخلق للجسد والهداية للروح وبالخلق والهداية تحصل جميع المنافع والانسان له قالب من عالم الخلق وقلب من عالم
الامر وتركيب القالب مقدم كما ظهر بهذه الآية ولقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وامثال ذلك وذكر الخلق بالماضي
لانه لا يتجدد في الدنيا والهداية بالمضارع لتجددها وتكررها دينا ودنيا والذي هو اي لا غيره يطعمني ويسقين ولو
اراد لاعدم ما آكل وما اشرب او اصابني بآفة لا استطيع معها اكلا ولا شربا ولما كان المرض ضررا ايرهد عن نسبته
اليه ادبا وان كانت نسبة الكل اليه سبحانه معلومة بقوله واذا مرضت باستيلاء بعض الاخلاط على بعض لما بينهما من التنافر
الطبيعي فهو اي وحده يشفين بسبب تعديل المزاج بتعديل الاخلاط وقسرها على الاجتماع والاعتدال لا طبيب ولا غيره
وان تسببت انا في امراض نفسي ببرد او حر او طعام اتناوله او غير ذلك لانه قادر على ما يريد ولما كان الانسان مطبوعا
على الاجتهاد في حفظ حياته وبقاء مهجته نسب ما يكل نقل الموت اليه اعظاما للقدرة فقال والذي يميتني اي حسا
وان اجتهدت في دفع الموت ومعنى وان اجتهدت في دفع الجهل ولما كان الاحياء حسا بالروح ومعنى بالهداية عظيما اي
باداة التراخي لذلك ولطول المكث في البرزخ فقال ثم يحيين للمجازاة في الآخرة كما شفاني من المرض وان وصلت الى حد لا
ارجى فيه ولم يأت هنا بما يدل على الحصر لانه لا مدعي للاحياء والاماتة الا ما ذكره سبحانه عن نمرود في سورة البقرة وان ابراهيم
عليه السلام ابهته ببيان عجزه في اظهار صورة من مكان من الامكنة بلا شرط من روح ولا غيرها واذا عجز عن ذلك كان عجزه عن
ايجاد صورة ابين فكيف اذا انضم الى ذلك افاضتها روحا او سلبها منها فعند ادعائه لذلك مع القاطع المحسوس لذي
ابهته عدما والله اعلم ولما ذكر البعث ذكر ما يترتب عليه فقال والذي اطمع هضما لنفسه واطراحا لاعماله وانها
الى تهما بالنسبة الى الحضرة الاعظمية غير قادرة لها حق قدرها فان الطمع كما قال الحرالي في البقرة تعلق البال بالشيء من غير تقدم
سبب انتهى فلذلك لم يعد له عملا ان يغفر اي يمحو ويستر ولما كان الله سبحانه منزها عن الغرض فكانت المغفرة
لحظ العبد ليس غير قال لي واسند الخطيئة اليه هضما لنفسه وتواضعا لربه فقال خطيئتي اي تقصيري عن ان
اقدره حق قدره فانا الضعيف العاجز لا يبلغ كل ما ينبغي من خدمة العلي الكبير وما نعلمه ذنوبا فقراره سبحانه فلا صنع له
في الحقيقة اصلا يوم الدين اي الجزاء ولما اثنى على الله تعالى بما هو اهله وختم بذكر هذا اليوم العظيم دعا بما ينجي
من هوله فدل صنيعه على ان تقديم الثناء على السؤال امر مهم وله في الاجابة اثر عظيم فقال ملتفتا الى مقام المشاهدة اشارة
الى ان الامر مهول وانه لا ينقذ من خطره الاعظم الا القدرة لما طبعت عليه النفس من النقائص رب اي ايها المحسن الي هب لي حكما
اي عملا متقنا بالعلم واصله بناء الشيء على ما توجبه الحكمة ولما كان الاعتماد انما هو على محض الكرم فان من نوقش الحساب
عذب قال والحقني بالصالحين اي الذين جعلتهم ائمة للمتقين في الدنيا والآخرة وهم من كان قوله وفعله صافيا عن شوب فساد
ولما كان الصالح قد لا يظهر عمله وكان اظهاره الله له مجلبة للدعاء وزيادة في الاجر قال واجعل لي لسان صدق
اي ذكرا جميلا وقبولا عاما وثناء حسنا بما اظهرت مني من خصال الخير في الآخرين اي الناس الذين يوجدون بعدي الى يوم الدين
لاكون للمتقين اماما فيكون لي مثل اجورهم فان من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة وقد كان ذلك
اجابة من الله تعالى لدعائه ومن اعظمه ان جعله الله شجرة مباركة فرع منها الانبياء الذين احيى بهم عليهم السلام ذكره الذي
من اعظمه ما كان على لسان اعظمهم النبي الامي صلى الله عليه وسلم من قوله صل على محمد كما صليت على ابرهيم الى آخره ولما
طلب سعادة الدنيا وكانت لا نفع لها الا باتصالها بسعادة الآخرة التي هي الجنة وكانت الجنة لا تنال الا بمنه لا بشيء من ذلك
ولذلك شبه ادخالها بالارث الذي يحصل بغير اكتساب من الوارث وهو اقوى اسباب الملك قال واجعلني اي مع ذلك
كله بفضلك ورحمتك من ورثة جنة النعيم ولما دعا لنفسه ثنى باحق الخلق ببره فقال واغفر لابي ثم علل
دعاءه بقوله انه كان في ايام حياته من الضالين والظاهر ان هذا كان قبل معرفته نابية شقاية ولذلك قال ولا تخزني
اي تهنِّي بموته على ما يوجب دخوله النار ولا بغير ذلك يوم يبعثون اي هؤلاء المنكرون للبعث وكان هذا الدعا كان
بحضورهم في الانكار عليهم في عبادة الاصنام والظاهر ان تخصيص الدعا بابيه لان امه كانت امنت كما ورد عن
نقد صح انه يقول يوم القيمة يا رب انك وعدتني ان لا تخزني واي خزي اخزى من ابي الابعد فيبدل الله صورة ابيه
صورة ذيخ ثم يلقيه في النار كما رواه البخاري في غير موضع عن ابي هريرة رضي الله عنه وان الله تعالى يقول له اني حرمت الجنة

على الكافرين ولو كانت امه كافرة لسأل فيها ولما نبه على ان المقصود هو الآخرة صرح بالتزهيد في الدنيا بتحقير اجل ما فيها
فقال يوم لا ينفع اي احدا مال اي يفتدي به او يبذله لشافع او ناصر مظاهر ولا بنون ينتصر بهم او يعتضد فكيف بغيرهم
الا من اتى الله اي الملك الاعظم الذي له الغنى المطلق بقلب سليم اي عن مرض غيره عن الفطرة الاولى التي فطره الله عليها وهي الاسلام
الذي اساسه التوحيد والاستقامة على فعل الخير وحفظ طريق السنة كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا ليس فيها من جدعا فان المال
والبنون ينفعانه بما تصرف فيهما من خير والاستثناء مفرغ والظاهر ان قوله وازلفت اي قربت بايسر وجه حال من واو يبعثون
الجنة للمتقين وعرفوا اهل الموقف انها لهم خاصة تعجيلا لسرورهم وزيادة في شرفهم وبرزت اي كشفت كشفا عظيما سهلا
الجحيم اي النار الشديدة التأجج واصلها نار عظيمة في مهواة بعضها فوق بعض للغاوين اي الضالين الهالكين بحيث عرف اهل الموقف
انها لهم وقيل لهم تبكيتا وتنديما وتوبيخا وابهم القائل ليصلح لكل احد تحقيرا لهم ولان المبكي نفس القول لا كونه من معين اينما كنتم تملكة
الاخلاق التي هي كالجبلات تعبدون اي في الدنيا على سبيل التجديد والاستمرار وحقر معبوداتهم بقوله من دون الله اي من ادنى
رتبة من رتب الله اي الملك الذي لا كفؤ له وكنتم تزعمون انهم يشفعون لكم ويقونكم شر هذا اليوم هل ينصرونكم فيمنعون عنكم
ما يراد بكم او ينتصرون اي هم بالدفع عن انفسهم ولما تسبب عن هذا التبرز والقول اظهار قدرته تعالى وعجزهم بتقلام
فيها قال فكبكبوا اي الاصنام ونحوها قلبوا وصرعوا ورموا قلبا عظيما مكررا سريعا من كل من امره الله بقلبهم بعد هذا
السؤال اظهارا لعجزهم بالفعل حتى عن الجواب قبل الجواب فيها اي في مهواة الجحيم قلبا عنيفا مضاعفا كثيرا بعضهم في اثر بعض
هم اي الاصنام وما شابهها مما عبد من الشياطين ونحوهم والغاوون اي الذين ضلوا بهم وجنود ابليس من شياطين الانس والجن
اجمعون ولما علم بهذا انهم لم يتمكنوا من قول في جواب استفهامهم توبيخا وكان من المعلوم ان الانسان مطبوع على ان يقول
في كل شيء ينوبه ما يثيره له ادراكه مما يرى انه يبرد من غلته وينفع من علته تشوق السامع الى معرفة قولهم بعد الكبكبة فاشير
الى ذلك بقوله قالوا اي العبدة وهم فيها اي الجحيم يختصمون اي مع المعبودات تالله اي الذي له جميع الكمال ان كنا لفي ضلال
مبين اي ظاهر جدا لمن كان له قلب اذ اي حين نسويكم في الرتبة برب العالمين اي الذين فطرهم ودبرهم حتى عبدناكم وما
اضلنا اي ذلك الضلال المبين عن الطريق البين الا المجرمون اي العريقون في صفة الاجرام المقتضي لقطع كل ما ينبغي ان يوصل
فما اي فتسبب عن ذلك انه ما لنا اليوم وزادوا في تعميم النفي بزيادة الجار فقالوا من شافعين يكونون سببا لادخالنا الجنة
لانا اصرفنا ما كان يجب علينا لذي الامر الى من لا امر له ولعله لم يفرد الشافع لانهم دخلوا في الشفاعة العظمى ولما كان
الصديق قد لا يكون اهلا لان يشفع قالوا اسفا على قل ما يكن ولا صديق اي يصدق في ودنا ليفعل ما ينفعنا
كان اصدق الصداقة ما كان من القريب قال حميم اي قريب واصله المصافي الذي يحرقه ما يحرقك لانا قطعنا ذلك كل من له امر
في هذا اليوم وافرد تعميما للنفي واشارة الى قلته في حد ذاته او عدمه ولما وقعوا في هذا الهلاك وانتفى عنهم الخلاص
تسبب عنه تمنيهم المحال فقالوا فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين اي الذين صار الايمان لهم وصفا لازما فاز لهم
لهم الجنة ولما كان في هذه القصة اعظم زاجر عن الشرك وآمر بالايمان نبه على ذلك بقوله ان في ذلك اي هذا الامر
العظيم الذي قصصناه من قول ابرهيم عليه السلام في اقامة البرهان على ابطال الاوثان ونصب الدليل على انه لا حق الا الملك الجليل
الديان وترغيبه وترهيبه وارشاده الى التزود في ايام المهلة لآية اي عظيمة على بطلان الباطل وحقوق الحق وما اي والحال
انه ما كان اكثرهم اي الذين شهدوا منه هذا الامر العظيم والذين سمعوه عنه مؤمنين اي بحيث صار الايمان صفة لهم ثابتة وفي
ذلك اعظم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم باعظم آبائه عليه السلام وان ربك اي المحسن اليك بارسالك وهداية الامة بك
لهو العزيز اي القادر على ايقاع النقمة بكل من النقم وارسال الرسل حين يخالفه الرحيم اي الفاعل فعل الراحم في امهاله العصاة
مع ادرار النعم ودفع النقم وارسال الرسل ونصب الشرائع لبيان ما يرضاه ليتبع وما يسخطه ليجتنب فلا يهلك الا بعد اقامة الحجة
بايضاح المحجة ولما اتم سبحانه قصة الاب الاعظم الاقرب اتبعها دلالة على وصفي العزة والرحمة قصة الاب الثاني مقدما
لها على غيرها لما له من القدم في الزمان اعلاما بان البلاء قديم ولانها ادل على صفتي الرحمة والنقمة التي هي اثر العزة بطول الامهال لهم
على طول اعمارهم ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع اهل الارض فقال كذبت باثبات التاء اختيارا للتأنيث وان كان تذكير القوم اشهر للتنبيه
على ان فعلهم اخس الافعال وعلى انهم مع عتوهم وكثرتهم كانوا عليه سبحانه اهون شيء واضعفه بحيث جعلهم هباء منثورا وكذا من بعدهم
قوم نوح وهم اهل الارض كلهم من الآدميين قبل اختلاف الامم بتفرق اللغات المرسلين اي بتكذيبهم نوحا عليه السلام لانه قد
اقام الدليل على نبوته بالمعجزة ومن كذب بمعجزة واحدة فقد كذب بجميع المعجزات لتساوي اقدامها في الدلالة على صدق الرسول وقد
سئل الحسن البصري رحمه الله عن ذلك فقال من كذب واحدا من الرسل فقد كذب الكل لان الآخر جاء بما جاء به الاول وحكاه عنه البغوي
اذ اي حين قال لهم لم يتأنوا الطلب دليل ولا اتبعوا وجه جميل واشار الى نسبه فيهم بقوله اخوهم زيادة في تسلية هذا النبي
الكريم نوح واشار الى حسن ادبه واستجلابهم برفقه ولينه بقوله الا تتقون اي تكون لكم تقوى وهي خوف يحملكم على ان تجعلوا

بينكم وبين سخطه ووقاية بطاعته بالتوحيد وترك الالتفات الى غيره ثم علل اهليته للامر عليهم بقوله انى لكم اى مع كونى اخاكم ابوى مايسوؤكم ويسرنى ماسركم رسول اى من عند خالقكم فلا مندوحة لى عن ابلاغ ما امرت به امين اى لا غش عندى كما تعلمون ذلك منى دهرا على طول خبرتكم بى ولا خيانة فى شئ من الامانة فلذلك لا بد لى من ابلاغ جميع الرسالة ولما عرض عليهم التقوى بالرفق وعلل ذلك بما ثبت به امرها تسبب عنه الجزم بالامر فقال فاتقوا الله اى اوجدوا الخوف والحذر والتحرز للذى احتص بالجلال والجمال مبادرين الى ذلك ليحرزوا اصل السعادة فتكونوا من اهل الجنة واطيعون اى فى كل ما امركم لتحوزوا رتبة الكمال فى ذلك فلا يمسكم عذاب ولما اثبت امانته نفى تهمته فقال وما اسألكم عليه اى على هذا الحال الذى اتيتكم به واشار الى الاغراق فى النفى بقوله من اجر اى ليظن انى جعلت الدعا سببا له ثم اكد هذا النفى بقوله ان اى ما اجرى اى فى دعاى لكم الا على رب العالمين اى الذى دبر جميع الخلايق ورباهم ولما انتفت التهمة تسبب عن انتفايهما ايضا ما قدمه فاعاده اعلاما بالاهتمام بذلك زيادة فى الشفقة عليهم وتاكيدا له فى قلوبهم تنبيها على ان الامر فى غاية العظمة لما يعلم من قلوبهم من شدة الجلافة فقال فاتقوا الله اى الذى حاز جميع صفات العظمة واطيعون ولما اقام الدليل على نصحه وامانته اجابوا بما ينظر الى محض الدنيا كما اجاب من قال من اشراف العرب ما لهذا الرسول الايات وكما لو طردت هولاء الضعفا لرجونا ان نتبعك حتى نزل فى ذلك ولا تطرد الذين يدعون ربهم ونحوها من الايات بان قالوا اى قومه منكرين لاتباعه استنادا الى داء الكبر الذى يشا منه بطر الحق وغمط الناس اى احتقارهم انؤمن لك اى لاجل قولك هذا وما انبه من اوصافك والحال انه قد اتبعك الارذلون اى المؤخرون فى الجاه والمال والاحوال والافعال فتكون ايماننا بك سببا لاستوائنا معهم فلو طردتهم لم يكن لنا عذر فى التخلف عنك ولا مانع من اتباعك فكان مامنعوا به من العرض الفانى ما نعالهم عن السعادة الباقية واما الضعفا فانكسار قلوبهم وخلوها عن شاغل موجب لاقبالها على الخير وقبولها له لان الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم وهكذا قالت قريش فى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الرسل كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم كما قال هرقل فى سواله عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم فكان مثال المستكبرين مثال شخص كان اخر دونه بدرجة فاصبح فوقه بدرجة فانف من ان يرتقى الى درجته لئلا يساويه ورضى لنفسه ان يكون دونه فما اسخف عقله وما اكثر جهله فلا شئ ابين من هذا فى ان التقدم فى الامور الدنيوية دال على دواله الامانة النفس بالبتر وامنه والبعد عنه ولما كانت الجواهر متساوية فى انها مخلوقة لله وانما تشرف باثارها فالآدمى انما يشرف او يرذل بحاله من اقواله وافعاله اشار الى انه انما يعتبر ما هم عليه الان من الاحوال الرفيعة والاوصاف البديعة فلذلك قال نافيا لعلمه بما قالوا فى صورة استفهام انكارى وما اى واى شئ علمى بما كانوا يعملون اى قبل ان يتبعونى اى ما لى وللبحث عن ذلك انما لى ظاهرهم الآن وهو خير ظاهر فهم الاشرفون وان كانوا افقر الناس واخسهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ثم اكد انه لا يبحث عن بواطنهم بقوله ان اى ما حسابهم اى فى الماضى والآتى الا على ربى المحسن الى باتباعهم لى ليكون لى مثل اجرهم المخفف عنى ان يكلفنى حسابهم وتعرف بواطنهم لانه المحقق بضبط جميع الاعمال والحساب عليها لو تشعرون اى لو كان لكم نوع شعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم مما هو دائر على امور الدنيا فقط ولا نظر له الى يوم الحساب ولما افهم قوله رد ما افهمه قولهم من طردهم صرح به فى قوله وما اى ولست انا بطارد المؤمنين اى الذين صار الايمان لهم وصفا راسخا فلم يرتدوا اعتنة للطمع فى ايمانكم ولا لغيره من اتباع شهواتكم ثم علل ذلك بقوله ان اى ما انا الا نذير اى محذر وكيل منافق على البواطن ولا متعنت على الاتباع مبين وضح ما ارسلت به فلا ادع فيه لبسا ولما ايأسهم مما ارادوا من طرد اتباعه لما او هموا من اتباعه لو طردهم خداعا اقبلوا على التهديد فاستانف سبحانه الاخبار عن ذلك بقوله قالوا لئن لم تنته ثم سموه باسمه جفا وقلة ادب فقالوا يا نوح لتكونن من المرجومين اى المقتولين ولا ينفعك اتباعك هؤلاء الضعفا ولما ايس منهم بما سمع من المبالغة بالتاكيد فى قولهم ورأى مما نفذته من علمهم قال تعالى مخبرا عنه جوابا لسؤال من يريد تعرف حاله بعد ذلك قال شاكيا الى الله تعالى ما هو اعلم به منه توطية للدعا عليهم والها بالله ومتبجحا معرضا عن تهديدهم له صبرا واحتسابا لانه من لازم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واكتفاء عنه بسبه رب اى ايها المحسن الى ولما كان الحال مقتضيا لان يقصد قوة لماله فى نفسه من الوضوح اكد الاخبار بتكذيبهم اعلاما بوجوده وبانه تحققه منهم من غير شك فقال ان قومى كذبون اى ولا نيه لهم فى اتباعى فافتح اى احكم بينى وبينهم فتحا اى حكما يكون لى فيه فرج وبه من الضيق مخرج فاهلك المبطلين وانجنى ونجنى ومن معى اى فى الدين من المؤمنين مما تعذب به الكافرين ولما كان فى اهلاكهم وانجائه من بديع الصنع ما يجل عن الوصف ابرزه فى مظهر العظمة فقال فانجيناه ومن معه اى من الاحالة فى الدين على ضعفهم وقلتهم فى الفلك ولما كانت سلامة المملوء جدا اعرب قال المشحون اى المملوء بمن حمل فيه من الناس والطير وسائر الحيوان وما حمل من زادهم وما يصلحهم ولما كان اغراقهم كلهم من الغرائب عظمه باداة البعد ومظهر العظمة فقال ثم اغرقنا بعد اى بعد حمله الذى هو سبب انجائه الباقين اى من بقى على الارض ولم يركب معه فى السفينة على قوتهم وكثرتهم وكان ذلك علينا يسيرا ولما كان ذلك امرا باهرا عظمه بقوله ان فى ذلك اى الامر العظيم من الدعا والامهال ثم الانجا والاهلاك لآية اى عظيمة لمن شاهد ذلك او سمع به

على

على انا ننتقم ممن عصانا وننجى من اطاعنا وانه لا امر لاحد معنا فيهديه الى الايمان ويحمله على الاستسلام والاذعان وما اى والحال انه ما كان اكثرهم اى اكثر العالمين بذلك مؤمنين وقد كان ينبغى لهم اذ فاتهم الايمان المحض بالدليل ان يبادروا اليه ويركنوا معه حين راوا اوايل العذاب او بعد ان الجمهم الغرق وان ربك المحسن اليك بارسالك وتكثير اتباعك وتعظيم اشياعك لهو العزيز اى القادر بعزته على كل من قسرهم على الطاعة واهلاكهم فى اول اوقات المعصية الرحيم اى الذى يخص من يشاء من عباده بالصور واد وبرسل الى الضالين عن محجة العقل القويمة الرسل لبيان ما يجب وما يجوز فلا يهلك الا بعد البيان الشافى والابلاغ الوافى ولما كان كانه قيل ان هذا الامر هايل فى مثله عظة فما فعل من جا بعدهم هل اتعظ اجيب بقوله دلالة على الوين معا كذبت عاد اى تلك القبيلة التى مكن الله لها فى الارض بعد قوم نوح المرسلين بالاعراض عن مجيء هود عليه الصلاة والسلام ثم سلى هذا النبى الكريم بقوله اذ اى حين قال لهم اخوهم هود لم يتوقفوا فى تكذيبه ولم يتاخروا عن وقت دعايه لتامل ولا غيره وتدعر فوا صدق اجابه وعظيم نصحه ووفايه الا بصيغة العرض زيادة فى معهم تلطفا بهم ولينا لهم تتقون اى تكون منكم تقوى لربكم الذى خلقكم فتعبدوه وحده ولا تشركوا به ما لا يضر ولا ينفع ثم علل بقوله انى لكم رسول اى فهموا الذى حملنى على ان اقول لكم ذلك امين اى لا اكتم عنكم شيئا مما امرت به ولا اخالف شيئا منه فاتقوا اى فتسبب عن ذلك انى اقول لكم اتقوا الله الذى هو اعظم من كل شئ واطيعون اى فى كل ما امركم به من دوام تعظيمه وما اى انا رسول داع والحال انى ما اسالكم عليه اى الدعا من اجر فتتهمونى به ان اى ما اجرى الا على رب العالمين ولما فرغ من الدعا الى الاصل وهو الايمان بالرسول والمرسل اتبعه انكار بعض ما هم عليه مما اوجبه الكفر واوجب الاشتغال به الثبات على الغى واعطاهم بما كان لمن قبلهم من الهلاك بعد على زيادة التاكيد فى التقوى والطاعة لان حالهم حال الناسى لذلك الطوفان الذى اهلك الحيوان وهدم البنيان فقال اتبنون بكل ريع اى مكان مرتفع قال ابو حيان وقال ابو عبيدة الريع ايضا الطريق وكل مجاهد الفج بين جبلين وقيل الثنية الصغيرة اولم يسلك واصله فى اللغة الزيادة آية اى علامة على شدتكم لانه لو كان لهداية او نحوها لكفى بعض الارباع دون كلها ولما كان اقامة الدليل على قوتهم بمثل ذلك قليل الجدوى عند التامل قال تعبثون والعاقل ينبغى له ان يصون اوقاته النفيسة عن العبث الذى لا يكون سبب نجاته وكيف يليق ذلك بمن الموت من ورائه ولما كان من يموت لا ينبغى له انكار الموت بفعل ولا قول قال وتتخذون مصانع اى اشيا باخذ الما او قصورا مشيدة وحصونا تصنعونها هى فى احكامها بحيث تاكل الدهر قوة وثباتا فلا يبليها الا من حاله حال الراجى للخلود ولذلك قال لعلكم تخلدون وهو معنى ما فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما من تفسيرها بكانكم ولما بين ان عملهم عمل من لا يخاف الموت اتبعه ما يدل على انهم لا يخافون الجزا فقال واذا بطشتم اى باحد من قتل وغيره فى عقوبة بطشتم جبارين اى غير مبالين بشئ احد ممن اخذ بطوع قال البغوى والجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب ولما خوفهم بهذا الانكار عقاب الجبار تسبب عنه ان قال فاتقوا الله اى الذى له جميع صفات الجلال والاكرام واطيعون ولما كان تذكار الاحسان موجبا للاذعان قال مرغبا فى الزيادة ومرهبا من الحرمان واتقوا الذى امدكم اى جعل لكم مددا وهو اتباع الشئ ما يقويه على انتظام بما تعلمون ولما اجمل فصل ليكون اكمل فقال امدكم بانعام اى اى ليس فيه نوع خفا حتى تعذروا فى الغفلة عن تقييده بالشكر تعينكم على الاعمال وتاكلون منها وتنتفعون ولما قدم ما يقيم الاود اتبعه قوله وبنين اى يعينونكم على ما تريدون عند العجز ثم اتبعه ما يحصل كمال العيش فقال وجنات اى بساتين ملتفة الاشجار بحيث تستر داخلها واشار الى دوام الرى بقوله وعيون ولما كانوا فى اعراضهم كانهم يقولون ما الذى تتعجبه منه قال انى اخاف عليكم اى لانكم قوى تستوى فى ما يسوؤكم ان تماديتم على المعصية عذاب يوم عظيم وتعظيم اليوم ابلغ من تعظيم العذاب قالوا راضين بما عندهم من داء الاعجاب الموقع فى كل عاب سواء علينا اوعظت اى خوفت وحذرت وكنت علامة زمانك فى ذلك بان تقول منه ما لم يقدر احد على مثله دل على ذلك قوله ام لم تكن من الواعظين اى ممن هلا الشئ من رتبة الراسخين فى الوعظ معدودا فى عدادهم مذكورا فيما بينهم فهو ابلغ من ام لم تعظ او تكن واعظا والوعظ كما قال البغوى كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد والمعنى ان الامر مستو فى الحالتين فى انا لا نطيعك فى شئ ثم عللوا ذلك بقولهم ان اى ما هذا اى الذى جئتنا به الا خلق بفتح الخا واسكان اللام فى قراءة ابن كثير وابى عمرو والكسائى الاولين اى كذبهم او ما هذا الذى نحن فيه الا عادة الاولين فى حياة ناس وموت آخرين وعليه تدل قراءة الباقين بضم الخا واللام وما نحن بمعذبين لانا اهل قوة وشجاعة ونجدة وبراعة تضمن هذا التكذيب سبب عنه قوله فاهلكناهم اى بالريح بما لنا من العظمة التى لا تذكر عندها عظمتهم والقوة التى لها كانت قوتهم ان فى ذلك اى الاهلاك فى كل قرن للعاصين والانجا للطايعين لآية اى عظيمة لمن بعدهم على انه سبحانه فاعل ذلك وحده بسبب انه يحق الحق ويبطل الباطل وانه مع اوليايه ومن كان معه لا يذل وعلى اعدايه ومن كان عليه لا يعز وما كان اكثرهم اى اكثر من كان بعدهم مؤمنين فلا تحزن انت على من اعرض عن الايمان وان ربك اى المحسن اليك

بارسالك وغيره من النعم لهو العزيز في انتقامه الرحيم في انعامه واكرامه واحسانه مع عصيانه وكفرانه وارسال المنذرين
وتاييدهم بالايات المعجزة لبيان الطريق الاقوم والمنهج الاسلم فلا يهلك الا بعد الاعذار بابلغ الانذار ثم دل على ذلك
لمن قد ينسى اذ كان الانسان مجبولا على النسيان بقوله كذبت ثمود وهم اهل الحجر المرسلين واشار الى زيادة التسلية
بمفاجاتهم بالتكذيب من غير تامل ولا توقف بقوله اذ اي حين قال لهم اخوهم اي الذي يعرفون نصحه وامانته وشفقته
وصيانته صالح واشار الى تلطفه بهم بقوله على سبيل العرض الا تتقون ثم علل ذلك بقوله اني لكم رسول اي من الله
فلذلك عرضت عليكم هذا لاني مامور بذلك والا لم اعرضه عليكم امين لا شيء من الخيانة عندي بل انصح لكم في ابلاغ جميع ما
ارسلت به اليكم من خالقكم الذي لا ارحم بكم منه ولما قرر ذكر الرسالة فصار له عذر في المواجهة بالامر سبب
عنه قوله فاتقوا الله اي الملك الاعلى الذي له الغنى المطلق ولما ذكر الامانة قال واطيعون ولما
اثبت ما يوجب الاقبال عليه نفى ما يستلزم عادة الادبار عنه فقال وما اي والحال اني ما اسالكم عليه واغرق في
النفي بقوله من اجر ثم زاد في تاكيد هذا النفي بقوله ان اي ما اجري الا على رب العالمين اي المحسن اليهم اجمعين ده
منه اطلب ان يعطيني كما اعطاكم ولما ثبت الامانة وانتفى موجب الخيانة شرع ينكر عليهم اكل خيره وعبادة غيره فقال
مخوفا لهم من سطواته ومرغبا في المزيد من خيراته منكرا عليهم اخلادهم الى شهوة البطن واستنادهم الى الرفاهية والرضى بالفاني
اتتركون اي من ايدي النوائب التي لا يقدر عليها الا الله فيما ها هنا اي في بلادكم هذه من النعم حال كونكم امنين اي وانتم تبارزون
الملك القهار بالعظائم ولما كان التفسير بعد الاجمال اشأن بين ما اجمل بقوله مذكرا بنعمة الله ليشكروها في جنات اي بساتين
تستر الداخل فيها وتخفيه لكثرة اشجارها وعيون تسقيها مع ما لها من البهجة وغير ذلك من المنافع وزروع واشار الى عظم
النخيل ولا سيما ما كان عندهم بتخصيصها بالذكر بعد دخولها في الجنات بقوله ونخل طلعها اي ما يطلع منها من الثمر قال الزمخشري
كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه هضيم اي جواد كريم من قولهم يد هضوم
اذا كانت تجود بما لديها وتفسيره بذلك يجمع اقوال العلماء واليه يرجع ما قال ابو عبد الله القزاز معناه انه قد هضم اي ضغط بعضه
بعضا لتراكبه فانه لا يكون كذلك الا وهو كثير متقارب النضد لا فرج بينه ولطيف لين هش طيب الرائحة من الهضم بالتحريك وهو خمص
البطن ولطف الكشح والهاضم وهو ما فيه رخاوة والهضم البخور والمهضومة طيب يخلط بالمسك والبان وقال الرازي في
اللوامع او يانع نضيج لين رخو او متهشم متفتت اذا مس او يهضم الطعام وكل هذا يرجع الى الطافة ولما ذكر
اللطيف من احوالهم اتبعه الكثيف من افعالهم فقال عطفا على متركون او مبينا الحال الفاعل في امنين وتنحتون اي والحال انكم
تنحتون اظهارا للقدرة من الجبال بيوتا فرهين اي مظهرين النشاط والقوة تعظما بذلك ونظرا لا لاحتياج اليه من ذلك ن
فاتقوا اي فتسبب عن ذلك اني اقول لكم اتقوا الله الذي له جميع العظمة بان تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية باتباع اوامره
واجتناب زواجره واطيعون اي في كل ما امركم به عنه فاني لا امركم الا بما يصلحكم فيكون سببا لحفظ ما انتم فيه وتزادون ولا
تطيعوا ولما كان الانقياد للامر انما هو بواسطة ما ظهر من امره قال امر المسرفين اي المتجاوزين للحد والذين صار لهم ذلك
خلقا ثم وصفهم بما بين اسرافهم وهو او نكاية الفساد الخالص المصمت الذي لا اصلاح معه فقال الذين يفسدون في الارض اي
يعملون بما يؤدي الى الفساد لكونه غير محكم باستناده الى الله ولما كان ربما ادعى في بعض الفساد ان فيه صلاحا نفى ذلك بقوله
ولا يصلحون اي لانهم اسسوا امرهم على الشرك فصاروا بحيث لا يصلح لهم عمل وان تراءى غير ذلك او ان المعنى ان المسرف من كان
عريقا في الاسراف بجمع هذين الامرين ولما دعى الى الله تعالى بما لا خلل فيه فعلموا انهم عاجزون عن الطعن في شيء منه عدلوا
الى التخييل على عقول الضعفاء بان قالوا انما انت من المسحرين اي الذين بولغ في سحرهم مرة بعد اخرى مع كونهم ادميين ذوي سحور
وهي الرئات فانزفك السحر حتى غلب عليك ونقل البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب
يقال سحره اي علله بالطعام والشراب ويؤيده تفسيره بقولهم اشارة الى انه لا يصلح للرسالة ما انت الا بشر مثلنا اي
فما وجه خصوصيتك عنا بالرسالة وهل يكون الرسول من البشر واتباعهم الوصف الوصف من غير عطف يدل على انهم غير
جازمين بتكذيبه فالوصفان عندهم بمنزلة شيء واحد كما اذا قيل الرمان حلو حامض اي مز ويؤيد كونهم في رتبة الشك لم
يتجاوزوها الى الجزم او الظن بالتكذيب قولهم فات باية اي علامة تدلنا على صدقك ان كنت اي كونا هو في غاية الرسوخ
من الصادقين اي العريقين في الصدق بخلاف ما ياتي قريبا في قصة شعيب عليه السلام ولما اسرع الله تعالى في
اجابته حين دعاه ان يعطيهم ما اقترحوا اشار الى ذلك بقوله قال اي جوابا لاقتراحهم تعالوا انظروا ما ابتليكم به اية
على صدقي فاتوا فاخرج الله له من الصخرة ناقة عشراء كما اقترحوا فقال مشيرا اليها باداة القرب اشارة الى تيسر له اخراجها
وسرعته هذه ناقة اي اخرجها ربي من الصخرة كما اقترحتم ثم اشار الى ان في هذه الاية اية اخرى بكونها تشرب ماء البئر
كله في يوم ورودها وتكفيكم عنه في اليوم الثاني لاحلابهم بقوله لها شرب اي نصيب من الماء في يوم معلوم ولكم شرب يوم

اي

اي نصيب من الماء في يوم معلوم لا زحام بينكم وبينها في شيء من ذلك ولما ارشد السياق ارشادا بينا الى ان المعنى فخذوا شربكم
واتركوا الهاشم ما عطف عليه قوله ولا تمسوها بسوء اي كاينا ما كان وان قل لان ما كان من عند الله يجب اكرامه ورعايته واحترامه
ثم خوفهم بما يتسبب عن عصيانهم فقال فياخذكم اي يهلككم عذاب يوم عظيم بسبب ما حل فيه من العذاب فهو ابلغ من وصف العذاب
بالعظم واشار الى سرعة عصيانهم بفاء التعقيب في قوله فعقروها اي قتلوها بضرب ساقها بالسيف ولما تسبب
عن عقرها حلول مخايل العذاب اخبر عن ندمهم على قتلها من حيث انه يفضي الى الهلاك لا من حيث انه معصية لله ورسوله فقال ن
فاصبحوا نادمين اي على عقرها لتحقق العذاب واشار الى ان ذلك الندم لا على وجه التوبة او انه عند رؤية الباس فلم ينفع او ان ذلك
كناية عن ان حالهم صار حال النادم لانه وجد منهم ندم على شيء ما فانه نقل عنهم انه اتاهم العذاب وهم يجاولون ان يقتلوا صالحا عليه السلام
بقوله فاخذهم العذاب اي المتوعد به ولما كان في الناقة وفي حلول المخايل كما تقدم اعظم دليل على صدق الرسول الداعي
الى الله قال ان في ذلك لاية اي دلالة عظيمة على صحة ما امر وابد عن الله وما اي والحال انه مع ذلك ما كان اكثرهم مؤمنين نه
ولما كان ربما توهم انه سبحانه غير متصف بالعز لعدم قسرهم على الايمان او بالرحمة لاهلاكهم قال وان ربك لهو العزيز
اي فلا يخرج شيء عن قبضته وارادته وهو الذي اراد لهم الكفر الرحيم في كونه لم يهلك احدا حتى ارسل اليهم رسولا فبين لهم ما يرضاه
سبحانه وما يسخطه وابلغ في انذارهم حتى اقام الحجة بذلك ثم هو سبحانه يضل من يشاء لما يعلم من طبعه على ما يقتضي الشقاوة
ويوفق من علم منه الخير لما يرضيه فيتسبب عن ذلك سعادته وفي تكرير سبحانه هذه الاية اخر كل قصة على وجه التاكيد واتباعها
ما دلت عليه من كون من اتى بعد اصحابها من غير اتعاظ بحالهم ولا نكوب عن مثل ضلالهم خوفا من نظير نكالهم اعظم تسلية لهذا النبي
الكريم وتخويف لكل عليم حليم واستعطاف لكل ذي قلب سليم ولذلك قال واصلا بالقصة كذبت اي ذاب من تقدم كانهم تواصوا
به قوم لوط المرسلين لان من كذب رسولا كما مضى كذب الكل لتساوي المعجزات في الدلالة على الصدق وقد صرحت هذه الاية
بكفرهم بالتكذيب وبين اشراعهم في الضلال بقوله اذ اي حين قال لهم اخوهم اي في السكنى في البلد لا في النسب لانه ابن اخي
ابرهيم عليهما السلام وهما من بلاد الشرق من ارض بابل وكانه عبر بالاخوة لاختياره لمجاورتهم ومناسبتهم بمصاهرتهم واقا
بينهم في مدينتهم مدة مديدة وسنين عديدة واتيانه بالاولاد من نسائهم مع موافقته لهم في انه قروي ثم بينه بقوله لوط
الا تتقون اي تخافون الله فتجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية ولما كان مضمون هذا الدعاء لهم والانكار عليهم في عدم التقوى
علل ذلك بقوله اني لكم اي خاصة رسول امين اي لا شيء من غش ولا خيانة عندي ولذلك سبب عنه قوله فاتقوا الله اي
لقدرته على اهلاك من يريد وتعاليه في عظمته واطيعون اي لان طاعتي سبب نجاتكم لاني لا امركم الا بما يرتضيه ولا نهاكم
الا عما يغضبه ولما اثبت الداعي الى طاعته نفى الناهي عنها فقال وما اسالكم عليه اي الدعاء الى الله من اجر اي فتتهموني
بسببه ونفى سؤاله لغيرهم من الخلائق بتخصيصه بالخالق فقال ان اي ما اجري الا على رب العالمين اي المحسن اليهم بايجادهم
ثم تربيتهم فلما وجد المقتضى لاتباعه وانتفى المانع انكر عليهم ما يوجب عذابهم من ايثارهم شهوة الفرج المخرج لهم الى ما صاروا به شبه
في الخلق فقال موبخا معرضا بيانا لتفاحش فعلهم وعظمه اتاتون اي ايتان المعصية الذكران ولعلهم كانوا يفعلون بالذكور من غير
الادميين توغلا في الشر وتجاهرا بالنسك لقوله من العالمين اي كلهم او يكون المعنى من بين الخلائق اي انكم اختصصتم باتيان الذكرا
لم يفعل هذا الفعل غيركم من الناكحين من الخلق وتذرون اي تتركون لهذا الغرض ما خلق لكم اي للنكاح ربكم المحسن اليكم من
ازواجكم اي وهن الاناث على ان من للبيان ويجوز ان يكون مبعضه ويكون المخلوق لذلك هو القبل ولما كانوا كانهم قالوا
نحن لم نترك ازواجنا حملا لقوله على الترك اصلا وراسا وان كانوا قد فهموا ان مراده تركهم حال الفعل في الذكور قال مضربا عن مقالهم
هذا المعلوم تقديرا لما ارادوه به حيدة عن الحق وتماديا في الفجور بل انتم قوم عادون اي تركتم الازواج تبعدي الفعل من محل
الفعل بالذكران وليس ذلك ببدع من امركم فان العدو وانا الذي هو مجاوزة الحد في الشر وصف لكم انتم عريقون فيه فلذلك لا تنفعون
عنه حدود الله تعالى ولما اتضح الحق وعرف المراد وكان غريبا عندهم وتشوف السامع الى جوابهم استونفا الاخبار عنه
تعليلا اعلاما بانقطاعهم وانهم عارفون انه لا وجه لهم في ذلك اصلا لعد ولهم الى الفحش قالوا مقسمين لئن لم تنته وسموه باسمه
جفاء وغلظة يا لوط اي عن مثل انكارك هذا علينا ولما كان لما له من العظمة بالنبوة والافعال الشريفة التي توجب اجلا
وانكار كل من يسمعهم ان يخرج مثله زادوا في التاكيد فقالوا لتكونن من المخرجين اي ممن اخرجناه من بلدنا على وجه فظيع تصير
مشهورا به بينهم بلدنا اشارة الى انه غريب عندهم وان عادتهم المستمرة نفي من اعترض عليهم وكان قصدهم بذلك ان يكونوا
هم المتولين لاخراجه اهانة له للاستراحة منه فكان اخراجه لكن اخراج اكرام للاستراحة منهم والنجاة من عذابهم بتولي الملا
الكرام قال جوابا لهم اني مؤكدا المضمون ما ياتي به لعملكم ولم يقل قال بل زاد في التاكيد بقوله من القالين اي المشهورين
ببغض هذا العمل الفاحش العريقين في هذا الوصف المذكورين بين الناس بمنابذة من يفعله لا يردني عن انكاره تهديدكم لي باخراج
ولا غيره والقلا بغض شديد كانه يقلي الفؤاد ولما بادام بقبل هذا الذي من شانه الافضاء الى الشر اقبل على من يفعل

منه

ن

وزه

له

بكة

ذلك لاجله وهو القادر على كل شئ العالم بكل شئ فقال رب نجني واهلي مما اي من الجزاء الذي يلحقهم لما يعملون ولما
قبل تعالى دعاءه اشار الى ذلك بقوله فنجيناه واهله مما عذبناهم به باخراجنا له من بلدهم حين استحقاقهم له ولم نوخر عنهم
الى حين خروجه الا لاجله وعين سبحانه المراد مبينا ان اهله كثير بقوله اجمعين الا عجوزا وهي امراته كاينة في حكم الغابرين
اي الماكثين الذين يلحقهم العذاب بما يلون من الداهية فاننا لم ننجها لقضائنا بذلك في الازل لكونها لم تتابعه في الدين وكانت
هواها مع قومها ولما ذكر نجاته المفهمة لهلاكهم صرح به على وجه هوله باداة التراخي لما علم غير مرة انه كان عقب خروجه
لم يتخلل بينهما مهلة فقال ثم دمرنا اي اهلكنا هلاكا بغتة صلبا اصم في غاية النكد فما احسن التعبير عنهم بلفظ الاخرين
لافهام تاخرهم من كل وجه ولما كان معنى دمرنا حكمنا بتدميرهم عطف عليه قوله وامطرنا ودل على العذاب بتعديته
بعلى فقال عليهم مطرا اي واي مطر فلذلك سبب عنه قوله فساء مطر المنذرين اي ما اسوا مطر الذين خوفهم لوط عليه
السلام بما اشار اليه انكاره وتعبيره بالتقوى والعدوان ولما كان في جري المكذبين والمصدقين على نظام واحد من الهلاك
والنجاة اعظم عبرة واكبر موعظة اشار الى ذلك بقوله ان في ذلك لاية اي دلالة عظيمة على صدق الرسل في جميع ترغيبهم
وترهيبهم وتبشيرهم وتحذيرهم ولما كان من اشق شئ بعد هذه الامم كقريش ومن تقدمهم قد علموا اخبارهم وضموا الى العقل الا
خبار نظر الديار والتوسم في الاثار قال معجبا في حالهم من ضلالهم وما والحال انه ما كان اكثرهم مومنين ولما كان في
ذلك اشارة الى الانذار بمثل ما حل بهم من الدمار اتبعه التصريح بالتخويف والاطماع فقال وان ربك لهو اي وحده العزيز
اي في بطشه باعدائه الرحيم في لطفه باوليائه ورفقه باعدائه بارسال الرسل وبيان كل مشكل ثم وصل بذلك دليله تعالى
مذكرا الفعل لشدة كفرهم بدليل ما ياتي في ابنائنا لواو في وما انت الا بشر كذب اصحاب الايكة اي الغيضة ذات الارض
الجيدة التي تبتلع الماء فتنبت الشجر الكثير الملتف المرسلين لتكذيبهم شعيبا عليه السلام فيما اتى به من المعجزة المساوية في
خرق العادة وعجز المتحدين لها عن معارضتها ومنها لبقية المعجزات التي بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ قال لهم ولما
كانوا اهل بدو وكان هو عليه السلام قرويا قال شعيب ولم يقل اخوهم اشارة الى انه لم يرسل نبيا الا من اهل القرى تشريفا
لهم لان البركة والحكمة في الاجتماع ولذلك نهى النبي عليه السلام عن التعرب بعد الهجرة وقال من يرد الله به خيرا ينقله من البادية
الى الحاضرة الا تتقون اي تكونون من اهل التقوى وهي المخافة من الله سبحانه وتعالى ولما كان كانه قيل ما لك ولهذا قال
اني واشار الى تبشيرهم ان اطاعوه بقوله لكم رسول اي من الله فهو امر لي ان اقول لكم ذلك امين اي لا غش عندي ولا خداع
ولا خيانة فلذلك ابلغ جميع ما ارسلت به ولذلك سبب عنه قوله فاتقوا الله اي المستحق لجميع العظمة وهو المحسن اليكم بهذه الغيضة
وغيرها واطيعون اي لما ثبت من نصحي ولما قدم ما هو المقصود بالذات عطف على خبران قوله وما اسالكم عليه من اجر نفيا لما
ينفر عنه ثم زاد في البراءة مما يوكس من الطمع في احد من الخلق فقال ان اي ما اجري الا على رب العالمين اي المحسن الى الخلايق كلهم فانا لا
ارجو ابدا احدا يحتاج الى الاحسان اليه وانما اعلق املي بالمحسن الذي لا يحتاج الى احد وكل احد سايل من رفده واخذ من عنده ولقد اتضح ان الرسل
متطابقون في الدعوة في الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص في العبادة مع النصح والعفة والامانة والحشمة والحسبة ولما
كان كانه قيل ما الذي تنهى فيه قال مبينا ان داءهم حب المال المفضي بهم الى سوء المال اوفوا الكيل اي اتموه اتماما
لا شبهة فيه اذا كلتم كما توفونه اذا اكتلتم ولما امرهم بالايفاء نهاهم عن النقص على وجه اعم فقال ولا تكونوا اي كونا هو لكم
كالجبلة ولعله اشارة الى ما يعرض من نحو ذلك من الخواطر او النسيان التي يغلب الانسان فيها الطبع ثم يرجع عنها رجوعا يمحوها ولذلك
قال من المخسرين اي الذين يخسرون اي ينقصون انفسهم اديانها بالخسار الناس دنياهم بنقص الكيل وغيره من انواع النقص من كل
ما يوجب الغبن فتكونوا مشهورين بذلك بين من يفعله ولما امر بوفاء الكيل اتبعه بمثل ذلك في الوزن ولم يجمعهما لما للتفرقة من
التعريف بمزيد الاهتمام فقال وزنوا اي لانفسكم وغيركم بالقسطاس اي الميزان الاقوم واكد معناه بقوله المستقيم ولما امر
بالوفاء في الوزن اتبعه نهيا عن تركه عاما كما فعل في الكيل ليكون اكد فقال ولا تبخسوا اي تنقصوا الناس اشياءهم اي في كيل او وزن
او غيرهما نقصا يكون كالشيء لا فائدة له ثم اتبع ذلك بما هو اعم منه فقال ولا تعثوا اي تتصرفوا في الارض عن غير تامل حال كونكم
مفسدين اي في المال وغيره قاصدين بذلك الافساد كما تقدم بيانه في سورة هود عليه السلام ولما وعظهم فابلغ
في وعظهم باحسنه بالنهي عن الفساد خوفهم من سطوات الله تعالى بما احل بمن هو اعظم منهم فقال واتقوا الذي خلقكم اي فاعدامكم
اهون شئ عليه واشار الى ضعفهم وقوة من كان قبلهم بقوله والجبلة اي الجماعة والامة الاولين الذين كانوا على خلقة وطبيعة
عظيمة كانها الجبال قوة وصلابة لا سيما قوم هود عليه السلام الذين هم عرب مثلكم وقد بلغت بهم الشدة في ابدانهم والصلابة في جميع
اركانهم ان قالوا من اشد منا قوة وقد بلغكم ما انزل بهم سبحانه من باسه لانه لم يعرف اعلم الناس اخبارهم ولما كان حاصل ما
مضى الاعلام بالرسالة والتحذير من المخالفة لانها تودي الى الضلالة الى ان ختم ذلك بالاشارة بالتعبير بالجبلة الى ان عذابه تعالى
عظيم لا يستعصي عليه صغير ولا كبير اجابوه بالقدح في الرسالة اولا وباستصغار الوعيد ثانيا بان قالوا انما انت من المسحرين

اي الذين كرر سحرهم من بعد اخرى حتى اختلوا فصار كلامهم على غير نظام او من المعللين بالطعام والشراب كما مضى في صالح عليه السلام اي
انت بعيد من الصلاحية للرسالة ثم اشاروا الى عدم صلاحية البشر مطلقا لها ولو كانوا اعقل الناس وابعدهم عن الافة بقولهم عاطفين
بالواو اشارة الى عراقته فيما وصفوه به من جهة السحر والتسحر وانه لا فرق بينه وبينهم وما انت الا بشر مثلنا اي فلا وجه لتخصيصك عنا
بذلك والدليل على ان عطف تلك ابلغ من اتباعه من غير عطف جزمهم بظن كذبه في قولهم وان اي وانا نظنك لمن الكاذبين اي العريقين
في الكذب بهذا مذهب البصريين في ان مخففة من الثقيلة والذي يقتضيه السياق ترجيح مذهب الكوفيين هنا في ان نافية فالمعنى
ارادوا بانباتنا لواو في وما المبالغة في نفي ارساله بتعدادها ما ينافيه فيكون مرادهم انه ليس لنا ظن يتوجه الى غير الكذب وهو ابلغ
من اثبات الظن به ونويع تسبيبهم عنه سؤالهم له استهزاء به وتعجيزا له انزال العذاب بخلاف ما تقدم عن قوم صالح عليه السلام فقالوا
فاسقط علينا كسفا باسكان السين على قراءة الجماعة وفتحها في رواية حفص وكلاهما جمع كسفة اي قطعا من السماء اي السحاب و
الحقيقية وهذا الطلب لتصميمهم على التكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا عن طلبه ولا سيما
كونه على وجه التهكم ولذلك قالوا ان كنت اي كونا هو لك كالجبلة من الصادقين اي العريقين في الصدق المشهورين فيما بين اهله
لنصدقك فيما الزمتنا من امرك لنا باتخاذ الوقاية من العذاب من التهديد بالعذاب وما احسن نظره الى التهديد لهم بما الله عليهم من القدرة
في خلقهم وخلق من كانوا اشد منهم قوة واهلاكهم بانواع العذاب لما عصوه بتكذيب رسله ولما كان عذاب العاصي يتوقف
على العلم المحيط باعماله والقدرة على نكاله اسند تعالى الحكاية عنه في تنبيهه لهم على ذلك بقوله قال مشيرا الى انه لا شئ
من ذلك الا الى من ارسله وهو متصف بكلا الوصفين واما هو فانه وان كان عالما فهو قاصر العلم فهو غير قادر ربي اعلم اي مني
بما تعملون لانه محيط العلم فهو شامل القدرة فهو يعلم استحقاقكم للعذاب ومقدار ما تستحقون منه ووقت انزاله فان شاء
عذبكم واما انا فليس علي الا البلاغ وانا مامور به فلم اخوفكم من نفسي ولا ادعيت قدرة على عذابكم فطلبكم ذلك مني ظلم منكم
مضموم الى ظلمكم بالتكذيب ولما كان محط كلامهم كله على تكذيبهم له من غير قدح في قدرة الخالق سبب العذاب عن تكذيبهم
فقال فكذبوه اي استمروا على تكذيبه فاخذهم اي اخذ هلاك عذاب يوم الظلة وهي سحابة على نحو ما طلبوا من قطع السماء
انهم بعد حر شديد نالهم حتى من الاسراب في داخل الارض اشد مما نالهم في خارجها ليعلم ان لا فاعل الا الله وانه يتصرف كيف شاء
على مقتضى العادة وغير مقتضاها فوجدوا من تلك الظلة نسيما باردا وروحا طيبا فاجتمعوا تحتها استرواحا اليها واستظ
لوا بها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا بنحو مما اقترحوا وانما هم الله من حيث لم يحتسبوا فنفذت فيهم سهام القدرة ولم يجدوا من
دونها وقاية ولا سترا من غير ان يدعو احاجة الى سقوط شئ من جرم السماء ولا مما دونها من الغمام ولما كان الحال موجبا للسؤال
عن يوم الظلة قال تعالى مهولا لامره معظما لقدرته انه كان فاكد بان وعظم بكان عذاب يوم عظيم وزاده عظما بنسبته
الى اليوم فصار لذلك من الهول بحيث يبع هذا القول ما تجب له القلوب وتعظم الكروب ولما كان لفتوا الى الاخبار باهلاك
هذه القرون وابادة من ذكر من تلك الامم من الرعب ما لا يبلغ وصفه ولا يمكن شرحه قال تعالى مشيرا اليه تحذيرا من مثله ان
في ذلك اي الامر العظيم من الانجاء المطرد لكل رسول ومن اطاعه والاخذ المطرد لمن عصاه في كل عصر بكل قطر بحيث لا يشذ
من العريقين انسان عاص ولا دان لاية اي دلالة واضحة عظيمة على صدق الرسل وان يكونوا احدين بتصديق العباد لهم في
جميع ما قالوا من البشاير والنذاير بان الله تعالى يهلك من عصاه وينجي من والاه لانه الفاعل المختار لا مانع له ولا سيما انت
وانت اعظمهم منزلة واكرمهم رتبة ولا سيما وقد اتيت قومك بما لا يلون معه شك لو لم يكن لهم بك معرفة قبل ذلك فكيف
وهم عارفون بانك كنت قبل الرسالة اصدقهم لهجة واعظمهم امانة واغزرهم عقلا واوضحهم نبلا واعلاهم همة وابعدهم عن
كل دنس وانزل ساحة ثم عجب من توقفهم في الايمان مع ما لحظوا من صدق نبيهم وطهارة اخلاقه ووفور شفقته عليهم
ولم يخافوا من مثل ما تحققوه من اهلاك هذه الامم فقال وما كان اكثرهم اي اكثر قومك كما كان قبلهم مع رؤية هذه الايات
واحلال المثلات حتى كانهم تواصوا بذلك مومنين اي عريقين في الايمان بل ما يومنون الا وهم مشركون ولما كان
هذا كله تاسية للداعي صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمتمادي على تكذيبه وترجيه لمن رجع عن ذنوبه اشار الى ذلك بقوله
وان ربك اي المحسن اليك بكل ما يعلي شانك ويوضح برهانك لهو العزيز فلا يعجزه احد ولا ينسب في امهال عاص
الى اهمال ولا عجز الرحيم فلا ياخذ الا بعد تجاوز الحد والياس عن الرد مع البيان الشافي في الابلاغ الوافي واللطف
الكافي وكرر الختام بهذا الكلام في هذه السورة ثماني مرات فلعل من اسراره الاشارة الى سبق الغضب لان من السورة
المفتتحة بالكتاب القيم والعبد الكامل بالاضافة الى الملك الاعظم اللذين هما رحمة الخالق للخلايق وذكر فيها مع تعدها
في الترتيب اهل الرحمة من اهل الكهف اللذين قالوا هب لنا من لدنك رحمة وذا القرنين الذي اتاه من كل شئ سببا والخضر
عليهما السلام الذي اتى كلاهما من لدنه رحمة وذا القرنين الذي اتاه من كل شئ سببا وقال هذا رحمة من ربي الى سورة
الرحمة بانزال الفرقان على عبده المضاف اليه للانذار المؤذن بصفة العز بما ذكر فكل منها ثامنة الاخرى وفيها

السورة الوالية للفرقان تفصيلاً لما في اول الكهف بقوله لعلك باخع نفسك وبذكر ما على الارض من زينة الجرز والى الارض كم
انبتنا فيها من كل زوج كريم كل ذلك تذكيراً بما في تلك من الكتاب الجامع بالرحمة وتحذيراً بما في الفرقان من الانذار الفارق بالعزم
فلما كان ذلك كررت صفتا العزة التي ادنت بها الفرقان والرحمة التي صرحت بها الكهف ثماني مرات بحسب ذلك العدد تذكيراً
بهذا المعنى البديع ترغيباً وترهيباً وتذكيراً بابواب الرحمة الثمانية مع ما ختم القصص بذلك من الروعة في النفس والهيبة في القلب
والانس البالغ للروح وتدبرت هنا صفة العزة الناطقة للانذار بالفرقان على طريق النشر المشوش مع ما اقتضى ذلك من الحال هنا
وجعلت القصص سبعاً تحذيراً من ابواب النيران السبعة الى غير ذلك من الاسرار التي لا تسعها الافكار ولما كانت اثار هذه
القصص ايات مرئيات والاخبار بها ايات مسموعات وكان في اطراد اهلاك العاصي وانجاء الطايع في كل منها على تباعد الاعصار
وتنائي الاقطار واختلاف الديار اعظم دليل على صدق الرسل وتقرير الرسالات لتوافقهم في الدعوة الى الله وتوادهم
على التوحيد والعدل مع العزوف عن الدنيا التي هي شر محض والاقبال على الاخرة التي هي خير صرف والتحلي بما اطبق العباد
على انه معالي الاخلاق ومحاسن الاعمال والتخلي عن جميع الدنايا والتنزه عن كل نقص عطف على قوله اول السورة وما ياتيهم من
ذكر الاية الاخبار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم اشارة الى ما في الاخبار عن اثار هذه القصص بالايات المسموعات من اعظم
الدلالات على رسالته صلى الله عليه وسلم بما فيها من الاعجاز من جهة التركيب والترتيب وغير ذلك من عجيب الاساليب
الذي لم تؤته امة من الامم السالفات فقال رداً للمقطع على المطلع ومن جهة ان الاتي بتلك القصص الغريبة والانباء البديعة
العجيبة اي لم يخالط عالماً مع شدة ملاءمة القران لخصوص ما في قصة شعيب عليه السلام من العدل في الكيل والوزن الذي هو مراد
القران من اية الظلة الجامعة للخير والقسطاس الدائر لكل ضير فقال رداً للمقطع على المطلع **وانه** اي الذكر الذي اتاهم بهذه
الاخبار وهم عنه معرضون وله تاركون **لتنزيل رب العالمين** اي الذي رباهم بشمول علمه وعظيم قدرته بما يعجز عن اقل شيء منه
غيره لكونه اتاهم بالحق منها على لسان من لم يخالط عالماً قط ومع انه سبحانه غذاهم بنعمته ودبرهم بحكمته فاقتضت حكمته ان يكون
هذا الذكر جامعاً لكونه ختاماً وان يكون معجزاً لكونه تماماً ونزله على حسب التدريج شيئاً فشيئاً مكرراً فيه ذكر القصص سابقاً
في كل سورة منها ما يناسب المقصود من تلك السورة معبراً عما يسوقه منها بما يلائم الغرض من ذلك السياق مع مراعاة الواقع ومطابقة
الكاين ولما كان الحال مقتضياً لان يقال من اتى بهذا المقال عن ذي الجلال قال **نزل به** اي نجوماً على سبيل التدريج من الافق الاعلى
الذي هو محل البركات وعبر عن جبريل عليه السلام بقوله **الروح** دلالة على انه مادة خير وان الارواح تحيى بما ينزله من الهدى ودل
الامين اشارة الى كونه معصوماً من كل دنس فلا يمكن منه خيانة **على قلبك** اي يا محمد الذي هو اشرف القلوب واعلاها واضبطها
واوعاها فلا زيغ فيه ولا عوج حتى صار خلقاً له وفي اسقاط الواسطة اشارة الى انه لشدة الغاية السمع والقابلية واحضاره
الحس صير في تمكنه منه بحيث يحفظه حق حفظه فلا ينسى ويفهمه حق فهمه فلا يخفى فدخوله الى القلب في غاية السهولة حتى كانه
وصل اليه بغير واسطة السمع على ما ياتي عن المجرمين وهكذا كل من وعى شيئاً غاية الوعي حفظه كل الحفظ انظر الى قوله تعالى ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علماً لا تحرك به لسانك لتعجل به الاية ولما كان السياق في هذه السورة
للتحذير قال معللاً للجملة التي قبله **لتكون من المنذرين** اي المخوفين المحذرين لمن اعرض عن الايمان وفعل ما نهي عنه من العصيان
ولما كان القصد من السورة التسلية عن عدم ايمانهم بانه لشغول شانهم لا يخلل في بيانه ولا نقص في شانه قال تعالى
موضحاً لتمكنه من قلبه **بلسان عربي** ولما كان في العربي ما هو حوشي لفظاً او تركيباً مشكل على كثير من العرب قال **مبين**
اي بين في نفسه كاشف لما يراد منه غير تارك لبساً عند من تدبره حق تدبره على ما تتعارفه العرب في مخاطباتها من سائر لغاتها
بحقايقها ومجازاتها على اتساع اراداتها وتباعد مراميها في محاوراتها وحسن مقاصدها في كناياتها واستعاراتها ومن يحيط
بذلك حق الاحاطة غير العليم الحكيم الخبير البصير وانما كانت عربيته وابانته موضحة لسبقه الى قلبه لان من كلم بلغته
تكيف بالبين منها تسبق المعاني لا الالفاظ الى قلبه فلو كان اعجمياً لكان نازلاً على السمع لانه يسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها
قال الكشاف وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولاً ونشا عليها كان نظره اولاً في الفاظها
ثم في معانيها انتهى وفيه تقريع عظيم لمن لم يعرف لسان العرب ولا يؤمن به ولما كان الاستكثار من الادلة مما يسكن النفوس
وتطمئن به القلوب قال تعالى **وانه** اي هذا القران اصوله وكثير من قصصه وامهات فروعه **لفي زبر** اي كتب **الاولين** المضبوطة
الظاهرة في كونها انها من السما الى اهلها الذين سكنت النفوس الى انهم رسل وشرعت لهم شرايع نزلت عليهم بها كتب
من غير ان يخالط هذا الذي جاء به احداً منهم او ممن عندهم في علم ما فكان ذلك لكذ لبلاغا قاطعاً على انه ما اتاه به الا الله ولما
كان التقدير الم يكن لهم امارة على صدق ذلك ان يطلبوا تلك الكتب فينظروها ويذوقوا ذلك منها ليصلوا الى حق اليقين عطف
عليه قوله **اولم يكن لهم** ولما كان هذا اسلوب الاستدلال اقتضى تقديم الخبر على الاسم في قراة الجمهور بالتذكير والنصب
فقال بعد تقديم الحال لما اقتضاه من الحال **اية** اي علامة على النسبة البيانية ثم اتبع ذلك الاسم محولاً الى ان والفعل لانه

أخصر وأعرف وأوضح من ذكر المصدر فقال **أن يعلمه** اي الذي اتى به نبينا من عندنا وانت ابن عامر الفعل ورفع اية اسماً واخر عنها
بان والفعل **علماء بني اسرائيل** فيعرفوا به ولا ينكروه ليؤمنوا به ولا يهجروه فان قريشاً كانوا كثيراً ما يرجعون اليهم ويقولون في الاخبار
الالهية عليهم فان كثيراً منهم اسلم وذكر تصديق التوراة والانجيل والزبور وغيرها من اسفار الانبيا عليهم السلام للقران في صفة
النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك ما يؤيد صدقه ويحقق امره وقد غربت الكتب المذكورة بعد ذلك واخرج منها علما الاسلام كثيراً
مما اهملوه حجة عليهم ولا فرق في ذلك بين من اسلم منهم وبين غيرهم فانها حين نزول القران كان التبديل وقد وقع فيها باخبار الله تعالى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اهل مكة بعثوا الى اليهود يسالونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا زمانه وانا لنجد في التوراة
صفته فكان ذلك ملزماً لهم باخبار الله تعالى وكذلك كل ما استخرج من الكتب يكون حجة على اهلها ولما كان التقدير
لم يروا شيئاً من تلك اية ولا امنوا عطف عليه او على قوله تعالى اول السورة فقد كذبوا الاية **ولو نزلناه** اي على ما هو عليه
من الحكمة والاعجاز بما لنا من العظمة **على بعض الاعجمين** الذين لا يعرفون شيئاً من لسان العرب من البهايم او الادميين جمع اعجم وهو من لا
يفصح وفي لسانه عجمة والاعجمي مثله بزيادة تاكيد لزيادة ياء النسبة **فقراه عليهم** ذلك الذي نزلناه عليه على ما هو عليه
من الفصاحة والاعجاز مع علمهم القطعي انه لا يعرف شيئاً من اللسان **ما كانوا به مؤمنين** اي راسخين ولتمحلوا الكفرهم عذراً
في تسميته سحراً وغير ذلك من تعنتهم وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون من فرط عنادهم وتمويههم للشر واستعدادهم له
بل لا يسمعونه حق السماع ولا يعونه حق الوعي بل سماعاً وفهماً على غير وجهه ولما كان ذلك محل عجب وكان ربما ظن انه الا
على غير حقيقته قرر مضمونه وحققه بقوله **كذلك** اي مثل هذا السلك العجيب الذي هو سماع وفهم ظاهري في صعوبة محله
وضيق مدرجه ولما لم يكن السياق مقتضياً لما اقتضاه سياق الحجر من التاكيد اكتفى بمجرد الحروف فقال **سلكناه** اي كلاً
منا والحق الذي ارسلنا به رسلنا بما لنا من العظمة في قلوبهم هكذا كان الاصل ولكنه علق الحكم بالوصف وعم كل من وكل من اتصف
به فقال **في قلوب المجرمين** اي الذين طبعناهم على الاجرام وهو القطيعة لما ينبغي وصله كما ينظم السهم اذا رمي به او الرمح اذا طعن به
ولما كان هذا المعنى خفياً بينه بقوله **لا يؤمنون به** اي من اجل ما جبلوا
في القلب لا يتسع له ولا ينشرح به بل يراه ضيقاً حرجاً
عليه من الاجرام وجعل على قلوبهم من الطبع والختام **حتى يروا العذاب الاليم** فحينئذ يؤمنون حيث لا ينفعهم الايمان ويطلبون
الامان حيث لا امان ولما كان اتيان الشر فجاة اشد وكان اخذهم عقب رؤيتهم له من غير مهلة يحصل فيها نوع استعداد
اصلاً دل على ذلك مصوراً لحاله بقوله دالاً بالفاء على الاشدية والتعقيب **فياتيهم بغتة** ولما كان البغت الاتيان على غفلة
حقق ذلك نافياً للتجوز بقوله **وهم لا يشعرون** ودل على تطاوله في تحاليلهم وجوسه لخلالهم وتردده في خلالهم بقوله دالاً على
ما هو اشد عليهم من المفاجاة بالاهلاك **فيقولوا** اي تاسفاً واستسلاماً وتلهفاً في تلك الحالة لعلمهم بانه لا طاقة به بوجه **هل نحن**
منظرون اي مفسوح لنا في اجالنا لنسمع ونطيع ولما تحقق ان حالهم عند الاخذ الجوار بالذل والصغار تسبب عنه ما تحقق
باستعجالهم من الانكار في قوله منبهاً على ان قدره يفوق الوصف بنون العظمة **افبعذابنا** اي وقد تبين لهم كيف كان اخذنا للامم
الماضية والقرون الخالية والاقوام العاتية **يستعجلون** اي بقولهم امطر علينا حجارة اسقط السما علينا كسفاً ايت بالله
والملائكة قبيلاً كما قال هؤلاء الذين قصصنا امرهم وتلونا ذكرهم فاسقط علينا كسفاً من السما ونحو ذلك ولما تصورت
حالهم ما هم من اخذهم بعذابهم سبب عن ذلك سبحانه سؤال داعيهم مسلياً وموبخاً ومعرباً فقال **افرايت** اي هب ان الامر كما
يعتقدون من طول عيشهم في النعيم فاخبرني **ان متعناهم** في الدنيا **سنين ثم جاءهم** اي بعد تلك السنين المتطاولة والدهور
المتواصلة **ما كانوا يوعدون** اي بما طال انذارك اياهم به وتحذيرك لهم منه على غاية التقريب لهم والتمكين في اسماعهم
اخبرني **ما** اي اي شيء **اغنى عنهم** اي فيما اخذهم من العذاب **ما كانوا** اي كوناً هو في غاية المكنة وطول الزمان **يمتعون** تمتيعاً هو في غاية
الهنو لة عندنا وصوره بصورة الكائن بما عليه والمعنى انه ما اغنى عنهم شيئاً لان عاقبته الهلاك وما دهم بعد امر الله وعذاباً
بزيادة الاثام الموجبة لشديد الانتقام ولما كان التقدير لم يغن عنهم شيئاً لانهم ما اخذوا الا بعد انذار المنذرين لنا فهذا
ايامهم به وتمامهم لمثل ذلك عمن مضى قبلهم من الرسل عطف عليه قوله **وما اهلكنا** اي بعظمتنا واعلم بالاستغراق بقوله **من قرية**
اي من القرى السالفة بعذاب الاستيصال **الا لها منذرون** رسولهم ومن تبعه من امته ومن سمعوا من الرسل باخبارهم مع اممهم
من قبل واعراها من الواو لان الحال لم يقتض التاكيد في الحجر فان المنذرين مشاهدون واذا تاملت ابا قبا الموضعين ظهر لك ذلك
ثم علل الانذار بقوله **ذكرى** اي تنبيهاً عظيماً على ما فيه النجاة وتذكيراً بما شيئاً يعرفونها بما ادت اليه فطر عقولهم وقادت
اليه بصاير قلوبهم او جعل المنذرين نفس الذكرى كما قال تعالى قد انزل الله اليكم ذكراً رسولاً وذلك اشارة الى امعانهم في
التذكير حتى صاروا اياه ولما كان التقدير فما اهلكنا قرية منها الا بالحق عطف عليه قوله **وما كنا** او الواو للحال
من نون اهلكنا **ظالمين** اي في اهلاك شيء منها لانهم كفروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد الاعذار اليهم ومتابعة الحجج ومواصلة
الوعد ولما اخبر سبحانه ان غاية انزال هذا القران كونه صلى الله عليه وسلم من المنذرين واتبع ذلك ما لاءمه

حتى ختم باهلاك من كذب المنذرين عطف على قوله نزل به الروح قوله اعلاما بان العناية شديدة في هذا السياق بالقرآن لتقرير
انه من عند الله ونفي اللبس عنه وما تنزلت به اي القرآن الشياطين اي ليكون سحرا او كهانة او شعرا او اضغاث احلام
كما يقولون ولما كان لا يلزم من عدم التلبس بالفعل عدم الصلاحية له قال وما ينبغي لهم اي ما يصح وما يتصور منهم النزول
بشيء منه لانه خير كله وبركة وهم مادة الشر والهلكة فبينهما تمام التباين وانت سكينة ونور وهم زلزلة وثبور فلا انزال
لهم عليك ولا استبدال بوجه اليك ولما كان عدم الانبغاء لا يلزم منه عدم القدرة قال وما يستطيعون اي التنزل به
وان اشتدت معالجتهم على تقدير ان يكون لهم قابلية لذلك ثم علل هذا بقوله انهم عن السمع اي الكامل الحق من الملا الاعلى لمعزولون
اي بما حفظت به السماء من الشهب وبما باينوا به الملائكة في الحقيقة لانهم خير صرف ونور خالص وهؤلاء شر بحت وظلمة محضة
فلا يسمعون الا خطفا فيصير بما يسبق الى افهامهم ويتصورون من باب الخيال في اوهامهم خلطا لا حقيقة لاكثره فلا وثوق بغالبه
ولا يبعد ان يكون ذلك عاما حتى يشمل السماع من المومنين لما شاركوا به الملائكة من النور والخير انظر ما ورد في اية الكرسي من انها
لا تقرا في بيت فيقربه شيطان وفي رواية الا خرج منه الشيطان وورد نحوه في الايتين من اخر سورة البقرة وكذا ما كان من
اشكال ذلك واعظم منه قوله عليه الصلاة والسلام لعمر رضي الله عنه ايه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما راك الشيطان
سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وترد تعليل الانبغا لظهوره ولما كان تقرر انهم الى الطواغيت الباطلة يدعون
والقرآن داع الى الله الحق المبين سبب عنه قوله فلا تدع وخاطب نبيه عليه الصلاة والسلام وهو اكرم الخلق لديه واعزهم عليه
ليكون لطفا لغيره فيما ياتيه من الانذار فيكونوا اوعى ان جرله ويكون هو له اقبل مع الله اي الجامع لكل كمال الداعي اليه هذا القرآن
الذي نزل به عليك الروح الامين لما بينك وبينهما من تمام المناسبة بالنورانية والخير الها وتقدم في اخر الفرقان حكمة الاتيان بقوله
فتكون اي فيتسبب عن ذلك ان تكون من المعذبين من القادر على ما يريد باسرائهم واسهاله وهذا الكلام لكل من سمع القرآن في الحث
على تدبر معناه ومقصده ومغزاه ليعلم انه في غاية المباينة للشياطين وضلالهم والملائمة للمقربين واحوالهم ولعله خاطب به
المعصوم زيادة في الحث على اتباع الهدى وتجنب الردى وليعطف عليه قوله وانذر اي بهذا القرآن عشيرتك اي قبيلتك
الاقربين اي الادنين في النسب ولا تحاب احدا فان المقصود الاعظم به النذارة لكفا الخلائق عما يثمر الهلاك من اتباع الشياطين
الذين اجتالوهم عن دينهم بعد ان كانوا حنفا كلهم وانذار الاقربين يفهم الانذار لغيرهم من باب الاولى ويكسر من انفة الابعد
للمواجهة بما يكره لانه سلك به مسلك الاقرب ولقد قام صلى الله عليه وسلم بهذه الاية حق القيام روى البخاري عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال لما نزلت صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل
الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير
عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا
جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله
شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني
ما شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئا وروى القصة ابو يعلى عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ان قريشا جاته فحذرهم وانذرهم
فسالوه ايات سليمان في الريح وداود في الجبال وموسى في البحر وعيسى في الاحيا وان يسير الجبال ويفجر الانهار ويجعل الصخر
ذهبا فاوحي اليه وهم عنده فلما سالوا واعنة اخبرهم انه اعطيهم ما سالوه ولكنه ان كفروا واعوجلوا فاختار صلى الله عليه
وسلم علهم ليدخلهم الله باب الرحمة ولما كانت النذارة انما هي للمتولين امر بضدها للامة ادبهم فقال واخفض جناحك
اي لن غاية اللين وذلك ان الطاير اذا اراد ان يرتفع رفع جناحيه فاذا اراد ان ينحط كسرهما وخفضهما فجعل ذلك مثلا في التواضع
لمن اتبعك ولعله احترز بالتعبير بصيغة الافتعال عن مثل ابي طالب ممن لم يومن او آمن ظاهرا وكان منافقا او ضعيفا في الايمان
فاسقا وحقق المراد بقوله من المومنين اي الذين صار الايمان لهم صفة راسخة سوا كانوا من الاقربين او الابعدين ولما
افهم ذلك ان هذا الحكم عام في جميع احوالهم فصل بقوله فان عصوك اي هم فغيرهم من باب اولى فقل اي تاركا لما كنت تعاملهم
حال الايمان من اللين اني بري اي منفصل غاية الانفصال مما تعملون اي من العصيان لدى انذرمته القرآن وخص المومنين اعلاء
لمقامهم بالزيادة في اكرامهم ليوذن ذلك المزلزل بالعلم بحاله فيحثه ذلك على اللحاق بهم ولما اعلمت هذه الاية بمتابعة
من عصى كائنا من كان ولو كان ممن ظهر منه الرسوخ في الايمان لما يرى منه من عظيم الاذعان اتبعه قوله وتوكل اي في عصمتك
ونجاتك والاقبال بالمنذرين الى الطاعة وقراة اهل المدينة والشام بالفا السببية ادل على ذلك على العزيز اي القادر على
الدفع عنكم والانتقام منهم الرحيم اي المرجو لاكرام الجميع برفع المخالفة والسخنا والاسعاد بالاستعمال فيما يرضيه ثم اتبع الامر
بالتوكل الوصف بما يقتضي الكفاية في كل ما ينوب من دفع الضر وجلب النفع وذلك هو العلم المحيط المقتضي لجميع اوصاف الكمال
فقال الذي يراك اي بصرا وعلما حين تقوم من نومك من فرشك تاركا لحبك لاجل ربك وترى تقلبك في الصلاة ساجدا

وقائما في الساجدين اي المصلين من اتباعك المومنين لكم ذوي با القرآن كدوي النحل وتضرع من جوف الله ودعاء وقراءات تصاعد
وبكا اي فهو جدير بان لا يقبل لكم عليه وخضوعكم بين يديه ان يحبوكم بكل ما يسركم ولما كانت هذه الاحوال مشتملة على الاقوال
وكانت قدم الرؤية المتضمنة للعلم على ذلك بالتصريح به مقرونا بالسمع فقال انه هو اي وحده السميع اي لجميع اقوالكم
العليم اي بجميع ما تسرونه وتعلنونه من اعمالكم وقد تقدم غير مرة ان شمول العلم يستلزم تمام القدرة فصار كانه قال انه هو
السميع البصير العليم القدير تثبيتا للمتوكل عليه ولما بين سبحانه ان القرآن مناف لاقوال الشياطين وبين احوال النبي
صلى الله عليه وسلم وحال اتباعه منافية لاحوالهم واحوال من ياتونه من الكهان بما ذكر سبحانه من فعله صلى الله عليه وسلم
وفعل اتباعه رضي الله عنهم من الاقبال على الله والاعراض عما سواه تعلم ان بينهم وبينهم بونا بعيدا وفرقا كبيرا اشد بدا وان
حال النبي صلى الله عليه وسلم موافق لحال الروح الامين النازل عليه بالذكر الحكيم تشوفت النفس الى معرفة احوال الشياطين
فقال تحريكا للمزيد ذلك متمما لدفع اللبس عن كون القرآن من عند الله وفرق بين الايات المتكلفة بذلك نظرتها لذكرها
تنبيها على تاكيد امرها هل انبئكم اي اخبركم خبرا جليلا نافعا في الدين عظيم الجدوى في الفرقان بين اوليا الرحمن واخوان
الشيطان على من تنزل وتتردد الشياطين حين تسترق السمع على ضرب من الخفا بما اذن به حذف التاء ودخل حرف
الجر على الاسم المتضمن للاستفهام لان معنى التضمن انه كان اصله امن فحذفت منه الهمزة حذفا مستمرا كما فعل في هل
لان اصله اهل كما قال • سائل فوارس يربوع بشدتنا • اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم • فالاستفهام مقدر
قبل الجار افاده الزمخشري ولما كان كانه قيل نعم انبئنا قال تنزل على سبيل التدريج والتردد على كل افاك
اي صراف على جهة الكذب والمبالغة للامور عن وجوهها بالكذب والبهتان والخداع والعدوان من جملة الكهان واخدان
الجان اثيم فعال للاثام بغاية جهده وهؤلاء الاثمة يلقون السمع الى الشياطين ويصغون اليهم غاية الاصغا لما بينهما
من التعاشق بجامع الكذب من غير اكتراث ولا تحاش او يلقي الشياطين ما يسمعونه مما يسترقون استماعه من الملائكة الى اوليائهم
فهم بما سمعوا منهم يحدثون وبما زينت لهم نفوسهم يخلطون واكثرهم اي الفريقين كاذبون فيما ينقلونه عما يسمعونه من الاخبار
بما حصل فيها وصل اليهم من التخليط وما زادوه من الافترا والتخبيط انهما كانا في شهوة علم المغيبات الموقع في الافك والضلالات
قال الرازي في اللوامع ما معناه انه حيثما كان استغاثه في حال الخيال كان منزل الشياطين ممن ناسب الروحانيين من الملائكة
كان مهبطهم عليه وظهورهم له وتاثيرهم فيه وتمثلهم به حتى اذا ظهروا عليه تكلم بكلامهم وتكلموا بلسانه وراى
بابصارهم وابصروا باعينه فهم ملائكة يمشون في الارض مطمئنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
ومن ناسب الشياطين من الابالسة كان مهبطهم عليه وظهورهم له وتاثيرهم فيه وتمثلهم به حتى اذا ظهروا عليه تكلم بكلامهم
وتكلموا بلسانه وراى بابصارهم وابصروا باعينه فهم شياطين الانس يمشون في الارض مفسدين انتهى ولما نفى
بابعاده عن دركات الشياطين واصعاده الى درجات الروحانيين من الملائكة المقربين الاتين عن رب العالمين كونه سحرا او
وكونه اضغاثا ومفترى نفى سبحانه كونه شعرا بقوله والشعراء يتبعهم اي بغاية الجهد في قراءة غير نافع بالتشديد
لاستحسان مقالهم وفعالهم فيتعلمون منهم وينقلون عنهم الغاوون اي الضالون المائلون عن السنن الاقوم الى الزنا
والفحش وكل فساد يجر الى الهلاك وهم كما ترى بعيدون من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم الساجدين الباكين
الزاهدين ولما قرر حال اتباعهم فعلم منه انهم هم اغوى منهم لتهتكهم في شهوة اللقلقة باللسان حتى حسن لهم الزور
والبهتان دل على ذلك بقوله الم تر انهم اي الشعراء ومثل حالهم بقوله في كل واد اي من اودية القول من المدح والهجو
والنسيب والرثا والحماسة والمجون وغير ذلك يهيمون اي يسيرون سير الهائم حائرين وعن طريق الحق جائرين كيف
ما جربهم القول الجر وابن الفرح في الانساب والتشبيب بالحرم والهجو ومدح من لا يستحق المدح ونحو ذلك ولهذا قال
وانهم يقولون ما لا يفعلون اي لانهم لم يقصدوه وانما الجاهم اليه الفن الذي سلكوه فاكثر اقوالهم لا حقائق لها
انظر الى مقامات الحريري وما اصطنع فيها من الحكايات وابدى بها من الامور المعجبات التي لا حقائق لها وقد جعلها
اهل الاتحاد اصلا لبدعتهم الخاسرة وقاعدة لصفقتهم الخاسرة فما اظهر حالهم واوضح ضلالهم وهذا بخلاف القرآن فانه معان
جليلة محققة في الفاظ متينة جميلة منتقدة واساليب معجزة محكمة ونظوم معجبة محكمة لا كلفة في شيء منها فلا رغبة
لذي طبع سليم عنها فانتج ذلك انه لا يتبعهم على امرهم الا غاو مثلهم ولا يزهد في القرآن الا من طبعه جاف وقلبه مظلم بالهم
ولما كان من الشعر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حكمة وكان كما قالت عايشة رضي الله عنها بمنزلة الكلام منه حسن ومنه
قبيح وكان من الشعراء من يمدح الاسلام والمسلمين ويهجو الشرك والمشركين ويزهد في الدنيا ويرغب في الاخرة ويحث على
مكارم الاخلاق وينفر عن مساويها وكان التفصيل فيه ليس حسنة وقبيحه كثير ذكر الله قال تعالى الا الذين امنوا
اي بالله ورسوله وعملوا اي تصديقا لايمانهم الصالحات اي التي شرعها الله ورسوله لهم وذكروا الله مستحضرين

ما له من الكمال كثيرا لم يشغلهم الشعر عن الذكر بل بنوا شعرهم على امر الدين والانتصار للشرع فصار لذلك كله ذكر الله وبكى
مثالا لذلك قصيدة عزيت لابي بكر الصديق رضي الله عنه وجوابها لابن الزبعري وكان اذ ذاك على شركه وذلك في اول
سرية كانت في الاسلام وهي سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنه فان قصيدة ابي بكر رضي الله عنه
ليس فيها بيت الا وفيه ذكر الله اما صريحا واما بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم او شي من دينه وما ليس فيه شي من ذلك
فهو آيل اليه لبنائه عليه واما نقيضتها فلا شي من ذلك فيها قال ابن اسحق قال ابو بكر رضي الله عنه في غزوة عبيدة بن الحرث
رضي الله عنه

امن طيف سلمى بالبطاح الدمائث … ارقت وامر في العشيرة حادث
ترى من لوي فرقة لا يصدها … عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول اتاهم صادق فتكذبوا … عليه وقالوا لست فينا بماكث
اذا ما دعوناهم الى الحق ادبروا … وهروا هرير المجحرات اللواهث
فكم قد متتنا فيهم بقرابة … وترك التقى شيء لهم غير كارث
فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم … فما طيبات الحل مثل الخبائث
وان يركبوا طغيانهم وضلالهم … فليس عذاب الله عنهم بلابث
ونحن اناس من ذؤابة غالب … لنا العز منها في الفروع الاثايث
فاولي برب الراقصات عشية … حراجيج تخدي في السريح الرثايث
كادم ظباء حول مكة عكف … يردن حياض البير ذات النبايث
لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم … ولست اذا آليت قولا بحانث
لتبتدرنهم غارة ذات مصدق … تحرم اطهار النساء الطوامث
تغادر قتلى تعصب الطير حولهم … ولا ترأف الكفار راف بن حارث
فابلغ بني سهم لديك رسالة … وكل كفور يبتغي الشر باحث
فان تشعثوا عرضي على سوء رايكم … فاني من اعراضكم غير شاعث

امن رسم دار اقفرت بالعثاعث … بكيت بعين دمعها غير لابث
ومن عجب الايام والدهر كله … له عجب من سابقات وحادث
لجيش اتانا ذي عرام يقوده … عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث
لنترك اصناما بمكة عكفا … مواريث موروث كريم لوارث
فلما لقيناهم بسمر ردينة … وجرد عتاق في العجاج لواهث
وبيض كان الملح فوق متونها … بايدي كماة كالليوث العوابث
نقيم بها اصعار من كان مائلا … ونشفي الذحول عاجلا غير لابث
فكفوا على خوف شديد وهيبة … واعجبهم امر لهم امر رائث
ولو انهم لم يفعلوا ناح نسوة … ايامى لهم من بين نسء وطامث
وقد غودرت قتلى يخبر عنهم … حفي بهم او غافل غير باحث
فابلغ ابا بكر لديك رسالة … فما انت عن اعراض فهر بماكث
ولما تجب مني يمين غليظة … تجدد حربا حلفة غير حانث

بسنده من طريق عبد الرزاق من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله
قد انزل في الشعراء ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بنفسه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به
نضح النبل وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما ينشد الشعر ويستنشده في المسجد وروى الامام احمد حديث كعب هذا وروى النساي
برجال احتج بهم مسلم عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم قال
البغوي وروي انه اي ابن عباس رضي الله عنهما دعا عمر بن ابي ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قالها امن آل نعم انت غاد فمبكر
غداة غد ام رائح فمهجر وهي قريب من سبعين بيتا فلما فرغها اعادها ابن عباس وكان حفظها بمرة واحدة ويكفي الشاعر في التفصي
عن ذم هذه الاية له ان لا يغلب عليه الشعر فيشغله عن الذكر حتى يكون من الغاوين وليس من شرطه ان لا يكون في شعره هزل اصلا فقد كان
حسان رضي الله عنه كان ينشد النبي صلى الله عليه وسلم مثل قوله في قصيدة طويلة مدحه صلى الله عليه وسلم فيها ولما

كان سبية من بيت راس … يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الاشربات ذكرن يوما … فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان المنا … اذا ما كان مغث او لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا … واسدا ما ينهنهنا اللقاء

وقد كان تحريم الخمر سنة ثلاث من الهجرة او سنة اربع وهذه القصيدة قالها حسان رضي الله عنه في الفتح
سنة ثمان اوفي عمرة القضا سنة سبع فهي مما يقول الشاعر ما لا يفعل ولما عرف سبحانه بحال المستثنين في الذكر
الذي هو اساس كل امر اتبعه ما حملهم على الشعر من الظلم الذي جابهم النصر فقال وانتصروا اي كلفوا انفسهم اسباب النصر
بشعرهم فيمن اذاهم من بعد ما ظلموا اي وقع ظلم الظالم لهم بهجو ونحوه ولما اباح سبحانه الانتصار من الظالم وكان
البادي اذا اقتصر المجيب على جوابه اظلم وكان ذا تجاوز حريا بان يعتدي فيندم حذر الله الاثنين مؤكدا للوعيد بالسين في
قوله الذي كان السلف الصالح يتواعظون به لانك لا تجد اهيب منه ولا اهول ولا اوجع لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين
وسيعلم وبالتعميم في قوله الذين ظلموا اي كلهم من كانوا وبالتهويل بالابهام في قوله اي منقلب اي في الدنيا والاخرة ينقلبون
وقد انعطف اخرها كما ترى بوصف الكتاب المبين بما وصف به من الجلالة والعظم بانه من عند الله منزل به خير ملايكته على اشرف
خليقته منزلا لكل لبس منفيا عنه كل باطل وبالختام بالوعيد على الظلم على اولها في تعظيم الكتاب المبين وتسلية النبي الكريم ووعيد
الكافرين الذين هم اظلم الظالمين واتصل بالتي بعدها في وصف القران المبين وبشرى المؤمنين ووعيد الكافرين فسبحان من انزله
على النبي الامي الامين هدى للعالمين واية بينة باعجازه للخلايق اجمعين باقية الى يوم الدين سورة النمل
مقصودها وصف الكتاب بالكفاية لهداية الخلق اجمعين بالفصل بين الصراط المستقيم وطرق الحايرين والجمع لاصول الدين
لاحاطة علم منزله بالخفي والمبين وبشارة المؤمنين ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الاولين والاخرين وكل ذلك يرجع الى العلم
المستلزم للحكمة فالمقصود الاعظم منها اظهار العلم والحكمة كما كان مقصود التي قبلها اظهار البطش والنقمة وادل
ما فيها على هذا المقصود ما للنمل من حسن التدبير وسداد المذاهب في العيش ولاسيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في
السياسة وحسن التعبير عن ذلك القصد وبلاغة التادية بسم الله الذي كمل علمه فبهرت قدرته حكمته الرحمن الذي
عم بالهداية باوضح البيان الرحيم الذي من بجنان النعيم على من الزمه الصراط المستقيم طس يشير الى طهارة الطور
وذي طوى منه وطيب طيبة وسعد بيت المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام التي انتشر منها الناهي عن الظلم
والى انه لما طهر سبحانه بني اسرايل وطيبهم بالابتلا فصبروا واخلصهم من فرعون وجنوده بمسموع موسى عليه السلام للوحي
المخالف لشعر الشعرا وايد الامين ورسالته من الطور ولم يذكر تمام امرهم باغراق فرعون لان مقصودها اظهار العلم والحكمة
دون البطش والنقمة فلم يقتض الحال ذكر الميم ولما التي قبلها بتحقيق امر القران وانه من عند الله ونفي الشبه
عنه وتزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول فيه بالنسبة الى السحر والاضغاث والافترا والشعر الناشي كل ذلك عن احوال
الشياطين وابتدا هذه بالاشارة الى انه من الكلام القديم المسموع المطهر عن وصمة تلحقه من شيء من ذلك تلاه بوصفه بانه
كما انه منظوم مجموع لفظا ومعنى لا فصم فيه ولا خلل ولا وصم ولا زلل فهو جامع لاصول الدين ناشر لفروعه بما اشار اليه من الوحي
من المسلمين فقال تلك اي الايات العالية المقام البعيدة المرام البديعة النظام ايات القران اي الكامل في قرانيته
الجامع للاصول الناشر للفروع الذي لا خلل فيه ولا فصم ولا صدع ولا وصم وايات كتاب اي واي كتاب هو مع كونه جامعا
لجميع ما يصلح المعاش والمعاد قاطع في احكامه غالب في احكامه في كل من نقضه وابرامه وعطفه دون اتباعه للدلالة
على انه كامل في كل من قرانيته وكتابيته مبين اي بين في نفسه انه من عند الله كاشف لكل مشكل موضح لكل ملبس مما كان ومما
هو كائن ومن الاحكام والدلايل في الاصول والفروع والنكت والاشارات والمعارف فيا له من جامع فارق واصل فاصل
ولما كانت العناية في هذه السورة بالبشر الذي هو من لوازم الجمع في مادة قرا كما مضى بيانه اول الحجر اكثر فيما من القران
يدل على ذلك انتشار امر موسى عليه السلام في اكثر قصته بتفريقه من امه وخروجه من وطنه الى مدين ورجوعه مما صار اليه
الى ما كان فيه والتماسه لاهله الهدى والصلى واضطراب العصى وبث الخوف منها واية اليد وجميع الايات التسع واخبار هم
التعبير بالقوم الذي اصل معناه القيام وابصار الايات وانتشار الهدهد واخراج الخب الذي منه تعليم منطق الطير
وتكليم الدابة للناس وانتشار المراة وقومها وعرشها بعد تردد الرسل بينها وبين سليمان عليه السلام وكشف الساق
وافتراق ثمود الى فريقين مع الاختصام المشتت وانتشار قوم لوط عليه السلام الى ما لا يحل وتفريق الرياح نشرا وتقسيم
الرزق بين السماء والارض ومرور الجبال ونشر الريح لنفخ الصور الناشي عنه فزع الخلايق المبعثر للقبور الى غير ذلك
مما اذا تدبرت السورة انفتح لك بابه وانكشف عنه حجابه وهذا بخلاف ما في الحجر على ما مضى ابو جعفر

ابن الزبير لما اوضح في سورة الشعرا عظيم رحمته بالكتاب وبيان ما تضمنه مما فضح به الاعدا ورحم به الاوليا وبراءته من ان
تتنزل الشياطين عليه وباهر آياته الداعية من اهتدى بها اليه فتميز بعظيم آياته كونه فرقانا قاطعا ونورا ساطعا اتبع
سبحانه ذلك بمدحه وثناء وذكر من شملته رحمته به تخصيصا واعتناء فقال تلك آيات القرآن اي الحاصل عنها مجموع تلك
الانوار آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين ثم وصفهم ليحصل للتابع قسطه من بركة التبع وليقوى رجاؤه في النجاة
مما اشار اليه وسيعلم الذين ظلموا امر عظيم ذلك المطلع ثم اتبع ذلك بالتنبيه على صفة الاهلين لما تقدم من التقول والافترا
ثم بها العباد المتقين واولياءه المخلصين عن درن الشكوك والامترا فقال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم
فهم يعمهون اي يتحيرون فلا يفرقون بين النور والاظلام لارتباك الخواطر والافهام ثم اتبع ذلك بتسليته عليه
السلام بالقصص الواقعة بعد تنشيطا له وتعريفا بعلي منصبه واطلاعا له على عجيب صنعه تعالى فيمن تقدم ثم ختمت
السورة بذكر اهل القيمة وبعض ما بين يديها والاشارة الى الجزاء ونجاة المؤمنين وتهديد من تنكب عن سبيله عليه السلام انتهى ولما
عظم سبحانه آيات الكتاب بما فيها مع الجمع من البشرى مع الابانة ذكر حاله فقال **هدى** ولما كان الشي قد يهدي الى المقصود ويكدر
حال قاصده قال كافيا لذلك وعطف بالواو دلالة على الكمال في كل من الوصفين **وبشرى** اي عظيمة فلما تشوفت النفوس وارتاحت
القلوب فطر من ليس باهل عن عظيم هذه النعمة فقال **للمؤمنين** اي الذين صار ذلك لهم وصفا لازما بما كان لهم قبل دعا الداعي من طهارة
الاخلاق وطيب الاعراق وفي التصريح بهذا الحال تلويح بانه فتنة وانذار للكافرين يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فاما الذين في
قلوبهم زيغ الآية قل هو للذين آمنوا هدى وشفا والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى الى غير ذلك من الآيات ولما كان
وصف الايمان خفيا وصفهم بما يصدقه من الامور الظاهرة فقال **الذين يقيمون الصلاة** اي بجميع حدودها الظاهرة والباطنة
من المواقيت والطهارات والشروط والاركان والخشوع والخضوع والمراقبة والاحسان اصلاحا لما بينهم وبين الخالق هو
ولما كان الايمان بالبعث هو الجامع لذلك ولغيره من سائر الطاعات ذكره معظما للتاكيد فقال معلما بجعله حالا ان
انه شرط لما قبله **وهم** اي والحال انهم ولما كان الايمان بالبعث هو السبب الاعظم للسعادة وهو محط الحكمة عبر فيه بما
يقتضي الاختصاص لا للاختصاص بل للدلالة على غاية الرسوخ في الايمان به فقال **بالآخرة هم** اي المختصون بانهم **يوقنون** اي
يوجدون الايقان حق الايجاد ويجددونه في كل حين بما يوجد منهم من الاقدام على الطاعة والاحجام عن المعصية ولما
افهم التخصيص ان ثم من يكذب بها وكان امرها مركوزا في الطباع لما عليها من الادلة الباهرة في العقل والسماع تشوفت نفس السامع
على سبيل التعجب الى حالهم فقال مجيبا له مؤكدا تعجبا ممن ينكر ذلك **ان الذين لا يؤمنون** اي يوجدون الايمان ويجددونه بالآخرة
زينا اي بعظمتنا التي لا يمكن دفاعها **لهم اعمالهم** اي القبيحة حتى اعرضوا عن الخوف من عاقبتها مع ظهور قباحتها والاسناد اليه
سبحانه حقيقي عند اهل السنة لانه الموجد الحقيقي والى الشيطان مجاز سببي **ثم** اي فتسبب عن ذلك انهم **يعمهون** اي
يخبطون خبط من لا بصيرة له اصلا ويترددون في اودية الضلال ويتمادون في ذلك ثم كل لحظة في خبط جديد بعمل غير سديد
ولا سعيد فان العمه التحير والتردد كما هو حال الضال ولما خص المؤمنين بما علم منه ان لهم حسن الثواب وانهم في الآخرة
هم الفائزون ذكر ما يختص به هؤلاء من ضد ذلك فقال **اولئك** اي البعدا البغضا **الذين لهم** اي خاصة **سوء العذاب** في الدار
في الدنيا بالقتل والاسر والخوف **وهم في الآخرة هم** المختصون بانهم **الاخسرون** اي اشد الناس خسارة لانهم خسروا اما لا
خسارة مثله ومواقفهم التي لا يمكنهم احلافها ولما وصف القرآن من الجمع والفرقان بما اقتضى بيان اهل الفوز والخسران
وكان حاصل حال الكفرة انهم يتلقون كفرهم الذي هو في غاية السفه اما عن الشياطين الذين هم في غاية الشر واما عن آبائهم الذين
هم في غاية الجهل وصف النبي صلى الله عليه وسلم بضد حالهم تذكرة له المنزل عليه والمنزل ليكونا ادعى الى قبوله فقال
عاطفا على ان الذين لا يؤمنون بالآخرة **وانك** اي وانت اشرف الخلق واعلمهم واحلمهم واحكمهم **لتلقى القرآن** اي تجعل متلقيا له
من الله وحذف هنا الواسطة وبناه للمفعول اعلالا له ولما كانت الامور التي من عند الله تارة تكون على مقتضى الحكمة فتسند
الى اسبابها واخرى خارقة للعادة فتنسب اليه سبحانه والخارقة تارة تكون في اول رتب الغرابة فيعبر عنها بعند وتارة تكون
في اعلاها فيعبر عنها بلدن نبه سبحانه على ان هذا القرآن في الذروة من الغرابة في انواع الخوارق فقال **من لدن** ولما
مضى في آخر الشعرا ما تقدم من الحكم الجمة في تنزيله بهذا اللسان وعلى قلب سيد ولد عدنان بوساطة الروح الامين مباينا لاحوال
الشياطين الى غير ذلك مما مضى الى ان ختمت بتهديد الظالمين وكان الظالم الى الحكمة احوج منه الى مطلق العلم وتقدم في هذه
انه هدى وكان الهادي لا يقتدى به ولا يوثق بهدايته الا ان كان في علمه حكيما اقتضى السياق تقديم وصف الحكمة
واقتضى الحال التنكير لمزيد التعظيم فقال **حكيم** اي بالغ الحكمة فلا شي من افعاله الا وهو في غاية الاتقان **عليم** اي عظيم العلم
واسعه تامه شامله فهو بعيد جدا ان يدعو فيه من ابه كلام الخلق الذين لا علم لهم ولا حكمة الا ما اتاهم الله ومصداق
ذلك عجز جميع الخلق عن الاتيان بشي من مثله وعن ادراك شي من معارضه حق ادراكه ولما وصفه بتمام الحكمة وشمول

العلم

العلم دل على كل من الوصفين وعلى ابانة القرآن وما له من العظمة التي اشار اليها اول السورة بما ياتي في السورة من القصص
وغيرها واقتصر في هذه السورة على هذه القصص لما بينها من عظيم التناسب المناسب لمقصود السورة فابتدى بقصة هم
الحق فيها الاباعد على الكفران فاهلكوا والاقارب على الايمان فنجوا وثنى بقصة اجمع فيها الاباعد على الايمان لم يتخلف منهم انسان
وثلث باخرى حصل بين الاقارب فيها الفرقان بانقسامهم الى الكفر والايمان وختم بقصة تمالا الاباعد فيها على العصيان واصروا
على الكفران فابتلعتهم الارض ثم غطوا بالماء كما بلع الاولين الماء فكان فيه البوا ولما كان تعلق ذا بما ذكر من الوضوح في
حد لا يخفى على احد قال دالا على حكمته وعلمه **اذ** ظاهرا بالمتعلقة لوضوح امره فصار كانه قال اذكر حكمته وعلمه حين **قال موسى**
لاهله اي زوجته وهو راجع من مدين الى مصر قيل ولم يكن معه غيرها **اني آنست** اي ابصرت ابصارا حصل لي به الانس وزال
عني الوحشة والبوس **نارا** تعلم بان في هذه القصة من الافعال المحكمة المنبئة عن تمام العلم اتصافه بالوصفين علما
مشاهدا وقدم ما الحكمة فيه اظهر لاقتضاء الحال التامين من بعض ما يوهمه من الانفعال ولما كان كانه قيل فما
ذا صنع قال انا بضمير المذكر للتعبير عن الزوجة المذكورة بلفظ الاهل الصالح للمذكر والجمع صيانة لها وسترا جازما بالوعد
للتعبير بالخبر الشامل للهدي وغيره بكان تعلق الرجا به اقوى من تعلقه بخصوص كونه هدى ولان مقصود السورة يرجع الى
العلم فكان الاليق به الجزم ولذا عبر بالشهاب الهادي لاولي الالباب **سآتيكم** اي بوعد صادق وان ابطات **منها بخبر** اي ولعل
بعضه يكون مما نهتدي به في هذا الظلام الى الطريق وكان قد ضلها **او آتيكم بشهاب** اي شعلة من نار ساطعة **قبس** اي عود
ماخوذ من معظم النار فهو بحيث قد استحكمت فيه النار فلا ينطفي وقال البغوي وقال بعضهم الشهاب شي ذو نور مثل العمود
والعرب تسمي كل ابيض ذي نور شهابا والقبس القطعة من النار فقراءة الكوفيين بالتنوين على البدل او الوصف وقراءة غيرهم بالاضافة
لان القبس اخص وعلل اتيانه بذلك افهاما لانها ليلة باردة بقوله **لعلكم تصطلون** اي لتكونوا في حال من يرجى ان يستدفى
بذلك اي يجد به الدفء لوصوله سعى فيه النار **فلما جاءها** اي تلك التي ظنها نارا ولما كان البيان بعد الابهام اعظم لما
فيه من التشويق والتهيئة للفهم بني للمفعول قوله **نودي** من قبل الله تعالى ولما ابهم المنادى فتشوفت النفوس
الى بيانه وكان البيان بالاشارة اعظم لما فيه من توجه النفس الى الاستدلال نبه سبحانه عليه بجعل الكلام على طريقة الكلام د
فقال مبينا للمفعول انبا باداة التفسير لان النداء بمعنى القول **ان بورك** اي ثبت تثبيتا يحصل منه النما والطهارة وجميع الخيرات
ما لا يوصف **من في النار** اي بقعتها او طلبها وهو موسى عليه السلام وهو خبر بمعنى الدعا والعبادة تدل على ان الشجرة كانت فيه
وانه لما دنى منها بعدت منه النار الى بعض جوانبها فاتبعها فلما توسط البقعة احاطت به النور وسمى النور نارا على ما كان في ظن موسى
عليه السلام وقال سعيد بن جبير بل كانت نارا كما راى موسى والنار من حجب الله كما في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه **ومن حولها** من جميع الملائكة عليهم السلام وتلك الاراضي المقدسة على ما اراد الله
في ذلك الوقت وفي غيره وحق لتلك الاراضي ان تكون كذلك لانها مبعث الانبيا عليهم السلام ومهبط الوحي عليهم وكفاتهم احيا وامواتا
ولما اتاه النداء كما ورد من جميع الجهات تسمعه بجميع الحواس امر بالتنزيه تحقيقا لامر من امره سبحانه وتثبيتا له
فقال عاطفا على ما ارشد اليه السياق الى تقدير من مثل فابشر بهذه البشرى العظيمة **وسبحان الله** اي وتنزه الملك الذي له هو
الكمال المطلق تنزيها يليق بجلاله ويجوز ان يكون خبرا معطوفا على بورك اي وتنزه الله سبحانه تنزها يليق بجلاله عن ان يكون
في موضع النداء او غيره من الاماكن ولما كان تعليق ذلك بالاسم العلم دالا على انه يستحق ذلك لمجرد ذاته المستجمع لجميع صفات الكمال
من الجلال والجمال وصفه بما يعرف انه يستحقه ايضا لافعاله بكل مخلوق التي منها ما يريد ان يربي به موسى عليه السلام كبيرا بعد
ما رباه به صغيرا فقال **رب العالمين** ولما تشوفت النفس الى تحقق الامر تصريحا قال معظما له تمهيدا لما اراد سبحانه
اظهاره على يديه من المعجزات الباهرات **يا موسى انه** اي الشان العظيم الجليل الذي لا يبلغ وصفه **انا الله** اي البالغ من العظمة
ما تقصر عنه الاوهام وتتضاءل دونه نوافذ الافهام ثم افهمه مما تضمن ذلك وصفين دالين على افعاله معه فقال **العزيز**
اي الذي يصل الى جميع ما يريد ولا يوصل الى شي مما عنده الا من عرف الطريق الذي يريد **الحكيم** اي الذي ينفذ كلما يفعله غيره اذا اراد
ولا يقدر غيره ان ينقض شيا من فعله ولما كان التقدير فافعل جميع ما امرك به فانه لابد منه ولا تخف من شي فانه لا يوصل اليك
بسوء لانه متقن بقانون الحكمة محروس بسور العزة دل عليه بالعطف في قوله **والق عصاك** اي لتعلم علما شهوديا عزتي وحكمتي في
الحال بما ادنت به الفا فالقاها كما امر فصارت حية عظيمة جدا هي مع كونها في غاية العظم في نهاية الخفة والسرعة في اضطرابها
عند محاولتها ما تريد **فلما راها تهتز** اي تضطرب في تحركها مع كونها في غاية الكبر **كانها جان** اي حية صغيرة في خفتها وسرعتها
ولا سيما في حال كبر جثتها **ولى** اي موسى عليه السلام ولما كان التولية مشتركة بين معاني بين المراد بقوله **مدبرا** اي التفت ظهره هاربا
منها مسرعا جاهدا التولية **ولم يعقب** اي لم يرجع على عقبه ولم يتردد في الجد في الهرب ولم يلتفت الى ما وراءه بعد توليته يقال
عقب عليه تعقيبا اي كر وعقب في الامر تعقيبا اي تردد في امره بجد اهدا في ترتيب المحكم وفي القاموس

وادن بقرب وصوله
تعالم

التعقيب الالتفات وقال القزاز في ديوانه عقب اذا انصرف راجعا فهو معقب ولما تشوفت النفس الى ما قيل له عند
هذه الحالة اجيب بانه قيل له يا موسى لا تخف ثم علل هذا النهي مبشرا بالامن والرسالة اني لا يخاف لدي اي في الموضع
الذي هو من غرائب نواقض العادات وهو وقت الوحي ومكانه المرسلون اي لانهم معصومون من الظلم ولا يخاف من الملك العدل الا ظالم
ولما دل اول الكلام واخره على ان التقدير ما ذكرته وعلم منه ان من ظلم خاف وكان المرسلون بل الانبياء معصومين عن ضد ور
ظلم ولكنهم لعلو مقامهم وعظم شانهم نعيه عليهم خلاف الاولى بل بعض المباحات المستوية بل اخص من ذلك كما قالوا حسنات الابرار
سيئات المقربين استدرك سبحانه من ذلك باداة الاستثناء ما يرغب المرهبين من عواقب الظلم اخرتك في التوبة وبنبيه موسى
عليه السلام على غفران وكز القبطي له وانه لا خوف عليه بسببه وان كان قتله مباحا لكونه خطأ مع انه كافر لكن علو المقام يوجب
التوقف عن الاقدام الا باذن خاص ولذلك سماه موطئا فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها
فقال الا او المعنى لكن من ظلم كائنا من كان بفعل سوء ثم بدل بتوبته حسنا بعد سوء وهو الظلم الذي كان عمله اي جعل الحسن
بدل السوء كالسحرة الذين امنوا بعد ذلك بموسى عليه السلام فاني اغفر له بحيث يكون كانه لم يعمله اصلا وارحمه بما اسبغ عليه
من ملابس الكرامة المقارنة للامن والعز وان اصابه قبل ذلك نوع خوف ثم علل ذلك بان المغفرة والرحمة صفتان له ثابتتان
فقال اي ارحمه بسبب اني غفور اي من شاني ان امحوا الذنوب محوا يزيل جميع اثارها رحيم اعامل التائب منها معاملة الراحم البليغ
الرحمة بما يقتضيه حاله من الكرامة فازيل اثر ما كان وقع فيه من موجبات الخوف وهو الظلم ولما اراه سبحانه هذه الخارقة
فيما كان في يده بقلب جوهرها الى جوهر شيء اخر حيوانا اراه اية اخرى في يده نفسها بقلب عرضها الذي كانت عليه الى عرض اخر نوراني فقال
وادخل يدك في جيبك اي فتحة ثوبك وهو ما قطع منه ليحيط بعنقك تخرج اي اذا اخرجتها بيضاء اي بياضا عظيما باهرا جدا له
شعاع كشعاع الشمس ولما كان ربما وقع في وهم ان هذا لآفة قال من غير سوء اي برص ولا غيره من الافات اية اخرى كائنة
في جملة تسع ايات كما تقدم شرحها في سورة الاسرا وغيرها منتهية على يدك برسالتي لك الى فرعون وقومه اي الذين هم اشد اهل
هذا الزمان تقيلما في الجبروت والعدوان ثم علل ارساله اليهم بالخوارق بقوله انهم كانوا اي كونا كانه جبلة لهم قوما فاسقين
اي خارجين عن طاعتنا لنردهم الينا ولما كان التقدير فاتاهم كما امرناه فعاندوا امرنا فاكرمهما على ذلك دل الا بالفاء على
سرعة اتيانه اليهم امتثالا لما امر به فلما جاءتهم اياتنا اي على يديه مبصرة اي سبب الابصار لكونها ظاهرة جدا فهي هادية لهم
الى الطريق الاقوم هداية النور لمن يبصر فهو لا يخطئ شيئا ينبغي ان ينتفع به قالوا هذا سحر اي خيال لا حقيقة له مبين اي واضح
في انه خيال وجحدوا اي انكروا عالمين بها اي انكروا كونها ايات موجبات لصدقه مع علمهم بابطالهم لان الجحود الانكار مع العلم
ولما كان الجحد معناه انكار الشيء مع العلم به حقق ذلك بقوله واستيقنتها اي والحال انهم قد طلبوا الوقوف على حقيقة
امرها حتى تيقنتها في كونها حقا انفسهم وتخلل علمها صميم عظامهم ووصفهم ثم علل جحدهم فكانت السنتهم مخالفة لما في قلوبهم
ولذلك اسند الاستيقان الى النفس لها بخلاف وصفها فقال ظلما وعلوا اي ارادة وضع الشيء في غير حقه والتكبر على الاتي به تلبيسا
على عباد الله ولما كان التقدير فاغرقناهم اجمعين بايسر سعي واهون امر فلم يبق منهم عين تطرف ولم يرجع منهم مخبر على كثرتهم
وعظمهم وقوتهم عطف عليه تذكيرا به متسببا عنه قوله فانظر ونبه على ان خبرهم مما تتوفر الدواعي على السؤال عنه لعظمته
فقال معبرا باداة الاستفهام كيف كان وكان الاصل عاقبتهم اي اخر امرهم ولكنه اظهر فقال عاقبة المفسدين ليدل
على الوصف الذي كان سببا لاخذهم تحذيرا لكل من ارتكب مثله ولما تم هذه القصة الدليل على حكمته توقع السامع
الدلالة على علمه سبحانه فقال مبتديا تحرفا لتوقع مشيرا الى انه لا نكير في فضل الاخر على الاول عاطفا على ما تقديره فلقد
اتينا موسى واخاه هرون عليهما السلام حكمة وهدى وعلما ونصرا على من خالفهما وعزا ولقد اتينا اي بما لنا من العظمة داود
وسليمان اي ابنه داود وهما من اتباع موسى عليهم السلام وبعده بازمان متطاولة علما اي جزءا من العلم عظيما من منطق الطير
والدواب وغير ذلك لم نؤته لاحد قبلهما ولما كان التقدير فعملا بمقتضاه عطف عليه قوله وقالا شكرا عليه دلالة
على شرف العلم وتنبيها لاهله على التواضع الحمد اي الاحاطة بجميع اوصاف الكمال لله اي الذي لا مثل له الذي فضلنا اي بما اتانا
من ذلك على كثير من عباده المؤمنين اي الذين صار الايمان لهم خلقا ولما كان كل منهما عليهما السلام قد اوتي ما ذكر اشار الى فضل
سليمان عليه السلام بانه جمع الى ما اتاه ما كان منح به اباه فقال وورث سليمان داود اي اباه عليهما السلام دون اخوته في النبوة
والعلم والملك الذي كان قد خصه الله دون قومه بجمعه له الى النبوة فشكر الله على ما انعم به عليه اولا وثانيا وقال اي سليمان
عليه السلام محدثا بنعمة ربه ومنبها على ما شرفه الله به ليكون اجدر في قبول الناس عنه ما كان بانيا للمفعول ما يدعوهم اليه من الخير
يا ايها الناس ولما كان من المعلوم انه لا معلم له الا الله فانه لا يقدر على ذلك غيره قال بانيا للمفعول علمنا اي انا واي بايسر
امر واسهله ممن لا يقدر على ما علمنا سواه ولو كان المقصود هو وحده لم يكن من التناظر في شيء بل هو كلام الواحد المطاع تنبيها على
تعظيم الله بما عظمه به مما يختص بالقدرة عليه او بالامر به كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل اذا كان هناك حال يحوج اليه كما

قال في الزكاة انا اخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا عز وجل وكما كان يكتب لبعض الجبابرة منطق الطير اي فهم ما يريد كل طائر
اذ صوت في المنطق ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد ولا بدع في ان الذي اتى بخير هداها وعلمها تمييز منافعها ومضارها
يؤتيها قوة تدرك تخاطبا بينها يتفاهم كل نوع منها به فيما يريد ويكون ذلك قاصرا عن ادراك الانسان لخصوصه بالجزئيات الناشئة
عن الحسيات واوتينا مما لنا من العظمة بايسر امر من امرنا من كل شيء اي يحتاج به ذلك من اسباب الملك والنبوة وغيرهما وعبر باداة
الاستغراق تعظيما للنعمة كما يقال لمن يكثر تردد الناس اليه فلان يقصده كل احد ولما كان هذا امرا باهرا دل عليه بقوله
مؤكدا بانواع التاكيد شاكرا وحاثا لنفسه على مزيد الشكر وهازا لها اليه ان هذا اي الذي اوتيناه لهو الفضل المبين اي البين
في نفسه لكل من ينظره الموضح لعلو قدر صاحبه ووحدانية مفيضه ومؤتيه ولما كان هذا مجرد خبر اتبعه ما يصدقه فقال
ولما دل ذلك على عظمته زاد في الدلالة عليه بقوله وحشر اي جمع جمعا حتما بقهر وسطوة واكراه بايسر سعي لسليمان جنوده
من الجن بداهم لعسر جمعهم والانس ثنى بهم لشرفهم ومشاركتهم لهم في ذلك من حيث تباعد اغراضهم وتنائي قصودهم
ولما كان الحشر معناه الجمع بكره فكان لا يخلو من ذكر ما يعقل وبدا به لشرفه اتبعه ما لا يعقل فقال والطير
ولما ذكر جمعهم سبب عنه قوله تعظيما للجيش وصاحبه فهم يوزعون اي يكفون بجبر اولهم على
اخرهم عن التشار وكان التقدير وساروا بهم في بعض الغزوات
اخرهم بادنى امر واسهله ليتلاحقوا فيكون ذلك اجدر بالهيبة واعون على النصرة واقرب الى السلامة عن قتادة انه كان على كل صنف
من جنوده وزعة ترد اولاها على اخراها لئلا يتقدموا في المسير قال والوازع الحابس وهو النقيب واصل الوزع الكف والمنع
ولما كان التقدير فساروا الا ان الوزع لا يلوون الا على شيء غاياه بقوله حتى اذا اتوا اي اشرفوا ولما كان على بساطه
فوق متن الريح بين السما والارض عبر باداة الاستعلاء فقال على وادي النمل وهو واد بالطائف فيما نقله البغوي عن كعب وهو الذي
تميل اليه النفس فانه معروف الى الان عندهم بهذا الاسم ويسمى ايضا نخب وزن كتف لما قصدت تلك البلاد لرؤية مشاهدها
والتطواف في معابدها ومعاهدها والتبرك باثار الهادي في الانتها والمبادي ووقفت بمسجد فيه قرب سدرة تسمى الصادح
مشهور عندهم ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى به وهذا السدر تحت كونه في غزوة الطائف من السيرة الهشامية واقتصر في
تسمية الوادي على نخب وانشدت فيه يوم مروقوفي ببابه وتضرعي في اعتابه

مررت بوادي النمل يا صاح بكرة	فصحت فاجريت الدموع على خدي
ويممت منه موقف الهاشمي الذي	ملا الارض توحيدا ابر به على العد
وكم موقف قرشته خرجبهتي	وادنيت في ارجائه ذلة العبد

في قصيدة طويلة ولما كانوا في امر يهول منظره ويوهي القوى مخالطته ومجيئه فكان التقدير فبدت طلايعهم ورات
راياتهم ولوامعهم واحوالهم وصاليهم ذكر به قوله قالت نملة اي من النمل الذي بذلك الوادي يا ايها النمل ولما
حكى عنهم سبحانه ما هو من شان العقلاء عبر بضمائرهم فقال ادخلوا اي قبل وصول ما ارى من الجيش مساكنكم ثم عللت امرها معينة
لصاحبه اذ كانت امارته لا تخفى فقالت نجوا باللامرا ومنه لامنة لا يحطمنكم اي يكسرنكم ويهشمنكم اي لا تبرزوا فيحطمكم ثم هو
نهي لهم عن البروز في صورة نهيه وهو ابلغ من التصريح بنهيهم لان من نهى كبيرا عن شيء كان لغيره اشد نهيا سليمان وجنوده اي
فانهم بكثرتهم اذا صادوا في هذا الوادي استعلوا عليه فطبقوه فلم يدعوا منه موضع شبر خاليا وهم اي سليمان عليه السلام
وجنوده لا يشعرون اي بحطمهم لكم لاشتغالهم بما هم فيه من احوال السير وتعاطي مصالحه مع صغر اجسامكم وخفائكم
على السائر في حال اضطرابكم ومعاشكم وقولها هذا يدل على علمها بانهم لو شعروا بهم ما اذوهم لانهم اتباع نبي فهم رحماء
ولما كان هذا امرا معجبا لما فيه من جزالة الالفاظ وجلالة المعاني تسبب عنه قوله فتبسم ودل ذلك
على الضحك وكان ذلك قد يكون للغضب الكن وحقق معناه بقوله ضاحكا من قولها اي لما اوتيته من الفصاحة والبيان
وسرورا بما وصفته به من العدل في انه وجنوده لا يؤذون احدا وهم يعلمون وقال متذكرا ما اولاه ربه سبحانه بجنس نبيه
من فهم كلامها الى ما انعم عليه من غير ذلك رب اي ايها المحسن الي اوزعني اي اجعلني مطيقا لان اشكر نعمتك اي وازعا
ولما افهم ذلك تعلق النعمة به حققه بقوله التي انعمت علي
له كافا مرتبطا حتى لا يغلبني ولا يشغلني عني ولا ينشذ عني وقتا ما
وربما افهم قوله وعلى والدي ان امه كانت ايضا تعرف منطق الطير وتحقيق معنى هذه العبارة ان مادة وزع باي ترتيب كان
تدور على المعوز لخرقة بالية يلف بها الصبي ويلزمها التمييز فان الملفوف بها يتميز عن غيره ومنه الاوزاع وهم الجماعات المتفرقة
ويلزمها ايضا الاطاقة فان اكثر الناس يجدها ومنه العزون لعصب من الناس فانهم يطيقون ما يريدون ويطيقهم من يريدهم ومنه
الوزع وهو كف ما يراد كفه والولوع بما يراد ومنه الايعاز للتقدم بالامر والنهي والوزوع المحدب ويلزمها ايضا الحاجة
فانه لا يرضى بها دون التجريد الا محتاج فمعنى الاية اجعلني وازعا اي مطيقا ان اشكرها كما يطيق الوازع كف ما يراد كفه ويمكن ان
يكون مدار المادة الحاجة لان الاوزاع وهم الجماعات يحتاجون الى الاجتماع جملة والكاف يحتاج الى اشياء ما يكفه لاسيما والكاذب

يحتاج الى الوزع اى الجذب والمولع بالشيء مفتقرا اليه والموزع يحتاج الى قبول وصيته فالمعنى اجعلنى وازعا اى مفتقرا الى الشكر
ملازما له مولعا به لان كل مفتقر الى شىء يجتهد فى تحصيله ويلزم على هذا التخريج احتقار العمل فيكون سببا للامن من الاعجاب وفى
الاية تنبيه على بر الوالدين فى سؤال القيام عنهم بما لم يبلغاه من الشكر والله الموفق والشكر فى اللغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم
لكونه منعما كالثناء على المنعم بما يدل على ان الشاكر قد عرف نعمته واعترف له بها وحسن موقعها عنده وخضع قلبه له لذلك وحاصله
انه اسم لمعرفة النعمة لانها السبيل الى معرفة المنعم فانه اذا عرفها تسبب فى التعرف اليه فسلك طريق التعرف وجد فى
الطلب ومن جد وجد وروى عن داود عليه السلام انه قال يا رب كيف اشكرك والشكر نعمة اخرى منك احتاج عليها
الى شكر آخر فاوحى الله تعالى اليه يا داود اذا علمت ان ما بك من نعمة فمنى فقد شكرتنى والشكر ثلاثة اشيا الاول معرفة النعمة
بمعنى احضارها فى الخاطر بحيث تتميز عندك انها نعمة فرب جاهل يحسن اليه وينعم عليه وهو لا يدري فلا جرم انه لا يصلح منه الشكر
الثانى قبول النعمة بتلقيها من المنعم باظهار الفقر والفاقة فان ذلك شاهد بقبولها حقيقة والثالث الثنا بها بان تصف
المنعم بالجود والكرم ونحوه مما يدل على حسن تلقيك لها واعترافك بنزول مقامك فى الرتبة عن مقامه فان اليد العليا خير من اليد
السفلى وهو على ثلاث درجات الاولى الشكر على المحاب اى الاشيا المحبوبة وهذا شكر تشارك فيه المسلمون واليهود
والنصارى والمجوس فان الكل يعتقدون ان الاحسان الواصل من الرحمن واجب معرفته على الانسان ومن سعة بر البارى سبحانه
انه عده شكرا مع كونه واجبا على الشاكر ووعد عليه الزيادة واوجب فيه المثوبة احسانا ولطفا الثانية الشكر فى المكاره
وهو اما من رجل لا يميز بين الحالات بل يستوى عنده المكروه والمحبوب فاذا نزل به المكروه شكر الله تعالى عليه بمعنى انه اظهر الرضى
بنزوله به وهذا مقام الرضى واما من رجل يميز بين الاحوال فهو لا يحب المكروه ولا يرضى بنزوله فان نزل به مكروه فشكره عليه
انما هو كظم الغيظ وستر الشكوى وان كان باطنه شاكيا والكظم انما هو لرعاية الادب بالسلوك فى مسلك العلم فانه يأمر العبد
بالشكر فى السراء والضراء الثالثة ان لا يشهد العبد الا المنعم باشتغاله بالاستغراق فى مشاهدته عن مشاهدة النعمة وهذا
المشهود على ثلاثة اقسام احدها ان يستغرق فيه عبوده فيكون مشاهدا له مشاهدة العبد للسيد باداب العبيد اذا حضروا
بين يدى سيدهم فانهم ينسون ما هم فيه من الجاه والقرب الذى ما حصل لغيرهم باستغراقهم فى الادب وملاحظتهم لسيدهم خوفا
من ان يشير اليهم فى امر فيجدهم غافلين وهذا امر معروف عند من صحب الملوك فصاحب هذا الحال اذا انعم عليه سيده فى هذه الحالة
مع قيامه فى حقيقة العبودة استعظم الاحسان لان العبودة توجب عليه ان يستصغر نفسه ثانيها ان يشهد سيده شهود
محبة غالبة فهو بسبب هذا الاستغراق فيه يستحلى منه الشدة وقد قال بعض عشاق حسن الصورة لا صورة الحسن فاحسن

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه • حلوا فقد جهل المحبة وادعى

ثالثها ان يشهده شهود تفريد يرفع التثنية ويفنى الرسم ويذهب الغيرية فاذا وردت عليه النعمة او الشدة كان مستغرقا فى
الفنا فلم يحس بشىء منهما ولما علم من هذا كله ان الشاكر هو المستغرق فى الثناء على المنعم بما يجب عليه من العمل من ثناء
او غيره بحسب ما يقدر عليه وكان ذلك العمل مما يجوز ان يكون رينا لذلك العبد لكونه حسنا وهو ليس كذلك قال صلى الله عليه
وسلم مشيرا الى هذا المعنى وان اعمل صالحا اى فى نفس الامر ولما كان العمل الصالح قد لا يرضى المنعم لنقص فى العامل
اذا كان المحب قليل حظ • فحسناته الذنوب كما قيل قال ترضاه ولما كان العمل
الصالح المرضى قد لا يعلى الى درجة المرضى عنهم لكون العامل منظورا اليه بعين السخط لكونه ممن سبق عليه الكتاب بالشقا
لان الملك المنعم تام الملك عظيم الملك فهو بحيث لا يسأل عما يفعل قال معرضا عن عمله معترفا بعجزه معلما بان المنعم غنى عن
العمل وعن غيره لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة وادخلنى برحمتك اى لا بعملى فى عبادك الصالحين اى لما اردتهم له من تمام النعمة
بالقرب والنظر اليهم بعين العفو والرحمة والرضى ولما كان التقدير فوصل الى المنزل الذى قصده فنزله وتفقد احوال
جنوده كما تقتضيه العناية بامور الملك اى تطلب فقدهم بان تعرف من هو منهم موجود ومن هو منهم مفقود الذى يلزمه ان لا
يغيب احد منهم وتفقد الطير اذ كانت اجنادا كان جنده ففقد الهدهد فقال مالي اى اى شىء حصل لى حال كونى لا ارى
الهدهد اى أهو حاضر وستره عنى ساتر وقوله ام كان من الغائبين كما انه يدل على ما قدرته يدل على انه فقد جماعة من الجند
فتحقق غيبتهم وشك فى غيبته وذكره له دونهم يدل على عظيم منزلة الهدهد فيما له عنده من النفع او غيبته عنه كانت
بامره عليه السلام ثم قال على سبيل الاستئناف اقامة لسياسة الملك ما يدل ايضا على عظمته على غيره قالوا انه يرى الماء فى الارض
كما يرى الانسان الماء من اجل الزجاج فينقر الارض فتأتى الشياطين فتستخرجه لاعذبنه اى بسبب غيبته فيما لم اذن فيه عذابا
شديدا اى مع ابقاء روحه تأديبا له وردعا لامثاله او لاذبحنه اى تأديبا لغيره او لياتينى اى ليكونن احد هذه الثلاثة الاشيا
او يكون او الثانية بمعنى الا ان فيكون المعنى ليكونن احد الامرين التعذيب او الذبح الا ان تأتى بسلطان مبين اى حجة واضحة
فى عذره فكانه قال والله ليقبلن عذره او لافعلن معه احد الامرين فمكث اى فترتب على ذلك انه مكث بعد الحلف بالتهديد

زمانا

زمانا قريبا غير بعيد من زمان التهديد واى خوفا من هيبة سليمان عليه السلام وقياما بما يجب عليه من الخدمة قراءة عاصم
وروح عن يعقوب بفتح الكاف على الاغلب فى الافعال الماضية وضمه الجماعة اشارة الى شدة الغيبة على سليمان عليه السلام لكونها
افهام حركة الكلمة ما افهمه تركيب الكلام فقال مفخما للشان ومعظما لرتبة العلم وداعيا لما علم انه اعظم من عقوبته احطت
اى علما بما لم تحط به اى انك مع اتساع علمك وامتداد ملكك والاحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته وفى هذه المكافحة التنبيه
على ان اضعف الخلق قد يؤتى ما لا يصل اليه اقوام لتتحاقر الى العلماء علومهم ويردوا العلم فى كل شىء الى الله وفيه ابطال
لقول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شىء ولا يكون فى زمانه من هو اعلم منه ولما ابهمه تشويقا واخذا بمجامع القلب الى
تعرفه ثنى بمدح الخبر مجليا لبعض ابهامه هذا التنفس الى طلب اتمامه فقال وجئتك اى الآن من سبا قيل انه اسم رجل صار
علما للقبيلة وقيل ارض فى بلاد اليمن وحكمة تسكين قيل له بنية الوقف تحقيق الاشارة الى تحقير امرهم بالنسبة الى نبى الله سليمان
عليه السلام بانهم ليست له معهم حركة اصلا على ما هم فيه من الفخامة والعز والباس الشديد بنبا اى خبر عظيم يقين اى اهل
سبا فكانه قيل ما هو فقال انى وجدت امراة وهى بلقيس بنت شراحيل تملكهم اهل سبا ولما كانت قد اوتيت من كل ما يحتاج
اليه الملوك امرا كبيرا قال واوتيت بنى الفعل للمفعول اقرارا بانها مع ملكها مربوبة من كل شىء تهويلا لما رأى من امرها
ولما كان عرشها اى السرير الذى تجلس عليه للحكم زائدا فى العظمة خصه بقوله ولها عرش اى سرير تجلس عليه للحكم
عظيم اى لم ار لاحد مثله ولما كان فى خدمته اقرب اهل ذلك الزمان الى الله تحصل له من النورانية ما هاله لاجله
اعراضهم عن الله قال مستانفا تعجيبا وجدتها وقومها اى كلهم على ضلال كبير وذلك انهم يسجدون للشمس مبتدئين ذلك من دون
الله اى من ادنى رتبة من رتبة الملك الاعظم الذى لا مثل له وهى رتبة الافعال لانها مصنوع من مصنوعاته تعالى سواء كان
ذلك مع الاستقلال او الشرك وزين لهم الشيطان اعمالهم اى هذه القبيحة حتى صاروا يظنونها حسنة ولما
تسبب عن ذلك انه اعماهم عن طريق الحق قال فصدهم عن السبيل اى الذى لا سبيل الى الله غيره وهو الذى بعث به انبياءه ورسله
عليهم الصلاة والسلام ولما تسبب عن ذلك ضلالهم قال فهم اى بحيث لا يهتدون اى لا يوجد لهم هدى بل هم فى ضلال
صرف وعمى محض ولما كان هذا الضلال عجيبا فى نفسه فضلا عن ان يكون من قوم يجمعهم جامع ملك مبناه السياسة
التى محطها العقل الذى هو نور الهداية وداء الغواية علله بانتفاء اعظم مقرب الى الله السجود تعظيما له وتنويها به فقال
الا اى لئلا يسجدوا اى حصل لهم هذا العمى العظيم الذى استولى به عليهم الشيطان لانتفاء سجودهم ويجوز ان يتعلق بالتزيين
اى زين لهم لئلا يسجدوا لله اى يعبدوا الذى له الكمال كله بالسجود الذى هو محل الانس ومحط القرب ودارة المناجاة
وآية المصافاة فانهم لو سجدوا له سبحانه لاهتدوا فان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ففات الشيطان ما يقصد
منهم من الضلال وعلى قراءة الكسائى وابى جعفر بالتخفيف واشباع فتحة الياء يكون استئنافا فابدى باداة الاستفتاح
تنبيها لهم على عظم المقام لئلا يفوت الوعظ احدا منهم لمصادفته غافلا ثم نادى لمثل ذلك وحذف المنادى ايذانا بالاكتفاء
بالاشارة لضيق الحال خوفا من المبادرة بالنكال عن استيفاء العبارة التى كان حقها الا يا هؤلاء اسجدوا لله اى لتخلصوا
من اسر الشيطان فان السجود مرضاة للرحمن ومجلاة للعرفان ومجاة لتمام الهدى والايمان ولما كانت القصة فى بيان
علمه سبحانه الفائق لعلم الخلائق المستلزم للحكمة وصفه بما يقتضى ذلك فقال الذى يخرج الخبء وهو الشىء المخبوء بالفعل
المخفى فى غيره وهو ما وجد وغيب عن الخلق كالماء الذى فى بطن الارض او بالقوة وهو ما لم يوجد اصلا وخصه بقوله فى
السموات والارض لان ذلك منتهى مشاهدتنا فننظر ما يتلون فيهما بعد ان لم يكن من سحاب ومطر ونبات وتوابع ذلك
من الرعد والبرق وغيرهما وما يشرق من الكواكب ويغرب الى غير ذلك من الرياح والبرد والحر والحركة والسكون والنطق
والسكوت وما لا يحصيه الا الله تعالى والمعنى انه يخرج ما هو فى عالم الغيب فيجعله فى عالم الشهادة ولما كان ذلك
قد يختص بما لم يضمر فى القلوب كالماء الذى كان يخرجه الهدهد وكان ذلك قد يعرف بامارات وكان ما تضمره القلوب اخفى قال
ويعلم ما يخفون ولما كان هذا مستلزما لعلم الجهر وكان للتصريح ما ليس لغيره من المكنة والطمانينة مع ان الاعلان
ربما كان فيه من اللغط واختلاط الاصوات ما يمنع المستمع العلم قال وما يعلنون اى يظهرون ولما كان هذا الوصف
موجبا لان يعبد سبحانه وحده صرح بما يقتضيه فى قوله الله اى الملك الاعظم الذى لا كفؤ له ولما كان هذا اشارة
الى انه لا سمى له اتبعه التصريح بانه لا كفؤ له فقال لا اله الا هو ولما وصف عرشها بالعظم قال رب اى مبدع ومدبر
العرش العظيم اى الكامل فى العظم الذى لا عظيم يدانيه وهو محتو على جميع الاكوان وقد ثبت ان صاحبه اعظم منه ومن كل
عظيم بآية الكرسى وغيرها فقطع ذلك لسان التعنت عند ذكر من مع مزيد اقتضاء السياق له لانه للانفراد بالالهية
المقتضية للقهر والكبر بخلاف آية المؤمنون وهذه آية سجدة على كلا القرائتين لان مواضع السجود اما مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها
كقراءة التشديد او امر بالسجود كقراءة التخفيف والكل ناظر الى العظمة ولما صح قوله فى كون هذا خبرا عظيما

عقب الاية ٩

اى ٩

وخطبا جسيما حصل له التشوف الى جوابه فقيل قال اى سليمان عليه السلام للهدهد سننظر اى نختبر ما قلته أصدقت اى
فيه فنعذرك كان الكذب بين يديه لما اوتيه من العظمة بالنبوة والملك الذى لم يكن لاحد بعده يدل على رسوخ القدم
فيه قال أم كنت اى كونا هو كالجبلة من الكاذبين اى معروفا بالانخراط فى سلكهم فانه لا يجترى على الكذب عنده الا من كان عريقا
فى الكذب دون من كذب لان هذا اصدق من واحد ثم شرع فيما يختبره به فكتب له كتابا على الفور فى غاية الوجازة قصدا للاسراع
على نقد برصد ما قاله هدهد بحسب الاستطاعة ودل على اسراعه فى كتابته بقوله جوابا له اذهب بكتابى هذا قول من كان متهيئا
عنه ودفعه اليه ولما كان عليه السلام قد زاد قلقه بسجودهم لغير الله امره بغاية الاسراع وكانه كان اسرع الطير
طيرانا وامده الله زيادة على ذلك بمعونة منه اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم فصار كانه البرق فاشار الى ذلك بالفا فى قوله
فالقه ولما لم يخصها فى الكتاب دونهم بكلام لتصغر اليهم انفسهم بخطابه مع ما يدلهم على عظمته جمع فقال إليهم اى الذين
ذكرت انهم يعبدون الشمس وذلك للاهتمام بامر الدين ولما كان لو تاخر عنهم بعد الغاية الى موضع يامن فيه على نفسه
ما هو فيه من السرعة لداخلهم شك فى انه هو الملقى امره بان يكث بعد الغاية برفرف على رؤسهم حتى يتحققوا امره فاشار سبحانه الى ذلك
باداة التراخى قوله ثم اى بعد وصولك والقايك تول اى تنح عنهم الى مكان يسمع فيه كلامهم ولا يصلون معه اليك فانظر عقب توليك
سوا ماذا يرجعون اى من القول من بعضهم الى بعض بسبب الكتاب كان العلم واقعا بانه يفعل ما امره به لا محالة وانه لا بد بعينه
الا الى الملكة التى بالغ فى وصفها تشوفت النفس الى قولها عند ذلك فكان كانه قيل فاخذ الكتاب وذهب به فلما القاه اليها هـ
وقرانه وكانت قارية كاتبة من قوم تبع قالت لقومها بعد ان جمعتهم معظمة لهم او لاشرافهم فقط يا ايها الملأ اى الاشراف
ولما كان من شان الملوك ان لا يصل اليهم احد بكتاب ولا غيره الا على ايدى جماعتهم عظمت هذا الكتاب بانه وصل اليها
على غير ذلك المنهاج فنبهت للمعقول قولها انى القى الى اى صحيفة مكتوب فيها كلام وجيز جامع كتاب ولما كان الكريم
ما تقدم فى الرعد من ستر مساوى الاخلاق باظهار معاليها لانه ضد اللئيم وكان هذا الكتاب قد حوى من الشرف امرا باهرا لم
يعهد مثله من جهة المرسل والمرسول والافتتاح بالاسم الاعظم الى ما له من وجازة اللفظ وبلوغ المعنى قالت كريم ثم
بينت كرمه او استانفت جوابا لمن يقول ممن هو وما هو فقالت انه اى الكتاب من سليمان وفيه دلالة على ان الابتدا باسم
صاحب الكتاب لا يقدح فى الابتدا بالحمد وانه اى المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم بحمد المستحق للحمد وهو الملك الاعلى المحيط
عظمة بما هو ذى الجلال والاكرام العام الرحمة بكل نعمة ممالك الملوك من فايض ما له من الانعام الذى يخص بعد العموم من يشاء
بما يشاء مما يرضاه والهيبة من ابغاضه العام بعد التعريف باسمه اشارة الى انه المدعو اليه للعبادة بما وجب له لذاته وما استحقه
بصفاته وذلك كله بعد التعريف بصاحب الكتاب ليكون ذلك احد ريقبوله لانا اكثر الخلق انما يعرف الحق بالرجال ولما فى
كتابه من الدلالة على نبوته فسر مراده بامر قاهر فقال ان لا تعلوا على اى لا تمتنعوا من الاجابة لى والاذعان لامرى كما يفعل الملوك
بل اتركوا علوكم لكونى داعيا الى الله الذى اعلمت فى ابتدا البسملة بانه لا تكون حركة ولا سكون الا به فيجب الخضوع له لكونه رب
كل شئ وأتونى مسلمين اى منقادين خاضعين بما رايتم من معجزتى فى امر الكتاب ولما تشوفت النفس الى جوابهم اعلم
سبحانه بانهم بهتوا فقال قالت يا ايها الملأ ثم بينت ما داخلها من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها افتونى اى اكرموا
على بالابانة عما اعالجه فى امرى هذا الذى اجيب به عن هذا الكتاب جعلت المشورة فتوى توسعا لان الفتوى الجواب فى الحادثة
والحكم بما هو صواب مستعار من الفتى فى السن الذى هو صفوة العمر ثم علت امرها لهم بذلك بان شانها دايما مشاورتهم فى كل جليل
وحقير فكيف بهذا الامر الخطير وفى ذلك استعطافهم بتعظيمهم واجلالهم وتكريمهم فقالت ما كنت اى كونا ما قاطعة
امرا اى فاعلته وفاصلته غير مترددة فيه حتى تشهدون وقد دل هذا على غزارة عقلها وحسن ادبها ولذلك جنت ثمرة
امتثال ذلك طاعتهم لها فى المنشط والمكره فاستانف تعالى الاخبار عن جوابهم بقوله قالوا اى الملأ مايلين الى الحرب نحن اولوا
قوة اى بالمال والرجال واولوا باس اى عزم فى الحرب شديد والامر راجع وموكول اليك اى فى كل من المسالمة والمصادمة
فانظرى بسبب انه لا نزاع معك ماذا تامرين اى به فانه مسموع ولما علمت ان من سخر له الطير على هذا الوجه لا
يعجز شئ يريده ولا احد يكيده مالت الى المسالمة فاستانف تعالى الاخبار عنها بقوله قالت اى جوابا لما احست فى جوابهم
من ميلهم الى الحرب ان الصواب من غير ارتياب ان نحتال فى عدم قصد هذا الملك المطاع ثم علت هذا الذى اجمعه سياق كلامها
بقولها ان الملوك اى مطلقا فكيف بهذا النافذ الامر العظيم القدر اذا دخلوا قرية اى عنوة بالقهر والغلبة افسدوها
اى بالنهب والتخريب وجعلوا اعزة اهلها اذلة اى بما يرونهم من الباس ويحلون بهم من السطوة ثم اكدت هذا المعنى بقولها
وكذلك اى ومثل هذا الفعل العظيم الشان الوعر المسلك البعيد الشأو يفعلون دايما هو خلق لهم مستمر جميعهم على هذا
فكيف بمن تطيعه الطيور ذوات الوكور فيما يريد من الامور ولما بينت ما فى المصادمة من الخطر اتبعته ما عزمت
عليه من المسالمة فقالت وانى مرسلة واشار سبحانه الى عظيم ما ترسل به بالجمع فى قولها اليهم اى اليه والى جنوده بهدية

اى تقع منهم موقعا قال البغوى وهى العطية على طريق الملاطفة فناظرة عقب ذلك وبسببه بم اى باى شئ يرجع المرسلون
بتلك الهدية عنه من المقال او الحال لتعمل بعد ذلك على حسب ما نراه من امره فنكون قد سلمنا من خطر الاقدام على ما لم نعرف عاقبته
ولم يضرنا ما فعلناه شيئا ولما كان التقدير فارسلت بالهدية رتب عليه قوله مشيرا بالفا الى سرعة الارسال فلما جاء اى الرسول
الذى بعثته والمراد به الجنس وهى فيما يقال خمس مائة غلام مرد زينتهم بزى الجوارى وامرتهم بتانيث الكلام وخمس مائة جارية
فى زى الغلمان وامرتهم بتغليظ الكلام وجزعة معوجة الثقب ودرة غير مثقوبة وغير ذلك وسالته ان يميز بين الغلمان
والجوارى وان يثقب الدرة وان يدخل فى الجزعة خيطا فامرهم بغسل الوجوه والايدى فكانت الجارية تاخذ الما باحدى
يديها ثم تنقله الى الاخرى ثم تضرب الوجه وتصب الما على باطن ساعدها صبا وكان الغلام كما ياخذ الما يضرب به وجهه
ويصب الما على ظهر الساعد ويحدره على يديه حدرا وامر الارضة فثقبت الدرة والدودة فادخلت السلك فى الثقب المعوج
رتب عليه قوله مشيرا بالفا الى سرعة الارسال فلما جاء اى الرسول الذى بعثته والمراد به الجنس قال ابو حيان وهو يقع
على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث سليمان فدفع اليه ذلك قال اى سليمان عليه السلام للرسول ولمن فى خدمته استصغارا
لما معه أتمدونني اى انت ومن معك ومن ارسلك بمال وانا قصدى لكم لاجل الدين تحقيرا لامر الدنيا واعلاما بانه لا التفات
له نحوها بوجه ولا يرضيه شئ دون طاعة الله ثم سبب عنه ما اوجب له استصغاره فقال فما اتانى الله اى الملك الاعظم
الذى له جميع الكمال من المال والجلال بالنبوة والملك والقرب منه سبحانه وهو الذى يغنى مطيعه عن كل ما سواه فهما
سأله اعطاه وذلك انه سخر الشياطين والانس والسباع والوحش والطير والهوام صفوفا فراسخ عدة وبسط المكان
كله بلبن الذهب الى غير ذلك مما يليق به خير مما اتاكم اى من الملك الذى لا نبوة فيه ولا تأييد من الله ولما
كان التقدير ولكنكم لا تعلمون ان هديتكم مما يزهد فيه لتقيدكم بظاهر من الحياة الدنيا نسق عليه قوله بل انتم اى بجهلكم
تستعظمون ما انتم فيه فانتم بهديتكم تفرحون بتحويزكم ان الدنيا تردنى عنكم لانها غاية قصدى ويجوز ان يراد انكم تفرحون
بما يهدى اليكم فتتركون من كنتم تريدون غزوه لاجل ما اتاكم منه من الدنيا بحالى خلاف حالكم فانه لا يرضينى الا الدين ثم افرد
الرسول ارادة لكبيرهم بقوله ارجع وجمع فى قوله اليهم اكراما لنفسه وصيانة لاسمها عن التصريح بضميرها وتعميما
لكل من يهتم بامرها ويطيعها فلنأتينهم بجنود لا قبل اى طاقة لهم بها اى بمقابلتها ولا مقاومتها وقبلها غير قصدها اب
لا يقدرون ان يقابلوها ولنخرجنهم منها اى من بلادهم اذلة ولما كان الذل قد يكون لمجرد الانقياد لا على سبيل الهوان
حقق المراد بقوله وهم صاغرون اى لا يملكون شيئا من المنعة ان لم يقروا بالاسلام ولما ذهب الرسل وعلم صلى
الله عليه وسلم مما راى من تصاغرهم لما راوا من هيبته وجلاله الذى حباه به ربه وعظمته انهم يأتون لها بعد عنه قال
لجماعته تحقيقا لقوله واوتينا من كل شئ لاعلامه بانها استوثقت من عرشها يا ايها الملأ اى الاشراف ايكم يأتينى بعرشها
لترى بعض ما اتانى الله به من الخوارق فيكون اعون على متابعتها فى الدين ولاجل قبل ان يحرم اخذه باسلامها واختبر به عقلها
قبل ان يأتونى اى هى وجماعتها مسلمين اى منقادين لسلطانى تاركين لعز سلطانهم متخلعين من عظيم شانهم ليكون ذلك
امكن فى اقامة الحجة عليها فى نبوتى واعون على رسوخ الايمان فى قلبها واخلاصها فيه ولما كان هذا
... قال عفريت
اللفظ يطلق على الاسد وعلى المارد القوى والداهية الغليظ الشديد وعلى الرجل النافذ فى الامر المبالغ فيه مع دهاء وقوة
وقال الرازى مع خبث ومكر وعلى غيره ببينة بان قال قبل ان تقوم من مقامك اى مجلسك هذا ثم اوثق الامر واكده بقوله
وانى عليه اى الاتيان به سالما لقوى لا يخشى عجزى عنه امين لا يخاف انتقاصى شيئا منه ولما كانت القصة
لاظهار فضل العلم المستلزم للحكمة دلالة على انه تعالى حكيم عليم ترغيبا فى القران وحثا على ما افاده من البيان فالحاكل لذلك
استثنا فاحوا بالاستشراف صلى الله عليه وسلم لا قرب من ذلك قال الذى عنده علم تنبيه على انه اقدر على ذلك بنوع العلم
ليفيد ذلك تعظيم العلم والحث على تعلمه وبين ان هذا الفضل انما هو للعلم الشرعى فقال من الكتاب اى الذى لا كتاب فى الحقيقة
غيره وهو المنسوب الينا وكانه الذى كان شهيرا فى ذلك الزمان ولعله التوراة والزبور اشارة الى ان من خدم كتابا حق الخدمة
كان الله تعالى كما ورد فى شرعنا سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها اى انه يفعل له
ما يشا وقيل فى تعيينه انه اصف بن برخيا وكان صديقا عالما انا آتيك به وهذا اظهر فى كونه اسم فاعل لان الفعل فات
الكلام وبين فضله على العفريت بقوله قبل ان يرتد اى يرجع اليك طرفك اى بصرك اذا طرفت باجفانك فارسلته الى
منتهاه ثم رددته قال الفراء طرف العين امتداد بصرها حيث ادرك ولذلك يقولون لا افعل ذلك ما ارتد الى طرفى اى
ما دمت ابصر وبقا الطرف الرجل يطرف اذا حرك جفونه وقيل الطرف اسم الجامع البصر لا يثنى ولا يجمع وبين تصديقه
لقوله انه استولى عليه قبل ان يحكم منه العفريت فبادر الطرف احضاره كما اشار اليه قوله تعالى فلما راه اى العرش
ولما كانت الرؤية قد تكون عن بعد وبمجازه وكذلك العندية بين انها حقيقية باظهار العامل فى الظرف ومرجعه

في غير هذا السياق الحذف فقال مستقرا عنده أي ثابتا ثباتا لا مرية فيه ما هو بسحر ولا منام ولا مثال قال الامام جمال الدين ابن هشام في الباب الثالث في كتابه المغني زعم ابن عطية ان مستقرا هو المتعلق الذي يقدر في امثاله قد ظهر والصواب ما قاله ابو البقاء وغيره من ان هذا الاستقرار معناه عدم التحرك لا مطلق الوجود والحصول فهو كون خاص قال اي سليمان عليه السلام شكرا لما اتاه الله من هذه الخوارق هذا اي الاتيان المحقق من فضل ربي اي المحسن الي لا بعمل استحق به شيئا فانه احسن الي باخراجي من العدم وتطويقي للعمل فكل عمل نعمة منه يستوجب علي بها الشكر ولذلك قال ليبلوني اي يفعل معي فعل المبتلي الناظر أأشكر فاعترف بكونه فضلا أم أكفر بظني انه باستحقاق ثم زاد في حث نفسه على الشكر بقوله ومن شكر اي اوقع الشكر لربه فانما يشكر لنفسه فان نفعه لها واما الله تعالى فهو اعلى من ان يكون له في شيء نفع او عليه فيه ضرر ومن كفر فان ربي اي المحسن الي بتوفيقي لما انا فيه من الشكر غني اي عن شكره لا يضره تركه شيئا كريم يفعل معه بادرار النعم عليه فعل من ظهر محاسنه وستر مساويه ثم هو جدير بان يقطع احسانه اذا استمر على اجرامه كما يفعل الغني من اصر على كفر احسانه فاذا هو قد هلك ولما ... تم كما هو دابا الصالحين الشكر وعلم انه يفعل في العرش ما لاجله احضره تشوفت النفس اليه فاجيبت بقوله قال اي سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها اي بتغيير بعض معالمه وهيئته اختبارا لعقلها كما اختبرتنا هي بالوصفاء والوصايف والدرة وغير ذلك والى الاشارة بقوله ننظر أتهتدي اي الى معرفته فيكون ذلك سببا لهدايتها في الدين أم تكون من الذين شانهم انهم لا يهتدون اي بل هم في غاية الغباوة لا يتجدد لهم اهتداء بل لو هدوا لوقفوا عند الشبه وجادلوا بالباطل وماحلوا واشار الى سرعة مجيئها اشارة الى خضوعها بالتعبير بالفا فلما جاءت وكان مجيئها على ما قيل في اثني عشر الف قيل من وجوه اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة وكانت قد وضعت عرشها داخل بيت منيع ووكلت به حراسا اشدا قيل اي لها وقد رات عرشها بعد تنكيره بتقليب نصبه وتغيير ما يليق الا تقدر على السكوت عن جوابه لما نالها من الهيبة وخالطها من الرعب من عظيم ما رات أهكذا فقرعها بكلمة تشتمل على اربع كلمات ها التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة هي مصدرة بهمزة الاستفهام اي تنبهي امثل ذا العرش عرشك قالت عادلة عن حاق الجواب من نعم او لا اشارة الى انها غلب على ظنها انه هو بعينه كما قالوا في كان زيد قايم كأنه هو وذلك يدل على ثبات كبير وفكر ثاقب ونظر ثابت وطبع منقاد لتجويز المعجزات والاذعان لها مع دهشة القدوم واشتغال الفكر بما دهمها من هيبته وعظيم امره فعلم سليمان عليه السلام رجاحة عقلها وبطلان ما قال الشياطين من نقصه خوفا من ان يتزوجها فتفشي عليه اسرار الجن لانها امها كانت جنية على ما قيل وقالوا ان رجلها كحافر الحمار وانها كثيرة الشعر جدا ولما كانت مع ذلك قد شبه عليها ولم تصل الى حاق الانكشاف مع انها غلبت على عرشها مع الاحتفاظ عليه استحضر صلى الله عليه وسلم فضل ما خصه الله به من العلم زيادة في حثه على الشكر فقال عاطفا على ما تقديره فاوتيت من امر عرشها علما ولكنه كالحجة شك فدل على انها في الجملة من اهل العلم المهيئ للهداية او يكون التقدير بما دل عليه ما يلزم من قولها كانه فجهلت امر عرشها على كثرة ملابستها له واوتينا معبرا بنون الواحد المطاع لاسيما والموتى سبب العظمة شرعه وهو العلم الذي لا يقدر على اعطايه غير الله ولذلك بني الفعل للمفعول لان فاعله معلوم العلم اي بجميع ما اتانا الله علمه ومنه انه يجئ عليها من قبلها اي من قبل اتيانها بان عرشها يشتبه عليها او من قبل علمها بما ظنت من امر عرشها او اتانا فاسلانا من قبل وجودها فنحن عريقون في العلم فلذلك نحن على حقيقة من جميع امورنا وانما قال ننظر أتهتدي بالنسبة الى جودده ثم ذكر السبب في وجود العلم واتساعه وثباته فقال وكنا اي مع العلم الذي هيأنا الله له بما جعل في غرايزنا من النورانية مسلمين اي خاضعين لله تعالى عريقين في ذلك مقبلين على جميع اوامره بالفعل على حسب امره كما اشار اليه قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله يهديهم ربهم بايمانهم ولما كان المعنى واما هي فانها وان اوتيت علما فلم يكن ثابتا ولا كان معه دين ترجمه بقوله وصدها اي هي عن كمال العلم حاصرها عن الدين ما اي المعبود الذي كانت اي في الزمن الماضي تعبد اي عبادة مبتدئة من دون الله اي غير الملك الاعلى الذي له الكمال كله او ادنى رتبة من رتبته وهي عبادة الشمس ليظهر الفرق بين حزب الله الحكيم العليم وحزب ابليس لسفيه الجهول ثم علل ذلك اشارة الى عظيم نعمة الله عليه بالنعمة على اسلافه بقوله إنها وقرئ بالفتح على البدل من فاعل صد كانت من قوم اي ذوي بطش وقيام كافرين اي فكان ذلك سببا وان كانت في غاية من وفور العقل وصفاء الذهن وقبول العلم كما دل عليه ظنها في عرشها ما لا يهتدى له الامر عنده قابلية الهدى في اقتفايها لاثارهم في الدين فصدئت مرآة فكرها ونبت صوارم عقلها ولما تم ذلك كان كانه قيل هل كان بعد ذلك اختبار فقيل نعم قيل لها اي من قايل من جنود سليمان عليه السلام فلم يمكنها المخالفة لما هناك من الهيبة بالملك والنبوة والدين ادخلي الصرح وهو قصر كان بناه قبل قدومها وجعل في صدره وجعل صحنه من الزجاج الابيض الصافي واجرى تحته الماء وجعل فيه دواب البحر واسلفه كما قال في الجمع بين العباب والمحكم بيت واحد بيني منفردا ضخما طويلا في السما قال وقيل كل بناء متسع مرتفع والصرح الارض المملسة وصرحة الدار ساحتها ودل على مبادرتها للامتثال الامر وسرعة دخولها بالفا فقال فلما رأته وعبر بما هو من الحسبان دلالة على ان عقلها وان كان في غاية الرجاحة ناقص لعبادتها لغير الله فقال حسبته اي لشدة صفا الزجاج واتصال الماء بسطحه الاسفل لجة اي غمرة عظيمة من ماء فعزمت على خوضه اظهارا للتمام

الاستسلام

الاستسلام وكشفت عن ساقيها اي لئلا تبتل ثيابها فتحتاج الى تغييرها قبل الوصول الى سليمان عليه السلام فرآها احسن الناس ساقا وقدما غير انها شعرا ولما حصل مراده استانف الاخبار عن امره بعد فقيل قال اي مبينا لعظيم عقله وعلمه وحكمه وقدرته مؤكدا لانه لشدة اشتباهه بجودة المادة وتناهي حسن الصنعة واحكامها لا يكاد يصدق انه حايل دون الماء انه اي هذا الذي ظننته ماء صرح اي قصر ممرد اي مملس واصل المرودة الملاسة والاستواء من اي كاين من قوارير اي زجاج ليصف بشفوفه الماء فظن انه لا حايل دونه فلما رات ما فضله الله به من العلم المؤيد بالحكمة المكمل بالوقار والسكينة المتمم بالخوارق بادرت الى الطاعة علما بانه رسول الله فاستانف تعالى الاخبار عن ذلك بقوله قالت مقبلة على من اتاه الاسم الاعظم من فضله والاستجماع من عظيم وتلية رب اي ايها المحسن الي اني ظلمت نفسي اي بما كنت فيه من العمى بعبادة غيرك عن عبادتك وأسلمت اي لتظهر على ثمرات الاسلام ولما ذكرت هذا الاساس الذي لا يصح بناء طاعة الا عليه اتبعته الداعي الذي لا تتم ثمرات الاعمال الموسسة عليه الا به والاذعان له والانقياد والاعتراف بالفضل ولهدايته الى ما يصلح منها وما لا يصلح على الوجوه التي لا تعلم الا بها من الكميات والكيفيات فقالت مع سليمان ولما ذكرت صفة الربوبية الموجبة للعبادة بالاحسان ذكرت الاسم الاعظم الدال على الذات المستجمع للصفات الموجبة للالهية للذات فقالت لله اي مفردة له بالالوهية والربوبية على سبيل الوحدانية ثم رجعت اشارة الى العجز عن معرفة الذات حق المعرفة الى الافعال التي هي بحر المعرفة فقالت رب العالمين فعمت بعد ان خصت اشارة الى الترقي من حضيض دركات العمى الى اوج درجات الهدى فلله درها ما اعلاها واطيب اعراقها واكرمها ويقال ان سليمان عليه السلام تزوجها واصطنع الحمام وهو اول من اتخذه واذهب شعرها بالنورة ولما اتم سبحانه هذه القصة الموسسة على العلم المشيد بالحكمة المنبئة عن ان المدعوين فيها اطبقوا على الاستسلام للدخول في الاسلام مع ما له الملك ورياسة العز والقهر على بعد غريب عنهم لعبد منهم اتبعها قصة انقسم اهلها مع الفقر والذل فريقين مع ان الداعي منهم لا يزول باتباعه شيء من العز عنهم مع ما فيها من الحكمة واظهار دقيق العلم بابطال المكر بعد طول الاناة والحلم فقال تعالى مفتتحا بحرفي التوقع والتحقيق لمن ظن ان هذا شان كل رسول مع من يدعوهم عاطفا على ولقد اتينا داود ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة إلى ثمود ثم اشار الى العجب من توقفهم بقوله أخاهم صالحا الجمع الى حسن الفعل حسن الاسم وقرب النسب ثم ذكر المقصود من الرسالة بما لا اعدل منه ولا احسن وهو الاعتراف بالحق لاهله فقال أن اعبدوا الله اي الملك الاعظم الذي لا كفؤ له وحده ولا تشركوا به شيئا ولا سيما شيئا لا يضر بوجه ولا ينفع بتاتا لان الرسل عليهم الصلاة والسلام متفقون على ذلك عربهم وعجمهم ثم زاد في التعجب منهم بما اشارت اليه الفا واداة المفاجاة من المبادرة الى الافتراق بما يدعوا الى الاجتماع فقال فإذا هم اي ثمود فريقان ثم بين بقوله يختصمون انها فرقة افتراق بكفر وايمان لا فرقة اجتماع في هدى وعرفان فبعضهم صدق صالحا واتبعه كما مضى في الاعراف وياتي هنا الاشارة اليه بقوله ومن معك وبعضهم استمر على شركه وكذبه وكل فريق يقول انا على الحق وخصمي على الباطل ثم استانف ما اشار اليه حرف التوقع من سؤال الكونف الشوق فاثلا قال اي صالح مستعطفا في هدايتهم يا قوم اي يا اولاد عمي ومن فيهم كفاية للقيام بالمصالح لم تستعجلون اي تطلبون العجلة بالاتيان بالسيئة اي الحالة التي مساتها ثابتة وهي العقوبة التي انذرتكم بها من كفر قبل الحالة الحسنة من الخيرات التي ابشركم بها في الدنيا والاخرة ان امنتم والاستعجال طلب الاتيان بالامر قبل الوقت المضروب له واستعجالهم لذلك بالاصرار على سببه وقولهم استهزاء ايتنا بما تعدنا لولا اي هلا ولم لا تستغفرون الله اي تطلبون غفرانه الذي له صفات الكمال لذنوبكم السالفة بالرجوع اليه بالتوبة باخلاص العبادة له لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجاء من ان تعاملوا من كل من فيه خير معاملة المرحوم باعطا الخير والحماية من الشر ثم استانف حكاية جوابهم فقال قالوا فظاظة وغلظة مشيرين بالادغام الى ان ما يقولونه انما يفهمه الحذاق بمعرفة الزجر فان كان الظاهر خلافه بما اتاهم به من الناقة التي كان في وجودها من البركة امر عظيم اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك اي ومن الذين امنوا بك فانه وقع بيننا بسببكم الخلاف وكثر القال والقيل والارجاف وحصلت لنا شدائد واعتساف لانا جعلناكم مثل الطاير الذي يمر من جهة الشمال على ما ياتي في الصافات قال طائركم اي ما تتمنون به فيمن تسرتم او تتشامون به فيفشاعنه ما يسوءكم وهو عملكم من الخير او الشر عند الله اي الملك الاعظم المحيط بكل شيء علما وقدرة وليس شيء منه بيد غيره ولا ينسب اليه فان شاء جعله سببه وان شاء جعل غيرنا ولما كان معنى نسبته الى الله ان هذا الذي بكم الان من الشر ليس منا قال بل أنتم قوم تفتنون اي تختبرون من الملك الاعلى بما تنسبونه الى الطير من الخير والشر اي تعاملون به معاملة الاختبار هل تصلحون للخير بالرجوع عن الذنب فيخفف عنكم او لا فتمحقوا ولما اخبر عن عامة هذا العمر بالشر اخبر عن شرهم بقوله وكان في المدينة اي مدينتهم الحجر من عظماء القرية واعيانها تسعة رهط اي رجال

عظم
ف
ستعجال
ع
اى ع

مقابلة لآيات موسى التسع ولما كان الرهط بمعنى القوم والرجال اضيف التسعة اليه فكانه قيل تسعة رجال وان
كان للقوم ورجال مخصوصين وهم ما بين الثلاثة او السبعة الى العشرة وما دون التسعة نفر وقال في القاموس ان النفر ما
دون العشرة غير انه يفهم التفرق والرهط يفهم العظمة والشدة والاجتماع يفسدون وقال في الارض اشارة
الى عموم فسادهم ودوامه ولما كان الكفرة كلهم مفسدين بالكفر وكان بعضهم ربما كان يصلح في بعض افعاله بين ان
هؤلاء ليسوا كذلك بل هم شر محض محقق خلوصهم للفساد بقوله مصرحا بما افهمته صيغة المضارع ولا يصلحون ٤٨
ولما اقتضى السياق السؤال عن بيان بعض حالهم اجاب بقوله قالوا تقاسموا امر مما منه القسم اي اوقعوا المقاسمة
والمحالفة بينكم بالله اي الذي لا سمي له لما شاع من عظمته وشمول احاطته في علمه وقدرته فليقل كل منكم عن نفسه ومن
معه اشارة الى انهم كالجسد الواحد لنبيتنه اي صالحا واهله اي لنهلكن الجميع ليلا فان البيات مباغتة العدو
ليلا ولما كانت العادة جارية بان المبيتين لا بد ان يبقى بعضهم قالوا ثم لنقولن لوليه اي المطالب بدمه ان بقي
منهم احد ما شهدنا اي حضرنا حضورا تاما مهلك اي اهلاك اهله اي اهله فلا لولي فضلا عن ان نكون باشرنا
او اهل صالح عليه السلام فضلا عن ان نكون شهدنا مهلك صالح عليه السلام او باشرنا قتله ولا موضع اهلاكهم ولما
كانت الفجيعة من وليه بهلاكه اكثر من الفجيعة بهلاك اهله واعظم كان في السياق بالاسناد الى الولي على تقدير
كون الضمير لصالح عليه السلام ارشاد الى ان التقدير ولا مهلكه ولما كانوا قد صمموا على هذا الامر ووطنوا انفسهم
على المبالغة في الحلف والاجتراء على الكذب فقالوا وانا اي ونقول في جملة القسم تاكيدا للقسم ايهاما لتحقق الصدق
انا لصادقون فيا لله العجب من قوم اذا عقدوا اليمين فزعوا الى الله العظيم ثم نفروا عنه نفور الظليم الى اوثان
انفع منها الهشيم ولما كان هذا منهم عمل من لا يظن ان الله عالم به قال تعالى محذرا امثالهم عن امثال ذلك ومكروا
مكرا اي ستروا سترا عظيما ارادوا به الشر بهذه المساومة على المقاسمة فكان مكرهم الذي اجتهدوا في ستره لدينا مكشوفا
وفي حضرتنا معروفا وموصوفا فشعرنا بل علمنا به فابطلناه ومكرنا مكرا اي جزيناهم على فعلهم بما لنا من العظمة
شيئا هو المكر في الحقيقة لانه لا يعلمه احد من الخليقة ولذلك قال وهم اي مع اعتنائهم بالتفحص عن الامور والتحرز
من عظائم المقدور لا يشعرون اي لا يتجدد لهم شعور بما قدرناه عليهم بوجه ما فكيف بغيرهم وذلك انا عاجلناهم
في تدبيرهم فلم يقدروا على ابطاله فادخلناهم في حجر كان لم يفلت منهم انسان واهلكنا جميع الكفرة من قومهم في
اماكنهم مساكنهم وغير مساكنهم واما مكرهم فكانوا على اجتهادهم في اتقانه واحكام شانه قد جوزوا انه سلامة
بعض من يقصدونه بالاهلاك فشتان بين المكرين وهيهات هيهات لما بين الامرين من التنائي علم من هذا الاتيان
تهويل الامر سبب عنه سبحانه زيادة في تهويله قوله فانظر وقد ظهر ان الآية من الاحتباك او شبهه ذكر عدم الشعور
دالا على حذف عدم الابطال من الثاني وعلى حذف الشعور والابطال الذي هو نتيجته من الاول ولما علم من هذا الابهام
تهويل الامر سبب عنه سبحانه زيادة في تهويله قوله فانظر وزاده عظمة بالاشارة باداة الاستفهام الى انه اهل
لان يسأل عنه فقال كيف كان عاقبة مكرهم فان ذلك سنتنا في امثالهم ثم استانف لزيادة التهويل قوله بيانا
لما ابهم انا بما لنا من العظمة ومن فتح فهو عنده بدل من عاقبة دمرناهم اي اهلكناهم اي التسعة المتقاسمين بعظمتنا التي
لا مثل لها وقومهم اجمعين لم يفلت منهم مخبر ولا كان في ذلك تفاوت بين مقبل ومدبر واين يذهب احد منهم او من غيرهم
من قبضتنا او يفر من مملكتنا ولما كان يتسبب عن دمارهم زيادة الهول والرعب بالاشارة الى ديارهم لاستحضار
احوالهم واستعظامهم بعظيم اعمالهم قال فتلك اي المبعدة بالغضب على اهلها بيوتهم اي ثمود كلهم خاوية اي خالية
متهدمة بالية مع شدة اركانها واحكام بنيانها فسبحان الفعال لما يريد القادر على الضعيف بقدرته على الشديد
ولما ذكر الهلاك اتبعه سببه في قوله بما ظلموا اي اوقعوا الامور في غير مواقعها فعل الماشي في الظلام حيث
عبدوا من الاوثان ما يستحق الهوان ولا يستحق شيئا من التعظيم بوجه معرضين عمن لا عظيم عندهم غيره عند الاقسام
والشدائد والاهتمام وخراب البيوت كما قال ابو حيان وخلوها من اهلها حتى لا يبقى منهم احد مما يعاقب به الظلمة
ثم زاد في التهويل بقوله ان في ذلك اي الامر الباهر للعقول الذي فعل بثمود لآية اي عظيمة ولكنها لقوم يعلمون
اي لهم علم واما من لا ينتفع بها فقد نادى على نفسه بانه في عداد البهائم ولما كان ذلك ربما اوهم ان الهلاك عم
الفريقين قال وانجينا اي بعظمتنا الذين آمنوا اي وهم الفرقة الذين كانوا مع صالح كلهم وكانوا يتقون اي متصفين
بالتقوى اتصافا كانهم مجبولون عليه فيجعلون بينهم وبين ما يسخط ربهم وقاية من الاعمال الصالحة والمتاجر الرابحة وكذا
نفعل بكل من فعل فعلهم قيل كانوا اربعة آلاف ذهب بهم صالح عليه السلام الى حضرموت فلما دخلوها مات صالح
عليه السلام فسميت بذلك ولما فرغ من قصة الغريب الذي دعا قومه فآذاهم ثنى بعد الغريب الذي لم يخلف عليه

من دعاهم اتيانا انتهى بغريب لم يتبعه ممن دعاهم فقال دالا على ان له سبحانه الاختيار فتارة يجري الامور على القياس واخرى
على خلاف الاساس الذي تقتضيه عقول الناس فقال ولوطا اي ولقد ارسلنا لوطا واشار الى سرعة الابلاغ بقوله اذ اي حين
قال لقومه اي الذين كان سكن فيهم لما فارق عمه ابراهيم الخليل عليهما السلام وصاهرهم وكانوا يأتون الاحداث منكرا موبخا اتأتون
ولما كان للابهام ثم التعيين من هذا التفخيم ما ليس للتعيين من اول الامر قال الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح
وانتم تبصرون اي لكم عقول تعرفون بها المحاسن والمقابح وربما كان بعضهم يفعله بحضرة بعض كما قال وتأتون في ناديكم المنكر
فتكون حينئذ من البصر والبصيرة ثم اتبع هذا الانكار انكارا آخر بمضمون جملة مؤكدة ايماء تاكيدا اشارة الى ان فعلهم هذا مما يعمي
ولا يبلغ كنه قبحه ولا يقصده وعقل ان احدا يفعلها فقال معيبا لما ابهم ائنكم لتأتون وقال الرجال تنبيها على بعدهم عما
يأتونه اليهم ثم علله بقوله شهوة انزالا لهم الى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ولد ولا اعفاف وقال من دون اي اتيانا
مبتدئا من غير او ادنى رتبة من رتبة النساء اشارة الى انهم اساءوا من الطرفين في الفعل والترك ولما كان قوله
شهوة ربما اوهم انهم لا غنى بهم عن اتيانهم للشهوة الغالبة لكون النساء لا تكفيهم لذلك نفى هذا بقوله بل اي انكم لا تأتونهم
لشهوة محوجة بل انتم قوم ولما كان مقصود السورة اظهار العلم والحكمة وكانوا قد خالفوا ذلك اما بالفعل واما
بكونهم يفعلون من الاسراف وغيره عمل الجهلة قال تجهلون اي تفعلون ذلك اظهارا للتلبس بالشهوات فعل المبالغين في الجهل
الذين ليس لهم نوع علم في التجاهر بالقبائح خبثا وتغليبا لاخلاق البهائم مع ما رزقكم الله من العقول التي اهملتموها حتى غلبت عليها
الشهوة واشار الى تعاليهم في الجهل وافتخارهم به بما سببوا عن ذلك بقوله فما كان جواب قومه اي لهذا الكلام الحسن لما لم يكن
لهم حجة في دفعه بل ولا شبهة الا ان صدقوه في نسبته لهم الى الجهل بان قالوا عدولا الى المغالبة وتماديا في الخبث اخرجوا
آل لوط فاظهر ما اضمر في الاعراف لان الاظهار اليق بسورة العلم والحكمة واظهار الخبث وقالوا من قريتكم منا عليه
باسكانه عندهم وعللوا ذلك بقولهم انهم وتعليلهم عبروا بقولهم اناس مع صحة المعنى بدونه تهكما عليه لما فهموا من انه انزلهم
الى رتبة البهائم يتطهرون اي يعدون افعالنا نجسة ويتنزهون عنها فلما وصلوا في الخبث الى هذا الحد سبب سبحانه عن
قولهم وفعلهم قوله فانجيناه واهله اي كلهم اي من ان يصلوا اليه باذى او يلحقه شيء من عذابنا الا امراته فكانه قيل فما كان
من امرها فقيل قدرناها اي جعلناها بعظمتنا وقدرتنا في الحكم وان كانت خرجت معه من الغابرين اي الباقين في القرية في
لحوق الغبرة وجوههم والداهية الدهياء انفسهم وديارهم حتى كانوا كامس الدابر وامطرنا واشار الى انه امطار عذاب بالحجارة
مع تعديته بالهمز وهو معدى بدونها فصارت كانها لا ان له الاغاثة بالانبات بعدها بقوله عليهم واشار الى سرعة الاستئصال مع
لاستلزامه سوء الفعل الذي نشأ عنه بقوله مطرا اي واي مطر ولذلك سبب عنه قوله فساء مطر المنذرين اي الذين وقع
انذارنا لهم الانذار الذي هو الانذار ولما تم بهذه القصص استنتاج ما اراد سبحانه من الدليل على حكمته وعلمه ومباينته
للاصنام في قدرته وحلمه امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمد شكرا على ما علم ويقررهم بعجز اصنامهم ردا لهم عن الجهل باوضح طريق
واقرب متناول فقال قل ما انتجه ما تقدم في هذه السورة وهو الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال لله اي مختص بالمستجمع
للاسماء الحسنى والصفات العلى عند الاعدام كما كان عند الايجاد وسلام اي سلامة وعافية وبقاء في هذا الحين وكل حين
كما كان قبل هذا في غابر السنين واشار بانه لا وصول للعطب اليهم باداة الاستعلاء في قوله على واشار الى شرفهم بقوله
عباده باضافتهم اليه واكد ذلك بقوله الذين اصطفى اي في كل عصر وحين كما ان الحمد للمعبود دائما ازلا وابدا الابدين وعطب
وغضب على من عصى وخالف الرسل واي كما ترى في اصحاب هذه الانباء والمعنى ان هذا الحكم المستمر بنجاة الرسل واتباعهم وهلاك
الكافرين واشياعهم دليل قطعي على ان الاحاطة لله في كل امر قال ابو حيان وكان هذا صدر خطبة لما يلقى من البراهين الدالة
على الوحدانية والعلم والقدرة ومما ينبه له انه لم يرد في قصة لوط عليه السلام اكثر من نهيه لهم عن هذه الفاحشة
فلا يخلو حالهم من امرين اما انهم كانوا لا يشركون بالله تعالى شيئا ولكنهم لما انكروا هذه المعضلة وجاهروا بها واصروا
عليها اخذوا بالعذاب لذلك ولكفرهم بتكذيبهم رسولهم كما صرحت به آية الشعراء واما انهم كانوا مشركين ولكنه عليه السلام
لما رآهم قد سفلوا الى رتبة البهيمية رتب دعاءهم منها الى رتبة الانسانية ثم الى رتبة الوحدانية ويدل على هذا التقدير الثاني
قوله مشيرا الى ان الله تعالى اهلكهم ولم تغن عنهم معبوداتهم شيئا بقوله آلله اي الذي له الجلال والاكرام خير اي لعباده
الذين اصطفاهم فانجاهم ام ما تشركون يا معاشر العرب من الاصنام وغيرها لعابديها ومحبيها فانهم لا يغنون عنكم شيئا كما لم يغنوا
عمن عبدهم من هؤلاء الذين اهلكناهم شيئا ولا تفزعون عند شدائدكم الا الى الله وجرى هذا على قراءة الخطاب للجماعة والتقدير
على قراءة الغيب للبصريين وعاصم ام ما يشرك الكفار عامة قديما وحديثا لمن اشركوا بهم فلم يقدروا على نفعهم عند حلول
الباس بهم وافعل التفضيل لالزام الخصم والتنبيه على ظهور خطابه المفرط وجهله المورط الى حد لا يحتاج فيه الى
كشف لا على بابها ولما كان مع هذا البيان من الامر الواضح ان التقدير زيادة في توبيخ المشركين وتقرير المنكرين من

فعل هذه الافعال البالغة فى الحكمة المتناهية فى العلم امن سمتموه الها ولا اثر له اصلا عاد له بقوله أمّن وكان الاصل ام هو ولكنه
عبر باسم موصول اصل وضعه لذى العلم وصله بما لا يصح ان يكون لغيره لتكون كالدعوى المقرونة بالدليل فقال خلق السموات
والارض تنبيها بالقدرة على بدء الخلق على القدرة على اعادته بل من باب الاولى دلالة على الايمان بالاخرة تخلقا باخلاق المومنين
الذين مضى اولا لسورة ان هذا القران المبين بشرى لهم ولما كان الانبات من ادل الايات على احيا الاموات قال وانزل
وزاد فى تقريعهم وتبكيتهم وتوبيخهم بقوله لكم اى لاجلكم خاصة وانتم تكفرونه وتنسبون ما تفرد به من ذلك لغيره من السماء
ماء هو للارض كالماء الدافق للارحام وكالماء الذى ينزل احرالدهو رعلى العنود كان للانبات من العظمة ما
ليس لغيره فى الدلالة على الخالق فى وجوده وقدرته واختياره لفعل المتباينات فى الطعم واللون والريح والطبع والشكل
بماء واحد فى ارض واحدة واختصاصه بفعل ذلك من غير مشاركة شئ له فى شئ منه اصلا وهواية العظمى على امر البعث
عدل الى التكلم وعلى وجه العظمة فقال فانبتنا اى بما لنا من العظمة به حدائق اى بساتين محدقة اى محيطة بها اشجارها
وجدرانها والظاهر ان المراد كل ما كان هكذا فانه فى قوة ان يدار عليه الجدار وان لم يكن له جدار ذات بهجة اى بها حسن
ورونق وبشر بها وسرور على تقارب اصولها مع اختلاف انواعها وتباين طعومها واشكالها ومقاديرها والوانها ولما
اثبت الانبات له نفاه عن غيره على وجه التاكيد تنبيها على تاكد اختصاصه بفعله وعلى انه ان اسند الى غيره فهو مجاز عن
التسبب وان الحقيقة ليست الا له فقال ما كان اى ما صح وما تصور بوجه من الوجوه لكم وانتم احيا فضلا عن شركائكم الذين
هم اموات بل موات ان تنبتوا شجرها اى شجر تلك الحدائق ولما ثبت انه المنفرد بالخلق ثبت انه المنفرد بالالوهية
فحسن موقع الانكار والتقرير فى قوله أإله اى كاين مع الله اى الملك الاعلى الذى لا مثل له ولما كان الجواب عند كل عاقل
لا وعزته قال معرضا عنهم للايذان بالغضب بل هم اى فى دعائهم معه سبحانه شريكا قوم يعدلون اى عن الحق الذى
لا مرية فيه الى غيره مع العلم بالحق فيعدلون بالله غيره ولما فرغ من اية اشترك فيها الخافقان ذكر ما تفرد به الارض
لانها اقرب اليهم وهم بحقيقتها وما لا يسوءه من احوالها اعلم منهم بالامور السماوية تعديدا للبراهين الدالة على تفرده
بالفعل الدال على تفرده بالالهية فقال مبدلا من امن خلق أمّن اى ام فعل ذلك الذى جعل الارض قرارا اى مستقرة
فى نفسها ليقر عليها غيرها وكان القياس يقتضى ان تكون هاوية او مضطربة كما يضطرب ما هو معلق فى الهوى ولما ذكر
قرارها اتبعه دليله فى معرض الامتنان فقال وجعل خلالها اى فى الاماكن المنفرجة بين جبالها انهارا اى جارية على حالة واحدة
فلو اضطربت الارض ادنى اضطراب لتغيرت مجارى المياه بلا ارتياب ولما ذكر الدليل ذكر سبب القرار فقال وجعل
لها رواسى اى كرا من السفن جانية راسيا باقى تباتها على ميزان دبره سبحانه فى مواضع من ارجائها بحيث اعتدلت جميع جوانبها
فامتنعت من الاضطراب ولما ثبت القرار وسببه وكان قد جعل سبحانه للانهار طرقا تتصرف فيها ولو حبسها عن
الجرى شئ لا وشك ان تستبحر فيصير اكثر الارض لا ينتفع به فى سير ولا نبات او ان تخرق ذلك الحابس بما لها من قوة الجرى وشدة
النفوذ بلطافة السريان لان من عادة المياه التخلل بين اطباق التراب والتغلغل بما لها من اللطافة والرقة والثقل فى الاعماق
ولو قليلا قليلا وكان سبحانه قد شد ما بين البحرين الرومى والفارسى وكان ما بينهما من الارض انما هو يسير جدا فى بعض المواضع
وكان بعض مياه الارض عذبا وبعضه ملحا مع القرب جدا من ذلك العذب سالم نبههم على عظيم القدرة عن المسك العدوان
احدهما على الاخر ولعد وان كل من خليجى الملح على ما بينهما ليلا يخرقاه فيتصلا فقال وجعل بين البحرين حاجزا اى يمنع احدهما
ان يصل الى الاخر ولما كان من المعلوم انه الله وحده ليس عند عاقل شك فى ذلك كرر الانكار فى قوله أإله مع الله اى
المحيط علما وقدرة ولما كان الجواب الحق قطعا لا وكان قد اثبت لهم فى الاضراب الاول علما من حيث الحكم على المجموع وكان
كل منهم يدعى رجحان العقل وصفاء الفكر ورسوخ القدم فى العلم بما يدعيه العرب قال بل اكثرهم اى الخلق الذين ينتفعون
بهذه المنافع لا يعلمون اى ليس لهم نوع من العلم بل هم كالبهائم لاعراضهم عن هذا الدليل الواضح ولما دلهم بالايات
الافاق وكانت كلها من احوال السرا وكانت لمعرض الغفلة عن الاله ذكرهم بما فى انفسهم مما يوجبه تغير الاحوال الدالة
بمجردها على الاله ويقتضى لكل عاقل صدق التوجه اليه والاخلاص النية لديه والالتجا اليه على ذلك ركزت الطباع وانعقد
الاجماع فلم يقع فيه نزاع فقال امن يجيب المضطر اى جنس الملجا الى ما لا قبل له به الصادق على القليل والكثير اذا ارا
اجابته كما تشاهدون وتعرفونه وفيما بعد بالمضارع لانه مما يتجدد بخلاف ما مضى من خلق السموات وما بعده اذا دعاه
اى حين يمسكم الضر شركاؤكم ويلجيكم الى من خلقكم ويذهل المعطل عن مذهبه ويغفله عن سوء اديه عظيم اقباله على قضا
اربه ولما كانت الاجابة ذات شقين جلب السرور ودفع الشرور وكان النظر الى الثانى اشد خصه بادبابه فقال
ويكشف السوء ثم اتبعه الاول على وجه اعم فقال مشيرا الى عظيم المنة عليهم بجعلهم مسلطين عالين على جميع من فى الارض وما
وما فى الارض مشرفين بخلافته سبحانه ولذلك اقبل عليهم ويجعلكم خلفاء الارض اى فيها يخلف بعضكم بعضا لا يزال

بجدد ذلك باهلاك قرن وانشاء آخر الى قيام الساعة ولما كان هذا ابين كرر الانكار فيه مبكتا لهم بالنسيان فقال أإله
اى كاين او موجود مع الله اى الملك الاعظم الذى لا كفوء له ثم استانف التبكيت تقطيعا له ومواجها به فى قراءة الجماعة لما يوذن به
كشف هذه الازمات من القرب المقتضى للخطاب ولذلك اكده بزيادة ما فقال قليلا ما تذكرون اى بان من انجاكم من ذلك وحده حين
اخلصتم له التوجه عند اشتداد الامر هو المالك للجميع اسودكم فى الرخا كما كان ما لكا له فى الشدة وان الاصنام لا تملك شيئا
شفاعة ولا غيرها كما لم تملك شيئا من ذلك فى اعتقادكم عند الازمات واشتداد الكربات فى الامور المهمات فان هذا قياس ظاهر
ودليل باهر قاهر ولكن من طبع الانسان نسيان ما كان فيه الضير عند مجى الخير ومن قرا بالتحتانية وهم ابو عمرو وهشام وروح
فللايذان بالغضب اللايق بالكفران مع عظيم الاحسان ولما ذكر آيات الارض وختم بالمضطر وكان المضطر قد لا يهتدى
لوجه حيلة اتبعها آيات السما ذاكرا ما هو من اعظم صنود الاضطرار فقال أمن يهديكم اى اذا سافرتم بما رسم لكم من المعالم العلوية
والسفلية فى ظلمات البر اى بالنجوم والجبال والرياح وهى وان كانت اضعفها فقد يضطر اليها حيث لا يبدو شئ من ذينك
والبحر بالنجوم والرياح ولما كانت الرياح كما كانت مرادا لدا لسير كان بعضها مرادا له المطر قال ومن يرسل الرياح
اى التى هى من دلايل السير نشرا اى تنشر السحاب وتجمعها بين يدى رحمته التى هى المطر تسمية للمسبب باسم السبب والرياح التى
يهتدى بها فى المقاصد اربع الصبا والدبور والشمال والجنوب وهى اضعف الدلايل قال الامام ابو هلال الحسن بن عبد الله
العسكرى فى كتاب اسماء الاشيا وصفاتها الرياح اربع الشمال وهى التى تجئ عن يمينك اذا استقبلت قبلة العراق يعنى
وذلك ما بين مطالع الشمس الصيفية وبنات نعش وهى فى الصيف حارة واسمها البارح والجنوب تقابلها والصبا
من مطلع الشمس وهى القبول والدبور تقابلها ويقال للجنوب النعامى والازيب انتهى وقال العبارة ابين العبارات
فى تعيين هذه الرياح وقال الامام ابو العباس احمد بن ابى احمد بن القاص الطبرى الشافعى فى كتابه ادلة القبلة ان قبلة العراقيين
الى باب الكعبة كله الى الركن الشامى الذى عند الحجر ان الصبا وقد اختلف اهل العلم بهذا الشان اى فى التعبير عن مواطن الرياح
اختلافا متباينا واقرب ذلك على ما جربته وتعاهدته بمكة وهذه تهب ما بين مطالع الشمس فى الشتا الى مطلع سهيل
وسهيل يمان مسقطه فى راى العين على ظهر الكعبة اذا ارتفع وقال صاحب القاموس والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش
وقال والقبول كصبور ريح الصبا لانها تقابل الدبور ولانها تقابل باب الكعبة او لان النفس تقبلها وقال الامام ابو عبد الله
القزاز الصبا الريح التى تهب من مطلع الشمس والقبول الريح التى تهب من مطلع الشمس وذلك لانها تستقبل الدبور وقيل لانها
تستقبل باب الكعبة وهى الصبا فقد اتفقت اقوالهم كما ترى على خلاف ابن القاص وقال ابن القاص وهى اى الصبا ريح معها روح
وخفة ونسيم تهب مما بين مشرق الشتا ومطلع سهيل ولها برد يفرض اشده من هبوبها وتلقح الاشجار ولا تهب الا بليل غالطا
اذا اظلم الليل الى ان يسفر النهار وتطلع الشمس واشد ما تكون فى وقت الاسحار وما بين الفجرين والجنوب تهب ما بين
مطلع سهيل الى مغارب الشمس فى الصيف وقال فى القاموس والجنوب ريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا وعن
ابن هشام اللخمى ان الجنوب هى الريح القبلية وفى الجمع بين العباب والمحكم والجنوب ريح تخالف الشمال تاتى عن يمين القبلة وقيل هى من
الرياح ما استقبلك عن شمالك اذا وقفت فى القبلة قال ابن الاعرابى ومهب الجنوب من مطلع سهيل الى مطلع الثريا وقال الاصمعى
اذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح واذا جاءت الشمال نشفت ويقال للمتصافيين ريحهما جنوب واذا تفرقا قيل شملت ريحهما
وعن ابن الاعرابى الجنوب فى كل موضع حارة الا بنجد فانها باردة وقال ابن القاص واذا هبت فقوتها فى العلو والهوا اكثر لانها
موكلة بالسحاب وتحرك الاغصان ورؤس الاشجار ومع ذلك فتراها تؤلف الغيم فى السما فتراه متراكما مشحونا قال
وسمعت من يقول ما اشتد هبوبها الا خيف المطر ولا هبت جنوب قط ثم تبعها دبور الا وقع مطر وهى تهيج البحر وتظهر بكل
ندى كامل فى الارض وهى من ريح الجنة والدبور قال فى القاموس ريح تقابل الصبا وقال القزاز هى التى تاتى من دبر الكعبة
وهى التى تقابل مطلع الشمس وقال ابن القاص تهب ما بين مغارب الشمس فى الصيف الى مطلع بنات نعش وقوتها فى الارض اشد
من قوتها فى الهوا وهى اذا هبت تثير الغبار وتكسح الارض وترفع الذيول وتضرب الاقدام واشد ما تثير الغبار اذا انقلبت
تراها كانها تلعب بالتراب على وجه الارض وترى الاشجار فى البوادى والرمال لها دوى من ناحية الدبور وقد اجتمع فى اصلها
التراب وما يلى الجنوب عاريا مكشوفا متحفرا وقوتها فى الارض والله اعلم لان عادا اوعدت بالتدمير بالرياح فحفرت الابار
واستكنت فيها فبعث الله الدبور فدخلت الابار وقذفتهم منه من حتى اهلكتهم والشمال قال فى القاموس الريح
التى تهب من قبل الحجر والصحيح انه ما مهبته ما بين مطلع الشمس وبنات نعش او من مطلع النعش الى مسقط النسر الطاير ولا تكاد تهب
ليلا وقال القزاز هى الريح التى تاتى عن شمالك اذا استقبلت مطلع الشمس والعرب تقول ان الجنوب قالت للشمال ان لى عليك
فضلا انا اسرى وانت لا تسرين فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى وقال الصغانى فى مجمع البحرين والشمال الريح التى تهب من ناحية
القطب وعن ابى حنيفة هى التى تهب من جهة القطب الشمالى وهى الجربيا وهى الشامية لانها تاتيهم من شق الشام وفى الجمع بين

الغباب والمحكم والبوارح شدة الرياح من الشمال في الصيف دون الشتاء كانه جمع بارحة وقيل البوارح الرياح الشدائد التي تحمل التراب
واحدتها بارح والجربياء الريح التي بين الجنوب والصبا وقيل هي النكباء التي تجري بين الشمال والدبور وهي ريح تقشع السحاب
وقيل هي الشمال وجربياؤها بردها قاله الاصمعي وقال الليث هي الشمال الباردة وقال ابن العاص والشمال تهب ما بين مطلع
بنات نعش الى مطلع الشمس في الشتاء وهي تقطع الغيم وتمحوها ولذلك سميت الشمال المحوة قال وهذا بارض الحجاز واما ارض العراق
والمشرق فربما ساق الجنوب غيما واستدراره ولم يجلبه حتى تهب الشمال فتحلبه والجنوب والشمال منهما لمتان لانهما موكلتان
بالسحاب فالجنوب تطردها وهي مشحونة والشمال تردها وتمحوها اذا افرغت قال ابو عبيدة الشمال عند العرب للروح والجنوب
للامطار والندى والدبور للبلاء واهونه ان يكون غبارا عاصفا يقذي العيون والصبا لالقاح الشجر وكل ريح من هذه
الرياح انحرفت فوقعت بين ريحين فهي نكباء سميت لعدولها عن مهب الاربع اللواتي وصفن قبل انتهى وقال المسعودي
في مروج الذهب في ذكر البوادي من الناس وسبب اختيارها لها وان شخصا من خطباء العرب وفد على كسرى فسأله عن اشياء
منها الرياح فقال ما بين سهيل الى طرف بياض الفجر جنوب وما بازائها مما يستقبلها من المغرب شمال وما جاء من وراء الكعبة
فهي دبور وما جاء من قبل ذلك فهي صبا ونقل ابن كثير في سورة النور عن ابي حاتم وابن جرير عن عبيد بن عمير الليثي انه قال
يبعث الله المثيرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب ثم يبعث المؤلفة فتؤلف بينه ثم يبعث اللواقح فتلقح
السحاب ولما [illegible] الكشف بما مضى من الايات ما كانوا في ظلامه من واهي الشبهات واتضحت الادلة ولم تبق لاحد في شيء من
ذلك علقة كرر سبحانه الانكار في قوله ءاله مع الله اي الذي كمل علمه فشملت قدرته ولما ذكرها له الاضطرار واتبعها
من صورها ما منه ظلمة البحر وكانوا في البحر يخلصون له سبحانه ويتركون شركاءهم ثم بينهم شركاءهم نبههم على ان ذلك موجب
لاعتقاد كون الاخلاص له واجبا دائما فاتبعه قوله على سبيل الاستعظام معرضا عنهم باجماع الشرع اعراض من بلغ به الغضب
تعالى الله اي الفاعل القادر المختار الذي لا كفؤ له عما يشركون اي فان شيئا منها لا يقدر على شيء من ذلك وان رتبة العجز من
رتبة القدرة ولما رتب سبحانه هذه الادلة على هذا الوجه ترقيا من اعم الى اخص ومن ارض الى سماء ختمها بما يعمهما وغيرها
ارشادا الى قياس ما غاب منها على ما شوهد فلا مرية في ذلك وقطعا لعذرة على الاعادة ساقها لذلك بسياق المشاهد المسلم وعد
من انكره في عداد من لا يلتفت اليه فقال امن يبدؤا الخلق اي كله ما علمتم منه وما لم تعلموا ثم يبين لان كل شيء هالك الا وجهه
له هذا الوصف باعترافكم بتجدد دائما تعلقه ولما كان من اللازم البين لهم الاقرار بالاعادة اعترافهم بان كل من ابدى
شيئا قادر على اعادته لان الاعادة اهون قال ثم يعيده اي بعد ما يبيده ولما كان الامطار والانبات من ادل ما يكون
على الاعادة قال مشيرا اليهما على وجه عم جميع ما مضى ومن يرزقكم من السماء اي بالمطر والحر والبرد وغيرهما مما له سبب في التكون
والتلوين والارض اي بالنبات والمعادن والحيوان وغيرها مما لا يعلمه الا الله وعبر عنهما بالرزق لان به تمام النعمة ءاله مع
الله اي الذي له صفات الجلال والاكرام كائن او يفعل شيئا من ذلك ولما كانت هذه كلها براهين ساطعة ودلائل قاطعة
وانوار لامعة وحججا باهرة وبينات ظاهرة وسلاطين قاهرة على التوحيد المتلازم للقدرة على البعث وغيره من كل ممكن امر صلى الله
عليه وسلم اعراضا عنهم ايذانا بالغضب في اخرها بامرهم بالاتيان ببرهان واحد على صحة معتقدهم فقال قل اي لهؤلاء
المدعين للعقول هاتوا برهانكم اي على نفي شيء من ذلك عن الله تعالى وعلى اثبات شيء منه لغيره لتثبت دعوى الشركة في الخلق فتسمع
دعوى الشركة في الالوهية وليكن اتيانكم بذلك ناجزا من غير مهلة لان من يدعي العقل لا يقدم على شيء الا وبرهانه حاضر ان كنتم صادقين
اي في انكم على حق في ان مع الله غيره واضاف البرهان اليهم اضافة ما كانه عتيد لا كلام في وجوده وتحققه وانما المراد الاتيان به
كل ذلك تهكما بهم وتنبيها على انهم ابعدوا في الضلال واعرقوا في المحال حيث رضوا لانفسهم بتدين لا يصير اليه عاقل الا
بعد تحقق القطع بصحته ولا شبهة في انه لا شبهة لهم على شيء منه ولما كانت مضمونات هذه البراهين متوقفة على
علم الغيب لانه لا يخرج الخبء باختراع الخلق وكشف الضر واحكام التدبير الا به لانه لا قدرة اصلا لمن لا علم له ولا تمام
للقدرة من لا تمام لعلمه كما مضى بيانه في طه وطالبهم سبحانه اخر هذه البراهين بالبرهان على الشرك وكانوا ربما قالوا انه
ستاتي به امر ان يعلموا انه لا برهان لهم عليه بل البرهان قائم على خلافه فقال قل اي لهم ولكل من يدعي دعواهم لا يعلم احد
ولكنه عبر باداة العقلاء فقال من لئلا يخصها متعنت بمن لا يعقل وعبر بالظرف تنبيها على ان المظروف محجوب وكل
ظرف حاجب لمظروفه عن علم ما وراءه فقال في السموات والارض الغيب اي الكامل في الغيبة وهو الذي لم يخرج الى عالم
الشهادة اصلا ولا دلت عليه امارة ليقدر على شيء مما تقدم في هذه الايات من الامور فيعلمه ولما كان الله تعالى
منزها عن ان يحويه مكان جعل الاستثناء هنا منقطعا ومن حق المنقطع النصب كما [illegible] لكنه رفع باجماع
الشرع بدلا على لغة بني تميم فقيل الا الله اي المختص بصفات الكمال كما قيل وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس
بمعنى ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها من الانيس فيكون معنى الآية ان كان الله جل وعلا ممن في السموات والارض

فنهم

ففيهم من يعلم الغيب يعني ان علم احد منهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم ويصح كونه متصلا والظرفية في حقه
سبحانه مجاز بالنسبة الى علمه وان كان فيه جمع بين الحقيقة والمجاز وعلى هذا فيرتفع على البدل او الصفة والرفع افصح
من النصب لانه من منفي وقد عرف بهذا ان كونه لم يقل لا يعلم احد الغيب الا هو وهو التنبيه على المظروفية والحاجة وان
الظرف حجاب لا رب فيه من باب وجعل اي ملك متعلق الظرف خاصة تقديره يذكر وجعل غيره من منقولا والغيب بدل اشتمال
والاستثناء مفرغا ولما كان الخبر الذي لم يطلع عليه احد من الناس قد يخبر به الكهان او احد من الجان من اجواف الاوثان
وكانوا يسمون هذا غيبا وان كان في الحقيقة ليس به لسماعهم له من السماء بعد ما ابرزه الله الى عالم الشهادة للملائكة ومن يريد
من عباده وكانوا ربما تعنتوا به على العبارة وكانت الساعة قد ثبتت امرها وشاع في القرآن وعلى لسان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام واصحابهم رضي الله عنهم ذكرها بحيث صارت بمنزلة ما لا نزاع فيه وكان علم وقتها من الغيب المحض قال وما يشعرون
اي احد ممن في السموات والارض وان اجتمعوا وتعاونوا ايان اي اي وقت يبعثون فمن اعلم بشيء من ذلك على الحقيقة بان صدقه ومن
تخرص ظهر كذبه ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث والكفر قد عم الارض وكانوا قد اكثروا في التكذيب بالساعة والقطع
بالانكار لها بعضهم صريحا وبعضهم لزوما اضلالا له عن منهاج الرسل وكان الذي ينبغي للعاقل الحكيم ان لا يقطع بالشيء الا بعد احاطة
علمه به قال متهكما بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك استهزاء به مشيرا كالنفي شعورهم لها بيانا لكذبهم باضطراب قولهم
بل ادارك اي بلغ وتناهى علمهم في الاخرة اي امرها مطلقا علما وقتها ومقدار عظمتها في هولها وغير ذلك من نعتها لقطعهم بانكارها
وبما لزمهم عليه وتنويع العبارات فيه وتفريع القول في امرهم هذا في قراءة ابن كثير وابي عمرو وكذا في قراءة الباقين اداراك بمعنى تدارك
يعني تتابع واستحكم ولما كانوا مع تصريحهم بالقطع في انكارها كاذبين في قطعهم مرتبكين في جهلهم وقد يعبرون دليلا على انه
لا علم من ذلك عندهم بالشك قال تعالى بل هم في شك ولما كانت لشدة ظهورها لقوة ادلتها كانها موجودة عبر بمن
اي مبتدئ منها ولما كانوا يجزمون بنفيها تارة ويترددون اخرى وكان حقيقة حال من ينكر الشيء تارة على سبيل القطع
واخرى على وجه الشك الوصف بالجهل البالغ به قال بل هم ولما كان الانسان مطبوعا على نقائص موجبة لطغيانه ومبالغته
في العلو في جميع شانه ولا اوهن بتلك النقائص منه الا خوف من عرضه على ديانه فكان اعظم موجب لتماديه في ذلك الطغيان تكذيبه
بالساعة كان تكذيبه بها كانه وحده الموجب لجهله وتماديه على قبيح فعله فقال مقدما للجار منها عمون اي ابتداء عماهم البالغ
الثابت من اضطرابهم بها فضلوا فاعماهم ضلالهم عن جميع ما ينفعهم فصاروا لا ينتفعون بعقولهم بل انعكس نفعها ضرا وخيرها شرا
ونسب ما ذكر لجميع من في السموات والارض لان فعل البعض قد يسند الى الكل لغرض وهو هنا التنبيه على عظمة هذا الامر وانه اي
وصفه وانه يجب على الكل الاعتناء به والوقوف على حقه والتناهي عن باطله اولئك البعض وسكوت الباقي لقصد تهويله او
ان ادراك العلم من حيث التهيؤ له بقيام الادلة التي هي اوضح من الشمس فهم لها في قوة من ادرك علمه بالشيء وهو معرض عنه فقد فوت
على نفسه من الخير ما لا يدري كنهه ثم نزل درجة اخرى بالشك ثم اهلكها بالكلية وانزلها بالعمى عن رتبة البهائم التي لا هم لها
الا لذة البطن والفرج وهذا كمن يسمع باختلاف المذاهب وتضليل بعضهم لبعض فيضلل بعضهم من غير نظر في قوله فيصير خابطا
خبط عشوا ويكون امره على حصة هينا او الشك لاجل ان اعمالهم اعمال الشاك او انهم لعدم علم الوقت بعينه كانهم في شك بل عمى
ولان العقول والعلوم لا تستقل بادراك شيء من امرها وانما يؤخذ ذلك عن الله بواسطة رسله من الملك والبشر ومن اخذ بخبره
شيئا من علمها عن غيرهم ضل ولما كان التقدير لحكاية كلامهم الذي يشعر ببلوغ العلم فقالوا مقسمين جهد ايمانهم لا تاتينا
الساعة عطف عليه ما يدل على الشك والعمى وكان الاصل وقالوا ولكنه قال وقال الذين كفروا اي ستروا دلائل التوحيد والاخرة
التي هي اكثر من ان تحصى واوضح من الضياء تعليقا للحكم بالوصف مستفهمين استفهام المستبعد المنكر ائذا كنا ترابا واباؤنا
وكرروا الاستفهام اشارة الى نهاية الاستبعاد والجحود وعدما استبعد والحال فقالوا ائنا اي نحن واباؤنا الذين طال
العهد بهم وتمكنا لبلائهم لمخرجون اي من مخرج تاما من الحالة التي صرنا اليها من الموت والبلى الى ما كنا عليه قبل ذلك من الحياة
والقوة ثم اقاموا الدليل في زعمهم على ذلك فقالوا تعليلا للاستبعاد بهم لقد وعدنا ولما كانت العناية في هذه السورة
بالايمان بالاخرة قدم قوله هذا اي الاخراج من القبور كما كنا اول مرة على قوله نحن وآباؤنا بخلاف ما سبق في سورة المؤمنين
وقالوا من قبل زيادة في الاستبعاد اي انه قد مرت الدهور على هذا الوعد ولم يقع منه شيء فذلك دليل على انه لا حقيقة له
فكانه قيل فما المراد به فقالوا ان اي ما هذا الا اساطير الاولين اي مما سطروه كذبا لامر لا نعرف مرادهم منه ولا حقيقة
لمعناه فقد حط كلامهم هذا كما ترى على انهم تارة في غاية الانكار وذاب المحيط العلم وتارة يستبعد وذلك داب الشاك المرتب
الجهل الجدير بالتهكم كما مضى انه معنى الاضرابات والله الموفق ولما لم يبق بعد هذا الذي اقامه من دلائل القدرة على
كل شيء عموما وعلى البعث خصوصا مقال يردع عن الغي الا التهديد بالنكال وكان كلامهم هذا موجبا للنبي صلى الله عليه وسلم
من الغم والكرب ما لا يعلمه الا الله قال سبحانه ملقنا له ومرشدا لهم في صورة التهديد قل سيروا في الارض اي ايها المعا

او العمى الجاهلون ولما كان المراد الاسترشاد للاعتقاد والرجوع عن الغى والعناد بكون السياق له لا لمجرد التهديد قال
فانظروا بالنا المقتضية للاسراع وعظم المامور بنظره بجعله اهلا للعناية به والسؤال عنه فقال كيف كان اى كونا هو فى غاية
المكنة عاقبة المجرمين اى القاطعين لما امر الله به ان يوصل من الصلاة التى هى الوصلة بين الله وبين عباده والزكاة التى هى وصلة
بين بعض العباد وبعض لتكذيبهم بالاخرة الرسل الذين هم الهداة الى ما لا تستقل به العقول فكذبوا بالاخرة التى يحمل التصديق بها
كل هدى ويورث التكذيب بها كل عمى كما تقدمت الاشارة اليه فى افتتاح السورة فانكم ان نظرتم ديارهم وتاملتم اخبارهم حق التامل
اسرع بكم ذلك الى التصديق فنجوتم والا هلكتم فلم تضروا الا انفسكم وقد تقدم لهذا مزيد بيان فى النحل ولما دم النبى
صلى الله عليه وسلم من الاسف على جلافتهم فى عماهم عن السبيل الذى هدى اليه الدليل ما لا يعلمه الا الله قال ولا تحزن عليهم اى فى
عدم ايمانهم ولما كانوا لا يقتصرون على التكذيب بل يبغون للمؤمنين الغوايل وينصبون الحبايل قال ولا تكن مثبتا النون
لانه فى سياق الاخبار عن عنادهم واستهزائهم مع كفايته سبحانه لمكرهم بما اعد لهم من سوء العذاب فى الدارين فلا مقتضى للتسامح
فى الايجاز والابلاغ فى نفى الضيق فيفهم اثبات النون الرسوخ فلا يكون منهيا عما لا ينفك عنه البشر مما اشار اليه قوله تعالى ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وانما نهى عن التمادى معه بالفكر بخلاف ما مضى فى النحل فان السيا[ق] هناك للعدل فى العقوبة
بما وقع من المصيبة فى غزوة احد المقتضى لتعظيم التسلية بالحمل على عظيم الصبر ونفى جميع الضيق ليكون ذلك وازعا عن مجاوزة
الحد بل حاملا على العفو فى ضيق اى فى الصدر مما يمكرون فان الله جاعل تدميرهم فى تدبيرهم كطغاة قوم صالح ولما
اشار الى انهم لم يبقوا فى المبالغة فى التكذيب بالساعة وجها اشار الى انهم بالوعيد بالساعة وغيرها من عذاب الله اشد مبالغة
فقال ويقولون بالمضارع المؤذن بالتجدد كل حين للاستمرار متى هذا الوعد وسموه وعدا اظهارا للمحبة تهكما به وهو
العذاب والبعث والمجازاة ان كنتم اى انت ومن تبعك كونا هو فى غاية الرسوخ كما تزعمون صادقين فاجابهم على هذا الجواب
النقض بجواب الواسع القادر الذى لا يعتريه ضيق ولا تنوبه عجلة مشيرا الى الاستعداد للدفاع او الاستسلام
لذى الجلال والاكرام كما فعلت بلقيس رضى الله عنها فقال مخاطبا الراس الذى لا يقدر على هذه التؤدة حق القدر غيره
قل يا محمد عسى اى يمكن ان يكون وخليق وجدير بان يكون ردف اى تبع ودنا حتى صار كالرديف ولحق ولما قصر الفعل
وضمنه معنى ما يتعدى باللام لاجل الاختصاص قال لكم اى لاجلكم خاصة بعض الذى تستعجلون اتيانه من الوعيد فتطلبون تعجيله
بعض الذى تستعجلون له فعلى تقدير وقوعه ماذا اعددتم لدفاعه فان العاقل من ينظر فى عواقب اموره ويبنيها على اسوأ التقادير
فيعد لما يتوهمه من البلاء ما يكون فيه الخلاص كما فعلت بلقيس رضى الله عنها من الانقياد الموجب للامان لما غلب على ظنها ان الاباء
يوجب الهوان لا كما فعل قوم صالح من الاباء الذى اعانت على الدمار وغيرهم من الفراعنة ولما كان التقدير قطعا فان ربك
لا يعجل على اهل المعاصى بالانتقام مع القطع بتمام قدرته عطف عليه وان ربك اى المحسن اليك بالحلم عن امتك وترك
المعاجلة لهم بالعذاب على المعاصى لذو فضل اى تفضل وانعام على الناس اى كافة ولكن اكثرهم لا يشكرون اى لا يوقعون
الشكر له بما انعم عليهم ويزيدون فى الجهل بالاستعجال ولما كان الامهال قد يكون من الجهل بذنوب الاعداء قال نافيا لذلك
وان ربك اى والحال انه ليعلم اى علما لا يشبه علمكم بل هو فى غاية الكشف لدقيقه وجليله ما تكن اى تضمر
وتستر وتخفى صدورهم اى الناس كلهم فضلا عن قومك وما يعلنون اى يظهرون من عداوتك فلا تخشهم وذكر هذا القسم
لان التصريح اقر للنفس والمقام للاطناب على انه ربما كان فى الاعلان لغط واختلاط اصوات تكون سببا للخفا ولما
كان ربما ظن ظان ان علم الناس فى الغالب مقيد بالكتاب قال تقريبا لافهامهم وما من غائبة اى من هنة من الهنات فى غاية الغيبوبة
فى السماء والارض اى فى اى موضع كان منهما وافردهما دلالة على ارادة الجنس الشامل لكل فرد الا فى كتاب كتبه قبل ايجادها
لانه لا يكون شئ الا بعلمه وتقديره مبين لا يخفى شئ فيه على من يعرف ذلك منه كيف ما كان ثم دل على ذلك بقوله ان هذا القران
اى الاتى به هذا النبى الامى الذى لم يعرف قبله علما ولا خالط عالما يقص اى يتابع الاخبار ويتلوا شيئا فشيئا على سبيل
القطع الذى لا تردد فيه من غير زيادة ولا نقص على بنى اسرائيل اى الذين اخبارهم مضبوطة فى كتبهم لا يعرف بعضها الا قليل
من حذاق احبارهم اكثر الذى هم اى خاصة لكونه من خاص اخبارهم التى لا علم لغيرهم بها فيه يختلفون اى من امر الدين وان
تالفوا فى كتمه كقصة الزانى المحصن فى اخفائهم ان حده الرجم وقصة عزير والمسيح واخراج النبى صلى الله عليه وسلم لذلك
من توراتهم فصح بحقيته على لسان من لم يلم بعلم قط انه من عند الله وصح ان الله تعالى يعلم كل شئ اذ لا خصوصية لهذا دون
غيره بالنسبة الى علمه سبحانه ولما بان بهذا دليل علمه اتبعه دليل فضله وحلمه فقال وانه اى القران لهدى
اى موصل الى المقصود لمن وفق ورحمة اى نعمة واكرام للمؤمنين اى الذين طبعتهم على الايمان فهو صفة لهم راسخة كما
انه للكافرين وقر فى اذانهم وعمى فى قلوبهم ولما ذكر دليل فضله اتبعه دليل عدله فقال مستانفا جواب من ظن
ان فضله دايم العموم على الفريقين ان ربك اى المحسن اليك بجمعه لك بين العلم والبلاغة والدين والبراعة والدنيا

والعفة

والعفة والشجاعة تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم يقضى بينهم اى بين جميع المختلفين بحكمه اى الذى هو اعدل الحكم واتقنه
وانفذه واحسنه مع كفرهم به واستهزائهم برسله لا يحكم غيره ولا ينابيب يستعقبه وهو اى والحال انه هو العزيز
فلا يرد له امر العليم فلا يخفى عليه سر ولا جهر فلما ثبت له العلم والحكمة والعظمة والقدرة تسبب عن ذلك
قوله فتوكل على الله اى الذى له جميع العظمة بما ثبت من علمه وقدرته التى اثبت بها انك اعظم عباده الذين اصطفى فى استهزاء
الاعداء وغيرهم من مضارهم ومسائلتهم لتدع الامور كلها اليه وتستريح من حمل المشاق وتوقا بنصره وما احسن قول تميم بن
الحطيم وهو جاهلى: متى ما نقد بالباطل الحق يابه • وان نقد الاطواد بالحق تنقد • ثم علل ذلك كحما
على التحرى فى الاعمال وقطعا لاهل الابطال عن تمنى المحال فقال انك على الحق المبين اى البين فى نفسه الموضح لغيره فحقك لا
يبطل ووضوحه لا يخفى ونكوصهم ليس عن خلل فى دعايك لهم وانما الخلل فى مداركهم فثق بالله فى تدبير امرك فيهم ثم علل هذا الذى
ارشد السياق الى تقديره او استانف لمن يسال متعجبا عن توقفهم عن الحق الواضح بقوله انك لا تسمع الموتى اى لا توجد سمعا للذين هم
كالموتى فى عدم الانتفاع بمشاعرهم التى هى فى غاية الصحة وهم اذا سمعوا الايات اعرضوا عنها ولما كان تشبيههم بالموتى مو
قال مرجيا ولا تسمع الصم الدعاء اى لا تجدد ذلك لهم فشبههم بما فى اصل خلقهم مما جبلوا عليه من الشكاسة وسوء الطبع بالصم
ولما كانوا قد ضموا الى ذلك الاعراض والنفرة فصاروا كالاصم المدبر وكان الاصم اذا اقبل ربما سمع بمساعدة بصره
وفهمه قال اذا ولوا مدبرين فرجاؤه فى ايجاد الاسماع اذا حصلت لهم حالة من الله تقبل بقلوبهم ولما شبههم بالصم
فى كونهم لا يسمعون الا مع الاقبال مثلهم بالعمى فى انهم لا يهتدون من غير عوج اصلا الا ابرابع لا تشغله عنهم فترة ولا ملال فقال
وما انت بهادى اى بموجد الهداية على الدوام فى قلوب العمى اى فى ابصارهم وبصايرهم رتب عليها الكفر عاليا كابى جهل ووسطيا
كعتبة بن ربيعة ودنيا كابى طالب وبعض المنافقين وسياتى فى سورة الروم لهذا مزيد بيان ولما كان هذا ربما
اوقف عن دعائهم رجاءه فى انقيادهم وارعوائهم بقوله ان اى ما تسمع اى سماع انتفاع على وجه الكمال فى كل حال الا من يؤمن
اى من علمنا انه يصدق باياتنا بان جعلنا فيه قابلية السمع ثم سبب عنه قوله دليلا على ايمانه فهم مسلمون اى فى غاية الطواعية
لك فى المنشط والمكره لا حرج لهم ولا ارادة فى شئ من الاشيا ولما فرغ من عظيم زجرهم بتسليته صلى الله عليه وسلم فى امرهم
وختم بالاسلام عطف عليه ذكر ما يوعدون مما تقدم استعجالهم له استهزاء به وبراهنه بالدابة التى تميز المسلم من غيره فقال محققا
له باداة التحقيق واذا وقع القول اى حان حين وقوع الوعيد الذى هو معنى القول وكانه لعظمه لا قول غيره عليهم بعضه
بالايات حقيقة وبعضه بالقرب جدا اخرجنا اى بما لنا من العظمة لهم من اشراط الساعة دابة واى دابة فى هولها وعظمها خلقا
وخلقا من الارض اى ارض مكة التى هى ام الارض لانهم لم يبق بعد ارسال اكمل الخلق باعلى الكتب الا كشف الغطا ولما كان التعبير
بالدابة يفهم انها كالحيوانات العجم لا كلام لها قال تكلمهم اى بكلام يفهمونه روى البغوى من طريق مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى
الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى
وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا ومن طريق ابن خزيمة عن ابى سريحة الغفارى رضى الله عنه ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة
ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية ثم بينا الناس يوما فى اعظم المساجد
على الله عز وجل حرمة واكرمها على الله عز وجل يعنى المسجد الحرام لم يرعهم الا وهى فى ناحية المسجد تدنوا وتدنوا كذا قال عمرو يعنى ابن
محمد العنقزى احد رواة الحديث ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة
عرفوا انهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية
ثم ولت فى الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان
الان تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه فيتجاور الناس فى ديارهم ويصطحبون فى اسفارهم ويشتركون فى
الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن ويقال للكافر يا كافر ومن طريق الامام احمد عن ابى هريرة رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة ومعها عصى موسى وخاتم سليمن عليهما السلام فتجلوا وجه المؤمن بالعصا
وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر ثم علل سبحانه اخراجها بقوله
ان الناس اى عامتهم ناس لم يصلوا الى اول اسنان الايمان وهو سن الذين امنوا بل هم ناسون مترددون مذبذبون تارة وتارة
كانوا اى كونا هو لهم كالجبلة باياتنا اى المرئيات التى كتبناها بعظمتنا فى ذوات العالم والمسموعات المتلوات
التى ابتناهم بها على السنة اكمل الخلق الانبيا والرسل حتى ختمناهم بامامهم الذى هو اكمل العالمين قطعا لحجاجهم وردا لهم
عن لجاجهم ولذا عممنا برسالته واوجبنا على جميع العقلا اتباعه لا يوقنون من اليقين وهو اتقان العلم بنفى الشبه
بل هم فيها من لدن لم يبق بعده صلى الله عليه وسلم الا كشف الغطا عما ليس من جنس البشر مما لا تثبت له عقولهم ولما

كان من فعل الدابة التمييز بين المؤمن والكافر بما لا يستطيعون دفعه تلاه بتمييز كل فريق منهما عن صاحبه بجمعهم يوم القيمة في ناحيه
وسوقهم من غير اختلاط بالفريق الآخر فقال عاطفا على العامل في واذا وقع القول ويوم نحشر اي نجمع بما لنا من العظمة على وجه الاكراه
قال ابو حيان الحشر الجمع على عنف من كل امة فوجا اي جماعة كثيرة ممن يكذب اي يوقع التكذيب للهداة على الاستمرار مستهينا بآياتنا
اي المرئية بعدم الاعتبار لها والمسموعة بردها والطعن فيها على ما لها من العظمة باضافتها الينا واشار الى كثرتهم بقوله مسببا عن العامل
في الظرف من نحو يكونون في حد عظيم فهم يوزعون اي يكف بادنى اشارة منه اولهم على آخرهم واطرافهم على اوساطهم ليتلاحقوا ولا
يشذ منهم احد ولا يزالون كذلك حتى اذا جاءوا اي المكان الذي اراده الله لتبكيتهم قال لهم ملك الملوك غير مظهر لهم الجزم
بما يعلمه من احوالهم في عنادهم وضلالهم بل سائلا لهم ومواعلما بهم اظهارا للعدل الزاما لهم بما يعترفون به من انفسهم وفيه انكار وتوبيخ
وتبكيت وتقريع أكذبتم اي ايها الجاهلون بآياتي على ما لها من العظم في انفسها وباتيانها اليكم على ايدي اشرف عبادي والحال
انكم لم تحيطوا بها علما اي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى الاحاطة بها في معانيها وما اظهرت لاجله حتى تعلموا انما تستحقه ويليق
لها بدليل لامرية فيه أمّاذا كنتم اي في تلك الازمان بما هو لكم كالجبلات تعملون فيها هل صدقتم بها او كذبتم بعد الاحاطة
بعلمها اخبروني عن ذلك كله ما دهاكم حيث لم تشتغلوا بهذا العمل المهم فان هذا وعن في مقام العدل والتحرير لا يترك فيه
قطمير ولا نقير ولا ظلم فيه على احد في جليل ولا حقير ولا قليل ولا كثير والسؤال على هذا الوجه منبه على الاضطرار الى النقص
او الاعتراف بالابطال لانهم ان قالوا لله معاماتان قالوا مع عدم الاحاطة كان في غاية الوضوح في الابطال وان قالوا مع الاحاطة
كان اكذب الكذب ولما كان التقدير بما ارشد اليه السياق فاجابوا بما تبين به انهم ظالمون عطف عليه قوله ووقع القول
اي مضمون الوعيد الذي هو القول حقا مستعليا عليهم بما ظلموا اي بسبب ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب وما تشاغبه من
الضلال في الاقوال والافعال فهم لا ينطقون اي بسبب ما شغلهم من وقوع العذاب المتوعد به مما احاط بقواهم فهدّ اركانهم
وما انكشف لهم من انه لا ينجيهم شيء ولما ذكر الحشر اتبعه دليله بحشرهم كل ليلة الى المبيت والختم على مشاعرهم وبعثهم من
المنام واظهار الظلام الذي هو كالموت بعد النور وبعث النور بعد افنائه بالظلام فقال ألم يروا بما لهم من قدرتنا
على بعثهم بعد الموت وعلى كل ما اخبرناهم به إنا جعلنا اي بعظمتنا التي لا يصل احد الى مماثلة شيء منها الدالة على تفردنا وفعلنا
بالاختيار الليل اي مظلما ليسكنوا فيه عن الانتشار والنهار مبصرا اي بابصار من لابسه لينتشروا فيه في معايشهم بعد
ان كانوا اماتوا الموتة الصغرى وكم بحي منهم بات سويا لا قلبه به فمات ولو شئنا لجعلنا الكل كذلك لم يبق منهم احد وعدل
لتبصروا فيه تنبيها على كمال كونه سببا للابصار وعلى انه ليس المقصود كالسكون بل وسيلة المقصود الذي هو جلب المنافع فالآية
من الاحتباك ذكر السكون اولا دليل على الانتشار ثانيا وذكر الابصار ثانيا دليل على الاظلام اولا ثم عظم هذه الآية حثا على تامل
ما فيها من القدرة الهادية الى سواء السبيل فقال إن في ذلك اي الحشر والنشر الاصغر من آيتي الليل والنهار لآيات
اي متعددة بينة على التوحيد والبعث الآخر والنبوة لان من قلب الملوين لمنافع الناس اهل لان يبعث الرسل لمنافعهم في الدارين
ولما كان من مبادئ السورة تخصيص الهداية بالمؤمنين خصهم بالآيات لاختصاصهم بالانتفاع بها وان كان الكل مشتركين في
كونها دلالة لهم فقال لقوم يؤمنون اي قضيت بان ايمانهم لا يزال يتجدد لهم كل يوم في علو وارتقا ولما ذكر هذا الحشر
الخاص والدليل على مطلق الحشر ذكر الحشر العام لئلا يظن انه انما يحشر الكافر فقال مشيرا الى عمومهم بالموت كما عمهم بالنوم وعمومهم
بالاحياء كما عمهم بالايقاظ ويوم ينفخ محققا اي بايسر امر في الصور القرن الذي جعل صوته لاماتة الكل ولما كان
ما ينشأ عنه من فزعهم مع كونه محققا في آن واحد اشار الى ذلك وسرعة كونه بالتعبير بالماضي فقال ففزع اي صعق بسبب هذا
النفخ من في السموات ولما كان الامر مهولا كان الاطناب اولى فقال ومن في الارض اي كلهم الا من شاء الله اي المحيط علما
وقدرة وعزة وعظمة ان لا يفزع ثم اشار الى النفخ لاحياء الكل بقوله وكل اي من فزع ومن لم يفزع اتوه اي بعد ذلك للحساب
بنفخة اخرى يقيمهم بها دليلا على تمام القدرة في كونه اقامهم بما به اماتهم داخرين اي صاغرين منكسرين واستغنى عن التصريح
به بما يعلم بالبديهة من انه لا يمكن اتيانهم في حال فزعهم الذي هو كناية عن بطلان احساسهم هذا معنى ما قاله كثير من المفسرين
والذي يناسب سياق الآيات الماضية من كون الكلام في يوم القيمة الذي هو ظرف لما بين البعث ودخول الفريقين الى داريهما ان
يكون هذا النفخ بعد البعث بمجرد صعق هو كالغشي كما ان حشر الافواج كذلك ويؤيده التعبير بالفزع ويكون الاتيان بعد نفخة اخرى
تكون لها الافاقة فهما نفختان حينئذ مما المراد من قوله صلى الله عليه وسلم يصعق الناس يوم القيمة الحديث وسيأتي الكلام
عليه ان شاء الله لفظا ومعنى وتحل ما فيه من اشكال في آخر سورة الزمر ولما ذكر دخورهم تلاه بدخور ما هو اعظم منهم
خلقا واهول امرا فقال عاطفا على ناصب الظرف مما تقديره كانت امور مهولة معبرا بالمضارع لان ذلك وان شارك الفزع في
التحقق فارقه في الحدوث والتجدد شيئا فشيئا وترى الجبال اي عند القيام من القبور والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم
ليدل ذلك لكونه صلى الله عليه وسلم انفذ الناس بصرا وانورهم بصيرة على عظم الامر واما لكل احد لان الكل صاروا بعد قيامهم

اهلا للخطاب بعد غيبتهم في التراب تحسبها جامدة اي قائمة ثابتة في مكانها لا تتحرك لان كل كبير متباعد الاقطار لا يدرك
مشيه الا تحرصا وهي تمر اي تسير حتى تكون كالعهن المنفوش فينسفها الله فتقع حيث شاء كانها الهباء المنثور فتستوي بها
الارض كلها بحيث لا يكون فيها عوج واشار الى ان سيرها خفي وان كان حثيثا بقوله مر السحاب اي مرا سريعا لا يدرك على ما هو
عليه لانه اذا اطبق الجو لا يدرك سيره مع انه لا شك فيه والا لم ينكشف الشمس بلا لبس وكذا كل كبير الجرم او كثير العدد يقصر عن
الاحاطة به لبعد ما بين اطرافه بكثرته البصر يكون سائرا او الناظر الحاذق فطنته ولما كان ذلك امرا هائلا اشار
الى عظمته بقوله موكدا لمضمون الجملة المتقدمة صنع الله اي صنع الذي له الامر كله ذلك الذي اخبر انه كائن في ذلك اليوم صنعا
ونحو هذا المصدر اذا جاء عقب الكلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده والصادح بعلو مقداره وانه ما كان ينبغي ان يكون
الا هكذا ثم زاد في التعظيم بقوله الذي اتقن كل شيء ولما ثبت هذا على هذا الوجه المتقن والنظام الامكن انتج قطعا
قوله انه اي الذي احكم هذه الامور كلها خبير بما تفعلون اي لان الاتقان نتيجة القدرة وهي نتيجة العلم فمن لم يكن شامل العلم لم
يكن تام القدرة وعبر بالفعل الذي هو اعم من ان يكون بعلم او لا لانه في سياق البيان لعمايتهم ونفي العلم عنهم وقرى بالخطاب المؤذن
بالقرب المرجى للرضا المرهب من الابعاد المقرون بالسخط وبالغيبة المؤذنة بالاعراض الموقع في الخيبة وما ابدع ما لاءمه
ولاحمه ما بعده على تقدير الجواب لسؤال من كانه قال ماذا يكون حال اهل الحشر مع الدخور عند الناقد البصير فقال من اتقنا
للاشيا انه رتب الجزاء احسن ترتيب من جاء بالحسنة اي الكاملة وهي الايمان فله وهو من جملة احكامه للاشيا خير اي افضل
منها مضاعفا او قل ما يكون عشر اضعاف الى ما لا يعلمه الا الله واكرمت وجوههم عن النار وهؤلاء اهل القرب الذين
سبقت لهم الحسنى وهم من فزع يومئذ اي اذ وقعت هذه الاحوال العظيمة الاهوال آمنون اي حتى لا يحزنهم الفزع الاكبر
فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه واخذ بعضه بحجز بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى
واخرس الشقاشق والادعا ومن جاء بالسيئة اي التي لا سيئة مثلها وهي الشرك لقوله فكبت اي بايسر امر وجوههم في
النار مع انه ورد في الصحيح ان مواضع السجود التي اشرفها الوجه لا سبيل للنار عليها والوجه اشرف ما في الانسان فاذا هان
كان ما سواه اولى بالهوان والمكتوب عليه منكوس ولما كانوا اذا نكسوا اعمالهم وعكسوها بعبادة غير الله فوضعوا
الشيء في غير موضعه فعظموا ما حقه التحقير واستهانوا امر العلي الكبير وكان الوجه محل ظهور الحياء والانكسار لظهور الجهة
وكانوا اذا جحدوا الاعين جلادة وجفاء عند العناد واظهروا في الوجوه التجهم والعبوس والاربداد بدع قوله بناء على ما
تقديره بما دل عليه الاحتباك وهم من فزع يومئذ خائفون وليس لهم الا امثل ستهم مقولا لهم هل تجزون اي من نفس الوجوه
في النار وبني للمفعول لان المرغب المرهب الجزاء لا كونه من معين واشارة الى انه يكون بايسر امر من كل من امر بذلك لان من المعلوم
ان الجازي هو الا ما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة تعملون اي تكررون عمله وانتم تزعمون انه على قواعد العلم بحيث يشهد كل من
راه انه مماثل لاعمالكم سواء بسواء وهو شامل ايضا لاهل القسم الاول والآية من الاحتباك ذكر الخيرية والامن اولا دليلا
على حذف المثل والخوف ثانيا والكب في النار ثانيا دليلا على الاكرام عنه اولا ولما اتم امر الدين بذكر الاصول
الثلاثة المبدا والمعاد والنبوة ومقدمات القيمة واحوالها وبعض صفتها وما يكون من اهوالها وذلك كمال ما يتعلق باصول
الدين على وجوه مرغبة اتم ترغيب مرهبة اعظم ترهيب اوجب هذا الترغيب والترهيب لكل سامع ان يقول فما الذي نعمل
ومن نعبد فاجابه المخاطب بهذا الوحي المامور بابلاغ هذه الجوامع الداعي لمن سمعه الهادي لمن تبعه بانه رضي له ما رضي لنفسه
وهو ما امر به ربه فقال إنما امرت اي بامر من لا يرد له امر ولا يسعه ان يكون بدلا من قوله الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى فيكون محله نصبا بقل وعظم المامور به باحلاله محل العمدة فقال أن اعبد اي بجميع ما امركم به رب اي موجد ومدبر
وملك وعين المراد وشخصه وكربه تشريفا وتكريما بقوله هذه البلدة اي مكة التي تخرج الدابة منها فيفزع كل من راها ثم
يؤمن اهل السعادة اخصه بذلك اعبد شيئا مما عدلتموه به سبحانه وادعيتم انهم شركاء وهم من جملة ما خلق ثم وصف المعبود
الذي يا امر بعبادته احد غيره بما يقتضيه وصفا للربوبية وتعيين البلدة التي اشار اليها باداة القرب لحضورها في الاذهان
لعظمتها وشدة الالف بها وارادتها بالارض التي تخرج الدابة منها فصارت لذلك بحيث اذا اطلقت البلدة انصرفت اليها
وعرف انها مكة فقال الذي حرمها اي ذكر لهم نعمته سبحانه عليهم وتربيته لهم بان اسكنهم خير بلاده وجعل لهم بذلك بها
في قلوب عباده بما القى في القلوب من انها حرم لا يسفك بها دم ولا يظلم احد ولا يباح صيد ولا يعضد شجر وخصها بذلك من
بين سائر بلاده والناس يتخطفون من حولهم وهم آمنون لا ينالهم شيء من فزعهم وهولهم ولما كانت اضافتها اليه انما هي
لمحض التشريف قال احترازا عما لعله يتوهم وله كل شيء اي من غيرها مما اشركتموه به وغيره خلقا وملكا وملكا وليس هو كالملوك
الذين ليس لهم الا ما حموه على غيرهم ولما كانوا ربما قالوا ونحن نعمل بعبادة من نرجو ان يقربنا اليه زلفى عين الدين الذي يكون
به العبادة فقال وامرت اي مع الامر بالعبادة له وحده وعظم المفعول المامور به بجعله عمدة الكلام بوصفه موضع الفاعل

فقال اى اكون فى غاية الرسوخ من المسلمين اى المنقادين لجميع ما يامر به كتابه ثم اتبعا دابنا على ذلك غاية الثبات ٧ ﻫ
[…] نفسه اتبعه ما ثمرة ايدته غيره فقال وان اتلوا القرآن اى او اطبع على تلاوته وتلوه اى اتباعه د
[…] رسالته اليهم مما لا يلم به ريب فى انه من عنده ولا كون مستحضرا لاوامره فاعمل بها ولنواهيه فاجتنبها
[…] فى كل امر عليه لانه جامع لكل علم فتسبب عن ذلك ان من انقاد له نجى نفسه ومن استعصى عليه
[…] مسليا وموبخا ومرغبا ومرهبا فمن اهتدى اى باتباع هذا القرآن الداعى الى الجنان فانما
[…] بجوزة الثواب ونجاته من العقاب فانما انا من المبشرين فبشره بانه من الناجين ومن ضل اى عن
[…] غير ميل ولا عوج فقل اى له كما تقول لغيره انما انا من المنذرين اى المخوفين له عواقب صنعه انذره
[…] ورده. فلم امر به الآن فالاتيان لاحباط ذكرا ولان نفع الهداية خاص بالمهتدى دليلا على الضلال
[…] ثانيا وذكر قصره صلى الله عليه وسلم على النذارة ثانيا دليلا على قصره على البشارة اولا وقل
[…] ترجية وترهيبا الحمد اى الاحاطة باوصاف الكمال لله اى الذى له العظمة كلها سواء اهتدى
[…] المهتدى وضال لانه لا يخرج شىء عن مراده ولما كانت نتيجة ذلك القدرة على كل شىء قال سيريكم
[…] تحقق لاشك فى وقوعه آياته اى الدالة لكم عما انتم فيه يوم يحل لى هذه البلدة الذى حرمها بما
[…] وغير ذلك بما يظهر من وقائعه ويشهر من ايامه التى صح او لوح بها القرآن فيأتيكم تأويله فترونه
[…] اى بتذكركم ما توعدكم الآن به واصفه لكم منها لا تشكون فى شىء من ذلك انه على ما وصفته ولا ترتا
[…] وابانه ايات الكتاب الذى هو الفرقان وترون ذلك حق اليقين ولتعلمن نباه بعد حين يوم ياتى
[…] رسل ربنا بالحق هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون كان قد نعى لهم بالبين
[…] له صلى الله عليه وسلم وما ربك بتاركهم على هذا الحال من العناد لان ربك قادر على ما يريد عطف
[…] اليك بجميع ما امامك فيه من هذه الامور العظيمة والاحوال الجليلة الجسيمة بغافل عما تعملون
[…] زواجر ويجوز ان يكون الجملة حالا من فاعل يرى اى يريكم غير غافل ومن قرا بالخطاب كان المعنى
[…] وهم من المعصية فيجازى كلا منكم بما يستحق فيعلى امرك ويشد ازرك ويوهن ايديهم ويضعف
[…] نفوذ الكلمة فلا يظن ظان ان تركه للمعاجلة بعقابهم لغفلته عن شىء من اعمالهم وانما ذلك لانه
[…] لا يبدل القول لديه فقد رجع اخرها كما ترى بابانة الكتاب وتفخيم القرآن وتعظيم
[…] اولها وعانق ختامها ابتداها بحكمة منزلها وعلم مجملها ومفصلها الى غير ذلك مما يظهر عند
[…] مقصودها التواضع لله المستلزم لرد الامر كله اليه الناشئ عن الايمان
[…] محمد صلى الله عليه وسلم الثابتة باعجاز القرآن المظهر للخفايا على لسان من لم يعلم علما قط
[…] به وذلك هو الماخوذ من تسميتها بالقصص الذى حكم لاجله شعيب بعلو الكلم عليهما
[…] عاداه فكان المآل وفق ما قال بسم الله الذى احتقر بالكبرياء والعظمة فالبس خزامه
[…] بنعمة البيان حتى اهل الكفران الرحيم الذى خص بنعمه ما بعد البعث اهل الايمان ٧ ﻫ ٧
[…] المؤكد بانه يظهر اياته فتعرف وانه ليس بغافل عن شىء تهديدا للظالم وتثبيتا للعالم وكان
[…] الاساليب المعجز من خفايا ما علموا اهل الكتاب فلا يعتدون على ردة ومن الثانى ما صنع بفرعون
[…] كثيرا بالطاء المليحة بالطهر والطيب الى خلاص لبنى اسرائيل بعد طول ابتلائهم المظهر لهم عظمته
[…] والسيادة الى ان ذلك يكون بمسموع من الوحى من ذى طوى من طور سينا قديم وبالميم المهيئة للملك
[…] لكله تام عميم كانت هذه اشارات عالية وما بعدها نظوم لاوضح الدلالة
تلك اى الايات العالية الشان آيات الكتاب اى المنزل على قلبك الجامع لجميع المصالح الدنيوية د
[…] الكاشف الموضح المظهر لانه من عند من عنده لا من عند شك ولكل ما يحتاج اليه من ذلك وغيره عند من يجعله
[…] السمع وهو شهيد ثم اقام الدليل على ابانته وانه يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم
[…] قصة موسى عليه السلام من الدقائق التى قل من يعلمها من حذاقهم على وجه يعلم بما انعم به من فرعون
[…] به على موسى عليه السلام واتباعه ولذلك بسط فيها من امور القصة ما لم يبسط فى غيرها
ولما […] متتابعا متواليا بعضه فى اثر بعض عليك بواسطة جبريل عليه السلام
[…] دار العظمة بيانا للايات بعلم الجليات والخفيات والمحاسبة والمجازاة لجميع العباد
[…] بعض خبرهما العظيم ملتبسا هذا النبا وكائنا بالحق اى الذى يطابقه الواقع فانا ما اخبرنا

فيه

فيه بمستقبل الا طابقه الكائن عنده وقوعه ونبه على ان هذا البيان كما سبق انما ينفع اولى الاذعان بقوله لقوم يؤمنون
اى يجددون الايمان فى كل وقت عند كل حادثة لثبات ايمانهم فعلم ان المقصود منها هنا الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
النبى الامى بالاطلاع على المغيبات والتهديد بعلمه المحيط وقدرته الشاملة وانه ما شاء كان ولا مدفع لقضائه ولا ينفع حذر من
قدره فصح انها دليل على قوله تعالى اخر النمل سيريكم اياته فتعرفونها الاية ولذلك لخصت رؤوس اخبار القصة فذكرت فيها
امهات الامور الخفية ودقائق اعمال من ذكر فيها من موسى عليه السلام وامه وفرعون وغيرهم الى ما تراه من الحكم التى لا يطلع عليها
الا عالم بالتعلم او بالوحى ومعلوم لكل مخاطب بذلك انتفاء الاول عن المنزل عليه هذا الذكر صلى الله عليه وسلم فانحصر الامر
فى الثانى يوضح لك هذا المرام مع هذه الاية الاولى التى ذكرتها قوله تعالى فى اخر القصة وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب
الطور واتباع القصة بقوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون فالمراد بهذا السياق منها كما ترى غير ما تقدم من
سياقاتها كما مضى ولا ينكر فى شىء من ذلك والله الهادى وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تضمن قوله سبحانه انما امرت
ان اعبد رب هذه البلدة الى اخر السورة من التخويف والترهيب والانذار والتهديد ما انجر معه الاشعار بانه عليه السلام
سيملك مكة ويفتحها الله تعالى عليه ويذل عتاة قريش ومتمرديهم ويعز اتباع رسوله عليه السلام ومن استضعفته قريش
من المؤمنين اتبع سبحانه ذلك بما قصه على نبيه من نظير ما اشار اليه من قصة بنى اسرائيل وابتداء امتحانهم بفرعون واستيلائه
عليهم وفتكه بهم الى ان اعزهم الله واظهرهم على عدوهم واورثهم ارضهم وديارهم ولهذا اشار تعالى فى كلا القصتين بقوله
فى الاولى سيريكم اياته فتعرفونها وفى الثانية بقوله ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ثم قص
ابتداء امر فرعون وحذره واستعصامه بقتل ذكور الاولاد ثم لم يغن ذلك عنه من قدر الله شيئا ففى حاله عبرة لمن وفق
للاعتبار ودليل انه سبحانه المنفرد بملكه يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء لا ينزعه وازع ولا يمنعه مانع قل اللهم
مالك الملك وقد افصح قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الاية بما اشار اليه مجملا ايضاحا
ان قوله تعالى معلما
اتصاله من خاتمة النمل وفاتحة القصص ونحن نزيده بيانا بذكر لمع من تفسير ما قصد […]
لنبيه صلى الله عليه وسلم وامرا انما امرت ان اعبد الى قوله سيريكم اياته لا اخفى بما تضمن ذلك من التهديد وشديد الوعيد
ثم فى قوله رب هذه البلدة اشارة الى انه عليه السلام سيفتحها ويملكها لانه بلد ربه وملكه وهو عبده ورسوله وقد اختص
برسالته وله كل شىء فالعباد والبلاد ملكه ففى هذا من الاشارة مثل ما فى قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد
وقوله وان اتلوا القرآن اى لتسمعوا فيتذكر من سبقت له السعادة وليلحظ سنة الله فى العباد والبلاد ويسمع ما جرى لمن عاند
وعتا وكذب واستكبر وكيف وقصه الله واخذه ولم يغن عنه حذره واورث مستضعف عباده ارضه وديارة وملكه
لهم فى الارض واعز رسله واتباعهم نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون اى يصدقون ويعتبرون ويستدلون
فيستوضحون وقوله سيريكم آياته يشير الى ما حل بهم يوم بدر وبعد ذلك الى يوم فتح مكة وادعان من لم يكن يظن انقياده واهلاك
من طال تمرده وعناده وانقياد العرب بجملتها بعد فتح مكة ودخول الناس فى الدين افواجا وعز اقوام وذلة اخرين بحاكم ان
اكرمكم عند الله اتقاكم الى فتح الله على الصحابة رضوان الله عليهم ما وعدهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم فكان كما وعد فلما
تضمنت هذه الاى ما اشير اليه اعقب بما هو فى قوة ان لو قيل ليس عتوكم باعظم من عتو فرعون واله ولا حال مستضعفى المؤمنين بمكة بمن
قصدتم فتنته فى دينه باشد من حال بنى اسرائيل حين كان فرعون يمتحنهم بذبح ابنائهم فهلا تاملتم عاقبة الفريقين وسلكتم انجح
الطريقين افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم الى قوله فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلو
تاملتم ذلك لعلمتم ان العاقبة للتقوى فقال سبحانه بعد افتتاح السورة ان فرعون علا فى الارض ثم ذكر من خبره ما فيه
عبرة وذكر سبحانه اياته الباهرة فى امر موسى عليه السلام وحفظه ورعايته واخذ عدوه اياه عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا فلم يزل يذبح الابناء خيفة من مولود يهلك ملكه حتى اذا كان ذلك المولود تولى بنفسه تربيته وحفظه وخدمته ليعلم
لمن التدبير والامضاء وكيف نفوذ سابق الحكم والقضاء فهلا اسالت قريش وسمعت وفكرت واعتبرت او لم تأتهم بينة ما فى الصحف
الاولى ثم اتبع سبحانه ذلك بخروج موسى عليه السلام من ارضه فخرج منها خائفا يترقب وما نال له عليه السلام فى ذلك الخروج
من عظيم السعادة وفى ذلك تنبيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجه من بلده وتعزية له واعلام بانه تعالى سيعيده ٧
الى بلده ويفتحه عليه وبهذا المستشعر من هنا صرح اخر السورة فى قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ٧
وهذا كاف فيما قصد انتهى ولما كان كانه قيل ما هذا المقصوص من هذا النبا قال ان فرعون ملك مصر الذى ادعى
الالهية علا اى بادعائه الالهية وتجبره على عباد الله وقهره لهم فى الارض لانا جمعنا عليه الجنود فكانوا معه البنا واخرا فاتخذنا
بذلك كلمته وهى وان كان المراد بها اهل مصر ففى اطلاقها ما يدل على تعظيمها وانها كجميع الارض فى اشتمالها على ما قل ان يشتمل عليه
غيرها ولما كان التقدير بما دل عليه العاطف فاترك النعم عطف عليه قوله وجعل بما جعلنا له من نفوذ الكلمة اهلها

اي الأرض المرادة شيعا اي فرقا يتبع كل فرقة شيئا وتنصره والكل تحت قهره وطوع امره وقد صاروا امعة كالشياع وهو دق الحطب
الى ما يريد منهم فرقا فتفرقت كلمتهم فلم يجمع بعضهم لبعض فتخاذلوا فسفل امرهم فالاية من الاحتباك ذكر العلو اولا دليلا على السفول ثانيا
والافتراق ثانيا دليلا على الاجتماع اولا وجعلهم كذلك حال كونه يستضعف اي يطلب ويوجد ان يضعف او هو استيناف طائفة
منهم وهم بنوا اسرائيل الذين كانت حياة جميع اهل مصر على يدي واحد منهم وهو يوسف عليه السلام وفعل معهم من الخير ما لم
يفعله والد مع ولد ومع ذلك كافؤه في اولاده واولاد اخوته بان استعبدوهم ثم ما كفاهم ذلك حتى ساموهم على يدي هذا العنيد
سوء العذاب فيا لله للحال الغريبة بينهم قديما وحديثا ثم بين سبحانه الاستضعاف بقوله يذبح اي تذبيحا كثيرا ابناءهم اي عند
الولادة وكل يوم لان ناسا ينظرون كلما ولدت امراة ذكرا ذبحوه خوفا على ملكه زعم من مولود منهم ويستحيي نساءهم اي يريد
حياة الاناث كان هذا امرا متناهيا في الشناعة ليس مامورا به من جهة شرع ما ولا له فائدة اصلا لان القدر على تقدير صدق من اخبره
لا يرده الحذر فما اعجب غفلته ثم رجحه شارحا لما انتجه ذلك من حاله انه كان اي كونا راسخا من المفسدين اي الذين لهم عراقة في هذا الوصف
فلا بدع ان يقع منه هذا الجزئي المندرج تحت ما هو قائم به من الامر الكلي ولما كان التقدير كما ارشد اليه السياق لمن يسال
عن سبب فعله هذا العجيب يريد بذلك زعم دوام ملكه بان لا يسلبه اياه واحد منهم اخبره بعض علمائه انه يهلكه على يديه ويستنقذ
شعبه من العبودية عطف عليه قوله يحكي تلك الحال الماضية ونريد او هي حالية اي يستضعفهم والحال انا نريد في المستقبل
ان نقويهم اي نريد دوام استضعافهم فهم حال ارادتنا ضد ما يريد من انا نقطع ذلك بارادة ان نمن اي نعطي بقدرتنا وعلمنا ما يكون جديرا
بان نمتن به على الذين استضعفوا اي حصل استضعافهم وهان بهذا الفعل الشنيع ولم يراقب فيهم مولاهم في الارض اي ارض
مصر فذلوا واهينوا ونريهم في انفسهم واعدائهم وفق ما يحبون وفوق ما يأملون ونجعلهم ائمة اي مقدمين في الدين والدنيا
علماء يدعون الى الجنة عكس ما ياتي من عاقبة الفرعون وذلك مع تصييرنا لهم ايضا بحيث يصلح كل واحد منهم لان يقصد للملك
بعد كونهم مستعبدين في غاية البعد عنه ونجعلهم بعظمتنا وقوتنا الوارثين اي لملك مصر لا ينازعهم فيه احد من القبط
ولكل بلد امرناهم بقصدنا وهذا ايذان باهلاك الجميع بشرتمليكهم في سياق دال على مكثهم صرح بها فقال
ونمكن اي نوقع التمكين لهم في الارض اي كلها لا سيما ارض مصر والشام باهلاك اعدائهم وتاييدهم بكليم الله ثم بالانبياء من بعده
عليهم الصلاة والسلام بحيث نسلطهم بسببهم على من سواهم بما نؤيدهم به من الملائكة ونظهر لهم من الخوارق ولما
ذكر التمكين ذكر انه مع مغالبة الجبابرة اعلاما بانه اضخم تمكين فقال عاطفا على نحو ونريد ان نأخذ الذين علوا في الارض وهم فرعون
وهامان وجنودهما ونري اي بما لنا من العظمة فرعون اي الذي كان هذا الاستضعاف منه وهامان وزيره وجنودهما
الذين كانا يتوصلان بهم الى ما يريدانه من الفساد فيقوى كل منهم بالاخر في الارض فعلوا وعتوا وطغوا منهم اي المستضعفين
ما كانوا اي بجد عظيم منهم كانه غريزة يحذرون اي يجددون حذره في كل حين على الاستمرار بغاية الجد والنشاط
من ذهاب ملكهم بمولود منهم وما يتبع ذلك قال البغوي والحذر التوقي من الضرر والاية من الاحتباك ذكر الاستضعاف
اولا دليلا على القوة ثانيا وارادة الحذور ثانيا دليلا على ارادة المحبوب اولا وسر ذلك انه ذكر المسلي المرجي ترغيبا في الصبر
وانتظار الفرج منهم ولما كان التقدير فكان ما اردناه وطاح ما اراد غيرنا فاولدنا بني اسرائيل الولد الذي كان يحذره
فرعون على ملكه وكان يذبح ابناء بني اسرائيل لاجله وقضينا بان يسمي موسى بسبب انه يوجد بين ماء وشجر ونربيه في بيت
الذي يحذره ويحتاط لاجله عطف على هذا المعلوم التقدير اول نعمة من بها على الذين استضعفوا فقال واوحينا اي اوصلنا
بعظمتنا بطريق خفي الله اعلم به هل هو ملك او غيره اذ لا بدع في تكليم الملائكة الولي من غير نبوة الى ام موسى اي الذي امضينا
في قضائنا ان يسمى بهذا الاسم وان يكون هلاك فرعون وزوال ملكه على يديه بعد ان ولدته وخافت ان يذبحه الذباحون
ان ارضعيه ما لم تخشي عليه وحقق لها طلبهم لذبحه بقوله فاذا خفت عليه اي منهم ان يصيح فيسمع فيذبح
فالقيه اي بعد ان تضعيه في شيء يحفظه من الماء في اليم اي النيل واترك رضاعه وعرفه وسماه يما واليم البحر لعظمه
على غيره من الانهار بكبره وكونه من الجنة وما يحصل به من المنافع وعدل عن لفظ البحر الى اليم لان القصد فيه اظهر من السعة
قال الرازي في اللوامع وهذا اشارة الى الثقة بالله والثقة سواد عين التوكل ونقطة دائرة التفويض وسويداء قلب
التسليم ولها درجات الاولى درجة الاياس وهو اياس العبد من مقاواة الاحكام ليقعد عن منازعة الاقسام فيتخلص من
محنة الاقدام والثانية درجة الامن وهو امن العبد من فوت المقدور وانتقاض المسطور فيظفر بروح الرضى والا
فبعين اليقين والا فبلطف الصبر والثالثة معاينة اولية الحق جل جلاله ليتخلص من محن المقصود وتكاليف الحمايات
والتعريج على مدارج الوسائل ولا تخافي اي لا يتجدد لك خوف اصلا من ان يغرق او يموت من ترك الرضاع وان طال المدى
او يوصل الى اذاه ولا تحزني اي ولا يوجد لك حزن لوقوع فراقه ولما كان الخوف عما يلحق لتوقع والحزن عما يلحق لواقع
ثم علل نهيه عن الامرين بقوله في جملة اسمية دالة على الثبات والدوام مؤكدة لاستبعاد مضمونها انا رادوه اليك فازال

مقتضى

مقتضى الخوف والحزن ثم زادها بشرى لا تقوم لها بشرى بقوله وجاعلوه من المرسلين اي الذين هم خلاصة المخلوقين والاية
من الاحتباك ذكر الارضاع اولا دليلا على تركه ثانيا والخوف ثانيا دليلا على الامن اولا وسره انه ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها
وتسكينا لرعبها ولما كان الوحي ايهاما سببا لالقائه في البحر والقاؤه سببا لالتقاطه قال فالتقطه اي فارضعته
فلما خافت عليه صنعت له صندوقا وقيرته لئلا يدخل اليه الماء واحكمته واودعته فيه والقته في بحر النيل وكان بيتها
كان فوق بيت فرعون فساقه الماء الى قرب بيت فرعون فتعوق بشجر هناك فتكلف جماعة فرعون التقاطه قال البغوي والالتقاط
وجود الشيء من غير طلب آل فرعون بان اخذوا الصندوق فلما فتحوه وجدوا موسى عليه السلام فاحبوه لما القى الله تعالى عليه
من محبته فاتخذوه ولدا وسموه موسى لانهم وجدوه في ماء وشجر وهو بلسانهم الماء وشا الشجر ولما كانت عاقبة امره
اهلاكهم وكان العاقل لا سيما المتحرز لا ينبغي له ان يقدم على شيء حتى يعلم عاقبته فكيف اذا كان يدعي انه اله عبر سبحانه بلام
العاقبة التي معناها التعليل تهكما بفرعون كما مضى بيان مثله غير مرة في قوله ليكون لهم عدوا اي بطول خوفهم منه وحزنا
اي بزوال ملكهم لانه يظهر فيهم الايات التي يهلك الله بها من شاء منهم ثم يهلك جميع ابكارهم فيخلص بني اسرائيل منهم ثم
يظفر بهم كلهم فيهلكهم الله بالغرق على يده اهلاك نفس واحدة فيعم الحزن والنواح اهل ذلك الاقليم كله فتنبذ اللام
للعلة استعيرت لما اشبه العلة التي قصدوها وهي التبني وتربية الابن من الهلاك كما استعير الاسد للشجاع فاطلق عليه
زيد اسد لانه يفعل كان يفعله والمعنى على طريق التهكم انهم ما اخذوه الا لهذا الغرض لانه لحاشيهم عن الاقدام على ما لا يعلمون
اخرامره ولما كان هذا لا يفعله الا احمق مبهوت او مغفل مجذول لانكاد يصيب علل ذلك بالامرين فقال ان فرعون
وهامان وجنودهما اي كلهم على طبع واحد كانوا خاطئين اي داب هم تعمد الذنوب والضلال عن المقاصد فلا بدع في خطاهم
في ان يربوا من لا يذبحون الا الابناء الا من اجله مع القرآن الظاهر في انه من بني اسرائيل الذين يذبحون ابناءهم قال في الجمع بين الغا
والمجمل قال ابو عبيد اخطا وخطئ لغتان بمعنى واحد وقال ابن عرفة يقال خطئ في دينه واخطا اذا سلك سبيل خطاء
عامدا او غير عامد وقال الاموي المخطئ من اراد الصواب فصار الى غيره والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي وقال ابن طريف في الافعال
خطئ الشيء خطأ واخطاه لم يصبه ولما اخبر تعالى عن اخذ امرهم معه تخفيفا على السامع بجمع طرفي القصة اجمالا وتشوقا
الى تفصيل ذلك الاجمال وتعجيلا بالتعريف بخطاهم ليكون جملهم الذي هو اصل شقائهم مكتنفا لاول الكلام واخره اخبر عما
قيل عند التقاطه فقال عاطفا على فالتقطه وقالت امرات فرعون اي لفرعون لما اخرجه من التابوت وهي التي قضى الله
ان يكون لها سعادة وهي اسية بنت مزاحم احدى نساء بني اسرائيل فيما قاله البغوي قرت عين لي ايه ولك اي يا فرعون
ولما اثبت له انه ممن تقر به العيون انتج ذلك استبقاءه فلذلك نهت عن قتله وخافت ان يقول لا تقتله فيجبها
حاملا له على الحقيقة ثم يامر بقتله ويكون مخلصا له عن الوقوع في اخلاف الوعد فجمعت قائلة لا تقتلوه اي انت بنفسك ولا
احد ممن تامره بذلك ثم عللت ذلك او استانفت فقالت عسى اي يمكن وهو جدير وخليق ان ينفعنا اي لما نخيل فيه من
النجابة ولو كان له ابوان معروفان او نتخذه ولدا اي ان لم يعرف له ابوان فيكون نفعه اكثر فانه اهل لان تتشرف به الملوك
ولما كان هذا كله فعل من لا يعلم فلا يصح كونه الها صرح بذلك تسفيها لمن اطاعه في ادعاء ذلك فقال وهم اي
تراجعوا هذا القول والحال انهم لا يشعرون اي لا شعور لهم اصلا لان من لا يكون له علم الا بالاكتساب فهو كذلك فكيف
اذا كان لا يهذب نفسه باكتسابه فكيف اذا كان مطبوعا على قلبه واذا كانوا كذلك فلا شعور لهم بما يؤول اليه امرهم معه
من الامور الهائلة المؤدية الى الهلاك المفسدين ليعملوا لذلك اعماله من الاحتراز منه بما ينجيهم ولما اخبر عن
حال من لقيه اخبر عن حال من فارقه فقال واصبح اي عقب الليلة التي حصل فيها فراقه فؤاد ام موسى اي قلبها الذي
زاد احتراقه شوقا وخوفا وحزنا وهذا يدل على انها القته ليلا فارغا اي في غاية الذعر لما جبلت عليه من اخلاق البشر
قد ذهب منه كل ما فيه من المعاني المقصودة التي من شانها ان يربط عليها الجاش ثم وصل بذلك مستانفا قوله ان اي
انه كادت اي قاربت لتبدي اي يقع منها الاظهار لكل ما كان من امره مصرحة به اي بامر موسى عليه السلام من انه ولدها
ونحو ذلك بسبب فراغ فؤادها من الامور المسكنة وتوزع فكرها في كل واد لولا ان ربطنا بعظمتنا على قلبها بعد
ان رددنا اليه المعاني الصالحة التي اودعناها فيه فلم تعلن به لاجل ربطنا عليه حتى صار كالجراب الذي ربط
فمه حتى لا يخرج شيء مما فيه ثم علل الربط بقوله لتكون اي كونا هو كالغريزة لها من المؤمنين اي المصدقين بما وعد الله به
من نجاته ورسالته الواثقين بذلك ولما اخبر عن كتمها اتبعه الخبر عن فعلها في تعرف خبره الذي اطار خفاؤه
عليها عقلها فقال عاطفا على واصبح وقالت اي امه لاخته اي بعد ان اصبحت على تلك الحالة قد خفي عليها امره قصيه
اي اتبعي اثره وتشممي خبره برا او بحرا ففعلت فبصرت به عن جنب اي بعد من غير مواجهة ولذا قال وهم لا يشعرون
اي ليس لهم شعور لا بنظرها ولا بانها اخته بل هم في صفة الغفلة التي هي في غاية البعد عن رتبة الالهية ولما

كان ذلك احد الاسباب فى رده ، ذكر فى جملة حالية ذكر سببا اخر قريبا فقال وحرمنا اى منعنا بعظمتنا التى لايتخلف امرها ومنعنا
كل شى دونها عليه المراضع جمع مرضعة وهى من يكرى للرضاع من الاجانب اى حكمنا بمنعه من الارتضاع منهن ولما كان قد انقطع
مرامه من حين ولدته الى حين القائه فى اليم فلم يستغرق التحريم الزمان الماضى اثبت الجار فقال من قبل اى قبل ان نأمر امه اخته بما امرتها
به وبعد القائها له وارضاعها له ليكون ذلك سببا لرده اليها فلم يرضع من غيرها فاشفقوا عليه فاتتهم اخته فقالوا لها هل عندك
مرضعة تدلينا عليها لعله يقبل ثديها فقالت اى فدنت اخته منه بعد نظرها له فقالت لهم لما راتهم فى غاية الاهتمام برضاعه
لما عرضوا عليه المراضع فابى ان يرتضع من واحدة منهن هل لكم حاجة فى ان ادلكم على اهل بيت ولم تقل على امراة لتوسع دائرة الظن
يكفلونه لكم اى ياخذونه ويعولونه ويقومون بجميع مصالحه من الرضاع وغيره لاجلكم وزادتهم رغبة بقولها وهم له ناصحون اى
ثابت نصحهم له لايغشونه نوعا من الغش قال البغوى والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد فكادت بهذا الكلام تصرح
بان المدلول عليها امه فارتابوا من كلامها فاعتذرت بانهم يعملون ذلك تقربا الى الملك وتحببا اليه تعززا به فظنوا ذلك وهذا
وامثاله بيان من الله تعالى لانه لايعلم احد فى السموات والارض الغيب الا هو سبحانه فلا يصح ان يكون غيره الها فلما سكنوا اليها
طلبوا ان تدلهم فاتت بامها فاحللنا له رضاعها فاخذ ثديها فقالوا اقيمى عندنا فقالت لا اقدر على فراق بيتى ان رضيتم ان اكفله
فى بيتى والا فلا حاجة لى واظهرت الزهد فيه نفيا للتهمة فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها والاية من الاحتباك ذكر التحريم اولا
دليلا على الاحلال ثانيا واستفهام اخته لهم ثانيا دليلا على استفهامهم لها اولا وسره انه ذكر الاغرب من امره الادل على القدرة
ولذا للسبب عما مضى قوله فرددناه اى مع هذا الكلام الظاهر فى الكشف بسر الموجب للريبة فى امره ومع ما تقدم من القرائن
التى يكاد يقطع بها بانه من بنى اسرائيل منها العاقة فى البحر على تلك الصفة ومنها ان المدلول عليها لارضاعه من بنى اسرائيل ومنها
انه قبل ثديها دون غيرها من القبط وغيرهم بايدنا الذى لايقاويه ايد ولا يدانى ساحته شىء من مكر ولا كيد من يد العدو والذى
مادح طفلا الارجاء الوقوع عليه والخلاص مما جعل فى سابق العلم اليه الى امه وكان من امر الله والله غالب على امره ان استخدم
لموسى كما قال الرازى عدوه فى كفالته وهو يبذل له المال لاجله ثم علله بقوله كى تقر عينها اى تبرد وتستقر عن الطرف فى طلبه
الى كل جهة وتنام بارضاعه وكفالته فى بيتها امنة لاتخاف وقرة العين بردها ونومها خلاف سخنتها وسهرها بادامة
تقليبها قرت عينه تقر بالكسر والفتح قرة وتضم وقرورا بردت سرورا وانقطع بكاؤها اورات ما قرت به وقر بالمكان يقر
بالكسر والفتح قرارا وقرورا وقرا وتقرة ثبت واستكن واصل قرة العين من القر وهو البرد اى بردت فصحت ونامت خلاف
سخنت عينه وقيل من القرار اى استقرت عينى وقالوا دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة فمعنى اقر الله عينك من
الفرح واسخنها من الحزن وهذا قول الاصمعى وقال ابو العباس ليس كما ذكر الاصمعى بل كل دمع حار فمعنى اقر الله عينك صادفت
سرورا فنامت وذهب سهرها وصادفت ما يرضيك اى بلغك الله اقصى املك حتى تقر عينك من النظر الى غيره استغناء ورضى
بما فى يديك ومعنى قولهم هو قرة عينى هو رضى نفسى فهى تقر وتسكن بقربه فلا تستشرف الى غيره ولا اى وكى لا تحزن اى بفراقه
ولتعلم اى علما هو عين اليقين كما كانت عالمة به علم اليقين وعلم شهادة كما كانت عالمة علم غيب ان وعد الله اى الامر الذى
وعدها به الملك الاعظم الذى له الكمال كله فى حفظه وارساله حق اى هو فى غاية الثبات فى مطابقة الواقع اياه
ولما كان العلم هو النور الذى من فقده لم يصح منه عمل ولم ينتظر له قصد قال عاطفا على ما تقديره فعلمت ذلك برده
عين اليقين بعد علم اليقين ولكن اكثرهم اى اكثر ال فرعون وغيرهم لايعلمون اى لا علم لهم اصلا فكيف يدعون ما يدعون من
الالهية والكبريا على من يكون الله معه استقر الحال على هذا المنوال علم انه ليس بعده الا الخير والاقبال والعز
تبيين فرعون له والجلال فترك ما بينه وبين السن الصالح للارسال فقال مخبرا عما بعد ذلك من الاحوال ولما بلغ اشده اى مجامع
قواه وكمالاته واستوى اى اعتدل فى السن وتم استحكامه بانتهاء الشباب وهو من التى طبعناه عليها وقال الرازى قال الجنيد لما
تكامل عقله وصحت بصيرته وصحت خبرته واتاه وان خطابه انتهى اى وصار الى الحد الذى لا يزداد الانسان بعده غريزة من الغرائز لم
تكن فيه ايام الشباب بل لايبقى بعد ذلك الا الوقوف ثم النقصان اتيناه اى خرقا للعادة اسوة اخوانه من الانبيا اتيناه اعرابا
سبحانه اياها من غير اكتساب اصلا حكما اى عملا محكما بالعلم وعلما اى مؤيدا بالحكمة تهيئة لنبوته وارهاصا لرسالته جزيناه
به ذلك على ما طبعناه عليه من الاحسان تفضلا منا ومنة واختار الله سبحانه هذا السن للارسال ليكون كما اشير اليه من جملة الخوارق
لانه يكون به ابتدا الانتكاس الذى قال الله تعالى فيه ومن نعمره اى الى اكمال سن الشباب ننكسه فى الخلق اى توقفه فلا نزاد بعد
ذلك فى قواه الظاهرة ولا الباطنة شى ولا توجد فيه غريزة لم تكن موجودة اصلا عشر سنين ثم ياخذ فى النقصان هذه عادة الله
فى جميع بنى ادم الا الانبيا فهم فى حد الوقوف يؤتون من بحار العلوم ما يقصر عنه الوصف بغير اكتساب بل غريزة يغرزها الله
فيهم حينئذ ويؤتون من قوة الابدان ايضا بمقدار ذلك ففى وقت انتكاس غيرهم يكون نموهم وكذا من الحقه الله بهم من صالحى اتباعهم
وسياتى ان شاء الله تعالى فى سورة يس من تمام هذا المعنى ما يفتح الله به لمن يامله ابوابا من العلم ولذلك قال تعالى عطفا على ما تقديره

استعار التحريم للمنع
لانه منع فيه رحمة
قال الرازى فى اللوامع
تحريم منع لا تحريم شرع
صح

فعلنا

فعلنا به ذلك وبامه جزاء لهما على احسانهما فى اخلاصهما فيما يفعلانه اعتمادا على الله وخوفا من غيره الى نهاية بواه وكذلك
اى ومثل هذا الجزاء العظيم نجزى المحسنين اى كلهم ولما اخبر بتهيئته لنبوته اخبر بما هو سبب لهجرته وكانها سنة بعد
ابرهيم عليه الصلاة والتسليم فقال ودخل المدينة اى مدينة فرعون اتيانا من قصره لانه كان عنده بمنزلة الولد قال ابن جرير وهى مدينة
منف من مصر وقال البغوى وقيل عين شمس وقيل غير ذلك على حين غفلة قيل بعيد وقيل بغير ذلك من اهلها احكاما لما جعلناه سببا
لتغلبه منها طهارة من عشرة القوم الظالمين فوجد فيها رجلين يقتتلان اى يفعلان مقدمات القتل من الملازمة مع الحنق والضرب
وهما اسرائيلى وقبطى ولذا قال مجيبا لمن كانه يسال عنهما وهو ينظر اليهما هذا من شيعته اى بنى اسرائيل قومه وهذا من عدوه
اى القبط وكانه حصل لبنى اسرائيل به عز لكونه ربيب الملك مع ان مرضعته منهم لايظنون ان سبب ذلك الا الرضاع فاستغاثه
اى طلب منه الذى من شيعته ان يغيثه على الذى من عدوه فوكزه اى فاجابه موسى فوكزه اى طعنه ودفع بين الصدر واضربه
بجمع كفه وكانه كاللكم او دفعه باطراف اصابعه وهو جلد ايد لم يعط احد من اهل ذلك الزمان مثل ما اعطى من القوى لذاتيه والمعنوية
فقضى اى فاوقع القضا الذى هو القضاء على الحقيقة وهو الموت الذى لا ينجو منه بشر عليه فقتله وفرغ منه وكل شى فرغت منه فقد
قضيته وقضيت عليه وخفى هذا على الناس لما هم فيه من الغفلة فلم يشعر به احد منهم ولما كانه قيل ان هذا الامر عظيم
فما ترتب عليه من قول من اوتى حكما وعلما اجيب بالاخبار عنه بانه ندم عليه فى الحال بقوله قال اى موسى هذا اى الفعل الذى جرى لى
الاسرائيلى من عمل الشيطان اى لانى لم اومر به على الخصوص ولم يكن من قصدى وان كان المقتول كافرا ثم اخبر عن حال الشيطان بما هو عالم
به مؤكدا له حملا لنفسه على شدة الاحتراس والحذر منه فقال انه عدو ومع كونه عدوا ينبغى الحذر منه فهو مضل لا يقود الى
خير اصلا ومع ذلك فهو مبين اى بين عداوته واضلاله فى غاية البيان ما فى شى منهما خفا ولما كان هذا كافرا ليس فيه شى غير
الندم لكونه صلى الله عليه وسلم لم يباشره فى قتله اذن خاص وكان قد اخبر عنه بالندم تشوقت النفس البصرا الى الاستغفار عنه
علما منهم بان عادة الانبيا واهل الدرجات العلية استعظام الهفوات فاجيبوا بالاخبار عن مبادرته الى ذلك بقوله قال
واسقط اداة النداء على عادة اهل الاصطفا فقال رب اى ايها المحسن الى ولما كان حال المقدم على شى دالة على ارادته له
واستحسانه اياه اكد قوله اعلاما بان باطنه على غير ما دل عليه ظاهره فقال انى ظلمت نفسى اى بالاقدام على ما لم تتقدم الى فيه
بالخصوص وان كان مباحا ولما كان المقترب ربما يعد حسنة غيره سيئة قال مسببا عن ذلك فاغفر اى امح هذا الهفو عينها
واثرها لى اى لاجلى لاتواخذنى فغفر اى وقع المحو لذلك كما سال اكراما له ثم علل ذلك بقوله مشيرا الى ان صفة غيره عدم بالنسبة الى
صفته مؤكدا لذلك انه هو اى وحده الغفور اى البالغ فى صفة الستر الرحيم اى العظيم الرحمة بالاحسان بالتوفيق الى الافعال
المرضية لمقام الالهية ولاجل ان هذه صفته رده الى فرعون وقومه حين ارسله اليهم فلم يقدروا على مواخذته بذلك بقصاص ولا غيره
بعد ان انجاه منهم قبل الرسالة على غير قياس ولما انعم عليه سبحانه بالاجابة الى سؤاله تشوف السامع الى شكره عليها فاجيب بقوله
قال رب اى ايها المحسن الى بكل جميل ولما كان جعل الشى عوضا لشى اثبت له واجدر بامضاء العزم عليه قال بما انعمت على اى
بسبب انعامك على بالمغفرة وغيرها كان فى سياق التعظيم للنعمة كرر حرف السبب تاكيدا للكلام وتعريفا ان المعروف به
مسبب عن الانعام وقرنه باداة النفى الدالة على التاكيد فقال فلن اكون ظهيرا اى عشيرا وخليطا ومعينا للمجرمين اى القاطعين لما امر
الله به ان يوصل اى لا اكون بين ظهرانى القبط فان فسادهم كثير وظلمهم لعبادك ابنا ابيك متواصل وكبير ولا قدرة لى على ان انصرهم
ودل بهجرانه الى امثال هذه الفعلة فلا اصلح من المهاجرة لهم وهذا من قول العرب جانا فى ظهرته بالضم وبالكسر وبالتحريك وظاهرته اى عشيرته
ولما ذكر القتل واتبعه ما هو الاتم من امره بالنظر الى الاخرة ذكر ما تسبب عنه من احوال الدنيا فقال فاصبح اى موسى عليه السلام
فى المدينة اى التى قتل القتيل فيها خائفا اى بسبب قتله له يترقب اى لازما للخوف المكروه فاذا اى فجئه الذى استنصره اى طلب
نصره من شيعته بالامس اى اليوم الذى يلى يوم الاستصراخ من قبله يستصرخه اى يطلب ازالة ما يصرخ بسببه من الضر
من قبطى اخر كان بظلمه فكانه قيل فما قال له موسى بعد ما اوقعه فيما يكره فقيل قال له اى لهذا المستصرخ موسى ولما
كان الحال مقتضيا ان ذلك الاسرائيلى يكثر منه ان يخاصم احدا خوفا من جريرة ذلك القتيل اكد قوله انك لغوى اى صاحب
ضلال بالغ مبين اى واضح الضلال غير خفيه لكون ما وقع بالامس لم يكفك عن الخصومة لمن لا تطيقه وان كنت مظلوما ثم دنا منهما السم
مشيرا ابالغا الى المبادرة الى اصراخه فلما واثبتا الحرف الذى اصله المصدر تاكيد المعنى الارادة فقال ان اراد اى شا وطلب
وقصد مصدقا ذلك بالمشى ان يبطش اى موسى عليه السلام بالذى هو عدو لهما اى من القبط باخذه بعنف وسطوة لخلاص الاسرا
منه قال اى الاسرائيلى الغوى اتريد ان تقتلنى اى اليوم وانا من شيعتك كما قتلت نفسا بالامس اى من شيعة اعدائنا والذى
دل على ان الاسرائيلى هو الذى قال له هذا الكلام السياق بكون الكلام معه وبما اشير اليه بدخوله المدينة على حين غفلة من انه لم يره احد
غير الاسرائيلى وبقوله عدو لهما من دم الاسرائيلى بما صح به موسى عليه السلام ولما نم عليه وافشى ما لا يعلمه غيره خاف عاقبته
فزاد بالاغرا به مؤكدا الان انفاله عليه السلام تكذب ما يقنعه به بقوله ان اى ما تريد الا ان تكون اى كونا راسخا جبارا

اى المدينة مصر

بلى

أي قاهراً عالياً قال أبو حيان وشأن الجبار أن يقتل بغير حق في الأرض أي التي يكون بها فلا يكون فوقك أحد وما تريد أي تجدد ذلك ده
إرادة أن تكون أي بما مولك كالجبلة من المصلحين أي العريقين في الصلاح فإن المصلح بين الناس لا يصل إلى القتل على هذه الصورة
فلما سمع الفرعوني هذا ترك الإسرائيلي وكانوا لما قتل ذلك القبطي ظنوا أنه في بني إسرائيل فأغروا فرعون بهم فقال لهم من بيّنة فإن الملك ه
وإن كان صغوه مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بيّنة ولا تثبت كما ذكر ذلك في حديث الفتون الذي رواه أبو يعلى عن ابن عباس
رضي الله عنهما فلما قال هذا الغوي هذه المقالة تحققوا الأمر في موسى عليه السلام ولما كان تقدير الكلام الذي أرشد إليه
السياق فلما سمع الفرعوني قول الإسرائيلي تركه ثم رقي الكلام إلى أن بلغ فرعون فوقع الكلام في الأمر بقتل موسى عليه السلام عطف
عليه قوله وجاء رجل من محب موسى عليه السلام ولما كان الأمر مهماً يحتاج إلى مزيد عزم وعظم قوة قدم فاعل المجيء على متعلقه بخلاف
ما في سورة يس ولما كان في بيان الاشتداد على الأمور الهائلة من الأخذ بالخناق حتى يقول القائل لا خلاص ثم الإسعاف بالفرج حتى
يقال لا هلاك قال واصفاً للرجل من أقصى المدينة أي أبعدها مكاناً وبيّن أنه كان ماشياً بقوله يسعى ولكنه اختصر طريقاً وأسرع
في مشيه بحيث كان بعد وسبقهم بإعطائه للسعي وتجديد العزم في كل وقت من أوقات سعيه فكأنه قيل ما فعل فقيل قال منادياً له
باسمه تعطفاً وإزالة للبس يا موسى وأكد إشارة إلى الأمر قد دهم فلا يسع الوقت الاستفصال فقال إن الملأ أي أشراف القبط الذين
في أيديهم الحل والعقد لأنهم القدرة على الأمر والنهي يأتمرون بك أي يتشاورون بسببك حتى وصل حالهم في تشاورهم إلى أن كلاً
منهم يأمر الآخر ويأتمر بأمره فكأنه قيل ما يفعلون ذلك فقيل ليقتلوك لأنهم سمعوا أنك قتلت صاحبهم فاخرج أي من هذه المدينة ده
ثم علل ذلك بقوله على سبيل التأكيد ليزيل ما يطرق من احتمال عدم القتل لكونه عزيزاً عند الملك إني لك أي خاصة من الناصحين أي العريقين
في نصحك فخرج أي موسى عليه السلام مبادراً منها أي المدينة لما علم من صدق قوله بما حفه من القرائن حال كونه خائفاً على نفسه من آل فرعون
يترقب أي يكثر الالتفات بإدارة رقبته في جهاتها ينظر هل يتبعه أحد ثم وصله على طريق الاستئناف قوله قال أي موسى عليه السلام
رب أي أيها المحسن بالإيجاد والتربية وغير ذلك من وجوه البر نجني مشتق من النجوة وهو المكان العالي الذي لا يصل إليه كل أحد ٧
من القوم الظالمين أي الذين يضعون الأمور في غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل فاستجاب الله تعالى له فوفقه لسلوك الطريق
الأعظم نحو مدين فكان ذلك سبب نجاته وذلك أن الذين انتدبوا إليه وقطعوا بأنه لا يسلك الطريق الأكبر جرياً على عادة الخائفين الهاربين
في المشي عسافاً وسلوك بنيات الطريق فانبثوا فيما ظنوه يميناً وشمالاً ففاتهم ولما دعا بهذا الدعاء أعلم الله تعالى باستجابته منه
مخبراً بجهة قصده زيادة في الإفادة فقال ولما أي فاستجاب الله دعاءه فنجاه منهم ووجهه إلى مدين ولما توجه أي أقبل بوجهه قاصداً
تلقاء أي الطريق الذي يلاقي سالكه أرض مدين مدينة نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام متوجهاً بقلبه إلى ربه قال لكونه لا يعرف
الطريق عسى أي خليق وجدير وحقيق ولما كانت عنايته بالله أتم لما له من عظيم المراقبة قال مقدماً له ربي أي المحسن إلي بعظيم التربية
في الأمور المهلكة أن يهديني سواء أي عدل وسط السبيل وهو الطريق الذي يطلعه عليها من غير اعوجاج ولما كان التقدير
فوصل إلى المدينة بنى عليه قوله ولما ورد أي حضر موسى عليه السلام حضور من يشرب ماء مدين أي الذي يستقي منه الرعاء وجد
عليه أي على الماء أمة أي جماعة كثيرة ثم أهل لأن يقصدوا ويقصد ولذلك هم عالون غالبون على الماء ثم بيّن نوعهم بقوله من الناس
وبيّن عملهم بقوله يسقون أي مواشيهم وحذف المفعول لأنه غير مراد والمراد الفعل وكذا ما بعد عبر بذلك لما جعل لهما سبحانه
من المروءة ومكارم الأخلاق كما يعلمه من أمعن النظر فيما يذكر عنهما ووجد من دونهم أي وجداناً مبتدئاً من أدنى مكان من مكانهم الآتي
إلى الماء امرأتين عبر بذلك لما جعل لهما سبحانه من المروءة ومكارم الأخلاق كما يعلمه من أمعن النظر فيما يذكر عنهما تذودان أي توجدان الذود
وهو الكف والمنع والطرد لارتكاب أخف الضررين فتكفان غنمهما إذا نزعت من العطش إلى الماء لئلا تختلط بغنم الناس ولما
كان هذا حالاً موجباً للسؤال عنه كان كأنه قيل فما قال لهما قيل قال أي موسى عليه السلام رحمة لهما ما خطبكما أي خبركما ومخطوبكما
أي مطلوبكما وهو كالتعبير بالشأن عن الشيء الذي يستحق أن يقع فيه التخاطب لعظمه في ذيادكما لأغنامكما عن السقي قال أبو حيان
والسؤال بالخطب إنما يكون في مصاب أو مضطهد ولما كان من المعلوم أن سؤاله عن العلة قالتا اعتذاراً عن حالهما ذلك وتلويحاً
باحتياجهما إلى المساعدة لا أي خبرنا أنا لا نسقي أي مواشينا وحذفه للعلم به حتى يصدر أي ينصرف ويرجع الرعاء أي عن الماء ٧
لئلا نخالطهم هذا على قراءة أبي عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال ثلاثياً والمعنى على قراءة الباقين بالضم فالكسر يوجد والرد والصرف
ولما كان التقدير لأنا من النساء وكان المقام يقتضي لصغر سنهما أن لهما أباً وأن لا أخوة لهما وإلا لكفوهما ذلك عطفنا على
هذا المقدر قولهما وأبونا شيخ كبير أي لا يستطيع لكبره أن يسقي فاضطررنا إلى ما ترى وهذا اعتذار أيضاً عن كون أبيهما أرسلهما
لذلك لأنه ليس بمحظور فلا يأباه الدين والناس يختلفون في ذلك بحسب المروءة وعاداتهم فيها متباينة وأحوال العرب والبدو تباين
أحوال العجم والحضر لا سيما إذا دعت إلى ذلك ضرورة فسقى أي موسى عليه السلام لهما لما علم ضرورتهما انتهازاً لفرصة الأجر وكرم الخلق
في مساعدة الضعفة مع ما به من النصب والجوع ثم تولى أي انصرف موسى عليه السلام جاعلاً ظهره يلي ما كان يليه وجهه إلى الظل
أي ليقيل تحته ويستريح مقبلاً على الخالق بعد ما قضى من نصيحة الخلائق وعرّفه لوقوع العلم لأن بقعته لا تكاد تخلو من شيء له ظل

فإن رحمته عليه السلام
لم تحركه الذود والسقي
غمّاً بل لنطق الذياد وترك
السقي ه

ولا

ولا سيما أماكن المياه فقال لأنه ليس في الشكوى إلى المولى العلي الغني المطلق نقص رب ولما كان حاله في عظيم صبره حال من لا
يطلب أكد سؤاله إعلاماً بشديد تشوقه إلى ما سأل فيه وزيادة في التضرع والرقة فقال إني وأكد الافتقار بالإلصاق باللام ه
كان الرزق الآتي إلى الإنسان مسبباً عن القضاء الآتي من العلي الكبير عبر بالإنزال وعبر بالماضي تعميماً
دون الآتي فقال لما أي لأي شيء وتحققاً لإنزال الموعد بالرزق فقال أنزلت ولعله حذف العائد اقتصاراً لما به من الإعياء إلي من خير أي ولو قل فقير
لحالة الافتقار أي مصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان قد بلغ من الضر أن اخضر بطنه من أكل البقل وضعف حتى لصق بطنه بظهره فانظر إلى هذين النبيين
عليهما السلام في حالهما في ذات يدهما وتأمل خلاصة ذلك الزمان ليكون لك في ذلك أسوة وتجعله إماماً وقدوة ويقول لك بأبي وأمي ما لقي الأنبياء
والصالحون من الضيق والأهوال في بحر الحياة الدنيا صوناً لهم وإكراماً من ربهم عنها رفعة لدرجاتهم عنده واستهانة لها وإن ظنه ده
الجاهل المغرور على غير ذلك وفي القصة ترغيب في الخير وحث على المعاونة على البر وبعث على بذل المعروف مع الجهد ولما كان سماعهما
لقوله هذا مع إحسانه إليهما سبباً لدعاء شعيب عليه السلام له قال بانياً على ما تقديره فذهبت المرأتان إلى أبيهما فحدثتاه بخبرهما ه
وبإحسانه إليهما فأمر برعايته ليكافئه فجاءته أي بسبب قول الأب وعلى الفور إحداهما أي المرأتين حال كونها تمشي ولما
كان الحياء كأنه مركب لها وهي متمكنة منه مالكة لزمامه عبر بأداة الاستعلاء فقال على استحياء أي حياء موجود منها لأنها
كلفت الإتيان إلى رجل أجنبي تكلمه وتماشيه ثم استأنف الإخبار عما تشوف إليه السامع من أمرها فقال قالت وأكدت
إعلاماً بما لأبيها من الرغبة إلى الغاية في قولها إن أبي وصورت حاله بالمضارع فقالت يدعوك ليجزيك أي يعطيك مكافأة لك
لأن المكافأة من شيم الكرام وقولها لا عاصمة فيه أجر ما سقيت لنا أي مواشينا فأسرع الإجابة لما بينهما من الملاءمة ده
ولذلك قال فلما جاءه أي موسى شعيباً عليهما السلام وقص أي موسى عليه السلام عليه أي شعيب عليه السلام القصص
أي حديثه مع فرعون وآله في كفرهم وطغيانهم وإذلالهم لعباد الله وتتبع له الأمور على ما هي عليه لما توسم فيه بما آتاه
الله من الحكم والعلم من النصيحة والشفقة والعلم والحكمة والجلال والعظمة ولما كان من المعلوم أنه لا عصمة لخائف
فكان أهم ما إلى الإنسان الأمان قدم له التأمين بأن قال أي شعيب عليه السلام لا تخف أي فإن فرعون لا سلطان له على ما ههنا
ولأن عادة الله جرت أن تواصل هذا إنما كان في أحد إلا أفضى الله برفعته ولذلك كانت النتيجة نجوت أي يا موسى من
القوم الظالمين أي هو وعزه وإن كانوا في غاية القوة والعراقة في الظلم ولما اقتضى هذا القول أنه آواه إليه
علمت ابنته مضمونه وكانت قد رأت من كفايته وديانته ما رغب في عشرته فتشوقت النفس إلى حالها حينئذ فقال
مستأنفاً لذلك قالت إحداهما أي المرأتين قيل وهي التي دعته إلى أبيها مسيرة بالندا بأداة البعد إلى استحضارها
لنفسها وجلاله أبيها يا أبت استأجره ليكفينا ما يهمنا ثم عللت قولها فقالت موهمة إظهاراً لرغبتها في الخير واغتباطاً به
إن خير من استأجرت لشيء من الأشياء القوي وهو هذا لما رأينا من قوته في السقي الأمين لما تعرسنا فيه من حيائه وعفته في
نظره ومقاله وفعاله وسائر أحواله قال أبو حيان وقولها قول حكيم جامع لأنه إذا اجتمعت الأمانة والكفاية في القائم بأمر
فقد تم المقصود قال أي شعيب عليه السلام وهو في التوراة يسمى رعويل بفتح الراء وضم العين المهملة وإسكان الواو وهمزة مكسورة
بعدها تحتانية ساكنة ولام ويثرو بفتح الواو وضم الراء المهملة وإسكان الواو إني أريد يا موسى والتأكيد لأجل أن الغريب
قل أن يرغب فيه أول ما يقدم لا سيما من الرؤساء أتم الرغبة أن أنكحك أي أزوجك ولما كان يجوز أن يكون المنكح لها غير المسقي لهما نفى ذلك بقوله
إحدى ابنتي زواجاً تكون وصلته كوصلة أحد الحكمين بالآخر على أن تأجرني أي تجعل نفسك
هاتين أي الحاضرتين اللتين سقيت لهما ليتأملهما فينظر من يقع اختياره عليه منهما ليعقد له عليها
أجيراً عندي أو تجعل أجري على ذلك وثوابي ثماني حجج جمع حجة بالكسر أي سنين أي العمل فيها بأن تكون أجيراً لي أستعملك فيما ينوبني من
رعية الغنم وغيرها وأجره بالمد والقصر من الأجر والإيجار وكذلك أجر الأجير والمملوك وآجره أعطاه أجره فإن أتممت
عشراً أي عشر سنين فمن أي فذلك الفضل من عندك غير واجب عليك وكان تعيين الثماني
لبلوغ العقد بأن تجعلها لأنها إذا أسقطت منها مدة الحمل أقل سن يميز فيه الولد غالباً والعشر أقل ما يمكن فيه البلوغ لينظر بسطه إن قدر
فيه بما يرى من قوله وفعله والتعبير بما هو من الحج الذي هو القصد تفاؤلاً بأنها تكون من طيبها بمتابعة أمر الله وسعة رزقه وإفاضة
نعمه ودفع نقمه أهلاً لأن تقصد أو يكون فيها الحج في كل واحدة منها إلى بيت الله الحرام ولما ذكر له هذا أراد أن
يعلمه أن الأمر بعد الشرط بينهما على المسامحة فقال وما أريد أن أشق عليك أي أدخل عليك مشقة في شيء من ذلك ولا غيره لازم
أو غير لازم ثم أكد معنى المساهلة بتأكيد وعد الملاءمة فقال ستجدني ثم استثنى على قاعدة أولياء الله وأنبيائه في
المراقبة على سبيل التبرك فقال إن شاء الله أي الذي له جميع الأمر من الصالحين أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت وكل
ما تريد من كل خير قال أي موسى عليه السلام ذلك أي الذي ذكرت من الخيار وغيره بيني وبينك أي كائن بيننا على حكم
النصفة والعدل والسواء على ما الزمتني به لازماً وما أشرت إلى التفضل به إحساناً وعليك ما ألزمت به نفسك فرضاً

وفضلا ثم فسر ذلك بقوله أيما الأجلين أي أجل منهما الثمان والعشر قضيت أي عملت العمل المشروط فيه فقد خرجت من العهدة
فلا عدوان أي اعتداء بسبب ذلك لك ولا لأحد علي في طلب أكثر منه لأنه كما لا يجب على الزيادة على العشر لا يجب على الزيادة على الثمان
وكأنه أشار بنفي صيغة المبالغة إلى أنه لا يؤاخذ لسعة صدره وطهارة أخلاقه بمطلق العدو والله أي الملك الأعظم
على ما نقول أي كله في هذا الوقت وغيره وكيل أي شاهد وحفيظ قاهر عليه وملزم به في الدنيا أو في الآخرة فما الظن بما وقع بيننا
من العهد من النكاح والأجر والأجل
قال في أول السفر الثاني منها وهذه أسماء بني إسرائيل الذين دخلوا
مصر مع يعقوب دخل كل امرئ منهم وأهل بيته روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وايساخار وزبلون وبنيامين ودان ونفتالي
وجاد وأشير وكان عدد ولد يعقوب الذين خرجوا من صلبه سبعين نفسا مع يوسف الذي كان بمصر فتوفي يوسف وجميع إخوته وجميع
ذلك الحقب وبنو إسرائيل نموا وولدوا وكثروا واعتزوا جدا جدا وامتلأت الأرض منهم فملك على مصر ملك جديد لم يكن يعرف يوسف
فقال لشعبه هذا شعب بني إسرائيل قد كثر عدده هم أكثر وأعز منا هلموا نحتال لهم قبل أن يكثروا لعل أعداءنا يأتونا فيقاتلونا فيكونوا
عونا لأعدائنا علينا فيخرجونا من الأرض فولى عليهم ولاة ذي فظاظة وقساوة ليتعبوهم وجعلوا يبنون قرى لأهراء فرعون
وأهرائه وفي نسخة وبنوا لفرعون مدنا محصنة تبتره الفيوم وعين شمس وفي نسخه فيثوم ورعمسيس وفي نسخة والون التي
هي مدينة الشمس واشتد تعبدهم لهم وذلهم إياهم وكانوا يزدادون كثرة ويعتزون فاشتد غمهم وحزنهم بسبب بني إسرائيل
وكان المصريون يتعبدون بني إسرائيل بشدة وقساوة ويمرون حياتهم بالكد والتعب الصعب الشديد بالطين وعمل اللبن
وفي كل عمل الحقل وكان تعبدهم إياهم في جميع ما استعملوهم بالشدة والفظاظة والقساوة فقال ملك مصر لقوابل
العبرانيات التي تسمى إحداهما فوعا والأخرى شوفرا وأمرهما إذا أنتما قبلتما العبرانيات فانظرا إذا أسقطا الولد فإن كان ذكرا
فاقتلاه وإن كانت أنثى فاستبقياها فاتقت القابلتان الله ولم تفعلا ما أمرهما به ملك مصر وجعلتا تستحييان الغلمان
فدعا ملك مصر القابلتين وقال لهما ما بالكما تجاوزتما أمري واحييتما الغلمان فقالتا لفرعون إن العبرانيات ليس كالمصريات
لأنهن قوابل ويلدن قبل أن تدخل القابلة عليهن فأحسن الله إلى القابلتين لصنعهما هذا فكثر الشعب وعز جدا فلما اتقت
القابلتان الله أنماهما وجعل لهما بنين وفي نسخة بيوتا جمعهما فأمر فرعون جميع قومه قائلا كل غلام يولد لهم فألقوه في النهر
وكل جارية تولد فاستبقوها فانطلق رجل من آل لاوي فتزوج إحدى بنات لاوي فحبلت المرأة فولدت ابنا فرأته
حسنا جدا فغيبته ثلاثة أشهر ولم تقدر أن تغيبه أكثر من ذلك فأخذت تابوتا من خشب الصنوبر وطلته بالقار والزفت
ووضعت فيه الغلام ووضعته في الضحضاح على شاطئ النهر وقامت أخته من بعيد لتنظر ما يكون من أمره فخرجت بنت فرعون
تغتسل في النهر فنظرت إلى التابوت في المخاضة فأرسلت جواريها فأتوا به ففتحته فرأت الغلام فإذا هو يبكي فرحمته
وقالت هذا من بني العبرانيين فقالت أخته لابنة فرعون هل لك أن انطلق أدعو لك ظئرا من العبرانيات فترضع هذا الغلام
قالت لها ابنة فرعون نعم انطلقي فانطلقت الفتاة فدعت أم الغلام فقالت لها ابنة فرعون خذي هذا الصبي فأرضعيه وأنا
أعطيك أجرتك فأخذت المرأة الغلام فأرضعته فشب الغلام فأتت به إلى ابنة فرعون فتبنته وسمته موسى لأنها قالت
إني انتشلته من الماء فلما كان بعد تلك الأيام نشأ موسى وخرج إلى إخوته فنظر إلى ذلهم فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا
عبرانيا من إخوته من بني إسرائيل فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فقتل المصري فمات ودفنه في الرمل ثم خرج يوما آخر فإذا
هو برجلين عبرانيين يصطخبان فقال للمسيء منهما ما بالك تضرب أخاك فقال له من جعلك علينا رئيسا وحاكما لعلك تريد أن
تقتلني كما قتلت المصري أمس ففرق موسى وقال حقا لقد فشا هذا الأمر فبلغ فرعون الأمر وأراد موسى فهرب موسى من فرعون
وانطلق إلى أرض مدين وجلس على طوى الماء وكان لحبر مدين سبع بنات فكن يأتين فيدلين الماء فيملأن الحياض ليسقين غنم أبيهن
فكان الرعاة يأتون فيطردونهن فقام موسى فخلصهن وأسقى غنمهن فأتين إلى رعويل أبيهن فقال لهن ما بالكن أسرعتن
السقي اليوم فقلن له رجل مصري خلصنا من أيدي الرعاة فاستقى لنا الماء وسقى غنمنا فقال لبناته وأين هو لم تركتن الرجل
انطلقن وادعونه فيأكل عندنا خبزا ففعلن ذلك فأعجب موسى أن ينزل على ذلك الرجل فزوجه صفورا ابنته فتزوجها
فولدت له ابنا فسماه جرشون لأنه قال إني صرت ساكنا في أرض غربة وولدت لموسى ابنا آخر فسماه اليعازار لأنه قال
إن الله أي خلصني من حرب فرعون وقوله إن المتخاصمين في اليوم الثاني عبرانيا وإن أمكن تنزيله على ما في القرآن عليه فذاك وإلا
فهو مما بدلوه وقوله إن بنات شعيب سبع لا يخالف ما في القرآن الكريم بل أيد الزمخشري بتعيينهما بقوله هاتين لكن تقدم ما يشير
إلى أن ذلك غير لازم ولما كان من المعلوم أن التقدير فلما أبرم موسى عليه السلام زوجه ابنته كما شرط واستمر عنده حتى
قضى ما عليه بنى عليه قوله فلما قضى أي وفى وأتم وأنهى وأنفذ موسى صاحبه الأجل أي الأوفى وهو العشر أو في جميع ما
شرط عليه من العمل فإنه ورد أنه قضى من الأجلين أوفاهما وتزوج من المرأتين صغراهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره وروى الطبراني
في الأوسط معناه عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعا والظاهر أنه مكث عنده بعد الأجل أيضا مدة لأنه عطف بالواو قوله وسار

ولم يجعله جوابا للما بأهله أي امرأته راجعا إلى أقاربه بمصر آنس أي أبصر من جانب الطور نارا آنسته رؤيتها وشرحت أماراتها
كان كأنه قيل ماذا فعل عندما أبصرها قيل قال لأهله
وكان مضرورا إلى الدلالة على الطريق والاصطلاء بالنار
ولما كان النساء أعظم ما ينبغي ستره أطلق عليها ضمير الذكور فقال امكثوا وإن كان معه بنوه فهو على التغليب ثم علل ذلك
بقوله مؤكدا للاستبعاد أن يكون في ذلك المكان القفر وفي ذلك الوقت الشديد البرد نار إني آنست نارا فكأنه قيل فماذا تفعل بها فقال
معبرا بالترجي لأنه أليق بالتواضع الذي هو مقصود السورة وهو الحقيقة في إدراك الآدميين في مثل هذا ولذا عبر بالجذوة التي تعد
مادتها الثبات لعلي آتيكم منها أي من عندها بخبر يشفعنا في الدلالة على المقصد أو جذوة أي عود غليظ من النار أي متمكنة منه
هذه الحقيقة أو التي تقدم ذكرها ثم استأنف قوله لعلكم تصطلون أي لتكونوا على رجاء من أن تقربوا من النار فتستطعوا عليها وهذا
ولما كان آخر الكلام دالا دلالة واضحة على أن المنادي هو الله بني للمفعول
دليل على أن الوقت كان شتاء فلما أتاها أي النار
ولما كان نداؤه سبحانه لا يشبه نداء غيره بل يكون من جميع الجوانب وكان مع ذلك قد
قوله دالا على ما في أول الأمر من الخفاء نودي
يكون لبعض المواضع مزيد شرف بوصف من الأوصاف إما بأن يكون أول السماع منه أو غير ذلك أو يكون باعتبار كون موسى عليه السلام قال
من أي كائنا موسى بالقرب من شاطئ أي جانب الوادي عن يمين موسى عليه السلام ولذلك قال الأيمن وهو صفة للشاطئ الكائن
أو كائنا في البقعة المباركة كائنا أول أو معظم النداء أو كائنا موسى عليه السلام قريبا من الشجرة كما تقول أتاني فلان من بيته
ولعل الشجرة كانت كبيرة فلما وصل إليها دخل النور من طرفها إلى وسطها ثم دخلها وراءه بحيث توسطها فسمع وهو فيها الكلام
من الله تعالى حقيقة وهو المتكلم سبحانه لا الشجرة قال القشيري وحصل الإجماع أنه عليه السلام سمع تلك الليلة كلام
الله ولو كان ذلك نداء الشجرة لكان المتكلم الشجرة وقال التفتازاني في شرح المقاصد أن اختيار حجة الإسلام أنه سمع كلامه الأزلي
بلا صوت ولا حرف كما ترى ذاته في الآخرة بلا كم ولا كيف وتقدم في طه أن المراد ما على يمين المتوجه من مصر إلى الكعبة المشرفة
والشجرة قال البغوي قال ابن مسعود رضي الله عنه كانت سمرة خضراء تبرق وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت عوسجة وقال وهب
من العليق وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها العناب ثم ذكر المنادى به بقوله أن يا موسى وأكد لأنه سبحانه لعظمه يحقر كل أحد نفسه
ولما كان هذا الاسم
لأن تؤهله للكلام لا سيما والأمر في أوله فقال إني أنا الله أي المستجمع للأسماء الحسنى والصفات العلا
عقبها تعرف بصفة من جمع الأفعال المشاهدة للإنسان فقال رب العالمين أي خالق الخلائق أجمعين ومربيهم وأن ألق عصاك
أي لأريك فيها آية ولما كان التقدير فألقاها فصارت في الحال حية عظيمة وهي مع عظمها في غاية الخفة بنى عليه قوله
فلما رآها أي العصا تهتز كأنها أي في سرعتها وخفتها جان أي حية صغيرة ولى مدبرا خوفا منها ولم يلتفت إلى جهتها
وهو معنى قوله ولم يعقب أي موسى عليه السلام وذلك كناية عن شدة التصميم على الهرب والإسراع فيه خوفا من الإدراك
في الطلب فقيل له يا موسى أقبل أي التفت وتقدم إليها ولا تخف ثم أكد له الأمر لما الآدمي مجبول عليه من النفرة وإن
اعتقد صحة الخبر بقوله إنك من الآمنين أي العريقين في الأمن كعادة إخوانك من المرسلين ثم زاد طمأنينته بقوله اسلك أي
أدخل على الاستقامة مع الخفة والرشاقة يدك في جيبك أي القطع الذي في ثوبك وهو الذي يخرج منه الرأس أو هو الكم
كما يدخل السلك وهو الخيط الذي ينظم فيه الدر تمسك على لونها وما هي عليه من أثر الحريق الذي عجز فرعون عن مداواته
وأخرجها تخرج بيضاء بياضا عظيما يكون له شأن خارق للعادات من غير سوء أي عيب من حريق وغيره كبرص ولها شعاع
كضوء الشمس فالآية من الاحتباك ولما كان ذلك لا يكون آية محققا لعدم العيب إلا بعودها بعد ذلك إلى لون الجسد
قال واضمم إليك أي إلى جسدك ولما كان السياق للتأمين من الخوف عبر بالجناح لأن الطائر يكون آمنا عند ضم جناحه
فقال جناحك أي يدك التي صارت بيضاء والمراد بالجناح في آية طه الإبط والجانب لأنه لفظ مشترك من الرهب أي من خشية
أن تظنها معيبة تخرج كما كانت قبل بياضها في لون جسدك هذا على أن المراد بالرهب الخوف الذي كان أوجب له الهرب ويجوز أن
يكون المراد بالرهب الكم فيكون إدخالها في الفتحة التي ليست موضعها بل موضع الرأس للبياض وإدخالها في الكم الذي هو لها لرجوعها
إلى عادتها وفي البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند
معاينة الحية وقال وما من خائف بعد موسى عليه السلام إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه وأظهر اليد بلفظ الجناح من
غير إضمار تعظيما للمقام تنبيها على أن عودها إلى حالها الأول آية مستقلة وعبر عنها بلفظ الجناح تنبيها على الشكر بتعظيم
نعمتها ولما تم كونها آية بانقلابها إلى البياض ثم رجوعها إلى لونها قال فذانك أي العصا واليد البيضاء وشدد
أبو عمرو وابن كثير ورويس تقوية لها لتعادل الأسماء المتمكنة وذكر لزيادة التقوية برهانان أي سلطانان وحجتان
قاهرتان من ربك أي المحسن إليك لا يقدر على مثلهما غيره إلى أي واصلان أو أنت مرسل بهما فرعون وملائه كلما أردت ذلك
وحدته لأنهما يكونان لك هنا في هذه الحضرة فقط ثم علل الإرسال إليهم على وجه إظهار الآيات لهم واستمرارها
بقوله مؤكدا تنبيها على أن إقدامه على الرجوع إليهم فعل من يظن أنهم رجعوا عن غيهم وإعلاما بمنته عليه بالحماية منهم

بهذه البراهين إنهم كانوا اي جبلة وطبعا قوما اي اقويا فاسقين اي خارجين عن الطاعة فادارا وا ذلك هابوك
فلم يقدروا على الوصول اليك بسوء وكنت في مقام ان تردهم عن فسقهم ولما كان كانه قيل ما فعل بعد رؤية هذه
الخوارق قيل ثبت علما منه بصعوبة المقام وخطر الامر فاشترط لنفسه حتى رضي وتلك كانت عادته ثباتا وحزما وحلما وعلما
الا ترى الى ما فعل معنا عليه السلام والتحية والاكرام ليلة الاسرا في السؤال في تخفيف الصلاة ولذلك كله قال رب
اي ايها المحسن الي اني اكن لا انا رسالة الله سبحانه له تعلمن لا يعتبر ان لم عليه تره ذلك فذكر ذلك ليعلم وجه عدم
اعتباره قتلت منهم اي آل فرعون نفسا وانت تعلم ما خرجت الا هاربا منهم من اجلها فاخاف ان بادرتهم بمثل ذلك ان
يقتلون لذنبي اليهم ووحدتي وغربتي وثقل لساني في اقامة الحجج ولما تسبب عن ذلك الطلب الاعانة بشخص فيه كفاية
وله عليه شفقة وكان اخوه هرون احق الناس بهذا الوصف كان التقدير فارسل معي اخي هرون الى اخر عبارته قدم ذكره
اهتماما بشانه فقال واخي هرون والظاهر ان واوه للحال من ضمير موسى عليهما السلام او عاطفة على مقول القول والمعنى
انه يخاف ان يفوت مقصود الرسالة اما بقتله او بعدم بيانه واكتفى بالتلويح في الكفاية من الاول لانه لا طاقة لاحد غير
الله لها وصرح بما يكفي في الثاني فكان التقدير اي اخاف ان يقتلون فيفوت المقصود ولا يجي من تلك الا انت وان لساني فيه
عقدة واخي الى اخره وزاد في تعظيمه بضمير الفصل فقال هو افصح مني لسانا اي من جهة اللسان للعقدة التي كانت حصلت له
من وضع الجمرة في فيه وهو طفل في كفالة فرعون فارسله اي بسبب ذلك معي ردءا اي معينا من ردات فلانا بكذا اي جعلته له
قوة وعاصدا او ردات الحايط اذا دعمته بخشب او كبس يدفعه ان يسقط وقراءة نافع بغير همز من الزيادة ولما
كان له عليه من العطف والشفقة ما يقصر الوصف عنه نبه على ذلك باجابة السؤال بقوله يصدقني اي بان يلخص بفصاحته
ما قلته ويبينه ويقيم الادلة عليه حتى يصير كالشمس وضوحا فيكون مع تصديقه لي بنفسه سببا في تصديق غيره لي ورفعه
عاصم وحمزة صفة لردءا علل سؤاله هذا وبين انه هو المراد لان يقول له صدقت فان قوله لهذه اللفظة لا تعلق له بالفصاحة
حتى تكون سببا للسؤال فيه بقوله مؤكدا لاجل ان من كان رسولا عن الله لا يظن به انه يخاف اني اخاف ان يكذبون ولما
كان ما راى من الافعال وسمع من الاقوال مقتضيا للامن من ان يكذبوه وكان عالما بما هم عليه من القساوة والكبر اشار الى ذلك بالتاكيد
اي وان كذبوني عسرت على المحاججة على ما هو عادة اهل الخصم عند تمام الخصوص على العناد والارسال موجب لكلام كثير وحجاج
طويل وقريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لما امره الله تعالى بانذار قومه اذا يثلغوا راسي فيجعلوه خبزة وكان مراد
السادة القادة عليهم الصلاة والسلام والتحية والاكرام الاستعلام عن الامر هل يجري على العادة او لا فان كان يجري على العادة
وطنوا انفسهم على الموت والا ذكر لهم الامر الخارق فيكون بشارة لهم ليمضوا في الامر على بصيرة ويسير واثقه على حسب ما يقتضيه من السير
ولما اكرم الطلب لهرون عليهما السلام اكرم له سبحانه امر الاجابة بقوله مستانفا قال سنشد وذكر اولى العظمة
بمزاولة المكان فقال عضدك اي امرك باخيك اي سنقويك ونعينك به اجابة لسؤالك صلة منك لاخيك وعونا منه لك
ونجعل لكما سلطانا اي ظهورا عظيما عليهم وغلبة لهم بالحجج والهيبة لاجل ما ذكرت من الخوف فلا اي فيتسبب عن ذلك انهم لا يصلون
اليكما بنوع من انواع الغلبة باياتنا ان تجعل ذلك بسبب ما يظهر على ايديكما من الايات المعظمة بنسبتها الينا ولذلك كانت
النتيجة انتما ومن اتبعكما اي من قومكما وغيرهم الغالبون اي لا غيركم وهذا يدل على ان فرعون لم يصل الى السحرة بشيء مما هددهم به
لانهم من اكبر الاتباع الباذلين لانفسهم في الله وكانه حذف امرهم هنا لانه في بيان امر فرعون وجنوده بدليل ما كرر من ذكرهم
وقد كشفت العاقبة عن ان السحرة ليسوا من جنوده بل من حزب الله وجنده ومع ذلك فقد اشار اليهم بهذه الاية والتي بعدها وسياتي
في اخر سورة الحديد عن تاريخ ابن عبد الحكم انهم خلصوا او رجع بعضهم الى مصر فكانوا اول من ترهب [illegible] قال
بعد ما تقدم وكان من بعد ايام كثيرة مات فرعون ملك مصر فاستراح بنوا اسرائيل من شدة تعبدهم فصلوا وسمع الله صلاتهم وعرف
تعبدهم وسمع ضجتهم وذكر عهده لابرهيم واسحاق ويعقوب فابصر الله بني اسرائيل وعرف ذلهم فكان موسى يرعى غنم يثرو ختنه
حبر مدين فساق ماشيته الى طرف البرية واتى الى حوريب جبل الله فتراءى له ملك الله بلهيب النار من جوف العوسج فنظر فيه
النار ولم يكن العوسج يحترق فقال موسى لا عدلن فانظر الى هذه الرويا العظيمة ما بال هذه العوسجة لم تحترق فراى الرب انه
قد عدل لينظر فدعاه الله من جوف العوسج وقال له يا موسى يا موسى فقال ها انا ذا قال لا تدن الى هاهنا اطرح خفيك عن قدميك
لان المكان الذي انت فيه واقف عليه مكان طاهر وفي نسخة مقدس وقال الله انا اله ابيك ابرهيم اله اسحاق اله يعقوب
فغطى موسى وجهه لانه فرق ان يمد بصره نحو الرب وقال الرب اني قد رايت ذل شعبي بمصر وسمعت ضجتهم التي ضجوا من تعبدهم
لاني عارف بالامهم فنزلت لاخلصهم من ايدي المصريين وان اصعدهم من تلك الارض الى ارض صالحة واسعة تغل السمن والعسل
ارض الكنعانيين والحاثانيين والاموراييين والفرزانيين والحاوانيين واليابسانيين والان هوذا ضجيج بني اسرائيل
قد ارتفع الي ورايت ضر المصريين لهم فهلم الان حتى ارسلك الى فرعون واخرج شعبي بني اسرائيل من مصر فقال موسى لله

من انا حتى انطلق الى فرعون واخرج بني اسرائيل من مصر فقال له الله انا اكون معك وهذه الاية لك اني ارسلتك انك
اذا اخرجت الشعب من مصر تعبدون الله في هذا الجبل فقال موسى لله ها انا ذا منطلق الى بني اسرائيل واقول لهم الرب
اله ابائكم ارسلني اليكم فان قالوا ما اسمه ما الذي اقوله لهم فقال الرب لموسى قل لهم الازلي الذي لم يزل وفي نسخة لا يزول
وقال هكذا قل لبني اسرائيل اهيا شراهيا ارسلني اليكم وقال الرب ايضا لموسى هكذا قل لبني اسرائيل الله ربكم اله ابائكم
اله ابرهيم اله اسحاق اله يعقوب ارسلني اليكم هذا اسمي الى الابد وهذا ذكري الى حقب الاحقاب انطلق فاجمع اشياخ بني
اسرائيل وقل لهم الرب اله ابائكم اعلن لي اله ابرهيم واسحاق ويعقوب يقول لكم قد ذكرتكم وذكرت ما صنع بكم بمصر ورايت
اخرجكم من تعبد اهل مصر الى ارض الكنعانيين ومن تقدم معهم والى الارض التي تغل السمن والعسل فاذا قبلوا امرك فادخل انت
واشياخ بني اسرائيل الى ملك مصر فقولوا له الرب اله العبرانيين ظهر علينا فننطلق الان مسيرة ثلاثة ايام في البرية ونذبح
الذبايح لله ربنا وانا اعلم ان ملك مصر لا يدعكم تخرجون ولا بيد واحدة شديدة حتى ابعث يدي فاضرب المصريين بجميع العجايب
التي احدثها بينهم ومن بعد ذلك يرسلكم فاجعل الشعب في اعين المصريين رافة ورحمة فاذا اطلقتم فلا تنطلقوا عطلا صفرا
بل تستعير المراة منكم من جاراتها وساكنة بيتها حلي ذهب وفضة وكسوة والبسوها بنيكم وبناتكم ولتحربوا اهل مصر
فاجاب موسى وقال انهم لا يصدقونني ولا يقبلون قولي لانهم يقولون لم يتراءى لك الرب فقال له الرب ما هذه التي في يدك
فقال هي عصى فقال له القها في الارض فالقاها في الارض فصارت ثعبانا فهرب منه موسى فقال الرب لموسى مد يدك فخذ بذنبها
فمد يده فامسكه فتحول في يده عصى فقال لكي يصدقوا ان الله اله ابائهم قد تراءى لك اله ابرهيم اله اسحاق اله يعقوب وقال
الرب لموسى اردد يدك في دركك وفي نسخة في كمك فردها ثم اخرجها فاذا هي مثل جسده فان هم لم يؤمنوا ولم يسمعوا بالاية الاولى
فانهم يؤمنون ويسمعون بالاية الاخرى فان لم يؤمنوا بالايتين ولم يسمعوا قولك فخذ ماء من الارض وفي نسخة النيل
فاصببه على الارض فانه ينقلب ويصير دما في اليبس فقال موسى للرب اطلب اليك يا رب لست رجلا ناطقا منذ امس وما
قبله ولا من الوقت الذي كلمت عبدك فيه لاني الثغ المنطق عسر اللسان فقال له الرب من الذي خلق المنطق للناس ومن
الذي خلق الاخرس والاصم والمبصر والمكفوف اليس انا الرب الذي اصنع ذلك فانطلق الان وانا اكون معك وراقبا للسانك
والقنك ما تنطق به فقال موسى اطلب اليك يا رب ارسل في هذه الرسالة غيري فقال هذا اخوك هرون اللاوي قد علمت انه
ناطق لسن وهو ايضا سيلقاك ويبتهج فرحا بك واخبره بالامر ولقنه كلامي وانا اكون راقبا على فيك وفيه واعلمكما ما
تصنعان وهو يكلم الشعب عنك فيكون لك مترجما وانت تكون له الها وفي نسخة استاذا ومدبرا وخذ في يدك هذه العصى لتعمل
بها الايات فرجع موسى منطلقا الى يثرو ختنه وقال له اي راجع الى اخوتي بمصر وناظر هل هم احيا بعد فقال يثرو لموسى
انطلق راشدا سالما وقال الرب لموسى في مدين انطلق راجعا الى مصر لان الرجال الذين كانوا معك يطلبون نفسك قد
هلكوا جميعا الى اخر ما مضى في الاعراف وفي هذا الفصل مما لا يسوغ اطلاقه في شرعنا على المخلوق الاله وهو في لغة العبرانيين
بمعنى العالم والحاكم وفيه ايضا ان فرعون مات قبل رجوع موسى فان كان المراد الذي ربى موسى عليه السلام في بيته فهو مما
يدلوه كان التقدير فاتاهم كما امره الله وعاضده اخوه كما اخبر الله ودعواهم الى الله تعالى واظهرا ما امرا به ولما كانت رسالة هرون عليه
من الايات تبعا عليه قوله مبينا بالفاء سرعة امتثاله فلما جاءهم اي فرعون وقومه ولما
السلام انما هي تاييد لموسى عليه السلام اشار الى ذلك بالتصريح باسم الجاي فقال موسى باياتنا اي التي امرناه بها الدالة على
جميع الايات للتساوي في خرقها للعادة حال كونها بينات اي في غاية الوضوح قالوا اي فرعون وجنوده ما هذا اي الذي اظهرته
من الايات الا سحر مفترى اي مختلق لا حقيقة له كجميع انواع السحر على ايام يوسف عليه السلام وما بالعهد من قدم ثم
سعدا التخييل لانه معجز من عند الله وما سمعنا بهذا اي الذي يقوله من الرسالة عن الله في اباينا واشاروا الى البدعة
التي اضلت اكثر الخلق وهي تحكيم عوايد التقليد ولا سيما عند تقادمها على القواطع في قولهم الاولين وقد كذبوا وافتروا
لقد سمعوا بذلك على ايام يوسف عليه السلام وما بالعهد من قدم فقد قال لهم الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
الى قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ولما [illegible] اخبر تعالى بقولهم عطف عليه الاخبار بقول موسى عليه السلام ليوازن
السامع بين الكلامين ويتبصر بعقله ما الفاسد منهما فيصيرها تميز الاشياء هذا على قراءة الجماعة بالواو واستانفوا جوابا
لمن كانه سال عن جوابه على قراءة ابن كثير بحذفها فان الموضع موضع بحث عما اجابهم به عند تسميتهم الايات الباهرة سحرا استقطاما لذلك
فقال وقال موسى اي لما كذبوه وتم الكاذبون مشيرا الذي البصر الى الطريق يميزون به الامرين في سياق مهدد لهم ربي اي المحسن الي بما
ترون من تصديقي في كل ما ادعيه باظهار ما لا تقدرون عليه على قوتكم من الخوارق ومع هذا الظالم العالي المستكبر من الوصول الي
بسوء اعلم بمن جاء بالضلال ظلما وعدوانا فيكون مجرا ولا لكونه ساحرا محرفا مفتريا على الله ويكون له سوء الدار واعلم بحالي ولكنه قال
بمن جاء بالهدى اي الذي اذن الله فيه وهو حق في نفسه من عنده تصويرا لحاله وتشويقا الى اتباعه ومن تكون له لكونه منصورا مؤيدا

عاقبة الدار اى الراحة والسكن والاستقرار مع الامن والطمانينة والسرور والظفر بجميع المطالب فى الحالة التى يكون اخر الحالات
منى ومنكم فيعلم انه اتى بما يرضى الله ومن وان كانت حقيقتها ما يعقب الشئ من خير او شر لكنها لا يراد بها الا ما يقصد للعاقل حتى
تكون له واما عاقبة السوء فهى عليه لا له ثم علل ذلك بما اجرى الله به عادته فقال معلما بان المخذول هو الكاذب باشارة الى انه الغالب
لكون الله معه مؤكدا لما استقر فى الانفس من ان القوى لا يغلبه الضعيف انه لا يفلح اى يظفر ويفوز الظالمون اى الذين يمشون كما
يمشى من هو فى الظلام بغير دليل فهم لا يضعون قدما فى موضع يثقون بانه صالح للمشى لا تبعة فيه فستنظرون ولتعلمن نباه بعد
حين وقال فرعون جوابا لهذا الترغيب والترهيب بعد الاعذار ببيان الايات الكبار دافعا فى مدافعة ما راى انه اجتذب
قومه عن الجملة من ظهور تلك الايات البينات بان يوقفهم عن الايمان الى وقت ما وكذا كانت عادته كلما اظهر موسى عليه السلام برهانا
لان قومه فى غاية الغباوة والعراقة فى الميل الى الباطل والنفرة من الحق وترجيح المظنة على المئنة يا ايها الملأ اى الاشراف معظما
لهم استجلابا لقلوبهم ما علمت لكم والمراد فى النفى فقال من اله غيرى نفى علمه بذلك اظهارا للنصفة وانه ما قصد غشهم ودليل
منه واضح فى انه قصد لتشكيكهم اشارة منه الى ان انتفا علمه بوجوده ما هو الا لانتفا وجوده بعد علمه بان الحق مع موسى عليه السلام
لانه انهى ما اى ابلغ ما قدر عليه بعد رؤيتهم لباهر الايات وظاهر الدلالات ثم زاد فى ايقافهم عن المتابعة بان سبب عن جملة قوله لوزيره
معلما له صنعة الاجر لانه اول من عمله مع ان هذه العبارة اشبه بعجم الجبابرة من ان يكون اصنع لى اجرا فاوقد لى اضاف الايقاد اليه
اعلاما بانه لا بد منه يا هامان وهو وزيره على الطين اى المتخذ لبنا ليصير اجرا ثم سبب عن الايقاد قوله فاجعل لى اى منه صرحا
اى بناء عاليا يناطح السما قال الطبرى وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر وقال الزجاج كل بناء متسع مرتفع لعلى اطلع اى اتكلف
الطلوع الى اله موسى الذى يدعوا اليه فانه ليس فى الارض احد بهذا الوصف الذى ذكره موهما لهم انه مما يمكن الوصول اليه على تقدير
صحة الدعوى بانه موجود وهو قاطع بخلاف ذلك ولكنه يقصد المدافعة من وقت الى وقت لعلمه ان العادة جرت بان اكثر الناس يظنون
بالملوك القدرة على كل ما يقولونه ثم زادهم شكا بقوله مؤكدا لاجل دفع ما استقر فى الانفس من صدق موسى عليه السلام وانى لاظنه
اى موسى عليه السلام من الكاذبين اى دابه ذلك وقد كذب هو ولبس لعنه الله ووصف اصدق اهل ذلك الزمان بصفة نفسه لعنه الله
فى العه وان وان كان هذا الكلام منه على حقيقته فلا شئ ابين شهادة على افراط جهله وغباوته منه حيث ظن انه يصل الى السما
ثم على تقدير الوصول يقدر على الارتقا على ظهرها ثم على تقدير ذلك يقدر على منازعة بانيها وساكنها ومعليها ولما قال هذا
مريدا به كما تقدم من ايقاف قومه عن اتباع الحق اتبعه تعالى الاشارة الى انهم فعلوا ما اراد وان ذلك هو الكبر عن الحق فقال تعالى
واستكبر اى واوجد الكبر بغاية الرغبة فيه هو بقوله هذا الذى صدهم به عن السبيل وجنوده بانصدادهم لشدة رغبتهم فى الكبر
على الحق والاتباع للباطل فى الارض اى ارض مصر ولعله عرفها اشارة الى انه لو قدر على ذلك فى غيرها فعل بغير الحق اى استكبارا
مصحوبا بغير هذه الحقيقة والتعبير بالتعريف يدل على ان التعظيم بنوع من الحق ليس كبرا وان كانت صورته كذلك واما تكبره
سبحانه فهو بالحق كله وعطف على ذلك ما تفرع عنه وعن الغباوة ايضا ولذا لم يعطفه بالفا فقال وظنوا اى فرعون وقومه
ظنا بنوا عليه اعتقادهم فى اصل الدين الذى لا يكون الا بقاطع انهم الينا اى الى حكمنا خاصة الذى يظهر عنده انقطاع الاسباب لا
يرجعون اى لا فى الدنيا ولا فى الاخرة فلذلك اجترؤا على ما ارتكبوه من الفساد ولما تسبب عن ذلك اهلاكهم قال فاخذناه
اى بعظمتنا اخذ قهر ونقمة وجنوده اى كلهم وذلك علينا هين واشار الى احتقارهم بقوله فنبذناهم اى على صغرهم وعظمتنا
فى اليم فكانوا على كثرتهم وقوتهم كحصيات صغار قذفها الرامى الشديد الذراع من يده فى البحر فغابوا فى الحال وما ابوا ولا احد منهم
الى الاهل والمال ولما سببت هذه الايات من العلوم ما لا يحيط به الفهوم قال فانظر اى ايها المتعرف
للايات الناظر فيها نظر الاعتبار وزاد فى تعظيم ذلك بالتنبيه على انه مما يحق له ان يسئل عنه فقال كيف كان اى كونا هو الكون
عاقبة اى اخر امر الظالمين وان زاد ظلمهم واعيى امرهم ذهبوا فى طرفة عين كان لم يكونوا وغابوا عن العيون كانهم قط لم يبينوا
وسكنوا بعد ذلك الامر والنهى فصاروا بحيث لم يبينوا فليحذر هؤلاء الذين ظلموا ان استمروا على ظلمهم ان يقطعوا ويبينوا
وهذا اشارة باعظم بشارة بان كل ظالم تكون عاقبته هكذا ان صابر المظلوم المحق وداومه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين
ولما كان من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر
من عمل بها الى يوم القيمة وكانوا اول من اصر واطبق فى ذلك الزمان على تكذيب الايات واخفاء الدلالات النيرات على توالبها
وكثرتها وطول زمانها وعظمها وكانت منابذة العقل واتباع الضلال فى غاية الاستبعاد لا سيما ان كانت ضامنة الهلاك
بالتعريف فى الدنيا والعذاب فى الاخرى قال تعالى فى مظهر العظمة وجعلناهم اى فى الدنيا ائمة اى متبوعين فى رد ما لا يرده
عاقل من مثل هذه الايات اى جعلنا امرهم شهيرا حتى لا يكاد احد يجهله فكل من فعل مثل افعالهم من رد الحق والتجبر على الخلق فكانه
تداخل الاقتداء بهم وان لم يكن قاصدا ذلك فاطلق ذلك عليه رفعا له عن النسبة الى انه يعمل ما يلزمه الاتسام به وهو
غافل عنه كما انه لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل واحق الناس باتباعهم فى باطن اعتقادهم

وظاهر

وظاهر اصطناعهم وخيبة امالهم واطماعهم اهل الالحاد بمذهب الاتحاد اهلك الله انصارهم وعجل دمارهم وكشف هذا
المعنى بقوله يدعون اى يوجدون الدعا لمن اغتر بحالهم دخل بضلالهم الى النار اى وجعلناهم اعوانا ينصرونهم عكس ما اردنا لبنى
اسرائيل كما سلف اول السورة وجعلناهم موروثين ولما كان الغالب من حال الايمة النصرة وكان قد اخبر عن خذلانهم فى
الدنيا قال ويوم القيمة اى الذى هو يوم التغابن لا ينصرون اى لا يكون لهم نوع نصر اصلا كما كانوا يوم هلاكهم فى الدنيا سواء
ولا يهم ايمة ولا لهم دعوة بل يخلدون فى الخبر عن هذا الحال اخبر عن ثمرته فقال فى مظهر العظمة لان السياق لبيان علو فرعون
واله العذاب ويكون لهم سوء المآب والامامة والدعوة اولا دال على عدمها ثانيا وذكر القيمة وعدم النصرة ثانيا دال على ضدهما
اولا فالاية من الاحتباك ولما اخبر عن هذا الحال اخبر عن ثمرته فقال فى مظهر العظمة لان السياق لبيان علو فرعون واله
وانهم مع ذلك طوع المشيئة واتبعناهم فى هذه ولما كان المراد الاطناب فى بيان هلكهم فسر اسم الاشارة فقال الدنيا
ولم يقل الحياة لان السياق لتحقير امرهم ودناءة شانهم لعنة اى طردا وبعدا اعرجنا بنا ودعا عليهم بذلك من كل من سمع خبرهم
بلسانه ان حاله ... هم او بفعله الذى يكون عليهم مثل وزر ان وافقهم ويوم القيمة هم اى خاصة ومن شاكلهم من المقبوحين
اى المبعدين ايضا المخزيين مع قبح الوجوه والاشكال والشناعة فى الاقوال والافعال والاحوال من القبح الذى هو ضد الحسن من
قولهم قبحت الشئ اذا كسرته وقبح الله العدو وابعده عن كل خير فيا ليت شعرى اى صراحة بعد هذا فى ان فرعون عدو لله فى الاخرة
كما كان عدوا فى الدنيا فلعنة الله على من يقول انه مات مؤمنا وانه لا صريح فى القران بانه من اهل النار وعلى من يشك فى كفره بعد
ما ارتكبه من جلى امره ولما وعد سبحانه بامامة بنى اسرائيل ونص القصص حتى ختم بامامة ال فرعون فى الدعا الى النار اعلاما
بان ما كانوا عليه يجب مجانبته ومنابذته ومباعدته وكان من المعلوم انه لا بد لكل امامة من دعامة تشوقت النفس الى اساس امامة
بنى اسرائيل التى يجب العكوف فى ذلك الزمان عليها والتمسك بها والمبادرة اليها فاخبر سبحانه عن ذلك مقسما عليه مع الافتتاح بحرف
التوقع لان العرب وان كانوا مصدقين لما وقع من المنة على بنى اسرائيل بانقاذهم من يد فرعون وتمكينهم بعده وانزال الكتاب عليهم فحالهم
بانكار التمكين لاهل الاسلام والتكذيب بكتابهم حال المكذب بامر بنى اسرائيل لانه لا فرق بين نبى ونبى وكتاب وكتاب وناس
وناس لان رب الكل واحد فقال ولقد اتينا اى بما لنا من الجلال والجمال والمجد والكمال موسى الكتاب اى التوراة الجا
مع للهدى والخير فى الدارين قال ابو حيان وهو اول كتاب انزلت فيه الفرائض والاحكام ولما كان حكم التوراة لا
يستغرق الزمان الاتى دخل الجار فقال من بعد ما اشارة الى ان ايتاها انما هو فى مدة من الزمان ثم بينها سبحانه بما ينا من ادم
اهلكنا اى بعظمتنا القرون الاولى اى من قوم نوح الى قوم فرعون ووقتها بالهلاك اشارة الى انه لا يعم امة من الامم بالهلا
بعد ان لها تشريفا لها ولمن انزلت عليه واوصلت اليه ثم ذكر حالها بقوله بصائر جمع بصيرة وهى نور القلب مصابيح وانوا
للناس يبصرون بها ما يعقل من امر معاشهم ومعادهم واولاهم واخراهم كما ان نور العين يبصر به ما يحس من امور الدنيا ولما
كان المستبصر قد لا يهتدى لمانع قال وهدى اى للعامل بها الى كل خير ولما كان المهتدى ربما حمل على من توصل
الى غرضه وكان ضارا قال ورحمة اى نعمة هنية شريفة لانها قائدة اليها ولما ذكرها ذكر حالهم بعد انزالها فقال
لعلهم يتذكرون اى لتكون حالهم حال من يرجى تذكره وهذا اشارة الى انه ليس فى الشرايع ما يخرج عن العقل بل متى تامله الا
نسان تذكر به من عقله ما يرشد الى مثله ولما بين سبحانه فى هذه السورة من غرايب امر موسى عليه السلام وخفى احواله
ما بين وكانت هذه الاخبار لا يقدر اهل الكتاب على انكارها نوعا من الانكار وكان من المشهور انه ما دان النبى صلى الله عليه وسلم
لم يعرفها ولا سواها من غيرها لوجدها الفهار اشار الى ذلك سبحانه بقوله حالا من ضمير اتينا وما كنت بجانب الغربى اى الوادى
من الطور الذى راى موسى عليه السلام فيه النار وهو مما يلى البحر منه من جهة الغرب على يمين المتوجه الى ناحية مكة المشرفة من ناحية
مصر فناداه منه العزيز الجبار وهو ذو طوى اذ اى حين قضينا بكلامنا بما حوى من الجلال وزاد العظمة فى رفيع درجاته بالاشادة
بحرف الغاية فقال الى موسى الامر اى امر رسالته الى فرعون وقومه وما نريد ان نفعل من ذلك فى اوله واثنائه واخره مجملا فكان كلما
اخبرنا به مطابقا تفصيله لاجماله وانت بحيث تسمع ذلك الذى قضيناه اليه من الجانب الذى انت فيه وما كنت اى بوجه من الوجوه
من الشاهدين لتفاصيل ذلك الامر الذى احكمناه لموسى فى ذلك المكان فى اوقاته مع من شهد منه من اهل ذلك العصر من السبعين
الذين اختارهم او غيرهم ممن تبعه او صد عنه حتى تخبر به كله على هذا الوجه الذى اتيناك به فى هذه الاساليب المعجزة ولاشك ان
امر معرفة لذلك منحصر فى شهود له اياه فى وقته او تعلمك له من الخالق او من الخلايق الذين شاهدوه او اخبرهم به من شاهده
وانتفا تعلمه من احد من الخلايق فى الشهرة بمنزلة انتفا شهوده له فى وقته فلم يبق الا تعليمه له من الخالق وهو الحق الذى لا شبهة فيه
عند منصف ولما كان التقدير وما كنت من اهل ذلك الزمان الحاضرين لذلك الامر واستدرك الى هذا الزمان حتى
اخبرت بما كنت حاضره استدرك لضد ذلك فقال ولكنا اى بما لنا من العظمة انشانا بعد ما اهلكنا اهل ذلك الزمان الذين
علموا هذه الامور بالمشاهدة او الاخبار كلهم قرونا اى بما اخرنا احدا من اهل ذلك الزمان ولكنا اهلكناهم كلهم وكنا انا

بعدها اجيالا كثيرة فتطاول بمروره وعلوه عليهم العمر حد ابتداه من الزمان شيئا فشيئا فنسيت تلك الاخبار وحرف ما
بقي منها الرهبان والاحبار ولاسيما في زمان الفترة فوجب في حكمتنا ارسالك فارسلناك لنقيم الحجة ونقوم بك الحجة نعلم ان اخبارك
بهذا والحال انك لم تشاهدها ولا تعلمنه من مخلوق انما هو عنا وبوحينا ولما نفي العلم بذلك بطريق الشهود دنفي سبب العلم
بذلك فقال وما كنت ثاويا اي مقيما اقامة طويلة مع الملازمة بمدين في اهل مدين اي قوم شعيب عليه السلام تتلو اي تقرا على سبيل
القص للاذكار والاخبار الحق عليهم اياتنا العظيمة لتكون ممن يهتم بامور الوحي ويتعرف دقيق اخباره فيكون خبرهم وخبر موسى عليه
السلام معهم وخبره بعد فراقه لهم من شانك لتوفر داعيتك حينئذ على تعرفه ولكنا كنا اي كونا ازليا ابديا بنسبة الى جميع الازمان
بما لنا من العظمة على حد سوا مرسلين لناصعة القدرة على الارسال فارسلنا الى كل نبي في وقته ثم ارسلناك اليك في هذا الزمان
باخبارهم واخبار غيرهم لتنشرها في الناس واضحة البيان سالمة من الالباس لانا كنا شاهدين لذلك كله لم يغب عنا شي منه ولا
كان الا بامرنا ولما نفي السبب المبدا اي العلم بذلك الاجمال ثم الغاي للعلم بتفصيل تلك الوقايع والاعمال نفي السبب
الغاي للعلم بالاحكام ونصب الشريعة بما فيهما من القصص والمواعظ والحلال والحرام والاصار والاغلال بقوله وما كنت بجانب
الطور اذ اي حين نادينا اي اوقعنا الندا لموسى عليه السلام فاعطيناه التوراة واخبرناه بما لا يمكن الاطلاع عليه الا من قبلنا
او قبله ومن المشهور انك لم تطلع على شي من ذلك من قبله لانك ما خالطت احدا ممن حمل تلك الاخبار عن موسى عليه السلام ولا احدا
حملها عمن حملها عنه ولكن ذلك كان اليك منا وهو معنى قوله ولكن اي انزلنا ما اردنا منه ومن غيره عليك واوحيناه اليك
وارسلناك به الى الخلايق رحمة من ربك لك خصوصا وللخلق عموما لتنذر اي تحذر تحذيرا كبيرا قوما اي اهل قوة ونجدة ليس
لهم ما يثق عن اعمال الخير العظيمة الا الاعراض عنك وهم العرب ومن في ذلك الزمان من الخلق ما اتاهم وعمم النفي بزيادة الجار
في قوله من نذير اي منهم وهم مقصودون بارساله اليهم والا فقد اتتهم رسل موسى عليه السلام ثم رسل عيسى عليه السلام وان
صح ان خالد بن سنان العبسي فيكون نبيا غير رسول او يكون رسولا الى قومه بني عبس خاصة فدعاوه لغيرهم ان وقع فمن باب الامر
بالمعروف عموما الا الارسال خصوصا فيكون التقدير نذير منهم عموما وزيادة الجار في قوله من قبلك يدل على الزمن القريب
وهو زمن الفترة واما ما قبل ذلك فقد كانوا فيه على دين ابرهيم عليه السلام حتى غيره عمرو بن لحي فقد انذرهم في تلك الازمان
ابرهيم عليه السلام ثم اسمعيل عليه السلام ثم من بعدهما من صالحي ذريتهم الى زمن عمرو بن لحي فهم لاجل عدم النذير عمي عن الهدى
سالكون سبل الردى وقال لعلهم يتذكرون لمثل ما تقدم من انهم اذا قبلوا ما جئت به وتدبروه اذكرهم اذكارا ظاهرا
بما ارشدنا اليه الا ظهارا لما في عقولهم من شواهده وان كانت لا تستقل به بدونه والله الموفق ولما كان انتفا انذارهم
قبله عليه السلام نافيا للحجة في عذابهم بما اوجبه الله وله الحجة البالغة لا يسئل عما يفعل على نفسه الشريفة فضلا منه
وجه ذكر ان ارساله عليه السلام مما لا بد منه لذلك فقال ولولا اي ولولا هذا الذي ذكرناه ما ارسلناك لننذرهم ولكنه
حذف هذا الجواب اجلالا له صلى الله عليه وسلم عن المواجهة به وذلك الذي حتم الارسال هو ان تصيبهم اي في وقت من الاوقات
مصيبة اي عظيمة بما قدمت ايديهم اي من المعاصي التي قضينا بانها مما لا نعفي عنه فيقولوا ربنا اي ايها المحسن الينا
لولا اي هلا ولم لا ارسلت الينا اي على وجه التشريف لنا لنكون على علم بانا ممن يعتني الملك الاعلى به رسولا واجاب
التحضيض الذي شبهوه بالامر لكون كل منهما باعثا على الفعل بقوله فنتبع اي فيتسبب عن ارسال رسولك ان نتبع اياتك
ونكون اي كونا هو في غاية الرسوخ من المؤمنين اي المصدقين في كل ما اتى به عنك رسولك صلى الله عليه وسلم تصديقا
بليغا فاذا قالوا ذلك على تقدير عدم الارسال قامت لهم حجة في مجاري عاداتكم وان كانت لنا الحجة البالغة ولما
كان التقدير ولكنا ارسلناك بالحق لنقطع حجتهم هذه بنى عليه قوله فلما جاءهم اي اهل مكة الحق اي الذي هو اعم من الكتاب
والسنة وما تعاضد عليهما وهو في نفسه جدير بان يقبل لكونه في الذروة العليا من الثبات فكيف وهو من عندنا وانت اعظم
الخلق وعلى كمالك الخلق قالوا اي اهل الدعوة من العرب وغيرهم تعنتا كفرا به لولا اوتي اي هذا الاتي بما يزعم انه الحق من
الايات وبني للمفعول قوله لان المقصود مطلق الاتيان لا انه الذي يترتب عليه مقصود الرسالة مع ان الموتي معلوم من الايات
مثل ما اوتي موسى اي من اليد والعصى وغيرهما من الايات التي لا يقدر على اتيانها الا القادر على كل شي ولما كان الاتيان
بمثل ما اتى به موسى عليه السلام لا يكون موجبا للايمان على زعمهم الا ان يكون اعظم مما اتى به محمد صلى الله عليهما وسلم او يكون الناس لم
يتوقفوا في الايمان به وكان كل من الامرين منتفيا بان اهل زمانه كفروا به وهؤلاء لما سالوا اليهود عن محمد صلى الله عليه وسلم
وامروهم ان يمتحنوه بالروح وقصة اهل الكهف وذي القرنين وجاء في كل من ذلك بالوهم تصديقه فامتنعوا واصروا
على كفرهم وكان في ذلك كفرهم به وبموسى عليهما السلام فعلم ان التقدير الم يكفروا بما اتاهم به من الايات الباهرة مع انه مثل
ما اتى به موسى عليهما السلام بل اعظم منه اولم يكفروا اي العرب ومن بلغته الدعوة من بني اسرايل او من شا الله منهم او
ابناء جنسهم ومن كان مثلهم في البشرية والعقل في زمن موسى عليه السلام بما اوتي موسى ولما كان كل من اتاه به

على ما لنا من العظمة صح
وعلى كمالك صح

وكفرهم

وكفرهم لم يستغرق زمان القبل اثبت الجار فقال من قبل اي من قبل مجي الحق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم اليهم
كان كانه قيل ما كان كفرهم به فقيل قالوا اي فرعون وقومه ومن كفر من بني اسرايل كقارون ومن تبعه ولما كان قد تقدم ههنا
قريبا ان المظاهر له اخوه فكان المراد واضحا اضمرهما فقال ساحران اي هو واخوه تظاهرا اي اعان كل منهما صاحبه على سحر حتى صار
سحرهما معجزا اغلبا جميع السحرة وتظاهر الساحرين من تظاهر السحرين على قراءة الكوفيين ويجوز وهو اقرب ان يكون الضمير لمحمد وموسى
صلى الله عليهما وسلم وذلك لانه روي ان قريشا بعثت الى اليهود فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته في كتابهم فقالوا
هذه المقالة فيكون الكلام استينافا جوابا لمن كانه قال ما كان كفرهم بهما فقيل قالوا اي العرب للرجلين ساحران او الكتابان
سحران ظاهر احدهما الاخر مع علم كل ذي لب ان هذا القول زيف لانه لو كان شرط الاعجاز السحر الظاهر لكان سحر فرعون
اعظم اعجازا لانه تظاهر عليه جميع سحرة بلاد مصر وعجزوا عن معارضة ما اظهر موسى عليه السلام من ايه العصى واما محمد صلى الله
عليه وسلم فقد دعا اهل الارض من الجن والانس الى معارضة كتابه واخبرهم انهم عاجزون ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فعجزوا عن
ولما تضمن قولهم ذلك الكفر صرح به في قولهم وقالوا اي كفار قريش والمتقدمون من فرعون واضرابه انا بكل اي من الـ
او السحرين اللذين تظاهرا بهما ومما اتيا به من عند الله كافرون جراة على الله وتكبرا على الحق ولما قالوا ذلك كان كانه
قيل فماذا افعل قال قل لهم ان كنتم صادقين في اني ساحر وكتابي سحر وكذلك موسى عليه السلام فاتوا بكتاب واشار بالتعبير
في وصفه بعنده دون لدن الى انه نفع منهم بكونه حكمة خارقا للعادة في حكمته وان لم يبلغ الذروة في الغرابة بان نفك ذه
عن الاعجاز في نظمه كالتوراة فقال من عند الله اي الملك الاعلى ينطق بانه من عنده احواله وحكمته وجلاله هو اي الذي اتيتم به
اهدى منهما اي مما اتيت به ومما اتى به موسى اتبعه اي واترككما ولما امر بامرهم بالاتيان ذكر شرطه من باب التنزل لاظهار
النصفة وتوفي الحقيقة تهكما بهم فقال ان كنتم ايها الكفار كونا راسخا صادقين اي في انا ساحران فاتوا بما الزمتكم به
ولما شرط صدقهم بتركه بهم على تقدير عدم الجزاء فقال فان لم يستجيبوا اي الكفار الطالبون للاهدى من الاتيان
ولما كانت الاستجابة تتعدى بنفسها الى الدعا وباللام الى الداعي وكان ذكر الداعي ادل على الاعتنا به والنظر اليه قال
معبرا بالضمير صلى الله عليه وسلم لانه لا يفهم المغايسة في الاهدية غيره لك اي يطلبوا الاجابة ويوجدوها في الايمان او الاتيان
بما ذكرته لهم ودعوتهم اليه مما هو اهدى من التوراة والقران ليظهر صدقهم فاعلم انما يتبعون اي بغاية جهدهم فيما هم عليه
من الكفر والتكذيب اهواءهم اي دايما واكثر الهوى مخالف للهدى فهم ظالمون غير مهتدين بل هم اضل الناس وذلك معنى قوله
ومن اضل اي منهم ولكنه قال ممن اتبع اي بغاية جهده هواه تعليقا للحكم بالوصف والتقييد بقوله بغير هدى اي بيان
وارشاد من الله اي الملك الاعلى الذي له جميع صفات الكمال دليل على ان الهوى قد يوافق الهدى والتعبير بالافتعال دليل
على ان التابع وان كان ظالما لما قد لا يكون اظلم ولما كانت متابعة الهوى على هذه الصورة ظلما وصل به قوله مظهرا
لئلا يدعي التخصيص بهم ان الله اي الملك الاعظم الذي لا راد لامره لا يهدي واظهر موضع الاضمار للتعميم فقال القوم
الظالمين اي وان كانوا اقوى الناس لاتباعهم اهواءهم فالاية من الاحتباك اثبت اولا اتباع الهوى دليلا على حذفه ثانيا وثانيا
الظلم دليلا على حذفه اولا ولما ابلغ في هذه الاساليب في اظهار الحجاب واكثر من نصب الادلة على الحق واقامة البراهين
على وجوب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا باعراضهم عن ذلك كله كانهم منكرون لان يكون جاءهم شي من ذلك قال تاسفا عليهم
تقديره فلقد اتيناك في هذه الايات باعظم البينات منبها بحرف التوقع المقترن باداة القسم على انه مما يتوقع هنا ان يقال ولقد
وصلنا اي على ما لنا من العظمة التي مقتضاها ان يكفي ادنى اشارة منها لهم اي خاصة فكان تخصيصهم بذلك منة عظيمة يجب عليهم
شكرها القول اي اتبعنا بعض القول الذي لا قول في الحقيقة سواه بعضا بالانزال منجما قطعا بعضها في اثر بعض ليكون جوابا لاقوالهم
وحلا لاشكالهم فيكون اقرب الى الفهم واولى بالتدبر مع تنويعه في وعد ووعيد واخبار ومواعظ وحكم ونصايح واحكام ومصالح
واكثرنا من ذلك حتى جاءت اياته المعجزات وبيناته الباهرات كانها افراس الرهان يوم استباق الاقران في حومة الميدان غير
ان كلا منها سابق في العيان ولما بكتهم بالتنبيه بهذا التاكيد على مبالغتهم في الكذب بالقول وبالفعل في انه ما اتاهم
ما يقتضي التذكر اتبع ذلك التوصيل علته فقال لعلهم يتذكرون اي ليكون حالهم حال الذين يرجى لهم ان يرجعوا الى عقولهم فيجدوا ما بها
طبع فيها ما يذكرهم بالحق تذكيرا عظيما بما اشار اليه الاظهار ولما كان من التذكر ما دل عليه مجرد العقل ومنه ما انضم اليه
مع ذلك النقل وكان صاحب هذا القسم احدر بان يتبصر وكان كانه قيل هل تذكروا قيل نعم اهل الكتاب الذين هم اهله حقا
تذكروا وذلك معنى قوله الذين اتيناهم اي بعظمتنا التي حفظناهم بها الكتاب اي العلم من التوراة والانجيل وغيرهما من كتب
الانبيا وهم يتلون ذلك حق تلاوته في بعض الزمان الذي كان من قبله اي القران هم اي خاصة به اي القران لا بشي مما يخالفه
يؤمنون اي يوقعون الايمان به في حال وصوله اليهم ايمانا لا يزال يتجدد ثم اكد هذا المعنى بقوله واذا يتلى اي تتجدد تلاوته
عليهم قالوا مبادرين امنا به ثم عللوا ذلك بقولهم الدال على غاية المعرفة مؤكدين لان من كان على دين لا يكاد يصدق رجوعه عنه

فكيف اذا كان أصله حقا من عند الله إنه الحق اى الكامل الذى ليس وراءه إلا الباطل مع كونه من ربنا المحسن الينا وكل من
الوصفين موجب للايمان به ثم عللوا انقيادهم إلى الاذعان منبهين على انهم في غاية البصيرة من امرهم بانهم يتلون ما عندهم حق تلاوته
لا بالسنتهم فقط فقال تأكيدا لهم لدلالة على اغتباطهم به الموجب لشكره إنا كنا اى كونا هو في غاية الرسوخ واشار الى ان من
صح اسلامه ولو في زمن يسير اذعن لهذا الكتاب باثبات الجار فقال من قبله مسلمين اى منقادين غاية الانقياد لما جاءنا من عند الله
من وصفه وغير وصفه وافق هوانا وما الفناه او خالفه لاجرم كانت النتيجة أولئك اى العالو الرتبة أجرهم مرتين لايمانهم
به غيبا وشهادة أو بالكتاب الاول ثم الكتاب الثاني بما صبروا على ما كان من الايمان قبل العيان بعد ما هزهم الى النزوع عنه الف دينهم
الذى كان وغير ذلك من امتحان الملك الديان   كان الصبر لا يتم الا بالاتصاف بالمحاسن والانخلاع من المساوى قال عاطفا على يؤمنون
مشيرا الى تجديد هذه الافعال كل حين ويدرءون بالحسنة اى من الاقوال والافعال السيئة اى من ذلك كله فيمحونها بها
ولما كان بعض هذا الدرء لا يتم الا بالجود قال ومما رزقناهم اى اعطيناهم لا بحولهم ولا قوتهم قليلا كان او كثيرا ينفقون
معتمدين في الخلف على الذى رزقه قال البغوى قال سعيد بن جبير قدم مع جعفر رضي الله عنه من الحبشة أربعون رجلا يعني فاسلموا فلما راوا
ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا النبى صلى الله عليه وسلم في اموالهم فاتوا بها فواسوا بها المسلمين   ذكر ان السماح بما تقتني
النفوس به من فضول الاموال من امارات الايمان اتبعه ان خزن ما تبذل له الانفس من فضول الاقوال من علامات العرفان فقال واذا
سمعوا اللغو اى ما لا ينفع في دين ولا دنيا من شتم وتكذيب وتعيير ونحوه أعرضوا عنه تكرما عن الخنا وقالوا وعظا وتسميعا لقائله لنا
اى خاصة أعمالنا لا تثابون على شيء منها ولا تعاقبون ولكم اى خاصة أعمالكم لا نطالب بشيء منها فنحن لا نشتغل بالرد عليكم لان ذمكم لنا
لا ينقصنا شيئا من اجرنا والاشتغال برده ينقصنا   ولما كان معنى هذا انهم سالموهم صرحوا لهم به فقالوا سلام عليكم اى
منا   ولما جرت العادة بان مثل هذا يكون اغراء للاغى وردا للباغى اشاروا لهم الى قبيح حالهم ردا عن ضلالهم بقولهم تعليلا لما مضى من مقالهم
لا نبتغى اى لا نتكلف ان نطلب الجاهلين اى نريد شيئا من احوالهم واقوالهم او غير ذلك من خلالهم   ولما كان من المعلوم ان النفس
النبى صلى الله عليه وسلم لما جبلت عليه من الخير والمحبة لنفع جميع العباد لاسيما العرب لقربهم منه صلى الله عليه وسلم لاسيما اقربهم
منه صلة للرحم تتاثر لسبق اهل الكتاب لقومه وكان ربما ظن ظان ان عدم هدايتهم لتقصير في دعايته او ارادته لذلك وانه لو اراد هداهم
وانجيها وعلو همته العلية لاهتدوا واجيب عن هذا بقوله تعالى في سياق التاكيد اظهارا لصفة القدرة والكبريا والعظمة
انك لا تهدى من احببت اى نفسه او هدايته بخلق الهداية الايمان في قلبه وانما في يدك الهداية التى هى الارشاد والبيان   ولما
كان ربما ظن من اجل الاخبار بتوصيل القول وتعليله ونحو ذلك من اشاهده ان شيئا من افعاله لم يخرج عن القدرة قال نافيا لهذا الظن
مشيرا الى الغلط في اعتقاده بقوله ولكن الله المتردي برداء الجلال والكبرياء والكمال وله الامر كله يهدى من يشاء هدايته
بالتوفيق الى ما يرضيه وهو اى وحده أعلم بالمهتدين اى الذين هيأهم لتطلب الهدى عند خلقه لهم فيكونوا عريقين فيه سواء كانوا
من اهل الكتاب او العرب اقارب كانوا او اباعد   روى البخاري في التفسير عن سعيد بن المسيب عن ابيه رضي الله عنه قال لما حضرت
ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابى امية بن المغيرة فقال اى عم قل لا اله الا الله
كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابى امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله عز وجل ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
وانزل الله في ابى طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدى من احببت الآية وقال في كتاب التوحيد انك لا تهدى
من احببت قال سعيد بن المسيب عن ابيه رضي الله عنه نزلت في ابى طالب وفي مسلم عن ابى هريرة رضي الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم
امره بالتوحيد فقال لولا ان تعيرني نساء قريش لاقررت بها عينك فانزل الله الآية   ولما عجب من حال قريش في طلبهم من الآيات
مثل ما اوتى موسى عليه السلام ثم كفرهم به وبما هو اعظم منه وختم بانه اعلم باهل الخير واهل الشر اشارة الى الاعراض عن الاسف
على احد والاقبال على عموم الدعا للقريب والبعيد على حد سوا قال دليلا على ذلك لانهم انما يتبعون اهواءهم عاطفا على قالوا لولا اوتى
وقالوا ان نتبع اى غاية الاتباع الهدى اى الاسلام فنوحد الله من غير اشراك معك اى وانت على ما انت عليه من مخالفة الناس نتخطف
اى من اى خاطف اراد ذلك لانا نصير قليلا في كثير من غير نصير من أرضنا كما تتخطف العصافير لمخالفة كافة العرب لنا وليس لنا
نسبة الى كثرتهم ولا قوتهم فيسرعوا الينا فيتخطفونا اى يتقصدون خطفنا واحدا واحدا فانه لا طاقة لنا على ادامة الاجتماع
وان لا ينفذ بعضنا عن بعض قال البغوى والاختطاف الانتزاع بسرعة   كان التقدير في الرد على هذا الكلام او لهي الكم
تمك ومن اتبعك منهم وتنجيتهم من الخلاف بمثل ما يخافون بما العرب او اشد ولا اشبه لكم الى عدمهم ولا جلدهم عطف عليه
قوله أولم نمكن اى غاية التمكين لهم في اوطانهم ومحل سكناهم بما لنا من القدرة حرما آمنا اى ذا امن يأمن فيه كل خائف حتى الطير
من كواسرها والوحش من جوارحها حتى ان سيل الحل لا يدخل الحرم بل اذا وصل اليه عدل عنه قال ابن هشام في السيرة انه

وخزاعة

٩٨

وخزاعة على البيت وكانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا لا يبغي فيها احد الا اخرجته انتهى وكان الرجل يلقى قاتل ابيه او ابنه فيها
فلا يهيجه ولا يعرض له بسوء   وروى الازرقي في تاريخ مكة بسنده عن حويطب ابن عبد العزى رضي الله عنه قال كانت في الكعبة
حلق يدخل الخائف فيها يده فلا يريبه احد فجاء خائف ليدخل يده فاجتبذه رجل فشلت يده فلقد رايته في الاسلام وانه لاشل وروى
عن ابن جريج قصة العرب من غير قريش في انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الا ان اعارتهم قريش ثيابا فجاءت امراة لها جمال فطافت عريانة
وكان لها جمال فراها رجل فاعجبته فدخل فطاف الى جنبها فادنى عضده من عضدها فالتزقت عضده بعضدها فخرجا من المسجد هاربين
على وجوههما فزعين لما اصابهما من العقوبة فلقيهما شيخ من قريش فافتاهما ان يعودا الى المكان الذى اصابا فيه الذنب فيدعوان ويخلصان
ان لا يعودا فدعوا واخلصا النية فافترقت اعضادهما فذهب كل واحد منهما في ناحية   وبسنده عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لص رجل ذود ابن عم له فاصابه في الحرم فقال ذودى فقال اللص كذبت قال فاحلف فحلف عند المقام فقام رب
الذود بين الركن والمقام باسطا يديه يدعو فما برح مقامه يدعو حتى ذهب عقل اللص وجعل يصيح بمكة مالي وللذود مالي ولفلان
رب الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود فدفعه الى المظلوم فخرج به وبقي الاخر متلها حتى وقع من جبل فتردى فاكلته السباع
وعن ايوب بن موسى ان امراة في الجاهلية كان معها ابن عم لها صغير فقالت له يا بني انى اغيب عنك وانى اخاف ان يظلمك احد
فان جاءك ظالم بعدي فان لله بمكة بيتا لا يشبهه شيء من البيوت وعليه ثياب ولا يقاربه مفسد فان ظلمك ظالم يوما فعذ به
فان له ربا سيسمعك فجاء رجل فذهب به فاسترقه قال وكان اهل الجاهلية يعمرون انعامهم فاعمر سيده ظهره فلما راى الغلام
البيت عرف الصفة فنزل يشتد حتى تعلق بالبيت وجاءه سيده فمد يده اليه لياخذه فيبست يده فمد الاخرى فيبست فاستفتى
فافتى ان ينحر عن كل واحدة من يديه بدنة ففعل واطلقت يداه وترك الغلام وخلى سبيله   وعن عبد العزيز بن رواد ان
قوما انتهوا الى ذى طوى فاذا الظبى قد دنا منهم فاخذ رجل منهم بقائمة من قوائمه فقال له اصحابه ويحك ارسله فجعل يضحك ويابى
ان يرسله فبعر الظبى وبال ثم ارسله فناموا في القائلة فانتبهوا فاذا بحية منطوية على بطن الرجل الذى اخذ الظبى فلم تنزل
الحية عنه حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الظبى   وعن مجاهد قال دخل قوم مكة تجارا من الشام في الجاهلية فنزلوا
ذا طوى فاختبزوا ملة لهم ولم يكن معهم ادام فرمى رجل منهم ظبية من ظباء الحرم وهي حولهم ترتعى فقاموا اليها فسلخوها وطبخوها
ليأتدموا به فبينما قدرهم على النار تغلي بلحمها اذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فاحرقت القوم جميعا ولم تحترق ثيابهم
ولا امتعتهم ولا السمرات التى كانوا تحتها   وفي سيرة ابن الربيع بن سالم الكلاعي ان رجلا من كنانة من هذيل ظلمه ابن عم له فخوفه بالدعا
في الحرم فقال هذه ناقتي فلانة اركبها فاذهب اليه فاجتهد في الدعا فجاء الحرم في الشهر الحرام فقال اللهم انى ادعوك جاهدا
مضطرا على ابن عمي فلان ترميه بداء لا دواء له ثم انصرف فيجد ابن عمه قد رمي في بطنه فصار مثل الزق فما زال ينتفخ حتى انشق وان عمر
رضي الله عنه سال رجلا من بني سليم عن ذهاب بصره فقال يا امير المؤمنين كنا بني ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم فكنا نظلمه فكان يذكرنا بالله
وبالرحم فلما راى انا لا نكف عنه انتهى الى الحرم في الاشهر الحرم فجعل يرفع يديه ويقول   لاهم ادعوك دعاء جاهدا
اقتل بنى الضبعاء الا واحدا   ثم اضرب الرجل ودعه قاعدا   اعمى اذا قيد يعيي القائدا   قال فمات اخوتي التسعة في تسعة
اشهر في كل شهر واحد وبقيت انا فعميت ورماني الله عز وجل في رجلي فليس يلائمني قائد فقال عمر رضي الله عنه جعل الله هذا في
الجاهلية اذ لا دين حرمة حرمها وشرفها لينتكب الناس عن انتهاك ما حرم مخافة تعجيل العقوبة فلما جاء الدين صار الموعد الساعة
ويستجيب الله لمن يشاء فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين انتهى وكان مثل ذلك عبرا بالتمكين ويتخطف الناس من حولهم كما ياتي في آخر
في التي بعدها وقد كان قبل ذلك بقعة من بقاع الارض لا مزية لها على غيرها بنوع مزية فالتقدير انا فعلنا ذلك بعد سكنى اسماعيل
عليه السلام توطئة لما اردناه من الحكم والاحكام او ليس الذى قدر على ذلك وفعله لمن يعبد غيره بقادر على حماية من يدخل في دينه
وقد صار من حزبه بانواع الحمايات واعلائه على كل من يناويه الى اعلى الدرجات كما فعل في حمايتكم منهم ومن غيرهم من سائر المخالفين
اعداء الدين   ولما وصفه بالامن اتبعه ما تطلبه النفس بعده فقال يجبى اى يجمع ويجلب بمن لا يرجونه ولا قدرة لهم على اجتلابه
اليه اى خاصة دون غيره من جزيرة العرب ثمرات كل شيء من النبات الذى بارض العرب من ثمر البلاد الحارة كالبسر والرطب والموز
والنبق والباردة كالعنب والتفاح والرمان والخوخ وفي تعبيره بالمضارع وما بعده اشارة الى الاستمرار وانه ياتي اليه بعد ذلك
من كل ما في الارض من المال ما لم يخطر لاحد منهم في بال وقد صدق الله فيما قال كما تراه ومن اصدق من الله قيلا   ولما كان
مجموع ما رزقهم في هذا الحرم من الامن باستنابة من الاسراع باصابة من ادى فيه بانواع العقوبات وجباية هذه الثمرات في غاية
الغرابة في تلك الاراضي اليابسة الشديدة الحر المحفوفة من الناس بمن لا يدين دينا ولا يخشى عاقبة ولا له ملك قاهر من الناس
نبه على ذلك بقوله مع مظهر العظمة بلدنا فقال رزقا من لدنا اى من ابطن ما عندنا
برده ولا انتظام من سياسة العباد بمنعه غيره سبحانه وكل ذلك انما هو لاجل حلولك
واعزبه لا صنع لاحد فيه كما تعلم ذلك كله انت ومن اتبعك ومن فيه قابلية الهداية منهم ومتى غبت عنهم غاب عنهم ذلك كله
في هذا الحرم مضمرا في الاصلاب ومظهرا في تلك الشعاب توطئة لنبوتك وتمهيدا لرسالتك

وسيضطرون ولما كان هذا الذي ابدوه عذرا عن تخلفهم عن الهدى يظنونه من نفائس العلم رده تعالى نافيا عمن لم يؤمن منهم
جميع العلم الذي بنفيه ينبغي ان يكون هذا الفرد علما فقال في اسلوب التأكيد لذلك ولكن اكثرهم اي اهل مكة وغيرهم ممن لا هداية له
لا يعلمون اي ليس لهم قابلية للعلم حتى يعلموا انا نحن الفاعلون لذلك بترتيب اسبابه حتى تكون ذلك وتم فلا قدرة لاحد على تغييره وانا
قادرون على ان نمنعهم اذا تابعوا امرنا ممن يريدهم بل نسلطهم على كل من ناواهم كقدرتنا على ما مكنا لهم وهو خارج عن القياس على ما
تقتضيه عقول الناس وانا قادرون على سلب ذلك كله عنهم لاصرارهم على الكفر ولابد ان نذيقهم ذلك اجمع بعد هجرتك ليعلموا انه
انما اتاهم ببركتك ولو علموا ذلك لشكروا ولكنهم جهلوا فكفروا ولذلك انذروا ولتعلمن نبأه بعد حين ولما اخبر تعالى انه
قادر على التأمين والانجاء والتمكين مع الضعف اتبعه الاعلام بقدرته على الاخافة والاهلاك مع القوة ترغيبا لهم ان امنوا باهلاك
اضدادهم وترهيبا ان اصروا من المعاملة بعكس مرادهم فقال في مظهر العظمة عاطفا على معنى الكلام وكم اهلكنا ويجوز ان يكون
حالا من ضمير نمكن اي فعلنا بهم ما ذكر من النعمة مع ضعفهم وعجزهم والحال انا كثيرا ما اهلكنا الاقوياء واشار الى تأكيد التكثير مع تمييز
المبهم بقوله من قرية واشار الى سبب الاهلاك بقوله بطرت معيشتها اي وقع منها البطر في زمان عيشها الرخي الواسع
فكان حالهم كحالكم في الامن وادرار الرزق فلما بطروا معيشتهم اهلكناهم ومعنى بطرهم لها انهم شقوها بمجاوزة الحد في
المرح والاشر والفرح الى ان بعدوها فافسدوها وكفروها فلم يشكروها بل تعللوا في تلقيها فعل الحائر المدهوش فلم يحسنوا رعا
وقل احتمالهم لحق النعمة فيها وطغوا في التقلب عند مصاحبتها وتكبروا بها وتمادوا في البغي قولا وفعلا من اجل ما عمهم من
الرفاهة عن تغييرها وساء احتمالهم للغنى بها وطيب العيش فيها فابطلوها بهذه الخصائل واذهبوها هدرا من غير مقابل وذلك
من قول اهل اللغة البطر الاشر وقلة احتمال النعمة والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة والفعل من الكل كفرح وبطر الحق
ان يتكبر عنه فلا يقبله وبطره كنصره وضربه شقه والبيطر من السحاب الطويل اللسان والمتمادي في الغي وابطره ذرعه حمله
فوق طاقته وذهب دمه بطرا بالكسر اي هدرا وبطرهم لها انهم عصوا من خولهم فيها فخالفوا امره واساءهم الكبر بما اعطاهم ذكره
ولما تسبب عن هذا الاخبار تشوف النفس الى اثار هذه القرى وسبب عنه الاشارة باداة البعد الى منازلهم تنبيها
على كثرتها وسهولة الوصول اليها في كل مكان لكونها بحيث يشار اليها وعلى بعد رتبتها في الهلاك دليلا على الجملة التي قبلها
فقال فتلك مساكنهم ولما كان المعنى انها خاوية على عروشها وصله بقوله لم تسكن اي من ساكن ما مختار او مضطر ولما
كان المراد انهم نفي قليل الزمان وكثيره اثبت الجار فقال من بعدهم بعد ان طال ما تعالوا فيها وتمنعوا وزخرفوها وزوقوها
وزفوا فيها الابكار وفرحوا بالاعمال الكبار الا سكونا قليلا بالمارة عليها ساعة من ليل او من نهار ثم تصير يبابا موحشة كالقفار
بعد ان كانت ممتنعة الفنا ببيض الصفاح وسمر القنا ولما صارت هذه المساكن بعد الخراب لا متصرف فيها ظاهرا الا الله
ولا حاكم عليها فيما تنظره العين سواه وكان هذا امرا عظيما وخطبا جسيما لانه لا فرق فيه بين جليل وحقير وصغير وكبير وسلطان
ووزير دل على فخامته بقوله مكررا لمظهر العظمة وكنا اي ازلا وابدا نحن لا غيرنا الوارثين لم يستعص علينا احد وان عظم
ولا تأخر عن مرادنا لحظة وان ضخم فليت شعري اين اولئك الجبارون وكيف حلوا دورهم وعطلوا قصورهم المتكبرون افنتهم والله
كؤوس الحمام مترعة اشربة المصائب العظام واذاقتهم مصارع الايام بقوة العزيز العلام فيا ويح من لم يعتبر بايامهم ولم يزدجر
عن مثل اثامهم ولما اظهر سبحانه سوط العذاب بيد القدرة دل على وطاء العدل بثمرة الغنى ولكونه في سياق الرحمة
بالارسال عبر بالربوبية فقال وما كان اي كونا ما ربك اي المحسن اليك بالاحسان بارسالك الى الناس مهلك القرى
اي هذا الجنس كله بجرم وان عظم حتى يبعث في امها اي اعظمها واشرفها لان غيرها تابع لها ولم يشترط كونه من اهلها فقد كان
عيسى عليه السلام من الناصرة وبعث في بيت المقدس رسولا يتلو عليهم اي اهل القرى كلهم اياتنا الدالة بما لها من الجري
على مناهج العقول على ما ينبغي لنا من الحكمة وبما لها من الاعجاز على نفوذ الكلمة وباهر العظمة الزاما للحجة وقطعا للمعذرة لئلا
يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ولذلك لما اردنا عموم الخلق بالرسالة جعلنا الرسول من ام القرى كلها وهي مكة البلد
الحرام وفيها لانها مع كونها مدينة تجري فيها الامور على قانون الحكمة هي بلاد البوادي تظهر فيها الكلمة فجمعت الامرين لان المرسل
اليها جامع وحازت الامرين لان الختام به واقع وكان السر في جعل المويد لدينه عيسى عليه السلام من البادية كثرة ظهور الكلمة
على يديه ولما غيى الاهلاك بالارسال تخويفا ضرب له غاية اخرى تحريرا للامر وتعريفا ولكونه في سياق التبجح من اهل
الضلال على مناعهم اعلان بانتهاك الحرمات عبر باداة العظمة فقال وما كنا اي بعظمتنا وغنانا مهلكي القرى اي كلها بعد
الارسال الا واهلها ظالمون اي عريقون في الظلم بالعصيان بترك ثمرات الايمان ولما اعتلوا في الوقوف عن الايمان
بخوف التخطف ذكرهم بنعمته عليهم باقامة اياها بالامن وادرار الرزق وعرفهم انه هو وحده الذي تخشى سطواته ويتقى اخذه
لمن خالفه وبطشاته وكان تخوفهم من عواقب المتابعة اما على انفسهم واما على ما بايديهم من المتاع علم من ذلك كله قطعا ان
التقدير بما سبب التخويف من عواقب الظلم بمثل مصارع الاولين فانفسكم في خطر من خوف الهلاك من القادر عليكم كقدرته

على

على من قبلكم بسبب التوقف عن المتابعة اشد من خطر الخوف من التخطف بسبب المتابعة او يكون التقدير فاخشوا منه التخطف غير
ضائركم وتعللكم عن المتابعة لاجله غير مخلدكم فما لكم على الله تعتزون باي وجه كان تعتزون فعطف على هذا الذي ارشد السياق
الى تقديره قوله وما اوتيتم اي من اي مؤت كان من شيء اي من هذه الاشياء التي بايديكم وغيرها فمتاع اي فهو متاع الحياة الدنيا هو
وليس يعود نفعه الى غيرها فهو الى نفاد وان طال زمن التمتع به وزينتها اي هو زينة الحياة الدنيا التي هي كلها فضلا عن زينتها الى فنا
فليست هي ولا شيء منها بازلي ولا ابدي وما عند الله اي الملك الاعلى مما يثمره لكم المتابعة من الثواب الذي وعدكموه في الدار الاخرة
التي دل عليها دلالة واضحة الحياة فكم على وصفهن بالدنيا ومن اصدق وعدا منه خير واسمى وابهج وازهى و هو مع ذلك كله ابقى
لانه وان شارك متاع الدنيا في انه لم يكن ازليا فهو ابدي فلما بان انه لا يقدم على خطر المخالفة المذكور خوفا من خطر المتابعة الموصوف
عاقل توجه الانكار عليهم في قوله تعالى افلا تعقلون ولما كان هذا سببا لان ظهر كالشمس بون عظيم بين حال المخالف والموا
سبب عنه وانتج قوله معددا لما ذكر من الامرين موضحا لما لهما من المباينة منكرا على من سوى بينهما فكيف بمن ظن ان حال المخالف اولى
افمن وعدناه على عظمتنا في الغنى والقدرة والصدق وعدا وهو الاثابة والثواب حسنا لا شيء احسن منه في موافقته للامنية
وبقائه فهو بسبب وعدنا الذي لا يخلف لاقيه اي مدركه ومصيبه لا محالة كمن متعناه اي بعظمتنا متاع الحياة الدنيا ولا يقدر
احد غيرنا على سلبه منه بغير اذن منا ولا يصل احد الى جعله باقيا وهو مع كونه فانيا وان طال زمنه مشوب بالاكدار مخالط بالا
والاوزار ثم هو مع ذلك كله يوم القيمة الذي هو يوم التغابن من خسر فيه لم يربح اصلا ومن هلك لم يكن عيشه بوجه
من المحضرين اي المقهورين على الحضور الى مكان يود لو افتدى منه بطلاع الارض ذهبا فان كل من يوكل به للحضور امر يتنكد
على حسب مراتب التوكيل كائنا من كان في اي امر كان ولما كان اليوم وان كان واحدا يتعدد بتعدد اوصافه بما يقع
في اثنائه واصحابه عطف على يوم القيمة تهويلا للامر وتعظيما للخطر وشرح قوله مقررا لعجز العباد عن شيء من الاشيا في يوم التناد
ويوم يناديهم اي ينادي الله هؤلاء الذين يغوون الناس ويصدون عن السبيل ويتعللون في امر الايمان وتوحيد المحسن الديان
فيقول اي الله اين شركاءي من الاوثان وغيرهم ثم بين انهم لا يستحقون هذا الاسم بقوله الذين كنتم اي كونا انتم عريقون فيه
تزعمون ليدفعوا عنكم او عن انفسهم ولما كان اسم الشريك يقع على من سواه الانسان باخر في شيء من الاشيا وكان الاتباع
قد سووا المتبوعين الذين عبدوهم من الشياطين وغيرهم بالله تعالى في الخضوع لهم والطواعية في عبادة الاوثان ومعاندة الهداة
ومعاداتهم والصد عن اتباعهم فكان اسم الشريك منا ولا لهم وكان بطش من وقع الاشراك به يكون اولا بمن ادعى نفسه شريكا ثم
بمن انزله تلك المنزلة فتشوفت النفس الى مبادرة الرؤسا بالجواب خوفا من حلول العقاب بهم وزيادته بقيادتهم عليهم
فقال قال الذين حق اي ثبت ووجب عليهم القول
تقبل قالوا هكذا الاصل ولكنه اظهر اعلاما بالوصف الذي اوجب لهم القول وافادة الجمل بانزالهم انفسهم منزلة
اي وقع عليهم معنى هذا الاسم وتناولهم وهو العذاب المتوعد به باعظم القول وهم ائمة الكفر وقادة
الشركا وانهم باسقاط الاداة كعادة اهل القرب والتعبير بوصف الاحسان انهم وصلوا بعدما للشماخة والكبر الى غاية الرق
والذل فقال معبرا عن قولهم ربنا هؤلاء اشارة الى الاتباع الذين اغوينا اي اوقعنا الاغوا وهو الاضلال بهم بما زينا لهم من الاهوا
التي اعانتنا على قبولهم اياها منا مع كونها ظاهرة العوار واضحة العار ما خولتنا فيه من الدنيا من الجاه والمال ثم استأنفوا ما يظنون
انه يدفع عنهم فقالوا اغويناهم اي فغووا باختيارهم كما غوينا اي نحن لما اغوانا بما زين لنا من فوقنا حتى تبعناهم لم يكن هناك
اكراه منا ولا اجبار مع ما اتاهم من الرسل ولهم من العقول كما غوينا نحن باختيارنا لم يكن ممن فوقنا اجبار لنا كما قال ابليس وما كان لي
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فالآية من الاحتباك حذف اولا فغووا والدلالة غوينا عليه وثانيا لما اغوانا من قبلنا
لدلالة اغويناهم عليه ومرادهم بقولهم هذا السفساف انه لا لوم علينا في الحقيقة بسببهم وهذا معنى قولهم تبرأنا اليك
اي من امرهم فلا يلزمنا عقوبة بسببهم فهي تقرير لما قبل وتصريح به ولما كانوا يعلمون انهم غير بريئين من امرهم تبرأوا من
انفرادهم باضلالهم فقالوا لمن كانه قال ما وجه براءتكم وقد اقررتم باغوائهم ما كانوا ايانا اي خاصة يعبدون بل كانوا يعبدون
الاوثان بما زينت لهم اهواؤهم وان كان لنا فيه نوع دعا لهم اليه وحث عليه فاقل ما تريد ان يوزع العذاب على كل من كان سببا
في ذلك كما في الاية الاخرى فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء وضل عن الجملة ان هذا لا يغنيهم شيئا فانا الكل في العذاب
وليس يغني احد منهم عن احد شيئا قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ولما لم يلتفت الى هذا الكلام منهم بل عد عدما
لانه لا طائل تحته اشير الى الاعراض عنه لانه لا يستحق جوابا كما قيل رب قول جوابه السكوت بقوله وقيل اي تهكما للاتباع
تهكما بهم واظهارا لعجزهم الملزوم لتحسرهم وعظم تاسفهم وعبر بصيغة المجهول اظهارا للاستهانة بهم وايهم من الذل
والصغار بحيث يجيبون كل امر كائنا من كان ادعوا اي كلكم شركاءكم اي الذين ادعيتم جهلا شركتهم ليدفعوا عنكم واضاف
هنا اليهم اشارة الى انهم لم يستفيدوا بزعمهم انهم شركاء الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا الا انا شركوهم فيما صرفوا اليهم
من اموالهم واقوالهم وازمانهم واحوالهم فدعوهم تعللا بما لا يغني وتمسكا بما يتحقق انه لا يجدي لفرط الغلبة واستيلاء

فهم

الحيرة والدهشة فلم يستجيبوا لهم كما يحق لهم بما لهم من وصف عدم الادراك والعجز والهلاك وراوا اى كلهم العذاب عالمين
بانه مواقعهم لا مانع له عنهم فكان الحال حينئذ مقتضيا لان يقال من كل من يراهم لو انهم كانوا اى كونا هو لهم صفة راسخة يهتدون
اى يحصل منهم هدى ساعة من الدهر تاسفا على امرهم وتمنيا لخلاصهم او لو انه ذلك كان فى طبعهم لنجوا من العذاب او لما راوه اصلا
او لما اتبعوهم ولما اشار الى انه لا خلاص من ذلك الردى الا بالهدى اتبعه الاعلام بانه لا يمكن احدا هناك ان يفعل ما قد
يروج على سائله كما يفعل فى هذه الدار من اظهار ما لم يكن فقال مكررا لتهويل ذلك اليوم وتبشيعه وتفظيعه وتقطيعه سايلا
سايل الاعرض رسله عليهم السلام بعد السؤال عن حقه سبحانه مناديا بعجز الشركا فى الاخرى كما كانوا عاجزين فى الدنيا ويوم
يناديهم وهم بحيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر قد برزوا لله جميعا من كان منهم عاصيا ومن كان مطيعا فى صعيد واحد قد اخذ
بانفاسهم الزحام وتراكبت الاقدام على الاقدام والجمهم العرق وعمهم الغرق فيقول ماذا اى اوضحوا وعينوا جوابكم الذى اجبتم
المرسلين اى به ولما لم يكن لهم قدم صدق ولا سابق حق لما اتتهم الرسل به من الحجج وتابعت عليهم من الادلة لم يكن لهم جواب
الا السكوت وهو المراد بقوله فعميت اى خفيت واظلمت فى غواية وبحاج عليهم الانباء اى الاخبار التى هى من العظمة بحيث يحق لها
فى ذلك اليوم ان تذكر وهى التى يمكن ان يقع بها الخلاص وعداه بعلى اشارة الى انه عماها وقع عليهم فعم الكل العمى فصاروا بحيث لا تهتدى
الانبا لعماها اليهم ليجدوها ولا يهتدون اليها لانتشار عماها اليهم وهذا كله اشارة الى انهم لم يقيموا عملا فى اجابة الرسل هم
يحق ان يذكر فى ذلك اليوم بل اسلفوا من التكذيب والاساءة ما يودون لو ان بينهم وبينه امدا بعيدا وقال يومئذ تكريرا للتخويف
ذلك اليوم وتهويله وتقريرا لتعظيمه وتبجيله ولما تسبب عن هذا السؤال السكوت علما منهم بانه ليس عند احد منهم
ما يغنى فى جوابه من حسن القول وصوابه وانهم لا يذكرون شيئا من المقال الا عاد عليهم بالوبال قال من جماع ذلك فهم لا يتساءلون
اى لا يسال احد منهم احدا عن شئ يحصل به خلاص لعلمهم انه قد عمهم الهلاك ولات حين مناص ولان كلا منهم اشتغل بنفسه فى الاخر ولما
علم بهذه الايات حال من اصر على كفره وعمل سيئا بطريق العبارة واشير الى حال من تاب نوعدا الوعد الحسن الطف اشارة تسبب عن ذلك
التشوف الى التصريح بحالهم فقال كما فصلا مرتبا على ما تقديره هذا حال من اصر على كفره فاما من تاب اى عن كفره وقال وامن تصريحا
بما علم التزاما فان الكفر والايمان ضدان لا يمكن ترك احدهما الا باخذ الاخر وعمل تصديقا لدعواه باللسان صالحا ولما
كانت النفس نزاعة الى النقايص مسرعة الى الدنيا اشير الى صعوبة الاستمرار على طريق الهدى الا بعظيم المجاهدة بقوله فعسى اى
فانه تسبب عن حاله هذا الطمع فى ان يكون اى كونا هو فى غاية الثبات من المفلحين اى الناجين من شر ذلك اليوم الظافرين بجميع
المراد باستمرارهم على طاعتهم الى الموت وانما لم يقطع له بالفلاح وان كان مثل ذلك فى مجارى عادات الملوك قطعا اعلاما بانه لا يجب
عليه سبحانه شئ لعبد ومرجيه وتبقى قضاؤه وقدره فان الكل منه ولما كان ذلك قبل ما لاهل القسم الاول لا يرجون
النجاة من ضيق ذلك البلا الى رحب هذا الرجا وكان الجواب ربك منعهم من ذلك او ما له لم يقطع لاهل هذا القسم بالفلاح كما قطع
لاهل القسم الاول بالشقا وكان الجواب ان ربك لا يجب عليه شئ عطف عليه اشارة اليه قوله وربك اى المحسن اليك بموافقة
من وافقك ومخالفة من خالفك بحكم كبار دقت عن فهم اكثر الافكار يخلق ما يشاء من الهدى والضلال وغيرهما لانه المالك المطلق
لا مانع له من شئ من ذلك ويختار اى يوقع الاختيار لما يشا فيزيد الكفر للاشرار والايمان للابرار لا اعتراض عليه فربما ارتد احد ممن اظهر
المتاب لما سبق عليه من الكتاب فكان من اهل التباب فلا ناس على من فاتك كائنا من كان واعلم انه ما ضر الا نفسه ومن فاتنا يكفيه انا
نفوته ولما افهم هذا ان غيره سبحانه اذا اراد شيئا لم يكن الا ان وافق مراده تعالى صرح به بقوله ما كان لهم الخيرة
اى ان يفعلوا او يفعل لهم كل ما يختارونه من ايتان الرسول بمثل ما اتى به موسى او غيره اسم من الاختيار يقام مقام المصدر وهو ايضا
اسم المختار فهو تعبير بالمسبب عن السبب لانه اذا خلا عنه كان عدما قال الرازى فى اللوامع وفيه دليل على ان العبد
فى اختياره غير مختار فلهذا اهل الرضى حطوا الرحال بين يدى ربهم وسلموا الامور اليه بصفا التفويض يعنى فان امرهم او نهاهم
بادروا وان اصابهم بسهام المصايب العظام صابروا وان اعزهم اعزوا انفسهم واكرموا وان اذلهم رضوا وسلموا فلا يرضيهم
الا ما يرضيه ولا يريدون الا ما يريده فيمضيه ولما • وقف الهوى بى حيث انت فليس لى • متاخر عنه ولا متقدم •

اجد الملامة فى هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمنى اللوم
واهنتنى فاهنت نفسى صاغرا ... ما من يهون عليك ممن يكرم

ولما كان ايقاع شئ على غير مراده نقصا وكان وقوع الشرك سفولا وعجزا قال تعالى مشيرا الى نتيجة هذه الايات
فى نفى ذلك عنه سبحان الله اى تنزه الجامع لصفات الكمال عن ان يختار احد شيئا لا يريده فيصل اليه او يقع بوجه عليه
وتعالى اى علا علو المجتهد فى ذلك تعلو لا تبلغ العقول بوجه كنه مداه عما يشركون لانه لا ارادة لما ادعوهم شركا
ولو كانت لهم ارادة لم تقف انفاذها لعجزهم عن ايجاد الخالق ولما كانت القدرة لا تتم الا بالعلم قال وربك اى المحسن
اليك المتولى لتربيتك كما هو بالغ القدرة فهو شامل العلم يعلم ما تكن اى تخفى صدورهم من كونهم يؤمنون على تقدير ان ياتيهم

ونسترح

ايات

ايات مثل ايات موسى او لا يؤمنون ومن كون ما اظهر من اظهر منهم الايمان بلسانه خالصا او مشوبا ولما كان علم الخفى لا يستلزم علم
الجلى اما لبعده او لغلط واختلاط اصوات تمنع تمييز بعضه عن بعض او غير ذلك قال وما يعلنون اى يظهرون وكل ذلك لديه سوا فلا يكون
لهم مراد الا بخلقه ولما كان علمه بذلك انما هو لكونه الها وكان غيره لا يعلم من علمه الا ما علمه عبر عن ذلك بقوله وهو الله
اى المسمى بالالهية الذى لا سمى له الذى لا يحيط الوصف من عظمته باكثر من انه عظيم على الاجمال واما التفاصيل كلها او اقلها
فهيهات هيهات ثم شرح معنى الاسم الاعظم بقوله لا اله الا هو ثم علل ذلك بقوله له اى وحده الحمد اى الاحاطة باوصاف الكمال
فى الاولى والاخرة وليس ذلك لشئ سواه ان امنوا او ان كفروا وله اى وحده الحكم اى امضا القضا على الاطلاق فلو اراد لقسرهم
على الايمان واليه لا الى غيره ترجعون اى بايسر امر يوم النفخ فى الصور لبعثرة القبور بالبعث والنشور مع انكم الان ايضا راجعون
فى جميع احكامكم اليه ومقصورون عليه ان شاء امضاها وان اراد ردها ولولاها ففى الايات غاية التقوية لقلوب المطيعين
ونهاية الزجر والردع للمتمردين بالتنبيه على كونه قادرا على جميع الممكنات عالما بكل المعلومات منزها عن النقايص والافات فى
يجزى الطايعين والعاصين بالقسط ولما قامت على القدرة الشاملة والعلم التام وانه الاله وحده ان وحدوا او الحدوا
هذه الاعلام على هذا النظام اقام دليلا دالا على ذلك كله بما اجتمع فيه من العلم والحكمة وتمام القدرة منبها على وجوب حمده مفصلا
لبعض ما يجب عليه مقدما الليل لان ابيه عدمية وهى اسبق فقال قل لمن بما غاندوا فى ذلك منكرا عليهم ملزما لهم وعبر بالجمع لانه
ادل على الالزام واعظم فى الافحام فقال ارايتم اى اخبرونى ان جعل الله اى الملك الاعلى نظرا الى مقام العظمة والجلال
عليكم الليل الذى هو اعتدال حر النهار سرمدا اى دايما وقال الى يوم القيمة تنبيها على انه مما لا يتوجه اليه انكار من اله
غير الله العظيم الشان الذى لا كفو له ولما كان النور نعمة فى نفسه صرح به وطوى اثره فقال ياتيكم بضياء اى نور
نهارا تنتشرون فيه ولقوة اعلامه بالقدرة وتعريفه بالله عبر بهذا دون يوتيكم ضيا ولما كان الليل محل السكون وجمع
الحواس فهو امكن للسمع وانفذ للفكر قال افلا تسمعون اى ما يقال لكم سماع اصغاء وتدبر كما يكون لمن هو فى الليل فينتفع بسمعه
من اولى العقل قل ارايتم ان جعل الله اى الذى له الامر كله بجلاله وباهر كماله عليكم النهار الذى هو ازاحة رطوبة الليل
فيتم بهما ملاح النبات وغير ذلك من جميع المقدرات سرمدا اى دايما من السرد وهو المتابعة بزيادة الميم مبالغة فيه الى
يوم القيمة اى الذى لا يسع عاقلا انكاره من اله غير الله الجليل الذى ليس له مثيل وهو على كل شئ وكيل ولما كان الظلام
غير مقصود فى نفسه وكان بعض الضيا فى غاية التعريف بوجه عدل عن اسمه فقال مشيرا الاسم ما كفى فقال لمثل ما مضى ياتيكم
بليل اى بشامته ظلام تسكنون فيه فالاية من الاحتباك ذكر الضيا اولا دليلا على حذف الظلام ثانيا والليل والسكون ثانيا
دليلا على حذف النهار والانتشار اولا ولما كان الضيا مما ينفذ فيه البصر قال افلا تبصرون اى بالبصر والبصيرة
كيف تقشع جلابيب الظلام عن وجوه الضيا الغر الكرام ثم تتقنع بسواد ردية الحيا وجوه الانوار والضيا قال ابن هبيرة
قال المبرد سلطان السمع فى الليل وسلطان البصر فى النهار ولما كان التقدير من حكمته جعل لكم السمع والابصار
لتدبروا اياته وتبصروا انى مصنوعاته عطف عليه ومن رحمته اى التى وسعت كل شئ لا من غيرها من خوف او رجاء او تعلق غرض
من الاغراض جعل لكم الليل والنهار ايتين عظيمتين دبر فيهما وبهما جميع مصالحكم وادخر معظم رحمته الى الاخرة وحماية
الليل لتسكنوا فيه اى فلا تسعوا فى معاشكم وجعل اية النهار مبصرة لتبتغوا من فضله بان تسعوا فى معايشكم بجهدكم فالاية
من الاحتباك ذكر اولا السكون دليلا على حذف السعى فى المعاش ثانيا والابتغا ثانيا دليلا على حذف عدم السعى فى المعاش اولا
ولما ذكر هذه النعمة التى اسبغها من هذه الرحمة وذكر علة جعله لها على الصفة المذكورة ذكر علة اخرى هى المقصودة
بالذات لانها نتيجة السمع والبصر اللذين قدم الحث على استعمالهما فقال ولعلكم تشكرون اى ولتكونوا حالكم حال من يرجى منه الشكر
بما يتجدد لكم بتقلبهما من النعم المتوالية المذكرة بالمنعم وبما دبر لكم رفقا بكم فيما كلفكم به فى دار الاسباب من امر المعاش والمعاد
من الراحة بالسكون اثر ما افادكم من الارباح والمنح بالانتشار والتقلب واما الاخرة فلما كانت غير مبنية على الاسباب وكانت
الجنة لا تعب فيها بوجه كان لا حاجة فيها الى الليل ولما ذكر ما للمفلح من الرجا فى يوم الجزا واتبعه الاعلام بان الهدى
الى الفلاح انما هى به ودل على ذلك الى ان ذكر ايام الدنيا المشتملة على الليل والنهار على وجه دال على وحدانيته معلم بالقدرة على
البعث بعد الموت بتكرير ايجاد كل من الملوين بعد اعدامه وتكرير اماتة الناس بالنوم ثم نشرهم باليقظة وختم ذلك بالشكر
اشارة الى انه سبب الفلاح عاد الى يوم الجزا الذى تظهر فيه ثمرة ذلك كله معترضا على الاشراك مع ظهور هذه الدلايل
على التوحيد وعدم شبهة قايمة على الشرك غير محض التقليد فقال منبها على عجزهم عن البرهان عند استحقاق الرهان فى يوم
التناد بمحضر من الاشهاد مع ما فيه من التاكيد للتهويل بالتكرير والتاطيد للتهليل والتفريد ويوم يناديهم اى هؤلاء
الذين يظنون انهم معجزون فيقول بلسان الغضب والاخزا والتوبيخ وقد جمعوا جميعا اين شركاى وكرر الاشارة الى ان
اشراكهم انما هو بالاسم لا معنى فيه اصلا فقال الذين كنتم اى بغاية جهدكم حتى صار لكم ذلك ملكة تزعمون بلا شبهة لكم

في ذلك عند التحقيق اصلا ولما ذكر في الدليل الاول من الدليل على ابطال الشركة ان الشركا لم يستجيبوا لهم ولا كانت لهم قدرة
على نصرهم ولا نصر انفسهم وكان ربما قيل ان ذلك لشي غير العجز دل هنا على انه لا دليل على الاشراك ولا شبهة دليل فقال صارفا
القول الى مظهر التكلم باسلوب العظمة لانه نجم فقال ونزعنا اي افردنا بقوة وسطوة من كل امة شهيدا اي وهو
رسولهم يشهد عليهم باعمالهم وما كانوا فيه من الارتباك في اشراك الاشراك ولما تسبب عن ذلك سؤالهم عن سندهم
في اشراكهم قال فقلنا اي للامم هاتوا برهانكم اي دليلكم القطعي الذي زعمتم في الدنيا اليه وعولتم في شرككم عليه كما هو شان
ذوي العقول انهم لا يبنون شيئا على غير اساس فعلموا بسبب هذا السؤال لما اضطروا ففتشوا واجتهدوا فلم يجدوا لهم سندا
اصلا ان الحق في الالهية لله اي الملك الذي له الامر كله لله اي الملك الذي له الامر كله ولا مكافي له لا شركة لشي معه وضل
اي غاب وبطل غيبة الشي الضايع عنهم ما كانوا في الالهية يفترون اي يقولونه قول الكاذب المتعمد للكذب لكونه لا دليل
عليه ولا شبهة موجبة للغلط فيه ولما دل على عجزهم في تلك الدار وعلمهم ان المتصرف في جميع الاقدار انما هو الواحد
القهار دل على ان ذلك له ايضا في هذه الدار بوقوع العلم به باهلاك اولي البطر والمرح والاشر بوقوع العلم به باهلاك اولي
البطر من غير ان يغنوا عمن اضلوه او يغني عنهم من اضلهم من ناطق وما اضلهم من صامت تطبيقا لعموم وكم اهلكنا من قرية بطرت
معيشتها على بعض الجزئيات تخويفا لمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم لا سيما من نسبه الى السحر واعلاما بان الانبيا عليهم السلام
يقاطعون الاشقيا وان كانوا اقرب الاقربا لانه سبحانه عذب قارون ومن كان معه بعذاب لم يسبقهم فيه احد وهم من بني اسرائيل
ومن اقرب بني اسرائيل الى موسى عليه السلام فعلم كل من كان اغتر بما اوتيه ان الحق لله في كل ما دعت اليه رسله ونطقت به كتبه
وضل عنهم ما كانوا يفترون ولم يغن عنهم شيا ما اعتمدوا عليه فكان معبودهم في الحقيقة ما جمعوه من حطام الدنيا واعتقدوا
انهم نالوا به السعادة الدايمة والعز الباقي فكان مثله كما ياتي في التي بعدها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وكان ذلك مما اي من
موسى عليه السلام حين كذبه ونسبه الى السحر وتكبر عليه فلم يبال الله تعالى فيه لخروجه باستكباره من الوعد بالمنة على الذين
استضعفوا في الارض وكان ذلك العذاب الذي عذبوا به من جنس ما عذب به فرعون في الصورة من حيث انه تغييب وان كان ذلك
في ما يع وهذا في صلب جامد ليعلم انه قادر على ما يريد ليدوم منه الحذر فيما يسبق به منه القضا والقدر ونزع موسى عليه
السلام من كل سبط من اسباط بني اسرائيل شهيدا من عصيهم وقال لهم هاتوا برهانكم فيها فعلموا ابا براق عصي هرون عليه السلام
دون عصيهم ان الحق لله في امر الحبورة وفي جميع امره فقال ان قارون ويسمى في التوراة قورح ثم بين سبب التاكيد بقوله كان
اي كونا متمكنا من قوم موسى تنبيها على انه جدير بان ينكر كونه كذلك لان فعله معهم لا يكاد يفعله احد مع قومه وذلك انه كان
من الذين امنوا به وقلنا فيهم ونريد ان نمن الى اخره لانه ابن عم موسى عليه السلام على ما حكاه ابو حيان وغيره عن ابن عباس رضي الله
عنهما فبغى عليهم اي تجاوز الحد في احتقارهم بما خولناه فيه من هذا الحطام المتلاشي والعرض الفاني فقطع ما بينه وبينهم
من الوصلة ووصل ما بينه وبين فرعون واحزابه من الفرقة فاخرجه ذلك من حوزة المنة والامامة والوراثة الى دار الهلاك
والخسارة والخيانة كما بغى عليهم فرعون وكان اصل بغى هذا اراد لكن لما كان العبد لا ينبغي ان يكون له ارادة بل الارادة لسيده
خاصة عليه ما كان لم الخير جعلت ارادته تجاوزا للحد وعديت بعلى المقتضية للاستعلا تنبيها على خروجها عن اصلها هي
ولما ذكر بغيه ذكر سببه الحقيقي فقال وآتيناه اي ومع كونه من اعدانا عليه بجهله من حزب اصفيانا انبيانا
بعظمتنا من الكنوز اي الاموال المدفونة المدخورة فضلا عن الظاهرة التي هي بصدد الانفاق منها ما علمه بعض من الهمام
ما اي الذي او شيا كثيرا لا يكاد يدخل تحت حصر حتى ان مفاتحه اي مفاتح الاغلاق التي هم مؤتمنون فيما ورا ابوابها لتنوء اي تميل
بجهد ومشقة لثقلها بالعصبة اي الجماعة الكثيرة الذين يعصب اي يقوي بعضهم بعضا وفي المبالغة بالتعبير بالكنوز والمفاتح
والنوء والعصبة الموصوفة ما يدل على انه اوتي من ذلك ما لم يوته احد ممن هو في عداده وكل ذلك مما تستبعده العقول فلذلك
وقع التاكيد اولي القوة اي بميلهم من اثقالها اياهم والنوء الميل قال الرازي والنوء الكوكب مال الى المغيب عند الغروب هم
يقال ناء بالحمل اذا نهض به متثاقلا وناء به الحمل اذا اماله لثقله ولما ذكر بغيه ذكر وقته والوقت قد يكون وسعا
كما تقول جرى كذا عام كذا وفيه التعرض للسبب القريب فقال اذ قال له قومه اشارة الى تناهي بغيه بالتمادي
وكبره على اقاربه الذين جرت العادة ان لا يغضب كلامهم ولا يوبه لتعززه عليهم ولا يحمل الا على النصح والشفقة وساغت
نسبة القول للكل وان كان القايل البعض بدليل ما ياتي اما عبرا للساكت قايلا لرضاه به لانه مما لا يا باه احد واما
لان اهل الخير هم الناس ومن عداهم عدم لا تفرح اي لا تسر سرورا يحفر في قلبك فيشتغل فيه فيحركك الى الاشر والمرح
فان الفرح بالعرض الزايل يدل على الركون اليه وذلك يدل على نسيان الاخرة وذلك على غاية الجهل والطيش وقلة التامل
للعواقب فيجر الى المرح فيجر الى الهلاك قال الرازي ومن فرح بغير مفروح به استجلب حزنا لا انفصال له وعللوا نهيهم
له بما يفهم اشد الشفقة والمحبة فقالوا مؤكدين لاستبعاد من يرى تواصل النعم السارة على احد ان يكون غير محبوب

ان الله اي الذي له صفات الكمال فلا شي اجل منه فيه ينبغي ان يفرح لا يحب اي لا يعامل معاملة المحبوب الفرحين اي الراسخين في الفرح بما يفني
فان فرحهم يدل على سفول الهمم ولما كان ترك الفرح سببا للزهد وهو سبب للبذل المقرب الى الله كان كانه قيل وازهد فيه
ان الله يحب الزاهدين وابتغ اي اطلب طلبا مجتهدا بنفسك فيه فيما اتاك الله اي الملك الاعظم الذي له الامر كله من هذه الاموال الحال الحمد
الدار الاخرة بانفاقه فيما يحبه الله بحيث يكون ابتغاؤك ذلك مظروفا له فيكون كالروح والمؤتى كالجسد ليكون حيا بذلك الابتغا
فلا يكون لله شي بغير حياة فان فعلك لذلك يذكرك ان هذه الدار دار قلعة وارتحال وكل ما فيها الى زوال وذلك يوجب الزهد في جميع ما
فيها من الاموال ولما كان ذلك شديد المشقة على النفوس مع ما فيه من شائبة الايهام قالوا ولا تنس اي تترك ترك الناسي
نصيبك من الدنيا ترك المنسي بل استعمل المباحات من الماكل والملابس والمناكح والمساكن وما يلايمها وليكن استعمالك لذلك كما دل
عليه السياق من غير اسراف ولا مخيلة توجب ترك الانصاف بالانصاف وعن علي رضي الله عنه ولا تنس صحتك وقوتك ونشاطك
وغناك ان تطلب به الاخرة ولما اطلق له الاقتصاد في التمتع بالزاد وكانت النفس مجبولة على الشره فاذا اذن لها من الدنيا
في شي جعلته اكبر كبير اتبعوا ذلك ما لعله يكف من شرهها فقالوا واحسن اي اوقع الاحسان بدفع المال الى المحاويج والانفاق
في جميع الطاعات كما احسن الله الجامع لصفات الكمال المتردي برداء العظمة والجلال اليك بان تعطي عطاء من لا يخاف الفقر
كما اوسع عليك ولما كانت النفس من شانها ان لم تزم بزمام الشرع الاسراف او الاجحاف قالوا ولا تبغ اي لا ترد ارادة
ما الفساد في الارض بتقتير ولا تبذير ولا تكبر على عباد الله ولا تحقير ثم اتبع ذلك علته مؤكدا لان اكثر المفسدين يبسط لهم
في الدنيا واكثر الناس يستبعد ان يبسط فيها لغير محبوب فقيل ان الله اي العالم بكل شي القدير على كل شي لا يحب المفسدين
اي لا يعاملهم معاملة من يحبه فلا يكرمهم ولما كان مما قالوه ان الذي اعطاه ذلك انما هو الله وكان قد ابطرته النعمة
حتى علا لغته حصل التشوف الى جوابه فقيل في اسلوب التاكيد لان كل احد يعلم من نفسه العجز وان غيره يتكبر عليه فيما يدعي
انه حصله بقوته قال انما اوتيته اي هذا المال على علم حاصل عندي فانا مستحق لذلك وذلك العلم هو السبب لحصوله له
لا فضل لاحد علي فيه بما يفيده التعبير بانما وبنا الفعل للمجهول اشارة الى عدم علمه بالمؤتي من هو وقد قيل ان ذلك العلم الكيميا
ولما كان التقدير الا يخاف ان يسلبه الله عقوبة له على هذا علمه وماله ونفسه الم يعلم ان ذلك انما هو بقدرة الله لا صنع له
في الحقيقة في ذلك اصلا لان الله قد اهلك من هو اجل منه حيلة واكثر علما واعطى اكثر منه من لا علم له ولا تدبر فهو قادر على اهلاكه
وسلب ما معه وافنايه كما قدر على ابتايه عطف عليه قوله منكرا عليه اولم يعلم ان الله اي بما له من صفات الجلال والعظمة
والكمال قد اهلك ونبه على انه لم يتعظ مع مشاهدته للمهلكين الموصوفين مع قرب الزمان بادخال من في قوله من قبله
من القرون اي الذين هم في الصلابة كالقرون ولو حذفها لاستغرق الاهلاك على ذلك الوصف جميع ما تقدمه من الزمان من
هو اشد منه اي قارون قوة اي في البدن والمعاني من العلم وغيره والانصار والخدم واكثر جمعا في المال والرجال
اخرهم فرعون الذي شاهده في ملكه وحقق امره يوم هلكه وكان يستعبده وامثاله ويسومهم سوء العذاب ولم يعاملهم
معاملة من يحبه ولا امتنع عليه ذلك لعلم عند احد منهم ولا جمع بل اخذهم ببغيهم وقبح تقلبهم وسعيهم ولما
كانت عادة اهل الدنيا انهم اذا غضبوا من احد فارادوا اهلاكه عاتبوه فتارة يحلف على نفي الذنب فيقبل منه وان كان
كاذبا وتارة يكشف الحال عن ان باطن امره على خلاف ما ظهر من شره فيكون له عذر حتى اشار سبحانه الى ان ذلك لا يفعله
الا جاهل بحقايق الامور ومقادير ما يستحق على كل ذنب من العقوبة واما المطلع على بواطن الضماير وخفايا السراير فغني عن ذلك
فقال تعالى ذاكرا الحال المفعول وهو من ولا اي اهلكهم والحال انهم لا يسالون عن هذا الاصل ولكنه قال يسال اي من سايل
ما عن ذنوبهم المجرمون فاظهر لافادة ان الموجب للاهلاك الاجرام وهو قطع ما ينبغي وصله بوصل ما ينبغي قطعه ولهذا
سبب وعقب عن وعظهم الحسن وجوابه الخشن قوله سبحانه دليلا على اجرامه وطغيانه في اثامه فخرج على قومه اي الذين
نصحوه في الاقتصاد في شانه والاكتاد في الجود على اخوانه ثم ذكر حاله معظما لها بقوله في زينته التي تناسب ما ذكرنا
من سواله ونعاظمه في حاله من ابتغاله وانواله ولما كان كانه قيل ما قال قومه فقيل قال الذين يريدون
اي هم بحيث تتجدد منهم ان يريدوا الحياة الدنيا منهم لسفول الهمم وقصور النظر على الفاني لكونهم اهل جهل وان
كان قولهم من باب الغبطة لا من الحسد الذي هو تمني زوال النعمة المحسود يا ليت لنا اي تمنيا عظيما ان نؤتى من اي
موت كان وعلى اي وجه كان مثل ما اوتي قارون من هذه الزينة وما تسبب عنه من العلم حتى لا نزال اصحاب اموال ثم عللوه
بقولهم مؤكدين لعلمهم ان من يريد الاخرة ينكر عليهم انه لذو حظ اي نصيب وبخت من الدنيا عظيم بما اوتيه من العلم الذي
كان سببا له الى جمع هذا المال ودل على جهلهم وفضل العلم الرباني وحقارة ما اوتي قارون من المال والعلم الظاهري
ادى اليه باتباعه قوله وقال الذين وعظم الرغبة في العلم بالبنا للمفعول اشارة الى انه نافع بكل اعتبار وبالتعبير عن اهل
الزهد به فقال اوتوا العلم اي من قومه فشرفت انفسهم عن ارادة الدنيا علما بعينا بانه زجر المتمني مثل حاله وسموا الى الاخرة

لبقائها ويلكم اي عجبا لكم او حلّ بكم الشر حلولا واصل ويل وي قال الفراء جيء بلام الجر بعدها مفتوحة مع المضمر نحو وي لك
ووي له اي عجبا لك وله ثم خلط اللام بوي لكثرة الاستعمال حتى صارت كلام الكلمة فصار معربا باتمامه ثلاثيا فجاز ان
يدخل بعدها لاما اخرى في نحو ويلا لك لصيرورة الاولى لام الكلمة ثم نقل الى لام المبتدا فقيل ويل لك وهو باق على ما كان عليه
في حال النصب اذ الاصل في ويل لك هلكت ويلا اي هلاكا فهو مصدر بعد حذف الفعل نصا لغبار الحروف وقيل اصل ويل الدعا
بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعا على الرجل في الحث على الفعل
فكانهم قالوا ما كنا يحل بنا الويل فاخبروهم بما ينبغي معرضين عما استحقوا به الويل من التمني تحقيرا لما استعظموه حيث قالوا ثواب الله
اي الجليل العظيم خير اي من هذا الحطام ومن فاته الخير حل به الويل ثم بين مستحقه تعظيما له وترغيبا للسامع في حاله
فقالوا لمن آمن وعمل اي تصديقا لايمانه صالحا ثم بين سبحانه عظمة هذه النصيحة وعلو قدرها بقوله مؤكدا لان اهل الدنيا
ينكرون كونهم غير صابرين ولا يلقاها اي يجعل لاقيا لهذه الكلمات او النصيحة التي قالها اهل العلم اي عاملا بها الا الصابرون
اي على قضاء ربهم في السراء والضراء والحاملون انفسهم على الطاعات الذين صار الصبر لهم خلقا وعبر بالجمع ترغيبا في التعاون
اشارة الى ان الدين لصعوبته لا يستقل به الواحد ولما تسبب عن بطره هذا الذي اوصله الى الكفر به اخذنا له اشار الى ذلك سبحانه بقوله فخسفنا اي بما لنا من العظمة به وبداره اي وهي على مقدار ما ذكرنا من عظمته باموا له وزينته
فهي امر عظيم يجمع خلقا كثيرا واثاثا عظيما لئلا يقول قائل ان الخسف به كان للرغبة في اخذ امواله الارض وهو من قوم موسى عليه
السلام وقريب منه جدا على ما نقله اهل الاخبار فيا لكم يا امة هذا النبي ان تردوا ما اتاكم من الرحمة برسالته فتهلكوا وان
كنتم اقرب الناس اليه فان الانبيا كما انهم لا يوجدون الهدى في قلوب العدى فكذلك لا يمنعونهم من الردى ولا يشفعون لهم ابدا
اذا تحققوا انهم من اهل الشقا فما اي فتسبب عن ذلك انه ما كان له اي لقارون واكد النفي لما استقر في الاذهان ان الاكابر
منصورون بزيادة الجار في قوله من فئة اي طائفة من الناس يكرون عليه بعد ان هالهم ما دهمه واصل الفئة الجماعة من الطير
كانها سميت بذلك لكثرة رجوعها وسرعته الى المكان الذي ذهبت منه ينصرونه ولما كان الله تعالى اعلى من كل شيء
قال من دون الله اي الحائز لصفات الكمال المتردي بالعظمة والجلال لان من كان على مثل رايه هلك ومن كان من اولياء الله راف الله
في امره فلم يبال لولا الله فيه وعلم ان الحق لله وضل عنه كما في الآية التي قبلها ما كان يفتري وما كان اي هو من المنتصرين لانفسهم
بقوتهم ولما خسف به فاستبصر الجهال الذين هم كالبهائم لا يرون الا المحسوسات عبر عن حالهم بقوله واصبح اي وصار
ولكنه عبر به لمقابلة الامس واعلاما بان ما راوه من حاله ملاصق ويوم فلم يكن لهم سواه الذين تمنوا اي ارادوا ارادة
عظيمة بغاية الشغف ان يكونوا مكانه اي يكون حاله ومنزلته في الدنيا لهم بالامس اي الزمان الماضي القريب وان لم يكن
يلي يومهم الذي هم فيه من قبله يقولون ويكأن هذه الكلمة والتي بعدها متصلة باجماع المصاحف وعن الكسائي انه يوقف
على اليا وي وعن ابي عمرو انه يوقف على الكاف ويك قال الرضي في شرح الحاجبية وي للتندم او التعجب ثم قال وهي عند الخليل
وسيبويه وي للتعجب ركبت مع كان التي للتشبيه وقال الفرا كلمة تعجب الحق بها كاف الخطاب نحو ويك عنتر اقدم
اي من قوله في قصيدته الميمية المشهورة احدى المعلقات السبع ولقد شفى نفسي وابرا سقمها قيل الفوارس ويك
عنتر اقدم اي ويلك وعجبا منك وضم اليهان فالمعنى الم تر انه ونقل ابن الجوزي هذا عن ابن عباس قال الفرا ولما صار
معنى ويك ان الم تر لم يغير كاف الخطاب للمؤنث والمثنى والمجموع بل لزم حالة واحدة وقال الجعبري في شرح الشاطبية
وي صوت يقوله المتندم والمتعجب وويك اصله ويلك حذفت لامه تخفيفا لكثرة دوره والكاف للخطاب وفتحت ان
لاضمار اعلم وقال قطرب لتقدير اللام وتشاء من التركيب معنى ندمنا على تفريطنا وتعجبنا من حالنا وتحققنا خلاف اعتقادنا
ورسمت متصلة تنبيها على التركيب وقال القزاز في ديوانه الجامع ويك كلمة ينبه بها الانسان وقيل معناها رحمة ووي
معناها التنبيه والانكار وقال الامام عبد الحق وي كلمة تقال في التعجب والاستدراك وقيل وي حزن وقال
قطرب وي كلمة تفجع انتهى وقال سيبويه في باب ما ينتصب فيه الخبر بعد الاحرف الخمسة وسالت الخليل عن هذه الآية
فزعم انها وي مفصولة من كان والمعنى وقع على ان القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم او نبهوا فقيل لهم اما يشبه ان يكون
هذا عندكم هكذا والله تعالى اعلم واما المفسرون فقالوا الم تر ان الله فالمعنى الذي يجمع الاقوال الحسنة تعجبا او وقوفا
او تندما على ما قلنا في تبين غلطنا وتنبها على الخطا او هلاك لنا او انكار علينا او حزن لنا او تفجع علينا او استدراك علينا
او رحمة لنا او تنبه منا او تنبيه لنا ثم عللوا ذلك بقولهم ان الله او وتنبه ان الله او الم تر ايها السامع والناظر ان الله
وقال الرازي وي اسم سمي به الفعل اي اعجب ومعناه التنبيه ثم ابتدا كان الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله يبسط الرزق
اي الكامل لمن يشاء سواء كان عنده ما يحتال به على الرزق من عباده كانت القصة لقرون وكان له من المكنة في الدنيا
ما مضى ذكره وكانت العادة جارية بان مثله ينظر وقد يودي الى تالهه قال منبها بالاتباع به على الوجه الماضي انه من جملة عبيده

دل على ان البسط انما هو منه اتبعه قوله دليلا آخر على ربوبيته
لا امر بينه وبين ضعفهم بالنسبة الى قدرته من عباده ولما
ويقدر اي يضيق على من يشاء سواء كان فطنا ام لا يبسطه لاحد لكرامته عليه ولا يضيق على احد لهوانه عنده ولا يدل البسط
والقبض على هوان ولا كرامة وهذا دليل على انهم ظنوا اصحة قول قارون انه اوتيه على علم عنده وانهم انما تمنوا علمه الذي يلزم منه
على اعتقادهم حصول المال على كل حال ولما لاح لهم من واقعته ان الرزق انما هو بيد الله اتبعوه ما دل على انهم اعتقدوا
ايضا ان الله قادر على ما يريد من غير الرزق كما هو قادر على الرزق من قولهم لولا ان من الله اي تفضل الملك الاعظم الذي اسائر
بصفات الكمال علينا بجوده فلم يعطنا ما تمنيناه من الكون على مثل حاله لخسف بنا مثل ما خسف به ويكأنه اي عجبا او ندما
لانه او تنبه انه او الم تر انه قال الرضي في شرح الحاجبية كان المخاطب كان يدعي انهم يفلحون فقال له عجبا منك فسئل
لم تتعجب منه فقال لانه الى اخره فحذف حرف الجر مع ان كما هو القياس لا يفلح اي لا يظفر بمراد الكافرون اي العريقون في
الكفر لنعمة الله وقد عرف بهذا تنزيل المعنى على ما قالوه في المراد من ويك انه سوا وقف على وي او ويك او لا ه
قال البغوي قال اهل العلم بالاخبار كان قارون اعلم بني اسرائيل بعد موسى واقراهم للتوراة واجملهم واغناهم
فبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان يعلقوا في اردئتهم خيوطا اربعة في كل طرف
خيطا اخضر بلون السماء يذكرون اذا نظروا اليها السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب افلا تامرهم ان يجعلوا
اردئتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تحقر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من امري ليس بصغير فاذا هم لم يطيعوني
في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يامركم ففعلوا واستكبر قارون وكان هذا بدء عصيانه وبغيه
فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعل الحبورة لهرون عليه السلام وهي رياسة المذبح فكان بنو اسرائيل ياتون بهداياهم الى هرون
فيضعه على المذبح فتنزل نار من السما فتاكله فقال قارون يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء وانا اقرا التوراة
لا اصبر لي على هذا فقال له موسى عليه السلام ما انا بالذي جعلتها في هرون ولكن الله جعلها له فقال قارون والله لا اصدقك حتى تريني
بيانه فجمع موسى عصي الروسا فحزموها والقاها في قبته التي كان يعبد الله فيها وباتوا يحرسونها فاصبحت عصي هرون قد اهتزت
لها ورق اخضر وكانت من اللوز فقال قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر وذكر امورا مما كان يعظم بها وانه رمى موسى عليه السلام
بعظيمة فخسف به والذي رايته انا في التوراة في السفر الرابع مما نصه وكلم الرب موسى وقال
له كلم بني اسرائيل وقل لهم اعملوا خيوطا في اطراف اردئتكم في احقابكم ولتكن الخيوط التي تعملون في اطراف اردئتكم من الحرير
ولتكن هذه الخيوط تذكركم وصايا الله ربكم لتعملوا بها ولا تضلوا بما في قلوبكم ولا تتبعوا اراءكم بل اذكروا جميع وصاياي واعملوا
بها لتكونوا مقدسين لله ربكم انا الله ربكم الذي اخرجتكم من ارض مصر لا يكون لكم اله غيري انا الله ربكم ومن بعد هذه الامور
شق قورح ومواسم قارون بالعبرانية بن يصهر بن قاهث بن لاوي وداثن وابيروم ابنا اليب واون بن فلت بن روبيل
العصي وقاموا بين يدي موسى وقوم من بني اسرائيل عددهم مائتان وخمسون رجلا من رؤسا الجماعة مذكورون مشهورون باسمائهم
ابطال هؤلاء اجمعون اجتمعوا الى موسى وهرون وقالوا لهما ليس حسبكما ان الجماعة كلها طاهرة وانتما رئيسان عليها حتى تريدا
ان تتعظما على الجماعة كلها اي يلون هرون هو الكاهن اي متولي امر القربان والحلم على حرمة قبة الزمان فسمع موسى ذلك
وخر ساجدا على وجهه وكلم قورح وجماعته كلها فقال لهم سيظهر الرب ويبين لمن الكهنوت والرياسة بكرة ومن كان طاهرا
فليتقرب اليه ومن يختار الرب يتقرب ثم امرهم ان يقربوا قربانا ثم قال يا بني لاوي اما تكتفون بما اختاره الله لكم من كل جماعة
بني اسرائيل وقربكم اليه لتعملوا العمل في بيت الرب وقربك انت وجميع اخوتك معك الآن تريدوا الكهنوت ايضا فلذلك
انت وجماعتك كلها اسبقتهم وابن يدي الرب غدا فاما هرون فمن هو حتى صرتم تتعون فيه وتتذمرون عليه وارسل موسى ليدعوا
داثن وابيروم ابني اليب فقالا لا نصعد اليك اما تكتفيان بما صنعتما انكما اخرجتمانا من الارض التي تغل السمن والعسل لتقتلانا
في هذه البرية حتى تعظما علينا وتفخرا فاما ما وعدتنا به انك تدخلنا الارض التي تغل السمن والعسل فما فعلت ذلك ولم تعطنا
مواريث المزارع والكروم فلو عميت اعيننا لم نصعد اليك فشق ذلك على موسى جدا وقال امام الرب لا تقبل قرابينهم يا رب
يا رب لاني لم اظلم منهم رجلا ولا اسات الى احد منهم ثم قال لقورح اجتمع انت واصحابك امام الرب وهرون معكم بكرة وليأخذ
كل منكم مجمرته وقام موسى وهرون امام قبة الزمان وجمع قورح الجماعة كلها وظهر مجد الرب للجماعة كلها وكلم الرب موسى وهرون
وقال لهما تنحيا عن هذه الجماعة فاني مهلكها في ساعة واحدة فخرا ساجدين وقالا اللهم انت اله الارواح كل ذي لحم يجرم رجل واحد
فتنزل الغضب بالجماعة كلها فكلم الرب موسى وقال له كلم الجماعة كلها وقل لهم تنحوا عن خيم داثن وابيروم وقورح فتنحوا عن
خيم هؤلاء الفجار ولا تقربوا شيئا مما لهم لئلا تعاقبوا وقال موسى بهذه الحالة تعلمون ان الرب ارسلني ان اعمل هذه الاعمال كلها
ولم اعملها من تلقاء نفسي ان مات هؤلاء مثل موت كل انسان او نزل بهم الموت مثل ما ينزل بجميع الناس فلم يرسلني الرب وان فتحت
الارض فاها وابتلعتهم وابتلعت كل شيء لهم ونزلوا بهم وكل شيء لهم الى الجحيم علمتم ان هؤلاء قد اغضبوا الرب فلما اكمل

موسى بقوله هذا انشقت الارض من تحتهم وتفتحت فاها فابتلعتهم وابتلعت خيمهم وجميع مواشيهم فنزلوا الى الجحيم احياء ثم استوت
الارض فوقهم وهرب جميع بني اسرائيل حيث سمعوا اصواتهم ورا وما قد صنع بهم وقالوا لعل الارض تبتلعنا ايضا واشتعلت نار
من قبل الرب فاحرقت المائتين والخمسين الرجل الذين كانوا يبخرون البخور وتذمر جماعة بني اسرائيل من ذلك اليوم على موسى وهرون
وقالوا لهما انتما قتلتما جماعة شعب الرب فاقبلوا الى قبة الزمان وراوا ان السحاب قد تغشى القبة وظهر مجد الرب واتى موسى
وهرون فقاما في قبة الزمان وكلم الرب موسى وهرون وقال لهما تنحيا عن هذه الجماعة لاني مهلكهما في ساعة واحدة فخرا ساجدين
على وجوههما وقال موسى لهرون خذ مجمرة بيدك واجعل فيها نارا من المذبح وبخورا وانطلق مسرعا الى الجماعة واستغفر لهم لانه قد نزل غضب
الرب بالجماعة كلها وبدا الموت الجارف بالشعب واخذ هرون كما امر موسى فاحضر الى الجماعة وراى ان الموت قد بدا بالشعب وبخر
بخورا للرب واستغفر للشعب وقام فيما بين الاموات والاحياء فكف موت الفجاة عن الشعب وكان عدد الذين ماتوا بالفجاة اربعة عشر
الفا وسبعمائة رجل غير المخسوف بهم ورجع هرون الى موسى الى قبة الزمان فكلم الرب موسى وقال له كلم بني اسرائيل وخذ منهم عصى
عصى من كل سبط واكتب كل رجل على عصاه واكتب اسم هرون على عصى سبط لاوى واجعلها في قبة الزمان امام تابوت
الشهادة لاني اتراءى لكم الى هناك فالرجل الذي احبه تنضر عصاه ولاخلصكما من هتار بني اسرائيل وتذمرهم ثم دخل موسى
خبا الشهادة فراى عصى هرون قد نضرت واخرجت اغصانا واورقت واثمرت لوزا واخرج موسى العصي كلها فنظروا اليها
وقال الرب لموسى رد قضيب هرون الى موضع الشهادة واحفظه اية لابناء المتسخطين لكيف تذمرهم عني ولا يموتوا ولا يعمل
عمل قبة الزمان غير اللاويين اى سبط لاوى فاما بنو اسرائيل اى باقيهم فلا يقتربوا الى قبة الزمان لئلا يعاقبوا ويموتوا ثم ذكر
وفاة هرون عليه السلام في هور الجبل وولاية اليعازر ابنه مكانه امر الكهنوت انتهى وهو نحو مما فعل الله تعالى لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم في حنين الجذع وتخيير النبي صلى الله عليه وسلم له ان يعيده الله تعالى الى احسن ما كان ويوحي او يجعله
في الجنة فاختار ان يكون في الجنة وكذا امر سراقة بن مالك بن جعشم حيث لحقه صلى الله عليه وسلم في طريق الهجرة ليرده فخسف
بقوائم حصانه حتى بلغ الى بطنه ثلاث مرات غير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان نبي الرحمة لم يكن العاصية فلقي بذلك شره
واسلم بعد ذلك عام الفتح وبشره النبي صلى الله عليه وسلم بانه يلبس سواري كسرى فكان كذلك وشر من الخسف الذي يعقب المخسوف
والكى واشنع واخزى قصة التي ارتد فقصم ودفن فلفظته الارض وروى البيهقي في اخر الدلائل عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال كان منا رجل من بني النجار قد قرا البقرة وال عمران وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق هاربا حتى لحق باهل
الكتاب فرفعوه واعجبوا به فما لبث ان قصم الله عنقه فحفروا له فواروه فاصبحت الارض قد نبذته ثم عادوا فحفروا له
فواروه فاصبحت الارض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذا وقال رواه مسلم في الصحيح وعن انس رضي الله عنه مثله ايضا في
رجل نصراني لفظته الارض ثلاث مرات ثم تركوه وقال رواه البخاري في الصحيح ثم قدم سبحانه ان المفلح من تاب وامن
وعمل صالحا وبنوا الذي اشار اهل العلم الى ان له ثواب الله وكان هذا هو الاخرة سببا ومسببا ومن فيما لا بد منه حتى ذكر قصة
قارون المعرقة ولا بد بان هذه الدار للزوال لا يغني فيها رجال ولا مال وان الاخرة للدوام وامر فيها بان يحسن الابتغا
في امر الدنيا وختم بان هذا الفلاح مسلوب عن الكافرين فكان موضع استحضار الاخرة مع انه قدم قريبا من ذكرها وذكر مواقفها
ما ملا به الاسماع فصيرها حاضرة لكل ذي فهم معظمة عند كل ذي علم اشار اليها سبحانه لكلا الامرين الحضور والعظم فقال
تلك اى الامر المنظور بكل عين الحاضر في كل قلب العظيم الشان البعيد الصيت العلي الرتبة الذي سمعت اخباره وطنت على
الاذان اوصافه وآثاره الدار الآخرة اى التي دلائلها اكثر من ان تحصر واوضح من ان تبين وتذكر من اعظمها التعبير كل احد عن جاه
بالدنيا والتي امر قارون بابتغائها فابى الا علوا وفسادا نجعلها بعظمتنا للذين يعملون ضد عمله ولما كان الفصل
الاعظم طهارة القلب الذي عنه ينشا عمل الجوارح قال لا يريدون ولم يقل يتعاطون مثلا تعظيما لضرر الفساد بالتنفير
من كل ما كان منه بسبب اعلاما بان النفوس ميالة اليه نزاعة له فمهما رتعت قريبا منه اقتحمته لا محالة علوا اى شيئا من
العلو في الارض فانه اعظم جار الى الفساد واذا ارادوا شيئا من ذلك فيما يظهر لك عند امرهم بمعروف او نهيهم عن منكر
كان مقصودهم به علو كلمة الله للامامة في الدين لا علوهم ولا فسادا بعمل ما يكره الله بل يكونون على ضد ما كان فيه فرعون وهامان
وقارون من التواضع مع الامامة لاجل حمل الدين عنهم ليكون لهم مثل اجر من اهتدى بهم لا لحظ دنيوي وعلامة العلو
لاجل الامامة لا الفساد ان لا يتخذ عباد الله خولا ولا مال الله دولا والضابط العمل بما يرضي الله والتعظيم لامر الله والعزوف
عن الدنيا ولما كان هذا شرح حال الخائفين من جلال الله تعالى اخبر سبحانه انه دائما يجعل ظفرهم اخرا فقال معبرا بالاسمية
دلالة على الثبات والعاقبة اى الحالة الاخيرة التي تعقب جميع الحالات لهم في الدنيا والاخرة هكذا الاصل ولكنه اظهر تعميما
واعلاما بالوصف الذي اثمر لهم ذلك فقال للمتقين اى دائما في كلا الدارين لا عليهم فمن اللام يعرف انها محمودة وهذه الاية
مسبار يعرف اهل الاخرة من اهل الدنيا فمن كان زاهدا في الاولى مجتهدا في الصلاح وكان ممتحنا في اول احواله مظفرا في ماله

فهو

فهو من ابناء الآخرة والا فهو للدنيا ولما تحرر الفرق من اهل الدارين وكان لا بد من اتيان الاخرة وعلم ان الاخرة انما هي جزا
الاعمال وتقرر من كونهما للخائفين انها على الامنين فاستونف تفصيل ذلك جوابا لمن كانه قال ما لمن احسن ومن اساء عند القدوم
بقوله من جاء اى في الاخرة وكذا الدنيا بالحسنة اى الحالة الصالحة فله من فضل الله خير منها من عشرة اضعاف الى سبعمائة
الى سبعمائة الى ما لا يحيط به الا الله تعالى ومن جاء بالسيئة وهي ما نهى الله عنه ومنه اخافة المؤمنين فلا يجزى من جازينا
واظهر ما في هذا الفعل من الضمير العائد على من فقال الذين عملوا السيئات تصويرا لحالهم تقبيحا لها وتنفيرا من عملها الا
ولعله جمع هنا وافرد اولا اشارة الى ان المسيء اكثر مثله سوا عدلا منه تعالى هكذا كان الاصل ولكنه قال ما كانوا اى
بجميع هممهم يعملون مبالغة في المثلية هذا في الاخرة وزادت الاية الاشارة الى انه يفعل في الدنيا مثل ذلك وان اخفى
تسبحانون في حرمهم بما اخافوا المؤمنين فيه وقد جعله الله للامن فاغلقوا عن الدخول في دينه تخوفا للتخطف من ارضهم في
فسيصير عدم دخولهم فيه سببا لخوفهم وتخطفهم من ارضهم فيعلمون انما كانوا فيه من الامن انما هو بسببك ثم يصيرون يوم
الفتح في قبضتك ولما قرر ذكر الاخرة التي هي المرجع وكرره واثبت الجزا فيها وان العاقبة للمتقين اتبعه ما هو في
بيان ذلك كالعلة فقال مستانفا مقررا مؤكدا لما تقرر في اذهانهم من انكار الاخرة وما تقتضيه حال خروجه صلى الله
عليه وسلم من مكة المشرفة من استبعاد رده اليها ان الذي فرض اى اوجب عليك القران اى الجامع لما تفرق من المحاسن المفصل
لما التبس من جميع المعاني اى فرض عليك جميع ما في هذا الكتاب المشتمل على الجمع والفرق بما يظهر حسن تلقيه من تلاوة وابلاغ
وتحد وعمل والزمك فيه وعيرك هذه الملازم وكلفكم تلك التكاليف التي منها المقارعة بالسيوف لرادك اى
بعد الموت لاجل صعوبة ما كلفك به والزمك من مشقته الى معاد اى مرجع عظيم بالدمن مرجع يجزي فيه كل احد بما عمل
فيعطيك ربك فيه ثوابا على احسانك في العمل مقاما محمودا يغبطك به الاولون والاخرون بما عانيت في امر من هذه المشقات
التي لا تحملها الجبال ولولا الرد الى هذا المعاد لكانت هذه التكاليف التي لا يعمل كثرهم باكثرها ولا يجازى على المخالفة
فيها من العبث المعلوم ان العاقل من الادميين منزه عنه فكيف باحكم الحاكمين فاجتهد فيما انت فيه لعز ذلك اليوم فان العاقبة
لك والاية مثل قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله تعالى ثم اليه ترجعون الى الله مرجعكم الى غير ذلك من الايات
ويجوز ان يقال الى معاد اى معاد اى مكان هو لعظمته اهل لان يقصد العود اليه كل من خرج منه وهو مكة المشرفة هي
وطنك الدنيوي كما فسرها بذلك ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري وعود هو لجلالته اهل لان يذكر لدخولك اليها
في جنود يعز بها الاسلام ويذل الكفر واهله على الدوام والجنة المزخرفة وطنك الاخروي على اكمل الوجوه واعلاها واعزها
واولاها فلا تظن ان سبيلك بك سبيل ابويك عليهما السلام ابرهيم في هجرته من حران بلد الكفر الى الارض المقدسة فلم يعد اليها
واسمعيل في العلو به من الارض المقدسة الى اقدس منها فلم يعد اليها بل سبيلك بك سبيل اخيك موسى عليه السلام الذي انزل
عليه الكتاب كما انزل عليك الكتاب القران الفرقان والذي اشركوك به في قولهم لولا اوتي مثل ما اوتي موسى في اعادته الى
البلد الذي ذكر في هذه السورة توطئة لهذه الاية انه خرج منه خائفا يترقب وهي مصر الى مدين في اطراف بلاد العرب
على وجه اهلك فيه اعداءه اما من كان من غير قومه فبالاغراق في الماء واما من كان من قومه فبالخسف في الارض واعز
اولياءه من قومه وغيرهم كما خرجت انت من بلدك خائفا تترقب الى المدينة الشريفة غير ان رجوعك لكونك نبي الرحمة وكون
خروجك لم يكن مسببا عن قتل احد منهم لا يكون فيه هلاكهم بل عزهم وامنهم وغناهم وثباتهم واختير لفظ القران دون الكتاب
لما فيه مع الجمع من لازم النشر كما مضى في الحجر فناسب السياق الذي هو النشر والحشر والفصل من بلده ثم الوصل فانه روي
ان هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في الجحفة وهو في طريق الهجرة ولما فهم من الابلاغ في هذا التاكيد
انهم من بالغ في النفي والانكار على حسب هذا التاكيد في الاثبات فيقول ان الامر ليس كذلك ولا يعود الى مكة المشرفة ما
عين تطرف قال مهددا على طريق الاستيناف على لسانه صلى الله عليه وسلم لكون الانكار تكذيبا له كما كذب موسى عليه السلام
حين اجاب بمثل ذلك كما تقدم راى لهؤلاء المنكرين لما اخبرتك به قل ربي اى المحسن الي اعلم اى من كل احد ولما
كانت هذه قصة مسلمة لا نزاع فيها لعاقل بتنبت الخالق وكانوا يقولون مرادي رجوعه فهو ضال توجه السوال عن المهتدي
الى الصواب والضال بما يشهد به فتح مكة عند الاقبال في اولئك الصراعمة الابطال والسادة الاقيال فقال في اسلوب
الاستفهام لاظهار الانصاف والابعاد من الاتهام من جاء بالهدى اى الذي لا ابين منه انا فيما جئت به عن ربي بهذا الكلام
الذي يشهد الله لي باعجازه انه من عنده ام انتم فيما تقولون من عند انفسكم ومن هو في ضلال اى انتم في كلامكم الظاهر العوار
العظيم العار ام انا مبين اى بين في نفسه مظهر لكل احد ما فيه من خلل وان اجتهد التابع له في ستره ولما كان
الجواب لكل من انصف بهم في ضلال مبين لانهم يبحثون من عند انفسهم ما لا دليل لهم عليه وانت جئت بالهدى لانك اتيت به
عن الله بني عليه قوله وما ويجوز ان تكون الجملة حالا من الضمير في عليك وما بينهما اعتراض للاهتمام بالرد على المنكر للمعاد

ای فرضه علیک والحال انک ما وجدوا نقال لما کان رجوعه الی مکة فی غایة البعد لکثرة الکفار وقلة الانصار قربه بقوله تعلیلا ارکثیر من الامور تکون علی غیر رجاء بل وعلی خلاف القیاس وما کنت ترجوا ای فی سالف الدهر بحال من الاحوال ان یلقی ای ینزل وجه لم یعتد علی رده الیک الکتاب ای بهذا الاعتقاد ولا شیء منه ولا کان هذا من شانک ولا سعه احد منک یوما من الایام ولا تاهبت لذلک اهبته العادیة من تعلم خط او مجالسة عالم لیتطرق الیک نوع اتهام کما یشیر الیه قوله تعالی فی التی بعدها وما کنت تتلو من قبله من کتاب الایة واختیر هنا لفظ الکتاب لان السیاق للرحمة التی من ثمراتها الاجتماع المحکم وذلک بترک الکتاب ثم قال الا ای لکن القی الیک الکتاب رحمة ای لاجل رحمة عظیمة لک ولجمیع الخلایق لم تکن ترجوها من ربک ای المحسن الیک بجعلک مصطفی لذلک بالدعا الیه وقصر الهمم علیه وعبر باداة الاستثنا المتصل اشارة الی ان حاله قبل النبوة من التنزه عن عبادة الاوثان وعن القرب منها والحلف بها وعن جمیع الفواحش ومن الانقطاع الی الله بالخلوة معه والتعبد له توفیقا من الله کان حال من رجا ذلک ولما تسبب عما تقدم الاجتهاد فی تحریک الهمم الی العکوف علی امر الله طمعا فیما عنده سبحانه من الثواب وشکرا علی انزال الکتاب قال فی سیاق التاکید لان الطبع البشری یقتضی ذلک من مظاهرة الکفار الابتهر من التوفیق عظیم لکثرتهم وقوتهم وعزتهم فلا تکونن بسبب استضعافهم لک لکثرتهم ظهیرا ای معینا للکافرین ای بالملک بین ظهرانیهم او بالفتور عن الاجتهاد فی دعایهم بیاسک منهم لما تری من بعدهم من الاجابة وان طال انذارک لا تمل انت کما لم نمل نحن فقد وصلنا لهم القول وتابعنا لهم الوعظ والقصص ونحن قادرون علی اهلاکهم فی لحظة وهدایتهم فی اقل لمحة وکان موسی علیه السلام بعد الانعام علیه لم یکن ظهیرا للمجرمین وهذا تدریب من الله تعالی لهذه الامة فی الدعا الی الله عند کثرة المخالف وقلة الناصر الملازم المخالف ولما کان التوانی فی النهی عن المنکر اعراضا عن الاوامر وان کان المتوانی مجتهدا فی العمل قال مؤکدا تنبیها علی شدة الامر لکثرة الاعدا وتتابع الاذی او الاعتدا ولا یصدنک ای الکفار بما لعنتهم فی الاعراض وقولهم لولا اوتی مثل ما اوتی موسی ونحو عن ایات الله ای عن الصدع بها وبحجتها عن المتصف بصفات الکمال فی الاوقات الکاینة بعد اذ انزلت ای وقع انزالها من نقله منتهیا الیک بما تری من اوامرها ونواهیها ولعذبین هذا المعنی قوله وادع ای اوجد الدعا للناس الی ربک ای المحسن الیک لاحسانه الیک واقباله دون الخلق علیک واعراه من التاکید اکتفا بالمستطاع فان الفعل لیس للمبالغة فیه حد اشارة الی ان جلب المصالح ایسر خطبا من درء المفاسد فان المطلوب فیه النهایة لانها محدودة بالاجتناب ولما کان الساکت عن فاعل المنکر شریکا له قال مؤکدا تنبیها علی الاهتمام بدرء المفاسد وانه لابد فیه من بلوغ الغایة ولا تکونن من المشرکین ای معه ودانی عداهم بترک نهیهم عن شرکهم وما یتسبب عنه ساعة واحدة ولما کان لکاین من قوم موصوفا بما اتصف به کل منهم وکانت مشارکتهم بالفعل ابعد من مشارکتهم بالسکوت قال من غیر تاکید ولا تدع مع الله ای الجامع لجمیع صفات الکمال الها ولما کانت النکرة فی سیاق النهی تعم کما لو کانت فی سیاق النفی وکان المشرکون قد تعنتوا المارا او النبی صلی الله علیه وسلم یدعوا باسم الله واسم الرحمن کما ذکر اخر الاسرا قال اخر ای غیر الله حقیقة دون ان یغایر فی الاسم دون الذات ومضی فی اخر الحجر ویاتی ان شا الله تعالی فی الذاریات ما ینفع به هذا المعنی والمراد بهذا کله المبالغة فی الانذار اعلاما بان تارک النهی عن المنکر مع القدرة شریک للفاعل وان لم یات والنبی صلی الله علیه وسلم فاد حراسة الله له ثم علل ذلک بقوله لا اله الا هو ای حتی یستحق ان یشتغل به عنه ثم علل وحدانیته بقوله کل شیء هالک ای هو فی قوة الهلاک والفنا ومستحق لذلک لانه ممکن الا وجهه ای هو فهو الباقی لانه الواجب الوجود ووجود کل موجود دایما کان به ولعله عبر عن الذات بالوجه لیشمل ما قصد به من العمل الصالح مع ما هو معروف من تسویغه لذلک بکونه اشرف الجملة وبکون النظر الیه هو الحامل علی الطاعة بالاستحیا وما فی معناه ثم علل ذلک بقوله له ای الله وحده فالظاهر استخدام الحکم ای العمل المحکم بالعلم النافذ علی کل شیء ولا حکم لشیء علیه والیه وحده ترجعون فی جمیع احوالکم فی الدنیا بحیث انه لا ینفذ لاحد مراد الا بارادته وفی الاخرة بالبعث فیجازی المحسن باحسانه والعاصی بعصیانه ولا شک ان هذه الاوامر والنواهی وان کان خطابها متوجها الیه صلی الله علیه وسلم فالمقصود بها اتباعه ولعلها انما وجهت الیه صلی الله وسلم علیه لان امر الرییس ادعی لاتباعه الی القبول بهذا البیان فی هذه المعانی الحسان ان هذا الکتاب مبین وبانفاذ ارادته سبحانه فی تقویة اهل الضعف من بنی اسرایل دون ما اراد فرعون وقارون واتباعهما من اهل العلو بطاعة الما والتراب وما جمع العناصر من الخیر والعصیان انه وحده الحکم علی ما یرید فصح ان الیه الرجوع فقد انطبق اخرها علی اولها واشرح بجملها مفصلها

سورة العنکبوت

مقصودها الحث علی الاجتهاد فی الامر بالمعروف والنهی عن المنکر والدعا الی الله تعالی وحده من غیر فترة کما ختمت به السورة الماضیة من غیر تعریج علی غیره سبحانه اصلا لیلا یکون مثل المعرج عنه المتعوض عوضا منه مثل العنکبوت فهی سورة ضعف الکافرین وقوة المومنین وقد ظهر سر تسمیتها بالعنکبوت وانه دال علی مقصودها

بسم الله الذی احاط بجمیع القوة فاعز جنده الرحمن الذی شمل جمیع العباد بنعمة الامر والنهی الرحیم الذی الزم اهل القرب

ولما ختم السورة الماضیة بالحث علی العمل للدار الاخرة وان کل احد من محسن ومسیء یجزی بعمله وبالاخبار بانه رد ذروة الاحسان سبحانه عالم بالبر والعلن وبالامر بالاجتهاد فی الدعا الیه وقصر الهمم علیه وان ادی ذلک الی الملال وذهاب النفس والاموال تعللا بانه الحکم سبحانه لانه الباقی بلا زوال وکلما عداه فالی الزوال والاضمحلال وانه لا یفوته شیء فی حال من الاحوال فکان اول هذه الم اشارة بالالف الدال علی القایم الاعلی المحیط وبالام الوصلة وبالمیم التمام بطریق الرمز الی انه سبحانه ارسل جبریل الی محمد علیهما السلام لیدعوا الناس بالقران الذی فرض علیه الی الله لتعرف بالدعوة سرایرهم ویتمیز بالتکالیف محقهم وماکرهم ولیبلونکم حتی نعلم المجاهدین منکم والصابرین ونبلوا اخبارکم ولما عبر بهذه الاشارة لاهل الفطنة والبصارة قال منکرا علی من ظن ان مدعی الایمان لا یکلف البیان ومفصلا لما ختمت به تلک من جمیع هذه المعانی بانیا علی ما اشارت الیه الاحرف لاولی العرفان احسب الناس ای کافة فان کلا منهم یدعی انه مومن بمعنی انه یقول انه علی الحق ولعله عبر بالحسبان والنوس اشارة الی ان فاعل ذلک مضطرب العقل متحرف المزاج ولما کان الحسبان لا یصح تعلیقه بالمفردات وانما یتعلق بمضمون الجمل وکان المراد انکار حسبان مطلق الترک کانت ان مصدریة عند جمیع القرا فعبر عن مضمون تحو ترکهم غیر مفتونین لقولهم امنا بقوله ان یترکوا ای فی وقت ما بوجه من الوجوه ولو رفع الفعل لافهم ان المنکر حسبان الترک المؤکد فلا یفید انکار ما عری عنه وقد مضی فی المایدة ما ینفع هنا ان ای فی ان یقولوا ای ولو کان ذلک علی وجه التجدید والاستمرار امنا وهم ای والحال انهم لا یفتنون ای یقع فتنتهم ممن له الامر کله وله الکبریاء فی السموات والارض مرة بعد اخری بان یختبر صحة قولهم اولا بارسال الرسل وانزال الکتب ونصب الاحکام وثانیا بالصبر علی البأساء والضراء عند الابتلا بالمدعوین الی الله فی التحمل لاذاهم والتجرع لبلایاهم وغیر ذلک من الافعال التی یعرف بها مرتبة الاقوال فی الصحة والاعوجاج

وقال الامام ابو جعفر بن الزبیر افتتحت سورة القصص بذکر امتحان بنی اسرایل بفرعون وابتلایهم بذبح ابنایهم وصبرهم علی عظیم تلک المحنة ثم ذکر تعالی حسن عاقبتهم وثمرة صبرهم والجزم مع ذلک مما هو منه لکن انفصل عن عمومه بالقصة امتحان ام موسی بفراقه حال الطفولیة وابتداء الرضاع وصبرها علی الیم ذلک الفراق حتی رده تعالی الیها اجمل رد واحسنه ثم ذکر ابتلا موسی علیه السلام بامر القبطی وخروجه خایفا یترقب وحسن عاقبته وعظیم رحمته وکل هذا ابتلا اعقب خیرا وختم برحمة ثم بغیر باخر من الابتلا اعقب محنة واورث شرا وسوء فتنة وهو ابتلا قارون بماله وافتتانه به فخسفنا به وبداره الارض فحصل من هذا ان الابتلا فی غالب الامر سنة وجرت منه سبحانه فی عباده لیمیز الخبیث من الطیب وهو المنزه عن الافتقار الی تعرف احوال العباد بما یبتلیهم به اذ قد علم کون ذلک منهم قبل کونه اذ هو موجده وخالقه کان خیرا او شرا فکیف یغیب عنه او یفتقر تعالی الی ابانة یتعرف احوال العباد او یتوقف علمه علی سبب الا یعلم من خلق ولکن هی سنة فی عباده لیظهر لبعضهم من بعض عند الفتنة والابتلا ما لم یکن لیظهر قبل ذلک حتی یشهد واعلی انفسهم وتقوم الحجة علیهم باعترافهم ولا افتقار به تعالی الی شیء من ذلک فلما تضمن سورة القصص هذا الابتلا فی الخیر والشر وبه وقع افتتاحها واختتامها هذا وقد انجر بحکم الاشارة اولا خروج نبینا صلی الله علیه وسلم من بلده ومنشاه لیاخذ علیه السلام باوفر حظ مما ابتلی به الرسل والانبیا من مفارقة الوطن وما یحرز لهم الاجر المناسب لعلی درجاتهم علیهم السلام ثم بشارته صلی الله علیه وسلم اخرا بالعودة والظفر ان الذی فرض علیک القران لرادک الی معاد فاعقب سبحانه هذا بقوله معلما للعباد ومنبها انها سنته فیهم فقال احسب الناس ان یترکوا ان یقولوا امنا وهم لا یفتنون ای احسبوا ان یقع الاکتفا بمجرد استجابتهم وظاهر انابتهم ولما یقع امتحانهم بالشداید والمشقات وضروب الاختبارات ولنبلونکم بشیء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات فاذا وقع الابتلا فمن فریق یتلقون ذلک تلقی العلیم ان ذلک من عند الله ابتلاه واختبارا فیکون تسخیرا لهم وتخلیصا ومن فریق یقابلون ذلک بمرضاة الشیطان والمسارعة الی الکفر والخذلان ومن جاهد فانما یجاهد لنفسه ثم اتبع سبحانه هذا بذکر حال بعض الناس ممن یدعی الایمان فاذا اصابه ادنی اذی من الکفار صرفه ذلک عن ایمانه وکان عنده مقاوما للعذاب الله الصارف لمن صرفه عن الکفر والمخالفة فقال تعالی ومن الناس من یقول امنا بالله فاذا اوذی فی الله جعل فتنة الناس کعذاب الله فکیف حال هولاء فی تلقی ما هو اعظم من الفتنة واشد فی المحنة ثم اتبع سبحانه ذلک بما به یتاسی الموفق من صبر الانبیا علیهم السلام وطول مکابدتهم من قومهم فذکر نوحا وابرهیم ولوطا وشعیبا علیهم السلام وخص هولاء بالذکر لانهم من اعظم الرسل مکابدة واشدهم ابتلاء اما نوح علیه السلام فلبث فی قومه کما اخبر الله سبحانه الف سنة الا خمسین عاما وما امن معه الا قلیل واما ابرهیم علیه السلام فرمی بالمنجنیق فی النار فکانت علیه بردا وسلاما وقد نطق الکتاب العزیز بخصوص المذکورین علیهم السلام بضروب من الابتلا ان حصلوا علی ثوابها وفازوا من عظیم الرتبة النبویة العلیا باسنی نصابها ثم ذکر تعالی اخذ المکذبین من امهم فقال فکلا اخذنا بذنبه ثم وصی نبیه صلی الله علیه وسلم واوضح حجته وتتابع اتساق الکلام الی اخر السورة انتهی

ولما کان التاسی من سنن الادمیین توقع المخاطب بهذا الامر الکریه الخبر عن حالهم فی ذلک فقال مؤکدا لمن ظن ان الابتلا لا یکون لان الله غنی عنه فلا فایدة فیه جاهلا بما فیه من الحکمة باقامة الحجة علی مقتضی عوایدا الخلق ولقد ای احسبوا والحال

خلال

انا قد فتنا اي عاملنا بما لنا من العظمة معاملة المختبر الذين ولما كان التاسي بالقريب في الزمان اعظم اثبت الجار في قوله
من قبلهم اي من قبل هؤلاء الذين ارسلناك اليهم من اتباع الانبياء عليهم السلام حتى كان الرجل منهم يمشط لحمه بامشاط الحديد ما
يرده ذلك عن دينه ومن رؤسهم صاحب اكثر السورة الماضية موسى عليه السلام ففي قصته حديث طويل عن ابن عباس رضي الله عنهما
يقال له حديث الفتون وهو في مسند ابي يعلى ومن اخر ما ابتلي به امر قارون واتباعه ولما كان الامتحان سببا لكشف مخبآت
الانسان بل الحيوان فيكرم عنده او يهان وارشد السياق الى ان المعنى فلنفتننهم تسبب عنه قوله فليعلمن الله اي الذي له الكمال
كله بفتنة خلقه علما شهوديا كما كان يعلم ذلك علما غيبيا ويظهره لعباده ولو بولغ في ستره وعبر بالاسم الاعظم الدال على جميع
صفات الكمال التفاتا عن مظهر العظمة الى اعظم منه تنبيها للناقصين وهم اكثر الناس على انه منزه عن شائبة نقص واكد اشارة
الى ان اكثر الناس يظن اثبات عند الابتلا وانه اذا اخفى عمله لا يطلع عليه احدا الذين صدقوا اي في دعواهم الايمان ولو كانوا
في ادنى مراتب الصدق وليعلمن الصادقين وهم الصابرون الذين يقولون عند البلا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله
فيكون احدهم عند الرخا شكورا وعند البلا صبورا وليعلمن الذين كذبوا في دعواهم الكاذبين اي الراسخين في الكذب الذين يعبدون
الله على حرف فان اصابهم خير اطمانوا وان اصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم وظنوا فيكون لكل من الجزا على حسب ما كشف منه البلا والتعبير
بالمضارع لتحقيق الاختيار على تجدد الاعصار لتمحي الاخيار والاشرار فمن لم يجاهد نفسه عند الفتنة فيطيع في السرا والضرا كان
من الكافرين فكان في جهنم بئس المثوى للكافرين ومن جاهد كان من المحسنين والاية من الاحتباك ذكر الفعل اولا دليلا على تقديره
ثانيا والاسم ثانيا دليلا على حذفه اولا ولما اثبت سبحانه بهذا علمه الشامل وقدرته التامة في الدنيا عادله بما يستلزم
مثل ذلك في الاخرة فكان حاصل ما مضى من الاستفهام احسب الناس انا لا نقدر عليهم ولا نعلم احوالهم في الدنيا ام حسبوا ان ذلك لا يكون في
الاخرى فيذهب ظلمهم في الدنيا وتركهم لامر الله وتكبرهم على عباده مجانا فيكون خلقنا لهم عبثا لا حكمة فيه بل الحكمة في تركه وهذا
الثاني هو معنى قوله منكرا ام حسب او يكون المعنى انه لما انكر على الناس عموما ظنهم الاهمال علم ان اهل السيئات اولى بهذا الحكم فكان
الانكار عليهم اشد فعادل الهمزة بام في سياق الانكار كما عادلها بها في قوله اتخذتم عند الله عهدا الاية فقال ام حسب اي ظن ظنا
يمشي له ويستمر عليه فلا يبين له جهله فيه بامر يحسه فلا يشتبه عليه بوجه الذين يعملون السيئات اي التي منعناهم بادلة النقل المويد
ببراهين العقل منها بالنهي عنها ووضع موضع المفعولين ما اشتمل على مسند ومسند اليه من قوله ان يسبقونا اي يفوتونا فوات السابق
لغيره فيعجزونا فلا نقدر عليهم في الدنيا باقتصاص ما قدرناه عليهم من خير وشر في اوقاته التي ضربناها له وفي الدار الاخرة بان نحييهم
بعد ان نميتهم ثم نحشرهم الى محل الجزا صاغرين داخرين فنجازيهم على ما عملوا وننتقم لمن اساؤا اليه منهم ونظهر تجلينا بصفة العدل
فيهم ولما انكر هذا عجب ممن يكون ذلك في صدره تعظيما لانكاره فقال ساء ما يحكمون اي ما اسوأ هذا الذي اوقعوا الحكمة
به لانفسهم لان اضعفهم عقلا لا يرضى لعبيده ان يظلم بعضهم بعضا ثم لا ينصف بينهم فكيف يظنون بنا ما لا يرضونه لانفسهم ولما
خوف عباده المسيئين والمحسنين وضربهم بسوط القهر اجمعين اشار الى التلويح بتهديد الكاذبين في التصريح
بتشويق الصادقين فقال على سبيل الاستنتاج مما مضى من كان يرجوا عبر به لان الرجا كاف في الخوف منه سبحانه لقاء الله
اي الجامع لصفات الكمال فلا يجوز عليه ترك البعث فانه نقص ومنابذ للحكمة وشبه البعث باللقا لانكشاف كثير من الحجب به
وحضور الجزا ولما كان المنكر للبعث كثيرا اكد فقال موضع فانه ات فليحذر وليبشر تفخيما للامر وتنبيها وتهويلا فان اجل الله
اي الملك الاعلى الذي له الغنى المطلق وجميع صفات الكمال المحتوم لذلك لات لا محيص عنه فانه لا يجوز عليه وقوع اخلاف الوعد
ولذلك عبر بالاسم الاعظم وللاشارة الى ان اهوال اللقا لا يحيط بها العد ولا يحصرها حد فليعتد لذلك بالمجاهدة والمقاتلة لنفسه
من يصبحها وقال تعالى وهو اي وحده السميع العليم حثا على تطهير الظاهر والباطن في العقد والقول والفعل ولما
حث على العمل بين انه ليس الا النفع العامل لئلا يخطر في خاطر ما يوجب تعب الدنيا وشقا الاخرة من اعتقاد ما لا يليق بجلاله تعالى
فقال عاطفا على ما تقديره لمن راح نفسه في الدنيا فانما ضر نفسه ومن جاهد اي بذل جهده حتى كانه فيما يواخي في الاعمال
الصالحة فانما يجاهد لنفسه لان نفع ذلك له فيتعبها ليريحها ويشقيها ليسعدها ويميتها ليحييها وعبر بالنفس لانها
الامارة بالسوء وانما طوى ما ادعى تقديره لان السياق للمجاهد ثم علل هذا الحصر بقوله ان الله اي المتعالي عن كل شائبة نقص
لغني واكد لان كثرة الاوامر ربما اوجبت للجاهل ظن الحاجة وذلك نكتة الاتيان بالاسم الاعظم وبين ان غناه الغنى المطلق
بقوله موضع عنه عن العالمين فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية ولما كان التقدير فالذين كفروا وعملوا السيئات لنجزينهم
اجمعين ولكنه طواه لان السياق لاهل الرجا عطف عليه قوله والذين امنوا وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات في الشدة
والرخا على حسب طاقتهم واشار بقوله لنكفرن عنهم سيئاتهم الى ان الانسان وان اجتهد لا بد من ان يزل لانه مجبول على النقص
فالصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما لم تؤت الكبائر والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان ونحو ذلك مما ورد به الاخبار
عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه قال البغوي والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة او لنغفرن لهم الشرك

وما عملوا فيه واكد لان الانسان مجبول على الانتقام ممن اسا ولو بكلمة ولو بالامتنان بذكر العفو فلا يكاد يحقق غير ما طبع عليه ثم
ولما بشرهم بالعفو عن العقاب اتم البشرى بالامتنان بالثواب فقال عاطفا على ما تقديره ولنثبتن لهم حسناتهم ولنجزينهم
اي في الاسلام احسن الذي كانوا اي كونا يحملهم على اتم رغبة يعملون اي احسن جزا ما عملوا في الاسلام وما قبله وفي طبعهم ان يعملوا
ولما ذكر سبحانه انه لا بد من الفتنة وحذر من كفر وبشر من صبر قال عاطفا على ولقد فتنا مشيرا الى تعظيم حرمة الوالد
حيث جعلها في سياق تعظيم الخالق والى انها اعظم فتنة ووصينا على ما لنا من العظمة الانسان اي الذي اعناه على ذلك بان جبلنا
على الانس باشكاله لا سيما من احسن اليه فكيف باعز الخلق عليه وذلك فتنة له بوالديه ولما كان التقدير فقلنا له افعل بهما
حسنا اي فعلا ذا حسن من برهما وعطف عليهما ما عطف عليه قوله وان جاهداك اي فعلا معك فعل المجاهد مع من يجاهده في
فاستفرغا مجهودهما في معالجتك لتشرك وترك مظهر العظمة للنص على المقصود فقال بي ونبهه على طلب البرهان في الاصول
اشارة الى خطر المقام لعظم المرام فقال استعمالا للعدل مشيرا بنفي العلم الى انتفاء المعلوم ما ليس لك به علم اصلا بانه يستحق الشركة
فان من عبد ما لا يعلم استحقاقه للعبادة فهو كافر فلا تطعهما فانه لا طاعة لمخلوق وان عظم في معصية الخالق وهذا موجب لان لا يتبع من احد
شرك اصلا فانه لا دليل اصلا ولا شبهة تقوم على ان غيره تعالى يستحق الالهية فكيف بدليل يوجب علما والمقصود من سياق الكلام
اظهار النصفة والتنبيه على النصيحة ليكون ادعى الى القبول ثم علل ذلك بقوله الي مرجعكم اي جميعا من امن ومن اشرك بالحشر يوم
القيامة ثم سبب عنه قوله فانبئكم اي اخبركم اخبارا عظيما مستقصى بليغا بما كنتم اي برغبتكم تعملون اي فعوا عنه جهدا وذي
واتركوا ما ترتبه لكم شهواتكم واحذروا الجزا اتي على قليل ذلك وكثيره عبر سبحانه بالسبب الذي هو الانبا لانه لا مثنوية فيه عن المسبب
الذي هو الجزا تلطيفا للعبارة وتهديدا بليغا على وجه الاشارة وطوى ذكره لانه قد يدخله العفو وهذه الاية نزلت في سعد ابن ابي
وقاص رضي الله عنه اسلم وكان بارا بامه فحلفت لا تاكل ولا تشرب حتى يرجع عن دينه او تموت فتعير بها ويقال يا قاتل امه فمكثت يومين
بلياليهما فقال يا اماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي وان شئت فلا تاكلي فلما ايست منه اكلت
وشربت واصل القصة في الترمذي ولما كان التقدير فالذين اشركوا وعملوا السيئات لندخلنهم في المفسدين ولكنه طواه
لدلالة السياق عليه عطف عليه زيادة في الحث على الاحسان الى الوالدين قوله والذين امنوا وعملوا في السراء والضراء الصالحات
ولما كان الصالح في الغالب سيئ الحال في الدنيا ناقص الحظ منها فكان عدوه ينكر ان يحصل له اشد انكار اكد قوله لندخلنهم
اي بوعد لا خلف فيه في الصالحين وناهيك به من مدخل فانه من ابلغ صفات المومنين ولما كانت ترجمة ما مضى من قسم
الراجي والمجاهد والعامل للصالح ممن الناس كما اشير اليه من يومن بالله فاذا اوذي في الله صبر واحتسب انتظار الجزاء العلي
الاعلى ولكنه حذف من كل جملة ما دل عليه بما ذكر في الاخرى عطف عليه ومن الناس اي المذبذبين من يقول اي بلسانه دون
طمانينة من قلبه امنا بالله اي الذي اختص بصفات الكمال واشار بعد الايماء الى كثرة هذا الصنف بالاسناد الى ضمير الجمع الى
ان الاذى في هذه الدار ضربة لازب لا بد منه بقوله باداة التحقيق فاذا اوذي اي فتنة له واختبارا من اي موذ كان
في الله اي بسبب كونه في سبيل الذي لا يدانيه في عظمته وجميع صفاته شيء ببلاء يسلط به عباده عليه جعل اي ذلك الذي
ادعى الايمان فتنة الناس اي له مما يصيبه من اذاهم في جنسه الذي اذا دامت انقطع اذاهم عنه كعذاب الله اي المحيط
بكل شيء فلا يرجى الانفكاك منه فينصرف المعذب بعدا السماحة والكبر الى الخضوع والذل لانه لا كفو له ولا مجير عليه فلا
يطاق عذابه لانه على كل من الروح والجسد لا تمكن مفارقته لهما ولا لواحد منهما بموت ولا حياة الا بارادته حتى يكون
عمل هذا المعذب عند عذاب الناس له الطاعة لهم في جميع ما يامرونه به ظاهرا وباطنا فيتبين حينئذ انه كان كاذبا
في دعوى الايمان وقصر الرجا على الملك الديان واشار الى ان الفتنة ربما استمرت الى الممات وطال زمنها بالتعبير باداة
الشك واكد لاستبعاد كل سامع ان يقع من احد نهب في قوله ولئن جاء نصر اي لحزب الله الثابتين على الايمان ولما
كان الاحسان منه انما هو محض امتنان فلا يجب عليه لاحد شيء عبر بما يدل على ذلك مشيرا الى انه يفعله لاجله صلى الله عليه وسلم
فقال من ربك اي المحسن اليك بنصر اهل دينك تصديقا لوعدك لهم وادخالا للسرور عليك ولما كانت هذه
حالة رخاء عبر بضمير الجمع اشارة الى نحو قول الشاعر • وما اكثر الاصحاب حين تعدهم • ولكنهم في النائبات قليل •
فقال ليقولن اي هؤلاء الذين لم يصبروا واخذوا على المومنين خوفا ورجاء وعبر في حالة الشدة بالافراد لئلا يتوهم ان الجمع قيد
وجمع هنا دلالة على انهم لا يستحيون من الكذب ولو على رؤس الاشهاد واكدوا لعلمهم ان قولهم منكر لانهم كاذبون فقالوا
انا كنا معكم اي لم نزل لكم بقلوبنا وان اطعناهم او لنا بالسنتنا ولما كان التقدير اليس اولياونا المتفرسون
باحوالهم لهم عالمين عطف عليه منكرا قوله اوليس الله المحيط بعلم الباطن كما هو محيط بعلم الظاهر باعلم بما في صدور العالمين
اي كلهم منهم فلا يخفى عليه شيء من ذلك اخلاصا كان او نفاقا بل هو اعلم من اصحاب الصدور بذلك ولما انكر عدم العلم
صرح بالعلم فقال عاطفا على ما افهمه السياق من نحو فقد علم الله جميع ما اخفوا وما اعلنوا وليعلمن الله اي المحيط علما وقدرة

فى عالم الشهادة حتى ينكشف ذلك لديكم كما هو عالم به فى عالم الغيب **الذين يؤمنون** اى وقع منهم ايمان وليعلمن المؤمنين اى ايمانا صادقا بما بوا اليه عليهم من المحن وهم لا يزدادون الا تسليما ورضى واكد لما قدم من ان الناس حسبوا انهم لا يفتنون **وليعلمن** الذين نافقوا وليعلمن **المنافقين** بشك لك من الزلازل والفتن التى يميلون معها كيف ما ميلتهم حتى يعلم كل من له لب انه لا ايمان لهم كما انه لا ايمان لهم ولا شك ان هاك كلامن الفريقين بما يستحق على حسب ما يعلم من قلبه والاية احتباك كما مضى فى وليعلمن الله الذين صدقوا كان السياق للفتنة والاذى فى الله المحقق امره باذا وذلك ان وكان الكفار يفتنون من اسلم فى اول الامر ذكر سبحانه بعض ما كانوا يقولون لهم عند الفتنة جهلا بالله وغرورا فقال معجبا منهم عاطفا على ومن الناس من يقول **وقال الذين كفروا** اغترارا منهم بالله وجراة على حماه المنيع **للذين** اى لطائفة ممن يقول بلسانه امنا بالله وهم الذين **امنوا** اى حقيقة جهلا منهم بما خالط قلوبهم من بشاشة الايمان وانوار العرفان **اتبعوا** اى كلفوا انفسكم بان تتبعوا **سبيلنا** اى طريق ديننا وعطفوا وعدهم فى مجازاتهم على ذلك بصيغة الامر على امرهم باتباعهم للدلالة على انه محقق لا شك فيه فقالوا **ولنحمل خطاياكم** بوعد صادق وامر محتوم جازم ان كان ما تقولون حقا انه لا بد للناس من معاد تواخذون فيه بالخطايا ولو دروا العمرى ما الخبر يوم تقولون لا مفر عرضوا انفسهم لهذا الخطر يوم يود كل احد لو افتدى بماله وبنيه وعرسه واخيه وصديقه وابيه ولكون كلامهم وان كان امرا بمعنى الخبر لانه وعد كذبه سبحانه لان معناه ان كتب عليكم اثم حملناه عنكم بوعد لا خلف فيه فقال **وما هم** اى الكفار **بحاملين** ظاهرا ولا باطنا **من خطاياهم** اى المؤمنين **من شىء** وهم يقدرون ان لا يحملوا او حملا يخفف عنهم العذاب اى انهم اذا عاينوا تلك الاهوال وطاشت عقولهم فى بحار هائل الاحوال التى لا تقوم لها الجبال تبرؤا ممن قالوا له هذا المقال فقد اخبروا بما لا يطابق الواقع ويجوز ان يكون تهم والكذب حال الاخبار بان كانت نيتهم انهم لا يفون على تقدير تحقق الجزاء **ولما** علم من هذا كذبهم بكل حال سواء تعمدوا او لا صرح به تاكيدا لمضمون ما قبله مؤكدا لاجل ظن من غره صدقهم فى قوله مستانفا **انهم لكاذبون** كان كل من سلك احدا طريقا كان شريكه فى عمله فيها فكان عليه مثل وزره ان كانت طريق ردى وله مثل اجره ان كانت سبيل هدى قال تعالى مؤكدا لانكارهم الاجر وكل ما فيها **وليحملن** اى الكفرة **اثقالهم** التى حملوها انفسهم الضعيفة بما اكتسبوا **واثقالا** اخرى لغيرهم **مع اثقالهم** بما تسببوا فيه من اضلال غيرهم ومن تاصيل السنن الجائرة الجارية بعدهم فمن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة من غير ان ينقص من احدهم من حمل الاخر شيئا **ولما** كان للسؤال على طريق الادرار والادلال من الرعب فى القلب ما ليس للافعال قال **وليسألن** اى من كل من امره المولى بسؤالهم **يوم القيمة** اى الذى هم به مكذبون وله مستهزئون ه والتاكيد اما لانكارهم ذلك اليوم او لظن ان العالم لا يسال عما يعلمه **عما كانوا** اى بغاية الرغبة **يفترون** اى يتعمدون كذبه ويعلمون افتراهم فى ارتكابه ويواظبون عليه والتعبير بصيغة الافتعال يدل على انهم كانوا يعلمون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ويتعمدون الكذب فى وعدهم لمن غروه كان السياق للبلاء والامتحان والصبر على الهوان واثبات علم الله وقدرته على الجزاء الطائع وتعذيب العاصى ذكر من الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام من طال صبره على البلاء ولم يفتر عزمه عن نصيحة العباد ما يعاملونه به من الاذى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولتابعيه رضى الله عنهم وتثبيتا لهم وتهديدا لقريش فقال عاطفا على ولقد فتنا الذين من قبلهم ما هو كالشرح له وله نظر عظيم الى ولقد وصلنا لهم القول واكد دفعا لوهم من يقول ان القدرة على التصرف فى القلوب معنية عن الرسالة فى دار التسبيب **ولقد ارسلنا** اى على ما لنا من العظمة المغنية عن الرسالة اجراء للامور على ما تقتضيه هذه الدار من حكمة التسبيب **نوحا** اى اول رسول الله الى المخالفين من العباد وهو معنى **الى قومه** فان الكفر كان قد عم اهل الارض وكان صلى الله عليه وسلم اطول الانبياء بلاء بهم ولذا قال مسببا عن ذلك ومعقبا **فلبث فيهم** اى بعد الرسالة يدعوهم الى الله وعظم الامر بقوله **الف** فذكر راس العدد الذى لا راس اكبر منه وعبر بلفظ **سنة** ذما لايام الكفر وقال **الا خمسين** تحقيقا ان ذلك الزمان تسع مائة وخمسون من غير زيادة ولا نقص مع الاختصار والعذوبة وقال **عاما** اشارة الى ان زمان حياته عليه الصلاة والسلام بعد اغراقهم كان رغدا واسعا حسنا بايمان المؤمنين وخصب الارض **ولما** كان تكرير الدعا مع عدم الاجابة ادل على الاستئصال وعدم الملال قال مسببا عن لبثه فيهم ودعايه لهم ومعقبا له **فاخذهم** اى كلهم بالاغراق اخذ قهر وغلبة **الطوفان** اى من الماء لان الطوفان فى الاصل لكل فاش طام محيط غالب ممتلى كثرة وشدة وقوة من سيل وظلام او موت او غيرهما والمراد هنا الماء **وهم ظالمون** اى عريقون فى هذا الوصف وهو وضع الاشياء فى غير مواضعها فعل من يمشى فى الظلام بتكذيبهم رسولهم واصرارهم على كفرهم وهو ملازم لدعائهم ليلا ونهارا لم يرجع منهم عن الضلال الا ناس قليل لا يعدون ودل عليهم مسببا عن ذلك بقوله **فانجيناه** اى نوحا عليه السلام بما لنا من العظمة التى لا يغلبها شىء **واصحاب السفينة** ه من اولاده واتباعه من الغرق وما زاد ما بلغ مقدار اهل سفينة واحدة فى العدد والكثرة **وجعلناها** اى الفعلة او السفينة اى نفسها وجنسها بتلك العظمة **اية** اى علامة على قدرة الله وعلمه والنجاة للطائع والاهلاك للعاصى **للعالمين** فانه لا يقع فى الدهر حادثة اعظم منها ولا اعرب ولا اشهر فى تطبيق الماء جميع الارض بطولها والعرض واغراق جميع ما عليها من حيوان انسان وغير

انسان

انسان والجانا من منهم بما هى قبل الفعل من سبب ذلك المستمر نفعه على تكرر الاحقاب وتعاقب الازمان وكونها اية اما للادميين ه الذين كانوا فى ذلك الزمان فالامر فيهم واضح واما غيرهم من الحيوان فقد عرفوا بمعرفتهم بالجزئيات المشاهدة ان ذلك الماء لا ينجى منه فى دار الاسباب الا هذه السفينة فالهداية الى فعلها للنجاة قبل وقوع سبب الهلاك دال على تمام العلم وشمول القدرة وان من اهتدى اليه دون اهل ذلك العصر كلهم انما اهتدى باعلام الله له دون غيره ونصف الاية الاولى من هذه القصة تسلية وتعز دليلا على ابتلاء الفتنة اول السورة ونصفها الثانى تحذير وتوقية دليلا على الاية الثالثة والاية الاخرى تبشير وترجية ه دليلا على ما بعد **ولما** كان بلاء ابرهيم عليه السلام عظيما فى قذفه فى النار واخراجه من بلاده اتبعه به فقال **وابرهيم** اى ولقد ارسلنا ابرهيم ويجوز ان يكون التقدير واذكر ابرهيم اباك الاعظم لتتاسى به وتتسلى وتتعظ قومك بقصته لكن قوله والى مدين يرجح الاول ودل على مبادرته للامتثال بقوله **اذ** اى حين وهو بدل اشتمال على التقدير الثانى لاشتمال الاحيان على ما فيها **قال لقومه** الذين هو منهم **اعبدوا الله** اى الملك الاعظم بما يامركم به من طاعته **واتقوه** اى خافوه فى ان تشركوا به شيئا فانه يعذبكم **ذلكم** اى الامر العظيم الذى هو اخلاصكم فى عبادتكم له وتقواكم **خير لكم** اى من كل شىء **ان كنتم** اى بما لكم من الغرائز الصالحة **تعلمون** اى فى عداد من يتجدد له علم فانتم تقولون انه خير اى تعتقده وتعدون ذلك تتعلمونه وان لم تعلموا ذلك فانتم فى عداد الحيوانات العجم بل اضل فانها تهتدى لما ينفعها فتقبل عليه وتسعى جهدها اليه **ولما** امرهم بما تقدم ونفى العلم عن جهل خيريته دل عليه بقوله ابنتج **انما تعبدون** **ولما** كان الله اعلى من كل شىء قال **من دون الله** اى الذى لا شبيه له ولا نظير ولا ثانى ولا وزير وقال **اوثانا** اشارة الى تفرقهم بكثرة المعبود والكثرة تلزمها الفرقة ولا خير فى الفرقة **ومادته** من جميع تقاليبها واوثه وباثه مهموزة وغير مهموزة تدور على الزيادة والاثم وبلزمها الفرقة من اختلاف الكلمة فيلزمها حقيقة الرخاوة فياتى العجز وتراكيبها تسعة فى الواوى لانه وثن وثنو ونون وفى اليائى لانه ثنى ثين وفى المهموز لانه اثن اثن ناث لم الزيادة الوثن قال القزاز قال ابو منصور الفرق بين الوثن والصنم ان الوثن كلما كان له جثة من خشب او حجر او فضة او جوهر او غيره ه ينحت وينصب فيعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من جعل الصنم الوثن انتهى الوثن صنما انتهى وقال عبد الحق قال الهروى قال ابن عرفه ما كان له صورة من حجر او حجارة او غير ذلك فهو وثن انتهى فقد علم من ذلك انه لا بد فيه من صورة او جثة وعلى كل تقدير فهو ثان لما شابه صورة او جثة وزايد عليه وقال ابو حاتم احمد بن حمدان الرازى فى كتاب الزينة الصنم تمثال من حجارة على صورة الانسان فاذا كان من خشب فهو وثن ويتخذ ايضا من جص وربما صوروا فى الحائط ايضا صورة انسان فتسمى تلك الصور ايضا وثنا والنصارى يفعلون ذلك ويصورون فى بيعهم صورة المسيح وصورة مريم ويسجدون لها واستوثن المال نمى وزاد لحمه واستوثن من المال استكثر والنخل صارت فرقتين صغارا وكبارا والابل نتجت اولادها معها واوثن زيدا اجزل عطيته والواثن الشىء الثابت الدائم فى مكانه فالزيادة فيه بالنسبة الى زمانه ويمكن ان يكون من الرخاوة فانه لا يثبت على هذه الصورة الا ما لا قدرة له على حركته **ومن الفرقة** ثنا الحديث بتقديم النون نثوه وينثيه بالياء والواو اشاعه وحدث به والشىء فرقه واذاعه واثنى اغتاب واتى من الشىء ولا يوبه منه الا على تقدير نثره والثوبنا كالهوينا الدقيق يغربل بحث الرغيف يسوى وبعد ان لا يكون نظيفة والثاون الاحبال والخديعة فانها لا تكون الا عن جمع فكر وتثنيته نظر وهى ايضا لا يكون الا من عاجز عن الاخذ جهارا ومن ذلك ثناون للصيد اذا جاءه مرة عن يمينه واخرى عن يساره والثنى من كل شى ما يثنى بعضه على بعض ومن الوادى منعطفه واثنوى انعطف والثناء ككتاب عقال البعير وهو حبل مثنى تعقل به يد البعير فتثنى فى العقال لانه يكثر انثنايه والتردد اليه والاثنان ضعف الواحد والمونث ثنتان واصله ثنى والاثنين الثنى الشىء ثواه وطاقته والاثنا ان ضعف الواحد والمؤنث ثنتان واصله ثنى والاثنين لانه يكثر انثنايه والترددايه واثنا الشىء قواه وطاقته والاثنان ضعف الواحد والمونث ثنتان واصله ثنى والالف والثنى كالى يوم من الاسبوع وثنيته عن وجهه رددته فصار له رجوع بعد ذهاب وثنيت الرجلين صرت ثانيهما وانا احدهما ولا يقال ثنيت فلانا ولكن يقال صرت له ثانيا والمثانى القرآن ومائة منه مرة بعد مرة او الحمد او البقرة الى براءة هكذا عبر فى القاموس وفى مختصر العين ويقال سورا ولها البقرة واخرها براءة وذكر فى القاموس فى ذلك اقوالا اخرى ه ومن اوتار العود الاول واحدها مثنى ومثنى الايادى اعادة المعروف مرتين فاكثر والثنية العقبة او طريقها او الجبل او الطريقة فيه لانها بطلوعها ونزولها او بعارجها كانها ثنيت مرتين والثنايا من الاسنان الاربع التى فى مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من اسفل والناقة الطاعنة فى السادسة والبعير ثنى والفرس الداخلة فى السادسة والشاة فى الثالثة كالبقرة وكان ذلك كله من عرض بعرض لثنية الحيوان والثنية النخلة المستثناة من المساومة والثنية والثناء وصف بمدح او ذم او خاص بالمدح وذلك لانه يكرر والثنى بالكسر من يستخرج الدر من البحر لانه يكرر الغوص حتى يجد ه ويفارق مكانه لذلك ويفرق الدر من مكانه والثنى ايضا مثقب اللؤلؤ لانه للثقب يفرق بين اجزائها ولان المثقب نفسه يحرك فيكثر من حركته اذا فعل به ذلك **ومن مهموزه** ناث عنه بعد والمناث بالضم المبعد والانثى الاصل لانه ثان لاصله الانثى خلافا للذكر والانيث من الحديد الرخو وهو ما لم يكن ذكرا والمونث المخنث والانثيان

ومن ادخاوه

الحصبتان والادنان وارض ابنيّة وميثات سهلة وسيف ميثات كما اى كليل لا يقطع فقد تحرر ان المادة كلها
دائرة على ما لا ينبغى لرتبة الالهية من الكثرة والفرقة والرخاوة ولذلك اتى بصيغة الحصر وهو قصر قلب لسلب ما اعتقدوه فيها من
الالهية ولما اشار لهم الى عدم صلاحيتها لتلك الرتبة العلية والغاية السماء السنية بكثرتها اشار الى قصورها ايضا
بتصويرها فقال بصيغة المضارع اشارة الى بارى كل وقت من تجدد حدوثها وتخلقون اى تصورون بايديكم افكا اى شيئا
مصروفا عن وجهه فانه مصنوع وانتم تسمونه باسم الصانع ومربوب وانتم تعدونه ربا وعبد وانتم تسمونه معبودا او تقولون
حقها انها الهة كذبا ولما كان الانسان محتاجا ابدا فكان لا يزال متوجها الى من ينفعه وكانوا اشار سبحانه الى نفع معبود
بنفى الخير عنها صرح بعجزها وابتنا اختصاصه بالخير ليلتج استحقاقه للعبادة دونها واكد ردا لما كانوا يتوهمون من نفعها وضرها
فقال ان الذين تعبدون ضلالا وعدولا عن الحق الواضح من دون الله المحيط بصفات الكمال المنزه عن شوائب الاختلال الذى لا يكون الا
جميع ما تحت رتبته شئ فكيف برتبة الشماء وحضرتها العليا لا يملكون لكم اى وانتم تعبدونها فكيف لغيركم رزقا اى شيئا من الرزق
الذى لا قوام لكم بدونه فتسبب عن ذلك قوله فابتغوا واشار بصيغة الافتعال الى السعى فيه لانه اجرى عادته سبحانه انه
فى الغالب لا يؤتيه الا بكد من المرزوق وجهد اما فى العبادة والتوكل واما فى السعى الظاهر فى تحصيله باسبابه الدنيويه والعاجز
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولما اشار الى ذلك اشار الى الاجمال فى الطلب وان لا يعتقد انه لا محالة فى السبب
وانما الامر مع ذلك بيده ان شاء انجح وان شاء خيب بقوله عند الله اى الذى له كل صفة كمال الرزق اى كله فانه لا شئ منه الا وهو
بيده وقد دخل فيه كل موجود فان الكل خلق له لكن فاحكمت صنعته وربط بعضه ببعض فلو نقص منه شئ لاختل النظام فبطل
الاحكام واعبدوه اى عبادة يقبلها وهى ما كان خالصا عن الشرك فان من يكون كذلك يستحق ذلك ويثيب العابد له ويعاقب
الزاهد فيه فلا يشغلكم ابتغا الرزق بالاسباب الظاهرة عن عبادته فانها هى الاسباب الحقيقية فربما حرم حرم العبد الرزق
بالذنب يصيبه واشكروا له اى واوقعوا الشكر له خاصة على ما افاض عليكم من النعم ثم علل ذلك بقوله اليه اى وحده ترجعون
اى معنى فى الدنيا والآخرة بانه لا حكم فى الحقيقة لاحد سواه وحسا بالنشر والحشر بعد الموت بايسر امر فيثيب الطائع
ويعذب العاصى فى الدارين ولما كان التقدير فان تصدقوا فهو حظكم فى الدنيا والآخرة عطف عليه قوله وان تكذبوا هـ
والذى دلنا على هذا المحذوف هذه الواو العاطفة على غير معطوف معروف فقد اى فيكفيكم فى الوعظ والتهديد معرفتكم
بانه قد كذب امم فى الازمان الكائنة من قبلكم كثيرة كعاد وثمود وقوم نوح وغيرهم لجرى الامر فيهم على سنن واحد لم يختلف قط فى
نجاة المطيع للرسول وهلاك العاصى له ولم يضر ذلك الرسول شيئا وما ضروا به الا انفسهم وما على الرسول ان يقهركم على التصديق
بل ما عليه الا البلاغ المبين الموضح مع ظهوره فى نفسه للامر بحيث لا يبقى فيه شك باظهار المعجز واقامة الادلة على الوحدانية
ولما كان التقدير الم يروا الى مصارعهم واتساق الحال فى امرهم فيكفيهم ذلك زاجرا عطف عليه الدلالة على الرجوع اليه منكرا
قوله اولم يروا بالخطاب فى قراءة حمزة والكسائى ورواية عن ابى بكر عن عاصم جريا على السنن السابق وبالغيب للباقين اعراضا للابدان
بالغضب كيف يبدئ الله اى الذى له كل كمال الخلق اى يجدد ابداءه فى كل لحظة وهو بضم من ابدا وقرى بالفتح من بدء وهما
معا بمعنى الانشاء من العدم قال القزاز ابدأت الشئ ابديه ابداء اذا انشأته والله المبدئ اى الذى بدأ الخلق يقال بدأهم
وابدأهم وفى القاموس بدأ الله الخلق خلقهم كابدأ ورويتهم للابدأ بوجوده فى الحيوان وللابدا والاعادة فى النبات والورق
فى القدرة بين شئ وشئ فيكون قوله ثم يعيده اى يجدد اعادته فى كل لحظة معطوفا على يبدى ولو لم يكن كذلك لكان عطفه عليه من
حيث ان مشاهدة حال الابتداء اجلت مشاهدة لحال الاعادة من حيث انه لا فرق ولا حاجة حينئذ الى التكلف عطفه على الجملة
من اولها ثم حذرهم بالتنبيه الى عظيم قدرته فقال ذاكرا النتيجة الكلام السابق ان ذلك اى الابدا والاعادة واكد لاجل
انكارهم على الله يسير لانه الجامع لكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص ولما ساق هذا الدليل هذا الدليل عما حاج به
قومه الخليل انتهزت الفرصة فى ارشاد بنيه من اسمعيل عليهما الصلاة والسلام والتحية والاكرام وذلك انه لما استدل
عليه السلام على الوحدانية المستلزمة للقدرة على المعاد بابطال الهية معبوداتهم المستلزم لابطال كل ما شاكلها لحصول
الاستعداد للتصريح بامر المعاد فصرح به كان ذلك لكم اعظيما ومفصلا بينا جنسا لاقامة الحجة على قريش وسائر العرب ٧
فانتهزت فرصته وانتحت لجته كما هى عادة البلغا البلغا ودأب الفصحا الحكما لان ذلك كله انما سيق تسلية للنبى صلى
الله عليه وسلم ووعظا لقومه فقيل قل اى يا محمد لهؤلاء الذين تعبدوا ما تقلدوا من مذاهب ابائهم من غير شبهة على صحة
اصلا قد ثبت ان هذا كلام الله لما ثبت من عجزكم عن معارضته فثبت ان هذا الدليل كلام ابيكم ابرهيم عليه السلام وانتم مصرحون
بتقليد الاباء غير متحاشين من معرته ولا ابكم اعظم من ابرهيم عليه السلام فاذا قلدتم من لا يقاربه فى عبادة ما لا يضر ولا ينفع
من غير شبهة اصلا فقلدوا اباكم الاعظم فى عبادة الله وحده لكونه اباكم ولما اقام على ذلك من الادلة التى لا مرا
فيها او سيروا ان لم تقتدوا بابيكم ابرهيم عليه السلام فتاملوا اما اقام من الدليل القاطع والبرهان الساطع فى الارض ان لم

بكم

من ح

بكفكم النظر فى احوال بلادكم ولما كان السياق لاثبات الالهية التى يجب المبادرة الى تفريغ الفكر وتوجيه كل الذهن
الاستدلال عليها عبر بالفا المعقبة فقال فانظروا اى نظر اعتبار كيف بدأ اى ربكم الذى خلقكم ورزقكم الخلق من الحيوان
والنبات من الزروع والاشجار وغيرها مما تضمنته الجبال والسهول وهذا يدل على ان الاول فى اعم من الحيوان فتقرير ما على
الاعادة فيه حسن ولما كان المقصود بالذات بيان الاعادة التى هى من اجل مقاصد السورة لاظهارها ما مضى اولها من
العدل يوم الفصل وكانوا لها مكذبين بين الاهتمام بامرها بابراز الاسم الاعظم بعد تكريره فى هذا السياق غير مرة لو اضمر
فى سياق البداءة لاقرارهم له بها اشارة الى انه باطن فى هذه الدار ظاهر بجميع الصفات فى تلك فقال ثم الله اى الجامع
لجميع صفات الكمال فلا يفوته شئ المتردى بالجلال فاخشوا سطوته واتقوا عقوبته ونقمته ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة
الاولى ثم علل ذلك بقوله مؤكدا تنزيلا لهم منزلة المنكر لانكارهم البعث ان الله فكرر ذكره تنبيها بعد التيمن به على ما ذكر وعلى انه
فى كل افعاله لاسيما هذا مطلق غير مقيد بجهة من الجهات ولا مشروط بامر من الامور على كل شئ قدير لان نسبة الاشيا كلها
اليه واحدة ولما ثبت ذلك انتج لا محالة قوله مهددا بعد البيان الذى ليس بعده الا العناد يعذب بعدله من يشاء اى
منكم ومن غيركم فى الدنيا والآخرة فلا يقدر احد بشفاعة ولا غيرها على الحماية منه ويرحم بفضله من يشاء فلا يقدر احد على ان
يمسه بسوء واليه اى وحده تقلبون اى بعد موتكم بايسر سعى ولما لم يبق للقدرة على اعادتهم مانع يدعى الا ممانعتهم منها
ابطلها على تقدير ادعائهم لها فقال وما انتم اى اجمعون العرب وغيرهم بمعجزين اى بواقع اعجازكم فى بعثكم وتعذيبكم فى الارض
كيف ما تقلبتم فى ظاهرها وباطنها ولما كان الكلام هنا له اتم نظرا الى ما بعد البعث وكانت الاحوال هنالك خارجة
عما يستقل به العقل وكان اثر القدرة ثم اكمل واعم واشمل وكان بعض الارواح يكون فى السما بعد الموت قال ولا فى السما
اى لو فرض انكم وصلتم اليها بعد الموت بالجسد او قبله لان الكل بعض ملكه فكيف يعجز من فى ملكه ويمكن ان يكون له نظرا الى
قصة نمرود فى بناية الصرح الذى اراد به التوصل الى السما لا سيما والايات مكتنفة بقصة ابرهيم عليه السلام من قبلها ومن بعدها
ولما اخبرهم انهم معه وزعليهم وكان ربما بقى احتمال ان غيرهم يبصرهم صرح بنفيه فقال وما لكم اى اجمعين انتم وغيركم
انما المحشورون واشار الى سفولرتبة كل ما سواه بقوله من دون الله اى الذى هو اعظم من كل عظيم واكد النفى باثبات الجار
فقال من ولى اى قريب يحميكم لاجل القرابة ولا نصير لشئ غير ذلك لانه لا قوة له ولما كان التقدير فالذين امنوا بايات
ربهم ولقايه اولئك يرجون رحمتى واولئك لهم نعيم مقيم وكان قد امنهم بالاستدلال وهددهم ليرجعوا عن الضلال
بما ابقى للرجا بعض المجال اتبعه ما قطعه فقال عاطفا على ذلك المقدر والذين كفروا اى ستروا ما اظهرته لهم انوار العقو
بايات الله اى بسبب دلايل الملك الاعظم المرئية والمسموعة التى لا اوضح منها ولقائه بالبعث بعد الموت الذى اخبر به واقام
الدليل على قدرته عليه بما لا اجلى منه اولئك اى البعدا البغضا البعيدو الفهم المحطوطون عن رتبة الانسان بل رتبة
مطلق الحيوان يئسوا اى تحقق ياسهم من الان بل من الازل لانهم لم يرجوا لقاء الله يوما ولا قال احد منهم رب اغفر لى خطيئتى
يوم الدين ولما كان ذكرهم مغنيا بين ان المتكلم بهذا الكلام العالى عن متناول الانام هو الله المنوه باسمه فى
هذا النظام بالالتفات الى اسلوب التكلم تنبيها لعقول السامعين بما ملا الصدور وقصم الظهور فقال من رحمتى اى
اى من ان افعل بهم من الاكرام بدخول الجنة وغيرها فعل الراحم وكرر الاشارة تفخيما للامر فقال واولئك اى الذين ليس
بعد بعدهم بعد وتهكم بهم فى التعبير بلام الملك التى يغلب استعمالها فى المحبوب فقال لهم عذاب اليم اى مؤلم بالغ ايلامه
فى الدنيا والآخرة ولما ختم سبحانه هذه الجمل الاعتراضية بما ابتداها به وعلم ختم به ما قبلها من كلام الخليل
عليه السلام وزاد هذا ما ترى من التهديد الشديد شرع فى اكمال قصته عليه السلام دالا على انه لا احد يعجزه ولا يقدر
على نصر احد من عذابه الاليم مشيرا الى انهم سببوا عن قوله ضد ما يقتضيه ايذانا بالعناد والاصرار على سوء الاعتقاد ٧
فقال فما كان جواب قومه اى الذين يرجى تبوطهم لنصيحه علما منهم بوفور شفقته وعظيم امانته ونصيحته الا ان
قالوا باعظم فظاظة اقتلوه اى بالسيف او حرقوه اى بالنار ولما استقر اى الجميع على هذا الثانى ولم
يكن له فيهم نصير اشار اليه سبحانه بقوله ناسقا له على ما تقديره فأبى المعظم القتل بالسيف لانه عذاب ما لوف لمن يستحقه
من المجرمين وبوقوعه مع عاملة مفرده فى الدهر فالذى ينبغى ان يخص الجزاء عليه بعذاب لم يعهد مثله وهو الاحراق على هيئة غريبة
فرجعوا عن القتل واستقر رايهم على الاحراق فجمعوا له حطبا الى ان ملأوا ما بين الجبال واضرموا فيه النار حتى احرقت ما
دنى منها بعظيم الاشتعال وقذفوه فيها بالمنجنيق فانجاه الله بما له من كمال العظمة انجاء حسنا من غير احتياج الى تدريج من النار
اى من احراقها واذاها ولما اشتملت قصته بهذا السياق على دلايل واضحات وامور معجزات للمزيد التنويه بذكرها
عظم امرها سبحانه بقوله مؤكدا للمزيد التنويه بذكرها وتنزيلا لهم فى توقفهم عما دعت اليه الايات الطاهرة من الايمان منزلة
المنكر لها ان فى ذلك اى ما ذكر من امره وما خللت به قصته من الحكم لايات اى براهين قاطعة فى الدلالة على جميع امر الله

ونعته بالحرف وذاته؟

من تصرفه في الاعيان والمعاني لكون النار لم تحرقه واحرقت وثاقه وكلما مر عليها من طاير ومع روية ذلك ولم يعدوا على ضره بشيء
غير ذلك ولما كان ما للشيء انما هو في الحقيقة ما ينفعه وكان قد حجبها سبحانه بالشهوات والحظوظ الشاغلة عن استعمال نور
العقل قال لقوم يؤمنون اي يقبلون على استعمال نور العقل الذي وهبهم الله فيصدقون بالغيب حتى صار الايمان بكثرة ما صقلوا
مراي قلوبهم بالنظر في اسبابه لهم خلقا بحيث انهم في كل لحظة يجددون الترقي في مراتبه والتنقل في اخبيته ومضاربه
ولما تقدم سلبه النفع عن هذه الاوثان اشار هنا الى النفع بعقب من الضر ما لا نسبة له منه فليس حينئذ بنفع فقال تعالى
وقال اي ابرهيم عليه السلام غير هايب لتهديدهم بقتل ولا غيره مؤكدا لاجل ما اشار اليه مما ينكرونه من ضعف شركايهم وعجزها
انما اتخذتم اي اخذتم باصطناع وتكلف واشار الى عظمة الخالق وعلو شانه بقوله من دون الله اي الذي كل شيء تحت قهره ولا كفو
في اعتقاد كونه ربا باحتياج الى مقدمة جعل وصنعه ولا غير ذلك وقال اوثانا اشارة الى تكثرها الذي هو مناف لرتبة الالهية
واشار الى ذلك النفع بقوله مودة اي لاجل مودة عند من نصب سواء ترك التنوين وهم حمزة وحفص عن عاصم وروح عن يعقوب
او نون وهم الباقون بينكم من خفضه على الاتساع ورفع مودة وهم ابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب كان المعنى
مودة البين الجامع لكم بمعنى مودتكم على وجه ابلغ لان المودة اذا كانت للبين الجامع للناس كانت لاوليك الناس بطريق الاولى ومن
خفضه ونصبها وهم حمزة وحفص عن عاصم وروح عن يعقوب فالمعنى لاجل المودة ومن نصبها ونون وهم نافع وابن عامر وابو جعفر
وشعبة فالبين عنده ظرف في الحيوة الدنيا بالاجتماع عندها والتواصل في امرها بالتناصر والتعاضد كما يتفق ناس على مذهب
فيكون ذلك سبب تصادقهم وهذا دال على ان جميع الفسوق لاهل الدنيا هو العادة المستمرة وان الحب في الله والاجتماع له هو
عزيز جدا لما فيه من قطع علايق الدنيا وشهواتها التي زينت للناس على ما فيها من الالتباس وعظيم الباس ولما اشار
الى هذا النفع الذي هو في الحقيقة ضر ذكر ما يعقبه من الضر البالغ فقال معبرا باداة البعد اشارة الى عظم ذلك اليوم والى
انه جعل لهم في الحيوة امدا يمكنهم فيه السعي للتوقي من شر ذلك اليوم ثم يوم القيمة ساقه سياق ما لا نزاع فيه لما قام عليه
من الادلة يكفر بعضكم ببعض فينكر كل منكم محاسن اخيه ويتبرا منه بلعن الاتباع القادة ويلعن القادة الاتباع وتنكرون
كلكم عبادة الاوثان تارة اذا تحققتم انها ضر لا نفع لها وتقرون بها اخرى طالبين نصرتها راجين منفعتها وتنكر
الاوثان عبادتكم وتجحد منفعتكم ويلعن بعضكم بعضا على ما ذكر وماواكم جميعا انتم والاوثان النار لتزيد في عذابكم ه
ويزداد بغضكم لها وما لكم واعرق في النفي فقال من ناصرين اصلا يحمونكم منها ويدخل في هذا كل من والى صاحبه من اهل
المعاصي او البطالة على الرذايل لبعثه وحسن العشرة ومهذب الاخلاق لطف الذات او خوفا من ان يصفوه بكثافة الطبع هـ
وسوء الصحبة ولعدم هذا العري اهل الزمان ليوصفوا بموافاة الخلان معرضين عن رضى الملك الديان ولما كان في
سياق الابتلا وذكر من الانبيا من طال ابتلاؤه بين انه لم يكن من اممهم تابع يقدر على نصرهم وان الله سبحانه تولى كفايتهم فلم
يقدر احد على اهلاكهم واهلك اعداهم فلم يكن لهم من ناصرين فقال فآمن له اي لاجل دعايه له مع ما راى من الآيات لوط اي ابن
اخيه هاران وحده وهو اول من صدقه من الرجال وقال اي ابرهيم عليه السلام موكدا لما هو جدير بالانكار من الهجرة لصعوبتها
اني مهاجر اي خارج من ارضي وعشيرتي على وجه الهجر لهم فمنتقل ومنحاز الى ربي اي الى ارض ليس بها انيس ولا عشير ولا من ترجى نصرته
ولا من تنفع مودته فحينئذ يتبين الرضى بالله وحده والاعتماد عليه دون ما سواه فهاجر من كوثى من سواد الكوفة الى حران
ثم منها الى الارض المقدسة فكانت له هجرتان وهو اول من هاجر في الله قال مقاتل وكان اذ ذاك ابن خمس وسبعين سنة ثم
علل ذلك بما يسليه عن فراق ارضه واهل وده من ذوي رحمه وانسابه واولي قربه فقال موكدا تسكينا لمن عساه يتبعه
وتهوينا عليه لفراق ما الفت النفوس من انه لا عز الا به من العشاير والاموال والمعارف انه هو اي وحده العزيز اي
فهو جدير باعزاز من انقطع اليه الحكيم فهو اذا اعز احدا منعته حكمته من التعرض له باذلال بفعل او مقال كما صنع بي في
حين اراد اذلالي من كان جديرا باعزازي من عشيرتي واهل قربي وبالغ في اذاي من كان حقيقا بنفعي من ذوي رحمي هـ
ولما كان التقدير فاعززناه كما ظن بنا اعززنا احكمناه حتى استمر في عقبه الى القيمة عطف عليه قوله هـ
ووهبنا له اي بجليل قدرتنا شكرا على هجرته اسحاق من زوجته سارة عليها السلام التي جمعت الى العقم في شبابها الكبر
بكبرها وعطفه لهبته له بالواو دليل على ما سياتي ان شا الله تعالى في الصافات من ان الذبيح اسمعيل عليه السلام لتعقيبه
للهبة هنالك على الهجرة بالفا ويعقوب من ولده اسحاق عليهما السلام ولما كان السياق في هذه السورة للامتحان
وكان ابرهيم عليه السلام قد ابتلي في اسمعيل عليه السلام بفراقه مع امه رضي الله عنها ووضعهما في مضيعة من الارض
لا انيس بها لم يذكر له تصريحا في سياق الامتنان وافرد اسحاق عليه السلام لانه لم يبتل فيه بشيء من ذلك ولان
المنة به لكون امه عجوزا وعقيما اكبر واعظم لانها اعجب وذكر اسمعيل عليه السلام تلويحا في قوله وجعلنا اي بعظمتنا
وحكمتنا في ذريته من ولد اسحاق واسماعيل عليهما السلام النبوة فلم يكن بعده نبي اجنبي عنه ومتى صحت هذه المناسبة

لزم قطعا ان يكون الذبيح اسماعيل عليه السلام فانه اعرى ذكره هذه السورة منه ويكون كانه قيل انا بشرناه بما يسر من اسحاق بعد ان
امرناه بما يضر من اسمعيل عليهما السلام فصبر في محنة الضرا وشكر في منحة السرا والكتاب فلم ينزل كتابا الا على اولاده هـ
وافرده ليدل مع تناوله بالجنسية الكتب الاربعة على انه لا شي يستحق ان يكتب الا ما انزل فيها او كان راجعا اليه ولو جمع لم يفد
هذا المعنى واتيناه اجره على هجرته في الدنيا بما خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا من سعة الرزق ورغد العيش وكثرة الخدم
والولد في الشيخوخة وكثرة النسل والثناء الحسن والمحبة من جميع الخلق وغير ذلك ولما كان الكافر يعتقد لانكاره البعث
انه تكدر حياته بالهجرة نكدا لا تدارك له اقتضى الحال التاكيد في قوله وانه في الاخرة اي التي هي الدار وموضع الاستقرار
لمن الصالحين الذين خصصناهم بالسعادة وجعلنا لهم الحسنى وزيادة ولما كان كما مضى السياق للابتلا خص بالبسط في
القص من لم يكن له ناصر من قومه او كان غريبا منهم وكذلك اتبع الخليل عليه السلام ابن اخيه الذي ارسله الله الى اهل سدوم
ناس لا قرابة له فيهم ولا عشيرة فقال ولوطا اي ارسلناه واشار الى اسراعه في الامتثال بقوله اذ اي ارسلناه حين قال
لقومه اهل سدوم الذين سكن فيهم وصاهرهم وانقطع اليهم فصاروا قومه حين فارق عمه ابرهيم الخليل عليهما السلام
منكرا ما راى من حالهم وقبيح فعالهم مؤكدا له اشارة الى انه مع كونهم يرونه من اعرف المعارف جدير بان ينكر ائنكم لتاتون
الفاحشة ما سبقكم او هي حال مبينة لعظيم جراتهم على المنكر اي غير مسبوقين بها واعرق في النفي بقوله من احد وزاد
بقوله من العالمين اي كلهم فضلا عن خصوص الناس ثم كرر الانكار تاكيدا لتجاوز قبحها الذي ينكرونه فقال ائنكم لتاتون
الرجال اتيانا لشهوة وعطف عليها ما ضموه اليها من المناكر بيانا لاستحقاق الذم من وجوه فاوجب لهم ظلمهم وضلوا عن الحب
الى حد لا مطمع في الرجوع عنه مع ملازمته لدعايهم من غير ملل ولا ضجر فقال وتقطعون السبيل اي باذى الجلابين والمارة هـ
ولما خص هذين الفسادين عم دالا على المجاهرة فقال وتاتون في ناديكم اي المكان الذي تجلسون فيه للتحدث بحيث يسمع
بعضكم نداء بعض من مجالس المؤانسة وهو ما دام القوم فيه فاذا قاموا عنه لم يسم بذلك المنكر اي هذا الجنس وهو ما تنكره
الشرايع والمروات والعقول لا يتحاشون عن شي منه في المجمع الذي يتحاشى فيه الانسان من فعل خلاف الاولى من غير ان يستحيي بعضكم
من بعض ودل على عنادهم بقوله مسببا عن هذه النصايح بالنهي عن تلك القبايح فما كان جواب قومه اي الذين فيهم قوة وجد يجب
ان يخشى شرهم ويتقى اذاهم وضرهم لما انكر عليه ما انكر الا ان قالوا عنادا وجهلا واستهزاء ائتنا بعذاب الله وعبروا بالاسم
الاعظم زيادة في الجراة ولما كان الانكار ملزوما للوعيد بامر ضار قالوا ان كنت اي كونا متمكنا من الصادقين اي في وعيدك
وارسالك الهابا وتهييجا ولما كان كانه قيل بم اجابهم قيل قال اي لوط عليه السلام معرضا عنهم مقبلا بكليته على
المحسن اليه رب اي ايها المحسن الي انصرني على القوم اي الذين فيهم من القوة ما لا طاقة لي بهم معه المفسدين باتيان ما تعلم من القبايح
ولما كان التقدير فاستجبنا له فارسلنا رسلنا للبشرى عمه ابرهيم عليه السلام ولاهلاك قوم لوط عليه السلام هـ
تحقيقا لانتقامنا من المجرمين وانعامنا على الصالحين ولابتلاينا لمن نريد من عبادنا حيث جعلنا النذارة مقارنة للبشارة عطف عليه
قوله ولما جات واسقط ان لانه لم يتصل القول باول المجي بل كان قبله السلام والاضافة بقوله رسلنا اي من الملايكة
تعظيما لهم في انفسهم ولما جاوا ابرهيم بالبشرى اي باسحاق ولدا له ويعقوب ولدا لاسحاق عليهما السلام ولما
كان المقام للابتلا والامتحان اجمل البشرى وفصل النذارة فقال قالوا اي الرسل عليهم السلام لابرهيم عليه السلام بعد ان بشروه
وتوجهوا نحو سدوم جوابا لسواله عن خطبهم تحقيقا لان اهل الشان ماخوذون واكدوا لعلمهم ان الخليل عليه السلام يود
ان يهديهم الله على يد ابن اخيه ولا يهلكهم فقالوا انا مهلكوا واضافوا تحقيقا لان الامر قد حق وفرغ منه فقالوا اهل هذه
القرية ثم عللوا ذلك بقولهم ان اهلها مظهرين غير مضمرين لفهمها ما لان المراد اهلها الاصلا في ذلك احراجا للوط عليه السلام
كانوا ظالمين اي عريقين في هذا الوصف فلا حيلة في رجوعهم عنه ولما كان السامع بحيث يتشوف الى معرفة ما كان
بعد ذلك كان كانه قيل لم يقنع الخليل عليه السلام لخطر المقام بهذا التلويح بل قال مؤكدا تنبيها على جلالة ابن اخيه واعلاما
بشدة اهتمامه به وانه ليس ممن يستحق الهلاك ليعلم ما يقولون في حقه لان الحال جدير فهو جدير بالاختصار ان وافهم بقوله
فيها لوطا دون منهم انه نزيل تدرجا الى التصريح بالسوال فيه وسوالا في الدفع عنهم بكونه فيهم لانه بعيد عما عللوا اهلاكهم به
ولما كان كلامهم محتملا للاهلاك من الظلم قالوا اي الرسل لابرهيم عليه السلام نحن اعلم اي منك بمن فيها اي من لوط وغيره
للانجا والارادة صرحوا بقولهم على سبيل التاكيد لان انجاه من بينهم جدير بالاستبعاد لننجينه اي انجاء عظيما واهله وكما
افهم هذا امراته استثنوها ليكون ذلك انص على انجا غيرها من جميع اهله فقالوا الا امراته فكانه قيل فما حالها فقيل كانت
اي جبلة وطبعا من الغابرين اي الباقين في الارض الدبرة والجماعة الفجرة ليعمها وحدها معهم الغبرة ولما لم يبق
بعد هذا الاخبار للرسل مع لوط عليهم السلام قال عاطفا على ما تقديره ثم فارقوه ومضوا الى المدينة التي فيها لوط عليه السلام
مفهما بالعدول عن الفا الى الواو ان بين المكانين بعدا ولما واثبت ما صورته صورة الحرف المصدري لما اقتضاه مقصود السورة

واكثر سببا فانها من التسليك في مقام الامتحان والاجتهاد في النهي عن المنكر ولذا ذكرهما في قصة ابرهيم عليه السلام الفتك
والاحراق واتبعت بشراه باهلاك القرية الظالمة قال ولما ان جاءت رسلنا اي المعظمون بنا لوطا بانا لانه سيء اي حصلت له
المساءة بهم اول اوقات مجيئهم اليه وحين قدومهم عليه فاجاته المساءة من غير ريث لما راى من حسن اشكالهم وخاف من تعرض قومه لهم
وتمويطنا انهم من الناس وذلك ان في مثل هذا اصليته وان كان اصلها المصدر تؤكد وجود الفعلين مرتبا وجود احدهما على
الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما واحد في جزء واحد من الزمان فقال في المعنى ما معناه ان علة ذلك ان الزائد يؤكد معنى
ما جيء به لتاكيده ولما تفيد وقوع الفعل الثاني عقيب الاول وترتبه عليه فالحرف الزائد يؤكد ذلك وضاق بهم اي باعمال
الحيلة في الدفع عنهم ذرعا اي ذرعه اي طاقته كما بين واشبع القول فيه في سورة هود عليه السلام والاصل في ذلك ان من طالت
ذراعه نال ما لا يناله قصيرها فضرب مثلا في العجز والقدرة وذلك انهم اتوه في صورة مردان ملاح جدا وقد علم امر اهل القرية
في مثل ذلك ولم يعلم انهم رسل الله ولما كان التقدير فقالوا له يا لوط انا رسل ربك لخفض عليك من هذا الضيق الذي
نراه بك فانا ما ارسلنا الا لاهلاكهم عطف عليه قوله وقالوا اي لما راوا ما لقي في امرهم لا تخف اي من ان يصلوا الينا او من
ان يهلكك انت او احد من اهل طاعتك ولا تحزن اي على احد ممن نهلكه فانه ليس في احد منهم خير يوسف عليهم بسببه ثم عللوا
ذلك بقولهم مبالغين في التاكيد للاعتناء به عن حمل طوال اشارة الى ان الوقت ازف فهو لا يحتمل التطويل انا منجوك اي مبالغون
في انجائك واهلك اي ومهلكوا اهل القرية فلا يقع في ضميرك انهم يصلون الينا وقالوا الا امراتك تنصيصا على كل فرد منهم
سواها ثم دلوا على هلاكها بقولهم جوابا لمن كانه قال ما لها كانت من الغابرين اي كان هذا الحكم في اصل خلقها ولما
اقتضت العبارة كما مضى اهلاكهم صرحوا به فقالوا معينين لنوعه معللين لما اخبروه به مؤكدين اعلاما بان الامر قد فرغ منه قطعا
لان لا يشفع فيهم جريا على عادة الانبيا في الشفقة على اممهم انا منزلون اي لا محالة على اهل هذه القرية رجزا اي عذابا يكون فيه
اضطراب شديد يضطرب منه من اصابه كائنا من كان من السماء فهو عظيم وقعه شديد صدعه بما كانوا اي كونا راسخا
يفسقون اي يخرجون في كل وقت من دائرة العقل والحيا ولما كان التقدير ففعلت رسلنا ما وعدوه به من انجائه
واهلاك جميع قراهم فتركناها كان لم يسكنها احد قط عطف عليه قوله مؤكدا اشارة الى غفلة المخاطبين بهذه القصة من العرب
وغيرهم وانه ليس بينهم وبين الهدى الا تفكرهم في امرهم مع الانخلاع من الهوى ولقد تركنا بما لنا من العظمة منها اي من تلك القرى
اية اي علامة على قدرتنا على كل ما نريد بينة وهو الماء الاسود المنتن الذي غمر قراهم كلها بعد الخسف وهو مباين لجميع مياه
الارض لكونه ماء السخط على من بانوا بفعلهم الخلق مع اشتهار كونه على الخسف ولما كان سبحانه قد حجب عن الاستبصار كثيرا
من الناس قال لقوم يعقلون فعد من لم يستبصر بها غير عاقل ولا شاعر بانها اية ولا فيه اهلية القيام بما يريد ولما
كان السياق لاثبات يوم الدين واهلاك المفسدين ولمن طال ابتلاؤه من الصالحين ولم يجد له ناصرا من قومه اما لغربته عنهم
واما لقلة عشيرته وعدم اتباعه وكان شعيب عليه السلام ممن استضعفه قومه واستقلوا عشيرته لتسميتهم لهم رهطا
والرهط ما دون العشرة او من سبعة الى عشرة وما دون السبعة الى الثلاثة نفر فكان عليه السلام لذلك في هذا العداد
عقب قصة لوط بقصته عليهما السلام فقال والى اي ولقد ارسلنا الى مدين اخاهم اي من النسب والبلد شعيبا
ولما كان مقصود السورة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير فترة عبر بالفا فقال فقال اي فتسبب عن ارساله
وتعقبه ان قال يا قوم اعبدوا الله اي الملك الاعلى وحده ولا تشركوا به شيئا فان العبادة التي فيها شرك عدم لان الله
اغنى الشركا فهو لا يقبل الا ما كان له خالصا ولما كان السياق لاقامة الادلة على البعث الذي هو من مقاصد السورة
قال وارجوا اليوم الاخر اي حسن الجزا فيه لتفعلوا ما يليق بذلك ولا تعثوا في الارض حال كونكم مفسدين اي متعمدين
الفساد ولما تسبب عن هذا النصح وتعقبه تكذيبهم فتسبب عنه وتعقبه اهلاكهم تحقيقا لان اهل السيئات
لا يسبقون قال فكذبوه فاخذتهم اي لذلك اخذ قهر وغلبة الرجفة اي الصيحة التي زلزلت بهم فاهلكتهم فاصبحوا
في دارهم اي محالهم التي كانت دائرة بهم وكانوا يدورون فيها جاثمين اي واقعين على صدورهم لازمين مكانا واحدا لا يقدرون
على حركة اصلا لانه لا ارواح لهم ولما كان من المقاصد العظيمة الدلالة على اتباع بعض هذه الامم بعضا في الخير والشر
على نسق والجري بهم في اهلاك المكذبين وانجاء المصدقين طبقا عن طبق وكان اهلاك عاد وثمود لما اشتهروا به من قوة الابدان
ومتانة الاركان في غاية الغرابة وكان معنى ختام قصة مدين فاهلكناهم عطف على ذلك المعنى قوله وعادا اي واهلكنا
ايضا عادا وثمودا مع ما كانوا فيه من العتو والتكبر والعلو وقد تبين لكم اي ظهر بنفسه غاية الظهور ايها العرب امرهم
من مساكنهم اي ما وصف من هلاكهم وما كانوا فيه من شدة الاجسام وسعة الاحلام وعلو الاهتمام وثقوب الاذهان وعظم
الشان عند مروركم بتلك المساكن ونظركم اليها في حركم في التجارة الى الشام فصرفوا افكارهم في الاقبال على الاستمتاع بالعرض
الفاني من هذه الدنيا فاملوا بعيدا وبنوا شديدا ولم يغن عنهم شيء من ذلك شيئا من امر الله وزين لهم غاية التزيين الشيطان

اي البعيد من الرحمة المحترق باللعنة بقوة احتياله ونجوم ضلاله ومحاله اعمالهم اي القبيحة فاقبلوا بكليتهم عليها مع العدو المبين
ولما تسبب عن هذا التزيين منعهم لعماهم عن الصراط المستقيم قال فصدهم عن السبيل
واعرضوا عن الهداة الناصحين
اي منعهم عن سلوك الطريق الذي لا طريق الا هو لكونه يوصل الى النجاة وغيره يوصل الى الهلاك فهو عدم بل العدم خير منه ولما
كان ذلك كله ربما ظن انه لفرط غباوتهم قال وكانوا كونا هم فيه في غاية التمكن مستبصرين اي معدودين بين الناس من البصرا
العقلا جدا لما فاقوا به مما يعلمون من ظاهر الحياة الدنيا ولم يسبقونا بل اوقعناهم بعملهم السيئات فيما اردناه من انواع المهلكات
فاحذروا وامثل مصارعهم فانكم لا تعشرونهم في القوة ولا تقاربونهم في العقول ولما كان فرعون ومن ذكر معه من العتو
بمكان لا يخفى لما اوتوا من القوة بالاموال والرجال قال وقارون اي اهلكناه وقدمه لان وقوعه في اسباب الهلاك اعجب
لكونه من بني اسرائيل ولانه ابتلي بالمال والعلم فكان ذلك سبب اعجابه فتكبر على موسى وهرون عليهما السلام فكان ذلك سبب
هلاكه وفرعون وهامان وزيره الذي اوقد له على الطين فلا منجا ولا كان راسا في الكفر بل تابعا سعا دنه بكونه ذنبا
لغيره ولما كان هلاكهم مع رؤية الايات اعجب فكان جديرا بالانكار اشارة الى ان رؤية الايات جديرة بان يلزم عنها
الايمان قال ولقد جاءهم موسى بالبينات اي التي لم تدع لبسا فتسببوا عما تقتضيه من الاستبصار الاستكبار فاستكبروا
اي طلبوا ان يكونوا اكبر من كل كبير بان كانت افعالهم افعال من يطلب ذلك في الارض بعد مجيء موسى عليه السلام اليهم اكثر
مما كانوا قبله ولما كان من يتكبر ويتوعد عالما بانه ما هو ذا سطوة لوما من يجهل فلذلك قال وما كانوا اي الذين ذكروا هنا
كلهم كونا ما سابقين اي فائتين ما نريد بهم بان يخرجوا من قبضتنا بل هم في القبضة كما ذكرنا اول السورة وهم عالمون بذلك فكلا
اي فتسبب عن تكذيبهم وعصيانهم ان كلا منهم اخذنا اي بما لنا من العظمة بذنبه اخذ عقوبة ليعلم انه لا احد يعجزنا فمنهم
من ارسلنا عليه ارسال عذاب بآلة من عذاب حاصبا اي ريحا ترمي لقوة عصفها وشدة قصفها بالحجارة كعاد وقوم لوط
ومنهم من اخذته اخذ هلاك وغضب وعذاب وعدل عن اسلوب العظمة لئلا يوهم الاسناد في هذه اليه صوتا يتوقع في صيغته
التشبيه الصيحة التي ظهر شدتها الريح الحاملة لها الموافقة لقصدها فترجف لعظمتها الارض كمدين وثمود ومنهم
من اعاد اسلوب العظمة الماضي لسلامته من الابهام المذكور في الصيحة والتنبيه على انه لا يقدر عليه غيره سبحانه لما فيه
من الدلالة على عظمته ما يقصر عنه الوصف فقال خسفنا به الارض بان غيبناه فيها كقارون وجماعته ومنهم من اغرقنا
بالغمر في الماء كقوم نوح وفرعون وجنوده وعذاب قوم لوط صالح للعد في الاغراق والعد في الخسف فتارة يهلك بريح تقذف
بالحجارة من السما كقوم لوط او من الارض كعاد واخرى بريح تقرع بالصرخة الاسماع فتزلزل القلوب والبقاع ومرة بتبديد بالغمس
في الكثيف وكرة بالغمر في اللطيف فلله در الناظرين في هذه الاوامر النافذة والمتفكرين في هذه الاقضية الماضية
ليعلموا حقيقة قوله وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما الاية ولما كان ذلك ربما جر لاهل التعنت شيئا مما
اعتادوه من عنادهم قال وما كان الله اي الذي لا شيء من الجلال والكمال الا وهو له ليظلمهم اي مريدا ليعاملهم معاملة
الظالم الذي يعاقب من لا جرم له او من اجرم ولم يتقدم اليه بالنهي عن اجرامه ليكف فيسلم او يتمادى فيهلك لانه لا
نفع يصل اليه سبحانه من اهلاكهم ولا ضرر يلحقه من ابقائهم ولكن كانوا اي هم لا غيرهم انفسهم لا غيرها
يظلمون بارتكابهم ما اخبرناهم غير مرة انه يغضبنا وانا ناخذ من يفعله فلم يقبلوا النصح مع عجزهم ولا خافوا العقوبة
على ضعفهم ولما ما عبدوه ورجوا نصره لهم واملوه فاضعف منهم ولكونه شيء منه لم يغن عن احد منهم شيئا فلم يحتل منه
الله في اوليائه واعدائه في قرن من القرون الحرق على القوم نظامهم وانقض احكامهم وصل بذلك قوله تعالى على وجه الاستئناف
مثل الذين ولما كان دعا غير الله مخالفا لقويم العقل وصريح النقل وسليم الفطر فكان لذلك يحتاج الى تدريب على الجلا
ونطبع في الخسافة قال اتخذوا اي تكلفوا ان اخذوا ولما كانت الرتب تحت رتبته سبحانه لا تحصى وكل رتبة دون
رتبته قال منبها على ذلك بالجار من دون الله اي الذي لا كفو له فرضوا بالدون عوضا عمن لا تكتنهه الاوهام والظنون
اولياء ينصرونهم بزعمهم من معبودات وغيرها في الضعف والوهي كمثل العنكبوت اي الدابة المعروفة ذات الارجل
الكثيرة الطوال ثم استانف ذكر وجه الشبه وعبر عنها بالتانيث وان كانت تقال بالتذكير تعظيما لضعفها لان
المقام لضعف ما تبنيه فقال اتخذت بيتا اي تكلفت اخذه في صنعتها له ليقيها الردى ويحميها البلا كما تكلف
هؤلاء اصطناع اربابهم لينفعوهم ويحفظوهم بزعمهم ويحفظونهم ويرفعونهم فكان ذلك البيت مع تكلفها في امره هو
وتعبها الشديد في شانه في غاية الوهن ولما كان حالها في صنعها حال من يتكره قال مؤكدا وان دواوه
الحال من ضمير اتخذت اي والحال انه اوهن هكذا كان الاصل ولكنه اظهر للتعميم فقال اوهن البيوت اي اضعفها
لبيت العنكبوت الذي عانت في حوكه ما عانت وقاست في نسجه ما قاست لانه لا يكن من حر ولا يصون من برد ولا يحصن عن
طالب لكن ما اتخذ هؤلاء من هذه الاوثان وهذا الدين الذي لا اصل له فهو اوهن الاديان لو كانوا يعلمون اي لو كان لهم

نوع ما من العلم لا ينتفعوا به فعلموا ان هذا مثلهم فانعدوا واعن اعتقاد ما هذا مثله
فكانوا اوانا على حد سوا البيت لعن توهمهما شيئا مما نوى فيها من صنعة خاسرة وتجارة كاسدة بائرة ولما انتفى نفعهم بعلمهم صح نفيه هو
لا ينبغى الاهن العالم بذلك لشيء وكان النصير على شيء لا يمكن ان يتوجه الى معارضته الا ان كان يعلمه ويعلم مقدار قدرته وعدة كان ضرب المثل للشيء
جنوده وصل بذلك ان هذا شانه سبحانه وان شركاءهم فى غاية البعد عن ذلك فكيف يعلقون بنصرهم اما لهم وزاد ذلك حسنا
تعقيبه لنفى العلم عنهم فقال اشارة الى جهلهم فى انكارهم ان ينبه راحمكم على الهلاك الهتهم التى هى اوهى الاشياء ان الله اى الذى
له صفات الكمال يعلم بما له من تلك الصفات ما اى الذى يدعون اى الذين ضرب لهم المثل او انتم فى قراءة العوقابية التفاتا
الى اسلوب الخطاب ايذانا بالغضب من دونه اشارة الى سفول رتبتهم واكد العموم بقوله من شيء اى سواء كان صنما ونجما او
ملكا او جنيا او غيره ولهم لا يعلمونه ولا يعلمون شيئا مما يتوصلون به اليه فكيف يشفعون عنده او ينصرون منه واليه الاشارة
بقوله وهو العزيز اى عن ان يعلمه شركاؤهم او يحيط به احد علما او يمتنع عليه شيء يريد وجوده وان يكون ما نافيه اى شيئا يعتد به
ولما كان ذلك ربما افهم انه لا يعلم اصلا قال الحكيم اى البالغ العلم الواسع كل شيء يريده فى اكمل مواضعه فابطن بنفسه
لكبريائه وجلاله حتى لا باطن سواه واظهرها بافعاله وما كشف من جماله حتى لا ظاهر فى الحقيقة غيره وهو يغلب من شاء بعزته
ويمهله ان شاء بحكمته فلا يغتر احد بامهاله له فيظن انه لاهما له ولما فرغ من مثلهم ومما توقف صحته عليه كان نكاته قيل
على وجه التعظيم لهذا المثل هذا مثلهم لعطف عليه قوله اشارة الى امثال القران كلها تعظيما لها وتنبيها على جليل قدرها
وعلى شأنها وتلك الامثال اى العالية عن ان ينالها نوع احتيال ثم استانف قوله نضربها بما لنا من العظمة بيانا للناس تصويرا
المعانى المعقولات بصور المحسوسات لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا بها وهكذا حال التشبيهات كلها من طرق للاوهام
المعانى المحتجبة فى الاستار تبرزها وتكشف عنها وتصورها ولما كانوا يتهكمون بما يرونه من الامثال كذكر الذباب
والبعوض ونحوهما قال مجهلا لهم وما يعقلها اى حق عقلها فينتفع بها الا العالمون اى الذين هيئوا للعلم وجعل طبعا لهم
ثابت فى قلوبهم من انواره واشرق فى صدورهم من اسراره فهم يضعون الاشياء مواضعها روى الحارث بن ابى اسامة عن جابر
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال العالم الذى عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه قال البغوى والمثل كلام
ساير يتضمن تشبيه الاخر بالاول ولما قدم انه لا نعيم له سبحانه ولا ناصر لمن اخذ وصح ذلك بالمشاهدة فى العروق
السابع وقربه الى الاذهان بالمثل المستولى على غاية البيان وختم ذلك بانه حجب فهمه عن اكثر خلقه دل على ذلك كله بقوله
مظهرا القوة وساير صفات كماله بعد ما حقق ان اولياءهم فى ارذل مراتب الضعف خلق الله اى الذى لا يدانى فى عظمته ولا
جلال ولا جمال ولا كمال السموات والارض بالحق اى الامر الذى يطابقه الواقع او بسبب اظهار ان الواقع يطابق اخباره او
بسبب اثبات الحق وابطال الباطل فلا تجد احدا يفهم عنه حق الفهم مع تساويهم فى الاخبار به الا وهو فى اهل السكينة وهم
الاخبات والطمانينة ولا يعجز احد يريد اخذه ولا ينفع احد عصى انبياءه فبانت عزته وظهرت حكمته وطابق الواقع ما اخبر
به ايضا فالامثال انما تكون بالمحسوسات وهى اما سماوية او ارضية فايجاد هذه الموجودات انما هو لاجل العلم بالله تعالى ولما
كان المراد بالعالم قد يخفى تعيينه بقوله مشيرا بالتاكيد الى انه حالهم فى عدم الانتفاع بالنظر فيهما حال من ينكر ان يكون
ايجاد لاله ان فى ذلك اى الامر العظيم من تامكلهم لمطابقة الواقع لاخباره سبحانه فلا يخبر بشيء الا كان الواقع منهما او مما فيهما مطابقا
سواء بسواء لاية اى دلالة مسعدة للمؤمنين اى الذين هم العالمون فى الحقيقة حدا ام علمهم بما فى التكوين من المنافع المترتبة
على النظام المعروف مع ما فى خلقهما انفسهما مع كبر الاجرام وبديع الاحكام على الايمان بجميع ما اخبر به حتى لم يكن عندهم نوع
كانوا لهم صفة لا تنفك ولما افاد هذا الخبر كله ان القران الذى لا احق احق منه ودل على ان فهم امثاله يحتاج
الى مزيد علم وان مفتاح العلم به سبحانه رسوخ الايمان خاطب راس اهل الايمان لانه اعظم الفاهمين له ليقتدى به الاتباع فقال
اتل ما اى تابع قراءته ودل على شرفه لاختصاصه به بقوله اوحى اليك اذ الوحى الالقاء سرا من الكتاب اى الجامع لكل خير
المفيد للايمان وهو احق الحق الذى خلقنا السموات والارض لاجله والاكثار من تلاوته يزيد بصيرة فى امره ويفتح كنوز
الدقايق من علمه وهو اكرم من ان لا ينيل قاريه فايدة واجل من ان يعطى قياد فوائده ويرفع الحجاب عن جواهره وفرائده
فى اول مرة بل كلما ردده القارى بالتدبر حباه بكثير من اسراره ومهما زاده زاده من لوامع انواره الى ان يقطع بان عجايبه
لا تنتهى وغرايبه لا تحد ولما ارشد الى مفتاح العلم دل على قانون العمل الذى لا يصح الا بالقران وهو ما يجمع الهم
بحضور القلب فينشرح الصدر فينبعث الفكر فى رياض علومه فقال واقم الصلاة اى التى هى احق العبادات ثم علل ذلك
بقوله دالا بالتاكيد على فخامة امرها وانه مما يخفى على غالب الناس ان الصلاة تنهى اى توجد النهى وتجدده للمواظب
على اقامتها بجميع حدودها عن الفحشاء اى الخصال التى بلغ قبحها والمنكر اى الذى فيه نوع قبح وان دق واقل ما فيها من النهى
النهى عن تركها الذى هو كفر ومن انتهى عن ذلك انشرح صدره واتسع فكره فعلم من اسرار القران ما لا يعلمه غيره والقوا

الله

الله ويعلمكم الله ولما كان الناهى فى الحقيقة انما هو ذكر الله اتبع ذلك الحث على روح الصلاة والمقصد الاعظم منها وهو
المراقبة لمن تصلى له حتى كانك تراه لتكون بذلك فى اعظم الذكر بقوله ولذكر الله اى ولان ذكر المستحق لكل صفة كمال اكبر اى من
كل شيء فمن استحضر ذلك بقلبه هان عنده كل شيء ان عبدى كل عبدى للذى يذكرنى عند لقاء قرنه او يكون المراد ان من واظب على الصلاة
ذكر الله ومن ذكر الله اوشك ان يرق قلبه ومن رق قلبه استنار لبه فاوشك ان ينهاه هذا الذكر المثمر لهذه الثمرة عند المعصية فكان
ذكر الذاكر له سبحانه اكبر نهيا له عن المنكر من نهى الصلاة له وكان ذكره له سبحانه كبيرا كما قال فاذكرونى اذكركم واذا كان هذا
شان ذكر العبد لمولاه فما ظنك بذكر مولاه له كلما اقبل عليه بصلاة فانه جدير بان يرفعه الى حد لا يوصف ويلبسه من انواره
ملابس لا تحصر ولما كان ذلك يحتاج الى علاج لعوج الطباع ومنحرف المزاج وتمرن على شاق التكلف ورياضة لجماح النفوس
وكان صلى الله عليه وسلم قد نزه عن هذا كله بما جبل عليه من اصل الفطرة ثم بما غسل به قلبه من ماء الحكمة وغير ذلك من جليل
النعمة عدل الى خطاب الاتباع بحثهم على المجاهدة فقال والله اى المحيط علما وقدرة يعلم اى فى كل وقت ما تصنعون من الخير
والشر معبرا بلفظ الصنعة الدال على ملازمة العمل تنبيها على ان اقامة ما ذكر تحتاج الى تمرن عليه وتدرب حتى يصير طبعا صحيحا
ومقصودا مريحا ولما انتهى الكلام الى روح الدين وسر اليقين مما لا يعلمه حق علمه الا العلماء بالكتب السماوية والاخبار
الالهية وكان العالم يقدر على ايراد الشكوك وترويج الشبه فربما اضل بالشبهة الواحدة الفيام من الناس بما له عندهم من العلو
وبما للنفوس من النزوع الى الاباطيل وبما للشيطان فى ذلك من التزيين وكان الجدال يورث الاحن ويفتح ابواب المحن فيحمل على
الضلال قال تعالى عاطفا على اتل مخاطبا لمن ختم الآية بخطابهم تشريفا لمقامه صلى الله عليه وسلم عن المواجهة بمثل ذلك هو
تنبيها على انه لا يصوب همته الشريفة الى مثل ذلك لانه ليس فى طبعه المجادلة والمماراة والمغالبة ولا تجادلوا اهل الكتاب
اى اليهود والنصارى ظنا منكم ان الجدال ينفع الدين او يزيد فى اليقين او يرد احدا عن ضلال مبين الا بالتى اى بالمجادلة التى هى احسن
اى بتلاوة الوحى الذى امرنا راس العابدين بادامة تلاوته فقط وهذا كما تقدم عند قوله تعالى فى سبحان وقل لعبادى يقولوا
التى هى احسن ولما كان كل من جادل منهم فى القران ظالما كان من الواضح ان المراد بمن استثنى فى قوله تعالى الا الذين
ظلموا منهم الذين تجاوزوا فى الظلم بنفى صحة القران وانكار اعجازه مثلا وان يكون على اساليب الكتب القديمة او مصدقا لشيء منها
او بقولهم ما انزل الله على بشر من شيء ونحو هذا من افترائهم فان هؤلاء يباح جدالهم ولو ادى الى جلادهم بالسيف فان الدين يعلو
ولا يعلى عليه ولما نهى عن موجب الخلاف امر بالاستعطاف فقال وقولوا امنا اى اوقعنا الايمان بالذى انزل الينا اى
من هذا الكتاب المعجز وانزل اليكم من كتبكم يعنى ان اصله حق وان كان قد نسخ منه ما نسخ وما حدثوكم به من شيء وليس عندكم ما يصدقه
ولا ما يكذبه فلا نصدقهم ولا نكذبهم فان هذا ادعى للانصاف وانفى للخلاف ولما لم يكن هذا جامعا للفريقين اتبعه
بما يجمعهما فقال والهنا والهكم ولما كان من المعلوم قطعا ان المراد به الله لان المسلمين لا يعبدون غيره وكان جميع الفرق
مقرين بالهيته ولو بنوع اقرار لم تدع حاجة الى ان يقول اله كما فى بقية الايات وقال واحد اى لا اله لنا غيره وان ادعى بعضهم عزيرا
والمسيح ونحن له خاصة مسلمون اى خاضعون منقادون اتم انقياد فيما يامرنا به بعد الاصول من الفروع سواء كانت موافقة لفروعكم
كالتوجه بالصلاة الى بيت المقدس او ناسخة كالتوجه الى الكعبة ولا نتخذ الاحبار والرهبان اربابا من دونه لنا خذ ما يشرعونه
لنا مخالفا لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فنكون حينئذ قد خضعنا لهم وتكبرنا عليه فاوقعنا الاسلام فى غير موقعه ظلما
ولما كان التقدير تعليلا للامر بهذا القول انا انزلنا كتبهم الى رسلهم عطف عليه قوله مخاطبا للراس تخصيصا له لئلا
يتطرق لمتعنت طعن الى عموم او ايهام فى المنزل عليه وكذلك اى ومثل ذلك الانزال الذى انزلناه الى انبيائهم انزلنا اليك الكتاب
اى هذا القران الذى هو الكتاب فى الحقيقة لا كتاب غيره فى علوه وكماله فى نظمه ومقاله مصدقا لما بين يديه فالذين اى فتسبب عن
انزالنا له على هذا المنهاج ان الذين اتيناهم اى اتيانا يليق بعظمتنا فصاروا يعرفون الحق من الباطل الكتاب اى من قبل يؤمنون به
اى بهذا الكتاب حقيقة كعبد الله بن سلام ومخيريق رضى الله عنهما او مجازا بالمعرفة به مع الكفر كحيى بن اخطب وخلق كثير منهم ومن
هؤلاء اى العرب من يؤمن به اى كذلك فى الحقيقة والمجاز فى المعرفة بالباطن بانه حق لما اقامه من البرهان على ذلك بعجزهم عن معارضته
مع الكفر به واول دليل على ما اردته من الحقيقة والمجاز قوله وما يجحد اى ينكر الفريقين بعد المعرفة قال البغوى قال قتادة
الجحود انما يكون بعد المعرفة بآياتنا التى جازت اقصى غايات العظمة حتى استحقت الاضافة الينا الا الكافرون اى العريقون
فى ستر المعارف بعد ظهورها طمعا فى اطفاء نورها ولما اشار الى ان المنكر لاصل الوحى متوغل فى الكفر دل على ذلك
بحال المنزل اليه صلى الله عليه وسلم فقال مسليا له وما اى انزلناه اليك والحال انك ما كنت تتلوا اى تقرأ مواصلا مواظبا
ولما كان المراد نفى التلاوة عن كثير الزمن الماضى وقليله ادخل الجار فقال من قبله اى هذا الكتاب الذى انزلنا اليك
واكد استغراق الكتب فقال من كتاب اصلا ولا تخطه اى تجدد وتلازم خطه وصور الخط واكد بقوله بيمينك اى التى هى
اقوى الجارحتين وعبر بذلك اشارة الى انه لا تحوم الريبة فى امره لعاقل الا بالمواظبة لمثل ذلك مواظبة قوية تنشأ عنها ملكة هى

فكيف اذا لم يحصل اصل الفعل ولذلك قال اذا اى اذ لو كان شىء من هذه المواظبة فى التلاوة والخط التى تحصل بها الدربة المورثة للملكة
لارتاب اى لساغ ان يكلف انفسهم الى الدخول فى الريب الى ذلك المبطلون اى هؤلاء الذين ينكرون الوحى اليك من اهل الكتاب ومن العرب
ويقولون هو سجع وكهانة وشعر واساطير الاولين لم يعرفون فى وصف الابطال اى الدخول فى الباطل فكانوا ايجد وزن طمعا فيقول العرب
لعله اخذه من كتب الاقدمين ويقول الكتابيون المبشر به عندنا امى ولكنه لم يكن شىء من قراءة ولا خط فضلا عن المواظبة لشىء منهما فلا
ريبة فى صدقك فى نسبته الى الله تعالى واذا انتفت الريبة من اصلها صح نفى ما عندهم منها لانه لما لم تكن لهم فى الواقع شبهة عدوا بتهم
عدما وسموا مبطلين على تقدير هذه الشبهة لقيام بقية المعجزات القاطعة بالرسالة القاضية بالصدق كما قضت بصدق انبيائهم مع
انهم يكتبون ويقرؤن وكتبهم لم تنزل للاعجاز فصح انه يلزمهم الانصاف بالابطال بالارتياب على كل تقدير من تقديرى الكتابة والقراءة وعدمها
لان العمدة على المعجزات ولما كان التقدير ولكنه لا ريبة لهم اصلا ولا شبهة لعولهم انه باطل قال بل هو آيات اى دلالات بينات
اى واضحات جدا انه من الله على صدقك فى صدور الذين ولما كان المقصود المبالغة فى تعظيم العلم بنى للمفعول واظهر ما كان
اصله الاضمار فقال اوتوا العلم دلالة على انه النافع فلا يقدر احد على تحريف شىء منه لبيان الحق لديهم وفى ذلك اشارة الى ان حفاظه عن غيرهم
لا اثر له ولما كان المراد بالعلم النافع قال اشارة الى ان حفاظه انه فى صدور غيرهم عرى عن النفع وما يجحد وكان الاصل به ولكنه اشار
الى العظمة فقال باياتنا اى ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة باضافتها الينا والبيان الذى لا يجهله احد الا الظالمون اى الراسخون
فى الظلم الذين لا ينتفعون بنورهم فى وضع كل شىء فى محله بل هم فى وضع الاشيا فى غير محالها كالماشى فى الظلام الذى نائز عن وصفهم اولا
بالكفر الذى هو تغطية انوار العقول ولما كان التقدير جحدوها بما لهم من الرسوخ فى الظلم اصلا وراسا ولم يعدوها آيات فضلا
عن كونها بينات عطف عليه قوله وقالوا لولا اى هلا انزل عليه اى على اى وجه كان من وجوه الانزال آية اى واحدة تكون بحيث تدل قطعا
على صدقه فان لها من ربه اى الذى يدعى احسانه اليه كما انزل على الانبيا قبله من نحو ناقة صالح وعصا موسى ونحوهما لنسند لها على صدق
مقاله وصحة ما يدعيه من حاله هذا على قراءة ابن كثير وحمزة والكسائى وابى بكر بالافراد وجمع غيرهم دلالة على ان فريقا اخر قالوا مثل
هذا المهم العظيم بايات متعددة وداوموا مكابرين وعنادا ان ذلك لم يقع وان وقع ولما كان هذا انكار الشمس بعد شروقهم
ومكابرين فى ما تحدى به من المعجزات بعد حقوقها اشار اليه بقوله قل اى لهم ارخاء للعنان حتى كانك ما اتيتهم بشىء انما الآيات
عند الله اى الذى له الامر كله فلا يقدر على انزال شىء منها غيره فانا الا لهم الا سواه وانما انا نذير اى فوم لكم بما حملنى وكلفنى
من النذارة دالا عليه بما اعطيت من الايات ونوافض المطردات وليس لى ان اقترح عليه الايات على ان المقصود من الاية الدلالة على الصدق
وهى كلها فى حكم اية واحدة فى ذلك ولم يذكر البشارة لانه ليس اسلوبها مبين اى واضح ما اتى به من ذلك بعد ان اوضح صحة كونى نذيرا
فليس الى انزال الايات ولا طلبها اقتراحا على الله فهو قصر قلب فيما خوطب به من لومه ادعا ان انزال الايات اليه صلى الله عليه وسلم
وان من الاتيان بما يريد او نطلب منه ولما اوهم بما كانه تسليم لمدعاهم وكان من البين ان لسان الحال يقول الم يكفهم ما جئتهم به
من الايات المرئيات والمسموعات وعجزوا عن الاتيان بشىء منها عطف على ذلك قوله منكرا على جهلهم وعنادهم او لم يكفهم اى ان كانوا طالبين للحق
غير متعنتين آية بينة مغنية عن كل آية انا انزلنا بعظمتنا عليك الكتاب اى الجامع لسعادة الدارين بحيث صار خلفا لكل غالبا
على حركاتك وسكناتك يتلى عليهم اى تجدد متابعة قراءته عليهم شيئا بعد شىء فى كل مكان وكل زمان من كل تال من صحف لما
فى الكتب القديمة من نعتك وغيره من الايات الدالة على صدقك يتحدون بكل شىء منه مع تحديهم بما قبله من اياته صباح مساء
يصغون بتحدى الدهر فى انفاسهم ويدعون فكلما ارادوا النقد مردوا وعجزوا الى ورائهم فاعظم به آية باقية اذ كل آية
سواه منقضية ماضية وقال الشيخ ابو العباس المرسى خشع بعض الصحابة رضى الله عنهم من سماع اليهود تقرأ التوراة فعتبوا
اذ تخشعوا من غير القرآن وهم انما تخشعوا من التوراة وهى كلام الله فما ظنك بمن اعرض عن كتاب الله وتخشع بالملاهى والغنا
ولما كان هذا اعظم من كل آية يقترحونها ولو توالى عليهم اتيانها كل يوم لدوام هذا على مر الايام والشهور حتى تفنى
الازمان والدهور اشار تعالى الى هذه العظمة مع ما فيها من النعمة بقوله مؤكدا تنبيها على جهلهم فيما لزم من كلامهم الاول
من انكار ان يكون فى القرآن اية تدلهم على الصدق ان فى ذلك اى انزال الكتاب على هذا الوجه البعيد المنال البديع المثال لرحمة
لهم لصقله مرائى القلوب فى كل لحظة وتطهيره خبث النفوس فى كل لمحة وذكرى اى عظيمة مستمرة تكثيرها ولما
عم بالنول خص من حيث النفع فقال لقوم يؤمنون اى يمكن ان يتجدد لهم ايمان ليس من همهم التعنت قال الحرالى فى كتاب له فى اصول
الدين ولما كان القرآن لسان احاطة لم يعث بالقيام به خلق من خلق الله لانه نبا عن كلية امر الله حتى ان السورة الواحدة
منه لما كان موقع الخطاب بها من يريد نبا به على احاطة امر الله لا يستطيعها احد من الخلق واذا كان الاول من كلام العالم لا
يستطيعه من دون رتبته فعجز الخلق عن كلام الله احق واولى ثم كل ناظر فيه من اى وجه نظر ادرك بمقتضى علوه على رتبته
وجها من العجز فيه ان كان فصيحا بليغا فمن جهة البلاغة فهو معناها بلوغ الكلام فى مطابقة انبائه وتمام الفصاحة وحسن نظم حروف
كلماته وتمام الدلالة واحكام انتظام كلماته واياته وتمام حسن النظم الداعى غاياته واتم نهاياته فان كان عالما باخبار الاولين فيصحبه

منقضاها

اى القرآن الذى حصل بجوار تابوا فيهم فكانوا مبطلين لذلك على كل تقدير

مقتضاها فيه وان كان حكيما فبالاعلام الاتم تقاضى المترتبات وبالجملة فما يكون لاحد اصل من عقل وحظ من علم اى علم كان
الا ويجد له موقعا فى القرآن يكفى له بحظ بيان علو مرتبة انبائه على نهاية مدركه منه بمقدار الارتياب فى وقوعه فوق طور الخلق
فكان ايه باقية دائمة لم يتفاوت فى تلقيه اول سامع له من اخر سامع فى وجه سماعه فكل نبى فقدت ايته بفقده او بفقد
وقت ظهورها على يديه وانه محمد صلى الله عليه وسلم باقية ببقا الله لجات ظهور اعجازه تاتى على حظوظ اصناف الخلق من وجه الا
لا ينحصر لظهور الاعجاز فيه جهة ولا يفقد ناظر فيه حظا يتطرق منه ادراكه منه الى تعين وجه اعجازه وذلك لما كان
محيطا بكل تفصيل وكل اجمال ولم يفرط فيه من شىء وكان تفصيلا لكل شىء وللاحاطة باثبات كل رتبة من رتب حكمة الله لم
يعذر احد من الخلق فى التوقف عن الايمان به من الجن والانس والاحمر والاسود وجميع خلق الله من يعرفه الناس منهم ومن لا يعرفونهم
ممن احاط به علم العالمين باعلام الله ومن حكم احاطة كتابه كان مهما من عاليه كل آية جاء بها نبى قبله ممن شاهد ذلك منه حاضرو
ونقله نقل التواتر والاستفاضة حمله العلم خلفا عن سلف ثم رتب قياسا على اثباتنا النبوة فقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم
رواية هذا القرآن المشهود وهذا القرآن المشهود معجز كل ذى درك البشرى من كل جهة من جهات معانيه وبلاغته فذو اية
هذا القرآن نبى فمحمد صلى الله عليه وسلم نبى اما ان محمدا صلى الله عليه وسلم ذو ايته فبالحجرية السمعية المستفيضة المسماة بالتواتر
واما ان هذا القرآن معجز فيما يجده كل ناظر فى معناه المشتمل على تمام الحكمة فيما هو كائن وينبأ ما كان من قبل وخبر ما يكون بعد
المستقر بوقوع اوائله ووقوع جملته وصحة خبره وبذلك يتضح ان ذا اية نبى لما تضمنه من شهادته له بنبيه وتصريحه بذلك
لمحمد صلى الله عليه وسلم فوضح ان محمدا ذو ايته وانه نبى صلى الله عليه وسلم والمستعمل فى ذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم تحدى
بهذا القرآن العرب الفصحا واللسنا البلغا فلما الجوا الى الحرب وصح انهم فروا لذلك لما كان ما وجدوه فى انفسهم من العجز واذا عجزوا
فمن بعدهم احرى بالعجز فلما شمل العجز الكل من الخلق وجب العلم بان هذا القرآن حق والمتحدى به نبى جا بالصدق وحاصله لو لم تعجز
العرب لم تحارب لكان ثقل الحرب وخفة المعارضة لو استطاعوها ولم يعارضوا ولم حاربوا فقد عجزوا وثبت بذلك انه نبى
الله صلى الله عليه وسلم انتهى ولما كان من المعلوم انهم يقولون نحن لا نصدق ان هذا الكتاب من عند الله فضلا عن ان
نكتفى به قال قل اى جوابا لما قد يقولونه من نحو هذا كفى بالله اى الحائز لجميع العظمة وسائر الكمالات الذى شهد لى بالرسالة
فى كتابه الذى اثبت انه كلامه عجز الخلق عن معارضته ولما كانت العناية فى هذه السورة بذكر الناس وتفصيل احوا
اتبعه بقوله بينى وبينكم قبل قوله شهيدا بخلاف الرعد والانعام ثم وصف الشهيد او علل كفايته بقوله يعلم ما فى السموات
اى كلها ولما لم يكن لارض غير هذه التى يشاهد ونها ذكر فى اتيان الوحى والقرآن منها افرد فقال والارض اى لا يخفى عليه
شىء من ذلك فهو عليم بما تنسبونه الى من التقول عليه وبما انسبه انا اليه من هذا القرآن الذى شهد لى به عجزكم عنه فهو شاهد
ولله فى الحقيقة هو الشاهد لى عافيه من الثناء على والشهادة لى بالصدق لانه قد ثبت بالعجز عنه انه كلامه وسيحقق الفعل
ابطال المبطل منا ولما كان التقدير وانتم تعلمون انه قد شهد لى بانى على الحق وان كل ما خالف ما جئت به فهو باطل فالذين
امنوا بالحق وكفروا بالباطل فاولئك هم الفائزون عطف عليه قوله والذين امنوا بالباطل الذى لا يجوز الايمان به من كل معبود
سوى الله وكفروا بالله الذى يجب الايمان به والشكر له لان له الكمال كله وكل ما سواه هالك ليس له من ذاته الا العدم
اولئك البعدا البغضا هم اى خاصة الخاسرون اى العريقون فى الخسارة فانهم خسروا انفسهم ابدا ولما
كان قولهم من واحد لولا انزل عليه آية عجبا اى بعد اضداده بخسارتهم اى يطلبون تعجيلك فى كل وقت بالعذاب
ويجعلون تاخره عنهم شبهة لهم فيما يزعمون من التكذيب ولولا اجل مسمى قد ضرب لوقت عذابهم لا يتقدم فيه ولا يتاخر
لجاءهم العذاب وقت استعجالهم لان القدرة تامة ولما افهم هذا انه لابد من اتيانه صرح به فى قوله مؤكدا ردا على
استهزائهم المتضمن للانكار وليأتينهم ثم هوله بقوله بغتة واكد معناها بقوله وهم لا يشعرون بل هم فى غاية الغفلة
عنه والاشتغال بما ينسيه ثم زاد فى التعجيب من جهلهم بقوله منبها لا يستعجلونك بالعذاب اى يطلبون منك ايقاعه بهم
ناجزا ولو كان فى غير وقته الائق به ولو علموا اما هم صائرون اليه لتمنوا انهم لم يخلقوا فضلا عن ان يستعجلوا ولا عملوا
جميع جهدهم فى الخلاص منه ولما كان دخولهم النار لابد منه لاحاطة القدرة بهم قال مؤكدا ردا لانكارهم
باثبات اخص منها وان جهنم التى هى من عذاب الاخرة لمحيطة اى عما هى مهيأة له لانه لا يفوتها شىء منه لان الذى اعدها عليم
قدير وقال بالكافرين موضع بهم تنبيها على ما استحقوا به عذابها وتعميما لكل من اتصف به ولما كان هذا كله دالا
على انكارهم قال يوم اى يعلمون ذلك يوم يغشاهم العذاب اى يلحقهم ويلصق بهم ما لا يدع لهم شيئا يستعذبونه ولا امرا
يستلذونه ونبه على عدم استغراق جهة الفوق مع استعلائه عليهم باثبات الجار فقال من فوقهم ولما كان المراد الاحاطة
بما هو ادنى من جهة الفوق صرح به فقال ومن تحت ارجلهم فعلم بذلك احاطته بجميع الجوانب وصرح بالرجل تحقيقا للامر
ويقول اى الله فى قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائى بالتحتانية جريا على الاسلوب الماضى ونحن بعظمتنا فى قراءة الباقين بالنون

دراك

الم

ترويعا بالالتفات الى مظهر العظمة ذوقوا ما سببه لكم ما كنتم بغاية الرغبة تعملون اى فى ذلك اليوم تعلمون ذلك حق اليقين بعد علمكم له عين اليقين بسبب تكذيبكم بعلم اليقين ولما ابلغ فى الانذار وحذر من الامور الكبار ولم يهمل الاشارة الى الصغار وكانت هذه الايات فى المتعنتين من الكفار وكان قد تكرر ان هذه المواعظ انما هى للمومنين قال مخاطبا لهم معرضا عن سواهم اذ كانت اسماعهم لتبليغ هذه المواعظ قد اصغت وقلوبهم لجليل هذه الانذارات قد استيقظت التفاتا على قراءة الجمهور الى التلذيذ فى المناجاة بالافراد والابعاد من محل الغيبة يا عبادى شرفهم بالاضافة ولكنه لما اشار باداة البعد الى ان فيهم من لم يرسخ حق ذلك بقوله الذين امنوا اى وان كان الايمان باللسان مع ادنى شعبة من القلب ولما كان نزول هذه السورة بمكة وكانوا بها مستضعفين بالعبادة خوفا من الكفار وكانت هجرة الاهل والاوطان شديدة قال مؤكدا تنبيها على ان حال من ترك الهجرة حال من يظن ان الارض ضيقة إن ارضى واسعة اى فى الذات والرزق وكل ما تريدون من الرفق فان لم تتمكنوا بسبب هؤلاء المعاندين الذين يفتنونكم فى دينكم ويمنعونكم من الاخلاص لى فى ارضكم والاجتهاد فى عبادتى حتى يصير الايمان لكم وصفا فهاجروا الى ارض تتمكنون فيها من ذلك ولما كانت الاقامة بها قبل الفتح مودية الى الفتنة وكان المفتون ربما طاوع بلسانه وكان ذلك وان كان القلب مطمئنا بالايمان فى صورة الشرك قال فاياى اى خاصة بالهجرة الى ارض تأمنون فيها اعبدوا وتنبهوا فاعبدون بسبب ما دبرت لكم من المصالح من توسيع الارض وغيره عبادة لا شرك فيها لا باللسان ولا بغيره ولا استخفا بها ولا مراعاة لمخلوق فى معصية ولا شىء يجر اليها بالهرب ممن يمنعكم من ذلك الى من يعينكم عليه ولما كانت الهجرة شديدة المرارة لانها موت فى المعنى من حيث كونها مفارقة المالوف المحبوب من العشير والبلد والمال وكان فى الموت ذلك كله بزيادة قال مذكرا بذلك مرهبا من ترك الهجرة كل نفس ذائقة الموت اى مفارقة كما الفت حتى بدنها طالما لابسته وانسها وانسته فان اطاعت ربها انجت نفسها ولم تنقصها الطاعة من الاجل شيئا والا اوبقت نفسها ولم يزدها المعصية فى الاجل شيئا فاذا تذكر الانسان انه مات سهلت عليه الهجرة فانه ان لم يفارق بعض مالوفه بها فارق كل مالوفه بالموت وما ذكر الموت فى يسير الا كثره ولا كثير الا قلله ولما هون امر الهجرة حذر من رضى فى دينه بنوع نقص بشىء من الاشياء حثا على الاستعداد بغاية الجهد فى التزود للمعاد فقال ثم الينا على عظمتنا لا الى غيرنا ترجعون على ايسر وجه فيجازى كلا منكم بما عمل ولما كان التقدير فالذين امنوا فلبسوا ايمانهم بنوع نقص لننقصنهم فى جزائهم والذين كفروا لنركسنهم فى جهنم دركات تحت دركات فبئس مثوى الظالمين ولكنه لما تقدم ذكر العذاب قريبا وكان المقصود هنا الترغيب فى الايمان كيف ما كان طواه ودل عليه بان عطف عليه قوله والذين امنوا وعملوا اى تصديقا لايمانهم الصالحات اى كلها ولما كان الكفار ينكرون البعث فكيف ما بعده اكد قوله لنبوئنهم اى لنسكننهم فى مكان هو جدير بان يرجع اليه من حسنه وطيبه من خرج منه لبعض اغراضه وهو معنى من الجنة غرفا اى بيوتا عالية تحتها قاعات واسعة بهية عالية وقريب من هذا المعنى قراءة حمزة والكسائى بالثاء المثلثة من ثوى بالمكان اذا اقام به ولما كانت العلالى لا تروق الا بالرياض قال تجرى ولما كان عمومها بالماء النجح بالغراب اشبه نقصه فقال من تحتها الانهار ومن المعلوم انه لا يكون فى موضع انهار الا كان به بساتين كبار وزروع ورياض وازهار يشرفون عليها من تلك العلالى ولما كانت بحالة لا نكد فيها يوجب هجرة فى لحظة ما كنى عنه بقوله خالدين فيها اى لا يبغون عنها حولا ثم عظم امرها وشرف قدرها بقوله نعم اجر العاملين ثم وصفهم بما رغب فى الهجرة فقال معرفا بجماع الخير كله الصبر وكونه على جهة التفويض لله منبها على ان الانسان لا ينفك عن امر شاق ينبغى الصبر عليه الذين صبروا اى اوجدوا هذه الحقيقة حتى استقرت عندهم فكانت سجية لهم فاوقعوها على كل شاق من التكاليف من هجرة وغيرها ولما كان الانسان الى المحسن اليه اميل فكان مرغبا فى الاستراحة بالتفويض اليه وعلى ربهم اى وحده لا على اهل ولا وطن يتوكلون اى يوجدون التوكل ايجادا مستمرا تجديده عند كل مهم يعرض لهم فى ابدانهم بعد الهجرة وغيرها وجهاد اعدائهم وغير ذلك من اعدائهم امورهم ولما اشار بالتوكل الى انه الكافى فى امر الرزق فى الوطن والغربة لا مال ولا اهل قال عاطفا على ما تقديره فكاى من متوكل عليه كفاه ولم يحوجه الى احد سواه فليبادر من ابتغى من الكفر وهداه الى الهجرة طلبا لرضاه وكاين من دابة اى كثير من الدواب العاقلة وغيرها لا تحمل اى لا تطيق ان تحمل رزقها ولا تدخر شيئا لساعة اخرى لانها قد لا تدرك نفع ذلك وقد تدركه وتتوكل او لا تجد ولما كان موضع ان يقال فمن يرزقها قال جوابا له الله اى المحيط علما وقدرة المتصف بكل كمال يرزقها وهى لا تدخر واياكم وانتم تدخرون لا فرق بين ترزيقه لها على ضعفها وترزيقه لكم على قوتكم وادخاركم فان الفريقين تارة يجدون وتارة لا يجدون فصار الادخار وعدمه غير معتبر به ولا منظور اليه ولما كان اهم ما للحيوان الرزق فهو لا يزال فى تدبيره بما يجنى فى ضميره وينطق به ان كان ناطقا ويهمهم به ان كان صامتا اما العاقل فامور كلية واما غيره فباشياء جزئية وجدانية وكان العاقل ربما قال انى لا اقدر على قطع العلائق من ذلك قال تعالى وهو السميع اى لما يمكن ان يسمع من امس وغيره العليم اى بما يعلم من ذلك وبما يصير اليه امركم وامر عدوكم فهو لم يامركم بما امركم به

الا وقد اعد له اسبابه وهو قادر على ان يسبب لما اعتمد عليه الانسان من الاسباب المنتجة عنده ولا بد ما يبطله وعلى ان يسبب للمتوكل القاطع للعلائق ما يغنيه ومن طالع كتب الصوف وتراجم القوم وسير السلف نفعنا الله بهم وجد كثيرا من ذلك مما يصح ويسليه ويصبره ولما هون سبحانه امر الرزق بخطابه مع المومنين بعد ان كان قد ابلغ فى تنبيه الكافرين بايضاح المقال وضرب الامثال ولين المحاورة فى الجدال وكان الملك لا يتمكن غاية التمكن من تربية من فى غير مملكته قال عاطفا على نحو فلئن سألتهم عن ذلك ليصدقنك عائدا الى استعطاف المعرضين والتلطف بالغافلين بالهجرة فى تعنيف الوعظ انهى طرق الحكمة فان السيد اذا كان له عبدان مصلح ومفسد ينصح المفسد فان لم يسمع التفت الى المصلح اعراضا عنه قائلا هذا لا يستحق الخطاب فاسمع انت ولا مثله تكن فكان قوله متضمنا نصح المصلح وزجر المفسد ثم اذا سمع وعظ اخيه كان ذلك محركا منه بعد التحريك بالاعراض والذم بسوء النظر لنفسه وقلة الفطنة فاذا حاطه بعد هذا اوجده منتبها للقبول بارعا الى الوفاق مستهجنا للخلاف ولئن سألتهم اى المومن وغيره واغلب القصد له من خلق السموات والارض وسواهما على هذا النظام العظيم وسخر الشمس والقمر لاصلاح الا ومعرفة الاوقات وغير ذلك من المنافع ولما كان حالهم فى انكار البعث حال من ينكر ان يكون سبحانه خلق هذا الوجود اكد تنبيها على ان الاعتراف بذلك يلزم منه قطعا الاعتراف بالبعث فقال ليقولن الله اى الذى له جميع صفات الكمال لما تقرر فى فطرهم من ذلك وتلقفوه عن ابائهم موافقة للحق فى نفس الامر ولما كان حال من صرف عنه عجبا يستحق ان يسئل عنه على وجه التعجب منه اشارة الى انه لا وجه له قال فانى اى فكيف ومن اى وجه يؤفكون اى يصرفون عن الاخلاص له مع اقرارهم بانه لا شريك له فى الخلق فيكون وجهه الى قفاه فينظر الاشيا على غير ما هى عليه فيقع فى خبط العشوا وحيرة العميا من لم يتوكل عليه او لم يخلص له العبادة فى كل احواله وجميع اقواله عن الاخلاص له مع اقرارهم بانه لا شريك له فى الخلق فيكون وجهه الى قفاه فينظر الاشيا على غير ما هى عليه فيقع فى خبط العشوا وحيرة العميا ولما كان ربما يشكل على ذلك التفاوت فى الرزق عند من لم يتامل حق التامل فيقال كل الخلق والرزق له فما بالهم متفاوتين فى الرزق قال الله اى بما له من الاحاطة بصفات الكمال يبسط الرزق بقدرته التامة لمن يشاء من عباده على حسب ما يعلم من بواطنهم ويقدر اى يضيق ولما كان ذلك انما هو لمصالح العباد وان لم يظهر لهم وجه حكمته قال له اى ليظهر من ذلك قدرته وحكمته وانت ترى الملوك وغيرهم من الاقويا يفاوتون فى الرزق فيما بين عمالهم بحسب ما يعلمون من علمهم الناقص باحوالهم فما ظنك بملك الملوك العالم علما لا انتهاء له بما من ساحته ظنون ولا شكوك وهذه الاية نتيجة ما قبلها ولما كان سبحانه يرزق الناس ويكل لهم بحسب ما يعلم من ضمايرهم انه لا صلاح الا به قال معللا لذلك ومؤكدا ردا على من يعتقد ان ذلك انما هو من تقصير بعض العباد وتشمير بعضهم معلما بانه محيط العلم فهو محيط القدرة فهو الذى سبب عجز بعضهم وطاقة الاخرين لملازمة القدرة ان الله اى الذى له صفات الكمال بكل شىء اى من المرزوقين ومن الارزاق وكيف يتبع او يساق وغير ذلك عليم فهو على ذلك كله قدير يعلم ما يصلح العباد من ذلك وما يفسدهم ويعطيهم بحسب ذلك ولما ثبت بهذا انشا وكرر امر بعض الاقويا اغنا فقير وافقار غنى فكشف الحال عن فساد ما راموا من الاستقلال وكان قد ذكر البعيد واشار الى شمول علمه لزم تمام قدرته كما برهن عليه فى طه فقال مشيرا الى ذلك ذاكرا السبب القريب فى الترزيق بعدما ذكر البعيد على حسب ما فعل فان الاعتراف بان هذا السبب منه يستلزم الاعتراف بان المسبب ايضا منه ولئن سألتهم من نزل بحسب التدريج على عين فى الترزيق ولما كان ربما ادعى مدع انه استنبط ماء فانزله من جبل ونحوه ذكر ما يختص به سبحانه سالما عن دعوى المدعين فقال من السماء ماء بعد ان كان مضبوطا من جهة العلو ولما كان اكثر الارض يحيى بما المطر من غير حاجة الى سقى فاحيى به الارض الغبرا واشار باثبات الجار الى قرب الاثبات من زمان الممات والى انهم لا يفهمون الا الجزئيات الموجودة المحسوسة ولا تنفذ عقولهم الى الممكنات المعقولة نبه على الايمان ليعلموا ان ما وجد سبحانه بالفعل فى وقت فهو موجود بالقوة دائما بايجاده اذا اراد فالارض حية باحيائه سبحانه بسبب المطر فى جميع الزمن الذى هو بعد الموت بالقوة كما انها حية فى بعضها بالفعل فقال من بعد موتها فصارت خضرا تهتز بعد ان لم يكن بها شىء من ذلك واكد لمثل ما تقدم من التنبيه على ان حالهم فى انكار البعث حال من ينكر ان يكون الله صانع ذلك لملازمة القدرة على ذلك القدرة على البعث بقوله ليقولن الله وهو الذى له الكمال كله فلزمهم توحيده ولما ثبت انه الخالق بدءا واعادة كما يشاهد فى كل زمان قال منبها على عظمة صفاته اللازم من اثباتها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قل متعجبا منهم فى جحودهم حيث يقرون بما يلزمهم التوحيد ثم لا يوحدون الحمد اى الاحاطة باوصاف الكمال كلها لله الذى لا شىء له وليس لاحد غيره احاطة بشىء من الاشيا فلزمتهم الحجة بما اقروا به من احاطته وهم لا يثبتون ذلك باعراضهم بل اكثرهم لا يعقلون اى لا يتجدد لهم عقل بعضهم مطلقا لانه مات كافرا حيث هم معترفون بمعنى الحمد من انه الخالق لكل شىء بدءا واعادة ثم يفعلون ما ينافى ذلك فمنهم من يقر بانه خالقه ولا يتوكلون فى جميع الامور مرادا بجراءته ويوجهون العبادة خالصة اليه فهم لا يعرفون معنى الحمد حيث لم يعملوا به ومنهم من امن بعد ذلك فكان فى الذروة من كمال العقل فى التوحيد الذى يتبعه سائر الفروع ومنهم من كان دون ذلك فكان نفى العقل عنه مقيدا

بالكمال تبين بهذه الآيات ان الدنيا مبنية على الفنا والزوال والقلعة والارتحال وضح ان السرور بها في غير
موضعه فلذلك قال تعالى مشيرا بعد سلب العقل عنهم الى انهم فيها كالبهائم يتهارجون وما هذه الحياة الدنيا لحقرها بالاشارة
ولفظ الدناءة مع الاشارة الى ان الاعتراف بهذا الاسم كاف في الالزام بالاعتراف بالاخرى ولما كان مقصود السورة الحث
على الجهاد والنهي عن المنكر وكان في معرض سلب العقل عنهم قدم اللهو لان الاعراض عنهم بحسم مادة الشر فانه الباعث عليه فقال الا
لهو اي تلهي عما ينفع ولعب يشتغل به صبيان العقول وكل غافل وجهول فان اللهو كل شيء من شانه ان يعجب النفس كالغنا والزينة
من المال والنسا وغيره فيحصل به فرح وزيادة سرور فيكون سببا للغفلة والذهول والنسيان والشغل عن استعمال العقل
في اتباع ما ينجي في الاخرة فيشاغله الضلال على ما اشارت اليه آية لمن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ومنه اللعب
وهو فعل ما يريد النفس في دنياها سرورا كالرقص بعد السماع وينقضي بسرعة كانوا ينكرون الحياة بعد الموت
اخبر على سبيل التاكيد انه لا حياة غيرها فقال وان الدار الاخرة لهي اي خاصة الحيوان اي الحياة التامة الباقية الدائمة
الوافية نفسها من حيث انه لا موت فيها ولا فنا لشيء من الاشيا ولذلك اختير هذا البنا الدال على المبالغة وحركته مشعرة بما في الحياة
من مطلق الحركة والاضطراب فلا انقضاء لشيء من لعبها ولا لهوها الذي لا يوافق ما في الدنيا الا في الصورة فقط لا في المعنى لانه ليس فيها
شيء سافل لا في الباعث ولا في المبعوث اليه بل كل ذلك بالتسبيح والتقديس وما يترتب عليه من المعارف والبسط والترويح
والانشراح والانس والتفريج ولما كانوا قد غلطوا في الدارين كلتيهما فنزلوا كل واحدة منهما غير منزلتها فجعلوا الدنيا
وجودا دائما لهذه الحالة والاخرة عدما لا وجود لها بوجه قال لو كانوا اي كونا هو كالجبلة يعلمون اي لهم علم ما لم يغلطوا
في واحدة منهما فلم يركنوا مع ايثارهم للحياة وشدة نفرتهم من الموت لاعتقادهم انه لا قيام بعده الى الدنيا مع ان اصلها عدم الحياة
الذي هو الموتان ولما ختم هذه الآية بما اتهم انهم لا يعلمون والتي قبلها بان اكثرهم لا يعقلون سبب عن ذلك قوله فاذا
اي فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم انهم اذا ركبوا اي البحر في الفلك اي السفن دعوا الله اي الملك الاعلى المحيط
بكل شيء اذا اصابتهم مصيبة خافوا منها الهلاك مخلصين بالتوحيد له الدين معرضين عن شركايهم بالقلب واللسان لما هم له
متحققون انه لا ينجي عند ذلك الشدايد غيره فلما نجاهم اي الله سبحانه موصلا لهم الى البر اذا هم اي حين الوصول الى البر يشركون
فصح انهم لا يعلمون لانهم لا يعقلون حيث يقرون بعجز الهتهم ويشركونها معه ففي ذلك اعظم التهكم بهم قال البغوي قال عكرمة كانوا
اذا ركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتدت بهم الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب وقال الرازي في اللوامع وهذا دليل على
ان معرفة الرب في فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا في السراء فلا شك انهم يلوذون اليه في حال الضراء انتهى فعلم ان الاشتغال
بالدنيا هو الصاد عن كل خير وان الانقطاع عنها معين للفطرة الاولى المستقيمة ولهذا تجد الفقرا اقرب الى كل خير ولما
كانوا مع هذا الفعل الذي لا يفعله الا مسلوب العقل يدعون انهم اعقل الناس وابصرهم بلوازم الافعال
وما يثير الرجال وكان فعلهم هذا كفرا للنعمة مع ادعايهم انهم اشكر الناس للمعروف قال مبينا ان عادتهم مخالفة لعادة
المومنين في جعلهم نعمة النجاة سببا لزيادة طاعاتهم فعلم انه ما كان اخلاصهم في البحر الا صورة لا حقيقة لها ليكفروا وانما اتينا
على عظمتنا من هذه النعمة التي يكفي في عظمتها انه لا يمكن غيرنا ان يفعلها ما اشركوا الا لاجل هذا الكفر والا لكانوا قاطعين لشيء على
غير قصد فيكون ذلك فعل من لا عقل له اصلا وهم يحاشون عن مثل ذلك وليتمتعوا بما يجتمعون عليه في الاشراك من التواصل والتعاضد
وعند من سكن اللام وهم ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع يكون معطوفا فانه بدا على مقدر نحو فليكفروا او على ليكفروا واللام
على ان لانه للامر وسياتي في الدوم ان شا الله ما يؤيده فسوف يعلمون بوعيد لا خلف فيه ما يحل بهم لهذا الفعل الذي هو داير بين كفر
وجنون ولما كان قد فعل بهم سبحانه من الامن الشديد المديد في البر دون سائر العرب على ما ذكر من حال خوفهم الشديد في
البحر وكان قادرا على اخافتهم في البر كما قدر على اخافتهم في البحر لبعد مراخلاصهم وكان كفرهم عند الامن بعد الاخلاص عند الخوف
مع انه اعظم النقايص لا يفعله الا من آمن مثل تلك المصيبة في البر توجه الانكار في نحوان يقال الم يروا انا قادرون على اخافتهم
واهلاكهم في البر كما نحن قادرون على ذلك في البحر كما فعلنا بغيرهم فعطف عليه قوله اولم يروا بعيون بصايرهم انا جعلنا هم
اي بعظمتنا لهم حرما وقال آمنا لانه لا خوف على من حله ثم امن كل حال به كان كانه هو نفسه الامن وهو حرم مكة
المشرفة وامنه موجب للتوحيد والاخلاص رغبة في دوامه خوفا من انصرامه كما كان الخوف في البحر موجبا للاخلاص خوفا
من دوامه ورغبة في انصرامه والحال انه يتخطف وبناه للمفعول لان المقصود الفعل لا فاعل معين ولما كان
التخطف غير خاص بفاعل واحد بل كان جميع العرب يغزو بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض بالقتل والاسر والنهب
وغير ذلك من انواع الاذى قال الناس من حولهم اي من حول من فيه من كل جهة تخطف الطيور مع قلة من بمكة وكثرة من حولهم
اي من حول من ليس من كل جهة فالذي خرق العادة في فعل ذلك حتى صار على هذا السنن قادر على ان يعكس الحال فيجعل من
بالحرم متخطفا ومن حوله امنا او يجعل الكل في الخوف على منهاج واحد ولما بين انه لا وجه لشركهم ولا لكفرهم

هذه النعمة الظاهرة المكشوفة بوجه تسبب الانكار في قوله افبالباطل اي خاصة من الاوثان وغيرها يؤمنون والحال
انه لا يشك عاقل في بطلانه وجا الحصر من حيث ان من كفر بالله تبعه الكفر بكل حق والتصديق بكل باطل وبنعمة الله التي
احدثها لهم من الانجا وغيره يكفرون حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة شركهم بعبادة غيره ولما كان الظلم هو
وضع الشيء في غير موضعه وكان وضع الشيء في موضع لا يمكن ان يقبله اظلم الظلم كان فعلهم هذا الذي هو انزال من لا يعلم
شيا ولا يقدر على شيء في منزلة من يعلم كل شيء ويقدر على كل مقدور اظلم الظلم فكان التقدير فمن اظلم منهم في ذلك عطف
عليه قوله ومن اظلم اي اشد وضعا للاشيا في غير مواضعها لانه لا نور له بل هو في ظلام الجهل يخبط ممن افترى اي تعمد
على الله كذبا اي اي كذب كان من الشرك وغيره كما كانوا يقولون اذا فعلوا فاحشة وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها
او كذب بالحق من هذا القران المعجز المبين على لسان هذا الرسول الامين الذي ما اخبر خبرا الا طابقه الواقع لما اي حين جا
ولما كان التقدير لا احد اظلم منه بل هو الظلم
من غير اهمال الى ان ينظر ويتامل فيما جاه من الامر الشديد الخطر
الظالمين فهو كافر وماواه جهنم وكان من المعلوم انهم يقولون عنادا ليس الامر كذلك قال انكارا عليهم ولان تعلمهم فعل
المنكر وتقريرا لهم لان همزة الانكار اذا دخلت على النفي كانت للتقرير عادة بمنزلة ما لا نزاع في اصله اليس في جهنم مثوى
اي منزل لموضع اقامة وحبسه وقد ارتكب هذا الكفر العظيم هكذا كان الاصل ولكنه لقصد التعميم وتعليق الفعل بالوصف
قال للكافرين اي الذين يغطون انوار الحق الواضح او ليس هو من الكافرين اي ان كلام المقدمتين صحيح لا انكار فيه ولا ينتظم
انكارهم الا بافساد احدهما اما كفره للمنعم بعد انجايه من الهلاك حيث عبد غيره فلا يسع عاقلا انكاره واما كون جهنم تسعه
بعد انضار القادرية فلا يسع معترفا بالقدرة انكاره فالمقدمتان مما لا مطعن فيه عندهم فانتجتا ان مثواه جهنم وصار
العباد هكذا عابد غير من انجاه كافر وكل كافر مثواه جهنم فعابد غير من انجاه مثواه جهنم ولما هذا كله في الذين
تنوا فلم يجاهدوا انفسهم كان المعنى فالذين قستهم فوجدوا كالذين ضلوا فصاروا لا يعقلون ولا يعلمون لكونهم لم يكونوا من
المجاهدين فعطف عليه قوله والذين جاهدوا اي اوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة فينا اي بسبب
حقنا ومراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في
الشدة والرخا ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن وشدايد المحن مستحضرين لعظمتنا ولما كان الكفار ينكرون فلاحهم
وكان المفلح والظافر في كل شيء هو المهتدي قال معبرا بالسبب عن المسبب لنهدينهم سبلنا التي لا سبيل غيرها علما
وعملا ونكون معهم بلطفنا ومعونتنا لانهم احسنوا المجاهدة تمسكا بما في سبيل الله ولو فواق ناقة لهذه الآية هم
وقوله تعالى والذين يا نكوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم ولهذا كان سفين بن عيينة يقول اذا اختلف الناس فانظروا ما
عليه اهل الغزو ولما كان المحسن كلما توفر حظه في مقام الاحسان نقص حظه من الدنيا فظن الاغبيا انه ليس
الله به عناية عظم التاكيد في قوله لافتا الكلام عن اسلوب الجلال الى اجل منه بما ازاد من الجمال وان الله اي بعظمته
وجلاله وكبريايه وجميع كمالهم هكذا كان الاصل ولكنه اراد الاعلام باحسانهم وتعليق الحكم بالوصف والتعميم
فاظهر قايلا لمع المحسنين اي كلهم بالنصر والمعونة في دنياهم والثواب والمغفرة في عقباهم بسبب جهادهم لانه شكر
يقتضي الزيادة ومن كان معه سبحانه فاز بكل مطلوب وان راى الجاهل خلاف ذلك فانه يحمل عنهم من وراء ولي يسير
عنايهم بساتر نفس حمايته لهم مما يجر اليه دايم العزة من الكبر ويحمل عليه عظيم الغنى من الطغيان وما احسن ما نقل
الاستاذ ابو القاسم القشيري في الرسالة عن الحارث المحاسبي انه قال من صحح باطنه بالمراقبة والاخلاص زين الله ظاهره
بالمجاهدة واتباع السنة والاية من الاحتباك اثبت اولا الجهاد دليلا على حذفه ثانيا وثانيا انه مع المحسنين دليلا
على حذف المعية والاحسان اولا فقد عانق اول السورة هذا الآخر وكان انه اعظم ناظر نسال الله العافية من البلا
والمجاهدة ان كان لا بد من المحن سورة الروم مقصودها اثبات الامر كله لله فتاتي الوحدانية والقدرة
على كل شيء فياتي البعث ونصر اوليايه وخذلان اعدايه وهذا هو المقصود بالذات واسم السورة واضح الدلالة عليه بما كان
من السبب في نصر الروم من الوعد الصادق والسر المكتوم بسم الله الذي يملك الامر كله الرحمن الذي رحم الخلق كلهم
بنصب الادلة الرحيم الذي لطف باوليايه فانجاهم من كل ضار وحماهم كل نافع سار لما ختم سبحانه التي قبلها
بانه مع المحسنين قال الم مشيرا بالالف الى القيام والعلو وباللام الى الوصلة وبالميم الى التمام الى ان الله الملك الاعلى القيوم ارسل
جبريل عليه السلام الذي هو وصلة بينه وبين انبيايه عليهم السلام الى اشرف خلقه محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث
لاتمام مكارم الاخلاق يوحي اليه وحيا معلما بالشاهد والغايب فياتي الامر على ما اخبر به دليلا على صحة رسالته وكمال
علم مرسله وشمول قدرته ووجوب وحدانيته اشير في اخر تلك بامر الحرم الى انه سبحانه يعز من يشاء
ويذل من يشاء ختمت بمدح المجاهدين فيه وانه سبحانه لا يزال مع المحسنين وكانت قد افتتحت بامر المفتونين فكان كانه قيل

مما يحمله لهم من الموت الذي لا يصل من يحمه لهداية للمتقين بعظمتنا

فقال مستدياً بما افهمه كونه مع المحسنين من انه لبين مع المبين غلبت الروم

لنفتنكم ولنعين المفتنين ولنهدين المجاهدين وكان اهل فارس قد انتصروا على الروم ففرح المشركون وقالوا للمسلمين قد انتصر
اخواننا الاميون على اخوانكم اهل الكتاب فلننتصرن عليكم فاخبر الله تعالى بان الامر يكون على غير ما زعموا فصدق وكذب مكذب
فكان في كل من ذلك من نصر اهل فارس واخبار الله تعالى بادالة الروم فتنة تعرف لها الثابت من المتزلزل وكان من له كتاب احسن حالا
في الجملة ممن لا كتاب له
بتفصيل ذلك تصريحاً بعد ان اشار اليه بالاحرف المقطعة تلويحاً غيباً وشهادة
دلالة على وحدانيته وابطال الشرك فاثبت سبحانه ان له جميع الامر وانه ينصر المؤمنين ينصر من له دين صحيح الاصل وخذلان اهل العراق
في الباطل والجهل وجعل ذلك على وجه يفيد نصر المؤمنين على المشركين اي لتبديلهم دينهم غلبهم الفرس في زمن انوشروان او
بعده في ادنى الارض اي اقرب ارضهم الى ارضكم ايها العرب وهي اطراف الشام وفي تعيين مكان الغلب على هذا الوجه بشارة للعرب
بانهم يغلبونهم اذا واقعوهم فان مواقعتهم لهم تكون في مثل ذلك المكان وقد كان ذلك بما كشف عنه الزمان فكانه تعالى يقول لمن ترج
من العرب بنصر اهل فارس على الروم لنكاية المسلمين اتركوا الشر ودعوا هذا الذي لا يصير بخير من له همة الرجال واجمعوا انتم لكم
واجمعوا امركم لتواقعوهم في مثل هذا الموضع لتنصروا عليهم ثم لا ينا ويونكم بعدها ابداً فتغلبوا على بلادهم وتكونهم حصونهم واموالهم
ونسائهم وابنائهم وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما اعتب سبحانه اهل مكة ونعى عليهم قبح صنيعهم في التغافل عن الاعتبار بحالهم
وكونهم مع قلة عددهم قد منع الله بلدهم عن قاصد نهبه وكف ايدي العتاة والمتمردين عنهم مع تعاورايدي المنتهبين على من حولهم وتكرر
ذلك واطراده صوناً منه تعالى لحرمه وبيته فقال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرماً امناً ويتخطف الناس من حولهم اي اولم يكفهم هذا
في الاعتبار ويتبينوا ان ذلك ليس عن قوة منهم ولا حسن دفاع وانما هو بصون الله اياهم لمجاورة بيته وملازمة امنه مع انهم
اقل العرب افلا يرون هذه النعمة ويقابلونها بالشكر والاستجابة قبل ان يحل بهم نقمه ويسلبهم نعمه كما قد تدارك بهم بهذا
اعقب بذكر طائفة هم اكثر منهم واشد قوة واوسع بلاداً وقد ابدعلهم غيرهم ولم يغن عنهم انشارهم وكثرتهم فقال الم غلبت
الروم في ادنى الارض الايات فذكر تعالى غلبة غيرهم لهم وانهم سيكونون لهم كرة ثم يغلبون وما ذاك الا بنصر الله من يشاء من
عبيده ينصر من يشاء فلو كشف عن ابصار من كان بمكة من الكفار لراوا ان اعتصام بلادهم وسلامة ذرياتهم واولادهم مما سلط
على من حولهم من الانتهاب والقتل وسبي الذراري والحرم انما هو بمنع الله تعالى وكريم صونه لمن جاور حرمه وبيته والا فالروم
اكثر عدداً واطول مدداً ومع ذلك تتكرر عليهم النكبات والغارات وتتوالى عليهم الغلبات افلا يشكر اهل مكة من اطعمهم
من جوع وامنهم من خوف وايضاً فانه سبحانه لما قال وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان اتبع
ذلك سبحانه بذكر تقلب حالها وبين اضمحلالها وانها لا تصفو ولا تتم وانما حالها ابداً التقلب وعدم الثبات فاخبر بامر
هذه الطائفة التي هي من اكثر اهل الارض وامكنهم وهم الروم وانهم لا يزالون من علبهم واخرى لهم فاشبهت حالهم هذه
حال اللهو واللعب فوجب اعتبار العاقل بذلك وطلبه الحصول على نعيم دار لا ينقلب حالها ولا يتوقع انقلابها وزوالها
وان الدار الاخرة لهي الحيوان ومما يقوي هذا المأخذ قوله تعالى يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا اي لو علموا باطنها لتحققوا انها لهو
ولعب ولعرفوا امر الاخرة من عرف نفسه عرف ربه ومما يشهد لكل من القصدين ويعضد كلا الامرين قوله سبحانه اولم يسيروا
في الارض الايات اي لو فعلوا هذا وتاملوا الشاهد وامر تقلب احوال الامم وتغير الازمنة والقرون ما بين لهم عدم ابقائها
على العهد فيتحققوا لهوها ولعبها وعلموا ان حالهم سيؤول الى حال من ارتكب مرتكبهم في العناد والتكذيب وسوء النبأ والهلاك
انتهى ولما انبأ سبحانه بما اوجبه للروم من القهر بتبديلهم معبراً عنهم باداة التأنيث مناسبة لسفوطهم
اتبعه ما صنعه معهم لتفريح المحسنين من عباده الذين ختم بهم الامم ونسخ بملتهم الملل وادالهم على جميع الدول فقال
معبراً بما يقتضي الاستعلاء من ضمير الذكور العقلاء وهم اي الروم ودل على التبعيض وقرب الزمان باثبات الجار فقال
من بعد غلبهم الذي تم عليهم من غلبة فارس اياهم وهو من اضافة المصدر الى المفعول سيغلبون فارس فاكد وعد السين
وهو غني عن التاكيد جرياً على مناهج القوم لما وقع في ذلك من انكارهم في بضع سنين وذلك من ادنى العدد لانه في المرتبة
الاولى وهي مرتبة الاحاد وعبر بالبضع ولم يبين ابقاء للعباد في ربقة نوع من الجهل تعجيزاً لهم وتهديداً لمن عاند بنفي ما
اخبر به او بعلم ما ستر منه وتشريفاً للتعمية اذا ادت اليها مصلحة وشرح ذلك انه كان بين فارس والروم
حروب متواصلة وزحوف متكاثرة في دهور متطاولة الى ان التقوا في السنة الخامسة من نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم في زمن ابرويز
ابن هرمز بن انوشروان وظفرت فارس على الروم اخرج سنيد بن داود في تفسيره والواحدي في اسباب النزول والترمذي
في تفسير سورة الروم من جامعه وغيرهم وقد جمعت ما ذكروه وربما ادخلت بعض حديثهم في بعض قال سنيد عن عكرمة كانت في
فارس امراة لا تلد الا الابطال فدعاها كسرى فقال اني اريد ان ابعث الى الروم جيشاً واستعمل عليهم رجلاً من بنيك فاشيري
علي ايهم استعمل فاشارت عليه بولد يدعى شهربراز فاستعمله على جيش اهل فارس وقال الاستاذ ابو علي احمد بن محمد بن مسكويه في
كتاب تجارب الامم وعواقب الهمم فقالت تصف بنيها هذا فرخان انفذ من سنان هذا شهربراز احكم من كذا هذا فلان

اروغ من كذا فاستعمل ايهم شئت فاستعمل شهربراز انتهى وبعث قيصر رجلاً يدعى قطمير بجيش من الروم فالتقى مع شهربراز
باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب فغلبت فارس الروم وظهروا عليهم فقتلوهم وخربوا مدائنهم وقطعوا زيتونهم
وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان يظهر
الاميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم لان فارس لم يكن لهم كتاب وكانوا يجحدون البعث ويعبدون النار والاصنام وفرح
كفار مكة وشمتوا وقال الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما وكان المشركون يحبون ان يظهر اهل فارس على الروم لانهم واياهم اهل
الاوثان وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب انتهى فلقي المشركون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون واهل فارس اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم فان قاتلتمونا
لنظهرن عليكم فذكر ذلك ابو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فقال صلى الله عليه وسلم اما انهم سيغلبون
في بضع سنين قال الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ابو بكر رضي الله عنه لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك اجلاً فان
ظهرنا كان لنا كذا وكذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل اجل خمس سنين فلم يظهروا فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال الا جعلته الى دون يعني دون العشر فان البضع ما بين الثلاث الى التسع ثم ظهرت الروم بعد ذلك وروى الترمذي ايضاً عن
نيار بن مكرم الاسلمي رضي الله عنه وقال حديث حسن غريب قال لما نزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
في بضع سنين وكانت فارس يوم نزلت هذه الاية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم اهل
كتاب وفي ذلك قول الله تعالى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قريش تحب ظهور
فارس لانهم واياهم ليسوا باهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما نزلت هذه الاية خرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة
الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قال ناس من قريش لابي بكر رضي الله عنه فذلك
بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين افلا نراهنك على ذلك قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان
فارتهن ابو بكر رضي الله عنه والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لابي بكر رضي الله عنه كم تجعل البضع يعني البضع من
ثلاث سنين الى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطاً ننتهي اليه فسموا بينهم ست سنين فمضت الست سنون قبل ان
يظهروا واخذ المشركون رهن ابي بكر رضي الله عنه فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون
على ابي بكر رضي الله عنه تسميته ست سنين لان الله تعالى قال في بضع سنين قال ابن الجوزي في زاد المسير وقالوا هلا اقررتها
على ما اقرها الله لو شاء ان يقول ستاً لقال قال الترمذي في روايته واسلم عند ذلك ناس كثير وروى الترمذي ايضاً وال
في اسباب النزول عن ابي سعيد رضي الله عنه ان ظهور الروم عليهم كان يوم بدر وقال الزمخشري فيما ذكره من عند سنيد انه
كان يوم الحديبية وقال الزمخشري فيما ذكره فانه قال بعد ان ساق نحو ما مضى فقال لهم ابو بكر رضي الله عنهم عنه لا يعني
للمشركين لا يقر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل
بيننا وبينك اجلاً اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث
سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل
فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الذي جرحه به صلى الله عليه
وسلم في احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو
بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به انتهى وربما ايد القول بانه سنة الحديبية
ما في الصحيحين من حديث ابن عباس عن ابي سفيان رضي الله عنهم في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل وسؤال هرقل
لابي سفيان وفيه ان ذلك لما كشف الله عن قيصر جنود فارس ومشى من حمص الى ايلياء شكراً لما ابلاه الله ومن المعلوم ان كتاب
النبي صلى الله عليه وسلم اليه والى غيره من الملوك كان بعد الرجوع من الحديبية وهذه الاية من الايات البينة الشاهدة
الصادقة على صحة النبوة وان القران من عند الله نزل بالحق المبين لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى
وقطابقه الواقع وقال ابن الجوزي وفي الذي تولى وضع الرهان من المشركين قولان احدهما ابي بن خلف قاله قتادة والثاني ابو
سفيان بن حرب قاله السدي انتهى وذكر القصة ابو حيان في تفسيره البحر وادعى لمجاهد ان التقاءهم لما ظهرت فارس
كان بالجزيرة وعن السدي انه كان بارض الاردن وفلسطين وان ابا بكر رضي الله عنه لما اراد الهجرة طلب منه ابي بن خلف
كفيلاً بالخطر الذي كان بينهما في ذلك فكفل به ابنه عبد الرحمن رضي الله عنه فلما اراد ابي الخروج الى احد طلبه عبد الرحمن
بالكفيل فاعطاه كفيلاً وهلك اي من جرح جرحه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن الفرات في تاريخه كان بين
كسرى انوشروان وبين ملك الروم هدنة فوقع بين رجلين من اصحابهما فبغى الرومي على الفارسي فارسل كسرى الى ملك الروم بسببه
ثم لم يحفل برسالته فغزاه كسرى في بضع وكانت اخصل مدينة بالشام وسبعين الف مقاتل فاخذ مدينة دارا والرها

ومنبج وقنسرين وحلب وانطاكية وكانت افضل مدينة بالشام وفامية وحمص ومدنا كثيرة واحتوى على ما كان فيها وسبى
اهل انطاكية ونقلهم الى ارض السواد وكان ملك الروم يؤدي اليه الخراج ولم يزل مظفرا منصورا تهابه الامم ويحضر
بابه من وفودهم عدد كثير من الترك والصين والخزر ونظرائهم وقال ايضا في ملك ابرويز بن هرمز بن انوشروان وكان
شديد الفطنة قوي الذكا بعث الاصبهبد يعني شهربراز مرة الى الروم فاخذ خزائن الروم وبعث بها الى كسرى فخاف كسرى
ان يتغير عليه الاصبهبد لما قد ناله من الظفر فبعث يقتله فجا الرجل اليه فراى من عقله وتدبيره ما منعه من قتله وقال
مثل هذا لا يقتل واخبره ما جا لاجله فبعث الى قيصر ملك الروم اني اريد ان القاك فالتقيا فقال له ان الخبيث قد هم بقتلي
واني اريد اهلاكه فاجعل لي من نفسك ما اطمئن اليه واعطيك من بيوت امواله مثل ما اصبت منك فاعطاه المواثيق وسار
قيصر في اربعين الف مقاتل فنزل بكسرى فعلم كسرى كيف قد جرى الحال فدعا قسا نصرانيا وكتب معه كتابا وقال
ابن مسكويه وكان ابرويز وجه رجلا من جلة اصحابه في جيش جرار الى بلاد الروم فانكا فيهم وبلغ منهم وفتح الشامات
وبلغ الدرب في آثارهم فعظم امره وخافه ابرويز فكاتبه بكتابين يامره في احدهما ان يستخلف على جيشه من يثق به ويقبل
اليه ويامره في الاخر ان يقيم بموضعه فانه لما تدبر امره واجال الراي لم يجد من يسد مسده ولم يامن الخلل ان غاب عن موضعه
وارسل بالكتابين رسولا من ثقاته وقال له اوصل الكتاب الاول بالامر بالقدوم فان خف لذلك فهو ما اردت وان كره وتثاقل
عن الطاعة فاسكت عليه اياما ثم اعلمه ان الكتاب الثاني ورد عليك واوصله اليه ليقيم بموضعه فخرج رسول كسرى حتى
ورد على صاحب الجيش ببلاد الشام فاوصل الكتاب اليه فلما قراه قال اما ان يكون كسرى قد تغير لي وكره موضعي او يكون قد اختلط
عقله بصرف مثلي وانا في نحر العدو فدعا اصحابه وقرا عليهم الكتاب فانكروه فلما كان بعد ثلاثة ايام اوصل اليه الكتاب
الثاني بالمقام واوهمه ان رسولا ورد به فلما قراه قال هذا تخليط ولم يقع منه موقعا ودس الى ملك الروم من ناظره
في ايقاع صلح بينهما على ان يخلي الطريق لملك الروم حتى يدخل بلاد العراق على غرة من كسرى وعلى ان لملك الروم ما يغلب عليه
من دون العراق وللفارسي ما وراء ذلك الى بلاد فارس فاجابه ملك الروم الى ذلك وتنحى الفارسي عنه في ناحية من الجزيرة
واخذ افواه الطرق فلم يعلم كسرى حتى ورد خبر ملك الروم عليه من ناحية قرقيسيا وكسرى غير معد وجنده متفرقون
في اعماله فوثب من سريره مع قراءة الخبر وقال هذا وقت حيلة لا وقت شدة وجعل ينكت في الارض مليا ثم دعا برق وكتب
فيه كتابا صغيرا بخط دقيق الى صاحبه بالجزيرة يقول فيه قد علمت ما كنت امرتك به من مواصلة صاحب الروم و
الطاعة في نفسك وتخلية الطريق له حتى اذا توغل في بلادنا اخذته من امامه وتاخذه انت ومن ندبناه لذلك من خلفه
فيكون ذلك بواره وقد تم في هذا الوقت ما دبرناه وميعادك في الايقاع به يوم كذا ثم دعا راهبا كان في دير بجانب
مدينته وقال اي جار كنت لك قال افضل جار قال فقد بدت لنا اليك حاجة فقال الراهب الملك
اجل من ان يكون له حاجة الى مثلي ولكن عندي بذل نفسي في الذي يامر به الملك قال كسرى تحمل لي كتابا الى فلان صاحبي وقال
ابن الفرات الى الاصبهبد ولا تطلع على ذلك احدا واعطاه الف دينار قال نعم قال كسرى فانك تجتاز باصحاب النصارى
فاخفه قال نعم فلما ولى عنه الراهب قال له كسرى اعلمت ما في الكتاب قال لا قال فلا تحمله حتى تعلم ما فيه فلما قراه ادخله
في جيبه ثم مضى فلما صار في عسكر الروم نظر الى الصلبان والقسيسين وضجيجهم بالتقديس والصلوات فاحترق
قلبه لهم واشفق مما خاف ان يقع بهم وقال في نفسه انا شر الناس ان حملت بيدي حتف النصرانية وهلاك هؤلاء الخلق
فصاح انا لم يحملني كسرى رسالة ولا معي له كتاب فاخذوه فوجدوا الكتاب معه وقد كان كسرى وجه رسولا قبل ذلك
اختصر الطريق حتى مر بعسكر الروم كانه رسول الى كسرى من صاحبه الذي طابق ملك الروم ومعه كتاب فيه
ان الملك قد كان امرني بمقاربة ملك الروم وان اخدعه واخلي له الطريق فياخذه الملك من امامه واخذه انا من خلفه
وقد فعلت ذلك فراى الملك في اعلامي وقت خروجه اليه فاخذ ملك الروم الرسول وقرا الكتاب وقال عجبت ان يكون
هذا الفارسي ليدهن على كسرى ووافاه ابرويز بمن امكنه من جنده فوجد ملك الروم قد ولى هاربا فاتبعه يقتل في
ويأسر من ادرك وبلغ الاصبهبد هزيمة الروم فاحب ان يجلي نفسه ويستر ذنبه لما فاته ما دبر فخرج خلف الروم
الهاربين فلم يسلم منهم الا القليل وقال ابن الفرات فخرج القس بالكتاب واوصله الى قيصر فقال ما اراد الا هلاكنا
وانهزم فاتبعه كسرى فنجى في شرذمة يسيرة وافتتح كسرى ابرويز عدة من بلاد اعدائه وبلغت خيله القسطنطينية
وافريقية وقد ذكر ابن مسكويه ايضا ما يمكن ان يكون المراد بالاية وشرح اسباب ذلك فذكر ان هرمز بن انوشروان
لما بعث بهرام بن بهرام الملقب جوبين الى ملك الترك وظفر به ثم بابنه اتهمه في السبي ولم ياذن له في الرجوع بل امره
بالتقدم فيما لم يره بهرام صوابا وخاف مخالفته وقد كان هرمز حسن السيرة جدا اديبا اريبا داهيا الا ان عرقا
قد نزعه اخواله من الترك فكان لذلك مبغضا للاشراف واهل البيوتات والعلما ولم يكن له راي الا في السفلة

واستصلاحهم

واستصلاحهم ففسدت عليه نيات الكرام من جنده فلما خافه بهرام جمع وجوه عسكره وخرج عليهم في زي النسا وبيده مغزل وقطن
ثم جلس في موضعه ووضع بين يدي كل واحد منهم مغزلا وقطنا فاستفظعوا ذلك فقال ان كتاب الملك ورد علي بذلك فلا بد من
امتثال امره ان كنتم طائعين فابوا وخلعوا هرمز واظهروا ان ابنه ابرويز اصلح للملك منه فلما سمع بذلك ابرويز خاف اباه على نفسه
فهرب الى اذربيجان ولما بلغ الجند الذين بحضرة هرمز خلعه اعجبهم فضعف امره ثم اجمعوا على خلعه فخلعوه وسملوه فكوتب
ابرويز بذلك فبادر بهرام فسبقه وجلس على سرير الملك فاطاعه الناس ودخل على ابيه واعلمه انه نائبه واعتذر اليه
بان ما حصل له لم يكن عن رايه ولا برضاه ولا كان حاضرا حتى يذب عنه فعذره وقصد بهرام فجرت بينهما امور طويلة وحروب
هائلة ضعف فيها ابرويز ولحق من اصحابه فتورا وتبين فيهم فشلا فصار الى ابيه وشاوره فراى له المصير الى ملك الروم فمضى
الى ذلك في عدة يسيرة فيهم بندويه وبسطام خالاه وكردي اخو بهرام وكان مائلا لاخيه بهرام ومناصحا لابرويز فقطعوا الفرات
وصاروا الى دير في اطراف العمارة فلحقتهم خيل بهرام فقال بندويه لابرويز اعطني بزتك وزينتك لاحتال لك وابذل نفسي
دونك ففعل فامره بالنجا بمن معه واقام هو في الدير فلما احيط به اطلع بندويه من فوق الدير فاوهمهم انه ابرويز بما عليه
من البزة والزينة فظنوه وسالهم الامهال الى غد ليسلمهم نفسه فامسكوا وحفظوا الدير بالحرس فلما اصبحوا اطلع عليهم
وقال ان علي وعلى اصحابي بقية شغل من استعداد لصلوات وعبادات فامهلونا ولم يزل يدافع حتى مضى عامة النهار وعلم
ان ابرويز قد فاتهم ففتح حينئذ واعلم قائدهم بامرهم فانصرف به الى بهرام جوبين فحبسه ولما وصل ابرويز الى انطاكية
كاتب ملك الروم وساله نصرته فاجابه وتواددا الى ان زوجه ابنته مريم وحملها اليه وبعث اليه بستين الف مقاتل
فيهم اخوه ثياذوس وساله ترك الاتاوة التي كان اباؤه يسالونها ملك الروم اذ هو ملك فاغتبط بهم ابرويز وسار
بهم فلما وصل الى اذربيجان انضم اليه كثير من اهل فارس فاستظهر على بهرام فقصد بهرام بلاد الترك فاكرمه ملكها
ولم يزل ابرويز يلاطف ملك الروم الذي نصره حتى وثبت الروم عليه في شي انكروه منه فقتلوه وملكوا غيره ولجا ابنه
الى ابرويز [illegible] على الروم وارسل معه جنودا كثيفة عليهم شهربراز فدوخ بهم البلاد وملك صاحب كسرى بيت
المقدس وقصد قسطنطينية فاناخوا على ضفة الخليج القريب منها ولم يخضع لابن الملك الذي توجه كسرى احد من الروم
وكانوا قد قتلوا الذي ملكوه بعد ابيه لما ظهر من جوره وسوء تدبيره وملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل وقال
ابن الفرات ان ابرويز بعث مع ابن الملك الذي كان نصره ثلاثة من قواده في جنود كثيفة اما احدهم فكان يقال له رميوزان
وجهه الى بلاد الشام فدوخها حتى انتهى الى ارض فلسطين وورد بيت المقدس واخذ اسقفها ومن كان فيها من القسيسين
وسائر النصارى بخشبة الصليب وكانت قد دفنت في بستان في تابوت من ذهب وزرع فوقها مبقلة فدلوه عليها
فحفر واستخرجها وبعث بها الى كسرى في سنة اربع وعشرين من ملكه واما القائد الثاني وكان يقال له شاهين فسار حتى احتوى
على مصر والاسكندرية وبلاد النوبة وبعث الى كسرى بمفاتيح مدينة الاسكندرية في سنة ثمان وعشرين من ملكه واما القائد الثالث
وكان يقال له فرهان فانه قصد قسطنطينية حتى اناخ قريبا منها وخيم هنالك فامر كسرى بتخريب بلاد الروم غضبا مما
انتهكوا من موريق يعني الملك الذي كان نصره وفعل هذا لاجل ابنه وانتقاما له منهم ولم يخضع لابن الملك الذي فعل هذا لاجله
احد من الروم لانهم لما قتلوا الملك قوما ملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل ثم اتفقا ابن الفرات وابن مسكويه فقالا فلما راى
هرقل عظيم ما فيه بلاد الروم من تخريب جنود فارس اياها وقتلهم مقاتلتهم وسبيهم ذراريهم واستباحتهم اموالهم تضرع
الى الله تعالى واكثر الدعا والابتهال فيقال انه راى في منامه رجلا ضخم الجثة رفيع المجلس عليه قد دخل عليهما داخل فالقى ذلك
الرجل عن مجلسه وقال لهرقل اني قد سلمته في يدك فلم يقصص رؤياه تلك في يقظته حتى توالت عليه امثالها فراى في بعض
لياليه كان رجلا دخل عليهما وبيده سلسلة طويلة فالقاها في عنق صاحب المجلس الرفيع عليه ثم دفعه اليه وقال له ها قد
دفعت اليك كسرى برمته قال ابن الفرات فاغزه فانك مدال عليه ونائل امنيتك في غزاتك فلما تتابعت عليه هذه الاحلام
قصها على عظما الروم وذوي العلم منهم فاشاروا عليه ان يغزوه فاستعد هرقل واستخلف ابنه على مدينة قسطنطينية
واخذ غير الطريق الذي فيه شهربراز صاحب كسرى وسار حتى وغل في بلاد ارمينية ونزل نصيبين بعد سنة وقد كان
صاحب ذلك الثغر من قبل كسرى استدعي لموجدة كانت من كسرى عليه واما شهربراز فكانت كتب كسرى ترد عليه في
الجثوم على الموضع الذي هو به وترك البراح ثم بلغ كسرى تساقط هرقل في جنوده الى نصيبين فوجه لمحاربة هرقل رجلا
من قواده يقال له راهزاد في اثني عشر الفا من الانجاد وامره ان يقيم بنينوى وهي التي تدعى الان الموصل على شاطئ
دجلة ويمنع الروم ان يجوزوها وكان كسرى بلغه خبر هرقل وانه مغذ وهو يومئذ مقيم بدسكرة الملك فنفذ راهزاد
لامر كسرى وعسكر حيث امره فقطع هرقل دجلة من موضع اخر الى الناحية التي كان فيها جند فارس فاذكى راهزاد العيون
عليه فانصرفوا اليه فاخبروه انه في سبعين الف مقاتل فايقن راهزاد انه ومن معه من الجند عاجزون عن مناهضته

عن مناهضته فكتب الى كسرى عن من دهمهم هرقل اياه بمن لا طاقة له ولمن معه بهم لكثرتهم وحسن عدتهم قال ابن الفرات
فكتب كسرى انكم ان عجزتم عن الروم لم تعجزوا عن بذل دمائكم في طاعتي فلما اتاه بعث على راهزاذ جوابات كسرى بذل الكعبي
جنده وناهض الروم بهم فقتل الروم راهزاذ وستة الاف رجل وانهزمت بقيتهم وهربوا على وجوههم وبلغ كسرى
قتل الروم راهزاذ وما نال هرقل من الظفر فهده ذلك وانحاز من مسكن الملك الى المداين وتحصن بها لعجزه كان عن محاربة
هرقل وسار هرقل حتى كان قريبا من المداين قال ابن الفرات فاستعد كسرى لقتاله ثم خالف كسرى ملك الروم فرجع الى البلاد
لحمل خزاينه في البحر فعصفت الريح فالقتها بالاسكندرية فظفر بها اصحابه من الروم وذكر المسعودي في هذا الخلاف
بعض المخالفة فقال وثب بطريق من بطارقة الروم يقال له قاقوس فيمن اتبعه على موريقس ملك الروم حمو ابرويز وشحده
فقتلوه وملكوا قوقاس ونمى ذلك الى ابرويز فغضب لحموه وسير الى الروم الجيوش فكانت له في ذلك اخبار يطول ذكرها
وصير شهرباز مرزبان المغرب الى حرب الروم فنزل انطاكية وكانت له مع ملك الروم وابرويز اخبار ومكاتبات
وحيل الى ان خرج ملك الروم الى حرب شهرباز وقدم خزاينه في البحر في العمر كب فالقتها الريح الى ساحل انطاكية
فغنمها شهرباز وحملها الى ابرويز فسميت خزاين الريح ثم فسدت الحال بين ابرويز وشهرباز ومايل شهرباز ملك الروم
ملك الروم فسيره شهرباز نحو العراق الى ان انتهى الى النهروان فاحتال ابرويز في كتب كتبها مع بعض اساقفة النصرانية
ممن كان في ذمته حتى ردوه الى القسطنطينية وافسد الحال بينه وبين شهرباز وقال ابو حيان وسبب ظهور الروم
ان كسرى بعث الى شهربراز وهو الذي ولاه على محاربة الروم ان اقتل اخاك فرخان انتهى وهذا موتمة ما تقدم في خبر
المراة التي كانت لا تلد الا الابطال وان كسرى بعث ابنها شهربراز الى حرب الروم فظهر عليهم قال ابن مسكويه فلما ظهر فارس
على الروم جلس فرخان يشرب الخمر فقال لاصحابه لقد رايت كاني جالس على سرير كسرى فبلغت مقالته كسرى فكتب الى شهربراز
اذا اتاك كتابي هذا فابعث الي براس فرخان فكتب اليه ايها الملك انك لن تجد مثل فرخان فان له نكاية في العدو وصوتا
فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا منه فعجل علي براسه فراجعه فغضب كسرى وبعث بريدا الى اهل فارس اني قد
نزعت عنكم شهربراز واستعملت فرخان ثم دفع الى البريد صحيفة صغيرة وقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد له اخوه فاعطه
فلما قرا شهربراز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع البريد الصحيفة اليه فقال ايتوني بشهر
براز فقدمه ليضرب عنقه فقال لا تعجل حتى اكتب وصيتي قال افعل فدعا بسفط فاعطاه ثلاث صحايف وقال كل هذا
راجعت فيك كسرى وانت اردت ان تقتلني بكتاب واحد فرد الملك على اخيه فكتب شهربراز الى قيصر ملك الروم ان لي اليك حاجة
لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني ولا تلقني الا في خمسين روميا فاني ايضا القاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر
في خمس مائة رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف ان يكون قد مكر به حتى اتاه عيونه انه ليس معه الا خمسون
رجلا ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما واجتمعا ومع كل واحد منهما سكين ودعوا ترجمانا بينهما فقال شهربراز
ان الذين خربوا مداينك وبلغوا امنك ومن جندك ما بلغوا انا واخي بشجاعتنا وكيدنا وان كسرى حسدنا فاراد ان اقتل اخي
فابيت ثم امر اخي ان يقتلني فقد خلعناه جميعا فنحن نقاتله معك قال قد اصبتما ووفقتما ثم اشار احدهما الى صاحبه
ان السر انما يكون بين اثنين فاذا جاوز اثنين فشا قال صاحبه اجل فقاما جميعا الى الترجمان بسكينيهما فقتلاه واتفقا
على قتال كسرى فتعاون شهربراز وهرقل على كسرى فغلبت الروم فارس وذكر ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
في اوايل فتوح مصر نحو هذا الحديث من حديث ابن عباس رضي الله عنهما انه سمع عمر رضي الله عنه يسال الهرمزان عن سبب ظهور الروم
على كسرى فاخبره به وكان مما مكن الخلاف عليه ايضا انه كان طلب الذين هربوا بعد قتل قايدهم راهزاذ وامر بان يقتلوا
انهزامهم فاخرجهم بهذا الى الخلاف عليه وطلب الحيل لنجاة انفسهم منه فان كانت الوقعة التي غلبت الروم فيها باذرعات او
الاردن فهي ادنى ارض الروم اي اقربها الى مكة المشرفة وان كانت بالجزيرة فهي ادنى بالنظر الى كسرى هذا ما تحقق فيه الاية
في ظاهر العبارة وصريحها مع ما انضم الى ذلك من ادالة العرب على الفرس ايضا في هذا الوقت في وقعة ذي قار كما بينته في
شرحي لنظمي للسيرة النبوية المسمى نظم الجواهر من سيرة سيد الاوايل والاخر وسياتي ملخصه قريبا حتى يقال ان نصر الروم
والعرب ونصرة المسلمين في بدر كانت في ان واحد ومن اعاجيب ما دخل تحت مفهوم الاية من لطايف المعجزات
في باطن الاشارة وتلويحها ان زماننا هذا كان قد غلب فيه على ملك مصر جندها الغرباء من الترك وغيرهم ثم اختص به الشراكسة
منهم من نحو مائة سنة وهم ممن ليس له كتاب في الاصل وان كان اسلامهم قد حجب ما كانوا عليه من قبل وكانوا اذا مات
احدهم وله ابن ولوا ابنه لاجل مماليكه واتباع ابيه الى ان يعملوا الحيلة في خلعه وكان اكثر اولادهم يكون صغيرا او في حكمه
حتى كانت سنة خمس وستين وثمانمائة فصادف ان المتولي لها من اولادهم المويد احمد بن الاشرف اينال العلاي وكان قد ناهز
الاربعين وكان عنده حزم ووداد وزادت مدة ولايته بعد ابيه على اربعة اشهر فثقل عليهم جدا وكان الامير الكبير خشقدم

احد

احد مماليك المويد شيخ وهو رومي وكانت عادتهم انهم اذا خلعوا احدا من ابناء الملوك ولوا الملك من كان في الامرة الكبرى فاختار
الشراكسة ولايته وان كان من غيرهم على ولاية من ولد في الاسلام في بلاد العرب فاعملوا الحيلة في امره الى ان اجمع رايهم كلهم
على خلعه حتى مماليكه ومماليك ابيه فقاموا في ذلك قومة رجل واحد في اواخر شهر رمضان من السنة المذكورة فلما لم يجد له ناصرا
اسلم نفسه في اليوم الثاني من ثورتهم عليه فعرضوا الولاية على شخص منهم فلم ير التقدم على اكبر منه في المرتبة فاشار الى الامير
الكبير فولوه ثم اجتهد بعضهم في نزعه فلم يقدره الله على ذلك ولم يجمع كلمتهم على احد وقام هو في الامر بجد عظيم وحزم ولين
في شدة وعزم حتى استحكم امره وعظم قدره وحسب عدد بضع بالجمل فاذا هو اثنان وسبعون وثمانمائة وهو مقدار ما
مضى من السنين من حين نزول الاية الى حين ولايته وذلك ان نصر اهل فارس على الروم كما مضى كان في السنة الثامنة من النبوة
وحينئذ نزلت الاية فاذا قلنا ان نزولها كان في شهر رمضان من تلك السنة كان قبل الهجرة بست سنين اذا جعلنا
كسر الثامنة سنة وقد كانت وقعة بدر في سابع عشر شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة في الشهر السابع عشر
فيكون نصر الروم اذا صححنا كما هو الذي ينبغي ان لا يعتقد غيره لدلالة القران العظيم عليه كما ياتي الاشارة اليه انه في سنة
غزوة بدر في اخر السنة السابعة من حين نزول الاية وتكون ولاية السلطان خشقدم لكونها في اواخر شهر رمضان في ابتدا
سنة ست وستين من الهجرة فاذا ضممت اليها الست التي كانت قبل الهجرة كانت الجملة ثمانمائة واثنين وسبعين على عدد بضع
المنظوم في الاية سواء وان صححنا كما ابدع ما في الصحيح عن ابي سفيان ان نصر الروم كان وقت الحديبية وذلك في ذي القعدة
سنة ست من الهجرة وقلنا كان نزول الاية قبل الهجرة بشهرين ونحوهما صح ان نصر الروم كان عند دخول السنة السابعة
من نزول الاية كما في رواية الترمذي عن نيار رضي الله عنه وكان الموافق لعدد البضع سنة اثنين وسبعين وثمانمائة من
الهجرة وفيها غلب شخص من الروم وذلك ان الظاهر خشقدم مات في ربيع الاول سنة اثنين وسبعين تولى بعده الامير الكبير يلبيه
وهو من الشراكسة فلم ينتظم له الامر فخلع في جمادى الاولى منها وولي الامير الكبير تمربغا ولقب الظاهر وهو رومي فكان ذلك
من الايات الباهرات ان وافق هذا الامر العدد المذكور على كلتي الروايتين رواية من قال ان النصر كان يوم بدر ورواية من قال
كان يوم الحديبية ولولا ولاية يلبيه ما صح الاتحاد مما ان في ذلك لعبرة هذا ان عددنا احاد السنين وان عددنا باعتبار
مئات فهو في بضع منها فانه في المائة التاسعة كما اشار اليه الاستاذ ابو الحكم عبد السلام بن برجان في تفسيره فقال حكمة الله
جل ذكره في دواير التقدير ان يرجع فيها اواخر الحكم على اوايلها ومن الدواير مقدره ومنها موسعة على مقدار مشية الله فيها وبهما
ولما اخبر تعالى عن الروم انهم غلبوا في ادنى الارض وهو بلد الشام كان اخبارا منه عما يكون والله اعلم وبشارة بشر بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان ذلك سيكون يعني ان معنى غلبت سيغلبا للمفعول ان كان بالنسبة الى فارس كان المعنى وقع غلبها وان كان
بالنسبة الى المسلمين كان المعنى قرب زمان غلبها على ايدي المسلمين ثم قال فكان ذلك في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه غلبهم
على بلاد الشام واستخرج بيت المقدس عن ايديهم والبضع من الثلاث الى التسع وكان نزول هذه السورة بمكة فكان ذلك في داخل
بضع اسابيع سنين على راس عشرين الى ثمان وعشرين سنة ثم لم يزل الفتح بعد ذلك يتصل ويتتابع الى نهاية سبقت في التقدير
ثم ذكر عود التقدير باستيلاء الروم على بعض اطراف الشام ثم باستنقاذ المسلمين ذلك منهم ونظر الى ذلك تارة بحسب الاسابيع
وتارة بحسب احاد المئات وتارة بغير ذلك وصحح وقوعه في البضع بالغالبية والمغلوبية مرة بعد اخرى وهو من بدايع
الانظار ودقايق الاسرار الكبار ولما كان تغليب ملك على ملك من الامور الهايلة وكان الاخبار به قبل كونه اهول
اقتضى السياق العناية بالروم فكان ربما توهم ان غلب فارس لهم في تلك
ذكر علة ذلك فقال **لله** اي وحده **الامر** لان امره تعالى مبدي
الواقعة وتاخير نصرهم الى البضع ربما كان لمانع لم يقدر على ازالته نفى ذلك باثبات الجار المعيد
من الزمن الذي كان قبل غلبهم حتى لم تغلبهم فارس الاية وهو مبتدي من الزمن الذي بعده فلا تاخير به لا يعتري حكمه دركها
سبحانه فقال **من قبل** اي قبل دولة اهل فارس على الروم ثم دولة الروم على فارس لا الى غاية تكون مبدا الاختصاص بالامر
فيه سبحانه غلبوهم **ومن بعد** اي بعد دولة الروم عليهم ودولتهم على الروم لا الى غاية ايضا فيه غلبتهم الروم تحذف
المضاف اليه هو الذي افهمه ان من غلب فارس لهم وما بعده من البضع مذكور دخوله في امره مرتين ولما اخبر بهذه
المعجزة تلاها بمعجزة اخرى وهو ان اهل الاسلام لا يكون لهم ما يهمهم فيسرون بنصرهم فقال **ويومئذ** اي اذ تغلب الروم
على فارس **يفرح المومنون** اي العريقون في هذا الوصف من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **بنصر الله** اي الذي لا راد لامره لاهل
الكتاب عامة نصرهم على المشركين في غزوة بدر وهو المقصود بالذات ونصر الروم على فارس لتصديق موعود الله ونصر
من سيصير من اهل الكتاب الخاتم من مشركي العرب على الفرس في وقعة ذي قار فقد وقع الفرح بالنصر الذي ينبغي اضافته
الى الله وهو نصر اهل الدين الصحيح اصلا وحالا ومالا وسوق الكلام على هذا الوجه الذي يحتمل الثلاثة من بدايع الاعجاز
انه كان ابرويز هذا الذي غلب الروم ثم غلبته الروم قد غضب على النعمان بن المنذر ملك
سبب وقعة ذي قار

العرب فاتى النعمان هانى بن مسعود بن عامر الشيبانى فاستودعه ماله واهله وولده والف شكة او اربعة الاف شكة والشكة
بكسر المعجمة وتشديد الكاف السلاح كله ووضع وضايع عند احيا العرب ثم هرب فاتى طيئا لصهره فيهم وكانت عنده
فرعة بنت سعيد بن حارثة بن لام فابوا ان يدخلوه جبلهم واتته بنو رواحة بن ربيعة بن عبس فقالوا له ابيت اللعن اقم عندنا
فانا مانعوك مما نمنع منه انفسنا فقال ما احب ان تهلكوا بسببى فجزيتم خيرا ثم خرج حتى وضع يده فى يد كسرى فحبسه بساباط
وقال ابن مسكويه بخانقين فلم يزل فى السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه قال والناس يظنون انه مات بساباط والصحيح ما
حكيناه فلما مات النعمان جعلت بكر بن وايل تغير فى السواد فغضب من ذلك كسرى ثم بعث الى هانى بن مسعود يقول له ان النعمان
انما كان عاملى وقد استودعك ماله واهله والحلقة فابعث الى بها ولا تكلفنى ان ابعث اليك والى قومك بالجنود تقتل
المقاتلة وتسبى الذرية فبعث اليه هانى ان الذى بلغك باطل وما عندى شىء وان يكن الامر كما قيل فانما انا احد رجلين اما
رجل استودع امانة فهو حقيق ان يردها على من استودعها ولن يسلم الحر امانته او رجل مكذوب عليه وليس ينبغى للملك ان ياخذ
بقول عدو او حاسد وكانت الاعاجم لهم قوة وحلم وكانوا قد سمعوا ببعض حلم العرب وان الملك كاين فيهم فلما ورد عليه كتاب
هانى بهذا حملته الشفقة ان يكون لك قد اقترب على ان خرج بنفسه فاقبل حتى قطع الفرات فنزل غمر بنى مقاتل وقد
احنقه ما صنع بكر بن وايل فى السواد ومنع هانى اياه ما منعه ودعا كسرى اياس بن قبيصة الطاى وكان عامله على عين التمر
وما والاها فاستشاره فى الغارة على بكر بن وايل فقال له اياس ان الملك لا يصلح ان يعصيه احد من رعيته وان تطعنى لم
تعلم احدا لاى شىء عبرت وقطعت الفرات فيرون ان امرا من العرب قد كربك ولكن ترجع وتضرب عنهم وتبعث عليهم العيون
حتى ترى منهم غرة ثم ترسل حينئذ كتيبة من العجم فيها بعض القبايل التى تليهم فيوقعون بهم وقعة الدهر ويأتونك بطلبتك فقال
كسرى انت رجل من العرب وبكر بن وايل اخوالك فانت تتعصب لهم ولا تالوهم نصحا فقال اياس الملك افضل رايا فقام عمرو وك
عدى بن زيد العبادى وكان كاتبه وترجمانه بالعربية فى امور العرب فقال اقم ايها الملك وابعث اليهم بالجنود يكفوك وقام
اليه النعمان بن زرعة من ولد السفاح التغلبى فقال له ايها الملك ان هذا الحى من بكر بن وايل اذا قاظوا تهافتوا على ماء لهم يقال له
ذو قار تهافت الفراش فى النار فعقد للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر وعقد لخالد بن يزيد البهرانى على قضاعة واياد وعقد لاياس
ابن قبيصة على جميع العرب ومعه كتيبتاه الشهبا والدوسر فكانت العرب ثلاثة الاف وعقد للهامرز على الف من الاساورة
وعقد لخيارزين على الف وبعث معهم باللطيمة وهى عير كانت تخرج من العراق فيها البز والعطر والالطاف توصل ذلك الى باذان
عامل كسرى على اليمن وقال اذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها الى اليمن وامر عمرو بن عدى ان يسير بها وكانت العرب تخفر بهم حتى
تبلغ اللطيمة اليمن وعهد كسرى اليهم اذا شارفوا بلاد بكر بن وايل ان يبعثوا اليهم النعمان بن زرعة فان اتوكم بالحلقة ومائة
غلام منهم يكونون رهنا بما احدث سفهاؤهم فاقبلوا منهم والا فقاتلوهم فلما بلغ الخبر بكر بن وايل سار هانى بن مسعود حتى نزل
بذى قار واقبل النعمان بن زرعة حتى نزل على ابن اخته مرة بن عبد الله العجلى فحمد الله واثنى عليه ثم قال انكم اخوالى واحد طرفى
وان الرايد لا يكذب اهله وقد اتاكم ما لا قبل لكم به من احرار فارس وفرسان العرب والكتيبتان الشهبا والدوسر وان فى الشر
خيارا ولان يفدى بعضكم بعضا خير من ان تصطلموا انظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهنا من ابنايكم اليه بما احدث
سفهاؤكم فقال له القوم ننظر فى امورنا وبعثوا الى من يليهم من بكر بن وايل وبرزوا ببطحا ذى قار بين الجلهتين وجلهة
الوادى مقدمه مثل جلهة الراس اذا ذهب شعره وجعلت بكر بن وايل حين بعثوا الى من حولهم من قبايل بكر لا ترفع لهم جماعة
الا قالوا سيدنا فى هذه الجماعة الى ان رفعت لهم جماعة فيها حنظلة بن ثعلبة بن سنان العجلى فقالوا يا ابا معدان لقد طال
انتظارنا وقد كرهنا ان نقطع امرا دونك وهذا ابن اختك النعمان بن زرعة قد جانا والرايد لا يكذب اهله قال فما الذى
اجمع رايكم عليه قالوا قلنا اللخى اهون من الوهى وان فى الشر خيارا ولان يفدى بعضنا بعضا خير من ان نصطلم جميعا فقال
حنظلة قبح الله هذا رايا لا تجر احرار فارس غرلها ببطحا ذى قار وانا اسمع صوتا ثم امر بقبته فضربت بوادى ذى قار
ونزل ونزل الناس فاطافوا به ثم قال لهانى بن مسعود يا ابا امامة ان ذمتكم ذمتنا عامة وانه لن يوصل اليك حتى تفنى
ارواحنا فاخرج هذه الحلقة ففرقها بين قومك فان تظفر فسترد عليك وان تهلك فاهون مفقود فامر بها فاخرجت
ففرقها بينهم ثم قال حنظلة للنعمان لولا انك رسول لما انت الى اهلك سالما فرجع النعمان الى اصحابه فاخبرهم فباتوا ليلتهم
يستعدون للقتال وبات بكر بن وايل يستعدون للحرب فلما اصبحوا اقبلت الاعاجم نحوهم وامر حنظلة بالظعن جميعا فوقفها
خلف الناس ثم قال يا معشر بنى بكر بن وايل قاتلوا عن ظعنكم او دعوا واقبلت الاعاجم يسيرون على تعبية وكان ربيعة بن
غزالة السكونى ثم التجيبى يومئذ هو وقومه نزولا فى بنى شيبان فقال يا بنى شيبان اما انى لو كنت منكم لاشرت عليكم
براى مثل عروة العلم قالوا وانت والله من اوسطنا فاشر علينا قال لا تستهدفوا لهذه الاعاجم فتهلككم بنشابها ولكن
تكردسوا لهم كراديس فيشد عليهم كردوس فاذا اقبلوا عليه شد الاخر قالوا فانك قد رايت رايا ففعلوا فلما التقى الزحفان

وتقاربا القوم قام حنظلة بن ثعلبة فقال يا معشر بكر بن وايل ان النشاب الذى مع الاعاجم يعرفكم فاذا ارسلوه لم يخطكم فعا
جلوهم اللقا وابدؤهم ثم قام هانى بن مسعود فقال يا قوم مهلك معذور خير من منجى مغرور وان الحذر لا يدفع القدر وان الصبر من اسباب
الظفر المنية ولا الدنية واستقبال الموت خير من استدباره يا قوم جدوا فما من الموت بد فتح لو كان له رجال اسمع صوتا ولا ارى
فوتا يا لبكر شدوا واستعدوا وان لا تشدوا تردوا ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل فقال يا قوم انما تهابونهم انكم ترونهم عند
الحفاظ اكثر منكم وكذلك انتم فى عيونهم فعليكم بالصبر فان الاسنة تردى الاعنة يا لبكر قدما قدما ثم قام عمرو بن جبلة
اليشكرى فقال

يا قوم لا تغرركم هذى الخرق ۝ ولا وميض البيض فى الشمس برق
من لم يقاتل منكم هذى العنق ۝ فجنبوه اللحم واسقوه المرق

ثم قام حنظلة بن ثعلبة الى وضين امراته فقطعه ثم تتبع الظعن يقطع وضنهن لئلا تفر عنهن الرجال والوضين بطان الناقة فسمى
يومئذ مقطع الوضن وقال ابن مسكويه انه لما قطع الوضن وقع النسا الى الارض وان بنت القرين الشيبانية نادت

ويها بنى شيبان صفا بعد صف ۝ ان تهزموا تصبغوا فينا القلف

فقطع سبع مايه من بنى شيبان ايدى اقبيتهم من قبل مناكبهم لتخف ايديهم بالضرب وتقدمت عجل فابلت يومئذ بلاء حسنا
واضطمت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت عجل ثم حملت بكر فوجدت عجلا ثابتة تقاتل وامراة منهم تقول

ان يظفروا يحرزوا فينا الغرل ۝ فدى لكم نفسى فدى بنى عجل

وتقول ايضا

ان تهزموا نعانق ۝ ونفرش النمارق ۝ او تهربوا نفارق ۝ فراق غير وامق

فكانت بنو عجل فى الميمنة بازاء خيارزين وبنو شيبان فى الميسرة بازاء كتيبة الهامرز وافناء بكر بن وايل فى القلب
فخرج اسوار من الاعاجم مسور مشنف فى اذنيه درتان من كتيبة الهامرز يتحدى الناس للبراز فنادى فى بنى شيبان فلم
يبارزه احد حتى اذا دنى من بنى يشكر برز له يزيد بن حارثة اخو بنى ثعلبة فشد عليه بالرمح فطعنه فدق صلبه واخذ حليته
وسلاحه وقال ابن مسكويه ونادى الهامرز لما راى جد القوم وثباتهم للحرب وصبرهم للموت مرد ومرد فقال برد بن حارثة اليشكرى
ما يقول قيل يدعو الى البراز رجلا ورجل فقال وابيكم لقد انصف وبرز له فلم يلبث برد ان تمكن من الهامرز فقتله وقال
ابن المكرم فى اختصاره للاغانى ثم اقتتلوا صدر نهارهم اشد قتال الى ان زالت الشمس فشد الحوفزان واسمه الحرث
ابن شريك على الهامرز فقتله وقتلت بنو عجل خيارزين وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا وتبعتهم بكر بن وايل يقتلونهم بقية
يومهم حتى اصبحوا من الغد وقد شارفوا السواد ودخلوه فلم يفلت منهم كبير احد واقبلت بكر بن وايل على الغنايم فقسموها بينهم
وقسموا تلك اللطايم بين نسايهم وكان اول من انصرف الى كسرى بالهزيمة اياس بن قبيصة وكان لا ياتيه احد بهزيمة جيش الا نزع
كتفيه فلما اتاه اياس ساله عن الخبر فقال هزمنا بكر بن وايل واتيناك بنسايهم فاعجب ذلك كسرى وامر له بكسوة ثم ان
اياسا استاذنه عند ذلك فقال ان اخى مريض بعين التمر فاردت ان اتيه وانما اراد ان يتنحى عنه فاذن له ثم اتى رجل من اهل الحيرة
فسال هل دخل على الملك احد فقالوا نعم اياس فقال ثكلت اياسا امه وظن انه قد حدثه بالخبر فدخل عليه فحدثه بهزيمة
القوم وقتلهم فامر به فنزعت كتفاه وكانت وقعة ذى قار بعد وقعة بدر باشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فلما بلغه ذلك قال هذا اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا وروى ذلك الطبرانى فى المعجم الكبير وقيل ان وقعة
مثلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فرفع يديه فدعا لبنى شيبان او الجماعة ربيعة بالنصر ولم يزل يدعو لهم
حتى ارى هزيمة الفرس وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ايها بنى ربيعة اللهم انصرهم فهم الى الآن اذا حاربوا دعوا بشعار
النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته لهم وقال قايلهم يا رسول الله دعوتك فاذا دعوا بذلك نصروا وروى الطبرانى فى الكبير
قال الهيثمى ورجاله رجال الصحيح غير خلاد بن عيسى وهو ثقة عن خالد بن سعيد بن العاص عن ابيه عن جده قال قدمت بكر بن وايل مكة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه ايتهم فاعرض عليهم فاتاهم فقال من القوم ثم عاد اليهم ثانية فقال
من القوم فقالوا ابو ذهل بن شيبان فعرض عليهم الاسلام قالوا حتى يجى شيخنا فلان قال خلاد احسبه قال المثنى بن حارثة فلما
جاء شيخهم عرض عليهم ابو بكر رضى الله عنه قال ان بيننا وبين الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فقال له ابو بكر
ارايت ان غلبتموهم اتتبعنا على امرنا قال لا نشترط لك هذا علينا ولكن اذا فرغنا فيما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول
فلما التقوا يوم ذى قار هم والفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذى دعاكم الى الله قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا على القوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بى نصروا انتهى ومن الاشعار فى وقعة ذى قار قول ابى كلبة التيمى

لولا فوارس لا ميل ولا عزل ۝ من اللهازم ما قظتم بذى قار
ان الفوارس من عجل هم انفوا ۝ ان يخلوا لكسرى عرصة الدار
قد احسنت ذهل شيبان وما عدلت ۝ فى يوم ذى قار فرسان بنى سيار

هم الذين ابوهم عن شيمايلهم • لما تلبس ورّاد بصدّاد

ندي لبني ذهل بن شيبان ناقتي • وصاحبها يوم اللقاء وقلت

هم ضربوا بالحنو حنو قراقر • مقدمة الهامرز حتى تولت

اخبر باداله الروم بعد الاداله عليهم مع ما دخل تحت مفهوم الاية وكان ربما قيل ما له لم يدم نصر اهل الكتاب

علي ذلك بقوله ينصر من يشاء من ضعيف وقوي لانه لا مانع له ولا يسال عما يفعل وهو العزيز فلا يعز من عادى ولا يذل من والى

ولما كان السياق لبشارة المومنين قال الرحيم اى يخص حزبه بما يرضيهم قربه من الاخلاق الزكية والاعمال المرضية

ولما نزل هذا على قوم اكثرهم لم منكرا اكده سبحانه بما يقوى قلوب اصفيايه بتبيين المراد ويرد السنة اعدايه عن كثير

من العناد ويعرفهم انه كما صدق في هذا الوعد لاجل تفريح اوليايه فهو يصدق في وعد الاخرة ليحكم بالعدل ويا خذ لهم حقهم من عاداهم

ويفضل عليهم بعد ذلك بما يريد فقال وعد الله اى الذى له جميع صفات الكمال ومو متعال عن كل شايبة نقص فلذلك لا يخلف

واعاد ذكر الجلالة تنبيها على عظم الامر فقال الله اى الذى له الامر كله ولما كان لا يخلف شيا من الوعد لا هذا الذي

في امر الروم ولا غيره اظهر فقال وعده كما تعلم ذلك اولياوه ولكن اكثر الناس وهم اهل الاضطراب والنوس لا يعلمون اى ليس لهم علم

اصلا ولذلك لا نظر لهم يودي الى انه وعد وانه لا بد من وقوع ما وعد به في الحال التى ذكرها لانه قادر وحكيم ولما كان

من المشاهد انهم عقولا راجحة وافكارا صافية وانظارا صايبة فكانوا بصدد ان يقولوا ان علمنا اكبر من علمكم كان كانه قيل

بيانا لانه نفى سلب ما لا ينفع من العلم بنادبته الى السعادة الباقية وتنبيها على انه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود

العلم الذى لا يتجاوز الدنيا انهم يعلمون ولكن ظاهرا اى واحدا من المتقلب في الحياة الدنيا وهو ما ادتهم اليه حواسهم وتجاربهم

الى ما يكون سببا للتمتع بزخارفها والتنعم بملاذها فان الحس ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطى وهو لا

يحسن يصلى انتهى وامثال هذا لهم كثير وهو وان كان عند اهل الدنيا عظيما فهو عند الله حقير فلذلك حقره لانهم ما زادوا

فيه على ان ساووا البهايم في ادراكها ما ينفعها فتستجلبه بضروب من الحيل وما يضرها فتدفعه بانواع من الخداع واما علم

باطنها وهو انها مجاز الى الاخرة يتزود منها بالطاعة فهو ممدوح منبه عليه بوصفها بما يفهم الاخرى ولما ذكر حالهم

في الدنيا اتبعه ذكر اعتقادهم في الاخرة موكدا اشارة الى ان الحال يقتضى انكار ان يغفل احد عنها لما لها من واضح الدلايل فربه ان

اسم ضدها يدل عليها لانه لا تكون دنيا الا في مقابلة قصيا ولا اولى الا بالنسبة الى اخرى فقال وهم اى هولاء الموصوفون

خاصة عن الاخرة التى هى المقصود بالذات وما خلقت الدنيا الا للتوصل بها اليها ليظهر الحكم بالقسط وجميع صفات العز

والكبر والجلال والاكرام هم غافلون اى في غاية الاستغراق والاضراب عنها بحيث لا تخطر في خواطرهم فصاروا لاستيلاء الغفلة

عليهم اذا ذكرتهم كذبوا بها واستهزوا بالمخبر ولم يجوزوها نوع تجويز مع ان دلايلها تفوت الحصر وتربى على العد فكانوا كانهم

مخصوصون بالغفلة عنها من بين ساير الناس ومختصون لها بالغفلة من بين ساير الممكنات فلذلك لا يصدقون الوعد باداله

الروم لما رسخ في نفوسهم من ان الامور تجرى بين العباد على غير قانون الحكمة لانهم كثيرا ما يرون الظالم يموت ولم يقتص منه وهم في

غفلة عن انه اخر جزاوه الى يوم الدين يوم يكشف الحجاب حجاب الغفلة ويظهر عدله وفضله ونوضع الموازين القسط فيطيش

بما قيل الذر ويقتص للمظلومين من الظالمين ومن اريد القصاص منه عاجلا فعل وقضية الروم هذه من ذلك وهذا السياق

يدل على انه لا حجاب عن العلم اعظم من التكذيب بالاخرة ولا شى اعون عليه من التصديق بها والاهتمام بشانها لان ذلك حامل على طلب الخلاص

في ذلك اليوم وهو لا يكون على اتم الوجوه الا لمن وصل الى حالة المراقبة وذلك لا يكون الا لمن علم اما بالكشف او الكسب كل علم

فلم يتحرك حركة الا بدليل يبيحها له ويحمله عليها وبهذا التقرير ظهر ان هاتين الجملتين تحتمل العاطفة لنفى العلم عنهم والمعنى ان العلم

منفى عنهم لما شغل قلوبهم من هذا الظاهر في حال غفلتهم عن الاخرة فانسد عليهم باب العلم والله الموفق ولما كان التقدير

الرشيد بروا القران وما كشف لهم عنه من الحكم والامور التى وعد الله بها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فيه او في السنة

فكانت على حسب ما وعد او لم يتاملوا مصنوعات الله عموما فدلهم فيدلهم عقولهم منها على انه لا يصلح للالهية الا من كان حكيما

ولا يكون حكيما الا من صدق في وعده وانه لا تتم الحكمة الا بايجاد الاخرة عطف عليه قوله منكرا عليهم موبخا لهم أو لم يتفكروا

اى يجتهدوا وان اعمال الفكر ثم ذكر آلة الفكر زيادة في تصوير حال المتفكرين والتذكير بهيئة المعتبرين فقال في انفسهم

ويجوز ان يكون هى المتفكر فيه فيكون المعنى يتفكروا في احوالها خصوصا فيعلموا ان من كان منهم قادرا كاملا لا يخلف وعده

وهو انسان ناقص فكيف بالاله الحق ويعلموا ان الذى ساوى بينهم في الايجاد من العدم وطورهم في اطوار الصور وفاوت

بينهم في القوى والقدر وبين احوالهم في الطول والقصر وسلط بعضهم على بعض بانواع الضرر وامات اكثرهم مظلوما

قبل القصاص والظفر لا بد في حكمته البالغة من جمعهم للعدل بينهم في جزاء من وفى او غدر او شكر او كفر ثم ذكر نتيجة

ذلك او علة في قوله باسلوب التاكيد لاجل انكارهم وعلى التقدير الاول يكون هذا هو المتفكر فيه ما خلق الله اى بجلاله

وعلوه في كماله السموات والأرض على ما هما عليه من النظام المحكم والقانون المتقن وافرد الارض لعدم دليل حسى وعقلى يدلهم على

تعددها بخلاف السما وما بينهما من المعانى التى بها كمال منافعهما الا خلقا متلبسا بالحق اى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع

فاذا ذكر البعث الذى هو مبدا الاخرة التى هذا السلوبها وجد الواقع في تصوير النطفة ونفخ الروح وتمييز الصالح منه للتصوير من الفاسد

مطابق لذلك واذا اندبر النبات بعد ان كان هشيما قد نزل عليه الماء فرزها واهتزت وربا وجده مطابقا لامر البعث واذا ذكر العدل

فراى اختلاف الليل والنهار وسير الكواكب الصغار والكبار وامطار الامطار واجرا الانهار ونحو ذلك من الاسرار راه مطابقا

لكل ما يخطر في باله من الاقتدار واذا حضر له العلم فتبصر في جرى هذه الامور وغيرها على منهاج مستقيم ونظام واضح قويم وسير

متقن حكيم علم ان ذلك في غاية المطابقة للمخبر بالعلم الشامل والقدرة التامة على البعث وغيره او الا بالامر الثابت والقضا النافذ

الذى لا يتخلف عنه مراد ولا يستعصى عليه حيوان ولا جماد وخلقكم من هذا الخلق الكبير الذى قام بامره من بعض ترابه ثم جعلكم من

سلالة من ماء مهين فالقدرة التى خلق بها ذلك كله وابتداكم ثم يعيدكم بها بعينها يحييكم ويعيدكم ثم اذا دعاكم دعوة من الارض

اذا انتم تخرجون او الا بسبب اثبات الحق وابطال الباطل فلا بد من تصديق وعده باداله الروم لاخذ حقهم من الفرس ولا بد من ان يعيلكم

بعد ان يميتكم ويثبت كل حق اثبتموه فد ابطل ويبطل كل باطل اثبتموه قد اعمل لانه احكم الحاكمين فلو اقر على اماته حق او احيا باطل

لما كان كذلك ولما كان عندهم ان هذا الوجود حياة وموت لا الى نفاد قال وأجل لا بد ان ينتهى اليه مسمى اى في العلم

من الازل وذلك الاجل هو وقت قيام الساعة وذلك كما انه جعل لهم اجالا لاصلهم وفرعهم لم يشذ عنها احد منهم فكذلك لا بد

من اجل مسمى لما خلقوا منه فاذا جاء ذلك الاجل انحل هذا النظام واختل هذا الاحكام وزالت هذه الاحكام فصار قطعا هذه

الاجرام وصارت الى ما كانت عليه من الانعدام والاكان الخلق عبثا يتعالى عنه الملك العلام ولما كانوا ينكرون ذلك مع كفرهم

اكد قوله وان كثيرا من الناس مع ذلك على وضوحه بلقاء ربهم الذى ملاهم احسانا برجوعهم في الاخرة الى العرض عليه للثواب والعقاب

لكافرون اى لساترون ما في عقولهم من دلايل وحدانيته وحجج قدرته وحكمته سترا عظيما كانه غريزة لهم فهم لذلك يكذبون بما

وعدكم سبحانه من اداله الروم على فارس فلا يهولنكم ذلك لانهم قد كذبوا بما هو اكبر منه وهو الاخرة على ما لها من الدلايل التى تفوق الحصر

ولما اقام عليهم الدليل اتبعه واذا رجعت ما تقدم في اية الانعام هو الذى خلقكم من طين اردت في هذه البصيرة

ولما احاطت اثار المكذبين بمكة المشرفة شرقا وغربا التهديد والتهويل فقال عاطفا على ولم يتفكروا أولم يسيروا

وجنوبا وشمالا به بارعو دوقوم فرعون وعاد وسبا وقوم لوط عرفا والطلق فقال في الأرض اى سير اعتبار وتامل واذكار

من اى جهة ارادوا وفيه اشارة الى انهم وان اتوا عند النظر في ظاهر الملك بابصارهم قاصرون عن الاعتبار في باطن الملكوت هم

بافكارهم وفيه هز لهم الى امتطاء هذه الدرجة العلية بهذه العبارة الجلية فينظروا ولما كان ما حل بالماضين امرا عظيما

نبه على عظمه بانه اهل لان يسال عنه فقال كيف كان اى كونا لا قدرة على الانفكاك عنه وتذكير الفعل مشيرا الى عظم الامر عاقبة

اى اخر امر الذين ولما كان ما حل من قرب من زمان الانسان اوعظ له اثبت الجار فقال من قبلهم في اهلاك العاصي وانجا الطايع

ولما كان السياق كان علم العاقبة مشروطا بمعرفة البادية قال مستانفا كانوا اى كونا هو في غاية المكنة

للظهور والغلبة التى انما مدارها الشدة المقتضية للثبات لا الكثرة العارية عنه اعرض عنها واسقط ضمير الفصل لان هذا السياق

لا يظهر فيه ادعا العرب لعلوهم على فارس ولا الروم أشد منهم اى من العرب قوة اى في ابدانهم وعقولهم ولما كان التعد

فنقبوا الجبال وعملوا من متقن الصنايع التى يرونها من الاعمال ما لم يدانه احد من هذه الاجيال عطف عليه قوله وأثاروا بالحرث

وغيره الأرض فاخرجوا ما فيها من المنافع من المياه والمعادن والزروع وغير ذلك من المعاون وعمروها اى وليك السالفون

أكثر مما عمروها اى هولاء الذين ارسلت اليهم من اثارة الارض وعمارتها كثيرا امر فان بلاد العرب انما هى جبال سود وفيا في

غبر فما هو الا تهكم بهم وبيان لضعف حالهم في دنياهم التى لا فخر لهم بغيرها ولما كانوا قد وقفوا مثل هولاء مع

السبب الادنى ولم يرتقوا بعقولهم الى المطلوب الاعلا اخبر انه ارسل اليهم الدعاة ينبهونهم من رقدتهم وينقذونهم

من غفلتهم فكان التقدير فضلوا عن المنهج الواضح وعموا عن السبيل الرحب وزاغوا عن طرقا الرب فارسلنا اليهم الرسل

فعطف عليه قوله مشيرا بنابث الفعل الى ضعف عقولهم بتكذيبهم بتنبيههم الرسل كما تقدم ايضاحه عند تلك الرسل

وجاءتهم رسلهم اى عنا بالبينات من المعجزات مثل ما اتاكم به رسولنا من وعود نا الصادقة وامورنا الخارقة كاسر

الاسرا وما اظهر فيه من الغرايب كالاخبار بان العير تقدم في يوم كذا يقدمها جمل صفته كذا وغرايره كذا وظهر كذلك وما

استتم كما لم يوم من كانوا اشد منكم قوة فما اى بسبب انه ما كان الله على ما له من اوصاف الكمال مريدا ليظلمهم

بان يفعل معهم فعل من تعدونه انتم ظالما بان يهلكهم في الدنيا ثم ينتقم منهم في القيمة قبل اقامة الحجة عليهم بارسال الرسل

بالبينات ولكن كانوا بغاية جهدهم انفسهم اى خاصة يظلمون اى يجددون الظلم لها بايقاع الضر موضع جلب

النفع لانهم لا يعبرون بعقولهم التى ركبناها فيهم ليستضيئوا بها فيعلموا الحق من الباطل ولا يقبلون من الهداة اذا كشفوا

لم ما عليهما من الغطا ولا يرجعون عن الغي اذا اضطروهم بالآيات الباهرات بل ينتقلون من الغفلة الى العناد ولما كان انتكاسهم
بهذه الاسباب المسعدة بعيدا اشار اليه باداة التراخي وهي اشارة الى ابطاء دعا الرسل لهم واحتمالهم اياهم فقال ثم كان اي كونا
تعذر الانفكاك عنه وهو في غاية الهول كما اشار اليه تذكير الفعل عاقبة اي اخر امر الذين اساؤا اظهر موضع الاضمار تعميما ودلالة
على السبب السوأى اي الحالة التي هي اسوأ ما يكون وهي خسارة الانفس بالدمار في الدنيا والخلود في العذاب في الاخرى جزا لهم بجنس عملهم
فانهم كما اساؤا الرسل ساءهم الملك ثم ذكر العلة بقوله ان كذبوا اي لاجل تكذيبهم الرسل مستهينين بآيات الله اي الدلالات
المنسوبة الى الملك الاعلى الذي له الكمال كله الدالة عليه على عظمها بعظمه وكانوا اي كونا كانه جبلة لهم بها مع كونها ابعد شي
عن الهزء يستهزءون اي يستمرون على ذلك يتجددون في كل حين مع تعظيمها حتى كان استهزاءهم بغيرها كانه عدم كما انكم انتم
تكذبون بما وقع من الوعيد في امر الروم وتستهزءون به فاحذروا ان يحل بكم ما حل بالاولين ثم تردون اليه سبحانه فيعذبكم العذاب
الاكبر ويجوز ان يكون هذا بدلا من السوأى او بيانا لها بمعنى انهم لما اساؤا زادهم اساءتهم عماوة حتى ارتكبوا في العمى فوصلوا الى التكذيب
والاستهزاء الذي هو افتح الحالات عكس ما يجازى به المؤمن من انه يزداد بايمانه هدى ولما كان حاصل ما مضى انه تعالى
قادر على الاعادة كما قدر على الابتدا وكان للتصريح مع النفس حالة ليست لغيره قال ذاكرا نتيجة ما مضى ومحصله تصريحا بالمقصود
وتلخيصا للدليل الله اي المحيط علما وقدرة يبدا الخلق اي يبدا منه ما يريد وهو يجدد في كل حين ما يريد من ذلك كما تشاهدون
ثم يعيده بعد ما يبيده وترك توكيده اشارة الى انه غني عنه لانه من القضايا المسلمة ان من اخترع شيا كان قادرا لا محالة على اعادته
ولما كان الجزا امرا مهولا اشار اليه باداة التراخي فقال ثم اليه اي لا الى غيره ترجعون معنى في اموركم كلها
في الدنيا وان كنتم لقصور النظر تنسبونها الى الاسباب وحسا بعد قيام الساعة وقراءة الجماعة بالالتفات الى الخطاب ابلغ
لانها انص على المقصود وقرا ابو عمرو وابو بكر عن عاصم بالياء التحتانية على النسق الماضي ولما ذكر الرجوع اتبعه بعض
احواله فقال ويوم تقوم الساعة سميت بذلك اشارة الى عظيم القدرة عليها مع كثرة الخلائق على ما فيهم من العظما والكبرا
والرؤسا يبلس اي يسكت ويسكن يأسا وتحيرا على غاية الذل بما اشار اليه تذكير الفعل مع التجدد والاستمرار بما اوحى اليه
المضارع المجرمون الذين وصلوا من الدنيا ما من حقه ان يقطع لفنائه وقطعوا من اسباب الاخرة ما من حقه ان يوصل لبقائه وكانوا
في غاية اللسن في الجدال ومعرفة كل ما يغيظ الخصم من القول والفعل والتمائل والتضاحك عند سكوت الخصم تعجبا من جرأتهم
في هذيانهم سرورا منهم بسكاته ليظن بعض من يراه انه انقطع وان الحجة لهم ولما كان الساكت ربما اغناه عن الكلام
غيره نفى ذلك بقوله محققا له بجعله ماضيا ولم يكن ولما كان المقام لتحقيرهم بتحقير شركائهم رتب نفي النفع
الموضع لهم هذا الترتيب ويجوز ان يراد بترتيبه مع ذلك التخصيص فقال لهم اي خاصة في ذلك الوقت ولا بعده ولا كان
في عداد ذلك من قبل لو كانوا يعقلون واما غيرهم ممن نصحه وصفه بالاجرام لكونه من اهل الشرك الخفي فقد يشفع فيه
من اراد من الشهدا والعلما وعامة المؤمنين من شركائهم الذين زعموهم خاصة ليتبين لهم غلطهم وجهلهم المفرط في قولهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله واما غيرهم فيقع منهم ما يسمى شفاعة تارة تصريحا واخرى تلويحا كشفاعة العامة من نبينا صلى الله عليه وسلم
في الخلق عامة لفصل القضا وقوله صلى الله عليه وسلم في ناس ياخذهم يا رب اصحابي اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا
بعدك فيقول سحقا سحقا وقول ابرهيم عليه السلام ومن عصاني فانك غفور رحيم شفعاء ينقذونهم مما هم فيه وما استعملوه
واتيانه بصيغة جمع الكثرة يمكن ان يكون لا مفهوم له لان مورده رد اعتقادهم في قولهم السالف ويمكن ان يفهم انه قد يقع من
بعض من عبدوه شفاعة او تلويح بها كقول عيسى عليه السلام وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ولما ذكر حال الشفعا
معهم ذكر حالهم مع الشفعا فقال وكانوا اي كونا هو في غاية الرسوخ بشركائهم اي خاصة كافرين اي متبرئين منهم
لانهم يكونوا اعتقدوهم آلهة وعبدوهم جريا على عادتهم فيما لا يغنيهم من العناد والبهت ولما كانت النفس ربما
تشوفت الى انه هل يكون بعد ابلاسهم شي اخر قال مفيدا له مهولا باعادة ما مضى ويوم تقوم الساعة اي ويا له من يوم
ثم زاد في تهويله بقوله يومئذ يتفرقون اي المؤمنون الذين يفرحون بنصر الله والكافرون فرقة لا اجتماع بعدها هؤلاء
في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين حكى بعض القضاة من اصحابي عفا الله عنه وهو يبكي منا ما راه مهولا
ان القيمة قد قامت والناس محشورون على ما وصف في الاحاديث في صعيد واحد عراة حفاة يغشاهم حار من الموج بعضهم في
بعض فاذا شخص من له امر قد اشار بسوط معه وخط به في الارض فقسمهم قسمين فقال هؤلاء مطيعون وهؤلاء عصاة
قال فكنت في العصاة وفي الحال غاب عنا الطايعون فلم نر منهم احدا ثم خط بذلك السوط مرة اخرى فقسمنا قسمين
وقال هؤلاء عصاة الاقوال وهؤلاء عصاة الافعال قال فكنت في عصاة الافعال ثم غاب في الحال عنا عصاة الاقوال
فلم نر منهم احدا وبقينا نحن منا الجالس ومنا المضطجع ونحن قليل بالنسبة الى عصاة الاقوال فبينا نحن كذلك اذ جاء
آت الى شخص الى جانبي فاخذ من كعبه ثم نشطه فاخرج جلده بيده وكانه كان جراب نزع عن شي فيه باس فحصل لي من ذلك

ذعر

ذعر شديد فبينا انا كذلك اذ آت جاني من وراي فالقى علي جوخة فجعلها على اكتافي وادارها على الحاذي فسترني بها لكن
على غير هيئة لبس المخيط قال واستيقظت وانا على ذلك فقصصته على بعض الصالحين فقال احمد الله على كونك من عصاة
الافعال واحذر من ستري بالجوخة على تلك الهيئة الى الحج فبشرني بذلك فحججت في ذلك العام والله تعالى المسؤول في التوبة
فانه الفعال لما يريد فاما الذين امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم وعملوا تصديقا لاقرارهم الصالحات اي كلها
ولما تقدم هنا ذكر عمارة الارض واصلاحها للنبات ووعظ من جعلها اكبر همه بانها لم تدم له ولا اغنت عنه
شيئا ذكر انه جزى من اعرض عنها بقلبه لاتباع امره سبحانه اعظم ما يرى من زهرتها ونضرتها وبهجتها على سبيل الدوام فقال
فهم اي خاصة في روضة اي لا اقل منها وهي ارض عظيمة جدا منبسطة واسعة ذات ماء غدق ونبات معجب بهيج
هذا اصلها في اللغة قال الطبري ولا تجد احسن منظرا ولا اطيب نشرا من الرياض يحبرون اي يسرون على سبيل التجدد
كل وقت سرورا تشرق له الوجوه وتبسم الافواه وتزهر العيون فيظهر حسنها وبهجتها فتظهر النعمة بظهور آثارها
على اسهل الوجوه وايسرها قال الرازي في اللوامع واصله اي الحبر في اللغة اثر في حسن وقال غيره حبر اذا اسر سرورا
تهلل له وجهه وظهر فيه اثره واما الذين كفروا اي غطوا ما كشفته انوار العقول وكذبوا عنادا بآياتنا التي لا اصدق
منها ولا اضوأ من انوارها بما لها من عظمتنا ولقاء الاخرة الذي لم يدع لبسا في بيانه فاولئك اي البغضاء البعداء في العذاب
اي الكامل لا غيره محضرون من اي محضر كان بالسوق الحثيث والزجر العنيف فاذا وصلوا الى معنى وكل منهم كونهم كذلك
لافادة الجملة الاسمية الدوام فلا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم ولما بين سبحانه المبدأ لخلق السموات والارض والمعاد
بالجنة والنار وانهم لثوابه وكان تكذيبهم به مستلزما لاعتقاد نقايص كثيرة منها العجز واخلاف الوعد وترك الحكمة كان ذلك
سببا لان ينزه سبحانه نفسه المقدسة ويامر بتنزيهها لان ذلك يدفع عن المنزه مضار الوعيد ويرفعه الى مسار الوعد
فقال ذاكرا من افعاله العالية التي لا مطمع لغيره في القدرة على شي منها ما يدل على خلاف ذلك الذي يلزم من اعتقادهم لافتا الكلام
عن صيغة العظمة الى اعظم منها بذكر الاسم الاعظم فسبحان الله اي سبحوا الذي له جميع العظمة بمجامع التسبيح بان تقولوا هذا
القول الذي هو علم فهو منزه عن كل نقص ثم ذكر اوقات التسبيح اشارة الى ما فيها من التغير الذي هو منزه عنه والى ما يجدد
فيها من النعم ووجود الاحوال الدالة على القدرة على الابداع الدال على البعث فقال دالا على الاستغراق بنزع الخافض مقدما
المهول لانه ادل على البعث الذي النزاع فيه وهو الاصل لافتا الكلام الى الخطاب لانه اشد تنبيها حين تمسون اي اول دخول
الليل باذهاب النهار وتغريق النور فيعتريكم الملل ويداخلكم الفتور والكسل على سبيل التجدد والاستمرار واكد الندب
الى التسبيح باعادة المضاف فقال وحين تصبحون بتحويل الامر فتقومون احيا بعد ان كنتم امواتا تتجددون نهارا قد اضا
بعد ليل كان دجا فتفعلون ما هو سبحانه منزه عنه من الحركة والسعي في جلب النفع ودفع الضر وارشد السياق الى ان التقدير
وله الحمد في هذين الحينين ولما ذكر ما يدل على خصوص التنزيه اتبعه ما يعرف بعموم الكمال فقال ذاكرا لوقت
كمال النهار وكمال الظلام تذكيرا بما يحدث عندهما للادمي من النقص بالفتور والنوم اعتراضا بين الاوقات للاهتمام بضم
التحميد الى التسبيح وله اي وحده مع التنزه عن شوائب النقص الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال اي الاجرام العالية
ولما قدم سبحانه ان تنزهه ملأ الازمان وكان ذلك مستلزما لملء الاكوان وكان اثباتا لكمال ابين شرفا من
التنزه عن النقص صرح فيه بالقبيلين فقال في السموات اي الاجرام العالية كلها التي تحريكها مع انها من الكبر في حد لا يحيط به
الا هو سبحانه سبب للامسا والاصباح وغيرهما من المنافع والارض التي فيها من المنافع ما يجل عن احاطتكم به مع انها بالنسبة
الى السما كحلقة ملقاة في فلاة ولولا ذلك لظهر لكم ذلك برؤية ما وراها كما هو شان كل مظل مع كل مقل كما تشاهدون
السحاب ونحوه ولما خص الامسا والاصباح عم فقال معبرا بما يدل على الدوام لان وقت النوم الدال على النقص
ادل باثبات الكمال له وعشيا اي من الزوال الى الصباح وحين تظهرون اي تدخلون في شدة الحر وسبحان الله في كل ذلك
فالاية من الاحتباك ذكر التسبيح اولا دليلا على ارادته ثانيا والحمد ثانيا دليلا على ارادته اولا ولعل المراد بالاظهار
ما هو اعم من وقت الظهر ليكون المراد به من حين يزول اسم الصباح من وقت ارتفاع الشمس الى ان يحدث اسم المسا وهو من الظهر
الى الغروب قاله ابن طريف في كتابه الافعال ونقله عن الامام عبد الحق في كتابه الواعي وذلك حين اشتداد النهار
فيكون كماله فيما دون ذلك من باب الاولى وهذا مع هذه الدقايق اشارة الى الصلوات الخمس اي سبحوه بالخضوع له بالصلاة
في وقت المسا بصلاة العصر والمغرب وفي وقت الصباح بالصبح وفي العشي بالعشا وفي الاظهار بالظهر وفي هذا التخريج
من الحسن بيان الاهتمام بالصلاة الوسطى فابتدا سبحانه بالعصر التي قولها اصح الاقوال ودخول المغرب في خبرها
بطريق التبعية والقصد الثاني وثنى بالصبح وهي تليها في الاصحية وهما القرينتان لقوله صلى الله عليه وسلم
من صلى البردين دخل الجنة رواه الشيخان عن ابي موسى رضي الله عنه من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وجبت له الجنة

استده صاحب الفردوس عن عمارة بن رويبة رضي الله عنه ورواه مسلم وغيره عنه بلفظ لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها يعني الفجر والعصر كا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في
رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا الا تفوتنكم ثم قرا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب رواه البخاري عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه وحديث ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة
بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر يدخل هنا ولما ذكر دلالة على البعث المستلزم للوحدانية مطلوبا للتحول الذي هو
احيا في المعنى بعد اماتة اتبعه الاحيا والاماتة حقيقة صادعا من ذكر البعث تصريحا بما كان القاه تلويحا فقال يخرج الحي كالانسان
والطاير من الميت كالنطفة والبيضة ويخرج الميت كالبيضة والنطفة من الحي على عكس ذلك ويحيي الارض باخضرار النبات
ولما كان من الاراضي ما لا ينبت الا بعد مدة من انزال المطر ومنها ما ينبت من حين انزال المطر عقب تحطم ما كان بها من النبات
سوا اسقط الجار هنا تنبيها على الامر الثاني لانه ادل على القدرة فهو انسب لهذا السياق ولمقصود السورة ولانه حصل فيه قوة
احيايها على الدوام فقال بعد موتها بيبسه وتهشمه كان التقدير كذلك يفعل على سبيل التكرر وانتم تنظرون
عطف عليه قوله وكذلك اي ومثل فعله هذا الفعل البديع من اخراجه لهذا الحي حسا ومعنى من الميت تخرجون باليسر من الارض
بعد تفرق اجسامكم فيها من التراب الذي كان حبا بحياتكم هذا على قراءة الجماعة بالبنا للمفعول وبناه حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف
عنه للفاعل اشارة الى انهم لقوة تهيئتهم لقبول البعث صاروا كانهم يخرجون بانفسهم روى عبد الله بن الامام احمد في زيادات
المسند عن لقيط بن عامر رضي الله عنه انه خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم
ابن مالك بن المنتفق رضي الله عنه قال فخرجت انا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسلاخ رجب فاتينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الغداة خطيبا الى ان قال الا اسمعوا تعيشوا الا اجلسوا الا اجلسوا
قال فجلس الناس فقمت انا وصاحبي حتى اذا فرغ لنا فواده وبصره قلت يا رسول الله ما عندك من علم الغيب فضحك لعمر الله وهز
راسه فقال ضن ربك عز وجل بمفاتيح الخمس من الغيب فذكر حتى ذكر البعث قال فقلت يا رسول الله كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا
الرياح والبلى والسباع قال انبيك بمثل ذلك في الا الله الارض اشرفت عليها وهي مدرة بالية فقلت لا تحيى ابدا ثم ارسل
ربك عز وجل عليها السما فلم تلبث عليك الا اياما حتى اشرفت عليها وهي شربة واحدة ولعمر الهك لهو اقدر على ان يجمعكم من الماء
على ان يجمع نبات الارض فتخرجون ولما كان التقدير هذا من ايات الله التي تشاهدونها كل حين دلالة على بعثكم عطف عليه التدبير
بما هو اصعب منه في مجاري العادات فقال ومن اياته اي على قدرته على بعثكم كان المراد اثبات قدرته سبحانه على بعثهم
بعد ان صاروا ترابا بايجاده لاصلهم من تراب يزيد على البعث في الاعجاب بانه لم يكن له اصل في الحياة وكان ذلك انما كان مرة و
قال معبرا بالماضي ان خلقكم بخلق ابيكم ادم من تراب لم يكن له اصلا اتصاف ما بحياة ولما كان ابتدا الانسان من التراب في
غاية العجب اشار الى ذلك باداة البعد فقال ثم اي بعد بعد اخراجكم منه اذا انتم بشر اي فاجاتم كونكم لكم بشر هي في غاية
التماسك والاتصال مع اللين عكس ما كان لكم من الوصف اذ كنتم ترابا واسند الانتشار الى المبتدا تحاطبا لا الى الخبر لانه
ادل على المراد فقال تنتشرون اي تبلغون بالنشر كل مبلغ بالانتقال من مكان الى مكان مع العقل والنطق ولم يختم هذه الاية بما
ختم ما بعدها لانه دالة على انها جامعة لجميع الايات ودالة على جميع الكمالات وختم ما بعدها بذلك تنبيها على ان الناس اهملوا النظر
فيها على وضوحها وكان من حقهم ان يجعلوها نصب اعينهم دلالة على كل ما نزلت به الكتب واخبرت به الرسل ولذلك اكد في الاخبار
اعلاما بانهم صاروا لاهمالها في حيز الانكار كان اعجب من ذلك ان هذا الذي خلقه من التراب ذكرا خلق منه انثى
وجعلهما شبيهي السما والارض ماء ونبتا وطهارة وفضلا قال ومن اياته اي على ذلك ولما كان ايجاد الانثى من الذكر خاصة لم
يكن الامر واعجب كالخلق من التراب عبر بالماضي فقال ان خلق لكم اي لاجلكم ليبقى نوعكم بالتوالد وفي تقديم الجار دلالة على حرمته
التزوج في غير النوع والتعبير بالنفس اظهر في كونها من بدن الرجل في قوله من انفسكم اي جنسكم بعد ايجادها من ذات ابيكم آدم عليه
السلام ازواجا اناثا هن شفع لكم لتسكنوا مايلين اليها بالشهوة والالفة من قولهم سكن اليه اذا ماله وانقطع واطمان اليه
ولم يجعلها من غير جنسكم لئلا تنفروا منها ولما كان المقصود بالسكن لا ينتظم الا بدوام الالفة قال وجعل اي صير بسبب
الخلق على هذه الصفة بينكم مودة اي معنى من المعاني يوجب ان لا يحب واحد من الزوجين ان يصل الى صاحبه شي يكرهه مع ما
طبع عليه الانسان من محبة الاذى وانما كان هذا معناه لان مادة ودد مستويا ومقلوبا تدور على الاتساع والخلو من الكدر والدوّ
بتشديد الواو وهي الفلاة والود والوداد قال في القاموس الحب وقال ابو عبد الله القزاز ونقله الامام عبد الحق في
واعيته الامينة تقول وددت ان ذاك كان وذاك لاتساع مذاهب الاماني وتشعب اودية الحب وفي القاموس وذان قربه
قرب الابواء وجبل طويل قرب فيد والمودة الكتاب لاتساع الكلام فيه وقال الامام ابو الحسن الحرالي في شرح الاسما الحسنى الود خلو
عن ارادة المكروه فاذا اتصل الارادة للخير وايثاره كان حبا من لم يرد سوا فقد ود ومن اراد خيرا فقد احب والود اول

التخلص

التخلص من آثار الدنيا بما يتولد لطلابها في الازدحام عليها من الغل والشحنا وذلك ظهور لما تهيا له من طيب الحب ثمر وود لا انقطاع له
ومن اجنب واصل واثر والود وهو المبرأ من جميع جهات مداخل السوء ظاهره وباطنه ولما كان هذا المعنى الحسن لا يتم الا بارادة
الخير وكانت ارادة الخير قد تكون بالمس ببعض ما يكره قال ورحمة اي معنى يحمل كلا على ان يجتهد للاخر في جلب الخير ودفع الضير لكن لما
جمع بين الوصفين وتمام الله والفرك وهو البغض من الشيطان ولما كان ذلك من العظمة بمكان يجل عن الوصف اشار اليه بقوله
موكدا لمعاملتهم له بالاعراض عما يهدي اليه معاملة من يدعي انه جعل سدى من غير حكمة من خلق الازواج على الحال المذكور وما يتبعه من
المنافع ان في ذلك لايات اي دلالات واضحات على قدرة فاعله وحكمته ولما كان المعنى مع كونه دقيقا يدرك بالتامل قال لقوم
اي رجال ذوي حكمتهم لهم قوة وجد ونشاط في القيام بما يحمل اليهم يتفكرون اي يستعملون افكارهم على القوانين المحررة ويجتهدون
في ذلك ولما ذكر سبحانه الذكر والانثى المخلوقين من الارض وكانت السما كالذكر للارض التي خلق منها الانسان وكان خلقهما
مع كونهما مخلوقين من غير شي اعجب من خلقه فهو ادل على القدرة وكان خلق الارض التي هي كالانثى متقدما على عكس ما كان في الانسان
اتبعه ذكرهما بادئا بما هو كالذكر فقال مشيرا بعد ما ذكر من ايات الانفس الى ايات الافاق ومن اياته اي الدالة على ذلك ولما
كان المعجب ايجاد الخافقين من العدم ايجادا استمر على حالة واحدة عبر بالمصدر فقال خلق السموات على علوها واحكامها والارض
على اتساعها وانفتاقها ولما كان من الناس من ينسب الخلق الى الطبيعة قال تعالى ذاكرا من صفات الانفس ما يبطل تاثير الافاق
بانفسهما من غير خلقه وتقديره وتكوينه وتدبيره واختلاف السنتكم اي لغاتكم ونغماتكم وهيآتها فلا تكاد تسمع منطقين متفقين
في همس ولا جهارة واحدة ولا رخاوة ولا لكنة ولا فصاحة ولا اسهاب ولا وجازة وغير ذلك من صفات النطق واحواله ونعوته واشكاله
وانتم من نفس واحدة فلو كان الحكم للطبيعة لم تختلف لانه لا اختيار لها مع ان نسبة الكل اليها واحدة ولما كان لون السما واحدا
والوان الاراضي لكن حصرها قال والوانكم اي اختلافا مع تفاوته وتقاربه لا ضابط له مع وحدة النسبة ولولا هذا الاختلاف ما وقع
التعارف ولضاعت المصالح وفاتت المنافع وطوى سبحانه ذكر الصور لاختلاف صور النجوم باختلاف اشكالها والاراضي بمقادير الجبال
والدوابي واحوالها فلو كان الاختلاف لاجل الطبيعة فاما ان يكون بالنظر الى السما او الى الارض فان كان السما فلونها واحد وان كان
للارض فالوان اهل كل قطر غير مناسب للون ارضهم واما الالسنة فامرها اظهر ولما كان هذا مع كونه في غاية الوضوح لا
يختص جنس من الخلق دون غيره قال ان في ذلك اي الامر العظيم العالي الرتبة في بيانه وظهور برهانه لايات اي دلالات عدة
واضحة جدا على وحدانيته تعالى وفعله بالاختيار وبطلان ما يقوله اصحاب الطبايع من تلك الاحتمالات التي هي مع خفائها واهية
ومع بعدها مضمحلة متلاشية للعالمين كلهم لا يختص بجنس من الخلق دون غيره به صنف منهم دون اخر من جن ولا انس ولا غيرهم
وفي رواية حفص عن عاصم بكسر اللام حث للمخاطبين على النظر ليكونوا من اهل العلم وفي قراءة الباقين بالفتح ايماء الى ان ذلك من الوضوح
بحيث لو نطق الجماد لاخبر بمعرفته ففيه اشارة الى انهم عدم فلا يلتفت وجع منه ولما ذكر المعلة والمطلة ومن فيهما
وبعض صفاتهم اللازمة ذكر ما ينشا عن كل من ذلك من الصفات المفارقة فقال ومن آياته اي على ذلك وغيره من انواع القدرة والعلم
ولما كان الليل محل السكن والراحة والنوم منامكم اي نومكم ومكانه وزمانه الذي يغلبكم بحيث لا تستطيعون له دفعا
ذكرا ما جعل من نوم النهار ايضا لان ذلك ادل على الفعل بالاختيار فقال بالليل والنهار اي الناشئين عن السموات والارض على
باختلاف الحركات التي لا تنشا الا عن فاعل مختار وانقطاعكم بالنوم عن معاشكم وقيامكم بعد منامكم امرا قهريا لا تقدرون
الانفكاك عن واحد منهما اصلا وابتغاؤكم اي طلبكم بالجد والاجتهاد من فضله بالمعاش فيهما فالاية من الاحتباك دل ذكر
النوم على القيام منه ودل الابتغا على الانقطاع عنه حذف نهاية الاول وبداية الثاني ان في ذلك اي الامر العظيم العلي الذكر
من ايجاد النوم بعد النشاط والنشاط بعد النوم الذي هو الموت الاصغر وايجاد كل من الملوين بعد اعدامهما والجد في الابتغا مع
المفاوتة في التحصيل لايات اي عديدة على القدرة والحكمة لا سيما البعث ولما كانت هذه الآيات في دلالتها على ما تشير
اليه من البعث والفعل بالاختيار دقيقة لا يستقل العقل بها دون توقيف من الدعاة لانه قد يسند النوم والابتغا الى العادة
ولا يتجاوز عن ذلك الى الخالق الا الافراد من خلص العباد وكان النايم يقوم صافي الذهن فارغ السر نشيطا البدن قال لقوم يسمعون
اي من الدعاة النصحا سماع من انتبه من نومه فجمه مستريح نشيط وقلبه فارغ عن كدر للنصح مانع من قبوله او المعنى لقوم هم اهل
السمع بان يكونوا قد انتبهوا من رقادهم وخرجوا عن عنادهم اشارة الى ان من لم يتامل في هذه الايات فهو نايم لا مستيقظ فهو
غير متاهل لان يسمع ولما ختم بالسمع اية جمعت ايات الانفس والافاق لكونها نشات من احوال البشر والخافقين افتتح بالرؤية
اية اخرى جامعة لهما لكونها ناشئة عنهما مع كونها ادل على المقصود جامعة بين الترهيب والترغيب فقال ومن اياته ولما
كان لمعان البرق جديرا بالتماع البصر عنده او لدونه وكان يتجدد في حين دون حين عبر بالمضارع حاذفا الدال على ارادة المصدر
للدلالة على التجدد المعجب منه فقال يريكم البرق اي على هيآت وكيفيات طالما شاهدتموها تارة تاتي بما يضر وتارة بما ينفع
ولذلك قال معبرا بغاية الاخافة والاطماع لان الغايات هي المقصودة بالذات خوفا اي للاخافة من الصواعق المحرقة وطمعا

اى ذا الاطماع فى المياه المعدقة وعبر بالطمع لعدم الاسباب الموصلة اليه ولما كان البرق غالبا من المبشرات بالمطر وكان
ما ينشأ عن الماء ادل شى على البعث اتبعه شرح ما اشار اليه من الطمع فقال وينزل
غاية الغرابة قال محققا للمراد بالانزال من الموضع الذى لا يمكن لاحد غيره دعواه من السماء ماء ولما كان امساك الماء فى جهة العلو فى
لتعقب الحياة قال فيحيى به اى الماء النازل من السماء خاصة لان اكثر الارض لا يسقى بغيره الارض ولما جعل سبحانه ذلك سببا
الانسان ولما كانت الارض ليس لها من ذاتها الا الانبات الا العدم وكان احياؤها به متكررا فكان كانه دائم وكان ذلك انسب
بمقصود السورة حذف الجار فقال بعد موتها اى يبسه وتهشمه ان فى ذلك الامر العظيم العالى القدر لايات اى دلالات على القدرة على
البعث ولما كان ذلك ظاهرا لكونه من الله الفاعل بالاختيار لو قوعه فى سحاب دون سحاب وفى وقت دون آخر وفى بلد دون
آخر وعلى هيئات من القوة والضعف والبرد والحر وغير ذلك من الامر وكان من الوضوح فى الدلالة على البعث بمكان لا يخفى على عاقل قال
لقوم يعقلون ولما كان جميع ما مضى من الآيات المرئيات ناشئا عن هذين الخلقين العظيمين المحيطين بمن انزلت عليهم هذه
الايات المسموعات بيانا لمن يشكل عليه امر الايات المرئيات ذكر امرا جامعا للكل وهو من الوضوح بحيث لا يحتاج الى اكثر من العقل
المختوم به ما قبل فقال ومن اياته اى على تمام القدرة وكمال الحكمة ولما كانت هذه الاية من الثبات لا تتجدد اتى بالحرف
الدال على المصدر ليسلخ الفعل عن الاستقبال وعبر بالمضارع لانه لا بد من اخراجها عن هذا الوضع فقال ان تقوم اى تبقى على ما تشاهدون
من الامر العظيم بلا عمد السما اى ذلك لان السما الاول لا تقبل النزاع لانها مشاهدة مع ملاحية اللفظ للكل لانه جنس والارض
على ما لهما من الجسامة والثقل المقتضى للهبوط بامره لا بشئ سواه ولما
باداة التراخى لهذا لمع دلالتها على ما هى له على العظمة فقال ذالاعلى ان قدرته على الاشيا كلها مع تباعدها على حد سواء وانه لا فرق
عنده فى شمول امره بين قيام الاحيا وقيام الارض والسما ثم اذا دعاكم واشار الى هوان ذلك الامر عنده بقوله دعوة من الارض
بعد ما بينهما وبين السما فضلا عن العرش واكد ذلك بكونه مثل لمح البصر او هو اقرب فقال معبرا باداة الفجاة اذا انتم تخرجون اى تتجدد
لكم هذا الوصف بعد اضمحلالكم بالموت والبلى وتنكر دباعتبا راحادكم من غير تلبث ولا مهلة اصلا الا ان يترتب على الافضل
فالافضل لقوله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض كما دعاكم منها اولا اذ خلقكم من تراب فاذا انتم بشر تنتشرون واعرى
هذه مما ختم به الايات السالفة تنبيها على انه مثل الاولى وقد انتهت فى الظهور ولا سيما بانضمامها الى الاولى التى هى اعظم دالا عليها الى
حد من اصوات البوق كما يأتى الاشارة اليه فى اية وهو اهون عليه ولما ذكر تصرفه فى الظرف وبعض المظروف من الانس والجن
ذكر قهره للكل فقال وله اى وحده المثل الاعلى بالملك التام من فى السموات والارض اى كلهم واشار الى الملك بقوله كل له
اى وحده ولما كان انفراد الجمع مستلزما لانفراد المفرد به من غير عكس جمع فى قوله قانتون اى مخلصون فى الانقياد لا لغيرهم
ولا لهم سواه فى الحقيقة والواقع تصرف بوجه ما الا بارادته وقال ابن عباس مطيعون طاعة الارادة وان عصوا امره فى
العبادة نقله عنه البغوى وغيره ورجحه الطبرى وهو معنى ما قلت ولما كان هذا معنى ثبتا هذه كل احد فى نفسه
مع ما جلى سبحانه من عرائس الايات الماضيات فوصل الامر فى الوضوح الى حد عظيم قال وهو اى لا غيره الذى يبدأ الخلق اى
على سبيل التجديد كما تشاهدون واشار الى تعظيم الاعادة باداة التراخى فقال ثم يعيده اى بعد ان يبيده ولما
كان من المركوز فى فطر جميع البشر ان اعادة الشئ اسهل من ابتدائه قال وهو اى وذلك الذى ينكرونه من الاعادة اهون عليه
خطابا لهم بما الفوه وعقلوه ولذلك اخر الصلة لانه لا معنى هنا للاختصاص الذى يفيده تخصيصها بتقديمها
ولما كان هذا انما هو على طريق التمثيل لما يخفى عليهم بما هو جلى عندهم وكل من الامرين بالنسبة الى قدرته على حد سوا لا شئ
فى علمه اجلى من آخر ولا فى قدرته اولى من اخر قال مشيرا الى تنزيه نفسه المقدسة عما قد يتوهمه بعض الاغبياء من ذلك وله اى وحده
المثل الاعلى اى الذى تنزه عن كل شائبة نقص واستولى على كل رتبة كمال وهو امره الذى احاط بكل معنى ودعلم به احاطته هو
سبحانه بكل معلوم كما تقدم فى البقرة فى شرح المثل الا له الخلق والامر ولما كان الخلق لقصورهم مقيدين بما هو به
نوع مشاهدة قال فى السموات والارض اللتين خلقهما ولم يستعصيا عليه فكيف يستعصى عليه شئ فيهما وقد قالوا ان المراد
بالمثل هنا الصفة وعندى انه يمكن ان يكون على حقيقته تقريبا لعقولنا فاذا اردنا تعرفه سبحانه فى الملك مثلنا باعلا ما نعلم من
ملوكنا فنقول الاستواء على العرش مثل للتدبير والتفرد بالملك كما يقال فى ملوكنا فلان جلس على سرير الملك يعنى استقل
بالامر وتفرد بالتدبير وان لم يكن هناك سرير ولا جلوس واذا ذكر بطشه سبحانه واخذه لاعدائه فى نحو قوله تعالى
يد الله فوق ايديهم ان بطش ربك لشديد مثلناه بما لو قهر سلطانا اعداءه بجزمه وصحة تدبيره وكرم جنوده فقلنا
محق سيفه اعداءه فاطلقنا سيفه على ما ذكر من قوته واذا قيل تجرى باعيننا ونحو ذلك علمنا انه مثل ما نقول اذا رأينا
ملكا حسن التدبير وشمول العلم لا يغفل عن شئ من احوال رعيته فقلنا هو فى غاية اليقظة فاطلقنا اليقظة التى هى ضد
النوم على حسن النظر وعظيم التدبير وشمول العلم وهذه تفاصيل مما قدمت انه مثله وهو امره المحيط الذى اتجلى لنا

به غيب ذاته سبحانه وهكذا ما جاء من امثاله فاحذر من العبارة روحها فنعلم ان المراد وان ذلك الظاهر ما ذكر الا تقريبا للافهام
لتغيبه على ما نعرف من اعلى الامثال وللامر بعد ذلك اعلى مما نعلم ولذلك قال تعالى وهو اى وحده العزيز اى الذى اذا اراد شيئا
كان له فى غاية الانقياد فكانه ما كان الحكيم اى الذى اذا اراد شيئا اتقنه فلم يقدر غيره على التوصل الى نقض شئ منه ولا تتم حكمه هذا
الكون على هذه الصورة الا بالبعث بل هو محط الحكمة الاعظم ليصل كل ذى حق الى حقه بانتصاف التحرير على ما نتعارفه والا لكان
الباطل احق من الحق واكثر فكان عدم هذا الوجود خيرا من وجوده واحكم ولما بان من هذا انه المنفرد فى الملك بشمول
العلم وتمام القدرة وكمال الحكمة اتصل بجنس امثاله واحكام مقاله وفعاله قوله ضرب لكم اى بحكمته فى امر الاصنام وبيان
ابطال من يشرك بها وفساد قوله باجلى ما يكون من التقرير مثلا مبتدئا من انفسكم التى هى اقرب الاشيا اليكم فانتم لما تذكرونه
اجدر بان تفهموه ولما كان حاصل المثل انه لا يكون مملوك كمالك وكان التقرير اقرب الى التذكير وابعد عن التنفير قال
منكرا موبخا مقررا هل لكم اى يا من عبد وامع الله بعض عبيده مما اى من بعض ما ملكت ايمانكم اى من العبيد او الاما الذين هم بشر
مثلكم وعم فى النفى الذى هو المراد بالاستفهام بزيادة الجار بقوله من شركا اى فى حالة من الحالات ليسوغ لكم بذلك
ان تجعلوا لله شركاء ونبه على ما فى ايجاد الرزق ثم قسمه من الخلق وغير ذلك من شؤونه بقوله التفاتا بعد طول التعبير بالغيبة التى
تقربهم معها بعدا الى التكلم بالنون الدال مع القرب على العظمة ولذة الاقبال بالمخاطبة فيما رزقناكم اى بالناس العظمة من مال او جاه
مع ضعف الكم فيه ولما كانت الشركة سببا لتساوى الشريكين فى الامر المشترك قال فانتم اى معاشر الاحرار والعبيد
فيه اى الشئ الذى وقعت فيه ولما كان ربما توهم ان من شركاء صفة لا ولاد من سراريهم قدم الصلة دفعا لذلك فقال
الشركة من ذلك الرزق خاصة لا غيره من نسب او حسب ونحوهما او حنه فى بدن او قلب او طول فى عمر ونحوها وانا او لادهم من السرارى
فربما ساووهم فى ذلك وغيره من النسب ونحوه والعبيد ربما ساووهم فى قوة البدن وطول العمر او زادوا سواء ثم بين المساواة التى
هى ان يكون حكم احد الفيلين فى المشترك لحكم الاخر لا يستبد احد بما عن الاخر بشئ بقوله تخافونهم اى معاشر السادة فى التصرف فى
ذلك الشئ المشترك ولما كانت اداة التشبيه ادل انتهاها فقال كخيفتكم انفسكم اى كما تخافون بعض من تشاركونه ممن يساويكم
فى الحرية والعظمة ان تنصفوا فى الامر المشترك بشئ لا يرضيه وبدون اذنه فظهر ان حالكم فى عبيدكم مثله فيمن اشركتموهم به
موضح لبطلانه فاذا لم ترضوا هذا لانفسكم وهو ان يستوى عبيدكم معكم فى الملك فكيف ترضونه لخالقكم فى هذه الشركاء التى
زعمتموها تنشو وتهابه وهى من اضعف خلقه افلا تستحيون ولما كان هذا المثال فى الذروة من الكمال كان السامع
جديرا بان يقول جل الله ما اعلى شان هذا البيان هل يبين كل شئ هكذا فقال كذلك اى مثل هذا البيان العالى نفصل اى نبين
الايات ولما كان النفصل هو المبين وهو البيان وذلك على وجه عظيم بما اشار اليه التضعيف مع التجديد والاستمرار
كان البيان لا ينفع المسلوب قال لقوم يعقلون اشارة الى انهم ان لم يعملوا بمقتضى ذلك كانوا مجانين لان التمثيل يكشف المعانى
بالتصوير والتشخيص كشفا لا يدع لبسا لمن خفى عليه لم يكن له تمييز ولما كان جوابهم قطعا ليس لنا شركا بهذا الوصف
كان التقدير فلم تتبعوا فى الاشراك بالله دليلا فتسق عليه بل وكان الاصل اتبعتم ولكنه اعرض عنهم ايذانا بتناهى
الغضب للعناد بعد البيان واظهر الوصف الحامل لهم على ذلك تعميما وتعليقا للحكم به فقال اتبع اى بتكليف انفسهم بخالفة
الفطرة الاولى الذين ظلموا اى وضعوا الشئ فى غير موضعه فعل الماشى فى الظلام اهواءهم وهو ما تميل اليه نفوسهم
ولما كان اتباع الهوى قد يصادف الدليل واذا لم يصادف وكان من عالم رده عنه علمه قال بغير علم اشارة الى العدم
ولما كان ذلك فى الضلال لان الجاهل يهيم على وجهه بلا مرجح غير الميل كالبهيمة لا يرده شئ واما العالم فربما رده علمه
هذا ربما ادى فى بعض الاوهام ان هذا بغير ارادته سبحانه دل بفاء السبب على ان التقدير وهذا اضلال منهم بارادة الله
ولفت الكلام من مظهر العظمة الى اعظم منه بذكر الاسم الاعظم لاقتضاء الحال له فقال فمن يهدى اى بغير ارادة الله من اضل
الله الذى له الامر كله ودل بواو العطف على ان التقدير ليس احد يهديهم لانهم ابعد والفهم عن اسباب الهدى
فبعدوا عن اسباب النصر لانهم صاروا على شفا جرف هار فى كل امورهم ولذا حسن موقع تعقيبه بقوله وما لهم
واعرق فى النفى فقال من ناصرين اى من الاصنام ولا غيرها يخلصونهم مما هم فيه من الخذلان واثر الشيطان وما يسببه
من النيران ونفى الجمع دون الواحد لانا لا نعقل ناصرا لهم بما هو مهيا له من الفهم واتباع دليل السمع لو استعملوه ولانه
ورد جوابا لنحو واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ولعلهم ينصرون ولا اشارة الى ان متبع الهوى لا ينفع
من بلا فى امره الا هوان كبرون ودل على نفى الواحد لا تجزى نفس عن نفس الاية وان الكافرين لا مولى لهم فما له من
قوة ولا ناصر فى امثالها ولما تحررت الادلة وانتصبت الاعلام وانفضحت الخفايا وصرحت الاشارات
وافصحت السن العبارات اقبل على خلاصة الخلق ايذانا بانه لا يفهم ذلك حق فهم غيره فقال مسببا عن ذلك ممثلا
لاقباله واستقامته وثباته فاقم وجهك اى قصدك كله للدين اى نصبا بحيث تغيب عما سواه فلا تلتفت عنه اصلا

اى الدلالات الواضحات ع

فلاتنفك عن المراقبة فان من اهتم بشى تردد اليه نظره وقوم له وجهه ثم عرض بجلافة اهل الضلال وعساوتهم وكثافتهم وغباوة وجمودهم وقساوتهم بقوله **حنيفا** اى حال كونك ميالا مع الدليل هينا لينا نافذ البصر لين البصيرة سارى الفكر سريع الانتقال طاير الخاطر ثم بين ان هذا الامر فى طبع كل احد وان كانوا فيه متفاوتين كما نراهم اذا كانوا صغارا اسهل شى انقيادا ولكنهم لما يكسب لهم الحال فى كثير من الاشياء من انقيادهم كان خطا يصيرون يدربون انفسهم على المخالفة دائما حتى يصير لبعضهم طبعا تجريبا فيصير اعصى شى واجمحه بعد ان كان اسهل شى واطوعه واكثر ما يكون هذا من قرناء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون ولهذا نهى ان نوعد الطفل بما لا حقيقة له روى احمد وابن ابى الدنيا من طريق الزهرى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال المنذرى ولم يسمع منه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال لصبى تعال هاك ثم لم يعطه فهى كذبة ولابى داود والبيهقى وابن ابى الدنيا عن مولى عبد الله بن عامر قال ابن ابى الدنيا زياد عن عبد الله بن عامر ان امه رضى الله عنهما قالت له تعال اعطيك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اردت ان تعطيه قالت تمرا فقال اما انك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة فقال تعالى مبينا لهم صحة دينه بامر هو فى انفسهم كما بين بطلان دينهم بامر هو من انفسهم **فطرة الله** اى الزم فطرة الملك الذى لا راد لامره وهى الخلقة الاولى التى خلق عليها البشر والطبع الاول وقال الغزالى فى اخر كتاب العلم من الاحيا فى بيان العقل فى هذه الاية اى كل ادمى فطر على الايمان بالله تعالى بل على معرفة الاشيا على ما هى عليه اعنى انها كالمتضمنة فيه لقرب استعداده للادراك ثم اكد ذلك بقوله **التى فطر الناس** اى كل من له اهلية التحرك **عليها** كلهم الاشقيا والسعدا وهى سهولة الانقياد وكرم الخلق الذى هو فى الصورة فطرة الاسلام وتحقيق ذلك ان المشاهد من جميع الاطفال سلامة الطباع وسلاسة الانقياد لظاهر الدليل ليس منهم فى ذلك عسر كما فى الكبار وان تفاوتوا فى ذلك فالمراد بالفطرة قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه كما يجد الاخرس يدرك امر المعاد ادراكا بينا وله فيه ملكة راسخة وهذا المعنى هو الذى اشار اليه حديث ابى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين وحديث ابن عباس رضى الله عنهما عند احمد بن منيع ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد وفى رواية للبخارى ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعا هل تجدون فيها من جدعا حتى تكونوا انتم تجدعونها فذلك الجدع والوشم وشق الاذن ونحو ذلك مثال للاخلاق التى يتعلمها الطفل ممن يعامله بها من الغش والكذب وغير ذلك وكذا حديث عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه فى مسلم فى صفة النار واهل فى فضائل القران ولابى داود الطيالسى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل مال نحلته عبدا حلال وانى خلقت عبادى حنفا كلهم وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بى ما لم انزل به سلطانا ولكن الشيطان لا يتمكن الا باقدار الله له فى الحال لما يخلق فى باطن المخذول من البواعث وفى الماضى من الطبايع التى هياه بها المثال لذلك كما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم المتفق عليه فى الصحيح عن على رضى الله عنه اعملوا فكل ميسر لما خلق له واية سبحان كل يعمل على شاكلته وذلك انه لما اخبرهم صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد كتب اهل الجنة واهل النار فلا يزاد فيهم ولا ينقص قالوا افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فالكتاب حجة عليهم لان معناه على ان فلانا من اهل النار لكونه لم يعمل كذا او كذا فارادوا ان يجعلوه حجة لهم فاعلموا ان فى ذلك امرين لا يبطل احدهما الاخر باطن هو العلة الموجبة فى حكم الربوبية وهو العلم وظاهر هو السمة اللازمة فى حق العبودية وهو العمل وهو امارة مخيلة غير مفيدة حقيقة العلم وعوملوا بذلك ليتعلق خوفهم بالباطن المغيب عنهم ورجاؤهم بالظاهر البادى لهم والخوف والرجاء مدرجتا العبودية ليستكملوا بذلك صفة الايمان ونظير ذلك امر الرزق المقسوم مع الامر بالكسب والاجل المحتوم مع المعالجة بالطب فالمغيب فيهما علة موجبة والظاهر سبب مخيل وقد اصطلح خواصهم وعوامهم على ان الظاهر منهما لا يترك بالباطن ذكر معناه الرازى فى اللوامع عن الخطابى ولما كانت سلامة الفطرة الاولى امرا مستمرا قال **لا تبديل** ولعظم المقال كرر الاسم الاعظم فقال **لخلق الله** اى الملك الاعلى الذى لا كفوء له لا يقدر احد ان يجعل طفلا فى اول امره خبيث الفطرة لا ينقاد لما يقاد اليه ولا يستسلم لمن يربيه وكلما كبر وطعن فى السن رجع لما طبع عليه من كفر او ايمان او طاعة او عصيان او نكر او عرفان قليلا قليلا حتى ينساق الى ذلك عند البلوغ او بعده فان مات قبل ذلك جوزى بما كان الله تعالى يعلمه منه انه يعمله طبعيا يموت عليه كالغلام الذى قتله الخضر عليه السلام صح الخبر بانه طبع على الكفر ولا يعذب بما يكون عارضا منه ويعلم انه سيكون لو كان كابوى الغلام لما وقع التصريح به من انه لو عاش لارهقهما طغيانا وكفرا فقد علم منهما الكفر حينئذ فلم يواخذا به لانه عارض لا طبعى فالعبرة بالموت ومن طبع على شى لم يمت على غيره تحقق هذا العلم انه لا تنافى بين شى من النصوص لا من الكتاب ولا من السنة والله الهادى

ولما كان الميل مع الدليل كيفما مال امرا لا يمكنه قدره ولا ثباتا لا بتوفيق الله اشار الى عظمته بقوله **ذلك** اى الامر العظيم وهو الاهتزاز للدليل واتباع ما يشير اليه ويحث عليه **الدين القيم** الذى لا عوج فيه **ولكن اكثر الناس** قد تدربوا فى اتباع الاهوية لما تقدم من الشبهة فصاروا بحيث **لا يعلمون** اى لا علم لهم اصلا حتى يميزوا الحق من الباطل لما غلب عليهم من الجفا ولما كان من الناس من من الله عليه بان كان فى هذا الميدان وسمت همته الى مسابقة الفرسان فلما راى انه لم يلتفت اليه ولم يعول اصلا عليه كادت نفسه تطير وكانت عادة القوم ان يخاطبوا القوم بمخاطبة رئيسهم تعظيما له وحثا لهم على التحلى بما خص به جبرت قلوبهم وشرحت صدورهم فبين لهم حالا من ضمير اقم او من العامل

بخ

فى فطرة اعلاما بانهم مرادون بالخطاب مشارا اليهم بالصواب فقال **منيبين** اى راجعين من بعد مرة بمجاذبة النفس الى الفطرة الاولى **اليه** تعالى بالنزوع عما اكتسبتموه من ردى الاخلاق الى تلك الفطرة السليمة المنقادة للدليل الميالة الى سواء السبيل ولما لم يكن بعد الرجوع الى المحجة الا الامر بلزومها وملاحقة من لم يزغ عنها داب المرة الاولى قال عاطفا على اقم **واتقوه** اى خافوا ان تزيغوا عن سبيله يسلكم فى ايدى اوليك المصلين فاذا خفتموه لم تهملوها كنتم ممن تخلى عن الرذايل **واقيموا الصلاة** تصيرا ممن تحلى بالفضايل هكذا دائما وهو امر ظاهر معقول مساله من امر الدين ابدا التحلية ثم تحليته اولا لدخول الى الاسلام التنزيه واول الدخول الى القران الاستعاذة ان يكتب فى شى ان يمسح ما فيه من الكتابة اتسع بما كتب والا افسد الاول ولم يقرا الثانى والله الموفق ولما كان الشرك من الشر بمكان ليس هو لغيره اكد النهى عنه بقوله **ولا تكونوا** اى كونا **من المشركين** اى لا تكونوا ممن يدخل فى عدادهم بموادة او معاشرة او عمل تشابهونهم فيه فانه من تشبه بقوم فهو منهم وهو عام فى كل شرك سواء كان بعبادة صنم او نار او غيرهما او بالذين بما يخالف النصوص من اقوال الاحبار والرهبان وغير ذلك ولما كانوا يظنون انهم على صواب نصب لهم دليلا على بطلانه بما لا اوضح منه ولا يمكن احدا التوقف فيه وذلك بانه لا يمكن ان يكون الشى متصفا بنفى شى واثباته فى حالة واحدة فقال مبدلا **من الذين فرقوا** بما فارقوا **دينهم** الذى هو الفطرة الاولى فعبد كل قوم منهم شيئا ودانوا دينا غير دين من سواهم وهو معنى **وكانوا** اى بجهدهم وجدهم فى ذلك المفارقة المفرقة **شيعا** اى فرقا متخالفين كل فرقة منهم تتابع من دان بدينها على من خالفهم حتى كفر بعضهم بعضا واستباحوا الدما والاموال فعلم قطعا انهم كلهم ليسوا على الحق ولما كان هذا امرا يتعجب من وقوعه زاده عجبا بقوله استينافا **كل حزب** اى منهم **بما لديهم** اى خاصة من خاص ما عندهم من الضلال الذى انتحلوه **فرحون** ظنا انهم صادفوا الحق وفازوا به دون غيرهم ولما حصل من هذا القطع من كل عاقل بان اكثر الخلق ضال فكان الحال جديرا بالسؤال عن وجه الخلاص من هذا الضلال اشير الى انه لزوم الاجماع وبين ذلك فى جملة حالية من فاعل فرحون فقال تعالى **واذا** وكان الاصل مسهم ولكنه قيل لانه انسب لمقصود السورة من قصر ذلك على الانسان كما هى العادة فى اكثر السور وغيره كل من انواع العالم **مس الناس** تقوية لارادة العموم اشارة الى ان كل من فيه اهلية النوس وهو التحرك من الحيوانات العجم والجمادات لو نطقت ثم اضطرت لتوجهت اليه سبحانه بالسنة قالها ولم تعد لغيره كما انها الان كذلك بالسنة احوالها فهذا هو الاجماع الذى لا يتصور معه نزاع **ضر دعوا ربهم** اى الذى لم يشركه فى الاحسان اليهم احد فى جميع مدة مسهم بذلك الضر بما اشار اليه الظرف حال كونهم **منيبين** اى راجعين من جميع ضلالاتهم التى فرقتهم عنه **اليه** علما منهم بانه لا فرج لهم عند شى غيره هذا دين لكل لا يجرم عنه احد منهم فى وقت من الاوقات ولا فى امة من الامم قال الرازى فى اللوامع فى اواخر العنكبوت وهذا دليل على ان معرفة الرب فى فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا فى السرا فلا شك انهم يلوذون اليه فى حال الضرا ولما كان كل واقع فى شدة مستبعدا كل استبعاد الخلاص منها قال **ثم** باداة البعد **اذا اذاقهم** مسندا الرحمة اليه تعليما للادب وان كان الكل منه ولما كان السياق كله للتوحيد فكانت العناية باستحضار المعبود باسمه وضميره اتم قال **منه** معدما ضميره والاتيعدم الجار على الاختصاص وان ذلك لا يقدر عليه غيره وقال **رحمة** اى خلاصا من ذلك الضر اشارة الى انه لو اخذهم بذنوبهم اهلكهم فلا سبب لانعامه سوى كرمه ودل على شدة اسراعهم فى كفران الاحسان بقوله معبرا باداة المفاجاة **اذا فريق منهم** اى طايفة هى اهل لمفارقة الحق **بربهم** اى المحسن اليهم دائما المجدد لهم هذا الاحسان من هذا الضر **يشركون** بدل ما لزمهم من انهم يشكرون ويعلم ان الحق الذى لا معدل عنه الثابت فى كل حال لبيه كما اجمعوا فى وقت الشدايد عليه وان غيره مما فرقهم ضلال لا يعدل به الا ولا ما يعدله قبال ولما كان هذا الفعل مما لا يفعله الا شديد الغباوة او العناد وكانوا يدعون انهم اعقل الناس ذاب بهم من منزلة البله الى ما الجنون خير منه تهكما بهم فقال **ليكفروا بما** وانت الكلام الى مظهر العظمة فقال **اتيناهم** اى من الرحمة التى من عظمتها انها لا يقدر عليها غيرنا امنا من ان يقعوا فى شدة اخرى فنهلكهم بما اغضبونا او نوسلا بكم الى ان تخلصهم منى وتعوا فى امثالها فما اضل عقولهم واسفه ارائهم ولما كان تعليم هذا سببا لغاية الغضب دل عليه بتهديد ملتفتا الى المخاطبة بقوله **فتمتعوا** اى بما اردتم ديه بالشرك من اجتماعكم عند الاصنام وتواصلكم بها وتعاطفكم وتسبب عن هذا التمتع قوله **فسوف تعلمون** اى يكون لكم بوعيد لا خلف فيه علم فتعرفون اذا حل بكم البلا واحاط بكم جميعا المكر هل ينفعكم شى من الاصنام او من اتخذتم عندها يدا بعبادتها وانفقتم فى التقرب اليها ولما بكتهم بقوله هل لكم مما ملكت ايمانكم ووصل به ما تقدم انه فى غاية التواصل عاد له ملتفتا ايذانا بالتهاونه بهم الى مقام الغيبة ابعادا لهم عن جنابه حيث جهلوا هذه الادلة واستمروا فى خطر اغضابه بقوله **ام انزلنا** بما لنا من العظمة **عليهم سلطانا** اى دليلا واضحا قاهرا **فهو** اى ذلك السلطان لظهور بيانه **يتكلم** كلاما مجازيا بدلالته وافهامه ويشهد **بما** اى بصحة ما **كانوا** اى كونا راسخا **به** اى خاصة **يشركون** بحيث لم يجد وابدا من متابعته لنزول عليهم الملامة وهذه العبارة تدل على انهم لازموا الشرك ملازمة صيرته لهم خلقا لا ينفك ولما بان بهذا ان المنقاد ليس انه لم يضطرهم الى الاشراك عرف فى انفسهم مستمر دايم ولا دليل عقلى ظاهر ولا امر من الله قاهر فبان انهم لم يتبعوا عقلا ولا نقلا بل هم اسرى الهوى

المبني على محض الجهل وكان قد صرح بذلك عقب العدل الأول لمح هنا وترك التصريح به لإغناء الأول عنه واستدل عليه بدليل
خالق العوائد العادة المستمرة والدلالة المشهودة المستقرة فقال عاطفاً على وإذا مس الآية على خفة أحلامهم من وجه آخر عبر في الأول
وإذا معبراً بأداة التحقيق إشارة إلى أن الرحمة أكثر من النقمة وأسند الفعل إليه في مقام العظمة إشارة إلى سعة جوده فقال أذقنا
وجرى الكلام على النمط الماضي في العموم لمناسبة مقصود السورة في أن الأمر كله له في كل شيء فقال الناس رحمة أي نعمة من غنى ونحوه
لا سبب لها إلا رحمتنا فرحوا بها أي فرح بطر وأشر من بذلها ناسين شكر من أنعم بها وقال وإن بأداة الشك دلالة على أن المصائب
أقل وجوداً وقال تصبهم غير مسند لها إليه تأدباً لعباده وإعلاماً بعزيز كرمه سيئة أي شدة تسوءهم من قحط ونحوه ولما
كانت المصائب مسببة عن الذنوب قال منبهاً لهم على ذلك منكراً قنوطهم وهم لا يرجعون عن المعاصي التي عوقبوا بسببها بما قدمت أيديهم
أي من المخالفات مسنداً له إلى الأيدي لأن أكثر العمل بها إذا هم أي بعد ما ساءهم وجودها مساءة نسوا بها ما خولوا فيه من النعم وحملوا
بهم من ملاجئ الكرم يقنطون أي فاجؤوا اليأس بحيث يتجدد لهم في كل حين من إصابتها وكلما وإن كانوا يدعون ربهم في كشفها ويستغفرونه
إصرفها مع مشاهدتهم لضد ذلك في كل الشيئين في أنفسهم وغيرهم منكراً ولذلك أنكر عليهم عدم الرؤية دالاً بالواو العاطف أن
التقدير ألم يروا في أنفسهم تبدل الأحوال فقال ألا أولم يروا أي بالمشاهدة والأخبار رؤية متكررة فيعلموا علماً هو في ثباته
كالمشاهد المحسوس وعبر بالرؤية الصالحة للبصر والبصيرة لأن مقصود السورة إثبات الأمر كله لله ولا تكفي فيه إلا بذل
الجهد وإمعان النظر والسياق لذم القنوط الذي يكفي في نفيه المشاهد لاختلاف الأحوال بخلاف ما يأتي في الزمر التي مقصودها
الدلالة على صدق الوعد الكافي فيه مطلق العلم ولما كان في البسط والقبض جمع بين جلال وجمال لفت الكلام بذكر الاسم
الجامع فقال إن الله بجلاله وعظمته يبسط الرزق أي يكثره لمن يشاء أي من عباده منهم ومن غيرهم ويقدر أي يضيق وإن هذا
شأنه دائماً مع الشخص الواحد في أوقات متشابهة متباعدة ومتقاربة ومع الأشخاص ولو في الوقت الواحد فلو اعتبروا حال قبضه
سبحانه لم يبطروا ولو اعتبروا حال بسطه لم يقنطوا بل كانوا حالهم الصبر في البلاء والشكر في الرخاء والإقلاع عن السيئة التي
نزل بسببها القضاء فقد عرف من حالهم أنهم منقيدون دائماً بالحالة الراهنة يغلطون في الأمور المتكررة المشاهدة فلا عجب في
تقيدهم في إنكار البعث بهذه الحياة الدنيا ولما لم تغن عن أحد منهم في استجلاب الرزق قوته وغزارة عقله ودقة مكره
وكثرة حيله ولا أضر ضعفه وقلة عقله وعجز حيلته وكان ذلك أمراً عظيماً ومنزعاً مع شدة ظهوره وجلالته خفياً دقيقاً
ثم قال بعضهم
كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
أشار سبحانه إلى عظمته بقوله مؤكداً لأن عملهم في شدة اهتمامهم بالسعي في الدنيا عمل من يظن أن تحصيلها إنما هو على قدر الاجتهاد
في الأسباب إن في ذلك أي الأمر العظيم من الإفقار في وقت والإغناء في آخر والتوسيع على شخص والتقتير على آخر والأمن من
زوال الحاضر من النعم مع تكرار المشاهد للزوال في الفقر والغير واليأس من حصولها عند المحنة مع كثرة وجدان الفرج وغير
ذلك من أسرار الآية لآيات أي دلالات واضحات على الوحدانية لله تعالى وتمام العلم وكمال القدرة وأنه لا فاعل في الحقيقة
إلا هو ولكن لقوم أي ذوي همم وكفاية للقيام بما يحق لهم أن يقوموا فيه يؤمنون أي يوجدون هذا الوصف ويديمون تجديده في
كل وقت لما تواصل عندهم من قيام الأدلة بإدامة التأمل والإمعان في التفكر والاعتماد في الرزق على من له ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر أي من طالب علم يعان عليه فلا يفرحون بالنعم إذا حصلت خوفاً من زوالها إذا أراد الفاعل
ولا ييأسون لها إذا زالت رجاء في إتيانها فضلاً من الرازق لأن أفضل العبادة انتظار الفرج بل هم بما عليهم من وظائف
العبادة وأحكامها وحدودها معرضون عما سوى ذلك قد وكلوا أمر الرزق إلى من تولى أمره وفرغ من قسمه وقام بضمانه وهو القادر
العليم ولما أفهم ذلك عدم الاكتراث بالدنيا لأن الاكتراث لا يزيدها والتهاون لا ينقصها فصار ذلك لا يفيد
الا تجمل التكلم بالكد والنصب وكان مما تقدم أن السيئة من أسباب المحق سيئة الإقبال على إنفاقها في حقوقها إعراضاً عنها
وإيذاناً بإهانتها وإيقاناً بأن ذلك هو استبقاؤها واستثمارها واستنماؤها فقال خاصاً بالخطاب أعظم الناس أهلية لتنفيذ
أوامره لأن ذلك أوقع في نفوس الأتباع وأجدر بحسن القبول منهم والسماع فآت يا خير الخلق ذا القربى حقه بادئاً به لأنه أحق
الناس بالبر صلة للرحم وجوداً وكرماً والمسكين سواء كان ذا قربى أو لا وابن السبيل وهو المسافر كذلك والحق الذي ذكرهما
الظاهر أنه يراد به النفل لا الواجب لعدم ذكر بقية الأصناف ودخل الفقير من باب الأولى ولما أمر بالإيتاء
رغب فيه فقال ذلك أي الإيتاء العالي الرتبة خير ولما كان الله سبحانه أغنى الأغنياء فهو لا يقبل إلا ما كان خالصاً
لوجهه لا رياء فيه ولا سمعة وكان ذلك ليس خاصاً على من خص بالخطاب بل كل من تأتى منه نالته بركته للذين يريدون بصيغة الجمع
ولما كان الخروج عن المال في غاية الصعوبة رغب فيه بذكر الوجه الذي هو أشرف ما في الشيء المعبر به هنا عن الذات
وبذكر الاسم الأعظم المألوف لجميع الخلق فقال وجه الله أي عظمة الملك الأعلى فيعرفون من حقه ما يتلاشى عندهم كل ما سواه
فيخلصون له وأولئك العالو الرتبة لغناهم عن كل فان هم خاصة المفلحون الذين لا يشوب فلاحهم شيء من الخيبة وأما غيرهم

خير

خائب أما إذا الربا فهو واضح وأما من أنفق على وجه الربا الحقيقي فقد صرح بالسمعة والربا فإنه خسر ما له وأبقى عليه وباله وأما
من أنفق على وجه الربا الحقيقي فقد صرح به تعريفاً بعظيم خسته صادقاً الخطاب عن المقام الشريف الذي كان مقبلاً عليه تعريفاً بنزاهة
جنابه عنه وبعد تلك الهمة العلية والسجايا الطاهرة النقية منه إلى جمعه من يمكن ذلك منهم فقال وما آتيتم أي جئتم أي فعلتم
في قراءة ابن كثير بالقصر لتعم المعطي والآخذ والمتسبب وأعطيتم في قراءة غيره بالمد من ربا أي مال على وجه الربا المحرم والمكروه وهو
أن يعطي عطية ليأخذ في ثوابها أكثر منها وكان هذا مما حرم على النبي صلى الله عليه وسلم تشريفاً له وكره لعامة الناس وعلى قراءة ابن كثير
بالقصر المعنى وما جئتم به من إعطاء بقصد الربا ليربوا أي يزيد ويكثر ذلك الذي أعطيتموه أو فعلتموه أو لتربوه والإثم ذلك على قراءة المد
ويعفون بالفوقانية المضمومة من أربى في أموال الناس أي يحصل فيه زيادة تكون أموال الناس ظرفاً لها فهو كناية عن الزيادة التي يأخذها
المرابي من أموالهم لا يملكها أصلاً فلا يربو أي يزكو وينمو عند الله أي الملك الأعلى الذي له الغنى المطلق وكل صفات الكمال وكلما لا يربو
عند الله فهو غير مبارك بل ممحوق لا وجود له فإنه إلى فناء وإن كثر يمحق الله الربا ويربي الصدقات ولما ذكر ما زيادته نقص في
الحقيقة أتبعه ما نقصه زيادة فقال وما آتيتم أي أعطيتم للإجماع على مده ليلا يوهم القصر الترغيب في أخذ الزكاة من زكاة أي صدقة
وعبر عنها بذلك لتفيد الطهارة والزيادة أي تطهرون بها أموالكم من الشبه وأبدانكم من مواد الخبث وأخلاقكم من الغل والدنس
ولما كان الإخلاص عزيزاً أشار إلى عظمته بتكريره فقال تريدون أي بها وجه الله خالصاً مستحضرين لجلاله وعظمته ولما كان الأصل
وعبر عن الذات بالوجه لأنه الذي يجل صاحبه ويستحى منه عند رؤيته وهو أشرف ما في الذات ولما كان الأصل
عدل به إلى صيغة تدل على تعظيمه بالالتفات إلى الخطاب من بحضرته من أهل قربه وملائكته لأن العامل يجب أن يكون له بعمله لسان
صدق في الخلائق فكيف إذا كان من الخالق وبالإشارة إليه بأداة البعد إعلاماً بعلو رتبته وأن المخاطب بالإيتاء كثير وأن العامل
قليل وجليل فقال فأولئك ولعل المراد بالمخاطب هنا الترغيب في الإيتاء بأنه لا يهمه ما لا أهله حق فيه سوى المنزل عليه
هذا الوحي صلى الله عليه وسلم هم أي خاصة المضعفون أي الذين ضاعفوا أموالهم في الدنيا بسبب ذلك بالحفظ والبركة وفي الآخرة
بكثرة الثواب عند الله من عشرة أمثال إلى ما لا حصر له كما يقال مقو وموسر ودمس ومعطش لمن له قوة ويسار وسمن في إبله وعطش ونحو ذلك
وصح بهذا أنه لا زيادة إلا فيما يريد الله ولا خير إلا فيما يختاره الله فكان ذلك مزهداً في زيادة الأغنياء وطلب الدنيا ولما
ذلك بطريق لا أوضح منه فقال الله أي العظيم جلاله لا غيره الذي خلقكم أي أوجدكم على ما أنتم عليه من التقدير لا تملكون شيئاً ولما كان
الرزق موزعاً بين الناس بل هو ضيق على كثرته عن كثير منهم فكان رزق من تجدد لا سيما إن كان أبناً للفقير مستبعداً أشار إليه بأداة البعد
فقال ثم رزقكم ولما كانت إماتة المتمكن من بدنه وعقله وقوته وأسبابه مستبعدة نبه عليها بقوله ثم يميتكم ولما كان
كل ذلك في الحقيقة عليه هيناً وكان الإحياء بعد الإماتة أن لم يكن أهون من الإحياء أول مرة كان مثله وأن استبعدوه قال
ثم يحييكم ولما استغرق بما ذكر جميع ذواتهم وأحوالهم وكان الشريك من قام بشيء من العمل والمعمول فيه وكان من المعلوم
أنه ليس لشركائهم في شيء من ذلك نوع صنع قال منكراً عليهم هل من ولما كان إشراكهم بما أشركوا لم يظهر له نوع الإنهم
جعلوا لهم جزءاً من أموالهم عبر بقوله شركائكم أي الذين زعموا لهم شركاً من يفعل من ذلكم مشيراً إلى علو رتبته بأداة البعد
ولما كان الاستفهام الإنكاري التوبيخي في معنى النفي قال مؤكداً له مستغرقاً لكل ما يمكن منه ولو قل جداً وخطاً بالكل
من شيء ولما لزمهم قطعاً أن يقولوا لا وعرفت ما لهم ولا لأحد في شيء أي يستحق هذا الوصف الذي تطلقونه عليه
من ذلك من فعل أشار إلى عظيم ما ارتكبوه بما أنتجه هذا الدليل فقال معرضاً عنهم زيادة في التعظيم والعظمة منزهاً لنفسه الرفيعة
منبهاً على التنزيه ببعد رتبته السماء من حالهم سبحانه أي تنزه تنزهاً لا يحيط به الوصف من أن يكون محتاجاً إلى شريك فإن
ذلك نقص عظيم ولما كان من أخبر بأنه فعل شيئاً وبفعله كالإماتة والإحياء بالبعث وغيره لا يحول بينه وبينه
الإمتناع من شريك أو نحوه قال وتعالى أي علو الإيصل إليه العقول كما دلت عليه صيغة التفاعل وحرف قراءة حمزة والكسائي
بالخطاب على الأسلوب الماضي وأدنت قراءة الباقين بالغيب بالإعراض الغضب في قوله معبراً بالمضارع إشارة إلى أن العاقل من
شأنه أنه لا يقع منه شرك أصلاً فكيف إذا كان على سبيل التجدد والاستمرار عما يشركون في أن يفعلوا شيئاً من ذلك أو يقدروا
بنوع من أنواع القدرة على أن يحولوا بينه وبين شيء مما يريد ليستحقوا لذلك أن يعظموا نوع تعظيم فنزهوه وعظموه بالبراءة
من كل معبود سواه ولما بين لهم سبحانه من حقارة شركائهم ما كان حقهم به أن يرجعوا ثم يفعلوا اتبعه ما
أصابهم به على غير ما كان في أسلافهم عقوبة لهم على قبيح ما ارتكبوا استعطافاً للتوبة فقال ظهر الفساد أي النقص في جميع ما
ينفع الخلق في البر بالقحط والخوف ونحوهما والبحر بالغرق وقلة الفوائد من الصيد ونحوه من كل ما كان يحصل منه
وقال البغوي البر البوادي والمفاوز والبحر المدائن والقرى التي على المياه الجارية قال عكرمة العرب تسمي المصر بحراً ثم بين سببه
بقوله بما ولما أعلم السياق بدلالته على الشناعة على الانفعال قال كسبت أي عملت من الشر عملاً هو من شدة تراميهم
إليه وإن كان على أدنى الوجوه بما أشار إليه تجريد الفعل كأنه مكسوب من علو ومن شدة إتقانهم كأنه مسبوك ولما

كان اكثر الافعال باليد اسند اليهما ما يراد به الجملة مصرحا بعموم كل ما له اهلية التحرك فقال ايدى الناس اى عقوبة لهم على فعلهم ولما ذكر علته البداية شئ بالجزاية فقال ليذيقهم اى بما لنا من العظمة فى رواية قنبل عن ابن كثير بالنون لاظهار العظمة فى الاذاقة للبعض والعفو عن البعض وقراءة الباقين بالتحتانية على سنن الجلالة الماضية واشار الى كرمه سبحانه بقوله بعض الذى عملوا اى وباله وحر حرقته ويعفو عن كثير اما اصلا وراسا واما عن المعاجلة به ويؤخره الى وقت ما فى الدنيا او الى الآخرة والمراد الجزاء بمثل اعمالهم جزاء لها تعبيرا عن المسبب بالسبب الذى ادوه الى الناس فيعرفوا اذا سلبوا المال مقدار ما ذاق منهم ذلك الذى سلبوه واذا قتل لهم حميم حرارة ما قاسى حميم من قتلوه ونحو ذلك مما استهانوه لما اتوه الى غيرهم من الاذى البالغ وهم يضحكون ويعجبون من جزعه ويستهزئون غافلين عن شئ مما يعانى من انواع الحرق مرورا بمن يعز عليه امره ويهمه شانه وبين قد غلبها عن المساعدة العجز وقصرها الضعف والقهر ثم نبه بالعلة الغائية فقال لعلهم يرجعون اى ليكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرجى رجوعه عن فعل مثل ذلك خوفا من ان يعاد لهم بمثل ذلك من الجزاء ولما كان الانسان لنقصه فى نفسه بالجزئيات شديد الوقوف مع العقل الجزئى وكان علمهم بايام الماضين ووقائع الاولين كافيا لهم فى العظة للرجوع عن اعتقادهم والتبرى من عنادهم وكانوا لو لم يروا آثارهم رؤية اعتبار وتامل وادكار عدوا ممن لم يرها فنبه سبحانه على ذلك بالاحتجاب عنهم بحجاب العز امر له صلى الله عليه وسلم بان يامرهم بالسير للنظر فقال تاكيدا للمعنى الكلام السابق نصحا لهم ورفقا بهم قل اى لهؤلاء الذين لا همّ لهم الا الدنيا فلا يعبرون فيما ينظرون من ظاهر الى باطن سيروا واشار الى الاستغراق ديار المهلكين كلما حولهم من الجهات كما سلف فقال فى الارض فان مسيركم الماضى لكونه لم يصحبه عزم عدم ولما كان المراد الانقياد الى التوحيد وكان قد ذكرهم بما اصابهم على نحو ما اصاب به الماضين قال فانظروا بفاء التعقيب ولما كان ما احله بهم فى غاية الشدة عرفهم ذلك بسوقه مساق الاستفهام تخويفا لهم من اصابتهم بمثله فقال كيف ولما كان عذابهم مهولا وامرا شديدا وبلاء دل عليه بتذكير الفعل فقال كان عاقبة اى آخر امر الذين ولما كان المراد طوائف المعذبين وكانوا بعض من مضى فلم يستغرقوا الزمان بعض فقال من قبل اى من قبل ايامكم اذاقهم الله وبال امرهم واوقعهم فى حفائر مكرهم ولما كان هذا التنبيه كافيا فى الاعتبار فكان سامعه جديرا بان يقول قد تاملت فرايت آثارهم عظيمة وصنائعهم مكينة ومع ذلك فديارهم خالية وبيوتها خاوية فقد ضربوا بسوط العذاب فعمهم الخسار والتباب فما لهم عذبوا فاجيب بقوله كان اكثرهم مشركين فلذلك اهلكناهم فلم تغن عنهم كثرتهم وانجينا المؤمنين وما ضرتهم قلتهم ولما كان مانع كثرة مرورهم على ديارهم ونظرهم لآثارهم وسماعهم لاخبارهم لم يتعظوا اشير الى انهم عدم بصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى السامع المطيع فقال مسببا عما مضى من اقامة الادلة والوعظ والتخويف فاقم اى يا من لا يعمى عما حق الفهم سواه لانا فضلناه على جميع الخلق وجهك اى لا تلتفت اصلا للدين القيم الذى لا عوج فيه بوجه بل هو عدل كله من التبرى من الاوثان الى التلبس بمقام الاحسان فالزمه واجعله نصب عينيك لا تغفل عنه ولا طرفة عين لكونه سهلا قيما بسبب الاعانة عليه فى الظاهر بالبيان الذى ليس معه خفاء وفى الباطن بالجبل عليه حتى انه ليقبله الاعمى والاصم والاخرس ويبصر فيه كالجبل رسوخا ولما كان حفظ الاستقامة عزيزا اعاد التخويف لحفظ اهلها فقال ميسرا للامر بعدم استغراق الزمان باثبات الجار اشارة الى الرضى باليسير من العمل ولو كان ساعة من نهار بشرط الاتصال بالموت من قبل وفك المصدر للتصريح بالاستقبال فقال ان ياتى يوم اى عظيم وهو يوم القيمة او الموت واشار الى تفرده سبحانه فى الملك بقوله لا مرد ولعل الكلام فى رواية قنبل من مظهر العظمة الى اعظم منه لاقتضاء المقام ذلك واظهر فى قراءة الباقين لئلا يتوهم عود الضمير الى الدين فقال له من الله واذا لم يرده هو لوعده بالاتيان به وهو ذو الجلال والاكرام فمن الذى يرده ولما حقق اتيانه فصل امره مرغبا مرهبا فقال يومئذ اى اذ يأتى يصدعون اى يتفرقون فلا تلتقى كلمهم فرقة ثم تخفى على بعضهم عما اشار اليه الادغام فيقولون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار ولما كان المعنى انهم فريق فى الجنة وفريق فى السعير بين ذلك بيانا عائبة سببه فى جواب من كانه قال الى اين يتفرقون فقال من كفر اى منهم بعمل سيئا فعليه لا على غيره كفره اى وباله وعلى انفسهم يعتدون ولها يهدمون فيصيرون فى ذلك اليوم الى النار التى بها يكذبون ومن كان عليه كفره الذى اوبقه الى الموت فلا خلاص له فيما بعد الموت ووحد الضمير ردا له على لفظ من نصا على ان كل واحد يجزى بعمله لا المجموع من حيث هو مجموع وافهما ما لان الكفرة قليل وان كانوا اكثر من المؤمنين لانهم لا مولى لهم ولتفرق كلمتهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى الآية ولانه لا اجتماع بين اهل النار لتأذى بعضهم ببعض بل كل منهم فى شغل شاغل عن معرفة ما ينفع غيره ومن عمل صالحا اى بالايمان وما يترتب عليه واظهر ولم يضمر لئلا يتوهم عود الضمير على من كفر وبشارة بان اهل الجنة كثير وان كانوا قليلا لان الله مولاهم فهو يزكيهم ويؤيدهم فلانفسهم خاصة اعمالهم ولهم خاصة عملهم الصالح ولانفسهم يمهدون اى يسوون ويوطئون منازل فى القبور والجنة بل وفى الدنيا فان الله يعزهم بعز طاعته والآية من الاحتباك

حذف اولا عده وانهم على انفسهم لما دل عليه من المهد وثانيا كون العمل لهم خاصا بهم لما دل عليه من كون الكفر على صاحبه خاصة واحسن من هذا ان يقال ذكر الكفر الذى هو السبب اولا دليلا على الايمان ثانيا والعمل الصالح الذى هو الثمرة ثانيا دليلا على العمل السيئ اولا ولما فرغ من بيان تصدعهم ذكر علته فقال ليجزى اى الله سبحانه الذى انزل هذه السورة لبيان انه ينصر اولياءه لاحسانهم لانه مع المحسنين ولذلك اقتصر هنا على ذكرهم فقال الذين آمنوا ولو على ادنى الوجوه وعملوا اى تصديقا لايمانهم الصالحات ولما كانت الاعمال نعمة منه فكان الجزاء المحض احسانا فقال من فضله ولما كان تنعيمهم من اعظم عذاب الكافرين الذين كانوا يستهزؤن بهم ويضحكون منهم علله بقوله على سبيل التاكيد دفعا لدعوى من يظن من اقبال الدنيا على العصاة لمحبة الله لهم انه لا يحب الكافرين اى لا يفعل مع العريقين فى الكفر فعل المحب فلا يسويهم بالمؤمنين فى وعلم من ذلك ما طوى من جزائهم فالآية من وادى الاحتباك وهو ان يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شئ ويكون نظمهما بحيث يدل ما اثبت فى كل على ما حذف من الآخر فالتقدير هنا بعد ما ذكر من جزاء الذين آمنوا انه يحب المؤمنين ويجزى الذين كفروا وعملوا السيئات بعدله انه لا يحب الكافرين فغير النظم لبديع دلالته كما ترى على ما حذف على ان اكرام المؤمنين هو المقصود بالذات وهو بعينه ارغام الكافرين وعبر فى شق المؤمنين بالمنتهى الذى هو المراد من محبة الله لانه اسر وفى جانب الكافرين بالمبدا الذى هو مجاز لانه انكى واضر ولما ختم فى اول السورة الآيات الدالة على الوحدانية المستلزمة للبعث لانه تمام ظهور الحكمة وانكشاف غطاء القلوب عن صفات العظمة بان قيام السماء والارض بامره واتبع ذلك ما اسنده التجارة وختمه ببعض الكافرين بعد ذكر يوم البعث اتبعه ذكر ما حفظ به قيام الوجود وهو الرياح بجعلها سببا فى ادرار النعم التى منها ما هو اعظم دلالة البعث وهو النبات وهى بحملها دليل ذلك وسببا للقران فى البر والسير فى البحر الموصل للمنافع بعض البلاد الى بعض وبذلك انتظم الامر لاهل الارض فاستعمل المؤمن منهم ما رزقه سبحانه من العقل فى النظر فى ذلك حتى اداه الى الشكر فاحبه واقتصر الكافر على الداب فيما يستجلب به تلك النعم ويستكثرها فابطره ذلك فاوصله الى كفر فابغضه والرياح ايضا اشبه شئ بالناس منها النافع نفعا كبيرا ومنها الضار ضرا كبيرا فقال ومن آياته اى دلالاته الواضحة الدالة على كمال قدرته وتمام علمه الدال على انه هو وحده الذى اقام هذا الوجود وكما انه اقامه فهو يقيم وجودا آخر هو ربع الامر ومحط الحكمة وهو ابدع من هذا الوجود يبعث فيه الخلق بعد فنائهم ويتجلى لفصل القضاء بينهم فياخذ بالحق لمظلومهم من ظالمهم ثم يصدعهم فيجعل فريقا منهم فى الجنة دار الاعانة والكرامة وفريقا فى السعير دار الاهانة والملامة ان يرسل الرياح على سبيل التجديد والاستمرار وهى ما عدا الدبور المشار فى الحديث الشريف الى الاستعاذة منها اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد تقدم من شرح لها عند ومن آياته ان يرسل الرياح نشرا فى النمل ما فيه كفاية وفى جمعها المجمع عليه هنا لوصفه بجمع اشارة الى باهر العظمة فان تحويل الريح الواحدة من جهة الى اخرى اثر عظيم لا قدرة لغيره عليه فى الفضاء الواسع وكذا اسكانها فكيف اذا كانت رياحا متماسكة ففى اثارتها كذلك ثم اسكانها من باهر القدرة ما لا يعلمه الا اولو البصائر مبشرات اى لكم بكل ما فيه نفعكم من المطر والروح وبرد الاكباد ولين العيش ولما كان التقدير ليهلك بها من يشاء من عباده او ليدفع عنكم ما يحصل بفقدها من نقمته من الحر وما يتبعه من انتشار المفسدات واضمحلال المصلحات وطواه لانه لا لسياق لذكر النعم عطف عليه قوله مبتدئا اللام ايضاحا للمعطوف عليه وليذيقكم واشار الى عظمة نعمه بالتبعيض فى قوله من رحمته اى نعمه من المياه العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان وخصب الزمان وما يتبع ذلك من امور لا يحصيها الا خالقها ولا يتصورها حق تصورها الا من فقد الرياح من وجود الروح وزكاء الارض وازالة العفونة من الهواء والاعانة على تذرية الحبوب وغير ذلك واشار الى عظمة هذه النعمة والى انها صارت لكثرة الالف مغفولا عنها باعادة اللام فقال ولتجرى الفلك اى السفن فى جميع البحار وما جرى مجراها عند هبوبها ولما اسند الجرى الى الفلك نزعه منها بقوله بامره اى بما يلائم من الرياح اللينة واذا اراد اعصفها فاغرقت او جعلها متعاكسة فحيرت وردت حتى يحتال الملاحون بكل حيلة على ايقاف السفن لئلا تتلف ولما كان كل من مجرد السير فى البحر والتوصل به من بلد الى بلد نعمة فى نفسه عطف على لتجرى قوله منبها باعادة اللام على تعظيم النعمة ولتبتغوا اى تطلبوا طلبا ماضيا بذلك السير وعظم ما عنده بالتبعيض فى قوله من فضله مما يسر لكم من الربح بالسفر للمتجر من بلد الى بلد والجهاد وغيره ولعلكم اى ولتكونوا اذا فعل بكم ذلك على رجاء من انكم تشكرون ما افاض عليكم سبحانه من نعمه ودفع عنكم من نقمه ولما كان التقدير فمن شكر اذاقه من رحمته ومن كفر انزل عليه من نقمته وكان السياق كله لنصر اوليائه وقهر اعدائه وكانت الرياح مبشرات ومنذرات كالرسل وكانت موصوفة بالخير كما فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وكانت فى كثرة منافعها وعمومها ان كانت نافعة ومضارها ان كانت ضارة اشبه شئ بالرسل من انجاء قوم واهلاك آخرين وما يشاعها كما يشاعهم

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي موسى رضي الله عنه البخاري في العلم ومسلم في المناقب مثل ما بعثني الله
به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت طايفة منها طيبة فقبلت الما وانبتت الكلا والعشب الكثير
وكانت منها طايفة اجادب امسكت الما فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طايفة اخرى انما هي قيعان
لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا
ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به ولما كان الامر كذلك عطف على قوله ينصر من يشا وقوله ثم كان عاقبة الذين اساوا السوى
او على ما تقديره تسبيحا عن قوله فاقم وجهك للدين القيم فلقد ارسلناك بشيرا لمن اطاع بالخير ونذيرا لمن عصى بالشر قوله
مسليا لهذا النبي الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم واتباعه ولفت الكلام الى مقام العظمة لاقتضا سياق الانتقام لها
واكد اشارة الى ان الحال باشتداده وصل الى حالة اليايس او لانكار كثير من الناس ارسال البشر ولقد ارسلنا بما للناس العز
ولما كانت العناية بالاخبار بان عادته ما زالت قديما وحديثا على نصر اوليايه قال معلما باثبات الجار ان الارسال
بالفعل لم يستغرق زمان القبل او ان الكلام في خصوص الامم المهلكة من قبلك معمما له على رسلا او للتنبيه على انه
خاتم النبيين بتخصيص ارسال غيره بما قبل زمانه وقال الى قومهم اعلاما بان باس الله اذا جا لا ينفع فيه قريب ولا بعيد وزاد
في التسلية بالتذكير اشارة الى شدة اذى القوم لانبيايهم حيث لم يقل الى قومها ولما كان ارسال الله سببا لا محالة
للبيان الذي لا لبس معه قال فجاوهم بالبينات فانقسم قومهم الى مسلمين ومجرمين فانتقمنا اي فكانت معاداة المسلمين للمجرمين
فينا سببا لانا انتقمنا بما لنا من العظمة من الذين اجرموا لاجرامهم وهو قطع ما امرناهم بوصله اللازم منه وصل ما امروا
بقطعه فوصلوا الكفر وقطعوا الايمان فخذلناهم وكان حقا علينا قهر المجرمين اكراما لمن عادوهم فينا وانعمنا على الذين امنوا
فنصرناهم ولما كان نحط الغاية التزامه سبحانه لنفسه بما تفضل به قدمه تعجيلا للسرور وتطييبا للنفوس
فقال وكان اي على سبيل الثبات والدوام حقا علينا اي بما اوجبناه بوعدنا الذي لا خلف فيه نصر المومنين اي
العريقين في ذلك الوصف في الدنيا والاخرة لم يزل هذا دابنا في كل ملة على مدى الدهر فان هذا من الحكمة التي لا ينبغي
اهمالها فليعتبر هولاء لمثل هذا وليحذروا وليأخذوا اهبته لينظروا من المغلوب وهل ينفعهم شي والاية من الاحتباك حذف
اولا الاهلاك الذي هو اثر الخذلان لدلالة النصر عليه وثانيا الانعام لدلالة الانتقام عليه ولما اقام سبحانه
الدليل على البعث واقامة الوجود بتصريفه الرياح كيف شا واتبعه اية التسلية والتهديد وكان عذاب المذكورين فيها بالريح
او ما هي سببه او لها مدخل فيه اتبع ذلك الاعلام بانه مختص بذلك سبحانه تنبيها على عظيم اية الرياح للحض على تدبرها موكدا
لامر البعث ومصرحا به فقال ثانيا الكلام عن مقام العظمة التي اقتضته النقمة الى الاسم الاعظم الجامع الذي نظره الى النعمة
اكثر من نظره الى النقمة الله اي وحده الذي يرسل مرة بعد اخرى لانه المنفرد بالكمال فلا كفو له الرياح مضطربة هايجة
بعد ان كانت ساكنة وفي قراة الجمهور وما جمع خلافا لابن كثير وحمزة والكسائي تنبيه على عظيم الصنع في كونه يفعل ما ذكر
باي ريح اراد فتثير سحابا لم يكن له وجود ولما اسند الاثارة الى الرياح نزع الاسناد اليها في البسط والتقطيع
وكانه لم يجعل فيها قوة شي من ذلك ليعلم ان الكل فعله فقال فيبسطه بعد اجتماعه في السما اي جهة العلو ولما
كان امر السحاب في غاية الاعجاب في وجوده بعد ان لم يكن واشكاله والوانه وجميع احواله في اجتماعه وافتراقه وكثافته
ورقته وما فيه من مطر ورعد وبرق وغير ذلك مما لا يعلم حق علمه الا الله تعالى اشار سبحانه الى ذلك باداة الاستفهام
وان كانوا قد عدوها هاهنا شرطية فقال كيف اي كما يشا في اي ناحية شا قليلا تارة كمسيرة ساعة او يوم وكثيرا اخرى
كمسيرة ايام على اوضاع مختلفة تدلك قطعا على انه فعله وحده باختياره لا مدخل فيه لطبيعة ولا غيرها ولما
كان المراد بذلك قوله على هيئة الاتصال دل عليه بقوله ويجعله اي اذا اراد كسفا اي قطعا غير متصل بعضها ببعض
انفصالا يمنع نزول الماء فترى بسبب ارسال الله له او بسبب جعله دامساته وفرج يا من فيه اهلية الروية او يا اشرف
خلقنا الذي لا يعرف هذا حق معرفته سواه الودق اي المطر المتقاطر القريب الواسع يخرج من خلاله اي السحاب الذي هو
هو اسم جنس في حالتي الاتصال والانفصال ولما كان سبحانه قد سبب عن ذلك سرور عباده لما يرجعون من اثره
وان كانوا كثيرا ما يشاهدون تخلف الاثر لعوارض يبيحها سبحانه قال مسببا عن ذلك ومشيرا باداة التحقق الى عظيم
فضله وتحقق نعامه فاذا اصاب اي الله به من اي ارض من يشا ونبه على ان ذلك فضل منه لا يجب عليه لاحد
اصلا شي بقوله من عباده اي الذين لم تزل عبادته واجبة عليهم وهم جديرون بملازمة شكره والخضوع لامره خاصا
لهم بقدرته واختياره من الخصب والرطوبة واللين اذا هم يستبشرون اي يظهر عليهم البشر وهو السرور الذي تشرق
له البشرة حال الاصابة ظهورا بالغا عظيما بما يرجونه مما يحدث عنه من الاثر النافع من الخصب والرطوبة واللين ثم بين
طيشهم وعجزهم بقوله وان اي والحال انهم كانوا في الزمن الماضي كونا متمكنا في نفوسهم وبين قرب ياسهم من استبشارهم

دلالة على سرعة انفعالهم وكثرة تقلبهم باثبات الجار فقال من قبل ان ينزل اي المطر بالتيسر ما يكون عليه سبحانه عليهم ثم اكد عظيم خفتهم وعدم
تدبرهم بقوله من قبله اي الاستبشار سواء من غير تخلل زمان يمكن ان يدعى لهم فيه تسبب في المطر لمبلسين اي ساكتين على ما انفسهم تحيرا وياسا
وانقطاعا فلم يكن لهم على الاتيان بشي من ذلك حيلة ولا لمعبوداتهم صلاحية له باستقلال ولا وسيلة ولما انكشف بذلك انقطا
ولما اشبه اعرض سبحانه عنهم على تقدير ان يكون يرى لمن فيه اهلية الروية ابدانا بانه لا فهم لهم منتقلا الى خلاصة الخلق الصالح للتلقي
عنه فالاستبشار عن ذلك ولما كان المراد تعظيم النعمة وان الرزق اكثر من الخلق عبر بحرف الغاية اشارة الى تامل الاقصى لا
بعد تامل الادنى فقال الى اثر ولما لم يكن لذلك سبب سوى سبق رحمته لغضبه قال رحمت الله الجامع لجامع العظمة واظهر ولم
يضمر تنبيها على ما في ذلك من باهر العظمة في تنوع الزروع بعد شقها الارض واهتزازها بالنبات واخضرار الاشجار واخلاف الثمار في تكون الكل
من ذلك الماء ولما كان هذا من الخوارق العظيمة ولكنه قد تكرر حتى صار ربما لو فاتبه على عظمته بانه اهل لان ياسا لعنه فقال كيف يحيي
اي هذا الاثر والله مرة بعد اخرى الارض باخراج ما ذكر منها ولما كانت قدرته على احيايها دائمة على ما اشار اليه المضارع ودعى اليه
مقصود السورة اشار الى ذلك ايضا بترك الجار فقال بعد موتها بانعدام ذلك ولما كان هذا دالا على القدرة على اعادة الموتى
ولا بد لانه مثله سواء فان جميع ما لا نبيته الادميون يتفرق في الارض بعد كونه هشيما تذروه الرياح ويتفتت بحيث يصير ترابا فاذا نزل عليه
الما عاد كما كان واحسن قال ان ذلك اي العظيم الشان الذي قدر على هذا لمحيي الموتى كلها من الحيوانات والنباتات اي ما زال قادرا على ذلك ثابتا
له هذا الوصف ولا يزال وهو مع ذلك على كل شي من ذلك وغيره قدير لان نسبة القدرة منه سبحانه الى كل ممكن على حد سوا ولما
كان تكرار مشاهدتهم لمثل هذا الاقتدار لا يفيدهم استعادة بالمواعظ معبرا باداة الشك تنبيها على ان انعامه اكثر من انتقامه
موكدا بالقسم لانكارهم الكفر علما بالله تعالى دل على ذلك بقوله لافتا الكلام الى سياق العظمة تنبيها على عظيم عفوه سبحانه مع تمام القدرة
موكدا له غاية التاكيد تنبيها على انه ليس من شان العقلا ولين ارسلنا اي بعد وجود هذا الاثر الحسن ريحا عقيما فراوه اي الاثر ويجوز ان
يكون الاثر للريح من التعبير بالسبب عن المسبب مصفرا قد ذبل واخذ في التلف من شدة يبس الريح اما بالحر او البرد لظلوا اي لداموا وعزتنا لهذا
بعد دون الكفر ابدا وان كان ظل معناه دام نهارا وعبر بالماضي موضع المستقبل نحو ليظلن والله تاكيدا للتحقيق ولعله عبر بالظلول
لان مدة النوم لا تجديد فيها للكفر ولذلك اي بحرف التبعيض فقال حيث قال من بعده اي بعد اصفراره يكفرون باياسهم من روح الله وجحود
لما اسلف اليهم من النعم بعد ما تكرر من تعرفه سبحانه اليهم بالاحسان بعدما النعت حلفنا البطان وكان وكانوا فلا هم عند السرا بالكفر
شكرا ولا عند الضرا بالنعمة صبروا ابل لم يزيدوا واهناك على الاستبشار ولا نقصوا هاهنا شيا من تجديد الكفر والاصرار فلم يزالوا في العدم
استبصارهم على الحالة المذمومة ولم يتبعوا في ازالة النعم ولا انالة النعم فكانوا اضل من النعم ولما كان هذا كله من حالهم
في سرعة الحزن والفرح في حالتي الشدة والرخاء واصرارهم على تجديد الكفر دليلا على خفة احلامهم وسوء تدبرهم فانهم لا للايات المرئية يعون ولا للايات
المتلوة عليهم يسمعون سبب عن ذلك التعريف باناسهم ليس لاحد غيره سبحانه وهو قد جعلهم اموات المعاني فقال ممثلا لهم بلانه اصناف من البلدا الكرم
لانهم ينكرون ان يكونوا حالهم كذلك والنبي صلى الله عليه وسلم شديد التسعي في اسماعهم والجهد في ذلك فانك اي استدامتهم لكفرهم هذا تارة
في الرخا وتارة في الشدة وقوفا مع الاثر من غير نظر ما الى الموثر وانت تتلوا عليهم اياته وتنبههم على بدايع بيناته بسبب انك لا تسمع الموتى
اي ليس في قدرتك اسماع الذين لا حياة لهم فلا نظر ولا سمع او موتى القلوب اسماعا ينفعهم لانه مما اختص به سبحانه وهولاء منهم من هم مثل الاموات
لان الله تعالى قد ختم على مشاعرهم ولا تسمع اي انت في قراة الجماعة غير ابن كثير الصم اي الذين لا سمع لهم اصلا وذكر ابن كثير الفعل من سمع ورفع الصم على
انه فاعل فكان التعبير فان من مات او مات قلبه لا يسمع ولا يسمع الصم الدعا اذا دعوتهم ثم لما كان الاصم قد يحس بدعايك اذا كان مقبلا بحاسة
بصره قال اذا ولوا وذكر الفعل ولم يقل ولت اشارة الى قوة التولي ليلا يظن انه اطلق على المجانبة مثلا ولذا بين حاله حالا هي قوله
مدبرين ولما يدني نيا فقد حاسة السمع لانها انفع من حيث ان الانسان انما يفارق غيره من البهايم بالكلام اتبعها حاسة البصر مشيرا
بتقديم المضمر الى انه صلى الله عليه وسلم يجتهد في هدايتهم اجتهاد من كانه يفعله بنفسه تدريبا للغير في الاقتصاد في الامور فقال
وما انت بهادي العمي اي بموجد لهم هداية وان كانوا يسمعون هدا في قراة الجماعة غير حمزة وجعله حمزة فعلا مضارعا مسندا الى المخاطب
من هدى بالتعدية وما انت بجدد هداية للعمي عن ضلالتهم اذا اضلوا عن الطريق فابعدوا وان كان ذي ضلال بما اشار اليه التانيث وان اتعبت نفسك
في نصيحتهم فانهم لا يسلكون السبيل الا واياديهم في يدك ومتى غفلت عنهم وانت لست بقيوم رجعوا الى الضلال فالمنفي في هذه الجملة في
قراة الجمهور ما تقتضيه الاسمية من دوام الهداية موكدا وفي قراة حمزة ما تقتضيه المضارع من التجدد وفي التي قبلها ما تقتضيه الفعلية
المضارعة من التجدد ما دام مشروطا بالادبار وفي الاولى التجدد للسماع مطلقا فهي ابلغ ثم التي بعدها لشمول الصنف الاول من لا يقبل الخير
بوجه ما مثل ابي جهل وابي بن خلف والثاني من قد يقاربه مقاربة ما مثل عتبة بن ربيعة حين كان يقول لهم خلوا بين هذا الرجل وبين الناس فان
اصابوه فهو ما اردتم والا فعزه عزكم والثالث المنافقون وعبر في الكل بالجمع لانه انكا والله الموفق ولما كان ذلك كناية عن ابعادهم
في الكفر نبه ببيان ان المراد موت القلب وصممه وعماه لا الحقيقي فهم اي فتسبب عن قبولهم لذلك انهم مسلمون اي منقادون للدليل غاية
الانقياد غير جامدين مع التقليد ولما دل سبحانه على قدرته على البعث بوجوه من الدلالات تارة في الاجسام وتارة في القوى

الضيم

م

واكثر على ذلك في هذه السورة من الحجج البينات وختم بانه لا يبصر هذه البراهين الا من حسنت طويته فلانت للادلة عريكته وطارت في قباء المقادير باجنحة العلوم فكرته ورويته وصل بذلك دليلا جامعا بين القدرة على الاعيان والمعاني ابدا واعادة ولذلك لفت الكلام الى الاسم الجامع ولفته الى الخطاب للتعميم والاستعطاف بالتشريف فقال مؤكدا اشارة الى انه ذكر دالا على قدرته على البعث ولا بد وهم ينكرونه فانه لا انفكاك لاحدهما عن الاخر الله اي الجامع لصفات الكمال وحده ولما كان مرتبطا لموصول ظاهرا غير ملبس عبر به دون اسم الفاعل فقال الذي خلقكم اي من العدم ولما كان محط حال الانسان وما عليه اساسه وجبلته الضعف واضعف ما يكون حين ولد قال من ضعف اي من الاطوار ثم شاء الله من الماء المهين الى ما شاء الله من سن الصبى ولما كانت قوة المعنى الضعيف مثل احياء الجسد الميت قال ثم جعل عن سبب وتصيير بالتطوير في اطوار الخلق بما يقيمه من الاسباب ولما كان ليس المراد الاستغراق عبر بالجار فقال من بعد ضعف ولما كان الضعف الذي يكون عنه غير الاول اظهر ولم يضمر فقال ضعف قوة بكبر الجسم والانتقال من حال الترعرع الى القوة بالبلوغ الى التمام في احد وعشرين عاما وهو ابتداء سن الشباب الى سن الاكتمال ببلوغ الاشد في اثنين واربعين عاما فلولا تكرر مشاهدة ذلك لكان خرق العادة في ايجاده بعد عدمه مثل اعادة الشيخ شابا بعد هرمه ثم جعل من بعد قوة في شباب تتقوى به القلوب وتحمى له الانوف وتسمح من جراه النفوس ضعفا ردا لما لكم الى اصل حالكم ولما كان بياض الشعر يكون غالبا ثم ضعف المزاج قال وشيبة وهي بياض في الشعر ناشئ من برد في المزاج ويبس تذبل بهما الجسم وتنقص الهمة والعلم وذلك بالوقوف من الثلاثين والاربعين وهو اول سن الاكتمال وبالاخذ في النقص بالفعل بعد الخمسين الى ان يزيد النقص في الستين والسبعين وهو اول سن الشيخوخة ويقوى الضعف الى ما شاء الله تعالى وكما كانت هذه هي العادة الغالبة وكان الناس متفاوتين فيها وكان من الناس من يطعن في السن وهو قوي نتج ذلك كله ولا بد التصرف بالاختيار مع شمول العلم وتمام القدرة فقال يخلق ما يشاء اي من هذا وغيره وهو العليم اي البالغ العلم فهو يسبب ما اراد من الاسباب لما يريد ايجاده او اعدامه القدير فلا يعقد راحة على ابطال شيء من اسبابه فلذلك لا يتخلف شيء اراده عن الوقت الذي يريده فيه اصلا وقدم صفة العلم لاستتباعها للقدرة التي المقام لها فذكرها اذا انصلح بعد تلويح وعبارة بعد اشارة ولما ثبتت قدرته على البعث وغيره عطف على قوله اول السورة ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او على ما تقديره فيوم يريد موتكم تموتون لا تستاخرون عن لحظة الاجل ولا تستقدمون قوله ويوم تقوم الساعة من اي القيمة التي هي اعادة الخلائق الذين كانوا بالتدريج في الوف من السنين لا يعلم مقدارها الا الله تعالى في اقل من لمح البصر ولذا سميت بالساعة اعلاما بيسرها عليه سبحانه يقسم المجرمون العريقون في الاجرام جريا منهم على ديدن الجهل في الجزم بما لم يحيطوا به علما ما اي انهم ما لبثوا في الدنيا والبرزخ غير ساعة اي قدرا يسيرا من ليل او نهار ولما كان هذا امرا معجبا لانه كلام كذب بحت مورث لاشد الفضيحة والخزي في ذلك الجمع الاعظم مع انه غير مغن شيئا استانف قوله منبها على انه الفاعل له فلا عجب كذلك اي مثل ذلك الصرف عن حقائق الامور الى سفوحها كانوا في الدنيا كونا هو كالجبلة يؤفكون اي يصرفون عن الصواب الذي منشاؤه تحري الصدق والاذعان للحق الى الباطل الذي منشؤه تحري المغالبة بصرفنا لهم فانه لا فرق في قدرتنا وعلمنا بين حياة وحياة ودار ودار ولعله بنى الفعل للمجهول اشارة الى سهولة انقيادهم الى الباطل مع اي صارف كان ولما وصف الجاهلين اتبعه صفة العلماء فقال وقال الذين وعبر بقوله اوتوا العلم تنبيها على شكر من اتاهموه وبناه للمجهول اشارة الى تسهيله اخذ عليهم من الجليل والحقير واتبعه ما لا يشرق انواره ويبرز ثماره غيره فقال والايمان اشارة الى تفكرهم في جميع الايات الموضحة والقاصمة معتصمين كما افهم اولئك محققين مقالهم مواجهين للمجرمين تبكيتا وتوبيخا مؤكدين ما انكره اولئك لقد لبثتم في كتاب الله اي في اخبار ربنا الذي له جميع الكمال الذي كتبه في كتابه الذي كان يخبر به في الدنيا الى يوم البعث كما قال تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون واما تعيين مدة اللبث فاخفاه عن عباده ولما اعلم القران ان غاية البرزخ البعث وصدق في اخباره سببوا عن ذلك قولهم فهذا اي فتسبب عما كنا نقوله وتكذبوننا فيه نقول لكم الان حيث لا تقدرون على انكاره هذا يوم البعث اي الذي اثبته وكنتم تنكرونه قد كان طبق ما كنا نقوله لكم فقد تبين بطلان قولكم وكنتم تدعون الخلاص منه بانواع من التكاذيب قصدا للمغالبة فما كنتم صادقين عند حضوره فاصنعوا الان تنبيها لهم على ان الاماني في تحرير مقدار اللبث في الدنيا ولا في البرزخ والما القاضي في التصديق بما اخبر به الكتاب حيث كان التصديق نافعا ولما كان التقدير فقد اتى كما كتبه عالمين فلو كان لكم نوع من العلم لقد بينتموه في اخبارنا به فتعلم ذلك الان عطف عليه قوله ولكنكم كنتم اي كونا هو كالجبلة لكم في انكاركم له لا تعلمون اي ليس لكم علم اصلا لتفريطكم في طلب العلم من ابوابه والتوصل اليه باسبابه فلذلك كذبتم به فاستوجبتم جزاء التكذيب ذلك اليوم ولما كان قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات في اشكالها من الايات دالا على ان هذه الدنيا دار العمل وان الاخرة دار الجزاء وان البرزخ حائل بينهما فلا يكون في واحدة منهما ما للاخرى سبب عن ذلك قوله فيومئذ اي اذ تقوم الساعة وتقع هذه المقاولة لا تنفع اي نفعا ما الذين ظلموا اي وضعوا الامور في غير مواضعها معذرتهم وهي ما يثبت عذرهم وهو ابتناء الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من التقصير لانه لا عذر لهم وان بالغوا في اشاعته والعبارة شديدة جدا من حيث كانت تعطي ان من وقع منهم منه ظلم ما يوما ما كان هذا حاله وهي تدل على انه تكون منهم معاذير وترفق كثير وتذلل كبير فلا يقبل منه شيء هذا على قراءة الجماعة بتانيث الفعل وهي ابلغ من قراءة

الكوفيين بتذكيره بناء على الفعل لانه اذا لم ينفع الاعتذار الكثير لم ينفع القليل الذي دل عليه المجرد ولا عكس ويمكن ان تكون قراءة الجمهور متوجهة للكفرة وقراءة الكوفيين للعصاة من المؤمنين بان منهم من ينفعه الاعتذار فيعفى عنه ويشهد لهذا ما ورد في اخراج اهل النار خروجا منها انه يسال في صرف وجهه عنها ويعاهد ربه سبحانه انه لا يساله غير ذلك فاذا صرفه راى شجرة عظيمة فيسال ان يقربه الى ظلها فيقول الله تعالى الست اعطيت العهود والمواثيق ان لا تسال فيقول يا رب ولكن لا اكون اشقى خلقك الحديث وفيه وربه يعذره فهذا انه قبل عذره في الجملة ولا يطلب منه ان يزيل العتب لان ذلك لا يمكن الا بالعمل وقد فات محله فاتت المغفرة من وراء ذلك كله ولما كان العتاب من سنة الاحباب قال ولا هم اي الذين وضعوا الاشياء في غير مواضعها يستعتبون اي يطلب منهم ظاهرا او باطنا بتلويح او تصريح ان يزيلوا ما وقعوا فيه مما يوجب العتب وهو الموجدة عن تقصير يقع فيه المعتوب لان ذلك لا يكون الا للطائع وقد فات محلها بكشف الغطاء لفوات الدار التي ينفع فيها الطاعات لكونها ايمانا بالغيب والعبارة تدل على ان المؤمنين يعاتبون ولما ابانت هذه السورة طرق الايمان اي بيان والفت على وجوه اولي الطغيان غاية الخزي والهوان وكان عنادا بلدهم التقرير لقد اتينا في هذه السورة خاصة بعد عموما في سائر القران بكل حجة لا تقوم لها الامثال ولم تبق لاحد عذرا ولا شيئا من اشكال لكونها تعرضها في وضوحها مثل عطف عليه قوله صارفا الكلام الى مقام العظمة تفتيحا لمخالفتهم لما ياتي من قبله ومن هيبة من الاحد مؤكدا لانهم ينكرون ان يكون في القران دلالة ومن اقر منهم مع الكفر فكفره قائم مقام انكاره ولقد ضربنا ولما كانت العناية فيها بالناس اكثر قال للناس تعميما في الذكر في هذا القران اي عامة هذه السورة وغيرها من كل مثل اي معنى غريب هو اوضح وابين من اعلام الجبال في عبارة هي ارشق من سائر الامثال ولما كان المختوم على مشاعرهم منهم من لا يؤمنون لشيء وكان ذلك من ادل دليل على علمه تعالى وقدرته قال مقسما تكذيبا لقولهم في الاقتراحات خاصا من اهل العلم والايمان راسهم دلالة على ان التصرف في القلوب من العظيم بمكانه تخلى عن الوصف معبرا بالشرط اعلاما بانه سبحانه لا يجب عليه شيء عاطفا على نحو فلم ينفعهم شيء من ذلك ولئن جئتهم اي الناس عامة باية اي دلالة واضحة على صدقك معجزة غير ما جئتهم به مما اقترحوا ووعدوا الايمان به مرئية كانت او مسموعة ليقولن الذين كفروا اي حكمنا بكفرهم غلظة وجفا ودل على فرط عنادهم بقوله ولما كان التخصيص بالغلظة اشد على النفس ضم اليه اتباعه تسلية له وبيانا لعظيم شقاقهم فقال ان انتم اي ما انت وجماعتك الاتي بالاية واتباعه الا مبطلون اي من اهل العراقة في الباطل بالاتيان بما لا حقيقة له في صورة ما له حقيقة واما الذين امنوا فيقولون نحن بهذه الاية مؤمنون ولما كان من اعجب العجب ان من يدعي العقل يصر على التكذيب بالحق ولا يصغي لدليل ولا يهتدي لسبيل قال مستانفا في جواب من سال هل يكون مثل هذا الطبع ومرغبا في العلم كذلك اي مثل هذا الطبع العظيم جدا ولما كان كون الشيء الواحد للناس هداية وللناس ضلالا له جامعا الى العظمة تمام العلم والحكمة صرف الخطاب عنها الى الاسم الاعظم الجامع فقال يطبع الله اي الذي لا كفؤ له فيهما ارادة كان عادة مستمرة ونبه على كثرة المطبوع عليهم بجمع الكثرة فقال على قلوب الذين لا يعلمون اي لا يجددون لعدم القابلية العلم بان لا يطلبوا علم ما يجهلونه مما حقيقة هذا الكتاب من علوم الدنيا والاخرة رضى منهم بما عندهم من جهالات سموها دلالات ودلالة لات طوها هداية وكمالات ذي ولما كان هذا امرا كبرا بعظيم قدرته بعد الاياس من ايمانهم سبب عنه قوله فاصبر اي على ايذائهم مع هذا الجفاء والرد بالباطل والاذى فان الكل بفعلنا لم يخرج منه شيء عن ارادتنا ولما كان قد تقدم اليه بانه لا بد ان يظهر امره على كل امر علله بقوله مؤكدا لان انفاذ مثل ذلك في محل الانكار لعظم المخالفين وكثرتهم وظهورها غير مضمر لئلا يظن التقييد بحيثية الطبع ان وعد الله اي الذي له الكمال كله في كل ما وعد به الذي منه نصرك واظهار دينك على الدين كله ونصر من كان من اتباعك في التمسك بكتاب من كتب الله وان كان قد نسخ على من لا كتاب له حق اي ثابت جدا ام طابقه الواقع كما يكشف عنه الزمان وتاتي به مطايا الحدثان ولما كان التقدير فلا تعجل عطف عليه قوله ولا يستخفنك اي يحملنك على الخفة ويطلب ان تخف باستعجال النصر خوفا من عواقب تاخيره او تنفتر كالمحرون عن التبليغ مل كل تعبيرا منهم بالغلظة والجفا والصدع بمر الحق من غير محاباة ما بعد الا يطمعون معه ان يحالوا في خفتك في ذلك بنوع احتيال وقراه يستحقنك من الحق بمعناها اي لا يطلب منك الحق الذي هو الفصل العدل بينك وبينهم اي لا تطلبه انت فهو مثل لا اريتك ههنا انهي نفسك وانت تريد نهيه عن اللون بحيث تراه والنهي في قراءة الجماعة بالثقيلة اشد منه في رواية رويس عن يعقوب بالخفيفة فقراءة الجماعة مصوبة الى اصل الدين اي لا تفعل معهم فعلا يطمعهم في ان تميل اليهم فيه وقراءة رويس الى نحو الاموال فانه كان يتالفهم بالايثار بها ولا شك انه اذا اثر علي اكابر المسلمين اطمعهم ذلك في ان يطلبوا ان يميل معهم وما افاد هذا الا تحويل النهي ولو قيل لا تحملهم لم يفد ذلك ولا يقال ان عكس هذا من ان النهي في الثقيلة اخف لانه نهي عن الفعل المؤكد فيبقى اصل الفعل وكذا ما صححه ناكد خفيف وفي الخفيفة عن المؤكد تاكيدا خفيفا فلا يبقى غير اصل الفعل فهو ابلغ لان النون لم تدخل الا بعد دخول النافي فهي لم تفد الا توكيد النهي لا توكيد المنهي عنه والله اعلم الذين لا يوقنون اي اذى الذين لا يصدقون بوعودنا تصديقا ثابتا في القلب بل هم اما شاكون فادنى شيء يزلزلهم كمن يعبد الله على حرف او مكذبون بنصر الله لاوليائه المؤمنين ولمن تبعهم في التمسك بكتاب

اصله صحيح فهم يبالغون في العداوة والتكذيب حتى انهم ليخاطرون في وعد الله بنصر الروم على فارس كانهم على ثقة وبصيرة من امرهم
في انه لا يكون فاذا صدق الله وعده في ذلك باظهاره عن قريب علموا انهم عيانا وعلموا ان كان لهم علم ان الوعد بالساعة لاقامة
العدل على الظالم والعود بالفضل على المحسن كذلك بانه وهم صاغرون ويحشرون وهم داخرون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب
ينقلبون انعطف اخرها على اولها عطف الحبيب على الحبيب واتصل به اتصال القريب بالقريب والتحم التحام النسيب
بالنسيب

سورة لقمان عليه السلام

مقصودها اثبات الحكمة للكتاب اللازم منه حكمة منزله سبحانه في اقواله
وافعاله وقصة لقمن المسمى بها السورة دليل واضح على ذلك كانه سبحانه لما اكمل ما اراد من اول القران الى اخر براءة التي هي سورة غزو
الروم وكان سبحانه بعد ابتداء القران بعد ام القران بنفي الريب عن هذا الكتاب وانه هدى للمتقين واستدل على ذلك فيما بعدها من
السور ثم ابتدأ يونس بعد سورة غزو والروم باثبات حكمته واتبع ذلك دليله الى ان ختم سورة الروم ابتداء دورا جديدا على وجه احكم
من الاول فوصفه في اول هذه التالية للروم بما وصفه به في يونس التالية لغزو والروم وذلك الوصف هو الحكمة وزاد انه هدى
وهداية للمحسنين فهؤلاء اصحاب النهايات والمتقون اصحاب البدايات اثبت في ال عمران انه انزل بالحق اثبت
في النجم انه تنزيله ونفي الريب عن انه من عنده واثبت انه الحق واستمر فيما بعد هذا من السور مناظرا في الاغلب لما مضى كما يعرف ذلك
بالامعان في التدبر والتامل والتدبر بسم الله الذي وسع كل شيء رحمة وعلما الرحمن الذي بث بعموم حكمته شامل نعمته في سائر بريته
الرحيم الذي انار لخاصته طرق جنته فهاموا في محبته لما ختمت الروم بالحث على العلم وبهوما تضمنه هذا الكتاب
العظيم والامر بالصبر والتمسك بما فيه من وعد والنهي عن الاطماع لاهل الاستخفاف في المقاربة لهم في شيء من الاوصاف وكان ذلك هو
الحكمة قال اول هذه الم مشيرا بها الى ان الله الملك الاعلى القيوم ارسل لانه الظاهر مع انه الباطن جبريل عليه السلام الى محمد
صلى الله عليه وسلم بوحي ناطق من الحكم والاحكام بما لم ينطق به من قبله امام ولا يجمعه في ذلك شيء مدى الايام فهو المبدا وهو
الختام واليه المال وما تقتضيه باداة البعد في قوله تلك اى الايات التي هي من العلو والعظمة بمكان لا يناله الا من جاهد نفسه حتى
هذبها بالتخلي عن جميع الرذايل والتحلي بسائر الفضايل ايات الكتاب الجامع لجميع انواع الخير الحكيم بوضع الاشيا في حواق مراتبها
فلا يستطاع نقض شيء من ابرامه ولا معارضة شيء من كلامه الدال ذلك على تمام علم منزله وخبرته وشمول عظمته وقدرته ودقيق
صنائعه في بديع حكمته فلابد من نصر المومنين ومن داناهم في التمسك بكتاب له اصل من عند الله وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما
تكرر الامر بالاعتبار والحض عليه والتنبيه بعجايب المخلوقات في سورة الروم كقوله سبحانه اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وقوله او لم يسيروا في الارض وقوله الله يبدا الخلق ثم يعيده وقوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي الى قوله كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون وهي عشر ايات تحملت من جليل الاعتبار والتنبيه ما لا يبقى معه شبهة ولا
توقف لمن وفق الى ما بعد هذا من ايات التنبيه وبسط الدلايل وذكر ما فطر عليه العباد وضرب الامثال الموضحة سواء السبيل
لمن عقل معانيها وتدبر حكمها الى قوله ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وهي اشارة الى ما اودع الله كتابه المبين من
مختلف الامثال وشتى العظات وما تحملت هذه السورة من ذلك اتبع سبحانه ذلك بقوله الحق الم تلك ايات الكتاب الحكيم اى دلايله
وبراهينه لمن وفق وسبقت له الحسنى وهم المحسنون الذين ذكرهم بعد وصف الكتاب بالحكيم ليشهد لما مهدناه ثم اشار سبحانه
الى من حرم منفعته والاعتبار به واستبدل الضلالة بالهدى وتنكب عن سنن فطرة الله التي فطر الناس عليها فقال ومن الناس
من يشتري لهو الحديث الايات ثم اتبع ذلك بما يبكت كل معاند ويقطع بكل جاحد فذكر خلق السموات بغير عمد مرئية مشاهدة لا
يمكن في امرها امتراء ثم ذكر خلق الارض وما اودع فيها ثم قال سبحانه هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه ثم اتبع ذلك بذكر
من هداه سبيل الفطرة فلم تزغ به الشبه ولا تنكب سواء السبيل فقال ولقد اتينا لقمان الحكمة الاية لتناسيين من اتبع فطرة الله
التي تقدم ذكرها في سورة الروم ثم تناسق الكلام وتناسخ انتهى ولما كان الاحسان ما دعت اليه سورة الروم
من الايمان بلقاء الله منزها عن شوائب النقص موصوفا باوصاف الكمال بعبودة ما شرعه على وجه الاخلاص والانقياد مع الدليل
كيف ما توجه والدوران معه كيف ما دار وكان ذلك موجب الحكمة قال تعالى هدى اى حال كونها او كونه بيانا نافعا ورحمة
اى حاملا على القيام بكل ما دعى اليه والنصب على قراءة حمزة بالرفع بى وهو وقال للمحسنين اشارة الى ان من حكمته انه خاص بهذا
الكمال وضعا للشيء في محله بهذا الصنف وهم الذين لزموا التقوى فادتهم الى الاحسان وهو عبادته تعالى على المكاشفة والمراقبة
فهي لهم اذكر وهو لها احرى ثم وصفهم في سياق الرحمة والحكمة والبيان العدل سالنا لهم بما دعت اليه سورة الروم من كمال الاحسان
في معاملة الحق والخلق اعتقادا وعملا فقال الذين يقيمون الصلاة اى يجعلونها كانها قائمة بفعلها بسبب اتقان جميع ما امر به فيها
وندب اليه وتوقف بوجه عليه على سبيل التجديد في الاوقات المناسبة لها والاستمرار ولم يدع الى التعبير بالوصف كالمقيمين داع
ليدل على الرسوخ لان المحسن هو الراسخ في الدين رسوخا جعله كانه يرى المعبود ودخل فيها الحج لانه لا يعظم البيت في كل يوم
خمس مرات الا معظم له بالحج فعلا او قوة ويؤتون الزكاة اى كلها فدخل فيها الصوم لانه لا يؤدي زكاة الفطر الا من

صامه

صامه قوة او فعلا ولما كان الايمان اساس هذه الاركان وكان الايمان بالبعث جامعا لجميع انواعه وحاملا على سائر وجوه الاحسان
وكان من ختم الروم بالاعراض اصلا عمن ليس به اهلية الايقان قال وهم اى خاصة لكمالهم فيما دخلوا فيه من هذه المعالي بالاخرة التي تقدم
ان المجرمين عنها غافلون هم يوقنون اى يومنون بها ايمانا موقنا فهو لا يفعل شيئا ينافي الايمان بها ولا يغفل عنها طرفة عين فهو
في الذروة العليا من ذلك فهو يعبد الله كانه يراه فانه البعثة بداية وهذه نهاية ولما كانت هذه الخلال امهات الافعال
الموجبة للكمال وكانت مساوية من وجه لانه النفس ختمها بختامها بعد ان زمها بزمامها فقال اولئك اى العالون الرتبة الحائزون
من منازل القربة اعظم رتبة على هدى اى عظيم هم متمكنون منه تمكن المستعلى على الشيء وقال من ربهم تذكيرا لهم بانه لولا
احسانه ما وصلوا الى شيء ليلزموا تمريغ الجباه على الاعتاب خوفا من الاعجاب واولئك هم اى خاصة المفلحون اى الظافرون
بكل مراد ولما كان فطم النفس عن الشهوات اعظم هدى قائد الى حصول المرادات وكان اتباعها الشهوات اعظم قاطع عن
الكمالات وكان في ختام الروم ان من وقف عن الموهومات عن طلب المعلومات مطبوع على قلبه وكان ما دعا اليه الكتاب هو الحكمة
التي نتيجتها الفوز وما دعا اليه اللهو هو السفه المضاد للحكمة بوضع الاشيا في غير مواضعها المثمر للعطب قال تعالى معجبا
ممن ترك الجد الى اللهو وبعد عن جوهر العلم الى صدف السهو عاطفا على ما تقديره فمن الناس من يتحلى بهذا الكمال فيرقى الى حلبة اهل
الكمال ومن ويمكن ان يكون حالا من فاعل الاشارة اى اشير الى ايات الكتاب الحكيم حال كونه هدى لمن ذكر والحال ان من الناس اى الذ
هم في ادنى رتب الاحساس لم يصلوا الى رتبة اهل الايمان فضلا عن مقام اولي الاحسان ولما كان لتقدير من يسر بغير
هذا السير فيقطع نفسه عن كل خير عبر عنه بقوله من يشتري غير مهتد بالكتاب ولا مرحوم به لهو الحديث اى ما يلهي من الاشيا
المتجددة التي تستلذ فيقطع بها الزمان من الغناء والمضحكات وكل شيء لا اعتبار فيه فيوصل النفس بما اوصلها اليه من اللذة
الى تجرد الطبع البهيمي فيدعوها الى العبث من اللعب كالرقص ونحوه مجتهدا في ذلك عملا الحيل في تحصيله باشتراء سببه معرضا
عن اقتناص العلوم وتهذيب النفس بها عن الهموم والغموم فينزل الى اسفل سافلين كما علا الذي قبله بالحكمة الى اعلى عليين قال ابن عباس
رضي الله عنهما نزلت في رجل اشترى جارية تغنيه ليلا ونهارا وقال مجاهد في شراء القيان والمغنين والمغنيات وقال ابن مسعود
اللهو الغناء وكذا قال ابن عباس وغيره رضي الله عنهم ولما كان من المعلوم ان عاقبة هذه الملاهي الضلال لانهماك النفس في ذلك
لما طبعت عليه من الشهوة لمطلق البطالة فكيف مع ما يثير ذلك ويدعوا اليه من اللذاذة فتصير اسيرة الغفلة عن الذكر وقبلة الاعراض
عن الفكر وكان المخاطب بهذا الكتاب قوما يدعون العقول الفائقة والاذهان الصافية الرائقة قال تعالى ليضل من الضلال والاضلال
على القراءتين ضد ما كان عليه المحسنون من الهدى عن سبيل الله اى الطريق الواسع الواضح الموصل الى رضى الملك الاعلى المستجمع لصفات الكمال
الجلال والجمال التي هم معترفون بكثير منها منبها لهم على ان هذا مضل عن السبيل ولا بد وان ذلك بحيث لا يخفى عليهم في اكثر الاكثر من
الغفلة وسوء النظر وعمى البصيرة بمنزلة هي دون ذلك بمراحل ولما كان المراد من قصد الضلال عن الشيء ترك ذلك الشيء
وكان العاقل لا يقدم على ترك الشيء الا وهو عالم بانه لا خير فيه قال بغير علم ونكره ليفيد السلب العام لكل نوع من انواع العلم
اى انهم لا علم لهم بشيء من حال السبيل ولا حال غيرها علما يستحق اطلاق العلم عليه بكونه يفيد ربحا او يبقى على راس مال من دين او
دنيا فان هذا شان من استبدل الباطل بالحق والضلال بالهدى ولما كان المستهزئ بالشيء المحتقر له لا يتمكن من ذلك الا
بعد الجزم التام بحاله ذلك الشيء وانه لا يصلح لصالحه ولا يروج لديحال البحال قال معجبا تعجيبا اخر اشد من الاول بالنصب
عطفا على يضل في قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وبالرفع للباقين عطفا على يشتري ويتخذها اى يكلف نفسه ضد
ما تدعوه اليه فطرته الاولى ان ياخذ السبيل التي لا اشرف منها مع ما ثبت له من الجهل المطلق هزوا ولما انتج
له هذا الفعل الشقاء الدائم بينه بقوله جامعا حملا على معنى من بعد ان افرد حملا على لفظها لان الجمع في مقام الجزاء اهول والتعجيب
من الواحد ابلغ اولئك اى الاغبياء البعيدون عن رتبة الانسان وتهكم بهم بالتعبير باللام الموضوعة لما يلائم فقال لهم عذاب
مهين اى يثبت لهم الخزي الدائم ضد ما كان للمحسن من الرحمة ولما كان الانسان قد يكون غافلا فاذا نبه انتبه
دل سبحانه على ان هذا الانسان لكل ما يرد عليه من البيان لا يزداد على مر الزمان الا معاجاة بالبغي والطغيان فقال معرضا للضمير
حملا على اللفظ ايضا لئلا يتعلق متحمل بان المذموم انما هو الجمع صارفا الكلام الى مظهر العظمة لما اقتضاه الحال من الترهيب
واذا تتلى عليه اياتنا اى تتجدد عليه تلاوة ذلك مع ما له من العظمة من اي تال كان وان عظم ولى اى تعدى السماع مطلق
التولي سواء كان على حال المجانبة او مدبرا مستكبرا اى حال كونه طالبا للكبر موجدا له بالاعراض عن الطاعة تصديقا
لقولنا اخر تلك ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون ولما كان السامع لاياته سبحانه جديرا
بان تكسبه رقة وتواضعا قال تعالى دالا على ان هذا الشقي كان حاله عند سماعه وبعده كما كان قبل كان اى كانه اى مشبها
حاله بعد السماع حاله حين لم يسمعها فدل ذلك على انه لم يزل على حالة الكبر لانه شبه حاله مع السماع بحاله مع عدم السماع وقد
ان حاله مع السماع الاستكبار فكان حاله قبل السماع كذلك ولما كان من لم يسمع الشيء قد يكون قابلا للسمع فاذا كلم من جهة جرت

العادة بان يسمع منه سمع بين الحال هذا كما كان مساويا لما قبل التلاوة فهو مساو لما بعدها لان سمعه مشابه لمن به صمم فالمضارع
في تتلى مفهم لان الحال في الاستقبال كهي في الحال فقال تعالى كان في اذنيه وقرا اي صمما يستوي معه تكليم غيره له وسكوته ولما تسبب
عن ذلك استحقاقه لما يزيل نخوته وكبره وعظمته وكان استمرار الالم اعظم كاسر لذوي الشمم وكان من طبع الانسان الاهتزاز
لوعد الاحسان كان ايناسا من كان نوع اهتزاز قال فبشره فلما كان جديرا بان يقبل ولا يولي لطنه البشرى على حقيقتها لان من يعلم انه اهل
للعذاب بافعاله الصعاب لا يزال تتوالى عليه النعم مرة بعد مرة حتى يظن او يكاد يقطع بان المعاصي سبب لذلك وانه لما له عند الله من عظيم
المنزلة لا يكون منه عمل من الاعمال قرعه بقوله بعذاب اي عقاب مستمر اليم ولما كانت معرفة مال الحزبين باعثة على السؤال عما للحزب
الاخر وكان اجابة السؤال عن ذلك من اتم الحكمة استانف تعالى قوله مؤكدا لاجل انكار الكفرة ان الذين آمنوا اي اوجدوا الايمان وعملوا تصديقا
له الصالحات وضعا للشي في محله عملا بالحكمة لهم جنات اي بساتين النعيم فافاد سبحانه باضافتها اليه انه لا كدر فيها اصلا ولا شي
غير النعيم ولما كان ذلك قد لا يكون دائما وكان لا سرور ودنيا منقطع قال خالدين فيها اي دائما ولما كان انما النعمة بالوا
على قدر النعمة بالواعد وكان انجاز الوعد من الحكمة قال مؤكدا المضمون الوعد بالجنات وعد الله الذي لا شي اجل منه فلا وعد اصدق من وعده
ثم اكد بقوله حقا اي ثابتا ثباتا لا شي مثله لانه وعد من لا شي مثله ولا كفؤ له ولما كان النفيس الغريب جديرا بالتاكيد اتي
بصفتين مما افهمه الاتيان بالجلالة تصريحا بهما تاكيدا لبيان هذا الابد منه فقال وهو اي وعد بذلك والحال انه العزيز فلا يغلبه شي
الحكيم اي المحكم لما يقوله ويفعله فلا يستطاع نقضه ولا نقضه ولما ختم بصفتي العزة وهي غاية القدرة والحكمة وهي ثمرة العلم
دل عليهما باتقان افعاله واحكامها فقال خلق السموات اي على علوها وكبرها وضخامتها بغير عمد وقوله ترونها دال على الحكمة ان قلنا
انه صفة لعمد او استئناف اما ان قلنا بالثاني فلكون مثل هذا الخلق الكبير الواسع يحمل بمجرد القدرة وان قلنا بالاول فتركيب مثله
على عمد تكون في العادة حاملة له وهي مع ذلك بحيث لا ترى ادخل في الحكمة وادق في اللطافة والعظمة لانه يحتاج الى عملين تخفيف
الكثيف وتقوية اللطيف ولما ذكر العمد المعلقة اتبعه الاوتاد المقترنة فقال والقى في الارض اي التي انتم عليها جبالا رواسي
والحجا بها من فوقها وجميع الرواسي التي تعرفونها تكون من تحت تثبتها عن ان تميد اي تتمايل مضطربة بكم كما هو شان ما على ظهر
الماء ولما ذكر ايجادها واصلاحها للاستقرار ذكر ما خلقت له من الحيوان فقال وبث فيها اي فرق من كل دابة ولما
ذكر ذلك ذكر ما يعيش به فقال منبها بمظهر العظمة على ان ذلك وان كان لهم في بعضه تسبب لا يقدر عليه الا هو سبحانه وانزلنا اي بما لنا
من العزة اللازمة للقدرة وتقدم ما لا تقدر المخلوق عليه بوجه فقال من السماء ماء ولما تسبب عن ذلك تدبير الاقوات
وكان من اثار الحكمة التابعة للعلم دل عليه بقوله فانبتنا اي بما لنا من العلو في الحكمة فيها اي الارض بخلط الماء بترابها من
كل زوج اي صنف من النبات متشابه كريم بما له من البهجة والنضرة الجالبة للسرور والمنفعة والكثرة الحافظة لذلك
النوات ولما ثبت بهذا الخلق العظيم على هذا الوجه المحكم عزته وحكمته ثبتت الوهيته فالزمهم وجوب توحيده في العبادة
كما توحد بالخلق لان ذلك عين الحكمة كما كان خلقه لهذا الخلق على هذا النظام ليدل عليه سبحانه سر الحكمة فقال ملقنا للمحسنين من
حزبه ما يبهتون به المخالفين موبخا لهم مقبحا لحالهم في عدولهم عنه مع علمهم بما له من التفرد بهذه الصنائع هذا اي الذي تشاهدونه كله
خلق الله اي الذي له جميع الكمال فلا كفؤ له ولما كان العاقل بل وغيره لا ينقاد لشي الا ان راي له فعلا يوجب الانقياد له
نبه على ذلك بقوله جوابا لما تقديره فان دعيتم لما كونه مما عبدتموه من دونه خلقا عبدتموه من اجله فاروني ماذا خلق الذين
زاد اسم الاشارة زيادة في التقريع تاكيدا للنفي المقصود من الكلام ونبه على سفول رتبتهم بقوله مصرحا لانه ليس فيما اسند الى الاسم
الاعظم حيثية يخشى من التقييد بها نقص من دونه فسالهم في ذويه ماخلقوا اشارة الى انهم فعلوا معهم فعل من يعتقد ان لهم خلقا
فالمعنى انكم عبدتم غيره ما غيته احد اصلا بان تقدتم له الانقياد له حيوان فضلا عن انسان بكونه لا فعل له اصلا فكان من حقكم ان كانت
لكم عقول ان تنجوا ولا هل لهم افعال ام لا ثم اذا ثبت فهل هي محكمة ام لا ثم اذا ثبت فهل شاركتم عنهم ام لا واذا ثبت ان غيرهم
شاركهم فايهما احكم واما انكم تنقادون لهم ولا فعل لهم اصلا ثم تقدرون انهم افعالا لا ترجونهم لها وتخشونهم فهذا ما لا يفعله
حيوان اصلا ولذلك قال تعالى بل منبها على ان الجواب ليس لهم خلق بل عبدتموهم او انتم في جعلهم شركا هكذا كان الاصل
ولكنه قال الظالمون اي العريقون في الظلم تعميما وتنبيها على الوصف الذي اوجب لهم كونهم في ضلال عظيم جدا محيط
بهم مبين اي في غاية الوضوح وهو كونهم يضعون الاشيا في غير مواضعها لانهم في مثل الظلام لا نور لهم لانحجاب شمس الايمان
عنهم بجبال الهوى فلا حكمة لهم ولما ثبتت حكمته سبحانه وانه ابعدهم عنها بما قضى عليهم من الجهل وغباوة العقل
وانا هاهنا من تاب واعتصم بايات الكتاب توقع السامع الاخبار عن بعض من اتاه الحكمة من المتقدمين الذين كانوا من المحسنين
فوضعوا الاشيا في مواضعها بان امنوا وعملوا الصالحات فقال صارفا وجه الكلام الى مظهر العظمة تعظيما للحكمة عاطفا
على قوله وهو العزيز الحكيم او على مقدر تقديره لانا اضللناهم بحكمتنا وآتينا الحكمة الذين قبلوا اياتنا واحسنوا النعمة لنا
مما عبدوا واصنما ولا ما لوا الى الهوى لان ذلك عين الحكمة لكونه وضعا للشي في محله فهو تقرير لتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم

بالرسالة ولقد آتينا بما لنا من العظمة والحكمة لقمان وهو عبد من عبيدنا الحكمة وهي العلم المؤيد بالعمل والعمل المحكم بالعلم
وقال الحرالي هي العلم بالامر الذي لاجله وجب الحكم والحكم الحمل على جميع انواع الصبر والمصابرة ظاهرا بالايالة العالية
ولا يتم الحكم وتستوفى الحكمة الا بحسب سعة العلم وقال ابن ميلق ان مدارها على اصابة الحق والصواب في القول والعمل والهدى
قال ابن قتيبة لا يقال لشخص حكيم حتى تجتمع له الحكمة في القول والفعل قال ولا يسمى المتكلم بالحكمة حكيما حتى يكون عاملا بها
انتهى ومن ... ما اسنده صاحب الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حقا اقول لم
يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا صمصامة كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه الله فمن عليه بالحكمة كان نائما نصف النهار
اذ جاءه نداء يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب ان خيرني ربي قبلت العافية ولم
اقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم انه ان فعل ذلك بي عصمني واعانني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا
لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان يعدل فبالحري ان ينجو وان اخطا اخطا طريق
الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الاخرة تفته الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت
الملائكة من حسن نطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها وفي الفردوس عن مكارم الاخلاق لابي بكر بن لال عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في العزلة وواحد في الصمت وقال لقمان لا مال كالصحة
ولا نعيم كطيب نفس وقال ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع وقيل له اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئا
وقيل له ما اقبح وجهك فقال تعيب النقش او النقاش وقال البغوي انه قيل له بم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث
واداء الامانة وترك ما لا يعنيني انتهى فهو سبحانه من حكمته وحلمه ان يرفع من يشاء بما يعلمه منه من سلامة الطبع وان كان عبدا
فلا بدع ان يختص محمدا صلى الله عليه وسلم ذا النسب العالي والمنصب المنيف من كل خلق شريف بالرسالة من بين قريش وان
لم يكن من اهل الدنيا المتعظمين بها قال ابن ميلق من حكمته سبحانه ان يجمع بين اثري عدله وفضله وان يعاقب بينهما في الظهور
فيذل ويعز ويفقر ويغني ويسقم ويشفي ويغني ويبقي الى غير ذلك فما من سابق عدل الا له لاحق فضل ولا سابق فضل الا
له لاحق عدل غير ان اثر العدل والفضل قد يتعلق بالبواطن خاصة وقد يتعلق احدهما بالظاهر والاخر بالباطن وقد يكون
اختلاف تعلقهما في حالة واحدة وقد يكون على البدل وعلى قدر تعلق الاثر السابق يكون تعلق الاثر اللاحق ولما كانت
الحكمة قاضية بذلك اجرى الله سبحانه اثار عدله على ظواهر اصفيائه دون بواطنهم ثم عقب ذلك بايراد اثار فضله على بوا
وظواهرهم حتى صار من قاعدة الحكمة الالهية تعويضهم مال الارض للمستضعفين فيها كالنجاشي حيث بيع في صغره وذلك
كثير موجود بالاستقراء لمن حمل تربية الحكيم لمن يريد اعلاء شانه ان يجري على ظاهره من اثر العدل ما فيه تكميل لهم وتنوير لمراداتهم
وتطهير لوجودهم وتهذيب وتاديب الى غير ذلك من فوائد التربية ومن تتبع احوال الاكابر من ادم عليه السلام وهلم جرا راي
من جهة بلاء الله له سبحانه لهم ما يشهد لما قررته بالصحة ان شاء الله تعالى انتهى ولما كانت الحكمة هي الاقبال
على الله قال ان اشكر وهو وان كان تقديره قلنا له كذا يؤول الى ايتائه الشكر وصرف الكلام الى الاسم الاعظم الذي لم
يتسم به غيره سبحانه دفعا للتعنت وتعاليا من مظهر العظمة الى اعظم منها فقال لله بان وفقناه له بما سببناه له من الامر به
لان الحكمة في الحقيقة هي القيام بالشكر لا الاتيان به ويمكن ان يكون ان مصدرية ويكون التقدير اتيناه اياها بسبب الشكر
وعبر بفعل الامر اعلاما بان شكره كان لامتثال الامر ليكون اعلا ولما كان التقدير فبادر وشكر فما نفع الا
نفسه كما انه لو كفر ما ضر الا نفسه عطف عليه معرفا انه غني عن شكر الشاكرين قوله معبرا بالمضارع الدال على ان من اقبل
عليه في اي زمان كان تلقاه ويكون معروفه له دائما بدوام العمل ومن يشكر اي يجدد الشكر ويتعاهد به نفسه كائنا من كان
فانما يشكر اي يفعل ذلك لنفسه اي فانما ينفع نفسه فان الله يزيده من فضله فان الله شكور مجيد ومن كفر فانما يضر نفسه
وعبر بالماضي اشارة الى ان من وقع منه كفر ولو مرة جوزي بالاعراض عنه فان الله عبر بالاسم الاعظم لانه في سياق الحكمة
والحكيم من ادام استحضار صفات الجلال والجمال لتغلب خوفه رجاءه ما دام في دار الاكدار غني اي عن الشكر وغيره حميد
اي له جميع المحامد وان كفره جميع الخلق فان تقدير الكفر عليهم بحيث لا يقدرون على الانفكاك عنه من جملة محامده بالقدرة والعز
والقهر والعظمة وبجود ومواهب ان يعود غني الى الكافر وحميد الى الشاكر فيكون اسم فاعل فيكون التقدير ومن كفر فانما
يكفر على نفسه ثم سبب عن الجملتين ومما كون عمل كل من الشاكر والكافر لا يتعداه قوله فان الله غني اي عن شكر الكافر حميد للشاكر
والاية على الاول من الاحتباك تخصيص الشكر بالنفس اولا يدل على حذف مثله من الكفر ثانيا واثبات الصفتين ثانيا يدل
على حذف مثلهما اولا ولما كان الانسان لا يعرف حكمة الحكيم الا باقواله وافعاله ولا صدق الكلام وحكمته الا بمطابقته
للواقع فكان التقدير اذكر ما وصفنا به لقمان لتنزل عليه ما تسمع من احواله واقواله في توفيته حق الله وحق الخلق الذي هو
مدار الحكمة عطف عليه قوله واذ اي واذكر بقلبك لتتعظ وبلسانك لتعظ غيرك ما اناله رسولنا حين قال لقمان

لابنه ما يدل على شكره في نفسه وامره به لغيره فانه لا شكر يعدل البراءة من الشرك وفيه حث على التخلق بما مدح به لقمن مما
يحمل على الصبر والشكر والمداومة على كل خير وعلى ادب الولد بسوق الكلام على وجه يدل على تكرير وعظه فقال وهو يعظه
اي يوصيه بما ينفعه ويرقق قلبه ويهذب نفسه ويوجب له الخشية والعدل كان اصل توفيه حق الحق تصحيح
الاعتقاد واصلاح العمل وكان الاول اهم قدمه فقال يا بني مخاطبه باحب ما يخاطبه به مع اظهار الترحم والتحنن والشفقة لكون
ذلك ادعى لقبول النصح لا تشرك اي لا توقع الشرك لا جليا ولا خفيا ولما كان في تصغيره الاشفاق عليه زاد ذلك بابراز الاسم
الاسم الاعظم الموجب لاستحضار جميع الجلال تحقيقا لمزيد الاشفاق فقال بالله اي الملك الاعظم الذي لا كفوء له ثم علل هذا النهي
بقوله ان الشرك اي بنوعيه لظلم عظيم اي فهو ضد الحكمة لانه وضع الشيء في غير محله فظلمه ظاهر من جهات عديدة جدا اظهرها
انه تسوية المملوك الذي ليس له من ذاته الا العدم فلا نعمة منه اصلا بالمالك الذي له وجوب الوجود فلا اخر ولا نعمة الا منه وفي هذا
تنبيه لقريش وكل سامع على ان هذه وصيه لا يعدل عنها لانها من اب حكيم لابن محنو عليه محبوب وان اباهم لو كانوا حكماء ما فعلوا الا
ذلك لانه يترتب عليها ما عليه مدار النعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية العاجلة والآجلة وهو الامن والهداية الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وقد فانه لما نزلت تلك الآية كما في صحيح البخاري في غير موضع عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فقالوا اينا لم يلبس ايمانه بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون فانه
لما نزلت تلك الآية كما في صحيح البخاري في غير موضع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس بذلك
الا تسمع الى قول لقمن ان الشرك لظلم عظيم ولما ذكر سبحانه ما اوصى به ولده من شكر المنعم الاول الذي لم يشركه
في ايجاده احد وذكر ما عليه الشرك من الفظاعة والشناعة والبشاعة اتبعه وصيته سبحانه للولد بالوالد لكونه المنعم الثاني
المنفرد سبحانه بكونه جعله سبب وجود الولد اعترافا بالحق وان صغر لاهله وايذانا بانه لا يشكر الله من لا يشكر الناس وتعظيما
لحق الوالدين لكونه قرن عقوقهما بالشرك واعلاما بان الوفاء واحد متى نقص شيء منه تداعى سائره كما في الفردوس عن ابي الدرداء
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان العبد لقي الله بجمال ما افترض عليه ما خلا بر الوالدين ما دخل الجنة وان بر
الوالدين لنظام التوحيد والصلاة والذكر ولذلك لفت الكلام الى مظهر العظمة ترهيبا من العقوق ودفعا لما لعله يتوهم
من ان الانفصال عن الشرك لا يكون الا بالاعراض عن جميع الخلق ولما قد يخيله الشيطان من ان التقيد بطاعة الوالد شرك مضمنا
تلك الوصية اجادة لقمن عليه السلام في تحسين الشكر وتقبيح الشرك لموافقته لامر رب العالمين وايجاب امتثال ابنه
لامره فقال مبينا حقه وحق كل والد عليه ومعرفا قباحة من امر ابنه بالشرك لكونه منافيا للحكمة التي اباها لقمن
عليه السلام وتحريم امتثال الابن لذلك ووجوب مخالفته لابيه فيه تعريضا لاعظم الحقين وارتكابا لاخف الضررين
ووصينا اي قال لقمن ذلك لولده نصحا له والحال انا بعظمتنا وصينا ولده به بنحو ما اوصاه به في حقنا هكذا كان الاصل
ولكنه عبر بما يشمل غيره فقال الانسان اي هذا النوع على لسان اول نبي ارسلنا وهلم جرا وبما ركزناه في كل فطرة من انه ما جزاء
الاحسان الا الاحسان بوالديه فكانه قال ان لقمن عرف نعمتنا عليه وعلى ابناء نوعه بوصيتنا للاولاد بهم فشكرنا
ولقرعنا نهيهم بذلك عن الشرك لانه كفران لنعمة المنعم فانتهى في نفسه ونهى ولده فكان بذلك حكيما ولما
كانت الام في مقام الاحتقار لما للاب من العظمة بالقوة والعقل والكد عليها وعلى ولدها نوه بها ونبه على ما تختص به من
من اسباب وجود الولد وبقائه عن الاب مما حصل لها من المشقة بسببه وما لها اليه من التربية فقال معللا او مستأنفا
حملته امه وهنا اي حال كونها ذات وهن بحمله في احشائها وبالغ بجعلها نفس الفعل دلالة على شدة ذلك الضعف
بتضاعفه كلما اثقلت على وهن اي هو قائم بها من نفس خلقتها وتركيبها الى ما يزيدها التمادي بالحمل ثم اشار الى ما لها عليه من المنة
بالشفقة وحسن الكفالة وهو لا يملك لنفسه شيئا بقوله وفصاله اي فطامه من الرضاعة بعد وضعه ولما كان
الوالدان يعدان وجدان الولد من اعظم اسباب الخير والسرور وعبر في امره بالعام الذي تدور مادته على السعة لذلك وترجية
لهما بالعون عليه وتعظيما لحقهما بالتعبير بما يشير الى صعوبة ما قاسيا به باتساع زمنه فقال في عامين تقاسي فيهما في منامه
وقيامه ما لا يعلمه حق علمه الا الله وفي التعبير بالعام ايضا اشارة الى تعظيم منتهما بكونهما تعد ايام رضاعه مع كونها
اضعف ما يكون في تربيته ايام سعة وسرور والتعبير بفي يشير الى ان الوالدين لهما ان يفطماه قبل تمامهما على حسب
ما يحتمله حاله وتدعو اليه المصلحة من امره ولما ذكر الوصية واشار الى امهات اسبابها ذكر الموصى به فقال
مفسرا لوصينا ان اشكر ولما كان الشكر منظورا اليه اتم نظر قصر فعله اي اوجد هذه الحقيقة ولتكن من همك
ولما كان لا بد له من متعلق كان كانه قال لمن فقال مقدما ما هو اساس الموصى به في الوالدين ليكون معتدا به لافتا
القول الى ضمير الواحد من غير تعظيم تنصيصا على المراد لي اي لاني المنعم بالحقيقة ولوالديك لكوني جعلتهما سببا
لوجودك والاحسان بتربيتك وذكر الانسان بهذا الذكر في سورة الحكمة اشارة الى انه اتم الموجودات حكمة قال الرازي

في آخر سورة الاحزاب من لوامعه الموجودات كلها كالشجرة والانسان ثمرتها وهي كالقشور والانسان لبابها وكالمبادي له
والانسان كمالها ومن اين للعالم ما للانسان بل العالم العلوي فيه وليس في العالم العلوي ما فيه فقد جمع بين العالمين بنفسه وجسده
واستجمع الكونين بعقله وجسده وارتفع عن الدرجتين باتصال الامر الاعلى به وحيا قوليا وسلم الامر لمن له الخلق والامر تسليما
اختياريا طوعيا ثم علل الامر بالشكر محذرا فقال الي لا الى غيري المصير اي فاسأل العبد عن ذلك كما كانت منهما البداءة ظاهرا
بما جعلت لهما من التسبب في ذلك فيسألانك عن القيام بحقوقهما وان قصرت فيها شكواك الى الناس واقاما عليك الحجة واخذا
بحقهما ولما ذكر سبحانه وصيته بهما واكد حقهما اتبعه الدليل على ما ذكر لقمن عليه السلام من قباحة الشرك فقال
وان جاهداك اي مع ما امرتك به من طاعتهما واشار بصيغة المفاعلة الى مخالفتهما وان بالغا في الحمل على ذلك على ان تشرك بي
واشار باداة الاستعلاء الى انه لا مطمع لمن اطاعهما في ذلك ولو باللفظ فقط ان يكون في عداد المحسنين وان كان الوالدان في غاية
العلو والتمكن من الاسباب الفائتة له بخلاف سورة العنكبوت فانها لمطلق الفتنة وليست لقوة الكفار فعبر فيها بلام العلة
اشارة الى مطلق الجهاد الصادق بقويه وضعيفه ففي الموضعين نوع رمز الى انه ان ضعف عنهما اطاع باللسان ولم يحرجه ذلك
عن الايمان كما اخرجه هنا عن الوصف بالاحسان وله الحمد في الآية التي بعد تلك من النفاق لاجل الفتنة واحال سبحانه
على اتباع الادلة على حكم ما وهب من العقل عدلا وانصافا فقال ما ليس لك به علم اشارة الى انه لا يمكن ان يدل علم من انواع العلوم
على شيء من الشرك بنوع من انواع الدلالات بل العلوم كلها دالة على الوحدانية على الوجه الذي تطابقت عليه العقول ونطقت
عليه من الانبياء والرسل النقول واما الوجه الذي سماه اهل الالحاد بمذهب الاتحاد توحيدا فقد كفى في انه ليس به علم اطباقهم
على انه خارج عن طور العقل مخالف لكل ما ورد عن الانبياء من نقل وان لبسوا باعادته متابعة بعض الآيات حاجة كتابي الفارض فلا
يمكن ان يتمذهب به احد الا بعد الانسلاخ من العقل والتكذيب بالنقل فلم يناد احد على نفسه بالابطال بما نادوا به على انفسهم لكن
من يضلل الله فما له من هاد فلما قرر ذلك على هذا المنوال البديع قال مسببا عنه فلا تطعهما اي في ذلك ولو اجتهدا على المجاهدة
لك عليه بل خالفهما وان ادى الامر الى السيف فجاهدهما به لان امرهما بذلك مناف للحكمة حامل على محض الجور والسفه فقبيح
كان هذا ربما اقتضى الاعراض عنهما راسا في كل امر اذا خالفا
تنبيه لقريش على محض الغلط في التقليد لابائهم في ذلك ولما كان
في الدين اشار الى انه ليس مطلقا فقال وصاحبهما في الدنيا اي في امورها التي لا تتعلق بالدين ما دمت حيا
المبني على النقصان على اعراض الوفا بجميع الحقوق وخفف عليه بالتنكير في قوله معروفا اي ببرهما ان كانا على دين يقران عليه ومعاملتهما
بالحلم والاحتمال وما تقتضيه مكارم الاخلاق ومعالي الشيم قال ابن ميلق ويلوح من هذه المشكاة تعظيم الاشياخ الذين كانوا
في العادة سببا لايجاد القلوب في دوائر التوحيد العلمية والعملية يعني ففي سوق هذه الوصية هذا المساق اعظم تنبيه
على ان تعظيم الوسائط من الخلق ليس مانعا من الاخلاص في التوحيد قال ابن ميلق ومن هنا زلت اقدام اقوام تعمقوا في دعوى التوحيد
حتى اعرضوا عن جانب الوسائط فوقعوا في الكفر من حيث زعموا التوحيد فان تعظيم المعظم في الشرع تعظيم لحرمات الله وامتثال
لامر الله ولعمري ان هذه المزلة ليتعثر بها اتباع ابليس حيث ابى ان يسجد لغير الله ثم قال ما معناه وهؤلاء قوم اعرضوا عن جانب
الوسائط فوقعوا في الكفر من حيث زعموا التوحيد فان تعظيم المعظم في الشرع تعظيم لحرمات الله وامتثال لامر الله ولعمري ان
هذه المزلة ليتعثر بها اتباع ابليس زاعمين الغيرة على مقام التوحيد وقابلهم قوم اسقطوا الوسائط جملة وكل ولو انه ليس في
الكون الا هو وهم اهل الوحدة المطلقة والكل على ضلال والحق الاقتصاد والعدل في اثبات الخالق وتوحيده وتعظيم من امر
بتعظيمه من عبيده ولما كان ذلك قد يجر الى نوع وهن في الدين ببعض محاباة نفى ذلك بقوله واتبع اي بالغ في ان تتبع سبيل
اي دين وطريق من اناب اي اقبل خاضعا الي لم يلتفت الى عبادة غيري وهم المخلصون من ابويك وغيرهما فان ذلك لا يخرج عن بر
ولا عن توحيد الله والاخلاص له وفي هذا حث على معرفة الرجال بالحق وامتحان المشايخ وغيرهم على محك الكتاب والسنة فمن كان
عمله موافقا لهما اتبع ومن كان عمله مخالفا لهما اجتنب ولما كان التقدير فان مرجع اموركم كلها في الدنيا الي عطف عليه
قوله ثم الي اي في الآخرة لا الى غيري مرجعك هكذا كان الاصل ولكنه جمع لارادة التعميم فقال معبرا بالمصدر الميمي الدال على
الحدث وزمانه ومكانه مرجعكم حسا ومعنى فاكشف الحجاب فانبئكم اي افعل فعل من بالغ في التنقيب والاخبار عقب ذلك
وبسببه لان ذلك انسب شيء للحكمة وتعقيب كل شيء بحسب ما يليق به بما كنتم بما هو لكم كالجبلة تعملون اي تجددون
عمله من صغير وكبير وجليل وحقير وما كان في جبلاتكم مما لم يبرز الى الخارج فاجازي من اريد واغفر لمن اريد فاعدوا
ولا تعمل عمل من ليس له مرجع يحاسب فيه ويجازى على مثقال الذر من اعماله ولعله عبر عن الحساب بالتنبئة لان العلم بالعمل
سبب للمجازاة عليه او لانه جمع القسمين ومحاسبة السعيد العرض فقط بدلالة التضمن ومحاسبة الشقي بالمطابقة
ولما فرغ من ربا كبير ما قاله لقمن عليه السلام في الشكر والشرك علم ما اوتي من الحكمة وختمه بعد الوصية بطاعة الوالد
بذكر دقيق الاعمال وجليلها وانها في علم الله سواء احسن جدا الرجوع الى اتمام بيان حكمته فقال بادئا بما يناسب ذلك من دقيق العلم

ومحيطها المكمل لمقام التوحيد وعبر بمثقال الحبة لانه اقل ما يخطر غالبا بالبال وهي من اعظم حاث على التوحيد الذي مضى تاسيسه
يا بني منحيا مستعطفا مصغرا له بالنسبة الى حمل شيء من غضب الله مستصغرا انها اي العمل وان لانه في مقام التعليل
والتحقير والتانيث اولى بذلك ولانه يؤول بالطاعة والمعصية والسيئة والحسنة ان تك واسقط النون لغرض الايجاز في
الايصال بما ينيل المجاز المفاز مثقال اي وزن ثم حقرها بقوله من خردل هذا على قراءة الجمهور بالنصب ورفع المدنيان على معنى ان الشان
والقصة العظيمة ان يوجد في وقت من الاوقات هنة هي اصغر شيء واحقره بما اشارت اليه التانيث ولما كان قد عرف
ان السياق لماذا اثبت النون في قوله مسببا عن صغرها فتكن اشارة الى ثباتها في مكانها وليزداد تشوف النفس الى محط
الفايدة ويذهب الوهم كل مذهب لما علم من ان المقصد عظيم لحذف تلك النون واثبات هذه وعبرها نبه ان حقرها بقوله
معبرا عن اعظم الخفا واتم الاحراز في صخرة اي اي صخرة كانت ولو انها اشد الصخور واقواها واصغرها واخفاها ولما
اخفى وضيق اطر ووسع ورفع وخفض ليكون اعظم لضياعها لحقارتها فقال او في السموات اي في اي مكان كان منها على سعة ارجائها
وتباعد انحائها واعاد في نصا على ارادة كل منهما على حدته والجار تاكيدا للمعنى فقال او في الارض اي كذلك وهذا كما ترى
لا ينفي ان يكون الصخرة فيهما او في احدهما وعبر له بالاسم الاعظم لعلو المقام فقال يأت بها الله بعظم جلاله وباهر كماله
كبريائه وكماله بعينها لا تخفى عليه ولا يذهب شيء منها فيحاسب عليها ثم علل ذلك بن علمه وقدرته بقوله مؤكدا اشارة الى ان
انكار ذلك لما له من باهر العظمة من دأب النفوس ان لم يصحبها التوفيق ان الله فاعاد الاسم الاعظم تنبيها على استحقاقه العظمة
وتعميما للحكم لطيف اي عظيم المنة بالوجوه الخفية الدقيقة الغامضة في بلوغه الى اي امر اراده حتى يحذ الطريق الموصل
فيما يظهر للخلق خبير بالغ العلم باخفى الاشيا فلا يخفى عليه شيء ولا يعوزه امر ولما نبهه على احاطة علمه سبحانه
واقامته للحساب امره بما يحض لذلك توسلا اليه وتخضعا لديه وهو راس ما يصلح به العمل ويصحح التوحيد ويصدقه فقال
يا بني مكررا المناداة على هذا الوجه تنبيها على فرط النصيحة لفرط الشفقة اقم الصلاة اي بجميع حدودها وشروطها
ولا تغفل عنها سعيا في نجاة نفسك وتصفية سرك فان اقامتها وهي الاتيان بها على النحو المرضي مانعة من الخلل في العمل ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر لانها الاقبال على من وحدته فاعتقدت انه الفاعل وحده واعرضت عن كل ما سواه لانه في التحقيق عدم
ولهذا الاقبال والاعراض كانت ثانية التوحيد وترك ذكر الزكاة تنبيها على ان من حكمته تخليه وتخلي كل من الدنيا حتى مما
يكفيهم لقوتهم ولما امره بتكميله في نفسه بتكميل نفسه توفية لحق الحق وذلك انه لما كان الناس في هذه الدار سفرا وكان
المسافر ان اهمل رفيقه حتى لحقه اوشك ان يوخذ هو امره بما يكمل نجاته بتكميل رفيقه وقدمه وان كان من جلب المصالح لانه
يستلزم ترك المنكر واما ترك المنكر فلا يستلزم فعل الخير فانك اذا قلت لا تات منكرا لم يفهم او لم يدل في العرف الا الكف
عن فعل المعصية لا فعل الطاعة فقال وأمر بالمعروف اي كل من تقدر على امره تهذيبا لغيرك شفقة على نفسك وتخليص
ابناء جنسك ولما كانت هذه الدار سفينة لسفر من فيها الى ربهم وكانت المعاصي مفسدة لها وكان فساد السفينة
مغرقا لكل من فيها من افسدها ومن اهمل المفسد ولم ياخذ على يده وكان الامر بالمعروف نهيا عن المنكر صرح به فقال وانه
اي كل من قدرت على نهيه عن المنكر حبا لاخيك ما تحب لنفسك تحقيقا لنصيحتك وتكميلا لعبادتك لانه ما عبد الله احد ترك
غيره يتعبد لغيره ومن احسن الطراز قول ابي الاسود رحمه الله • ابدأ بنفسك فانهها عن غيها •
فاذا انتهت عنه فانت حكيم • لانه امره اولا بالمعروف وهو الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فاذا امر نفسه
ونهاها ناسب ان يامر غيره وينهاه وهذا وان كان من قول لقمان عليه السلام الا انه لما كان في سياق المدح له كنا مخاطبين
به ولما كان القابض على دينه في غالب الازمان كالقابض على الجمر لانه يخالف المعظم فيرمونه عن قوس واحدة ولاسيما
ان امرهم ونهاهم قال واصبر صبرا عظيما بحيث يكون مستعليا على ما اي الذي وحقق بالماضي انه لا بد من المصيبة ليكون الانسان
على بصيرة فقال اصابك اي في عبادتك من الامر بالمعروف وغيره سواء كان بواسطة العباد او لا كالمرض ونحوه وقد بدأ
هذه الوصية بالصلاة وختمها بالصبر لانهما ملاك الاستعانة واستعينوا بالصبر والصلاة واختلاف المخاطب في
الموضعين وجب اختلافا لترتيب المخاطب هنا مؤمن متنقل وهناك كافر متكبر ولما كان ما احكمه له عظيم الجدوى
وجعل ختامه الصبر الذي هو ملاك الاعمال والنزول كلها نبهه على ذلك بقوله على سبيل التعليل او الاستئناف اعتناء
الى التبجيل ان ذلك اي الامر العظيم الذي اوصيتك به لاسيما الصبر على المصايب من عزم الامور اي معزوماتها تسمية للاسم
المفعول او الفاعل بالمصدر اي الامور المقطوع بها المفروضة او القاطعة الجازمة بجزم فاعلها اي التي هي اهل لان يعزم
عليها العازم ويحثوا اليها بكليته الحازم ولما كان من افات العبادة لاسيما الامر والنهي لتصورهما بصورة الاستعلاء
الاعجاب الداعي الى الكبر قال محذرا من ذلك معبرا عن الكبر بلازمه لان نفي الاعم نفي للاخص منبها على ان المطلوب في الامر والنهي
اللين لا الفظاظة والغلظة الحاملان على النفور ولا تصعر خدك اي لا تمله متعمدا امالة كالذي به الصعر متكلفا لها صرفا

والدلالة على اقل الكون واصغره

عن الحالة الناشية واصل الصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي تصاعر والمراد بالمفاعلة
التفعيل لتهم فعل ذلك لاجل الكبر حتى يصير خلقا والمراد النهي عما يفعله المصعر من الكبر والله اعلم ولما كان ذلك قد يكون لغرض
من الاغراض التي لا تذم اشار الى المقصود بقوله للناس بلام العلة اي لا تفعل ذلك لاجل الامالة عنهم وذلك لا يكون الا تهاونا بهم
من الكبر بل اقبل عليهم بوجهك كله مستبشرا منبسطا من غير كبر ولا علو واتبع ذلك ما يلزمه فقال ولا تمش ولما كان
في اسلوب التواضع وذم الكبر ذكره بان اصله تراب وهو لا يقدر ان يعدوه فقال في الارض واوقع المصدر موقع الحال او العلة فقال
مرحا اي اختيالا وتبخترا اي لا يكن منك هذه الحقيقة لان ذلك مشي اشر وبطر وتكبر فهو جدير بان يظلم صاحبه ويفحش ويبغي بل
امش هونا فان ذلك يفضي بك الى التواضع فتصل الى كل خير فترفعك الارض اذا صرت فيها حقيقة بالكون في بطنها ولما
كان غاية ذلك الدنيا للناس والفخر عليهم المثمر لبغضتهم الناشية عن بغضة الله علله بقوله مؤكدا لان كثيرا من الناس يظن ان
اتباع النعم الدنيوية من محبة الله ان الله اي الذي لا ينبغي الكبر الا له لما له من العظمة المطلقة ولما كان حب الله هو
الذي يلزمه حب الناس محبوبا للنفوس وكان فوات المحبوب اشق على النفوس من وقوع المحذور وكانت لا لا تدخل الا على المضارع
المستقبل قال لا يحب اي فيما يستقبل من الزمان ولو قال يبغض لاحتمل التقييد بالحال ولما كان العسر المشوش افضح لعرب
الرجوع تدليا فيما في فيه المقبل قاله كل مختال اي من يرى للناس في مشيه تبخترا يرى له فضلا على الناس فخرهم بانفه وذلك فعل
المرح فخور بعد مناقبه وذلك فعل المصعر لانه الكبر الذي تردى به سبحانه لمن نازعه اياه وقصمه ولما كان
النهي عن ذلك امرا باضداده وكان الامر باطلاقا لوجه يلزم منه الانصاف في الكلام وكان الانصاف في الكلام والمشي لا على طريق المرح
والفخر ربما دعى الى الاستهانة في المشي او الحديث او الاسراع في المشي والشد والجهر بالصوت فوق الحد قال محترسا بالامر بالخلق الكريم
عما يقارب الحال الذميم واقصد اي اعدل وتوسط في مشيك لا افراط ولا تفريط مجانبا لوثب الشطار ودبيب المتماوتين
وعن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى والقصد في الافعال كالقسط في الاوزان قاله الرازي
في التواضع وهو المشي الهون الذي يسر فيه تصنع للخلق لا بتواضع ولا بتكبر واغضض اي انقص ولاجل ما ذكر قال من صوتك باثبات
من اي لئلا يكون صوتك منكرا وتكون برفع الصوت فوق الحاجة حمارا واما مع الحاجة كالاذان فهو مامور به ولما كان
رفع الصوت فوق العادة منكرا كما ان خفضه دونها تماوتا ودلالا وتكبرا او كان قد اشار الى النهي عن هذا بمن فافهم ان الطرفين مذمومان
علل النهي على الاول والابصيغة افعل على اشتراك الرفع كله في النكارة برفعها فوق الحاجة واخلى الكلام عن لفظ التشبيه
واخرجه مخرج الاستعارة تصويرا للصوت الرافع صوته فوق الحاجة بصورة النهاق وجعل المصوت كذلك حمارا مبالغة في
التهجين وتنبيها على انه من كراهة الله له بمكان فقال لصوت الحمير اي هذا الجنس لما له من العلو المفرط من غير حاجة واوله زفير
واخره شهيق وهما فعل اهل النار وافرده ليكون نصا على ارادة الجنس لئلا يظن ان الاجتماع شرط في ذلك ولذكر الحمار مع ذلك من بلاغة
الذم والشتم ما ليس لغيره ولذلك يستهجن التصريح باسمه وهذا يفهم ان الرفع مع الحاجة غير مذموم فانه ليس بمستنكر ولا مستبشع
ولقد دعت هذه الايات الى معالي الاخلاق وهي امهات الفضائل الثلاث الحكمة والعفة والشجاعة وامرت بالعدالة وهي
وظيفة التقسيط الذي هو الوسط الذي هو مجمع الفضائل ونهت عن مساوي الاخلاق وهي الاطراف التي هي مبدا الرذائل الحاصل
بالافراط او التفريط فاقامة الصلاة التي هي روح العبادة المبنية على العلم هي سر الحكمة والامر والنهي امر بالشجاعة ونهي
عن الجبن وفي النهي عن التصعير وما معه نهي عن التهور والقصد في المشي والصوت امر بالعفة ونهي عن الاستهانة والجمود
عن الجبن وفي النهي عن التصعير وما معه نهي عن التهور وهي المكر المؤدي الى اللعنة وعن الانحطاط الى البله
والخلاعة والفجور وفي النهي عن الاستهانة نهي عما قد يلزمهما من الجربزة وهي الفكر بالمكر المؤدي الى اللعنة وعن الانحطاط الى البله
والبلادة والغفلة والكامل برح هذا ما قاله الشيخ سعد الدين التفتازاني في الكلام على الاجماع من تلويحه فان الخالق
تعالى وتقدس قد ركب في الانسان ثلث قوى احدها مبدا ادراك الحقائق والشوق الى النظر في العواقب والتمييز بين المصالح
والمفاسد ويعبر عنها بالقوة النطقية والعقلية والنفس المطمئنة الملكية والثانية مبدا جذب المنافع وطلب الملاذ من
الماكل والمشارب وغير ذلك وتسمى القوة الشهوية والبهيمية والنفس الامارة والثالثة مبدا الاقدام على الاهوال والشوق
الى التسلط والترفع وهي القوة الغضبية والسبعية والنفس اللوامة ويحدث من اعتدال الحركة الاولى الحكمة والثانية
العفة والثالثة الشجاعة فامهات الفضائل هي هذه الثلاثة وما سوى ذلك انما هو من تفريعاتها وتركيباتها وكل منها محتوش
بطرفي افراط وتفريط هما رذيلتان اما الحكمة فهي معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع المعبر
عنه بمعرفة النفس ما لها وما عليها المشار اليه بقوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وافراطها الجربزة وهي
استعمال الفكر فيما لا ينبغي كالمتشابهات وعلى وجه لا ينبغي كمخالفة الشرائع نعوذ بالله من علم لا ينفع قلت وهي بجيم ثم
مهملة ثم موحدة ثم زاي ماخوذة من الجربز بالضم وهو الخب اي الخداع الخبيث والله اعلم وتفريطها الغباوة التي هي تعطيل
القوة الفكرية بالارادة والوقوف على اكتساب العلوم النافعة واما الشجاعة فهي انقياد السبعية للناطقة ليكون اقدامها

كما كان حقيقة ذلك ما ثبتنا
ن ذاكرا الاعلان فيها تصوير الله
بانه صوت شنيع فقال
ان انكر الاصوات اي اقطع واوحش وابشع
واخس ... اكلها
... الشكر ... الذكارة

على حسب الروية من غير اضطراب في الامور المايلة حتى يكون فعلها جميلا وصبرها محمودا وافراطها التهور اي الاقدام على ما لا ينبغي وتفريطها
الجبن اي الحذر عما لا ينبغي واما العفة فهي انقياد البهيمية للناطقة لتكون تصرفاتها بحسب اقتضاء الناطقة لتسلم عن استعباد
الهوى اياها واستخدام اللذات وافراطها الخلاعة والفجور اي الوقوع في ازدياد اللذات على ما يجب وتفريطها الجمود اي السكوت
عن طلب اللذات بقدر ما رخص فيه الشرع والعقل ايثارا لا خلقة فالاوساط فضايل والاطراف رذايل واذا امتزجت الفضايل الثلاث
حصلت من اجتماعها حالة متشابهة هي العدالة فبهذا الاعتبار عبر عن العدالة بالوساطة اي في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
واليه اشير بقوله عليه الصلاة والسلام خير الامور اوساطها والحكمة في النفس البهيمية بقاء البدن الذي هو مركب النفس الناطقة
ليصل بذلك الى كمالها اللايق بها ومقصدها المتوجه اليه وفي الشبعية كسر البهيمية وقهرها ودفع الفساد المتوقع من استيلائها
واشترط التوسط في افعالهما لئلا تستعبدا الناطقة في هواهما وتصرفاها عن كمالها ومقصدها انتهى انتهت
هذه الجمل دافعة اعناقها على المشتري وزحل قابلة لمن يريد علمها مع الكسل والضجر في الفكر والملل وانالت الثريا من يد المتناول
وكان لله اخبر سبحانه في اول السورة ان الايات المسموعة هدى لقوم وضلال لاخرين وكان من الغرايب ان شيئا واحدا يوثر شيئين
متضادين واتبع ذلك ما دل على انه من بالغ الحكمة بوجوه مرضية مشرقة مضية لكنها لبيان دقيقة واشارات خفية الى ان ختم
بالنهي عن التكبر ورفع الصوت فوق الحاجة اشارة الى ان فاعل ما لا حاجة اليه غير حكيم وكان التكبر على الناس والتعالي عليهم من
اثار الفضل في النعمة وكانت العادة جارية بان الملك يخضع له تارة لمجرد عظمته وتارة خوفا من سطوته وتارة رجاء لنعمته
ابرز سبحانه عقيب ما وصف به الايات المسموعة من تاثير الضدين في حالة واحدة في شاهد الايات المرئية على وجه يدل على
استحقاقه لما امر به لقمن عليه السلام من العبادة والتذلل وان اليه المرجع وموعدا لمن يكل شيء قادر على كل شيء وان كل ما نرى خلقه
متذكرا بان النعمة انما هي منه فلا ينبغي لاحد ان يفتخر بما اتاه غيره ولو وكل فيه الى نفسه لم يقدر على شيء منه محذرا من سلبها عن المتكبر
واعطائها للذليل المحتقر فقال الم تروا اي تعلموا علما هو في ظهوره كالمشاهدة ايها المشركون لهو الحديث المتكبرون على المقبلين
على الله المتخلين عن الدنيا الذين قلنا لهم ردا عن الشرك وابعادا عن الهوى والافك هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه
ان الله الحاير لكل جمال سخر لكم اي خاصة ما في السموات بالانارة والاظلام والحر والبرد وغير ذلك من الانعام واكد باعادة
الموصول والجار لان المقام حقيق به فقال وما في الارض بكل ما يصلحكم فتعلموا ان لكل خلقه ما لا احد ممن دونه فيه شيء
وانه محيط بكل شيء قدرة وعلما فهو قادر على تقسيم كما قدر على تسخيره وقوي على نزعه من القوي ودفعه للضعيف وهو رجعكم
اليه فينبئكم بما كنتم تعملون ويخصم لكم وان كان في اخفى الاماكن واسبغ اي اطال واوسع واتم وافضل عن قدر الحاجة
واكمل عليكم فقال ظاهرة وهي ما تشاهدونها متذكرين لها وباطنة وهي ما غابت عنكم فلا تحسونها او تحسونها وهي
خفية عنكم لا تذكرونها الا بالتذكير وكل منكم يعرف ذلك على الاجمال كالعبودية لما دعت اليه مجمله لقمن عليه السلام في
لتكونوا من المحسنين حذرا من سلب نعمه وايجاب نقمه ويجوز ان يكون الاية دليلا على قوله خلق السموات بغير عمد ترونها ولما
كان التقدير ومع كون كل منكم ايها الخلق يعرف ان ذلك نعمة منه تعالى وجد من الناس من ادعن واناب وسلم لكل ما دعا
اليه كتابه الحكيم على لسان رسوله الكريم فكان من الحكماء المحسنين فاهتدى عطف عليه قوله مظهرا موضع ضمير المخاطبين
لبشير الى النوس ومن الناس اي الذين هم اهل للاضطراب ويمكن ان يكون حالا من الم تروا او يكون الم تروا دليلا على اول السورة
اي اشير الى الايات حال كونها هدى لمن ذكر والحال ان من الناس من يشتري اللهو الم تروا دليلا على ان من الناس المعاند بعد وضوح
الدليل ان الله سخر لكم جميع العالم واتم عليكم بالنعم والحال ان من الناس من يجادل فلا لهو اعظم من جداله ولا كبر مثل كبره ولا
ضلال مثل ضلاله واظهر لزيادة التشنيع على هذا المجادل واشارة الى قبح المجادلة من غير نظر الى النعم ايضا فقال
في الله المحيط علما وقدرة ولما كان سبحانه في ظهور وجوده واوصافه بحيث لا يخفى بوجه وكان المجادل فيه قد يكون
فهما قال بغير اي بكلام متصف بانه غير علم اي بل بالفاظ هي في ركاكة معانيها لعدم استنادها الى حس ولا عقل ملحقة
باصوات الحيوانات العجم فكانت للحمار تابعا للهوى ولما كان المعنى قد يظهر بطلانه لبعض القاصرين لوروده
على لسان من لا يعتبر فاذا اضيف الى كبير توهم ولم يبادر الى رده لاستعظامه فظهر على طول حسنه قال معبرا باداة النفي
الحقيقة به لان الموضع لها وعدل عنها اولا لئلا يظن ان المذموم انما هو المجادل اذا كان غير متصف بالعلم وان كان جداله
متصفا بالعلم ولا هدى اي وارد عن عهد منه سدد الاقوال والافعال بما ابدى من المعجزات والايات البينات فوجب
احترامه لا مسلمة وان لم يظهر معناها ولما كان القول قد يكون مقبولا لاستناده الى الله وان لم يكن اصلا معقولا
قال ولا كتاب اي من الله ووصفه بما هو لازمه لا ينفك عنه فقال منير اي بين غاية البيان مبين لغيره على عادة بيان الله
او يكون اريد بالوصف الاعجاز لاظهاره قطعا انه من الله فانه ليس كل كتاب لله كذلك ولما كان المجادل بغير
واحد من هذه الثلاثة تابعا هواه مقلدا امثاله قطعا وكان حال المجادلين هذا لاظهور دلائل الوحدانية عجبا عجب منهم

تعجبا

كان ضلال الجمع اعجب من ضلال الواحد
تعجبا آخر باقتهم على الضلال مع ايضاح الادلة فقال واذا قيل اي من اي قايل كان
او كان جدال التعجب من جدال الواحد تعجبا من جدال الاثنين بل اكثر من باب الاولى فردا ولا جمع هنا فقال لهم اي للمجادلين هذا الحد
اتبعوا ما اي ابن لواجهد في تبع الذي واظهر لزيادة التشنيع ايضا فقال انزل الله الذي خلقكم وخلق اباكم الاولين وهو الذي لا
عظيم الا هو قالوا جمودا لا نفعل بل نتبع وان جاهدنا بالانفس والاموال ما وجدنا عليه اباءنا لانهم اثبت منا عقولا واقوم قيلا
واهدى سبيلا ولما كانوا لا يسلكون طريقا حسيا بغير دليل كان التقدير اتتبعونهم لو كان الهوى يدعوهم فيما وجدتموهم
عليه الى ما يظن فيه الهلاك لكونه بغير دليل عطف عليه قوله اولو كان الشيطان اي البعيد من الرحمة المحترق باللعنة وهو
اعدى اعدائهم دليلهم فهو يدعوهم الى الضلال فيوقعهم فيما يسخط الرحمن فيوديهم ذلك الى عذاب السعير وعبر بالمضارع
تصويرا لحالهم في ضلالهم وانه مستمر واطلق العذاب على سببه كان التقدير فمن جاهد في الله فلا متمسك له
عطف عليه قوله في شرح حال اضدادهم ومن يسلم اي في الحال والاستقبال وجهه اي قصده وتوجهه وذاته كلها ولما
كان مقصود السورة اثبات الحكمة عدى الفعل بالى تنبيها على انقياد الطريق بالوسائط من النبي او الشيخ وحسن الاسترشاد
في ذلك فقال معلقا بما نقديره سايرا وواصلا الى الله الذي له صفات الكمال فلم يبق لنفسه امرا اصلا فهو لا يتحرك الا بامر من اوامر
سبحانه وهو اي والحال انه محسن اي مخلص بباطنه كما اخلص بظاهره فهو دايما في حال الشهود فقد استمسك اي وجد الامساك
بغاية ما يقدر عليه من القوة في بادية الامور لترقية نفسه من حضيضها الى اوج الروح على ايدي المسلكين الذين اختارهم بدينه العارفين
بالخطار السير وعوايق الطريق بالعروة الوثقى التي هي اوثق ما يتمسك به فلا سقوط له اصلا فليبشر ادراك شكره فانه يعليه
الى كل مراد ما دام مستمسكا بها تمثيلا لحال هذا السائر بحال من سقط في بير او اراد ان يرقي جبلا فادلى له صاحبه حبلا اذا عرى فاخذ
باوثقها فهو يعلوا به اذا جر صديقه وهو قادر على جره لا محالة من عدم انفصام لان متمسكه في غاية الاحكام ولما كان
الكل صايرا الى الله وافدين عليه من استمسك بالاوثق ومن استمسك بالاوهى ومن لم يمسك بشيء الا ان الاول صاير مع السلامة
وغيره مع العطب قال مظهرا تعظيما للامر لئلا يتقيد بسبب عاقبة الامور اي كلها كانت منه بادئها واليه العاقبة لانهم
معترفون بالبادية ولما ذكر المسلم ذكر الكافر فقال ومن كفر اي ستر ما اداه اليه عقله من ان الله لا شريك له وانه لا قادر اصلا
لاحد سواه ولم يسلم وجهه اليه فتكبر على الدعاة واي ان ينقاد لهم اتباعا لما قاده اليه الهوى بان جعل لنفسه اختيارا وعملا نفعل
التوى لغاد رفعها لها بنفسه في كل هلكة لكونه لم يستمسك بشيء فلا يحزنك اي يهمك ويوجعك وافرد الضمير باعتبار لفظ من
لارادة التنصيص على كل فرد فقال كفره كائنا من كان فانه لم يفتك شيء فيه خير ولا معجز لنا ليحزنك ولا تبعة عليك بسببه
وفي التعبير هنا بالماضي وفي الاول بالمضارع بشارة بدخول كثير في هذا الدين وانهم لا يرتدون بعد اسلامهم وترغيب في الاسلام لكل من كان
خارجا عنه فالاية من الاحتباك ذكر الحزن ثانيا دليلا على حذف ضده اولا وذكر الاستمساك اولا دليلا على حذف ضده ثانيا ولما
كان الحزن بمعنى الهم حسن التعليل بقوله التفاتا الى مظهر العظمة التي هذا من احق مواضعها وجمع لان الاحاطة بالجمع ادل على العظمة
ولما بين انهم في قبضته وانه لا بد من
الينا اي خاصة بما لنا من العظمة التي لا تثبت لها الجبال مرجعهم اي رجوعهم وزمانه ومكانه ولما كان يعني
تعنتهم بين ان السبب في ذلك حسابهم لتظهر الحكمة فقال فننبئهم بما عملوا اي نجازيهم عليه ان اردنا بسبب
التضعيف تنقل معهم نقل منقب عن الامور مفتش على جليلها وخفيها جليلها ودقيقها فلا ندع رسما منها الا علله بقوله
احاطتنا بامرهم معبرا بالاسم المعلم للعظمة وغيرها من صفات الكمال التي من اعظمها العلم لفتا للكلام عن العظمة التي لا تدل على غيرها الا
بالدوام مؤكدا لانكارهم شمول علمه ان الله عليم اي محيط العلم بما له من الاحاطة باوصاف الكمال بذات الصدور اي بالاعمال
التي هي صاحبتها ومضمرة ومودعة فيها فناشئة عنها من قبل ان تبرز الى الوجود فكيف بذلك بعد عملها ولما تشوف
المسلم الى اهلاك من هذا شانه والى العلم بمدة ذلك وكان من طبع الانسان العجلة اجاب من يستعجل بقوله عايدا الى مظهر العظمة
التي يتقاضاها ادلال العدو عدو واعزاز الولي نمتعهم قليلا اي من الزمان ومن الحظوظ وان جل ذلك عند من لا علم له فلا تشغلوا
انفسكم بالاستعجال عليهم فان كل آت قريب ولما كان الجاء المتجبرين الى العذاب امرا مستبعدا اشار باداة البعد
الى ما يحصل عنده من صفات الجلال الذي تذل الرجال وتدك الجبال وفيه ايضا اشارة الى استطالة المحسنين من تمتعهم وان كان
قليلا في الواقع او عند الله فقال ثم نضطرهم اي نلجئهم الجاء الابعد رون على الانفكاك عنه بنوع حيلة واشار الى المطول
اذلالهم في سوق بحرف الغاية فكان المعنى فيضيرهم بذلك الاخذ الى عذاب غليظ اي شديد ثقيل لا ينقطع عنهم اصلا ولا يجدون
لهم منه مخلصا من جهة من جهاته فكانه في شدته وثقله جرم غليظ جدا اذا برك على شيء لا يقدر على الخلاص منه كان من
اعجب العجب جدالهم مع اقرارهم بما يلزمهم به قطعا التسليم في انه الواحد لا شريك له وان له جميع صفات الكمال فله الحمد كله قال
ولئن اي يجادلون او يقولون بل نتبع اباءنا والحال انهم ان سألتهم من خلق السموات باسرها والارض وجميع ما فيها ليقولن هي
ولما كان الانسب للحكمة التي هي مطلع السورة الاقتصار على محل الحاجة لم يبرز هنا على المسند اليه بخلاف الزخرف

عاطفا على ما تقدير فيصير الى الله مالها فالى الله عاقبة لا محالة ه

سبب اهاطتنا بامرهم وعلمهم

بمعنى في الدنيا وحسابا يوم الحساب لا الى غيرنا ه

التي مبناها الاهانة فقال لافتا القول عن العظمة الى اعظم منها الله اي المسمى بهذا الاسم الذي جمع مسماه جميع الجلال والاكرام فقد اقروا
بان كل ما اشركوا به بعض خلقه ومصنوع من مصنوعاته ولما كانوا يعتقدون ان شركاهم تفعل لهم بعض الافعال فلذلك كانوا
يرجونهم ويخافونهم كان ذلك واضحا في نقضه عموم اضر الصنم وغيرها امره صلى الله عليه وسلم بان يعلمهم انه لا خلق لغيره ولا امر بل هو مبدع
كل شيء في السموات والارض كما ابدعهما وان من جملة ذلك مما يستحق به الحمد سبحانه فهو منهم على تصديقه صلى الله عليه وسلم بحمل هذا الاقرار
وهم في غاية التكذيب فقال مستانفا قل الحمد اي الاحاطة بجميع اوصاف الكمال لله اي الذي له الاحاطة الشاملة الكاملة من غير تقييد
بخلق الخافقين ولا غيره الامر اعظم من مقاله كايل فكما احاط بما تعلمونه من خلق السموات والارض فهو فاعل الافعال كلها كما انه خالق الذوات
كلها ولا شريك له في شيء من الامر كما انه لا شريك له في شيء من الخلق ولما كانوا يظنون ان اصنامهم تصنع شيئا كما قالت امراة
ذي النور له وسيد رضي الله عنه هل تخشى على الصبية من ذي الشرى وكما قال قوم ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه لما سب الهتهم اتق
الجذام اتق البرص وكما قال السادن للعزى وكما قالت ثقيف في طاغيتهم حتى انهم قالوا عندما سويت بالارض والله ليغضبن الاساس
حتى حمل ذلك المغيرة بن شعبة رضي الله عنه على حفر الاساس وكانوا اذا مستهم الضر لا سيما في البحر تبرءوا منها واسندوا
الامر الى من هو له كانوا موضوعا للتحميد فكان ربما قال قايل اسنادا الى ذلك انهم ليعلمون ما اثبت بالتحميد قال بل اكثرهم
لا يعلمون اي ان الله هو المتفرد بكل شيء كما انه تفرد بخلق السموات والارض وانه لا يكون شيء الا باذنه لانهم لا يعملون بما
يعلمون من ذلك وعلم لا يعمل به عدم بل العدم خير منه وكان التعليل المقتصدون عند النجاة من الشدة كما سياتي نفعا او يكون المعنى
انه لا علم لهم اصلا اذ لو كان لهم علم لنفعهم في علمهم بالله او في انهم لا يعترفون بتفرده سبحانه بالخلق والرزق فيكون ذلك موجبا
لتناقضهم وملزما لهم بالاقرار بصدقك في الحكم بوحدانيته على الاطلاق ولما اثبت لنفسه سبحانه الاحاطة باوصاف
الكمال شرع يستدل على ذلك فقال مبينا انما اخبر انه صنعه فهو له لله اي الملك الاعظم المحيط بجميع اوصاف الكمال خاصة
دون غيره ما في السموات كلها ولما تحرر بما تقدم انهم عالمون معترفون بما يلزم عنه وحدانيته لربوبية باعادة ما بل قال
والارض كلها فلا يصح ان يكون شيء من ذلك له شريكا ولما ثبت ذلك انتج قطعا قوله ان الله اي الملك الاعظم هو اي وحده
واكد لان ادعاءهم الشريك يتضمن انكار غناه ولذلك اظهر موضع الاضمار اشارة الى ان كلا وصف به فهو ثابت له مطلقا من غير
تقييد بحيثية الغني مطلقا لان جميع الاشيا له ومحتاجة اليه وليس محتاجا الى شيء اصلا ولما كان الغني قد لا يوجب الحمد
قال الحميد اي المستحق لجميع المحامد لانه المنعم على الاطلاق المحمود بكل لسان الالسنة الاحوال والاقوال ولو كان نطقها ذما فهو
حمد من حيث انه هو الذي انطقها ومن قيد الخرس اطلقها ولما كان الغني قد يكون ما له محصورا كما في السموات والارض الذي
قد مر انه له والمحمود قد يكون ما يحمد عليه مضبوطا مقصورا ابتا انه على غير ذلك بل لا حد لغناه ولا ضبط لمعلوماته ومقدوراته
الموجبة لحمده ولا ثناه فقال ولو اي لهذه الصفتان المذكورتان والحال انه لو ان ما في الارض اي كلها ودل على الاستغراق وتقصي كل
فرد فرد من الجنس بقوله حيث وحدها من شجرة اقلام اي والشجرة يمدها من بعدها على سبيل المبالغة سبع شجرات وان ما في الارض من بحر مداد
لتلك الاقلام والبحر اي والحال ان البحر وعلى قراءة البصريين بالنصب التقدير ولو ان البحر يمده اي يكون مدادا له وزيادة فيه
من بعده اي من ورائه سبعة ابحر فكتب بتلك الاقلام وذلك المداد الذي الارض كلها له دواة كلمات الله ما نفدت وكرر
الاسم الاعظم تعظيما للمقام فقال مظهرا للاشارة مع التبرك الى عموم المقيد بشي وان جل كلمات الله وقرنت الاقلام والمداد
واشار بجمع القلة مع الاضافة الى اسم الذات الى زيادة العظمة بالعجز عن ذلك التعليل فيفهم العجز عن الكلم من باب الاولى ثم يتبع الكلمات
الابداع فلا تكون كلمة الا لاحداث شان من الشوؤن انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وعلم من ذلك نفاد الابحر كلها لانها
محصورة فهي لا تفي بما ليس بمحصور فيا لها من عظمة لا تتناهى ومن كبرياء لا تجارى ولا تضاهى لاجرم كان نتيجة ذلك قوله موكدا لان
ادعاءهم الشريك انكار للعزة وعدم البعث انكار للحكمة ان الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما من غير فيه اصلا عزيز اي يعجز كل
شي ولا يعجزه شي حكيم بحكم ما اراده فلا يقدر احد على نقضه ولا علم لاحد من خلقه الا ما علمه ولا حكمة لاحد منهم الا بمقدار ما او
وقد علم ان الاية من الاحتباك ذكر الاقلام دليلا على حذف مدادها وذكر السبعة في مبالغة الابحر دليلا على حذفها في الاشجار وهو
من عظيم هذا الفن وعلم ايضا من السياق ان المراد بالسبعة المبالغة في الكثرة لا حقيقتها وان المراد بجمع القلة في البحر الكثرة
لغرابة المبالغة وجمع القلة في كلمات حقيقتها لينتظم المعنى وكل ذلك سائغ شائع في لغة العرب ولما ختم بهاتين
الصفتين بعد اثبات القدرة على الابداع من غير انتها ذكر بعض اثارهما في البعث الذي تقدم اول السورة وانتهاها ذكر الى اخرها
به في قوله الينا مرجعهم فقال ما خلقكم اي كلكم في عزته وحكمته الا كخلق نفس واحدة واعادها الا في نصها على كل واحد من الخلق
والبعث على جهته فقال ولا بعثكم كلكم الا كنفس واحدة اي كبعث نفس وبين الافراد تحقيقا للمراد تاكيدا للتسهيل له فقال
واحدة فان كلماته مع كونها غير نافدة نافذة وقدرته مع كونها باقية بالغة فنسبة القليل والكثير الى قدرته على حد سواء
لانه لا يشغله شان عن شان ثم دل على ذلك بقوله موكدا لان تكذيبهم لرسوله وردهم لما شرفهم به يتضمن الانكار لان يكونوا

كما كانتا هي

بمرأى منه ومسمع ان الله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة الشاملة سميع اي بالغ السمع يسمع كل ما يمكن سمعه من المعاني في ان واحد
لا يشغله شيء منها عن غيره بصير بليغ البصر يبصر كذلك كلما يمكن ان يرى من الاعيان والمعاني ومن كان كذلك كان محيط العلم بالغه
شامل القدرة تامها فهو يبصر بجميع الاجزاء من كل ميت ويسمع كلما يسمع من معانيه فهو باحاطة علمه وشمول قدرته يجمع تلك الاجزاء
ويميز بعضها من بعض ويودعها تلك المعاني فاذا هي انفس قايمة كما كانت اول مرة في اسرع من لمح البصر ولما قرر هذه
الاية الخارقة دل عليها بامر محسوس يشاهد كل يوم من بين مع دلالته على تسخير ما في السموات والارض وابطال قولهم ما
يهلكنا الا الدهر بانه هو الذي اوجد الزمان بتحريك الافلاك وخاصا بالخطاب من لا يفهم ذلك حق فهمه غيره او عاما
من كل عاقل اشارة الى انه في دلالته على البعث في غاية الوضوح فقال الم تر اي يا من يصلح لمثل هذا الخطاب ويمكن ان
ولما كان البعث مثل ايجاد كل من الملوين بعد
يكون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يعلم ذلك من المخلوقين حق علمه غيره
اعدامه فكان انكاره انكارا لهذا نبه على ذلك بالتاكيد فقال ان الله اي بجلاله وعز كماله يولج اي يدخل ادخالا لا مرية فيه
الليل في النهار فيغيب فيه بحيث لا يرى شيء منه فاذا النهار قد عم الارض كلها اسرع من اللمح ويولج النهار اي يدخله لكل
في الليل فيخفى حتى لا يبقى له اثر فاذا الليل قد طبق الافاق مشارقها ومغاربها في مثل الطرف فيميز سبحانه كلا منهما
من الاخر بعد اضمحلاله تذكيرا للخلق والبعث في قدرته بعزته وحكمته لبلوغ سمعه ونفوذ بصره ولما
وهو معنى من المعاني كان النيران جرمين عظيمين قد ضربا على طريق
كان هذا معنى من المعاني يتجدد في كل يوم وليلة عبر فيه بالمضارع ولما
معلوم بمقدار لا يختلف عبر فيهما بالماضي عقب ما مضى اتيانه فقال وسخر الشمس اية للنهار بدخول الليل فيه والقمر اية لليل كذلك
ثم استانف ما تحرر فيه فقال كل اي منهما يجري اي في فلكه سايرا مبتدئا وبالغا ومنتهيا ولما كان لحظ مقصود السورة
الحكمة وكانت هذه الدار مرتبطة بحكمة الاسباب والتطوير والمد في الابداع والتسيير كان الموضع بحرف الغاية فقال الى
اجل مسمى لا يتعداه في منازل معروفة في جميع الفلك لا تزيد ولا تنقص هذا يقطعها في الشهر مرة وذلك في السنة مرة لا يتعدى
واحد منهما ان يتعدى طوره ولا ان ينقص دوره ولا ان يغير سيره ولما بان بهذا التدبير المحكم في هذا الخلق الاعظم
ثمول علمه وتمام قدرته عطف على ان الله قوله وان الله اي بما له من صفات الكمال المذكورة وغيرها وقدم الجار اشارة الى تمام علمه
بالاعمال كما مضى الاشارة اليه غير مرة وعم بالخطاب بيانا لما قبله وترغيبا وترهيبا فقال بما تعملون في كل وقت على سبيل التجدد
خبير لا يعجز شيء منه ولا يخفى عنه لانه الخالق له كله دقه وجله وليس للعبد في ايجاده غير الكسب لانه لا يعلم
مقدار الحركات والسكنات في شيء منه ولو كان هو الموجد له لعلم ذلك لانه لا يقدر على الايجاد ناقص العلم اصلا وكم قد
اخبر سبحانه في كتبه وعلى لسان انبيائه باشيا مستقبلة من امور العباد فكان ما قال لم يقدر احد منهم ان يخالف
في شيء مما قاله فتمت كلماته وصدقت اشاراته وعباراته وهذا دليل اخر على تمام القدرة على البعث وغيره باعتبار ان الخلائق
في جميع الارض يفوتون الحصر وكل منهم لا ينفك في كل لحظة عن عمل من حركة وسكون وهو سبحانه الموجد لذلك كله في كل
ان دايما ما تعاقب الملوان وبقي الزمان لا يشغله شان عن شان وقد كان الصحابة رضي الله عنهم لما خوطبوا بهذا في غاية
العلم به لما ذكر من دليله ولما شاهدوا من اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن مغيبات تتعلق بناس غايبين وناس حاضرين
منهم البعيد جدا او المتوسط والقريب وغير ذلك من احوال توجب القطع لهم بذلك هذا علمهم فكيف يكون علم المخصوص
في هذه الاية بالخطاب صلى الله عليه وسلم مع ما يشاهد من اثاره سبحانه وتعالى ويطلع عليه من ابداعه في ملكوت
السموات والارض وغير ذلك مما اطلعه عليه سبحانه من عالم الغيب والشهادة ولما ثبت بهذه الاوصاف
الحسنى والافعال العلية انه لا موجد بالحقيقة الا الله قال ذلك اي ذكر لما ذكر من الافعال الهايلة والاوصاف
الباهر بان اي بسبب ان الله الذي لا عظيم سواه هو وحده الحق اي الثابت بالحقيقة وثبوت غيره في الواقع عدم
لانه مستفاد من الغير وليس له من ذاته ومنه ما اشركوا به ولذلك افرده بالنص فقال صارفا بالخطاب الماضي
الى الغيبة على قراءة البصريين وحمزة وحفص عن عاصم ايذانا بالغضب وقراءة الباقين على الاسلوب الماضي وان ما يدعون
اي هؤلاء المختوم على مداركهم واشار الى سفول رتبتهم بقوله من دونه ولما تعددت الادلة الكثيرة على
بطلان الهتهم بما لا مزيد عليه كقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه لم تدع حاجة الى التاكيد بضمير
الفصل فقيل الباطل اي العدم حقا لا يستحق ان تضاف اليه الالهية بوجه من الوجوه والا لمنع من شيء من هذه الافعال
من مرة من المرات فلما وجدت على هذا النظام علم انه الواحد الذي لا مكافئ له ولما كانوا يعلونها عن مرتبتها
كان النيران مما عند من دون الله وكانا قد جمعا علوا
ويكبرونها بغير حق قال وان الله اي الملك الاعظم وحده هو العلي الكبير اي عن ان يدانيه في علياته
او كبرا وكان ليس لها من ذاتها الا العدم فضلا عن السفول والصغر ختم بقوله ولما تضمنت الاية اشارة ثلاثة اشيا اتبعها دليلها فقال منبها على ان سيرنا
صدا وينازعه في كبريائه ند

في الفلك مثل سير النجوم في الفلك وسير اعمارنا في فلك الايام حتى يولجها في بحر الموت مثل سير كل من الليل والنهار في فلك الشمس حتى يولجه في الاخر فيذهب حتى كانه ما كان ولولا تفرده بالجمعية والعلو والكبر ما استقام ذلك خاصا بالخطاب اعلا الناس تنبيها على ان هذه الامة لكثرة الالف لها اعرض عن تاملها فهو في الحقيقة حث على تدبرها ويوئس الاقبال على الكل عند تقليلها الم تر ان الفلك اى السفن كبارا وصغارا تجرى اى بكم حاملة ما تعجزون عن نقل مثله في البر وعبر بالظرفية اشارة الى انه ليس لها من ذاتها الا الرسوب في الماء لكثافتها ولطافته فقال في البحر اى على وجه الماء وعبر عن الفعل باشرع لانه احب فقال بنعمة الله اى بانعام الملك الاعلى المحيط علما وقدرة واحسانه مجددا ذلك على مدى الزمان عليكم في تعليمكم صنعتها حتى تهيأت لذلك على يدي ابيكم نوح العبد الشكور عليه السلام ليريكم من اياته اى عجائب قدرته ودلائل بيله التي تدلكم على انه الحق الذي اثبت بوجود ما ترون من الاحمال الثقال على وجه الماء الذي ترسب فيه الابرة فما دونها وهي مساوية لغيرها في ان الكل من التراب فما فات من الاهو بتمام قدرته وفعله بالاختيار ولما كان هذا امرا ذاجرا للنظر فيه عن كونه قد صار ما لوفا بهر العقول وحير الفهوم اشار اليه بقوله مؤكدا تنبيها مما هم فيه من الغفلة عنه لافتا الخطاب بعد الجمع الى الافراد تنبيها على دقة الامر وانه وان كان يظن انه ظاهر لا يفهمه حق فهمه غيره صلى الله عليه وسلم ان في ذلك اى الامر الهائل البديع الرفيع لايات اى دلالات واضحات على ما له من صفات الكمال في عدم يحيط عرفته وفي سيره الى البلاد الشاسعة والاقطار البعيدة وفي كون سيره ذهابا وايابا بالارة بريح واحدة وفي انجا ابيكم نوح عليه السلام ومن اراد الله من خلقه به واغراق غيرهم من جميع اهل الارض وفي غير ذلك من شؤونه وامور وفنونه ونعمه وفتونه وان كان اكثر ذلك قد صار ما لوفا لكم فجهلتم انه من خوارق العادات ونواقض المطردات وعلم من ختام التي قبلها ان المراد بقوله جامعا لجميع الايمان الذي نصفان نصف صبر ونصف شكر وذلك تمام صفة المؤمن مظهرا موضع لكم اولكم ما افاد الحكم لكل من شاركه صلى الله عليه وسلم في الوصفين المذكورين لكل صبار دائمه الفكر في هذه النعم واستحضارها في الشدة والرخا وانها من عند الله وانه لا يعرف في الرخاء من عظمة الله ما كان يعرفه في الشدة وانه لا يقدر عليها سواه والاذعان له في جميع ذلك حفظ المادل عليه العقل من اخذ الميثاق بالشكر وان لا يصرف الحق الى غير اهله فيلزم عليه الاساءة الى المحسن شكور عليه مبالغ في كل من الصبر والشكر وعلم من صيغة المبالغة في كل منهما انه لا يعرف في الرخاء من عظمة الله ما كان يعرفه في الشدة الا من طبعهم الله على ذلك ووفقهم له واعانهم عليه بحفظ العهد وترك النقض جريا مع ما تدعوا اليه الفطرة الاولى السليمة وقليل ما هم قال الرازي في اللوامع وكيفما كان فالصبر هو الثبات في مراكز العبودية والشكر رؤية النعمة من المنعم الحق وصرف نعمه الى محابه ولما كانوا يسارعون الى الكفر بعد انفصالهم من هذه الاية العظيمة والباسهم هذه النعمة الجسيمة التي عرفتهم ما تضمنته الاية السالفة من حقيته وحده وعلوه وكبره وبطلان شركائهم اعرض عنهم وجه الخطاب لانهم لم يرجعوا بعد الوضوح ايذانا باستحقاق شديد الغضب والعذاب فقال معجبا عاطفا على ما تقديره واما غير الصبار الشكور فلا يرون ما في ذلك من الايات في حال رخائهم واذا غشيهم اى علاهم وهم فيها حتى صار كالمغطي لهم لانه منعهم من ان تمتد ابصارهم كما كانت موج اى هذا الجنس ولعله افرده لانه لشدة اضطرابه وابتانه شيا في اثر شيء متتابعا يركب بعضه بعضا كانه شيء واحد واصله من الحركة والازدحام كالظلل اى حتى كان كاطراف الجبال المظللة لمن يكون الى جانبها وللاشارة الى خضوعهم غاية الخضوع كرر الاسم الاعظم فقال دعوا الله اى مستحضرين لما يقدر عليه الانسان من كماله بجلاله وجماله عالمين بجميع مضمون الاية السالفة من حقيته وعلوه وكبره وبطلان ما يدعون من دونه مخلصين له الدين لا يدعون شيئا سواه بالسنتهم ولا قلوبهم لما اضطرهم الى ذلك من ايات الجلال وقسرهم عليه من العظمة والكمال واقتضى الحال في سورة الحكمة حذف ما دعوا به لتعظيم الامر فيه لما اقتضاه من الشدائد لتذهب النفس فيه كل مذهب ولما كان القتل بالسيف اسهل عندهم من ان يقال عنهم انهم افروا ونبئ عنهم انهم له منكرون لاجل الخوف حوقا لسبه بذلك والعار حتى قال من قال لولا ان يقال انى ما اسلمت الاجزعا من الموت فيسب بذلك نبي من بعدي لا اسلمت بين لهم سبحانه انهم وقعوا بما نعلوا عند خوف الغرق في ذلك واعجب منه رجوعهم الى الكفر عند الانجا لما فيه مع ذلك من كفران الاحسان الذي هو عندهم من اعظم الشنع فقال دالا بالفا على قرب استحالتهم وطيشهم وجهالتهم فلما نجاهم اى خلصهم رافعا لهم نجية عظيمة بالتدريج من تلك الاهوال الى البر نزلوا عن تلك المرتبة التي اخلصوا فيها الدين وسلكوا سبيل المفسدين وانقسموا قسمين فمنهم اى تسبب عن نعمة الانجا وربط بها اشارة الى ان المؤثر لهذا الانقسام انما هو الاضطرار الى الاخلاص في البحر والنجاة منه انه كان منهم مقتصد متكلف للتوسط والميل للاقامة على الطريق المستقيم وهو الاخلاص في التوحيد الذي الجاه اليه الاضطرار وهم قليل بما دل عليه التصريح بالتبعيض ومنهم جاحد للنعمة ملق جلباب الحيا في التصريح بذلك وهو الاكثر كما مضت الاشارة اليه ودل عليه ترك التصريح فيه بالتبعيض وما يقتصد الا كل صبار شكور اما حالا او مالا وما يجحد وخوفا الجاحد بمظهر العظمة التي من شانها الانتقام فقال صارفا القول اليه باياتنا اى ينكرها مع علمها ولا سيما بعد الاعتراف بها الا كل ختار اى شديد الغدر عظيمه لما نقض من العهد الهادي

الية العقل والداعي اليه الخوف كفور اى عظيم الكفر لاحسان من هو متقلب في نعمه في سره وعلنه وحركاته وسكناته ولا نعمة الا وهي منه ومن هنا جاءت المبالغة في الصيغتين وعلم انهما طباق ومقابلة لختام التي قبلها وان الاية من الاحتباك دل ذكر المقتصد اولا على ومنهم جاحد ثانيا وحصر الجحد في الكفور ثانيا على حصر الاقتصاد في الشكور اولا قال البغوي قيل نزلت في عكرمة ابن ابي جهل حين هرب رضي الله عنه عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف يعني فقال الركاب على عادتهم اخلصوا فان الهتكم لا تغني عنكم ههنا شيئا فقال عكرمة لئن لم ينجني من هذا الا الاخلاص ما ينجيني في البر غيره فسكنت الريح فرجع عكرمة رضي الله عنه الى مكة فاسلم وحسن اسلامه وقال مجاهد مقتصد في القول اى من الكفار لان بعضهم كان اشد قولا وهم اعلى في الافتراء من بعض ولما ظهرت بما ذكر في هذه السورة دقائق الحكمة وانتشرت في الخافقين الوية العظمة ونفوذ الكلمة واعربت السن القدرة عن دلائل الوحدانية فلم تدع شيئا من العجمة وظهر كالشمس انه لا بد من الصيرورة الى يوم الفصل وختم بالمكذب امر سبحانه عباده عامة عاصيهم ومطيعهم بالاقبال عليه وخوفهم ما هم صائرون اليه مناديا لهم بادنى اوصافهم لما لهم من الذبذبة كما عرف به الحال الذي شرح انفا فقال يا ايها الناس اى عامة ولفت الكلام الى الوصف المذكر بالاحسان ترغيبا وترهيبا فقال اتقوا ربكم اى الذي لا اله لكم غيره لانه لا محسن اليكم غيره ابقاء بر ومن وانتم في غاية الاجتهاد دونه لا كما تفعلون عند ما رايتم من اهوال البحر ولما كانت وجوه الملك توجب الخوف منه لانه لا مكافئ له وكان ان عهد منه انه لا يستعرض عباده لمجازاتهم على اعمالهم لا يخشى كما يخشى اذا علم منه انه يستعرضهم قال واخشوا يوما لا يشبه الايام ولا يعد هول البحر ولا غيره عند ادنى هول من اهواله ولما كان المجرم اذا علم ان له عند الملك من يدفع عنه قد ذلل من خوفه وكان ما بين الوالد والولد من الحنو والشفقة والعطف والرحمة الداعية الى المحاماة والنصرة والفدا بالنفس والمال اعظم مما بين غيرهما فاذا انتفى اغنى احدهما عن الاخر انتفى غيرهما بطريق الاولى قال لا يجزي اى لا يغني فيه ولعله حذف الصلة اشارة الى ان هذا الحال لهم دائما الا انه سبحانه اقام في هذه الدار اسبابا ستر قدرته بها فصار الجاهل يحيل الامر عليها وينسبه اليها واما هناك فتزول الاسباب ويتجلى تمام الارتياب ويظهر اختصاص العظمة برب الارباب ولما كانت شفقة الوالد مع نموها لجميع ايام حياته اعظم فهو يوثر حياة ولده على حياته ويوثر ان يحمل عنه بنفسه الالام والاهوال بداية فقال والد كائنا من كان عن ولده اى لا يوجد منه ولا يتجدد في وقت من الاوقات نوع من انواع الجزا وان تحقق الولد منه والتعبير بالمضارع اشارة الى ان الوالد لا يزال يدعوه الوالدية الى الشفقة على الولد وتجدد عنده العطف والرقة والمفعول اما محذوف لانه اشد في النفي واكد واما لو اعليه بما في الشق الذي بعده ولما كان الولد لا يتوقع منه الاغناء عن والده في الظاهر الا بعد بلوغه اخرج في عبارة دالة على ثبات السلب العام فقال ولا مولود اى مولود كان هو جاز عن والده شيئا من الجزا وفي التعبير بهو اشعار بان المنفي نفعه بنفسه فنفعه بحيث ان علم ان بعضه ان الله قد ياذن له في نفعه اذا وجد الشرط وعبر هنا باسم الفاعل لان الولد من شانه ان يكون ذلك له ديدنا لما لابيه عليه من الحقوق والفعل يطلق على من ليس من شانه الاتصاف بماخذ اشتقاقه فعبر به في الاب لانه لا حق للولد عليه يوجب عليه ملازمة الدفع عنه ويكون ذلك من شانه ومما يتصف به فلا يبعد عنه وذلك كما ان الملك لو خاط صح ان يقول في تلك الحال انه يخيط ولا يصح خياط لان ذلك ليس من صنعته ولا من شانه ولما كان من المعلوم ان لسان حالهم يقول هل هذا اليوم كائن حقا اجيب هذا السوال بقوله مؤكدا لمكان انكارهم لافتا القول الى الاسم الاعظم لاقتضاء الوفا له ان وعد الله الذي له جميع معاقد العز والجلال حق يعني انه سبحانه قد وعد به على جلاله وعظيم قدرته وكماله فكيف يجوزان يقع في وهم فضلا عن اوهامكم ان يخلفه مع ان ادناكم ايها العرب كافة لا يرى ان يخلف وعده وان ارتكب في ذلك الاخطار ودعا نائبه الشدائد الكبار فلما ثبت امره وكان جهلهم لسحر هذا الكون المشهود ينسيهم ذلك اليوم لما جعل سبحانه في هذا الكون من المستلذات تسبب عنه قوله فلا تغرنكم مؤكدا لعظم الخطب الحياة الدنيا اى بزخرفها وما يبهج من لا تامل له من فاني رونقها وكرر الفعل والتاكيد اشارة الى ان ما لهم من الالف بالحاضر يهم لهم عما فيه من الدوو والخداع الظاهر والغرور وقفا لمظهر اعز مظهر لاجل زيادة التنبيه والتحذير ولا يغرنكم بالله الذي لا اعظم منه ولا مكافئ له مع ولا ابنه لكم الغرور اى الكثير الغرور المبالغ فيه وهو الشيطان الذي لا احقر منه لما جمع من البعد والطرد والاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من امرها ويلبسكم به من تعظيم قدرها وينسيكموه من كدرها وغدرها وقبحها وشرها واذاها وضرها فيوجب ذلك لكم الاعراض عن ذلك اليوم فلا تعدونه معادا فلا تتخذون له زادا لما اقترن بغروره من حلم الله وامهاله قال سعيد بن جبير الغرة بالله ان يعمل المعصية ويتمنى المغفرة ولما كان من الامر الواضح ان السان حالهم بعد السوال عن تحقق ذلك اليوم يسال عن وقته كما مضى في غير آية ويأتي اخر التي بعدها اما تعنتا واستهزاء واما حقيقة

لجاب عن ذلك ضامنا اليه اخواته من مفاتيح الغيب المذكورة في حديث ابن عمر الآتي لما في ذلك من الحكمة التي سيقت لها السورة مرتبا لها
على الاتعد فالابعد عن علم الخلق فقال موكدا لما يعتقدون في خصائهم مظهرا الاسم الاعظم غير مضمر لشدة اقتضاء المقام له **ان الله**
اى بما له من العظمة وجميع اوصاف الكمال **عنده** اى خاصة ولو قيل له مثلا لما افاد الحصور ولو قيل لديه لاوهم قربا حسيا او التعبير
بلدى التى هى للحضور ان ذلك كائن عن وهو يوهم ان علمه تعالى يتفاوت تعلقه بالاشيا بخصوص وعموم لاجل ان لدى اخص من عند
علم الساعة اى وقت قيامها لا علم لغيره بذلك اصلا ولما كان سبحانه قد نصب عليها امارات توجب ظنونا في قربها وكشف بعض
امرها عبر بالعلم [illegible] كانوا قد الحوا في السؤال عن وقتها وكانت ابعد الخمس عن علم الخلق وكانت شيئا واحدا لا يتجزأ انما
هى صيحة واحدة فاذا هم بالساهرة ابرزها سبحانه في جملة اسمية دالة على الدوام والثبوت على طريق الحصر **وهذا** هو
المفتاح الاول من مفاتيح الغيب يتفتح به من العلوم ما يجل عن الحصر من قيام الانفس بابدانها ماثلة على مدارها بجميع اركانها واشكا
لها والوانها وسائر شانها وطيران الارواح بالنفخ اليها واحوالها عليها على اختلاف انواعهم وتغاير صورهم واطوالهم وسائر السنتهم
واعمالهم الى غير ذلك من الامور وعجائب المقدور ثم سعيهم الى الموقف ثم وقوفهم ثم حسابهم الى استقرار الفريقين في الدارين
هذا الى موجهم من شدة الزحام والكرب العظام بعضا في بعض يطلبون من يشفع لهم في الحساب حتى يقوم المصطفى صلى الله عليه وسلم
المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون الى انشقاق السموات وانكدار ما فيها من النيرات ونزول الملايكة بعد
قيامهم من قبورهم وهم من لا يحصى اهل سما منهم كثرة كيف وقد اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قائم
يصلى هذا الى تبدل الاراضى وزوال الجبال ونسف الابنية والدوالى والتلال وغير ذلك مما لا يعلمه حق علمه الا هو ولما كانت
اية الله في خلقه على قيام الساعة وادل الادلة عليها ومواترا المطر الذى يكشف عن الاخلاط في اعماق الاراضى بالتراب الذى
كان نباتا ثم اعادته نبتا كما كان من قبل على اختلاف الوانه ومقاديره واشكاله واغصانه وافنانه وروايحه وطعومه
ومنافعه وطبايعه الى غير ذلك من شؤونه واحواله وفنونه التي لا يحيط بها علما الا خالقها ومبدعها وصانعها [illegible]
كانوا يحسبون الغيث الى الانوا اسند الانزال اليه سبحانه ليفيد الامتنان وعبر بالجملة الفعلية للدلالة على التجدد فقال
وينزل الغيث بلام الاستغراق لغاية مقام التنوير بحل وقد افاد ذلك الاختصاص بالعلم بوقته ومكانه ومقداره
وغير ذلك من شؤونه فان من فعل شيئا حقيقة لم يعلم احد وقت فعله قبل وقوعه الا من قبله **المفتاح الثاني** علم الاجنة
وهو في الرتبة الثانية في الدلالة على البعث لكاشف عن تخطيطها وتصورها وتشكيلها وتقديرها على وصفى الذكورة والانوثة
مع الوضوح او الاشكال والوحدة او الكثرة والتمام او النقص الى ما هنالك من اختلاف المقادير والطبايع والاخلاق والشمايل
والاكتساب والصنايع والتقلبات في مقدار العمر والرزق في الاوقات والاماكن وغير ذلك من الاحوال التي لا يحصيها الا
البارى للنسم ومحيى الرمم **المفتاح الثالث** كانت للخلق في ذلك لكثرة الملابسات والمعالجات ظنون في وجود الحمل اولا ثم
في كونه ذكرا او انثى ثانيا ونحو ذلك مما ضرب عليه من الامارات الناشية عن طول التجارب وكثرة الممارسة عبر بالعلم فقال
ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى حى او ميت وغير ذلك وصيغة المضارع لتجدد الاجنة شيئا فشيئا وقتا بعد وقت والكلام
في اللام والاختصاص بالعلم الذى قبله سواء **المفتاح الرابع** الكسب الناشي عما في الارحام الفاتح لكنوز السعادة و[illegible]
الشقاوة والمسفر عن حقايق الضماير في صدقها عند البلاء وكذبها وعن مقادير العزايم ورتب الغرايز وعن احوال الناس عند
ذلك في الصداقة والعداوة والذكا والغباوة والصفا والكدر والسلامة والحيل وغير ذلك من الصحة والعلل في اختلاف
الامور وعجايب المقدور في الحبور والشرور ربما لا يحيط به الا مبدعه وغارزه في عباده ومودعه ولكون الانسان مع انه
الصق الاشياء به والزمه له لا يعلمه مع ايساعه الحيلة في معرفته عبر فيه بالدراية لانها تدل على الحيلة بتصريف الفكر واجالة
الراى كما تقدم في سورة يوسف عليه السلام ان مادة درى ودرك على الدوران ومن لوازمه اعمال الحيلة وامعان النظر فهي اخص
من مطلق العلم فقال **وما تدرى نفس** اى من الانفس البشرية وغيرها **ما** واكد المعنى بذا وتجريد الفعل فقال **ذا تكسب غدا**
اى في المستقبل من خير او شر بوجه من الوجوه وفي نفى علم ذلك عن العبد مع كونه الصق الاشيا به دليل ظاهر على نفى علم ما قبله
عنه لانه اخفى منه وقد تقدم اثبات علمه له سبحانه فصار على طريق الحصر وعلم ايضا انه لا يسند الى العبد الا على طريق
الكسب لانه لو كان مخلوقا له لعلمه قطعا فثبت انه سبحانه خالقه فعلم اختصاصه بعلمه من هذا الوجه ايضا ولما
المفتاح الخامس كان الموت الذى هو ختام الامر الدنيوى وطى مجال الاثر الشهودى وابتدا الامر الاخروى
المظهر لاحوال البرزخ في النزول مع المنتظرين لبقية السفر الى دار البعث وحالة الحشر الى ما هنالك من ربح وخسران
وفخر وهوان وما للروح من الاتصال بالجسد والرتبة في العلو والسفول والصعود والنزول الى ما وراء ذلك الى ما لا اخر له
مما لا يعلم تفاصيله وجمله وكلياته وجزئياته الا مخترعه وباريه ومصطنعه [illegible] كان لا يعلمه الانسان بنوع
حيلة مع شدة حذره منه وجبه لو انفق جميع ما يملكه لكى عبر عنه بما عبر عن الذى قبله فقال موكدا باعادة النافي والمسند

وما تدرى واظهر لانه اوضح واليق بالتعميم فقال **نفس** اى من البشر وغيرهم **باى ارض تموت** ولم يقل باى وقت لعدم القدرة
عن الانفكاك عن الوقت مع القدرة على الانفكاك عن مكان معين واحاطة العلم بكراهة كل احد للموت فكان ذلك ادل دليل
على جهله بموضع موته اذ لو علم به لبعد عنه ولم يقرب منه [illegible] حديث المفاتيح عن ابن عمر رضى الله عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ثم قرا ان الله عنده علم الساعة الاية **وله** عن ابى هريرة رضى
الله عنه في حديث سؤال جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم عن اشراط الساعة فاخبره ببعضها وقال في خمس لا
يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى اخر السورة فقد دل الحديث قطعا على ان الاية بما تفرد سبحانه
بعلمه وقد رتبها سبحانه هذا الترتيب لما تقدم من الحكمة وعلم سر اتيانه بها تارة في جملة اسمية وتارة في فعلية تارة ليس
فيها ذكر للعلم واخرى يذكر فيها ويسند اليه سبحانه لكن لا على وجه الحصر وتارة ينفى العلم عن غيره فقط من غير اسناد الفعل
اليه وعلم سر قوله باى ارض دون اى وقت كما في بعض طرق الحديث [illegible] اثبت سبحانه لنفسه اختصاص العلم عن الخلق
بهذه الاشيا اثبت بعدها ما هو اعم منها لتدخل فيه ضمنا فتصير مخبرا بعلمه لها مرتين فقال على وجه التاكيد لانهم ينكرون
بعض ما يخبر به وذلك يستلزم انكارهم لبعض علمه **ان الله** اى المختص باوصاف الكمال والعظمة والكبرياء والجلال **عليم** اى
شاملا العلم للامور كلياتها وجزئياتها فاثبت العلم المطلق لنفسه سبحانه بعد ان نفاه عن الغير في هذه الخمس تارة
نصا واخرى بطريق الاولى او باللازم فانطبق الدليل على الدعوى والله الموفق **ولما** اثبت العلم على هذا الوجه
اكده لاجل ما سيقت له السورة بقوله **خبير** اى يعلم خبايا الامور وخفايا الصدور كما يعلم ظواهرها وجلاياها كل عنده
على حد سوا فهو الحكيم في ذاته وصفاته ولذلك اخفى هذه المفاتيح عن عباده لانه لو اطلعهم عليها لفات كثير من الحكم باختلال
هذا النظام على ما فيه من الاحكام [illegible] اخر السورة بابانة الحكمة باثبات العلم والخبر مع تقرير
امر الساعة التي هي مفتاح الدار الاخرة على اولها المخبر بحكمة صفته التي من علمها حق علمها وتخلق بما دعت اليه وحضت
عليه لاسيما الايقان بالاخرة كان حكيما خبيرا عليما مهتديا مهديا مقربا عليا فسبحان من هذا كلامه وتعالى كبرياؤه وعز
مرامه

سورة الم السجدة

مقصودها انذار الكفار بهذا الكتاب السار للابرار بدخول الجنة
والنجاة من النار واسمها السجدة منطبق على ذلك بما دعت اليه ايتها من الاخبات وترك الاستكبار وكذا اسمها بالم
تنزيل فانه مشير الى تامل جميع السورة فهو في غاية الوضوح في هذا المقصود **بسم الله** ذى الجلال والاكرام العزيز
الغفار **الرحمن** بعموم البشارة والنذارة **الرحيم** الذى اسكن في قلوب احبابه الشوق اليه والخشوع بين يديه
الم تقدم في البقرة وغيرها شى من اسرار هذه الاحرف ومما لم يبينوا انها اشارة الى ان الله المحيط في علمه وقدرته
وكل شانه ارسل جبريل عليه السلام الى محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم [illegible] كان المقصود في التي
قبلها اثبات الحكمة لمنزل هذا الكتاب الذى فيه تبيان كل شى المذكور لتمام العلم وكمال الخبرة الذى ختمت به بعد
ان اخبر انه سبحانه يختص بعلم المفاتيح بعد ان ابرز بامر الساعة فثبت بذلك وما قبله انه ما اثبت شيئا فقدر غيره
من اهل الكتاب ولا غيرهم على نفيه ولا نفى شيئا فقدر غيره على اثباته ولا اثبات شى منه كانت نتيجة ذلك انه لا يكون
شى من الاشيا دقيقها وجليلها الا بعلمه سبحانه واجل ذلك انزال هذا الذكر الحكيم الذى فيه اثبات هذه العلوم
مع شهادة العجز عن معارضته له بانه من عند الله فلذلك قال **تنزيل الكتاب** اى الجامع لكل هدى على ما تعرفون من التدريج
من السما **لا ريب فيه** اى في كونه من السما لان [illegible] الريب ومحطه وهو الاعجاز معه لا ينفك عنه فكل ما يقولونه مما
يخالف ذلك تعنت وجهل من غير ريب حال كونه **من رب العالمين** اى الخالق لهم المدبر لمصالحهم فلا يجوز في عقل ولا يخطر في
بال ولا يقع في وهم ولا يتصور في خيال انه يترك خلقه وهو المدبر الحكيم من غير كتاب يكون سبب ابقائهم او يصل شى من كتابه
الى هذا النبى الكريم بغير امره فلا يتخيل ان شيا منه ليس بقول الله ثم لا يتخيل انه كلامه تعالى ولكنه اخذه من بعض اهل الكتاب
لان هذا لا يفعل مع ملك من الملوك فكيف بملك الملوك فكيف بمن هو عالم بالسر والجهر محيط علمه بالخفى والجلى فلو ادعى عليه
احد ما لم ياذن فيه اخذه ما لم ياذن فيه لما ايده بالمعجزات ولما اقره على ذلك المدد المتطاولات ولا سيما اعجاز دل ما
ينسبه اليه ويدعيه عليه وهذا غاية في ال عمران كما كان اول البقرة غاية اول القران المطلق **وقال الامام**
ابو جعفر بن الزبير لما انطوت سورة الروم على ما قد اشير اليه من التنبيه بعجايب ما اوجده سبحانه في عالم السموات والا
رض وعلى ذكر الفطرة ثم اتبعت بسورة لقمان تعريفا بان مجموع تلك الشواهد من ايات الكتاب وشواهده ودلايله وانه
قد هدى من شا الى سبيل الفطرة وان لم يجد به لما استحكم به لشيء امر ذكر فلم يغن عنه ودعي فلم يجب وتكررت عليه
الانذارات فلم يصغ لها ان كل ذلك من الهدى والضلال واقع بمشيته وسابق ارادته واتبع سبحانه ذلك بما ينبه
المعتبر على صحته فقال ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى فاعلم سبحانه ان الخلاص هو

والسعادة فى الاستسلام له ولما يقع من احكامه وعزى نبيه صلى الله عليه وسلم وصبره بقوله ومن كفر فلا يحزنك كفره
ثم ذكر تعالى الجا الكل قهرا ورجوعا بحاكم اضطرارهم لوضوح الامر الله تعالى فقال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله ثم وعظ تعالى الكل بقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى ان ذلك لا يشق عليه تعالى ولا يصعب والقليل والكثير سوا
ثم نبه بما بين فى ذلك من ايلاج الكل فى النهار والنهار فى الليل وجريان الفلك بنعمته ذلك بان الله هو الحق ثم اكد ما تقدم من رجوعهم
فى الشدائد اليه فقال واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فاذا خلصهم سبحانه ونجاهم عادوا الى
سيى احوالهم هذا وقد عاينوا ارفقه بهم واحسن عند الشدايد بايديهم وقد اعترفوا بانه خالق السموات والارض
ومسخر الشمس والقمر وذلك شاهد من حالهم بجريانهم على ما قدر لهم ووقوفهم عند حدود السوابق ومن يسلم وجهه الى الله وهو
محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ثم عطف سبحانه على الجميع ثم دعاهم الى تقواه وحذرهم يوم المعاد وشدته وحذر
من الاغترار واعلمهم انه المنفرد بعلم الساعة وانزال الغيث وعلم ما فى الارحام وما يقع من المكتسبات وحيث يموت كل من
من المخلوقات فلما كانت سورة لقمن بما بين من مضمنها محوية من التنبيه والتحريك على ما ذكر ومعلمة بانفراده سبحانه
بخلق الكل وملكهم اتبعها تعالى بما يحكم بتحصيل صحة الكتاب وانه من عنده وانما انطوى عليه من الدلايل والبراهين
يرفع كل ريب ويزيل كل شك فقال الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك
اى ايقع منهم هذا بعد وضوحه وجلاء شواهده ثم اتبع ذلك بقوله ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع وهو تمام لقوله ومن يسلم
وجهه الى الله ولقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولقوله واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله
ولقوله اتقوا ربكم ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع افلا تتذكرون بما ذكرتم الا ترون امر لقمن وهدايته بمجرد دليل فطرته
فما لكم بعد التذكير وتقريع الزواجر وترادف الدلايل وتعاقب الايات متوقفون عن السلوك الى ربكم وقد اقررتم بانه
خالقكم وتجاءون اليه عند احتياجكم ثم اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم برجوع من عاند واجابته حين لا ينفعه رجوع ولا
تغنى عنه اجابة فقال ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ثم اعلم سبحانه ان الواقع منهم انما هو بارادته وسابق
من حكمه ليأخذ الموفق الموفق نفسه بالتسليم فقال ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها كما فعلنا بلقمن ومن اردنا توفيقه
ثم ذكر انقسامهم بحسب السوابق فقال افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ثم ذكر مصير الفريقين ومآل الحزبين
ثم اتبع ذلك بسوء حال من ذكر فاعرض فقال ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها وتعلق الكلام الى اخر السورة انتهى ولما
كان هذا الذى قدمه اول السورة على هذا الوجه برهانا ساطعا ودليلا قاطعا على ان الكتاب من عند الله كان كما حكاه
البغوى والرازى فى اللوامع كانه قيل هل امنوا به ام يقولون مع ذلك الذى لا يمترى فيه عاقل افتراه اى تعمد كذبه
كان الجواب انهم ليقولون افتراه وكان جوابه ليس هو بمفترى لما هو مقارن له من الاعجاز ترتب عليه قوله
بل هو الحق اى الثابت ثباتا لا يضاهيه ثبات شى من الكتب قبله كاينا من ربك المحسن اليك بانزاله واحكامه وخصه
بالخطاب اشارة الى انه لا يفهم حقيقة حق الفهم سواه
ذكر سبحانه احسانه اليه صلى الله عليه وسلم صريحا
اشار بتعليله الى احسانه به ايضا الى كافة العرب فقال مفردا النذارة لان المقام لها بمقتضى ختم لقمن لتنذر قوما
اى ذوى قوة وجلد ومنعة وصلاحية للقيام بما امرهم به ما اتاهم من نذير اى رسول فى هذه الازمان القريبة لقول ابن عباس
رضى الله عنهما ان المراد الفترة وبوبيده اثبات الجار فى قوله من قبلك اى بالفعل شاهدوه او شاهده اباؤهم واما
بالمعنى والقوة فقد كان فيهم دين ابرهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحى وكلهم كان يعرف ذلك وان ابرهيم عليه السلام
لم يعبد صنما ولا استقسم بالازلام وذلك كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اى شريعته ودينه والنذير ليس
مخصوصا بمن باشر نبه على ذلك ابو حيان ويكون تعالى ما اتاهم من نذير هم على خصوص ما غير وامر دين ابرهيم واما اسمعيل ابنه عليهما
السلام فقد كان بشيرا لا نذيرا لانهم ما خالفوه واحسن من ذلك كله ما نقله البغوى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومقاتل ان ذلك فى الفترة
التى كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فانه قد نقل ان عيسى عليه السلام لما ارسل رسله الى الافاق ارسل الى العرب
رسولا ولما ذكر علة الانزال اتبعها علة الانذار فقال لعلهم يهتدون اى ليكون حالهم فى مجارى العادات حال
من ترجى هدايته الى كمال الشريعة واما التوحيد فلا عذر لاحد فيه بما اقامه الله من حجة العقل مع ما ابقته الرسل عليهم
السلام ادم فمن بعده من واضح النقل باثار دعواتهم وبقايا دلالاتهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن ساله عن ابيه
ابى وابوك فى النار وقال لا تفتخروا بابائكم الذين مضوا فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل خير منهم فى غير
هذا من الاخبار القاضية بان كل من مات قبل دعوته على الشرك فهو فى النار
ولما تقرر بما سبق فى التى قبلها
من اتصافه تعالى بكمال العلم انه من عنده وبعلمه لا محالة وكان هذا امرا مهتما بشانه ويعتنى بامره لانه عين المقصود
الذى ينبنى عليه امر الدين وختم ما ذكر من امره هنا باقامة اهتدائهم مقام المترجى بانذاره صلى الله عليه وسلم اتبعه

بيانا لذلك الدليل بما ابجاده عالم الاشباح والخلق ثم عالم الارواح والامر واحاطة العلم بذلك كله على وجه يقود بامله الى الهدى
فقال مستانفا شارحا لامر يندرج فيه انزاله معبرا بالاسم الاعظم لاقتضا الايجاد والتدبير على وجه الانفراد له الله اى الحاوى
لجميع صفات الكمال وحده الذى خلق السموات كلها والارض باسرها وما بينهما من المنافع العينية والمعنوية
كانت هذه الدار مبنية على حكمة الاسباب كما اشير اليه فى لقمن وكان الشىء اذا احمل بالتدريج كان اتقن قال فى ستة ايام
كما ياتى تفصيله فى فصلت وقد كان قادرا على فعل ذلك فى اقل من لمح البصر وياتى فى فصلت سر كون المدة ستة كان تدبير
هذا وحفظه وتعهد مصالحه والقيام بامره امرا بعد امر ايجاده باهرا اشار الى عظمته باداة التراخى والتعبير بالافتعال
فقال ثم استوى على العرش اى استوا لم تعهدوا مثله وهو انه اخذ فى تدبيره وتدبير ما حواه بنفسه لا شريك له ولا نايب عنه
ولا وزير كما تعهدون من ملوك الدنيا اذا اتسعت ممالكهم وتباعدت اطرافها وتنائت اقطارها وهو معنى قوله استينافا
جوابا لمن كانه قال العرش بعيد عاجزا فمن استنابه فى امرنا ولذلك لفت الكلام الى الخطاب لانه اشد فى التنبيه ما لكم من
دونه لان كل ما سواه دونه وتحت قهره ودل على عموم النفى بقوله من ولى اى يلى اموركم ويقوم بمصالحكم وينصركم اذا حل بكم
شىء مما تحذرونه ولا شفيع يشفع عنده فى تدبيركم او فى احد منكم بغير اذنه وهو كان عن قربه من كل شى واحاطته به وان
كانوا معترفين بان الخلق خلقه والامر امره عارفين بانه
احاطته بجميع خلقه على حد سوا لا مسافة بينه وبين شى اصلا ولا نايب فيها ولا يشفع شفيع فيهم الا وله
لا يلى وال من قبل ملك من الملوك الا بجهة منه بقيمها على اهل البلدة التى ارسل اليها او نايب فيها ولا يشفع شفيع فيهم الا وله
اليه وسيلة تسبب عن ذلك الانكار عليهم فى قوله افلا تتذكرون اى تذكرا عظيما بما اشار اليه الاظهار مما تعلمونه من انه
الخالق وحده ومن انه لا حجة لشى مما اشركتموه بشىء مما اهلتموه له ولا وسيلة لشى منهم اليه تؤهل بها فى الشفاعة فيكم ولا
اخبركم لاحد منهم بشى من ذلك فكيف تخالفون فى هذه الامور التى هى اهم المهم لان عاقبتها خسارة الانسان نفسه فضلا
عما دونها عقولكم وما جرت به عوايدكم وتتعللون فيها بالمحال وتقنعون بقيل وقال وتخاطرون فيه بالانفس والاولاد
والاموال
نفى ان يكون له شريك او وزير فى الخلق ذكر كيف يفعل فى هذا الملك العظيم الذى ابدعه فى ستة ايام
من عالم الارواح والامر فقال مستانفا مفسرا للمراد بالاستوا يدبر الامر اى كل امر هذا العالم بان يفعل فى ذلك فعل
الناظر فى ادباره لانتقان حوائجه ولوازمه كما ينظر فى اقباله لاحكام نوايجه وعوارضه لا يكل شيا منه الى شىء من خلقه
قال الرازى فى اللوامع وهذا دليل على ان استواه على العرش بمعنى اظهار القدرة والعرش مظهر التدبير لا مقر المدبر ولما كان
المقصود للعرب انما هو تدبير ما لكن مشاهدتهم له من العالم قال مفردا من السماء اى فينزل ذلك الامر الذى انفذه كما
ينفذ من ينظر فى ادبار ما يعمله الى الارض غير متعرض الى ما فوق ذلك على ان السما تشمل كل عال فيدخل جميع العالم
كان الصعود اشق من النزول على ما جرت به العوايد وكان بذلك مستبعدا اشار الى ذلك بقوله ثم يعرج اى يصعد الامر الواحد
وهو من الاستخدام الحسن اليه اى بصعود الملك الى الله اى الى الموضع الذى شرفه او امره بالكون فيه كقوله تعالى انى
ذاهب الى ربى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ونحو ذلك او الى الموضع الذى ابتدا منه نزول التدبير وهو
السما كانه صاعد فى معارج وهى الدرج على ما تتعارفون بينكم فى اسرع من لمح البصر فى يوم من ايام الدنيا كان مقداره
لو كان الصاعد واحدا منكم على ما تعهدون الف سنة مما تعدون من سنيكم التى تعهدون والذى دل على هذا التقدير
شى من العرف وشى من اللفظ اما اللفظ فالتعبير بكان مع انتظام الكلام بدونها لو اريد غير ذلك واما العرف فهو ان الاحسا
المتمكن يبنى البيت العظيم العالى فى سنة مثلا فاذا فرغه صعد اليه خادمه الى اعلاه فى اقل من درجتين من درج الدرج
فلا تكون نسبة ذلك من زمن بنايه الاجزاء لا يعد هذا او هو خلق محتاج فما ظنك بمن خلق الخلق فى ستة ايام وهو غنى
عن كل شىء قادر على كل شىء وظاهر العبارة ان هذا التقدير بالالف لما بين صعود احدنا مستويا لو امكن وجعلت
الارض واحدة فى العدد واول تعددها كما قيل باعتبار الاقاليم ويدل عليه مقدار تحت السموات وما بينهما وزيد على المجموع
مثل نصفه لمسافة الانحنا فى بنا الدرج والتعريج الذى هو مثل محيط الدايرة بالوتر الذى قسمها بنصفين ليمكن الصعود
منها وهو مقدار نصف مسافة الاستوا وشى يسير لانك اذا قسمت دايرة بوتر كان ما بين راسى الوتر من محيط نصف الدايرة
بمقدار الوتر مرة ونصفا سوا يزاد عليه يسير لاجل تعاريج الدرج فاذا فعلنا ذلك كان ما بين احد سطحى الكرسى
المحدب وما يقابله من السطح الاخر بحسب اختراقه من جانبيه واختراق الطباق السموات السبع الاربعة عشر اثنين وثلاثين
الف سنة لانه يخص كل سماء الفان لانه فهم من هذا السياق ان من مقعر السما الى سطح الارض الذى نحن عليه مسيرة الف
سنة وبعد ما بين كل سماءين كبعد ما بين السما والارض وتحت كل سماء كذلك فيكون بعد ما بين احد سطحى الارض الى السطح
الاخر كذلك ثم يكون بعد ما بين سطح الارض الاخرى الى اعلى سطح الكرسى من الجانب الاخر كذلك ثم
الكرسى الاعلى ستة عشر الف سنة ويكون الجميع ثلاثة وثلاثين الف سنة
يزاد على المجموع وهو اثنان وثلاثون الف سنة مسافة تحت الارض وهى الف سنة

يزاد عليه ما للتعريج وهو نصف تلك المسافة وشيء يكون سبعة عشر الف سنة فذلك خمسون الف سنة وانما جعلت سطح
الكرسي الاعلى النهاية لان العادة جرت ان لا يصعد الى عرش الملك غيره وان الاطماع تنقطع دونه بل ولا يصعد الى كرسيه نعم
وسيأتي اعتبار ذلك في الوجه الاخير **وان قلت** ان الاراضي سبع غير انها كرات مترتبة متعالية غير متداخلة
وادخلنا العرش في العدد فنقول انه مع الكرسي والسموات تسعة تجانبها المحيطان بالارض ثماني عشرة طبقة والاراضي سبع
فتلك خمس وعشرون طبقة لكل واحدة مع ما بينها وبين الاخرى على ما هو ظاهر الاية الفان فنضعف هذا العدد فيكون خمسين الفا
وهذا الوجه اوضح الوجوه واقربها الى مفهوم الاية ولا نحتاج معه الى زيادة لاجل انعطاف الدرج ويجوز ان نقول ان الشرع
والله اعلم في جعل ما مسيرته خمس مائة سنة كما في الحديث الف سنة لاجل التعريج والحديث ليس نصا في سير معين حتى يتجافى ما وليه
بل قد ورد بالفاظ متغايرة منها خمس مائة ومنها اثنان وسبعون سنة ومنها احد وسبعون الى غير ذلك فلابد ان يحمل كل لفظ
على سير فنقول الخمسمائة للصاعد في درج مستقيم كدرج الدقل مثلا والاثنان وسبعون لسير الطائر والالف كما في الاية لدرج
منعطف ويدل عليه ما رواه الترمذي وقال باسناده حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمس مائة سنة لبلغت الارض
قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها او قعرها او نقول ان الالف
لجملة التدبير بالنزول والعروج والله اعلم **وان جعلنا** البداية داخلة فتكون الالف من سطح الارض الذي نحن عليه الى المحدب
السماء لتتفق الاية مع الحديث لقائل ان بين الارض والسماء خمس مائة سنة وثخن السماء كذلك وكذا بقية السموات والعرش ادخلنا العرش في
العدد وقلنا ان الاراضي سبع متداخلة كالسموات كل واحدة منها في التي تليها فالتي نحن فيها اعلاها ومحيطة بها كلها فهي بمنزلة
العرش للسموات فتكون السموات السبع من جانبيها باربعة عشر الفا والاراضي كذلك ثمانية وعشرون الفا والعرش والكرسي من جانبيهما
باربعة فذلك اثنان وثلاثون الفا يضاف اليها ما يزيد لاجل المعارج الذي يمكن لنا معه العروج وهو نصف مسافة الجملة وشيء
فالنصف ستة عشر الفا ويجعل الشيء الذي لم يتحرر لنا الفين فذلك ثمانية عشر الفا الى اثنين والاثنين فالجملة خمسون الفا
وعلى ان يكون ذلك بالنسبة الى السموات مع الاراضي والكل متطابقة متداخلة فتلك ثمان وعشرون طبقة من سطح السماء الثانية
الاعلى الى سطحها الاعلى من الجانب الاخر فذلك ثمانية وعشرون الف سنة لكل جرم خمس مائة ولما بينه وبين الجرم الاخر كذلك فذلك
الف نضعفه بالنسبة الى الهبوط والصعود فيكون ستة وخمسين الفا حسب منه خمسون الفا والغي الكسر لكن هذا يوهم الوجه
مخالف لظاهر الاية التي في سورة سال وهي قوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
فانه ليس فيها ذكر الهبوط والله اعلم وكل من هذه الوجوه ابعد مما قاله البيضاوي في سورة سال واقرب للفهم والعرف فان
ظاهر حاله انه جعل الثمانية عشر الفا من اعلى سرادقات العرش الى اعلى سرادقاته من الجانب الاخر ولا دليل على هذا ولا عرف
يساعد في صعود الجرم الى اعلى السرادق وهو الاعلى منه والعلم عند الله تعالى **وروى** اسحاق بن راهويه عن ابي ذر
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين سماء الدنيا الى الارض خمس مائة سنة وما بين كل سماء الى التي تليها
خمس مائة سنة الى السماء السابعة والارض مثل ذلك وما بين السماء السابعة الى العرش مثل جميع ذلك **واعلم** ان القول
بان الاراضي سبع هو الظاهر لظاهر قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ويعضده ما رواه الشيخان
وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع ارضين وفي
رواية للبغوي خسف به الى سبع ارضين **وروى** ابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان المؤمن اذا حضره الموت فذكره الى ان قال واما الكافر اذا قبضت نفسه ذهب به الى الارض فتقول خزنة الارض
ما وجدنا ريحا انتن من هذه فيبلغ بها الى الارض السفلى قال المنذري وهو عند ابن ماجه بسند صحيح **ويؤيد**
من قال انها متطابقة متداخلة كالكرات وبين كل ارضين فضاء كالسموات ما روى الحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الارضين بين كل ارض الى التي تليها مسيرة خمس مائة سنة فالعليا
منها على ظهر حوت الى اخره وهو في اخر الترغيب للحافظ المنذري في اخر اهوال الجحيم في سلاسلها واغلالها **وروى**
ابو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث عن مجاهد رحمه الله انه قال ان الحرم حرم مناه من السموات السبع والارضين السبع
وانه رابع اربعة عشر بيتا في كل سماء بيت وفي كل ارض بيت لو سقطت لسقط بعضها على بعض مناه يعني قصده
وحذاءه **في مجمع الزوائد** للحافظ نور الدين الهيثمي ان الامام احمد روى من طريق الحكم بن عبد الملك وهو
ضعيف عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مرت سحابة فقال هل تدرون ما هذه
قلنا الله ورسوله اعلم قال العنان وروايا الارض يسوقه الله الى من لا يشكره ولا يدعوه اتدرون ما هذه فوقكم قلنا الله
ورسوله اعلم قال الرقيع موج مكفوف وسقف محفوظ اتدرون كم بينكم وبينها قلنا الله ورسوله اعلم قال مسيرة خمس مائة

عام

عام ثم قال اتدرون ما التي فوقها قلنا الله ورسوله اعلم قال سماء فوقها اتدرون كم بينهما وبينها قلنا الله ورسوله اعلم قال خمس مائة
عام حتى عد سبع سموات ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله اعلم قال العرش قال اتدرون كم بينه وبين السماء السابعة
قلنا الله ورسوله اعلم قال خمس مائة عام ثم قال ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله اعلم قال ارض تدرون ما تحتها قلنا الله
ورسوله اعلم قال ارض اخرى اتدرون كم بينهما قلنا الله ورسوله اعلم قال مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع ارضين ثم قال
وايم الله لو دليتم بحبل لهبط ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قال رواه الترمذي غير انه ذكر
بين كل ارض والارض الاخرى خمس مائة عام وهنا سبع مائة وقال في اخره لو دليتم بحبل لهبط على الله ولعله اراد على علم
الله او على حكمه وعلمه وقدرته يعني انه في ملكه وقبضته ليس خارجا عن شيء من امره والله اعلم **ورأيت** في جامع
الاصول لابن الاثير بعد ايراد هذا الحديث ما نصه قال ابو عيسى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية تدل على انه
اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه ويكون مؤيدا للقول بانها كرات متطابقة متداخلة والله اعلم ما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما السموات السبع والارضون السبع في العرش الا كحلقة ملقاة في فلاة ولم يقل كرسيه مثلا
وكذا ما روى محمد بن ابي عمر واسحق بن راهويه وابو بكر بن ابي شيبة واحمد بن حنبل وابن حبان عن ابي ذر رضي الله عنه حديثا طويلا
فيه ذكر الانبياء وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تدري ما مثل السموات والارض في الكرسي قلت لا الا ان تعلمني
علمك الله عز وجل قال مثل السموات والارض في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة وان فضل الكرسي على السموات والارض في
لفضل الفلاة على تلك الحلقة واصله عند النسائي والطبراني وابي يعلى **وكذا ما روى** صاحب الفردوس عن ابن عمر
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما السموات السبع في عظمة الله الا كجوزة معلقة وقوله تعالى وسع كرسيه السموات
والارض يدل على ان الكرسي محيط بالكل من جميع الجوانب وقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
صريح في ذلك فان النفوذ يستعمل في الخرق ولا سيما مع التعبير بمن دون في وكذا قوله في السماء وما لها من فروج والله الموفق
ولما تقرر هذا من عالم الاشباح والخلق ثم عالم الارواح والامر فدل ذلك على شمول القدرة وكان الشامل القدرة
لابد وان يكون محيط العلم كانت نتيجة لا محالة **ذلك** اي الاله العالي المقدار الواضح المنار **عالم الغيب** التي تقدمت
مفاتيحه اخر التي قبلها من الارواح والامر والخلق **ولما قدم** علم الغيب لكونه اعلى وكان العالم به قد لا يعلم
المشهود لكونه لا يبصر قال **والشهادة** في ذلك كله التي منها تنزيل القران عليك ووصوله اليك **العزيز** الذي يعجز كل
شيء ولا يعجزه شيء **ولما** كان ربما قدح متعنت في عزته بانه لا يعاقب العصاة قال **الرحيم** اي الذي خص اهل التكليف من عباده
بالرحمة في انزال الكتب على السنة الرسل فابان انه لم ما ارتضاه الالهية بعد ان عم جميع الخلائق بصفة الرحمانية بعد
ولما ذكر صفة الرحيمية صريحا لاقتضاء المقام اياها اشار الى صفة
الايجاد من الاعدام بالبر والانعام
الرحمانية فقال **الذي احسن كل شيء** **ولما** كان هذا الاحسان عاما خصه بان وصفه على قراءة المدني والكوفي
بقوله **خلقه** فبين ان ذلك بالاتقان والاحكام كما فسره به ابن عباس رضي الله عنهما من حيث التشكيل والتصوير وشق المشاعر
وتهيئة المدارك وافاضة المعاني مع المفاوتة في جميع ذلك والى هذا اشار الابدال في قراءة الباقين وعبر بالجنس لان ما
كان على وجه الحكمة كان حسنا وان رآه القاصر الجاهل قبيحا **ولما** كان الحيوان اشرف الاجناس وكان الانسان اشرفه
خصه بالذكر ليقوم دليل الوحدانية بالانفس كما قام قبل بالافاق فقال دالا على البعث **وبدا خلق الانسان** اي الذي هو
المقصود الاول بالخطاب بهذا القران **من طين** اي مما ليس له اصل في الحياة بخلق ادم عليه السلام منه **ولما**
كان قلب الطين الى هذا الهيكل على هذه الصورة بهذه المعاني امرا هائلا اشار اليه باداة البعد بقوله **ثم جعل**
نسله اي ولده الذي ينسل اي يخرج **من سلالة** اي من شيء مسلول اي منتزع منه **من ماء مهين** اي حقير وضعيف وقليل مراق
منه ولعل بمعنى مفعول واشار الى عظمة ما بعد ذلك من خلقه ونطوره بقوله **ثم سواه** اي عدله لما اراد منه بالتخطيط
والتصوير وابداع المعاني **ونفخ فيه من روحه** الروح ما يمتاز به الحي من الميت والاضافة للتشريف فيا له من شرف ما اعلاه
اضافته الى الله **ولما** القى السامعون لهذا الحديث اسماعهم فكانوا جديرين بان يزيد المحدث لهم اقبالهم وانتفاعهم
لفت اليهم الخطاب فقال **وجعل** اي بما ركب في البدن من الاسباب **لكم السمع** اي تدركون به المعاني المصونة وحده لعله النفاذ
فيه اذا كان سالما **والابصار** تدركون بها المعاني والاعيان القابلة ولعله قدمهما لانه ينتفع بهما حال الولادة وقدم السمع
لانه يكون ذا دال امتن من البصر لدلالة بربطه القوابل الغين لئلا يضعفهما النور واما العقل فانما يحصل بالتدريج فلذا اخر
محله فقال **والافئدة** اي المضغ الحارة المتوقدة المتحرقة وهي القلوب المودعة غرائز العقول المتباينة فهو انه
تبارك قال الرازي في اللوامع جعله اي الانسان مركبا من روحاني وجسماني وعلوي وسفلي جمع فيه بين العالمين بنفسه
وجسده واستجمع الكونين بعقله وحسه وارتفع عن الدرجتين باتصال الامر الاعلى به وحيا وتوليا وسلم الامر لمن

له الخلق والامر تسليمًا اختيارًا او طوعًا لم يبادروا الى الايمان عند التذكير بهذه النعم الجسام قال قليلا ما تشكرون
اى ذكرًا كثيرًا ما تفكرون ولما كانوا قد قالوا محمد ليس برسول والاله ليس بواحد والبعث ليس بممكن فدل على صحة الرسالة بنفي
الريب عن الكتاب ثم على الوحدانية بشمول القدرة واحاطة العلم بابداع الخلق على وجه لم وختم بالتعجيب من كفرهم وكان استبعاد
للبعث الذى هو الاصل الثالث من اعظم كفرهم قال معجبًا منهم فى انكاره بعد التعجيب فى قوله ام يقولون افتراه لافتا عنهم الخطاب
ايذانًا بالغضب من قولهم منكرين لما ركز فى الفطر الاول وبنهت عليه الرسل فصار بحيث لا ينكره عاقل الا مرتين من الحكمة وقالوا
اى بعث اذا ضللنا اى ذهبنا وبطلنا وغبنا فى الارض بصيرورتنا ترابًا مثل ترابها لا يتميز بعضه من بعض قال ابو حيان تبعًا
للبغوى والزمخشرى وابن جرير الطبرى وغيرهم واصله من ضل الما فى اللبن اذا ذهب فيه ثم كرروا الاستفهام الانكارى زيادة فى الاستبعاد
ائنا لفى خلق جديد هو محيط بنا ونحن منظر وفوله كان قولهم هذا يتضمن انكارهم القدره وكانوا يقرون بما يلزمهم
منه الاقرار بالقدرة على البعث من خلق الخلق والانجا من كل كرب ونحو ذلك اشار اليه بقوله بل اى ليسوا بمنكرين لقدرته سبحانه
بل هم بلقاء ربهم المحسن بالايجاد والابقا مسخر لهم كل ما ينفعهم فى الاخرة للحساب احياء سويين كما كانوا فى الدنيا والاشاره بهذه
الصفة الى انه لا يحسن بالمحسن ان يهمل احسانه بترك القصاص من الظالم لما كان فى العتبه كافرون اى منكرون للبعث عنادًا
ساترون لما فى طباعهم من ادلته لما غلب عليهم من الهوى الغالب لهم الى افعال منعتهم من الرجوع عنها الكبر عن قبول الحق والانفة
من الاقرار بما يلزم منه نقص العقل ولما ذكر استبعادهم واتبعه عنادهم وكان انكارهم انما هو بسبب اختلاط الاجزا
بالتراب بعد انقلابها ترابًا فكان عندهم من المحال تمييزها من بقية التراب دل على ان ذلك عليه هين بان شبهه على ما هم معترفون
به مما هو مثل ذلك بل ادق فقال مستانفًا قل اى جوابًا لهم عن شبهتهم يتوفاكم اى يقبض ارواحكم كاملة من اجسادكم
بعد ان كانت مختلطة بجميع اجزا البدن لا تميز لاحدهما عن الاخر بوجه تعرفونه بنوع حيله ملك الموت ثم اشار الى ان
تغليد بقدرته وان ذلك عليه فى غاية السهولة ببنا الفعل لما لم يسم فاعله فقال الذى وكل بكم اى وكله الخالق لكم بذلك
وهو عبد من عبيده فيفعل ما امره فاذا البدن ملقى لا روح فى شى منه وهو على حاله كاملا لا نقص فى شى منه يدعى الخلل بسببه
فاذا كان هذا فعل عبد من عبيده صرفه فى ذلك فقام به على ما ترونه مع ان ممازجة الروح للبدن اشد من ممازجة تراب البدن
لبقية التراب لانه ربما يستدل بعض الحذاق على بعض ذلك بنوع دليل من شم ونحوه فكيف يستبعد شى من الاشيا على رب العالمين
ومدبر الخلائق اجمعين فلما قام هذا البرهان القطعى الظاهر مع دقته لكل احد على قدرته التامة على تمييز ترابهم من تراب الارض
وتمييز بعض ترابهم من بعض وتمييز تراب كل جزء من اجزائهم جلاده وعن بعض علم ان التقدير ثم يعيدكم خلقا جديدا كما كنتم اول
مرة فحذفه كما هو عادة القران فى حذف كل ما دل عليه السياق ولم يدع داع الى ذكره فعطف عليه قوله ثم الى ربكم اى الذى ابتدا
خلقكم وتربيتكم واحسن اليكم غاية الاحسان ابتدا لا الى غيره بعد اعادتكم ترجعون بان يبعثكم كنفس واحدة فاذا انتم بين يديه
فيتم احسانه وربوبيته بان يجازى كلا بما فعل كما هو داب الملوك مع عبيدهم لا يدع احد منهم الظالم من عبيده مهملا لانه هو
ولما تقرر دليل البعث بما لا خفا فيه ولا لبس شرع يقص بعض احوالهم عند ذلك فقال عادلا عن خطابهم استهانة
بهم وايذانًا بالغضب وخطابًا للنبى صلى الله عليه وسلم تسلية له او لكل من يصح خطابه عاطفا على ما تقديره فلو رايتهم وقد
بعثت القبور وحصل ما فى الصدور وهناك امور اى امور موقعا المضارع فى حيز ما من شانه الدخول على الماضى لانه لتحقق
وقوعه كانه قد كان واختير التعبير به لترويح النفس بترقب رؤيته حال سماعه تعجيلا للسرور بترقب المحذور لاهل
الشرور ولو ترى اى تكون انت ممن له اهلية الرؤية لترى حال المجرمين اذ المجرمون اى القاطعون لما امر الله به ان يوصل بعد
ان وقفوا بين يدى ربهم ناكسوا رؤسهم اى يطاطيوها خجلا وخوفا وخزيا وذلا عند ربهم المحسن اليهم المتوحد بتدبيرهم
قائلين بغاية الذل والرقة ربنا اى ايها المحسن الينا ابصرنا ما كنا نكذب به وسمعنا اى منك ومن ملائكتك ومن اصوات
النيران وغير ذلك ما كنا نستبعده فصرنا على غاية العلم بتمام قدرتك وصدق وعودك فارجعنا بما لك من هذه الصفة
المقتضية للاحسان الى دار الاعمال نعمل صالحا ثم حققوا هذا الوعد بقولهم على سبيل التعليل مؤكدين لان حالهم كان
حال الشاك الذى يتوقف المخاطب فى ايقانه انا موقنون اى ثابت الان لنا الايقان بجميع ما اخبرنا به عنك مما كشف
عنه العيان اى لو رايت ذلك لرايت امرا لا يحتمله من هوله وعظمه عقل ولا يحيط به وصف ولما لم يذكر
لهم جوابا علم انه لهوانهم لانه ما جرام على العصيان الا صفة الاحسان فلا يصلح لهم الا الخزى والهوان ولان الايمان
لا يصح الا بالغيب قبل العيان كان ربما وقع فى وهم ان ضلالهم مع الاحسان فى البيان للعجز عن هدايتهم اونوانه
قال تعالى عاطفا على ما تقديره الى لا اردكم لانى لم اضلكم فى الدنيا للعجز عن هدايتكم فيها بل لانى لم ارد اسعادكم ولو شئت
لهديتكم صارفا القول الى مظهر العظمة لاقتضا المقام لها ولو شئنا اى بما لنا من العظمة التى تابى ان يكون لغيرنا شى
يستقل به او يكون فى ملكنا ما لا نريد لاتينا كل نفس اى مكلفه لان الكلام فيها هداها اى جعلنا هداها ايتها ورشد

وتوفيقها للايمان وجميع ما يتبعه من صالح الاعمال فى بدرها متمكنة منها استوى فى الامر من العظمة لفنا الكلام
الى الافراد رفعا للتعنت وتحقيقا لان المراد بالاول العظمة فقال ولكن اى لم اشا ذلك لانه حق القول منى وانا من لا
يخلف الميعاد لان الاخلاف اما للعجز او نسيان او حاجة ولا شى من ذلك يليق بجنابى او يحل بساحتى واكد لاجل انكارهم
فقال مقسمًا لاملان جهنم التى هى محل اهانتى وتجهم اعداى بما تجهموا اولياى من الجنة اى الجن طايفة ابليس وكانه
اشيهم تحقيرا لهم عند من يستعظم امرهم لما دعا الى تحقيرهم من المقام وبداهم لاستعظامهم لهم ولانهم الذين اضلوهم
والناس اجمعين حيث قلت لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين مجيبا لتوقفهم اذ ذاك نافيا لما قد يفهمه هم
كلامهم من انه محتاج الى العبادة ولما تسبب عن هذا القول الصادق انه لا محيص عن عذابهم تبعك منهم اجمعين
قال بسبب ما حق منى من القول فذوقوا اى ما كنتم تكذبون به منه فلذلك تسبب كفر الكافر وعصيان العاصى بعد ان جعلت
لهم اختيارا وغيبت العاقبة عنهم فصارا اى الكسب ينسب اليهم ظاهرا والخلق فى الحقيقة والمشية لى بما اى بسبب ما
نسيتم لقاء يومكم وحققه وبين ذلهم بقوله هذا اى عملتم فى الاعراض عن الاستعداد لهذا ولذا عاد الى مظهر العظمة
عمل الناسى له مع انه مركوز فى طباعكم انه لا يسوغ لذى علم وحكمة ان يدع عبيده يمرحون فى ارضه ويتقلبون فى رزقه
ثم لا يحاسبهم على ذلك وينصف مظلومهم فكان الاعراض عنه مستحقا لان يسمى نسيانا ثم من هذا الوجه ايضا ومن جهة
انه لما ظهر له من البراهين ما ملا الاكوان صار كانه ظهر وروى ثم نسى ثم علل ذوقهم لذلك او استانف لبيان المجاز
به مؤكدا فى مظهر العظمة قطعا لاطماعهم فى الخلاص الموقف الذى يحاسبوا فيه ويظهر فيه العدل فقال انا نسيناكم
اى عاملناكم بما لنا من العظمة ولكم من الحقارة معاملة الناسى لكم فاوردناكم النار كما اقسمنا انه ليس احد الا يردها
ثم اخرجنا اهل ودنا وتركناكم فيها ترك المنسى كان ما تقدم من امرهم بالذوق مجملا بينه بقوله مؤكدا له
وذوقوا عذاب الخلد اى المختص بانه لا اخر له ولما كان قد يخص السبب فيما مضى عمم هنا فقال بما كنتم اى جبلة
وطبعا تعملون من اعمال الجرم بحيث امر البعث ناويين انكم لا تنفكون عن ذلك كان قوله تعالى بل هم بلقاء ربهم
كافرون قد اشار الى ان الحامل لهم على الكفر الكبر وذكر سبحانه انه قسم الناس قسمين لاجل الدارين تشوفت النفس
الى ذكر علامة اهل الايمان كما ذكرت علامة اهل الكفران فقال انما يؤمن باياتنا الدالة على عظمتنا الذين اذا ذكروا
بها من اى مذكر كان فى اى وقت كان قبل كشف الغطاء وبعده خروا سجدا اى بادروا الى السجود مبادرة من كانه
سقط من غير قصد خضوعا لله من شدة تواضعهم وخشيتهم واخباتهم له خضوعا ثابتا دائما وسبحوا اى اوقعوا
التنزيه عن كل شائبة نقص من ترك البعث المودى الى تضييع الحكمة ومن غيره ملتبسين بحمد ولفت الكلام الى الصفة
المقتضية لتنزيههم وحمدهم تنبيها لهم فقال ربهم اى بانبائهم له الاحاطة بصفات الكمال ولما تضمن هذا
تواضعهم صرح به فى قوله وهم لا يستكبرون اى لا يجدد دون طلب الكبر عن شى مما دعاهم اليه الهادى ولا يوجد ونه
خلقا لهم راسخا فى ضمايرهم كان المتواضع ربما نسب الى الكسل نفى ذلك عنهم بقوله مبينا ما تضمنت
الاية السابقة من خوفهم تتجافى اى ترتفع ارتفاع مبالغ فى الجفا لما اشار اليه من الاظهار وبشر بكثرتهم
بالتعبير بجمع الكثرة فقال جنوبهم بعد النوم عن المضاجع اى الفرش الموطاة الممهدة التى هى محل الراحة والسلو
فيكونون عليها كالملسوعين لا يقدرون على الاستقرار عليها فى الليل الذى هو موضع الخلوة ومحط اللذة والسرور
بما تهواه النفوس قال الامام السهروردى فى الباب السادس والاربعين من عوارفه عن المجيبين قبل نومهم
نوم الغرقى واكلهم اكل المرضى وكلامهم ضرورة لمن نام عن غلبة بهم يجتمع متعلق بقيام الليل توفق لقيام الليل
وانما النفس اذا طمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه واذا ارعجت بصدق العزيمة لا تسترسل فى الاستقرار
وهذا الانزعاج فى النفس بصدق العزيمة هو التجافى الذى قال الله لان الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجمع يجل
بين الجنب والمضجع تنبوا وتجافيا كان هجران المضجع قد يكون لغير العبادة بين انه لها فقال مبينا الحالم
يدعون اى على سبيل الاستمرار واظهر الوصف الذى جراهم على السؤال فقال ربهم اى الذى عودهم باحسانه ثم علل
دعاهم بقوله خوفا اى من سخطه وعقابه فان اسباب الخوف من نقايصهم كثيرة سواء عرفوا سببا يوجب خوفا او
فهم لا يامنون مكره لان له ان يفعل ما يشا وطمعا اى فى رضاه الموجب لثوابه وغيره دون الرجا اشارة الى انهم
لشدة معرفتهم بنقايصهم لا يعدون اعمالهم شيا بل يطلبون فضله بغير سبب واذا كانوا يرجون رحمته بغير سبب فهم
مع السبب ارجى فهم لا يياسون من روحه ولما كان بنا العبادة تقطع عن التوسع فى الدنيا فربما دعت النفس العابد
الى التمسك بما فى يديه خوفا من نقص العبادة عند الحاجة لتشوش الفكر والحركة لطلب الرزق حث على الانفاق منه
اعتمادا على الخلاق الرزاق الذى ضمن الخلف ليكونوا بما ضمن لهم اوثق منهم بما عندهم وايذانا بان الصلاة سبب للبركة

في الرزق وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك فقال لفتاً إلى مظهر العظمة تنبيهاً على أن الرزق منه
وحده ﴿ومما رزقناهم﴾ أي بعظمتنا لا بحول منهم ولا قوة ﴿ينفقون﴾ من غير إسراف ولا تقتير في جميع وجوه القرب التي شرعناها لهم
ولما ذكر جزاء المستكبرين فتشوفت النفس إلى جزاء المتواضعين أشار إلى جزائهم بفاء السبب إشارة إلى أنه هو الذي
وفقهم لهذه الأعمال برحمته وجعلها سبباً إلى دخول جنته ولو شاء لكان غير ذلك فقال ﴿فلا تعلم نفس﴾ أي من جميع النفوس مقربة
ولا غيرها ﴿ما أخفي لهم﴾ أي لهؤلاء المذكورين من العالي لعظمتها عن الغيوب بجزائهما كما كانوا يخفون أعمالهم بالصلاة في جوف الليل
وغير ذلك ولا يراؤون بها ولعله بني للمفعول في قراءة الجماعة تعظيماً له بذهاب الفكر في المخفي كل مذهب أو للعلم بأنه الله
تعالى الذي أخفوا نوافل أعمالهم لأجله وسكن حمزة الياء على أنه للمتكلم سبحانه لفتاً لأسلوب العظمة إلى أسلوب الملاطفة
والسر مناسبة لحال الأعمال ولما كانت العين لا تقر ولا تهجع إلا عند الأمن والسرور قال ﴿من قرة أعين﴾ أي من شيء
نفيس سار تقر به أعينهم لأجل ما أقلقوها عن قرارها بالنوم ثم صرح بما أفهمته فاء السبب فقال ﴿جزاء﴾ أي أخفاها لهم
لجزائهم ﴿بما كانوا﴾ بما هو لهم كالجبلة ﴿يعملون﴾ روى البخاري في التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة اقرؤا
إن شئتم فلا تعلم نفس الآية ولما كانوا أهل بلاغة ولسن وبراعة وجدل فكان ربما قال متعنتهم ما له إذا كان ربنا
تزعمون من أنه لا يبالي بشيء ولا ينقص من خزائنه شيء وهو العزيز الرحيم لا يسوي بين الكل في إدخال الجنة والمن بالنعيم فيعمهم
بالرحمة الظاهرة كما عمهم بها في الدنيا كما هو دأب المحسنين تسبب عن ذلك أن قال منكراً لذلك مشيراً إلى أن المانع منه
خروجه عن الحكمة فإن تلك دار الجزاء وهذه دار العمل فبينهما بون ﴿أفمن كان﴾ أي كوناً كأنه من رسوخه جبلي ﴿مؤمناً﴾
أي راسخاً في التصديق العظيم بجميع ما أخبرت به الرسل ﴿كمن كان فاسقاً﴾ أي راسخاً في الفسق خارجاً عن دائرة الإذعان ولما
توجه الاستفهام إلى كل من اتصف بهذا الوصف وكان الاستفهام إنكارياً عبر عن معناه مصرحاً بقوله
﴿لا يستوون﴾ إشارة بالحمل على لفظ من مرة ومعناها أخرى إلى أنه لا يستوي جمع من هؤلاء بجمع من أولئك ولا فرد بفرد
ولما نفى استواءهم أتبعه حال كل على سبيل التفصيل معبراً فقال ﴿أما الذين آمنوا وعملوا﴾ أي تصديقاً لإيمانهم
﴿الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ أي الجنات المختصة دون الدنيا التي هي دار ممر ودون النار التي هي دار مفر لا مقر بأهلها
المأوى الكامل في هذا الوصف بما أشار إليه أل يأتون فيها لا يبغون عنها حولاً كما تبوأوا الإيمان الذي هو أهل للإقامة فيه
فلم يبغوا به بدلاً ﴿نزلاً﴾ أي عداداً لهم أول قدومهم في قول الحسن وعطاء وهو أول المقام كما يعد للضيف على ما لاح ﴿بما كانوا﴾ جبلة
وطبعاً ﴿يعملون﴾ دائماً على وجه التجديد فإن أعمالهم من رحمة ربهم وإذا كانت هذه الجنات نزلاً فما ظنك بما بعد ذلك هو لعمري
ما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهم كل لحظة في زيادة لأن قدرة
الله لا نهاية لها فإياك أن يخدعك خادع أو يغرك ملحد ﴿وأما الذين فسقوا﴾ أي خرجوا عن دائرة الإيمان الذي هو معدن التواضع
وأهل للمصاحبة والملازمة ﴿فمأواهم النار﴾ أي التي لا صلاحية فيها للإيواء بوجه من الوجوه أصلاً ولما كان السامع
جديراً بالعلم بأنهم يجتهدون في الخلاص منها فاستأنف شرح حالهم ﴿كلما أرادوا﴾ أي وهم مجتمعون فكيف إذا أراد بعضهم
﴿أن يخرجوا منها﴾ وهذا يدل على أنه يراد في عذابهم بأن يخيل إليهم ما يظنون به القدرة على الخروج منها كما كانوا يخرجون بنفوسهم
من محيط الأدلة ومن دائرة الطاعات إلى بيداء المعاصي والزلات فيعالجون الخروج فإذا ظنوا أنه تيسر لهم وهم بعد في غمراتها
﴿أعيدوا﴾ بأيسر أمر وأسهله من أي من أمرناه لك ﴿فيها﴾ إلى المكان الذي كانوا فيه أولاً ولا يزال هذا دأبهم أبداً ﴿وقيل﴾ أي من أي قائل
كان ﴿لهم﴾ أي عند الإعادة إهانة لهم ﴿ذوقوا عذاب النار﴾ ولما كان وصف عذابهم في النار كان أحق بالوصف عند بيان سبب
الإهانة بالأمر بالذوق مع أنه أحق من حيث كونه مضافاً محدثاً عنه فقال ﴿الذي كنتم﴾ أي كوناً هو لكم كالجبلة لازماً وأشار إلى أن تكذيبهم
به تلاشى عنده كل تكذيب فكأنه مختص فقال ﴿به تكذبون﴾ فإن الإعادة بعد معالجة الخروج أمكن في التصديق باعتبار التجدد في كل آن
ولما كان المؤمنون الآن يتمنون أن أصابتهم بشيء من الهوان في هذه الدار لأن نفوس البشر مطبوعة على العجلة بشرهم بذلك على
وجه يشمل عذاب القبر فقال مؤكداً له لما عندهم من الإنكار بعذاب ما بعد الموت والإصابة في الدنيا بما لهم من الكثرة والقوة ﴿ولنذيقنهم﴾
أي أجمعين بالمباشرة والتسبيب بما لنا من العظمة التي تتلاشى عندها كثرتهم وقوتهم ﴿من العذاب الأدنى﴾ أي قبل يوم القيامة بأيديكم وغيرها
وقد صدق الله قوله وقد كانوا عند نزول هذه السورة بمكة المشرفة في غاية الكثرة والنعمة فأذاقهم الجدب سنين متوالية وقتلهم
وقتلهم وأسرهم بأيدي المؤمنين إلى غير ذلك مما أراد سبحانه ثم أكد الإرادة لما [illegible] الإرادة وحققها بقوله معبراً بما يصلح للعاقل
والمعقول ﴿دون العذاب الأكبر﴾ أي الذي مر ذكره في الآخرة ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن فسقه
عند من ينظره وقد كان ذلك رجع كثير منهم خوفاً من السيف فلما رأوا محاسن الإسلام كانوا من أشد الناس فيه رغبة وله حباً
ولما كان التقدير يرجعون عن ظلمهم فإنهم ظالمون عطف عليه قوله ﴿ومن أظلم﴾ منهم هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف

الذي

ولما كان الباقي مسوقاً على دليل
[illegible] ولكن لا يستطيع
الآية وكان ذلك الدليل الذي [illegible]
يحيط بذلك لا بد من سمع وبصر وفؤاد [illegible]
[illegible]

الذي صار ديدنه الظلم فقال ﴿ممن ذكر﴾ أي من أي مذكر كان وصرف القول إلى صيغة الإحسان استعطافاً وتنبيهاً على وجوب الشكر فقال
﴿بآيات ربه﴾ أي الذي لا نعمة عنده إلا منه ولما بلغت هذه الآيات من الوضوح أقصى الغايات فكان الإعراض عنها مستبعداً
بعد عبر عنه بأداة البعد لذلك فقال ﴿ثم أعرض عنها﴾ ضد ما عمله الذين لم يتمالكوا أن خروا سجداً ويجوز وهو أحسن أن يكون ثم
على بابها للتراخي ليكون المعنى أن من وقع له التذكير بها في وقت ما فأخذ يتأمل فيها ثم أعرض عنها بعد ذلك ولو بألف عام فهو أظلم الظالمين
ويدخل فيه ما دون ذلك من باب الأولى لأنه أجدر بعدم النسيان فهي أبلغ من التعبير بالفاء كما في سورة الكهف ويكون عدل إلى الفاء هناك
ولما كان الحال مقتضياً للسؤال شرحاً لما يكون من حالهم عند بيان سوء حالهم الذي جعلوا إتيانه آية الصدق والعجز عنه آية الكذب
عن جزائهم وكان قد أفرد الضمير باعتبار لفظ من تنبيهاً على قباحة المعنى الظالم من كل فرد فرد وكان جامعاً لأن إهانة الجمع دالة على إهانة الواحد
من باب الأولى مؤكداً لأن أفعالهم على التكذيب كالإنكار لأن يجازوا عليه صادقاً وجه الكلام عن صيغة الإحسان إيذاناً بالغضب
فقال ﴿إنا من المجرمين﴾ هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف نصاً في التعميم وتعليقاً للحكم به معيناً لنوع ظلمهم تبشيعاً له
أي القاطعين لما يستحق الوصل خاصة ﴿منتقمون﴾ وعبر بصيغة العظمة تنبيهاً على أن الذي يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف
على مجرد العدا في الظالمين فكيف إذا كانوا أظلم الظالمين والجملة الاسمية تدل على دوام ذلك عليهم في الدنيا إما باطناً بالاستدراج
بالنعم وإما ظاهراً بإحلال النقم وفي الآخرة به وأما العذاب على مر الآباد ولما كان مقصود السورة نفي الريب عن تنزيل هذا
الكتاب المبين في أنه من عند رب العالمين ودل على أن الإعراض عنه إنما هو ظلم وعناد بإحاطته بالتهديد على الإعراض عن الآيات بالانتقام
وكان بها أنتم سبحانه بمن استحق موسى عليه السلام قبل إنزال الكتاب عليه وبعد إنزاله وكان أول من أنزل عليه كتاب من بني إسرائيل
بعد فترة كثيرة من الأنبياء بينه وبين يوسف عليهما السلام وآمن به جميعهم والتقم الله به وأنقذهم من أسر القبط على يديه ذكر
بحاله تسلية وتأسية لمن أقبل وتهديداً لمن أعرض وبشارة بإيمان العرب كلهم وتأليفهم به وخلاص أهل اليمن منهم من أسر
الفرس بسببه فقال مؤكداً تنبيهاً لمن ينظر أن العظيم لا يرد شيء من أمره ﴿ولقد آتينا﴾ على ما لنا من العظمة ﴿موسى الكتاب﴾ أي الجامع
للأحكام وهو التوراة ولما كان ذلك مما لا ريب فيه أيضاً وكان قومه قد تركوا اتباع كثير منه لا سيما فيما نقض
من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وفيما أمر فيه باتباعه وكان هذا إعراضاً منهم مثل إعراض الشاك في الشيء وكانوا في زمن موسى
عليه السلام أيضاً يخالفون أوامره وقتاً بعد وقت وحيناً إثر حين تسبب عن الإيتاء المذكور قوله تعريضاً بهم وإعلاماً بأن العظيم قد يريد
رد نفر أو أمر لحكمة دبرها ﴿فلا تكن﴾ أي كوناً راسخاً بما أشار إليه فعل الكون وإثبات نونه فيفهم العفو عن حديث النفس الواقع من
الأمة عليها بإتباعه صلى الله عليه وسلم ﴿في مرية﴾ أي شك ﴿من لقائه﴾ أي لا تفعل في ذلك فعل الشاك في لقاء موسى للكتاب منا وتلقيه
له بالرضى والقبول والتسليم كما فعل المدعوون لاتباعه والعمل بكتابه في الإعراض عما دعاهم إليه من دين الإسلام أو لا تفعل فعل الشاك
في لقائك الكتاب منا وأن تسبقوك إلى الامتثال أو أن تأخر بعض ما يخبر به فيكون هدى لمن بقي منهم وعذاباً للماضين ولا يبقى خبر مما أخبر به
إلا كان فإن الكتاب طبق ما أخبر به فإنك لتلقاه من لدن حكيم عليم وقد صبر موسى عليه السلام في تلقي كتابه وهدايته حتى مات على
أحسن الأحوال أو يكون المعنى ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف عليه فيه فما شك أحد من التابعين في إتياننا إياه الكتاب لأجل إعراض
من أعرض ولا تزلزله أدبار من أدبر وانتقمنا ممن أعرض عنه فلا يكن أحد ممن أمرك في شك من إتياننا الكتاب لك لإعراض من أعرض
ولما أشار إلى إعراضهم عنه وإعراض العرب عن كتابهم ذكر تسهيلاً من حكمنا بشماته انتقاماً منه وتسعداً الباقين به
أن الكل يعلو أبداً لك الضلال صد ما أنزل له الكتاب فقال لفتاً على بني إسرائيل ومبشراً للعرب ﴿وجعلناه﴾ أي كتاب موسى عليه
السلام جعلاً يليق بعظمتنا ﴿هدى﴾ أي بياناً عظيماً ﴿لبني إسرائيل﴾ وأشار إلى اختلافهم فيه بقوله ﴿وجعلناه﴾ أي كتاب موسى عليه
السلام جعلاً يليق بعظمتنا ﴿منهم﴾ أي من أنبيائهم وأحبارهم بعظمتنا مع ما في طبع الإنسان من اتباع الهوى ﴿أئمة يهدون﴾ أي
يوقعون البيان ويعملون على حسبه ﴿بأمرنا﴾ أي بما أنزلنا فيه من الأوامر ثم ذكر علة جعله ذلك لهم بقوله ﴿لما صبروا﴾ أي بسبب صبرهم
ولأجله على قراءة حمزة والكسائي بالكسر والتخفيف أو حين صبرهم على قبول أوامرنا على قراءة الباقين بالفتح والتشديد وإن كان
الصبر أيضاً إنما هو بتوفيق الله لهم ﴿وكانوا بآياتنا﴾ لما لها من العظمة ﴿يوقنون﴾ لا يرتابون في شيء منها ولا يفعلون فعل الشاك فيه
بالإعراض وكان ذلك لهم جبلة جبلناهم عليها ولما أفهم قوله منهم أنه كان منهم من يضل عن أمر الله ويصد عنه
قال قوله تسلية للمؤمنين وتوعداً للكافرين مستأنفاً مؤكداً تنبيهاً لمن يظن أنه لا بعث ولفت القول إلى صفة الإحسان إشارة
إلى ما يظهر من شرفه صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم من المقام المحمود وغيره ﴿إن ربك﴾ أي المحسن إليك بإرسالك ليعظم ثوابك
ويعلي ما بك ﴿هو﴾ أي وحده ﴿يفصل بينهم﴾ أي بين الهادين والمهتدين والضالين والمضلين ﴿يوم القيامة﴾ بالقضاء الحق فيعلي أمر المظلوم ويرد
كيد الظالم ﴿فيما كانوا﴾ جبلة وطبعاً ﴿فيه﴾ أي خاصة ﴿يختلفون﴾ أي يجددون الاختلاف فيه على سبيل الاستمرار حسبما طبعوا عليه
لا يخفى عليه شيء منه وأما غير ما اختلفوا فيه فالحكم فيه لهم أو عليهم لا بينهم وما اختلفوا فيه لا على وجه القصد فيقع في محل العفو
كان قد تقدم عن الكفار في هذه السورة قولان أحدهما في التكذيب بالقرآن والثاني في إنكار البعث ودل سبحانه

على فسادهما الى ان ختم بذكر الآيات والبعث والفصل بين المحق والمبطل اتبعه استفهامين انكاريين منشورين على القولين وختمت آية
كل منهما بآخر تنفير الاستفهامات اربعة وفي بدخول الاول لفصل بين الفريقين في الدنيا فقال مهددا أولم اي ايقولون
عنادا للرسول لنا افتراه ولم يهد اي يبين كما رواه البخاري عن ابن عباس لهم كم اهلكنا اي كثرة من اهلكنا ولما كان قرب الشيء
في الزمان او المكان ادل بين قربهم بادخال الجار فقال من قبلهم اي لاجل معاندة الرسل من القرون الماضين من المعرضين عن الآيات وتجنبا
من امرها وربما كان قرب المكان نازلا منزلة قرب الزمان لكثرة التذكير بالآثار والتردد خلال الديار ولما كان انهماكهم
في الدنيا الذابلة قد شغلهم عن التفكر فيما ينفعهم من المواعظ بالافعال والاقوال اشار الى ذلك بتصوير اطلاعهم على ما لهم من الاحوال
بقوله يمشون اي انهم ليسوا باهل للتفكر الا حال المشي في مساكنهم لشدة ارتباطهم مع المحسوسات وذلك كمساكن عاد وثمود
وقوم لوط ونحوهم ولما كان في هذا اتم عبرة واعظم عظة قال منبها عليه مؤكدا تنبيها على ان من لم يعتبر منكر لما فيه من العبر
ان في ذلك اي الامر العظيم لآيات اي دلالات ظاهرات جدا مرئيات في الديار وغيرها من الآثار ومسموعات في الاخبار ولما
كان السماع هو الركن الاعظم وكان هلاك القرون انما وصل اليهم بالسماع قال منكرا أفلا يسمعون اي ان حالهم لاحتياج من
ذكرت له في الرجوع عن الغي الى غير سماعها فان لم يرجع فهو ممن لا سمع له أولم اي ايقولون في انكار البعث ائذا ضللنا في الارض ولم يروا
انا بما لنا من العظمة نسوق الماء من السماء او الارض الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع باليبس والتهشيم او بايدي الناس فصارت
ملسا لا نبت فيها وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انها التي لم تمطر الا مطرا لا يغني عنها شيئا قال او ولا يقال التي لا تنبت كالسباخ
جرز ويدل عليه قوله فنخرج به من اعماق الارض زرعا اي نبتا لا ساق له باختلاط الماء بالتراب الذي كان زرعا قبل هذا واشار الى انه
حقيقة لا مرية فيه وليس هو بتخييل كما يفعل السحر بقوله مذكرا بنعمة الابقاء بعد الايجاد تأكل منه اي من حبه وورقه وتبنه
وحشيشه انعامهم وقدمها لموقع الامتنان بها لان بها قوامهم في معايشهم وابدانهم ولان السياق لمطلق اخراج الزرع واول صلاحه
انما هو لاكل الانعام بخلاف ما في سورة عبس فان السياق لطعام الانسان الذي هو نهاية الزرع حيث قال فلينظر الانسان الى طعامه
ثم قال فانبتنا فيها حبا وذكر من طعامه من العنب وغيره ما لا يصلح للانعام وانفسهم اي من حبه واصله اذا كان بقلا ولما
كانت هذه الآية مبصرة في وضوحها في الدلالة على البعث لا يحتاج الجاهل به في الاقرار سوى رؤيتها قال أفلا يبصرون اشارة الى
ان من رآها ونبه على ما فيها من الدلالة واصر على الانكار لا بصر له ولا بصيرة ولما كانت هذه الآية ادل دليل كما مضى على
البعث وكان يوما تاما يظهر فيه عز الاولياء وذل الاعداء اتبعها قوله تعجيبا منهم عطفا على يقولون افتراه ونحوها ويقولون اي
مع هذا البيان الذي لا لبس معه استهزاء متى هذا الفتح اي النصر والقضاء والفصل الذي يفتح المغلق يوم الحشر ان كنتم اي
كونا راسخا صادقين اي عريقين في الصدق بالاخبار بانه لابد من كونه لنؤمن اذا رأيناه ولما اسفر حالهم بهذا السؤال
الذي محصله الاستعجال على وجه الاستهزاء عن انهم لا يرتدون عن العناد امر بجواب فيه ابلغ تهديد فقال فاعلا
فعل القادر في الاعراض عن اجابتهم عن تعيين اليوم الى ذكر حاله قل اي لهؤلاء الالداء الجهلة يوم الفتح اي الذي يستهزئون به
وهو يوم القيامة تبادرون الى الايمان بعد الانسلاخ مما انتم فيه من الشماخة والكبر فلا ينفعكم بعد العيان وهو معنى لا ينفعكم
هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الوصف تعميما وتعليقا للحكم به فقال ينفع الذين كفروا اي غطوا آيات ربهم التي لا خفاء بها
سواء في ذلك انتم وغيركم ممن اتصف بهذا الوصف ايمانهم لانه ليس ايمانا بالغيب ولكنه ساقه هكذا اسوق ما هو معلوم
ولا هم ينظرون اي يمهلون في ايقاع العذاب بهم لحظة ما من نظر ما ولما كانت نتيجة سماعهم لهذه الادلة استهزاءهم
حتى يسألوا لهم عن يوم الفتح واجابهم سبحانه عن تعيينه بذكر حاله وكان صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على نفعهم ربما احب
اعلامهم بما طلبوا وان كان يعلم انه لا ينفعهم استهزاء رجاء ان ينفعهم نفعا ما سبب سبحانه عن اعراضه عن اجابتهم امره لهذا
الداعي الرفيق والهادي الشفيق بالاعراض عنهم ايضا فقال تسلية له مهددا لهم فاعرض عنهم اي غير مبال بهم
وان اشتد اذاهم وانتظر اي ما يفعل بهم مما فيه اظهار امرك واعلاء دينك ولما كان الحال مقتضيا لتردد
السامع في حالهم هل هو الانتظار اجيب على سبيل التأكيد بقوله انهم منتظرون اي ما يفعل بك وما يكون من عاقبة امرك
فيما توعدتهم به وفي عزم وقد انطبق آخرها على اولها بالانذار بهذا الكتاب والعلم بجلالته وجزالته وشدته
وشجاعته انه ليس فيه نوع ارتياب واتصافا وليها في التكذيب بتنزيله وآخرها في الاستهزاء بتأويله يوم يأتي تأويله يقول
الذين نسوه من قبل الآية وايضا فالاول في التكذيب بانزال الروح المعنوي والآخر في التكذيب باعادة الروح العيني الحسي الذي
ابتدأه اول مرة والله الهادي

سورة الاحزاب

مقصودها الحث على الصدق في الاخلاص في التوجه الى
الخالق من غير مراعاة بوجه ما للخلائق لانه عليم بما يصلحهم حكيم فيما يفعله فهو يعلي من يشاء وان كان ضعيفا ويردي من يريد
وان كان قويا فلا يهتمن الماضي لامر برجاء لاحد منهم في بر ولا خوف منه في عظيم شر وخفي مكر واسمها واضح في ذلك
بتأمل القصة التي اشار اليها ودل عليها بسم الله الذي تمام ارادة كان الرحمن الذي سرت رحمته خلال الوجود فشملت

كل موجود بالكرم والجود الرحيم لمن توكل عليه بالعطف اليه لما ختمت التي قبلها بالاعراض عن الكافرين و
انتظار ما يحكم به فيهم رب العالمين بعد تحقيق ان تنزيل الكتاب من عند المدبر لهذا الخلق كله والنهي عن الشك في لقائه افتتح
هذه بالامر بما بعد ذلك والنهي عن طاعة المخالفين مجاهرين كانوا او مساترين والامر باتباع الوحي الذي اعطيه الكتاب تنبيها
على ان الاعراض انما يكون طاعة لله مع مراعاة تقواه فقال يا ايها النبي عن اداة التوسط ايماء الى ان وقت نزول السورة وهو
وقعة الاحزاب اوسط مدة ما بعد الهجرة الاخيرة الى آية لم يبق من امد كمال النصرة التي اقتضاها وصف النبوة
لحرسه حمس غيب ونعة الاحزاب [illegible] وعلائه الى الجناب
الدال على الرفعة الا القليل وعبر به لانقضا مقصود السورة مقام النبوة الذي هو بين الرب وعبده في تقريبه واعلائه
اذا قرئ بغير همز وان قرئ به كان للحظ الى انبائه بالخفي وتفصيله للجلي وقال الحرالي في كتاب له في اصول الدين حقيقة النبوة
ورود غيب ظاهرا اي من الحق بالوحي لخاص من الخلق يخفى عن العامة منهم ثم قد يختص مقصد ذلك الوارد المقيم لذلك الواحد بدا
فيكون نبيا غير رسول وقد يرد عليه عن تمام امره في ذاته موارد فاقة عن غيره فيصير رسولا والرتبة الاولى كثيرة الوقوع
في الخلق وهي النبوة والثانية قليلة الوقوع فالرسل اعشار معشار الانبياء وللنبوة اشتقاقان احدهما من النبأ وهو الخبر
وذلك لمن اصطفي من البشر لرتبة السماع والانباء فنبي ونبأ عن غيره من غير ان يكون عنده حقيقة ما نبئ به ولا ما نبأ فيكون حامل
علم والاشتقاق الثاني من النبوة وهي الارتفاع والعلو وذلك لمن اعلي عن رتبة النبأ الى رتبة العلم فكان مطلعا على علم
ما ورد عليه من الغيب على حقيقته وكماله فمن علا عن الحظ المنزل العقلي الى رتبة سماع كان نبيا بالهمز ومن علا عن ذلك الى
رتبة علم بحقيقة ذلك كان نبيا غير مهموز فادم عليه السلام مثلا في علم الاسماء نبي بغير همز وفيما وراءه نبي بهمز وكذلك ابراهيم
عليه السلام فيما اري من الملكوت نبي غير مهموز وفيما وراءه نبي بهمز انتهى ولم يناده سبحانه باسمه تشريفا لقدره واعلاء
لمحله وحيث سماه باسمه في الاخبار فللتشريف من جهة اخرى وهي تعيينه وتخصيصه ازالة للبس عنه وقطعا لشبه
النعت ولما ناداه سبحانه بهذا الاسم الشريف المقتضي للانبساط امره بالخوف فقال اتق الله اي دم على
التقوى باعلى الخلائق بمقدار ما تقتضيه لذي الجلال كله والاكرام لئلا تلتفت الى شيء سواه فانه اهل لان يرهب
لما له من خلال الجلال والعظمة والكمال ولما وجه اليه الامر بخشية المولى لوده اتبعه النهي عن الالتفات
نحو العدو والحسود فقال ولا تطع الكافرين اي المجاهرين والمنافقين اي المصانعين في شيء من الاشياء لم يستثن من ذلك
لئلا يتأمروا ان لا يحرج لا بخوف او برق بارق رجاء ولا سيما سؤالنا في شيء مما يقترحونه رجاء ايمانهم مثل ان تعين لهم وقت
الساعة التي يكون فيها الفتح فانهم انما يطلبون ذلك استهزاء قال ابو حيان وسبب نزولها انه روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قدم المدينة كان يحب اسلام اليهود فتابعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه وكانوا يظهرون
النصائح من طرق المخادعة فنزلت تحذيرا له منهم وتنبيها على عداوتهم انتهى ثم علل النهي والامر بما يزيل الهموم ويوجب
الاقبال عليهما واللزوم فقال ملوحا الى انهم اعوان في مكرهم ربما خفيت عليه صلى الله عليه وسلم واكد ترغيبا في
الاقبال على معلوله بغاية الاهتمام ان الله اي بعظيم كماله وعز جلاله كان ازلا وابدا عليما شامل العلم حكيما
بالغ الحكمة فهو لم يأمرك بامر الا وقد علم ما يترتب عليه واحكم اصلاح الحال فيه وقال الامام ابو جعفر بن
الزبير في برهانه افتتحها سبحانه بامر نبيه بالتقوى ونهيه عن الصغو الى الكافرين والمنافقين واتباعه ما يوحى
اليه تنزيها لقدره عن محنة من سبقه الامتحان ممن قدم ذكره في سورة السجدة وامرا له بالتسليم لخالقه والتوكل
عليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ولما فصل من السورتين قبلها ما يعقب العالم من الخوف اتبعه
لعقبه العلم بالخواتم وما جرى في السورتين من الاشارة الى السوابق ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فان ذلك مظنة
لتأنيس نبي الله صلى الله عليه وسلم وصالحي اتباعه فلهذا اعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس
والبشارة ما يجري على المعهود من لطفه تعالى وسعة رحمته فافتتح سبحانه السورة بخطاب نبيه بالتقوى واعلامه
بما قد اعطاه قبل من سلوك سبيل النجاة وان ورد على طريقة الامر ليتشجع باستقامة سبيله وايضاح دليله
وخاطبه بلفظ النبوة لانه امر عقب تخويف وانذار وان كان عليه السلام قد نزهه الله وقدسه عن ان يكون منه خلاف
التقوى وعصمه عن كل ما ينافي نزاهة حاله وعلي منصبه ولكن طريقة خطابه تعالى للعباد انه تعالى متى جرد
ذكرهم للمدح من غير امر ولا نهي فهو موضع ذكرهم بالاخص الامدح من محمود صفاتهم ومنه محمد رسول الله والذين
معه الآيات فذكره صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة ومهما كان الامر والنهي عدل في الغالب الى الاعم ومنه
يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال يا ايها النبي اذا طلقتم النساء يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات وقرئ بين في غير هذا وانما ورد على خلاف هذا القانون فلسبب خاص استدعى العدول
عن المطرد كقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك توجه هذا ان قوله سبحانه وان لم تفعل فما بلغت رسالته

موقعه شديد تعود دليلكم صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة لضرب من التلطف فهو من باب عفا الله عنك لم اذنت لهم وفيه بعض
غموض وايضا فانه لما قيل له بلغ طابق هذا ذكره بالرسالة فان المبلغ رسول والرسول مبلغ ولا يلزم من النبي ان يبلغ الا ان يرسل
واما قوله تعالى يايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر فامر وان كان نهيا اوضح من الاول لانه تسلية له عليه السلام
وتانيس وامر بالصبر والرفق بنفسه فبابه راجع الى ما يرد مدحا مجردا عن الطلب وعلى ما اشير اليه يخرج ما ورد من هذا ولما
افتتحت هذه السورة بما حاصله ما قدمناه من اعلامه عليه السلام من هذا الامر بعلي حاله ومرتبة قدره ناسب ذلك ما احتوت
عليه السورة من باب التنزيه في مواضع منها اعلامه تعالى بان ازواج نبيه امهات المومنين فنزههن عن ان يكون حكمهن حكم غيرهن
من النساء مزية لهن وتخصيصا واجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم ومنها قوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب الاية فنزههم
عن تطرق سوء او دخول ارتياب على مصون معتقداتهم وجليل ايمانهم قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما
زادهم الا ايمانا وتسليما والاية بعد كذلك وهو قوله تعالى من المومنين رجال صدقوا الاية ومنها يا نساء النبي لستن كاحد من النساء
ان اتقيتن فنزههن تعالى وبين شرفهن على من عداهن ومنها تنزيه اهل البيت وتكريمهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت الاية ومنها الامر بالحجاب يايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن فنزه المومنات عن حال
الجاهلية من التبرج وعدم الحجاب وصانهن عن التبذل والامتهان ومنها قوله تعالى يايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى
فوصاهم جل وتعالى ونزههم عما نهاهم عنه ان يتشبهوا بمن استحق اللعن والغضب في سوء ادبهم وعظيم مرتكبهم الى ما تضمنت السورة من هذا
القبيل ثم اتبع سبحانه ما تقدم من البشارة العامة واللطف الشامل كقوله تعالى يايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ثم قال تعالى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقوله تعالى يايها الذين امنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا الى قوله اجرا كريما وقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى قوله
واجرا عظيما وقوله تعالى يايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا الى قوله عظيما وقوله ويتوب الله على المومنين والمومنات
وكان الله غفورا رحيما وقوله سبحانه مثنيا على المومنين بوفائهم وصدقهم ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله الى قوله وما بدلوا تبديلا وقوله سبحانه تعظيما لحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين ان الذين يوذون الله ورسوله
الى قوله واثما مبينا وفي هذه الايات من تانيس المومنين وبشارتهم وتعظيم حرمتهم ما يجبر سورة الخوف الحاصل من سورتي لقمان
والسجدة ويسكن روعهم تانيسا لا رفعا ومن هذا القبيل ايضا ما تضمنت السورة من تعداد نعمه تعالى عليهم وتحسين خلاصهم
كقوله تعالى يايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم الى قوله هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا
زلزالا شديدا وقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال الى قوله وكان الله على كل شيء قديرا
وختم السورة بذكر التوبة والمغفرة اوضح شاهد لما تمهد من دليل قصدها وبيانها على ما وضح والحمد لله ولما كان حاصلها
رحمة ولطفا ونعمة لا يقدر عظيم قدرها وينقطع العالم دون الوفاء بشكرها اعقب بما ينبغي من الحمد يعني اول سبا انتهى ولما
كان ذلك منهما للمخالفة كما يدعوا اليه كافر وكان لكافر يدعى المتبع من مكارم الاخلاق قيده بقوله واتبع اي بغاية
جهدك ولما اشتدت العناية هنا بالوحي وكان الموحي معلوما من ايات كثيرة بني للمفعول قوله ما يوحى اي يلقى القاء خفيا كما يفعل
المحب مع حبيبه اليك واتى موضع الضمير بظاهر يدل على الاحسان في التربية ليقوى على امتثال ما امرت به الاية السابقة فقال
من ربك اي المحسن اليك بصلاح جميع امرك فهما امرك به فافعله لربك لا لهم وما نهاك عنه فكذلك سواء كان رافقا لا عليهم
او اعراضا عنهم او غير ذلك ولما امره باتباع الوحي رغبه فيه بالتعليل باوضح من التعليل الاول في ان مكرهم حقي فقال
مذكرا بالاسم الاعظم بجميع ما يدل عليه من الاسماء الحسنى زيادة في التقوية على الامتثال موكدا للترغيب كما تقدم واشارة الى انه
مما يستبعده بعض المخاطبين في قراءة الخطاب بغير ابي عمرو ان الله اي بعظمته وكماله كان دائما بما يعملون اي الفريقان من
المكايد وان دق خبيرا فلا تهتم بشانهم فانه سبحانه كافيكه وان تعاظم وعلى قراءة ابي عمرو بالغيب يكون هذا التعليل حثا
على الاخلاص وتحقيقا لانه قادر على الاصلاح وان اعيى الخلائق ونفيا لما قد يعتري النفوس من الزلزال في اوقات الاختلال ولما
كان الادمي موضع الحاجة الى تعظيم التوجه كال وتوكل اي دع الاعتماد على التدبير في امورك واعتمد فيها على الله المحيط
علما وقدرة وتكرير هذا الاسم الاعظم الجامع لجميع معاني الاسماء في هذا المقام شان لا يخفى كما اشير اليه ولما كان التقدير
فانه يكفيك في جميع ذلك عطف عليه قوله وكفى بالله اي الذي له الامر كله على الاطلاق وكيلا اي انه لا اكفى منه لكل من وكله في
امره فلا تلتفت في شيء من امرك الى شيء غيره لانه ليس للانسان قلبان يصرف كلا منهما الى واحد ولما كان النازع الى جهتين والمعالج
لامرين متباينين كانه يتصرف بقلبين اكد امر الاخلاص في جعل الهمم هما واحدا فيما يكون من امور الدين والدنيا وفي المظاهرة
والتبني وكل ما شابههما بضرب المثل بالقلبين كما قال الزهري تعليلا لما قبله بما فيه من الاشارة الى ان الادمي مع قطع النظر
عن رتبة النبوة موضع لخفاء الامور عليه ما جعل الله اي الذي له الحكمة البالغة والعظمة الباهرة وليس الجعل الا له

ولا امر لغيره لرجل اي لاحد من بني آدم الذين هم اشرف الخلائق من نبي ولا غيره وعبر بالرجل لانه اقوى جسما وفهما فغيره من باب الاولى
واشار الى التاكيد بقوله من قلبين واكد الحقيقة وقررها وجلاها وصورها لما قد يظن الانسان من انه يقدر على صرف النفس الى الامور
المتخالفة كما يفعل المنافق بقوله في جوفه اي حتى يتمكن من ان ينزع بكل قلب الى جهة غير الجهة التي ينزع اليها القلب الاخر لان ذلك مود
الى خراب البدن لان القلب مدبر باذن الله واستقلال كل بالتدبير يودي الى الفساد كما مضى في دليل التمانع سواء كان الواردان
في اللوامع القلب كالمراة مهما حوذي به جانب القدس اعرض عن جانب الحس ومهما حوذي به جانب الحس اعرض عن جانب القدس فلا
يجمع الاقبال على الله وعلى ما سواه انتهى وحاصل ذلك انه تمهيد لان التوزع والشرك لا خير فيه وان مدبر الكل الملك واحد كما ان
مدبر البدن قلب واحد فلا التفات الى غيره وان الدين ليس بالتشهي وجعل الجاعلين وانما هو بما جعله هو سبحانه فانه العالم بالامر
تلبا اي عليه ولما كان كل من المظاهرة والتبني داعيا الى جهتين متباينتين وكان اهل الجاهلية يعدون الظهار طلاقا فاما هو بما
لا رجعة فيه كما نقله ابن الملقن في عمدة المنهاج عن صاحب الحاوي وكان المخاطبون قد اعلمهم الوعظ السابق الى التامل للخطاب لفت
سبحانه القول اليه على قراءة الغيب في يعملون لابي عمرو فقال وما جعل ازواجكم اي مع انه اباح لكم من الاستمتاع بهن من جهة الزوجية
ثم اشار الى الجهة الاخرى بقوله اللائي تظاهرون منهن اي كما يقول الانسان للواحدة منهن انت علي كظهر امي امهاتكم بما حرم عليكم
من الاستمتاع بهن حتى جعلوا ذلك على التابيد ورتبوا على ذلك احكام الامهات كلها لانه لا يكون لرجل امان ولو جعل ذلك لصار الحلال
واتسع الخرق وامتنع الرتق وما جعل ادعياءكم بما جعل لهم من النسبة والانتساب الى غيركم ابناءكم بما جعلتم لهم من الانتساب اليكم
ليحل لهم ازواجكم ويحرم عليكم حلائلهم وعليهم حلائلكم وغير ذلك من احكام الابناء ولا يكون لابن ابوان ولو جعل ذلك لضاعت الانساب
وعم الارتياب وانقلب كثير من الحقائق اي انقلاب فانفتح بذلك من الفساد ابواب اي ابواب فليس زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي
الذي تبنيته ابنك ايها النبي بتبنيك له جزاء له باختياره لك على ابيه واهله وهذا توطئة لما ياتي من قصة زواج النبي
صلى الله عليه وسلم لزينب بنت جحش مطلقة زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم لما تزوجها قال
المنافقون كما حكاه البغوي وغيره تزوج محمد امراة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الاية وبين ان التبني انما هو
مجاز وان المحرم انما هو زوجة الابن الحقيقي وما الحق به من الرضاع وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان تبنى زيدا قبل القصة مذكورة
في السيرة روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنه ما كنا ندعوه
الا زيد بن محمد حتى نزل القران ادعوهم لابائهم ولما ابطل هذا سبحانه استانف الاخبار عما مضى من علمهم قد نفاه
ذلكم اي القول البعيد عن الحقيقة واكد هذا بقوله قولكم بافواهكم اي لا حقيقة له وراء القول ويخرجه الفم من غير مطابقة
قلوبكم فان كل من يقول ذلك لا يعتقده لان من كان له فهم كان محتاجا ومن كان محتاجا كان معرضا للنقائص ومن كان معرضا
للنقائص كان معرضا للاوهام ومن غلبت عليه الاوهام كان في كلامه الباطل والله اي المحيط علمه وقدرته وله جميع صفات
الكمال يقول الحق اي الكامل في حقيته الثابت الذي يوافق ظاهره باطنه فلا قدرة لاحد على نقضه فان اخبر عن شيء فهو
كما اخبر لعدم الخبر والواقع من ذلك المخبر عنه شيء من المخالفة وان اي نقياس شرع على اصل لم يستطع احد ابدا ان فرق فان اقوال الله
سبحانه سابقة على الواقع لانها مصدره فيها يكون فاذا اتاك قولا وجدت مضمونه مطابقا لذلك القول فاذا طبقت بينهما كانا سواء
لكان ذلك المضمون ثابتا كما كان ذلك الواقع ثابتا فكان حقا هكذا اقواله على الدوام لانه منزه سبحانه عن النقائص فلا حاجة
ثم ليكون بينهما وبين معدن القول مخالفة من خوف او غيره وغير كل ما يقتضي حاجة فالاية من الاحتباك ذكر الفم اولا دليلا على نفيه ثانيا
والحق ثانيا دليلا على ضده الباطل اولا وسر ذلك انه ذكر ما يدل على النقص في حقنا وعلى الكمال في حقه ودل على التشريف
بالاشارة ليتبين فهم الفقهاء وعلم العلماء وهو اي وحده من حيث قوله الحق يهدي السبيل اي الكامل الذي من شانه ان يوصل
الى المطلوب ان ضل احد في فعل او قول فلا تعولوا الا على سواه ولا تلتفتوا اصلا الى غيره ولما كان كانه قيل فما نقول اهدنا
الى السبيل الحق في ذلك ارشد الى امر التبني اشارة الى انه هو المقصود في هذه السورة لما ياتي بعد من زيادة التي هي المقصودة بالذات
بقوله ادعوهم اي الادعياء لابائهم اي ان علموا ولذا قالوا زيد بن حارثة ثم علله بقوله هو اي هذا الدعاء اقسط اي اقرب الى العدل
من التبني وان كان انما هو لمزيد الشفقة على المتبنى والاحسان اليه عند الله اي الجامع لجميع صفات الكمال فلا ينبغي ان يفعل في
ملكه الا ما هو اقرب الى الكمال وفي هذا بالنسبة الى ما مضى بعض التنفيس عنهم واشارة الى ان ذلك التغليظ بالنسبة الى
مجموع القولين المتقدمين ولما كانوا قد يكونون مجهولين تسبب عنه قوله فان لم تعلموا اباءهم لجهل اصلي او طارئ فاخوانكم
في الدين ان كانوا دخلوا في دينكم ومواليكم اي ارقاؤكم مع بقاء الرق او مع العتق على كلتا الحالتين ولذا قالوا سالم مولى
ابي حذيفة ولما نزل هذا اتى النبي صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام اخرجه الشيخان
عن سعد ابن ابي وقاص وابي بكرة رضي الله عنهما ولما كانت عادتهم الخوف مما سبق من احوالهم على النهي لشدة ورعهم اخبرهم
انه تعالى اسقط عنهم ذلك لكونه خطا وشانه على وجه يعم ما بعد النهي ايضا فقال وليس عليكم جناح اي اثم وميل واعوجاج

وعبر بالظرف ليفيد ان الخطا لا اثم فيه بوجه ولو عبر بالبا لظن ان فيه اثما ولكنه عفى عنه فقال فيما اخطاتم به اى من الدعا بالبنوة و
او فى شى قبل النهى او بعده ودل قوله ولكن ما اى الاثم فيما تعمدت قلوبكم على زوال الحرج ايضا فيما وقع بعد النهى على سبيل النسيان او
سبق اللسان ودل تانيث الفعل على انه لا يسعد بعد البيان الشافى الا فلتة رخاوة الانوثة ودل جمع الكثرة على عموم الاثم ان لم ينته
المتعمد كان الحرج ايضا فيما وقع بعد النهى على سبيل النسيان كان هذا الكرم خاصا بما تقدمه عم سبحانه بقوله وكان الله
اى لكونه لا اعظم منه ولا اكرم منه غفورا رحيما اى من صفته الستر البليغ على المذنبا لتايب والهداية العظيمة للضال الايب
والاكرام بايتا الرغايب ولما نهى سبحانه عن التبنى وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة مولاه لما اختاره على
ابيه وعمه على سبحانه النهى فيه بالخصوص بقوله دالا على ان الامر اعظم من ذلك النبى اى الذى ينبئه الله بدقايق الاحوال فى بدايع
الاقوال ويرفعه دايما فى مراقى الكمال ولا يريد ان يشغله بولد ولا مال اولى بالمؤمنين اى الراسخين فى الايمان فغيرهم اولى فى كل
شى من امور الدين والدنيا لما حازه من الحضرة الربانية من انفسهم فضلا عن ابايهم فى نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم لانه لا
يدعوهم الا الى العقل والحكمة ولا يامرهم الا بما ينجيهم وانفسهم انما تدعوهم الى الهوى والفتنة فتامرهم بما يرديهم فهو
يتصرف فيهم تصرف الابا بل الملاك بل اعظم بهذا السبب الربانى فاى حاجة له الى السبب الجسمانى وازواجه اى اللاتى
دخل بهن لما لهن من حرمته امهاتهم اى المؤمنين من الرجال خاصة دون النسا لانه لا مجد ورحمة النسا وذلك فى الحرمة والاكرام
والتعظيم والاحترام وتحريم النكاح دون جواز الخلوة والنظر وغيرهما من الاحكام لا فرق بينهن وبين الامهات فى ذلك اصلا
ولا يحل انتهاك شى منهن بوجه ولا الدنو من جنابهن بنوع نقص لان حق النبى صلى الله عليه وسلم على امته اعظم من حق الوالد على ولده
وهو حى فى قبره هذا امر جعله الله وهو الذى اذا جعل شيا كان لان له الامر والخلق خلقه وهو العالم بما يصلحهم وما يفسدهم
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير عن ابى هريرة رضى الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا
اولى الناس به فى الدنيا والاخرة اقروا ان شيتم النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فان
ترك دينا او ضياعا فلياتنى وانا مولاه ولما رد سبحانه الاشيا الى اصولها ونهى عن التشتت والتشعب وكان من ذلك
امر التبنى وكان من المتفرع عليه الميراث بما كان قديما من الهجرة والنصرة والاخوة التى قررها صلى الله عليه وسلم لما كان الامر محتاجا
اليها وكان ذلك قد نسخ بالاية التى فى اخر الانفال وهى قبل هذه السورة ترتيبا ونزولا وكان بما ذكرها فردا داخلا فى عموم العبارة
فى تلك الاية اعادها هنا تاكيدا وتنصيصا على هذا الفرد للاهتمام به مع ما فيها من تفصيل وزيادة فقال واولوا الارحام
اى القرابات بانواع النسب من البنوة وغيرها بعضهم اولى بحق القرابة ببعض فى جميع المنافع العامة للدعوة والارث والنصر
والصلة فى كتاب الله اى قضا الذى له الامر كله ولا امر لاحد معه وحكمه كما تقدم فى كتابكم هذا وكما اشار اليه الحديث الماضى
انفا ولما بين انهم اولى بسبب القرابة بين المفضل عليه فقال من اى هم اولى بسبب القرابة من المؤمنين الانصار من غير
قرابة من جهته والمهاجرين المؤمنين من غير قرابة كذلك ولما كان المعنى اولى فى كل نفع استثنى منه على قاعدة الاستثنا من
اعم العام قوله لافتا النظم الى اسلوب الخطاب ليأخذ المخاطبون منه انهم متصفون بالرسوخ فى الايمان الذى مضى ما دل عليه
فى اية الاولوية من التعبير بالوصف فيحثهم ذلك على فعل المعروف الا ان تفعلوا اى حال كونكم موصلين ومستندين الى اوليايكم
بالرفق والتبنى والحلف فى الصحة مطلقا وفى المرض من الثلث تنجيزا او وصية معروفا تنفعونهم به فيكون حينئذ
ذلك الولى مستحقا لذلك ولا يكون ذو الرحم اولى منه بل لا وصية لوارث ولما اخبر ان هذا الحكم فى كتاب الله اعاد التنبيه
على ذلك تاكيدا فلعا لهذا الحكم الذى تقرر فى الاذهان بتقرير سبحانه فيما مضى فقال مستانفا كان ذلك اى الحكم العظيم فى
الكتاب اى القران فى اخر سورة الانفال مسطورا بعبارة تعمه قال الاصبهانى وقيل فى التوراة لان فى التوراة اذا نزل
رجل بقوم من اهل دينه فعليهم ان يكرموه ويواسوه وميراثه لذوى قرابته فالاية من الاحتباك اثبت وصف الايمان اولا دليلا
على حذفه ثانيا ووصف الهجرة ثانيا دليلا على حذف النصرة اولا ولما كان نقض العوايد وتغيير المالوفات مما يشق كثيرا
على النفوس ويفرق المجتمعين ويقطع بين المتواصلين ويباعد بين المتقاربين قال مذكرا له صلى الله عليه وسلم بما اخذ على من قبله
من نسخ اديانهم بدينه وتغيير ما لوفاتهم بالفه ومن نصيحة قومهم بلاغهم كلما ارسلوا به صارفا القول الى مظهر العظمة لانه
ادعى الى قبول الاوامر واذ تعلم ان التقدير اذكر ذلك اى ما سطرناه لك قبل هذا فى كتابك واذكر اذ اخذنا بعظمتنا من
النبيين ميثاقهم فى تبليغ الرسالة فى المنشط والمكره وفى نصر بعضهم لبعض وفى اتباعك فيما اخبرناك به فى قولنا لما اتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقولهم اقررنا ولما ذكر ما اخذ على جميع الانبيا من
العهد فى تغيير ما لوفاتهم الى ما يامرهم سبحانه به من ابلاغ ما يوحى اليهم والعمل بمقتضاه ذكر ما اخذ عليه من العهد فى التبليغ
فقال ومنك اى فى قولنا فى هذه السورة اتق الله واتبع ما يوحى اليك وفى المايدة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان
لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فلا تهتم بمراعاة عدو ولا خليل حقير ولا جليل ولما تم المراد اجمالا

دعوها

عموما وخصه صلى الله عليه وسلم من ذلك العموم مبتديا به بيانا لتشريفه ولانه المقصود بالذات بالامر بالتقوى واتباع الوحى
لاجل التبنى وغيره اتبعه بقية اولى العزم الذين هم اصحاب الكتب ومشاهير ارباب الشرايع تاكيدا للامر وتعظيما للمقام لان من
علم له شريكا فى امر اجتهد فى سبقه فيه ورتبهم على ترتيبهم فى الزمان لانه لم يقصد المفاضلة بينهم بل المناسبة بالمتقدمين والمتاخرين
فقال ومن نوح اول الرسل الى المخالفين وابرهيم ابى الانبيا وموسى اول اصحاب الكتب من انبيا بنى اسرايل وعيسى بن مريم
خاتمهم نسبة الى امه منادا على من ضل فيه بالتوبيخ والتسجيل بالفضيحة ثم زاد فى تاكيد الامر وتعظيمه تعظيما للموثوق فيه
واشارة الى مشقته فقال مؤكدا باعادة العامل ومظهر العظمة لصعوبة الرجوع عن المالوف واخذنا منهم اى بعظمتنا فى ذلك
ميثاقا غليظا استعارة من وصف الاجرام العظام كناية عن انه لا يمكن قطعه لمن اراد الوصلة بنا ولما كان الاخذ
على النبيين فى ذلك اخذا على اممهم وكان الكفر معه باعليه من غير شرط والطاعة مثابا عليها بشرط الاخلاص علله معبرا
بما هو مقصود السورة فقال ملتفتا الى مقام الغيبة لتعظيم الهيبة لان الخطاب اذا طال استانس المخاطب ليسال
اى يوم القيامة الصادقين اى بالوفا بالعهد عن صدقهم هل هو لله خالصا او لا تشريفا لهم واهانة وتبكيتا للكاذبين
ويسال الكافرين عن كفرهم ما الذى حملهم عليه والحال انه اعد للصادقين ثوابا عظيما واعد للكافرين اى الساترين لاشراق
انوار الميثاق عذابا اليما فالاية من محاسن رياض الاحتباك وانما صرح بسوال الصادق بشارة له بتشريفه فى ذلك
الموقف العظيم وطوى سوال الكفار اشارة الى استهانتهم بفضيحة الكذب ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فيحلفون له
كما يحلفون لكم وذكر ما هو انكى لهم ولما اكد سبحانه وجوب الصدع بكل امر وان عظمت مشقته وزادت حرقته
من غير ركون الى موالف موافق ولا اهتمام بمخالف مشاقق اعتمادا على تدبيره وعظيم امره فى تعذيبه ذكرهم بدليل شهودى
على عظم ذلك بعمهم فى حروبهم واشد ما دهمهم من كروبهم فقال معلما ان المقصود بالذات بما مضى من الحرام الامة وانما
وجه الامر الى الامام ليكون ادعى لهم الى الامتثال فان الامر للنبى صلى الله عليه وسلم تكوينى بمنزلة ما يقول الله تعالى له كن
لحقيقة الارادة لا للامر والامر للذين امنوا تكليفى وقد يراد منهم ما يؤمرون به وقد لا يراد وللناس احتجاج اى تقام به
عليهم الحجة ومن المحقق ان بعضهم يراد منه خلاف المامور به يا ايها الذين امنوا اى اقروا بالايمان عبر به ليعم المنافقين
اذكروا ورغبهم فى الشكر بحى بذكر الاحسان والتصريح بذكر الاسم الاعظم فقال نعمة الله عبر بها لانها المقصودة بالذات
والمراد انعام الملك الاعلى الذى لا كفؤ له عليكم اى لتشكروه عليها بالنفوذ لامره غير ملتفتين الى خلاف احد كاينا من كان
فان الله كافيكم كل ما تخافون ثم ذكرهم وقت تلك النعمة زيادة فى تصويرها ليذكرهم ما كان فيه منها فقال اذ اى حين
جاتكم اى فى غزوة الخندق حين اجتمعت عليكم الاحزاب وكان النبى صلى الله عليه وسلم ضربه حين سمع بهم بمشورة سلمان الفارسى
رضى الله عنه على جانبى سلع من شماليه وخطه وقطع لكل عشرة رجال اربعين ذراعا وكانوا ثلاثة الاف فكان الخندق
اثنى عشر الف ذراع جنود وهم الاحزاب من قريش ومن انضم اليهم من الاحابيش فى اربعة الاف يقودهم ابو سفيان بن حرب
ومن انضم اليهم من قبايل العرب من بنى سليم يقودهم ابو الاعور ومن بنى عامر يقودهم عامر بن الطفيل ومن غطفان يقودهم
عيينة بن حصن ومن بنى اسد يقودهم طليحة بن خويلد ومن اسباط بنى اسرايل من اليهود من بنى النضير ورؤساوهم حيى بن
اخطب وابنا ابى الحقيق وهم الذين جمعوا الاحزاب بسبب اجلاء النبى صلى الله عليه وسلم لبنى النضير من المدينة الشريفة
وانضم اليها بنى قريظة وكانوا بالمدينة الشريفة وسيدهم كعب بن اسد فكان الجميع اثنى عشر الفا وكانوا واثقين فى
زعمهم بانهم لا يرجعون وتدع للاسلام باقية ولا يبلون لاحد من اهله منهم واقية ولما كان نجى الجنود مرهبا سبب
عنه عودة الى مظهر العظمة فقال فارسلنا اى تسبب عن ذلك انا لما راينا عجزكم عن مقابلتهم ومقاومتهم فى مقابلتهم
المحناكم عمل الخندق ليمنعهم من سهولة الوصول اليكم ثم لما طال مقامهم ارسلنا بما لنا من العظمة عليهم اى خاصة ريحا
وهى ريح الصبا فاطفات نيرانهم واكفات قدورهم وجفانهم وسفت التراب فى وجوههم ورمتهم بالحجارة وهدمت خيامهم
واوهنت ببردها عظامهم واجالت خيلهم وجنودا لم تروها يصح ان تكون اليدوية بحربيه وقلبيه منهما من البشر
نعيم بن مسعود الغطفانى هداه الله للاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال انه لم يعلم احد باسلامى فمرنى يا
رسول الله بامرك فقال انما انت فينا رجل واحد والحرب خدعة فخذل عنا مهما استطعت فاخلف بين اليهود
وبين العرب بان قال لليهود وكانوا اصحابه ان هؤلاء يعنى العرب ان راوا فرصة انتهزوها والا انشمروا الى بلادهم
راجعين وليس حالكم كحالهم البلد بلدكم وبه اموالكم ونساوكم وابناوكم فلا تقاتلوا معهم حتى تاخذوا منهم رهنا
من اشرافهم ليكونوا عندكم حتى تناجزوا الرجل فانه ليس لكم به طاقة اذا انفرد بكم فقالوا اشرت بالراى فقال اكتموا
عنى وقال للقرشيين قد علمتم صحبتى لكم وقد بلغنى امر ما اظن انكم تتهمونى فيه فقالوا ما انت عندنا بمتهم قال
فاكتموا عنى قالوا نفعل قال ان اليهود قد ندموا على نقض ما بينهم وبين محمد وارسلوا اليه انا قد ندمنا فهل ينفعنا عندك

ان يأخذ لك من القوم جماعة من اشرافهم تضرب اعناقهم ونكون معك على بقيتهم حتى نفرغ منهم لتكف عنا وتعيد لنا الامان قال
نعم فان ارسلوا اليكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ثم اتى غطفان فقال انكم اصلي وعشيرتي واحب الناس الي فقالوا صدقت ثم قال لهم مثل
ما قال لقريش واستكتمهم فارسلت اليهم قريظة يطلبون منهم رهنا فقالوا صدق نعيم وابوا ان يدفعوا اليهم احدا فقالت
قريظة صدق نعيم فتخاذلوا واختلفت كلمتهم فانكسرت شوكتهم وبردت حدتهم ومنهما من الملائكة جبريل عليه السلام ومن اراد
الله منهم على جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام فكبروا في نواحي عسكرهم وزلزلوا بهم وبثوا الرعب في قلوبهم
فماج خيولهم واضمحل قتالهم وقتلهم فكان في ذلك رحيلهم بعد نحو اربعين يوما او بضع وعشرين على ما قيل ولما اجمل
سبحانه القصة على طولها في بعض هذه الآية فصلها فقال ذاكرا الاسم الاعظم اشارة الى ان ما وقع فيها كان يعتنى به اعتناء
من بذل جميع الجهد وان كان الكل عليه سبحانه يسيرا وكان الله الذي له جميع صفات الجلال والجمال بما يعملون اي الاحزاب
من التحزب والتجمع والتألب والمكر والقصد السيء على قراءة البصري وانتم ايها المسلمون من حفر الخندق وغيره من الصدق
في الايمان وغيره على قراءة الباقين بصيرا بالغ الابصار والعلم فدبر في هذه الحرب ما كان المسلمون به الاعلين ولم تنفع اهل
الشرك قوتهم ولا اغنت عنهم كثرتهم ولا ضر المؤمنين قلتهم وجعلنا ذلك سببا لاغنائهم باموال بني قريظة ونسائهم وابنائهم
وشفاء لدوائهم باراقة دمائهم كما سياتي ثم ذكرهم الشدة التي حصلت بتمالئهم فقال مبدلا من اذ الاولى اذ جاؤكم اي الجنود
المذكورون باديا بالاقرب اليهم لان الاقرب ابصر بالعورة واخبر بالمضرة ولما كان من المعلوم انهم لم يطبقوا
ما علا وما سفل ادخل اداة التبعيض فقال من فوقكم يعني بني قريظة واسد وغطفان من ناحية مصب السيول من المشرق
واضاف الفوق الى ضميرهم لان القتال كانوا في الاطام وهي بين بني قريظة وبين من في الخندق فصاروا فوق القتال والاكن
ولما كان المراد الفوقية من جهة علو الارض وضحها بقوله ومن اسفل منكم دون ان يقول اسفلكم وافاد ذلك
ايضا ان من في الاسفل انما احاطوا ببعض جهة الرجال فقط ولم يقل ومن تحتكم لئلا يظن انه فوق الرؤس وتحت الارجل
ولم يقل في الاول من اعلى منكم لئلا يكون فيه وصف للكفرة بالعلو واسفل ارض المدينة من ناحية المغرب يعني قريشا ومن انضم اليها
من كنانة فان طريقهم من تلك الجهة ولما ذكرهم بالمجيء الذي هو سبب الخوف ذكرهم بالخوف بذكر طرفيه ايضا معبرا
لامرهم بالعطف فقال واذ اي واذكروا حين وانث الفعل وما عطف عليه لان التذكير الذي يدور معناه على القوة والعلو
والملائمة ينافي التزيغ فقال زاغت الابصار اي مالت عن سداد القصد فعل الواله الجزع بما حصل من الغفلة الناشئة عن
الدهشة الحاصلة من الرعب وقطع ذلك عن الاضافة الى كاف الخطاب ابقاء عليهم وتعليما للادب في المخاطبة وبلغت
القلوب كناية عن شدة الرعب والخفقان ويجوز وهو الاقرب ان يكون ذلك حقيقة بجذب الطحال والرئة لها عند ذلك بانتفاخهما
الى اعلى الصدر ومنه قولهم للجبان انتفخ سحره اي رئته الحناجر جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم ومن هذا قول النبي صلى الله عليه
وسلم فيما رواه احمد وابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه شر ما في الانسان جبن خالع اي يخلع القلب من مكانه وجمع الكثرة اشارة
الى ان ذلك عمهم او كاد ولما كانت هذه حالة عرضت ثم كان من امرها انها اما زالت او ثبتت الى انقضاء الامر عبر عنها
بالماضي لذلك وتحقيقا لها ولما نشا عنها تقلب القلوب وتجدد ذهاب الافكار كل مذهب عبر بالمضارع الدال على
دوام التجدد فقال وتظنون بالله الذي له صفات الكمال فلا يلم نقص ما بساحة عظمته ولا يدنو شيء من عيب الى جناب عزته
الظنونا اي انواع الظن اما بالنسبة الى الاشخاص فواضح وذلك بحسب قوة الايمان وضعفه واما بالنسبة الى الشخص الواحد
فبحسب تغير الاحوال فتارة يظن الهلاك للضعف وتارة النجاة لان الله قادر على ذلك ويظن المنافقون ومن قارب حالهم
من ضعفاء القلوب ما حكى الله عنهم قال الرازي في اللوامع ويروى ان المسلمين قالوا بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء نقول
فقال عليه الصلاة والسلام اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وزيادة الالف في قراءة من اثبتها في الحالين وهم المدنيان
وابن عامر وشعبة اشارة الى اتساع هذه الافكار وتشعب تلك الخواطر وعند من اثبتها في الوقف دون الوصل وهم
ابن كثير والكسائي وحفص اشارة الى ان اختلافها كان تارة بالقوة وتارة بالضعف ولما كانت الشدة في الحقيقة انما
هي للثابت لانه ما عنده الا الهلاك او النصر واما المنافق فيلقي السلم ويدخل دائرة الذل بالموافقة على جميع ما يراد منه
ترجم حال المؤمنين قاصرا الخطاب على الرأس لئلا يدخل في مضمون الخبر اعلاما بان منصبه الشريف اجل من ان يبتلى فقال تعالى
هنالك اي في ذلك الوقت العظيم البعيد الرتبة ابتلي المؤمنون اي خولط الراسخون في الايمان بما شأنه ان يحيل ما خالطه
ويميله وبناه للمجهول لما كان المقصود انما هو معرفة المخلص من غيره مع العلم بان فاعل ذلك هو الذي له الامر كله ولم يؤكد
الابتلاء بشيء لدلالة الافتعال عليه وصرف الكلام عن الخطاب مع ما تقدم من فوائده وعبر بالوصف ليخص الراسخين فقال
وزلزلوا اي حركوا ودفعوا واقلقوا وازعجوا بما يرون من الاهوال بتظافر الاعداء مع الكثرة وتظاهر الاراجيف زلزالا شديدا
فثبتوا بتثبيت الله لهم على عهدهم ولما علم بهذا ان الحال المزلزل لهم كان في غاية الهول اشار الى انه لم يزلزلهم

بان

بان حكى اقوال المزلزلين ولم يذكر اقوالهم وسيذكرها بعد ليكون الثناء عليهم بالثبات مع عظيم الزلزال مذكورا مرتين اشارة
وعبارة فقال واذ واشار الى تكررهم لدليل النفاق بالمضارع فقال يقول اي مرة بعد اخرى المنافقون اي الراسخون في
النفاق لان قلوبهم مريضة ملاى مرضا والذين في قلوبهم مرض اي من امراض الاعتقاد بحيث اضعفها في الاعتقاد والثبات في
مواطن اللقاء في كل معنى جليل فهم بحيث لم يصلوا الى الجزم بالنفاق ولا الاخلاص في الايمان بل هم على حرف فعندهم نوع
نفاق فالآية من الاحتباك ذكر النفاق اولا دالا عليه ثانيا وذكر المرض ثانيا دالا عليه اولا وهذا الذي قلته في القلوب
موافق لما ذكره الامام السهروردي في الباب السادس والخمسين من عوارفه عن حذيفة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على غلافه
فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه
كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلبت عليه حكم له بها وروى هذا الحديث الشريف الغزالي في اواخر كتاب
قواعد العقائد من الاحياء عن ابي سعيد الخدري وقال الشيخ زين الدين العراقي اخرجه احمد ولما كان المكذب لهم يعتقد
وعد الله ولله الحمد كبيرا اكدوا قولهم وذكروا الاسم الاعظم واضافوا الرسول اليه فقالوا ما وعدنا الله الذي ذكرتنا
انه محيط بالجلال والجمال ورسوله اي الذي قال من قومنا انه رسول استهزاء منهم واقامة للدليل في زعمهم بهذا
البلاء على بطلان تلك الدعوى الا غرورا اي باطلا استدرجنا به الى الاقلاع عما كنا عليه من دين ابائنا والى الثبات على امرنا
الله بعد ذلك الاقلاع بما وعدنا به من ظهور هذا الدين على الدين كله والتمكن في البلاد حتى في حفر الخندق فانه قال
انه ابصر بما برق له في ضربه الصخرة سلمان مدينة صنعاء من اليمن وقصور كسرى الحيرة من ارض فارس وقصور الشام من ارض الروم
وان تابعيه سيظهرون على ذلك كله وقد صدق الله وعده في جميع ذلك حتى في لبس سراقة بن مالك بن جعشم سواري كسرى
ابن هرمز كما هو مذكور مستوفى في دلائل النبوة وكذبوا في شكهم فنفذ المصدوق وخاب الذين هم في ريبهم يترددون ولما
ذكر ما هو الاصل في نفاقهم وهو التكذيب اتبعه ما تفرع عليه ولما كان تخذيلهم بالترجيع مرة عبر عنه بالماضي فقال واذ
قالت انث الفعل اشارة الى رخاوتهم وتناهيهم في الاقوال والافعال طائفة منهم اي قوم كثير من موتى القلوب ومرضاها
يطوف بعضهم ببعض يا اهل يثرب عدلوا عن الاسم الذي سماها به النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وطيبة مع حسنه
الى الاسم الذي كانت تدعى به قديما مع احتمال قبحه باشتقاقه من الثرب الذي هو اللوم والتعنيف اظهارا للعدول
عن الاسلام قال في الجمع بين العباب والمحكم ثرب عليه ثربا واثرب بمعنى ثرب تثريبا اذا لامه وعيره بذنبه وذكره به واكدوا
بنفي الجنس لكثرة مخالفهم في ذلك فقالوا لا مقام لكم اي قياما او موضع قيام تقومون به على قراءة الجماعة بالفتح وعلى قراءة حفص
بالضم المعنى لا اقامة او موضع اقامة في مكان القتال ومقارعة الابطال فارجعوا الى منازلكم هرابا وكونوا مع نسائكم
ادناتا او الى دينكم الاول على وجه المصارحة لتكون لكم عند هذه الجنود يد ولما ذكر هؤلاء الذين هتكوا الستر وبينوا
ما هم فيه من سفول الامر اتبعهم اخرين تستروا بعض التستر تمسكا باذيال النفاق خوفا من اهوال الشقاق فقال ويستا
اي يجدد كل وقت طلب الاذن لاجل الرجوع الى البيوت والكون مع النساء فريق منهم اي طائفة شانها الفرقة النبي
وتذرا وامامه من علو المقدار بما له من حسن الخلق والخلق وما لديه من جلالة الشمايل وكريم الخصايل ولم يخجلوا من انباء
نبائه بالاخبار والاظهار بما له الحث من مكنون الضماير وخفي الاسرار حال كونهم يقولون اي في كل قليل مؤكدين لعلمهم
بكذبهم وتكذيب المؤمنين لهم قولهم ان بيوتنا اتوا بجمع الكثرة اشارة الى كثرة اصحابهم من المنافقين عورة اي بها خلل
كبير يمكن من اراد من الاحزاب ان يدخلها منه فاذا ذهبنا اليها حفظناها منهم وكفينا من يأتي الينا من مفسديهم حمايته
للدين وذبا عن الاهلين ولما قالوا ذلك مؤكدين له رده الله تعالى مؤكدا لرده مبينا لما ارادوا فقال وما اي
والحال انها ما هي في ذلك الوقت الذي قالوا فيه هذا واكد النفي فقال بعورة ولا يريدون بذهابهم حمايتها ان اي ما يريدون
باستئذانهم الا فرارا ولما كانت عنايتهم متشككة بملازمة دورهم فاظهروا اشتداد العناية بحمايتها زورا
بين الله ذلك ودل عليه بالاسناد الى الدور وتبنيتها على انها رتبة الجملة والعمدة فقال ولو دخلت اي بيوتهم من اي داخل
كان من هؤلاء الاحزاب وغيرهم وانث الفعل نصا على المراد واشارة الى ان ما ينسب اليهم جدير بالضعف وعبر باداة
الاستعلاء فقال عليهم اشارة الى انه دخول غلبة من اقطارها اي جوانبها كلها بحيث لا يكون لهم مكان للهرب ولما
كان قصد العار مع الاحاطة بالدار من جميع الاقطار دون الاستقتال للدفع عن الاهل والمال بعيدا عن افعال الكرام
عبر عنه باداة التراخي فقال ثم سئلوا من اي سائل كان الفتنة اي الخروج منها فارين وكانه سماه لانه لما كان
اشد الفتنة من حيث انه لا يخرج الانسان من بيته الا الموت او ما يقاربه كان كانه لا فتنة سواه لاتوها اي الفتنة بالخروج
فرارا اجابة لسؤال من سألهم مع غلبة الظن بالدخول على صيغة الاحاطة ان الانجاة فيه ابدا يعولون على الفرار من غير قتال حمايته

ها

ذن

ن

لذمارا ودفعا للعار اودنا عن اهل او جار وهذا المعنى ينتظم قراءة اهل الحجاز بالقصر وغيرهم بالمد فان من اجاب الى الفرار فقد
اعطى ما كانه كان في يده منه غلبة وجبنا وتحاه وثقله ولما كان هذا عند العرب مع ما لهم من النجدة والخوف
من الشبه لا يكاد يصدق اشار الى ذلك بتاكيد في زيادة تصويرهم فقال وما تلبثوا بها اي البيوت الا يسيرا وفضح بهذا انهم
لا يقصدون الا الفرار لا لحفظ البيوت من الفساد ويدلك على هذا المعنى اتباعه بقوله مؤكدا لاجل ما لهم من الانكار والحلف في الكذب
ولقد كانوا اي هؤلاء الذين اسرعوا الاجابة الى الفرار مع الدخول عليهم على تلك الصفة من سبي حريمهم واجتياح بيضتهم عاهدوا
الله اي الذي لا اجل منه ولما كان العهد ربما طال زمنه فنسي فكان ذلك عذرا لصاحبه بين قرب زمنه بعد بيان عظمه المعاهد
اللازم منه ذكره فقال مثبتا الجار من قبل اي قبل هذه الحالة وهذه الغزوة حين اعجبتهم المواعيد الصادقة بالفتوحات التي سموها
الآن عنه ما جد الجد مما هي مشروطة بهم من الجهاد غرورا لا يولون اي يقربون عدوهم الادبار اي ادبار ابد الشيء من الاشياء ولا
يكون لهم عمل اذا حمي الباس وتخالط الناس واحمرت الحدق وتداعت الرجال وتعانق الحماة الابطال الا الظفر او الموت ولما
كان الانسان قد يتهاون بالعهد لاعراض المعاهد عنه قال وكان عهد الله اي الوفاء بعهد من هو محيط بصفات الكمال في
ولما كان العهد فضلة في الكلام لكونه مفعولا واشتدت العناية به هنا بين ذلك بتقديمه او لانه بجعله العمدة واسناد
الفعل له ثانيا فقال مسئولا اي ان يوفي به ذلك الذي وقع منه ولما امر سبحانه ما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم
كما دل عليه التعبير بالنبي استانف امره بجوابهم جوابا بالمكاشفة فقال ماذا يقال لهم واجراء للنصيحة على لسانه لما هو مجبول عليه
من الشفقة قل اي لهم واكد لظنهم نفع الفرار لن ينفعكم اي في تاخير اجالكم في وقت من الاوقات الفرار اي الذي ما كان
استبد انكم الا بسببه ان فررتم من الموت اي بغير عدو او القتل لان الاجل ان كان قد حضر لم يتاخر بالفرار والا لم
يعصم الثبات كما كان علي رضي الله عنه يقول اذا ادلهم الامر وتوقد الجمر واشتد من الحرب الحر
اي يومي من الموت افر يوم لا يقدر او يوم قدر
وذلك ان اجل الله الذي اجله محيط بالانسان لا يقدر ان يتعداه اصلا واذا اي واذا فررتم ولما كانوا لا يقصدون
بالعيش الا التمتع بين ذلك بالبنا للمجهول فقال لا تمتعون اي تمتعا تبالغون فيه كما تريدون بما بقي من اعماركم ان كان بقي منها شيء الا
قليلا بل يتمكن العدو منكم بادباركم ومن اموالكم واحسابكم ودياركم فيفسد بها قدر علته من ذلك فلا تقدرون على تداركه
الا بعد زمان طويل وتعب كبير بخلاف ما اذا ثبتم وفاء بالعهد وحفظا للثنا فلاقيتم الاقران وقارعتم الفرسان اعتمادا
على ربكم وطاعة لنبيكم فانه ان كان الاجل قد اتى لم ينقصكم ذلك شيئا ومتم اعزة كراما والا فزتم بالنصر وحزتم الاجر وعشتم
باتم نعمة الى تمام العمر فالثبات ابقى للمهج واحفظ للعيش البهج ولما كانوا لما عندهم من التقيد بالوهم والدود
مع الجبن داب البهائم جديرين بان يقولوا بلى ينفعنا لانا طال ما راينا من هرب فسلم ومن ثبت فاصطلم امره بالجواب عن هذا بقوله
قل اي لهم منكرا عليهم من ذا الذي يعصمكم اي يمنعكم من الله المحيط بكل شيء قدرة وعلما قبل الفرار وفي حال الفرار وبعده
ان اراد بكم سوءا فاناخ بكم نقمته فيرد ذلك السوء عنكم او يمنعكم ويتيح جانبكم ويمنعه بان يصيبكم بسوء ان
اراد بكم رحمة فاصابكم بما يسركم فاناكم نعمة والرحمة النفع سماه بها لانه اثرها فبينوا هذا المعنى على مقاييس عقولكم
معتبرين لكم بما وجدتم من التقلبين في جميع اعماركم هل احترزتم عن سوء اراده فنفعكم الاحتراز او اجتهدتم في منعكم رحمة
منه فتم لكم امركم او اوقع الله بكم شيئا من ذلك فقدر احد مع بذل الجهد على كشفه بدون اذنه ويمكن ان تكون الاية من الاحتباك
ذكر السوء اولا دليلا على حذف ضده ثانيا وذكر الرحمة ثانيا دليلا على حذف ضدها اولا ولما كانوا اجهل الناس
اشار سبحانه بكونهم لما يبادرونهم بافهامهم الجواب بما يدل على المناب الى جمودهم بالعطف على ما علم ان تقديره جوابا من كل ذي
بصيرة لا يعصمهم احد من دونه من شيء من ذلك ولا يصيبهم بشيء منه فقال ولا يجدون اي في وقت من الاوقات لهم ونبه
على انه لا شيء الا وهو في قبضته سبحانه وانه لا احاطة لشيء غيره بشيء حتى ولا بالرتب التي دون رتبته بقوله مثبتا الجار
من دون الله وعبر بالاسم العلم اشارة الى احاطته بكل وصف جميل فمن ان يكون لغيره الالمام بشيء منها الا باذنه وليا
يواليهم فينفعهم بنوع نفع ولا نصيرا ينصرهم من امره فيرد ما اراده بهم من السوء عنهم ولما اخبرهم سبحانه
بما علم مما اوقعوه من اسرارهم وامره صلى الله عليه وسلم بوعظهم حذرهم به وامر عمله لمن يكون منهم فقال محققا معربا
من الماضي ومؤذنا بدوام هذا الوصف له قد يعلم ولعله عبر بقد التي دعا اليهم في هذه العبارة التقليل اشارة الى انه
يلقي من له ادنى عقل في الخوف من سطوة المتهدد احاطة علمه وعبر بالاسم الاعظم فقال الله اشارة الى الاحاطة بالجلال
والكمال المعوقين اي المثبطين تثبيطا نكريه وعقوق يسرعون فيه اسراع الواقع بغير اختياره منكم اي ايها الذين اقروا بالايمان
للنبي قاطبة عن اتيان حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم والقائلين لاخوانهم هلم اي ايتوا واقبلوا الينا موهمين ان جاءهم
مما يقام فيه القتال ويواظب على صالح الاعمال ولا اي والحال انهم لا يأتون الناس اي الحرب ومكانها الا قليلا للرياء والسمعة

بعدد

تقدر ما راتهم المخلصون فاذا اشتغلوا بالمعاركة وكفى كل منهم ما اليه تسللوا عنهم لواذا او عادوا وابن لا ينفعهم من الخلق عياذ
ولما كانوا يوجهون لكل من افعالهم هذه وجها صالحا بين فساد قصدهم بقوله ذاما غاية الذم بالتعبير بلفظ الشح الذي
هو التناهي في البخل فهو بخل بما في اليد وامر للغير بالبخل فهو بخل الى بخل حيث تدر مما ذا فيه مسارع اليه اشحة اي
يفعلون ما تقدم والحال ان كلا منهم شحيح عليكم اي بحصول نفع منهم او من غيرهم بنفس او مال ولما كان التقدير في حال
الامن اتبعه بيان حالهم في الخوف فقال فاذا جاء الخوف اي لمجي اسبابه من الحرب ومقدماتها رايتهم اي ايها المخاطب
ينظرون وبين بعدهم حسا ومعنى بحرف الغاية فقال اليك اي حال كونهم تدور يمينا وشمالا بادارة الطرف
اعينهم اي تابعة رعبا وخورا ثم شبهها في سرعة تقلبها لغير قصد صحيح فقال كالذي اي كدوران عين الذي وبين شدة
العناية بتصوير ذلك بجعل المفعول اعلى ببناء الفعل له فقال يغشى عليه مبتديا غشيانه من الموت سنة الله في ان
كل من عامل الناس بالخداع كان قليل الثبات عند القراع ثم ذكر خاصة اخرى لبيان جبنهم فقال فاذا ذهب الخوف
اي بذهاب اسبابه من الحرب ومقدماتها سلقوكم اي تناولوكم
تناولا صعبا جراة ووقاحة ناسين ما وقع منهم عن قرب من الجبن والخور بالسنة حداد ذربة قاطعة فصيحة بعد
ان كانت عند الخوف في غاية اللجلجة لا تقدر على الحركة من قلة الريق ويبس الشفاه وهذا الطلب لعرض الفاني من الغنيمة
او غيرها ثم بين المراد بقوله اشحة اي شحا مستعليا على الخير اي المال الذي عندهم وفي اعتقادهم انه لا خير غيره شحا
لا يريدون ان يصل شيء منه اليكم ولا يفوتهم شيء منه وهذه سنة اخرى في ان من كان صلبا في الرخا كان رخوا حال الشدة
وعند اللقا واعاد فيرد الشح بهذا لان مادته بترجيحها تدور على الجمع الذي انتهى فاشرف على الفساد من الحشيش والحمية
وبني لذي هو جمع يتبعه في الاغلب نكد واذى من لوازم مطلق الجمع القوة فيتبعها الصلابة فربما نشات القساوة
وربما نشا عن الجمع العرقة فلزمتها الرخاوة فمن الجمع النكد الشح وهو البخل والحرص وشح النفس حرصها على ما ملكت قال
الفرار وجمع الشحيح في اقل العدد اشحة ولم اسمع غيره وحكى ابو يوسف اشحا بالمد في الكثير والرجلان يتشاحان عن
عن الامر اذا كان كل منهما يريد ان لا يفوته وزند شحاح لا يوري وما شحاح نكد عسر وعر ولانه اشتد اجتماعه في مكانه
واشتدت ارضه باجتماع اجزائها فصلبت جدا فضنت به وارض شحاح صلبة قال الفرا زوبة شبه الزند والشحاح
الجاد والسيء الخلق والماضي في كلام او سير والمواظب على الشيء لان ذلك من لوازم الجمع الناشئة عن القوة الناشئة
عن الجمع ومن هنا قيل للخطيب البليغ والشجاع والغيور شحشح وشحشاح والشحشح من الغربان الكبير الصوت ومن الحمير
الخفيف ومن القطا السريعة والشحشاح الطويل كانه جمع طولين وشحشح البعير في الهدير اذا لم يخلصه كانه جمع
الى الهدير ما ليس بهدير والشحشحة صوت الصرد لكثرة اتصالها فهي ترجع الى الحدة التي ترجع الى القوة الناشئة عن
الجمع وترديد البعير في الهدير والطيران السريع والحذر فانه يدل على اجتماع القلب وثقوب الذهن وامراة شحشاح
كانها رجل في قوتها والشحشح كسلسل القليل الخير وابل شحايح قليلة الدر وذلك من الجمع والصلابة الناشئة عن
القساوة والنكد والشحشح من الارض ما يسيل من ادنى مطر لصلابتها وشدة اجتماع بعضها الى بعض والشحشح ايضا من الارض
ما لا يسيل الا من مطر كثير ضد للاول وذلك ناظر الى جمعها المطر لعودة فيها لما في اجزائها من التفرق الذي تقدم
انه من لوازم الجمع ومن مطلق الجمع الفلاة الواسعة لانها جامعة لما يرد جمعه والشحاح شعاب صغار تدفع الماء
الى الوادي فهي بعدها جامعة وبكونها صغارا نكدة ومجتمعة في نفسها ومن الجمع الحشيش وهو اليابس من العشب واصله
ما جمع منه والمحش الموضع الكثير الحشيش والحير لا بالجمع ربما نشا عنه رفق وكثرة الحشيش يلزمها الرفق بعلفه
للدواب وتكون ارضه طيبة ومنه حش الحشيش قطعه وفلانا اصلح من حاله والمال لكثرة وزينه اليه او بعيرا اعطاه
اياه والحش بالفتح المخرج والمحشة الدبر والحش البستان ذو النخل المجتمع سمي الخلاء لان العرب كانت تقضي الحاجة فيه
وحش طلحة وحش كوكب موضعان بالمدينة وحش الولد في البطن يبس واحشت المراة فهي محش اذا يبس الولد في جوفها
والحش بالضم الولد الهالك في البطن وحششت الفرس جمعت له الحشيش واحششت الرجل اعنته على جمع الحشيش والحاني
بالكسر الجوالق فيه الحشيش واحش الكلا امكن لان يحش والمستحشة من النوق التي عدت اوظفتها اي ما فوق رسغها
الى ساقيها وذلك من عظمها وكثرة لحمها واستحش الغصن طال كانه جمع طولين وصار يحتاج بجمع ودقا كبيرا واستحش
ساعدها كفها اي عظم حتى صغرت الكف عنه والحق الحش بالاش اي الشيء بالشيء وحش الودي من النخل يبس ومن الجمع
حش الصيد جمعه من جانبيه والفرس الغي له حشيشا قال الفرا وهو يبيس الكلا واصله ما جمع ومنه احنك وترشي
يضرب لمن اسا الى من احسن اليه ومرت الابل تحش الارض اي تجمع الحشيش وقيل هو سرعة مرها وفيه مع كثرة الجمع للخطا
يتقارب بها معنى الجمع ومنه حش الفرس اسرع ومن الاسراف على الفساد الحش بالفتح وهو النخل الناقص القصير ليس يسقى ولا

معمور والحشاشة رمق النفس بقا لها بقي من فلان الاحشاشة اي رمق يسير يحيى به وعبارة القاموس والحشاش والحشاشة بقية الروح في المريض والجريح فهذا ابين في الاشراف على الفساد كما تقدم وهو ايضا من العرفة التي قد تلزم الجمع ومنه تحشحشوا اي تفرقوا ومنه الاستحشاش وهو قلة القوم ومن الحث الناشئة عن القوة الناشئة عن الجمع حششت النار اي اوقدتها وجمعت الحطب اليها وكل ما قوي بشيء فقد حش به والمحش حديدة توقد بها النار اي تحرك والشجاع قال القزاز وهو محش حرب اذا كان يسعرها بشجاعته وحش فلان الحرب اذا هيجها ومنه قال القزاز ومنه محش حرب تحشحشوا اي تحركوا ومن مطلق الجمع احششته عن حاجته اعجلته عنها ومن الجمع والقوة حش سهمه بالقذذ اذا راشه فالزقها من نواحيه وحشاشاك ان تفعل كذا اي قصاراك اي نهايته جمعك لكل ما تقوى به وحشا شا كل شيء جانباه والحشة بالضم القبة العظيمة لكثرة جمعها وقوة تراصها ولما صفتهم سبحانه بهذه الدنايا اخبر بان اساسها وكلها الذي نشأ عنه الوثوق بالله لعدم الايمان فقال اولئك اي البعضاء البعداء الذين حط امرهم الدنيا لم يؤمنوا اي لم يوجد منهم ايمان بقلوبهم وان اقرت به السنتهم ولما كان العمل لا يصح بدون الايمان سبب عن ذلك قوله فاحبط الله اي بجلاله وتفرده في كبريائه وكماله اعمالهم اي ابطل ارواحها فصارت اجسادا لا ارواح لها فلا تنفع لهم بشيء منها لانها كانت في الدنيا صورا مجردة عن الارواح التي هي المقصود الصالحة فانهم لا قصد لهم بها الا التوصل الى الاغراض الدنيوية وهذا اعلام بان من كانت الدنيا اكبر همه فهو غير مؤمن وانه يكون خوارا عند الهزاهز ميلا الا الى دنايا السجايا والغرائز ولما كان من عمل عملا لم يفد غيره وان كان اعظم منه ان يبطل نفعه به الا بغير سند قال تعالى وكان ذلك اي الاحباط العظيم مع ما لهم من الجرءة في الطلب والالحاح عند السؤال وقلة الادب على الله تعالى لما له من صفات العظمة التي تخشع لها الاصوات وتخرس الالسن لذربات يسيرا لانه لا نفع الا منه وهو الواحد القهار واما غيره فانما عسر عليه ذلك لان النفع من غيره وان كان منه فهو عنده بالشفاعات ووجوه النكر او غيرها عليه وكانهم لما ذهب اسمهم واخاصمين لم يطلقوا السنتهم ولا اعلوا كلمتهم فاخبر تعالى تحقيقا لقوله الماضي في جبنهم ان المانع الذي ذكره لم يزل من عندهم لفرط جبنهم فقال تحقيقا لذلك وجوابا لمن ربما قال قد ذهب الخوف فما لهم ما سلقوا يحسبون اي يظنون لضعف عقولهم في هذا الحال وقد ذهب الخوف لشدة جبنهم وما رسخ عندهم من الخوف الاحزاب وقد علمتم انهم ذهبوا لم يذهبوا بل غابوا لحدا غا وعبر بالحسبان لانه كما مضى عن الحرالي في البقرة ما تقع غلبته فيما هو من نوع ما فطر الانسان عليه واستقر عادة له والظن فيما هو من المعلوم الماخوذ بالدليل والعلم قال فكان ضعف علم العامل ظن وضعف عقل العاقل حسبان ولما اخبر عن حالهم في ذهابهم اخبر عن حالهم لو وقع ما يتخوفونه من رجوعهم فقال معبرا باداة الشك بشارة لاهل البصائر بانه في عداد المحال وان يات الاحزاب اي بعدما ذهبوا يودوا اي يتجدد لهم غاية الرغبة من الجبن وشدة الخوف لو انهم بادون اي فاعلون للبدو وهو الاقامة في البادية على حالة الحل والارتحال في الاعراب الذين هم عندهم في محل نقص وممن تكره مخالطته ولو كان تمنيهم هذا في ذلك الحين محالا لانه ذكر فاعلا بادون فقال يسالون كل وقت عن انبائكم العظيمة معهم حربا على ما هم عليه من النفاق ليستفوا الخبر عندكم وجنا كانهم مهتمون بكم يظهرون بذلك التحرق على غيبتهم عن هذه الحرب او ليجهروا عنبتهم ويظهروا انهم كانوا ابينكم في الحرب بامارة انه وقع لكم في وقت كذا ومكان كذا كذا ويكابروا على ذلك من غير استحياء لان النفاق صار لهم خلقا لا ينفكون عنه ويرشد الى هذا المعنى قراءة يعقوب يسالون بالتشديد ولو اي والحال انهم لو كانوا فيكم اي حاضرين لحربهم ما قاتلوا اي معكم الا قليلا نفاقا كما فعلوا قبل ذهاب الاحزاب من حضورهم معكم تارة واستئذانهم في الرجوع الى منازلهم اخرى والتعويق لغيرهم بالفعل كرة والتصريح بالقول اخرى ولما اخبر تعالى عنهم بهذه الاحوال التي هي غاية في الدناءة اقبل عليهم اقبالا لا يدا لهم على تناهي الغضب فقال مؤكدا لاحقا لاجل انكارهم لقد كان لكم ايها الناس كافة الذين المنافقون في عمارتهم في رسول الله الذي جاء عنه لا نفاذكم من كل ما يسوءكم وجلاله من جلاله المحيط بكل جلال وكماله من كماله العالي على كل كمال ومواشرف الخلائق فرضيتم مخالطة الاخلاف بدلا لكون معه اسوة اي قدوة عظيمة على قراءة عاصم بضم الهمزة وفي ادنى المراتب على قراءة الباقين بالكسر تاسون نفسكم به وهو اعلى الناس قدرا يجب على كل احد ان يفدي ظفره الشريف ولو بعينه فضلا عن ان يسوي نفسه بنفسه فيكون معه في كل امر يكون فيه لا يتخلف عنه اصلا حسنة على قراءة الجماعة بمطلق الصبر في الباساء واحسنه على قراءة عاصم بالصبر على الجراح في نفسه والاصابة في عمه واعز اهله وجميع ما كان يفعل في مقاساة الشدائد ولقاء الاقران والنصيحة لله ولنفسه وللمؤمنين وعبر عنه بوصف الرسالة لانه حظ الخلق منه ليقتدوا بافعاله واقواله ويتخلقوا باخلاقه واحواله ونبه على ان الذي يحمل على التاسي به صلى الله عليه وسلم انما هو الصدق في الايمان ولا سيما الايمان بالقيمة وان الموجب للرضى بالدنايا هو التكذيب بالاخرة فقال مبدلا من لكم لمن كان اي كونا كانه جبلة له يرجو الله اي في جبلته انه يجدد الرجاء مستمرا الذي لا اعظم في الجنة سواه فيامل اسعاده ويخشى ابعاده واليوم الاخر الذي لا بد من ايجاده ومجازاة الخلائق فيه باعمالهم فمن كان ذلك حمله رجاؤه

عدمهم

ولما عبر بالمضارع المقتضي لدوام التجدد على كل خير ومنعة عن كل شر فانه يوم التغابن لان الحياة فيه دايمة والكسر فيه لا يجبر انتج ان يقال فاسعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل شي بعد بقا اللازم منه دوام الانفاق الناشي عن المراقبة لانه في جبلته وذكر الله الذي له صفات الكمال كثيرا تحقيقا لما ذكره لما في جبلته من الرجا تعطفا عليه او على كان المقتضية للرسوخ قوله ولما اخبر عما حصل في هذه الوقعة من الشدايد من معنى الرجا الذي به الفلاح وان المراد منه الدايم في حال السراء والضراء الناشئة عن الرعب لعامة الناس وخص من بينهم المنافقين بباطنه بالملامة في ترك التاسي برعاية الله قيادتهم واعلاه عليهم في الثبات والذكر وختم هذا الختم بما يثمر الرسوخ في الدين ذكر حال الراسخين في وصافا لكمال المتاسين بالداعي المقتضي للهادي فقال عاطفا على هنالك ابتلي المؤمنون ولما راى المؤمنون اي الكاملون في الايمان الاحزاب الذين دهشت ذوي القلوب قالوا اي مع ما حصل لهم من الزلزال وتعاظم الاهوال هذا اي الذي نراه من الهول ما وعدنا من تصديق غوائله بالايمان بالبلاء والامتحان الله الذي له الامر كله ورسوله المبلغ عنه في نحو قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم احسب الناس ان يتركوا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وامثال ذلك مما المنزل بالباساء والضراء والابتلاء بالزلزال والاعداء وعدا لعلمهم بما لهم عليه عند الله ولا سيما في يوم الجزاء وما يعقبه من النصر عند اشتداد الامر ولما كان هذا معناه التصديق اذا لو اعتمد احتمال ان يكون امرا اتفاقيا وصرح به على وجه يفهم الدعاء بالنصر الموعود به في قولهم عطفا على هذا وصدق مطلقا لا بالنسبة الى مفعول معين الله الذي له صفات الكمال ورسوله الذي كماله من كماله اي ظهر صدقهما في عالم الشهادة في كل ما وعدا به من السراء والضراء ولما كان هذا رايناه وبما صادقان فيما غاب عنا مما وعدا به من نصر وغيره واظهار الاسمين للتعظيم والتيمن بذكرهما ومن ابرم قولا لا يمكن ان يكون لسانيا فقط كقول المنافقين كره لفظ المنافقين ذلك فقال سبحانه شاهدا لهم وما زادهم اي ما راوه من المرعب الا ايمانا اي بهما بجميع جوارحهم في جميع القضا والقدر وقد تقدم في قوله تعالى في سورة الفرقان ويجعل لك قصورا ما هو من شرح هذا ولما كان كل من امن بايعا نفسه وماله لله لان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وكان بعض الراسخين في الايمان لم يعط الايمان حقه في القتال في نفسه وماله كما فعل ابو بكر رضي الله عنه اما في ماله فبالخروج عنه كله واما في نفسه فيما كان يقحمها من الاهوال حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له في بعض المواطن الزم مكانك وامتعنا بنفسك ويقول له ولعمر رضي الله عنهما انهما من الدين بمنزلة السمع والبصر وكان ابو بكر رضي الله عنه في ليلة الغار يذكر الطلب فيتاخر والرصد فيتقدم وما عن الجوانب فيتصدى لها ومنهم من وفى في هذه الغزوة وما قبلها فاراد الله التنويه بذكرهم والثناء عليهم توفية لما تفضل به من جعلهم وترغيبا لغيرهم فيما ظهر ولم يصرح لئلا يبتغيه بالمذكورين سابقا فيخص هذه الغزوة فقال ولما كان العهد عند ذوي الهمم العلية والاخلاق الزكية اشد ذكرهم له ومحافظتهم على الوفا به ونفوسهم لهم حتى كانه رجل عظيم قائم تجاههم بتقاضاهم الصدق عند الفعل له فقال من المؤمنين اي الكمل رجال اي في غاية العظمة عندنا ثم وصفهم بقوله صدقوا ما عاهدوا الله المحيط علما وقدرة وجلالا وعظمة عليه اي من بيع انفسهم واموالهم له بدخولهم في هذا الدين الذي بني على ذلك فوفوا به انتم وقال في هذا اشارة الى ابي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه وكان من اكابر المؤمنين الراسخين في صفة الايمان حيث زل في اشارته الى بني قريظة بان المراد بهم الذبح كما تقدم في الانفال في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم فذهب من حينه وربط نفسه تصديقا لصدقه في سارية من سواري المسجد حتى تاب الله عليه وحله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ولما كان ربما فهم ان الصدق لا يكون الا بالقتال قسمهم مشيرا الى الخلاف ذلك بقوله فمنهم من قضى اي اعطى ذكر الصادقين نحبه اي نذره في معاهدته انه ينصر النبي صلى الله عليه وسلم او يموت دونه وفرغ من ذلك وخرج من عهدته بان قتل شهيدا كحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وسعد بن الربيع وانس بن النضر الذي غاب عن غزوة بدر فقال غبت عن اول قتال قاتل فيه النبي صلى الله عليه وسلم لئن اشهدني الله قتالا ليرين الله ما اصنع فلما انهزم من انهزم من غزوة احد قال اللهم اني ابرا اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ومما صنع هؤلاء يعني المنهزمين من المسلمين وقاتل حتى قتل فعد بضع وثمانين جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وروى البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه قال نرى هذه الايات نزلت في انس بن النضر من المؤمنين رجال انتهى وغير هؤلاء ممن قتل قبل هذا في غزوة احد وغيرها وسعد بن معاذ ممن جرح في هذه الغزوة وحكم في بني قريظة بالقتل والسبي ولم يرع لهم حلفهم لقومه ولا اطاع قومه في الاشارة عليه باستبقائهم كما استبقى عبد الله بن ابي المنافق بني قينقاع ولا اخذته بهم رافة غضبا لله ولرسوله رضي الله عنه وممن لم يقتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله احد العشرة رضي الله عنهم ثبت في احد وفعل ما لم يفعله غيره لزم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه وذب عنه ووقاه بيده حتى شلت اصبعه فسماه النبي صلى الله عليه وسلم

اي الله ورسوله بتلقيهم وابلغ سبحانه في وصفهم بالوصف بصيغة التسبيح فقال وتسليما

انه ممن قضى نحبه فالمراد بالنحب هنا العهد الذي هو كالنذر المفضي الى الموت واصل النحب الاجتهاد في العمل وهنا استعمل
في النذر لانه الحامل على ذلك ومنهم اي الصادقين من ينتظر نقضا النحب اما بالنصرة او الموت على الشهادة او مطلق المتابعة
الكاملة ولما كان المنافقون يذكرون ان يكون احد صادقا فيما يظهر من الايمان اكد قوله تعريضا بهم وما بدلوا تبديلا
اي وما اوقعوا شيئا من تبديل بفترة او توان فهذا تصريح بمدح اهل الصدق وتلويح بذم اهل النفاق عكس ما تقدم وروى البخاري في
عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال لما نسخنا الصحف بالمصاحف فقدت اية من سورة الاحزاب كنت كثيرا اسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم اجدها مع احد الا مع خزيمة الانصاري رضي الله عنه الذي جعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم شهادته شهادة رجلين من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقوله نسخنا الصحف التي كانت عند حفصة
رضي الله عنها بعد موت عمر رضي الله عنهم في المصاحف التي امر بها عثمان رضي الله عنه وقوله لم اجدها اي مكتوبة بدليل حفظه
لها وهذا يدل على انه لما نسخ المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه لم يقتنعوا بالصحف بل ضموا اليها ما هو معروف عند الناس
مما كتب بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحضرته كما فعلوا حين جمعوا الصحف على عهد ابي بكر رضي الله عنهم اجمعين
ولما كان كانه قيل فما فهم من سياق هذه القصة لان القصد الاقبال عليه سبحانه وقطع جميع العلائق من غيره
لانه قادر على كل شيء فهو يكفي من اقبل عليه كل مهم وان كان في غاية العجز عنه تارة بسبب ظاهر وتارة بغيره فما له لم يحكم
بالاتفاق على كلمة الاسلام لتحصل الراحة من هذا العنا كله فاجيب بان هذا لتظهر صفة العزة والعظمة والعدل وغيرها ظهورا تاما
الى غير ذلك من حكم ينكشف عنها الحجاب ويرفع لتجليها غاية التجلي ستور الاسباب فقال تعالى معللا بقوله جاءتكم جنود ليجزي
الله اي الذي يريد اظهار جميع صفاته يوم البعث للخاص والعام ظهورا تاما الصادقين في دعائهم امنوا به بصدقهم
فيعلي امرهم في الدنيا وينعمهم في الاخرى فالصدق سبب وان كان تفضلا منه لانه الموفق له ويعذب المنافقين في الدار
بكذبهم في دعواهم الايمان المقتضي لبيع النفس والمال ان شاء تعذيبهم بموتهم على النفاق او يتوب عليهم اي يمارون من صدقه
سبحانه في اعزاز اوليائه واذلال اعدائه بعذرته التامة حيث كانوا قاطعين بخلاف ذلك ولما كانت توبة المنافقين
مستبعدة لما يرون من صلابتهم في الخداع وخبث سرائرهم قال معللا لذلك كله على وجه التاكيد ان الله اي بما له من الجلال والجمال
كان ازلا وابدا غفورا رحيما يستر الذنب وينعم على صاحبه بالكرامة اما في الاثابة لكل فالرحمة عامة واما في تعذيب
المنافق فنصر الصادقين لان عذاب اعدائهم من اعظم نعيمهم وفي حكمه بالعدل عموم للرحمة ايضا فهو لا يعذب احدا فوق ما
يستحق ولما ذكرهم سبحانه نعمته بما ارسل على اعدائهم من جنوده وبين احوال المنافقين والصادقين وما له في ذلك من
الاسرار وختم بهاتين الصفتين قال مذكرا باثرهما فيما خرقه من العادة بصرف الاعداء على كثرتهم وقوتهم على حالة لا يرضاها
لنفسه عاقل عاطفا على قوله في اول القصة فارسلنا ورد الله اي بما له من صفات الكمال الذين كفروا اي ستروا ما دلت
عليه شموس عقولهم من ادلة الوحدانية وحقيقة الرسالة وهم من تحزب من العرب وغيرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
بلادهم عن المدينة ومضايقة المؤمنين حال كونهم بغيظهم الذي اوجب لهم التحزب ثم الذي اوجب لهم التفرق عن غير طائل
حال كونهم لم ينالوا خيرا لا من الدين ولا من الدنيا بل خذلهم بكل اعتبار ولما كان الرد قد يكون بسبب من عدوهم بين
ان الامر ليس كذلك فقال وكفى الله اي العظيم بقوته وعزته عباده ودل على انه ما فعل ذلك الا لاجل اهل الاخلاص فقال
المؤمنين القتال بما القى في قلوبهم من الداعية للانصراف بالريح والجنود من الملائكة وغيرهم منهم نعيم بن مسعود كما تقدم
ولما كان هذا امرا باهرا اتبعه ما يدل على انه عنده يسير فقال وكان الله اي الذي له كل صفة كمال دائما ازلا وابدا
قويا لا يعجزه شيء عزيزا يغلب كل شيء ولما انهى امر الاحزاب اتبعه حال الذين ظاهروهم وكانوا سببا في اتيانهم
لحيي بن اخطب والذين مالؤهم على ذلك ونقضوا ما كان لهم من عهد فقال وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب ثم بينهم
بقوله مبعضا من اهل الكتاب وهم بنو قريظة ومن دخل معهم في حصنهم من بني النضير كحيي وكان ذلك بعد اخراج بني قينقاع
وبني النضير من صياصيهم اي حصونهم العالية جمع صيصية وهي كل ما يمتنع به من قرون البقر وغيرها مما شبه بها من
الحصون ولما كان الانزال من محل التمنع عجيبا وكان على وجوه شتى فلم يكن صريحا في الاذلال تتشوف النفس الى بيان
حاله بين انه الذل فقال عاطفا بالواو ليصلح لما قبل وما بعد وقذف في قلوبهم الرعب اي بعد الانزال كما كان قذفه في
قبل الانزال فلو قدم القذف على الانزال لما افاد هذه الفوائد ولا اشتد تحملامه ما بعده للانزال ولما ذكر ما ادلهم
به ذكر ما ناشئ عنه مقسما له فقال فريقا قد ذكر بلفظ الفرقة ونصبه ليدل بادي بدء على انه طوع لايدي الفاعلين تقتلون
وهم الرجال وكانوا نحو ستمائة ولما بدأ بما دل على التقسيم مما يسر الفرقة وقدم اعظم الامرين للناشئين عن الرعب
اولاه الامر الاخر ليصير الامران المحبوبان محتوشين بما يدل على الفرقة فقال وتأسرون فريقا وهم الذراري والنساء ولعله
اخر الفريق هنا ليفيد التخيير في امرهم وقدم في الرجال لتحتم القتل فيهم ولما ذكر الناطق بقسميه ذكر الصامت فقال

واورثكم ارضهم من الحدائق وغيرها ولما عم خص بقوله وديارهم لانه يحامي عليها ما لا يحامى على غيرها ثم عم بقوله
واموالهم مما تقدم ومن غيره من النقد والماشية والسلاح والاثاث وغيرها فقسم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المسلمين للفارس ثلاثة اسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم كما للراجل ممن ليس له فرس واخرج منها الخمس فعلى سنتها وقعت المقاسم
ومضت السنة في المغازي واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سباياهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء
بني عمرو بن قريظة فلبثت قليلا ثم اسلمت فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت
يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها حتى توفي عنها وهي في ملكه رضي الله عنها ولما
كانت هذه غزوة طار رعبها في الافاق واذلت اهل الشرك من الاميين وغيرهم على الاطلاق ونشرت الوية النصر فخفقت
اعلامها في جميع الافاق واغمدت سيف الكفر وسلت صارم الايمان للدروس والامحاق حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابصر الناس بالحروب واثقبهم رايا لما له من الثبات عند اشتداد الكروب الآن نغزوهم ولا يغزوننا قال تعالى
وارضا لم تطؤوها اي تغلبوا عليها بتهيئتكم للغلبة عليها واعطائكم القوة القريبة من فتحها وهي ارض خيبر اولا
ثم ارض مكة ثانيا ثم ارض فارس والروم وغيرهما مما فتحه الله بعد ذلك وكان قد حكم به في هذه الغزوة حين ابرق
تلك البرقات للنبي صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق فاراه في الاولى اليمن وفي الاخرى فارس وفي الاخرى الروم
ولما كان ذلك امرا باهرا سهله بقوله وكان الله اي ازلا وابدا بما له من صفات الكمال على كل شيء هذا وغيره
قديرا اي شامل القدرة ولما تقرر بهذه الوقائع التي نصر فيها سبحانه وحده باسباب باطنة سببها واسود
خفية رتبها تعجز عنها الجيوش المتجبرة المستكثرة والملوك المتجبرة المستكبرة ما قدم من انه كافي من توكل عليه واقبل
بكليته اليه وختم بصفة القدرة العامة الدائمة تحرر انه قادر على كل ما يريد وانه لو شاء اجرى مع وليه كنوز
الارض وانه لا يجوز لاحد ان يراعي غيره ولا ان يرمق بوجه ما سواه وعلم ان من اقبل الى هذا الدين فانما نفع نفسه
والفضل لصاحب الدين عليه ومن اعرض عنه فانما وبال اعراضه على نفسه ولا ضرر على الدين باعراض هذا المعرض
كما انه لا نفع له باقبال ذلك المقبل وكان قد قضى سبحانه ان من انقطع الى حماه من الدنيا الزاما له ورفعا لمنزلته عن
خسيسها الى نفيس ما عنده لان كل امرها الى زوال وتلاش واضمحلال ولا يعلق همته بذلك الا قاصر ضال
فاخذ سبحانه يامر احب الخلق اليه واعزهم منزلة لديه المعلوم امتثاله للامر بالتوكل والاعراض عن كل ما سواه
سبحانه وانه لا يختار من الدنيا غير الكفاف والقناعة والعفاف بتخيير الصفوة للناس بين ما دنيا لكافة الناس فقال
على طريق الاستنتاج مما تقدم يا ايها النبي ذاكرا صفة رفعته واتصاله به سبحانه والاعلام باسرار القلوب
وخفايا الغيوب المقتضية لان يفرغ فكره لما يتلقاه من المعارف ولا يعاق عن شيء من ذلك بشيء من اذى قل لازواجك اي نسائك
ان كنتن اي كونا راسخا تردن اي اختيارا على الحياة ووصفها بما يزهد فيها ذوي الهمم ويذكر من له عقل ما الاخرة فقال
الدنيا اي ما فيها من السعة والرفاهة والنعمة وزينتها اي المنافية لما امرني به ربي من الاعراض عنه واحتقاره من امرها
لانها ابغض خلقه اليه لانها قاطعة عنه فتعالين اصله ان الامر يكون اعلى من المامور فيدعوه ان يرفع نفسه اليه ثم كثر
حتى صار معناه اقبل وهو هنا كناية عن الاخبار والارادة بعلاقة ان المخبر يدنو الى من يخبره امتعكن اي بما احسنه الي لكن
واسرحكن اي من حبالة عصمتي سراحا جميلا اي لا تثريب فيه مضادرة ولا نوع حقد ولا مشاهرة وان كنتن اي كونا راسخا
لكن من الجبلة تردن الله اي الامر بالاعراض عن الدنيا للاعلى الى ما له من رتبة الكمال ورسوله المؤتمر بما امره به من الانسلاخ عنها المبلغ
للعباد جميع ما ارسله به من امر الدنيا والدين لا يدع منه شيئا لما له عليكن وعلى ساير الناس من الحق بما يبلغهم عن الله والدار
الاخرة التي هي الحيوان لما لها من البقاء والعلو والارتقاء ولما كان ما كل من اظهر شيئا كان عالي الرتبة فيه قال مؤكدا
تنبيها على ان ما يقوله مما يقطع به وينبغي تاكيده دفعا لظن من يغلب عليه حال البشر فيظن فيه الظنون من اهل النفاق وغيرهم
او يعمل عمل من يظن ذلك او يستبعد وقوعه في الدنيا او الاخرة فان الله اي بما له من جميع صفات الكمال اعد في الدنيا والاخرة
للمحسنات منكن اي اللاتي يفعلن ذلك وهن في مقام المشاهدة وهو تعلم المحسن من غيره اجرا عظيما اي يحتقر له الدنيا وكل ما
فيها من زينة ونعمة ولما اتى سبحانه بهذه العبارة الحكيمة الصالحة مع البيان للتبعيض ترهيبا في ترغيب احسن
كلهن وحققن ما خلقن به ان من للبيان ان النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليهن رضي الله عنهن ذلك وبدأ بعائشة رأس المحسنات
اذ ذاك رضي الله عنها وقال لها اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري ابويك فلما تلاها عليها قالت منكرة لتوقفها في
الخير اوفي هذا استأمر ابوي فاني اختار الله ورسوله والدار الاخرة ثم عرض ذلك على جميع ازواجه فاقتدين بعائشة رضي الله عنهن
كلهن فكان تلاه اما ما قالت الى اجرها مثل اجورهن روى ذلك البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها وسبب ذلك انه صلى الله
عليه وسلم وجد على نسائه رضي الله عنهن فالى منهن شهرا فلما انقضى الشهر نزل اليهن من غرفة كان اعتزل فيها وقد انزل الله

عليه الآيات لتخيرهن فاخترنه رضي الله عنهن وسبب ذلك ان منهن من سال التوسع في النفقة وقد كان صلى الله عليه وسلم لا
يحب التوسع في الدنيا روت عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروى الحديث البيهقي ولفظه قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية ولو شئنا لشبعنا
ولكنه كان يوثر على نفسه وروى الطبراني في الاوسط عنها ايضا رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال
عني او سره ان ينظر الي فلينظر الى اشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمر اليه اليوم المضمار
وغدا السباق والغاية الجنة والنار ولما كان الله سبحانه قد امضى حكمته في هذه الدار في انه لا يقبل قول الا ببيان
قال سبحانه مهددا على ما قد اعاذهن الله منه فالمراد منه بيان انه رفع مقادرهن ولذلك ذكر الاشغال المسندة اليهن
اعتبار المظنون والتنبيه على غلظ من جعل صحبة الاشراف دافعة للعقاب على الاشراف ومعلمة بانها انما تكون سببا للامعان
يا نساء النبي اي المختارات له لما بينه وبين الله مما يظهر شرفه **من يأت** قراءة يعقوب على ما نقله البغوي بالمثناة الفوقية على معنى
من دون لفظها وهي قراءة شاذة نقلها الاهوازي في كتاب الشواذ عن ابن مسلم عنه وقرا الجماعة بالتحتانية على اللفظ وكذا
منكن بفاحشة اي من قول وفعل كالنشوز وسوء الخلق باختيار الحياة الدنيا وزينتها على الله ورسوله او غير ذلك **مبينة** اي
واضحة ظاهرة في نفسها تكاد تنادي بذلك من سوء خلق ونشوز او غير ذلك **يضاعف لها العذاب** اي بسبب ذلك وهو
الامر بالمفاعلة في قراءة نافع والكوفيين المفهمة لاكثر من اثنين كما مضى في الفتح سهاله بقوله **ضعفين** اي بالنسبة الى ما لغيرها
لان مقدارها لا يعشر مقدار غيرها كما جعل حد الحر ضعفي حد العبد وكما جعل اجرهن مرتين واشد العقاب فيما بين الاحباب وعلى
قدر علو المقام يكون الملام وبقدر النعمة تكون النقمة وكل من بنا يضاعف للمجهول من باب المفاعلة او التفعيل لابي عمرو والبصريين
او للفاعل بالنون عند ابن كثير وابن عامر يدل على عظمته سبحانه والبنا للمجهول يدل على العناية بالتهويل بالعذاب لجهله عند [illegible]
وصاحب الجملة [illegible] باسناد الفعل اليه وذلك كله اشارة الى ان الامور الكبار صغيرة عنده سبحانه لانه لا ينفعه شيء ولا يضره
شيء ولا يوجب شيء من الاشيا لحدوث شيء لم يكن ولذلك قال **وكان ذلك** اي مع كونه عظيما عندكم **على الله يسيرا** فهذا ناظر
الى مقام الجلال والكبرياء والعظمة ولما قد مر ذرء المفاسد الذي هو من باب التخلي اتبعه جلب المصالح الذي هو من طراز
التحلي فقال **ومن يقنت** اي تخلص الطاعة وتقدم توجيه قراءة يعقوب بالفوقانية على ما حكاه البغوي والاهوازي في الشواذ
عن ابن مسلم **منكن لله** الذي هو اهل لان لا يلتفت الى غيره لانه لا اعظم منه بادامة الطاعة فلا يخرج عن مراقبته اصلا **ورسوله**
فلا تغاضبه ولا تطلب منه شيئا ولا تختار عيشا غير عيشه فانه يجب على كل احد تفضيله فكره وتهذيبه باله [illegible] لتتمكن غاية
التمكن من انقاذ اوامرنا والقيام بما ارسلناه بسببه من رحمة العباد بانقاذهم مما هم فيه من الانكاد ولما كان ذلك قد
يفهم الاقتصار على عمل القلب قال **وتعمل** قراها حمزة والكسائي بالتحتانية ردا على لفظ من حملا لهن على منازل الرجال وقراة الجماعة
بالفوقانية على معناها على الاكمل مشيرة الى الرفق بهن في عمل الجوارح والرضى بالمستطاع كما كان عليه الصلاة والسلام اذا امرهم
بامر امرهم بما يطيقون ما استطعتم او ما عمل الغالب فلا رضى فيه بدون الغاية فلذا كان يقنت مذكرا لا على [illegible] **صالحا** اي في جميع
ما امر به سبحانه او نهى عنه **نؤتها** اي بما لنا من العظمة على قراءة الجماعة بالنون وقراءة حمزة والكسائي بالتحتانية على ان الضمير لله
اجرها مرتين اي بالنسبة الى اجر غيرها من نساء بقية الناس **واعتدنا** اي هيأنا بما لنا من العظمة واحضرنا **لها** بسبب قناعتها
مع النبي صلى الله عليه وسلم المريد للتخلي من الدنيا التي يبغضها الله مع ما في ذلك من توفير الحظ في الآخرة **رزقا كريما** اي في الدنيا
والآخرة فلا شيء اكرم منه لان ما في الدنيا منه يوفق صرفه على وجه يكون فيه اعظم الثواب ولا يخشى من اجله نوع عتاب فضلا عن
عقاب وما في الآخرة منه لا يوصف ولا يحد ولا نكد فيه بوجه اصلا ولا كدر ولما كان لكل حق حقيقة ولكل قول صادق بيان
قال مؤذنا بفضلهن **يا نساء النبي** اي الذي انبأ من اعلى الناس بما بينه وبين الله من الانبا بدقائق الامور وخفايا الاسرار مؤذنا
بفضلهن وما له من الزلفى لديه **لستن كاحد** قال البغوي ولم يقل كواحدة لان الاحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع
والمذكر والمؤنث انتهى فالمعنى كجماعة **من** جماعات **النسا** اذا تقصيت امة النسا جماعة جماعة لم توجد فيهن جماعة تساويكن
في الفضل لما خصكن الله به من قربه بقرب رسوله صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي الذي هو بينه وبين الله في بيوتكن ولما
كان المعنى بل انتن اعلى النسا ذكر شرط ذلك فقال **ان اتقيتن** اي جعلتن بينكن وبين غضب الله وغضب رسوله وقاية ثم سبب عن
هذا النهي قوله **فلا تخضعن** اي اذا تكلمتن بحضرة اجنبي **بالقول** اي بان يكون لينا عذبا رخيما والخضوع التطامن والتواضع واللين
والدعوة الى السوء ثم سبب عن الخضوع قوله **فيطمع** اي في الخيانة **الذي في قلبه مرض** اي فساد وريبة والتعبير بالطمع للدلالة
على ان امنيته لا سبب لها في الحقيقة لان اللين في كلام النسا خلق لهن لا تكلف فيه فاريد من نسا النبي صلى الله عليه وسلم التكلف
للاتيان بضده ولما نهاهن عن الاسترسال مع سجية النسا في رخامة الصوت امرهن بضده فقال **وقلن قولا معروفا**
اي يعرف انه بعيد عن محل الطمع ولما تقدم امرهن في القول وقدمه لعمومه اتبعه الفعل فقال **وقرن** اي اسكن وامكثن دائما

في بيوتكن بكسر القاف وهي عن المدنيين وعاصم جعل الماضي قرر بفتح العين ومن فتحه فهو عنده قرر بكسرها وهما لغتان ولما امرهن
بالقرار نهاهن عن ضده مشبعا له فقال **ولا تبرجن** اي تظاهرن من البيوت بغير حاجة محوجة فهو من وادي امر النبي صلى الله عليه
وسلم لهن بعد حجة الوداع بلزوم ظهور الحصر **تبرج الجاهلية الاولى** اي المتقدمة على الاسلام وعلى ما قبل الامر بالحجاب
بالخروج من بيت والدخول في آخر والاولى لا تقتضي اخرى كما ذكر البغوي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها ما بين نوح وادريس عليهما
السلام [illegible] السهول [illegible] صباحا وفي رجالهن دمامة لرجال الجبال وكانوا صباحا وفي نسائهن دمامة فكثر الفساد
وعلى هذا فلها ثانية ولما امرهن بلزوم البيوت للتخلية عن الشوائب ارشدهن الى التحلية بالرغائب فقال **واقمن**
الصلاة اي فرضا ونفلا صلة لما بينكن وبين الخالق ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **وآتين الزكاة** احسانا الى الخلائق وفي
هذا اشارة بالفتوح وتوسيع الدنيا عليهن فان العيش وقت نزولها كان ضيقا عن القوت فضلا عن الزكاة امرهن
بخصوص ما تقدم لانهما اصل الطاعات البدنية والمالية ومن اعتنى بهما حق الاعتنا جرتاه الى ما وراءهما عم وجمع في قوله **واطعن**
الله اي ذا الكمال المطلق وانهما من صفات الكمال **ورسوله** في جميع ما يامران به فانه لم يرسل الا للامر والنهي تخليصا للخلائق من الهوى
ولما كانت هذه الآيات قد نهت عن الرذائل فكانت عنها اشرف الفضائل قال مبينا ان ذلك انما هو لتشريف اهل النبي
صلى الله عليه وسلم لتزيد الرغبة في ذلك مؤكدا دفعا لوهم من يتوهم ان ذلك لهوان او غير ذلك من نقصان وحرمان **انما يريد**
الله اي وهو ذو الجلال والجمال بما امركم به ونهاكم عنه من الاعراض عن الزينة وما تبعها والاقبال عليه عز وجل عن الدنيا
وكلما تكون سببا له **ليذهب** اي لاجل ان يذهب **عنكم الرجس** اي الامر الذي يلزمه دائما الاستقذار والاضطراب من
مذام الاخلاق كلها **اهل** اي يا اهل **البيت** اي من كل من يكون من الزام النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء من
الازواج والاما والاقارب وكلما كان الانسان منهم اقرب وبالنبي صلى الله عليه وسلم اخص والزم كان بالارادة احق واجدر
ولما استعار للمعصية الرجس استعار للطاعة الطهر ترغيبا لاصحاب الطباع السليمة والعقول المستقيمة في الطاعة
وتنفيرا لهم عن المعصية فقال **ويطهركم** اي يفعل في طهركم بالصيانة عن جميع القاذورات الحسية والمعنوية فعل المبالغ
فيه وزاد ذلك عظما بالمصدر فقال **تطهيرا** ولما ذكر ذلك الى ان ختم بالتطهير اتبعه التذكير بما انعم سبحانه به
مما اثمر التطهير من التاهيل لمشاهدة ما يتكرر من تردد الملائكة بنزول الوحي الذي هو السبب في كل ما طهر ظاهر وباطن
فعال اختصاصا من السياق لاجلهن رضي الله عنهن منبها لهن على ان بيوتهن مهابط الوحي ومعادن الاسرار **واذكرن** اي
في انفسكن ذكرا دائما واذكرنه لغيركن على جهة الوعظ والتعليم ولما كانت العناية بالمتلو بينها باسناد الفعل اليه
لبيان انه عمدة الجملة فقال بانيا للمفعول **ما يتلى** اي يتابع ويوالي ذكره والتخلق به واشار لهن الى ما خصصهن به من السر
فقال **في بيوتكن** اي بواسطة النبي الذي خيركن صلى الله عليه وسلم **من آيات الله** الذي لا اعظم منه ولما
كان المراد بذلك القران عطف عليه ما هو اعم منه فقال مبينا لشدة الاهتمام به بادخاله في جملة المتلو اعتمادا على ان العمل
فيه معروف لان التلاوة لا تقال في غير الكتاب **والحكمة** اي ويبث وينشر من العلم المزين بالعمل والعمل المتقن بالعلم ولا تنسين شيئا
من ذلك ولما كان السياق للاعراض عن الدنيا وكانت الحكمة منفرة عنها اشار بختام الآية الى انها مع كونها محصلة
لفوز الآخرة جالبة لخير الدنيا فقال مؤكدا ردعا لمن يشك في ان الرفعة يتوصل اليها بضدها ونحو ذلك مما تضمنه الخبر من جليل
الخير **ان الله** اي الذي له جميع العظمة **كان** اي لم يزل **لطيفا** اي يتوصل الى المقاصد بوسائل الاضداد **خبيرا** اي
يدق علمه عن ادراك الافكار فهو يجعل الاعراض عن الدنيا جالبا لها على اجمل الطرائق واكمل الخلائق وان رغمت انوف جميع الخلائق
ويعلم من يصلح لبيت النبي صلى الله عليه وسلم ومن لا وما يصلح الناس دينا ودنيا وما لا يصلحهم والطرق الموصلة الى كل
ما اقتضاه ذلك وان كانت على غير ما يالفه الناس من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب
رواه الطبراني في الصغير وابن ابي الدنيا والبيهقي في الشعب عن عمران بن حصين رضي الله عنهما من توكل على الله كفاه ومن انقطع
الى الدنيا وكله الله اليها رواه صاحب الفردوس وابو الشيخ بن حيان في كتاب الثواب عن عمران رضي الله عنه ايضا
ولقد صدق سبحانه وعده في لطفه وحقق ذلك في خبره بان فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك خيبر فافاض بها ما شا
من رزقه الواسع ثم لما توفي نبيه صلى الله عليه وسلم ليحميه من زهرة الحياة الدنيا فتح الفتوحات الكبار من بلاد فارس والروم
ومصر وما بقي من اليمن ثم عم الفتح جميع الاقطار الشرق والغرب والجنوب والشمال ومكن اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من كنوز
جميع تلك البلاد وذخائر اولئك الملوك حتى صار الصحابة رضوان الله عليهم يكيلون المال كيلا وزاد الامر حتى دون عمر
رضي الله عنه الدواوين وفرض للناس عامة ارزاقهم حتى للرضعا وكان اولا لا يفرض للمولود حتى يفطم فكانوا يستعجلون
بالفطام فنادى مناديه لا تعجلوا اولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام وفاوت بين الناس في العطا بحسب
القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والبعد منه وبحسب السابقة في الاسلام والهجرة ونزل الناس منازلهم بحيث ارضى جميع الناس

حتى تقدم عليه خالد بن عرفطة فسأله عما وراءه فقال تركتهم يسألون الله لك ان يزيد في عمرك من اعمارهم قال عمر رضي الله
عنه انما هو حقهم وانا اسعد باداية اليهم لو كان من مال الخطاب ما اعطيتهموه ولكن قد علمت ان فيه فضلا فلو انه
اذا خرج عطا احدهم ابتاع منه غنما فجعلها بسوادكم فاذا خرج عطاوه ثانية ابتاع الراس والراسين فجعله فيه فان
بقي احد من ولده كان لهم شي قد اعتقدوه فاني لا ادري ما يكون بعدي واني لاعم بنصيحتي كل من طوقني الله امره فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من مات غاشا لرعيته لم يرح ريح الجنة فكان فرض لازواج النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر
الفا لكل واحدة وهي نحو الف دينار في كل سنة واعطى عائشة رضي الله عنها خمسة وعشرين الفا لحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياها فابت ان تاخذ الا ما ياخذ صواحباتها وروي عن برزة بنت رافع قالت لما خرج العطا ارسل عمر
رضي الله عنه الى زينب بنت جحش رضي الله عنها بالذي لها فلما ادخل اليها قالت غفر الله لعمر غيري من اخواتي اقوى على
قسم هذا مني قالوا هذا كله لك قالت سبحان الله واستترت منه بثوب ثم قالت صبوه واطرحوا عليه ثوبا ثم قالت
لي ادخلي يدك واقبضي منه قبضة فاذهبي بها الى بني فلان وبني فلان من ذوي رحمها وايتام لها فقسمته حتى بقيت منه بقية
تحت الثوب قالت برزة بنت رافع فقلت غفر الله لك يا ام المومنين والله لقد كان لنا في هذا المال حق قالت فلكم ما
تحت الثوب فوجدنا تحته خمس مائة وثمانين درهما ثم رفعت يدها الى السما فقالت اللهم لا يدركني عطا لعمر بعد عامي هذا
فماتت ذكر ذلك البلاذري في كتاب فتوح البلاد ولما حث سبحانه على المكارم والاخلاق الزاكية وختم بالتذكير
بالايات والحكمة اتبعه ما لمن تلبس من اهل البيت بما دعوا اليه ذلك من صفات الكمال ولكنه ذكر على وجه يعم غيرهم من ذكر وانثى
مشاكلة لعموم الدعوة وشمول الرسالة فقال جوابا لقول النسا يا رسول الله ذكر الله الرجال ولم يذكر النسا بخير اما فينا
خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة بادئا بالوصف الاول الاعم الاشهر من اوصاف اهل هذا الدين موكدا لاجل كثرة
المنافقين المكذبين بمضمون هذا الخبر وغيرهم من المصارحين ان المسلمين ولما كان اختلاف النوع موجبا للعطف قال
معلما بالتشريك في الحكم والمسلمات ولما كان الاسلام مع كونه اكمل الاوصاف واعلاها يمكن ان يكون بالظاهر فقط
اتبعه المحقق له وهو اسلام الباطن بالتصديق التام بغاية الاذعان فقال عاطفا له ولما بعده من الاوصاف التي يمكن اجتماعها
بالواو للدلالة على تمكن الجامعين لهذه الاوصاف في كل وصف منها والمومنين والمومنات ولما كان المومن المسلم
قد لا يكون في اعماله مخلصا قال والقانتين اي المخلصين في ايمانهم واسلامهم والقانتات ولما كان القنوت
كما يطلق على الاخلاص المقتضي للمداومة ثم يطلق على مطلق الطاعة قال والصادقين في ذلك كله والصادقات
اي في اخلاصهم في الطاعة وذلك يقتضي الدوام ولما كان الصدق وهو اخلاص القول والعمل عن شوب يلحقه او شي
يدنسه قد لا يكون دايما قال مشيرا الى ان ما لا يكون دايما لا يكون صدقا في الواقع والصابرين والصابرات ولما
كان الصبر قد يكون سجية دل على صرفه الى الله بقوله والخاشعين والخاشعات ولما كان الخشوع وهو الخضوع
والاخبات والسكون لا يصح مع توفير المال فانه سكون اليه قال معلما انه اذا ذاك لا يكون على حقيقته والمتصدقين
اي المتنفلين بمواساتهم في رضى الله بغاية الجهد من نفوسهم بما اشار اليه اظهار التا فرضا وتطوعا سرا وعلنا بما ارشد اليه
الاظهار ايضا نفعه بقا خشوعهم والمتصدقات ولما كان بذل المال قد لا يكون مع الايثار اتبعه ما يعين عليه
فقال والصايمين اي تطوعا للايثار بالقوت وغير ذلك والصايمات ولما كان الصوم يكسر شهوة الفرج وقد
يثيرها قال والحافظين فروجهم اي عما لا يحل لهم بالصوم ومما اثارة الصوم والحافظات ولما كان حفظ الفرج
وساير الاعمال لا يكاد توجد الا بالذكر وهو الذي يكون عنه المراقبة الموصلة الى المحاضرة المحققة للمشاهدة المحيية بالفنا
قال والذاكرين الله اي مع استحضار ما له من الكمال بصفات الجلال والجمال كثيرا بالقلب واللسان في كل حالة والذا
كرات ومن علامات الاكثار من الذكر اللهج به عند الاستيقاظ من النوم ولما كان المطيع وان تجاوز الحد في الاجتهاد
مقصرا عن بلوغ ما يحق له اشار الى ذلك سبحانه بقوله مكررا الاسم الاعظم اشارة الى ذلك والى صغر الذنوب اذا نسبت
الى عفوه اعد الله اي الذي لا يبلغ احد ان يقدره حق قدره مع انه لا يتعاظمه شي لهم مغفرة اي لهفواتهم وما اتوا من سياتهم
بحيث يمحو عينه واثره فلا عقاب ولا عتاب ولا ذكر له بسبب من الاسباب ولما ذكر الفضل بالتجاوز اتبعه التفضل
بالكرم والرحمة فقال واجرا عظيما واعداد الاجر يدل على ان المراد بهذه الاوصاف اجتماعها لان من ظهر الاسلام نفاقا
كافر وتارك شي من الاوصاف متصف بضده وحينئذ يكون مخلا بالباقي وان المراد بالعطف التمكن والرسوخ في كل
وصف منها زيادة على التمكن الذي افادة التعبير بالوصف دون الفعل وحينئذ تقدم الكباير فياتي تكفير الصغاير فيا في
المغفرة والاجر واما آية التحريم فلم تعطف لئلا يظن انهن انواع كل نوع ينفرد بوصف وافادة الرسوخ هناك في الاول
من سياق الامتنان والمدح بكونهن خيرا ولما كان الله سبحانه قد قدم قوله النبي اولى بالمومنين من انفسهم الاية

نعلم قطعا انه تسبب عنه ما نعدد من فما كان لمومن ولا مومنة ان يكون له ولي غير النبي صلى الله عليه وسلم فطوى ذلك للعلم به
واستدل عليه بمفهوم الاية وما قبلها بقصة الاحزاب واتبعها نتيجة ذلك مما ذكر في تاديب الازواج له صلى الله عليه وسلم
وتهذيبهن لاجله وتطهير اهل بيته وتكريمهم حتى ختم سبحانه بالصفات العشر التي بداها بالاسلام الذي ليس معه شي
من الاباء وختمها بان ذكر الله يلوي بملء القلب والفم وهو داع الى مثل ذلك لانه سبب الاسلام عطف على مسبب
اية الولاية ما تقتضيه كثرة الذكر من قوله وما كان ولما كان الايمان قد يدعى كذبا لخفائه به قال لمومن اي من
عبد الله بن جحش وزيد وغيرهما ولا مومنة اي من زينب وغيرها تعليق الامر بالايمان اعلاما بان من اعترض غير مومن وان اظهر
الايمان بلسانه اذا قضى الله اي الملك الاعظم الذي لا ينبغي لعاقل التوقف في امره ورسوله الذي لا يعرف قضاوه الا به
امرا اي اي امر كان ولما كان المراد كل مومن والعبارة صالحة له وكان النفي عن المجموع كله نفيا عما قل عنه من باب
الاولى قال ان يكون اي كونا راسخا على قراة الجماعة بالفوقانية وفي غاية الرسوخ على قراة الكوفيين بالتحتانية لهم اي خاصة
الخيرة مصدر من تخير كالطيرة من تطير على غير قياس من امرهم اي الخاص بهم باستخارة الله ولا بغيرها لينفعلوا خلاف ذلك
القضا فان المراد بالاستخارة طلب ما اختاره الله واخبار النبي صلى الله عليه وسلم قطعي الدلالة على ما اختاره الله تعالى
ففي هذا اعتاب لزينب رضي الله عنها على تعليق الاجابة للنبي صلى الله عليه وسلم عند ما خطبها لنفسه الشريفة على الاستخارة
وعلى كراهتها عند ما خطبها لزيد مولاه ولكنها لما قدمت بعد نزول الاية خيرته صلى الله عليه وسلم في زيد وجمامن يريد
رضي الله عنهما على خيرتها عوضها الله ان صيرها لنبيه صلى الله عليه وسلم ومعه في الجنة في اعلا الدرجات فالخيرة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا ينطق عن الهوى فمن يفعل غير ذلك فقد عصى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن عصاه
عصى الله لانه لا ينطق الا عنه ومن يعص الله اي الذي لا امر لاحد معه ورسوله اي الذي معصيته معصيته لكونه
بينه وبين الخلق في بيان ما ارسل به اليهم فقد ضل واكد بالمصدر فقال ضلالا وزاده بقوله مبينا اي لا خفا به
فالواجب على كل احد ان يكون معه صلى الله عليه وسلم في كل ما يختاره وان كان فيه اعظم المشقات عليه تخلقا بقول
الشاعر • واهنتني فاهنت نفسي عامدا • ما من يهون عليك ممن يكرم •
ولما كان قد اخبره الله سبحانه كما رواه البغوي وغيره عن سفيان ابن عيينة عن علي بن جدعان عن زين العابدين
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ان زينب رضي الله عنها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها واخفى ذلك في نفسه
علي بن الحسين ان زينب [illegible] حرما وخشية من مقالة الناس انه يريد نكاح زوجة ابنه وكان في اظهار ذلك اعلام من اعلام
النبوة وكان مبنى امر الرسالة على ابلاغ الناس ما اعلم الله به احبوه او كرهوه وان لا يراعي غيره ولا يلتفت الى
سواه وان كان في ذلك خوف ذهاب النفس فانه كاف من اراد بعزته ومنتقم ممن اراد بحكمته كما اخذ سبحانه الميثاق
من النبيين كلهم ومن محمد ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم صلى الله عليهم وسلم فكان من المعلوم ان التقدير اذكر
ما اخذنا منك ومن النبيين من الميثاق على ابلاغ كل شي اخبرناكم به ولم ننهكم عن افشايه وما اخذنا على الخلق في كل من
طاعتك ومعصيتك عطف عليه قوله واذ تقول وذلك لان الاكمل يعاتب على بعض الكمالات لعلو درجته عندها
وتخليته بالاكمل منها من باب حسنات الابرار سيئات المقربين وبين شرفه بقوله للذي انعم الله اي الملك الذي له كل
كمال عليه اي بالاسلام وتولي نبيه عليه الصلاة والسلام اياه بعد الايجاد والتربية وبين منزلته من النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله وانعمت عليه اي بالعتق والتبني حين استشارك في فراق زوجه التي اخبرك الله انه يفارقها
وتصير زوجتك امسك عليك زوجك اي زينب واتق الله اي الذي له جميع العظمة في جميع امرك ولا سيما ما يتعلق
بجفوتها ولا تعنتها بقولك انها تترفع علي ونحو ذلك وتخفي اي والحال انك تخفي اي بقولك لمحبتك في نفسك اي مما
اخبرك الله من انها ستصير احدى زوجاتك عن طلاق زيد لان الله تعالى هو الذي بعد ذلك ولو اخفى غيره لابداه سبحانه
لانه لا يبدل القول لديه روى البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه ان هذه الاية نزلت في شان زينب بنت جحش وزيد
ابن حارثة رضي الله عنهما ولما ذكر اخفاه ذلك ذكر علته فقال عاطفا على تخفي وتخشى الناس اي من ان تخبرهم بما
اخبرك الله به فيصوبوا اليك من جمات الظنون لا سيما اليهود والمنافقون والله اي والحال ان الذي لا شي اعظم منه
احق ان تخشاه اي وحده ولا تجمع خشية الناس مع خشيته في ان تؤخر شيا اخبرك به لئلا يشق عليك حتى يعود ذلك فيه
امر قالت عائشة رضي الله عنها لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية ولما علم من
هذا انه سبحانه اخبره بان زيدا سيطلقها وبانها تصير زوجا له من طلاق زيد اياها تسبب عنه قوله عاطفا عليه
فلما قضى زيد منها وطرا اي حاجة من زواجها والدخول بها وذلك بانقضاء عدتها منه لانه به يعرف انه لا حاجة له
فيها وانه قد تقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه والا لراجعها زوجناكها ولم نحوجك الى ولي من الخلق يعقد لك عليها

تشريفا لك وكلها بالناس العظمة التي خرقنا بها عوائد الخلق حتى ادعو لك على كل من علم به وسرت به جميع النفوس ولم يعد
منافق ولا غيره على الخوض في ذلك بجنت شفته بما يوهنه ويوثر فيه روى مسلم في صحيحه عن انس رضي الله عنه قال لما انقضت
عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذكرها اذهب فاذكرها علي فانطلق زيد رضي الله عنه
حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا
حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال ولقد رايتنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون فذكره وسياتي وقال
البغوي قال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد
واني انكحنيك الله في السما وان السفير لجبريل عليه السلام ولما ذكر سبحانه التزويج على ما له من العظمة ذكر علته دالا
على ان الاصل مشاركة الامة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاحكام وان لا خصوصية الا بدليل فقال **لكيلا يكون على المومنين** اي الذين
ان النعراقتهم في الايمان خطوطهم **حرج** اي ضيق **في ازواج ادعيائهم** اي الذين تبنوهم واجروهم في تحريم ازواجهم مجرى ازواج
البنين على الحقيقة **اذا قضوا منهن** ذكر سبحانه التزويج على ما له من العظمة ذكر علته دالا على ان الاصل مشاركة الامة للنبي صلى
الله عليه وسلم في الاحكام وان لا خصوصية الا بدليل اي حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق وانقضاء العدة ولما علم
سبحانه ان ناسا يقولون في هذه الواقعة اقوالا شتى دل على ما قاله زين العابدين بقوله **وكان امر الله** اي من الحكم بتزويجها
وان كرهت وتركت اظهار ما اخبرك الله به كراهية لسوء القالة واستحيا من ذلك وكذا كل امر يريده سبحانه **مفعولا** لانه
سبحانه له الامر كله لا راد لامره ولا معقب لحكمه ولما انتج هذا التسهيل لما كان استصعبه صلى الله عليه وسلم
والتامين مما كان خافه عبر عن ذلك بقوله موكدا ردا على من يظن خلاف ذلك **ما كان على النبي** اي الذي منزلته من الله الاطلاع على ما لم
يطلع عليه غيره من الخلق **من حرج فيما فرض** اي قدر **الله** بما له من صفات الكمال واوجبه له لانه لم يكن على المومنين مطلقا حرج في ذلك
فكيف بابن المومنين فصار منفيا عنه الحرج مرتين خصوصا بعد عموم تشريفا له وتنويها بشانه ولما كان مما يهون
الامور الصعاب المشاركة فيها فكيف اذا كانت المشاركة من الاكابر قال ذو اصفا الاسم موضع مصدره **سنة الله** اي سن الملك
الذي اذا سن شيا اتقنه بما له من العزة والحكمة فلم يعد راحدا ان يغير شيا منه **في الذين خلوا** وكانه اراد ان يكون انبيا بني اسرائيل
عليهم السلام اولى مراده بهذا تبكيتا لملبسي اتباعهم فادخل الجار فقال **من قبل** اي من الانبياء الاقدمين في اباحة التوسع في النكاح
لهم وهو تكذيب لليهود الذين انكروا ذلك واظهار لتلبيسهم ولما كان المراد بالسنة الطريقة التي قضاها وشرعها
قال معلما بان هذا الزواج كان امرا لا بد من وقوعه لارادته له في الازل فلا يعترض فيه معترض جنت شفته بحل به ما يحل
بمن اعترض على اوامر الملك ولاجل الاهتمام بهذا الاعلام اعترض به بين الصفة والموصوف فقال **وكان امر الله** اي قضا الملك الاعظم
في ذلك وغيره من كل ما ينبغي ان يامر به ويهدي اليه ويحث عليه وعبر عن السنة بالامر تاكيدا لانه لا بد منه **قدرا** واكد بقوله
مقدورا اي لا خلف فيه ولا بد من وقوعه في حينه الذي حكم بكونه فيه وهو مويد ايضا لقول زين العابدين وكذا قوله تعالى
واصفا للذين خلوا **الذين يبلغون** اي الى اممهم **رسالات الله** اي الملك الاعظم سوا كانت في نكاح او غيره شقت اولا **ويخشونه**
اي فيخبرون بجل ما اخبرهم به ولم يمنعهم من ابدائه ولوح بعد التصريح في قوله وتخشى الناس **ولا يخشون احدا** قل او جل **الا
الله** لانه ذو الجلال والاكرام ولما كان الخوف من الملك العدل انما هو من حسابه كان التقدير فيخافون حسابه اتبعه
قوله **وكفى بالله** اي المحيط بجميع صفات الكمال **حسيبا** اي مجازيا لكل احد بما عمل وبالغا في حسابه الغاية القصوى وكافيا من اراد
كفايته كل من اراده بسوء افاد هذا كله ان الدعي ليس ابنا وكانوا قد قالوا لما تزوج زينب كما رواه الترمذي
عن عايشة رضي الله عنها تزوج حليلة ابنه اخبره سبحانه على وجه هو من اعلام النبوة واعظم دلايل الرسالة فقال **ما كان**
اي بوجه من الوجوه مطلق كون **محمد** اي على كثرة نسائه واولاده **ابا احد من رجالكم** لا مجازا بالتبني ولا حقيقة بالولادة ليثبت
بذلك ان يحرم عليه زوجة الابن ولم يقل من بنيكم وان لم يكن له في ذلك الوقت وهو سنة خمس وما دناها ابن ذكر لعلمه
سبحانه انه سيولد له ابنه ابرهيم عليه السلام مع ما كان له قبله من البنين الذين لم يبلغ احد منهم الحلم على جميعهم السلام
ولما كان بين كونه صلى الله عليه وسلم ابا لاحد من الرجال حقيقة وبين كونه خاتما منافاة قال **ولكن** كان في علم الله
غيبا وشهادة **رسول الله** الملك الاعظم الذي كل من سواه عبده فبينكم وبين رسوله من جهة مطلق الرسالة ابوة
وبنوة مجازية اما من جهته فبالرافة والرحمة والتربية والنصيحة من غير ان يحرم عليه تلك البنوة شيا من نسائكم والاولى ان يكون
لمنصب النبوة مزية واما من جهتكم فبوجوب التعظيم والتوقير والطاعة وحرمة الازواج واما كون الرسالة عن الله الذي لا
اعظم منه فهو مقتض لان يبلغ الناس عنه جميع ما امره به وقد بلغكم قوله تعالى ادعوهم لابائهم ووظيفته الشريفة مقتضية

لان يكون اول موتمر بهذا الامر فهو لا يدعوا احدا من رجالكم بعد هذا ابنه ولما لم يكن مطلق النبوة ولا مطلق الرسالة
منافيا الا بوة الرجال قال **وخاتم النبيين** اي لان رسالته عامة ونبوته معها اعجاز القرآن فلا حاجة مع ذلك الى استنباء ولا ارسال
فلا يولد بعده من يكون نبيا وذلك مقتض لان لا يبلغ له ولد يولد منه مبلغ الرجال ولو قضي ان يكون بعده نبي لما كان الا من نسله
اكراما له لانه اعلى النبيين رتبة واعظمهم شرفا وليس لاحد من الانبيا كرامة الا وله مثلها او اعظم منها ولو صار احد من
ولده رجلا لكان نبيا بعد ظهور نبوته وقد قضى الله ان لا يكون بعده نبي اكراما له روى احمد وابن ماجه عن انس وعن ابن عباس رضي الله
عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في ابنه ابرهيم عليه السلام لو عاش لكان صديقا نبيا وللبخاري نحوه عن البرا بن عازب رضي
الله عنهما وللبخاري من حديث ابن ابي اوفى رضي الله عنه لو قضي ان يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي لعاش ابنه ولكن
لا نبي بعده والحاصل انه لا ياتي بعده مطلقا نبي بشرع جديد ولا يتجدد بعده مطلقا استنباء نبي فقد ال الامر الى
ان التقدير ما كان محمد بحيث يتجدد بعده نبوة برسالة ولا غيرها ولكنه كان مع انه رسول الله خاتما للنبوات عن انه
يتجدد على الوجه المعجز لما تقدم من النكت وغيرها وهذه الاية مثبتة لكونه خاتما على ابلغ وجه واعظمه وذلك انها في سياق
الانكار لان يكون بينه وبين احد من رجالهم نبوة حقيقية او مجازية بغير جهة الادلا بانه نبي او كونه رسولا وخاتما صونا
لمقام النبوة ان يتجدد بعده لاحد لانه لو كان ذلك لبشر لم يكن الا ولدا له واما او ثرت اماته اولاده عليهم السلام
وتاثير قلبه الشريف ا اعلا لمقامه ان يتسمه احد كاينا من كان وذلك لان فايدة اتيان النبي تتميم شي لم يات
به من قبله وقد حصل به صلى الله عليه وسلم التمام فلم يبق بعد ذلك مرام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق واما تجديد ما تهي كان
وهي بما احدثه بعض الفسقة فالعلما كافون فيه لوجود ما خص به صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن المعجز الذي من
سمعه فكانما سمعه من الله لوقوع التحقق والقطع بانه لا يقدر غيره ان يقول مثله فمهما حصل خلل عن ذلك قرره
من يريد الله من العلما فيعود الاستبصار كما روي في بعض الاثار علما امتي كانبيا بني اسرايل واما اتيان عيسى عليه
السلام بعد تجديد المهدي رضي الله عنه لجميع ما وهي من اركان المكارم فلاجل فتنة الدجال ثم طامة ياجوج وماجوج
ونحو ذلك مما لا يستقل باعبايه غير نبي ما انقل عن حسان بن ثابت رضي الله عنه في مرثية لابرهيم
ابن النبي صلى الله عليه وسلم مضى ابنك محمود العواقب لم يشب بعيب ولم يذمم بقول ولا فعل
راى انه ان عاش ساواك في العلى فاثر ان يبقى وحيدا بلا مثل
وقال الغزالي رحمه الله في اخر كتاب الاقتصاد ان الامة فهمت من هذا اللفظ اي لفظ هذه الاية ومن قراين احواله صلى
الله عليه وسلم انه افهم عدم نبي بعده ابدا وعدم رسول بعده ابدا وانه ليس فيه تاويل ولا تخصيص وقال ان من اوله
بتخصيص النبيين باولي العزم من الرسل ونحو هذا فكلامه من انواع الهذيان لا يمنع الحكم بتكفيره لانه مكذب بهذا النص
الذي اجمع الامة على انه غير مؤول ولا مخصوص هذا كلامه في كتاب الاقتصاد نقلته منه بغير واسطة ولا تقليد
فاياك ان تصغي الى من ينقل عنه غير هذا فانه تحريف يجاشي حجة الاسلام عنه وكم من عايب قولا صحيحا
وافته من الفهم السقيم وقد بان بهذا ان اتيان عيسى عليه السلام غير قادح في هذا النص فانه من امته صلى
الله عليه وسلم المقررين لشريعته وهو قد كان نبيا قبله لم يستجد له شي لم يكن فلم يكن ذلك قادحا في الختم وهو
مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم لولا هو لما وجد وذلك انه لم يكن لنبي من الانبيا شرف الا وله صلى الله عليه
مثله او اعلى منه وقد كانت الانبيا تاتي مقررة لشريعة موسى عليه السلام مجردة لها فكان المقرر لشريعة نبينا
صلى الله عليه وسلم المتبع لملته من كان نبيا صاحب شريعة موسى عليه السلام ولما كان المقام في هذا البت
بانه لا يكون له ولد يصير رجلا مقام احاطة العلم كان التقدير لانه سبحانه لحاط علما بانه على كثرة نسائه وتعدد
اولاده لا يولد له ولد ذكر فيصير رجلا **وكان الله** اي الذي له كل صفة كمال ازلا وابدا **بكل شي** اي من ذلك وغيره
عليما فيعلم من يليق بالختم ومن يليق بالبدء قال الاستاذ ولي الدين الملوي في كتابه حصن النفوس في سؤال
القبر واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالاحمدية والمحمدية علما وصفة برهان جلي على ختمه اذ الحمد مقرون بانقضاء
الامور مشروع عنده واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقد بين السهيلي هذا في سورة الحواريين من كتاب
الاعلام انتهى وقد بينت في سورة النحل ان مدار مادة الحمد على بلوغ الغاية وانتها النهاية ولما كان ما
اثبته لنفسه سبحانه من احاطة العلم مستلزما للاحاطة باوصاف الكمال وكان قد وعد من توكل عليه بان يكفيه
كل مهم ودل على ذلك بقصة الاحزاب وغيرها وامر بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وتقدم بالوصية التامة في
تعظيمه الى ان نهى الامر في اجلاله وكانت طاعة العبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل وجه حتى لكونه مسلوب الاختيار
معه لا تكون لكونه مسلما لا يحمل عليها الا الطاعة لله وكانت طاعة الله كذلك لا يحمل عليها الا دوام ذكره قال بعد تاكيد دوام

صلى الله عليه وسلم لزينب رضي الله عنها بانه هو سبحانه زوجه اياها لانه قضى انه لا بنوة بينه وبين احد من رجال امته
توجب حرمة زوج الولد يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك بالسنتهم اذكروا تصديقا لدعواكم ذلك الله الذي هو اعظم
من كل شيء ذكرا كثيرا اي بان تعتقدوا له سبحانه صفات الكمال وتثنوا عليه بها بالسنتكم فلا تنسوه في حال من الاحوال
ليحملكم ذلك على تعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم حق تعظيمه واعتقاد كماله في كل حال وانه لا ينطق عن الهوى لتحوزوا
معغفرة واجرا عظيما كما تقدم الوعد به ولما كان ثبوتا لبنوة بينه وبين احد من الرجال الحارما لاحاطة العلم وجب
تنزيهه سبحانه عن ذلك فقال وسبحوه اي عن ان يكون شيء على خلاف ما اخبر به وعن كل صفة نقص بعد ما اثبتم له كل
صفة كمال بكرة واصيلا اي في اول النهار واخره اي دائما لان هذين الوقتين اما للشغل الشاغل ابتداء او انتهاء او للراحة
فوجوب الذكر فيهما وجوب له في غيرهما من باب الاولى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا
معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله
وبما انهما مشهودان بالملائكة ودالان على الساعة الثاني على قربها بزوال الدنيا كلها والاول على البعث بعد الموت ويجوز
ان يكون ذلك اشارة الى صلاتي الصبح والعصر لان المواظبة عليهما لما اشير اليه من صعوبتهما بما يعتري في وقتيهما من الشغل
بالراحة او غيرها دالة على غاية المحبة للمثول بالحضرات الربانية حاملة على المواظبة على غيرهما من الصلوات وجميع الطاعات
بطريق الاولى ويؤكد هذا الثاني تفسيره بلفظ الصلاة في تعليل ذلك بدوام ذكره لنا سبحانه بقوله هو الذي يصلي اي
بصفة الرحمانية متحننا ومتعطفا لان المصلي هنا منعطف في الاركان عليكم اي يرحمكم ويظهر شرفكم بما ينزل عليكم
من الذكر على لسان هذا النبي الكريم وملائكته اي كلهم بالاستغفار لكم وحفظكم من كثير من المعاصي والافات وبركة
تعظيمهم بينه سبحانه وبين الانبياء بما ينزل اليهم من الذكر الحافظ من كل سوء فقد اشتركت الصلاتان في اظهار شرف
المخاطبين ولما كان فعل الملائكة منسوبا اليه لانه مع كونه الخالق له الامر به قال ليخرجكم اي بذلك من الظلمات
اي الكائنة من الجهل الموجب للضلال الى النور اي الناشئ من العلم المثمر للهدى فيخرج بعضكم بالفعل من ظلمات المعاصي المفضية
للرين على القلب الى نور الطاعات فيكونوا بذلك مومنين وكان اي ازلا وابدا بالمومنين اي الذين صار الايمان وصفا لهم
ثابتا خاصة رحيما اي بليغ الرحمة بتوفيقهم لفعل ما يرضاه الالهية فانهم اهل خاصته فيحملهم على الاخلاص في الطاعات
فيرفع لهم الدرجات في روضات الجنات ولما كان اظهر الاوقات في غرة هذا الوصف ما بعد الموت قال تعالى مبينا
لرحيمهم تحيتهم يوم يلقونه اي بالموت او بالبعث سلام اي يقولون له ذلك انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا
بالسلام كما يقوله المحرم المشبه لحال من هو في الحشر فيجابون بالسلام الذي فيه اظهار شرفهم ويامنون معه من كل عطب
واعد اي والحال انه اعد لهم اي بعد السلامة الدائمة اجرا كريما اي عند ما دائما لا كدر في شيء منه ولما وعظ المو
فيه صلى الله عليه وسلم وهذبهم له بما اقبل باسماعهم وقلوبهم اليه وختم بما يوجبه الفوز بما عنده سبحانه وكان معظم ذلك له
صلى الله عليه وسلم فانه راس المومنين اقبل الخطاب عليه ووجهه اليه فقال منوها من ذكره ومشيرا من قدره بما ينتظم بقوله الذين
يبلغون رسالات الله الاية وما جرها من العتاب يا ايها النبي اي الذي يخبره بما لا يطلع عليه غيره ولما كان لكان
المجاهرون منهم والمساترون ينكرون الرسالة وما يتبعها اكد قوله في امرها وفخمه فقال انا ارسلناك اي بعظمتنا
بما نخبرك به الى سائر خلقنا شاهدا اي عليهم وهو مطلق شهادة لانه لا يعلم البواطن الا الله وانت مقبول الشهادة
فابلغهم جميع الرسالة ثم ذلك او ساهم سرك بعلم او ساك ولما كان المراد الاعلام برسوخ قدمه في كل من
هذه الاوصاف عطفها بالواو فقال ومبشرا اي لمن شهدت لهم بخير بما يسرهم واشار الى المبالغة في البشارة بالتضعيف
لما لها من حسن الاثر في اقبال المدعو وللتضعيف من الدلالة على كثرة الفعل والمفعول بشارة بكثرة التابع وهو السبب المقصود
السورة وكانت المبالغة في النذارة ازيد لانها ابلغ في رد المخالف وهي المقصود بالذات من الرسالة لصعوبة الاجر عليها
فقال ونذيرا اي لمن شهدت عليهم بشر بما يسوءهم وداعيا اي للفريقين الى الله اي الذي لا اعظم منه بالقول والفعل
واعرى الدعاء من المبالغة لانه شامل للبشارة والنذارة والاخبار بالقصص والامثال ونصب الاحكام والحدود
والماموربه في كل ذلك الابلاغ بقدر الحاجة بمبالغة او غيرها فمن لم ترده عن غيه النذارة وتقبل به الى رشده البشارة
حمل على ذلك بالسيف ولما كان ذلك في غاية الصعوبة لا يقوم به احد الا بمعونة من الله عظيمة اشار الى ذلك بقوله
باذنه اي بتمكينه لك من الدعاء بتيسير اسبابه وتحمل اعبائه وللمدعو من الاقبال والاتباع ان اراد له الخير ولما
كان الداعي الى الله يلزمه العون لظهور الادلة قال وسراجا يمد البصائر فيجلي ظلمات الجهل بالعلم المبصر لمواقع الدلالة
كما يجلي النور الحسي نور الابصار ولما كان المقام مرشدا الى انارته وكان من السرج ما لا يضيء وكان للتصريح
والتاكيد شان عظيم قال منيرا اي بينا على من اتبعه لتيسير في اعظم ضياء ومن تخلف عنه كان في اشد ظلام فعرف

بالتنبيه

بالتقييد بالنور انه لحط الشبه وعبر به دون الشمس لانه تقتبس منه ولا ينقص مع انه من اسماء الشمس ولما
تقدمت هذه الاوصاف الخمس وكان تطبيق ثمراتها عليه في الذروة من العلو وكان الشاهد هو البينة فكان كانه قيل فاتم
الادلة النيرة وادع واندر كل من خالف امرك وكان المقام لخطاب المقبلين طوى هذا المقدر لانه للمعرضين ودل
عليه بقوله عاطفا عليه وبشر المومنين اي الذين صح لهم هذا الوصف فانك مبشر بان لهم وبين عظمة هذه البشرى
بقوله من الله اي الذي له جميع صفات العظمة فضلا كبيرا اي من جهة المقاسمة ومن جهة التضعيف من عشر امثال
الحسنة الى ما يعلمه الا الله ولما امره سبحانه بما يسرهم نهاه عما يضر فقال ذاكرا ثمرة النذارة ولا تطع الكا
اي المكاتين والمنافقين اي لا تترك ابلاغ شيء مما انزلناه اليك من الانذار وغيره كراهة لشيء من مقالهم او فعالهم في
امر زينب او غيرها فانك نذير لهم وراد على ما في اول السورة لحط الغاية في قوله مصرحا بما اقتضاه ما قبله ودع
اي اترك على حالة حسنة بك وامر جميل لك اذاهم فلا تراقبه في شيء ولا تحسب له حسابا اصلا واصبر عليه فانه
غير ضائرك لان الله دافع عنك لانك داع باذنه ولما كان ترك المودي والاعراض عنه استسلاما في غاية
المشقة ذكر بالدواء فقال وتوكل على الله اي الملك الاعلى في الانتصار لك منهم والابلاغ جميع ما يامرك به وفي جميع امرك
فان الله متم نورك ومظهر دينك والاكتفاء به من ثمرات انارته لك بجعلك سراجا ولما كان الوكيل قد لا ينهض في
جميع الامور قال معلما بان كفايته محيطة وكفى واكد امر الكفاية بايجاد الباء في الفاعل تحقيقا لكونه فاعلا كما مضى في
اخر سورة الرعد فقال بالله اي الذي له الاحاطة الكاملة ومن النسبة بالفاعل في الاصل للزيادة التاكيد في
تحقيق معنى الفاعل فقال وكيلا فمن اكتفى به اناله جميع امره ولما امره سبحانه بالابلاغ او امن عن الالتفات الى
احد غيره وكان من المعلوم انه لابد في ذلك من محاولات ومنازعات لا يقوم بها الا من اعرض عن الكل الا لما هو شاهد
له من عظمة الخالق امره سبحانه بالتوكل عليه واقام الدليل المشهود بنفسه الاحزاب وقريظة على كفايته لمن اخلص له
فلما تم الدليل رجع الى بيان ما افتتح به السورة من الاحكام بعد اعادة الامر بالتوكل فذكر اقرب الطلاق الى معنى
المظاهرة المذكورة اول السورة بعد الامر بالتوكل الى محط قصدها عدم قربان المظاهر عنها بعدان كان بطل
المظاهرة فقال ناهيا لمن هو في ادنى اسنان الايمان بعد بشارة المومنين فالمعالم عما كانوا يشتدون به في التحرج
على المراة المطلقة لقصد مضاجرتها او تمام التمكن من التحكم فيها يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك اذا نكحتم اي
عاقدتم اطلق اسم المسبب على السبب فقد صار فيه حقيقة شرعية المومنات اي الموصوفات بهذا الوصف الشريف
ولما كان طول عدة الحبس بالعقد من غير جماع لاخير المفضي لغاية الرغبة فيهن واتم الوصلة بينكم وبينهن
العقد الحكم في العدة وان غيرها في النسب بمجرد امكان الوطء وكان الطلاق لا يكون الا بعد النكاح وبعد حل الوطء
بالنكاح اشار اليه بحرف التراخي فقال ثم طلقتموهن اي بحكم التوزيع وقيل لابن عباس ان ابن مسعود رضي الله
عنهم يقول بصحة تعليق الطلاق قبل النكاح فقال زلة عالم وتلى هذه الاية من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن
اطلق المس على الجماع لانه طريق له كما سمي الخمر اثما لانها سببه ولما كانت العدة حقا للرجال قال فما لكم
ولما كانت العدة واجبة عبر باداة الاستعلاء فقال عليهن واكد النفي باثبات الجار في قوله من عدة ولما
كان هذا على اعتياد هم ذلك وما لغتهم فيه والمضاجرة به كما في الظهار بالافتعال فقال تعتدونها اي تتكلفون عدها وتراعونه
وروي عن ابن كثير من طريق البزي شاذا بتخفيف الدال بمعنى يتكلفون الاعتداء بها على المطلقة ولما كان ذلك للكتابيات
الحكم الذي معناه الانفصال للمومنات اللاتي لهن صفات تقتضي دوام العشرة وتمام الاتصال كان ذلك للكتابيات
من باب الاولى وفائدة التقييد الارشاد الى انه لا ينبغي العدول عن المومنات بل ولا عن الصالحات من المومنات ولما كان
الكلام كما اشير اليه في امراة قريبة من المظاهر عنها وكان ما خلا من الغرض للصداق اقرب الى ذلك سببا عما مضى
قوله فمتعوهن ولم يصرح بان ذلك لغير من سمي لها لتدخل المسمى لها في الكلام على طريق الندب مع ما لها من نصف المسمى
كما دخلت الاولى وجوبا وسرحوهن اي اطلقوهن ليخرجن من منازلكم ولا تعتدوا عليهن بعدة سراحا جميلا بالاحسان
قولا وفعلا من غير ضرار بوجه اصلا لينزوجن من شاء ولما كان النبي اولى بالمومنين من انفسهم وكان المراد الا
في هذه الايات بيان ما شرفه الله به من ذلك ابتع ما بين انه لا حرج فيه من نكاح المومنين وما حرمه عليهم من التضييق على الزوجات
المطلقات ببعض ما شرفه الله تعالى به وخصه من امر التوسعة في النكاح وختمه بان ازواجه لا تحل بعده فهي حرمة
ثابتة لا تنقضي ابدا او كمن زوجها غائب عنها وهو حي لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يا ايها النبي ذاكرا سبحانه
الوصف الذي هو مبدأ القرب ومقصوده ومنبع الكمال ودوامه ولما كان الذين في قلوبهم مرض ينكرون
خصائص النبي صلى الله عليه وسلم اكد قوله انا احللنا لك ازواجك اي نكاحهن قال الحرالي في كتابه في اصول الفقه

قرب

عظم

تعليق الحكم بالاعيان مختص بما يحل تناوله او يحرم أحللت المراة اي نكاحها والفرس اي ركوبه والخمر اي شربها ولحم الخنزير اي اكله
والبحر اي ركوبه والثور اي الحرث به وكذلك كل شيء يختص بما يتناوله ولا ينصرف عنه الا بشعر ولا اجمال فيه لترجح الاختصاص
انتهى ولما كان المقصود من هذه السورة بيان مناقبه صلى الله عليه وسلم وما خصه الله به مما قد يطعن فيه المنافقون
من كونه اولى من كل احد بنفسه وماله بين انه مع ذلك ما رضي الا بالاكمل فبين انه كان يعجل المهور ويوفي الاجود فقال اللاتي
اتيت اي بالاعطاء الذي هو الحقيقة وهي به صلى الله عليه وسلم اولى او بالتسمية في العقد الكشاف وكان
التعجيل دين السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره اجورهن اي مهورهن لانها عوض عن منفعة البضع واصل الاجر الجزاء على
العمل وما ملكت يمينك ولما كان يجوز الانسان لما سباه اطيب لنفسه واعلى لقدره واجل مما اشتراه قال مما افاء
اي رد الله الذي له الامر كله عليك مثل صفية بنت حيي النضرية وريحانة القرظية وجويرية بنت الحرث الخزاعية
رضي الله عنهن مما كان في ايدي الكفار اسنده اليه سبحانه انها ما لا انه فيء على وجهه الذي احله الله لا خيانة فيه وعبر بالفيء الذي
معناه الرجوع اعلاما بان ما في يد الكافر ليس له وانما هو لمن يستلبه منه من المؤمنين بيد القهر او لمن يعطيه الكافر منهم عن طيب
نفس ومن هنا كان يعطي النبي صلى الله عليه وسلم ما يطلب منه من بلاد الكفار ونسائهم وما اعطى احدا شيئا الا وصل اليه تميم
الداري وشويل رضي الله عنهما وتبرك لك تنبيها على فضله صلى الله عليه وسلم ووقوعه من كل شيء على افضله كما تقدمت
الاشارة اليه واشارة الى انه سبق في علمه تعالى انه لا يصل اليه من ملك اليمين الا ما كان هذا سبيله ودخل فيه ما اهدى له
من الكفار مثل مارية القبطية رضي الله عنها ام ولده ابرهيم عليه السلام وفي ذلك ايضا اشارة الى ما خصه به من تحليل ما كان حظر
على من كان قبله من الغنائم ولما كان النسب كلما بعد كان اجدر بالحل وبنات عمك الشقيق وغيره من باب الاولى ولما كان
قد افرد العم لان واحد الذكور يجمع من غيره لشرفه وقوته وكونه اباحة الاخوات مجتمعات فقال وبنات عماتك من نساء بني
ولما بدأ بالعمومة لشرفها اتبعه قوله وبنات خالك جاريا في الافراد والجمع على ذلك النحو وبنات خالاتك من نساء بني زهرة ولكن في ذلك
لطيفة عجيب وهو وبنات عمك وبنات اعمامك وبنات عماتك وبنات عمتك وبنات خالك وبنات اخوالك وبنات خالاتك
وبنات خالتك وسره ما اشير اليه ولما بين شرف ازواجه من جهة النسب لما علم واشتهر ان نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة الرجال
والنساء اشرف الانساب بحيث لم يختلف في ذلك اثنان من العرب بين شرفهن من جهة الاعمال فقال اللاتي هاجرن واشار بقوله
معك الى ان الهجرة قبل الفتح اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ولم يرد بذلك التقييد بل التنبيه على الشرف
واشارة الى انه سبق في علمه سبحانه انه لا يقع له ان يتزوج من هي خارجة عن هذه الاوصاف وقد ورد ان هذا على سبيل التقييد
روى الترمذي والحاكم وابن ابي شيبة واسحاق بن راهويه والطبراني والطبري وابن ابي حاتم كلهم من رواية السدي عن ابي صالح
عن ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله عنها قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا
لك ازواجك الآية فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقاء قال الترمذي حديث حسن لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث
السدي ولما بين ما هو الاشرف من النكاح بكونه الاصل واتبعه سبحانه ما خص به شرعه صلى الله عليه وسلم من المغنم
الذي تولى سبحانه اباحته اتبعه ما جاءت اباحته من جهة المبيح اعلاما بانه ليس من نوع الصدقة التي نزه عنها قدره فقال
وامراة اي واحللنا لك امراة مؤمنة اي هذا الصنف حرة كانت او رقيقة ان وهبت نفسها للنبي ولما ذكر وصف
النبوة لانه مدار الاكرام من الخالق والمحبة من الخلائق تشريفا له به وتعليقا للحكم بالوصف لانه لو قال لك لكان ربما وقع في بعض الاوهام
كما قال الزجاج انه غير خاص به صلى الله عليه وسلم كرره بيانا ان المريد شرفه في سياق رافع لما ربما يتوهم من انه يجب عليه القبول فقال
ان اراد النبي اي الذي اعلينا قدره بما اختصصناه به من الانباء بالامور العظيمة من عالم الغيب والشهادة ان يستنكحها اي يوجد
نكاحه لها بجعلها من منكوحاته بعقد او ملك يمين فتصير له بمجرد ذلك بلا مهر ولا ولي ولا شهود ولما كان ربما فهم ان
غيره يشاركه في هذا المعنى قال مبينا للخصوصية واصفا لمصدر احللنا مفخما للامر بما المبالغة ملتفتا الى الخطاب لانه معين
للمراد رافع للارتياب خالصة لك وزاد المعنى بيانا بقوله من دون المؤمنين اي من الانبياء وغيرهم واطلقوا لوصف المفهم
للرسوخ فشمل من قيد بالاحسان والاتقان وغير ذلك من الالوان ودخل من نزل عن رتبتهم من الذين يؤمنون والذين امنوا وساير الناس
من باب الاولى بمفهوم موافقته وقد كان الواهبات عدة ولم يكن عنده صلى الله عليه وسلم منهن شيء روى البخاري عن عايشة رضي الله
عنها انها قالت كنت اغار على اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول اما تستحيي المراة ان تهب نفسها فلما
نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هواك ولما كان التخصيص لا يصح ولا يتصور الا
من محيط العلم بان هذا الامر ما كان لغير المخصوص لما العذرة ليمنع غيره من ذلك علله بقوله قد اي اخبرناك بان هذا امر يخصك
دونهم لانا قد علمنا ما فرضنا اي قدرنا بعظمتنا ولما كان لما قدره للانسان عطاء ومنعا لا بد له منه عبر فيه باداة
الاستعلاء فقال عليهم اي المؤمنين في ازواجهم اي من انه لا تحل لهم امراة بلفظ الهبة منها ولا بدون مهر ولا بدون ولي وشهود

وهذا

الاصل الذي تنشعب منه هذا النسب عمر بن عبد المطلب ان المراد به حمزة بن عبد المطلب ثم ان المراد عبد المطلب

وهذا عام لجميع المؤمنين المتقدمين والمتاخرين ولما كان هذا عاما للحرة والرقيقة قال وما ملكت ايمانهم اي من ان
احد اعتبرك لا يملك رقيقة بهبتها نفسها منه فيكون اخص من سيدها ولما فرغ من تعليل الاحلال ودنيه علل التخصيص
لفا ونشرا مشوشا بقوله لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق في شيء من امر النساء حيث احللنا لك انواع المنكوحات وزدناك الواهبة
ولما ذكر سبحانه ما فرض في الازواج والاماء الشامل للعدل في عشرتهن وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعلى
الناس فيهما واشدهم خشية وكان يعدل بينهن ويعتذر مع ذلك من ميل القلب الذي هو خارج عن طوق البشر بقوله اللهم
هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك خفف عنه سبحانه بقوله وكان الله اي المتصف بصفات الكمال من الحلم والاناة
والقدرة وغيرهما ازلا وابدا غفورا رحيما اي بليغ الستر فهو ان شاء يترك المؤاخذة فيما له ان يواخذ به ويجعل مكان المؤاخذة
الاكرام العظيم متصفا بذلك ازلا وابدا ولما ذكرها بين الصفتين اتبعهما ما خففه عنه من امرهن اكراما له صلى الله
عليه وسلم مما كان من شانه ان يتحمل فيه ويتحرج عن فعله فقال في موضع الاستيناف او الحال من معنى التخفيف في الجمل السابقة
ترجي بالهمز على قراءة الجماعة اي تؤخر من تشاء منهن اي من الواهبات فلا تقبل هبتها او من نسائك بالطلاق او غيره مع ما
يوتيهما من ان تويها وبغير همز عند حمزة والكسائي وحفص من الرجا اي تؤخرها مع افعال تكون بها راجية لعطفك وتؤوي
اي تضم وتقرب بقبول الهبة او بالابقاء في العصمة بقسم وبغير قسم بجماع وبغير جماع تخصيصا له بذلك عن ساير الرجال
اليك من تشاء وسبب نزول هذه الاية انه لما نزلت آية التخيير اشفقن ان يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك
ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت ولما كان ربما مال الى من فارقها بين تعالى حكمها فقال ومن ابتغيت اي مالت نفسك
الى طلبها ممن عزلت اي اوقعت عزلها بطلاق او رد هبة فلا جناح عليك اي في ايوائها بعد ذلك بقبول هبتها او ردها
الى ما كانت عليه من المنزلة عندك من قبيل النكاح او القسم ولما كانت المفارقة من حيث هي ولا سيما ان كان فراقها
لما فهم منهم من كراهية يظن بها انها تكره الرجعة اخبر سبحانه ان نساءه صلى الله عليه وسلم على غير ذلك فقال ذلك اي الارجاء
لدين الله والايواء العظيم الرتبة لما له من الشرف ادنى اي اقرب من الرجا ومن عدم التصريح بالاذن في القران المعجز
الى ان تقر اعينهن اي بما حصل لهن من عشرتك الكريمة وهو كناية عن السرور والطمانينة ببلوغ المراد لان من كان بلد
كانت عينه قاره ومن كان مهموما كانت عينه كثيرة التقلب لما يخشاه هذا ان كان من القرار بمعنى السكون ويجوز ان
يكون من القر الذي هو ضد الحر لان المسرور تكون عينه باردة والمهموم تكون عينه حارة فلذلك يقال للصديق اقر الله عينك
وللعدو اسخن الله عينه ولا يحزن اي بالفراق وغيره مما يحزن من ذلك ويرضين لعلمهن ان ذلك من الله لما للكلام من الاعجاز
بما اتيتهن اي من الاجود وغيرها من نفقة وقسم وغيرهما ولما كان التاكيد اوقع في النفس وانفى للبس وكان هذا
امرا غريبا لبعده عن الطباع اكد فقال كلهن اي ليس منهن واحدة الا هي كذلك راغبة فيك راضية بصحبتك ان اويتها او
ارجاتها لما لك من حسن العشرة وكرم الاخلاق ومحاسن الشمايل وجميل الصحبة وان اخترن فراقها علمت ان هذا امر من الله
جازم فكان ذلك اقل لحزنها فهو اقرب الى قرار عينها بهذا الاعتبار وزاد ذلك تاكيدا لما له من الغرابة التي لا تكاد تصدق
بقوله عطفا على نحو فالله يعلم ما في قلوبهن والله اي بما له من الاحاطة بصفات الكمال يعلم اي علما مستمرا التعلق ما في قلوبكم
ايها الخلائق كلكم فلا يبدع ان علم ما في قلوب هولاء ولما رغبه سبحانه في الاحسان اليهن بادامة العصمة بما
اخبر من ودهن له لذلك لكونه صلى الله عليه وسلم شديد المحبة لادخال السرور على القلوب زاده ترغيبا بقوله وكان الله
ازلا وابدا عليما اي بكل شيء ممن يطيعه ومن يعصيه حليما لا يعاجل من عصاه بل يديم احسانه اليه في الدنيا فيجب ان
يتقى لعلمه وحلمه فعلمه موجب للخوف منه وحلمه مقتض للاستحيا منه واخذ الحليم شديد فينبغي لعبده المحب له ان يحلم
عمن يعلم تقصيره في حقه فانه سبحانه ياجر على ذلك بان يحلم عنه فيما علمه منه وان يرفع قدره ويعلي ذكره روى البخاري في
التفسير عن معاذة عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاذن في يوم المراة منا بعد ان نزلت
هذه الاية ترجي من تشاء منهن الاية قلت لها ما كنت تقولين قالت كنت اقول له ان كان ذاك الي فاني لا اريد يا رسول الله ان
اوثر عليك احدا ولما امره بما يشق من تغيير العوايد في امر العدة ثم بما قد يشق عليه صلى الله عليه وسلم من تخصيصه
بما ذكر خشية من طعن بعض من لم يرسخ ايمانه وختم ذلك بما يسر ازواجه وصل به ما يزيد سرورهن من تحريم غيرهن عليه شكرا
لهن على اعراضهن عن الدنيا واختيارهن الله ورسوله فقال لا يحل لك النساء ولما كان تعالى شديد العناية به
صلى الله عليه وسلم لوح له في اية التحريم الى انه سيبيحه عنه فاثبت الجار فقال من بعد اي بعد من معك من هولاء التسع
كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه شكرا من الله لهن لكونهن لما نزلت اية التخيير اخترن الله ورسوله فتكون
الاية منسوخة بما تقدم عليها في النظم وتاخر عنها في الانزال من آية انا احللنا لك ازواجك وفي رواية اخرى عنه
من بعد اللاتي احللنا لك بالصفة المتقدمة من بنات العم وما معهن ويويدها ما تقدمت روايته عن ام هانئ رضي الله

وايثارع

عنها كان ربما فهم ان المراد الحصر في عدد التسع لا بقيد المعينات قال ولا ان تبدل بهن اي هؤلاء التسع واغرق في
النفي بقوله من ازواج اي بان تطلق بعض هؤلاء المعينات وتاخذ بدلها من غيرهن بعقد النكاح بحيث لا يزيد العدد على تسع فعلم بهذا
ان الممنوع منه نكاح غيرهن مع طلاق واحدة منهن اولا ومع موتها لرواية الاولى عن ابن عباس لان المتبدل بها لا يكون الا معلومة
العين والجواب عن قول ام هانئ رضي الله عنها انه لم ينكحها لا رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم واما عند موت واحدة منهن فلا
حرج في نكاح واحدة بدلها ولما علم من هذا المنع من كل زوجة باي صفة كانت اكد المعنى وحققه وصرح به في قوله حالا
من فاعل تبدل ولو اعجبك حسنهن اي النساء المغايرات لمن معك وفي هذا اباحة النظر الى من يراد نكاحها لان النظر الاولى
لا يكاد يثبت ما عليه المرئي من حاق الوصف ولما كان لفظ النساء شاملا للازواج والاماء بين ان المراد الازواج فقط
بقوله الا ما ملكت يمينك اي فيحل لك منهن ما شئت وقد ملك صلى الله عليه وسلم ريحانة رضي الله عنها من سبي بني قريظة
واستمرت في ملكه مدة لا يقربها حتى اسلمت ثم ملك بعد عام الحديبية مارية رضي الله عنها ام ولده ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ولما تقدم سبحانه في هذه الايات فامر ونهى وحد حدودا واخذ من النهاة ونهى بهم ولو بنوع تاويل فقال وكان الله
اي الذي لا شيء اعظم منه وهو المحيط بجميع صفات الكمال على كل شيء رقيبا اي يفعل فعل المراعي لما يتوقع منه من خلل على اقرب
قرب منه بحيث لا يفوته مع رعايته فايت من امر المرعي ولا يكون الرقيب الا قريبا ولا اقرب من قرب الحق سبحانه فلا ارعى من
رقبته وهو من اشد الاسماء وعيدا ولما كان القرب والاحاطة لله كان بالحقيقة لا رقيبا الا هو والاية على كل حال
منسوخة ان قلنا بالاحتمال الاول والثاني فقد روى الترمذي في التفسير عن عائشة رضي الله عنها وناهيك بها ولا سيما في
هذا الباب انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال هذا حديث حسن صحيح انتهى
ونقل ابن الجوزي عنها رضي الله عنها ان الناسخ آية انا احللنا لك ازواجك وكذا عن جماعة منهم علي وابن عباس وام سلمة رضي الله
عنهم ولكنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك تادبا مع الله حيث عبر في المنع بصيغة الخبر والفعل المضارع ورعاية لما اشار الله
تعالى اليه من رعاية حقهن في اختيارهن الدار الاخرة ولما قصره صلى الله عليه وسلم عليهن وكان قد تقدم امرهن
بلزوم البيوت وترك ما كان عليه الجاهلية من التبرج اتى عليهن الحجاب في البيوت ومنع غيره صلى الله عليه وسلم مما كانت العرب
عليه من الدخول على النساء لما عندهم من الامانة في ذلك فقال مخاطبا لادنى اسنان اهل هذا الدين لما ذكر في سبب نزولها ولان
المؤمنين كانوا امنتهم عن ذلك بغيرناه كما يدل عليه ما ياتي من قول عمر رضي الله عنه في الحجاب يا ايها الذين امنوا اي ادعوا
الايمان صدقوا دعواكم فيه بان لا تدخلوا مع الاجتماع فالواحد من باب الاولى ولما كان تشويش الفكر ربما كان شاغلا عن
شيء مما ينبئ الله به كما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم بينت لي ليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فانسيتها او كما
قال صلى الله عليه وسلم عبر بصيغة النبوة في قوله بيوت النبي اي الذي ياتيه الانباء من علام الغيوب بما فيه غاية رفعته في
حال من الاحوال اصلا الا في حال ان يؤذن لكم اي ممن له الاذن في بيوته صلى الله عليه وسلم منه او ممن ياذن له في ذلك منتهين
الى طعام اي اكله حال كونكم غير ناظرين اناه اي وقت ذلك الطعام وبلوغه واستواءه للاكل فمنع بهذا من كان يتحين طعام
النبي صلى الله عليه وسلم لان في ذلك تكليفا له صلى الله عليه وسلم بما يشق عليه جدا فانه ربما كان ثم من هو احوج الى ذلك الطعام
من المتحين او غير ذلك من الاعذار فلا يتوجه الخطاب الى غير اهل هذا السن السائل ومن وقعت له فلتة ممن فوق ذلك دخل
في خطابهم بما انزل من رتبته والتعبير باسم الفاعل المجرد في ناظرين ابلغ في النهي ولما كان هذا الدخول لا الاذن مطلقا
وكان يراد تقييده وكان الاصل في ذلك فاذا دعيتم الى الاجر وبحر لما كان المقام للحتم بالجزم فيما يذكر وكان للاستدراك
امر عظيم من روعة النفس وهزها للعلم بان ما بعده مضاد لما قبله قال ولكن اذا دعيتم اي ممن له الدعوة فادخلوا اي لاجل
ما دعاكم له ثم سبب عنه قوله فاذا طعمتم اي اكلتم طعاما او شربتم شرابا فانتشروا اي اذهبوا حيث شئتم في الحال
ولا تمكثوا بعد الاكل لا مستريحين لقرار الطعام في بطونكم ولا مستانسين لحديث اي طالبين الانس لاجله قال حمزة
ابن نصر الكرماني في كتابه جوامع التفسير قال الحسن حسبك بالثقلاء ان الله لم يتجوز في امرهم انتهى وعن عائشة رضي الله
عنها انها قالت حسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم ثم علل ذلك بقوله مصوبا الخطاب الى جميعهم معظما له باداة البعد ان
ذلكم اي الامر الشديد وهو المكث بعد الفراغ كان يؤذي النبي اي الذي هيأناه لسماع ما ننبئه به مما يكون سبب شرفكم
وعلوكم في الدارين فاحذروا ان تشغلوه عن شيء منه فتفتنه بشيء مما يكون منه ثم سبب عن ذلك المانع له من مواجهتهم بما يزيل اذاه
فقال فيستحيي اي يوجد الحياء واصله ايجاد الحياة كان من لا حياء له جماد لا حياة له منكم اي ان يامركم بالانصراف والله
اي الذي له جميع الامر لا يستحيي من الحق اي لا يفعل فعل المستحيي فيؤديه ذلك الى ترك الامر به ولما كان البيت يطلق
على المرأة الملازمة له عادة اعاد الضمير عليهن مرادا به النساء استخداما فقال واذا سالتموهن اي الازواج متاعا اي
شيئا من الة البيت فاسألوهن اي كذلك المتاع كائنين وكائنات من وراء حجاب اي ستر يستركم عنهن ويسترهن عنكم

اي شيئا

ذلكم

ذلكم اي الامر العالي الرتبة الذي دبرتكم جميعكم به من السؤال من وراء حجاب وغيره اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي من وساوس
الشيطان التي كان لا يوسوس بها في ايام الجاهلية قناعة منه بما كانوا به في حبالته من الشرك وما كان لكم اي وما صح
وما استقام في حال من الاحوال ان تؤذوا وذكرهم بالوصف الذي هو سبب سعادتهم واستحق به عليهم من الحق ما لا يعد دون
على القيام بشكره فقال رسول الله اي الذي له جميع الكمال فله الكمال من الاحسان ما يستوجب منكم به غاية الاكرام في
والاجلال فضلا عن الكف عن الاذى فلا تؤذوه الى شيء بالدخول الى شيء من بيوته بغير اذنه او المكث بعد فراغ الحاجة ولا
بغير ذلك ولما كان قد قصره صلى الله عليه وسلم عليهن والزم ذلك بعدا ان احل له غيرهن قصرهن عليه بعد الموت زيادة
لشرفه واظهارا لمزيته فقال ولا ان تنكحوا اي فيما يستقبل من الزمان ازواجه من بعده اي بعد فراقه لمن دخل بها منهن بموت
او طلاق ابدا فانا العمدة منه ينبغي ان لا ينقضي لماله من الجلال والعظمة والكمال وهو حي في قبره لا يزال وثم علة اعظم
من هذه لمسيها في الميراث وهي قطع الاطماع عن امتدادها الى شيء من الدنيا بعده ليلا يتمنى احد موته صلى الله عليه وسلم
لياخذ ذلك فيكفر لانه لا ايمان لمن لا يقدمه على نفسه واما العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي صلى الله عليه وسلم فهي
وتزوجت غيره فكان امرها قبل نزول هذه الاية ذكره البغوي عن معمر عن الزهري ثم علل ذلك بقوله ان ذلكم اي الايذاء بالنكاح
وغيره الذي ينبغي ان يكون على غاية البعد كان عند الله اي القادر على كل شيء عظيما وقد ورد في سبب نزول هذه الاية
اشيا روى ابو يعلى الموصلي في مسنده عن انس رضي الله عنه قال بعثتني ام سليم رضي الله عنها برطب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على طبق في اول ما اينع ثمر النخل قال فدخلت عليه فوضعته بين يديه فاصاب منه ثم اخذ بيدي فخرجنا وكان حديث
عهد بعرس زينب بنت جحش رضي الله عنها قال فمر بنساء من نسائه وعندهن رجال يتحدثون فهنينه وهنأه الناس
فقالوا الحمد لله اقر بعينك يا رسول الله فمضى حتى اتى عائشة رضي الله عنها فاذا عندها رجال قال فكره ذلك وكان
اذا كره الشيء عرف في وجهه قال فاتيت ام سليم فاخبرتها فقال ابو طلحة رضي الله عنه لئن كان ما قال ابنك ليحدثن
ليحدثن امر قال فلما كان من العشي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم تلا هذه الاية يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا الاية قال وامر بالحجاب واصله في التفسير من جامع الترمذي وروى البخاري وغيره عنه رضي الله عنه
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب رضي الله عنها فقالت لي ام سليم لو اهدينا للنبي صلى الله عليه
وسلم هدية فقلت لها افعلي فعمدت الى تمر واقط وسمن فاتخذت حيسة في برمة فارسلت بها معي اليه فقال لي ضعها
ثم امرني فقال ادع لي رجالا سماهم وادع لي من لقيت ففعلت الذي امرني فرجعت فاذا البيت غاص باهله وفي رواية
الترمذي انا الراوي قال قلت لانس كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة
وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة ياكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه
حتى تصدعوا كلهم عنها قال الترمذي فقال لي يا انس ارفع فرفعت فما ادري حين وضعت كان اكثر او حين رفعت
فخرج منهم من خرج وبقي نفر يتحدثون قال وجعلت اغتم قال الترمذي ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
وزوجته مولية وجهها الى الحائط فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرزاق في تفسيره
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحيي منهم ان يقول لهم شيئا ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم نحو الحجرات
وخرجت في اثره فقلت انهم قد ذهبوا فرجع فدخل البيت وارخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وفي رواية الترمذي ثم رجع فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع ظنوا
انهم قد ثقلوا عليه فابتدروا الباب فخرجوا كلهم وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارخى الستر ودخل
وانا جالس في الحجرة فلم يلبث الا يسيرا حتى خرج علي وانزلت هذه الايات فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقراهن على الناس يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وروى الشيخان وغيرهما عن انس رضي الله عنه
وهذا لفظ البخاري في روايات قال بني على النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم فارسلت على
الطعام داعيا فيجيء قوم فياكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فياكلون ويخرجون فدعوت حتى ما اجد احدا ادعوا
فقلت يا نبي الله ما اجد احدا ادعوا قال ارفعوا طعامكم فجلسوا يتحدثون في البيت فاذا هو كانه يتهيا
للقيام فلم يقوموا فلما راى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر وفي رواية ثلاثة رهط فخرج النبي صلى
الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله فقالت وعليك
السلام ورحمة الله كيف وجدت اهلك بارك الله لك فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت
عائشة رضي الله عنهن ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا القوم جلوس وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء
فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة رضي الله عنها وفي رواية اولم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى بزينب بنت جحش

رضي الله عنها فأشبع الناس خبزًا ولحمًا ثم خرج الى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه فيسلم عليهن ويدعو لهن
ويسلمن عليه ويدعون له فلما رجع الى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث فلما رآهما رجع عن بيته فلما رأى الرجلان نبي الله صلى الله
عليه وسلم رجع عن بيته وثبا مسرعين فما أدري أنا أخبرته بخروجهما او أخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى اذا وضع رجله في
أسكفة الباب داخله وأخرى خارجه أرخى الستر وفي رواية فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي وللبخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم احجب نساءك قالت فلم يفعل وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن ليلًا الى ليل قبل المناصع فخرجت
سودة بنت زمعة وكانت امرأة طويلة رضي الله عنها فرآها عمر بن الخطاب وهو في المجلس فقال عرفتك يا سودة حرصًا
على أن ينزل الحجاب قالت فأنزل الله عز وجل الحجاب وللبخاري عن أنس رضي الله عنه ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما كلاهما
عن عمر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب
وروي في السبب أشياء غير هذه وقد تقدم أنه ليس ببدع أن يكون للآية الواحدة عدة أسباب مستوية الدرجة وبعضها
أقرب من بعض على أنه قد روى البخاري في التفسير في سبأ وهذه الآية ما هو صريح في أن قصة سودة بعد الحجاب عن عائشة
رضي الله عنها قالت خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيتي وانه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله اني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر
كذا وكذا قالت فأوحي اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن وهؤلاء الذين
جلسوا والنبي صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه من الكراهة لجلوسهم بما ذكر من هيئاته في حيائه وتهيئه للقيام ونحو ذلك
لم يستثمروا الفقه من أحواله بل كانوا اقتصروا عند ما يسمعونه من مقاله وطريق الكمل الاستبصار برسمه وحاله كما
يستبصرون من قاله وفعاله قال الحرالي لحال الكل هيئة تظهر عن انفعال الباطن ويختص بتفهمها المشاهد المتوسم وذلك
كضحكه صلى الله عليه وسلم للذي رآه يوم خيبر وقد أخذ جراب شحم في فيء يهود وهو يقول لا أعطي اليوم من هذا أحدًا شيئًا
وكتغير وجهه لعمر رضي الله عنه لما أخذ يقرأ عليه صحيفة من حكم الأولين حتى نبه عمر رضي الله عنه من توسم في وجهه صلى
الله عليه وسلم الكراهة لفعل عمر وأنبأ كل حال منها بحسب ما يقتضيه الانفعال من الانبساط والانقباض والاعراض
ونحو ذلك مما يتوسمه المتفطن ويقطع بمقتضاه المتفهم وأما الرسم فهو كل ما شأنه البقاء بعد غيبته ووفاته فيتفهم منه
المعتبر حكم وضعه ومقصد رسمه كالذي يشاهد من هيئة بنائه مسجده على حال الاجتزاء بأيسر ممكن وكبنائه بيوته في
هيئة لا تكلف فيها ولا مزيد على مقدار الحاجة وكمثل الكساء الملبد الذي ترك وفراشه ونحو ذلك من متاع بيوته وكما
يتفهم من احتفاله في أداة سلاحه مثل كون سيفه محلى بالفضة وقبيعته فضة ومثل احتفاله بالتطيب حتى كان يرى
في ثوبه وزره فيتعرف من رسومه أحكامه كما يتعرف من أحواله وأفعاله وأقواله وذلك لأن جميع هذه الإبانات
كلها هي حقيقة ما هو الكلام انتهى وبرهان ذلك أن الأصل في الكل الكلام النفسي الذي هو المعنى والقول
والفعل والحال والرسم مترجمة عنه وليس بعضها أحق بالترجمة من بعض نعم بعضها أدل من بعض وأنص وأصرح فتهيؤ
النبي صلى الله عليه وسلم للقيام من بيته مثل ما لو قال أريد أن تذهبوا فانه يلزم من قيام الرجل من بيته الذي هو محل ما
يستر عن غيره أن يريد ذهابًا عنه منه لئلا يطلع على ما لا يحب أن يطلع عليه واتيانه ليدخل فاذا رآهم رجع مثل ما
لو قال انما ينبغي من الدخول الى محل أحب جلوسكم فيه لشغل جلوسكم على وكذا الأحوال والرسوم والله الهادي ولما
كان بعض الدال على الكلام كما مر أصرح من بعض وكان الانسان قد يضمر أن يفعل ما يؤذي ذا مكن وقد يؤذي بفعل
يفعله ويدعي أنه قصد شيئًا آخر مما لا يؤذي قال تعالى حاملًا لهم على التفطن والتنبه في الأقوال وغيرها في المقاصد الحسنة
ظاهرًا وباطنًا على طريق الاستئناف في جواب من ربما اشتهى بظاهره وهو عازم على أن يفعل الأذى عند التمكن إن تبدوا
اي بألسنتكم او غيرها شيئًا اي من ذلك او غيره أو تخفوه اي في صدوركم ولما كان يفعل من يخفي أمرًا عن الناس
فعل من يظن انه يخفى على ربه قال مؤكدًا تنبيهًا لفاعل ذلك على هذا اللازم لفعله ترهيبًا له فإن الله اي الذي له
جميع صفات الكمال كان أزلًا وأبدًا هكذا كان الأصل ولكنه أتى بما يعمه وغيره فقال بكل شيء اي من ذلك وغيره
عليمًا فهو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم وان بالغتم في كتمه فيجازي عليه من ثواب او عقاب ولما كان المقصود
كما تقدم من تغليظ الحجاب على ذوات الخدور وكان قد ذكر في هذه السورة خصائص وتغيير أحكام للنبي صلى الله عليه
وسلم ولأزواجه رضي الله عنهن ولغيرهم كان ربما ظن أن الحجاب تغير او تغير منه بالنسبة الى الدخول او غيره
فاستثنى من عموم النهي السابق عن الدخول على وجه يعم جميع النساء على نحو ما تقدم في سورة النور فقال لا جناح اي إثم

عن عائشة

عليهن

١٥٧

عليهن في آبائهن دخولًا وخلوة من غير حجاب والعم والخال وابنا الزوج بمصير الزوجين كالشيء الواحد بمنزلة الوالد
ولا أبنائهن اي من البطن او الرضاعة وابن الزوج بمنزلة الولد وترك ذكرهم يفهم أن الورع الحجاب عنهم ولا إخوانهن
ولا أبناء إخوانهن فإنهن بمنزلة آبائهم ولا أبناء أخواتهن فإنهن بمنزلة الخؤولة أمهاتهم ولا نسائهن
لأن عارهن عارهم ولا ما ملكت أيمانهن
اي المسلمات القربى منهن والبعدى بمنزلة واحدة وأما الكافرات فهن بمنزلة الأجانب من الرجال
لأنهم لما لهن عليهم من السلطان تبعد منهم الريبة هيبة لهن مع مشقة الاحتجاب عنهم ولما كانت الريبة ليست
مقطوعًا بنفيها وكانت من جهة النساء أكثر لأنه لا يكاد رجل يتعرض إلا لمن ظن بها الإجابة لما يرى من مخايلها او مخايل
أشكالها أقبل عليهن بالخطاب لأنه أوقع في النفس فقال آمرًا عاطفًا على ما تقديره فأظهرن على من ذكر من هؤلاء
واتقين الله اي الذي لا أعظم منه فلا تقربن شيئًا مما يكرهه وطوى ما عطف عليه الأمر بالتقوى بعد أن ساق نفي الجناح
في أسلوب الغيبة وأبرز الأمر بها وجعله في أسلوب الخطاب إيذانًا بأن الورع ترك الظهور على أحد غير من ذكر لمحل التمنع
وإن دعت حاجة كان مع الظهور بحجاب كثيف من الاحتشام والأدب التام ولما كان الخوف لا يعظم إلا ممن
كان حاضرًا مطلعًا قال معللًا مؤكدًا تنبيهًا على أن فعل من تهاون في شيء من أوامره فعل من لا يتقي ومن لا يتقي كمن يظن أنه
سبحانه غير مطلع عليه إن الله اي العظيم الشأن كان أزلًا وأبدًا على كل شيء من أفعالكن وغيرها ولمزيد الاحتياط
والورع في ذلك عبر بقوله شهيدًا اي لا يغيب عنه شيء وإن دق فهو مطلع عليكن حال الخلوة كما يحضر في حال الجلوة
فليهابهن عظمته باهرة وسطوة ظاهرة وأمر مخوف لكل أحد أن يبكي منه الدما فضلًا عن الدموع وأن يمنعه مريح الفؤاد
ولذيذ الهجوع روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت استأذن علي أفلح أخو أبي القعيس رضي الله عنه بعد ما أنزل
الحجاب فقلت لا آذن له حتى أستأذن فيه النبي صلى الله عليه وسلم فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة
أبي القعيس فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن فأبيت أن آذن له
حتى أستأذنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يمنعك قلت يا رسول الله إن الرجل ليس هو أرضعني ولكن
أرضعتني امرأة أبي القعيس فقال ائذني له فإنه عمك تربت يمينك قال عروة فلذلك كانت عائشة رضي الله عنها
تقول حرموا من الرضاعة ما تحرموا من النسب ولما كانت هذه الآيات وما قبلها وما بعدها في إظهار شرف
النبي صلى الله عليه وسلم وبيان مناقبه علل الأوامر فيها والنواهي وغيرها بقوله مؤكدًا لاقتضاء الحال ذلك أما من أخل
بالجلوس في غير حينه فواضح وأما غيره فكان مرجعهم إلى الانبساط فوق المجلس حتى يعلموا أن لا يعرف الأدب فكان تهاونه
في ذلك فعل من لا يريد إظهار شرفه صلى الله عليه وسلم فهو تأديب وترهيب إن الله اي وعلمكم محيط بأنه لمجامع
الكبر والعظمة والعز ولما كان سبحانه قد قدم
وملائكته اي وهم أهل النزاهة والقرب والعصمة
قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته فأفرد كلًا بخبر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعلى المخاطبين حظًا من ذلك
فإنه رأس المؤمنين أفرده هنا بهذه الصلاة التي جمع فيها الملائكة الكرام معه سبحانه وجعل الخبر عنهم خبرًا واحدًا
لتكون أتم فإن قولك فلان وفلان يبصر أن فلانًا أضخم من قولك فلان يبصر وفلان فقال تعالى يصلون على النبي
اي يظهرون شرفه وما له من الوصلة بالملك الأعظم بما يوحيه الله إليه من عجائب الخلق والأمر من عالم الغيب والشهادة
وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه البخاري يبركون ولما كانت ثمرة المراد بهذا الإعلام التأسي
علم بأن الكلام أن المعنى ويسلمون عليه لأن ذلك من تمام الوصلة التي يدور عليها معنى الصلاة فأنتج ذلك قطعًا تفسير
المراد بيصلون يا أيها الذين آمنوا اي ادعوا ذلك بألسنتكم صلوا عليه بعدم الغفلة عن المبادرة الى إظهار شرفه
في حسن من الإحسان نفسه ولأن الكبير اذا فعل شيئًا بادر كل محب له معتقد لعظمته الى فعله وسلموا
ولما كان المراد بكل من الصلاة والسلام إظهار الشرف وكان السلام أظهر معنى في ذلك وكان تحيته عند اللقاء
واجبًا في التشهد بالخلاف وذا الأعل الإذعان لجميع أوامره الذي لا يحصل الإيمان إلا به وهو من المسلم نفسه أكد
الصلاة فإنما يطلبها المصلي من الله أكد بمصدره فقال تسليمًا اي فأظهروا وأشرفه بجل ما تصل قدرتكم اليه من حسن متابعته
وكثرة الثناء الحسن عليه والانقياد لأمره في كل ما يأمر به ومنه الصلاة والسلام عليه بألسنتكم على نحو ما علمكم في
التشهد وغيره مما ورد في الأحاديث عن أبي سعيد الخدري وكعب بن عجرة وغيرهما رضي الله عنهم
الصلاة والسلام في إظهار الشرف أن الصلاة كما قال في القاموس الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله
عز وجل وعبادة فيها ركوع وسجود انتهى والسلام هو التحية والتحية كما قال البيضاوي في تفسير سورة النساء
في الأصل مصدر حياك الله على الإخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام
وفي القاموس التحية السلام والبقاء والملك وحياك الله أبقاك أو ملكك وقال الإمام أبو عبد الله القزاز

في جامعة السلام اسم من اسماء الله تعالى والسلام ههنا بمعنى السلامة كما يقال الرضاع والرضاعة واللذاذ واللذاذة قالوا ومعنى قول القايل لصاحبه سلام عليك اي قد سلمت مني لا انالك بيد ولا لسان وقيل معناه السلامة من الله عليكم وقيل هو الامان وقيل الامان والسلامة هي النجاة من الافات بتمامها فقد ظهر ان معنى الكل كما ترى يرجع الى اظهار الشرف نظر الملزوم الى اللازم ولذا للمفسر البيضاوي يصلون بقوله يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه وسلموا بقوله قولوا السلام عليك او انقادوا لاوامره فلما تأخينا في هذا المعنى وكان هو المراد الذي بلفظ السلام تحصيلا لتمام المقصود بدلالته على الانقياد فهو مؤكد لصلوا بمعناه ولسلموا بلفظه استعمالا للشيء في حقيقته ومجازه كما هو مذهب امامنا الشافعي ومثل يا ايها الناس لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى وبقوله او لامستم النساء وغير ذلك وقد بينت في سورة الرعد ان مادة صلوا بجميع تراكيبها تدور على الوصلة وهي لازمة لكل ما ذكر من تفسيرها هنا ولك ان تجعله من الاحتباك فنقول حذف التاكيد اولا لفعل الصلاة لما دل عليه من التاكيد بمصدر السلام وترجح اظهار مصدر السلام بما تقدم من ذكره وحذف متعلق السلام لدلالة متعلق الصلاة عليه وليصلح ان يكون وان يكون له فيصلح ان يجعل التسليم بمعنى الاذعان والله الموفق

ولما نهى سبحانه عن اذاه صلى الله عليه وسلم وحض على ادخال السرور عليه توعد على اذاه فقال على طريق الاستيناف او التعليل اشارة الى ان ثمرة نهيي من الصلاة والسلام من الاذى هي واكد اظهارا لانه مما يحق له ان يؤكد وان يكون لكل من يتكلم به غاية الرغبة في تعزيره **ان الذين يؤذون** اي يفعلون فعل المؤذي بارتكاب ما يدل على التهاون من كل ما يخالف **الله** اي الذي لا اعظم منه ولا نعمة عندهم الا من فضله **ورسوله** اي الذي ابحى عليهم بما يخبرهم به عن الله مما ينقذهم به من شقاوة الدارين ويوجب لهم سعادتهما ما لا يقدرون على القيام بشكره باي اذى كان حتى في التقصير بالصلاة عليه باللسان **لعنهم** اي ابعدهم وطردهم وابغضهم **الله** اي الذي لا اعظم منه **في الدنيا** بالحمل على ما يوجب السخط **والاخرة** بادخال دار الاهانة

ولما كان الحامل على الاذى الاستهانة قال **واعد لهم عذابا مهينا**

ولما كان من اعظم اذاه صلى الله عليه وسلم اذى من تابعه وكان الاتباع لكونهم غير معصومين يتصور ان يؤذوا بالحق قال معيدا للكلام **والذين يؤذون المؤمنين** اي الراسخين في صفة الايمان **والمؤمنات** كذلك

ولما كان الاذى بالكذب اشد في الفساد واعظم في الاذى قال **بغير ما اكتسبوا** اي بغير شيء واقعوه متعمدين له حتى اباح اذاهم **فقد احتملوا** اي كلفوا انفسهم ان حملوا **بهتانا** اي كذبا وفجورا زايدا على الحد موجبا للخزي في الدنيا

ولما كان من الناس من لا يؤثر فيه الا هاد وكان الاذى قد يكون بغير القول قال **واثما مبينا** اي ذنبا ظاهرا جدا موجبا للعذاب في الاخرى

ولما نهى سبحانه عن اذى المؤمنات وكان الحراير بعيدات من طمع المفسدين لما لهن في انفسهن من الصيانة وللرجال بهن من العناية وكان جماعة من اهل الريبة يتبعون الاماء اذا خرجن يتعرضون لهن للفساد وكان الحراير يخرجن لحاجتهن ليلا فكان ربما تبع المراة منهن احد من اهل الريب يظنها امة او يعرف انها حرة ويعتل بانه ظنها امة فيتعرض لها وربما رجع فقال لاصحابه فعلت بها ونحو كذب وفي القوم من يعرف انها فلانة فيحصل بذلك من الاذى ما يقصر عنه الوصف ولم يكن اذ ذاك كما نقل عن مقاتل فرق بين الحرة والامة كن يخرجن في درع وخمار وكان اتسام الحراير بامارة يعرفن بها ليهبن ويحتشمن يخفف هذا الشر قال تعالى **يا ايها النبي** فذكره بالوصف الذي هو منبع المعرفة والحكمة لان البيان في حكمة بدت بها عن الحريم لئلا يشتغل فكره صلى الله عليه وسلم بما يحصل لهن من الاذى عن تلقي شيء من الواردات الربانية **قل لازواجك** بدا بهن لما لهن من الوصلة ولهن في انفسهن من الشرف واخرهن عن الازواج لان ازواجهن يكونونه امرهن **وبناتك ونساء المؤمنين يدنين** اي يقربن **عليهن** اي على وجوههن وجميع ابدانهن فلا يدعن شيئا منها مكشوفا **من جلابيبهن** ولا يتشبهن بالاماء في لباسهن اذا خرجن لحاجتهن بكشف الشعور ونحوها ظنا ان ذلك اخفى لهن واستر والجلباب القميص وثوب واسع دون الملحفة تلبسه المراة والملحفة ما ستر اللباس او الخمار وهو كل ما غطى الراس وقال البغوي الجلباب الملاءة التي تشتمل بها المراة فوق الدرع والخمار وقال حمزة الكرماني قال الخليل كل ما يستتر به من دثار وشعار وكساء فهو جلباب والكل يصح ارادته هنا فان كان المراد القميص فادناؤه اسباغه حتى يغطي يديها ورجليها وان كان ما يغطي الراس فادناؤه اسباغه حتى يغطي بكميها وبكلها ستر وجهها وعنقها وان كان المراد ما يغطي الثياب فادناؤه تطويله وتوسيعه بحيث يستر جميع بدنها وثيابها وان كان المراد ما دون الملحفة فالمراد ستر الوجه واليدين

ولما امر بذلك علله بقوله **ذلك** اي الستر ادنى اي اقرب من تركه في **ان يعرفن** انهن حراير بما يميزهن عن الاماء **فلا** اي فيتسبب عن معرفتهن انه لا **يؤذين** ممن يتعرض للاماء فلا يشتغل قلبك عن تلقي ما يرد عليك من الانباء الالهية

ولما امرهم سبحانه بهذا الامر في حضرات الرضوان خافوا عاقبة ما كانوا فيه من الغلط بالتشبه بالاماء فاخبرهم سبحانه انه في محل الجود والاحسان فقال **وكان الله** اي الذي له الكمال المطلق ازلا وابدا **غفورا** اي محاء للذنوب عينا واثرا **رحيما** مكرما لمن يقبل عليه ويمتثل اوامره ويجتنب مناهيه قال البغوي قال انس رضي الله عنه مرت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتشبهين بالحراير القي القناع

ولما كان المؤذون بما مضى وغيره اهل النفاق ومن داناهم حذرهم بقوله مؤكدا دفعا لظنهم دوام الحلم عنهم

لئن لم ينته اي عن الاذى **المنافقون** اي الذين يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام **والذين في قلوبهم مرض** اي على مرض من النفاق حامل على المعاصي **والمرجفون في المدينة** وهم الذين يشيعون الاخبار المخيفة لاهل الاسلام التي تضطرب لها القلوب سواء كانوا من القسمين الاولين ام لا **لنغرينك بهم** بان نحملك على ان تولع بهم بان نامرك باهانتهم ونزيل الموانع من ذلك ونثبت الاسباب الموصلة اليه حتى تصير لاصقا بجميع احوالهم لصوق الشيء الذي يلحم بالغراء فلا يقدروا على الانفكاك عن شيء مما تفعله بهم الا بالبعد من المدينة بالموت او الرحيل الى غيرها وهذا معنى قول ابن عباس كما رواه عنه البخاري لنسلطنك ولما كان اخراجهم من المدينة مستبعدا عندهم جدا وكان اعظم رتبة في ذلهم من غيره لان الاخراج من الاوطان من اعظم الهوان اشار اليه باداة التراخي فقال **ثم لا يجاورونك فيها** اي بعد محاولتك لهم **الا قليلا** اي من الزمان يبعدوا بمكن لك المضار يتعظم عليهم المصايب

ولما كان معنى الكلام انهم ينفون لانه صلى الله عليه وسلم يوم ينفيهم ويبعدهم ويقبلهم بين حالهم في نفيهم فقال **ملعونين** اي ينفون نفي بعد من الرحمة وطرد عن ابواب القبول

ولما كان المطرود قد يترك وبعد او نصبه على [illegible] بين انهم على غير ذلك فقال مستانفا **اينما ثقفوا** اي وجدوا او وجدهم احد في منهم وافطن واكيس واصنع **اخذوا** اي اخذهم ذلك الواجد لهم **وقتلوا** اي اكثر قتلهم وبولغ فيه ثم اكده بالمصدر بغضا فيهم وازهابا لهم فقال **تقتيلا**

ولما بين لهم هذا العذاب الهايل في الدنيا بين ان تلك عادته في اوليايه واعدايه فقال مؤكدا بالاضافة في موضع المصدر لما لهم من استبعاد ذلك لكونهم لم يعهدوا امثاله مع ما لهم من الاشتباك بالاهل والعشاير **سنة الله** اي طريق الملك المحيط بجميع العظمة هذه الطريقة **في الذين خلوا** اي مضت ايامهم وانقضت وقايعهم واعمارهم من الذين كانوا ينافقون على الانبياء كعادتهم واشياعهم وبين قتلهم بكونهم في بعض الازمنة فقال **من قبل** واعظم التاكيد لما لهم من الاستبعاد الذي جراهم على النفاق فقال **ولن تجد** اي اصلا وابدا **لسنة الله** اي طريقة الملك الاعظم **تبديلا** كما تبدل سنن الملوك لانه لا يبدلها ولا يقدر احد ان يبدلها

ولما بين تعالى ما اعد لاعدايه دينه في الدنيا وبين ان طريقته جادة لا تنخرم لما له من تمام الحكمة والعظمة ليقدر على تبديلها وايا من الاتقان والعظمة وكان من اعظم الطرق الحكمية والمغيبات العلمية الساعة وكان قد تقدم ما يحرك الى السؤال عنها في قوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وكان قد مضى اخر السجدة انهم سالوا استهزاء وتكذيبا عن تعيين وقتها وهددهم سبحانه على هذا السؤال قال تعالى مهددا على ذلك مبينا ان الاعداء الذين المستهزءين في الاخرة **يسالك الناس** اي المشركون استهزاء منهم وعبر بذلك اشارة الى انهم بعد في نوسهم لم يصلوا الى ادنى اسنان اهل الايمان فكانه قال المترددون في ارايهم لا يكادون

ولما كانت ادامتهم السؤال عنها تفعل من يظن ان غيرهم يشكون عن النوس وهو الاضطراب **عن الساعة** اي في تعيين وقتها **قل** في جوابهم **انما علمها عند الله** الذي احاط علما بجميع الحلال وله جميع اوصاف الكمال والجلال سبحانه يعلمها اكد فقال

ولما كان من فوايد العلم بوقت الشيء التحرز عنه او فهو يعلم ما عند كل احد ولا يعلم احد شيئا مما عنده الا باذنه مدافعته قال مشيرا الى شدة خفائها باخفائها عن اكمل خلقه مرجيا لقربها تهديدا لهم **وما يدريك** اي اي شيء يعلمك بوقتها ثم استانف قوله **لعل الساعة** اي التي لا ساعة في الحقيقة غيرها لما لها من العجايب **تكون** اي توجد وتحدث على وجه عجيب **قريبا** اي في زمن قريب ويجوز ان يكون التذكير لاجل الوقت لان السؤال عنها انما هو سؤال عن ظرفا وبدلا ولم يرد الصفة نزعت الها من المونث وكذلك لفظها في الاثنين والجمع للذكر والانثى والمراد بالتعبير بلعل انها بحيث يرجوا قربها من يرجوه ويخشاه من يخشاه فهل اعد من يخشاها شيئا لمدافعة اذاحات او النجاة منها اذا اقبلت ثم استانف الاخبار بحال السايلين عنها بقوله مؤكدا في مقابلة انكار الكفار ان يكون في حالهم شيء من نقص **ان الله** اي الملك الاعظم **لعن** اي ابعد ابعادا عظيما عن رحمته **الكافرين** اي الساترين لما من شانه ان يظهر مما دلت عليه العقول السليمة من امرها سواء كانوا مشاقين او منافقين **واعد لهم** اي اوجد وهيا من الان لتكذيبهم بها وبغيرها مما اوضح لهم ادلته **سعيرا** اي نارا شديدة الاضطرام والتوقد

ولما كان العذاب ربما استهانه بعض الناس اذا كان ينقطع ولو كان شديدا قال مبينا لحالهم **خالدين فيها** كان الشيء قد يطلق على ما شابهه بوجه مجاز او على سبيل المبالغة قال مؤكدا لارادة الحقيقة **ابدا**

ولما كان الشيء قد يراد ثم يمنع منه مانع قال مبينا لحالهم في هذه الحال **لا يجدون وليا** اي يتولى امرا مما يهمهم بشفاعة او غيرها **ولا نصيرا** ينصرهم

ولما ذكر حالهم هذه اتبعه حالا اخرى فيها على وجه بين ان الا تعلقنا فقال **يوم** اي يعذبون ذلك الحال يوم **تقلب** اي تقليبا كثيرا شديدا **وجوههم** كما تقلب اللحم المشوي وكما ترى البضعة في القدر يتراقى بها الغليان من جهة الى جهة ومن حال الى حال وذكر ذلك وان كانت تلك النار محيطة عنه لاحاطتها لانه ذكره اهول لما فيه من التصوير وخص الوجوه لانها اشرف والحديث فيها انكا

ولما كان للاطها دم يزيدها نوهول مع افادته استغلال ما هو فيه من الكلام بنفسه قال **في النار** اي المسعرة حال كونهم **يقولون** وهم في محل الجزاء وقد فات المحل القابل للعمل متمنين لما لا يدركون بلا انه لانهم لا يجدون ما يفتدون ان يرد عليهم من ولي ولا

نصير ولا تعذيبا سوى هذا التمني يا ليتنا أطعنا الله اي في الدنيا اي الذي علمنا الآن انه الملك الذي لا امر لاحد معه ولما كان المقام للمبالغة في الاذعان والخضوع اعادوا العامل فقالوا واطعنا الرسول اي الذي بلغنا عنه حتى نعاذ من العذاب وزيادة الالف في قراءة من اثبتها اشارة الى ايذانهم بانهم يتلذذون بذكره ويعتقدون ان عظمته لا تنحصر وقالوا لما لم ينفعهم شيء متبردين من الدعا على من اضلهم بما لا يبرى غليلا ولا يشفي عليلا ربنا اي ايها المحسن الينا واسقطوا اداة النداء على عادة اهل الخصوص بالحضرة زيادة في الترقق باظهار انه لا واسطة لهم الا ذلهم وانكسارهم الذي عهد في الدنيا انه الموجب الاعظم لاقبال الله على عبده كما ان المثبت لاداة البعد بقوله يا الله مشيرا الى سفول منزلته وبعده بكثرة ذنوبه وغفلته تواضعا منه لربه لعله يرفع ذلك البعد عنه ولما كانوا يظنون ان اتباعهم للكبراء غير ضلال فبان لهم خلاف ذلك اكدوا قولهم لذلك وللاعلام بانهم بذلوا ما كان عندهم من الجهل فصاروا الآن على بصيرة من امرهم انا اطعنا سادتنا وقرئ بالجمع بالالف والتاء جمعا سالما للجمع المكسر وكبراءنا فاضلونا اي فتسبب عن ذلك انهم اضلونا بما كان لهم من نفوذ الكلمة السبيل كما هي عادة المخطي في الاحالة على غيره بما لا ينفعه وقراءة من اثبت الالف مشيرة الى انه سبيل واسع جدا واضح وانه مما يتلذذ بذكره ويجب تفخيمه ولما كان كانه قيل فما تريدون لهم قالوا مبالغين في الرقة للاستعطاف باعادة الرب ربنا اي ايها المحسن الينا آتهم ضعفين اي مثلي عذابنا من وهن قوتنا وشدة الموثر للذل مضاعفا اضعافا كثيرة من العذاب ضعفا بضلالهم وآخر باضلالهم واذا راجعت ما في الاحزاب مسجلا من معنى الضعف وضح هذا ويؤيده قوله والعنهم لعنا كثيرا اي اطردهم عن محال الرحمة طردا متناهيا في العدد والمعنى على قراءة عاصم بالموحدة عظيما شديدا غليظا ولما كان السبب في هذا التهديد كله ما كانوا يتعمدونه من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم تزوج امرأة ابنه وغير ذلك الى ان ختمه بما يكون سببا لتمنيهم طاعته وكان سماع هذا لطفا لمن صدق به اتبعه ما هو كالنتيجة له فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا بما يتلى عليهم لا تكونوا باذاكم للرسول صلى الله عليه وسلم بامر زينب رضي الله عنها او غيره كونا هو كالطبع لكم كالذين آذوا موسى من قومه بني اسرائيل آذوه بانواع الاذى كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قسم قسما فتكلم فيه بعضهم فقال لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وانسب الاشيا للارادة هنا اذى قارون له بالزانية التي استاجرها لتقذفه بنفسها فبراه الله من ذلك وكان سبب الخسف بقارون ومن معه فبرأه الله مما قالوا دون ان يقول لهما آذوا وذلك بما اظهر من البرهان على صدقه بخسف من آذاه كما مضى في القصص فاياكم ثم اياكم ولما كان قصدهم بهذا الاذى اسقاط وجاهته قال وكان اي موسى عليه السلام كونا راسخا عند الله اي الذي لا يذل من والى وجيها اي معظما رفيع القدر اذا سأله اعطاه واذا كان عند الله بهذه المنزلة كان عند الناس كذلك لما يرون من اكرام الله له والجملة كالتعليل للتبرية لانه لا يبرئ الشهر الا من كان وجيها عنده ولما نهاهم عن الاذى امر بالنفع ليصير وجيها عنده سبحانه مكررا للنداء استعطافا واظهارا للاهتمام فقال يا ايها الذين آمنوا اي ادعوا ذلك ولما كان قد خص النبي صلى الله عليه وسلم في اول السورة بالامر بالتقوى عم في آخرها بالامر بها مردفا لها بما يتضمن الوعد ليقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه فقال اتقوا الله اي صدقوا دعواكم بمخافة من له جميع العظمة فاجعلوا لكم وقاية من سخطه بان تبذلوا له جميع ما اودعكم من الامانة وقولوا في حق النبي صلى الله عليه وسلم في امر زينب رضي الله عنها وغيرها وفي حق بناته ونسائه رضي الله عنهن وفي حق المؤمنين ونسائهم وغير ذلك قولا سديدا اي قاصدا الى الحق والصواب له يصلح لكم اعمالكم اي بان يخلقكم في العمل الصالح وانتم لا تعلمون ما ينبغي من كيفيته فيبصركم بها شيئا فشيئا ويوفقكم لعمل ما جلاه لكم حتى يكون على اتم وجه واعظمه وارضاه واقومه ببركة قولكم الحق على الوجه الحسن الجميل ولما كان الانسان وان اجتهد مقصرا قال مشيرا الى ذلك حتى لا يزال العبد معترفا بالعجز ويغفر لكم ذنوبكم اي يمحوها عينا واثرا فلا يعاقب عليها ولا يعاتب ولما كان ربما توهم ان هذا خاص بمن آمن وان تجديد الايمان غير نافع ازال هذا الوهم بقوله ومن يطع الله اي الذي لا اعظم منه ورسوله الذي عظمته من عظمته بان يجدد لهما الطاعة بالايمان وثمراته في كل وقت فيكون مؤديا للامانة الى اهلها فقد فاز واكد ذلك بقوله فوزا عظيما اي ظفر بجميع مراداته في الدنيا والآخرة ولما كان التقدير ومن لم يطع فقد خسر خسرانا مبينا وكان كل شيء عرض على شيء فالمعروض عليه متمكن من المعروض قادر عليه وكان كل من اودعه الله شيئا فحفظه ورعاه وبذله لاهله واداه باذلا للامانة غير حامل لها وكل من اودعه شيئا فضيعه وصرفه عن اهله ومنعه عن مستحقه خائنا فيه حاملا له وكان الله تعالى قد اودع الناس من العقول ما يميزون به بين الصحيح والفاسد ومن القوى الظاهرة ما يصرفونه فيما اراد وامن المعصية والطاعة فمنهم من استدرك بعقله على كل من المحق والمبطل فبذل له من قواه ما يستحقه فكان باذلا للامانة غير حامل لها ومنهم من عكس ذلك وهم الاكثر فكان حاملا لها خائنا فيما امر به من بذلها واودع سبحانه الاكوان ما فيها من المنافع من المياه والمعادن والنبات فبذلته ولم تمنعه من احد طلبه مع ان منعها له في حيز الامكان قال تعالى معللا للامر بالتقوى او مستانفا مؤكدا تنبيها على ان هذا الامر مما يحق ان يؤكد تنبيها على وقته وانه مما لا يكاد ان يفطن له كثير من الناس فضلا عن ان يعيد قوة لافتا القول الى المظهر

العظمة

اي فتسبب عن اذاهم له
ان برأه الله اي الذي
له صفات الجلال والكمال
والقدرة على كل شيء
والقدرة بالفعل والارادة
واتهم كانت البراءة
بالحجة ... انجام النقص
... في الطعم
عصى الكشبة بالموت
... قوليتا ...
عن ان يكون اذاهم هنا هو
اشارة الى الاذى المراد
بقوله وابن زينب رضي الله عنها
فقال لهم

العظمة دلالة على عظيم جراءة الانسان انا عرضنا الامانة اي اداءها او حملها ومنعها اهلها وهي طاعته سبحانه فيما امر به العاقل وفيما اراده من غيره ولم يذكر المياه والرياح لانهما من جملة ما في الكونين من الامانات اللاتي يؤديانها على حسب الامر على السموات بما فيها من المنافع والارض لما فيها من المرافق والمعادن ولما اريد التصريح بالتعميم قال والجبال ولانها اكثر المنافع فيها فابين على عظيم اجرامها وقوة اركانها وسعة ارجائها ان يحملنها فيمنعنها ويخن فيها عن اهلها قال الزمخشري من قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها اي لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها واشفقن منها فبذل كل منهن ما اودعه الله فيه في وقته كما اراده الله وهو معنى ائتيا طائعين والحاصل انه جعلت الارادة وهي الامر التكويني في حق الاكوان لكونها لا تعقل كالامر التكليفي في حقنا لانا نعقل تمييزا بين من يعقل ومن لا يعقل في الحكم كما ميز بينهما في الفهم اعطاء لكل منهما ما تستحقه رتبته وهذا هو معنى ما نقله البغوي عن الزجاج وغيره من اهل المعاني ومما قال الشاعر

اتتك عاريا خلقا ثيابي * على خوف تظن بي الظنون
زياد بن معوية الذبياني
فالقيت الامانة لم تخنها * كذلك كان نوح لا يخون

قال ابن الفرات ان عمر رضي الله عنه قال لما قيل له ان النابغة قائلهما هو اشعر شعرائكم ولما كان الخائن اكثر من الامين اضعافا مضاعفة وكانت النفس بما اودع فيها من الشهوات والحظوظ محل النقائص قال تعالى وحملها الانسان اي اكثر الناس والجن فان الانسان الانس والانس والاناس الناس وقد تقدم في ولا تبخسوا الناس اشياءهم في الاعراف ان الناس يكون من الانس ومن الجن وانه جمع انس واصله اناس والاسناد الى الجنس لا يلزم منه ان يكون كل فرد منه كذلك فهو هنا باعتبار الاغلب وفي التعبير به اشارة الى انه لا يخون الا من هو في اسفل الرتب لم يصل الى حد النوس ولما كان الانسان لما له بنفسه من الانس وفي ضمانه من الحمق وله من العقل والفهم يظن انه لا نقص فيه علل ذلك بقوله مؤكدا انه على ضعف قوته وقلة حيلته كان اي في جبلته الا من عصمه الله ظلوما يضع الشيء في غير محله كالذي في الظلام لما غطى من شهوته على عقله ولذلك قال جهولا اي فجهله يغلب على حلمه فيوقعه في الظلم فحمل كل من ظهور ما اودعه الله في الاكوان وخموده في حيز الامكان كانه عرض عليها كل من حمله وبذله كما انه حمل نفس الانسان كل من ابدائها واثم عليه واخفائه كذلك ولما كان الحكم في الظاهر على جميع الانسان وفي الحقيقة على البعض لكون القضية الخالية عن السور في قوة الجزئية على بعضه لكنه لما اطلق اطلاقا كليا فهم ان المراد الاكثر قال مبينا ان ال ليست سورا معللا لحمله لها مقدما للتعذيب اشارة الى ان الخونة اكثر لافتا العبارة الى الاسم الاعظم لتنويع المقال الى الجلال والجمال ليعذب الله اي الملك الاعظم بسبب الخيانة والامانة وقدم من الخونة اجدرهم بذلك فقال المنافقين والمنافقات اي الذين يظهرون بذل الامانة كذبا وزورا وهم حاملون لها عريقون في النفاق والمشركين والمشركات اي الذين يصارحون بحملها ومنعها عن اهلها فهم عريقون في الشرك فلا يتوبون منه ولما كان تقديم التعذيب مفهما ان الخونة اكثر اشار الى ان المخلص نادر جدا بقوله ويتوب الله اي بما له من العظمة على المؤمنين العريقين في وصف الايمان وهم الثابتون عليه الى الموت والمؤمنات العصاة وغيرهم فيوفقهم لبذلها بعد حملها فالاية من الاحتباك ذكر العذاب اولا دليلا على النعيم ثانيا والتوبة ثانيا دليلا على منعها اولا اي عرض هذا العرض وحكم هذا الحكم ليعذب وينعم بحجة يتعادل فيها الناس فيما بينهم وينعمهم ولما كان هذا موذنا بانه ما من احد الا وقد حملها وقتا ما فكان مرعبا للقلوب مرهبا للنفوس قال مؤنسا لها مرغبا وكان الله اي على ما له من الكبر والعظمة والانتقام والملك والسطوة غفورا اي محاء لذنوب التائبين الفعلية والامكانية عينا واثرا رحيما اي مكرما لهم بانواع الاكرام بعد الرجوع عن الاجرام ولما امر النبي صلى الله عليه وسلم في مطلعها بالتقوى امر في مقطعها بذلك على وجه عام وتوعد المنافقين والمشاققين الذين نهى في اولها عن طاعتهم وختم بصفتي المغفرة والرحمة كما ختم في اولها بهما آية الخطا والنهي فعقد تلاقيا وتعانقا وتوافقا وتطابقا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

مقصودها ان الدار الآخرة التي اشار اليها آخر تلك بالعذاب والمغفرة بعد ان اعلم ان الناس يسالون عنها كائنة لا ريب فيها لما في ذلك من الحكمة وله عليه من القدرة وفي تركها من عدم الحكمة والتصوير بصورة الظلم والنقص ما التي سميت بها السورة مناسبة كبيرة لهذا المقصد كما ياتي بيانه ولذلك سميت بها بسم الله الذي من شمول قدرته اقامة الخلق الرحمن الذي من عموم رحمته ترتيب الثواب والعقاب الرحيم الذي من على اهل كرامته بطاعته حتى لا عقاب يلحقهم ولا عتاب

لما ختمت الاحزاب بانه سبحانه عرض اداء الامانة وحملها وهي جميع ما في الوجود من المنافع على السموات والارض والجبال فاشفقن منها وحملها الانسان الذي هو الانس والجان وان نتيجة العرض والاداء والحمل العذاب والتوب فعلم ان الكل ملكه وفي ملكه خائفون من عظمته مشفقون من قاهر سطوته وانه المالك التام الملك وللملك المطاع المتصرف

في كل شيء من غير دفاع وختم ذلك بصفتي المغفرة والرحمة دل على ذلك كله بان ابتدأ هذه بقوله الحمد اي الاحاطة باوصاف
الكمال من الخلق والامر كله مطلقا في الاولى والاخرى وغيرهما مما يمكن ان يكون ويحيط به علمه سبحانه لله ذي الجلال والاكرام
ولما كان هذا هو المراد وصفه بما يفيد ذلك فقال منبها على نعمة الابداء والابقاء اولا الذي له اي وحده ملكا
وملكا وان نسبتم الى غيره ملكا وملكا ظاهريا ما في السموات اي باسرها وما في الارض اي كما ترون انه لا متصرف في شيء
من ذلك كمال التصرف غيره في غير موضع وتقرر في كل فطرة انه ذو العرش العظيم فانتج ذلك ان له ما حوى
عرشه من السموات والاراضي وما فيها لان من المعلوم ان العرش محيط بالكل فالكل فيه وكل سماء في التي فوقها وكذا الاراضي
وقد تقرر ان له ما في الكل فانتج ذلك ان له الكل بهذا البرهان الصحيح وهو ابلغ مما لو عبر عن ذلك على وجه التصريح واذ
قد كان له ذلك كله فلا نعمة على شيء الا منه فكل شيء يحمده بما له عليه من نعمه بلسان قاله فان لم يكن فلسان حاله ولما
افاد ذلك ان له الدنيا وما فيها وقد علم في آخر الاحزاب ان نتيجة الوجود العذاب والمغفرة ونحن نرى اكثر الظلمة والمنافقين
يموتون من غير عذاب واكثر المؤمنين يموتون لم يوفوا ما وعدوه من الثواب ونعلم قطعا انه لا يجوز على حكيم ان يترك عبيده
يبغي بعضهم على بعض وهو لا يغير عليهم فافاد ذلك ان له دارا اخرى يظهر فيها العدل وينشر الكرم والفضل فلذلك قال عاطفا
على ما سببه الكلام الاول من نحو فله الحمد في الاولى وطواه لاجل خفائه على اكثر الخلق واظهر ما في الآخرة لظهوره لانها دار
كشف الغطاء فكان منبها على نعمة والابقاء ثانيا وله اي وحده الحمد اي الاحاطة بالكمال في الآخرة ظاهرا لكل من يجمعه الحشر
وله كل ما فيها لا يدعي ذلك لاحد في شيء منه ظاهرا ولا باطنا فكل شيء فيها لظهور الحمد اذ ذاك يحمده كما ينبغي لجلاله بما له عليه من نعمه
اقلها نعمة الايجاد حتى اهل النار فانهم يحمدونه بما يحبب اليهم في الدنيا من اسباغ نعمه ظاهرة وباطنة ومنها انزال الكتب وارسال
الرسل على وجه ما ابقى فيه للتجنب موضعا في دعائهم الى الله واقبالهم عليه وبذل النصيحة على وجوه من اللطف كما هو معروف عند من عاناه
فعلموا انهم هم المفرطون حيث ابوا في الاولى حيث ينفع الايمان واعترفوا في الآخرة حيث فات الاوان وقالوا امنا به واني لهم التناوش
الآيات وايضا فانهم يحمدونه في الآخرة لعلمهم انه لم يعذب احدا منهم فوق ما يستحق وهو قادر على ذلك ولذلك جعل النار طبقات
ودركات فكانوا في الاولى حامدين على غير وجهه فلم ينفعهم حمدهم لبنائه على غير اساس وحمدوا في الآخرة على وجهه فما اغنى عنهم
لكونها ليست دارا للعمل لفوات شرطه وهو الايمان بالغيب والآية من الاحتباك حذف اولا له الحمد في الاولى لما دل عليه
ثانيا وثانيا وله كل ما في الآخرة لما دل عليه اولا وقد علم بهذا وبما قدمته في النحل والفاتحة ان الحمد تارة يكون بالنظر
الى الحامد وتارة بالنظر الى المحمود فالثاني اتصاف المحمود بالجميل والاول وصف الحامد له بالجميل فحمد الله تعالى اتصافه
بكل وصف جميل وحمد الحامد له وصفه بذلك فكل الاكوان ناطقة بالسن احوالها بحمده سواء نطق لسان القال بذلك ام لا وهو
محمود قبل كونها وذلك هو معنى قول الاحاطة باوصاف الكمال وحمد غيره له تارة يطلق بالمدلول اللغوي وتارة بالمدلول
العرفي وتحقيق ما قال العلماء في ذلك في نفسه وبالنسبة بينه وبين الشكر ان الحمد في اللغة هو الوصف بالجميل الاختياري
على جهة التعظيم ومورده اللسان وحده فهو مختص بالظاهر ومتعلقه النعمة وغيرها فمورده خاص ومتعلقه عام والشكر
لغة على العكس من ذلك متعلقه خاص ومورده عام لانه فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب انعامه فمورده الظاهر
والباطن لانه يعم اللسان والجنان والاركان ومتعلقه النعمة الواصلة الى الشاكر ومن موارده القلب وهو
اشرف الموارد كلها لان فعله وان كان خفيا يستقل بكونه شكرا من غير ان ينضم اليه فعل غيره بخلاف الموردين الآخرين
اذ لا يكون فعل شيء منهما حمدا ولا شكرا حقيقة ما لم ينضم اليه فعل القلب ولما كان تغاير الموردين والمتعلقين
ظاهر الدلالة على النسبة بين الحمد والشكر اللغويين علم ان بينهما عموما وخصوصا وجهيا لان الحمد قد يترتب على الفضائل
المجردة والشكر قد يختص بالفواضل فينفرد الحمد من هذه الجهة وينفرد الشكر بالفعل الظاهر والاعتقاد الباطن بسبب
الفواضل من غير قول ويجتمعان في الوصف اللساني والجناني على الفواضل ففعل القلب اعتقاد اتصاف المشكور بصفات
الكمال من الجلال والجمال وفعل اللسان ذكر ما يدل على ذلك وفعل الاركان الاتيان بافعال دالة على ذلك ولما
كان هذا حقيقة الحمد والشكر لغة لا عرفا وكانت الاوهام تسبق الى ان الحمد ما يشتمل على لفظ حمد قال القطب الرازي
في شرح المطالع وليس الحمد عبارة عن خصوص قول القائل الحمد لله وان كان هذا القول فردا من افراد الماهية
وكذا ليس ماهية الشكر عبارة عن خصوص قول القائل الشكر لله ولا القول المطلق الدال على تعظيم الله وان كان
الثاني جزءا منه والاول فردا من هذا الجزء وحقيقة الحمد في العرف ما يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما وحقيقة
الشكر العرفي هو صرف العبد جميع ما انعم الله عليه من القوى الى ما خلق له كصرف النظر الى مطالعة مصنوعاته للاعتبار
الى على حضراته والقاء السمع الى تلقي ما ينبئ عن مرضاته والاجتناب عن منهياته فذكر الوصف في اللغوي يفهم الكلام
سواء كان نفسانيا او لسانيا فيشمل حمد الله تعالى نفسه وحمدنا له والجميل شاملا للانعام وغيره من مكارم الاخلاق

ومحاسن الاعمال وعدم تقييد الوصف بكونه في مقابلة نعمة مظهر لان الحمد قد يكون واقعا بازاء النعمة وقد لا يكون واشتراط
التعظيم يفهم تطابق الظاهر والباطن فان عرى قول اللسان عن مطابقة الاعتقاد او خالفه فعل الجوارح لم يكن حمدا
حقيقة بل استهزاء وسخرية ومطابقة الجنان والاركان شرط في الحمد لا شطر فلا يدخلان في التعريف ولا يخرج بالاختيار
صفات الله الذاتية فانها من حيث قدرته على تعلقها بالاشياء تكون داخلة فيكون الحمد على الوصف الاختياري وكذا اذا مدح
الشجاع بشجاعته والقادر على تعلق الوصف بما يتحقق به كانت الشجاعة محمودة حاملها وما حصل من آثارها من النعمة محمودا
عليه واذا وصف بالشجاعة خاصة لم يكن هناك محمود عليه فقد علم من هذا انه كان هناك اختيار في الآثار كان الحمد عليه
والا فلا فلا يسمى وصف اللؤلؤة بصفاء الجوهر وبهجة المنظر حمدا بل مدحا ويسمى الوصف بالشجاعة للاختيار في اظهار
آثارها حمدا فاختص الحمد بالفاعل المختار دون المدح وعلم ايضا ان القول المخصوص وهو الحمد لله ليس حمدا لخصوصه
بل لانه دال على صفة الكمال ومظهر لها فيشاركه في التسمية كل ما دل على ذلك من الوصف ولذلك قال بعض المحققين
من الصوفية حقيقة الحمد اظهار الصفات الكمالية وذلك قد يكون بالقول كما عرف وقد يكون بالفعل وهو اقوى لان
الافعال التي هي آثار الاوصاف تدل عليها دلالة عقلية قطعية لا يتصور فيها تخلف بخلاف الاقوال فان دلالتها
عليها وضعية وقد يتخلف عنها مدلولها وقد حمد الله تعالى نفسه بما يقطع به من القول والفعل اما الفعل فانه
بسط بساط الوجود على ممكنات لا تحصى ووضع عليه موائد كرمه التي لا تتناهى فكشف ذلك عن صفات كماله واظهر
بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية فان كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليها ولا يتصور في عبارات المخلوق
مثل هذه الدلالات ومن ثمة قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولقد
انتبه لما قاله الاستاذ ابو الحسن التجيبي المغربي الحرالي في تفسيره ان حمدلة الفاتحة تتضمن من حيث ظاهرها المدح
التام الكامل ممن يرى المدحة سارية في كل ما ابدعه الله وما احكمه من الاسباب التي احصاها الكون كله وعلم ان كلتا
يدي ربه يمين مباركة وهو معنى ما تظهره احاطة العلم بابداء الله حكمة على وجه لا نكرة فيه منه ولا ممن هو في امر خلقه
وليس من معنى ما بين العبد وربه من وجه ابتداء النعم وهو امر يجده القلب على الامر يوافق النفس غرضا فمن لم يكمل بعلم ذلك
كان تاليا على اثر من علمه واجدا بركة تلاوته انتهى واما القول فانه سبحانه لما علم ان لسان الحال انما يرمز رمزا خفيا
لا يفهمه الا الافراد وان كان بعد التحقيق جليا انزل علينا كتابا مفصحا بالمراد اثنى فيه على نفسه وبين صفات كماله
بالبيان الذي تعجز عنه القوى ثم جعل الاعجاز دلالة قطعية على كماله وكل ما له من جلاله وجماله وقد علم
من هذه التعاريف ان بين الحمد والشكر اللغويين عموما وخصوصا من وجه لان الحمد قد يترتب على الفضائل وهي الصفات
الجميلة التي لا يتجاوز منها اثر ومنفعته الى غير الممدوح كالشجاعة والشكر يختص بالفواضل وهي النعم وهي الصفات
والمزايا المتعدية التي يحصل منها منفعة لغير الممدوح كالاحسان والمواهب والعطايا كما مضى وبين الحمد والشكر العرفيين
عموما وخصوصا مطلقا فالحمد اعم مطلقا لعموم النعم الواصلة الى الحامد وغيره واختصاص الشكر بما يصل الى الشاكر وذلك
لان المنعم المذكور في التعريف مطلق لم يقيد بكونه منعما على الحامد او على غيره فيتناولهما بخلاف الشكر اذ قد اعتبر فيه منعم
مخصوص وهو الله تعالى ونعم واصلة منه الى الشاكر ولعموم هذا الحمد مطلقا وخصوص هذا الشكر مطلقا وجه
وهو ان فعل القلب او اللسان مثلا قد يكون حمدا وليس شكرا اصلا اذ قد اعتبر فيه شمول الآلات ووجه ثالث
وهو ان الشكر بهذا المعنى لا يتعلق بغيره تعالى بخلاف الحمد ومما يقال ان النسبة بالعموم المطلق بين العرفيين انما يصح بحسب
الوجود دون الحمل الذي كلامنا فيه لان الحمد يصدق على فعل القلب مثلا فيما خلق لاجله جزء من صرف الجميع غير محمول عليه لامتيازه
في الوجود عن سائر اجزائه واما في الحمل فلا تباين لان المحمول عين الموضوع في الوجود الخارجي فغلط من باب اشتباه الشيء بما صدق هو
عليه فان ما ليس محمولا على ذلك الصرف هو ما صدق عليه الحمد اعني صرف القلب وحده لا مفهومه المذكور وهو فعل يشعر بتعظيم
المنعم بسبب كونه منعما وهذا المفهوم يحمل على صرف الجميع وما يقال ان صرف الجميع افعال متعددة فلا يصدق عليه انه فعل
واحد جوابه انه فعل واحد تعدد متعلقه فلا ينافي وصفه بالوحدة كما يقال صدر عن زيد فعل واحد هو اكرام جميع القوم
مثلا وتحقيقه ان المركب قد يوصف بالوحدة الحقيقية كبدن واحد والاعتبارية كعسكر واحد وصرف الجميع من قبيل
الثاني كما لا ارتياب فيه لذي مسكة والنسبة بين الحمد اللغوي والعرفي عموم وخصوص من وجه لان الحمد العرفي هو الشكر
اللغوي وقد مضى بيان ذلك فيهما وبين الشكر العرفي واللغوي عموم مطلق لان الشكر اللغوي يعم النعمة الى الغير دون
العرفي فهو اعم والعرفي اخص مطلقا وكذا بين الشكر العرفي والحمد اللغوي لان الاول مخصوص بالنعمة على الشاكر سواء
كان باللسان اولا والثاني وان خص باللسان فهو مشترط فيه مطابقة الاركان والجنان لكونه من جهة التبجيل وقد
لا يكون في مقابلة نعمة فهو اعم مطلقا فكل شكر عرفي حمد لغوي ولا ينعكس وهذا بحسب الوجود وكذا بين الحمد العرفي والشكر

اللغوي عموم مطلق ايضا اذا قيدت النعمة في اللغوي بوصولها الى الشاكر كما مر واما اذا لم تقيد فهما متساويان واما الشكر المطلق
فهو على قياس ما مضى تعظيم المنعم بصرف نعمته الى ما يرضيه ولا يخفى انه اذا كان نفس الحمد والشكر من النعم لم يمكن احدا الاتيان بهما
على التمام والكمال لاستلزامه تسلسل الافعال الى ما لا يتناهى وهكذا التحقيق منقول من امام الحرمين والامام الرازي
هذا حاصل ما في شرح المطالع للقطب الرازي وحاشيته للشريف الجرجاني بزيادات وقد علم صحة ما اسلفته في شرح الحمد
بالنظر الى الحامد وبالنظر الى المحمود واذا جمعت اطراف ما تقدم في سورة النحل والفاتحة وغيرهما من ان المادة تدور على
الاحاطة علم انه بالنظر الى الحامد وصفه المحمود بالاحاطة باوصاف الكمال وبالنظر الى المحمود اتصافه بالاحاطة باوصاف
الكمال فان الوصف يشترط ان يكون مطابقا والا كان مدحا لا بالاحاطة باوصاف الكمال حمدا كما حققه العلامة قاضي قضاة
دمشق شمس الدين احمد بن الخليل الخوبي في كتابه اقاليم التعاليم ولما تقرر ان الحكمة لا تتم الا بايجاد الاخرة قال وهو الحكيم
اي الذي بلغت حكمته النهاية التي لا مزيد عليها والحكمة هي العلم بالامور على وجه الصواب متصلا بالعمل على وفقه ولما كانت
الحكمة لا تتم الا بدقيق العلم وصافيه ولبابه وهو الخبرة قال الخبير اي البليغ الخبر وهو العلم بظواهر الامور وبواطنها
حالا ومآلا فلا يجوز في عقل انه وهو المتصف بهاتين الصفتين كما هو مشاهد في اتقان افعاله واحكام كل شيء سمعناه من احواله
يخلق الخلق سدى من غير اعادة لدار الجزاء وقد مضى في الفاتحة وغيرها عن العلامة سعد الدين التفتازاني انه قال التصدير بالحمد
اشارة الى امهات النعم الاربع وهي الايجاد الاول والايجاد الثاني والابقاء الاول والابقاء الثاني وان الفاتحة لكونها ام
الكتاب اشير فيها الى الكل ثم اشير في كل سورة صدرت بعدها بالحمد الى نعمة منها على الترتيب وانه اشير في الانعام
الى الايجاد الاول وهو ظاهر وفي الكهف الى الابقاء الاول لان انتظام البقاء الاول والانتفاع بالايجاد الاول بالكتاب
والرسول وانه اشير في هذه السورة الى الايجاد الثاني لانسياق الكلام الى اثبات الحشر والرد على منكري الساعة حيث
قال سبحانه وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي انتهى وقد علم مما قررته انها من ولها مشير الى ذلك على طريق البرهان
وقال ابو جعفر بن الزبير افتتحت بالحمد لله لما اعقب بها ما انطوت عليه سورة الاحزاب من عظيم الالاء وجليل النعماء
حسبما ابين انفا يعني في اخر كلامه على سورة الاحزاب فكان مظنة الحمد على ما منح عباده المؤمنين واعطاهم فقال تعالى
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا واختراعا وقد اشار هنا الى ارغام من توقف منقطعا عن فهم تصرفه سبحانه
في عباده بما تقدم وتفريقهم بحسب ما شاء فكانه قد قيل اذا كانوا له ملكا وعبيدا فلا توقف في فعله بهم ما فعل من تيسير
للحسنى او غير ذلك مما ساءهم على فهم علته واستطلاع سببه بل يفعل بهم ما شاء واراد من غير حجر ولا منع وهو الحكيم الخبير
وجه الحكمة في ذلك التي خفيت عنكم واشار قوله وله الحمد في الاخرة الى انه سيطلع عباده المؤمنين من موجبات حمده ما لم
او يضاعف لهم من الجزاء وعظيم الثواب في الاخرة على ما لم تبلغه عقولهم في الدنيا ولا وفت به افكارهم فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين ثم اتبع سبحانه ما تقدم من حمده على ما هو اهله ببسط شواهد حكمته وعلمه فقال تعالى يعلم ما يلج في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها الى قوله وهو الرحيم الغفور فرحمته وغفرانه انال عباده المؤمنين ما خصهم به
واعطاهم فله الحمد الذي هو اهله ثم اتبع هذا بذكر امهاله من كذب وكفر مع عظيم اجترائهم لتتبين سعة رحمته ومغفرته
فقال تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة الى قوله ان في ذلك لاية لكل عبد منيب اي ان في امهاله سبحانه لهؤلاء بعد
عتوهم واستهزائهم في قولهم لا تاتينا الساعة وقولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد واغضائهم
عن الاعتبار بما بين ايديهم من السماء والارض وامنهم اخذهم من اي الجهات في امهالهم وادرار ارزاقهم مع عظيم مرتكبهم ايات
لمن اناب واعتبر ثم بسط لعباده المؤمنين من ذكر الائه ونعمه وتصريفه في مخلوقاته ما يوضح استيلاء قهره وملكه ويشير الى
عظيم ملكه كما اعلم في قوله سبحانه الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض فقال سبحانه ولقد اتينا داود منا فضلا
يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ثم قال ولسليمان الريح الى قوله اعملوا ال داود شكرا ثم اتبع ذلك بذكر حال من لم
يشكر فذكر قصة سبا الى اخرها ثم وبخ تعالى من عبد غيره معه بعد وضوح الامر وبيانه فقال قل ادعوا الذين زعمتم من
دون الله الى وصفه حالهم الاخراوي ومراجعة متكبريهم ضعفاءهم وضعفائهم متكبريهم واسروا الندامة لما راوا العذاب
ثم التحمت الاي جارية على ما تقدم من لدن افتتاح السورة الى اختتامها انتهى ولما ختم بصفة الخبر اتبع ذلك ما يدل عليه
فقال يعلم ما يلج في الارض اي هذا الجنس من المياه والاموال والاموات وقدم هذا لان الذي يغيب في التراب اولا ثم
يستحيل فيخرج وما يخرج منها من المياه والمعادن والنبات وما ينزل من السماء اي هذا الجنس من حرارة وبرودة وماء وملك
وغير ذلك وما يعرج ولما كانت السموات اجساما كثيفة متراصة لم يعبر بحرف الغاية كما في قوله اليه يصعد الكلم
الطيب بل قال فيها اي من الاعمال والملائكة وكل ما يتصاعد من الارض من جهة العلو وانتم كما ترونه يميز كل شيء من مشابهه فيميز
ما له اهلية التولد من الماء والتراب في الارض من النبات عن بقية الماء والتراب على اختلاف انواعه مميزا بعضه من بعض ومن

المعادن

المعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص الى غير ذلك مع ان الكل مما خالط التراب فكيف يستبعد عليه ان يحيي
الموتى لعسر تراب كل ميت بعد التمزق والاختلاط من تراب اخر ولما كان الحاصل من هذا المتقدم انه رب كل شيء
وكان الرب لا تنتظم ربوبيته الا بالرفق والاصلاح وكان ربما ظن جاهل انه لا يعلم اعمال الخلائق لانه لو علمها ما اقر عليها اعلم
ان رحمته سبقت غضبه ولذلك قدم صفة الرحمة ولانه في سياق الحمد فناسب تقديم الوصف الناظر الى التكميل على
الوصف النافي للنقص فقال وهو اي والحال انه وحده مع كثرة نعمه المقيمة للابدان الرحيم اي المنعم بما ترضاه الالهية
من انزال الكتب وارسال الرسل لاقامة الاديان الغفور اي المحاء للذنوب امام من اتبع ما انزل من ذلك كما بلغته الرسل
فيمحو عينها واثرها حتى لا يعاقبهم على ما سلف منهم ولا يعاتبهم واما غيرهم فيستر بالتكفير بانواع المحن او التاخير الى يوم الحشر
ولما ثبتت حكمته بما شاهدوه من محكم الافعال وصائب الاقوال فثبت بذلك علمه لان الحكمة لا تكون الا بالعلم
وكان الرب الرحيم العليم لا تكمل ربوبيته الا بالملك الظاهر والابانة القاهرة التي لا شوب فيها ثبت البعث الذي
هو محط الحكمة وموضع ظهور العدل فكانت نتيجة ذلك ان الله ياتي بالساعة لما ثبت من براهينها جاز ان يعطف عليه قوله
وقال الذين كفروا اي ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من براهينها الظاهرة لا تاتينا الساعة والاخبار عنها باطل
ولما تقدم من الادلة ما لا ارتياب معه امره ان يجيبهم برد كلامهم موكدا بالقسم على انه لم يخله من دليل ظاهر فقال
قل بلى وربي اي المحسن الي بما عمني به معكم من النعم وبما خصني به من نبوتي وارسالي اليكم الى غير ذلك من امور لا يحصيها الا هو
سبحانه فهو اكرم من ان يدع من غير ان يحشركم لينتقم لي منكم ويقر عيني بما يجازيكم به من اذاكم لي ولمن اتبعني فانه لا
يكون سيد قط يرضى ان يبغي بعض عبيده على بعض ويدعهم سدى بغير تاديب فكيف اذا كان المبغي عليه مطيعا له والباغي
عاصيا عليه هذا ما لا يرضاه عاقل فكيف بحاكم فكيف باحكم الحاكمين لتاتينكم اي الساعة لتظهر فيها ظهورا تاما هي
الحكمة بالعدل والفضل وغير ذلك من عجائب الحلم والفضل ولما كان الحاكم لا يهمل رعيته الا اذا غاب او عزب علمه ولا
يهمل شيئا من احوالهم الا اذا غاب عنه ذلك الشيء وكانت الساعة من عالم الغيب وكان ما تقدم من اثبات العلم ربما خصه
متعنت بعالم الشهادة وصف ذاته الاقدس سبحانه بما بين انه لا فرق عنده بين الغيب الذي الساعة منه والشهادة
بل الكل عنده شهادة وللعناية بهذا المعنى بتقديم الغيب اذ اجتمعا في الذكر فقال مشيرا بتغليظ المقسم به لتغيير حقيقة المقسم
عليه لان القسم بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كان في الشهادة اقوى
واكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ واصفا له على قراءة الجماعة ومستانفا وهو ابلغ على قراءة المدنيين وابن عامر ورويس
يعقوب بالرفع عالم الغيب وقراءة حمزة والكسائي علام بصيغة المبالغة كما هو اليق بالموضع ولما كان المقصود
علما مستغرقا لما في هذا الكون مع ان الكلام فيه قال مصرحا بالمقصود على اتم وجه لا يعزب اي يغيب ويبعد عزوبا قويا
على قراءة الجماعة بالضم ولا ضعيفا على قراءة الكسائي بالكسر عنه مثقال ذرة اي من ذات ولا معنى والذرة نملة حمراء صغيرة
جدا صارت مثلا في اقل القليل فهي كناية عنه السابق للحمد وهو الكمال وجهة العلو به اوفق ولامر الساعة ومبدئه
منه بدايتها ولما كان تدبير علمه بامور السما وكان المراد بها الجنس جمع هنا نص بجانب ذلك المراد فقال في السموات واكد
النفي بتكرير لا فقال ولا في الارض ولما كان كما تقدم من الكتاب ابتدا الخبر بما يبهر العقل من ان كل شيء مسطور من قبل كونه
ثم يكون على وفق ما سطر فاذا كشف للملائكة عن ذلك ازدادوا ايمانا وتسبيحا وتحميدا وتقديسا فقال عند جميع القرا عاطفا على
الجملة من اصلها لا على المثقال الاستثناء منعه ولا اصغر اي ولا يكون شيء اصغر من ذلك اي المثقال ولا اكبر اي من المثقال ثم نوقه
الا في كتاب واخبارنا به لما جرت به عوائدنا من تقييد العلم بالكتاب واما هو سبحانه فغني عن ذلك ولما كان الانسان قد
يكتب الشيء ثم يغيب عنه وينسى مكانه فيعجز في استخراجه اخبر ان كتابه على خلاف ذلك بل هو بحيث لا يكشف من يريد اطلاعه عليه شيئا
الا وجده في الحال فقال مبين ويجوز ولعله احسن اذا تاملت هذه مع اية يونس ان يعطف على مثقال ويكون الاستثناء منقطعا
ولكن على بابها في كونهما متنافيين فان المعنى انه لا يغيب ولا يبعد عنه شيء من ذلك لكنه محفوظ اتم حفظ في كتاب لا يراد منه كشف
عن شيء الا كان له في غاية الابانة ولعله عبر باداة المتصل اشارة الى انه ان كان هناك عزوب فهو على هذه الصفة التي هي في
غاية البعد عن العزوب ثم بين علة ذلك كله دليلا على صدق الحشر بما ختمت به الاحزاب من حمله عرض الامانة مما لا يمتري ذو عقل
ولو قل في صحته وانه لا يجوز في الحكمة ان يفعل غيره فقال ليجزي الذين امنوا اي كانه ما خلق الاكوان الا لاجل الانسان
فلا يجوز ان يدعه بغير جزاء وعملوا اي تصديقا لايمانهم الصالحات ولما تشوف السامع الى معرفة جزائهم
اورده تعظيما لشانه جوابا لسؤال اشار اليه دالا على علو رتبته بعلو رتبة اهله اولئك اي العالو الرتبة لهم
مغفرة اي لزلاتهم وهفواتهم لان الانسان المبني على النقصان لا يقدر ان يقدر العظيم السلطان حق قدره ورزق
كريم اي جليل عزيز دائم لذيذ نافع سني لا كدر فيه بوجه ولما كانت ادلة الساعة قد اتضحت حتى لم يبق مانع

من التصديق بها الا العناد وكان السياق لتهديد من جحدها قال معبرا بالماضي والذين سعوا اي فعلوا فعل الساعي في آياتنا
اي على ما لها من العظمة معجزين اي مبالغين في قصد تعجيزها بتخلفها عما تريده من انفادها وهكذا معنى قراءة المفاعلة
كانه نبههم عظيما اشار اليه بابتداء اخر فقال اولئك اي البعداء البغضاء الحقيرون عن ان يبلغوا امرا دا لمعاجزتهم
لهم عذاب واي عذاب من رجز اي شيء كله اضطراب فهو موجب لعظيم النكد والانزعاج فهو اسوأ العذاب اليم اي بليغ الايلام
جره الجماعة نعتا لرجز ورفعه ابن كثير وحفص عن عاصم نعتا لعذاب ولما ذم الكفرة وعجب منهم في انكارهم الساعة
في قوله وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة واقام الدليل على اتيانها وبين انه لا يجوز في الحكمة عدمه ليحصل العدل والفضل في
جزاء اهل الشر واولي الفضل عطف على ذلك مدح المؤمنين فقال واصفا لهم بالعلم اعلاما بان الذي اورث الكفرة التكذيب الجهل
ويرى الذين معبرا بالرؤية والمضارع اشارة الى انهم في علمهم غير شاكين بل هم كالمشاهدين لكل ما اخبرهم به الرسول صلى
الله عليه وسلم وبالمضارع اشارة الى تجدد علمهم مترقين في رتبه على الدوام مقابلة لخلافه اولئك في ثباتهم على الباطل
الذي اشار اليه بالماضي واشار الى ان علمهم لدني بقوله اوتوا العلم اي قذفه الله في قلوبهم فصاروا امثال هذين لمضامينه
لو كشف الغطا ما ازدادوا يقينا سواء كانوا ممن اسلم من العرب او من اهل الكتاب الذي انزل اليك اي كله من امر الساعة
وغيره من ربك اي المحسن اليك بانزاله واتى بضمير الفصل تنجيما للامر وتنصيصا على ان ما بعده مفعول اوتوا الثاني
فقال هو الحق اي لا غيره من الكلام ويهدي اي يجدد على مدى الزمان هداية من اتبعه الى صراط اي طريق واضح واسع
ولما كانت هذه السورة مكية وكان الكفار فيها مستظهرين والمؤمنون قليلين خائفين والعرب يرمونهم بمخالفة
قومهم ودين آبائهم ونحو ذلك من الخرافات التي حاصلها الاستدلال على الحق المزعوم بالرجال قال العزيز الحميد اي الذي من
سلك صراطه وهو الاسلام عز وحمد ربه بحمده كل شيء وان تمالأ عليه الخلق اجمعون فانه سبحانه لابد ان يتجلى للفصل بين العباد
بالاشقاء والاسعاد على قدر الاستعداد ولما عجب سبحانه من الذين كفروا في قولهم لا تأتينا الساعة المتضمن لتكذيبهم
وختم بتصديق الذين اوتوا العلم مشيرا الى ان سبب تكذيب الكفرة الجهل الذي سببه الكبر عجب منهم تعجيبا اخر اشد من الاول
لتصريحهم بالتكذيب على وجه عجيب فقال وقال الذين كفروا اي الذين تحققوا امره صلى الله عليه وسلم واجمعوا خلافه وعتوا
على العناد لمن يرد عليهم ممن لا يعرف حقيقة حاله متعجبين ومنفرين هل ندلكم اي ايها المعتقدون ان لا حشر ولما
اخرجوا الكلام مخرج الغرائب المضحكة لم يذكروا اسمه مع انه اشهر الاسما بل قالوا على رجل اي ليس هو صبيا ولا امرأة حتى
تعذروه ينبئكم اي يخبركم متى شئتم اخبارا لا اعظم منه لما حواه من العجب الخارج عما تعقله مجردا لذلك متى شاء
المستخبر له ولما كان القصد ذكر ما يدل عندهم على استبعاد البعث قدموا المعمول فقالوا اذا اي انكم اذا مزقتم
اي قطعتم وفرقتم بعد موتكم من كل ما من شانه ان يمزق من التراب والرياح وطول الزمان ونحو ذلك تمزيقا عظيما بحيث
صرتم ترابا وذلك معنى كل ممزق اي كل تمزيق فلم يبق شيء من اجسادكم مع شيء بل صار الكل بحيث لا يميز بين ترابه وتراب
الارض وذهبت به السيول كل مذهب فصار مع اختلاطه بتراب الارض والتباسه متباعدا بعضه عن بعض وذكر معمول
ينبئكم لاجل الملام فقال انكم لفي اي لتقومون كما كنتم قبل الموت قياما لا شك فيه والاخبار به مستحق لغاية التأكيد
في خلق جديد وهذا عامل اذا الظرفية ولما نفروا عنه بهذا الاخبار المحير في الحامل له عليه خيلوا انقسم
القول فيه في استفهام مردد بين الاستعجام تعجبا والانكار فقالوا جوابا لمن سال عن سبب اخباره باسقاط همزة الوصل
لعدم الالتباس هنا بخلاف ما يصحب لام التعريف فانها تفتح بالتلبيس بالخبر افترى اي تعمد على الله اي الذي لا اعظم منه
كذبا بالاخبار بخلاف الواقع وهو عاقل يصح منه القصد ولما كان يلزم من التعمد العقل قالوا ام به جنة اي
جنون فهو يقول الكذب وهو لا حقيقة له من غير تعمد لانه ليس من اهل القصد فالاية من الاحتباك ذكر الافترا اولا
يدل على ضده ثانيا وذكر الجنون ثانيا يدل على ضده اولا ولما كان الجواب ليس به شيء من ذلك عطف عليه مخبرا عن
بعض الذين كفروا بما يوجب ردع البعض الاخر قوله بل الذين لا يؤمنون اي لا يجددون الايمان لانهم طبعوا على الكفر بالاخرة
اي لقطعهم الاخرة التي ادل شيء عليها الفطرة الاولى ولما كان هذا القول مسببا عن ضلالهم وكان ضلالهم سببا
لعذابهم قدم العذاب لانه المحط وليرتدع من اراد الله ايمانهم فقال في العذاب اي في الدنيا بمحاولة ابطال ما اراد
الله اتمامه وفي الاخرة بما فيه من المعصية واتبعه سببه فقال والضلال اي عما يلزم من وجوب وحدانيته وشمول
قدرته بسبب ان له ما في السموات وما في الارض ولما كان قولهم بعيدا من الحق لوصفهم اهدى الناس بالضلال وكان
الضلال يبعد صاحبه عن الجادة وتوغله في الهامة الوعرة الشاسعة قال واصفا له بوصف الضال البعيد فبين
بالوصف انه لا يمكن الانفكاك منه وعلم ان من الذين كفروا قسما لم يطبعوا على الكفر فضلوا ضلالا قريبا يمكن انفكاكهم عنه
وهم الذين امنوا منهم بعد وهو من بديع القول لحسنه عبر بهذا الظاهر الذي افهم هذا التقسيم موضع الاضمار الذي كان حقه

بل

بل هم في كذا ولما كانوا قد انكروا الساعة لقطعهم بان من مزق كل ممزق لا يمكن اعادته فقطعوا جهلا بان الله تعالى
لا يقول ذلك فنسبوا الصادق صلى الله عليه وسلم في الاخبار بذلك الى احد الامرين تعمد الكذب او الجنون شرع سبحانه
يدل على صدقه في جميع ما اخبر به مبتدئا باثبات قدرته على ذلك بما يشاهدونه من قدرته على ما هو مثله او اعظم منه مشيرا الى ان
انكارهم لذلك مستند الى ضلالهم بسبب غفلتهم عن تدبر الايات فكان المعنى ضلوا فلم يروا فدل عليه منكرا عليهم مهددا
لهم مقررا لذوي العقول من السامعين بقوله افلم يروا ونبه على انهم في محل البعد عن الابصار النافع بحرف النهاية فقال
الى ما بين ايديهم اي امامهم وما خلفهم وذلك اشارة الى جميع الجوانب من كل من الخافقين وانهما قد احاطا بهم كغيرهم
ولما لم يدع حاجة الى الجمع افرد فقال من السماء والارض اي اللذين جعلنا مطلع السورة ان لنا كل ما فيهما
ولما كان الانكار لائقا بمقام العظمة فكان المعنى انا نفعل بهما وفيهما ما نشاء عبر عنه بقوله ان نشا اي بما
لنا من العظمة على قراءة الجمهور نخسف اي نغور وادغم الكسائي اشارة الى انه سبحانه قد يفعل ذلك في اسرع من اللمح بحيث
لا يدرك لاكثر الناس وقد يفعله على وجه الوضوح وهو اكثر بما اشارت اليه قراءة الاظهار للجمهور ولما
كان الخسف قد يكون لسطح او سفينة ونحوهما خص الامر بقوله الارض اي كما فعلنا بقارون وذويه لانه ليس بفقود بعض
افعالنا فيها باولى من غيره او نسقط عليهم كسفا بفتح السين على قراءة حفص وباسكانها على قراءة غيره اي قطعا من السما
كذلك لان من المعلوم انا نحن خلقناهما ومن اوجد شيئا قدر على هدمه وهدم ما اراده منه ومن جعل البناء للعب وهو حكيم
والكسائي رد الضمير على الاسم الاعظم الذي جعله مطلع السورة ولما كان هذا امرا ظاهرا انتج قوله مؤكدا
لما لهم من انكار البعث ان في ذلك اي في قدرتنا على ما نشاء من كل منهما والتامل في فنون تصاريفهما لاية اي علامة بينة
على انا نعامل من شئنا فيهما بالعدل باي عذاب اردنا ومن شئنا بالفضل باي ثواب اردنا وذلك دال على انا قادرون
على كل ما نشاء من الاماتة والاحيا وغيرهما فقد خسفنا بقارون وآله وبقوم لوط واشياعهم واسقطنا من السماء
على اصحاب الايكة يوم الظلة قطعا من النار وعلى قوم لوط حجارة فاهلكناهم بذلك ولما كانت الايات
لا تنفع من طبع على العناد قال لكل عبد اي متحقق انه مربوب ضعيف مسخر لما يراد منه منيب اي فيه قابلية الرجوع
عما ابان له الدليل عن انه زل فيه ولما اشار سبحانه بهذا الكلام الذي دل فيه على نفوذ الامر الى انه تارة
يعدل وتارة يفضل وكان الفضل اكثر استجلابا لذوي الهمم العلية والانفس الابية بدا به في عدد من وسع
المنيبين على وجه دال على البعث بكمال التصرف في الخافقين وما فيهما بامور شوهدت لبعض عبيده تارة بالعيان
وتارة بالاذان اما عند اهل الكتاب فواضح واما عند العرب فبتمكنهم من سؤالهم فقد كانوا يسألونهم عنه
عنه صلى الله عليه وسلم وقال ابو حيان ان بعض الملاحدة طمحت به اخبارهم ونطقت به اشعارهم فقال تعالى
مقسما تنبيها على ان انكارهم للبعث انكار لما يخبر به من المعجزات عاطفا على ما تقديره فلقد اتينا هذا الرجل الذي
تنسبونه الى الكذب او الجنون منا فضلا بهذه الاخبار المدلول عليها بمعجز القرآن فيما نعد ما بينه وبين ما تنسبونه
اليه ولقد اي وعزتنا وما ثبت لنا من الاحاطة بصفات الكمال بالاتصاف بالحمد لقد آتينا اي اعطينا اعطاء
عظيما دالا على نهاية المكنة بما لنا من العظمة داود ولما كان المؤتى قد يكون واسطة لمن منه الايتاء بين ان
الامر ليس لاحد سواه فقال منا فضلا ودل على ان التنوين للتعظيم وانه لا يتوقف تكون شيء على غير ارادته بقوله منزلا
الجبال منزلة العقلاء الذين يبادرون الى الامتثال او امره تنبيها على كمال قدرته وبديع تصرفه في الاشياء كلها جوابا لمن
كانه قال ما ذلك الفضل فقيل امرنا لا من اثنينا يا اي قلنا لاشد الارض يا جبال اوبي اي رجعي التسبيح وقراءة الزبور
وغيرهما من ذكر الله معه اي كلما سبح فهذه اية ارضية مما هو اشد الارض بما هو وظيفة العقلاء وكذلك عبر فيه بالامر
دلالة على عظيم القدرة ولما كانت الجبال اغلظ الارض واثقلها وكان المعنى دعونا الجبال للتأويب فبادرت
الاجابة لدعائنا لما تقدم من انها من جملة من ابى ان يحمل الامانة عطف على ذلك اخف الحيوان والطفه لتكون اية سماوية
على انه يفعل في السماء ما يشاء فانه لو امات الطائر في جو السما لسقط ولا فرق في ذلك بين عال وعال فقال والطير
اي دعوناها ايضا فكانت ترجع معه الذكر فدل قراءتها بالطير على ذكرها حقيقة كذكر الطير دفعا لتوهم من يظنه
رجع الصدا وقراءة يعقوب بالرفع عطف على لفظ جبال وقراءة غيره عطف على موضعه او يكون الواو بمعنى مع او بتقدير فعل
من معنى ما مضى كسخرنا قال وهب بن منبه كان يقول للجبال سبحي وللطير اجيبي ثم ياخذ هو في تلاوة الزبور بين ذلك
بصوته الحسن فلا يرى الناس منظرا احسن من ذلك ولا يسمعون شيئا اطيب منه وذلك كما كان الحصى يسبح في كف النبي
صلى الله عليه وسلم وكف ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وكما كان الطعام يسبح في حضرته الشريفة وهو يوكل وكما كان
الحجر يسلم عليه واسكفة الباب وحوائط البيت تؤمن على دعائه وحنين الجذع مشهود وكما كان الضب يشهد له

والجمل يشكو اليه ويسجد بين يديه ونحو ذلك وكما جاء الطائر الذي يسمى الحمرة يشكو الذي اخذ بيضها فامره النبي صلى الله عليه برده
رحمة لها ولما ذكر طاعة اكثف الارض والطف الحيوان الذي انشاه الله منها ذكر ما اتاه سبحانه من ذلك الاكثف
وهو اصلب الاشياء فقال والنا له الحديد اي الذي ولدناه من الجبال جعلناه في يده كالشمع يعمل منه ما يريد بلا نار ولا مطرقة
ثم ذكر علة الالانة بصيغة الامر اشارة الى ان عمله كان لله فقال ان اعمل سابغات اي دروعا طوالا واسعة ولما
كان السرد الخرز في الاديم وادخال الخيط في موضع الخرز شبه ادخال الحلقة الاخرى ملحمة لا طرف لها بمواضع الخرز فقال
وقدر في السرد اي النسج بان تكون كل حلقة مساوية لاختها مع كونها ضيقة لئلا ينفذ منها سهم ولتكن في ثخنها بحيث لا
يقطعها سيف ولا تثقل على الدارع فتمنعه خفة التصرف وسرعة الانتقال في الكر والفر والطعن والضرب في البرد والحر
والظاهر انه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة بالالانة الحديد اليها والا لم يكن بين عمله فرق ولا كان للالانة فائدة
وقد اخبر بعض من راى ما نسب اليه بغير مسامير قال الزجاج السرد في اللغة تقدير الشيء الى الشيء لياتي متسقا بعضه في اثر بعض
متتابعا ومنه قولهم سرد فلان الحديث وهذا كما الان الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في الخندق تلك الكدية وفي رواية
الكدانة وذلك بعد ان لم تكن المعاول تعمل فيها وبلغت غاية الجهد منهم فضربها صلى الله عليه وسلم ضربة واحدة وفي
رواية رش عليها ماء فعادت كثيبا اهيل لا يرد فاسا وتلك الصخرة التي اخبر سلمان رضي الله عنه انها كسرت فؤسهم ومعاولهم
وعجزوا عنها فضربها صلى الله عليه وسلم ثلاث ضربات كسر في كل ضربة منها ثلثا منها وبرقت مع كل ضربة برقة كبر معها تكبيرة
واضاءت للصحابة رضي الله عنهم ما بين لابتي المدينة بحيث كانت في النهار كانها مصباح في جوف بيت مظلم فسالوه عن ذلك
فاخبرهم صلى الله عليه وسلم ان احدى الضربات اضاءت له صنعاء من ارض اليمن حتى راى ابوابها من مكانه ذلك واخبره جبريل عليه
السلام انها ستفتح على امته واضاءت له الاخرى قصور الحيرة البيض كانها انياب الكلاب واخبره انها مفتوحة لهم واضاءت
له الاخرى قصور الشام الحمر كانها انياب الكلاب واخبر بفتحها عليهم فصدقه الله تعالى في جميع ما قال واعطي
تصليب الخشب له حتى يصير سيفا قويا في المتن جيد الحديد وذلك ان سيف عبد الله بن جحش رضي الله عنه انقطع
يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا قائمة منه فقاتل به فكان يسمى العون ولم يزل بعد
يتوارث حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار ذكره الكلاعي في السيرة عن الزبير بن ابي بكر والبيهقي وقاتل عكاشة بن محصن يوم بدر
فانقطع سيفه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جذلا من حطب فلما اخذه هزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد
المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعده حتى قتل في الردة وهو عنده وعن الواقدي انه انكسر سيف سلمة بن اسلم بن الحريش يوم بدر فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده من عراجين رطاب فقال اضرب به فاذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر
ابي عبيد والخاتمة للحديد لين باعجب من الحام النبي صلى الله عليه وسلم ليد معوذ بن عفرا لما قطعها ابو جهل يوم بدر فاتى بها
يحملها في يده الاخرى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت وصحت مثل اختها كما نقله البيهقي
وغيره ولما اتم سبحانه ما يختص به من الكرامات عطف عليهما ما جمع فيه الضمير لانه يعم غيره فقال واعملوا اي انت
ومن اطاعك صالحا اي مما تفضلنا به عليكم من العلم والتوفيق للطاعة ثم علل هذا الامر ترغيبا وترهيبا بقوله مؤكدا اشارة
الى انكارهم للقدرة على البعث انكار لغيرها من الصفات والى انهم متهاونون في العمل في عداد من ينكر انه بعين الله اني بما تعملون اي
كله بصير اي مبصر وعالم بكل ظاهر له وباطن ولما اتم سبحانه ما اراد من ايات داود عليه السلام وختمها بالحديد
اتبعه ابنه سليمان عليه السلام لمشاركته في الانابة وبدا من اياته بما هو من اسباب تكوينه سبحانه للحديد فقال ولسليمان اي
عوضا من الخيل التي عقرها لله الريح اي مسخرة على قراءة شعبة والتقدير على قراءة الجماعة سخرناها له حال كونها غدوها شهر
اي تحمله وتذهب به وبجميع عسكره بالغداة وهي من الصباح الى نصف النهار مسيرة شهر كان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر
ورواحها اي من الظهر الى اخر النهار شهر اي مسيرته جمع ايه سماوية دالة على انه كان رفع بساط سليمان عليه السلام
بما حمل من جنوده والا فهم ثم وضعه قادر على ان يضع ما يشاء من السما فيهلك من يقع عليه وهذا كما سخر الله الريح للنبي صلى الله
عليه وسلم في غزوة الاحزاب فكانت تهد خيامهم وتكفا طعامهم وتضرب وجوههم بالتراب والحجارة وهي لا تجاوز عسكرهم
الى ان هزمهم الله بها وكما حملت نحو خمسين من اصحابه رضي الله عنهم في غزوة تبوك فالقتهما بجبلي طيء وتحمل من اراد الله من اولياء
امته كما هو في غاية الشهرة ونهاية الكثرة واما امر الاسرا والمعراج فهو من الجلالة والعظم بحيث لا يعلمه الا الله مع ان
الله صرفه في ايات السما بحبس المطر تارة وارساله اخرى ولما ذكر الريح اتبعها ما هي من اسباب تكوينه فقال واسلنا
له اي بعظمتنا عين القطر اي النحاس اذبناه له حتى صار كانه عين ماء وذلك دال على انه تعالى يفعل في الارض ما يشاء فلو اراد لاماله
كلها فهلك من عليها ولو اراد لجعل بدل الاسالة الخسف والاذابة ولما ذكر الريح والنحاس الذي لا يذاب عادة

الا بالنار ذكر ما اغلب عناصره النار وهو في الخفة والاقتدار على الطيران كالريح فقال ومن اي وسخرنا له من الجن اي الذي سترناهم
عن العيون من الشياطين وغيرهم من يعمل ولما كان قد امكنه الله منهم غاية الامكان في غيبته وحضوره قال
بين يديه ولما كان ربما ظن ظان انهم استبدوا باعمالهم نفاه بقوله باذن ربه اي بتمكين المحسن اليه له ولهم
مما يريد فعله ولما قرر سبحانه ان ذلك بارادته فهو في الحقيقة بامره زاد ذلك تقريرا بقوله عاطفا على ما تقديره
فمن عمل بامرنا اثبناه جنات النعيم ومن يزغ اي يمل من زاغ يزيغ ويزوغ منهم مجاوزا وعادلا عن امرنا اي امره الذي هو
من امرنا نذقه بما لنا من العظمة التي امكنا سليمان عليه السلام بها مما امكناه فيه من ذلك من عذاب السعير اي في الدنيا
مجازا او في الاخرة حقيقة وهذا كما امكن الله نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك العفريت فخنقه وهم بربطه حتى يتلعب به صبيان
المدينة ثم تركه تادبا مع اخيه سليمان عليه السلام فيما سال الله تعالى فيه واما الاعمال التي تدور عليها اقامة الدين
فاغناه الله فيها عن الجن بالملائكة الكرام وسلط جمعا من صحابته رضي الله عنهم على جماعة من مردة الجان منهم ملهم ابو هريرة
رضي الله عنه لما وكله النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ومنهم ابي بن كعب رضي الله عنه قبض على شخص منهم كان
يسرق من تمره وقال لقد علمت الجن ما فيهم من هو اشد مني ومنهم معاذ بن جبل رضي الله عنه لما جعله النبي صلى الله عليه وسلم على
صدقة المسلمين فاتاه شيطان منهم يسرق وتصور له بصور منها صورة فيل فلزمه فضبطه فالتفت يداه عليه وقال
له يا عدو الله فشكا اليه الفقر واخبره انه من جن نصيبين وانهم كانت لهم المدينة فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اخرجهم
منها وساله ان يخلي عنه على ان لا يعود ومنهم بريدة رضي الله عنه صارع الشيطان فصرعه عمار وادمى انف الشيطان بحجر ولذلك
كان يقول ابو هريرة عمار الذي اجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ذكرها كلها البيهقي في
الدلائل وذكرت تخريج اكثرها في كتابي مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور واما عين القطر فهي مما تضمنه قول النبي صلى
الله عليه وسلم اعطيت مفاتيح خزائن الارض والملك في الدنيا والخلود فيها ثم الجنة فاخترت ان اكون نبيا عبدا اجوع يوما واشبع يوما
الحديث فشمل ذلك المعدن بوصفه اللولو الرطب الى عين الذهب المصفى الى ما دون ذلك وروى الترمذي وقال حسن عن ابي امامة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع
يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وللطبراني باسناد حسن
والبيهقي في الزهد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اسرافيل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزائن الارض
وقال ان الله امرني ان اعرض عليك ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان شئت نبيا ملكا وان
شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبريل عليه السلام ان تواضع فقال نبيا عبدا ورواه ابن حبان في صحيحه مختصرا من حديث ابي
هريرة رضي الله عنه وله في الصحيح ايضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت
بمقاليد الدنيا على فرس ابلق على قطيفة من سندس وفي البخاري في غزوة احد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اعطيت مفاتيح خزائن الارض او مفاتيح الارض هذا ما يتعلق بالارض وقد زيد صلى الله عليه وسلم على ذلك بان
ابره ربه سبحانه بالتصرف في خزائن السما تارة بشق القمر وتارة برجم النجوم وتارة باختراق السموات وتارة بحبس المطر
وتارة بارساله الى غير ذلك مما اكرمه الله به ولما اخبر تعالى انه سخر له الجن ذكر حالهم في اعمالهم دلالة على
انه سبحانه يتصرف في السماء والارض وما فيهما ومن فيهما بما يشاء فقال يعملون له اي في اي وقت شاء ما يشاء اي عمله من
محاريب اي ابنية شريفة من قصور وغيرها هي اهل لان يحارب عليها او مساجد والمحراب مقدم كل مسجد ومجلس وبيت
وكان مما عملوه له بيت المقدس جدرانه بالحجارة العجيبة البديعة من الرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين
المها الابيض الصافي مرصعا سقوفه وجدرانه بالذهب والفضة والدر والياقوت والمسك والعنبر وساير الطيب
وبسط ارضه بالواح الفيروزج حتى كان انهى بيت على وجه الارض وتماثيل اي صورا حسانا في تلك الابنية فيها
اسرار غريبة كما ذكروا انهم صنعوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين في اعلاه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان
ذراعيهما واذا قعد اظله النسران ولم تكن التصاوير ممنوعة ولما ذكر القصور وزينتها ذكر الات الماكل لانها
اول ما تطلب بعد الاستقرار في المسكن فقال وجفان اي صحاف وقصاع يؤكل فيها كالجواب جمع جابية وهي الحوض الكبير
الذي يجبى اليه الماء اي يجمع قيل كان يجلس على الجفنة الواحدة الف رجل ولما ذكر الصحاف على وجه يعجب منه ويستعظم
ذكر ما يطبخ فيه طعامها فقال وقدور راسيات اي ثابتات ثباتا عظيما بان لا تنزع عن اثافيها لانها لكبرها كالجبال
ولما ذكر المساكن وما تبعها اتبعها الامر بالعمل اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم ومن تابعه لا يلهيهم ذلك
عن العبادة فقال اعملوا اي وقلنا لهم تنعموا واعملوا ودل على مزيد قربهم بحذف اداة النداء وعلى شرفهم بالتعبير بالال
فقال ال داود اي كل ما يقرب الى الله شكرا اي لاجل الشكر له سبحانه وهو تعظيمه في مقابلة نعمه ليزيدكم من فضله

وقليل اي قليلا ذلك والحال انه قليل ولما لم ينتقض الحال العظيمة لانها بالمبالغة في الشكر ابقى اسقط مظهرها فقال
من عبادي الشكور اي المتوفر الدواعي بظاهره وباطنه من قلبه ولسانه وبدنه على الشكر بان يصرف جميع ما انعم الله عليه فيما يرضيه
وعبر بصيغة فعول اشارة الى ان من يقع منه مطلق الشكر كثير واقل ذلك الحال الاضطرار ولما كان ربما استبعد مستبعد
موت من هو على هذه الصفة من ضخامة الملك بنفوذ الامر وسعة الحال وكثرة الجنود اشار الى سهولته بقرب زمنه وسرعة
ايقاعه على وجه دال على بطلان تعظيمهم للجن بالاخبار بالمغيبات بعد تنبيههم على مثل ذلك باستخدامه لهم بقوله فلما بالفا
ولذلك عاد الى مظهر الجلال فقال قضينا وحقق صفة القدرة باداة الاستعلاء فقال عليه اي سليمان عليه السلام الموت
ما دلهم اي جنوده وكلمن في ملكه من الجن والانس وغيرهم من كل قريب وبعيد على موته لان تجعلنا له من سعة العلم ونفوذ
الهيبة ونفوذ الامر ما تمكن به من اخفاء موته عنهم الا دابة الارض فجمعها بهذه الاضافة التي من معناها انه لا دابة للارض
غيرها لما افادته من العلم ولانها لكونها تاكل كل شيء من اجزاء الارض من الخشب والحجر والتراب والثياب وغير ذلك
احق الدواب بهذا الاسم ويزيد ذلك حسنا ان مصدر فعلها ارض بالفتح والاسكان فيصير من قبيل التورية ليسند العشو
الى تفسيرها ثم بين انها الارضة بقوله مستانفا في جواب من كانه قال اي دابة هي وبم دلت تاكل منساته اي عصاه التي
وهو متكئ عليها قائما في بيت من زجاج وليس له باب صنعته له الجن لما اعلمه الله بان اجله قد حضر وكان قد بقي في المسجد بقية
ليخفي موته على الجن الذين كانوا يعملون في البيت المقدس حتى يتم قال في القاموس في باب الهمز نساه زجره وساقه واخره ودفعه
عن الحوض والمنساة كمكنسة ومرتبة وتبدل الهمز فيهما العصي لان الدابة تنساها اي تساق والبدل فيها لازم حكاه
سيبويه انتهى فالمعنى ان الجن كانوا يزجرون ويساقون بها وقراها المدنيان وابو عمرو بالابدال وابن عامر من رواية ابن
ذكوان والداجوني عن هشام باسكان الهمزة والباقون بهمزة مفتوحة فلما خر اي سقط على الارض بعد ان قصمت الارضة
عصاه تبينت الجن اي علمت علما بينا لا يقدرون معه على تدبيج وتدليس وانفضح امرهم وظهر ظهورا تاما ان اي انهم
لو كانوا اي الجن يعلمون الغيب اي علمه ما لبثوا اي اقاموا حولا محرما في العذاب المهين من تلك الاعمال التي كانوا مسخرين
فيها والمراد ابطال ما كانوا يدعونه من علم الغيب على وجه النصفة لان المعنى ان دعواهم ذلك اما كذب او جهل فاحسن الاحوال
ان يكون جهلا منهم وقد تبين لهم الان جهلهم بيانا لا يقدرون على انكاره ويجوز ان يكون تعليلية ويكون التقدير تبين
حال الجن فيما يظن بهم من انهم يعلمون الغيب لانهم الى اخره وسبب علمهم مدة كونه ميتا قبل ذلك انهم وضعوا الارضة على موضع من العصا
فاكلت منها يوما وليلة وحسبوا على ذلك النحو فوجدوا المدة سنة وفي هذا توبيخ للعرب بانهم يصدقون من ثبت بهذا
الامر انهم لا يعلمون الغيب في الخرافات اللاتي تاتيهم بها الكهان وغيرهم مما يغشيهم والحال انهم يشاهدون منه كذبا كثيرا
فكانوا ابعد لكم مسا وبل لمن يخبر من الادميين عن بعض المغيبات بظن يظنه او منام يراه او غير ذلك فيكون كما قال هذا امع اعرضهم
عمن يخبرهم بالاخرة شفقة عليهم ونصيحة لهم وما اخبرهم بشيء قط الا ظهر صدقه قبل دعايته للنبوة وبعده واظهر لهم من
المعجزات ما بهر العقول وقد تقرر ان كل شيء ثبت لمن قبل نبينا صلى الله عليه وسلم من الانبيا من الخوارق ثبت له مثله او
اعظم منه اما له نفسه او لاحد من امته وهذا الذي ذكر لسليمان عليه السلام من حفظه بعد موته سنة لا يميل قد ثبت
مثله لشخص من هذه الامة من غير شيء يعتمد عليه قال الاستاذ ابو القسم القشيري في رسالته في باب احوالهم عند الخروج
من الدنيا وقال ابو عمران الاصطخري رايت ابا تراب في البادية قائما ميتا لا يمسكه شيء انتهى وثبت مثل ذلك لشخص في بلاد شروان
من بلاد فارس بالقرب من شماخي اسم ذلك الولي محمد ولقبه دده مكي مات من نحو اربعمائة سنة في المائة الخامسة من الهجرة وهو قائم
في مكان من مقامه الذي كان يتعبد فيه على هيئة المتعبد وعليه قميص وعلى راسه قبع كهيئة اقباع الاعاجم البسطامية
اخبرني من شاهده كذلك ممن لا اتهمه من طلبة العلم العجم وهو امر مشهور متواتر في بلادهم غني عن مشاهدة شخص معين قال زرته غير
مرة وله هيبة تمنع المعتقد من الدنو منه ولو ابى به وجهه كما اشار تعالى الى مثل ذلك بقوله لوليت منهم فرارا ولملئت
منهم رعبا قال وكان معنا مرة في بعض المرات شخص من طلبة العلم من اهل كيلان غير معتقد يقول انما هذا نوع شعبذة هو
يحيل به على عقول الرعاع قال فتقدم اليه بجراءة ولمس صدره ونظر في وجهه فاصيب في الحال فلم يرجع الا محمولا فاقام في المدرسة
التي كان يشتغل بها في مدينة شماخي مدة واخبرنا ان الشيخ دده مكي قال له لما لمسه لولا انك من اهل العلم هلكت وانه شيخ
خفيف اللحية قال وقد تبت الى الله تعالى وصرت من المعتقدين لما هو عليه انه حق ولا اكذب بشيء من كرامات الاوليا قال الحاكي
وقد دفن ثلاث مرات احداها بامر تمرلنك فيصبح جالسا على ما هو عليه الان والله الموفق ولما دل سبحانه بقوله افلم
يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم الاية على قدرته على ما يريد من السماء والارض لمعاملة من يريد ممن فيهما بما يشا من فضل على
من شكر وعدل فيمن كفر ودل على ذلك بما قصه من اخبار بعض اولي الشكر وختم بموت نبيه سليمان بن داود الشاكرين عليهما
السلام وما كان فيه من الاية الدالة على انه لا يعلم الغيب غيره ليفتح ذلك انه لا يقدر على كل ما يريد غيره وكان موت الانبيا

المتقدمين موجبا للاخلال من بعدهم لفوات اياتهم بفواتهم بخلاف اية القرآن فانها باقية على مر الدهور والازمان لكل انس
وملك وجان ينادي مناديها على رؤس الاشهاد هل من مبار او مضاد فلذلك حفظت هذه الامة وضاع غيرها في اودية مدلهمة
اتبعه دليلا اخر شهوديا على اية ان نشا نخسف بهم الارض في قوم كان تمام صلاحهم بسليمان عليه السلام فاختل بعده
امرهم وصار من عجائب الكون ذكرهم حين ضاع شكرهم فكان من جهة اتباع قصتهم لما قبلها ان آل داود عليهم السلام
شكروا فسخر لهم من الجبال والطير والمعادن وغيرها ما لم يكن غيرهم يطمع فيه وهم اضاعوا الشكر فاعصى عليهم واضاع
منهم ما لم يكونوا يخافون فواته من مياههم واشجارهم وغيرها فقال تعالى مشيرا بالتاكيد الى تعظيم ما كانوا فيه وانه في
غاية الدلالة على القدرة وسائر صفات الكمال وان عمل قريش عمل من ينكر ما تدل عليه قصتهم من ذلك لقد كان لسبا اي
القبيلة المشهورة التي كانت تسجد للشمس فهداهم الله تعالى على يد سليمان عليه السلام وحكمة تسكين قنبل همزة
الاشارة الى ما كانوا فيه من الخفض والدعة ورفاهة العيش المثمر للراحة والطمانينة والهدو والسكينة ولعل قراءة الجمهور
لها بالصرف تشير الى مثل ذلك وقراءة ابي عمرو والبزي عن ابن كثير بالمنع تشير الى رجوعهم بما صاروا اليه من سوء الحال الى
غالب احوال تلك البلاد في الافتقار والعطش وقلة النبت في مساكنهم اي التي هي في غاية الكثرة ووجه حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم اشارة الى انها لشدة اتصال المنافع والمرافق كالمسكن الواحد وكسر الكسائي اشارة الى انها في غاية الملائمة
لهم واللين وفتحة الاخران الى ما فيها من الروح والراحة وكانت بارض مارب من بلاد اليمن قال حمزة الكرماني قال ابن عباس
رضي الله عنه على ثلاث فراسخ من صنعا وكانت اخصب البلاد واطيبها واكثرها ثمارا حتى كانت المراة تضع على راسها
مكتلا فتطوف فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل من غير ان تمس شيا بيدها وكانت مياههم تخرج من جبل فبنوا فيه سدا وجعلوا
له ثلاثة ابواب فكانوا يسرحون الما الى كرومهم من الباب الاعلى والاوسط والاسفل وقال الرازي كانت المراة تخرج
ومعها مغزلها وعلى راسها مكتلها فتمتهن بمغزلها فلا تاتي بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار وقال ابو حيان في النهر ولما
ملكت بلقيس اقتتل قومها على ماء واديهم فتركت ملكها وسكنت قصرها وراودوها على ان ترجع فابت فقالوا لترجعن
او لنقتلنك فقالت لهم لا عقول لكم ولا تطيعوني فقالوا نطيعك فرجعت الى واديهم وكانوا اذا مطروا اتاهم
السيل من مسيرة ثلاثة ايام فامرت به فسد ما بين الجبلين بمسناة بالصخر والقار وحبست الماء من وراء السد
وجعلت له ابوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجا على عدة انهارهم وكان الما يخرج لهم بالسوية
وقال المسعودي في مقدمات مروج الذهب قبل السيرة النبوية بيسير من الكلام على الجنتين كانتا من اخصب
ارض اليمن واثراها واعدلها واعداها واكثرها جنانا وكانت مسيرة اكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحال وفي
العرض مثل ذلك يسير الراكب من اولها الى ان ينتهي الى اخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل لاستتار الارض
بالاشجار واستيلائها عليها واحاطتها بها فكان اهلها في اطيب عيش وارفهه واهنا حال وارغده في نهاية الخصب
وطيب الهوا وصفا الفضا وتدفق الما وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ثم ذكر خبرا طويلا في اخبارهم وخراب ما كان
من اثارهم وتفرقهم في البلاد وشتاتهم بين العباد اية اي علامة ظاهرة على قدرتنا على ما نريد ثم فسر الاية بقوله
جنتان مجاورتان للطريق عن يمين وشمال اي بساتين متصلة وحدائق مشتبكة ورياض محتبكة حتى كان الكل من كل
جانب جنة واحدة لشدة اتصال بعضه ببعض عن يمين كل سالك وشماله في اي مكان سلك من بلادهم ليس فيها موضع معطل
وقال البغوي عن يمين واديهم وشماله قد احاط الجنتان بذلك الوادي واشار الى كرم تلك الجنان وسعة ما لها
من الخير بقوله كلوا اي لا تحتاج بلادهم الى غيرها يقال لهم كلوا من رزق ربكم اي المحسن اليكم الذي اخرج لكم منهما
كل ما تشتهون واشكروا له اي خصوه بالشكر بالعمل بما انعم به في كل ما يرضيه ليديم لكم النعمة ثم استانف
تعظيم ذلك بقوله بلدة طيبة اي كريمة التربة حسنة الهواء سليمة من الهوام والمضار لا يحتاج ساكنها الى ما
يتعبه فيعوقه عن الشكر قال ابن زيد لا يوجد فيها برغوث ولا بعوض ولا عقرب ولا حية ولا تقمل ثيابهم ولا تعيا
دوابهم واشار الى انه لا يقدر احد على ان يقدره حق قدره بقوله ورب غفور اي لمن شكره وتقصيره يمحوا
عينه ما قصر فيه واثره فلا يعاقب عليه ولا يعاتب ولولا ذلك لما انعم عليكم بما انتم فيه ولا هلككم بذنوبكم واخبرني
بعض اهل اليمن انها اليوم مفازة قرب صنعا قال وفي بعضها عنب تحمل منه زبيب كبار جدا في مقدار ذبلي بلاد الشام وهو
في غاية الصفا كانه قطع المصطكي وليس له نوى اصلا ولما تسبب عن هذا الانعام بطرهم الموجب لاعراضهم
عن الشكر دل على ذلك بقوله فاعرضوا ولما تسبب عن اعراضهم مقتهم بينه بقوله فارسلنا ودل على انه
ارسال عذاب بعد مظهر العظمة باداة الاستعلاء فقال عليهم سيل العرم اي سيح المطر الغالب المؤدي الشديد الكثير
الحاد الفعل المتناهي في الاذى الذي لا يرده شيء ولا تمنعه حيلة بسد ولا غيره من العرامة وهي الشدة والقوة فافسد

سبلاهم

عليهم جميع ما ينتفعون به قال ابو حيان سلط الله عليهم الجرذ فارا اعمى توالد فيه ويسمى الخلد فخرقه شيئا بعد شيء وارسل الله سيلا في ذلك الوادي فحمل ذلك السد فروى انه كان من العظم وكثرة الماء بحيث ملا ما بين الجبلين وحمل الجنان وكثيرا من الناس ممن لم يمكنه الفرار. ولما غرق من غرق منهم ونجا من نجا تفرقوا وعزفوا حتى ضربت العرب المثل بهم فقالوا تفرقوا ايدى سبا وايادى سبا قيل والاوس والخزرج منهم وكان ذلك في الفترة التى بين عيسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم وبدلناهم بجنتيهم اى جعلنا لهم بدلهما جنتين هما في غاية ما يكون من مضادة جنتيهم ولذلك فسرهما بقوله اعلاما بان اطلاق الجنتين عليهما مشاكلة لفظية للتهكم بهم ذواتى اكل اى ثمر خمط وقراءة الجماعة بتنوين اكل اقعد في التهكم من قراءة ابى عمرو ويعقوب بالاضافة ولما كان الخمط مشتركا بين البهايم والانسان في الاكل والتجنب والله اعلم بما اراد منه لانه ضرب من الاراك له ثمر يوكل وكل شجرة مرة ذات شوك والحامض والمر من كل شيء وكل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يوكل ولا يمكن اكله وثمر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به والحمل القليل من كل شجر ذكر ما يخص البهايم التى بها قوام الانسان فقال واثل اى وذوات اثل وهو شجر لا ثمر له نوع من الطرفا ثم ذكر ما يخص الانسان فقال وشيء من سدر اى نبق قليل وهذا يدل على ان غير السدر وهو ما لا منفعة فيه او منفعته مشوبة بكدر اكثر من السدر وقال ابو حيان ان الفرا فسر هذا السدر بالسمر قال وقال الازهرى السدر سدر ان سدر لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله ثمر عفصة لا تو كل وهذا الذى يسمى الضال وسدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه الغسول يشبه العناب وقد سبق الوعد في البقرة ببيان ما يفيده دخول الجار مع مادة بدل فان الحال تفترق فيها بين الابدال والتبديل والاستبدال والتبدل وغيره لك وهى كثيرة الدور مشتبهة الامر وقد حققها شيخنا محقق زمانه قاضى الشافعية بالديار المصرية شمس الدين محمد بن على القاياتى رحمه الله تعالى فيما علقته عنه وذكر اكثره في شرحه لخطبة المنهاج للنووى رحمه الله اعلم ان هذه المادة اعنى البا والدال واللام مع هذا الترتيب قد يذكر معها المتقابلان فقط وقد يذكر معهما غيرهما وقد لا يكون كذلك فان اقتصر عليهما فقد يذكر ان مع التبديل والاستبدال مصحوبا احدهما بالبا كما في قوله تعالى اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وفى قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان الاية فتكون البا داخلة على المتروك ويتعدى الفعل بنفسه للمقابل المتخذ وقد يذكران مع التبديل والابدال واحدهما مقرون بالبا فالبا داخلة على الحاصل ويتعدى الفعل بنفسه الى المتروك نقل الازهرى عن ثعلب بدلت الخاتم بالحلقة اذا اذبته وسويته حلقة وبدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما وابدلت الخاتم بالحلقة اذا نحيت هذا وجعلت هذه مكانه وحكى الهروى في الغريبين عن ابن عرفة يعنى نفطويه انه قال التبديل تغيير الشيء عن حاله والابدال جعل الشيء مكان اخر وتحقيقه ان معنى التبديل التغيير وان لم يوت ببدل كما ذكر في الصحاح وكما هو مقتضى كلام ابن عرفة بحيث ذكر المتقابلان وقيل بدلت هذا بذاك رجع حاصله لك انك اخذت ذاك واعطيت هذا فاذا قيل بدل الشيء بغيره فمعناه غير الشيء بغيره اى ترك الاول واخذ الثانى فكانت البا داخلة على المأخوذ لا المنحى ومعنى بدل الشيء بغيره يرجع الى تنحية الشيء وجعل غيره مكانه فكانت البا داخلة على المتخذ مكان المنحى وللتبديل ولو مع الاقتصار على المتقابلين استعمال اخر يتعدى الى المفعولين بنفسه كقوله تعالى اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه الاية بمعنى يجعل الحسنات بدل السيئات ويعطيهما بدل ما كان لهما خيرا وقد لا يذكر المذهوب كما في قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها ومعنى التبدل والاستبدال اخذ الشيء مكان غيره فاذا قلت استبدلت هذا بذاك او تبدلت هذا بذاك رجع حاصله لك انك اخذت هذا وتركت ذاك وان لم تقتصر عليهما بل ذكر معهما غيرهما واحدهما مصحوب بالجار وذكر التبديل كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين تعدى الفعل بنفسه الى المفعولين يعنى الى المفعول ذلك لاجله والى المأخوذ بنفسه والى المذهوب المبدل منه بالبا كما في بدله بخوفه امنا ومعناه ازال خوفه الى الامن وقد يتعدى الى المذهوب والحالة هذه بمن كان في بدله من خوفه امنا وللتبديل ايضا استعمال اخر يتعدى الى مفعول واحد مثل بدلت الشيء اى غيرته قال تعالى فمن بدله بعد ما سمعه على ان ههنا ما يجب التنبه له وهو ان الشيء يكون مأخوذا بالقياس والاضافة الى شيء متروكا بالقياس والاضافة الى اخر كما اذا اعطى شخص شخصا شيئا واخذ بدله منه فالشيء الاول مأخوذ للشخص الثانى ومتروك للاول والمقابل بالعكس فيصح ان يعبر بالتبدل والتبديل ويعتبر في كل منهما ما يناسبه ولاشكال المقام قصدنا بعض الاطناب انتهى ولما اخبر عن هذا المحق والتغيير بعد ما كانوا فيه من ذلك الملك الكبير هو لامر مقدما للمفعول دلالة على انه مما يهتم غاية الاهتمام بتعرفه فقال ذلك اى الجزاء العظيم العالى الرتبة في امر المسخ جزيناهم بما لنا من العظمة بما كفروا اى غطوا الدليل الواضح ولما كان من العادة المستقرة عند ذوى الهمم العوالى العريقين في مقارعة الابطال المبالغة في جزاء من اساء بعد الاحسان وقابل الانعام بالكفران لما اثر في القلوب من الحريق مرة بعد مرة وكرة في اثر كرة اجرى الامر سبحانه على هذا العرف فقال مشيرا الى ذلك بصيغة

الفاعلة عادة الغير جزاءهم بالنسبة اليه عدما تهديدا يصدع القلوب ويردع النفوس ويدع الاعناق خاضعة والرؤس ك وهل نجازى اى على سبيل المبالغة هذا الجزاء الذى هو على وجه العقاب من مجازينا الا الكفور اى المبالغ في الكفر وقراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم نجازى بالنون على اسلوب ما قبله من العظمة ونصب الكفور وقال الفراء المومن يجزى ولا يجازى كانه يشير الى ان عقاب المسيء لاجل عمله فهو مفاعلة واما ثواب المطيع فهو فضل من الله لا لاجل عمله فان عمله نعمة من الله وذلك لا بنا في المضاعفة قال القشيرى كذلك من الناس من يكون في رغد من الحال واتصال من التوفيق وطيب من القلب ومساعدة من الوقت فيرتكب زلة او يسيء ادبا او يتبع شهوة ولا يعرف قدر ما هو فيه فيتغير عليه الحال فلا وقت ولا حال ولا قلب ولما تم الخبر عن الجنان التى لها القوام بنعمة الاقوات والثمار وما يظلم عليه النهار وكانت لبالته مضيئة ببدايع الانوار ولا اوما يظلم عليه النهار وكانت ليالته مضيئة ببدايع الانوار اتبعه مواضع السكان فقال وجعلنا اى بما لنا من العظمة ونبه بنزع الجار على عمارة جميع تلك الاراضى بالبنا والانتفاع فقال بينهم اى بين قرى اهل سبا وبين القرى اى مدنا كانت او دونها التى باركنا اى بركة اغنينا بها اغنيا ونعمة والانتفاع فقال بينهم اى بين قرى اهل سبا وبين القرى التى باركنا فيها اى بان جعلناها محال العلم والرزق بالانبيا واصفيا الاوليا وهى بلاد الشام قرى ظاهرة من يناظر اخر بغاية العظمة فيها اى بان جعلناها بحال العلم والرزق ما اصلب منها وعلا لان البنا بها اثبت والمشى لها اسهل والانبهاج برؤيه جميع الجنان اى من ارض الشام في اشراف الارض وما فيها من النضرة منها امكن فهى ظاهرة للعيون بين تلك الجنان كانها الكواكب الحسان مع تقاربها بحيث يرى بعضها من بعض وكثرة المال لها والمفاخر والنفع والمعونة للمارة قال البغوى كانت اربعة الاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام كانت مع هذا الوصف ربما كان فيها عسر على المسافر لعدم الموافقة في المقيل والمبيت ازال هذا بقوله وقدرنا فيها السير اى جعلناه على مقادير هى في غاية الرفق بالمسافر في نزوله متى اراد من ليل او نهار على ما جرت به عوايد السفار فهى لذلك حقيقة بان يقال لاهلها والنازلين بها على سبيل الامتنان سيروا والدليل على تقارب جدا قوله فيها ودل على كثرتها وطول مسافتها وصلاحيتها للسير اى وقت اريد مقدما لما هو ادل على الامن واعدل للسير في البلاد الحارة بقوله ليالى واشار الى كثرة الظلال والرطوبة والاعتدال الذى يمكن معه السير في جميع النهار بقوله ليالى وايام اى في اى وقت شئتم وعلى عظيم امانها في كل وقت بالنسبة الى كل ملم بقوله آمنين اى من خوف او تعب او ضيعة ولما انقضى الخبر عن هذه الاوصاف التى تستدعى غاية الشكر لما فيها من الالطاف دل على بطرهم للنعمة بها بانهم جعلوها سببا للتضجر والملال بقوله فقالوا على وجه الدعا ربنا اى ايها المربى لنا باعد اى اعظم البعد وسدد وعظ او تعب بعد على قراءة ابن كثير وابى عمرو وهشام عن ابن عامر بتشديد العين واسكان الدال وهذا بمعنى قراءة الباقين غير يعقوب باعد المقتضية لمدة وتطويله بين اسفارنا اى قرانا التى نسافر فيها اى ليبعد الناس فيكون ما يحصل كل انسان من هذه الجنان اضعاف ما يحصله الان ويحمل الزاد وتسير على النجايب وتعلق السلاح وتستجيد المراكب وكان بعضهم كان على الضد من عرض هولاء فاستكثر مسافة ما بين كل قريتين فقال كما قرا يعقوب ربنا بالرفع على انه مبتدا باعد فعلا ماضيا على انه خبر فازدرى تلك النعمة الواردة على قانون الحكمة واشتهى ان تكون القرى متواصله وظلموا انفسهم تارة باستقلال الديار وتارة باستقلال الثمار فسبب لهم ذلك تبديل ما هم فيه بحال هو في الوحشة بعد ما كانوا فيه من الانس وهو معنى فجعلناهم اى بما لنا من العظمة احاديث اى يتواصفها الناس جيلا بعد جيل لما لها من الهول ومزقناهم اى مزقنا بتنايب العظمة فما كان لهم ذات الا المطاوعة فتمزقوا كل ممزق اى تمزيق كما يمزق الثوب بحيث صاروا مثلا مضروبا الى هذا الزمان يقال لمن شتت امرهم تفرقوا ايدى سبا ولما كان كل من امريهم هذين في العمارة والخراب امرا باهرا دالا على امور كثيرة منها القدرة على الساعة التى هى مقصود السورة بالنقلة من النعيم الى الجحيم والحشر الى ما لا يريد الانسان كما حشر اهل سبا الى كثير من اقطار البلاد كما هو مشهور في قصتهم قال منبها على ذلك مستانفا على طريق الاستنتاج مو نبها على انعام النظر فيه لما له من الدلالة على صفات الكمال ان في ذلك اى الامر العظيم لايات اى دلالات بينة جدا على قدرة الله تعالى على التصرف فيما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض بالايجاد والاعدام للذوات والصفات بالخسف والمسخ فانه لا فرق بين خارق وخارق وعلى ان بطرهم لتلك النعمة حين ملوها ودعوا بازالتها دليل على ان الانسان ما دام حيا لا هو في نعمة يجب عليه شكرها كاينة ما كانت وان كان يراها بليه لانه لما طبع عليه من القلق كثيرا ما يرى النعم نقما واللذات الما ولذلك ختم الاية بالصبر بصيغة المبالغة فقال لكل صبار ولما كان الصبر حبس النفس عن اغراضها الفاسدة واهويتها المعجبة وكانت مخالفة الهوى اشد ما يكون على النفس واشق وكانت النعم تبطر وتطغى وتغفل وتلهى وكان عطف النفوس الى الشكر بعد جماحها بطغيان النعم صعبا وكانت قريش قد شاركت سبا فيما ذكرنا وزادت عليهم برغد العيش وسهولة اتيان الرزق بما حبيهم ربه وبلدهم الى العباد بدعوة ابيهم ابرهيم مع امن البلد وجلالة النسب وعظيم المنصب كما اشار اليه قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الاية قال تعالى محذرا لهم مثل عقوبتهم لكل صبار شكور

اي من جميع بني آدم مشيرا بصيغة المبالغة الى ذلك كله وان من لم يكن في طبعه الصبر والشكر لا يعد رعلى ذلك وان من ليس
في طبعه الصبر فانه الشكر ولما كان المعنى ايات في ان يخالفوا ابليس ولا يصدقوا ظنه في احتناكهم حيث قال
لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال مؤكدا لانكار كل احد ان يكون صدق ظن ابليس فيه ولقد اي
كان في ذلك ايات مانعة من اتباع الشيطان والحال انه قد صدق ولما كان في استغوايهم غاية العجب لهم في ارتكابهم
ما تشهد عقولهم بانه ضلال اشار الى ذلك باداة الاستعلا فقال عليهم اي على ذرية ادم عليه السلام ولما كان
في سياق الاثبات لعظمة الله وما عنده من الخير وما له من التصرف التام الداعي ذلك الى الاقبال اليه وقصر الهمم عليه
عبر بقوله ابليس الذي هو من البلس وهو ما لا خير عنده والابلاس وهو الياس من كل خير لكون ذلك اعظم في التبكيت
والتوبيخ ظنه اي في قوله لاحتنكن ذريته الا قليلا ولاغوينهم اجمعين الا عبادك ثم لا تجد اكثرهم شاكرين فكانه لما
قال ذلك على سبيل الظن نفا صادق ظنه الصدق فصدقه في اعمال الحيلة حتى كان ذلك الظن هذا على قراءة الجماعة بالتخفيف
واما على قراءة الكوفيين بالتشديد فالمعنى انه جعل ظنه الذي كان يمكن تكذيبه فيه قبل التحقق صادقا بحيث لا يمكن احدا
تكذيبه فيه ولذلك سبب سبحانه عنه قوله فاتبعوه اي بغاية الجهد بميل الطبع والاستلذاذ الموجب للتروع والترامي
بعضهم في الكفران وبعضهم في مطلق العصيان ولما كان المحدث عنهم جميع الناس عرف به بالاستثناء المعرف
لقلة الناجين فقال الا فريقا اي ناسا لهم القدرة على تفريق كلمة اهل الكفر ونقض جمعهم وان كانوا بالنسبة اليهم
كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود من المؤمنين اي الراسخين في الايمان فكانوا خالصين لله مخلصين في عبادته
واما غيرهم فما لوا معه وكان منهم المقل ومنهم المكثر بالهفوات والزلات الصغاير والكباير ولما كان
ذلك ربما اوهم ان لابليس امرا بنفسه نفاه بقوله وما اي والحال انه ما كان اصلا له عليهم اي الذين اتبعوه ولا غيرهم
واغرق فيما هو الحق من النفي بقوله من سلطان اي تسلط قاهر لشي من الاشيا بوجه من الوجوه لانه مثلهم في كونه عبدا عاجزا
مقهورا ذليلا خايفا مدحورا قال القشيري هو مسلط ولو امكنه ان يضل غيره امكنه ان يمسك على الهداية نفسه الا
اي لكن نحن سلطناه عليهم بسلطاننا ومكناه فادعهم بقهرنا وعبر عن التمييز الذي هو سبب العلم بالعلم فقال لنعلم
اي بما لنا من العظمة من يؤمن اي يوجد الايمان لله بالاخرة اي ليتعلق علمنا بذلك في عالم الشهادة في حال تميزه تعلقا تقوم به الحجة
في مجاري عادات البشر كما كان متعلقا به في عالم الغيب ممن هو منها اي الاخرة في شك فهو لا يتجدد له بها ايمان لان ضلال
الشك ظرف له محيط به وانما استعار الظرف موضع لكن اشارة الى انه مكنه تمكينا تاما صار به كمن له سلطان حقيقي ولما
كان هذا ربما اوقع في وهم نقصا في العلم او القدرة قال مشيرا الى انه سبحانه يسر صلى الله عليه وسلم بتكثير هذا الفريق
المخلص وجعل اكثره من امته فقال وربك اي المحسن اليك باخزا الشيطان بنبوتك واخسايه عن امتك على كل شيء من المكلفين
وغيرهم حفيظ اي حافظ اتم حفظ يحيط به مدبر له على وجه العلو بعلمه الكامل وقدرته الشاملة فلا يفعل الشيطان ولا غيره
شيا الا بعلمه واذنه ولما اثبت سبحانه لذاته الاقدس من الملك في السموات والارض وغيرهما ما رايت واستدل
عليه من الادلة التي لا يمكن التصويب اليها بطعن بما سمعت وكان المقصود الاعظم التوحيد فانه اصل يبنى عليه كل خير
قال قل اي يا اعلم الخلق باقامة الادلة لهولاء الذين اشركوا اما لا يشك في حقارته من له ادنى مسكة ادعوا الذين زعمتم
اي انهم الهة كما تدعون الله لا سيما في وقت الشدايد وحذف مفعولي زعم وهما ضميرهم وآلهتهم تنبيها على استهجان ذلك واستبعاده
وليس المذكور في الاية مفعولا ولا قايما مقام المفعول لفساد المعنى وبين حقارتهم بقوله من دون الله اي الذي حاز جميع العظمة
لشي مما اثبته سبحانه لنفسه فليفعلوا شيا مثله او يبطلوا شيا مما فعله سبحانه ولما كان جوابهم في ذلك
السكوت عجزا وحيرة تولى سبحانه الجواب عنهم اشارة الى ان ذلك جواب كل من له تامل لا وقفة فيه بقوله معبرا عنهم بعبارة
من له علم لاقامتهم في ذلك المقام او لان بعض من ادعيت الهيته ممن له علم لا يملكون اي الآن ولا يتجدد لهم شي من ذلك اصلا
ولما كان المراد المبالغة في الحقارة بما تعرف العرب قال مثقال ذرة ولما اريد العموم عبر بقوله
في السموات واكد فقال ولا في الارض لان السما ما علا والارض ما سفل والسموات في العرش والارض في السما فاستغرق
ذلك النفي عنهما وعن كل ما فيهما من ذات ومعنى الى العرش وهو ذو العرش العظيم ولما كان هذا ظاهرا في نفي الملك
الخالص عن شوب المشاركة نفى المشاركة ايضا بقوله مؤكدا تكذيبا لهم فيما يدعونه وما لهم فيهما اي السموات والارض ولا
فيما فيهما واغرق في النفي فقال من شرك اي في خلق ولا ملك ولا ملك واكد النفي باثبات الجار ولما كان بما في
السموات والارض نفوس هذه الاصنام وقد انتفى ملكهم لشي من انفسهم او مما اسكن فيها سبحانه من قوة او منفعة فانتفى ان
يقدروا على اعانة غيرهم وكان التصحيح مزيد روعة للنفوس وهزة للقلوب وقطع للاطماع حتى لا يكون هناك متشبث قوة
ولا اواه قال وما له اي الله منهم واكد النفي باثبات الجار فقال من ظهير اي معين على شي مما يريده فكيف يصح مع هذا العجز

الكلي ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ويعبدوا كما يعبد ولما كان قد بقي من اقسام النفع الشفاعة وكان المقصود
منها اثرها لا عينها نفاه بقوله ولا تنفع اي تحدث من الاوقات الشفاعة عنده اي بوجه من الوجوه لشي من الاشيا الا
لمن ولما كانت كتابة الحجاب اعظم في الهيبة وكان البنا للمجهول ادل على كتابة الحجاب قال في قراءة ابي عمرو وحمزة
والكسائي بجعل المصدر عمدة الكلام واسناد الفعل اليه اذن له اي وقع منه اذن له على لسان من شاء من جنوده بواسطة
واحدة او اكثر في ان يشفع في غيره او في ان يشفع فيه غيره وقراءة الباقين بالبنا للفاعل تدل على العظمة من وجه اخر وهو انه
لا افتيات عليه بوجه من احد ما بل لابد ان ينص هو سبحانه على الاذن والا فلا استطاعة عليه اصلا ولما كان من
المعلوم ان الموقوفين في محل خطر للعرض على ملك مرهوب متى نودي باسم احد منهم فقيل اين فلان انخلع قلبه وربما اغمي عليه
فلذلك كان من المعلوم مما مضى انه متى برز النداء من قبله تعالى في ذلك المقام الذي ترى فيه كل امة جاثية
يغشى على الشافعين والمشفوع لهم فلا بد لذلك كل الحين قوله تعالى حتى وهو غاية لمحذوف يقال فاذا اذن له وقع الصعق
لجلاله وكبريايه وكماله حتى اذا فزع اي ازيل الفزع بايسر امر واهون سعي من امره سبحانه هذا في قراءة الجماعة بالبنا للمجهول
وازاله هو سبحانه الفزع في قراءة ابن عامر ويعقوب اشارة الى انه لا يخرج عن امره شي عن قلوبهم اي الشافعين والمشفوع لهم
ان يقال يا في للازالة كقذيت عينه اذا ازلت عنها القذى قالوا اي قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم ذاكرين صفة الاحسان
ليرجع اليهم رجاؤهم فتسكن لذلك قلوبهم ولما كان ملوك الدنيا ربما قال بعضهم قولا ثم بدا له فرجع عنه او عارض
فيه شخص من اعيان جنده فينتقض اخبار الملك الدنيا ليتركه لذلك فقال قالوا الحق اي الثابت الذي لا يمكن ان يبدل
بل يطابقه الواقع فلا يكون شي يخالفه وهو العلي اي فلا رتبة الا دون رتبته فلا يقول عن الحق من نقص علم الكبير
اي الذي لا كبير غيره فيعارضه في شي من حكمه روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السما ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع
عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصفه
سفين بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر
او الكاهن فربما ادرك الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها ماية كذبة فيقال اليس قد قال
لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السما وقال في التوحيد وقال مسروق عن ابن مسعود واذا تكلم
الله بالوحي سمع اهل السموات والارض فاذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا انه الحق ونادوا ماذا قال ربكم قالوا
الحق وروى هذا الحديث العتبي في جزيه عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه قال كان لكل قبيل من الجن مقعد من السما
يستمعون فيه الوحي وفيه فلا ينزل على سما الا صعقوا وفي اخره ثم يقال يكون العام كذا ويكون العام كذا فيسمع الجن ذلك
فيخبرونه الكهنة فيخبر الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم دحروا فقالت العرب
هلك من في السما فذكر ذبح العرب لاموالهم من الابل وغيرها حتى نهتهم ثقيف واستدلوا بثبات معالم النجوم ثم امر ابليس
جنده باحضار التراب وشمه حتى عرفوا ان الحدث من مكة ولما سلب عن شركايهم ان يملكوا شيا من الاكوان واثبت
جميع الملك له وحده امره صلى الله عليه وسلم بان يقررهم بما يلزم منه ذلك فقال قل من يرزقكم ولما كان كل شي
من الرزق متوقفا على الكونين وكان في معرض الامتنان والتوبيخ جمع ليلا يدعى ان شيا من العالم العلوي مدبر لغيره سبحانه
فقال من السموات وقال والارض بالافراد لانهم لا يعلمون غيرها ولما كان من المعلوم انهم مقرون بان ذلك لله
وحده كما تقدم من التصريح به غير مرة وكان من المحقق ان اقرارهم بذلك ملزم لهم الاخلاص في العبادة عند كل من له ادنى مسكة
من عقله اشار الى ذلك بالاشارة بامره صلى الله عليه وسلم بالاجابة الى انهم كالمنكرين لهذا الان اقرارهم به لم
ينفعهم فقال قل الله اي الملك الاعلى وحده وامره بعد اقامة هذا الدليل البين بان يتبعه ما هو اشد عليهم من وقع النبل
بطريق لا انصف منه ولا يستطيع احد ان يصوب اليه نوع طعن بان يقول مؤكدا تنبيها على وجوب انعام النظر في تمييز
المحق من المبطل بالانخلاع من الهوى فان الامر في غاية الخطر وانا اي اهل التوحيد في العبادة لمن تفرد بالرزق او اياكم
اهل الاشراك به من لا يملك شيا من الاشيا واو على بابها لا بمعنى الواو اي ان احد الفريقين على احدى الحالتين مبهمة غير
معينة فهو على خطر عظيم لكونه في شك من امره غير مقطوع له بالهدى فانظروا بعقولكم في تعيينه هل هو الذي
عرف الحق لاهله او الذي بذل الحق لغير اهله قال ابن الجوزي وهذا كما تقول للرجل تكذبه والله ان احدنا لكاذب
وانت تعنيه تكذيبا غير مكشوف ويقول الرجل والله لقد قدم فلان فيقول له من يعلم كذبه قل ان شا الله فيكذبه
باحسن من تصريح التكذيب يعني ولا سيما بعد اقامة الدليل على المراد ثم مثال المهتدين بمن هو على متن جواد بوجهه حيث
شا من الجواد بقوله لعلى هدى اي في متابعة ما ينبغي ان يعمل مستعلين عليه ناظرين لكل ما يمكن ان يعرض فيه مما قد يحجز

الى ضلال فتنكبه أو في ضلال اى عن الحق فى الاعتقاد المناسب فيه منغمسين فيه وهو محيط بالمبتلى به لا يتمكن معه من وجه
صواب مبين اى واضح فى نفسه داع لكل احد الى معرفة انه ضلال الامر كان منغمسا فيه مظروفا له فانه لا يخرج بنفسه
وما بينه وبين ان يستبصر الا ان يخرج منه وقتا ما فيعلم انه كان فى حاله ذلك فاعلا ما لا يفعله من له نوع من العقل ففى هذا
حث على النظر الذى كانوا يابونه بقوله قلوبنا فى اكنة ونحو فى الادلة التى يتميز بها الحق من الباطل على احسن وجه
بانصف دعا والطف نداء حيث شرك الداعى نفسه معهم فيما دعاهم الى النظر فيه فالمعنى انه يتعين على كل منا اذا كان
على احدى الطريقين مبهمة ان ينظر فى امره ليسلم فان الامر فى غاية الوضوح مع ان الضال فى نهاية الخطر ولقد كان الفضلا
من الصحابة رضى الله عنهم وذووا الاحلام والنهى منهم يقولون ذلك بعد الاسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص
وناهيك بهما جلالا ونباهة وذكاء وكمالا فانا لوا والله لقد كنا نتعجب غاية العجب ممن يدخل فى الاسلام واليوم نحن
نتعجب غاية العجب ممن يتوقف عنه ولما كانوا بين امرين اما ان يسكتوا فيعلم كل سامع ان الحجة لزمتهم واما ان يقولوا بوقاحة
ومكابرة انتم فى الضلال ونحن على الهدى وكان الضال لا يزال يقطع ما ينبغى وصله ويصل ما يجب قطعه امره ان يجيبهم
على هذا التقدير بما هو ابلغ فى الانصاف من الاول بقوله قل لا تسألون اى من سائل ما عما اجرمنا اى قطعنا فيه ما ينبغى ان يوصل
مما اوجبه لنا الضلال ولا نسأل اى اصلا فى وقت من الاوقات من سائل ما عما تعملون اى مما تقيمون على العلم الذى او دعوه
الهدى اى فاتركونا والناس غيركم كما انا تاركوكم فمن وضح له شئ من الطريقين سلكه ولما كانوا اما ان يجيبوا الى
المتاركة فيحصل بها المقصود عن قليل واما ان يقولوا لا نترككم وكان هذا الاحتمال ارجح امره ان يجيبهم على تقديره بقوله
قل يجمع بيننا ربنا اى فى قضايه المترتب على قدره فى الدنيا او فى الاخرة فان العشيرى والشيوخ ينظرون فى الاجتماع
زوايد ويسترجعون الى هذه الاية وللاجتماع امر كبير فى الشريعة ولما كان انصافهم منهم فى غاية البعد عندهم
وكان ذلك فى نفسه فى غاية العظمة اشار اليه باداة البعد فقال ثم يفتح بيننا اى يحكم حكما يسهل به الطريق بالحق
اى الامر الثابت الذى لا يقدر احد منا ولا منكم على التخلف عنه وهو العدل او الفضل من غير ظلم ولا ميل ولما
كان التقدير فهو الجامع القدير عطف عليه قوله وهو الفتاح اى البليغ الفتح لما انغلق فلم يقدر احد على فتحه العليم
اى البالغ العلم بكل دقيق وجليل مما تكون فيه الحكومات فهو القدير على فصل جميع الخصومات ولما كانوا قد انكروا البعث
على ذلك الوجه الذى تقدم ودل على قدرته عليه بما نصب من الادلة التى شاهدوها من افعاله بالبصر او البصيرة ايجادا واعداما
واقام الحجج على صحة الدعوى وبطلان ما هم عليه ثم تهددهم بالفصل يوم الجمع وختم بصفة العلم المحيط المستلزم للقدرة
الشاملة وكانت القدرة لا تكون شاملة الا عند الوحدانية امره بما يوجب لهم القطع بوحدانيته وشمول قدرته بقوله
قل اى لهؤلاء المشركين ولما كانت الهتهم تسفل دونها وكان كلما هو كذلك سافل المقدار عن هذه الرتبة وكانت
الهتهم بالخصوص ذى الاشباع عن ذلك لكونها من اخس الجمادات نبه على ذلك وعلى انها نكرة لا تعرف بقلب ولا يدل عليها فطرة
زيادة فى تبكيتهم بقوله ارونى الذين ولما لزم مما ثبت له سبحانه من صفات الكمال العلو الذى لا يدانيه احد
بوجه قال الحقتم به ولما كان الالحاق يقتضى ولا بد قصور الملحق عن الملحق به اشار الى فرط جهلهم بتسويتهم به بقوله
شركاء ثم نبه بعد ابطال قياسهم على انهم فى غاية الجلافة والجمود فهم كالانعام بما ردعهم به من الزجر فى قوله مؤكدا
تكذيبا لهم فى دعوى الشرك كلا اى ارتدعوا وانزجروا فليس والله الامر كما ذكرتم ولا قريب منه بل هو اى المعبود
بالحق الذى لا يستحق ان يسمى الها غيره الله اى الذى اختص بالحمد فى الاولى والاخرة العزيز اى الذى لا مثل له وكل شئ محتاج
اليه وهو غالب على كل شئ غلبة لا يجد معها ذلك الشئ وجه مدافعة ولا انفلات ولا وصول لشئ اليه الا باذنه الحكيم اى
المحكم لكل ما يفعله فلا يستطيع احد نقض شئ منه فكيف يكون له شريك وانتم ترون ما ترونه من هذا بين الضعف المنافى
لذلك وتعلمون عجز من اشركتموه بما تعلمون من عجزكم ولما ختم بوصف الحكمة فتم برهان القدرة التى كان ادحا اعتقادهم
لعدم البعث ما يقتضى نقصا فيها ولزم عن ذلك التوحيد وبطل الشرك لم يبق الا اثبات الرسالة التى اوجب ترديدهم
اخباره صلى الله عليه وسلم بين الكذب والجنون الطعن فيها فعلم ان التقدير ارسل الكريم رسوله بعزته مؤيدا له باعجاز
هذا القران بحكمته دليلا على صدقه وكماله فى جبلته وتاهله لبدايع نعمته ومعالى رحمته وكان فى ذلك دليل الصدق
فى الرسالة فنسق به قوله معليا لشانه بالخطاب فى مظهر العظمة اشارة الى انه ينبغى ان يتدرع جلابيب الصبر على
جميع المكاره الصادرة من انواع الخلق فى اداء الرسالة بقوله عطفا على ولقد اتينا داود منا فضلا مؤكدا تكذيبا
لمن يدعى الخصوص وما ارسلناك اى بعظمتنا الا كافة اى ارسالا عاما شاملا لكل ما شمله ايجادنا تكفهم عما لعلهم
ان ينتشروا اليه من متابعة الاهوية وتمنعهم ان يخرج عنها منهم احد فالتاء فى كافة للمبالغة وعبارة ابن الجوزى اى عامة
لجميع الخلايق للناس اى كل من فيه قابلية لان ينوس من الجن والانس وغيرهم من جميع ما سوى الله وان ذوى بكل اذى من النسبة

الى

الى الافترا او الجنون او غيرهما فحال الارسال محصورة فى العموم للغرض الذى ذكر من التدرع لحمل المشاق لاذى الناس فانه لو ارتد
ذلك لعدموا فقيل الا للناس وقد مضى فى اواخر الانعام عن السبكى ما ينفع هنا والمعنى ان داود عليه السلام فضل بطاعة
الجبال له والطير والحديد وسليمان عليه السلام بما ذكر له ففضلناك انت بالارسال الى كل من يمكن نوسه فالحصى سبحت
فى كفك والجبال امرت بالسير معك ذهبا وفضة والحمرة شكت اليك اخذ فراخها او بيضها والضب شهد لك والجمل
شكى اليك وسجد لك والاشجار اطاعتك والاحجار سلمت عليك وايتمرت بامرك الى غير ذلك من كل من ينوس بالفعل
او القابلية والله اعلم واما الجن فحالهم مشهور واما الملايكة فالدلايل على الارسال اليهم فى غاية الظهور [illegible]
[illegible] النبوة فى باب التحدث بالنعمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الاية دليل على فضل النبى صلى الله عليه
وسلم على الانبيا بعموم الرسالة للانس والجن ولما كانت البشارة هى الخبر الاول الصدق السار وكان فى ذكر
رد قولهم فى الكذب والجنون قال بشيرا ونذيرا اى لمن اهل البشارة او النذارة ولما كان هذا الارسال مقرونا
بدليله من الاتيان بالمعجز فى نفسه من جهة البلاغة فى نظمه وبالمعانى المحكمة فى البشارة والنذارة وغير ذلك قل عليهم فوهم
الذى لا دليل عليه ولا شبهة تضوب اليه فى حقه صلى الله عليه وسلم بقوله الذى هو اوضح من الشمس دليلا واقوم كل قيل
قيلا ولكن ولما كان الناس الاولين كل من فيه قابلية النوس وهم جميع الخلايق واكثرهم غير عاص اظهر مريدا فى
الثقلين من الجن والانس اكثر الناس لا يعلمون اى ليس لهم قابلية العلم فيعلموا انك رسول الله فضلا عن ان ارسالك عام بل
هم كالانعام فهم لذلك لا ينالون فيقولون افترى ام به جنة ونحو هذا من غير تدبر لما فى هذا الكتاب من الحكمة والصواب
مع الاعجاز فى حالى الاطناب والايجاز والاضمار والابراز فيتم لهم حملهم على المخالفة ولما سلب عنهم العلم
اتبعه دليله فقال معبرا بصيغة المضارع الدال على ملازمة التكرير للاعلام بانه على سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد
ويقولون اى ما ارسلناك الا على هذا الحال والحال ان المنذرين يقولون جهلا منهم بعاقبة ما يوعدونه غير مفكرين فى
وجه الخلاص منه والتفصى عنه وكل حين استهزاء منهم متى هذا الوعد اى بالبشارة والنذارة فى يوم الجمع وغيره
وعدا زيادة فى الاستهزاء ولما كان قول الجماعة اجدر بالقبول وابعد عن الرد من قول الواحد اشار الى زيادة جهلهم
بقوله ان كنتم اى ايها النبى واتباعه كونا انتم عريقون فيه صادقين اى متمكنين فى الصدق ولما تبين من سوء الهزء انه
لم يكن للاسترشاد وانهم بالغواية فى التكذيب والاستهزاء بعد الابلاغ فى اقامة الادلة امره بان يجيبهم بما يصلح للعناد
من صادع التهديد بقوله قل لكم اى ايها الجاحدون الاجلاف الذين لا يجوزون الممكنات ولا يتدبرون بما اوضحنا من الادلة
مع ضعفهم عن الدفاع والمغالبة والامتناع ميعاد يوم اى لا يحتمل العقول وصف عظمه لما ياتى فيه لكم من العقاب سواء كان
يوم الموت او البعث ولما كان تعلق النفوس بالمهلة عظيما قال لا تستاخرون اى لا يوجد تاخركم ولا يمكن ان يطلب
حيث الطلب وتعذر الهرب عنه ساعة لان الاتى به عظيم القدرة محيط العلم ولذلك قال ولا تستقدمون اى لا
يوجد تقدمكم لحظة فما دونها ولا تتمكنون من طلب ذلك ولما دل سبحانه بملازمتهم للاستهزاء بهذا الانذار على
انهم غير منفكين عن مذاهب الكفار ذكر تصريحهم بذلك وحالهم فى بعض الاوقات المنطبقة عليها الاية السالفة فى قوله
وقال الذين كفروا احيث عبر بالموصول وصلته فى موضع الضمير واكتفى بالماضى هنا للمراجعة فى المقصود وكفايته فى الحكم بالكفر
فقالوا مؤكدين قطعا للاطماع عن دعائهم لن نؤمن اى نصدق ابدا وصرحوا بالمنزل عليه صلى الله عليه وسلم بالاشارة فقالوا
بهذا القران اى وان جمع جميع الحكم والمقاصد المضمنة لبقية الكتب ولا بالذى بين يديه اى قبله من الكتب التوراة
والانجيل وغيرهما بل نحن تابعون لما ادركنا به اباءنا وذلك ان بعض اهل الكتاب اخبروهم ان صفة هذا النبى عندهم فى كتبهم
فاغضبهم ذلك فقالوا ولو اى والحال انه لو ترى اى توجد منك رؤية لحالهم اذ هم هذا الاصل ولكن اظهر الوصف
تعميما وتعليقا للحكم به فقال الظالمون اى الذين يضعون الاشيا فى غير محالها فيصدقون اباءهم لاحسان يسير مكدر بغير
دليل ولا يصدقون ربهم الذى لا نعمة عندهم ولا عند ابائهم الا منه وقد اقام لهم ادلة العقل بما ضرب لهم من الامثال
فى الافاق وفى انفسهم والنقل بهذا القران المدلول على صدقه بعد اظهار المعجزات المحسوسات بعجزهم عنه فكانهم سمعوه
من الله المنعم الحق موقوفون اى بعد البعث بما يوقفهم من قدرته بايدى جنوده او بغيرها بايسر امر منه سبحانه قهرا لهم
وكرها منهم عند ربهم اى الذى احسن اليهم فطال احسانه فكفروا واكلوا ما احسن به اليهم يرجع بعضهم اى على وجه
الخصام غدا وكان سببها موادتهم فى الدنيا بطاعة بعضهم لبعض فى معاصى الله فان العشيرى ومن عمل بالمعاصى
احرج الله عليه كل من هو اطوع له ولكنهم لا يعلمون ذلك ولو علموا لاعتبروا ولو اعتبروا لتابوا او توقفوا ولكن ليقضى
الله امرا كان مفعولا الى بعض القول اى بالملاومة والمباكتة والمخاصمة لرايت امرا فظيعا منكرا هايلا شنيعا
مقلقا وجيعا يسر لمنظره ويبهج منهم اثر ومخبر من ذلهم وتجاوزهم وتخاذلهم حيث لا ينفعهم شئ من ذلك

ولما كان هذا مجملا فسره بقوله على سبيل الاستيناف يقول الذين استضعفوا اى وقع استضعافهم ممن هو
فوقهم فى الدنيا وهم الاتباع فى تلك الحال على سبيل اللوم والتانيب للذين استكبروا اى اوجدوا الكبر وطلبوه بما وجدوا
من اسبابه التى ادت الى استضعافهم للاولين وقع استضعافهم ممن هو فوقهم وهم الرؤس المتبوعون لولا انتم اى بما وجد من
استتباعكم لنا على الكفر وغيره من اموركم لكنا مؤمنين اى عريقين فى الايمان لانه لم يكن عندنا كبر من انفسنا يحملنا على
العناد للرسل ولما لم يتضمن كلامهم سوى قضية واحدة ذكر الجواب عنها بقوله تعالى قال الذين استكبروا على
طريق الاستيناف للذين استضعفوا ردا عليهم وانكارا لقولهم انهم هم الذين صدوهم انحن صددناكم اى منعناكم
وصرفناكم عن الهدى ولما كانوا لا يؤاخذون باهمال الدليل العقل قبل اتيان الرسل اشاروا الى ذلك بقولهم بعد
اذ جاءكم اى على السنة الرسل ولما كان المعنى انا لم نفعل ذلك حسن ابطال انهم هم الذين ضلوا بانفسهم لا هم
باضلالهم فقالوا بل كنتم اى جبلة وخلقا مجرمين اى عريقين فى قطع ما ينبغى وصله بعد اتيان الهدى مختارين لذلك كما
كنتم قبله اتباعا لنا سادتهم ولا رددنا ولما تضمن قولهم امرين ادعاء عراقتهم فى الاجرام وانكار كونهم سببا فيه
اشار الى ردهم للثانى بالعاطف على غير معطوف عليه اعلاما بان التقدير قال الذين استضعفوا كذبتم فيما ادعيتم من عراقتنا
فى الاجرام وقال الذين استضعفوا عطفا على هذا المقدر للذين استكبروا ردا لانكارهم صدهم بل الصاد لنا مكر الليل
والنهار اى الواقع فيهما من مكركم بنا او استعير اسناد المكر اليهما لطول السلامة فيهما وذلك للاتساع فى الظرف فى
اجرائه مجرى المفعول به اذ تامروننا على الاستمرار ان نكفر بالله اى الملك الاعظم بالاستمرار على ما كنا عليه قبل اتيان الرسل
ونجعل له اندادا اى امثالا نعبدهم من دونه واسروا اى يرجعون والحال ان الفريقين اسروا الندامة لما اى حين راوا
العذاب لانهم بهتوا فى تلك المقاولة وهم يظنون انها تغنى عنهم شيئا واذاهم قد بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون فانهم
فلم يقدروا لفوات المقاصد وخسران النفوس ان ينبسوا بكلمة ولاجل ان العذاب عم الشريف منهم والوضيع قال وجعلنا
الاغلال اى الجوامع التى تغل اليد الى العنق فى اعناق الذين كفروا فاظهر موضع الاضمار تصريحا بالمقصود وتنبيها على الوصف
الذى اوجب لهم ذلك ولما كانت اعمالهم لقبحها ينبغى البراءة منها فكانت بملازمتهم لها كانها قد صنعتهم على ملازمتها
وتقلدها طوق الحمامة فهم يعانونها ونالحق من غير التفات الى دليل قال منبها على ذلك جوابا لمن كانه قال لم خصصت اعناقهم
وايديهم بهذا العذاب هل يجزون اى بهذه الاغلال الا ما كانوا اى كونا هم عريقون فيه يعملون اى على سبيل التجديد
والاستمرار مما يدعون انهم بنوه على العلم وذلك الجزاء والله اعلم مما يوجب قهرهم واذلالهم واخزاءهم وانكالهم وايلا
مهم كما كانوا يفعلون مع المؤمنين ويمنون لهم ولما كان فى هذا تسلية اخروية اتبعه التسلية الدنيوية فقال
عطفا على ما تقديره وما ارسلنا غيرك الا رسالة الاحاد لامته عطفا على وما ارسلناك الا كافة وساقه مؤكدا لان
مضمونه لكونه فى غاية الغرابة مما لا يكاد يصدق وما ارسلنا اى بعظمتنا ولما كان المقصود التعميم لانه لم يتقدم
تولى قريش ليخص التسلية بمن قبلهم اسقط القبلية بخلاف ما فى سورة الزخرف فقال فى قرية واكد النفى بقوله من نذير
اى ينذرهم وخامة ما امامهم من عواقب افعالهم ودل بافراده عن البشارة ان غالب الامم الماضية من اهل النذارة لتظهر
مزية هذه الامة ولعله عبر به اشارة الى الناسخين للشرايع التى قبلهم دون المجددين من انبياء بنى اسرايل فان بعضهم
لم يكذب الا قال مترفوها اى العظماء الذين لا شغل لهم الا التنعم بالفانى حتى اكسبهم البغى والطغيان انا بما ارسلتم به
اى ايها المنذرون كافرون اى اذا قال المنعمون ذلك تبعهم المستضعفون فاذا وقفوا عندنا تقاولوا بما تقدم ثم
لم ينفعهم ذلك وقالوا مفاخرين ودالين على انهم فايزون كما قال هؤلاء كانهم تواصوا به نحن اكثر ولما كانت
الاموال فى الاغلب سببا لكثرة الاولاد بالاستكثار من النساء الحراير والاماء قدمها فقال اموالا واولادا اى
فى هذه الدنيا ولو لم يرض ما نحن عليه ما رزقنا ذلك وما نحن اى الآن بمعذبين اى بثابت عذابنا وانما تعرض لنا احوال
خفيفة من مرض وشدايد هى اخف من احوالكم وحالنا الآن دليل على حالنا فيما يستقبل من الزمان كابنا ما كان فان الحال
انموذج المآل والاول دليل الاخر فان كان ثم اخرى كما تقولون فنحن اسعد منكم فيها كما نحن اسعد منكم الآن ولم تنفعهم قصة
سبا فى ذلك فانهم لو تاملوها لكفتهم وانارت ابصار بصايرهم وصححت امراض قلوبهم وشفتهم فانهم كانوا احسن الناس حالا
فصاروا اقبحهم مالا ولما كان لشبهتهم هذه شعبتان تتعلق احدهما بالذات والاخرى بالثمرات بدا بالاولى لانها
اهم فقال مؤكدا انكارهم لمن يظن ان سعيه يفيد فى الرزق شيئا لولا السعى ما كان قل يا اكرم الخلق على الله مؤكدا لاجل
انكارهم لان يوسع فى الدنيا على من لا يرضى فعله ان ربى اى المحسن الى بالانعام بالسعادة الباقية يبسط الرزق اى يجدده
فى كل وقت اراده بالاموال والاولاد وغيرها لمن يشاء ويقدر اى يضيق على من يشاء منكم ومنا ومن غيرنا من ساير الامم
المخالفين لنا ولكم فى الاصول وتكفير بعضهم لبعض فالله معذب بعضهم لا محالة فبطلت شبهتكم وثبت انه يفعل ما يشاء ابتلاء

وامتحانا

وامتحانا فلا يدل البسط على الرضى ولا القبض على السخط على ما عرف من سنته فى هذه الدار ولكن اكثر الناس اى الذين لم
يرتفعوا عن حد النوس والاضطراب لا يعلمون اى ليس لهم علم ليتدبروا به ما ذكرنا من الامر فيعلموا انه ليس كل موسع عليه
فى دنياه سعيدا فى عقباه ولما هدم ما بالذات اتبعه ما بالثمرات فقال مؤكدا تكذيبا لدعواهم وما اموالكم
اى ايها الخلق الذين انتم من جملتهم وان كثرت وكرر النافى تصريحا بابطال كل على حياله فقال ولا اولادكم كذلك واثبت
الجار تاكيدا للنفى فقال واصفا الجمع المكسر بما هو حقه من التانيث بالتى اى بالاموال والاولاد التى تقربكم عندنا
اى على ما لنا من العظمة بتصرفاتكم فيها بما يكسب المعالى زلفى اى درجة علية وقربة مكينة قال البغوى قال الاخفش هى
اسم مصدر كانه قال تقريبا ثم استثنى من ضمير الجمع الذى هو قايم مقام احد فكانه قيل لا تقرب احدا الا من او يكون المعنى
على حذف مضاف اى الاموال والاولاد من امن اى منكم وعمل تصديقا لايمانه على ذلك الاساس صالحا اى فى ماله
بانفاقه فى سبيل الله وفى ولده بتعليمه الخير ولما من على المصلحين من المؤمنين فى اموالهم واولادهم بان جعلها
سببا لمزيد قربهم دل على ذلك بالفاء فى قوله فاولئك اى العالو الرتبة لهم جزاء الضعف اى ان ياخذوا جزاءهم
مضاعفا فى نفسه من عشرة امثال الى ما لا نهاية له ومضاعفا بالنسبة الى جزاء من تقدمهم من الامم والضعف الزيادة
بما عملوا فان اعمالهم ثابتة محفوظة باساس الايمان وهم فى الغرفات اى العلالى المبنية فوق البيوت فى الجنات زيادة
على ذلك امنون اى ثابت امنهم دايما لا خوف عليهم فى شىء من الاشيا اصلا واتباعهم وهم المرادون بما تقدم فاموالهم
واولادهم وبال عليهم ولما كان فى سياق الترغيب فى الايمان بعد الاخبار بانه بشير ونذير قال معبرا بالمضارع
بيانا لحال من يعبد ماله وولده من الله والذين يسعون اى يجددون السعى من غير توبة باموالهم واولادهم فى اياتنا
على ما لها من عظمة الانتساب الينا معجزين اى طالبين تعجيزها اى تعجيز الاتين بها عن انفاذ مرادهم بها بما يلقونه من الشبه
ليميلوا عنهم بما اوسعنا عليهم واعززناهم به من الاموال والاولاد ولما كان سبحانه قد بت الحكم بشقا
وانفذ القضا بخسارتهم اسقط فاء السبب اعراضا عن اعمالهم وقال اولئك اى البعداء البغضاء فى العذاب اى
المزيل للعذوبة محضرون اى يحضرهم فيه الموكلون بهم من جندنا على اهون وجه واسهله وهم داخرون قال القشيرى
ان هؤلاء هم الذين لا يحترمون الاوليا ولا يراعون حق الله فى السر فى عذاب الاعتراض على اولياء الله وعذاب الوقوع
بشوم ذلك فى ارتكاب محارم الله ثم فى عذاب السقوط من عين الله ولما ابطل شبهتهم بشعبتيها
بالنسبة الى الاشخاص المختلفة قرب ذلك بدليل واحد فى شخص واحد فقال قل يا اشرف الخلق لهؤلاء الجهلة الذين
يظنون ان الرزق بحسب حسن السعى وقبحه وحسن حال الشخص عند الله وقبحها ان ربى اى المحسن الى بهذا البيان المعجز
يبسط الرزق اى متى شاء لمن يشاء من عباده اى على سبيل التجدد المستمر من اى طايفة كان ويقدر له اى يضيق عليه نفسه
فى حالين متعاقبين وموسعة واحدة على عمل واحد فلو كان الاكرام والانعام يوجب الدوام لما تغيرت حالته من السعة الى
الضيق ولو ان فى يده نفع نفسه لما اختلف حاله ولما بين بهذا البسط ان فعله بالاختيار بعد ان بين بالاول
كذبهم فى انه سبب للسلامة من النار دل على انه الفاعل لا غيره بقوله وما انفقتم من شىء اى انتم واخصامكم وغيرهم فهو
يخلفه اى لا غيره بدليل ان المنفق قد يجتهد كل الاجتهاد فى الاخلاف فلا يتفق فدل ذلك على انه المختص بالاخلاف ولان
هذا هو المعنى لانه ضمن الاخلاف لكل ما ينفق على اى وجه كان قال مجاهد كما نقله الرازى فى اللوامع اذا كان فى يد
احدكم شىء فليقتصد ولا يتاول الاية فان الرزق مقسوم وما عال من اقتصد كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه
مرفوعا والمعنى انه يدل الاخلاف على جميع الاشكال والاضداد على ان الامر فيه على غير ما ظننتم من الاسعاف به فى وقت
موجب للاكرام على الدوام وان ذلك انما هو لضمانه الرزق لكل احد بحسب ما قسمه له على ما سبق به علمه وقدرته حكمته
وتارة يكون اخلافه حسا وبالفعل وتارة يكون معنى وبالقوة بالرضى بتلك الحالة التى ادت الى العدم قال القشيرى
ومواتم من السرور بالموجود ومن ذلك الانس بالله فى الخلوة ولا يكون ذلك الا مع التجريد انتهى والمنفق بالاقتصاد داخل
ان شاء الله تعالى تحت قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال الله
انفق انفق عليك وما روى الشيخان وابن حبان فى صحيحه ايضا ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط
منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا فهو خير الموسعين وهو خير الرازقين اى الذين تعدونهم هذا العدا
ممن يقيمهم هو سبحانه لكم فتضيفون الرزق اليهم فانهم وسايط لا يقدرون الا على ما قدرهم واما هو سبحانه فهو
يوجد المعدوم ويرزق من يطيعه ومن يعصيه ولا يضيق رزقه باحد ولا يشغله فيه احد عن احد بل يبعث فى كل يوم
لكل احد رزقه فى ان واحد كما ينشر عليهم نوره بالشمس فى ان واحد من غير توقف لذلك على شىء من الاشيا غير ما سبق به العلم
فى الازل ولما ابطل شبهتهم فعلم بذلك ان الامر كله له وانهم فى محل الخطر وكان قد بقى من شبههم انهم

وبهم

يقولون نحن نعبد الملائكة فهم يشفعون لنا وكان الانبيا عليهم السلام لا ينكرون ان الملائكة مقربون ابطل ما يتعلقون به منهم وبين انه لا امر لهم وانهم برئون منهم فقال عاطفا على اذ الظالمون ويوم نحشرهم اى نجمعهم جمعا بكرة بعد البعث وعم التابع والمتبوع بقوله جميعا ولما كانت مواقف الحشر طويلة وزلازله مهولة قال ثم نقول للملائكة اى توبيخا للمشركين واقناطا مما يرجون منهم من الشفاعة ولما كانت العبادة لا تنفع الا اذا كان المعبود راضيا بها وكانت خالصة قال مبكتا للمشركين وموبخا ليكون هناك سؤال وجواب فيكون التقريع اشد والخجل به اعظم والخوف والهول اتم ويكون اقتصاصه للعظة للسامعين وزجر للجاهلين وتنبيها للغافلين على طريق أأنت قلت للناس اتخذونى الآيات اهؤلاء اى الضالون واشار الى انه لا ينفع من العبادة الا ما كان خالصا فقال اياكم اى خاصة كانوا يعبدون بافعالهم الاختيارية والقسرية ليعلم انهم عبيد لكم يستحقون عبادتهم فى التعبير بما يدل على الاختصاص تنبيه لقريش على انه لا يعتد من العبادة الا بالخالص قالوا اى الملائكة متبرئين منهم مفتتحين بالتنزيه تخضعا بين يدى البراءة خوفا من حلول السطوة سبحانك اى ننزهك تنزيها يليق بجلالك عن ان يستحق احد غيرك ان يعبد ولما كانوا كارهين جدا لعبادتهم وكانت غاية العبادة الوصلة بين العابد والمعبود قالوا انت ولينا اى معبودنا الذى لا وصلة بيننا وبينه الا بامرك من دونهم اى من اقرب منزلة لك من منازلهم منا فانت اقرب شئ الينا فى كل معانى الولاية من العلم والقدرة وغيرهما فكيف نترك الاقرب الاقوى ونتولى الابعد العاجز ليس بيننا وبينهم ولاية بل عداوة وكذا كل من تقرب الى مخلوق بمعصية الله يقسى الله قلبه عليه ويبغضه فيه فيجافيه ويعاديه ولما كان من يعمل لاحد عملا لم يامر به ولم يرضه انما عمل فى الحقيقة للذى دعاه الى ذلك العمل قالوا بل كانوا بافعالهم الاختيارية الموجبة للشرك يعبدون الجن اى ابليس وذريته الذين زينوا لهم عبادتنا من غير رضا منا بذلك وكانوا يدخلون فى اجواف الاصنام ويخاطبونهم ويستجيرون بهم فى الاماكن المخوفة ومن هذا الفرع عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة ثم استانفوا قولهم اكثرهم اى الانس بهم اى الجن مؤمنون اى راسخون فى الاشراك لا يقصدون بعبادتهم غيرهم وقليل منهم من يقصد بعبادته بتزيين الجن عبادتهم وهو غير راض بها فهى فى الحقيقة لمن زينها لهم من الجن وهم مع ذلك يصدقون ما يرد عليهم من اخبارات الجن على السنة الكهان وغيرهم مع ما يرون فيها من الكذب فى كثير من الاوقات ولما بطلت تمسكاتهم وانقطعت تعلقاتهم تسبب عن ذلك تقريعهم الناشئ عنه تندمهم بقوله بلسان العظمة فاليوم اى يوم مخاطبتهم بهذا التبكيت وهو يوم الحشر لا يملك اى شيئا من الملك بعضكم لبعض اى من المقربين والمبعدين ولما كان المدار على الخلاص والسياق للشفاعة قدم النفع فقال نفعا واكمل الامر بقوله ولا ضرا تحقيقا لقطع جميع الاسباب التى كانت فى دار التكليف من دار الجزا التى المقصود فيها تمام اظهار العظمة لله وحده على اتم الوجوه ولما كان المعنى فاليوم نسلب الخلائق ما كنا مكناهم منه فى الدنيا من التنافع والتضارر ونلاشى ذلك كله سواه اثبت لنفسه المقدس ما ينبغى فقال عاطفا على هذا الذى قدرته ونقول اى فى ذلك الحال من غير امهال للذين ظلموا اى بوضع العبادة فى غير موضعها ولا سيما من جرى ذلك انكار المعاد عند ادخالنا لهم النار ذوقوا عذاب النار ولما لم يتقدم للعذاب وصف يمتاز به بما تقدم فى السجدة ولا غيره كان المضاف اليه احق بالوصف لانه المصوب اليه بالتكذيب فقال التى كنتم اى جبلة وطبعا بها تكذبون ولما اخبر انهم ابوا الايمان بالقرآن المخبر بالغيب من امر الرحمن الذى هدت اليه العقول وشاهدت آثاره العيون فى هذا الكلام المعجز نظما فزن على ما اخبر به ادلة السمع والبصر والعقل وختم بانهم امنوا بالجن عبثا وعبدوا ما هم مخرجون من دون الله بما لم يدع اليه عقل ولا نقل وصدقوهم من الاخبار بما ان صدقوا فى شئ منه خلطوا معه اكثر من مائة كذبة وسلب اعظم من ادعوا انهم اسندوا اليه النفع والضر واسندوا تعذيبهم الى تكذيبهم اتبعه الاخبار بانهم لازموا الاصرار على ذلك الكفر والتكذيب بما كله صدق وحكم فقال واذا تتلى اى فى وقت من الاوقات على العدو من غير تامل لما حملهم على ذلك من حظ النفس عليهم اى خاصة لم يشركهم غيرهم ليقولوا انه المقصود بالتلاوة فلا يلزمهم الاستماع اياتنا حال كونها بينات ما قالت شيئا الا ظهرت حقيقته قالوا من اى كان كان لما حملهم على ذلك من حظ النفس ولما كان المستكبرون يرون ما للرسالة من الظهور والرسود قد ظهر لهم ذلك عالوا اليه بتخييلاتهم اكدوا قولهم ما هذا اى التالى لها على ما فيه من السمت المعلم علامهم همة واثبتهم بصيرة الا رجل اى مع كونه واحدا هو مثل واحد من رجالكم وتزيدون عليه والعقل لهم نفيا للغرض عن انفسهم والهابا للمخاطبين فقالوا يريد ان يصدكم اى بهذا دائما عما كان يعبد اباؤكم اى لا قصد له الا ذلك لتكونوا له اتباعا والهبوا السامعين بتصور ابائهم ملازمين للعبادة ليثبتوا على كفرهم بما لا دليل عليه ولا شبهة ولا داع سوى التقليد هم

ولما كانت ادلة الكتاب واضحة خافوا عاقبتها فى قبول الاتباع لها فجزموا بانها كذب ليوقفوهم بذلك فحكى ذلك عنهم سبحانه بقوله وقالوا ما هذا اى القرآن الا افك اى كذب مصروف عن وجهه مفترى اى متعمد ما فيه من الصرف ولما كان فيه ما لا يشك احد فى حقيته لبسوا عليهم بانه خيال يوشك ان ينكشف ابقافا لهم الى وقت ما ولما كان الحق قد يخفى ولم يفصح بالبيان كما فعل فى الاول اظهر موضع الاضمار فقال تعالى اخبارا عنهم وقال الذين كفروا اى ستروا ما دلت عليه العقول من حقيته بيانا للوصف الحامل لهم على ذلك القول وهو التدليس للحق اى الذى لا اثبت منه باعتبار كمال الحقية فيه لما جاءهم اى من غير ان يمهلوا النظر ولا تدبر ليقال ان الداعى لهم الى ما قالوا نوع شبهة عرضت لهم بل اطروا ابا المسارعة الى الطعن انه مما لا يتوقف فيه واكدوا المانعة من خوفهم على اتباعهم ليميلوهم فقالوا ان اى ما هذا اى الثابت الذى لا يكون شئ اثبت منه الا سحر اى خيال لا حقيقة له مبين اى ظاهر العوار جدا فهو ينادى على نفسه بذلك فلا تغتروا وانما فيه مما يميل النفوس ويؤثر فى القلوب ولقد انصف لعمرى بهذا التلبيس مع ان فى نسبتهم له الى السحر الاعتراف بالعجز بشر كثير برهة من الدهر حتى هدى الله بعضهم وكاد بالاخرين الامر حتى ماتوا على ضلالهم مع انه كان ينبغى لكل من راى مبادرتهم وتخفيفهم ان يعرف انهم متعرضون لم يحملهم على ذلك الا الحظوظ النفسانية والعلق الشهوانية قال الطفيل بن عمرو الدوسى وكان النور لقد اكثروا على فى امره حتى حشوت فى اذنى الكرسف خوفا من ان يخلص الى شئ من كلامه فيفتننى ثم اراد الله بى الخير فقلت واثكل امى والله للبيب عاقل شاعر ولى معرفة بتمييز غث الكلام من سمينه فما لى لا اسمع منه فان كان حقا تبعته وان كان باطلا كنت منه على بصيرة او كما قال قال فقصدت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت اعرض على ما جئت به فلما عرضه على بابى هو وامى ما سمعت قولا قط احسن منه ولا امرا اعدل منه فما توقفت فى ان اسلمت ثم سال النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو له الله ان يعطيه اية تعينه على قومه فلما اشرف على حاضر قومه كان له نور فى جبهته فخشى ان يظنوا انها مثلة فدعا بتحويله فتحول فى طرف سوطه فاعانه الله على قومه فاسلموا ولما بارزوا بهذا القول من غير اثارة من علم ولا خبر من جمع بين ذلك معجبا من شانهم موضحا لعنادهم بقوله مؤكدا اشارة الى ان ما يخبرون عليه من الاقوال التى لا سند لها الا التقليد لا يكون الا عن كتاب او رسول وما اى قالوا ذلك والحال انا ما اتيناهم اى هؤلاء العرب اصلا لانه لم ينزل عليهم قط قبل القرآن كتاب وعبر بمظهر العظمة اشارة الى ان هذا مقام خطر وموطن وعر جدا لانه اصل الدين فلا يقنع فيه الا بامر عظيم واكد هذا المعنى بقوله من كتب بصيغة الجمع مع تاكيد النفى بالجار فشمل كتابك الجامع يدرسونها اى يجددون دراستها فى كل حين فهى متظاهرة الدلالة باجتماعها على معنى واحد متواترة عندهم لا شبهة فى امرها ليكون ذلك سببا للطعن فى القرآن اذا خالف تلك الكتب وما ارسلنا اى ارسالا لا شبهة فيه لمناسبته لما لنا من العظمة اليهم اى خاصة بمعنى ان ذلك الرسول مأمور بهم باعيانهم فهم مقصودون بالذات لا انهم داخلون فى عموم او مقصودون من باب الامر بالمعروف فى جميع الزمان الذى قبلك اى قبل رسالتك الجامعة لكل رسالة ليخرج ابرهيم واسمعيل عليهما السلام فانهما كانا فى بعض الزمان الماضى وان المراد فى الفترة بعد عيسى عليه السلام كما تقدم فى السجدة نقله عن ابن عباس ومقاتل ويجوز ان يراد بعد اسمعيل عليه السلام لان عيسى عليه السلام وان ارسل الى العرب رسله لم يكن مرسلا الا الى قومه وارساله الى غيرهم انما هو من باب الامر بالمعروف وشعيب عليه السلام انما كانت رسالته الى طائفة او اثنتين منهم وقد يقال ان الذى يدل عليه استغراق جميع الزمان الماضى بالتجريد عن الخافض ان المراد انما هو نفى الارسال بهذا الباطل الذى دعوه لا مطلق الارسال واكد النفى بقوله من نذير اى ليكون عندهم قول منه يعتبر فى وجه القرآن فيكون حاملا لهم على الطعن ولما نفى موجب الطعن ذكر المانع الموجب للاذعان فقال وكذب اى فعلوا ما فعلوا والحال انه قد كذب الذين من قبلهم اى من قوم نوح ومن بعدهم بادروا الى ما بادر اليه هؤلاء لان التكذيب كان فى طباعهم لما عندهم من الجلافة والكبر وما بلغوا اى هؤلاء معشار ما اتيناهم اى عشر عشر ما اتينا اولئك من القوة فى الابدان والاموال والمكنة فى كل شئ من العقول وطول الاعمار والخلو من الشواغل فكذبوا اى بسبب ما طبعوا عليه من العناد وافراد الضمير كما هو حقه ونصا على ان الكون فيما مضى للعظمة لا للجمع دفعا لتعنت متعنت فقال رسلى ولما كان اجتراؤهم على الرسل سبب اهلاكهم على وجه عجيب صار مثلا مضروبا باقيا ذكره الى يوم القيامة ولم يغن عنهم فى دفع النقم ما بسط لهم من النعم كان موضع ان يقال للرائيه او سامعه فكيف كان اى فيما كان له من السنة التى هى كالجبلة نكير اى انكارى على المكذبين لرسلى ليكون السؤال تنبيها لهذا المسؤول وداعيا له الى الاذعان خوفا من ان يحل به ما حل بهم ان فعل مثل فعلهم سواء كان الانكار فى الدنيا

الوجوه كما وقعناه بسبا من تعطيل الاسباب او اعلاها كما انزلناه بقوم نوح عليه السلام ومن شاكلهم فى صب العذاب والاستيصال ولما ابطل شبههم كلها ولين عريكتهم بالتنبيه على التحذير فصاروا جديرين بقبول الوعظ وكان مما رموه به وحاشاه الجنون وتعها الكذب امره بالاقبال عليهم به تخففا له ليلا ينفروا من طوله فقال قل واكد زيادة فى استجلابهم الى الاقبال عليه فقال انما اعظكم بواحدة اى فاسمعوا ولا تنفروا خوفا من ان املكم ثم استانف قوله بيانا لها ان تقوموا اى توجهوا نفوسكم الى تعرف الحق وعبر بالقيام اشارة الى الاجتهاد لله اى الذى لا اعظم منه على وجه الاخلاص واستحضار ماله من العظمة بما لديكم من الاحسان لا لارادة المغالبة حال كونكم مثنى اى اثنين اثنين وقدمه اشارة الى ان اغلب الناس ناقص العقل وفرادى اى واحدا واحدا من وثق بنفسه فى رصانة عقله واصالة رايه قام وحده ليكون اصفى لسره واعون على خلوص فكره ومن خاف عليها ضم اليه اخر ليذكره ان نسى ويقومه ان زاغ ولم يذكر غيرهما من الاقسام اشارة الى انهم اذا كانوا على هاتين الحالتين كان اجدر لهم بان يعرفوا الحق من غير شايبة حظ مما يكون فى الجمع الكثير من الجدال واللغط المانع من تهذيب الراي وتثقيف الفكر وتنقيح المعانى ولما كان ما طلب منهم هذا لاجله عظيما جديرا بان يهتم له هذا الاهتمام اشار اليه باداة التراخى فقال ثم تتفكروا اى تجتهدوا بعد التانى وطول التروى فى الفكر فيما وسمتم به صاحبكم من امر الجنون ولما كان بعده صلى الله عليه وسلم من هذا امرا لا يمارى فيه استانف قوله معينا بالتعبير بالصاحب مؤكدا تكذيبا لهم وتنبيها على ظهور هذا النفى ما بصاحبكم اى الذى دعاكم الى الله وقد بلوتموه صغيرا ويافعا وشابا وكهلا واغرق فى النفى بقوله من جنة وخصها لانها مما يمكن طروه ولم يعرج على الكذب لانه مما لا يمكن فيمن عاش بين الناس عمرا طويلا ودهرا دهيرا يصحبهم ليلا ونهارا صباحا ومساء سرا وعلنا فى السراء والضراء وهو اعلاهم همة واوفاهم مروة وازكاهم خلايق واطهرهم شمايل وابعدهم عن الادناس ساحة فى مطلق الكذب فكيف بما يخالف اهواءهم فكيف بما ينسب الى الله فكيف وكلامه الذى ينسب فيه الى الكذب معجز بما فيه من الحكم والاحكام والبلاغة والمعانى التى اعيت الافهام ولما ثبت بهذا اعلاما وافهاما ما براته مما قذفوه به كله حصر امره فى النصيحة من الهلاك فقال منبها على ان هذا الذى اتاهم به لا يدعيه الا احد رجلين اما كذوب او صادق هو اكمل الرجال وقد انتفى الاول فثبت الثانى ان اى ما هو اى المحدث عنه بعينه الا نذير لكم اى خاصا انذاره بقصد الخلاص لكم وهول امر العذاب بتصويره بصورة من له بطش يحيطه بمن تقصده فقال بين يدى اى قبل حلول عذاب شديد قاهر لا خلاص منه ان لم ترجعوا اليه حل بكم سريعا روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صعد النبى صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك فقال ارايتم لو اخبرتكم ان العدو يصبحكم او يمسيكم اما كنتم تصدقونى قالوا بلى قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا فانزل الله عز وجل تبت يدا ابى لهب وتب ولما انتفى عنه بهذا ما خيلوا به نفى امكان ان يكون لغرض امر دنيوى فنفاه بامره بقوله قل اى للكفرة ما اى مهما سالتكم من اجر اى على دعاى لكم فهو لكم لا اريد منه شيئا وهو كناية عن انى لا اسالكم على دعاى لكم الى الله اجرا اصلا بوجه من الوجوه فاذا ثبت ان الدعا ليس لغرض دنيوى وان الداعى ارجح الناس عقلا ثبت ان الذى حمله على تعريض نفسه لتلك الاخطار العظيمة انما هو امر الله الذى له الامر كله ولما كانوا يظنون به فى بعض ظنونهم انه يريد امرا دنيويا اكد قوله ان اى ما اجرى الا على الله اى الذى لا اعظم منه فلا ينبغى لذى همة ان يبتغى شيا الا من عنده وهو اى والحال انه على كل شى شهيد اى بالغ العلم باحواله فهو جدير بان يهلك الظالم ويعلى كعب المطيع ولما لم يبق شى يخدش فى امر المبلغ اتبعه تصحيح النقل جوابا لمن كانه يقول بين ساحتك لنا بحجة مضافة الى الخبر فقال مؤكدا لانكارهم ان يكون ما ياتى به حقا معبرا الامر بالقول اشارة الى ان كل كلام صدر دليل كاف مستقل بالدلالة على ما سيق له قل لمن انكر التوحيد والرسالة والحشر معبرا بما يقتضى العناية به الموجبة لنصره على كل معاند ان ربى اى المحسن الى بانواع الاحسان المسيف لوجهى عند الامتحان يقذف بالحق اى يرمى به فى اثبات جميع ذلك وغيره مما يريد رميا وحيا جدا لانه غنى عن تدبر وترو وتفكر فى تصحيح المعنى او اصلاح الكلام لانه علام الغيوب فيفضح من يريد اطفاء نوره فضيحة شديدة ويرهق باطله كما فعل فيما رميتمونى به وفى التوحيد وغيره لا كما تعلمون انتم فى مبادرتكم الى نصر الشرك والى ما وصفتمونى به ووصفتم ما جئت به فلزمكم على ذلك امور شنيعة منها الكذب الصريح ولم تقدروا ان تاتوا فى امرى ولا فى شى من ذلك بشئ يقبله ذو عقل اصلا ولما وصفه بنهاية العلم اتبعه بعض اثاره فقال قل جاء الحق اى الامر الثابت الذى لا يقدر شى ان يزيله واكد تكذيبا لهم فى ظنهم انهم يغلبون فقال وما اى والحال انه ما يبدئ الباطل اى الذى انتم عليه وغيره فى كل حال حصل فيه تفريغه على مر الايام وما يعيد بل هو كالعدم لا حركة به اصلا لانه مهما زطونه صاحبه فى امر بعد هذا البيان افتضح فان لم ترجعوا عنه طوعا رجعتم وانتم صغرة كرها والحاصل ان هذا كناية عن هلاكه بما هو الانفس وبرفض الفكر بتمثيله بمن انقطعت حركته وذهبت قوته حتى لا يرجى توجه ولما لم يبق بعد هذا الا ان يقولوا عنادا انك ضال ليس بك جنون وكذب ولكنك قد عرض لك ما اضلك عن المحجة قال قل اى

لهؤلاء المعاندين على سبيل الاستعطاف بما فى قولك من الانصاف وتعليم الادب ان ضللت اى عن الطريق على سبيل الفرض فانما اضل ولما كان الله تعالى قد جعل العقل عقالا يمنع من الخطا وينهى عن الهوى وكان الغلط لا ياتى الا من شواغل النفس بشهواتها وحظوظها فكان التقدير بما فى نفسى من الشواغل العاقلة للعقل قال مشيرا الى ذلك على نفسى اى لان الضلال اذا استعلى على شئ ظهر امره فيبين عواره ويلزم عاره ويصير صاحبه بحيث لا يبدى شيئا ينفع ولا يفيد ولذلك يصير يفزع الى السفه والمشاتمة كما وقع فى بدء اهلكم كليا لان الله تعالى جعل العقول الصحيحة معيارا على ذلك فمهما ذكرت طرق الحق وحررت ظهر امر الباطل وانفضح ولما كانت النفس منقادة بل مترامية نحو الباطل عبر فى الضلال بالمجرد وفى الهدى بالافتعال اشارة الى انه لا بد فيه من جهاد وعلاج وعبر باداة الشك استعمالا للانصاف وان اهتديت فبما اى فاهتدائى انما هو بما يوحى الى ربى اى المحسن الى لا بغيره فلا يمكن فيه ضلال لانه لا حظ فيه للنفس اصلا فلا يقدر احد على شئ من طعن فى شئ منه وهذا اى لنفسى فالاية ظاهرها التنزل منه وباطنها ارشادهم الى تنبيه بدوام النظر وتقويمه وتهذيب الفكر وتشغيعه ومن الاحتباك حذف اولا كون الضلال من نفسه بما دل عليه ثانيا من ان الهدى من الوحى وثانيا كون الهدى له بما دل عليه من كون الضلال عليه ثم علل الضلال والهدى بقوله انه اى ربى سميع قريب اى لا يغيب عنه شئ من حال من يكذب عليه فيفضحه كما فضحكم فى جميع ما تقولونه ولا يبعد عليه شى ليحتاج فى ادراكه الى تاخير لقطع مسافة او نحوها بل هو يدرك كل ما اراد كلما اراد والاية ارشاد من الله تعالى الى انه وان كان خلق لذى عقلا لا يضل ولا يزيغ لكنه حفه بقواطع من الشهوات والحظوظ والكسل والفتور فلا يكاد يسلم منها الا من عصمه فلما كان كذلك انزل سبحانه كتبا هى العقل الخالص وارسل رسلا جردهم من تلك القواطع فجعل اخلاقهم شرايعهم فعلى كل احد ان يتبع رسله المخلصين بكتبه مهما عقله منابذا رايه كما كان الصحابة رضى الله عنهم ليكون مومنا بالغيب حق الايمان فيدخل فى قوله تعالى فى سورة فاطر انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ولا يكون تناوشا بعد كشف الغطا من مكان بعيد ولما ابطل شبههم وختم من صفاته بما يقتضى البطش بمن خالفه قال عاطفا على ولو ترى اذ الظالمون ولو ترى اى تكون منك رؤية اذ فزعوا اى يفزعون باخذنا فى الدنيا والاخرة فلا ولكنه عبر بالماضى وكذا فى الافعال الاتية بعد هذا لان ما الله فاعله فى المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه اى فتسبب عن ذلك الفزع انه لا فوت اى لهم منا لانهم فى قبضتنا لرايت امرا مهولا وشانا فظيعا وحقر امرهم بالبنا للمفعول فقال واخذوا اى عند الفزع من كل من نامره باخذهم سواء كان قبل الموت وبعده ولما كان القرب يستسهل اخذ ما يراد اخذه قال من مكان قريب اى اخذا لا شئ اسهل منه فان الاخذ سبحانه قادر وليس بينه وبين شى مسافة بل هو اقرب اليه من نفسه وقالوا اى عند الاخذ ومعاينة الثواب والعقاب امنا به اى الذى اريد منا الايمان به وابيناه ولا اقرب ان يكون القران الذى قالوا انه افك مفترى وانى اى وكيف ومن اين لهم التناوش اى تناول الايمان ادنى تناول وكانه عبر به لانه يطلق على الرجوع فكان المعنى ان ذلك بعد عليهم من جهة انه لا يمكن الا برجوعهم الى الدنيا التى هى دار العمل وانى لهم ذلك وهو تمثيل لحالهم فى طلبهم ان ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المومنين ايمانهم فى الدنيا بحال من يريد ان يتناول الشيا من علو كما يتناوله الاخر من قدر ذراع تناولا سهلا لا نصب فيه وهمزه ابو عمرو وحمزة والكساى وابو بكر عن عاصم لضمهم اياه فقيل ان الهمز على الواو المضمومة كما همزت فى وجوه ووقتت فيكون لفظه موافقا لمعناه والصحيح انه ليس من هذا لان شرط همز الواو المضمومة ضمة لازمة ان لا يكون مدغما فيها اذا كانت وسطا كالتعوذ وان لا يصح فى الفعل نحو تناول وتعاون وقد حكى عن ابى عمرو ان معناه بالهمز التناول من بعد من قولهم نأش بالهمز اذا ابطأ وتأخر والنئيش حركة فى ابطاء والناش ايضا الاخذ فيكون الهمز اصليا وقراءة الباقين بالواو مثل التناول لفظا ومعنى فقراءة الواو المحضة تشير الى انهم يريدون تناولا سهلا مع بعد التناول فى المكان وقراءة الهمز الى انا ردناهم ابطات وتاخرت حتى فات وقتها فجمعت الى بعد المكان بعد الزمان ولما كان البعيد لا يمكن الانسان تناوله مع بعده قال من مكان بعيد فانه بعد كشف الغطاء عند مجى الباس لا ينفع الايمان وقد اى كيف لهم ذلك والحال انهم قد كفروا به اى بالذى طلب منهم ان يومنوا به اصلا وجرا من قبل اى فى دار العمل والحال انهم حين كفرهم يقذفون فى امر ما دعوا اليه بما يرمون به من الكلام رميا سريعا جدا من غير تامل ولا تدبر بالغيب اى من مرجمات الظنون وهى الشبه التى تقدم ابطالها فى هذه السورة وغيرها من استبعاد البعث وغيره مما اخبر الله به ولما كان الشئ لا يمكن ان يصيب ما يقذفه وهو غائب عنه ولا سيما مع البعد قال معلما ببعدهم عن علم ما يقولون مع بعده جدا عن حال من تكلموا فيه سواء كان القران او النبى صلى الله عليه وسلم او الحشر والجنة والنار من مكان بعيد ودل على الصدق من تحرف علام الغيوب فانه من مكان قريب فهو معلوم لازم للحق ولما اشار الى بعد الايمان منهم عند ارادتهم تناوله عند فوات امره وعلوه عنهم عند طعنهم فيه فى دار العمل ترجم حالتهم فى ذلك على وجه يعم ثمرات الايمان من دخول الجنان ورضى الرحمن بقوله وحيل معبرا بصيغة المجهول مشيرا

الى حصول الحيلولة باسهل ما يكون ولان المنكي لهم نفس الحيلولة لا كونها من نحو معين بينهم وبين ما يشتهون اى عملوه اليه ميلا عظيما من تاثير طبعهم وقبول ايمانهم عند روية الباس ومن حصول شيء من ثمراته لهم من جنس الثواب مثل ان يرى الانسان منهم وهو في غمرات النار مقعده في الجنة التي كان يكون له لو آمن ولا يقدر على الوصول اليه بوجه وان خيل اليه الوصول نغصه ثم كان ذلك كما فعل اى باين وجه باشياعهم اى الذين كفروا امثالهم من قبل اى قبل زمانهم فان حالهم كان كحالهم في الكفران والايمان والسعادة والخسران ولم يختل امرنا في امة من الامم بل كان كلما كذبت امة رسولها اخذناها فاذا اذقناهم باسنا ادعنوا وخضعوا فلم نقبل منهم ذلك ولا نفعهم شيئا لا ابا لكف عن اهلاكهم ولا بادنى لشيء من الخير بعد اهلاكهم ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ثم علل عدم الوصول الى قصد في كل من الحالتين بقوله موكدا لانكارهم ان يكون عندهم شيء من شك في شيء من امرهم انهم كانوا اى في دار القبول كونا هو كالجبلة لهم في شك اى من جميع ما يخبرهم به رسلنا عنا من الجزاء وغير ذلك مريب اى موقع في الريبة فهو بليغ في بابه كما يقال عجب عجيب او هو واقع في الريب كما يقال شعر شاعر اى ذو شعر فكيف يقبلون او ينفذ طبعهم او يحصل لهم ثمرة طيبة وهم على غير بصيرة في شيء من امرهم بل كانوا يشكون في قدرتنا وعظمتنا فاللائق بالحكمة ان يبين لهم العظمة بالعذاب لهم والثواب لاحبابنا الذين عادوهم فينا فيتبين انهم يومنون به عند ظهور الحمد اتم ظهور اما في الاخرة او في مقدماتها وظهر سر الافصاح بقوله وله الحمد في الاخرة وانه حال سبحانه بينهم وبين ما يريدون فتبين انه مالك كل شيء فصح ان له الحمد في الاولى وفي كل حالة وقد تعانق آخرها مع اولها والتحم مقطعها بموصلها والله المستعان

سورة فاطر وتسمى الملائكة

هي خاتمة السور المفتتحة باسم الحمد الذي تقدم عن الشيخ سعد الدين التفتازاني انه فصلت فيها النعم الاربع التي هي امهات النعم المجموعة في الفاتحة وهي الايجاد الاول ثم الابقاء الاول ثم الايجاد الثاني المشار اليه بسورة سبا ثم الابقاء الثاني الذي هو انهاها واحكمها وهو الختام المشار اليه بهذه السورة المفتتحة بالابتداء الدال عليه باتم القدرة واحكمها المفصل فيها في فريقي السعادة والشقاوة تفصيلا شافيا على انه استوفى في هذه السورة النعم الاربع كما ياتي بيانه في محاله مقصودها اثبات القدرة الكاملة لله تعالى اللازم منها تمام القدرة على البعث الذي عنه يكون اتم الابقاءين الابقاء بالفعل دائما ابدا بلا انقطاع ولا زوال ولا اندفاع في دار المقامة التي اذهب عنها الحزن والنصب واللغوب ودار الشقاوة الجامعة لجميع الانكاد والهموم ولاسم السورة اتم مناسبة لمقصودها لانه لا شيء يعدل ما في الجنة من تجدد الخلق فانه لا يوكل منها شيء الا عاد كما كان في الحال ولا يراد شيء الا وجد في اسرع وقت فهي دار الابداع والاختراع بالحقيقة وكذا النار كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وكذا تسميتها بالملائكة فانهم يبدعون خلقا جديدا كل احد منهم على صورته التي اراد الله كونه عليها لا يزاد فيها ولا ينقص كلما اراد الله ذلك من غير سبب اصلا غير ارادته المطابقة لقدرته سبحانه وعز شانه وهم من الكثرة على وجه لا يحاط به وما يعلم جنود ربك الا هو بسم الله الذي احاط دائرة قدرته بالممكنات الرحمن الذي اتم بالبعث عموم الرحمة الرحيم الذي شرف اهل الكرامة بدوام الاقامة في دار المقامة ولما اثبت سبحانه في التي قبلها الحشر الذي هو الايجاد الثاني ودل عليه بجزئيات من القدرة على اشياء في الكون الى ان ختم باخذ الكفار اخذا اضطرهم الى الايمان بظهور الحمد لهم اتم ظهور وبالحيلولة بينهم وبين جميع ما يشتهون كما كانوا امتعوا في الدنيا باغلب ما يشتهون من كثرة الاموال والاولاد وما تبع ذلك من الراحة من اكثر الانكاد وكان الحمد يكون بالمنع والاعدام كما يكون بالاعطاء والانعام قال تعالى ما هو نتيجة ذلك الحمد اى الاحاطة باوصاف الكمال اعداما وايجادا لله اى وحده ولما كان الايجاد من العدم ادل دليل على ذلك قال دالا على استحقاقه للمحامد فاطر اى مبتدئ ومبدع السموات والارض اى المتقدم ايلاه ما فيهما بان شق العدم باخراجهما منه ابتداء على غير مثال سبق كما تشاهدون ولما كانت الملائكة افرادا وجمعا مثل الخافقين في ان كلا منهم مبدع من العدم على غير مثال سبق من غير مادة وكان قد تقدم انهم يتبرؤون من عبادة الكفرة يوم القيمة وكان لا طريق لعامة الناس الى معرفتهم الا الخبر اخبر عنهم بعد ما اخبر عما طريقه المشاهدة بما هو الحق من شانهم فقال مبينا بتفاوتهم في الهيئات تمام قدرته وانها بالاختيار جاعل الملائكة رسلا اى لما شاء من مراده والى ما شاء من عباده ظاهرين للانبياء منهم ومن لحق بهم وغير ظاهرين اولى اجنحة اى يتهيؤون بها لما يراد منهم ثم وصف الاجنحة فقال مثنى اى جناحين جناحين لكل واحد لمن لا يحتاج فيما صرف فيه الى اكثر من ذلك ولعل ذكره للتنبيه على ان ذلك اقل ما يكون بمنزلة اليدين ولما كان ذلك زوجا نبه على انه لا يتقيد بالزوج فقال وثلاث اى ثلاثة ثلاثة لاخرين منهم ولما كان لو اقتصر على ذلك لظن الحصر فيه بعد ذكر زوج الزوج على ان الزيادة لا تنحصر فقال ورباع اى اربعة اربعة لكل واحد من صنف آخر منهم ولما ثبت بهذا انه فاعل بالاختيار دون الطبيعة وغيرها والا لوجب كون الاشياء غير مختلفة مع اتحادها بالنسبة الى الفاعل كانت نتيجة ذلك يزيد في الخلق اى المخلوقات من اشيا مستقلة

ومن هيئات الملائكة وغيرهم ومعاني لا تدخل تحت حصر من المعاني الذوات والالوان والمقادير والاشكال وخفة الروح واللطافة والثقالة والكثافة وحسن الصوت والصيت والفصاحة والسذاجة والمكر والسخاوة والبخل وعلو الهمة وسفولها وغير ذلك مما يرجع الى الكم والكيف مما لا يقدر على الاحاطة به غيره سبحانه فبطل قول من قال انه فرغ من الخلق في اليوم السابع عند ما اتم خلق آدم فلم يبق هنالك زيادة كاليهود وغيرهم على ان هذا المذهب من الضعف والوهي بما لا يخفى غير انه سبحانه اوضح جميع السبل ولم يدع لبني منها لبسا ما يشاء فلا بدع في ان يوجد دارا اخرى تكون لها بنونة العباد ثم علل ذلك كله بقوله لهذا الاجل انكارهم البعث ان الله اى الجامع لجميع اوصاف الكمال على كل شيء قدير وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما اوضحت سورة سبا انه سبحانه مالك السموات والارض ومستحق الحمد في الدنيا والاخرة واوضحت هذه السورة ان ذلك خلقه كما هو ملكه وانه الاهل للحمد والمستحق اذ الكل خلقه وملكه ولان السورة الاولى تجردت لتعريف العباد بان الكل ملكه وخلقه دارت آيها على تعريف عظيم ملكه فقد اعطى داود وسليمان عليهما السلام ما هو كالنقد من البحار الزاخرة فلان الحديد وانقادت الرياح والوحوش والطير والجن والانس مذللة خاضعة قل الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير تعالى وتباعد عن الظهير والشريك والند وتقدس ملكه عن ان تحصره العقول او تحيط به الافهام فتجردت سورة سبا لتعريف العباد بعظيم ملكه سبحانه وتجردت هذه الاخرى للتعريف بالاختراع والخلق ويشهد لهذا استمرار اي سورة فاطر على هذا الغرض من التعريف هم وتنبيهها على الابتداء كقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة الآية وقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها هل من خالق غير الله يرزقكم وقوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الآية وقوله الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية والله خلقكم من تراب يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها هو الذي جعلكم خلائف في الارض ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا فهذه عدة آيات معرفة بابتداء الخلق والاختراع او مشيرة ولم يقع من ذلك في سورة سبا آية واحدة ثم ان سورة سبا جرت آيها على نهج تعريف الملك والتصرف فيه والاستبداد بذلك والانفراد وتامل افتتاحها وقصة داود وسليمان عليهما السلام وقوله سبحانه قل الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة الآيات يتضح لك ما ذكرناه وما انجر في السورتين مما ظاهره الخروج عن هذين الغرضين فملتحم ومستدعى بحكم الانجرار بحسب استدعاء مقاصد الآي رزقنا الله الفهم عنه بمنه انتهى ولما وصف سبحانه نفسه المقدس بالقدرة الكاملة دل على ذلك بما يشاهده كل احد في نفسه من السعة والضيق مع العجز عن دفع شيء من ذلك او اقتناصه فقال مستانفا او معللا مستنتجا ما اى مهما يفتح الله اى الذي لا مكافئ له شيء ولما كان كل شيء في الوجود لاجل الناس قال للناس ولما كان الانعام مقصودا بالذات محبوبا وكانت رحمته سبحانه قد غلبت غضبه صرح به فقال مبينا للشرط في موضع الحال من ضميره اى يفتحه كاينا من رحمة اى من الارزاق الحسية والمعنوية من اللطائف والمعارف التي لا تدخل تحت حصر دقت او جلت فيرسلها فلا ممسك لها اى الرحمة بعد فتحه كما يعلمه كل احد في نفسه من انه اذا حصل له خير لا يعدم من يود انه لم يحصل ولو قدر على ازالته لازاله ولا يقدر على تاثير ما فيه ولما كان حبس النعمة مكروها لم يصرح به وترك الشرط على عمومه بعد ان فسر الشرط الاول بالرحمة دلالة على مزيد الاعتناء بها ايذانا بان رحمته سبقت غضبه فقال وما يمسك اى من رحمة او نقمة باغلاق باب الخلق عنه فلا مرسل له اى الذي امسكه بمثل البرهان الماضي في الرحمة ولما كان ربما ادعى احد فجور حال امساك الرحمة او النقمة انه هو الممسك قال من بعده اى بعد امساكه وارساله فمن كان في شيء فليمسك ما اى الله به حال ايجاده بان يعدمه ولما كان هذا ظاهرا في العزة في امر الناس والحكمة في تدبيرهم عممه فقال وهو اى هو فاعل ذلك والحال انه وحده العزيز اى القادر على الامساك والارسال الغالب لكل شيء ولا غالب له الحكيم الذي يفعل في كل من الامساك والارسال وغيرهما ما يقتضيه علمه به ويتقن ما اراد على قوانين الحكمة فلا يستطاع نقض شيء منه ولما بين بما يشاهده كل احد في نفسه انه المنعم وحده امر بذكر نعمته بالاعتراف بانها منه فان الذكر يقود الى الشكر وهو قيد الموجود وصيد المعدوم والمفقود فقال يا ايها الناس اى الذين فيهم اهلية الاضطراب عامة اذكروا بالقلب واللسان نعمة الله اى الذي لا منعم في الحقيقة سواه ولما كانت نعمة عامة غامرة من كل جانب قال عليكم اى في دفع ما دفع من المحن وصنع ما صنع من المنن على ما تقدم في الفتح والامساك لتشكروه ولا تكفروه والذي يخص اهل مكة بعد ما شاركوا به الناس اسكانهم الحرم وحفظهم في جميع الامم وتشريفهم بالبيت وذلك موجب لان يكونوا اشكر الناس ولما امر بذكر نعمته اكد التعريف بانها منه وحده على وجه بين عزته وحكمته فقال منبها لمن غفل وموبخا لمن جهل ورادا على اهل القدر الذين ادعوا انهم يخلقون لافعالهم ومنبها

على نعمة الايجاد الاول هل ولما كان الاستفهام بمعنى النفي اكد بمن فقال من خالق اي للنعم وغيرها
كائن من الناكثين فكان خالق في موضع رفع قرا الجمهور قوله غير الله بالرفع وجره حمزة والكسائي على اللفظ وعبر بالجلالة اشارة
الى انه المختص بصفات الكمال ولما كان الجواب قطعا لا بل هو الخالق وحده قال مبنيا على نعمة الابقاء الاول يرزقكم
اي وحده ولما كانت كثرة الرزق كما هو مشاهد مع وحدة المنبع ادل على العظمة قال من السماء والارض بالمطر والنبات
وغيرهما ولما بين انه الرازق وحده انقطع امل كل احد من غيره حتى من نفسه لحصول الاخلاص فتعين انه سبحانه الاله وحده
فقال لا اله الا هو فتسبب الانكار على من عبد غيره ظاهرا او باطنا فقال فانى اي فمن اي وجه وكيف تؤفكون اي تصرفون
وتقلبون عن وجه السداد في التوحيد بهذه الوجوه الظاهرة الى الشرك الذي لا وجه له ولما قررهم على ما تقدم من حججهم
بالتوحيد الذي هو الاصل الاول من اصول الدين نبه على انه المقصود بالذات بذكر ما يعقبه في الاصل الثاني وهو الرسالة
من تصديق وتكذيب فقال ناعيا على قريش سوء تلقيهم لآياته وطعنهم في بيانه مسليا له صلى الله عليه وسلم عاطفا على ما
تقديره فان يصدقوك فهم جديرون بالتصديق لما قام على ذلك من الدلائل وشهد به من المقاصد والوسائل وان يكذبوك اي
عنادا وقلة اكتراث بالعواقب فتاس باخوانك فقد اي فيسبب انه قد كذبت رسل اي بالغون من رسل وبناء الفعل للمجهول
لان التسلية محطها وقوع التكذيب لا تعيين المكذب ونفى ان يرسل غيره بعد وجوده بقوله من قبلك وافرد التكذيب
بالذكر اهتماما بالتسلية تنبيها على ان الاكثر يكذب قال القشيري وفي هذا اشارة للحكماء وارباب القلوب مع العوام
والاجانب من هذه الطريقة فانهم لا يقبلون منهم الا القليل واهل الحقائق ابدا منهم في مقاساة الاذية والعوام اقرب
الى هذه الطريقة من القراء المتقشفين ولما كان التقدير نفيا للتعجب من التكذيب الجاري على غير قياس صحيح فمن الله
الذي لا امر لاحد معه تصدر الامور عطف عليه قوله مهددا لمن خالف امره والى الله اي وحده لان له الامور كلها ترجع
الامور اي حسا ومعنى فاصبر ورد الامر الينا بترك الاسباب الا ما نامرك به كما فعل اخوانك من الرسل ولما
اشعر هذا الختام باليوم الموعود وهو الاصل الثالث قال محذرا منه يا ايها الناس اي الذين عندهم اهلية
للتحرك الى النظر ولما كانوا ينكرون البعث اكد قوله ان وعد الله اي الذي له صفات الكمال وهو منزه عن كل
شائبة نقص ولا يجوز عليه في مجاري العادات للغني المطلق ان يخلف الميعاد حق اي بكل ما وعد به من البعث وغيره وقد
وعد انه يردكم اليه في يوم تنقطع فيه الاسباب ويعرض عن الاحساب والانساب ليحكم بينكم بالعدل ثم سبب عن كونه حقا
قوله على وجه التاكيد لاجل الانكار ايضا فلا تغرنكم اي بانواع الخدع من اللهو والزينة غرورا مستمرا لتجدد الحياة
الدنيا فانه لا يليق بذي همة علية اتباع الدني والرضى بالدون الزائل عن العالي الدائم ولا يغرنكم بالله اي الذي
لا يخلف الميعاد وهو الكبير المتعال الغرور اي الذي لا يصدق في شيء وهو الشيطان العدو ولذلك استانف قوله مظهرا
في موضع الاضمار للتعبير بدلول الوصف قبل التذكير بالعداوة وخاتمة العاقبة فيما يدعوا اليه مؤكدا لان افعال المتابعين
له بما يمنيهم به من عفو ربكم وحلمه لا يباعده ذنب مع الاصرار على المعصية افعال المعتقدين لمصادقته ان الشيطان
اي المحترق باللهب البعيد من الخير لكم اي خاصة فهو في غاية الفراغ لاذاكم فاجتهدوا في الهرب منه عدو بنصوب
مكايده كلها اليكم وبما سبق له مع ابيكم ادم عليه السلام بما وصل اذاه اليكم وايضا من عادى اباك فقد عاداك
ولما كانت عداوته تحتاج الى مجاهدة لانه ياتي الانسان من قبل الشهوات عبر بصيغة الافتعال فقال فاتخذوه
اي بغاية جهدكم عدوا والله لكم ولي فاتخذوه وكيلا بان تتحرزوا اما يغيظ الشيطان بان تخالفوه في كل ما يريد ويامر به
وتتبعوا ما يرضاه الرحمن ويحبه لكم ويامركم به فتلتزموه قال القشيري ولا تقوى على عداوته الا بدوام الاستعانة بالرب
فانه لا يغفل عن عداوتك فلا تغفل انت عن مولاك لحظة ثم علل ذلك بقوله انما يدعوا حزبه اي الذين يوسوس لهم فيغريهم
لاتباعه والاعراض عن الله ليكونوا باتباعه كونا راسخا من اصحاب السعير هذا غرضه لا غرض له سواه ولكنه يجتهد
في تعمية ذلك عنهم بان يغرر في نفوسهم جانب الرجا وينسيهم جانب الخوف ويريهم ان التوبة في ايديهم ويسوف لهم لها
بالفسحة في الامل والابعاد في الاجل للافساد في العمل والرحمن انما يدعوا عباده ليكونوا من اهل النعيم والله يدعوا
الى دار السلام ولما انهى البيان في غرض الشيطان الى منتهاه نبه على ما حكم به هو سبحانه في اشياعه بقوله
مستانفا الذين كفروا اي غطوا بالاتباع له بالهوى ما دلتهم عليه عقولهم وكشفه لهم غاية الكشف هذا البيان العزيز
لهم عذاب شديد اي في الدنيا بفوات غالب ما يؤملون مع تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم وشغل الله همهم حتى انهم
رضوا ان يكون الههم حجرا وانحجاب المعارف التي لا لذاذة في الحقيقة غيرها عنهم وفي الاخرة بالسعير الذي دعاهم اليه حزبه
ولما ذكر جزاء حزبه اتبعه حزب الله الذين عاداهم واعدوهم فقال والذين امنوا وعملوا اي تصديقا لايمانهم الصالحات
ولما كان من اعظم مصايد الشيطان ما يعرض للانسان خطا وجهلا من العصيان الحالة من النقصان لجره بذلك الى

البعد

البعد والعدوان قال تعالى داعيا له الى الطاعة وانا له لحملته لهم مغفرة اي ستر لذنوبهم بحيث لا عقاب ولا عتاب وذلك
يعمل في هذه الدار ولولا ذلك لانفتحوا وغدا ولولا ذلك لهلكوا ولما محاها عينا واثرا اثبت الانعام فقال
واجر كبير اي يجل عن الوصف بغير هذا الاجمال فمنه عاجل بسهولة العبادة ودوام المعرفة وما يرونه في القلوب من روح
اليقين واجل بتحقيق المسؤول من عظيم المنة ونيل ما فوق المامول في الجنة ولما ابان هذا الكلام تفاوت الحزبين
في المال بالهلاك والفوز وكان لا يقدم على الهلاك احد فيه حس وكان الكفار يدعون انهم الفائزون فنعى عليهم النظر
الى ما هم فيه ويدعون انهم ابصر الناس واحسنهم اعمالا وكذا كل عاص ومبتدع كان ذلك سببا في انكار ان ابان هذا الكلام
تفاوت الحزبين تساويهما فانكر مبينا السبب في ضلالهم عاقبة تسلية للمحسنين وندبا الى الشكر وحثا على ملازمة الانتفاع
والذل وسؤال العافية من الزلل والزيغ فقال افمن ولما كان الضار هو التزيين من غير نظر الى فاعل معين بني
للمفعول قوله زين له سوء عمله اي قبيحه الذي من شانه ان يسوء صاحبه حالا او مالا لجمع مالا ذاهب او مذهوب عنه
من غير حله وبيع راحة الجنة المؤبدة بمتابعة شهوة منقضية وايثار لمخلوق فان على ربه الغني الباقي ثم سبب عنه ما
انهى اليه من الغاية فقال فراه اي السيء بسبب التزيين حسنا اي فركبه بما اشار اليه اضافة العمل اليه وطوى المشبه
به وهو كمن ابصر الامور على حقايقها فاتبع الحسن واجتنب السيء لان المقام يهدي اليه وتجهيلا بكشف ما اشكل على السامع
من السبب الحامل على رؤية المليح قبيحا بقوله ردا على من ينسب الى غير الله تعالى من خير او شر فان اي السبب في رؤية الاشيا
على غير ما هي عليه ان الله الذي له الامر كله يضل من يشاء فلا يرى شيئا على ما هو به فيقدم على الهلاك البين وهو
يراه عين النجاة ويهدي من يشاء فلا يشكل عليه امر ولا يفعل الا احسنا ولما كان المحب من رضي بفعل حبيبه
سبب عن ذلك النهي لا محالة عن الهم بسبب ضلالهم في قوله فلا والاحسن ان يقدر المشبه به هنا فيكون المعنى افمن عن
فعل القبيح فاعتقده حسنا لان الله اضله بسبب ان الله هو المتصرف في القلوب كمن بصره الله بالحقائق ولما
كان الجواب لا ليس سواء سبب عنه قوله فلا تذهب اي بالموت او ما يقرب منه نفسك عليهم اي بسبب ما هم فيه من العمى عن
الجليات حسرات اي لاجل حسراتك المترادفة لاجل اعراضهم جمع حسرة وهي شدة الحزن على ما فات من الامر ولما
كان ربما قيل انهم يودون اولياءك فيشتد اذاهم وكان علم الولي القادر بما يفعل عدوه كافيا في النصر قال ان الله اي المحيط
بجميع صفات الكمال عليم اي بالغ العلم واكد تنبيها على ان المقام صعب من لم يثبت نفسه بغاية جهده زل لطول املائه تعالى
لهم وحلمه عنهم بما يصنعون اي بما مرنوا عليه وانطبعوا فيه من ذلك حتى صار لهم خلقا يبعد كل البعد انفكاكهم عنه
ولما اخبر تعالى انه لا بد من ايجاد ما وعد به من البعث وغيره وحذر كل التحذير من التهاون بامره وانكر التسوية
بين المصدق به والمكذب وكان السبب في الضلال المميت للقلوب الهوى الذي يغشي بما العقل ويعلوه بسحابه المظلم
فيحول بينه وبين النفوذ وكان السبب في السحاب المعطي لماء الارض المحيي لميت الحبوب الهوى وكان الاتيان به في وقت دون اخر
دالا على القدرة بالاختيار قال عاطفا على جملة ان وعد الله حق المبني على النظر وهو الاخراج من العدم مبينا القدرة على ما وعد
والله اي الذي له صفات الكمال لا شيء غيره من طبيعة ولا غيرها الذي ولما كان المراد الايجاد من العدم عبر
بالماضي مسندا اليه لانه الفاعل الحقيقي فقال ارسل الرياح اي اوجدها من العدم مضطربا فيها اهلية الاضطراب
والسير ليتصرف فيها كيف شاء لا ثابتة كالارض واسكنها ما بين الخافقين لصلاح سكان الارض ولما كانت
اثارتها تتجدد كلما اراد ان يسقي ارضا قال مسندا الى الرياح لانها السبب معبرا بالمضارع حكاية للحال ليستحضر
تلك الصورة البديعة الدالة على تمام القدرة وهكذا تفعل العرب فيما فيه غرابة تنبيها للسامع على ذلك وحثا له على
تدبره وتصوره فتثير اي بتحريكها لها اذا اراد سحابا اي انه اجرى سبحانه سنته ان يظهر حكمته بالتدريج
كان المراد الاستدلال على القدرة على البعث وكان التعبير بالمضارع يرد المتعنت عبر بالمضارع ولما كان سوق السحاب
الى بلد دون اخر وسقيه لمكان دون مكان من العظمة بمكان التفت عن الغيبة وجعله في مظهر العظمة فقال فسقناه
اي السحاب معبرا بالماضي تنبيها على ان كل سوق كان بعد اثارتها في الماضي والمستقبل منه وحده او بواسطة من اقامه لذلك
من جند من الملائكة او غيرهم لا امر لغيره ودل على انه لا فرق بين البعد والقرب بحرف الغاية فقال الى بلد ميت ولما
كان السبب في الحياة هو السحاب بما ينشا عنه من الماء قال فاحيينا به الارض ولما كان المراد ارشادهم الى القدرة
على البعث الذي هم به مكذبون قال دافعا للمجاز بكل تقدير وموضحا كل الايضاح للتصوير بعد موتها او صل
الامر الى غايته وزاد في التنبيه على نعمة الايجاد الثاني بقوله كذلك اي مثل الاحياء المبيت لنبات النشور حسا للاموات
ومعنى للقلوب والنبات قال القشيري اذا اراد احياء قلب ارسل اولا رياح الرجاء وازعج بها كوامن الارادة ثم ينشي فيه
سحاب الاهتياج ولوعة الانزعاج ثم ياتي مطر الجود فينبت في القلب ازهار البسط وانوار الروح ويطيب لصاحبه العيش

الى انتم لطائف الانس ولما قرر بهذا كله ما اثبته سابقا من عزته وحكمته وثبت انه قادر على النشور نبه
ان له العزة في الاخرة كما شوهد ذلك في الدنيا وكانت منافسة الناس لاسيما العرب في العزة فوق منافستهم في الحكمة ومن
نافس في الحكمة فانما ينافس فيها لاكتساب العزة وكان الكفرة انما عبدوا الاوثان ليعتزوا بها كما قال واتخذوا من دون الله
الهة ليكونوا لهم عزا قال مستنتجا من ذلك من كان اي في وقت من الاوقات يريد العزة اي ان يكون محتاجا اليه غيره
وهو غني عن غيره غالبا غير مغلوب فلله اي وحده العزة جميعا اي فليطلبها منه ولا يطلبها من غيره فانه لا شيء لغيره فيها
ومن طلب الشيء من غير صاحبه خاب قال ابن الجوزي وقد روى عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ربكم يقول كل يوم
انا العزيز فمن اراد عز الدارين فليطع العزيز ولما رغب في اقتناص العزة بعد ان اخبر انه لا شيء فيها لغيره دل على اختصاصه
بها بشمول علمه وقدرته وبين انها انما تنال بالحكمة فقال اليه اي لا الى غيره يصعد الكلم الطيب اي الجاري على قوانين الشرع
من نية حسنة وعقيدة صحيحة سواء كان سرا او علنا لانه عين الحكمة فيعز صاحبه ويثيبه ولما اعلا رتبة القول
الحكيم بين ان الفعل اعلى منه لانه المقصود بالذات والقول وسيلة اليه فقال دالا على علوه بتغيير السياق والعمل الصالح
يرفعه هو سبحانه يتولى رفعه ولصاحبه عنده عز منيع ونعيم مقيم وعمله يقود قال الرازي في اللوامع العلم الماثم بالعمل
كما قيل العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل انتهى وقد قيل لا ترض من رجل حلاوة قوله حتى يصدق ما يقول فعاله
فاذا وزنت مقاله بفعاله فتوازنا فاخاء ذاك جمال
ولما بين ما يحصل العزة من الحكمة بين ما يجب الذلة ويوجب النقمة من ردي الهمة فقال والذين يمكرون اي يعملون
على وجه الستر المكرات السيئات اي يسترون قصودهم لها ليوقعوها بغتة لهم عذاب شديد كما ارادوا بغيرهم ذلك
ولا يصعد مكرهم اليه بنفسه ولا يرفعه هو لانه ليس فيه اهلية ذلك لمنافاته الحكمة ولما كان ما ذكر من مكرهم
موجبا لتعرف حاله هل افادهم شيئا اخبر انه اهلكه بعزته ودمره بحكمته فقال ومكر اولئك اي البعداء من الفلاح
هو اي وحده دون مكر من يريد بمكره الخير فان الله ينفذه ويعلي امره ويجعل له العاقبة تحقيقا لقوله تعالى ويمكرون ويمكر
الله والله خير الماكرين لما احرجكم ايها الاولياء من بيوتكم لاجل العير فاخرج الاعداء من بيوتهم فوضعهم في قليب بدر يبور اي يهلك
فدل ذلك على شمول علمه للخير والشر من القول والفعل الخفي والجلي وتمام قدرته وذلك معنى العزة والاية من الاحتباك حذف
ما لصاحب العمل الصالح ودل عليه بذكر ما لعامل السيء وحذف وصف المكر السيء ودل عليه برفعه العمل الصالح ولما
ذكر سبحانه ما صيرهم اليه من المفاوتة في الاخلاق اتبعه ما كانوا عليه من الوحدة في جنس الاصل واصلة التراب المسلوك
منه الماء بعد تخمير فيه وان اختلفت اصنافه فقال مبينا لبعض ايات الانفس عاطفا على ما عطف عليه والله الذي ارسل
الرياح الذي هو من ايات الافاق منبها على انه قادر على التمييز بعد شديد المزج وانه قدر كل شيء من الارزاق والاجال
والمصائب والافراح فلا ثمرة للمكر الا ما يلحق الماكر من الحرج والعقوبة من الله والضرر والله اي الذي له جميع صفات الكمال
ولما لم تدع حاجة الى الحصر قال خلقكم من تراب اي مثلي وان اختلفت اصنافه بتكوين ابيكم منه فوجده مزجا
لا يمكن لغيره تمييزه ثم احاله عن ذلك الجوهر اصلا وراسا واليه الاشارة بقوله ثم اي بعد ذلك في الزمان والرتبة خلقكم
من نطفة اي جعلها اصلا ثانيا مثلثا من ذلك الاصل الترابي اشد امتزاجا منه ثم بعد انهاء التدبير زمانا ورتبة
الى النطفة التي لا مناسبة بينها وبين التراب دلالة على كمال القدرة والفعل بالاختيار جعلكم ازواجا بين ذكور واناث
دلالة هي اظهر مما قبلها على الاختيار وكذب اهل الطبائع وعلى البعث بتمييز ما يصلح من التراب للذكورة والانوثة ولما
كان الحمل ايضا مكذبا لاهل الطبائع بانه لا يكون من كل جماع اشار اليه بقوله مؤكدا اعلامهم اعلاما بان ذلك انما هو
بقدرته وما تحمل اي في البطن بالحبل من انثى اي الا بايجاد على حال الاستغراق ولما كان الوضع ايضا كذلك لانه
لا يتم كل ما حمل به قال ولا تضع اي حملا الا مصحوبا بعلمه في وقته ونوعه وشكله وغير ذلك من شانه مختصا بذلك كله
حتى عن امه التي هي اقرب اليه فلا يكون الا بقدرته فما شاء اتمه وما شاء اخدجه ولما كان ما بعد الولادة ايضا الا
على الاختيار لتفاضلهم في الاعمار مع تماثلهم في الحقيقة دل عليه بقوله دالا بالبناء للمفعول على سهولة الامر عليه سبحانه
وان المتغير والنقص هو المقصود بالاسناد وما يعمر من معمر اي يزاد في عمر من طال عمره اي صار الى طول العمر بالفعل حتى
قال قتادة ستين او معنى يزيادة الفاعل المختار زيادة لولاها لكان عمره اقصر مما وصل اليه ولا ينقص من عمره اي المعمر
بالقوة وهو الذي كان قابلا في العادة لطول العمر ثم لم يعمر ينقص الفاعل المختار نقصا لولاه لطال عمره فالمعمر المذكور المراد
به الفعل والذي عاد عليه الضمير المعمر بالقوة فهو من بديع الاستخدام ولو كان التغيير باحد لما صح هذا المعنى وقراه
يعقوب بخلاف عن رويس بفتح اليا وضم القاف بالبناء للفاعل تنبيها الى ان قصر العمر اكثر ولما كان في سياق العلم
وكان ضبطه في مجاري العادات انما هو بالكتاب قال الا في كتاب مكتوب فيه عمر فلان كذا وكذا عمر فلان كذا ان عمل كذا او عمره كذا

ارتداد او النقص ان لم يعمله ولما كان ذلك امرا لا يحيط به العد ولا يحصره الحد فكان في غاية ما يكون من الجهالة قال
مؤكدا التهويله ان ذلك اي الامر العظيم من كتب الاجال كليا وتقديرها والاحاطة بها على التفصيل على الله اي الذي له
جميع العز فهو يغلب كل شيء ما يريد خاصة يسير ولما ذكر سبحانه احد اصليهم التراب المختلف الاصناف ذكر
الاصل الاخر الماء الذي هو اشد امتزاجا من التراب ذاكرا اختلافه صنفين اللذين يتفرعان الى اصناف كثيرة منبها على
فعله بالاختيار ومنكرا على من سوى بينه سبحانه وبين شيء مما اشركه به مع المباعدة التي لا شيء بعدها والا لانه يفرق بين هذه
الاشياء المحسوسة لمباعدة ما فقال وما يستوي البحران ولما كانت الالف واللام للعهد بينه بقوله مشيرا
الى الحلو هذا عذب اي طيب حلو لذيذ ملائم للطبع فرات اي بالغ العذوبة سائغ شرابه اي هنيء مري هو بحيث اذا
شرب جاز في الحلق ولم يتوقف بل يسهل دخاله فيه وابتلاعه لما له من اللذة والملائمة للطبع وهذا ملح اجاج اي جمع
الى الملوحة المرارة فلا يسوغ شرابه بل لو شرب لأكل الحلق واجج في البطن ما هو كالنار والمراد انه ميز بينهما سبحانه
بعد جمعهما في ظاهر الارض وباطنها ولم يدع احدهما يبغي على الاخر بل احفر على جانب البحر الملح ظهر الماء عذبا فراتا على
مقدار صلاح الارض وفسادها ولما كان الملح متعذرا على الادمي شربه ذكر انه خلق فيه ما حيا به منا وبيا
في ذلك للعذب فقال ومن كل اي من الملح والعذب تاكلون من السمك المنوع الى انواع تفوق الحصر وغير السمك لحما
طريا اي شهي المطعم ولم يضر ما بالملح ما تعرفون من اصله ولا زاد في لذة ما بالحلو ملائمته لكم ولما ذكر من
منافعه ما هو غاية في اللين اتبعه من ذلك ما هو غاية في الصلابة فقال وتستخرجون اي تطلبون ان تخرجوا من الملح دون
العذب وتوجد ونه ذلك الاخراج قال البغوي وقيل نسب اليهما لانه قد يكون في البحر الملح عيون عذبة تمتزج به فيكون
اللؤلؤ من ذلك حلية تلبسونها اي نساؤكم من الجواهر الدر والمرجان وغيرهما فما اقضى بركاوة ذلك وصلابة هذا مع
تولدهما منه الا الفاعل المختار ولما كان الاكل والاستخراج من المنافع العامة عم بالخطاب ولما
كان استقرار شيء في البحر دون غرق امرا عجيبا لكنه صار لشدة الفه لا يقوم بادراك انه من اكبر الايات دلالة على
القادر المختار الا اهل البصائر خص بالخطاب فقال وترى الفلك اي السفن يسمي فلكا لدورانه وسفينة لقشرها الماء
وقدم الظرف لانه اشد دلالة على ذلك فقال فيه اي كل منهما غاطسة الا قليلا منها ولما تم الكلام ذكر حالها
المعلل بالابتغا فقال مواخر اي جواري مستدبرة الريح شاقة للماء خارقة للهوى بصدرها هذه مقبلة وهذه مدبرة
وجهها الى ظهر هذه بريح واحدة قال البخاري في باب التجارة في البحر وقال مجاهد تمخر السفن الريح ولا تمخر الريح من السفن الا
الفلك العظام وقال صاحب القاموس مخرت السفينة كمنع مخرا ومخورا جرت او استقبلت الريح في جريتها والفلك
المواخر التي يسمع صوت جريها او تشق الماء بجآجئها والمقبلة والمدبرة بريح واحدة وفي الحديث اذا اراد احدكم البول
فليتمخر الريح وفي لفظ استمخروا الريح اي اجعلوا ظهوركم الى الريح فانه اذا ولاها ظهره اخذت عن يمينه ويساره
وقد يكون استقبلها تحراعنرانه في حديث اسند بات انتهى كلام القاموس ثم علق بالمخر معللا قوله لتبتغوا اي تطلبوا
طلبا شديدا ولما تقدم الاسم الاعظم في الاية قبلها اعاد الضمير عليه ليعلم شدة ارتباط هذه الاية بالتي
قبلها فقال من فضله اي الله بالتواصل بذلك الى البلاد الشاسعة للمتاجر وغيرها ولو جعلها ساكنة لم يترتب عليها
ذلك وفي سورة الجاثية ما ينفع هنا ولعلكم تشكرون اي ولتكونوا حالكم بهذه النعم الدالة على عظيم قدرة الله ولطفه
حال من يرجى شكره ولما ذكر سبحانه اختلاف الذوات الدال على بديع صنعه اتبعه تغيير المعاني ايه على بليغ قدرته
فقال في موضع الحال من فاعل خلقكم اشارة الى ان الله تعالى صوركم ادم حين خلق الارض قبل ان يكون ليل او نهار ثم نفخ فيه
الروح اخر يوم الجمعة بعد ان خلق النور يوم الاربعا فاتى على الانسان حين من الدهر وهو مقدار حركة الفلك هو
الاله هو شيء مذكور يولج اي يدخل على سبيل الجولان الليل في النهار فيصير الظلام ضياء ولما كان هذا
الفعل في غاية الاعجاب وكان تكريره تكرارا متصارما لو فاتغفل عما فيه من الدلالة على تمام القدرة نبه عليه
باعادة الفعل فقال ويولج النهار في الليل فيصير ما كان ضياء ظلاما وتارة يكون التوالج بقصر هذا وطول
هذا فدل كل ذلك على انه تعالى فاعل بالاختيار ولما ذكر الملوين ذكر ما ينشا عنهما فقال وسخر الشمس والقمر
ثم استانف قوله كل اي منهما يجري ولما كان مقصود السورة تمام القدرة والسياق هنا لعتق المتنافرات
على ما يريد ولذلك ختم الاية بالملك الفاطر الى القسر والقهر لم يصلح لهذا الموضع حرف الغاية فقال لاجل اي لاجل
اجل مسمى مضروب له لا يقدر ان يتعداه فاذا جاء ذلك الاجل غرب هكذا كل يوم الى ان ياتي الاجل الاعظم
فيختل جميع هذا النظام بامر الملك العلام ويقيم الناس ليوم الزحام وتكون الامور العظام ولما
دل سبحانه على انه الفاعل المختار القادر على ما يريد بما شاهد كل احد في نفسه وفي غيره وختم بما تكرر مشاهدته

فى كل يوم من نتج ذلك قطعاً قوله معظماً باداة البعد وميم الجمع ذلكم اى العالى المقدار الذى فعل هذه الافعال كلها
الله اى الذى له كل صفة كمال ثم نبههم على انه لا مدبر لهم سواه بخبر آخر بقوله ربكم اى الموجد لكم من العدم المربى بجميع النعم
لا رب لكم سواه ثم استأنف قوله له اى وحده الملك اى كله وهو مالك لكل شيء والذين تدعون اى دعاء عبادة ثم بين سفولهم
بقوله من دونه اى من الاصنام وغيرها وكل شيء فهو دونه سبحانه ما يملكون اى فى هذا الحال الذى تدعونهم فيه وكل حال
يصح ان يقال فيه لكم هذا الكلام واعرق فى النفى فقال من قطمير وهو كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما لفافة النواة وهى
القشرة الرقيقة الملتفة عليها كناية عن ادنى الاشياء فكيف بما فوقه ولم يبق لهم شيء من الملك فالآية من الاحتباك ذكر الملك اولاً
دليلاً على حذفه ثانياً والملك ثانياً دليلاً على حذفه اولاً ثم بين ذلك بقوله ان تدعوهم اى المعبودات من دونه دعاء عبادة او
استغاثة لا يسمعوا اى يجدّ السمع فى وقت من الاوقات دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا اى فى المستقبل ما استجابوا لكم
لانهم اذا لا يعلمون ان اجابتهم لا ترضى الله وهم مما ابى ان يحمل الامانة ويخون فيها بالعمل بغير ما يرضى الله سبحانه او يكون
المعنى ولو فرض انهم يوجد لهم سمع او ولو كانوا سامعين لم يدخل فيه من عبد من الاحيا ما لزم من السماع اجابة لانه لا ملازمة
بين السمع والنطق ولا بين النطق والسمع مع القدرة على ما يراد من السامع فان البهائم تسمع ولا تجيب والمجيبون غير مجيبين لما
قدرة لهم على اكثر ما يطلب منهم ولما ذكر ما هو على سبيل الفرض ذكر ما يصير اليه بينهم وبينهم الامر فقال ويوم
القيمة اى حين ينطقهم الله يكفرون بشرككم اى ينكرونه ويتبرؤن منه ولما كان التقدير فما انبأكم بذلك
الخبير وكانوا لا يقرون بذلك ولا يفهمونه حق فهمه ولا يعلمونه صرف الخطاب عنهم الى من له الفهم التام والطاعة
الكاملة فقال عاطفاً على هذا الذى هدى الى تقديره السياق ولا ينبئك اى انباء بليغاً عظيماً على هذا الوجه بشيء من الاشيا
مثل خبير اى بالغ الخبر فلا يمكن الطعن فى شيء مما اخبر به واما غيره فلا يخبر خبراً الا توجه اليه نقص ولما احق
سبحانه بالملك ونفى عن شركائهم النفع انتج ذلك قوله يا ايها الناس اى كافة انتم اى خاصة الفقراء اى لانكم لاتساع
معارفكم وسريان افكاركم وانتشار عقولكم تكثر نوازعكم وتتفرق دواعيكم فيعظم احتياجكم لشدة ضعفكم وعجزكم
عظماً تعد معه احتياج غيركم عدماً ولو نكر الخبر لم يفد هذا المعنى الى الله اى الذى له جميع الملك قال القشيرى
والفقر على ضربين فقر خلقة وفقر صفة فالاول عام فكل حادث مفتقر الى خالقه فى اول حال وجوده ليبديه ويبقيه
وفى ثانيه ليديمه ويبقيه واما فقر الصفة فهو التجرد ففقر العوام التجرد من المال وفقر الخواص التجرد من الاعلال
لحقيقة الفقر المحمود تجرد السر عن المعلولات ولما ذكر العبد بوصفه الحقيقى اتبعه ذكر الخالق باسمه الاعظم
على ترتيب العهد بذكره للاشارة الى الجهة التى بها وصف بما يذكر من الاحاطة باوصاف الكمال فقال والله هو اى وحده
الغنى اى الذى لا يتصور ان يحتاج لا اليكم ولا الى عبادتكم ولا الى شيء اصلاً ولما كان الغنى من الخلق لا يسع غنا
من يقصده وان وسعهم لم يسعهم عطاؤه لخوف الفقر او لغير ذلك من العوارض ولا يمكنه عموم النعمة فى شيء من الاشيا
فلا يستغنى عن نوع ذم وكان الحمد كما قال الحرالى فى شرح الاسماء حسن الكلية بانتهاء كل امر وجزء وبعض منه الى غاية تمامه
فمتى نقص جزء من كل عن غاية تمامه لم يكن ذلك الكل محموداً او لم يكن تامه حميداً او كان الله قد خلق كل شيء كما ينبغى لم
يعجل شيئاً عن اناه وقدره وكان الذم استنقاص مما يلحق بعض الاجزاء عند من لم يرها فى كلها ولا راى كلها فكان الذم لذلك
لا يقع الا مقيداً اسمى احد مقتطعاً من كل والحمد لا يقع الا فى كل لم يخرج عنه شيء فلا حمد فى بعض ولا ذم فى كل ولا
حمد الا فى كل ولذلك قال الحرالى الحميد من العباد من حمدت عوايده واخلاقه واعماله كلها من غير مثنوية وكان سبحانه
قد افاض نعمه على خلقه واسبغها ظاهرة وباطنة وجعل لهم قدرة على نيلها لا يعوق عنه الا قدرته وما كان عطاء ربك
محظوراً وكان لا ينقص ما عنده كان اعطاؤه حمداً ومنعه حمداً لانه لا يكون مانعاً لغرض بل لحكمة تعلو عن الادراك قال
الحميد اى الى كل شيء بنعمته عنده والمستحق للحمد بذاته فانتج ذلك قطعاً تهديداً لمن عصاه وتحذيراً شديداً ان يشا يذهبكم
اى جميعاً ويأت بخلق جديد اى غيركم لانه على كل شيء قدير وما ذلك اى الامر العظيم من الاذهاب والاتيان على الله المحيط
لجميع صفات الكمال الخاصة بعزيز اى بممتنع ولا شاق وهو محمود عند الاعدام كما هو محمود عند الايجاد ولما انهى سبحانه
بيان الحق بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة بالتهديد بالاخذ وكان الاخذ على وجه التهديد عقاباً وكان العقاب
لا يكون بحكمة الا عند الذنب قال دالاً على انه لا يبلغ احد عما يستحق به العقاب ولا اى يذهبكم عقوبة لكم باوزاركم ثم
وقدرته عليكم والحال انه لا تزر اى تحمل يوم القيمة او عند الاذهاب ولما لم تكن نفس متاهلة للحمل تخلو عن
وزر تحمله والمعصوم من عصمه الله قال وازرة دون نفس اى لا تحمل حاملة من جهة الاثم وزر اى حمل وثقل اخرى ليعذب
به بل كل واحد منكم له مما كسبت يداه ما تقوم به عليه الحجة فى الاخذ مباشرة وتسبباً مع تفاوتكم فى الوزر ولا تحمل احد
الا ما اقترفه هو لا تؤخذ نفس بذنب اخرى الذى يخصها كما يفعل جبابرة الدنيا ولما اثبت انه لا يواخذ احداً الا بذنوبه

ونفى

ونفى ان يحمل احد وزر غيره وكان ربما اوهم ان ذلك خاص ببعض الاحوال او الاشخاص وكان عظم الوزر يوجب الاحد بغى
ذلك الايهام ودل على القدرة على المفاوتة بينهم فى الاجر وان كان اخذهم فى آن واحد بقوله وان تدع اى نفس مثقلة
اى بالذنوب سواء كانت كبيرة او غيره احداً الى حملها اى الحاصل بها من الذنوب التى ليست على غيرها بمباشرة ولا تسبب
ليخفف عنها فيخفف عنها العذاب بسبب خفته لا يحمل اى من حامل ما منه شيء اى لا طواعية ولا كرهاً بل لكل امرئ شأن
يغنيه اصلاً وتسبباً ولو كان ذلك الداعى والمدعو للحمل ذا قربى لمن دعاه وحاصل الاولى انه لا يحمل احد
بذنب غيره بل بذنب نفسه والثانية انه لا يحط عن احد ذنبه ليسلم ولما كان هذا امراً مع كونه جلياً حالقاً
للقلوب فكان بحيث يشتد تعجب السامع ممن يسمعه ولا يخشى فقال مزيلاً لهذا العجب على سبيل النتيجة انما تنذر اى انذاراً
يفيد الرجوع عن الغى فلاختصاصهم بالنفع كانوا كانهم مختصون بالانذار وهو كما قال القشيرى الاعلام بموضع المخافة
الذين يخشون اى يوقعون هذا الفعل فى الحال ويواظبون عليه فى الاستقبال ولما كان اعقل الناس من خاف
المحسن لان اقل عقابه قطع احسانه قال ربهم ولما كان ادنى الناس عقلاً واعلاهم همة واكرمهم عنصراً
من كانت غيبته مثل حضوره وكان لا يحتاج مع قول الداعى وما يظهر له من سمته وحسن قوله وفعله الى آية يظهرها
ولا خارقة يبرزها وانما ايمانه تصديقاً للداعى فى اخباره بالامر المغيب من غير كشف غطا قال بالغيب اى حال
كونهم غائبين عما دعوا اليه وخوفوا به او حال كونه غائباً عنهم او غائبين عمن يلتمس مراآته فهم مخلصون فى خشيتهم
سراً بحيث لا يطلع عليهم الا الله ولا نعلم احداً اولى من خديجة والصديق رضى الله عنهما فى ذلك ولما
كانت الصلاة جامعة لخضوع الظاهر والباطن فكانت اشرف العبادات وكانت اقامتها بمعنى حفظ جميع حدودها فى كل حال
ادل الطاعات على الاخلاص قال معبراً بالماضى لان مواقيت الصلاة مضبوطة واقاموا اى دليلاً على خشيتهم الصلاة فى
اوقاتها الخمسة وما يتبع ذلك من السنن ولما كان التقدير فمن كان على غير ذلك تدنس ومن كان على هذا فقد تزكى
ومن يتزكى فانما يتدنس على نفسه عطف عليه قوله مشيراً باداة التفعل الى ان النفس ميالة الى الدنس فلا تنقاد الى احسن تقويم
الا باجتهاد عظيم ومن تزكى اى تطهر وتكثر بهذه المحاسن ولما كان الانسان لتقيده بالاسباب القريبة قد يغفل
عن ان هذا النفع له وخاص به اكد فقال فانما يتزكى لنفسه فانه لا يضر ولا ينفع فى الحقيقة غيرها والى الله الذى يكشف
عن جميع صفاته اتم كشف تحتمله العقول يوم البعث لا الى غيره المصير كما كان منه المبدا فيجازى كلاً على فعله فينصف بينك
وبين من خشى ربه بالتدارك ومن اعرض عن ذلك ولما كان التقدير فما يستوى الطبع والعقل المتدنس الذى هو اعمى
بعشيانه فى الظلمات ولا المتزكى الذى هو بطاعاته بصير فى النور وان استويا فى الانسانية عطف عليه ما تصلح هى
امثلة للمتدنس والمتزكى وما تكونه التدنسة والتزكية دلالة على تمام قدرته الذى السياق له من اول السورة وتقرير
لان الحسنة والقسوة بيده ابطالاً لقول من يسند الامور الى الطبائع قوله وما يستوى اى فى حالة من الاحوال ولما كان
المقام لوعظ المشركين وكان المتدنس قبل المتزكى على ما قرر قبله ناسب ان ينظم على هذا الترتيب قوله مثالاً للكافر والمؤمن
والجاهل والعالم وقدم مثال الجاهل لان الاصل عند الارسال الجهل الاعمى والبصير اى لا الصنفان ولا افرادهما ولا افراد
صنف منهما واغنى عن اعادة النافى ظهور المفاوتة بين افراد كل صنف من الصنفين فالمعنى ان الناس غير مستوين فى العمى والبصر
بل بعضهم اعمى وبعضهم بصير لان افتعل هنا بمعنى تفاعل ولعله عبر به دلالة على النفى ولو وقع اجتهاد فى انه لا يقع او دلالة
على ان المعنى انهم ما نعوا التساوى من كل جهة لا فى اصل المعنى ولو كان ذلك مستنداً الى الطبع لكانوا على منهاج واحد بل وافراد
كل صنف ونوع فتجد بعض العمى يمشى بلا قائد فى الازقة المشكلة واخر لا يقدر على المشى فى بيته الا بقائد واخر يدرك من الكتاب
اذا لمسه كم سطره من سطر وهل خطه حسن او لا واخر يدرك الدرهم الزيف من غيره ويميز ضرب كل بلد من غيره وربما
نازعه احد مغالطة فلا يقبل التشكيك واخرى فى غاية البعد عن ذلك واما البصرا فالامر فيهم واضح فى المفاوتة فى ابصارهم
وبصايرهم وكل ذلك دليل واضح على ان الفاعل قادر مختار يزيد فى الخلق ما يشا والا لتساوت الافراد فكانوا على منهاج
واحد ولما كان هذا من اغرب الامور وان غفل عنه لكثرة الفه نبه على غرابته ومزيد ظهور القدرة فيه بتكرير
النافى فى اشباهه وعلى ان البصر لا ينفذ الا فى الظلمة نبه بهما على ان المعاصى ظلم قلب المؤمن وان كان بصيراً وقدم الظلمة
لانها اشد اظهاراً لتفاوت البصر مع المناسبة للسياق على ما قرر فقال فى عطفاً لزوج على الزوج وعطفاً الفرد على الفرد
جامعاً نبههما على ان طرق الضلال متعددة ولا الظلمات اى التى هى مثال للاباطيل على كثرتها ولا كالذى قبله
لان المفاوتة بين افراد الظلمة وافراد النور خفية فكان منهما على ان طرق الحق واحد تكذيباً لمن قال ان الزيادة الطرق الى
الله بعدد انفاس الخلائق ولا النور الذى هو مثال للحق لما ابعدهما على هذا التضاد الا الكفر ولا شيء منهما الله تعالى الفاعل المختار
وفاوت بين افراد النور وافراد الظلمة فما يشبه نور القمر الشمس نور القمر ولا شيء منهما نور غيرهما من النجوم ولا شيء من ذلك

نور السراج الى غير ذلك من الانوار واذا اعتبرت افراد الظلمات وجدتها كذلك فان الظلمات انما هي ظلال وبعض الظلال اكثف
من بعض ولما كان الظلام يشاعر الظلال وهو نتيجة النور بعدمه فقال مقدما مثال الخير لان الرحمة سبقت الغضب
ولا الظل اي برده الذي هو مرجع المؤمن ولا الحرور اي توهجها وهي مرجع الكافر قال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الريح
الحارة بالليل وكذا قال في القاموس وزاد وقد تكون بالنهار وحر الشمس والحر الدائم والنار فانتفى حكم الطبائع قطعا ولما
كان المظهر لذلك كله الحياة قدمها فقال مثالا آخر للمؤمنين وكذلك اعاد الفعل وهو فوق التمثيل بالاعمى والبصير لان
الاعمى يشارك البصير في بعض الادراكات وصار للمؤمن والكافر مثالان لنفيه الاول نفي استوا الجنس بالجنس مع العقول للحكم
على الافراد والثاني بالعكس وهو للنفي في الافراد مع العقول للجنس وما يستوي الاحيا اي الذين منهم الناطق والاعجم والذكي والغبي
والسهل والصعب فلا يحاد ديتا وكل حيان في جميع الخلال ولا الاموات الذين هم مثال للكافرين في صعوبة الموت وسهولته والبلى
وغيره مما يخفى ولا يقربها الكفار من الشقاوة والسعادة ولما كان ما ذكر في جميع الخلال على هذا الوجه من وضوح الدلالة
على الفعل بالاختيار وعلى ضلال من اشرك به شيئا لانه لا يشابهه شي بمكان ليس معه خفا ومن الاحكام بحيث لا يدانيه كلام تعجب
السامع ممن يأباه فقال مزيلا عجبه مقررا ان الخشية والقسوة انما هما بيده وان الانذار انما هو لمن قضي بانتفاعه مسليا لنبيه
صلى الله عليه وسلم مؤكدا ردا على من يرى لغيره سبحانه فعلا من خير او شر ان الله اي القادر على المفاوتة بين هذه الاشيا وعلى كل
شي بما له من الاحاطة بصفات الكمال وعبر بالفعل اشارة الى القدرة على ذلك في كل وقت اراده سبحانه فقال يسمع من يشاء
اي فيهديه ولو لم تكن له قابلية في العادة كالجمادات ويصم من يشاء فيعميه ويكسبه ويرديه من احيا القلوب والارواح هم
واموات المعاني والاشباح والمعنى ان اسماعهم لو كان مستندا الى الطبايع لاستووا اما بالاجابة او الاعراض لان نسبة الدعوة
واظهار المعجزة اليهم على حد سوا فالاية تقرير لاية انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ولما كان المعرض قد ساوى الميت
في حاله التي هي عدم الانتفاع بما يرى ويسمع من الخوارق فكان كانه ميت قال معبرا بالاسمية تنبيها على عدم اثبات ذلك له صلى
الله عليه وسلم وما انت اي بنفسك من غير اقدار الله لك واغرق في النفي فقال بمسمع اي بوجه من الوجوه من في القبور
اي الحسية والمعنوية اسماعا ينفعهم بل الله يسمعهم ان شاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والاية دليل على البعث ولما كان
هذا خاصة الاله اشار الى نفيه عنه مقتصرا على وصف النذارة اشارة الى ان اغلب الخلق موتى القلوب فقال مؤكدا للرد على
من ظن ان النذير يقدر على هدايته او غيرها الا باقداره ان اي ما انت الا نذير اي تنبه القلوب الميتة بقوارع الانذار ولست
بوكيل تقهرهم على الايمان ولما كان صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة وكان الاقتصار على هذا الوصف ربما اوهم غيره اتبعه قوله
بيانا للعظمة صلى الله عليه وسلم بالالتفات الى مظهر العظمة لان عظمة الرسول من عظمة المرسل فنذارته رحمة انا اي بما لنا من العظمة
ارسلناك اي الى هذه الامة ارسالا مصحوبا بالحق اي الامر الكامل في الثبات الذي يطابقه الواقع فان من نظر الى كثرة ما اوتيه
من الدلايل علم مطابقة الواقع لما تأمر به والتقدير بالمصدر يفهم ان الرسالة حق وكلام المرسل والرسول حق بشيرا اي لمن اطاع
ونذيرا اي لمن عصى والعطف بالواو للدلالة على العراقة في كل من الصنفين ولما كان مما يسهل القياد ويضعف الجماح
التاسية قال مؤكدا دفعا لاستبعاد الارسال الى جميع الامم وان اي وما كانه ما من امة من الامم الماضية الا خلا فيها نذير
ارسلناه اليهم بشيرا ونذيرا اما بنفسه واما بما ابقى في اعقابهم من شرايعه من اقواله وافعاله ورسومه مع ما لهم من العقول
الشاهدة بذلك والنذارة دالة على البشارة واقتصر عليها لانها هي التي يقع بها التسلية لما فيها من المشقة ولان من الانبياء
الماضين عليهم السلام من تمحضت دعوته للنذارة لانه لم ينتفع احد ببشارته لعدم اتباع احد منهم له ولما كان
صلى الله عليه وسلم شديد الاسف على اباثهم رحمة لهم وخوفا من ان تكون تلك بكون ذلك لتقصير في حاله وكان التقدير فان
يصدقوك فهو حظهم في الدنيا والاخرة عطف عليه تاسية له وتسلية قوله وان يكذبوك فقد اي فتسل لانه قد كذب
الذين ولما كان المكذبون بعض الناس فلزم لذلك ان يكونوا في بعض الزمان دل على ذلك بالجار فقال من قبلهم اي ما
اتتهم به رسلهم عن الله ولما كان قبول الرسل لما جاءهم عن الله ونفي التقصير في الابلاغ عنهم دالا على علو شأنهم وسفول
امر المكذبين من الامم وكل ذلك دالا على تمام قدرة الله تعالى في المفاوتة بين الخلق قال دالا على امر العلو والسفول استينافا
جوابا لمن كانه قال هل كان تكذيبهم عنادا او لنقص في البيان جاءتهم اي الامم الخالية رسلهم بالبينات اي الايات الموضحات
في الدلالة على صحة الرسالة ولما كان التصديق بالكتاب لازما لكل من بلغه امره وكانت نسبة التكذيب الى جميع الامم
امرا معجبا كان الامر حريا بالتاكيد لئلا يظن انهم ما كذبوا الا لعدم الكتاب فاكد باعادة الجار فقال وبالزبر اي الامور
المكتوبة من الصحف ونحوها من السنن والاسرار وبالكتاب اي جنس الكتاب كالتوراة والانجيل المنير اي الواضح في نفسه
الموضح لطريق الخير والشر كما انك اتيت قومك بمثل ذلك وان كانت طريقك اوضح واظهر وكتابك انور واظهر واشهر ولما
سلاه بمن خالفه وعصاه بما فعل في تلك الامم فقال صارفا القول الى الاخبار دفعا لكل لبس مشيرا باداة

التراخي الى ان طول الامهال ينبغي ان يكون سببا للانابة لا للاغترار بظن الاهمال ثم اخذت اي بانواع الاخذ الذين كفروا اي ستروا
تلك الايات المنيرة بعد طول صبر الرسل عليهم ودعايهم لهم ولما كان اخذ من قص اخباره منهم عند العرب شهيرا وكان على
وجوه من النكال معجبة تسبب عنه السؤال بقوله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم اي انه انكار يجب السؤال عن كيفيته لهوله
وعظمه والمعنى كما قال القشيري ولئن اصروا على سنتهم في الغي فلن تجد لسنتنا تبديلا في الانتقام والخزي ولما كان
من اغرب الاشيا الدالة على تمام القدرة الدال على الوحدانية ان يكون شي واحد سببا لسعادة قوم وهداهم وشقاوة قوم وضلالهم
وعماهم وكان ذلك امرا دقيقا وخطبا جليلا لا يفهمه حق فهمه الا اعلى الخلائق ذكر المخاطب بهذا الذكر ما يشاهد من اياته
فقال على طريق الاستشهاد لوصول المخاطب الى رتبة اولي الفهم بما ساق من ذلك سبحانه على طريق الاخبار في قوله الله الذي ارسل
الرياح ولفت القول الى الاسم الاعظم دلالة على عظمة ما في حيزه الم تر ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال انزل من السماء اي
التي لا يصعد اليها الما ولا يستمسك عن الهبوط منها في غير اوقاته الا بقدرة باهرة لا يعجزها شي ماء اي لا شي يشابهه في مماثلة
بعضه لبعض فلا قدرة لغيره سبحانه على تمييز شي منه الا ما يصلح لشي دون اخر ولما كان هذا امرا فائتا للقوى العقول
نبه عليه بالالتفات الى مظهر العظمة فقال فاخرجنا اي بما لنا من العظمة به اي الما من الارض ثمرات اي متعددة الانواع
مختلفا الوانها اي الوان انواعها واصنافها وهيآتها وطبايعها فالذي قدر على المفاوتة بينها وهي من ماء واحد لا يتعسر
عليه ان يجعل الدلايل بالكتاب وغيره نورا لشخص وعمى لاخر ولما ذكر تنويع ما عن الماء وقدمه لانه الاصل في التلون
كما انه الاصل في التكون اتبعه التلون عن التراب الذي هو ايضا شي واحد فقال ذاكرا ما هو اصلب الارض وابعدها عن قابلية
التاثر وقطعه على الاول لان الما لا اثر له فيه ومن الجبال جدد اي طرايق وعلامات وخطوط متقاطعة
بيض وحمر ولعله عبر عنها بذلك دون طرق اشارة الى ان من غرابتها انها لا تخلق ولا تضمحل الوانها على طول الازمان
كما هو العادة في غالبها باستقادم عهدها والجد بالفتح والجدة بالكسر والجدد بالتحريك وجه الارض وجمعه جدد
بالضم الطريقة والعلامة والخط في ظهر الحمار يخالف لونه وجمعه جدد كغرفة وغرف وعدة وعدد ومدة ومدد والجدد
محركة ما اشرف من الارض او الرمل وشبهها السلعة في عنق البعير والارض الغليظة المستوية والجدجد بالفتح الارض المستوية
ولما كان ابلغ من ذلك ان تلك الطرق في انفسها غير متساوية المواضع في ذلك اللون الذي تلونت به قال تعالى دالا
على ان كلا من هذين اللونين لم يبلغ الغاية في الخلوص مختلف الوانها وهي من الارض وهي واحدة ولما قدم ما كان
مستغربا في الوان الارض لانه غير لونها الاصلي اتبعه ما هو اقرب الى الغبرة التي هي اصل لونها ولما كانت مادة
غرب تدور على الخفاء الذي يلزمه الغموض اخذا من غروب الشمس ويلزم منه السواد ولذلك يؤكد الاسود بغربيب مبالغة
الغراب كقدح اي الاسود للمبالغة في سواده وكان المقصود الوصف بغاية السواد مخالفة للغبرة قال تعالى عاطفا على
بيض وغرابيب اي من الجدد ايضا سود فقدم التاكيد له السابق على اصل العبارة وسود غرابيب سود فاضمر
الاول ليتقدم المؤكد لانه تابع ودل عليه بالثاني ليكون مبالغا في تاكيده غاية المبالغة بالاظهار بعد الاضمار وهو
معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما اشد سوادا الغربيب رواه عنه البخاري لان السواد الخالص في الارض مستغرب ومنه
ما تصبغ به الثياب ليس معه غيره فتصير في غاية السواد وذلك في مدينة فوه ومسير وغيرهما مما داناهما من بلاد مصر
ولما ذكر تعالى ما الاغلب فيه الما مما استحال اكد هذا بما دل على خلوصه قدم ذكر الاختلاف عليه ولما
الى امر اخر بعيد من الماء واتبعه التراب لصرفه ختم بما الاغلب فيه التراب بما استحال الى ما هو في غاية البعد من التراب فقال
ومن الناس اي المتحركين بالفعل والاختيار والدواب ولما كانت الدابة في الاصل لما دب على الارض ثم غلب اطلاقه على ما يركب
قال والانعام ليعم الكل صريحا مختلف الوانه اي الوان ذلك البعض الذي افهمته من كذلك اي مثل الثمار والاراضي فمنه
ما هو ذو لون واحد ومنه ما هو ذو الوان مع ان كل ما ذكر نوع من الاراضي متجانس الاعمال عيان مختلف الاوصاف ونسبته الى الماء
والى السما واحدة فاين حكم الطبايع ولما ثبت بهذا البرهان انه سبحانه فاعل بالاختيار فهو يفعل ما يشاء ومن يشاء
يشاء فيجعل الشي الواحد لقوم نورا ولقوم عمى وكان ذلك مرغبا في خدمته مرهبا من سطوته لكل ذي لب وكان السياق
للانذار من يخشى بالغيب ثبت ان الانذار بهذا القران يكون لقوم اراد الله خشيتهم خشية ولقوم اراد الله قسوتهم
قسوة التفتت النفس الى طلب ما يعرف به من يخشى ومن لا يخشى فقال على سبيل الاستنتاج من ذلك دفعا لظن من يحسب انه
يمكن ان يكون ولي جاهلا انما يخشى الله اي الذي له جميع الكمال ولا كمال لغيره الا منه ودل على ان كل ما سواه في قبضته وتحت
قهره بقوله من عباده ثم ذكر محط الفائدة وهو من ينتفع بالانذار فقال العلماء اي لا سواهم وان كانوا اعبادا وان بلغوا في عبادتهم
ما عسى ان يبلغ لانه لا يخشى احد احدا الا مع معرفته ولا يعرفه جاهل قصا والمعنى كانه قيل انما ينفع الانذار اهل الخشية
وانما يخشى العلما والعالم هو العقبة العالم بعلمه قال السهروردي في الباب الثالث من عوارفه فينتفي العلم عمن لا يخشى

الله كما اذا قال اما يدخل الدار بعد اذني فينبغي دخول غير البغدادي الدار بعد اذنه هذا معنى القراءة المشهورة ولما كان
سبب الخشية التعظيم والاجلال وكان كل احد لا يجل الا من اجله وكان قد ثبت ان العلماء يجلون الله وكان سبب اجلالهم له
اجلاله لهم كان هذا معنى القراءة الاخرى فكان كانه قيل انما ينفع الانذار من يجل الله فالله يجله لعلمه وسئل شيخنا محقق
زمانه قاضي الشافعية بمصر محمد بن علي القاياتي عن توجيه هذه القراءة فاطرق يسيرا ثم رفع راسه وقال

اهابك اجلالا وما بك قدرة ... علي ولكن ملء عين حبيبها

ولما ثبت بهذا السياق انه سبحانه فاعل لهذه الاشياء المتضادة باختياره علل ذلك ليفيد ان قدرته على كل ما
يريده كقدرته عليه بقوله على سبيل التاكيد تنبيها على انه سبحانه لا يعسر عليه شيء وانه اهل لان يخشى ولذلك اظهر الاسم
الاعظم ان الله اي المحيط بالجلال والاكرام عزيز اي غالب على جميع امره ولما كان هذا مرهبا من سطوته موجبا
لخشيته لا لهامه انه يمنع الذين لا يخشون من رحمته رغبهم بقوله غفور في انه يمحو ذنب من يريد منهم فيقبل بقلبه اليه
وهو ايضا من معاني العزة ولما تقرر هذا تشوف السامع الى معرفة العلماء فكان كانه قيل من هم الذين يحافظون على
كتاب الله علما وعملا فقيل فما لهم فقال مؤكدا تكذيبا لمن يظن من الكفار وغيرهم من العصاة انهم من الخاسرين بما ضيعوا من عاجل
دنياهم ان الذين يتلون اي يجددون التلاوة كل وقت مستمرين على ذلك محافظين عليه كلما نزل من القران شيء وبعد كمال نزوله
حتى يكون ذلك ديدنهم وشانهم بفهم وبغير فهم كتاب الله اي الذي لا ينبغي لعاقل ان يقبل على غيره لما له من صفات الجلال والجمال
ولما ذكر السبب الذي لا سبب يعادله ذكر احسن ما يرتبط به فقال دالا على المداومة بالتعبير بالاقامة وعلى تحقيق
الفعل بالتعبير بالماضي واقاموا الصلاة اي وهي الناهية عن الفحشاء والمنكر فناجوا الله فيها بكلامه ولما
ذكر الوصلة بينهم وبين الخالق ذكر احسانهم الى الخلائق فقال دالا على ايقاع الفعل بالتعبير بالماضي وعلى الدوام بالسر والعلن
لافتا القول الى مظهر العظمة تنبيها على ان الرزق منه وحده لا بحول لاحد غيره ولا قوته وانفقوا مما رزقناهم اي بحولنا
وقوتنا لا بشيء من امرهم في جميع ما يرضينا ودل على مواظبتهم على الانفاق وان ادى الى نفاد المال بقوله سرا وعلانية
وعبر في الاول بالمضارع لان انزاله كان قبل التمام ونص بحثا على تكرار التلاوة تعبدا ودراسة لان القران كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم اشد تفلتا من الابل في عقلها اخرجه مسلم عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه وفي الثاني والثالث بالماضي حثا
على المبادرة الى الفعل وقد تحصل من هذا ان جملة فعل القلب الذي هو الخشية دليلا باللسان واخر بالاركان [illegible]
ولما اطهم بالمجمل الاعلام معرفا انهم اهل العلم الذين يخشون الله وكان العبد لا يجب له على سيده شيء قال مبينا على نعمة
الابقاء الثاني التي هي ام النعم والنتيجة العظمى المقصودة بالذات يرجون اي في الدنيا والاخرة تجارة اي بما عملوا لن تبور
اي تكسد وتهلك بل هي باقية لانها دفعت الى من لا تضيع لديه الودائع وهي رابحة لكونه تام القدرة شامل العلم
له الغنى المطلق ولما كان المراد بعدم هلاكها حفظها وبقاؤها الى يوم لقائه علله بقوله مقتصرا على الضمير لانه
السياق للمؤمنين ولذا التفت الى الضمير الغيب لان ايمانهم بالغيب ليوفيهم اي لنفقاتهم عنده سبحانه في الدنيا ان اراد وفي
الاخرة او فيهما اجورهم اي على تلك الاعمال ويزيدهم اي على ما جعله بمنه ويمنه حقا لهم عليه من فضله اي زيادة ليس لهم
فيها تسبب اصلا بل هي نعمة مما من عليهم بما قابل اعمالهم به مما يعرفون انه جزاؤها مضاعفا للواحد عشرة الى ما فوق ولما كانت
اعمالهم لا تنفك عن شائبة ما وان خلصت فلم يجزوا بها لانها من منه سبحانه مستحقا على توفيتهم لها بقوله مؤكدا اعلاما
بانه لا يسع الناس الا عفوه لانه لن يقدر الله احد حق قدره وان اجتهد ولو واخذ اعبد العباد بما يقع من تقصيره اهلكه انه
غفور اي يمحو النقص عن العمل شكور اي يقبله ويزيد عليه ولما كانت ترجمة الاية ان العلماء هم حملة الكتاب وبدا سبحانه
بادنى درجاتهم وكان ذلك مما يرغب في الكتاب اتبعه ترغيبا هو اعلى منه فقال عاطفا على قوله في تقرير الاصل الثاني الذي
هو الرسالة انا ارسلناك بالحق واكد دفعا لتكذيب المكذبين به والذي اوحينا اي بما لنا من العظمة اليك وبين قدره
بمظهر العظمة وقال مبينا للوحي من الكتاب اي الجامع لخيري الدارين ولما كان الكتاب لا يطرقه نوع من انواع
التغير لانه صفة من لا يتغير قال هو الحق اي الكامل في الثبات ومطابقة الواقع له لا غيره من الكلام واكد حقيته بقوله
مصدقا لما بين يديه اي من الكتب الماضية الاتي بها الرسل الداعون الى الله المؤيدون بالبراهين الساطعة والادلة القاطعة
ولما دل سبحانه على ان العلم هو الحقيقة الثابتة وما عداه فهو محو وباطل ودل على ان التالين لكتابه الذي هو العلم
هم العلماء وغيرهم وان كانوا موجودين لهم بالمعدوم ومن اشبه ودل على ان الكتب الماضية وان كانت حقا لكنها ليست في
كمال القران لان الامر ما دام لم يختم فالزيادة متوقعة فيه بخلاف ما اذا وقع الختم فانه لا يكون بعده زيادة ترتقب وكان
ربما تراءى لاحد في بعض المتصفين بذلك غير ذلك قال تعالى اعلاما بان العبرة بما عنده لا بما يظهر للعباد واكد تنبيها على ان هذا
المعنى مما يعقد عليه الخناصر وان تراءى لاكثر الناس خلافه واظهر الاسم الاعظم لحاجة المخبر بهنا اليه لانه البر والفاجر

ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال ولما كان الانسان اعلم بمن يربيه ولا سيما ان كان مالكا له قال بعباده لخبير اي
عالم ادق العلم واتقنه ببواطن احوالهم بصير اي بظواهر امورهم وبواطنها اي فهو يمكن الخشية والعلم في القلوب على
قدر ما او نوا من الكتاب في علمه وتلاوته وان ترا اي يكم خلاف ذلك فانت احقهم بالكمال لانك اخشاهم واتقاهم فلذلك اتيناك
هذا الكتاب واخشاهم بعدك احقهم بعلمه ولما كان معنى الوصفين فنحن نيسر للتلاوة كتابنا من يكون قابلا للعلم الذي هو عمود
الخشية بما نعلمه منه بخبرنا وبصرنا وكان الذي ضم الى التلاوة الفهم في الذروة العليا من العلم قال عاطفا على هذا الذي
ارشد السياق الى تقديره مشيرا باداة البعد الى علو رتبة اهل هذا القسم وهم هذه الامة الامية على اختلاف
مراتبهم مع تراخي ارثهم عمن قبلهم صارفا القول الى مظهر العظمة لاقتضاء الحال لها في نزع شيء من قوم وايتائه
لاخرين ثم اورثنا اي ملكنا بعظمتنا ملكا تاما واعطينا عطاء لا رجوع فيه وعبر في غير هذه الامة بقوله ورثوا
الكتاب فانظر فرق ما بين العبارتين تعرف الفرق بين المقامين ويجوز ان يكون التقدير بعد اوحينا اليك او رثناك ثم اورثناه
ولكنه اظهر دلالة على الوصف تنبيها على انما هي جمعه للكتب الماضية واعلاما بان من في اوحينا اليك من للبيان فقال
الكتاب اي القران باتفاق المفسرين قاله الاصبهاني الجامع لكل كتاب انزلنا فهو ام لكل خير وقال ابن عباس كما نقله
ابن الجوزي ان الله اورث امة محمد صلى الله عليه وسلم كل كتاب انزله الذين اصطفينا اي فعلنا في اختيارهم فعل من يجتهد
في ذلك من عبادنا اي اخلصناهم لنا وهم بنو اسمعيل ومن تبعهم يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم نقله البغوي عن ابن عباس
رضي الله عنهما في نقل عن ابن جرير انه قال الارث انتقال شيء من قوم الى قوم فثم هنا للترتيب لان ايتاء هذه الامة متراخ
عن ايتاء الامم ونقله البغوي بعد ابطال تلك الاديان ونسخ تلك الكتب الا ما وافق القران فمعنى الايراث انه نزع
تلك الكتب من الامم السالفة واعطاها لهذه الامة على الوجه الذي رضيه لها وهذا الايراث للمجموع لا يقتضي
الاختصاص بمن يحفظ جميع القران بل يشمل من يحفظ منه جزءا ولو انه الفاتحة فقط فان الصحابة رضوان الله عليهم
لم يكن كل واحد منهم يحفظ جميع القران ونحن على القطع بانهم مصطفون ولما كان اكثر الناس لا ينفك عن تقصير كثير
لما جبل الانسان عليه من النقصان فكان من فيه ذلك يخرج نفسه من هذا القسم فاكمعرفا له بمقداره مونسا له بما فتح له من ابواب
مستجلبا له الى حضرة قدسه ومعدن اسراره مقسما اهل هذا القسم وهم اهل الفهم الى ثلاثة اقسام معددا ما الادنى لانهم
الاكثر ولئلا يحصل الياس ويصدع القلوب خوف الياس فمنهم اي فتسبب عن ايراثنا لهم ان كان منهم كما هو مشاهد ظالم
لنفسه اي بالتفريط والتهاون في توفية الحق لما يقتضيه حاله من العمل غير متوق للكبائر وهذا القسم هو اكثر الوراث
وهم المرجون لامر الله ولما كان ترك الانسان للظلم في غاية الصعوبة نبه على ذلك بصيغة الافتعال فقال
ومنهم مقتصد اي متوسط في العمل غير باذل لجميع الجهد الا انه مجتنب للكبائر فهو مكفر عنه الصغائر وهم الذين
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات اي العبادات وانواع القربات موف للمقام الذي اقيم به حقه كلما
ازداد قربا ازداد عملا لا يكون سابقا الا وهو هكذا وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
باحسان ويؤيد هذا قول الحسن السابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم من رجحت
سيئاته وختم بالسابقين لانهم الخلاصة وليكونوا اقرب الى الجنات كما قدم الصوامع في سورة الحج ليكونوا اقرب الى الهدم
واخر المساجد لتقارن الذكر وقدم في التوبة السابقين عقب اهل القربات من الاعراب واخر المرجين وعقبهم باهل مسجد
الضرار وقدم سبحانه في الاحزاب المسلمين ورقى الخطاب درجة درجة الى الذاكرين كثيرا فهو سبحانه تارة يبدا
بالادنى وتارة بالاعلى بحسب ما يقتضيه الحال كما هو مذكور في هذا الكتاب في محاله وهذا على تقدير عود الضمير في
منهم على الذين لا على العباد وهو مع ذلك تابع بالمشاهدة لان السياق لان اهل العلم هم التالون لكتاب الله وهو باحاديث
لا تقصر وان كانت ضعيفة عن الصلاحية للتقوية ذلك فمنها ما رواه البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قرا هذه الاية على المنبر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له
وبسنده عن ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية وقال اما السابق بالخيرات فيدخل
الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل
الجنة ثم قرا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وروى بغير سنده عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وقال ابن الجوزي بعد ان ذكر حديث عمر رضي الله عنه بغير سنده وروى الترمذي عن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية قال كلهم في الجنة وروى
حديث ابي الدرداء رضي الله عنه الحافظ بن عساكر في الكنى من تاريخ دمشق في ترجمة ابي زياد او ابي زياد واما على عود
الضمير على العباد فقال ابن عباس رضي الله عنهما السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير

الجاحد وقال قتادة الظالم اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق المقربون ولما كان هذا التيسير في
قوة العبد في مجاري العادات ولا يوجد بالكسب ولا الاجتهاد دائما اشار الى عظمته بقوله باذن الله اي بتمكين من له القدرة التامة
والعظمة العامة والفعل بالاختيار وجميع صفات الكمال وتسهيله وتيسيره لئلا يأمن احد مكره قال تعالى قال الرازي
في اللوامع ثم من السابقين من يبلغ محل القربة فيستغرق في وحدانيته وهو المفرد الذي اشير في ذكره انتهى ثم زاد عظمة هذا
الامر بيانا وتاكيدا فقال مؤكدا تكذيبا لظنون الجاهلين لان السابق كلما علا مقامه في السبق قلت حظه من الدنيا
فراى الجاهلون انه مضيع لنفسه ذلك اي السبق او ايراث الكتاب هو مشيرا باداة البعد مخصصا بضمير الفصل هو
الفضل الكبير ولما ذكر تعالى احوالهم بين جزاءهم ومآلهم فقال مستانفا جوابا لمن سال عن ذلك جنات اي هي مسببة
عن سبب السبق الذي هو الفضل ويصح كونها بدلا من الفضل لانه سببها فكأنه هو الثواب عدن اي اقامة بلا رحيل لانه
لا سبب للرحيل عنها يدخلونها اي الثلاثة الاصناف ومن دخلها لم يخرج منها لانه لا مخرجه وهو لا يريد الخروج على ان الضمير
للذين ومن قال العباد لخص الدخول بالمقتصد والسابق هذا على قراءة الجماعة بفتح اليا وضم الخا وعلى قراءة ابي عمرو بالبنا للمفعول
يكون الضمير للسابق فقط لانهم يكونون في وقت الحساب على كثبان المسك ومنابر النور فيستطيبون مكانهم فاذا دعوا الى الجنة
ابطأوا فيساقون اليها كما في اخر الزمر ولما كان الداخل الى مكان اول ما ينظر الى ما فيه من التغاير قال يحلون فيها اي يلبسون
على سبيل التزين والتحلي من اساور ولما كان للابهام ثم البيان مزيد روعة للنفس وكان مقصود السورة اثبات القدرة
الكاملة لاثبات امر الانقياد من سوق الى الطاعة الموصلة اليه بافضل ما نعرف من الحلية فقال مبينا لنوع الاساور ولما
من ذهب ولؤلؤا ولما كانت لا تليق الا على اللباس الفاخر قال معرفا انهم حين الدخول يكونون لابسين ولباسهم فيها
حرير ولما كان المقتصد والسابق يحزنون لكمالهم وشدة شفقتهم على الظالم اذا فوصف جمع فقال معبرا بالماضي تحققا له
وقالوا اي عند دخولهم الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال لله اي الذي له تمام القدرة الذي اذهب اي بدخولنا هذا عنا الحزن
اي هذا النوع بكماله فلا نحزن على شيء كان فاتنا ولا يكون لنا حزن ابدا لانا صرنا في دار لا يفوت فيها شيء اصلا ولا يبغى ولما
كانوا عالمين بما اجترحوه من الزلات والهفوات والغفلات التي لولا الكرم لادتهم الى النار علموا ان ما صاروا اليه منها بتوليهم مؤكدين
اعلاما بما عندهم من السرور بالعفو عن ذنوبهم وان ما اكره حقيق بان ينفى التاكيد لما راوا من صحته وجوامع حلو ثمرته ان ربنا اي المحسن
الينا مع اساءتنا لغفور اي محاء للذنوب عينا واثرا للصنفين الاولين شكور اي على ما وهبه للعبد من حسن طاعته ووفقه له من الاعمال
الحسنة يجعله به سابقا وصفوا بما هو شكر له فقالوا الذي احلنا دار المقامة اي الاقامة ومكانها وزمانها التي لا يريد النازل بها
على كثرة النازلين بها ارتحالا منها ولا يراد به ذلك ولا فيها شيء يزول فيوصف عليه ولما كان المالك المطلق لا يجب عليه شيء ولا
استحقاق لمملوكه يوجه عليه قال من فضله اي بلا عمل منا فان حسناتنا انما كانت منة منه سبحانه ولو عذبنا عليها ويسرها لنا
لما كانت ولما ذكروا ما شاهدوه في عرصاتها نعمة من تلك الكروب والاهوال والانكاد والاثقال التي اشار اليها قوله تعالى
وان تدع مثقلة الى حملها الآية اتبعوا قولهم في وصف دار القرار لا يمسنا اي في وقت من الاوقات فيها نصب اي تعب بدن
ولا وجع ولا يمسنا فيها لغوب اي كلال وتعب واعيا وفتور نفس في شيء من الاشيا قال ابو حيان ومولانا من تعب البدن فهي نتيجة
الجد لعمري بان يقال فيها ﴿ علينا لا تترك الاحزان ساحتها ﴿ لو مسها حجر مسته سراء ﴾ ولما بين
ما لهم فيه من النعمة بين ما للاعداء ايهم من النقمة زيادة في سرورهم بما قاسوه في الدنيا من تكبرهم عليهم وتجبرهم فقال والذين كفروا اي
ستروا ما دلت عليه عقولهم من شموس الايات وانوار الدلالات لهم نار جهنم اي بما تجهموا اولياء الله الدعاة اليه ولما
كانت عادة النار اهلاك من دخلها بسرعة بين ان حالها على غير ذلك زيادة في نكالهم وسوء مآلهم فقال مستانفا لا يقضى اي لا يحكم
وينفذ ويبت من حاكم ما عليهم اي بموت فيموتوا اي فيتسبب عن القضا موتهم واذا راجعت ما مضى في سبحان من قوله فلا يملكون
كشف الضر عنكم وما يأتي ان شاء الله في المرسلات من قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون علمت سر وجوب النصب هنا لانه لو رفع لكان
المعنى ان موتهم ينتفي ان قضي عليهم ولم يقض وذلك محال ولما كانت الشدائد في الدنيا تنفرج وان طال امدها قال ولا يخفف
عنهم واعرق في النفي بقوله من عذابها اي جهنم ولما كان ربما توهم متوهم ان هذا العذاب خاص بالذين كانوا في عصره صلى الله
عليه وسلم من الكفار قال كذلك اي مثل هذا الجزا العظيم نجزي اي بما لنا من العظمة على قراءة الجماعة بالنون ولما بين عذابهم بين
اكتيابهم فقال وهم اي نفعل ذلك بهم والحال انهم يصطرخون فيها اي يوجدون الصراخ فيها بغاية ما يقدرون عليه من الجهد في الصياح
بالبكا والنوح بقولهم في اصطراخهم بقوله ربنا اي يقولون ايها المحسن الينا اخرجنا اي من النار نعمل صالحا ثم اكدوه وفسروه
وبينوه بقولهم على سبيل التحسر والاعتراف بالخطا ولانهم كانوا يظنون عملهم صالحا غير الذي كنا اي بغاية جهدنا نعمل فتركوا
الترفق بالعمل على حسبه في وقت نفعه واستعملوه عند فواته فلم ينفعهم بل قيل في جوابهم تقريرا لهم وتوبيخا وتقريعا اولم اي
الم تكونوا في دار العمل متمكنين من ذلك بالعقول والقوى اولم نعمركم اي نطل اعماركم مع اعطائنا لكم العقول ولو نعاجلكم بالاخذ

شفقتهم

ما اي زمانا يتذكر فيه وما شمل كل عمر يتكلف فيه المكلف من اصلاح شانه غير ان التوبيخ في الطويل اعظم واشار ذلك بظهور العظمة
الى انه لا مطمع لغيره سبحانه في مد العمر ولما كان التذكر بعد البعث غير نافع لانه بعد كشف الغطا عبر بالماضي فقال من تذكر
اعلاما بانه قد ختم على ديوان المتذكرين فلا يزاد فيهم احد والزمان المشار اليه قيل انه ستون سنة قال ابن عباس رضي الله عنهما وتو
له البخاري في رواية الدقاق من غير عزو الى الجد وروى احمد بن منيع عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من عمره الله
ستين سنة فقد اعذر الله اليه في العمر وروى الترمذي وابن ماجة وابو يعلى عن ابي هريرة ايضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين واقلهم من يجوز ذلك ولما اشار الى دليل العقل اتبعه الدليل وما
اشار الى دلالة النقل المنبهة على ما قصر عنه العقل فقال عطفا على معنى او لم نعمركم الذي هو
قد عمرناكم وجاءكم النذير اي عني من الرسل والكتب تاييدا للعقول بالدليل المعقول ولما تسبب عن ذلك ان عذابهم
لا انفكاك له قال فذوقوا اي ما اعددناه لكم من العذاب دائما ابدا ولما كانت العادة جارية بان من ايس من خصمه فزع
الى الاستغاثة عليه سبب عن ذلك قوله فما وكان الاصل لكم ولكنه اظهر تعليقا للحكم بالوصف للتعميم فقال للظالمين اي
الواضعين الاشيا في غير مواضعها من نصير اي يعينهم ويقوي ايديهم فلا براح لكم عن هذا الذواق وهذا عام في كل ظالم فان من
ثبت له نصر عليه لان ظلمه في كل يوم يضعف ويهن والحق في كل حين يقوى ويضخم ولما كان سبحانه عالما
بما نفى وما اثبت علل ذلك مقررا لسبب دوام عذابهم وانه بقدر كفرانهم كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بقوله
مؤكدا اشارة الى انه يجب تمرين النفس عليه لما له من الصعوبة لو توقفا النفس مع المحسوسات ان الله اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما
عالم غيب ولما كانت جهة العلو اعرق في الغيب قال السموات والارض فانتج ذلك قوله مؤكدا لانه من اعجب الغيب لانه
كثيرا ما يخفى على الانسان ما في نفسه والله تعالى عالم به او هو تعليل لما قبله انه عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي قبل
ان تعلمها اربابها حين تكون غيبا محضا هو يعلم انكم لو مدت اعماركم لم ترجعوا عن الكفر ابدا ولو رددتم لعدتم لما نهيتم عنه
وانه لا مطمع في صلاحكم ولذلك يأمر الملك بان يكتب عند نفخ الروح في الولد انه شقي او سعيد قبل ان يكون له خاطر اصلا
وربما كان في غاية ما يكون من الاقبال على الخير فعلا ونية ثم يختم له بشر وربما كان على خلاف ذلك في غاية الفساد لا يدع شرا
ولا غيره من المعاصي حتى يرتكبها وهو عند الله سعيد لما يعلم من نيته بعد ذلك حين يقبل بقلبه عليه فيختم له بخير فيكون
من اهل الجنة واما الخواطر بعد وجودها في القلوب فقد يطلع عليها الملك والشيطان ولما كان من انشأ شيئا
كان اعلم به واتقان صنعه يدل على تمام قدرة صانعه وتمام قدرته ملزوم لتمام علمه قال هو اي وحده لا شريك له ولا
غيره الذي جعلكم ايها الناس جمع خليفة وهو الذي يقوم بعد الانسان بما كان قائما به والخلفا جمع خليف قاله الاصبهاني
وقال القشيري اهل كل عصر خليفة عمن تقدمهم فمن قوم هم لسلفهم جمال ومن قوم هم ارذال وانذال للافاضل زمانهم
لهم محنة والاراذل هم لزمانهم محنة ولما كان المراد توهين امر شركائهم وكانت تحصل بسلب قدرتهم على ما مكن فيه
سبحانه العابدين من الارض دخلا لجارد دلالة على انهم على كثرتهم وامتداد ازمنتهم لا يملكون مسكنهم بتدبيرهم لانه كل
قرن واستخلاف من بعدهم عنهم ولو لم يميتهم لم تسعهم الارض مع التوالد على طول الزمان وهم في الاصل قطعة يسيرة من تراب
فقال في الارض اي فيما انتم فيه منها لا غيركم تتصرفون فيه بما قدرهم عليه ولو شاء لم يخلفكم فيه فمن حقه ان تشكروه ولا تكفروه
ولما ثبت ان ذلك نعمة منه عمهم فيه مدة يتذكر فيها من تذكر تسبب عنه قوله فمن كفر اي بعد علمه بان الله هو
ولما كان كون الشيء على الشيء هو الذي يمكنه لا غيره واحتقر هذه النعمة السنية فعليه اي خاصة كفره اي ضرره
يحمله لا يعود بغير حاله بقوله مؤكدا لاجل من يتوهم ان بسط الدنيا على الفاجر ربح واكرام من الله له ولا اي والحال انه لا يزيد
الكافرين اي المغطين للحق كفرهم اي الذي هم متلبسون به ظانون انه يسعدهم وهم راجحون فيه غير منفكين عنه والدائم
نقل ولا يزيد من كفر لانه قد يكون فيه غير راجح فيسلم عند ربهم اي المحسن اليهم الا مقتا اي لانه يعاملهم معاملة
من يبغض ويحتقر اشد البغض والاحتقار ولما كان المراد من هذه الصفات في حق الله تعالى غاياتها وكان ذكرها انما
هو تصويرها باقطع صورها لزيادة التنفير من اسبابها وكانوا ينكحون نسا الاباء مع انهم يسمونه نكاح المقت نبه على انهم
لا يبالون بالمقت الى المحسن فقال ذاكرا للغاية مبينا ان محط نظرهم الحالة المالية تسفيلا لهممهم زيادة في توبيخهم
ولا يزيد الكافرين اي العريقين في صفة التغطية للحق كفرهم الا خسارا اي في الدنيا والاخرة في المال والنفس ونحو
نهاية ما يفعله الماقت بالممقوت ولما بين انه سبحانه هو الذي استخلفهم اكد بيان ذلك عندهم بامره صلى الله
عليه وسلم بما يضطرهم الى الاعتراف به فقال قل ارايتم اي اخبروني شركاءكم اضافهم اليهم لانهم وان كانوا جعلوهم شركاءه
لم ينالوا شيئا من شركته لانهم ما نقصوه شيئا من ملكه وانما شاركوا العابدين في اموالهم بالسوائب وغيرها وفي اعمالهم فهم شركاؤهم
بالحقيقة لا شركاؤه ثم بين المراد من عدهم لهم شركاء بقوله الذين تدعون اي تدعونهم شركاء من دون الله اي الذي له جميع

خلائف

بها

صفات الكمال ولما كان التقدير بأي شيء جعلتموهم شركاء في العبادة الهم شرك في الارض بني عليه قوله مكررا لا
لاشهادهم عجز شركائهم ونقص من عبدوه من دونه أروني ماذا اي الذي واي شيء خلقوا من الارض اي ليصح لكم دعوى
الشركة فيهم والا فادعاؤكم ذلك فيهم كذب محض وانتم تدعون انكم ابعد الناس منه في الامور الهينة فكيف بمثل هذا
ولعل استفهامهم عن روية شركائهم تنبيه على انهم من الامتهان والحقارة بحيث يراهم كل من يقصد رويتهم ويعلم انه لا خلق
لهم والله تعالى بخلاف ذلك في كل من الامرين مستتر برداء الكبر محتجب بحجاب الجلال والعز وكل احد يعلم انه الخالق
لكل مخلوق فكيف يكون من لا يخلق كمن يخلق ولما نبههم بهذا الامر الذي ساقه هذا السياق المعلم بانه لا ينبغي
لعاقل ان يدعي شركة لشيء حتى يعلم الشركة وانه جعل عين المشارك فيه فكان مؤكدا لذلك موسعا لهم في المجال زيادة في تبكيتهم
على ما هم فيه من الضلال أم لهم شرك اي وان كان قليلا في السموات اي اروني ماذا خلقوا من السموات فالاية من الاحتباك
حذف اولا الاستفهام عن الشركة في الارض لدلالة مثله في السما ثانيا عليه وحذف الامر بالاراءة ثانيا لدلالة مثله اولا
عليه ولما اتم التبكيت بالاستفهام عن المرئي اتبعه التوبيخ بالاستفهام عن المسموع موذنا بالالتفات الى التكلم
بمظهر العظمة تشديدا للغضب فقال أم آتيناهم اي الشركا او المشركين بهم بما لنا من العظمة كتابا اي دالا على انه من عندنا بالاعجاز
او غير ذلك من البراهين القاطعة يثبت لهم شركة فهم اي المشركون على بينة اي حجة ظاهرة وبينات على القراءة الاخرى اي دلائل
واضحات بما في ذلك الكتاب من ضروب البيان منه اي ذلك الكتاب على ان شركائهم في الامر حتى يشهدوا لهم هذه الشهادة التي لا يسوغ
مثلها في اثبات الشركة لعبد من عبيدهم في احقر الاشيا فكيف يسوغونها في استخلاص الملك الذي لا خير عندهم الا منه غيرها بين له
ولا مستحيي منه ولما كان التقدير لم يكن شيء من ذلك فليسوا على بيان بل على غرور قال منبها لهم على ذميم احوالهم وسفه ارائهم
وخسة هممهم ونقصان عقولهم مخبرا انهم لا يقدرون على الاتيان بشيء مما به يطالبون وانهم ليس لهم جواب عما عنه يسالون واكد
لاجل ظنهم ان امورهم في غاية الاحكام بل ان اي ما يعد الظالمون اي الواضعون للاشيا في غير مواضعها بعضهم بعضا اي
الاتباع للمتبوعين بان شركاءهم تقربهم الى الله زلفى وانها تشفع وتنصر وتشفع الا غرورا ولما بين حقارة الاصنام
وكل ما اشركوا به بالنسبة الى جلال عظمته وكانوا لا يقدرون على ادعاء الشركة في الخلق في شيء من ذلك وكان ربما اقدم على
ادعائه معاند منهم او من غيرهم وكان الناس قد توصلوا الى معرفة شيء من التغيرات الفلكية كالشروق والغروب والخسوف وكانوا
لا علم لهم بشيء من الزلازل والزوال قال مبينا عظمته سبحانه بعد تحقير امر شركائهم معجزا لهم دالا على اقدامهم على هذا الافترا
العظيم مبينا للنعمة بعدم المعاجلة بالهلاك واكد لان من الناس المكذب به ومنهم المعطلة ومنهم من علمه وان كان معترفا عمل المكذب
وهو من يكون شاكا في قدرته كالبعث إن الله اي الذي له جميع صفات الكمال يمسك السموات اي على كبرها وعلوها والارض اي
على سعتها وبعدها عن التماسك على ما تشاهدون امساكا مانعا من أن تزولا اي برجة عظيمة وزلزلة كبيرة او زوالا لا
تماسك معه لان ثباتهما على ما هما عليه على غير القياس لولا شامخ قدرته وباهر عزته وعظمته فان ادعيتم عنادا ان شركاكم لا
يقدرون على الخلق لعلة من العلل فادعوهم لازالة ما خلق سبحانه ولما كان في هذا دليل على انهما حادثتان زائلتان اتبعه
ما هو ابين منه فقال معبرا باداة الامكان ولئن زالتا اي بزلزلة او خراب ان اي ما أمسكهما واكد استغراق النفي بقوله من
من أحد ولما كان المراد ان غيره سبحانه لا يقدر على امساكهما في زمن من الازمان وان قل اثبت الجار فقال من بعده اي
بعد ازالته لهما بل واذا زلزلت الارض اضطرب كل شيء عليها والاصنام من جملته فدل ذلك قطعا على ان الشركاء معلولة لا فاعلة
ولما كان السياق الى الترغيب في الاقبال عليه وجعل اميل منه الى الترهيب وكان كانه قيل هو جدير بان يزيلهما لعظيم
ما يرتكبه اهلهما من الاثام وشديد الاجرام فالجوا بالذلك واكد لان الحلم عما يرتكبه المبطلون على عظمه وكثرتهم مما لا
تسعه العقول انه كان اي ازلا وابدا حليما اي ليس من شانه المعاجلة بالعقوبة للعصاة لانه لا يستعجل الا من يخشى الفوت
فينتهز الفرصة ورغب في الاقلاع مشيرا الى انه ليس عنده ما عند حلماء البشر من الضيق الحامل لهم على انهم اذا اغضبوا بعد طول
الاناة لا يغفرون بقوله غفورا اي محاء لذنوب من رجع اليه واقبل بالاعتراف عليه فلا يعاقبه ولا يعاتبه ولما
كان التقدير فقالوا لو انا لا ندعي انهم خلقوا شيا من السموات ولا من الارض ونحن معترفون بانه لا يمسك السموات والارض الا الله وانما
نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى كما كان يفعل اباونا ولولا ان لهم على ذلك دليلا ما فعلوه عطف عليه قوله مبينا ضلالهم
في تكذيبهم للرسل بعد ما ظهر من ضلالهم في اشراكهم بالمرسل وهو مع حلمه يرزقهم دليلا على حلمه مع علمه وأقسموا اي كفار مكة
بالله اي الذي لا اعظم عندهم جهد أيمانهم اي بغاية ما يقدرون عليه من الايمان اي بغاية ما يقدرون عليه من الايمان لما بلغهم
اي بلغهم يعني كفار مكة ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم رسلهم فكذبوهم لو اتانا رسول
لنكونن اهدى دينا منهم ولما اخبر عن قسمهم حكى معنى ما اقسموا عليه دون لفظه بقوله لئن جاءهم وعبر بالسبب الاعظم للرسالة
فقال نذير اي من عند الله ليكونن اي الكفار اهدى اي اعظم في الهدى من إحدى اي واحدة من الامم اي الامة التي لم يكن في

الامم التي جاءتها النذر اهدى منها قال ابو حيان كما قالوا هو واحد الاحدين وهي احدى الاحد يريدون التفضيل في الدهاء
والعقل لانهم احدادها نا وانوه لسانا واعظم عقولا والزم لما يدعوا اليه العقل واطلب لما يشهد بالفضل واكدوا بالقسم
لان الناظر لتكذيب اهل العلم بالكتاب بكذبهم في دعوى التصديق يباسا اخرويا ودل على اسراعهم في الكذب بالفا فقال فلما جاءهم
نذير اي على ما شرطوا او زيادة وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانوا يشهدون انه خيرهم مع كونه خيرهم نفسا واشرفهم
نسبا واكرمهم في كل خلق اما وابا وامتنهم في كل مأثرة سببا ما زادهم اي مجيئه شيا فيما هم عليه من الاحوال الا نفورا
اي لانه كان سببا في زيادتهم في الكفر كالابل التي كانت نفرت من ربها فضلت عن الطريق فدعاها فازدادت بسبب
بسبب دعائه نفرة فاغرقت في الضلال فصارت بحيث يتعذر او يتعسر ردها فتبين انه لا عهد لهم مع ادعائهم انهم اوفى
الناس ولا صدق عندهم مع جزمهم بانهم اصدق الخلق ولما كان النفور قد يكون لامر محمود او مباح علله بقوله استكبارا
اي طلبا لايجاد الكبر لانفسهم في الارض اي التي من شانها السفول والتواضع والخمول ومكر السيء اي ولاجل مكرهم المكر الذي
من شانه ان يسوء صاحبه وغيره وهو ارادتهم لابطال امر النبي صلى الله عليه وسلم واطفاء نور الله وقراءة عبد الله ومكرا سيئا
تدل على انه من اضافة الشيء الى صفته وقراءة حمزة باسكان الهمزة بنية الوقف اشارة الى تدقيقهم المكر واتقانه واخفائه جهدهم
ولا اي والحال انه لا يحيق اي يحيط احاطة لازمة ضارة المكر السيء اي الذي هو عريق في السوء الا باهله وان اذى غير اهله
لانه لا يحيط بذلك الغير وعن الزهري انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول
هذه الآية ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله انما بغيكم على انفسكم ولا تنكثوا ولا تعينوا ناكثا قال الله ومن نكث فانما ينكث
على نفسه ولما كان هذا سنة الله التي لا تبديل لها قال مسببا عن ذلك فهل ينظرون اي ينتظرون ولعله جرد الفعل
اشارة الى سرعة الانتقام من الماكر للتكبر ويمكن ان يكون من النظر بالعين لانه شبه العلم بالانتقام من الاولين مع العلم بان عاده
مستمر لانه لا مانع له منها لعظيم تحققه وشدة استيقانه وقوة استحضاره بشيء محسوس حاضر لا ينتظر شيء غيره في ماض ولا
ات لان غيره بالنسبة اليه عدم ولما جعل استقبالهم لذلك انتظارا منهم له وكان الاستفهام انكاريا فكان بمعنى
النفي قال الا سنت الاولين اي طريقتهم في سرعة اخذ الله لهم وانزال العذاب بهم ولما كان هذا النظر يحتاج الى
صفاء في اللب وذكاء في النفس عدل عن ضميرهم الى خطاب اعلى الخلق تنبيها على ان هذا امر لا يدركه حق دركه غيره فسبب عن
حصر النظر والانتظار في ذلك غيره مؤكدا لاجل اعتقاد الكفرة الجازم بانهم لا يتغيرون عن حالهم وان المؤمنين لا يظهرون
عليهم فلن تجد اي اصلا في وقت من الاوقات لسنت الله اي طريقة الملك الاعظم التي شرعها وحكم بها وهي اهلاك العاصين
وانجاء الطائعين تبديلا اي من احد يأتي بسنة اخرى غيرها تكون بدلا لها لانه لا مكافئ له ولن تجد لسنت الله اي الذي لا
امر لاحد معه تحويلا اي من حالة الى اخف منها لانه لا مرد لقضائه لانه لا كفوء له وفي الاية ان مكر حدث النفس الكذب
فلا ينبغي لاحد ان يظن بنفسه خيرا ولا ان يقضي على غائب الا ان يعلقه بالمشية تبرؤا من الحول والقوة لعل الله يسلمه في
عاقبته ولما بين ان حالهم موجب ولا بد للايقاع بهم لما ثبت من ايام الله وانكر ذلك عليهم وكان التقدير الم يتبعوا اخبار
الاولين المرة واحوالهم المستمرة من غير تخلف اصلا في ان من كذب رسولا اخذ فقال عاطفا عليه استشهادا على الخبر عن سنته في
الاولين بما يذكر من اثارهم أولم يسيروا اي فيما مضى من الزمان في الارض اي التي ضربوا في المتاجر بالسير اليها في الشام واليمن
والعراق فينظروا اي فيتسبب لهم عن ذلك السير انه يتجدد لهم نظر واعتبار يوما من الايام فان العاقل من اذا راى شيا
تفكر فيه حتى يعرف ما ينطق به لسان حاله ان خفي عنه ما جرى من مقاله واشار بسوقه في اسلوب الاستفهام الى انه لعظمه خرج
عن امثاله فاستحق السؤال عن حاله كيف كان عاقبة اي اخر امر الذين ولما كان عواقب الدمار في بعض ما مضى
من الزمان اثبت الجار فقال من قبلهم اي على اي حالة كان اخذهم ليعلموا انهم ما اخذوا الا بتكذيب الرسل فيخافوا ان يفعلوا امثال افعالهم
فيكون حالهم كحالهم وهذا معنى اية ترانهم اليهم لا يرجعون سواء كما ياتي ان شا الله تعالى بيانه ولما كان السياق لتعاليهم
بقوتي الظاهر من الاستكبار والباطن من المكر الضار مكن قوة الذين خوفهم بمثل ما لهم بوصفهم بالاشدية في جملة حالية فقال
وكانوا اي هلكناهم لتكذيبهم رسلنا والحال انهم كانوا اشد منهم اي من هولاء قوة من قوتي الاستكبار والمكر
الجار ولما كان التقدير فما اعجز الله اهلاكهم منهم ولا امراجيء من امته حين كذبوا رسولهم وما خاب له ولي ولا ربح له عدو
عطف عليه قوله مؤكدا اشارة الى تكذيب الكفرة في قطعهم بان دينهم لا يتغير وانهم لا يغلبون ابدا لما لهم من الكثرة والمكنة
وما للمسلمين من القلة والضعف وما كان الله اي الذي له جميع العظمة واكد الاستغراق في النفي بقوله ليعجزه اي مريدا لان يعجزه
وما انتفت به ارادة العجز فيه انتفى العجز بطريق الاولى وابلغ في التاكيد بقوله من شيء اي قل او جل وعم بما يصل اليه ادراكنا
بقوله في السموات اي جهة العلو واكد باعادة النافي فقال ولا في الارض اي جهة السفل ولما كان منشا العجز
الجهل علل بقوله مؤكدا لما ذكر في اول الاية انه كان اي ازلا وابدا عليما اي شامل العلم قديرا اي كامل القدرة فلا يريد شيا

الاكان ولما كانوا يستعجلون بالتوعد استهزاء فيقولون ما له لا يهلكنا علم ان التقدير لو عاملكم الله معاملة المؤاخذ لعجل اهلاككم فعطف عليه قوله اظهارا للحلم مع العلم ولو يؤاخذ الله اي بما له من صفات العلو الناس اي من فيه نوس اي حركة واضطراب من المكلفين عامة ولما كان البيان ههنا لانفعال الجوارح لان المكر والكبر انما تكون آثارهما الا الاتصاف بهما بخلاف الذي هو سبب العجل فانه ممنوع من الاتصاف وان لم يظهر به اثر من اثار الجوارح عبر هنا بالكسب وهو المصدر ليخص ما وجد منه بالفعل فقال بما كسبوا اي من جميع اعمالهم سواء كان حراما او لا ما ترك على ظهرها اي الارض من دابة اي بل كان يهلك الكل اما المكلفون فلانه ليس في اعمالهم شي يقدره سبحانه حق قدره لما لهم من النقص وما له سبحانه من العلو والكمال واما غيرهم فلانما خلقوا لهم والمعاصي تزيل النعم وتحل النقم وذلك كما فعل في زمن نوح عليه السلام لم ينج ممن كان على الارض غير من كان في السفينة ولكن لم يعاملهم معاملة المؤاخذ المناقش بل يحلم عنهم فهو يؤخرهم اي في الحياة الدنيا ثم في البرزخ الى اجل مسمى اي سماه في الازل لانقضاء اعمارهم ثم لبعثهم من قبورهم وهو لا يبدل القول لديه لما له من الصفات التي هي اغرب الغريب عندهم لكونهم لا يدركونها حق الادراك فاذا جاء اجلهم اي الفنائي الاعدامي بقبض كل واحد منهم عند اجله او الايجادي في الابعاث بعث كلا منهم فجازاه بعمله من غير ظلم ولا عجز ولما كانوا ينكرون ما يفيد ذلك من البعث اكد فقال فان الله اي الذي له صفات الكمال الموجبة بتمام القدرة وكمال الاختيار كان ولم يزل بعباده الذين اوجدهم ولا شريك له في ايجاد واحد منهم بجميع ذواتهم واحوالهم بصيرا اي بالغ البصر والعلم بمن يستحق العذاب منهم بما كسب ومن يستحق الثواب ولما كان الباقي للكسب الذي هو اعم من الظلم قال اخرها كما ترى على اولها باستجماع صفات الكمال وتمام القدرة على كل من الايجاد والاعدام للحيوان وايجادهما اراك بالاختيار لما شوهد له سبحانه من الاثار وكما وقع الارشاد اليه بالامر بالسير ويقين وبما ختمت به السورة من صفة العلم على وجه ابلغ من ذكره بلفظه لما مضى في سورة طه من ان احاطة العلم تستلزم شمول القدرة وان كون القدرة شاملة الا اذا كانت عن احيا رفثبتت حينئذ استحقاقه تعالى لجميع المحامد فكان منه سبحانه الرسالات المقالية الجامعة للعزة والحكمة بالملائكة المجردين عن الشهوات وكل حظ الى من ناسبهم من البشر بما غلب من جيش عقله على عساكر شهواته ونفسه حتى صار عقلا مجردا صافيا حاكما على الشهوات والحظوظ وكل حظ الى من ناسبهم من الكسر بما غلب من جيش عقله قاهرا كما

سورة يس وتسمى القلب والدافعة والقاضية

والمعمة

مقصودها اثبات الرسالة التي هي روح الوجود وقلب جميع الحقائق وبها قوامها وصلاحها للمرسل بها الذي هو خالصة المرسلين الذين هم قلب الموجودات كلها ذوات ومعاني الى اهل مكة ام القرى وقلب الارض وهم قريش قلب العرب الذين هم قلب الناس بصلاحهم صلاحهم كلهم وبفسادهم فسادهم فلذلك كان من حولهم جميع اهل الارض ومحل فايدة الرسالة اثبات الوحدانية التي هي قلب الاعتقاد وخالصه وعموده للعزيز الرحيم ذي الجلال والاكرام وانذار يوم الجمع الذي به مع ستره عن العيان الذي هو من خواص القلب صلاح الخلق فهو قلب الاكوان وبه الصلاح او الفساد للانسان وعلى ذلك تنطبق معاني اسمائها يس ذات القلب والدافعة والقاضية والمعمة اما يس فسياتي بيانه من جهة اشارته الى سر كونها قلبا المشير الى البعث الذي هو من اجل مقاصدها الذي به يكون صلاح القلب الذي به يكون قبول ما ذكر واما الباقي فان من اعتقد الرسالة كفته ودفعت عنه جميع مهمه وقضت له بكل خير واعطته كل مراد وكل منها له ان نظر الى القلب كما لا يخفى والمعمة الشاملة بالخير والبركة قال في القاموس يقال عمهم بالعطية وهو معم خير يعم خيره فقد لاح ان هذه السورة الشريفة كما كانت قلبا كل شي فيها له نظر عظيم الى القلبية بسم الله الذي جل ملكه عن ان يحاط بمقداره الرحمن الذي جعل الانذار بيوم الجمع رحمة عامة الرحيم الذي اباد قلوب اوليائه بالاجتهاد ليوم لقائه لما كان قلب كل شي ابطن ما فيه وانفس وكان قلب الانسان غائبا عن الاحساس وكان هو مودعا من المعاني الجليلة والادراكات الخفية والجلية ما يكون للبدن سببا في صلاحه او فساده من اشقائه او ابقائه وكانت الساعة من عالم الغيب وفيها يكون انكشاف الامور والوقوف على حقائق المقدور وبملاحظتها في اصلاح اسبابها تكون السعادة الابدية وبالاعراض عنها وافساد اسبابها تكون الشقاوة السرمدية وكانت قد بينت في هذه السورة بيانا لم يكن في غيرها لما وقع من التصريح في قلبها الذي هو وسطها بنفختها المميتة لكل من على الارض فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والباعثة فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والتصريح بالمعاد الجسماني والاستدلال عليه بالدليل الذي نقل ان ابا نصر الفارابي الذي وسم بانه المعلم الثاني كان يقول وددت ان هذا العالم الرباني يشير الى المعلم الاول ارسطو وقف على هذا القياس الجلي حتى اعلم ما يقول فيه وتلو قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم وترتيب القياس الله انشا العظام واحياها اول مرة وكل من انشا شيئا واحياه اول مرة فهو قادر على انشائه واحيائه ثاني مرة ينتج ان الله تعالى قادر على انشاء العظام واحيائها بعد افنائها فاختصت بذلك عن باقي القرآن فكانت قلبا له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن انس رضي الله عنه لكل شي قلب وقلب القرآن يس وروى ابو يعلى الموصلي وهذا لفظه والامام احمد في مسنده كلاهما عن معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد

الله والدار الآخرة الا غفر له اقرؤوها على موتاكم قال شيخنا الحافظ شهاب الدين البوصيري وله شاهد من حديث ابي هريرة رضي الله عنه رواه البزار في مسنده هذا ما هدانا الله اليه وله الحمد من بيان السر في كونها قلبا ثم رايت البرهان النسفي قال في تفسيره الذي هو مختصر التفسير الكبير للامام الفخر في اخر السورة بعد ان ذكر الحديث قال الغزالي فيه ان ذلك اي كونها قلبا لان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر والحشر مقرر في هذه السورة بابلغ وجه فجعلت قلب القرآن لذلك واستحسنه الامام المحقق فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال ان هذه السورة ليس فيها الا تقرير الاصول الثلاثة الوحدانية والرسالة والحشر باقوى البراهين فابتداها ببيان الرسالة في قوله انك لمن المرسلين ودليله ما قدمه عليها بقوله والقرآن الحكيم وما اخره عنها بقوله لتنذر قوما وانهاها ببيان الوحدانية والحشر بقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي اشارة الى التوحيد وقوله واليه ترجعون اشارة الى الحشر وليس في هذه السورة الا هذه الاصول الثلاثة ودلائلها ومن حصل من القرآن هذا القدر فقد حصل نصيب قلبه وهو التصديق الذي بالجنان واما الذي باللسان والذي بالاركان ففي غير هذه السورة فلما كان فيها اعمال القلب لا غير سماها قلبا ولهذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم قراءتها عند راس من دنا منه الموت لان في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيفا والقوى والاعضاء الظاهرة ساقطة المنة لكن القلب يكون قد اقبل على الله تعالى ورجع عن كل ما سواه فيقرا عند راسه ما يزداد به قوة في قلبه ويشتد تصديقه بالاصول الثلاثة انتهى وفيه بعض تصرف وقوله ان وظيفة اللسان والاركان ليس في هذه السورة منها شي ربما يعكر عليه قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله وان اعبدوني هذا صراط مستقيم والحديث الذي ذكره رواه احمد وابو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن معقل بن يسار رضي الله عنه رفعه اقرؤوا يس على موتاكم واعله ابن القطان وضعفه الدارقطني واسند صاحب الفردوس عن ابي الدرداء وابي ذر رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ميت يموت فيقرا عنده يس الا هون الله عليه ورواه ابو الشيخ بن حيان في فضائل القرآن عن ابي ذر وحده رضي الله عنه والامام احمد في مسنده عن صفوان بن عمرو قال كانت المشيخة يقولون اذا قرئت يس عند الميت خفف عنه بها قال ابن حبان المراد المحتضر وقد استمد من هذا التصريح بالحشر كلما ابث في القرآن من ذكر الآخرة الذي بمراعاته وانتقائه يكون صلاح جميع الاحكام الاحوال في الدارين وباهماله ونسيانه يكون فسادهما فيهما هذا مع ما شاركت به غيرها مما جمعته من جميع معانيه المجموعة في الفاتحة من الاسماء الحسنى الله والرب والرحمن والرحيم ومالك يوم الدين الذي بيده ملكوت كل شي واليه ترجعون والامر بالعبادة بسلوك الصراط المستقيم وتفصيل اهل النعيم واهل الجحيم واثبات الاصول الثلاثة التي يصير بها المكلف مؤمنا الوحدانية والحشر والرسالة التي هي قلب الوجود وبها صلاحه وهي مهم لكل روح تكون به حياة هنيئة وهي مبدا الصلاح كما ان البعث غايته وانا الخاتم لها انسان عين الموجودات وقلبها فاثبت له ذلك على اوضح وجه واكده ومع جميع ما افتتحت به السورة من الحروف المقطعة المنثورة اول السور عماد القرآن ونصها للاد لصنفي المنقوطة والعاطلة وصنفي المجهورة والمهموسة ولما كان القلب من الانسان المقصود بالذات من الاكوان في نحو ذلك بدنه من جهة راسه وكانت اليا في نحو ذلك من حروف ابجد فانها العاشرة منها والسين بذلك المحل من حروف ا ب ت ث فانها الثانية عشرة منها وعلى هذا الحرفان بما فيهما من الجهر عن غاية الضعف ونزلا بما لهما من الهمس عن نهاية الشدة اشارة الى ان القلب الصحيح هو الزجاجي الشفاف الجامع بين الصلابة والرقة متهيئا لان تنطبع فيه الصور وتثبت ليكون قابلا للاعتقاد فيكون متخلقا من صفات موجده بالقدرة والاختيار اللذين دلت عليهما سورة الملائكة ومعرفة الخير فيحمله والشر فيجتنبه فيكون فيه شاهد من نفسه على الاعتقاد الحق في صانعه وكانت المجهورة اقوى فقدمت اليا لجهرها وكانت بعد الاختلاف بالجهر والهمس قد اتفقتا في الانفتاح والرخاوة والاستفال اشارة الى ان القلب لا يصلح كما تقدم مع صلابته التي هي في معنى الجهر الا بالاجابات الذي هو في معنى الهمس وبالنزول عن غاية الصلابة الى حد الرخاوة ليلا يكون حجريا قاسيا وبان يكون فيه انفتاح ليكون متهيئا وقابلا ويكون مستفلا ليكون الى ربه بتواضعه واصلا وزادت السين بالصفير الذي فيه شدة وانتشار وقوة لضعفها عن اليا بالهمس فتعادلتا ودل صفيرها على النفخ في الصور الذي صرحت به هذه السورة ودل جهر اليا على قوته وكونهما من حروف الندا على خروجه عن الحد في الشدة حتى يتدوع عنه تلك الاثار المحكية للدلالة المعنية للصغار والكبار ثم الباعثة لهم من جميع الاقطار امتثالا لامر الواحد القهار وكان مخرجهما من اللسان الذي هو قلب المخارج الثلاثة لتوسطه وكثرة منافعه في ذلك وكانت اليا من وسطه والسين من طرفه وكان هذا الحرجان مع كونهما وسطاهما اداة لاكثر الحروف هذا مع ما لهما من الاسرار التي تدق عن تصور الافكار قال تعالى يس وان كان المعنى يا انسان فهو قلب الموجودات المخلوقات كلها وخالصها وسرها ولبابها وان اريد يا سيد فهو خلاصة من سادهم وان اريد يا رجل فهو خلاصة البشر وان اريد يا محمد فهو خلاصة الرجال الذين هم لباب البشر الذين هم سر الاحيا

الذين هم عين الموجودات فهو خلاصة الخلاصة وخيار الخيار وعين القلب وكان من قال معناه محمد نظرا الى الاتحاد في عدد اسمه
صلى الله عليه وسلم بالجمل بالنظر الى الميم في المشددة وعدد قلب وعدد اسمي الحرفين ولا يخفى ان الهمزة في اسم الياء الف ثانية فمبلغ عدد
اثني عشر ولما تقدم في الملائكة اثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وختم بقوته على النفوذ عنه وان مرسله
تعالى بصير بعباده عالم بما يصلحهم ومن يصلح منهم للرسالة وغيرها وكان مدار مادة قرا كما مضى في سورة الحجر الجمع مع الفرق
وكان ذلك اعلى مقامات السائرين الى الله وهو وظيفة القلب عبر في القسم بقوله والقرآن ووصفه بصفة القلب العارف
فقال الحكيم اي الجامع بين الدلالة على العلم المزين بالعمل والارشاد الى العمل المحكم بالعلم ولما كان قد ثبت في سورة
الملائكة انه سبحانه الملك الاعلى لما ثبت له من تمام القدرة وشمول العلم وكان من اجل ثمرات الملك ارسال الرسل الى الرعايا
باوامر الملك وردهم عما هم عليه مما دعتهم اليه النفوس وقادتهم اليه الشهوات والحظوظ الى ما تقتضيه لهم من الكرم
وتبصرهم به من الحكم وكانت الرسالة احد الاصول الثلاثة التي تنقل الانسان من الكفر الى الايمان وكانت هي المنظور اليها
اولا لانها السبب في الاصلين الاخرين وكانوا قد ردوا رسالته نفورا واستكبارا قال مقدما لها تقديم السبب
على مسببه على وجه التاكيد البليغ مع ضمير الخطاب الذي لا يحتمل لبسا انك لمن المرسلين اي الذين حكمت عقولهم على دواعي
نفوسهم فصاروا بما وهبهم الله من القوة النورانية كالملائكة الذين تقدم في السورة الماضية انهم رسله وفي عدادهم
بما تخلقوا به من اوامره ونواهيه وجميع ما يرتضيه ولما كان الانبياء عليهم السلام من نوره صلى الله عليه وسلم
لانه اولهم خلقا واخرهم بعثا فكانوا في الحقيقة انما هم ممهدون لشرعه وكان سبحانه انما ارسله ليتمم مكارم الاخلاق
وكان قد جعل سبحانه من المكارم ان لا يكلم الناس الا بما تسع عقولهم وكانت عدة المرسلين كما في حديث ابي امامة الباهلي
عن ابي ذر رضي الله عنهما عند احمد في المسند ثلاثمائة وخمسة عشر وفيه ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا
ونحوه في الطبراني الكبير عن ابي امامة رضي الله عنه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عدد الرسل فقط وكانت
عقول العرب لا تسع بوجه قبل الايمان انهم منه اقسم سبحانه ظاهرا انه منهم ورمز للاصفياء باطنا الى انهم منه بجعلهم
عدد اسما حروف اسمه محمد الذي رمز اليه بالحرفين اول السورة فكانه قال انك يا يا سين الذي نافلته محمد الذي عدد اسما
حروفه بعددهم لا صلهم فصار رمزا في رمز وكنزا نفيسا داخل كنز وسرا من سر وبرا الى بر ومواحلي في مناديه الاحباب
من صريح الخطاب ثم علق باسم المفعول قوله على صراط اي طريق واسع واضح مستقيم اي انك من هؤلاء الذين قد ثبت لهم
انهم عليه وهو الصراط المستقيم الاكمل المتقدم في الفاتحة لانه خواص المنعم عليهم ولقوله تعالى في حق موسى وهرون
عليهما السلام وهديناهما الصراط المستقيم فيكون تنوينه عما ارشد اليه القسم والتاكيد للتعظيم والمعنى انهم قد ثبت
لهم هذا الوصف العظيم وانت منهم بما شاركتهم فيه من الادلة فليس لاحد ان يخصك من بينهم بالتكذيب وقال
الامام ابو جعفر بن الزبير لما اوضحت سورة سبا وسورة فاطر من عظيم ملكه تعالى وتوحده بذلك وانفراده
بالملك والخلق والاختراع ما تنقطع العقول دون تصوره ادناه ولا يحيط من ذلك الا بما شاء واشارت من البراهين والايات
الى ما يرفع الشكوك ويوضح السلوك مما كانت الاذكار قد خمدت عن ادراكها واستولت عليها الغفلة فكان قد خمدت عن جهود
جرانها ذكر سبحانه نعمة التحريك الى اعتبارها منبها على من اختاره لبيان تلك الايات واصطفاه بايضاح تلك البينات
فقال تعالى يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ثم قال لتنذر قوما ما انذر اباوهم فهم غافلون فاشار
سبحانه الى ما ثمرته نعمة الانذار وبعثه الكتب بالتذكار ثم ذكر علة من عمي بعد تحريكه وان كان مسببا عن الطبع والشقوة
السابقة لقد حق القول على اكثرهم الايات ثم اشار بعد الى ان بعض من عمي عن عظيم تلك البراهين لاول وهلة قد يهتز
عند تحريكه لسابق سعادته فقال تعالى انا نحن نحيي الموتى فكذا نفعل بهؤلاء اذا شئنا هدايتهم او من كان ميتا فاحييناه
ثم ذكر داب المعاندين وسبيل المكذبين مع بيان الامر فقال واضرب لهم مثلا اصحاب القرية الايات واتبع ذلك سبحانه بما اودع
في الوجود من الدلائل الواضحة والبراهين فقال الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون الاية ثم قال واية لهم الارض
الميتة احييناها الى قوله افلا يشكرون ثم قال واية لهم الليل نسلخ منه النهار وكل في فلك يسبحون ثم قال واية
لهم انا حملنا ذريتهم الى قوله الى حين ثم ذكر اعراضهم مع عظيم هذه البراهين وتكذيبهم وسوء حالهم عند بعثهم
وندمهم وتوبيخهم وشهادة اعضائهم واعمالهم ثم تناسجت الاي جارية على ما يلائم ما تقدم الى اخر السورة انتهى ولما
كان كانه قيل ما هذا الذي ارسله كان كانه قيل جوابا هو القران الذي وقع الاقسام به
وهو تنزيل او حال كونه تنزيل العزيز اي المتصف بجميع صفات الجلال ولما كانت هذه الصفة للقهر والغلبة
وكان ذلك لا يكون صفة كمال الا بالرحمة قال الرحيم اي الحاوي لجميع صفات الاكرام الذي ينعم على من يشاء من عباده
بعد الانعام بايجادهم بما يقيمهم على المنهاج الذي يرضاه لهم فهو الواحد الذي لا مثل له اصلا لما قرب من عزته وجبر

به من رحمته نزله اليك وهو من جلالة النظم وجزالة القول وحلاوة السبك وقوة التركيب ورصانة الوضع واحكام المعاني
واحكام المباني في اعلى ذرى الاعجاز وجعل انزاله تدريجا بحسب المصالح مطابقا تمام المطابقة اعجزت الخلائق عن ان ياتوا بمثلها
ثم نظمه على غير ترتيب النزول نظما اعجز الخلق عن ان يدركوا جميع المراد من نحو معانيه وحكم مبانيه تكملة اعجاز على ما له من الاعجاز
وايجاز ولما ذكر المرسل والمرسل به والمرسل ذكر المرسل له فقال لتنذر قوما اي ذوي باس وقوة وذكاء وفطنة
ما انذر اي لم ينذر اصلا اباؤهم اي الذين غبروا دين اعظم ابائهم ابرهيم عليه السلام ومن اتى بعده عند فترة الرسل ولما
كان عدم الانذار موجبا لاستيلاء الحظوظ والشهوات على العقل فيحصل عند ذلك الغفلة عن طرق النجاة قال فهم
اي بسبب زمان الفترة غافلون والمعنى على انها مفعول ثان لتنذر اي لتنذرهم الذي انذره اباوهم الذين كانوا قبل التغيير
فان هؤلاء غافلون عن ذلك لطول الزمان وحدوث النسيان ولما كان تطاول الاقامة على شيء موجبا للالف له والالف
قتالا لما يوجب من الاصرار على المالوف لمحبته وحبك للشيء يعمي ويصم قال جوابا لمن يتوقع الجواب عما امرته حالهم لقد حق القول
اي الكامل في بابه وهو ايجاب العذاب بملازمة الغفلة على اكثرهم فهم اي بسبب ذلك لا يؤمنون اي بما تلقى اليهم من الانذار
بل يزيدهم عمى استكبارا في الارض ومكر السيء ولما كان المعنى انهم لا يتجدد منهم ايمان بعد البيان الواضح والحكم الباهر
وكان ذلك امرا عجيبا علله بما يوجبه من تمثيل حالهم تصويرا لعزته سبحانه وباهر عظمته الذي لفت الكلام اليه لافهامه
وهذا الذي ذكر هو اليوم معنى ومثال وفي الاخرة ذات ظاهر انه ما انفك عنهم اصلا وما زال فقال انا جعلنا اي بما لنا من العظمة
وانه لما لهم من التكذيب في اعناقهم اغلالا اي من ظلمات الضلالات لكل عنق غل واشار بالظرف الى انها من ضيقها لزمت اللحم
حتى تنبو على الحديد فكاد تغطيه فصار كالعنق فيه كانه فيها وهي محيطة به ولما كان من المعلوم ان الحديد اذا وضع في
العنق انزله ثقله الى المنكب لم يذكر جهة السفل وذكر جهة العلو فقال فهي اي الاغلال لعرضها واصلة بسبب هذا الجعل الى
الاذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحيين فهي لذلك مانعة من مطاطاة الراس ولما كان هذا من رفع الراس فعل المتكبر وكان
تكبرهم في غير موضعه بين تعالى انهم ملجؤن اليه فهو ذل في الباطن وان كان كبرا في الظاهر فقال فهم اي بسبب هذا الوصول
مقمحون من قمح الرجل اذا قمحه غيره اي جعله ماكحا اي دافعا راسه غاضا بصره لا ينظر الا ببعض بصره هيئة المتكبر واصله
من قولهم قمح البعير اذا رفع راسه عند الشرب ولم يشرب الماء قال في الجمع بين العباب والمحكم قال بشر بن ابي خازم يصف سفينة قال
ابو حيان احدهم الميد فيها ويخر على جوانبها فعود تغض الطرف كالابل القماح وقال الرازي في اللوامع والمقمح الذي يضرب راسه
الى ظهره هيئة البعير وقال الفراء والمقمح الشاخص بعينيه الرافع راسه ابو عمرو والقامح من الابل هو الذي لا يشرب وهو عطشان
عطشا شديدا او لا تقبل نفسه الماء والقمح مصدر قمحت الشيء والاقتماح اخذك الشيء في راحتك ثم تقمحه في فيك اي تبتلعه
والاسم القمحة كاللقمة والاكلة انتهى وكان المقمح من هذا لان هيئته عند هذا الابتلاع رفع الراس وغض الطرف وشخوصه
اذا عسر عليه الابتلاع والله اعلم فهذا تمثيل لرفعهم رؤسهم عن النظر الى الداعي تكبرا وشماخة بحيث لو امكنهم ان يسكنوا الجو
لم يتاخروا واشارة ونتها او لانهم يتركون هذا الامر العظيم الحسن الجدير بان يقبل عليه ويتروى منه وهم في غاية الحاجة
اليه فهم في ذلك كالبعير القامح انما منعه من المكارع شدة عطشه مانع عظيم القمح ولكنه خفي امره فلم يعلم ما هو ولعلك
بني الاسم للمفعول اشارة الى انهم مقهورون على تفويت حظهم من هذا الامر الجليل ولما كان الرافع راسه غير ممنوع
من النظر امامه قال وجعلنا اي بعظمتنا ولما كان المقصود حجبهم عن خير مخصوص وهو المودي الى السعادة الكاملة
لا عن كل ما ينفعهم ادخل الجار فقال من بين ايديهم اي الوجه الذي يمكنهم علمه سدا ولما كان الانسان اذا انسد
عليه جهة مال الى اخرى قال ومن خلفهم اي الوجه الذي هو خفي عنهم واعاد السد تاكيدا لانكارهم ذلك وتحقيقا
لجعله فقال سدا اي فصارت كان الانسان اذا كسرت كل جهة بلغت اليها منفذ فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر
الى الحق ولا الخلوص اليه فلذلك قال فاغشيناهم اي جعلنا على ابصارهم بما لنا من العظمة غشاوة فهم اي بسبب ذلك
لا يبصرون اي لا يتجدد لهم هذا الوصف من ابصار الحق وما ينفعهم ببصر ظاهر ولا ببصيرة باطنة اصلا ولما
لم يعوا بذلك حس البصر اخبر عن حس السمع فقال وسواء اي مستو ومعتدل غاية الاعتدال من غير نوع فرق وزاد في الدلالة على عدم
عقولهم بالتعبير باداة الاستعلاء ايذانا بانهم اذا اسمعوا ما لمستعلي كان لوقعه اشد امتناعا فقال عليهم ءانذرتهم
اي بما اخبرناك به من الزواجر المانعة من الكفر ام لم تنذرهم ثم بين ان الذي استوى حالهم فيه بما سببه الاغشاء عدم الايمان
فقال مستانفا لا يؤمنون ولما بين ما كان السبب المانع لهم من الابصار علم ان السبب المانع من السمع مثله لان
المخبر عن شيء اذا فعل شيئا كان على وجه لا يمكن فيه حيلة ولما اخبر ان الاكثر بهذه الصفة استشرف السامع الى اداة
يعرف بها الاقل الناجي لانه المقصود بالذات فقال جوابا له انما تنذر اي انذارا ينتفع به المنذر فينازع عنه النجاة
فالمعنى انما يومن بانذارك من اتبع الذكر اي اجهد نفسه في اتباع كل ما يذكر بالله من القران وعزم ويذكره صاحبه ويشرف

وخشي الرحمن اي خاف العام الرحمة خوفا عظيما ودل لفت الكلام عن مظهر العظمة الى الوصف بالرحمانية على ان اهل الخشية يكفيهم
في الاتعاظ التذكير بالاحسان بالغيب اي بسبب ما يخبره من معقد ورائه الغائبة لاسيما البعث الذي كان اختصاصها لغاية
بيانه سبب كونها قلبا الرحمن اي خاف العام الرحمة خوفا عظيما ودل لفت الكلام عن مظهر العظمة الى الوصف بالرحمانية على
من غير طلب اية كاشفة للحجاب بحيث يصير الامر عن شهادة لا غيب فيه بل يجوز المالوف من انتقامه ولو بقطع احسانه لما ثبت له
في سورة فاطر من القدرة والاختيار ويخشاه ايضا خشية خالصة في حال غيبته عمن يرائيه من الناس فهولاء هم الذين ينفعهم
الانذار وهم المتقون الذين ثبت في البقرة ان الكتاب هدى لهم وغيرهم لا سبيل الى استنقاذه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
فانه ليس عليك الا الانذار ان الله عليم بما يصنعون فمن علم منه هذه الخشية اقبل به ومن علم منه الشقاوة رده على عقبه بما
حال دونه من الشقاوة والله الموفق ولما دل السياق على ان هذا انفع نفسه تشوف السامع الى معرفة جزائه فقال
مفردا الضمير على النسق الماضي في مراعاة لفظ من دلالة على قلة هذا الصنف من الناس باجمعهم في هذه السورة الجامعة بكونها
قلبا لما تفرق من غيرها فبشره اي بسبب خشيته بالغيب بمغفرة اي لذنوبه وان عظمت وان تكررت مواقعته لها وتوبته
منها فان ذلك لا يمنع الاتصاف بالخشية حصل العلم بمحو الذنوب عينها واثرها واجر كريم اي دار عظيم هنيء لا ينكد
متواصل لا كدر فيه بوجه ولما بين الاصل الثاني الذي هو الرسالة واتبعها ثمرتها المختومة بالبشارة وكان الاصل
الثالث في الايمان وهو البعث سببا عظيما في الترقية الى اعتقاد الوحدانية التي هي الاصل الاول وكان اكثر الخائفين منه سيما
مقترا عليهم في دنياهم منغصة عليهم حياتهم علل هذه البشارة اعلاما بان هذا الاجر في هذه الدار بالملابس الباطنة الفاخرة
من المعارف والسكينة والبركات والطمانينة وبعد البعث بالملابس الظاهرة الزاهرة المسببة عن الملابس الدنيوية الباطنة
الخفية عن غير اهلها بشارة لهم ونذارة للقسم الذي قبلهم بقوله معقبا للبعث لما ذكر من فايدته لافتا القول الى مظهر العظمة
ايذانا بعظمة هذه المقاصد وبانه لا يحيي هولاء الخلص مع قلتهم ومباينتهم للاولين مع كثرتهم الا من له العظمة الباهرة
انا نحن اي بما لنا من العظمة التي لا انتهاء لها نحيي اي بحسب التدريج الان وجملة في الساعة الموتى اي كلهم حسا بالبعث ومعنى بالانقاذ
اذا اردنا من ظلم الجهل ونكتب اي جملة عند نفخ الروح ثم شيئا فشيئا بعده فلا يتعدى التفصيل شيئا في ذلك الاجمال
ما قدموا من جميع اعمالهم واحوالهم وكافوا لهم من صالح وغيره واثارهم اي سننهم التي تبقى من بعدهم صالحة كانت او غير صالحة
ونجازي كلا بما يستحق في الدار الاخرة التي الجزاء فيها لا ينقطع فلا اكرم منه اذا كان كريما ولما كان ذلك ربما اوهم الاقتصار
على كتابة ما ذكر من احوال الادميين او الحاجة الى الكتابة دل على قدرته على ما لا تمكن القدرة عليه لاحد غيره في اقل قليل مما ذكر فكيف
بما فوقه فقال ناصبا عطفا لفعلية على فعلية وهي نكتب وكل شيء اي من امر الاحيا وغيرهم احصيناه اي قبل ايجاده بعلمنا الذي
احصاه وكتبناه في امام اي كتاب هو اهل لان يقصد مبين اي لا يخفى فيه شيء من جميع الاحوال على احد اراد علمه منه فلله هذه
القدرة الباهرة والعظمة الظاهرة والعزة القاهرة فالاية من الاحتباك دل بفعل الاحصا على مصدره وذكر الامام على فعل
الكتابة ولما انتهى الكلام الى هنا وكان مقصود السورة كما سلف اثبات الرسالة لانذار يوم الجمع وكان الانذار
غاية وكانت الغايات هي المقاصد بالذات وكانت غاية الانذار اتباع الذكر فكان ذلك غاية الغاية كان الكلام على المتبعين
اولى بالتقديم على انه يلزم من الكلام فيهم الكلام في اضدادهم وهم المعرضون الذين حق عليهم القول والكلام على اليوم المنذر
به فلذلك ضرب المثل الجامع لذلك كله ومر الى ان صور البعث تصويرا لم يتقدم مثله ثم عطف باية الطمس وما بعدها على
القسم المعرض ثم رجع الى الكلام على الرسول والكتاب دل سبحانه على ما له من القدرة الكاملة بالافعال
الهايلة من كل من الاماتة والاحيا الحسيين والمعنويين ابتداء واعادة وكان ضرب الامثال بالمشاهدات [illegible] بالبال
واقطع للمراء والجدال واكشف لما يراد من الاحوال قال عاطفا على فبشره مبينا للاصل الثالث الذي هو الاول بالاصالة
المقصود بالذات وهو التوحيد ضاما اليه الاصلين الاخرين ليكون المثل جامعا والبرهان به واضحا ساطعا واضرب لهم
اي لاجلهم بشارة بما يرجى لهم عند اقبالهم ونذارة لما يخشى عليهم عند اعراضهم وادبارهم مثلا اي مشاهدا في اصرارهم على
مخالفة الرسول وصبره عليهم ولطفه بهم لانا ختمنا على قلوبهم على الكفران مع قربهم منك في النسب والدار بالايمان و[illegible]
الحسان لانهم يخشون الرحمن بالغيب ولا يثبتون على الغباوة والريب ولما ذكر المثل ابدل منه قوله اصحاب القرية
التي هي محل الحكمة واجتماع الكلمة وانتشار العلم ومعدن الرحمة ولما كان المثل في الحقيقة انما هو اخبارها
باحوال اهلها لانها وجه الشبه وكانت اخبارها كثيرة في ازمنة مديدة عين المراد بقوله اذ وهي بدل اشتمال من القرية
على الظرفية ولما كان الاتي باحية من بلد وان عظم يعد في العرف اتيا لذلك البلد اعاد الضمير على موضع الرسالة
تحقيقا له وابلاغا في التعريف بمقدار بعد الاقصى فقال جاءها اي القرية لانذار اهلها المرسلون اي عن الله لكونهم عن رسوله
عيسى عليه السلام ارسلهم بامره لاثبات ما يرضيه سبحانه ونفي ما يكرهه الذين هم من جملة من قيل في فاطر انهم جاءوا بالبينات

وبالزبر

وبالزبر والتعريف اما لكونهم يعرفون القرية ويعرفون امرها واما لانه شهير جدا فهم بحيث لو سالوا احدا من اهل الكتاب
الذين يثبتون بهما اخبرهم به لانه قد عهد منهم الرجوع اليهم بالسؤال ليبينوا لهم زعموا مواضع الاشكال ولما كان
اعظم مقاصد السياق تسلية النبي صلى الله عليه وسلم في توقفهم عن المبادرة الى الايمان به مع دعائه بالكتاب الحكيم الى الصراط
المستقيم وكان في المشاركة في المصايب اعظم تسلية ابدل من قوله اذ جاءها تفصيلا لذلك المجيء قوله مسندا الى نفسه
المقدس لكونه اعظم في التسلية اذ ارسلنا اي على ما لنا من العظمة ولما كان المقصود بالرسالة اصحابها قال
اليهم اثنين اي ليعضد احدهما الاخر فيكون اشد لامرهما فاخبراهم بارسالهما اليهم كان قالا رسولان اليكم لتؤمنوا بالله
فكذبوهما اي مع ما لهما من الايات لانه من المعلوم انا ما ارسلنا رسولا الا كان معه من الايات ما مثله امن عليه البشر ولما
كان التضافر على الشيء اقوى لشانه واعون على ما يراد منه سبب عن ذلك قوله سوا كان تعاضدهما من غير واسطة او بواسطة رسولنا
كما كان للطفيل بن عمرو الدوسي ذي النور رضي الله عنه لما ذهب الى قومه وسال النبي صلى الله عليه وسلم ان تكون له اية فكانت
نورا في جبينه ثم سال ان يكون في غير وجهه فكانت في سوطه ولما كان التضافر على الشيء اقوى لشانه واعون على ما يراد منه
سبب عن ذلك قوله حاذفا المفعول لفهمه من السياق ولان المقصود اظهار الاقتدار على ايقاع الفعل وتفريغه في كل ما اريد له
فعززنا اي فاوقعنا العز وهي القوة والشدة والغلبة لامرنا او لرسولينا بسببهما وقع لكمال الوهن بالتكذيب ليحصل ما
اردنا من العزة بما اشارت اليه قراءة ابي بكر عن عاصم بالتخفيف بثالث ارسلناه بما ارسلناهما به فقالوا اي الثلاثة بعد
ان اتوهم وظهر لهم اصرارهم على التكذيب مؤكدين بحسب ما راوا من تكذيبهم انا اليكم اي لا الى غيركم مرسلون قالوا اي اهل
القرية ما انتم اي وان زاد عددكم الا ولما نقض الاستثناء النفي زال الشبه مما يلبس من الا عملها فارتفع قوله
بشر مثلنا اي فما وجه الخصوصية لكم في كونكم رسلا دوننا ولما كان المقدر انما ارسلهم الينا بشيء عطفوا عليه
قولهم وما انزل الرحمن اي العام الرحمة فعموم رحمته مع استوائنا في عبوديته تقتضي ان يسوي بيننا في الرحمة فلا يخصكم بشيء
دوننا واغرقوا في النفي بقولهم من شيء ولما كان الاتيان على ما ذكر محتملا للغلط ونحوه قالوا دافعين لذلك ان اي ما
انتم الا تكذبون اي حالا ومالا قالوا اي الرسل ربنا اي الذي لو لم يكن لنا وازع عن الكذب عليه الا احسانه الينا لكان
كافيا يعلم اي ولذلك يظهر على ايدينا الايات ويحمينا ممن يكيدنا وهذه العبارة تجري مجرى القسم وكذا نحو شهد الله
ولما واجهوهم بهذا التكذيب المبالغ في تاكيده زادوا في تاكيد جوابه فقالوا انا اليكم اي خاصة لمرسلون
ما اتيناكم غلطا ولا كذبا فالاول ابتدا اخبار وهذا جواب انكار فاعطى كلا ما يستحق ولما قرروا ذلك عندهم
اتبعوه بتسليته وبالاعلام بان وبال التكذيب لا يلحقهم منه ضرر اشارة لهم الى الانذار من عذاب الملك الجبار فقالوا وما
علينا اي وجوبا من قبل من ارسلنا الا البلاغ المبين اي المؤيد بالادلة القطعية من الحجج القولية والفعلية بالمعجزات وغيرها
فلولا انه يعلم لما امكننا شيء من ذلك كما ان الهتكم لما لم يكن لها علم لم تقدر على بيان في امرها شيء واذ قد ثبت علم مرسلنا
برسالتنا ثبت انه شاهد لنا بما يظهر على ايدينا وكفى به شهيدا ولما كان حلول الصالحين بين الناس يكون تارة نعمة واخرى
نقمة باعتبار التصديق والتكذيب والاساءة والاحسان فكان قد حصل لهولاء الذين كذبوا هولاء الرسل بلاء لتكذيبهم
لهم من جدب الارض وصعوبة الزمان ونحو ذلك من الامتحان ذكر ما اثر ذلك عند اهل القرية فقال قالوا ولما كانوا
لما يرون عليهم من الايات وظاهر الكرامات مما يشهد ببركتهم ويمن نقيبتهم بحيث اذا ذموهم توقعوا تكذيب الناس لهم اكدوا
قولهم انا تطيرنا اي حملنا انفسنا على الطيرة والتشاؤم نظيرا لظاهر لما اشار اليه الاظهار بخلاف ما في النمل والاعراف
نسبة ما حل بنا من البلاء الى شومكم لان عادة الجهال التيمن بما مالوا اليه ويسندون ما حل بهم من نعمة الى يمنه
والتشاؤم بما كرهوه ويسندون ما اصابهم من نقمة الى شومه ثم استانفوا استيناف النتايج قولهم على سبيل التاكيد
اعلاما بان ما اخبروا به لا فرع لهم عنه وان كان قتل مثلهم مستبعدا عند العقلا لئن لم تنتهوا اي عن دعائكم هذا لنرجمنكم
اي لنشتمنكم او لنرمينكم بالحجارة حتى تنتهوا او لنقتلنكم شر قتلة ولما كان الانسان قد يفعل ما لا يوجد اثره
قالوا معبرين بالمس دون الاصابة وليمسنكم منا اي عاجلا لا من غيرنا كما تقولون انتم في تهديدكم ايانا بما يحل بنا من [illegible]
عذاب اليم حتى تنتهوا عنا لنكف عن ايلامكم قالوا اي الرسل طائركم اي شومكم الذي احل بكم البلاء معكم وهو اعمالكم
القبيحة التي منها تكذيبكم ولما كان لم يبد منهم غير ما يقتضي عند النظر الصحيح اليمن والبركة وهو التذكير
بالله الذي بيده الخير كله انكروا عليهم تطيرهم منه على وجه مبين انه لا سبب لذلك غيره فقالوا ائن ذكرتم اي لاجل ان
حصل لكم تذكير بالله تطيرتم بنا ولما كان ذلك لا يصح ان يكون سببا للتطير بوجه اضربوا عنه منبهين لهم على ان
موضع الشوم اسرافهم لا غير فقالوا بل اي ليس الامر كما زعمتم في ان التذكير سبب للتطير بوجه اضربوا عنه منبهين ان
بل انتم قوم اي غيركم ما اتاكم الله من القوة على القيام فيما تريدون مسرفون اي عادتكم الخروج عن الحدود والطغيان فعوقبتم

لذلك ولما كان السياق لان الامر بيد الله فلا هادي لمن اضل ولا مضل لمن هدى فهو يهدي البعيد في البقعة والنسب اذا اراد
ويضل القريب فيهما ان شا وكان بعد الدار ملزوماً في الغالب لبعد النسب قدم مكان المجيء على فاعله بياناً لان الدعا نفع الاقصى ولم
ينفع الادنى فقال وجاء من اقصى اي ابعد بخلاف ما مر في القصص ولاجل هذا الغرض عدل عن التعبير بالقرية كما تقدم وقال المدينة
لانها ادل على الكبر المستلزم لبعد الاطراف وجمع الاخلاط ولما بين الفاعل بقوله رجل بين اهتمامه بالنهي عن المنكر ود
ومسابقته الى ازالته ازالة كما هو الواجب بقوله يسعى اي يسرع في مشيه فوق المشي ودون العدو حرصاً على نصيحة قومه
ولما تشوفت النفس الى الداعي الى اتيانه بينه بقوله قال واستعطفهم بقوله يا قوم وامرهم بمجاهدة النفوس بقوله
اتبعوا المرسلين اي في عبادة الله وحده وكل ما يامرونكم به ثم نبههم على الداعي الى اتباعهم الدال على رسالتهم والمانع من الاعراض
عنهم بقوله معبراً بالفعل دلالة على شدة اهتمامه به اتبعوا اي بغاية جهدكم من لا يسألكم اي في حال من الاحوال اجراً ولما
افرد الضمير نظراً الى لفظ من دلالة على وجوب الاتباع لمن اتصف بهذا الامر الدال على الرسالة وان كان واحداً جمع بياناً للاولوية
بالتضافر والتعاضد والاتفاق في الصيانة والبعد عن الدنس الدال على اتحاد القصد الدال على تحتم الصدق فقال وهم
مهتدون اي ثابت لهم الاهتداء لا يريبهم ما قصدوا شيئاً الا اصابوا وجه صوابه فتفوزوا بالدين الموجب للفوز بالاخرة ولا
يفوتكم شيء من الدنيا فاني بجامع الترغيب في هذا الكلام الوجيز افهم السياق انه قال فاني اتبعتهم في عبادة الله
بني عليه قوله جواباً لمن يلومه على ذلك ترغيباً فيما اختاره لنفسه وتوبيخاً لمن يأباه وما لي اي واي شيء لي في اني لا اعبد الذي
فطرني اي وانا ابتدأ خلقي فله مبداي ومعادي وما لكم لا تعبدون الذي فطركم واليه لا الى غيره ترجعون لذلك فهو يستحق
العبادة شكراً لما انعم به في الابتداء وخوفاً من عاقبته في الانتهاء فالآية من الاحتباك حذف واليه ارجع اولاً لما دل عليه ثانياً
وانكاره عليهم ثانياً بما دل عليه اولاً من انكاره على نفسه استجلاباً لهم باظهار الانصاف والبعد عن التصريح بالخلاف
وفيه تنبيه لهم على موجب الشكر وتهديد على ارتكاب الكفر ولما امر صريحاً ونهى تلويحاً ورغب ورهب ووبخ وقرع
وبين جلالة من امر به ومن كانوا سبباً في ذلك اخذ على من يفعل غيره بالانكار على نفسه بتحقير من عبدوه من دون الله وهم عارفون
في نعمه فقال مشيراً بصيغة الافتعال الى ان في ذلك مخالفة للفطرة الاولى أأتخذ وبين علو رتبته سبحانه بقوله من دونه اي
سواه مع دنو المنزلة وبين عجز ما عبدوه وتعدده فقال آلهة ثم حقق ذلك بقوله مبدئاً باداة الشك ان النفع اكثر من الضر
ترغيباً فيه سبحانه ان يردن ارادة حقيقية بما اشار اليه حذف اليا او شديدة بما اشار اليه اثباتها ولما ذكرهم
بابداعه سبحانه له ارشاداً الى انهم كذلك صرح بما يعمهم فقال الرحمن اي العام النعمة على كل مخلوق من العابد والمعبود وحذرهم
بقوله بضر وابطل ما هي ما يعتقدونه فيها بقوله لا تغن عني اي وكل احد مثلي في هذا شفاعتهم اي لو فرض انهم شفعوا
ولكن شفاعتهم لا توجد شيئاً من اغناء ولما دل بافراد الشفاعة على عدمها عدماً ولو تجمعت شفاعتهم باجتماعهم
وتعاونهم في ان واحد دل بضمير الجمع على انهم كذلك سوا كانوا مجتمعين او متفرقين فقال ولا ينقذون اي من مصيبة ان دعا
الامر للمساقة لما اراده فانه بمجرد ارادته يكون مراده انقاذاً ضعيفاً بما اشار اليه من حذف اليا ولا شديداً بما دل عليه
من اثباتها ظاهراً ولا خفياً ثم استانف ما ينتجه ذلك عن فعل العقلا المناصحين لانفسهم بقوله مؤكداً له بانواع التاكيد لاجل
انكارهم له بعدم رجوعهم عن معبوداتهم اني اذا اي اذا فعلت ذلك الاتخاذ لفي ضلال اي محيط بي لا اقدر معه على نوع اهتدا
مبين اي واضح في نفسه لمن لم يكن منظوراً له موضح لكل ناظر ما هو فيه من الظلام ولما اقام الادلة ولم يبق لاحد
تخلف عنه علة صرح بما لوح اليه من ايمانه فقال مظهراً لسروره بالتاكيد وقاطعاً لما يظنونه من انه لا يجترئ على مقاطعتهم
كلهم بمخالفتهم في اصل الدين اني آمنت اي اوقعت التصديق الذي لا تصديق في الحقيقة غيره بالرسل مؤمناً لهم من ان يدخل عليهم
نوع تشويش من تكذيب او غيره ولما ارشدهم بعموم الرحمانية تلويحاً صرح لهم بما يلزمهم شكره من خصوص الربوبية فقال
بربكم اي بسبب الذي لا احسان عندكم الا منه وقد نسيتم ما له اليكم من الربوبية والرحمانية والابداع وزاد في مصارحتهم
اظهاراً لعدم المبالاة بهم بقوله فاسمعون اي سماعاً ان شئتم انتفعتم به وان شئتم تمنعتموه دل عليه حذف اليا واثباتها فلا تقولوا
بعد ذلك ما سمعناه ولو سمعناه لفعلنا به فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان مثل صاحب
يس هذا في هذه الامة عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه حيث نادى قومه بالاسلام ونادى على عليته بالاذان فرموه بالسهام
فقتلوه ولما كان من المعلوم بما دل عليه من صلابتهم في تكذيبهم للرسل وتهديدهم مع ما لهم من الآيات انهم لا يبقون هذا
الذي هو من بينهم وقد صارحهم بما اغضبوا عنه فيه انتقض عليهم اكرامهم لم يذكر تعالى عداوته ما لا يحتاج الى ذكره
وقال الجواب لمن تشوف الى علم حاله بعد ذلك بقوله ايجازاً في البيان ترغيباً لاهل الايمان قيل اي له بعد قتلهم اياه فبناه للمفعول
وحذفه لان المقصود القول لا قائله والمقول له معلوم ادخل الجنة لانه شهيد والشهدا يسرحون في الجنة حيث شاؤوا
من حين الموت ولما كان الطبع البشري داعياً الى محبة الانتقام ممن وقع منه الاذى بين سبحانه ان الاصفيا على غير

ذلك

ذلك الحال فقال مستانفاً قال يا ليت قومي اي الذين فيهم قوة لما اراد منهم فلو كانت قوتهم على الكفار كانت حسنة يعلمون
ولما اريد التصريح بوقوع الاحسان اليه حل المصدر الى قوله بما غفر لي اي اوقع الستر لما كنت مرتكباً له طول
عمري من الكفر به بايمان في مدة يسيرة ربي اي الذي احسن الي في الاخرى بعد احسانه في الدنيا وجعلني ولما كان الانس
اعظم فوز عدل عن ان يقول مكرماً اي قوله من المكرمين اي الذين اعطاهم الدرجات العلى لقطعهم جميع اعمارهم في العبادة
ونصح لقومه حياً وميتاً بتمني علمهم باكرامه تعالى له ليعملوا امثل عمله فينالوا ما ناله وفي قصته حث على المبادرة الى المفارقة
الاشرار واتباع الاخيار والحلم عن اهل الجهل وكظم الغيظ والتلطف في خلاص الظالم من ظلمه وانه لا يدخل احد الجنة
الا برحمة الله وان كان محسناً وهذا كما وقع للانصار رضي الله عنهم في المبادرة الى الايمان مع بعد الدار والنسب وفي قول
من استشهد منهم في بئر معونة كما رواه البخاري في المغازي عن انس رضي الله عنه بلغوا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا
وفي غزوة احد كما في السيرة وغيرها لما وجدوا اطيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا
يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تبارك وتعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله على رسوله صلى
الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآيات في سورة آل عمران وفي التمثيل بهذه القصة اشارة الى
ان في قريش من يختم بموته على الكفر ولم ينقض ما ضرب له من الاجل فهو سبحانه يؤيد هذا الدين بغيرهم ليظهر قدرته وليستوفي
آجال اولئك ثم يقبل بقلوب غيرهم فيظهر مع ذلك الحكمة الى غير ذلك من بدائع المعاني وثابت المباني ولما كان سبحانه قد جعل
اكثر جند هذا النبي الكريم من الملائكة فايدهم بهم في حالتي المسالمة والمصادمة وحرسه ممن اراده في مكة المشرفة وبعدها بهم
ذكر ذلك بقوله ناظماً على ما تقديره وما انزلنا على قومه قبل قتلهم له من جند من السما يحول بينهم وبين ذلك كما فعلنا بك اذا اراد ابو
جهل قتلك بالصخرة وانت ساجد عند البيت وغيره بغير ذلك مما هو مفصل في السير واما بعد الهجرة ففي غزوة الاحزاب
اذ ارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً اردتهم خائبين وفي غزوة احد وبدر وحنين وغير ذلك وما انزلنا بما لنا من العظمة على قومه
اي صاحب يس من بعده اي بعد قتله واعرق في النفي بقوله من جند وحقق المراد بقوله من السما اي لاهلاكهم وحقق
ان ارسال الجنود السماوية امر خص به صلى الله عليه وسلم لانه حكم ترجع الى النصرة بغير الاستيصال لانهم يتدينون في صور
الادميين ويفعلون افعالهم واما عذاب الاستيصال فان السنة الالهية جرت بانه لا يكون باكثر من واحد من الملائكة لانه
ادل على الاقتدار فلذلك قال تعالى وما كنا منزلين اي ما كان ذلك من سنتنا وما صح في حكمتنا ان يكون عذاب الاستيصال
بجند كثير ان اي ما كانت اي الواقعة التي عذبوا بها الا صيحة صاحها بهم جبريل عليه السلام فماتوا عن اخرهم واكد
امرها وحقق وحدتها بقوله واحدة اي لحقارة امرهم عندنا ثم زاد في تحقيرهم مبيناً ان الاسراع في الاهلاك بقوله فاذا هم
خامدون اي ثابت لهم الخمود ما كانهم كانت لهم حركة يوماً من الدهر ومن المستجاد في هذا قول ابي العلا احمد
ابن سليمان المعري • وكالنار الحياة فمن رماد • اواخرها واولها دخان ولما اخبر عنهم سبحانه
بما هو الحق من امرهم ورغبهم بما ضرب لهم من المثل ورهبهم ولم ينفعهم ذلك انتج التاسيف عليهم وعلى الممثل بهم ومن شابههم
فقال تعالى يا حسرة اي هذا الحال يستحق ملازمة حسرة عظيمة على العباد فكانه قيل لها تعالى فهذا من احوالك التي
حقك ان تحضري فيها فان هؤلاء احقاء بان يتحسر عليهم والحسرة شدة الندم على ما فات فاحرق حقه واعيى امره فلا حيلة في
رده ويجوز ان يكون المعنى انا العباد لكثرة ما يعكسون من اعمالهم لانغماسهم في اسباب الحسرة ولا حامل معهم غيرها فلا نهم لهم الا
هي ولا مستعمل عليهم وغالب لهم سواها ولما كان كانه قيل اي حال قال مبيناً له ومعللاً للتحسر بذكر سببه يستهزئون
ما ياتيهم واعرق في النفي والتعميم بقوله من رسول اي رسول كان في اي وقت كان الا كانوا به اي بذلك الرسول
اي يوجدون الهزء والرسل ابعد الخلق من الهزء حالاً ومقالاً وفعالاً ومن الواضح ان المستهزئ بمن هذا حاله هالك فهو جدير
بملازمة الحسرة له وان يتحسر عليه ولما اخبر سبحانه الخبر عن اول امر الممثل بهم واول امر المؤمن منهم واخره واذن
هذا التحسر بان هلاك المكذبين امر لا بد منه دل عليه معجباً من عدم نظرهم لانفسهم ومهدداً للسامعين منهم ومحذراً
من اخر امر الممثل بهم واول امر المؤمن منهم على وجه اندرج فيه جميع الامم الماضية والطوائف الخالية بقوله الم يروا
اي يعلم هؤلاء الذين يدعوهم علماً هو كالرؤية لما صح عندهم من الاخبار وما شاهدوه من الآثار كم اهلكنا على ما لنا من
العظمة ودل قوله قبلهم بكونه ظرفاً لم يذكر فيه الجار على ان المراد جميع الزمان الذي تقدمهم من آدم الى زمانهم وادخال
الجار على المهلكين يدل على ان المراد بعضهم فرجع حاصل ذلك الى ان المراد انظروا جميع ما مضى من الزمان هل عذب فيه قوم
ولما كان المراد من رسو
عذاب الاستيصال الا بسبب عصيان الرسل فقال من القرون انهم اي لان القرون
ليس واحداً بعينه وكانت صيغة فعول كفعيل يستوي فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع اعاد الضمير بالجمع فقال
اليهم اي الى الرسل خاصة من حيث كونهم رسلاً لا يرجعون اي عن مذاهبهم الخبيثة ويخصون الرسل بالاتباع فلا يتبعون

عنهم اصلاً في شيء من الاشيا الدينية او الدنيوية فاطردت سنتنا ولن تجد لسنتنا تبديلا في انه كلما كذب قوم رسولهم اهلكناهم
ونجينا رسولهم ومن تبعه افلا يخاف هؤلاء ان نجريهم على تلك السنة القديمة القويمة فان تعليليه على ارادة حذف لام العلة
كما هو معروف في غير موضع وضمير انهم للمرسل اليهم وضمير اليهم للرسل لا يشك في هذا من له ذوق سليم وطبع مستقيم والتعبير
بالمضارع للدلالة على امهالهم والتاني بهم والحلم عنهم مع تماديهم في العناد بتجديد عدم الرجوع ويرجعون هنا نحو قوله تعالى
ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون اي عن طرقهم الفاسدة هذا معنى الاية بغير شك وليس بشيء
قول من قال المعنى ان المهلكين لا يرجعون الى الدنيا لتفيد الرد على من يقول بالرجعة لان العرب ليست ممن يعتقد ذلك ولو سلم
لم يحسن لان السياق ليس له لم يتقدم عنهم غير الاستهزا فانكر عليهم استهزاوهم مع علمهم بان الله تعالى اجرى سنته ان من
استهزا بالرسل وخالف قولهم فلم يرجع اليه اهلكه اطرد ذلك من سنته ولم يتخلف في امة من الامم كما وقع لقوم نوح
وهود ومن بعدهم لم يتخلف في واحد منهم وكلهم تعرف العرب اخبارهم وينظرون اثارهم وكذا يعرفون قصة موسى عليه
السلام مع فرعون فالسياق للتهديد فصار المعنى الم ير هولاء كثيرا من اهلكنا ممن قبلهم لمخالفتهم للرسل فلا يخشون مثل ذلك
في مخالفتهم لرسولهم وذلك موافق لقراءة الكسر التي نقلها البرهان السفاقسي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره عن الحسن وقالوا انها
استينافية مبنية على تقدير سؤال من كانه قال لم اهلكهم وهذا كما اذا شاع ان الوادي الفلاني ما سلكه احد الا اصيب
يكون زجرا عن سلوكه واذا اراد ذلك احد صح ان يقال له الم تر انه ما سلكه احد الا اهلكه فيكون ذلك زاجرا له ورادا
عن التمادي فيه لكونه العلة في الهلاك سلوكه فقط وذلك اكف له من ان يقال له الم تر ان الناس يموتون وكثير ممن مات منهم
ولم يرجع احد منهم غير متعلل ذلك بشيء من سلوك الوادي ولا غيره فان هذا امر معلوم له غير مجرد فايدة وزيادة عدم الرجوع
الى الدنيا لا دخل لها في العلية ايضا لان ذلك معلوم عند المخاطبين بل هم قايلون باعظم منه من انه لا حياة بعد الموت لا الى الدنيا
ولا الى غيرها وعلى تقدير التسليم فربما كان ذكر الرجوع للاموات اولى بان يكون تهديدا فان كل انسان منهم يرجع حينيذ
الى ما في يد غيره مما كان له فيصير المتبوع بذلك تابعا او يقع الحرب وتحصل الفتن فافاد ذلك انه لا يصلح التهديد
بعدم الرجوع والله الموفق **ولما** كان كثير من اهل الجهل وذوي الحمية والانفة لا يبالون بالهلاك في متابعة الهوى
اعتمادا على ان موتة واحدة في لحظة يسيرة اهون من حمل النفس على ما لا تريد فيكون لهم في كل حين موتات اخبر تعالى ان الامر
غير منقض بالهلاك الدنيوي بل هناك من الخزي والذل والهوان والعقوبة والايلام ما لا ينقضي ابدا فقال وان كل
اي وانهم كلهم لا يشذ منهم احد وزاد في التاكيد لمزيد تكذيبهم بقوله لما ومن شدد لما فالمعنى عنده وما كل منهم الا
انهم يأتون صاغرين داخرين في حالة اجتماعهم كلهم في الموقف لا تناصر عندهم ولا تمانع وليس منهم احد غايب بحال
التخلف عن الانتصار عليه فقال جميع واشار الى غرابة الهيئة التي يجتمعون عليها بقوله لدينا وزاد في العظمة بابرازه
في مظهرها وعبر باسم الفاعل الماخوذ من المبني للمفعول فقال جامعا محضرون اي في يوم القيمة بعد بعثهم باعيانهم كما
كانوا في الدنيا سواء نظرا الى معنى كل لانه ادل على الجمع في ان واحد وهو ادل على العظمة اشارة الى ان هذا الجمع
على كراهة منهم والى انه امر ثابت لا بد منه كانه لعظيم شانه لم يزل وانه لا بد منه ولا حيلة في التقصي عنه وانه يسير
لا توقف له على غير الاذن فاذا اذن تعالى كان من يومه من الجنود كانها من كان

وما احسن ما قال القايل

ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسال بعده عن كل شي

ولما تم ضرب المثل المفيد لتمام قدرته على الافعال الهايلة بشارة ونذارة حتى ان من طبع على قلبه فهو لا يؤمن
وان شاطره النسب والدار وان كان قريبا في النسب والدار ومن اسكن قلبه الخشية يؤمن وان شطه النسب والدار
تم بذلك التعريف بالقسم المقصود بالذات وهو من اتبع الذكر وخشي بالبعث وكانوا له منكرين وكان قد جعله في صدر
الكلام من تمام بشارة من اتبع الذكر ودل عليه بقوله مبتديا بنكرة تنوينها دال على تعظيمها واية اي علامة عظيمة
لهم على قدرتنا على البعث وايجادنا له الارض اي هذا الجنس الذي هم منه ثم وصفها بما حقق وجه الشبه فقال
الميتة التي لا نبات بها اعم من ان يكون لها نبات وفني فتفتت وصار ترابا او لم يكن لها شيء اصلا ثم استانف بيان كونها
اية بقوله احييناها اي باختراع النبات فيها او باعادته بسبب المطر كما كان بعد اضمحلاله **ولما** كان اخراج الاقوات
نعمة اخرى قال واخرجنا منها حبا ونبه تعالى على عظيم القدرة فيها وعلى عموم نفعها بمظهر العظمة وزاد في التنبيه بالتذكير
بان الحب معظم ما يقيم الحيوان فقال مقدما للجار اشارة الى عد غيره بالنسبة اليه عدما لعظيم وقعه وعموم نفعه
بدليل انه اذا قل جاء القحط ووقع الضرر فمنه اي بسبب هذا الاخراج ياكلون اي فهو حب حقيقة يعلمون ذلك علم اليقين
وعين اليقين وحق اليقين لا يقدرون على ان يدعوا ان ذلك خيال سحري بوجه وفي هذه الاية واشباهها حث عظيم على تدبر القران

واستخراج

واستخراج ما فيه من المعاني الدالة على جلال الله وكماله **ولقد احسن** الاستاذ ابو القسم القشيري في تفسيره في عيب من اهمل ذلك

يا من تصدر في دست الامامة في * مسايل الفقه املاء وتدريسا
غفلت عن حجج التوحيد تحكمها * شيدت فرعا وما مهدت تاسيسا

ذكر سبحانه ما في الزروع وما لا ساق له من النعمة والقدرة ودل السياق فيه على الحصر اتبعه ما بين ان المراد
التعظيم لا الحصر الحقيقي باظهار المنة في غيره من الاشجار الكبار والصغار ذات الاقوات والفواكه فقال دالا على عظمته بمظهر
العظمة وجعلنا اي بما لنا من العظمة فيها اي الارض جنات اي بساتين تستر داخلها بما فيها من الاشجار الملتفة ولما كانت
النخل مع ما فيه من النفع زينة دايما لكونه لا يسقط ورقه قدمه وسماه باسمه فقال من نخيل وفيه ايضا اشارة الى انه نفع كله
حسنه ولينه وسعفه وخوصه وعراجينه وثمره طلعا وجمارا وبسرا ورطبا وتمرا ولذلك والله اعلم اتى فيه بصيغة
جمع الكثرة كالعيون **ولما** كان الكرم لا يكون له زينة باوراقه الا ما كان العنب قايما قال واعناب وذل الجمع
فيهما دون الحب على كثرة اختلاف الاصناف في النوع الواحد الموجب للتفاوت الظاهر في القدر والطعم وغير ذلك **ولما**
كانت الجنان لا تصلح الا بالماء وكان من طبع الماء الغور في التراب والرسوب لشدة السريان الى اسفل فكان فورانه الى جهة العلو
امرا باهرا للعقل لا يكون الا بقسر قاسر حكيم قال وفجرنا اي فتحنا تفتيحا عظيما فيها ودل على تناهي عظمته وتعاليها
عن ان يحاط بشيء منها بالتبعيض بقوله من العيون والتعريف هنا يدل على ان الارض مركبة على الماء فكل موضع منها صالح لان ينفجر منه
الماء ولكن الله يمنعه عن بعض المواضع بخلاف الاشجار ليس منها شيء غالبا على الارض ففي ذلك تذكير بالنعمة في حبس الماء عن بعض الارض
ليكون موضعا للسكن ولو شاء لفجر الارض كلها عيونا كما فعل بقوم نوح فاغرق الارض كلها **ولما** كانت حياة
كل شيء انما هي بالماء اشار الى ذلك بقوله لياكلوا من ثمره اي من ثمر ما تقدم ولولا الماء لما اطلع ولولا انه بكثرة لما اثمر بعد
الطلوع واشارت قراءة حمزة والكساي بصيغة الجمع مع افراد الضمير الى ان الشجرة الواحدة تجمع بالتطعيم اصنافا من الثمر
ولما كان الانسان قد يتسبب في تربية بعض الاشيا ابطل سبحانه الاسباب فيما يمكن ان يدعوا فيه تسببا ونبه على
ان الكل بخلقه فقال وما عملته اي ولم تعمل شيئا من ذلك ايديهم ولا ضعيفا بما اشار اليه تانيث الفعل فكيف بما فوقه وان
تضافروا على ذلك بما اشار اليه جمع اليد **ولما** كان السياق ظاهرا في هذا جاءت قراءة حمزة والكساي وابي بكر
عن عاصم بحذف الضمير فيهما بحذف الضمير غير منوي قصرا للفعل تعميما للمفعول ردا لجميع الامور الى باريها سواء كانت بسبب او
بغير سبب اي ولم تكن لايديهم عمل لشيء من الاشيا لا لهذا ولا لغيره مما له مدخل في عيشهم ومن غيره ولذلك حسن كل الحسن انكار عليهم
عدم الشكر بقوله افلا يشكرون اي يداومون دايما في ايقاع الشكر والدوام على تجديده في كل حين بسبب هذه النعم الكبار
ولما كان السياق لاثبات الوحدانية والاعلام بان ما عبد من دونه لا استحقاق له في ذلك بوجه ولا نفع فيه ولا
وانتج هذا السياق بما دل عليه من تفرده بكل كمال وانه لا امر لاحد معه بوجه من الوجوه تنزهه عما ادعوه من الشرك
غاية التنزه قال لافتا للكلام عن مظهر العظمة لان اثباتها بالوجه الدال عليها ادخل في التعظيم سبحان الذي ووصفه
بما اكد ما مضى من اسناد الامور كلها اليه ونفى كل شيء منها عمن سواه فقال خلق الازواج اي الانواع المتشاكلة المتباينة
في الاوصاف وفي الطعوم والروايح والاشكال والهيات والطبايع وغير ذلك من امور لا يحصيها الا الله تدل اعظم دلالة
على كمال القدرة وعظيم الحكمة والاختيار في الارادة واكد بقوله كلها لافادة التعميم ثم زاد الامر تصريحا بالبيان بقوله
مما تنبت الارض فدخل فيه كل نجم وشجر ومعدن وغيره من كل ما يتولد منها واشار لكونه من سياق تكذيبهم الى ان ذنبهم
بتحقيرهم جميع الخلق والتعبير بالنفس التي تطلق في الغالب على ما به فرقه فقال ومن انفسهم وبين ان وراء ذلك امورا
لا يعلمها الا هو سبحانه فقال ومما لا يعلمون اي مما لا يحتاجون اليه في دينهم ولا دنياهم ولا توقف لشيء من اصلاح المعاش
والمعاد عليه ولو كان ذلك لاعلم به كما اعلم باحوال الاخرة وغيرها مما لم يكن يعلمه **ولما** دلهم على النظر بايات
الاعيان الحسية الدالة على القدرة الباهرة لاسيما على البعث رقاهم الى المعاني على ذلك النحو فان ايجاد كل من الملوين بعد
اعدامه ادل دليل على البعث فقال ناقلا لهم من المكان الكلي الى الزمان الكلي الجامعين للجواهر والاعراض واية لهم
اي على اعادة الشيء بعد افنايه الليل اي الذي يشاهدونه لا شك عندهم فيه ولا حيلة بوجه في دفعه ثم استانف
قوله نسلخ عايدا الى مظهر العظمة دلالة على جلالة هذا الفعل بخصوصه **ولما** كان الاصل في هذا الوجود
الظلام والضيا حادث وكان ضياؤه لبسا لصاغر من التي تصلح للملابسة مع التخلل في الاجرام فقال منه النهار
اي الذي كان مختلطا به بازالة الضوء وكشفه عن حقيقة الليل فاذا هم بعد ازالتنا النهار الذي سلخناه من الليل مظلمون
اي داخلون في الظلام بظهور الليل الذي كان الضيا ساترا له كما يستر الجلد الشاة قال الماوردي وذلك ان ضوء النهار
يتداخل في الهوى فيضيء فاذا خرج منه اظلم نقله ابن الجوزي عنه وقد ارشد السياق حتما الى ان التقدير والنهار نسلخ

منه الليل الذي كان ساترها وغالبا عليه فاذا هم مبصرون ذكرا لوقتين ذكر آيتيهما فقال والشمس اى التي
سلخ النهار من الليل بغيوبتها ولما كان عيانها بالليل مثل سكون الانسان في مبيته وجعلها على حط قدر
لسيرها كل يوم تسير لا زيغ فيه ومنهاج لا يعوج قال تجري لمستقر اى عظيم لها وهو السير الذي لا تعده وحنوبا ولا شمالا
داهبة وآيبة وهي فيه مسرعة بدليل التعبير باللام في موضع الى ويدل على هذا قراءة لا مستقر لها بل هي جارية ابدا الى
انقراض الدنيا في موضع مكين محكم هو اهل للقرار وغرببه مع انها لا تستقر ما دام هذا الكون ليلا ونهارا ان دوام حركتها
لاجل ان موضع جريها لا يمكن الاستقرار عليه ولا ينافي هذا ما في صحيح البخاري وفي كتاب الايمان من صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مستقرها تحت العرش وانها تذهب فتستاذن في السجود فيؤذن لها فكانها قد قيل
لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها هذا لفظ مسلم وسياتي لفظ البخاري ويمكن ان تكون المستقر اخر جريها عند ابادة هذا
الوجود ولما كان هذا الجري على نظام لا يختل على مر السنين وتعاقب الاحقاب تكل الاوهام عن استخراجه وتتحير
الافهام في استنباطه عظمه بقوله ذلك اى الامر الباهر للعقول وزاد في عظمه بصيغة التفعيل في قوله تقدير واكد ذلك
لانقطاعه التوهم عن مطلق مظهر العظمة الى تخصيصه بصفتي العزة والعلم فقال تعظيما لهذه الامة وتنبيها على انها اكبر ايات
السما فقال العزيز اى الذي لا يقدر احد في شيء من امره على نوع مغالبه وهو غالب على كل شيء العليم اى المحيط علما بكل شيء المحيط
الذي يدبر الامر فيطرد على نظام عجيب ونهج بديع لا يعتريه وهن ولا يلحقه يوما نوع خلل الى ان يريد سبحانه ابادة هذا الكون
فيسكن حركاته وتفنى موجوداته عن ابي ذر رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد
عند غروب الشمس فقال يا ابا ذر اتدري اين تذهب قال قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن
فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فذلك قوله تعالى والشمس تجري
لمستقر لها ولما ذكر آية النهار اتبعها آية الليل فقال والقمر ومعناه في قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو وروح عن
يعقوب بالرفع يجري لمستقر له ونصبه الباقون دلالة على عظمة هذا الجري لسرعته تقطعه في شهر ما تقطعه الشمس في سنة
ولذلك ضعف الفعل المشعر للناصب واعمله في ضمير القمر ليكون مركوزا مرتين فيدل على شدة العناية به تنبيها على تعظيم الفعل
فيه واعاد مظهر العظمة فقال مستانفا في قراءة الرفع قدرناه اى قسناه قياسا عظيما اى في سيره منازل ثمانية وعشرين
يستتر ليلتين عند التمام وليلة للنقصان لا يتعداها ولا يقصر دونها ان يتعداها قال الاستاذ ابو القاسم القشيري يبعد عن الشمس ولا يزال
يتباعد حتى يعود بدرا ثم يدنو فكلما ازداد من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصانا الى ان يتلاشى حتى عاد اى بعد ان كان بدرا عظيما
كالعرجون من النخل وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منتهاه وهو منبته من النخلة دقيقا منحنيا وهو فعلول ذكره
اهل اللغة في النون وقالوا اعرجن الثوب صور فيه صور العراجين وقال المعبر وكانه من عرج اى اعوج ولما كانت حمرته الحنة الى الصفرة قال القديم اى المحول فان العرجون اذا طال مكثه صار كذلك دق وانحنى واصفر
ولما قرر ان لكل منهما منازل لا يعدوها ولا تغلب ما هو آيته ما هو آية الاخر تحرر ان نتيجة بل اذا جا سلطان هذا ذهب ذاك
واذا ذهب كذلك جاء ذاك ذهب هذا فاذا اجتمعا فانما لساعة تحررا ان نتيجة هذه القضايا لا الشمس اى التي هي آية النهار
ينبغي لها اى ما دام هذا الكون موجودا على هذا الترتيب ان تدرك اى لا تحركها بطيئة القمر اى فتطمسه بالكلية فما النهار
سابق الليل ولا الليل سابق النهار اى حتى ينبغي للقمر مع سرعة سيره ان يدرك الشمس ويغلبها فلا يوجد نهارا اصلا
ولو قيل يسبق لاختل المعنى لايهامه انه لا يتقدمه اصلا فلا بد من الاحتباك نفي ولا ادراك الشمس لقوتها القمر دليلا على
حذف من الثانية من نفي ادراك القمر للشمس وذكر ثانيا سبق الليل للنهار لما له من القوة بما يعرض من النهار فيغشيه دليلا
على حذف سبق النهار الليل اولا وكل اى من المذكورات حقيقة ومجازا في فلك محيط به ولما ذكرها فعل العقلا
وكان على نظام محرر لا يختل وسير متقدر لا يعوج ولا يتخل فكان منزها عن آفة تلحقه او ملل يطرقه عبر بما يه ورماه
بالعذرة والسرعة والاتساع فقال اتيانا بضمير العقلا جاعلا لانه ادل على تسخيرهم كلهم دايما يسبحون حثا على تدبر ما
بها من الايات التي غفل عنها لشدة الالف لها الجاهلون ولما ذكر ما حدد له حدودا في السباحة في وجه الفلك
بعدها لا اختل النظام ذكر ما هياه من الفلك للسباحة على وجه الما الذي طبق الارض في زمن نوح عليه السلام حتى كانت
السما ولو نفذت السفينة ما حد لها سبحانه من المنازل فنفذت الى بحر الظلمات لفسد الشان وكانوا فيها كانهم في
الارض وسيرها كانهم يخترقون الجبال والفيافي والقفار كل ذلك تذكيرا بايام الله وتنبيها على سعة رحمته ونعمه وتحذيرا
من سطواته ونقمه ومنا عليهم بما يسر لهم من سلوك البحر والتوصل به الى جليل المنافع فقال وآية لهم اى على قدرتنا التامة
وعلمنا الشامل انا اى على ما لنا من العظمة حملنا ولما كان من قبل نوح عليه السلام من اصول البشر لم يحملوا في
الفلك عدل عن التعبير بالضمير والآبا الى قوله ذريتهم اى ذرية البشر التي ذرانا ها وذرونا ها وذرناها حتى ملانا

بها الارض من ذلك الوقت الى آخر الدهر وبهذا التكثير المفهوم من هذا الاشتقاق البليغ اعني ابن كثير وابو عمرو والكوفيون
فقرؤا بالافراد وزادت في الايضاح قراءة الباقين بالجمع لبعضهم ظاهرا ولبعضهم في ظهر ابيه في الفلك عرفه لشهرته
بين جميع الناس المشحون اى الموقر المملوء حيوانا وزادا وهو يتقلب في تلك المياه التي لم ير قط مثلها ولا يرى ابدا ومع ذلك
سلمه الله ولما كانت هذه الآية لم تنقطع بل عم سبحانه بنفعها قال وخلقنا اى بعظمتنا الباهرة لهم من
مثله اى من مثل ذلك الفلك من الابل والفلك ما يركبون اى مستمرين على ذلك على سبيل التجدد لقصدهم وامنافعهم
ولو شئنا لمنعنا ذلك ولما كان يتداخل سبحانه ابانا حين حملهم في ذلك الما الذي لم يكن مثله قط وكان ربما ظن ان
الانجا ليس من الاسرار غير ارادته جعل امر ما خلق من مثله تارة وتارة ليعرف ان ذلك انما هو بصنعه فتشكر نعمته اولا واخرا
فقال وان نشا اى لاجل ما لنا من القوة الشاملة نغرقهم اى مع ان هذا الما الذي يركبونه لا يغير ذلك الذي حملنا فيه آباهم
فلا صريخ لهم اى مغيث يحميهم مما نريد بهم من الغرق ولا هم اى بانفسهم من غير صريخ ينقذون اى يكون لهم انقاذ اى خلاص
بانفسهم او غيرها ولما كان هو سبحانه يصرخ من يشاء فينجيه وكانت لا نافية نفيا مستغرقا استثنى ما كان منه سبحانه
فقال الا رحمة اى الا لاجل رحمة منا اى لهم لا وجوبا علينا ولا لمنفعة تعود منهم الينا ومتاعا اى لهم
الى حين اى وهو حين انقضا آجالهم ولما كان هذا الحال معلوما لهم لا ينازعون فيه بوجه بل اذا وقعوا فيه اخلصوا
الدعا وامروا به وخلعوا الانداد وكان علم ذلك موجبا لصاحبه ان لا يغفل عن القادر عليه وقتا ما بل لا يفتر عن شكره
خوفا من مكر يفعله فاذا ألم تعجب منهم في اعراضهم عنه سبحانه مع قيام الادلة القاطعة على وحدانيته وانه قادر
على ما يريد من عذاب او ثواب وانتهاهم على ما لا ينفعهم بوجه فقال واذا قيل اى من اى قايل كان لهم اتقوا اى خافوا
خوفا عظيما تعالجون فيه انفسكم ما بين ايديكم اى مما يمكن ان تتقوا به من العثرات المهلكة في الدارين وما خلفكم
اى ما فرطتم فيه ولم تجاوزوه ولا بد من المحاسبة عليه لان الله الذي خلقكم احكم الحاكمين لعلكم ترحمون اى لتعاملوا
ولما كان التقدير اعرضوا لان الاعراض قد صار لهم خلقا لا يعدرون على
معاملة المرحوم بالاكرام الانفكاك من اسر عطف عليه قوله اشارة اليه وما تاتيهم وعمم بقوله من آية وبين بقوله من آيات ولعنا لكلام ...
للتذكير بالانعام مكررا لهم في انهم اشكر الناس للمنعم فقال ربهم اى المحسن اليهم الا كانوا عنها اى مع كونها من عند
ولما كانت الرحمة بالرزق والنصر انما
من عمهم احسانه وعمهم فضله وامتنانه معرضين اى دايما اعراضهم
تنال بالرحمة للضعفا هل ترزقون وتنصرون الا بضعفايكم انما يرحم الله من عباده الرحما وكان الانفاق خلق المؤمنين قال
مبينا انهم انسلخوا عن الانسانية جملة فلا يخافون ما يجوز وقوعه من العذاب ولا يرجون ما يجوز حلوله من الثواب واذا
قيل لهم اى من اى قايل كان انفقوا اى على من لا شيء له شكرا لله على ما انجاكم منه ونفعكم به بنفع خلقه الذين هم عياله
وبين انهم يبخلون بما لا صنع لهم فيه ولم تعمله ايديهم بل ببعضه فقال مما رزقكم الله واظهر ولم يضمر اشارة الى جلاله
الرزق بجلالة معطيه وزاد في تقريعهم بجعل ذلك الظاهر اسم الذات لانه ينبغي ان يكون عطا العبد على قدر سيده
فقال الله اى الذي له جميع صفات الكمال قال الذين كفروا اى ستروا وغطوا ما دلتهم عليه انوار عقولهم من الخيرات
للذين آمنوا اى القايلين بذلك المعتقدين له سوا كانوا هم القايلين لهم او غيرهم منكرين عليهم استهزا بهم عادلين عما اقتضاه
السؤال من ذكر الانفاق الى ما يفيد التقريع بالفقر والحاجة الى الاكل انطعم وعدلوا عن التعبير بالماضي لئلا يقال لهم
قد شا سبحانه اطعامه من حين خلقه الى الآن فقالوا من لو يشا واظهروا واجد الا وساغه فقالوا الله اى الذي له جميع العظمة
كما عممتم في كل وقت بريده اطعمه اى لكنه لم يطعمه لا يشا ذلك فانه لم يطعمه لما نرى من فقره فنحن ايضا لا نشا ذلك
موافقة لمراد الله فيه فتركوا التادب مع الامر والظهر والتادب مع بعض الارادة المنهي عن الجري معها والاستسلام
لها وما كفاهم حتى قالوا لمن ارشدهم الى الخير على طريق النتيجة لما تقدم ان اى ما انتم الا في ضلال مبين اى في غاية
الظهور وما دروا ان الضلال انما هو لهم لانه سبحانه جعل الطعام بعض خلقه بلا واسطة وبعضهم بواسطة امتحانا
منه للمطيع والعاصي والشاكر والكافر والجزع والصابر وغير ذلك من حكمه ولما ذكر قلة خيرهم المستند الى
تهكمهم باليوم الذي ذكروا به بالامر بالانفا والتعليل بترجي الرحمة اتبعه حكاية استهزا آخر منهم دال على عظيم جهلهم
بتكذيبهم بما يوعدون على وجه التصريح بذلك اليوم والتصور له بما لا يسع من له ادنى مسكة غير الانقيا دله فقال ويقولون
اى عادة مستمرة مضمومة الى ما تقدم مما يستلزم تكذيبهم وزاد وا بالتعبير باداة القرب في تقريعهم اشارة الى
انهم زدتم علينا في التهديد له والتقريب له حتى ظن انه مصبحنا او ممسينا ولم نحس منه عينا ولا اثرا متى هذا والهبوا ...
وهيجوا زيادة في التكذيب بقولهم الوعد اى الذي تهددوننا به تارة تلويحا وتارة تصريحا عجلوه لنا وزاد وا في الاستهزا
بتسميته وعدا فقالوا ان كنتم صادقين ولما كان الجازم من لا يتهكم بشيء الا اذا استعد له بما هو محقق الدفع ...

بين سفههم بانها بغتة وبانه لابد من وقوعها وانها بحيث تملأ السموات والأرض فكانه لاشى فيها غيرها بقوله ما ينظرون
اي ما ينتظرون ويجوز ان يكون بمعنى ينظرون لان استبطائهم لها في صورة الانتظار وان ارادوا به الاستهزا وجرد الفعل
تقريبا لها لتحقق وقوعه الا صيحة وبين حقارة شانهم وتمام قدرته بقوله واحدة وهي النفخة الاولى المميتة واقتصر في
تاكيد الوحدة على هذا بخلاف ما ياتي في المجيبة لانهم لا ينكرون اصل الموت تاخذهم اي تهلكهم وبين غرورهم بقوله وهم يخصمون
اي يختصمون اي يتخاصمون في معاملاتهم على غاية من الغفلة ولعله عبر بذلك اشارة بالادغام اللازم عنه التشديد الى تناهي
الخصام باقامة اسبابه اعلاها وادناها الى حد لا مزيد عليه لان الشامعناه عند اهل الله انهما التسبب الى ادناه وكل
ذلك اشارة الى انهم في وقت الصعق يكونون في اعظم الامان منها لان اعراضهم عنها بلغ الى غاية لا مزيد عليها وبشر الادغام
ايضا الى خصومتهم في غاية الخفا بالنسبة الى الصيحة وان بلغت الخصومة النهاية في الشدة ولم يقرا احد يخصمون هـ
بالاظهار اشارة الى انه لا يقع في ذلك الوقت خصومة كاملة حتى يكون ظاهرة بل تهلكهم الصيحة قبل استيفا الحجج والاظهار
الدلايل فمنها ما كان ابتدا انه اصحابه فاحرزوا بما اشارت اليه قراة حمزة باسكان الخا وكسر الصاد مخففا ومنها ما كان
متوسطا وفيه خفا وعلو عما اشار اليه تشديد الصاد واشار من قراه كذلك مع كسر الخا الى التوسط مع الخفا والقول والله
اعلم ولما كانت هذه هي النفخة المميتة سبب عنها قوله فلا يستطيعون توصية اي ان يوجدوا الوصية في شي من
الاشيا والاستفعال والتفعيل يدلان على ان الموت ليس حين سماع اول الصوت بل عقبه من غير مهلة لتمام امرها
ولما كان لم يبق نصا في نفي المثنى قال ولا الى اهلهم اي فضلا عن غيرهم يرجعون بل يموت كل واحد في مكانه حيث تفجؤه الصيحة
وربما افهم التعبير بالى انهم يريدون الرجوع فيخطون خطوة او نحوها وفي الحديث لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما
بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل اكلته الى فيه فلا يطعمها ولما دل على ذلك على الموت
قطعا عقبه بالبعث ولذلك عبر فيه بالنفخ فانه معروف في افاضة الروح فقال ونفخ في الصور اي الذي اخذتهم صيحته وجباله
اشارة الى انه لا توقف له في نفس الامر على نافخ معين ليكون عند ما يريد سبحانه من الاذن بل مراد ذلك الله كما يشا كان نافخ عن
نفخه ما ذكر وان كنا نعلم ان الماذون له اسرافيل عليه السلام ولما كان هذا النفخ سببا لقيامهم عنده سوا من غير تخلف عبر
سبحانه بما يدل على التعقب والتسبب والفجاة فقال فاذا هم اي في حين النفخ من الاجداث اي القبور المهياة هي ومن فيها
لسماع ذلك النفخ الى ربهم اي الذي احسن اليهم بالتربية والتهيئة لهذا البعث فكفروا احسانه لا الى غيره ينسلون اي
يسرعون المشي مع تقارب الخطا بقوة ونشاط فيا لها من قدرة شاملة وحكمة كاملة حيث كان صوت واحد يحيي تارة هـ
ويميت اخرى كالذي ركب فيه من الاسرار انه يحسب كل شي ضربا هو عليه من حياة او موت او غشي او افاقة
ولما تشوفت النفس الى ما يقولون اذا عاينوا ما كانوا ينكرون استانف قوله قالوا اي الذين هم من اهل الويل من عموم الذين قاموا بالنفخة
وتم جميع من كان قد مات قبل ذلك ولما كانوا عالمين بان جزاء ما اسلفوا اكل جزى اتبعوه قولهم حاكيا سبحانه عبارتهم اذ ذاك
لانه الحق الصريح ياويلنا اي ليحضرنا اليوم شي يندمنا الا الويل استفهموا جريا على عادتهم في العناد فقالوا مظهرين
لضميرهم تخصيصا الويل بهم لانهم في معرض الشك من بعثنا من مرقدنا عدوا مكانهم الذي كانوا به مع ما كانوا فيه من عذاب
البرزخ مرقدا هينيا بالنسبة الى ما انكشف لهم انهم لاقوه من العذاب الاكبر ووحدوه اشارة الى انهم على تكاثرهم وتباعدهم
كانوا في القيام كنفس واحدة ثم تذكروا ما كانوا يحذرونه من ان الله موسعهم للجزا الذي هو رحمة الملك لاهل مملكته فقالوا
مجيبين لانفسهم استينافا هذا ما اي الوعد الذي وعد اي به وحذفوا المفعول تعميما لانهم الان في حين التصديق اي وعدنا
وغيرنا الرحمن اي العام الرحمة الذي رحمانيته مقتضية ولا بد للبعث لينصف المظلوم من ظالمه ويجازي كلا بعمله من غير حيف
وقد جهنا بارسال الرسل الينا بذلك وطال ما انذرونا حلوله وحذرونا صعوبته وطوله ولما كان التقدير
فصدق قال الحق عطفا عليه قوله وصدق اي في امره المرسلون اي الذين اتونا بوعده ووعيده فالله الذي تقدم وعده به
وارسله ورسله هو الذي بعثنا تصديقا لوعده ورسله ولما كان الاخبار بالنفخ لا ينفي التعدد قال الحق لا جرم البعث
بالنسبة الى قدرته مظهرا للعناية بتاكيد كونها واحدة بجعل الخبر عنه اصلا مستقلا بفصله عن النفخ والاتيان فيه بفعل الكون
وان نافيه لان يظاهر مدخولها فكيف بما وراه دون ما التي انما تنفي التمام ان اي ما كانت اي النفخة التي وقع الاحيا بها
مطلق كون الا صيحة واحدة اي كما كانت نفخة الاماتة واحدة فاذا هم اي بغاية من غير توقف اصلا جميع اي على حالة الاجتماع لم
يتاخر منهم احد يتعللونه في ترك الانتصار ودوام الخضوع والذل والصغار ولما كان ذلك على هيبة غريبة لا يبلغ كنهها
العقول قال الى مظهر العظمة معبرا بما للامور الخاصة لدينا ولما كان ذلك امرا لا بد منه ولا يمكن التخلف
عنه واكد معنى الاجتماع بالجمع نظرا الى معنى جميع وكم يغيره اعتبارا للفظها لما ذكر من المعنى فقال محضرون اي بغاية الكراهة منهم
[illegible] نزعهم وسائقة تقهرهم ولما كان هذا الاحضار بسبب العدل واظهار جميع صفات الكمال قال

فاليوم

فاليوم ولما كان نفي الظلم مطلقا ابلغ من نفيه عن احد بعينه وادل على المراد واوجز قال لافتا القول عن الاظهار
والاضمار لمظهر العظمة او غيره لا تظلم ولما كان التعبير بما ذكر جعله محط الدلايل والحظوظ والنقايض ادل
على عموم نفي الظلم قال نفس اي نفس كانت مكروهة او محبوبة شيئا اي لا يقع لها ظلم ما من احد ما في شي ما ولما
كانت المجازاة بالجنس ادل على القدرة وادخل في العدل قال محققا بالخطاب والجمع ان المنفي ظلمه كل من يصلح للخطاب ليلا يقع في
وهم ان المنفي ظلمه نفوس مخصوصة او نفس واحدة ولا تجزون اي على عمل من الاعمال شيئا من الجزا من احد ما الا ما كنتم تعملون
ديدنا لكم بما ركز في جبلاتكم ولما قرر ان الجزا من جنس العمل شرع في تفصيله وبدا باشرف الحزبين في جواب من يسال
عن هذا الجزا فقال مؤنسا لاهل السعادة بالتذكير بالتاكيد بما كان لهم من الانكار في الدنيا واظهارا للرغبة في هذا القول
والتبجح به لما له من عظيم الثمرة ان اصحاب الجنة اي الذين لا حظ للنار فيهم وكرر التعبير باليوم تعظيما لشانه وتهويلا للامر
على اثر تحقيقه المنبهة والمغيبة بذكر بعض ثمراته وجمل من عظايم تاثيراته اليوم اي يوم البعث وهذا يدل على انه يعجل دخولهم
او دخول بعضهم ووقوف الباقين للشفاعات ونحوها من الكرامات عن دخول اهل النار النار وعبر بما يدل على انهم بتلبسهم
مشتغلون عليه ومطرودون له مع توجههم اليه فقال في شغل اي عظيم جدا لا يبلغ وصفه العقول كما كانوا في الدنيا
في اشغل الشغل بالمجاهدات في الطاعات ولما تاقت النفوس الى تفسير هذا الشغل قال فاكهون اي لهم عيش هـ
المتفكه وهو الامن والنعمة والبسط واللذة وتمام الراحة كما كانوا يرضوننا باجهاد انفسهم واتعابها واشقائها
وارهابها وقراة ابي جعفر بحذف الالف ابلغ لانها تدل على دوام ذلك لهم وعلى انهم في انفسهم في غاية ما يكون من خفة الروح
وحسن الحديث ولما كانت النفس لا يتم سرورها الا بالقرين الملايم قال هم اي بظواهرهم وبواطنهم وازواجهم
اي اشكالهم الذين هم لهم في غاية الملايمة كما كانوا يتركونهم في المضاجع على الذ ما يكون ويصفون اقدامهم في خدمتنا وهم
يبكون في ظلال اي يجدون فيها برد الاكباد وغاية المراد كما كانوا يشوون الاكباد في دار العمل بحر الصيام ووهج مرارة
الاوامر والصبر في مرضاتنا على الالام ويعرون ابدانهم وقلوبهم من الاموال ببذل الصدقات في سبيلنا على مر الايام وكر
الليال وقراة حمزة والكسائي بضم الظاء وحذف الالف ابلغ لدلالتها بما اشارت اليه الضمة على ان الظل اكثف وبذلك
تلك بدلالة الالف على انه اشد امتدادا ويدل باتفاقهما في الجمع على ان الظل فيها مختلف باختلاف الاعمال ولما
كان التمتع لا يكمل الا مع العلو المكن من زيادة العلم الموجب لارتياح النفس وبهجة العين بانفساح البصر عند مد النظر قال
على الارايك اي السرر المرتبة العالية التي هي داخل الحجال قال البغوي قال ثعلب لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجله
وقال ابن جرير الارايك الحجال فيها السرر وروى ابو عبيد في كتاب الفضايل عن الحسن قال كنا لا ندري ما الارايك حتى لقينا
رجلا من اهل اليمن فاخبرنا ان الاريكة عندهم الحجلة فيها السرير وهذا جزا لما كانوا يلزمون المساجد ويغضون الابصار
ويضعون نفوسهم لاجلنا متكئون كما كانوا يدابون في الاعمال قايمين بين يدينا في اغلب الاحوال والاتكا الميل على شق هـ
مع الاعتماد على ما يريح الاعتماد عليه او الجلوس مع التمكن على هيئة التربع وقراته بضم الكاف وحذف الهمزة ادل على التربع
وما قاربه وقراة كسر الكاف وضم الهمزة ادل على القرب من التمدد بما فيها من الكسرة فانه يقال كما نقله ابو عبد الله القزاز
اتكات الرجل اتكاء اذا وسدته اي جعلت له وسادة اي مخدة يستريح عليها ولما قدم المعاني التي توجب كل
الفاكهة اتبعها فقال لهم اي خاصة بهم فيها فاكهة اي لا تنقطع ابدا فلا مانع لهم من تناولها ولا يوقف ذلك على غير الارادة
ولما كانت الفاكهة قد تطلق على ما يلذ دون ما صرح بان ذلك هو المراد فقال معبرا بالعطف لتكون الفاكهة مذكورة
مرتين خصوصا وعموما ولهم ولما كان السياق لاصحاب الجنة الذين تفهم الصحبة انهم فيها دايما وانهم كانوا في
الدنيا اعرى الكلام من الطرف ليفهم اجابة دعايهم في الدنيا وانالتهم جميع مرادهم في الدارين فقال ما يدعون اي الذين
يطلبون طلبا صادقا اما احراجا لما قد يجيء في النفس من غير عزم عليه ان كان المراد في الجنة من غير كلام الله كالماكل والمشارب
ونحوها واما اظهارا للاهتمام ان كان المراد انه كلامه سبحانه وذلك لاجل ما كانوا في الدنيا يقطعون انفسهم عن الشهوات
عزوفا عما يفنى وطموحا الى ما عندنا من الباقيات الصالحات ثم فسر الذي يدعونه اي يطلبونه بغاية الاشتياق اليه او
استانف الاخبار عنه بقوله سلام اي عظيم جدا لا يكتنه وصفه عليكم يا اهل الجنة كان هو او مقول هو والسلام
يجمع جميع النعم ثم بين حال هذا السلام بما اظهر من عظمه بقوله قولا من رب اي دايم الاحسان رحيم اي عظيم الاكرام
بما يرضاه الالهية كما كانوا في الدنيا يفعلون كل ما فيه الرضى فرحمهم في حال السلام وسماع الكلام بلذة الرؤية مع القوة
عن الدهش والصعق لعظيم الامر وبالتاهيل لهذا المقام الاكرم مع قصورهم عنه وقد اوضح هذا السياق انه من الله
تعالى بلا واسطة فانه اكد بالقول وحرف الابتدا وذكر صفات الاحسان كما قال الاستاذ ابو القاسم القشيري ولا ارتياب
في انه لا شي يعدل هذا في النعيم وقرة العين والسرور وعلو القدر ولا شك ان هذا هو المقصود بالحقيقة وهو قلب النعيم في ذلك

اليوم الذي هو قلب الوجود حقاً خفاءً وصلاحاً وفساداً فصح ان هذه الآية قلب هذه السورة كما كانت هذه السورة قلب القرآن وقد ورد حديث في تفسير البغوي وكتاب المائتين للاستاذ ابي عثمان الصابوني انه من الله تعالى بلا واسطة عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب تعالى قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة وذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته في ديارهم قال الاستاذ ابو عثمان هذا حديث غريب الاسناد والمتن لا اعلم اني كتبته الا من هذا الوجه ولما كان التقدير فانظروا وازدادوا حسرة ايها المجرمون عطف عليه قوله وامتازوا اي انفردوا والانفراد هو نهاية القصد وجرى على النمط الماضي في زيادة التهويل لذلك الموقف باعادة قوله اليوم اي عن عبادي الصالحين او عمن بقي منهم معكم في الموقف ليطهروا من اوضارهم ويشفوا من مضارهم لان عيشة الدنيا تم النعيم وابعاد العدو واعلى السرور وحرف اداة النداء الا لقرب الكرامة بل للدلالة على انهم في القبضة لا مانع من غاية التصرف فيهم بكل ما يراد لانه لا حايل دونهم ايها المجرمون اي العريقون في الاجرام فلا يقع في اوهامكم انكم تخالطونهم اليوم اصلا وهذا كما كنتم تمتازون عنهم في الدنيا وتنقطعون عنهم ترفعا واستكبارا وهذا قوله للمجرمين وذاك قوله لكون فصح انه قلب لانه به صلاح بعض المكلفين وفساد الآخرين الذي هو تمام صلاح الاولين وقد تقدم في اوايل سورة الروم ما ينفع استحضاره هنا ولما امرهم بالامتياز امرا اراديا تحكيميا فامتازوا في الحال واسروا الندامة وسقط في ايديهم فعضوا الانامل وضربوا بالاسنان وشخصت منهم الابصار وكلحت الوجوه وتقلصت الشفاه ونكست الرؤس وتغيرت الالوان وسحبوا على الوجوه وكان من فنون المساءة وشؤون الحسرة ما تنفر عنه العقول وتذوب من ذكره النفوس وتخلع القلوب قال سبحانه موبخا لهم في تلك الحال بهذا المقال معللا لحكمه عليهم بذلك بانه لم يتركهم هملا بل ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الدلايل على كماله ما هو كاف لهم في النجاة ثم ما وكلهم الى ذلك بل ارسل اليهم رسلا وانزل عليهم كتبا الم اعهد اي واصيكم ايضا اعظم مما نصبت من الادلة ومنحت من العقول وبعثت من الرسل وانزلت من الكتب في بيان الطريق الموصل الى النجاة لافتا القول عن مظهر الاحسان الى ما هو اولى بهم من مظهر التكلم بالوحدة دفعا للبس ثم اشار الى علوه وجلاله وعظمه وسموه وكماله فقال اليكم ولما كان المقصود بهذا الخطاب تقريعهم وتوبيخهم وتبكيتهم وكانت هذه السورة القلب وكان القلب اشرف الاعضاء وكان الانسان اشرف الموجودات خصه بالخطاب لان خطابه خطاب للجن فقال مؤكدا ما افهمه حرف الغاية من علو رتبته وعظيم منزلته بما اشارت اليه اداة البعد يا بني آدم اي فلم احضكم بذلك عن ابناء غير نوعكم ليكون ذلك التخصيص حاملا لكم على الشكران بل ليكون موجبا للطاعات والعرفان ان لا تعبدوا الشيطان اي البعيد المحترق بطاعتكم له فيما يوسوس لكم به ثم علل النهي عن عبادته بما يقتضي شدة النفرة منه بعد ان لوح الى ذلك بوصفه فقال انه لكم والتاكيد لان افعالهم افعال من يعتقد صداقته عدو مبين اي ظاهر العداوة جدا من جهة عداوته لابيكم العداوة التي اخرجكم من الجنة التي لا منزل اشرف منها ومن جهة امره لكم بما يبغض الدنيا من التخالف والخصام ومن جهة تزيينه للفاني الذي لا يرغب فيه عاقل لو لم يكن فيه عيب غير فنائه فكيف اذا كان كدرا اكدارا وادناسا واوضارا فكيف اذا كان شاغلا عن الباقي فكيف اذا كان عايقا عن المولى فكيف اذا كان مغضبا له حاجبا عنه ولما بكتهم بالتذكير بما ارتكبوا مع النهي عن عبادة العدو نعيا لاذ ع المقابلة وبخهم بالتذكير بما ضيعوا مع اخذ العهود من واجب الامر بعبادة الولي فقال عاطفا على ان لا وان اعبدوني ولما ذكر سبحانه بالامر بعبادته عرف بحسنها حاثا على البر ومهاقبل ذلكا يوم قايلا هذا اي الامر بعبادتي صراط مستقيم اي بليغ القوم وعبادة الشيطان صراط ضيق معوج غاية الضيق والعوج ولما كان التقدير فاتبعتموه وسلكتم سبيله مع اعوجاجه وتركتم سبيلي مع ظهور استقامته عطف عليه قوله ولقد اضل منكم اي عن الطريق الواضح السوي بما سلطته به من الوسوسة واكد اشارة الى انه امر لا يكاد ان يصدق به لما يبعد ارتكابه في العادة من اصلاح امره وظهور فساده وضره ولما كان الآدمي شديد الشكيمة على الهمة اذا اراد عبر بقوله جبلا اي امما كبارا عظاما كانوا كالجبال في قوة العزايم وصعوبة الانقياد ومع ذلك فكان يتلعب بهم تلعبا فسبحان من اقدره على ذلك والا فهو اضعف كثيرا واحقر امرا قال في القاموس الجبل بالضم الشجر اليابس والجماعة منا كالجبل كعنق وعدل وعتل وطمر وطرح وامير ثم قال وبالكسر وبالضم وكطمرة الامة والجماعة ثم قال والجبلة مثلثه وتحركه وكطمرة الخلقة والطبيعة وذلك قراءة ابي عمرو وابن عامر بضم الجيم واسكان الباء وتخفيف اللام على الذي هو في اول مراتب الشدة والقوة وقراءة ابن كثير وحمزة والكسائي ورويس عن يعقوب بضمتين وتخفيف على ما فوق ذلك مما يقرب من الوسط مع الظهور والعلو لما للضم من القوة وقراءة روح كذلك مع تشديد اللام على نهاية الشدة والجلاء والقوة بما زادت من التشديد وقراءة الباقين بكسرتين وتشديد على ما فوق

الوسط بما اشارت اليه الحركات والتشديد لكنه مع خفاء وكانه بالمكر بما اشارت اليه كون الحركتين بالكسر وعظم سبحانه الامر بقوله كثيرا ثم زاد في التوبيخ والانكار بما انتجه المقام وسببه اضلاله لهم مع ما اوتوا من العقول من قوله افلم ولما كان سبحانه قد اتاهم عقولا واي عقول عبر بالكون فقال تكونوا تعقلون اي لكم عقول على ما فيه النجاة مما نصبت من الادلة مع ما نبهت عليه الرسل وحذرت منه من اهلاك الماضين بسبب اتباع الشياطين وغير ذلك من كل امر واضح مبين ولما انكر عليهم ان يفعلوا فعل من لا عقل له قال مشيرا للخزي هذه اشارة لحاضر اما حالا لوقوفهم على شفيرها او الدع فيها جهنم اي التي تستقبلكم بالعبوسة والتجهم كما كنتم تفعلون بعبادي الصالحين التي كنتم ولما كان المحذور والايعاد لها لا كونه من معين اي توعدكم بها لقبول ما يمكن كونه بما غرزته فيكم من العقول قال بانيا للمفعول توعدون اي ان لم ترجعوا عن غيكم اصلوها اي قاسوا حرها وتوقدها واضطرامها وهول امر ذلك اليوم باعادة ذكره على جهة ما مضى فقال اليوم لتكونوا في شغل شاغل كما كان اصحاب الجنة وشتان ما بين الشغلين بما اي بسبب ما كانوا قد تجلدوا واعلوا الطغيان تجلد من هو مجبول عليه بين ذلك بذكر الكون فقال كنتم تكفرون اي تسترون ما هو ظاهر جدا بعقولكم من اياتي مجددين ذلك مستمرين عليه ولما كان كانه قيل هل يحكم فيه بعلمه او يجري الامر على قاعدة الدنيا في العمل بالبينة بين انه على اظهر من قواعد الدنيا فقال مهولا لليوم على النسق الماضي في مظهر العظمة لانه الليق بالتهويل اليوم نختم اي بما لنا من عجيب القدرة المتسعة من العظمة ولفت القول الى الغيبة ايذانا بالاعراض لما هي العضب فقال على افواههم اي لاجترائهم على الكذب في الاخرى كما كان ديدنهم في الدنيا وكان الروغان والكذب والفساد انما يكون باللسان المعرب عن القلب واما بقية الجوارح فنهاجة لعادة باقدارها على الكلام لم ينطق الا بالحق فلذلك قال وتكلمنا ايديهم اي بما عملوا اقرارا هو اعظم شهادة وتشهد ارجلهم اي عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة اقرار بما كانوا اي في الدنيا بجبلاتهم يكسبون فالاية من الاحتباك اثبت الكلام للايدي اولا لانها كانت مباشرة دليلا على حذفه من حيز الارجل ثانيا واثبت الشهادة للارجل ثانيا لانها كانت حاضرة دليلا على حذفها من حيز الايدي اولا وتعقيبه ان قول المباشر اقرار وقول الحاضر شهادة روى مسلم في صحيحه عن انس رضي الله عنه قال يقول العبد يا رب الم تجرني من الظلم قال فيقول بلى فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل والظاهر ان السر في الختم على فيه منعه من ان يغلط حالتها دهشا عليه لئلا يسمع قولها كما هو دأب اهل العناد عند الخصام ولما اتم بضرب المثل وما بعده الدلالة على مضمون آية انما تنذر من اتبع الذكر وما علقت به من احياء الموتى ودل على ذلك بما تركه كالشمس لمن فيه لب ورادّ من بحور الفوائد وجميل العوايد ما ملأ الاكوان من موجبات الايمان وذكر ما في يوم البعث للمنتفعين والمتنعمين وختم بالختم على الافواه بعد البعث اتبعه اية الختم بالطمس والمسخ قبل الموت تهديدا عطفا على ما رجع اليه المعنى مما قبل اول ذلك الخطاب من قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الاية دفعا لما ربما وقع في وهم ان القدرة لا تتوجه الى غير الطمس في المعاني بضرب السد وما في معناه فاخبر انه كما اعمى البصائر قادر على اذهاب الابصار فقال مؤكدا لما لهم من الانكار ولو نشاء لطمسنا الافعال التي هي فعل المنكر ولو وعبر بالمضارع في قوله نشاء ليتوقع في كل حين فيكون ابلغ في التهديد وقصر الفعل اشارة الى ان المعنى لو نريد لاوقعنا الطمس الذي جعلناه على بصائرهم على اعينهم فاذهبنا عينها واثرها وجعلناها مساوية للوجه بحيث تصير كانها لم تخلق اصلا وقد تقدم في النساء نقل معنى هذا عن ابن عباس ولما كان الجالس مع شخص في مجلس التنازع ونحوه يهدده ان لم يرجع عن غيه بقارعة تصيبه فيبادر الهرب والوجل اذا فاجأته منه مصيبة تمتنع خوفا من عزها جريا مع الطبع لما ناله من الدهش وحسه من عظيم الانزعاج كما اتفق لقوم لوط عليه السلام لما مسح جبريل عليه السلام اعينهم فاعشاها حين بادروا الباب هربا يقولون عند لوط اسحر الناس ولما كان المقصود سبب عن ذلك قوله فاستبقوا اي كلفوا انفسهم ذلك واوجدوه بتبادر اسراعهم في الهرب عدى الفعل ضمنا له معنى ابتدروا كما قال تعالى فاستبقوا الخيرات فقال الصراط اي الطريق الواضح الذي الفوه واعتادوه ولهم به غاية المعرفة ولما كان الاعمى لا يمكنه في مثل هذه الحالة المشي بلا قايد فضلا عن المسابقة سبب عن ذلك قوله منكرا فانى اي كيف ومن اين يبصرون اي فلم يهتدوا للصراط لعدم ابصارهم بل تصادموا وتساقطوا في المهالك وتهافتوا ولما كان هذا كله مع القدرة على الحركة قال ولو نشاء ولما كان المقصود المفاجأة بهذه لمسخناهم اي حولناهم الى الجمادية لمسخهم فابطلنا منهم الحركة الارادية

المصائب بيانا لانه سبحانه لا كلفة عليه في شيء من ذلك فقال على مكانتهم اي المكان الذي كان قبل المسخ كل شخص منهم شاغلا له بجلوس
او قيام او غيره في ذلك الموضع خاصة قبل ان يتحرك منه وهو معنى قراءة شعبة عن عاصم مكاناتهم ودل على ان المراد التحويل الى
احوال الجمادية بما سبب عن ذلك من قوله فما استطاعوا اي بانفسهم بنوع معالجة مضيا اي حركة الى جهة من الجهات ثم عطف على
جملة الشرط قوله ولا يرجعون اي يتجدد لهم بوجه من الوجوه رجوع الى حالتهم التي كانت قبل المسخ دلالة على ان هذه الامور حق لا
كما يقولون من انها خيال وسحر بل بيانها لا يمكن لاحد من الخلق دفعه ولا تغييره بنوع تغيير هذا المراد ان شاء الله ولو قيل ولا رجوعا
كما قال بعضهم انه المراد لم يفد هذا المعنى لتغيير ولما كانت هذه امورا فرضية بناها بعض المعاندين اللدة
الطعن فيها مكابرة وكان كونه صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة مانعا من المعاجلات بالتعذيب بعذاب الاستيصال نبه دلالة عليها
بما يشاهدونه من باهر قدرته وغريب حكمته في صنعته فقال دالا بالعاطف على غير معطوف عليه ظاهر على ان التقدير فقد خلقناكم
نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم اولدناهم لا يعلمون شيئا ولا يقدرون على شيء ثم درجناهم في اطوار الانسان منقلين لهم في معارج القوى
الظاهرة والباطنة الى ان صاروا الى الحد الاشد وهو استكمال القوى البشرية فاوقفنا قواهم الظاهرة والباطنة فلم نجر
العادة بان يحدث اذ ذاك فيهم قوة لم تكن ايام الشباب ومن نعمره اي نطل عمره اطالة كبيرة منهم بعد ذلك ننكسه وقراءة عاصم
وحمزة بضم اوله وفتح ثانيه وكسر الكاف مشددة دال على تفاوت الناس في التنكس ولم يقل في خلقه لئلا يظن ان المراد المعتمد
له خلق انشاءه وابداعه في الخلق اي فيما ابدعناه من تقديرنا وزوجه بان نرده على عقبه نازلا في المدارج التي اصعدناه فيها
الى ان تضمحل قواه الحسية فيكون كالطفل فلا يقدر على شيء والمعنوية فلا يعلم شيئا ومن قدر على مثل هذا التحويل من حال الى
اخرى لم تكن طردا وعكسا قدر على مثل ما مضى من التحويل بلا فرق غير انهم لكثرة الفهم لذلك صيره عندهم هينا ولقلة وجود
الاول صيره عندهم بعيدا وكذلك سبب عن الكلام قوله على الاسلوب الماضي في قراءة الجماعة ولفتا الى الخطاب عند المدنيين
ويعقوب لانه اقرب الى الاستعطاف واعلاما بانا لو وعظ غيره لكل صالح للخطاب افلا يعقلون وقال بعض العارفين فقد
بالخلق احترازا عن الامر فان المؤمن كلما ازداد سنا ازداد لربه طاعة وبه علما يعني ان التكس في البدن امر لا بد منه واما في
المعارف فتارة وتارة

ولما اتم سبحانه الدليل على انه لقد حق القول على اكثرهم بالتكذيب بالاصلين التوحيد
والحشر وبينهما غاية البيان رجع الى تثبيت الاصل الثالث وهو امر الرسول والتنزيل ولما كان من المعلوم ان الله تعالى
اجرى العادة في النوع الادمي ان من استوفى سن الصبا والشباب اثنين واربعين سنة حسمت غرائزه فلم يزد فيه غريزة
ووقفت قواه كلها فلم يزد فيها شيء اما المعاني الحسية فمطلقا واما المعنوية فلا تزيد الا بالتجربة والكسب ولذلك
قالوا

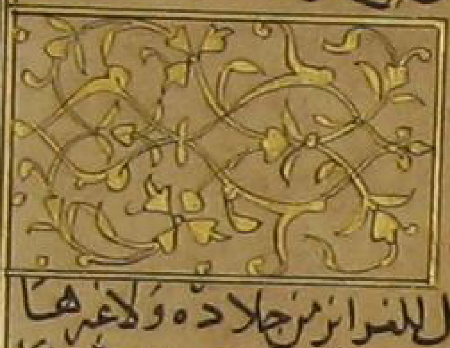
اذا المرء اعيته المروة ناشيا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

وكان من المعلوم ان الانبياء عليهم السلام تظهر عليهم غرائز العلوم والحكم وغير ذلك مما يجريه الله على ايديهم ولا ينقص شيء من قواهم
بل تزداد كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي غير مكترث وان الصحابة رضي الله عنهم ليجهدون انفسهم فيكلون جهدهم
ان يدركوا مشية الهوينا وانه صارع ركانة الذي كان يضرب بقوته المثل وكان واثقا من نفسه بانه يصرع من صارعه فلم
يملكه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وعاد الى ذلك ثلاث مرات كل ذلك لا يستمسك في يده حتى شرع يقول ان هذا العجب يا محمد
انصرعني وحتى انه دار على نسائه وهن تسع كل واحدة منهن تسع مرات في طلق واحد الى غير ذلك مما على من قواه التي فاق بها الناس
ولم يحك عن نبي من الانبياء من عاش منهم الفا ومن عاش دون ذلك انه نقص شيء من قواه بل قد ورد في الصحيح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ان ملك الموت عليه السلام ارسل الى موسى عليه السلام ليقبض روحه فلما جاءه صكه ففقا عينه فقال لربه ارسلتني الى عبد لا يريد
الموت قال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا قال الموت قال فالان
وفي اخر التوراة وقضى عبد الله موسى بارض مواب بامر الرب فدفن حذا بيت فاغور ولم يعرف احد ان قضى الى يومنا هذا وكان
موسى وقت قضى ابن مائة وعشرين سنة لم يضعف بصره ولم يتشنج جدا ولما كان الامر كذلك وكان الله سبحانه قد
جعل ارسالهم في سن الوقوف في الغرائز والضعف في القوى خرقا للعادة اكراما لهم وتنبيها للناس على صدقهم علم من العطف
على غير معطوف عليه ظاهر ومن الاتيان بضمير صلى الله عليه وسلم من غير تقدم ذكره ان التقدير لكن نبينا صلى الله عليه وسلم
عمرناه وما نكسناه بل منحناه غرائز من الفضائل عجز عنها الاولون والاخرون فاي بغرائز عجز الانس والجن وعلوم وبركات
فاتت القوى ومعلوم قطعا ان الذي اتى به ليس بشعر خلافا لما رموه به بغيا وعدوانا وكذبا على جنابه وافتراء وتجاوزا
في البهت وطغيانا لانه قد مضى عليه سن الصبي والشباب جميعا ولم يقل بيت شعر مع ما يري بكم ولا منا لكم فيه من المفاخرة
وبه من المكائدة وقد وصل الى سن الوقوف المعلوم قطعا انه لا يحدث للانسان فيه غريزة لم تكن ايام شبابه لا شعرية ولا
غيرها وما علمناه اي نحن الشعر فيما علمناه وهو ان يتكلف النفيس بوزن معلوم وروي مقصود وقافية يلزمهما ويدبر
المعاني عليها ويجلب الالفاظ تكلفا اليها كما كان زهير في قصائده الحوليات وغيره من اصحاب التكلفات وما انا من المتكلفين

لان ذلك وان كنتم انتم تعدونه فخرا لا يليق بجنابنا لانه لا يفرح به الا من يريد ترويج كلامه وتحليته بصوغه على وزن
معروف معقود وقافية ملتزمة لكونه لا يقدر على الاتيان باحسن منه بما لا يقاس من غير التزام وزن ولا قافية على ان فيه
نقيصة اخرى وهي اعظم ما يوجب النفرة منه وهي انه لا بد ان يوهي التزامه بعض المعاني ولما لم نعلمه هذه الدناءة
طبعناه على جميع فنون البلاغة ومكناه من سائر وجوه الفصاحة ثم اسكنا قلبه ينابيع الحكمة ودربناه على القاء المعاني
الجليلة وان دقت في الالفاظ الجزلة العذبة السهلة موزونة كانت او لا وذلك بما الهمناه اياه ثم بما القاه اليه جبريل
عليه السلام مما امرنا له به من جوامع الكلم والكلام فلا تكلف عنده اصلا ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما و
قطيعة رحم وهذا البيت الذي اورده عزاه في الحماسة في اوائل باب الادب الى رجال من بني قريع لم يسمه وقبله



متى ما يرى الناس الغني وجاره ... فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ... ولكن احاظ قسمت وجدود
اذا المرء اعيته المروة ناشيا ... فمطلبها كهلا عليه شديد
وكائن رأينا من غني مذمم ... وصعلوك قوم مات وهو حميد



ان كثرة المال وقلته ليستا من غرائز من الغرائز وانما هي امر رباني لا مدخل للغرائز من جلادة ولا غيرها
فيه بدليل انا كثيرا ما رأينا من فاته الغنى شابا جلدا ونالته شيخا ضعيفا وما رأينا من اخطأته المروة شابا ونالها شيخا
وبدليل انه كم من غني كانت غرائزه ذميمة وكم من فقير كانت خلائقه محمودة والمروة هي الانسانية وهي كل امر هي حميد
المغبة جميل العاقبة وهذا نحو السيادة يعني ان من كانت المروة في غريزته حمله طبعه على تعاطيها في شبابه غنيا كان
او فقيرا ومن لم تكن عنده لم يقدر على تكلفها في سن الاكتهال فلله درهم ما كان احكمهم وادراهم بالدقائق واعلمهم ولذلك
جعل هذا النبي الامي منهم فلما كانت معارفه الاكوان وسمت في رتب المعالي صاعدا فاز عنها كيولد والمعنى كان الشعر
مع ما يبنى عليه من التكلف الذي هو بعيد جدا عن سجايا الانبيا فكيف باشرفهم بما يكتسب به مدحا وهجوا فيكون كريم كذبا الى
غير ذلك من معايبه قال سبحانه وما ينبغي له اي وما يصح ولا يتطلب ولا يأتي اصلا لان منصبه اجل وهمته اعلى من ان يكون
مداحا وعيابا او ان يتعبد بما قد يجر الى نقيصة في المعنى وجبلته منافيه لذلك غاية المنافاة ولما تمت الدلالة
على امر الرسول صلى الله عليه وسلم وتضمنت ان الشعر وهو تعمد صوغ الكلام على وزن معلوم وقافية ملتزمة نقيصة لما ذكر
ولما يلزمه التعبد بالوزن والروي والقافية من التقديم والتاخير والتحوم على المعاني من غير افصاح والاتيان بتصيير
غير الفهم مستعصي البيان ونفى عنه صلى الله عليه وسلم تلك النقيصة تضمن ذلك تنزيل ما انزل عليه عنها كما اشارت اليه
نون العظمة في علمنا اثبت له ما ينبغي له فقال كالتعليل لما قبله ان اي ما هو اي هذا الذي اتاكم به الا ذكر اي شرف و
موعظة وقران اي جامع للحكم كلها دنيا واخرى يتلى في المحاريب ويتكرر في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين
مع التنصل عن الملبسات مبين اي ظاهر في ذلك مظهر لكل ما فيه لمن يرومه حق رومه وكيومه باعلى سومه بعد ان التنزل
في مطلق فهمه ويجرد الله به الذكي والغبي والجريد والبليد وليس هو بشعر متكلف يتعد مرمه بحكم التزام الوزن والروي
والقافية التي عن حاق موضعه تارة وتارة اخرى ويبدل لما لا يا ويه تنقض معانيه وتنعقد فتشكل فلا يفهمه الادراك
وذلك مع انه من همزات الشياطين فيا بعد ما بينهما وبين هذا المعنى غاية البيان اخرص قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا
من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين اي كلهم ذكيهم وغبيهم بخلاف الشعر فانه مع نزوله عن بلاغته جدا انما هو ذكر للاذكيا جدا
ولما ذكر امر الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اتاه من غرائز الشرف في سن التكس لعدم ذكر علة ذلك فقال لينذر اي
الرسول بدليل ما دل عليه السياق من التقدير ويؤيده لف الكلام في قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالخطاب اشارة الى انه لا يفهمه
حق فهمه غيره صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا القران مبينا وكان الرسول صلى الله عليه وسلم متخلقا به فهو مظهر سرة
وصورة سورته فكان حاله مقتضيا لان لا يتخلف عن الايمان به حي فالمظهر الما كان حقه في بادي الراي الاضمار افاد التعميم
مبينا لان حكمه سبحانه منع من ذلك فانقسم المنذرون الى قسمين من كان حيا اي حياة كاملة معنوية تكون سببا
للحياة الدائمة فانه لا يتوقف حينئذ عن الايمان به خوفا مما يخوف به من الامور التي لا يتوجه اليها ريب بوجه فيرجى له الخير
فهو مؤمن في الحقيقة وان ظهر عليه في اول امره خلاف ذلك وافرد الضمير هنا على اللفظ اشارة الى قلة السعداء وجمع في الثاني
على المعنى اعلاما بكثرة الاشقياء ويحق اي يجب ويثبت القول اي بالعذاب على الكافرين اي العريقين في الكفر فانهم اموات في
الحقيقة وان رايتهم احياء فلا بد من الاحياء حدوث الايمان لولا ما دل عليه من صدق نافيا وحذف الموت ما نبا لما دل عليه من صدق او لا
يتحقق بهذا ان اعظم منافاة القران للشعر وكذا النجم من اجل انه حد كله محيط اساليبه بالقصد الاول الروي والقافية
والفاصلة حتى ان ذلك ليؤدي الى ركة المعنى والكلام بغير الواقع ولا بد كما قال لحسان بن ثابت رضي الله عنه وحاله معروف في البلاغة

والتفنن في أساليب الكلام وصدقا للهجة وحسن الاسلام في غزوة الغابة وكان امرها سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه ع

ولسرّ اولاد اللقيطة اننا ، سلم غداة فوارس المقداد ،

فغضب سعد على حسان رضي الله عنهما وحلف لا يكلمه ابدا وقال انطلق الى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد فاعتذر اليه حسان
ومدحه بابيات وقال والله ما اردت ذلك ولكن الروي وافق اسم المقداد ولا تغضبن ذلك فكان في ذلك دليل على انه صلى الله عليه وسلم
لا يرد في فكره ابدا قصد اللفظ فانه من باب التزويق وهو صلى الله عليه وسلم جل كلامه عن ذلك فهو لا يعتمد الا لانه موزون ولا لاجل
يؤدي المعنى كما ان العرب تعدل عن اللحن ولا يحتمل النطق به السنتها لانه لا يكون لها حركة ثابتة في
من الموزون ما اريد من المعنى لاجل اداء المعنى فانه كما يقع كثير من المتقنين من الكلام الموزون وما اتفق وكما وقع كثير من
الكلام الموزون من جميع ابحر الشعر في القرآن وان لم يوافقوا المعنى الا بعبارته وعلى هذا يتخرج قوله صلى الله عليه وسلم
انا النبي لا كذب ، انا ابن عبد المطلب ، لو تظاهر الانس والجن على ان يأتوا بما اراده من المعنى في الفاظه او لقصدوا
على غير هذا النظم لم يقدروا واذا تأملت كل بيت تمثل به صلى الله عليه وسلم وجدته لا يكاد يتأتى مع الوزن او يكون
فرق بين ادائه مكسورا وموزونا وهكذا السجع سواء من هنا انه لا تكون المعنى تابعا للوزن والسجع
نقيصة لا تليق بمنصبه العالي لان الشاعر معتقد بوزن ورويّ وقافية فانا طاعة المعنى مع ما هو معتقد به كان والاحتمال
في التمام ما هو معتقد به وان نقص المعنى والساجع فيث من ذلك فما الذي لم يجعله الله له صلى الله عليه وسلم بل المعاني
والحقائق والحكم التي تفيد الحياة الدائمة لانه مهيأ بالطبع المستقيم لذلك عبر بها التي من التكلف واذا امعنت
النظر في آخر الآية الذي هو تعليل لما قبله تحققت ان هذا المراد وظهر وضوح بهذا ان الشعر نقيصة فلا يحتمل
شيء من الخلافة الشريفة نحوها ولا يكون له بل كل شيء من الاعتماد على كلامه وهو نهاية ذلك واذا نسبه ذلك مما يعد النظر
للاشراف على مقاصد السور وهو كالمدخل الى هذا الكتاب والله الموفق

اخبر سبحانه باعمال افكارهم ع

وهدد بطمس ابصارهم ومسخهم على مقاعدهم وقرارهم واعلم بان كفايه حاتم بانذارهم ذكرهم بقدرته وقررهم تنبيها لذلك
ببدايع صنعته فقال عاطفا على ما تقدير ألم يروا وأما قدمناه واقمته آية ومن نعمره وما بعدها من بدايع صنعنا تلويحا
وتصريحا الدال على علمنا الشامل وقدرتنا التامة فهما صوبنا كلامنا اليه حق القول عليه ولم يمنعه مانع ولا
يتصور له دافع ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ اي يعلموا علما هو كالرؤية مما هو ظاهر عندهم دلالة من ذلك في اجل اموالهم ولا يبعد عندهم
وان طال المدى ان يكون معطوفا على ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون فذاك استعطاف الى التوحيد بالتحذير من النقم
وهذا بالتذكير بالنعم ونبههم على ما في ذلك من العظمة بسوق الكلام في مظهرها كما فعل في آية اهلاك القرون فقال
﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ وخصهما بنفسه الشريفة محوا للاسباب واظهارا لتشريفهم بتشريفها في قوله ﴿مِمَّا عَمِلَتْ﴾ ولما
كان الانسان مقيدا بالوهم لا ينفك عنه ولذلك يرى الارواح في المنام في صور اجسادها وكانت اليد محل قدرته وموضع
اختصاصه عبر له بما يفهمه فقال ﴿أَيْدِينَا﴾ اي بغير واسطة على علم منا بقواها ومقاديرها ومنافعها وطبايعها وغير ذلك
من امورها ﴿أَنْعَامًا﴾ ثم بين كونها لهم بما سبب عن خلقها من قوله ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ اي ضابطون قاهرون من غير قدرة لهم ع
ذلك لولا اقدرنا بنوع تسبب ولما كان المالك لا يستلزم الطواعية قال ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ اي يسرنا قيادها ولو
شئنا لجعلناها وحشية كما جعلنا اصغر منها واضعف لمن يقدر على تذليل الاشياء لصعبه حذرا لعدم فهو قادر على تطويع
الاشيا لنفسه ثم سبب عن ذلك قوله ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ اي ما يركبون وهي الابل لانها اعظم مركوباتهم لعموم منافعها في
ذلك وكثرتها ولمثل ذلك في التذكير بعظيم النعمة والنفع واستقلال كل من النعمتين بنفسه اعاد الجار وعبر بالمضارع للتجدد
بتجدد الذبح بخلاف المركوب فان صلاحه لذلك ثابت دائم فقال ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ ولما اشار الى عظمة نفع الركوب
والاكل بتقديم الجار وكانت منافعها من غير ذلك كثيرة قال ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ اي بالاصواف والاوبار والاشعار والجلود
والبيع وغير ذلك وخص المشرب من عموم المنافع لعموم نفعه فقال جامعا له لاختلاف طعوم البان الانواع الثلاثة وكانه
عبر بمنتهى الجموع لاختلاف الطعوم افراد النوع الواحد لمن تأمل مميزا من الغث والدم خالصة لذيذة وكل ذلك لا سبب له
الا ان كلمتنا حقت به فلم يقدر من دونه على وفق ما اردنا فليحذر من هو اضعف حالا منها من حقوق امرنا ومضي حكمنا بما
يسوءه ولما كانت هذه الاشيا من العظمة بمكان لو فقده الانسان لتكدرت معيشته سبب عن ذلك استيناف
الانكار عليهم في تخلفهم عن طاعته بقوله ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ اي يوقعون الشكر وهو تعظيم المنعم لما انعم وهو استفهام بمعنى
الامر ولما ذكرهم نعمته وحذرهم نقمته عجب منهم في سفول نظرهم وقبح اثرهم فقال موبخا ومقرعا ومبكتا
ومعجبا من زيادة ضلالهم عادلا عن مظهر العظمة الى اعظم منه ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ اي فعلنا لهم ذلك والحال انهم كلفوا انفسهم على غير
ما تهدي اليه الفطرة الاولى ان اخذوا او يكون معطوفا على ما كانوا من قوله تعالى الا كانوا به يستهزئون فيكون التقدير

الا كانوا به يجحدون الاستهزاء واتخذوا قبل ارساله اليهم مع ما رأوا من قدرتنا وتقلبوا فيه من نعمنا ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ اي الذي
له جميع العظمة بكل شيء دونه وما كان دونه كان مقهورا مربوبا ﴿آلِهَةً﴾ اي لا شيء لها من القدرة ولا من صلاحية الالهية
ولما تقرر انها غير صالحة لما اهلوها له تشوف السامع الى السؤال عن سبب ذلك فقال جوابا له معجبا من حالهم
كان مطلوبهم حصول النصر من اي ناصر كان بني للمفعول قوله ﴿يُنصَرُونَ﴾ اي ليكونوا حالهم
﴿لَعَلَّهُمْ﴾ اي العابدين
ولما كان النصر سببا ان ظاهر
بزعمهم في اجتماعهم عليها والتيامهم بها حال من ينصر على من يعاديه ويعانده ويناويه
وهو الاجتماع واصلي باطني وهو الاله المجمع عليه بين غلطهم بتضييع الاصل فقال مستانفا في جواب من كانه قال فهل
بلغوا ما ارادوا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ اي الالهة المتخذة ﴿نَصْرَهُمْ﴾ اي العابدين ﴿وَهُمْ﴾ اي العابدون ﴿لَهُمْ﴾ اي الالهة ﴿جُندٌ﴾
ولما كان الجند مشتركا بين العسكر والاعوان والمدينة عين المراد بضمير الجمع ولانه ادل على عجزهم وحقارتهم
فقال ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ اي يفعلون في الاجتماع اليها والمحاماة عنها فعل من يجمعه كرها ايالة الملك وسياسة العظمة فصار
العيب بهم خاصة في جارة السبب الظاهري مع تعبدهم للعاجز وذلهم للضعيف الدون مع ما يدعون من الشهامة والانفة
والفخامة فلو جمعوا انفسهم على الله لكان لهم ذلك وحاز وامعه السبب الاعظم
ولما بين ما بين من قدرته البالغة
وعظمته الظاهرة وهي امرهم في الدنيا والاخرة وكان قد تقدم ما لوح الى انهم نسبوه صلى الله عليه وسلم الى الشعر وصح
باستهزائهم بالوعد مع ما قبل ذلك من تكذيبهم واجابتهم المؤمنين من تسفيههم وتضليلهم سبب عن ذلك بعدما نفى عنهم
النصرة قوله تسلية له صلى الله عليه وسلم ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ قرأ حمزة بفتح اليا وضم الزاي ومعناه يجعل فيك وقراءة نافع
بضم اليا وكسر الزاي تدل على ان المنهي عنه انما هو كثرة الحزن والاستغراق فيه لا ما يعرض من طبع البشر من اصله فان معنى
احزن فلانا كذا اي جعله حزينا ﴿قَوْلُهُمْ﴾ اي الذي قدمناه تلويحا وتصريحا وغير ذلك فيك وفينا
ولما كان علم
القادر ربما يعمل عدوه سببا لاحتياطه علل ذلك بقوله مهددا بمظهر العظمة ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا﴾ اي كل ما ﴿يُسِرُّونَ﴾ اي يجحدون واسرا
﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ اي فنحن نحمل ما يسببونه لاذاك سببا لاذاهم ونعلك الى ان يصيروا في قبضتك وتحت قهرك وقدرتك ع
ولما
اثبت سبحانه بهذا الدليل قدرته على ما هدد به اولا من التحويل من حال الى اخرى فثبتت بذلك قدرته على
البعث وختم باحاطة العلم الملزوم لتمام القدرة اتبع ذلك دليلا ابين من الاول فقال عاطفا على ألم يروا ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ اي يعلم علما هو
في ظهوره كالمحسوس بالبصر
ولما كان مثل المثل الذي قاله هذا الكافر لا يرضاه حمار لو نطق اشار الى غباوته بالتعبير
بالانسان الذي هو وان كان افطن المخلوقات لما ركب فيه سبحانه من العقل يغلب عليه الانس بنفسه حتى يصير مثلا في غباوته
﴿الْإِنسَانُ﴾ اي جنسه منهم ومن غيرهم وان كان الذي نزلت فيه واحدا ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ﴾ بما لنا من العظمة ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ اي شيء يسير حقير
من ماء لا انتفاع به بعد ابداعنا اياه من تراب وامته من لحم وعظام ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ اي فتسبب عن خلقنا له من ذلك المفاجاة لحاله هي
ابعد شيء من حالة النطفة وهي انه ﴿خَصِيمٌ﴾ اي بالغ الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾ اي في غاية البيان عما يريد حتى انه ليجادل من اعطاه العقل
والقدرة في قدرته
الانشاد ابو القاسم القشيري في ذلك ، اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني ،
ولما
كان التقدير تعجب مع انا تفردنا بالانعام عليه غيرنا وخاصم بما خلقناه له من اللسان وانبناه من البيان ذرسلنا
وجميع اهل ودنا عطف عليه قوله منفتحا انكارهم البعث تعتبحا لا ترى اعجب منه ولا ابلغ ولا ادل على التمادي في الضلال والافراط
في الجحود وعقوق الايادي ﴿وَضَرَبَ﴾ اي هذا الانسان وسببا النزول ابي بن خلف الجمحي الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم باحد
مبارزة فهو المراد بهذا التبكيت بالذات وبالقصد الاول ﴿لَنَا﴾ اي على ما نعلم من عظمتنا ﴿مَثَلًا﴾ اي الهته التي عبدها لكونها
لا تقدر على شيء مكابرا لعقله في انه لا شيء يشبهنا ﴿وَنَسِيَ﴾ اي هذا الذي تصدى على مهانة اصله لمخاصمة الجبار وابرز صفحته لمجادلته
والنسيان هنا يحتمل ان يكون بمعنى الذهول وان يكون بمعنى الترك ﴿خَلْقَهُ﴾ اي خلقنا لهذا المخاصم الدال على كمال قدرتنا وان الهته
التي اشرك بها لا تقدر على شيء فافترق الحال الذي جمعه بالمثل اي افتراق وصار معقولا له بادليل الوطنة ان يخلق من لا يخلق
افلا تذكرون ثم استانف الاخبار عن هذا المثل بالاخبار عن استحالته لان يقدر احد على احياء الميت كما ان معبوداته لا تقدر
على ذلك فقال ﴿قَالَ﴾ اي على طريق الانكار ﴿مَن يُحْيِي﴾
ولما كانت العظام اصلب شيء وابعده عن قبول الحياة لا سيما اذا
بليت وارفتت قال ﴿الْعِظَامَ وَهِيَ﴾ ولما
اخبر عن المونث باسم لما بلي من العظام عرضته لم يثبت تا التانيث فقال
﴿رَمِيمٌ﴾ اي صارت ترابا يمر مع الرياح
ولما كان موطنا يتشوف فيه السامع لهذا الكلام الى جوابه استانف قوله تحاكيا
لمن لا يفهم هذه المجادلة حق فهمها غيرهم ﴿قُلْ﴾ اي لهذا الذي ضرب هذا المثل جهلا منه في قياسه من يقدر على كل شيء على من لا يقدر على شيء واعاد
تعلل للاحيا نصا على المراد دفعا للتعنت ودلالة على الاهتمام فقال ﴿يُحْيِيهَا﴾ بعد ان افنيتها باي مرة ولفت القول الى الوصف
بدل على الحكم فقال ﴿الَّذِي أَنشَأَهَا﴾ اي من العدم ثم احياها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ اي فان كل من قدر على ايجاد شيء اول مرة فهو قادر على اعادته ثاني
مرة وهي شاهدة بان الحياة تحل العظم فيتنجس بالموت مما يحكم بنجاسة ميتة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ اي صنع وتقدير ممكن ان يخلق من ذلك

ومن غير ابتداء واعادة عليم اي بالغ العلم فلا يخفى عليه اجزاءك اصلا وان تفرقت في البر والبحر ولا شيء غير ذلك فالاله من يرتبع فن
الاحسان الاحيا اولا دال على مثله ثانيا والانشا ثانيا دال على مثله اولا واولى مرة في الثاني دال على ثاني مرة في الاول فهو
على كل شيء قدير كما برهن عليه في سورة طه فهو يوجد المقتضيات لكل ممكن يريده ويرفع الموانع فيوجد في الحال من غير تخلف اصلا
فقد بلغ هذا البيان في الدلالة على البعث الجسماني والروحاني معا النهاية التي ليس وراها غاية بعد ان وطا له في هذه السورة
نفسها بما لا يحتمل طعنا بقوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون من بعثنا من مرقدنا فاذا هم جميع لدينا محضرون ان اصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون وامتازوا اليوم ايها المجرمون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ولما كان ما كهذا المثل الذي علق الانكار فيه بالرميم استبعاد تمييز الشيء اذا صار
ترابا واختلط بالتراب عن غيره من التراب وصف نفسه المقدس باخراج الشيء الذي هو اخفى ما يكون من ضده وذلك تمييز النار
من الخشب الذي فيه الماء ظاهرا باديا للعجوز من خلقه فقال معيدا الموصول تنبيها على التذكير بالموصوف ليستحضر ما له من صفات
الكمال فيبادر الى الخضوع لمن كان حيا الذي جعل لكم اي متاعا واستبصارا من الشجر الاخضر الذي تشاهدونه فيه الماء نارا
بان يحك غصنين كالسواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فتخرج النار قال
ابو حيان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس شجر الا وفيه نار الا العناب انتهى ولذلك قالوا في المثل المشهور في كل شجر نار
واستمجد المرخ والعفار فاذا انتم اي بتسبب عن ذلك فجاتكم لانكم منه توقدون اي توجدون الايقاد وتجددونه ولد
مرة بعد اخرى ما هو بخيال ولا سحر بل حقيقة ثابتة بينة
ولما كان ذلك من غير كلفة عليهم قدر الجاد تخصيصا له
وعدا العدم كالمعدوم فالذي قدر على تمييز النار من الماء والخشب وجعلها النار فيهما لا النار بعد واعاد الخشب فحمة ولا الماء بعد واعاد
النار فيطفيها قادر على تمييز تراب العظام من تراب غيرها ونفخ الروح فيها كما نفخ روح النار في الحطب المضاد له بالمائية ولما
كان انتقد من البين الذي قدر على ذلك قادر على ما يريد من احيا العظام وغيرها عطف عليه ما هو اعظم شانا منه تقريرا على الاعلى
بالادنى الادنى بالاعلى فقال اوليس الذي خلق اي اوجد من العدم وقدر السموات والارض اي على كبرهما وعظيم ما فيهما من المنافع
والمصانع والعجائب والبدايع واثبت الجار تحقيقا للامر وتاكيدا للتقرير فقال بقادر اي بثابت له قدرة لا تساويها قدرة وهي
قراءة رويس عن يعقوب بتحتانية مفتوحة واسكان القاف من غير الف ورفع الراء انه تجدد تعلق القدرة على سبيل الاستمرار على ان يخلق
ولفت الكلام الى الغيبة ايذانا بانهم صاروا بهذا الجدال اهلا لغاية الغضب فقال مثلهم اي مثل هولاء الاناسي اي يعيدهم باعيانهم
كما تقول مثلك كذا اي انت وعبر به افهاما لتحقيرهم وان احيا العظام الميتة اكثر ما يكون خلقا جديدا بل ينقص عن الاختراع بان له
مادة موجودة وعبر بضمير الجمع لانه ادل على القدرة قال الرازي والقدرة عبارة عن المعنى الذي به يوجد الشيء مقدرا بتقدير
الارادة والعلم واقعا على وفقهما وان كان صفات الله اعلى من ان يطمحها نظر عقل وتلحقها العبارات اللغوية ولكن غاية القدرة البشرية
واللغة العربية هذا ولما كان الجواب بعد ما مضى من الادلة القاطعة والبراهين الساطعة الاعتراف تولى سبحانه مقررا لما بعد النفي
اشارة الى انه يجب المبادرة اليه ولا يجوز التوقف فيه ومن توقف فهو معاند بلى اي هو قادر على ذلك وهو مع ذلك كونه
اي عالما بالخلق الخلاق البالغ في هذه الصفة مطلقا في تكثير الخلق وتكريره بالنسبة الى كل شيء مما لا يحيط به الاوهام ولا تدركه
العقول والافهام ولم ينازع احد في العلم بالجزئيات كما نازعوا في القدرة على ايجاد بعض الجزئيات فاكتفى فيه بصيغة فعيل
فقال العليم اي البالغ في العلم الذي هو منشا القدرة فلا يخفى عليه كلي ولا جزئي في ماض ولا حال ولا استقبال شاهد او غائب
ولما تقرر ذلك انتج قوله موكدا لاجل انكارهم القدرة على البعث انما امره اي شانه ووصفه اذا اراد شيئا اي
ايجاد شيء من جوهر او عرض اي شيء كان ان يقول له كن اي ان يريده ثم عطف على جواب الشرط على قراءة ابن عامر والكسائي بالنصب
واستانف على قراءة غيرهم بالرفع بقوله فيكون اي من غير مهلة اصلا على وفق ما اراد ولما كان ذلك تسبب عنه المبادرة
الى تنزيهه تعالى عما ضربوه له من الامثال فلذلك قال فسبحان اي تنزه عن كل شائبة نقص تنزها لا يبلغ ادراككم كنهه
وعدل عن الضمير الى وصف يدل على غاية العظمة فقال الذي بيده اي بقدرته وتصرفه خاصة لا بيد غيره ملكوت كل شيء اي
ملكه التام وملكه ظاهرا وباطنا ولما كان التقدير فمنه تبدؤون عطف عليه قوله واليه اي لا الى غيره من التراب
او غيره ولفت القول الى الخطاب استصغارا لهم واحتقارا فقال ترجعون لينصف بينكم فيدخل بعضا النار وبعضا الجنة
ونبهت قراءة الجمهور بالبنا للمفعول على زيادة صغارهم بكون الرجوع قهرا وباسهل امر وزادت قراءة يعقوب بالبنا للفاعل
بان نفيا دهم في الرجوع من شدة سهولته عليه كانه ناشي عن فعلهم بانفسهم اختيارا منهم فثبت انه على كل شيء قدير فثبت قطعا
انه حكيم فثبت انه لا اله الا هو وان كلامه حكيم وثبت بتمام قدرته انه حليم لا يعجل على احد بالعقاب فثبت انه ارسل الرسل
للبشارة بثوابه والنذارة من عقابه فثبت انه ارسل هذا الرسول الكريم لما ايده به من المعجزات واظهر على يديه من الادلة الباهرات
فرجع اخر السورة بكل من الرسالة واحيا الموتى الى اولها واتصل في كل الامرين مفصلها بموصلها والله الهادي

ولما مقصودها الاستدلال على اخر يس من التنزه عن النقايص اللازم منه رد العباد للفصل بينهم بالعدل
اللازم منه الوحدانية وذلك هو المعنى الذي اشار اليه وسميها بالصافات وانا لنحن المسبحون بسم الله الذي له الكمال
المطلق فلا يدنو من جنابه نقص الرحمن الذي من رحمته العدل في الدارين الرحيم الذي يمن على من يريد بالطاعة ثم بالثواب
والمثاب لاسقاط العقاب ولما كان الانفراد بالملكوت لا يكون الا مع الوحدانية بالذات وفي ذلك استحقاق الاختصاص
بالالهية وكان ذلك مع انه بحيث لا يخفى على ذي لب عندهم في غاية البعد ولذلك لا يبلون ما يتعلق بالملكوت وينكرونه غاية الانكار
ناسب ان يقسم عليه ولما كان من البلاغة ان يناسب بين القسم والمقسم عليه وكان للاصطفاف دلالة على اتحاد القصد كما
في صفوف القتال والصلاة وكان الملائكة لا تصدر لهم الا الله من غير عائق عن ذلك فكانوا احق الخلق بالاصطفاف تارة للصلاة
وتارة للتسبيح والتقديس وتارة لتدبير الارزاق وتارة لتعذيب اهل الشقاق الى غير ذلك من الامور التي لا تسعها الصدور
وكانوا بعد زجرة الاماتة ثم زجرة الاحيا المصرح بهما في السورة الماضية ثم زجرتي الصعق والافاقة الاثنين في الزمر حين
تنشق السماء بالغمام وتكون وردة كالدهان وتنفطر بسطوة الملك الديان ويتكدر ما فيها من اجرام ومعان تنزل ملائكة
كل سماء فتصير اصفافا مستديرة الملائكة الاولى حول اهل الارض وملائكة الثانية حول ملائكة الاولى وهكذا ثم يصيرون
اذا قيل يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا والماخ العباد بعضهم في بعض من شدة
الزحام وطول القيام كلما مالوا على جهة من جهاتهم زجروهم زجرا ردوهم به عن النفوذ وصدوهم عن النفوذ تاليين من كلام الملك
العلام ما يليق بذلك الوقت في ذلك المقام مع ان انتظام المدبرات الناشي عن اصطفافهم في التدبير في طاعة الملك القدوس
دال على الوحدانية قال تعالى والصافات اي الجماعات من الملائكة والمصلين والمجاهدين المكملين انفسهم بالاصطفاف
في الطاعة بتوصيفه لصفة لموصوف محذوف مؤنث اللفظ وعدل عن ان يقول الصافين القاصر على المذكور من العقلاء ليشمل
الجماعات من الملائكة والجن والانس والطير والوحش وغيرها اشارة الى انه لا يؤلف بين شيئين ليستحد القصد الا واحد كما هو
وانه ما اتحد قصد شيئين الا استوى صفه ولا اعتدل صفه الا اتحد زجره وهو صياحه ولا اتحد زجره الا بذكر يصونه
ولا اتحد منه ذلك الا نجح قصده وانفتح رشده بدليل المشاهدة واولها ان الصحابة رضي الله عنهم لما اتحد قصدهم في اعلا
الدين وهم اضعف الامم واقلها عددا والرهم لم يقم لهم جمع من الناس الذي لا نسبة لهم اليهم في قوة ولا كثرة ولم ينقص صفهم
وجرح القلوب وابارها زجرهم وشرح الصدور واثارها ذكرهم كما اشار اليه تعالى اخر هذه السورة بقوله وان جندنا
لهم الغالبون وكذا غير الادميين من الحيوانات كما يرى من الفار والجراد اذا اراد الله تعالى اتحاد قصدهم في شيء فانه تغلب فيه
من غالبه ويقهر من يناويه او يقاتله فبان ان الخير كله في الوحدة وانه لا اصلاح بدونها فبان ان الاله لا يكون متكثرا بوجه
من الوجوه فصح ما اريد بالقسم واتحد جدا لما المقسم عليه والتام والتحم به اي التحام وانتظم معنا تمام كل الانتظام
ولما كان التاكيد بالمصدر ادل على الوحدة المرادة قال صفا ومهو مرتبا بجمع على خط ولما كان توحد القصد
موجبا للقوة المهيئة للزجر وكان تكميل الغير مسببا عن تكميل النفس ومرتبا عليه واشرف منه لو تجرد عن التكميل وكان التكميل
اعلاهم امره ويعظم اثره مع الهيبة فاخذ في تعظيمه حتى يبلغ منهى الجهد قال عاطفا بالفا فالزاجرات اي المنتهرات عقب
الصف كل من خرج عن امر الله زجرا اي انتهارا بالمواعظ وغيرها تكميلا لغيرهم. ولما كان الافاضة مسببة عن حسن
التلقي المسبب عن تفريغ البال المسبب عن هيبة المعيد وكان فيض التلاوة اعظم الفيض قال فالتاليات اي المتابعات لا
على قولهم وفعلهم وتمهيدا لعذرهم وتشريفا لعذرهم وتكميلا لغيرهم ذكرا اي موعظة وشرفا وتذكيرا من ذكرهم افاضه
على غيرهم من روح العلم وادغام التا في الصاد والزاي والذال اشارة الى ان ذلك مع هوله وعظمه قد يخفى عن غير من يريد الله
اطلاعه عليه فقد قطعت الصيحة قلوب الكفرة من ثمود وغيرهم ولم تؤثر في من امن منهم وقد كان جبريل ينزل على النبي صلى الله
عليه وسلم ما ياتي به من القران والصحابة رضي الله عنهم حوله لا يسمعون شيئا منه والله الموفق ان الهكم اي الذي تعبدونه
من دونه الهة لواحد اي فان التفرق لا ياتي بخير لما يصحبه من العجز البعيد جدا عن الكمال الذي لا يكون الاله اصلا الا معه
فاليه لا الى غيره ترجعون ليفصل بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وهو الذي انزل هذا الكتاب بعزته ورحمته وحرسه من اللبس
وغيره بما سيره من كبريائه وعظمته ولو لم يكن واحدا لاختل امر هذا الاصطفاف والزجر والتلاوة وما يترتب عليها
لكان غير حكيم فاختل نظام هذا الوجود الذي نشاهده كما نشاهد في احوال الممالك عند اختلاف الملوك في تغيير العوايد ونسخ
الشرايع التي كان من قبلها اطردها وجميع ما له من الاثار والخصايص ونحن نشاهد هذا الوجود على ما احكمه سبحانه لا يتغير شيء منه
عن حاله الذي حده له فعلمنا انه واحد لا محالة منفرد بالعظمة لا كفو له من غير شك وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تضمنت
سورة يس من جليل التنبيه وعظيم الارشاد ما يهتدي الموفق باعتبار بعضه ويشتغل المعتبر به في تحصيل مطلوبه وفرضه
وشهد بان الملك بجملته لواحد وان رغم انف المعاند والجاحد اتبعها تعالى بالقسم على وحدانيته فقال تعالى والصافات الآية

الى قوله ان الحكم لواحد الى قوله ورب المشارق ثم عاد الكلام الى التنبيه لعجيب مصنوعاته فقال تعالى انا زينا السماء بزينة
الكواكب الى قوله شهاب ثاقب ثم اتبع بذكر عناد من جحد مع بيان الامر ووضوحه وضعف ما خلقوا منه انا خلقناهم من طين لازب
ثم ذكر استبعادهم العودة الاخراوية وعظيم حيرتهم وندمهم اذا شاهدوا ما به كذبوا واتبعها الاعلام الى ذكر الرسل مع اممهم
وجريهم في العناد والتوقف والتكذيب على سنن متقارب واخذ كل بذنبه وتخليص رسل الله وحزبه وابقاء جميل ذكرهم مع
باصطفائه وقربه ثم عاد الكلام الى تعنيف المشركين وبيان افك المعتدين الى ختم السورة انتهى ولما ثبت انه
واحد انتج وصفه بقوله رب اي موجد ومالك وملك ومدبر السموات اي الاجرام العالية والارض اي الاجرام السافلة
وما بينهما اي من الفضا المشحون من المرافق والمعاون بما تعجز عن عده القوى وهذا مع كونه نتيجة ما مضى يصلح ان يكون دليلا عليه
لما اشار اليه من انتظام التدبير الذي لا يتهيأ مع التعدد كما ان المقسم به هنا اشارة الى دليل الوحدانية ايضا بكونه على نظام
واحد دائما في الطاعة التي اشير اليها بالصف والزجر والتلاوة فسبحان من جعل هذا القران معجز النظام بديع الشان بعيد المرام
ولما كان السياق للافاضة بالتلاوة وغيرها وكانت جهة الشروق جهة الافاضة بالتجلي الموجد للخفايا الموجب للتنزه
عن النقايص وكان الجمع اليق بالاصطفاف الناظر الى الفهم بالايتلاف قال ورب المشارق اي للاعيانة والشائع التي تجلي عليكم
كل يوم منها الشمس والقمر وساير الكواكب السيارة على كر الدهور والاعوام والشهور والايام على نظام لا يختل ومسير
لا يتغير ولا يختل وذكرها يدل وطعنا على المغارب لانها تختلف بها واعاد الصفة معها تنبيها على وضوح دلالتهما بما فيهما من البديع
له من الاصطفاف الدال على حسن الايتلاف والدلالة على البعث بالاياب بعد الغياب ولما كانت المشارق تقتضي البعث
والاظهار اتبع ذلك نتيجته بما من شانه الشروق والغروب ولو بمجرد الخفاء والظهور فقال مؤكدا مع لفت الكلام الى التكلم
في مظهر العظمة تنبيها على ان نعلم نفعل من نيكرما للنجوم من الزينة وما له عليه من عظمته بتسخيرها لما سخرها له سبحانه
وفخم التعبير عن الزينة بتضعيف الفعل لمثل ذلك انا زينا اي بعظمتنا التي لا تدانى السماء ولما اشير الى ان الصف
زينة في الباطن بايجاد التقيد كما انه زينة في الظاهر بحسن الشكل وبديع الرصف زيد في التنبيه على ذلك باعادة ما فيهم من زينتنا
في قوله الدنيا اي التي هي ادنى السموات اليكم ولما كانوا لا يرون الا ما يليهم من السموات وكانت زينة النجوم ظاهرة
فيها قال بزينة الكواكب اي الزينة التي للنجوم النيرة البراقة المتوقدة الثابتة في محالها قارة او مارة المرصعة في السما
ترصيع المسامير الزاهرة كزهر النور المبثوث في حضرة الرياض الناضرة هي مع عدم التنوين والخفض اضافة بيانية كثوب خز
ومن نون الزينة فان خفض الكواكب فعلى البدل وان نصب فعلى المدح بتقدير اعني او على انه بدل اشتمال من السما اي كواكبها
اما بكونها فيما دونها من الجو فيظن انها فيها او بكونها فيها من جانبها الذي يلينا او بكونها تشف عنها وان كان بعضها فيما
هو اعلى منها وزينتها انتظامها وارتسامها على هذا النظم البديع في اشكال متنوعة وصور مستبدعة ما بين صغار وكبار
ثوابت وسيارة وشوارق وغوارب الى غير ذلك من الهيئات التي لا تحصى ولا حد لها عند العباد العجزة فيستقصى
ولما كان كون الشيء الواحد لاشياء متعددة ادل على القدرة واظهر في العظمة قال دالا بالعاطف على غير معطوف
عليه ظاهر على معقد يدل على ان الزينة بالنجوم امر مقصود لا اتفاقي وحفظا اي زيناها للزينة وللحفظ من كل شيطان
اي بعيد عن الخير محترق ولما كان المقصد التعميم في الحفظ عن كل عات سواء كان بالغا في العتو او لا قال مارد اي متجرد
من الخيرات في كل شر سواء كان بالغا في ذلك اقصى الغايات او كان في ادنى الدرجات كضارب وضراب ولما
كان المراد في سورة الحج والبناء ذم الكفر بفعل ما ليس في كونه شرا لبس وبوضع النفس باتباع ما لا شك في دناءته ببعد
عن الخير بعد الاحقاف به عبر بالمريد للمبالغة وكما انه حرس السما المحسوسة بما ذكر سبحانه فكذلك زين سبحانه قلوب الاوليا
التي هي كالسما للاراضي اجسامهم بنجوم المعارف فاذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فرشقته شهب احوالهم ومعارفهم
واقوالهم ولما تشوف السامع الى معرفة هذا الحفظ وثمرته وبيان كيفيته استانف قوله لا يسمعون اي الشياطين
المفهومون من كل شيطان لا يتجدد لهم سمع اصلا قال ابن الجوزي قال الفرا لا هنا كقوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين
لا يؤمنون به ويصلح في لا على هذا المعنى الجزم والعرب تقول ربطت فرسي لا ينفلت انتهى ويوخذ من التسوية بجعلهم الجمع
نظرا الى المعنى والافراد لضمير الخاطف انهم معزولون عن السمع اجمعهم ومعزولون من الجمع وانما الخطف يكون ان اتفق في الواحد
لا الجمع ومن الواحد لا الجمع وسكنه وما في حكمها لا الاكثر واليه يشير حديث الصحيح تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني واكد
بعدهم باثبات حرف الغاية فقال مضمنا سمع بعد فهم معنى انتهى او اصغى ليكون المعنى لا ينتهي سمعهم او تسمعهم او اصغاؤهم
الى الملأ اي الجمع العظيم الشريف واوضحت هذا المعنى قراءة من شدد السين والميم بمعنى يتسمعون اي بنوع حيلة تسمعا
منتهيا الى ذلك ومع نفيهم انهم يتسمعون لكن لا ينتهي تسمعهم الى ما ذكر بما اشار اليه الادغام ويشير ايضا الى انهم يجتهدون
في اخفا امرهم وافراد الوصف دلالة ايضا على انها تخطف تكون من واحد لا من جمع فقال الاعلى اي مكانا ومكانة بحيث

اي بالكواكب التي هي زينة صح

يملأون العيون بهجة والصدور هيبة ولما كان التقدير لانهم يطردون طردا قويا دل عليه بالعاطف في قوله ويقذفون
اي الشياطين يرمون رميا وحيا شديدا يطردونه وبني للمفعول قوله لان النافع قذفهم لا تعيين قاذفهم مع انه ادل على القدرة من
كل جانب اي من جوانب السموات بالشهب اذا قصدوا السماع دحورا اي قذفا يردهم مطرودين صاغرين مبعدين فهو تاكيد
للقذف بالمعنى او مفعول له او حال ولما كان هذا ربما كان سببا لان يظن انهم غير معذبين عليهم في غير هذه الحالة بغير
هذا النوع لخبرائهم في تبعيته وانما جعل حالهم هذا فتنة لمن اراد من عباده فقال معبرا باللام التي يعبر بها غالبا عن النافع تهكما
بهم ولهم عذاب اي في الدنيا بهذا وبغيره وفي الاخرة يوم الجمع الاكبر واصب اي دائم ممرض موجع كثير الايجاع مواظب على
ذلك دائب عليه وان افترقا له واما بين في الاتصال والعظم والشدة والالم ولما ثبت بهذا حراسة القران بقدرة
الملك الديان عن لبس الجان وكان بعضهم مع هذا يسمع في بعض الاحايين ما اراد الله ان يسمعه ليجعله فتنة لمن اراد من عباده
مع تميز القران بالاعجاز استثنى من فاعل يسمعون قوله الا من خطف ودل على قلة ذلك بعد افراد الضمير بقوله الخطفة
اي اختلس الكلمة او اكثر مرة من المرات منهم ودل على قوة انقضاض الكوكب في اثره بالهمزة في قوله فاتبعه مع تعديه بدونها
اي تبعه بغاية ما يكون من السرعة حتى كانه يسوق نفسه ويتبعها له كان الله سبحانه وعز شانه هيأها لئلا ينقض الا في اثر سمع
منهم حين سماعه سوى الاختلاف شهاب اي شعلة نار من الكوكب او غيره ثاقب اي يثقب ما صادفه من جني وغيره وان كان
الجني من النار فانه ليس نارا خالصة وعلى التنزل فربما كان الشيء الواحد انواعا بعضها اقوى من بعض فيؤثر اقواه في اضعفه
كالحديد وتارة يخطئ الجني وتارة يصيبه واذا اصابه فتارة يحرقه فيتلفه وتارة يضعفه ولما
كان المقصود من هذا الكتاب الاعظم بيان الاصول الاربعة التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر ودل
سبحانه بهذه المذكورات على وجوده وكمال علمه وتمام قدرته على الافعال الهايلة وبديع حكمته اللازم منه اثبات وحدانيته
تفصيلا لبعض اجمال اولي الذي خلق السموات والارض فكان ما دونهما من الافعال اولى سبب عن ذلك لاثبات الحشر الذي
اخبر به هذا القران الذي حرسه عن تلبيس الجان بزينة الكواكب التي انشا منها الشهب الثواقب قوله تهكما بهم
فاستفتهم اي سلهم ان يفتوا بان يبينوا الذي سالتهم عنه من انكارهم البعث واصله من الفتوة وهي الكرم اهم اشد
اي اقوى واشق واصعب خلقا اي من جهة احكام الصنعة وقوتها وعظمها امّن ولما كان المراد الاعلام
بانه لا شيء من الموجودات الا وهو خلقه سبحانه عبر بما يدل على ذلك دون ذكر ما يكون اعم وحذف المفعول لانه معلوم ولئلا
يليه اذا ذكر ضمير المستفتين فقال خلقنا اي من هذه الاشيا التي عددناها من الحي وغيره من الجن الذين اعطيناهم قدرة
التوصل الى الفلك وغيرهم وعبر بمن تغليبا للعاقل من الملايكة وغيرهم مما بين السموات والارض ولما كان الجواب قطعا
ان هذه المخلوقات اشد خلقا منهم وانهم هم من اضعف الخلائق خلقا قال دالا على ارادة التهكم بهم في السؤال مؤكدا اشارة
الى ان انكارهم البعث لاستبعاد تمييز التراب من التراب يلزم منه انكار ابتداء الخلق على هذا الوجه انا خلقناهم اي على
عظمتنا من طين اي تراب رخو مهين لازب اي شديد اختلاط بعضه ببعض فالتصق وضمر وتضايق ولازم بعضه لبعض
وتلا واشتد ودخل بعض اجزايه في بعض وصلب وثبت فصار تمييز بعضه من بعض اصعب من تمييز بعض التراب المنتشر من بعض
قال ابن الجوزي قال ابن عباس رضي الله عنهما الطين الحر الجيد اللزق واما كانوا من طين لان اباهم ادم عليه السلام كان منه من غير
اب ولا ام فصار وابهذا النفر بعض الطين الذي هو بعض خلقه الذي عدده فيما لله سبحانه ومن المعلوم ان حال الطين مباعد
لحالهم ولكنهم كانوا بقدرته سبحانه الذاتية التي لا يمتنع عليها ممتنع ولا يعجزها مامور فذلك ابته اخلقهم وخلق ما هو اشد منهم
واعظم على القدرة على اعادتهم قطعا بل بطريق الاولى من غير وجه وحسن هذا الاستفتا كل الحسن ختم الكلام قبله بمن بلغوا السما
تكبرا وعلوا وهموا بما لم ينالوا تجبرا وعتوا وسلط عليهم ما ردهم مقهورين مبعدين مدحورين واستثنى منهم من خطف ليعلم انه
غير بحال ما تعلقت به اسهم الافضال هذا مع ذكره في خلقهم الطين اللازب الذي من شانه الرسوب لثقله والسفول كما ان من شان
من ختم بهم ما قبله العلو لخفتهم والصعود ولما كان من المعلوم قطعا ان المراد بهذا الامر بالاستفتا انما هو التثبيت
لان من المعلوم قطعا ان الجواب ليسوا اشد خلقا من ذلك فليس بعثهم ممتنعا بوجه من الوجوه وليست عليهم لرسول الله
القهار الذي حكم في هذا الوحي المحفوظ باظهاره على الدين كله بجايزة اصلا نقلا ولا عقلا بوجه من الوجوه فلا شبهة لهم في
انكاره ولا في ظنهم انهم يغلبون رسولنا بل هم في محل عجب شديد في انكاره وظنهم انهم غالبون في الدنيا عبر عن ذلك بقوله
مسندا العجب الى اجل الموجودات واجل المخلوقات تعظيما له بمعنى انه قول يستحق ان يقال فيه انه لا يدرى ما الذي
اوقع فيه وكان سببا لارتكابه فقال بل عجبت بضم التاء على قراءة حمزة والكسائي او لفظها عند الباقين اي من جرايتهم في انكار
البعث ولا سيما وقد دل عليه القران في هذه الاساليب العربية والوجوه البديعة العجيبة التي لا يشك فيها من له ادنى تصور
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ظن كاملا للابق انه لا يسمع القران احد الا امن به قال القشيري وحقيقة التعجب تغير النفس

بما خفي فيه السبب مما لم تجر العادة بحدوث مثله ومثل هذا حديث الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لام سليم وابي طلحة رضي الله عنهما ضحك وفي رواية عجب الله من فعالكما الليلة وحديث البخاري عن ابي هريرة ايضا رضي الله عنه عجب ربنا من اقوام يقادون الى الجنة في السلاسل ومثله كثير والمعنى في الكل التنبيه على عظم الفعل وانه خارق للعادة ويجوز ان يكون المعنى انهم لم ينكروه لغلبة الدلايل عليه بل هذا اي مرح لا يليه ما يجب اعجابا عظيما من كثرته وطول الانا في موازنته ويسخرون اي حصل لك العجب والحال انهم يجددون السخرية كلما جئتهم من تعجبه واذا ذكروا اي وعظوا من اي واعظ كان بشيء ثم به عار فوجد لهم على البعث مثل ما يذكرون به من القدرة مع انه لا يجوز في عقل عاقل منهم ان احدا ابدع من يحيي بلا محاسبة لا يذكرون اي لا يعملون بموجب التذكير ولما ذكر اعراضهم عن المسموع اتبعه اعراضهم عن المرئي فقال واذا راوا اية اي علامة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك وغيره يستسخرون اي يطلبون السخرية بان يدعو بعضهم بعضا لذلك من شدة استهزائهم ولما كان انكارهم للبعث ولو صدر منهم مرة واحدة في الشناعة والعظم والقباحة مثل تجديدهم للسخرية كلما سمعوا اية والمبالغة فيها لان ذلك لا بد من الظهور والوضوح بمكان هو في غاية البعد عن الشكوك دل على ذلك بالتعبير بالماضي فقال وقالوا اي ما هو غاية في العجب ان اي ما هذا اي الذي اتانا به من امر البعث وغيره مما شاهدناه او اخبرنا به الا سحر اي خيال وامور مموهة لا حقايق لها مبين اي ظاهر في نفسه ومظهر لسحريته ثم خصوا البعث بالانكار اعلاما بانه اعظم مقصود بالنسبة الى السحر فقالوا مظهرين له في مظهر الانكار ايذا متنا فعطفوا عليه ما هو موجب عندهم لشدة الانكار فقالوا وكنا اي كونا هو في غاية التمكن وعطفوا عليه ما هو موجب عندهم لشدة الانكار فقالوا وكنا اي كونا هو في غاية التمكن ترابا قدموه لانه ادل على مرادهم لانه ابعد عن الحياة وعظاما كانهم جعلوا اكل واحد من الموت والكون الى الترابية المحضة والعظامية المحضة او المختلطة منهما مانعا من البعث وهذا بعد اعترافهم بان ابتدا خلقهم كان من التراب ثم كرروا الاستفهام الانكاري على قراءة من قرا به زيادة في الانكار فقالوا اينا لمبعوثون ولما كان المعنى ايبعث بعثنا عطفوا عليه قولهم مكررين للاستفهام الانكاري تاكيدا لزيادة استبعادهم حتى انهم قاطعون بانه محال فقالوا واباونا اي ايبعث بعثنا وكذا اباونا وزادوا في الاستبعاد بقولهم الاولون اي الذين طال مكثهم في الارض تحت اطباق الثرى وانمحقت اجزاؤهم بحيث لم يبق لهم اثر ما ومرت الدهور ولم يبعث منهم احد يوما من الايام ثم لنا بعده على ما يدعى من ذلك ولما كانوا اهل المبالغة في انكاره بعد قيام البراهين على جوازه بل وجوبه عادة امره بان يجيبهم عنها بما بلغ ذلك فقال مخاطبا لمن يستقل بالرد عليهم لانه الذي يفهمه حق فهمه قل نعم اي تبعثون على كل تقدير قدرتموه وذكر حالهم بقوله وانتم داخرون اي مكرهون عليه صاغرون ذليلون ثم سبب عن الوعد بحتم كونه ما يدل على انه غاية في الهوان فقال فانما اي يكون ذلك بسبب انكم تزجرون فتقومون والزجرة التي تقومون بها انما هي زجرة اي صيحة واكد ما تفهمه من الوحدة لاجل انكارهم تصريحا بذلك وتحقيرا لامر البعث في جنب قدرته سبحانه فقال واحدة وهي الثانية التي كانت الاماتة لجميع الاحياء في ان واحد بمثلها واصل الزجر الانتهار ويكون بحث او منع وانما يكون ذلك للمعقد وعليه الذي يفعل ما يغضب الزاجر فلذلك سمي الصيحة زجرة ولما كان هذا الكلام موذنا بالغضب حققه بصرف الكلام عن خطابهم جعلا لهم بمحل البعد وتعميما لغيرهم فقال معبرا بالفا المسببة المعقبة واداة المفاجاة فاذا هم اي جميع الاموات بضمايرهم وظواهرهم القديم منهم والحديث احيا ينظرون اي في الحال من غير مهلة اصلا ولا فرق بين من صار كله ترابا ومن لم يتغير اصلا ومن هو بين ذلك ولعله خص النظر بالذكر لانه لا يكون الا مع كمال الحياة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا قبض الروح تبعه البصر واما السمع فقد يكون لغير الحي لانه صلى الله عليه وسلم قال في الكفار من قتلى بدر ما انتم باسمع لما اقول منهم وشاهدت انا في بلاد العرقوب المجاورة لبانياس من بلاد الشام شجرة شوك يقال لها العيزرانية قيل عندها هات لي المنجل لا قطع هذه الشجرة احذو دهما في الحال في الذبول فالله اعلم ما سبب ذلك ولما حصل الغرض من تصوير حالهم بهذا الفعل المضارع عطف عليه بصيغة المضي التي معناها الاستقبال اعلاما بتحقق الامر تحقق ما مضى وكان وتحققه مع القيام سواء من غير تخلف ولا تخلل زمان اصلا فقال وقالوا اي كل من جحد البعث من الكفرة معلنين بما انكشف لهم من انه لا ملازم لهم غير الويل يا ويلنا اي يا من ليس لنا نديم غيره هذا يوم الدين اي الجزاء لكل عامل ولما كان قولهم هذا انما هو للتحسر على ما فاتهم من التصديق النافع به زادوا في ذلك بقولهم يخاطب بعضهم بعضا به لا وصفا بغيه وصف الدين باعادة اسم الاشارة على ما دهمهم من الهول هذا يوم الفصل اي الذي يفصل فيه بين الخصوم ثم زادوا اسفا وتغمما وتلهفا بقولهم لا فتن العول عن التكلم الى الخطاب لانه ادل على ذم بعضهم لبعض والبعد عن الانصاف بالاعتراف الذي كنتم اي باعادة الويل جبلة وطبعا به تكذبون وقدموا الجار اشارة الى عظيم تكذيبهم به فبينما هم في هذا التاسف اذ برز النداء بما يهد قواهم ويقد قلوبهم وكلامهم لمن لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون من الملايكة الشداد الغلاظ باذلالهم واصغارهم ولبيان الرعبة بدل ذلك من غير تنفيس اسقط ما يدل على النداء من نحو قوله فقيل للملايكة او فقلنا او فبرز النداء من جانب سلطاننا او نحو هذا احشروا اي اجمعوا بكره وصغار ودل

انها الموكلون بالعباد من الاجناد واظهر تعريفا بوصفهم الموجب لحشرهم فقال الذين ظلموا اي بما كانوا فيه في الدنيا بوضع الاشيا في غير محالها من الخبط الذي لا يفعله الا من هو في اشد الظلام وازواجهم اي اتباعهم الذين استنوا بهم في ذلك الضرب من الظلم واشباههم فيه من الجن وغيرهم ومن اعانهم ولو بشطر كلمة او رضي فعلهم لتصير كل طايفة على حدة فيبصر بعضهم بعضا ويبعضهم بينهم تبعضا وما كانوا اي بما دعتهم اليه طباعاتهم المعوجة يعبدون اي مواظبين على عبادته رجا منفعته تحقيقا لحسبانهم بتحقق اعتمادهم على غير معتمد وهو غير المعبود حقيقة او مجازا بالتزيين ومن سبقت له الحسنى مستثنى باية الانبيا واشار الى المسئول معبوداتهم وتسفيه ارائهم بانحطاط الاولى بقوله صارفا الاسلوب من التكلم ولو لمظهر العظمة الى الاعظم منه من دون الله اي الذي تفرد بنعوت العظمة وصفات الكمال والمراد الذين رضوا بعبادتهم لهم ولم ينكروا عليهم ذلك وبامرهم وهم متوحيد الله ولما كانوا قد سلكوا في الدنيا طريق الشقا المعنوية استحقوا ان يلزموا في العقبى سلوك طريق الحسية فلذلك سبب عن الامر بحشرهم قوله تهكما بهم وتحقيرا لهم فاهدوهم اي دلوهم دلالة يرتابون بعدها ليعرفوا اماما فيه من الاذى على سلوكها ما الهم فيكون ذلك اعظم في نكدهم قال الرازي واصل الهداية التقدم والعرب تسمي السابق هاديا يقال اقبلت هوادي الخيل اي اعناقها والهادية العصي لانها تتقدم ممسكها ونظر فلان هدى امره اي جهته ثم اشار الى طول ذلك فوقهم وسوء مقامهم بقوله باداة الانتها الى صراط الجحيم اي طريق النار الشديدة التوقد الواضح الذي لا لبس عندهم بانه يشترطهم فيوديهم اليها وخص هذا الاسم اعلاما بشدة توقدها وعظيم تاججها وبعد قعرها وضخامة عمق نيرانها وتراكم بعضها فوق بعض ووقع اضطرامها وعلو شانها واصطلامها وصلابة اضطرابها وتحرقها واشتمالها على داخلها ونفضها ولما كان المقصود من تعريفهم طريق النار وفيه تهكم بهم في كونهم على غير ما كانوا عليه في الدنيا من التناصر والتعاضد او لا زيادة الحسرة صرح لما افهمه حرف الغاية من طول الحبس فقال وقفوهم اي احبسوهم واقفين بعد ذلك وبعد تعريفهم بتلك الهداية التي سببها الضلال فكانت ثمرتها الشقاوة وايقافهم يكون عند الصراط نقله البغوي عن المفسرين قال لان السؤال عند الصراط ثم علل ذلك بقوله انهم مسئولون وجمع عليهم الهموم بحذف الكلمة لتذهب اوهامهم كل مذهب فلا يبقى جنس من الاحتراق ولا مصيبة الا علت قلوبهم فعمتهم فان المكلف كله ضعف وعورة فوقف السؤال عليه اعظم حسرة ولما وقفوا هذا الموقف الذليل قد شغلهم ما دهمهم من الاسف عن القال والقيل نودوا من مقام السطوة وحجاب الجبروت والعزة زيادة في تاسيفهم وتوبيخهم وتعنيفهم لفتا عن سياق الغيبة الى الخطاب دلالة على اعظم خيبة ما لكم اي اي شيء حصل لكم شغلكم والحال انكم لا تناصرون اي ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تفعلون في ذلك تسابقون المناظرين فيه اولي النجدة والشكيمة والنخوة والحمية ولو بادني التناصر بما يفيد اسقاط النار او بعد كلك واعمال حيلة بما اشار اليه قراءة البزي عن ابن كثير بالمد والادغام ان قولهم يوم بدر نحن جميع منتصر معبرين بما دل على اثبات المناصرة ولما كان قد دهمهم من الامر ما اوجب ابلاسهم واحزادرائهم واحساسهم اشار الى ذلك باحلالهم في محل الغيبة المؤذنة بالاذلال فقال معرضا عما تعذروا به انهم لا يتناصرون بل هم وزاد في تعظيم ذلك الوقت والتذكير به فقال اليوم مستسلمون اي ثابتا استسلامهم ثباتا لا زوال له قد خذل بعضهم بعضا اي موجدون للاسلام اي الانقياد لايجاد من كانه بطلبه وبعظمته ورغبته رجاء ان يخفف ذلك عنهم ولما اخبر بانهم سئلوا فلم يجيبوا كان ربما ظن انهم لحرسوا فنبه على انهم يتكلمون بما يزيد نكدهم فقال عاطفا على قوله وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اشارة الى اقبالهم على الخصام حين عاينوا القيام والاخذ في تحريك الاقدام بالمسير على هيئة الاجتماع والازدحام الى مواطن النكد والاغتمام ولم يعطفه بالفا لانه ليس مسببا عن القيام ولا عن الانعاف للسؤال بخلاف ما ياتي عن اهل الجنة واقبل بعضهم اي الذين ظلموا على بعض اي بعد ايقافهم وتوبيخهم وعبر عن خصامهم تهكما بهم بقوله يتساءلون اي سؤال خصومة ولان كلام المخلوق لكونه مطبوعا على النقايص التي من جملتها الجهل لا بد فيه من السؤال عما لا يعلمه ولما كان كانه قيل عما ذا او كان الرؤساء اعلم بالنسبة الى الاتباع كالاعدام اجيب بقوله معبرا بالضمير الصالح للكل اشارة الى ان الرسائل لتحكمهم في الغير الا الاتباع لهم اولى بالملام واحق بالانتقام قالوا اي لرؤسائهم مشيرين باداة الكون الى المداومة على اضلالهم موكدين لاجل تكذيب الرؤسا لهم انكم كنتم ولما كانوا يسعونهم ويغرونهم بما تقبله عقولهم على ما جرت به عوايدهم بحيث يقطعون به القطع من كان يريد الذهاب الى امر فنظر بالسانح والبارح فراى ما يجب فاقدم عليه وهو قاطع بحصوله اشاروا الى ذلك بقولهم تاتوننا مجاوزين لنا عن اليمين اي عن القوة والقهر والغلبة والسلطان في حملكم لنا عن الضلال فتفعلنا في طاعتكم فعل من خرج لحاجة فراى ما اوجب اقدامه عليها جهدا كان سببه كفرنا وكان هذا التفاول مما تسبب العرب كيفيته لما نسخه الشرع كما وقع في الميسر فاضطرب كلام اهل اللغة في تعيين قال صاحب القاموس البارح من الصيد ما مر من ميامنك الى مياسرك وسنح الظبي سنوحا ضد برح وقال ابن القطاع في كتاب الافعال وسنح الشيء سنوحا تيسر والطاير والظبي جرى عن يمينك الى يسارك وهو يتيمن به وقال

في مادة برح وبرح الطاير والظبي وغيرهما ضد سنح وهو ما ارى مياسره واهل الحجاز يتشاءمون به وغيرهم يتيمنون به ويتشاءمون
بالسانح وقال ابن مكتوم في الجمع بين العباب والمحكم في مادة برح والبارح خلاف السانح وقد برح الظبي اذا ولاك مياسره يمر
من ميامنك الى مياسرك والعرب تتطير بالبارح وفي مادة سنح والسانح ما اتاك عن يمينك من ظبي او طاير او غير ذلك والبارح
ما اتاك من ذلك عن يسارك وقيل السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره وقيل السانح ما يجيء عن يمينك فيلي مياسرك
مياسرك والعرب تختلف في عيافة ذلك فمنهم من يتيمن بالسانح ويتشاءم بالبارح وهذا المثل من لي بالسانح بعد البارح قال
في القاموس اي بالمبارك بعد المشوم ومنهم من يتشاءم بالسانح وقال الامام ابو عبد الله القزاز في مادة سنح والسانح من الطير والظبا
وغيرها هو الذي ياتيك عن يمينك اخذا على يسارك فيوليك مياسره فيمكنك رميه واكثر العرب تتيمن به وقال في مادة برح
والبارح من الطير والظبا هو خلاف السانح وهو الذي يلقاك وشمايله عن شمايلك وهو ما يتيمن به اهل العالية ويتشاءمون
بالسانح والسانح هو الذي يلقاك وميامنه عن ميامنك وهو ما يتيمن به اهل نجد ويتشاءمون بالبارح والبارح ايضا الشاءم
به من السانح لان البارح هو الذي ياخذ من عن يسارك الى يمينك فلا يمكنك طعنه فيتشاءم به لتعذره على الطاعن او الرامي ولذلك
قال ابو داود

تلك الماير زام فتنه • كذب العير وان كان برح

يقول كذب اذا طمع ان ينجو وان كان قد برح
وصعب على امكان طعنه وتتطير من يتيمن به بسلامته وخلاصه من الطاعن وتطير من يتيمن بالسانح بانه ياتي من ميامنك الى مياسرك
فيمكنك من طعنه ومن تشاءم به تطير بقلة سلامته ووقوعه فيما يكره ومن الطير الجابه وهو الذي يلقاك مواجهة ومنها
الناطح ايضا ومنها القعيد وهو الذي ياتيك من خلفك انتهى ما وقفت عليه من كلام اهل اللغة في ذلك والظاهر كما
نفهمه الاية ان العرب مطبقة على ان ما اتى عن اليمين كان مباركا سواء اتى من قدام مواجها لك ومر الى جهة الخلف فوليك ميامنه
او اتى من الجانب الايمن سواء كان ابتداء اتيانه من خلف او لا ثم مر قدامك عرضا الى جهة اليسار فولاك في الحالين مياسره وما اتى
عن جهة اليسار على ضد ذلك كان مشوما وكانهم اختلفوا في التسمية فاكثرهم سمى الاول سانحا من السنح بالضم وهو اليمن والبركة ومن
قولهم سنح لي راي تيسر لتضمن معنى اليمن عندهم في ذلك والثاني بارحا من البرح وهو الشدة والشر لتضمن هذا المعنى عندهم
في مادة برح وبعضهم عكس فسمى الاول بارحا من البرحة وهي الناقة تكون من خيار الابل لتضمن ذلك عندهم وسمى الثاني سانحا
من قولهم سنحه عما اراد صرفه وسنح بالرجل وعليه احرجه واصابه بشر فمن الاختلاف في التسمية اي الخلاف ولذلك عبر
سبحانه بالمعنى دون الاسم لان كلامه سبحانه لا يخص قوما دون غيرهم واما التعليل بامكان الطعن والرمي فلا معنى له لان الانسان
ينتقل عن هيئته وقوفه بادنى حركة فينعكس بالنسبة اليه امر المياسر والميامن ويتغير حال الطعن والرمي هذا اذا سلم ان الرمي
والطعن يعسر من جهة المياسر على انه مسلم ولو كان المعنى دايرا عليه لما اختلف فيه الا بالنسبة الى الاعسر وغيره لا بالنسبة الى اهل
العالية وغيرهم واما البيت الذي استدل به فيمكن حمله على ان قايله في حاجة له لا بد له منها فراى البارح فلم يتطير منه ونجح في امره ذلك فكذبنا
له فيما دل عليه عند العرب واما الجابه وغيره فاسما اخر لبعض انواع كل من السانح والبارح والله اعلم وقال ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي
في كتابه الزينة العيافة والقيافة والزجر نوع من الكهانة الا انه اخف في الكراهة وذلك ان الكاهن كان بمنزلة الحاكم وكان من الكهان
من يعبد كما يعبد الصنم وكانوا سدنة الاصنام قلت والكاهن في اللغة من يقضي بالغيب وذلك هو غاية العلم فهو وصف يدل على التوغل
في العلم انتهى قال ابو حاتم وسمعت بعض اهل الادب قال الكاهن بالعبرانية العالم وكانوا يسمون هرون عليه السلام كهنا ربا معناه
عالم الرب ثم قال ان الكهانة والسحر كان عند المتقدمين نوعا من العلم فكان الساحر والكاهن اسمين محمودين فلما جاء الله بالاسلام
صار هذان الاسمان مذمومين عند المسلمين لما كشف لهم ما في ذلك من الشر ثم قال فاما العايف والعايف والزاجر فلم يكن سبيلهم كذلك
يعني كالكاهن في انه ربما عبد قال وانما كره لانه كان يخبر بشيء غايب فكره كما كره امر النجوم توقيا ان يكون مثل الدعوى في علم
الغيب والعايف هو الذي يعيف الطير ويزجرها ويعتبر باسمايها واصواتها ومساقطها ومجاريها فاذا سمع صوت طاير او جرى
من يمينه الى شماله او من شماله الى يمينه قضى في ذلك بخير او شر في الامر الذي يريد ان يفعله فاذا قضى فيه بشر تجنب ذلك الامر
يقال عاف يعيف اذا فعل ذلك ومعنى عاف اي امتنع وتجنب يقال عافت الابل الماء اذا لم تشرب وكذلك يقال في عيف الابل والزاجر
ايضا هو مثل العايف يقال يزجر الطير زجرا وذلك انه ينظر الى الطير فيقضي فيها مثل العايف فاذا راى شيا كرهه رجع عن امر
يريد ان يشرع فيه او حاجة يريد قضاها والزاجر معناه الناهي فكان الطير قد زجره عن ذلك الفعل او ان من عاف له زجر عن
ذلك ويكون معنى الزجر ايضا انه اذا راى منها شيا صاح بها وطردها فكان طرده اياها زجرا لها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اقروا الطير على مكناتها فانهم كانوا اذا لم يروا سانحا ولا بارحا نفروا الطير لينظروا الى اي جهة تطير والله اعلم قال
ابو حاتم والاصل في هذا انهم كانوا يزجرون الطير ثم كانوا يزجرون الظبي والثعلب وبصوت الانسان ويتفاءلون بلفظه وغير ذلك
ثم نسبت كلها الى الطير فقيل تطير اي تيمنه بالطير وروى عن الاصمعي قال سالت ابن عون عن الفال فقال هو ان تكون مريضا
فتسمع يا سالم او يكون باغيا فتسمع يا واجد قال وكان ابن سيرين يكره الطيرة ويحب الفال وفي الحديث قال الطيرة الفال والفال

ماخوذ من الفال وهي لعبة يتقامرون بها كانوا ياخذون الدراهم فيخلطونها بالتراب ثم يجمعونه طولا ثم يقسمونه بنصفين
ويتقارعون عليه فمن اصابته القرعة اختار من القسمين واحدا فلما كان المقابل يختار منهما ما احب سمي الفال لانه يتفاءل بها
نجحه وكان هذا في العرب كثيرا واكثره في بني اسد قال الاصمعي اخبرني سعد بن نصر ان نفرا من الجن تذاكروا عيافة بني اسد فاتوهم
فقالوا ضلت لنا ناقة فلو ارسلتم معنا من يعيف فقالوا الغليم لهم انطلق معهم فاستردفه احدهم ثم ساروا فلقيتهم عقاب
كاسرة احد جناحيها فاقشعر الغليم فبكى فقالوا ما لك فقال كسرت جناحا ورفعت جناحا وحلفت بالله صراحا ما انت بانسي
ولا تبغي لقاحا وكانوا يتيمنون الذي يجيء عن يمينك فياخذ الى شمالك سانحا والذي يجيء عن يسارك فياخذ الى يمينك بارحا والذي يستقبلك
ناطحا وكافحا والذي يجيء من خلفك قعيدا والذي يعترض في كل وجه متيحا فمنهم من كان يتشاءم بالبارح ويتيمن بالسانح
ومنهم من كان يتيمن بالبارح ويتشاءم بالسانح

جرت سنحا فقلت لها اجيزي • نوى مشمولة فمتى اللقاء •

قال زهير

ولا السانحات البارحات عشية • امر سليم القرن ام مر اعضب •

وكانوا يزجرون بعضب القرن وصحته والاعضب الذي له قرن واحد واما القايف فهو الذي يتبع الاثار ويعرفها ويعرف شبه
الرجل في ولده ويروى عن عوسجة بن معقب القايف قال كنا نسرق نخلنا فنعرف اثارهم فركبوا الحمر فعرفنا الحمر ايديهم
والعذوق فكان القايف سمي قايفا لانه يقفو الاثر يقال قفا الاثر وقاف الاثر اي تبعه قال الاصمعي عن ابي طرفة الهذلي
قال راى قايفان اثر بعير وهما منصرفان من عرفة بعد الناس بيوم او بيومين فقال احدهما ناقة وقال الاخر جمل فاتبعناه فاذا
هو ناقة فطافا به فاذا هو خنثى ويقال للرجل اذا كان فطنا عارفا بالامور هو عايف وقايف وكان قوم من العرب لا يتطيرون
ولا يتهيبون الطيرة ويفتخرون بتركه ويعدونه من تركه شجاعة وانما قال بعض شعرايهم

ولقد غدوت وكنت لا اغدو على واق وحاتم • فاذا الاشايم كالايامن والايامن كالاشايم •
وليس بهياب اذا شد رحله • يقول عداني اليوم واق وحاتم •
ولكنه يمضي على ذاك مقدما • اذا صد عن تلك الهناة الخثارم •

الخثارم المتطير ومثل العيافة والقيافة الطرق والخط وهو ايضا نوع من الكهانة وهو ان يخط في الارض خطوطا في الطول
ثم يخط عليها خطوطا في العرض ثم يطرق بالحصى او بالشعير او بحسبات ولا يزال يخط ويمحو او يعيد ثم يتكهن عليه ومن هذا الباب
ايضا علم الكتف وهو ان ينظر في كتف شاة فيحدث باشيا تكون في العالم مثل الحروب والامطار والرياح والجدب والخصب
وغير ذلك وهذا لا يقال له الكتاف كانه اشتق له اسم من الكتف مثل العراف لان العراف من جنس العيافة فالعيافة والعرافة
سوا فهذه الاشيا كلها من السحر والكهانة والقيافة والعيافة والخط والطرق والكتف وما اشبهها تدخل فيها الاخبار
والروايات ويطول الخطب بها وهي كلها مكروهة حرام لنهي ما جا فيها التشديد مثل السحر والكهانة ومنها ما جاء في
القليل منها الرخص والتخفيف مثل القيافة والعيافة والكتف اسمى وهو مسلم له في القيافة واما غيرها فما زع فيه ثم قال
واكثر هذه الاشيا اصولها من الانبيا عليهم السلام فاذا استعملت بعد النسخ وبعد ما جا فيها النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم
كانت حراما من دعوا الى الكفر والتعطيل وغير ذلك من انواع الفساد ثم قال وما كان من امر مشركي العرب فقد درس دروسا لا
يعرف ولا يحتاج الى ذكر كيفيته اذ كان مثل اشيا لا اثر له ويكون لا يستغني لعقها والعلما عن معرفته اذ كان له في القران ذكر
واذ كان واجبا على العلما تعلم ما في القران على حسب طاقتهم والحمد به نقص عليهم والله اعلم • اشار سبحانه بتسمية
كلامهم هذا سوالا الى ان مرادهم فهل انتم مغنون عنا شيا او حاملون عنا جزءا من العذاب وكانه قيل ثم اجاب الروسا هذا
القول من الاتباع فقيل قالوا بل اي لم يكن كفركم بسببنا بل لم تكونوا مومنين اي عريقين في هذا الوصف بجبلاتكم فلذلك
تابعتمونا فيما امرناكم به لانه كان في طبعكم وهذا دليل على ان من لم يكن راسخا في الايمان كان منهم ثم اكدوا هذا المعنى بقولهم
نافين لما اشاروا باليمين اليه وما كان اي كونا ثابتا لنا عليكم واغرقوا في النفي بقولهم من سلطان اي فاكرهناكم بملك السلط
انما انا بعثونا باختياركم وهو معنى بل كنتم اي جبلة وطبعا قوما اي ذوي قوة وكفاية لما تحاولونه من الامور طاغين
اي مجاوزين الحد بربكم غالين في الكفر مسرفين في المعاصي والظلم وذلك انكم خلق لا تحتاجون فيه الى كبير محرك فحق علينا
اي كلنا نحن وانتم بسبب ذلك وغيره مما يدل على ندمهم فقالوا قول ربنا اي الذي قابلنا احسانه الينا وتربيته لنا بالكفران
وقوله هو الحكم بالضلال لما في قلوبنا من القابلية له والاباء للايمان فالحكم بالعذاب ولما تصوروا واما صادوا اليه
من الخطا العاجز عن الطريق الواضح وعلموا ان مثل ذلك لا يتركه احد الا بقهر قاهر تصوروا انهم نه ما قسرهم عليه الا الاخو
الكلمة العليا علموا انهم مثل ما صاروا الى حكمها في الكفر يصيرون الى حكمها في العذاب فقالوا ما دهمهم من النحس مريدين بالياس
قطع اطماع الاتباع عما اجهد كلامهم من ان الروسا يغنون عنهم شيا انا اي جميعا لذايقون اي ما وقع لنا به الوعيد من سوء
العذاب ولما فضوا علالة التحسر والتاسف والتضجر رجعوا الى التمام ذلك الكلام فقالوا فاغويناكم اي اضللناكم

وأوقعناكم في الغي بسبب جعو فحق لنا القول علينا ثم عللوا ذلك بقولهم مؤكدين ايضا لرد ما ادعاه الاتباع من انه ما كان سبب اغوايهم
الا الرؤسا **انا** اي جميعا **كنا غاوين** اي في طبعنا الغواية وهي العدول عن الطريق المثلى الى المهالك **ولما** قال لهم الرؤسا ما هو
الحق من امرهم مما اوجب الحكم باشتراكهم سبب عنه قوله تعالى مؤكدا دفعا لمن يتوهم اختصاص العذاب بالسبب **فانهم** اي الفريقين
بسبب ما ذكروا من الغيهم **يومئذ** اي يوم اذ كان هذا التقاول بينهم **في العذاب** اي الاكبر **مشتركون** اي في اصله وهم مع ذلك
متفاوتون في وصفه على مقادير كفرهم كما كانوا مشتركين في السبب متفاوتين في شدتهم وليس هذا وقد قال البخاري في صحيحه
في تفسير حم السجدة وقال المنهال عن سعيد قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما اني اجد في القران اشيا تختلف علي قال فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ولا يكتمون الله حديثا والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا في هذه الاية وقال
السماء بناها الى قوله دحاها فذكر خلق السما قبل خلق الارض ثم قال ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى طائعين فذكر
في هذه خلق الارض قبل السما وقال وكان الله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا فكانه كان ثم مضى فقال فلا انساب بينهم في
النفخة الاولى ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله فلا انساب عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الاخرى
اقبل بعضهم على بعض يتساءلون واما قوله ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم وقال المشركون
تعالوا نقول لم نكن مشركين فختم على افواههم فتنطق ايديهم فعند ذلك عرف ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا الاية
وخلق الارض في يومين ثم خلق السما ثم استوى الى السما فسواهن في يومين اخرين ثم دحا الارض ودحاها اي اخرج منها الما والمرعى
وخلق الجبال والاكام وما بينهما في يومين اخرين فذلك قوله دحاها وقوله خلق الارض في يومين فجعلت الارض وما فيها من شي
في اربعة ايام وخلقت السموات في يومين وكان الله غفورا سمى نفسه ذلك وذلك قوله اي لم يزل كذلك فان الله لم يرد شيئا الا
اصاب به الذي اراد فلا يختلف عليك القران فان كلا من عند الله وقال في سورة المرسلات وسئل ابن عباس هذا يوم لا ينطقون
والله ربنا ما كنا مشركين اليوم نختم على افواههم فقال انه ذو الوان من ينطقون ومرة يختم عليهم **ولما** اخبر سبحانه باشد
اسنانه الاخبار بما يهول امر عذابهم ويشير الى عمومه في الدارين لكل من شاركهم في الاجرام والتهويل واظهار الغضب صرف القول
الى مظهر العظمة فقال مؤكدا دفعا لظن من ينكر العقبة وظن من يرى الامهال للمجرم في الدنيا نعمة وينفي كونه نقمة او يفعل في التمادي
في الاجرام فعل المنكر **انا** اي بما لنا من العظمة التي لا يفوتها شي **كذلك** اي مثل هذا الفعل العظيم الشان **نفعل** بهم هكذا كان
الاصل ولكنه علق بالوصف تعليلا وتعميما فقال **بالمجرمين** اي كل قاطع لما امر الله به ان يوصل في الدنيا والاخرة نمهل ثم ناخذ
اخذا عنيفا بصير به المشتركون في الظلم اعدا يتخاصمون ويحيل بعضهم على بعض ثم لا ينفعهم ذلك بل يشارك بينهم في العقوبة
ثم علل تعذيبه لهم بقوله صارفا عن مظهر العظمة الى اعظم منه مؤكدا للتعجب منهم لان فعلهم هذا اهل لان ينكر لان هذه
الكلمة لا يصح في عاقل ان احدا يستكبر عليها لانه لا شي اعدل منها **انهم كانوا** اي دائما **اذا قيل لهم** اي من اي قائل كان **لا اله**
اي يمكن وان لا نفي الممكن كان الموجود اولى فانه لا يوجد الا ما يمكن وجوده وان كان واجبا **الا الله** اي الملك الاعلى المباين لجميع
الموجودات في ذاته وصفاته وافعاله ووجوده كما هو الحق ليفرد وقدم النفي لان التحلية لا تكون الا بعد التخلية كما لا يخفى على
من له ادنى مسكة بصفات الكمال كما تفرد بالخالقية وقدم النفي لان التحلية لا تكون الا بعد التخلية **يستكبرون** اي يوجدون الكبر
عن الاقرار بهذا الحق الذي لا اعدل منه وعن متابعة الداعي اليه استكبار من هو طالب للكبر من نفسه ومن عزمه لما له فيه من العراقة
والعتو فلم يكن لهم مانع من ابواب جهنم السبعة التي جعلت من هذه الكلمة مع تربيتها الشاهدة بالرسالة ما نفعه من بابه ولا كان
في شي من ساعات ايامهم التي هي بعد دحو فيها اربعة وعشرون خير ينجيهم من المكاره **ولما** اخبر انهم استكبروا على توحيد
الاله اتبعه الاخبار بانهم تكلموا في رسوله صلى الله عليه وسلم بالارضاه فقال **ويقولون** اي كل حين مادلوا به على بعدهم عن الاعمال
كل البعد بسوقهم لقولهم ذلك في استفهام انكاري مؤكد **ائنا لتاركوا الهتنا** اي عبادتهما وكان تاكيد اصل الكلام للاشارة
الى تكذيبهم صادر منهم مع علمهم بان كل عالم بحالهم يرى انهم جديرون بترك ما هم عليه لما جا به صلى الله عليه وسلم ولذلك اعلم
بان ما هم عليه عناد بسوق تكذيبهم على وجه معلوم التناقض بالبديهة بقوله **لشاعر مجنون** فان الجنون لا نظام معه والشعر
يحتاج الى عقل رصين وقصد قويم وطبع في الوزن سليم او للاشارة الى ان انكار الموكد انكار لغيره بطريق الاولى **ولما**
كان مرادهم بذلك ان كلامه باطل فان اكثر كلام الشاعر غلو وكذب وكلام المجنون تخليط كان كانه قال في جوابهم انه لم يجي
بشعر ولا بجنون **بل جاء بالحق** اي الكامل في الحقية **ولما** كان ما جا به اهلا لكونه حقا لان يقبل وان خالف جميع اهل الارض
وكان موافقا مع ذلك لمن تقدم وصدقهم واشتهر اتباع الناس لهم فكان اهلا لان يقبله هولاء الذين انزلوا انفسهم عن درج معرفة
الرجال بالحق الى حضيض معرفة الحق على زعمهم بالرجال فكان مآل امرهم التقليد قال **وصدق المرسلين** اي الذين علم كل ذي لب انهم
اكمل الخلق بما ايد الله بهم الاكوان في كل اوان وتقدم في اخر سورة فاطر انهم عابوا من كذبهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم
احد منهم ليؤمنن به فكذبوا ابا ان كذبوا اسيدهم بهذا الكلام المتناقض **ولما** وصلوا الى هذا الحد من الطغيان والدور الظاهر

والبهتان تشوق السامع الى جزائهم فاستانف الاخبار بذلك مظهرا له في اسلوب الخطاب ابدا انا بتناهي الغضب فقال في قالب
التاكيد نفيا لما يرجونه من العفو بشفاعة من ادعوا انهم يقربونهم زلفى وعطفا لهم ولامثالهم في الدنيا لما ينكرونه حقيقة
او مجازا **انكم** اي ايها المخاطبون على وجه التحقير المجرمون **لذائقوا** اي بما كنتم تذيقون اوليا الله **العذاب الاليم** **ولما**
كان سبحانه الحكم العدل ولا يظلم احدا مثقال ذرة فلا يزيد في جزائه شيئا على ما يستحق مع انه ان يفعل ما يشاء ولا يكون فعله
كيفما كان الا عدلا قال **وما** اي والحال انكم ما **تجزون** اي جزاء من الجزا **الا ما** اي مثل ما ولما كانوا مطبوعين على تلك الخلال
السيئة بل انها كانت خلقا لهم لا يقدرون على الانفكاك عنها بالتعبير باداة الكون فقال **كنتم تعملون** بما جبلتكم عليه نفيا لوهم
من قد يظن انهم فعلوا شيئا بغير تقدير سبحانه **ولما** كان في المخاطبين بهذا من علم الله انه سيؤمن استثنى من واو ذا
قوله مرغبا لهم في الايمان مشيرا الى انهم لا يحملهم على الثبات على ما هم عليه من الضلال الا غش اصحابهم بالرياء وغيره فهو استثنا
متصل بهذا الاعتبار الدقيق واظهر موضع الاضمار تشريفا لهم وان تاخر اسلامهم **الا عباد الله** فرغبهم بوصف العبودية
الذي لا اعز منه واضافهم زيادة في الاستعطاف الى الاسم الاعظم الدال على جميع صفات الكمال وزاد ترغيبا بالوصف
الذي لا وصف اجل منه فقال **المخلصين** **ولما** خلصهم منهم ذكر ما لهم فقال معظما لهم باداة البعد **اولئك** اي
العالو القدر بما صفوا انفسهم عن اكدار الاهوية **لهم رزق معلوم** اي يعلمون غايته وكانيته وانيته وطعمه ونفعه
ومقدره وغيره وجميع ما يمكن علمه من اموره وليسوا امثال ما هم عليه في هذه الدار من كدر الاخطار لا تدري نفس ماذا تكسب غدا
لان النفس الى المعلوم اسكن وبالامر اليه امكن **ولما** كان اهل الجنة لما يكلون تقوتا واحتياجا بل تنعما والتذاذا هم
وابتهاجا لان اجسامهم محكمة مخلوقة للابد فهي غير محتاجة الى حفظ الصحة قال **فواكه** اي يتنعمون بها بما كدروا من عيشتهم
في الدنيا **ولما** كان الذي هو نعيم الجسم لا يجد غاية الحمد الا مع الفرح الذي هو غذا الروح قال **وهم مكرمون** بناه للمفعول
اشارة الى ان وجود اكرامهم من كل شي امر حتم لا يكون غيره اصلا بما اهانوا به انفسهم في الدنيا **ولما** كان الاكرام
لا يتم الا مع طيب المقام قال **في جنات النعيم** اي التي لا يتصور فيها غيره **ولما** كان التلذذ لا يكمل الا مع الاحباب وكانت
عادة الملوك الاختصاص بالمحل الاعلى بين انهم كلهم ملوك فقال **على سرر متقابلين** اي ليس فيهم احد وجهه الى وجه الاخر
على كثرة العدد بما انجمد من قصدهم في الدنيا وهو انسب شي لمطلع السورة في الصف والوحدانية **ولما** كان ذلك لا
يكمل الا بالشراب وكان المقصود الطواف به لا كونه من معين قال **يطاف** بالبنا للمفعول وكانهم نزل البهجة من جهة العلو
ليكون اشرف لها واصون فنبه على ذلك باداة الاستعلا فقال **عليهم** اي وهم فوق اسرتهم كالملوك **بكاس** اي انا فيه خمر
قالوا وان لم يكن في الزجاجة خمر فهي قدح ولا تسمى كاسا الا والخمر فيها **من معين** اي من خمر جارية في انهارها ظاهرة للعيون تنبع
كما ينبع الما لا يعالجونها بعصير ولا يحملهم على الرفق بها والتقتير فيها نوع تقصير قال الرازي سميت به لانها من ظهورها للعين او
لشدة جريها من الامعان في السير او لكثرتها من المعن وهو الكثير وسمي الماعون لكثرة الانتفاع به ويقال مشرب ممعون لا يكاد
ينقطع **ولما** كان اول ما يحتاد في الشراب لونه ثم طعمه قال واصفا ما في الكاس من الخمر استخداما **بيضاء** اي مشرقة
صافية هي في غاية اللطافة تلالا نورا واعرق في وصفها بالطيب فجعلها نفس المعنى في قوله **لذة للشاربين** بما كانوا
يذوقون ويتجرعون من كاسات الاحزان والانكاد واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وجمع اشارة
الى انهم لا ينفعلون بها الا كذلك لما فيه من مزيد اللذة **ولما** اثبت لها الكمال نفى عنها النقص فقال **لا فيها غول**
اي فساد من صداع راس او ارخا مفصل او احما كبد او غير ذلك مما يغتال اي يهلك او يكون سببا للهلاك واما غيرها
من شراب الدنيا ففيه يجتمع ذلك واليه اشار بتقديم الظرف **ولا هم عنها** اي بعد مجاوزة شربها **ينزفون** اي يذهب شي
من عقولهم وان طال شربهم وكثر ليلا ينقص نعيمهم ولا ينفد شرابهم او ما عندهم من الجدة لكل ما يسر به على قراءة حمزة والكسائي
بكسر الزاي من انزف مبنيا للفاعل مثل اقل واعسر اذا صار ذا قليل المال او ذهب عقله وقراءة الجماعة بالبنا للمفعول
يحتمل ان يكون من نزف وحينئذ يحتمل ان يكون من نفاد الشراب من قولهم نزفت الركية اي ذهب ماؤها وان يكون من ذهاب
العقل من قولهم نزف الرجل بالبنا للفاعل ونزف بالبنا للمفعول بمعنى ذهب عقله بالسكر وان يكون من عدم الشراب من قولهم
نزف الرجل الخمر سوا كان مبنيا للفاعل وللمفعول اذا افناها **ولما** كان ذلك كله لا يكمل الا بالجماع والجماع لا يحلو الا
شي اليه وهو لا يكمل النعيم به الا بالاختصاص قال **وعندهم** اي لا عند غيرهم لا من اهل الدنيا وغيرها **قاصرات الطرف**
اي لا تطرف واحدة منهن الى غير زوجها ولا تدعه يشاهي حسنها وفرط جمالها وظرفها يطرف الى غيرها **عين** اي نجل العيون
جمع عينا كثرت عينه لمناسبة الباء **ولما** كان احسن الالوان لا سيما عند العرب الابيض الاحمر المشرب بصفرة
الكسبية صفاء واشراقا وبهاء قال **كانهن بيض** اي بيض نعام **مكنون** اي مصون من دنس بالجفن وغبار بريقه ونحبه العرب
لهذا اللون كانت تقول عن النساء بيضات الخدور ولان لونه ابيض مشربا بصفرة صافية وقد صرح امرؤ القيس بهذا في لامية

المشهودة ٠ كبكر مقاناة البياض بصفرة ٠ غذاها نمير الماء غير المحلل ٠ اي مخالطة البياض المايل الى
الحمرة بصفرة وهو اصفى الالوان واعدلها يشابه لون نور القمر ولما كان ذلك الاجتماع انما هو للسرور وكان السرور
لا يتم الا بالمنادمة وكان احلى المنادمة ما يذكر بحلول نعمة او انحلال نقمة تسبب عن ذلك ولا بد قوله اشارة الى فراغ البال
وصحة العقل بالاصابة في المقال فاقبل بعضهم اي اهل الجنة بالكلام واشار الى ان مجرد الاقبال بالقصد يلفت القلوب الى
سماعه الاستعلا فقال على بعض اي لاجل الكلام الذي هو روح ذلك المقام واما المواجهة فقد تقدم انها دايمة وبين حال
هذا الاقبال فقال يتساءلون اي يتحدثون حديثا بينا لا خفاء بشيء منه بما اشار اليه الاظهار ما جمعه ان يهيئ به ويبال
عنه من احوالهم التي خلصوا منها بعد ان كادت ترديهم وسماه سوالا لانه مع كونه اهلا لان يسال عنه لا يخلو عن سوال
ادناه سوال المحدث ان يصغي الى الحديث وعبر عنه بالماضي اعلاما بتحققه تحقق ما وقع ولما تشوف السامع
الى سماع شيء منه يكون نموذجا للباقي اشار الى ذلك بقوله مستانفا قال قايل منهم اي في هذا التساؤل وشان ما بينه وبين ما
مضى جزم من تساؤل اهل النار ولما كان ظنه انه لا يخلص من شر ذلك القرين الذي يجره عنه فنجاه الله منه على خلاف
الظاهر فكان ذلك احدى النعم الكبرى نبه عليه بالتاكيد فقال اني كان لي قرين اي جليس من الناس كانه شيطان مبين يقول
اي مكذبا بالبعث مستبعدا له غاية الاستبعاد مجددا للقول في كل وقت يريد ان يحثه عني بلطافة قياده الى سوء اعتقاده
اينك لمن المصدقين اي بالبعث توبيخا بذلك ويستقصر باعي في النظر استنادة لمحبتي والهابا لنخوتي وحميتي وكرر الانكار بقوله
ايذا متنا اي فذهبت ارواحنا وكنا اي كونا راسخا ترابا وعظاما اي فمحقت اجسامنا التي هي مراكب الارواح اينا لمدينون
اي لمجزيون بعد ذلك بما عملنا بان نبعث ونجازى وكان تاكيده للاشارة منه الى ان كل عاقل جدير بان يكذب بما اقرن به لبعده او الى انه
مكذب به ولو كان موكدا ولما كان موكدا هذا المقال سببا لعظيم تشوف السامع الى ما يكون بعده وكان اهل الجنة من
علو المكان والمكانة وصحة الاجسام وقوة التركيب ونفوذ الابصار بحيث ينظرون ما شاءوا من النار وغيرها مما دونهم متى شاءوا
استانف قوله مشيرا الى انه هذا معلوم انه من اهل النار قال اي هذا القايل لشربه هولاء الذين هم ٠ كما قال
بعضهم في موشح رب شرب كالعقد قد نظموا ٠ في ثياب طرازها الكرم ٠ فاغتنمت الهنا كما اغتنموا ٠
انجما في سماء الهنا تسري ٠ كل نجم يغيب في بدر هل انتم مطلعون اي شايقون قبلي بان تتركوا ما انتم فيه من تمام اللذة وتكلفوا
انفسكم النظر معي في النار لتسروا بذلك ولما كان المحدث عنه المخلصين وهم اهل الجنة كلهم او جلهم وكان الضمير
يعود لما سبقه بعينه وكان مخاطبوا هذا القايل انما هم شربه وكان من المعلوم مما مضى من التقابل والتواد والتواصل انهم
بالمنادمة والتساؤل انهم ينتدبون لما ندبهم اليه ويقبلون قطعا عليه وكان النافع لنا انما هو قوله فقط في توبيخ عدوه
وتغبيط نفسه ولنا لم يجمع الضمير ليلا يلبس فيوهم انه للجميع واعاده عليه وحده لنعتبر بما له ونتعظ بما قص علينا من حاله
فقال فاطلع اي هذا القايل بسبب ما راى لنفسه في ذلك من عظيم اللذة الى اهل النار فراه اي ذلك القرين السوء في سواء
الجحيم اي وسطها وغمرتها تضطرم عليه اشد اضطرام بما كان يضطرم في قلبه في الدنيا من الحر كلما قال له ذلك المقال وسمى
الوسط سواء لاستواء المسافة منه الى الجوانب كمركز الدايرة ثم استانف الاخبار مكافاته له بما كان من تقريعه وتوبيخه
على التصديق بالاخرة بقوله قال اي لقرينه ذلك ولما كان لا ينفع في فكره انه كان يلتفت الى قوله هذا نوع التفات
لانه ظاهر البطلان ولان هذا القايل محكوم بانه من اهل الجنة اكد قوله اشارة الى انه كان يوثر فيه قوله في كثير من الاوقات
بما يزينه به الشيطان وتحسنه النفوس بالشهوات والراحة من كلف الطاعات وساقه في اسلوب القسم تنبيها على
التعجب من سلامته منه فقال تالله وزاد التاكيد بعد ما علقه بالاسم الاعظم بالمخففة من الثقيلة فقال ان كدت
لتردين اي انك قاربت ان تشقيني وترميني بموجع وتسقطني عن محل نجاتي وتهلكني وتجعلني في اردى ما يكون من الاماكن وكان هذه
المقاربة كانت على ثلاث رتب يسيرة وكثيرة ووسطى بما اشار اليه حذف اليا في الحالين واثباتها فيهما واثباتها وصلا فقط
وفي هذا التاكيد غاية الترغيب في الثبات لمن كان قريبا من التزلزل وفي المباعدة لقرنا السوء ولما ذكر سوء ما كان يالي
اليه ذكر حسن اثر الله سبحانه عنده فقال لانه الكلام الى صفة الاحسان لانه مقامه ولولا نعمة ربي اي المحسن الي بما رباني
من تثبيتي عن اتباعك والتجاوز عني في مخالطتك لكنت كونا ثابتا من المحضرين اي المكرهين على حضور هذا الموطن الضنك الذي
انت به فيالله ما اعظم احسان هذه الاية في التنفير من العشرة لقرنا السوء لانها شديدة الخطر قبيحة الاثر ولقد بان نظم هذا
عن انه ان لم يكن اعلى اللذين مما كان فيه فليس بادنى منه فانه لا شيء الذ من روية العدو والماكر الذي طالما احرق الاكباد وشوش الافكار
في مثل ذلك المحل الانكاد وعظايم الاكدار من غمرات النار ولما راى ذاك فيما هو فيه من الجحيم وراى نفسه فيما هي فيه
من النعيم ما ملك نفسه ان قال صارفا القول لشدة البحث والتقرير بسبب كما يعرض لمن يكون في شدة فياتيه الفرج فجاءة فيصير
كانه في منام او اضغاث احلام لا يصدق ما صار اليه سرورا افما اي انحن يا اخواني منعمون مخلدون فيتسبب عن ذلك

انا ما نحن بميتين اي بعد حالنا هذه واكده لان مثله لاجل نفاسته لا يكاد يصدق وجعله في اسلوب الاستفهام اشارة الى
ان مثله ينبغي السوال عنه والاعلام لشدة البحث والتحير بسبب ما اعرق في الهموم غامر معياده فقال الا موتتنا الاولى اي التي
كانت في الدنيا وكانه عبر بالتانيث استصغارا لها الموت بالنسبة الى ما هو فيه من النعيم ذكر نعمة الخلاص من
الموت ذكر نعمة الانقاذ من الاكدار فقال وما نحن واكد النفي فقال بمعذبين ولما ذكر هذا فاستغرقه السرور
وازدهته الغبطة والحبور لم يملك نفسه ان قال في اسلوب التاكيد لما لذ في ذلك من النشاط لما له من خرق العادة منبها على
عظمته لتعظم الغبطة به من اجل ان وقوع مثله لا يكاد يصدق ان هذا اي الملك الذي نحن فيه لهو اي وحده الفوز العظيم
اي الذي لا شيء يعدله ولما دل بهذا السياق على عظم ما نالوه زاد في تعظيمه بقوله معيدا اسم الاشارة لمثل هذا
اي الجزا فليعمل العاملون اي ليناله فانهم يفتنون عنى لا تفنى بعده بخلاف ما هنا فسون فيه ويبدا الحون عليه من امور الدنيا
فانه مع سرعة زواله منغص بكدره وملاله وحكى الله تعالى ما يقوله لنا للاعتبار به او يكون هو من كلام الله عند منتهى
ما قص من حاله ترغيبا في نواله ولما فانا لوصف هذا التشوق الى هذا النعيم رمى في نعته رمية اخرى سبقت
العقول وتجاوزت حد الادراك وعلت عن تخيل الوهم وما اجل ما لاظهر من الانصاف بسوقه في استفهام منفر من ضده
بمقدار الترغيب فيه لمن كان له لب فقال اذلك اي الجزا البعيد المنال البديع المثال خير نزلا فاشار بذلك الى انه
انما هو شيء يسير مما يقدم للضيف عند نزوله على ما لاح في حين ما لهم وراء ذلك مما لا تسعه العقول ولا تضبطه الفهوم
ام شجرة الزقوم اي التي تعرفها بانها في غاية النتن والمرارة قال السمين في اعرابه مسمومة يخرج لها لبن متى مس جسم احد
تورم فمات والتزقم البلع بشدة وجهد من قولهم تزقم الطعام اذا تناوله على كره ومشقة شديدة وعادل بين ما لا
معادلة بينهما بوجه تنبيها على ذلك ولانهم كانوا يرون ما سببه للذين الاعمال خيرا من اعمال المومنين التي سببت لهم النعيم
فكانهم كانوا يقولون بان هذا العذاب خير من النعيم فسيقول لك كذلك توبيخا لهم على سوء اختيارهم ولما كان
قد اخبر ان نباتها في النار فكان ذلك سببا لزيادة تكذيبهم لان عدم ايمانهم كان سببا لضيق عقولهم قال موكدا ردا
على من يظن انه سبحانه لا يفتن عباده لانه غني عن ذلك صارفا الكلام الى مظهر العظمة لاقتضائه بفعل ما يريد من غير
اعتراض انا جعلناها اي الشجرة بما لنا من العظمة فتنة للظالمين اي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها كمن هو في
الظلام بكونها عذابا لهم في الاخرة وسببا لزيادة ضلالهم في الدنيا ولو وضعوها مواضعها لعلموا ان من جعل في الشجر
الاخضر نارا لا تحرقه يستخرجونها منه متى شاءوا فيحرقون بها ما شاءوا من حطب وغيره قادر على ان ينبت في النار شجرا
اخضر لا تحرقه ثم نبه على ان محل الفتنة جعلها فيما ينكرونه فقال تعالى موكدا لاجل انكارهم معللا لجعلها فتنة
لمطاعمهم تخيلهم في الدنيا بخبرها وفي الاخرى باثرها انها وحقق امر نباتها بقوله شجرة وزاد الامر بيانا بقوله تخرج
ولذا بالظرف فقال في اصل اي ثابت وقعر ومعظم وقرار الجحيم اي النار الشديدة الاضطرام وفروعها ترتفع الى
دركاتها ثم زاد ذلك وضوحا وتصويرا بقوله طلعها اي الذي هو مثل طلع النخل في نوع ثم تنشقه عن ثمره كانه
رؤس الشياطين فيما هو مثل عند المخاطبين فيه وهو القباحة التي بلغت النهاية وهذا المثل واقع في اتم مواقعه
سواء كان الشيطان عندهم اسما للحية او لغيرها لان قبح الشياطين وما يتصل بهم في انهم شر محض لا يخلطه خير
مقرر في النفوس ولهذا كان كل من استقبح من منظر انسان او فعله يقول كانه شيطان كما الطبع في النفوس حسن
الملايكة وجلالتهم فشبهوا بهم الصور الحسان ولذلك سمت العرب ثم شجرا يقال له الاستن بهذا الاسم وهو
شجر خشن مر منتن منكر الصورة ولما اثبت امرها بما هو في غاية الفتنة لهم واللطف للمومنين سبب عن الفتنة
بها قوله زادا لانكارهم انهم ياكلوا مما لا يشتهونه ومكذبا لما كانوا يدافعون من المدافعة فانهم اي بسبب كفرانهم لها
وبغيرها من امر الله لاكلون منها اي من هذه الشجرة من شوكها وطلعها وما يريد الله مما يولمهم كانوا
قد زادوا في باب التهكم في امرها زاد التاكيد في مقابلة ذلك بقوله فمالئون منها اي لاجل عزها في ذلك الوقت الذي
يريد الله اكلهم منها البطون قهرا على ذلك واجبارا ولما احرق اكبادهم من شدة الجوع زيادة في العذاب
ولما جرت العادة بان الاكل المنعم يشغله بعد اكله بما يبرد غلة كبده قال مشيرا الى تناهي شناعته متعقبا لهم
تطويل تلبثهم من عطشهم باداة التراخي واكد التاكيد لما لهم في ذلك من عظيم الانكاد ثم ان لهم اي في ظواهرهم وضماير
واشار الى تناهي ايجاعه باداة الاستعلا فقال عليها اي على اكلهم منها لشوبا اي خلطا عظيم الاحراق من حميم اي ماء
حار كانه مجمع من مياه مر عصارات شيء من قيح وصديد ونحوهما نسال الله العافية ولما كان ما ذكر للقرينين
انما هو النزل الذي يدل لوله ما ياكلون في اول القدوم على حين غفلة وكانوا يوردون الحميم كما يورد الابل وكان قوله تعالى يطوفون
بينها وبين حميم آن يدل على انه كالحاجبها او خارج عنها كما يكون الاحواض في الحبسان خارج الاماكن المعدة للابل قال مبينا

انهم ما موا اشد شناعة من ذلك ملوحا اليه باداة التراخي ثم ان مرجعهم اى بعد خروجهم من مراضعهم الزقومية لالى الجحيم
اى ذاتا الاضطرام الشديد والزفير والبكا والاغتمام الطويل المديد كما ان حزب الله ينقلون من جنات النعيم الى جنات الماوى
مثلا الى جنات عدن الى الفردوس التى لا يبغون عنها حولا كما ينقل اهل السعة والاكابر من اهل الدنيا ضيوفهم فى البساتين الموصلة
والمناظر ويتنزهونهم فى القصور العالية والمساكن ولما اخبر عن عذابهم هذا وكان سببه الجمود مع العادة الجارية
على غير الحق والتقيد بما العته النفس ومال اليه الطباع مما اصله من يعتقد ونابه اكبر منهم وانهم عقلا على ذلك محذرا من مثله
لانه كان سبب هلاك اكثر الخلق واكثر انهم ينكرون ضلال من اضل لهم تلك العوائد من ابائهم وغيرهم فقال انهم الفوا اى وجدوا
وجدانا الفوه اباءهم ضالين اى عريقين فى الضلال تماما نبيه لا يخفى على احد انه ضلال بسبب عند النفر عن صاحبه فهم
اى فتسبب عنه فى موضع النفرة انهم فى غاية التمكن منه تقليدا لابائهم تقليدا ولما فى استعلائهم عليه كالراكبين الجادة
يسابقون على اثارهم اى التى لا تكاد تبين لاحد لخفا مذاهبها لوهيها وشدة ضعفها وانطماس معالمها لا على غيرها يهرعون
اى كانهم يلجئهم ملجئ الى الاسراع فهم فى غاية المبادرة الى ذلك من غير توقف على دليل ولا استضاءة بحجة بحيث يلحق صاحب
هذا الاسراع من شدة تكالبه عليه شئ هو كالرعدة وذلك ضد توقفهم وجمودهم فيما اتاهم به رسولنا صلى الله عليه وسلم من
نجوم الدقوم وغيرها مما هو فى غاية الوضوح والجلا فاسعوا فى التكذيب به والاستهزا واصروا بعد قيام الدلايل فكانوا كالجماد
ثباتا على ضلالهم والحجارة الصلابا لثقال رسوخا فى الارب احوالهم ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم شديد المحبة
لهدايتهم والحزن على ضلالهم والاسف على غيهم ومحالهم وكان الضلال مع العقل ولا سيما مع وجود الرسل الذين لهم من الصدق ما لهم
والمعجزات والامور الملجئة الى الهدى ما يفوق الوصف ثانيا كالمحال سلاه سبحانه بقوله على سبيل التاكيد لزيادة التحقيق
ولقد ضل قبلهم اى قبل من دعوتهم فى جميع الزمان الذى تقدمهم اكثر الاولين بحيث انه لم يمض قرن بعد ادم عليه السلام
الا وكله او جله ضلال ولما كان ربما ظن انه لعدم الرسل نفى ذلك بقوله مؤكدا لنحو ذلك ولقد ارسلنا اى على ما لنا
من العظمة التى توجب الاتيان بما لا ريب فيه من البيان فيهم منذرين اى فانذروهم باس الله وبينوا لهم احسن البيان ومع ذلك
تغلب عليهم الضلال وعنادا اهل الحق بالمحال حتى اهلكهم الله بما له من شديد المحال وهو معنى قوله فانظر اى فتسبب عن الارسال
انا فعلنا فى اهلاكهم من العجايب ما يستحق التعجيب والتحذير من مثله بان يقال لمن تخلف عنهم انظر كيف ولما
كان ذلك عادة مستمرة لم تتخلف اصلا قال كان عاقبة اى اخر امر المنذرين اى فى انا اهلكناهم لتكذيبهم فاصبر على الشدايد
كما صبروا واستمر على الدعا بالبشارة والنذارة حتى ياتيك امر الله ولما افهم الحكم على الاكثر بالضلال ان الاقل على
غير حالهم نبه على حال الطايفين بقوله مستثنيا من ضمير المنذرين صارفا القول عن مظهر العظمة الى الاسم الجامع الاكبر الا عباد
الله اى الذين استخلصهم سبحانه بما له من صفات الكمال فاستحقوا الاضافة الى اسمه الاعظم المخلصين اى الذين اخلصهم له
فاخلصوا اعمالهم فلم يجعلوا فيها شوبا لغيره ولما كان مقصود السورة التنزيه الذى هو الابعاد عن النقايص فهى
ولذلك كان انسب الاشيا الاقسام اولها بالملايكة الذين هم انزه الخلق وكان اعلى الخلق من جرد نفسه عن الحظوظ بما
يوتيه الله من المجاهدات والمنازلات والمعالجات حتى يلحق بهم فيجود مع فضلهم معالى الجهاد فكان احق الانبيا بالذكر من كان
اكثر تجريدا لنفسه من الشواغل سيرا الى مولاه وتفرغا عن كل ما سواه وكان الاب الثانى من احقهم بذلك لانه تجرد فى الجهاد
بالدعا الى الله الف عام ثم تجرد عن كل شئ على ظهر الماء بين الارض والسما فقال تعالى صارفا القول الى مظهر العظمة لانه موضع الترجى
للنصرة مؤكدا المانعة من انه دعا الى النابيه من ان مكنه فى قومه المدة الطويلة مبعد لان لا يكونوا واتقوه وما لوا معه
وتابعوه ولان فعل العرب فى التكذيب مع ترادف المعجزات وتواتر العظات عمل من هو مكذب بوقوع النصرة للمرسلين والعذاب
للمكذبين عطفا على ما تقديره فقاسى الرسل من الشدايد ما لا تسعه الاوراق وجاهدوهم بانفسهم والتضرع الى الله تعالى فى
امرهم لاسيما نوح عليه السلام ولقد نادانا لما لنا من العظمة نوح بقوله رب انى مغلوب فانتصر ونحوه مما اخبر الله عنه
بعد امور عظيمة لقيها منهم من الكروب والشدايد والخطوب ليكشف عنه ما اعياه من امرهم ولما اغنت هذه
الجملة عن شرح القصة وتطويلها وكان قد تسبب عن دعايه اجابته قال بالتاكيد بالاسمية والاشارة الى القسم والاداة
الجامعة لكل مدح وصيغة العظمة الى ان هول عذابهم وعظم مصابهم بلغ الى انه مع شهرته لا يكاد يصدق فهو يحتاج الى الجهاد
كبير وشدة اعتنا فكانت الاجابة اجابة من يفعل ذلك وان كانت الافعال كلها بالنسبة اليه سبحانه على حد سواء لا يحتاج
الى غير مطلق الارادة فلنعم المجيبون اى كنا بما لنا من العظمة له ولغيره ممن كان نعم المجيب لنا هذه صفتنا لا تغير لها ولما كان
معنى هذا فاجبناه اجابة هى النهاية فى استحقاق اعلى المدائح من ايصاله الى المراد من حمله وحمل من امن به والانتقام ممن كذبه كما هى
عادتنا دايما عطف عليه قوله ونجيناه اى بما لنا من العظمة تنجية عظيمة بالتدريج عما اشار اليه التضعيف الذى هو انسب لمقصود
السورة من التنزيه بالمرة وتحقيق القول فى ذلك ان قصة نوح عليه السلام ذكرت فى سور كثيرة ذكرت النجاة فيها بلفظها فى

سبع

سبع سور الاعراف ويونس والانبيا والمومنون والشعرا والعنكبوت وهذه اشارة بهذا العدد الجامع للفرد والزوج وزوج
الزوج وزوج الفرد الى ان نجاته سبحانه للمطيع من عباده كامرهم وقضاما من جزم جامع لانبيهم وانصارهم وادناهم واعلاهم
وذكر النجاة فى ثلاث سور منها الاعراف والشعرا والعنكبوت بلفظ الانجا الذى هو نهاية الانتلاع من الورطة وثمرته وفى اربع
منها يونس والانبيا والمومنون وهذه بلفظ التنجية الدالة على التدريج اشارة بمطلق الكثرة ثم بجعلها بهذا العدد الجامع
من اجزا العدد الاكمل لاكثرها للفرد والزوج وزوج الزوج الى انه ينبغى ان يكون اغلب احوال الداعى الرفق والاناة والصبر
على مقاسات الانكاد وتحمل اعباء المصايب الشداد هذا على وجه الاجمال واما التفصيل فان مدار مقصود سورة يونس العمل
على وجه الحكمة التى لا تكون فى هذه الدار الا بالتدريج مع الاسباب وذلك بالحلم والاناة كما وقع لقوم يونس عليه السلام
فى كشف العذاب عنهم بعد رؤية المخايل ومدار سورة الانبيا عليهم السلام تحقيق امر الساعة والثانى بالخلق طايعهم
وغيرهم بالتذكير الى حين قيامها من غير قلق ولا عجلة ومدار المومنين اختصاص الراسخين فى الايمان بالفلاح وهم اشد الناس بلا
فالانسب فى ذكر انجايهم التدريج لانهم لا ينفكون عن بلاء او نحف فغاية امرهم التخفيف بالتدريج ومدار الصافات
التنزه عن النقايص التى منها العجلة فالانسب لمقصودها ذكر ما يفهم الاناة ومدار السور الثلاث الاخرى الانذار
فهى اولى بالانجا الذى يكون انقلاعا سريعا من هذه الورطة الى ربوة النجوة لان الاهلاك المنذر به اذا غلب يحيل العام
به من السامع والراى لما يلحقه من الدهشة بكثرة الاهلاك ان ذلك الوقت لا يقبل غيره فقبوله لصدق فى تلك الحالة
من قبيل المحال فالاليق من هذا حاله ان يعرف ان ذلك الضد ممكن بغاية السرعة من غير تدريج كانت الاعراف
اعرق تلك السور فى بيان الاهلاك لاهل الاشراك والانجا لاهل التوحيد مشى الامر فيها على سوال واحد فى جميع القصص
ولما كانت اعرق تلك السور لانها اول سورة وقع فيها ذكر مصارع الاولين واهلاك الماضين للتسلية والتنبيه
لمن انزل عليه هذا الذكر صلى الله عليه وسلم والتحذير لعامة الاعدا والتبشير لجميع الاوليا بعد بيان الطريق فى السور التى
قبلها والدعا اليه ثم التهديد بعد طول الدعا لمن استمر على الاعراض بنحو الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن الاية فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولقد ارسلنا الى امم
من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فى امثال ذلك فلاجل هذا مشى الامر فيها من اولها الى اخرها على
لفظ الانجاء فى قصة لوط عليه السلام التى حقيقة امر الانجا فيها التدريج بمشى لوط عليه السلام ومشى اهله معه
حتى قطعوا تلك المداين الموتفكة فنجا من الهلكة ووصل الى محل الامن والبركة ومشى امرها فى الشعرا والعنكبوت على
الاصل الذى تستحقه من التدريج ولان مدار العنكبوت الدعا الى الله الذى مداره على الرفق ولها انظر الى الفتنة
التى بها صارت امراته الى العذاب بما انه رجت فيه من المشى الذى وقع فيه الالتفات واما الشعرا فمن اعظم مقاصدها
تثبيت النبى صلى الله عليه وسلم وحمله على الصبر والثانى ما اشارة لعلك باخع نفسك الاية فى اولها وانذر عشيرتك
الاقربين وما بعدها من اخرها والله الموفق واهله اى الذين اتقوه فى الدين من الكرب العظيم وهو الاذى من الغرق
وجعلنا ذريته هم اى خاصة الباقين لان جميع اهل الارض غرقوا فلم يبق منهم احد اصلا واهل السفينة لم يعقب منهم
احد غير اولاده فانبناه على نزاهته ان كان هو الاب الثانى فالعرب والعجم اولاد سام والسودان اولاد حام
والترك والصقالبة وياجوج وماجوج اولاد يافث فكل من تبع سنته فى الخير كان له مثل اجره ولما ذكر انه
بارك فى نسله اعلم انه ادام ذكره بالخير فى اهله فقال وتركنا عليه اى ثناء حسنا مستعليا على ذكره لا يذكر الا معه
لكنه حذف المفعول وجعله لازما فصار المعنى اوقعنا عليه الترك بشئ هو من عظمته وحسن ذكره بحيث يعم وصفه فى
الاخرين اى كل من تاخر عن زمانه الى يوم الدين ولما كان قد كتب الله فى القدم سلامته من كل سوء على كثرة الاعدا
وطول الاقامة فيهم وشدة الخلاف قال تعالى مستانفا مادحا سلام اى عظيم واظهر اسمه تنويها به وتشريفا لقدره
وتشريفا لذكره على نوح من كل حى من الجن والانس والملايكة فسلام الله عليه ولما كان لسان جميع اهل الارض
فى زمانه عليه السلام واحدا فكانوا كلهم قومه ولم يكن فى زمانه نبى فكانت نبوته قطب دايرة ذلك الوقت فكانت رسالته
عامة لاهله وكان غير الناس من الخلق لهم تبعا خصه فى السلام بان قال فى العالمين اى مذكور فيهم كلهم لفظا ومعنى
يسلم عليه دايما الى ان تقوم الساعة وخصوصية نبينا صلى الله عليه وسلم بانه ارسل الى جميع الخلق مع اختلاف الالسنة
والانواع ومع استمرار الرسالة ابد الاباد وكون شريعته ناسخة غير منسوخة وكون جميع الخلق فى القيمة تحت لوايه
فناك يظهر تمام ما اوتيه من عموم البعثة الى ما ظهر منه فى الدنيا ولما كان التقدير فعلنا به ذلك لاحسانه
وكان الضالون ينكرون ان ينجو الدعاة الى الله واتباعهم منهم اخبر فى سياق التاكيد انه يفعل بكل محسن ما فعل به فقال
انا اى على عظمتنا كذلك اى مثل ذلك الجزا بالذكر الحسن والنجاة من كل سوء نجزى المحسنين اى الذين يتجردون من الظلمات

النفسانية الى الانوار الملكية بحيث لا يغفلون عن المعبود ولا ينفكون لحظة عن الشهود ولما أفهمت هذه الجملة د
ولابد لصاحبه الى المحسن علل ما افهمته بقوله مؤكدا اظهارا للاقبال عليه بان ذكره مما يرغب فيه وتكذيبا لمن كذبه انه من عبادنا
اى الذين هم اهل لان نضيفهم الى مقام عظمتنا المؤمنين اى الراسخين فى هذا الوصف المتمكنين فيه فعلم ان الايمان هو المراد الاعلى
من الانسان لانه علل الايجاب بالاحسان والاحسان بالايمان ولما افهم تخصيص ذريته بالبقاء اهلاك غيرهم وقدم ما
هو اهل له من مدحه اهتماما به وترغيبا فى مثله اخبر عن اعدائه بانه اوقع بهم لانهم لم يتحلوا بما كان سبب سعادته من الايمان
بقوله مشيرا الى العظمة التى وجدها سبحانه فى اغراقهم باداة التراخى ثم اغرقنا اى بما لنا من العظمة التى لا يقوم لها شئ
الاخرين اى الذين غايروه فى الاقوال والافعال فكانوا اعداء الشيطان فاستحقوا اضداد افعال المعه وهم اهل الارض كلهم
غير اهل السفينة وكلهم قومه كما هو ظاهر الايات اذا تومل تعبيرها عن الدعوة والاغراق ودعائه عليه السلام عليهم وكما
ما رواه الشيخان وغيرهما عن انس رضى الله عنه فى حديث الشفاعة ان الناس يقولون يا نوح انت اول نبى بعثه الله الى اهل الارض
وانما كانوا قوما لا اكثر لانهم كانوا على لسان واحد قبل بلبلة الالسن باتفاق اهل التاريخ وذلك كما ان العرب يطلق عليهم كلهم
على انتشارهم واتساع بلادهم انهم قوم لاجتماعهم فى اللسان مع انهم قبائل لا يحصيهم العد ولا يجمعهم نسب واحد الا فى اسمعيل
عليه السلام وقيل فيما فوقه فان النسابين اجمعوا على ان عدنان من ولد اسمعيل عليه السلام واختلفوا فى قحطان اى اليمن وكذا
ثقيف فقيل بانه من ولد اسمعيل عليه السلام وقيل لا ثم من قال ان ثقيفا من ولد اسمعيل عليه السلام قال هو من ولد عدنان ه
وقال بعضهم لا ثم ان من ولد عدنان ربيعة ومضر ومن دون مضر كنانة وهذيل والقارة وخزاعة واسد وتميم ومزينة ه
والرباب وضبة وقيس ودون ذلك باهلة واشجع وفزارة وكنانة وقريش وخلائق ومن دون ربيعة بكر بن وائل وعنزة ومن دون ذلك
شيبان ومن دون ذلك شيبان وعبد القيس والنمر وخلائق ومن دون قحطان اى اليمن لخم وجذام وعاملة وغسان وكندة وهمدان والازد
ومنهم الانصار وخلائق وغير ذلك فهؤلاء كلهم على هذا التشعب والانتشار والاختلاف فى الاديان بل وفى بعض اللغة يسمون امة ه
واحدة وقوما لجمع اللسان لهم فى اصل العربية وبنوا اسحاق ليسوا منهم بالاخلاف مع انهم اولاد عمهم لمخالفتهم لهم فى اللسان على انهم اقرب
من قحطان وثقيف فى النسب عند من قال ليسوا من ولد اسمعيل عليه السلام وكذا بنوا اسحاق عليه السلام افترقوا بافتراق اللسان
فبنوا اسرائيل قوم وبنوا العيص وهم الروم قوم وكذا سائر الامم انما يفرق بينهم اللسان وهذا امر واضح اذا تاملنا لبيان الخامس ه
من رسالة امامنا الشافعى ازددت بصيرة فى ذلك وعموم دعوته لبنى ادم عليه السلام على هذا الوجه لا يقدح فى خصوصية نبينا
صلى الله عليه وسلم بعموم الدعوة والارسال الى غير قومه اما العموم فانه ارسل الى كل من سوى من الانس والملائكة والجن واما
دعا الاقوام فالمراد انه ارسل الى الموافق فى اللسان والمخالف فيه واما غيره فما ارسل الى من خالفه فى اللسان ولا الى غير جنسه وان
كان يندب له انه يامر المخالفين فى اللسان وينهاهم من باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير وجوب ولو سلمنا فى نوح عليه السلام
انه لو بعث الى جميع اهل الارض انتقض بادم عليه السلام فانه نبى مرسل كما روى ذلك الامام احمد وابو داود الطيالسى ومحمد
بن يحيى بن ابى عمر وابو بكر بن ابى شيبة والحارث بن ابى اسامة وابو يعلى الموصلى واسحاق بن راهويه فى مسانيدهم والطبرانى فى معجمه الاوسط
عن ابى امامة الباهلى وابى ذر رضى الله عنهما وفى بعض طرق ابى ذر التصريح بالارسال ولا يشك احد انه كان رسولا الى جميع من
ادركه من اولاده وهم جميع اهل الارض وكذلك نوح عليه السلام لا يشك احد انه كان بعد الغرق رسولا الى جميع اهل السفينة
كما كان قبل ذلك وهم جميع اهل الارض فما بقيت من ان الخصوصية بالارسال الى ذوى الالسن المختلفة من جميع بنى ادم والمخالف
فى الجنس من كل من سوى هو المزيل للاشكال والله الموفق ولما كان لابرهيم عليه السلام من التجرد عن النفوس البشرية
والعلائق النفسانية الى الاحوال الملكية ما لم يكن لمن بينهما من النبيين من المصارحة بالمعارضة لقومه والابلاغ فى نكر الاوثان
وتوهية مذهب الكفران والانفراد عما سوى الله فى غمرات النيران حتى عن الدعا بقلب او لسان فناء عن جميع الاكوان ثم بالهجرة عن الاوطان
ثم بالخروج عن الاحباب والاخدان بوضع ابنه بكره وسريته فى ذلك المكان الذى ليس به انيس ولا جان ثم بمعالجة ذبحه باتم قوة
واقوى جنان ثم ببناء البيت ذى الاركان قبلة للمتجردين من اهل الايمان فى كل اوان عما سوى الملك الديان يصفون عند كل صلاة
مثل صفوف الملائكة الكرام وكان موافقا لنوح عليه السلام مع تقدم فى البركة فى نسله بحيث انهم قريب نصف اهل الارض الآن
وكان اشهر امره فى النار التى هى ضد اشهر امر نوح عليه السلام فى الماء تلاه به فقال مؤكدا اظهارا ايضا لما له من الكرامة والمنزلة
العالية فى الامامة المقتضية للنشاط فى الثناء عليه المنبهة على ما ينبغى من تمام العزم فى متابعته وتكذيبا لمن ادعى انه ابتدع
وخالف من كان قبله وان من شيعته اى الذين خالطوه بسرهم ووافقوه امرهم فى التصلب فى الدين والمصابرة للمفسدين ل
لابرهيم ثم علق بمعنى المتابعة بيانا لمن كانت به المتابعة قوله على تقدير سؤال من قال متى تابعه اذ اى حين جاء ولفت الكلام عن
مظهر العظمة الى مظهر الاحسان اشارة الى انه لا يحتاج فى سلامه الى اظهار عظمة بل يكفيه فى الاحسان ذوبه الاحسان فقال ربه
اى المحسن فى تربيته بقلب سليم اى بالغ السلامة عن حب غيره والمجى مجاز عن الاخلاص الذى لا شائبة فيه كما ان الاتى اليك لا يكون

شئ من بيته عند غيرك ثم ابدل من ذلك ما هو دليل عليه فقال اذ قال لابيه اى الذى هو اعظم الناس عنده واجلهم فى عينه واعزهم
لديه وقومه اى الذين لهم من القوة والجد ودماثة ما يهتم به الاسود ما ولما كان مقصود السورة التنزيه عن النقائص وكان
مقام التنزيه من العظمة بمكان لا يقدر قدره اكد الكلام بقوله ذا اى ما الذى او اى شئ تعبدون تحقيرا لامرهم وامر معبوداتهم
منبها على انه لا علة لهم فى الحقيقة تحمل على عبادتها غير مكترث بكثرتهم ولا هائب لقوتهم ولا مراع لميل الطبع البشرى الى مودتهم
ولما لوح لهم بالانكار صرح فقال مقدما للمفعول تخصيصا ايفكا اى صرفا للحق عن وجهه الى قفاه
جعل معبوداتهم نفس الافك ابدل منه قوله الهة ثم حقر شأنهم بقوله لافتا القول الى الاسم الاعظم لذلك دون الله اى
الذى لا كفوء له تريدون ولما كان قد غلب عليه الشهود بعد تحقيره لهم سبب عن ذلك تهديدا على فعلهم عظيما فقال
مشيرا الى انه يكفى العاقل فى النهى ظن العطب فما ظنكم ولما كان كفران الاحسان شديدا ذكرهم باحسانه لافتا القول
الى الوصف الدال عليه حافظا لسياق التهديد بالاشارة الى انه يكفى فى ذلك الخوف من قطع الاحسان فقال برب العالمين
اى الذى توحد بخلق جميع الموجودات الجواهر والاعراض وتربيتهم فهو مستحق لتوحيدهم اياه فى عبادتهم اتظنون انه لا يعيد
وتدبرتم مالكم بحملكم الى عبادة غيره اشارة الى انكار تجويز مثل هذا وان المقطوع به ان محسنا لا يرضى بدوام ادرار
احسانه الى من ينسبه الى غيره ولما فهم السياق شدة عداوته صلى الله عليه وسلم للشركاء وكان الله تعالى قد اجرى
عادته بان جعل فى النجوم دلالة على بعض المسائل الطبية لاسيما البحرانات فى انواع الاسقام وكان اهل تلك البلاد وهم
الكسدانيون كما تقدم فى الانعام وكما قاله ابن عباس رضى الله عنهما وكما دلت عليه كتب الفتوحات من اشد الناس نظرا فى النجوم
والاستدلال بها على احوال هذا العالم فى بعض ما كان وبعض ما يكون وكان صلى الله عليه وسلم يريد ان يتخلف عن الذهاب
معهم الى المحل الذى يجتمعون فيه للعيد ليكسر الاصنام ويريد لخفاء وقت الكسر عليهم ليتمكن من ذلك قال تعالى حاكيا عنه مشيرا الى ذلك
بالتسبيب عما مضى فنظر نظرة اى واحدة فى النجوم حين طلبوا منه ان يخرج معهم الى عيدهم لئلا ينكروا تخلفه عنهم موهما لهم
انه استدل بتلك النظرة على مرض باطنى يحصل له لانهم ربما انكروا كونه مريضا اذا اخبرهم بغير النظر فى النجوم لان الصحة ظاهرة عليه
ولذلك عبر بالنظرة اشارة الى ان علم العلل ظرف لنظره لاستدلاله به على ما ذكره فقال اى عقب هذه النظرة موهما انها سببه
ولما كان بدنه صحيحا فكان بصدد ان يتوقف فى خبره اكده فقال انى سقيم فاوهمهم ان مراده انه مريض الجسد واراد انه
مريض القلب بسبب المنهم مقسم الفكر فى امرهم لانه يريد امرا عظيما وهو كسرها ومادة سقم بتقاليبها الخمسة سقم سمق قسم
قمس مقس تدور على القسم فالسقام كسحاب وجبل وقفل المرض اى لانه يقسم القوة والفكر وقال ابن القطاع سقم طال له المرض وقسمه
جزاه والدهر القوم فرقهم والقسم والقسم والقدر بالكسر النصيب والقسم اى بالفتح العطا ولا يجمع والراى والشك والعيب والماء
والقدر والخلق والعادة ويكسر فيهما والتعبير ظاهر فى ذلك كله اما العطا فبتفرق المال وبقسمه والراى بقسم الفكر ه
والشك كذلك والعيب يقسم العرض والماء غايته ما يكون من بهولة القسم والقدر يفصل صاحبه من غيره وكذا الخلق والعادة
والمقسم كمعظم المهموم لتوزع فكره والجميل لانه يقسم القول فى وصفه والقسم محركة اليمين بالله وقد اقسم اى ان التقسيم
الفكر والقسامة الحسن لانه يوزع فكر الناظر وجونة العطار كذا الطيب ريحها والقسام كسحاب شدة الحر لانها تزعج الفكر
تقسمه او هو اول وقتها الهاجرة او وقت دوران الشمس وهى حينئذ احسن ما تكون مرآة فيتقسم الفكر فيها لحسنها اذ ذاك
وما يطرأ عليها بعده والقمس الغوص لان الغائص يقسم الماء بغوصه والقمس ايضا اضطراب الولد فى البطن لانه يقسم الفكر ويكاد
ان يقسم البطن باضطرابه والقاموس معظم البحر لان البحر قسم الارض ومعظمه احق بهذا الاسم والقوامس الدواهى لتقسيمها
الفكر وانقمس النجم غرب اى اخذ قسمه من الغروب كما اخذ من الشروق او اراد التقسيم بالسير ومقسه فى الماء غطه فانقمس
الماء بغمسه فيه والقربة ملاها لتصير فيها من الماء ما يستقل قسمه واخذ الماء الذى وضعه فيها تقسيم لها كما الماخوذ منه ومقس
الشئ كسره والماجرى مقسم وقسم الارض وهو يمقس الشعر كيف شاء اى يقوله فيقسمه من باب الكلام والتمقس فى الماء الاكثار
من صبه فان ذلك تقسيم له وسمق سموقا علا وطال فصار بطوله يفتال من القسمة ما لا يفتاله ما هو دونه ولما فهموا عنه
ظاهر قوله وظنوا فيه ما يظهر من حاله ولكنهم لم يسعهم لعظمته فيهم الا التسليم تركوه فقال تعالى مسببا عن قوله مشيرا الى
استبعادهم مرضه بصيغة التفعل فتولوا اى عالجوا انفسهم وكلفوها ان انصرفوا عنه واكد المعنى ونص عليه بقوله مدبرين
اى الى عيدهم فخلا له الوقت من رقيب فراغ اى ذهب فى خفية برشاقة وخفة ونشاط ومهمة قال البيضاوى واصله الميل
بحيلة منتهيا الى الهتهم اى اصنامهم التى زعموها الهة وقد وضعوا عندها طعاما مخاطبا لها مخاطبة من يعقل جعلهم اياها
بذلك فى عداد من يعقل فقال منكرا عليها منبها للانسان بضمير العقلا ظاهرا وموبخا لقومه حقيقة الا تاكلون ثم زاد
فى اظهار الحق والاستهزاء بها لخطابها عن رتبة عابديها فقال ما اى اى شئ حصل لكم فى انكم لا تنطقون اخبر تعالى
انه اظهر ما يعرفه باطنا من الحجة فقال فراغ اى سبب عن امامه الحجة انه اقبل مستعليا ومستوليا عليهم بغاية النشاط والخفة

والرشاقة بقصرهم ضربا باليمين اى اليد اليمنى بغاية القوة وفي ذكرها ايضا مع ما افادته من تحقيق المراد والقوة الاشارة الى حلفه
في قوله وتالله لاكيدن اصنامكم وجعل السياق للمصدر اشارة الى قوة الهمة بحيث صار كله ضربا ولما تسبب عن ذلك انهم
لما علموا بكسرها ظنوا انه لما كانوا يسمعونه منه من ذمها وحلفه بانه ليكيدنها فاتوه اخبر عن ذلك بقوله مسببا نسقا على جواب لما
فبلغهم الخبر فرجعوا باثرهم تاركين لعيدهم فاقبلوا ودل على انه من مكان بعيد بقوله اليه يزفون اى حال كونهم يسرعون وقراه
حمزة بالبنا للمفعول ادل على شدة الاسراع لدلالتها على انهم جاؤا على حالة كان حاملا يحملهم فيها على الاسراع وقاهرا يقهرهم عليه من
ما في نفوسهم من الوجد ولما كان من المعلوم انهم كلموه في ذلك فطال كلامهم وكان تشوف النفس الى جوابه اكثر استانف
الخبر عنه في قوله قال غير هائب لهم ولا مكترث بهم لرؤيته لهم فاتنين منكرا عليهم اتعبدون وندبهم بالمضارع الى التوبة
والرجوع الى الله وعبر باداة ما لا يعقل تحقيرا لما هو الحق فقال ما تنحتون اى ان كانت العبادة تحق لاحد غير الله فهم احق ان يعبدوكم
لانكم صنعتموهم ولم يصنعوكم ولما كان المتفرد بالنعمة هو المستحق للعبادة وكان الايجاد من اعظم النعم وكان قد تبين انهم
انما عبدوها لاجل عملهم الذي عملوه فيها فصيرها الى ما صارت اليه من الشكل قال تعالى لافتا القول لعظم المقام الى الاسم
الاعظم مبينا انه هو وحده خالقهم وخالق اعمالهم التي ما عبدوا في الحقيقة الا هي وانه لا مدخل لمنحوتاتهم في الخلق فلا مدخل
لها في العبادة والله اى والحال ان الملك الاعظم الذي لا كفو له خلقكم اى اوجدكم على هذه الاشكال وما تعملون اى وخلق عملكم
ومعمولكم فهو المتفرد بجميع الخلق من الذوات والمعاني ومعلوم انه لا يعبد الا من كان كذلك لانه لا يجوز لعاقل ان يشكر على النعمة
الا ربها فعبادتكم لها وقعت على حالة تنافي عبادتها ولما كان السامع يعلم انهم لابد وان يجيبوه بشيء فتشوف الى ذلك
اجيب بقوله قالوا ابنوا له اى لاجله بنيانا اى عظيما جدا ابما اشارت اليه الصيغة من الاحطاب يحوطا بجدار حتى يصير كالجبل
العظيم فاحرقوه حتى يشتد لهيبها جدا فيصير جحيما فالقوه في ذلك الجحيم اى معظم النار وغمراتها ووسطها بحيث تكون محيطة
وهي على اشد ما يكون اتقادا ولما كان هذا مسببا عن ارادتهم لاهانته قال فارادوا به اى ابرهيم عليه السلام
بسبب هذا الذي عملوه كيدا اى تدبيرا يبطل امره ليعلوا امرهم ولا يبطل ما اظهر من عجزهم دينهم ولفت القول الى مظهر العظمة في
المقتضي لاعزاز الولي واذلال العدو فقال فجعلناهم اى بعظمتنا بسبب عملهم ولما كان مقصود السورة التنزيه عن النقائص
التي من اخسها الشرك وكان السياق للتنزيه عنه وكانوا مشركين وكان المشرك المستكبر عن لا اله الا الله قد اشغل نفسه من
اوج التعبد للخالق الى وهدة الذل للخلائق وكانوا قد ارادوا ان يجعلوا الخليل عليه السلام بما اقترحوه له من العذاب اسفل منهم
لكونه اعلا نفسه بالاخلاص للخالق دل على انه سبحانه انزل كلامهم ومنه منزلته التي انزل نفسه بها فقال الاسفلين اى المقهورين
بما ابطلنا من نارهم وجعلنا عليه بردا وسلاما بغير عادتها في العمل فنفذ عملنا وهو خارق للعادة وبطل عملهم الذي هو على مقتضى
العادة فظهر تحزبهم في فعلهم كما ظهر عجزهم في قولهم بما اظهرناه من الحجة على لسان خليلنا عليه السلام وظهرت قدرتنا واختيارنا
وانما فسرنا الكيد بما ذكرت لانه المكر والخبث والاحتيال والخديعة والتدبير بحق او باطل والحرب والخوف فكل هذه المعاني
كما ترى تدور على التدبير واعمال الفكر وادارة الراي ولما كان التقدير فاجمع الخروج عن بلادهم لانهم عدو لواعي الحجة الى الغاية
عطف عليه قوله وقال اى ابرهيم عليه السلام لمن يتوسم فيه ان كلامه يحييه من موت الجهل مؤكدا لان فراق الانسان لوطنه
لا يكاد يصدق به اني ذاهب اى مهاجر من غير تردد فالوا ومتحول من هاجر من الخلق الى ربي اى الى الموضع الذي امرني المحسن الي
بالهجرة اليه وان زاد بعده بما ارشد اليه التعبير بالاداة فلا احجر على احد في غباوته فيه ولما كان حال سامعه جديرا
بان يقول من لك بالمعرفة بما يحصل فقد ذلك هذا امر الغريب بالموضع وبما تفعل فيه مما يكون به الصلاح وما تفعل في التوصل اليه
قال سيهدين اى الى جميع ذلك بوعد لا خلف فيه الى كل ما فيه ترتيبي في امر الهجرة لانه امرني بها وهو لا يامر بشيء الا نصب
عليه دليلا يهدي اليه ويسهل المقاصد المجتهد في امر سبيله وكذا في كل ما ترتب على الهجرة من كل ما فيه صلاحي هداية تمامه
بما اشارت اليه قراءة العامة بحذف اليا في الحالين وهداية خاصة في النهاية بما اشارت اليه قراءة اثباتها في الحالين وربما كون
ذلك اشارة الى العبارة باجابة دعوته في ولده خاتم الانبيا صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت العبارات عن سير الاصفيا الى
الحضرات القدسية فمنه العبادة عن امر الخليل عليه السلام وعبر عن امر الكليم عليه السلام بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا
وعن امر الحبيب عليه السلام بقوله سبحان الذي اسرى بعبده قال الاستاذ ابو القسم القشيري وفصل بين هذه المقامات ابرهيم
عليه السلام كان بعين الفرق يعني انه بعد ما كان فيه من الجمع حين كسر الاصنام من الفنا عما سوى الله رجع الى حال الفرق لانه لابد من
ذلك وموسى عليه السلام بعين الجمع لانه لم يخبر عن فعله من غير ان ينسب اليه قولا ثم اخبر انه قال رب ارني فلم ير غيره سبحانه
فطلب ان يريه وهذا هو الفنا ونبينا صلى الله عليه وسلم بعين جمع الجمع لانه لم ينسب اليه قول ولا فعل بل هو المراد الى ان
قال لنريه من اياتنا فهذا هو الفناء عن الفناء ثم قال انه هو السميع البصير فاثبت له مع ذلك الكمال ولما لم يجد له
معينا على الهجرة غير لوط ابن اخيه عليه السلام قال كما ذكرنا مناديا باداة الخواص باسقاط الاداة رب اى ايها المحسن الي هب لي من اى

ولدا من الصالحين واسقط الموصوف لان لفظ الهبة غلب في الولد فتسبب عن دعوته انا استجبناها له فبشرناه بغلام اى بذكر
في غاية القوة التي تشاعها العلمه ولما كان هذا الوصف ربما افهم الطيش وصفه بما انفى صفاه ونفى كدره فقال
حليم اى لا يعجل بالعقوبة مع القدرة لانه في غاية الرزانة والثبات فيكون ذلك اشارة الى حصول الاما يبين به انه سر ابيه ان
ابرهيم لحليم والحلم لا يكون الا بعد العلم ورسوخ العلم سبب لوجود الحلم وهو اتساع الصدر لمساوي الخلق ومداني اخلاقهم
وهذا الولد هو اسمعيل عليه السلام بلا شك لوجوه منها وصفه بالحليم ووصف اسحاق عليه السلام في سورة الحجر بالعليم
ومنها ان هذا الدعا عند الهجرة حين كان شابا يرجو الولد وهو بكره الذي ولد له بهذه البشرى وهو الذي كان بمكة موضع
الذبح فجعلت افعاله في ذبحه مناسك الحج في منى كما جعلت افعال امه في مكة المشرفة اول امرها عندما اشرف على الموت من العطش مناسك
ومعالم هناك واما اسحاق عليه السلام فانه بشرى به فجاءة وهو لا يرجو الولد لكبره وياس امراته ولذلك راجع في امره وكم ينقل
انه فارق امه من بيت المقدس ولو كان هو الذبيح لذكره النبي صلى الله عليه وسلم في وصفه حين سئل عن الاكرم فقال يوسف نبي الله بن
نبي الله بن نبي الله بن خليل الله والرواية التي وردت بالاشارة الى انه الذبيح ضعيفة بل صرح شيخنا ابن حجر في تخريج احاديث
الكشاف بان في سندها وضاعا ولان هذه السورة سورة التنزيه فاحق الناس بالذكر فيها كما سلف اعرق الناس في مقام التجريد
وهو اولى الناس بذلك من حين كان حملا الى ان عولج ذبحه ولم يذكر ظاهرا فلو لم يكن المراد بهذا الكلام لكان تركه في هذه السورة
التي حالها هذا من هو ارسخ الناس في الوصف المقصود بها وذلك خارج عن نهج البلاغة التي هي مطابقة المقال لمقتضى الحال بل هذا الحال
لا يقتضي ذكر اسحاق عليه السلام لانه لم يعلم له تجرد متفق عليه وما كان ذكره الا لبيان حال ابرهيم عليه السلام لما اقتضاه مقامه في
الاحسان في باب التجرد والفنا والله الموفق ولما كانت البشرى من الله لا تتخلف كان التقدير فولد له غلام كما قلنا فلما بلغ
اى الغلام كائنا معه اى مع ابيه خاصة ومصاحبا له السعي الذي يرضى به الاب ويوطن نفسه عند على الولد ويثق به ولا
يتعلق مع بلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا معنى لذلك في حق ابرهيم عليه السلام ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم
عليه ولو اخر عنه لم يفد الاختصاص المفهم لصغر سنه المفيد الاعلام بانه بلغ في ذلك معه ما بلغه مع عجزه لعظم شفقة
الاب واستحكام ميل الابن الموجب لطاعته واختلف العلماء في تقدير ذلك بالسن فقال بعضهم ثلاث عشرة سنة وبعضهم
سبع سنين ولذلك قيده بالاب لان غيره لا يشفق على الولد فيكلفه ما ليس في وسعه وهو لم يبلغ كمال السعي قال اى ابرهيم عليه
السلام يا بني مناديا له بصيغة التعطف والشفقة والتحبب معبرا بالاداة التي تدل على ان ما بعدها امر مهم جدا يحوله لتميز
الذليل وشدة الحذر عن شيء من قبل ذاكرا له بالمضارع الحال الذي رآه عليه ومصورا له لا للتكرار لرؤيا فانه غير محتاج الى التكرار
ولا الى التروي فان الله تعالى اراه ملكوت السموات والارض واكمل ما في طباع البشر من احالة ان يعالج ذلك على حقيقته او اعلانا
بانه منام وحي لا اضغاث اني ارى في المنام اى النوم وزمانه ومكانه من غير لبس وانت تعلم ان رؤيا الانبيا وحي اني اذبحك
اى اعالج ذبحك في اليقظة بامر من الله تعالى ولذلك كان كما قال ولو عبر بالماضي لمضى ذبحه وانما كان في المنام في هذا الامر الخطر
جدا لتعلم وثوق الانبيا عليهم السلام بما ياتيهم عن الله في كل حال ولما كان الانبيا عليهم السلام اشفق الناس وانفعهم
احب ان يرى ما عنده فان كان على ما يجب سره وثبته والاسعى في جعله على ما يجب فيلقى البلاء وهو اهون عليه ويكون ذلك اعظم
لاجره لتمام انقياده ولتكون المشاورة سنة فانه ما ندم من استشار سبب عن ذلك قوله فانظر اى بعين بصيرتك ما واكد
اشارة الى ان المقام خطر جدا يحتاج الى عزيمة صادقة فقال ذا اى الذي ترى اى يكون من رايك في هذه الرؤيا فهو احتباد
لصبره لا لمؤامرة له وغاير جمعا بين النظر الذي هو ظاهر البصر والرؤية التي هي باطنه وليكون المعنى على قراءة حمزة والكسائي
بضم اوله وكسر ثانيه تريني اياه من صبرك قال تصديقا لثناء الله عليه بالحلم يا ابت تادبا معه بما دل على التعظيم والتوقير
وغاية الشفقة افعل ما تؤمر اى كل شيء وقع لك به امر من الله تعالى وتجدد لك به امر منه سبحانه لاني لا اتهمك في شفقتك
وحسن نظرك لي ولا اتهم الله في قضائه ولما علم طاعته تشوف السامع الى استسلامه وصبره فاستانف قوله
ستجدني اى بوعد جازم لا تردد فيه صادق كما اخبر الله تعالى عنه لا خلف فيه وكان صادق الوعد كان من
اخلاق الكمل عدم القطع في المستقبلات لما يعلمون من قدرة الله تعالى على نقض العزائم بالحيلولة بين المرء وقلبه قال ان شاء
الله اى الذي اختص بالاحاطة بصفات الكمال واكد وعده بهذا الامر الذي لا يكاد يصدق مثله بقوله من الصابرين اى
العريقين في الصبر البالغين فيه حد النهاية وهو من اعظم ما اريد بقوله وكان صادق الوعد • ولو سر الحبيب سقيته سما
لكان السم من يده يطيب • وجعل هذا الامر العظيم في المنام دلالة على صدق احوال الانبيا نوما ويقظة وصدق
عزائمهم وانقيادهم لجميع الاوامر في جميع الاحوال وروى ان الشيطان وسوس له في ذبحه فعرفه فرماه بسبع حصيات فصار
ذلك شريعة في الجمار ومن اللطف ما في ذلك انهم لما كانوا في نهاية التجرد عن علائق الشواغل جعلت افعالهم شعاير وشرايع
لعبادة الحج التي روحها التجرد للوفود الى امر الله ولما وثق منه بادر الى ما امر به ودل على قرب زمنه من هذا

القول بالفا فقال فلما أسلما اى انقيا بالفعل على غاية الاخلاص حين المباشرة بجميع قواهما فى بدء الامر ولم يكن عند احد منهما
شئ من اباء ولا امتناع ولا حديث نفس فى شئ من ذلك وتله اى صرعه ابرهيم عليهما السلام صرعا جيدا سريعا مع غاية
الرضى منه والمطاوعة من اسمعيل عليه السلام قال السمين واصله من رميه على التل وهو المكان المرتفع او من التليل وهو
العنق اى رماه على عنقه ثم قيل لكل اسقاط وان لم يكن على تل ولا عنق والتل الرمح الذى يتل به ودل على الرغبة باللام
الواقعة موقع على فقال للجبين اى لاحد شقى الجبهة وهى هيئة اضجاع ما يذبح وهذا من قولهم تله اذا صرعه وبه سمى التل من التراب
وتللت فلانا فى يديك اى دفعته سلما والجبين قال فى الصحاح فوق الصدغ وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ولما
كان من الواضح ان التقدير رجوا بالمعالجة ذبحه بعزم امضى من السنان وجنان فى ثباته امام جان فمنعناه من التأثير بعد رتبنا ورددنا
شفرته الماضية عن عنقه اللينة بامرنا وقوتنا فنسيهما عنه الامر بالمباشرة باكثر من ذلك وكان مما كان مما يطول به الحال
مما لا يدرك كنهه عطف عليه قوله وناديناه ونحن هذا النداء بحرف التفسير فقال ان يا ابرهيم ولما كان محل توقع
الثناء قال قد صدقت اى نصرت تقاعطيما الرؤيا فى انك تذبحه فانك قد عالجت ذلك وبذلت الوسع فيه وفعلت ما رايته فى
المنام فما انذبح لانك لم تر انك ذبحته فساكف عن معالجة الذبح بازيد من ذلك قال البيضاوى وروى انه امر السكين بقوته
على حلقه مرارا فلم تقطع ولما كان التقدير فجزيناك على ثقة لاحسانك لو صاحبت وجعلناك اماما للمتقين ووهبناك لسان صدق
فى الآخرين وجعلنا الكلم المصطفين وملانا منهم الخافقين علله بان ذلك سنته دايما قديما وحديثا فقال ما بانى ولما كان
صلى الله عليه وسلم فى همة الذبح وعزمه فكانت تلك الهمة التى تقصر عنها رتبة السها والسماك والعزمة التى تتضاءل دون علو
مكانتها وسنى عظمتها عوالى الافلاك لا تسكن عن ثورانها ولا تبرد من غليانها وفورانها الا بامر شديد وقول جازم اكيد قال
مؤكدا تنبيها على ان همته قد وصلت الى ما هذا حده وان امتثال الامر ابير من الكف بعد المباشرة بالنهى انا كذلك اى مثل هذا
الجزاء العظيم نجزى المحسنين اى العريقين فى هذا الوصف كلهم من الانبيا عليهم السلام واتباعهم ولما كان جزاؤه
عظيما جدا دل على عظمه بان علل اكرامه به بقوله معجبا ومعظما مؤكدا تنبيها على انه خارق للعادة ان هذا اى الامر والحال
فيه لهو البلاء اى الاختبار الذى يحيل ما خولطه به كائنا ما كان المبين اى الظاهر فى بابه جدا المظهر لرائيه انه بلاء ولما
قدم ما هو الاهم من تنبيه عن علاجه ومن البشارة بما جزاه ذكر فداه بما جعله سنة باقية يذكر بها الذكر الجميل على مر الايام
وتعاقب السنين ولما كان المفتدى به من كان الاسير فى يده وكان اسمعيل فى يد ابرهيم عليهما السلام وهو يعالج
ابلاه فجعل تعالى نفسه المقدس فاديا لان الفادى من اعطى الفدا وهو ما يدفع لفكاك الاسير وجعل ابرهيم عليه السلام مفتدى
منه تشريفا له وان كان فى الحقيقة كالالة التى لا فعل لها والله تعالى هو المفتدى منه حقيقة فقال وفديناه اى الذبيح
عند انفاذ ذبحه واتمامه تشريفا له بذبح اى بما ينبغى ان يذبح ويكون موضعا للذبح وهو كبش من الجنة قيل انه هو الذى قربه هابيل
فتقبله الله منه عظيم اى فى الجثة والقدر والرتبة لانه متقبل ومسنى به ومجعول دينا الى اخر الدهر ولما كان
سبحانه اذا من لشئ علم انه عظيم فاذا ذكر الفعل وترك المفعول اراد تحامته وعظمه قال وتركنا عليه اى على الذبيح شيئا هو
فى الحسن بحيث يطول وصفه ولما كان بحيث لا ينبغى قال فى الآخرين ومن هذا الترك ما تقدم من وصفه بصدق الوعد
لانه وعد بالصبر على الذبح فصدق ولما عظم الغلام استانف تعظيم والده بما يدل مع تشريفه على سلامته بقوله
سلام على ابرهيم اى سلامة له ولولده وتسليم وتحية وتكريم فى الدارين ولما كان هذا خطابا لمن بعده عليه السلام
وهم كلهم محبون يحلون معظمون يجلون لم يكن هنا الحال يحوج الى تاكيد فقال كذلك اى مثل هذا الجزاء العظيم نجزى المحسنين
من غير ان نذكر انا الموكد ولما كانت اهل الملل كلها متفقة على حبه وكان كلهم يدعى اتباعه ورتبة قربه
قال معللا لجزائه بهذا المدح فى سياق التاكيد استعطافا لهم الى اتباعه فى الايمان وتكذيبا لمن ينكر ان يكون الايمان موجبا
للاحسان انه من عبادنا اى الذين يستحقون الاضافة فى العبودية والعبادة الينا المؤمنين فلا يطمع احد عرى عن الايمان
فى رتبة اتباعه قال الرازى الايمان المطلق الحقيقى شهود جلال الله ووحدانيته والطمانينة اليه فى كل محبوب ومكروه
وترك المشيئة لمشيئته والانقياد لامره فى جميع احواله ولما اتم قصته فى امر الذبيح وشرع فى ذكر ما جازاه
به على ذلك جعل منه امر اسحاق عليه السلام فقال وبشرناه اى جزاء على صبره فى المبادرة الى امتثال الامر فى اعدام اسمعيل
عليه السلام باسحاق مولودا زيادة له بعد ما سلمنا اسمعيل عليه السلام حال كونه نبيا اى فى قضائنا او بوجوده مقدرا
نبوته ولما كان هذا اللفظ قد يطلق على المتنبى ازال الاشكال هذا الاحتمال وان كان واهيا بقوله واصفا له
من الصالحين اى العريقين فى رتبة الصلاح ليصلح لاثر الاوصاف الصالحة ولما اثنى على ابرهيم عليه السلام بما
عالج مما لم يحصل لغيره مثله وكان من اعظم جزا الاحسان البركة فى ذريته قال وباركنا عليه اى على الغلام الحليم وهو
الذبيح المحدث عنه الذى جر هذا الكلام كله الحديث عنه وكان اخر ضمير محقق عاد عليه الهاء فى وفديناه ثم فى وتركنا عليه

فى

فى الآخرين وهذا عندى اولى من اعادة الضمير على ابرهيم عليه السلام لانه استوفى مدحه ثم رايت حمزة الكرمانى صنع هكذا وقال
حتى كان محمد صلى الله عليه وسلم والعرب من صلبه وعلى اسحاق اى ابنه قال الكرمانى حتى كان اسرايل الله والاسباط من صلبه
وقال غيره خرج من صلبه الف نبى اولهم يعقوب واخرهم عيسى عليهم السلام ومن ذريتهما اى الاخوين ولا شك ان هذا اقرب
والعهد من ان يكون الضمير للاب والابن لان قران الاخوين فى الاخبار عن ذريتهما اولى من قران الابن مع ابيه فى ذلك فيكون الابن
حينئذ من جملة المخبر عنه بذرية الاب محسن وظالم لنفسه حيث وضعها بما سبب من المعاصى فى غير موضعها الذى يحبه وهذا
مما يهد مرامر الطباع حيث كان البر يوجد من الكافر الفاجر والفاجر من البر ولما كان الانسان وان اجتهد فى الاحسان
لا بد ان يحتاج الى الغفران لما له من النقصان لان رتبة الالهية لا تتصل الى القيام بحقها القوى البشرية بين ان الظلم المراد
هنا انما هو التجاوز فى الحد وبغاية الشهوة فقال مبين واما غير ذلك فمغفور كما قرر فى نحو لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

قصة ذبح ابراهيم

ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
بولده عليه السلام من التوراة وبيان انهم بدلوها قال مترجمهم غرس ابرهيم ببير سبع غرسا ودعا هناك
باسم الرب اله العالمين وسكن ابرهيم ارض فلسطين يعنى عند تلك البير اياما كثيرة ولما كان من بعد هذه الخطوب
امتحن الله ابرهيم وقال له يا ابرهيم فقال لبيك فقال له انطلق بابنك الوحيد اسحاق الذى تحبه الى ارض الامورانيين وفى
نسخة الى بلد العبادة واصعده لى قربانا على احد تلك الجبال التى اقول لك فادلج ابرهيم باكرا فاسرج حماره وانطلق بغلاميه
واسحاق ابنه وشق حطبا للقربان ونهض وانطلق الى الموضع الذى قال الله له وفى اليوم الثالث رفع ابرهيم بصره ونظر
الى ذلك الموضع من بعيد فقال لغلاميه امكثا ههنا عند الحمار وانا والغلام نطلق الى ههنا فنصلى ونرجع اليكما فاخذ
ابرهيم حطب القربان وحمله اسحاق ابنه واخذ معه نارا وسكينا وانطلقا كلاهما جميعا وقال اسحاق لابرهيم ابيه يا ابت
فقال له لبيك فقال له هذه النار والحطب اين حمل القربان فقال ابرهيم الله يعد لنا حملا للقربان يا بنى فانطلقا جميعا حتى
انتهيا الى الموضع الذى قال الله فبنى هنالك ابرهيم مذبحا ونضد عليه الحطب وكتف اسحاق فوضعه فى اعلى المذبح على الحطب
ومد يده ابرهيم فاخذ السكين ليذبح ابنه فدعاه ملاك الرب من السما وقال يا ابرهيم يا ابرهيم فقال لبيك فقال لا تبسط يدك
على الغلام ولا تصنع به شيئا لانك قد اظهرت الآن انك تتقى الله اذ لم تمنعنى ابنك الوحيد فمد ابرهيم بصره فاذا كبش
معلق فى شجرة بقرنيه فانطلق ابرهيم فاخذ الكبش فاصعده قربانا بدل ابنه اسحاق فسمى ابرهيم ذلك الموضع الله يتجلى كما
يقال اليوم فى هذا الجبل الله يتجلى فدعا ملاك الرب ابرهيم ثانية من السما وقال لى قسمت يقول الرب بدل ما صنعت هذا
الصنيع ولم تمنعنى ابنك الوحيد لاباركنك بركة تامة ولاكثرن نسلك مثل كواكب السما ومثل الرمل الذى على شاطئ
البحر ويرث زرعك اراضى اعداى وفى نسخة اعداه ويتبارك بنسلك جميع الشعوب لانك اطعتنى ورجع ابرهيم الى غلاميه
وانصرفوا جميعا الى بير السبع واقام وفى نسخة وسكن ابرهيم ببير السبع انتهى ما عندهم بلفظه فانظر اليه واجمع بينه
وبين ما تقدم فى البقرة من قصة اسمعيل واسحاق عليهما السلام تجدهم قد بدلوها بلا شك لان الكلام ينقض بعضه
بعضا وذلك انه قال فى هذه القصة انطلق بابنك الوحيد وكرر وصفه بالوحيد فى غير موضع وهذا الوصف انما هو
حقيقة لاسمعيل عليه السلام وهو دون البلوغ واما اسحاق عليه السلام فلم يكن وحيدا ساعة من الدهر بل ولد ا
سمعيل عليه السلام ابن ثلاث عشرة سنة ونيف بشهادة ما عندهم من التوراة وقوله فى اخر القصة ويتبارك بنسلك
جميع الشعوب لا يكون فى غاية الملاءمة الا لاسمعيل عليه واما اسحاق عليه السلام فانما بورك بنسله الاراضى المقدسة فقط
ولم يتبعهم من غيرهم الا قليل بل كانوا هم فى كل قليل يتبعون غيرهم على عبادة الاوثان بشهادة توراتهم واسفار
انبيائهم يوشع ومن بعده عليهم السلام واما نسل اسمعيل عليه السلام فتبعهم على الدين الحق من جميع الامم ما لا يحصى عدده
ولم يتبعوا هم بعد محمد صلى الله عليه وسلم احدا من الامم على عبادة غير الله هذا وفى المتقدم فى سورة البقرة ان هبة
سارة امتها هاجر رضى الله عنها لابرهيم عليه السلام كان بعد ان سكن كنعان عشر سنين وان اسمعيل عليه السلام ولد لابرهيم
عليه السلام وهو ابن ست وثمانين سنة وان الله تعالى امره بالختان وهو ابن تسع وتسعين سنة وانه فى ذلك الوقت بشر
باسحاق عليه السلام فختن اسمعيل عليه السلام وهو ابن ثلاث عشرة سنة ثم ولد له اسحاق عليه السلام وقد اتى عليه مائة
سنة ثم قال لما نشا وصنع ابرهيم يوم فطم اسحاق ابنه مادبة عظيمة فابصرت سارة ابن هاجر المصرية المولود لابرهيم
لاعبا فقالت لابرهيم اخرج هذه الامة وابنها لان ابن الامة لا يرث مع اسحاق ابنى فشق هذا الامر على ابرهيم لمكان ابنه فقال
الله لابرهيم لا يشق عليك حال الصبى وامتك اطع سارة فى جميع ما تقول لان نسلك انما يذكر باسحق وابن الامة ايضا
اجعله لشعب كبير لانه من ذريتك فغدا ابرهيم باكرا واخذ خبزا واداوة من ماء فاعطاها هاجر وحملها الصبى والطعام
الى اخر ما فى البقرة فقوله ان هاجر طردت بعد فطام اسحق وابنها يحمل لانه صبى وقد تقدم ان عمره يوم فطام اسحاق خمس

عشر سنة وتقدم ايضا ان سارة امرته بطردها وهي حبلى وانه سلمها لها فطردتها وان الملك لقيها وبشرها باسمعيل ولم يذكر في نسختي وهي قديمة جدا شيئا يدل على رجوعها واما في نسخة عندهم فقال ان الملك قال لها ارجعي الى سيدتك واسكني تحت يدها ولم يذكر انها رجعت وقد صح الخبر عندنا بقول نبينا صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم عليه السلام وضع هاجر وابنها اسمعيل عليه السلام عند البيت الحرام وهو رضيع واستمرا هناك الى ان ماتت هاجر وتزوج اسمعيل عليه السلام وبنى البيت مع ابيه عليهما السلام وقوله لان نسلك اثما يدعى باسحاق غير مطابق للواقع فان تسمية العرب بابرهيم عليه السلام ان لم يكن اكثر من تسمية بني اسحاق بذلك فهي مثلها وخبر الله لا يتخلف فدل هذا كله انهم بدلوا القصة وحرفوها فلا متمسك فيها لهم ودلالتها على ان الذبيح اسمعيل عليه السلام اولى من دلالتها على غير ذلك لوصفه بالوحيد والله اعلم كيف كانت القصة قبل التبديل

على ما فهمت من تبديلهم لها اما قال البغوي قال القرظي يعني محمد بن كعب سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود واسلم وحسن اسلامه اي ابني ابرهيم عليه السلام امر بذبحه فقال اسمعيل يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون اباكم الذي كان من امر الله بذبحه ما كان ويزعمون انه ابوهم ومن الدليل على انه اسمعيل عليه السلام ان الله تعالى لما بشر باسحاق بشر بانه يولد له يعقوب فلا يليق الامتحان به بعد علمه بانه لا يموت حتى يولد له ومن الدليل على ذلك ان قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في ايدي بني اسمعيل عليه السلام الى ان احترق البيت واحترق القرنان في زمان ابن الزبير والحجاج قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقال الاصمعي سألت ابا عمرو ابن العلاء عن الذبيح اسحاق كان او اسمعيل فقال يا اصيمع اين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه انتهى ما قال البغوي وفي كتاب الحج من سنن ابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان وهو الحجبي رضي الله عنه اني نسيت ان امرك ان تخمر القرنين فانه لا ينبغي ان يكون في البيت من يشغل المصلي ورواه عبد الرزاق في جامعه ولفظه ان عثمان بن شيبة رضي الله عنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اني رأيت قرني الكبش فنسيت ان امرك ان تخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل مصليا هكذا قال عثمان بن شيبة ولعله ابن طلحة فيكون المتقدم ويكون تسمية ابيه شيبة وهما او يكون شيبة بن عثمان وهو ابن عم الذي عند ابي داود فانقلب والله اعلم وروى عبد الرزاق ايضا عن ابن جريج قال اخبرنا عبد الله بن شيبة بن عثمان وسالته هل كان في البيت قرنا كبش قال نعم كانا فيه قلت رايتهما قال حسبت ولكن اخبرني عبد الله بن يابيه انه قد راهما قال وغيره قد راهما فيه قال كان فيه قرنا الكبش قال ابن جريج وحدثت ان ابن عباس رضي الله عنهما قال لكانا فيه قال وحدثت عن عجوز قالت رايتهما فيه قالت ومما يؤيد القول بانه اسمعيل عليه السلام وصف الله تعالى له بانه صادق الوعد ولا صدق في وعد اعظم من صدقه في وعده بالصبر على الذبح وممن قال من بني اسرائيل انه اسمعيل عليه السلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه حكاه عنه ابن الجوزي وعد القائلين بكل من القولين من الصحابة وغيرهم فقال ان القائلين بانه اسحاق عمر وعلي والعباس وابن مسعود وابو موسى وابو هريرة وانس رضي الله عنهم وبانه اسمعيل ابن عمر واما الرواية اختلفت عن ابن عباس فروى عنه عكرمة انه اسحاق وعطاء ومجاهد والشعبي وابو الجوزاء ويوسف بن مهران انه اسمعيل فعلم من هذا رجحان القول بانه اسمعيل لان ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم تاخرا بعد من ذكر من اكابر الصحابة فلولا انه رجح عندهما ما خالفا ابويهما ونقل عكرمة عن ابن عباس موافقة ابيه لا يقدح في ذلك بل يؤيده لان الاكثر كما ترى رووا عنه الثاني فلولا انه صح عنده ما رجع عن القول الذي هو موافق لراي ابيه ولاجل ثباته عليه اشتهر عنه والله اعلم

ولما ذكر هؤلاء السادة الذين لهم من المقام مرتبة التجرد والنزاهة ما تقدم بيانه وختمهم باخوين ما اجتمعا قط وكان من اعظم المقاصد بذكرهم المنة على من انصف بمثل صفاتهم بالقرب والنصرة تسلية وترجية للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن اتبعه من المؤمنين ممن قارب من شدة البلاء والقهر الياس من النصر اتبعهم بامثالهم في التجرد وابتدا اما باخوين افترقا حين ولادة الثاني على حالة لا يمكن الاجتماع معها عادة ثم اجتمعا في الباطن مع الافتراق في الظاهر ثم افترقا على حالة يبعد الاجتماع معها عادة ثم اجتمعا اجتماعا لم يفترقا منه الا بالموت وبدا باول من تجرد منهما من حين ولادته الى اوان هجرته ثم من حين رجعته الى ان تجرد اله وهم بعض ذرية ابرهيم عليه السلام وانفردهم من علا بنا لتقرع ثم تجرد معهم هو واخوه عن المدن والقرى واكثر علائق البشر ملازمين البراري والفلوات حيث يكثر ظهور الكلمة مع ارسال الله اليهما بمعاد بالحكمة الى ان مانا عليهما افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام فقال لموكدا اتيتنها لمن يعد نصر المؤمنين محالا عاطفا على ما تقدم فلقد اتينا نا منهما من الاصحر جا يعجز الوصف ويفوت الحصر ومنا على كثير منهم بالاحسان من ولد اسمعيل عليه السلام الى ان غير دينه عمرو بن لحي ومن ولد اسحاق يعقوب والاسباط عليهم السلام ومن شاء الله من اولادهم **ولقد مننا** اي انعمنا انعاما مقطوعا به بما لنا من العظمة على اقل من اظهر لسان التعدي لابرهيم عليه السلام وذريته اظهارا تاما وبدا بما هو بالعرفهما كما تقدم في التجرد واحقهما بالتقدم فقال **على موسى** احد اعيان المتجردين ومن له القدم الراسخ في ذلك **وهرون**

اي عين من تجرد مع اخيه ووافقه اتم موافقة ووازره اعظم موازرة بما اتيناه من النبوة والكتاب وغير ذلك من انواع الخطاب

ولما كان تجل المقصود كما مضى مقام التجرد والاعلام بنصر المستضعفين من المؤمنين قال **ونجيناهما** وقومهما اي بني اسرائيل وقد كانوا اسرى لهم ذهود في ذل الانقياد به ذل المؤمنين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في ول امرهم **من الكرب العظيم** اي الاستعباد وما يتبعه من عظائم الانكاد وكان ذلك بهلاك القبط الذين استمروا على الضلال وهم اضعاف اضعاف بني اسرائيل الى ان اهلكناهم فلم يفلت منهم انسان فصح لبني اسرائيل حينئذ التجرد وزال عنهم ذل التجبر والتمرد

ولما بين نعمة النجاة من الاسر اتبعها نعمة الالتذاذ بالنصر فقال **ونصرناهم** اي موسى وهرون عليهما السلام وقومهما على كل من ناواهم في ذلك الزمان من فرعون وغيره **فكانوا هم** اي خاصة **الغالبين** اي على من كان يسومهم سوء العذاب وهو فرعون وآله وعلى جميع من ناواهم فاحذروا يا معاشر قريش والعرب من مثل ذلك ولقد كان ما خذ ذلهم منه صلى الله عليه وسلم على اعظم ما يمكن ان يكون الا ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما كان نبي الرحمة لين الله قلوبهم حتى ردهم الى ما اغتبطوا به من متابعته فصاروا به ملوك الدنيا والاخرة

ولما كانت فائدة النصر التمكن من اقامة الدين قال **واتيناهما** اي بعظمتنا بعد اهلاك عدوهم **الكتاب المستبين** اي الجامع البين الذي هو لشدة بيانه كانه طالب لان يكون بينا وهو كذلك فانه لم ياتي من الكتب مثل التوراة في سهولة ماخذها وجمع هرون عليه السلام معه في الضمير لانه مثله في تقبل الكتاب والعمل بجميع ما فيه والثبات على ما يدعوا اليه وان كان نزوله خاصا بموسى عليه السلام **وهديناهما الصراط** اي الطريق الواضح في الايصال الى المقصود **المستقيم** الذي هو لعظيم تقومه كانه طالب لان يكون قويما فهو على غاية المحافظة على القوم فلا زيغ اصلا وذلك هو شرائع الدين القيم

ولما كان الذكر الجميل عند ذوي الهمم العالية من العزائم الواقية هو الرتق قال **وتركنا عليهما** اي مما نعرفون لمن اثناء الحسن **في الاخرين** اي كل من يجي بعدهما الى يوم الدين ظهر بهذا ان لهما من الشرف والسودد امرا عظيما كانت نتيجته **سلام** اي عظيم **على موسى** صاحب الشريعة العرقي في الانصاف **وهرون** وزيره واخيه

ولما كان نصر النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه من الضعفاء على قريش وسائر العرب عند قريش في غاية البعد وكان التقدير فعلنا معهما ذلك لاحسانهما علله بما يقطع قلوب قريش في مظهر التاكيد فقال **انا كذلك** اي مثل هذا الجزاء **نجزي** اي دائما في كل عصر **المحسنين** اي العريقين في هذا الوصف ثم علل احسانهما وبينه والكرم ترغيبا في مضمونه وتكذيبا لمن يقول ان المؤمنين لا ينصرون بقوله **انهما من عبادنا** اي الذين اخلصوا العبودية والخضوع لنا **المؤمنين** اي الثابتين في وصف الايمان

ولما كان الياس اعظم المتجردين من اتباعهما المجددين لما درس من احكام التوراة وكان ترك احكامها مع ما وصفت به من البيان وما دعتا اليه من الاستقامة في غاية من الضلال تكاد لا يصدق ومثلهما اشار الى الذبح عنه بيانا لان القلوب بيد سبحانه فقال موكدا لذلك ولانه لما كذبه قومه وهم اهل بعلبك لم يؤمن به احد منهم غير واحد او اثنين منهم اليسع الذي كان خليفته كما مضى في الانعام كان الاخبار عن رسالته جديرا بالتاكيد **وان الياس** اي الذي كان احد بني اسرائيل عند جميع المفسرين الا ابن مسعود رضي الله عنه وعكرمة وهو من سبط لاوي ومن اولاد هرون عليه السلام وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو عم اليسع عليه السلام وارسلناه الى من كان منهم في ارض بعلبك ونواحيها فلما لم يرجعوا اليه نزعنا عنه الشهوات الانسانية وخلقناه بالاوصاف الملكية ولا يبعد ان يكون الداعي الى تسميته بهذا الاسم ما سبق في علم الله انه يياس ممن يدعوهم الى الله فيكون ممن ياتي يوم القيامة وما معه الا الواحد او الاثنان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان البخاري في الرقاق والطب ومسلم في الايمان عن ابن عباس رضي الله عنهما عرضت علي الامم فرايت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه احد ثم جعل سبحانه اسمه مناسبا لامره في قومه بياسه منهم حتى فر الى الجبال من شرهم وياسهم من القدرة على قتله فانه استتر واجتهد وافي ذلك حتى اعياهم واذ له دليل على هذا المعنى قراءة ابن عامر بخلاف عنه بوصل الهمزة في الدرج وفتحها في الابتداء وان قال العلماء كما حكاه السمين في اعرابه ان ذلك من تلاعب العرب بالاسماء الاعجمية قطعوا همزته تارة ووصلوها اخرى يعني فخاطبهم سبحانه بما القوه من لسانهم **لمن المرسلين** اي الى من بدل امر التوراة وما دعت اليه **اذ قال لقومه** منكرا عليهم ما لم حقه الانكار بقوله **الا تتقون** اي توجد منكم تقوى وخوف فان ما انتم عليه يقتضي شرا طويلا وعذابا وبيلا وما انتم عليه من السكون والدعة يقتضي انه لا خوف عندكم اصلا وذلك غاية الجهل والاغترار مع تعلمون انه لا خالق لكم ولا رازق غيره

ولما كان هذا الانكار سببا للاصغا كرره مفصحا بسببه فقال **اتدعون بعلا** اي الها وربا وهو صنم كان لهم في مدينة بعلبك كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها وهم اربعمائة ويعلمونها الناس ويحتمل ان يكون بهذا الاسم جنسا بمعنى الرب بلغة اهل اليمن فيكون تعدل الدعا قاصرا على مفعول واحد ويحتمل ان يكون علما على الصنم المذكور فيكون المفعول الثاني منونا وحذف

ليعلم الدعا الذي لا دعا يشبهه وسموا الدعا بالالهية ومن قرا اشارة ابعلا بوزن حمرا فهو اشارة الى كثرة حب امراة الملك على عبادة
بعل وقتل الياس عليه السلام وطاعة زوجها لها في ذلك كما حكاه البغوي واستحق ما يذكر له لكن فاتت لكثرة ملابستها له
وللجنسية علة الضم ولما كان دعاوهم سببا للاجمعا كره معظما تحتية فقال اياه للعبادة بينه بقوله
وتذرون ومادة وذر ودر وعلى ما كر فالمعنى وتتركون ترك المهمل الذي من شانه ان يزهد فيه ولو قيل وتدعون لما دنا
على الجناس لم يغد هذا وانقلب المراد لفساد المعنى فكان مادة ودع تدور على الترك على ما يحب ولما كان الداعي لا بد
الا يكشف ضرا والباس نفع فكان لا يجوز ان يدعوا الا من يقدر على اعدام ما يشا وايجاد ما يريد قال معبرا لهم على غلطهم في
الفعل والترك احسن الخالقين اي ومن لا يحتاج في الايجاد والاعدام الى اسباب فلا تعبدوه ولما كان الانسان
يعلم يقينا انه لم يرب نفسه لا بالانشا من العدم ولا بما بعده وكان الاحسان اعظم عاطف للانسان فاك مبينا المراد
مذكرا لهم بلعايته لهم والى من يحاموا عنهم وتواد من كان يوادهم بالتربية بعد الانشا من العدم الذي هو اعظم تربية
مفخما بالامر ومعظما بالابدال وجعل البدل الاسم الجلالة في قراة النصب وزايدا في التعظيم بالقطع بالابتدا في قراة الجماعة
بالرفع الله فذكر بالاسم الاعظم الجامع لجميع الصفات تنبيها على انه الاول المطلق الذي لم يكن شي الا به ربكم اي المحسن اليكم
وحده ولما كانوا ربما اسندوا ايجادهم الى من قبلهم غباوة منهم او عنادا قال ورب اباكم الاولين اي الذين هم
اول لكم شمل ذلك اباهم الادنين ومن قبلهم الى ادم عليه السلام ولما كان من اعظم المعاصي كما مضى التسلية
والترجية سبب عن دعايه قوله فكذبوه ولما كانت الترجية مستبعدة سبب عن التكذيب قوله مؤكدا لاجل
تكذيبهم فانهم لمحضرون اي مقهورون على الحضور ايانا بما نريد من العذاب الادنى والاكبر وذكرهم بالسوء واللعن في
من الاباد وان كرهوا الا عباد الله اي الذين علموا ما له من مجامع العظمة فعملوا بما علموا فلم يدعوا غيره فانهم لم يكذبوه
فاستثناوهم من التكذيب لا الاحضار لفساد المعنى على تقديره ثم وصفهم بما اشار اليه من الوصف بالعبودية والاضافة
الى الاسم الاعظم فقال المخلصين اي لعبادته فلم يشركوا به شيا جليا ولا خفيا فانهم ناجون من العذاب ولما
جاهد في الله تعالى وقام بما يجب عليه من حسن الثنا جازاه سبحانه فقال عاطفا على فانهم لمحضرون وتركنا عليه اي من
الثنا الجميل وجميع ما يسر في الاخرين اي كل من كان بعده الى يوم الدين ولما كان السلام اسما جامعا لكل خير
لانه اظهار الشرف والاقبال على المسلم عليه بكل ما يريد انتج ذلك قوله سلام ولما كان في اسمه على حسب
تخفيف العرب له لغات احدها توافق الفواصل فكانها لا فرق في سادته المعنى بين الاتيان بما اتفق منها وكان ما كثرت
حروفه منها اضخم واجل وافخم وكان السياق بعد كثير من مناقبه لنهاية المدحة له كان الاحسن التعبير بما هو اكثر حروفا
وهو موافق للفواصل ليفيد ذلك علته في الفضايل وليجعوانه اسم اعجمي لا عربي مشتق من الياس وان اوهمت ذلك قراة
ابن عامر بوصل همزته فقال على الياسين ومن قرا آل ياسين فيجوز ان يكون المراد في قراته ما اريد من القراة الاخرى
لان اهل اللغة قالوا ان الال هو الشخص نفسه وياسين اما لغة في الياس واختصرت اللغة الثانية التي هي الياسين
بحذف منها الهمزة المكسورة مع اللام ويجوز ان يكون المراد آل له اتباعه ويكون ذلك اضخم في مدحه لما تقدم مما يدعوا اليه
السياق ويجوز ان يقصد بهذه القراة جميع الانبيا المذكورين في هذه السورة الذين هو احدهم اي على الانبيا المذكورين عقب
سورة يس دلالة على ما دعت اليه معانيها من الوحدانية والرسالة والبعث واذلال العاصي واعزاز الطايع المجرد لنفسه في حب
مولاه عن جميع العوايق القاطع للطيران اليه اقوى العلايق وخص بهذا هذه القصة لانها ختام القصص المسلم فيها على اهلها في
ولما اظهر سبحانه شرف الياس عليه السلام او الانبيا الذين هو احدهم علله مؤكدا له تنبيها على انه لا بد من اعلاء
النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه على كل من ناويهم وان كذبت بذلك قريش فقال انا كذلك اي مثل هذا الجزاء العظيم نجزي المحسنين
اي الذين هم من اعيانهم ثم علل الحكم باحسانه مؤكدا الماضي في مثله بقوله انه من عبادنا اي الجديرين بالاضافة الينا المؤمنين
وتقدم مثل هذا تاكيدا ايضا التنبيه على رسوخ قدمه في الايمان وانه يجب تشديد الرغبة ويقوي النشاط في الاخبار به على ذلك لو
ولما انهى ما اراد سبحانه من امور المحسنين من ذرية ابرهيم عليه السلام المرسلين الى ذريته في التسلية والترجية
وقدمهم لان المنة عليهم منه عليه والاتساع زيادته اسر منه بقربه وهم الذين اظهر الله بهم ما ترك عليه من لسان الصدق في الاخرين
اتبعهم قصة ابن اخيه مع اهل بلاد الاردن من غرق قومهم فقال مؤكدا للتنبيه على نصر المؤمنين وان كانوا في القلة والذلة على حال
لا يطلق الجبارة ونكرنيا للعهود المكذبين برسالته او الماكين فيها وان لوطا اي الذي جرد نفسه من ما لوفه من بلاده في
وعشايره بالهجرة مع عمه ابرهيم عليهما السلام لمن المرسلين ولما كان محل المقصود تبشير المؤمنين وتحذير الكافرين
وكان مخالفه كثيرا وكان موعبينا بينهم قال في مظهر العظمة اذ نجيناه اي على ما لمخالفه من الكثرة والقوة وتمردكم لانهم اكثر
الناس انهماكا في العلايق البشرية والقاذورات البهيمية التي لا تناسب مراد هذه السورة المبنية على الصفات الملكية

واهله ولما كان من المستبعد جدا انجا شخص وجميع جماعته من مدينة من مدن ابن تغلب جميع اهلها اكد وان كان الاستثنا
معيار للعموم فقال اجمعين ولما كان الكفر قاطعا للسبب القريب كما ان الايمان واصل للسبب البعيد قال الا عجوزا
اي وهي امراته فان كفرها قطعها عن الدخول في حكم اهله فجردوا عنها كاينة في الغابرين اي الباقين في غبرة العذاب ومساءة
الانقلاب ولما ذكر نجاته وابتدا بها اهتماما بالترجية قال للتخويف معبرا باداة البعد افادة مع الترتيب لعظيم رتبة
ما دخلت عليه ثم دمرنا اي اهلكنا بما لنا من العظمة الاخرين اي تجردنا الارض من قاذوراتهم ونزهنا البلاد المقدسة منهم
ومن ارجاس فعلاتهم فلم نبق منهم احدا ولا احتجنا في اهلاكهم الى استنجاد احد ولما كان المقصود من مثل هذا تحذير المخالفين
وكان تجار قريش يرون البقعة التي كانت فيها اماكن قوم لوط وهي البحيرة المعروفة ولا يعتبرون بهم نبهوا منكرين لهم وعليهم في
عدم تابرهم الكلام في سياق التاكيد فقال وانكم اي فعلنا بهم هذا والحال انكم يا معاشر قريش لتمرون ولما كان امرهم
في غاية الظهور حتى كانهم احيا وهم يحدثون من مر بهم بعجيب صنع الله فيهم عبر باداة الاستعلا داخلة على ضميرهم فقال
عليهم اي على مواضع ديارهم في تجاراتكم الى الشام مصبحين اي داخلين في الصباح الوقت الذي قلبنا مدايهم عليهم فيه
فهو من اصبح التامة ونص عليه للتذكير بحالهم فيه ولما كان للليل منظر في الهول غير منظر النهار قال مغيرا
للاسلوب لذلك وربما افهم ان مرورهم به اقل وبالليل اي وملتبسين به ولما كان امرهم كافيا للعاقل في التقوى انكر
عليهم تماديهم فيما كان سبب اخذهم من تكذيب الناصح فقال افلا تعقلون اي يكون لكم عقول فتعتبروا بحالهم فتخافوا امثال ما لهم
فتصدقوا رسولكم فانكم احدر منهم بالاخذ لانه منكم وانتم تعرفون من شرف اصله وكرم قوله وفعله ما لا يعرفه اوليك من
رسولهم ولما اكمل سبحانه ما اراد من امور من كان على ايديهم هلاك في الدنيا او في الاخرة ختم بمن امر قومه الى سلامة
وايمان ونعمة واحسان تغليبا للترجية على التايسة والتعزية فقال مؤكدا لان ما ياتي من ذكر الاباق ربما اوهم شيا في امره
وان يونس اي احد ابنا بني اسرايل وهو يونس بن متى عليه السلام حكى البغوي في قصة الياس عليه السلام انه لما ارسله الله
تعالى الى سبطه من بني اسرايل الذين كانوا في مدينة بعلبك فكذبوه فاراد ملكهم قتله فاختفى في تلك الجبال اشتاق الى
الناس فنزل فمكث عند امراة من بني اسرايل وهي ام يونس بن متى عليه السلام وكان يونس اذ ذاك رضيعا ثم رجع الى الجبال
فمات يونس عليه السلام فاتت امه الى تلك الجبال فما زالت تطوف حتى ظفرت بالياس عليه السلام فسالته ان يدعو لابنها
ليحييه الله تعالى لها فقال لها اني لم اومر بهذا وانما انا عبد مامور فزاد جزعها وتضرعها اليه فرق لها ورحمها وسار معها فوصل الى
بيتها بعد اربعة عشر يوما من حين مات وهو مسجى في ناحية البيت فدعا الله فاحياه لها وعاد الياس عليه السلام الى جبله
لمن المرسلين ولما كان من اعظم المقاصد التسلية على استكبارهم عن كلمة التوحيد وقولهم انه شاعر مجنون ذكر
من امر يونس عليه السلام ما يعرف منهم صعوبة امر الرسالة وشدة خطبها وثقل امرها وشدة عنايته سبحانه بالرسل
عليهم السلام وانه ما اختارهم الا عن علم فهو لا يقيلهم وان اجتهدوا في دفع الرسالة ليزداد ثباتا لاعبايها وقوة في
القيام بشانها فقال معلقا بالمرسلين اشارة الى انه منهم حتى في حال الاباق كما ان لوطا عليه السلام منهم في حال هربه
من عذاب قومه ونجاته منه وكما ان الياس عليه السلام منهم في حال دعايه لقومه وابدائه اياهم فالاحوال كلها في حقهم
سوا لا يخرجهم شي منها عن مطلق الرسالة وان تفاوتوا بها في الدرجات اذ ابق اي هرب حين ارسل من سيده الذي شرفه بالرسالة
ضعفا عن حملها لان الاباق الهرب من السيد الى حيث يظن انه يخفى عليه الى الفلك اي البيت الذي يسافر فيه على ظهر البحر
ولما فعله على صورة فعل المشاحن وكان فصل الايغال في البعد والاسراع في النقلة قال المشحون اي الموقر
ملا فلا سعة لشي اخر يكون فيه فليس لاهله حاجة في الاقامة لحظة واحدة لا لانتظار شي من الاشيا الحين وضع رحله فيه
ساروا فاضطرب عليهم الامر وعظم الزلزال حتى اشرف مركبهم على الغرق على هيئة عرفوا بها ان ذلك لعبد ابق من سيده
فان عند اهل البحر ان السفينة لا يستقيم سيرها وفيها ابق نقله الكرماني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما فسبب لهم
المساهمة اي المقارعة كما هو رسمهم في مثل ذلك الامر فاستهموا ولما احترموه حين اصابته القرعة ان يلقوه
لما توسموا فيه من الخير فامرهم هو بالقايه واخبرهم بانه لا نجاة لهم الا بذلك كان كانه هو الذي ابتدا بطلب المساهمة
فاسندت اليه بقوله فساهم اي قارع يونس عليه السلام معهم قال البغوي والمساهمة القا السهام على جهة القرعة
ولما ال وقوع القرعة عليه الى رميه من السفينة من محل علو الى اسفل عبر عن ذلك بما يدل على الزلق الذي يكون
من علو الى اسفل فقال مسببا عن المساهمة فكان من المدحضين اي الموقعين في الدحض وهو الزلق فزلق عن مكان الظفر
بان وقعت القرعة عليه فرموه في البحر فالتقمه اي ابتلعه كما تبتلع اللقمة ولما كانت مادة حوت للضخامة والمرا
والغلبة والاحاطة عبر بها هنا وفي نون لا ان الاسلوب للتعبير عن مثل حاله فقال الحوت اي المعروف من جهة انه لا حوت
اكبر منه فكانه لا حوت غيره وهو اي والحال ان يونس عليه السلام مليم اي داخل في الملامة من الامر الذي يلام عليه

وهو في تلك الحالة رسول ولما وقع له ما وقع فتجرد عن نفسه وغيرها تجردًا لم يكن لاحد مثل مجموعه لاجرم زاد في التجرد
بالفنا في مقام الوحدانية فلازم التنزيه حتى انجاه الله تعالى والى ذلك الاشارة بقوله تعالى فلولا انه كان اي خلقا وجبلة
من المسبحين اي العريقين في هذا المقام وهو ما يصح اطلاق التسبيح عليه في اللغة من التنزيه بالقلب واللسان والاركان في
بالصلاة وغيرها لان خلقه مطابق لما هيئ له من خلقه فهو ملازم لذلك في وقت الرخا والدعة والخفض والسعة فكيف به في حال
الشدة وحمله ابن عباس رضي الله عنهما على الصلاة للبث في بطنه اي حيا او بان يكون غذا له فتختلط اجزاؤه باجزائه الى يوم
يبعثون اي هو والحوت وغيرهما من الخلائق وعبر بالجمع لافادة عموم البعث ولو افرد لم يفد بعث الحيوانات من البحر ولو ثني لظن ان
ذلك له وللحوت خاصة لمعنى يخصهما فلا يفيد بعث غيرهما وقيل للبث حيا في بطنه وفي الاية اشارة الى حديث تعرف الى الله
في الرخا يعرفك في الشدة وحث على الذكر وتعظيم لشانه ولما كان التقدير ولكنه لما كان ذاكرا لله في حال الرخا ذكرنا
في حال الشدة فانجيناه من بطنه واخرجناه منه سالما وكان ذلك امرا باهرا للعقل ابرزه في مظهر العظمة فقال فنبذناه
القيناه من بطن الحوت القاء لم يكن لاحد غيرنا وكان ذلك علينا يسيرا بالعراء اي بالمكان القفر الواسع الخالي عن ساتر من نبت او غيره
اشتقاقا من العري وهو عدم السترة وذلك بساحل الموصل وقال ابو حيان قذفه في نصيبين من ناحية الموصل وهو سقيم
اي عليل جدا مما ناله من جوف الحوت بحيث انه كان كالطفل ساعة يولد وهو اذ ذاك محمود غير مذموم بنعمة الله التي تداركته
فكان نجيبي ومن الصالحين وانبتنا اي بعظمتنا في ذلك المكان الذي لا يقتضي النبات مطلقا فيه فضلا عما لا ينبت الا بالماء
الكثير ولما كان سعة منتنا هينا بالغا الى حد يجل عن الوصف وبنات المظلة عليه على هيئة هي اعظم من نبات امثالها
نبه عليه باداة الاستعلا فقال عليه اي ورفعناها حال انباتنا اياها فوقه لتظله كما يظل البيت الانسان ولما
كان الدبا من النجم وكان قد اعظمها سبحانه لاجله عبر عنها بما له ساق ولم يضفها لنبيه التنوين تعظيمها فقال شجرة
ولما كانت هذه العبارة مفهمة لانها مما له ساق نص على خرق العادة بقوله من يقطين اي من الاشجار التي تلزم
الارض وتقطن فيها وتصلح لان ياوي اليها ويقطن عندها حتى يصلح حاله فانه تعالى عظمها واخرجها عن عادة امثالها حتى صار
عليه كالعريش واليقطين كل ما يمتد وينبسط على وجه الارض ولا يبقى على الشتا ولا يقوم على ساق كالبطيخ والقثا والمراد
به هنا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما شجرة القرع لعظم ورقها وبرد ظلها ونعومة ملمسها وان الذباب لا يقربها قال ابو حيان
وماؤه ورقه اذا رش به مكان لا يقربه ذباب اصلا وقال غيره فيه ملايمة لجسد الانسان حتى لو ذهبت عظمة من راسه فوضع مكانها
قطعة من جلد القرع نبت عليها اللحم وسدت مسدها وهو من قطن بالمكان اذا اقام به اقامة زايل لا ثابت ولما كان النظر
الى الترجية اعظم ختم بها اشارة الى انه لا يميته صلى الله عليه وسلم حتى يقر عينه بامته كثرة وطواعية ونعمة فقال وارسلناه
اي بعظمتنا التي لا يقوم لها شيء ولما لم يتعلق الغرض بتعيين المرسل اليهم وعلم انهم الذين ابق عنهم اولا قال الى مائة
الف والجمهور على انهم هم الذين ارسل اليهم اولا قاله ابو حيان ولما كان العدد الكثير لا يمكن ناظره الوقوع فيه على
حقيقة عدده بالبصر وان كان اثبت الناس نظرا يقول هم كذا يزيدون قليلا او ينقصونه وتارة يجزم بانهم لا ينقصون عن كذا
واما الزيادة فممكنة وتارة يغلب على ظنه الزيادة وهو المراد هنا قال او يزيدون لان الترجية في كثرة الاتباع اقر للعين
واسر للقلب وانما كان لان الزيادة واقعة والتردد الظرفية الى خمسين الفا وان كان التحقيق انها دون ذلك وهؤلاء المرسل
اليهم هم اهل نينوى وهم من غير قومه فانهم من ارض بني اسرائيل العراق ونينوى من شرقي الفرات بعيدة عنه جدا ولما
تسبب عن اتيانه اليهم انشراح صدره بعد ما كان حصل له من الضيق الذي اوجب له ما تقدم قال فامنوا اي بتجريد انفسهم
من الحظوظ النفسانية ولحوقا بالصفات الملكية ولما كان ايمانهم سبب رفع العذاب الذي كان اوجبه لهم كفرهم قال
فمتعناهم اي ونحن على ما نحن عليه من العظمة لم ينقص ذلك من عظمتنا شيئا ولا زاد فيها الى حين اي الى انقضاء اجالهم التي ضربناها
لهم في الازل ذكر قصة يونس عليه السلام من سفر الانبياء قال مترجمه نبدأ بمعونة الله وقوته بكتب نبوة يونان بن متى
التي كانت كلمة الرب على يونان بن متى يقول له قم فانطلق الى نينوى المدينة العظيمة وناد فيها بان شرارتكم قد صعدت قدامي
وقام يونان ليفر الى ترسيس من قدام الرب وهبط الى يافا ووجد سفينة تريد تدخل الى ترسيس فاعطا الملاح اجرته ونزلها ليدخل
معهم الى ترسيس هاربا من قدام الرب والرب طرح ريحا عظيمة في البحر فكان في البحر موج عظيم والسفينة كانت تمايل تنكسر
وفرق الملاحون وصرخ الملاحون وجار كل انسان الى الهه وطرحوا متاع السفينة في البحر ليخففوا عنهم ثم هبط يونان الى اسفل
السفينة ونام فدنا منه سيد الملاحين وقال له ما ذا انت نايم قم فادع الهك لعل الله يخلصنا ولا نهلك وقال الرجل لصاحبه
تعالوا نقترع ونعلم هذا الشر من قبل من جا علينا فاقترعوا فجات القرعة على يونان فقالوا له اخبرنا ما هذا الشر وما ذا هو عملك
ومن اين انت ومن اي شعب انت واينها ارضك فقال لهم يونان انا عبراني ولله رب السما اخشى الذي خلق البر والبحر ففرق اولئك
القوم فرقا شديدا فقالوا له ما ذا صنعت لان اولئك الناس علموا انه من قدام الهه هرب فلما اخبرهم قالوا له فما نصنع بك حتى يسكن

عنا البحر لان البحر هو ذا منطلق يزخر علينا قال لهم يونان خذوني فاطرحوني في البحر فيسكن عنكم البحر لاني اعلم ان هذا الموج العظيم
من اجلي هاج عليكم فجهدوا اولئك الناس ان يرجعوا الى الساحل فلم يجدوا الى ذلك سبيلا لان البحر كان ذاهبا يزخر عليهم ودعوا
الى الرب وقالوا ايها الرب لا تحسب علينا دم زكي ولا نهلك بنفس هذا الرجل من اجل انك انت الرب وكل ما شئت تصنع
فاخذوا يونان وطرحوه في البحر فاستقر البحر من امواجه وفرق اولئك الناس من قدام الرب فرقا شديدا وذبحوا ذبائح
للرب ونذروا له النذور وهيا الرب سمكة عظيمة فابتلعت يونان وكان يونان في امعاء السمكة ثلاثة ايام وثلث
ليالي وقال دعوت الرب في حزني فاجابني ومن بطن الجحيم تضرعت اليه وسمع صوتي وطرحتني في الغوط في قلب البحر والانهار
احاطت بي وكل امواجك واهياجك علي جازت انا بجي قلت اني قد تباعدت من قدام عينيك من الان ازيد اعود فانظر
الى هيكلك المقدس وقد احاطت بي المياه حتى نفسي والاهوال احاطت بي وفي اسفل البحر احتبس راسي والى اسافل الجبال
هبطت والارض اطبقت اغلاقها في وجهي الى الدهر اذا اغتمت نفسي للرب ذكرت ودخلت صلاتي قدامك الى هيكلك
المقدس كل الذين يحفظون الاباطيل البطالة رحمتهم قد تركوا انا بحمد بصوتي للشكر اقرب لك واذبح والذي نذرته اوفيه
للرب فامر الرب السمكة فقذفت يونان في اليبس واتى كلام الرب اليه المرة الثانية وقال له قم يا يونان فانطلق الى
نينوى المدينة العظيمة وناد فيها بالنداء الذي اقوله لك فقام يونان وانطلق الى نينوى مثل كلمة الرب ونينوى
كانت مدينة عظيمة للرب مسيرة ثلاثة ايام وبدا يونان ان يدخل الى نينوى مسيرة يوم واحد ونادى وقال
من الان والى اربعين يوما نينوى تنقلب فامن اهل نينوى بالله وفرضوا الصوم ولبسوا المسوح من عظمائهم حتى صغارهم
وانتهت الكلمة الى ملك نينوى فقام عن كرسيه ونزع حلته واكتسى مسح شعر وجلس على الرماد ونادى في نينوى وقال
الملك واشرافه وكل الناس والعداير والثيران والغنم فلا يذوقوا شيئا من الطعام ولا يرعون وماء فلا يشربون
ولكن فليلبس الناس والعداير ويدعوا الله بالتضرع ويرجع كل انسان عن طريقه السوء وعن الاختطاف الذي في يديه
وقالوا من ذا الذي يعلم ان الله يقبل منا ويرحم علينا ويردع عنا غضبه وزجره لكيلا نهلك ونظر الله الى اعمالهم انهم
قد تابوا عن طرقهم السوء فردع عنهم غضب زجره ولم يبدهم وحزن يونان حزنا شديدا وتكرم من ذلك جدا وصلى
قدام الرب وقال اها الرب الم تكن هذه كلمتي وانا بعد في بلادي ولذلك سبقت وفررت الى ترسيس قد عرفت بانك
الرحمن الاله الرؤوف طويل صبره وكثير نعمتك وترد السوء الان يا رب انزع نفسي مني لان الموت انفع لي من الحياة فقال له
جدا احزنت يا يونان وخرج يونان من المدينة واتخذ له ثمة مظلة وجلس تحتها في الظل لينظر ما الذي يعرض للمدينة
وامر الله الرب اصل القرع ونبت وارتفع على راس يونان فكان ظلا على راسه فتفرج من غمته وفرح فرحا كبيرا يونان
باصل القرع وفي اليوم الاخر امر الله الرب دودة في مطلع الصبح فضربت اصل القرع وقرضته فلما طلعت الشمس
امر الله الرب ريح السموم فيبست اصل القرع وحميت الشمس في راس يونان واغتم وسال الموت لنفسه وقال انك يا رب
تقدر تنزع نفسي مني لاني لم اكن اخير من ابائي وقال الرب ليونان جدا احزنت على اصل القرع فقال يونان جدا احزن حتى الموت
قال له الرب انت اشفقت على اصل القرع الذي لم تتعب فيه ولم تربه الذي في ليلة نبت وفي ليلة يبس فلست لا اشفق انا
على نينوى المدينة العظيمة التي فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يدرون ما بين يمينهم من شمالهم وكثير من
البهائم انتهى ولعل اصل القرع المذكور هنا كان نبت عليه حين خرج من بطن الحوت فلما اتفق له ما ذكر هنا رجع اليه
وقد زاد عظمه فبنى تحته عريشا وجلس تحته فكان منه ما كان فلا يكون حينئذ ما هنا مخالفا لما ذكر اهل الاخبار في
هذه القصة والله الموفق ولما كان الذي سبق ادعاوه امرين احدهما ان هؤلاء المنذرين يسارعون في اقتفا
اثار ابائهم في الضلال والثاني ان اكثر الاولين ضلوا وسيقت دليلا شهودا على الثاني هذه القصص التي
ما اهتدى من اهلها امة بكمالها الا قوم يونس عليه السلام كان ذلك سببا للامر باقامة الدليل على ضلال هؤلاء
تبعا لابائهم بامر ليس في بيان الضلال اوضح منه فقال مبكتا لهم مخصصا للامر به صلى الله عليه وسلم اشارة
الى عظم هذه النتيجة وانه لا يفهمها حق فهمها سواه صلى الله عليه وسلم فاستفتهم اي فاطلب من هؤلاء
الذين يعرضون عن دعوتك الى اباطيلهم ان يجيبوك فتوى منهم وكرما باي دليل وباي حجة حكموا بما يقولونه تبعا لابائهم
في الملائكة الذين تقدم في فاطر انهم رسل الله وفي يس انهم في غاية الشدة بحيث ان عذاب الامة الكبيرة يكفي فيه واحد منهم
وبحيث ان صيحة واحدة من احدهم تميت الاحيا كلهم وصيحة اخرى تحيي الاموات كلهم هذا الى ما افادته هذه السورة لهم
من الصف والزجر والتلاوة حين ابتديت بالاقسام بهم لان المقصود منها نظرا عظيما الى احوالهم في تجردهم وتقديسهم
ويلزم من هذا الاستغنا تنزيههم وتنزيه الذي خلقهم وذلك مقصود السورة ولفت الكلام عن مظهر العظمة الى ما هو
دليل عليها فان الرسول دال على قدر من ارسله فقال الربك اي خاصة وهو الملك الاعلى الذي رباك واحسن اليك

بهدايتك والهداية بك وغير ذلك من امرك حتى كنت اكمل الخلق واعلاهم في كل امر يكون به الكمال والقرب من الله فاصطفاك لرسالته
نفي لهم افراد الضمير اشارة الى انه لا اختيار الا الاكمل لا اشرف الافضل ولما كان المراد تبكيتهم بكونهم جعلوا الاحسن لله
وكانت الاناث اضعف من الذكور لكنهما قد تطلق للابوة على غير الحيوان وكانت الاناث في بعض الاجناس كالاشجار اشرف عدل
عن التعبير بالاناث وعبر بما ينص على المراد فقال البنات اي دون البنين وهم مع انهم مربوبون مقهورون يانفون منها غاية
الانفة ولهم اي دونه البنون مع ان الرب الذي خصوه بادنى القبيلين قادر بخلق الذكر من تراب وتربيته احسن تربية
واخرى من غير ام او يخرجه من بطن حوت او غمرات نار او غير ذلك فباي وسيلة ادعوا له ولدا والولد لا يكون الا بالتدريج
في اطوار الخلق من النطفة الى ما فوقها ولا يرضى بذلك الا عاجز فكيف بادعاء ادنى الصنفين من الولد سبحان ربك رب العزة
ولما كان دعواهم لانوثة الملائكة متضمنة لادعاء العلم باختصاصه عند دعوى لولديه بادنى القبيلين او ادعاء العلم
بانه خلقهم اناثا بمشاهدة منهم او كتاب منه اليهم واما العقل فانه لا مدخل له في ذلك قال معلما بانهم اهل لان يبكتوا ويهم
ويستهزأ بهم كانه لا علم عندهم باحد الطريقين ولا يعتقدون ان يدعوا ذلك لئلا ينفضحوا افضيحة لا تنجبر اصلا عائدا الى
التصريح بمظهر العظمة اشارة الى ان من شانها كافة الحجاب ام خلقنا اي على ما لنا من العظمة التي ان لم تقتض اختيار الاكمل
لم تقتض الاختصاص بالادون لانها منافية بكل اعتبار للدناءة الملائكة اي الذين حكموا عليهم بالانوثة وهم من اعظم
رسلنا واجل خواصنا ولم يروا منهم احدا او لا تسل لهم الى العلم باحوالهم باعترافهم بذلك ولما تعين ان المراد
بالانوثة الخاسة وكان في بعض البنات قوة الذكور وعبر بالانوثة الزاما لهم في حكمهم ذلك بخساستين فقال اناثا وهم
اي والحال ان هؤلاء الذين ينسبون اليه سبحانه ما لا يليق به شاهدون اي ثابت لهم شهود ذلك لا يغيبون عنه بحال احتى
يسوغ لهم الاخبار بذلك فانا كل يوم نجد منهم من سبينا قال الرازي وكل واحد من الملائكة نوع برأسه اما الادميون فكلهم
نوع واحد وهو ناقص في ابتداء الفطرة مستكمل وله درجات في الترقي الى ان يبلغ مقام المشاهدة وهو ان يتجلى له حلية الحق
الاول من ذاته وصفاته وترتيب افعاله علما لا ينفصل عنه ولا يغيب فيترقى في ادراكه عن المحسوسات والخيالات ويترقى
فعله عن ان يكون لمقتضى الغضب او الشهوة وبهذا يقرب من الله تعالى انتهى ولما اشتد تشوف السامع الى
ان يعلم حقيقة قولهم الذي تسبب عنه هذا الاستفتاء اعلم سبحانه بذلك في قوله مؤكدا اشارة الى انه قول يكاد
ان لا يقر احد انه قاله معجبا منهم فيه مناديا عليهم بما ابان من فضيحتهم بما تقدم من استفتائهم الا انهم من افكهم اي من
اجل ان صرفهم للامور عن وجوهها عادتهم ليقولون اي قولا هم مستمرون عليه وان كانوا لا يقدرون على ابرازه في مقام المناظرة
وعدل عن مظهر العظمة الى اسم الجلالة العلم على الذات الجامعة لجميع الصفات اشارة الى ان كل صفة من صفاته ونعت
من نعوته يابى لولديه فقال ليقولون ولد الله اي جد له وهو المحيط بصفات الكمال ولدوهم على صفة الانوثة اي
اتى بالولد تولد فعل ماض والجلالة فاعل وقرئ شاذا بالرفع ولد على انه خبر مبتدا محذوف وجر الجلالة بالاضافة والولد
فعل بمعنى مفعول كالقبض فلذلك يخبر به عن المفرد وغيره والمؤنث وغيره ولما اي سبحانه بالاسم الاعظم اشارة
الى عظيم تعاليه عن ذلك صرح به في قوله دالا على البنوة مؤكدا لاجل دعواهم انهم صادقون وانهم لكاذبون ودل على
لذبهم ايضا بانكاره موبخا لهم في اسلوب الخطاب زيادة في الاغضاب في قوله اصطفى بهمزة الاستفهام الانكاري
وسقطت معها همزة الوصل لاغنائها عنها ومن اسقطها فهي عنده مقدرة مرادة وان كسر الهمزة في الابتداء اي اخبرو
هل اختار هذا السيد الذي انتم معترفون بتمام علمه وشمول قدرته وعلو سؤدده ما تستر ذلونه ولما
كان التعبير بالبنت اكره اليهم من التعبير بالانثى والتعبير بالابن احب اليهم والذ من التعبير بالذكر وانص على المراد
لان الذكر مشترك بين معان قال البنات اللاتي تستنكفون انتم من لحوقهن بكم وتستحيون من نسبتهن اليكم حتى ان
بعضكم ليصل في ابعادهن الى الوأد على البنين فكان حينئذ ناظرا لنفسه دون نظرا فلكم فضلا عن حلكم ولذلك د
عظم حسنا وتناهى بلاغة قوله في صورة استفهام انكاري ما اي يا معاشر العرب المدعين لصحة العقول وسداد
الانظار والفهوم اي شيء لكم من الخير في هذا المقال ثم زاد في التقريع عليه بقوله معجبا منهم كيف تحكمون اي في كل
ما سالنا كم عنه بمثل هذه الاحكام التي لا تقضي رعمها ادنى مسكة من عقله وعبر بالحكم لاشتهاره فيما يبت
فيا في التقيص فكان التعبير به اعظم من تقريعهم حيث الطلقوه على ما لا ادهى منه ولما كان هذا اشد المنافاة
للعقول لعظيم البعد عن الطباع حسن جدا قوله ايضا مبكتا افلا تذكرون اي ادنى تذكير بما اشارت اليه قراءة من خفف
بما جمعت من التخفيف والحذف فان الامر في غاية الظهور لما في عقولكم كان هذا اشد المنافاة وطباعكم من انكم لا ترضون
لانفسكم احسن المنازل فكيف يختاره لنفسه ربكم الذي بيده كل شيء وانه لا يكون له ولد مطلقا الا ممن له جنس فيكون
محتاجا الى جنسه والمحتاج لا يكون الها بوجه واشارت قراءة الجماعة بالتشديد والادغام الى ان الامر يحتاج الى

مزيد

مزيد تذكر بما اشار اليه التشديد مع دقة بما اشار اليه الادغام لاجل حل شبهة من يرى افعال من يحيي الموؤدة فيظن
ان ذلك رغبة منهم في الاناث وليس ذلك الا رغبة في دفع فساد القتل ورحمة للضعيف ولم يقروا بالهلاك اشارة الى ان الامر
غني عن الدرجة العليا في التامل ولما قررهم على شهود ذلك بما تضمن ابطاله عقلا فلم يبق من طرق الادلة الا السمع
عادله بقوله ام لكم اي على ادعاء ذلك سلطان اي دليل سمعي بخبر سماوي قاهر واشار الى انه لا يتكلم في احوال الملوك
الا بامر واضح بقوله مبين ولما كان المراد بهذا ولا بد البرهان السمعي بينه بما سبب عنه من قوله فاتوا بكتابكم
اي الذي اتاكم بذلك السلطان من الملك في انه اختار لنفسه ذلك ودل على انهم تلويحا بعد ان اتى به تصريحا وهو انكى
ما يكون بالاتيان باداة الشك في قوله ان كنتم صادقين وهذه الايات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع والاساليب
التي وردت عليها ناطقة بتسفيه احلام المدعين لذلك وتجهيل نفوسهم واستركاك عقولهم مع استهزاء وتهكم وتعجيب
من ان يخطر مثل ذلك على بال فضلا عن ان يتخذ معتقدا او يتظاهر به مذهبا ولما تم اظهار ضلالهم بكتبهم في
اسلوب اخر معرضا عن خطابهم تخويفا من احلال عذابهم فقال وجعلوا اي بعض العرب منابذين لما مضى بيانه من الادلة بينه
وبين الجنة اي الجن الذين هم شر الطوائف واسمهم اشارة الى تحقيرهم عن هذا الامر الذي اهلوهم له نسبا بان قالوا انه جل
سبحانه وجهه وعظم تعالى جده تزوج بنات سروات الجن فاولد منهم الملائكة ومن المعلوم ان احدا لا يتزوج الا من يجانسه
فابعد واغاية البعد لانه لا يجانسه ولما كان النسب يكرم ولا ايمان قال مونثا لضميرهم زيادة في تحقيرهم
ولقد علمت الجنة اي مطلقا السروات منهم والاسافل انهم اي الجن كلهم لمحضرون اي اليه بالبعث كرها ليعاملوا
بالعدل مع بقية الخلائق يوم فصل القضاء والتجلي في مظاهر العز والعظمة والكبرياء فهم اقل من ان يدعي لهم ذلك د
ولما ذكر ذلك اليوم الاعظم الذي تظهر فيه لكل احد معاقد الصفات وتتلاشى عند تلك المظاهر اعيان الكائنات
وتنمحي لدى تلك النعوت اثار الفانيات وكان ذكره على وجه مبين بعد الجن عن المناسبة كان محل التنزيه وموضعا بعد
تلك الضلالات للتقديس نتيجة لذلك فقال مصرحا باسم التسبيح الجامع لجميع انواعه والجلالة اشارة الى عظم
المقام سبحان الله اي الذي له جميع العظمة تنزها يفوت الحصر عما يصفون اي عما يصفه به جميع الخلائق الذين يجمعهم
الاحضار ذلك اليوم والكفار الذين ادعوا له الولد وجعلوا الملائكة من الولد الا عباد الله اي الذين يصلحون
للاضافة الى الاسم الاعظم من حيث الطلاقه على الذات الاعظم ولذلك اظهر ولم يضمر لان الضمير يعود على عين الماضي فربما
اوهم تقييده بما ذكر في الاول فيفهم تقييد تشريفهم بالتسبيح المخلصين اي من جميع الخلائق او من العرب وهم من اسلم منهم
بعد نزول هذه السورة فانهم لا يصفونه الا بما اذن لهم فيه ولاجل ان هذه السورة سورة المتجردين عن علائق العوائق
عن السير اليه كرر وصفا لاخلاص فيها كثيرا ولما نزه نفسه المقدس سبحانه عن كل نقص دل على ذلك بانهم
وجميع من تبعه ونه من دونه لا يقدرون على شيء لم يقدره فقال مسببا عن التنزيه مؤكدا لتكذيب المن يظن ان غير الله يملك شيئا
وابتدأ الخبر عن نصدره بالنافي فقال ما وغلب المخاطبين المعبر عنهم بكاف الخطاب على من عطفهم عليهم وهم معبودا انهم
تنبيها على انهم عدم كما حصرهم بالتعبير عنهم بما دون من فانكم وما تعبدون اي من الاصنام وغيرها من كل من زعمتموه الها هذه
وابتدأ الخبر عن نصدره بالنافي فقال ما وغلب المخاطبين المعبر عنهم بكاف الخطاب على من عطفهم عليهم وهم معبودا انهم
تنبيها على انهم عدم كما حصرهم بالتعبير بما دون من انتم عليه اي على الله خاصة واكد النفي بادخال الجار فقال بفاتنين
اي بمغيرين احدا من الناس ومفسدين بالاضلال الا من هو اي في حكمه وتقديره صال الجحيم اي معذب بعذابه لحكمه عليه بالشقا
فعلم انهم لا يقدرون ان تغيروا عليه الا من غيره هو بحكمه ضالا لانكم تعوذ بك منك لا مهرب منك الا اليك والمراد بتقديم
الجار على ما تعلق به اي غيره قد يقدر على ان يفسد عليه من لا يريد فساده ويعجز عن رد المفسد فالتعبير باداة الاستعلاء تهكم
بهم بمعنى انه ليس في ايديهم من الاضلال الا هذا الذي جعله لهم من التسبب فان كان عندكم علة فسموها وتوحيد الضمير
على لفظ من في الموضعين للاشارة الى ان الميت على الشرك بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم من العرب قليل وقرئ شاذا صالو
الجحيم بالواو فما لواد فعا لظن ولده انه واحد ولما بطل بهذه الجملة قدرتهم وقدرة معبوداتهم التي يدعون لها بعض القدرة
وكان التقدير سلبا لقدرة المخلصين ايضا وما المخلصون بهادين اليه الامن حكم له بجنات النعيم وكان من المعلوم ان المامور
بهذا الاستفتاء صلى الله عليه وسلم يمتثل الامر فيقول ما تقديره افتوني ايها الضالون عما امرت باستفتائكم عنه اي انتم
بحقيقين وعن ربي بما انتم على تغطيته شيء مما فضحكم به هذه الايات مما ادعيتموه في الملائكة والجن بتادرين عطف عليه قوله
تاكيدا لما تقدم من سلب القدرة عن غيره سبحانه اظهارا للنصفة في الحكم بعموم العجز لكل من سوى الله وما منا اي نحن
وانتم ومعبوداتكم وغير ذلك احدا الا له مقام معلوم قد قدره الله تعالى في الازل ثم اعلم الملائكة بما اراد منه فلا
احد من الخلق على ان يتجاوز ما لقامه فيه سبحانه نوع مجاوزة فلكل من الملائكة مقام معروف لا يتعداه والاولياء لهم مقام

مو ايضا لهم بالخطاب زياده
وامر في الاعضاب انتهى

مستور بينهم وبين الله لا يطلع عليه احد والانبيا عليهم الصلاة والسلام لهم مقام مشهود مويد بالمعجزات الظاهرة لانهم
للخلق قدوة فامرهم على الشهرة وامر الاوليا على السترة قاله القشيرى وغيره المذكورين من اهل السعادة لهم مقام في السعادة
معلوم عند الله تعالى وعند من اطلعه عليه من عباده ولما سلب عن الكل كل شى من القدرة الا ما وهبهم وكان الكفار
يدعون انهم يعبدون الله تعالى وينزهونه وانا الاشراك لا يقدح في ذلك بين ان المخلصين خصوا دونهم بمواقف الصفا
ومقامات الصدق والوفا لان طاعتهم ابطلها اشراكهم فقال موكدا ومخصصا **وانا** اى معاشر المخلصين **لنحن** اى دونكم
الصافون اى انفسنا في طاعته في الصلاة والجهاد واجتنبنا في الهوى فيما ارسلنا به وغير ذلك لاجتماع قلوبنا على الطاعة
وانا لنحن المسبحون اى المنزهون له سبحانه عن كل نقص ويجوز ان يكون جما ادعيتموه من البنات وغير ذلك ويجوز ان يكون المعنى
لتاكيد هذا الفعل وهو الصف والتسبيح ولا ينوى له مفعول البتة ولما بين ضلالهم وهداه صلى الله عليه وسلم
وهدى من اتبعه بما اشار اليه بصفة الربوبية التى اضافها اليه في قوله الربك وختم بالعراقة في التنزيه اعلم بانهم زادوا
على عيب الضلال في نفسه عيبا لاخلاف للوعد والنقض لما اكدوه من العهد فقال موكدا اشارة الى انه لا يكاد احد يصدق
ان عاقلا يوكد على نفسه في امر ثم يخلفه **وان** اى فعلوا ذلك من الضلال في الشبه التى افتضحت بما كشفناه من ستورها ولم
ينزهوا كما نزاه المخلصون والحال انهم **كانوا** قبل هذا **ليقولون** اى قولا لا يزالون يجددونه مع ما فيه من التاكيد
لو ان عندنا ذكرا اى على اى حال كان من احوالهم من كتاب او غيره **من الاولين** اى من الرسل الماضين **لكنا عباد الله** اى بحيث انا
نصير اهلا للاضافة الى المحيط بصفات الكمال **المخلصين** اى في العبادة له بلا شائبة من شرك اصلا ولما كان
هذا الذكر الذى اتاهم مع كونه اعظم ذكرا اى مصدقا للكتب الاولين وكان الرسول الاتى به اعظم الرسل فكان لذلك هو
عين ما عندوا عليه مع زيادة الشرف سببا لكفرهم قال **فكفروا به** اى فتسبب عما عاهدوا عليه انهم كفروا به لكا لتركع
زيادته في الشرف على ما طلبوا بالاعجاز وغيره فتسبب عن ذلك تهديدهم ممن اخلفوا وعدهم ونقضوا عهدهم لتاكيد عهدهم فقال
فسوف يعلمون اى بوعيد لبس من جنس كلامهم بل هو مما لا خلف فيه بوجه ولما كان التقدير كما ارشد اليه سياق
التهديد فلقد سبقت كلمتنا على من خالف رسلنا بالخذلان المبين عطف عليه قوله **ولقد سبقت** اى في الازل عايدا الى
اسلوب العظمة التى تابى ان يضام من انتمى اليها **كلمتنا** اى على ما لنا من العظمة **لعبادنا** اى الذين اخلصوا لنا العبادة في
كل حركة وسكون **المرسلين** الذين زدناهم على شرف الاخلاص في العبودية شرف الرسالة ولما اذنت اللام
بعلوهم وان الكلمة سبقت لهم بكل سعادة اوضح ذلك ببيان ما سماه كلمة لانتظامه في معنى واحد بقوله **انهم** وزاد في
تاكيده في نظير ما عند الكفرة على ما تدل عليه اعمالهم انه في غاية البعد فقال **لهم** اى خاصة **المنصورون** اى الثابت
نصرهم في الجدال والجلاد وان وقع للكفار عليهم في الثانى ظهور ما ولما خص بذلك المرسلين عم فقال **وان جندنا**
اى من المرسلين واتباعهم ولما كان مدلول الجند في اللغة العسكر والاعوان والمدينة وصنفا من الخلق على حدة
قال جامعا على المعنى دون اللفظ نصا على المراد **لهم** اى لا غيرهم **الغالبون** اى وان رئى انهم مغلوبون لان العاقبة لهم ان
لم يكن في هذه الدار فهو في دار القرار وقد جمع لهذا النبى الكريم فيهما وسمى هذا كله كلمة لانتظامه معنى واحدا ولا يقدح
انهزام في بعض المواضع من بعضهم ولا وهن قد يقع وكفى دليلا على هذا سيرة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفا الثلاثة بعدهم
رضى الله عنهم ولما ثبت لا محالة بهذا انه صلى الله عليه وسلم هو المنصور لانه من المرسلين ومن جند الله بل هو
اعلاهم سبب عن ذلك قوله **فتول** اى فكلف نفسك الاعراض **عنهم** اى عن ردهم عن الضلال قسرا **حتى حين** اى مبهم وهو
الوقت الذى عيناه لنصرك في الازل **وابصرهم** اى ببصرك وبصيرتك عند الحين الذى ضربناه لك وقبله كيف نوديهم
احوالهم وتقلباتهم كلما تقلبوا الى سفول ولما كانوا قبل الاسلام عميا صما لانهم لا يبصرون وعدا ولا وعيدا
ولا يتفكرون في عاقبة حذف المفعول من فعلهم فقال متوعدا محققا بالتسويف لا مبعدا **فسوف يبصرون** اى يحصل لهم الابصار
الذى لا غلط فيه بالعين والقلب بعد ما هم فيه من العمى وهذا الحين واضح في يوم بدر وما كان من امثاله قبل الفتح فانهم كان
لهم في تلك الاوقات نوع من القوة فلذلك ابتهم نوع اثبات في ابصارهم ولما كانت عادتهم الاستعجال بما يهددون
به استهزاء كلما وردعليهم تهديد سبب عن ذلك الانكار عليهم على وجه هو تهديد اخر لهم فقال **افبعذابنا** اى على ما علم لنا من العظمة
باضافته الينا **يستعجلون** اى يطلبون ان يعجل لهم فيأتيهم قبل اوانه الذى ضربناه له ولما علم من هذا انه لا يشرى لهم
يوم حلوله ولا اقرار عند نزوله صرح بذلك في قوله **فاذا** اى فهددناهم وانكرنا عليهم بسبب انه اذا **نزل بساحتهم** اى غلب عليها
لان ذلك شان النازل بالشى من غير اذن صاحبه ولا يغلب عليها الا وقد غلب على اهلها فبرك عليهم بروكا لا يقدرون معه على البروز
الى تلك الساحة وهى الفنا الخالى من الابنية كانه مجمع القوم وموضع راحتهم في اى وقت كان بروكه من ليل ونهار ولكنه
لما كانت عادتهم بالاغارة صباحا قال على سبيل التمثيل مشيرا بالفا الى انه السبب لا غيره **فساء** اى فما اسوأ واشد السوء

الى انه **صباح المنذرين** اى الذين لانه اظهر في عمومهم بالمساءة واستغراق جميع احوالهم بالضر واظهر ولم يفهم تعيينا فقال
هم اهل التخويف من هولاء وغيرهم وهذا التهديد يصلح لان ينطبق على يوم الفتح ولقد صار من لم ينتبنا هل الغير الانذار وفيه
في غاية السوء وهم الذين قتلهم النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ومنهم من تعلق باستار الكعبة فلم يغيره ذلك ولكنهم
كانوا قليلا والباقون ان كان ذلك الصباح عليهما ساءهم منظره فلقد سرهم لعمر الله مخبره ولما كان صلى الله
عليه وسلم نبى الرحمة لا يستاصل قومه بعذاب قال دالا على ذلك بتكرير الامر تاكيدا للتسلية ووعدا لنصره مع ما فيه
من زيادة المعنى على الاول عاطفا على تول الاولى **وتول** اى كلف نفسك الصبر عليهم في ذلك اليوم الذى ينزل بهم العذاب
الثانى والاعراض **عنهم حتى حين** وكذا فعل صلى الله عليه وسلم فانه حل بساحتهم يوم الفتح صباحا فلم يغيروا على مدافعه
ولما كان بعضهم دافع لم يكن باشرع من ان ولوا وطلبوا السلامة بالدخول فيما جعله صلى الله عليه وسلم علما
على الناسين وقال جماس بن قيس احوا ابى بكر لما دخل بيته لامراته اغلقى على الباب تعيرته بالهزيمة بعد ان كانت نهاه
عن منابذة المسلمين فلا ينتهى ويقول لها لا بد ان اخدمك بعضهم • انك لو شهدت يوم الخندمه • اذ فر صفوان وفر عكرمه
واستقبلتنا بالسيوف المسلمه • يقطعن كل ساعد وجمجمه • ضربا فلا يسمع الا غمغمه • لهم نهيت خلفنا
لم تنطقى في اللوم ادنى كلمه ولما كان هذا منطبقا على يوم الفتح وكان ذلك اليوم قد احل الكفار محلا
صاروا به بحيث لا اعتبار لهم قال **وابصر** مسقطا ضميرهم اى ابصر ما تريد من شؤونك التى تهمك النظر فيها وامامهم فصاروا
بحيث لا يبالى بهم ولا يفكر في امرهم ولا يلتفت اليهم فانا ابدلنا من عزتهم ذلا ومن كثرتهم قلا وجردنا تلك الاراضى من قاذ
الشرك واحللنا بها طهارة التنزيه واقداس التحميد وكذا كان فانه صلى الله عليه وسلم قال لهم وهو على درج الكعبة
وهم تحته كالغنم المجموعة في اليوم المطير بعد ان قال لا اله الا الله وحده • صدق وعده • ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده • ما تظنون انى فاعل فيكم يا معاشر قريش قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم
الطلقا وقال له صفوان بن امية اجعلنى بالخيار شهرين قال انت بالخيار اربعة اشهر ولم يكلف احدا منهم الاسلام
حتى اسلموا بعد ذلك طوعا من عند اخرهم ولما حاصر الطائف تعسرت عليه فانصرف عنها فما لبثوا ان ارسلوا اليه
رسلهم واسلموا فحسن اسلامهم ولم يرتد احد منهم في الردة وهذا من معنى **فسوف يبصرون** ولما
تقرر له سبحانه من العظمة ما ذكر فكان الامر امره والخلق خلقه ثبت تنزهه عن كل نقص واتصافه بكل كمال فلذلك
كانت نتيجة ذلك الختم بجامع التنزيه والتحميد فقال **سبحان** ولما اشتد في هذه الايات التهويل والتهديد
واظهار العظمة والوعيد فكان بحيث لو ذكر فيها العزة بدون اعراض عن ذلك المقام لتفطرت قلوب اولياء الاسلام عدل
الى صفة الاحسان وخطاب من غلبت عليه صفة العفو والغفران فقال **ربك** اى المحسن اليك بارسالك واقامة الدليل
الظاهر المحرر على صدقك بكل ما يكون من احوال اعدائك من كلام او سكوت وتاييدك بكل قوة والباسك كل هيبة **رب العزة**
اى التى هو مختص بها اثبتته الاضافة وافاده شاهد الوجود وحاكم العقل وقد علم بما ذكر في هذه السورة انها تغلب
كل شى ولا يغلبها شى وفى اضافة الرب اليه والى العزة اشارة الى اختصاصه صلى الله عليه وسلم وكل من وافقه في اسم
عن جميع الخلق بالعزة وان رئى في ظاهر الامر غير ذلك **عما يصفون** مما يقتضى النقائص لما ثبت من ضلالهم وبعدهم عن الحق
ولما نزه نفسه سبحانه عن كل شين عطف على المنزه من جعلهم نفسه الذين اكرمهم بالسلام في هذه السورة من رسله عمهم فقال عاطفا على سبحان **وسلام** اى تنزه
له وسلامة وشرف وفخر وعلاء **على المرسلين** اى لو اصفين له بما هو له اهل الذين اصطفاهم الصافين صفا الزاجرين
زجرا التالين ذكرا من البشر والملائكة المذكورين في هذه السورة وغيرهم لاجل ما حلم لهم به سبحانه في الازل من النصر
والحمد اى الاحاطة باوصاف الكمال **لله** اى الجامع لجميع الاسماء الحسنى التى دل عليها مجموع خلقه والى ذلك اشار بقوله
رب العالمين هو حقيقة الواحد المتعال الذى تنزه عن الاكفاء والامثال والنظراء والاشكال في كل شى من الاقوال
والافعال والشؤون والاحوال ولقد توافق اخرها كما ترى واولها وتعانق مفصلها وموصلها والله الهادى
سورة ص المقصود منها بيان ما ذكر في اخر الصافات من ان جند الله هم الغالبون وان رئى انهم ضعفاء وان
تاخر نصرهم غلبته اخرها سلامة للفريقين لانه سبحانه واحد لكونه محيطا بصفات الكمال كما افهمه اخر الصافات من
التنزيه والحمد وما معهما وعلى ذلك دلت تسميتها بحرف ص لان مخرجه من طرف اللسان وبين اصول الثنيتين السفليين
وله من الصفات الهمس والرخاوة والاطباق والاستعلا والصفير فكانت الاعلى لكل لان مخرجه امكن مخارج الحروف
واوسعها والخفها وارشقها واعليها ولان ما له من الصفات الغالبة اكثر من ضدها وافخم واعلا واضخم ولذلك ذكر
من فيها من الانبيا الذين لم يكن على ايديهم اهلاك بل ابتلوا وعوفوا وسلمهم الله من اعدائهم من الجن والانس والى ذلك الاشارة
بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن غيره من ان معناه الله صادق فيما وعد او صدق محمد صلى الله عليه وسلم او صاد محمد

وكهيئة

وراب

قلوب الخلق واشتمالها وبه قرأ ابو عمرو وفي رواية شاذة على انه فعل ماض من الصيد وقرأ الحسن وغيره بكسر الصاد على انه
امر من المصاداة وهي المعارضة اي عارضها اي لتناه اليك الخلائق وجادلهم به فانك تغلبهم لان الصدق سيف الله في ارضه
ما وضعه على شيء الا قطعه وقد انبسط هذا الصدق الذي اشار اليه الصاد على كل صدق في الوجود فاشتمال كل من فيه نوع
من الصدق ولهذا قال في السورة التي بعدها والذي جاء بالصدق وصدق به فذكر هولاء الانبياء عليهم السلام شاهد
على ما هو معنى الصاد عند العلماء الربانيين من انه مطابقة ما بين الخلق والامر وتسمى سورة داود عليه السلام كما قاله ابن الجوزي وحاله هو
صلى الله عليه وسلم ادل احوال من فيها من الانبياء على هذا المقصود لما كان فيه من الضعف اولا والملك آخرا بسم الله الذي يعز من التمس
وان كان ضعيفا لانه العزيز الرحمن الذي له القدرة التامة على ان يرحم بالضرا كما يرحم بالسراء الرحيم الذي اكرم اهل ودّه
بالاعانة على لزوم شكره وحمده ولما نزه ربنا سبحانه نفسه الاقدس في ختام تلك عن كل شائبة نقص واثبت
له كل كمال بناء على العز واوجب للمرسلين السلامة افتتح هذه بالاشارة الى دليل ذلك بمجد لان من نازعه فقال ص
اي انا نرسل يا من امرنا باستفناء العصاة احزاب الصافات وبشرناه بالنصر مهيئا مع هذا الضعف الذي انتم به الآن والحاوه
لاطباق وعلو وانتشار يملأ الآفاق والقرآن اي الجامع مع البيان لكل خير لا اتباع لا يحصيهم العد ولا يحيط بهم الحد ولما
كان القسم لا يليق ولا يحسن الا بما تعظمه المقسم له شرفه قال ذي الذكر اي الموعظة والتذكير بما يعرف الآية ليميل الى شرف
المنزل عليه الاقطار وليزيد على كل معاد كما تقدمت الدلالة عليه بالحرف الاول والذين كفروا وان اظهروا الشك في ذلك
وتنقصوه قولا فانهم لا يتنقصونه علما بل الذين كفروا بما يظهرون من تكذيبه في عزة اي عسر وصعوبة ومغالبة بحمية هي
الجاهلية مظروفون لها فهي معمية لهم عن الحق لاحاطتها بهم وانما اشارة الى ضعفها وبشارة بسرعة زوالها وانقلابها
الى الذل وشقاق اي اعراض وامتناع واستكبار عن قبول الحق من لسان الحال الذي فصح به الوجود والقال الذي صرح به
الذكر فهداهم الى ما هو في فطرهم وجبلاتهم بارشق عبارة واوضح اشارة لو كانوا يعقلون فاعرضوا عن ذلك عنادا منهم
لا اعتقادا فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وتنكيرهما للتعظيم قال الرازي حذف الجواب ليذهب
فيه القلب كل مذهب ليكون اعظم ويجوز ان يراد انتهى وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما ذكر تعالى حال الامم السالفة
مع انبيائهم في العتو والتكذيب وان ذلك اعقبهم الاخذ الوبيل والطويل كان هذا مظنة لتذكر حال مشركي العرب
وبيان سوء مرتكبهم وانهم قد سبقوا الى ذلك الارتكاب فحل بالمعاندين سوء العذاب فبسط حال هولاء وسوء مقالهم
ليعلم انه لا فرق بينهم وبين مكذبي الامم السالفة في استحقاق العذاب وسوء الانقلاب وقد وقع التصريح بذلك
في قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الى قوله ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ولما
اتبع سبحانه هذا بذكر استعجالهم في قولهم عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اتبع ذلك بامر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر
فقال اصبر على ما يقولون ثم آنسه بذكر الانبياء وحال المقربين الاصفيا وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فؤادك انتهى ولما كان المعلم الذي اراد الله اظهاره في هذا الوجود طريقان حال ومقال فاما الحال
فهو ما نطق به احوال الموجودات التي ابدعها سبحانه في هذا الكون من علوم بربك منه من اراد الله ما اراد واما المقال
فهو هذا الذكر الذي ترجم عن جميع الوجود وكان سبحانه قد قدم الذكر لانه ابين واظهر واخبر انهم اعرضوا عنه وشاقوه
وكان من شاق الملك استحق الهلاك وكان ما ابدوه من المغالبة امرا غائظا للمومنين لسعة ما يصلح لتخويف الكافرين وترجية
المومنين بما افصح به لسان الحال من اهلاك المنذرين وهو ابين ما يكون من الدلالة واظهر ما يوجد من آياته فقال استينافا
كم اهلكنا وكان المنادين بما يذكر كانوا بعض المهلكين وكانوا اقرب المهلكين اليهم في الزمان فادخل الجار لذلك فقال دالا
على ابتدا الاهلاك من قبلهم واكد كثرتهم بقوله مميزا من قرن اي كانوا في شقاق مثل شقاقهم لانهم كانوا في نهاية الصلابة
والجد والمنعة بما دل عليه قرن ولما تسبب عن مسهم بالعذاب ذلهم قال جامعا على معنى قرن لانه ادل على عظمة الاهلاك
ولما قرر سبحانه في غير موضع ان التوبة لا تنفع الاعدا التمكن والاحنيا لا عند الغلبة والاضطرار قال
تعالى مؤكدا لهذا المعنى في جملة حالية بزيادة التا التي اصلها ها في لا او في حين لما اكدوا بزيادتها في رب وثم والهاء في
اراق والتا في مثال والان فقالوا لو اربت وثمت واهراق وتمثال وتالآن ولات اي وليس الحين حين مناص اي فرار بحركة
بتقدم ولا تاخر بحركة قوية ولا ضعيفة فضلا عن نجاة قال ابن برجان والنوص يعبر به تارة عن التقدم وتارة عن التاخر
وهو كالجماح والنفار من الفرس ونوص حمار الوحش رفعه راسه كانه نافر جامح ولما كان جعل المنذر منهم
ليس محلا للعجب فعدوه عجبا لما ظهر من تعنيتهم سر القول فيه عجب منهم في قوله وعجبوا ان اي لاجل ان جاءهم ولما كان
تعجبهم من طلوع ذاته لا من مبالغته فيها اتى باسم الفاعل دون فعيل فعال فقال منذر منهم اي من البشر ثم من العرب ثم من قريش
ولم يكن من الملائكة مثلا وكان ينبغي لهم ان لا يتعجبوا من ذلك فان كون المنذر مما يحل من المصايب من القوم المنذرين مع كونه ارفق

لهم في الارادة لانهم اعرف به وبما هو منطو عليه من صدق وشفقة وغير ذلك وهو الذي جرت به العوائد في القدم
والحديث لكونهم اليه اميل فهم لكلامه اقبل كانوا اعرف الناس بهذا النذير صلى الله عليه وسلم في انه اصدقهم
لهجة واعلاهم همة وانه منفي عنه كل نقيصة ووصمة زاد في التعجيب بان قال مظهرا بالواو دون الفا لان وصفهم له بالسحر ليس
سببه هذا العجب وقال ولما كانوا يسترون الحق مع معرفتهم اياه فهم جاحدون لا جاهلون ومعاندون لا غافلون
اظهر موضع الاضمار اشارة الى ذلك واليه اشار بعضهم في قوله الكافرون هذا اي النذير ولما كان ما يديه
من الخوارق اعجازا افعلا وقولا يجذب القلوب اليه وكان اقرب ما يعدونه فيه السحر قذفوه به ولم يعبروا بصيغة مبالغة
لئلا يكون ذلك ايضا جاذبا للقلوب اليه فقالوا ساحر اي لانه يفرق بما اتى به بين المرء وزوجه فاعترفوا مع نسبتهم له الى
السحر وهم يعلمون انهم كاذبون في ذلك انما اتى به فوق ما لهم من القوى كذاب اي في ادعائه انما يجرى حق ليس هو كسحر السحرة
واتوا بوقاحة بصيغة المبالغة وقد كانوا يسمونه قبل ذلك الامين وهم يعلمون انه لم يجهدوا له شيء الا اتيانه بالصدق والهدى
واحق الحق مع ترقيه في معارج الكمال من غير خفا على احد له ادنى تامل ولما ذكر قولهم الناشئ عن عجبهم ذكر سببه
ليعلم ان حالهم هو الذي يتعجب منه لا حال من ابدعهم بقوله حاكيا قولهم انكارا المضمون ما دخل عليه اجعل اي صير بسبب ما يزعم
انه يوحى اليه الآلهة اي التي نعبدها الها واحدا ولما كان الكلام في الالهية التي هي اعظم اصول الدين وكان
هو صلى الله عليه وسلم وكل من تبعه بل وكل منصف ينكرون ان يكون هذا عجبا بل العجب كل العجب ممن يقبل عقله ان
يكون الاله اكثر من واحد اكدوا قولهم لذلك واعلاما لضعفائهم تثبيتا لهم بانهم على غاية الثقة والاعتقاد لما يقولون
لم يزل لهم ما راوا من منه دينهم من الاحوال الغريبة الدالة ولا بد على صدقه فسموها سحرا الجرايم عنها ان هذا اي القول
بالوحدانية لشيء عجاب اي في غاية العجب بما دلت عليه الضمة والصيغة ولذلك قرئ شاذا بتشديد الجيم وهي ابلغ
قال الاستاذ ابو القاسم القشيري فلانهم عرفوا الاله ولا معنى للالهية فان الالهية هي القدرة على الاختراع وتقدير
القادرين على الاختراع غير صحيح لما يجب من وجود التمانع بينهما وجوازه وذلك يمنع من كمالهما ولو لم يكونا كاملين لوصف
لم يكونا الهين وكل امر جر ثبوته سقوطه فهو مطرح باطل انتهى وسياتي الاشارة الى الرد عليهم بقوله العزيز
الوهاب ثم بقوله وما من اله الا الله الواحد القهار ولما كان العجب فكيف بالعجاب جديرا بان يلزم صاحبه
ليزداد الناظر عجبا بين انهم فعلوا خلاف ذلك تصديقا لما نسبهم الله من الشقاق فقال وانطلق ولما
كان ما فعلوه لا يفعله عاقل فربما ظن السامع ان المنطلق منهم اسقاط من الناس من غيرهم قال الملأ اي الاشراف وقال
منهم اي لا من غيرهم فكيف بالاسقاط منهم وكيف بغيرهم ثم حقق الانطلاق مضمنا له القول لانه من لوازمه بقوله
ان امشوا اي يا بلا كل منهم لذلك امرا لنفسه ولصاحبه بالجد في المفارقة حالا ومالا واذا وقف على ان ابتدي بكسر
الهمزة لان اصله امشيوا فالثالث مكسور كما انه لو قيل للمراة اغزي بتدا بالضم لان الاصل اغزوي كاخرجي واصبروا
على الهتكم اي لزوم عبادتها وعدم الالتفات الى ما سواها قال القشيري واذا تواصا الكفار فيما بينهم بالصبر
على الهتهم فالمومنون اولى بالصبر على عبادة معبودهم والاستقامة في دينهم ولما كان كل منهم قد لحن ما سمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم قلبه وسلب لبه على ما اشار اليه ذي الذكر بل فهو خائف من صاحبه ان يكون قد استحال
عن اعتقاد التعدد بما يعرف من تزحزحه في نفسه اكدوا قولهم ان هذا اي الصبر على عبادة الآلهة لشيء يراد اي
هو اهل للارادة فهو اهل لان لا ينفك عنه او الذي يدعوا اليه شيء يريده هو ولا نعلم نحن ما هو على ما نحن عليه من الحق
فهو شيء لا نعلمه في نفسه ولما كان كانه قيل فما حال ما يقوله قالوا جوابا واقفا مع التقليد والعادة التي
وجدوا عليها اسلافهم ما سمعنا بهذا اي الذي يذكره من الوحدانية في الملة الآخرة وتقييدهم لها يدل على انهم عالمون به
في الملة الاولى وانهم عارفون بان ابرهيم عليه السلام ومن وجد من اولاده الذين هم اباؤهم الى عمرو بن لحي كانوا بعيدين من الشرك
ملازمين للتوحيد وانه لا شبهة لهم الا كونه سبحانه لم يغير عليهم في هذه المدد الطوال وكانوا ايضا يعرفون البعث ولكنهم تناسوه
ذكر ابن الفرات في تاريخه يوم حليمة من ايام العرب وقال ابن حجر ان عمرا واكل المرار سار الى بني اسد فقتلهم وسيرهم الى تهامة
فقال عبيد بن الابرص من ابيات
ومنعتهم نجدا فقد حلوا على وجل تهامه ... انت المليك عليهم وهم العبيد الى القيامه
وروى الامام احمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اول من سيب السوايب وعبد الاصنام
ابو خزاعة عمرو بن عامر واني رايته يجر امعاءه في النار وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اول من غير دين ابرهيم عليه السلام عمرو بن لحي بن قمعة وروى البخاري في فتح مكة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخرج من البيت صورة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام في ايديهما الازلام فقال قاتلهم الله لقد علموا
ما استقسما بها قط فبطل بما يقال من ان اهل الفترة جهلوا جهلا اسقط عنهم اللوم ويؤيده ما في الصحيح عن انس رضي الله

عنه ان رجلا قال يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما انقفى دعاه فقال ان ابي وأباك في النار اخرجه مسلم في اواخر كتاب الايمان وقد
مر في سبحان في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ما ينفع هنا والقاطع للنزاع في هذا قوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فما تركت هذه الاية احدا الا شملته
وحكمت عليه بالجنة او النار وكذا قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير من اشكالها ولما كان قوله صلى الله عليه
وسلم وحده جديرا بان يزلزلهم فكيف اذا انضم اليه علمهم بان اسلافهم لاسيما اسمعيل وابوه ابرهيم عليهما السلام كانوا عليه
اكدوا قولهم ان اي ما هذا اي الذي يقوله الا اختلاق اي تعمد الكذب مع انه لاملازمة بين عدم سماعهم فيها وبين كونه اختلاقا
بل هو قول يعرف تهافت معانيه بادنى تأمل روى الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن حبان في صحيحه واحمد واسحاق
وابو يعلى والطبري وابن ابي حاتم وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مرض ابو طالب فجاءه قريش وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم
وعند ابي طالب مجلس رجل فقام ابو جهل كي يمنعه قال وشكوه الى ابي طالب زاد النسائي في الكبرى وابو يعلى وقالوا يقع في آلهتنا
فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك قال اريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي اليهم العجم الجزية قال كلمة واحدة
فقالوا وما هي فقال يا عم قولوا لا اله الا الله فقالوا اجعل الالهة الها واحدا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق
قال فنزل فيهم القرآن ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق الى قوله اختلاق وفي التفاسير انهم قالوا كيف يسع
الخلق اله واحد ولما كان مرادهم بهذه التأكيدات الدلالة على انهم في غاية الثبات على ما كانوا عليه قبل دعايه وابى الله ان يبقى
باطلا بغير امارة يعرفونها تفضحه وسلطان يبطله ويهتكه اتبع ذلك حكاية قولهم الذي جعلوه دليلا على جزمهم
فكان دالا على عدم صدقهم في هذا الحكم الجازم غاية الجزم بالاختلاق المنادي عليهم بان اصل دائهم
هو الحسد فقال دالا على تعبيرهم بالانزال على انه صلى الله عليه وسلم كان جديرا بان تتوسم فيه النبوة بما كان له قبل الوحي من التعبد
والاحوال الشريفة وقدموا ما يدل على اختصاصه عنادا لما يعلمون من احواله المقتضية للخصوصية بخلاف ما يذكر في الكفر
وعبروا بحرف الاستعلاء اشارة الى ان مثل هذا الذي يذكره لا يقوله الا من غلب على عقله فقالوا أانزل عليه اي خاصة الذكر
وصارتكوبه وزادوا ما دلوا به على الاختصاص تصريحا فقالوا من بيننا ونحن اكبر سنا واكثر شيئا وهذا كله كما ترى مع منادانه
عليهم بالحسد العظيم ينادي عليهم غاية المناداة بالفضيحة لانه ان كان المدار على رعاية حق الآباء حتى لا يسوغ لاحد تغيير
دينهم والطعن عليهم بدين محدث وان قامت عليه الادلة وتعاضدت على حقيته البراهين فما لآبائهم غيروا دين ابائهم لاجل ما احدثه
عمرو بن لحي فخص لهم من قبلهم وشهدوا على ابائهم بالضلال وهم عالمون بان ما غيروه دين اسمعيل ومن قبله ابرهيم ومن تبعهما
من صالحي اولادهما عليهم السلام وان كان المدار على المحدث حتى صار تغيير دين الانبياء ومن تبعهم باحسان عليهم السلام مما
احدثه عمرو بن لحي فما لهم لا يغيرون ما ابتدع من الضلال بما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم وسموه محدثا وان كان المدار على
الحق فما لهم لا ينظرون الادلة ويتبعون الحجج ولما كان هذا دالا على انهم لم يبنوا على ثقة مما جزموا به قال بل اي انهم
ليسوا جازمين بما قالوا وان اكدوه غاية التأكيد بل هم في شك اي تردد محيط بهم مبتدئ لهم من ذكري اي فلهذا لا يثبتون فيه
على قول واحد اي ان احوالهم في اقوالهم وافعالهم احوال الشاك وعدل عن مظهر العظمة الى الافراد لان هذا السياق للتوحيد
فالافراد اولى به وليكون نصا على المراد بعد ذكر الهتهم قطعا بسببه منعنتهم ولما كانوا في الحقيقة على ثقة من
حقيته وان كان قولهم وفعلهم قول الشاك قال بل اي ليسوا في شك منه في نفس الامر وان كان قولهم قول من هو في شك ولما
كانوا قد جرت لهم مصائب ومحن وشدائد وفتن ربما ظنوا انه لا يكون شيء من العذاب فوقها نفي ان يكونوا ذاقوا شيئا من عذابه
الذي يرسله عند ارادة الانتقام فعبر بما يفيد استغراق النفي في جميع الزمن الماضي فقال لما يذوقوا من اول امرهم الى الآن
عذاب اي الذي اعددته للمكذبين فهم في عزة وشقاق ولو ذاقوه لانحلت عرى عزائمهم وصاروا اذلاء واحقر وادناه
واطبق اهل الرسم واكثر القراء على حذف يائه رسما وقراءة اشارة الى انه العذاب الادنى المذهب لحمية الجاهلية واثباتها يعقوب
وحده لها في الحالين اشارة الى انه العذاب المعد لاهلاك الامم الطاغية لا مطلق العذاب ولما ارشد انكارهم خصوصيته
بالذكر بنفي شكهم اللازم منه اثبات انهم على علم بانه مرسل وانه احقهم بالرسالة الى ان التقدير افيهم غيره من هو اهل لتلقي هذا
الذكر حتى ينزله الله عليه ويترك هذا البشير النذير صلى الله عليه وسلم عادله بقوله ام عندهم اي خاصة دون غيرهم خزائن رحمة
ولما كان انزال الوحي احسانا الى المنزل عليه عدل عن افراد الضمير الى صفة الاحسان المفيدة للتربية معا للمخاطب له
صلى الله عليه وسلم لانه اضخم لشانه وافخم لمقداره ومكانه ولما سلب عنهم التصرف في الخزائن اتبعه نفي الملك عما
شاهدوا منها وهو جزء يسير جدا فقال ام لهم اي خاصة ملك السموات والارض ولما كان الحكم على ذلك لا يستلزم
الحكم على الفضا قال وما بينهما اي ليكون كلمتهم في هذا الكون هي النافذة ويتكلموا في الامور الالهية ويسندوا ما شاؤا
من الامور الجليلة [illegible] وتحكمهم وتوقعهم وتحكمهم بما تسبب عن ذلك من قوله فليرتقوا اي يتكلفوا الرقي الى

السموات العلى ان كان لهم ذلك في الاسباب اي الطرق الموصلة الى السماء ليستووا على العرش الذي هو امارة الملك فيدبروا العالم
فيخصوا من شاؤا بالرسالة ليعلموا ان لهم ذلك وانه لا يسوغ لاحد ان يختص دونهم بشيء ولما انتفى عنهم بما مضى وعن كل من
يدعون من الهتهم ومناصرته من الهتهم وغيرها اختصاصا بصفات الالهية انتج ذلك انهم من جملة عباده سبحانه فعبر عن حالهم باعلى ما يتعاونون
اليه من التجمع والتعاضد الذي دل عليه ما تقدم من الاخبار عنه من عزتهم وشقاقهم ونفرتهم عن القبول وانطلاقهم فقال مخبرا عن
مبتدأ محذوف لوضوح العلم به جند ما اي ليسوا في شيء مما مضى وانما هم جند حقير ومن بعض جنود ذا متعاونون في تجمع بعضهم لبعض
قال ابو حيان ويجوز ان تكون ما صفة اريد بها التعظيم على سبيل الهزء او التحقير لان ما الصفة تستعمل لهذين المعنيين وبين
بعدهم عن عزتهم ما اقامهم فيه واستعلمهم له من الرتب التي فرضها لهم وشغولهم عنها بقوله واصفا الجند هنالك اي في الحضيض
عن هذه المرامي العالية وبين انه كثيرا ما تحزب امثالهم على الرسل فما ضروا الا انفسهم بقوله واصفا بعد وصف مفرد تحقيرا
مهزوم اي له الانهزام صفة راسخة ثابتة من الاحزاب اي الذين جرت عادتهم عزة وشقاقا بالتحزب على الانبياء ثم تكون عليهم
الدبرة وللرسل عليهم السلام العاقبة فلا تكترث بهم اصلا قال ابن برجان فكان اول جند مهزوم منهم جند غزوة بدر
ثم انبسط صدق الحديث على جنود كثيرة في وقايع مختلفة ولما اوجب ذلك التشوف الى بيان الاحزاب الماضية
وكانوا احقر شيء بالنسبة اليه سبحانه مع شدتهم في انفسهم بين ذلك بالنبا الدال على الرتبة الثانية المؤخرة وهي رتبة
التانيث اللازم منه الضعف فقال كذبت قبلهم ولما كانت نبيتهم التكذيب لا الى اخر عدد وا مستغرقين
للزمان نزع الجار وقيل قبلهم اي مثل تكذيبهم ولما كان الاول المكذبين من الكثرة والقوة والاجتماع على طول
الازمان ما لم يكن لمن بعدهم كانوا مع تقدمهم في الزمان احق بالتقديم في هذا السياق فقال مضيفا لهم الى ما يجمعهم
لانه ليس لهم اسم جامع غيره قوم نوح واستمروا في عزتهم وشقاقهم الى ان راوا الماء قد اخذهم ولم يتنبهوا بالاذعان
ولا بالتضرع الى نوح عليه السلام في ان يركبوا معه او يدعو لهم لينجوا ولما كان لقوم هود عليه السلام من
بعدهم من الضخامة والعزم ما ليس لغيرهم مع قوة الابدان وعلو الهمم واتساع الملك حتى بنوا جنة في الارض تبعتهم لهم
ومن مناسبتهم لهم في ان عذابهم بالريح التي هي سبب السحاب الحامل للماء فقال وعاد مسميا لهم بالاسم المنبه على ما كان
لهم من المكنة بالملك واستمروا في شقاقهم الى ان خرجت عليهم الريح ورأوها تحمل الابل فيما بين السماء والارض وهجم
عليهم او اكلها وهم يرون هودا عليه السلام ومن معه من المؤمنين رضي الله عنهم في عافية منها ولم يدعهم الشقاق يسلونه
في الدعاء لهم ولا يذعنون لما دعاهم اليه ولما كان لهم من القوة والملك في جميع الارض وبنا ارم ذات العماد
ما يتضاءل معه ملك كل ملك اتبعهم ملكا ضخما فمن غيره بعد سلطانه وكثرة اعوانه حتى ادعى الالهية في زمانه وكبر
بسعة ملكه والانهار الجارية من تحته مع ما له من الوفاق لهم بان عذابه كان بالريح باطنا وان كان بالماء ظاهرا وذلك ان
موسى عليه السلام لما ضرب البحر ارسل الله الريح ففرقته طرقا وايبست تلك الطرق خلص بنو اسرائيل
امرها الله تعالى فسكنت فانطبق البحر على فرعون وآله فقال وفرعون ذكره باسمه نصا على حقيقة امره وتصريحا بكفره ارطالا
لما اطمس بعض الاخابث من شر طعنا في الدين وتشكيكا لضعفاء المسلمين ولما دل على كفره وصفه بما يدل مع
الدلالة على مشاركة عاد في ضخامة الامر على قوة قومه فقال ذو الاوتاد اي الاسباب الموجبة لثبات الملك وتقويته من علو
السلطان بكثرة الاعوان والتفرد بالاوامر وسعة العقل وحدة المكر وكثرة الحيل بالسحر وغيره وجودة التدبير بالعدل فيما
يزعم وصولة القهر قال ابو حيان واصله من البيت المطنب باوتاده ه

والبيت لا يبتنى الا له عمد ... ولا عماد اذا لم ترس اوتاد

فاستعير ذلك لثبات العز والملك واستقرار الامر بتشبيه الملك ببيت الشعر الذي لا ثبات له الا بالاوتاد والاطناب
واستمروا في عزة وشقاق وهم يضربون تارة بالطوفان وتارة بالجراد وتارة بالقمل واخرى بالضفادع وبغير ذلك
الى ان راوا آية البحر التي هي الغاية ولم يردهم شيء من ذلك عن شقاقهم الى ان عموا على كفرهم عن بكرة ابيهم كما صرحت به هذه
الآية ولما كانت ثمود وان كانوا قبلهم في الزمان اضخم الناس بعدهم بما لهم من اتقان الابنية في الجبال والسهول
والتوسع بعمارة الحدائق وانباط العيون وغير ذلك من الامور مع مناسبتهم لهم في رؤية الآيات المحسوسة الباهرة
العظيمة اتبعهم بهم فقال وثمود واستمروا فيما هم فيه الى ان راوا علامات العذاب من صفرة الوجوه ثم حمرتها ثم سوادها
ولم يكن لهم في ذلك زاجر يردهم عن عزتهم وشقاقهم ولما كان الحامل لثمود على المعصية الموجبة للعذاب النسا
لان عاقر الناقة ما اجترا على عقرها الا لامراة منهم جعلت له على عقرها زواجها وكان الموجب لعذاب قوم لوط اتيان
الذكور فالجامع بينهم شهوة الفرج مع الطباق بالذكور والاناث ومع ان عذاب ثمود برجف ديارهم وعذاب قوم
لوط بقلع مداينهم وحملها ثم قلبها اتبعهم بهم فقال معبرا بما يدل على قوتهم مضيفا لهم الى نبيهم عليه السلام لانهم

عن مدا ابن لهم اسم جامع كقوم نوح **وقوم لوط** اى الذين لهم قوة القيام بما يحاولونه واستمروا فى عزتهم وشقاقهم حتى ضربوا بالعشا وطمس الاعين ولم يقدروا على الوصول الى ما ارادوا من الدخول الى بيت لوط عليه السلام ولا التمكن مما ارادوا ولم يردهم ذلك عن عزتهم وشقاقهم بل تواعدوه بطلوع النهار **ولما** ذكر اهل المدر اتبعهم طائفة من اهل الوبر ينادونهم فى الاستعصا بالشجر مع ان عذابهم بظلة النار كما كان لقوم لوط حجارة من نار فقال **واصحاب الايكة** ثم عظم امرهم تهويلا لامر قريش وردعا لهم بالحث على استحضار عذابهم فقال **اولئك** اى العظما فى التجبر والاجتماع على من يناوونه **الاحزاب** اى الذين قصى رتب هؤلاء فى المخالفة ان يكونوا امثل حزب منهم **ولما** كان فى معرض المعاداة لهم وشقاقهم وتجمعهم على المناواة بالطلا وانفاقهم وكانوا الماعندهم من العناد وحمية الجاهلية ربما انكروا ان يكون هلاك هؤلاء الاحزاب لاجل التكذيب وقالوا هو عادة الدهر فى الاهلاك والتخالف فى اسباب الهلاك قال موكدا بانواع التاكيد مفردا الضمير على لفظ كل تحقيرا لهم بالنسبة الى جلاله **ان** اى ما **كل** من هذه الفرق كان هلاكه بسبب من الاسباب **الا انه كذب الرسل** اى كلهم بتكذيب رسوله فانه من كذب رسولا واحدا مع ثبوت رسالته فقد استهان بمن رسله وذلك ملزوم لتكذيب جميع من ارسله لتساوى اقدام المعجزات التى تثبت رسالاتهم بها فى ايجاب التصديق **فحق** اى تسبب عن ذلك التكذيب انه حق **عقاب** اى ثبت عليه فلم يقدر على التخلص منه بوجه من الوجوه والعدول الى افراد الضمير مع التكلم لان المقام للتوحيد كما مضى وهو انص على المراد وتقدم السر فى حذف الياء رسما فى جميع المصاحف وقراءة عند اكثر القراء فى اثباتها فى الحالين ليعقوب وحده **ولما** كان السياق للشقاق والادعان للذكر الذى هو الموعظة ذات الشرف

> ولا يسلم الشرف الرفيع من الاذى — حتى يراق على جوانبه الدم

كان الحال مقتضيا للعقوبة بخلاف ما فى ق كان السياق لانكارهم البعث وصحة النذارة واثبات المجد فكان الوعيد فى ذلك كافيا **ولما** كان التقدير فلقد عاقبنا كلا من اولئك الاحزاب بما حق عليهم العقاب بنوع من الانواع لا شك فيه عند احد ولا ارتياب عطف عليه قوله **وما** **ولما** كانت قريش فى شدة العناد والتصميم على الكفر والاستكبار عن الادعان للحق وتعاطى جميع اسباب العذاب كانهم ينتظرونه ويستعجلونه عبر بما يدل على الانتظار **ولما** كانوا المعرفتهم بصدق الآتى اليهم والقطع بصحة ما يقول كانهم يرون العذاب ولا يرجون خروجه فعل الانتظار فقال **ينظر** وحقرهم بقوله **هؤلاء** اى الذين دبروا اهلك فى عزة وشقاق غاية جهدهم ان يكونوا من الاحزاب الذين تحزبوا على جندنا فاخذناهم بما هو مشهور من وقائعنا ومعروف من ايامنا باصناف العذاب ولم تغن عنهم كثرتهم ولا قوتهم شيئا ولم يضر جندنا ضعفهم ولا قلتهم **الا صيحة** وحقر امرهم بالاشارة الى ان اقل شيء من عذابه كاف فى اهلاكهم فقال **واحدة** **ولما** كان السياق للتهديد فعلم به ان الوصف بالوحدة للتعظيم بينه واصفا بقوله **ما لها** اى الصيحة **من فواق** اى مرد اى شيء من جنسها يكون فوقها بيانا لان فاق اصحابه فوقا وفواقا علاهم وقراءة حمزة بالضم فيكون كناية عن سرعة الهلاك من غير تاخر اصلا فان الفواق كغراب ما ياخذ المحتضر عند النزع والمعنى انه لا يحتاج فى اهلاكهم الى زيادة على الصيحة المعروفة الموصوفة لانه لا صيحة فوقها ففى ذلك تعظيم اقل شيء من عذابه وتحقير اعلى شيء من امرهم ويجوز ان يكون القراءتان من فواق الحلب قال الصغانى والفواق والفواق اى بالضم والفتح ما بين الحلبتين من الوقت لانها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر فاك القاموس وما بين فتح يدك وقبضها على الضرع فالمعنى ما لها من رجوع كما يرجع اللبن فى الضرع عند الفواق وكما يرجع المريض بالافاقة من المرض الى الصحة او ما لها من انفصال وافتراق بقدر ما يتنفس فيه احد اقل نفس واقصر زمنا كما هى عادة الاصوات المالوفة من ان فيها ترجيع يوجب فى الصوت تقطعا يصير به وقعه ضعيفا فاترا واعتماده على مخرجه دخوا بل هى صما على نمط واحد لا تنجا الا من ثبته الله تعالى ويجوز ان يكون من فواق المحتضر اى انه ليس فيها مقدمة للموت غير فزع الصوت وهذا الموافق لما لهم ما لها من نظرة وراحة والله اعلم **ولما** عجب منهم بما مضى وابطل شبهتهم وعرفهم انهم قد عرضوا انفسهم للهلاك تعريضا قريبا اتبع ذلك تعجيبا اشد من الاول فقال **وقالوا** اى استهزاء غير هائبين ما هددناهم به ولا ناظرين فى عاقبته **ربنا** اى ايها المحسن الينا **عجل لنا** اى احسانا الينا **قطنا** اى نصيبنا من العذاب الذى توعدنا به وكتابنا الذى كتبت فيه ذلك وحصيت فيه اعمالنا واصله من قط الشيء اذا قطعه ومنه قط القلم واكثر استعماله فى الكتاب **ولما** كان المراد بهذا المبالغة فى الاستهزاء بطلب العذاب فى جميع الازمان التى بينهم وبين القيمة اسقطوا حرف الجر وقالوا **قبل يوم الحساب** فجعلوا جميع الزمان الذى بينهم وبينه ظرفا لذلك وجعلوا تعجيله من الاحسان اليهم دلالة على الاغراق فى الاستهزاء وعبر بالقط زيادة فى التنبيه على ركونهم بالهوى من غير دليل فان مادته دائرة فى الغالب على ما يكره واشتقاقه من القط وهو القطع فالقط النصيب والصك وكتاب المحاسبة لانه قطعة من الورق والحساب قطعة من الامور وهو يقطع فيه بما يقوله والساعة لانها قطعة من الزمان والقطاط الرجل ركب راسه اى تبع هواه الذى هو قطعة من امره وجاءت الخيل قطاقطا اى قطعا وجماعات فى تفرقة والقط القطع والقطط القصير الجعد والقطقطة حكاية صوت الحجارة فكانهم قالوا اعجل من ذلك ما يكون مقطوعا به لا شك فيه

ذرجم

وتهم صوته على غاية الشدة فيهلك ويفرق بين الاحباب ويكب فى كل صك ويلحق فى سائر الاعقاب فان ذلك هو انا الانز عنه لشىء اصلا فسبحان الحليم الذى اكرمنا ورحمنا بنبى الرحمة فلم يعجل لنا النقمة واقبل بقلوبنا اليه وقصر همنا بعد ان كانت فى اشد بعد عليه **ولما** بلغ السيل فى ركوبهم الباطل عنادا الزبى وتجاوز فى طغيانه رؤس الربى وكان سؤالهم فى تعجيل العذاب استهزاء مع ما قدموا من الاكذاب والكلام البعيد عن الصواب ربما اقتضى ان يميل فى تعجيل ما طلبوا ربما اوقع فى ظن ان اعراضهم والابتلاء بهم ربما كان لشىء فى البلاغ او المبلغ بين تعالى ان عادته الابتلاء للصالحين رفعة لدرجاتهم فقال تعالى مسليا ومعزيا وموسيا لهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بمن تقدمه من اخوانه الانبيا والمرسلين مذكرا له بما قاسوا من الشدائد وما لاقوا من المحن وحاثا على العمل باعمالهم امرا بالتانى والتوؤدة والحلم ومحذرا من العجلة والتبرم والضجر وبدا باهل الشرف لان السياق لشرف القرآن الذى يلزم منه شرف صاحبه تعريفا بانه لا يلزم من الشرف الراحة فى الدنيا ومنبها على ان شرفه محوج عن قرب بكثرة الاتباع الى الحكم بين ذوى الخصومات والنزاع الذى لا يقوا له الا بالحلم والاناءة والصبر وبدا من اهل الشرف بمن كان اول امره مثل اول امر هذا النبى الكريم فى استضعاف قومه له واخرامه ملكا ثابتا الاركان مهيب السلطان ليكون حاله مثلا له فيحصل به تمام التسلية **اصبر** ولما رجف الاستعلا الى عظيم الصبر فقال **على ما** وزاد فى الحث عليه بالمضارع فقال **يقولون** اى يجددون قوله فى كل حين من الاقوال المنكية الموجعة المبكية فانه ليس لنقص فيك ولكنه حكم تجل عن الوصف مدارها زيادة شرفك ورفعة درجاتك وصرف الكلام الى مقام العظمة لاقتضائها ما يذكر من التسخير لذلك **واذكر عبدنا** اى الذى اخلصناه لنا واخلص نفسه للنظر الى عظمتنا والقيام فى خدمتنا وابدل منه او بينه بقوله **داود ذا الايد** اى القوة العظيمة فى تخليص نفسه من علائق الاجسام **ولما** كان اعظم الجهاد الانقاذ من حفاير الهفوات والاوام فكانت قوته فى ذلك سببا لعروجه الى المراتب العظام وكان ذلك لا يكاد يوجد فى الادميين لما حفوا به من الشهوات وركز فى طباعهم من الغفلات علل قوته بقوله مؤكدا **انه اواب** اى رجاع الى الله تعالى ليصير الى ما خلقه عليه من احسن تقويم بالعقل المجرد المطلق لعلو درجة درجة على الرجوع لان ذلك دون الرتبة التى تكون نهاية عند الموت فكان المقتضى له بها انزل نفسه عنه ثم صار يرجع اليها كل لحظة بما يكابد من المجاهدات والمنازلات والمحاولات حتى وصل اليها بعد التجرد عن الهوى كله **ولما** كان الانسان لا يزال يتقرب الى الله تعالى حتى يحبه فاذا احبه صار يفعل به سبحانه وظهرت على يديه الخوارق قال مستانفا جوابا لمن سال عن جزائه على ذلك الجهاد مؤكدا لما طبع عليه البشر من انكار الخوارق **انا** اى على ما لنا من العظمة التى لا يعجزها شىء **سخرنا الجبال** اى التى هى اقسى من قلوب قومك فانها اعظم لتعبيده بالمالوفات الاراضى صلابة وقوة وعلوا ورفعة بان جعلناها منقادة ذلولا كالجمل الانف ثم قيد ذلك بقوله **معه** اى مصاحبة له فلم يوجد ذلك التسخير ظاهرا لاحد بعده ولا قبله **ولما** كان وجود التسبيح من الجبال شيئا فشيئا اعجب لانها جماد عبر بالفعل المضارع فقال مصورا لتلك الحال معبرا بضمير الاناث اشارة الى انها بعد ما لها من الصلابة صارت فى غاية اللين والرخاوة **يسبحن** يسبح كل جبل منها بصوت غير مشبه لصوت الاخر لان ذلك اقرب الى التمييز والعلم بتسبيح كل على انفراده ولم يقل مسبحة ويسبح لئلا يظن ان تسبيحها بصوت واحد ليشكل الامر فى بعضها له بالتسبيح فالاوحا له انقياد المختار المطيع لله **ولما** كان فى سياق الاوبة وكان اخر النهار وقت الرجوع لكل ذى عمل الى ما لعله مع انه وقت الفتور والاستراحة من المتاعب قال **بالعشى** اى تقوية للعامل وتذكيرا للغافل **ولما** كان فى سياق الغيض والنشر بالقران قال **والاشراق** اى وقت ارتفاع الشمس عند انتشار الناس فى الاشغال واشتغالهم بالماكل والملاذ من اللهو والانعال تذكيرا لهم ورجيعا عن ما لوفاتهم الى تقديس ربهم سبحانه وليس الاشراق طلوع الشمس انما هو صفاؤها وضوءها وشروقها طلوعها **وروت** ام هانى رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى بيتها الضحى وقال لها هذه صلاة الاشراق وفى الجامع لعبد الرزاق ان ابن عباس رضى الله عنهما قال صلاة الضحى فى القران ولكن لا يغوص عليها الا غائص ثم قرا هذه الاية واليها الاشارة ايضا والله اعلم بصلاة الاوابين واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب يا جبال اوبى معه والطير محشورة كل له اواب روى مسلم فى صحيحه وعبد بن حميد فى مسنده والدارمى فى جامعه المسمى بالمسند عن زيد بن ارقم رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال صلاة الاوابين حين ترمض الفصال ولفظ الدارمى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يصلون بعد طلوع الشمس فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال ولفظ عبد ان النبى صلى الله عليه وسلم اتاهم فى مسجد قباء فراهم يصلون الضحى فقال هذه صلاة الاوابين وكانوا يصلونها اذا رمضت الفصال اى بركت من شدة الحر واحراقه اخفافها من الرمض بالتحريك وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره والرمضاء الشديدة الحر **ولما** اخبر سبحانه عن تسخير اثقل الاشيا واثبتها له اتبعه اخفها واكثرها

استقلالا وعبّر فيها بالاسم الدال على الاجتماع والثبات لانه ادل على القدرة فقال معبّرا باسم الجمع دون الجمع اشارة الى انها في شدة الاجتماع تقابل كانها شيء واحد ولهذا ذكرها لها في وصف صالح للواحد وجعله مونثا اشارة الى ما تقدم من الرخاوة اللازمة للآيات المقتضية لغاية الطواعة والقبول لتصريف الاحكام **والطير** اي سخرناها له حال كونها **محشورة** اي مجموعة اليه كرها من كل جانب دفعة واحدة بما دل عليه التعبير بالاسم دون الفعل وهو ادل على القدرة وهي اشد نفرة من فوقك هم واعسر ضبطا وهذا كما كان الحصى يسبح في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يد بعض اصحابه رضي الله عنهم وكما تحرك الجبل فضربه برجله وقال اسكن احد فسكن وكما حشر الدبر على راس عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح رضي الله عنه فمنع من اخذه ليتلعبوا به فلما جاء الليل ارسل الله سيلا فاحتمله الى حيث لم يعرف له خبر ولا وقع له على اثر **كل** اي كل واحد من الجبال والطير **له اواب** اي رجاع لاجل داود عليه السلام خاصة عن ما لوفه لا لمعنى آخر مما الفته فكلما رجع هو عن حكمه وما هو فيه من الشغل بالخلق الى التسبيح الحق رجعت معه بذلك الجبال والطير وجعل الخبر مفردا اشارة الى انها في الطواعية والتاويب فبلغت الغاية حتى كانها الشيء الواحد ولم يجعل مونثا اشارة الى شدة جعلها بالتاويب وعظمته والافراد ايضا يفيد الحكم على كل فرد ولو جمع لطرقه احتمال ان الحكم على المجموع بقيد الجمع فكان داود عليه السلام يفهم تسبيح الجبال والطير وينقاد له كل منهما اذا امره بالتسبيح وكل من يحقق بما له ساعده كل شيء قال له القشيري ففي هذا اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم بانا متى شئنا جعلنا قومك معك في التسخير هكذا فلا تياس منهم على شدة نفرتهم وقوة شماختهم وعزتهم فانا جعلناهم كذلك لترى وصف تفضلك بهم وتزداد بالصبر عليهم جلالا وعلوا ورفعة وكمالا الى غير ذلك من الحكم التي لا تسعها العقول ولا تياس من لينهم لك ورجوعهم اليك فانهم لا يبعدون ان يكونوا كالجبال قوة وصلابة او الطير نفرة وطيشا وخفة فمتى شئنا جعلناهم لك مثل ما جعلنا الجبال والطير مع داود عليه السلام بل امرهم ايسر وشانهم اهون

ولما كان هذا دالا على الملك من حيث انه التصرف في الاشياء العظيمة قهرا فكان كانه قيل كل ذلك اثباتا لنبوته وتعظيما لملكه قال **وشددنا** اي بما لنا من العظمة **ملكه** بغير ذلك مما يحتاج اليه الملك قال ابن عباس رضي الله عنهما كان اشد ملوك الارض سلطانا

ولما كان اعظم المثبتات للملك المعرفة قال **وآتيناه** اي بعظمتنا **الحكمة** اي النبوة التي حسنا عنها العلم بالاشياء على ما هي عليه ووضع الاشياء في احكم مواضعها فالحكمة العمل بالعلم

ولما كان تمامه بقطع النزاع قال **وفصل الخطاب** اي ومعرفة الفرق بين ما يلتبس في كلام المخاطبين له من غير كبير روية في ذلك بل بغير فرق بديهة بين المشتبهات بحيث لا يدع لبسا يمكن ان يكون معه نزاع لغير معاند وكونها عزا وهيبة ووقارا يمنع ان يجترئ احد من العناد في شيء من امره بعد ذلك البيان الذي فصل بين المتشابهات وميز بين المشكلات الغامضات واذا تكلم وقف على المفاصل فيبين من سرده للحديث معانيه ويضع الشيء في احكم مبانيه

ولما كان السياق للتدريب على الصبر والتثبيت الشافي والتدبر التام والابتلاء لاهل القرب وكان المظنون بمن اوتي فصل الخطاب ان لا يقع له لبس في حكم ولا عجلة في امر وكان التقدير هل اتاك هذه الانباء عطف عليه مبينا عواقب العجلة معلما ان على من اعطي المعارف ان لا يزال ناظرا الى من اعطاه ذلك سائلا له التفهيم استعجالا لنفسه منصورا المقام العبودية التي كرر التنبيه عليها في هذه السورة بنحو قوله نعم العبد في سياق ظاهره الاستفهام وباطنه التنبيه على ما في ذلك من الغرابة والعجب لتعظم الرغبة في سماعه فيوعى حق الوعي **وهل اتاك نبا الخصم** اي خبره العظيم جدا وافرده وان كان المراد الجمع دلالة على انهم على كلمة واحدة في اظهار الخصومة لا يظهر من احد منهم انه متوسط مثلا ونحو ذلك

ولما كان الخصم مصدرا يقع على الواحد فما فوقه ذكرا كان او انثى وكان يصح تسمية دفعة المتخاصمين خصما لانهم في صورة الخصم قال **اذ** اي خبر تخاصمهم الواقع حين **تسوروا** اي صعدوا السور ونزلوا منه بهم ومن عهم لحدا من السور وهو الو توى **المحراب** اي اشرف ما في موضع العبادة الذي كان داود عليه السلام به وهو كناية عن انهم جاؤه في يوم العبادة الذي كان داود عليه السلام به ومن غير الباب فخالفوا عادة الناس في الامرين وكان المحراب الذي تسوروه كان فيه باب من داخل باب آخر فنبه على ذلك بابدال من اذ الاولى قوله **اذ** اي حين **دخلوا** وصرح باسمه دفعا للبس واشعارا بما له من قرب المنزلة وعظيم الود فقال **على داود** ابتلاء منا له مع ما له من ضخامة الملك وشجاعة القلب وعلم الحكمة وعز السلطان

ولما كان كانه قيل فما قالوا له وكان الفزع مشتركا بين الخوف والاستغاثة والانتصار قال محققا للمراد **قالوا لا تخف** ولم يعبر بالخوف اولا لانه كما يطلق على الفزع يطلق على القتال والصحيح

ولما كان ذلك موجبا لذهاب الفكر في شانهم كل مذهب عينوا امرهم بقوله محققين لحقيقة ما جاؤا له **خصمان** اي نحن فريقان في خصومة ثم بينوا ذلك بقولهم **بغى بعضنا** اي طلب بطلبه علو واستطالة له **على بعض** فابهم اولا ليفصل ثانيا فيكون اوقع في النفس

ولما تسبب عن هذا سؤاله في الحكم قالوا **فاحكم بيننا بالحق** اي الامر الثابت الذي تطابقه الواقع وانما سالاه ذلك مع العلم بانه لا يحكم الا بالعدل ليكون اجدر بالمعاتبة عند ادنى هفوة **ولا تشطط** اي لا توقع البعد ومجاوزة

الحد لا في العبارة عن ذلك بحيث يلبس علينا المراد ولا في غير ذلك اي ولا تمعن في تتبع مداق الامور فان اقتضى بالحق على ادنى الوجوه ولذا اتى به من الرباعي والثلاثي بمعناه قال ابو عبيدة شط في الحكم واشط اذا جار ولذا ايضا فك الادغام اشارة الى ان النهي انما هو عن الشطط الواضح ايضاحا جدا

ولما كان الحق له اعلا وادنى واوسط طلبوا التعريف بالاوسط فقالوا **واهدنا** اي ارشدنا وحدنا ودلنا ولو بطريق بعيد منتهين **الى سواء** اي وسط وعدل **الصراط** اي الطريق الواضح فلا يكون بسبب التوسط ميل الى احد الجانبين الافراط في تتبع مداق الامور والتفريط في اهمال ذلك

ولما كانت هذه الدعوى بامر مستغرب يكاد ان لا يسمعه احد الا انكره ساق الكلام مؤكدا فقال **ان هذا** يشير الى شخص من الداخلين ثم ابدل منه قوله **اخي** اي في الدين والصحبة ثم اخبر عنه بقوله الدال على جمعية العدد وجميع الافراد دون ما به الاواحد مثلا **له تسع وتسعون نعجة** وهي الانثى من الضان ويجوز ان يكون اخي هو الخبر والتاكيد حينئذ لاجل استعطاف لمخاصمة الاخ وعده وانه على احنه ويكون ما بعده استينافا

ولما كان ذلك محتملا لان يكون جنسا اكده بقوله **واحدة** ثم سبب عنه قوله **فقال** اي الذي له الاكثر **اكفلنيها** اي اعطنيها لاكون كافلا لها **وعزني** اي غلبني وقوي علي واشتد واغلظ لي **في الخطاب** اي الكلام الذي له شان من جدال وغيره بان جادلني الى ان املى

ولما تمت الدعوى حصل التشوف الى الجواب فاستو فسكت عجزا عن التمادي معه ولم يقنع مني بشيء دون مراده ولم ينكر مما قال المدعي شيئا وربما اظهر هيبة تدل قوله **قال** اي على تقدير صحة ما قلت وذلك انه لما راى الخصم سكت ولم ينكر مما قال المدعي شيئا وربما اظهر هيبة تدل على تصديقه قال ذلك تعويضا وان كان له مخرج كل ذلك تدريبا على التثبت في القضا وان لا يستحي نحو القرائن وان لا يقنع فيه الا بالنص الصريح كقوله في سياق القسم ردعا للظالم على تقدير صحة الدعوى بالمبالغة في انكار فعله لان حال من فعل شيئا مؤذنا بانكار كونه ظالما وكون فعله ظلما مفتتحا لقوله بحرف التوقع لاقتضاء حال الدعوى له **لقد ظلمك** اي والله لقد اوقع ما فعله معك في غير موقعه على تقدير صحة دعواك **بسؤال نعجتك** اي بان سالك ان تضمها وافاد ان ذلك على وجه الاختصاص بقوله **الى نعاجه** بنفسه او بغيره نيابة عنه ولذا لم يقل بسؤاله ثم عطف على ذلك امرا كليا جامعا لم

ولما كانت الخلطة موجبة لظن الالفة لوجود العدل والنصفة واستبعاد البغي معها اكد قوله واعظا للباغي ان كان وملوحا بالاغضا والصلح للمظلوم **وان كثيرا من الخلطاء** اي مطلقا منكم ومن غيركم **ليبغي** اي يتعدى ويستطيل **بعضهم** غاليا **على بعض** فيريدون غير الحق **الا الذين امنوا** من الخلطاء **وعملوا** اي تصديقا لما ادعوه من الايمان **الصالحات** اي كلها فانهم لا يقع منهم بغي **وقليل** واكد قلتهم وعجب منها بما ابهم في قوله **ما** مثل نعما ولا مرما **هم** واخر هذا المبتدا وقدم الخبر اهتماما به لان المراد التعريف بشدة الاسف على ان العدل في غاية القلة اي فما صبهم ابها المدعى عليه

ولما تم ذلك ذهب الداخلون عليه فلم يرا حدا منهم فوقع في نفسه انه لا خصومة وانهم انما ارادوا ان يجربوه في الحكم ويدربوه عليه وانه يجوز للشخص ان يقول ما لم يقع اذا انبنى عليه فائدة عظيمة لغيره لكن الكلام طريقا للوصول اليها او كان احسن الطرق مع خلو الامر عن فساد وحاصله انه يذكر كلام والمراد به بعض لوازمه فهو مثل دلالة التضمن في المفردات وهذا مثل قول سليمان عليه السلام ايتوني بالسكين اشقه بينهما وليس مراده الا ما يلزم عن ذلك من معرفة الصادقة والكاذبة باباء الام لذلك وتسليم المدعية كذبا وتحقيقه انه لا ملازمة بين الكلام وارادة المعنى المطابقي لمفردات الفاظه بدليل لغو اليمين وقول النبي صلى الله عليه وسلم لصفية رضي الله عنها عقري حلقي ولام سلمة رضي الله عنها تربت يمينك وقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد مشيرا الى الكلام قد لا يراد به معناه ومن هنا كان الحكم في الفاظ الكنايات انه لا يقع منها شيء الا ان قرن بقصد المعنى

ولما كان هذا المقدر معلوما عطف عليه قوله **وظن داود** اي بما رابهم قبل فصل الامر وقد دهمه من ذلك امر من عظمة الله لا عهد له بمثله **انما فتناه** اي اختبرناه بهذه الحكومة في الاحكام التي يلزم الملوك مثلها ليتبين امرهم فيها وعلم انه بادر الى نسبة المدعى عليه الى انه ظلم من قبل ان يسمع كلامه وبان له انه المدعي الحكم فعاتبه الله على ذلك والانبيا والاتقيا عليهم السلام لعلو مقاماتهم يعاتبون على مثل هذا وهو من قصر الموصوف على الصفة قلبا اي هذه القصة معصوصة على الفتنة لا تعلق لها بالخصومة ولو كان المراد ما قيل من قصة المراة التي على كل مسلم تنزيهه وسائر اخوانه عليهم السلام عن مثلها لقيل وعلم داود ولم يقل وظن كما يشهد بذلك كل من له ادنى ذوق في المحاورات والله الموفق وقال الزمخشري وعن سعيد بن المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبيا عليهم السلام وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله عز وجل فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه صلى الله عليه وسلم فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر رحمه الله لسماعي هذا الكلام

احبا الي مما طلعت عليه الشمس وتلك القصة وامثالها من كذب اليهود واخبرني بعض من اسلم منهم انهم يتعمدون ذلك في حق السيد
داود عليه السلام لان عيسى عليه السلام من ذريته ليجدوا سبيلا الى الطعن فيه
وصفه الله به من الاوبة فعبر عن ذلك بقوله **فاستغفر** ولما طن هذا سبب له تحقيق ما
استغرقته العظمة التي هذا بحرها رجع الى ذكر الاحسان واللطف فقال **ربه** اي طلب الغفران من مولاه الذي احسن اليه باحلاله ذلك المحل العظيم من ان يعود للحكم الاول بدون ان يسمع
الاخر **وخر** اي سقط من قيامه توبة لربه عن ذلك ولما كان الخرور قد يكون لغير العبادة قال مبينا لحاله **راكعا**
اي ساجدا لان الخرور لا يكون الا للسقوط على الارض ولان النبي صلى الله عليه وسلم فسره بالسجود فيما روى النسائي عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا وعبر بالركوع عن السجود
ليفهم انه كان عن قيام وانه في غاية الرغبة لقوة الاهتمام به وتوفر الداعي اليه بحيث انه وصل الى السجود في مقدار
ما يصل غيره الى الركوع قال ابن البناني في كتابه الموعب وكل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض بعد ان يطاطئ راسه
فهو راكع بن دريد الراكع الذي يكبو على وجهه انتهى والركعة بالضم الهوة من الارض كانها سميت بذلك لانها يسقط
فيها على الوجه وكانها هي اصل المادة وقال في القاموس ركع اي صلى فحينئذ يكون المعنى سقط مصليا ومعلوم ان صلاتهم
لا ركوع فيها وقد تقدم ذلك في آل عمران والبقرة **واناب** اي تاب اي رجع عن ان يعود لمثلها ولما كان الحال
قد يشكل والاخبار عن المغفرة لو عبر بضمير الغايب لا يهام ان ربه غير المتكلم وكان الغفران لا يحسن الا مع الغدر الثاني
عاد الى مظهر العظمة اثباتا للكمال ونفيا للنقص فقال **فغفرنا** اي بسبب ذلك وفي اثره على عظمتنا وتمام قدرتنا غفرا
يناسب مقداره ما لنا من العظمة **له ذلك** الوقوع في الحدث عن اسناد الظلم الى احد بدون سماع لكلامه وكان النبي صلى الله
عليه وسلم اشترط على ربه سبحانه لاجل هذه القصة ان كل من سبه او دعا عليه وليس اهلا لذلك ان يكون ذلك له صلاة وبرحمة
ورحمة والحاصل ان هذه القصة لتدريب النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر على قومه والتاني فان هذه السورة على ما روي
عن جابر بن زيد من اوايل ما انزل بمكة وعلى هذا دل الحديث السابق عن ابن عباس رضي الله عنهما في شكوى المشركين منه صلى
الله عليه وسلم الى عمه ابي طالب لوقوع في الهتهم فانه كان في اوايل الامر فان النبي صلى الله عليه وسلم اول ما دعاهم لم
يكن يذكر الهتهم فلم يجيبوه ولم يبعدوا عنه كل البعد ثم امره الله بذكر الهتهم فانكروا حينئذ وباعدوه وبعدوا
ذلك بالشكوى الى ابي طالب مرة بعد مرة اخرى ليرده عنه فكانت هذه الدعوى تدريبا لداود عليه السلام في احكام
ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم تدريبا له على الاناة في جميع اموره على الدوام ولما كان ذكر هذا ربما اوهم شيئا
في مقامه صلى الله عليه وسلم سيق في اسلوب التاكيد قوله **وان له** اي مع الغفران مع عظم ذلك بمظهر العظمة لان ما
ينسب الى العظيم لا يكون الا عظيما فقال **عندنا** وزاد في اظهار الاهتمام بذلك نفيا لذلك الذي ربما توهم فاكد قوله
لزلفى اي قربة عظيمة ثابتة جدا بعد المغفرة **وحسن مآب** اي مرجع في كل ما يكون من الخير وفوق ذلك فهذا اعلم
ولا بد بان هذه القضية لم يجر الى ذكرها الا الترقية في رتب الكمال لا غير ذلك وادل دليل على ما ذكرته ان هذه القضية
انما هي بالتدريب في الحكم لا بامراة ولا غيرها وما ذكروه من قصة المراة باطل وان اشتهر فكم من باطل مشهور ومذكور
هو عين الزور وقوله تعالى عقبها على هيئة الاستشهاد منها صارفا القول عن مظهر العظمة الى المواجهة تلذيذا للخطاب
على نحو ما يجري بين الاحباب **يا داود** ولما كان مضمون الخبر لزيادة عظمه مما من شانه ان تستنكره نفوس البعد
الله لذلك واظهارا لانه مما يرغب فيه لحسنه وجميل اثره وينشط غاية النشاط لذكره فقال **انا** اي على ما لنا
من العظمة **جعلناك** فلا تحسب لشيء من اسبابه حسابا ولا تخش له عاقبة **خليفة** اي من قبلنا تنفذ وامرنا في عبادنا
تحكم كحكمنا وحذف ما يعلم انه من آدم من نحو قلنا اشارة الى انه استقبل بهذا الكلام الذي عنده فراغه من السجود
اعلاما بمد قطنه وقال **في الارض** اي كلها اشارة الى اطلاق امره في جميعها فلا جناح عليه فيما فعل في اي بلد اراد دها ولم
يذكر المخلوف تعظيما له بالاشارة الى ان كل ما حوزه العقل فيه فهو كذلك فهو كان خليفة في بيت المقدس بالفعل وهو
خليفة في جميع الارض بالقوة بمعنى انه مهما حكم به فيها صح وذلك ان النبي كان يرسل الى قومه خاصة فيكون ما يؤديه اليهم
واجبا عليه واما بقية الناس فامرهم معهم من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مهما فعله منه صح ومضى ثم كان خليفة في
جميع الارض حقيقة بالفعل ابنه سليمان عليه السلام فاستوفى الاطلاق والمحملة اقصى ما يراد منه اعلاما بان كلام
القدير كله كذلك وان لم يظهر في الحالة الراهنة وذلك كما ان المنزل عليه هذا الذكر وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم
كان خليفة بالفعل في ارض العرب التي هي الارض كلها لان الارض دحيت منها وبيتها اول بيت وضع للناس وهو قائم لهم
ومنه انبسطا لقيام بالنور والعدل على جميع الارض وفي جميع الارض بالقوة بمعنى انه مهما حكم به فيها مضى فقد اعطى تميما
الداري رضي الله عنه ارض بلد الخليل من بلاد الشام قبل ان تفتح وصح ونفذ واعطى شويلا رضي الله عنه بنت بقيلة

من اهل الحيرة وصح ذلك ونفذ وقبض كل منهما عند الفتح ما اعطاه صلى الله عليه وسلم ثم تكون خليفة في جميع الارض بالفعل ثم
خليفته الذي اتى الله به في دينه عيسى عليه السلام الذي هو من ذرية داود عليهم السلام ثم في جميع الوجود يوم القيمة يوم
الشفاعة العظمى يوم يكون الانبيا كلهم تحت لوايه ويغبطه الاولون والاخرون بذلك المقام المحمود ولما غنا النعمة
سبب عنها قوله **فاحكم بين الناس** اي الذين يتحاكمون اليك من اي قوم كانوا **بالحق** اي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع ولما
كان اعدى عدو للانسان نفسه التي بين جنبيه لما لها من الشهوات واعظم جناياته واقبح خطاياه ما نازعها من غير
استناد الى امر الله قال مشيرا بصيغة الافتعال الى انه سبحانه عفى عن الخطرات وما بادر الانسان الرجوع عنه والخلاص منه
توبة الى الله تعالى **ولا تتبع الهوى** اي ما يهوى بصاحبه فيسقطه من اوج الرضوان الى حضيض الشيطان ثم سبب عنه قوله
فيضلك اي ذلك الاتباع او الهوى لان النفس اذا اضربت على ذلك صار لها خلقا فغلب صاحبها عن ردها عنه ولفت القول
عن مظهر العظمة الى الاسم الاعظم الجامع لجميع الاسماء الحسنى والصفات العلى تعظيما لامر سبيله وحثا على لزومه والشرف
بحلوله فقال **عن سبيل الله** اي طريقه التي شرعها للوصول اليه بما انزل من النقل المؤيد بادلة ما خلق من العقل ولا يوصل اليه
به وهما الا ان اتباعه يوجب الانهماك في اللذات الجسمانية والاهمال لتكميل القوى الروحانية الموصلة الى السعادة الابدية فان
دواعي البدن والروح متضادتان فبقدر زيادة احدهما ينقص الاخرى ولما كانت النفس نزاعة الى الهوى ميالة عن السوي
قال معللا للنهي مؤكدا لما للنفس من العلالات عند المخالفة بالكرم والمغفرة الدافع للعذاب **ان الذين يضلون** اي يوجدون
الضلال باجمالهم النفوى الموجب لاتباع الهوى المقتضي لان يكون متبعه ضالا **عن سبيل الله** اعاده تفخيما للامر وتيمنا بذكره **لهم**
عذاب شديد اي بسبب ضلالهم ولما امر سبحانه ونهى وذكر ان السبب في النهي كراهة الضلال وعلم منه ان سبب
الضلال الهوى ذكر سبب هذا السبب فقال معبرا بالنسيان اشارة الى انه من شدة ظهوره كما كان محفوظا فنسي وذلك المصدر
لانه اصرح لانه لو عبر بالمصدر لامكن اضافته الى المفعول واختيرت ما دون ان لان صورته صورة الموصول الاسمي وهو
ابلغ مما هو حرف صورة ومعنى **بما نسوا يوم الحساب** اي عاملوه معاملة المنسي بعضهم بالانكار وبعضهم بخبث الاعمال
فانهم لو ذكروه حقيقة لما تابعوا الهوى المقتضي للضلال على انه مما لا يجهله من له ادنى مسكة من عقل فانه لا يخطر في عقل عاقل
اصلا ان اقل الناس واجهلهم يرسل احدا الى من رعيه ثم لم يعلمهما بم لا يحاسبه عليها فكيف اذا كان حكيما فكيف اذا كان ملكا
فكيف وهو ملك الملوك وقال الغزالي في اخر كتاب العلم من الاحيا في الكلام على العقل ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس
بالفطرة انقسم الناس الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من اجال فكره فتذكر وكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم
تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به
ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما ان يذكر صورة
كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود والاخر ان يكون عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة
للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروح الى السماع والتقليد دون الكشف والعيان انتهى وقد علم من هذه القصة وما قبلها
ان المعنى اصبر على ما يقولون الان فلننصرنك فيما ياتي من الزمان ولنؤيدنك كما ايدنا داود العظيم الشان ولما
كان التقدير فما قضينا في الازل بيوم الحساب وتوعدنا به سدى عطف عليه قوله صارفا الكلام عن الغيبة الى مظهر
العظمة اشارة الى ان العظيم تابى له عظمته غير الجد العظيم **وما خلقنا** اي على ما لنا من العظمة ويجوز ان تكون الجملة حالية
ولما كان السياق لما وقع منهم من الشقاق عنادا للاجملا ذكر من السموات ما لا يمكن النزاع فيه مع ان اللفظ للجنس
فيشمل الكل فقال **السما** اي التي ترونها **والارض وما بينهما** مما تحسونه من الرياح وغيرها خلقا **باطلا** اي لغير غاية اردنا
بذلك من حساب من فيهما كما يحاسب اقل من فيكم اجراه ومجازاة من فيهما بالثواب لمن اطاع والعقاب لمن عصى كما يفعل اقل
ملوككم فانا دنى الناس عقلا لا يبني بناء صحيحا الا لغاية ارادها وتلك الغاية هي الفصل بين الناس الذين اعطيناهم القوى
والقدر في هذه الدار وبثثنا بينهم الاسباب الموجبة لانتشار الصفا فيهم والاكدار واعطيناهم العقول تنبيها
على ما يرادبهم وارسلنا فيهم الرسل وانزلنا اليهم الكتب بالتعريف بما يرضينا ويسخطنا فنابذ واكل ذلك فلو تركناهم
بلا جمع لهم ولا انصاف بينهم لكان هذا الخلق كله باطلا لا حكمة فيه اصلا لان خلقه للضر او النفع او لا لواحد منهما
والاول باطل لانه غير لايق بالرحيم الكريم والثالث باطل لانه كان في حال العدم كذلك فلم يبق للايجاد مرجح فتعين الوسط
وهو النفع وهو لا يكون بالدنيا لان ضرها اكثر من نفعها وتحمل ضر كثير لنفع قليل غير لايق بالحكيم الكريم فتعين ما وقع
الوعد الصادق به من نفع الاخرة المطابق لما ذكر من عقل العقلا وشير النبلا ولما كان هذا وهو منابع الحكمة
عظيما جدا اعظمه بقوله **ذلك** اي الامر البعيد عن الصواب **ظن الذين كفروا** اي من اوقع هذا الظن في وقت ما فقد
اوجد الكفر لانه جحد للحكمة التي هي البعث لاظهار صفات الكمال والمجازاة بالثواب والعقاب ومن جحد الحكمة فقد سفه

الخالق فكان اقراره بانه خالق كلا اقرار فكان كافرا به ثم سبب عن هذا الظن قوله **فويل** اى هلاك عظيم بسبب هذا الظن
واظهر فى موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال **للذين كفروا** اى مطلقا بهذا الظن وبغيره **من** اى مبتدى من **النار**
اى الحكم عليهم بها ولما كان التقدير افنحن نخلق ذلك باطلا فلا يكون له مآل نظهر فيه حكمته ونحن منزهون عن العبث عطف عليه قوله
انكارا لما يلزم من ترك البعث من التسوية بين ما حقه المفاوتة فيه وذلك اشد من العبث وان كان له ان يفعل ذلك لانه لا يقبح منه شى
ام نجعل اى على عظمتنا **الذين امنوا** اى امتثالا لاوامرنا **وعملوا** اى تصديقا لدعوى الايمان **الصالحات** من الاعمال كالذين
افسدوا وعملوا السيئات ام نجعل المؤمنين المصلحين فى الارض **كالمفسدين** اى المطبوعين على الفساد الراسخين فيه **فى الارض**
اى بالكفر وغيره والتسوية بينهم لا يشك عاقل فى انها سفه **ام نجعل** على ما لنا من العز والمنعة الذين اتقوا كالذين فجروا
ام نصير **المتقين** اى الراسخين من المؤمنين فى التقوى الموجبة للتوقف عن كل ما لم يدل عليه دليل **كالفجار** اى الخارجين من
غير توقف عن دائرة التقوى من هؤلاء الذين كفروا ومن غيرهم فى ان كلا من المذكورين يعيش عيشا ما ادى اليه الحال فى الدنيا وفى
الاغلب يكون عيش الطالح ارفع من عيش الصالح ثم يموت ولا يكون شى بعد ذلك ولا شك ان المساواة بين المصلح والمفسد والمتقى
والمارق لا يراها حكيم ولا غيره من سائر انواع العقلاء فهو لا يفعلها سبحانه وان كان له ان يفعل ذلك فانه لا يجب عليه شى ولا يقبح
منه شى وقد علم ان الاية من الاحتباك وانه مشير الى احتباك آخر فانه ذكر الذين امنوا اولا دليلا على الذين افسدوا ثانيا وذكر
الفساد المفسدين ثانيا دليلا على المؤمنين اولا واهمهم ولذلك ذكر الذين اتقوا واصدادهم وسر ما ذكر وما حذف انه ذكر ذى الشان
الايمان تنبيها على شرفه وانه سببا السعادة وان كان على ادنى الوجوه وذكر اعلى احوال الفساد اشارة الى انه يغفر ما دون ذلك
لمن يشا وذكر اعلى احوال التقوى ايما الى انه لا يوصف بها ويستحق جزاها الا الراسخ فيها ترغيبا للمؤمن فى ان يترقى الى وجها
ولما ثبت بما ذكر من اول السورة الى هنا مما ذكر فى هذا الذكر من البراهين التى لا يأباها الا معزول العقل مختلط العقل
ثبت انه ذو الذكر والشرف الاعظم فقال تعالى منبها على ذلك منبها على انه القانون الذى يعرف به الصلاح ليتبع والفساد
ليجتنب ووصفه بقوله **كتاب** اى عظيم لما من العظمة ما لا يحاط به مخبرا عن مبتدا تقديره هو **انزلناه** اى بما لنا من العظمة **اليك**
وذلك من عظمته لانك اعظم الخلق ثم اخبر عن مبتدا اخر مبين لما قبله على طريق الاستيناف فقال **مبارك** اى دائم الخير كثير النفع
ثابت كل ما فيه ثباتا لا يزول ابدا ولا ينسخه كتاب ولا شى ذكر ما له من العظمة اشارة وعبارة ذكر غاية
انزاله المامور به فقال **ليدبروا** بالفوقانية وتخفيف الدال بالخطاب فى قراءة ابى جعفر مشرفا للامة بضمهم بالخطاب
الى حضرته الشماء صلى الله عليه وسلم ولافتا للقول فى قراءة الجماعة بالغيب وتشديد الدال الى من يحتاج الى التنبيه على
العلل لما له من الشواغل الموقعة فى الخلل واما هو صلى الله عليه وسلم ففى غاية الانعام للنظر والتدبر باجلى الفكر من حين الانزال
لعلمه بعلة الانزال بحيث انه من شدة انعابه لنفسه الشريفة امر بالتخفيف وضمن له تعالى جمعه وقراءته **اياته** اى لينظروا فى عواقب
كل اية وما يؤدى اليه ويوصل اليه من المعانى الباطنة التى اشعر بها طول التامل فى الظاهر فمن رضى بالاقتصار على حفظ حروفه كان
كمن له لقحة درور لا يحلبها ومهر نتوج لا يستولدها وكان جديرا بان يصنع حدوده فيخسر خسرانا مبينا ولما كان كل
احد مامورا بان يجتنبه بكل ما يرى ويسمع على ما اوراه ولم يكن فى وسع كل احد الوصول الى النهاية فى ذلك قنع منهم بما دونها فاعقب
ثناء التفعل فى فاء الكلمة اشارة الى ذلك كما تشير اليه قراءة ابى جعفر وربما كانت قراءة الجماعة اشارة الى الاجتهاد فى فهم خفايا
والله اعلم ولما كان السياق للذكر واسند الى خلاصة الخلق وكان استحضار ما كان عند الانسان وغفل عنه لا يشق
لظهوره اظهر التاء حثا على بذل الجهد فى اعمال الفكر والمداومة على ذلك فانه يفضى بعد المقدمات الظنية الى امور يقينية
قطعية اما محسوسة او لها شاهد فى الحس فقال **وليتذكر** اى بعد التدبر تذكرا عظيما جليا بما اشار اليه الاظهار **اولوا**
الالباب اى كل ما ارشد اليه مما عرفه الله لهم فى انفسهم وفى الافاق فانهم يجدون ذلك معلوما لهم بحرا وغيره فى انفسهم او غيرها
لا يخرج شى مما فى القران عن النظر الى شى معلوم للانسان لا نزاع له فيه اصلا ولكن الله تعالى يبديه لمن يشا ويخفيه عن من يشا
سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم واظهره يوم القيمة فانه مركوز فى طبع كل احد ان الدهر لا يدع من يحبه بغير حساب
اصلا ولما كان الانسان وان طال التدبر واقبل بكليته على التذكر لا بد له من نسيان وغفلة وذهول وكان
الممدوح انما هو الرجاع لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وكان تعالى هو الملك الذى لا شريك له هو
المالك الذى له الملك كله فهو يرفع من يشا ممن لا يخطر فى وهم ان يرتفع ويخفض من يشاء ممن علا فى الملك حتى لا يقع فى خاطره
حصول له خلل ولا سيما ان كان على اهل خلال الطاعة ليبين لكل ذى لب ان الفاعل لذلك هو الفاعل المختار فلا يزال العبد مرجوا
استعانته مرهوبا محتشيا قال تعالى **ووهبنا** اى بما لنا من العظمة **لداود سليمان** فجاء عديم النظير فى ذلك الزمان دينا ودنيا
علما وحكمة وحلما وعظمة ورحمة ولذلك نبه على امثال هذه المعانى باستيناف الاخبار عما حرك النفس الى السؤال عنه من انساب
تسبيه الى نون العظمة فقال **نعم العبد** ولما كان السياق لرعة الانتباه من الغفلات والنفص من الهفوات والنوبة

من الزلات وبيانا لان الابتلاء ليس منحصرا فى العقوبات بل قد يكون لرفعة الدرجات وكان هذا بعيدا من العادات علل مدحه هم
مؤكدا له بقوله **انه اواب** اى رجاع الى الاردياد من الاجتهاد فى المبالغة فى الشكر والصبر على الضر كلما علا من مقام الى
مقام وكان السياق ولما كان الخيل من اعظم ما زين للناس من حب الشهوات
منه وعلى سعة مع ما له من الكمال مما رغب عنه
للعزم والشفاق له البين على عظيم الاحتياج الى ما يكف ذلك مما اعظمه الخيل ذكر فيها امر اله صلى الله عليه وسلم دل على انه
مع ما له من عظمة الملك كثير الاوبة عظيمها لان من لم يكن ذلك له طبعا لم يقدر على ما فعل فقال معلقا بما دل عليه السياق
عليه من مدحه بتقدير اذكر **اذ** اى ذكر لتقف على شاهد ما اخبرناك به حين **عرض عليه بالعشى** اى فيما بعد زوال الشمس الى الغروب
الصافنات اى الخيول العربية الخالصة الضامرة الحقيقة التى لا تكاد تمالك بجمع قوائمها الاعتماد على الارض احتيالا
بانفسها وقربا من الطيران بلطافتها وضمورها وهممها واظهارا لقوتها وشاقتها وخفتها قال فى القاموس صفن الفرس
يصفن صفونا قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة وقال القزاز قام على ثلاث قوائم وقائمة يرفعها عن الارض او ينال
سنبكها الارض يستريح بذلك واكثر ما تصفن الخيل العتاق قال وقالوا كل ذى حافر يفعله ولكنه من الجياد اكثر لا يكاد
يكون الا فى العراب الخلص وقيل الصافن الذى يرفع سنبك احدى يديه يجمع يديه ويثنى طرف سنبك احدى رجليه فهو مخيم
وقد اخامرا ذا فعل ذلك ولما تحرر انه يجوز ان يحمل الصافن على غير العتيق وان كان قليلا وان يظن رخفته وضموره
من هذا الحقوق ان المراد الوصف بالجودة وانقه وجاريه فقال **الجياد** اى التى تجود فى جريها باعظم ما تقدر عليه جمع جواد
فلم تزل تعرض عليه حتى فاتته صلاة اخر النهار وكان المفروض على من تقدمنا ركعتين اول النهار وركعتين اخره فانتبه فى الحال
ولما كان المراد بيان ضخامة ملكه وكثرة هيبته وعزته مع زيادة اوبته لتحصل التاسية به فى حسن ابتداره
وانتهائه والتسلية بابتلائه مع ذلك من شرفه ونهايته اشار الى كثرة الخيل جدا وزيادة محبته لها وسرعة اوبته بقوله
فقال ولما كان للاتى بحاله والمعروف من افعاله انه لا يؤثر على ذكر الله شيئا فلا يكاد احد ممن شاهد ذلك يظن به ذلك
بل يوجهون له فى ذلك وجوها ويحملونه على محامل تليق بما يعرفونه من حاله من الاقبال على الله والغناء عما سواه اكد قوله تواضعا لله
تعالى ليعتقدوا انه بشر يجوز عليه ما يجوز عليهم لولا عصمة الله **انى** ولما كان الحب امرا باطنا لا يظهر فى بنى الاكثر د
الاشتغال به وكان الاشتغال به قد يكون لغير الحب فهو غير دال عليه الا بقراين قال العراقا **احببت** اى اوجدت واظهرت بما ظهر من
من الاشتغال بالخيل مقرونا ذلك بادلة الود **حب الخير** وهو المال بل خلاصة المال وسبب كل خير دنيوى واخروى الخيل معقود
فى نواصيها الخير الى يوم القيمة اظهرت ذلك بغاية الرغبة غافلا **عن ذكر ربى** المحسن الى بهذه الخيل التى شغلتنى وغيرها ثم لم ازل
بالصلاة التى كانت وظيفة الوقت وان كان غرضى بها لكونه فى طاعته ذكرا له ولم ازل لذلك الى **حتى توارت** اى الشمس المفهومة من
العشى **بالحجاب** وهى الارض التى حالت بيننا وبينها فصارت ورآها حقيقة ولما اشتد تشوف السامع الى الفعل الذى
احب له الوصف بالاواب بعد سماع قوله فى يوم نفسه ليجمع بين معرفة القول والفعل اجيب بقوله **ردوها** اى قال سليمان عليه
السلام ردوا **على** الخيول التى شغلتنى ولما كان التقدير فردوها عليه نسق به قوله **فطفق** اى اخذ يفعل ظافرا بمراده
لا رادا له مصمما عليه واصلا له معتمدا على الله فى التقوية على العدو ولا على الاسباب التى من اعظمها الخيل مفارقا ما كان سببا للذهول
عن الذكر معرضا عما يمكن ان يتعلق بالقلب متقربا به الى الله كما يتقرب فى هذه الملة بالضحايا **مسحا** اى يوقع المسح اى القطع بها
بالسيف ايقاعا عظيما ولما كان السيف انما يقع فى جزء يسير من العضو ادخل الباء فقال **بالسوق** اى منها **والاعناق**
يضربها ضربا بسيف ماض وساعد شديد وصنع سديد يمضى فيها من غير وقفة اصلا حتى كانه يمسحها مسحا على ظاهر جلودها
كما يقال مسح علاوته اى ضرب عنقه والله اعلم ولما ظهر بهذا ما له من ضخامة الملك وعز السلطان وكانت الاوبة
عظيمة جدا وكان الثبات على مقام التعهد مع حفظه من جميع جهاته اعظم نبه عليه بقوله مؤكدا لما طبعت عليه النفوس من ظن
ان الاواب لا ينبغى ان يواخذ بالعتاب **ولقد فتنا** اى بما لنا من العظمة **سليمان** اى مع اسراعه بالرجوع الى الله والتنبيه لما فاته
رضاه نوعا من الفتنة الله اعلم بحقيقتها فاسفرت تلك الفتنة عن رسوخه فى مقام الاوبة فتنبه لما اردنا بها من تدريبه
على ما اقناه فيه كما فعلنا بابيه داود عليهما السلام فاقتد بهما فى الاستبصار بالبلا فانا نريد بك امرا عظيما جليلا شريفا كريما
ولما كانت العبرة انما هى بالمعانى ثم كان معناه **والقينا** اى بما لنا من العظمة **على كرسيه** الذى كانت تهابه اسود الغيل
ناقصا كان كانه جسد لا روح له صورة بلا معنى قال **جسدا** تعليقا على ذلك المكان الشريف مع ما كنا شرفناه به من هيبة النبوة المعرو
بالملك العجيب لم يكن احد يظن ان احدا يقدر على ان يدنو اليه فضلا عن ان يغلب عليه فكان هذا الجسد منه والملك عكسا لا كلفة عليه
فيه بل كان ذلك العجب كانه القى عليه بغير اختياره ليعلم ان الملك انما هو لنا نفعل ما نشا بمن نشا فالسعادة لمن رجانا والويل لمن
يا من مكرنا ولا يخشانا فهما قليل تصير هذه البلاد فى قبضتك واهلها مع العز والشقاق طوع مشيئتك ويكون لك بذلك امر
لا يكون لاحد بعدك كما انه ما كان لاحد كان قبلك من نفوذ الامر وضخامة العز واجلال الساحة احترام بغير الحاجة وسعة الملك

وبقاء الذكر والذي انت فيه الآن ابتلاء واختبار وتدريب على ما يأتي من الامور الكبار ولما كان المراد باطلاق الجسد عليه التعريف
بانه لا معنى له لانه لا روح فيه اطلقه ولم يتبعه ما يبين انه جماد كما فعل في العجل حيث قال له خوار فبين بذلك انه لا روح له
وان صح ان هذا الجسد هو صخر الجني وان سببه سجود الجرادة امراة سليمان عليه السلام لصورة ابيها بغير علم نبي الله سليمان
عليه السلام ولا ارادته ولا علمه فكيف بمن يسجد لهذه الاوثان في البيت الحرام فعما قليل ترى امرهم وتحمد سيرهم ونمحو ذكرهم
ولما كانت الانابة رجوعا الى ما كان فهي استرجاع لما فات قال ثم اناب وفسر الانابة ليعلم انه تعالى فتنه مع انه
عبد عظيم المنزلة لمجاب الدعوة بقوله جوابا لمن سال عنها قال رب اي ايها المحسن الي اغفر لي اي الامر الذي كانت الانابة بسببه
ولما قدم امر الاخرة اتبعه قوله وهب لي اي بخصوصي ملكا لا ينبغي اي لا يوجد طلبه وجودا يحصل معه المطاوعة
والتسهل لاحد في زمان ما طال او قصر سواء كان كاملا في الصورة والمعنى او جسدا خاليا عن المعنى كما حصلت به الفتنة من قبل
وبعض لما ذكر الجار فقال من بعدي اي حتى امكن من كل ما اريد من التقرب اليك وجهاد من عاداك ويكون ذلك امارة لي على قبول توبتي
ولا يحصل لي فتنة بالتنازع على ما كان حكمي ولا غيره وهذا يشعر بان الفتنة كانت في الملك وكذا ذكر الالقاء على الكرسي مضافا اليه من غير
ان تسبب الله به صلى الله عليه وسلم نبي وهو مناسب لعقر الخيل الذي هو اذهاب ما به العز والله اعلم وبهذا التقرير علم انه لو
ذكر الظرف من غير حرف لاوهم تقييد الدعوة بملك يستغرق الزمان الذي بعده وعلم ان الاية من الاحتباك ذكر الجسد اولا دليلا
على حذفه ثانيا والملك ثانيا دليلا على حذفه اولا وسر ذلك انه ذكر ما هو اليق بمنصب سليمان عليه السلام والحق داولى واصح
وحذف ما ذكره موله لكل مسلم ثم علل ما طلبه من الاعطا والمنع بقوله على سبيل التاكيد اسقاطا لما غلب على النفوس من رؤية الاسباب
انك انت اي وحدك الوهاب العظيم المواهب مع التكرار كلما اردت فتعطي بسبب وبغير سبب من تشاء وتمنع من تشاء ولما
تسبب عن دعائه الاجابة اعلم به سبحانه بقوله فسخرنا اي ذللنا بما لنا من العظمة له الريح لارهاب العدو وبلوغ المقاصد عوضا
عن الخيل التي خرج عنها لاجلنا ثم بين التسخير بقوله مستانفا تجري بامره رخاء اي حال كونها لينة غاية اللين منقادة يدرك بها
ما لا يدرك بالخيل غدوها شهر ورواحها شهر وكل من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه وهو بنا مبالغة من الرخاوة ولما
كانت اصابته لما يشاء ملازمة لارادته عبر بها عنها لانها المقصود بالذات فقال حيث اصاب اي اراد اصابته من الاشياء وقد
جعل الله لنبينا صلى الله عليه وسلم اعظم من ذلك وهو انا نعد ونرعب منه الى مسيرة شهر من جوانبه الاربعة فهي اربعة اشهر
والشياطين اي الذين عندهم خفة الريح مع الاقتدار بالروح سخرناهم له ثم نبه على منفعتهم بالابدال منهم فقال كل وعبر ببناء
المبالغة لانه في سياق الامتنان فقال بناء وغواص اي عظيم في البنا صاعدا في جو السما والغوص نازلا في اعماق الماء يستخرج
الدر وغيره من منافع البحر ولما دل على مطلق تسخيرهم دل على انه عن قهر وغلبة حماه من شان ابالة الملك وصولة العز فقال
وآخرين اي سخرناهم له من الشياطين حال كونهم مقرنين بامره الى من يشا كلهم او مقرونة ايديهم بارجلهم او باعناقهم وعبر به
مثقلا دون مقرونين مثلا اشارة الى شدة وثاقهم وعظيم تقرينهم ولما كانت مانعة لهم من التصرف في انفسهم جعلوا
كانهم باجمعهم فيها وان لم يكن فيها الا بعض اعضائهم مثل جعلوا اصابعهم في آذانهم فقال في الاصفاد اي القيود التي توثق بها
الاسرى من حديد او قد او غير ذلك جمع صفد بالتحريك روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من
سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا وقد
عوض نبينا صلى الله عليه وسلم عن الشياطين التأييد بجيوش الملائكة في غزواته وقد كان نبيا عبدا كما اختار فلم يكن له حاجة
بغير ذلك ولما كان ذلك ملكا عظيما نبه على عظمته بكثرته ودوامه وعظمة مؤتيه فقال مستانفا تعظيما لقلناه
ونحو هذا اي الامر الكبير عطاؤنا اي على ما لنا من العظمة ثم سبب عن ذلك اطلاق التصرف الذي هو اعظم المقاصد فكم من
مالك لشيء وهو مغلول اليد عن التصرف فيه فقال بادئا بما يوجب الحب ويفعل بالقلوب دالا على عظمته وظهوره من بقعة
الادغام فامنن اي اعط من شئت عطاءه امرا غير متسبب عن المعطي او امسك اي عمن شئت ولما كان هذا اعطاء
نفوت الوصف عظمه زاده تعظيما بكثرته وتسهله وسلامة العاقبة فيه فقال بغير اي كاينا كل ذلك من العطا والمنع حساب
لانك لا تخشى من نقصه وربك هو المعطي والآمر ولا من كونه مما يسئل عنه في الاخرة لانه تدارك ذلك فنفي الحساب عنه يتضمن
الكثرة وعدم الدرك في اعطاء او منع وجعله مصدرا امر به يفهم انه انما ينفي عنه حساب يعتد به لا مطلق حساب بالتخمين
كما يكون في الاشيا التي يعيي الحاصر فيقرب امرها بنوع حدس ولما دفع الحرج عنه في الدارين اثبت له مزيد فقال
عاطفا على ما تقديره هذا له في الدنيا موكدا زيادة في الطمانينة لكونه خارقا لما حكم به في العادة في انه كلما زاد عن الكفاف
في الدنيا كان ناقصا للحظ في الاخرى وان له اي خاصا به عندنا اي في الاخرة لزلفى اي قربى عظيمة وحسن مآب اي مرجع
ولما انقضى الخبر عن الملك الاواب الذي ملك الدنيا بالفعل قهرا وغلبة شرقا وغربا وكان ايوب عليه السلام

في

[illegible]

في ثروة الملوك وان لم يكن ملكا بالفعل قهرا وغلبة شرقا وغربا وكان تكذيب من كذب بالنبي صلى الله عليه وسلم انما هو بتسليط الله
الشيطان بوسوسته عليهم وامره سبحانه بالصبر على ذلك وقص عليه من اخبار الاوابين تعليما لحسن الاوبة ان وهن الصبر اتبعه
الاخبار عن الصابر الاواب الذي لم يناوه الا عن وسوسة الشيطان لزوجه بما كاد يفتنها ليزداد النبي صلى الله عليه وسلم بذكر
هذه الاخبار صبرا ويتضاعف اقباله على الله تعالى وتضرعه له اقتدا باخوانه الذين لم تشغلهم عنه سعة السرا ولا محنة الضرا
وتذكيرا لقدرة الله تعالى ونصرة له على كل ما يريد تنبيها على انه قادر على رد قريش عما هم فيه ونصر المستضعفين من عباده عليهم
بايسر سعي فقال واذكر عبدنا الذي هو اهل للاضافة الى عظيم جنابنا وبينه بقوله ايوب وهو من الروم من اولاد
عيص بن اسحاق عليه السلام ليتاسى بحاله فتصبر على قومك وان رايت ما لا صبر لك عليه تدعو الله في اصلاحه ولما امره
بذكره بين ان معظم المراد بعض احواله الشريفة ليتاسى به فقال بدلا منه بدل اشتمال اذ اي اذكر حاله الذي كان حين نادى وصرف
القول عن مظهر العظمة الى صفة الاحسان لانه موطنه لاقتضاء حاله ذلك فقال ربه اي المحسن اليه الذي عرف احسانه اليه في تربيته ببلائه
كما عرف امتنانه بظاهر نعمائه والايه ثم ذكر المنادى به حاكيا له بلفظه فقال مشيرا بالتاكيد الى انه وان كان حاله فيما عهد من شدة
صبره مقتضيا عدم الشكوى اتاه ما لا صبر عليه اني اي رب ادعوك بسبب اني ولما كان هنا في سياق التصبير عظم الامر
باسناد الضر الى اعدى الاعداء لما ابا الى الاجابة وادبا مع الله مسني اي وانا من اوليائك الشيطان اي المحترق باللعنة البعيد
من الرحمة بتسليطك له بنصب اي ضر ومشقة وهم وداء ووجع وبلاء يثقل صاحبه يتعبه ويعييه ويكده ويجهده ويصل به
الى الغاية من كل ذلك وقرئ بضم الصاد ايضا وقرئ بالتحريك كالرشد والرشد وكان ذلك اشارة الى احوال الضر في الشدة والخفة
والسكون ادناه والتحرك اوسطه والمثقل بالضم اعلاه وعذاب اي حد قوي جدا دايم مانع من كل ما يلذ ويمكن ان يساغ ويستطعم احمله
وتنكير التعظيم استغناء به على وجازته على جمل طوال ودعاء عريض اعلاما بان السيل قد بلغ الزبى واهل البلاء القوي ولم يذكره
بلفظ ابليس الذي هو من معنى اليأس وانقطاع الرجاء دلالة على انه هو راج فضل الله غير آيس من روحه وذلك ان الله تعالى سلطه
على اهلاك اهله وولده وماله فصبر ثم سلطه على بدنه الى ان سقط لحمه واستمر على ذلك مدة طويلة الا ماكث ثم ترايا لزوجه رضي
الله عنهما في زي طبيب وقال لها انا اداويه ولا اريد الا ان يقول لي انت شفيتني وقيل قال لها لو سجد لي سجدة واحدة شفيته
فاتته وحدثته بذلك فعرفها انه الشيطان وحذرها منه وخاف غاية الخوف عليها فدعا الله تعالى بما قدم وشد التكبير والتعظيم لما
دسوس لها به بان حلف ليضربنها مائة ضربة ردعا لها عن الاصغاء الى شيء من ذلك وتنويها لما بلغه من بلائه في جنبه ولما تشوف
السامع الى جوابه عن ذلك استانف قوله اركض اي قلنا له اضرب بالارض او اوجد الركض وهو المشي والتحريك والاسراع والاستحثاث
برجلك يخرج منها ماء فافعل حسن تغتسل فيه وتشرب منه ففعل فانبعنا له عينا فقيل له هذا باشارة القريب اشارة الى تسهيله
وسرعة وجوده مغتسل اي ماء يغتسل به وموضعه وزمانه بارد اي يبرد حر الظاهر وشراب يبرد حر الباطن ولما
كان التقدير ففعل اغتسل وشرب فبرئ ظاهره وباطنه عطف عليه قوله صارفا القول الى مظهر الجلال تنبيها على عظمة الفعل
ووهبنا اي بما لنا من العظمة له اهله اي الذين كان الشيطان سلط عليهم بان احييناهم وجمع لعبادنا بالمعنى لانه افخم واقرب الى
فهم المراد فقال ومثلهم واعلم باجتماع الكل في آن واحد فقال معهم جددناهم له ليعلم من يسمع ذلك انه لا عبرة بشي من الدنيا وانها
وكل ما فيها عرض زايل لا ثبات له اصلا الا ما كان لنا فانه من الباقيات الصالحات فلا يغتر احد بشي منها ولا يشتغل عنا اصلا
ويعلم من هذا انه صدقه القدرة على البعث بمجرد تصديقه له ومن توقف فيه سال اهل الكتاب في سورة الانبيا نعلم ذلك ببعضه
ثم علل سبحانه فعله ذلك بقوله رحمة ولما كان في مقام الحث على الصبر عظم الامر بقوله منا فانه اعظم من التعبير في
سورة الانبيا بعندنا ليكون ذلك احث على لزوم الصبر واذا نظرت الى ختام الايتين عرفت تفاوت العبارتين ولاح لك ان مقام
الصبر لا يساويه شيء لان الطريق اليه سبحانه لا ينفك شيء منه عن صبر وقهر للنفس وجبر لانها بالاجماع خلاف ما تدعو اليه الطباع
وذكرى اي اكراما له وتذكيرا عظيما لاولي الالباب اي الافهام الصافية جعلنا ذلك لرحمته ولنذكر غيره من الموصوفين على طول
الزمان ليتاسى به كل مبتلى ويرجو مثل ما رجا فان رحمة الله واسعة وهو عند القلوب المنكسرة فيما بينه وبين الاجابة الا حسن الانابة
لمن دام اقباله عليه اغناه عن غيره لكل شيء اذا فارقته عوض وليس لله ان فارقت من عوض ولما
اجمل العذاب الصالح لالم الظاهر وذكر المخلص منه اتبعه التنبيه على اعظمه وهو الم الباطن بل ربطه الباطن المتعلق بالاعتقاد
فيما وسوس لزوجه رضي الله عنها بما كاد يقرنهما لحلف ليضربنها مائة ليلا تعود الى شيء من ذلك فيزلها عن مقامها كما ازل غيرها فارشد
سبحانه الى المخلص من ذلك الحلف على اخف وجه لانها كانت صابرة محسنة فشكر الله لها ذلك وجعل هذا المخلص بعدها
سنة باقية لعباده تعظيما لاجرها وتطييبا لذكرها فقال عاطفا على اركض وخذ بيدك اي التي قد صارت في غاية الصحة
ضغثا اي حزمة صغيرة من حشيش فيها مائة عود كشمراخ النخلة قال الفرا هو كل ما جمعته من شيء مثل الحزمة الرطبة وقال
السمين واصل المادة يدل على جمع المختلطات فاضرب به اي مطلق ضرب ضربة واحدة ولا تحنث في يمينك اي باثم بترك ما

حلفت على فعله فهذا التخفيف على كل منهما لصبره ولعل الكفارة لم تكن فيهم وخصنا الله بها مع شرعه فيما ارحمه له نشر لنا
وكل هذا اعلاما بان الله تعالى ابتلاه صلى الله عليه وسلم في بدنه وولده وماله ولم يبتله الا زوجة توسوس لها الشيطان
طمعا في ابدائهما كما ادى ادم وحوى عليهما السلام الى ان تقارب منهما بعض ما يريد والمراد بالاعلام به تذكير النبي صلى الله عليه وسلم بانه
ان كان مكن الشيطان من الوسوسة لاقاربه والاغوى والاضلال فقد من عليه بزوجة اعظم وزراء الصدق وكثير من اقاربه الاعمام
وبني الاعمام وغيرهم وحفظ له بدنه وماله ليزداد شكرا لله تعالى وفي القصة اشارة الى انه قادر على ان يطيع له من يشاء كانه
قادر على التصرف في المعاني كقدرته على التصرف في الذوات وانه سبحانه يهب لهذا النبي الكريم قومه العرب الذين هم الان اشد
الناس عليه وغيرهم فيطيعه الكل **ولما** كان الصبر والافعال المرضية عزيزة في العباد لا تكاد توجد فلا يكاد يعد
بها علل سبحانه هذا الاكرام له صلى الله عليه وسلم واكده فقال على سبيل الاستنتاج مما تقدم ردا على من يظن ان الشكوى
تنافي الصبر واشارة الى ان السر في التذكير به التاسي في الصبر **انا** اي على ما لنا من العظمة **وجدناه** اي في عالم الشهادة طبق ما كان
لنا في عالم الغيب ليتجدد للناس من العلم بذلك ما كنا به عالمين **ولما** كان السياق للحث على مطلق الصبر في قوله تعالى اصبر على ما
يقولون اتى باسم الفاعل مجردا عن مبالغة فقال **صابرا** ثم استانف قوله **نعم العبد** ثم علل بقوله مؤكدا لما لا يظن ان الاكرام
قادح في ذلك **انه اواب** اي رجاع بكليته الى الله سبحانه على خلاف ما يدعو اليه طبع البشر قال الرازي في اللوامع قال ابن عطا
وانعم معا بحسن الادب لا يغيره دوام النعمة ولا يزعجه نوازل البلاء والمحنة روى عبد بن حميد في مسنده عن ابي سعيد رضي الله عنه
قال وضع رجل يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق ان اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انا معاشر الانبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الاجر ان كان النبي من الانبياء ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي من الانبياء
ليبتلى بالفقر حتى ياخذ العباءة فيجوبها وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء **ولما** ذكر سبحانه من ابتلاه في بدنه
وماله وولده ثم جعل له الماء بردا وسلاما وعافية ونظافة وشفاء وقواما عطف عليه من ابتلاه بالنار على ايدي الجبابرة فجعلها
عليه بردا وسلاما باعتماده عليه وصبره لديه ونجاه من كيدهم وجعل ابيه بمفرده فوق ذلك كله اعتمادا على فضل الله
اعتمادا اكمل ثم ابتلاه بالهجرة لوطنه واهله وعشيرته وسكنه ثم بذبح ابنه فصبر على ذلك كله اعتمادا على فضل الله ومنه فقال **واذكر**
عبدنا بالتوحيد في رواية ابن كثير للجنس ولابرهيم وحده عليه السلام لانه اصل من عطف عليه دينا وابوة فبين انه اصل من عطف
عليه في المدح بالعبودية ايضا ثم بين المراد بقوله **ابرهيم** وعطف على العبد لا على مبينه لئلا يلزم بيان واحد بجماعة اذا اريد
ابرهيم وحده لا الجنس ابنه لصبره على دينه في الغربة بين عباد الاوثان ومباعدي الايمان فلم يلتفت لعنتهم ولا اذاهم بل
ارسل الى اقاربه في بلاد الشرق فتزوج منهم من وافقه على دينه الحق واستمر على اخلاص العبادة لا تاخذه في الله لومة لائم
الى ان مضى لسبيله فقال **واسحاق** ثم اتبعه ولده الذي قفا اثره وصبر صبره وابتلى بفقد ولده ومهجة كبده فصبر اتم الصبر
في ذلك الصبر وابلغ في الحمد والشكر فقال تعالى **ويعقوب** والحقهما سبحانه بابيهما لعمران حسب قراه من الافراد اصالته
في المدح بالعبودية لعطفهما عليه نفسه في قراءة غير ابن كثير عبادنا بالجمع كما قال تعالى والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان
الحقنا بهم ذرياتهم **ولما** اجتمعوا بالعطف او البدل وصفهم بقوله **أولي الأيدي** اي القوة الشديدة والاعمال
الشديدة لان الايدي اعظم الات ذلك **والابصار** اي الحواس الظاهرة والباطنة التي هي حقيقة بان تذكر ويمدح بها القوة ادراكها
وعظمة نفوذها فيما موجد بان تراعي من جلال الله ومراقبته في الحركات والسكنات سرا وعلنا وعبر عن ذلك بالابصار لانها
اقوى مباديه ومن لم يكن مثلهم كان مسلوبا القوة والعقل فلم يكن له عقل فكان عدما فهو اعظم توبيخ لمن رزقه الله قوة
وعقلا ثم لا يصرفه في عبادة الله والمجاهدة فيه سبحانه **ولما** اشتد تشوف السامع لما استحقوا به هذا الذكر
قال مؤكدا اشارة الى محبته سبحانه لمدحهم وردا على من ينسب اليهم او الى احد منهم ما لا يليق كما ذكره اليهود فيما بدلوه من التوراة
في حق اسحاق عليه السلام في بعض المواضع معديا للفعل بالهمزة اشارة الى انه جذبهم من العوائق اليه جذبة واحدة في غاية
السرعة **انا اخلصناهم** اي لنا اخلاصا يليق بعظمتنا التي لا تتناهى عظمة **بخالصة** اي اعمال واحوال ومقامات وبلايا ومحن
مسالمة عن شوب ما فصاروا بالصبر عليها في غاية الخلوص **ولما** كان سبب الاخلاص تذكر يوم الدين وما يبرز فيه من صفات الجلال
والجمال وينكشف فيه من الامور التي لا توصف عظمتها بينها بقوله **ذكرى الدار** اي تذكرهم تلك الخالصة تذكيرا عظيما لا ينفك عنهم اصلا
الدار التي لا يستحق غيرها ان يسمى دارا بوجه بحيث نسوا بذكرها هذا الغائب ذكر ما يشاهدونه من حوائل الدنيا فهم لا ينظرون اليها اصلا
فيها فقد انساهم هذا الغائب الثابت الشاهد الزائل عكس ما عليه العامة واضافة نافع وابي جعفر وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه
لخالصة مؤيد لما قلت من ان ذكرى بيان لانها اضافة الصفة الى الموصوف والمعنى انهم لا يعملون شيئا الا وهو مقرب للاخرة فالمعنى
انه كريم لها خالص عن سواه لا يشاركه فيه شيء ولا يشوبه شوب اصلا ودل سياق الكلام وسباقه وكانه على حذف نحو ان يقال وانهم
عندنا لمن المخلصين الابرار **ولما** دلت هذه الجملة على هذا المدح البليغ عطف عليه ما يلازم الاخلاص فقال مؤكدا لما تقدم

من التنبيه على انهم ممن يغتبط بمدحهم وردا على من دعا ظن خلاف ذلك بكثرة مصائبهم في الدنيا عطفا على ما تقديره وانا اصطفيناهم
وصفيناهم من جميع الاكدار **وانهم عندنا** اي على ما لنا من العظمة والخبرة **لمن المصطفين** المبالغ في تصفيتهم مبالغة كانها بعلاج
ممن يعتبر اصطفاؤهم ويعتد به ولا يقدح فيه قادح فصاروا في غاية الرسوخ في هذا الوصف **الاخيار** الذين كل واحد منهم
خير بليغ في الخير واصابتنا اياهم بالمصائب دليل ذلك لا دليل عكسه كما يظنه من طمس قلبه والاية من الاحتباك ذكر اخلصناهم
اولا دليلا على اصطفيناهم ثانيا والمصطفين ثانيا دليلا على المخلصين اولا وسر ذلك ان الاخلاص يلزم منه الاصطفا لا سيما اذا اسند
اليه بخلاف العكس بدليل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه **ولما** اتم الامر بذكر الخليل وابنه
الذي لم يخرج من كنفه قط ونافلته المبشر به للتاسي بهم في صبرهم على الدين وكان خالفهم من خالفهم اتبعه ولده الذي امر بالتجرد عنه من
بالاسكان عند البيت الحرام ليصير اصلا راسه في اشرف البقاع ومره بالامر بذبحه في تلك المشاعر الكرام فصار مما اضيف اليه من
الاحوال والافعال من المناسك العظام عليه الصلاة والسلام وافرده بالذكر دلالة على انه اصل عظيم براسه من اصول الائمة
الاعلام وكرر الامر بالذكر تعظيما له واجلالا لانه ونبيها على ادامة التامل لسير هؤلاء الانبياء عليهم السلام للاقتداء بهم فقال
واذكر اسمعيل اي اباه وما صبر عليه من البلاء بالغربة والانفراد والوحدة والاشراف على الموت في الله غير مرة وما صار اليه بعد ذلك من
البلاء من الفرج والرياسة والذكر في هذه البلدة **واليسع** اي الذي استخلفه الياس عليه السلام على بني اسرائيل فجمعهم الله عليه بعد
ذلك الخلاف الشديد الذي كان منهم لالياس عليه السلام **وذا الكفل** اي النصيب العظيم بالوفاء بما يكفله من كل امر علي وعمل صالح
زكي **ولما** تقدم وصف من قبل ابرهيم عليه السلام بالاوبة وخصوا بالتصريح لما كان لهم من الشواغل عنها بكل من محنة السرا
ومحنة الضرا وكذلك الوصف بالعبودية سواء وكان الامر بالذكر مع حذف الوصف المذكور لاجله والاشارة اليه بالتلويح والايماء
من ذكر دالا على غاية المدح لذهاب الوهم في تطلبه كل مذهب قال معمما للوصف بالعبودية والاوبة المذكورين عاطفا بما ارشد
اليه العطف على غير مذكور على ما تقديره انهم اوابون قائمون بحق العبودية فهم من خيار عبادنا ليكون تعليلا لذكرهم بما علله ذكر اول
مذكوريهم **وكل** اي من هؤلاء المذكورين في هذه السورة من الانبياء من هؤلاء ومن قبلهم **من الاخيار** اي كما ان كلا منهم اواب
بالعراقة في وصف الصبر كما مضى في الانبياء وبغير ذلك من كل خير على ان الصبر جامع لجميع الطرق فهم الذين يجب الاقتداء بهم في الصبر
على الدين ولزوم طريق المتقين **ولما** اتم سبحانه ما اراد من ذكر هؤلاء الانبياء عليهم السلام الذين عاقاهم بصبرهم وعافا
من دعوهم لجعلهم سبحانه سبب الفلاح ولم يجعلهم سببا للهلاك قال مؤكدا لشرفهم وشرف ما ذكروا به حاثا على ادامة تذكره
وتامله وتدبره للعمل به مبينا ما لهم في الاخرة على ما ذكر من اعمالهم وما لمن نكب عن طريقهم على سبيل التفصيل مؤذنا بان ما اراده
من ذكر التاسي بهم قد تم واخذ في غيره **هذا** اي ما تلوناه عليك من امورهم وامور غيرهم **ذكر** اي شرف في الدنيا وموعظة من ذكر القران
ذي الذكر ثم عطف على قوله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ما لاضدادهم فقال مؤكدا ردا على من ينكر ذلك من كفار
العرب وغيرهم **وان** ويجوز وهو احسن ان يكون معطوفا على هذا او تقديره هذا ذكر للصابرين **ولما** اداهم اليه صبرهم
في الدنيا وان لهم على ما وهبناهم من الاعمال الصالحة التي مجمعها الصبر لمرجعا حسنا ولكنه اظهر الوصف الذي اداهم الى هذا
المآب تعميما لكل من اقتدى بهم حثا على الاقتدا فقال **للمتقين** اي جميع العريقين في وصف التقوى الذين يلزمون لتقواهم الصراط
المستقيم **لحسن مآب** اي مصير ومرجع **ولما** شوق سبحانه الى هذا الجزا ابدل منه او بينه بقوله **جنات عدن** اي اقامة
اي التي بها والتي فيها من الدور والغرف والمجالس والخزائن وغيرها والتعبير بجمع القلة لا يشكل لان كثرته معروفة من سياق المدح والا
واستعارة جمع القلة للكثرة معروفة والتعبير موافق للفواصل من غير قصد للمعنى وهو اسهل واوفق من بيان نصب عنها على الحال
كانت من الاعلام الغالبة **ولما** كانت من الاعلام الغالبة نصب عنها على الحال قوله **مفتحة** اي تفتيحا كثيرا وبليغا من
غير ان يعانوا في فتحها شيئا من نصب او طلب او تعب وافاد جعل هذا الوصف مفردا ان تفتيحها على كثرتها كان لهم في آن واحد حتى
كانها باب واحد **لهم** اي لا لغيرهم **الابواب** اي التي بها والتي فيها من الدور والغرف والمجالس والخزائن وغيرها والتعبير
القلة بجمع القلة لا يشكل لان كثرته معروفة من سياق المدح والامتنان واستعارة جمع القلة للكثرة معروفة فالتعبير به موافق
للفواصل من غير نقص للمعنى وهو اسهل وارشق من بيان فلا يلحقهم في دخولها ذل الحجاب ولا كلفة الاستئذان تستقبلهم الملائكة
بالتبجيل والاكرام **ولما** ذكر اقامتهم وتيسير دخولهم وصف حالهم اذ ذاك فقال **متكئين فيها** اي ليس لهم شغل سوى
النعيم ولا عليهم كلفة اصلا **ولما** كان المتكئ لا يتم نعيمه الا ان كان بحيث ما دل على سؤددهم بقوله **يدعون فيها**
اي كلما ارادوا من غير مانع اصلا ولا حاجة الى القيام ولا قعود يزيل به الاتكاء **ولما** كان اكلهم انما هو للتفكه
لا لحفظ الجسد من آفة قال **بفاكهة كثيرة** فسمى جميع ما كلهم فاكهة **ولما** كانت الفاكهة لا تمل منها والشراب لا يوجد
منه الا بقدر الكفاية وصفها دونه فقال **وشراب** **ولما** كان الاكل والشرب داعيين الى النسا لا سيما مع الراحة
قال **وعندهم** اي لهم من غير مفارقة اصلا **ولما** كان سياق الامتنان مفهما كثرة الممتن به لا سيما اذا كان من العظيم اي جمع

الشهرة

مريد ابه الكريم لانه ارشق واوضح وارشق من قواصر المشترك من جمع قاصرة وقوصرة بالتشديد والتخفيف لوعاء التمر فقال قاصرات الطرف اى طرفهن لعفتهن وطرف ازواجهن حسنهن كن على خلق واحد فى العفة وكمال الجمال وحد فقال

ولما لم ينقص صيغة جمع القلة المعنى لكونه فى سياق المدح والامتنان وكان يستعار للكثرة اى على نمط القواصر بقوله اتراب اى على سن واحد مع ازواجهن وهو الشباب سمى القرين تربا لمس التراب جلده وجلد قرينه فى وقت واحد قال البغوى بنات ثلاث وثلاثين سنة لان ذلك ادعى للتالف فان التحاب بين الاقران اشد واثبت

ولما ذكر هذا النعيم لاهل الطاعة وقدم ذلك العذاب لاهل المعصية قال هذا اى الذى ذكرها والذى مضى ما وبنى للمفعول اختصارا وتحقيقا قوله توعدون من الوعد والايعاد وقراءة الغيب على الاسلوب الماضى ومن خاطب لفت الكلام للتلذيذ بالخطاب تنشيطا لهممهم ليوم الحساب اى ليكون فى ذلك اليوم ولما كان هذا يصدق بان يوجد ثم ينقطع كما هو المعهود من حال الدنيا اخبر انه على غير هذا المنوال وان اكرم الكرم فقال ان هذا اى المشار اليه اشارة الحاضر الذى لا يغيب لرزقنا اى الرزق الذى يستحق الاضافة الينا فى مظهر العظمة فلذلك كانت النتيجة استينافا ماله من نفاد اى فناء وانقطاع بل هو كالماء المتواصل فى نبعه كلما اخذ منه شىء اخلف فى الحال بحيث انه لا يميز الماخوذ من الموجود بوجه من الوجوه فيكون فى ذلك تلذيذ وتنعيم لاهل الجنة بكثرة ما عندهم وبمشاهدة ما كانوا يعتقدونه ويثبتونه لله تعالى من القدرة على الاعادة فى كل وقت جزاء وفاقا عكس ما ياتى لاهل النار

ولما كانت النفوس نزاعة للهوى ميالة الى الردى فكانت محتاجة الى مزيد تخويف وشديد تهويل قال تعالى موعدا لمن ترك التاسى بهولاء السادة فى احوال العبادة مؤكدا لما مضى من ابعاد العصاة وتحويفا للعتاة هذا اى الامر العظيم الذى هو جدير بان يجعل نصب العين وبوائه لكل من الفريقين ما ذكر وان اكرم الكرم وحذف الخبر بعد اثباته فى الاول اهول ليذهب الوهم فيه كل مذهب وان للطاغين اى الذين لم يصبروا وعلى نزيلهم انفسهم منازلها بالصبر على ما امروا به فرفعوا انفسهم فوق قدرها وتجاوزوا الحد وعلوا فى الكفر به واسرفوا فى المعاصى والظلم وتجبروا وتكبروا فكانوا احمق الناس لشر مآب اى مصير ومرجع وابدل منه او بينه بقوله جهنم اى الشديدة الاضطرام الملاقية لمن يدخلها بغاية العبوسة والتجهم ولما كان اختصاصهم بها البين بصريح فى عذابهم استانف التصريح به فى قوله يصلونها اى يدخلونها فيباشرون شدايدها ولما افهم هذا غاية الكراهة لها وانه لا قرار لهم غير جمرها فكان التقدير فيكونون مهادا لهم لتحيط بهم فيعمهم حلها سبب عنه قوله فبئس المهاد اى الفراش هى فان فائدة الفراش تنعيم الجسد وهذه تذيب الجلد واللحم ثم يعود فى الحال كلما ذاب عادة عقوبة لهم ليريهم الله ما كانوا يكذبون به من الاعادة فى كل وقت دائما ابدا كما كانوا يعتقدون ذلك دائما ابدا جزاء وفاقا عكس ما لاهل الجنة من التنعيم والتلذيذ باعادة كلما قطعوا من فاكهتها واكلوا من طيرها لانهم يعتقدون الاعادة تنالوا اهل السعادة

ولما قدم ان لاهل الطاعة فاكهة وشرابا وكان ما وصف به ماوى العصاة لا يكون الا عذابا وكان معلوما بالحالة ان الحرارة تسيل من اهل النار عصارة من صديد وغيره قال هذا اى العذاب للطاغين فليذوقوه ثم فسره بقوله حميم اى ماء حار واشار بالعطف بالواو الى تمكنه فى كل من الوصفين فقال وغساق اى سيل منتن وهو فى قراءة الجمهور بالتخفيف اسم كالعذاب والنكال من غسقت عينه اى سالت وغسق الشىء اى امتلأ ومنه الغاسق للقمر لامتلائه وكماله وفى قراءة حمزة والكسائى وحفص بالتشديد صفة كالخبار والضراب تشرال ببعة امرء فى جميع ما استعمل فيه من السيلان والبرد والسواد ولما كان فى النار اجارنا الله منها بعفوه ورحمته ما لا يعد من انواع العقاب قال عاطفا على هذا وآخر اى من انواع المذوقات على قراءة البصريين بالجمع لاخرى ومذوق على قراءة غيرهما بالافراد وموحيية للجنس واخبر عن المبتدا بقوله من شكله اى شكل هذا المذوق

ولما كان المراد الكثرة فى المعذبين وهم الطاغون وفى عذابهم مع افترانه بالانواع وان اتحد فى جنس العذاب صرح بها فى قوله ازواج اى هم او هى او هو اى جنس عذابهم انواع كثيرة ولما كان مما افهمه الكتاب فى هذا الخطاب ان الطاغين الداخلين الى جهنم اصناف كثيرة وكانت العادة جارية بان الاصناف اذا اجتمعوا كانت بينهم محاورات ولا سيما ان كانوا من الطغاة العتاة تحرك السامع الى تعرف ذلك فقال تعالى مستانفا جوابه بما يدل على تنافرهم باقبح المقاولة وهو التخاصم الناشى عن التباغض والتدابر الذى من شانه ان يقع بين الذين دبروا امرا فعاد عليهم بالوبال فى ان كلا منهم يحيل ما وقع به العكس على صاحبه وذلك اشد لعذابهم هذا اى ما ذكر من المعنى الطغاة لما دخلوها اولا كما هم اهل له لانهم ضالون مضلون وراوا جمعا من الاتباع داخلا عليهم هذا فوج اى جماعة كثيفة مشاة مسرعون

ولما كانوا يدخلونها من شدة ما تدفعهم الزبانية على هيئة الواثب قال مشيرا بالتعبير بالوصف مفردا الى انهم فى الموافقة فيه والتساوق كانهم نفس واحدة مشاة مسرعون كما كانوا ايدخلونها مقتحم اى داخل بنفسه فى الشدة بشدة وعجلة بلا روية كائنا معكم ولما كان اهل النار يؤذى بعضهم على بعض بعضا بالتشهيق والزفير والزحام والدفاع والبكا والعويل وما يسيل من بعضهم على بعض من القيح والصديد وغير ذلك من انواع النكد ولا سيما ان كانوا اتباعا لهم فى الدنيا فصاروا مثلهم فى ذلك الدخول فى الدنية لا يتحاشون

عن دفاعهم وخصامهم وتراغمهم قالوا اشدينا قائلين لا مرحبا ثم بينوا المدعو عليه فقالوا بهم وهى كلمة واقعة فى ام مواقعها لانها دالة على التضجر والبغضة مع الصدق فى اصلها لو لهما الذى هو مضادة الضيق مفعل من الرحب مصدر ميمى وهو السعة اى لا كان لهم سعة اصلا ولا اتسعت بهم هذه الاماكن ولا هذه الازمان ولا حصلت لهم ولا بهم راحة ولذلك عللوا استحقاقهم لهذا الدعا بقولهم موكدين لما كان استقر فى نفوسهم وتطاول عليهم الزمان من انكارهم له انهم صالوا النار اى ومن صليها صادف من الضيق ما لم يصادفه احد وآذى كل من جاوره

ولما كان من المعلوم على ما جرت به العوايد انهم يتاثرون من هذا القول فيحصل التشوف الى ما يكون من امرهم هل يجيبونهم ام تمنعهم هيبتهم على ما كانوا فى الدنيا اعلم بما يعلم منه انقطاع الاسباب هنالك فلا يكون من احد منهم خوف من احد فقال مستانفا قالوا اى الاتباع المعبر عنهم بالفوج لشغولهم وبطونهم مرهم بل انتم اى خاصة ايها الرؤسا لا مرحبا وبينوا بقولهم بكم اى هذا الذى دعوتم به علينا انتم احق به منا ثم عللوا قولهم بما افهمهم انهم شاركوهم فى الضلال وزادوا عليهم بالاضلال فقالوا انتم اى خاصة قدمتموه اى الاقتحام فى العذاب بما الجاتمونا فيه من اسبابه وقدمتم فى دار الغرور من تزيينه لنا ولما كان الاقتحام هو الوثوب او الدخول على شىء بسرعة كانها الوثوب ينتهى منه الى الاستقرار وكان الفريقان قد استقروا فى مقاعدهم فى النار سببوا عن ذلك قولهم فبئس القرار اى قراركم

ولما كان قول الاتباع هذا مفهما لانهم علموا ان سبب ما وصلوا اليه من الشقا هو الرؤسا وكان هذا موجبا لنهاية غيظهم منهم تشوف السامع لما يكون من امرهم معهم هل يكتفون بما اجابوهم به او يكون منهم شىء اخر فاستانف قوله اعلاما بانهم لم يكتفوا بذلك وعلموا انهم لا يقدرون على الانتقام منهم قالوا اى الاتباع ربنا اى ايها المحسن الينا الذى نعرف هو لا عن الشكر له من قدم لنا هذا اى العذاب بما قدم لنا من الاسباب التى الجاتنا وقدموا ذلك اهتماما به واجابوا الشرط بقولهم فزده اى على العذاب الذى استحقه بما استحققنا به نحن وهو الضلال عذابا ضعفا اى زائدا على ذلك مثله مرة اخرى للاضلال وقيدوه طلبا لضخامته بقولهم معبرين بالظرف لافهام الضيق الذى تقدم الدعا المجاب به ليكون عذابا اخر فهو ابلغ مما فى الاعراف لان السياق هنا للطاغين وهناك لمطلق الكافرين فى النار اى كائنا فيها وهذا مثل الاية الاخرى ربنا آتهم ضعفين من العذاب اى مثل عذابنا مرتين ولما ذكر من اقتحامهم فى العذاب ونفاقهم ما دل على جزعهم وحسرتهم وجزنهم اعلم بما دل على زيادة حسراتهم وحسرتهم وهو انهم لم يعرفوهم نجاة المومنين الذين كانوا يهزؤون بهم ويذلونهم فقال وقالوا اى الفريقان الرؤسا والاتباع بعد ان قضوا وطرهم مما لم يغن عنهم شيئا من تخاصمهم ما اى اى شىء حصل لنا ما نعاين انا لا نرى اى فى هذا المحل الذى دخلناه رجالا يعنون فقرا المومنين كنا نعدهم فى دار الدنيا من الاشرار اى الاراذل الذين لا خير فيهم بانهم قد قطعوا الرحم وفرقوا بين العشيرة وافسدوا ذات البين وغيروا الدين بكونهم لا يزالون يجالفون الناس فى اقوالهم وافعالهم مع ما كانوا فيه من الضعف والذل والهوان وسوء الحال فى الدنيا ينظر اهلها النقص حظهم منها وكثرة مصائبهم فيها لسوء حالهم عند الله وما دروا انه تعالى يحمى احباءه منها كما يحمى الانسان عليله الطعام والشراب ومن يرد به خيرا يصب منه

ولما كانوا يسخرون من المومنين ويستهزؤون بهم وهم ليسوا موضعا لذلك بل حالهم فى جدهم وجدهم فى غاية البعد عن ذلك قالوا مستفهمين اما على قراءة الحرميين وابن عامر وعاصم تحقيقا واما على قراءة غيرهم فتقديرا اتخذناهم اى كلفنا انفسنا وعالجناها فى اخذهم سخريا اى نسخر منهم ونستهزئ بهم على قراءة الكسر ونسخرهم اى نستخدمهم على قراءة الضم وهم ليسوا اهلا لذلك بل كانوا خيارا منا فلم يدخلوا هنا لعدم شرارتهم وكانهم كانوا الى تجويز كونهم فى النار معهم ومنعهم من رؤيتهم مانع اميل فدلوا على ذلك بتانيث الفعل تاسيين حفائهم عنهم الى رخاوه فى ابصارهم على عوتها فى الحين فقالوا ام زاغت اى مالت متجاوزة عنهم الابصار ولما كان تعالى بعيد الخلق فى الغيبة على غاية الاحكام فى ابدانهم ومعانيها فتكون ابصارهم احد ما يمكن ان يكون وانفذ اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا فبصرك اليوم حديد عدوا ابصارهم فى الدنيا بالنسبة اليها عدما فلذلك عرفوا قولهم الابصار اى منا الابصار فى الحقيقة سواها فلم نرهم وهو فينا ومعنا فى النار ولكن حجبهم عنا بعض او دينها دحنا لها ولهيها قائم معادله لجملة التسخرية وقد علم بهذا التقدير ان معنى الاية آل الى انفصال حقيقى معناه اهم معنا ام لا فهى من الاحتباك ذكر اثبت الاتخاذ المذكور الذى يلزمه بحكم العناد بين الجملتين عدم كون المستسخر بهم معهم فى النار اولا دليلا على حذفه ثانيا وهو كونهم معهم فيها واثبت زيغ الابصار ثانيا اللازم منه بمثل ذلك كونهم معهم فى النار دليلا على حذفه اولا وهو كونهم لسوء اعمهم وستر ذلك ان الموضع للتحسر بهم ولومهم لانفسهم فى غلطهم والذى ذكر عنهم اقعد فى ذلك

ولما كان هذا امرا زاجرا لمن له عقل لتاملة بمجرد النفس من الهوى وكانت الحظوظ تمنعهم من التصديق به كان موضعا لتاكيد الخبر عنه فقال ان ذلك اى الامر العظيم الذى تقدم الاخبار به لحق اى ثابت لا بد من وقوعه اذا وقع مضمونه وافى لو واقع منه هذا الاخبار عنه ولما كان اشق ما فيه عليهم والكائن خاصمهم جلاه هو المخبر به عنه وحل فقال مبينا له بجرا عن مبتدا استينافا فالتقدير

ك

متوخاصم اهل النار لانه ما اثارة لهم الا الشر والنكد فسمي تخاصما ولما كانت قد جرت عادتهم عند التخويف ان يقولوا
عجل لنا هذا ان كنت صادقا فيما ادعيت ومن المقطوع به انه لايقدر على ذلك الا الاله فصار واكانهم نسبوه الى انه ادعى الالهية
قال تعالى منبها على ذلك امرا له بالجواب قل اى لمن يقول لك ذلك انما انا منذر اى مخوف لمن عصى ولم ادع اى اله ليطلب منى ذلك د
فانه لايقدر على مثله الا الاله فهو قصر قلب للموصوف على الصفة وافرد قاصرا للصفة فى قوله وما واعرق فى النفى بقوله من اله
اى معبود بحق لكونه محيطا بصفات الكمال ولما كان السياق للتوحيد الذى هو اصل الدين لفت القول عن مظهر العظمة
الى اعظم منه وابين فقال الا الله وللاحاطة عبر بالاسم العلم الجامع لجميع الاسماء الحسنى ولو شاركه شى لم يكن محيطا وللتفرد
قال مبرهنا على ذلك الواحد اى بكل اعتبار فلا يمكن ان يكون له جزء او يكون له شبيه فيكون محتاجا مكافئا القهار اى الذى
يقهر غيره على مايريد وهذا برهان على انه لا اله الا وحده وان الهتهم بعيدة عن استحقاق الالهية لتعددها وتكافوها بالمشابهة
واحتياجها ولما وصف نفسه سبحانه بذلك دل عليه بقوله رب السموات اى مبدعهما وحافظهما على علوها وسعتها
واحكامها بما لهما من الزينة والمنافع وجمع لان المقام للقدرة واقامة الدليل على تعددها بما تشكل والارض على سعتها وضخامتها
وكثافتها وما فيها من العجايب ولما كان القايل محيرا كما قال ابن مالك فى الكافية الشافية عند اختلاط العقلا بغيرهم
فى اطلاق ما شامن من التى اغلب اطلاقها على العقلا وما التى هى بعكس ذلك وكان ربما وقع فى وهم ان تمكنه تعالى من العقلا دون
تمكنه من غيرهم لما لهم من الحيل التى يحترزون بها عن المحذور وينظرون بها فى عواقب الامور اشار الى ان حكمه فيهم كحكمه فى
غيرهم من غير فرق ما التعبير عنهم بما التى اصلها واغلب استعمالها لمن لا يعقل وسياق العظمة بالوحدانية واثارها دال
على دخولهم فى العبارة قطعا فقال وما بينهما اى الخافقين من الفضا والهوى وغيرهما من العناصر وغيرها رب كل شى من ذلك
ايجادا وابقاء على مايريد وان كره ذلك المربوب فدل ذلك على قهره وتفرده فى جميع امره ولما كان السياق للانذار
بما يدل على القهر فقال العزيز اى الذى يعز الوصول اليه ويغلب كل شئ ولا يغلبه شئ ولما ثبت انه يغلب كل شئ
ولا يغلبه شئ وكانت دلالة الوصفين العظيمين على الوعيد اظهر من اشعارها بالوعد كان موضع قولهم فما له لا يعجل بالهلاك
لمن خالفه فقال الغفار اى المكرر ستره لما يشاء من الذنوب حلما الى وقت الماحى لها بالكلية بالنسبة الى من يشاء من العباد
كما فعل مع اكثر الصحابة رضى الله عنهم حيث غفر لهم ما اقترفوه قبل الاسلام ولما ثبت بهذا وحدانيته وقدرته
ولم يزعهم ذلك عن ضلالهم ولا ردهم عن عتوهم ومحالهم مع كونه موجبا لان يقبل كل احد عليه ولا يعدل ابدا عنه د
قال امرا له بان ينبههم على عظيم خطائهم قل هو اى هذا الامر الذى تلوته عليكم من الاخبار عن الماضى والاتى من القيمة
المشتملة على التخاصم المذكور وغيرها والاحكام والمواعظ فثبت بمضمونه الوحدانية وتحقق باعجازه مع ثبوت الوحدانية
وتمام القدرة وجميع صفات الكمال انه كلام الله نبأ عظيم اى خبر يفوت الوصف فى الجلال والعظم بدلالة العبارة والصفة
لا يعرض عن مثله الا غافل لا وعى له ولا شى من الراى ولما كانوا يدعون انهم اعظم الناس اقبالا على الغرايب وتنقيبا عن الرقايق
والجلايل من المناقب بكتهم بقوله واصفا له انتم عنه اى خاصة لا عن غيره والحال ان غيره من المهملات ولما كان اكثرهم
متهيئا للاسلام والرجوع عن الكفران لم يقل مدبرون ولا تعرضون بل قال معرضون اى ثابت لكم الاعراض فى هذا الحين
وقد كان ينبغى لكم الاقبال عليه خاصة والاعراض عن كل ما عداه لان فى ذلك السعادة الكاملة ولو اقبلتم عليه بالتدبر
لعلمتم قطعا صدقى وانى ما اريد بكم الا السعادة فى الدنيا والاخرة فبادرتم الاقبال الى والقبول لما اقول ولما
قصر نفسه الشريفة على الانذار وكانوا ابدا يزعمون فيه وينسبونه الى الكذب دل على صدقه وعلى عظم هذا النبا بقوله
ما كان لى واعرق فى النفى بالتاكيد فى قوله من علم اى من جهة احد من الناس كما تعرفون ذلك من حالى له احاطة ما بالملأ
اى الغرفوا المتصف بالشرف الاعلى وهم الملايكة اهل السموات العلى وادم وابليس وكان مخاطبة الله لهم كانت بواسطة
ملك كما هو اللايق بالكبريا والجلال فصح ان المقاولة بين الملا اذ اى حين ولما افرد وصف الملا ايذانا بانهم
فى الاتفاق فى علو رتبة الطاعة كانهم شى واحد جمع لئلا يظن حقيقة الوحدة فقال يختصمون اى فى شان ادم عليه السلام
اول خليفة فى الارض بل الخليفة المطلق لان خلافة اولاده من خلافته وفى الكفارات الواقعة من بنيه كما انه ما كان لى من علم
باهل النار اذ يختصمون ولا بالخصم الذين دخلوا على داود عليه السلام الذى جعله الله تعالى خليفة فى الارض اذ يختصمون د
وقد علمت ذلك علما مطابقا للحق بشهادة الكتب القديمة وانتم تعلمون انى لم اخالط عالما قط فهذا علم من اعلام النبوة
واضح فى انى لم اعلم ذلك الا بالوحى لكونى رسول الله وعبر هنا بالمضارع وان كان قد وقع ومضى من اول الدهر تذكيرا بتلك الحال
واعلاما بما هم فيه الان من مثله فى الدرجات كما سياتى قريبا فى الحديث القدسى وعبر فى تخاصم اهل النار وهو لم يات بالماضى
تنبيها على ان وقوعه مما لا ريب فيه فكانه وقع وفرغ منه لانه قد فرغ من قضايه من لا راد له فقضاه لانه الواحد فلا شريك له
ولا منازع ولما كانوا ربما قالوا فى تعنتهم فلعله مثل ما اوحى اليك بعلم ما لم تكن تعلم يوحى اليك بالقدرة على

مالم يكن يقدر عليه تعجيل لنا الموت ثم البعث لنرى ما اخبرتنا به من التخاصم مصورا لعلنا نصدقك فيما اتيت به قال مجيبا
لهم قاصرا للوحى على قصره على النذارة وهى ابلاغ ما انزل اليه لا بتعجيل شئ مما توعدوا به ان اى ما يوحى اى فى وقت من الاوقات
وبناه للمفعول لان ذلك كافيا فى تنبيههم على موضع الاشارة فى ان دعواه انما هى للنبوة لا الالهية الى الا
كان الوحى قولا قرا ابو جعفر بكسر انما انا نذير اى قصرى على النذارة لا اى اجز ما يتوعد به الله فانما مفعول يوحى لقيام مقام
الفاعل فى القرائتين وان اختلف التوجيهان فالتقدير على قراءة الجماعة بالفتح الا الانذار او الا كونى نذيرا وعلى قراءة الكسر الا
هذا القول وهو انى قول لكم كذا مبين اى لا ادع لبسا فيما ابلغه بوجه من الوجوه ولما دل على انه نذير وازال ما
ربما اوردوه عليه اتبعه طرف اختصام الملا الاعلى وابدل اذ الاولى فقال اذ اى حين قال ودل على ان هذا كله احسان
اليه وانعام عليه بذكر الوصف الدال على ذلك ولفت القول عن التكلم الى الخطاب لانه انعم فى المدح وادل على انه كلام
الله كما فى قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل ولئلا يوهم انه طرف للوحى او للنذير فقال ربك اى المحسن اليك بجعلك خير
المخلوقين واكرمهم عليه فانه اعطاك الكوثر وكلما يمكن ان تحتاج اليه للملايكة وهم الملا الاعلى وابليس منهم لانه كان
اذ ذاك معهم وفى عدادهم ولما كانوا عالمين بما دلهم عليه دليل من الله كما تقدم فى سورة البقرة ان البشر يقع منهم
الفساد فكانوا يبعدون ان يخلق سبحانه من فيه فساد لانه الحكيم الذى لا حكيم سواه اكد لهم سبحانه قوله انى خالق بشرا
اى شخصا ظاهر البشرة لا ساتر له من ريش ولا شعر ولا غيرهما ليكون التاكيد دليلا على ما مضى من مراجعتهم لله تعالى التى هى
اشار اليها بالاختصام وبين اصله بقوله معلقا بخالق او بوصف بشر من طين اجعله خليفتى فى الارض وان كان فى
ذلك الفساد لانى اريد ان اظهر حلمى ورحمتى وعفوى وغير ذلك من صفاتى التى لا يحسن فى الحكمة اظهارها الا مع الذنوب
لو لم تذنبوا لتستغفروا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم قال القشيرى واخباره للملايكة بذلك يدل
على تفخيم شان ادم عليه السلام لانه خلق ما خلق من الكونين والجنة والنار والعرش والكرسى والملايكة ولم يقل فى صفة
شئ منها ما قال فى صفة ادم عليه السلام واولاده ولم يامر بالسجود لشئ غيره ولما اخبرهم سبحانه بما يريد ان يفعل
سبب عنه قوله فاذا سويته اى هيأته باتمام خلقه لما يراد منه من قبول الروح وما يترتب عليه ونفخت فيه من روحى هـ
فصار حساسا متنفسا نسبه سبحانه افاضته الروح بما يتاثر عن نفخ الانسان من لهب النيران وغير ذلك من التحريك والا
والزيادة والنقصان واضافه سبحانه اليه تشريفا له فقعوا له اى خاصة ساجدين اى اسجدوا له للتكرمة امتثالا
لامرى تجودا نهاية ما يكون من الطواعية والاختيار والمحبة لتكونوا كانكم وقعتم بغير اختيار ففعلوا ما امرهم به سبحانه
من غير توقف ولذلك ذكر فعلهم مع جواز تانيثه فقال فسجد اى عند ما نفخ فيه الروح الملايكة على ما امرهم الله ولما
كان اسناد الخبر الى الجمع قد يراد به اكثرهم اكد بقوله كلهم ارادة لرفع المجاز ولما كان لا يقدح فى ذلك واحد
مثلا او قليل لا يعبأ بهم لضعف او نحوه رفع ذلك بقوله اجمعون مع افادة ان السجود كان فى ان واحد اعلاما بشدة انقيادهم
وحسن تاهبهم للطاعة واستعدادهم ثم زاد فى ايضاح العموم بالاستثنا انه لم يسجد الذى هو معياره فقال الا ابليس
عبر عنه بهذا الاسم لكونه من الابلاس وهو انقطاع الرجا اشارة الى انه فى اول خطاب الله له بالانكار عليه كان على كيفية علم
منها انه ابدا الغضب عليه وتحتم العقوبة له ولما عرف بالاستثنا انه لم يسجد وكان مبنى السورة على استكبار
الكفرة بكونهم فى عزة وشقاق بين ان المانع له من السجود الكبر تنفيرا عنه مقتصرا فى شرح الخصام عليه وعلى ما يتصل به
فقال استكبر اى طلب ان يكون اكبر من ان يومر بالسجود له واوجد الكبر على ما امر الله وكان من المستكبرين العريقين فى هذا الوصف
كما استكبر بهما الكفرة على رسولنا صلى الله عليه وسلم كما رفعنا ادم وشفينا عليه السلام على من استكبر عن السجود له
ونجعله خليفة هذا الوجود كما جعلنا ادم عليه السلام واشرنا الى ذلك فى هذه السورة باقترانهما بخليفة والخبا
بخليفة امر صلى الله عليه وسلم بذكر كل من احوالهما ولما كان الفعل الماضى ربما اوهم انه حدث فيه وصف لم يكن
وكان التقدير فكفر بذلك عطف عليه بيانا لانه جبل على الكفر ولم يحدث منه الا ظهور ذلك للخلق قوله وكان
اى جبلة وطبعا من الكافرين اى عريقا فى وصف الكفر الذى منشوه الكبر على الحق المستلزم للذل للباطل فالاية
من الاحتباك ذكر فعل الاستكبار اولا دليلا على فعل الكفر ثانيا ووصف الكفر ثانيا دليلا على وصف الاستكبار اولا هـ
وسر ذلك ان ما ذكره افعد فى التحذير بان من وقع منه كبر جره الى الكفر ولما كان من خالف امر الملك جديرا
بان يحدث اليه امر ينتقم به منه تشوف السامع لما كان من الملك اليه استانف البيان لذلك بقوله قال
وبين انه بمحل البعد بقوله يا وبين ياسه من الرحمة وانه لا جواب له اصلا بتعبيره بقوله ابليس ما اى اى شئ منعك د
ان تسجد وبين ما يوجب طاعته ولو امر بتعظيم ما لا يعقل بقوله معبرا باداة ما لا يعقل لما خلقت فانا العالم به
وبما يستحقه دون غيرى وما امرنا بالسجود له الا لحكمة فى الامر وابتلا للغير واكد بيان ذلك بذكر اليد وتثنيتها

سكان

فقال بيدي اي من غير توسط سبب من هذا النوع وما ذاك الا لمزيد اختصاص والمراد باليد هنا صفة شريفة غير
النعمة والقدرة معلومة له سبحانه ولمن تبحر في علمي اللغة والسنة خص بها خلق ادم عليه السلام تشريفا له وفي تثنية
اليد اشارة الى انه ربما اظهر فيه معاني الشمال وان كان كل من يديه مباركا ثم قسم المانع الى طلب العلو ووجود العلو
مع الانكار عليه في الاسناد الى شي منهما فقال في صيغة استفهام التقرير مع الانكار والتقريع بيانا لانه يلزمه لا محالة
زيادة على ما كفر به ان يكون على احد هذين الامرين استكبرت اي طلبت ان تكون اعلى منه وانت تعلم انك دونه فانت بذلك ظالم
تكن من المتكبرين العريقين في وصف الظلم فان من اجترا على ادناه اوشك ان يصل الى اعلاه ام كنت اي بما لك من الجبلة الراسخة
من العالين اي الكبرا المستحقين للكبر وانا لا اعلم ذلك متفضلا من من لنك فكنت جايرا في امري لك بما امرتك به فلذلك
علوت بنفسك فلم تسجد له والاية من الاحتباك دل فعل الاستكبار اولا على فعل العلو ثانيا ووصف العلو ثانيا على وصف
الاستكبار اولا وسر ذلك ان انكار الفعل المطلق مستلزم لانكار المقيد لانه المطلق بزيادة وانكار الوصف مستلزم
لانكار الفعل لانه جزؤه مع ان انكار الفعل من هذا يستلزم لانكار الفعل من ذاك فيكون كل من الفعلين مدلولا على انكاره
مرتين تارة بانكار فعل عديله واخرى بانكار وصفه نفسه والوصفان كذلك ويفعل الكبر احد ربالانكار من فعل العلو وام
معادلة لهمزة الاستفهام وان حذفت في قراءة بعضهم لدلالة ام عليها وان اختلف الفعل قال ابو حيان قال سيبويه تقول
اضربت زيدا ام قتلته فالبدء هنا بالفعل احسن لانك انما تسئل عن احدهما لا تدري ايهما كان ولا تسئل عن موضع احدهما
كانك قلت اي ذلك كان انتهى ولما صدعه سبحانه بهذا الانكار دل على ابلاسه بقوله مستانفا قال
مدعيا لانه من العالين انا خير منه اي فلا حكمة في امري بالسجود له ثم بين ما ادعاه بقوله خلقتني من نار اي وهي في غاية
القوة والاشراق وخلقته من طين اي وهو في غاية الكدورة والضعف واستونف بيان ما حصل التشوف اليه من علم
جوابه بقوله معرضا عن القدح في جوابه لظهور سقوطه بان المخلوق المربوب لا اعتراض له على ربه بوجه قال فاخرج اي بسبب
تكبرك وتسبيبك الحكيم الذي لا اعتراض عليه الى الجور منها اي من الجنة محل الطهر عن الادواء الظاهرة والباطنة ثم علل
ذلك بقوله مؤكدا لاجل ادعاه انه اهل لاقرب القرب فانك رجيم اي مستحق للطرد والرجم الذي هو للمبالغة في الطرد
ولما كان الطرد قد يكون في وقت يسير بين انه دايم بقوله مؤكدا اشارة الى الاعلام بما في نفسه من مزيد الكبر
وان عليك اي خاصة ولما كان السياق هنا للمتكلم في غير مظهر العظمة لوريات بلام الكمال بخلاف الحجر فقال لعنتي
اي ابعادي مع الطرد والخزي والهوان والذل مستعلية لك عليك دايما قاهرا لك لا تقدر على الانفكاك عنه بوجه واما غيرك
فلا يتعين للعن بل يكون بين الرجا والخوف لا علم للخلايق بانه مقطوع بلعنه ما دام حيا الا من اخبر عنه نبي من الانبيا بذلك ثم
غيا هذا اللعن بقوله الى يوم الدين اي فاذا جاء ذلك اليوم اخذ في المجازاة لكل عامل بما عمل ولم يبق مطمع في وقت يتدارك
فيه ما فاته وحينيذ يعلم اهل الاستحقاق للعن كلهم ولا يبقى علم ذلك خاصا بابليس بل يقع العلم بجميع اهل اللعنة فالغاية
لعلم الاختصاص باللعن لا للعن ولما كان ذلك تشوف السامع الى ما كان منه فاخبر سبحانه به في سياق معلم انه
منعه التوفيق فلم يسل التخفيف ولا عطف نحو التوبة بل ادركه الخذلان بالتمادي في الطغيان فطلب ما يزداد به لعنه
من الاضلال والاغراق في الضلال ضد ما انعم به على ادم عليه السلام فقال ذاكرا صفة الاحسان والتسبيب لسوال الانظار
لما جراه عليهما من ظاهر العبارة في ان اللعنة مغياة بيوم الدين قال رب ايها المحسن الي بايجادي وجعلي في عداد الملايكة
الكرام فانظرني اي بسبب ما عذبتني به من الطرد الى يوم يبعثون اي ادم وذريته الذين تعتهم ببعث جميع الخلايق
قال مؤكدا لان سؤاله كذلك في حرفه للعادة لا يكاد يتصور فانك اي بسبب هذا السوال من المنظرين وهذا يدل على ان مثل
هذا الانظار لغيره ايضا ولما دح في عبارته بما يقتضي السوال في ان لا يموت فان يوم البعث ظرف لقبض الحياة لا لقبضها
ولبسطها لا لقبضها منعه ذلك بقوله الى يوم ولما كانت الايام الكبار المعلومة ثلاثة يوم الموت ويوم
البعث ويوم الاستقرار بالفصل في كل من الدارين وكان الوقت ادل على الاجل عبر به واضاف اليوم الذي يراد به
زمن يتم فيه امر ظاهرا اليه فقال الوقت ولما كان تدبيجه في السوال فهم تجاهله بما هو من اعلم الخلق به من تحتم
الموت لكل من لم يكن في دار الخلد الذي ابلغ الله تعالى في الاعلام به قال المعلوم وهو الصعقة الاولى وما يتبعها هو
ولما كانت هذه الاجابة سببا لان يخضع ويثيب شكرا عليها وان يطغى ويتمرد ويخبث لانها تسليط وتمكين للشر
فاستشرف السامع الى معرفة ما يكون من هذين المسببين عرف انه منعه الخذلان من اختيار الاحسان بقوله قال فبعزتك
اي التي ابت ان يكون لغيرك فعل لا بغير ذلك ويجوز ان تكون الباء للقسم لاغوينهم اي ذرية ادم اجمعين قال القشيري ولو
عرف عزته لما اقسم بها على مخالفته ولما كان عالما بان القادر ما خلق ادم عليه السلام وشرفه بما شرفه به
ليشقى ذريته كلهم قال الا عبادك فاضافهم اليه سبحانه تنبيها على ان غيرهم قد استحوذ من الشرف بعبوديته بالنسبة

الى من الطاعة ولما كان يمكن ان يكون المستثنى من غير البشر قيد بقوله منهم المخلصين اي الذين اخلصهم الله لطاعته
فاخلصوا قصدهم لها وعرف من الاستثنا انهم قليل وان الغواة هم الاكثر ولما حصل التشوف الى جوابه ذلك
عليه بقوله قال فالحق اي فبسبب اغوايك وغوايتهم اقول الحق والحق اي لا غيره اقول اي لا اقول الا الحق فان كل شي قلته
ثبت فلم يقدر احد على نقضه ولا نقصه ولما كانت اجابته بالانظار ربما كانت سببا لطمعه في الخلاص قطع رجاه
بما ابرزه في اسلوب التاكيد من قوله جوابا لقسم مقدر وبيانا للحق وفي قراءة عاصم وحمزة برفع فالحق يكون هو المقسم به
اي فالحق قسمي والجواب لاملان وما بينهما اعتراض مبين ان هذا مما لا يتخلف اصلا جهنم اي النار العظيمة التي من شانها
تجهم من حلها بدخوله اياها منك اي نفسك وكل من كان على شاكلتك من جنسك من جميع الجن وممن ولما كان الاغلب
على سياقات هذه السورة سلامة العاقبة كان توحيد الضمير في تبع اولى وليفهم الحكم على كل فرد ثم الحكم على المجموع فقال
تبعك ولما كان ربما قال متعنت ان المال لجهنم من غير البشر قال منهم اي الناس الذي طلبت الاهمال لاجلهم واكد
ضمير منك والموصول في من بقوله اجمعين لا تفاوت في ذلك بين احد منكم وهذا الخصام الذي بين سبحانه انه كان بين الملا
الاعلى كان سببا لهم الى انكشاف علوم كثيرة منها ان السجود والتحايا والاستغفار والكفارات سبب الوصول الى الله هم
والقربات فصاروا بعد ذلك يختصمون فيها فكانت هذه القضية سببا لاطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على اسرار الملك
والملكوت والى ذلك الاشارة بالحديث الذي رواه احمد والترمذي وقال حسن غريب والدارمي والبغوي في تفسيره
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني نعست فاستثقلت نوما فاتاني ربي وفي رواية ربي
في احسن صورة فقال لي يا محمد قلت لبيك رب وسعديك قال هل تدري فيم يختصم الملا الاعلى قلت لا يا رب وفي رواية
قلت انت اعلم اي رب مرتين قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض وفي
رواية ما بين المشرق والمغرب وفي رواية الدارمي والبغوي ثم تلا هذه الاية وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الاعلى قلت نعم في الدرجات والكفارات قال وما هن قلت المكث
في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في المكاره وفي رواية في السبرات وانتظار
الصلاة بعد الصلاة قال من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد قلت لبيك
وسعديك قال اذا صليت فقل اللهم اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني
واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات افشا السلام واطعام الطعام والصلاة
بالليل والناس نيام قال المنذري الملا الاعلى الملايكة المقربون والسبرات بفتح السين المهملة وسكون البا الموحدة
جمع سبرة وهي شدة البرد وعزاه شيخنا في تخريج احاديث الفردوس الى احمد والترمذي عن معاذ ايضا رضي الله عنه
وقال وفي الباب عن ثوبان رضي الله عنه عند احمد بن منيع وعن ابي هريرة وابي سعيد وابن رافع وابي امامة وابي عبيدة
واسامة وجابر بن سمرة وجبير بن مطعم واسامة بن عمير وانس رضي الله عنهم عند احمد فهذا اختصام سبب العلم بتفاصيله
الاختصام الاول وهو ما في شان ادم عليه السلام وذريته والعلم الموهوب لمحمد صلى الله عليه وسلم بسبب السوال
عن هذا الاختصام كالعلم الموهوب لادم عليه السلام بسبب ذاك الاختصام وهذا الاختصام والله اعلم هو الخلاف
في مقادير جزاء العاملين من الثواب المشار اليه بالدرجات الحامل عليها العقل الداعي الى احسن تقويم والعقاب المشار اليه
بالكفارات الداعي الى اسبابها الوساوس الشيطانية الرادة الى اسفل سافلين التي سال ابليس الانظار لاجلها ثم هم
وسبب اختلافهم في مقادير الجزا اختلاف مقادير الاعمال الباطنة من صحة النيات وقوة العزايم وشدة المجاهدات ولينها
على حسب دواعي الحظوظ والشهوات التي كان سبب علمهم بها الاختصام في امر ادم عليه السلام وما نشا عنه من
تفضيله بامور دقيقة الماخذ المطهر لان التفضيل ليس بالامور الظاهرة وانما هو بما يهبه الله من الامور الباطنة
وسمي تقاولهم في ذلك اختصاما دلالة على عظمة ما تقاولوا فيه لان الخصومة لا تكون الا بسبب امر نفيس فالمعنى ان
الملايكة كل واحد منهم مشغول بما اقيم فيه من الخدمة فليس بينهم تقاول يكون بغاية الجد والرغبة كما هو شان الخصام
الا في هذا الشان تعجبهم منه لما يعلمون من صعوبة هذه الامور على الادمي لما عنده من الشواغل والصوارف عنها بما وهبهم
الله من العلم جزاء الانقياد لهم للطاعة بالسجود بعد ذلك الخصام فنزوع الادمي عن صوارفه وحظوظه الى ما للملايكة من
الصفوف في الطاعة والاعراض عن الاغراض المعصية غاية في العجب وعلمه صلى الله عليه وسلم لما في السموات وما في الارض علم
عام لما كان في حين الرويا ظهر له به ملكوتهما ونسبة ذلك كله الى علم الله تعالى كالنسبة التي ذكرها الخضر
لموسى عليهما السلام في نقرة العصفور من البحر والذي ذكره العلما في ذلك انه تقريب للافهام فانه لا نسبة في الحقيقة
لعلم احد من علمه تعالى ولا ينقص علمه اصلا سبحانه عما يلم بنقص او يدني الى وهن قل لو كان البحر مدادا الاية ولو

ان ما في الارض من شجرة الاية يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا سبحانك لا علم لنا ويقال للنبي صلى الله عليه وسلم
في باب الخلجوا دونه عن حوضه انك لا تدري ما احدثوا بعدك فيقول سحقا سحقا ولما ثم ما اراد من الدليل
على ان ما ذكر لهم نبأ عظيم هم عنه معرضون بما اخبره من الغيب مع ما له من الاعجاز فثبت بذلك بما اقتضى انه صادق في
نسبته الى الله تعالى وختم بالتحذير من اتباع ابليس امره بالبراءة من طريقه وان ينفي عن نفسه ما قد يحمل على التقول بقوله
قل اي لامتك ما اسألكم وعلق به لاباجر قوله عليه اي سؤال الا مستعليا على التبليغ والانذار بما انتم متعرضون له من الهلاك
بالاعراض فاداة الاستعلا للاحتراز عن سؤال المودة في القربى وحسن الاتباع فانهما مسولان وهما روح الدين ولكن
سؤالهما ليس مستعليا على الابلاغ بحيث انهما لو انتفيا انتفى واعرق في النفي بقوله من اجر اي فيكون لكم في الرد شبهة وما انا
من المتكلفين اي المتحلين بما ليسوا من اهله من قول ولا فعل الذين يكلفون انفسهم تزويرا الكلام والتصنع فيه وترتيبه
على طريق من الطرق بنظم او نثر سجع او خطب او غير ذلك او وضع انفسهم في غير مواضعها كما فعل ابليس لست منهم بسبيل
ولا عد في عدادهم بوجه لا افعل افعالهم ولا احبهم ولا انتصب لهم فهو ابلغ من وما انا متكلفا فقد عرفتمونى طول عمري كذلك
ومن المعلوم ان ذلك لو كان في غريزتي لما كففت عنه طول زماني لليوم من الصبى والشباب اللذين توجد فيهما الغرائز ولا
توجد بعدهما فاذا ثبت ان ذلك لم يكن لي اذ ذاك ثبت انه متعذر بعده لما تقرر من انه لا توجد غريزة بعد الوقوف عن
النمو في سن الثلاث والاربعين فاذا علم اي لست كذلك علم اي ما مورا بما اتاني به من القول والفعل فانا من المكلفين لا المتكلفين
فكل من قال او فعل ما لم يؤمر به فهو متكلف وروى الثعلبي بسنده من حديث سلمة بن نفيل رضي الله عنه مرفوعا والبيهقي
في الشعب من قول علي بن ارطاه وابو نعيم في الحلية من قول وهب علامة المتكلف ثلاث ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال
ويقول ما لا يعلم ولما اثبت المقتضيات لانه من عند الله وازال الموانع بين حقيقته التي لا يبعد اهل الى ما
نسبوه اليه بقوله ان اي ما هو الا ذكر اي عظة وشرف للعالمين اي كلهم يفهم كل فرد منهم ما تحمله قواه منه ذكرا
كان او غبيا على ما هو عليه من العلو الذي لا يدانيه فيه كلام بخلاف الشعر والكهانة التي يحيطها السجع والكذب في الاخبار
ببعض المغيبات فانهما مع سفول رتبتهما لا يفهمهما من العالمين الا الاذال والذال ولما كان التقدير انا عالم بذلك
عطف عليه قوله جوابا لقسم ولتعلمن اي انتم ايضا نباه اي صدقي في جميع ما انباتكم به فيه وعنكم من الاخبار العظيمة
وفيما اشار اليه افتتاح هؤلاء الانبيا المذكورين في هذه السورة بخليفة وختامهم بخليفة من ان عزتكم تصير الى ذل
وشقاقكم يصير الى مسالمة والفة وكثرتكم تصير الى قلة وان ما انا فيه الان يفضي بي الى خلافة الله في ارضه وان اوسط
امري يصير الى مثل خلافة الاول في جميع جزيرة العرب التي هي ارض المسجد الاعظم الذي هو قبل المسجد الاقصى الذي هو
محل خلافته ثم يدوم امر خلافتي في ساير البلاد ولا يزال حتى يعم الارض طولها والعرض على يد ابنه عيسى عليه السلام خاتمه
اكابر اتباعي وانصاري واشياعي وترك الجار اعلاما بان يشغلوا العلم لزمان البعد فقال بعد حين اي مبهم عندكم معلوم لي
في الدنيا اذا ظهر عبادي عليكم وفي الاخرة مطلقا وانما اخروا الى هذا الحين ليبلغ في الاعذار اليهم فتنقطع حججهم وتتناهى
ذنوبهم التي يستحقون الاخذ بها ولقد والله علموا ذلك ثم ندموا من مات منهم ومن عاش قبل مضي عشرين سنة من اعلا كلمته
واظهار رسالته واتمام دينه واستمر العلم لهم ولمن بعدهم بما ثبت فيه من العلوم وجمع فيه من شريف الرسوم واظهر
مما تقدم من الوعد به فيه الى هذا الزمان والى ان يفنى كل فان ثم يبعثوا الى الجنان او النيران فقد انتبت هذه الاية من كون
القران ذكرا ما اثبتته اول اية فيها على اتم وجه مع زيادة الوعيد فانعطف الاخر على الاول واتصل به احسن اتصال واجمل
ونظر الى اول الزمر اعظم نظر واكمل فلله در هذا الانتظام فهو لعمري اضوء من شمس الضحى واتم من بدر التمام فسبحان
من انزله واحكمه وفصله

سورة الزمر وتسمى تنزيل

مقصودها الدلالة على انه سبحانه صادق الوعد
وانه غالب لكل شيء فلا يعجل لانه لا يفوته شيء ويضع الاشيا في احق محالها يعرف ذلك اولوا الالباب المميزين بين القشر واللباب
وعلى ذلك دلت تسميتها بالزمر لانها اشارة الى انه انزل كلا من المحشورين دارة المعدة له بعد الاعذار في الانذار والحكم
بينهم بما استحقته اعمالهم عدلا منه سبحانه في اهل النار وفضلا على المتقين الابرار وكذا تسميتها تنزيل لمن تامل ايتها
وحقق عبارتها واشارتها وكذا الغرف لانها اشارة الى حكمه سبحانه في الفريقين اهل الظلل النارية والغرف النورية
تسمية للشيء باشرف جزئيه فالقول فيها كالقول في الزمر سواء ويزيد اهل الغرف ختام ايتهم وعد الله لا يخلف الله الميعاد
بسم الله الذي تمت كلمته فعز امره الرحمن الذي وضع رحمته العامة احكم وضع فرق لدى الافهام سره الرحيم الذي
خص اولياءه بالتوفيق لطاعته فعمهم بره لما تبين من التنبيه في صدر الاية سبحانه قادر على ما يريد ثم ختمها بان القران ذكر للعالمين
وان كل ما فيه لا بد ان يرى لانه واقع لا محالة لكن من غير عجلة فكانوا ربما قالوا ما منعه منهم ما له اذا كان قادرا لا يعجل ما يريد بعد حين
علل ذلك بانه تنزيل اي بحسب التدريج لموافقة المصالح في اوقاتها وتقريبه للافهام على ما له من العلو حتى صار ذكرا للعالمين

ووضع موضع الضمير قوله الكتاب للدلالة على جمعه لكل صلاح اي للابدان بري جميع ما فيه لان الشان العظيم انزاله على سبيل النجيم
التقريب في فهمه واتباع كل شيء منه في احسن اوقاته من غير عجلة ولا توان ثم اخبر عن هذا التنزيل بقوله من الله اي المتصف بجميع
صفات الكمال العزيز فلا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء الحكيم الذي يضع الاشيا في محالها التي هي وفق لها فلكونه منه لا من غيره
كان ذكرا للعالمين صادقا في كل ما يخبر به حكيما في جميع اموره وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما بنيت سورة ص على ذكر
المشركين وعنادهم وسوء ارتكابهم واتخاذهم الانداد والشركا ناسب ذلك ما افتتحت به سورة الزمر من الامر بالاخلاص
الذي هو نقيض حال من تقدم وذكر ما عنه يكون وهو الكتاب فقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص وجاء قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الاية في معرض
ان لو قيل عليك بالاخلاص ودع من اشرك ولم يخلص فستري حاله وهل ينفعهم اعتذارهم بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وهؤلاء الذين بنيت سورة ص على ذكرهم ثم وبخهم الله تعالى وقرعهم فقال لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى
الاية ثم نزه نفسه عن عظيم مرتكبهم بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار ثم ذكر بما فيه اعظم شاهد من خلق السموات
والارض وتكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل وذكر ابتلاء النهار والليل ثم خلق الكل من البشر من نفس واحدة
وهي نفس ادم عليه السلام ولما حرك تعالى الى الاعتبار بعظيم هذه الايات وكانت اوضح شيء واداله شاهد
عقب ذلك بما يشير الى معنى التعجب من توقفهم بعد وضوح الدلايل ثم بين تعالى انه غني عن الكل بقوله ان تكفروا فان
الله غني عنكم شرفا ولا يرضى لعباده الكفر فبين ان من اصطفاه وقربه واجتباه من العباد لا يرضى بالكفر وحصل من ذلك
مفهوم الكلام ان الواقع من الكفر انما وقع بارادته وبرضاه لمن ابتلاه به ثم ان من امن ولم يتبع سبيل الله وقبيلته
من المشار اليهم في السورة قبل فقال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ان احسنتم احسنتم لانفسكم ولا تكسب كل
نفس الا عليها ثم تناسجت الاي والتحمت الجمل الى خاتمة السورة انتهى لخبر انه من عنده علل ذلك بانا
ثبت به جميع ما مضى من الخبر فقال صارفا القول عن الغيبة منبها على زيادة عظمته بذكر انزاله ثانيا مبرزا له في
اسلوب العظمة محيرا انه حقه به اعظم خلقه معبرا بالانزال الظاهر في الكل بجوازا عن الحكم الجازم الذي لا مرد له
انا اي على ما لنا من العظمة انزلنا اي بما لنا من العظمة وقرن هذه العظمة بحرف الغاية المقتضي للواسطة اشارة الى
ان هذا كان في البداية بدلالة اتباعه بالامر بالعبادة بخلاف ما ياتي في هذه السورة فانه للنهاية بتصيير ورثته خلفا
له صلى الله عليه وسلم فكان بحرف الاستعلا انسب دلالة على ان ثقله الموجب لتفطر القدم وشيب اللمم خاص به صلى
الله عليه وسلم ومن قرب منه وتيسره وسهولته لامته فقال اليك اي خاصة بواسطة الملك لا ينفرد احد من الخلق ان
يدعي مشاركتك في شيء من ذلك فتكون دعواه موجبة لنوع من الكبر واظهر موضع الاضمار تفخيما بالتنبيه على ما فيه من جميع الا
والفروع واللطايف والمعارف الكتاب اي الجامع لكل خير مع البيان القاطع والحكم الجازم بالماضي والاتي والكاين ملتبسا
بالحق وهو مطابقة الواقع لجميع اخباره فالواقع تابع لاخباره لا يرى له خبر الا طابقه مطابقة لا خفا بشيء منها لا حلية
له ولا لباس الا الحق ولا دليل ادل على كونه من عنده من ذلك فليتبعوا اخره ولينظروا عينه واثره ولما ثبت بهذا
انه حقه سبحانه الاله وحده فتسبب عن ذلك قوله لفتا للقول عن مظهر العظمة الى الاعظم منه بلحظ جميع صفات الكمال
لاجل العبادة تعظيما لقدرها لانها المقصود بالذات فاعبد الله اي الحائز لجميع صفات الكمال لحال كونك مخلصا والا
هو القصد الى الله بالنية بلا علة له اي وحده الدين بمعاقبة الامر على غاية الخضوع لانه خصك بهذا الامر العظيم فهو اهل
منك لذلك وحسما عنك الاعدا فلا احد منهم يقدر على الوصول اليك بما يوهن شيا من امرك فاخلص لتكون راس المخلصين
الذين تقدم اخر سورة ص انه لا سبيل للشيطان عليهم وتقدم ذكر كثير من رؤسهم ووقع الحث على الاقتدا بهم بما ذكر من امر احمدهم
لاجل صبرهم في اخلاصهم قال الرازي قال الجنيد الاخلاص اصل كل عمل وهو مربوط باول الاعمال وهو تصفية النية ومنوط
باواخر الاعمال بان لا يلتفت اليها ولا يتحدث بها ويقصر في جميع الاحوال وهو ان يراد الله بالعمل وفي الخبر انا اغنى
الشركاء عن الشرك ولما امر سبحانه بهذا الامر نادى باستحقاقه لذلك وانه لم يطلب غير حقه وان ذلك
لا يتصور ان يكون لغيره فقال في جواب من كانه قال لم منعه من الالتفات الى غيره منا دبا اشارة الى انه لا مكافي له فلا يسع
احدا بلغه هذا النداء الا الخضوع طايعا او كارها الا لله اي الملك الاعلى وحده الدين الخالص لانه له الامر والخلق
لا يشركه فيه احد فكما تفرد بان خلقك وخلق كل ما لك من شيء فكذلك ينبغي ان تفرده بالطاعة ولانه اذا عبده احد
مخلصا كفاه كل شيء واما غيره فلو اخلص له احد لم يكن ان يكفيه شيا من الاشيا فضلا عن كل شيء والدين الذي هو اهل
للاخلاص هو الاسلام الذي كان في كل ملة المبني على القواعد الخمس المثبتة بالاخلاص المحض الناشي من المراقبة في الاوامر
والنواهي وجميع ما يرضي الشارع للدين ويسخطه فيكون جملته لله من غير شهوة ظاهرة او باطنة في شيء ولا غيرها وانما

استحقه سبحانه دون غيره لانه هو الذي شرعه ولا امر لاحد معه فكيف يشركه من لا امر له بوجه من الوجوه واما ما كان فيه
ادنى شرك فهو رد على عامله والله غني حميد وهذه كما ترى منادات لعمري تخضع لها الاعناق وتنكس لدونها الرؤس ولا
يوجد لها جواب الا بنعم وعزته واي وكبريائه وعظمته قال القشيري وما للعبد فيه نصيب فهو عن الاخلاص بعيد اللهم
الا ان يكون بامره فانه اذا امر العبد ان يحتسب الاجر على طاعته فطاعته لا تخرج عن الاخلاص باحتسابه امره فيه ولولا
هذا الماضي ان يكون في العالم مخلص قال ابن برجان وذلك الى ترك الاخلاص كله مولد عن حب البقاء في الدنيا ونسيان لقاء
الله ثم قال ما معناه ان ذلك من الشرك وهو ثلاثة انواع شرك في الالهية وهو ان يرى مع الله الها اخر وهو شرك المجوس
والمجسمة والوثنية ويضاهيه غلط القدرية الثاني شرك في العبادة بالريا واضافة العمل الى النفس والثالث
الشرك الخفي وهو الشهوة الخفية وهو ان يخفي العمل ويخاف من اظهاره ويحب لو اطلع عليه ويفرح باسراره ومن
حسن الحث على الاخلاص الحيا من الله ان تتزين لغيره بعمل لهمك اياه وقوله عليه دخلت فيه زعمت تطلب التقرب
اليه فاياك عدوه ابليس الذي عاداه فيك فتطيعه فيما يضرك ولا ينفعك فاستعن على عبادتك بالستر فاستر حسناتك
كما تستر سيئاتك فان عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا وذلك كالشجرة اذا ظهرت عروقها ضعف شربها واصابها
حرارة الهوى وبرده وتعرضت للافات من قطع ونبش وغير ذلك ولم تحسن فروعها وخف ورقها فقل نفعها واذا غابت
عروقها غابت عن الافات وامنت القطع من ايدي الناس فكثر شربها فجرى ماؤها فيها فتزايدت لذلك فروعها واخضر ورقها
وكثر خيرها وطاب ثمرها لجانيها فكذلك العمل اذا كانت له اصول في القلب مستورة زكا في نفسه وطهر من الادناس
وكثر خيره وطاب ثوابه لعامله واذا بدا لم يؤمن عليه من ابصار الناظرين واذا خفي لم يبق ما يخاف منه الا العجب ومحبة
ان يطلع عليه وهي الشهوة الخفية ومن قولهم من عرف الله بعد الضلالة وعرف الاخلاص بعد الريا وانزل الموت منزلته
لم يغفل عن الموت والاستعداد له بما امكنه انتهى ولما اخبر سبحانه بما له وحده وكان محط امر الانسان بل
جميع الحيوان على الهداية الى مصالحه ليفعلها ومفاسده ليتركها وارشد السياق الى ان التقدير فمن اخلص له الدين هداه في
جميع اموره وان اشتد الاشكال وتراكمت وجوه الضلال عطف عليه الاخبار عمن لم يرد الضلال والغي والمحال فقال محذرا
من مثل حاله بما حكم عليه في ماله والذين ولما كان الانسان مفطورا على الخضوع للملك الديان والالتفات الى
غيره الا بمعالجة النفس بما لها من الهوى والطغيان عبر بصيغة الافتعال فقال اتخذوا اي عالجوا عقولهم حتى صرفوها عن الله
وحده واوثقهم على خطائهم في رضاهم بالادنى عن الاعلى بقوله من دونه ومعلوم ان كل شيء دونه اولياء اي يكلون اليهم
امورهم ويدخل فيهم الذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله مع اعترافهم بان الله تفرد بخلقهم ورزقهم ولما
كان من العجب العجيب تعليلهم هذا ابين ما وجهوا به تعليلهم لتكون اية بينة في انه لا هدى لهم فقال ما اي قائلين لمن
اخلصوا له الدين اذا انكروا عليهم ان يتخذوا من دونه وليا ما نعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقربونا ونبه سبحانه على بعدهم
عن الصواب بالتعبير عن الاسم الاعظم مع حرف الغاية فقال الى الله اي الذي له مقاعد العز ومجامع العظمة تقريبا عظيما على
وجه التدريج ويزلفونا اليه زلفى اي تقريبا حسنا سهلا بهيجا زائدا ناميا متعاليا قال القشيري ولم يقولوا هذا من قبل
الله ولا باذنه وانما حكموا بذلك من ذات انفسهم فرد الله عليهم وفي هذا اشارة الى ما يفعله العبد من التقرب بنشاط نفسه
من غير ان يقتضيه حكم الوقت فكل ذلك اتباع هوى انتهى والاية من الاحتباك ذكر فعل التقريب اولا دليلا على فعل الزلف
ثانيا واسم الزلف ثانيا دليلا على الاسم من التقريب اولا وسره انهم ارادوا بهذا الاعتذار المسكت عن قبح صنيعهم فاتى سبحانه
في حكايته عنهم بالتاكيد على ابلغ وجه لان الدلالة على المعنى بلفظين اجدر في ثباته وتمكنه من لفظ واحد وبدا بارشق
الفعلين واشهرهما واخفهما واوضحهما وقد خسر لعمري غاية الخسار قوم تمذهبوا باقبح المذاهب وجعلوا اعذارهم هذه الاية
التي ذم الله المعتذرين بها وعلى ذلك فقد راج اعتذارهم بها على كثير من العقول وهم اهل الاتحاد الذين لا اسخف من عقولهم ولا
احمق من اذهانهم ولما كان انما يحط دينهم الهوى وكان كل من تبع الهوى لا ينفك عن الاضطراب في نفسه فكيف
اذا كان معه غيره فكيف اذا كانوا كثيرا فيكثر الخلاف والنزاع وان لم يحصل ذلك بالفعل كان بالقوة ولذلك كان لكل قبيلة
ممن يعبد الاصنام صنم غير صنم الاخرى وكان بعض القبائل يعبد الشعرى وبعضهم يعبد الملائكة وبعضهم غير ذلك ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون نبه على ذلك مهددا لهم
بقوله مخبرا مؤكدا لاجل انكارهم ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال ولما لم يقيد الحكم بالقيمة وكانوا معترفين
بان المصائب في الدنيا منه قال يحكم بينهم من غير تاكيد اخرا اي بين جميع المخالفين في الاديان وغيرها من المتخذين للاولياء من دونه
ومن المخلصين وغيرهم فلا بد ان ينصر اهل الحق على جميع اهل الباطل ولما كانوا اوزاعا اكثر قبائلهم على خلاف ما يعتقده
غيرها قال فيما اي في الدين الذي والامر الذي ولما كان تحكيمهم للهوى موفرا لدواعيهم على الاختلاف وكان الاتحاد

الذي بني الكلام عليه له نظر عظيم الى علاج الباطن بخلاف سورة يونس اثبت الضمير هنا فقال هم اي بضمائرهم فيه اي
خاصة يختلفون اي ليس لهم اصل يضبطهم فهم لا يرجعون الا الى الخلف كيفما تقلبوا لانهم مطرودون لذلك العمل الذي
مناه الهوى الذي هو منشا الاختلاف فكيف اذا انضم الى ذلك خلاف المخلصين وانكارهم عليهم الذي ارشدا اليه اغنه
فظهر من هذا ان اختلاف الائمة في فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لقواعد استنبطوها منه لكن لا يخرجون
عنها ليس خلافا بل وفاق لوحدة ما يرجعون اليه من الاصل الصحيح الثابت عن الله ومن هذا انكار النبي صلى الله عليه وسلم
على عمر وابي وغيرهما رضي الله عنهم لما انكر كل منهم على من خالفه في القراءة وعلى ان هذا القران انزل على سبعة احرف فلا
تختلفوا فلا تنفق بل ان يستند كل من الامرين الى النبي صلى الله عليه وسلم نقلا واجتهادا لانه في قوة الاتفاق لوحدة
مرجعه والله الموفق ويجوز ان يكون الضمير فيه بينهم لهم ولمعبوداتهم فانهم ليس منهم معبود صامت ولا ناطق الا وهو
صارخ بلسان حاله ان لم ينطق لسان قاله ما به فهو مربوب عابد لا معبود فهم مع من يعبدهم في غاية الخلاف
ولما كان من الامر الواضح ان الدين لا يكون صالحا الا ان انتظم بنظام غير مختل وكان الدين اذا كان معوجا داعيا
الى النفور منه دالا على نفسه بالانخلاع عنه والبعد منه فكان الحال مقتضيا للتعجب ممن يدين به فضلا عمن يدوم عليه فضلا
عمن لا ينتبه عند التنبيه فضلا عمن يقاتل دون ذلك اجاب من كانه قال ما سبب عكوفهم على هذا الضلال الذي اوجب
لهم قطعا الاختلاف بالفعل وبالقوة فقال مؤكدا تنبيها للمنكر ما تضمنه هذا الاخبار وان ظهر لبعض العمى غير ذلك
مما به ومن الكرامة والكفر من اعمال مرتبه وافكار دقيقة فنظن هدى وانما هي استدراج ولما ارشد
السياق الى ان المعنى لانهم غير مستبدين لان الله لم يخلق الهداية في قلوبهم نبه عليه بقوله ان الله اي الملك القادر القاهر
الحكيم ولما كان الاصل لا يهديهم واراد سبحانه التعميم وتعليق الحكم بالوصف تنفيرا عنه فقال لا يهدي
اي لا يخلق الهداية في قلب من هو اي بضميره كاذب اي مرتكب للكذب عريق فيه حتى اداه كذبه الى ان يقول على ملك
الملوك ان شيئا يقرب اليه بغير اذنه ويخضع بالعبادة التي هي نهاية التعظيم لمن لا يليق بغير من نعم غاية الانعام لمن لا
يملك ضرا ولا نفعا ولم يعبر في الكذب بصيغة مبالغة لان الذين السياق لهم لم يبلغ منهم كذب الا في دعائهم انهم يقربونهم
ولما كان من كفر في حين من الدهر قد ضاعف كفره لكثرة ما على الوحدانية من الدلائل وما لله عليه من الاحسان وكان
هؤلاء الذين لهم السياق قد كفروا ابناء هيلهم لشركائهم للعبادة ولعبادتهم بالفعل ولادعائهم فيهم التقريب قال كفار
بصيغة المبالغة والاحسن ان يقال ان المبالغة لانها من الذي لا يهديه انما هو من ختم عليه سبحانه الموت على ذلك قال
القشيري والاشارة الى التهديد من يتعرض لغير مقامه ويدعي شيئا ليس بصادق فيه فالله لا يهديه قط الى ما فيه سداده ورشده
وعقوبته ان يحرمه ذلك الشيء الذي يتصدى له بدعواه فلا يحققه بوجوده وذوقه ولما اخبر سبحانه بالحكم
بينهم فكان ذلك مع تضمنه التهديد واضبا بنفي الشريك كافيا في ذلك لان المحكوم فيه لا يجوز ان يكون قسيما للحاكم فلم
يبق في شيء من ذلك شبهة الا اعتقاد دعاء الولدية قال نافيا لها على سبيل الاستيناف جوابا لمن يقول فما حال من
يتولى الولد قال القشيري والمحال ينزه على جهة الايجاد ان لو كان كيف كان حكمه لو اراد الله اي الذي له الاحاطة
بصفات الكمال ان يتخذ اي يتكلف كما هو دابكم ولا يسوغ في عقل ان الاله يكون متكلفا ولدا اي كما زعم من زعم ذلك
ولما كان الولد لا يراد الا ان يكون خيارا وكان الله قادرا على كل شيء عدل عن ان يقول لاتخذ الى قوله
لاصطفى اي اختار على سبيل التبني مما يخلق اي يبدعه في اسرع من الطرف ولما كان يرضي الاباء كمال الاولاد
وهم الابنا لكنه لم يرد ذلك فلم يكن فهذا اقصى ما يمكن ان يجوز في العقل ان يخلق خلقا شريفا ويسميه ولدا اشارة الى شدة
الكرامة له وتشريفه اياه او يقربه غاية التقريب كما فعل بالملائكة وعيسى عليهم السلام فكان ذلك سببا لغلطكم فيهم
حتى ادعيتم انهم اولاده زعمتم انهم بنات فكنتم كاذبين مرجحين هذا غاية الامكان واما انه يجوز عليه التوليد فلا بل
هو مما يحيله العقل لان ذلك لا يكون الا لمحتاج والاله لا يتصور في عقل ان يكون محتاجا اصلا قال ابن برجان ما معناه
كان معهود الولادة على وجهين ولد منسوب الى والده بنوة وولادة وهذا هذا الميراث في الوجود العلي وجود ولا في
الامكان ممكن ولا في النقل سائغ بوجه من الوجوه وولد بمعنى التبني والاتخاذ وقد كانت العرب وغيرها من الامم يفعلونه
حتى نسخه القران فلا يبعد ان يكون هذه العبارة كانت جائزة في الكتب قبلنا فلما اعضل بهم الداء والحدوا في ذلك عن
سواء القصد الذي هو الاصطفا الى بنوة الولادة اضلهم الله واعمى ابصارهم وسد السبيل عن العبارة عن ذلك
وكشف معنى الاصطفا واظهر معنى الولاية ونسخ ذلك بهذا الا ان هذا لا يبدا حالة البشر وذلك كله لبيان كمال هذه الامة
وعلوها في كل امر ولما كانت نسبة الولد اليه كنسبة الشريك او اشنع وانتفى الامران بما تقدم من الدليل
بالحكم باعترافهم بان حكمه سبحانه نافذ في كل شيء شهادة الوجود وبقيام الادلة على عدم الحاجة الى شيء اصلا فضلا عن الولد

نزه نفسه بما يليق بجلاله من التنزيه في هذا المقام فقال سبحانه اي له التنزه التام عن كل نقيصة ثم اقام الدليل على هذا التنزيه
المقتضي لتفرده فقال هو اي الفاعل لهذا الفعال والقايل لهذه الاقوال الله اي الجامع لجميع صفات الكمال ثم ذكر من الاوصاف ما
هو كالعلة لذلك فقال الواحد اي الذي لا ينقسم اصلاً ولا يكون له مثل فلا يكون له صاحبة ولا ولد لانه لو كان شي من ذلك لما
كان الا مجانساً له ولا شبه بوجه من الوجوه القهار الذي له هذه الصفة فكل شي تحت قهره الهمهم وغيرها على سبيل التكرار
والاستمرار فصح من غير شك انه لا يحتاج الى شي اصلاً وحصل ما لا حاجة اليه ولا داعي يبعث عليه عبث يتنزه عنه العاقل
فكيف بمن له الكمال كله ولما اثبت هذه الصفات التي نفت ان يكون له شريك او ولد واثبتت له الكمال المطلق
دل عليها بقوله خلق السموات والارض اي ابدعهما من العدم بالحق اي خلقاً ملتبساً بالامر الثابت الذي ليس بخيال ولا سحر على وجه
لا نقص فيه بوجه ولا تفاوت ولا خلل يقول احد فيه انه مناف للحكمة ولما كان من ادل الاشيا على صفتي الوحدانية والقهر
وتمام القدرة وكمال الامر بعد ايجاد الخافقين اختلاف الملوين وكان التكوير وهو ادارة الشي على الشي بسرعة واحاطته به
بحيث يعلو عليه ويغلبه ويغطيه ادل على صفة القهر من الايلاج قال مبيناً لوقت ايجاد الملوين يكور اي خلقهما اي صورهما في حال
كونه يلف ويلوي ويدير فيغطي مع السرعة والعلو والغلبة تكويراً كثيراً متجدداً مستمراً الى اجله الليل على النهار بان يستره به
فلا يدع له اثراً ولتعظيم هذا الصنع اعاد العامل فقال ويكور النهار عالياً بتكويره وتغطيته على الليل فيذهبه كذلك ويدخل في
هذا الزيادة في كل منهما بما ينقص من الاخر لانه اذا ذهب احدهما اتى الاخر مكانه فكان الاتي لف على الذاهب والبسه كما يلف
اللباس على اللابس او انه شبه اللابس الذاهب في خفائه بالاتي بشي ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار او ان كلا منهما
لما كان يكر على الاخر كروراً متتابعاً شبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على بعض فتغيب ما تحتها ولما كانت
الظلمة سابقة على الضيا وكان الليل انما هو ظلمة يسبقها ضيا بطلوع الشمس رتب سبحانه هذا الترتيب على حسب الايجاد
ولذلك قدم اية النهار فقال معبراً بالماضي لخلقه الاثنين مسخرين على منهاج معلوم لكل منهما لا يتعداه وحد محدود ودلالة
تخطاه وسخر اي ذلل واكره وقهر وكلف لما يريد من غير نفع له ليسخر الشمس اي التي محت ما كان من الظلام فاوجدنا اسم
النهار والقمر اي اية الليل ولما اخبر بقهره لهما بين ما صرفهما فيه فقال بيانا لهذا التسخير كل اي منهما يجري اي بنفسه
الذي لا مرد له وهذا اية لاختلاف احوال العبد لان خلقه جامع فيختلف في القبض والبسط والجمع والفرق والاخذ والرد
والصحو والسكر وفي نجوم العقل واقمار العلم وشموس المعرفة ونهار التوحيد وليل الشك والجحد ونهار الوصل وليالي الهجر
والفراق وكيفية اختلافها وزيادتها ونقصانها قاله القشيري ولما كان من مقصود السورة العزة التي محطها الغلبة
وكان السياق للقهر وكان العضا لعلة لا يتخلف عنها المعلول ادل على القهر من ذكر الغاية مجردة عن العلة قال لاجل مسمى اي
لمنتهى الدور ومنقطع الحركة ولما ثبت بهذا القهر فكان منادياً بارشقاً في قلوب المنكرين الا هو اي وحده العزيز
ولما كان ربما قال متعنت فما له لا ياخذ من يخالفه وكانت صفة القهر والعزة ربما اقنطت العصاة فاحجمهم عن الاقبال
قال مبيناً لسبب التاخير ومستعطفاً الغفار اي الذي له صفة الستر على الذنوب متكررة فيمحو ذنوب من يشا عيناً واثراً ويغفر
وياخذ من يشا بعزته ولما كان خلق الحيوان ادل على الوحدانية والقهر بما خالف به الجمادات من الحياة التي لا يقدر على
الانفكاك عنها قبل اجله وبماله من امور اضطرارية لا محيص له عنها وامور اختيارية موكولة في الظاهر الى مشيئته وكان
اعجبه خلقاً الانسان بما له من نوع النطق قال دالاً على ما دل عليه بخلق الخافقين لافتاً القول الى الخطاب للنوع كله ايذاناً
بتاهلهم للخطاب وترقيتهم فيه على الاسباب من غير عطف ايذاناً بان كلا من خلقهم وخلق ما قبلهم مستقل بالدلالة على ما سيق له
خلقكم اي ايها الناس المدعون لالهية غيره من نفس واحدة هي ادم عليه السلام ولما كان ايجادنا منها بعد شق الانثى منها
قال عاطفاً على ما تقديره اوجدها من تراب مبيناً بلفظ الجعل ان الذكر هو سببها ومادتها باداة التراخي على الفقر الذي الجا
له بالتراخي في الزمان بتاخير المسبب عن سببه المقتضي له الى حين مشيئته لان ايجادها منه كان بعد مدة من ايجاده والاصل في
الاسباب ترتب المسببات عليها من غير مهلة وعلى التراخي في الرتبة ايضاً بان ذلك لكونه شديد المباينة لاصله ادخل في كونه اية
لكونه لم يجعل بعد ذلك مثله فلم يولف فهو من اعجب العجب ثم اي بعد حين وعبر بالجعل لانه كاف في نفي الشركة التي هذا اسلوبها
وليبين انه ما خلق ادم عليه السلام ليكون سبباً لما يحدث عنه من الذرية ليترتب على ذلك اظهار ما له سبحانه من صفات الكمال
فقال جعل منها اي تلك النفس زوجها اي شكلها بعد خلقكم منه الهاماً ابرزكم الى الوجود الخارج منها ويجوز وهو احسن
ان يكون المعنى لاجل السياق لاحاطة العلم المدلول عليه بابراز الكتاب وما تبعه قدر خلقكم على ما انتم عليه من العدد والالوان
وجميع الهيات حين خلق ادم بان هياه لان تفيضوا منه فلا تزيدون على ما قدره شيا ولا تنقصون وان تفيض منه زوجه وذلك
قبل خلق حوى منه ثم اوجدها فكان الفيض منها فيضاً منه فالكل منه وبهذا ورد الحديث في مسند احمد بن منيع عن ابي الدرداء
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله ادم يوم خلقه وضرب على كتفه اليمنى فاخرج ذرية بيضاء كانهم الذر

وضرب كتفه اليسرى فاخرج ذرية سود كانهم الحمم فقال للذي في يمينه الى الجنة ولا ابالي وقال للذي في يساره الى النار
ولا ابالي ولما كان تنويع الحيوان الى انواع متباينة ادل على القدرة التي هي منشا القهر وكان سبحانه موصوفاً بالعلو
وكان اكثر الانعام انسب من الانسان فكان خلقه له اثراً لامر علوي كائنه وكان تسخيره له وتذليله انزالاً له عن قوته وابهامه السد
قال دالاً على ذلك الانشا والجعل بلفظ الانزال وانزل لكم اي خاصة من الانعام اي الابل بنوعيها والبقر كذلك والضان
والمعز ولما لم يكن عند العرب البخاتي والجواميس لم يذكرها سبحانه واقتصر على ما عندهم فقال ثمانية ازواج اي
من كل نوع زوجين ذكراً وانثى والزوج اسم لواحد معه اخر لا يكمل نفعه الا به واذا نظرت هذه العبارة مع العبارة عن خلق الا
فهمت ان الانعام خلق كل من ذكرها وانثاها على انفراده لا ان احدهما من صاحبه وذلك ادل على اطلاق التصرف وتنويعه
مما لو جعل خلقها مثل خلق الادمي ولما كان تكوينهم في بطونهم عجباً قال مستانفاً بياناً لما اجمل قبل يخلقكم
اي يبتدي ايجادكم انتم والانعام على ما انتم عليه من اخلاط العناصر في بطون امهاتكم ولما كان تطوير الخلق داخل البطن
حيث لا يتصل اليه بمخلوق ولا ببصر ما له دالاً على عظمته ودلالته على تمام القدرة والقهر خلقاً ودل على تكوينه شيئاً بعد
شي باتيان الحرف فقال من بعد خلق اي في تنقلات الاطوار وتقلبات الادوار ولما كان الحيوان لا يعرف ما هو الا في
التطوير الرابع وكان الحمل ظلمة قال في ظلمات ثلاث ظلمة النطفة ثم العلقة ثم المضغة فاذا صار عظاماً مكسوة لحماً عرف
هل هو ذكر او انثى فزالت عنه ظلمات الحمل وصار خلقاً اخر وقيل ظلمة البطن والرحم والمشيمة نقله عن ابن عباس رضي الله
عنهما وعزاه ابن ابي الدنيا في كتاب القناعة الى عيسى بن مريم عليه السلام ولما ثبت له سبحانه كمال العظمة والقهر
قال مستانفاً ما انتجه الكلام السابق معظماً باداة البعد وميم الجمع ذلكم اي العالي المراتب لبعدها ذكم ايها الخلق كلكم
بعضكم بلسان قاله وبعضكم بلسان حاله الذي جميع ما ذكر من اول السورة الى هنا افعاله ولما اشار الى عظمته
باداة البعد اخبر عن اسم الاشارة فقال الله اي الجامع لجميع صفات الكمال ونبه على جهلهم بما يعملون من ربوبيته لعملهم
بالشرك عمل جاهل بذلك فقال واصفاً ربكم اي المالك والمربي لكم بالخلق والرزق ولما كان المختص بالملك قد
يكون الهاً قال مبيناً له الالهية على ما تقتضيه من الوحدانية وموعماً له نتيجة النتيجة لا اله الا هو ولما
تكمل هذا السياق بوجوب الاخلاص في الاقبال عليه والاعراض عما سواه لان الكل تحت قهره وشمول نعمته وامره سبب
عنه قوله فانى اي فكيف ومن اي وجه تصرفون اي قهراً عن الاخلاص له الى الاشراك به بصارف ما وان كان عظيماً ونبه
بالبنا للمفعول مع هذا على انهم مقهورون في فعل ما هم عليه لانهم تابعون للهلاك المحض تاركون للادلة التي لا خفا في
شي منها ومعلوم انه لا يترك احد الدليل في الفيافي المعطشة الذي ان تركه هلك الا مقهوراً وان الناس هيئوا لطريق
الهدى بما خلقوا عليه من احسن تقويم بسلامة الفطر واستقامة العقول واشار الى هذا لانهم يانفون من النسبة الى
القهر وان يفعلوا شيئاً بغير اختيار لما عندهم من الانفة وعلو الهمم والعظمة ولما ظهرت الادلة وبهرت الحجج
بين ما على من غطاها بالاعراض وما لمن ناب ورجع بالتذكار فقال مستانفاً لما هو نتيجة ما مضى معرفاً لهم نعمته عليهم
بانه ما تعبدهم لشي يخصه من نفع او ضر وانما هو لمصالحهم خاصة بادياً بما هو من درء المفاسد ان تكفروا اي تستروا الادلة
تصروا على الانصراف عنه بالاشراك فان الله لانه الجامع لصفات الكمال غني عنكم فلا يضره كفركم ولا تنفعه طاعتكم واما
انتم فلا غنى لكم عنه بوجه ولا بد ان يحكم بينكم فلم تضروا الا انفسكم ولا يرضى لهم هكذا كان الاصل بدليل ما سبقه ولحقه
وانما اظهر لنعمم وليذكرهم بما يجدونه في انفسهم من ان احدهم لا يرضى لعبده ان يودي خرجه الى غيره بغير اذنه فقال لعباده
اي الذين تفردنا بايجادهم وتربيتهم الكفر بالاقبال على سواه وانتم لا ترضون ذلك لعبيدكم مع ان ملككم لهم في غاية الضعف
ومعنى عدم الرضى انه لا يفعل فعل الراضي بان ياذن فيه ويقر عليه او يثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه
ويذم عليه ويعاقب مرتكبه وان تشكروا اي بالعبادة والاخلاص فيها يرضه اي الشكر الدال عليه فعله لكم الرضى
اللايق بجنابه سبحانه بان يقركم عليه او يامركم به ويثيبكم على فعله والقسمان بارادته واختلاف القرائن هاهنا دال على مراتب
الشكر والله اعلم فالوصل للواصلين الى النهاية على اختلاف مراتبهم في الوصول والاخلاص للمتوسطين والاسكان لمن
في الدرجة الاولى منه ولما كان في سياق الحكم والقهر وكانت عادة القهارين ان يحلفوا بعض الناس ببعض وياخذوهم
بجرايرهم لينتظم لهم العلو على الكل لعدم احاطة علمهم بكل مخالف لامرهم بين انه سبحانه على غير ذلك فقال ولا تزر وازرة
اي وازرة كانت وزر اخرى بل وزر كل نفس عليها لا يتعداها يحفظ عليها مدة كونها في دار العمل والاثم الذي كتب على
الانسان بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس وزر غيره وانما هو وزر نفسه لوزر الفاعل على الفعل ووزر
الساكت على الترك لما لزمه من الامر والنهي ثم الى ربكم اي وحده لا الى احد ممن اشركتموه به مرجعكم اي بالبعث بعد الموت
الى دار الجزا ولما كان الجزا تابعاً للعلم قال معبراً عنه فينبئكم اي فيتسبب عن البعث انه يخبركم اخباراً عظيماً

بما كنتم تعملون اي بما كان في طبعكم العمل به سواء عملتموه بالفعل ام لا ثم يجازيكم عليه ان شاء ولما كان المراد كما اشار
اليه بكان الاخبار بجميع الاعمال الكائنة بالفعل وبالقوة حسن التعليل بقوله انه عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي
بصاحبتها من الخواطر والعزوم وذلك بما دلت عليه الصحبة كما لم يبرز الى الخارج فهو عما برز اعلم ولما ذكر سبحانه
انه المختص بالملك وحده واسعة ما يرضيه وما يسخطه اقام الدليل على ذلك الاختصاص مع انه اوضح من الشمس بدليل وجداني
لكل احد على وجه ذمهم فيه لكل احد على وجه ذمهم فيه بالتناقض الذي هو اعظم النقائص ذما له ونفرة منه وذما به فقال
واذا وهي والله اعلم حالية من واو تصرفون وكان الاصل مسكم ولكنه عمم ودل بلفتنا القول عن الخطاب على الوصف الموجب
للنسيان فقال مس الانسان اي هذا النوع الآنس بنفسه مؤمنه وكافره ضر اي ضر كان من جهة يتوقعها بما اشار اليه
الطرف مطابقة لمقصود السورة مع تهديد اخرى التي قبلها دعا ربه اي المحسن اليه الذي تقدم تنبيهكم من غفلتكم عليه بقوله
ذلكم الله ربكم ذاكرا صفة احسانه منيبا اي راجعا رجوعا عظيما اليه بباطنه مخلصا في ذلك عالما انه لا يكشفه امر غيره
معرضا عما كان يزعم من الشركاء معرفا لسان حاله انه لا شريك له سبحانه كما هو الحق فتطابق في حال الضر الحق والاعتقاد
وكان طرف المس بالضر طرف هذه الحالة الحسنة لان الضر اذا اعنته الاهوية ولما كان الانسان لما جبل عليه
من الجزع واليأس اذا كان في ضر استبعد كل البعد ان ينكشف عنه لتعلقه بالجزئيات وقصوره على التعلق بالاسباب اشار الى ذلك
مع الاشارة الى الوعد بتحقيق الفرج فقال ثم اي بعد استبعاده جدا ولما كان الرجا محققا وهو اكثر من الشدة عبر باداة
التحقق فقال منبها بالتعبير بخول على ان عطاءه ابتداء فضل منه لا يستحق احد عليه شيئا لان التخويل لا يكون جزاء بل ابتداء اذا
خوله اي اعطاه عطاء متمكنا ابتداء وجعله حسن القيام عليه قادرا على اجادة تعهده من جهة يتوقعها نعمة منه ومكنه فيها
وفتح حاله بالنسيان لمن طال عليه زمانه وعظم عنده مكانته ومكانه نسي اي مع ادعائه انه يشكر على الاحسان فكانت
مدة تخويله طرف نسيانه فعلم ان صلاحه بالضر ما اي الامر الذي كان يدعوا ربه على وجه الاخلاص اليه اي الى كشفه من
ذلك الضر الذي كان واعلم بتقارب وقتي الانسان والانابة باثبات الجار فقال من قبل اي قبل حال التخويل وجعل زيادة
على الكفران بالنسيان للاحسان لله الذي لا مكافئ له بشهادة الفطرة والعقل والسمع اندادا اي لكونه يناله عليهم فينزلهم
بذلك منزلة من يكون قادرا على المعارضة والمعاندة فقد علم من التعبير بالنسيان انه عالم بربه ولذلك دعاه في كشف ضره وانه
جعل علمه عند الاحسان اليه جهلا فكان كمن لا يعلم من ساير الحيوانات العجم ولما كان ذلك في غاية الضلال لكونه مع
انه خطأ موجبا لقطع الاحسان وعدم الاجابة في كشف الضر مرة اخرى وكانوا يدعون انهم اعقل الناس وكان هذا الضلال
في غاية الظهور وكان العاقل لا يفعل شيئا الا لعلة عظيمة تهكما بهم عن ان يكونوا ضلوا هذا الضلال الظاهر من غير قصد
اليه فقال مشيرا الى ذلك كله ليضل اي بنفسه عند من فتح اليا ويضل غيره عند من ضمها عن سبيله اي الطريق
الموصل الى رضوانه الموجب للفوز بجنانه ولما كان من المعلوم المحقق المقطوع به المركوز في الفطر الاولى المستمر
فيما بعدها ان الملك لا يدع من يعصيه بغير عقاب وكان قد ثبت بقضية الاجماع وقت الاضطرار انه لا يلتفت الى احد
سوى الله وكان من التعنت بعد ان نجاه الله من ضرره واسبغ عليه من نعمه كافرا من غير شك عند ذي عقل وكان من كان بهذه
المثابة في هذه الدار انهم اهل النعم الكبار والتمتع الصافي عن الاكدار كان من المعلوم انه لا بد من عقوبته في دار القرار
فقال تعالى مبينا لان هذا التمتع انما هو بسبب هذا الكفران استدراجا مع الاعراض المؤذن بالغضب قل اي يا اجل
خلقنا الينا المستحق للاقبال عليه بالخطاب لهذا الذي قد حكم بكفره مهددا له بما يفوته بلذيذ عيشه في الدنيا من البغض
من الجناب الاقدس ويؤول اليه امره من العذاب الاكبر تمتع اي في هذه الدنيا التي هي وكل ما فيها مع كونه زائلا بغيض الى
الله فهو من جملة المقت الا من صرفه في طاعة الله ولما ذكر تمتعه بالخسيس ذكر سببه الخسيس تعظيما لاجود
المؤمنين لانصرافهم عن الكفر مع علمهم بانه من اسباب التمتع وبيانا لذوي الهمم العوال من غيرهم فقال بكفرك ثم اشار
الى قلة زمن الدنيا وما فيها في جنب الآخرة فقال قليلا ثم علل ذلك بما اذا غمس في عذابه انعم اهل الدنيا غمسة واحدة
قال ما رايت نعيما قط فقال مؤكدا لاجل تكذيبهم بالنار ودفعا لما استقر في نفوسهم ان تنعيمهم في الدنيا انما هو لعزهم
من الله ومحبته لهم وان ذلك يتصل بنعيم الآخرة على تقدير كونها انك وهذا الامر مبينا يراد به الزجر تقديره ان تمتعت
هكذا كنت من اصحاب النار اي الذين لم يخلقوا الا لها ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها
الآية ولما ارشدت ام قطعا في قراءة من شدد ادغاما لاحدى الميمين في الاخرى الى ان التقدير هذا الذي
شرحنا لاحوال المؤمنين بعد احوال المشركين اهذا الذي يدعوا الله مرة وغيره ممن يجعله له ندا اخرى اشد طريقة
واقوم قيلا امن هو والتقدير في قراءة نافع وابن كثير وحمزة بالتخفيف امن هو بهذه الصفة خير ام ذلك الكافر الناسي
لمن احسن اليه ويرجح التقدير بالاستفهام دون النداء انكار التسوية بين العالم الذي جداه علمه على القنوت والذي لا

ضرورة يجدها في نفسه مع
لان الضر اذا ازال عنه الاهوية
والحظوظ

يعلم حقيقة او مجازا لعدم الانتفاع بعلمه قانت اي مخلص في عبادة الله تعالى دائما آناء الليل اي جميع ساعاته ولما
كان المقام للاخلاص وكان الاخلاص اقرب مقرب للعبد من ربه لانه خاص بالله تعالى قال ساجدا اي وراكعا ودل على تمكنه
من الوصفين بالعطف فقال وقائما اي وقاعدا وعبر بالاسم تنبيها على دوام اخلاصه في حال سجوده وقيامه والآية من الاحتباك
ذكر السجود دليلا على الركوع والقيام دليلا على القعود والسر في ذكر ما ذكر وترك ما ترك ان السجود يدل على العبادة وقرن القيام
به دال على انه قيام منه فهو عبادة وذلك مع الايذان بانهما اعظم الاركان فهو ندب الى تطويلهما على الركنين الاخرين لان القعود
انما هو للرفق بالاستراحة والركوع انما اريد به اخلاص الاركان للعبادة لانه لا يمكن عادة ان يكون لغيرها واما السجود فهو
فيطرقه احتمال السقوط والقيام والقعود مما جرت به العوائد فلما ضم اليهما الركوع تمحضا للخضوع بين يدي الملك العليم
العزيز الرحيم ولما كان الانسان محل الفتور والغفلة والنسيان وكان ذلك في محل الغفران وكان لا يمكن صلاحه الا
بالخوف من الملك الديان قال معللا او مستانفا جوابا لمن كانه يقول له ما له يتعب نفسه هذا التعب ويكدها هذا
الكد يحذر الآخرة اي عذاب الله فيها فهو دائم التجديد لذلك كلما اغفل عنه ولما ذكر الخوف اتبعه قرينه الذي
لا يفيد بدونه فقال ويرجو رحمة ربه اي الذي لم يزل يتقلب في انعامه ولما كان الحامل على الخوف والرجا والعمل
انما هو العلم النافع وكان العلم الذي لا ينفع كالجهل او اجهل خبر كان جواب ما تقدم من الاستفهام لا يستويان لان المخلص
عالم والمشرك جاهل فامره بالجواب بقوله قل اي لا يستويان لان الحامل على الاخلاص العلم وعلى الاشراك الجهل
وقلة العقل ثم انكر على من يشك في ذلك فقال هل يستوي اي في الرتبة الذين يعلمون اي فيعملون على مقتضى العلم اما
لجهل واما الاعراض عن مقتضى العلم فصاروا لا علم لهم لانه لا انتفاع لهم به لانهم لو تاملوا ادنى تامل مع تجريد الانفس
من الهوى لرجعوا اليه من انه لا يرضى احد اصلا لعبده ان يخالف امره والى انه لا يطلق العلم الا على العامل ارشد قول
ابن هشام في السيرة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس علماء وليسوا باهل علم لم يحملوهم على هدى ولا حق ولما
كان مدار السداد التذكر وكان مدار التذكر الذي به الصلاح والفساد القلب لانه مركب العقل الذي هو آلة العلم
وكان القلب الذي لا يحمل على الصلاح عدما بل العدم خير منه قال انما يتذكر اي تذكرا عظيما بما افهمه اظهار التاء
فيعلم ان المحسن لا يرضى بالاحسان الى من يأكل خيره ويعبد غيره اولوا الالباب اي العقول الصافية والقلوب النيرة وهم
الموصوفون آخر آل عمران بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الى آخرها وما احسن التعبير هنا باللب
الذي هو خلاصة الشيء لان السياق للاخلاص قال الرازي في اللوامع قال الامام محمد بن علي الترمذي خلق الله تعالى
الاشياء مسخرة للآدمي وخلق الآدمي للخدمة ووضع فيه انوارا ليخرج الخدمة لله تعالى من باطنه بالحاجة فالآدمي مهدو
الى العلم بالله وباوامره حسب ما خلق له والخدمة القنوت بقلبك بين يديه ماثلا منتصبا محقا مبادرا مسارعا سائقا مركبك
في جميع امورك بالجملة وعلم الخدمة علم البساطين بساط القدرة وبساط العبودة فاذا طالعت بساط القدرة بعقل وفهم
وهو ان تعرف نفسك وتركيبك من روحاني وجسماني وطالعت بساط العبودة بكياسة تامة ادركت تدبيره في العبودة
وباطن امره ونهيه وعلل التحريم والتحليل وبسط الله بساط الربوبية من باب القدرة وبسط بساط العبودة من باب العظمة
ثم كان آخر خلقه سبحانه هذا الانسان الذي بسط له هذين البساطين وجمع فيه العالمين وزاد على ما فيهما من قبول الامر
اختيارا وطوعا وكل شيء اعطاك انما اعطاك لتبرزه الى جوارحك وتستعمله فيما خلق له فلو لم يعطك لم يطلبه منك فلا
تطلب الزكاة ممن لا مال له ولا الصلاة قياما ممن لا رجل له ولما ثبت ان القانت خير وكان المخالف له كثيرا
وكان اعظم حامل على القنوت التقوى وكانت كثرة المخالف اعظم مزلزل وكان الانسان لما له من النقصان احوج شيء الى
التثبيت وكان التثبيت من المجانس والتانيس من المشاكل اسكن للقلب واشرح للصدر دام اكمل الخلق واحسنهم ملاءمة
بتثبيتهم فقال قل ولما كان الثبات لا يرسخ مع كثرة المخالف وتوالي الزلازل والمتالف الا اذا كان عن الملك جعل
ذلك عنه سبحانه ليجتمع عليه الخالق والاقرب اليه من الخلائق فقال يا عبادي وفي قراءة يا عباد الله مثلا تذكيرا
لهم تسكينا لقلوبهم بما علم من ان التقدير قال الله وتشريفا لهم بالاضافة اليه بالضمير الدال على اللطف وشدة الخصوصية
واعلاما لهم بانه حاضر لا يغيب عنهم بوجه الذين آمنوا اي اوجدوا هذه الحقيقة ولو على ادنى درجاتها ولما
كان الاحسان زاجرا على المحسن اشار سبحانه الى هذا قول العارف من احلس على الانبساط وداك والانبساط وشبهه
بلفت القول عن مظهر التكلم الى الوصف بما يدل على الاحسان على ان العاقل من اوجب الاحسان اجلالا واكبارا وامر
له العطف والتقريب ذلا في نفسه وصغارا وخوفا وانكسارا مما اقله قطع الاحسان فقال اتقوا ربكم اي اجعلوا بينكم
وبين غضب المحسن اليكم وقاية بان تترقوا في درجات طاعته مخلصين له كما خلقكم لكم لا لغرض له اصلا ليربح ايمانكم
ويقوى احسانكم وهذا ادل دليل على ان الايمان يكون مع عدم التقوى ولما ارشدهم بالاسم الناظر الى الاحسان

الى ان يقولوا انا لنا ان نفعلنا قال محسنا او معللا للذين احسنوا اى بكم ولكنه اظهر الوصف الدال على سبب جزائهم تشويقا
الى الازدياد منه ولما كان العمل لا ينفع الا في دار التكليف قال في هذه باسم الاشارة زيادة في التعيين الدنيا
اى الدنية الوضيعة التى لا تطهر الحياة فيها الا بالتقديس بعبادة الخالق والتحلي باوصافه حسنة اى عظيمة في الدنيا
بالنصر والمعونة مع كثرة المخالف وفي الاخرة بالثواب ويجوز ان يكون معنى احسنوا اوقعوا الاحسان ومعلوم انه في هذه الدنيا
فيكون ما بعده مبتدا او خبرا لكنه يصير خاصا بثواب الدنيا فالاول احسن ولما كان ربما عرض للانسان في ارض من يمنعه الاحسان
بحمله على العصيان حث سبحانه على الهجرة الى حيث يزول عنه ذلك المانع تنبيها على ان مثل هذا ليس عذرا في التقصير كما قيل واذا
نبا بك منزل فتحول فقال وارض الله اى الذى له الملك كله والعظمة الشاملة واسعة وجوده بعلمه وقدرته في كل ارض
على حد سواء فالمعنية لمن كان منها ضعيف العزم واهل اليقين فلا عذر للمفرط في الاحسان بعدم الهجرة ولما كان الصبر
على هجرة الوطن ولا سيما ان كان ثم اهل وعشيرة شديدا جدا ذكر ما للصابر على ذلك لمن تشوف الى السؤال عنه فقال انما يوفى اى
التوفية العظيمة الصابرون اى على ما تكرهه النفوس في مخالفة الهوى واتباع اوامر الملك الاعلى من الهجرة وغيرها اجرهم
بغير حساب اى على وجه من الكثرة لا يمكن في العادة حسبانه وذلك لان الجزاء من جنس العمل وكل عمل يمكن عده وحصره الا الصبر فانه
دائم مع الانفاس وهو معنى من المعاني الباطنة لا يطلع خلق على مقداره في قوته وضعفه وشدته ولينه لانه مع خفائه يتفاوت
مقداره ويتعاظم آثاره بحسب الهمم في علوها وسفولها وسموها ونزولها ويجوز ان يكون المعنى ان من كمل صبره بما اشار اليه
لام الكمال لم يكن عليه حساب لما رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاءت امراة بها لمم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله لي قال ان شئت دعوت الله فشفاك وان شئت صبرت
ولا حساب عليك قالت بل اصبر ولا حساب علي ولما كانت الاعين ناظرة الى الآمر هل يفعل ما يامر به ومقتدية
بالرئيس لتتاسي به وكان اعظم الصابرين من جاهد نفسه حتى خلص اعمالها من الشوائب وحماها من الحظوظ والعوائق
وصانها من الفتور والشواغل امره بما امرهم به في المجاهدة ويكشف لهم عن حلاوة الصبر بقوله قل ولما كان
الرئيس لقربه من الملك بحيث يظن انه يسامحه في كثير مما يكلف به غيره اكد قوله اني امرت وبني الفعل لما لم يسم فاعله
تعظيما للامر بانه قطع ومضى بحيث لم يبق فيه مثنوية واقام مقام الفاعل دليلا على انه الحق للحث على لزومه قوله ان اعبد
الله اى الذى الخلق كلهم سوا بالنسبة الى قبضته وعلوه وعظمته لانه غني عن كل شيء مخلصا له الدين اى العبادة التى
يرجى منه الجزاء عليها كان الرئيس اذا سابق الى شيء شوق النفوس اليه واوجب عليها العكوف عليه قال وامرت
اى ووقع الامر لي وانبرم بامر عظيم وراء ما امرتم به لا تطيقونه لان اى لاجل ان اكون في وقتي وفي شرعي اول اى اعظم
المسلمين اى المنقادين في رتبة الحائزين قصب السبق بكل اعتبار لاوامر الاله الذى لا امور الا بامتثال اوامره واسبق الكائن
منهم في زماني لجمعه هذا الفعل عن جهة الاول فلذلك عطف عليه لانه لاحراز قصب السبق والاول لمطلق الاخلاص في العبادة
ولما كان ما امر به منهما لا بد ان يكون مع ترغيب وترهيب وكان ربما ظن ان الرئيس لا يرهب الملك لامور ترجى منه او يخشى
وكان تكرير الامر بابلاغ المامورين اوقع في قلوبهم واشد ابعادا لا يبقوتهم قال تعالى قل اى لامتك واكد لما في الاوهام ان الرئيس
لا يخاف قوله اني اخاف اى مع تامينه لي بغفران ما تقدم وما تاخر اخلاصا في اجلاله واعظامه وتعليما للعبد لمولاه
الذى له جميع الكبرياء والعظمة ولما كان وصف الاحسان زاجرا على العصيان نبه على انه لا يكون ذلك الا لعادم العرفان
فقال ان عصيت ربي اى المحسن الى المربي لي بكل جميل فتركت الاخلاص له عذاب يوم عظيم واذا كان اليوم عظيما فكيف يكون
عذابه ولما بين ما امر به واعلم انه يخاف من مخالفة الامر له بذلك فانتج انه ممتثل لما امر به امره سبحانه بان يصرح بذلك
لان للتصريح من المزية ما لا يخفى فقال قل الله اى المحيط بصفات الكمال وحده اعبد تخصيصا له بذلك لا اتخذ اصلا بالعبادة
غيره ابدا مخلصا له وحده ديني اى امتثالا لما امرت به فلا اشينه بشائبة اصلا لا لطلب الجنة ولا خوفا من النار فانه قد غفر
لي ما تقدم وما تاخر فصار عبادتي لاجل وجهه وكونه مستحقا للعبادة خاصة شوقا اليه وحبا له وحياء منه واما الرغبة
فيما عنده سبحانه والخوف من سطواته التي جاءتهما قطع الاحسان الذى هو عند الاغبياء ادنى ما يخاف فانما هو في لاجل اعطاء
المقام حقه من ذل العبودية وعز الربوبية ولما علم من هذا غاية الامتثال بغاية الرغبة والرهبة وهم يعلمون انه صلى
الله عليه وسلم اقواهم قلبا واصفاهم لبا واجراهم نفسا واصدقهم اقداما وانجعهم عشيرة وحزبا كان خوف غيره من باب
الاولى فسبب عنه تهديدهم اعظم تهديد بقوله فاعبدوا اى انتم ايها الداعون له في وقت الضراء المعرضون عنه في وقت
الرخاء ما شئتم اى من جماد وغيره ونبه على سفول رتبة كل شيء بالنسبة اليه سبحانه تسفيها لمن تبعت الى سواه بقوله
قل ان الخاسرين اى الذين خسارتهم هي الخسارة لكونها النهاية في العطب الذين خسروا انفسهم اى بدخولهم النار التي هي
معدن الهلاك لعبادتهم غير الله من كل ما يوجب الطغيان ولما كان اعز ما على الانسان بعد نفسه اهله الذين عزتهم كل

واهليهم اى لانهم ان كانوا مثلهم فحالهم في الخسارة كحالهم ولا يمكن احدا منهم ان يواسي صاحبه بوجه فان لكل منهم شان يغنيه
وان كانوا ناجين فلا اجتماع بينهم كانت العاقبة هي المقصودة بالذات قال يوم القيمة لان ذلك اليوم هو
المنفصل لا يمكن لما كانت فيه تدارك اصلا ولما كان في ذلك غاية الهول كرر التعريف بغاية وتم تنبيها على رسوخهم في
ذلك الوصف على طريق النتيجة لما افهمه ما قبله فقال مناديا لانه اهول مبالغا بالاستيناف وحرف التنبيه وضمير الفصل
وتعريف الخبر ووصفه الا ذلك اى الامر العظيم البعيد الرتبة في الخسارة جدا هو اى وحده الخسران اى بصيغة
الفعلان المفهم مطلقا للمبالغة فكيف اذا انبنيت على الضم الذى هو اثقل الحركات وزاد في تقريعهم بالغباوة بقوله المبين
ولما علم بهذا انه البين في نفسه المنادى بما فيه من القباحة بانه لا اخسر ان غيره فصله بقوله على طريق التهكم
بهم لهم فان عادة اللام عند مصاحبة المجرور ولا سيما الضمير افهام المحبوب للضمير لا سيما مع ذكر الظلل واشار الى
قربها منهم باثبات الجار فقال من فوقهم ظلل ولما اوهم ذلك الراحة ازال ذلك بقوله من النار وذلك
انكى مما لو افهمهم الشر من اول الامر ولما كان في القرار كائنا ما كان على اى حال كان نوع من الراحة بالسكون
بين انهم معلقون في غمرات الاضطرام يصعدهم اللهيب تارة ويهبطهم انعكاسه عليهم برجوعه اليهم اخرى فلا
قرار لهم اصلا كما يكون الحب في الماء على النار يغلي به صاعدا وسافلا لا يقر في اسفل القدر اصلا ظلل ومما يدل
على ما فهمته من عدم القرار ما رواه البخاري في صحيحه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا صلى صلاة اقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا فسالنا يوما فقلنا لا قال لكني رايت الليلة رجلين
اتياني فاخذا بيدي واخرجاني الى الارض المقدسة فذكره بطوله حتى قال فانطلقنا الى نقب مثل التنور اعلاه ضيق
واسفله واسع يتوقد تحته نار فاذا فيه رجال ونساء عراة فياتيهم اللهيب من تحتهم فاذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا
يخرجون فاذا خمدت رجعوا فذكره وهو طويل عظيم ثم فسرهم بالزناة ولما كان هذا امرا مهولا وهم لا يرهبونه
ولا يرجعون عن غيهم به ذكر فائدته مع الزيادة في تعظيمه فقال ذلك اى الامر العظيم الشان يخوف الله اى الملك الاعلى
الذى صفاته الجبروت والكبر به عباده اى الذين لهم اهلية الاقبال عليه ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فيبعدهم منه
ولما اهلهم للاضافة اليه وخوفهم سطواته اقبل عليهم عند تهيئتهم للاستماع منبها على انه تخويف
استعطاف فقال يا عبادي فاتقون اى سببوا عن ذلك ان تجعلوا بينكم وبين ما يسخطني وقاية مما يرضيني لا رضى عنكم
ولما ذكر ما للمتعبدين الطاغوت عطف عليه اضدادهم ليقترن الوعد بالوعيد فيحصل كمال الترغيب والترهيب
فقال والذين اجتنبوا اى كلفوا انفسهم ذلك لما لها في الانسياق اليه من الهوى مع تزيين الشيطان حفت النار بالشهوات
ولما كان للاجمال ثم البيان موقعا عظيما قال الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله فلعوت من الطغيان
وهو صيغة مبالغة وفيه مبالغة اخرى بجعل الذات عين المعنى ودل على عكس من تبعها بتعكيس حروفها ولما ذكر
اجتنابها مطلقا ترغيبا فيه بين خلاصة ما تجتنب لاجله مع التنفير منها بتانيثها الذى يصرح المشركون بتقويته الله
لم عليها حتى كانوا ذكرانا وهي اناث عكس ما تقدم للكفار في البقرة فقال مبدلا منها بدل اشتمال ان يعبدوها
ولما ذكر اجتناب الشرك اتبعه التزام التوحيد فقال وانابوا اى رجعوا رجوعا عظيما فيه ازالة التوبة
وهي تقطيع الامر مرة بعد اخرى وجعلوها اقبالة واحدة لا صرف فيها الى الله اى المحيط بصفات الكمال فلا معدل عنه
لهم البشرى في الدنيا على السنة الرسل وعند الموت تتلقاهم الملائكة فقد ربحوا ربحا لا خسارة معه لانهم
انتفعوا بكلام الله فاخلصوا دينهم له فبشرهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر تعميما وتعليقا بالوصف فقال
مسببا عن علمهم صارفا القول الى التكلم بالافراد تشريفا للمبشرين الموصوفين فبشر عبادي اى الذين اهلوا
انفسهم لقصر همهم على الاضافة الى الذين يستمعون اى بجميع قلوبهم القول اى هذا الجنس من كل قائل ليتوصلوا بذلك
عساه اذا قبلوا على شيء اعرضوا عن غيره بغير دليل فيتبعون اى بكل عزائمهم بعد انتقاده احسنه بما دلتهم
عليه عقولهم من غير عدول الى ادنى هوى ويدخل في هذه الاية دخولا اوليا حث اهل الكتاب على اتباع هذا القران العظيم
فان كتب الله كلها حسنة وهذا القران احسنها كلاما ومعاني ونظاما لا يشك في هذا احد له ادنى ذوق ولما بين
عملهم انتج ذلك مدحهم فقال مظهرا زيادة المحبة لهم والاهتمام بشانهم بالتاكيد اولئك اى العالو الهمة والرتبة
خاصة الذين ولما كان في هؤلاء المحسنين العالي الرتبة جدا وغيره ابرز المفعول فقال محولا الاسلوب الى
الاسم الاعظم اشارة الى عظيم هدايتهم هداهم الله بما له من صفات الكمال فبين سبحانه ان لا وصول اليه الا به
وهذا بخلاف آية الانعام حيث ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال اولئك الذين هدى الله بحذف المفعول الضمير
هدايتهم مكررة بوجوب تسلط العامل على الموصول الذى اعاد عليه الضمير في هذه الاية وكرر الاشارة زيادة في تعظيمهم

بقوله ومن تحتهم

عظم

حتى

فقال وأولئك هم أي خاصة أولوا الألباب أي العقول الصافية عن شوب كدر ولما خص سبحانه البشارة بالمحسنين علم أن غيرهم قد حكم بشقاوته وكان صلى الله عليه وسلم لما جبل عليه من عظيم الرحمة ومزيد الشفقة جديرا بالأسف على من أعرض سبب عن أسفه عليهم قوله أفمن حق وأسقط تاء التأنيث الدالة على اللين تأكيدا للنهي عن الأسف عليهم عليه كلمة العذاب بإبائه وتوليه فكان لذلك منغمسا في النار التي أبرمنا القضاء بأنها جزاء الفجار لا يمكن إنقاذه منها أفأنت تنقذه من أعراضه الذي غمسه في النار ثم دل على هذا الذي قدرته بقوله مؤكدا بإعادة حرف الاستفهام لأجل طول الكلام وتهويل الأمر وتعجيبه للنهي عن تعليق الهم بهم لما عنده صلى الله عليه وسلم من جبلة العطف والرقة على عباد الله أفأنت تنقذ أي تخلص وتمنع وتنجي ووضع موضع ضميره قوله شهادة عليه بما هو مستحقه ولا يمكن غير الله فكه منه من في النار متمكنا فيها شديد الانغماس في طبقاتها والرسوخ بحيث أنها قد أحاطت به من كل جانب وكان الأصل أنت تنقذ من حق عليه العذاب فقدم المفعول وجعله عمدة الكلام ليقرع السمع فيترقب الخبر عنه ثم حذف خبره ليكون أهول فتذهب النفس فيه كل مذهب ثم أنكر أن يكون على الخلق سعده فغيره من باب الأولى فصار الكلام بذلك من الرونق والبهجة والهول والإرهاب لا يقدر البشر على مثله ولما بين أن من عبد الأنداد هالك لخروجه عن دائرة العقل بجرأة وعدم تدبر بين ما لأضدادهم فقال صارفا القول عن الاسم الأعظم إلى وصف الإحسان إشارة إلى كرم المنعمين بما لهم من أصالة الرأي التي أوجبت خوفهم مع تذكر الإحسان لهم على أن خوفهم عند تذكر الانتقام أولى لكن الذين اتقوا ربهم أي جعلوا بينهم وبين سخط المحسن إليهم وقاية في كل حركة وسكنة فلم يفعلوا شيئا من ذلك الانتظارية لهم على رضاه لهم غرف أي علالي من الجنة يسكنونها في نظير ظلل الكفار ولما كان الغرف في قرار تعرفه العيون لم يقل من فوقهم كما قال في أهل النار فقال من فوقها غرف أي شديدة العلو ولما كان ربما ظن أن الطبقة الثانية السماء لأن الغرفة أصلها العالي ولذلك سميت السماء السابعة غرفة وأن تكون الغرفة مثل ظلل النار ليس بها قرار قال تحقيقا للحقيقة مفردا كما هو مطرد في وصف جمع الكثرة لما لا يعقل مبنية ولما كانت المنازل لا تطيب إلا بالماء وكان الجاري أحسن وأشرف قال تجري من تحتها أي الغرف من الطبقة السفلى والطبقة العليا من غير تفاوت بين العلو والسفل لأن القدرة صالحة لأكثر من ذلك الأنهار ولما ذكر لوم العيبة وما يكون فيه بين أنه أمر لا بد منه بقوله وهو واجب الإضمار وعد الله مؤكدا لمضمون الجملة بصيغة المصدر الدال على الفعل الناصب له وهو واجب الإضمار والإضافة إلى الاسم الأعظم الجامع لجميع الصفات ثم أتبع ذلك بيان ما يلزم من كونه وعده بقوله على سبيل النتيجة لا يخلف الله أي الملك الذي لا شريك له يمنعه من شيء يريده ولما كان الرعي لزمان الوعد ومكانه إنما يكون للمحافظة عليه فهو أبلغ من رعيه نفسه عبر بالمفعال فقال الميعاد لأنه لا سبب أصلا يحمله على الإخلاف ولما أخبر سبحانه بقدرته على البعث دل عليها بما يتكرر مشاهدته من مثلها وخص المصطفى صلى الله عليه وسلم بالخطاب حثا على تأمل هذا الدليل تنبيها على عظمته فقال مقررا ألم تر أي تعلم علما هو كالرؤية على قدرته سبحانه على إعادة ما اضمحل وتمزق وارفت وتفرق أن الله أي الذي له كل صفة كمال أنزل من السماء أي التي لا تستمسك الماء فيها إلا بقدرة باهرة تقهره على ذلك ماء كما تشاهدونه في كل عام فسلكه في خلال التراب حال كونه ينابيع أي عيونا قائمة في الأرض تقهره على الصعود بعد أن غيبه في أعماقها بالغيض والنضوب بعد أن كان قسره على الانضباط في العلو ثم أكرهه على النزول على مقدار معلوم وكيفية مدبرة وأمر مقسوم قال الشعبي والضحاك كل ماء في الأرض فمن السماء نزل إلى الصخرة ثم تقسم منها العيون والركايا ولما كان إخراج النبات متراخيا عن نزول المطر عبر بثم وفيها أيضا تنبيه على تعظيم الأمر فيما تلاها بأنه محل الشاهد فقال ثم يخرج أي الله به أي الماء زرعا ولما كان اختلاف المسبب مع اتحاد السبب أعجب في الصنعة وأدل على بديع القدرة قال مختلفا ألوانه أي الأصناف والكيفيات والطبائع والطعوم وغير ذلك مع اتحاد الماء الذي جمعه من أعماق الأرض بعد أن نفثت فيها وصار ترابا ولما كان الإيقاف بعد قوة الإشراف دالا على القهر ونفوذ الأمر قال إشارة إلى أن الخروج عن الحد غير محمود في شيء من الأشياء فإنه يعود عليه بالنقض ثم يهيج وزاد في تعظيم هذا المعنى للحث على تدبره بإسناده إلى خير الخلق صلى الله عليه وسلم فقال فتراه أي فيتسبب عن هيجه وهو شدة ثورانه في نموه بعد التمام بتوقع الانصرام أنك تراه مصفرا أخذا في الجفاف بعد تلك الرهجة والبهجة والنضرة ولما كان السياق لإظهار القدرة التامة عبر بالجعل مسندا إليه سبحانه بخلاف آية الحديد التي عبر فيها بالكون لأن السياق ثم لأن الدنيا عدم ثم يجعله حطاما أي مكسرا متفتتا باليا ولما كان هذا على هذا المنوال البديع الدال بلا شك لكل من رآه على أن فاعله قادر على الإعادة لما يريد بعد الإبادة كما قدر على الإيجاد من العدم والإفادة لكل ما لم يكن قال على سبيل التأكيد للتنبيه على أن إنكارهم غاية في الحمق والجمود إن في ذلك أي التدبير على هذا الوجه لذكرى أي تذكيرا عظيما واضحا على البعث وما يكون بعده فإن النبات كالإنسان سواء يكون ماء ثم ينعقد بشرا ثم يخرج طفلا ثم يكون شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم هرما ثم ترابا متفتتا في الأرض ثم يجمعه فيخرجه كما أخرج

زاد البقاعي الاسم الاعظم لانه لا يتصور مع استحضاره من الجلال الاخلاف

الملك

النبات لأولي الألباب أي العقول الصافية جدا كما نبه عليه بخصوص الخطاب في أول هذا الباب للمنزل عليه هذا الكتاب وأما غيرهم وغير من تبعه بإحسان فهم كبهائم الحيوان ولما كان الذي قرره أمرا فيما يظنه السامع ظاهرا كان جديرا بأن ينكر بعض الواقفين مع الظواهر تخصيص الألباب به سبب عن ذلك الإنكار في قوله أفمن شرح الله أي الذي له القدرة الكاملة والعلم الشامل صدره للإسلام أي للانقياد للدليل فكان قلبه لينا فانقاد للإيمان فاهتدى لباطن هذا الدليل فهو أي فتسبب عن إسلام ظاهره وباطنه لله الداعي أن كان على نور أي بيان عظيم يكاشف به فبه يأخذ وبه يعطي وإليه في كل أمره ينتهي قد استعلى عليه فهو كأنه راكبه يصرفه حيث يشاء وزاد في بيان عظيم هدايته بلفت القول إلى مظهر الإحسان فقال من ربه أي المحسن إليه بإحسانه في انقياده فبشرى له فهو على صراط مستقيم كمن جعل صدره ضيقا حرجا فكان قلبه قاسيا فكان في الظلام خابطا فويل له هكذا كان الأصل ولكن قيل فويل للقاسية قلوبهم أي لصلابتهم وزاد في بيان ما يلائم به من عظيم القسوة بلفت القول إلى الاسم الدال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى فقال من ذكر الله فإن من بلغت قسوته مما تطمئن به القلوب وتلين له الجلود من مدح الجامع لصفات الكمال فهو أقسى من الجلود ولما كان من تم بهذا الخزي أخسر الناس صفقة أنتج وصفه قوله تعالى أولئك أي الأباعد الأباعض في ضلال مبين أي واضح في نفسه موضح أمره لكل أحد فالآية من الاحتباك ذكر أولا الشرح والنور دليلا على حذف ضده ثانيا وثانيا الويل للقاسي والضلال دليلا على حذف ضده أولا وروى البيهقي في الشعب والبغوي من طريق الثعلبي والحكيم الترمذي من وجه آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وقال الأستاذ أبو القسم القشيري والنور الذي من قبله سبحانه نور اللوائح بنجوم العلم ثم نور اللوامع ببيان الفهم ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين ثم نور المكاشفة بتجلي الصفات ثم نور المشاهدة بظهور الذات ثم أنوار الصمدية بحقائق التوحيد فعند ذلك لا وجد ولا قصد ولا قرب ولا بعد كلا بل هو الله الواحد القهار وذلك كما قيل المؤمن يقوى عقله يوجب استقلاله بعلمه إلى أن يبدو منه كمال تمكنه من وفادة بصيرته ثم أدابه الله لائحة من سلطان المعارف فيصير تلك الأنوار مغمورة فإذا بدت أنوار التوحيد استهلكت تلك الجملة فلما استبان الصبح أدرج ضوءه بأنواره أنوار تلك الكواكب انتهى ومن الأمر البين أن صريح هذه العبارة الحكم على الأنوار فليس المراد بتجلي الصفات وظهور الذات ظاهره بل أنوار أسنة من أنوار المراتب التي قبلها يتحقق أنها لغير الصفات أو الذات كما أن أنوار الشمس وإن قرب طلوعها يعرف كل أحد أنها أنوار ذات الشمس وإن كانت لم تظهر بعد ولله المثل الأعلى وأدل دليل على هذا أن القشيري نفسه قال في الرسالة في باب الكرامات في جواز الرؤية في الدنيا إن الأقرب عدم الجواز لحصول الإجماع عليه ولما كان من المستبعد جدا أن يقسو قلب من ذكر الله بحضرته وصوره في أعظم الذكر فإنه كان للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وفي أبصارهم عمى قال منبها للمنزل بجعل الاسم الأعظم مبتدأ وبناء الكلام عليه الله أي الفعال لما يريد الذي له مجامع العظمة والإحاطة بصفات الكمال نزل أي بالتدريج للتدريب وللجواب عن كل شبهة أحسن الحديث وأعظم الذكر ولولا أنه هو الذي نزله لما كان الأحسن ولعدد ولو يوما ولحكم على الإتيان بشيء من مثله وأبدل من أحسن قوله كتابا أي جامعا لكل خير متشابها أي في البلاغة المعجزة والموعظة الحسنة لا تفاوت فيه أصلا في لفظ ولا معنى مع كونه نزل مفرقا في نيف وعشرين سنة وأما كلام الناس فلا بد فيه من التفاوت وإن طال الزمان في التهذيب سواء اتحد زمانه أو لا والاختلاف في المختلف في الزمان أكثر ولما كان منفصلا إلى سور وآيات وجمل وصفه ولم يقل متشبها لئلا يظن أنه كله غير واضح الدلالة وذلك لا يمدح به بالجمع في قوله مثاني أي جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير تثنى فيه القصص والمواعظ والأحكام والحكم مختلفة البيان في وجوه من الحكم متفاوتة الطرق في وضوح الدلالة من غير اختلاف أصلا في أصل المعنى ولا يمل من تكراره وتردد قراءته وتأمله واعتباره مع أن جميع أزواج من الشيء ومنه المؤمن والكافر والمطيع والعاصي والرحمة العامة والرحمة الخاصة والجنة والنار والنعيم والشقاء والضلال والهدى والسراء والضراء والبشارة والنذارة فلا يرتب على شيء من ذلك جزاء إلا أتى بإفهام ما يضمه تلويحا فكان متكررا إما ترغيبا فيه أو ترهيبا منه كرتين ويجوز أن يكون التقدير متشابهة مثانيه ليكون نصبه على التمييز وفائدة التكرير أن النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا على بدء لم يرسخ عندها ولم يعمل عمله ومن ثم كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر قوله ثلاث مرات فأكثر ولما كان التكرار على ذكر أن من خصائص هذا الكتاب أنه يطرب مع التكرار ويزداد حلاوة ولو تلي آناء الليل وأطراف النهار فقال تقشعر أي تهتز وتتجمع وتنقبض تقبضا شديدا من الخوف ويقف الشعر من القشع وهو الأديم اليابس وزيد حرف للزيادة المعنى واختير حرف التكرير إشارة إلى المبالغة فيه وكونه حرفا للظهور أشد للمناسبة منه جلود أي ظواهر أجسام الذين يخشون

اى يخافون خوفا شديدا ويلينه ولذلك توجب لجلاله وهيبته فيكون ذلك سبب ذلك وزاد فى مدحهم بانهم يخافون المحسن فهم عند ذكر وصاف
الجلال اشد خوفا فلذلك لفت القول الى وصف الاحسان فقال ربهم اى المربى لهم المحسن اليهم لاهتزاز قلوبهم ذوى الطرب عن البا
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه وروى عن ابن عمر رضى الله
عنهما انه مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قال انه اذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله سقط قال ابن عمر انا لنخشى الله
وما نسقط وان الشيطان يدخل فى جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلين اى تهدأ وتسكن وتطمئن
مع فيه بالاقشعرار الذى يلزمه اليبس واحراق القلوب يعاد الماء عما قد يفهم بسبب فيهم سوء فقال جلودهم لتراحمهم بعد برهة الى
وان اشتد نصلابهما وقلوبهم وذكره ليجد دلين القلوب مع الجلود دالا على تقدم اقشعرارهما معهما من شدة الخشية فان الخشية
لا يكون الا فى القلب وكان من حذف التصريح بذلك تنزيههما عن ذكر ما قد يفهم القسوة ولما كان القلب شديد الاضطراب
والتقلب دل على حفظه له بما قد امره وباهر عظمته بالتعدية بالى ليكون المعنى ساكنة مطمئنة الى ذكر الله اى ذى الجلال والاكرام
فان الاصل فى ذكر الرجا لان رحمته سبقت غضبه واظهر موضع الاضمار لاحسن الحديث لئلا يوهم ان الضمير للقلوب فيكون شبهة
لاهل الاتحاد او غيرهم من ارباب البدع ولم يعلل الى الحديث او الكتاب مثلا بل عدل الى ما عرف انه ذكره سبحانه ليكون افخم لشانه
وزاده فخامة بصرف القول عن الوصف المقتضى للاحسان الى الاسم الجامع لجلال ذى الاكرام ولما كان ما ذكر من الارشاد
مجيبا دل على عظمته بقوله على طريق الاستنتاج ذلك اى الامر العظيم الغريب من الحديث المنزل والقبض به والبسط به هدى الله
اى الذى لا يمتنع عليه شىء يهدى به من يشاء ومن هداه الله فما له من مضل ويضل به من يشاء فلا تنشر جلودهم لغشاوة قلوبهم
فيكون هدى لناس وضلالا لاخرين ومن يضلل الله اى الملك الاعظم المحيط بكل شىء اضلالا راسخا فى قلبه بما اشعر به الفك
ليخرج الضلال العارض فما له من هاد لانه لا راد لامره ولا معقب لحكمه لانه الواحد فى ملكه فلا شريك له فالاية من الاحتباك
ذكرا ولا الاطلاق من فى الهداية دليلا على حذف مثله فى الضلال وثانيا انسداد باب الهداية على من اضله دليلا على حذف مثله فيهم
وهى دامغة للقدرية ولما تم الانكار على من سوى بين من شرح صدره ومن ضيق وما تبعه وختم بان الاول مهتد والثانى
ضال شرع فى بيان ما لكل منهما نشرا مشوشا فى اسلوب الانكار ايضا فقال مشيرا الى ان الضلال سبب العذاب والهدى سبب النعيم
وحذف هنا المنعم الذى سبب له النعيم لين قلبه كما حذف القاسى القلب فى اية الشرح الذى سببت له قسوته العذاب لتقابل
الاثنان وتتعادل العبارتان افمن وافرد على لفظ من لئلا يظن ان الوجوه الاكابر فقال يتقى ودل على ان يده التى جرت العادة
بانه يتقى بها المخاوف مغلولة بقوله بوجهه اى الذى كان يقيه المخاوف ويحميه من حمله وهو اشرف اعضائه وقاية يتقى به عن من بع
سوء العذاب اى شدته ومكروهه لانه تابع نفسه على هواها حتى قسى قلبه وفسد لبه يوم القيمة لانه يرمى به فى النار منكوسا
وهو مكبل لا شىء له من اعضائه مطلق يرده به عن وجهه فى عنقه صخرة من الكبريت مثل الجبل العظيم ويسحب فى النار على وجهه
كمن امن العذاب فهو يتلقى النعيم بقلبه وقالبه ولما كان مطلق التوبيخ والتقريع منكيا بنى للمفعول قوله وقيل له
هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الوصف تعميما وتعليقا للحكم به وجمع بينهما على ان اكثرهم لم تغن عنهم شيئا فقال للظالمين
اى الذين تركوا طريق الهدى واتبعوا الهوى فضلوا واضلوا ذوقوا ما اى جزاء ما كنتم تكسبون اى تعدونه فائدة وثمرة لاعمالكم
ونصر فاتحم وقيل لاهل النعيم طيبوا انفسا وقروا اعينا جزاء بما كنتم تعملون فالاية من الاحتباك ذكر الاستفهام اولا دليلا
على حذف متعلقه ثانيا وما يقال للظالمين ثانيا دليلا على ما يقال للعدل اولا ولما ذكر ما اعد لهم فى الاخرة وكانوا فى
مدة كونهم كالحيوانات العجم لا ينظرون الا الجزئيات الحاضرة خوفهم بما يعلمونه فى الدنيا فقال على طريق الاستيناف فى جواب من يقول
هل يعذبون فى الدنيا كذب الذين واشار الى قرب زمان المعذبين من زمانهم بادخال الجار فقال من قبلهم اى مثل سبا وقوم تبع
وانظارهم فاتاهم العذاب وكان امرهم علينا يسيرا واشار الى انه لم يغنهم حذرهم بقوله من حيث اى من جهة لا يشعرون
انه ياتى منها عذاب بجعل اتيانه من زمانهم ليكون ذلك اوجع للمعذب وادل على القدرة بانه سواء عنده تعالى الاتيان بالعذاب من جهة
يتوقع منها ومن جهة لا يتوقع ابدا ان ياتى منها شر ما فضلا عما اخذ وابه بل لا يتوقع منها الا الخير ولما بين سفههم
وشدة جمعهم باستعجالهم بالعذاب استهزاء سبب عنه تبكيت من لم يتعظ بحالهم فقال فاذاقهم الله اى الذى لا راد لامره
الخزى اى الذل الناشئ عن الفضيحة والعذاب الكبير بما ارادوه من اجراء الرسل بتكذيبهم فى الحياة الدنيا اى العاجلة الدنية
ولما كان انتظار الفرج مما يسلى قال معلما ان عذابهم دائم على سبيل الترقى الى ما هو اشد واكبر لانكارهم اياه ولعذاب
الاخرة اى الذى يتعلق اليه بالموت ويصيرون اليه بالبعث اكبر من العذاب الذى اهلكهم فى الدنيا واشد احرافا فالاية من الاحتباك
ذكر الخزى اولا دليلا على ارادته ثانيا والاكبر ثانيا دليلا على الكبير اولا وسره تغليظ الامر عليهم بالجمع بين الخزى والعذاب
بما فعلوا برسله صلى الله عليهم وسلم بخلاف ما ياتى فى فصلت فان سياقه للطعن فى الوحدانية وهى لكثرة ادلتها وبعدها عن الشكوك
وعظم المنصف بها وعدم مناسبتها بشىء يكفى فى نكال الكافر بها مطلق العذاب كله على ابتداء الخلق من نفس واحدة كانت الغاية فى هذا

السياق بالمخاطبين اكثر فقدم قوله للناس اى عامة لان رسالة رسولكم عامة ولما كان المتعنت كثيرا عن المجرعنه
بالاشارة التى هى اعرف المعارف وجعلها مما يعبر به عن القرب اشارة الى انه لما اتى به الرسول صلى الله عليه وسلم لخلع القلوب
وملاها فلا حاضر فيها سواه وان كان المعاند يقول لغير ذلك فقوله زور وبهتان واثم وعدوان فقال فى هذا القرآن اى
الجامع لكل علم وكان فى سياق التعجيب من توقفهم قال من كل مثل اى يكفى ضربه فى البيان لاقامة الحجة البالغة ثم بين علة الضرب
بقوله لعلهم يتذكرون اى ليكون حالهم بعد ضربه حال من يرجى تذكره بما ضرب له مما يعرفه فى الكون فى نفسه او فى الافاق تذكرا
واضحا مكشوفا بما ارشد اليه الاظهار فيتعظ لما فى تلك الامثال المسوقة فى احسن المقال المسوقة بما بلا ابهام من الاوضاع
والاشكال من البيان وواضح البرهان ولما كان ذلك غاية فى الشرف دل على زيادة شرفه بحال موكدة دالة على شدة عنادهم
وهى موطئة لان الحال فى الحقيقة ما بعدها بقوله قرآنا اى حال كونه كذلك المفرد وجامعا لكل ما يحتاج اليه ويجوز ان يكون النصب
على المدح عربيا جاريا على قوانين لسانهم فى جميع اساليبه ووضوحه واحتمال اللفظ الواحد منه لمعان كثيرة فكيف اذا انضم
الى غيره فصار كلاما ولما كان الشىء قد يكون مستقيما بالفعل وهو معوج بالقوة قال تعالى غير ذى عوج اى ليس بمنسوب
الى شىء من عوج ولا من شائبة العوج فلا يصح ان يكون معوجا اصلا فى شىء من نظمه ولا معناه باختلاف ولا غيره كما فى اية الكهف سوا
وفى الاتيان بعوج الذى هو مختص بالمعانى بيان ان الوصف له حقيقة فهو ابلغ من غير معوج لانه يحتمل ارادة اهله على المجاز
ولما كان التذكر بالتذكير لكونه ابلغ الوعظ حاملا ولا بد للعاقل على الخوف المسبب للنجاة قال لعلهم يتقون
اى ليكون حالهم بعد التذكر الناشئ عن التذكير حال من يرجى له ان يجعل بينه وبين غضب الله وقاية ولما اقام سبحانه الدليل
المنير على التفاوت العظيم بين من هو قانت اناء الليل ساجدا او قائما يدعو الله مخلصا له الدين وبين من يدعو لله اندادا
وختم بضرب الامثال وكانت الامثال ابين فيما يراد من الاحوال قال منبها على عظمتها بلفت القول عن مظهر العظمة الى الاسم
الاعظم الجامع لجميع صفات الكمال ضرب الله اى الملك الاعظم المنفرد بصفات الكمال مثلا لهذين الرجلين مع انه لا يشك
ذو عقل ان المشرك لانداد ادنى من المخلص فضلا عن ان يقول ان المشرك اعظم كما يقوله المشركون ولما كان الذكر اقوى
من الانثى واعرف بمواقع النفع والضر وكان كونه بالغا اعظم لقوته واشد لشكيمته فيكون انفى للعار عن نفسه وادفع
للظلم عن جانبه وادب عن جاه قال مبينا للمثل مشيرا الى تبكيت الكفار ورضاهم لانفسهم بما لا يرضاه لنفسه ادنى الارقا
رجلا فيه اى خاصة ولما كانت معبوداتهم لكونهما من جملة المخلوقات كثيرة الاشباه والنظاير عبر عنها بجمع
الكثرة فقال شركاء فى الظاهر من الاصنام وفى الباطن من الحظوظ والشهوات ووصف شركا بقوله متشاكسون
اى مختلفون عسرون يتجاذبون مع سوء الاخلاق وضيقها وقباحة الشركة فليس احد منهم يرضى بالانصاف فهو لا يقدر
ان يرضيهم اصلا ورجلا سالما اى من نزاع لرجل فليس فيه لغيره شركة ولا علاقة اصلا فهو اجدر بان يقدر على رضاه مع
راحته من تجاذب الشركا هذا على قراءة المكى والبصرى وعلى قراءة الباقين بحذف الالف وفتح اللام هو وصف بالمصدر على
المبالغة ولما انكشف الحال فيهما جدا قال هل يستويان اى الرجلان هل يكون لاحدهما مثل ما للاخر بوجه من الوجوه
ولو بغاية الجهد والعناية ولما كان الاستواء فيهما قال مثلا اى من جهة المثل اى هل يستوى مثلهما اى بحجتهما مبلغ
واحد حتى يمكن ان يكونا متماثلين فهو تمييز محول فى الاصل عن الفاعل والجواب فى هذا الاستفهام الانكارى قطعا سوا
بل مثل الرجل السالم فى غاية الحسن فكذا ممثوله وهو القانت المخلص ومثل الرجل الذى وقع فيه الشاكس فى غاية القبح
فكذا ممثوله وهو الداعى للانداد ولما علم بهذا المثل المضروب للرجلين سفول المشرك وهو الداعى للانداد
وعلو السالم وهو القانت ظهر بذلك بلا ريب حقارة المشاركين وجلالة المنفرد وهو الله فانتج قطعا قوله الحمد اى
الاحاطة باوصاف الكمال لله الذى لا مكافئ له تعلم ذلك كل احد لما له من الظهور لما عليه من الدلائل فلا يصح ان يكون
له شريك بل اكثرهم اى الناس لا يعلمون لانهم يعملون بما لا يليق بهذا العلم فيشركون به اما جليا واما خفيا ويجوز
ان يقال له الكمال كله فليس المتلفتون الى غيره ادنى التفات علما بل لا علم لهم اصلا وهم المشركون شركا جليا واما
اصحاب الشرك الخفى فهم وان كان لهم علم فليس بكامل ولما كان السالم مثاله صلى الله عليه وسلم والاتباع
والاخر للمخالفين وكان سبحانه قد اثبت جهلهم وكان الجاهل احمية واباء لما يدعى اليه من الحق وعصبية والجاهلون
لاهل العلم اعداء فكان لذلك التفكر فى امرهم وما يؤدى اليه من التقاعد عن الاتباع والتصويب بالاذى ولا سيما
وهم اكثر من اهل العلم موديا الى الاسف وشديد القلق فكان موضع ان يقال فما يفعل وكان لا ينبغى فى الحقيقة ان يعلق
الامر طن دوام النكد قال تعالى مسليا ومعزيا وموسيا فى سياق التاكيد تنبيها على ان من قلق كان بحاله مقتضيا للانكار
انقطاع التنكيد انك تخصيصه صلى الله عليه وسلم لان الخطاب اذا كان للراس كان اصدع لاتباعه فكل موضع كان للاتباع
وخص فيه صلى الله عليه وسلم بالخطاب دونهم فهم المخاطبون فى الحقيقة على وجه ابلغ ولما لم يكن لممكن من نفسه

الا العدم فقال ميت اى الآن لان هذه صيغة لازمة بخلاف مايت يعنى فكن كالميتين بين يدى الغاسل فانك مستريح قريبا مما تعاقب من انكادهم وراجع الى ربك ليجازيك على طاعتك له وانهم اى العباد كلهم اتباعك وغيرهم ميتون فمنقطع ما هم فيه من اللذذ والعيش الرغد كان الشفا الكامل انما يكون باخذ الثار واذلال الظالم قال مشيرا باداة التراخي الى مدة البرزخ مؤكدا لاجل انكارهم البعث فضلا عن القصاص صادعا لهم بالخطاب بعد الغيبة ثم انكم اى ايها العباد كلكم فان كل احد مسؤول عن نفسه وعن غيره هل رعى حق الله فيه وانت وهم من باب تغليب المخاطب وان كان واحد العظمته على الغائبين وزاد فى اثبات المعنى بقوله يوم القيمة فسياقه مساق ما لا خلاف فيه ويبين ذلك الحال بحال شهد الحال لانقطاع الاسباب بقوله صارفا القول الى وصف التربية الذى يحوله الفضل على الطايع والعدل فى العاصى عند ربكم اى المربى لكم بالخلق والرزق فلا يجوز فى الحكمة ان يدعكم يبغى بعضكم على بعض كما هو مشاهد من غير حساب كما انا فلكم عقلا لا يرضى بذلك فى عبده الذين ملكه الله اياهم ملكا ضعيفا او ولاه عليهم ولاية من لدنه فكيف بمن خوفه فكيف بالحكما تختصمون اى تبالغون فى الخصومة لياخذ بيد المظلوم وينتقم له من الظالم ويجازى كلا بما عمل اما فى الشر فسواء بسواء لا يظلم مثقال ذرة وما دونه واما فى الخير فالحسنة بعشر امثالها الى ما فوق ذلك بما لا يعلمه غيره فلا ينبغى ابدا للمظلوم ان يتهم دوام تمكنه وعدم الاخذ بيده فيقتصر فى العمل او يجنح الى شئ من الخوف والوجل بل عليه ان يفرح بما يجزل ثوابه ويسر عليه حسابه ويشتغل بما يخلصه نفسه فى يوم البلاء الذى الناس فيه فريقان ولا يشتغل بما لا يكون من تصفية دارا لكدر عن الاكدار وقراره الدنس عن الاقذاء والاقذار فان الدوام فيها محال على حال من الاحوال قال القشيرى نعاه صلى الله عليه وسلم ونعى المسلمين اليهم ففرغوا بانفسهم عن مأتمهم ولا تعزية فى العادة بعد ثلاث ومن لم يتفرغ من مأتم نفسه وانواع همومه فليس له من هذا الحديث شمة واذا فرغ قلب عن حديث نفسه وعن الكون بجملته فحينئذ يجد الخبر من ربه وليس هذا الحديث الا بعد فنائهم عنهم والسد بعضهم

كتبت اليكم بعد موتى بليلة ٭ ولم ادر انى بعد موتى كتبت

انتهى ومن المعلوم انهم اذا اماتوا نفوسهم حييت ارواحهم فانفسحت صدورهم وانتعشت قوى قلوبهم فانشعت علومهم واستنارت فهومهم وتجلت لهم حقايق الامور لحدثوا عن مشاهدة الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولما اخبر سبحانه بانهم جعلوا لله اندادا واعلم بانهم كذبه فى ذلك كافرون ساترون للحق وانه لا يهدى من هو كاذب كفار واخبر انه لا بد من حصام الداعى لهم بين يديه سبحانه لانه لا يجوز فى الحكمة تركهم هملا كما هو مقرر فى العقول وموجود فى الفطر الاولى ومعلوم بالمشاهدة من احوالهم فينعم على المظلوم وينتقم من الظالم وكان الكاذب فى اقل الاشيا ظالما واظلم منه الكاذب على الاكابر واظلم الظالمين الكاذب على الله قال تعالى مسببا عما مضى فمن اظلم اى منهم هكذا كان الاصل ولكنه قال ممن كذب تعميما وتعليقا بالوصف فكفر بستر الصدق الثابت واظهارما لا حقيقة له ولما كان الكذب عظيم القباحة فى نفسه فكيف اذا كان كما مضى على الاكابر فكيف اذا كانوا ملوكا فكيف اذا كان على ملك الملوك لفت القول الى مظهر الاسم الاعظم تنبيها على ذلك فقال على الله اى الذى له الكبريا رداؤه والعظمة ازاره فمن نازعه واحدا منهما قصمه فزعم فى كذبه انه له سبحانه اندادا وشركاء واولادا ولما كان وقوع الحساب يوم القيمة حقا لكونه واقعا لا محالة ووقوعا ذا طائل للخبر عنه لما علم من ان اقل الخلق لا يرضى ان يترك عبيده سدى فكيف بالخالق فكان الخبر به صدقا لوقوع العلم القطعى بانه مطابق ذلك الواقع قال وكذب اى اوقع التكذيب بكل من اخبره ب‍ بالصدق اى الاخبار بان الله واحد وانه يبعث الخلايق للجزا المطابق كل منهما للواقع لما دل على ذلك من الدلايل الساطعة اذ جاءه اى من غير توقف ولا نظر فى دليل كما هو دأب المعاندين اولئك هم الكافرون لهم ما يغرهم من عذاب جهنم ذلك جزا المسيئين ولما كان قد تقرر كالشمس انه لا يسوغ فى عقل عاقل ترك الخلق سدى فكان يوم الدين معلوما قطعا وكان معنى هذا الاستفهام الانكارى نفى مدخوله فترجمته ليس احد اكذب منهم وكان عرف اللغة فى تسليط هذا النفى على صيغة افعل اثبات مدلول افعل ليكون المعنى انهم اكذب الخلق فكان هذا التقدير اليس هذا الكاذب المكذب عافلا يخشى ان يحاسبه الله الذى خلقه اليس الله المتصف بجميع صفات الكمال يحاسب عباده كما يحاسب كل من الخلايق من تحت يده اليس يحبس الظالم منهم فى دار انتقامه كما يفعل ادنى الحكام اليس دار انتقامه جهنم التى تلقى داخلها بعبوسة وتجهم شق به قوله اليس فى جهنم اى النار التى تلقى داخلها بالتجهم والعبوسة كما كان يلقى الحق واهله مثوى اى منزلا مهيئا للاقامة فيه على وجه اللزوم لهم هكذا كان الاصل ولكنه قال تعميما وتعليلا للوصف مبينا ان الكذب كفر اى ستر للصدق واظهار لما لا حقيقة له والتكذيب بالصدق كذلك هو للكافرين اى الذين ستروا كذبهم فالبسوه ملابس الصدق وستروا الصدق الذى كم بوابه ذلك جزاء المسيئين لانهم لينوا عنتقين فاقام سبحانه هذه المقدمة دليلا على تلك المقدمات كلها ولما ذكر سبحانه الظالمين الكذب

ذكر اضدادهم الذين جاءوهم عند ربهم وهم المحسنون بالصدق فقال والذى اى الفريق الذى جاء بالصدق اى الخبر المطابق للواقع تصدق على الله وتعريفه يدل على جماله فيشير الى ان الاتيان به ديدنه لا ينفك عنه كذبا وصدق به اى بكل صدق سمعه وقام عليه الدليل وليس هو بجوده عدوما لم يعلم فهو يكذب بكل ما لم يسمع فمن اعدل منه لكونه صدق على الله وصدق بالصدق اذ جاءه واستمر عليه ولعله افرد الضمير اشارة الى قلة الموصوف بهذا الوصف من الصدق وهذا الفريق هو الرسل واتباعهم ولذلك حصر النعوى فيهم فقال مشيرا بالجمع الى عظمتهم وان كانوا قليلا اولئك اى العالوا الرتبة هم اى خاصة المتقون الذين جانبوا الظلم فليس لجهنم عليهم سبيل ولا لهم فيها منزل ولا مقيل بل الجنة منزلهم اليس فى الجنة منزل للمتقين فالاية من الاحتباك ذكر اولا المثوى فى جهنم دليلا على حذف ضده ثانيا والاتقا ثانيا دليلا على حذف ضده اولا وسره انه ذكر ابلى ما للمجرم من الكفر وسوء الجزا واسر ما للمسلم من قصر المتقوى عليه وذكر احب جزايه اليه والاشارة الى عراقته فى الاحسان وفى الاية احتباك اخر وهو انه ذكر الكذب والتكذيب اولا دليلا على الصدق والتصديق ثانيا والاتقا وجزاه وما يتبعه ثانيا دليلا على ضده اولا وسره انه ذكر فى شق المسئ انكى ما يكون من الكذب والتكذيب فى اقبح مواضعه ولا سيما عند العرب واسر ما يكون فى شق المحسن من استقامة الطبع وحسن الجزا ولما مدحهم على تقواهم قال فى جواب من سال عن ثوابهم لافتا القول الى صفة الاحسان تعريفا بمزيد اكرامهم لهم ما يشاؤن اى يتجدد لهم ارادته متى ارادوه عند ربهم اى المحسن اليهم اللطيف بهم فى الدنيا والاخرة لانهم سلموا له فى الاولى ما يشا فسلم لهم فى الاخرى ما يشاؤن ولما كان هذا اعظم الجزا امدحه على وجه بين علته واوجب عمومه فقال ذلك اى الثواب الكبير جزاء المحسنين اى كل من اتصف بالاحسان كما اتصفوا به بالتقوى فاجبه الله سبحانه كما احبهم فكان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولما كان العاقل من قدم فى كل امر الاهم فالاهم فميز بين خير الخيرين فاتبعه وشر الشرين فاجتنبه كان المحسن من حصل اكبر ذنوبه نصب عينيه وعمل على هدمه فلذلك علل الاحسان بقوله ليكفر اى يستر سترا عظيما كانه قال المحسنين الذين احسنوا لهذا الغرض ويجوز ان يكون التعليل للجزا وعبر بالاسم الاعظم لعنا عن صفة الاحسان اشارة الى عظيم الاجتهاد فى العمل والابدان لانه لا يقدر على الغفران لمن يريد الا المطلق التصرف فقال الله اى الذى نصب المحسن جلاله وجماله بين عينيه فاستغرق فى صفاته ابتغا مرضاته فعبده كانه يراه وحقق الامر باعترافهم بالخطا وقصدهم التكفير لما اهمهم تعظيما له بقوله عنهم اسوأ العمل الذى عملوا وتابوا عنه بالندم والاقلاع والعزم على عدم العود وقد علم انه اذا محى الاكبر انمحى الاصغر لان الحسنات يذهبن السيات فلذلك ذا اهل البصائر والاخلاص فى الاعلان والاسرار ولما اخبر بالتطهير من اوضار السيئ اتبعه الاخبار بالتنوير بانوار المحسن فقال ويجزيهم اجرهم اى الذى تفضل عليهم بالوعد به ولما كان تعالى متفضلا بزيادة العمل الصالح وبزيادة الجزا الحار فى الجزا اعلاما بانه يجعل الاعمال الصالحة كلها مثل اعلاها فقال باحسن ولما كان مقصود هذه السورة احق من مقصود سورة النحل وكانت الذى ومن اقل ابهاما مما قال الذى اى العمل الذى وهو كالاول من اضافة الشئ الى ما هو بعضه كخاتم فضة واشار الى مداومتهم على الخير بالتعبير بالكون والمضارع فقال كانوا يعملون يجددون له وقتا بعد وقت لانه فى طباعهم فهم عريقون فى تعاطيه فمن كان فى هذه الدار محسنا فى وقت ما يعبد الله كانه يراه فهو فى الاخرة كل حين يراه قال القشيرى ثم يجب ان يكون على احسن الاعمال احسن الثواب واحسن الثواب الرؤية فيجب ان يكون على الدوام وهذا استدلال قوى ولما فهم من قوله وكذب بالصدق اذ جاءه ان المشركين يكذبونه وكان من طبع الادمى الاهتمام بمثل ذلك ولا سيما اذا كان المكذب كثيرا او قويا وتقرر انه سبحانه الحكم العدل بين المتخاصمين وغيرهم فى الدنيا والاخرة ولزم كل سامع الافراد بالاخرة وبشر المحسنين وحذر المسيئين وكان من المعلوم انهم يحذرونه المسلمين كما يحذرهم الله حسن كل الحسن قوله مقررا للكفاية غاية الافراد ومنكرا النفيها اكل الانكار اليس الله اى الجامع لصفات العظمة كلها المنعوت بنعوت الكمال من الجلال والجمال واكد المراد بزيادة الجار لما عندهم من الجزم بانهم غالبون فقال بكاف وحقق المناط بالاضافة فى قوله عبده اى الخالص له الذى لم يشرك به اصلا كما تقدم فى المثل عن كذبه وقصد مساءته فينصره عليهم حتى يظهر دينه ويعلى امره ويغنيه عن ان يحتاج الى غيره او يجنح الى سواه باعتقاد ان فى يده شيئا يستقل به وهذا لا ينافى السعى فى الاسباب مع اعتقاد انها بيد الله فان شاء ربطها بالمسببات وان شاء اعقمها بل السعى اكمل لان ترتيب الاسباب بوضع الحكيم فالسعى فى طرحها تنافى وضع الحكمة وقرا حمزة والكسائى وابو جعفر عباده بالجمع بمعنى الرسول واتباعه ولما كان الجواب قطعا بلى انه لكاف من يشاء والاصنام المملوك بالشركاء المتشاكسين لا يكفون من تولاهم بنى على ذلك حالا عجيبا من احوالهم فقال معجبا منهم ومنبها على جهلهم ويخوفونك اى عباد الاصنام يعلمون ان الله يكفى من اراد وان الاصنام لا كفاية عندها بوجه والحال انهم يخوفونك ولما كان الخوف ممن له اختيار فان كان عاقلا كان اقوى لمخافته وكان من المعلوم بديهة انه لا اختيار لهم فضلا عن العقل قال تهكما بهم بالتعبير بما يعبر به عن المذكور العقلا لكونهم ينزلونهم بالعبادة وغيرها منزلة العقلا

مع اعترافهم بأنهم لا فعل لهم فصاروا بذلك ضحكة وشهرة بين الناس بالذين ويحقارتهم بقولهم من دونه وهم معبوداتهم ضلا
منهم عن المحجة فيقولون إنا نخشى عليك أن تخبلك آلهتنا كما قالت عاد لهود عليه السلام إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
وسيأتي التعبير عنهم بالتأنيث زيادة في توبيخهم ولما كان من الحق الواضح كالشمس أن ما قالوه لا يقوله عاقل وكان التقدير
فقد أضلهم الله إهانة لهم وهداك إكراما لك بين أنه سبحانه قسرهم على ذلك ليكون إضلاله لهم آية كما أن هداه لمن هداه آية
فقال مخففا عنه صلى الله عليه وسلم في إذهاب نفسه عليهم حسرات دامغا للقدرية ومن يضلل الله أي الذي له الأمر كله فلا يرد
أمره أصلا لا يتناجله علته بما أتى رأيه الفك فما له لأجل أنه هو الذي أضله من هاد أي يخلصه من حزنك عليهم ومن يهد
الله أي الذي لا يعجزه شيء فما له من مضل فهو سبحانه يهدي من شاء منهم إن أراد ولما لم يبق شبهة ولا شيء من شك أنه
الهادي المضل إنما هو الله وأنه جعل شيئا واحدا سببا لضلال قوم ليكون ضلالهم في الظاهر علة للنقمة وهدى لآخرين
فيكون هداهم سببا للنعمة بلغ النهاية في الحسن قوله أليس الله أي الذي بيده كل شيء بعزيز أي غالب لما يريد في إضلاله قوما
يدعون أنهم النهاية في كمال العقول عما هدى به غيرهم ذي انتقام أي له هذا الوصف لمن أراد النقمة منه سلط عليه ما يريد
مما يخزيه ويذله كما أنه إذا أراد نعيمه عن أنوار النور ونصله ولما علم بهذه البراهين أنه سبحانه المتصرف في المعاني
بتصرفه في القلوب بالهداية والإضلال وكان التقدير فلئن سألتهم بهذا الاستفهام الإنكاري ليقولن بلى عطف عليه بيان
أنه الخالق للذوات كما أنه المالك للمعاني والصفات فقال مفسدا لدينهم باعترافهم بأصلين القدرة التامة له والعجز الكامل
لمعبوداتهم ولئن سألتهم أي فقلت لمن شئت منهم فرادى أو مجتمعين من خلق السموات أي على ما لها من الاتساع والعظمة والأرض
على ما فيها من العجائب وفيهما من الانتفاع ليقولن بعد تخويفهم لك بشركائهم الذين هم من جملة خلق من أرسلك بما أنت فيه
الذي خلقهما الله أي وحده الذي لا سمي له ولا مباين بوجه في أمره لا يصدهم عن ذلك الحياء من التناقض ولا الخوف من التهافت
بالتعارض ولما كان هذا الخبر لأنه بين ولا بد أنهم لا يقبلون ولا يحرصون كان بحيث كأنه قيل فماذا أصنع فقال قل
مسببا عن اعترافهم له سبحانه بجميع الأمر قوله معترضا بالفزع بعد إقرارهم بالأصل ومفزعا بتخويفهم ممن ليس له أمر بعقد
ولا حل أفرأيتم ولما كان السائل النصوح ينبغي له أن ينبه الخصم على محل النكتة لينتبه من غفلته فيرجع عن
غلطته عبر بأداة ما لا يعقل عن معبوداتهم بعد التعبير عنهم سابقا بأداة الذكور العقلاء تنبيها لغلطهم فقال معبرا
عن مفعول رأيتم الأول والثاني جملة الاستفهام ما تدعون أي دعاء عبادة وقد تقدم تخويفهم بادعاء آلهتهم بقوله
من دون الله أي الذي هو ذو الجلال والإكرام فلا شيء إلا وهو من دونه وتحت قهره ولما كانت العافية أكثر من البلوى
أشار إليها بأداة الشك ونبه على مزيد عظمته سبحانه بإعادة الاسم الأعظم فقال إن أرادني الله الذي لا راد لأمره
ولما كان ذا المعاند معتمدا فإنك بضر أي إن أطعتكم في الجنوح إليها خوفا منها وبالغ في تنبيههم نصحا لهم ليرجعوا
عن ظاهر غيهم بما ذكر من تأنيثها وسفولها بالتأنيث بعد سفولها بعدم العقل مع دناءتها بالعجز وبعد التهكم بهم بالتعبير عنها
بأداة الذكور العقلاء فقال هل هن أي هذه الأوثان التي تعبدونها كاشفات أي عني مع اعترافكم بأنها لا خلق لها وأنها
مخلوقة لله ضره أي الذي أصابني به نوعا من الكشف لا أرجوها في وقت شدتي وأكد الأمر ونبه على عظم الحال بإعادة
العامل فقال أو أرادني برحمة لطاعتي إياه في توحيده وخلع ما سواه من عبيده هل هن ممسكات أي عني رحمته أي لأجل
عصياني لهن نوع إمساك لأطعتكم في الخوف منهن هذه قراءة أبي عمرو بالتنوين وإعمال اسم الفاعل بنصب ما بعده وهو
الأصل من اسم الفاعل والباقون بالإضافة ولا فائدة غير التخفيف وقد سجل عليهم أن الأوثان مختصة بهذا المعنى بمعرفته به
ولما كان من المعلوم أنهم يسكتون عند هذا السؤال لما يعلمون من لزوم التناقض إن أجابوا بالباطل ومن بطلان دينهم
إن أجابوا بالحق وكان الجواب قطعا عن هذا لا سوا نطقوا أو سكتوا أنه لا متصرف بوجه إلا الله فكانت النتيجة قوله
قل إذا ألقمتهم الحجر حسبي أي كافي الله أي الذي أفردته بالعبادة له الأمر كله ممن تخوفونني به ومن غيره عليه وحده
لأن له الكمال كله ولما أفهم المقام ما له سبحانه من العظمة وكان من عادة العظماء التجبر على الضعفاء أعلم أنه سبحانه
لكل من قصده على مقادير نياتهم فقال يتوكل المتوكلون أي الذين يريدون أن يعلوا أمرهم كل أمر وأمره بالقول إعلاما
بأن حالهم عند هذا السؤال التناقض الظاهر جدا ولما كانوا مع هذه الحجج القاطعة والأدلة القاطعة والبراهين
الساطعة التي لا دافع لها بوجه كالبهائم لا يبصرون إلا الجزئيات حالا دوعها قال مهددا مع الاستعطاف قل يا قوم
أي يا أقاربي الذين أرجوهم عند الملمات وفيهم كفاية في القيام بما يحاولونه اعملوا أي افعلوا أفعالا مبنية على العلم على
مكانتكم أي حالتكم التي ترتبتم فيها وجمدتم عليها لا مهاجلة لكم من الكون والمكنة لتبصروا حقائق الأمور فتنتقلوا عن
أحوالكم السافلة إلى المنازل العالية فكأنه يشير إلى أنهم كالحيوانات العجم لا اختيار لها ويعرض بالعمل الذي مبناه العلم والحكمة
التي محطها الجمود بأنها لم ليس فيها ما يبنى على العلم وإنما هي جزاف لا اعتبار بها ولا وزن لها وأشار في قراءة أبي بكر عن عاصم

بالحجج

بالجمع إلى أن منهم من يتحول إلى ما يريده سبحانه من الحالات هدايات كانت أو ضلالات ثم أجاب من عساه أن يقول له منهم فماذا تعمل أنت
بقوله إني عامل على كفاية الله لي ليس لي نظر إلى سواه ولا أخشى غيره وليس لي مكانة إلا لزوم الجمود عليها بل أنا واقف مع ما يرد من عند الله
إن نقلني انتقلت وإن أمرني بغير ذلك امتثلت وأنا مرتقب كل وقت للزيادة ثم سبب عن قول من لعله يقول منهم وما عساه
يكون قوله إيذانا بأنه على ثقة من أمره لأن المخبر له به الله فسوف تعلمون أي بوعد لا خلف فيه من يأتيه أي منا ومنكم بسبب
أعماله عذاب يخزيه بأن يزيل عنه كل شيء يمكنه أن يستعز به ويحل أي يجب في وقته مستعليا عليه من حل عليه الحق يحل
بالكسر أي وجب والدين صار حالا لحضور أجله عذاب مقيم لإقامته على حالته وجموده على ضلالته ومن يتوبه الله انتصارا
يعليه وينقله إلى نعيم عظيم لانتقاله بارتقائه في مدارج الكمال بأوامر ذي الجلال والجمال ولقد علموا ذلك في قصة
المستهزئين ثم في وقعة بدر فإن من أهلكه الله منهم جعل إهلاكه أول عذابه ونقله به إلى عذاب البرزخ ثم عذاب
النار فلا انفكاك له من العذاب ولا رجاء لحسن المآب ولما تجلت عرائس هذه المعاني لحذاق بالألباب ولمعت
سيوف تلك المباني من المثاني قاطعة للرقاب وختمها بما ختم من صادع الإرهاب أنتجت ولابد قوله معللا الإتيان بما توعد
به مؤكدا لما لهم من الإنكار لمضمون هذا الإخبار وعبر بمظهر العظمة لاقتضاء الحال لها في إعلاء كلامه واستعلائه وحكم
سطوته بإضلال الضال وإشقائه إنا أنزلنا أي بما لنا من باهر العظمة ونافذ الكلمة ولما كان توسط الملك
حبا لم يعده فأسقط حرف الغاية إفهاما لأنه في الحقيقة بلا واسطة بعد أن ثبت وساطته أول السورة معترونا
بالأمر بالعبادة إشارة إلى بداية الحال فلما حصل التمكن فصار الكتاب خلقا له صلى الله عليه وسلم وصار طهوره فيه هاديا
لغيره نبه على ذلك بأداة الاستعلاء فقال عليك أي خاصة لا على غيرك من أهل هذا الزمان لأنك عبدنا الخالص لنا دون أهل
القريتين ودون أهل الأرض كلهم لم يكن لشيء دوننا فيلحظ الكتاب الجامع لكل خير لكونه في غاية الكمال بما دل عليه أل
للناس عامة لأن رسالتك عامة بالحق مصاحبا له لا يقدر الخلق كلهم على أن يزيحوا معنى من معانيه عن قصده ولا لفظا من ألفاظه
عن سبيله وحده بل هو معجز في معانيه حاضره كانت أو غائبة ومنظومه وألفاظه وأسماء سوره وآياته وجميع رسومه فلابد
من إتيان ما فيه من وعده ووعيده ولما تسبب عن علم ذلك وجوب المبادرة إلى الإذعان له لفوز الدارين حسن جدا قوله تعالى
في الحقيقة تسلية له صلى الله عليه وسلم لعظيم ما له من الشفقة عليهم وتهديدا لهم فمن اهتدى أي طاوع الهادي ولما كان
السياق للتهديد على الضلال اكتفى في هذا السبق بقوله فلنفسه أي فاهتداؤه خاص نفعه بها ليس لك فيه إلا أجر التسبب
ومن ضل أي وقع منه ضلال لمخالفته لداعي الفطرة ثم داعي الرسالة عن علم وتعمد أو إهمال للنظر وتهاون ولما كان ربما
وقع في وهم أنه يلحق الله أمر بعد البيان من إثم الضال وكان السياق لتهديد الضال بين زاد في التأكيد فقال فإنما يضل مطلق
ضلال عليها كائنة أو عارضا عليها أي ليس عليك شيء من ضلاله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولما هدى السياق إلى
أن التقدير فما أنت عليهم بجبار لتقهرهم على الهدى عطف عليه قوله وما أنت أي في هذا الحال ولمزيد العناية بنفي القهر قدم أداة
الاستعلاء فقال عليهم بوكيل لتحفظهم عن الضلال فإنا أرسلناك إليهم لإقامة الحجة لا لقدرة الرسول على هدايتهم ولا لعجز
المرسل عن ذلك ولما كان الوكيل في الشيء لا تصلح وكالته فيه إلا إن كان قادرا عليه بطرق من الطرق وكان حفظهم
على الهدى وعن الضلال لا يكون إلا لحاضر لا يغيب ولا يعتريه نوم ولا يطرقه موت لم يصح وكالة أحد من الخلق فيه فكان كأنه قيل
لأنه لو وكل إليك أمرهم لضاعوا عند نومك وموتك فدل عليه بما أدى معناه وزاد عليه من الفوائد ما يعرف بالتأمل
من تشبيه الهداية بالحياة واليقظة والضلال بالموت والنوم فكما أنه لا يقدر على الإماتة والإنامة إلا الله فكذلك
لا يقدر على الهداية والإضلال إلا الله فمن عرف هذه الدقيقة عرف سر الله في القدر ومن عرف السر فيه هانت عليه المصائب
فهي تسلية له صلى الله عليه وسلم ولفت القول إلى التعبير بالاسم الأعظم لاقتضاء الحال له وأسند التوفي إليه سبحانه لأنه
في بيان أنه لا يصلح للوكالة أصلا غيره فقال الله أي الذي له مجامع الكمال وليس لشائبة نقص إليه سبيل يتوفى الأنفس التي
ماتت عند انقضاء آجالها أي يفعل في وفاتها فعل من يجتهد في ذلك بأن يقبضها وافية لا يدع شيئا منها في شيء من الجسد وعبر
عن جمع الكثرة بجمع القلة إشارة إلى أنها وإن تجاوزت الحصر فهي كنفس واحدة ولعله لم يوحد لئلا يظن أنا لو أخذ على حقيقتها
حين موتها أي بمنعها من التصرف في أجسادها في هذه الحياة الدنيا كأنه في مماتها محبوسة فيه مظروفة له وعطف على الأنفس
قوله والتي أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت لأنها لم تنقض آجالها يتوفاها كأنه في منامها بمنعها من التصرف
بالجسد لا إدراك ما دام النوم موجودا مظروفة له لا شيء منها في الجسد على حال اليقظة فالجامع بينهما عدم الإدراك
والشعور والتصرف ولو قيل بموتها ومنامها لم يفد أن كلا من الموت والوفاة آية مغايرة للأخرى ولما كان
النوم منقضيا دلنا بقرانه بالموت على أن الموت أيضا منقض ولابد لأن الفاعل لكل منهما واحد تسبب عن ذلك قوله فيمسك
أي فيتسبب عن الوفاتين أنه يمسك عنده التي قضى أي حتم وحكم [illegible] وقراءة البناء للمفعول موضحة لهذا

لهذا المعنى بزيادة البشر والسهولة عليها الموت مطروقة لمماتها لانه دعلى نقيض حسد هما ما دام الموت يحيط بها كما ان التي
كذلك ما دام النوم يحيط بها ويرسل الاخرى اى التي لم يحضر موتها وجعلها مطروقة للمنام لانها لم يستوف اجلها الذي ضربه لها بان يتيقظ
المنام تيقظها لتقريب ابدانها ويجعل ذلك الامساك للميتة والارسال للنائمة الى اجل مسمى لبعث الميتة ولموت النائمة لا يعلمه
غيره فاذا جاء ذلك الاجل اماتها لنائمة وبعث الميتة وقد ظهر من التقرير لدى هدى اليه قطعا السياق ان النفس التي تنام هي التي
تموت وهي الروح قال ابن الصلاح في فتاويه وهو الاشبه بظاهر الكتاب والسنة انتهى روى الطبراني في الاوسط قال الهيثمي ورجاله
رجال الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلتقي ارواح الاحياء والاموات فيتساءلون بينهم فيمسك الله ارواح الموتى
ويرسل ارواح الاحياء الى اجسادها وروى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اوى احدكم
الى فراشه فليقل باسمك ربي وضعت جنبي اللهم ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك
الصالحين وظهر ايضا ان الاية من الاحتباك ذكر الحين اولا دليلا على تقديره مثله في النوم ثانيا والمنام ثانيا دليلا على حذف
الممات اولا ولما ثم هذا على هذا الاسلوب الرفيع والنظم المنيع سبد على عظمته وما فيه من الاسرار بقوله مؤكدا [illegible]
لمن رميه بالاساطير وغيرها من الاباطيل ان في ذلك اى الامر العظيم من الوفاة والنوم على هذه الكيفية والعبادة عنه على
هذا الوجه لايات اى على انه لا يقدر على الاحيا والحفظ غيره وانه قادر على البعث وغيره من كل ما يريد لقوم اى ذوي قوة في
مزاولة الامور ولما كان هذا الامر لا يحتاج الى غير تجريد النفس من الشواغل والتدبر قال يتفكرون اى في عظمة هذا
التدبير لتعلم به عظمة الله وذلك ان النفس جوهر روحاني له في التعلق بالبدن ثلاث حالات احدها ان يقع ضوء النفس على
البدن كله ظاهرا وباطنا وذلك هو الحياة مع اليقظة وثانيها انقطاع ضوء النفس عن البدن ظاهرا لا باطنا وذلك
بالنوم وثالثها انقطاع ذلك ظاهرا وباطنا وهو بالموت فالموت والنوم من جنس واحد الا ان الموت انقطاع تام والنوم
انقطاع ناقص فلا يقدر على ايجاد شي واحد على نوعين ثم يجعلهما في شي واحد على التعاقب ويفصل كلا منهما من الاخر الا هو
سبحانه وكما قدر على افناء المونة الصغرى بعد جعله لها فهو قادر على افنائها الكبرى بمثل ذلك ولما انتج هذا ولا
يدعوان يقال توعدا الم هل علموا انه لا يقوم شي مقامه ولا يكون شي الا باذنه ولا يقرب احد من القدرة على شي من فعله فكيف
بالقرب من رتبته فضلا عن مماثلته فرجعوا عن ضلالهم عادله بقوله ام اتخذوا اى كلفوا انفسهم بعد وضوح الدلائل عندها
ان اخذوا من دون الله الذي لا مكافي له ولا منداني شفعا اى تقربهم الى الله زلفى في الدنيا وفي الاخرة على تقدير كونها مع قيام
الادلة الشهودية عنه ثم على انه لا يشفع احد الا عنده من يصح ان يكافيه بوجه من الوجوه ولذلك نبه على المعنى بقوله معرضا عنهم
اشارة الى سقوطهم عن الفهم قل اولو اى ايتخذونهم لذلك ولو كانوا لا يملكون شيئا اى لا تتجدد لهم هذه الصفة ولا يعقلون
كما يشاهد من حال اصنامكم ولما نفى صلاحية اصنامهم لهذا الامر اشار الى نفيه عما سواه بقصر الامر عليه فقال
قل لله اى المحتوى على صفات الكمال وحده الشفاعة اى هذا الجنس جميعا فلا يملك احد سواه منها شيئا لكنه باذن ان شا فيما يريد
منها لمن يشاء من عباده ولما كان كلما سواه ملكا له وكان من المقرر ان المملوك لا يصح ان يملك شيا يملكه سيده
لان الملكين لا يتواردان على شي واحد من جهة واحدة علل ذلك بقوله له اى وحده ملك السموات والارض اى الذين لا تشاهدون
من ملكه سواهما والشفاعة من ملكهما ولما كان الملوك ملكا ضعيفا قد يتغلب على ما لكه فيناظره فيما هو اهل للشفاعة
عنده نفى مثل ذلك في حقه سبحانه بقوله دالا على عظمة القهر باداة التراخي فقال ثم اليه اى لا الى غيره ترجعون معنى
في الدنيا بان ينفذ فيكم جميع امره حسا ظاهرا ومعنى في الاخرة ولما دل على ان شفعاهم ليست باهل للشفاعة
وعلى ان الامر كله مقصور عليه وختم بانه لا بد من الرجوع اليه المقتضي لان تصرف الهمم كلها نحوه وتوجها لعزائم جميعها تلقاه
ولانه لا يخشى سواه ولا يرجى غيره ذكر حالا من احوالهم فقال واذا اى والحال انه اذا ذكرناه واذا ذكر واعاد الاسم الاعظم ولم يضمره
تعظيما للامر زيادة في تقبيح حالهم فقال الله اى الذي لا اعظم غيره ولا امر لسواه وحده اى دون شفعائهم التي قد وضح انه
لا شفاعة لهم اشمأزت اى نفرت كراهية وذعرا واستكبارا مع تمعر الوجه وتقبضه قلوبهم هكذا كان الاصل ولكنه قال
قلوب الذين لا يؤمنون اى لا يجددون ايمانا بالاخرة بيانا لان الحامل لهم على ذلك اضاعة اعتقاد ما ختم به الاية من الرجوع
اليه الذي لمه واظهره رجوع الاخرة واذا ذكر الذين ويمكن بهم في رضاهم بالادنى فقال من دونه اى الاوثان واكد فرط
جهلهم في اتباعهم الباطل وجحودهم عليه دون تلبث لنظر في دليل او سماع لقال او قيل بقوله اذا هم اى بحضرتهم المفيضة
على ظواهرهم يستبشرون اى فاجاوا طلب البشر وايقاعه وتجديده على سبيل الثبات في ذلك كله سواء ذكر معهم الله او لا
فالاستبشار حينئذ انما هو بالانداد والاشمئزاز والاستبشار متقابلان لان الاشمئزاز امتلاء القلب غما وغيظا فيظهر
اثره وهو الانقباض في اديم الوجه والاستبشار امتلاء القلب سرورا حتى يظهر اثره وهو الانبساط والتهلل في الوجه هـ
قاله الزمخشري والعامل في اذا الاولى هو العامل في المفاجاة اى فاجاوا الاستبشار وقد هذا الذكر وعبر بالفعل

اولا وبالاسمية ثانيا ليفيد ذمهم على مطلق الاستمرار ولو كان على ادنى الاحوال وعلى ثبات الاستبشار تقبيحا لمطلق الكفر ثم
الثناء عليه فتحا لباب التوبة ولما نفى صلاحية الوكالة على الناس في الهدى والضلال لغيره ودل على ذلك بملكه وملكه
واخبر بتعديهم الباطل انتج ذلك وجوب الالتجاء اليه والاعراض عما سواه وقصر الهمم عليه فقال معلما بذلك ومعلما لما يقال
عند مخالفة الداعي باتباع الهوى قل اى يا من نزل عليه الكتاب فلا يفهم عنا حق الفهم غيره راغبا الى ربك في ان ينصرك
عليهم اللهم اى يا الله وهذا نداء محض ويستعمل ايضا على نحوين اخرين ذكرهما ابن الخشاب الموصلي في كتابه النهاية شرح الكفاية
احدهما ان يذكر لتمكين الجواب في نفس السائل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لضمام بن ثعلبة رضي الله عنه حيث قال الله امرك
ان نصلي هذه الصلوات الخمس فقال اللهم نعم الى اخر ما قال له ويشير ان المسؤول عنه اذا ذكر الله في جوابه كان ذكره اياه ابعث
للسائل على تصديقه لانه لو توقى ضرب انه لم يصدقه لذكر الله ولم يكن بصدده وهو ممن يدين باستعمال الكذب والثاني ان
يراد به على الندرة وقلة وقوع المذكور كقول المصنفين لا يكون كذا اللهم الا اذا كان كذا كانه استغفر الله من جزمه اولا لسد
الباب في انه لا يكون غير ما ذكره فقال اللهم اغفر لي فانه يمكن ان يكون كذا انتهى ثم انه لعند سيبويه ووصف عند غيره فقال
فاطر اى مبدع من العدم السموات اى كلها والارض اى جنسها ولما كان تمام القدرة لا يتم الا بتمام العلم قال عالم الغيب
والشهادة اى ما لا يصح علمه للخلق وما يصح ولما كان غيره سبحانه لا يمكن له ذلك حسن التخصيص في قوله انت اى وحدك
تحكم بين عبادك اى انا وهم وغيرنا في الدنيا والاخرة لا يحيص غيرك ذلك ولا يصح في الحكمة سواه كما ان كل احد يحكم بين عبيده ومن
تحت امره لا يسوغ في رايه غير ذلك فيما كانوا اى دائما بما اقتضته جبلاتهم التي جبلتهم عليها فيه يختلفون واما غيرك فانه
لا يعلم جميع ما يفعلون فلا يقدر على الحكم بينهم واما غيرهم عن يقون في الاختلاف فيه فلا يحكم بينهم فيه لانه اما هيو ا
بفطرهم السليمة وعقولهم القويمة للاتفاق عليه وهو الحق واما بعرض لهم الاختلاف فيه لا على سبيل القصد او بقصد
غريبات فهو مما تذهبه الحسنات فعرف ان تقدم الظرف انما هو للاختصاص لا للفاصلة ولما كان التقدير
فيعذب الظالمين فلو علموا ذلك لما ظلموا بادعائهم له سبحانه ولدا وشركا يقربونهم اليه زلفى عطف عليه تهويلا للامر قوله
ولو ان وكان الاصل لهم ولكنه قال تعميما وتعليقا بالوصف للذين ظلموا اى وقعوا في الظلم في شي من الاشيا ولو قل ما في
الارض ولما كان الامر عظيما اكد ذلك بقوله جميعا وزاد في تعظيمه بقوله ومثله وقال معه ليفهم بذل الكل
جملة لا على سبيل التقطيع لافتدوا اى لاجتهدوا في طلب ان يفدوا انفسهم به من سوء العذاب وبين الوقت تعظيما له
وزيادة في هوله فقال يوم القيمة روى الشيخان عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهون
اهل النار عذابا لو ان لك ما على الارض من شي اكنت مفتديا به فيقول نعم فيقول قد اردت منك اهون من هذا وانت في صلب
ادم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا ان تشرك بي قوله اردت اى فعلت معك بالامر فعل المريد وهو معنى قوله في رواية
قد سالتك ولما كان التقدير ولو كان لهم ذلك وافتدوا به ما قبل منهم ولا نفعهم لان ذلك الوقت وقت الجزا لا وقت العمل
واليوم وقت العمل لا وقت الجزا فلو انفقوا فيه ايسر شي على وجهه قبل منهم عطف عليه من اصله لا على جزايه قوله معظما الامر
بصرف القول الى الاسم الاعظم وبدا لهم اى ظهر ظهورا تاما لهم في ذلك اليوم من الله اى الملك الاعظم وهول امره بابهامه
ليكون ضده فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فقال ما لم يكونوا بحسب جبلاتهم وما فطروا عليه من الاهمال والتهاون
يحتسبون اى لم يكن في طبايعهم ان يتعهدوا ان يحسبوه وتجوزه عقولهم من العذاب وما كان كذلك كان اشق على النفس واروع
للقلب وبدا لهم اى ظهر ظهورا تاما كانه في البادية لا مانع منه سيئات ما ولما كان في سياق الافتدا وكان الانسان
يبذل عند الافتدا في فكاك نفسه الرغايب والنفايس عبر هنا بالكسب الذي مدلوله الخلاصة والعصارة التي هي سر الشي
وخلاصه من العمل ولذا جعله الاشعري مناط الجزا فقال مبينا ان خالص عملهم ساقط فكيف بغيره وهذا بخلاف ما في الجاثية كسبوا
اى الشي الذي عملوه برغبة مجتهدين فيه لظنهم نفعه وانه خالص اعمالهم واجلها وانفعها وحاق اى احاط على جهة اللزوم والاذى
بهم ما اى جزاء الشي الذي كانوا به اى دائما كانهم جبلوا عليه يستهزءون
اى يطلبون ويوجدون الهزء والسخرية به من النار وجميع ما كانوا يتوعدون به ولما اخبر عن ظهور هذا لهم علله بانهم
كانوا يفعلون ما لم يكن في العادة يتوقع منهم وهو مجازاة الاحسان بالاساة وقد كانوا [illegible] فقال فاذا اى [illegible] لهم
بسبب انهم اذا اصابهم ولكنه اخبر عن النوع الذي هم منه بما هو مطبوع عليه فقال مس الانسان ضر اى ضر كان من جهة يتوهمها كما
تقدم في التي في اول السورة ويجوز ان يكون مسببا عن الاخبار بافترائهم بما يعدونه عليه وان يكون مسببا عن اشمئزازهم [illegible]
توحيد الله تعجيبا من حالهم في تعكيسهم وضلالهم وتقدم في الاية التي في اول السورة سر كونها بالواو ولفتنا القول الى مظهر
العظمة دالا على ان اغلب الناس لا يرجى اعترافه بالحق وكادعائه لا هل للاحسان الا اذا مسه اضرار فقال دعانا عالما بعظمتنا
دون الهتهم مع اشمئزازه في حال سروره من ذكرنا واستبشاره بذكرها ولما كان ذلك الضر عظيما بعد الخلاص

عنه من جهة أنه لا حيلة للمخلوق في دفعه أشار إلى عظمته وطول زمنه بأداة التراخي فقال مقبحا عليه نسيانه للضر مع عظمه في
نفسه ومع طول زمنه **ثم إذا خولناه** أي أعطيناه على عظمتنا متفضلين عليه محسنين إليه القيام بأمره وجعلناه خليقا بحاله جديرا
بتدبيره على غير عمل عمله محققين لظنه الخير فينا وإحسانا تربيتنا له والقيام عليه مع ما فرط في حقنا **نعمة منا** ليس لأحد غيرنا
فيها شائبة من لولا عظمتنا ما كانت **قال** ناسيا بما كان فيه من الضر وإبطال الدعاء قاصرا لها على نفسه غير متخلق بما نبهناه
على التخلق من إحساننا إليه عند إساءته وإقبالنا عليه عند إدباره مذكرا لضميرها تفخيما لها وبنى الفعل للمجهول إشارة إلى أنه
لا نظر له في تعرف المعطي من هو ليشكره وإنما نظره في عظمة النعمة وعظمة نفسه وأنها على مقدارها **إنما أوتيته** أي هذا المنعم
على الذي هو كبير وعظيم لأني عظيم فأنا أعطى على مقداري وما في الرابية الكافة لأن المدلول له على الحصر ويجوز أن تكون موصولة
على اسم إن وخبرها قوله **على** أي إتيانا مستعليا متمكنا على **علم** أي عظيم وجد مني بطرق الكسب والاجتهاد ووجوه الطلب والاحتيال
فكان ذلك سببا لمجيئه إلي أو علم من الله باستحقاقي له ولما كان النعمة ليس كذلك ولا هي نعمة فأكد الا على شؤم ذلك المعطي
وحقارته لأنه من أسباب إضلاله بالتأنيث **بل هي** أي العطية والنعمة **فتنة** لاختباره هل يشكر أم يكفر لتقام عليه الحجة فإن أدت
إلى النار كانت استدراجا وأنث الضمير تحقيرا لها بالنسبة إلى قدرته سبحانه ولأنها أدت إلى الغرور بعد أن ذكر ضميرها
أولا تعظيما لها لإيجاب شكرها ولما كان من المفتونين من ينتبه وهم الأقل قال جامعا تنبيها على إرادة الجنس وأن التعبير
أولا بإفراد الضمير إشارة إلى أن أكثر الناس كأنهم في ذلك الخلق النحس نفس واحدة **ولكن أكثرهم** أي أكثر هؤلاء القائلين لهذا الكلام
لا يعلمون أي لا يتجدد لهم علم أصلا لأنهم طبعوا على الجلافة والجهل والغباوة فلو أنهم إذا دعونا وهم في جحيم أجبناهم وأنعمنا
عليهم لكفروا نعمنا ونسبوها إلى غيرنا كما كانوا يفعلون في الدنيا سواء ولما كان كفار قريش مقصودين بهذا اقتضاء عظيما
وإن كان شاملا بإطلاقه غيرهم من الأولين والآخرين قال موضحا لذلك **قد قالها** أي مقالتهم إنما أوتيته على علم **الذين** ولما
كان القائل لها بعض الناس في بعض الأزمان عبر بالجار فقال **من قبلهم** أي ممن هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا كما قال قارون ومن
رضي حاله فتمنى ماله **فما أغنى عنهم** أي أولئك الماضين **ما كانوا** أنما اقتضته جبلاتهم **يكسبون** أي يجددون على الاستمرار
كسبه من المال والجاه وإن كان ملء السهل والجبل **فأصابهم** أي تسبب عن عدم الإغناء أنه أصابهم إصابة شديدة بما دل
عليه تذكير الفعل **سيئات ما كسبوا** أي وبال ذلك وما يتبعه من آثاره **والذين ظلموا** أي أوقعوا الأشياء في غير محالها **من هؤلاء** أي
قومك الذين لا يتدبرون القرآن **سيصيبهم** أي بوعد لا خلف فيه إصابة شديدة جدا كما أصاب من قبلهم **سيئات ما كسبوا** أي
عملوا برغبة وسرور ويظنون أنه نافع لهم **وما هم بمعجزين** وإن ظنوا أن ما لهم حصن لهم وعملوا من الأشر والبطر فيه أعمال من يظن أنه
لا تنال له مصيبة في الدنيا وأنه لا يبعث إلى ما أعددنا له من الأهوال في الآخرة ولقد أصابهم ذلك فأول ما أصابهم ما كشف عنه
الزمان من وقعة بدر ثم ما تبعه إلى ما لا آخر له ولما ثبت أن الضار النافع إنما هو الله من شاء أعطاه ومن شاء منعه ومن
شاء استلبه ووضعه بعدما رفعه وكان التقدير ألم يعلموا أن ما جمعه من قبلهم لم يدفع عنهم أمر الله عطف عليه قوله **أولم**
ولما كان السياق لنفي العلم عن الأكثر وكان مقصود السورة بيان أنه تعالى صادق الوعد ومطلق العلم كاف فيه عبر
بالعلم بخلاف ما مضى في الروم فقال **يعلموا** أي بما رأوا وفي أعمارهم من التجارب ولفت الكلام إلى الاسم الأعظم تعظيما للمقام ودفعا
للبس والتعنت بغاية الإحكام **أن الله** أي الذي له الجلال والجمال **يبسط** أي هو وحده **الرزق** غاية البسط **لمن يشاء** وإن
كان لا حيلة له ولا قوة **ويقدر** أي يضيق مع التنكد بأمر قاهر على من هو أوسع الناس باعا في الحيل وأمكنهم في الدول ومن المعلوم أنه
لولا أن ذلك كله منه وحده لما كان أحد ممن له قوة في الجسم وتمكن في العلم مفتقرا أصلا ولما كان هذا أمرا لا ينكره أحد علا
مسلما وقال **إن في ذلك** أي الأمر العظيم والكل لأن أفعالهم أفعال من ينكر أن يكون فيه عبرة **لآيات لقوم** ذوي قوة وهم عليه
يؤمنون أي هيئوا لأن يوجد منهم الإيمان فيجدد والتصديق في كل وقت تجديدا مستمرا بأن الأمور كلها من الله فيخافونه
ويرجونه ويشكرونه ولا يكفرونه وأما غيرهم فقد حقت عليه الكلمة بما هيئ له من عمل النار فلا يمكنه الإيمان فليس له في ذلك
آيات لأنها لا تنفعه ولما حذر سبحانه في هذه السورة ولا سيما في هذه الآيات فطال التحذير وأودعها من التهديد
وصادع الإنذار والوعيد العظيم الكبير وختم بالحث على الإيمان والنظر الشديد في العرفان وكانت كثرة الوعيد ربما أيأس
ونفر وأوحش وصد عن العطف وأبعد قال تعالى مستعطفا مترفقا بالشاردين عن بابه متلطفا جامعا بين
العاطفين كلام ذي النعمة على لسان نبي الرحمة صارفا القول إلى خطابه بعد أسلوب الغيبة **قل** يا أكرم الخلق وأرحمهم
بالعباد ولفت عما تقتضيه قل من الغيبة إلى معنى الخطاب زيادة في الاستعطاف وزاد في الترفق بذكر العبودية والإضافة
إلى ضميره عريا عن التعظيم فقال **يا** أي ربكم المحسن إليكم يقول يا **عبادي** فلذذهم بعد تلك المرارات بحلاوة الإضافة إلى
جنابه تقريبا من بابه ولما أضاف طمع المطيعون أن يكونوا هم المقصودين فرفعوا رؤوسهم ونكس العاصون
وقالوا من نحن حتى يصوب نحونا هذا المقال فقال تعالى جابرا لهم **الذين أسرفوا** أي تجاوزوا الحد في وضع الأشياء في غير مواضعها

حتى صاروا كلهم إسرافا فقال **على أنفسهم** فأبعدوها عن الحضرات الربانية وأركسوها في الدنايا الشيطانية فانقلب الحال بهؤلاء الذين
تكبروا وشمخوا انتعشوا وزالت ذلتهم والذين دعوا وشمخوا أطرقوا وزالت صولتهم قائلة البشرى وأتبعهم تقييد الإسراف
أن الإسراف على الغير لا يغفر إلا بالخروج عن عهدة ذلك الغير **لا تقنطوا** أي ينقطع رجاؤكم وتيأسوا وتمتنعوا وعظم الترجية بصرف
القول عن التكلم وإضافة الرحمة إلى الاسم الأعظم الجامع لجميع صفات الجلال والإكرام فقال **من رحمة الله** أي الإكرام المحيط بكل
صفات الكمال فيمنعكم ذلك القنوط من التوبة التي هي باب الرحمة ولعظم المقام أضاف إلى الاسم الأعظم ثم علل ذلك بقوله على سبيل
التأكيد لظنهم أن كثرة الوعيد منعت الغفران وحتمت الجزاء بالانتقام وكرر الاسم الأعظم تعظيما للحال وتأكيدا لما فيه من معنى الإحاطة
والجمع لإرادة العموم **إن الله** أي الجامع لجميع نعوت الجلال والإكرام فكما أنه متصف بالانتقام هو متصف بالعفو والغفران
يغفر إن شاء **الذنوب** ولما أفهمت اللام الاستغراق أكد فقال **جميعا** ولا يبالي لكنه سبق منه القول أنه إنما يغفر
الشرك بالتوبة عنه وما غيره فيغفره إن شاء بتوبة وبغير توبة لا يقدر أحد أن يمنعه من شيء من ذلك ولما كان لا يعهد في
الناس مثل هذا بل لو أراد ملك من الملوك الدنيا العفو عن أهل الجرائم قام عليه جنده فانحل عقده وانثلم حده علل هذا
لعلمه بما يحصيه فقال مؤكدا لاستبعاد ذلك بالقياس على ما يعهدون **إنه هو** أي وحده **الغفور** أي البليغ المغفرة بحيث يمحو الذنوب
مهما شاء عينا وأثرا فلا يعاقب ولا يعاتب **الرحيم** أي المكرم بعد المغفرة ولا يقدر أحد أصلا على نوع اعتراض عليه ولا توجيه
طعن إليه ولما كان التقدير فاقلعوا عن ذنوبكم فإنها قاطعة عن الخير مبعدة عن الكمال عطف عليه استعطافا قوله دالا
على أن الغفران المتقدم إنما هو إذا شاء التفضل سبحانه بتوبة وبغير توبة **وأنيبوا** أي ارجعوا بكلياتكم وكلوا أحوالكم
وأسندوا أموركم واجعلوا طريقكم **إلى** ولفت الكلام إلى صفة الإحسان زيادة في الاستعطاف فقال **ربكم** أي الذي لم تروا
إحسانا إلا وهو منه **وأسلموا له** أي أوجدوا الإسلام جميع ما ملكه لكم من الأعيان والمعاني متبرئين عنه لأجله فإنه لو
شاء سلبكموه فإذا لم تكونوا مالكيه ملكا تاما فعدوا أنفسكم عارية عنه عن ملكه له ولا قادرة وكان الذي لكم بالأصالة
ما كان ولما كان ذلك شديدا لأن الكف عما أشرفت النفس على بلوغ الوطر منه في غاية المرارة قال مهددا لهم
دالا على أن الابتداء على رضاه منهم بإيقاع ما أمر به في اليسير من الزمان لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره باستغراق
الزمان في الطاعة وإن كان إبهام الأجل يحدو العاقل على استغراقه فيها **من قبل أن يأتيكم** أي وأنتم صاغرون **العذاب**
أي القاطع لكل عذوبة المجرع لكل مرارة وصعوبة ولما كان الإنسان ربما توقع ضررا في إقدامه على ما له فيه لذة
وحاول دفعه قال معظما لهذا العذاب مشيرا بأداة التراخي إلى أنه لا يمكن دفعه ولو طال المدى **ثم لا تنصرون** أي لا يجدد
لكم نوع نصر أبدا ولما أمر بربوبية الأمور كلها من الله وإسلام القياد كله إليه أمر بما هو أعلى من ذلك وهو المجاهدة
بقتل النفس فقال **واتبعوا** أي عالجوا أنفسكم وكلفوها أن تتبع **أحسن ما أنزل** وأصلا **إليكم** على سبيل العدل كالإحسان
الذي هو أعلى من العفو الذي هو فوق الانتقام باتباع هذا القرآن الذي هو أحسن ما نزل من كتب الله وباتباع أحاسن ما فيه
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحسن إلى من ظلمك هذا في حق الخلائق ومثله في عبادة الخالق بأن تكون كأنك تراه
الذي هو أعلى من استحضار أنه يراك الذي هو أعلى من أدائها مع الغفلة عن ذلك ولما كان هذا شديدا على النفس عبر
فيه بقوله مظهرا صفة الإحسان موضع الإضمار **من ربكم** أي الذي أمر بأحسن الكلام وأنتم تبادرونه بالعظائم ولما
كان من النفوس ما هو كالبهائم لا ينقاد إلا بالضرب قال منبها أيضا على دفعه بإثبات الجار **من قبل أن يأتيكم** أي على ما بكم
من العجز عن الدفاع **العذاب** أي الأمر الذي يزيل ما يعذب ويحلو لكم في الدنيا أو في الآخرة ولما كان الأخذ على غرة
أصعب على النفوس قال **بغتة** ولما كان الإنسان قد يشعر بالشيء من ثم ينساه فيباغته نفى ذلك بقوله **وأنتم لا تشعرون**
أي ليس عندكم شعور بإتيانه لا في حال إتيانه ولا قبله بوجه من الوجوه لفرط غفلتكم ليكون أفظع ما يكون على النفس لشدة
مخالفته لما هو مستقر فيها وهي متوطنة عليه من صحة ولما كان للإنسان عند وقوع الخسران أقوال وأحوال
لو تخيلها قبل هجومه لحسب حسابه فباعد أسبابه علل الأمر على الاتباع بغاية الجهد والنزاع فقال **أن** أي كراهة أن
تقول ولما كان المرتع للإنسان في النقصان إنما هو حظوظه وشهواته المخالفة لعقله عبر بقوله **نفس** أي عند
وقوع العذاب لها وإفرادها وتنكيرها كاف في الوعيد لأن كل أحد يجوز أن يكون هو المراد **يا حسرتى** والتحسر هو
الاغتمام على ما فات والندم عليه وألحق الألف بدلا من الياء تعظيما له أي يا طول غماه لانكشاف ما فيه صلاحي عني
وبعده مني فلا وصول لي إليه لاستدراك ما فات منه وذلك عند انكشاف أحوالها وحلول أوجالها وأهوالها ودل
على تجاوز هذا التحسر الحد قراءة أبي جعفر حسرتاي بالجمع بين العوض وهو الألف والمعوض عنه وهو الياء وحمل المصدر
لأن باحل الله أصرح في الإسناد والجمع وأدل على المراد وأعظم فقال **على ما فرطت** أي بما ضيعت فانفرط مني نظامه
ولتعذر الضمامه والنيامه ولما كان حق كل أحد قريبا منه حسا أو معنى حتى كأنه إلى جنبه وكان بالجنب

فيه امر الشى ولكنه قد يفرط فيه لكونه منحرفا عن الوجاه والعيان فيدل التفريط فيه على نسبة المفرط لصاحبه الى الغفلة
عنه وذلك امر لا يغفر قال فى جنب وصرف القول الى الاسم الاعظم لزيادة التهويل بقوله الله اى حق الملك الاعظم الذى هو غير
معفول عنه ولا متهاون به ولما كان المضرور المعذب المقهور يبالغ فى الاعتراف رجاء القبول والانصاف قال موكدا مبالغة
فى الاعلام بالاقلاع عما كان تقتضيه حاله ويصرح به مقاله من انه على الحق واجد الجد وان اى والحال انى كنت اى كان ذلك فى طبعى
لمن الساخرين اى المستهزئين المتكبرين المنزلين انفسهم فى غير منزلتها وذلك انه ما كفانى المعصية حتى كنت اسخر من اهل الطاعة اى
تقول هذا لعله يقبل منه ويعفى عنها على عادة المترفين فى وقت الشدائد لعلهم يعادون الى اجمل العوائد ولما كانت
النفس اذا وقعت فى ورطة لا تدع وجها محتملا حتى تتعلق باذياله وتمت بحباله وتغتر بمحاله قال حاكيا كذبها حيث لا يغنى الا الصدق
او تقول اى عند نزول ما لا قبل لها به لو ان واظهر ولم يضمر اظهارا للتعظيم والتلذذ بذكر الاسم الشريف فقال الله اى الذى له
القدرة الكاملة والعلم الشامل هدانى اى ببيان الطريق لكنت اى ملازما ملازمة المطبوع على كونى من المتقين اى الذين لا يقدمون
على فعل ما لم يدلهم عليه دليل ولما ذكر حالها فى الاعتراف بالبطلان ثم الفزع الى الزور والبهتان اتبعه التمنى الذى
لا يفيد غير الخسران فقال او تقول اى تلك النفس المفرطة حين ترى العذاب اى الذى هاجمها للرحمة والنعمة لو ان اى ياليت
لى كرة اى رجعة الى دار العمل لاتمكن منه فاكون اى فيتسبب عن رجوعى اليها ان اكون من المحسنين اى العاملين بالاحسان الذى
دعى اليه القرآن هذا الاعراب وهو عطفه على الجواب اوفق لبقية الآيات التى من سلكه ولما حذر سبحانه مما يكون
للماخوذ من سيئ الاحوال وفظيع الاهوال وكان معنى ما تقدم من كذبه وتمنيه انه ما جاءنى بيان ولا كان لى وقت امكن
فيه من العمل قال تعالى مكذبا له بلى اى قد كان لك الامران كلاهما قد جاءتك ولفت القول الى التكلم مع تجريد الضمير عن مظهر
ولفت القول العظمة لما تقدم من موجبات استحضارها اعلاما بتناهى الغضب بعد لفته الى تذكير النفس المخاطبة المشير الى
انها فعلت فى العصيان فعل الاقوياء الشداد من التكذيب والكبر مع القدرة فى الظاهر على تامل الآيات واستيضاح الدلالات
والمشى على طرق الهدايات بعد ما اشار بتانيثها الى ضعفها عن حمل العذاب وغلبة النقائص لها فقال آياتى على عظمتها فى البيان الذى
ليس مثله بيان فى وقت كنت فيه متمكنا من العمل بالجنان واللسان والاركان فكذبت بها جراءة على الله وقلة مبالاة بالعواقب
واستكبرت اى عددت نفسك كبيرا عن قبولها وكنت اى كونا كانه جبلة لك لشدة توغلك فيه وحرصك عليه من الكافرين
اى العريقين فى ستر ما ظهر من انوار الهداية للتكذيب تكبرا لم يكن لك مانع من الاحسان الا ذلك لا عدم البيان ولا عدم الزمان
القابل للعمل ولما كان قد تقدم الكذب عند مس العذاب فى عدم البيان والوقت القابل قال تعالى محذرا من حاله وحال
امثاله ولفت القول الى من لا يفهمه حق فهمه غيره تسلية له وزيادة فى التخويف لغيره ويوم القيامة اى الذى لا يصح فى الحكمة
تركه ترى اى يا اجل الذين كذبوا وزاد فى تقبيح حالهم فى اجترائهم بلفت القول الى الاسم الاعظم فقال على الله اى الحائز
لجميع صفات الكمال بان وصفوه بما هو منزه عنه من انه فعل ما لا يليق بالحكمة من التكليف مع عدم البيان ومن خلق الخلق ليعدو
بعضهم على بعض من غير حساب يقع فيه الانصاف بين الظالم والمظلوم او ادعوا له شريكا او نحو ذلك قال ابن الجوزى وقال
الحسن هم الذين يقولون ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل انتهى وكانه عنى المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا قولهم انهم
يخلقون افعالهم ويدخل فيه كل من تكلم فى الدين بجهل وكل من كذب وهو يعلم انه كاذب فى اى شئ كان فانه من حيث ان فعله
فعل من ظن ان الله لا يعلم كذبه او لا يقدر على جزائه كانه كذب على الله تراهم بالعين حال كونهم وجوههم مسودة مبتدا وخبر
وهو حال الموصول اى ثابت سوادها زائد البشاعة والعظم فى الشناعة يجعل ذلك امارة عليهم ليعرفهم من يراهم بما كذبوا فى الدنيا
فانهم لم يستحيوا من الكذب المخزى اليسر لكذا اجترءوا على مطلق الكذب فكيف بالكذب على الله الذى جهنم سجنه فكيف بالمتكبرين عليه
اليس فى جهنم التى تلقى من يلقى فيها بالتجهم والعبوسة مثوى اى منزل للمتكبرين الذين تكبروا على اتباع امر الله ولما
ذكر حال الذين اشقاهم اتبعهم حال الذين اسعدهم فقال عاطفا الجملة على جملة لا على المظروف بيوم القيامة اشارة الى ان هذا فعله
معهم فى الدارين واشارة الى كثرة التنجية لكثرة الاهوال كثرة تفوت الحصر وينجى اى مطلق انجا البعض من اتقى بما اشار اليه
قراءة يعقوب بالتخفيف وتنجية عظيمة لبعضهم مما افادته قراءة الباقين بالتشديد واظهر ولم يضمر زيادة فى تعظيم حالهم
وتسكين قلوبهم الله اى بما له من صفات الكمال فى نجاتهم فعل المبالغ فى ذلك الذين اتقوا اى بالغوا فى وقاية انفسهم من غضبه
لما وقاهم فى الدنيا من المخالفات حماهم هنالك من العقوبات بمفازتهم اى بسبب انهم عدوا انفسهم فى مفازة بعيدة مخوفة فوقفوا
فيها عن كل عمل الا بدليل لئلا يمشوا بغير دليل فيهلكوا فادتهم تقواهم الى الفوز وهو الظفر بالمراد وزمانه ومكانه الذى سميت
المفازة به تفاؤلا ولذلك فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة لانها سبب الفوز وقرى بالجمع باعتبار انواع
المصدر وذلك كله بعناية الله بهم فى الدارين فمفازة كل احد فى الاخرى على قدر مفازته بالطاعات فى الدنيا ولما كان
كانه قيل ما فعل فى تنجيتهم قال ذاكرا نتيجة النجية لا يمسهم السوء اى هذا النوع فلا يخافون ولا هم يحزنون اى ولا يطرق

بواطنهم حزن على فائت لانه لا يفوتهم شئ اصلا ولما كان المخوف منه والمحزون عليه جامعين لكل ما فى الكون فكان
لا يقدر على دفعهما الا المبدع القيوم قال مستانفا او معللا مظهرا الاسم الاعظم تعظيما للمقام الله اى المحيط بكل شئ قدرة
وعلما الذى يخافونه خالق كل شئ فلا يكون شئ اصلا الا بخلقه وهو لا يخلق ما يتوقعون منه خوفا ولا يقع لهم عليه حزن ولما
دل هذا على القدرة الشاملة وكان لا بد معها من العلم الكامل قال وهو وعبر باداة الاستعلاء لانه من احسن مجازاتها على كل شئ
اى مع القهر والغلبة وكيل اى حفيظ لجميع ما يريده منه قيوم لا يعجز بكلم بساحته ولا غفلة ولما كان الخائف فاقد خزائن
الكائنات وكان لا يتصرف فى الخزائن الا ذو المفاتيح قال دالا على كفالته له اى وحده مقاليد واحدها مقلاد مثل مفتاح ومقليد
مثل قنديل وهى المفاتيح والامور الجامعة القوية وهى استعارة لشدة التمكن السموات اى جميع اعدادها والارض اى جنسها لخزائنهما
وامورهما ومفاتيحهما الجامعة لكل ما فيهما فلا يمكن ان يكون فيهما شئ ولا ان يتصرف فى شئ منهما ولا فيهما احد الا باذنه فلا يبدع
فى تنجيته الذين اتقوا ولما كان التقدير فالذين آمنوا بالله وتعملوا بآياته اولئك هم الفائزون عطف عليه قوله الذى اقتضاه
سياق التهديد والذين كفروا اى لبسوا ما اتضح من الدلالات وجحدوا ان تكون الامور كلها بيده بآيات الله اى التى لا ظاهر غيرها
فانه ليس فى الوجود الا ذاته سبحانه وهى غيب لا يمكن لمخلوق دركها وافعاله وهى اظهر الاشياء وصفاته وهى غيب من جهة شهادة
من جهة اخرى اولئك البعداء البغضاء هم خاصة الخاسرون فانهم خسروا انفسهم وكل شئ يتصل بها على وجه النفع لان كفرهم
اقبح الكفر من حيث انه متعلق باظهر الاشياء ولما قامت هذه الدلائل كالترى قيام الاعلام فانجابت دياجير الظلام ٥
وكان الجهلة قد دعوه صلى الله عليه وسلم كما قال المفسرون الى ان يكف عن الهتهم وكان الاقرار عليها عبادة لها تسبب عن
ذلك امره صلى الله عليه وسلم بما يصدعهم به بقوله قل ولما كان مقام الغيرة يقتضى محو الاغيار وكان الغير اذا انمحى
تبعه جميع اعراضه قدم الغير المفعول لاعبد المفعول على تقدير ان لتامر فقال افغير الله اى الملك الاعظم الذى لا غير
على فساد اصلا ولما كان تقديم الانكار على فعلهم لهم اوجع وتاخير ما سبق الكلام لانكاره اروع وكان مد الصوت
اوكد فى معنى الكلام وادرع واهول وافظع قال صارفا الكلام الى خطابهم لانه اقعد فى ارهابهم واشد فى اكتيابهم تامرونى
بالادغام المقتضى للمد فى قراءة اكثر القراء ولعل الادغام اشارة الى انهم حاولوه صلى الله عليه وسلم فى امر الهتهم على سبيل
المكر والخداع اعبد وهو مرفوع لان ان لما حذفت بطل عملها ولم يراع ايضا حكمها ليقال انه يمتنع نصب غير بها لان معمول الصلة
لا يتقدم على الموصول ولما كانت عبادة غير الله اجهل الجهل وكان الجهل محط كل سفول قال ايها الجاهلون اى العريقون
فى الجهل وهو التقدم فى الامور المنبهمة بغير علم قاله الحرالى فى سورة البقرة ولما كان التقديم يدل على الاختصاص
وكانوا لم يدعوه للتخصيص بل للكف المقتضى للشرك بين انه تخصيص من حيث ان الاله غنى عن كل شئ فهو لا يقبل عملا فيه شرك
ومتى حصل ادنى شرك كان ذلك العمل كله للذى اشرك فكان التقدير بيانا لسبب امره بان يقول لهم ما تقدم منكرا عليهم قل
كذا فلقد اوحى اليك والى الذين من قبلك وجوب التوحيد وعطف عليه قوله مؤكدا لاجل ما استقر فى النفوس من ان من عمل لاحد شيئا
قبل سواء كان على وجه الشركة اولا ولقد ولما كان الموحى معلوما له صلى الله عليه وسلم بنى للمفعول قوله اوحى
اليك ولما كان التعميم ادعى الى التقبل قال والى الذين ولما كان الارسال انما هو فى بعض الزمان لبعض
الناس قال من قبلك ولما كان الحكم على قوم ربما كان حكما على المجموع من قيد الجمع خص بيانا لانه مع كونه حكما على المجموع
حكم على كل فرد ولان خطاب الرئيس خطاب لاتباعه لانه مقدمهم ولما كان الموحى اليهم انه من اشرك حبط عمله سواء كان
هو او غيره صح قوله بالافراد موضع نحو ان الاشراك محبط للعمل القائم مقام الفاعل وعدل عنه الى ما ذكر لانه اعظم فى النهى
واعظم فى الزجر لمن يتاهل له من الامة واكد لان المشركين ينكرون معناه غاية الانكار لئن اى اوحى الى كل منكم هذا اللفظ وهو
وعزتى لئن اشركت اى شيئا من الاشياء فى شئ من عملك بالله وهو من فرض المحال ذكر هكذا ليكون اروع للاتباع والفعل بعد
ان الشرطية للاستقبال فعدل هنا عن التعبير بالمضارع للمطابقة بين اللفظ والمعنى لان الآية سيقت للتعريض بالكفار لكان
التعبير بالماضى انسب ليدل بلفظه على ان من وقع منه شرك فقد خسر وبمعناه على ان الذى يقع منه ذلك فهو كذلك ولما
تقرر الترهيب اجاب الشرط والقسم بقوله ليحبطن اى ليفسدن ويبطلن عملك فلا يبقى له اثر اما من جهة القادر فلانه
اشرك به فيه وهو غنى لا يقبل الا الخالص لانه لا حاجة به الى شئ واما من جهة غيره فانه لا يقدر على شئ ولما
كان السياق للتهديد وكانت العبادة شاملة لما تقدم على الشرك من الاعمال وما تاخر عنه لم يقيده بالاتصال بالموت
اكتفاء بتقييده فى آية البقرة وقال ولتكونن اى لاجل حبوطه من الخاسرين فان من ذهب جميع عمله لا شك فى خسارته
والخطاب للرؤساء على هذا النحو وان كان المراد به فى الحقيقة اتباعهم ازجر للاتباع واهز للقلوب منهم والاسماع ولما
كان التقدير قطعا فلا تشرك بنى عليه قوله بل الله اى المتصف بجميع صفات الكمال وحده بسبب هذا النهى العظيم والتهديد
الفظيع مهما وقعت منك عبادة ما فاعبد اى مخلصا له العبادة فحذف الشرط وعوض عنه بتقديم المفعول ٥

كانت عبادته لا يمكن ان تقع الا شكرا لما له من عموم النعم سابقا ولاحقا وشكر المنعم واجب نبه على ذلك بقوله وكن من الشاكرين اى
العريقين فى هذا الوصف لانه جعلك خير الخلائق ولما كان التقدير فما احسن هؤلاء ولا اجملوا اجمل دعوتك للاشراك بالله
وما عبدوه حق عبادته اذ اشركوا به عطف عليه قوله وما قدروا واظهر الاسم الاعظم فى احسن مواطنه فقال الله اى الملك الاعظم
حق قدره اى ما عظموه كما يجب له فانه لو استغرق الزمان فى عبادته وخالص طاعته بحيث لم يخل شى منه عنها لما كان ذلك حق قدره
فكيفما اذا خلا بعضه عنها فكيف اذا عدل به غيره ولما ذكر تعظيم كل شى بنسب اليه دل على باهر قدرته الذى هو لازم التعظيم
والطى بما يكون من الحال فى طى هذا الكون فقال كناية عن العظمة بذلك والارض اى والحال انها وقدمها لمباشرتهم لها ومعرفتهم
بحقيقتها ولما كان ما يدركون منها من السعة والكبر كافيا فى العظمة وان لم يدركوا انها سبع اكدها بما يصلح لجميع طبقاتها
تنبيها للبصراء على انها سبع من غير تصريح به فقال جميعا ولما كان احقر ما عند الانسان واخفه عليه ما يحويه فى قبضته
مثل ذلك فى قوله خبرا عن المبتدا مفردا بفتح القاف لانه اقعد فى تحقير الاشيا العظيمة بالنسبة الى جليل عظمته قبضته
ولما كان فى هذه الدنيا من يدعى الملك والقهر والعظمة والقدره وكان الامر فى الاخرة بخلاف هذا لانقطاع
الاسباب قال يوم القيمة ولا قبضة هنا لا حقيقة ولا مجازا وكذا الطى واليمين وانما هو تمثيل وتخييل لتمام القدرة ولما
كانوا يعلمون ان السموات سبع متطابقة بما يشاهدون من سير النجوم جمع ليكون مع جميعا كالصريح فى جمع الارض ايضا فى قوله
والسموات مطويات ولما كان العالم العلوى اشرف منه هذا التمثيل باليمين فقال بيمينه ولما كان هذا
انما هو تمثيل بما نعهد والمراد به الغاية فى القدرة نزه نفسه المقدس عما ربما تشبث به المجسم والمشبه فقال سبحانه اى تنزه
من هذه القدرة قدرته عن كل شائبة نقص وما يؤدى الى النقص من الشرك والتجسيم وما شاكله وتعالى علوا لا يحاط به عما يشركون
اى ان علوه من خلال علو من يبالغ فيه فهو فى غاية من العلو لا يكون وراها غاية لانه لو كان له شريك لنازعه هذه القدرة او بعضها ام
تمنعه شيا منها وهذه معبوداتهم لا قدرة لها على شئ روى البخارى فى صحيحه فى التوحيد وغيره عن عبد الله رضى الله عنه قال جاء حبر
من اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان يوم القيمة جعل الله السموات على اصبع والارضين على اصبع والماء والثرى على
اصبع والخلائق على اصبع ثم يهزهن ثم يقول انا الملك فلقد رايت النبى صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا
لقوله ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره الى يشركون وروى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم
يطوى الارضين ثم ياخذهن بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وللبخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض ولما دل على عظيم
قدرته ببعض ما يكون يوم القيمة اتبعه ما لا تحتمله القوى من احوال ذلك اليوم دليلا اخر فقال دالا على عظيم قدرته وعز
وعظمته بالبنا للمفعول ونفخ فى الصور اى القرن العاطف للاشيا المقبل بها بخصوصيته المميل لها على احوالها العالى عليها فى ذلك اليوم
بعد بعث الخلائق وهى النفخة الاولى بعد البعث التى هى بعد نفختى الموت والبعث المذكورين فى سورة يس والمراد بها والله اعلم
القا الرعب والمخافة والهول فى القلوب اظهارا للعظمة وترديا بالكبريا والعز فى عرصة يوم الحشر ليكون اول ما يفجؤهم يوم الدين
ما لا تحتمله القوى ولا تطيقه الاحلام والنهى كما كان اخر ما فجئهم فى يوم الدنيا وان افترقا فى المناير فان تلك اثرت الموت وهذه
اثرت الغشى لانه لا موت بعد البعث وهى الثالثة من النفخات فصعق اى مغشيا عليه من فى السموات ولما كان المقام
للتهويل وكان التصريح اهول اعاد الفاعل بلفظه فقال ومن فى الارض ولما كان منهم من لا يصعق ليعرف دائما انه فى
كل فعل من افعاله مختار قادر جبار استثناه فقال الا من شاء الله اى الذى له مجامع العظمة ومعاقد العز فيجعل الشى الواحد
هلاكا لقوم دون قوم وصعقا لقوم دون قوم ثم يجعل ذلك الذى كان به الهلاك به الحياة وذلك الذى كان به الغشى به الافاقة
وان كان بالنسبة اليهم على حد سوا اعلاما بان الفاعل المؤثر الفعال لما يريد لا الاثر قيل المستثنون الشهدا وقيل غيرهم ثم
نفخ فيه اخرى اى نفخة ثانية من هذه وهى رابعة من النفخة المميتة ودل على سرعة تاثيرها بالفجاة فى قوله فاذا هم قيام
اى قائمون كلهم ينظرون اى يقلبون ابصارهم او ينتظرون ما ياتى بعد ذلك من امثاله من دلايل العظمة وهاتان النفختان هما
المرادتان فى حديث تخاصم اليهودى مع المسلم الذى لطم وجهه وفى اخره يصعق الناس يوم القيمة فاكون اول من يفيق فاذا موسى
باطش بجانب العرش فلا ادرى افاق قبلى ام جوزى بصعقة الطور وقد رواه البخارى فى الخصومات فى موضعين وفى احاديث
الانبيا فى موضعين وفى الرقاق وفى التوحيد ومسلم فى الفضايل وابو داود فى السنة والنساى فى التفسير والنعوت
وبتفصيل رواياته وجمع الفاظها يعلم ان ما ذكرته هو المراد روى البخارى ومسلم فى احاديث الانبيا عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال بينما يهودى يعرض سلعة له وقال البخارى سلعته اعطى بها شيا كرهه او لم يرضه قال لا والذى اصطفى موسى على البشر
فسمعه رجل من الانصار فلطم وقال البخارى فقام فلطم وجهه قال تقول والذى اصطفى موسى على البشر ورسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فذهب اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان لى ذمة وعهدا
وقال فلان لطم وجهى وقال البخارى فما بال فلان لطم وجهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لطمت وجهه قال قال
يا رسول الله والذى اصطفى موسى على البشر وانت بين اظهرنا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب فى وجهه
ثم قال لا تفضلوا بين انبياء الله فانه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى ثم
فاكون اول من بعث وفى رواية لمسلم او فى اول من بعث فاذا موسى اخذ بالعرش فلا ادرى احوسب بصعقة يوم الطور او
بعث قبلى ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وفى رواية للبخارى فى تفسير الزمر انى من اول من يرفع راسه بعد النفخة الاخرة
فاذا انا بموسى متعلق بالعرش فلا ادرى اكذلك كان ام بعد النفخة وفى رواية للبخارى فى الخصومات والرقاق واحاديث الانبيا
ولمسلم ايضا استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود وفى رواية لمسلم رجل من اليهود ورجل من المسلمين فقال
المسلم والذى اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على العالمين قال البخارى فى كتاب التوحيد واحاديث الانبيا فى قسم يقسم به
فقال اليهودى والذى اصطفى موسى على العالمين قال البخارى فغضب المسلم عند ذلك فلطم وجه اليهودى وقال مسلم وكذا
البخارى فى التوحيد والخصومات واحاديث الانبيا فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودى فذهب اليهودى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان من امره وامر المسلم قال البخارى فى الخصومات فدعا النبى صلى الله عليه وسلم فساله عن
ذلك فاخبره ثم اتفقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخيرونى على موسى فان الناس يصعقون قال البخارى فى الرقاق
والخصومات واحاديث الانبيا ونسخة فى التوحيد يوم القيمة فاكون فى اول من يفيق وفى رواية له فى الخصومات فاصعق
معهم وفى رواية له فى الرقاق وهى رواية فى التوحيد وهى رواية لمسلم وابى داود فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب
العرش وقال ابو داود فى جانب العرش فلا ادرى اكان فيمن صعق فافاق قبلى ام كان ممن استثنى الله وفى رواية فلا ادرى اكان
ممن صعق فافاق قبلى او اكتفى بصعقة الطور وفى رواية للبخارى فى احاديث الانبيا فلا ادرى اكان فيمن صعق فافاق او كان
ممن استثنى الله ولم يذكر قبلى وروى الحديث الترمذى فى تفسير سورة الزمر وابن ماجة فى الزهد قال قال يهودى وقال ابن
ماجة رجل من اليهود بسوق المدينة والذى اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده فصك بها وجهه وقال ابن ماجة
فلطمه قال تقول هذا وفينا نبى الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخ فى الصور وقال ابن ماجة تقول هذا وفينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال الله تعالى ونفخ فى الصور فصعق
من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى
اخذ وقال ابن ماجة فاذا انا بموسى اخذ بقائمة من قوايم العرش فلا ادرى ارفع راسه قبلى ام كان ممن استثنى الله ومن قال انا
خير من يونس بن متى فقد كذب قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وفى رواية للبخارى فى الرقاق يصعق الناس حين يصعقون
فاكون اول من قام فاذا موسى اخذ بالعرش فما ادرى اكان فيمن صعق قال ورواه ابو سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم وللبخارى فى الخصومات عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس جاء يهودى
فقال يا ابا القاسم ضرب وجهى رجل من اصحابك قال من قال رجل من الانصار قال ادعوه فقال اضربته قال سمعته بالسوق
يحلف والذى اصطفى موسى على البشر قلت اى خبيث على محمد فاخذتنى غضبة ضربت وجهه فقال النبى صلى الله عليه وسلم
لا تخيروا بين الانبيا فان الناس يصعقون يوم القيمة فاكون اول من تنشق عنه الارض وفى رواية فى احاديث الانبيا فاكون
اول من يفيق فاذا انا بموسى اخذ بقائمة من قوايم العرش فلا ادرى اكان فيمن صعق ام حوسب بصعقته الاولى وفى رواية
فى احاديث الانبيا فلا ادرى افاق قبلى ام حوسب بصعقة الطور هذا ما رايته من الفاظ الحديث فى الكتب الستة واما
معنى صعق فانه صاح ومات فجاة او غشى عليه قال فى القاموس الصاعقة الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب وصعق
كسمع صعقا ويحرك وصعقة وتصعاقا غشى عليه والصعق محركة شدة الصوت والكتف الشديد الصوت وقال عبد الحق
فى الواعى الازهرى الصاعقة صوت الرعد الشديد الذى يصعق منه الانسان اى يغشى عليه يقال صعقتهم الصاعقة
يعنى بالفتح واصعقتهم اذا اصابتهم فصعقوا وصعقوا ومنه حديث الحسن ينتظر بالمصعوق ثلاثا ما لم يخافوا عليه نتنا
يعنى الذى مات فجاة قال والصاعقة مصدر جاء على فاعلة تقول سمعت صاعقة الرعد وراغية الشاء وقوله وخر موسى
صعقا اى مغشيا عليه دل على ذلك قوله سبحانه دل على ذلك قوله سبحانه فلما افاق انما يقال افاق من العلة والغشية وبعث
من الموت قال وجملة الصاعقة الصوت مع النار وقال ابو عبد الله يعنى القزاز الصعق هو ان يسمع الانسان صوت الهدة
الشديدة فيصعق لذلك عقله واشتقاق الصاعقة من هذا سميت صاعقة لشدة صوتها وتقول انه لصعق اى شديد الصوت
وكذا هو صعاق اسم هى فتحرر من هذا ان الصعق يطلق على الموت فجاة وعلى الغشى كذلك وان الافاقة لا تكون الا عن غشى لا عن
موت فعلم ان الصعقة فى هذه الاية انما هى غشى لان الثابتة عنها افاقة وايضا فمن الامر المحقق انه لا يموت احد من اهل البرزخ

فكيف بالانبيا عليهم السلام فالصواب حمل الصعقة المذكورة في الحديث على الغشي او ما يشبهه ويؤيده التجويز لان تكون هي
صعقة الطور جزاء عنها وعلى تقدير ان تكون غشيا ان قلنا انه تكون بنفخة الاماتة يلزم عليه ان لا يكون للغشي ولا لعدمه مدخل
في الشك في ان موسى عليه السلام افاق قبل او لم يحصل له غشي اصلا لان الذي يكون به بطشه بالعرش وهو بوجه وجيه انما
هو البعث من الموت لا الافاقة من الغشي ولا عدم الغشي قبل البعث فالذي يوضح الامر ولا بدع فيه لنا ان يكون ذلك بعد البعث
وتكون حينئذ النفخات اربعا الاولى للاماتة الاحيا الثانية لاحيا جميع الموتى وهاتان هما المذكورتان في سورة يس ولذلك
لما ذكرهما صرح في امرهما بما لا يحتمل غيره ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون الثالثة لابتدائهم بعد البعث بالهول الشديد والحال الفظيعة
لان ذلك اليوم يوم الاهوال والارعاب والارهاب واظهار العظمة والجلال لتقطيع الاسباب والذي يدل عليه في هذا الحديث
قوله صلى الله عليه وسلم في كثير من رواياته فان الناس يصعقون يوم القيمة فان يوم القيمة اسم للوقت الذي اوله البعث
واخره تكامل دخول كل فريق الى داره ومحل استقراره واما صعقة الموت فانها في دار الدنيا وهي للاماتة لا للافاقة
ويضعف حمله على ما قبل البعث الروايات الصحيحة الجازمة بان النبي صلى الله عليه وسلم اول من ينشق عنه الارض وما حكاه
الكرماني من الاجماع على ذلك ولا تحرير له الا بحصول البعث لا باظهار الجسد من غير بعث فهذا الجزم مبني لذلك الشك فاذا كان
المراد بما في الحديث الغشي كانت نفخة اخرى للايقاظ منه وهاتان المرادتان بما في هذه السورة كما في رواية الترمذي وما
في النمل ولذلك عبر عنها بالفزع ويؤيد ذلك التعبير في رواية البخاري في التفسير بالنفخة الاخرى والنبي صلى الله عليه وسلم قد
اوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا ولو انهما نفختان فقط كان التعبير بالاخرى قاصرا عما تعين الثانية مع المساواة
في عدة الحروف ومما لا يظن ببليغ فكيف بابلغ الخلق المؤيد بروح القدس صلى الله عليه وسلم فكان لعدوله عن الثانية الى
الاخرى مفيدا انها اربع ولعل ذلك معنى امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وسميت اماتة لشدة الغشي لعظم امرها ومعنى
زلزلة الساعة التي تسكر ويؤيده التعبير عن القيام منها بالافاقة لا بالبعث ولا ينكر على هذا شي الا رواية البخاري في
الخصومات فاكون اول من ينشق عنه الارض فاذا انا بموسى الى اخره فالظاهر ان راويها وهم او روى بالمعنى فما وفى بالغرض
والراجح روايات من قالوا فاكون اول من يفيق بالكثرة وبزوال الاشكال هذا ما كان ظهر لي في النظر في المعنى وتطبيق الايات
والاحاديث عليه ثم رايت شيخنا حافظ عصره احمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني المصري رحمه الله نقل ما جمعت به بين الروايات
في كتاب الانبيا من شرحه للبخاري عن القاضي عياض فقال وقال عياض يحتمل ان يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق
السماء والارض واقره على ذلك ثم نقل عن ابن حزم عين ما قلته في النفخات فقال ما نصه تكميل زعم ابن حزم ان النفخات يوم
القيمة اربع الاولى نفخة اماتة يموت فيها من بقي في الارض حيا الثانية نفخة احياء فيقوم كل ميت والثالثة نفخة فزع
وصعق يفيقون منها كالمغشي عليه لا يموت منها احد والرابعة افاقة من الغشي ثم رده شيخنا بان الصعقات اربع ولا
يستلزم من كون النفخات اكثر من اثنتين وذلك انه ينفخ في الصور النفخة الاولى فيموت من كان حيا ويغشى على من كان ميتا
فهما صعقتان في النفخة الاولى وينفخ النفخة الثانية فيفيق من كان مغشيا عليه ويحيى من كان ميتا فهما اثنتان في
النفخة الثانية وهذا الرد مردود لمن حقق ما قلته بادنى تامل ويلزم عليه ان يكون اصفيا الله اشد حالا وفزعا
ممن تقوم عليهم الساعة وهم شرار عباد الله والعجب ان الذي رده على ابن حزم مسلمه لعياض والله الموفق ولما
ذكر افاقتهم بالحياة التي هي نور الابدان اتبعه افاقتهم بنور جميع الكون ظاهرا بالضياء الحسي وباطنا بالحكم على طريق
العدل الذي هو نور الوجود الظاهري والباطني على الحقيقة كما ان الظلم ظلامه كذلك فقال **واشرقت** اي اضاءت
اضاءة عظيمة مالت بها الى الحمرة **الارض** اي التي اوجدت لحشرهم وعدل الكلام عن الاسم الاعظم الى صفة الاحسان لغلبة
الرحمة لا سيما في ذلك اليوم فانه لا يدخل احد الجنة الا بها فقال **بنور ربها** اي الذي رباها بالاحسان اليها بجعلها
محلا للعدل والفضل لا يكون فيها شي غير ذلك اصلا وذلك النور الذي هو شي واحد يبصر به قوم دون اخرين كما كانت
النفخة تارة للهلاك وتارة للحياة ولما كان العلم هو النور في الحقيقة وكان الكتاب اساس العلم وكان لذلك اليوم
من العظمة ما يفوت الوصف وكان لذلك كذب به الكفار اتى فيما يكون فيه باذنه بصيغة المجهول على طريقة كلام القادرين اشارة
الى هوانه وانه طوع امره لا كلفة عليه في شي من ذلك وكذا ما بعده من الافعال زيادة في تصوير عظمة اليوم بعظمة الامر فيه فقال
باديا بالكتاب **ووضع الكتاب** اي الذي انزل الى كل امة لتعمل به ولما كان الانبيا اعم من المرسلين وكان النبي
هو المبعوث اليه ليعمل من امره ان يامر بالمعروف وتدبيغه من اراد الله به الخير وكانت عدتهم مائة الف واربعة وعشرين
الفا وهي قليلة جدا بالنسبة الى جميع الناس عبر بهم دون المرسلين وجمع القلة فقال **بالنبيين** للشهادة على اممهم
بالبلاغ ولما كان اقل ما يكون الشهود ضعفا للمكلفين عبر بجمع الكثرة فقال **والشهدا** اي الذين وكلوا بالمكلفين

فشاهدوا

فشاهدوا اعمالهم فشهدوا بها وضبطوها فاصلنا الاصول وصورنا الدعاوى واقمنا البينات على حسبها من طاعة
او معصية ووقع الجزا على حسب ذلك فظهر العدل رحمة للكفار وبان الفضل رحمة للمسلمين **وقضي بينهم** اي بين العباد الذين
فعل ذلك كله لاجلهم ولما كان السياق ظاهرا في عموم الفضل عدلا وفضلا كما ياتي التنبيه عليه قال **بالحق** بان يطابق
الواقع من المثوبات والعقوبات ما وقع الخبر به على السنة الرسل ولما كان المراد كمال الحق باعتبار عمومه لجميع الا
والاعمال وكان ربما طرقه احتمال تخصيص ما ازال ذلك بقوله **وهم** اي باطنا وظاهرا **لا يظلمون** اي لا يتجدد لهم ظلم في وقت
اصلا فلا يزادون في جزا السيئة على المثل شيئا ولا ينقصون في جزا الحسنة عن العشر شيئا ولما كان ذلك ربما كان
بالنسبة الى ما وقع فيه الحكم وليس نصا في شمول الحكم لكل عمل نص عليه بقوله ذاكرا الوفا والعمل لاقتضا السياق ذلك
بذكر الكتاب وما في حيزه من النبيين والشهدا والقضا والحق وذلك كله انما يتبع بذكر العمل المؤسس على العلم والوفا الذي هو
الركن الاعظم في الحق وسياق العلم والحق والوفا ادق لجعل العمل نفسه هو الجزا بان يصور بما يستحقه من الصور المليحة
ان كان ثوابا والقبيحة ان كان عقابا والفرق بينه وبين الفعل المؤسس على الشهوة وقوة الداعية **ووفيت كل نفس** ولما كانت
التوفية في الجزا على غاية التحرير والمبالغة في الوفا والمشاكلة في الصورة والمعنى جعل الموفى نفس العمل فقال **ما عملت** اي من الحسنات
ولذلك عبر بالعمل الذي لا يكون الا مع العلم واهم الختام تقديره والله اعلم بما يعملون ولما كان المراد بالشهدا اقامة الحقوق
على ما يتعارفه العباد وكان ذلك ربما اوهم نقصا في العلم قال بعد ما تقديره واحضر لكل نفس ما فعلت **وهو اعلم** اي من العاملين
والشهدا عليهم **بما يفعلون** اي بما عملوه بداعية من النفس سواء كان مع مراعاة العلم او لا فالاية من الاحتباك ذكر ما عملت اولا دليل
على ما فعلت ثانيا وذكر ما يفعلون ثانيا يدل على ما يعملون اولا وسره انه ذكر اوفق للمراد من نفي الظلم على حكم الوعد بالعدل والفضل
لان نفي الجزا على كل ما بني على علم واما المشتهى فذكر انه يجازى عليه بل انه يعلمه ولما كان الاغلب على هذه المقامات التحذير
بدا في هذه التوفية حال اهل الغضب فقال **وسيق** اي بامر يسير من قبلنا بعد اقامة الحساب سوقا عنيفا **الذين كفروا** اي
غطوا انوار عقولهم فالتبست عليهم الامور فضلوا **الى جهنم** اي الدركة التي تلقاهم بالعبوسة كما تلقوا الاوامر والنواهي بها
والقائمين بها عند ذلك فان ذلك لازم لتغطيته العقل **زمرا** اي جماعات في تفرقة بعضهم على اثر بعض قال ابو عبيدة اصنافا
مصنفين كل شخص مع من يلايمه في الطريقة والزمر ماخوذة من الزمر وهو صوت فيه التباس كالزمر المعروف لان ذلك الصوت
من لازم الجمع ولما كان اغلاق الباب المقصود عن قاصده دالا على صغاره دل على ان امرهم كذلك بقوله ذاكرا غاية السوق
حتى اذا جاوها اي على صفة الذل والصغار واجابا ذا بقوله **فتحت ابوابها** اي بولغ كما يفعل في ابواب السجون لاهل السجون
الجرائم بعد تكاملهم عندها في الاسراع في فتحها ليخرج اليهم ما كان محبوسا باغلاقها من الحرارة التي تلقاهم ذكاها وشرارها على حاله
هي امر من لقا السهام التي اخذوها في الدنيا على تغفل ملحا لغاهو فيهم من جنس الكلام ولما كان المصاب ربما رجى الرحمة
اذا وجد من يبكته كان تبكيته اشد عليه مما هو فيه قال **وقال لهم خزنتها** انكارا عليهم تقريعا وتوبيخا **الم ياتكم رسل** ولما
كان قيام الحجة بالمجانس اقوى واختلفت الرسل قال **منكم** اي لتسهل عليكم مراجعتهم ولما كانت المتابعة بالتذكير
اوقع في النفس قال ابتاء لصفة اخرى معبرا بالتلاوة التي هي انسب لما يدور عليه مقصد السورة من العبادة لما للنفوس من النقائص
المفتقرة الى متابعة التذكير **يتلون** اي يوالون مرة بعد مرة وشيا في اثر شي **عليكم آيات** ولما كان امر المحسن احف
على النفوس فيكون ادعى الى القبول قالوا **ربكم** اي بالبشارة ان تابعتم ولما كان الانذار ابلغ في الزجر قالوا **وينذرونكم**
لقاء يومكم ولما كانت الاشارة اعلى في التشخيص قالوا **هذا** اشارة الى يوم البعث كله اي من الملك الجبار ان عاندتم
فالاية من الاحتباك ذكر الرب اولا دليلا على حذف الجبروت ثانيا والانذار ثانيا دليلا على البشارة اولا **قالوا بلى** اي قد اتونا
وتلوا علينا وحذرونا ولما كان عدم اتباعهم لهم على الخلاص مما وقعوا فيه مع كونه يسيرا من اعجب العجب بينوا موجبه بقولهم
ولكن حقت اي وجبت وجوبا يطابقه الواقع لا يقدر رفعه على الانفكاك عنه **كلمة العذاب** اي التي سبقت في الازل علينا
هكذا كان الاصل ولكنهم قالوا **على الكافرين** تخصيصا باهل هذا الوصف وبيانا لانه موجب دعواهم وهو تغطيتهم
للانوار التي اتتهم بها الرسل ولما فرغوا من اهانتهم بتبكيتهم انكوهم بالامر بالدخول وعبر بالمبني للمفعول اشارة الى
انهم وصلوا الى اقصى ما يكون من الذل بحيث انهم يمتثلون قول كل قايل جل او قل فقيل في جواب من كانه قال ما ذا وقع بعد
هذا التقريع **قيل** اي لهم جوابا لكلامهم **ادخلوا ابواب جهنم** اي طبقاتها المتجهمة لداخلها ولما كان الاخبار
بالخلود حين الدخول اوجع لهم قالوا **خالدين** اي مقدرين الخلود **فيها** ولما كان سبب كفرهم بالادلة هو التكبر سبب
عن الامر بالدخول قوله معرى عن التوكيد لانه تعالى في الاخرة ولا تكذيب فيها يقتضي التاكيد ولم يتقدم منهم ههنا كذب كما تقدم
بل اعتراف وندم **فبئس مثوى** اي منزل ومقام **المتكبرين** اي الذين اوجب تكبرهم حقوق كلمة العذاب عليهم فلذلك تعاطوا
اسبابها ولما ذكر احوال الكافرين اتبعه احوال اضدادهم فقال **وسيق** وسوقهم الى المكان الطيب يدل على ان موقفهم

كان طيبا لا من كان في ادنى نكد فهي له مكان هني لا يحتاج في الذهاب اليه الى سوق فشتان ما بين السوقين هذا سوق اكرام وذاك
سوق اهانة وانتقام وهذا العمري من بدايع انواع البديع وموازنات ان سبحانه بكلمة في حق الكفار فدل على هوانهم بعقابهم واتي
بتلك الكلمة بعينها وعلى هيئتها في حق الابرار فدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحان من انزل له معجز المباني متمكن المعاني عذب
الموارد والمثاني ولما كان هذا البين يجمع السعدا ابل للخلص منهم دل على ذلك بقوله الذين اتقوا اي لا جميع المومنين ربهم اي
الذي كلما زادهم احسانا زادوا له هيبة روى احمد وابو يعلى وابن حبان في صحيحه عن ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال يوما كان مقداره خمسين الف سنة فقيل ما اطول هذا اليوم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه
ليخفف على المومنين حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة وروى الطبراني وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال تجتمعون يوم القيمة فذكر الحديث حتى قال فاين المومنون يومئذ قال توضع لهم كراسي من نور وتظلل عليهم
الغمام يكون ذلك اليوم اقصر على المومنين من ساعة من نهار ويمكن ان يكون السوق اشارة الى قسر المقادير للفريقين على الافعال التي
هي اسباب للدارين الى الجنة زمرا اهل الصلاة المنقطعين لها المستكثرين منها على حدة واهل الصوم كذلك الى غير ذلك
من الاعمال التي تظهر اثارها على الوجوه ولما كان ذكر السوق ذكر غايته بقوله حتى اذا جاؤها
اغلاقا لبابها عن الاتي يدل على تهاونه به وعلى وقوفه الى ان يفتح له نوع هوان قال وفتحت اي والحال انها قد فتحت ابوابها
اي اكراما لهم قبل وصولهم اليها بنفس الفتح وبما يخرج اليهم من راحتها ويرون من زهرتها وبهجتها ليكون ذلك لهم سايقا ثانيا الى
ما لم يروا امثاله ولا راوا عينه سابقا ولما ذكر اكرامهم باحوال الدار ذكر اكرامهم بالخزنة الابرار فقال عطفا على
جواب اذا ابا تقديره تلقتهم خزنتها بكل ما يسرهم وقال لهم خزنتها اي حين الوصول سلام عليكم تعجيلا للمسرة لهم بالبشارة
بالسلامة التي لا عطب فيها ولما كانت دارا لا تصلح الا للمطهرين قالوا طبتم اي صلحتم لسكناها فلا تحول لكم عنها
اصلا ثم سببوا عن ذلك تنبيها على انها دار الطيب فلا يدخلها الا مناسب لها قولهم فادخلوها فانتج ذلك خالدين ولعل
قابع الحرف لجواب اذا ان تذهب النفس فيه من الاكرام كل مذهب وتعلم انه لا يحيط به الوصف ومن انسب الاشياء ان
يكون دخولهم لها من غير مانع من اغلاق باب او منع بواب بل ما دونا لهم مرحبا بهم الى الملك الاكبر ولما كان التقدير
فدخلوها عطف عليه قوله وقالوا اي جميع الداخلين الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال وعدلوا الى الاسم الاعظم حثا
لانفسهم على استحضار جميع ما امكنهم معرفته من الصفات فقالوا لله اي الملك الاعظم الذي صدقنا وعده في قوله تلك
الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا فطابق قوله الواقع الذي وجدناه في هذه الساعة واورثنا كما وعدنا الارض
التي لا ارض في الحقيقة غيرها وهي ارض الجنة التي لا كدر فيها بوجه وفيها كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين بان جعل حالنا
فيها في تمام الملك وعدم التسبب في الحقيقة فيه حال الوارث الذي هو بعد موروثه ولا شي بعده ولا منازع له حال كونها
نتبوأ اي نتخذ منازل هي اهل لمن خرج منها ان ينتهي العود اليها وبينوا الارض بقولهم في موضع الضمير من الجنة اي كلها
حيث نشاء لاتساعها فلا حاجة لاحد فيها ان ينازع احدا في مكان اصلا ولا يشتهي الا مكانه ولما كانت
بهذا الوصف الجليل تسبب عنها مدحها بقوله فنعم اجرنا هكذا كان الاصل ولكنه قال اجر العاملين ترغيبا في
الاعمال وحثا على عدم الاتكال ولما ذكر سبحانه الذين ركبت فيهم الشهوات وما وصلوا اليه من المقامات ذكر
اهل الكرامات الذين لا شاغل لهم عن العبادات فقال صارفا للخطاب لعلو الخبر الى اعلى الخلق لانه لا يقوم بحق هذه الرؤية
غيره وترى معبرا باخص من الابصار الاخص من النظر كما بين في البقرة في قوله تعالى ان القوة لله جميعا الملايكة القايمين
بجميع ما عليهم من الحقوق حافين اي محدقين ومستديرين وطايفين في جموع لا يحصيها الا الله من الحف وهو الجمع والحفة
وهي جماعة الناس والاعداد الكثير وهو جمع حاف وهو الواحد من الجماعة المحدقة ولما كان عظم الشي من عظم
صاحبه وكان لا يحيط بعظمة العرش حق الاحاطة الا الله تعالى اشار الى ذلك بادخال الجار فقال من حول العرش اي
الموضع الذي يدار فيه به ويحاط به منه من الحول وهو الاحاطة والانعطاف والادارة محدقين ببعض احفته اي جوانبه
التي يمكن الحفوف بها بالقرب منه يسمع لحفوفهم صوت بالتسبيح والتحميد والتقديس والاهتزاز خوفا منه بهم فادخال من
يفهم انهم مع كثرتهم الى حد لا يحصيه الا الله لا يملأون ما حوله حال كونهم يسبحون بحمد وصرف القول الى الوصف
الاحسان ربهم مدحا لهم بالتشمير في شكر المنعم وتدريبا لغيرهم فقال ربهم اي يبالغون في التنزيه عن النقص بان يتوهم متوهم
انه محتاج الى العرش وغيره وان يحويه مكان ملتبسين باثبات الكمال المحيط لهم بالزامهم بالعبادة من غير شاغل يشغلهم ولا
منازع من شهوة او حظ يغفلهم تلذذا بذكره وتشرفا بتقديسه ولان حجته اظهار تعظيمه على الدوام كما انه متصل الانعام ولما
تقدم ذكر الحكم بين اهل السموات بما برز عليهم من السماوات ذكر هنا الحكم بينهم وبين الملايكة الذين بادهوا
في اصل خلقهم بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما الاية فقال وقضي على ايسر وجه واسهله بينهم اي بين اهل

السموات

السموات واهل العصمة والثبات ولما كان السياق عاما في الترغيب والترهيب عدلا وفضلا بخلاف سياق
سورة يونس عليه السلام قال بالحق بان طوبق بما انزلنا فيهم من الكتب التي وضعنا لهم حسابهم الواقع فمن طغى منهم اخفاه
ظلمه لنا ومن اتقى نعمناه في جنة الماوى بفضلنا لجهادهم ما فيهم من الشهوات حتى ثبتوا على الطاعات مع ما بين عنهم
من الطبايع الى الجهالات واما الملايكة فابقيناهم على حالهم في العبادات وقيل اي من كل قايل اخر الامر كلها الحمد اي
الاحاطة بجميع اوصاف الكمال وعدل بالقول الى ما هو احق بهذا المقام فقال لله ذي الجلال والاكرام علمنا ذلك في هذا اليوم
عين اليقين كما كنا في الدنيا نعلمه علم اليقين ولما كان ذلك اليوم احق الايام بمعرفة شمول الربوبية لاجتماع الخلايق
وانفتاح البصاير وسعة الضماير قال رب العالمين اي الذي ابتدأهم اولا من العدم واقامهم ثانيا بما رباهم به من التدبير
واعادهم ثالثا بعد افنايهم باكمل قضاء وتقدير واقامهم رابعا لا الى اخير ولما حقق وعده كما انزل في كتابه هم
وصدق وعيده لاعدايه كما قال في كتابه فتحقق انه تنزيله فقد ختم الامر باثبات الكمال باسم الحمد عند دخول الجنان والنيران
كما ابتدئ به عند ابتداء الخلق في اول الانعام فله الاحاطة بالكمال في ابتداء الامر كما قال في كتابه على كل حال
طبق اخرها على اولها بان الكتاب تنزيله لمطابقة كل ما فيه للواقع عندما ياتي تاويله وبان الكتاب الحامل
على التقوى المسببة للجنة انزل للاتقا الاول فمن اتبعه كان له سببا للاتقا الثاني وهذا الاخر موعين اول سورة
غافر فسبحان من انزله معجزا نظامه فاتنا القوى اول كل شي منه وختامه سورة غافر وتسمى المومن والطول
مقصودها الاستدلال على اخر التي قبلها من تصنيف الناس في الاخرة الى الصنفين وتوفية كل ما يستحقه على سبيل العدل
بان فاعل ذلك له العزة الكاملة والعلم الشامل وتدبير ما يغضبه وما يرضيه غاية البيان على وجه الحكمة فمن لم يسلم له
كله الله وجادل في اياته اذله الله على القيمة او غيرها بقوله او فعله فانه يجزيه فيغفر به ويرديه وعلى ذلك دلت تسميتها
بغافر فانه لا يقدر على غفران ما يشا لمن يشا الا الكامل العزة والعلم جميع الذنوب ليسمى غافرا لها الا بالغ العلم وكذا في جميع
الاوصاف التي في الاية من التتابع والعقاب وكذا الطول فانه لا يقدر على التطول المطلق الا من كان كذلك فان من كان
ناقص العزة فهو قابل لان يمنعه من بعض التطول مانع ولن يكون ذلك الا لانتقاص العلم وكذا الدلالة بتسميتها بالمومن فان
قصته تدل على هذا المقصد ولا سيما امر القيمة الذي هو محل المقصود والمدار الاعظم بمعرفة المعبود بسم الله الملك
الاعظم الذي يعطي كلا من عباده ما يستحقه فلا يقدر احد ان يناقض في شي من ذلك ولا يعارض الرحمن الذي عمهم برحمته في الدنيا
بالخلق والرزق والبيان الذي لا خفا معه الرحيم الذي يخص برحمته من يشا من عباده فيجعله حكيما وفي ملك الارض
وملكوتها سماعطيما حم اي هذه حكمة محمد صلى الله عليه وسلم التي خصه بها الرحمن الرحيم ولما كان ختام التي
قبلها اثبات الكمال لله بصدقه في وعده ووعيده بانزال كل فريق في داره التي اعدها له ثبت ان الكتاب الذي فيه ذلك منه
وانه تام العزة كامل العلم جامع لجميع صفات الكمال فقال تنزيل الكتاب اي الجامع من الحدود والاحكام والمعارف
والاكرام لكل ما يحتاج اليه حتى بانزاله بالتدريج على حسب المصالح والتقريب للافهام الجامع الفاصح والتدريب للالباب
السابق في جو المعاني والطايف من الله اي الجامع لجميع صفات الكمال ولما كان النظر هنا من جميع الصفات الى العزة
والعلم اكثر لاجل ان المقام لاثبات الصدق وعدا او وعيدا قال العزيز العليم وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما افتتح
سبحانه سورة الزمر بالاخلاص وذكر سببه والحامل باذن الله عليه وهو الكتاب واعقب ذلك بالتعريض بذكر من جنب على
وصفهم سورة ص وتابعت الاي في ذلك العرض الى توبيخهم بما ضربه سبحانه من المثل الموضح في قوله ضرب الله مثلا رجلا
فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ووصف الشركا بالمشاكسة اذ بذلك العرض يتضح عدم استمرار مراد لاحدهم
وذكر قبح اعتذارهم بقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ثم اعقب تعالى بالاعلام بقهره وعزته حتى لا يتخيل تخيل ولد شذوذ امر
عن ارادته وقهره فقال تعالى اليس الله بكاف عبده الى قوله اليس الله بعزيز ذي انتقام ثم اتبع ذلك بحال الهتهم في انها لا تضر ولا تنفع
فقال قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ثم اتبع
هذا بما يناسبه من شواهد عزته فقال قل لله الشفاعة جميعا قل اللهم فاطر السموات والارض اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر الله خالق كل شي له مقاليد السموات والارض ثم عنفهم وقرعهم بجهلهم فقال تعالى افغير الله تامروني اعبد
ايها الجاهلون ثم قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ثم اتبع تعالى
بذكر اثار العزة والقهر فذكر النفخ في الصور للصعق ثم نفخة القيام والجزا ومصير الفريقين فتبارك المنفرد بالعزة والقهر فلما
انطوت هذه الاي من اثار عزته وقهره على ما اشير الى بعضه اعقب ذلك بقوله سبحانه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
فذكر من اسمايه سبحانه هذين الاسمين العظيمين تنبيها على انفراده بموجبهما وانه العزيز الحق القاهر للخلق لعلمه تعالى بوجه
الحكمة التي خفيت عن الخلق من امر الجزا الحتم للدار الاخرة وجعل الدنيا دار ابتلاء واختبار مع تمرن للكل في الدارين معا وكو

غير خارجين عن ملكه وقهره ثم قال تعالى غافر الذنب وقابل التوب تأنيسا لمن استجاب بحمله واناب بلطفه وجريا على حكم سبقة الرحمة
وتغليبها ثم قال شديد العقاب ذي الطول ليأخذ المؤمن بلازم عبوديته من الخوف والرجاء واكتفى قوله شديد العقاب بقوله
غافر الذنب وقابل التوب وقوله ذي الطول واشار سبحانه بقوله فلا يغررك تقلبهم في البلاد الى قوله قبل واورثنا الارض
وكانه نعى تقديرا اذا كانت العاقبة لك ولاتباعك فلا عليك من تقلبهم في البلاد ثم بين تعالى ان حالهم في هذا الحال الامم قبلهم
وجدالهم في الآيات كجدالهم وانه كما حق عليهم من كلمة العذاب وسبق لهم في ام الكتاب انتهى [ولما] تقدم آخر تلك
ان كلمة العذاب حقت على الكافرين وكان ذلك ربما ايأس من تلبس بكفر من الفلاح واوهم ان لا سلامة من الكفر غيرهم وكان الغفران ومن
محو الذنب عينا واثرا مترتبا على العلم به وكان التمكن من الغفران وما رتب عليه من الاوصاف نتيجة العزة دل عليهما مستعطفا لكل
عاص ومقصر بقوله غافر الذنب اي بتوبة وغير توبة ان شاء وهذا الوصف له دائما فهو معرفة قال السمين نص سيبويه على ان
كل ما اضافته غير محضة جاز ان تجعل محضة وتوصف بها المعارف الا الصفة المشبهة ولم يستثن الكوفيون شيئا ولما افهم
تقديمه على التوبة انه غير متوقف عليها فيما عدى الشرك وكان المشركون يقولون تداركنا وقتلنا وبالغنا في المعاصي فلا يقبل رجوعنا
فلا فائدة لنا في اسلامنا رغبهم في التوبة بذكرها وبالعطف بالواو الدالة على تمكن الوصف اعلاما بانه سبحانه لا يتعاظمه ذنب فقال
وقابل التوب وجرد المصدر ليفهم ان ادنى ما يطلق عليه الاسم كاف وجعله اسم جنس كاخوانه انسب من جعله بينهما جمعا كتمر وتمرة
[ولما] كان الاقتصار على الترغيب ربما اطمع حذر المتمادي من سطوته فقال معريا عن الواو لئلا يوهم ما يشعر به كل من العطف
والصفة المشبهة من التمكن وذلك اعلاما بخفي لطفه في ان رحمته سبقت غضبه وانه لو ابدى كل ما عنده من العزة لاهلك كل
من عليها كما اشير اليه بالمفاعلة في ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم فان الفعل اذا كان بين اثنين كان ابلغ شديد العقاب على ان
تنكيره وابهامه كما قال الزمخشري للدلالة على فرط النكير وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ومن اخفى من دلالة
الواو والواتي لها [ولما] ابهم الترغيب بالعفو والترهيب من الانتقام اتبعه التشويق الى الفضل فقال معريا عن الواو لان
المقام لا يقتضي المبالغة والحذف غير مخل بالغرض فان دليل الفضل قائم على كمال اصفاته سبحانه ذي الطول اي سعة الفضل والا
نعام والقدرة والغنا والسعة والمنة لا يماثله في شيء من ذلك احد ولا يدانيه ثم علل تمكنه في كل شيء من ذلك بوحدانيته فقال
لا اله الا هو [ولما] انتج هذا كله تفرده انتج قطعا قوله اليه اي وحده المصير اي في المعنى في الدنيا وفي الحس والمعنى
في الآخرة ليظهر كل من هذه الصفات ظهورا تاما بحيث لا يبقى في شيء من ذلك لبس فانه لا يصح في الحكمة ان يبغي احد على العباد ثم يموت في
عز من غير نقمة فيضيع ذلك المبغي عليه لان هذا امر لا يرضى اقل الناس ان يكون في عبيده [ولما] بين ما للقرآن من البيان الجامع
بحسب نزوله جوابا لما يعرض لهم من الشبه فدل بازاحته كل علة على ما وصف سبحانه به نفسه المقدس من العزة والعلم بانه لا يخفى
في شيء منه انتج قوله ذما لمن يريد ابطاله واخفاءه ما يجادل اي يخاصم ويماري ويريد ان يفتل الامور الى مراده في آيات واظهر
موضع الاضمار تعظيما للآيات فقال الله اي في ابطال انوار الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال الدالة كالشمس على انه اليه المصير
بان يغير نفسه بالشك في ذلك لشبهة يميل معها او عن غيره بالتشكيك له او في شيء عن ذلك مما اخبر به تعالى الا الذين كفروا اي غطوا مرائي
عقولهم وانوار بصائرهم لبسا على انفسهم وتلبيسا على غيرهم [ولما] ثبت ان الحشر لا بد منه وان الله تعالى قادر كل القدرة لانه
لا شريك له وهو المحيط بجميع اوصاف الكمال تسبب عن ذلك قوله فلا يغررك تقلبهم اي تقلبهم بالتجارات والفوائد والجنود
والعساكر واقبال الدنيا عليهم في البلاد فانه لا يكون التقلب بالغلب الا عن قهر وغلبة فتظن لاجلهما لنا ايامهم انهم على حق وان الجدال
يحميهم علينا فلا بد من صيرورتهم عن قريب الينا صاغرين داخرين وتأخيرهم انما هو ليبلغ الكتاب اجله [ولما] نهى عن الاغترار
بما لا قوة لاحد على صرفه عن نفسه الا بتأييد من الله علله بما يحقق معنى النهي من ان التقلب وما يثمره لا يصح ان يكون معتمدا لزهد
فيه كل من يسمع هاتين الآيتين فقال مشيرا بتأنيث الفعل الى ضعفهم عن المقاومة ولا سيما عند المصادمة وان كانوا في غاية القوة
بالنسبة الى مناحسيهم كذبت [ولما] كان تكذيبهم عظيما وكان زمانهم قديما وما قبله من الزمان قليلا بالنسبة الى ما بعده
وطال البلاء بهم جعل مستغرقا لجميع الزمان فقال من غير خافض قبلهم [ولما] كان الناس على زمن نوح عليه السلام حزبا واحدا
مجتمعين على امر واحد وان جامع وحدهم فقال قوم نوح اي وقد كانوا في غاية القوة والقدرة على القيام بما يحاولونه وكانوا حزبا
واحدا لم يفرقهم شيء [ولما] كان الناس من بعدهم قد كثروا وفرقهم اختلاف الالسنة والاديان وكان للاجمال من الروع في
بعض المواطن ما ليس للتفصيل قال والاحزاب اي الامم المتفرقة الذين لا يحصون عددا ودل على قرب زمان الكفر من الانجاء من الغرق
بقوله من بعدهم [ولما] كان التكذيب وحده كافيا في الاذى دل على انهم زادوا عليه بالمبالغة في المناصبة بالمعاندة وتدبر
قصد الاهلاك لانه اول ما يريده العدو فان عجز عنه نزل الى ما دونه فقال وهمت كل امة اي من الاحزاب المذكورين برسولهم
اي الذي ارسلناه اليهم [ولما] كان الاخذ يعبر به عن الغلبة والقهر والاستصغار مع الغضب قال ليأخذوه ولما
كان نسوق الكلام هكذا دالا على انهم عجزوا عن الاخذ ذكر انهم بذلوا جهدهم في المغالبة بغيره فقال كما دافعا للمفعول تعميما له

وجادلوا بالباطل اي الامر الذي لا حقيقة له وليس له من ذاته الا الزوال كما تفعل قريش ومن انضوى اليهم من العرب ثم بين علة مجادلتهم
فقال ليدحضوا اي ليزلقوا فيزيلوا به الحق اي الثابت ثباتا لا حيلة في ازالته [ولما] كان من المعلوم لكل ذي لب ان فاعل
ذلك مغلوب وان فعله مسبب لغضب المرسل عليه قال صارفا القول الى التكلم دفعا للالباس واشارة الى شدة الغضب
وحرزه عن مظهر العظمة استصغارا لهم فأخذتهم اي اهلكتهم وهم صاغرون غضبا عليهم واهانة لهم [ولما] كان
اخذه عظيما دل على عظمته بانه اهل لان يسأل عن حاله لزيادة عظمتها في قوة بطشتها وسرعة اهلاكها وخرقها للعوائد فقال
كيف كان عقاب ومن يطرد ديارهم ويقرأ آثارهم وقف على بعض ما اشرنا اليه ونبهنا عليه وحذف يا المتكلم اشارة الى
ان ادنى شيء من عذابه بادنى نسبة كاف في المراد وان كان المعذب جميع العباد [ولما] كان التقدير فحقت عليهم كلمة الله
لاخذهم على هذا الجدال انهم اصحاب النار التي جادلوا فيها عطف عليه قوله وكذلك اي ومثل ما حقت عليه كلمتنا بالاخذ فلم
يقدروا على التفصي من حقوقها حقت بالاخذ والنكال كلمة وصرف الكلام الى صفة الاحسان تلطفا به صلى الله عليه وسلم
وبشارة له بالرفق بقومه فقال ربك اي المحسن اليك بجميع انواع الاحسان فهو لا يدع اعداءك [ولما] كان السياق للمجادلة
بالباطل وهي فعل الخصم عن اعتقاده الحق لتغطيته لدليل الحق وتلبيس كان الحال احق بالتعبير بالكفر الذي معناه التغطية فلذا
قال تعالى على الذين كفروا اي اوقعوا الكفر وقتا ما كلهم سواء هؤلاء العرب وغيرهم لان علة الاهلاك واحدة وهي التكذيب
الدال على ان من تلبس به محقوق للنار ثم ابدل من الكلمة فقال انهم اصحاب النار اي من كفر في حين من الاحيان فهو مستحق للنار في الآخرة
كما انه مستحق للاخذ في الدنيا الا ان يتداركه الله به بانه فمن تداركته الرحمة بالتوبة نجا ومن اوبقته اللعنة بالاصرار هلك [ولما]
بين عداوة الكفار للانبياء عليهم السلام واتباعهم رضي الله عنهم بقوله ما يجادل في آيات الله وما بعده وكان ذلك امرا غائظا
محزنا موجعا وختم ذلك ببيان حقوق كلمة العذاب عليهم تسلية لمن عاداهم وهم فيه سبحانه زاد في تسليتهم شرحا للصدور وهم
وتثبيتا لقلوبهم ببيان ولاية الملائكة المقربين لهم مع كونهم اخص الخلق بحضرته سبحانه واقربهم من محل انسه وموطن قدسه
وببيان حقوق رحمته للذين آمنوا ابدا عاهل حضرته لهم فقالوا ويقال انه لما بين حقوق كلمة العذاب كان كانه قيل فكيف النجاة
قيل باتباع الايمان بالتوبة عن الغفران ليكون موقعه اهلا للشفاعة فيه من اهل الحضرة العلية فيغفر له ان تاب مما قدم من الكفر
فقال مظهرا لشرف الايمان وفضله الذين يحملون العرش وهم المقربون وهم اربعة كما يذكر ان شاء الله في الحاقة فاذا كان يوم القيمة
كانوا ثمانية وهل هم اشخاص او صفوف فيه كلام يذكر ان شاء الله في الحاقة فاذا كانت القيمة ومن حوله وهم جميع الملائكة وغيرهم
ممن ومما اراد الله كونه محيطا به كما تقدم في التي قبلها وترى الملائكة حافين من حول العرش اي طائفين به فافادت هذه العبارة
النص على الجميع مع تصوير العظمة [ولما] كان ربما وقع في وهم انه سبحانه محتاج الى حملهم لعرشه او الى عرشه او الى شيء منه
بالتسبيح على انه غني عن كل شيء وان المراد بالعرش والحملة ونحو ذلك اظهار عظمته لنا في مثل محسوسة الطف منه وبالتنزه
الى ما تسعه عقولنا وتحمله افهامنا فقال مخبرا عن المبتدا وما عطف عليه يسبحون اي ينزهون اي يوقعون تنزيهه
سبحانه عن كل شائبة نقص ملتبسين بحمد وصرف القول الى ضميرهم اعلاما بان لكل عبده من العلويين والسفليين الغريب والبعيد
وكانوا تحت تصريفه وقهره واحسانه وجبره فقال ربهم اي باحاطة المحسن اليهم باوصاف الكمال [ولما]
كان تعالى باطنا لا يحيط احد به علما اشار الى انهم مع انهم اهل الحضرة هم من وراء حجاب الكبر واردية العظمة لا فرق بينهم
في ذلك وبين من هو في الارض السفلى بقوله ويؤمنون به لان الايمان انما يكون بالغيب [ولما] كانوا لقربهم اشد الخلق خوفا
لانه على قدر القرب من تلك الحضرات يكون الخوف فهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا
من اهل السماء السادسة وهكذا وكانوا قد علموا من تعظيم الله تعالى للنوع الانساني ما لم يعلمه غيرهم لامره سبحانه لهم
بتعظيمه بما اختص به سبحانه من السجود وكان من اقرب ما يتقرب به الى الملك التقرب الى اهل وده نبه سبحانه على ذلك كله بقوله
ويستغفرون اي يطلبون محو الذنوب اعيانا وآثارا [ولما] كان الاشتراك في الايمان اشد من الالتحام في النسب
قال دالا على ان الاتصاف بذلك يجب ان يكون داعيا الى النصيحة وباعثا على خالص الشفقة للذين آمنوا اي اوقعوا هذه
الحقيقة لما بينهم من لحوق الايمان ومجانسته وان اختلف جنسهم في حقيقة التركيب وان وقع منهم بعد ذلك خلل يحق عليهم
الكلمة لولا العفو وما قدروا الله حق قدره ويعفو عن كثير لن يدخل احد الجنة بعمله [ولما] ذكر استغفارهم
بين عبارتهم عنه بقوله ربنا اي ايها المحسن الينا بالايمان وغيره [ولما] كان المراد بيان رحمته وعلمه وكان ذلك امرا
لا تحتمله العقول عدل الى اسلوب التمييز تنبيها على ذلك مع ما فيه من هز السامع وتشويقه بالابهام الى الاعلام فقال
وسعت كل شيء ثم بين جهة الوسع بقوله مميزا محولا عن الفاعل رحمة اي رحمتك بايجاده من العدم فما فوق ذلك وعلما
اي واحاط بهم علمك فمن اكرمته فعن علم بما جبلته عليه مما يقتضي اهانة او اكراما [ولما] كان له سبحانه ان يفعل ما يشاء
من تعذيب الطائع وتنعيم العاصي وغير ذلك قالوا مسببين على ذلك فاغفر للذين تابوا اي رجعوا اليك عن ذنوبهم برحمتك لهم

بان لمحوا اعيانها واثارها فلا عقاب ولا عتاب ولا ذكر لها واتبعوا اى كلفوا انفسهم على ما لها من العوج ان لزموا سبيلك المستقيم الذى لا لبس فيه ولما كان الغفران قد يكون لبعض الذنوب وكان سبحانه له ان يعذب من لا ذنب له وان يعذب من غفر ذنبه قالوا وقهم عذاب الجحيم اى اجعل بينهم وبينه وقاية بان تلزمهم الاستقامة وتتم نعمتك عليهم فانك وعدت من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز ان تفعل ما تشا ولما كانت النجاة من العذاب لا تستلزم الثواب قالوا مكررين صفة الاحسان زيادة فى الرقة فى طلب الامتنان ربنا اى ايها المحسن الينا بتوفيق احبابنا الذين لزموا ربنا بالمشاركة فى عبادتك بالجنان واللسان والاركان وادخلهم جنات عدن اى اقامة لا غاد فيها ولما كانوا عالمين بانه سبحانه لا يجب عليه لاحد شئ ولا يقبح منه شئ نبهوا على ذلك بقولهم التى وعدتهم مع الزيادة فى التملق واللطافة فى الحث واخالهم لاجل استعمالك اياهم الصالحات ولما كان الانسان لا يطيب له نعيم دون ان يشاركه فيه احبابه الذين كانوا يشاركونه فى العبادة قالوا معممين احق الناس بالاجلال ومن صلح من ابائهم ثم اتبعوهم الصغير بالكبار فقالوا وازواجهم وذرياتهم ولما كان فاعل هذا ربما نسب الى ذل او سفه وربما عجز عن الغفران لبعض لكثرة المعارضين عللوا بقولهم مؤكدين لاجل نسبة الكفار لهم الى عجز ومن ذلك تسميتهم العزى انك انت اى وحدك العزيز فانت تغفر لمن شئت غير منسوب الى وهن الحكيم تفعل ما تفعل كله فى اتم مواضعه فلذلك لا ينهى لاحد نقضه ولا نقصه ولما كان الانسان قد يغفر له ويكرم وفيه من الاخلاق ما ربما حمله على بعض الافعال الناقصة دعوا لهم بالكمال فقالوا وقهم السيئات اى بان تجعل بينهم وبينها وقاية بان تطهرهم من الاخلاق الحاملة عليها بتطهير القلوب بنزع كل ما يكره منها او بان تغفرها لهم ولا تجازيهم عليها وعظوا هذه الطهارة ترغيبا فى حمل النفس فى هذه الدار على لزومها بقمع النفوس وامانة الحظوظ بقولهم ومن تق السيئات اى جزاءها كلها يومئذ اى يوم اذ تدخل فريقا الجنة وفريقا النار المسببة عن السيئات او اذ تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين فقد رحمته اى الرحمة الكاملة التى لا يستحق غيرها ان يسمى معها رحمة فان تمام النعيم لا يكون الا بها لزوال التحاسد والتباغض والنجاة من النار باجتناب السيئات ولذلك قالوا وذلك اى الامر العظيم جدا هو اى وحده الفوز العظيم والاية من الاحتباك ذكر ادخال الجنات اولا دليلا على حذف النجاة من النار ثانيا ووقاية السيئات ثانيا دليلا على التوفيق للصالحات اولا وسر ذلك التشويق الى المحبوب وهو الجنان بعمل المحبوب وهو الصلح والتنفير من النيران باجتناب الممقوت من الاعمال وهو السيئ فذكر المسبب اولا وحذف السبب لانه لا سبب فى الحقيقة الا الرحمة وذكر السبب ثانيا فى ادخال النار وحذف المسبب ولما انتج حال الذين امنوا تشوقت النفس الى معرفة ما لاضدادهم قال مستانفا مؤكدا لانكارهم هذه المنادات بانكارهم يومها ان الذين كفروا اى اوقعوا الكفر ولو لحظة ينادون اى فى القيمة بنداء ينادونهم به من ارادهم الله من جنوده او فى هذه الدار بلسان الحال بهذا الكلام ولما كان عندهم لكونهم فى هذه الدار ارفع نعما انهم اثر عند الله من فقرا المومنين اكد قوله لمقت الله اى الملك الاعظم اياكم بخذلانكم اكبر من مقتكم وقوله انفسكم مثل قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم جار على سبيل الاشارة الى تنزه الحضرة المقدسة عما لديهم فعلهم من المقت فان من دعا الى الاجر فاعرض عنه الى غيره كان اعراضه مقتا للمعرض عنه وهذا المقت منهم الموجب لمقت الله لهم موصل لهم الى عذاب يمقتون به انفسهم والمقت اشد البغض ثم ذكر ظرف مقتهم العائد وباله عليهم بقوله اذ اى حين واشار الى ان الايمان لظهور دلائله ينبغى ان يقبل من اى داع كان فبنى الفعل لما لم يسم فاعله تدعون الى الايمان اى بالله وما جاء من عنده فتكفرون اى فيتسبب عن الكفر الذى هو تغطية للايات موضع اظهارها والاذعان لها وهذا اعظم العقاب عند اولى الالباب لان من علم ان مولاه عليه غضبان علم انه لا ينفعه بكا ولا تغنى عنه شفاعة ولا حيلة فى خلاصه بوجه ولما كان من اعظم ذنوبهم انكار البعث وكانوا قد استقروا العوايد هم وستروا ما جرت به الاقدار فى الدهور المدايد من ان كل ثان لا بد له من باب وكان الاحيا لا يطلق عرفا الا على ما هو عن موت حكى سبحانه جوابهم بقوله الذى محطه الاقرار بالبعث والترقق بالاعتراف بالذنب حيث لا ينفع لفوات شرطه وهو الغيب قالوا ربنا اى ايها المحسن الينا بما تقدم فى دار الدنيا امتنا اثنتين قبل واحدة عند انقضاء الاجال فى الحياة الدنيا واخرى بالصعق بعد البعث او الارقاد بعد سؤال القبر والصحيح ان تفسيرها اية البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم واما الصعق فليس بموت وما فى القبر فليس بحياة حتى يكون عنه موت وانما هو اقدار على الكلام كما اقدر سبحانه الحصى على التسبيح والحجر على التسليم والضب على الشهادتين والعرش حين قال لها فارسها شئ اطلال على بولها وثنا وسورة البقرة واحييتنا اثنتين واحدة فى البطن واخرى بالبعث بعد الموت او واحدة بالبعث واخرى بالاقامة من الصعق والاقامة فى القبر فشاهدنا قدرتك على البعث فاعترفنا اى فتسبب عن ذلك انا اعترفنا بعد تكرر الاحيا بذنوبنا الحاصلة بسبب انكار البعث لان من لم يخش العاقبة بالغ فى متابعة الهوى فذلك توبة لنا فهل الى خروج اى من النار ولو على ادنى انواع الخروج بالرجوع الى الدنيا لنعمل صالحا من سبيل فنسلكه فنخرج ثم نكون لنا موته

ثالثة واحياة ثالثة الى الجنة التى جعلتها جزاء من اقر بالبعث ولما كان الجواب قطعا لا سبيل الى ذلك علله بقوله ذلكم اى القضاء النافذ العظيم العالى بتخليدكم فى النار ومقتنا منه لكم بانه اى كان بسبب انه اذا دعى الله اى وجدت ولو مرة واحدة دعوة الملك الاعظم من اى داع كان وحده اى محكوما له بالوحدة ومنفردا من غير شريك كفرتم اى هذا طبعكم دائما حيث الى الدنيا اولا وان يشرك به اى يوقع الاشراك به ويجدد ولو بعدد الانفاس من اى مشرك كان تؤمنوا اى بالشرك ويجددوا ذلك غير متحاشين من تجديد الكفر وهذا معهم لان حب الله للانسان اكبر من حبه له الدال عليه توفيقه له فى انه اذا ذكر الله وحده امن وان ذكر معه غيره على طريقة تؤول الى الشركة لغير مليك الغير وجعل الامر لله وحده فالحكم اى فتسبب عن القطع بالارجعة وان الكفار صاروا الا انفسهم مع ادعايهم العقول الراجحة وتغوروا ذلك ان كل حكم لله اى المحيط بصفات الكمال خاص به لا دخل للعوايد فى احكامه بل بهما شا فعال اجراه على العوايد او خرقا لها العلى اى وحده عن ان يكون له شريك فكذب تولى سفيين يوم احد اعل هبل وقول ابن عربى احد اتباع فرعون اكذب وافتح وابطل حيث قال العلى على اعز من وما ثم الا هو فعليه الخزى واللعنة ومن قال بقوله ومن توقف فى لعنه ولما كانت النفوس لا تنقاد غاية الانقياد للحاكم الا مع العظمة الزايد والقدم فى المجد قال معبرا بما يجمع العظمة والقدم الكبير الذى لا يليق الكبرا الا له وكبر كل متكبر وكبر كل كبير متضائل تحت دائرة كبره وكبره وعذابه مناسب لكبريائه بما اسفه من شقى بالكبر فانهم يلجؤن انفسهم الى ان يقولوا لما لا يجدهم ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا ولما قصر الحكم عليه دل على ذلك بقوله ذاكرا من ايات الافاق العلوية ما يرد الموفق عن غيه هو اى وحده الذى يريكم اى بالبصر والبصيرة اياته اى علاماته الدالة على تفرده بصفات الكمال تكميلا لنفوسكم فينزل من السماء ماء فيحيى به الارض باعادة ما تحطم فيها من الحبوب فتنفتت بعد موتها بصيرورة ذلك الحب ترابا لا تمييز له عن ترابها هو تذكيرا بالبعث لمن المحق فصار ترابا وضل فى تراب الارض حتى لا تمييز له عنه من فى طبعه الانابة ومن الرجوع عما هو عليه من الجهل الى الدليل بما ركز فى فطرته من العلم وذلك هو معنى قوله وينزل لكم اى خاصة بنفعكم او ضركم من السماء اى جهة العلو الدالة على قهر ما تحتها بامساكه الى حين الحكم بنزوله رزقا لاقامة ابدانكم من الثمار والاقوات بانزال الماء نحو سبحانه يدلكم عليه ويحبب اليكم لتنفعوا انفسكم وانتم تبغضون اليه وتتعامون عنه لتضروها وما يتذكر ذلك تذكرا نافعا بما اشار اليه الاظهار فيتقيس عليه بعث من اكلته الهوام والمحق بانه فى الارض الا من ينيب اى له اهلية التجديد فى كل وقت للرجوع الى الدليل بان يكون حنيفا ميالا للطافته مع الدليل حيثما مال كما هو بخلاف جامد على ما الفه لا يحول عنه اصلا لا يصغى الى قال ولا قيل ولو قام على خطائه كل دليل ولما كان كل من الناس يدعى انه لا يعدل عن الدليل وكان قد احد مامورا بالنظر فى الدليل مامورا بالانابة لما دل عليه من التوجه الى الله وحده كان ذلك سببا فى معرفة الكمال للتوحيد الموجب لاعتقاد القدرة التامة الموجب لاعتقاد البعث فكان سببا للاخلاصهم فقال تعالى مسببا عنه فادعوا وصرح بالاسم الاعظم تدريبا للمخلصين على كيفية الاخلاص فقال الله اى الموحد بصفات الكمال دعا خضوع وتعبد بعد الانابة بعد النظر فى الدليل مخلصين له الدين اى الاعمال التى يقع الجزاء عليها ممن كان بصيرا بالجزاء وبان ربه غنى لا يقبل الا خالصا اجتهد فى تصفية اعماله فياتى بها فى غاية الخلوص عن كل ما يمكن ان يكدر من غير شائبة شرك جلى او خفى حتى ان معبوده واحد من غير شائبة نقص ولما كانت مخالفة الجنس شديدة لما تدعوا اليه من المخاصمة الموجبة للمشاقة الموجبة للاشتطاط قال تعالى ولو كره اى الدعاء منكم الكافرون اى الساترون لانوار عقولهم والاخلاص ان يفعل العباد لربهم مثل ما فعل لهم فلا يفعلوا فعلا من امر او نهى الا لوجهه خاصة من غير غرض لانفسهم بجلب شيئا من نفع او ضر وذلك لانه سبحانه فعل لهم كل احسان من الخلق والرزق لانفسهم خاصة لا لغرض يعود عليه سبحانه وما اعز شانه بنفع ولا ضر ولا يكون شكرهم له الا بما تقدم لكنه لما علم سبحانه ان هذا غير مقدور لهم الا بغاية الجهد بل لا يقدر عليه الا الافراد خفف عنهم سبحانه بان اباح لهم العمل لاجل الرجاء فى ثوابه والخوف من عقابه ولم يجعل ذلك قادحا فى الاخلاص قال الاستاذ ابو القسم القشيرى ولولا اذنه فى ذلك لما كان فى العالم مخلص ولما كان الاخلاص لا ياتى الا ممن دفعه اشراق الروح عن كدورات الاجسام وطارت به انوارها عن حضيض ظلمات الجهل الى عرش العرفان فصار اذ كان الملك الديان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها بمعنى انه لا يفعل بشئ من هذه الجوارح الا ما امره به سيحانه يتصرف فى الاكوان باذن الفتاح العليم تكسب القلوب من ضيا انواره ويحيى ميت الهمم بما فى اسراره نبه سبحانه على ذلك حثا عليه وتشويقا اليه بقوله ممثلا بما يفهمه العباد مخبرا عن مبتدا محذوف تقديره هو رفيع الدرجات اى فلا يصل الى حضرته الشماء الا من علا فى معارج العبادات ومدارج الكمالات ولما كان لا يعرف ملكه الا بقعلة على سرير الملك وكانت درج كل ملك ما يتوصل بها الى عرشه اشار سبحانه بجمع القلة الى السموات التى هى دون عرشه سبحانه اشارة الى ان الدرج اليه لا تحصى بوجه لانا لو انفقنا عمر الدنيا فى اصطناع درج للتوصل الى السماء الدنيا ما وصلنا فكيف بما

بما توفينا فكيف وعلوه سبحانه ليس هو بمسافة بل هو علو عظمة ونفوذ كلمة تنقطع دونها الآمال وتفنى الايام والليالي والكائنات كذلك اتم كشف تعبيره في مثال الصيغة منتهى لمجموع المعارج ثم قال ممثلا لنا بما نعرف ذو العرش اي الكامل الذي لا عرش في الحقيقة الا هو لانه محيط بجميع الاكوان ومادة لكل جماد وحيوان وعال بالجلاله وعظمته عن كل ما يخطر في الاذهان ولما كان الملوك يلقون اوامرهم من مراتب عظمتهم الى من اخلصوا في ودادهم قال يلقي الروح اي الذي يحيي به الارواح حياة الاشباح بالارواح من امره اي كلامه ولا شك ان الذي يلقي ليس الكلام النفسي وانما هو ما يدل عليه وهو الذي يقبل النزول والتلاوة والكتابة ونحو ذلك ولما كان امره عاليا على كل امر اشار الى ذلك باداة الاستعلاء فقال على من يشاء ولما كان ما اراده من الملوك لا يتمكن من نفع كل من اراد وامره فيقهم نبه على عظمته بقوله من عباده واشار بذلك مع الاشارة الى انه مطلق الامر لا يبوغ لاحد الاعتراض عليه ولو اعترض كان اعتراضه اقل من ان يلتفت اليه او يعول لحال عليه الى توهية قولهم اولم تنزل عليه الذكر من بيننا بانه عليه السلام المخلص في عباده لم يمل الى شيء من اوثانهم ساعة ما ولا صرف لحظة عن الاله الحق طرفة عين فلذلك احتصه من بينهم بهذا الروح الذي لا روح في الوجود سواه فمن اقبل عليه واخلص في تلاوته والعمل بما يدعو اليه والبعد عما نهى عنه صار ذا روح يحيي الاموات ويروي بالنيرات قال الرازي قال ابن عطاء حياة القلب على حسب ما القي اليه من الروح فمنهم من القي اليه روح الرسالة ومنهم من القي اليه روح النبوة ومنهم من القي اليه روح الصديقية والكشف والمشاهدة ومنهم من القي اليه روح العلم والمعرفة ومنهم من القي اليه روح العبادة والخدمة ومنهم من القي اليه روح الحياة فقط ليس له علم بالله ولا اهتمام مع الله فهو ميت الباطن وله الحياة البهيمية التي يهتدي بها الى المعاش دون المعاد انتهى وبالجملة فكل من هذه الارواح منطوق لمن القي عليه مطلق اللسان ببديع بيانه وان اختلف نطقهم في بيانهم وتصرفهم في عظيم شانهم ولما بين سر اختصاصه بالارسال لهذا النبي الكريم اتبع ذلك بما يريد بيانا من سر الارسال فقال لينذر اي الذي اختصه سبحانه بروحه وعبر بما يقتضيه تصنيف الناس الذي هو مقصود السورة من الاجتماع وارادته وهم من يدسيجل لقاه سبحانه لرفعة درجاته وسفول درجات غيره فقال يوم التلاق اي الذي لا يستحق ان يوصف بالتلاقي على الحقيقة غيره لكونه يلتقي فيه الاولون والآخرون واهل السموات والارض ولا حيلة لاحد منهم في فراق غريمه بغير فضل على وجه العدل والى هذا المعنى اشارت قراءة ابن كثير باثبات اليا في الحالين وهو واضح جدا في افراد جزي الاسعدين والاخسرين فانه تلاق لا افتراق له واشارت قراءة الجمهور بالحذف في الحالين الى تلاقي هذين الحزبين احدهما بالآخر فانه والله اعلم قلما يكون حتى يفترقا بالامر بحمل الى داره الاسعدين بغير حساب والاخسرين لا يقام لهم وزن واشار الاثبات في الوقف دون الوصل الى الامر الوسط وهو لمن يقف في الشيم مقدما الى حين القصاص لبعضهم من بعض ولما كان من اهم ذلك عدم الحجاب من بيوت او جبال او اشجار او تلال او غير ذلك من سائر ذوات الظلال نبه عليه في قوله معيدا ذكر اليوم لانه اهوله يوم هم اي بظواهرهم وبواطنهم بارزون اي بروزا لا سائر فيه اصلا ولما كان من المعلوم عندهم ان ما لا ساتر له معلوم اجرامهم على ما يتهمون وعبر بعبارة نعم ذلك فقال مستانفا في جواب من ظن انه قد يخفى عليه شيء عند التساتر معظما الامر باظهار الاسم الاعظم لا يخفى على الله اي المحيط علما وقدرة منهم شيء اي من ذواتهم ولا معانيهم سواء ظهروا او استتروا في هذا اليوم وفي غيره ولما كان من العادة المستمرة ان الملك العظيم اذا ارسل جيشه الى من طال تمردهم عليه وعنادهم له فظفر بهم واحضروهم اليه ان ينادي بهم مناديه وهم وقوف بين يديه فتراخرستهم هيبته وادلتهم عظمته بلسان قاله او لسان حاله بما يبكتهم به ويوبخهم ويوسعهم على ما مضى من عصيانهم وينذرهم قال لمن الملك اليوم اي يا من كانوا يعملون اعمال من يظن انه لا يقدر عليه احد فيجيبون بلسان الحال والمقال لله اي الذي له جميع صفات الكمال ثم دل على ذلك بقوله الواحد اي الذي لا يمكن ان يكون له شريكه ولا قسمه ولا غيرها القهار اي الذي يقهر من يشاء متكررا وصفه بذلك دائما ابدا لما ثبت من غناه المطلق بوحدانيته الحقيقية ولما اخبر عن ادعان كل نفس بانقطاع الاسباب اخبرهم بما يزيل رغبتهم ويبعث رغبتهم ورهبتهم وهو نتيجة تفرده بالملك فقال اليوم تجزى اي تقضى وتكافا بناه للمفعول لان المرعب المرهب نفس الجزا او لبيان سهولته عليه سبحانه كل نفس اي نفس لا نفس واحدة لان العلم قد شملهم والقدرة قد احاطت بهم وعمتهم والحكمة قد منعت من اهمال احد ولما كان السياق للملك والقهر يقتضي الجزا واعماد الكسب الذي هو محط التكليف بالامر والنهي ويقتضي النظر في الاسباب لان ذلك شان الملك قال معبرا بالبا والكسب بما اي بسبب ما كسبت اي عملت وهي تظن انه يفيدها سوا سوا بالكيل الذي كانت يكال لها ولما كانت السببية مفهمة للعدل فان الزيادة تكون بغير سبب قال معللا نا فيا مثل ما كانوا يتعاطونه من ظلم بعضهم لبعض في الدنيا لا ظلم اي بوجه من الوجوه اليوم ولما كان استيفاء الخلائق بالمجازاة امرا لا يمكن في العادة ضبطه ولا يتاتى حفظه وربطه تكبيرا اذا قصدت المساواة في مثاقيل الذر فما دونها بميزان قسط لا يجنس تعيرة له شاهد من نفسه غير عايل ضاقت النفوس من خوف الطول فخفف عنها بقوله معللا ان امره على غير ما يعهدونه ولذلك اكد وعظم باظهار الاسم الاعظم ان الله اي التام القدرة الشامل العلم سريع الحساب اي بليغ السرعة

فيه لا يشغله حساب احد عن حساب غيره في وقت حساب ذلك الغير ولا يشغله شان عن شان لانه لا يحتاج الى تكلف عد ولا يفتقر الى مراجعة كتابة ولا شيء فكان في ذلك ترجية للفريقين وتخويف لان الظالم يخشى اسراع الاخذ بالعذاب والمؤمن يرجوا اسراع الثواب ثم هذا على هذا الوجه المهول وكان يوم القيمة له اسماء تدل على اهواله باعتبار مواقفه واحواله منها يوم البعث ومواطنه ومنها يوم التلاق لما تقدم ومنها يوم التغابن لغبن اكثر من فيه وخسارته ومنها يوم الازفة لقربه وسرعة اخذه وكان كانه قيل خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وانت ممن القينا اليك هذا الروح الاعظم من امرنا فانذرهم ما مضى من يوم التلاقي وما عقبناه به عطف عليه قوله زيادة في بيان هوله اعلاما بانه مع ثبوته وثبوت التلاقي فيه قريب تحذيرا من تزيين ابليس للشهوات وتقريبه بالتسويف بالتوبة وانذرهم اي هؤلاء المعرضين اعراض من لا يجوز الممكن يوم الازفة اي الحالة الدانية العاجلة الرفيعة جدا مع الضيق في الوقت وسوء العيش لاكثر الناس وهي القيمة كرر ذكرها وذكر الانذار تصريحا وتلويحا تهويلا لها وتعظيما لشانها ولما ذكر اليوم هولك امره بما يحصل فيه من المشاق فقال اذ القلوب اي من كل جزء لدى الحناجر اي حناجر المجموعين فيه الا من شا الله وهي جمع حنجرة وهي الحلقوم ودنا ومعنى يعني انها زالت عن اماكنها صاعدة من كثرة الرعب حتى كادت تخرج وصارت مواضعها من الافئدة هواء ولما كان هذا الرعب على وجه غريب باطن عبر بلدى فقال ولما كانت لا فيه معترضة كالشجا لا هي ترجع الى مقارها فيستريحوا ولا تخرج فيموتوا كان الحديث عن كان في الظاهر عن القلوب انما هو عن اصحابها جمع على طريقة جمع العقلا وزاده حسنا ان القلوب محل الكظم ومنها صلاح الجملة وفساد وقد اسند اليها ما يسند للعقلا فقال كاظمين اي ممتلئين خوفا ورعبا وحزنا ساكنين مكروبين قد استدت مجاري انفاسهم واخذ بجميع احساسهم ولما كان من المعلوم ان ذلك الكرب انما هو للخوف من ديان ذلك اليوم وكان من المعهود ان الصداقات تنفع في مثل ذلك والشفاعات قال مستانفا ما للظالمين اي العريقين في الظلم منهم من حميم اي قريب صادق في موادتهم مهتم بامورهم من بلل الكرب عنهم قال ابن برجان والحميم الماء الحار الناهي في الحرارة سمي القريب به لانه يحمي لقريبه غضبا والغضب حرارة تعرض في القلب تخرج الى الوجه فيحمر وتنتفخ الاوداج فيستشيط غيظا ولا شفيع يطاع اي ليس لهم شفيع اصلا لان الشفيع يعلم انه لو شفع ما اطيع فهو لا يشفع وقد يشفع في بعضهم بعض المقربين لعلامة فيهم يحصل لها اشتباه يظن به انهم ممن يستحق الشفاعة فينبه على انهم ليسوا اهل ذلك فيبرا منهم ولما كانت الشفاعة انما تقع وتنفع بشرط براة المشفوع له من الذنب اما بالاعتراف مما نسب اليه والاقلاع عنه واما بالاعتذار عنه وكان ذلك انما يجري عند المخلوقين على الظاهر ولذلك كانوا ربما وقع لهم الغلط فيمن لو علموا باطنه لما قبلوا الشفاعة فيه علل تعالى ما تقدم بعلمه بان المشفوع له ليس باهل لقبول الشفاعة فيه لاحاطة علمه فقال يعلم خائنة ولما كان السياق هنا للابلاغ في ان علمه تعالى محيط بكل كلي وجزئي فكان من المعلوم ان الحال يقتضي جمع الكثرة وانه ما عدل عنه الى جمع القلة الا للاشارة الى ان علمه تعالى بالكثير لعلمه بالقليل الكل عليه هين بالكثير عنده في ذلك قليل فلذا قال الاعين اي خيانتها التي هي اخفى ما يقع من افعال الظاهر حمل الخيانة خائنة مبالغة في الوصف وهي الاشارة بالعين قال ابو حيان من كسر جفن وغمز ونظر يفهم ما اراد انتهى وذلك يفعل لفعل ما يخالف الظاهر ولما ذكر اخفى افعال الظاهر اتبعه اخفى ما في الباطن فقال وما تخفي الصدور اي عن المشفوع عنده وغير ذلك ولما كان العفو عن الظالم الذي لا يرجع عن ظلمه نقصا لكونه لا حكمة فيه عبر بالاسم الاعظم في جملة حالية فقال والله اي والحال ان المتصف بجميع صفات الكمال يقضي بالحق اي الثابت الذي لا يصح اصلا نفيه فلو قضى فيمن يعلم انه ليس باهل للشفاعة فيه بقبول الشفاعة لنفي الحق واثبت الباطل فخالف ذلك الكمال والذين يدعون اي الظالمون على قراءة الجماعة نافع وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان بالخطاب للمواجهة بالازرا ولما كانت المراتب دون عظمته سبحانه لا تنحصر ولا يحتوي عليها كلها شيء اثبت الجار فقال من دونه اي سواه ومن المعلوم انهم خلقه فهم دون رتبته لانهم في قبضته لا يقضون بشيء من الاشيا اصلا فضلا عن ان يقضوا بما يعارض حكمه فلا مانع له من القضا بالحق فلا مقتضي لقبول الشفاعة فيمن يعلم عراقته في الظلم وانه لا ينفك عنه ولما اخبر انه لا فعل لشركائهم وان الامر له وحده علل ذلك بقوله مرهبا من الخيانة وغيرها من الشر مرغبا في كل خير مؤكدا لاجل ان افعالهم تقتضي انكار ذلك ان الله عبر به لان السياق لتحقير شركائهم وبيان انهما في غاية النقصان هو اي وحده ولما ذكر ما هو غيب وصفه بالظاهر فقال السميع اي لكل ما يمكن ان يسمع البصير اي البصر والعلم لكل ما يمكن ان يبصر ويعلم فلا ادراك لشركائهم اصلا ولا لشيء غيره بالحقيقة ومن لا ادراك له لا قضا له فثبت ان الامر له وحده فما تنفعهم شفاعة الشافعين ولا تقبل منهم من احد شفاعة بعد الشفاعة العامة التي هي خاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم وهي المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون فان كل احد يحجم عنها حتى يصل الامر اليه صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها ثم يذهب الى المكان الذي اذن له فيه فيستشفع فيشفعه الله تعالى فيفصل سبحانه بين الخلائق ليذهب

كل احد الى دار مجنته او ناره روى الشيخان البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة
فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال انا سيد الناس يوم القيمة هل تدرون مم ذاك يجمع الله الاولين والاخرين
في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنوا منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ثم
فيقول الناس الا ترون الى ما انتم فيه والى ما بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ابوكم آدم فذكر
سؤالهم اكابر الانبيا وكل واحد منهم يحيل على الذي بعده الى ان يقول عيسى عليه السلام اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول النبي صلى الله عليه وسلم حين ياتونه انا لها ثم ينطلق فيسجد تحت العرش وهو مروي عن غير ابي هريرة عن انس وغيره من
الصحابة رضي الله عنهم ولكن لم ار فيه التصريح بالشفاعة العامة بعد رفع راسه صلى الله عليه وسلم من السجود الا فيما رواه
البخاري في الزكاة من صحيحه في باب من سال الناس تكثرا عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس تدنو
يوم القيمة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بادم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى
ياخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم وكذا فيما رواه ابو يعلى في مسنده فقال حدثنا
عمرو بن الضحاك بن مخلد حدثنا ابو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا ابو رافع اسمعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي
عن رجل من الانصار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من اصحابه فقال ان الله
تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فذكر النفخ فيه للموت ثم للبعث ثم ذكر الحشر وهو حديث طويل
جدا الى ان قال ثم تقفون موقفا واحدا مقدار سبعين عاما لا ينظر اليكم ولا يقضي بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون
دما وتعرقون الى ان يبلغ ذلك منكم ان يلجمكم او يبلغ الاذقان فتضجون وتقولون من يشفع لنا الى ربنا يقضي بيننا فتقولون من احق
بذلك من ابيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا فتاتون آدم فتطلبون ذلك اليه فيابى فيقول ما انا
بصاحب ذلك ثم يستقرون الانبيا نبيا نبيا كلما جاؤا نبيا ابى عليهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ياتوني
فانطلق حتى آتي الفحص فاخر ساجدا ... فيرفعني فيقول لي يا محمد فاقول نعم يا رب فيقول ما شانك وهو اعلم فاقول يا رب
وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم قال قد شفعتك انا آتيكم فاقضي بينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
اتيكم فاقضي بينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع فاقف مع الناس فبينا نحن وقوف سمعنا حسا من السماء شديدا
فنزل اهل السماء الدنيا بمثل من في الارض من الجن والانس حتى اذا دنوا من الارض اشرقت الارض بنورهم واخذوا مصافهم
وقلنا لهم افيكم ربنا قالوا لا وهو آت ثم ينزل اهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة وبمثل الجن والانس حتى اذا دنوا
من الارض اشرقت الارض بنورهم واخذوا مصافهم وقلنا لهم افيكم ربنا قالوا لا وهو آت ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف
حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى في ظلل من الغمام والملائكة يحمل عرشه يومئذ ثمانية وهو اليوم على اربعة الى ان قال فيضع الله
كرسيه حيث شاء من ارضه ثم يهتف بصوته فيقول يا معشر الجن والانس اني قد انصت لكم من يوم خلقتكم الى يومكم هذا اسمع
قولكم وابصر اعمالكم فانصتوا لي فانما هي اعمالكم وصحفكم تقرا عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه
ثم يامر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول الله عز وجل الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه
لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون او
بها تكذبون شك ابو عاصم وامتازوا اليوم ايها المجرمون فيميز الله الناس وتجثوا الامم وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى
كتابها فيقضي بين خلقه ثم ذكر وهو طويل جدا انه ذكر الصراط وبعض الشفاعات الخاصة في اهل الجنة ثم ذكر دخولهم الجنة ثم انهم
يشفعون في بعض اهل النار الى ان قال ثم ياذن الله تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا شفع الى ان قال ثم يقول الله
عز وجل بقيت انا وانا ارحم الراحمين فيدخل الله يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره وروى ابن حبان في صحيحه قال
المنذري ولا اعلم في اسناده مطعنا عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول ابرهيم عليه السلام يوم القيمة
يا رباه فيقول الرب جل وعلا يا لبيكاه فيقول ابرهيم يا رب حرقت بني فيقول اخرجوا من النار من كان في قلبه ذرة او شعيرة
من ايمان وروى الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم واحمد بن منيع عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقى رجل اباه يوم القيمة فيقول يا ابت اي ابن كنت لك فيقول خير ابن فيقول هل انت مطيعي اليوم فيقول نعم فيقول
خذ بازرتي فياخذ بازرته ثم ينطلق حتى ياتي الله تعالى وهو يعرض الخلق فيقول يا عبدي ادخل من اي ابواب الجنة شئت
فيقول اي رب وابي معي فانك وعدتني ان لا تخزيني فيعرض عنه ويقضي بين الخلق ويعرضهم ثم ينظر اليه فيقول يا ابن آدم ادخل
من اي ابواب الجنة شئت فيقول يا رب وابي معي فانك قد وعدتني ان لن تخزيني فيعرض عنه ويقبل على الخلق فيعرضهم ثم يقول
يا ابن آدم ادخل من اي ابواب الجنة شئت فيقول اي رب وابي معي فانك وعدتني ان لن تخزيني فيعرض عنه ويقبل على الخلق ثم قال
فيمسخ الله اباه ضبعا امدر او امجر شك ابو جعفر احد رواة ابن منيع فياخذ بانفه فيقول ابوك هو فيقول اما هو ابي فهوى في النار

وهو في البخاري في احاديث الانبيا وتفسير الشعرا بلفظ يلقى ابرهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة
فيقول له ابرهيم عليه السلام الم اقل لك لا تعصيني فيقول له ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابرهيم يا رب انك وعدتني
ان لا تخزيني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال لابرهيم عليه السلام
انظر ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ وهو ذكر الضباع متلطخ فيوخذ بقوائمه فيلقى في النار وروى ابو يعلى الموصلي والحاكم
وقال صحيح على شرط الشيخين عن ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليأخذن رجل بيد ابيه يوم القيمة
فتقطعه النار يريد ان يدخله الجنة قال فينادى ان الجنة لا يدخلها مشرك الا ان الله قد حرم الجنة على كل مشرك قال فيقول
اي رب ابي قال فيحول في صورة قبيحة وريح منتنة فيتركه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه ابرهيم عليه السلام وروى
الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول انكم ملاقوا الله حفاة
حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا وان اول الخلائق يكسى ابرهيم عليه السلام الا وانه سيجاء
برجال من امتي فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ورواه الترمذي والنسائي بنحوه ومن نحو ما
قال عيسى عليه السلام قول ابرهيم عليه السلام كما حكاه الله عنه فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وروى مسلم
في الايمان من صحيحه والنسائي في التفسير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله
عز وجل في ابرهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الاية وقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل
اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال
وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وللشيخين في الحوض والفتن ومسلم في
فضل النبي صلى الله عليه وسلم عن سهل بن سعد وابي سعيد رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا فرطكم على الحوض
من مر علي شرب ومن شرب لم يظما ابدا ليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم زاد ابو سعيد رضي الله عنه
فاقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي ولمسلم وابن ماجة وهذا لفظه عن
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يذكر خطبته في الحج ثم قال الا واني فرطكم على الحوض
واكاثر بكم الامم فلا تسودوا وجهي الا واني مستنقذ اناسا ومستنقذ مني اناس فاقول يا رب اصيحابي فيقول انك لا
تدري ما احدثوا بعدك ولفظ مسلم انا فرطكم على الحوض ولانازعن اقواما ثم لاغلبن عليهم فاقول يا رب اصحابي اصحابي فيقال
انك لا تدري ما احدثوا بعدك ولمسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بين ظهراني
اصحابه اني على الحوض انتظر من يرد علي منكم فوالله ليقتطعن دوني رجال فلاقولن اي رب مني ومن امتي فيقول انك لا تدري ما
احدثوا بعدك ما زالوا يرجعون على اعقابهم وللشيخين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد علي
امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لغيركم تردون
علي غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فاقول يا رب هولاء من اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل
تدري ما احدثوا بعدك وفي رواية بينما انا قائم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل فقال هلم فقلت
الى اين فقال الى النار والله فقلت ما شانهم فقال انهم ارتدوا على ادبارهم فلا اراه يخلص منهم الا مثل همل النعم اي
ضوالها اي الناجي قليل وفي رواية لمسلم في الوضوء الا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال اناديهم الا هلم
فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول سحقا سحقا قال المنذري والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وعظتهم سبحانه
بصادق الاخبار عن قوم نوح ومن تبعهم من الكفار رحمة بالانذار بما يقع في دار القرار للظالمين الاشرار اتبعه الوعظ
والتخويف بالمشاهدة من تتبع الديار والاعتبار بما كان لهم فيها من عجائب الآثار من الحصون والقصور وسائر الابنية
الصغار والكبار فقال موبخا ومقررا عاطفا على ما تقديره الم يتعظوا بما اخبرناهم به عن الظالمين الاولين ومن تبعهم من الاهلاك
في الدنيا المتصل بالشقا في الاخرى **أولم يسيروا** ولما كان المتقدمون من الكثرة والشدة والمكنة بحيث لا يعلمه الا
الله ولا يقدر آدمي على الاحاطة بما سكنهم نبه عليه بقوله **في الارض** اي اي ارض ساروا فيها وعظتهم بما حوت من الاعلام ولما
كان السير سببا للنظر قال **فينظروا** اي نظر اعتبار كما هو شان ارباب البصائر الذين يزعمون انهم اعلام كانت
الاحوال المنظور فيها المعتبر بها شديدة الغرابة نبه عليها بقوله **كيف** اي بما اهل لان يسال عنه ونبه على ان التصاقها
بهم في غاية العراقة بحيث لا انفكاك لها بقوله **كان عاقبة** اي آخر امر **الذين كانوا** اي سكانا للارض عريقين في عمارتها
ولما كان المنتفع بالوعظ يكفيه ادنى شيء منه نبه على ذلك بالجار فقال **من قبلهم** اي قبل زمانهم **كانوا**

كان السياق لمجادلة قريش لادحاض الحق مع سماعهم لاخبار الاولين كانوا كانهم ادعوا انهم اشد الناس فاقتضى الحال تاكيد الخبر بان
الاولين اشد منهم وتاكد امرهم فيما نسبه اليهم معبرًا بضمير الفصل بقوله هم اى المتقدمون لما لهم من القوى الظاهرة والباطنة
ولما كان مرجع المجادلة القوة لا الكثرة اسقطها وقال استينافًا فى جواب من لعله يقول ما كان امرهم اشد منهم اى هؤلاء
وقراة ابن عامر منكم بالكاف كما فى مصحف اهل الشام على الالتفات للتنصيص على المراد قوة اى ذواتًا ومعانى واشد اثارًا
فى الارض لان اثارهم لم يندرس بعضها الى هذا الزمان وقد مضى عليها الوف من السنين واما المتاخرون فتنطمس اثارهم فى اقل من
قرن ولما كانت قوتهم وتمكنهم سببًا لاعجابهم وتكبرهم على امر ربهم ومخالفة رسله فكان ذلك سبب هلاكهم قال فاخذهم
الله اى الذى له صفات الكمال اخذ غلبة وقهر وسطوة ولما لم يتعقد من شىء يسند اليه اخذهم قال مبينًا ما اخذوا به
بذنوبهم اى التى تسببت لهم الاخذ ولم يغن عنهم شىء من ذلك الذى ابطرهم حتى عتوا به على ربهم ولا شفع فيهم شافع وما كان لهم
اى من شركائهم الذين ضلوا بهم كهؤلاء من غيرهم من الله اى عوض المتصف بجميع صفات الكمال او كونا مبتدئا من جهة عظمته وجلاله
واكد النفى بزيادة الجار فقال من واق اى يقيهم مراده سبحانه فيهم لا من شركائهم ولا من غيرهم فعلم ان الذين من دونه لا ينفعون
بشىء ويجوز ان تكون من الاولى ابتدائية على بابها تنبيهًا على ان الاخذ فى غاية العنف لانه اذا لم يتهيأ من جهته سبحانه لهم وقاية
لم تكن لهم باقية بخلاف من عاقبه الله عقوبة تاديب فان عذابه يكون سبب بقائه لما يحصل له منه سبحانه من الوقاية ولما
ذكر سبحانه اخذهم ذكر سببه بما حاصله ان الاستهانة بالرسول استهانة بمن ارسله فى قوله ذلك اى الاخذ العظيم ولما كان
مقصود السورة تصنيف الناس فى الاخرة صنفين وكانوا احرى عمدى الكلام اى بعضهم فقال بانهم اى الذين كانوا من قبل
كانت تاتيهم اى شيئًا فشيئًا فى الزمان الماضى على وجه قضاه سبحانه فانفذه رسلهم اى الذين هم منهم بالبينات اى الايات
الدالة على صدقهم دلالة هى من وضوح الامر بحيث لا يسع منصفًا انكارها ولما كان مطلق الكفر كافيًا فى العذاب عبر عنه
بالماضى فقال فكفروا اى سببوا عن اتيان الرسل عليهم السلام الكفر موضع ما كان اتيانهم سببًا له من الايمان ولما
سبب لهم كفرهم الهلاك قال فاخذهم اى اخذ غضب الله اى الملك الاعظم ولما كان قوله فكفروا معلمًا بسبب اخذهم لم يقل
بكفرهم كما قال سابقًا بذنوبهم لارشاد السياق اليه ولما كان اجتراؤهم على العظايم فعل منكر للقدرة قال مؤكدًا
لعملهم عمل من لا يخافه انه قوى اى لا يغلبه شىء وهو يغلب كل شىء شديد العقاب ولما كان ذلك عجيبًا لان البينات
تمنع من الكفر فكان التقدير لمن ينكر الارسال على هذه الصفة فلقد ارسلناهم كذلك وكان موسى عليه السلام من اجل المرسلين
ايات عطف على ذلك تسلية ونذارة لمن ادبر وبشارة لمن استبصر قوله ولقد ولفت القول الى مظهر العظمة لما فى الايات التى اظهرها
بحضرة هذا الملك المتعاظم من الهول والعظمة الذى تصاغرت به نفسه ولما عند همته وانطمس حسه فقال ارسلنا
اى على ما لنا من العظمة موسى باياتنا اى الدالة على جلالنا وسلطان اى امر قاهر عظيم جدًا لا حيلة لهم فى مدافعة شىء منه مبين
اى بين فى نفسه منادٍ لكل من يمكن اطلاعه عليه انه ظاهر جدًا وذلك الامر هو الذى كان يمنع فرعون من الوصول الى اذاه مع ما له
من القوة والسلطان الى فرعون اى ملك مصر ولما كان الاكابر اول من يتوجه اليه الامر لان بانقيادهم ينقاد غيرهم
قال وهامان اى وزيره ولما كان من اعجب العجب ان يكذب الرسول من رجا لنصرته واستنقاذ من شدته قال وقارون
اى قريب موسى عليه السلام فقالوا اى هؤلاء ومن تبعهم اما من عدا قارون فقولا وفعلا بالقوة والفعل واما قارون ففعله اخيرًا
بين انه مطبوع على الكفر وان امن اولا وان هذا كان قوله وان لم يقله بالفعل فى ذلك الزمان فقد قاله فى التيه فدل ذلك على انه لم
يزل قائلا به لانه لم يرتب منه ساحر لعجزهم عن مقاهرته ولم يقل سحار لئلا يتوهم احد انه يمدحه بالبراعة فى علم السحر فتتحول الهمم
للاقبال عليه للاستفادة منه وهو خبر مبتدا محذوف ثم وصفوه بقولهم كذاب لخوفهم من تصديق الناس له فبعث اخص عباده
الى اخس عباده عنده ليقيم الحجة عليه وامهله عندما قابل بالتكذيب وحلم عنه حتى اعذر اليه غاية الاعذار ولما
اجمل امر كل فى هاتين الايتين شرع فى تفصيله فقال مشيرًا الى مبادرتهم الى العناد من غير توقف اصلا التى اشار اليها حذف
المبتدا والاقتصار على الخبر الذى هو محط الفائدة فلما جاءهم اى موسى عليه السلام بالحق اى بالامر الثابت الذى لا طاقة
لاحد بتغيير شىء منه كائنا من عندنا على ما لنا من العظمة فامن معه طائفة من قومه قالوا اى فرعون واتباعه اقتلوا اى قتلا حقيقيًا
بازالة الروح ابناء الذين امنوا اى بكانوا معه اى خصوصهم بذلك واتركوا من عداهم لعلهم يكذبونه واستحيوا نساءهم اى اطلبوا
حياتهن بان لا تقتلوهن ولما كان هذا امرا صادا فى العادة لمن يؤمن عن الايمان ورادا لمن امن الى الكفران اشار الى انه
خرق سبحانه العادة بابطاله فقال وما اى والحال انه ما كيدهم هكذا كان الاصل ولكنه قال كيد الكافرين تعميما وتعليقًا
بالوصف الا فى ضلال اى مجانبة للسداد الموصل الى الظفر والفوز لانه ما افادهم اولا فى الحذر من موسى عليه السلام ولا اخرًا
فى صد من امن عن مرادهم بل كان فيه تبارهم وهلاكهم وكذا افعال الفجرة مع اولياء الله ما حصل احد منهم لاحد منهم حفرة مكرًا الا
اركسه الله فيها ولما اخبر تعالى بفعله بمن تابع موسى عليه السلام اخبر عن فعله معه بما علم به انه عاجز عنه فقال وقال

فرعون اى اعظم الكفرة فى ذلك الوقت لرؤسا اتباعه عندما علم انه عاجز عن دركه قتله وملأه ما راى منه خوفًا ورعبًا دفعا
عن نفسه ما يقال من انه ما ترك موسى عليه السلام مع استماتته به الا العجز عنه موهمًا ان له من الدين يردونه عنه وانه لولا
ذلك لقتله ذرونى اى اتركونى على اى حالة كانت اقتل موسى وزاد فى ايهام الاغبياء والمناداة على نفسه عند البصراء بالفضيحة
بقوله وليدع ربه اى الذى يدعوه ويدعى احسانه اليه بما يظهر على يديه من هذه الخوارق ثم علل ذلك بقوله مؤكدًا اعلاما بان الامر
صعب جدًا لانه كان منهم من يوهى امره بان لا يؤثر ما هو فيه شيئًا اصلا تقربًا الى فرعون واظهارًا للثبات على متابعته انى
اخاف اى ان تركته ان يبدل دينكم اى الذى انتم عليه من نسبة الفعل الى الطبيعة بما يدعوا اليه من عبادة الهه
الههم بهذا الكلام الى ما لا يتهم له على موسى عليه السلام زاد فى ذلك بقوله وان يظهر اى بسببه على قراءة الجماعة بفتح
حرف المضارعة فى الارض اى كلها الفساد وقرا المدنيان والبصريان وحفص بالضم اسنادًا الى ضمير موسى عليه السلام
ونصب الفساد اى بفساد المعايش فانه اذا غلب علينا قوى على سوانا فسفك الدما وفسد الذرية وانتهب الاموال فتفسد
الدنيا مع فساد الدين فسمى اللعين الصلاح لمخالفته لطريقته الفاسدة فسادًا كما هو شأن كل مفسد مع المصلحين وقرا الكوفيون
ويعقوب او بمعنى انه يخاف وقوع احد الامرين التبديل او ظهور ما هو عليه مما سماه فسادًا وان لم يحصل التبديل عاجلا فانه
يحصل به الوهن ولما علم بمقالته اللعين وانبعه الاعلام بقول الولى فقال وقال موسى ابطالا لهذا القول وازالة
لاثاره مؤكدا لما استقر فى النفوس من قدرة فرعون انى عذت اى اعتصمت عند ابتداء الرسالة بربى ورغبهم فى الاعتصام
به وثبتهم بقوله وربكم اى المحسن الينا اجمعين فارسلنى لاستنقاذكم من اعداء الدين والدنيا من كل متكبر اى عات طاغ
متعظم على الحق هذا وغيره لا يؤمن اى يتجدد له تصديق بيوم الحساب من ربه له وهو يعلم انه لابد من حسابه هو لمن
يدعى من رعاياه وعبيده فيحكم على ربه بما لا يحكم به على نفسه ومعنى العوذ انه لا وصول لاحد منهم الى قتلى بسبب عوذى هذا ان
لم تفرغ منه مرسلى لخلاصكم القادر على كل شىء ولما انقضى كلام الراسين وكانت عادة من لم يكن لهم نظام
من الله رابط ان قلوبهم لا تكاد تجتمع وانه لابد ان يجاهر بعضهم بما عنده ولو عظم شان الملك القايم بامرهم واجتمع فى جمعهم
معترق عليهم وسترهم قال تعالى مخبرًا عن كلام بعض الاتباع فى بعض ذلك وقال رجل اى كامل فى رجوليته مؤمن اى راسخ الايمان
بما جاء به موسى عليه السلام ولما كان للانسان اذا عم الطغيان ان يسكن بين اهل العدوان اذا نصح بحسب الامكان كافه
افاد ذلك بقوله من ال فرعون اى وجوههم ورؤسائهم يكتم ايمانه اى يخفيه اخفاء شديدا خوفا على نفسه لان الواحد اذا
شذ عن قبيلة يطمع فيه ما لا يطمع اذا كان واحدًا من جماعة مختلفة مخيلا لهم بما يوقفهم عن الاقدام على قتله من غير تصريح
بالايمان ولما رآهم قد عزموا على القتل عزمًا قويًا اوقع عليه اسم القتل فقال منكرًا له غاية الانكار اتقتلون
رجلا اى هو عظيم فى الرجال حسًا ومعنى ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال ان اى لاجل ان يقول ولو على سبيل التكرار ربى
اى المربى لى والمحسن الى الله اى الجامع لصفات الكمال وقد اى والحال انه قد جاءكم بالبينات اى الايات الظاهرات
من غير لبس من ربكم اى الذى لا احسان عندكم الا منه وكما ان ربوبيته له اقتضت عدم الاعتراف له بها فكذلك ينبغى ان تكون
ربوبيته لكم داعية لكم الى الاعتراف لكم له بها ولما كان كلامه هذا يكاد ان يصرح بايمانه وصله بما يشككهم فى
امره ويوقفهم عن ضره فقال مشيرا الى انه لا يخلو حاله من ان يكون صادقا او كاذبا مقدما القسم الذى هو انفى للتهمة عنه
وادعى للمقبول منه وان اى والحال انه ان ولما كان المقام لضيقه غاية الضيق بالكون بين شرور زلاته عظيمة
قتلهم خير الناس اذ ذاك واتيانهم بالعذاب واطلاعهم على ايمانه فاقل ما يدعوهم ذلك الى اتهامه ان لم يحملهم على اعدامه
داعيا الى الايجاز فى الوعظ والمسارعة الى الاتيان باقل ما يمكن حذف النون فقال يك كاذبا فعليه اى خاصة كذبه يضاعف
ذلك وليس عليكم منه ضرر ولم يقل او صادقا وان كان الحال مقتضيا لغاية الايجاز لئلا يكون قد نقص الجانب المقصود
بالذات حقه فيكون قد اخل ببعض الادب فقال كرمظهرا لفعل الكون عادلا عما له الى ما عليهم معادلا لما ذكر عليه ونقصه
عنه اظهارًا للنصفة ودفعًا للتهمة عن نفسه وان يك حذف نونه لمثل ما مضى صادقا يصبكم اى على وجه العقوبة من الله
وله صدقه ينفعه ولا ينفعكم شيئا ولما كان العاقل من نظر لنفسه فلم يرد كلام خصمه من غير حجة وكان اقل ما
يكون من توعد من بانت مخايل صدقه البعض وكان ملزما الحجة بالبعض عن نهاف لما فوقه اظهارا للانصاف وانه لم يوفه حقه
فضلا عن التعصب له نفيًا للتهمة عن نفسه بعض الذى وقال يعدكم دون يوعدكم اشارة الى امكان وقوع اصابتهم جميع
ما وعدهم من الخير والاد بما هو ما توعدهم من الشر والاية من الاحتباك ذكر اختصاصه بضر الكذب اولا دليلا على حذف
هو اختصاصه بنفع الصدق ثانيا واصابتهم ثانيا دليلا على اصابته اولا وسر انه ذكر الضار فى الموضعين لانه انفع
فى الوعظ لان من شان النفس الاسراع فى الهرب منه ولقد قام من اعظم هذا المقام كما فى الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
ابو بكر الصديق رضى الله عنه وهو مظهر ايمانه وقد جد الجد بتحقق الشروع فى الفعل حيث اخذ المشركون بمجامع ثوب النبى صلى

الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فالتزمه ابو بكر رضي الله عنه وهو يقول هذه الآية ودموعه تجري على لحيته حتى فرج الله
وقد مرق كثيرا من شعر راسه رضي الله عنه ولما كان فرعون قد نسب موسى عليه السلام بما زعمه من ارادته اظهار الفساد
الى الاسراف بعد ما نسبه اليه من الكذب علل هذا المؤمن قوله هذا الحسن في شقي التقسيم بما ينطبق على فرعون منفرا منه مع صلاحيته
لارادة موسى عليه السلام على ما زعمه فيه فرعون فقال **إن الله** اي الذي له مجامع العظمة ومعاقل العز **لا يهدي** اي الى ارتكاب ما
ينفع واجتناب ما يضر **من هو مسرف** اي باظهار الفساد متجاوزا للحدود وكانه رضي الله عنه جوز ان يتاخر شيء مما توعد به فيسموه
كذابا ولذا قال يصبكم بعض الذي يعدكم تعليق الامر بالمبالغة فقال **كذاب** لان اول الكذب لانه وصلاه تعمه في الكذب وبه
من هو متصف به صادق فان كان كاذبا كان غنم ضرر كذبه ولم يهتد لوجه يخلصه وان كان صادقا اصابتكم العقوبة ولم
تهتدوا والماتنجيكم لاتصافكم بالوصفين ولما جبلهم بهذا الكلام الذي يمكنه توجيهه شرع في وعظهم اظهار النصيحة
لهم والتحرق عليهم فقال مذكرا لهم بنعمة الله عليهم محذرا لهم من سلبها مستعطفا بذكر انه منهم **يا قوم** وعبر باسلوب
الخطاب دون التكلم تصريحا بالمقصود فقال **لكم الملك** ونبه على ما يعرفونه من تقلبات الدهر بقوله **اليوم** واشار
الى ما عهدوه من الخذلان في بعض الازمان بقوله **ظاهرين** اي عالين على بني اسرائيل وغيرهم ومارا اهل البلا يتوقعون الرخاء
واهل الرخا يتوقعون البلا ونبه على الاله الواحد القهار الذي له ملك السموات وملك الارض من باب الاولى بقوله معبرا
باداة الظرف الدالة على الاحتياج ترهيبا لهم **في الارض** اي ارض مصر التي هي لحسنها وجمعها المنافع كالارض كلها قد غلبتم الناس
عليها ولما علم من هذا انهم لا يملكون جميع الكون تسبب عنه ان المالك للكل هو الاله الحق والملك المطلق الذي
لا مانع لما يريد فلا ينبغي لاحد من عبيده ان يتعرض الى ما لا قبل له به من سخطه فلذلك قال **فمن ينصرنا** اي انا وانتم ادرج نفسه
فيهم عند ذكر الشر بعد افراده لهم بالملك ابعادا للتهمة وحثا على قبول النصيحة **من باس الله** اي الذي له الملك كله ونبه باداة
الشك على ان عذابه لهم امر ممكن والعاقل من يجوز الجائز ويسعى في التدرع منه فقال **ان جاءنا** اي غضبا لهذا الذي يدعي انه
ارسله ويجوز ان يكون صادقا بل يجب اعتقاد ذلك لما ظهر من الدلائل وفي قوله هذا تسجيل عليهم بانهم يعرفون ان الله ملك الملوك
ورب الارباب وكذا قول موسى عليه السلام لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وان ادعاء فرعون
الالهية انما هو محض عناد ولما سمع فرعون ما لا مطعن له فيه فكان بحيث يخاف من بغيه قومه ان الحق في امر هذا المؤمن
تشوف السامع لجوابه اخبر تعالى انه ردّ مردا دون رد بقوله **قال فرعون** اي لقومه جوابا لما قال هذا المؤمن من الابلجية
عن حا وجوابه على الانقطاع بالعجز عن نقض شيء من كلامه **ما اريكم** اي من الآراء **الا ما ارى** اي انه صواب على قدر مبلغ علمي
اي انما اظهر لكم ما الذي ابطنه ولما كان في كلام المؤمن تعريض في امر الهداية وكان الانسان ربما يتوافق قلبه
ولسانه ويكون تظاهرهما على ضلال قال **وما اهديكم** اي بما اشرت به من قتل موسى عليه السلام وغيره **الا سبيل الرشاد** اي الذي ارى
انه صواب لا ابطن شيئا واظهر غيره وربما يكون في هذا التنبيه لهم على ما يلوح من كلام المؤمن لهذا ارتاب في امره وفي هذا انه في
غاية الرعب من امر موسى عليه السلام لاستشارته لقومه في امره واحتماله هذه المراجعات التي يلوح منها انه يكاد يتفطر غيظا منه
ولكنه يتجلد ولما ظهر هذا المؤمن رضي الله عنه ان فرعون ذل لكلامه ولم يستطع مصارحته ارتفع الى اصرح من
الاسلوب الاول فاخبر تعالى عنه بقوله مكتفيا في وصفه بالفعل الماضي لانه في مقام الوعظ الذي ينبغي ان يكون من
ادنى متصف بالايمان بعد ان ذكر عراقته في الوصف لاجل انه كان في مقام المجاهدة والمدافعة عن الرسول صلى الله عليه
وسلم الذي لا يقدم عليه الا الراسخ القدم في الدين **وقال الذي آمن** اي بعد قول فرعون هذا الكلام الذي دل على جهله وعجزه
وذله **يا قوم** واكد لما راى عندهم من انكار امره وخاف منهم من اتهامه فقال **اني اخاف عليكم** اي من المكابرة في امر موسى عليه السلام
ولما كان اقل ما يخشى يكفي العاقل وكانت قدرة الله سبحانه عليهم كلهم على حد سوا لا تفاوت فيها فكان هلاكهم كلهم
كهلاك نفس واحدة افرد فقال **مثل يوم الاحزاب** مع ان افراده اروع واقوى في التخويف واقطع للاشارة الى قوة الله
تعالى وانه قادر على اهلاكهم في اقل زمان ولما اجمل فصل وبين او ابدل بعد ان هول فقال **مثل داب** اي عادة **قوم
نوح** اي فيما دهمهم من الهلاك الذي محقهم فلم يطيقوه مع ما كان فيهم من قوة المحاولة والمقاومة لما يريدونه **وعاد وثمود**
مع ما بلغكم من جبروتهم ولما كان هؤلاء اقوى الامم اكتفى بهم واجمل من بعدهم فقال **والذين** واشار الى الجار بالتبعيض
بالعذاب لئلا يتعالهم عادة الدهر فقال **من بعدهم** اي بالقرب من زمانهم لاجل من جاء بعدهم ولما كان التقدير اهلكهم
الله وما ظلمهم عبر عنه تعميما معرونا ما تضمنه من الخبر بدليله فقال **وما الله** اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال
ولما كان في مقام الوعظ لهم ومراده ردهم عن عنهم بكل حال على الامر بالارادة لانها متى ارتفعت انتفى الظلم ونكر
تعميما فقال **يريد ظلما** اي يتجدد منه ان يعلق ارادته وفنا بنوع ظلم **للعباد** لان احدا لا يتوجه ابدا الى انه يظلم
عبيده الذين هم تحت قهره وطوع مشيئته وامره ومتى لم يعرفوا حقه واراد والبغي على من لم يعرف حقه عاقبهم ولابد والا كان

كم

كانه عنهم ظلما للبغي عليهم ولما اشرق من آفاق هذا الوعظ شمس البعث ونور الحشر لانه لا يسوغ اصلا ان ملكا
يدع عبيده يبغي بعضهم على بعض من غير انصاف بينهم ونحن نرى اكثر الخلق يموت مغموما من ظالمه ومكسورا من حاكمه فعلم قطعا
ان الموت الذي لم يقدر ولا يقدر احد اصلا ان يسلم منه انما هو سوق الى دار العرض وساحة الجزاء للعرض كما جرت به عادة
الملوك اذا وكلوا من يامرون باحضاره اليهم لعرضه عليهم ليظهر التجلي في صفات الجبروت والعدل ومظاهر الكرم والفضل
قال **ويا قوم** ولما كانوا منكرين للبعث اكد فقال **اني اخاف** وعبر باداة الاستعلا زيادة في التخويف فقال **عليكم**
ولما كان قد سماه فيما مضى بالتلاقي والازفة لما ذكر عرف هنا ان الخلق فيه وجلون خائفون وانهم لكثرة الجمع هم
يتنادون ويتنادون للرفعة او الضعة وغير ذلك من الامور المتنوعة التي يجمعها ما يدل على ظهور الجبروت وذل الخلق لما
يظهر لهم من الكبرياء والعظموت فقال **يوم التناد** اي اهواله وما يقع فيه فينادي الجبار سبحانه بقوله الم اعهد اليكم
يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان وينادونه بلى يا ربنا وينادي الملائكة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يا
فلان ابن فلان اقبل لفصل النزاع وينادي كذلك العبد الا سمعا وطاعة وينادي الفائز الا نعم اجر العاملين وينادي
الخايب الا بئس منقلب الظالمين وينادي بالشقاوة والسعادة الا ان فلانا قد سعد سعادة الا ان فلانا قد شقي وينادي
اصحاب الاعراف واصحاب الجنة اهل النار واهل النار اهل الجنة وينادي لكل حين يذبح الموت ويدعى كل اناس بامامهم
وينادي الملائكة وقد احاطوا بالثقلين صفوفا مترتبة ترتب السموات التي كانوا بها بالتسبيح والتقديس وترتفع الاصوات
بالضجيج بعضهم بالسرور وبعضهم بالويل والثبور وينادي لسان النيران اين الجبارون اين المتكبرون وينادي الجنة اين
المشمرون في مرضات الله والصابرون فياله يوما تذل فيه العصاة العتاة ويعز المتكبرون المنكسرة قلوبهم من اجل الله
وقرا ابن عباس رضي الله عنهما في آخرين بتشديد الدال من التناد على انه مصدر تناد من ند البعير اذا هرب ونفر وهو كقوله
يوم يفر المرء من اخيه وتقدم وحذف يا التلاقي واثباتها مما يمكن اللفظ تنزيله هنا ولما كانت عادة المنادي
الاقبال وصف ذلك اليوم بضد ذلك لشدة الاهوال فقال مبدلا ومبينا **يوم تولون مدبرين** اي حين تخرج السنة النيران
فتخطف اهل الكفران وتزفر زفرات يخر اهل الموقف من خشيتها فترى كل امة جاثية وتنفرون فلا يقصدون مكانا الا
وجدوا به الملائكة صافين حافين والملك على ارجائها وينادي المنادي يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ولما كان المدبر انما يقصد في ادباره معقلا يمنعه ويستره او فئة تحميه و
قال مبينا حالهم **ما لكم من الله** اي الملك الجبار الذي لا ند له واعرق في النفي فقال **من عاصم** اي مانع يمنعكم مما يريد بكم فما لكم من
عاصم اصلا فانه سبحانه يجير ولا يجار عليه ولما كان التقدير لضلالكم في الدنيا فانا حالكم في ذلك اليوم مكتسب من احوال
في هذا اليوم عطف عليه قوله معمما **ومن يضلل الله** اي الملك المحيط بكل شيء الباطن في ردية الجلال الظاهر في مظاهر
القهر والجمال اضلالا لا حيلة عليه فهو في غاية البيان بما اشار اليه الفك **فما له من هاد** اي الى شيء ينفعه بوجه من الوجوه واما
الضلال العارض فيزيله الله بمن يشاء من عباده وهذا لا يعرف الا بالخاتمة كما قاله الامام ابو الحسن الاشعري فمن مات على شيء
فهو مجبول عليه ولما كان حاصل ما مضى من حالهم في امر موسى عليه السلام انه جاءهم بالبينات فشكوا فيها وختم
بتحذيرهم عذاب الدنيا والآخرة عطف عليه شك ابائهم في مثل ذلك فقال مبينا انهم مستحقون لما حذرهم منه من العذاب لسكرهم
نعمة الله في انها لهما اياهم ويجحدوا نعمته ان تمادوا واكد لاجل انكارهم ان يكونوا اتوا ببينة وافتتح بحرف التوقع لان حالهم
اقتضت توقع ذلك ودعت اليه **ولقد جاءكم** اي جاء اباءكم يا معاشر القبط ولكنه عبر بذلك دلالة على انهم على مذهب الآباء كما
جرت العادة من التقليد ومن انهم على طبايعهم لا سيما ان كانوا لم يفارقوا مساكنهم **يوسف** اي نبي الله ابن نبي الله يعقوب
ابن نبي الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم عليه السلام ولما لم يكن مجيئه مستغرقا لما تقدم موسى عليه السلام من
الزمان ادخل الجار فقال **من قبل** اي قبل مجيء موسى عليه السلام **بالبينات** اي الآيات الظاهرات ولا سيما في امر يوم التناد
فما زلتم بكسر الزاي من زال يزال اي ما برحتم انتم تبعا لابائكم **في شك** اي محيط بكم لم تصلوا الى رتبة الظن **مما جاءكم به**
من التوحيد وما يتبعه ودل على تمادي شككم بقوله **حتى اذا هلك** وكانه عبر بالهلاك ايهاما لهم انه غير معظم لهم وهذا
انما يقول ما يشعر بالتعظيم لاجل تحصيل النصيحة والنظر في العاقبة **قلتم** اي من عند انفسكم بغير دليل كراهة لما جاء به
وتضجرا منه جهلا بالله تعالى **لن يبعث الله** اي الذي له صفات الكمال ولما كان مرادهم استغراق النفي حتى لا يقع
البعث في زمن من الازمان وان قل ادخل الجار فقال **من بعده** اي يوسف عليه السلام **رسولا** وهذا ليس اقرارا منهم برسالته
بل هو ضم منهم الى الشك في رسالته التكذيب برسالة من بعده والحجر على الملك الاعظم في عباده وبلاده والاخبار عنه بما ينافي
كماله ولما كان كانه قيل هذا اضلال عظيم هل ضل احد مثله اجيب بقوله **كذلك** اي مثل هذا الضلال العظيم الشان
يضل وابرز الاسم ولم يضمر لئلا يختص الاضلال بالحيثية الماضية وجعله الماضية الجلالة تعظيما للامر لصلاحية الحال لذلك

وكذا ما يأتي بعده الله اي بما له من صفات القهر من هو مسرف اي متماد في الامور خارج عن الحد طالب للارتفاع عن طور البشر
ولما كان السياق للشك في الرسالة والقول بالظن الذي يلزم منه اتهام القادر سبحانه بالعجز او مجانبة الحكمة قال
مرتاب اي يشك فيما لا يقبل الشك ويتهم غيره بما لا حظ للتهمة فيه ديدنه التذبذب في الامور الدينية فلا يكاد يحقق امرا
من الامور ولا اسراف ولا ارتياب اعظم من حال المشرك فانه منع الحق اهله وبذله لمن لا يستحقه بوجه وهذه الآية دليل على
ان القبط طول الدهر على ما نشاهده من اتهام لانفة بدخولهم في الدين الحق ولا ثبات لهم في الاعمال الصالحة ولما ظهر
ظهورا لا يحتمل شكا بما اتى به موسى عليه السلام من الآيات البينات انهم في رسالة الماضي وجزمهم في الحكم بنفي رسالة الآتي
اعظم ضلال وانه من الجدال الذي لا معنى له الا مثل المحق عما هو عليه من الحق الى ما عليه المجادل من الضلال وصل بذلك قوله على
سبيل الاستنتاج ذما لهم بعبارة تعم غيرهم الذين اي جدال من يجادلون اي يقاتلون ويخاصمون خصاما شديدا في آيات الله
اي المحيط باوصاف الكمال لا سيما الآيات الدالة على يوم التناد فانها اظهر الآيات على وجوده سبحانه وعلى ما هو عليه من الصفات
والافعال وما يجوز عليه او يستحيل ولما كان الجدال بالتي هي احسن مشروعا وهو مما امر به قال بغير سلطان اي تسليط
ودليل اتاهم اي من عند من له الامر كبر اي عظم هو اي الجدال المعبر مضافا قبل الذين ومن ابهم من هذا العظيم بتمييز يحول عن الفاعل
فقال مقتا عند الله اي الملك الاعظم وعند الذين آمنوا اي الذين هم خاصته ولما كان فاعل هذا لا يكون الا مظلم
القلب فكان المقدر اولئك طبع الله على قلوبهم وصل به استينافا قوله كذلك اي مثل هذا الطبع العظيم يطبع اي يختم ختما
تبعا لعطب الله اي الذي له جميع العظمة على كل قلب ولما كان فعل كل ذي روح انما هو بقلبه نسب الفعل اليه في
قراءة ابي عمرو وابن عامر في احدى الروايتين عنه بالتنوين فوصفه بقوله متكبر اي متكلف ما ليس له وليس لاحد غير الله جبار اي
ظاهرا لكبر قويه قهار وقراءة الباقين بالاضافة مثلها سواء في ان السور داخل على القلب ليعم جميع افراده غير ان الوصف
بالكبر والجبروت للشخص لا للقلب وهي ابين من القراءة الشاذة بتقديم القلب على كل لان تقديم كل نص في استغراق افراد
القلوب ممن اتصف بهذا الوصف ومن المقطوع به ان احاد القلوب موزعة على احاد الاشخاص لانه لا يكون لشخص اكثر من قلب
بخلاف ما اذا قدم القلب فانه تقديري على ان الشخص واحد وان السور لاجل جمعه لانواع الكبر والجبروت فيكون المعنى على قلب
شخص جامع لكل فرد من افراد التكبر والتجبر والله الموفق ولما ذكر الطبع المذكور دل عليه بما ذكر من قول فرعون
وفعله عطفا على ما مضى من قوله وقول المؤمن فانه قصد ما لا مطمع في نيله تهتكا وحماقة تكبرا وتجبرا لكثافة قلبه وفساد
لبه فصار به ضحكة لكل من سمعه هذا ان كان ظن انه يصل الى ما اراد وان كان قصد بذلك التلبيس على قومه ليرد انفسه
عن اتباع موسى عليه السلام الى وقت ما فقد نادى عليهم بالجهل والاغراق في قلة الحزم والشهامة والعقل فقال تعالى
وقال فرعون اي بعد قول المؤمن هذا معرضا عن جوابه لانه لم يجد فيه مطعنا يا هامان وهو وزيره ابن وعرفه بندائه
اهتمامه به بالاضافة اليه في قوله لي صرحا اي بناء ظاهرا عاليا لكل احد فاكا لبعوي لا يخفى على الناظر وان بعد واصله
من التصريح وهو الاظهار وتعليله بالترجي الذي لا يكون الا في الممكن دليل على انه كان يلبس على قومه وهو يعرف الحق لانه
عاقلا لا يبعد ما رامه في عداد الممكن العادي فقال لعلي ابلغ الاسباب اي التي لا اسباب غيرها لعظمها ولما كان
بلوغها امرا عجيبا اورده على نمط مشوق اليه ليعطيه السامع حقه من الاهتمام وتفخيما لشانها ليتشوف السامع اليها
بقوله اسباب السموات اي الامور الموصلة اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه ولما ذكر هذا السبب ذكر
المسبب عنه فقال فاطلع اي فعله يتسبب عن ذلك ويتعقبه اي اتكلف الطلوع الى اله موسى فيكون كما ترى عطفا على ابلغ
ونصبه حفص عن عاصم على الجواب تنبيها على ان ما ابرزه الخبيث في عداد الممكن انما هو تمني محال غير ممكن في العادة ولما كان
من جملة ارادته بذلك مع ايقاف قومه الى وقت ما عن المتابعة ان يخيلهم بان يقول طلعت فبحثت عما قال موسى فلم اقف له
على صحة قدم لهم قوله مبينا لحاله اذ ذاك لما ظن من ميل قلوبهم الى تصديق موسى عليه السلام واني لاظنه اي موسى
كاذبا فترك الكلام على احتمال ان يريد في الرسالة او في الالهية ولما كان هذا امرا عجيبا وهو كون احد
يظن انه يخيل العقول انه يصعد الى السماء وان الاله الذي هو غني عن كل شيء وقد كان ولا شيء معه يكون في السما او في محل
من المحال فان كل حال في شيء يحتاج الى محله وكل محتاج عاجز ولا يصلح العاجز للالهية لو لم يجى عن الله لما كان اهلا
لان يصدق فكان التقدير عمله فرعون لانا زيناه له عطف عليه قوله زيادة في التعجيب وكذلك اي ومثل ذلك التزيين
العظيم الشان اللاعب بالالباب ولما كان الضار هو التزيين لا المزين الخاص باداة للمجهول فقال زين اي زين
المزين النافذ الامر وهو الله تعالى حقيقة بخلقه والزامه لان كل ما دخل في الوجود من المحدثات فهو خلقه والشيطان
مجازا بالتسبيب بالوسوسة التي هي بخلق الله تعالى لفرعون سوء عمله في جميع امره فاقبل عليه راغبا فيه مع بعده عن
عقل اقل ذوي العقول فضلا عن ذوي الهمم منهم فضلا عن الملوك واطاعه فيه قومه وصد بنفسه ومنع غيره عن

قراءة

قراءة الكوفيين ويعقوب بالضم عن السبيل اي التي لا سبيل في الحقيقة غيرها وهي الموصلة الى الله
ولما كان هذا السياق بحيث يظن منه الظان ان لفرعون نوع تصرف نفى ذلك بقوله وما كيد واعاد الاسم ولم يضمر
للاخص بصفته من الخبثاء فقال فرعون اي في ابطال امر موسى عليه السلام الا في تباب اي خسار وهلاك عظيم محيط به
لا يقدر على الخروج منه وما تعاطاه الا لانه محمول عليه ومقهور فيه كما كشف عنه الحال فدل ذلك قطعا على انه لو كان
له ادنى تصرف لستقل به لما انتج فعله الخسار ولما كان فساد ما قاله فرعون اظهر من ان يحتاج الى بيان اعرض المؤمن
عنه تصريحا ولوح الى ما حكاه الله عنه من انه محيط به الهلاك تلويحا في قوله مناديا قومه ومستعطفا لهم ثلاث مرات
الاولى على سبيل الاجمال في الدعوة والاخريان على سبيل التفصيل فقال تعالى عنه وقال الذي آمن اي مشيرا الى وهي قول
فرعون بالاعراض عنه وعبر بالفعل اشارة الى انه ينبغي لادنى اهل الايمان ان لا يحقر نفسه عن الوعظ يا قوم اي يا من لا قيام
لي الا بهم فانا غير متهم في نصيحتهم اتبعون اي كلفوا انفسكم اتباعي لان السعادة غالبا تكون فيما يكره الانسان اهدكم
سبيل اي طريق الرشاد اي الهدى لانه مع سهولته واتساعه موصل ولا بد الى المقصود واما ما قال فرعون مدعيا
انه سبيل الرشاد فلا يوصل الا الى الخسار فهو تعريض به سببه بالتصريح ولما كان هذا دعا على سبيل الاجمال
وكان الداء كله في الاقبال على الفاني والدواء كله في الاقدام على الباقي قال مستينافا في جواب من يسال عن تفصيل
هذه السبيل مبينا انها العدول عما يفنى الى ما يبقى محقرا الدنيا مصغرا لشانها لان الاخلاد اليها اصل الشر كله ومنه
يتشعب ما يؤدي الى سخط الله يا قوم كرر ذلك زيادة في استعطافهم بكونهم اهله فهو غير متهم في نصيحتهم لانه لا يريد
لهم الا ما يريد لنفسه ولما كانت الانفس لكونها مطبوعة على اللوم لا تعد الحاصل الا الحاضر اكد فقال
انما هذه الحياة وحقرها بقوله الدنيا اشارة الى دناتها وبقوله متاع اشارة الى انها جيفة لانها في اللغة من جملة
مدلولات المتاع فلا يتناول منها الا كما يتناول المضطر من الجيفة لانها دار القلعة والزوال فالتزود والارتحال
ولما افتتح بذم الدنيا ثنى بمدح الاخرة فقال وان الاخرة لكونها المقصودة بالذات هي دار القرار التي لا
تحول منها اصلا دائم كل من ثوابها وعقابها فهي للتلذذ والانتفاع والترفه والاتساع لمن توسل الى ذلك بحسن الاتباع
او للشقاء والهلاك لمن اجترا على المحارم واستحق الانتهاك قال الاصبهاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا
فانيا والاخرة خزفا باقيا لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والاخرة ذهب باق بل اشرف واحسن
وكما ان النعيم فيها دائم فكذلك العذاب فكان الترغيب في نعيم الجنان والترهيب من عذاب النيران من اعظم وجوه الترغيب
والترهيب فالآية من الاحتباك ذكر المتاع اولا دليلا على حذفه ثانيا والقرار ثانيا دليلا على حذف الارتحال
اولا ولما حرك الهمم بهذا الوعظ الى الاعراض عن دار الانكاد والامراض والاقبال على دار الجلال والجمال
بخدمة ذي العز والكمال قال في جواب من سال عن كيفية ذلك ما حاصله انه بالاقبال على محاسن الاعمال وترك السيئ من
الخلال واصلا بذلك على طريق البيان للبيان ذاكرا عاقبة كل ليبسط عما يتلف ويبسط لما يزلف مشيرا الى جانب
الرحمة اغلب مبتدئا بما هم عليه من السوء محذرا منه ليرجعوا من عمل سيئة اي ما يسوء من اي صنف كان الذكور والاناث
والمؤمنين والكافرين فلا يجزى اي من الملك الذي لا ملك سواه الا مثلها عدلا لا يزاد عليها مقدار ذرة ولا اصغر منها
ويدخل النار ان لم يكن له ما يكفرها فهذا هو الملك الذي ينبغي الاقبال على خدمته لكونه الحكم العدل القادر على
الجزاء والمساواة في الجزاء فالكافر لما كان على عزم دامه الكفر كان عذابه دايما والفاسق لما كان على نية التوبة
لاعتقاده انه في معصية وشر كان عذابه منقطعا والآية على عمومها وما خرج منها بدليل كان مخصوصا فيخرج عليها
باب جميع الجنايات وغيره ومن قال انها في شيء معين لزمه ان يكون مجملا لان ذلك المعين غير مذكور والتخصيص اولى من
الاجمال كما قال اهل الاصول ولما بين العدل في العقاب بين الفضل في الثواب تنبيها على ان الرحمة سبقت الغضب
فقال ومن عمل صالحا اي ولو قل ولما كان من يعبدونهم من الملوك انما يستعملون الاقوياء لاحتياجهم بين انه
على غير ذلك لانه لا حاجة به اصلا فقال من ذكر او انثى ولما كان العمل لا يصح بدون الايمان قال مبينا
شرطه وهو اي عمل والحال انه مؤمن ولما كان في مقام الترغيب في عدله وجوده وفضله جعل الجزاء مسببا
عن الاعمال فقال فاولئك اي العالوا الهمة والمقدار يدخلون الجنة اي بامر من له الامر كله بعد ان تضاعف لهم اعمالهم
فضلا والآية من الاحتباك ذكر المساواة اولا دليلا على المضاعفة ثانيا فضلا وذكر ادخال النار اولا وسره
انه ذكر فضله في كل من الشقين يرزقون فيها من غير احتياج الى تحول اصلا ولا الى اسباب ولعل ذلك من اسرار البنا للمفعول
بغير حساب لخروج ما فيها لكثرته عن الحصر فان ادنى اهلها منزلة لو اضاف كل اهل الارض لكفاهم من غير ان ينقص من ملكه شيء
وهذا من باب الفضل وفضل الله لا حد له ورحمته غلبت غضبه واما جزاء السيئة فمن باب العدل فلذلك وقع الحساب

فيها لئلا يقع الظلم قال الاصبهاني فاذا عارضنا عمومات الوعيد بعمومات الوعد ترجح الوعد لسبق الرحمة الغضب فانهدمت
قواعد المعتزلة ولما بلغ النهاية في نصحهم وختم باعلامهم بان الناس قسمان هالك وناج وكان حاصل ارادتهم لان يكون
على ما هم عليه الهلاك بالنار قال معجبا لهم تنبيها فانهم ما دنا لهم مكررا للنداء لزيادة التنبيه والايقاظ من الغفلة والتذكير
بانهم قومه واعضاده وعاطفا على ندائه الثاني لانه غير منفصل له ولا داخل في حكمه ويا قوم ما اي اي شيء من الحظوظ والمصالح
لي ادعوكم الى النجاة والجنة بالايمان شفقة عليكم ورحمة لكم واعترافا بحقكم و مالكم من ذلك في كونكم تدعونني الى
النار والهلاك بالكفران فالاية من الاحتباك ذكر النجاة الملازمة للايمان اولا دليلا على حذف الهلاك ثانيا الملازم للكفران
ثانيا والنار ثانيا دليلا على حذف الجنة اولا ومراده هزهم واثارة عزائمهم الى الحماسة بتذكيرهم ان ما يفعلونه معه ليس من
شيم اهل المروءة يجازونه على احسانه اليهم بالاساءة ولما اجمل بين تفاصيل الاجمال الاتية بقوله تدعونني اي يوقعون
دعاءكم الى معبودكم لاكفر اي لاجل ان اكفر بالله اي استر ما يجب اظهاره بسبب الذي له لان له كل شيء وله مجامع العظمة
والعز والعظمة والكبر واشرك به اي اوقع الشرك به اي اجعل له شريكا ولما كان كل ما عداه سبحانه ليس له من
ذاته الا العدم اشار الى حقارته بالتعبير باداة ما لا يعقل فقال ما ليس لي به علم اي نوع من العلم بصلاحيته لشيء من الربوبية
فهو دعاء الى الكفر في شيء لا يحل الاقدام عليه الا بالدليل القطعي الذي لا يحتمل نوعا من الشك واذا لم يكن به علم لم يكن له عزة
ولا مغفرة فلم يكن له وجود لان الملك لازم الالهية وهو اشهر الاشياء فما ادعى له اشهر الاشياء فكان بحيث لا يعرف بوجه
من الوجوه كان عدما محضا ولما بين انهم دعوه الى ما هو عدم فضلا عن ان يكون له نفع او ضر في جملة تفعيلية اشارة الى
بطلان دعوتهم وعدم ثبوتها بين لهم انه ما دعاهم الا الى ما له الكمال كله والنفع والضر لا غيره فقال مشيرا بالجملة الاسمية
الى ثبوت دعوته وقوتها وانا ادعوكم اي اوقع دعاءكم الان وقبله وبعده الى العزيز اي البالغ العزة الذي يغلب كل شيء ولا
يغلبه شيء ولما وصفه بهذا الوصف ترهيبا صح قطعا وصفه ترغيبا بقوله الغفار اي الذي يتكرر له دائما محو الذنوب
عينا واثرا ولا يتعدد ذلك غير من هو بصفة العزة ومن صح وصفه بهذين الوصفين فهو الذي لا يجمل ما هو عليه من صفات
الكمال اجمع فالاية من الاحتباك ذكرا ولا نفي العلم دليلا على العلم ثانيا وثانيا العزة والمغفرة دليلا على حذفهما اولا ولما
كان انتفاء العلم بالشيء من اهل العلم انتفاء لذلك الشيء في اصول الدين كان ما دعوه اليه باطلا وكان ما دعاهم اليه هو الحق
فلذلك انتج قطعا قوله لا جرم وهي وان كانت بمعنى لا ظن ولا اضطراب اصلا كما مضى في سورة هود عليه السلام فهما معنى
العلة اي لا اجل ذلك لا شك في انما اي ان الذي تدعونني اليه من هذه الانداد ليس له دعوة بوجه من الوجوه فانه لا
ادراك له هذا ان اريد ما لا يعقل وان اريد شيء مما يعقل فلا دعوة له مقبولة بوجه فانه لا يقوم عليها دليل بل ولا شبهة
موهمة في الدنيا التي هي محل الاسباب الظاهرة لان شيئا منه ليس له واحد من الوصفين ولا في الاخرة لانها لا تقبل الجهل
كذلك يكون وان اي ولا اضطراب في ان مردنا اي ردنا العظيم بالموت وموضع ردنا ووقته منته الى الله اي الذي له
الاحاطة بصفات الكمال كما اقتضته عزته فيجازي كل احد بما يستحقه وان اي ولا شك في ان المسرفين اي المجاوزين
للحدود العريقين في هذا الوصف هم اي خاصة لاجل حكم الله بذلك عليهم اصحاب النار اي الذين يخلدون فيها لا ينفكون عنها كما
تقتضيه معنى الصحبة لان اسرافهم اقتضى اسرافا ملازما منهم للنار التي طبعها الاسراف وقد علم ان ديننا لا يجزى بالسيئة
الا مثلها ولما تقرر انه لا امر لغير الله وانه لا بد من المعاد تسبب عنه قوله فستذكرون اي قطعا بوعد لا
خلف فيه مع القرب ما اقول لكم حين لا ينفعكم الذكر في يوم الجمع الاعظم والزحام الذي يكون فيه العدم على القدم مرادا
رايهم الاهوال والنكال والزلزال ان قبلتم نصحي وان لم تقبلوه ولما ذكر خوفهم الذي لا يحميهم منه شيء ذكر
خوفه الذي هو معتمد فيه على الله ليحميه منه فقال عاطفا على ستذكرون غير مراع فيها معنى السين وافوض اي انا الان بسبب
لا دعوة لغير الله امري فيما تمكرونه بي الى الله الذي احاط بكل شيء علما وقدرة فهو يحميني منكم ان شاء قال صاحب المنازل التفويض
الطف اشارة واوسع من التوكل فيه وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعده وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه
وهو على ثلاث درجات الاولى ان تعلم ان العبد لا يملك قبل عمله استطاعة فلا يامن من مكر ولا ييأس من معونة ولا يعول على نيته
والثانية معاينة الاضطرار فلا ترى عملا منجيا ولا ذنبا مهلكا ولا سببا حاملا والثالثة شهود انفراد الحق بملك
الحركة والسكون والقبض والبسط والتفرقة والجمع ولما علل تفويضه بالاسم العلم الجامع المقتضي للاحاطة علل
ذلك بيانا لمراده بقوله مؤكدا لان عملهم في مكرهم به عمل من يظن انه سبحانه لا يبصرهم فلا يبصره ان الله تكرير الاسم الاعظم
بيانا لمراده بصير اي بالغ البصر بالعباد ظاهرا وباطنا فيعلم من يستحق النصر فينصره لاتصافه باوصاف الكمال ويعلم
من يمكر فيرد مكره عليه بما له من الاحاطة ولما تسبب عن تفويضه هذا لهم والتجاية الى ملك الملوك حفظه منهم على
عظم الخطر قال تعالى مخبرا انه صدق ظنه فوقاه الله اي جعل له وقاية تجنبه منهم بما له سبحانه من الجلال والعظمة والكمال

جزا على تفويضه سيئات اي شدائد ما مكروا دينا ودنيا فنجاه مع موسى عليه السلام تصديقا لوعده سبحانه بقوله
انتما ومن اتبعكما الغالبون ولما كان المكر السيء لا يحيق الا باهله قال وحاق اي نزل محيطا بعد احاطة الاغراق بآل
فرعون من باب الاولى فانه لم يقل آل الا مشتركا بين الحضر والاتباع لان العادة جرت انه لا يوصل الى جميع اتباع الانسان الا اتباعه
اذ لا له ولا حول فهو مفهوم موافقة سوء العذاب اي العقوبة المتابعة من كل مستعذب ثم بين ذلك بقوله النار اي حال كونهم
يعرضون عليها اي في البرزخ غدوا وعشيا اي غادين ورائحين في وقت استراحتهم بالاكل واستلذاذهم به هذا دابهم
طول الايام البرزخ وكان عليهم في هذا العرض زيادة نكد فوق ما ورد عاما مما روى مالك والشيخان وغيرهم عن ابن عمر رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة
فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة ولعل زيادة
النكد انهم هم المعروضون فيذهب بهم في الاغلال فياتون لينظروا واما اعد لهم وعامة الناس يقتصر في ذلك على ان يكشف
لهم وهم في محالهم عن مقاعدهم ففي ذلك زيادة اهانة لهم وهو مثل عرض الامير فلانا على السيف اذا قتله هذا دابهم الى
ان تقوم الساعة ويوم تقوم الساعة يقال لهم ادخلوا آل اي يا آل فرعون اي هو نفسه واتباعه لاجل اتباعهم
له فيما اضلهم به وجعله نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص بفعل امر من الادخال فالتقدير يقول لبعض جنوده فادخلوا
آله لاجل ضلالهم به اشد العذاب واذا كان هذا للآل لاجله كان له اعظم منه من باب الاولى وهذه الاية نص في
عذاب القبر كما نقل عن عكرمة ومحمد بن كعب ولما كان هذا من خبر موسى عليه السلام وفرعون امرا عجيبا جدا قل من يعرفه
على ما هو عليه لانه من خفي العلم اشار سبحانه الى ذلك بقوله واذ اي اذكر لهم هذا الذي انبأناك به مما كان في الزمن الاقدم
ولا وصول له اليك الا من جهتنا لانهم يعلمون قطعا انك ما جالست عالما قط واذكر لهم ما يكون في الزمن الاتي حين يتحاجون
اي هؤلاء الذين تقدمهم في النار اي يتخاصمون فيها اتباعهم ورؤساؤهم مما لا يغنيهم فيقول الضعفاء اي الاتباع للذين
استكبروا اي طلبوا ان يكونوا اكبر ولما كانوا اشد ما هم فيه يتبرأ كل منهم من صاحبه اكدوا قولهم انا كنا لكم
اي دون غيركم تبعا اي اتباعا متكبرين على الابنا وهو عند البصريين يكون واحدا كالجمل ويكون جمعا كخدم جمع خادم ولعله عبر
اشارة الى انهم كانوا في عظيم الطواعية لهم على قلب رجل واحد ولما كان الكبير يحمي تابعه سببوا عن ذلك سؤالهم فقالوا
فهل انتم اي ايها الكبراء مغنون اي كافون ومجزئون وحاملون عنا نصيبا من النار ولما كان الكلام الضعفاء معادا
على الاصل واشارة مع تصوير الحال لانه اقطع الى طول خصامهم لانه اشد في ايلامهم فتشوف السامع الى جوابهم استانف الخبر
عنه بصيغة الماضي تاكيدا للتحقيق ووقوعه ردا لما قد يتوهمه الضعيف من ان المستكبر له قوة المدافعة واباء الانقياد
فقال قال الذين استكبروا اي من شدة ما هم فيه ولما كان الاتباع قد ظنوا ان المتبوعين يغنون عنهم اكدوا اخبارهم
لهم بما ينافي ذلك فقالوا انا كل اي كلنا كائنون فيها اي النار كل بما له من العذاب بقدر ما يستحقه ان جاد ليموتنا او ترككم جرلنا
ولا يظلم ربك احدا فلو قدرنا على شيء لاغنينا عن انفسنا ولو سالنا ان نزاد او ننقص لما احسنا فان هذه دار العدل فاتركونا
وما نحن فيه ولما كان حكم الله تعالى ما نعا مما كان يفعل في الدنيا من فك المجرم وانفاذ غيره به وكان نسوالهم في الاخاء
سؤال من يجوز ان يكون حكمه على ما عليه الاحكام من حكام اهل الدنيا علوا جوابهم مؤكدين فقالوا ان الله اي المحيط
باوصاف الكمال قد حكم بين العباد اي بالعدل فادخل اهل الجنة دارهم واهل النار نارهم فلا يغني احد عن احد شيئا
ولما دل ذلك على انه لا يغني احد عن احد شيئا اخبر انهم لما راوا بعدهم من الله وانهم ليسوا باهل لرعايته سبحانه
علقوا املهم بتوسط الملائكة فاخبر عن ذلك منهم بقوله وقال الذين في النار اي جميعا الاتباع والمتبوعون لخزنة
ووضع موضع الضمير قوله جهنم للدلالة على ان سؤالهم لاهل الطبقة التي من شانها وشان خزنتها تجهم داخليها بالبدل
على انهم لسوء ما هم فيه لا يعقلون فهم لا يضعون شيئا في محله كما كانوا في الدنيا ادعوا ربكم اي المحسن اليكم بانكم لا تجدون
الما من النار يخفف عنا يوما اي في مقداره من العذاب اي بعضه ولما سالوهم اسنا نفوا جوابهم اشارة
الى ما حصل من تشوف السامع اليه معرفين لهم بسياقه نحو السبب الجاعل لهم في محل الاطراح والسفول عن التاهل لان يسمع لهم
كلام فقال تعالى مخبرا عنه قالوا اي الخزنة ولما كان التقدير الم تكن لكم عقول تهديكم الى الاعتقاد الحق عطف
عليه قوله الزاما لهم بالحجة وتوبيخا وتنديما بتفويت اوقات الدعاء المجاب اولم ولما كان المقام خطرا والمرام
وعرا عسرا فكانوا محتاجين الى الايجاز فالوا مشيرين به بذكر جعل الكون مع اقتضاء الحال للايجاز الى عراقة الرسل عليهم السلام
في النصح المنجي من المخاوف بالمعجزات والرفق والتلطف وطول الاناة والحلم والصبر مع شرف النسب وطهارة الشيم وحسن
الاخلاق وبداعة الهيئات والمناظر ولطافة العشرة وجلالة المناصب تك باسقاط النون مع التصوير للحال بالمضارع ٧٥
تاتيكم على سبيل التجدد شيئا في اثر شيء رسلكم اي الذين هم منكم فانتم جديرون بالاصغاء اليهم والانباع لهم لان الجنس الى الجنس

امثل والانسان من مثله اقبل **بالبينات** اى التى لا شى اوضح منها **قالوا** اى الكفار **بلى** اى اتونا كذلك ثم اسنا تعوا جوابهم المحال
من المشوق اليه بما حاصله عدم اجابتهم فسببوا عن اخبارهم بعدم اجابتهم للرسل عدم اجابة دعائهم فقال القالى لجرائمهم
قالوا اى الخزنة **فادعوا** اى انتم الآن الله او اهل الله من رسل البشر او الملائكة او غيرهم او لا تدعوا فانه لا يسمع لكم ولما كان
امرهم بالدعا موجبا لان يظنوا نفعه اتبعوه بما اياسهم لان ذلك انكى واوجع واشد عليهم واقطع بقولهم **وما** دعاء وكرر
هكذا كان الاصل ولكنه اى بالوصف تعليقا للحكم به فقال **دعاء الكافرين** اى الساترين لمرائى عقولهم عن انوار العقل
المؤيد بصحيح النقل **الا فى ضلال** اى ذهاب فى غير طريق موصل كما كانوا هم فى الدنيا كذلك فان الدنيا مزرعة الآخرة من زرع
شيا فى الدنيا حصده فى الآخرة والآخرة ثمرة الدنيا لا تثمر الا من جنس ما غرس فى الدنيا **ولما** كان حاصل ما مضى من
هذا القصص الذى هو احلى من الشراب واغلى من الجوهر المنظم فى اعناق الكواعب الاتراب انه سبحانه نصر الرسل على اممهم
حين هموا باخذهم فلم يصلوا اليهم ثم اهلكهم الله هذا فى الدنيا واما فى الآخرة فعذبهم اشد العذاب وكذلك نصر موسى
عليه السلام والمؤمن الذى دافع عنه وكان نصر اهل الله قاطبة حتما لانهم يبتلون ثم تكون لهم العاقبة فكان اكثر
الجاهلين وهم اكثر الناس يظن انه لا نصر لهم قال تعالى لافتا القول الى مظهر العظمة لان النصرة عنها تكون على سبيل الاستنتاج
مما مضى مؤكدا تنبيها للاغبياء على ما يخفى عليهم **انا** اى بما لنا من العظمة **لننصر رسلنا** اى على من ناواهم **والذين آمنوا** اى اتسموا
بهذا الوصف وان كانوا فى ادنى رتبة **ولما** كانت الحياة تروق وتحلوا بالنصرة وتنكد بضدها ذكرها لذلك ولبيان
نيويهم لو سقطت ان نصرتهم تكون رتبتها دنيه فقال **فى الحياة الدنيا** بالزامهم طريق الهدى الكفيلة بكل فوز وبالحجة والغلبة
وان غلبوا فى بعض الاحيان فان العاقبة تكون لهم ولو بان يقيض سبحانه لاعدائهم من ينتقم منهم ولو بعد حين واقل ذلك
ان لا يتمكن اعداوهم من كل ما يريدون منهم **ويوم يقوم الاشهاد** اى فى الدار الآخرة من الملائكة والنبيين وسائر
المقربين جمع شهيد كشريف واشراف وانما عبر بذلك اشارة الى تجلى الحكم العدل بصفات الجبروت للقسط فيرفع
اولياءه بكل اعتبار ويهين اعداءهم كل اهانة **ولما** وصف اليوم الآخر بما لا يفهمه كثير من الناس ابدله مما
اوضحه على وجه بين نصرهم لهم غاية البيان فقال مستمرا لا مما قبله **يوم لا ينفع الظالمين** اى الذين كانوا عريقين فى وضع الاشيا
فى غير مواضعها **معذرتهم** اى اعتذارهم وزمانه ومكانه بما اشار اليه كون المصدر ميميا ولو حيلهم ما اشارت اليه
قراءة التذكير للفعل فعلم بذلك انهم لا يجدون دفاعا بغير الاعتذار وانه غير نافعهم لانهم لا يعتذرون الا بالكذب والله
ربنا ما كنا مشركين او بالقدر ربنا غلبت علينا شقوتنا **ولهم** اى خاصة **اللعنة** اى البعد عن كل خير مع الاهانة بكل
ضير **ولهم** خاصة **سوء الدار** وهى النار الحاوية لكل سوء هذا مع ما يتقدمها من المواقف الصعبة واذا كان هذا لهم
فما ظنك بما هو عليهم وقد علم من هذا ان لاعدائهم ولهم الرسل واتباعهم الكرامة والرحمة ولهم قبول الاعتذار وحسن الدار
فظهرت بذلك اعلام النصرة وصح ما اخبر به من تمام القدرة **ولما** كان التقدير فلقد نصرنا موسى رسولنا مع
اتباعه فرعون وارعاده عطف عليه قوله دالا على الكرامة والرحمة مؤكدا لاجل ان الذى استقر فى النفوس من ان ملوك الدنيا
لا تغلبهم الضعفاء **ولقد آتينا** اى بما لنا من العظمة **موسى الهدى** اى فى الدين اللازم منه ان يكون له العاقبة وان ناهضه
من ناواه لانه صال عن الهدى والضال هالك وابطال المدى وذلك بما آتيناه من النبوة والكتاب **ولما** كانت النبوة
خاصة والكتاب عاما قال **واورثنا** اى بعظمتنا **بنى اسرائيل** بعد ما كانوا فيه من الذل **الكتاب** اى الذى انزلناه عليه وآتيناه
الهدى به وهو التوراة ابناء موكلا رث لانبيا رعيهم فيه اختر ولا اهل له فى ذلك الزمان غيرهم حال كونه **هدى** اى بيانا عاما
لكل من تبعه **وذكرى** اى عظة عظيمة **لاولى الالباب** اى القلوب الصافية والعقول الوافية الشافية تذكرا بما هو
النمرة وذكرا بما هو السبب اشارة الى ان منهم من جنى ثمرته فاهتدى ومنهم من ضل وذلك تحذير للاتباع وتشريف للانبيا
بما نالوه من مراتب الارتفاع **ولما** كان التقدير بعد ان تقدم الوعد المؤكد بنصرة الرسل واتباعهم ولقد آتيناك
الهدى والكتاب كما آتينا موسى ولننصرنك مثل ما نصرناه وان زاد ابراق فرعونك وارعادهم فانهم لا يعشرون فرعون فيما
كان فيه من الجبروت والقهر والعز والسلطان والمكر ولم ينفعه شى منه سبب عنه قوله **فاصبر** اى على اذاهم فانا نوقع
الاشيا فى اتم محالها على ما بنينا عليه احوال هذه الدار من اجراء المسببات على اسبابها ثم علل ذلك بقوله صارفا القول عن مظهر
العظمة الذى هو مدار النصرة الى اسم الذات الجامع لجميع الكمالات التى من اعظمها انفاذ الامر وصدقا لوعد **ان وعد الله** اى
الذى له الكمال كله **حق** اى فى اظهار دينك واعزاز امرك فقد رايت ما اتفق لموسى عليه السلام مع اجراء اهل ذلك الزمان
وما كان له من العاقبة فكانت البشرى الصبر فى انتظار الموعود من الحق على حسب الايمان والتصديق فمن كان تصديقه ويقينه
اتم واقوى كان صبره اكمل واوفى **ولما** تكفل هذا الكلام من التثبيت بانجاز المرام وكان من الامر المحتوم ان لزوم
القربات يعلى الدرجات فيوصل الى نوق النصرات امر بالاعراض عن ارتقاب النصر والاشتغال بتهذيب الاحوال لتحصيل

الكمال برجما الخطاب الى اعلا الخلق ليكون من دونه من باب الاولى فقال **واستغفر لذنبك** اى وهو كل عمل كامل ترتقى منه
الى اكمل واوفى وحال فاضل تكفل هذا الكلام من التثبيت بانجاز المرام وكان من الامر المحتوم ان لزوم القربات يعلى الدرجات
فيوصل الى نوق النصرات امر بالاعراض عن ارتقاب النصر والاشتغال بتهذيب الاحوال تصعد منه الى افضل فيكون ذلك شكرا
منك لكن الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر ليستن بك امتك وسماه ذنبا من باب حسنات الابرار سيئات المقربين **ولما**
امره بالاستغفار عند الترقية فى درج الكمال المطلع على بحور العظمة ومغاور الجلال امره بالتنزيه عن
كل شائبة نقص والاثبات لكل رتبة كمال لافتا القول الى صفة التربية والاحسان لانه من اعظم مواقعها فقال **وسبح**
اى نزه ربك عن كل شائبة نقص كلما عملت بالصعود فى مدارج الكمال نقص المخلوق فى الذات والاعمال ملتبسا **بحمد ربك**
اى اثبات الاحاطة باوصاف الكمال للمحسن اليك المربى لك ولا تشتغل عنه بشى فان الاعمال من اسباب الظفر **ولما**
كان المقام لاثبات قيام الساعة وكان العشى ادل عليها قدمه فقال **بالعشى والابكار** فان تقلبهما دائما دال على كمال
مقلبهما وقدرته على ايجاد المعدوم والمحق كما كان وتسويته ومن مدلول الآية الحث على صلاتى الصبح والعصر وهما
الوسطى لانهما تشهدهما ملائكة الليل وملائكة النهار وقال ابن عباس رضى الله عنهما هى على الصلوات الخمس نقله البغوى
وذلك لان العشى من زوال الشمس والابكار من طلوع الفجر الى طلوع الشمس **ولما** كان الامر بشغل هذين الوقتين
امرا بشغل غيرهما من باب الاولى لان اول النهار وقت الاشتغال بالاعمال والاهتمام بالابتداء والتمام واخر وقت
التهيؤ للراحة والمقيل بالاكل والشرب وما يتبعهما وكان ذلك موجبا للاشتغال عن اعداء الدين رأسا وكان ذلك
امرا على النفوس شاقا علله بما يقتضى المداومة على الاعمال والاعراض عنهم لان خذلانهم امر قد فرغ منه فقال معللا
للمداومة على الطاعة **ان الذين يجادلون** اى يناصبون بالعداوة لقتل اهل هذا الدين عنه الى ما هم عليه من الباطل ولفت
القول الى الجلالة الدالة على نهاية العظمة تهويلا لشانهم فقال **فى آيات الله** اى الملك الاعظم الدالة على تمام قدرته اللازم
منه قدرته على البعث الذى فى ذكره صلاح الدين والدنيا **بغير سلطان** اى امر مسلط ودليل مسلك **اتاهم ان** اى ما
فى صدورهم بصدودهم عن سوا السبيل واذن ذكر الصدر ودونا القلوب بعظم الكبر جدا بانه قد ملأ القلوب وفاض
منها حتى شغل الصدور التى هى مساكنها **الا كبر** اى اتباع الحق مع اشراق ضيائه واعتلاء لالايه ارادة الحفاية اوالحقا
والكبر ارادة التقدم والتعظم والرياسة وان يكون مزيد ذلك فوق كل احد **ما هم ببالغيه** اى ببالغى مقتضاه من ابطال
الدين تكبرا عن ان يكونوا تحت اوامره لا يبلغون ذلك بوجه من الوجوه ولابد ان يظهر الدين بنصر الرسول ومن تبعه من
المؤمنين على اهل الكتاب والمشركين وغيرهم من انواع الكافرين ثم يبعثون فيكونون اعداء وهم اسفل سافلين صغرة داخرين **ولما**
ظهر من اول هذا الكلام واخره تصريحا وتلويحا بما افاده اسلوب كلام القادرين المصوغ لاعم ما يمكن ان
يخطر فى البال انه تعالى كما وصف نفسه فى مطلع السورة بانه غالب لكل شى ولا يغلبه شى وان الذى هم انما هو ارادة ان
يكونوا غالبين تسبب عنه قوله **فاستعذ** اى اطلب العوذ **بالله** المحيط بكل شى من شر كبرهم وغيره كما عاذ به موسى
عليه السلام لينجز لك ما وعدك كما انجز له ثم علل ذلك بقوله **انه** اى على ما له من البطون **هو** اى وحده **السميع** لكل ما
يمكن ان يسمع **البصير** **ولما** كان السياق للعياذ من شياطين الانس الذين لهم المكر الظاهر والباطن ختم بقوله
الصالح للبصر والبصيرة فيعم المحسوس والمعلوم وختم آية الاعراف وفصلت للمتوقين لنزغ الشيطان الذى
هو وساوس وخطرات باطنة بالعليم **ولما** كان اعظم النظر فى آية المجادلة المكررة من اول السورة الى هنا الى
البعث وصيرورة العباد الى الله بالحشر ليقع فيه الحكم الفصل ويتحقق نصر الانبيا واتباعهم يوم يقوم الاشهاد
دل على قدرته عليه بما هو كالتعليل لما نفى فى آية المجادلة من بلوغهم لما قصدوا من الكبر فقال مؤكدا تنزيلا للمقر العالم منزلة
الجاهل المعاند لمخالفة فعله لاعتقاده **لخلق السموات** اى خلق الله لها على عظمها وارتفاعها وكثرة منافعها واتباعها
والارض على ما ترون من عجائبها وكثرة منافعها **اكبر** عند كل من يعقل من الخلق فى الخلق **من خلق الناس** اى خلق الله لهم لانهم
شعبة يسيرة من خلقهما كما تعلم قطعا ان الذى قدر على ابتدائه على عظمه قادر على اعادة الناس على حقارتهم **ولكن اكثر الناس**
وهم الذين ينكرون البعث وغيره مما يمكن ان يتعلق به القدرة وصح به السمع **لا يعلمون** اى لا علم لهم اصلا بل هم كالبهائم لغلبة
الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم وهم لا يستحسون ذلك على القدرة على البعث كما ان البهائم ترى الظاهر فلا تدرك به الباطن
بل هم ادنى رتبة من البهائم لان هذا النحو من العلم فى غاية الظهور فهو كالمحسوس فمن توقف فيه كان حمادا
ثبت بهذا القياس الذى لا خفاء به ولا دافع له ولا مطعن فيه ان القادر على خلق الكبير ابتداء قادر على تسوية الصغير اعادة
وثبت به ايضا ان خلق الناس ليس مستندا الى طبائع السموات والارض والاشيا والى العلم والجهل والقدر والهيئة والشكل
لان اقتضاء الطبائع لذلك على حد سوا لا انفاوت فيه وهى لا اختيار لها وكان من الناس من يقول ان هذا الايجاد انما هو

للطبائع ومن هو لا يدعون الذي مضى في هذه السورة كثير من كشف عواره واظهار عاره دال على ابطاله بان ذلك قول يلزمه
التساوي فيما نشأ عن ذي الطبع لانه لا اختيار له ونحن نشاهد الاشيا مختلفة فدل ذلك قطعا على انها غير مستندة الى الطبيعة
بل الى فاعل مختار فكان التقدير بما ارشد اليه سياق الآية قطعا مع ختمها بنفي العلم وعطف ما بعدها على غير مذكور وافلم يعلمون
تفاوتا في الفهم الذي تفاوت بينهم قادر مختار لا شريك له فانه ما يستوي العالم والجاهل **وما يستوي** اي بوجه من الوجوه من
حيث البصر **الأعمى والبصير** وذلك موجب للعلم باسناد المتخالفين ليس الى الطبيعة بل الى فاعل مختار
ذكرا لظلام والنور الحسيين لتبعة المعنويين مشوشا ليكتنف قسما الظلام قسمي النور اشارة الى ان المهتدي عزيز
الوجود كالذهب الابريز النقود فقال **والذين آمنوا** اي اوجدوا اهل الحقيقة سوا ثبتت اولا **وعملوا الصالحات** كذلك
ليكونوا محسنين **ولا المسيء** اي الثابت الاساءة الذي كفر وعمل الطالحات ووقع التغاير في العطف لان المراد والله اعلم نفي التساوي
ووقع التغاير في العطف بين افراد الأعمى وافراد البصير والمحسن والمسيء ولكنه لما كان في المخاطبين الغبي والذكي عطف البصير
بغير لا ليكون ظاهره ذلك نفي المساواة بين نوع الأعمى والبصير لان نفي المساواة بين افراد الانواع دقيق واقتصر على الواو في
عطف الذين آمنوا لانه لا ينتظم ان يراد جعل الأعمى والبصير فريقا والمؤمن الموصوف فريقا وينفي التساوي بينهما لانه لا يلتبس
ان المؤمنين الموصوفين كالبصير وليس فيهم من يتوهم مساواته للأعمى فكان من الجلي معرفة ان المراد نفي مساواة الأعمى للبصير
ونفي مساواة المؤمن الموصوف للمسيء وزيدت لا في المسيء وعبر فيه بالافراد اشارة للفطن الى ان المراد نفي التساوي بين افراد
كل نوع لان ذلك ادل على القدرة وانها بالاختيار وهذا بخلاف الظلمات في سورة فاطر لانه لو تركت لا هناك لتوهم متوهم
ان المنفي المساواة بين الأعمى والبصير وبين الظلمات فيوجد حينئذ الطعن بان الظلمات مساوية لهما باعتبار ان الظلمة منها
كثيف جدا لا يتمكن نفوذ البصر فيه ومنها خفيف جدا تكون تسميته ظلاما بالنسبة الى النور الساطع والآية من الاحتباك
ذكر عمل الصالحات اولا دليلا على ضدها ثانيا والمسيء ثانيا دليلا على المحسنين اولا وسره انه ذكر الصلاح ترغيبا والاساءة
ترهيبا ولما تقرر هذا على هذا النحو من الوضوح الذي لا مانع للانسان من فهمه ورسوخه في علمه الا عدم تذكره
لحسه حتى في نفسه قال **قليلا ما يتذكرون** اي المجادلون وايها المجادلون والناس لان المتذكر غايته التذكر بما دل عليه الآية
منكم قليل على قراءة الكوفيين بالخطاب لانه اقوى في التبكيت وادل على الغضب ولما ثبت بهذا كله تمام القدرة ونفي
ما توهمه من لا بصر له من الطبائع ثبت قطعا قوله **ان الساعة** اي القيمة التي يجادل فيها المجادلون **لآتية** وعز في الحكم بالعدل
في المعاوتة بين المسيء والمحسن لانه لا يسوغ في الحكمة عند احد من الخلق ان يساوي احد بين محسن عبيده ومسيئهم فكيف يظن
باحكم الحاكمين الذي نشاهد موت المسيء وهو في غاية النعمة والمعصية والمحسن وهو في غاية البلا والطاعة والمظلوم
قبل ان ينتصف من الظالم ولهذا الامر الظاهر قال **لا ريب فيها** اي لا شك في اتيانها بوجه من الوجوه لا ينفي فيها بالعدل
فادخل فيها ناسا دار رحمتي واخرين دار نقمتي ولما وصل الحال في امرها الى حد لا خفا به اصلا نفى الايمان دون
العلم فقال **ولكن اكثر الناس** اي بما فيهم من النوس وهو الاضطراب وراعى معنى الاكثر فجمع لان الجمع ادل على المراد وافعل في
التبكيت **لا يؤمنون** اي لا يجعلون المخبر باتيانها امنا من التكذيب مع وضوح علمها لديهم وما ذاك الا لعنادهم بعضهم وقصور
نظر الباقين على الحس ولما كان التقدير فعل ذلك ربكم ليقضي بين عباده بالعدل فيدخل المحسن الجنة نصرة له والمسيء
النار خذلانا واهانة له لما برزه وعن من ان ينصر رسله واتباعهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال لعباده كلهم امنوا
لاسلمكم من غوائل تلك الدار عطف عليه قوله **وقال ربكم** اي المحسن اليكم بهداياتكم ووعدكم النصر **ادعوني** اي اعبدوا
لي بان تعبدوني وحدي فتسالوني ما وعدتكم به من النصر على وجه العبادة وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم هو العبادة
فقد حصر الدعا في العبادة سواء كانت بدعاء او صلاة او غيرهما فمن كان عابدا خاضعا لله تعالى بسواله او غيره كانت عبادته دعا
عن ابن عباس رضي الله عنهما وحدوني اغفر لكم وعن الثوري انه قيل له ادع فقال ان ترك الذنوب هو الدعا **استجب** اي اوجد
الاجابة ايجادا عظيما كانه ممن يطلب ذلك بغاية الرغبة فيه **لكم** في الدنيا بايجاد ما دعوتم به او كشف مثله من الضر
او ادخاره في الآخرة ليظهر الفرق بين من له الدعوة ومن ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ولا تتكلوا على ما سبق به الوعد
فتتركوا الدعا فتتركوا العبادة التي الدعا مخها فكل ميسر لما خلق له قال القشيري وقيل الدعا مفتاح الاجابة واسنانه
لقمة الحلال انتهى والآية بمعنى آية البقرة اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي ولما كان السبب في ترك الدعا
في العادة الكبر فكانه قيل ولا تتركوا دعائي تكونوا مستكبرين علله ترهيبا في طيه ترغيب بقوله **ان الذين يستكبرون**
اي يوجدون الكبر ودل على ان المراد بالدعا العبادة بقوله **عن عبادتي** اي عن الاستجابة لي فيما دعوتهم اليه من العبادة بالمجاهدة
في اياتي والاعراض عن دعائي في جميع ما ينوبهم في الشدة والرخاء **سيدخلون** بوعد لا خلف فيه **جهنم** فتلقاهم جزاء على كبرهم
بالتجهم والعبوسة والكراهة **داخرين** اي صاغرين حقيرين ذليلين فالآية من الاحتباك ذكر الدعا اولا دليلا على حذفه ثانيا

لطرح

والعبادة

٤٢٤

والعبادة ثانيا دليلا لالملحد فيها اولا ولما ختم ذلك ايضا بامر الساعة زاد في الدلالة عليه وعلى الفعل بالاختيار
والحكمة التي لا يسوغ معها اهمال الخلق من غير حساب في دار ثواب وعقاب لعدم الانتقاد لذا العمل بالخطا والصواب فقال
معللا مفتتحا بالاسم الاعظم الذي لا يحتمل ان المسمى به يهمل المتكبرين عليه مع الابلاغ في الاحسان اليهم **الله** اي المحيط بصفات
الكمال **الذي جعل لكم** لا غيره **الليل** اي مظلما **لتسكنوا فيه** راحة ظاهرية بالنوم الذي هو الموت الاصغر وراحة
حقيقية بالعبادة التي هي الحياة الدائمة **والنهار مبصرا** لتنتشروا فيه باليقظة التي هي احيا في المعنى فالآية
من الاحتباك حذف الظلام اولا لكونه ليس من النعم المقصودة في انفسها لما دل عليه من الابصار الذي هو المقصود من
نعمة الضيا المقصود في نفسه وحذف الانتشار لانه بعض ما ينشا عن نعمة الابصار لما دل عليه من السكون الذي هو المقصود
الاعظم من الليل للراحة لمن ارادها والعبادة لمن اعتمدها واستزادها ولما كان بعض الكفرة ينسب الافعال
كما مضى للطبائع ويجعلها بغير اختيار قال حسنا نفعا او معللا مؤكدا **ان الله** اي ذا الجلال والاكرام **لذو فضل** اي عظيم
جدا باختياره **على الناس** اي كافة باختلاف الليل والنهار وما يحتويان عليه من المنافع ولما بلغت هذه الآيات
من الدلالة على الوحدانية والبعث ونفي امر الطبائع حدا قل ان يوجد في غيرها فكان المخالف لذلك مذموما غاية الذم
فكان التعميم بالذم للمخالفين واقعا في او في محاله وكان الاسم قد يراد به بعض مدلوله وكان المراد هنا التعميم اظهر لافهام
ارادة ذلك وكم يضمر وليتعلق الحكم بالوصف المفهم للنوس المشير الى صاحبه ناص عن درجة اولي الاسنان المؤمنين
ليعلم ان هذا النوع مطبوع على ذلك فقال **ولكن اكثر الناس** اي بما لهم من الاضطراب وعدم الثبات في لزوم الصواب
لا يشكرون فينسبون افعاله سبحانه الى غيره جهلا او يعملون بما يسلب عنهم اسم الشكر من الشرك وغيره ويجوز ان يكون
المراد بالناس اولا كل من يأتي منه النوس وهو كل من برز الى الوجود وبهم ثانيا الجن والانس والله اعلم ولما
ثبت بآية الخافقين وآية الملوين ثبوتا لا شك فيه اصلا شمول العزة بالاختيار قال معظما باداة البعد ومبهما الجمع
ذلكم اي ايها المخاطبون الواحد القهار العظيم الشان الذي علم بما ذكر من افعاله انه لا يشاركه احد **الله** اي الملك
الاعظم المعلوم لكل احد المتميز عن كل شيء بالافعال التي لا يشاركه فيها احد ولذلك قال **ربكم** اي المربي لكم بقدرته
واختياره المنفرد بربوبيتكم لا رب لكم سواه ولما كان في سياق الامتنان بالنعم للدلالة على الساعة التي
ينكرونها ويجادلون في امرها قدم الخلق على التهليل فقال **خالق كل شيء** اي غاية من تمام قدرته بابداع الخافقين تارتين
والملوين متعاقبين دائبين ولا مانع له من اعادتنا لتغليبه **لا اله الا هو** بل كان ذلك واجبا في الحكمة لان المنعم عليهم
انقسموا الى شاكر وكافر فوجب في الحكمة اقامة الساعة للفصل بينهم وجا ذلك على ترتيب مطلع السورة فان العزيز ناظر
الى كمال القدرة على الايجاد والاعدام والعليم هو المتوحد بكمال الذات فان احاطة العلم تستلزم كل كمال والقدرة
والقدرة قد لا تستلزم العلم كما للحيوانات العجم وهذا بخلاف ما مضى في آية الانعام فان السياق هناك لانكار الشرك
واثبات الوحدانية بما دل عليه من عموم الخلق طبق ما مضى نصا في مطلعها ولما انتجت هذه الاخبار التي كل منها
معجز لما قبله بكونه كالعلة له الوحدانية المطلقة اللازم منها كل كمال سبب عنها قوله منكرا عليهم **فانى** اي فكيف
ومن اي وجه **تؤفكون** اي تقلبون عن وجوه الادلة الى اقفائها فتعبدون الاوثان وتجادلون في الساعة التي يلزم من الطعن فيها
الطعن في الحكمة التي الطعن فيها طعن في الالهية التي الطعن فيها طعن في وجود هذا الوجود ومكابرة فيه وذلك يعود
الى سقوط المتكلم به بكل اعتبار لمكابرته في المشاهد المحسوس وفي المعقول المركوز في جميع النفوس ولما
كشف هذا السياق عن ان هذا الصرف امر لا يقدم عليه عاقل كان كانه قيل هل وقع لاحد غير هؤلاء مثل هذا
التعجب فقال بقوله **كذلك** اي مثل هذا الصرف الغريب البعيد عن مناهج العقلا **يؤفك** اي يصرف صرفا سيئا بناه للمفعول
اشارة الى تمام قدرته عليه بكل سبب كان ولانه المتعجب منه **الذين كانوا** اي مطبوعين على انهم **بآيات الله** اي ذي
الجلال والجمال **يجحدون** اي ينكرون عنادا ومكابرة فدل هذا على ان كل من تكبر عن حق فانكره مع علمه به عوقب بمسخ
القلب وعكس الفهم فصار له الصرف عن وجوه الدلايل الى اقفائها ديدنا بحيث يموت كافرا ان لم يتداركه الله برحمة
منه ولما تقرر انه سبحانه ربنا وحده وان مدعي ربوبية ما سواه معاند لانه سبحانه متميز بافعاله التي
لا يشاركه فيها احد دل على ذلك بوجه مركوز في الطباع صحته واضح في العقول معرفته كالمعلل لتسمية هذا الانكار
جحودا افعال الدال الا بالخافقين بعد الدلالة بما نشا عنهما من الملوين واخر هذا لانه مع كونه اجلى سبب بقرار به الارض
وثلاثة السما لزوال ما حصل فيه من الاختلاف فقال **الله** اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي **الذي جعل** اي وحده
لكم الارض اي مع كونها في غاية الثقل ولا ممسك لها سوى قدرته **قرارا** مع كونها فراشا ممهدا **والسماء** على علوها
وسعتها مع كونها افلاكا دائرة بنجوم طول الزمان سايرة ينشا عنها الليل والنهار والاظلام والابصار **بناء** مظلة

لكم الجمع

كالقبة من غير عماد حامل ومن المعلوم لكل ذي عقل ان الاجسام الثقيلة تقتضي بطبعها تراص بعضها على بعض فلا يمنع بعضها
من السقوط على بعض الا بعوق وقسر فالاية من الاحتباك ذكر القرار اولا دليلا على الدوران ثانيا والبنا ثانيا دليلا
على القرار اولا ولما ذكر المسكن ذكر الساكن دالا على انه الفاعل في الكل باختياره وتمام قدرته بتصويره الانسان
بصورة لا تشبهها صورة شي من الحيوانات وفاوت بين افراده في هيئة تلك الصورة على انحا لا تكاد تنضبط في
نفسها ولا تشبه واحدة منها الاخرى ولا في الخافقين شي يشبهها بحال تصويرها عليه فقال وصوركم والتصوير
على غير نظام واحد لا يكون الا بقدرة قادر تام القدرة مختار لا كما يقول اهل الطبائع فاحسن صوركم على اشكال
واحوال مع انها احسن الصور ليس في الوجود ما يشبهها وليس فيها صورة تشبه الاخرى لتسند الى الطباع تصويرها
اليه فثبت قطعا انه هو المصور سبحانه على غير مثال كما انه الذي ابدع الوجود كله كذلك ولما ذكر المسكن
والساكن ذكر ما يحتاج اليه في مدة السكن فقال ورزقكم من الطيبات الشهية الملائمة للطباع النافعة على وجه لا
احتياج معه بوجه فلا دليل ادل على تمام العلم وشمول القدرة ووجود الاختيار من هذا التدبير في حفظ المسكن والتقد
وتدبير ما به البقا على وجه يكفي الساكن من جميع الوجوه على مر السنين وتعاقب الازمان وبث من الساكن مع انه قطعة
يسيرة جدا من اديم الارض انسا لا تسعهم ثم شعبا فرعها الى فروع لا تسعها الارض فدبر بحكمته وسعة علمه وقدرته
تدبيرا وسع لهم به الارض وعمهم به الرزق كما روى الامام احمد في كتاب الزهد عن الحسن انه قال لما خلق الله ادم عليه
السلام وذريته قالت الملائكة عليهم السلام ان الارض لا تسعهم قال فاني جاعل موتا قالوا اذا لا يهنؤهم العيش
قال فاني جاعل املا ولما دل هذا قطعا على التفرد قال على وجه الانتاج ذلكم اي الرفيع الدرجات الله اي المالك
لجميع الملك وكلهم على ما مضى من تربيتهم وما فيها من بديع الصنايع فقال ربكم اي لا غيره ولما افاد هذا الدليل
تربية لا مثل لها دالة على احاطة العلم وتمام القدرة فانها على وجه لا حاجة معه مع حسنه وثباته تسبب عنه
ولا بد قوله فتبارك اي ثبت ثباتا عظيما مع اليمن والخير وحسن المدد والفيض الله اي المختص بالكمال ورقي الخطاب
وعظم ايضاحا للدلالة فقال رب العالمين كلهم انتم وغيركم ثم دل على ما افاده الدليل معللا بقوله هو اي وحده الحي
وكل ما عداه لا حياة له لانه ليس له من ذاته الا العدم فانتج ذلك قطعا قوله لا اله الا هو فتسبب عنه قوله
فادعوه اي وحده بالقول والفعل على وجه العبادة مخلصين له الدين اي من كل شرك جلي او خفي ولما امر بقصر
المنعم عليه علله بقوله الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال واظهر موضع الاضمار اشارة الى ان من الصفات العلا ما
لا ينحصر فقال لله اي المسمى بهذا الاسم الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى لذاته ولما كان هذا الوجود على
ما هو عليه من النظام وبديع الارتسام دالا دلالة قطعية على الحمد قال واصفا بما هو كالعلة للعلم بمضمون الخبر رب
العالمين اي الذي رباهم هذه التربية فانه لا يكون الا كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من قال لا اله الا الله
فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين ولما امر سبحانه بما دل على استحقاقه اياه انتج قطعا قوله قل اي لهؤلاء
الذين يجادلونك في التوحيد والبعث مقابلا لانكارهم بالتاكيد اني نهيت اي ممن لا نهي لغيره نهيا عاما ببراهين العقل
وخاصا بادلة النقل ان اعبد ولما اهلوهم لاعلى المقامات عبر عنهم ارخاء للعنان بقوله الذين
تدعون اي تؤهلونهم لان تدعوهم ودل على سفولهم بقوله من دون الله اي الذي له الكمال كله ودل على انه ما كان متعبدا
قبل البعث بشرع احد بقوله لما جاءني البينات اي الحجج الواضحة من ادلة العقل والنقل ولفت القول الى صفة
الاحسان تنبيها على انه كما يستحق الافراد بالعبادة لذاته يستحقها شكرا لاحسانه فقال من ربي اي المربي لي تربية
خاصة هي اعلى من تربية كل مخلوق سواي فلذلك انا اعبد عبادة تفوق عبادة كل عابد ولما اخبر بما تخلى
عنه اتبعه الاخبار بما تحلى به فقال وامرت ان اسلم اي بان اجدد اسلامي كليتي في كل وقت على سبيل الدوام ورقى اللسان
لاستحقاقه الشكر على سائر الخلق فقال لرب العالمين لان كل ما سواه مربوب فالاقبال عليه خسار واذا نهي هو صلى الله
عليه وسلم عن ذلك وامر بهذا الكون الامر والناهي ربه لانه رب كل شي كان غيره مشاركا له في ذلك لا محالة ولما كانت
الادلة وسطعت الحجج على انه سبحانه رب العالمين الذين من جملتهم المخاطبون ولا حكم للطبيعة ولا غيرها اتبع ذلك اية اخرى
في انفسهم هي اظهر مما مضى فوصل به على طريق العلة لما ركبهم له صلى الله عليه وسلم في الامر والنهي في التي قبلها قوله
هو اي لا غيره الذي ولما كان الوصف بالتربية ماضيا عبر عنه به فقال خلقكم من تراب اي اصلكم واكلكم
الذي تربى به اجسادكم ثم من نطفة من مني يمنى ثم من علقة ماعد حالها حال النطفة كما كان حال النطفة مباعدا لحال
التراب ثم بعد ان جرت شؤون اخرى يخرجكم اي يجدد اخراجكم شيئا بعد شي طفلا لا تملكون شيئا ولا تعلمون شيئا ثم
يدرجكم في مدارج التربية صاعدين بالقوة في اوج الكمال طورا بعد طور وحالا بعد حال لتبلغوا اشدكم ثم يهبطكم

بالضعف

لتكونوا شيوخا ضعفا عزبا قد ماتت اقرانكم ووهت اركانكم فصرتم تخشون
بالضعف والوهن في مهاوي السفول ولما كان هذا مفهما لانه حال الكل بين انه ما اريد به الا البعض لان المخاطب الجنس وهو يتناول
كل احد ولما كان الموت ليس مستغرقا الزمن
البعض كما تناول الكل فقال ومنكم من يتوفى تقبض روحه وجميع معانيه
الذي بين السنين وانما هو في لحظة يسيرة مما بينهما ادخل الجار على الظرف فقال من قبل اي قبل حال الشيخوخة او
قبل حال الاشدية ولما كان المعنى لتتفاوت اعماركم واحوالكم واعمالكم عطف عليه قوله ولتبلغوا اي كل
واحد منكم اجلا مسمى اي له سماه الملك الذي وكله به في بطن امه عن اذننا وبامرنا الذي قدرناه في الازل فلا يتعداه
مرة ولا يتعدى ادراره فيتجدد للملائكة ايمان في كل زمان ولما كانت هذه الامور مقطوعا بها عند من يعلمها
وغير مرجاة عند من يجهلها فانه لا وصول للادمي بحيلة ولا فكر الى شي منها نعبر فيها بالاجر وكان التوصل بالتفكر
فيها والتدبر الى معرفة ان لا اله واحد في موضع الرجا للعاقل قال ولعلكم تعقلون اي ليقبلوا بالمفاوتة بين
الناس فيها ببراهين المشاهدة بالتقليب في اطوار الخلقة وادوار الاسنان وارجاع اواخر الاحكام على اوائلها
ان فاعل ذلك قادر مختار حكيم قهار لا يشبه شيئا ولا يشبهه شي نظم سبحانه هذا الدليل في
صنع الادمي من التراب وختمه بان دلالته على البعث باجراء سنته في ارجاع اواخر الامور على اوائلها وغير ذلك لا
يحتاج الى غير العقل انتج عنه قوله هو اي لا غيره الذي يحيي ويميت كما انتم تشاهدونه في انفسكم وكما مضى لكم الاشارة
اليه بخلق السموات والارض فان من خلقهما خلق ما بينهما من الاجال المضروبة باختلاف الليل والنهار والشهور
والاعوام لبلوغ الافلاك مواضعها ثم رجوعها عودا على بدء مثل تطوير الانسان بعد الترابية من النطفة
الى العلقة الى ما فوقها ثم رجوعه في مدارك هبوطه الى ان يصير ترابا كما كان فليست النهاية بابعد من البداية ولما
كانت ارادته لا تكون الا نافذة سبب عن ذلك قوله معبرا بالقضا فاذا قضى امرا اي اراد اي امر كان من العتبة
او غيرها فانما يقول له كن ولما كانت اداة الشرط اجابها في قراة ابن عامر بقوله فيكون وعطفها في قراة غيره
على كن بالنظر الى معناه او يكون خبر المبتدا اي فهو يكون وعبر بالمضارع تصويرا للحال واعلاما بالتجدد عند كل قضاء
وقد مضى في سورة البقرة اشباع الكلام في توجيه قراة ابن عامر بما يتبين به انها اشد من قراة غيره
علم من هذا انه لا كلفة عليه في شي من الاشيا بهذه الامور المشاهدة في انفسهم وفي الافاق انتج التعجيب من حالهم
لمن له الفهم الثاقب والبصر الوقاد وجعل ذلك من اياته الباهرة وقدرته القاهرة الظاهرة فلذلك قال
لافتا الخطاب الى اعلا الخلق لان ذم الجدال بالباطل من اجل مقصود هذه السورة الم تر اي يا انور الناس قلبا
واصفاهم لبا وبين بعدهم باداة النهاية فقال الى الذين يجادلون اي بالباطل ونبه على ما في هذه الايات من عظمته
التي لا نهاية لها باعادة الاسم الجامع فقال في ايات الله اي الملك الاعظم انى اي كيف ومن اي وجه يصرفون
عن الايات الحقة الواضحة التي سبقت بالفطرة الاولى الى جذور قلوبهم فلا حجة يوردون ولا عذاب عن انفسهم
يردون لانه سبحانه اسناهم كما قال ابن برجان بسلاسل قهره المصوغة من خالص عزماتهم وعزايم اراداتهم
من حقيقة ذواتهم الى خزي الدنيا وعذاب الاخرة ثم فصل ما جادلوا فيه واصفا لهم بما يزيد في التعجيب من
شدة جهلهم وتعاظم عماهم فقال الذين كذبوا وحذف المفعول اشارة الى عموم التكذيب بالكتاب اي بسببه
في جميع ما له من الشؤون التي تفوت الحصر والعظمة في كل امر كما اشير باداة الكمال الى انه لكماله كانه لا كتاب
غيره لان من سمعه فكانما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم لاعجازه فمن كذب بحرف منه فقد كذب بكل كتاب لله
ولما كان التكذيب به تكذيبا بجميع الرسالات الالهية اكد عظمته بذلك وبالاضافة الى مظهر العظمة
تحذيرا للمكذبين من سطواته وتذكيرا لهم بان العمل مع الرسول عمل مع من ارسله فلذا التفت الكلام عن الاسم الجامع
لصفتي الجلال والاكرام فقال وبما ارسلنا اي على ما لنا من العظمة به رسلنا من جميع الملل والشرائع
بكتاب كان وبغيره وهو بحيث لا يحاط بكنه جلاله وعظمة حاله ولذا تسبب عنه تهديدهم في قوله فسوف
يعلمون اي بوعيد صادق لا خلف فيه ما يحل بهم من سطواتنا ولما كانوا في الدنيا قد جمعت ايديهم الى اذقانهم
بجوامع السطوة ثم وصلت بسلاسل القهر فيساقون بها عن مقام الظفر بالنجاح الى اهويات الكفر باللجاج الى الباطل
ومهاوي الضلال المبين كما قال تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الاية فجعل باطن تلك السلاسل الدنيوية
والاغلال ظاهرا في ذلك المجمع قال اذ اي حين يكون الاغلال جمع غل قال في ديوان الادب هو الذي يعذب به
الانسان وقال القزاز الغل من الحديد معروف ويكون من القد وقال في النهاية هو الحديدة التي تجمع يد الاسير الى
عنقه ويقال لها جامعة ايضا انتهى واصله الادخال يدخل فيه العنق واليد فيجمعان به وقال معنى قول
الصغاني في مجمع البحرين في رقبته غل من حديد وقد غلت يده الى عنقه في اعناقهم اي جامعة لايديهم الى تراقيهم

وعبر باذ ومعناها المضي مع سوف ومعناها الاستقبال لان التعبير بالمضي انما هو اشارة الى تحقق الامر مع كونه مستقبلا **والسلاسل** اى في اعناقهم ايضا يقيدهم ذلك عن كل تصرف لكونهم لم يتقيدوا باحكام الرسول والسلسلة من تسلسل الشي اضطرب قال الراغب كانه تصور منه تسلسل متردد فردد لفظه تنبيها على تردد معناه وماء سلسل متردد في مقره حتى صفا حال كونهم **يسحبون** اى بها والسحب الجر بعنف **في الحميم** اى الماء الحار الحاضر الذى يكسب الوجوه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا والقلوب هما واللحوم ذوبانا واعصارا وذلك عوض ترفيعهم لانفسهم عن تعبها باسباب الادلة الواضحات في كلف العبادات ومرارات المجاهدات وحرارات المنازلات ولما اخبر عن تعذيبهم بالماء الحار الذى من شانه ان يضيق الانفاس ويضعف القوى ويحبث القلوب اخبر بما هو فوق ذلك فقال **ثم في النار** اى عذابها خاصة **يسجرون** اى يلقون فيها وتوقد بهم مكردسين مركومين كما يسجر التنور بالحطب اى يملا وتهيج ناره وكما يسجر اى يصب الماء في الحلق فيملونها فتحمى بهم ويشتد اضطرامها لكونهم كانوا في الدنيا وقود المعاصي والفتن بهم تلتهب وتوقدها ويقوى عودها ويثبت عمودها لانهم لم يلقوا انفسهم في نيران الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومخالفات الشهوات في ابواب الاوامر والنواهي التى هي في الظاهر نيران وفي الحقيقة جنان ولما كان المدعو اغا يدخر لاوقات الشدائد قال موبخا لهم منه ما مفتحا لناصر نظرهم لانفسهم بانيا للمفعول لان المنكى هذا القول لا طلقا لاكونه من قائل معين **ثم قيل لهم** اى بعد ان طال عذابهم وبلغ منهم كل مبلغ ولم يجدوا ناصرا يخلصهم ولا شافعا يخصهم **اين** والتعبير عنهم باداة ما لا يعقل لحكم مواضعه في قوله **ما كنتم** اى دائما **تشركون** اى بدعائكم لهم في مهماتكم دعاء عبادة مع تجديدها في كل وقت ثم بين سفولهم بقوله لادنيا التول عن مظهر العظمة الى الاعظم منه فقال **من دون الله** اى المحيط بجميع العز وكل العظمة لتطلبوا تخليصكم مما انتم فيه او تخففه **قالوا** اى مسترسلين مع الفطرة الاولى على الصدق **ضلوا عنا** فلا نراهم كما ضللنا نحن في الدنيا عما ينفعنا ولما راوا ان صدقهم قد اوجب اعترافهم بالشرك دعتهم ردآءة المكر ورداءة الطباع الى الكذب فاسترسلوا معهما فبادروا الى ان اظهروا الغلط فقالوا ملبسين على من يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ظانين ان ذلك ينفعهم كما كان ينفعهم عند المومنين في دار الدنيا **بل لم نكن ندعوا** اى لم يكن ذلك في طباعنا ولما كان مرادهم نفي دعائهم لهم اصلا ورأسا في لحظة مما فوقها لا النفي المقيد بالاستغراق فانه لا ينفي ما دونه اثبتوا الجار فقالوا **من قبل** اى قبل هذه الاعادة **شيئا** لنكون قد اشركنا به فلا يقدر بهم الله الا على ما يريد في ضربهم ويضاعف ندمهم ويوجب لعن انفسهم ولعن بعضهم بعضا بحيث لا يزالون في ندم كما كان حالهم في الدنيا انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون فالاية من الاحتباك ذكر الاشراك اولا دليلا على نفيه له ثانيا والدعاء ثانيا دليلا على تقديره اولا ولما كان هذا في غاية الاعجاب من ضلالهم كان كانه قيل هل يضل احد من الخلق ضلال هولاء فاجيب بقوله **كذلك** اى نعم مثل هذا الضلال البعيد عن الصواب **يضل الله** اى المحيط علما وقدرة عن القصد النافع من حجة وغيرها **الكافرين** اى الذين ستروا مرائي بصائرهم لئلا يتجلى فيها الحق ثم صار ذلك ديدنا ولما تم جواب السؤال عن التعجب من هذا الضلال رجع الى خطاب الضلال فقال معظما لما ذكر من جزائهم باداة البعد وميم الجمع نصا على تقريع كل منهم **ذلكم** اى الجزاء العظيم المراتب الصعب المراكب الضخم المواكب **بما كنتم** اى دائما **تفرحون** اى تبالغون في السرور وتستغرقون فيه وتضعفون عن حمله للاعراض عن العواقب ولما كانت الارض سجنا فهي في الحقيقة دار الاحزان حسن قوله **في الارض** اى تفعلون فيها ضد ما وضعت له وزاد ذلك حسنا قوله **بغير الحق** فاشعر ان السرور لا ينبغي الا اذا كان مع كمال هذه الحقيقة وهي الثبات دائما للمفروح به وذلك لا يكون الا في الجنة **وبما** اى وبسبب ما **كنتم تمرحون** اى تبالغون في الفرح مع الاشر والبطر والنشاط الموجب للاختيال والتبختر والخفة بعدم احتمال الفرح ولما كان السياق لذم الجدال وكان الجدال انما يكون عن الكبر وكان الفرح غير ملازم للكبر لم يسبب دخول النار عنه بالجملة كالنتيجة لجميع ما مضى فقال **ادخلوا** اى ايها المكذبون ولما كان في النار انواع من العذاب دل على تعذيبهم بكل نوع منها بذكرالابواب جزاء على ما كانوا يخوضون بجدالهم في كل نوع من انواع الاباطيل فقال **ابواب جهنم** اى الدركة التي تلقى صاحبها بتكبر وعبوسة وتجهم **خالدين فيها** اى لازمين لما شرعتم فيه بالدخول من الاقامة لدوما لا براح منه اصلا ولما كانت نهاية في البشاعة والخزي والسوء وكان دخولهم فيها مقرونا بخلودهم سببا لتحوانهم قال فهي مثواكم تسبب عنه قوله **فبئس مثوى** دون ان مدخل **المتكبرين** اى موضع اقامتهم المحكوم بلزومهم اياه لكونهم تعاطوا ما ليس لهم وما ينبغي ان يكون الا لله الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعنيهما قصمته ولم يؤكد جملة بئس هنا لان معناه ولنهم هذه مبنية على تحد دعلمهم في الاخرة باحوال النار واحوال ما سببها والتاكيد يكون للمذكر ومن في عداده وحال كل منهما مناف للعلم وزاده للحسنا ان اصل الكلام مع الاعلم للسر الذى نعته مرصلي الله عليه وسلم فبعده حد آمن التاكيد ولما كان في هذا الجزاء اعظم الشماتة بهم فكان فيه اعظم التسلية لمن جادلوه وتكبروا عليه تسبب عنه قوله **فاصبر** اى ارتقابا لهذا النصر ثم علل بقوله مؤكدا لاجل تكذيبهم

بالوعد

بالوعد **ان وعد الله** اى الجامع لصفات الكمال **حق** اى في نصرتك في الدارين فلا بد من وقوعه وفيه اعظم تاسية لك ولذلك سبب عنه مع صرف القول الى ما يأتي بالاعتراض اشارة الى انه لا يسئل عما يفعل قوله **فاما نرينك** واكد بما والنون ومظهر العظمة لانكارهم لنصرته عليهم ولبعثهم **بعض الذي نعدهم** اى بما لنا من العظمة بما يسرك فيهم من عذاب او متابقتل وذلك هو ذكر فعل الشرط وحذف جوابه للعلم به عطف عليه قوله **او نتوفينك** اى قبل ذلك ولما ذلك البنا ونحو علينا هين **فالينا** اى بما لنا من العظمة **يرجعون** اى معنى في الدنيا فنريهم بعد وفاتك من نصرنا ان ترى ذلك النيهم واجابة هذا المعطوف بقوله فالينا اى بما لنا من العظمة يرجعون اصحابك عليهم ما يسرك به في برزخك فانه لا يبقا لجولة باطلهم وحسنا في القيمة فنريك فيهم فوق ما تومل من النصرة المتضمنة لتصديقك وتكذيبهم واكرامك واهانتهم والاية من الاحتباك ذكر الوفاة ثانيا دليلا على حذفها اولا والروية اولا دليلا على حذفها ثانيا ولما قسم له سبحانه الحال الى اصابتهم او وفاته صلى الله عليه وسلم وكان قد بقى مما يوافق عينه واشفى لصدره ان يريهم في حياته انه يلجيهم الى الايمان ويحملهم على الموافقة والاذعان فيزول النزاع بحسن الاتباع كما وقع لقوم يونس عليه السلام قال عاطفا على ما تقديره في تعليل الامر بالصبر فلقد ارسلناك اليهم ولتنفذن امرنا فيهم وانما انت ما عليك الا البلاغ ولما كان الارسال انما هو في بعض الزمان الماضي وان كان بلوغ رسالته كل من بعده موجبا لانسحاب حكم رسالته الى مجي الرسول الذى يقفوه اثبت الجار لارادة الحقيقة فقال **ولقد ارسلنا** اى على ما لنا من العظمة **رسلا** اى بكثرة **من قبلك** اى الى اممهم ليبلغوا عنا ما امرناهم به **منهم من قصصنا** اى بما لنا من الاحاطة **عليك** لا اخبارهم **ومنهم من لم نقصص عليك** اخبار اممهم ولا ذكرناهم لك باسمائهم **وما** اى ارسلناهم والحال انه **ما كان لرسول** اصلا **ان ياتي باية** ملجئة او غير ملجئة مما يطلب الرسول استعجالا لاتباع قومه له او اقتراحا من قومه عليه او غير ذلك مما كادوا به قومه او يسلمونه او ينقادون وصرف الكلام عن المظهر المشير فيه الى القهر الى ما فيه مع الاهانة الاكرام فقال **الا باذن الله** اى بامره وتمكينه فان له الاحاطة بكل شي فلا يخرج شي عن امره فان لم ياذن في ذلك رضوا وسلموا وصبروا واحتسبوا وان اذن في شي من ذلك من عذاب وآية ملجئة او غير ذلك جاءهم ما اذن فيه **فاذا جاء** وزاد الامر عظما المزيد الحوف والرجاء بالاظهار دون الاضمار فقال **امر الله** اى المحيط بكل شي قدرة وعلما وامره ما توعد به من العذاب عند العناد بعد الاجابة الى المقترح ومن القيمة وما فيها وتكرير الاسم الاعظم لتعظيم المقام باستحضار ما له من صفات الجلال والاكرام ولبيان ما اراد ولنومه عبر عنه بالقضاء فقال مشعرا بصيغة المفعول بغاية السهولة **قضي** اى بامره على ايسر وجه واسهله **بالحق** اى الامر الثابت الذى يطابقه ما لوعد به وحكم بثبوته من اهلاك ناس وانجاء آخرين وايمان قوم وكفر آخرين هذا كله هو الذى اجرى سبحانه سنته القديمة بثبوته واما الفضل من الامهال والتطول بالنعم فانما هو قبل الاجابة الى المقترحات والدليل على ان هذا من مراد الاية ما يأتي من قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وما اشبهه **وخسر** اى هلك او تحقق وتبين بالمشاهدة انه خسر **هنالك** اى في ذلك الوقت العظيم بعظمة ما انزلنا فيه ظرف مكان استعير للزمان ايذانا بغاية الثبات والتمكن في الخسار تمكن الجالس **المبطلون** اى المنسوبون الى ايثار الباطل على الحق اما باقتراح الآيات مع اتيانهم بما يغنيهم عنها وتسميتهم له سحرا او بغير ذلك اما بقسرهم على الرجوع عما هم فيه من العناد من غير اذعان واما بالهلاك واما بادحاض الحجج والحكم عليهم بالغلبة ثم النار ولو بعد حين ومن هذه الآية اخذ سبحانه في رد مقطع السورة على مطلعها فهذه الآية ناظرة الى وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وما كان لرسول ان ياتي باية الى وجادلوا بالباطل وافلم يسيروا في الارض الى فاخذتهم فكيف كان عقاب وهذا وما بعده مما اشتمل عليه من الحكمة والقدرة الى الثلاث الآيات الاول ولما كان المبطلون ليسوا اشد نفرة ولا اقوى من بعض الحيوانات العجم دل على ما اخبر به من نافذ تصرفه فيهم بقوله مذكرا لهم بنعمته مستعطفا الى طاعته دالا على التوحيد بعد تدليلهم بالوجود مظهرا الاسم الجامع اشارة الى ان ما في هذه الآية من الدلالات لا يحصى **الله** اى الملك الاعظم **الذي جعل لكم** لا غيره **الانعام** اى الازواج الثمانية بالتذليل والتسخير **لتركبوا منها** وهي الابل مع قوتها ونفرتها والتعبير باللام في الركوب مطلقا ثم فيه مقيدا ببلوغ الاماكن الشاسعة اشارة الى ان ذلك هو المقصود منها بالذات وهو الذى اقتضى تركيبها على ما هي عليه فنشا منه بقية المنافع فكانت تابعة ولما كان الاقتيات منها في عظيم نفعه وكرمته وسهولته بحيث لا يناسبه غيره عد العدم فقال تعالى **ومنها** اى من الانعام كلها **تاكلون** بتقديم الجار ولما كان التصرف فيها غير منضبط اجمله بقوله **ولكم فيها** اى كلها **منافع** اى كثيرة بغير ذلك من الزبد والوبر والصوف وغيرها ولما كان سوقها وبلوغ الاماكن الشاسعة عليها في اقرب مدة لنيل الامور الهائلة عظيم الجدوى جدا نبه على عظمته بقطعه عما قبله باجمال المنافع ثم تفصيلها منها فقال **ولتبلغوا** اى مستعلين **عليها** وهي في غاية الذل والطواعية ونبههم على نقصهم وعظيم نعمته عليهم بقوله **حاجة** اى جنس الحاجة

كان في

مقام التعظيم لنعمه لانه في سياق الامتنان واظهار القدرة وحدها وجمع ما تضمرونه فقال في صدوركم اشارة الى ال
حاجة واحدة ضاقت عنها قلوب الجميع حتى فاضت منها فملأت مساكنها ولما كان الحمل يكون مع مطلق الاستعلا
سواء كان على اعلا الشيء او لا بخلاف الركوب قال معبرا باداة الاستعلاء فيهما وفي الفلك غير سفينة نوح عليه السلام فانها
كانت مغطاة كما حكي فكانوا في بطنها لا على ظهرها وعليها اي في البر وعلى الفلك اي في البحر تحملون اي تحمل لكم امتعتكم فان
حمل الانسان نفسه تقدم بالركوب واشار بالبناء للمفعول الى انه سخر ذلك تسخيرا عظيما لا يحتاج معه الى علاج في نفس
الحمل ولما كانت هذه اية عظيمة جعلها سبحانه مشتملة على ايات كثيرة عبر فيها بالماضي وعطف بالمضارع
تنبيها على التجدد على ما تقدم فاراكم هذه الايات البينات منها قوله ويريكم اي في كل لحظة آياته اي الكثيرة الكبيرة
فيها وفي غيرها من انفسكم ومن الافاق ودل على كثرة الايات وعظمتها باسقاط تاء التانيث كما هو المستفيض في غير النداء
وباظهار الاسم الاعظم في قوله فاي آيات الله اي المحيط بصفات الكمال تنكرون حتى تتوجه لكم المجادلة في اياته التي
هي اوضحها البعث ولما وصل الامر الى حد من الوضوح لا يخفى على احد تسبب عنه لفت الخطاب عنهم دلالة على
الغضب الموجب للعقاب المقتضي للذهاب فقال افلم يسيروا اي هؤلاء الذين هم اضل من الانعام في الارض اي ارض كانت سير
اعتبار فينظروا نظر ادكار فيما سلكوه من سبلها ونواحيها ونبه على زيادة العظمة فيما حثهم على النظر فيه بسوقه
مساق الاستفهام تنبيها على خروجه عن امثاله ومباينته لاشكاله بقوله كيف كان عاقبة اي اخر امر الذين ولما
كانوا لا يقدرون على استغراق نظر جميع الارض واثار جميع اهلها نبه بالجار على ما تيسر فقال من قبلهم اي مع قرب الزمان
والمكان ولما كانوا معتمدين في مغالبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومجادلته بالباطل في الايات الظاهرة على كثرتهم
وقوتهم وقلة اصحابه مع ضعفهم وكان قد تقدم الانكار عليهم في المجادلة لاظهار الحق وعظم التنكير عليهم بعدم النظر
عند المسير في الارض باعين الاعتبار في الاثار من المساكن والديار لمن مضى من الاشرار واثبت لهم الاشدية وانها
لم تغن عنهم وذكر فرعون وما كان له من المكنة بالمال والرجال وانه اخذه اخذة صارت مثلا من الامثال وكان قد
بقي مما قد يتعلل به في المغالبة الكثرة من ذكرها مضمومة الى الشدة تاكيدا لمضمون الخبر في انه لا امر لاحد مع امره فكانه قيل
جوابا لمن يقول ما كانت عاقبتهم فقال كانوا اي دائما كما في جبلاتهم من دواعيه اي عددا اضعافا مضاعفة ولا سيما
قوم نوح عليه السلام واشد قوة في الابدان كقوم هود عليه السلام الذين قالوا كما ياتي في التي بعدها من اشد منا قوة
واثارا في الارض بنحت البيوت في الجبال وحفر الابار واستنباط المياه وبناء المصانع الجليلة وغير ذلك ولما
كان التقدير فبطروا فاهلكهم الله بسبب غرورهم وشدتهم في قوتهم قوله نافيا صريحا ويكون استفهاما انكاريا فما اي اي
شيء لم يغن عنهم شيئا من الغنى ما كانوا اي دائما كما في جبلاتهم من دواعيه يكسبون بقوة ابدانهم وعظم عقولهم واحتيالهم
فما اكسبنا المعنى فلما جاءتهم رسلهم اي الذين ارسلناهم اليهم وهم منهم يعرفون صدقهم وامانتهم بالبينات اي الدالة على
صدقهم لا محالة فرحوا اي القوم الموصوفون بما عندهم من العلم الذي اثروا به تلك الاثار في الارض من استنباط المياه وجر
الاثقال وهندسة الابنية ومعرفة الاقاليم وارصاد الكواكب لاجل معرفة احوال المعايش وغير ذلك من ظواهر العلوم
المؤدية الى التفاخر والتعاظم والتكاثر وقواطع الوهم وتقيدا بالحاضر من الدنيا من علم ظاهر الحياة الدنيا وقناعة
بالفاني كما قال في التي قبلها ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم وكما قال قارون لما قيل له واحسن كما احسن الله اليك
انما اوتيته على علم عندي وفرحهم به لانه اداهم الى التوسع في الدنيا والتلذذ بما فيها واستهزؤوا بما اتتهم به الرسل
من علم الباطن الداعي الى الاعراض عن الفاني والاقبال على الباقي والخوف مما بعد الموت من الامور الغائبة والاهوال الاتية
والكوائن العظيمة المستورة بحجاب هذه الحياة الدنيا الواهي على ما فيها من الذوات والمعاني والاحوال والاوجال والذي
والذي حركهم الى الفرح بما عندهم هو ما هم فيه من الزهو مع ما يرون من تقلل الرسل واتباعهم من الدنيا واسراع المصائب
اليهم وكثرة ما يعانونه من الهموم والانكاد ويكابدونه من الانداد والاضداد فاشتد استهزاؤهم بهم وبما اتوا به
لعدهم ذلك محالا وباطلا وضلالا وكانوا لا ينفكون من فعل الفرح الاشر البطر بالتضاحك والتمايل كما قال تعالى
فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون ونصبوا للرسل واتباعهم المكايد واحاطوا بهم المكر والغوائل وهموا باخذهم
فانجينا رسلنا ومن امن معهم واتيناهم بما ازال فرحهم واطال غمهم وترحهم وحاق اي احاط على وجه الشدة بهم ما كانوا
اي عادة مستمرة ولما كان استهزاؤهم بالحق عظيما جدا اعد استهزاءهم بغيره عدما واشار الى ذلك بتقديم الجار
فقال به يستهزؤون من الوعيد الذي كانوا قاطعين ببطلانه فعلم قطعا انه انما يفرح من العلم بما تضمن النجاة والسعادة
الابدية على ان سوق الكلام هكذا املى بالاستهزاء بهم والتهكم عليهم لانهم نصبوا انفسهم منصب العالم المطيق المنطيق الذي
اذا غلب خصمه فاسكته والقمه الحجر فاخرسه والجمه بواضح الحجة وقويم المحجة ظهر عليه السرور وغلبه الفرح فان عاند

اكثر منهم

حجة

حجة ووقف مع وهمه استهزاء به وتضاحك منه هذا مع ما عندهم من عمايات الجهل التي لا يقدرون على انكارها بدليل
اعتراف هؤلاء الذين ارسل اليهم هذا النبي الكريم ان اهل الكتاب اعلم منهم فكانوا يوجهون ركابهم الى اليهود يسألو
عن امرهم وامرهم على انه قد اتاهم بما يعلي به قدرهم على اهل الكتاب ويجعلهم المخصوصين بالسيادة على مر الاحقاب
وهم يأتون بمجادلتهم بالباطل استغوالا واعراضا عن الصواب وعدولا ونكوصا ونكولا والاية مرشدة الى انه
لا يعلم الانسان ظن من نفسه القصور ولهذا كان قبل شيء للعلم الصغار والاية من الاحتباك اثبات الفرح اولا دليل
على حذف ضده ثانيا واثبات الاستهزاء ثانيا دليل على حذف مثله اولا ولما كانت هذه السورة في بيان العز
التي هي نتيجة كمال العلم وشمول القدرة وكان عظم العز بحسب عظمة الماخوذ بها المعاند لها كرر ذكر المجادلة في هذه
السورة تكريرا اذن بذلك فقال في اولها ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا ثم دل على انهم ماخوذون من غير ان
يغني عنهم جدالهم الذي انتجه ضلالهم وعلى توابع ذلك ترغيبا وترهيبا الى ان قال هو الذي يريكم اياته وذكر بعض ما اشتد
التهمية حتى سقطت غرابته عندهم فنبههم على ما لهم فيه ليكفهم عن الجدال ويغنوا به عن اقتراح غيره ثم ذكر قصة موسى
عليه السلام مذكرا لهم ما حصل من تعذيب المكذبين المجادلين بغيه ونوع ما اقترحوا من الايات بقولهم فات باية ان كنت من
من الصادقين ومضى يذكر ومنه رو يجدد في تلك الاساليب التي هي امضى من السيوف واحلى من الشوق في الصحو دون
كسوف حتى قال الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا ثم شرع في اتمام
قصة موسى عليه السلام الى ان قال ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه
ثم شرع يعدد الايات العظيمة التي تابى لشدة وضوحها جدال المجادل وضلال المماحل لولا انه قد اخرجه
شدة الالف لها من حيز الغرابة من خلق الخافقين وتكوير الملوين وبسط الارض ورفع السماء وتصوير الانسان في
وما فيه من عظيم الشان فكشف ستورها وبين دلالتها وظهورها ولفت الكلام الى تهديد المجادلين بقوله منكرا
عليهم الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون على عادة البلغاء في انه اذا اخرس احدهم خصمه بما هو من حججه
كالشمس نورا وطلعة وظهورا انكر بالاستفهام الذي هو امر من وقع السهام فلما ثبت بذلك عنادهم وغلظتهم
وتوتهم في لددهم واشتدادهم بين حالهم بذلهم عند ما بدا لهم وبال امرهم وحان ان ينزل عليهم اثقال العذاب
الغالبة للقوى فحلت ما احكموا عقده من شرهم فقال مسببا ما اجمل من الجيش مسببا عنه لانتقال القول الى مظهر
العظمة ترهيبا فلما راوا اي عاينوا باسنا اي هذا البناء الشديد على ماله من العظمة التي اذنت بها نسبته الينا
وصدوره عنا قالوا امنا بالله اي الذي له مجامع العظمة ومعاقد العز ونفوذ الكلمة لما ظهر لنا في هذا الباس
من غير اشكال ولا التباس واكدوا ذلك نافين لما كانوا فيه من الشرك بقولهم وحده ودل على انحلال عزائمهم ووهي قواهم
بزيادة التصريح في قولهم وكفرنا بما كنا اي جبلة وطبعا به مشركين لانا علمنا انه لا يغني من دون الله شيء ولما
كان الكفر بالغيب سببا لعدم قبول الايمان عند الشهادة قال فلم يك اي لم يصح ولم يقبل بوجه
من الوجوه لانه لا كون يساعد على ذلك ولا بادي درجات الكون فاشار بكان الى ان هذا امر مستقر وشان مستمر
لكل امة ليس خاصا بالمحدث عنهم ومن مضى قبلهم وبحذف لام الكلمة الى انهم امعنوا في النفي بتقرير الايمان
وتكريره وتصريحه في اطلاقه وتشريحه والوقت ضيق والمجال حصر وقد ازفت الازفة ليس لها من دون الله
كاشفة فلم يكونوا العوان الوقت موفين بما طلب منهم ينفعهم ايمانهم اي يتجدد لهم نفعه بعد ذلك لانه ايمان
الجاء واضطرار لا ايمان طواعية واختيار لما راوا واظهر موضع الاضمار زيادة في الترهيب فقال باسنا لان
الايمان لا يتحقق ولا يتصور الا مع الغيب واما عند الشهادة فقد كشفت سريرته على انه قد فاتت حقيقته وصورته
فلو ردوا لعادوا ولو اتاهم بعد ذلك العذاب لانقادوا ولهذا السر قال تعالى صارفا القول الى الاسم المقتضي
لمزج الحكمة بالعظمة سنة الله اي سن الملك الاعظم المحيط علما وقدرة ذلك في كل دهر سنة ولذا قال التي
قد خلت في عباده بان الايمان بعد كشف الغطاء لا يقبل وكل امة كذبت الرسل اهلكت وكل من اجاب الى الايات
المقترحة فلم يؤمن عذب سنها سنة وامضاها عزمة فلا تغيير لها تفرج اذ ذاك المؤمنون وخسر اي هلك
او تحقق وتبين انه خسر ولما كان المكان لا ينفك عن الزمان استعير ظرفه له وليدل على غاية التمكن فقيل
هنالك اي في ذلك الوقت العظيم الشان بما كان فيه وكان الكافرون اي العريقون في هذا الوصف فلا انفكاك
بينهم وبينه فقد التفاخرها بما بين من كمال العزة وتمام القدرة وشمول العلم بما رتب من اسباب الهداية والاضلال
والاشقاء والاسعاد والنجاة والاهلاك بما اولها الى الثاقف واكتنفت البداية والنهاية بيان ذلك مع ما
اشتمل عليه من الوسط ايضا منه اعظم اكتناف فسبحان من هذا انزاله وتبارك اسمه وجل جلاله

مقصودها الاعلام بان العلم انما هو ما اختاره المحيط بكل شيء قدرة وعلما من علمه لعباده فشرعه لهم فجاءتهم به عنه رسله وذلك العلم هو الحامل على الايمان بالله والاستقامة على طاعته هم المفتون بها كما تقدم في الزمر في قوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فيتلون عاقبته الكشف الكلي حين يكون سبحانه سمع العالم الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الى اخر الحديث القدسي الذي معناه انه يوفقه سبحانه فلا يفعل الا ما يرضيه وعلى ذلك دل اسمها فصلت بالاشارة الى ما في الاية المذكورة فيها هذه الكلمة من الكتاب المفصل لقوم يعلمون والسجدة بالاشارة الى ما في اياتها من الطاعة له بالسجود الذي هو اقرب مقرب من الملك الديان والتسبيح الذي هو المدخل الاول للايمان **بسم الله** الذي لم يرض لاحاطته باوصاف الكمال من جلال العلم الا ما اقترن بجمال العمل **الرحمن** الذي وسع كل شيء رحمة وعلما ففصل لنا بتفصيلا وبينه غاية البيان **الرحيم** الذي خص العلماء العاملين بسماع الدعوة ونفوذ الكلمة **حم** اي حكمة محمد الذي عجزت الخلائق **ولما**

ختمت غافر بان الكفرة جادلوا في ايات الله بالباطل وفرحوا بما عندهم من علم ظاهر الحياة الدنيا وانهم عند البأس اسلموا عنه وتبرؤا منه ورجعوا الى ما جاءت به الرسل فلم يقبل منهم فعلم ان كل علم لم ينفع عند الشدة والبأس فليس بعلم بل الجهل خير منه وكان ذلك شاقا على النبي صلى الله عليه وسلم خوفا من ان يكون اخر امر امته الهلاك مع الاصرار على الكفر الى مجيء البأس وان كان اغلب احواله صلى الله عليه وسلم النذارة افتتح سبحانه هذه بان هذا القران رحمة لمن كان له علم وله قوة توجب له القيام فيما ينفعه وكرر الوصف بالرحمة في صفة العموم وصفة الخصوص اشارة الى ان اكثر الامة مرحومة واعلم ان الكتاب فصل تفصيلا وبين تبيينا لا يضره جدال مجادل ولا كيد مماحل ماحل وانه معن يعجز الخلق عنه عن اقتراح الايات فقال مخبرا عن مبتدا **تنزيل** اي بحسب التدريج عظيم **من الرحمن** اي الذي له الرحمة العامة للكافر والمؤمن بانزال الكتب وارسال الرسل **الرحيم** اي الذي يخص برحمته المؤمنين بالزامهم ما يرضيه عنهم **ولما** تشوف السامع الى بيان هذا التنزيل المعرف بالتدريج بين انه مع ذلك للحاضر ولكل خبر فقال مبدلا من تنزيل **كتاب** اي جامع قاطع غالب ولما كان الجمع ربما ادى الى اللبس قال **فصلت** اي تفصيل الجوهر **آياته** اي بينت بيانا شافيا في اللفظ والمعنى مع كونها مفصلة الى انواع من المعاني والى مقاطع وغايات ترقى بجلائل المعاني الى اعلى النهايات حال كونه **قرانا** اي جامعا مع التفصيل وهو مع الجمع محفوظ بما تؤديه مادة قرا من معنى الامساك وهو مع جمع اللفظ وضبطه وحفظه وربطه منشور اللواء منتشر المعاني لا الى حد ولا نهاية وغير بل كلما دقق النظر جل المفهوم ولذلك قال **عربيا** لان لسان العرب اوسع الالسن ساحة واعمقها عمقا واعزها باحة وارفعها بنا وافصحها لفظا وابينها معنى واجلها في النفوس وقعا قال الحرالي هو قران لجمعه فرقان لتفصيله ذكر لتنبيهه على ما في الفطر والجبلات وجوده حكيم لابانته الاقتضاءات الحكمية مجيد لاقامته قسطاس العدل عربي لبيانه عن كل شيء كما قال تعالى في سورة احسن القصص وتفصيل كل شيء مبين لمحو الكفر بما ابان من احاطة امر الله محفوظ لاحاطته حيث لم يختص فيقبل العدول عن سنن **ولما** كان لا يظهر الا لمن له قابلية ذلك وادمن اللزوم ولا للاعتاب والقرع خضوعا وحبا للابواب قال معلقا بفصلت او تنزيل او الرحمن الرحيم **لقوم** اي ناس فيهم قوة الادراك لما يحاولونه **يعلمون** اي فيهم قابلية العلم وتجدد الفهم بما كانهم من سلامة الطبع وسلاسة الانقياد لبراهين العقل والسمع وجودة الاذهان وفصاحة اللسان وصحة الافكار وبعد الاغوار وفي هذا تبكيت لهم في كونهم لا ينظرون محاسنه فيهتدوا بها كما يعتنون بالنظر في القصائد حتى يفضلوا بعضها على بعض حتى انهم ليعلقون بعضها على الكعبة المشرفة تشريفا لها وفيه حث لهم وتم اولوا العزائم الكبار على العلم به ليغنوا عن سؤال اليهود وفيه بشرى بانه تعالى يهب العرب بعد هذا الجهل علما كثيرا وعن هذا الكفر ايمانا عظيما كبيرا وفي الاية اشارة الى ذم المفترحين المنادين اليهم اخر التي قبلها بانهم قد اتاهم ما اغناهم عنه من ايات هذا الكتاب الذي عجزوا عن مباراته ومناظرته ومجاراته وذلك في غاية الغرابة لانه كلام من جنس كلامهم في كونه عربيا وقد خالف كلامهم في تخطيه من ذرى البلاغة الى قنن تقاصرت عنها اشعارهم وتقاصرت دونها خطبهم وانجاعهم مع كونه ليس شعرا ولا سجعا اصلا ولا هو من انواع نثرهم ولا من ضروب خطبهم فعجزوا عن الاتيان بشيء من مثله في مر الاحقاب وكر الدهور والاعصار وكفى بذلك معجزة شديدة الغرابة لمن ينيب وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تضمنت سورة غافر بيان حال المعاندين وجاحدي الايات وان ذلك ثمرة تكذيبهم وجدلهم وكان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها وختمها الا ترى قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وتأنيس نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله فلا يغررك تقلبهم في البلاد فقد تقدم ذلك من غيرهم فاعقبهم سوء العاقبة والاخذ الوبيل كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه فعصمتهم واقية انا لننصر رسلنا وقال تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب اي رأيت ما حل بهم وقد بلغك

خبرهم فهلا اعتبر هؤلاء بهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق وانما اخذهم بتكذيبهم الايات ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله ثم ذكر تعالى من حزب المكذبين فرعون وهامان وقارون وبسط القصة تنبيها على سوء عاقبة من عاند وجادل بالباطل وكذب الايات ثم قال تعالى بعد ايات ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه اذ الحول والقوة ليست لهم فاستعذ بالله من شرهم لخلق غيرهم لو استبصروا اعظم من خلقهم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وهم غير امنين من الاخذ من كلي الخلقين ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ثم قال تعالى بعد هذا الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون انا امرهم لعجيب في صرفهم عن استيضاح الايات بعد بيانها ثم ذكر تعالى سوء حالهم في العذاب الاخراوي وواهي اعتذارهم بقولهم ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا ثم صبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فاصبر ان وعد الله حق ثم اعاد تنبيههم فقال تعالى افلم يسيروا في الارض الى ختم السورة ولم يقع من هذا التنبيه الذي دارت عليه اي هذه السورة في سورة الزمر شيء ولا من تكرار التحذير من تكذيب الايات فلما بنيت على هذا الغرض اعقبت بذكر الاية العظيمة التي بها العرب وقامت بها حجة الله سبحانه على الخلق وكان قيل لهم احذروا ما قدم لكم فقد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم باوضح اية واعظم برهان تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فتضمنت هذه السورة العظيمة من بيان عظيم الكتاب وجلالة قدره وكبير الرحمة به ما لا يوجد في غيرها من اقرانها كما انها في الفصاحة تبهر العقول باول وهلة فلا يمكن العربي الفصيح في شاهد برهانها ادنى توقف ولا يجول في وهمه الى معارضة بعض اياتها ادنى تشوف وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ااعجمي وعربي فوبخهم تعالى وادحض حجتهم وارغم باطلهم وبكت دعاويهم ثم قال قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد انما يستجيب الذين يسمعون وقرعهم تعالى في ذكر جوابهم عن اوضح حجة بقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وهذه شهادة منهم على انفسهم بالانقطاع عن معارضته وتسجيلهم بقوة عارضته ثم فضحهم بقوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به الاية وتحملت السورة مع هذا بيان هلاك من عاند وكذب ممن كان قبلهم واشد قوة منهم وهم الذين قد ذكرهم مجملا في سورة غافر في اية او لم يسيروا في الارض فلم يسيروا فيفصل تعالى مفصلا لذلك الاجمال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ثم قال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة ثم قال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا الاية ثم قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى الاية ثم بين تعالى حالهم واخذهم فاعتضد التحام السورتين واتضاح المقصد والله اعلم انتهى **ولما** كان حال الانسان اما ان يغلب عليه الخوف والهلع او الرجاء والبطر فكان لا يصلحه الا الاعتدال بالتوسط الموصل الى الكمال بما يكون للطبعه بمنزلة حفظ الصحة ودفع المرض لبدنه قال واصفا القرانا **بشيرا** اي لمن اتبع **ونذيرا** اي لمن امتنع فانقطع روى ابو نعيم في الحلية في ترجمة امامنا الشافعي رحمه الله انه روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال في خطبة له واعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها ان سنح له الرجاء ادلهه الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان سعد بالرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته مصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد **ولما** كان من عادتهم دوام الاحتياط في كل بشارة ونذارة بامر دنيوي سبب عن هذا المخالفتهم لعادتهم في ترك الحزم بالجزم بالاعراض فقال **فاعرض اكثرهم** اي عن تحويز شيء من بشايره او نذايره **فهم** لذلك **لا يسمعون** اي يفعلون فعل من لا يسمع فهم لا يقبلون شيئا مما دعي اليه وحث عليه **ولما** اخبر عن اعراضهم اخبر عن مباعدتهم فيه فقال **وقالوا** اي عند اعراضهم ممثلين لمباعدتهم في عدم قبولهم **قلوبنا في اكنة** اي اغشية محيطة بها **ولما** كان السياق للكشف في العظمة كان لا انسب له اداة الاستعلا فقال انا جعلنا على قلوبهم اكنة وغيروا هنا بالظرف ابعادا لان يسمعوا **مما** اي مبتدية تلك الاغشية وناشئة من الامر الذي **تدعونا** ايها المخبر بانه نبي **اليه** فلا سبيل له الى الوصول اليها لنفيه اصلا **ولما** كان القلب اهم لما يرد اليه من جهة السمع قالوا **وفي اذاننا** التي هي احد الطرق الموصلة الى القلوب **وقر** اي ثقل قد اصمها عن سماعه **ومن بيننا وبينك** اي ومبتدي من الحد الذي فصلك منا والحد الذي فصلنا منك في منتصف المسافة في ذلك **حجاب**

سائر كيف نحن لا نراك لنفهم عنك بالاشارة فانه تطرق الفهم لما تقول فاعمل اي بما تدين به ولما كان تكرار الوعظ
موضعا للرجا في رجوع الموعوظ قطعوا ذلك الرجا بالتاكيد باداته وزادوه بالنون الثالثة والتعبير بالاسمية فقالوا انا
عاملون اي بما ندين به فلا مواصلة بيننا بوجه ليستحيي احد منا من الاخر في عمله او يرجع اليه ولو قال وبيننا من غير من لافهم
ان البينين باسرهما حجاب فكان كل من الفريقين ملاصقا للبينه وهو نصف الفراغ الحاصل بينه وبين خصمه فيكون حينئذ كل
فريق محجوبا بحجابه لا يقدر على عمل فيما بعده او يكون بينهما اتصال اقله بالاعلام بطرق من اراد من المنابذين الحجاب
فافادت من التبعيض مع افادة الابتدا انهم لا يثبتون الحجاب في غير امور الدين ولما اخبروا باعراضهم وعللوا
بعد مر فهمهم لما يدعوا اليه امره سبحانه بجواب يبين انهم على محض العناد فقال قل اي لهؤلاء الذين عجزوا عن رد شيء من
امرك بشيء يقبله ذو اعقل فادعوا ما ينادي عليهم بالعجز انما انا بشر مثلكم لا غير بشر مما لا يرى والبشر يرى بعضه
بعضا ويسمعه ويبصره فقولكم انه لا وصول لكم الى دعوتي ولا درا الشيء مما اقول مما لا وجه له اصلا ولما
كان دعاؤهم لعدم المواصلة بينهم قد تضمن شيئين احدهما فيه والاخر فيما يدعوا اليه ونقض الاول قال في الثاني
يوحى الي اي بطريق يخفى عليكم انما الهكم اي الذي يستحق العباده اله واحد لا غير واحد وهذا مما دلت عليه الفطر الاولى
السوية وقامت عليه الادلة العقلية وايدتها في كل عصر الطرق النقلية وانعقد عليه الاجماع في اوقات الضرورات
النفسانية اي لست مغايرا للبشر ممن يخفى عليكم شخصه كالملك ولا يعجم عليكم مراده بصوته كساير الحيوانات ومع كوني
بشرا فلست بمغاير لكم في الصنف بكوني اعجميا بل انا مثلكم سوا في كوني عربيا ومع ذلك كله فاصل ما اوحي الي ليس معبرا عنه
بحمل طول العمل او تعسر او يشكل فهمها وانما هو حرف واحد وهو التوحيد فلا عذر لكم اصلا في عدم فهمه ولا سماعه ولا رده
قابله ولما قطع حجتهم وازال عللهم تسبب عن ذلك قوله فاستقيموا اي اطلبوا واقصدوا واوجدوا القوام
متوجهين وان كان في غاية البعد عنكم اليه غير معرجين اصلا على نوع شرك بشفيع ولا غيره ولما كان
اعظم المراد من الوحي العلم والعمل وكان راس العلم التوحيد تعرفه وامر بالاستقامة فيه اتبعه راس العمل وهو
ما ابتاعه الاعتراف بالعجز مع الاجتهاد فقال واستغفروه اي اطلبوا منه غفران ذنوبكم وهو محوها عينا واثرا
حتى لا تعاقبوا عليها ولا تعاتبوا بالندم عليها والاقلاع عنها حالا وما لا ولما امر بالخير رغب فيه ورهب من ضده
فكان التقدير للترغيب فالفلاح والفوز لمن فعل ذلك تعطف عليه ما السياق له فقال وويل اي سواه وهلاكه
للمشركين ولما كانت العقول والشرايع ناطقة بان خلاصة السعادة في امرين التعظيم لامر الله والشفقة
على خلق الله وكان افضل ابواب التعظيم لامر الله الاقرار بوحدانيته وكان احسن الاعمال التي بين العبد وربه الاخلال بذلك
وكان اخس الاعمال التي بين العبد وبين الخلق منع ما اوجبه الله من الزكاة وكان معنى الشرك الحكم بان ما لا شيء له اصلا وما لا
ان يكون له ملك تام على شيء اصلا قد شارك من له الكل خلقا وتصرفا فيما هو عليه من الملك التام الذي لا شوب فيه
وكانت الزكاة اشراك من له ملك غير تام لمثله في جزء يسير مما له قال دائما لمن ابى ان يشارك الخلائق واشرك بالخالق
الذين لا يؤتون اي اعطاء لهم من او لادائهم الزكاة من المال الذي لا صنع لهم في خلقه وهو مخالف عن ابيهم ادم فالقياس
يقتضي اشتراكهم كلهم فيه على حد سوا وتحكموا بتخصيص كل واحد منهم بما ملكت يمينه منه بطريقه فقد حكموا
في امر ربهم بما لا يرضونه لانفسهم فانهم ابوا ان يشركوا ابتذال الزكاة بعض اخوانهم في بعض ما لهم الذي ملكهم له ضعيف
واشركوا ما لا يملك شيئا اصلا بما لا ينفع فيه مع المالك المطلق ولما كان مما تضمنه اشراكهم وانكارهم البعث انهم
٢ ذا اتهم تحمهم الى استغراقهم في الدنيا والاقبال بكلياتهم على لذاتها فانكروا الاخرة فصار محط حالهم انهم اثبتوا لمن لا يفعل
له اصلا فعلا لا يمكنه تعاطيه بوجه ونفوا عن الفاعل المختار الذي لهم لا افعاله الهائلة في كل وقت يشاهدون واليه في
منافعهم ومضارهم يقصدون ما اثبت لنفسه من فعله فقال مؤكدا تنبيها على ان انكارهم هذا مما لا يكاد يصدق وهم بالاخرة
اي الحياة التي بعد هذه ولا بعد لها هم اي خاصة من بين اهل الملل كافرون باختصوا بانكار شيء لم يوافقهم عليه احد
في حق من يشاهدون في كل وقت من افعاله اكثر من ذلك واثبتوا لمن لم يشاهدوا له فعلا قط ما لا يمكنه فعله اصلا وهم يدعون
العقول الصحيحة والآراء المتينة ورضوا لانفسهم بالدناءة في منع الزكاة وحكموا باعظم منها على الله وهم يدعون مكارم
الاخلاق ومعالي الهمم فانتج بهذه عقولا واسفلها هم همما فقد تضمنت الاية ان الويل لمن اتصف بصفات ثلاثة الشرك
الذي هو ضد التعظيم لامر الله والامتناع من الزكاة الذي هو ضد الشفقة على خلق الله وانكار العقبى المؤدى الى الاستغراق
فيما ابغضه الله من طلب الدنيا ولذاتها وهو من الاستهانة بامر الله قال الاصبهاني وتمام الكلام في انه لا زيادة على هذه
المراتب الثلاثة ان الانسان له ثلاثة ايام امس واليوم والغد لمعرفة انه كيف كانت احواله بالامس في الازل هو معرفة
الخالق لهذا العالم ومعرفة كيف ينبغي وقوع الاحوال في اليوم الحاضر هو بالاحسان الى اهل العلم بقدر الطاقة ومعرفة

الاحوال

الاحوال في اليوم المستقبل بالاقرار بالبعث والقيمة فاذا كان الانسان على ضد الحق في هذه المراتب الثلاثة كان في نهاية الجهل
والضلال ولما ذكر ما للجاهلين وعيدا وتحذيرا ذكر ما للاضداد ادهم وعدا وتبشيرا فقال مجيبا لمن تشوف لذلك
مؤكدا لانكار من ينكره ان الذين امنوا اي بما اتاهم الله من العلم النافع وعملوا الصالحات من الزكاة وغيرها ليكون علمهم عيانا
نافعا ولما كان افتتاح السورة بالرحمن الرحيم مشعرا بان الاسباب الظاهرية امحت عند السبب الحقيقي الذي هو
رحمته اعري الخبر عن الفا فقال ايذانا بعظم الجزا لان سبب رحمه الرحيم ولو كان بالفا لاذنت انه على مقدار العمل الذي
هو سببه لهم اجر اي عظيم غير ممنون اي مقطوع جزاء على سماحهم بالفاني اليسير من اموالهم في الزكاة وغيرها
وما امر الله به من اقوالهم وافعالهم في الاخرة والدنيا والممنون المقطوع من مننت الحبل اي قطعته يقطع منه ومنه
قولهم قدمته السفر اي قطعه واذهب منه ولما ذكر سبحانه سفههم في كفرهم بالاخرة شرع في ذكر الادلة
على قدرته عليها وعلى كل ما يريد بخلق الاكوان وما فيها الشامل لهم ولمعبوداتهم من الجمادات وغيرها الدال على انه واحد
لا شريك له فقال منكرا عليهم ومقررا بالوصف لانهم كانوا عالمين باصل الخلق قل اي لمن انكر الاخرة منكرا عليه بقولك
اينكم واكد لانكارهم التصريح بما يلزمهم من الكفر لتكفرون اي توجدون حقيقة الستر لانوار العقول الظاهرة
بالذي خلق الارض اي على سعتها وعظمها من العدم في يومين فتنكرون قدرته على اعادة ما خلقه منها ابتداء مع اعترافكم
بانه ابتدا خلقها وخلق ذلك منها وهذان اليومان الاحد والاثنين نقل هذا عن ابن عباس وعبد الله بن سلام رضي الله عنهم
قال ابن الجوزي والاكثرين وحديث مسلم الذي تقدم في سورة البقرة خلق الله التربة يوم السبت يخالف هذا فان البداءة
فيه يوم السبت وهو مصرح بان خلق الارض وما فيها في ستة ايام كما هو ظاهر هذه الاية ويجاب بان المراد بالخلق فيه
اخراج اقواتها بالفعل والمراد هنا تهيئتها لقبول ذلك ويشكل ايضا بان الايام انما حدثت بعد دوران الافلاك وانما
كان ذلك بعد تمام الخلق بالفعل فالظاهر ان المراد باليوم ما قال الحرالي مقدار ما تم فيه امر ظاهرا ومقدارا يوم من
تعرفونه من ايام الدنيا ولما ذكر كفرهم بالبعث وغيره عطف على تكفرون قوله وتجعلون اي مع هذا الكفر له اندادا
مما خلقه تنحتون لها افعالا وانوا الاسماء انكم لم تروا اشيا من ذلك فانكرتم ما تعلمون مثله واكبر منه واثبتم ما لم تعلموه
اصلا بهذا هو الضلال المبين ولما بكتهم على قبيح معتقدهم عظم ذلك بتعظيم شانه سبحانه فقال ذلك اي
الاله العظيم رب العالمين اي موجدهم ومربيهم وذلك يدل قطعا على جميع ماله من صفات الكمال ولما ذكر ما هو
مقرون من ابداعها اتبعه ما جعل فيها من الغرائب فقال عاطفا على ما تقديره ابدع الارض على ما ذكر وجعل بالوجود
عطفه على صلة الموصول للفصل باجنبي فيها رواسي هي اشدها وهي الجبال ونبه على انها مخالفة للدواسي في كونها
تحت ما يراد ارساؤه فقال من فوقها فمنعتها من الميد فعل ذلك لكونه ادل على القدرة فانها لو كانت من تحت لظن انها
اساطين حاملة ولتظهر منافع الجبال بما انفسها وبما فيها ويشاهد انها اثقال مفتقرة الى حامل ولما هيأها
لما يراد منها ذكر ما او دعها فقال وبارك فيها اي جعلها قابلة مثمرة صالحة بالاقوات والمنافع من المعادن والمعاني
المعينة على محاسن الاعمال المبشرة للسير اليه والاقبال عليه ودالة على جميع صفاته الحسنى واسمايه العلى وغير ذلك
من المعارف والقدر والقوى وقدر فيها اقواتها اي جعلها مع البركة على مقدار لاستعداده ومنهاج بديع دبره في
الازل وارتضاه وقدره فامضاه ومن ذلك انه خص بعض البلاد بشيء لا يوجد في غيرها لينتظم عمارة الارض كلها
باحتياج بعضهم الى بعض فكان جميع ما تقدم من ابداعها وابداع ما ذكر من منافعها دفعة واحدة لا ينقص عن حاجة
المحتاجين اصلا وانما ينقص توصلهم او توصل بعضهم اليه فلا يجد له حينئذ ما يكفيه وفي الارض اضعاف اضعاف
كفايته ثم ذكر غاية خلق الارض وما فيها فقال في اربعة ايام وهذا العدد عند ضم اليومين الماضيين الى يومي
الاقوات وهما الثالث والرابع او يكون المعنى في تتمة اربعة ايام ولا يحمل على الظاهر ليكون ستة لانه سياتي للسموات
يومان فكانت تكون ثمانية فتعارض لم السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وفصل
مقدار ما خلقها فيه ومقدار ما حصل الاقوات والمنافع لاحاطة العلم بانه يخص كل امر من الامرين يومان ونص على
الاولين ليكون ذلك ادل على القدرة فيحسن موقع النعي عليهم بما فصل به الاثنين من ايجاد الابدا دوام كان ادل
على القدرة لانه ايجاد ذوات محسوسة من العدم قائمة بانفسها بخلاف البركة وتقدير الاقوات فانه امر لا يقوم بنفسه
فلم يفرد يوميه بالذكر بل جعلهما تابعين كما ان ما قدر فيهما تابع ولم يفعل ذلك في اقل من لمح البصر مع تمام القدرة عليه
لان هذا ادل على الاختيار وادخل في الابتلاء والاختبار وليضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فيكون اعظم لاجورهم لانه ادل
على تسليمهم وجعل مدة خلقها ضعف مدة السماء مع كونها اصغر من السماء دلالة على انها هي المقصودة بالذات لما فيها
من الثقلين فزادت بما فيها من كثرة المنافع وتباين اصناف الاعراض والجواهر لان ذلك ادخل في المنة على سكانها

والاعتنا بشانهم وشانها وزادت ايضا بما فيها من الابتلا بالتهيئة للمعاصي والمجاهدات والمعالجات التي تنافس فيها
الملا الاعلا وتخاصم كل ذلك دلالة على ان المدة ما هي لاجل القدرة بل لاجل التنبيه على ما في المقدر من المعدود وعجايب
الامور ولنعلم ايضا بخلق السما التي هي اكبر جرما واتقن حبكا واعظم زينة واكثر منافع بما لا يتناهى في اقل من مدة خلق الارض
ان خلقها في تلك المدة ليس للعجز عن ايجادها في اقل من لمح بل للحكم التي تعجز عن حملها العقول ولعل تخصيص السما بقصر المدة دون
العكس لاجراء امرهما على ما نتعارفه من ان بنا السقف اخف من بنا البيت تنبيها على انه بنا امر دارنا هذه على الاسباب
تعليما للتاني وتدريبا على السكينة والبعد من العجلة ولما كان لفظ سوا الذي هو بمعنى العدل الذي لا يزيد عن القدر
ولا ينقص يطلب اثنين تقول سوا زيد وعمرو والى كلمة سوا بيننا وبينكم قال تعالى مزيلا لما اوهمه قوله اربعة ايام من انها
للاقوات والبركة لتكون مع يومين من الارض ستة ناصبا على المصدر سوا اي التوزيع الى يومين ويومين على السوا للسائلين
اي لمن سال او كان بحيث يسل ويشتد بحثه بسؤال او نظر عن التوفيق بين ظاهر هذه الاية وبين غيرها ولا ينافي السوا الا
بين يومين ويومين لا بين يومين واربعة لا يزيد احد الشقين من اليومين على اليومين الاخرين ذرة بعلم محيط وقدرة شاملة
وليس ذلك كايام الدنيا لا بد في كل يوم منها من زيادة عن الذي قبله او نقص ومجموع الاربعة كاربعة من ايام الدنيا لا يزيد
عليها ولا تنقص وقراه يعقوب بجر سواء صفة معينة لان تكون نعتا للاربعة وقراءة ابي جعفر بالرفع خبر مبتدا محذوف وعن خلقها
وتتميمها في اربعة ايام كانت فصولها اربعة قال ابن برجان الا ترى الامر ينزل الى السما اولا في انزال الما فيخلقه فيما هنالك
ثم ينزله الى الارض والنبات والحيوان عن الما الذي ينزل من السما الى الارض بمنزلة النسل من الذكر والانثى وبمنزلة تخمير
السما والارض وما بينهما لما وجدنا له فافهم اسرار فهم وحكمة شايعة انه ذلك فضاوه بركات الارض في اربعة ايام بواسطة
ما قدر في السما من امر وهي الاربعة الفصول من السنة الشتا والربيع والصيف والخريف فهذه الايام معلومة بالمشاهدة
فيهن يتم زرع الارض وبركات الدنيا وجميع ما يخرجه منها من فوايد وعجايب قال وقوله للسايلين بتعجب واعراب وتعظيم
للمراد المعنى بالخطاب وقد يكون معنى السوا زايدا الى ما تقدم ان بهذه الاربعة الايام استوت السنة من طولها ومقاربة
وقوتها وبعدها وارتفاعها ونزولها في شمالي برجها وجنوبيها باحكام ذلك كله وتوابعه انتهى ولما كانت
السموات اعظم من الارض في ذواتها بتوابعها واتساعها وزينتها ودوران افلاكها وارتفاعها نبه على ذلك بالتعبير
باداة التراخي ولفظ الاستوا وحرفا الغاية الدال على عظم العناية فقال ثم استوى اي قصد قصدا هو القصد منتهيا
قصده الى السما وهي اي والحال انها دخان بعد ما فتقها من الارض قالوا كان ذلك الدخان بخار الما فهو مستعار من المرتفع
من النار وهو تشبيه صوري فالسما متقدمة في الدخانية على الارض تقدم الذكر على الانثى ثم خلقت ذات الارض ثم
بعد تصوير السما وتتميمها دحيت التي الارض وسويت لذراري السما قال ابن برجان فالذي نعتقده ان السما اولا ايجادا وتتميما
والارض بعدها ايجادا ورتبة وايام الخلق يومان لايجاد الارض ويومان لتسوية السما بعد ان كانت دخانا ويومان
لتتميم المنافع فتداخلت الاعداد لتداخل الافعال فقال لها اي عقب هذا الاستوا وللارض بعد خلقها وقبل
دحوها ايتيا اي تعاليا واقبلا موافقتين منقادتين لما قدرته فيكما واردته منكما من اخراج المنافع من المياه والنبات
والمعادن وغيرها ووضع المصدر موضع الحال مبالغة فقال طوعا او كرها اي طايعتين او كارهتين في اخراج ما اودعتكما
من الامانة في اوقاتها وعلى ما ينبغي من مقاديرها وهيئتها طوع تسخير لا تكليف قالتا اتينا اي نحن وما فينا وما بيننا
ولما جعلهما موضع المخاطبة التي هي للعقلا والتكلم قال جامعا لهما باعتبار افرادهما وما فيهما جمع
من يعقل طايعين اي في كل ما رسمته فينا لا نحمل من ذلك شيئا بل نبذله على ما امرت به لا نغير ولا نبدل وذلك
هو بذلهما للامانة وعدم حملها وجمع الامر لهما في الاخبار لا يدل على جمعه في الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا
فقضاهن اي خلقهن وصنعهن حال كونهن بعد ذات سبع سموات صنعا تاما اتم كالقضا لا تخلف فيه في يومين
اي الخميس والجمعة اذا احسب مقدار ما يخصهن من الذي يكون في السنة الايام التي كان فيها جميع الخافقين وما بينهما كان
بمقدار ما حصل واحدا من الارض ومن اقواتها لا يزيد على مدة منهما ولا ينقص فيكون الذي خصهما مثل المجموع قال
ابن جرير وانما سمي الجمعة لان الله جمع فيه خلق السموات والارض يعني فرغ من ذلك واتمه واوحى اي القى بطريق خفي
وحكم مبتوت قوي في كل سماء امرها اي الامر الذي دبرها ودبرنا فيها به على نظام محكم لا يختل وزمام مبرم لا
يحل ولما عم خص ما للتي تلينا اشارة الى تشريفنا فقال صارفا القول الى مظهر العظمة تنبيها على ما في
هذه الاية من العظم وزينا اي بما لنا من العظمة السما الدنيا اي القربى اليكم لاجلكم بمصابيح من زواهر النجوم وشغوفها
عنها لا ينافي ان تكون في غيرها مما هو اعلا منها ودل السياق على ان المراد زينة وحفظناها بها حفظا من الشياطين
فالاية من الاحتباك حذف فعل الحفظ بدلالة المصدر ومصدر الزينة بما دل عليه من فعلها ولما كان هذا الامر

باهرة دالة على عظمته بقوله صارفا الخطاب الى صفتي العز والعلم اعلاما بانهما اساس العظمة ومدارها ذلك اي الامر الد
والشان البديع تقدير العزيز الذي لا يغلبه شي وهو يغلب كل شي العليم المحيط علما بكل شي وكما قدر سبحانه ذلك بعزته
وعلمه قضى انه لا يبيدها لعز الدايم الا ما شا عبه من العلم وفي ختمه بالوصفين بشارة للامة التي خوطبت بهما انه يوتيها
من عزه وعلمه لا سيما بالهيئة وما شاكلها من الطبايع وغيرها ما لم يوت امة من الامم قبلها وفي خلقه سبحانه العالم
في مدة ولم يكن في لمحة وجعلها ستة لا اقل ولا اكثر انه لو خلقه في لمحة لكان ذلك شبهة لمن يقول انه فاعل بالذات
لا بالاختيار فاقتضى الحال عددا ثم اقتضى الحال ان يكون ستة لانها اول عدد يدل على الكمال لانها عدد تام كسورها لا تزيد
عنها ولا تنقص فادل ذلك بان الفاعل على نعوت الكمال واوصاف التمام والتعال ولم يخلقه فيما دون ذلك من العدد لانه ناقص
وخلق الارض في يومين لان الاثنين عدد يدل على الفردانية فهو قايد للعبيد الى التوحيد وجعل اليومين مكررين باعتبار الذات
والمنافع ايذانا بما يقع فيها من المعصية بالشرك الذي هو تثنية وانك ولم يكرر في السما لان اياتها ادل
على التوحيد ولم يحصل من اهلها ما يدل على الوعيد وليكون ايجادها في اقل من مدة الارض مع انها اكبر جرما واعجب صنعا
واتقن حبكا ادل على الفعل بالاختيار وللعجايب الحكم وغرايب الاسرار الكبار ولما كان هذا القدر من العلم موجبا
للانقياد لكل خبر من الوحدانية وغيرها والاقبال على الحق في كل امر فكان التمادي على اعراضه قبل الوعظ به كانه حدد
اعراضا غير اعراضه الاول قال معقبا لعقد قوله فاعرض اكثرهم فان اعرضوا اي استمروا على اعراضهم او اعرض غيرهم عن
قبول ما حبتهم به من الذكر بعد هذا البيان الواضح في هذه الايات التي دلت على الوحدانية والعلم والقدرة وغيرها من صفات
الكمال اتم دلالة فقل اي لهم ان لكم سلفا سلكتم طريقهم في العناد فان ابيتم الا الاصرار الحقناكم بهم كاملا لهم وهو معنى
انذرتكم صاعقة اي حلول صاعقة مسماة لمن كشف الامر فعاند فان وظيفة الحجة قد تمت على اكمل الوجوه قال البغوي
وابن الجوزي والصاعقة المهلكة من كل شي انتهى والحاصل انه عذاب شديد الوقع كانه في شدة وقعه صاعقة ثم
ولما كان التخويف عما تسهل مشاهدة مثله اوقع في النفس قال عاد وثمود اي الذين ينظرون ديارهم ويستعلمون
اثارهم وعلل ايقاع ذلك بهم بقوله اذ ويجوز ان يكون ظرفا للصاعقة وظرفيته لانتا في عليته اي حين جاءتهم الرسل
لان الزمان الطويل يجوز نسبة ما وقع في جزء منه اليه ولما كان اتيان الرسل اتيانا بالفعل في بعض الزمان
ادخل الجار فقال من بين ايديهم اي من قبلهم لان نذير الاول نذير لكل من اتى بعده بانه ان واقع ما واقعه اتاه ما عذب به
ومن خلفهم وهم من اتى اليهم لانهم لم يكونوا يعلمون اتيانهم فالخلف كناية عن الخفا والقدام عن الجلا ولا شك ان الانسان
لما انقاد له من قبله فسمعه منه اقبل بما راه بعينه لان النفس لا تنقاد لما خالفها الا بعد جهاد فاذا انطاع الذين هم
وانقاد له الغير سهل عليها الامر وخف عليها الخطب وايضا الاتي الى الناس انما ياتيهم بعد وجودهم وبلوغهم حد التكليف
فهو بهذا اتى اليهم من ورائهم اي بعد وجودهم او يكون ما بين الايدي هو من جاءهم لانهم علموا المجيء علم من ينظر الى ما قدامه
وما خلفهم ما غاب عنهم ممن تقدمهم فلم ينقل اليهم اخبارهم الا على وجه يحتمل الطعن او المعنى انا هم رسولهم الذي هو
باظهار المعجز لجميع الرسل بالوعظ من كل جانب يخفى عليهم او يتضح لهم واعمل فيهم كل حيلة بكل حجة حتى لم يدع
لهم شبهة ثم بين ان مجي الرسل بنفي عبادة غير الله وقصر العبادة عليه فقال مظهرا مع العبادة الاسم الذي هو
اولى بها لتشوف السامع الى خبرهم عند ذلك اجابه بقوله قالوا اي كل منهم لو شاء ربنا الذي ربانا احسن تربية
وجعلنا من خواصه بما حبانا به من النعم ان يرسل الينا رسولا لانزل اي الينا ملايكة فارسلهم الينا بما يريد منا لانه
لو نزل ملايكة لم يشا ان يرسل رسولا فتسبب عما قالوه من القياس الاستثنائي الذي استنتجوا فيه من نقيض تاليه هو
نقيض مقدمه لما جعلوا بين المقدم والتالي من الملازمة بزعمهم قولهم فانا بما اي بسبب الذي ولما كانوا لم
ينكروا مطلق رسالتهم انما انكروا كونها من الله بنوا للمجهول قولهم مغلبا تعالى من الرحمة عنهم للخطاب على الغيبة
لانه ادخل في بيان قلة ادبهم ارسلتم اي ايها الرسل ومن كان على مثل حالهم من البشر به اي على ما تزعمون خاصة لا
بغير ما ارسلتم به مما انزل به ملايكة مثلا كافرون لان قياسنا قد دل على انه تعالى لم يشا الارسال الينا لستم برسل
عنه لانكم بشر لا ملايكة وقد كذبوا في قياسهم الذي لم ياخذوه عن عقل ولا نقل لانه لا ملازمة بين مشية الارسال
الى الناس كافة او الى امة منهم وبين ان يكون المرسل اليهم كلهم ملايكة ولما جمعهم فيما اجتمعوا فيه حتى كانهم
تواصوا به فصل ما اختلفوا فيه فقال مسببا عما مضى من مقالهم فاما عاد اي قوم هود عليه السلام فاستكبروا
اي طلبوا الكبر واوجدوه في الارض اي كلها التي كانوا فيها بالفعل وبقيتها بالقوة او في الكل بالفعل لكونهم ملكوها
كلها ولما كان الكبر قد يكون بالحق كما على من خالف امر الله قال بغير الحق اي الامر الذي يطابقه الواقع وهو
انكار رسالة البشر فان الواقع ارسالهم وقالوا اي وصلوا الى استكبارهم على قبول ما جاءهم من الحق ان قالوا متعاظمين على امر الله

بما آتاهم الله من فضله **من اشد منا قوة** فنحن نقدر على دفع ما يأتي من العذاب الذي يهددنا به هود عليه السلام لانهم كانوا
اشد الناس قوى واعظمهم اجساما ولما كان المقدر ان يقال انكارا عليهم الم يروا ان الله لو شاء لجعلهم كغيرهم
عطف عليه قوله **اولم يروا** اي يعلموا علما هو كالمشاهدة لانه غريزة في الفطر الاولى فهو علم ضروري **ان الله** اي
المحيط بكل شيء قدرة وعلما **الذي خلقهم** ولم يكونوا شيئا **هو اشد منهم قوة** ومن علم ان غيره اقوى منه وكان عاقلا انقاد
له فيما ينفعه ولا يضره واجتماع قوتهم التي هي شدة البنية وقوته سبحانه التي هي كمال القدرة وهي صفة قديمة قائمة
بذاته سبحانه انما هو في الآثار الناشئة عن القوة فلذلك جمعهما باشد ولما بين انهم اوجدوا الكبر عطف عليه من
غرائزهم ما هو اصل لكل سوء فقال مبينا فرط جهلهم باجترائهم على العظمة التي شأنها قصم الظالم واخذ الآثم **وكانوا**
اي طبعا لهم **بآياتنا** على ما لها من العظمة بنسبتها الينا **يجحدون** اي ينكرون انكارا يضمحل عنده كل انكار عنادا مع علمهم
بانها من عندنا **فارسلنا** اي بسبب ذلك على ما لنا من العظمة ودل على صغارهم وحقارتهم باداة الاستعلاء فقال **عليهم**
وزاد في تحقيرهم بان اخبر انه اهلكهم لاجل ما تعززوا به من قوة ابدانهم ووثاقة خلقهم بما هو من الطف الاشياء جسما
وهو الهوى فقال **ريحا** اي عظيمة **صرصرا** اي شديدة البرد والصوت والعصوف حتى كانت تجمد البدن ببردها فتكون
كأنها تصر اي تجمعه في موضع واحد فتمنعه التصرف بقوته وتقطع القلب بصوتها فتقهر شجاعته وتحرق بشدة بردها
كلما مرت عليه ولما تقدم في هذا السياق استكبارهم على الوجه المذكور وادعاؤهم انهم اشد الناس قوة وكان
اقتضى الحال تحقيرهم في اهلاكهم فذكر الايام دون الليالي وان تضمنتها فقال تعالى **في ايام** ولما كان جمع القلة
قد يستعار للكثرة حقق ان المراد به القلة بوصفه بجمع السلامة فقال **نحسات** وكان ذلك ادل على هذا المراد من افراد
اليوم كما في القمر لانه قد يراد به زمان يتم فيه امر ظاهر ولو طالت مدته ويصلح للجنس فيشمل مع التقليل ما يصلح له جمع الكثرة
وفيه مع انه نذارة رمز لمن انزل عليه هذا الوحي صلى الله عليه وسلم باعظم بشارة بما اومى اليه افتتاح السورة باسمي الرحمة
وقوله تعالى لقوم يعلمون من انه يكون لقومه قوة وعلم ومن قرن النذارة بالبشارة في قوله بشيرا ونذيرا ومن جعل ايام هذا
العذاب ثمانية اشارة الى الحكم والثاني كما اشار اليه ما تقدم من خلق هذا الوجود في ستة ايام وقد كان قادرا على كل من
التعذيب والايجاد في لحظة واحدة فاشار ذلك الى انه في السنة السادسة من الهجرة يكون الفتح السببي بعمرة الحديبية التي
كانت سبب نزول سورة الفتح وفي السابعة يكون الاعتمار الذي كان عليهم اشد من وقوع الصارم البتار حتى ذهب عمرو بن
العاص من اجل ذلك الى الحبشة لئلا يرى دخول النبي صلى الله عليه واصحابه رضي الله عنهم ما لا صبر له عليه وفي الثامنة
يكون الفتح الحقيقي بعشرة الاف مقاتل اكثرهم دارع لا يرى منهم الا الحدق حتى جالوا ابياضا لانهم السراب فظنوا انهم غاية الذل
فكانوا رحمة وعاد راوا السحاب فظنوه رحمة فكان عذابا ونقمة ووصفها بالنحس مبالغة مثل رجل عدل وسيصيبهم عذاب
الآخرة والحال انهم ليدل على انها كانت قابلة لانفعال الجسد وما فيه من القوى بهذه الريح وهو مصدر جمع لاختلاف انواع
النحس فيها واضاف الموصوف الى صفته على المبالغة من وادي رجل عدل فقال هذا على قراءة الجماعة بسكون الحاء واما قراءة
ابن عامر بسكونها فهي صفة من فعل بالكسر مثل فرح فهو فرح واول هذه الايام الاربعاء في قول يحيى بن سلام وقال غيره وما
عذب قوم الا يوم الاربعاء **لنذيقهم** واضاف الموصوف الى صفته على المبالغة من وادي رجل عدل فقال **عذاب الخزي** اي الذي
يهينهم ويفضحهم ويذلهم بما تعظموا وافتخروا على كلمة الله التي اتتهم بها رسله ووصف العذاب بالخزي الذي هو للمعذب به مبالغة
في اخزائه له **في الحياة الدنيا** ليذلوا عند من تعظموا عليهم في الدار التي اغتروا بها فتعظموا فيها فان ذلك ادل على القدرة عند
من تعتد بالوهم **ولعذاب الآخرة** الذي اعد للمتكبرين **اخزى** اي اشد اخزاء كما كانوا هم اعظم لهم رأيهم واولاهم المعروف
واكد لانكارهم له ولما انتفت مدافعتهم عن انفسهم نفى دفع غيرهم فقال **وهم** اي اصابهم هذا العذاب مبالغة
مثل رجل عدل وسيصيبهم عذاب الآخرة والحال انهم **لا ينصرون** اي لا يوجد ولا يتجدد لهم نصر ابدا بوجه من الوجوه ولما
انهى امر صاعقتهم شرع في بيان صاعقة ثمود فقال **واما ثمود** وهم قوم صالح **فهديناهم** اي بينا لهم
طريق الهدى من انا قادرون على البعث وعلى كل شيء ولا شريك لنا وكان بيان ذلك بالناقة غاية البيان فابصروا ذلك بابصار
التي هي سبب ابصار بصائرهم غاية الابصار فكرهوا ذلك لما يلزمه من تشبيه طرق آبائهم واقبلوا على لزوم طريق آبائهم
فاستحبوا العمى اي الضلال الناشئ عن عمى البصر او البصيرة او هما معا **على الهدى** اي اوجدوا من الافعال والاقوال ما يدل
على حبه لك وعلى طلب حبه فهو ما ضلوا وقال القشيري قيل انهم امنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فاجراهم مجرى اخوانهم في
الاستئصال **فاخذتهم** اي بسبب ذلك اخذ قهر وهوان **صاعقة العذاب** وابلغ في وصفه بجعله نفس الهوان فقال
الهون اي ذي الهون فاقامت صفته مقام ما في الهون من الصيغة فعلم ان المراد انه المهين المخزي **بما كانوا** اي دائما **يكسبون**
اي يجدد تحصيلهم له وعدم له قابه فالآية من الاحتباك ذكر الهداية اولا دليلا على حذف الضلال ثانيا والعمى ثانيا دليلا

على الانصات ذا ولا من انه نسب اليه اشرف فعليه واسند اليهم ما لا يرضاه ذو روح ولما اتم الخبر عن الكافرين
من الفريقين اتبعه الخبر عن مؤمنيهم بشارة لمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ونذارة لمن صد عنه فقال **ونجينا** اي تنجية
عظيمة **الذين آمنوا** اي اوجدوا هذا الوصف ولو على ادنى وجوهه من الفريقين **وكانوا** اي كونا عظيما **يتقون** اي يتجدد
لهم هذا الوصف في كل حركة وسكون فلا يقدمون على شيء بلا دليل ولما ذكر حالهم في الدنيا واشار الى حال الآخرة
اتبعه تفصيل ذلك فقال **ويوم** اي اذكر ايام اعداء الله في الدنيا واشار الى حال الآخرة في انزال عذابه بهم واحلال مثلاته
بساحاتهم واذكر يوم يحشرون هكذا كان الاصل ولكنه بين ما عذبوا به ليعم كل من اتصف به من الاولين والآخرين فقال
يحشر اي يجمع بكره بامر قاهر لا كلفة علينا فيه هذا على قراءة الجماعة بالبناء للمفعول وعلى قراءة نافع ويعقوب بالنون مبنيا
للفاعل يكون ناظرا الى سياق ونجينا وفي كلتي القراءتين معنى العظمة فلذلك ناسبهما الاسم الاعظم الذي هو اعظم من
مظهر العظمة الذي وقع الصرف عنه لما في ذكره من زيادة التوبيخ لهم والتهجين لفعلهم والتخسير لعقولهم في قوله **اعداء
الله** اي الملك الاعظم ولا يخفى اعرابه بحسب كل قراءة **الى النار** دار الاشقياء **فهم** بسبب حشرهم **يوزعون** اي يدفعون
ويردون بايسر امر ولم على آخرهم ومن يريد ان يعوج منهم يمينا او شمالا ليطابقه انه قد يخفى بسبب كثرتهم ويزجرون زجر
اهانة ويجمع اليهم من شذ منهم فان كل شيء من ذلك نوع من العذاب ولما بين اهانتهم بالوزع بين غايتها فقال
حتى اذا واكد الكلام لانكارهم مضمونه بزيادة النافي ليكون اجتماعه مع الاثبات نفيا للضد فيفيد غاية التوقع لمضمون
الخبر في تحققه وثباته واتصاله بالشهادة على الفور فقال **ما جاؤها** اي النار التي كانوا بها يكذبون **شهد عليهم**
حين التكوير فيها امر كونين بعضهم على بعض ولما كان في مقام الترهيب وكان التفصيل اهول قال **سمعهم**
افرده لتقارب الناس فيه **وابصارهم** جمع لتعظيم التفاوت فيها **وجلودهم بما** واثبت الكون بيانا لانهم كانوا مطبوعين
على ما اوجب لهم النار من الاوزار فقال **كانوا يعملون** اي يجددون عمله مستمرين عليه فكان هذه الاعضاء تقول في ذلك
الحين اقامة للحجة البالغة ايها الاكوان والحاضرون من الانس والملائك والجان اعلموا ان صاحبي كان يفعل بي
كذا وكذا مع الاصرار فاستحق بذلك النار وغضب الجبار ثم تقذف به ولما اخبر بهذا الذي يفتت الحجارة
لو عقلت ساعة ما اخبر انه لم يفدهم الرجوع عن طبعهم الجافي وبلادتهم الكثيفة فقال عاطفا على ما تقديره فلم تفدهم
هذه الشهادة خجلا من الله ولا خضوعا في انفسهم ولا رجوعا عن العناد كما لم يفدهم ذلك مجرد علم الله فيهم **وقالوا**
لجلودهم ودخل فيها ما صرح به من ما فيهما بها لعقد ما يدعوا الى التفصيل ولما تعلق فعل العقلاء خاطبوه
مخاطبتهم فقالوا **لم شهدتم علينا** ولما كان هذا محل عجب منهم وكان متضمنا لجهلهم بظنهم انه كان لها قدرة
على السكوت وكان سؤالهم عن العلة ليس على حقيقته وانما المراد به اللوم اجيب من يتشوف الى الجواب بقوله معبرا
نطقها بصيغة ما يعقل **قالوا** معتذرين **انطقنا** قهرا **الله** الذي له مجامع العز على وجه لم نقدر على التخلف عنه
ولما كان حال الكفار دائما دائرا بين غباوة وعناد اقاموا لهم على ذلك دليلين شهوديين فقالوا **الذي انطق كل
شيء** اي نطقا او قوة او حالا ومقالا ولما كانت الاشياء كلها متساوية الاقدام في الانطاق والاخراس وغيرهما
من كل ما يمكن بالنسبة الى قدرته سبحانه نبهوهم على ذلك بقولهم **وهو خلقكم اول مرة** والعلم القطعي حاصل عندكم
بانكم كنتم عدما ثم نطفا لا تقبل النطق في مجاري العادات بوجه ثم طوركم في ادوار الاطوار كذلك الى ان وصلكم الى
حيز الادراك فقدركم على النطق بحيث لو اردتم سلبه عن انفسكم ما قدرتم ولما كان الخلق شيئا واحدا اخبر
عنه بالماضي وكان الرجوع تارة بالحس وتارة بالمعنى وكان الذي بالمعنى كثير التعدد بكثرة التجدد قال **واليه** اي لا الى
غيره **ترجعون** اي في كل حين يصيركم بايسر امر على كل ما يريد من اول ما خلقتم الى ما لا نهاية له فلو كان لكم نوع علم لكفاكم
ذلك واعظا في الدنيا تعلمون به انكم في غاية العجز وان له العظمة والكبر والقدرة والقهر روى مسلم في صحيحه عن
انس رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله
ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز الا
شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال
لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
اعتذروا بما اجابوهم به في هذه الدنيا وعظ وتنبيه وفي الآخرة توبيخ وتنديم قالوا منكرين للوعظ محذرين من
جميع الكون **وما كنتم** اي بما هو لكم كالجبلة **تستترون** اي تتكلفون الاستتار عند المعاصي وانتم تتوهمون وتتوهمون مرادا
قتادة بقوله تظنون **ان يشهد عليكم** بتلك المعاصي ولما كان المقصود الابلاغ في الزجر اعاد التفصيل فقال
سمعكم واكد بتكرير النافي فقال **ولا ابصاركم** جمع وافرد لما مضى **ولا جلودكم ولكن** انما كان استتاركم لانكم **ظننتم**

بسبب انكاركم البعث جهلا منكم ان الله الذى له جميع الكمال لا يعلم اى فى وقت من الاوقات كثيرا مما تعملون اى تجددون عمله
مستمرين عليه وهو ما كنتم تعدونه خفيا فهذا هو الذى جراكم على ما فعلتم فان كان هذا ظنكم فهو كفر والا كان عملكم ده
عمل من يظنه فهو قريب من الكفر والمؤمن حقا من علم ان الله مطلع على سره وجهره فلم يزل مراقبا خائفا هائبا روى الشيخان
فى صحيحيهما واللفظ للبخارى فى كتاب التوحيد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشى
او قرشيان وثقفى كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا
ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله وما كنتم الآية قال البغوى
قيل الثقفى عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن امية كان ذكر المعصية وما جر اليها يقتضى
انتقاصا يقدح فى الالهية بين انه الموجب للغضب فقال وذلكم اى الامر العظيم فى القباحة ثم بينه بقوله ظنكم اى
الفاسد ووصفه بقوله الذى ظننتم بربكم اى الذى طال احسانه اليكم من انه لا يعلم حالكم ثم اخبر عنه بقوله ارداكم
اى تسبب عنه خاصة انه اهلككم واما معاصى الجوارح مع التوحيد والتنزيه فامرها اسهل والحاصل ان كل ظن كان
غير مادون فيه من الشارع فهو يردى صاحبه ولما كان الصباح محل رجا الافراح فكان شر الاتراح ما كان فيه قال
فاصبحتم اى بسبب انما اعطيتموه من النعم لتستنقذوا انفسكم به من الهلاك كان سبب هلاكم من الخاسرين
اى العريقين فى الخسارة المحكوم بخسارتهم فى جميع ذلك اليوم وصوره بافتح صورة وهو الصباح فالمعنى انه اذا صار
حالكم حال من اصبح كذلك لم يكن للربح وقت يتدارك فيه بخلاف ما لو وجد ذلك عند المسا فانه كان ينتظر الصباح للسعى
فى الربح ويوم القيمة لا يوم بعده يسعى فيه للربح فينبغى للمؤمن ان يكون حال خلوته اشد ما يكون هيبة لله ولما
كان ذلك تسبب عنه قوله لا افتا القول عن خطابهم ايذانا بشديد الغضب واشارة الى انهم لما وصلوا الى ما ذكر من الحال
اعيى عليهم المقال فلم يقدروا على نطق بلسان ولا اشارة براس ولا بيان فان يصبروا اى على ما جوزوا به قلبس صبرهم
بنافعهم وهو معنى فالنار مثوى اى منزل لهم وان يستعتبوا اى يطلبوا الرضى وازالة العتب وهو المواخذة بالذنب فما
هم من المعتبين اى المرضيين الذين يزال العتب عليهم عنهم ليعفى عنهم ويترك عذابهم ولما ذكر وعيدهم فى الدنيا
والاخرة اتبعه سبب كفرهم الذى هو سبب الوعيد وعطفه على ما تقديره فانا طبعناهم طبيعة سوء تقتضى انهم لا ينفكون عما
يوجب العتب فاعرضوا ولم تنفعهم النذر التى بصاعقة عاد وثمود فقال صارفا القول الى مظهر العظمة اشارة الى ان النفوس
فى القلوب امر عظيم جدا وقيضنا اى جئنا واحينا وبعثنا وسببنا ووكلنا وهيانا من القيض الذى هو المثل وقشر
البيضة الاعلى اليابس لهم قرنا اى اشخاصا امثالهم فى الاخلاق والاوصاف اقوياء مع كونهم شديدى الالتصاق
بهم والاحاطة فى غاية الحرص والثبات فى اللؤم والخبث واللجاجة فيما يكون به ضيق الخير واتساع الشر من غواة الجن
والانس فزينوا لهم اى من القبائح ما وعم الاشياء كلها فاتى بالجار فقال بين ايديهم اى ما يعملون فيلحقه حتى حسنوه لهم
فارتكبوه ورغبوا فيه وما خلفهم اى ما يحملون امره ولا يبالون فى كل شى يزينونه ويلجونهم فيه ويكررونه حتى يتبدله
فان التكرير معروف بالتاثير قال القشيرى اذا اراد الله بعبد سوءا قيض له اخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات
ويدعونه اليها واذا اراد الله بعبد خيرا قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه اليها ومن ذلك ه
الشيطان وشر منه النفس وبئس القرين تدعوا اليوم الى ما فيه الهلاك وتشهد غدا عليه ولما كان التعبير
فلم يدعوا قبيحة حتى ارتكبوها عطف عليه قوله وحق اى وجب وثبت عليهم القول اى بدوام الغضب ولما كان
هذا مما يوجب شدة اسفه صلى الله عليه وسلم علمهم خفف منه بقوله فى اى كائنين فى جملة امم اى كثيرة ولما عبر عنهم
ايضا بما يقتضى تعظيمهم بانهم مقصودون حقرهم بضمير التانيث فقال قد خلت اى لم تنقطع امة منهم بالاخرى ولما
كان الخلو قد يكون بالموت فى زمانهم بين انه مما مضى كان بعض من مضى غير مستغرق جميع الزمان عبر بمن فقال
من قبلهم اى فى الزمان وقدم الاقوى ليفهم القدرة عليه القدرة على ما دونه من باب الاولى فان الانس كانوا يعدون
انفسهم دون الجن فيعوذون بهم فقال من الجن والانس ثم علل حقوق الشقا عليهم بقوله مبينا بالتاكيد على انهم ينكرون
ان لون القبائح موجبة للخسر انهم اى جميع المذكورين منهم وممن قبلهم كانوا اى طبعا وفعلا خاسرين فعلى العاقل ان يجتهد
فى اختيار اصحابه واخدانه واحبابه فان العاقبة فيهم حسنة جسيمة او قبيحة وخيمة روى صاحب الفردوس عن
انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا
الا قبحه عنده ولا قبيحا الا حسنه عنده ولاحمد وابى داود والنسائى وابى يعلى وابن حبان فى صحيحه عن عائشة رضى الله
عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بالوالى خيرا جعل له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر اعانه وان اراد به
غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه وروى البخارى عن ابى سعيد الخدرى وابى هريرة رضى الله عنهما

والنسائى

والنسائى عن ابى هريرة وحده والبخارى ايضا عن ابى ايوب رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بعث
الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه
عليه والمعصوم من عصمه الله وفى رواية النسائى ما من وال الا وله بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتنهاه عن المنكر
وبطانة لا تالوه خبالا فمن وقى شرها فقد وقى وهو الى من يغلب عليه منهما وروايه البخارى عن ابى ايوب نحوها ولما
اخبر بخسرانهم دل عليه بما عطف على ما ارشد اليه السياق من تقديره من قولى فاعرضوا اى هؤلاء
العرب وقالوا هكذا كان الاصل ولكنه قال تنبيها على الوصف الذى اوجب اعراضهم وقال الذين كفروا اى
ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من الحق لا تسمعوا اى شيئا من مطلق السماع لهذا القرآن تعيينا بالاشارة احترازا
من غيره من الكتب القديمة كالتوراة قال القشيرى لانه يغلب القلوب ويسلب العقول وكل من استمع له صبا اليه
والغوا اى اهذوا من لغى بالكسر يلغى بالفتح اذا تكلم بما لا فائدة فيه فيه اى اجعلوه ظرفا للغو بان تكثروا من الخرافات
والهذيانات واللغط بالمكاء والتصدية اى الصفير والتصفيق وغيرهما فى حال تلاوته ليقع تاليه فى السهو والغلط
قال القشيرى قالوا ذلك ولم يعلموا ان من نور قلبه بالايمان وايد بالفهم وامد بالبصيرة وكوشف بسماع السر
من الغيب فهو الذى يسمع ويؤمن والذى هو فى ظلمات جهله لا يدخل الايمان قلبه ولا يباشر السماع سره لعلكم
تغلبون اى ليكون حالكم حال من يرجى له ان يغلب ويظفر بمراده فى ان لا يميل اليه احد او يسكت او ينسى ما كان يقول
وهذا يدل على انهم عارفون بان من سمعه ولا هوى عنده مال اليه واقبل بكليته عليه وقد فضحوا انفسهم بهذا
فضيحة لا مثل لها وذلك لانهم تحدوا به فى ان ياتوا بشئ من مثله ليعدوا غالبين فلم يجدوا شيئا يرجون به الغلب
الا الصفير والتصفيق ونحوه من اللغو فى معارضة ما علا عن على ذرى الكلام الى حيث لا مطمع ولا مرام فلا يعيد ما
اتوا به معنى غير انهم عاجزون عن المعارضة قاطعون بانهم متى اتوا بشئ منها افتضحوا وقطع كل من سمعه بانهم
مغلوبون ولما استحقوا بهذا العقوبة سبب عن ذلك مؤكدا لانكارهم قوله فلنذيقن واظهر فى موضع
الاضمار تعميما وتعليقا بالوصف فقال الذين كفروا اى هؤلاء وغيرهم عذابا شديدا فى الدنيا بالحرمان وما
يتبعه من فنون الهوان وفى الاخرة بالنيران ولنجزينهم اى باعمالهم ولما كان من قدر على الاغلظ قدر على ما
دونه قال اسوء اى جزاء اسوا العمل الذى كانوا بما هو لهم كالغرائز يعملون مواظبين عليه ولما ابلغ سبحانه
فى الترهيب من عقابهم زاد فى تعظيمه وفضله لطفا لمن اراد هدايته من عباده واقامة للحجة على غيرهم فقال
ذلك اى الجزاء الاسوء العظيم جدا جزاء ولما كانت عداوة من لا يطاق امرا زايدا العظمة نبه على ذلك بصرف
الكلام عن مظهرها الى اعظم منه فقال اعداء الله اى الملك الاعظم لانهم ما كانوا يفعلون ما دون الاسوء الا عجزا
عنه لان جبلتهم تقتضى ذلك وبينه بقوله النار وفصل بعض ما فيها بقوله لهم فيها اى النار دار الخلد اى المحل
المحيط بهم الدائر من غير علم من زاويه او غيرها يعرف به خصوص موضع منه مع ايذانه بالدوام والدوام وعدم
الانفكاك او هو على التجريد بمعنى هى لهم دار خلود كما كان لهم فى الدنيا دار غرور وبمعنى انها كانت لهم نفسها دار لهو
وغرور ولما كانوا على اعمالهم التى استحقوا بها هذا العذاب مصرين اصرار امتنع انفكاكهم عنه زاد حسنا
قوله جزاء اى وفاقا بما كانوا اى جبلة وطبعا وردا الكلام الى مظهر العظمة المقتضى للنكال فقال باياتنا اى على ما
لها من العظمة يجحدون اى ينكرون عنادا من غير مراعاة لعلوها فى نفسها ولا لعلوها بنسبتها الينا فلاجل جحودهم
كانوا يقدمون على ما لا يرضاه عاقل من اللغو وغيره ولما تراءى لهم ان الذى اوجب لهم هذا السوء جلودهم بالشهادة
عليهم وقرناؤهم باضلالهم لهم وكان التباغض والعداوة قد وقع بين الجميع فصار يتمنى كل للاخر السوء زيادة فى هذا بهم نبه
وكانت مساءة جلودهم مساءتهم خصوا القرنا بارادة الانتقام منهم فحكى سبحانه قولهم بقوله عطفا على وقالوا لجلودهم
او على ما تقديره فعلموا حينئذ انهم كانوا على ضلال لتقصيرهم فى النظر وتقليدهم لغيرهم وقال الذين كفروا اى غطوا انوار
عقولهم داعين بما لا يسمع لهم فهو زيادة فى عقوبتهم وحكايته لنا وعظ وتحذير ربنا اى ايها الذى لم يقطع قط احسانه
عنا ارنا الصنفين اللذين اضلانا عن المنهج الموصل الى محل الرضوان من الجن والانس المزينين لنا ارتكاب السوء
خفية وجهرة قرا الجماعة بكسر الراء من ارنا وقراه ابن كثير وابن عامر ويعقوب والسوسى عن ابى عمرو وابو بكر عن عاصم باسكان
الراء قال الاصبهانى حكى عن الخليل انك اذا قلت ارنى ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطا
ومعناه اعطنى ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء فى معنى الاعطا واصله الاحضار انتهى نجعلهما تحت اقدامنا فى
النار اذلالا لهما كما جعلانا تحت امرهما ليكونا من الاسفلين اى من اهل الدرك الاسفل وممن هو دوننا كما جعلانا
كذلك فى الدنيا فى حقيقة الحال باتباعنا لهما فيما ارادا بنا وفى الاخرة بهذا الماكل والظاهر ان المراد ان كل احد منهما

ان يعرف من اضله من القبيلين لينتقم منهم ذلك ان قدر عليه ولما ذكر الاعداء وقرناءهم نذارة اتبعه ذكر
الاولياء واوداءهم بشارة فقال مبينا لحالهم المقابل للاعراض وثمراته جوابا لمن يسأل عنهم مؤكدا لاجل انكار المعاند
ان الذين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في الصديق رضي الله عنه قالوا اي قولا حقيقيا منبعثا عن
بالجنان وناطقين باللسان تصديقا لداعي الله في دار الدنيا منبهين للذين حيث ينفع الذل جامعين بين الاس الذي هو
المعرفة والاعتقاد والبناء الذي هو العمل الصالح بالقول والفعل على السداد فان اصل الكمالات النفسانية
وعمل صالح تعرف الحق لذاته والخير لتعمل به ورأس المعارف اليقينية ورئيسها معرفة الله ورأس الاعمال الصالحة
الاستقامة على حد الاعتدال من غير ميل الى طرفي افراط او تفريط ربنا الله المحسن الينا الله المختص بالجلال والاكرام وحده
لاشريك له ولما كان الثبات على التوحيد ومصاحبته الى الممات امرا في علو رتبته لا يرام الا بتوفيق ذي الجلال
والاكرام اشار اليه باداة التراخي فقال ثم استقاموا طلبوا واوجدوا القوام بالايمان بجميع الرسل وجميع الكتب
ولم يشركوا به صنما ولا وثنا ولا آدميا ولا ملكا ولا غيره بعبادة ولا رياء وعملوا بما يرضيه وتجنبوا كل ما يسخطه
وان طال الزمان امتثالا لما امر به اول السورة في قوله انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فمن كان له اصل الاستقامة
في التوحيد امن من النار بالخلود ومن كان له كمال الاستقامة في الاصول والفروع امن من الوعيد تتنزل على سبيل
التدريج المتصل عليهم من حين نفخ الروح فيهم الى ان يموتوا ثم الى ان يدخلوا الجنة باطنا فظاهرا الملائكة بالتأييد
في جميع ما ينوبهم فتستعلي الاحوال الملائكية على صفاتهم البشرية وشهواتهم الحيوانية فتضمحل عندها وتشرق
ما ليهم ثم شرح ما يؤيدونهم به ويبشرونهم به فقال الا تخافوا اي من شيء مما يخيف وكأنهم يثبتونه في قلوبهم ولا تحزنوا
على شيء فاتكم فان ما حصل لكم افضل منه فان فاتكم لا تحزنون فيه بل هي كلها روح وراحة فلا يفوتهم لذلك محبوب ولا
يلحقهم مكروه وابشروا اي املأوا صدوركم سرورا يظهر اثره على بشرتكم بتهلل الوجه ونعمة سائر الجسد بالجنة
التي كنتم اي كونا عظيما على السنة الرسل توعدون اي يتجدد لكم ذلك كل حين بالكتب والرسل وقال الرازي في اللوامع
يبشرون في ثلاثة مواضع عند الموت وفي القبر ويوم البعث انتهى وهذا محمول على الكلام الحقيقي وما قبله على انهم يفعلون
معه ما ترجمته ذلك ولما اثبتوا لهم الخير ونفوا عنهم الضير عللوه بقولهم نحن اولياؤكم اي اقرباؤكم الادنون
اليكم فنحن نفعل معكم كل ما يمكن ان يفعله القريب في الحياة الدنيا نجلب لكم المسرات ونبعد عنكم المضرات ونحملكم على
جميع الخيرات بحيث يكون لكم فيها ما تؤثره العقول بالامتناع مما تهواه النفوس وان تراءى للرائين في الدنيا ان الامر
بخلاف ذلك فنوقظكم من المنام ونحملكم على الصلاة والصيام ونبعدكم عن الآثام ضد ما تفعله الشياطين مع اوليائهم
وفي الآخرة كذلك حيث يتعادى الاخلاء الا الاتقياء ولكم فيها اي الآخرة في الجنة وقبل دخولها في جميع اوقات الحشر
ما تشتهي ولو على ادنى وجوه الشهوة بما يرشد اليه حذف المفعول انفسكم لاجل ما منعتموها من الشهوات في الدنيا
ولكم ولما كان السياق للذين استقاموا العام للسابقين واصحاب اليمين على ما اشار اليه الختم بصفة
المغفرة وتقديمها قيد بالظرف بخلاف ما في يس فقال فيها اي الآخرة ما تدعون اي ما تؤثرون وتدعونه وتطلبونه وتتلونه
وتتمنونه بشهوة نفوسكم ورغبة قلوبكم ولما كان هذا كله بالنسبة الى ما يعطون شيئا يسيرا نبه عليه بقوله
نزلا اي هذا كله يكون لكم كما يقدم الى الضيف عند قدومه الى ان يتهيأ ما يضاف به ولما كان من حوسب عذب
فلا يدخل احد الجنة الا بالرحمة اشار الى ذلك بقوله من اي كائنا ذلك النزول من غفور له صفة المحو للذنوب عينا
واثرا على غاية لا يمكن وصفها رحيم اي بالغ الرحمة بما ترضاه الالهية فالحاصل ان المفسد يقيض الله له قرناء السوء
من الجن والانس يزينون له فسادا والمصلح ييسر الله له اولياء الخير من الانس والملائكة يعينونه ويحببونه في جميع
الخيرات ويبعدونه ويكرهونه في جميع المضرات والله يتولى الصالحين ولما كان هذا الذي كمل نفسه اتبعه بمن
اكمل غيره اشارة الى ان السعادة التامة ان يكتسب الانسان من الصفات الفاضلة ما يصير به كاملا في نفسه فاذا فرغ منها
اشتغل بتكميل الناقص عاطفا على ما تقديره من احسن من هذا الذي كمل نفسه وقال منبها بعلو قدر النفع المتعدي وحثا
على مداومة الدعاء وان ابوا وقالوا قلوبنا في اكنة ثم قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن فانهم لم يقولوا من ذلك شيئا الا ذكرت
اجوبته الشافية الكافية فاندفعت جميع الشبهات وزالت غياهب الضلالات فصار تحرير الدعاء موضعا للقبول ومن
احسن قولا اي من جهة القول ممن دعا وحد الضمير دلالة على قلة هذا الصنف الى الله اي الذي عم بصفات كماله جميع
الخلق فهو يستعطف كل احد بما تعرف اليه سبحانه به من صفاته وعمل اي والحال انه قد عمل صالحا في نفسه ليكون ذلك
امكن لدعائه اعم من ان يكون ذلك الصالح نية او قولا او عملا بالجوارح الظاهرة سرا كان او علنا ولذا حذف الموصوف
لئلا يوهم تقييده بالاعمال الظاهرة وللاعتناء بها بقوله دعا بخلاف ما كان سياقه للتوبة كاية الفرقان واقتفاء الحشر

كاية الكهف فانه لا بد فيه من اظهار العمل ليكون شاهدا على صحة الاعتقاد وكمال التوبة والدعاء هنا مغن عن ذلك
وقال مؤكدا عند المخالف والمؤالف قاطعا لطمع المفسد فيه انني من المسلمين اي الراسخين في صفة الاسلام متظاهرا
بذلك لا يخاف في الله لومة لائم وان تماداه ابناء زمانه كزا جافيا وغليظا عاتيا لتصلبه في مخالفته اياهم فيما هم عليه تشبيها له
في انقياده لكل ما امره به ربه سبحانه ولما كان التقدير لا احد احسن قولا منه بل هو المحسن وحده فلا يستوي
هذا المحسن وغيره اصلا ردا على اعلامهم ان حالهم احسن من حال غيرهم الدعاة الى الله وكان القيام بتكميل الخلق يحتاج الى جهاد
للنفس عظيم من تحمل المشاق والصبر على الاذى وغير ذلك من جميع الاخلاق عطف عليه التفرقة بين عمليهما ترغيبا
في الحسنات فقال ولا تستوي اي وان اجتهدت في التحرير والاعتبار الحسنة اي لا بالنسبة الى افراد جنسها ولا
بالنسبة الى عامليها عند وحدتها لتفاوت الحسنات في انفسها والحسنة الواحدة باعتبار نيات العاملين لها
واجتهادهم فيها ولا بالنسبة الى غيرها والى ذلك اشار بالتاكيد في قوله ولا السيئة اي في نفسها ولا بالنسبة
الى جنس آخر ولما انتج هذا الحث على الاقبال على الحسن والاعراض عن السيء وافهم ان كلا من القسمين متفاوت
الجزئيات متعالي الدرجات وكان الانسان لا ينفك عن عوارض تحصل له من الناس ومن نفسه يحتاج الى دفع بعضها
انتج عنه وقصد الاعلى فقال ادفع اي كل ما يمكن ان يضرك من نفسك ومن الناس بالتي اي بالخصال والاحوال التي هي
احسن على قدر الامكان من الاعمال الصالحات فالعفو عن المسيء حسن والاحسان احسن منه فاذا الذي بينك
وبينه عداوة اي عظيمة قد ملأت ما بين البينين فاجأته حال كونه كانه ولي اي قريب فاعل ما يفعل القريب حميم
اي في غاية القرب لا يدع مهما الا قضاه وسهله ويسره وشفا علله وقرب بعيده وازال دنسه كما يزيل الماء الحار
الوسخ ولما كانت هذه الخصلة اماما جامعا لجميع مصالح الدين والدنيا قال كاشفا على عظيم فضلها وبديع نبلها
حاثا على الاستظلال بجميع ظلها مشيرا بالبناء للمفعول الى انها هي العمدة المقصودة بالذات على وجه منبه على انها مخالفة
لجبلة الانسان حاثا على الرغبة في طلبها من واهبها وما يلقاها اي يجعل لاقيا لهذه الخصلة الكاملة التي هي مقابلة
الاساءة باحسن الحسن وهو الاحسان الذي هو احسن من العفو والحلم والصبر والاحتمال بان يعلق الله تعالى ارادته
على وجه الشدة والمبالغة بالقائها اليه الا الذين صبروا اي وجدت منهم هذه الحقيقة وركزت في طباعهم فصاروا
يكظمون الغيظ ويحتملون المكاره وكرر اظهارا بالبناء للمفعول للتنبيه على انه لا قدرة عليها اصلا الا بتوفيق الخالق بامر
باطني يقذفه سبحانه في القلب فتظهر ثمرته على سائر البدن والا باعادة النافي على زيادة التعظيم وعلى ان اصحاب هذه
الخصلة على رتبتين كل رتبة منها مقصودة في نفسها وما يلقاها على ما هي عليه من العظمة الا وافرد هنا بعد جمع الصابرين
دلالة على ندرة المستقيم على هذه الخصلة ذو حظ اي نصيب وقسم وبخت عظيم اي جليل في الدنيا والآخرة عند الله هم
وعند الناس ولما كان التقدير فان لقيت ذلك واعاذك الله من الشيطان فانت انت عطف عليه قوله معبرا
باداة الشك المفهمة لجواز وقوع ذلك في الجملة مع العلم بانه صلى الله عليه وسلم معصوم اشارة الى رتبة الانسان
من حيث هو انسان والى ان الشيطان يتوهمه مع علمه بالعصمة انه يقدر على ذلك فيتعلق امله به وكأنه لذلك اكده
نزعه له في محل الانكار واما ولما كانت وسوسة الشيطان تبعث على ما لا ينبغي وكان العاقل لا يفعل ما لا
ينبغي الا بالاحاسيس المتعاطي له بالمنخوس الذي حمله النخس على ارتكاب ما يضر فقال ينزغنك اي ينخسنك ويطعننك
طعنا مفسدا من الشيطان البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ولما كان المقام خطرا لان الطبع مساعد
للوسواس جعل النزغ نفسه نازغا اشارة الى ذلك فقال نزغ اي وسوسة تحرك نحو الموسوس من اجله وتبعث اليه
بعث المنخوس الى الجهة التي يوجه اليها فانه ينبعث الى تلك الجهة بعزم عظيم فاستعذ بالله اي استجر بالملك الاعلى
واطلب منه الدخول في عصمته مبادرا الى ذلك حين تحس بالنزغة فانه لا يقدر على الاعاذة منه غيره ولا تنتظر النزغة
تتكرر بل ارجع الى المحيط علما وقدرة في اول الخطرة فانك ان لم تخالف اول الخطرة صارت فكرة فيحصل العزم فيقع
الزلة فتصير قسوة فيحصل التمادي نبه عليه القشيري ولما كانت الاستعاذة هنا من الشيطان وكان نزغه
مما يعلم لا مما يرى وكانت صفة السمع تعم ما يرى وما لا يرى قال مؤكدا لوثوق الجاحدين مع الظواهر انه هو اي وحده
السميع وختم بقوله العليم الذي يسمع كل مسموع من استعاذتك وغيرها ويعلم كل معلوم من نزغه وغيره فهو القادر
على رد كيده وتوهين امره وابطاله وليس هو كما جعلتموه له من الانداد الصم البكم التي لا قدرة لها على شيء اصلا ولما ذكر
انهم جعلوا له اندادا مع انه خلق الارض في يومين وختم ذلك بان احسن الحسن الدعاء الى الله وختم الامر بالدعاء بصفة
العلم اتبعه دلائل التوحيد اعلاما بان التوحيد احسن الحسن يطرد كل سيء ونبههما على ان الدعوة الى الله عبارة عن تقرير
الدلائل الدالة على الذات والصفات وذلك ببيان الافعال وآثارها وهو العالم بجميع ما فيه من الاجزاء والابعاض

جوهرًا وعرضًا وبدا بذكر الفلكيات لانها ادل فقال عاطفًا على ما تقديره فمن اياته الناشئة عن شمول علمه المستلزم لتمام قدرته المنتجة لاعادته لمن يريد ونفوذ تصرفه فى كل ما يشا المستلزم لتفرده بالالهية انه خلق الخافقين كما مضى فى ستة ايام ومن اياته الدالة على وحدانيته ولما كانت الظلمة عدمًا والنور وجودًا والعدم مقدم قال الليل والنهار اى الدالان باختلافهما وهيئتهما على قدرته على البعث وكل مقدور والشمس والقمر اللذان هما للليل والنهار كالسراج لذوى الابصار وهذه الموجودات مع ما مضى من خلق الخافقين كتاب الملك الديان الى الانس والجان قد المشهود لهم بالعيان كما قيل تامل سطور الكائنات فانها من الملك الاعلى اليك رسايل

وقد خط فيها لو تاملت خطه الا كل شى ما خلا الله باطل

ولما ثبت له سبحانه التفرد بالخلق والامر وكان باطنًا الا عند من نور قلبه وكانت الشمس والقمر من اياته المعرفة المشيرة فى وجود الدنيا والاخرة اليه وكانا مشاهدين كان الانسان قاصرا لعقل مقيدا لوهم بالمشاهدات لما عنده من التوا الا من عصم الله انتج قوله محذرًا من عبادتهما لما يرى لهما من النهار وفيهما من المنافع لا تسجدوا للشمس التى هى اعظم الانوار فانهما من جملة مبدعاته واعاد النافى تاكيدًا للنفى وافادة لان النهى عن كل منهما على حدته ولذلك اظهر موضع الاضمار فقال ولا للقمر كذلك ولما نهى عن السجود لهما امر بالسجود له بما يبين استحقاقه لذلك وعدم استحقاقهما او استحقاق شى غيرهما له فقال واسجدوا ونبه على مزيد عظمته بالاظهار موضع الاضمار فقال لله اى الذى له كل كمال من غير شائبة نقص من افول او تجدد حلول الذى خلقهن اى الاربعة لاجلكم فهو الذى يستحق الالهية وانث لان ما لا يعقل حكمه حكم المونث فى الضمير وهى ايضًا ايات وفيه اشارة الى التناهى سفولها عما اهلوها له وذم عابديهما بالافراط فى الغباوة ويمكن ان يكون عد القمر اقمارًا لانه يكون تارة هلالا واخرى بدرًا واخرى محاقا فلذلك جمع اشارة الى حقرهما بالتغير له فى الجرم ولهما بالتسيير ولذلك عبر بضمير المونث الذى يكون لجمع الكثرة مما لا يعقل ولما ظهر ان الكل عبيده وكان المشرك لا يرضى باشراك عبده عبدًا اخر فى عبادة سيده قال ان كنتم اياه اى خاصة بغاية الرسوخ تعبدون كما هو صريح قولكم فى الدعا فى وقت الشدائد لا سيما فى البحر ومحصل قولكم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فان اشركتم به شيئًا بسجود او غيره مما يختص بالعبادة لان السجود من العبادة وفعله ولو فى وقت واحد لغيره اشراك فى الجملة ومن اشرك به لم يعبده وحده ومن لم يعبده وحده لم يعبده اصلا لانه اغنى الاغنيا لا يقبل الا الخالص وهو اقرب الى العبادة من كل شى فيوشك ان ينتقم منكم باشراككم وفى الاية اشارة الى الحث على صيانة الادميين عن ان يقع منهم سجود لغيره رفعا لمقامهم عن ان يكونوا ساجدين لمخلوق بعد ان كانوا مسجودًا لهم فانه سبحانه امر الملائكة الذين هم اشرف خلقه بعدهم بالسجود لادم وهم فى ظهره فتكبر ابليس فابد لعنه فشتان ما بين المقامين ولما كانوا فى هذا الامر بين طاعة ومعصية وكان ذروة المفاسد مقدما سبب عن ذلك قوله معبرًا باداة الشك تنبيهًا لهم على ان استكبارهم بعد اقامة هذه الادلة ينبغى ان لا يتوهم وصرف القول الى الغيبة تحقيرًا لهم وابعادًا على تقدير وقوع ذلك منهم فان استكبروا اى اوجدوا الكبر عن اتباعك فيما امرتهم به من التوحيد فلم يتنزهوا الله فالذين عند ربك واظهر موضع الاضمار معبرًا بوصف الاحسان بشارة له ونذارة لهم ربك خاصة لا عندهم لكونهم مقربين لديه فى درجة الرضى والكرامة ولكونهم مما يستغرب الادميون ولكون الكفار لا قدرة لهم على الوصول اليهم بوجه ما يسبحون له اى يوقعون التنزيه عن النقايص وبعده عن الشركة لاجل علوه الاقدس وعن الاكبر لا لشى سواه غيره اخلا فى عبادته وهم لا يستكبرون ولما كان حال الكفار فى الاخلاص مختلفًا فى الشدة والرخا اشار الى تقبيح ذلك منهم بتعميم خواصه عليهم السلام بالاخلاص حالتى الاثبات الذى هو حالة بسط فى الجملة والمحو الذى هو حالة قبض لذلك بحدّ دون هذا التنزيه مستمرين عليه فى كل وقت فقال بالليل والنهار اى على مر الملوين وكر الجديدين لا يفترون ولما كان فى سياق الغرض لاستكبارهم المقتضى لانكارهم اكد بالعاطف والضمير فقال مؤذنًا بان هذا دابهم لا يشغلون عنه دائم اى والحال انهم على هذا الدوام لا يسامون اى لا يكون منهم فى وقت من الاوقات فتور ولا ملل فهو غنى عن عبادة هولاء بل وعن عبادة كل عابد والحظ الاوفر لمن عبده واما هو سبحانه فلا يزيده شى ولا ينقصه شى فدع هولاء ان استكبروا وشانهم فسيعلمون من الخاسر فالاية من الاحتباك ذكر الاستكبار اولا دليلا على حذفه ثانيا والتسبيح ثانيا دليلا على حذفه اولا وسر ذلك انه ذكر اقبح ما لاعدائه واحسن ما لاوليائه ولما ذكر بعض ايات السماء لشرفها ولان بعضها عبد ومن اثار الالهية قد كرر لها على وحدانيته اللازم منه ابطال عبادتها اتبعه بعض ايات الارض بخلاف ما فى حم فان السياق هناك للبعث وايات الارض ادل فقال ومن اياته اى الدالة على عظيم شانه وعلو سلطانه انك ترى الارض اى بعضها بحاسة البصر وبعضها بعين البصيرة قياسًا على ما ابصرته لان الكل بالنسبة الى قدرته على حد سوا ولما كان السياق للوحدانية عبر بما هو اقرب الى حال العابد بخلاف ما مضى فى الحج فقال خاشعة اى يابسة لا نبات فيها فهى بصورة الذليل الذى لا منعة عنده لانه لا مانع

من المشى فيها لكونها مطمئنة بعدم السائر لوجهها بخلاف ما اذا كانت مهتزة رابية متزخرفة تختال بالنبات ولما كان انزال الماء مما استاثر به سبحانه فهو من اعظم الادلة على عظمة الواحد صرف القول الى مظهر العظمة فقال فاذا انزلنا بما لنا من العظمة عليها الماء من الغمام او سقناه اليها من الاماكن العالية وجلبنا به اليها من الطين ما تصلح به للانبات وان كانت سبخة كارض مصر اهتزت اى تحركت حركة عظيمة كثيرة سريعة فكانت كمن يعالج ذلك بنفسه وربت اى تشققت فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسما فى الجو مغطيا لوجهها وتشعبت عروقه وغلظت سوقه فصاد يمنع سلوكها على ما كان فيه من السهولة وصار بحسن زينته بمنزلة المختال فى ثواب زينته بعد ان كان عاريًا ذليلا فى اطمار رثه وحال زرى وكذلك القلوب اذا خشعت لاستشعارها بما المت به من الذنوب اقبل الحق سبحانه عليها فطهرها بمياه المعارف ظهرت فيها بركات الندم وعفا عن اربابها ما قصروا فى صدق القدم واشرقت بحلى الطاعات وزهت بملابس القربات وركت بانواع التجليات ولما كان هذا دليلا عظيما شاهدا على القدرة على ايجاد المعدوم واعادة البالى المحو انتج ولا بد قوله موكدًا لاجل ما هم فيه من الانكار صارفا القول عن مظهر العظمة الى ما ينبه على القدرة على البعث ولا بد ان الذى احياها بما اخرج من نباتها الذى كان بلى وتحطم وصار ترابا لمحيى الموتى كما فعل فى النبات من غير فرق ولما كان لواسع انكارهم بتمام قدرته كانهم ينكرون قدرته لانكارهم البعث قال معللا موكدًا انه على كل شى قدير لان الممكنات متساوية الاقدام بالنسبة الى القدرة فالقادر بقدرة تامة على شى منها قادر على غيره ولما بين ان الدعوة الى الله اعظم المناصب واشرف المراتب وبين ابتداءا انما تحصل ببيان دلائل التوحيد التى من اعظمها البعث وبينه الى ان كان بهذا الحد من الوضوح كان بحد التهديد من اعرض عن قبوله فقال فى عبارة عامة له ولغيره موكدا تنبيها على ان فعلهم فعل من يظن انه سبحانه لا يطلع على اعماله ان الذين يلحدون اى يميلون بصرف المعانى عن القصد وسنن العدل بنحو قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى او بما يلحون بما للغو بالمكاء والتصدية وغير ذلك من انواع اللغط وكلما يسمى ملحدًا كما نص اراده ولما كان الاجترا على الالحاد قادحا فى الاعتراف بالعظمة اعاد مظهرها فقال فى اياتنا على ما لها من العظمة الدالة على ما لنا من الوحدانية وشمول العلم وتمام القدرة ولما كان العلم بالاساءة مع القدرة سببا للاخذ قال معبرًا للعلم بعد تقرير القدرة لا يخفون علينا اى فى وقت من الاوقات ولا وجه من الوجوه ونحن قادرون على اخذهم فمتى شينا اخذناهم ولا يعجل الا ناقص يخشى الفوت ولما كان الالحاد سببا لالقاء صاحبه فى النار وكان المعذر ونحن نحلم عن العصاة لمن رجع الينا امن كل مخوف ومن اعرض الى الممات القيناه فى النار سبب عنه قوله افمن يلقى فى النار اى على وجهه بايسر امر بسبب الحاده فى الايات واعراضه عن الدلالات الواضحات فيكون خائفا يوم القيمة كما ترى من مقدمات ذلك حتى يرهقه ما خاف منه خير ام من ياتى الينا امنا يوم القيمة حين نجمع عبادنا للعرض علينا لنحكم بينهم بالعدل فيدخل الجنة دار السلام فيه ومن امنه والاية من الاحتباك ذكر الالقا فى النار اولا دليلا على دخول الجنة ثانيا والامن ثانيا دليلا على الخوف اولا وسره انه ذكر المقصود بالذات وهو ما وقع الخوف لاجله اولا والامن الذى هو العيش فى الحقيقة ثانيا ولما كان هذا رادًا ولا بد للعاقل عن سوء اعماله الى الاحسان رجاء انعام الله وافضاله انتج قوله مهددًا ومخوفا متوعدًا صارفا القول عن الغيبة الى الخطاب لانه ادل على الغضب على المتمادى بعد هذا البيان اعملوا ما شئتم اى بعد علمكم مصير المسيء والمحسن فمن اراد شيئا من الجزائين فليعمل اعماله فانه ملاقيه ولما كان العامل لا يطمع فى الاهمال الا على تقدير خفاء الاعمال والمعمول له لا يترك الجزاء الا لجهل او عجز بين انه سبحانه محيط العلم عالم بما قبل الذر فقال من غائب مرهبا موكدا لانهم يعملون عمل من يظن ان اعماله تخفى عادلا عن ظهر العظمة الى ما هو ادل شى على الفردانية لئلا يظن ان مزيد العلم بواسطة كثرة انه وقدم اعمالهم تنبيها على الاهتمام بشانها جرا فقال بما تعملون اى فى كل وقت بصير بصرًا وعلما هو على كل شى منكم قدير ولما جعل اليهم الاختيار فى العمل تهديدا اتبعه الاجتهاد بما من خالفه فقال موكدا لانكارهم مضامين ما دخل عليه التاكيد ان الذين كفروا اى ستروا مرائى العقول الدالة على الحق مكذبين بالذكر الذى لا ذكر فى الحقيقة غيره لما جاءهم من غير توقف اصلا من لدن ذلك منهم على غاية العناد وانه اى والحال انه لكتاب اى جامع لكل خير عزيز اى لا يوجد مثله فهو يغلب كل ذكر ولا يغلبه ذكر ولا يقرب من ذلك ويعجز كل معارض ولا يعجز اصلا عن افحام مناهض ولما كان من معانى العزة انه ممتنع بمتانة رصفه وجزالة نظمه وجلالة معانيه من ان يلحقه تغيير ما بين ذلك بقوله لا ياتيه الباطل اى البين البطلان اتيان غلبة فيصير او شى منه باطلا بينا ولما كان المراد تعميم النفى لا نفى العموم ادخل الجار فقال من بين يديه اى من جهة الظاهر مثل امر اخبر به عما كان قبله ولا من خلفه من جهة العلم الباطن مثل علم ما لم يشتهر من الكتاب والاتى سوا كان حكما او خبرا لانه فى غاية الحقية والصدق والحاصل انه لا ياتيه من جهة من الجهات لان ما قدامه اوضح ما يكون وما خلفه اخفى ما يكون

مما ينزل لك من بابا الاولى فالعبارة كناية عن ذلك لان صفة الله لا اول لها ولا امام على الحقيقة ومثل ذلك ليس وراء الله مرمى
ولا دون الله منتهى ونحو مما تفهمه العرب ومن علم لسانها المراد به دون لبس ثم علل ذلك بقوله تنزيل اى بحسب التدريج
لاجل المصالح من حكيم بالغ الحكمة فهو يضع كل شئ منه في اتم محاله في وقت النزول وسياق النظم حميد اى بالغ الاحاطة
باوصاف الكمال من الحكمة وغيرها والتنزه والتطهير والتقديس عن كل شائبة نقص يحمده كل خلق بلسان حاله ان لم يحمده بلسان
قاله بما ظهر عليه من نعمته او جماله والخبر محذوف تقديره خاسرون لا محالة لانهم لا يقدرون على شئ مما يوجهونه اليه من
الطعن لانهم عجزة ضعفا صغرة كما قال المعرى

ارى الجوزاء اكبر ان تصادا ... فعاند من تطيق له عنادا

وحذف الخبر اهول لحذف النفس كل مذهب ولما وصف الذكر بانه لا يفصح ولا يتصور ان يلحقه نقص فبطل قولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ونحو مما مضى وحصل الامن منه اتبعه التسلية مما يلحقه من الغم ليقع الصبر على جميع
اقوالهم وافعالهم فقال ما يقال لك اى يبرز الى الوجود قوله سواء كان في ماضي الزمان او حاضره او آتيه من شئ من
الكفار وغيرهم يحصل به ضيق صدر او تشويش فكر من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الى آخره وغير ذلك مما تقدم
انهم قالوه له متعنتين به الا ما اى شئ قد قيل اى حصل قوله على ذلك الوجه للرسل وان لم يقل الكل واحد منهم كأنه
قيل للمجموع ونبه على ان ذلك ليس بمستغرق للزمان بل تارة وتارة بادخال الجار في قوله من قبلك ولما
حصل بهذا الكلام ما اريد من التأسية فكان موضع التوقع لهم ان يحل بهم ما حل بالامم قبلهم من عذاب الاستيصال
وكان صلى الله عليه وسلم شديد الشفقة عليهم والمحبة لصلاحهم سكن سبحانه روعه بالاعلام بان رحمته سبقت
غضبه فقال مخوفا مرجيا مؤكدا لاجل انكار المنكرين ان واشار الى مزيد رفعته بذكر صفة الاحسان وافراد
الضمير فقال ربك اى المحسن اليك بارسالك وانزال كتابه اليك ومن اكرم بمثل هذا لا ينبغي له ان يحزن لشئ يعرض
لذو مغفرة اى عظيمة جدا في نفسها وزمانها ومكانها لمن يشاء منهم فلا ينقطع لاحد بشقا ولما رغبهم بالاتصافه
بالمغفرة رهبهم باتصافه بالانتقام واكد باعادة ذو والواو فقال وذو عقاب واختم بما رواه اليم مع تقديم
الاسم المبهم في التي قبلها دال للاشعري الذي قال بان الفواصل غير مرعية في الكتاب العزيز وانما المعول عليه المعاني لاعلى
والمعنى هنا على الايلام من كانوا يؤلمون اولياءه بالقول عند تلاوة الدال على غاية العناد فلذا افرد حكيم ولم يقل هنا شديد
وقال اليم اى كذلك فلا ينقطع لاحد بنجاة الامر اخير منه سبحانه باشقائه او انجائه وقد تقدم فعله لكل من الامرين
انجاء واغراقا كقوم نوح عليه السلام وعاقبة امرك وسيفعل في قومك من كل من الامرين ما هو اللائق بالرحمة
بارسالك كما اشار اليه ابتداء وبالمغفرة فالآية نحو ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ولعله لم يصرح هنا تعظيما
للقرآن الذي الكلام بسببه ولما افتتحت السورة بانه انزل على احسن الوجوه واجلها واعلاها وابينها واكملها
من التفصيل والجمع والبيان بهذا اللسان العظيم الشان فقالوا فيه ما وقعت هذه التسلية لاجله من قولهم قلوبنا في
اكنة الى آخره وكان ذلك فقال قائل لو كان بلسان غير العرب واعطى هذا النبي فهمه والقدرة على تبيينه لكان اقوى في
الاعجاز واجدر في الاتباع اخبر ان الامر ليس كذلك لانهم لم يقولوا هذا لشك حصل لهم في امره بل عنادا والمعاند لا يرده
شئ فقال على سبيل التأكيد معلما بان الامر على غير ما ظنه هذا الظان وقال الاصبهاني انه جواب عن قولهم وقالوا قلوبنا
في اكنة والاحسن عندي ان يكون عطفا على فصلت آياته قرانا عربيا معجزا وهم اهل العلم باللسان فاعرضوا عنه وقالوا
فيه ما تقدم ولفت القول عن وصف الاحسان الذي اقتضى ان يكون عربيا الى مظهر العظمة الذي هو محط اظهار الاقتدار
وانفاذ الكلمة ولو جعلناه اى هذا الذكر بما لنا من العظمة قرانا اى على ما هو عليه من الجمع اعجميا اى لا يفصح وهو مع ذلك
على وجه يناسب عظمتنا ليشهد كل احد انه معجز للعجم كما ان هذا معجز للعرب واعطيناك فهمه والقدرة على افهامهم اياه
لقالوا اى هؤلاء المتعنتون فيه كما يقولون في هذا كفرا وتعنتا لولا اى هلا ولم لا فصلت آياته اى بينت على طرق
يفهمها بلا كلفة ولا مبين حال كونه قرانا عربيا كما قدمنا اول السورة ولما تبين بشاهد الوجود انهم قالوا
في العربي الصرف وشهادة الحكيم الودود انهم يقولون في الاعجمي الصرف لم يبق الا المختلط منهما المنقسم اليهما فقال
مشنعا منكرا عليهم للعلم بان ذلك منهم مجرد لدد لا طلبا للوقوف على سبيل الرشد ءاعجمي اى امطلوبكم او مطلوبنا
على قراءة الخبر من غير استفهام اعجمي وعربي متصل بالتساقين والاعجمي كما قاله الرازي في اللوامع الذي لا يفصح ولو كان
عربيا والعجمي من العجم ولو تفاصح بالعربية ولما كان من الجائز ان يقولوا نعم ذلك مطلوبنا وكان ذروة الامر الرتبة
العليا الى مادة ويتهم انه لا يجيب الى المقترحات الا مريد للعذاب او عاجز عن ايقاع ما يريد بين ان مراده نافذ من
غير هذا فقال قل هو اى هذا القرآن على ما هو عليه من العلو الذي لا يمكن ان يكون شئ يناظره للذين امنوا اى اردنا
وقوع الايمان منهم هدى بيان لكل مطلوب وشفا لما في صدورهم من داء الكفر والهوى فاذا هم به سمعيه وقلوبهم له

لمذهب

والاجل

واعيه

واعيه وهو لهم بصاير قال القشيري فهو شفاء للعلماء حيث استراحوا عن كد الفكر وتحير الخواطر وشفاء ضيق صدور المريدين
بما فيه من التنعم بقراءته والتلذذ بالتفكر فيه ولقلوب المحبين من لواعج الاشتياق بما فيه من لطائف المواعيد ولقلوب العارفين
بما يتوالى عليها من انوار التحقيق وآثار خطاب الرب العزيز والذين لا يؤمنون اى اردنا انه لا يتجدد منهم ايمان في آذانهم
وقر اى ثقل يذهب بالسمع مصمم فهم لذلك لا يسمعون سماعا ينفعهم لانهم بادروا الى رده اول ما سمعوه وتكبروا عليه
فصاروا لا يقدرون على تأمله فعز عليهم فهمه وهو عليهم خاصة عمى مستعل على ابصارهم وبصائرهم لازم لهم فهم لا
يعونه حق الوعي ولا يبصرون الداعي به حق الابصار فلهم به ضلال وداء فلذلك قالوا ومن بيننا وبينك حجاب وذلك
لما يحصل لهم من الشبه التي هيئت قلوبهم لقبولها وتمادي بهم في الاوهام التي لا يالفون سوى فروعها واصولها فقدمه ان
ان سبب الوقر في اذانهم الحكم بعدم ايمانهم للحكم باشقائهم فالآية من الاحتباك ذكر الهدى والشفا اولا دليلا على الضلال
والداء ثانيا والوقر والعمى ثانيا دليلا على السمع والبصائر اولا وسر ذلك انه ذكر امدح صفات المومنين واذم
صفات الكافرين لانه لا احقر من اصم اعمى ولما ثبت بهذا بعدهم عن علبا به وطردهم عن فنا به قال اولئك
اى البعداء البغضاء منالهم منال من ينادون اى ينادى بهم من يريد نداءهم غير الله من مكان بعيد فهم بحيث لا ينالى
سماعهم واما الاولون فهم ينادون بما هيئوا له من القبول من مكان قريب فهذه هي القدرة الباهرة وذلك ان شياها
يكون لناس في غاية القرب ولناس معهم في مكانهم في نهاية البعد ولما كان التقدير فلقد آتيناك الكتاب
على هذه الصفة من العظمة فاختلفت فيه امتك على ما اعلمناك به اول البقرة من انقسام الناس فعاقبنا الذين تكبروا
عليه بان ختمنا على مشاعرهم عطف عليه مسليا قوله مؤكدا لمن يقول من اهل الكتاب اصلا لا لو كان نبيا ما اختلف
الناس عليه ونحو ذلك مما يلبس به ولقد آتينا اى على ما لنا من العظمة موسى الكتاب اى الجامع لما فيه هداهم فاختلف
اى وقع الاختلاف فيه اى من امته كما وقع في هذا الكتاب لان الله تعالى خلق الخلق للاختلاف مع ما ركب فيهم من العقول
الداعية الى الاتفاق ولولا كلمة اى ارادة سبقت في الازل ولفت القول الى صفة الاحسان ترضية بالقدر
وتسلية وزاد ذلك بافراده بالاضافة فقال من ربك اى المحسن اليك بتوفيق الصالح لاتباعك وحمل الطالح بالطرد
عنك لا راحة منه من غير ضرر لدينك وبامهال الكل الى اجل معلوم ثم امهال الكل الى يوم الفصل الاعظم من غير
استيصال بعذاب كما صنعنا بغيرهم من الامم لقضى اى وقع القضاء الفيصل بينهم اى المختلفين بانصاف المظلوم
من ظالمه الآن ولما علم بهذا وغيره ان يوم القيمة قد قدره وجعله موعدا من لا يبدل القول لديه فاقتضى
انه لا بد منه ولا محيد عنه وهم يجادلون فيه قال مؤكدا وانهم لفي شك اى محيط بهم منه اى القضاء يوم الفصل
مريب اى موقع في الريب وهو التهمة والاضطراب بحيث لا يقدرون على التخلص من دائرته اصلا ولما
تقرر بما مضى ان المطيع ناج وتحرر ان العاصي هالك كانت النتيجة من غير تردد من عمل صالحا كائنا من كان فلنفسه
اى فنفع عمله لها يزكيها به لاستعدادها والنفس فقيرة الى التزكية بالاعمال الصالحة لانها محل النقائص فلذا عبر بها
وكان قياس العبارة في جانب الصلاح ومن عمل شيئا فافاد العدول الى ما عبر به مع ذكر العمل اولا الذي مبناه العلم
ان الصالح تتوقف صحته على نيته وان السيئ يواخذ به عامله في الجملة من الله او الناس ولو وقع خطأ فلذا قال
ومن اساء في عمله فعليها اى على نفسه خاصة ليس على غيره منه شئ ولما كان المقصد السورة نظر كبيرا الى
الرحمة كرر سبحانه وصف الربوبية فيها كثيرا فقال عاطفا على ما تقديره فما ربك بتارك جزاء احد اصلا خيرا كان
او شرا وما ربك اى المحسن اليك بارسالك لتتمم مكارم الاخلاق ولما كان لا يصح اصلا ولا يتصور ان ينسب
اليه سبحانه ظلم عبر بما لا دلالة على ذلك بنكره في سياق النفي داله على النسبة مقرونة بالجار فقال بظلام اى بذى ظلم
للعبيد اى هذا الجنس فلا يتصور ان يقع منه ظلم لاحد منهم اصلا لانه الغنى المطلق والحكمة البالغة وعبر بعبيد
دون عباد لانه موضع اشفاق واعلام بضعف وعدم قدرة على انتصار وعناد بل على طاعة وعدم حقارة بل اكرام
هذا اغلب الاستعمال ولعل حكمة التعبير بصيغة المبالغة الاشارة الى انه لو ترك الحكم والاخذ للمظلوم من الظالم
لكان بليغ الظلم من جهة ترك الحكمة التي هي وضع الاشيا في اتقن محالها من جهة وضع الشئ وهو العفو عن المسئ وترك
الانتصار للمظلوم في غير موضعه ومن جهة التسوية بين المحسن والمسئ وذلك اشد في تهديد الظالم لان الحكيم لا
يخالف الحكمة فكيف اذا كانت المخالفة في غاية البعد عنها هذا مع ان التعبير بها لا يضر لانها موضوعة ايضا
للنسبة الى اصل المعنى مطلقا ولان نفي مطلق الظلم مصرح به في آيات اخرى ولما تضمنت الآية
البالغة الجزاء على كل جليل وحقير وقليل وكثير والبراءة من الظلم كما قال تعالى وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون
ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون واشير الى التوعد بالجزاء في يوم الفصل لانا نشاهد اكثر الخلق يموت

من غير جزاء وكان من عادتهم السؤال عن علم ذلك اليوم وكان ترك الجزا انما يكون للعجز والظلم انما يكون للجهل لانه وضع
الاشيا في غير محالها فعل الماشي في الظلام رد علمها اليه عن كل منهما بتمام العلم المستلزم لشمول القدرة على وجه فيه جواب
عن السؤال عن علم الوقت الذي يقوم فيه الساعة الذي كان سببا لنزول هذه الاية كما ذكره ابن الجوزي بقوله على سبيل
التعليل **اليه** اي الى المحسن اليك لا الى غيره **يرد** من كل احد **علم الساعة** اي لان لا ساعة في الحقيقة غيرها لما لها
من الامور التي لا نسبة لغيرها بها فهي الحاضرة لذلك في جميع الاذهان وانما يكون الجزا على الاسآءة والاحسان فيها حتى يظهر
لكل احد ظهورا بينا لكل احد انه لا ظلم اصلا فلا يمكن ان يسأل احد سواه عنها ويخبر عنها بما يغني في تعيين وقتها
وكلما اشتغل السائل من مسؤول الى اعلم منه وجده كالذي قبله حتى يصل الامر الى الله تعالى والعالم منهم هو الذي
يقول الله اعلم فاستيثاره بعلمها دال على تناهي علمه وحجبه له عن كل من دونه دال على تمام قدرته واجتماع الامرين
مستلزم لبعده عن الظلم وانه لا يصح اتصافه به فلا بد من اقامته لها ليوفي كل ذي حق حقه وياخذ لكل مظلوم ظلامته
غير متعتع **ولما** كانوا ايضا زعون في دون عمما فضلا عن العلم بما بعدها امرا محققا مفروغا منه وذكر ما يدل
على شمول علمه لكل حادث في وقته دليلا على علمه بما يعين وقت الساعة وذلك على وجه يدل على قدرته عليها وعلى كل مقدور
بما لا نزاع لهم فيه من ثمرات النبات والحيوان التي هي خبء في ذواتها ما هي خارجة منه فهي كخروج الناس بعد موتهم من
خبء الارض فقال مقدما للرزق على الخلق كما هو الاليق عطفا على ما تقديره فما يعلمها ولا يعلمها الا هو **وما تخرج** اي
في وقت من الاوقات الماضية والكائنة والاتية فان ما النافية لا تدخل الا على ما معناه الحلول فالمراد مجرد تصوير
الحال وان كان زمانه قد مضى او لم يات واكد النفي بالجار فقال **من ثمرة** اي صغيرة او كبيرة صالحة او فاسدة من
الفواكه والحبوب وغيرها والافراد في قراءة الجماعة للجنس الصالح للقليل والكثير وبينت قراءة نافع وابن عامر على
كثرة الانواع **من اكمامها** جمع كم وكمامة بالكسر فيهما وهو وعاء الطلع وغطاء النور وكل ما غطى على وجه الاحاطة
شيا من شانه ان يخرج فهو كم بالضم ومنه قيل للقلنسوة كمة ولكم القميص ونحو كم اي الا بعلمه **وما تحمل من انثى** حملا
او تماما ناقصا او تاما والدا النفي باعادة النافي ليشمل كلا على حياله وعبر بلاد لان الوضع ليس كالحمل يقع في لحظة
بل يطول زمانه انتظاره فقال **ولا تضع** حملا حيا او ميتا **الا** حال كونه ملتبسا **بعلمه** ولا علم لاحد غيره بذلك ومن
ادعى علما به فليخبر بان ثمرة الحديقة الفلانية والبستان الفلاني والبلد الفلاني تخرج في الوقت الفلاني او لا تخرج
العام شيا اصلا والمراة الفلانية تحمل في الوقت الفلاني وتضع في وقت كذا او لا تحمل العام شيا ومن المعلوم انه
لا يحيط بهذا علما الا الله تعالى **ولما** ثبت بهذا علمه صريحا وقدرته لزوما وعجز من سواه وجهله وتفرد
بذلك امر الساعة من انه قادر عليها بما اقام من الادلة وانه لا بد من كونها لما وعد به من كونها لينصف المظلوم من ظالمه
لانه حكيم ولا يظلم احدا وان كانوا في ايجادها يتنازعون وله ينكرون قال تعالى مصورا ما تضمنه ما سبق من جهلهم
ومعرضا ببعض احوال القيمة عاطفا على ما ارشد اليه السياق التقدير من نحو فهو على كل شيء قدير لانه على كل شيء شهيد وهم
بخلاف ذلك معرضا قدرته تصريحا وعجز ما ادعوا من الشركا **ويوم يناديهم** اي المشركين بعد بعثهم من القبور للفصل
بينهم في ساير الامور **فيقول** المحسن اليك بانواع الاحسان الذي منه انصاف المظلوم من ظالمه على سبيل التوبيخ
والتقريع والتنديم **اين شركاي** اي الذين زعمتم انهم يشفعون لكم في هذا اليوم ويحمونكم من العقاب واللوم
في الظرف **قالوا** اي المشركين **اذناك** اي اعلمناك سابقا بالسنة احوالنا والآن بالسن مقالنا وفي كلتي الحالتين
انت سامع لذلك لانك سامع لكل ما يمكن ان يسمع وان لم يسمعه غيرك ولذا عبروا بما منه الاذن **ما منا** واكد
النفي بادخال الجار في المبتدا المؤخر فقال **من شهيد** اي حاضر اما حاضر دون غيبه مطلع على ما يريد من غير خفاء
بحيث لا يغيب عن علمه شيء فيخبر بما يخبر به على سبيل القطع والشهادة فآل الامر الى ان المعنى لا نعلم ان ما كنا نسميهم
شركا لانه ما منا من هو محيط العلم **ولما** قرر جهلهم اتبعه عجزهم فقال **وضل** اي ذهب وغاب
وخفي **عنهم** **ولما** كانت معبوداتهم اما من لا يعقل كالاصنام واما في عداد ذلك لكونهم لا فعل لهم في الحقيقة
عبر عنهم باداة ما لا يعقل فقال **ما كانوا** اي دائما **يدعون** في كل حين على وجه العبادة **ولما** كان دعاؤهم
لهم غير مستغرق لزمان القبل ادخل الجار فقال **من قبل** فهم لا يرونه فضلا عن انهم يجدون نفعه ويلقونه وكانهم
كانوا لما هم عريقون فيه من الجهل وسوء الطبع يتوقعون ان يظفروا بهم فيشفعوا لهم فلذلك عبر بالظن في قوله
وظنوا اي في ذلك الحال **ما لهم** وابلغ في النفي بادخال الجار على المبتدا المؤخر فقال **من محيص** اي مهرب وملجا ومعدل
ولما دل اتباعهم للظن حتى في ذلك اليوم الذي تنكشف فيه الامور وتظهر عظائم المقدور والقاهم
بايديهم فيه على انهم في غاية العراقة في الجهل والرسوخ في العجز اتبع ذلك الدليل على ان ذلك طبع هذا النوع فلا

يزال متبدل الاحوال متغير المناهج ان احس بخير انتفخ عظمة وتطاول كبرا وان مس ببلاء تضال ذلا وامتلا ضعفا وعجزا وذلك
ضد مقصود السورة الذي هو العلم بيانا لان حال هذا النوع بعيد من العلم عريق الصفات في الجهل والشر الا من عصم الله فقال
لا يسام اي يمل ويضجر **الانسان** اي الآنس بنفسه الناظر في عطافه الذي لم يتاهل للمعارف الالهية والطرق الشرعية
من دعا الخير اي من طلبه طلبا عظيما وذلك دال مع شرهه على جهله فانه لو كان عالما بان الخير ياتيه او لا ياتيه لخفف
عن نفسه من جهده في الدعا ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء **وان مسه الشر** اي هذا النوع قليله
او كثيره بغتة من جهة لا يتوقعها **فيؤس** اي عريق في الياس وهو انقطاع الرجا والامل والحزن العظيم والقطع بدوام
تلك الحالة بحيث صار قدوة في ذلك **قنوط** اي معتم في دارة انقطاع الامل والخواطر الردية فهو ما كيد المعنى على
احسن وجه واتمه وهذا هو ما طبع عليه الجنس فمن اراد الله به منهم خيرا عصمه ومن اراد به شرا اجراه مع الطبع فكان
كافرا انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال ابو حيان والياس من صفة القلب وهو ان ينقطع رجاوه من الخير
والقنوط ان يظهر عليه آثار الياس فيتضاءل وينكسر وبدا بصفة القلب لانها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار
ولما دل ذلك على عظيم جهله وغلبة افكاره الردية على عقله اتبعه تاكيدا لذلك ما يدل على انه ما له بعد هذا
الياس الذي قطع فيه بلزوم الشر وامتناع حصول الخير انه لو عاودته النعمة بغتة من وجه لا يرجوه وليس له دليل على
دوامها وانصرامها لعاد الى البطر والكبر والاشر ونسي ما كان فيه من الشدة فقال مسندا الى نفسه الخير بعد ان ذكر
الشر ولم يسنده اليه تعليما للادب ولفت القول معبرا بمظهر العظمة تنبيها على ان ذلك من جليل التدبير **ولئن اذقناه**
اي الانسان الذي غلبت عليه حالة الانس بنفسه حتى اسفلته عن ابناء جنسه الى رتبة الحيوانات العجم بل دونها ولما
اخبر اخر الاية السابقة عن حاله عند الشر قدم هنا ما صدق على الصلة اهتماما به بخلاف ما في سورة هود عليه السلام
فقال **رحمة منا** اي نعمة عظيمة دالة على اكرامه من جهة لا يرجوها ومن فايدة التعبير باداة الشك ودلالتها بالجار
على انفصالها عن الضر مع قرب زمنها منه ليكون قد جمع مباشرة الاحوال الثلاث الانتقام والاكرام وما بينهما من الوسط
الذي بين حالتي الرضى والسخط ثم اسرع نسيان ذلك فقال **من بعد ضراء** اي محنة وشدة عظيمة **مسته** فطال بركوكها عليه
واجاب القسم لتقدمه على الشرط بقوله **ليقولن** بمجرد ذوق تلك الحجة على انها ربما كانت بلاء عظيما لكونها استدراجا
الى الهلاك **هذا** اي الامر العظيم **لي** اي مختص بي لما لي من الفضل لا مشاركة لاحد معي فيه مع انه ثابت لا يتغير انتقالا
من حالة الياس الى حالة الامن والبطر والكبر والاشر على قرب لذمن من ذوق المحن ونسي انها من فضل الله لتقيدها بشكره
ولا تطردها بكفره **وما اظن الساعة** اي القيمة التي لعظمها المستحقة ان تخص باسم الساعة **قائمة** اي ثابتا قيامها
قطع الرجاء منه سواء عبر عن ذلك بلسان قاله او بلسان حاله لكونه يفعل افعال الشاك فيها كما كان قطع الرجا من الخير عند مبا
للشر لكنه قال على سبيل التقدير والعرض لدفع من يعظه محققا لدوام نعمته **ولئن رجعت** اي على سبيل الفرض بقسر قاسر
ما **الى ربي** اي الذي احسن الي بهذا الخير الذي انا فيه **ان لي عنده** واكد للرد على من يعظه بانه يعذب ان لم يحسن قلبه وقالبه
للحسنى اي الحالة والرتبة البالغة في الحسن حدا لا يوصف لاني اهل لذلك والدليل على تاهلي له ما اتانيه الآن من الخير ونسي
ما يشاهد غالبا من ان كثيرا من النعم يكون للاستدراج ومن ان كثيرا من الناس يكون في غاية النعمة فيصبح وقد احاطت به كل نقمة فهو
بين امنيتين في الدنيا يقول هذا وفي الاخرة يقول يا ليتني كنت ترابا فلا يزال في المحال نعوذ بالله من سوء الحال **ولما**
كان هذا هو الكفر الصراح لنسيان نعمة المنعم وجعله الانعام من لوازم اللازم وشكه فيما اخبر على السنة جميع الرسل
انه يحط حكمته سبب عنه سبحانه قوله موكدا في نظير تاكيد هذا الناسي **فلننبئن** اي تنبئة عظيمة بحيرا الوصف فيها
مستقصاة على سبيل العدل وجعل موضع الضمير الوصف نصا مجابا بالعموم وبيانا للعلة الموجبة فقال **الذين كفروا**
اي ستروا ما دلت عليه العقول واجمعت صرائح النقول من اقامة الساعة لاظهار جلاله وجماله ومن انه تعالى يحل بالاء
السرا والضرا ليخافوه ويرجوه ويشكروه ويدعوه **بما عملوا** لا ندع منه قليلا ولا كثيرا صغيرا ولا كبيرا فليرون عيانا ضد
ضد ما ظنوه في الدنيا من ان لهم الحسنى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا **ولنذيقنهم** بعد اقامة الحجة
عليهم بموازين القسط الوافية لمثاقيل الذر **من عذاب غليظ** لا يدع جهة من اجسامهم ولا قوايهم الا احاطها ولا تقوى على
دفعه قواهم **ولما** بين حال الانسان في حالتي محصورة باليأس عند مس الشر والامن عند ذوق النعمة بعد الضر بين
حاله عند النعمة مطلقا ودعاه عند الشر وان كان قانطا تكريرا التقلب احواله وتناقض افعاله واقواله تعريفا لذلك
على وجوه شتى ليكون داعيا له الى عدم الانفة من الرجوع عن الكفر الى الايمان ومسقطا عنه خوف السبة بذلك والنسبة
الى الخفة وعدم الثبات فقال معبرا باداة التحقيق دالا على غلبة نعمه تعالى في الدنيا لنقمه ودالا على حالة الانسان
عند مس النعمة من جهة يتوقعها بعد بيان حاله عند مسها نعمته من غير توقع تاكيدا لبيان جهله حيث جعل ظرف النعمة ظرفا

للاعراض من غير خوف من توعمها على فرض عمله بالضر واذا انعمنا بما لنا من العظمة على الانسان اى الواقف مع نفسه نعمة تليق
بعظمتنا لمسه الخير ولم يعبر في هذا الجانب بما عبر به في الذى بعده ايذانا بان المعرض مسيء بمجرد الاعراض لا المبالغة فيه
فقال اعرض اى انحرف عن سوء القصد الينا عنا في جميع من النعم بما افهمه الظرف فلم يقيد تلك النعمة بالشكر بعد ما
راى من جلالنا قاطعا بان تلك النعمة خير محض ظاهرا وباطنا فهو يتبشر بهما وربما كانت بلاء استدراجا ونأى اى البعد بعدا
جعل بيننا وبينه حجابا عظيما بجانبه اى بشقه كناية عن تكبره وبأوه واعجابه بنفسه وزهوه وتصورا له بمن كلمه فازور
عنك والنوى والبعد في ضلاله وغوى ولما تقدم حال الانسان عند من الشر بغتة بين حاله عند مسه وهو
يتوقعه فقال معبرا في جانب الشر باداة التحقيق على غير عادة القرآن في الاغلب ليدل على انه لزيادة جهله على الحد يلزم الكبر
وان كان يتوقع الشر ولا يزال له حال الامن الى ان يخالطه وحينئذ تنحل عراه وتضمحل قواه واذا مسه الشر اى هذا
النوع قليله وكثيره لا انتقاما منه فالآية من الاحتباك ذكر الانعام اولا دليل الانتقام ثانيا وذكر الشر ثانيا دليل
الخير اولا وسره تعليم الادب بنسبة الانعام دون الشر اليه وان كان الكل منه ولما كان تعظيم العرض دالا على
عظمة الطول قال معبرا بما يدل على الملازمة والدوام فذو دعاء اى في كشفه وربما كان نعمة باطنة وهو لا يشعر ولا
يدعو الا عند المس وقد كان ينبغي له ان يشرع في الدعاء عند التوقع بل قبله تعرفا الى الله في الرخاء ليعرفه في الشدة وهو خلق
شريف لا يفعله الا افراد حفظهم الله بلطفه فدل تركه له على عدم شكره لما مضى وخفة عقله لما يأتي ومفاجاته للزوم
الدعاء عند المس على عدم صبره وقلة حيائه عريض اى ممتد العرض جدا واما طوله فلا تسأل عنه وهذا كناية عن
النهاية في الكثرة ولما ذكر سبحانه من احوالهم المندرجة في احوال هذا النوع كله ما هو مكشوف بشاهد الوجود
من انه لا ثبات لهم لا سيما عند الشر ابدا اعلاما بالعراقة في الجهل والعجز دل على الامرين معا بالاحكم عا فلا دفعه من انهم لا
يجوزون الممكن فيعدونه ما يمنعه على تقديره وقوعه فامره صلى الله عليه وسلم ان يذكر ذلك ايذانا بالاعراض عنهم دليلا
على تناهي الغضب فقال قل ارأيتم اى اخبروني ان كان اى هذا القرآن الذى تصمتم لمغالبته حتى بالاعراض عن السماع باللغو
حال قراءته من الصفير والتصفيق وغير ذلك وليس ذلك منكم صادرا عن حجة قاطعة في امر انتم معها على يقين بل هو عن خفة وعدم
تأمل منكم انه من عند الله الذى له الاحاطة بجميع صفات الجلال والجمال فهو لا يغالب ولما كان الكفر به على
هذا التقدير في غاية البعد وكان مقصود السورة دائرا على العلم نبه على ذلك باداة التراخي مع الدلالة على ان ذلك ما كان منهم
الا بعد تأمل طويل لكانوا امعانا حتى نزلوا بالصفير والتصفيق عن اعلا رتب الكلام الى اصوات الحيوانات العجم فقال ثم
كفرتم به اى بعد انعام النظر فيه والتحقق لانه حق فكنتم بذلك في شقاق هو في غاية البعد من الملاءمة لمن لم يزل
يستعطفكم بجميل افعاله ويردكم بجليل اقواله وامره غيركم لانه من عند الله من اضل منكم هكذا كان الاصل ولكنه
قال ممن هو في شقاق اى للاولياء الله بعيد تنبيها على انهم صاروا كذلك وان من صار كذلك فقد عرض نفسه لسطوات
الله سبحانه التي من واقعته هلك لا محالة ومن اهدى ممن هو في اسلام قريب وهو الذى آمن لانه سالم الله الذى من سالمه
سالمه كل شئ فنجا من كل خطر فالآية من الاحتباك ذكر الاعمار اولا ودليل الاستغفار ثانيا وذكر الشر ثانيا دليل الخير اولا
وسره الكفر اولا دليلا على الايمان ثانيا والضلال ثانيا دليلا على الهدى اولا وسره ان ذكر الضار اصدع للقلب فهو
انفع في الوعظ ولما كان هذا محزنا للشفوق عليهم لاعمامه لشدة بعدهم عن الرجوع قال مبشرا على انه اذا اراد
سبحانه قرب ذلك منهم غاية القرب لالتفات القول الى مظهر العظمة ايذانا بتهويله ذلك عليه سنريهم اى عن قرب بوعد لا
خلف فيه آياتنا اى على ما لها من العظمة في الآفاق اى النواحي جمع افق كعنق واعناق ابدلت الهمزة الثانية الفا لسكونها
بعد مثلها وما ظهر من نواحي الفلك او مهب الرياح وذلك بما فتح الله من البلاد فغلب اهلها وقائع كل واحدة منها علم من اعلام
النبوة وشاهد عظيم كاف في صحة الرسالة تصديقا لوعده سبحانه وما اهلك من اهلها لنصر انبيائه ورسله وبما فيها
من عجائب الصنع وغرائب الآثار والوضع باختلاف الاحكام مع اتفاق جواهرها في التجانس وغير ذلك من الآيات المدركة
بالبصر اللاتي شرحها بآيات السمع ولما كان الايمان بالغيب هو المعتبر وكل ما كان اقرب اليه كان اقرب الى الكمال
وكانت آيات الآفاق اقرب الى ذلك بدأ بها ثم قال وفي انفسهم اى من فتح مكة وما اصابهم من سني الجوع وقصة الى الصيد
ونحو ذلك وتفصيل لهم مع ذلك ما في الادمي نفسه من بدائع الآيات وعجائب الخلق وغرائب الصنعة وما فيه من امارات
الحدوث واختلاف الاوصاف وغير ذلك من الشواهد المطابقة لما تضربه من الامثال والدلائل المعقولة عند اعتبارها
والافعال وبما في بلاد العرب من الآيات المرئية من نفي الشرك بعد اسراعهم اليه واطباقهم عليه واثبات التوحيد عن جميعهم بعد
ابعادهم عنه وقتالهم الداعي اليه وقد بين سبحانه في هذه من آيات الآفاق في آية ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين
وما شاكلها وفي الانفس في آيات فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ونحوها وآيات لا يسأم الانسان من دعاء

الخبر الى آخرها الدالة على ان الانسان مبني امره على الجهل والعجز فاكثر ما تصوره ليس كما تصوره فعليه ان يتأمل كتاب ربه
ويتدبره قال الرازي في اللوامع الاستدلال بالافعال على فاعلها واضح وطريق لائح والافعال على قسمين احدهما الآفاق
وهو جملة العالم والثاني النفوس فان من عرف نفسه عرف ربه اى من عرف روحه وكونها جوهرا منفردا في البدن بتصرف
التدبير وعلم صفاتها من انها باقية بغير البدن لا تحتاج في قوامها الى البدن بل البدن محتاج اليها وانها محل المعرفة فمن عرف
امثال هذه المعارف عرف ربه وصفاته من وحدانيته وعلمه وقدرته وارادته وتنزهه في جملة العالم يعني ان وجوده
تعالى بيان وجود غيره ولما كان التقدير ولا نزال نواتر ذلك شيئا في اثر شئ عطف عليه قوله حتى يتبين لهم غاية
البيان بنفسه من غير اعمال فكر انه اى القرآن الحق الكامل في الحقية الذى تطابقه الوقائع وتصادقه الاحوال العادية
والصنائع فيجتمعوا عليه ويقبلوا بكل قلوبهم اليه فلا يأباه في جزيرة العرب انسان ولا يختلف فيه منهم اثنان ثم ينبثون
في ارجاء الارض بطولها والعرض فيظهرهم على سائر الاديان ويبيد على ايديهم اهل الكفران ويدول في سائر البلدان ويرد
كل طغيان فيكون ظهورهم في هذا الوقت وضعف المؤمنين بعد ان كان سببا لازدياد من الكفر غطة لهم ولكل من يأتي بعدهم
يبحث البيان في كمال البرهان علما بان الله اجرى عادته ان يكون للباطل ريح تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل وصولة تجول ثم
تحول ولما كان هذا القول مبهما على الذي في الآفاق من الانفس من الآيات المرئية التي يقرأوها اولو الابصار بالبصائر
ويتأملها اهل الاعتبار باعين السرائر امرا لا يحيط به الوصف فكان حاديا على تجريد الافكار للنظر والاعتبار والوقوف
على بعض ما في ذلك من لطائف الاسرار وكان كأنه قيل الم يروا ويعقلوا ما في ذلك من الادلة على ان القرآن من عند الله فيكفيهم
عن شهادة شئ خارج عن انفسهم عطف عليه قوله اولم يكف واكد بادخال الجار وحقق الفاعل فقال مؤكدا بالباء ومحققا
انه الفاعل صارفا القول الى وصف الاحسان ايذانا بالرفق بهم بردهم اليه دون ارتكابهم ما يوجب نكالهم واهلاكهم
واستئصالهم بربك اى المحسن اليك بهذا البيان المعجز للانس والجان شهادة بانه من عنده انه اى او لم يكف شهادة ربك
لانه على كل شئ شهيد لا يغيب عنه شئ من الاشياء لا هذا القرآن ولا غيره وقد شهد لك فيه باعجازه جميع الخلق بكل ما
تضمنته آياته ونطقت به كلماته ففيه اعظم بشارة بتمام امر الدين وظهوره على المعتدين وذلك لان كل احد يجد في نفسه
انه اذا اراد شيئا حق ينكره من هو عليه ولصاحب الحق من الشهود ما يحقق قبولهم فيه ووصولهم اليه انه يكون
مطمئنا لا ينزعج بالجحد علما منه بان حقه لا بد ان يظهر ويخزي معانده ويقهر وفي هذا تأديب لكل من كان على حق ووجد
من يساعده على ظهوره فان الله شاهده فلا بد ان يظهر امره فيتوكل على الله انك على الحق المبين ولما لم يبق بعد
هذا التعنت مقال ولا شبهة اصلا لضال كان موضع المناداة على من استمر على عناده بقوله مؤكدا لادعائهم انه على
جلية من امرهم الا انهم اى الكفرة في مرية اى جحد وجدال وشك وضلال عن البعث من لقاء وصرف القول الى اضافة
وصف الاحسان اليهم اشارة الى انه لا بد من كمال تربيتهم بالبعث لانه احكم الحاكمين فقال ربهم اى المحسن اليهم بان خلقهم
ورزقهم للحساب والجزاء بالثواب والعقاب كما هو شأن كل حكيم فيمن تحت امره ولما كانوا مظهرين للشك في القدرة على
البعث قدرة تامة هم معترفون بها من قدرته على كل شئ من البعث وغيره فقال الا انه اى هذا المحسن اليهم بكل شئ اى من الاشياء
جملها وتفاصيلها كلياتها وجزئياتها اصولها وفروعها غيبها وشهادتها ملكها وملكوتها محيط قدرة وعلما من كثرها
وقليلها كلياتها وجزئياتها فلا يفوته شئ فيجمعهم على الحق ويبين لهم بالمرية ادعانا وبالشك يقينا وبرهانا فرحمته عامة لجميع اهل
الوجود وخاصة لمن من عليه بالايمان الموصل الى راحة الامان فكيف يتصور في عقل ان يترك البعث ليوم الفصل الذي
هو مدار الحكمة ومحط اظهار النعمة والنقمة وقد علم بذلك انطباق آخرها المادح للكتاب المعترف للبعث
والحساب على اولها المفصل للقرآن المفيض لقسمي الرحمة العامة والخاصة لاهل الاكوان على ما اقتضاه العدل والاحسان
بالبشارة لاهل الايمان والنذارة لاهل الطغيان والله الهادي

سورة حم عسق وتسمى عسق والشورى

مقصودها الاجتماع على الدين الذى اساسه الايمان وامر دعائمه الصلاة وروح امره الالفة بالمشاورة المقتضية لكون اهل
الدين كلهم فيه سواء كما انهم في العبودية لشارعه سواء واعظم نافع في ذلك الانفاق والمواساة فيما في اليد والعفو والصفح
عن المسيء والاذعان للحق في الخضوع للامر الحق وان صعب وشق وذلك كله الداعي اليه هذا الكتاب الذى هو روح
جسد هذا الدين المعبر عما دعا اليه من محاسن الاعمال وشرائف الخلال بالصراط المستقيم والى ذلك لوح اخر السورة
الماضية حتى يتبين لهم انه الحق الا انه بكل شئ محيط وصرح ما في هذه من قوله اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه الا المودة في
القربى استجيبوا لربكم نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم الا الى الله تصير الامور وتسميتها
بالشورى واضح المطابقة لذلك لما في آيتها وكذلك بالاحرف المقطعة فانها جامعة للمخارج الثلاثة الحلق والشفة
واللسان ولذا جمعها لصفتي المنقوطة والعاطلة ووصفي المجهورة والمهموسة وهي واسطة جامعة بين حروف

الذكر الأول لحروف القرآن العظيم وهذا المقصود هو غاية المقصود من احبتها سورة مريم الموافقة لها في الابتدا بالتساوي في عدد الحروف المقطعة وفي الانتها من حيث ان من احق مصير الامور كان المختص بالقدرة على اهلاك القرون وذلك لان مقصودها اتصافه تعالى بشمول الرحمة بافاضة جميع النعم على جميع خلقه وغاية هذا الاجتماع على الدين فلما توافقتا في المقصود وفي الابتدا والانتها واختصت الشورى بان حروفها اثنان ذل سبحانه بذلك ارباب البصاير على انه اشارة الى ان الدين قسمان اصول وفروع ذلك مريم على الاصول ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم هل تعلم له سميا والشورى على مجموع الدين اصولا وفروعا شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك الاية هذا موافقة البداية واما موافقة النهاية فهو انها ختمتا بكلمتين اول كل منهما اخر الاخرى واخر كل او الاخرى ايذانا بان السورتين دائرة واحدة محيطة بالدين متصلة لا انفصام لها وذلك ان اخر مريم اول الشورى واخر الشورى اول مريم فانما يسرناه بلسانك الاية هو كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الى اخرها وهو ذكر رحمة ربك عبده زكريا الى اخر القصة في الدعا بارث الحكمة والنبوة الذي روحه الوحي والله الهادي وكذا انتهتا ببعضها بدلالة الجزء على الكل **بسم الله** الذي احاط بصفات الكمال فنفذ امره فاستجاب له كل شي طوعا او كرها **الرحمن** الذي عمت رحمته فهيأت عباده لقبول امره **الرحيم** الذي خص اولياءه بما يرضاه الالهية من رحمته فجمع كلمتهم على دينه عقدا وفعلا وما لا **حم عسق** هذه الحروف يجوز ان تكون اشارة الى كلمات منتظمة من كلام عظيم يشير الى معنى هذا الجمع نحو ان يقال حكمة محمد علت وعمت فعفت سقام القلوب وقسمت حروفها قسمين موافقة لبقية اخواتها ولعدها اثنين ولم تقسم كهيعص لانها اية واحدة ولا اخت لها ولم تقسم المص مثلا وان كان لها اخوات لانها اية وكهيعص ولم تعد في شي من القران حرف واحد اية ويجوز ان تعتبر مفردة فتكون اشارة الى اسرار تملا الاقطار وتشرح الصدور والاذكار فان نظرنا الى مخارجها وجدناها قد حصل الابتدا فيها بادني وسط الحلق الى اللسان باسم الحاء وثنى باوسط حروف الشفة وهي الميم وحصل الرجوع الى وسط الحلق باقصاه من اللسان في اسم العين وهو جامع للحلق واللسان وقصد رابعا الى اللسان بالسين التي هي من ادناه الى الشفتين وهو رابع ولها التصاق بالثنيتين واتصال باعلى الفم ففيهما بهذا الاعتبار جمع ثم حصل بعد هذا الظهور بطون الى اصل اللسان في وهو اقصاه من الشفة بالقاف ولاسم هذا الحرف جمع بالابتدا باصل اللسان مع سقف الحلق والاختتام بالشفة العليا والثنيتين السفليين ففي هذه الحروف ثلاثة وهي اكثرها لها نظر بما فيها من الجمع الى مقصود السورة وقد اشتمل الابتدا فيها فيما كان من حرفين جمعهما مخرج بالاعلى ثم بالادنى اشارة الى انه يكون لاهل هذا الدين بعد الظهور بطون كما كان في اول الاسلام حيث حصر النبي صلى الله عليه وسلم واقاربه في الشعب وذلك ايضا اشارة الى انه يكون لاهل هذا الدين بعد الظهور بطون من تخلية الظاهر ينتقل الى تصفية الباطن من زين ظاهره بجميع الاعمال الصالحة صحح الله باطنه بالمراقبة الخالصة الناصحة على ان في هذا التدلي بشرى بان الحال الثاني يكون اعلى من الاول كما كان عند الظهور من الشعب بما حصل من نقض الصحيفة الظالمة الذي كان الضيق سببا له لان الثاني من مراتب هذه الحروف اقوى صفة مما هو اعلا منه مخرجا فان **الحا** لها من الصفات الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح **والميم** له من الصفات الجهر والانفتاح والاستفال وبين الشدة والرخاوة **والعين** لها من الصفات ما للميم سوا **والسين** لها من الصفات ما للحا وتزيد بالصفير **والقاف** له من الصفات الجهر والشدة والانفتاح والاستعلا والقلقلة **فالحرف الاول** اكثر صفاته الضعف ويزيد بالامالة التي قراءها كثير من القرا **والثاني والثالث** على السوا وهما الى القوة ارجح قليلا وذلك كما تقدم من وسط الحال عند الخروج من الشعب **والرابع** فيه قوة وضعف وضعفه اكثر فان فيه للضعف ثلاث صفات وللقوة صفتين وذلك كما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم عند اخر امره بمكة المشرفة حين مات لوزيراه خديجة رضي الله عنها وابو طالب لكن ربما كانت الصفتان القويتان غالبتين على الصفات الضعيفة بما فيهما بالانتشار بالصفير والجمع الذي مضت الاشارة اليه من الاشارة الى ضخامة تكون باجتماع انصار كما وقع من بيعة الانصار **والخامس** وهو الاخير كله قوة كما وقع بعد الهجرة عند اجتماع الكلمة وظهور العظمة كما قال صلى الله عليه وسلم فلما هاجرنا انتصفنا من القوم وكانت سجال الحرب بيننا وبينهم **ثم تكاملت** القوة عند تكامل الاجتماع بعد قتال اهل الردة بعد موته صلى الله عليه وسلم لاجرم انتشر اهل هذا الدين في الارض يمينا وشمالا فما قام لهم مخالف ولا وافقهم امة من الامم على ضعف حالهم وقلتهم وقوة غيرهم وكثرتهم الا دمروا عليهم فجعلوهم كامس الدابر **ثم** هذه الحروف كما مضى وصفي المجهورة والمهموسة وكانت المجهورة اغلبها اشارة الى ظهور هذا الدين على كل دين كما حققه شاهد الوجود وصفي المنقوطة والعاطلة وكانت كلها عاطلة الا حرفا واحدا اشارة الى ان

احوال

احوال المؤمن ان يكون اغلب احواله محو الاثر له صفة من الصفات بل يعيد في دمن الاموات والى ان المتحلي بالاعمال الصالحة الخالصة من اهل القلوب من ارباب هذا الدين قليل جدا وكان المنقوط اخرها اشارة الى ان نهاية المراتب عند اهل الحق الجمع بعد المحو والفرق وكان حرف الشفة من حروفها الميم وهي ذات الدائرة المستوية الاستدارة اشارة الى ان لاهل هذا الدين من الاجتماع فيه والانطباق عليه والاطافة به والاسراع اليه ما ليس لغيرهم والى ان لهم من القدم الراسخ في القول المقتطع من الفم المختتم بالشفتين ما لا يبلغه غيرهم بحيث انه لا نهاية له مع حسن استدارته بتناسب استدارته **ثم انك** اذا بلغت نهاية الجمع في هذه الاحرف بان جمعت اعداد مسمياتها وهو مايتان وثمانية وسبعون الى اعداد اسمايها وهو خمسمائة وواحد وثلاثون بلغ تسعا وثمانمائة **وفي السنة** الموافقة لهذا العدد كانت ولادتي فكان الابتدا في هذا الكتاب الديني حينئذ بالقوة القريبة من الفعل **وسنة** ابتدائي فيه بالفعل وهي سنة احدى وستين في شعبان وكان سني اذ ذاك قد شارف اربعا وخمسين سنة وهو موافق لعدد حرفي دون اسمائهما الدين الذي هو مقصود السورة فكانه امر اذ ذاك بالشروع في الكتاب لتحصيل مقصودها **وسنة** وصولي الى هذه السورة وهي سنة احدى وسبعين في شعبان منها كان سني قد شارف اربعا وستين سنة وهو موافق لعدد احرف دين الهدى هو مقصود السورة فانا ارجو بهذا الاتفاق الغريب ان يكون ذلك مشيرا الى ان الله تعالى يجمع بكتابي هذا الذي خصني بالهامه واذن لي المنحة بجلاله وابرامه واعتناقه والتزامه اهل هذا الدين القيم جمعا عظيما جليلا جسيما يظهر له اثر بالغ في اجتماعهم وخسر شانيهم برؤوس بغلته واتباعهم **ومن الاتفاق الجليل** في الختم بالجمع انه لما كان مقصود سورة مريم عليها السلام بيان اتصاف الرحمن المنزل لهذا القران بشمول الرحمة لجميع الاكوان وكانت هذه السورة لرحمة خاصة من اثار تلك الرحمة العامة وهي الاجتماع على هذا الدين المراد ظهوره وعلوه على كل دين وهو لكل امر فكان لذلك محيطا قاهرا لحظ كل قاهر وظالم وكانت هذه الرحمة الخاصة لنسبتها الى الخلق تابعة لتلك العامة ومتفرعة منها كانت لكونها من اوصاف الخلق بمنزلة اليسار وتلك لكونها من صفة الحق بمنزلة اليمين **فلذلك** والله اعلم قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في كتاب له في الحرف **ولما** كان ذلك اي هذا الاسم المجتمع من هذه الاحرف المقطعة اول هذه السورة مما ينسب الى امر الشمال كان متى وضع على اصابع اليسار ثم وضع على ها بجبهة ظالم او جائر استولى عليه بحكم الحاطة حكمة الله وكانت خمستها مضافة الى خمس كهيعص المستولية على حكمة اليمين محيطا ذلك بالعشر المحيط بكل الحكمة التي مسندها البا الذي هو اول العشر ومحل الاستوا بما هو عائد وحده الالف انتهى **ولما** كانت هذه الحروف والله اعلم مشيرة الى الاجتماع كما اشار اليه اخر السورة الماضية قال تعالى **كذلك** اي مثل هذا الايحا العظيم الشان الذي اخبر به ربك صريحا اول فصلت من انه لا اله الا هو واحد واخرها من انه ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ومن انه يجمع لك امتك على هذا الدين بما يتبين لهم ان هذا القران هو الحق بما يريهم من الايات البينات والدلالات الواضحات في الافاق وفي انفسهم وبما دونه سبحانه باعجاز القران لجميع الانس والجان ولا سيما اذ اقدم ضال على معارضته كمسيلمة فانه يتبين لهم الامر بذلك غاية البيان ويصير كالمشاهد من الاشياء ورمز لك به سبحانه تلويحا اول هذه السورة بهذه الاحرف المقطعة التي هي اعلى واغلى من الجواهر المرصعة الى مثل ذلك فهما نوعان من الوحي صريح وعبارة وتلويح واشارة **ولما** كان المقصود الاهتمام به لان الايحا منه سبحانه عادة مستمرة الى جميع انبيائه ورسله والبشارة له صلى الله عليه وسلم بتجديد له مدة حياته تثبيتا لفواده ودلالة على دوام وداده عبر بالمضارع الدال على التجدد والاستمرار وتقدم في اول البقرة نقلا عن ابي حيان ومن قبله الزمخشري وغيره انه قد لا يلحظ منه زمن معين بل يراد مطلق الوجود فقال **يوحي اليك** اي سابقا ولاحقا ما دمت حيا لا ينقطع ذلك عنك اصلا نوديعا ولا قلا بما يريد من امره مما يعلي لك مقدارك وينشر انوارك ويعلي منارك **ولما** كان الاهتمام بالوحي لمعرفة انه حق لما اشار اليه قراءة ابن كثير بالبنا للمفعول والموحى اليه لمعرفة انه رسول حقا وكان المراد بالمضارع مجرد ايقاع مدلوله لا بقيد الاستقبال صح ان يتعلق به قوله معطوفا على الفاعل في قراءة ابن كثير ضمير يعود على كذلك **والى الذين** والقائم مقام الفاعل **ولما** كان الرسل بعض من تقدم في بعض ازمنة القبل ادخل الجار فقال **من قبلك** اي من الرسل الكرام والانبيا الاعلام بان امتك اكثر الامم وانك اشرف الانبيا واخذ على كل منهم العهد باتباعك وان يكون من انصارك واشياعك **ولما** قدم ما هو الاهم من الوحي والموحى اليه اتى بفاعل يوحي في قراءة العامة فقال **الله** اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال **ولما** كان نفوذ الامر دائرا على العزة والحكمة قال **العزيز** اي الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي **الحكيم** الذي يضع ما يصنعه في اتقن محاله فلاجل ذلك لا يقدر احد على نقض ما ابرمه ولا نقص ما

ابو جعفر بن الزبير لما ضمنت سورة غافر ما تقدم من بيان حالي المعاندين والجاحدين واعقبت
بسورة السجدة بيانا ان حال كفار العرب في ذلك كحال من تقدمهم وايضاحا لانه الكتاب العزيز وعظيم برهانه ومع ذلك
فلم يجد على من قضي عليه تعالى بالكفر اتبعت السورتان بما اشتملت عليه سورة الشورى من ان ذلك كله انما جرى على ما سبق
في علمه تعالى بحكم المشيئة الازلية فريق في الجنة وفريق في السعير وما انت عليهم بوكيل ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة
ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما انتم بمعجزين في الارض ومن يضلل
الله فما له من سبيل ان عليك الا البلاغ نهدي به من نشاء من عبادنا فتامل هذه وما التحم بها مما يجري في السورة المتقدمة منه
الى النادر وبحكم ما استحكم وبنا هذه السورة على ذلك ومدار ايها يطلعك وجه اتصالها بما قبلها والتحامها بما جاورها
ولما ختمت سورة السجدة بقوله تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم اعقبها سبحانه بتنزيهه وتعاليه عن ريبهم
وشكهم فقال تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن كما اعقب قبله في قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا فقال
تكاد السموات يتفطرن منه ولما تكرر في سورة حم السجدة ذكر تكبر المشركين وبعد انقيادهم في قوله فاعرض
اكثرهم وقالوا قلوبنا في اكنة الى ما ذكر تعالى من حالهم المنبئة عن بعد استجابتهم فقال تعالى في سورة الشورى كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه انتهى ولما اخبر سبحانه انه صاحب الوحي بالشرائع دائما قديما وحديثا علل ذلك بانه صاحب الملك
العام دائما فقال له ما في السموات اي من الذوات والمعاني وما في الارض كذلك ولما كان العلو مستلزما للقدرة
قال وهو العلي اي على العرش الذي السموات فيه علو رتبة وعظمة لا امكان ومكانة لامكان وملابسة فاستلزم ذلك ان
تكون له السموات كلها والاراضي كلها مع ما فيها العظيم اي فلا يتصور شيء في وهم ولا يتخيل في عقل الا وهو اعظم منه بالقهر
والملك فلذلك يوحي الى من يشاء بما يشاء من اقرار وتبديل لا اعتراض لاحد عليه ولما كان هذا السياق منبها على عظيم
ملكه سبحانه وقدرته بكثرة ما في الاكوان من الاجسام والمعاني التي هي لعظمها لا تحمل وكان مبينا لذلك تكاد السموات اي
على عظم خلقهن ووثاقة ابداعهن وفلقهن بما اعلم به الواقع ونبه عليه تذكيرها في قراءة نافع والكسائي يتفطرن اي
يتشققن وينفرط اجزاؤهن مطلق انفطار في قراءة من قرا بالنون وخفف وهم هنا ابو عمرو ويعقوب وشعبة عن عاصم وتفطيرا
شديدا في قراءة الباقين بالتاء المثناة من فوق مفتوحة وتشديد الطاء مشيرا بذلك من فوقهن لان جهة الفوق احق بتجلي ما
يشق حمله من عظيم العظمة الذي جرت العادة ان يكون اصلب مما تحته فانفطار غيره من باب الاولى وابتدا الانفطار من ثم لان جهة
الفوق احق بتجلي ما يشق حمله من عظيم العظمة والجلال والكبرياء والعزة التي منها ما يحمل من الملائكة الذين لا يسعهم كم
وصفهم على ما عليه كل واحد منهم من عظم الخلق في الهيئة والطول والمتانة والكبر الى غير ذلك مما لا يحيط به علما الا الذي
براهم بحيث ان احدهم اذا اشير اليه الى الارض حملها كما قال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم
الا فيه ملك قائم يصلي ومن غير ذلك من العظمة والكبرياء والجبروت والعلا او يكون انفطارهن من عظيم شناعة الكفر بالذي
خلق الارض في يومين وجعلهم له اندادا كما قال في السورة المناظرة لهذه سورة مريم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ونقص ما في هذه عن تلك لانه لم يذكر هنا الولد وهذا كناية عن التخويف بالعذاب
لان من المعلوم ان العالي اذا انفطر تهيأ للسقوط فاذا سقط اهلك من تحته فكيف اذا كان من العلو والعظم وثقل الجسم
صفة لا يحيط بها الا باريها فذكر الفوق تصويرا لما يترتب على هذا الانفطار من البلايا الكبار وعلى هذا الحسن ان يعود الضمير
على الاراضي التي كفروا بفاطرها ولما بين ان سبب كيدودة انفطارهن جلالة العظمة التي منها كثرة الملائكة
وشناعة الكفر بين لها سببا اخر وهو عظم قولهم فقال والملائكة اي والحال انهم وعدل عن التانيث مراعاة للفظ الى التذكير
وضمير الجمع اشارة الى قوة التسبيح وكثرة المسبحين فقال يسبحون اي يوقعون التنزيه لله تعالى متلبسين بحمد ربهم اي باثبات
الكمال للمحسن اليهم تسبيحا يليق بحالهم لما اشارت اليه الاضافة دائما لا يفترون فلهم بذلك زجل واصوات لا تحملها العقول
فلا تستبعدن ذلك فكم من صاعقة سمعتها من السحاب وجبت لها الارض فتصدعت لها الابنية المتينة والجبال الصلاب
ولفت القول الى صفة الاحسان لمدح الملائكة بالاشارة الى انهم عرفوا احسان المحسن وعملوا في الشكر بما اقتضاه احسانه تعالى
تعريضا بذم الكفرة بما غطوا من احسانه وتدرعوا من كفرانه ولما كانوا لما عندهم من العلم بجلال الله يستحيون منه سبحانه
مما يفعل اهل الارض ويقولون مما لا يليق بحضرته الشما وجنابه الاسمى وكانوا يعلمون مما جاءهم سبحانه به عنهم ان له بهم عناية
فكانوا يرون ان الاقرب الى رضاه الاستغفار لهم فلذلك اخبر عنهم سبحانه بقوله حاذفا ما اوجبه السياق في غافر من ذكر
الايمان اشارة الى ان الاقرب بالخلق من العرش كما بعد الناس في الايمان المشروط بالغيب البلاغ في التنزيه لانه لا مقتضى له هنا
ويستغفرون اي وهم مع التسبيح يطلبون الغفران لمن في الارض لما يعرفون من شدة تقصيرهم في توفية حق تلك العظمة التي
لا تتناهى اما للمؤمن فمطلقا واما للكافر فبتاخير المعاجلة وكذا البقية الحيوانات وذلك لما يقولهم مما شاهدوه من عظمة

ذي الكبرياء وجلال ذي الجبروت قال ابن برجان لم يشأ الله جل ذكره كون شيء الا قيض ملائكة من عباده يشفعون في كونه
وكذلك في ابقاء ما شاء ابقاءه واعدام ما شاء اعدامه وهذه اصول الشفاعة فلا تكن من الممترين
ان يكون كيدودة انفطارهن في حال تسبيح الملائكة واستغفارهم لما يرون من فوقهن من العظمة ومن تحتهن من ذنوب الثقلين
فلولا ذكرهم لتفطرن وحصر العذاب فعوجل الخلق بالهلاك وقامت القيامة وقضي الامر واذا كانت كيدودة الانفطار مع
هذا التنزيه والاستغفار فما ظنك بما يكون لو عري الامر عنه وخلا منه ولذلك ذكر العموم هنا ولم يخص المؤمنين بالاستغفار
كما في غافر لما اقتضاه السياق هنا من العموم ولان مقصود غافر تصنيف الناس في الاخرة صنفين وتوفية كل ما يستحقه فنا
ذلك افراد الذين تابوا بالايمان ومقصود هذه الجمع على الدين في الدنيا فناسب الدعاء للكل ليجازي كلا بما يستحق من اطلاق
المغفرة ولما كانت افعال اهل الارض واقوالهم عظيمة المخالفة لما يرضيه سبحانه ثم يستغفرون المعاجلة
بسببها اجاب من كانه قال هذا يستجاب لهم في المؤمنين فكيف يستجاب لهم في الكافرين ليجمع الكلام التهيب والتهويل
في اوله والبشارة واللطف والتيسير في اخره فقال لافتا القول عن صفة الاحسان الى الاسم الاعظم تعريفا بعظيم
الامر حملا على دوام الحمد وادامة الشكر الا ان الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال فله جميع العظمة والكبر لان ذلك
لعظمه لا يكاد يصدق هو اي وحده ورتب وصفيه سبحانه على اعلى وجوه البلاغة فبدا بما افهم اجابة ملائكته واتبعه الاعلا
بمزيد الاكرام فقال الغفور الرحيم اي العام الستر والاكرام على الوجه الابلغ اما لاهل الايمان فواضح دنيا واخرى واما
لاهل الكفران ففي الدنيا فهو يرزقهم ويعافيهم ويحلم عنهم ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة واما
غير الله فلا يغفر لاهل معصيته ولو اراد ذلك لما تمكن ولما كان التقدير فالذين تولوه وما تولوا في ولايته هم
هو يغفر ذنوبهم بمعنى انه يزيلها عينا واثرا عطف عليه قوله والذين اتخذوا اي عالجوا فطرهم الاولى وعقولهم حتى اخذوا
من دونه اي من ادنى رتبة من رتبته اولياء يعبدونهم كالاصنام وكل من اتبع هواه في شيء من الاشياء فقد اتخذ الشيطان
الامر له بذلك وليا من دون الله لمخالفة امره ولما كان ما تعلقوه عظيم البشاعة اشتد التشوف الى جزائهم
عليه فاخبر عنه سبحانه بقوله معبرا بالاسم الاعظم اشارة الى وضوح ضلالهم وعظم تهديدهم معربا له عن لفتا لئلا يتوهم
ان الحفظ مسبب عن الاتخاذ المذكور عادلا الى التعبير بالجلالة تعظيما لما في الشرك من الظلم وتغليظا لما يستحق فاعله من
الزجر الله اي المحيط بصفات الكمال حفيظ عليهم اي رقيب وراع وشهيد على اعمالهم لا يغيب عنه شيء من احوالهم فهو ان
شاء انتقم على لعزهم وجازاهم عليه بما اعد للكافرين وان شاء تاب عليهم ومحا ذلك عينا واثرا فلم يعاقبهم ولم يعاتبهم
وان شاء محاه عينا وابقى الاثر حتى يعاتبهم وما انت عليهم بوكيل اي حتى يلزمك ان تراعي جميع احوالهم من اقوالهم وافعالهم
فتحفظها وتقسرهم على تركها ونحو ذلك مما يتولاه الوكيل مما يقوم فيه مقام الموكل سواء قالوا لا تسمعوا لهذا القران او
قالوا قلوبنا في اكنة او غير ذلك ولما كان الايحاء السابق اول السورة للبشرى لانها المقصود بالذات وكانت
البشرى مقتضية تلويحا ورمزا بالاحرف المقطعة لاجتماع اهل الدين وغلبتهم على سائر الاديان وان دينهم يعم
سائر الامم ويحيط بجميع الخلق ولا يتبرا احد باهله سوءا الا كان لهم فيه رفعة كما مضى بيانه وكانت رمزا لان المقام
للانذار بما تشهد به السورة الماضية وكان المراد بهما التكرار حتى لا يزال الانذار في اذان المعشر وحلاوتها في قلبه
ذكرها بلفظ المضارع الدال على التجدد والتكرار والحدوث والاستمرار وكان المنعت رعاحمله على الوعد بالايحا
في المستقبل وكان العاقل يكفيه في النذرى مرة واحدة قال معبرا بالماضي الدال على الامضا والقطع والقضاء الحتم في
كل من الايحا وفايدته التي هي الانذار عاطفا على ما يتصل بالاية السالفة المختومة بنفي الوكالة مما تقديره انما عليك
البلاغ بالبشارة والنذارة وقد اوحينا اليك البشارة رمزا كما جرت به عادة الاحباب في محاورات الخطاب ولفت
القول الى مظهر العظمة لان الانذار من مجازه وكذلك اي ومثل ذلك الايحا الذي قدمنا انا حوينا اليك به من وحي الاشارة
بالحروف المقطعة اوحينا بما لنا من العظمة منهين اليك قرانا جامعا لكل حكمة مع الفرق بين كل ملبس عربيا مبين
الخطاب واضح الصواب معجز الجناب لتنذر اي به ام القرى مكة التي هي ام الارض واصلها منها دحيت ولشرفها
اوقع الفعل عليها عدا لها عداد العقلاء ثم بين ان المراد اهلها بقوله ومن اي وتنذر من حولها وهم سكان جميع الارض
التي هي امها وبذلك فسره البغوي فقال قرى الارض كلها وكذا القشيري وقال العالم محدق بالكعبة ومكة لانها
سرة الارض ولما كان مفعول تنذر الثاني على ما هدى اليه السياق ما عذبت به الامم السالفة والقرون
الماضية حين تمادى بهم الكفر وغلب عليهم الظلم في اتخاذهم اولياء من دون الله عطف عليه وتنذر اي ام القرى ومن
حولها عذاب الامم في الدنيا يوم الجمع اي لجميع الخلائق يبعثهم من الموت حذف المفعول الاول من الشق الثاني
والمفعول الثاني من الاول فالاية من الاحتباك ذكر المنذرين اولا دلالة على ارادتهم ثانيا وذكر المنذر به وهو يوم الجمع

ثانياً دلالة على المنذر به من عذاب الامم اولاً ليذهب الوهم في المحذوف كل مذهب فتكون اهول وذكر هذا المذكور الخبر
وادخل ولما كان الانذار وهو الاعلام بموضع المخافة تارة يكون عما لا علم به وهو الاغلب وتارة عما وقع
العلم به ثم خالف المنذر به علمه فعمل عمل من لا علم له نبه على ان هذا من القسم الثاني بقوله في جملة حالية لا ريب فيه
اي لانه قد ركز في فطرة كل احد ان الحاكم اذا استعمل عبيده في شيء ثم تظالموا فلابد له بما تقتضيه السياسة من
جمعهم لينصف بينهم والا عد سفيهاً فما ظنك باحكم الحاكمين ولما تشوف السامع الى ما يفعل في جمعهم
وكان لا شك ان لما طبعوا عليه من النقصان اهل فرقة وطغيان ذكر نهايته معبراً عمن هو من الفرقة بقوله مسوغاً
الابتداء بالنكرة التفصيل وتقديراً لوصف فريق اي من المجموعين اهل فرقة تداركهم الله بان جعلهم اهل جمع في الجنة
فضلاً منه وهم الذين قبلوا الانذار وبالغوا في الحذار وفريق اي منهم اهل فرقة خذلهم الله ووكلهم الى انفسهم فزادوا
في الفرقة في السعير عدلاً منه قال القشيري كما انهم في الدنيا فريقان فريق في راحات الطاعات وحلاوات العبادات
وفريق في ظلمات الشرك وعقوبات الجحد والشك فكذلك غداً هم فريقان فريق هم اهل اللقا وفريق هم اهل البلا والشقا
روى الامام احمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال اتدرون
ما هذان الكتابان قلنا لا الا ان تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل
الجنة واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابداً ثم قال للذي في يساره هذا كتاب
اهل النار باسمائهم واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابداً ثم قال فقال اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلاي شيء نعمل ان كان هذا امراً قد فرغ منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سددوا
وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وان صاحب النار يختم له بعمل النار وان عمل اي عمل ثم قال بيده فقبضها
ثم قال فرغ ربكم عز وجل من العباد ثم قال باليمنى فنبذ بها فريق في الجنة ونبذ باليسرى فقال فريق في السعير قال ابن كثير
وهكذا رواه النسائي والترمذي جميعاً وقال الترمذي حسن صحيح غريب ولما كان ملوك الدنيا غالباً لا
يريدون ان يعصى امرهم فاذا حذروا من شيء ارادوا ان لا يقرب فان فعله احد كان فعله له خارجاً عن مرادهم فكانت
عقوبتهم له لخروجه عن المراد شفاء لما حصل لهم من داء الغيظ بين انه سبحانه على غير ذلك وانه منزه عن خروج شيء عن مراده
وعن ان يلحقه نفع بطاعة او ضر بمعصية وان عقوبته انما هي على مخالفة امره مع الدخول تحت طاعة مراده بالجابه
وشرع وهذا في نفس الامر واما في الظاهر فالامران لا يظهر انه بشيء منهما مانع الا صرفاً للاختيار فقال صارفاً القول
عن مظهر العظمة استيفاء للانذار بما هو حقيق به منبهاً الى الاسم الجامع لجميع الصفات العظمة وغيرها لاقتضاء الحال له
ولو شاء الله اي المحيط بجميع صفات الكمال لجعلهم اي المجموعين امة واحدة للعذاب او الثواب ولكنه لم يشا ذلك
بل شاء ان يكونوا فريقين مقسطين وظالمين ليظهر فضله وعدله وانه الاله الجبار الواحد القهار لا يبالي باحد وهو معنى قوله ولكن
يدخل من يشاء اي ادخاله في رحمته بخلق الهداية في قلبه فتكون افعاله في مواضعها وهم المقسطون ويدخل من يشاء في نقمته
بخلق الضلال في قلوبهم فيكونوا ظالمين فلا يكون لهم فعل في حاق موضعه فالمقسطون ما لهم من عدو ولا نكير والظالمون
اي العريقون في الظلم الذين شاء ظلمهم فيدخلهم في لعنته ما لهم من ولي يلي امورهم فيجتهد في اصلاحها ولا نصير ينصرهم
من الهوان فالآية من الاحتباك وهو ظاهر ذكر الرحمة اولاً دليلاً على اللعنة ثانياً والظلم وما معه ثانياً دليلاً على اضداده
اولاً وسره انه ذكر السبب الحقيقي في اهل السعادة ليحملهم على مزيد الشكر والسبب الظاهر في اهل الشقاوة لينهاهم عن الكفر
ولما كان التقدير هل نصر هؤلاء الذين تنذرهم همهم وعزائمهم واقوالهم وافعالهم على الله تعالى انعاطاً
وانذاراً بهذا الكلام المعجز عادل به قوله ام اتخذوا اي عالجوا فطرهم الشاهدة بذلك بشهادة اوقات الاضطرار حتى
لفتوها عنه سبحانه فاخذوا من دونه اولياء هم عالمون بانهم لا يغنون عنهم شيئاً ولهذا قال فالله اي فتسبب عما افهمه
صيغة الافتعال من انهم عالمون بانه وحده الضار النافع علمهم بانه هو وحده الولي لا غيره ويجوز ان يكون مسبباً عن
هذا الاستفهام الانكاري التوبيخي كانه قيل هل قصروا الهمم عليه سبحانه بسبب انه وحده المستحق لما يقصدونه من
التولي وهو اي وحده يحيي الموتى اي يجدد احياءهم في كل وقت يشاؤه وهو اي وحده على كل شيء قدير اي بالغ القدرة لا يشاركه
شيء في ذلك بشهادة كل عاقل واكد بالقصر لان شركهم بالاولياء انكار لاختصاصه بالولاية ولما كانوا جميعاً
يقرون بجميع ما وصف به نفسه المقدسة في هذه الآية عند الشدائد بعضه تصريحاً من الوحدانية في الولاية والاحياء في
هذه الدار والقدرة على كل شيء وبعضه لزوماً وهو الاحياء بالبعث تسبب عن ذلك قطعاً ان يقال مع صرف القول الى الخطاب
اشارة الى انه تعالى قرب منهم كل خير يقرب اليهم فهم الوحدانية لعقولهم تعبيراً فطرهم على لزومها عند الاضطرار لما انفهم فيه
من امره سبحانه فهو الحق وذلك هو اصل الدين الذي اطبق عليه الخلائق في وقت الاضطرار لم يتلعثم فيه منهم ضعيف

وما

والجبار مستقلاً عطف عليه قوله وما اختلفتم اي ايها الخلق فيه من شيء وذلك هو الفروع مطلقاً والاصول في حال الرفاهية
فحكمه الى الله الذي هو الولي لا غيره وهو القدير لا غيره فلا يخرج شيء عن امره فالحصوا عنه تجدوه في كتابه لان فيه تبيان كل شيء
فان قصرت افهامكم عن استخراجه منه فاطلبوه في سنة نبيه فان عز عليكم ففي اجماع اهل دينه فان اعوزكم ذلك ففي القياس
على شيء من ذلك قال القشيري هذه الاشياء هي قانون الشريعة وجملتها من كتاب الله فان الكتاب هو الذي يدل على صحة هذه الجملة
انتهى وما اجتهدتم فيه على ما شرع لكم وفصلتموه بما ظهر لكم على حكم بذل الجهد مضى وما لا فصله بينكم سبحانه في هذا اليوم
ان اراد بنصر المحق وخذلان الظالم وان اراد اخره الى يوم الدين فان شاء عفى عنه وان شاء عاقب عليه فلا حكم لغيره
لا في الدنيا ولا في الآخرة ولما انتج هذا انه لا اعظم غيره ولا اله الا هو ترجم ذلك بقوله مخاطباً للكل ذلكم
اي العظيم الرتبة جداً الله المحيط بجميع اوصاف الكمال فلا شريك له في شيء منها بوجه ربي الذي لا مربي لي غيره في ماض
ولا حال ولا استقبال ولما كان ذلك انتج ولا بد قوله عليه اي وحده توكلت اي اسلمت جميع امري واليه
لا الى غيره انيب اي ارجع بالتوبة اذا قصرت في شيء من فروع شرعه وارجع الى كتابه اذا نابني امر من الامور فاعرف منه حكمه
فافعلوا انتم كذلك لتعلموا الحكم فتفلحوا ولا تعدلوا عنه في شيء من الاشياء فتهلكوا ولما تقرر بهذا الكلام انه قد
ذكر في الفطر انه لا اله غيره لانه لا خالق سواه كما يهدي اليه الاضطرار وان غفل عنه البطر وصفه بالدليل على ذلك
الذي جبل عليه جميع الفطر فقال فاطر السموات والارض الذي ميزهما بالخلق والاخراج من العدم وكل ما تجدد نوع ولما
مر ونه فهو منهما فهو مما نطق كما يعلم كل احد منكم ذلك لا يتمارى فيه فهذا هو السبب في العلم المركوز في الفطر من انه لا اله
الذي لا اله معه كما كان في الازل ولا شيء معه ولما ذكر سبحانه ما شق العدم بايجاده من غير سبب اصلا اتبعه ما سببه
عن ذلك فانشاه من العناصر التي ابدعها لا من العناصر فقال معبراً بالفعلية تذكيراً بما يوجب لهم الاعتراف بما اعترف به نبيه
صلى الله عليه وسلم من انه وحده ربه لا شريك له في ذلك فيوجب التوكل عليه وحده جعل لكم اي لعجزكم خلقكم من الارض
من انفسكم ازواجاً يكون بالسكون اليها بقاء نوعكم ولما كانت الانعام ومنافعها لاجلنا قال ومن اي وجعل
لكم اي لاجلكم من الانعام التي هي اموالكم وجمالكم وبها اعظم قوامكم ازواجاً اي من انفسها يكون بها ايضاً بقاء نوعها وكذا
جميع الحيوانات ومعنى قوله مغلباً العقلاء يذرؤكم اي يخلقكم ويكثركم ولما كان الازواج في غاية المحبة
للازواج بحيث انه مستول على القلوب كان كانه محيط بهم فقال فيه اي في ذلك التزاوج بحيث يجعلكم مولعين به من نوعكم
ذرأه خلقه وكثره واولعه بالشيء فيكون لكم في الازواج من البشر نطفاً وجمالاً وولادة وفي الانعام غذاء وشراباً واكلاً
وغير ذلك مما لكم فيها من المنافع ولا تزالون في هذا الوجه من الخلق وهو التزاوج نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل ولما
تقرر في الاوهام وثبت في كثير من الاذهان انه لا يكون شيء الا بسبب التزاوج كان ربما سرى شيء من هذا الوهم في حق الخالق سبحانه
نفاه على ابلغ وجه بقوله استئنافاً في جواب من يسأل عنه ليس وقدم الخبر لان المراد نفيه فاولاه النافي دلالة على شدة
العناية بنفيه فقال كمثله اي مثل نفسه في ذاته ولا في شيء من صفاته شيء من ازواجه او ما يناسبه وكلما تجدد نوع وليا من دونه
فله ما يزاوجه ويماثله فالمراد بالمثل هنا النفس وهو اصله وحقيقته في اللغة من قولهم مثل الرجل بمثل اذا قام
وانتصب قال الامام عبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي والمثل يكون هو الحديث نفسه مثل الجنة التي وعد المتقون
فمثلها هو الخبر عنها وقيل المثل هاهنا الصفة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم اي صفتهم نقل ذلك الهروي
ونقل عن ابي عبد الله القزاز قوله ضرب مثل فاستمعوا له كذلك لانه قال ان الذين تدعون الآية فصار الخبر عن ذلك
هو المثل قال وهو على اصل ما ذكرنا ان مثل الشيء صفته وصورته وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قرا امثال
وقرا امثال الجنة التي وعد المتقون ثم قال وهذا كله يدل على ان معنى مثل صفة وصورة قال ابو عبد الله مثلت له
الشيء تمثيلاً صورته حتى كانه ينظر اليه وفي الحديث مثلت لي الجنة والنار انتهى وفي القاموس المثل بالكسر والتحريك
وكامير الشبه والمثل محركة الحجة والحديث والصفة والمثل المقدار والقصاص وصفة الشيء والفراش جمعه
امثلة ومثل والتمثال بالكسر الصورة ومثل قائماً قام منتصباً كمثل بالضم مثولاً انتهى وفي شمس العلوم والعرب
تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلي لا يقول هذا اي انا انتهى فتقرر بان ان المثل بالاسكان والتحريك واحد وانه
في الاصل عبارة عن نفس الشيء وصورته ثم شاع فيما يشابهه بمعنى مثل اي انتصب تشكل وتصور فكانت له صورة
وشكل لان بالانتصاب تتحقق صورته وتظهر وكذا مثل بمعنى لصق بالارض وان كان ظهوره بالقيام اوضح وكذا
مثل اذا زال عن مكانه لانه حصل الانتصاب او اللصوق وزاد الانتقال ويوضح ذلك قولهم مثله له اذا صوره
حتى كانه ينظر اليه فعلم قطعاً ان معنى الآية ما قلته وانه لو قيل ليس مثله شيء من غير كاف لربما قال بعض اهل التعنت
هذا معناه انه ليس شيئاً لانا قد علمنا ان المثل هو الشيء وقد كانوا يتعنتون بدون هذا فاتى بالكاف ازالة لهذا التعنت

مع العلم القطعي بان ظاهرما نفهمه غير مراد لانه يؤدي الى محالين هما في غاية الظهور يحاشي عن احدهما فلعف اذا اجتمعا من له ادنى حكمة فكيف باحكم الحكما احدهما ان له مثلا والثاني ان مثله لا مثل له مع الحكم بانه مثله وذلك تناقض ظاهر تعالى الله عن ارادة مثله علوا كبيرا والله الموفق ولما كان قد ابطن بفسه سبحانه بهذا التنزيه اذعانا عظيما وكان هذا الاغراق في البطون لا يحتمله العقول فلا يؤمن عليها النزوع الى التعطيل قربه بنوع ظهور بذكر ما نعقله من الاوصاف بعد الامن من التشبيه لمن تامل الكلام وحكم العقل وطرد الوهم فاتى باوضح ما نحسه من اوصافنا واظهر مع استلزامه لبقية الصفات فقال وهو اي والحال انه لا غيره السميع البصير اي الكامل في السمع والبصر والعلم من البصر والبصيرة ومن المقطوع به ان ذلك لا يكون على وجه الخصوص الا بالوحدانية والحياة والقدرة والارادة والكلام فاستوفت هذه الاية ما لوح اليه العاطف في قوله وما اختلفتم بعد ما صرح به فالله هو الولي من اصول الدين بالصفات السبع على اتم وجه والله الموفق قال السمع ادراك الطف المثلين وهو الاسم والبصر ادراك اظهر المثلين وهو الصورة وبالحق سبحانه بدا كل مثل الطف فهو السميع بالحقيقة لا يسمع ما هو مبدي الطف مثليه او لا يبصر ما هو مبدي اظهر مثليه ولما كان تعالى عليما بامثال البادئات قبل كونها كان سميعا لها بصيرا لها قبل كونها وانما يستجد السمع والبصر من يتبع علمه ادراك حسه لا من هو دائما سميع بصير بما هو دائما عليم فهو سبحانه يسمع الاشيا وان لم تقسم ويراها وان لم تتصور ويبه لها وسمعه في خلقها وبينها وتصويرها رؤية دائمة وسمع دائم والخلق لا يرون الشي قبل تصوره ولا يسمعونه قبل تكلمه انتهى فقد صرحنا لانه بتنزيهه عن مساو في شي تما فمراد عن لاحد مساواته في شي من صفاته علم او غيره فقد اشرك به في تلك الصفة وهو اشد ملامة من المشرك بالصنم ونحوه من المخلوقات لان اشراك هذا ظاهر الوهي واضح الخلل بين السفه واشراك الاول خفي لا يقدر على حله الا الراسخ وان كان كل منهما يصير الى الركاكة والهذيان لانه لا يسوغ في عقل ان يكون احد شريكا لاحد في شي الا وهو مساو له في حقيقة الذات وصالح في الجملة لان يقوم مقامه في جميع الصفات فاياك ثم اياك من مزلة ربما استهوى بها الشيطان بعض من يريد الترقي في درج العرفان ليخرجه من جميع الاديان ولما قرر امر الوحي بما ثبت به من الامجاد وارايهم الآيات في الآفاق بان له ما في الوجود وانه هو الذي فطره وكان ربما كان للانسان شي ولم يكن كامل التصرف فيه بان تكون مفاتيح خزائنه مع غيره من شريك او غيره وكان ربما اخترع الانسان بناء وكان لغيره اخبر كاملا لتنزيه الاية البالغة وشرحاله انه تعالى ليس كغيره في هذا ايضا بل كما ان له ما في الخافقين وهو مخترعهما فله مفاتيح خزائنهما فقال له اي وحده مقاليد السموات والارض اي خزائنهما ومفاتيح خزائنهما من الامطار والانبات وغيرهما وتوثب انه ابدعهما وان له جميع ما فيهما مما اتخذ من دونه وليا وغيره قال القشيري والمفاتيح الخزائن وخزائنه مقدوراته انتهى ولما حصر الامر فيه دل عليه بقوله يبسط الرزق اي الذي فيهما ولا مانع منه الا قدرته لمن يشاء اي ان يبسط له ويقدر اي يضيق ويقبض على من يشاء كما وسع على فارس والروم وضيق على العرب وفاوت في الافراد بين افراد من وسع عليهم ومن ضيق عليهم فدل ذلك قطعا على انه لا شريك له وانه هو المتصرف وحده فتقطع بذلك افكار الموفقين من عباده عن غيره ليقبلوا عليه ويتفرغوا له فان عبادته هي المقاليد بالحقيقة استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سياتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل الاية ولما كان كانه قيل لم فعل ذلك علله بقوله موكدا لان اعمال غالب الناس في المعاصي عمل من يظن انه سبحانه يخفى عليه عمله انه بكل شي عليم فلا يفعل له الا موجا ربا على اتقن ما يكون من قوانين الحكمة فلو انه وسع على العرب وقواهم ثم ابا حتم ملك اهل فارس والروم لفيل بقوتهم ومكنتهم وكله في كل شي وما جل من الحكم ما يعجز عن ادراك ادراكه افاضل الامم ولما ثبت ان له كل شي وانه لا متصرف في الوجود سواه انتج ذلك انه لا ناهج لطرق الاديان التي هي اعظم الرزق واعظم قاسمة للرزق غيره فعلم انه لم يشرع دينا قديما وحديثا غير ما اتفقوا عليه وقت الشدايد فقال دالا على ما ختم به الاية التي قبلها من تمول علمه وحكمه في لزوم ما هدى اليه ودل عليه شرع اي طرق وسن طريقا ظاهرا بينا واضحا لكم ايها الامة الخاتمة من الطرق الظاهرة المستقيمة من الدين وهو ما يعمل فيجازى عليه ولما كان السياق للدين وكان هو الامر المقصود في هذا السياق بالامر به لان الشارع لم تقدا تنهجه وكانوا لتقليدهم الآبا يرون ان ما كان منه اقدم كان اعظم واحكم ذكر لهم اول الآبا المرسلين الى المخالفين فقال ما اي الذي وصى به توصية عظيمة بعد اعلامه بانه شرعه نوحا في الزمان الاقدم كما ختم به على لسان الخاتم وارسل به من توسط بينهما من الانبيا المشاهير لانه لا يرضيه سواه فان كنتم انما تنوقون من الدخول في هذا الدين لحدوثه فانه اقدم الاديان وكلما سواه حادث مع انه ما بعث نبيا من ابائكم ولا من غيرهم الا به ومع انه توفرت على الشهادة به الفطر الاولى دائما والفطر اللاحقة حتى من الغلو بالعناية في اوقات الشدايد

ابدا فادخلوا فيه على بصيرة ولما كان الايجاز خاصا بما ابرزه في مظهر العظمة معبرا بالوحي وبالاصل في الموصوف والاعلى زيادة عظمته بتقديمه على من كان قبله مع ترتيبهم عند ذكرهم على ترتيبهم في الوجود فقال والذي اوحينا اليك وافرد الضمير زيادة في عظمته دلالة على انه لا يفهمه حق فهمه غيره صلى الله عليه وسلم ودل على عظمة ما كان لابن هم وتنبيه بما ظهر من اثاره بمظهر العظمة وعلى نقصه عما الى نبينا صلى الله عليه وسلم بالتعبير بالوصية فقال وما وصينا اي على ما لنا من العظمة الباهرة التي ظهرت بها تلك المعجزات به ابرهيم الذي نجيناه من كيد نمرود بالنار وغيرها ووهبنا له على الكبر ابرهيم واسحاق وهو اعظم ابا العرب وهم يدعون البر بالابا فليكونوا على ما وصيناه به وموسى الذي انزلنا عليه التوراة موعظة وتفصيلا لكل شي وعيسى الذي انزلنا عليه الانجيل فيه هدى ونور وموعظة ودعوناه في بشارتنا لنا بتابيد شريعة الخاتم الفاتح ولما اشتد تشوف السامع الى الموحى الموصى به ابرزه في اسلوب الامر فقال مبدلا من مفعول شرع او مستانفا ان اقيموا اي ايها المشروع لهم من هذه الامة الخاتمة ومن الامم الماضية الدين اي الذي اتفق عليه الخلائق بالرجوع الى ما فطروا عليه وقت الاضطرار وهو التوحيد والوصف بجميع صفات الكمال على الاطلاق وغير ذلك من كل ما ارسله رسله هذا على تقدير ان يكون ان مصدرية ويجوز ان يكون مفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول ولما عظمه بالامر بالاجتماع فيه اتبعه التعظيم بالنهي عن الافتراق فقال ولا تتفرقوا اي تفرقا عظيما بما اشار اليه اثبات التاء وكان في ذلك اشارة الى التحذير من التفرق في الاصل وادن في الاجتهاد على قدر التنوع في الفرع فيه اي الدين في اوقات الرخاء عند التقلب في لذيذ ما انعم به الشارع له الامر به المرغب في اتباعه المرهب من اجتنابه واجتمعوا على من ارسله الذي اثبتم له جميع صفات الكمال عند الشدايد من غير خلاف اصلا في شي من الاشيا فان التفرق سبب للهلاك والاجتماع سبب للنجاة فكونوا ابدا واحدا يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولما نهى عن التفرق وحث على لزوم الاجتماع اللازم به تعليل النهي بقوله كبر على المشركين اي جل وعظم وشق حتى ضاقت به صدورهم ما تدعوهم اليه ايها النبي الفاتح الخاتم من الاجتماع ابدا على ما اجتمعوا عليه وقت الاضطرار من وحدانية الواحد القهار فلاجل كبره عليهم هم يسعون في تفرقكم عنه فان تفرقتم كنتم قد تبعتم العدو والحسود وخالفتم الولي الودود ولما كان الاخبار بكبره عليهم ربما اوهم امتناع اتباعهم له ازال ذلك الوهم بقوله جوابا لمن كانه قال كيف السبيل مع ذلك الى دخول احد في هذا الدين عادلا عن مظهر العظمة الى اعظم منه تعظيما للقدرة على جمع القلوب الله اي الذي له مجامع العظمة ونفوذ الامر يجتبي اي يختار بعناية العناية ويصرف اليه اي الى هذا الدين الذي تدعوهم اليه من يشاء اجتباءه ولما ذكر سبحانه هذا المراد بغير تكسب منه اتبعه المريد المعنى بالسلوك فقال ويهدي اليه بالتوفيق للطاعة من ينيب اي فيه اهلية لان يجدد الرجوع الى مراتب طاعاته كل حين بباطنه بعد الرجوع بظاهره الى ما كتبه له من الدرجات كانه كان قبل الوصول اليها قد نزل عنها وهو يترقيه في المنازلات باحوال الطاعات يرجع اليها ولما كان المراد بالمشركين مع عباد الاوثان اهل الكتاب الذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله لقبولهم منه التحليل والتحريم وكان ذلك منهما لانهم فارقوا اهل الطاعة وكان ذلك موهما لانهم ما فارقوهم الا عن جهل قال عاطفا على ما تقديره فاتى الرسل الى الناس فاقاموا لهم الدين وبينوا لهم غاية التبيين فاجتبى الله بعضهم واضل بعضهم فافترقوا وما تفرقوا اي المشركون من قبلكم من اهل الكتاب وغيرهم في اديانهم الا وادخل الجار لعدم استغراق الزمان فقال من بعد ما جاءهم اي على السنة انبيائهم الذين لم يدعوا لهم العلم اي بما لا يسوغ معه التفرق ومنه ان الفرقة ضلالة واشار الجار ايضا الى ان التفرق كان مع العلم لم يكن لطال الزمان فتطرق الى علمهم نسيان كل ذلك بيانا لعظيم قدرة الله تعالى في تصرفه في القلوب فاياكم ان يكونوا حالكم كحالهم فليشتد خوفكم لمن يلهم ورجاؤكم له ولما كان ترك طريق العلم عجيبا ومستبعدا قال مبينا ان الذي حملهم على ذلك حظوظ النفس التي لا نجاة منها الا بعصمة الله بغيا اي حال كون تفرقهم عداوة لا شبهة فيها هي نتيجة الظلم لاجل حظوظ الاهل واتباع الاهواء التي يجب على العبد البعد منها باب لا تكون له ارادة اصلا بل يكون ارادته تابعة لامر مولاه ولما كان مطلق البغي منافيا لمكارم الاخلاق فكان ارتكابه عجيبا زاد في التعجب منه ببيان ان البغي لم يعد جماعتهم الى غيرها بل كان خاصا بهم فقال بينهم ولما كان ذلك يقتضي المعاجلة قال عاطفا على ما تقديره فلولا قدرة الله ولطفه لما اجتمعوا بعد الفرقة ابدا ولولا كلمة اي لا تبديل لها سبقت اي في الازل بتاخيرهم الى اجالهم ولما كان امهالهم والرفق بهم رحمة لهم بين ان ذلك انما هو لاجل خير الخلق ليكونوا اتباعا

له فيزداد به لك شرفا افرده بالذكر تنبيها على ذلك فقال مؤنسا له صلى الله عليه وسلم بلفت الكلام الى صفة الاحسان ارضا له بما يرجوه في امته وزاد ذلك بالاضافة الى ضميره فافهم ان احسانه اليهم احسان يليق بمقامه ويليتم به مراده ما الكرم ومرامه **من ربك** اي المحسن اليك بجعلك خير الخلائق واما بهم سبقت الكلمة بامهالهم **الى اجل مسمى** ضربه لاجالهم ثم لجمعهم في الاخرة **لقضي** على ايسر وجه واسهله **بينهم** حين الافتراق باهلاك الظالم وانجاء المحق ولما اخبر عن حال المتقدمين وكان من في زمانه صلى الله عليه وسلم من اهل الكتب يدعون غاية العلم به والاجتماع عليها وهي كلها داعية الى المبادرة الى الدين هذا الكتاب الخاتم الجامع وكان بعضهم يتلبس بالتنسك والاعراض عن الدنيا وغير ذلك مما يقتضي انه على بصيرة من امره وانكار ان يكون عنده نوع شك قال على وجه يعم غيرهم مؤكدا تنبيها على ذلك **وان الذين** ولما كان المراد الوصول الى الكتاب من غير منازع ولم يدع حاجة الى العلم بالموصل بني للمفعول قوله **اورثوا الكتاب** اي الكامل الخاتم وهم هذه الامة لا نسخ كتابهم ما تقدمه كان غيرهم كانه مات فورثوه كما قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فكان حالهم في تمكنهم من التصرف في الكتاب بالحفظ والفهم وعدم المنازع في ادعائه حال الوارث والموروث منه فقال **من بعدهم** اي المتفرقين وانبت الحاد لعدم استغراق الزمان **لفي شك منه** اي الايراث للكتاب المقتضي للاجتماع لا للتفرق ولما فيه من الخبر وذلك لعملهم عمل الشاك فيقولون انه سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك وان الاتي به غير صادق بعد اطلاعهم على ما اتى به من المعجزات وبعد معرفتهم به اما العرب ومن ساكنهم من اهل الكتاب فباعجازه مع ما في كتب اهل الكتاب من البشارة به واما غيرهم من ساكنهم من اهل الكتاب فباعجازه مع ما في كتب اهل الكتاب فيدعوهم كتابهم **مريب** اي موقع في التهمة الموقعة في الحاجة الموقعة في صروف الدهر وهي شدائده وافاته ونوائبه هذا على ان المراد كتابنا ويجوز ان يكون الضمير لاهل الكتاب خاصة والكتاب كتابهم وشكهم فيه عملهم بغير ما دعا اليه من اتباع كتابنا باتباع نبينا صلى الله عليه وسلم ولما ثبت بهذا انهم عن اوامر الكتاب لاتي به غير صادق بعد اطلاعهم على ما اتى به من المعجزات وبعد معرفتهم به اما العرب ومن ساكنهم من اهل الكتاب فباعجازه مع ما في كتب اهل الكتاب من الله سبب عنه امره صلى الله عليه وسلم بابلاغ الكل ما ينفعهم عن رسالة ربه الذي انزل تلك الكتب في اية واحدة مفصلة بعشر كلمات في كل كلمة منها حكم براسه قالوا ولا نظير لها الا اية الكرسي فانها عشرة اصول كل اصل منها مستقل فقال مسببا عن حالهم الاجتهاد في ازالتها والعمل بضدها **فلذلك** اي لهذا الوحي العلي الرتبة الذي وصينا بمقاصده جميع الرسل اصحاب الشرائع الكبار من اولي العزم وغيرهم او لذلك التفرق المباعد للصواب والشك في امر الكتاب ولما كان في سياق الدعوة للخلق الى ما اوحي اليه وانزل عليه قدم قوله **فادع** الى ما ارسلك الله به من الاتفاق على ما امر به الاله من الاجتماع على الملة الحنيفية ولما كان الداعي لغيره لا ينفع دعاؤه لذلك الغير ما لم ينفع نفسه قال **واستقم** اي اطلب القوم من ربك على ما في الدعوة ليعينك عليه واوجد على ما يدعوا اليه كتابك مما تدعوا اليه ويحث عليه **كما امرت** بما امر لغيره في تفاصيل الدعاء من اللين والغلظة والتوسط وغير ذلك من تحديث الناس بما تحتمل عقولهم وتربيتهم على حسب ما ينفعهم ولما كان كل ما خالف كتابنا هوى وكل من خالف كتابنا فهو على مجرد الهوى قال **ولا تتبع** اي تتعمد في شيء ما **اهواءهم** في شيء ما فان الهوى لا يدعوا الى خير والمقصود من كل احد ان يفعل ما امر به لاجل انه امره لا لاجل انه يهواه ولما كانوا قد تفرقوا في الكتاب وشكوا فامنوا ببعض وكفروا ببعض بما يخالف حالهم فقال **وقل** اي لجميع اهل الفرق وكل من يمكن له القول فانك ارسلت الى جميع الخلق **امنت بما** اي بكل شيء ولما كان اكمل الناس ايمانا اكرمهم استحضارا لاوصاف الكمال من الجلال والجمال صرف القول الى الاسم الاعظم اشارة الى سلوك اعلا المسالك في ذلك فقال **انزل الله** اي الذي له العظمة الكاملة **من كتاب** لا افرق بين شيء من كتبه ولا احد من رسله بل كل كتاب انزل على رسول ثبتت رسالته بالمعجزة فانا به مؤمن واليه داع كما اقتضاه كمال القوة النظرية قال ابو علي القالي في ذيل الامالي حدثنا ابو بكر هو ابن الانباري حدثنا ابو جعفر محمد بن عثمان حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا بشر بن عمارة عن محمد بن سوقة قال اتى علينا رضي الله عنه رجل فقال يا امير المؤمنين ما الايمان او كيف الايمان قال الايمان على اربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد والصبر على اربع شعب على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن الحرمات ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع الى الخيرات واليقين على اربع شعاب تبصرة الفطنة وتاول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر الفطنة تاول الحكمة ومن تاول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكانما كان في الاولين والعدل على اربع شعب على غائص الفهم وزهرة الحلم وروضة العلم وشرائع الحكم فمن فهم جمع العلم ومن حلم لم يفرط في الحكم ومن علم عرف شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط امره وعاش في الناس والجهاد على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر بالمعروف شد ظهره ومن نهى عن المنكر ارغم انف المنافق ومن صدق في المواطن فقد قضى الذي عليه ومن شنئ الفاسقين غضب الله

شطر المؤمنين انا الفاسقين

وغضب

وغضب الله له فازلفه واعلى مقامه قال فقام الرجل فقبل راسه اخبر بالعدل في القوة النظرية دل اتبعه ذلك في القوة العملية فقال **وامرت** اي ممن له الامر كله بما امرني به مما انزل علي **لاعدل** اي لاجل ان اعدل **بينكم** ايها المفترقون في الاديان من العرب والعجم من الجن والانس كما دعا اليه كمال القوة العملية ثم علل ذلك بقوله **الله** اي الذي له الملك كله **ربنا وربكم** اي موجدنا ومتولي جميع امورنا فلهذا امرنا بالعدل على سبيل العموم لان الكل عباده ولما كان الرب واحدا انتج عنه قوله **لنا اعمالنا** خاصة بنا لا تتعدانا الى غيرنا **ولكم اعمالكم** خاصة بكم لا تتعداكم الى غيركم لانه لا داعي لان يلحق عمل بعضنا فيعطيه لغيره لان ذلك لا يفعله الا ذو غرض وهو سبحانه محيط بصفات الكمال فهو منزه عن الاغراض ولما وصل بتمام هذه الجملة في ازالة الريب وابانة الحق الى ما هو كالشمس لثبوت الرسالة بالمعجزات واعجاز هذا الكتاب وتصادقه مع ما عند اهل الكتاب وبيان ها بين المقدمين الذين لا نزاع بين احد من الخلق فيهما كانت نتيجة ذلك **لا حجة** اي موجودة بمحاجة احد منا لصاحبه **بيننا وبينكم** لان الامر وصل الى الانكشاف التام فلا فائدة بعده للمحاجة فما بقي الا المجالدة بالسيوف وادارة كؤوس الحتوف لانا نعلم باعلام الله لنا في كتابه الذي دل لنا اعجازه للخلائق على انه كلامه ثم تبعه لذلك منه انا على محض الحق وانكم على محض الباطل وقد اعذرنا اليكم واوصلنا كم ببراهينه الى المشاهدة فلم يبق غير السيف عملا بالفضيلة الشجاعة ولما كان هذا موضع ان يقال افلا تخافون ان الله فيمن نقاتلونه وهم عباده اجاب بقوله مظهرا غير مضمر تعظيما للامر **الله** الذي هو احكم الحاكمين **يجمع بيننا** اي نحن وانتم على دين واحد ان اراد فلا يلجون في القتال وفي الارض على كل حال فهو يحكم بيننا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فما اقدمنا على القتال الا عن بصيرة ولما كان الجامع بين ناس قد يكون ما لهم الى غيره بين ان الامر فيه على غير ذلك فقال عاطفا على ما تقدير منه كان المبدا **واليه** اي لا الى غيره من حيث هذا الاسم الجامع لجميع الصفات **المصير** حسا ومعنى لتمام عزته وشمول عظمته وما كان فيما بين المبدا والمعاد من الامور التي كانت بحيث يظن انها خارجة لتصرف الغير فيها انما كانت ابتلاء منه ليتم الحجة على العباد على ما يتعارفونه بينهم وما كان المتصرف فيه غيره وتصرفهم انما كان امرا ظاهرا يصح عليهم الحجة ويلزمهم المحجة ولما كان التقدير فالذين دخلوا اليه طوعا في هذه الدار بعد هذا البيان والاظهار وتركوا الجدال حجتهم ثابتة تلمم الصحو والنعيم المقيم عطف عليه قوله ولعل الادغام مشير الى ان اهل هذا القرب منا فقوي يلقون شبههم في خفا تشربها قلوب امثالهم فتصير اهوية فيصعب امرها ويؤيد تقييده الدحوض بما عند الرب **في الله** اي في دين الملك الاعظم ليبعدوا الناس بعد ما دخلوا في نور الهدى الى ظلام الضلال ولما كان اقامة الحجة واظهار المعجزة امرا ملزما لجميع من بلغه الاستجابة لوصول الامر الى حد من البيان سقط معه الجدال وقال معلما انما كان في قوة الوجود يصح ان يطلق عليه انه موجود ومبينا بالجار على ذم هذا الجدال ولو قل زمنه **من بعد ما** ولما كان المقصود مطلق الاستجابة لا من مجيب معين قال **استجيب له** اي استجاب له الرسول صلى الله عليه وسلم وصار الناس كلهم بما بين لهم مستجيبين بالقوة وان لم يستجيبوا بالفعل فان الامر قد ظهر غاية الظهور ولم يبق الا العناد فهذه الجملة هي المراد والتمرة من قوله لا حجة بيننا وبينكم ولما كان من حال الظاهر باطنه ضعيف الحجة هلهل النسج قال معبرا بالمبتدا ثان مفردا للحجة اشارة الى ضعفها **حجتهم** اي التي زعموها حجة واخبر عن هذا المبتدا الثاني ليكون هو وخبره خبرا عن الاول فقال **داحضة** اي زالقة فهي ذاهبة غير ثابتة لاجل انها في معارضة ما ظهوره كالشمس بل اجلى ولعل العبارة للصيغة الا والعندية اشارة الى شدة ظهور ما في حجتهم من الدحوض لان عند الامور الظاهرة المالوفة وصيغة التربية للعطف والدنو والاضافة الى ضميرهم تقتضي مزيد لطف وعطف فهو اشارة الى انها هباء منثور عند تدقيق النظر ولا سيما اذا كان بصيغة عز وقهر والمعنى ان دحوضها ظاهر جدا ولو عوملوا بصفة الاحسان ولو حصوا بمزيد عطف وبرفان هذا مما لو قيل لدى عليم قدير فانه يفهم ان دحوضها لانه رد الابليغ العلم تام القدرة وهو مع ذلك غير بر فيصير فيه نوع مدح لحجتهم في الجملة **عند ربهم** اي المحسن اليهم بافاضة العقل الذي جعلهم به في احسن تقويم فهما جردوه عن الهوى دلهم على ان جميع ما كانوا فيه باطل وفيه اشارة الى ان ادنى ما يعذبهم به قطع احسانه عنهم وانه يظهر بطلان ما موهوه حجة لكل عاقل فيورثهم الخزي في الدنيا والعذاب في الاخرى على ان قطع احسانه هو عند المتامل اعلا العذاب **وعليهم** زيادة على قطع الاحسان **غضب** اي عقوبة تليق بحالهم المذموم ووصفهم المذموم ومنه الطرد فهم مطرودون عن بابه مبعدون عن جنابه فهم لا يوفقون لما يجب ويرضاه وهم مع ذلك **عذاب شديد** لا يصلون الى ادراك حقيقة وصفه والاية مشيرة الى الانتصار على اهل الردة وضربهم بكل شيء لسوء منزلتهم عنده كما كشفه الحال عند ندب الصديق اليهم بالقتال رضي الله عنه وارضاه ولما جزم سبحانه بما توعدهم به بعد ان حكم على حجتهم بالدحوض وكان لا يجزم بالشيء ان كان الامر كذلك الا من يحيط العلم به علما انه

مسندا بالوصول لرحمة اتقدو والاستمرار بالغم والذين كاجون اعلم دون لشكيكا على دينه الحق من فتنه ما يعود به جهالة هم

كذلك مبينا ما به يعرف ثبات الحجج ودحوضها المستلزم للغضب من الاله المستعقب للعذاب بقوله لافتا القول الى الاسم
الاعظم تنبيها على عظمة المخبر عنه الله اى الذى له جميع الملك الذى واشار بالتعبير بالانزال الى ان المراد جملة الكتاب الذى
لا مطعن فى شئ منه فقال أنزل الكتاب اى وحده انه لا مولى غيره بالحق اى ملتبسا على اكمل الوجوه بالامر الثابت الذى لا بد
وبسبب عمل الحق العام للاقوال والافعال والعقائد لتعرف الحجج الثابتة من غيرها ولما كان الكتاب آمرا بالعدل
قالا وحالا وكان من محسوسات واهم التقدير بالمقادير الضابطة قال مخصصا معبرا باقومهما اشارة الى ان الكتاب اعدل
عدالة عند العقل وابين من الميزان للحس والميزان اى الامر به مريدا به عينه حقيقة وجميعها بل جميع العدل الذى تقدم
فى لاعدل بينكم مجازا ولما ثبت ان من جادل فيه كانت حجته داحضة اذا حوسب فى الساعة فكان معنا وكان التقدير
عاهدى اليه السياق تسلية له صلى الله عليه وسلم فيما يقاسى فى انفاذ ما امر به من العدل فى جميع اقواله وافعاله وصبره
على اذاهم لمن فزع الى الكتاب فى المعانى والى الميزان فى الاعيان فبنى امره على تحقق العدل فيهما بهما فاز ومن اهمل ذلك خاب
فدحضت حجته وسقطت عند ربه منزلته وما يدريك لعل من جار يعاجل فى الدنيا بالاخذ لكون اجله الذى سبقت الكلمة
بتاخيره اليه قد حضر عطف عليه قوله موجها الخطاب الى اعلى الخلق تعظيما للامر وما يدريك يا اكمل الخلق لعل الساعة
التى اشير اليها فى هذه الآية بقوله عند ربهم بعدما نصرح بها فى غير آية ولما كان تانيث الساعة غير حقيقى لانها
بمعنى الوقت ذكرها فقال قريب فافهم ذلك انها دار شرايه وان شرايرها ذكور لشرايه وان قربها اسرع من لمع البرق
لماله من الثبات فى الحق او ذكرها على ارادة البعث اى ذات قرب او على حذف مضاف اى مجيئها وعلى كل حال فهو دال على تحتمها
اى انك بمظنة من قرب القيمة فيقع بهم ما توعدوا به مما ينبغى الاشفاق منه فتظهر فيها العدل موازين القسط لجميع الاعمال
ظهورا لا يتمارى فيه احد فيشرف من وفى ويخزى من جار وحيا ولما تصور بهذا قربها مشارا بالتعبير بلعل الى
ان حال المستعجل بها حال المترجى لشئ محبوب وهو جهل منه عظيم شرع فى تفصيل الناس فى امرها فقال مشيرا الى انه ينبغى
للعاقل الاستعداد لها بالخلاص فى وقتها لظهور دلائلها من غير بحث عن قربها او بعدها فانه لا بد من كونها يستعجل بها اى
يطلب ان تكون قبل الوقت المضروب لها الذين لا يؤمنون بها اى لا يتجدد لهم ذلك اصلا وهم غير مشفقين منها ويظنون انها الباطل
وكان الحال يقتضى ان يكونوا اشد الناس منها لكن حملهم على ذلك تكذيبهم بها واستهزاؤهم وظنهم عدم كونها جهلا بمن هم معترفون
بقدرته وعلوه وعظمته ولما دل على جهل الكافرين دل على علم اضدادهم فقال والذين آمنوا وان كانوا فى اول
درجات الايمان مشفقون اى خائفون خوفا عظيما منها لان الله هداهم بايمانهم فصارت صدورهم معادن المعارف وقلوبهم
منابع الانوار فايقنوا بما فيها من الاهوال الكبار فخافوا للطافتهم ان يكونوا مع صلاحهم من اهل النار ولما
قدم الاشفاق تنبيها على ان العاقل ينبغى ان يخشى ما امكن وقوعه قال ويعلمون انها الحق اعلاما بانهم على بصيرة من امرها فهم
لا يستعجلون بها فالآية من الاحتباك ذكر الاستعجال اولا دليلا على حذف ضده ثانيا والاشفاق ثانيا دليلا على حذف ضده
اولا قال ابن كثير وقد روى من طرق تبلغ درجة التواتر فى الصحاح والحسان والسنن والمسانيد ان رجلا سأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بصوت جهورى فى بعض اسفاره فناداه يا محمد فقال النبى صلى الله عليه وسلم بنحو من صوته هاؤم فقال متى
الساعة فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك انها كائنة فما اعددت لها فقال حب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال
ابن كثير فقوله فى الحديث المرء مع من احب متواتر لا محالة والغرض انه لم يجبه عن وقت الساعة بل امره بالاستعداد لها
انتهى وهو مشروط بالبراءة من اعداء الله بدليل قصة ابى طالب فانه لم ينفعه حب الولى نفعا تاما بدون البراءة من العدو
ولما اعلم بتعريف الحق انها ثابتة ثباتا كاملا لا انقضاء له اصلا ولا زوال لآثارها انتج قوله مؤكدا لعظمها
فى مقابلة انكارهم الا ان الذين يمارون اى يجادلون شككهم فى معرض اللجاجة الشديدة طلبا لظهور ريبة عندهم من مريت الناقة
اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لتستخرج ما عساه يكون فيها من اللبن فى الساعة اى القيمة وما تحتوى عليه لفى ضلال اى
ذهاب جائر عن الحق بعيد جدا عن الصواب فان لها من الادلة الظاهرة فى العقل المؤيدة بجازم النقل ما الحقها حال
غيابها بالمحسوسات لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ولما كان حاصل امر الفريقين انه اظهر خوف الكافرين
فى غاية الامن وابطن امن المؤمنين فى ازعج خوف وكان هذا عين اللطف فانه الوصول الى الشئ بضده ويطلق على ايصال البر
الى الخلق على وجه يدق ادراكه وكان اكثر ما يبطئ بالانسان فى امر الدين اهتمامه بالرزق انتج ذلك قوله الله اى الذى له الامر
كله فهو يفعل كل ما يريد لطيف اى بالغ فى العلم وايقاع الاحسان بايصال المنافع وصرف المضار على وجه يلطف ادراكه
قال القشيرى اللطيف العالم بدقائق الامور وغوامضها ومن الملطف المحسن وكلاهما فى صفته سبحانه صحيح واكثر ما
يستعمل اللطف فى وصفه بالاحسان فى الامور الدينية وقال الرازى فى اللوامع هو اسم مركب من علم ورحمة ورفق خفى
بعباده انتهى اما بالمؤمن فواضح واما الكافر فاقل لطفه به انه لا يعاجله فى الدنيا ولا يعذبه فوق ما يستحق فى الآخرة

فلاهم

فالاسم الاول تخويف والثانى ترجية ظاهرهما باطنهما تخويف اشارة الى ما ينبغى من الخوف والرجاء وان يكون الخوف اغلب ولما كان
اظهر ما يكون هذا الوصف فى الرزق فانه يوسع على من لا حيلة له ويحرم من هو فى غاية القوة والقدرة ويرفع الضعيف الجبان ويخفض
القوى الشجاع وكل ذلك على حسب ما يعلم من بواطنهم ويريد من اعمالهم قال دالا على ذلك استينافا لمن لا يعرف كيفية اللطف يرزق
من يشاء مهما شاء على سبيل من السعة او الضيق او التوسط لا مانع له من شئ من ذلك ويمنع الرزق عمن يشاء اذا علم فراغ اجله
سوقه اليه فاجهدوا انفسكم فى طلب مرضاته ولا تلتفتوا الى الخوف من الحاجة فانه قد فرغ من تقدير الرزق ونهى
عن المبالغة فى طلبه ولما كان ذلك لا يستطيعه احد سواه لما يحتاج اليه من القوة الكاملة والعزة الكاملة
قال وهو القوى اى فلا يفوته عطاؤه شئ العزيز فلا يقدر احد ان يمنعه عن شئ ولما بين بهذا ان الرزق
ليس الا بيده اتبعه ما يزهد فى طلب رزق البدن ويرغب فى رزق الروح فقال على سبيل الاستيناف جوابا لمن يسأل هل يكون
الرزق بشدة السعى او لا وبدأ برزق الروح لشرفه من كان اى من شريف او دنى يريد ولما كان مدار مقصد
السورة على الدين وكان الدين معاملة بين العبد وربه يقصد به ما يقصد بالحرث من حصول الفايدة وكان الحرث من اجل اسباب
المكاسب وكانت الجنة سعادا ناعرانها ذكر الله عبر عن مطلق الكسب بالحرث فقال حرث الآخرة اى اعمالها التى تستنمى بها
الفوايد ولما كانت اسبابا بالحروث وثمراتها لا يقدر على تعطيلها وانجاحها الا الله وكان الآدمى يظن لنفسه فى
ذلك قدرة نبه سبحانه بالالتفات الى اسلوب العظمة ان امره سبحانه فى ذلك لا يستطاع دفاعه ولا ممانعته ونزاعه
نزد له اى بعظمتنا التى لا يقدر احد على تحويلها فى حرثه بان نعينه على الاعمال الصالحة باثارة القلب وتصفية الحال
وتهدية السر وتعوذ البصر فيما يضر وينفع ونضاعف له ثوابها من العشر لكل حسنة الى ما لا نهاية له ونعطيه من الدنيا
التى اعرض عنها ما قدر له اعانة له على ما اقبل عليه من الآخرة وطوى ذكر الدنيا فى هذا الشق تنبيها على انها احقر من ان تذكر مع
الله معلوم من آيات اخر ومن كان اى من قوى وضعيف يريد حرث الدنيا اى ارزاقها التى تطلب بالكد والسعى وتستنمى به
مكتفيا به مؤثرا له على الآخرة نؤته منها ما قسمناه له ولو تهاون به ولم يطلبه لاتاه ولا نبالى لكلما تمناه ولو جهد
كل الجهد واما الآخرة فكلما نواه طالبها من اعمالها حصل له وان لم يعمله وما اى والحال انه طالب الدنيا ما له فى الآخرة
من نصيب اصلا روى ابى بن كعب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين
فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب رواه احمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد
والبيهقى وذلك لان الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى وهذا انها وان لم ينوها وهى اشرف من ان تقبل على من اعرض
عنها فانها ضرة الدنيا وضدها فالدنيا لخساستها تقبل على من اعرض عنها وتبعد عمن اقبل عليها حتى تهلكه فيها وبها والآخرة
تقبل على من اقبل عليها اضعاف اقباله وتنادى من ادبر عنها لينتهى عن غيه وضلاله قال الرازى فى اللوامع اهل الارادة على اصناف
مريد للدنيا ومريد للآخرة ومريد للحق حالا وفعلا وعلامة ارادة الدنيا ان يرضى فى زيادة دنياه بنقص دينه والاعراض عن
فقراء المسلمين وان تكون حاجاته فى الدعاء مقصورة على الدنيا وعلامة ارادة الآخرة بعكس ذلك واما علامة
ارادة الله تعالى كما قال يريدون وجهه طرح الكونين والحرية عن الخلق والخلاص من يد النفس انتهى وحاصله ان يستغرق
اوقاته فى التوفية بحقوق الحق وحقوق الخلق وتزكية النفس لا طمعا فى جنة ولا خوفا من نار بل امتثالا لامر الملك الاعلى
لانه اهل لذلك مع اعترافه بانه لن يقدر الله حق قدره ولما تقرر ما شرع من الدين مما وصى به جميع النبيين فبانت
اصوله واتضحت فروعه وفصوله وظهرت ثمراته واشرقت فوايده واياته وختم بالقانون الاعظم فى امر الدارين مما يومى
ولا يقدر عليه غيره فكان ان المقدر من غير خفاء هذا شرع الله الذى ارتضاه لعباده وحكم بان الاقبال عليه غير ضار بطلب
الرزق وقدر الارزاق فلا قدرة لاحد ان يزيد فى رزقه شيئا ولا ان ينقص منه شيئا اقبلوا عادلين بقوله معترضا موبخا
منبها على ما هو الاصل فى الضلال عن قوانينه المحررة وشرايعه الثابتة المقررة ام لهم اى لهؤلاء الذين يروغون يمينا
وشمالا شركاء على زعمهم شاركوا الشارع الذى مضى بيان عزته وظهور جلاله وعظمته فى امر حتى شرعوا اى الشركاء
اى طرقوا ونهجوا لهم اى الكفار ويجوز ان يكون المعنى شرع الكفار لشركائهم من الدين فى العبادات والعادات التى
تقرر فى الاذهان انه لا بد من اجراء اعليها ما جرت به عوايدهم من محاسبة من تحت ايديهم وقدروا لهم من الارزاق وعدل عن
اسلوب العظمة الى الاسم الاعظم اشارة الى ما فيه مع العظمة من الاكرام الذى من جملته الحلم المقتضى لعدم معاجلتهم بالاخذ
فقال ما لم يأذن به الله اى يمكن العباد منه بامرهم به وتقريرهم عليه الملك الذى لا امر لاحد معه وقد تمت صفاته
كل صفة ونقصا اعندها كل عظمة فاقبلوا عليه دون غيره لكونه معتدا به فان كان كذلك فليسعد وامن اقبل على الدنيا التى
هى محط امرهم فلا يعرفون غيرها بان يعطوا جميع مراده ويشتغل من اراد الآخرة وسعى لها سعيها وكتب الشرع الى الاوثان
لانها سببه كما كانت سبب الضلال فى قوله تعالى حكاية عن ابرهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس ويضاف

الشركاء الهتهم تارة لانهم يتخذونها وتارة الى الله تعالى لانهم اشركوهم كثيرا به والعبادة تارة بحسب المقام
ولما علم قطعا ان التقدير فلولا ان هذه الافعال التي يفعلونها من غير اذن منه لا تنقص من ملكه سبحانه شيئا ولا تضر الا فاعلها مع
انها بارادته كانت لمنعهم عنها فلم يصلوا الى شيء منها عطف عليه قوله ولولا كلمة الفصل التي سبقت في الازل انها لا تكون ولما
كان امرهم هينا بنى الفعل للمفعول فقال لقضي بينهم اي بين الذين امتثلوا امره فالتزموا شرعه وبين الذين ابتدعوا ما شرعوه
لمن جعلوهم شركا في اقرب وقت ولكنه قد سبق القضاء في ازل الازال بمقادير الاشياء وتحديدها على وجوه الحكمة فهي تجري على ما حد
لها لا تتقدم من شيء منها ولا تتاخر ولا تتبدل ولا تتغير وستنكشف لكم الامور وتظهر مخبآت المقدور فلا يقع الفصل الا في الاجل
كما سبق به القضاء بان يكون للمقسطين نعيم مقيم ولما كانوا ينكرون ان يقع بهم عذاب قال مؤكدا عطفا على ما قدرته
مما ارشد اليه السياق وان الظالمين بشرع ما لم ياذن به الله من الشرك وغيره لهم عذاب اليم اي مؤلم بليغ الايلام ولما
علم من هذا السياق كما ترى انه لا بد من الفصل وان الفصل لا يكون الا يوم القيمة قال شارحا للفصل بين الفريقين
في ذلك اليوم مقبلا على خطاب اعلى الخلق اشارة الى ان هذا لا يفهمه حق الفهم ويوقن به حق الايقان غيره صلى الله عليه وسلم او يكون
المراد كل من يصح ان يخاطب اشارة الى ان الامر في الوضوح بحيث لا يختص به احد دون احد فقال ترى اي في ذلك اليوم الذي لا
يشك فيه عاقل لما له من الادلة الفطرية الاولية والعقلية والنقلية الظالمين اي الواضعين الاشيا في غير مواضعها
مشفقين اي خائفين اشد الخوف كما هو حال من يحاسبه من هو عالم بمنه وهو منتقم ولما كان الكلام في الذين ظلموا
صفة راسخة لهم كان من المعلوم ان كل عملهم عليهم فلذلك عبر بفعل الكسب مجردا فقال مما كسبوا اي عملوا معتقدين انه
غاية ما ينفعهم وهو اي جزاؤه ووباله الذي هو من جنسه حتى كانه هو واقع بهم لا محالة من غير ان يريد بهم خوفهم الا عذابا في
غمرات النيران ذلك هو الخسران المبين ذلك الذي ينذر به الذين ظلموا والذين امنوا يصح ان يكون معطوفا على مفعول ترى وان
يكون معطوفا على جميع الجملة فيكون مبتدا وعملوا الصالحات وهي التي اذن الله فيها غير خائفين مما كسبوا لانهم ما دون لهم في فعله
وهو مغفور لهم ما فرطوا فيه في روضات الجنات اي في الدنيا بما يلذذهم به الله من لذايذ الاقوال والاعمال والمعارف والاحوال
وفي الاخرة حقيقة بلا زوال لهم ما يشاؤن اي دائما ابدا كائن ذلك لكونه في غاية الحفظ والتربية وللتنبيه على مثل هذا الحفظ
لفت القول الى صفة الاحسان فقال عند ربهم اي الذي لم يوصلهم الى هذا الثواب العظيم الاحسن تربيته لهم ولطفه بهم
على حسب ما رباهم ولما ذكر ما لهم من الجزاء عظمه فقال ذلك اي الجزاء العظيم الرتبة الجليل القدر هو لا غيره الفضل
اي الذي هو اهل لان يكون فاضلا عن كفاية صاحبه ولو بالغ في الانفاق الكبير الذي ملا جميع جهات الحاجة وصغر عنده كل ما
ما لغيرهم من هذا الحطام فالاية كما ترى من الاحتباك اثبت الاشفاق اولا دليلا على حذف الامن ثانيا والجنات ثانيا دليلا على حذف
النيران اولا ولما ذكر محلهم وما لهم فيه بين دوامه زيادة في تعظيمه فقال مبتديا ذلك اي الامر العظيم من الجنة
ونعيمها واخبر عن المبتدا بقوله الذي يبشر اي مطلق بشارة عند من خفف وبشارة كثيرة عند من ثقل وزاد البشارة عظما بالاسم
الاعظم فقال لافتا القول اليه الله اي الملك الاعظم والعايد هو به محذوف تفخيما للمبشر به لان السياق لتعظيمه بالاتيان
وجعلها باداة البعد وبالوصف بالذي وذكر الاسم الاعظم والتعبير بلفظ العباد مع الاضافة الى ضميره سبحانه فافهم حذفه
ان الفعل واقع عليه وواصل بغير واسطة اليه فصار كانه مذكور وظاهر ومنظور فقال عباده ومن المعلوم ان كل احد
يعظم من اختصه لعبوديته ولما اشعر بالاضافة لصلاحهم نص عليه بقوله الذين امنوا اي صدقوا بالغيب وعملوا
الصالحات تحقيقا لايمانهم وذلك الذي مضى قبله الذي ينذر به الذين كفروا ولما كانت العادة جارية بان البشير
لا بد له من حبا وان لم ينل الا بشارته قايمة مقام السؤال قال كعب بن مالك رضي الله عنه لما اذن الله بتوبته علينا
ركض نحوي راكض على فرس وسعى ساع على رجليه فاوفى على جبل سلع ونادى يا كعب بن مالك ابشر فقد تاب الله عليك فكان الصوت
اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته خلعت له ثوبي فدفعتهما اليه والله ما املك يومئذ غيرهما واستعرت ثوبين
فلبستهما الى اخر حديثه كان كانه قيل ماذا نطلب على هذه البشارة فامر بالجواب بقوله قل اي لمن توهم فيك ما جرت به عادة
المبشرين لا اسالكم اي الان ولا في مستقبل الزمان عليه اي البلاغ بشارة ونذارة اجرا اي وان قل الا اي لكن اسالكم المودة
اي المحبة العظيمة الواسعة ولما كانوا يتبارون على صلة الارحام وان بعدت ويحفظون الانساب لذلك قال في القربى
اي مظروفة فيها بحيث تكون القربى موضعا للمودة وظرفا لها لا يخرج شيء من محبتكم عنها فانما بها يتم امر الدين ويكمل الاجتماع فيه
فانكم اذا وصلتم ما بيني وبينكم من الرحم لم تكذبوني ولم تبطل ولم تردوا ما جيتكم به من سعادة الدارين فافلحتم كل الفلاح ودامت
الالفة بيننا حتى نموت ثم ندخل الجنة فتستمر الفتنا دائما ابدا وقد شمل ذلك جميع القرابات ولم يكن بطن من قريش الا وله صلى
الله عليه وسلم فيهم قرابة رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وروى البخاري
عن سعيد بن جبير الا ان تودوني في قرابتي اي تبروهم وتحسنوا اليهم قال ابن كثير وقال السدي لما جيء بعلي بن الحسين اسيرا فاقيم

على

على درج دمشق قام رجل من اهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستاصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له علي اقرات القران
قال نعم قال ما قرات قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال وانكم لانتم هم قال نعم وعن العباس رضي الله عنه قال قلت يا
رسول الله ان قريشا اذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن واذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها فغضب النبي صلى الله عليه وسلم
غضبا شديدا وقال والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله وعنه انه دخل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال انا لنخرج فنرى قريشا تحدث فاذا راونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر عرق بين عينيه ثم
قال والله لا يدخل قلب امرئ مسلم الايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي وعبر في المنقطع باداة الاستثنا اغراقا في النفي بالاعلام بانه لا
يستثني اجرا اصلا الا هذه المودة ان قدر انها تكون اجرا ويجوز ان تكون الا بمعنى غير فيكون من باب ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتايب فمن كان بينه وبين احد من المسلمين قرابة فهو مسؤول ان يرقب الله في قرابته تلك فيصل صاحبها
بكل ما تصل قدرته اليه من جميع ما امر الله به من ثواب وعقاب فكيف بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم فانه قد قال صلى الله عليه
وسلم فيما رواه الطبراني وابو نعيم في الحلية عن ابي ذر رضي الله عنه مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح عليه السلام من ركب فيها
نجا ومن تخلف عنها هلك وقال فيما رواه في الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما اصحابي بمنزلة النجوم في السما بايهم اقتديتم اهتديتم
قال الاصبهاني ونحن الان في بحر التكليف محتاجون الى السفينة الصحيحة والنجوم الزاهرة فالسفينة حب الال والنجوم
حب الصحب فنرجو من الله السلامة والسعادة بحبهم في الدنيا والاخرة ولما كان التقدير فمن يقترف سيئة
فعليه وزرها ولكنه طوى لان المقام للبشارة كما يدل عليه ختم الاية مع سابقه عطف عليه قوله ومن يقترف اي يكتسب
ويخالط ويعمل بجد واجتهاد وتعمد وعلاج حسنة اي ولو صغرت وصرف القول الى مظهر العظمة اشارة الى انه لا يزيد
في الاحسان الا العظما والى ان الاحسان قد يكون سببا لعظمة المحسن فقال نزد على عظمتنا له فيها حسنا بما لا يدخل
تحت الوهم ومن الزيادة ان يكون له مثل اجر من اقتدى به فيها الى يوم القيمة لا ينقص من اجورهم شيئا وهذا من اجر الرسل على الاعم
الى الاهم فهم اغنيا عن طلب غيره هذا ان اهتدوا به وان دعاهم فلم يهتدوا كان له مثل اجورهم لو اهتدوا فان عدم اهتدايهم
ليس من تقصيره بل بقدر الله وما شاء فعل ولما كانوا يقولون انا قد ارتكبنا من المساوي ما لا ينفع معه شيء قال كنا فيما لذلك
على سبيل التاكيد معللا لامثالنا بصرف القول الى الاسم الاعظم ان مثل ذلك لا يقدر عليه ملك غيره على الاطلاق ان الله اي الذي لا
يتعاظمه شيء غفور لكل ذنب تاب منه صاحبه او كان يقبل الغفران وان لم يتب منه ان شا فلا ييأسن احد اساء عملها عن الاقبال
على الحسنة ولما كان اثبات الحسنة فضلا عن الزيادة عليها لا يصح الا مع الغفران ولا يمكن ان يكون مع المناقشة
ذكر ذلك الوصف الذي هو اساس الزيادة افادها اي الزيادة بقوله شكور فهو يجزي بالحسنة اضعافها ويترك سائر
حقوقه ولما ثبت انه انزل الكتاب بالحق ودل على ذلك الى ان ختم بنفي الغرض في البلاغ لحصل القطع بمضمون الخبر
كان كانه قيل انكارا عليهم وتوبيخا لهم هل علموا انه ما هم عليه مما يدعون انهم غير يقولون فيه من صلة الرحم والاقبال
على معالي الاخلاق باجتناب السيئات وارتكاب الحسنات والبعد عن الكذب والمكابرة والبهتان فاعتقدوا انه حق
وانه وحي من عند الله بما قام على ذلك من البرهان ام يقولون عنادا افترى اي تعمد ان يقطع وقدم ذكر الملك الاعظم
تنبيها على انه من الكذب على ملك الملوك مع فهم المفعول به من لفظ الافترا فقال على الله الذي احاط بصفات الكمال فله العلم
الشامل بمن يتقول عليه والقدرة التامة على عقابه كذبا حين زعم ان هذا القران من عنده وانه ارسله بهذا الدين ولما كان
التقدير قطعا انهم ليتقولون ذلك وكان قولهم له تقولا معلوم البطلان لانه تحداهم ان ياتوا بمثله في زعمهم انه مثلا ليعلم صحة
قولهم فلم ياتوا بشيء وهم وان كانوا قد يدعون انه يمنعهم من ذلك انهم لا يستجيزون الكذب مبطلون لا يمتري عاقل في
بطلان ذلك منهم ايضا لانه لم يطلب منهم ان ينسبوا ما ياتون به الى الله على انه لو طلب منهم ذلك لما كان عذرا لانه لا يتوقف
احد في ان الضرورات تبيح المحظورات وانه يرتكب اخف الضررين لدفع اثقلهما فالاتيان بكلام يسير تسكن به فتن طوال
وتنقطع به شرور كبار في غاية الحسن لان الخطب فيه سهل والامر يسير فكان ذلك وهم يرتكبون اكبر منه من قطع الارحام
وتفريق الكلمة بقتل النفوس وتخريب الديار واتلاف الاموال دليلا قاطعا على انهم انما تركوه عجزا تسبب عن قولهم هذا
وهو نسبتهم له الى تعمد الكذب ان قال العالي رادا عليهم مبينا انه كذبهم فيما قالوا لو ابيتما ان ما له صلى الله عليه وسلم من نور العلم
اللازم عنه استقامة القول فان واظهر الجلالة ولم يضمر تعظيما للامر بان الختم لا يقدر عليه الا المتصف بجميع صفات
الكمال على الاطلاق من غير تقييد بقيد اصلا فقال يشا الله اي الذي له الاحاطة بالكمال يختم وجرى على الاسلوب السابق
في الخطاب لا عظم اولي الالباب فقال معبرا باداة الاستعلاء على قلبك فيمنعه من قبول روح هذا الوحي كما ختم على قلوب
اعدائك من قبول ذلك فتستوي حينئذ معهم في عدم القدرة على الاتيان بشيء منه وتصير لو قلته وقد اعاذك الله مما
يقولون مما تصح نسبته الى الباطل لم تقله الا ومعه الادلة قائمة على بطلانه كما انهم هم كذلك لا يزالون موضوحين بما

انو المهم من الادلة قايمة على بطلانهما وكان الاصل في الكلام ام يقولون لك وانهم لكاذبون فيه بسبب ان الله قد شرح صدرك وانار
قلبك فلا تقول قولا الا كانت الادلة قايمة على صدقه ولكنه ساق الكلام هكذا لانه مع كونه انصف دال على تعليق الوصف
بالافترا على ختم القلوب وذلك دال قطعا على انهم هم الكاذبون لما على قلوبهم من الختم الموجب لانها تقول ما الادلة قايمة على كذبه
ولما كان ابتعد كما دل عليه السياق ولكنه لم يشا ذلك بل شا جعله قابلا لروح الوحي واعيا لفنون العلم فهو
يغترف بانواع المعارف ويكتنف بتلقي اعاجيب اللطايف ويثبت الله ذلك كله من غير مانع ولا اصار فعطف عليه قوله ويمحوا
الله اي الذي له جميع صفات الكمال الباطل وهو قولهم افترى وكل كذب فلا يدع له اثرا وهنالك يظهر خسران الجاحد وينقطع
لسان الالد المعاند ولم يذكر ان له المحو الكلمات وغيرها استهانة به بالاشارة الى انه تارة يمحو بنفسه بلا سبب وتارة
باضعف الاسباب وتارة باعلى منه وحذفت واوه في الخط في جميع المصاحف مع انه استيناف غير داخل في الجواب لانه تعالى يمحو
الباطل مطلقا ايماء الى انه سبحانه يمحق رفعه وعلوه وغلبته التي دلت عليها الواو ومطابقته بين خطه ولفظه ومعناه تاكيدا
للبشارة بمحوه محوا لا يدع له عينا ولا اثرا المرتبت لصولته وصبر كما امر لجولته اعتمادا على صادق وعد الله ايمانا بالغيب وثقة
بالرسل عليهم السلام وفي الحذف ايضا تشبيه له بفعل الامر ايماء الى ان ايقاع هذا المحو امر لا بد من كونه على اتم الوجوه واحكمها
واعلاها واتقنها كما يكون المامور به من الملك المطاع واما الحق فانه ثابت شديد مضاعف فلذا قال ويحق اي يثبت على وجه
لا يمكن زواله الحق اي كل ما من شانه الثبات لانه اذن فيه واقره وعظم الحق واحقاقه بذكر آلة الفعل فقال بكلماته اي التي لو
كان البحر مدادا لها الاية التي يقولون انما امانيهم من العبارة عنها افتراء الكذب والحاصل انه سبحانه اثبت صفا لبه ونور
قلبه وسدد قوله وصواب امره وظلام قلوبهم وبطلان اقوالهم اثباتا مستمرا وتايدا لله اما لاهل البصاير فبعجزهم عن معارضته
واما للاغبيا فباثبات قوله ومحو قولهم ولما كانوا يعلمون انه على حق وهم على باطل وكان من احاط علمه بشي قدر على ما
يريد من ذلك الشي بترك ذلك بقوله معللا على وجه التاكيد لان علمهم عمل من يظن ان الله لا يعلم مكرهم انه عليم اي بالغ العلم
بذات الصدور اي ما هو فيها مما يعلمه صاحبه ومما لا يعلمه فيبطل باطله ويثبت حقه وان كره الخلايق ذلك ولتعلمن نباه
بعد حين ولقد صدق الله فاثبت ببركة هذا القران كلما كان يقوله صلى الله عليه وسلم وابطل بسيف هذا البرهان كلما كانوا
يخالفونه فيه ومن اصدق من الله قيلا اخبر بضلالهم وجزم بابطال اعمالهم رغبهم رحمة منه لهم في التوبة
التي هي من الحق الذي يحقه ولو على اقل وجوهها بان يقولوها بالسنتهم ليبلغه ذلك عنهم بان تول اللسان يوشك ان يدخل
الى الجنان فقال مذكرا له بامتنانه عليهم بقبول توبتهم وتطهير حوبتهم كرما منه وحلما معبرا بالضمير الذي هو غيب اشارة
الى لطفه في علمه الغيب بذاته في طي هذه البشارة وهو اي لا غيره الذي يقبل التوبة كلما تابوا بالغة له او متجاوزا عن
عباده الذين هم خالصون لطاعته سئل ابو الحسن البوشنجي عن التوبة فقال اذا ذكرت الذنب فلا تجد له حلاوة في قلبك
ولما كان القبول قد يكون في المستقبل مع الاخذ بما مضى قال ويعفو عن السيات اي التي كانت التوبة عنها
صغيرة كانت او كبيرة وعن غيرها فلا يواخذ بها ان شا لان التوبة تجب ما كان قبلها كما ان الاسلام الذي هو توبة خاصة يجب
ما كان قبله كانت تعدية القبول بعن مفهمة لبلوغه ذلك بواسطة فكان ربما اشعر بنقص في العلم اخبر
بما يوجب التنزيه عن ذلك ترغيبا وترهيبا بقوله ويعلم اي والحال انه يعلم كل وقت ما تفعلون اي كلما يتجدد لهم عمله سواء
كان عن علم او داعية شهوة وطبع سيئة كان او حسنة وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب بالخطاب
لفتا للقول عن غيبة العباد لانه ابلغ في التخويف وقرا الباقون بالغيب نسقا على العباد وهو اعم واوضح في المراد فعفوه مع
العلم عن سعة الحلم ولما رغب بالعفو زاد بالاكرام فقال ويستجيب اي يوجد بغاية العناية والطلب
اجابة الذين امنوا اي دعا الذين اقروا بالايمان في كل ما دعوه به او شفعوا عنده فيه لانه لولا ارادته لهم الاكرام بالايمان
ما امنوا وعدى الفعل بنفسه تنبيها على زيادة برهم ووصلتهم به وعملوا تصديقا لدعواهم الايمان الصالحات
فيثيبهم النعيم المقيم ويزيدهم اي مع ما دعوا به ولم يخطر على قلوبهم كان هذا اوان كان الاول فضلا
ابين في الفضل قال من فضله على انه يجوز تعليقه بالفعلين ولما رغب الذين طالت مقاطعتهم في المواصلة
بذكر اكرامهم اذا اقبلوا عليه رهب الذين استمروا على المقاطعة فقال والكافرون اي العريقون في هذا الوصف الذين
منعتهم عراقتهم من التوبة والايمان لهم عذاب شديد ولا يجيب دعاهم فغيرهم من العصاة لهم عذاب غير لازم التقيد
بشديد والاية من الاحتباك ذكر الاستجابة اولا دليلا على ضدها ثانيا والعذاب ثانيا دليلا على ضده اولا وسر انه ذكر
الحامل على الطاعة والصاد عن المعصية كان المبادر من الاستجابة ايجاد كل ما سالوه في هذه الدنيا على ما
ارادوه وكان الموجود غير ذلك بل كان اكثر اهل الله مضيقا عليهم وكانت الاجابة الى كل ما يسال بان يكون في هذه الدار تود
في الغالب الى البطر المودي الى الشقا فيودي ذلك الى عكس المراد قال على سبيل الاعتذار لعباده وهو الملك الاعظم مبينا ان

استجابته

استجابته تارة تكون كما وردت به الحديث لما سالوه وتارة تكون بدفع مثله من البلا وتارة تكون بادخاره الى الدار الاخرة ولو
اي هو يقبل ويستجيب والحال انه لو بسط ولما كان هذا المقام عظيما لاحتياجه الى الاحاطة بالخلايق والاحا
باخلاقهم واوصافهم وما يصلحهم ويفسدهم والقدرة على كل بدل ومنع عبر بالاسم الاعظم فقال الله اي الملك الاعظم الجامع
لجميع صفات الكمال تنبيها على عظمة هذا المقام الرزق لهم هكذا كان الاصل لكنه كره ان يظن خصوصية ذلك بالتايبين
فقيل لعباده اي كلهم التايب منهم وغيره بل اعظامهم فوق حاجتهم لبغوا في الارض اي لصاروا وارادوا كل ما يشتهونه
فان لم يفعل سعوا في انفاذه كالملوك بما لهم من المكنة بكل طريق يوصلهم اليه فيكثر القتل والسلب والنهب والضرب
ونحو ذلك من انواع الفساد وقد تقدم في النحل من الكلام على البغي ما يعرف به علم هذا المكان ولما كان معنى الكلام
انه سبحانه لا يبسط لهم ذلك بحسب ما يريدونه بني عليه قوله ولكن ينزل اي لعباده من الرزق بقدر اي بتقدير لهم جملة
ولكل واحد منهم لا يزيد عن تقديره ذرة ولا ينقصها ما يشاء من الما الذي هو اصل الرزق والبركات الذي يدبرها
عباده كما اقتضته حكمته التي بني عليها احوال هذه الدار ولما كان اكثر الناس يقول في نفسه لو بسط لي
لعملت الخير وتجنبت الشر واصلحت غاية الاصلاح قال معللا لما اخبر به في اسلوب التاكيد انه وكان الاصل بهم ولكنه
قال بعباده ليلا يظن ان الامر خاص بمن وسع عليهم او ضيق عليهم خبير بصير يعلم جميع ظواهر امورهم وبواطنها
فيقيم كل احد فيما يصلح له من فساد وصلاح وبغي وعدل ويهيئ لكل شي من ذلك اسبابه ولما ذكر انزال الرزق
على هذا المنوال وكان بعض الناس ممن خذله الاضلال من يقول انما الناس فيه من المطر والنبات واخراج الاقوات انما هو
عادة الدهر بين انه سبحانه هو الفاعل لذلك بقدرته واختياره بما هو كالشمس من انه قد يحبس المطر عن ابانه وعادته
في وقته واوانه حتى يياس الناس منه ثم ينزله ان شا فقال تعالى معبرا بالضمير الذي هو غيب لاجل ان انزال الغيث من مفاتيح
الغيب وهو اي لا غيره الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغاث به الناس اي يجابون الى ما سالوا ويعانون ظاهرا كما ينزل
الوحي الذي يغاثون به باطنا ولما كان الانزال لا يستغرق زمان القنوط ادخل الجار فقال من بعد ما قنطوا
اي يئسوا من انزاله وعلموا انه لا يقدر على انزاله غيره ولا يقصد فيه سواه ليكون ذلك ادعى لهم الى الشكر وينشر هذا
كان الاصل ولكنه لما بين انه غيث قال بيانا لانه رحمة ونعمتها لان من النبات وغيره وينشر رحمته اي على السهل والجبل
ينزل من السحاب المحمول بالريح من الماء ما يملأ الارض بحيث لو اجتمع عليه الخلايق ما اطاقوا حمله ما بين غدران وانهار
ونبات نجم واشجار وحب وثمار وغير ذلك من المنافع الصغار والكبار فلله ما اعلى هذه القدرة الباهرة والاية الظاهرة
يخرج من الارض التي هي من صلابتها تعجز عنها المعاول تجماهو في لينه الين من الحرير وفي لطافته الطف من النسيم ومن سوق
الاشجار التي تنثني فيها المناقير اغصانا الطف من السنة العصافير فما اجهل من ينكر اخراجه الموتى من القبور ويحييها
ذلك بنوع من الغرور انكر عليهم فيما مضى اتخاذ ولي من دونه بقوله تعالى ام اتخذوا من دونه اولياء واثبت
انه هو الولي وعرفهم بما له آثاره التي حوت افانين انواره وكانت كلها في غاية الكمال موجبة للحمد المتوالي المتواتر قال
وهو اي وحده الولي اي الذي لا احد اقرب منه الى عباده في شي من الاشيا الحميد اي الذي استحق لجامع الحمد مع انه يحمد من
يطيعه فيزيده من فضله ويصل حبله دايما بحبله ولما كان ما مضى من بسط الرزق وقبضه وانزال الغيث
وحبسه من الايات العظيمة عمم بذكر ما ذلك بعض منه وهو دال على جميع ما ختم به الاية السابقة من الحمد الذي هو الاحاطة
بجميع صفات الكمال فقال عاطفا على ما تقديره فذلك من ايات الله الدالة على قدرته واختياره وانه هو الذي يحيي هذا الوجود
بالمعاني من روح الوحي وغيره تارة وبالاعيان من الماء وغيره اخرى ومن اياته العظيمة على ذلك وعلى استحقاقه لجميع صفات
الكمال خلق السموات التي يعلمون انها متعددة بما يرون من امور الكواكب والارض اي جنسها على ما هما عليه من الطباق وما
اشتملا عليه من المنافع والخيرات وما بث اي فرق بالابدان والقلوب على هذا المنوال الغريب من الحس والحركة بالاختيار
مع التفاوت في الاشكال والقدود والهيئات والاخلاق وغير ذلك من النقص والكمال ولما كانت الارض بيتا
السما سقفه فمن كان في احدهما صح نسبته الى انه في كل منهما الاسفل بالاولى والاعلى بالاطلاق قال فيهما اي السموات
والارض ولا سيما وقد جعل لكل منهما تسببا في ذلك بما اودعهما من الجواهر وانشاه منهما من العناصر ولما
كانت الحياة التي هي سبب الانتشار والدب ربما اوشك صاحبها لبره وغلطا في نفسه ان يظن انه تام القدرة اتت
تحقير القدرية وتوهيه لشانه ورتبته فقال من دابة اي شي فيه اهلية الدبيب بالحياة من الانس والجن والملايكة
وساير الحيوانات على اختلاف اصنافهم والوانهم واشكالهم ولغاتهم وطباعهم واجناسهم وانواعهم واقطارهم
ونواحيهم واصقاعهم ومن نظر الى صنايعه سبحانه تيقن وجوده وقدرته واختياره ثم اذا امعن في النظر وتابع التدبر
بالفكر وصل الى معرفة الصانع باسمايه وصفاته وما ينبغي له ويستحيل عليه فيهما بمحامده ونسيحه بسبحانه ثم ان امعن

سما الى الوقوف على حكمة ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ولما كان عالمين بان من اوجد اشيا قدر على ضم اشتاتها مهما شا
مع نقص التصرف والعجز في التقلب كان جديرا بالعلم القطعي بمضمون قوله تعالى وهو اي عباله من الصفات العظيمة التي تعلم ظواهر
منا وما غاب عنا اكثر على جمعهم اي هذه الدواب من ذوي العقول وغيرهم بعد تفريقهم بالقلوب والابدان بالموت وغيره من الحظوظ
والاهوا وغير ذلك ولما كان الجمع لابد منه عبر باداة التحقق فقال معلقا بجمع اذا وحقق النظر الى البعث فعبر بالمضارع
فقال يشا قدير اي بالغ القدرة كما كان بالغ القدرة عند الايجاد من العدم بجمعهم في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
ولما ذكرهم سبحانه بنعمه وكان السياق لتعداد ما ناسب مقصود هذه السورة منها وكان الفكر جديرا بان يخطر
له ما في الدنيا من الامراض والانكاد والهموم والغموم بالاشقا فيها والاسعاد فاكان شافيا لعي سؤاله عن ذلك بيان ما به
من نعمته على وجه دال على تمام قدرته وعلمه عاطفا على ما هو مفهوم مما مضى مما تقديره فهو الذي خلقكم ورزقكم وهو المتصرف
فيكم بنعمة نعمته بالعافية والبلايا والتصرف فلا نعمة عندكم ولا نعمة الا منه لا يقدر احد منها على ردها ولا ردشي منها فهو ليكم
وحده وما اصابكم واجمعهم بالخطاب زيادة في تعزيب الطايع وتبكيت العاصي وعم بقوله من مصيبة واخبر عن المبتدا
بقوله بما اي كاين بسبب الذي هذا على قراة نافع وابن عامر واثبات الفا في قراة الباقين زيادة في ايضاح السببية فقرانا
فبما لتضمن المبتدا الشرط اي فهو بالذي ولما كانت النفوس مطبوعة على النقايص فهي لا تنفك عنها الا بمعونة من
الله شديدة كان عملها كله او جله عليها فعبر بالفعل المجرد اشارة الى ذلك فقال كسبت ولما كان العمل غالبا
باليد قال ايديكم اي من الذنوب فكل نكد لاحق انما هو بسبب ذنب سابق اقله التقصير روى ابن ماجة في سننه وابن
حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يرد القدر الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه فالاية داعية لكل احد الى المبادرة
عند وقوع المصيبة الى محاسبة النفس ليعرف من اين اتي فيبادر الى التوبة عنه والاقبال على الله لينقذ نفسه من الهلكة
وفايدة ذلك وان كان الكل بخلقه وارادته اظهار الخضوع والذلل واستشعار الحاجة والانقياد الى الواحد القهار
ولولا ورود الشريعة لم يوجد سبيل الى هذه الكمالات البديعة ومثل هذه التنبيهات تستخرج من العبد ما اودع
في طبيعته وركز في غريزته كغرس وزرع سيق اليه ما وثمر لاستخراج ما اودع في طبيعته من المعلومات الالهية والحكم
العلمية ولما ذكر عدله اتبعه فضله فقال ويعفوا عن كثير ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك على ظهرها من دابة
ويدخل في هذا ما يصيب الصالحين لان الله درجات وفضايل وخصوصيات لا يصلون اليها الا بها لان اعمالهم لم
تبلغها فهي خير من الله لهم قيل لابي سليمان الداراني ما بال العقلا ازالوا اللوم عمن اسا اليهم قال انهم علموا ان الله انما
ابتلاهم بذنوبهم وقرا هذه الاية ولما كان من يعاقب بما دون الموت ربما ظن انه عاجز قال وما انتم بمعجزين لو
اريد محقكم بالكلية ولا في شي اراده سبحانه منكم كاينا ما كان ولما كان من ثبتت قدرته على محل العلو بخلقه
وما اودعه من المصنوعات احرى بالقدرة على ما دونه اشار الى ذلك بقوله في الارض ولما كان الكلام
في العقوبة في الدنيا قبل الموت ولم يكن احد يبغي فيها الوصل الى السما لم يدع داع الى ذكرها بخلاف ما مضى في العنكبوت
ولما نفى امتناعهم بانفسهم وكان له سبحانه من العلو ما تقصر عنه العقول فكان كل شي دونه فكان قادرا
على كل شي قال وما لكم اي عند الاجتماع فكيف عند الانفراد ولما كانت الرتب في غاية السفول عن رتبته وهي
والنفاوت دون حضرته اثبت الجار منبها على ذلك فقال من دون الله اي المحيط بكل شي عظمة وكبرا وعزة وعم بقوله
من ولي اي يكون متوليا لشي من اموركم بالاستقلال ولا نصير يدفع عنكم شيا يريده سبحانه بكم ولما دل
على تمام قدرته واختياره وختم بنفي الشريك اللازم للوحدانية التي اعتمادها اساس الاعمال الصالحة دل عليها
باعظم الايات عندهم واوضحها في انفسهم واقربها الى افهامهم لما لهم من الاخلاص عندها فقال ومن اياته اي الدالة
على تمام قدرته واختياره ووحدانيته وعظم سلطانه تسخيره وتذليله لسير الفلك فيه حاملة ما لا يحمله غيرها
وهو معنى قوله الجواري اي من السفن وهي من الصفات التي جرت مجرى الاعلام ودل على الموصوف ما بعد فلذلك حذف لان
الفاعل ان الصفة اذا لم يخص الموصوف امتنع حذفه فتقول مررت بمهندس ولا تقول مررت بماش الا بقرينة كما هنا
ولما كانت ثقيلة في نفسها وكان يوضع فيها من الاحمال ما يثقل الجبال وكان كل ثقيل ليس له من ذاته الا الغوص
في الماكانت كانها قيه لا عليه لانها جديرة بالغرق فقال تعالى محذرا لهم من سطوته ومنعرفا بجليل نعمته معرفا بحقيقة
الجواري في البحر كالاعلام اي الجبال الشاهقة بما لها من العلو في نفسها عن الماء بما لديها وما فيه من الشراع عليها
من الارتفاع وقال الخليل كل شي مرتفع عند العرب فهو علم ولما كان كانه قيل وما تلك الايات ذكر ما يخوفهم
منها ويعرفهم ان جميع ما اباحهم اياه من شؤونها انما هو بقدرته واختياره فقال ان يشا اي الله الذي حكمكم فيها على ظاهر

الماء آية بينة سقط اعتبارها عندكم لشدة الفكم لها يسكن الريح التي تسيرها وانتم معترفون ان امرها ليس الا بيده فيظللن
اي فيتسبب عن ذلك انهن يظللن اي يقمن ليلا كان او نهارا ولعله عبر به مع ان اصله الاقامة نهارا لان النهار موضع الابتدا
على الاشيا وهو المنتظر عند كل متعسر للسعي في ازالة عسره وتيسير امره رواكد اي ثوابت مستقرات من غير سير على ظهره
ثباتا ظاهرا اما دل ثباتا ظاهرا اما دل عليه اثبات اللام وفتح لامه الاولى للكل ولما كان ذلك موضع اخلاصهم
الدعوة لله والاعراض عن الشركا فانهم كانوا يقولون في مثل هذا الحال اخلصوا فان الهتكم اي من الاصنام وغيرها من دون الله
لا تغني في البحر شيا وكانوا ينسون ذلك وشيكا مع طلوعهم الى البر كانوا بمنزلة من لا يعد ذلك اية اصلا فلذلك اكد قوله
ان في ذلك اي ما ذكر من حال السفن في سيرها وركودها بما لا يقدر عليه الا الله بدليل ما للناس كافة من الاجماع على التوجه
في ذلك اليه خاصة والانخلاع مما سواه لايات اي على ان احاطته سبحانه بجميع صفات الكمال امر مركوز في العقول ثابت في
الفطر الاولى ما يصد عنه الا الهوى وعلى ان بطلان امر ما دونه كذلك هو من الظهور بحيث كان لا يجهل ولما كانوا
يتمادحون بالصبر على نوازل الحدثان والشكر لكل احسان ويتذامون بالجزع والكفران وكان ذلك يقتضي ثباتهم على حال
واحد فان كان الحق عليهم لمعبوداتهم فرجوعهم عنها عند الشدايد مما لا يبيحونه ولا يلتفت لفعله احد من كمل الرجال الذين
يحانون العار والانتسام بميسم الاغمار وان كان الحق لله فرجوعهم عنه عند الرخا بعد انعامه عليهم بالنجاة لهم
من الشدة لا يفعله ذو عزيمة قال مشيرا الى ذلك بصيغتي المبالغة لكل صبار اي في الشدة شكور اي في الرخا وان كثر مخالفوه
وعظم تراعيهم له وها ثان وصفا المومن المخلص الذي وكل همته بالنظر في الايات فهو يستملي منها العبر ويجلو بها من البصيرة
عين البصر ولما كانت نتيجة هذا الاعراض من الجزا او معطوفه على ما فيه من حقايق المعاني في جلايل المباني قال مكملا لما
في ذلك من الترغيب في صورة الترهيب او اي او ان يشا في كل وقت ارادة واسند الابياق الى الجواري تاكيد الارادة
العموم في هلاك الركاب فقال يوبقهن اي يهلكهن بالاغراق بارسال الريح او غيره لك من البلايا حتى كانهن بعد ذلك العلو في
ذنبه اي حيرة وطاق في الما وغرق وقد تقدم تحقيق معنى وبق بجميع تقاليبه في سورة الكهف ومنه ابدبق كوعد وجل
وورث ووجل وورث وبوقا وموبقا هلك والموبق كمجلس المهلك وكل شي حال بين شيين لان الموبقة تحول بين ما فيها وبين غيرهم ومنه
قيل للموعد موبق واوبقه حبسه او اهلكه ولما كان الاهلاك لمن اهلاكا للركاب قال مبينا انهم المقصودون
بمجرد الفعل اشارة الى ان ابن ادم لما طبع عليه من النقايص ليس له من نفسه فعل خال عن شوب نقص حمله على الالتجا الى الله في
تهذيب نفسه واخلاص فعله بما كسبوا اي فعلوا من المعاصي بجدهم فيه واجتهادهم ولما كان التقدير تفصيلا
للابياق فيغرق كل من فيهن ان يشا ويغرق كثيرا منهم ان شا عطف عليه قوله ويعف اي ان يشا عن كثير اي من الناس الذين في
هذه السفن الموبقة فينجيهم بعوم او حمل على خشبة او غيره ذلك وان يشا يرسل الريح طيبة فينجيها ويسلمها اقصى المراد
الى غير ذلك من التقادير الداخلة تحت المشية فالفعل كما ترى على يوبق وعطف بالواو ولانه قسيم من حالي الموبقة وهو معنى ما روي
عن اهل المدينة من نصب يعفو بتقدير ان ليكون المعنى برفع ايباقا وعفوا ولما كان هذا كله على صورة الاحتياد لمن
تستبصر فيه وم اخلاصه ومن يرجع الى العمى ولا يكون خلاصه قال مبينا بالنصب للصرف عن العطف على شي من الافعال الماضية
لفساد المعنى لكونها في حيز الشرط فيصير العلم ايضا مشروطا ويعلم الذين يجادلون اي عند النجاة بالعفو ولما
كان مقام العظمة شديد المنافاة للمجادلة لفت القول اليه فقال في اياتنا اي هذه التي لا انفصال هي عظمتها ولا انفكاك من جلالها
وعزتها رجوعا الى ما كانوا عليه من الشرك والنزاع في تمام القدرة بانكار البعث ومن واو الصرف تعرف ان مدخولها مفرد في
تاويل المصدر لان النصب فيها بتقدير ان فيكون مبتدا خبره ما يدل عليه السياق فالتقدير هنا وعلمه سبحانه بالمجادلين عند
هذا حاصل والتعبير عنه بالمضارع لافادة الاستمرار بتجدد تعلق العلم بكل مجادل كلما حصل جدال وقراة نافع وابن عامر
بالرفع دالة على هذا اما ان التقدير وهو يعلم فالرفع هنا والنصب سوا قال الرضي في شرح قول ابن الحاجب في نواصب الفعل والفا
اي ناصبة بشرطين السببية والثاني ان يكون قبلها مثل ذلك وقد تضمر ان الناصبة بعد الفا والواو الواقعتين بعد الشرط
قبل الجزا نحو ان تاتني فتكرمني او وتكرمني اتك او بعد الشرط والجزا نحو ان تاتني اتك فاكرمك او واكرمك وذلك لمشابهة الشرط
في الاول والجزا في الثاني النفي اذ الجزا مشروط وجوده بوجود الشرط ووجود الشرط مفروض فكلاهما غير موصوفين بالوجود
حقيقة وعليه حمل قوله تعالى ويعلم الذين على قراة النصب ثم قال وكذا القول في الفعل المنصوب بعد واو الصرف انهم لما قصدوا
فيها معنى الجمعية نصبوا المضارع بعدها ليكون الصرف عن سنن الكلام المتقدم مرشدا من اول الامر انها ليست للعطف فهي اذن
اما واو الحال واكثر دخولها على الاسمية فالمضارع بعدها في تقدير مبتدا محذوف الخبر وجوبا فمعنى قم واقوم قم وقيامي ثابت
اي في حال ثبوت قيامي واما بمعنى مع وهي لا تدخل الا على الاسم فقصدوا ههنا مصاحبة الفعل للفعل نصبوا ما بعدها فالمعنى قم
واقوم قم مع قيام كما قصد في المفعول معه مصاحبة الاسم للاسم فنصبوا ما بعد الواو ولو جعلنا الواو عاطفة للمصدر

على معنى منتصبة من الفعل قبله كما قال النحاة اي لم يكن منك قيام وقيام مني لم يكن فيه نصوصية على معنى الجمع والاولى في
قصد النصوصية في شيء على معنى ان يجعل على وجه يكون ظاهرا فيما قصد والنصوصية عليه وانما شرطوا في نصب ما بعد فاء
السببية كون ما قبلها احد الاشياء المذكورة اي الامر والنهي والنفي والاستفهام والتمني والعرض والتحضيض والرجاء لانها
غير حاصلة المصادر فتكون كالشرط الذي ليس بمتحقق الوقوع ويكون ما بعد الفاء كجزائها ثم حملوا ما قبل واو الجمعية في وجوب
كونه احد الاشياء المذكورة على ما قبل فاء السببية التي هي اكثر استعمالا من الواو في مثل هذا الموضع اعني في انتصاب المضارع
بعدها وذلك لمشابهة الواو والفاء في اصل العطف وفي صرف ما بعدهما عن سنن العطف لقصد السببية في احدهما والجمعية
في الاخرى ولقرب الجمعية من التعقيب الذي هو ملازم السببية ثم قال وكذا ربما لم يعرف بعد واو الجمعية الى النصب امنا من
اللبس نحو اتيني واكرمك بالرفع لان واو الحال لا تدخل على المضارع المثبت كما ذكرنا في باب الحال نحو قمت واضرب زيدا اي وانا
اضرب ولما كان علم القادر بالمعصية موجبا لعذاب من عصاه كان كانه قيل قد خسر من فعل ذلك فيا ليت شعري ما يكون
حالهم اجاب بقوله ما لهم من محيص اي محيد ومهرب اصلا عن عذابه ولا نبي يسير وان تأخر في نظركم ايقاع العذاب بهم فان عذابه
سبحانه منه ما هو باطن وهو الاستدراج بالنعم وهذا لا يدركه الا ارباب القلوب المقربون لدى علام الغيوب ومنه ما هو
ظاهر ويجوز ان يكون الذين فاعل يعلم وحينئذ تكون هذه الجملة في محل نصب لسدها مسد مفعولي العلم ولما علم ان
جميع النعم من الغيث وآثاره ومن نشر الدواب برا وبحرا بمعرض من الزوال وهو عظيم التقلبات هائل الاحوال سبب عنه قوله
محقرا للدنيا ثم وما فيها من الزهرة بسرعة الذبول والزوال والافول والارتحال ولهم بانها مع ما ذكر لا قدرة لهم على شيء منها الا
بقوت يمن عليهم بها وانما هم قوم ضعفاء لا قدرة لهم على شيء وليس لهم من انفسهم غير العجز فلو عقلوا لعملوا اعمال العبيد واطاعوا
القوي الشديد فما اوتيتم اي ايها الناس من شيء اي من النعم الظاهرة واجاب ما الشرطية بقوله فمتاع الحياة الدنيا اي القريبة
الدنية لا نفع فيه لاحد الا مدة حياته وذلك جدير بالاعراض عنه وعما يسببه من الاعمال الا ما يقرب الى الله وما اي والذي
ولفت الكلام عن مظهر العظمة الى اعظم منه بذكر الاسم الجامع للترغيب في ذكر آثار الاوصاف الجمالية والترهيب من آثار النعوت
الجلالية فقال عند الله اي الملك الاعظم المحيط بكل شيء قدرة وعلما من نعم الدارين خير اي في نفسه واشد خيرية من النعم
الدنيوية المحضة لانقطاع نفعها ولما كانت النعم الدنيوية قد تصحب الانسان طول عمره فنسب بذلك الى البقاء قال
وابقى اي من الدنيوية لانه لا بد من نزعها منه بالموت ولذلك قيد بالحياة فلا تؤثروا الفاني على خساسته على الباقي مع نفاسته
ولما بين ما لها من النفاسة ترغيبا فيها بين من هي له فقال للذين آمنوا اي اوجدوا اهل الحقيقة وعلى اي والحال
انهم صدقوها بانهم على ولفت القول الى صفة الاحسان لانها انسب شيء للتوكل واحكم الامر بالاضافة اشارة الى انه احسان
هو في غاية المناسبة لحالهم فقال ربهم اي الذي لم يزل واحسانا فقطا لا منه وحده بما رباهم من الاخلاص له يتوكلون اي يحملون
جميع امورهم عليه كما يحمل غيرهم متاعه على من يتوسم فيه قوة على الحمل ولا يلتفتون في ذلك الى شيء غيره اصلا لينتفي عنهم بذلك الشرك
الخفي كما انتفى بالايمان الشرك الجلي والتعبير باداة الاستعلاء مثل للاسناد والتفويض لبيان ما يحمل عليه لان الحمل ابين في الرا
واظهر في البعد من الهم والمشقة ولعل التعبير بالمضارع للتخفيف في امر التوكل بالرضى بتجديده كلما تجدد مهم ومن كان كذلك
كان الله كافيه كل ملم فيشاركون اهل الدنيا في نيل نعمها ويفارقونهم في ان ربهم سبحانه يجعلها على وجه لا حساب عليهم فيها بل لهم
فيها الاجور الموجبة للنعمة والحبور وفي انه يجعلها كافية لمهامهم وسادة لخلاتهم ويزيدهم الباقيات الصالحات التي يتسبب
عنها نعيم الآخرة بعد راحة الدنيا ولما كان محل من الايمان والتوكل امرا باطنا فكان لا بد من دلايله من ظواهر الاعمال
وكانت تخليات من الرذائل وتحليات بالفضائل وكانت التخليات لكونها درءا للمفاسد مقدمة على التحليات التي هي جلب للمصالح
قال عاطفا على للذين والذين يجتنبون اي يكلفون انفسهم ان يجانبوا كبائر الاثم اي جنس الافعال الكبار التي لا توجد الا ضمن افرادها
ويحصل بها دنس للنفس يوجب عقابا الهامع الجسم وعطف على كبائر قوله والفواحش وهي ما انكره الشرع والعقل والطبع التي هي
آيات الله الثلاث التي نصبها حجة على عباده وله الحجة البالغة فاستعظم الناس امرها ولو انها صغائر لدلالتها على الاخلال
بالمروءة كسرقة لقمة والاصرار على المعصية من شيخ جليل القدر لمن لا يخشاه ولا يرجوه وقرا حمزة والكسائي كبير وهو للجنس فهو
بمعنى قراءة الجمع او هي ابلغ لشمولها المفرد ولما ذكر ما تدعو اليه المطامع دون حمل الغضب الصادع قال مبينا
على عظمه معبرا باداة التحقق دلالة على انه لا بد من توطين النفس عليه معلقا بفعل الغفر واذا واكد بقوله ما وقدم الغضب
اشارة الى الاهتمام باطفاء جمره وتبريد حره فقال غضبوا اي غضبا هو على حقيقته من امر مغضب في العادة وبين بضمير الفصل ان
بواطنهم في غفرهم كظواهرهم فقال هم يغفرون اي يمحون الاحقاد والاحقاد بانهم كلما تجدد لهم غضب جددوا غفرا اي محوا
للذنب عينا واثرا مع القدرة على الانتقام وكفى به ما لم يكن من الظالم بغي لانه لا يؤاخذ على مجرد الغضب الا متكبر والكبر لا
يصلح لغير الاله وذلك لانه لا يغيب احلامهم عند اشتداد الامر ما يغيب احلام غيرهم من طيش الجهل وسفاهة الراي فدل

فيما بأنهم تنتفي الصفح
دون الانتقام

ذلك

ذلك على ان الغفر دون غضب لا يعد بالنسبة الى الغفر معه وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط
الا ان تنتهك حرمات الله وروى ابن ابي حاتم عن ابراهيم قال كان المؤمنون يكرهون ان يستذلوا وكانوا اذا قدروا عفوا
ما لم يكن من الظالم بغي لانه لا يؤاخذ على مجرد الغضب الا متكبر والكبر لا يصلح لغير الاله وذلك لانه لا يغيب احلامهم عند اشتداد
الامر ما يغيب احلام غيرهم من طيش الجهل وسفاهة الراي فدل ذلك على ان الغفر دون غضب لا يعد بالنسبة الى الغفر معه
ولما اتم ما منه التخلي شرع فيما به التحلي وذكر اوصافا اربعة هي قواعد الصفة ما انبنى عليها قط ربعها
الا كان الفاعلون لها كالجسد الواحد لا تأخذهم نازلة في الدنيا ولا في الآخرة فقال والذين استجابوا اي اوجدوا الاجابة
بما لهم من العلم الهادي الى سبيل الرشاد لربهم اي الداعي لهم الى اجابته احسانه اليهم ايجادا ثم من شدة حمل انفسهم عليه بطلبه
من انفسهم طلبا عظيما صادقا لم يبق معه لاحدهم نفس ولا بقية من وهم ولا رسم الا على موافقة رضاه سبحانه لانهم يعلمون
انه ما دعاهم اليه وهو مربيهم الا لصلاحهم وسعدهم وفلاحهم لانه محيط العلم شديد الرحمة لا يأتيهم بوجه من الوجوه
ولما كان هذا عاما لكل خير دعا اليه سبحانه خص اعظم عبادات البدن وزاد في عظمها بالتعبير بالاقامة
فقال واقاموا اي بما لهم من القوة الصلاة فانهم ذلك مع اللام انهم اوجدوا صورتها محمولة بروحها على وجه يقتضي ثبوتها
دائما ولما كانت الاستجابة توجب اتحاد القلوب بالايمان الموجب للاتحاد في الاقوال والافعال والصلاة توجب
الاتحاد بالابدان ذكر الاتحاد بالاقوال الناشئ عنه عنده اولى لكمال الاتحاد في الافعال فقال معبرا بالاسمية حثا على ان
يجعلوا ذلك لهم خلقا ثابتا لا ينفك وامرهم اي كلما ينوبهم مما يحوجهم الى التدبير شورى اي ذو تشاور فيه مشاورة
عظيمة مبالغين بما لهم من قوة الباطن وصفائه في الاخلاص والنصح من الشور وهو العرض والاظهار بينهم اي بحيث انهم لا
فرق في حال المشاورة بين كبير منهم وصغير بل كل منهم يصغي الى كلام الآخر وينظر في صحته وسعته بتنزيله على اصول الشرع
وفروعه فلا يستبد احد منهم برأي له ولا امرأته لرأيه لتحققه نقصه بما له من غزارة العلم وصفاء الفهم ولا
يعجلون في شيء بل صار التأني لهم خلقا وسوق المشورة هذا المساق دال على عظيم جدواها وجلالة نفعها قال الحسن
رحمه الله ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم على انه روى الطبراني في الصغير والاوسط لكن بسند ضعيف عن انس
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد وروى في
الاوسط عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد امرا فشاور فيه امرءا مسلما وفقه الله لارشد اموره
ولما كانت المواساة بالاموال بعد الاتحاد في الاقوال والاتفاق في الافعال اعظم جامع على محاسن الخلال
واظهر دال على ما ادعى من الاتحاد في الحال والمآل قال مسهلا عليهم امرها بانه لا مدخل لهم في الحقيقة في تحصيلها راضيا
منهم باليسير منها ومما ولفت القول الى مظهر العظمة تذكيرا بما يتعارفونه بينهم من انه لا مطمع في التقرب من العظماء الا
بالهدايا فقال رزقناهم اي اعطيناهم من غير حول منهم ولا قوة ينفقون اي يديمون الانفاق كرما منهم وان قل ما بايديهم
اعتمادا على فضل الله لا يقبضون ايديهم كالمنافقين وذلك الانفاق على حسب ما حد دينا لهم فواسوا بالمشورة في
فضل عقولهم وبالانفاق في فضل اموالهم تقوى منهم ومراقبة لله لا تمنعه نفس ولما كان في العقوبة
مصلحة ومفسدة فندب سبحانه الى المغفرة تغليبا لدرء المفسدة لان الانسان لعدم علمه بالقلوب لا يصح له بوجه
ان يعاقب لمجرد الغضب لانه قد يخطئ فيعاقب من اغضبه وهو شريف الذات كريم الطبع على لمة اي الغضب ما وقع
منه الذنب الذي اغضب الا خطأ معفوا عنه او كذب عليه فيه فيزكي في نفسه احنة تفسد ذات البين فتجر الى
خراب كبير وكانت ادامة العفو جالبة للفساد مجرئة على العناد وكان البغي وهو التمادي في السوء محققا لقصد الذنب
مجوزا للاقدام على الانتقام وكان الانتصار من الجبار ربما احوج مع قوة الجنان الى انفاق المال عقب الانفاق بمدح
الانتصار بقوله والذين وذكر اداة التحقق اشارة الى ان شرطها لا بد من وقوعه بالفعل او بالقوة فقال ناصبا بفعل
الانتصار مقدما لما من شان النفس الاهتمام بدفعه لعدم صبرها عليه اذا اصابهم اي وقع بهم واثر فيهم البغي وهو
التمادي على الرمي بالشر هم اي بانفسهم خاصة لما لهم من قوة الجنان والاركان المعلمة بان ما تقدم من غفرانهم ما كان الا لعلو
شانهم لا لهوانهم ينتصرون اي يوقعون العلاج بما اعطاهم الله من سعة العقل وشدة البطش وقوة القلب
النصر لانفسهم للحمله على ما ينبغي من زجر الباغي عن معاودته وعن الاجتراء على غيرهم مكررين لذلك كلما كرر لهم فيكون ذلك
من اصلاح ذات البين ليسوا بعاجزين ولا في امر دينهم متوانين والتعبير في هذه الافعال بالاسناد الى الجمع اشارة الى
انه لا يكون تمام التمكن الرادع الا مع الاجتماع ومن كان فيهم مفردا كان بهم طويلا وبهم جليلا قال النخعي كانوا يكرهون
ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق ولما كان الاذن في الانتصار في هذا السياق المادح مرغبا فيه
مع ما للنفس من الداعية الى زجر عنه لمن كان له قلب او لا يكفها عن الاسترسال فيه وردها على حد المماثلة وثانيا

بتسميته سيئة وان كان على طريق المشاكلة وثالثا بالندب الى العفو فصار المحمود منه انما هو ما كان لاعلاء كلمة الله لا شائبة
فيه للنفس اصلا فقال وجزاء سيئة اى اى سيئة كانت سيئة مثلها اى لا تزيد عليها فى عين ولا معنى اصلا وقد تكفلت هذه
الجمل بالدعا الى امهات الفضايل الثلاث العلم والعفة والشجاعة على احسن الوجوه فالمدح بالاستجابة والصلاة دعا الى العلم
وبالنفقة الى العفة وبالانتصار الى الشجاعة حتى لا يظن ان اذعانهم لما مضى لمجرد ذل والقصر على المماثلة دعا الى فضيلة
التقسيط بين الكل وهى العدل وهذه الاخيرة كافلة بالفضايل الثلاث فان من علم المماثلة كان عالما ومن قصد الوقوف عندها
كان عفيفا ومن قسر نفسه على ذلك كان شجاعا وقد ظهر من المدح بالانتصار بعد المدح بالغفران ان الاول للعاجز والثانى
للمتغلب المتكبر بدليل البغى ولما كان شرط المماثلة نادبا بعد شرع العدل الذى هو القصاص الى العفو الذى
هو الفضل لان تحقق المثلية من العبد المذموم للعجز لا يكاد يوجد سبب عنه قوله فمن عفا اى باسقاط حقه كله
او بالنقص عنه ليتحقق البراءة مما حرم من المجاوزة واصلح اى اوقع الاصلاح بين الناس بالعفو والاصلاح لنفسه ليصلح الله
ما بينه وبين الناس فيكون بذلك منتصرا من نفسه لنفسه فاجره على الله اى المحيط بجميع صفات الكمال فهو يعطيه على حسب
ما يقتضيه مفهوم هذا الاسم الاعظم وهذا سر لفت الكلام اليه عن مظهر العظمة وقوله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله
عبدا بعفو الا عزا ولما كان هذا ندبا الى العفو بعد المدح بالانتصار بين ان علته كراهة ان يوضع شى فى غير
موضعه لانه لا يعلم المماثلة فى ذلك الا الله فقال مضمرا اشارة الى ان المثلية من الغيب الخفى مؤكدا لكف النفس لما لها
من عظيم الاسترسال فى الانتصار انه لا يحب الظالمين اى لا يكرم الواضعين لشئ فى غير محله دأب من يمشى فى ماخذ الا
شتقاق اذا كان عريقا فى ذلك سواء كان ابتدا او مجاوزة فى الانتقام باخذ الثار ولما كان هذا سادا لباب
الانتصار لما يشعر به من انه ظلم على كل حال قال مؤكدا نفيا لهذا الاشعار ولمن انتصر اى سعى فى نصر نفسه بجهده بعد
ظلمه اى بعد ظلم الغير له وليس قاصرا التعدى عن حقه ولو استغرق انتصاره جميع زمان البعد ولما بين تعالى ما
لذلك الناظر من مصالح العباد المنسلخ من حظ نفسه احسانا الى عباد الله الى الرتبة العليا بين ما لهذا الداب عن نفسه القاصد
لشفاء صدره وذهاب غيظه فقال رابطا بالجزاء السبب بيانا لقصور نظره على دفع الظلم عن نفسه ويجوز كون من موصولة والفا
لما للموصول من شبه الشرط ولما عبر وابالافراد فكان ربما قصر الاذن على الواحد لئلا ينظر للعتبة جمع اشارة
الى ان العتبة انما هى فى اقرار الظلم لا فى نصر المظلوم واحدا كان او جماعة فقال فاولئك اى المنتصرون لاجل دفع ظلم الظالم
عنهم فقط ما عليهم واكد باثبات الجار فقال من سبيل اى بعتاب ولا عقاب روى النسائى وابن ماجة عن عائشة رضى الله
عنها قالت ما علمت حتى دخلت على زينب رضى الله عنها بغير اذن وهى غضبى ثم اقبلت على فاعرضت عنها حتى قال النبى صلى
الله عليه وسلم دونك فانتصرى فاقبلت عليها حتى رايتها قد يبس ريقها فى فيها ما ترد على شيئا فرايت النبى صلى الله عليه
وسلم يتهلل وجهه ولما نفى السبيل عنه بعد تشوف السامع الى موضع ما اشعر به الكلام السابق من الظلم
بين ذلك فقال انما السبيل اى الطريق السالك الذى لا منع منه اصلا وجمع اعلاما بكثرة المفسدين وتجرئة على الانتصار منهم
وان كانوا كثيرا فان الله خاذلهم فقال على الذين يظلمون الناس اى يوقعون بهم ظلمهم تعمدا عدوانا ويبغون اى يتجاوزون
الحدود فى الارض بما يفسدها بعد اصلاحها بتهيئتها للصلاح طبعا وعلما وعملا ولما كان الفعل قد يكون بغيا
وان كان مصحوبا بحق كالانتصار المقترن بالتعدى فيه قال بغير الحق اى الكامل ولما اثبت عليهم بهذا الكلام
السبيل كان السامع جديرا بان يسال عنه فقال اولئك اى البعداء من الله لهم عذاب اليم اى مؤلم بما آلموا من ظلموه بحيث
يعم ايلامه ابدانهم وارواحهم بما هاموا المشاعر الظاهرة والباطنة ولما افهم سياق هذا الكلام وترتيبه
هكذا ان التقدير فمن صبر عن الانتصار احسن حالا ممن انتصر لان الخطا فى العفو اولى من الخطا فى الانتقام عطف عليه
مؤكدا لما افهمه السياق ايضا من مدح المنتصر ولمن صبر عن الانتصار من غير انتقام ولا شكوى وغفر فصرح باسقاط
العقاب والعتاب ومحى عين الذنب واثره ان ذلك اى الفعل الواقع منه البالغ فى العلو جدا لا يوصف لمن عزم الامور
اى الامور التى هى لما لها من الاهلية لان يعزم عليها قد صارت فى انفسها كانها ذات العزم او متاهلة لان تعزم على ما
تريد والعزم الاقدام على الامر بعد الروية والفكرة وقد ابو يعلى ان العز ايات العفو محمولة على الجانى النادم
وآيات مدح الانتصار على المصر وذلك مما يجمع مع القدرة على تمام النصرة كما قال يوسف عليه السلام لاخوته لا تثريب
عليكم اليوم الآية وفعل النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن كثيرة منها الموقف الاعظم الذى وقفه يوم الفتح عند
باب الكعبة وقال لقريش وهم تحته كالغنم المطيرة ما تظنون انى فاعل بكم يا معشر قريش قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
قال اذهبوا فانتم الطلقا وروى احمد وابو داود عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رجلا شتم ابا بكر رضى الله عنه فلما رد عليه
قام صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ابا بكر ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم مظلمة فيغضى عنها لله الا اعز الله بها نصره وما فتح رجل

باب عطية يريد بها صلة الا زاده الله بها كثرة وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة الا زاده الله بها قلة ولما
بان فى هذا الكلام المقتصر على الصبر والجامع اليه الغفر والمقتص بالنصر وادخالهم كلهم فى دائرة الحق اسعد من خرج عن
تلك الدائرة فقال مخبرا ان ما شاءه كان وما لم يشأ لم يكن عطفا على نحو فمن يهده الله للوقوف عند هذه الحدود فما له من
مضل مبينا بلفظ الضلال ان ما شرعه من الطريق فى غاية الوضوح لا يزيغ عنه احد الا بطرد عظيم ومن يضلل الله اى
الذى له صفات الكمال اضلالا واصحابا افاده الفك بعدم البيان او بعدم التوفيق لمطلق الصبر اعم من ان يكون بالاقتصار
على اخذ الحق وبتاخير الحق الى وقت وبالعفو وبالغفر ولما كان الضال عن ذلك لا يكون الا جائرا على الشر سببا عنه
قوله فما له اى فى ذلك الوقت من ولى اى يتولى امره فى الهداية بالبيان لما اخفاه الله عنه او التوفيق لما بينه له من بعده
اى من بعد معاملة الله له معاملة البعيد من وكله الى نفسه وغيره من الخلق فى شى من زمان البعد ولما لو قيل
كان مبنى امر الضال على الندم ولو بعد حين قال عاطفا على نحو فترى الظالمين قبل رؤية العذاب فى غاية التجبر والبطر
والتكذيب بالقدرة عليهم فهم لذلك لا يرجون حسابا ولا يخافون عقابا وترى وقال الظالمين موضع وتراهم لبيان
ان الضال لا يضع شيئا فى موضعه ولما عذابهم حتما عبر عنه بالماضى فقال لما راوا العذاب اى المعلوم مصيره
الظالم اليه رؤية محيطة بظاهرهم وباطنهم يتمنون الرجعة الى الدنيا ليتداركوا ما فات من الطاعات الموجبة للنجاة
يقولون اى مكررين مما اعتراهم من الدهش وغلب على قلوبهم من الوجل هل الى مرد اى رد الى دار العمل وزمانه عظيم مخلص
من هذا العذاب من سبيل ولما اثبت رؤيتهم العذاب اثبت ذنوبهم من محاله وبين حالهم فى ذلك لدنوه فقال
وتراهم اى يا اكمل الخلق ويا ايها المشتوق الى العلم بحالهم بعينك حال كونهم يعرضون اى يجدد عرضهم ويكرر وهو
الجاؤهم الى ان يقاربوها بعرضهم الذى يلزم منه محاذاتهم لها ايضا بطولهم ليعلموا انها مصيرهم ولا مانع لها منهم عليها
اى النار التى هى دار العذاب مكررا عرضهم فى طول الموقف مع ما هم فيه من تلك الاهوال لمقاساة ما عليهم من الاحمال
الثقال حال كونهم خاشعين اى فى غاية الضعة والالتفات بالبدن خشوعا هو ثابت لهم ولما كان الخشوع
قد يكون محمودا قال من الذل لانهم عرفوا اذ ذاك ذنوبهم وانكشفت لهم عظمة من عصوه ولما كان الذل
الوانا صوره باقبح صورة فقال معبرا بلفظ النظر الذى هو مماسة البصر لظاهر المبصر ينظرون اى يبتدى نظرهم
المتكرر من طرف اى تحريك للاجفان خفى يعرف منه الذل لانه لا يكاد من عدم التجلد يتوهم انه يطرف لانهم يسارقون
النظر مسارقة كما ترى الانسان ينظر الى المكاره والمصبور ينظر الى السيف الذى جرد له فهو بحيث لا يحقق منظوره اليه
بل ربما تخيله باعظم مما هو عليه ولما صور حالهم وكان من افظع الاشيا واقطعها للقلوب شماتة العدو
قال مبشرا الجميع اصناف اهل الايمان ورادعا لاهل الكفران وقال اى فى ذلك الموقف الاعظم على سبيل التعبير لهم والتبكيت
والتوبيخ والتقريع الذين آمنوا اى اوقعوا هذه الحقيقة سواء كان ايقاعهم لها فى ادنى الرتب او اعلاها عند رؤيتهم
اياهم على هذا الحال مؤكدين لتحقيق مقالهم عند من قضى بضلالهم والاعلام بما لهم من السرور بصلاح حالهم والحمد لمن من
عليهم بحسن منقلبهم ومالهم ويجوز ان يكون قولهم هذا فى الدنيا لما غلب على قلوبهم من الهيبة عند ما حققوا هذه المواعظ
ان الخاسرين اى الذين كملت خسارتهم هم خاصة الذين خسروا انفسهم بما استغرقتها من العذاب واهليهم بفراقهم
لهم اما فى اطباق العذاب ان كانوا مثلهم فى الخسران او فى دار الثواب ان كانوا من اهل الايمان ولما اخر بحاجزهم
بين طرفيها تهويلا لها ويجوز ان يكون ظرفا لهذا القول وهو اردع لمن له مسكة لان من جوز ان عدوه يطلع
على خسارته ويظهر الشماتة به كان جديرا بان يترك السبب الحامل على الخسارة فقال يوم القيمة اى الذى هو يوم فوت
التدارك لانه للجزاء لا للعمل لفوات شرطه بفوات الايمان بالغيب لانكشاف الغطاء ولما كان هذا نهاية الخسارة
انتج قوله مناديا ذاكرا سبب هذه الخسارة المعينة مؤكدا لاجل انكار الظالمين لها وان كان من تتمة قول المؤمنين هناك
فالكلام معه ما يفيد الاخبار به فى هذه الدار من ردع المنكر للاعلام بما لهم من اللذة فيما راوا من سوء حالهم ولقطع
رجائهم من ان ينقطع عنهم ذلك كما ينقطع عن عصاة المؤمنين الا ان الظالمين اى الراسخين فى هذا الوصف فهم بحيث
لا ينفكون عن فعل الماشى فى الظلام بوضع الاشيا فى غير مواضعها فى عذاب مقيم لا يزايلهم اصلا فلذلك لا يفرغون منه
فى وقت من الاوقات فلذلك كان خسرانهم لكل شئ ولما كانت العادة جارية بان من وقع فى ورطة وجد فى
الاغلب وليا ينصره او سبيلا ينجيه قال عاطفا على وتراهم او الا ان وما كان اى صح ووجد لهم واعرق فى النفى فقال
من اولياء فما لهم من ولى لان النصر اذا انتفى من الجمع انتفى من الواحد من باب الاولى ولما كان من يفعل ذلك
فعل الغريب لا يفيد الا ان كان قادرا على النصرة قال ينصرونهم اى يوجدون نصرهم فى وقت من الاوقات لا فى الدنيا
بان يقدروا على انقاذهم من وصف الظلم ولا فى الآخرة بانقاذهم مما جره عليهم من العذاب ولما كان الله تعالى

يصح منه ان يفعل ما يشا بواسطة وبغيرها قال من دون الله اي ما صح ذلك وما استقام بوجه لغيره واما هو فيصح ذلك منه ويستقيم
له لاحاطته باوصاف الكمال ولو اراد لفعل ولما بين ما لهم بين ما لمن اتصف بوصفهم كائنا من كان فقال بانيا على نحو لانه
هو الذي اضلهم ومن يضلل الله اي يوجد ضلاله ايجادا بليغا بما افاده الفك على سبيل الاستمرار بعد من البيان له او بعد من يوضح
بعد البيان فما له بسبب اضلال من له جميع صفات الجلال والاكرام واعرق في النفي بقوله من سبيل اي ينجيه من الضلال ولا مما
تسبب عنه من العذاب ولما كان هذا انتج قطعا قوله استجيبوا اي اطلبوا الاجابة واوجدوها ولفت القول الى
الوصف الاحساني تذكيرا بما يبعث على الوفاق ويحمل من الخلاف والشقاق فقال لربكم الذي لم تروا احسانا الا وهو منه
فيما دعاكم اليه رسوله صلى الله عليه وسلم من الوفا بعهده في امره ونهيه ولا تكونوا ممن ترك ذلك فيكونوا ممن علم انه اضله
فانسد عليه السبيل ولما كان الخوف من الفوت موجبا للمبادرة قال مشيرا بالجار الى انه يعتد بادنى خير يكون
في ادنى زمن متصل بالموت من قبل ان ياتي يوم اي يكون فيه ما لا يمكن معه فلاح ثم وصفه بقوله لافتا الى الاسم الاعظم الجامع
لاوصاف الاحسان والانعام على المطيعين والقهر والانتقام من العاصين لا مرد اي لا رد ولا موضع رد ولا زمان رد
له كائن من الله اي الذي له جميع العظمة واذا لم يكن له مرد منه لم يكن له مرد من غيره ومتى عدم ذلك انتج قوله ما لكم واعرق
في النفي بقوله من ملجا يومئذ اي مكان تلجئون اليه في ذلك اليوم وحصن تتحصنون فيه من شي تكرهونه وزاد في التاكيد باعادة
النافي وما في حيزه ابلاغا في التحذير فقال وما لكم من نكير اي من انكار يمكنكم به النجاة لان الحفظة يشهدون عليكم فان صدقتموه
والا شهدت عليكم اعضاؤكم وجلودكم ولا لكم من احد ينكر شيا مما تجازون به ليخلصكم منه ولما انهى ما قدمه في
قوله شرع لكم من الدين نهايته ودل عليه وعلى كل ما افادته الحكمة في حيزه حتى لم يبق لاحد شبهة في شي من الاشيا كان ذلك
سببا لتهديدهم على الاعراض عنه وتسلية رسوله صلى الله عليه وسلم فقال معرضا عن خطابهم ايذانا بشديد الغضب
فان اعرضوا اي عن اجابة هذا الدعا الذي وجبت اجابته والشرع الذي وضحت وصحت طريقته بما ايد به من الحجج ولفت
القول الى مظهر العظمة دفعا لما قد يتوهمه الاعراض من الحاجة فقال فما ارسلناك مع ما لنا من العظمة عليهم حفيظا
اي تقهرهم على امتثال ما ارسلناك به ولما كان التقدير فاعرض عن غير ابلاغهم لانا انما ارسلناك مبلغا وضع موضعه
ان اي ما عليك الا البلاغ لما ارسلناك به واما الهداية والاضلال فالينا ولما ضمن هذه الآية ما ارسله
له اتبعه ما جبل عليه الانسان بيانا لانه صلى الله عليه وسلم لا حكم له على الطباع وان الذي عليه انما هو الاسماع لا الالجا
فقال عاطفا على ما قبل اية الشرع من قوله يبسط الرزق لمن يشا حاليا له في اسلوب العظمة تنبيها على انه الذي حكم عليهم
بالاعراض عما هو جدير بان لا يعرض عنه عاقل وايما الى ان الانسان لغلبة جبله وقلة عقله يجترى بادنى نايس على من تسجد
الجبال لعظمته وتندك الشوامخ من هيبته وانا اذا اذقنا بالعظمة التي لا تمكن مخالفتها ولما كان من يفرح
بالنعمة عند انفراده بها مذموما عبر بالجنس الصالح للواحد فما فوقه تنبيها على ان طبع الانسان عدم الاهتمام بشدايد
الاخوان الا من اقامه الله في مقام الاحسان فقال الانسان اي ما جبلناه عليه من النقص بالعجلة وعدم التماسك منا
رحمة اي نوعا من انواع الاكرام من صحة او غنى او نحو ذلك وافرد الضمير اشارة الى انه مطبوع على انه ليس عليه الا من نفسه
ولو كان اهل الارض كلهم على غير ذلك ولذا عبر بالانسان فقال فرح بها اي ولو ان اهل الارض كلهم في نقمة وبوس وعمى
فاخرجه الفرح عن تامل ما ينفعه ليشكر فكان بذلك كافرا للنعمة لانه ابدل الشكر بالفرح والكفر فتوصل بالعافية الى
المخالفة فاوقع نفسه في اعظم البلا ولما دل باداة التحقق على ان النعمة هي الاصل لعموم رحمته وانها
سبقت غضبه دل على ان السيئة قليلة بالنسبة اليها باداة الشك والمضارع فقال وان ولما كانت
المشاركة في الشدايد تهون المصايب فكان من يريد غمه بخصوص مصيبته عند العموم مذموما نبه على نقص الانسان بذلك
بالجمع فقال بما قدمت ايديهم وعبر باليد عن الجملة تصبهم سيئة اي نقمة وبلاء وشدة ولما كانت الرحمة
فضلا منه اعلمهم ان السيئة مسببة عنهم فقال بما قدمت ايديهم وعبر باليد عن الجملة لان اكثر العمل بها ولما
كان الجواب على نهج الاول جزعوا فكفروا واعدل عنه الى ما يدل على ان جنس الانسان موضع الكفران ولما كانوا يدعون
الشكر وينكرون الكفر اكد قوله وسببه عن تلك الاصابة وللاذاقة معا اشارة الى انه لا اصل له غيره فقال مظهرا موضع
الضمير لينص على الحكم على الجنس من حيث هو فان الانسان اي الآنس بنفسه المعرض عن غيره بما هو طبع له بسبب مسه بضر كفور
اي بليغ الستر للنعم نسا لها جنس باول صدمة من النقمة جميع ما تقدم له من النعم ولا يعرف الا الحالة الراهنة فان كان في
نعمة اشر وبطر وان كان في نقمة ايس وقنط هذا حال الجنس من حيث هو ومن وفقه الله جنبه ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم
المؤمن ان اصابته سرا شكر فكان خيرا وان اصابته ضرا صبر فكان خيرا ليس ذلك الا للمؤمن والآية من الاحتباك ذكر الفرح اولا دليلا
على حذف الحزن ثانيا وذكر الكفران ثانيا دالا على حذفه اولا ولما قدم سبحانه في هذه السورة انه له النصر التام في

علم

عالم الخلق بالاجسام المرئية وفي عالم الامر بالارواح الحسية والمعنوية القايمة بالابدان والمدبرة للاديان وغير ذلك من بديع
الشان بقال في افتتاح السورة كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك واتبعه اشكاله الى ان قال ام يقولون افترى على الله كذبا فان
يشا الله يختم على قلبك الآية فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا الآية له مقاليد السموات والارض الله لطيف
بعباده يرزق من يشا من كان يريد حرث الآخرة الآية ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام
الآية الى ان ذكر احوال الآخرة في قوله وترى الظالمين لما راوا العذاب الآيات وختم بتصرفه المطلق في الانسان من انعام وانتقام
وما له من الطبع المعوج مع ما وهبه له من العقل المقيم في احسن تقويم فدل ذلك على ان له التصرف التام ملكا وملكوتا خلقا وامرا
اتبعه الدليل على ان تصرفه ذلك على سبيل الملك والقهر ايجادا واعداما اهانة واكراما فقال صارفا القول عن اسلوب العظمة التي
من جملتها دوام الخضوع واهلاك الجبابرة الى اعظم منها بذكر الاسم الاعظم الجامع لمظهر العظمة ومقام اللطف والاحسان والرحمة
تنبيها لكل ما مضى لله اي الملك الاعظم وحده ملك السموات كلها على علوها وتطابقها وكبرها وعظمها وتباعد اقطارها
والارض جميعها على تباينها وتكاثفها واختلاف اقطارها وسكانها واتساعها ولما اخبر بانفراده بالملك دل عليه
بقوله يخلق اي على سبيل التجدد والاستمرار ما يشاء اي وان كان على غير اختيار العباد ثم دل على ذلك بما يشاهد من حال الناس فانه لما
استوى البشر في الانسانية والنكاح الذي هو سبب الولادة واختلفت اصناف اولادهم كان ذلك ادل دليل على انه لا اختيار
لاحد معه وان الاسباب لا تؤثر اصلا الا به ولما كانت ولادة الاناث دل على عدم اختيار الوالد وكانوا يعدونهن
من البلا الذي ختم به ما قبلها قدمهن في الذكر فقال يهب خالقا ومولدا لمن يشاء اولادا اناثا اي فقط ليس معهن ذكر كما في
لوط عليه السلام وعبر سبحانه بلفظ الهبة لان الاوهام العادية قد تكتنف العقل فتحجبه عن تامل محاسن التدبيرات
الالهية وترميه في مهاوي الاسباب الدنيوية فيقع المسلم مع اسلامه في مضاهاة الكفار في كراهة البنات وفي وادي الوأد
بتضييعهن او التقصير في حقوقهن وتنبيها على ان الانثى نعمة وان نعمتها لا تنقص عن نعمة الذكر وربما زادت وايقاظا من سنة الغفلة
على ان التقديم وان كان لما قدمته لا ينعم تانيسا وتوصية بهن واهتماما بامرهن نقل ابن ميلق عن ابن عطية عن الثعلبي ان واثلة بن الا
سقع رضي الله عنه قال من يمن المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدا بالاناث ولذلك رغب النبي صلى الله عليه وسلم في الاح
سان اليهن في احاديث كثيرة ورتب على ذلك اجرا كبيرا ولاجل تضمين الهبة معنى الخلق عداها باللام مع ان فعلها متعد بنفسه
الى مفعولين لئلا يوهم ان الولد كان لغير الوالد فوهبه الله له ولما كان الذكر حاضرا في الذهن لشرفه وميل النفس اليه
لا سيما وقد ذكر بذكر الاناث عرفه لذلك وجبرا لما فوته من التقديم في الذكر تنبيها على انه ما اخر الا لما ذكر من المعنى فقال ويهب لمن
يشا الذكور اي فقط ليس معهم انثى كما صنع لابرهيم عليه السلام وهو عم لوط عليه السلام ولما فرغ من القسمين الاولين
عطف عليهما قسما لما دل على انه قسيم لهما فقال او يزوجهم اي الاولاد يجعلهم ازواجا اي صنفين حال كونهم ذكرانا واناثا
مجتمعين في بطن ومنفردين كما منح محمدا صلى الله عليه وسلم ورتبهما هنا على الاصل تنبيها على انه فعل غير ذلك فيما مضى لالنكتة
جليلة فيجب تطلبها وعبر في الذكر بما هو ابلغ في الكثرة ترغيبا في سواله والخضوع لديه رجا نواله ولما فرغ
من اقسام الموهوبين الثلاثة عطف على الانعام بالهبة سلب ذلك فقال موضع ان يقال ولا يهب شيا من ذلك لمن يشا
ويجعل من يشا عقيما اي لا يولد له كيحيى بن زكريا عليهما السلام كذا قالوا والظاهر انه لا يصح مثالا فانه لم يتزوج قال
ابن ميلق واصل العقم اليبس المانع من قابلية التاثر لما من شانه ان يؤثر والداء العقام هو الذي لا يقبل البرء انتهى فهذا
الذي ذكر اصرح في المراد لاجل ذكر العقم وادل على القدرة لانه شامل لمن له قوة الجماع والانزال لئلا يظن ان عدم الولد لعدم
تعاطي اسبابه وذكروا في هذا القسم عيسى عليه السلام ولا يصح لانه ورد انه يتزوج بعد نزوله ويولد له وهذه القسمة
الرباعية في الاصول كالقسمة الرباعية في الفروع بعضهم لا من ذكر ولا انثى كادم عليه السلام وبعضهم من ذكر فقط كحوى عليها
السلام وبعضهم من انثى فقط كعيسى عليه السلام وبعضهم من ذكر وانثى وهم اغلب الناس فثبتت الدلالة على انه ما شا كان
ولا راد له وما لم يشا لم يكن ولا مكون له ولا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع وعبر في الذكر بما هو ابلغ في الكثرة ترغيبا
في سواله ولما دل هذا الدليل الشهودي على ما بنيت السورة عليه من اثبات الملك له وحده مع ما زادت به من حسن السياق
وعذوبة الالفاظ واحكام السبك واعجاز الترتيب والنظم كانت النتيجة قطعا مؤذنة لنقض اشراكهم به الطعن في وحيه
بالملك مقدما منها الوصف الذي هو اعظم شروط الملك انه عليم اي بالغ العلم بمصالح العباد وغيرها قدير شامل القدرة
على تكوين ما يشا ولما تم القسم الاول مما بني على العلم والقدرة والقدرة فيه اظهر وفاقا لما ختمت به الآية وكان قد يكون
خلقه اياه ابداعا من غير توسط سبب وقد يكون بتوسط سبب اتبعه القسم الآخر الاعلى الذي العلم فيه اظهر وهو الوحي
الذي ختمت اية اول السورة بالحكمة التي هي سر العلم وقسمه ايضا الى ما هو بواسطة والى ما هو بغير واسطة وليكون سر
التقدير في القسم الاول الكلام وهو الذي شرف به وكان لا يمكن احدا ان يتكلم الا بتكليم الله له اي ايجاده الكلام في قلبه

سفع

قال وما اي هو سبحانه تام العلم شامل القدرة غرز في البشر غريزة العلم واقدره على النطق به بقدرته وحيا منه اليه كما اوحى
الى النحل ونحوها والحال انه ما كان لبشر من الاقسام المذكورة وحل المصدر الذي هو اسم كان ليقع التصريح بالفاعل والمفعول على اتم
وجوهه فقال ان يكلمه واظهر موضع الاضمار اعظاما للوحي وتشريفا لمقداره بجلالة اثاره فقال الله اي بوجه الملك الاعظم الجامع
لصفات الكمال في قلبه كلاما الا وحيا اي كلاما خفيا يوجد فيه بغير واسطة بوجه خفي لا يطلع عليه احد الا بخارق للعادة
اما بالهام او برؤيا منام او بغير ذلك سواء خلق الله في المتكلم به قوة السماع له وهو اشرف هذه الاقسام مطلقا سواء كان
ذلك مع الرؤية ليكون قسيما لما بعده اولا او لم يخلق فيه ذلك ومن هذا القسم الاخير واوحينا الى ام موسى واوحى ربك الى النحل
واوحى في كل سماء امرها فان ايداعها القوى التي تحصل بها المنافع مثل ايداع الانسان قوة الكلام ثم قوة التعبير عنه والله اعلم
وهذا معنى قول القاضي عياض في الشفا في اخر الفصل الثاني من الباب الرابع في الاعجاز وقد قيل في قوله تعالى وما كان لبشر
الاية اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة ومعنى قول الامام شهاب الدين السهروردي في الباب السادس والعشرين من عوارفه
والعلوم اللدنية في قلوب المنقطعين الى الله ضرب من المكالمة كان الحجاب الحسي يخفي ما وراءه عن العيان استعير
لمطلق الخفا فقال او من اي كلاما كائنا بلا واسطة لكنه مع السماع لعين كلام الله كان صاحبه من وراء حجاب اي من وجه لا يرى
فيه المتكلم مع السماع للكلام على وجه الخبر قال القشيري والمحجوب العبد لا الرب والحجاب يخلق في محل الرؤية ضد
الرؤية وتعالى الله ان يكون وراء حجاب لان ذلك صفة الاجسام انتهى والاية يمكن تنزيلها على الاحتباك بان يكون ذكر الحجاب
ثانيا دليلا على نفيه اولا وذكر الوحي الدال على الخفا اولا دليلا على الجهر ثانيا والحجاب ثانيا دليلا على الرؤية اولا وسر
ان ترك التصريح بالرؤية والدلالة عليها بالحجاب اولى بسياق العظمة ولما كان الذي بلا واسطة مع كونه اعلى
الاقسام ليس فيه صوت ولا ترتيب في كلمات عبر فيه بالمصدر وعبر فيما بلغه الملك بما يدل على التجدد فقال او يرسل وهو
عطف على المصدر بعد تقديره بحله رسولا اي من الملائكة كان الوحي مسببا عن الارسال ومرتبا عليه قال
فيوحي اي على سبيل التجديد والترتيب وقرا نافع برفع يرسل ويوحي بتقدير او هو يرسل ولما كان ربما ظن
ان للواسطة فعلا يخرج عن فعله رد ذلك بقوله باذنه اي باقداره وتمكينه فذلك المبلغ انما هو آلة كان لا
يخرج عما حده له بوجه قال ما يشاء اي لا يتعدى مراده وباقداره اصلا فهو المتكلم في الحقيقة وقد بان انها ثلاثة اقسام
اولها فيه قسمان خص الاول بتسميته بالتصريح باسم الوحي لانه كامل اخفاها وهو ايضا يقع دفعة والوحي يدور معناه على الخفا
والسرعة ولما كانت الاقسام الثلاثة دالة على العظمة الباهرة وكانت للروح البدني لان روح الوحي يكسب الروح
البدني حياة العلم كما افاد الروح البدن حياة الحركة بالارادة والحس كانت النتيجة مؤكدة لتضمن طعنهم في الرسول والقران
والتوحيد طعنهم في مضمون الجملة انه اي الذي له هذا التصرف العظيم في هذا الوحي الكريم علي اي بالغ العلو جدا عما لا
يليق به من الاوصاف وبما يكون للخلق عن جنابه من السفول بما عليهم في الحجب فلا يلبس شيء مما يعبر به تقريبا للعقول فيحمل على
ما يوهم نقصا فان المجازات في لسان العرب شهيرة حكيم يتقن ما يفعله اتقانا لا يحيط العقول بادراكه فيسكن روح العلم
الذي هو من الطف اسراره في روح البدن المدبر له فيكون سرا في سر كما كان برا بعد بر ويجعل ذلك تارة بواسطة وتارة
بغير واسطة على حسب ما يقتضيه الحال ويعبر عن كل معنى بما يقتضيه حاله في ذلك السياق ومهما اوهم شيء من ذلك نقصا
ورده المستبصر الى المحكم بضرب من التاويل على ما يقتضيه الشايع من استعمالات العرب رجع رجوعا بينا منقشعا بحيث
يصير في غاية الجلا كان الوحي روحا مدبرا للروح كما ان الروح مدبر للبدن صرح به فقال وكذلك اي
ومثل ما اخبرناك به من الكيفيات التي نوحيها الى عبادنا اوحينا اليك صارفا القول الى مظهر العظمة تعظيما لما اوحي اليه
واقامه من نعمه عليه على جميع تلك الاقسام فالنفث في الروع مذكور وغير مذكور والسماع من دون حجاب اصلا منقول في الاحاد
عن ليلة المعراج ومعقول والسماع من وراء الحجاب ايضا ذكر فيه في قوله امضيت فريضتي وخففت عن عبادي والوحي بواسطة
الملك كثير جدا واعظم الوحي وشرفه بقوله منكرا له تعظيما لما عنده من الروح الامري بافادة ان هذا الكتاب الذي
ابكم الفصحا واعجز البلغا وحير الالباب من الحكما شعبة منه وذرة بارزة عنه ويمكن ان يكون تنكير تعظيم واجلال وتكريم
روحا اي من خالطه صار قلبه حيا ومن عري عنه كان ميتا وزاد عظمة بقوله من امرنا بجعله من قسم الامر واظهاره في
مظهر العظمة فيا له من علو يتضاءل دونه كل شامخ ويتحاقر اكبارا له كل باذخ والمراد بهذا رد ما تقدم من نسبتهم له صلى الله
عليه وسلم الى الافترا لانه تعالى لم يجتمع على قلبه بل فتحه بيد القدرة واحياه بروح الوحي فاعطاه بالحكم التي خضعت لها
الحكما واقرت بالعجز عن دانيها الباء العلما ودل على ذلك بقوله نافيا مبينا حاله صلى الله عليه وسلم قبل هذا الوحي
ما كنت اي فيما قبل الاربعين التي مضت لك وانت بين ظهراني قومك مشاهدا لهم في كونك لا تعلم شيئا ولا تعرف بشيء من ذلك
وهو معنى تدري وعبر باداة الاستفهام اشارة الى ان ما بعدها مما يجب الاهتمام به والسؤال عنه وعلق بجملة الاستفهام

الدراية

الدراية عن العمل وسدت مسد مفعولي الدراية ما الكتاب اي ما كان في جبلتك ان تعلم ذلك بادنى انواع العلم بمحاولة ولا غيرها
ولا الايمان اي بتفصيل الشرايع على ما احدوناه لك بما اوحيناه اليك وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قبل النبوة قد
كان مقرا بوحدانية الله وعظمته لكنه لم يكن يعلم الرسل على ما تم عليه ولا شك ان الشهادة له نفسه صلى الله عليه
وسلم بالرسالة ركن الايمان ولم يكن له علم بذلك وكذا الملائكة واليوم الاخر فيصح نفي المنفي لعوانه بفوات جزئيه ولما
كان المعنى ولكن نحن ادريناك بذلك كله عبر عنه اعلاما بان الخلق كانوا في ظلام لكونهم كانوا يفعلون بوضع الاشيا
في غير مواضعها فعل من يمشي في الظلام بقوله ولكن جعلناه اي الروح الذي هو الكتاب المنزل منا اليك العلم بالايمان
وكل عرفان بما لنا من العظمة نورا نهدي على عظمتنا به من نشاء خاصة لا يقدر احد على هدايته بغير مشيئتنا من
عبادنا بخلق الهداية في قلبه قال ابن برجان فمن رزقه الفرقان الذي يفرق به بين المتشابهات والنور الذي يمشي به في الظلمات
فذلك الذي ابصر شعاع النور وشاهد الضيا المبثوث في العالم المنظور وعلى قدر اقباله عليه والتفرغ عن كل شاغل عنه يكون
قبوله له وهدايته به وقال الاصبهاني في سورة النور هو الكيفية الفايضة من الشمس والقمر والنار على الارض والجدار وغيرهما
ثم ان استنارت الارض قال الغزالي ومن المعلوم ان هذه الكيفية انما اختصت بالفضيلة والشرف لان المرئيات تصير بسببها
ظاهرة ثم من المعلوم انه كما يتوقف ادراك هذه المرئيات على كونها مستنيرة فكذلك يتوقف على وجود العين الباصرة وهي المدركة
فبها الادراك فكان وصف الاظهار بالنور الباصر احق بالنور المنبصر فلا جرم اطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا
في الخفاش ان نور عينيه ضعيف وفي الاعمى انه فقد نور البصر اذا ثبت هذا فنقول للانسان بصر وبصيرة فالبصر هو العين
الظاهرة المدركة للاضوا والالوان والبصيرة هي القوة العاقلة وكل واحد من الادراكين يقتضي نورا ونور العقل اقوى هو
واشد من نور العين لان القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا ادراكها ولا الاتها والقوة العاقلة تدرك نفسها وادراكها والاتها
والتها لا تدرك نفسها فنور العقل اكمل من نور البصر والقوة العاقلة تدرك الكليات والقوة الباصرة لا تدركها وادراك
الكليات اشرف لانه لا يتغير بخلاف الجزئيات وادراك العقل منتج وادراك الجزئي غير منتج والقوة الباصرة لا تدرك الا
السطح الظاهر من الجسم واللون القايم بذلك السطح بشرط الضوء فاذا ادركت الانسان لم تدرك منه الا السطح الظاهر
من جسمه واللون القايم به والقوة العاقلة تكاد تدرك ظاهر الاشيا وباطنها فان الباطن والظاهر بالنسبة اليها على السوا
فكانت القوة العاقلة نورا بالنسبة الى الظاهر والباطن والقوة الباصرة ظلمة بالنسبة الى الباطن ومدرك القوة هي
العاقلة هو الله وصفاته وافعاله ومدرك القوة الباصرة هو الالوان والاشكال فتكون نسبة شرف القوة العاقلة الى
شرف القوة الباصرة كنسبة شرف ذات الله الى شرف الالوان والاشكال والقوة الباصرة كالخادم والقوة العاقلة كالامير
والامير اشرف من الخادم والقوة الباصرة قد تغلط والقوة العاقلة لا تغلط فثبت ان الادراك العقلي اكمل واقوى واشرف
من الادراك البصري وكل واحد من الادراكين يقتضي الظهور الذي هو من خواص النور فكان الادراك العقلي اولى بكونه نورا
والادراك العقلي قسمان احدهما واجب الحصول عند سلامة القوى والالات وهي التعلقات الفطرية والثاني ما يكون مكتسبا
وهي التعلقات النظرية ولا يكون من لوازم جوهر الانسان لانه حال الطفولية لم يكن عالما البتة فهذه الانوار انما حصلت بعد ان
لم تكن فلا بد لها من سبب والفطرة الانسانية قد يعتريها الزيغ فلا بد من هاد ومرشد ولا مرشد فوق كلام الله وانبيائه فتكون
منزلة ايات القران عند عين العقل منزلة نور الشمس كما يسمى نور الشمس نورا فنور القران يشبه نور الشمس ونور العقل يشبه
نور العين وبهذا يظهر معنى قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا
مبينا واذا ثبت ان بيان الرسول صلى الله عليه وسلم اقوى من نور الشمس وجب ان تكون نفسه القدسية اعظم في النورانية
من الشمس كما ان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيده من غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد
الانوار العقلية لساير النفوس البشرية فلذلك وصف الله الشمس بانها سراج ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم بانه سراج
ثم ان لمراتب الانوار في عالم الارواح مثالا وهو ان ضوء الشمس اذا وصل الى القمر ثم دخل في كوة بيت ووقع على مراة
منصوبة على حائط ثم انعكس منه الى طست مملوء ماء موضوع على الارض ثم انعكس منه الى سقف البيت فالنور الاعظم
في الشمس التي هي المعدن وثانيها في القمر وثالثها في المراة ورابعها في الماء وخامسها في السقف وكلما كان اقرب الى المعدن
كان اقوى فكذا الانوار السماوية لما كانت مترتبة لاجرم كان النور المفيد اشد اشراقا ثم تلك الانوار لا تزال مترتبة
حتى تنتهي الى النور الاعظم والروح الذي هو اعظم الارواح منزلة عند الله الذي هو المراد بقوله تعالى يوم يقوم الروح
والملائكة صفا ثم نقول ان هذه الانوار الحسية سفلية كانت كانوار النيران او علوية كانوار الشمس وكذا الانوار العقلية
سفلية كانت كارواح الانبيا او علوية كارواح الملائكة فانها ممكنة لذواتها والممكن لذاته لا يستحق الوجود لذاته بل وجوده
من غيره والعدم هو الظلمة والوجود هو النور فكل ما سوى الله مظلم لذاته مستنير بانارة الله تعالى وكذا جميع معارفها

وجوه هل حاصل من وجود الله تعالى فان الحق سبحانه هو الذي اظهرها بالوجود بعد ان كانت في ظلمات العدم وافاض عليها انوار
المعارف بعد ان كانت في ظلمات الجهالة فلا ظهور لشيء من الاشيا الا باظهاره وخاصة النور اعطا الاظهار والتجلي والاتحاد
وعند هذا يظهر ان النور المطلق هو الله سبحانه وتعالى وان اطلاق النور على غيره مجاز وكل ما سوى الله من حيث هو هو ظلمة
محضة لانه من حيث انه ممكن عدم محض بل الانوار اذا نظر اليها من حيث هي هي فهي ظلمات لانها من حيث هي هي ممكنات والممكن من
حيث هو هو معدوم والمعدوم مظلم فالنور اذا نظر من حيث هو ممكن مظلم فاما اذا التفت اليها من حيث ان الحق سبحانه افاض عليها
نور الوجود بهذا الاعتبار صارت انوارا فثبت انه سبحانه هو النور وان كل ما سواه فليس بنور واضاف النور الى الخافقين
في قوله نور السموات والارض لانهما مشحونتان بالانوار العقلية والانوار الحسية اما الحسية فما نشاهده في السموات من
الكواكب وغيرها وفي الارض من الاشعة المنبسطة على سطوح الاجسام حتى ظهرت بها الالوان المختلفة ولولاها لما كانت
للالوان ظهور بل وجود واما الانوار العقلية فالعالم الاعلى مشحون بها وهو جواهر الملائكة والعالم الادنى مشحون بها
وهي القوى النباتية والحيوانية والانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام العالم الاسفل كما انه بالنور الملكي ظهر
نظام العالم العلوي واذا عرفت هذا عرفت ان العالم باسره مشحون بالانوار السفلية البصرية الظاهرة والعقلية الباطنة ثم
عرفت ان السفلية فائضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج والسراج هو الروح النبوي ثم ان الانوار القدسية
مقتبسة بعضها من بعض وان بينها ترتيبا في الغايات ثم ترتقي جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وذلك هو الله
وحده لا شريك له فاذا الكل نوره
[illegible] الامام الغزالي قد تبين ان القوى المدركة انوار ومراتب القوى المدركة
الانسانية خمسة احدها القوة الحساسة وهي التي تتلقى ما تورده الحواس الخمس وكانها اصل الروح الحيواني اذ بها يصير الحيوان
حيوانا وهي موجودة للصبي والرضيع وثانيها القوة الخيالية وهي التي تستثبت ما اوردته الحواس وتحفظه مخزونا
عندها لتعرضه على القوة العقلية عند الحاجة اليه وثالثها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية ورابعها
القوة الفكرية وهي التي تاخذ المعارف العقلية فتؤلفها تاليفا تستنتج منه علما بالمجهول وخامسها القوة القدسية
التي تختص بها الانبيا وبعض الاوليا وتتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت والى اشار قوله وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا الاية واذا عرفت هذه القوى فهي بجملتها انوار اذ بها ظهر اصناف الموجودات وهذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها
بالامور الخمسة التي ذكرها الله في المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت اما الروح الحساس فاذا نظر
الى خاصيته وجدت انواره خارجة من ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين فاوفق مثال له من عالم الاجسام المشكاة واما [illegible]
وهو الروح الخيالي فله خواص ثلاثة الاول انه من طينة العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل ذو شكل وحد
ومن شان الكثيف الجسماني ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة والثاني ان هذا الخيال الكثيف اذا صفا ورق صار موازنا
للمعارف العقلية ومؤديا لانوارها ولذلك يستدل المعبر بالصور الخيالية على المعاني العقلية كما يستدل بالشمس على الملك
وبالقمر على الوزير وبختم فروج الناس وافواههم على الاذان قبل الصبح والثالث ان الخيال في البداية محتاج اليه
لتضبط به المعارف العقلية ولا تضطرب وانك لا تجد شيئا في الاجسام يشبه الخيال في هذه الصفات الا الزجاجة
فانها في الاصل من جوهر كثيف ولكن صفا ورق حتى صار لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه من الانطفا بالرياح
واما [illegible] وهو القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات الكلية والمعارف الالهية فلا يخفى عليك وجه
تمثيله بالمصباح واما الخامس وهو القوة الفكرية فمن خاصيتها انها تاخذ ماهية واحدة ثم تقسمها الى قسمين كقولنا
الموجود اما واجب واما ممكن ثم تجعل كل قسم قسمين وهكذا الى ان تنتهي الى ما لا يقبل القسمة ثم تنتهي بالاخرة الى نتايج هي ثمراتها
فبالحري ان يكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمارها مادة لتزايد انوار المعارف وثباتها فبالحري ان لا تمثل بشجرة
السفرجل والتفاح بل بشجرة الزيتون خاصة لان لب ثمرها هو الزيت الذي هو مادة المصابيح وله من ساير الادهان خاصية
زيادة الاشراق وقلة الدخان واذا كانت الماشية التي يكثر درها ونسلها والشجرة التي يكثر ثمرها تسمى مباركة فالتي لا نهاية
لمنفعتها وثمرتها اولى ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام فبالحري ان
يعبر عنها لا شرقية ولا غربية وهو القوة القدسية النبوية فهي في غاية نهاية الشرف والصفا فان القوة الفكرية
تنقسم الى ما يحتاج الى تعليم والى ما لا يحتاج اليه ولا بد من وجود هذا القسم دفعا للتسلسل فبالحري ان يعبر عن هذا القسم لكماله
وصفائه بانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فهذا المثال موافق لهذه الاقسام وهذه الانوار مرتبة بعضها على بعض ثم
فالحس هو الاول وهو كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل انتهى كلام الغزالي عن نقل الاصفهاني في تفسيره [illegible]
كان المعنى بنا على ما تقدم من صفة الروح الالهي فهديناك به عطف عليه قوله وانك لتهدي اي تبين وترشد
والكن لانكارهم ذلك الصراط اي طريق واضح جدا وان غايت في البيان مشقة بنفسك وبالوسايط بما افادته التغذية بالي

اوجلته واجاده

فيهم

فيهم من ذلك انه يهدي للصراط بدون ذلك من العناية لمن يسر الله امره ويهدي الصراط لمن هو اعظم توفيقا من ذلك مستقيم
اي شديد التقوم لانه كانه يريد ان يقوم نفسه فهو بعيد وجود تقومه حافظ لها من ادنى خلل وهو كل ما دعى اليه من خصال
هذا الدين الحنيف الذي هو ملة ابرهيم عليه السلام ثم ابدل منه تعظيما لشانه قوله بدل الكل من كل معرفة من نكرة لافتا القول
من مظهر العظمة الى اعظم منه اشارة الى جلاله هذا الصراط بما فيه من مجامع الرحمة والنعمة ترغيبا وترهيبا صراط الله
اي الملك الاعظم الجامع لصفات الكمال ثم وصفه بانه مالك لما افتتح هذا الكلام بانه ملكه فقال الذي له ما في السموات
اي هو جميع السموات التي هي في عرشه والارض لانهما في السموات وما في ذلك من المعاني والاعيان وما في الارض ولما
اخبر سبحانه انه المخترع لجميع الاشيا والمالك لعالمي الغيب والشهادة والخلق والامر وانه المنفرد بالعظمة كلها وكان
مركوزا في العقول مغروزا في الفطر ان من ابتدا شيئا وليس له كفو قادر على اعادته وان يكون مرجع امره كله اليه فلذلك كانت
نتيجة جميع ما مضى على سبيل المناداة على المنكرين لذلك وعدا ووعيدا لاهل الطاعة والمعصية بنا على ما تقدم من كيف يكون له
ما ذكر على سبيل الدوام ونحن نرى لغيره اشيا كثيرة تضاف اليه ويوقف تصرفها والتصرف فيها عليه الا الى الله اي المحيط
بجميع صفات الكمال الذي تعالى عن مثل او مدان وهو الكبير المتعال لا الى احد غيره تصير اي على الدوام وان كانت في الظاهر في
ملك غيره بحيث يظن الجاهل ان ملكها مستقر له قال ابو حيان اتى بالمضارع والمراد به الديمومة كقولك زيد يعطي ويمنع اي من
شانه ذلك ولا يراد به حقيقة المستقبل الامور اي كلها من الخلق والامر معنى وحسا في الدنيا بما نصب من الحكام وجعل من
الناس من الاسباب وجليا فيما وراها حتى قطع ذلك جميعه فلا حكام ولا اسباب كما كانت الامور كلها مبتداة منه وحده في
من كان كذلك فهو وحده العزيز الحكيم العلي العظيم فقد رجع اخر السورة على اولها وانعطف مفصلها على موصلها
واتصل من حيث كونه في الوحي الهادي باول الزخرف على اتم عادة لهذا الكتاب المبين من اتصال الخواتم فيه بالبوادي والروابع بالفواتح
مقصودها البشارة باعلاهن الهمة بالعقل والحكمة حتى يكونوا اعلا
والله ولي التوفيق
الامم في العلم وما يتشاعنه شاننا لان هدايتهم بامر لدني هو من اعرب الغريب الذي هو للخواص فهو في الرتبة الثانية
من الغرابة وان الذكر لا بد لهم منه وان اشتدت نفرتهم منه واعراضهم عنه وانه لذكر لك ولقومك وحتى يكونوا اهلا للجنة
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون ولم يقبلهم على ذلك دلت تسميتها بالزخرف لما في
ابتهام من انه لو اراد ان يعم الكفر جميع الناس لعمهم بسبوغ النعم ولكنه لم يعمهم بذلك بل فاوت بينهم فافقر بعضهم واكثر بؤسهم
وضربهم وفرق امرهم ليسهل ردهم عن الكفر الذي دعتهم اليه طبايعهم وحظوظهم ونقايصهم بما يشهدون من قباحة الظلم والعدوان
الى ما يرونه من محاسن الدين والايمان ولذة الخضوع للملك الديان فتخضع لهم الملوك والاعيان وتصير لهم الفرقان على جميع اهل
العصيان بسم الله الذي له مقاليد الامور كلها فهو يعلي من شاء وان طال سفوله الرحمن الذي بالغ عم جميع خلقه على حسب
ما نولهم عنده الرحيم الذي يقبل بمن شاء الى ما يقربه لديه زلفى وان وصل في البعد الى الحد الاقصى حم حكمة محمد النبي اوحاها
الله اليه لما ادام اخر تلك انه جعل ما اوحى اليه صلى الله عليه وسلم نورا يهدي به من يشاء وكان قد تقرر في السور الماضية
ما له من الجلالة بانه تنزيله وختم بانه لا امر يخرج عنه سبحانه اشارة الى انه يردهم عن غيهم وكانوا ينكرون ان يرجعوا
فاقتضى الحال غاية التاكيد وكان اقسام الله تعالى بالاشيا اعلاما بجلالة ما فيها من الحكم وتنبيها على النظر فيها ونحوها
من الاسرار التي اهلها للاقسام بها افتتح هذه بتعظيم هذا الوحي بالاقسام به حثا على تدبر ما فيه من الوجوه التي اوجبت
ان يكون قسما بعظيم اشر فقال والكتاب اي والاعجاز هذا الجامع لكل خير وغير ذلك من انواع عظمته المبين اي البين
في نفسه المبين لجميع ما فيه من العظمة بالشرايع والسنن واللطايف والمعارف والمنن بيانا عظيما شافيا ولما
كانوا ينكرون ان يرجعوا به عما هم فيه وان يكون من عند الله اكد ما يكذبهم من قوله فيما مضى اخر الشورى انه نور وهدى وروح
معبرا بالجعل لذلك دون الانزال لانه قد دل عليه جميع السور الماضية تارة بلفظه واخرى بلفظ الوحي فقال مقسما
بالكتاب على عظمة الكتاب قال السمين ومن البلاغة عندهم كون القسم والمقسم عليه من واد واحد وهذا ان اريد بالكتاب
القران فان اريد به اعم منه كان بعض المقسم به وصرف القول الى مظهر العظمة تشريفا للكتاب انا جعلناه اي صيرناه
ووضعناه وسميناه مطابقة لحاله بالتعبير عن معانيه بما لنا من العظمة قرانا اي مع كونه مجموع الحروف والمعاني جامعا
ومع كونه جامعا فارقا بين الملبسات عربيا اي جاريا على قوانين لسانهم في الحقايق والمجازات والمجاز فيه اغلب لانه ابلغ ولا سيما
الكنايات والتمثيلات وصرف القول عن تخصيص نبيه صلى الله عليه وسلم بالخطاب الى خطابهم تشريفا له صلى الله عليه وسلم
ولهم فيما بينه وبينهم وتنبيها على سفول امرهم في وقت نزولها فقال لعلكم تعقلون اي لتكونوا انتم العرب على رجا عند من يصح
منه الرجا من ان تعقلوا انه من عندنا لم يقوله احد علينا وتفهموا معانيه وجميع ما في طاقة البشر مما اريد به من حكمه واحكامه
وبديع وصفه ومعجز رصفه ونظامه فترجعوا عن كل ما انتم فيه من المغالبة ولا بد ان يقع هذا العقل فان العادة اذا عبر باداة

دي

الرحمن حق ما يقع ترجيحه ليكون بين كلامه وكلام العاجز فرق وسيبلغ هذا الجامع اقصاكم كما عرض على ادناكم وكل منكم يعلم انه عاجز
عن مباراة اية منه في حسن معناها وجزالة الفاظها وجلالة سبكها ونظم كل كلمة منها بالمحل الذي لا يمكن زحزحتها عنه
بتقديم ولا تاخير ولا ان يبدل شيء منها بما يؤدي معناه او يقوم مقامه كما ان ذلك في غاية الظهور في موازنته في القصاص حياة
مع القتل انفى للقتل وذلك بعض اية فكيف باية فما فوقها فتخضع له جبابرة البابكم وتسجد له جباه عقولكم وتذل لعزته شوامخ
انكاركم فتبادرون الى تقبله وتسارعون الى حفظه وتحمله علما منكم بانه فخر لكم لا يقاربه فخر وعز لا يدانيه عز ثم يقاتل الانسان منكم
من خالفه فيه من بعيد او قريب ولد او والد الى ان يدين له الخلائق وتتصاغر لعظمته الجبال الشواهق والاية ناظرة الى اية فصلت
ولو جعلناه قرانا اعجميا الاية كانوا ينكرون تعظيمه عنادا وان كانوا يقرون بذلك في بعض الاوقات قال مؤكدا
لذلك وتنبيها على انه اهل لان يقسم به ويزاد في تعظيمه لانه لا كلام يشبهه بل ولا يدانيه بوجه وانه اي القران وقدم
الظرفين على الخبر المقترن باللام اهتماما بهما لبعيد بادي بدء ان علوه وحكمته ثابتة في اللام وان اللام في غاية الغرابة عنده في ام
الكتاب اي كائنا في اصل كل كتاب سماوي وهو اللوح المحفوظ وزاد في شرفه بالتعبير بلدى التي هي لخاص الخاص واغرب
المستغرب ونون العظمة فقال مرتبا للظرف على الجار ليفيد ان ام الكتاب من اغرب الغريب الذي عنده لدينا على ما هو عليه عندك
لعلي ولما كان العلي قد يتفق علوه ولا تنفعه في علو حكمه فلا يثبت له علو فيهتمو بنيانه ويقضي سفوله ودنوه
قال حكيم اي بليغ في كل من هاتين الصفتين راسخ فيهما رسوخا لا يدانيه فيه كتاب فلا يعارض في على لفظه ولا يباري في حكيم معناه
ويعلوا ولا يعلى عليه بنسخ ولا غيره بل هو هال مكتوب باحرف وعبارات فائقة رائعة تعلوا عن فهم اعقل العقلا ولا يمكن بوجه
ان يبلغها ادراك انبل النبلا الا بتفهيم العلي الكبير الذي هو على كل شيء قدير ابو جعفر بن الزبير
لما اخبر سبحانه بامتحان خلف بني اسرائيل في شكهم في كتابهم بقوله وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب وصى
نبيه صلى الله عليه وسلم بالتبرؤ من سيء حالهم والتنزه عن سوء محالهم فقال ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب الاية
وتكرر الثنا على الكتاب العزيز كقوله وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا وقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وقوله وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا الى اخر السورة اعقب
ذلك بالقسم به وعضد الثنا عليه فقال حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا
لعلي حكيم ولما اوضح عظيم حال الكتاب وجليل نعمته به اردف ذلك بذكر سعة عفوه وجميل احسانه الى عباده ورحمتهم
بكتابه مع اسرافهم وعظيم مرتكبهم فقال افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين قد مر في الشورى قوله
لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء
عقيما فاعلم ان ذلك انما يكون بقدرته وارادته والجاري على هذا ان يسلم الواقع من ذلك ويرضى بما قسم واخبر عنهم تعالى في هذه
السورة من اعتدى وداع فقال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم فكمل الواقع هنا بما تعلق به وكذلك
قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقوله في الزخرف ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة انتهى ولما افهم تكرر هذا التاكيد انهم يطعنون في علاه ويقدحون في بديع حلاه فعل
من يكرهه ويأباه ارادة للاقامة على ما لا يحبه الله ولا يرضاه قال منكرا عليهم افنضرب اي انهملكم فنضرب اي فنحي ونبعد
ونجاوز عنكم خاصة من بين بني ابرهيم عليه السلام الذكر اي الوعظ المستلزم للشرف صفحا اي بحيث يكون حالنا معكم
حال المعرض المجانب بصفحة عنقه فلا نرسل اليكم رسولا ولا ننزل معه كتابا فهو مفعول له اي نضرب لاجل اعراضنا عنكم او يكون
ظرفا بمعنى جانبا اي نضربه عنكم جانبا قال الجامع بين العباب والمحكم اضربت عن الشيء كففت واعرضت وضرب عنه
الذكر واضرب عنه صرفه وقال الامام عبد الحق في الواعي والاصل في ضرب عنه الذكر ان الراكب اذا ركب دابته فاراد ان
يصرفه عن جهته ضربه بعصاه ليعدله عن جهته الى الجهة التي يريدها فوضع الضرب في موضع الصرف والعدل قال الهروي قال
الازهري يقال ضربت عنه واضربت بمعنى واحد ونقل القزاز عنه انه قال ان المجرد قليل والحاصل ان الضرب ايقاع شيء
على اخر بقوة فمجرده متعد الى واحد فان عدي الى اخر بعن ضمن معنى الصرف واذا زيد همزة النقل فقيل اضربت عنه افادت الهمزة تصيير
الفعل والهمزة ازالة الضرب فمعنى الاية افنضرب صادفين عنكم الذكر صفحا اي معرضين اعراضا شديدا حتى كانا نضرب
الذكر لينصرف عنكم معرضا كاعراض من ولى الشيء صفحة عنقه ثم علل ارادتهم هذا الاعراض بما يقتضي الاقبال بعذاب او متاب
فقال ان اي انفعل ذلك لان كنتم قوما مسرفين اي لاجل ان كان الاسراف جبلة لكم وخلقا راسخا وكنتم قادرين على القيام به
في تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقدح فيما ياتي به والاستهزاء به من ترككم خشية من تهتكم او رجاء من غير تذكير لتوبتكم
وقد جعل حينئذ المقتضي مانعا فان المسرف احوج ربالتذكير واحوج الى الوعظ هذا ان كان معربا واما البعيد فانه لا يلتفت
اليه من اول الامر بل لو اراد القرب يطرد وعلى قراءة نافع وحمزة والكسائي بكسر ان على كونها شرطية يكون الكلام مسوقا

على

على غاية ما يكون من الانصاف فيكون المعنى انترككم مهملين فننحي عنكم الذكر والحال انكم قوم يمكن ان تكونوا متصفين بالاسراف
يعني ان المسرف اهل لان يوعظ ويكلم بما يرده عن الاسراف وانتم واذا دعيتم انكم مصلحون لا تقدرون ان تدفعوا عنكم امكان
الاسراف فكيف ندفع عنكم انزال الذكر الواعظ وانتم بحيث يمكن ان تكونوا مسرفين فتحتاجوا اليه هذا ما لا يفعله حكيم في عباده
بل هو سبحانه للطفه وزيادة بره لا يترك دعا عباده الى رحمته وان كانوا مسرفين قد امعنوا في الشراد والجحد والعناد
بل يدعوهم بابلغ الحجة وهو هذا القران الذي هو اشرف الكتب على لسان هذا النبي الذي هو اعظم الرسل ليهتدي من قدرت
هدايته وتقوم الحجة على غيره كان المعنى انا لا نترككم هملا كانه قيل هيهات منا ذلك فلن نفعلكم كما لم نفعل بني
اسحاق من اسرائيل وعيصو عليهما السلام فلقد ارسلنا اليكم مع انكم اعلى الناس رسولا هو اشرفكم نسبا وازكاكم نفسا
واعلاكم همة وارجحكم عقلا واوفاكم امانة واكرمكم خلقا واوجهكم عشيرة فعطف قوله تانيسا للنبي صلى الله عليه وسلم
وتاسية وتعزية وتسلية وكم ارسلنا اي على ما لنا من العظمة ولما كان الارسال يقع على انحا من الاشكال ميزه بانه
من نبي في الاولين ثم حكى حالهم الماضية اشارة الى استمرار حال الخلق على هذا فقال وما اي والحال انه ما ياتيهم واعرق في
النفي بقوله من نبي اي في امة بعد امة وزمان بعد زمان الا كانوا اي خلقا وطبعا به يستهزءون كما استهزا قومك
وتقديم الظرف للاشارة الى ان استهزاءهم به لشدة مبالغتهم فيه كانه مقصور عليه كان الاستهزاء برسول الملك
استهزاء به وكانت الممالك انما تقام بالسياسة بالرغبة والرهبة وايقاع الهيبة حتى يتم الجلال وتثبت العظمة وكان لذلك
لا يجوز في عقل عاقل ان يمكن ملك على الاستهزاء به سبب عن الاستهزاء بالرسل الهلاك فقال فاهلكنا وكان الاصل الاضمار ولكنه
اظهر الضمير بيانا لما كان في الاولين من الضخامة صارفا اسلوب الخطاب الى الغيبة اقبالا على نبيه صلى الله عليه وسلم تسلية له
والاغلاظ في وعيدهم فقال اشد منهم اي من قريش الذين يستهزءون بك بطشا من جهة العدد والعدد والقوة والجلد لما طمعهم
بانفسهم وهم اضعف منهم ان تمادوا في الاستهزاء برسول الملك الاعلى ولما ذكر اهلاك اولئك ذكر ان حالهم عند
الاهلاك كان امضعفا للبعث بهؤلاء فقال ومضى مثل الاولين اي وقع اهلاكهم الذي كان مثلا يتمثل به من بعدهم وذكر ايضا
في القران الخبر عنه بما حقه ان يسير مسير المثل بكل ذكران من عبد الاولون واعتمد واعليه مثل بيت العنكبوت فكيف بالاولين
انفسهم فكيف بهؤلاء فان الحال ادى الى انهم اضعف من الضعف من بيت العنكبوت فلينتظروا ان يحل بهم مثل ما حل باولئك
بايدي جند الله من البشر او الملائك كان التقدير فلئن سالتهم عمن سمعوا الخبر ممن ذكرنا بهم من الاولين ليعترفن بما
سمعوا من خبرهم لانا لم نجعل لهم على المباهتة فيه جراة لما طبعناهم عليه في اغلب احوالهم من الصدق عطف عليه قوله مبينا
جهلهم بتوقعهم في التناقض مؤكدا له لما في اعترافهم به من العجب المنافي لحالهم ولئن سالتهم ايضا عما هو اكبر من ذلك ودل
على القدرة وجميع صفات الكمال فقلت لهم من خلق السموات على علوها وسعتها والارض على كثرة عجائبهما وعظمتهما
ليقولن اي من غير توقف ولما كان السؤال عن المسند اكان الجواب المطابق ذكر الخبر فكان الجواب هنا الله كما
في غيرها من الايات لكنه عدل عنه الى المطابقة المعنوية لافتا القول عن مظهر العظمة الى ما يفيد من الاوصاف القدرة على
كل شيء وانه تعالى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء مكررا للفعل تاكيدا لاعترافهم زيادة في توبيخهم وتنبيها على عظيم
غلطهم فقال مغيرا انما هو لازم لاعترافهم له سبحانه بالتفرد بالايجاد لانه انسب الاشيا المقصود السورة وللابانة التي
في مطلعها خلقهن الذي هو موصوف بانه العزيز العليم اي الذي يلزم المعترف باسناد هذا الخلق اليه ان يعترف
بانه يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء وان علمه محيط بكل شيء فيعتقد على ايجاده على وجه من البداعة ثم على اكمل منه ثم ابهج منه
وهلم جرا الى ما لا نهاية له هذا هو الاليق بكمال ذاته وجليل صفاته ونعوذ بالله من عمى المعتزلة والفلاسفة اصحاب الاذهان
الجامدة والعقول الكاسفة والعرب لجهلهم يعبدون مع اعترافهم بهذا غيره وذلك الغير لا قدرة له على شيء اصلا ولا علم له بشيء
بشيء اصلا فقد كرر هذا السؤال بجوابه حججهم وبانه غلطهم وفضيحتهم حتى بان لاولي الالباب انهم معاندون ولما
كان جوابهم بغير هاتين الصفتين ودل بذكرهما على انهما لازمتان لاعترافهم نبههما لهم على موضع الحجة اتبعهما من كلامه دلالة على
ذلك قوله التفاتا الى الخطاب لانه امكن في التقريع والتوبيخ والتشنيع وتذكيرا لهم بالاحسان الموجب للاذعان وتفصيلا
للقدرة الذي جعل لكم فانه لو كان ذلك قولهم لقالوا لنا الارض مهادا اي فراشا قارة ثابتة وطيئة ولو شاء لجعلها
مزلة لا يثبت فيها شيء كما ترون من بعض الجبال او جعلها مائدة لا تثبت لكونها على تيار الماء ولما جعل الارض قرارا للاشباح
جعل الاشباح قرارا للارواح كم وطوقها حمل قرارها وقوة التصرف به في حضورها واستمرارها ليدلكم ذلك على تفرده سبحانه
في الكون وتصريفه له حيث اراد وانه الظاهر الذي لا اظهر منه والباطن الذي لا ابطن منه قال القشيري فاذا انتهى مدة
كون النفوس على الارض حكم الله بخرابها كذلك اذا فارقت الارواح الاشباح بالكلية قضى الله بخرابها من الجبال والاودية
وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا تسلكونها بين الجبال والاودية ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها كما جعل بعض الجبال

كذلك ثم ذكر العلة الغائية في ذلك فقال لعلكم تهتدون اي ليكون حالكم حال من يرجى له الهداية الى
مقاصدكم في الدنيا في الاسفار وغيرها ظاهرًا فتتوصلون بها الى الاقطار الشاسعة والاقاليم الواسعة للامور الرافعة ثم
فانها اذا انكر سلوكها صار لها من الاثار الناشية من كثرة التكرار ما يهدي كل مار والى مقاصد الاخرى وحكمتها باطنًا اذا تأمل
الفطن حكمة مسخرها وواضعها ومسيرها ولما كان انزال الماء من العلو في غاية العجب لا سيما اذا كان في وقت دون وقت
وكان انبات النبات به اعجب وكان ذلك دالا على البعث ولا بد وكان مقصود السورة انه لا بد من ردهم عن عنادهم باعظم الكفران
الى الايمان والخضوع له بغاية الاذعان قال دالا على كمال القدرة على ذلك وغيره بالتنبيه على كمال الوصف بالعطف واعادة
الموصول الدال على الفاعل المذكور بعظمته للتنبيه على ان الاعادة التي هذا دليلها هي سر الوجود فهي اشرف مما اريد من الاية
الماضية بمهد الارض وسلك السبل والذي نزل اي بحسب التدريج ولولا قدرته الباهرة لكان دفعة واحدة او وقتًا
منها من السماء اي المحل العالي ماء عذبًا لزروعكم وثماركم وشربكم بانفسكم وانعامكم بقدر فهو بحيث ينفع الناس ولا يضرهم
بان يكون على مقدار حاجاتهم ودل على عظمة الانبات بلفت القول الى مظهر العظمة تنبيهًا على انه الدليل الظاهر على ما وصل به
من نشر الاموات فقال مسببًا عن ذلك فانشرنا اي احيينا والمادة تدور على الحركة والامتداد والانبساط به اي الماء بلدة
اي مكانًا يجتمع الناس فيه للاقامة معتنون باحيائه متعاونون على دوام ابقائه ميتًا اي كان قد يبس نباته وعجز اهله عن ايصال
ما اليه ليحيى به ولعله انث البلدة وذكر الميت اشارة الى ان بلوغها في الضعف والموت بلغ الغاية بضعف ارضه في نفسها
وضعف اهله عن احيائه وقحط الزمان واضمحلال ما كان به من النبات ولما كان ذلك فيه جمع الماء للنبات من اعماق
الارض بعد ان كان ترابًا من جملة ترابها واخراجه كما كان اولًا يهتز بالحياة على هيأته والوانه وما كان من تعاريفه واغصانه
بامر الله وبين جمع الله تعالى لما تفتت من اجساد الادميين واخراجه كما كان بروحه وجميع جواهره واعراضه الا ان الله قادر بكل
اعتبار في كل وقت بلا شرط اصلا والماء لا قدرة له ولا اختيار الله تعالى كان نحو اعظمهما لان منتهز الفرصة لتغيير ما هم له
منكرون وبه يكفرون من امر البعث فقال تعالى ايقاظًا لهم من رقدتهم وبعثًا من موت سكرتهم كذلك اي مثل هذا الاخراج
العظيم لما شاهدتم من النبات تخرجون من الموت الحسي والمعنوي بايسر امر من امره تعالى واسهل شان فتخرجون في زمن
من الارض ثانيًا فاذا انتم بشر تنتشرون وتخرجون من ظلمة الجهل الى نور الايمان فاذا انتم حكماء علماء ولما انتهز
هذه الفرصة وسوغ ذكرها ما اثر من سوء اعتقادهم من عظيم الغصة شرع في اكمال ما يقتضيه الحال من الاوصاف فقال عائدا
الى اسلوب العزم والعلم للايماء الى الحث على تأمل الدليل على بعث الاموات بانشار الموات معبرًا بالعاطف تنبيهًا على كمال
ذلك الوصف الموجب لتحقيق مقصود السورة من القدرة على ردهم بعد صدهم والذي خلق الازواج اي الاصناف
المتشاكلة التي لا يكمل شيء منها غاية الكمال الا بالآخر على ما دبره سبحانه من نظم هذا الوجود كلها من النبات والحيوان وغير
ذلك من سائر الاكوان لم يشاركه في شيء منها احد ولما ذكر الازواج وكان المتبادر الى الذهن اطلاقها على
ما هو من نوع واحد ادل على ان المراد ما هو اعم فقال ذاكرا ما تشاكل في الحمل وتباين في الجنس وجعل لكم لا لغيركم فاشكروه
من الفلك اي السفن العظام في البحر والانعام في البر ما تركبون وحذف العائد لفهم المعنى تغليبًا للمتعدي بنفسه
في الانعام على المتعدي بواسطة في الفلك ولما ذكر النعمة الناشية عن مطلق الايجاد ذكر نعمة الراحة فيه
فقال معللا لتستووا اي تكونوا مع الاعتدال والاستقرار والتمكن والراحة على ظهوره اي ظهور كل من ذلك المجعول
فالضمير عائد على اي كلمة ما وجمع الظهر نظرًا للمعنى تكثيرًا للنعمة وافرد الضمير ردًا على اللفظ دلالة على كمال القدرة بعظيم
التصريف برًا وبحرًا وتنبيهًا بالتذكير على قوة المركوب لان الذكر اقوى من الانثى ولما كانت النعمة بخلق كلما يدعوا
اليه الحاجة وجعله على وجه دال على ما له من الصفات ذكر ما ينبغي على ما له من الصفات ذكر ما ينبغي ان يكون من غايتها على ما هو المنعم
بينهم من شكر المنعم فقال دالا على عظيم قدر النعمة وبعد غايتها وعلو امر الذكر بحرف التراخي ثم تذكروا اي بقلوبكم
وصرف القول الى وصف التربية حثًا على تذكر احسانه للانتهاء عن كفرانه والاقبال على شكرانه فقال نعمة ربكم الذي
احسن اليكم بنعمة تسخيرها لكم وما تعرفونه من عزها ولما كان الاعتدال عليه امرا خارقًا للعادة بدليل ما
لا يركب من الحيوانات في البر والجوامد في البحر وان كان قد اسقط العجب فيه كثرة الالفة ذكره فقال اذا استويتم
عليه ولما كان تذكر النعمة يبعث الجنان واللسان والاركان على الشكر لمن اسداها قال وتقولوا اي
بالسنتكم جمعًا بين القلب واللسان ولما كان الاستواء على ذلك مقتضيًا لتذكر النقص بالاحتياج اليها في بلوغ
ما ركبت لاجله وفي الثبات عليها وخوف العطب منها وتذكر ان من لا يزال يحتاج الى اهل العجز الذين هم في قبضته ابتداء
وانتهاء من غير شيء يرجوه منهم لا يكون الا بعيدًا عن صفات الدناءة وان استواءه على عرشه ليس كهذا الاستواء المفارق لهذه
النقائص وانه ليس كمثله شيء كان المقام للتنزيه فقال سبحان الذي سخر اي بعلمه الكامل وقدرته التامة لنا هذا

اي الذي ركبناه سفينة كان او دابة وما اي والحال انا ما كنا ولما كان كل من المركوبين في الواقع اقوى من الركاب جعل
عدم اطاقتهم له وقدرتهم عليه كانه خاص به فقال مقدمًا للجار دلالة على ذلك له مقرنين اي ما كان في جبلتنا الطاقة ان نكون قرناء
له وحدنا لخروج قوته عن ما نعالجه ونعانيه عن طاقتنا بكل اعتبار ولا مكافيين في القوة غالبين ضابطين مطيقين من اقرن
الامر اطاقه وقوي عليه فصار بحيث يقرنه بما شاء ولما كان كل راكب شيئا من هذين الصنفين مستحضرًا اكل حين انه
منقلب بطي شقة اسفاره الى محل قراره ذكرهم سبحانه بذلك ان ظهر هذه للارض لهم مثل ظهور السفن والدواب يسبحون
بها في لجج امواج الزمان وتصاريف الحدثان بهم على ظهرها مسافرون ولكنهم لطول الالف عنه غافلون وقليلا ما يذكرون
وانهم على خطر فيما صاروا اليه من ظهور هذه الاشياء يوشك ان يكون سبب موتهم ومثير هلكهم وفوتهم فقال عاطفًا على ما
تقديره لمن دبنا كان ابتداؤنا لا نعلم شيئا ولا نقدر على شيء والان نحن مثى شئنا ساكنون ومهما اردنا منتشرون وانا الى
ربنا المحسن الينا بالبداءة والاقتدار على هذه التنقلات على هذه المراكب لا الى غيره لمنقلبون اي لصائرون ومتوجهون
وسائرون بالموت وما بعده الى الدار الاخرة انقلابًا لا اياب معه الى هذه الدار فالاية منبهة بالسير الدنيوي على السير
الاخروي واكد لاجل انكارهم للبعث حتى لا يزالوا مراقبين للمنعم عليهم ويجوز ان يكون المعنى انه لما امرهم بالمراقبة على نعمه
الركوب عبر بالانقلاب تذكيرًا بنعمته عليهم في حال الدعة والسكون قبل الانقلاب وبعده اي وانا بعد رجوعنا الى نعمة ربنا
لمنقلبون اي انا في نعمه في كل حال روى احمد وابو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي عن علي رضي الله عنه انه
وضع رجله في الركاب وقال بسم الله فلما استوى على الدابة قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا الاية ثم حمد الله ثلاثا
وكبر ثلاثا ثم قال سبحانك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر ثم ضحك واخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم فعل مثله وقال
يعجب الرب من عبده اذا قال رب اغفر لي ويقول علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري وروى احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اردفه على دابة فلما استوى عليها كبر ثلاثا وحمد الله ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله واحدة
ثم استلقى عليه فضحك ثم اقبل عليه فقال ما من امرئ مسلم يركب دابته فيصنع كما صنعت الا اقبل الله عليه يضحك اليه
كما ضحكت اليها وروى احمد ومسلم وابو داود والنسائي والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي الاية ثم يقول اللهم اني اسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى
اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا
في اهلنا وكان اذا رجع الى اهله قال ايبون تائبون ان شاء الله عابدون لربنا حامدون وروى احمد عن ابي لاس الخزاعي رضي
الله عنه قال حملنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابل من ابل الصدقة الى الحج فقلنا يا رسول الله ما نرى ان تحملنا هذه فقال ما من بعير
الا في ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها اذا ركبتموها كما امركم ثم امتهنوها لانفسكم فانما يحمل الله عز وجل ولما علم
بهذا الاعتراف منهم وما تبعه من التقرير ان العالم كله متزاوج يتسخر بعضه لبعضه فثبت ان خالقه مباين له لا يصح اصلا ان
يكون محتاجا بوجه لانه لا مثل له اصلا كان موضع التعجيب من نسبتهم الولد اليه سبحانه فقال لافتًا القول عن خطابهم
الى الاعراض المؤذن بالغضب وجعلوا اي ولئن سألتهم ليقولن كذا اللازم منه قطعًا انه لا مثل له والحال انهم نسبوا
له وصيروا بقولهم قبل سؤالك اياهم نسبة بهم حاكمون بها حكما لا يتمارون فيه كانهم متمكنون من ذلك تمكن الجاعل فيما يجعله
من عباده الذين ابدعهم كما ابدع غيرهم جزءًا اي ولدا هو لحصرهم اياه في الانثى احد قسمي الاولاد وكل ولد فهو جزء
من والده ومن كان له جزء كان محتاجا فلم يكن الها وذلك لقولهم الملائكة بنات الله فثبت بذلك طيش عقولهم وسخافة
ارائهم ولما كان هذا في غاية الغلظة من الكفر قال مؤكدا لانكارهم ان يكون عندهم كفران ان الانسان
اي هذا النوع الذي هم بعضه لكفور مبين اي بين الكفر في نفسه منادٍ عليها بالكفر بيانا لذلك لكل احد هذا ما
تقتضيه طبعه بما هو عليه من النقص بالشهوات والحظوظ ليبين فضل من حفظه الله بالعقل على من سواه من
جميع المخلوقات بمجاهدته لعدوه الذي بين جنبيه مع ظهور قدرة الله الباهرة بذلك ولما كان كانه قيل
انكارا عليهم وتهكما بهم حيث لم يرضوا الاناث بان جعلوا المنزل اليه الجعل من عباده جزءا اخس جعلوه شر الجزئين الاناث
وهم اشد الناس نفرة منهن او هب له ذلك الجزء الذي جعلتموه اناثا عبره فسر اخبث لم يقدر ان ينفك عنه
كما قدم في السورة التي قبلها عن نفسه المقدس انه يهب لمن يشاء اناثا فلا يقدر على التفصي عنهن بوجه عادله بقوله
عائدا الى الخطاب لانه ابلغ في التبكيت على اختيار الغير على الصواب ام اتخذ اي عالج هو بنفسه فاخذ بعد المعالجة
وهو خالق الخلق كلهم مما يخلق اي يجدد ابداعه في كل وقت كما اعترفتم بنات فلم يقدر بعد التكلف والتعب على
غير البنات التي هي النقص الحرين الي ونكر لتخصيصهم اتخاذه ببعض هذا الصنف الذي شاركه فيه غيره وعطف
على قوله اتخذ ليكون منفيا على ابلغ وجه لكونه في حيز الانكار واصفاكم وهو السيد وانتم عبيده بالبنين اي الجزء

الاكمل لربكم المستحق ان يكون دايما مستحضرا في الخاطر فلذلك عرفه ولانهم ادعوا ان هذا النوع كله خاص بهم لم يشاركهم
في شي منه فكان هذا الكفر الثاني اعرق في المحال من الاول لزيادته على مطلق الحاجة بالسفه في انه رضي بالدون للخسيس فلم يشار
في شي من الاعلى بل جعل لهم ذلك خالصا صافيا عن ادنى ما يشوبه من كدر **ولما** كانت نسبة الولد اليه سبحانه مما لا ينبغي
ان يخطر بالبال على حال من الاحوال وكانت نسبته على سبيل الحقيقة ابعد منها على طريق المثال لان يقال الملائكة عنده في العز
بمنزلة البنات عند الاب قال مرشدا الى ان ما قالوه لو كان على قصد التمثيل كان في غاية القباحة فضلا عن ان يكون على التحقيق
جايدا الى الاعراض المؤذن بالمقت والابعاد واذا اي جعلوا ذلك والحال انه اذا بشر اي من اي مبشر كان احدهم اطلق عليه
ذلك تهكما انه مما يسر كالذكر سوا في ان كلا منهما ولد وتارة يسر وتارة يضر ومونته من الخالق لانه خير من العقم بما
ضرب وعدل عن الوصف بالربوبيه لانه قد يدعي المشاركة في مطلق التربيه الى الوصف الدال على عموم الرحمة فتامله المجرد
كاف في الزجر عن سوء قولهم فقال للرحمن اي الذي لا نعمة على شي من الخلق الا وهي منه مثلا اي جعله شبها وهو الانثى وعبر
به دون ان يقول بما جعل موضع بما ضرب تعليما للادب في حقه سبحانه في هذه السورة التي مقصودها العلم الموجب للادب وزيادة
في تقبيح كفرهم لا سيما ان ارادوا الحقيقة فالاشارة الى ان الادب الولد لا يكون الا مثل الوالد لا ينقص اصلا ان يكون خارجا عن
شبهه في خاص اوصافه **ولما** كان تغير الوجه لا سيما بالسواد لا يدرك الا بالادراك الا بالنهار عبر بما هو حقيقة في
الدوام نهارا وان كان المراد هنا مطلق الدوام فقال ظل اي دام وجهه مسودا اي شديدا السواد لما يجد من الكراهة
الموصلة الى الحنق بهذه البشارة التي ابانت التجربة عن انها قد تكون سارة وهو كظيم اي حابس نفسه على ما ملي به من الكرب فكيف
بانقص عاقل من شي ويرضاه لعبده فضلا عن مكافيه فضلا عن سيده هذا ما لا يرضى عاقل ان يمر بفكره فضلا عن ان يتفوه به
ولما كان الملك لا ياخذ في جنده الا من يصلح للجنديه بالمجالدة والمجادلة او باحدهما نبه على انكار آخر بان الانثى لا تصلح
لشي من هذين الوصفين فقال معيدا للانكار السابق تنبيها على انه بالغ جدا في اثارة الغضب اومن اي ايجعلون من لا يرضونه لانفسهم
ارضيه لنفسه مع انفتهم منه واتخذ من ينشا اي على ما جرت به عوايدكم على قراءة الجماعة ومن تنشئونه وتحلونه بجهدكم على قراءة
ضم اليا وتشديد الشين في الحلية اي الزينة فيكون كلا على ابيه لا يصلح لحرب ولا لمعالجة طعن ولا ضرب وهو اي والحال انه قدم لا
الاهتمام قوله في الخصام اذا احتيج اليه غير مبين اي لا يحصل منه ابانة مطلقة كاملة لما يريد لنقصان العقل وضعف الراي
بتدافع الحظوظ والشهوات وتمكن السفه فلا دفاع عنده بيد ولا لسان **ولما** كان ربما ظن ان المحذور انما هو جعلهم عليهم
السلام اناثا بقيد النسبة اليه سبحانه نبه على ان ذلك قبيح في نفسه مطلقا لدلالته على احتقارهم وانتقاصهم فهو كفر
ثالث الى الكفرين قبله نسبة الولد اليه سبحانه ثم جعله اخس النوعين فقال وجعلوا اي بجرأتهم على ما لا ينبغي لعاقل فعله
الملائكة الذين هم متصفون باشرف الاوصاف انهم عباد الرحمن العام النعمة الذين خلقهم هم بعض من يتعبد له وهم
عباد حقيقة لانهم ما عصوه طرفة عين فهم اهل لان لا يكونوا الا على اكمل الاحوال وقراءة عند بالنون شديدة المناداة عليهم
بالسفه وذلك ان اهل حضرة الملك الذين يصرفهم في المهمات لا يكونون الا على اكمل الاحوال وعنديتهم انهم لم يعصوه قط
وهم في محل بعيد عن المعاصي مشرف بالطاعات واهل الاصطفا وذكر المفعول الثاني للجعل الذي بمعنى التصيير الاعتقادي
والقولي فقال اناثا وذلك ادنى الاوصاف خلقا وخلقا ذاتا وصفة ثم دل على كذبهم في هذا المطلق ليدل على كذبهم في المقيد
من باب الاولى فقال تهكما بهم وتوبيخا لهم وانكارا عليهم اظهارا لفساد عقولهم بان دعاويهم مجردة عن الادلة اشهدوا
اي حضروا حضورا تاما منه على تمام الخبرة باطنا وظاهرا هذا معنى قراءة الجماعة وادخل نافع همزة التوبيخ على اخرى مضمومة لبنا
الفعل للمفعول تنبيها على عجزهم عن شهود ذلك الا بمن يشهدهم اياه وهو الخالق لا غيره ومدها في احدى الروايتين زيادة في
المناداة عليهم بالفضيحة اشارة الى انحطاط امرهم وسفول اراداتهم وافعالهم وجميع تقلباتهم واحوالهم كما سيكشف عنه
الزمان ونوازل الحدثان خلقهم اي مطلق الخلق في اصله او عند الولادة او بعدها على حال من الاحوال حضورا اوجب لهم
تحقق ما قالوا بان لم يغيبوا عن شي من الاحوال الداله على ذلك اعم من ان يكون بتلك الشهادة حسية بنظر العين او معنوية بعلم ضرورة
او استدلالي بعقل او سمع **ولما** كان الجواب قطعا لا قال مهددا لهم مؤكدا للتهديد بالسين لظنهم ان لا بعث ولا
حساب ستكتب بكتابة من وكلناهم به من الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن نقدرهم على جميع ما نامرهم به هذا على قراءة الجماعة بالتا
والبنا للمفعول وعظم الكتابة تعظيما للوعيد واكبارا لما اشتمل عليه من التهديد في قراءة النون المعنية للعظمة والبنا للفاعل ونصب
الشهادة شهادتهم اي قولهم فيهم انهم اناث الذي لا ينبغي ان يكون الا بعد تمام المشاهدة فهو قول ركيك سخيف ضعيف
بما اشار اليه التانيث في قراءة الجماعة ويسألون عنها عند الرجوع الينا ويجوز ان يكون في السين استعطاف الى التوبة
قبل كتابة ما قالوه ولا علم لهم به فانه قد روى ابو امامة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على يمين
الرجل وكاتب السيآت على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا

وسهل الثانيه بينها وبين الواو

عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح الله او يستغفر رواه الثعلبي والبغوي من طريقه
والطبراني والبيهقي من طريق جعفر عن القاسم عن ابي امامة والبيهقي من رواية بشر بن نمير عن القاسم نحوه والطبراني من رواية
ثور بن يزيد عن القاسم نحوه وابو نعيم في الحلية وابن مردويه من طريق اسمعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن عروة بن رويم عن
القاسم عن ابي امامة رضي الله عنه وروى الحاكم وقال صحيح الاسناد عن ام عصمة العوصية رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يعمل ذنبا الا وقف الملك ثلاث ساعات فان استغفر من ذنبه لم يوقفه عليه ولم يعذبه يوم القيمة
ولما ذكر انهم يسألون يوم القيمة عن الشهادة علم انهم يسألون بطريق الاولى عن العبادة فنبه على انهم عبدوهم
مع ادعاء الانوثة فيهم فقال معجبا منهم في ذلك وفي جعل قولهم حجة دالة على صحة مذهبهم ومومن او هي الشبهة وقالوا
اي بعد عبادتهم لهم ونهيهم عن عبادة غير الله لو شاء الرحمن اي الذي له عموم الرحمة ما عبدناهم لان عموم الرحمة يمنع
الاقرار على ما لا ينبغي ولكنه لم يشا عدم عبادتنا لهم فعبدناهم طوع مشيئته فعبادتنا لهم حق ولولا انها حق برضاه
لنا لعجل لنا العقوبة **ولما** كان كانه قيل ماذا يجابون عن هذا قال منبها على جوابهم بقوله دالا على ان اصول الدين
لا يتكلم فيها الا بقاطع ما لهم بذلك اي بهذا المعنى البعيد عن الصواب الذي قصدوا وجعلوه دليلا على حقية عبادتهم
لهم ومراده سبحانه لا يشا الا ما هو حق ويرضاه ويامر به ومن ان الملائكة اناث واكد الاستغراق بقوله من علم اي لانه
لو لزم هذا لكان وصفه بعموم الرحمة حينئذ اضطراريا لا اختياريا فيؤدي الى نقص لا الى كمال ولكان ذلك ايضا يودي
الى ايجاب ان يكون الناس كلهم مرضيا عنهم لكونهم على حق وذلك مؤد بلا ريب الى كون النقيضين معا حقا وهو بديهي الاستحالة
ولما كان العلم قد ينفي والمعلوم ثابت في نفسه قال نافيا لذلك ان اي ما هم الا يخرصون اي يكذبون في
هذه النتيجة التي زعموا انها دليلهم على رضى الله لكفرهم فانها مبنية على انه سبحانه لا يشا الا ما هو حق والذي جراهم على ذلك
انهم يجدون على الدوام القول بغير تثبت ولا تحر فكان اكثر قولهم كذبا فصاروا لذلك يجترئون على تعمد القول بالظن الذي
لا يامن صاحبه من الوقوع في صريح الكذب وسياتي تمام ابطال هذه الشبهة بقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
وان ذلك هو المراد لا ما طال الخبط فيه لاهمال النظر في السوابق واللواحق الموجبة لسوق المقال مطابقا لمقتضى الحال
وقد جمعوا في هذا الكلام عدة جهالات ادعاء الولدية للغني المطلق وكون الولد ادنى الصنفين وعبادتهم لهم مع
انفتهم منهم بغير دليل واحتجاجهم على صحة فعلهم بتقريره لهم على ذلك وبعدتهم ما هم عليه بلسان كل رسول وظنهم انه لا
يشا الا ما هو حق المؤدي الى الجمع بين النقيضين اذ الا ريب فيه ولا خفا به **ولما** كان الايمان بالملائكة الذين
هم جند الملك من دعايم اصول الدين وكان الايمان بالشي لا يمكن الا على ما هو عليه الشي ولو بادنى الوجوه كان مخلا ولخبر سبحانه
انهم وصفوهم بغير ما هم عليه ففرطوا بوصفهم بالبنات حتى انزلوهم الى الحضيض وافرطوا بالعبادة حتى اعلوهم عن قدرهم
فانسلخوا في كلا الامرين من صريح العقل بما اشار اليه ما مضى اتبع ذلك انهم عريون ايضا من صحيح النقل فقال معادلا لقوله
اشهدوا واخلعهم انكارا عليهم بعد انكار موجبا ذلك اعظم العار لانه العدول عن الوصف بالرحمة تنبيها بمظهر
العظمة على ان حكمه تعالى ام آتيناهم على ما لنا من العظمة كتابا اي جامعا لما يريد ومن اعتقاده من قبله
اي القران اخبرناهم فيه انا جعلناهم اناثا وانا لا نشا الا ما هو حق ونرضاه ونامر به فهم اي فتسبب عن هذا الايتا
انهم به اي وحده مستمسكون اي موجدون للامساك به وطالبون للثبات عليه في عبادة غير الله وفي ان ذلك حق
لكونه لم يعاجلهم بالعقوبة وفي وصفهم الملائكة بالانوثة وفي غير ذلك من كل ما يرتكبونه باطلا والانكار يقتضي
نفي ما دخل عليه من ايتاء الكتاب كما انتفى اشهاده لهم خلقهم وهذه المعادلة التي لا يشك فيها من له بصر بالكلام تدل
على صحة كون الاشارة فيما لهم بذلك من علم شاملة لدعواهم الانوثة في الملائكة **ولما** كان الجواب قطعا عن هذين الاستفهامين
ليس لهم دليل على طلق ما قالوا ولا معتمد من صريح عقل ولا صحيح نقل الى من يصح النقل عنه من اهل العلم بالاخبار الالهية
نسق عليه قوله ارشادا اليه بل قالوا اي في جوابهم عن قوله ذلك واعتقاده مؤكدين اظهارا اجهلا او تجاهلا لان
ذلك لم يعب عليهم الا الظن انه لا سلف لهم اصلا فيه فاذا ثبت انه عمن تقدمهم انفصل النزاع انا وجدنا آباءنا اي وهم
ارجح منا عقولا واصح افهاما على امة اي طريقة عظيمة يحق لها ان تقصد وتؤم وانا على آثارهم اي خاصة لا على غيرها
ونحن في غاية الاجتهاد والقصد للآثار وان لم نجد عينا نتحققها **ولما** علم ذلك من حالهم ولم يكن صريحا في
الدلالة على الهداية بينوا الجار والمجرور او اخروا البعد الاخبار به او استغنوا عنه بقولهم استينا فالجواب من سال
مهتدون اي نحن فاذا ثبت بهذا الكلام انه وكدنا ما اتينا بشي من عند انفسنا ولا غلطنا في الاتباع واقتفا الاثار
فلا اعتراض علينا بوجه هذا قولهم في الدين بل في اصوله التي من ضل في شي منها هلك ولو ظهر لاحد منهم خلل في شي ابيه
الدنيوي الذي به يحصل اليسار والدرهم ما اقتدى به اصلا وخالفه اي مخالفة ما هذا الا لمحض الهوى وقصور النظر

منه ولهم اسامعه الا القرى
وسع الاثار علي العاد وانهم
اعظم الادكار

وجعل محطه الامر الدنيوي الحاضر لا يعوّد لهم في المعاني بوجه ولما كان ترك المدعو للدليل واتباعه للهوى عائقًا
موحشًا ومنكيًا مؤلمًا قال تسليه صلى الله عليه وسلم عاطفًا على قولهم وكذلك اي ومثل هذا الفعل المتناهي في الشناعة فعلت
الامم الماضية مع احوالك الانبيا عليهم السلام ثم فسر ذلك بقوله ما ارسلنا اي بما لنا من العظمة ولما كانت
مقالة قريش بعد تقدمت فالمراد التسلية بغيرهم وكان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فلا امة لغيره في زمانه ولا بعده تسليه
بها سلامن مضى وقدم ذكر القبلية اهتمامًا بالتسلية وتخليصا لها من ان يتوهم ان يكون معه في زمانه او بعده نذير واتماما لا
المجد دلشريعته انما يكون عيشا لامته وتبشيرا لانذارا لتابعهم على الدين بتصديقهم جميع النبيين فقال تعالى من قبلك اي في الازمنة
السالفة حتى القريبة منك جدًا فان التسلية بالاقرب اعظم وأثبت الجار لان الارسال بالفعل لم يعم جميع الازمنه واسقط
هذه القبلية في سبا لان المراد فيها التعميم لانه لم يتقدم لقريش ذكر حتى يخص من قبلهم ولما كان اهل القرى اقرب
الى العقل واولى بالحكمة والحلم قال في قرية واعرق في النفي بقوله من نذير وبين بها انه موضع الكراهة والخلاف الانذار على
مخالفة الاهوا الا قال مترفوها اي اهل الترفه بالضم وهي النعمة والطعام الطيب والشيء الظريف يكون خاصا بالمترف
وذلك موجب لقلة الهم وهو موجب للراحة والبطالة الصارفة عن جهد الاجتهاد الى سفالة التقليد وهو موجب لركوب
الهوى ولو بان له دليل وهو موجب للبغي والاصرار عليه واللجاجة فيه والتجبر والطغيان ومعظم الناس في الاغلب اتباع
لهولاء انا وجدنا اباءنا اي وهم اعرف منا بالامور على امة اي امر جامع يستحق ان يقصد ويوم وطريقة ودين واكدوا لا
رجا المخالف من لفتهم عن ذلك وانا على آثارهم اي لا غيرها ثم بينوا الجار والمجرور واخبروا خبرًا ثانيا او استانفوا الاتمام مرادهم
قولهم ايضاحا لان سبب القص القدوة مقتدون اي مستنون اي داكبون سنن طريقهم لا رمون له لانهم مبتدون لتقدمهم عليهم
وحالنا الطيب ما يكون في الاستقامة واقرب واسرع ولما كان كانه قيل فقال كل نذير فما اصنع اجاب بقوله قل
اي يا ايها النذير هذا على قراة الجماعة وعلى قراة ابن عامر وحفص عن عاصم يكون التقدير ان السامع قال فما قال النذير في جوابهم فاجيب
بقوله قال انكارا عليهم اولو اي اتقتدون بابائكم على كل حال ولو قدوتم مهتدين ولو جئتكم والضمير فيه للنذير وفي
قراة ابي جعفر اولو جئناكم للنذر كلهم باهدى اي امر اعظم في الهداية واوضح في الدلالة مما وجدتم اي ايها المقيدون بالابا
عليه اباءكم كما تضمن قولكم انكم تقتدون في اتباعهم بالاثار في اعظم الاشيا وهو الدين الذي الخسارة فيه خسارة للنفس
وانتم تخالفونهم في امر الدنيا اذا وجدتم طريقا اهدى في التصرف فيها من طريقهم ولو بامر يسير ويفتخر احدكم بانه ادرك
من ذلك ما لم يدرك ابوه فحصل من المال اكثر مما حصل فيا له من نظر ما اقصره ومتجر ما اخسره ولما كان من
المعلوم ان النذر قالوا لهم ما امروا به فتشوف السامع الى جوابهم لهم اجيب بقوله قالوا موكدين ردا لما قطع به كل
عاقل يسمع هذا الكلام من انهم يبادرون الى النظر في الدليل والرجوع الى سواء السبيل انا بما ارسلتم به اي ايها المدعون
للارسال من اي مرسل كان ولو ثبت ما زعمتموه من الرسالة ولو جئتمونا بما هو اهدى كافرون اي ساترون لما ظهر من
ذلك جهدنا حتى لا يظهر لاحد ولا ينفعكم فيه مخلوق ولما علم بهذا ان امرهم وصل الى العناد المسقط للاحتجاج
سبب عنه قوله موعظة لهذه الامة وبيانا لما خصها به من الرحمة فانتقمنا اي بما لنا من العظمة التي استحقوها بها منهم
فاهلكناهم بعذاب الاستيصال وعظم اثر النقمة بالامر بالنظر فيها في قوله فانظر اي بسبب المغرق لذلك وبالاء
سفههم اشارة الى ان ذلك امر موجب لعظمه بجفاء سببه فقال كيف كان عاقبة اي اخر امر المكذبين اي لرسلنا هم
فانهم هلكوا اجمعون ونجا المومنون اجمعون فليحذر من رد رسالتك من مثل ذلك ولما ذكر لهم الادلة وحدا
بالاخذ وتحريرا بهم مع التقليد لا ينفكون عنه ذكرهم باعظم ابائهم واحقهم بالاتباع للعود باتباع الاب في ترك هم
التقليد او في تقليده ان كان لا بد لهم من التقليد لكونه اعظم الآبا ولكونه مع الدليل فقال عاطفا على ما تقديره للاتاذ
الى تأمله وانعام النظر فيه اذكر لهم ذلك واذ اي واذكر لهم حين قال اعظم ابائهم ومحط فخرهم والمجمع على محبته
وحقية دينه منهم ومن اهل الكتاب بعد غيرهم فانه عبده ورسوله وصفيه وخليله امام الحنفا ووالد من بعث بعده
من الانبيا في براءته من ابيه وقومه غير خايف من شقاقهم له ولومهم في عبادتهم الاوثان وكفرهم بالملك الديان ابرهيم
لابيه من غير ان يقلده كما قلدتم انتم اباكم ولما كانت مخالفة الواحد للجمع شديدة ذكر لهم حاله فيها بيانا لانه
احق منه بالانفكاك عن التقليد فقال وقومه الذين كانوا هم القوم في الحقيقة لاحتوايهم على ملك جميع الارض كما
قلت انا لكم سوا ولما كانوا لا يتخيلون اصلا ان احدا يكون مخالفا لهم اكد بالحرف واظهار نون الوقاية فقال
انني وزاد بالنعت بالمصدر الذي يستوي فيه الواحد وغيره والمذكر وغيره لكونه مصدرا وان وقع موقع الصفة
باللفظ الدال على انه تجسد من البراءة وجعله على صورة المزيد لزيادة التاكيد فقال براء ومن ضمه جمله وصفا كما
مثل طوال في طويل مما تعبدون اي في الحال والاستقبال مهما كان غير من استثنيه فانهم كانوا مشركين فلا بد من

الاستثنا

الاستثناء من كونه متصلًا قال الامام ابو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني في كتاب بيان نظم القرآن ما حاصله من قول
السلف ان الكلمة هنا اي الآتية في قوله كلمة باقية لا اله الا الله ان النفي والتبرية واحد فانتفى بها بمنزلة لا وقوله مما
تعبدون بمنزلة اله اذ كل معبود يسمى الها قال ذلك الى الا اله الا الذي فطرني قال فقد ضمنت بهذا التاويل الى فهمك لا اله
الذي استعدته بالخبر ثم المعرفة الحقيقية الذي انا ذكرته طباعك بالعبرة وبنبه بالوصف بالنظر على دليل اعتقاده اي الذي
شق العدم فاخرجني منه ثم شق هذه المشاعر والمدارك ومن كان بهذه القدرة الباهرة كان متفردا بالعظمة ولما
كان الله سبحانه وله المنة قد انعم بعد الايجاد بما اشار اليه من العقل والحواس المهيئة للهداية من غير طلب فكان جديرا بان
يمنح ناصحه باعظم هدايته قال مسببا عن قطعه العلائق من سواه موكدا لاجل من ينكر وصوله الى خير عمي عنه اسلافه فانه
سيهدين اي هداية هي الهداية الى ما لاح لي من الحقائق من كل ما يصلحني لتوجهي اليه وتوكلي عليه لا مرية عندي في هذا
الاعتقاد وقد افاده بهذه المقترنة بالسين هدايته في الاستقبال بعد ان افاد بقوله المحكي في الشعرا فهو يهدين الهداية
في الحال وكانه خص هذه بالسين لاجل ما عقبها به من عقبه لجعل هدايته هدايتهم هدايته وجعلها اي جعل ابرهيم عليه السلام هذه
الكلمة التي هي التوحيد بدليله كلمة باقية في عقبه اي ذريته بما دعا وهو محط بالدعوة في قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
وفي قوله ومن ذريتي ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لعلهم يرجعون اي ليكون
حالهم عند من ينظر اليهم ان حصل منهم مخالفة واعوجاج حال من يرجى رجوعه فلهم اذا ذكروا ان اباهم الاعظم الذي بنى لهم
البيت واورثهم الفخر قال ذلك تبعوه ويجوز ان يتعلق بما تعلق به اذ اي اذكر لهم قول ابيهم ليكون حالهم عند من يجهل العواقب
حال من يرجى رجوعه عن تقليد الجهلة من الآبا الى اتباع هذا الاب الذي اتباعه لا يعد تقليدا لما علم قوله من الادلة التي تفوت
الحصر تتضمن تبعها اختيما تمام النصر وفي سوقه سوق المترجي اشارة الى انهم يكونون صنفين صنفا يرجع واخر لا يرجع ولما كان من
المعلوم ان السامع يقول لمن احاط علمه بهم ويعلم سرهم وعلانيتهم يا رب هل رجعوا اجيب بقوله بل اي لم يرجعوا بل استمروا واهم
لاجل اظهاري لقدرتي على القلوب باحجام اربابها برضاهم واختيارهم في اقبح الخطوب والحمل الذنوب على ترك الطريق المهيع
والصراط الاقوم وزاغوا عنه زيغا عظيما واستمروا في ضلالهم وتيههم ولم اعاجلهم بالعقوبة لاني متعت بافرادهم
سبحانه لعنا لهم عن ظهر العظمة لان التمتيع يتضمن اطالة العمر التي لا يقدر عليها ظاهرا ولا باطنا سواه واما الانعام فقد
يجعله بايدي عباده من الملائكة وغيرهم فهو من وادي سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم هولاء اي الذين يحضرونك من المشركين
واعدا الدين واباءهم فمددت لهم في الاعمار مع سلامة الابدان ومتانة الاركان واسباغ النعم والاعفا من البلايا والنقم
فابطرتهم نعمي وارادهتهم ايادي جودي وكرمي وتمادى بهم ركوب ذلك الباطل حتى جاءهم الحق بهذا الدين المتين ورسول
مبين اي امره ظاهر في نفسه ولو لم تكن فيه ايات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر وهو مع ظهوره في نفسه مظهر لكل معنى
يحتاج اليه وترى متعت بالخطاب من لسان الرسول المنزل عليه هذا الكتاب لانه يدعوا انهاء الفرصة لعله يجاب بما يريد
الغضة يقول يا رب قد امتعتهم لمن يجهل العواقب في مقام من يرجى رجوعه فما قضيت بدليل منعت الى اخره ولما
كان التقدير فلم يرد بهم التمتيع بادرار النعم عليهم واسباغها اليهم مع وضوح الامر لهم بل كان الانعام عليهم سببا لبطرهم
وكان البطر سببا لتماديهم على الاستغاثة بنعمنا على عصيان امرنا وهم يدعون انهم اتبع الناس للحق وابعدهم عن الباطل عطف عليه قوله
ولما جاءهم الحق اي الكامل في حقيته بمطابقة الواقع اياه من غير الباس ولا اشتباه الظاهر بكماله لكل من له ادنى لب بما عليه
القران من الاعجاز في نظمه وما عليه ما يدعوا اليه من الحكمة في جميع حكمه والتصادق مع ما يعلمونه من دين ابرهيم عليه السلام قبل ان
يلوموه من امر موسى وعيسى عليهما السلام من التوحيد زادوا على ذلك الغفلة التي ادى اليها البطر بالنعمة ما هو شر من ذلك
وهو التكذيب بان قالوا مكابرة وعنادا وحسدا وبغيا وعنادا من غير وقفة ولا تامل هذا مشيرين الى الحق الذي يطابقه الوا
قع الا شئ اثبت منه وهو القران وغيره مما اتى به من الدلائل لعرفانه سحر اي خيال لا حقيقة له ولما كان الحال مقتضيا من
غير شك ولا وقفة لمعرفتهم لما جاء به وادعاهم له قالوا موكدين لمدافعة ما ثبت في النفوس من ذلك وانا به كافرون اي عريقون
في ستره بخصوصه حتى لا يعرفه احد ولا يكون له تابع ولما اخبر عن طعنهم في ان انعمه الاجمال عن طعنهم فيمن جاء
به تغطيته لامره عملا باحسابهم في ختام ما قبلها عن انفسهم بالكفر زيادة واهانة ثما كانت العرادتهم اليه من البطر فقال
وقالوا اي المامر ثمهم ما ذكروا به مما يعرفونه من امر ابرهيم عليه السلام من النبوة والرسالة وكذا من بعده من اولاده فلم ينتهيا لهم
الاصرار على العناد بانكار ان يكون النبي من البشر قول من له امر عظيم في التصرف في الكون والحكم على الملك الذي لا ينال
عما نفعل فانكروا التخصيص بما اتوا به من التخصيص في قولهم لولا اي هلا ولم لا ولما كان انزال القران نجوما
على حسب التدريج عبروا بما يوافق ذلك فقالوا نزل اي من المنزل الذي ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وعنوا مرادهم ونفوا
اللبس فقالوا هذا القران اي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وادعى انه جامع لكل خير ففيه اشارة الى التحقير على

على رجل من القريتين اي مكة والطائف ولم يقل احدى اعتناء عنهما بوجه رجل عظيم اي بما به عندهم العظمة من الجاه والمال والسن ونحو ذلك فهم عالمون ان شان الملوك انما هو ارسال من يرتضونه لا من يقترحه الرعية ويعلمون ان الملك المرسل له صلى الله عليه وسلم الغني المطلق لكنهم جهلوا مع انه هو الذي افاض المال والجاه انه ندب الى الزهد فيهما والتخلي عنهما وانه لا يقرب اليه الا الا خلاص في اخلاص الاقبال عليه الناشي عن طهارة الروح وزكا الاخلاق وكمال الشمايل والتحلي بساير الفضايل والتخلي عن جميع الرذايل فقد جعلوا الانغماس في الجمل في الحالة البهيمية شرطا للوصول الى الحالة الملكية المضادة لها بكل اعتبار

ولما تضمن قولهم اثبات عظمة لانفسهم بالاعتراض على الملك قال منكرا عليهم موبخا لهم بما معناه انه ليس الامر مردودا اليهم ولا موقوفا عليهم بل هو الى الله وحده والله اعلم حيث يجعل رسالاته اهم اي اهؤلاء الجهلة العجزة يقسمون اي على التجدد والاستمرار ولفت القول عن افراد الضمير الى صيغة الرحمة المضافة الى النبي صلى الله عليه وسلم تشريفا له واظهارا لعلو قدره رحمة ربك اي اكرام المحسن اليك وانعامه وتشريفه بانواع اللطف والبر واعطاءه بما رباك له من تخصيصك بالارسال اليهم بتاهيلهم للانقاذ من الضلال وجعلك وانت افضل العالمين الرسول اليهم ففضلوا بتفضيلك مع انك اشرفهم نسبا وافضلهم حسبا واعظمهم عقلا واصفاهم لبا وارحمهم قلبا ليتصرفوا في تلك الرحمة التي هي روح الوجود وسر الامر بحسب شهواتهم وهم لا يقدرون على التصرف في المتاع الزايل بمثل ذلك

ولما نفى ان يكون لهم شي من قسم ما اعد الا دنا بما يشاهدونه من تعديهم عن قسم ما اعز لابدانهم لافتا القول عن صيغة الاحسان الى مظهر العظمة اشارة الى انها نافي المشاركة في شي وتقتضي التفرد نحن قسمنا بما لنا من العظمة بينهم اي في الامر الذي يعمهم ويوجب تخصيص كل منهم بما لديه معيشتهم التي يعدونها رحمة ويقصرون عليها النعمة في الحياة الدنيا التي هي دني الاشيا عندنا واشارت بتانيثها الى انها حياة ناقصة لا يرضاها عاقل واما الاخرة فعبر عنها بالحيوان لانا لو تركنا قسمها اليهم لتغالوا على ذلك فلم يبق منهم احد فكيف يدخل في الوهم ان نجعل اليهم شيئا من الكلام في امر النبوة التي هي روح الوجود وبها سعادة الدارين ورفعنا بما لنا من نفوذ الامر بعضهم وان كان ضعيف البدن قليل العقل فوق بعض وان كان قويا غزير العقل درجات في الجاه والمال ونفوذ الامر وعظم القدر لينتظم حال الوجود فانه لا بد في انتظامه من تشارك الموجودين وتعاونهم فتفاوتنا بينهم في الجث والقوى والهمم ليقتسموا الصنايع والمعارف والبضايع ويكون كل ميسر لما خلق له وحاجا الى ما هي لتعاطيه فلم يقدر احد من غني او فقير ان يعدو قدره ويرتقي فوق منزلته

ولما ذكر ذلك علله بما امرته عمارة الارض فقال ليتخذ اي بغاية جهده بعضهم بعضا

ولما كان المراد هنا الاستخدام دون الهزء لانه لا يليق التعليل به اجمع القراء على ضم هذا الحرف هنا فقال سخريا اي بان يستعمله فيما ينوبه مما يتعسر او يتعذر عليه مباشرته ويأخذ الاخر منه من المال ما هو مفتقر اليه بهذا بماله وهذا باعماله وقد يكون الفقير اكمل من الغني ليكمل بذلك نظام العالم لانه لو تساوت المقادير لتعطلت المعايش فلم يقدر احد منهم ان ينفك عما جعلناه اليه من هذا الامر الدني فكيف يطمعون في الاعتراض في امر النبوة ايتصور عاقل ان يتولى قسم الناس ويكل العالي الى غيره قال ابن الجوزي فاذا كانت الارزاق بقدر الله لا بحول المحتال وهي دون النبوة فكيف تكون النبوة انتهى وهو المراد بقوله تعالى صادفا القول عن مظهر العظمة والسلطان الى الوصف بالاحسان اظهارا لشرف النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة ربك اي المربي لك والمدبر لامرك بارسالك وانارة الوجود برسالتك فانه التي هي لعظمها جديرة بان تضاف اليه ولا يسمى غيرها رحمة خير مما يجمعون من الحطام الفاني فانه وان كان فيه خير باستعماله في وجوه البر بشرطه فهو بالنسبة الى النبوة وما فاتها لا شي

ولما دعا الى الاعراض عن الدنيا بمثلانية صريح اية التمتيع وتلويح ما بعدها الى البسط في الدنو الموجب للعلو مع انه خسيس المنزلة ناقص المقدار مقتض للخروج عن السوا وكان التقدير فنحن نخص بهذا الخير الافراد في الادوار والاحاد من الابرار لنستنقذ بهم من شينا من الضلال ونعطي الحطام للعتاة الطغام الاراذل ابتلاء للعباد ليتبين لهم اهل الغي من اهل الرشاد ولولا ما اقتضته حكمتنا بترتيب هذا الوجود على الاسباب من المفاوتة بين الناس لقيام الوجود لساوينا بينهم وعطف عليه قوله مذكرا لهم بلطفه بالمومنين ورحمته لم برفعه ما يقتضي لهم شديد المجاهدة وعظيم المصابرة والمكابدة لحال تزل فيه الاقدام عن سنن الهدى من الميل والاصغا الى مظان الغنى والملك وتمام المكنة والعظمة ولولا ان يكون الناس اي اهل التمتع بالاموال بما فيهم من الاضطراب والانبساط بنفسهم امة واحدة اي في الضلال بالكفر لاعتقادهم ان اعطانا المال دليل على محبتنا لمن اعطيناه لجهلهم الدنيا وجعلها محط انظارهم وهمتهم الا من عصم الله لجعلنا اي في كل زمان وكل مكان بما لنا من العظمة التي لا يقدر احد على معارضتها لحقارة الدنيا عندنا وبغضنا لها لمن يكفر وقوله بالرحمن اي العام الرحمة دليل على حقارة الدنيا من جهة اعطائها للمبعد الممقوت وعلى ان صفة الرحمة مقتضية لتنامي بسط النعم على الكافر لولا العلة التي ذكرها سبحانه من الرفق بالمومنين

ولما كان تزيين الظرف دالا بحسب زينة المظروف دل على ما لهم في ملابسهم ومراكبهم وغير ذلك من امورهم بزينة المنازل فقال مبدلا لمزيد الاشتمال

لان

لان بيوته على طريق الابدال او دع لبيوتهم اي التي هي لوبها سقفا اي هذا الجنس في قراة ابن كثير وابي عمرو وبالتوحيد بدليل قراة الباقين بضمتين جمعا من فضة كانه خصها لانها ادنا النقود ومعارج اي من فضة ايضا وهي المصاعد من الدرج لانها المشي عليها مثل مشي الاعرج عليها خاصة لتيسر امرها لهم يظهرون اي يعلون ويرتقون على ظهورها الى العلالي ولبيوتهم ابوابا اي من فضة ايضا

ولما كان افراد السرير يوهم انه واحد يدار به على الكل جمع ليفهم ان لكل واحد ما يخصه من الاسرة بخلاف السقف فانه لا يوهم ذلك فلذلك قرئ بافراده وجمعه فقال وسررا بالجمع خاصة ودل على هدوهم وبالهم وصفا اوقاتهم بهم وراحتهم بقوله عليها يتكئون ودل على ما لا يتناهى من غير ذلك بقوله وزخرفا اي ذهبا وزينة عامة كاملة

ولما كان لفظ الزخرف دالا على كون ذلك امرا ظاهريا مثلا شيا عند التحقيق دل عليه بقوله موكدا لما تقرر في النفوس من ان العام مثل ذلك وما كان معتبرا عندهم من ان السعيد في الاولى سعيد في الاخرى على تقدير كونها وان اي وما كل ذلك اي الامر البعيد من الخير لكونه في الاغلب مبعدا مما يرضينا ولان صاحبه لا يزال فقيرا وان ... توسعت له الدنيا ملكا وملكا لانه لا بد ان يبقى في نفسه شي لا تبلغه قدرته فهو لا يزال مغبونا لما اي الا هذا على قراة عاصم وحمزة بالتشديد وهي في قراة الباقين بالتخفيف فارقة بين النافية والمخففة وما موكدة والخبر متاع الحياة الدنيا اي التي اسمها دال على دناءتها وانها ضرة الاخرة وهو منقطع بالموت فكذلك اقتضت رحمته ان يضيق على المومنين في الاغلب لان السعة تنقصهم في الاخرة ولو بطول الحساب

ولما كانت الاضافة الى الجليل دالة على جلالة المضاف اليه قال والاخرة التي لا دار لا بعد لها بل لا دار في الحقيقة الا هي عند ربك واشار بالوصف الذي اي الرب الى ان الجلالة بالحسن والراحة وبالاضافة اليه صلى الله عليه وسلم في اعلا الغايات للمتقين اي الذين هم دائما واقفون عن ادنى تصرف الا بدليل لايثاركم فهاعنهم ولهذا لما ذكر عمر رضي الله عنه كسرى وقيصر وما كانا فيه من النعم قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة ولا يبعد ان يكون ما صار اليه الفسقة من الجبابرة من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادي الفتنة بان يكون الناس امة واحدة بالكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله او في زمن الدجال لان من يبقى اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث انهم لا عدادهم في جانب الكفرة لان كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وان خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك

ولما كان التقدير ولكنا لم نجعل ذلك علما منا بان الناس كانوا يكونون امة واحدة وان كنا نفيض من جعلناه على الخير على الايمان لكن بنقصه ما اوتي في الدنيا من حظه في الاخرة لان من وسع عليه في دنياه اشتغل في الاغلب عن ذكر الله فتفوت منه الملائكة وتلزمه الشياطين فساقه ذلك الى كل سوء ومن يتق الله فيديم ذكره نؤيده بملك فهو له معين عطف عليه قوله معبرا عن غفلة البصر بالعشا الذي هو ضعف البصر فصوره المنسي ذكر الله باقبح صورة تنفيرا عن ذلك ومن يعش اي يفعل فعل العاشي وهو من يبصر بالليل والنهار او عمي على قراة شاذة وردت عن يعقوب بفتح الشين وركب الامور عن غير بيان يتجاوز عن ذكر الرحمن الذي عمت رحمته فلا رحمة على احد الا وهي منه كما فعل هؤلاء حين سعيا بهم وآباهم حبا بطريهم ذلك وهو شي يسير جدا واعرضوا عن الاتباع للدلايل فلم ينظروا فيها الا نظرا ضعيفا كنظر من عشي بصره نقيض اي نقدر ونسلط ونقدر رعقابا له على اعراضه عن ذكر الله شيطانا اي شخصا مارقا بعيدا من الرحمة يكون غالبا عليه محيطا به مضيقا عليه مثل قيض البيضة وهو القشر الداخل فهو له قرين مشدود به كانه القيد الاسير ملازم فلا يمكنه التخلص منه ما دام متعاميا عن ذكر الله فهو يزين له العمى ويخيل اليه انه على عين الهدى كما ان من يستبصر بذكر الرحمن يسخر له ملك فهو له ولي يبشره بكل خير فذكر الله حصن حصين من الشيطان متى خرج العبد منه اسره العدو كما ورد في الحديث قال في القاموس العشا مقصور سوء البصر بالليل والنهار او العمى عشي كرضي ودعا والعشو بالضم والكسر ركوب الامر على غير بيان قال ابن جرير واصل العشو النظر بغير ثبت لعلة في العين وقال الرازي في اللوامع واصل اللغة ان العين اليسير والحرف المعتل يدل على ظلام وقلة وضوح في الشي

ولما كانت من عامة وكان القرين للجنس وافرده لانه انص على كل فرد وكان التقدير فانهم ليحملونهم على انواع الدنايا ويفتحون لهم ابواب الرذايل والبلايا ويحسنون لهم ارتكاب القبايح والرزايا عطف عليه قوله موكدا لما في انفس الاغلب كما اشار اليه اخر الاية ان الموسع عليه هو المهتدي جامعا دلالة على كثرة الضال به وانهم اي القرنا ليصدونهم اي العاشين عن السبيل اي الطريق الذي من حاد عنه هلك لانه لا طريق في الحقيقة سواه

ولما كانت الحيدة عن السبيل الى غير سبيل بل الى معاطب لا يهتدى فيها دليل عجبا اتبعه عجبا اخر فقال ويحسبون اي العاشون مع سيرهم في المهالك لتزيين القرنا باحضار الحظوظ والشهوات وابعاد المواعظ انهم مهتدون اي عريقون في هذا الوصف لما يشاهدون به من التوسعة عليهم والتضييق على الذاكرين

ولما كان من ضل عن الطريق وان ظن انه على صواب لا يكاد يتمادى بل يتجلى له الحال عن قرب ضم الى التعجب الماضين عجبا ثالثا بانا له على ما تقديره وعلى هذا العاشي اسعادا له وابتلاء لغيره ويمد له الطول لجاته حتى وحقق الخبر بقوله اذا

ولما علم من اجمع فيما قيل ان المراد الجنس وكان التوحيد ادل على التناول لكل فرد فكان التعبير به اهول وكان السياق دالا على ان الضمير له قال جانا اي العاشي ومن قرا بالتثنية

اراد العاشي والقرين قال اى العاشي تندما وتحسرا الا انتفاع لديه لفوات محله وبوار العمل يا ليت بيني وبينك ايها القرين
بعد المشرقين اى ما بين المشرق والمغرب على التغليب قاله ابن جرير وغيره او مشرق الشتاء والصيف اى بعد احدهما عن الآخر ثم سبب
عن هذا التمني قوله جامعا له انواع المذام فبئس القرين اى انى علمت انك الذي اضلني واوصلني الى هذا العيش الضنك والمحل الوخم
الدحض واحسست في هذا الوقت بذلك الذي كنت تؤذيني به انه اذى بالغ فكنت كالذي يحك جسمه لما به من قروح مما كله حتى يخرج
منه الدم فهو في وله يجد لذة بما هو نفسه مولم غاية الالم كان التقدير رحما بما هدى اليه السياق فيقال لهم فلن ينفعكم
ذلك اليوم يوم جيئتنا اذ تمنيتم هذا التمني جزعا منكم تلك الاهوال اشتراككم اليوم في يوم الدنيا في الظلم وتمالؤكم عليه وما امر
بعضكم لبعض فيه عطف عليه قوله ولن ينفعكم اليوم اى في الدنيا شيئا من نفع اصلا اذ اى حين ظلمتم حال كونكم مشتركين في الظلم متعاونين
عليه متناصرين فيه وكل واحد منكم يقول لصاحبه سرورا به تقربا اليه وتوددا يا ليت انا لا نفترق ابدا فنعم القرين انت
انكم في العذاب اى العظيم وقدمه اهتماما بالزجر به والتخويف منه مشتركون اى اشتراككم فيه دائما حين ظلمكم عذابا باطنا
بامور اخفاها الطبع على القلوب الموجب للارتباك في اشراك المعاصي الموصلة الى العذاب الظاهر يوم التمني ويوم القيمة
عذابا ظاهرا محسوسا وذلك كمن يجرح جراحة بالغة وهو مغمى عليه فهو محس بها قطعا ولكنه لا يحس الا اذا افاق فهو كما تقول
لاناس يريدون ان يتمالؤا على قتل نفس محرمة لن ينفعكم اليوم اذ تتعاونون على قتله اشتراككم غدا في الهلاك بالسجن الضيق والضرب
المتلف وضرب الاعناق مرادك بذلك زجرهم عن ظلمهم بتذكيرهم بانهم يصلون الى هذا الحال وزوال ما هم فيه من المناصرة ولا ينفعهم
شيء منها والله الموفق فالآية من الاحتباك وبه زال عنها ما كان من اعراب المعربين لها موجبا للارتباك فيا ليت الى آخره دال على تقدير
مثله اولا ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الارادة لايمانهم يكاد يقتل نفسه اسفا على ادبارهم وكان هذا الزجر الذي
لا يسمعه من له ادنى عقل الا خلع قلبه فرجع عن غيه وراجع رشده قد تلي عليهم فلم ينتفعوا به فكان كانه قيل ان هؤلاء لصم عمي
محيط بهم الضلال من كل جانب فلا وصول لاحد الى اسماعهم ولا تبصيرهم ولا هدايتهم قال بانيا عليه مسببا عنه تخفيفا
على النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقاسي من الكرب في المبالغة في ابلاغهم حرصا على ايمانهم والغم من اعراضهم بهمزة الانكار الدالة على
نفي ما سبقت له افانت اى وحدك من غير ارادة الله تعالى تسمع الصم وقد اصممناهم بما صببنا في مسامع افهامهم من رصاص
الشقا او تهدي العمي الذين اعميناهم بما غشينا به ابصار بصائرهم من اغشية البلادة والحسارة فصار ما اخذوه لانفسهم
من العشى عمى مقرونا بصممهم ومن كان اى جبلة وطبعا في ضلال مبين اى بين في نفسه انه ضلال وانه محيط بالضال
مظهر لكل احد ذلك فهو بحيث لا يخفى على احد فالمعنى ليس شيء من ذلك اليك بل هو الى الله القادر على كل شيء واما انت
فليس عليك الا البلاغ ولما كان هذا كالموئس منهم وكان الياس من صلاح الخصم موجبا لتمني الراحة منه بموت احدهما
سبب عن التقدير بين قوله مبينا ان الاملاء لهم ليس لعجز عنهم ولا لاخلاف في الوعد مؤكدا بالنون وما ثم انا والاجمية لمن يظن خلاف
ذلك ولانه صلى الله عليه وسلم مشرف عنده سبحانه معظم لديه نزها به مما يستبعد ومن جعله انه يتكرر آية ما توعدهم
به من المظنون اكرامه لاجله فاما نذهبن بك اى من بين اظهرهم بموت او غيره فانا منهم اى الذين تقدم التعريض بانهم صم
عمي ضلال لانهم لم تنفعهم مشاعرهم منتقمون اى بعد فراقك لان وجودك بين اظهرهم هو سبب تاخير العذاب عنهم او نرينك وانت
بينهم الذي وعدناهم اى من العذاب وعبر فيه بالوعد ليدل على الخير بلفظه وعلى الشر باسلوبه فيعم فانا بما تعلم من عظمتنا
التي انما علم الخلق لها عليهم مقتدرون على كلا التقديرين واكد بان لان افعالهم افعال من ينكر قدرته وكذا بالاتيان بنون
العظمة وصيغة الافتعال واحد هذين التقديرين سبق العلم الازلي بانه لا يكون فالآية من ادلة القدرة على المحال لغيره وهي كثيرة
جدا وقد اكرم الله نبينا صلى الله عليه وسلم عن ان يريه شيئا يكرهه في امته حتى قبض ولما اوقف سبحانه السامع
بها بين الشرطين بين الخوف والرجا ليبان الاستبداد بعلم الغيب تغليبا للخوف وابهم السياق وان كان شرطا ان الانتقام منهم امر
لا بد منه وانه لا قدرة لاحد على ضرهم ولا نفعهم الا الله سبب عنه قوله فاستمسك اى اطلب واوجد بجد عظيم على كل حال
الامساك بالذي اوحي اليك من حين نبوتك والى الآن في الانتقام منهم وفي غيره ولما كان المقام لكثرة المخالف
محتاجا الى تاكيد يطيب خواطر الاتباع ويحملهم على ذلك بقوله انك على صراط اى طريق واسع واضح جدا مستقيم موصل
الى المقصود لا يصح اصلا ان يلحقه شيء من عوج فاذا فعلت ذلك لم يضرك شيء من نقمتهم ولما اثبت حسنه في نفسه
المقتضي للزومه عطف عليه نفعه لهم واكد لانكارهم فقال وانه اى الذي اوحي اليك في الدين والدنيا لذكر اى شرف عظيم جدا
وموعظة وبيان عبر عن الشرف بالذكر للتنبيه على ان سببه الاقبال على الذكر وعلى ما بينه وشرعه والاستمساك به والاعتنا
بشانه لك ولقومك قريش خصوصا والعرب عموما وسائر من اتبعك ولو كان من غيرهم من جهة نزوله على احد منهم وبلسانهم فكان
سائر الناس تبعا لهم ومن جهة ايراثه الطريقة الحسنى والعلوم الزاكية الواسعة وتاثيره الظهور على جميع الطوائف والامم
لقريش بالخصوص كما قال صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي في الناس اثنان ما اقاموا الدين فمن اقام هذا الدين

كان

كان شريفا مذكورا في ملكوت السموات والارض قال ابن الجوزي وقد روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر من بعدك لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش وهذا يدل على
ان النبي صلى الله عليه وسلم فهم من هذا انه يلي على المسلمين بحكم النبوة وشرف القرآن وان قومه يخلفونه من بعده في الولاية بشرف
القرآن الذي انزل على رجل منهم انتهى ولما كان التقدير فسوف تشرفون على سائر الملوك وتعلون عطف عليه قوله وسوف
تسألون اى تصيرون في سائر انواع العلم بحيث يحط رحال السائرين دينا ودنيا بحيث يسألكم جميع اهل الارض من اهل الكتاب ومن غيرهم
عما يهمهم من امر دينهم ودنياهم لما يعتقدون من انه لا يوازيكم احد في العلم بعد ان كنتم عندهم احقر الامم ضعفا وجهلا كما وقع
لبني اسرائيل حيث رفعهم الله وكان ذلك بعد الاشياع عند فرعون وآله وكذلك كانوا يتضاحكون استهزاء بتلك الآيات كما
يجنبون الا انها الى ما لا يليق بمنصبه العالي من المحالات وتسألون عن جعله واداء شكره وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له
وهذا بوعد صادق لا خلف فيه اصلا ولما ابطل سبحانه الهية غيره التي ادى اليها الجهل واستمر الى ان ختم بالعلم
الموجب لمعرفة الحق فكان التقدير ابطالا لشبهتهم الوهمية القائلة لو شاء الرحمن ما عبدناهم فاستحضر جميع ما اوحي اليك
وتامله غاية التامل هل ترى فيه حقا في الالهية لشيء دون الله عطف عليه قوله نفيا لدليل سمعي كما اشير اليه بقوله ام آتيناهم
كتابا واسأل من ارسلنا اى على ما لنا من العظمة ولما كان المذكر تعرفه من آثار الرسل انما هو ما لموسى وعيسى ومن
بينهما من انبياء بني اسرائيل عليهم السلام الحافظ لسننهم من التوراة والانجيل والزبور وسفر الانبيا كان مبينا للجار المفهم
لبعض الزمان من قبلك ولما كان اتباعهم قد بدلوا وغيروا فلم تكن بهم ثقة عبر بالرسل فقال من رسلنا اى بقراءة
اتباعهم لكتبهم التي حرفوا بعضها وجعلت كتابك مهيمنا عليها فانهم اذا قرؤا ما بين يديك وعرضوها عليك علمت مضامينها
وفضحت تحريفهم وبينت اتفاق الكتب كلها برد ما التبس عليهم من متشابهها الى محكمها فالمراد من هذا نحو المراد من آية يونس
فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ومن آية الانبيا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي مع زيادة الاشارة الى تحريفهم فالمسؤل في الحقيقة
القرآن المعجز على لسان الرسول الذي شهدت له جميع الرسل الذين اخذ عليهم العهد بالايمان به والمتابعة له وبهذا التقرير
ظهر ضعف قول من زعم ان المراد سؤال الرسل حقيقة لما جمعوا له صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس ليلة الاسرا فانه ليس
المراد من هذا الا تبكيت الكفار من العرب وممن غيرهم من اهل الكتاب بقولهم دينكم خير من دينه وانتم اهدى سبيلا منه فانهم
اذا احضروا كتبهم علمت دلالاتها القطعية على اختصاصه سبحانه بالعبادة كما بينته في كتابي هذا برد المتشابه منها
الى المحكم وجعلها ابن جرير مثل قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وكان معلوما ان معنى ذلك ردوه
الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال فاستغنى بذكر الرسل عن ذكر الكتب وهو عين ما قلته ولو كان المراد حقيقة
السؤال وسؤال جميع الرسل لقال قبلك باسقاط من ليستغرق الكل والله اعلم ولما ذكر المسؤل مجملا له بما اقتضته
العبارة من الارسال والاضافة اليه ذكر المسؤل عنه بقوله اجعلنا اى اجعلنا وامرنا ورضينا على ما لنا من العظمة مما بينا في
ذلك وقدر حقارة ما سواه بقوله من دون وزاد بقوله الرحمن اى الذي رحمته جميع الموجودات آلهة ولما كان
قد جعل لكل قوم وجهة يوجهون في عبادتهم اليها وشيئا محسوسا لغلبة الاوهام على الافهام يشهدونه وكان ربما تعنت به
متعنت قال تحترزا عنه يعبدون اى من عابد ما بوجه ما ولما كان المترفون مولعين بان يردوا ما جاءهم بالردع عن
اعراضهم العاجلة بنوع من الازدراء كما قال كفار قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولا يزالون يرددون
هذا وامثاله من الضلال حتى يقهرهم ذو الجلال بما اتتهم به رسله اما باهلاكهم او غيره وان كانوا في غاية القوة اورد
سبحانه قصة موسى عليه السلام شاهدة على ذلك بما قال فرعون لموسى عليه السلام من نحو ذلك ومن اهلاكه على قوته وانجاء بني
اسرائيل على ضعفهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وترجية ولما كان التقدير فلقد ارسلنا جميع رسلنا وهم
اشرف الخلق بالتوحيد الذي جئت به وما كنا في ارسالنا اياهم مراعين لما يريد الامم من جاه او مال او غير ذلك فلا وجه للانكار
عليك فيما ارسلناك به من التوحيد وغيره ولا للعناد لذلك فيه عطف عليه اول من ارشد الى سؤال اتباعهم فقال مؤكدا لاجل ما
يعاندون به من انكار الرسالة واتى بحرف التوقع لما اقتضاه من الامر بسؤال الرسل ولقد ارسلنا اى بما ظهر من عظمتنا ه
ولما كان الارسال منه سبحانه ليس على حسب العظمة في الدنيا بما يراه اهلها كما قال هؤلاء لولا نزل هذا القرآن
الآية قال مناقضا لهم موسى اى الذي كان فرعون يرى انه احق الناس بتعظيمه لانه رباه وكفله باياتنا التي تبهر بها عظماء
الخلق وجبابرتهم فدل ذلك على صحة دعواه وعلى جميع الآيات لتساويهما في القدرة وخرق العادة ولما كان
السياق لسؤال النبي صلى الله عليه وسلم الرسل عن امر التوحيد كانت الآيات كافية فلم يذكر السلطان لانه للقهر والغلبة
الى فرعون الذي ادعى انه الرب الاعلى وملايه الذين جعلهم آلهة دونه وعبدهم قومهم فلم نقرهم على ذلك لانا ما رضيناه
فقال بسبب ارسالنا اياه اني رسول واكد لاجل انكارهم ما انكره قومك من الرسالة ولما كان الاحسان سببا

للاذعان قال رب العالمين اى مالكهم ومدبرهم ومربيهم كانوا انه فعلوا من الرد لرسالته صلى الله عليه وسلم
والاستهزا اما فعلته قريش قال مسليا للنبي صلى الله عليه وسلم ومهددا لهم تسبيبا عما تقدير نقالوا له ايت باية فاتى بها فلما
جاءهم باياتنا بالاتيان باية اليد والعصا اللتين شهد وا بهما عظمتنا ودلتاهم على قدرتنا على جميع الايات اذا هم اى جميعهم
منها يضحكون اى فاجؤوا الضحك منها من غير توقف ولا تامل بالضحك سخرية واستهزاء ولما كان ربما ظن ظان ان في
الايات ما يقبل شيا من ذلك بين حالها سبحانه بقوله وما اى والحال انا ما نريهم على ما لنا من الجلال والعلو والكمال واعرق في
النفي باثبات الجار واداة الحصر لاجل مزيد بيوتهم انهم معذورون في ضحكهم فقال من اية الا هي اكبر اى في الرتبة من اختها
اى التي تقدمت عليها بالنسبة الى علم الناظر لها لان الادمي لما له من النسيان اذا اتاه الثاني من المتساويين راى جميع من اتاه
ناسيا ولابد بعض من اتاه الاول فيقطع بانه اكبر منه او ان هذا كناية عن انها كلها في نهاية العظمة كما قال شاعرهم
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم او ان بينهما في الكبر عموما وخصوصا من وجه واحسن من ذلك ما اشار اليه ابن جرير من ان
كل اية اوضح في الحجة عليهم واوكد مما قبلها لانها دلت على ما دلت عليه وزادت ما افادته المعاضدة من الضخامة فصارت هي
مع ما قبلها اكبر مما قبلها عند ورودها واقامة الحجة بها ولما كان التقدير فاستمروا على كفرهم ولم يرجعوا الشيء
من الايات لانا اصممناهم واعميناهم واخطناهم الضلال عطف عليه قوله واخذناهم اى اخذ قهر وغلبة بالعذاب اب
كله لانا واثرنا عليهم ضربانه على وجه معلم بانا قادرون على ما نريد منه فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والبرد الكبار الذي لم يعهد مثله مسلطا بالنكد وموتا للابكار فكانت ايات على صدق موسى عليه السلام
بما لها من الاعجاز وعذابا لهم في الدنيا موصولا بعذاب الاخرة نبا لها من قدرة باهرة وحكمة ظاهرة لعلهم يرجعون اى ليكون حالهم
عند ناظرهم الجاهل بالعواقب حال من ترجى رجوعه ولما كان فرعون في كثير من الضربات التي كان يضربه بها سبحانه كما مضى في
الاعراف عن التوراة يقول لموسى عليه السلام قد اخطات والرب بار وانا وشعبي فجار فصل بين يدي الرب فانه ذو امهال
واناة فيصرف عني كذا فاذا صرف الله ذلك عنهم عادا الى ما كان فيه من الفجور كان يقله ذلك فعل من لا يعتقد ان موسى عليه السلام
نبي حقيقة بل يعتقد انه ساحر وان افعاله انما هي خيال فلذلك عبر عن هذا المعنى بقوله عطفا على ما تقديره فلم يرجعوا وقالوا
اى فرعون بالمباشرة واتباعه بالموافقة له يا ايها الساحر فنادوه باداة البعد مع الاتهام بقالوا دوننا دونا والله حاضر
اشارة الى البعد من قلوبهم والتعبير بهذا توبيخ لقريش بالاشارة الى انهم وغيرهم ممن مضى يرمون الرسول بالسحر ويتبرون برسالته
عند الحاجة الى دعائه في كشف ما عذبهم ربهم به وذلك قادح فيما يدعون من الثبات والشجاعة والعقل والانصاف والشهامة
وذلك كما وقع لقريش لما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعني عليهم بسنين كسني يوسف فقحطوا فلما اشتد عليهم البلاء اتى
ابو سفيان بن حرب الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة فقال يا محمد انك قد جئت بصلة الارحام وان قومك قد هلكوا
فادعوا الله لهم فدعا لهم فاغيثوا فلا شك ان ترجمة حالهم هذا الذي ذكره الله من التناقض الذي لا يرضاه لنفسه عاقل وهو
وصفه بالسحر وطلبت الدعاء منه فان طلب الدعاء به منه يمنع اعتقاد انه ساحر واعتقاد انه ساحر يمنع طلب الدعاء منه عند
العاقل ادع لنا ربك اى المحسن اليك بما يفعل معك من هذه الافعال التي بهرتنا بها اكراما لك بما اى بسبب ما عهد عندك
من انه يفعل من وصعنا ورفعنا ما تريد على ما اخبرتنا انه ان امنا اكرمنا وان تمادينا اهاننا ثم عللوا ذلك بقولهم مؤكدا نفي ما
لحالهم البعيد من الاهتدا بما يخبر به شاهد الوجود اننا لمهتدون اى اهتداء ثابتا يصير لنا وصفا لازما ان كشفه لكونه
ولما كان العاقل لا يخبر عن نفسه الا بما هو صحيح فكيف اذا كان عظيما فيه فكيف اذا اكد ذلك بانواع من التاكيد
فكان السامع لهذا الكلام يقطع بصدقه بين تعالى ما يفضح انه لم حال من يعتقد انه ساحر بانهم اسرعوا الخيانة بالكذب فيه من غير
استحياء ولا خوف فقال معبرا بالفاء الدالة على ذلك فلما كشفنا على ما لنا من العظمة التي ترهب الجبال عنهم العذاب
الذي انزلناه بهم اذا هم ينكثون اى فاجؤوا الكشف بتجديد النكث بالخلاف بعد اخلاف ونادى فرعون اى زيادة على نكثه
في قومه اى الذين لهم غاية القيام معه وامر كلا منهم ان يشيع قوله اشاعة تعم البعيد كما تشمل القريب فتكون كانها منادا به
اعلاما بانه مستمر على الكفر لئلا يظن بعضهم انه رجع فيرجعوا ولما كان كانه قيل ثم نادى اجاب بقوله قال اى خوفا
من ايمان القبط لما راى من ان ما شاهدوا من باهر الايات مثله يزلزل ويأخذ بالقلوب يا قوم مستعطفا لهم باعلامهم انهم لحمة
واحدة ومستنهضا بوصفهم بانهم ذوو افقة على ما يحاولونه مقررا لهم على عذره في نكثه بقوله اليس لي اى وحدي ملك مصر
اى كله فلا اعتراض علي في بني اسرائيل ولا في غيرهم ليتبع له ذلك على زعمه ان غلبته على بني اسرائيل وقاهريته على اخراجهم من تحت
يده تبنى على ملكه الملك فتكون فسادا فلا باس عليه اذا خدع من فعله ذلك بما عاهد عليه عند مس الضر ولم يقرا بالصرف
ليكون نصا على مراده من العلمية ولان المصر يطلق على المدينة الواحدة والتنوين ياتي للتحقير ويوضح مراده كان
تحصل له مما راى من الايات وورد عليه من تلك الضربات بانواع المهلكات ما ادهشه بحيث صار في عداد من يشك اتبعه

في ملكه دل عليه بما بناه من الحال في قوله وهذه اي والحال ان هذه الانهار وكانه كان نهرا اكبر من يشقق الخلجان الى بساتينه
وقصوره ونحو ذلك من اموره فقال تجري من تحتي اى من اى موضع اردته بما لا يقدر عليه غيري وزاد في التقرير بقوله افلا
تبصرون اى هذا الذي ذكرته لكم فتعلموا ببصائر قلوبكم انه لا ينبغي لاحد ان ينازعني وهذا العمري قول من ضعفت قواه وكلت
عراه ولما ارشد السياق الى ان التقدير افهذا الذي جاء يسلبنا عبيدنا بني اسرائيل خير مني عندكم نسق عليه قوله
ام انا خير مع ما وصفت لكم من ضخامتي وما لي من القدرة على اجراء المياه التي لها حياة كل شيء ونقل ابن الجوزي وغيره من المفسرين
عن سيبويه واستاذه الخليل انها معادلة لتقريرهم بالابصار فكانه قال افلا تبصرون ام انتم بصراء فيكون ذلك احتجاجا
تقديره افلا تبصرون ما ذكرتكم به فتقرون لعدم ابصاركم انه خير مني ام انا خير منه لانكم تبصرون ما نبهتكم عليه فذكر
الابصار اولا دليلا على حذف مثله ثانيا والخيرية ثانيا دليلا على حذف مثلها اولا وحقر من عظمة الاتي له بتلك الايات
صلى الله عليه وسلم لئلا يسرع الناس الى اتباعه لان اياته لكونها من عند الله كالشمس بهجة وعلوا وشهرة فقال
من هذا فكنى باشارة القريب عن تحقيره ثم وصفه بما يبين مراده فقال الذي هو مهين اى ضعيف حقير قليل ذليل
لانه يتعاطى اموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجري بها نهرا ولا ينفذ بها امرا ولا يكاد يبين اى لا يقرب من ان يعقد
لمن معنى يعبر عن معنى كمن المعاني لما في لسانه من الحبسة فلا هو قادر في نفسه ولا له قوة بلسانه على تصريف المعاني هو
وتنويع البيان ليستجلب القلوب ويدهش الالباب فيكثر اتباعه ويفخم امره وقد كذب في جميع قوله فقد كان موسى عليه
السلام ابلغ اهل زمانه قولا وفعلا بتقدير الله الذي ارسله له وامره اياه ولكن الخبيث اسند هذا الى ما بقي في لسانه
من الحبسة تخييلا لاتباعه لان موسى عليه السلام ما دعى بازالة جميع حبسته بل العقدة منها ولما كان
عند فرعون وعند من كان مثله مطموس البصيرة فاقد الفهم وقوفا مع الوهم ان القرب من الملوك والغلبة على الامور
لا تكون الا بكثرة الاعراض الدنيوية والتحلي بحلا الملوك سبب عن ادعايه لرسالته عن ملك الملوك اللازمة للقرب
منه قوله فلولا اى فهلا القي اى من اى ملقي كانت الكرامات والحبى والخلع تلقى على المكرم بها القاء عبر به فقال
عليه من عند مرسله الذي يدعي انه الملك بالحقيقة اساورة جمع اسورة جمع سوار قاله الزجاج وصرف
لصيرورته على وزن المفرد نحو علانية وكراهية والسوار ما يوضع في المعصم من الحلية من ذهب ليكون دليلا على
صحة دعواه كما نفعل نحن عند انعامنا على احد من عبيدنا بالارسال الى ناحية من النواحي لمهم من المهمات او جاء معه
اى صحبته عند ما اتى الينا بهذا النبأ الجسيم والملم العظيم الملائكة اى هذا النوع واشار الى كثرتهم بما بين من الحال
بقوله مقترنين اى يقارن بعضهم بعضا بحيث يملؤون الفضا ويكونون في غاية القرب منه بحيث يكون مقارنا لهم ليجا
الى هذا الامر الذي جا يطلبه كما نفعل نحن اذا ارسلنا رسولا الى امر يحتاج الى دفاع وخصام ونزاع فكان حاصل امره
كما ترى انه تعزز باجراء المياه فاهلكه الله بها ايماء الى ان من تعزز بشيء دون الله اهلكه الله به واستصغر موسى
عليه السلام وعابه بالفقر والعي فسلطه عليه اشارة الى انه ما استصغر احد شيئا الا غلبه افاده القشيري ولما
كان كلامه هذا وصفا له عند من لا تامل له رافعا وكان قد مشى على اتباعه لانهم مع المظنة دون المئنة فهم اذل شيء لمن
ثبتت له رياسة دنيوية وان صار ترابا واعصى شيء على من لم تسعد له الناس وان فعل الافاعيل العظام تشوف السامع
الى ما يتاثر عنه فقال فاستخف اى بسبب هذه الخدع التي سحرهم بها في هذا الكلام الذي هو في الحقيقة محقر له موهن لامره
ناقص لملكه عند من له لب قومه الذين لهم قوة عظيمة فحملهم بغروره على ما كانوا مستبشرين له من خفة الحلم فاطاعوه
باذنه واملكه وادعوا الضخامته واعترفوا بربوبيته وردوا امر موسى عليه السلام ولما كان كلامه
كما مضى اعظم موهن لامره وهو منقوص على تقدير متانته بان موسى عليه السلام اتى بما يغني عما قاله من الاساورة وظهور الملائكة
بانه هددهم به بفعله ومهما طلبوه منه اجابهم اليه فلم يبق للقبط داع الى طاعة فرعون بعد ما راوا من الايات الا المشا
في خيانة الارواح علل ذلك سبحانه بقوله مؤكدا لمن يناسب احوالهم بين ينفي افعالهم وهم الاكثر انهم كانوا اى بما في
جبلاتهم من الشر قوما اى عندهم قوة شكايم توجب لهم الشماخة الا عند من يقهرهم بالعوز من اسباب الدنيا فاسقين
اى عريقين في الخروج من طاعة الله الى معصيته فقد صار لهم ذلك خلقا ثابتا وكان مما حاوله الكليم عليه السلام لهم
كانت قريبة فلذلك عبر بالفاء في قوله فلما آسفونا اى فعلوا معنا ما يغضب اعضابا شديدا باعضاب اوليائنا كما في
الحديث القدسي مرضت فلم تعدني لتكبهم مرة بعد مرة وكره في اثر كرة انتقمنا منهم اى اوقعنا بهم على وجه المكافاة لما
فعلوا برسولنا عليه السلام عقوبة عظيمة منكية مكروهة كانها بعلاج فاغرقناهم اجمعين اهلاك نفس واحدة
لم يفلت منهم احد على كثرتهم وقوتهم وشدتهم وهذا لا يكون في العادة الا بعد علاج كثير واعتناء كبير
كان اهلاكهم بسبب اعضابهم لله تعالى بالكبر على رسله كانوا سببا لان يسقط بحالهم من يانى بعدهم فلذلك قال تعالى

كا

كلة

فجعلناهم اى باخذنا لهم على هذه الصورة من الاغراق وغيره مما تقدم به سلفا اى متقدما لكل من يهلك بعدهم اهلاك غضب
فى الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الاخرى او قدوة لمن يريد العلو فى الارض فتكون عاقبته فى الهلاك فى الدارين او احدهما
عاقبتهم كما قال تعالى وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ومثلا اى حديثا عجيب الشان سايرا مسير المثل للاخرين اى الذين
خلفوا بعدهم من منهم الى اخر الدهر فتكون حالهم عظة للناس واضلالا للاخرين فمن قضى ان يكون على مثل حالهم عمل مثل اعمالهم
ومن اراد النجاة مما نالهم تجنب افعالهم فمن اريد به الخير وفق لمثل خبر يرده عن غيه ومن اريد به الشر اقتدى بهم فى الشر وجعل
له منهم مثلا يجترى به على شره ويقوى على خبثه ومكره فيحمل الشر برما او يوما من الدنيا من النعمة والخير والرفاهية والنصرة
مثالا له فى التوصل اليه بما كانوا عليه من الظلم ويحمل الخير اهلاكهم مثلا له فيبعد عن افعالهم لينجوا من مثل نكالهم يقول
احدهم انحذا لفلانيون اخذ ال فرعون اى لم تغلب منهم انسان ونحو ذلك من امثالهم فى جميع احوالهم ونقول نحن انا
نهلك من ظلم وتمادى فى ظلمه بعد تحذيرنا له وغشهم وان عظموا له واتباعه وظن عزه وامتناعه كذا بال فرعون
ويقول من اريد به الشر ليس على ظهرها احد يبقى ان تخاف العواقب فاحجم عن شهواته او انهمك فى رياض هويته وبامكه
وارادته وشهى طبيعته وكذاذاته كما وقع لفرعون فانه لم يرجع لشىء عن رياسته وبلوغ النهاية من صلفه ونفاسته الى
ان ذهب به كما ذهب بغيره سواسا بسيره او غير سيره ولقد ضل به قوم واضلوا وجلوا لمن دانا هم عرى الدين فرلتوا
وما كفاهم ذلك حتى ادعوا انه من اعز المقربين لان الذى كان اخر كلامه الايمان فجب ما كان قبله ولم يتدنس بعده فمات
طاهرا مطهرا ليس فيه شىء من الدنس مع ان ذلك ما كان الا عند الباس حيث لا ينفع فيه وعزوا الضعفا بان قالوا انه
لا صريح فى القرآن بعذابه بعد الموت تعمية عن الدليل القطعى المنتظم من قوله تعالى وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن
المسرفين وان المسرفين هم اصحاب النار المنتج من غير شك ان فرعون من اصحاب النار وقوله تعالى فاخذناه وجنوده
فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم فى
هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الى قوله
ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب الى غير ذلك من محكم الايات وصريح الدلالات البينات وكذا غير فرعون وقومه من
الصالحين والطالحين جعلهم سبحانه سلفا ومثلا للاخرين فمن اراد خيرا يسر له مثل خير احتذى به ومن اراد به شرا
اضله بمثل سوء اقتدى به فقد جعل الله عيسى عليه السلام مثلا التمام قدرته على اختراع الاشيا باسباب وبغير اسباب
وكان اعبد اهل زمانه واعلمهم وازهدهم واقربهم الى الخير وابعدهم عن الشر فاقتدى به من اراد الله به الخير فى مثل
ذلك فاهتدى وضل به اخرون وضربوا به لانفسهم امثال الاله وصاروا يفرحون بما لا يرضاه عاقل ولا يراه وضربه
قومك مثل لالهتهم لما اخبرنا انهم معهم حصب جهنم وسروا بذلك وطربوا وظنوا انهم فازوا وغلبوا ولما ضرب ابن
اى ضربه ضارب منهم مثلا لالهتهم اذا قومك اى الذين اعطيناهم قدرة على القيام فيما يحاولونه منه اى ذلك المثل يصدون
اى يضجون ويعلون اصواتهم سرورا بانهم ظفروا على زعمهم بشىء فبعرضون به عن اجابة دعائك فيقال صد عنه صدودا
اعرض وصد يصد ويصد ضج قاله فى القاموس فلذلك قال فى القاموس قال ابن الجوزى معنا هما جميعا اى قراة ضم الصاد
وقراة كسرها يضجون ويجوز ان يكون معنى المضمومة يعرضون قال ابن برجان والكسر اعلى القراتين انتهى وذلك ان قريشا
قالوا كما مضى فى الانبيا انا وما نعبد فى جهنم مقتض ان يكون عيسى كذلك وان نستوى نحن والهتنا به فانه مما عبد ونحن
راضون بما وانه لها الى اخر ما قالوا وما رد عليهم سبحانه به من الاية من العام الذى اريد به الخصوص كما هو مقتضى السياق
الى اخر ما قالوا وما رد عليهم سبحانه به من الاية فى ان الاصل ما لما لا يعقل وذلك هو المراد بقوله تعالى حاكيا عنهم
وقالوا االهتنا اى التى نعبدها من الاصنام والملائكة خير ام هو اى عيسى فنحن راضون بان يكون معه
اشتد الشوق الى جوابهم وكان قد تقدم الجواب عنه فى الانبيا فقدم عليه هنا ان مرادهم بذلك انما هو المماحكة والمماحلة
والمراوغة والمغالبة لا الاعتقاد فقال تعالى ما ضربوه ما ضرب الكفار ابن الزبعرى حقيقة وغيره من قومك مجازا
المثل لالهتهم بعيسى عليه السلام لك الا جدلا اى لارادة ان يقتلوك عن دعوتك تغالطه وهم عالمون بان ما الذى قيل به
غير لازم ولم يعتقدوا لزومه قط لان الكلام ما كان الا فى اصنامهم ولان الخصوص فى كلامهم شايع ولانه قد عقب
بما بين الخصوص ويزيل اللبس على تقدير تسليمه فلم يعتقد واوط بما الزموا به انه لازم بل هم قوم اى اصحاب قوة على القيام
فيما يحاولونه خصمون اى شديدو الخصام فادرون على اللدد روى الامام احمد والترمذى وابن ماجة عن ابى امامة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا الاية
ولما تضمن هذا انه عرفهم ان صرح به على وجه الحصر قصر قلب لمن يدعى انه معقود على الالهة فقال ان
اى ما هو اى عيسى عليه السلام الا عبد وليس هو باله انعمنا اى بما لنا من العظمة وجعلناه بما خرقنا به العادة فى

ميلاده وغير ذلك من اياته مثلا اى امرا عجيبا مع وضوحه وجلالته فيه خفا وموضع شبهة بان جعلناه من انثى فقط بلا واسطة ذكر
ليصل بذلك من يقف مع المحسوسات ودللنا على الحق فيه بما منحناه به من الخوارق وزكا الاخلاق وطيب الشيم والاعراق اسعا
لمن اعليناه بنور قلبه وصفا لبه الى احسان النظر فى المعانى لبنى اسرائيل الذين هم اعلم الناس به بعضهم بالمشاهدة وبعضهم بالنقل
القريب فلما جاءهم على تلك الحالة الجلية فى كونه حقا بما كان على يديه وبدى امه من الكرامات امن به من نصره الله منهم بالحق من امره
بما كان فيه من الكرامات وكان كلما راى رجلا منهم على منهاجه فى اعماله وكرامته اهتدى الى الحق من امره وقال هذا امثاله مثل
عيسى عليه السلام فاتبع بالنبى ومن تبعه باحسان فنال من الله الرضوان وقال ايضا هذا الموفق مستبصرا فى امر عيسى عليه السلام
مثله فى ذلك مثل ابيه ادم عليه السلام فى اخراجه من انثى بلا ذكر بل ادم عليه السلام اعجب ومثل ابن خالته يحيى وجده اسحاق
عليهم السلام فى اخراج كل منهما بسبب هو فى غاية الضعف هذه امثاله الحسنة وقال من اراد الله به الضلال منهم عن ذلك
من المحال فلما جعلوا اله امثال السوء ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وقال ابن برجان خصهم اى بنى اسرائيل بالذكر لانهم المفتونون
بالدجال الساعون اليه ثم قال واما المثل فى ذلك متى جاء الدجال بتلك الايات يدعو الى نفسه فيعارض ما ياتى به عيسى عليه
السلام من احيا الموتى وتاييده بروح القدس يعنى فيفصل عن الامر الواضح من اراد الله فتنته انتهى والاحسن ان يكون معنى كونه
مثلا انه جعل امره واضحا جدا حيث انه يمثل به فيكون موضحا للغير ولا يحتاج هو الى مثل يوضحه عند من له بصيرة
كان التقدير فلو شئنا لجعلنا الناس كلهم مثله من انثى بلا ذكر ولو شئنا لسويناكم بهم فى ذلك الذى ضربناه عليهم من الذل
والحقارة عند ساير الامم بان سلطناهم عليكم حتى استباحوكم ولو شئنا لمحوناكم اجمعين عن وجه الارض فتركناها يبابا لا انيس
بها عطف عليه قوله ولو معبرا بصيغة المضارع اشارة الى دوام قدرته على تجديد الابداع فقال نشا لجعلنا اى على ما لنا
من العظمة ما هو اغرب مما صنعناه فى امر عيسى عليه السلام منكم اى جعلا مبتدئا منكم اما بالتوليد كما جعلنا عيسى عليه السلام
من انثى من غير ذكر وجعلنا ادم عليه السلام من تراب من غير انثى ولا ذكر واما بالبدلية ملائكة فى الارض يخلفون اى يكونون
خلفا لكم شيئا بعد شىء بعد اعدامكم لجعلناهم مثلا لكم كما جعلنا عيسى عليه السلام مثلا لبنى اسرايل ويجوز ان يكون المعنى جعلنا
بعضكم ملائكة بان نحول خلقتهم فنجعلهم خلفا لمن حولوا عنهم ويخلف بعضهم بعضا فانهم من جملة عبادنا اجسام تقبل التوليد
كما تقبل الابداع وعلى كلى التقديرين فى ذلك اشارة الى ان الملائكة ذوات ممكنة من جملة عبيده سبحانه يصرفهم فى مراده ان شا
فى السما وان شا فى الارض لا شىء منهم الا وهو بعيد عن رتبة الالهية ارشادا لهم الى الاعتقاد الحق فى امره سبحانه بشمول
قدرته وكمال علمه اللازم منه انه لا اله الا هو ولما ذكر الاعدام والخلافة بسببه فرضا ذكر ان نزاله الى
الارض اخر الزمان امارة على اعدام الناس تحقيقا فقال مؤكدا لاجل انكارهم وانه اى عيسى عليه السلام لعلم للساعة
اى نزوله سبب للعلم بقرب الساعة التى هى اعدام الخلائق كلهم بالموت وكذا ما نقل عنه من انه كان يحيى الموتى وكذا ابراؤه
الاسقام سبب عظيم للقطع بالساعة التى هى القيامة فهو سبب للعلم بالامرين عموم الاعدام وعموم القيام
كان قريش يستنصحون اليهود ويتبالونهم لكونهم اهل الكتاب عن امر النبى صلى الله عليه وسلم وكان النصارى مثلهم فى ذلك
وكان كون عيسى عليه السلام من اعلام الساعة امرا مقطوعا به عند الفريقين اما النصارى فيقولون لانه الذى اتى اليهم
ورفع الى السما كما هو عندنا واما اليهود فيقولون انه الذى اتى اليهم الى الان لم يات وياتى بعد فثبت بهذا امر عيسى
عليه السلام فيما اخبر الله تعالى عنه من انعامه عليه ومن انه من اعلام الساعة بشهادة الفرق الثلاثة اليهود والنصارى
والمسلمين ثباتا عظيما جدا فصارت كانها مشاهدة فلذلك سبب عما سبق قوله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لافتا
القول الى مواجهتهم مؤكدا فى مقابلة انكارهم لها بما ثبت من شهادة الفرق الثلاثة فلا تمترن اى تشكوا ادنى شك وتضطربوا
ادنى اضطراب وتجحدوا ادنى جحد وتجادلوا ادنى جدل بها اى بسببها يقال امترى الشىء وامتراه استخرجه ومراه مائة
سوط ضربه ومراه حقه اى جحده والمرية بالضم والكسر الجدل والشك واتبعون اى اوجدوا اتباعكم لى بغاية جهدكم
هذا اى كل ما امرتكم به من هذا وغيره صراط اى طريق واسع واضح مستقيم اى لا عوج فيه ولما حثهم على
السلوك لصراط الولى الحميد بدلالة الشفوق النصوح الرؤوف الرحيم حذرهم من العدو البعيد المحترق الطريد فقال
دالا على عظيم فتنته بما له من التزيين للمشتهى والاخذ من المامن والتلبيس المشكل والتغطية للمخوف بالتاكيد لما هم تابعون
من ضعف على وجه التغليب ولا يصدنكم اى عن هذا الطريق الواضح المستقيم الموصل الى المقصود بايسر سعى الشيطان ولما كان
كانه قيل ماله يصدنا عن سبيل رشادنا ذكر العلة تحذيرا فى قوله انه لكم اى عامة واكد الخبر لان افعال التابعين له افعال من ينكر
عداوته عدو مبين اى واضح العداوة فى نفسه منادبها وذلك بابلاغه فى عداوة ابيكم حتى انزلكم بازالة عن محل الراحة الى
موضع النصب عداوة ناشئة عن الحسد فهى لا تنفك ابدا ولما قدم سبحانه انه انعم على عيسى عليه السلام وجعله
مثلا لبنى اسرايل ولوح الى اختلافهم فيه وان بعضهم نزل شانه على غير ما هو به وحذر من اقتدى بهم فى نحو ذلك الضلال

وامر باتباع الهادي ونهى عن اتباع المضل صرح بما كان من حالهم حين ابرزه الله لهم على تلك الحالة الغريبة فقال عاطفا على ما تقدم
تقديره بعد قوله تعالى وجعلناه مثلا ولما جاء عيسى اى الى بنى اسرايل بالبينات من الايات المسموعة والمرئية قال مبينا
لهم قد جئتكم بما يدلكم قطعا على انى من عند الله وكلمة منه بالحكمة اى الامر المحكم الذى لا يستطاع نقضه ولا يدفع
الا بالمعاندين لا خلصكم به لكل مما وقعتم فيه من الضلال ولما كان المراد بالحكمة ما نسخ من التوراة وعزم من كل ما اباهم
فكان التقدير لتتبعوه وتتركوا ما كنتم عليه عطف عليه امرا خاصا هو من احكم الحكمة فقال ولابين لكم اى بيانا واضحا جدا
بعض الذى تختلفون فيه ولا تزالون تجددون الخلاف بسببه وهذا البعض الظاهر بما يرشد اليه ختام الاية انه المتشابه
الذى هزوا بسببه بينه بيانا يرده الى المحكم ويحتمل ان يكون بعض المتشابه وهو ما يكون بيانه كافيا فى رد بقية المتشابه
الى المحكم بالقياس عليه فان الشان فى كل كتاب ان يجمع المحكم والمتشابه فالمحكم ما لا لبس فيه والمتشابه ما يكون ملبسا وفيه ما يرده
الى المحكم لكن على طريق الرمز والاشارة التى لا يفهمها الا اهل البصاير ليتبين بذلك الصادق من الكاذب فالصادق الذى رسخ
علما وايمانا يرد المتشابه منه الى المحكم او يعجز فيقول الله اعلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ولا يزال والكاذب
يتبع المتشابه فيجريه على ظاهره فيشبه كاهل الاتحاد الجوامد المفتونين بالشاهد او يؤول بحسب هواه بما لا يمشى على
قواعد العلم ولا يوافق المحكم فيفتتن ولما وضح بهذا ان الذى ارسله الملك الاعلى الذى له الامر كله
لما يشا وكان الحامل على الانتفاع بالرسل عليهم السلام التقوى سبب عنه قوله فاتقوا الله اى خافوه لما له من الجلال بحيث لا
تقدموا على شى الا ببيان منه لان له كل شى منكم ومن غيركم ومن المعلوم لكل ذى عقل انه لا يتصرف فى ملك الغير بوجه من الوجوه
الا باذنه واطيعون فيما انقلكم اليه وابينه لكم مما ابعثكم عليه فانى لا احدثكم شيا الا عنه ولا انطق الا منه وطاعتى
الامرة بما يرضيه هى ثمرة التقوى وكلما زاد المتقى فى اعمال الطاعة زادت تقواه ولما امرهم بطاعته علل
ذلك بما ازال التهمة مبينا ما يطاع فيه فقال مؤكدا لما فى اعمالهم من المحاملة المؤذنة بالتكذيب ان الله اى الذى اختص بالجلال والجمال
فكان اهلا لان يتقى هو اى وحده ربى وربكم نحن فى العبودية له باحسانه الينا وسيادته لنا على حد سوا فلولا انه ارسلنى لما
خصنى عنكم بهذه الايات البينات فاعبدوه بما امركم به لانه صدقنى فى امركم باتباعى بما اظهر على يدى فصار هو الامر لكم
لا انا ولما كان دعاؤه الى الله تعالى بما لا حظ له صلى الله عليه وسلم فيه دليلا قطعيا على صدقه ولا سيما وقد
اقترن بالمعجزات مع كونه فى نفسه فى غاية الحقية لا يستطاع نقضه بوجه اشار الى ذلك كله بقوله على وجه الاستنتاج
مما مضى من غباينه دالا على اقتضائه الطاعة هذا اى الامر العظيم الذى دعوتكم اليه صراط اى طريق واسع جدا واضح
مستقيم لا عوج له قال متى احد مترجميه
وقد خلطت تراجمهم واغلب السياق لمتى فلما خرج يسوع وجا الى نواحى صور وصيدا واذا بامراة كنعانية وقال مرقس يونانية
خرجت من تلك التخوم تصيح وتقول ارحمنى يا رب يا ابن داود ابنتى بها شيطان ردى فلم يجبها بكلمة فجا تلاميذه وسالوه
قايلين اطلق هذه المراة لانها تصيح خلفنا اجاب وقال لهم لم ارسل الا الى الخراف الضالة من بيت اسرايل فاتت وسجدت
له قايلة يا رب اعنى فاجاب ليس هو جيدا ان يوخذ خبز البنين فيعطى للكلاب فقالت نعم يا رب والكلاب تاكل من الفتات
الذى يسقط من موايد اربابها حينيذ اجاب يسوع وقال لها يا امراة عظيمة امانتك يكون لك كما اردت فبريت ابنتها
من تلك الساعة وقال مرقس فقال لها من اجل هذه الكلمة اذهبى قد خرج الشيطان من ابنتك فذهبت الى بيتها فوجدت
الصبية على السرير والشيطان قد خرج منها فجاوا اليه باخرس اصم وطلبوا اليه ان يضع يده عليه فاخرجه وحده من الشعب
وترك اصابعه فى اذنيه وتفل ثم مس لسانه ونظر الى السما وتنهد وقال انفاتا الذى هو انفتح وللوقت انفتح سمعه ثم
وسمع وانحل رباط لسانه وتكلم مستويا ووصاهم ان لا يقولوا لاحد شيا فاما هم فكانوا يكرزون كثيرا ويبهتون جدا
قايلين ما احسن كل شى يصنع الخرس يتكلمون والصم يسمعون وقال مرقس ثم جا الى بيت صيدا فقدموا اليه اعمى وطلبوا اليه
ان يلمسه فاخذ بيد الاعمى واخرجه خارجا من القرية وتفل فى عينيه ووضع يده عليه وساله ماذا ابصر فقال انظر الناس
مثل الشجر يمشون فوضع يده ايضا على عينيه فابصر جيدا ونظر الى كل شى ظاهرا قال متى ثم جا الى ناحية قيسارية فيلبس
فسال تلاميذه ماذا يقول الناس فى ابن الانسان فقالوا قوم يوحنا المعمدانى واخرون ايليا واخرون ارميا او واحد
من الانبيا فقال لهم فانتم ماذا تقولون اجاب سمعان بطرس وقال انت هو المسيح اجاب يسوع وقال له طوباك يا سمعان بن
يونا لانه ليس لحم ودم اظهر لك هذا لكن ابى الذى فى السموات وانا اقول لك انت الصخرة وعلى الصخرة ابنى بيعتى
وابواب الجحيم لا تقوى عليها ولك اعطى مفاتيح ملكوت السموات وما ربطته على الارض يكون مربوطا فى السموات وما حللته على
الارض يكون محلولا فى السموات وبدا يسوع من ذلك الوقت يخبر تلاميذه انه ينبغى ان يمضى الى اورشليم ويقبل الاما كثيرة
من المشايخ ورؤسا الكهنة والكتبة وقال من اراد ان يتبعنى فليكفر بنفسه ومن اراد ان يخلص نفسه فليهلكها ومن

اهلك

اهلك نفسه من اجلى وجدها ما ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه وماذا يعطى الانسان فدا لنفسه وقال
لوقا وكان جمع كثير ينطلقون معه فالتفت وقال لهم من ياتى الى ولا يبغض اباه وامه وامراته وبنيه واخوته نعم حتى نفسه
فلا يقدر ان يكون لى تلميذا من منكم يريد ان يبنى برجا ولا يجلس اولا ويحسب نفقته وهل له ما يكمله لكيلا يستهزى به كل
من ينظره اذا وضع الاساس ولم يقدر على الكمال واى ملك يخرج الى محاربة ملك اخر ولا يجلس اولا ويفكر هل يستطيع ان يلقى
بعشرة الاف الموافى اليه فى عشرين الفا والا فما دام بعيدا منه يرسل رسلا ويسل سلامه وهكذا كل واحد منكم ان لم
يرفض كل شى له لا يقدر ان يكون لى تلميذا وذكر لوقا ايضا انه عليه السلام كان فى وليمة فقال مثلا لانهم كانوا يتخيرون
المتكات فقال لهم متى دعاك احد الى عرس فلا تجلس فى اول الجماعة فلعله قد دعا هناك اكرم منك عليه فياتى الذى
دعاه فيقول لك دع المكان لهذا فتخزى وتقوم فتجلس فى الموضع الاخير لكن اذا دعيت فاذهب واتكى فى اخر موضع لكى اذا
جا الذى دعاك يقول لك يا حبيب ارتفع الى فوق وحينيذ يكون لك مجدا قدام المتكين معك لان كل من يرتفع يتضع
وكل من يتضع يرتفع وقال للذى دعاه واذا اصنعت وليمة فلا تدع احباك ولا اخوتك ولا اقرباك ولا اغنيا جيرانك
لعلهم ان يدعوك ايضا فيكون لك مكافاة لكن اذا اصنعت طعاما ادع المساكين والعور والضعفا والعميان وطوبا
لانه ليس لهم ما يكافونك ويجازانك تكون فى قيامة الصديقين فسمع واحد من المتكين ذلك فقال له طوبى لمن ياكل خبزا
فى ملكوت الله وقال متى وجا تلاميذه يسوع اليه وقالوا له من هو العظيم فى ملكوت السموات فدعا طفلا واقامه بينهم ثم
وقال الحق اقول لكم ان لم ترجعوا وتكونوا مثل الصبيان لا تدخلوا ملكوت السموات ومن اتضع مثل هذا الصبى فهو العظيم
فى ملكوت السموات ومن قبل صبيا مثل هذا باسمى فقد قبلنى وقال مرقس ومن قبلنى فليس يقبلنى فقط بل والذى ارسلنى وقال
لوقا ومن قبلنى فقد قبل الذى ارسلنى والذى هو الصغير فيكم هو الاكبر قال متى ومن شكك احد هولاء الصغار المومنين بى فخير له
ان يعلق حجر الرحا فى رقبته ويغرق فى البحر الويل للعالم من الشكوك لكن الويل للانسان الذى تاتى منه الشكوك
ان شككتك يدك او رجلك فاقطعها والقها عنك خير لك ان تدخل الحياة وانت اعرج او اقطع من ان يكون لك يدان
او رجلان وتلقى فى نار الابد وقال مرقس وتذهب الى جهنم حيث لا يطفا نارها ولا يموت دودها انتهى وان شككتك
عينك فاقلعها والقها عنك خير لك ان تدخل الحياة بعين واحدة من ان يكون لك عينان وتلقى فى جهنم وقال مرقس وكل شى
بالنار يملح وكل ذبيحة تملح بالملح جيد هو الملح فان فسد الملح فبماذا يملح فليكن فيكم الملح وتكون سلام لبعضكم بعضا
وقال لوقا ثم قال من اجل اقوام يقولون انهم صديقون ويحقرون البقية هذا المثل رجلان صعدا الى الهيكل
ليصليا احدهما فريسى والاخر عشار فاما الفريسى فانه كان يصلى بهذا فى نفسه اللهم انى اشكرك لانى لست مثل ساير
الناس العاصين الظلمة الفجار ولا مثل هذا العشار واصوم يومين فى كل اسبوع واعشر جميع ما لى فاما ذلك العشار
فكان قايما من بعيد ولا يرى ان يرفع عينيه الى السما وكان يضرب على صدره ويقول اللهم اغفر لى فانى خاطى اقول لكم
ان هذا نزل الى بيته ابر من ذلك لان كل من يرفع نفسه يتضع وكل من يضع نفسه يرتفع ثم قدم اليه صبيان ليضع
يده عليهم فلما نظرهم التلاميذ نهروهم فقال دعوا الصبيان ياتوا الى ولا تمنعوهم لان ملكوت الله لمثل هولاء
الحق اقول لكم ان من لا يقبل ملكوت الله مثل صبى لا يدخلها وقال متى انظروا لا تحقروا احد هولاء الصغار لم يات
ابن الانسان الا ليطلب ويخلص من كان ضالا ماذا تظنون اذا كان لانسان ماية خروف فضل منها واحدا اليس يترك
التسعة والتسعين فى الجبل ويمضى يطلب الضال وقال لوقا حتى يجده الحق اقول لكم انه يفرح به اكثر من التسعة والتسعين
التى لم تضل هكذا ليس مشية ربى الذى فى السموات ان يهلك احد من هولاء الصغار وقال لوقا ودنا منه العشارون
والخطاة ليسمعوا منه فتذمر الفريسيون والكتبة قايلين هذا يقبل الخطاه وياكل معهم فقال لهم اى رجل منكم له
ماية خروف فيتلف واحد منها اليس يترك التسعة والتسعين فى البرية ويمضى الى الضال حتى يجده فاذا وجده
حمله على منكبيه فرحا وياتى به الى بيته ويدعو اصدقاه وجيرانه ويقول لهم افرحوا معى لوجودى خروفى الضال
اقول لكم انه يكون فرح فى السما بخاطى واحد يتوب اكثر من التسعة والتسعين الصديقين الذين لا يحتاجون الى توبة
واى امراة لها عشرة دراهم يتلف واحد منها اليس توقد سراجا وتكنس بيتها وتطلبه مجتهدة حتى تجده فاذا وجدته
دعت احباها وجاراتها قايلة افرحوا لوجودى درهمى الضال هكذا اقول لكم انه يكون فرح قدام ملايكة الله
بخاطى واحد يتوب وقال انسان له ابنان فقال الاصغر يا اباه اعطنى نصيبى من مالك فقسم بينهما ماله وبعد ايام
قليلة جمع الاصغر كل شى له وسافر الى كورة بعيدة فبدد ماله هناك بعيش بذخ فلما انفد كل شى له حدث جوع شديد
فى تلك الكورة فافتقر وانقطع الى رجل منها فارسله الى حقله يرعى خنازير وكان يشتهى ان يملا بطنه من الخرنوب
الذى كانت الخنازير تاكله فلا يعطى ذلك ففكر فى نفسه وقال كم من اجرا ابى يفضل عنهم الخبز وانا ههنا اهلك جوعا

انوم امضي الى الي واقول يا ابناه اخطات في السما وبين يديك ولست بمستحق ان ادعى لك ابنا فقال ابوه لعبيده قدموا الحلة الاولى
والبسوه واعطوه خاتما في يده وحذاء في رجليه وايتوا بالعجل المعلوف واذبحوه وناكل ونفرح لان ابني هذا كان ميتا فعاش
وضالا فوجد فبدوا يفرحون وكان ابنه الاكبر في الحقل فلما جا وقرب من البيت سمع المزاهر واتفاق الاصوات والرقص
فدعا واحدا من الغلمة وساله فقال له ان اخاك قدم وذبح ابوك العجل المعلوف فغضب ولم يرد ان يدخل فخرج ابوه
وطلب اليه فقال كم لي من سنة اخدمك ولم اخالف وصية لك قط ولم تعطني جديا واحدا انعم به مع اصدقائي فلما جاء
ابنك هذا الذي اكل ما لك مع الزناة ذبحت له العجل المعلوف فقال له يا بني انت معي في كل حين وكل شيء هو لي فهو لك
وينبغي لك ان تسر وتفرح لان اخاك هذا كان ميتا فعاش وضالا فوجد وقال رجل كان غنيا يلبس الارجوان وكان
يتنعم كل يوم ويلذ ومسكين كان اسمه العازر مطروحا عند بابه مضروبا بقروح وكان يشتهي ان يشبع من الفتات
الذي يسقط من مائدة ذلك الغني وكانت الكلاب تاتي وتلطع قروحه فلما مات ذلك المسكين اخذته الملائكة الى حضن ابرهيم
عليه السلام ومات ذلك الغني وقبر فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب فنظر ابرهيم من بعيد والعازر في حضنه
فنادى يا ابناه ابرهيم ارحمني وارسل العازر ليبل طرف اصبعه بما ويبرد لساني لاني معذب في هذا اللهب فقال له
ابرهيم يا ابني اذكر انك قد قبلت خيراتك في حياتك والعازر في بلاياه والان فهو يستريح ههنا وانت تعذب ومع هذا
فبيننا وبينكم اهوية عظيمة ثابتة لا يقدر احد على العبور من ههنا اليكم ولا من هناك الينا قال له اسالك يا ابناه
ان ترسله الى بيت ابي فان لي خمسة اخوة لكي يناشدهم لئلا ياتوا الى موضع هذا العذاب قال له ابرهيم عليه السلام عندهم
موسى والانبيا فليسمعوا منهم فقال له لا يا ابناه ابرهيم ان لم يمض اليهم واحد من الاموات ما يتوبون فقال له ان
كانوا لا يسمعون من موسى والانبيا فليس ان قام واحد من الاموات يصدقونه وقال للتلاميذ سوف تاتي الشكوك
والويل للذي تاتي الشكوك من قبله خير له لو علق حجر رحى الحمار في عنقه ويطرح في البحر من ان يشكك احدا من هؤلاء
الصغار كان الطريق الواضح القويم موجبا للاجتماع عليه والوفاق عند سلوكه بين انهم سبقوا
عنه بهذا الوعظ عن ما يليق بهما بقوله فاختلف وبين انهم كثروا الاختلاف بقوله الاحزاب الى انهم لم يكونوا فريقين
فقط بل فرقا كثيرة ولما كانت العادة ان يكون الخلاف بين اثنين وقبيلتين ونحو ذلك وكان اختلاف الفرقة
الواحدة عجبا بين انهم من اهل هذا القسم فقال من بينهم اى اختلافا ناشئا ابتداء من بني اسرايل الذين جعلناه
مثلا لهم وقال لهم قد جئتكم بالحكمة فسبب عن اختلافهم قوله فويل وكان ان يقال لهم ولكنه ذكر الوصف الموجب
للويل تعميما وتعليقا للحكم به ولما كان في سياق الحكمة وهي وضع الشيء في اتقن مواضعه جعل الوصف الظلم
الذي ادى لهم الاختلاف فقال للذين ظلموا اى وضعوا الشيء في غير موضعه مضادة لما اتاهم صلى الله عليه وسلم
به من الحكمة من عذاب يوم اليم اى مولم واذا كان اليوم مولما فما الظن بعذابه ولما عم الظالمين بالوعيد
بذلك اليوم فدخل فيه قريش وغيرهم اتبعه ما هو كالتعليل منبرا له في سياق الاستفهام لانه اهول فقال
هل وجرد الفعل اشارة الى شدة القرب حتى كانه يراى منهم فقال ينظرون اى ينتظرون الا الساعة اى
ساعة الموت العام والبعث والقيام فان ذلك لتحقق امره كانه موجود منظور اليه ولما قدم الساعة
نبه لا نبيهما على انها لشدة ظهور دلايلها كانها مرئية بالعين هذا لهم الى تقليب ابصارهم لتطلب رؤيتها ابدل منها زيادة في
التهويل قوله ان تاتيهم ولما كان البغتة قد يطلق على ما يحتمل من بعض الوجوه ازال
هذا الاحتمال وحقق احتمال رؤيتها بقوله بغتة هذا الاحتمال بقوله وهم لا يشعرون اى لا يحصل لهم بعين الوقت التي تجى فيه نوع من انواع العلم ولما هو كالثمرة منه ولما
كانت الساعة تطلق على الحشر بالموت وعلى النشر بالحياة بين ما يكون في الثاني الذي هم له منكرون من احوال المبعوثين على طريق
الاستيناف في جواب من يقول هل يقومون على ما هم عليه الان الاخلاء اى في هذه الدار يومئذ اى اذ تكون الساعة وهي ساعة
البعث التي هي بعض يوم الساعة بعضهم لبعض عدو لما ينكشف لهم من ان تناصرهم في الدنيا هو السبب في عذابهم فيقول
التابع للمتبوع انت غررتني فضررتني ويقول المتبوع بل انت كثرتني فضررتني وفضحتني ووضعتني ونحو هذا من الكلام المولم
اشد الايلام الا المتقين الذين يقدمون امرهم بالتقوى وحثهم عليها ولما افهم هذا انهم لا عداوة بينهم بل يكونون
في التواد على اضعاف ما كانوا عليه في الدنيا لما ظهر لهم من تواددهم فيها وتناصرهم هو افضى بهم الى الفوز الدائم برضوان الله
وصل به حالا بين فيها ما يلقاهم به من توادوا فيه سبحانه تشريفا لهم وتسكينا لما يقتضيه ذلك المقام من الاهوال
يا عبادي اى يقول لهم هذا الخص بالاضافة اليه كما خصوا بالعبادة لا خوف اى بوجه من الوجوه عليكم اليوم اى في يوم
الاخرة مما يحويه من الاهوال والامور الشداد والزلزال ولا انتم تحزنون اى لا يتجدد لكم حزن على شيء فات في شيء من الاوقات
الاتيه لانكم لا يفوتكم شيء تسرون به ولما نادا هم بما يطلع فيه ساير اهل الموقف لان كل حزب يقول نحن عباده

خص المرادين بما يوذن بغيرهم وليلا يكون الوصف بالتقوى موقفا لمن جمعه اليوم من الكفار عن الدخول في الدين ظنا منهم ان الرسوخ
في التقوى شرط فيه حين الدخول وكانوا لا يستطيعون ذلك لوصف سبحانه المتقين بما يهون الوصول الى درجتهم على غيرهم فقال
الذين امنوا اى اوجدوا واهدى الحقيقة بآياتنا الظاهر عظمتها في نفسها اولا وبنسبتها الينا ثانيا وكانوا اى دايما بما
هو كالجبلة والخلق مسلمين اى منقادين للاوامر والنواهي اتم انقياد فبذلك يصلون الى حقيقة التقوى ولما ذكر ما لهم
بشارة لهم وترغيبا لغيرهم في اللحاق بهم على وجه فيه اجمال شرح ذلك بقوله ادخلوا الجنة كانت الدار
لا تكمل الا بالرفيق الشار قال انتم وازواجكم اي نساؤكم اللاتي كن مشاكلات لكم في الصفات واما قرناؤكم من الرجال
فدخلوا في قوله وكانوا مسلمين تحبرون اى تكرمون وتزينون فتسرون سرورا يظهر اثره عليكم مستمرا التجدد ابدا
ولما كان هذا امرا سابقا الى اخالهم سابقا لمن كان وافقا عنهم الى وصالهم اقبل على من لعله يوقفه الاشتغال
باللهو والمال بحركا لما جاء منه ومنبها على ما غفل عنه فقال غاية الغيبة ترغيبا في التقوى يطاف عليهم اى المتقين
الذين جعلناهم بهذا النداء ملوكا بصحاف جمع صحفة وهي القصعة من ذهب فيها من الوان الاطعمة والفواكه
والحلوى ما لا يدخل تحت الوهم ولما كانت انية الشرب في الدنيا اقل من انية الاكل جرى على ذلك المعهود
فعبر بجمع القلة في قوله واكواب جمع كوب وهو كوز مستدير مدور الراس لا عروة له قد نعوق عن شيء منه اليد والشفة
او يلزم منها بشاعة في شيء من دابر الكوز وايذانا بانه لا حاجة اصلا الى تعليق شيء لتبريد او صيانة عن اذى او نحو ذلك
ولما رغب فيها بهذه المعينات احمل بالاتيان لكل معنى غافل عن المبادرة الى الدخول فيما يحصلها فقال
وفيها اى الجنة ولما كانت اللذة محصورة في المشتهي قال ما تشتهي الانفس من الاشيا المعقولة والمسموعة
والملموسة وغيرها جزاء لهم على ما منعوا انفسهم من الشهوات في الدنيا ولما كان ما يخص المبصرات من ذلك اعظمها
فقال وتلذ الاعين اى من الاشيا المبصرة التي اعلاها النظر الى وجهه تعالى جزاء لما تحملوه من مشاق الاشتياق ولما كان
ذلك لا يكمل طيبه الا بالدوام قال عائدا الى الخطاب لانه اشرف والذ مبشرا لجميع المقبلين على الكتاب والملتفت اليهم
بالترغيب في هذا الثواب بشارة لهذا النبي الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم بما قدمه في اول السورة واثنائها
من بلوغ قومه نهاية العقل والعلم الموصلين الى احسن العمل الموجب للسعادة وانتم فيها خالدون لبقائها وبقاء كل ما
فيها فلا كلفة عليهم اصلا من خوف من زوال ولا حزن من فوات ولما كان النعيم الجنة التي لا مثلها يعمل العاملون
عطف عليه قوله مشيرا الى فخامتها باداة البعد وتلك الجنة اى العالية المقام التي ولما كان الارث
امكن الملك وكان مطمح النفوس الى المكنة في الشيء مطلقا لا بقيد بنى للمفعول قوله اورثتموها كان ما حصله
الانسان بسعيه الذ في نفسه لسروره بالتمتع به وبالعمل الذي كان من سببه قال بما وبين ان العمل كان لهم كالجبلة التي
جبلوا عليها بالمنة لربهم في الحقيقة بما زين لهم انفسهم بقوله كنتم تعملون اى مواظبين على ذلك لا تفترون ولما
كان الاكل اعم الحاجات واهم الطلبات قال مبينا ان جميع اكلهم تفكه ليس فيه شيء تقوتا لانه لا فنا فيها لقوم ولا غيره
ليحفظ بالاكل ولا ضعف ولما كان ما يتفكه في الدنيا لكم فيها فاكهة اى ما يوكل تفكها وان كان لحما وخبزا
قليلا قال كثيرة ودل مع الكثرة على دوام النعمة بقصد التفكه بكل شيء فيها بقوله منها اى لا من غيرها مما يلحظ فيه
التقوت تاكلون فلا تنفد ابدا ولا تتاثر باكل لا كلين لانها على صفة الما النابع لا يوخذ منها شيء الا خلف مكانه مثله
في الحال ولما ذكر ما للقسم الثاني من الاخلاء وهم المتقون ترغيبا في التقوى اتبعه ما لاضدادهم اهل القسم الاول
تحذيرا من مثل اعمالهم فقال استينافا موكدا في مقابلة انكارهم ان المجرمين اى الراسخين في قطع ما امر الله به ان يوصل
في عذاب جهنم اى النار التي من شانها لقاء داخلها بالتجهم والكراهة والعبوسة كما كان يعمل عند قطعه لاولياء الله
خالدون لان اجرامهم كان طبعا لهم لا ينفكون عنه اصلا ما بقوا ولما بين احاطته بهم لحاطة الظرف بمظروفه
وكان من المعلوم ان النار لا تفتر عن لابستها الا بمفتر يمنعها بما يصبه عليها او تقليل من وقودها او غير ذلك خرقا للعادة
بين انه لا يعتريها نقصان اصلا لانها بعهد في عذابا الدنيا لانهم هم وقودها فقال لا يفتر عنهم اى لا يقصر اضعافه بنوع
من الضعف فنفي التفتير نفي للعقود من غير عكس قال البيضاوي وهو من فترت عنه الحمى اذا سكنت والتركيب للضعف
ولما كان انتظار الفرج مما يخفف نفاه بقوله وهم فيه مبلسون اى ساكتون سكوت يائس من النجاة
والفرج ولما كان ربما ظن من لا بصيرة له ان هذا العذاب اكثر مما يستحقونه اجاب بقوله لبريد عذابهم بوجوه
بالملامة على نفوسهم ووقوعهم في منادمات الندامات وما ظلمناهم نوعا من الظلم ولكن كانوا جبلة وطبعا
وعملا وصنعا هم خاصة الظالمين لانهم بادروا المنعم عليهم بالعظايم ونووا انهم لا ينفكون عن ذلك ما بقوا والاعمال
بالنيات ولو كانوا يقدرون على ان لا يموتوا لما ماتوا ولما كان من معلوم الابلاس السكوت اعلم بان سكوتهم

لبين دايما لان الانسان اذا وطن نفسه على حالة واحدة ربما خف عنه بعض الالم فقالوا مبينا انهم من البعد بمحل كبير لا يطمعون
معه فى خطاب الملك وانهم مع علمهم باليأس يتعللون اما لهم بالخلاص كما يقع للمتمنين للمحالات فى الدنيا ليكون ذلك زيادة فى
الميم **ونادوا** اى بين ان المنادى خازن النار فقال مؤكدا لبيان البعد باداته **يا مالك** وقراه ياما للاشارة الى ان العذاب
ادهشهم عن اتمام الكلام ولذلك قالوا **ليقض علينا** اى سله سؤال الاحتمال ان يقضى القضاء الذى لا قضاء بعده وهو الموت
على كل واحد منا وجروا على عادتهم فى الغباوة والجلافة فقالوا **ربك** اى المحسن اليك فلم يروا لله عليهم احسانا وهم فى تلك الحال
ولاشك ان احسانه لما انقطع عن موجود اصلا واقل ذلك انه لا يعذب احدا منهم فوق استحقاقه ولذلك جعل النار دركات
كما كانت الجنة درجات ويجوز ان يكون عبارتهم بذلك تغبيطا له بما راوا من ملابسته النار من غير ضرر به وندائهم لا
ينافى ابلاسهم لان السكون عن يأس وذلك لازم لهم لانهم كلما سكنوا كان سكوتهم عن يأس فسكوتهم المعقبة باليأس دايم
ولذلك سألوا الموت والحاصل انهم لا يتكلمون بما يدل على رجاء الفرج بل هم ساكتون ابدا عن ذلك وان تكلموا فبما يدل على اليأس
لا على رجاء الفرج بالالحاق برتبة المتقين ولما ذكر ندائهم استانف ذكر جوابهم بقوله **قال** اى مالك عليه السلام
مؤكدا قطعا لاطماعهم لان كلامهم هذا موجب يفهم الرجاء واعلاما بان رحمة الله التى هى موضع الرجا خاصة بغيرهم
انكم ماكثون اى دايما ابدا **ولما** ذكر سبحانه الساعة عند ذكر عيسى عليه السلام فقال وانه لعلم للساعة
واكد امرها وشرح بعض احوالها الى ان ختم بما دل على انخلال عزايمهم ولين شكايمهم وكان ذلك مقرونا بذلك قال مؤكدا جوابا
لمن يصير بعض البصر فيقول احق هذا وسيقع الجواب **لقد جئناكم** اى فى هذه السورة خصوصا وجميع القران عموما كما فى مجىء
الرسل مجيا له لما يحيهم من العظمة التى اشارت اليها النون **بالحق** الكامل فى الحقية **ولما** كان ظهور حقيته بحيث
لا يخفى على احد ولكن شدة البغض وشدة الحب تريان الاشياء على غير ما هى عليه قال اشارة الى ذلك **ولكن اكثركم** اى ايها الخلق
للحق كارهون لما فيه من المنع من الشهوات فلذلك انتم تقولون انه ليس بحق لا لاجل كراهتكم فقط لا لاجل ان فى حقيته
نوعا من الخفا **ولما** كان هذا اخر الاجوبة لظهور الدلايل وتعالى العظمة الا الرجوع وكان من لا يرجع انما يريد مجاربة
الاله الاعظم قال عادلا عن الخطاب الى الالهم بالغيبة منزلة البعيد الذى لا يلتفت اليه معادلا لما تقديره ارجعوا لما
ظهر لهم من الحق **ام ابرموا** اى احكموا **امرا** فى رد امرنا ومعاداة اوليائنا مع علمهم بانا مطلعون عليهم **ولما**
كان سبحانه عالما بطية امرهم وعايب سرهم سبب عما سال عنه من ابرامهم ما دل على انه عالم به وقد ابرم له قبل كونه
ما يزيله ويعدمه ويحيله على سبيل التاكيد لانكارهم ان يغلبوا فقال **فانا مبرمون** اى دايما للامور لعلمنا بها قبل كونها
وتدبيرنا واختيارنا لان صفتنا التى لا تحول بوجه العلم والقدرة والارادة لم يتجدد لنا شئ لم يكن **ولما**
كان اصرارهم بين العزم على مجاهرة القدير بالمعاداة وبين معاملته وهو عليم بالمساترة والماكرة فى المعاداة والماكرة
والمسالمة والماكر قال **ام يحسبون انا** على ما لنا من العظمة المقتضية بجميع صفات الكمال **لا نسمع**
كان المراد اثبات ان علمه تعالى يحيط بالخفى والجلى بنسبة كل منهما اليه على السواء ذكرهما وقدم ما من شانه ان يخفى وهو
المكر المشار اليه بالابرام لان السياق له فقال **سرهم** اى كلامهم الخفى ولو كان فى الضماير فيما بعضهم **ولما**
كان ربما وقع فى الاوهام ان المراد بالسمع انما هو العلم لان السر ربما يخفى وهو ما فى الضماير وهى مما يعلم حقق ان المراد به
حقيقته بقوله **ونجواهم** اى كلامهم المرتفع حتى كانه على نجوة اى مكان عال فعلم ان المراد حقيقة السمع وانه تعالى يسمع كل ما
يمكن ان يسمع ولو لم يكن فى قدرتنا نحن سماعه فتكون فيه كالاصم بالنسبة الى ما نسمعه نحن من الجهر ولا يسمعه هو لعقد قوة السمع
فيه لا لانه مما من حقه ان لا يسمع و**لما** كان انكار عدم السماع معناه السماع صرح به فقال **بلى** اى نسمع الصنفين
كلاهما على حد سواء **ورسلنا** وهم الحفظة من الملائكة على ما لهم من العظمة بنسبتهم الينا **ولما** كان حضور الملائكة
معنا وكتابتهم لجميع اعمالنا على وجه لا نحس به نوع لحاس امرا هو فى غاية الغرابة قال معبرا بالذى التى يعبر بها عند اشتداد
الغرابة **لديهم يكتبون** اى بحدود الكتابة كلما تجدد ما يخاف عاقبته **ولما** تقدم اول السورة تبكيتهم والتعجب
فى ادعائهم لله ولدا من الملائكة وهددهم بقوله ستكتب شهادتهم ويسألون وذكر شبهتهم فى قولهم لو شاء الرحمن
ما عبدناهم وجهلهم فيها بقوله ما لهم بذلك من علم ونفى ان يكون لهم على ذلك دليل سمعى بقوله منكرا اموبخا ام اتيناهم كتابا
ومر فى توهية امرهم فى ذلك وغيره بما لاحم بعضه بعضا على ما تقدم الى ان ختم نفى الدليل السمعى على طريق النشر المشوش
بقوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا ونظم به ما اتى رسول اهل الكتاب مما يصدق ما اتى به كتابنا من
التوحيد وما هدد به من اعرض عنه الى ان اخبر انه الحق الذى لا زوال اصلا لشئ منه وان رسله سبحانه تكتب جميع اعمالهم
من شهاداتهم فى الملائكة وغيرها اعاد الكلام فى ابطال شبهتهم فى ان عبادتهم لهم لو كانت ممنوعة لم يشاءها الذى له
عموم الرحمة لان عموم رحمته يمنع على زعمهم مشيئته ما هو محرم فقال بعد ان نفى بقوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا

ان

ان يكون لهم دليل سمعى عن احد من رسله عليهم الصلاة والسلام **قل ان كان للرحمن** اى العام الرحمة **ولد** على ما زعمتم والمراد به
الجنس لادعائهم فى الملائكة وغيرهم فى غيرهم وقراءة حمزة والكسائى بضم ثم سكون على انه جمع ادل على ارادة الكثرة ولما كان
المعنى انا ما عبدت ذلك الولد ولا اعبده ولو شاء الرحمن ما تركت عبادته ولكنه شاء تركى لها وشاء فعلكم لها فاحدهما
قطعا مشية للباطل والا لاجتمع النقيضان بان يكون الشئ حقا باطلا فى حال واحد من وجه واحد وهو بديهى الاستحالة
نبطلت شبهتكم بدليل قطعى هكذا كان الاصل ولكنه عدل عنه الى ما يفيد معناه وزيادة انه يعبد الله مخلصا ولا يعبد
غيره وانه لا يستحق اسم العبادة الا ما كان له خالصا فقال **فانا** اى فى الرتبة **اول العابدين** للرحمن العبادة التى هى
العبادة ولا يستحق غيرها ان يسمى عبادة وهى الخالصة اى فانا لا اعبد غيره لا ولدا ولا غيره ولم يشأ الرحمن لى ان اعبد
الولد او يكون المعنى انا اول العابدين للرحمن على وجه الاخلاص لم اشرك به شيئا اصلا فى وقت من الاوقات مما سميتموه ولدا
او شريكا او غيره ولو شاء ما عبدته على وجه الاخلاص ولا شك عندكم وعند غيركم ان من اخلص لاحد كان اولى من غيره برحمته
فلو ان الاخلاص له ممنوع ما شاءه لى ولولا ان عبادة غيره ممنوعة لشاءها لى ولو ان له ولدا لشاء لى عبادته فان عموم رحمته
لكافة خلقه لكونهم خلقه وخصوصها بى لكونى عبده خالصا له تمنع على حكمكم من ان يشقينى وانا المخلص له فبطلت شبهتكم
بمثلها بل باقوى منها وهذا انما على بشئ هو بنقيضه اولى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ان نافية بمعنى ما اى ما كان له
ولد فانى اول من عبده رتبة وما علمت له ولدا ولو كان له ولد لعلمته فعبدته تقربا اليه بعبادة ولده **ولما**
بطلت الشبهة على تقدير برهان وعلى اخر شبهته اقوى منها وظهر الامر واتضح الحق فى انه سبحانه يشاء الشخص فعل الشئ و
عدم فعل ذلك الشئ وفعل ضده او نقيضه ومن المعلوم قطعا انه لا يكون فعل النقيضين ولا الضدين فى ان واحد حقا
من وجه واحد تعرف بذلك ان العبرة فى الحلال والحرام بامره ونهيه لا بارادته وانه لولا ذلك لما علم انه فاعل بالاختيار
يخص من يشاء من عباده بما يشاء بعد ان عمهم بما شاء كان موضع التنزيه عما نسبوه اليه من الباطل فقال منزها على وجه مظهر
انه لا يصح ان ينسب اليه ولد اصلا **ولما** كان المقام للتنزيه **سبحان رب** اى مبدع ومالك **السموات**
وجه العلوية اجدر لانه ابعد عن النقص لم تقتض الحال اعادة لفظ الرب بخلاف ما يأتى اخر الجاثية فانه لاثبات
الكمال ونظره الى جميع الاشياء على حد سوا فقال **والارض** اى اللتين كل ما فيهما ومن فيهما مقهور مربوب محتاج لا يصح
ان يكون له منه سبحانه نسبة بغير العبودية بالايجاد والتربية **ولما** كانت خاصة الملك ان يكون له
ما لا يصل اليه غيره بوجه اصلا قال محققا الملكه لجميع ما سواه ومن سواه وملكه له ولم يعد العاطف لان العرش
من السموات **رب العرش** اى المختص به لكونه خاصة الملك الذى وسع كرسيه السموات والارض **عما يصفون** من
انه له ولد او شريك **ولما** تمحص الحق ولمعت فى الوجود كله اعلام الصدق بعد بطلان شبهتهم
وبيان اغلوطتهم عرف انهم فاعلون بوضع الاشياء فى غير مواضعها فعل الخايض فى الماء فى وضع رجله التى هى عماده فيما لا يعرفه
اللاعب فقال مسببا عن ذلك **فذرهم** اى اتركهم على اسوء احوالهم **يخوضوا** اى يفعلوا فعل الخايض فى الماء فى وضع رجله التى
هى عماده فيما لا يعرفه ولا يرضاه لكونه لا علم له به **ويلعبوا** اى يفعلوا فعل اللاعب فى انهماكه فى فعل ما ينقصه ولا يزيده
حتى يلاقوا اى يفعلوا بتصريم اعمارهم فى فعل ما لا ينفعهم فعل المجتهد فى ان يلقوا **يومهم الذى يوعدون** بوعد لا خلف
فيه فيظهر فيه وعيدهم ويحق تهديدهم **ولما** نزهه سبحانه عن الولد ودل على ذلك بانه مالك كل شئ وملكه
وكان ذلك غير ملازم للالوهية دل على انه مع ذلك هو الاله لا غيره فى الكونين بدليل بديهى يشترك فى علمه الناس كلهم
وقدم السما لكونه اصلا فى ذلك تتبع لان الارض تبع لها فى غالب الامور فقال دالا على ان نسبة الوجود كله اليه على حد
سوا لانه منزه عن الاحتياج الى مكان او زمان عاطفا على ما تقديره تنزه عما نسبوه اليه الذى هو معنى سبحان **وهو الذى**
هو **فى السماء اله** اى معبود لا ينازع به شئ **وفى الارض اله** لتوجه الرغبات اليه فى جميع الاحوال وتخلصه له فى جميع
اوقات الاضطرار فقد وقع الاجماع من جميع من فى السماء والارض على الهيته فثبت استحقاقه لهذه الرتبة وثبت
اختصاصه باستحقاقها فى الشدايد فباقى الاوقات كذلك من غير فرق لانه لا مشارك له فى مثل هذا الاستحقاق فعبادة
غيره باطلة قال فى القاموس اله اى بالفتح الاهة والوهة والوهية عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة واصله اله
بمعنى معبود وكل ما اتخذ معبودا فهو اله عند متخذه واله كفرح تحير فقد علم من هذا جواز تعلق الجار بالاله ولما
كان الاله لا يصلح للالوهية الا اذا كان يضع الاشياء فى محالها بحيث لا يتطرق اليها فساد ولا يقدرها الا بعلمه
وكان لا يكون كذلك الا بالغ العلم قال **وهو الحكيم** اى البليغ الحكمة وهى العلم الذى لاجله وجب الحكم من قوام امر
المحكوم عليه فى عاجلته واجلته **ولما** كانت الحكمة العلم بما لاجله وجب الحكم قال **العليم** اى البالغ فى
علمه الى حد لا يدخل فى عقل العقلا اكثر من وصفه به على طريق المبالغة ولو وسعوا افكارهم واطالوا انظارهم

لانه ليس كمثله شي في ذاته ولا صفة من صفاته ليغاير به وكل من ادعى فيه انه شريك له لا يقدر من اشرك به ان يدعي له ما وقف
به من الاجماع على الهيبته ومن كمال علمه وحكمته فثبت قطعا بطلان الشركة بوجه ينبه كل احد فلا خلاص حينيذ لمن خالف
كاينا من كان واذ قد صح انه لا اله الا هو وحده وانه منزه عن شريك وولد وكل شايبة نقص كان بحيث يخاف وعيده فلا يخوض ولا
يلعب عبيده ومن خاض منهم او لعب فلا يلومن الا نفسه فان عمله محفوظ بعلمه فهو مجازيه عليه بحكمته ولما نزه
ذاته الاقدس واثبت لنفسه استحقاق الالهية بالاجماع من خلقه بما ركز في فطرهم وهداهم اليه بعقولهم اتبع ذلك
ادلة اخرى باثبات كل كمال مما تسعه العقول ومما لا تسعه مصرحا بالملك فقال وتبارك اي وثبت ثباتا لا يشبهه
ثبات لانه لا زوال له مع اليمن والبركة وكل كمال فلا شبيه له حتى يدعى انه ولد له او شريك ثم وصفه بما يبين تباركه
واختصاصه بالالهية فقال الذي له ملك السموات اي كلها والارض كذلك وما بينهما وبين كل اثنين منهما والدليل
على هذا الاجماع القايم على توحيده عند الاضطرار ولما ثبت اختصاصه بالملك وكان الملك لا يكون الا عالما
بملكه وكان ربما ادعى مدع وتكذب معاند في الملك او العلم قطع الاطماع بقوله وعنده اي وحده علم الساعة سايقا له
مساق ما هو معلوم الكون لا مجال للخلاف فيه اشارة الى ما عليها من الادلة القطعية المركوزة في الفطر الاولى تكفيها
يؤدي اليها الفكر من الذكر المنبه عليه السمع ولان من ثبت اختصاصه بالملك وجب قبول اخباره لذاته وخوفا من
سطواته ورجاء في بركاته واليه اي وحده لا الى غيره بعد قيام الساعة ترجعون باليسر امر تحقيقا لملكه
وقطعا للنزاع في وحدانيته وقراة الجماعة وهم من عدا ابن كثير وحمزة والكساي ورويسا عن يعقوب بالخطاب
اشد تهويلا لا تهديدا من قراة الباقين بالغيب وادل على نهاية الغضب على من لا يقبل اليه بالمتاب بعد رفع كل مانع
ان يتسبب عنه ارتياب ولما ارشد السياق قطعا الى ان التقدير فلا شريك له في شي من ذلك ولا ولد
ولا يقدر احد منهم على التخلف عن الرجوع اليه كما انه لا يقدر على مدافعة قضايه وقدره عطف عليه قوله ولا يملك
اي بوجه من الوجوه في وقت ما الذين يدعون اي يجعلونهم موضع الدعا بعبادتهم لهم وبين سفول رتبتهم بقوله من دونه
اي من ادنى رتبة من رتبته من الاصنام والملايكة والبشر وغيرهم الشفاعة اي فلا يكون منهم شفيع كما ادعوا انهم شفعا
ثم الا من شهد اي منهم بالحق اي التوحيد الذي يطابقه الواقع اذا انكشف اتم انكشاف وكذا وما يتبعه فانه
يكون اهلا لان يشفع كالملايكة والمسيح عليهم السلام والمعنى ان اصنامهم التي ادعوا انها تشفع لهم لا تشفع غير انه تعالى
ساقه على ابلغ ما يكون لانه كالدعوى بدليلها ولما كان ذلك مركوزا حتى في فطر الكفار فلا يفزعون
في وقت الشدايد الا الى الله ولكنهم لا يلبثون ان يعملوا من الاشراك بما يخالف ذلك فكانه لا علم لهم قال وهم
اي والحال ان من شهد يعلمون اي على بصيرة مما شهدوا به فلذلك لا يعملون بخلاف ما شهدوا به جهلا منهم بتحقيق معنى
التوحيد فلذلك يظنون انهم لم يخرجوا عنه وان اشركوا او يكون المعنى وهم من اهل العلم والاصنام ليسوا كذلك هم
وكانه افرد اولا اشارة الى ان التوحيد فرض عين على كل احد بخصوصه وان خالفه كل غير وجمع ثانيا ايذانا بالامر
بالمعروف ليجتمع الكل على العلم والتوحيد هو الاساس الذي لا تصح عبادة الا به وتحقيقه هو العلم الذي لا علم
يعدله قال الرازي في اللوامع وجميع الفرق انما ضلوا حيث لم يعرفوا معنى الواحد على الوجه الذي ينبغي اذ الواحد
قد يكون مبدا العدد وقد يكون مخالطا للعدد وقد يكون ملازما للعدد والله تعالى منزه عن هذه الوحدات انتهى
ففي الاية تبكيت لهم في انهم يوحدون في اوقات فاذا انجاهم الذي وحدوه جعلوا اشركهم له في الرخا اشراكهم به
ومنع لهم من ادعاء هذه الرتبة وهي الشهادة بالحق لانهم انسلخوا باشراكهم عن العلم وان الملايكة لا تشفع لهم لان ذلك
يودي الى ان يكون قد عملت بخلاف ما تعلم وذلك ينتج الانسلاخ من العلم المؤهل للشفاعة وقال ابن الجوزي وفي
الاية دليل على ان شرط جميع الشهادات ان يكون الشاهد عالما بما يشهد به ولما كان التقدير لتقرير وجود
الهيبته في الارض بالاجتماع فلين سالتهم من ينجيهم في وقت كربهم ليقولن الله ليس لمن يدعون من دونه هناك
فعل عطف عليه ولين سالتهم اي الكفار من خلقهم اي العابدين والمعبودين معا ليقولن الله الذي له جميع صفات
الكمال هو الذي خلق الكل ليس لمن يدعون منه شي ولذلك سبب عنه قوله فانى اي كيف ومن اي جهة بعد ان اثبتوا
له الخلق والامر يؤفكون اي يقلبون عن وجوه الامور الى اقفائها من قالب ما كاينا من كان فيدعون ان له شريكا تارة
بالولدية وتارة بغيرها مع ما ركز في فطرهم مما ثبت به انه لا شريك له لان له الخلق والامر ولما
ابطل سبحانه شبههم وهي غاية الوهية امرهم في شركهم وادعايهم الولد وغير ذلك مما تضمنته اقوالهم
الفاسدة المنسوبة اليهم في هذه السورة واقام حجج الحق ونصب براهين الصدق واثبت ما ينفعهم وحذرهم مما
يضرهم حتى ختم ذلك بقوله مقسما مع جلال القدرة وعظيم امر لقد جيناكم بالحق ثم حصر امرهم في رد ذلك انه ذوه

الى

الى تسمين في حال بين حال المجاهرة وحال المماكرة واخبر انه لا نجاة لهم على حالة منهما واخبر ان رسله تعالى يكتبون جميع امورهم مع غناه
عن ذلك بعلمه بما يكتبونه من ذلك وغيره مما لا يطلعون عليه فكان ذلك محرزا عظيما ملاحما اشد الملاحمة لما قدمه من شبهتهم في
ادعا الولد فاكد ابطالها وحقق ردها وختم بالتعجيب من حالهم في تركهم وجوه الامور واتباعهم اقفاها وكان من جملة ذلك عملهم
عمل من يظن ان الله سبحانه لا يسمع قولهم الموجب لاخذهم وقول رسوله الموجب لنصره عطفه على ما مضى من انكاره عليهم عدم سماعه
لقولهم ولما كان اشتدادهم في تكذيبهم ومباعدتهم وعنادهم لا يزداد بمرور الزمان الا قوة اوقع في نفس الرسول
صلى الله عليه وسلم اسفا ورقة وشفقة عليهم وعطفا وصار يشكو امرهم الى ربه شكوى المضطر سرا وعلنا ارادة
التيسير في امرهم والتهوين لشانهم فاختير للتعبير عن هذا المعنى مصدر قال المشترك لفظه مع لفظ الماضي المبني للمجهول
اشارة الى ان شكواه بذلك لكانها صارت امرا ضروريا له لا اختيار له في قوله فكان صادرا لا من غير قايل او من غير قصد
لانه صار حالا من الاحوال ووصل به الضمير من غير تقدم ذكر اشارة الى ضمير قد امتلا بذلك الشفقة عليهم والرحمة لهم
ثقا لتعالى عطفا على سرهم المعقد بعد بلى في قوله تعالى انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى او يكون معطوفا على محل الساعة اي ويعلم
قيله قاله الزجاج وعدل في هذا الوجه وهو قراة الجماعة عن الجر عطفا على لفظها تعظيما لما اوصله الى هذا القيل من اذاهم والذي
دل على تقدير هذا الفعل قراة عاصم وحمزة له بالجر فانه ظاهر في تعلقه بذلك لعطفه على لفظ الساعة وقرى شاذا بالرفع
ووجهه ان الواو للحال اي كيف يصرفون عن اتباع رسولنا الامر لهم بتوحيدنا في العبادة كما توحدنا بالخلق والحال ان قيله كذا
في شكايتهم افيظنون انا لا ننصره ونحن ارسلناه وقيله الذي صار في ملازمته وعدم انفكاكه حالا من الاحوال الدال على وجع
قلبه وانكسار نفسه بما دل عليه كسر المصدر وياوه المجانسة لها والتعبير بقوله يا رب دال على ذلك بما تفيده يا الدلالة
على بعد او تقديره والرب الدال على الاحسان والعطف والشفقة والتدبير والسيادة والاختصاص والولاية وذلك على غير العادة
في دعا المقربين فانها جارية في القران باسقاط اداة النداء ولما كان الارسال اليهم والمرسل ناد مقتضيا لاعلامهم
الذي ما ظهر له من حالهم بقوله زيادة في التحسر واشارة الى ان تاخير امرهم يدل على ان ايمانهم مطموع فيه ان هولاء لم ينصفهم اي
نفسه بان يقول قومي ونحو ذلك من العبارات ولا سماهم باسم قبيلتهم لما ساء من حالهم واتى لهم المنبهة قبل اسم على غير عادة الاصل
اشارة الى انه استنفر من نفسه بعد استصارا لها واحتقار قوم اي اقويا على الباطل لا يؤمنون اي لا يتجدد منهم هذا الفعل املا
ولما كان هذا القول دالا على غاية ما يكون من بلوغ الجهد سبب عنه ما شرع باياتهم وبلوغهم الرتب العالية التي هي
نتيجة ما كان مترجى لهم اول السورة وذلك كله ببركته صلى الله عليه وسلم في سياق ظاهره التهديد وباطنه بالنسبة الى علمه
البشارة بالتاييد فقال فاصفح عنهم اي اعف عفو من اعرض عنهم صفحا فلا تلتفت اليهم بعد التبليغ وقل اي لهم سلام اي شاني
الان متاركتكم بسلامتكم مني وسلامتي منكم فسوف يعلمون بوعد لا خلف فيه فهذا ظاهره التهديد وباطنه تهديد كبير وقراة
المدنيين وابن عامر بالخطاب اشد تهديدا وباطنه من التعبير بالصفح عنهم والسلام بشارة بانهم يصيرون علما فيفوقون الامم
في العلم بعد ان يفوقوهم في الفعل بما فهموه اول السورة فيعلون الامم في المشي على مناهج العقل فلله دره من اخر عانق الاول
ومقطع رد الى المطلع فنزل يا ناظم اللالي اين تذهب عن هذا البنا العالي وتغفل عن هذا الجوهر الرخيص الغالي
وتغفل عن هذا الضيا اللامع المتلالي ثم اعلاه قايله واغلاه بدر المعاني وفصله

سورة الدخان

مقصودها الانذار من الهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الحكيم من الخير والبركة رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركة وعلى ذلك دل
اسمها الدخان اذا تؤملت اياته وافصاح ما فيها واشاراته بسم الله الملك الجبار الواحد القهار الرحمن الذي عم بنعمة
النذارة الرحيم الذي خص اهل وداده بنعمة البشارة حم ولما تقدمت الاشارة الى شي من اسرار احرفها
ختمت الزخرف ببشارة باطنه ونذارة ظاهره وكان ما بشر به سبحانه من علم العرب وسلامتهم من غوايل ما كانوا فيه مستبعدا
انتج هذا بمثل ذلك مقسما عليه فقال والكتاب اي الجامع لكل خير المبين اي البين في نفسه الموضح لما تقدم من دقيق هذه
البشارة لاهل الصفا والبصارة وواضح النذارة بصريح العبارة وغير ذلك من كل ما يراد منه ولاجل ما ذكر من الاباء
اكد جواب القسم واتى به في مظهر العظمة فقال انا اي بما لنا من العظمة انزلناه اي الكتاب جميعا الى بيت العزة في
سما الدنيا او ابتدانا انزاله الى الارض في ليلة مباركة اي ليلة القدر قاله ابن عباس رضي الله عنهما والنصف من شعبان
فلذلك يتابع عنه من التاثيرات ما لم يخطر بالافهام في الدين والدنيا قال الاستاذ ابو القاسم القشيري ينزل الى السماء
الدنيا كل سنة بمقدار ما كان جبريل عليه السلام ينزله على الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك السنة وسماها مباركة لانها
ليلة افتتاح الوصلة واشد الليالي بركة ليلة يكون العبد فيها حاضرا بقلبه مشاهدا لربه يتنعم فيها بانوار الوصلة ويجد
فيها نسيم القربة وقال الرازي في اللوامع واعظم الليالي بركة ما كوشف فيها بحقايق الاشيا ولما كان هذا موضحا
لما لوح به اخر تلك من البشارة في ظاهر النذارة علل الانزال او استانف مما فيه من واضح النذارة الموصل الى المعاني المقتضية

ستبعاد

للبشارة فقال مؤكدا لاجل تكذيبهم انا على ما نحن عليه من الجلال كنا بما لنا من العظمة دايما لعبادنا منذرين لا ناخذهم من غير انذار فلاجل رحمتنا لهولاء القوم بالانذار وهم ارق الناس طبعا واصفاهم قلوبا واوعاهم سمعا نوصلهم بما هيانا هم به من ذلك الى ما لم يصل غيرهم اليه ولم يقاربه من المعالي في الاخلاق والشمايل والاكتساب لجميع الفضايل وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تضمنت سورة حم السجدة وسورة الشورى من ذكر الكتاب العزيز ما قد اشير اليه مما لم تنطو سورة غافر على شيء منه وحصل من مجموع ذلك الاعلام بتنزيله من عند الله وتفصيله وكونه قرانا عربيا الى ما ذكر تعالى من خصايصه الى قوله وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون وتعلق الكلام بعد هذا بعضه ببعض الى اخر السورة استفتح تعالى سورة الدخان بما يحمل ذلك الغرض وهو التعريف بوقت انزاله الى السما الدنيا فقال انا انزلناه في ليلة مباركة ثم ذكر من فضلها فقال فيها يفرق كل امر حكيم فحصل وصف الكتاب بخصايصه والتعريف بوقت انزاله الى سما الدنيا وتقدم الاهم من ذلك في السورتين قبل وتاخر التعريف بوقت نزوله اذ ليس في التاكيد كالمتقدم ثم وقع اثر هذا ما هو تفصيل وعيد قد اجمل في قوله تعالى واصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون وما تقدمه من قوله ام ابرموا امرا فانا مبرمون وقوله سبحانه وتعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وتنزيهه تعالى نفسه عن عظيم افترايهم في جعلهم الشريك والولد الى اخر السورة تفصيل بعض ما اجملته هذه الاي في قوله تعالى في صدر سورة الدخان فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين وقوله يوم نبطش البطشة الكبرى والاشارة الى يوم بدر ثم ذكر شان غيرهم في هذا وهلاكهم بسوء ما ارتكبوا ليشعروا ان لا فارق ان هم عقلوا واعتبروا وانهم عرض بعرض بعضهم في مقالته ما بين لابتيها اعز مني ولا اكرم فذكر تعالى شجرة الزقوم الى قوله ذق انك انت العزيز الكريم والتحم هذا كله التحاما بهر العقول ثم اتبع بذكر حال المتقين جريا على الطريقة من شفع الترهيب بالترغيب ليبين حال الفريقين ومنهج علم الواضح من الطريقين ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون وقد اخبر مع بيان الامر ووضوحه انه انما يتذكر من يخشى ثم قال فارتقب وعدك ووعيدهم انهم مرتقبون وصف ليلة انزال هذا القران بالبركة واعلم ان من اعظم بركتها النذارة وكانت النذارة مع انها فرقت من البشارة امرا عظيما موجبا للفرقان ما بين المحاسن والمساوي من الاعمال قايدة الى كل خير بعد لبلان اتباع ذوي الشوكة من الامر اكثر من اتباع ذوي البركة من العلما واذا تعارض عندهم امر العالم والظالم قدموا امر الظالم لما يخافون من نذارته واهملوا امر العالم وان عظم الرجا لبشارته قال معللا لبركتها بعد تعليل الانزال فيها ومعمما لما يحصل فيها من بركات التفصيل فيها اي الليلة المباركة سوا قلنا انها ليلة القدر او ليلة النصف اصالة اوما لا يفرق اي ينشر ويفصل ويبين ويوضح مرة بعد مرة كل امر حكيم اي محكم للامر لا يستطاع ان يطعن فيه بوجه من جميع ما يوحى به من الكتب وغيرها والارزاق والاجال والنصر والهزيمة والخصب والقحط وغيرها من جميع اقسام الحوادث وجزيياتها في اوقاتها واماكنها ويبين ذلك للملايكة من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجدونه سوا فيزدادون بذلك ايمانا قال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنهما يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كاين في السنة من الخير والشر والارزاق والاجال قال وروى ابو الضحى عنه ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان فيسلمها الى اربابها في ليلة القدر وقال الكرماني فيسلمها الى اربابها وعمالها من الملايكة ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ولما كان هذا امرا عظيما لا يتوهم الحصر لها بين انه لا كلفة عليه سبحانه فيه ولا تجدد عنده في وقت من الاوقات لشيء لم يكن قبل الا تعليق القدرة بالمقدور على وفق الارادة فقال موكدا للفخامة ما تضمنه وصفه بانه حكيم امرا اي حال كون هذا كله مع انتشاره وعدم انحصاره امرا عظيما جدا واحدا لا تعدد فيه دبرناه في الازل وقدرناه وانفذناه واخرناه ليوجد في اوقاته بتقديرنا ويبرز على ما له من الاحكام في احيانه في اقل من لمح البصر ودل على انه ليس مستغرقا لما تحت قدرته سبحانه بانه بانبات الجار فقال من عندنا اي من العاديات والخوارق وما وراها ولما بين حال الفرقان الذي من جملته الانذار علله بقوله مؤكدا لما لهم من الانكار انا اي على ما لنا من اوصاف الكمال وكمال العظمة كنا اي ازلا وابدا مرسلين اي لنا صفة الارسال بالقدرة عليها في كل حين والارسال المصالح العباد ولابد فيه من الفرقان بالبشارة والنذارة وغيرهما حتى لا يكون لبشر فلا يكون لاحد على الله حجة وهذا الكلام المنتظم والقول الملتحم بعضه ببعض لمن اراه يف احمل وصف في وصف ليلة الانزال دال على انه لم تنزل صحيفة ولا كتاب الا في هذه الليلة فيدل على انها ليلة القدر للاحاديث الواردة في ان الكتب كلها نزلت فيها كما بينته في كتابي مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور وكذا قوله في سورة القدر تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر فان الوحي الذي هو مجمع ذلك هو روح الامور الحكمية وبين سبحانه حال الرسالات بقوله رحمة وعلل لاجل ما اقتضاه التعبير بالرحمة عما كان من اسلوب التكلم بالعظمة من قوله منا الى قوله من ربك اي المحسن اليك بارسالك وارسال كل نبي مضى من قبلك فان رسالاتهم كانت لبث الانوار في العباد وتمهيد الشرايع في البلاد حتى استنارت القلوب واطمانت النفوس بها صارت تتمهد من شرع الشرايع وتوطيد الاديان فتسهلت طرق الرب لتعميم رسالتك حتى ملات انوارك الافاق فكنت نتيجة كل تقدم من العرفان ولما كانت الرسالة لا بد فيها من السمع والعلم قال انه هو اي وحده السميع اي فهو الحي المريد العليم

هو القدير البصير المتكلم يسمع ما تقوله رسله وما يقال لهم وكل ما يمكن ان يسمع وان كان يجب لا يسمعه غيره من الكلام النفسي وغيره الذي هو بالنسبة الى سمعنا كنسبة ما نسمعه من الكلام الى سمع الاصم وسمعه ليس كاسماعنا بل هو متعلق بالمسموعات على ما هي عليه قبل وجودها كما ان علمه متعلق بالمعلومات كما هي قبل كونها ذكر انزال الكتاب على تلك الحال العظيمة البركة لاجل الارسال وبين ان معظم ثمرة الارسال الانذار لما للمرسل اليهم من انفسهم من البوار دل على ذلك من التدبير المحكم الذي اقتضته حكمة التربية فقال رب اي مالك ومنشي ومدبر السموات اي جميع الاجرام العالية والارض وما بينهما مما تشاهدون من هذا الفضا وما فيه من الهوا وغيره مما تعلمون من اسباب العباد وغيرها مما لا تعلمون ومن المعلوم انه ذو العرش والكرسي فعلم بهذا انه مالك الملك كله ولما كانوا معترفين بهذه الربوبية وبانفون من وصفهم بانهم غير محققين يعترفون به اشار الى ما يلدمهم بهذا الاقرار ان كانوا كما يزعمون من التحقيق فقال ان كنتم موقنين اي ان كان لكم بانه الخالق لما ذكر غرائز كم وجبلاتكم رسوخ في العلم الصافي السالم عن شوايب الاكدار من حظوظ النفوس وعوايق العلايق فانتم تعلمون انه لا بد لهذه الاجرام الكثيفة جدا المتعالي بعضها عن بعض بلا ممسك تشاهدونه مع تغير كل منها بانواع التغير من رب وانه لا يكون ربها على هذا النظام الا وهو كامل العلم شامل القدرة مختار في تدبيره حكيم في شانه كله وجميع تقديره وانه لا يجوز في الحكمة ان يدع من فيهما من العقلا الذين هم خلاصة ما فيهما هملا يبغي بعضهم على بعض من غير رسول يعلمهم باوامره واحكامه وزواجره منبها لهم على انه ما خلق هذا الخلق كله الا لاجلهم ليجردوا اسطوانه ويفردوا بالشكر ما جاءهم به من انواع هباته ولما ثبت بهذا النظر الصافي في ربوبيته ونفذ من اختلال التدبير على طول الزمان وحدانيته وبعدم الجري على نظام واحد من كل وجه فعله بالاختيار وقدرته صرح بذلك منبها لهم على ان النظر الصحيح انتج للدلالة فقال لا اله الا هو اي لا منازع له في امرهما او بعضه منازع او امكن ان ينازع فيكون محتاجا لا محالة والا لدفع عنه من يمكن نزاعه له وخلا اياه فلا يكون صالحا للتدبير والقهر لكل من يخالف رسله والانجا لكل من يوافقهم على مر الزمان وتطاول الدهر ومر الحدثان على نظام مستمر وحال ثابت مستقر ولما ثبت انه لا مدبر للوجود غيره ثبت قوله يحيي ويميت لان ذلك من اجل ما فيهما من التدبير وهو تنبيه على تمام دليل الوحدانية لانه لا شيء ممن فيهما يبقى ليسند التدبير اليه ويحال شيء من الامور عليه فهما جملتان الاولى نافية لما اثبتوه من الشركة والثانية مثبتة لما نفوه من البعث ولما اثبت انه المختص بالافاضة والسلب وكان السلب ادل على القهر ذكرهم ما له من ذلك في انفسهم فقال ربكم اي الذي افاض عليكم ما تشاهدون من النعم في الازواج وغيرها ولما كانوا يشاهدون من ربوبيته لا فرقي ابايهم ما يشاهدون لانفسهم ذكرهم نظرهم الى ابايهم فقال ورب اباكم الاولين اي الذين افاض عليهم ما افاض عليكم ثم سلبهم ذلك كما تعلمون فلم يقدر واحد منهم على ممانعته ولا طمع في منازعته بنوع مدافعة ولما كان اكثرهم منكرا ما لزمه القطع به بهذا البرهان الزاهر والسلطان الظاهر القاهر عنادا او لددا وان كان باطنه على غير ذلك فكان فعله فعل الشاك اللاعب كان التقدير لاجل ما يظهر من حالهم لكنكم غير موقنين بعلم من العلوم بنى عليه قوله مع الصرف الى الغيبة اعراضا عنهم ايذانا بالغضب وانهم اهل للمعاجلة بالعطب بل هم اي بضمايرهم في شك لانهم لا يجردون انفسهم من شوايب المكدرات لصفا العلم ثم اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان الشاغل لهم عن هذا المهم حال الصبيان مع ادعايهم الكمال باخلاق الاجلا من الرجال فقال يلعبون اي يفعلون دايما فعل التارك لما هو فيه من اجد الجد الذي لا مرية فيه الى اللعب الذي لا فايدة فيه ولا ثمرة له بوجه بعد فعل الشاك بالاعراض وعدم الاسراع الى التصديق والانقياد ولما كان هذا موضع ان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم المفهوم من السياق فماذا اصنع فيهم بعد هذا البيان الذي لم يدع لبسا لانسان سبب عن ذلك قوله تسلية له وتهديدا لهم فارتقب اي انتظر بكل جهدك غالبا عليهم ناظرا لاحوالهم نظر من هو حارس لها متحفظ من مثلها بهذه الكلمة الاسد الارقب والفعل المتعدي ولكنه قصر تهويلا لذهاب الوهم في مفعوله كل مذهب ولعل المراد في الاصل ما يحصل من اسباب نصرك وموجبات خذلانهم يوم تاتي السماء اي فيما يتخيل للعين لما يغشى البصر من شدة الجهد بالجوع ان كان المراد ما حصل لهم من المجاعة الناشية عن القحط الذي سببه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف وروى في الصحيح ان الرجل منهم كان يرى ما بين السما والارض كهيية الدخان وفي لواقع ان كان المراد عند قرب الساعة او عقب قيامها فانه ورد انه ياتي اذ ذاك فيغشى الناس ويحصل للمومن منه كهيية الزكام ويجوز ان يكون المراد اعم من ذلك كله واوله وقت القحط وكانا ايه على ما بعده ومنه ما ياتي عند خروج الدجال من القحط الذي يحصل قبله او غيره كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد اني قد خبات لك خبا فما هو قال الدخ وقرب الدخان لذلك قال تعالى بدخان مبين اي واضح لا لبس فيه عند رائيه ومبين لما سواه من الايات للفطن يغشى الناس اي المهددين بهذا وهم الذين رضوا الحضيض البوس والاضطراب عن اوج الثبات في رتبة الصواب روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا الدخان والدجال ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وامر العامة
وخويصة احدكم ولما كان من المعلوم انهم يقولون عند اتيانه جريا على عادة احدهم جهلهم ما هذا اجيبوا بقوله
تعالى حكاية عن لسان الحال او قول بعضهم او بعض اوليآء الله هذا عذاب اليم يخلص وجعه الى القلب فيبلغ في الم بما كنتم
تولون دعائكم الى الله برد مقولهم والاستخفاف باعتزازكم بكثرة العدد والقوة والمدد ولما كان كانه قيل فما قالوا
حين تحققوا ذلك قيل قالوا وقد انحلت عرى تلك العزايم ووهت تلك القوى من كل عازم وسلفت بعدا لعلو تلك الشوامخ
من الهمم مدعين انهم لغاية الاذهان من اهل القرب والدعوات ربنا اى ايها المبدع لنا والمحسن الينا اكشف عنا العذاب
ثم عللوا ذلك بما علموا انه الموجب لكشفه فقالوا مؤكدين لما حالهم من المنافاة لخبرهم انا مؤمنون اى عريقون في وصف الايمان فيجب
واصلون الى رتبة الايقان وهذا يصح ان يراد به بعد طلوع الشمس من مغربها كما روى الشيخان عن ابي هريرة رضى الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت وراها الناس آمنوا اجمعون وذلك حين لا
ينفع نفسا ايمانها ثم قرا الاية وان كان المراد بالعذاب ما حصل من القحط كان هذا الايمان على سبيل الوعد ولما
كان كشف الايات واظهار العذاب لا يفيد في الدلالة على الحق اكثر مما افادة الرسول بما اقامه من المعجزات بل افادة الرسول
اعظم اجيب من كانه سال عن حالهم عند ذلك بقوله معرضا عن خطابهم ايذانا بذلك وامضائهم لئلا يظن ظان انه ما كشف
عنهم العذاب الا لظن انهم صادقون انى اى كيف ومن اين لهم الذكرى اى هذا التذكر العظيم الذى وصفوا به انفسهم وقد
اى والحال انه قد جاءهم ما هو اعظم من ذلك بما لا يتفاوت رسول مبين اى ظاهر غاية الظهور انه رسولنا وموضح غاية
الايضاح لما جاءهم عنا بما اظهر من الايات وغير ذلك من الدلالات ولما كان الاعراض عنه مع ما له من العظمة بالبيان
استخفافا به وبمن جاء من عنده اشار الى ذلك باداة التراخي فقال ثم اى بعدما له من علو الرتبة في نفسه وبالاضافة الى من
ارسله ولما كانت الفطر الاولى داعية الى الاقبال على الحق نازعة الى الانقطاع الى الله والعكوف ببابه والالتجاء
الى جنابه الاجهد من النفس في النفور وعلاج دواعي الثبور اشار الى ذلك بالتعبير بصيغة التفعل فقالوا تولوا عنه
اى اطاعوا ما دعاهم الى الادبار عنه من دواعي الهوى ونوازع الشهوات والحظوظ وقالوا اى زيادة على اساءتهم بالتولي
معلم اى علمه غيره من البشر مجنون فلم يبالوا بالتناقض البين الامر وهذا يدل على ان من لا يبالي بعرضه ولا حياء له لا طب له
لانه لا وجود لدوائه وانه اذا امسها بلينه ويرده وبهيبته لا يؤمن من رجوعه الى الحال السئ عند كشفه لك الصرعنه
ولما لفت سبحانه الخطاب عنهم اهانة لهم بين ان سببه ان دائم عضال فليس له ابدا زوال فقال مؤكدا لهم
لاستبعادهم زوال ما هم فيه انا اى على ما لنا من العظمة بالعلم المحيط وغيره كاشفوا العذاب اى عنكم بدعاء رسولكم صلى الله
عليه وسلم في القول بان الدخان ما كانوا يرونه بسبب الجوع من القحط قليلا اقامة للحجة عليكم لا لخفاء ما في ضمائركم علينا
ولما كانوا انذاكروا الاخبار بكذبهم بايمانهم وهو باطل اكد سبحانه الاخبار بكذبهم ومن اصدق منه سبحانه قيلا
فقال تحقيقا لقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون انكم عائدون اى ثابت عودكم عقب كشفنا
عنكم في ذلك الزمن القصير الى الكفران وان اكدتم حصول الايمان بتاكيد الايمان لما في جبلاتكم من العوج ولطبايعكم من المبادرة
الى الزلل فايمانكم هذا الذى اخبرتم برسوخه عرض زايل وخيال باطل وان كان هذا في اخر الزمان فلا بدع ان يكون الخطاب
لهم على حقيقته بملك او غيره ممن يريد الله تعالى لان ذلك زمان خرق العادات ونقض المطردات اقامة للحجة عليهم ولله الحجة
البالغة وتاديبا لنا وتعليما ولما كان اليوم قد يراد به الزمن المجتمع في حكم من الاحكام وكان زمان الدخان ان
كان المراد به القحط الذى كان قبل يوم بدر وما يقرب من الساعة يسمى يوما وتحرا الاتحاد ذلك الحكم ابدل من يوم الدخان
قوله تهديدا يشق الاكباد يوم نبطش اى بما لنا من العظمة والبطش الاخذ بقوة البطشة الكبرى اى تحمل الهاعرام
وتحل عزايمهم وقواهم ولا تحتملها حقا بقهرهم وامتانهم سواء كانت البطشة يوم بدر او غيره فينحسر هنالك من كشف
حال الابتلاء عن طغيانه ومروده على ربه وعصيانه ويجوز ان يكون هذا ظرفا لعايدون ولما كان ما له سبحانه من
الحلم وطول الامهال موجبا لاهل البلادة والغلظة الشك في وعيده قال مؤكدا انا منتقمون اى ذلك لنا صفة ثابتة
لم نزل نفعلها باعدائنا لنصر اصفيائنا من اوليائنا ولما كان التقدير فلقد فتناهم بارسالك اليهم لنكشف ذلك
لمن لا يعلم الشئ الا بعد وقوعه كما نعلمه في الازل وفيما لا يزال ولم يزل من بواطن امورهم فنقوم الحجة على من خالفنا على مقتضى
عادات الخلق عطف عليه محذرا لقريش ومسليا للنبي صلى الله عليه وسلم قوله ولقد فتنا اى فعلنا على ما لنا من العظمة فعل الفاتن وهو
المختبر الذى يريد ان يعلم حقيقة الشئ بالاملاء والتمكين ثم الارسال ولما كان من المعلوم ان قوم فرعون لم يستغرقوا الزمان
ولا كانوا اقرب الناس زمنا الى قريش نزع الجار فقال الظرف لعدم الالتباس او انه عظم فتنتهم لما كان لهم من العظمة والمكنة
فجعلها لذلك كانها مستغرقة لجميع الزمان فقال قبلهم اى قبل هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم وعظة ولما كان

فرعون من ادوى من جاءه رسول قبلهم بما كان له من الجنود والاموال والمكنة وكان الرسول الذى اتاه قد جمع له صلى الله عليه وسلم
الايات التى اشتملت على التصرف في العناصر الاربعة فكان فيها الماء والتراب والنار والهواء وكانوا اذا اتتهم الاية قالوا يا ايها
الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فاذا اكشف عنهم ذلك عادوا الى ما كانوا عليه كما اخبر تعالى عن هؤلاء عند مجئ
الدخان الى غير ذلك مما شابهوهم فيه من الاسرار التى كشفها هذا المضمار وكان اخر ذلك ان اهلكهم اجمعين فكانوا اجلى مثل
لقوله تعالى في التى قبلها فاهلكنا اشد منهم بطشا خصهم بالذكر من بين المفتونين قبل فقال قوم فرعون اى مع فرعون لان ما
كان فتنة لقومه كان فتنة له لان الكبير ارسخ في الفتنة بما احاط به من الدنيا وسياتي التصريح به في اخر القصة وجاءهم
اى المصافين والمضاف اليه زيادة في فتنتهم رسول كريم يعلمون شرفه نسبا واخلاقا وافعالا ثم زاد بيان كرمه بما ظهر
لله به من العناية بما ايده به من المعجزات ولما الخبر بمجيئه اليهم بالرسالة التى لا تكون الا بالقول فسر ما
بلغهم منها بقوله ان ادوا اى اوصلوا مع اليسر وطيب النفس وابرز ذلك في صيغة الامر الذى لا تسوغ مخالفته ولما كان
بين موسى عليه السلام وبين تصرفه في قومه حايل كثيف من ظلم فرعون وقومه اشار اليه بحرف فقال الى ونبهه على انه
لا حكم له عليهم بقوله عباد الله اى بنى اسرايل الذين استعبدتموهم ظلما وكبر عليهم عبوديته الا لله الذى ظهر في امورهم
صفات جلاله وجماله بما صنع مع ابيهم ابرهيم عليه السلام ومن بعده وما سيظهر مما ترونه وما يكون بعدكم ولما كان
لهم من النفع ان يتبعوا ما جاءهم به والضران ردوه ما ليس لغيرهم وكان لا يتقيد على تاديه بنى اسرايل اليه من اهل الهدى
غيرهم لا حتوائهم عليهم كان تقديمهم الجار في احكم مواضعه لله لله قال مؤكدا لانكارهم لرسالته انى لكم اى خاصة بسبب
ذلك رسول اى من عنده من لا تكون لرسالة الكاملة الامنة ولما كان الانسان لا يامن على السياسة الا ثقة
كافيا قال واصفا لنفسه بما يزيل عذرهم ويقيم الحجة عليهم امين اى بالغ الامانة لان الملك الديان لا يرسل الا من كان
كذلك ولما كان استعبادهم عبد الغير بغير حق في صورة العلو على مالك العبد قال وان لا تعلوا اى تفعلوا باستعبادكم
لبنى اسرايل بنى الله بن نبى الله بن خليل الله فعل العالى على الله الذى له مجامع العظمة ومعاقد العز ونفوذ الكلمة وجميع
اوصاف الكمال فانكم ان فعلتم ذلك اخذكم بعزته ودمركم بعظمته ولما كان علو من يتصرف في العبد على مالك
العبد لا يثبت الا بعد ثبوت انه ملكه وانه لا يجب التصرف فيه علل ذلك بقوله مؤكدا لاجل ان ما اتى به بصدد ان
ينكروه لان النزوع عما استقر في النفس ومضى عليه الالف بعيد انى اتيكم وهو يصح ان يكون اسم فاعل وان يكون فعلا مضارعا
ولما كان تعلمهم فعل العالى على السلطان قال بسلطان اى امر باهر قاهر من عندنا لكم لا يبقى لاحد
الاستعلاء عليه فكيف بالاستعلاء على من هو بامره مبين اى واضح في نفسه سلطنته ومظهر لغيره ذلك ولما
كان من العجايب ان يقتل منهم نفسا ثم يخرج فارا منهم ثم ياتي اليهم لا سيما اتيانا يقاهرهم فيه في امر عظيم من غير ان يقع بينهم
وبينه ما يمحوا ما تقدم منه ممن بينهم على اتيانه هذا على هذا الحال اية اخرى داله على السلطان فقال مؤكدا لتكذيبا لظنهم انه
في قبضتهم واني عذت اى اعتصمت وامتنعت بربي الذى رباني على ما اقتضاه لطفه بي واحسانه الى وربكم الذى
اعادني من قتلكم لى بكم على ما دعت اليه حكمته من جبروتكم وتكبركم وقوة مكنتكم ان ترجمون اى تجددوا في وقت من الاوقات
قتلى لكم لى ما اتيتكم حتى تؤنفت من ربى في ذلك فانى قلت اى اخاف ان يقتلون فقال سنشد عضدك باخيك ونجعل
لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا فهو من اعظم اياتي ان لا تصلوا على قوتكم وكبركم الى قتلى مع انه لا قوة لى بغير الله
ولما كان التقدير فان امنتم بذلك وسلمتم لى افلحتم عطف عليه قوله وان لم تؤمنوا لى اى
الذى ارسلني لتصدقوا لاجلى بما اخبرتكم به فاعتزلون وان لم تعتزلوا هلكتم ولا تقدرون على قتلى بوجه واناوا حد ممن تسومونهم سوء
العذاب وما قتلتم ابناءهم الا من اجلى فرباني على كفر من ضاقت عليه الارض بسببى وسفك الدماء في شانى ومنعه الله من ان
يصل الى منه سوء قبل ان اعوذ به فكيف به بعد ان ارسلني وعذت به فاعاذني واستجرته فاجارني ولما
كان التقدير فلم يؤمنوا به ولا لاجله ولم يعتزلوه بل بغوا له الغوايل وراموا ان يوقعوا به الدواهي والعواصم فلم يقدروا
على ذلك واذوا قومه وطال البلاء بسبب عنه قوله فدعا ربه الذى احسن اليه وضمن له سياسته وسياسة قومه شم
فسر ما دعا به بقوله ان هؤلاء اى الحقيرون الاراذل قوم اى لهم قوة على القيام فيما يحاولونه مجرمون اى موصوفون بالعراقة
في قطع ما امر به ان يوصل وذلك متضمن وصل ما امر به ان يقطع فكان المعنى فدعا بهذا المعنى ولذلك اى بان الدلالة على القصد
ولما كان ممن يستجيب دعاه ويكرم نداه سبب عن ذلك قوله فاسر اى فقلنا له اسر عامة الليل هذا على قراءة المدنيين
وابن كثير بوصل الهمزة وعلى قراءة غيرهم بالقطع المعنى اوقع السرى وهو سير عامة الليل بعبادى اى الذين هم اهل الاختصاص بهم الى
جنابي وهم بنو اسرايل الذين ارسلناك لاسعادهم باستنقاذهم ممن يظلمهم وتفريغهم لعبادتي ولما كان سبحانه قد
تقدم الى بنى اسرايل في ان يكونوا مهتيئين في الليلة التى امر بالسرى فيها بحيث لا يكون لاحد منهم عاقة اصلا كما تقدم بيانه في

الاعراض عن التوراة بين تاكيده كذلك بقوله ليلاً فصار تاكيداً لغير اللفظ وانما امره بالسير في الليل لانه اوقع بالقبط موت الابكار ليلا
فامر فرعون موسى عليه السلام ان يخرج بقومه في ذلك الوقت خوفا من ان يموت القبط ولما علم الله تعالى انهم ان تاخروا الى ان
يطلع الفجر ويرتفع عنهم الموت منعوهم الخروج وان تاخروا الى اخر الليل ادركوهم قبل الوصول الى البحر فادركوهم فقتلوهم علل هذا الامر
بقوله مؤكدا له لان حال القبط عندما امروهم بالخروج كان حال من لا يصدق انه يرجع في قوله انكم متبعون اي مطلوبون بغاية الشهوة
والجهد من عدوكم فلا يغرنكم ما هم فيه عند امركم بالخروج من الجزع من اقامتكم بين اظهرهم وسوالهم لكم في الخروج عنهم بسبب وقوع الموت
الغاشي فيهم فان القلوب بيد الله فهو يقسي قلب فرعون بعد رؤية هذه الايات حين يرتفع عنهم الموت ويفرغون من دفن موتاهم ثم
يطلبكم لما دبرته في القدم من سياستكم باغراقهم اجمعين ليظهر مجدي بذلك وارفع عنكم روع ما ادفعهم فاني اعلم انه لا قوة لكم
ولا طاقة بهم فلم اكلفكم لمباشرة شيء من امرهم ولما امره بالاسرا وعلله امره بما يفعل فيه وعلله فقال واترك البحر اي
اذا اسريت بهم وتبعك العدو ووصلت اليه وامرناك بضربه لينفتح لتدخلوا فيه فدخلتم ونجوتم رهوا بعد خروجكم منه باجمعكم
اي منفرجا واسعا ساكنا بحيث يكون المرتفع من مايه مرتفعا والمنخفض منخفضا كالجدار وطريقه الذي مررتم به يابسا واسيرسهل
على الحالة التي حللتم فيها ليدخل فيه عدوكم فننجيه باغراقهم كما وعدناكم وقال البغوي راهيا اي ذا رهو فسمي بالمصدر وعزاه الى
مقاتل كانت هذه اسبابا لدخول آل فرعون فيه على ذلك بما يكون عنها تسكينا لقلوبهم في ترك البحر طريقا مفتوحا
بدخله العدو فقال مؤكدا لاجل استبعاد بني اسرائيل مضمون الخبر لانه من خوارق العادات مع ما لفرعون وآله في قلوبهم من الهيبة
الموجبة لان يستبعد واامعانا عمومهم بالاهلاك انهم جند مغرقون اي متمكنون في هذا الوصف وان كان لهم وصف القوة والتجمع
الذي يحطه النجدة الموجبة للعلو في الامور ولما ادشر السياق ولا بد الى تقدير فاسرى موسى عليه السلام بعباد الله كما
امره الله فتبعهم آل فرعون كما اخبر سبحانه ففتح الله البحر بباهر قدرته وامسك ماءه كالجدران بقاهر عظمته وتركه بعد طواعيتهم
منه على حالته فتبعهم عباد الشيطان بما فاض عليهم من شقاوته فاغرقهم الله بعزته لم يفلت منهم احد عبر سبحانه عن هذا كله بقوله
على طريق الاستيناف كم تركوا اي الذين سبق الحكم باغراقهم فغرقوا من جنات اي بساتين هي في غاية ما يكون من طيب الارض وكثرة
الاشجار وزكا الثمار والنبات وحسنها الذي يستر الهموم ودل على كرم الارض بقوله وعيون وزروع اي مما يؤودون الاشجار
كان ذلك لا يكمل الا بمنازل ومناظر في الجنان وغيرها قال ومقام كريم اي مجلس شريف هو اهل لان يقوم الانسان
فيه لانه في النهاية فيما يرضيه ولما كان ذلك قد يكون بتعب صاحبه فيه دل على انه كان بكد غيرهم وهم في غاية التنعم
وهذا هو الذي حملهم على اتباع من كان يكفيهم مرد للحق اداهم الى الغرق قال ونعمة هي بفتح النون اسم للتنعم بمعنى الترفه
والعيش اللين الرغد واما التي بالكسر فهي الانعام كانوا فيها اي دائما فاكهين اي يفعلهم في عيشهم فعل المتفكه المترفه لا فعل من
يضطر الى اقامة نفسه كان هذا امرا عظيما لا يكاد يصدق انه يكون لاحد دل على عظمه وحصوله لهم بقوله كذلك
اي الامر كما اخبرنا به من تنعيمهم واخراجهم واغراقهم وانهم تركوا جميع ما كانوا فيه لم يغن عنهم شيء منه فلا يغترن احد بما ابليناه به
من النعم لئلا نصنع به من الاهلاك ما صنعناه بهم ولما انهم سوق الكلام هكذا اغراقهم كلهم زاده ايضاحا
بالتعبير بالارث الذي حقيقته الاخذ عن الميت اخذ الاستمرار فيه فقال عاطفا على ما تقدم تقديره بعد اسم الاشارة واورثناها
اي تلك الامور العظيمة قوما آخرين قال ابن برجان وقال في سورة الظلة وعيون وكنوز ومكان زروع لما كان المعهود من الزرع
الحصد في قرب المدة اورث زروعها وجناتها وما فيها من مقام كريم قوما ليسوا آبا لفرعون فانهم اهلكوا ولا بني اسرائيل فانهم قد
عبروا البحر لما توطد ملكهم في الارض المقدسة انفصل عن مصر فورثوا كنوزها واموالها ونعيمها ومقامها الكريم انتهى ولما كان الاهلاك
يوجب اسفا على المهلكين ولو من بعض الناس ولا سيما اذا كانوا جمعا فكيف اذا كانوا اهل مملكة كاملة ولا سيما اذا كانوا في نهاية
الرياسة اخبر بانهم كانوا اهوانهم عنده سبحانه على خلاف ذلك فسبب عما مضى قوله فما بكت عليهم استعارة لعدم الاكتراث
لهوانهم السماء والارض واذا لم يبك السكن فما ظنك بالساكن الذي هو بعضه روى ابو يعلى في مسنده والترمذي في جامعه وقال
غريب والمهدوي والرقاشي يضعفان في الحديث عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم الا وله في
السماء بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه وتلا هذه الاية وقال علي رضي الله عنه ان المؤمن اذا
بكى مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ولما جرت العادة بان العدو قد يمهله عدوه في بعض الاوقات لمثل وصية
وقضا حاجة فيمهله لكونه لخبر بعتهما لعدم الاكتراث بهم انهم كانوا دون ذلك فقال وما كانوا ولما كان هذا الاتباع
بادا ونحوها دل على ان ما كانوا فيه من طول الامهال كان كانه لم يكن لعظيم هذا الاخذ بخلاف ما جرى في التجريب
من ابراك الملائكة عليهم السلام فان تعقيبه عدم الانظار بذلك الوقت لرد الناس عن طلب انزالهم فقال تعالى منظرين
اي ممهلين عما انزلنا بهم من المصيبة من مهل ما لحظة فما فوقها ليتداركوا بعض ما فرطوا فيه ويتطرقوا في شيء مما يهمهم بل كان
اخذهم لشهوانيته علينا في اسرع من اللمح لم يقدروا على دفاع فما لوا عذاب الدنيا وصاروا الى عذاب الاخرة فخسروا الدارين

ولما كان انقاذ بني اسرائيل من القبط امرا باهرا لا يكاد يصدق فضلا عن ان يكون باهلاك اعدائهم
وما مروا واعز انفسهم
اكد سبحانه الاخبار به للاشارة الى ما يحق له من العظمة تنبيها على انه قادر ان يفعل بهذا النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه كذلك
وان كانت قريش يرون ذلك محالا وانهم في قبضتهم فقال ولقد نجينا اي بما لنا من العظمة تنجية عظيمة مع كونها بسبب الايات
المتفرقات كانت على التدريج بني اسرائيل عبدنا المخلص لنا من العذاب المهين بسبب انهم كانوا عندهم في عداد العبيد يستخدمونهم
الرجال والنسا بل ادل للذبادة على التصرف في العبيد بالتذبيح للابنا ولما تشوف السامع الى صاحب ذلك العذاب
قال مبدلا مما قبله امهاما لان فرعون نفسه كان عذابا لافراطه في اذاهم من فرعون ثم علل ذلك بما يعرف منه صحة الوصف
العذاب فقال مؤكدا لاجل حال قريش في استدلال المؤمنين حال من يكذب بان الله انجى بني اسرائيل على ضعفهم فهو ينجي غيرهم من الضعفا
او يكذب بان فرعون كان قويا انه كان عاليا اي في جبلته المراقة في العلو من المسرفين اي العريقين في مجاوزة الحدود ولما
كانت قريش تفتخر بظواهر الامور من الزينة والغرور ويعدونه تعظيما من الله ويعدون ضعف الحال في الدنيا شقاء ويعدا من الله
رد عليهم قولهم بما اتى بني اسرائيل على ما كانوا فيه من الضعف وسوء الحال بعد اهلاك آل فرعون بعذاب الاستيصال
فقال مؤكدا لاستبعاد قريش ان يختار من قل حظه من الدنيا ولقد اخترناهم اي فعلنا بما لنا من العظمة في جعلنا لهم خيارا
فعل من اجتهد في ذلك وعظم امرهم بقوله بانيا على ما تقديره اختيارا مستعليا على علم اي منا بما يكون منهم من خير وشر وقد ظهر
من اثاره انكم من ترثون تسلونهم وانهم صريح ولد اسمعيل عليه السلام عما يوبخ ويجعلونهم قد وقع فيما تصيبكم وتضربون لهم
اكباد الابل وهكذا يصير عن قليل كل من اتبع رسولكم صلى الله عليه وسلم منكم ومن غيركم بن المفضل بن المفضل
ولما اعلم
عليه فقال على العالمين اي الموجودين في زمانهم بما انزلنا عليهم من الكتب وارسلنا اليهم من الرسل
باختيارهم بين اثار الاختيار فقال واتيناهم اي على ما لنا من العظمة من الايات اي العلامات الدالة على عظمتنا واختيارنا
لهم من حين اي موسى عبدنا عليه السلام فرعون الى ان فارقهم بالوفاة وبعد وفاته على ايدي الانبيا المقررين لشرعه عليه السلام
ما فيه بلاء اي اختيار مثله يميل من ينظره او يسمعه او يحيله الى غير ما كان عليه وذلك بفرق البحر وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغير ذلك مما راوه من الايات التسع وفي هذا اماموراد للعرب عن بعض اقوالهم من خوف التخطف من العرب والعجم
لقطع الجلب عنهم وغير ذلك مبين اي بين في نفسه موضح لغيره وما انسب هذا الختم لقوله اولا فتنتهم ولقد فتنا قبلهم قوم
فرعون ولما ثبت بما مضى انه سبحانه متصف بالاحيا والاماتة وكان انكاره لذلك عنادا لا يستطيع احد ان يثبت الا له
ان ينكره وكان الاقرار بذلك في بعض وانكاره في بعض تحكما ومخالفا لحاكم العقل وصار من النقل وكان من الايات التي اوتوها
احياؤهم بعد اماتتهم حين طلبوا الرؤية فاخذتهم الصاعقة وحين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت وكان ذلك
هو البعث بعينه وكان العرب ينكرونه ويبالغون في انكارهم له ولا يسلونهم عنه قال موبخا لهم مشيرا بالتاكيد الى انه
لا يكاد يصدق ان احدا ينكر ذلك لما له من الادلة ان وحقرهم بقوله هؤلاء اي الادنيا الاقلا الاذلا ليقولون اي
بعد قيام الحجة البالغة عليهم مبالغين في الانكار في نظير تاكيد الاثبات ولما كان قد تقدم قوله ان اي ما
تعالى يحيي ويميت وهم يعلمون ان المراد به انه يتكرر منه الاحيا للشخص الواحد وكان تعالى قد قال ولا يخاطبهم الا بما يعرفونه
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون اي بالانتشار بعد الحياة وقال امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
قالوا هنا هي الا موتتنا على حذف مضاف اي ما الحياة الا حياة موتتنا الاولى اي التي كانت قبل نفخ الروح حاسبا في
الجانية ان هي الا حياتنا الدنيا وعبروا عنها بالموتة اشارة الى ان الحياة في جنب الموت المؤبد على زعمهم امر متلاش لا نسبة
لها منه وساق سبحانه كلامهم على هذا الوجه اشارة الى ان الامور اذا اقيس غايتها على شاهدها كان الاحيا بعد الموتة الثانية
اولى لكونه بعد حياة من الاحيا بعد الموتة الاولى لحط الامر على ان لا بد اكان من موت لم يتقدمه حياة والفراد يكون على
حياة لا تعقبها موت كان المعنى وليس وراها حياة اكدوه بما يفهمه فقالوا تصريحا بردما انبته الله على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم وما نحن واكدوا النفي فقالوا بمنشرين اي من منشر ما بالبعث بحيث نصير ذوي حركة اختيارية
ننتشر بها بعد الموت يقال نشر وانشر اذا احياه ولما كانوا يزعمون ان دعوى الاحيا لا تنفع الا ان شاهد واحد
احد من الاموات الذي يعرفونهم حيا بعد ان تمزق سببوا عن انكارهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه فأتوا اي ايها
الزاعمون انا نبعث بعد الموت ايذانا بانهم لا يصدقون بذلك وان كثر معتقدوه بآبائنا اي لكونهم نعرفهم ونعرف وجود
عقولهم فلا نسك في ان ذلك احيا لمن مات ليكون ذلك اية لنا على البعث واكدوا انكارهم بقولهم ان كنتم صادقين اي ايها
ولما
اجترؤا على هذه العظيمة قطعا لانها لو وقعت لم تكن الا دل على ثبوت النبوة المستلزمة لتصديق
كل ما يقول لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وما ياتيهم به من الايات عن خالقين من الله وهم يعلمون قدرته واهلاكه لمن مضى
لاجل تكذيب الرسل عليهم السلام كانوا كانهم يدعون خصوصية في مكنة من عين ومعنى ينجون بها من مثل ما اتى من قبلهم

في ذلك فقال تعالى منكراً عليهم أهم خير اي في الدين والدنيا أم قوم تبع الذي ملك بهم تبع الارض بطولها والعرض وحير الحيرة وبنى قصر سمرقند وكان مؤمناً وقومه حمير ومن تبعهم اقرب المهلكين الى قريش زماناً ومكاناً وكان له بمكة المشرفة ما ليس لغيره من الآثار وقال الرازي في اللوامع هو اول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة واقام ستة ايام وطاف به وحلق وقال البغوي بعد ان ذكر قصته مع الانصار لما قتل ابنه غيلة في المدينة الشريفة وما وعظته به اليهود في الكف عن اخراب المدينة لانها مهاجر نبي من قريش فصدقهم وتبع دينهم وذلك قبل نبينا وقال ابن الرباشي آمن تبع بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة عام وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لا تسبوا تبعاً فانه كان رجلاً صالحاً ولما كان في سياق التهديد بالاهلاك لاجل مخالفتهم وكان الاهلاك لذلك انما كان لبعض الامم من تقدم زمانهم لا لجميع الخلق ادخل الجار فقال والذين من قبلهم اي من مشاهير الامم كمدين واصحاب الايكة والرس وثمود وعاد ولما كان كانه قيل ما لهؤلاء الامم قيل أهلكناهم اي بعظمتنا وان كانوا اعظم ما لا يعشر هؤلاء فيما لهم من المكنة لقطعهم من امر الله به ان يوصل من الرسل واتباعهم وتكذيبهم بما اتوا به وكذلك علل الاهلاك تحذيراً للعرب بقوله مؤكداً لظنهم ان هلاكهم انما هو على عادة الدهر انهم كانوا اي جبلة وطبعاً مجرمين اي عريقين في الاجرام فليحذر هؤلاء ان ارتكبوا مثل افعالهم من مثل حالهم ولما كان التقدير للاستدلال على الجزاء الذي جاءت به الرسل المتكفل بجميع احكامه يوم القيمة كأنا ما خلقنا الناس عبثاً يبغي بعضهم على بعض ثم لا يؤاخذون عطف عليه ما هو اكبر في الظاهر منه فقال وما خلقنا السموات اي على عظمها واتساع كل واحدة منها وطولها لما تحتها وجمعها لان العمل كلما ازداد كان انفى من العبث مع ان ادراك تعددها مما تقضي به المشاهدة بما فيها من الكواكب ووحد في سورة الانبياء تخصيصاً بما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته لما ذكرها من اختصاص ذلك بما بطن ولما كان الدليل على تطابق الاراضي دقيقاً وحدها فقال والارض اي على ما فيها من المنافع وما بينهما اي النوعين وبين كل واحدة منهما وما يليها لاعبين اي على ما لنا من العظمة التي لا يقدر له ادنى عقل تعالينا عن اللعب لانه لا يفعله الا ناقص ولو تركنا الناس يبغي بعضهم على بعض كما نشاهده ونموت ولا ناخذ لضعيفهم بحقه من قويهم لكان خلقنا لهم لعباً بل اللعب اخف منه ولم نكن على ذلك النقدير متحققين لصفة العدل وسيقرر فانه لا قدست امة لا يوخذ لضعيفها بالحق من قويها غير متعتع رواه ابن ماجة عن ابي سعيد وابن جميع في معجمه عن جابر وصاحب الفردوس عن ابي موسى رضي الله عنهم رفعوه وهو شيء لا يرضى به لنفسه اقل حكام الدنيا فكان هذا برهاناً قاطعاً على صحة الحشر ليظهر هناك الفصل بالعدل والفضل ولما نفى ان يكون خلق ذلك اللعب الذي هو باطل اثبت ما خلقه له ولم يصرح بما في البين لانه تابع وقد نبه عليه ما مضى فقال مستثنياً نفياً ما خلقناهما اي السموات والاراضي مع ما بينهما الا بالحق من الحكم بين من فيهما لمن عمل الباطل عاقبناه ومن عمل الحق اثبناه وبذلك يظهر غاية الظهور احاطتنا بجميع صفات الكمال كما نبهنا عليه اهل الكمال في هذه الدار بجعلها الذي واقعه مطابق للحق وهو ما لنا من تلك الصفات المقتضية للبعث لاحقاق الحق وابطال الباطل مما لا خفاء فيه عند احد ولما كان اكثر الخلق لا يعلم ذلك لغفلته عن النظر في دليله وان كان قطعياً بديهياً قال ولكن اكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين انت بين اظهرهم وهم يقولون ان هي الا موتتنا الاولى وكذا من نحا نحوهم لا يعلمون اي انا خلقنا الخلق بسبب اقامة الحق فهم لاجل ذلك يجترئون على المعاصي ويفسدون في الارض لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً ولو تدبروا ما ركزناه في جبلاتهم لعلموا علماً ظاهراً انه الحق الذي لا معدل عنه كما يتولى حكامهم المناصب لاجل اظهار الحكم بين رعاياهم ويشترطون الحكم بالحق ويؤكدون على انفسهم انهم لا يتجاوزونه ولما كان كانه قيل انا نرى اكثر المظلومين يموتون بمرير غصصهم مقهورين واكثر الظالمين يذهبون ظافرين بمطالبهم مسرورين فمتى يكون هذا الحق قال جواباً له لكن مؤكداً لاجل تكذيبهم ان يوم الفصل عند جميع الاولين والآخرين من جميع المكلفين الذي يفصل كل احد للفرق بين كل ملبس ولا يدع نوعاً منه حتى انه يميز بين المكاره والمحاب ودار النعيم ودار الجحيم وبين اهل كل منهما بتمييز المحق من المبطل بالثواب والعقاب وهو بعد البعث من الموت ميقاتهم اي وقت جمع الخلائق للحكم بينهم الذي ضرب لهم في الازل وانزلت به الكتب على السنة الرسل اجمعين لا يتخلف عنه احد ممن مات من الجن والانس والملائكة وجميع الحيوانات ولما ذكر هذا اليوم الذي دل على عظمته بهذه العبارة افراداً وتركيباً ذكر من وصفه ما يحمل على الخوف والرجا فقال مبدلاً منه يوم لا يغني بوجه من الوجوه مولى بقرابة او غيرها بحلف او رق من اعلى او اسفل عن مولى اي ابداً من اجل ما وقع منه شيئاً اي من الاغنا ولما كان الاغنا تارة يكون بالرفق واخرى بالعنف صرح بالثاني لانه اعظمهما وانسب للاهلاك والقهر فقال ولا هم اي العثمان ينصرون اي من ناصر ما لو اراد بعضهم نصر بعض او اراد غيرهم لو فرض ان ينصرهم وعبر بالجمع الذي افادة ايهام المولى لينال القليل والكثير منه لان النفي عنه نفي عن الافراد من باب الاولى ولما نفى الاغناء استثنى منه فقال الا من رحم الله اي اراد اكرامه الملك الاعظم وهم المؤمنون يشفع بعضهم لبعض باذن الله في الشفاعة لاحدهم فيكرم الشافع فيه بقبول شفاعته ويكرمه هو بقبول الشفاعة فيه ولما كان ما تقدم دالاً على تمام

القدرة في الاكرام والانتقام وكان الاكرام قد يكون عن ضعف قال نافياً لذلك ومقرراً لتمام القدرة اللازم منه الاختصاص بذلك مؤكداً له تنبيهاً على انه مما ينبغي ان يجعل نصب العين وتعقد عليه الخناصر ولا انكارهم وتكذيبهم بالبعث يتضمن التكذيب بذلك انه هو اي وحده العزيز اي المنيع الذي لا يقدح في عزته عفو ولا عقاب بل ذلك دليل على عزته فانه يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير مبالاة بأحد ولما كان العزيز قد لا يرحم قال الرحيم اي الذي لا تمنع عزته ان يكرم من يشاء ولما كان السياق للانتقام اخبر عن حال الفجار على سبيل الاستئناف فقال مؤكداً لما يكذبون به ان شجرت الزقوم التي تقدم من وصفها ما يقطع القلوب من انها تخرج في اصل الجحيم وان طلعها كانه رؤس الشياطين وغير ما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى والذي يعرفونه من ذلك في الدنيا انها شجرة صغيرة الورق ذفرة اي شديدة النتن مرة من الزقم اي اللقم الشديد والشرب المفرط وقال عبد الحق في كتابه الواعي هي الزقوم شجرة غبراء صغيرة الورق لا شوك لها ذفرة لها كعابر في سوقها اي عقد كالانابيب ولها ورد تجرسه النحل ورأسها قبيح جداً وهي مرعى ومنابتها السهل قال ابن برجان وهي في النار في مقابلة شجرة طوبى في الجنة يضطرون الى اكلها والى شرب الغسلين كما يضطر اهل الدنيا لادخال الطعام والشراب طعام الاثيم المبالغ في اكتساب الآثام حتى مرن عليها فصارت به الى الكفر كالمهل اي القطران الرقيق وما ذاب من صفر او حديد او دردي الزيت روى احمد والترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين وابن حبان في صحيحه والحاكم من وجه آخر وقال الحاكم صحيح الاسناد عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه تغلي اي الشجرة على قراءة الجماعة بالتانيث والطعام على قراءة ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب بالتذكير ولا يعود الضمير على المهل لانه مشبه به في البطون اي من شدة الحر ولما كان التذكير بما يعرف شان عظيم في الاقبال او التنفير وان كان دون ما شبه به قال كغلي اي مثل غلي الحميم اي الماء الذي تناهى حره بما يوقد تحته فهو يثب كانه يريد ان يتخلص مما هو فيه من الحر روى الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ولما كان كانه قيل ما للاثيم باكل هذا الطعام وما الحامل له عليه وعلى مقاربته فكانه اجيب بانه مقهور عليه بما تقتضيه صفة العزة فيه الرحمة لاعادئه بان يقال للزبانية خذوه فهو فلانه عدو لا يملك من امره شيئاً فاعتلوه اي جروه بغلظة وقهر وعنف وسرعة الى العذاب والاهانة بحيث يكون كانه محمول وقال الرازي في اللوامع والعتل ان ياخذ بمجامع ثوبه عند صدره ويجره وقراءة الضم ادل على تناهي الغلظة والشدة من قراءة الكسر الى سواء اي وسط الجحيم اي النار التي هي في غاية الاضطرام والتوقد وهي موضع خروج الشجرة التي هي طعامه ولما افهم هذا انه صار في موضع يحيط به العذاب فيه من جميع الجوانب ثم صبوا اي في جميع الجهة التي هي فوق راسه ليكون المصبوب محيطاً بجميع جسمه من عذاب الحميم اي العذاب الذي يغلي به الحميم او الذي هو الحميم نفسه والتعبير عنه بالعذاب اهول وهذا في مقابلة ما كان لهم من البركة بما ينزل من السماء من المطر ليجتمع لهم حر الظاهر بالحميم والباطن بالزقوم ولما علم من هذا انه لا يملك من امر نفسه شيئاً بل وصل الى غاية الهوان دل عليه بالتهكم بما كان يظن في نفسه من العظمة التي كان يترفع بها في الدنيا على اوامر الله فقيل بناء على ما تقديره يفعل به ذلك مقولاً له ذق اي من هذا او صلى الله به تعززك على اولياء الله ولما كان اولياء الله من الرسل واتباعهم يخبرون في الدنيا انه لا بد من امر الله وهو الذليل الحقير وكان هذا الآثم واتباعه يكذبون بذلك ويؤكدون قولهم المقتضي لعظمته لاحراق اكباد الاولياء حكى له قولهم على ما كانوا يلفظون به زيادة في تعذيبه بالتوبيخ والتقريع معللاً للامر بالذوق انك واكد بقوله انت اي وحدك دون هؤلاء الذين يخبرون بحقارتك العزيز اي الذي يغلب ولا يغلب الكريم اي الجامع الى الجود شرف النفس وعظم الآباء فلا ينفك عن سترها ويا الاخلاف باطنها ومعاليها فلست بلئيم اي بخيل مهين النفس خسيس الآباء فهو كناية عن مخاطبته بالخسة مع اقامة الدليل على ذلك بما هو فيه من الهوان لك وقراءة الكسائي بفتح ان دالة على هذا العذاب قولاً وفعلاً على ما كان يقال له من هذا في الدنيا ويعتقد هو انه حق ولما دل على انه يقال هذا الكل من الاهانة ويفعل به على جهة دل على ما يعمونه فقال مؤكداً رداً لتكذيبهم سابقاً له على وجه مفهم انه علة ما ذكر من عذابهم ان هذا اي العذاب قولاً وفعلاً وحالاً ما كنتم اي جبلة وطبعاً طبعنا كم عليه لتظهر قدرتنا في امركم دنيا واخرى به تمترون اي تعالجون انفسكم وتحملونها على الشك فيه وتردونها عما لها من الفطرة الاولى من التصديق بالممكن لا سيما المخبر بصدقه وظهرت خوارق العادات على يديه بحيث كنتم لشبهة ردكم له كانكم تحضونه بالشك ولما وصف سبحانه ما للمبالغ في المساوي وافرده او لا اشارة الى تقليل في قوم هذا النبي الكريم الذين ذاركهم الله بدعوته تشريفاً له واعلاً لمقداره وجمع اخراً اذا كرامن اثاره ما استحق به ذلك من شاركه في اوزاره فهم ان وصفه انقضى وتم ومضى فالتفت النفس الى تعرف ما لاضداده الذين خالفوه في مبدئه ومعاده فقال مؤكداً لما لهم من التكذيب بذلك ان المتقين اي العريقين في هذا الوصف في مقام اي موضع اقامة لا يريد الحال فيه تحولاً عنه أمين اي يأمن صاحبه فيه من كل ما لا يعجبه ولما كان

الوصف لعدا الوصف شديد الترغيب في الشيء قال لما كانت من مقام في جنات اي بساتين تقصر العقول عن ادراك وصفها كل وصفها هو
وعيون كذلك بحيث تغن بها العيون ولما اشار الى وصف ما للباطن من لذة النظر ولباس الاكل والشرب اتبعه شرح
الظاهر وما للكل من القرب فقال يلبسون ودل على الكثرة جدا بقوله من سندس وهو مارق من الحرير يعمل حرجوها واستبرق وهو
ما غلظ منه يعمل بطاين وسمي بذلك لشدة بريقه ولما وصف الانعام بما لهم من التنعم الشاغل لكل منهم عن نفسه وعن غيره بعدما
تقدم في الزخرف في اية الاخلاء ما اعلم بكونهم متدابرين وصف اضدادهم بما لهم من البسط مع الاجتماع فقال متقابلين اي ليس منهم
احد يدابر الاخر لا حسا ولا معنى وورد ان كلا منهم يقابل الاخر ناظرا اليه فاذا ارادوا الانصراف المستور بينهم والمكان
هذا امر ابهمه العقل فلا يكاد يتصوره قال مؤكدا له كذلك اي الامر كما ذكرنا سواء الامر به ولما كان ذلك لا يتم
السرور به الا بالازواج قال وزوجناهم اي قرناهم كما تقرن الازواج وليس المراد به العقد لان فعله متعد بنفسه وهو
لا يكون في الجنة لان فايدته الحل والجنة ليست بدار كلفة من تحليل او تحريم وذكر مظهر العظمة تنبيها على كمال الشرف بحور
اي على حسب التوزيع بجواري بيض حسان نقيات الثياب عين اي واسعات الاعين ولما كان الانسان في الدنيا يخشى
كلفة النفقات وصف ما هنالك من سعة الخيرات فقال يدعون اي يطلبون طلبا هو بغاية السرعة فيها بكل لا يمتنع عليهم صنف
من الاصناف بعد مكان ولا فقدان ولا غير ذلك من الشان قال فاكهة ايذانا بان ذلك مع سعته ليس فيه شيء لاقامة
البنية وانما هو للتفكه ولما كان التوسع في التلذذ يخشى منه غوايل جمة قال امنين اي وهم في غاية
الامن من كل مخوف ولما ذكر الامان وكان اخوف ما يخاف اهل الدنيا الموت قال لا يذوقون فيها اي الجنة الموت اي
لا يتجدد لهم اوايل استطعامه فكيف بما وراء ذلك ولما كان المراد نفي ذلك على وجه يحصل معه القطع بالامن على اعلى الوجوه وكان
الاستثناء معيارا للعموم وكان من المعلوم ان ما كان في الدنيا من ذوق الموت الذي هو معنى من المعاني قد استحال عوده قال بانيا على هذا
المحال الا الموتة ولما كان المعنى مع اسناد الذوق اليهم لا يلبس لان ما قبل نفخ الروح ليس موتا عبر بقوله الاولى وقد
افهم التقييد بالظرف ان النار يذاق فيها الموت والوصف بالاولى ان المذوق موتة ثانية فكان كانه قيل لكن غير المتقين ممن كان عاصيا
فيدخل النار يذوق فيها موتة اخرى كما جاء في الاحاديث الصحيحة ويجوز ان يحمل وصف المتقين اعم من الراسخين وغيرهم فيكون الحكم على المجموع
اي ان الكل لا يذوقون بعضهم وهم من اراد الله من العصاة به وقوته في غيرها وموت النار ويجوز ان يكون الموتة الاولى كانت في الجنة
المجازية فلا يكون تعليقا بالمحال وذلك ان المتقي لم يزل فيها في الدنيا مجازا بما له من التسبب وبما سبق من حكم الله له بها قال صلى الله عليه
وسلم المسلم اذا عاد اخاه لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع قيل وما خرفة الجنة قال جناها واذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وكذا الكلوم
له انها موتها عند الموت وبعده بما له من التمتع بالنظر ونحوه من الاكل للشهدا وغير ذلك مما ورد في الاخبار الصحيحة ومن ذلك ما رواه
البخاري عن انس رضي الله عنه ان عمه انس بن النضر رضي الله عنه قال يوم احد يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني اجد ريحها من دون احد
ثم قاتل حتى قتل ثم يكون تمام ذلك النعيم بالجنة بعد البعث فكان من رجان الدنيا اذا تحققت في حق المؤمن المتقي وتبع النظر فيها
فانها جنة صغرى لتوليه سبحانه اياهم فيها وقربه منهم ونظره اليهم وذكرهم له وعبادتهم اياه وشغلهم به وهو معهم اينما كانوا
ولما كان السياق للمتقين قال ووقاهم اي المتقين عذاب الجحيم اي التي تقدم اصلاء الاثيم لها واما غير المتقين من العصاة
فيدخل الله من اراد منهم النار فيعذب كلا منهم على قدر ذنوبه ثم يميتهم فيها ويستمرون الى ان ياذن الله في الشفاعة فيهم
فيخرجهم ثم يحييهم بما يرش عليهم اهل الجنة من ماء الحياة روى الامام احمد في مسنده ومسلم في الايمان من صحيحه وابن ماجه في
الشفاعة من سننه والدارمي في صفة الجنة والنار من مسنده المشهور بالمسند وابن ابي حاتم في تفسيره عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها وقال الدارمي الذين هم للنار فانهم لا يموتون فيها
ولا يحيون ولكن ناس منكم اصابتهم النار بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتهم الله تعالى اماتة وقال الامام احمد فيميتهم اماتة
وقال الدارمي فان النار تصيبهم على قدر ذنوبهم فيحترقون فيها حتى اذا كانوا فحما اذن في الشفاعة فجيء بهم وقال الدارمي فيخرجون
من النار ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون وقال الدارمي فتنبت لحومهم نبات
الحبة في حميل السيل الضبائر قال عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرائب جمع ضبارة مثل عمارة وعماير جماعات الناس وروى
ابو يعلى عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل ناس في النار حتى اذا صاروا فحما ادخلوا الجنة فيقول اهل
الجنة من هؤلاء فيقال هؤلاء الجهنميون ولاحمد بن منيع عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يوضع الصراط فذكر شفاعة المؤمنين في اخوانهم بعد جواز الصراط واذن الله لهم في اخراجهم قال فيخرجونهم منها فيطرحونهم
في ماء الحياة فينبتون نبات الزرعة في غثاء السيل ولابن ابي عمر عن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخرج الله قوما من النار بعدما امتحشوا فيها وصاروا فحما فيلقون في نهر على باب الجنة يسمى نهر الحياة فينبتون فيه
كما تنبت الحبة في حميل السيل وكما تنبت الثعارير فيدخلون الجنة فيقال هؤلاء عتقاء الرحمن الثعارير بالثاء المثلثة والعين

والراء المهملتين نبات كالهليون وروى الترمذي وقال حسن صحيح روى من غير وجه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على ابواب
الجنة فيرش عليهم اهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة ولما كان السياق للمتقين
لكان ربما ظن ان هذا الذي فعل بهم حق لهم لا بد ولا محيد عنه بين ان الامر على غير ذلك وانه سبحانه لو واخذهم ولم يعاملهم
بفضله وعفوه لهلكوا فقال فضلا اي فعل بهم ذلك لاجل الفضل ولذلك لفت الكلام عن مظهر العظمة فقال من ربك اي المحسن
اليك بكمال احسانه الى اتباعك احسانا يليق بك قال الرازي في اللوامع اصل الايمان رؤية الفضل في جميع الاحوال ولما
عظمه تعالى باظهار هذه الصفة مضافة اليه صلى الله عليه وسلم زاد في تعظيمه بالاشارة باداة البعد
فقال ذلك اي الفضل العظيم الواسع هو اي خاصة الفوز اي الظفر بجميع المطالب العظيم الذي لم يدع جهة للشرف الا
ملأها ولما قدم سبحانه في هذه السورة ما للقران من البركة بما اشتمل عليه من البشارة والنذارة والجمع والفرق وذكرهم
بما يعرفون به من انه مبدع هذا الكون مما يستلزم اقرارهم بتوحيده المستلزم لانه يفعل ما يشاء من ارسال او انال
وتنبئة وبعث وغير ذلك وهددهم بما لا يقدر عليه غيره من الدخان والبطشة وفعل بعض ذلك وذكرهم بما يعرفون
من اخبار من مضى من قوم فرعون وانهم مرد للكلمة الكبرى والبعث ثم ذكر ما يقتضي التحذير والتبشير كل ذلك في اساليب
فاتت كل مدى فاعجزت جميع القوى مع ما لها من المعاني الباهرة والبدايع الزاهرة الناهرة سبب عن قوله فذلك للسورة
فانما يسرناه اي جعلنا له يسرا عظيما وسهولة كبيرة ولما كان الانسان كلما ازدادت فصاحته وعظمت بلاغته
كان كلامه ابين وقوله اعذب وارصن وارشق وامتن وكان صلى الله عليه وسلم افصح الناس وابعدهم لذلك من التكلف
اضافه اليه فقط فقال بلسانك اي هذا العربي المبين وهم عرب يجمعهم الفصاحة لعلهم يتذكرون اي ليكونوا عند
من يراهم وهو عارف بلسانهم من شانه كشانهم على رجاء من ان يتذكروا ان هذا القران شاهد باعجازه بصحة ما فيه من التوحيد
والرسالة وغيرهما مما سبق لك وجلى عليك والا لقدروا وهم افصح الناس على معارضة شيء منه فيتذكروا ما اغفلوا عنه
من انه عزيز باهلاكه الجبابرة وانه حكيم بنصبه الايات لانبيائه وتاييدهم بالمعجزات ومن ان الكبير منهم لا يرضى ان يطعن احد
في كبريايه ولا ان يترك من له عليه حكم وهو تحت حكمه ان يبغي بعضهم على بعض ثم لا ينصر المظلوم منهم على ظالمه ولا ياخذ بيده
حتى لا يستوي المحسن بالمسيء فاذا تذكروا ذلك مع ما يعرفون من قدرة الملك وكبريايه وحكمته علموا قطعا انه لا بد من البعث
للتمييز بين اهل الصلاح والفساد والفصل بين جميع العباد فتسبب عن ذلك قوله فارتقب اي ما جئتك به من تذكيرهم المستلزم
لهدايتهم ولما كانوا يظهرون تجلدا ولددا انهم لا يعبؤون بشيء من القران ولا غيره مما ياتي به ولا يعدون شيئا
منه ايه اخبر عما يبطنون من خوفهم وانتظارهم لجميع ما يهددهم به مؤكدا لاجل ظن من حمل تجلدهم على انه جلد فقال انهم
وزاد الامر بالاخبار بالاسم الدال على الثبات والدوام فقال مرتقبون اي بتكليفهم انفسهم للرقبة واجهادهم افكارهم
في ذلك دايما لا يزايلهم بل قد قطع قلوبهم وملا صدورهم فقد انطبق اخر السورة على اولها بل على المراد من مجملها ومفصلها
بذكر الكتاب والارتقاب لانواع العذاب والله الهادي الى الصواب انه الكريم الوهاب

سورة الجاثية

مقصودها الدلالة على ان منزل هذا الكتاب كما دل عليه في الدخان ذو العز لانه لا يغلبه شيء وتسمى الشريعة
وهو يغلب كل شيء والحكمة لانه لم يضع شيئا الا في احكم مواضعه فعلم انه المختص بالكبرياء فوضع شرعا هو في غاية الاستقامة
لا تستقل العقول بادراكه ولا يخرج شيء منه عنه امر فيه ونهى ورغب ورهب ثم بطن حتى انه لا يعرف وظهر حتى انه لا يجهل
فمن المكلفين من حكم عقله وجانب هواه فشهد جلاله فسمع واطاع ومنهم من تبع هواه فضل عن نور العقل فزاغ واضاع
فاقتضت الحكمة ولا بد ان يجمع سبحانه الخلق ليوم الفصل فيظهر كل الظنون ويدين عباده ليشهد رحمته المطيع وكبرياءه
العاصي وينشر العدل ويظهر الفضل ويتجلى في جميع صفاته لجميع خلقه وعلى ذلك دل اسمها الشريعة واسمها الجاثية واضح
الدلالة فيه اذا تومل كل من اسميها والله الهادي بسم الله الذي تفرد بتمام العز والكبرياء الرحمن الذي احكم رحمته
بالبيان العام للسعداء والاشقياء الرحيم الذي خص بالتزام طاعته الاولياء حم اي حكمة محمد التي المنتهي كما تقدم
في الدخان مالهم انزاله من ام الكتاب جملة الى بيت العزة ودل على ركنه بما دل على حكمه منزله وعزته بالبشارة والنذارة
والايقاع بالمجرمين بعد طول الحلم والاناة والنجاة للمتقين وغير ذلك من امور هي في غاية الدلالة على ذلك لانها دالة
الى الحرم من الغني السمع وهو سميعك واشار الى سهولتها على من تامل هذا الذكر المترجم بلسان اعلى الخلق واحكمهم واشرفهم
خلائق وافضلهم ابتداه بالاعلام بانه زاد ذلك يسرا وسهولة بانزاله منجما بحسب الوقائع مطابقا لها اتم
مطابقة بعد انزاله جملة من ام الكتاب ثم مرتبا لما انزل منه ترتيبا يفهم علوما ويوضح اسرارا غامضة مهمة فقال
تنزيل الكتاب اي انزال الجامع لكل خير مفرقا لزيادة التسهيل في التفهيم والابلاغ في اليسر في التعليم وغير ذلك من الفضل

العليم وزاده عظما بقوله من الله اي كائن من المحيط بصفات الكمال ولما كان كما مضى العزة والحكمة اعظم ركه هنا قال
العزيز الحكيم فكان كتابه عزيزا حكيما لا كما تقول الكفرة من انه شعرا وكذب او كهانة لانه لا حكمة لذلك ولا عزة بحيث يلتبس امره
بامر هذا الكتاب المحيط بداية الحكمة والصواب ودل بشواهد القدرة واثار الصنعة من نسخة هذا الكتاب على الصفتين وعلى
وحدانيته فيهما اللازمة تفرده المطلق فقال مؤكدا لاجل من ينكر ذلك ولو بالعمل وترغيبا في تدقيق النظر بتأمل ايات
الوجود التي هذا الكتاب شرح لمعلمها وتفصيل لمجملها وايما الى انها اهل لصرف الافكار الى تأملها إن في ولما
كانت الحواميم كما روى ابو عبيدة في كتاب الفضائل عن ابن عباس رضي الله عنهما لباب القرآن حذف ما ذكر في البقرة من قوله خلق
ليكون ما هنا اشمل فقال السموات اي ذواتهما بما لهما من الدلالة على صانعهما وخلقهما على ما فيهما من العبر بما فيهما من المنافع وعظيم
الصنعة وما لها من الشفوف الدال على تعددها بما فيهما من الكواكب والأرض كذلك وبما حوت من المعادن والمعايش والمنافع
والمعاون لايات اي دلايل على وحدانيته وجميع كماله فان من المعلوم انه لابد لكل من ذلك من صانع متصف بذلك للمومنين
اي لانهم برسوخهم في هذا الوصف الشريف اهل للنظر لان ربهم يهديهم بايمانهم فشواهد الربوبية لهم منهما لايحة وادلة
الالهية فيهما واضحة ولعله اشار بالتعبير بالوصف الى انه لابد في رد شبه اهل الطبايع ممن تقدم الايمان وان من لم يكن
راسخ الايمان لم يخلص من شكوكهم ولما كان الامام ابو جعفر بن الزبير لما تضمنت السور المتقدمة ايضاح امر الكتاب
وعظيم بيانه وانه شاف كاف وهدى ونور كفعل كان امر من كفر من العرب اعظم شيء لانقطاعهم وعجزهم وقيام الحجة بعد بهم عليهم
حتى رضوا بالقتل والخزي العاجل وما فاهوا بادعاء معارضة ولا تشوفوا الى الاسناد الى عظيم تلك المعارضة اتبع ذلك تعالى
تنبيه نبيه والمومنين الى ما قد نصبه من الدلايل سواه مما صم المعرض عن الاعتبار بها او بعضها بجرد هواه ومن اضل ممن اتبع هواه
بغير هدى من الله فقال تعالى بعد القسم بالكتاب المبين ان في السموات والأرض لايات للمومنين اي لو لم تجئهم يا محمد بعظيم اية الكتاب
فقد كان لهم فيما نصبنا من الادلة اعظم برهان واعظم تبيان او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
الا بالحق واجل مسمى فيما بينه بخلق السموات والارض اتبع بذكر ما بث في الارض فقال وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون
واختلاف الليل والنهار اي في حول احدهما على الاخر بلطف اتصال واربط انفصال لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل
سابق النهار ثم نبه على الاعتبار بانزال الماء من السماء وسماه رزقا بحط العباد فقال وما انزل الله من رزق فاحيي به الارض
بعد موتها ثم قال وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون الاسنة الهمة الاي يستدعي بسطا يطول ثم قال تلك ايات الله
نتلوها عليك بالحق اي علاماته ودلايله فان من شيء الا يسبح بحمده ثم قال فباي حديث بعد الله واياته يومنون اي بعد ما شاهدوه
من شاهد الكتاب وما تضمنه خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما من عجايب الدلايل الواضحة لاولي الالباب فاذا لم
يعتبروا وابتغوا من ذلك فبماذا يعتبرون ثم اردف تعالى بتقريعهم وتوبيخهم في تصميمهم مع وضوح الامر فقال ويل لكل افاك اثيم
الايات الثلاث ثم قال هذا هدى واشار الى الكتاب وجعله نفس الهدى لتحمله كل اسباب الهدى وجميع جهاته ثم توعد من كفر
به ثم اردف ذلك بذكر نعمه والايه ليكون ذلك زايدا في توبيخهم والتحمت الاي عاصمة هذا الغرض تقريعا وتوبيخا ووعيدا
وتهديدا الى اخر السورة انتهى ولما ذكر سبحانه بالنظر في ايات الافاق اتبعها ايات الانفس فقال وفي
خلقكم اي المخالف لخلق الارض التي انتم منها بالاختيار والعقل والانتشار والقدرة على الآثار والضار وما يبث اي
ينشر ويفرق بالحركة الاختيارية بثا على سبيل التجديد والاستمرار من دابة مما تعلمون ومما لا تعلمون بما في ذلك من مشاركتكم
في الحركة بالاختيار والهداية للمنافع بادراك الجزئيات ومخالفتكم في الصورة والعقل وادراك الكليات وغير ذلك من
مخالفة الاشكال والمنافع والطبايع ونحوها ايات اي على صفات الكمال ولاسيما العزة والحكمة وهي على قراءة حمزة والكسائي
ويعقوب بالنصب هنا وفي الذي بعده عطف للاسمين على خبر ان في الاية الاولى من الاسم والخبر فلهذه الاية نظر الى التي قبلها
وهو على قراءة الجماعة مبتدا بالعطف على ان وما في حيزها وهي ابلغ لانها تشير الى ان ما في تطوير الحيوان وجميع شانه من عجيب
الصنع ظاهر الدلالة على الله فهو بحيث لا ينكره احد فهو غني عن التاكيد ويجوز ان يكون الاية على قراءة النصب من الاختلاف
حذف اولا الخلق بما دل عليه ثانيا وثانيا ذوات الانفس بما دل عليه من ذوات السموات اولا ولما كانت ايات
الانفس ادق وادل على القدرة والاختيار بما لها من التجدد والاختلاف قال لقوم اي فيهم اهلية القيام بما يحاولونه
يوقنون اي يتجدد لهم العروج في درجات الايمان الى ان يصلوا الى شرف الايقان فلا يخالجهم شك في وحدانيته قال
الحرالي في تفسير او كالذي مر على قرية اية النفس منبهة على اية الحس واية الحس منبهة على اية النفس الا ان اية النفس لطول فهي
لذلك اهدى غاية اية الافاق الايمان وغاية اية النفس اليقين ولما ذكر الظرف وما خلق لاجله من الناس من ضم
البهايم بعض ما خلقته لاجلهم لشرفه بالحياة اتبعه ما او دع الظرف من المرافق لاجل الحيوان فقال واختلاف الليل والنهار
بذهاب احدهما ووجود الاخر بعد ذهابه على التعاقب اية متكررة للدلالة على القدرة على الايجاد بعد الاعدام بالبعث

وبعث

وغيرهم وجر اختلاف مستدير في نيابة حرف العطف مناب عاملين واحد الابتداء عند من رفع ايات ومناب ان عند من نصب
فلم يلزم نيابته مناب عاملين مختلفين في والابتداء في الرفع وفي وان في النصب ولما كان المطر ادل مما مضى
على البعث والفرح لان الشيء كلما قل الالف له كان امكن للتامل فيه اولاه اياه فقال وما انزل الله اي الذي تمت عظمته
فنفذت كلمته ولما كان الانزال قد يستعمل فيما اتى من علو معنوي وان لم يكن حسيا بين ان المراد هنا الاول
فقال من السماء ولما كانت منافع السماء غير منحصرة في الماء قال من رزق اي مطر وغيره من الاسباب المهيئة لاخراج
الرزق فاحيي به اي بسببه وبعقبه الارض اي الصالحة للحياة ولذا قال بعد موتها اي يبسها وتهشم ما كان
فيها من النبات وانقلابه بالاختلاط بترابها ترابا فاذا انزل عليها الماء المجتمعة منها فاخرجه على ما كان عليه كلما تجدد نزوله
ولذلك لم ياب بالجار اشارة الى دوام الحياة بالقوة ان لم تكن بالفعل ولما ذكر ما يشمل الماء ذكر سبب السحاب
الذي يحمله فقال وتصريف اي تحويل الرياح في كل جهة وفي كل معنى من رحمة وعذاب وغير ذلك من الاسباب ولم
يذكر الفلك والسحاب كما في البقرة لاقتضاء اللبابية المسماة بها الحواميم ذلك لانهما من جملة منافع التصريف وتوحيد
حمزة والكساي ابلغ لان تصريف الشيء الواحد في الوجوه الكثيرة اعجب ايات قراءة الرفع ابلغ لاشارتها بعدم الحاجة
الى التاكيد الى ان ما في الاية ظاهر الدلالة على القدرة والاختيار للصانع بما في التصريف من الاختلاف والما بما يحدث عنه
من الانبات اوضح دلالة من نفيها على البعث ولاجل شدة ظهورها ناط الامر فيها بالعقل فقال لقوم يعقلون وقال
القاضي والمعنى ان المنصفين اذا نظروا في السموات والارض وانه لابد لهما من صانع امنوا فاذا نظروا في خلق انفسهم
ونحوها ازدادوا ايمانا فايقنوا فاذا نظروا في ساير الحوادث عقلوا واستحكم علمهم ولما ذكر هذه الايات
العظيمات وكانت كلها مشتركة في العظم بعد ما اشار الى تباين رتبتها في الخفاء والجلا بفواصلها قال مشيرا الى علو رتبتها
باداة البعد تلك اي الايات الكبرى ايات الله اي دلايل المحيط بصفات الكمال التي لا شيء اجلى منها ولما
كان كانه قيل ما لها قال او يكون المراد نشير اليها حال كوننا نتلوها اي نتابع قصها عليك سواء كانت مرئية او مسموعة
ملتبسة بالحق اي الامر الثابت الذي لا يستطاع تحويله فليس بسحر ولا كذب فتسبب عن ذلك حينئذ الانكار عليهم وعلى من
يطلب اجابتهم الى المقترحات طمعا في ايمانهم في قوله تعالى فباي حديث اي خبر عظيم صادق يتجدد علمهم به
يستحق ان يتحدث به واستغرق كل حديث فقال بعد الله اي الحديث الاعظم عن الملك الاعلى واياته اي والحديث عن دلالاته
العظيمة يومنون من خاطب وهم الجمهور رده على قوله وفي خلقكم وهو اقوى تبكيتا وغيرهم وهم ابو عمرو وحفص
عن عاصم وروح عن يعقوب رده الى ان ذلك الخطاب صرف الى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله نتلوها عليك بالحق
ولما كان لا يبقى على الكفر نوع بقاء فضلا عن الاصرار بعد هذا البيان الا من يستحق النكال المجاهرته بالعناد
قال على وجه الاستنتاج مهددا ويل لكل افاك اي مبالغ في صرف الحق عن وجهه اثيم اي مبالغ في اكتساب الاثم وهو الذنب
وعمل ما لا يحل بما يوجب العقاب وفسر هذا بقوله يسمع ايات الله اي دلالات الملك الاعظم الظاهر حال كونها
تتلى اي يواصل استماعه لها بلسان القال او الحال من اي تال كان عاليه عليه بجميع ما فيها من سهولة فهمها وعذوبة
الفاظها وظهور معانيها وجلاله مقاصدها مع الاعجاز فكيف اذا كان التالي اشرف الخلق ولما كانت
تلاوتها موجبة لاقلاعه فكان اصراره مع تعذر رتبته في الشناعة مستبعدا اكونه قال ثم يصر اي يدوم وهو
دواما عظيما على قبيح ما هو فيه حال كونه مستكبرا اي طالبا الكبر عن الاذعان وموجدا له ولما كان
مع ما ذكر من حاله يجوز ان يكون سماعه لها خفف من مبالغته في الكفر بين انها لم تؤثر فيه نوعا من التاثير فكان قلبه
اشد قسوة من الحجر فقال كان اي كانه لم يسمعها فعلم من ذلك ومن الاصرار وما قيد به من الاستكبار ان حاله
عند السماع وقبله وبعده على حد سواء وقد علم بهذا الوصف ان كل من لم ترده ايات الله كان مبالغا في الاثم والا
لكان له الويل ولما كان الاصرار معناه الدوام المحكم لم يذكر الوقر الذي هو من الامراض الثابتة كما
ذكر في سورة لقمن قال ابن القطاع وابن طريف في افعالهما اصر على الذنب والمكروه اقام وقال عبد الغافر الفارسي
في المجمع اصررت على الشيء اي اقمت ودمت وقال ابن فارس في المجمل والاصرار العزم على الشيء والثبات وقال
ابو عبد الله القزاز في ديوانه ونقله عنه عبد الحق في واعيه واصل الصر الامساك ومنه قيل للاصر فلان على
كذا اي اقام عليه وامسكه في نفسه وعقد لانه قد يقول لما ليس في نفسه وما لا يعتقده والرجل مصر على الذنب
اي ممسك له معتقد عليه ثم قال من الاصرار عليه وهو العزم على ان لا يقلع عنه وقال الاصفهاني تبعا للكشاف واصله
من اصر الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه ولما اخبر عن ثباته على الحنث سبب عنه تهديده في
اسلوب الاستهزاء بما فيه من التهكم على شدة الغضب وعلى انه ان كان له بشارة فهي العذاب فلا بشارة له اصلا فقال

مران

لانه

نك

فبشره اي على هذا الفعل الخبيث بعذاب لا ينفك عنه اصلا اليم اي بليغ الايلام ولما بين تعالى كفره بما يسمع من الايات
اتبعه ما هو اعم منه فقال واذا علم اي باي نوع كان من اسباب العلم من اياتنا على ما لها من العظمة باضافتها الينا شيئا

نزلت الاية في شخص معين بدليل قوله
كل وكان ما لهؤلاء من الجزاء على هذه الشنيعة قال اولئك اي البعيدون عن الرحمة اي بوجه
الخزي والذل ويزيل عنهم كل عذوبة بما اهانوا

وراه
وكان كل ما وراء الانسان في غاية التمكن منه قال مبينا للعذاب في جهنم اي تاخذهم لا محالة وهم في غاية الغفلة عنها
بترك الاحتراز منها ويحسن التعبير بالوراء ان الكلام في الافاك وهو انصراف الامور عن اوجهها الى اقفالها فهو مايل بدا
الى ورائه فهو مايل الى النار بظهره ويستعمل الوراء في الامام فيكون حينئذ مجازا عن الاحاطة اي تاخذهم من الجهة التي هم بها
عالمون والجهة التي هم بها جاهلون فيلقاهم بغاية التجهم والعبوسة والغيظ والكراهة ضد ما كانوا عليه عند العلم بالايات
المرئية والمسموعة من الاستهزاء الملازم للضحك والتمايل بطرا واشرا ومثل ما كانوا عليه عند الملاقاة للمصدقين بتلك
الايات ولما كانوا يظهرون الركون الى ما بايديهم من الاعراض الفانية قال ولا يغني عنهم اي في دفع ذلك ما
كسبوا اي حصلوا من الامور التي افادتهم العز الذي اورثهم الاستهزاء شيئا اي من اغناء ولما كانوا يدعون اغناء
الهتهم عنهم قال مصرحا بها ولا ما اتخذوا اي كلفوا انفسهم باخذ مخالفين لما دعتهم اليه فطرتهم الاولى السليمة من البعد
عنها ولما كان كفرهم انما هو الاشراك فكانوا يتولون الله ايضا قال معبرا بما نعهم سفول ما سواه من دون الله
اي ادنى رتبة من رتبة الملك الاعظم اولياء اي يطمعون في ان يفعلوا معهم ما يفعله القريب من الذب والنفع والدفع ولهم
مع عدامهم بخيبة الامل عذاب عظيم لا يدع جهة من جهاتهم ولا زمانا من ازمانهم ولا عضوا من اعضائهم الا ملاه ولما
اخبر عما لمن اعرض عن الايات بما هو اجل موعظة واردع زاجر عن الضلال قال مشيرا الى ما افتتح به الكلام من المتلو الذي هذا
منه هذا اي التنزيل الاعلا المتلو عليكم هدى اي عظيم جدا بالغ في الهداية كامل فيها فالذين اهتدوا بايات ربهم لم
يغتروا بالحاضر لكونه زايلا واستعملوا اعقولهم فامنوا به لهم نعيم مقيم والذين كفروا اي ستروا ما دلتهم عليه مراى عقولهم
به هكذا كان الاصل ولكنه نبه على ان كل جملة من جمله بل كلمة من كلماته دلالة واضحة عليه سبحانه فقال بايات
ربهم اي وهذه التغطية بسبب التكذيب بالعلامات الدالة على وحدانية المحسن اليهم فضلوا عن السبيل لتغريطهم في
النظر لغرورهم بالحاضر الفاني لهم عذاب كاين من رجز اي عقاب قذر شديد جدا عظيم القلقلة والاضطراب
متتابع الحركات قال القزاز الرجز والرجس واحد اليم اي بليغ الايلام والاية من الاحتباك ذكر الهدى اولا دليلا على
الضلال ثانيا والكفر والعذاب ثانيا دليلا على ضدهما اولا وسره انه ذكر السبب المسعد ترغيبا فيه والمشقي ترهيبا
منه ولما ذكر سبحانه صفة الربوبية ذكر بعض اثارها وما فيها من اياته فقال مستانفا دالا على عظمها بالاسم
الاعظم الله اي الملك الاعلى المحيط بجميع صفات الكمال ولما كان اخر الايات التي قدمها الرياح ذكر ما يتصرف
بتسييرها فقال الذي سخر اي وحده من غير حول منكم في ذلك بوجه من الوجوه لكم ايها الناس بركم وفاجركم البحر بان جعل فيه
مما لا يقدر عليه الا واحد لا شريك له فاعل بالاختيار من القابلية للسير فيه بالرقة واللدونة والاستواء مع الريح الموافقة
وانه يطفو عليه ما كان من الخشب مع ما علم من صنعته على هذا الوجه الذي تم به المراد لتجري الفلك اي السفن فيه بامره
ولو كانت موقرة باثقال الحديد الذي يغوص فيه اخف شي منه كالابرة وما دونها ولما كان التقدير لتعتبروا وابدلكم
لتعلموا انه بعد رتبة خاصة لتومنوا به عطف عليه قوله ولتبتغوا اي تطلبوا بشهوة نفس واجتهاد بما تحملون فيه من البضايع
وتتوصلون اليه من الاماكن والمقاصد بالصيد والغوص وغير ذلك من فضله لم يصنع شيا منه سواه ولما كان التقدير
لتظهر عليكم اثار نعمه عطف عليه قوله ولعلكم تشكرون اي ولتكونوا بحيث يرجو منكم من ينظر حالكم ذلك شكر من انعم عليكم
به ليزيدكم من فضله في الدنيا والاخرة ولما ذكر اية البحر لعظمها تاماً عم بمنافع الخافقين دلالة على انه ما خلق ذلك كله
على عظمه الا لنا تنبيها على ان الامر عظيم فقال وسخر لكم اي خاصة ولو شاء لمنعه ما في السموات بان انزل اليكم منها على انها بحيث
لا يمكنكم الوصول اليها بوجه واكد باعادة الموصول لان السياق للدلالة على عزته وحكمته الدالين على توحيده باستحقاق
العبادة الذي هم له منكرون كما دل على توحيده بالايجاد والسيادة وهم معترفون بذلك بالسنتهم وافعالهم افعال
من ينكره فقال وما في الارض واوصلكم اليه ولو شاء لجعله كما في السما لا وصول لكم اليه واكد ما دل على ما مضى من
العموم بقوله جميعا حال كون ذلك كله من اعيان تلك الاشيا ومن تسخيرها منه لا صنع لاحد غيره في شيء من ذلك قال

الرازي في اللوامع قال ابو يعقوب النهرجوري سخر لك الكل وهو الله تعالى فانه ينبغي بالمخدوم ان يخدم خادمه وقال القشيري
ما من شي من الاعيان الظاهرة الا ومن وجه للانسان به انتفاع فمن ان يستسخرك ما هو مسخر لك ولما صح انه لا شريك له
في شي من الخلق لا من الذوات ولا من المعاني حسن جدا قوله موكدا لان علمهم يخالفه ان في ذلك اي الامر العظيم وهو تسخيره لنا
كل شي في الكون لايات اي دلالات واضحات على انهم في الالتفات الى غيره في ضلال مبين بعد تسخيره لنا ما لنا من الاعضا
والقوى على هذا الوجه البديع مع ان من هذا المسخر لنا ما هو اقوى منا لقوم اي ناس فيهم اهلية القيام بما يجعل اليهم ذهم
يتفكرون فيعلمون انه المتوحد باستحقاق الالهية فلا يشركون به شيئا ولما علمت دلايل التوحيد على وجه علم منه
انه قد بسط نعمه على جميع خلقه طايعهم وعاصيهم فعلمت بواسطة ذلك الاخلاق الفاضلة والاعمال الحميدة وكان على القبل
عليه المحب له التخلق باوصافه انتج قوله مخاطبا لاعلم خلقه عنه واطوعهم له الذي الاوامر انما هي له من شدة طواعيته
تكون لا للتكليف قل اي يا اكرم الخلق للذين امنوا اي ادعوا التصديق بكل ما جاءهم عن الله غفروا والسنتنا به لمن اسي اليكم
ولما كان هذا الامر في الذروة من اقتضاء الاحسان الى المسي فكيف بالصفح عنه كان كانه عله مستقلة في الاقبال
عليه والقبول منه والاعراض عن مواخذة المسي فان ذلك يقدح في كمال الاقبال عليه مع ان من كان يريد هو سبحانه الانتقام
منه فهو يكفي امره ومن لم يرد ذلك منه فلا حيلة في كفه بوجه فالاشتغال به عبث فنبه على ذلك بان جعل جواب الامر قوله
يغفروا اي يستروا واستر ابالغا ولما كان العاقل من سعى جهده في نفع نفسه وكان الاذى لعباد الله مظنة
لتوقع الغضب منه وقادحا فيما يرجى من احسانه قال للذين وعبر في موضع اساءوا اليهم بقوله لا يرجون اي حقيقة او
مجازا والتعبير في موضع الخوف بالرجاء لما فيه من الاستجلاب والترغيب والتاليف والاستعطاف وقال بعد ما نبه عليه
تلك العبارة من جليل الاشارة ايام الله اي مثل وقايع الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال في الامم الخالية بادالة
الدول تارة لهم واخرى عليهم وفيه اعظم ترغيب في الحث على الغفران للموافق في الدين وتنبيه على انه لا يقدم على الاساءة
الى عبيد الامر اعرض عنك فصار حاله حال الاتي من صنايعه سبحانه في جزايه للمسي والمحسن في الايام والليالي وعبر
بالاسم الاعظم تنبيها على ما له من الجلال والجمال في معاملة كل منهما قال ابن برجان وهذه الاية وشبهها من النسخ المذكور
في قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها وليس بنسخ بل هو حكم يجي ويذهب بحسب القدرة على الانتصار وكان نزل مثل هذا الاية
والمسلمون في ضعف ونزل بعد الهجرة ايات الجهاد والامر بالمعروف وتركت هذه وامثالها مسطورة في القران مرصدة
لما عسى ان يرد ومرد وابر ايام الله ومن ايامه ادالة اهل الكفر تنبيها للمسلمين ليراجعوا امرهم ويصلحوا ما بينهم وبين ربهم
ولما كان من توصص على جنايته في الدنيا سقط عنه امرها في الاخرة وكان المسلط للجاني في الحقيقة انما هو
الله وكان تسليطه اياه بحكم بالغة تظهر غاية الظهور في الاخرة علل الامر بالغفران بقوله مهددا للجاني ومسليا للمجني عليه
ليجزي اي الله في قراة الجماعة بالتحتانية والبنا للفاعل ونحن بما لنا من العظمة في قراة ابن عامر وحمزة والكسائي بالنون وبناه
ابو جعفر للمفعول فيكون النايب عن الفاعل الخير او الشر بتقدير حذف حرف الجر يجزيهم في الدنيا او في الاخرة حيث تظهر الحكم
وتنجلي الظلم ولما كان ربما جوزي جميع الجناة وربما عفي عن بعضهم بالتوبة عليه او غيرها تفضلا لحكم اخرى دونيا
المظلوم على ظلامته بمثل ذلك قال قوما اي من الجناة وان كانوا في غاية العلو والكبرياء والجبروت ومن المجني عليهم
وان كانوا في غاية الضعف بما اي بسبب الذي كانوا اي في جبلاتهم وابرزوه الى الخارج يكسبون اي يفعلونه على ظن
انه ينفعهم او بسبب كسبهم من خير او شر والحاصل انه تعالى يقول اعرض عمن ظلمك وكل امره الي فاني لا اظلم احدا فسوف
اجزيك على صبرك واجزيه على بغيه وانا قادر وافادت قراة ابي جعفر الابلاغ في تعظيم الفاعل وانه معلوم وتعظيم ما اقيم
مقامه وهو الجزا بجعله عمدة مسندا اليه لان عظمته على حسب عظمة ما اقيم مقامه فالتقدير لكون الفعل يتعدى الى
مفعولين كما قال تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ليجزي الملك الاعظم الجزا الاعظم من الخير للمومن والشر للكافر قوما
فجعل الجزا كالفاعل وان كان مفعولا في المعنى تنبيها على عظيم تاثير الفعل وانه لا انفكاك عنه لانه جعل متمكنا
من المجزي تمكن المجزي من جزايه ومحيطا به لان الله تعالى بعظيم قدرته يجعل عمل الانسان نفسه جزاء له قال تعالى هم
سيجزيهم وصفهم سيجزون ما كانوا يعملون ويجوز ان يكون النايب عن الفاعل ضمير الذين بالنظر الى لفظه فيكون المعنى
سيجزي الذين امنوا اناسا كانوا اقويا على القيام في اذاهم بسبب اذاهم لهم بجعل كل منهم فداء لكل منهم من النار
وربما راوا بعض ثمار ذلك في الدنيا روى مسلم والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله عز وجل ولاحمد والترمذي
واللفظ له وقال حسن صحيح عن ابي كبشة الانماري رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث اقسم عليهن
واحدثكم حديثا فاحفظوه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسالة

الا فتح الله عليه باب فقر او كلمة نحوها رواه الحاكم وصحح اسناده، قال المنذري وفيه انقطاع عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال
من سره ان يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه ولما رغب
سبحانه ورهب وتقرر انه لا بد من الجزاء زاد في الترغيب والترهيب بان النفع والضر لا يعدوهم فقال شارحا للجزاء من عمل
صالحا قل او جل فلنفسه اي خاصة عمله يرى جزاءه في الدنيا او في الآخرة ومن اساء كذلك فعليها خاصة اساءته كذلك
وذلك في غاية الظهور لانه لا يسوغ في عقل عاقل ان ملكا يدع عبيده من غير جزاء ولا سيما اذا كان حكيما وان كانت نقايص النفوس
قد غطت على كثير من العقول ذلك ومن جزائه انه يدل المسيء على المحسن لعفوه ومقت ليراجع حاله بالتوبة ولما
كان سبحانه قادرا لا يفوته شيء كان بحيث لا يعجل فاخر الجزاء الى اليوم الموعود فقال ثم اي بعد الابتلاء بالامهال في
الدنيا والحبس في البرزخ الى ربكم اي المالك المحسن وحده لا الى غيره ترجعون ولما علم بهذه الحكم ما افتتح به
السورة من ان منزل هذا الكتاب عزيز حكيم فكان التقدير فلذلك لقد آتيناك الكتاب والحكم والنبوة وفضلناك
وامتك على العالمين وارسلناك لتنبه الناس على ما امامهم وكان قومه بعد ائتلافهم على الضلال قد اختلفوا بهذا الكتاب
الذي كان ينبغي لهم ان يشتد اجتماعهم به واستبصارهم من اجله عطف عليه مسليا قوله ولقد آتينا اي على ما لنا من العظمة
بني اسرائيل بني ابن عمك اسحاق نبي الله بن ابيكم ابرهيم خليل الله عليهم السلام الكتاب الجامع للخيرات وهو يعم التوراة
والانجيل والزبور وغيرها مما انزل على انبيائهم والحكم اي العلم والعمل الثابتين ثبات الاحكام بحيث لا يتطرق اليهما
فساد بما للعلم من الزينة بالعمل وللعمل من الاتقان بالعلم والنبوة التي يدرك بها الاخبار الغيبية التي لا يمكن اطلاع
الخلق عليها بنوع اكتساب منهم فاكثرنا فيهم من الانبيا ورزقناهم بعظمتنا لاقامة ابدانهم من الطيبات من المن
والسلوى وغيرهما من الارزاق اللدنية وغيرها وفضلناهم بما لنا من العزة على العالمين وهم الذين تحقق ايجادنا لهم
في زمانهم وما قبله فانا آتيناهم من الآيات المرئية والمسموعة واكثرنا فيهم من الانبيا ما لم نفعله لغيرهم ممن سبق وكل ذلك
تفضيلة ظاهرة وآتيناهم مع ذلك بينات من الامر الموحى الى انبيائهم من الادلة القطعية والاحكام والمواعظ المؤيدة
بالمعجزات ومن صفات الانبيا الآتين بعدهم وغير ذلك مما هو في غاية الوضوح لمن قضينا بسعادته وذلك مما يقتضي الالفة
والاجتماع وقد كانوا متفقين وهم في زمن الضلال لا يختلفون الا اختلافا يسيرا لا يضر مثله ولا يعد اختلافا ولما
كان حالهم بعد هذا الاتيان جملا فصله فقال فما اختلفوا اي اوقعوا الاختلاف والافتراق بغاية جهدهم ولما
لم يكن اختلافهم مستغرقا لجميع الزمن الذي بعد الاتيان اثبت الجار فقال الا من بعد ما جاءهم العلم الذي من شانه الجمع على
المعلوم فكان ما هو سبب الاجتماع سببا لهم في الافتراق لان الله اراد ذلك وهو عزيز ولما كان هذا عجبا
بين علته بحذر من مثلها فقال بغيا اي للمجاوزة في الحدود التي اقتضاها لهم طلب الرياسة والحسد وغيرهما من نقايص
النفوس ولما كان البغي على البعيد مذموما زاده عجبا بقوله بينهم اي واقعا فيهم لم يعدهم الى غيرهم وقد كانوا
قبل ذلك وهم تحت ايدي القبط في غاية الاتفاق واجتماع الكلمة على الرضى بالذل ولذلك استانف قوله الذي اقتضاه
الحال على ما يشاهد العباد من افعال الملوك فيمن خالفوا امرهم مؤكدا لاجل انكارهم ان ربك اي المحسن اليك بارسالك
وتكثير اتباعك وحفظهم مما وصل به القرون الاولى وبيان يوم الفصل الذي هو محط الحكمة بما لم يبينه على
لسان احد ممن سلف يقضي بينهم باحصاء الاعمال والجزاء عليها لان هذا مقتضى الحكمة والعزة يوم القيمة الذي يكون بعد
الذين شرفناهم برسالتك مع انه لا يجوز في الحكمة انكاره فيما كانوا اي بما هو لهم كالجبلة فيه يختلفون بغاية
الجهد متعمدين له بخلاف ما كان يقع منهم خطا فانه يجوز في الحكمة ان يتفضل عليهم بالعفو عنه فقد علم انه لا يجوز في الحكمة
ان يترك المختلفون من غير حكم بينهم لان هذا لا يرضاه اقل الملوك فانه لا يعرف الملك الا بالقهر والعزة ولا يعرف كونه
حكيما الا بالعدل واذا كان هذا لا يرضاه ملك فكيف يرضاه ملك الملوك واذا كان هذا القضا مقتضى الحكمة كان لا بد فيه
بين ناس وناس فهو يقضي بينكم ايضا كذلك ومن التاكيد للوعد بذلك اليوم التعبير باسم الرب مضافا اليه صلى الله عليه وسلم
ولما كان معنى هذا انه سبحانه جعل بني اسرائيل على شريعة وعدوهم على الاختلاف فيها فكان تهديدهم تهديدا لنا
قال مصرحا بما اقتضاه سوق الكلام وغيره من تهديدنا منبها على علو شريعتنا ثم اي بعد فترة من رسلهم ومجاوزة رتبة
عالية على رتبة شريعتهم جعلناك بعظمتنا على شريعة اي طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة سهلة موصلة
الى المقصود بحيث يشرع الناس فيها ويخالطوها منشئة من الامر الذي هو وحينا وهو حياة للارواح كما ان الارواح
حياة الاشباح ولما بين بهذه العبارة بعض فضلنا على ما كان قبلنا سبب عنه قوله موجها الخطاب الى
الامام لما ارادة المأمومين ليكون ادعى الى اجتهادهم فان امرهم تكليف وامر امامهم تكوين فاتبعها اي بغاية جهدك
ولما كانت الشريعة العقل المحفوظ الذي اخبر الله انه به يأخذ وبه يعطي كان الاعراض عنها الى غيرها الماما هو

هوى ولما كان آحاد الامة غير معصومين اشار الى العفو عن هفواتهم بقوله ولا تتبع اي تتعمد وان تتبع اهواء
الذين لا يعلمون اي لا علم لهم او لهم علم ولكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم اصلا من كفار العرب وغيرهم فان من تعمد اتباعهم
تعلق به ما فعلت بنو اسرائيل حيث لعنتهم على لسان داود وعيسى بن مريم بعد ما لعنتهم على لسان موسى عليهم السلام ثم
علل هذا النهي مهددا بقوله مؤكدا تنبيها على ان من خالف امر الله لاجل احد كان عمله عمل من يظن انه يحميه انهم
واكد النفي فقال لن يغنوا عنك اي لا يتجدد لهم نوع اغناء مبتدئ من الله المحيط بكل شيء قدرة وعلما واصل اليه
وكل ما لا يأملون ذا وصلة به فهو عدم شيئا من اغناء ان اتبعتهم كما انهم لن يقدروا على شيء من اذى ان خالفتهم
وناصبتهم ولما كان التقدير فانهم ظلمة لا يضعون شيئا في موضعه ومن اتبعهم فهو منهم قال عاطفا عليه
وان وكان الاصل وانهم ولكنه اظهر للاعلام بوصفهم فقال الظالمين اي العريقين في هذا الوصف بعضهم
اولياء بعض فلا ولاية اي قرب بينهم وبين الحكيم اصلا لتباعد ما بين الوصفين فكانت اعمالهم كلها باطلة لبنائها على
غير اساس خلافا لمن يظن بها غير ذلك نظرا الى الامور الظاهرة في هذه الدار والله اي الذي له جميع صفات الكمال
ولي المتقين الذين هم الاعظم الاتصاف بالحكمة باتخاذ الوقايات المنجية لهم من سخط الله ولا ولاية بينه
وبين الظالمين ولما اوصل سبحانه الى هذا الحد من البيان الثابت لقوى الانسان قال مترجما عنه هذا
اي الوحي المنزل ولما كان في عظم بيانه وازالة اللبس عن كل ملبس قد احل بحيث لا يحجبه شيء من خفا جعله
نفس البصيرة مجموعة جمع كثرة بصيغة منتهى الجموع ثم جعله روحا فقال بصائر للناس اي الذين هم في ادنى المراتب يبصرهم
بما يضرهم وما ينفعهم فما ظنك بمن فوقهم من الذين آمنوا ثم الذين يوقنون ومن فوقهم ولما بين ما هو لاهل السفول
بين ما هو لاهل العلو فقال وهدى اي قائدا الى كل خير مانع من كل زيغ ورحمة اي كرامة وفوز ونعمة لقوم يوقنون
اي ثابت فيهم قوة القيام بالوصول الى العلم الثابت وتجديد الترقي في درجاته الى ما لا نهاية له ولما كان
التقدير بعد هذا البيان الذي لم يدع لبسا في امر الحساب لما حق الملك الذي يوجب ما له من العظمة والحكمة ان يحاسب
عبيده لثواب المحسن وعقاب المسيء اعلم هؤلاء المخاطبون لانهم لا يعدون ان يكونوا من الناس او من الذين يوقنون بهذه البصائر
لما لهم من حسن الغرائز المعلية لهم عن حضيض الحيوان الى اوج الانسان انا نفرق بين المسيئين الذين بعضهم اولياء بعض هم
وبين المحسنين الذين نحن اولياؤهم عطف عليه قوله ام قال الاصبهاني قال الامام كلمة وضعت للاستفهام عن شيء
حال كونه معطوفا على آخر سواء كان المعطوف مذكورا او مضمرا انتهى وكان الاصل حسبوا ولكنه عدل عنه للتنبيه
على ان ارتكاب السوء معم للبصيرة مضعف للعقل كما افاده التعبير بالحسبان كما تقدم بيانه في البقرة فقال حسب
الذين اجترحوا اي عملوا بغاية جهدهم ونزوع شهواتهم السيئات ان نجعلهم مع ما لنا من العظمة المانعة من الظلم
المقتضية للحكمة كالذين آمنوا وعملوا تصديقا لاقرارهم بايمانهم الصالحات بان نتركهم بلا حساب للفصل بين المحسن
والمسيء ولما كانت المماثلة مجملة بينها استينافا بقوله ومما هم معدما ما هو عين المقصود من الجملة الاولى
سواء اي مستويا استواء عظيما محياهم ومماتهم اي حياتهم وموتهم وزمان ذلك ومكانه في الارتفاع والسفول
واللذة والكدر وغير ذلك من الاعيان والمعاني ولما كان هذا ما لا يرضاه احد لمن تحت يده ولا العبيد قال
معبرا بمجمع الذم ساء ما يحكمون اي بلغ حكمهم هذا في نفسه ولا سيما وهم باصرارهم عليه في تجدد له كل ساعة
اقصى نهايات السوء فهو مما يتعجب منه لانه لا يدري الحامل عليه وذلك انهم نسبوا الحكيم الذي لا حكيم في الحقيقة
غيره الى ما لا يفعله اقل الناس فيمن تحت يده ولما انكر التسوية ودلهم على الحكم بها اتبع ذلك الدليل
القطعي على ان الفريقين لا يستويان والا لما كان الخالق لهذا الوجود عزيزا ولا حكيما فقال دالا على انكار التسوية
وسوء حكمهم بها عاطفا على ما تقديره فقد خلق الله الناس كلهم بالحق وهو الامر الثابت الذي يطابقه الواقع من
مثوبات اعمال المحسنين وبطلان افعال المسيئين عطف عليه قوله وخلق الله اي الذي له جميع اوصاف الكمال
ولا يتصور ان يلحقه نوع نقص السموات والارض اللتين هما ظرف لهم وابتدئت السورة بالتنبيه
على اياتهما خلقا ملتبسا بالحق فلا يطابق الواقع فيهما ابدا شيئا باطلا فمتى وجد سبب الشيء وانتفى مانعه
وجد ومتى وجد مانع الشيء وانتفى سببه انتفى لا يتخلف ذلك اصلا وكذلك جملة ما وقع من خلقهما طابقه الواقع
الذي هو قدرة الله وعلمه وحكمته وجميع ما له من صفات الكمال التي دل خلقهما عليها فاذا كان الظرف على هذا الطف
الاحكام فما الظن بالمظروف الذي ما خلق الظرف الا من اجله هل يمكن في الحكمة ان يكون على غير ذلك فيكون الواقع
الذي هو تفضيل المحسن على المسيء غير مطابق لاحوالهم ومن جملة المظروف ما بينهما فلذا لم يذكرها ولو كان ذلك من غير بعث
ومجازاة بحسب الاعمال لما كان هذا الخلق العظيم بالحق بل بالباطل الذي يتعالى عنه الحكيم فكيف وهو احكم الحاكمين

كان التقدير ليكون كل مسبب مطابقا لاسبابه عطف عليه قوله ولتجزى بايسر امر كل نفس اى منكم ومن غيركم بما
اى بسبب الامر الذى ولما كان السياق للعموم وكان المؤمن لا يجزى الا بما عمله وهو على عزيمته وقصد ليكتب فى اعماله
عبر بالكسب الذى هو اخص من العمل فقال كسبت او كسبتها من خير او شر فيكون ما وقع الوعد به مطابقا لكسبها وهم اى والحال
انهم لا يظلمون اى لا يوجد من موجد ما فى وقت من الاوقات تجزاؤهم فى غير موضعه وهذا على ما جرت به عوايدكم فى العدل والفضل
ولو وجد منه سبحانه غير ذلك لم يكن ظلما منه لانه المالك المطلق والملك الاعظم فلو عذب اهل سمواته واهل ارضه
كلهم لكان غير ظالم لهم فى نفس الامر فهذا الخطاب انما هو على ما يتعارفه من اقامة الحجة بمخالفة الامر ولما
بين غاية البيان انه الاله وحده بما له من الاحاطة بجميع صفات الكمال وانه لا بد من جمعه للخلائق ليوم الفصل للحكم بينهم
بما له من الحكمة والقدرة وحقر الهوى ونهى عن اتباعه وكانوا هم قد عظموه بحيث جعلوه معبودا فلزم من ذلك تحقيرهم الاله
ولم يرجعوا عن ضلالهم تسبب عن ذلك التعجيب ممن يظن انه يقدر على رد احد منهم عن غيه بشئ من الاشياء فقال افرايت
اى اعلمت علما هو فى تيقنه كالمحسوس بحاسة البصر التى هى اثبت الحواس من اتخذ اى بغاية جهده الهه هواه اى حول
وصف الاله حتى صار هوى لنفسه فهو تابع لهواه ليس غير فهو فى اودية الضلال يهيم على غير سنن فهو معرض لكل بلاء
لخسرانه اكبر من ربحه لكونه بلا دليل والدليل على انهم لا يعبدون الا مجرد الهوى ما رواه البخارى فى وفد بنى حنيفة
من المغازى من صحيحه عن ابى رجاء العطاردى وهو مخضرم ثقة ادرك الجاهلية ومات سنة خمس ومائة عن مائة ٢٧
وعشرين سنة قال كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا احسن منه القيناه واخذنا الاخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب
ثم جئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طفنا به انتهى ومع ذلك فكيف ما قلبت امرهم وجدته شعبة يسيرة من كفر الاتحادية
وكل متشبثات قريش التى عابهم الله بها يتشبث بها الاتحادية حتى قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ولو
قدم الهوى لكان المعنى انه حول وصفه الى الالهية فاضمحل الهوى ولم يبق الا ما ينسب الى الالهية كما اضمحل الطين
فى تحرت الطين خزفا فصار المعنى ان العابد لا يتحرك الا على حسب ما يامر به الاله ويصير التركيب بقيد تعظيمه بغاية
الاثبات واذهاب الهوى غاية الاذهاب ولو كان التقديم فى هذا بحسب السياق من غير اختلاف المعنى لقدم هنا الهوى لان
السياق والسباق له وقد تقدم فى سورة الفرقان ما ينفع هنا ومعقول راى الثانى معتقد يدل عليه قوله اخر الكلام
فمن يهديه تقديره ايكن لاحد غير الله هدايته ما دام هواه موجودا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما ذكر الله هوى فى القران
الا ذمه انتهى ومعناه انه يهوى بصاحبه فى الهوى المحدود وهو الفضا اى ينزله عن درجة عليا الى ما دونها فهو فى سفول
ما دام تابعا له لانه بحيث لا يزداد ولا يتمكن فلذلك هو يوجب الهوان قال الاصبهانى سيل ابن المقفع عن الهوى فقال
هوان سرقت نونه فنظمه من قال • نون الهوان من الهوى مسروقة • واسير كل هوى اسير هوان •
ان الهوى لهو الهوان بعينه • فاذا هويت فقد لقيت هوانا
واضله الله اى بما له من الاحاطة على علم منه بما فطر عليه من انه لا يكون اثر بلا مؤثر ومن انه لا يكون متفردا بالملك الا
وهو مستحق للتفرد بالعبادة ومن انه لم يخلق الكون الا لحكم وان الحكيم لا يدع من تحت يده يبغى بعضهم من غير فصل بينهم
لا سيما وقد وعد بذلك ولا سيما والوعد بذلك فى اساليب الاعجاز التى هم اعرف الناس بها او على علم من المضل بان
الضال مستحق لذلك لانه جبلة جبلة شر ولما كان الضال لا حوج الى سماع صوت الهادى منه الى غيره وكان
من لا ينتفع بما هو له فى حكم العادم له قال وختم اى زيادة على الاضلال الحاضر على سمعه فلا فهم له فى الايات المسموعة
ولما كان الاصم قد يفهم بالاشارة قال وقلبه اى فهو لا يعى ما من حقه وعيه ولما كان
المجنون الاصم قد يبصر مضاره ومنافعه فيباشرها مباشرة البهايم قال وجعل على بصره غشاوة فصار لا يبصر الايات
المرئية وترتيبها هكذا لانها فى سياق الاضلال كما تقدم فى البقرة ولما صار هذا الانسان الذى صار
لا يسمع الهادى فينتصح ولا يعى المعانى لينتفع بما تقدم له علمه ولا يبصر حق البصر ليهتدى ببصره دون رتبة المجنون
قال تعالى منكرا مسببا الانكار عما تقدمه فمن يهديه واشار الى قدرة الله عليه بقوله من بعد الله اى اضلال الذى
له الاحاطة بكل شئ ولما كان من المعلوم قطعا انه لا هادى له غيره سبب عنه الانكار لعدم التذكر
حثا على التذكر فقال مشيرا بادغام تا التفعل الى عدم الاحتياج بسبب وضوحه الى كبير تذكر افلا تذكرون اى يكون
لكم نوع تذكر فتذكرون انهم لا يسمعون الايات المتلوة ولا يعتبرون بالايات المرئية مع ما لكل منهما من الظهور وان من
كان هذا حاله فلا سبيل لمخلوق مثله الى هدايته ولما كان التقدير للدلالة على الختم على مشاعرهم فقد قالوا
مع اعترافهم بتفرده تعالى بخلقهم ورزقهم وخلق جميع الموجودات فى انكار الوحدانية ان له شركا عطف عليه قوله
وقالوا اى فى انكارهم البعث مع اعترافهم بانه قادر على كل شئ ومعرفتهم انه قد وعد بذلك فى الاساليب المعجزة وانه

لا يليق بحكيم امثالكم ان يدع من تحت يده يتهارجون من غير حكم بينهم ما هى اى الحياة الا حياتنا اى ايها الناس الدنيا اى
هذه التى نحن بها مع انه تذكرهم لولا هذا الوصف الذى هو امر نسبى لا يعقل الا بالاضافة الى حياة اخرى بعدى كاف
فى اثبات البعث ولما اثبتوا الحياة اتبعوها حالها فقالوا نموت ونحيا اى ينزع الروح من بعض فيموت وينفخ
فى بعض اخر فيحيى وليس وراء الموت حياة للذى مات فقد سلخوا انفسهم بهذا من الانسانية الى البهيمية لوقوفهم مع الجزئ
ولما كان هلاكهم فى زعمهم لا اخر له عدوا الحياة فى جنبه عدما فلم يذكروها وقالوا وما يهلكنا اى بعد
الحياة الا الدهر اى الزمان الطويل بغلبته علينا بتجدد اقباله وتجدد ادبارنا بنزول الامور المكروهة بنا من دهره
اذا غلبه ولما اسند النبيهم هذا القول الواهى بين حالهم عند قوله تعالى وما اى قالوه والحال انه ما
لهم بذلك اى القول البعيد من الصواب وهو انه لا حياة بعد هذه وان الهلاك منسوبا الى الدهر على انه مؤثر
بنفسه واغرق فى النفى فقال من علم اى كثير ولا قليل ان اى ما هم الا يظنون بقرينة ان الانسان كلما تقدم فى السن
ضعف وانه لم يرجع احد من الموتى ولما كان هذا من قولهم عجبا زاده عجبا بحالهم عند سماعهم للبراهين
القطعية فقال عاطفا على قالوا واذا تتلى اى تتابع بالقراءة من اى تال كان عليهم اياتنا على ما لها من العظمة فى نفسها
وبالاضافة الينا حال كونها بينات اى فى غاية المكنة فى الدلالة على البعث فلا عذر لهم فى ردها ما كان بوجه من
وجوه الكون حجتهم اى قولهم الذى يعارضون به مساق الحجة وهو لا يستحق ان يسمى شبهة الا ان قالوا ائتوا ايها التالون
للحجج البينة من النبى واتباعه باباءنا الموتى وحاصل هذا انه ما كان لهم حجة الا ان اتوا بكلام معناه ليس لنا حجة
لانه ليس فيه شبهة فضلا عن حجة وما كفاهم مناداتهم على انفسهم بالجهل حتى عرضوا الاهل البينات بالكذب فقالوا
ان كنتم صادقين اى عريقين فى الكون فى اهل الصدق الراسخين فيه فى انه سبحانه يبعث الخلق بعد موتهم وذلك انهم
استبعاد منهم لان يقدر على جمع الجسم بعد ما بلى وهم يقرون بانه الذى خلق ذلك الجسم ابتداء ومن المعلوم قطعا ان من قدر
على انشاء شئ من العدم قدر على اعادته بطريق الاولى ولما كان سبحانه انما يقبل الايمان عند امكان تصوره
وذلك اذا كان بالغيب لم يجبهم الى احياء ابائهم اكراما لهذه الامة لشرف نبيها عليه الصلاة والسلام لان سنته الالهية
جرت بان من لم يؤمن بعد كشف الامر بايجاد الايات المقترحات اهلكه كما فعل بالامم الماضية فرفعهم عن الحس الى التدبر
على الحجج العقلية فقال امرا له بالجواب بقوله قل الله اى المحيط علما وقدرة وحكمة يحييكم اى يجدد هذا تجديدا لا يحصى حما
انتم به معترفون احيا لاجساد بعد ما لا يحصى بجمعها من غير ان يكون لها اصل فى الحياة ثم يميتكم بان يجمع ارواحكم من اجسادكم
فيسلها منها لا يدع شيئا منها فى شئ من الجسد فاذا هو كما كان قبل الاحياء كما تشاهدون ومن قدر على هذا الابتداء على هذا الوجه
من التكرير على تمييز ما هو من الروح فى حال سلبها من تلك الاعضاء الظاهرة عادة مستمرة كان المخبر عنه بانه يجمع الخلق
بعد موتهم من العريقين فى الصدق فلذلك قال من غير تاكيد ثم يجمعكم اى بعد التمزق فيعيد فيكم ارواحكم كما كانت بعد طول
مدة البقاء منتهين الى يوم القيمة اى القيام الاعظم لكونه عاما لجميع الخلائق الذين اماتهم ولما صح بهذا
الدليل القطعى المدعى انتج قوله لا ريب اى شك بوجه من الوجوه فيه بل هو معلوم علما قطعيا ضروريا ولكن اكثر الناس
لما لهم من السفول بما ركبنا فيهم من الحظوظ والشهوات التى غلبت على غريزة العقل فردوا بها اسفل سافلين فى حد النوس
وهو التردد ولم يرتقوا الى سن الايمان لا يعلمون اى لا يتجدد لهم علم لما لهم من النوس والتردد والسفول عن اوج العقل الى
حضيض الجهل فهم واقفون مع المحسوسات لا يلوح لهم ذلك مع ما له من الظهور لتطمس قدرتنا وتحقق اسمنا الباطن
كما تحقق الظاهر عند من هديناه لعلم ذلك ولما دل على قدرته على الاعادة بهذا الدليل الخاص الذى تعدد من
فالله الذى ابتدا خلقكم من الارض على هذا الوجه قادر على اعادتكم عطف عليه دليلا اخر جامعا فقال ولله اى الملك الاعظم
وحده ملك السموات كلها والارض التى ابتدا اكم منها ومن تصرف فى ملكه بشئ من الاشياء كان قادرا على مثله ما دام ملكا
ولما كان التقدير له ملك ذلك ابدا فهو يفعل فيه اليوم ما تشاهدون مع دفع هذا وخفض هذا فلو ان
الناس ملوا القضاء لوصلوا الى جميع ما وصلوا اليه بالبغى والعدوان فانه لا يخرج شئ عن امره ولكن اكثر الناس اليوم فى
ريبهم يترددون مبنى عليه قوله ويوم تقوم الساعة اى توجد وتتحقق تحقق القائم الذى هو على كمال تمكنه وتمام
امره الناهض باعباء ما يريد وكرر للتهويل والتاكيد قوله يومئذ اى اذ تقوم يخسر وهكذا كان الاصل ولكنه قال
للتعميم والتعليق بالوصف يخسر المبطلون اى الداخلون فى الباطل العريقون فى الاتصاف به الذين كانوا لا
يرضون بقضائى فيستعجلون فيتوصلون الى مراداتهم بما لم امر به ولا يزالون يسعون الى ان ياتى الوقت الذى قدرت وصول
النهاية فيصلون فيظنون انهم وصلوا بسعيهم وانهم لو تركوا لما كان لهم ذلك فيخسرون لاجل سعيهم بما جعلت لهم
من الاختيار بمرادى فهم على خلاف امرى خسارة مستمرة التجدد لا انفكاك لهم عنها ويفوز المحقون ولما

كان ذلك من شان اليوم فهو لا عم في الهول بقوله مصورًا لحاله وترى اي ذلك اليوم كل امة من الامم الخاسرة فيه والفائزة
جاثية اي مجتمعة لا يخلطها غيرها وهي مع ذلك باركة على الركب رعبًا واستيفازًا لما لعلها تؤمر به جلسة المخاصم بين يدي
الحاكم ينتظر القضا الحاتم والامر الجازم اللازم لشدة ما يظهر لها من هول ذلك اليوم ولما كان كانه قيل هم
مستوفزون قال كل امة اي من الجاثين تدعى الى كتابها اي الذي انزل عليها وتعبدها الله به والذي نسخته الحفظة من
اعمالها ليطبق احدهما بالاخر فمن وافق كتابه ما امر به من كتاب ربه نجا ومن خالفه هلك ويقال لهم حال الدعا اليوم تجزون
على وفق الحكمة بايسر امر ما اي عين الذي كنتم بما هو لكم كالجبلات تعملون اي مصرين عليه غير راجعين عنه من خير او شر
ولما اخبر بالجزا بين كيفيته بانه يطبق بين كتاب الانزال وكتاب الاعمال فما حكم به كتاب الانزال انفذه الكبير
المتعال فقال مشيرًا الى كتاب الانزال باداة القريب لقربه وسهولة فهمه هذا كتابنا اي الذي انزلناه على السنة رسلنا
ينطق اي يشهد شهادة هي في بيانها كالنطق عليكم بالحق اي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع من اعمالكم وذلك بان يقول
من عمل كذا فهو كافر ومن عمل كذا فهو عاص ومن عمل كذا فهو مطيع فينطبق ذلك على ما عملتموه فاذا الذي اخبر به الكتاب مطابق
لاعمالكم لا زيادة فيه ولا نقص كل كلي ينطبق على جزئيه سوا بسواء كما نعطيكم علم ذلك في ذلك اليوم فينكشف امر جبلاتكم
وما وقع منكم من جزئيات الافعال لا يشذ عنه منه ذرة وتعلمون ان هذا الواقع منكم مطابق لما اخبر به الكتاب الذي انزلنا
فهو حق لان الواقع طابقه هذا نطقه عليكم واما نطقه لكم فالفضل الحسنة بعشر امثالها الى ما فوق ذلك ولما كانت
العادة جارية في الدنيا باقامة الحقوق بكتابة الوثائق وكانوا كانهم يقولون ومن يحفظ اعمالنا على كثرتها مع طول المدة وبعد
الزمان وكانوا ينكرون امر الحفظة وغيره مما اتت به الرسل اكد قوله مجيبًا بما يقرب الى عقل من يسأل عن ذلك انا على ما لنا من
العظمة الغنية عن الكتابة كنا على الدوام نستنسخ اي نامر ملائكتنا بنسخ اي نقل ما كنتم طبعًا لكم وخلقا تعملون قولا
وفعلا ونية فان كان المراد بالنسخ مطلق النقل فهو واضح وان كان النقل من اصل فهو اشارة الى لوح الجبلات
المشار اليه بكنتم او من اللوح المحفوظ ليطابق به ما يفعله العامل ومن المشهور بين الناس ان كل احد يسطر في جبينه ما
يلقاه من خير وشر ولما صرح بالمبطلين حسب ما اقتضاه الحال كما تقدم واشار الى المحقين صرح بما لوح اليه
من امر المحقين وعطف عليهم اضدادهم فقال باديًا بهم على طريق النشر المشوش مفصلا فاما الذين امنوا اي من الامم
الجاثية وعملوا تصديقا لدعواهم الايمان الصالحات فيدخلهم اي في ذلك اليوم ربهم الذي احسن اليهم بالتوفيق بالاعمال
في رحمته اي تقريبه واكرامه بجليل الثواب وحسن المآب وتقول لهم الملائكة تشريفا سلام عليكم ايها المؤمنون ودل على
عظيم الرحمة بقوله ذلك اي الاحسان العالي المنزلة هو اي لا غيره الفوز ولما دل السياق لغباوتهم وخفا
الاشيا عليهم قال المبين الذي لا يخفى على احد شيء من امره لانه لا يشوبه كدر اصلا ولا نقص بخلاف ما كان من اسبابه في الدنيا
فانها مع كونها كانت فوزا كانت خفية جدا على غير الموقنين واما الذين كفروا اي ستروا ما اجلته لهم مراءي عقولهم وفطرهم
الاولى من الحق الذي امر الله به ولو عملوا جميع الصالحات غير الايمان فيدخلهم الملك الاعظم في لعنته ولما
كان هذا الستر سببًا واضحًا في تبكيتهم قال افلم اي فيقال لهم الم تاتكم رسلي واخلق لكم عقولا تدلكم على الصواب من التفكر
في الايات المرئية من المعجزات التي اتوكم بها وانزل عليكم بواسطتهم ايات مسموعة فلم تكن اياتي على ما لها من عظمة الاضافة
الي وعظمة الاتيان اليكم على السنة رسلي الذين هم اشرف خلقي ولما كانت توجب الايمان لما لها من العظمة
بمجرد تلاوتها بنى للمفعول قوله تتلى اي تتواصل قراءتها من اي تال كان فكيف اذا كانت بواسطة الرسل تلاوة مستعلية
عليكم لا تقدرون على دفع شيء منها برضاه منصف فاستكبرتم اي فتسبب عن تلاوتها التي من شانها ايراث الخشوع والاخبات
والخضوع ان طلبتم الكبر لانفسكم واوجدتموه على رسلي واياتي وكنتم خلقا لازما قوما اي ذوي قيام وقدرة على ما تحاولونه
مجرمين عريقين في قطع ما يستحق الوصل وذلك هو الخسران المبين والاية من الاحتباك ذكر الادخال في الرحمة اولا دليلا
على الادخال في اللعنة ثانيا وذكر التبكيت ثانيا دليلا على التشريف اولا وسره ان ما ذكره ادل على شرف الولي وحقارة
العدو واذا اي وكنتم اذا قيل من اي قائل كان ولو على سبيل التاكيد ان وعد الله الذي كل احد يعلم انه محيط بصفات
الكمال حق اي ثابت لا محيد عنه بمطابقة الواقع من البعث وغيره لان اقل الملوك لا يرضى بان يخلف وعده فكيف به سبحانه
فكيف اذا كان الاخلاف فيه مناقضًا للحكمة والساعة التي هي مما وعد به وهي محط الحكمة فهي اعظم ما تعلق به الوعد لا ريب
فيها بوجه من الوجوه لانها محل اظهار الملك لما له من الجلال والجمال اتم اظهار قلتم راضين لانفسكم بخسيس الجهل ما ندري
اي الان دراية علم ولو بذلنا جهدنا في محاولة الوصول اليه ما الساعة اي نعرف حقيقتها فضلا عما تخبروننا به من احوالها
ولما كان امرها مركوزا في الفطر لا يحتاج الى كبير نظر بما يعلم كل احد من تمام قدرة الله تعالى فهي تنبيه عليها
نوع تنبيه سبق الى القلب علمها سموا ذلك ظنا عنادا واستكبارا فقالوا امستانفين لجواب من كانه يقول افلم تعلم[illegible]

تلاوة

تلاوة هذه الايات البينات علما بها ان اي ما نظن اي نعتقد ما تخبروننا به عنها الا ظنا واما وصوله الى درجة العلم
فلا ولما كان المحصور لا بد وان يكون اخص من المحصور فيه كان الظن الاول بمعنى الاعتقاد ولعله عبر عنه بلفظ
الظن تاكيدا لمعنى الحصر ولذلك عطفوا عليه تصريحا بالمراد لان الظن قد يطلق على العلم قولهم وما نحن واكدوا النفي فقالوا
بمستيقنين اي بموجود عندنا اليقين في امرها ولا ابطا لبين له هذا مع ما تشاهدونه من الايات في الافاق وفي انفسكم وما
بيت من دلائله وما يفهمكم على ذلك من الايات المسموعة وهذا الابنا في اية ان هي الا حياتنا الدنيا لان اخرها مثبت للظن فكانهم
كانوا تارة يقوى عندهم ما في جبلاتهم وفطرهم الاولى من امرها فيظنونها وتارة تقوى عليهم الحظوظ مع ما يقترن بها من
الشبه المبنية على الجهل فيظنون عدمها فيقطعون به لما للنفس اليه من الميل او كانوا فرقتين والله اعلم ولما وصلوا
الى حد عظيم من العناد التفت الى اسلوب الغيبة اعراضا عنهم ايذانا بشديد الغضب فقال وبدا اي ولم يزالوا يقولون
ذلك الى ان بدت لهم الساعة بما فيها من الاوجال والزلازل والاهوال وظهر لهم غاية الظهور سيئات ما ولما كان السياق
للكفر وكانوا قد احبطوا بجميع اعمالهم فانه ليس لهم اساس صالح يكون سببًا للتكفير شيء مما تعملوا فيه ولم يقتض السياق خصوصًا
مثل الذي عبر بالعمل الذي هو اعم من الكسب فقال عملوا فتمثلت لهم وعرفوا مقدار جزائها واطلعوا على جميع ما يلزم على ذلك
وحاق بهم اي احاط على حال القهر والغلبة قال ابو حيان ولا يستعمل الا في المكروه ما كانوا جبلة وخلقا به يستهزئون
اي يوجدون الهزء به على غاية الشهوة واللذة ايجاد من هو طالب لذلك وقيل اي لهم على اعظم الاحوال واشدها قولا
لا معقب له فكانه بلسان كل قائل اليوم ننساكم اي نفعل معكم بالترك من جميع ما يصلحكم فعل المنسي الذي تقطع عنه جميع
احساننا فيأتيه كل شر كما نسيتم واضاف المصدر الى ظرفه لما فيه من الرشاقة والبلاغة فقال لقاء يومكم هذا اي عملكم
في امره عمل الناسي له ومن نسي لقاء اليوم نسي لقاء الكائن فيه بطريق الاولى وقد عابهم سبحانه بذلك اشد العيب لان ما عملوه
ليس من فعل الحزمة ان يتركوا ما ضرره محتمل لا يعتدون له وانما هذا فعل الحمق الذين هم عندهم اسقاط لا عبرة بهم ولا
دون لهم وعبر بالنسيان لان علمه مركوز في طباعهم وعبر في فعله بالمضارع ليدل على الاستمرار وفي فعلهم بالماضي ليدل
على ان من وقع منه ذلك وقتا ما وان قل كان على خطر عظيم بتعريض نفسه لاستمرار الاعراض عنه ولما
كان تركه على هذا الحال لا يلزم منه استمرار العذاب صرح به ايضاحا له لئلا يظن غير ذلك فقال مبينا لحالهم وماواكم
النار ليس لكم براح عنها اصلا لا الى دار اعمالكم ادخلتكموها ولا يخرج منها الا من اذنا في اخراجه ونحن قد جعلناكم في عداد
المنسي فلا يكون من قبلنا لكم فرج وما لكم في نفس الامر سوا افكرتم وانتم مكذبون في غمرات هذا اليوم او تركتموه ترك
المنسي من ناصرين ينقذونكم من ذلك بشفاعة ولا مغالبة ولما ذكر جزاءهم على ما هو الحق المساوي لاعمالهم
طبق الفعل بالفعل علله بما دل على اعمالهم فقال ذلكم اي العذاب العظيم بانكم اتخذتم اي بتكليف منكم لانفسكم
وقسر على خلاف ما ادى اليه العقل وجاءت به الرسل وساعدت عليه الفطر الاولى ايات الله اي الملك الاعظم
هزوا اي جعلتموها عين ما انزلت للابعاد منه وغرتكم لضعف عقولكم الحياة الدنيا اي الدنية فاثرتموها
لكونها حاضرة وانتم كالبهائم لا تبعد نظركم المحسوس فقلتم لا حياة غيرها ولا بعث ولا حساب ولو تعقلتم وصفكم
لها لا داكم الى الاقرار بالاخرى ولما اوصلهم الى هذا الحد من الاهانة سبب عنه زيادة في اهانتهم
وتلذذا لاوليائه الذين عادوهم فيه واشماتا لهم بهم فاليوم بعد ايوائهم فيها لا يخرجون منها لان الله
لا يخرجهم ولا يقدر غيره على ذلك ولا هم خاصة يستعتبون اي يطلب من طالب ما منهم الاعتاب وهو الاعتذار
بما يثبت لهم العذر ويزيل عنهم العتب الموجب للغضب بعمل من الاعمال الصالحة لانهم في دار الجزا لا دار العمل ولما
اثبت سبحانه بجميل باثبات الايات المرئية والمسموعة واعزاز اوليائه واذلال اعدائه من غير
مبالاة بشيء ولا عجز عن شيء مع الاحاطة التامة بكل شيء قدرة وعلما تسبب عن ذلك حتما قوله فلله اي الذي له الامر كله
الحمد اي الاحاطة بجميع اوصاف الكمال ولما ابان ان ذلك ثابت له لذاته لا لشيء اخر اثبت انه بالاحسان
والتدبير فقال رب السموات اي ذات العلو والاتساع والبركات ولما كان السياق لاثبات الاختصاص
بالكمال وكانوا قد جعلوا له سبحانه ما دل على انهم لا شبهة لهم في عبادتهم بحصر امرهم في الهوى اعاد ذكر الرب
تاكيدا واعلاما ان له في كل واحد من الخافقين اسرارا غير ما له في الاخر فالتربية متفاوتة بحسب ذلك واثبت
العاطف اعلاما بان كمال قدرته في ربوبيته للاعلى والاسفل على حد سواء دفعا لتوهم ان حكمه في الاعلى امكن لتوهم
الاحتياج الى المسافة فقال ورب الارض اي ذات القبول للواردات ولما خص الخافقين تنبيها
على الاعتبار بما فيهما من الايات لظهورها عم تنبيها على ان له وراء ذلك من الخلائق ما لا يعلمه الا هو فقال مسقطا
العاطف لعدم الاحتياج اليه بعد اثبات استواء الكونين الاعلى والاسفل في حكمه من حيث العلم والقدرة

للتنزه عن المسافة وذلك لا يخرج عنه شي من الخلق لانه اما ان يكون علويا او سفليا رب العالمين لجمع ما مفرده يدل على جميع
الحوادث لان العالم ما سوى الله تنبيها على اصنافه وتقريحا بها واعلاما بانه اريد به مدلوله المطابقي لا البعضي لا له
التضمن واعاد ذكر الرب تنبيها على ان حفظه للخلق وتربيته لهم ذو الوان بحسب شؤون الخلق فحفظه هذا الجزء على
وجه يغاير حفظه لجزء اخر وحفظه للكل من حيث هو كل على وجه يغاير حفظه لكل جزء على حدته مع ان الكل بالنسبة الى تمام
القدرة على حد سوا ولما افاد ذلك غناه الغنى المطلق وسيادته وانه لا كفؤ له عطف عليه بعض اللوازم
لذلك تنبيها على مزيد الاعتنا به لدفع ما يتوهمونه من ادعاء الشركة التي لا يرضونها لانفسهم فقال وله اي وحده
الكبرياء اي الكبر الاعظم الذي لا نهاية له في السموات كلها والارض جميعا اللتين فيهما ايات للمومنين روى مسلم وابو
داود وابن ماجه عن ابي هريرة ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته النار وفي رواية عذبته وفي رواية قصمته
وهو وحده العزيز الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء الحكيم الذي يضع الاشيا في اتقن مواضعها ولا يضع شيا الا
كذلك كما احكم امره ونهيه وجميع شرعه واحكم نظم هذا القران جملا وايات وفواصل وغايات بعد ان حرر معانيه
وتنزيله جوابا لما كانوا يتعنتون به فصار معجزا في نظمه ومعناه وانزاله طبق اجوبة الوقايع على ما اقتضاه الحال
فانطبق اخرها على اولها بالصفتين المذكورتين وبالحث على الاعتبار بايات الخافقين والتصريح بما لزم ذلك من الكبرياء
المقتضية لاذلال الاعدا واعزاز الاوليا والله الهادي

سورة الاحقاف

مقصودها
انذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة اللازم للعزة والحكمة الكاشف لهما اتم كشف بما وقع الصدق
في الوعد به من اهلاك المكذبين بما يضادها لبلادهم وانه لا يمنع من شي من ذلك مانع لان فاعل ذلك لا شريك له فهو المستحق
للافراد بالعبادة وعلى ذلك دلت تسميتها بالاحقاف الدالة على هذه الريح وسكون الجو بما دلت عليه قصة قوم هود
عليه السلام من التوحيد وانذارهم بالعذاب دنيا واخرى ومن اهلاكهم وعدم اغنا ما عبدوه عنهم ولا يصح تسميتها
بهود ولا تسمية هود بالاحقاف كما ذكر من المقصود بكل منهما بسم الله الذي لا يذل من والى ولا يعز من عادى
الرحمن الذي سبقت رحمته غضبه بزواجر الانذار الرحيم الذي خص حزبه بعمل الابرار للفوز في دار القرار بدخول
الجنة والنجاة من النار حم حكمة محمد النبي منتهى الغاية في الصواب والسداد احكمها الذي احاطت قدرته فهو لا يخلف
الميعاد ولما بنيت الجاثية على النظر في ايات الخافقين خطابا لاهل الايمان استدلالا على يوم الفصل
المدلول عليه في الدخان بايه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين والتي بعدها فانتجت العلم بان الكبريا
بخالقهما بما يشاهد من قهر للملوك لمن سواهم بالموت وما دونه من غير مبالاة باحد وثبتت بما افهمه الملك والكبريا
والحكمة لان عادة من كان بهذا الوصف ان لا يكون كلامه الا بحسب الحاجة ان الكتاب منزل نجوما لبيان ما يجادلون
مدحض لحجتهم هادم لعزتهم بحكمته وعزته فثبت الحشر وحق النشر وختم بصفتي العزة والحكمة ذكر عائب من ذلك
تاكيدا لامر البعث وتحقيقا لليوم الاخر على وجه مبين ان الخلق كله ايات وحكم واعتبارات لانه اثبت انه كله حق
ونفي عنه كل باطل نفيا لخطا بالاهل الاوثان من سائر الاديان الصابئة والمجوس وغيرهم الذين افتتحت السورة بهم
وختمت بالفسق الجامع لهم الموجب لكفرهم تنزيل الكتاب اي الجامع لجميع الخيرات بالتدريج على حسب المصالح من الله اي
الجبار المتكبر المختص بصفات الكمال الذي هو المحمد بما دلت عليه ربوبيته وختم بقوله العزيز الحكيم تقريرا لانه لم يضع
شيئا الا في محاله وانه الخالق للشر كما انه الخالق للخير ولجميع الافعال وانه يعز اولياءه ويذل اعداءه ويحكم امر
دينه فيظهره على الدين كله من غير ان يقدر احد على معارضته في شي منه فصارت اية الجاثية مقدمة لهذه وهذه نتيجة
ولما اثبت في الجاثية مضمون قوله تعالى في الدخان وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين بما ذكر فيها من الايات
والمنافع والحكم اثبت هنا مضمون ما بعد ذلك بزيادة الاجل فقال دالا على عزته وحكمته ما خلقنا اي على ما لنا
من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء السموات والارض على ما فيهما من الايات التي فصل بعضها في الجاثية ولما كان
من المقاصد هنا الرد على المجوس وغيرهم ممن يثبت خلقا لغير الله قال وما بينهما اي من الهوا المشحون بالمنافع وكل خير
وكل شر من افعال العباد وغيرهم وقال ابن برجان في تفسيره جميع الوجود اوله واخره نسخة لام الكتاب والسموات
والارض اشارة الى بعض الوجود وبعضه يعطي من الدلالة على المطلوب ما يعطيه الكل بوجه ما عبر ان ما على اصح
دلالة واقرب شهادة وابين اشارة وما صغر من الموجودات دلالته مجملة يحتاج المستعرض فيه الى التثبت
وتدقيق النظر والبحث انتهى الا بالحق اي الامر الثابت من القدرة التامة والتصرف المطلق فخلوا الباطل بالحق
لانه تصرف في ملكه الذي لا شائبة لغيره فيه للابتلا والاختبار للمجازاة بالعدل والمن بالفضل الى غير ذلك

من

من الحكم التي لا يعلمها سواه وفي خلق ذلك على هذا الوجه اعظم دلالة على وجود الحق سبحانه وانه واحد لا شريك له ودل على تمام
قدرته بقوله واجل مسمى اي لبعث الناس الى دار القرار لفصل اهل الجنة من اهل النار وفنا الخافقين وما نشا عنهما من الليل والنهار
ولما كان التقدير وامرنا الناس بالعمل في ذلك الاجل بطاعتنا ووعدناهم عليها جنان النعيم فالذين امنوا على ما
انذروا مقبلون ومن غوائله مشفقون فهم بطاعتنا عاملون عطف عليه ما السياق له من قوله والذين كفروا اي ستروا
من اعلام الدلائل ما لو خلوا انفسهم وما فطرناها عليه لعلموه فهم لذلك عما انذروا ممن هم عارفون بان انذاره لا يتخلف
معرضون ومن غوائله امنون فهم لما تقضينا فاعلون شهد تعندهم شواهد الوجود فما سمعوا لها ولا اصغوا اليها واذ
الرسل والكتب من عند الله فاعرضوا عنهم واشمازوا منهما وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم ذكر الكتاب وعظيم الرحمة به
وجليل بيانه واردف ذلك بما تضمنته سورة الشريعة من توبيخ من كذب به وقطع تعللهم وانه سبحانه قد نصب من الدلائل
السموات والارض الى ما ذكر في صدر السورة ما كل قسم منها كاف في الدلايل وقايم بالحجة ومع ذلك فلم يجز عليهم التمادي على ضلالهم
والاهمال في سوء حالهم وسيئ محالهم اردفت بسورة الاحقاف تسجيلا بسوء مرتكبهم واعلاما بالهم منقلبهم فقال تعالى
ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى ولو اعتبروا بعظيم ارتباط ذلك الحق واحكامه واتقانه لعلموا انه
لم يوجد عبثا ولكنهم عموا عن الايات وتنكبوا عن انتهاج الدلالات والذين كفروا عما انذروا معرضون ثم اخذ سبحانه في تقريعهم
وتقريعهم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع فقال ارايتم ما تدعون من دون الله الى قوله وكانوا بعبادتهم كافرين ثم ذكر عنادهم عند
سماع الايات فقال واذا تتلى عليهم اياتنا بينات الايات ثم التحم الكلام وتناسج الى اخر السورة انتهى ولما
قرر سبحانه الاصل الدال على التوحيد واثبات العدل والرحمة بالبعث للفصل وكانوا يقولون انهم اعقل الناس وكان العاقل
لا يامن من غوائل الانذار الا ان اعد لها ما يحقق دفعه لها وكان لا يقدر على دفع المتوعد الا من يساويه او يزيد عليه بشركة او غيرها
وكانوا يدعون في اصنامهم انها شركا مبني على ذلك الاصل تفاريعه وبدا بابطال متمسكهم فقال سبحانه امرا له صلى الله
عليه وسلم بان ينبههم على سفههم بانهم اعرضوا عما قد يضرهم من غير احتراز منه دالا على عدم الهيته ما دعوه الهة بعدم
الدليل على الهيتها من عقل او نقل لان منصب الالهية لا يمكن ان يثبت وله من الشرف ما هو معلوم بغير دليل قاطع قل اي لهؤلاء
المعرضين انفسهم لغاية الخطر منكرا عليهم تبكيتا وتوبيخا ارايتم اي اخبروني بعد تامل ورؤية باطنة ما تدعون اي
دعا عبادة ونبه على سفولهم بقوله من دون الله اي الملك الاعظم الذي كل شي دونه فلا كفؤ له ولما كان
من المعلوم ان الاستفهام عن رؤية ما شاهدتم له معلومة الابصار الابنا وبلا انه عن بعض الاحوال وكان التقدير اهم شركا
في الارض استانف قوله اروني ما واكد الكلام بقوله ماذا خلقوا اي اخترعوه من الارض ليصح ادعاؤكم انهم شركا فيها
باختراع ذلك الجزء ولما كان معنى الكلام وترجمته اروني اهم شركا في الارض عادله بقوله ام لهم اي الذين
تدعونهم شرك في السموات اي بنوع من انواع الشركة تدبير كما يقول اهل الطبايع او خلق او غيره اروني ذلك الذي خلقوه
منها ليصح ادعاؤكم فيهم واكعاؤكم واعتمادكم عليهم بسببه فالاية من الاحتباك ذكر الخلق اولا دليلا على حذفه ثانيا
والشركة ثانيا دليلا على حذفها اولا ولما كان الدليل احد شيئين سمع وعقل قال ايتوني اي حجة على دعواكم في هذه
الاصنام انها خلقت شيا او انها تستحق ان تعبد بكتاب اي واحد يصح التمسك به لا اكلفكم الى الاتيان باكثر من كتاب
واحد ولما كانت الكتب متعددة ولم يكن كتاب قبل القران عاما لجميع ما سلف من الزمان ادخل الجار فقال
من قبل هذا اي الذي نزل علي كالتوراة والانجيل والزبور وهذا من اعلام النبوة فانها كلها شاهدة بالوحدانية لو اتى
بها لشهدت عليه ولما ذكر الاعلى الذي لا يجب التكليف الا به وهو النقل القاطع سهل عليهم فنزل الى
ما دونه الذي منه العقل واقنع منه ببقية واحدة ولو كانت اثر الاعتنا فقال او اثارة اي بقية رسم صالح للاحتجاج
قال ابن برجان وهي البقية من اثر كل شيء يرى بعد ذهابه وحال رويته باثرها خلف عن سلف يتحدثون بها في اثارهم قال
البغوي واصل الكلمة من الاثر وهو الرواية من علم اي قطعي بضرورة او تجربة او مشاهدة او غيره ولو ظنا يدل على ما ادعيتم
من الشركة ولما كان لهم من النفرة من الكذب واستشناعه واستبشاعه واستفظاعه ما ليس لاحد
من الامم اشار الى تقريعهم بالكذب ان لم يقيموا دليلا على دعواهم بقوله ان كنتم اي بما هو لكم كالجبلة صادقين اي عريقين
في الصدق على ما تدعون لانفسكم ولما ابطل سبحانه قولهم في الاصنام بعدم قدرتها اتبعه ابطاله بعدم علمها
ليعلم قطعا انهم اضل الناس حيث ارتبطوا في اجل الاشيا وهو اصول الدين بما لا دليل عليه اصلا فقال تعالى منكرا ان
يكون احد اضل منهم عاطفا على ما هدى اليه السياق حتما الى تقديره ومن اضل ممن يدعي شيا من الحسب بلا دليل ومن اضل ممن
يدعي اعظم الاشيا بغير دليل لا عقلي ولا نقلي فهو يدعوا ما لا قدرة له ولا علم وما انتفت قدرته وعلمه لم يصح عبادته
ببديهة العقل وارشدا الى سفولها بقوله من دون الله اي من ادنى رتبة من رتبته الذي له جميع صفات الكمال فهو

يعلم كل شئ ويقدر على كل شئ فهو يجيب الدعا ويكشف البلا ويحقق الرجا اذا شا ويدبر عبده لما يعلم من سره وعلنه بما لا يقدر هو على تدبير نفسه به ويريد العبد في كثير من الاشيا ما لو وكل فيه الى نفسه واجيب الى طلبته كان فيه حتفه فيدبر سبحانه بما تشتد كراهته له فينكشف الحال عن انه لم يكن له فرج الا فيه من لا يستجيب له اي لا يوجد الاجابة ولا يطلب ايجادها من الاصنام وغيرها لانه لا اهلية له لذلك

ولما كان قل الاستجابة مطلق الكلام وكانوا في الاخرة يكلمونهم في الجملة وان كان بما يسوءهم غيى هذا النفي بوقت لا ينفع فيه استجابة اصلا ولا يغني احد عن احد فقال الى يوم القيمة اي الذي صرفنا لهم من ادلته ما هو اوضح من الشمس ولا يزيدهم ذلك الا انكارا وركونا الى ما لا دليل عليه اصلا وهم يدعون الهداية ويعيبون اشد عيب الغواية

ولما كان من لا يستجيب قد يكون له علم بطاعة الانسان له يرجى معه اجابته يوما ما نفى ذلك بقوله زيادة في غيبهم في دعاء ما لا رجا في نفعه وهم عن دعائهم اي دعا المشركين اياهم غافلون اي لهم عن هذا الوصف ثابت لا ينفكون عنه لا يعلمون من يدعوهم ولا من لا يدعوهم وعبر بالغفلة التي هي من اوصاف العقلا للجماد تغليبا ان كان المراد اعم من الاصنام وغيرها ممن عبد ومن عقلاء الانس والجن وغيرهم وانصافا ان كان المراد الاصنام خاصة او تهكما كانه قيل هم علما فانهم اجل مقاما من ان تعبد واما لا يعقل واما عدم استجابتهم لكم دايما فغفلة دائمة كما تقول لمن كتب كتابا كله فاسد انت عالم ولكن لعلك كنت ناعسا ونحو هذا

ولما عنى سبحانه بيوم القيمة فافهم انهم يستجيبون لهم فيه بما يجاوزونهم به اذ ذاك فقال واذا حشر اي جمع بكره على ايسر وجه واسهل امر الناس اي كل من يصح منه النوس اي التحرك يوم القيمة كانوا اي المدعوون لهم اي للداعين اعداء ويعطيهم الله قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به العدو عدوه وكانوا اي المعبودون بعبادتهم اي الداعين وهم المشركون اياهم كافرين لانهم كانوا عنها غافلين كما قال تعالى في سورة يونس عليه السلام وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون

ولما بين انهم على غاية السفه في عبادة ما لا دليل بوجه على عبادته اتبعه بيان انهم في نهاية الغباوة باكارهما لا شئ ابين منه فقال عاطفا على والذين كفروا عما انذروا معرضون واذا تتلى اي تقرا من اي قارئ كان على وجه المتابعة عليهم اياتنا اي التي لا اعظم منها في انفسها ولا باضافتها الينا بينات لا شئ ابين منها قالوا هكذا كان الاصل ولكنه بين الوصف الحامل لهم على القول فقال قال الذين كفروا اي ستروا تلك الانوار التي ابرزتها تلك التلاوة لها هكذا كان الاصل ولكنه قال للحق اي لاجله لما اي حين جاءهم بيانا لانها مع بيانها لا شئ اثبت منها وانهم بادروا اول سماعهم لها الى انكارها دون تفكر هذا اي الذي تتلى سحر اي خيال لا حقيقة له مبين اي ظاهر في انه خيال فدل قولهم هذا المبادرتهم اليه من غير تامل اصلا وبكونه ابعد الاشياء عن حقيقة ما قيل فيه على انهم اكثر الناس عنادا واجراهم على الكذب وهم يدعون انهم اعرق الناس في الانصاف والدهم للصدق

ولما دلت هذه الايات بعظيم حججها وزخار ما اعرق من لججها على انها بما يسبونه او هي من الخيال وان هذا الكتاب في صدقه وكل شئ من امره ابعد من الخيال فكانوا اجدر الخلق ان يقولوا رجعنا عما كنا فيه وامنا كان موضع ان يقال هل قالوا بانك صادق في حسبة هذا الكتاب الى الله فعادله بقوله دليلا على ما له ام يقولون مجددين لذلك مما يعيرنه افتراه اي تعمد كذبه فيكون ذلك من قولهم عجبا لانه قول معروف بما يكذبه ويبطله كما ياتي في تقريره

ولما كان كانه قيل انهم ليقولون ذلك وقد فرحوا القلوب به فماذا اردهم عنه فقيل قل ما هو اشد عليهم من وقع النبل وهو ما يردهم ما يولهم بحجة هي اجلى من الشمس في الظهيرة صحوا ليس دونها سحاب

ولما كان من عادة الملوك انه متى كذب عليهم عاجلوه بالعقوبة قال ان افتريته اي تعمدت كذبه على فرضكم وانا انما اريد به نصيحتكم فالذي افتريته عليه وانسبه اليه يعاقبني على ذلك ولا يتركني اصلا وذلك هو معنى قوله فلا تملكون اي انتم المنصوحون في وقت من الاوقات بوجه من الوجوه لي من الله اي الملك الاعظم العزيز المتكبر الحكيم شيئا مما يرد عني انتقامه مني لان الملك لا يترك من كذب عليه مطلق كذب فكيف بمن يتعمد الكذب عليه في الرسالة بامور عظيمة ويلازمه مساء وصباحا غدوا ورواحا فان كان لي حينئذ على افترائه والمقصود به لا ينفعني والمكذوب عليه لا يتركني ثم علل ما افاده الكلام من وجوب الانتقام بقوله هو اعلم اي منكم ومن كل احد بما تفيضون فيه من نسبتي الى الكذب فلو انه كما تقولون ما ناظرني فضلا عن انه يؤيدني وينصرني وفيه على ذلك تهديد لهم وتسلية له وتفريج عنه

ولما كان الاملا وحده ليس هو قاطعا في ذلك وان كان ظاهرا فيه فكان لا بد في دعوى الصدق من دليل قاطع وبرهان ساطع وكانت شهادة الملك الذي الكلام فيه اعظم الادلة لانه الاعلم ومدار الشهادة العلم فانتج الكلام قطعا قوله كفى واكد الكلام بما قرن بالفاعل من حرف الجر تحقيقا للفعل ونفيا للمجاز فقال به شهيدا اي شاهدا بليغ الشهادة لانه الاعلم بجميع احوالنا بيني وبينكم يشهد بنفسه الاقدس للصادق منا وعلى الكاذب وقد شهد بصدقي في تعجيزكم عن معارضة شئ من هذا الكتاب الذي اتيت به فثبت بذلك انه كلامه لاني لا اقدر وحدي على ما تقدرون عليه مرادي ولا مجتمعين وانتم عرب مثلي بل وانا امي وفيكم

انتم الكتبة والذين خالطوا العلما وسمعوا احاديث الامم وضربوا ابعد بلاد العرب في بلاد العجم فظهر بذلك ظهور الشمس انكم كاذبون في دعواكم الرحيم الذي يكرم بعد المغفرة وهو الغفور الذي من شانه ان يمحو الذنوب اعيانها واثارها فلا يعاقب عليها ولا يعاتب ويتفضل بالتوفيق لما يرتضيه ففي هذا الختام ترغيب للنبي صلى الله عليه وسلم في الصفح عنهم فيما نسبوه اليه في افتتاحها من الافترا وندب الى الاحسان اليهم وترغيب لهم في التوبة ومنع من ان يقولوا فلم لا يعاجلنا بالعقوبة على نسبتنا لك الى الكذب ان كنت صادقا بانه يجوز ان يمهل الكاذب واما انه يؤيده فيما يشهد به كذبه اللازم منه انه يزيد فيه فلا يجوز لان ذلك قادح في الحكمة وفي الكبريا وفي الملك

ولما كان من اعظم الضلال ان ينسب الانسان الى الكذب من غير دليل في شئ لم يتقدم عنه بل تقدم مثله ناس قد ثبت صدقهم في مثل ذلك ومضت عليه الازمان وتقررت غاية التقرر في القلوب والاذهان قال تعالى قل اي لهؤلاء الذين نسبوك الى الافترا ما كنت اي كونا ما بدعا اي منشأ مبتدعا مخترعا عجبا اكون اجنبيا منقطعا من الرسل لم يتقدم لي منهم مثال في اصل ما جئت به وهو الحرف الذي طال النزاع بيني وبينكم فيه وعظم الخطب وهو التوحيد ومحاسن الاخلاق بل قد تقدمني رسل كثيرون اتوا بمثل ما اتيت به ودعوا اليه كما دعوت وصدقهم الله بمثل ما صدقني به فثبت بذلك رسالاتهم وسعد بهم من صدقهم من قومهم وشقي من كذبهم فانظروا الى اثارهم واسألوا عن سيرهم من اتباعهم وانصارهم واشياعهم

قال الامام ابو عبد الله القزاز في ديوانه والبدعة الاسم لما ابدع وضد البدعة السنة لان السنة ما تقدم له امام والبدعة ما اخترع على غير مثال وفي الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار معناه والله اعلم ان يبتدع ما يخالف السنة اذا كانت البدعة ضد السنة فاذا احدث ما يخالفها كان باحداثه لها ضالا مشركا وكان ما احدث في النار ولم يدخل تحت هذا ما يخترع الانسان من افعال البر يسمى بدعة لعدم تعلقه قبل ذلك فيخرج عما ذكرنا اذ كان له نظير في الاصول وهو الحض على كل افعال البر ما علم منها وما لم يعلم فان احدث من ذلك شيا فكانه زيادة فيما تقدم من البر وليس بضد لما تقدمه من السنة بل هو باب من ابوابها ويقولون ما فلان ببدع في هذا الامر اي ليس هو باول من اصابه ذلك

قال الشاعر ولست ببدع من النائبات ونقض الخطوب وامرارها

ويقال ابدع بالرجل اذا كلت راحلته وابدعت الركاب اذا كلت وعطبت وقيل كل من عطبت ركابه فانقطع به فقد ابدع به وقال في القاموس والبدعة الحدث في الدين بعد الاكمال او ما استحدث بعده صلى الله عليه وسلم من الاهوا والاعمال وابدع بالرجل عطبت ركابه وبقي منقطعا به وابدع فلان بفلان قطع به وخذله ولم يقم بحاجته وحجته بطلت وقال الصغاني في مجمع البحرين وشئ بدع بالكسر اي مبتدع وفلان بدع في هذا الامر اي بديع وقوم ابداع عن الاخفش والبديع المبتدع والبديع المبدع ايضا وابدعت حجة فلان اذا بطلت وابدعت ارطلت يتعدى ولا يتعدى

ولما ثبت بر افته صلى الله عليه وسلم للرسل اصل الكلام وبقي ان يقال ان التكذيب في ان الله ارسله به امام الدليل على صدقه في دعواه ذلك بانه مماثل لهم في اصل الخلقة ليس له من ذاته من العلم الا ما لهم وليس منهم احد يصح له حكم على المغيبات فلولا ان الله ارسله لما صح كل شئ حكم به على المستقبلات ولم يتخلف من ذلك شئ نقال وما ادري اي في هذا الحال بنوع حيلة وعمل واجتهاد ما اي الذي يفعل اي من اي فاعل كان سواء كان هو الله تعالى بلا واسطة او بواسطة غيري واكد النفي ليكون ظاهرا في الاجتماع وفي الانفراد فقال ولا اي ولا ادري الذي يفعل بكم هذا في اصل الخلقة وانتم تدعون في احكم على نفسي باشيا لا يتخلف شئ منها مثل ان اقول اني اتيكم من القران بما يعجزكم فلا تقدرون كلكم على معارضة شئ منه فيصح ذلك على سبيل التكرار لا يتخلف اصلا فلولا ان الله ارسلني به لم اقدر وحدي على ما لا تقدرون عليه كلكم وان قدرت على شئ كنتم انتم اقدر مني عليه وفي الاية بعمومها دليل على ان الله ان يفعل ما يشا فله ان يعذب الطايع وينعم العاصي ولو فعل ذلك لكان عدلا وحقا وان كنا نعتقد انه لا يفعله

ولما سوى نفسه الشريفة بهم في اصل الخلقة وكان قد ميزه الله عنهم بما خصه به من النبوة والرسالة ابرز له ذلك سبحانه على وجه النتيجة فقال ان ما اتبع اي بغاية جهدي وجدي الا ما اي الذي يوحى اي يجدد القاوه ممن لا موحي يحق سواه الي على سبيل التدريج سرا لا يطلع عليه حق اطلاعه غيري بنفسي فعلم انه من الله

ولما نسبوه الى الافترا تارة والجنون اخرى وكان السبب الاعظم في نسبتهم له الى ذلك صدعهم بما يسوءهم على غير عادته السالفة وعادة امثاله قال على سبيل القصر القلبي وما انا اي باخباري لكم عما يوحى الي الا نذير اي لكم ولكل من بلغه القران مبين اي ظاهر اني كذلك في نفسه مظهر له اي كوني نذيرا وجميع الجزئيات التي انذر منها بالادلة القطعية

ولما اثبت انه من عند الله بشهادة الله نفسه بعجزهم عن المعارضة فتح عليهم اصرارهم على التكذيب على تقدير شهادة احد ممن يثقون بهم ويسلونهم عنه من اهل الكتاب فقال قل ارايتم اي اخبروني

ولما كان مقصود السورة انذارا للكافرين الذين لا ينظرون في علم بل شانهم تعطيه المعارف والعلوم عطف بالواو الدالة على مطلق الجمع الشامل للمقارنة الامرين ان كان اي هذا الذي اتيكم به من عند الله اي الملك الاعظم

المحوعن من غير مهلة فيدل على الاسراع في الكفر من غير تامل قال وكفرتم به اى على هذا التقدير وشهد شاهد اى واحد او اكثر
من بنى اسرائيل الذى جرت عادتكم ان تستفتوهم وتشفعوا بهم على مثله اى مثل ما في القران من ان من وحد فقد امن ومن اشرك
فقد كفر وان الله انزل ذلك في التوراة والانجيل وجميع اسفارهم فتطابقت عليه كتبهم وتضافرت به رسلهم وتواترت على الدعا
اليه والامر به انبياؤهم عليهم السلام ثم سبب عن شهادته وعقب وفصل فقال فامن اى هذا الذى شهد هذه الشهادة عقب
بهذا القران عند ما راه مصدقا لما ذكر وعلم انه الكتاب الذى بشرت به كتبهم فاهتدى الى وضع الشئ في محله فوضعه ولم يستكبر
ولما كان الحامل لهم بعد هذه الادلة على التمادى على الكفر انما هو الشماخة والانفة قال واستكبرتم اى
اوجدتم الكبر بالاعراض عنه طالبين بذلك الرياسة والفخر والنفاسة فكنتم بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة
اصلا فضللتم فكفرتم فوضعتم الشئ في غير موضعه فانسد عليكم باب الهداية ولما كانوا يدعون انهم اهدى الناس
واعدلهم وكان من رد شهادة الخالق والخلوق ظالما شديد الظلم فكان ضالا على علم قال تعالى مستانفا دالا على ان تقدير الجواب
افلم تكونوا بتخلفكم عن الايمان بعد العلم قد ظلمتم ظلما عظيما بوضع الكفران موضع الايمان فتكونوا ضالين تاركين للطريق الموصل
على عمد ان الله اى الملك الاعظم ذا العزة والحكمة لا يهدى القوم اى الذين لهم قدرة على القيام بما يريدون محاولته الظالمين
اى الذين من شانهم وضع الامور في غير مواضعها فلاجل ذلك لا يهديكم لانه لا احد ادخل منكم في الظلم الذى تسبب عنه ضلالكم
اما من كان منهم عالما فالامر فيه واضح واما من كان جاهلا فهو كالعالم لعدم تدبره مثل هذه الادلة التى هى بين العالم
بلسان العرب وبين ايكالها له الا تدبرها مع ترك الهوى وقال الحسن كما نقله البغوى الجواب فمن اضل منكم كما قال في فصلت
قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد فالاية من الاحتباك ذكر الايمان اولا دليلا على حذفه
ثانيا والاستكبار والظلم وعدم الهداية ثانيا دليلا على اضدادها اولا وسره انه ذكر سببى السعادة ترغيبا
وترهيبا ولما دل على ان تركهم للايمان انما هو تعمد للظلم استكبارا عطف على قولهم انه سحر ما دل على الاستكبار
فقال وقال الذين كفروا اى تعمدوا تغطية الحق للذين اى لاجل ايمان الذين امنوا اذ سبقوهم الى الايمان لو كان اى ايمانهم بالقران
خيرا اى من جملة الخيور ما سبقونا اليه ونحن اشرف منهم واكثر اموالا واولادا واعلم بتحصيل العز والسودد الذى هو
مناط الخير كما لم يسبقونا الى شئ من هذه الخيرات التى نحن فائزون بها وهم صفر منها لكنه ليس بخير فلذلك سبقوا اليه
لكان حالهم فيه حالهم فيما هو محسوس من امورهم في المال والجاه ولما اخبر عما قالوا حين سبقهم غيرهم اخبر
عما يقولون عند تعمد الاعراض عنه فقال واذ اى وحين لم يهتدوا به يقولون عنادا لو كان هدى لابصرناه ولما
كان التقدير فانه قيل لهم فما هو جوابه بقوله مسببا عن هذا المقدر علما من اعلام النبوة فسيقولون بوعد لا خلف فيه
لان الناس اعدا ما جهلوا ولانهم لم يهتدوا واعلم ما يدعونه من انه لو كان خيرا لسبقوا غيرهم اليه دليلا هذا اى الذى سبقهم اليه
افك اى شئ مصروف عن وجهه الى قفاه قديم افكه غيره وعثر هو عليه فاتى به ونسبه الى الله ولما كان هذا
الكلام ساقطا في نفسه لما قام من الادلة الباهرة على صدق القران وكان لو نوقش مع المحسوسات تغالبا عليهم لعدم تفوقهم
في المعقولات دل على بطلانه بموافقة القران لاعظم الكتب القديمة التوراة التى اشتهر انها من عند الله وان الاتى
بها كليمه وقد صدقه الله في الاتيان بها بما قربات به نبى قبله من المعجزات والايات البينات وهم يستفتون اهلها
فقال على وجه التبكيت لهم والتوبيخ ومن اى قالوا ذلك والحال انه كان في بعض الزمان الذى من قبله اى القران كتاب
موسى كليم الله وهو التوراة التى كلمه الله بها تكليما حال كون كتابه اماما اى يستحق ان يؤمه كل من سمع به في اصول
الدين مطلقا وفي جميع ما فيه قبل تحريفه ونسخه ورحمة لما فيه من نعمة الدلالة على الله والبيان الشافي فهم لم يطعنوا
في هذا القران وهم لا يقدرون على الطعن في كتاب موسى الذى قد سلموا لاهله انهم اهل العلم وجعلوهم حكاما يرضون بقولهم
في هذا النبى الكريم وكتابهم مصادق لكتابهم بتعاضدا وانه لكذا مصدق بما كذبوا به ولذلك قال تعالى وهذا اى القران
كتاب اى جامع لجميع الخيرات ولما اريد تعميم التصديق لجميع الكتب الالهية والحقوق الشرعية حذف المتعلق
فقال مصدق اى لكتاب موسى عليه السلام وغيره من الكتب التى تصح نسبتها الى الله تعالى فانى يصح فيما هذا شانه ان يكون
افكا انما الافك ما كذب كتب الله التى اتت بها انبياؤه ونوابهم واولياؤه ولما كان الكتاب قد تقوم الادلة
على مصادقته لكتب الله ويكون بغير لسان المكذب به فيكون في التكذيب اقل ملامة احترز عن ذلك بقوله لسانا اى اشير
الى هذا المصدق القريب منكم زمانا ومكانا وفهما حال كونه عربيا في اعلى طبقات اللسان العربي مع كونه اسهل الكتب تناولا
وابعدها عن التكلف ليس هو بحيث يمنعه علوه بفخامة الالفاظ وجلالة المعانى وعلو النظم ورصانة السبك وجزالة
العبارة وظهور المعانى ودقة الاشارة مع سهولة الفهم وقرب المتناول بعد بعد المرمى ولما دل على ان
الكتاب حق بين ثمرته فقال لينذر اى اشير الى هذا الكتاب في هذا الحال لينذر الكتاب بحسن بيانه وعظيم شانه الذين

ظلموا سواء كانوا اعرقين في الظلم ام لا فاما العريقون فهو لهم نذارة كاملة فانهم لا يهتدون كما تقدم واما غيرهم فيهتدى
بنذارته ويسعد بعبارته واشارته وليبشر الذين احسنوا في وقت ما وهو بشرى كاملة للمحسنين لا نذارة لهم لا في الدنيا ولا
في الاخرة فالاية من الاحتباك اثبت اولا لينذر والذين ظلموا دلالة على حذف نحوه ثانيا وبشرى وللمحسنين ثانيا دلالة على حذف
نذرى وللظالمين اولا ولما بين حالة المحسنين شرح امرهم فقال مستانفا في جواب من سال عنهم وعن بشراهم ان الذين
قالوا ربنا اى خالقنا ومولانا والمحسن الينا الله لا غيره ولما كانت الاستقامة وهى الثبات على كل ما يرضى الله
مع ترتيبها على التوحيد عزيزة المنال علية الرتبة وكانت في الغالب لا تنال الا بعد منازلات طويلة ومجاهدات شديدة اشار
الى كل من بعدها وعلو رتبتها باداة التراخى فقال ثم اى بعد قولهم ذلك الذى وحدوا به استقاموا اى لعوم طلبا عظيما واوجدوا
ولما كان الوصف لرؤس المؤمنين عد اعمالهم اسبابا فاخبر عنهم بقوله فلا خوف عليهم اى يعلوهم بغلبته
القهر ولعله يعبر في مثل هذا بالاسم اشارة الى ان هيبة الله بالنظر الى جلاله وعزه وجبروته وكبره وكماله لا تنفى
ويحصل للانسان باستحضارها اخباتا وطمانينة ووقارا وسكينة تزيد في نفسه جلالا ورفعة وكمالا فالمنفى خوف
يلوى النفس ولا هم في ضمائرهم ولا ظواهرهم يحزنون اى يتجدد لهم شئ من حزن اصلا ولما نفى عنهم المحذور وقدم
باثبات السرور فقال اولئك اى العالو الدرجات اصحاب الجنة ولما دلت الصحبة على الملازمة صرح
بها بقوله خالدين فيها خلودا لا اخر له جوزوا بذلك جزاء ولما كانوا محسنين فكانت اعمالهم في غاية
الخلوص جعلها تعالى اسبابا اولا وثانيا فقال مشيرا الى دوامها لانها في جبلاتهم بما كانوا اى طبعا وخلقا يعملون
على سبيل التجديد المستمر ولما تفضل سبحانه على الانسان بعد الاعمال التى هياه لها واقدره عليها ووفقه لها
اسبابا قرن بالوصية بطاعته لكونه المبدع الوصية بالوالد لكونه تعالى جعله سببا للايجاد فقال في هذا السياق الذى
عد فيه الاعمال لكونه سياق الاحسان التى افضلها الصلاة على ميقاتها وثانيها في الرتبة بر الوالدين كما في الصحيح وفي الترمذى
رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وعلى هذا المنوال جرت عادة القران يوصى بطاعة الوالدين بعد الامر بعبادته
واذ اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا
وكذا ما بعدهما عاطفا على ما قدرته اول السورة من نحو ان يقال وامرنا الناس اجمعين ان يكونوا بطاعتنا في مهلة الاجل عاملين
ولمعصيتنا مجتنبين ووصينا الانسان اى هذا النوع الذى انس بنفسه بوالديه ولما استوى في وصيته
متعوليه كان التقدير ليأتى اليهما حسنا وقرا الكوفيون احسانا وهو اوفق للسياق ولما كان حق الام اظهر
لما لها من الكسب والانفاق والذب والتاديب لم يذكره وذكر ما للام لانه غير ظاهر فهما استهين به فقال مستانفا او
معللا حملته امه اى بعد ان وضعه ابوه بمشاركتها في احسانها حملا كرها بثقل الحمل وامراضه واوصابه واعراضه
ووضعته اى بعد تمام مدة حمله كرها فقد لهذا تبع دلالته على وجوب حق الام على ان الامر في تكوينه لله وحده وذكرا وسط
ما للام من مدة التعب بذكر اقل مدة الحمل وانهى مدة الرضاع لانضباطهما فقال وحمله وفصاله اى ومدة حمله وغاية فطامه
من الرضاع وعبر بالفصال لارادة النهاية لان الفطام قد يكون قبل النهاية لعرض ثم تظهر الحاجة فتعاد الرضاعة ثلاثون
شهرا فانتهى في الفصال الى الكامل الذى تقدم في البقرة فعرف ان اقل مدة الحمل ستة اشهر وبه قال الاطبا وربما اسعد
بان اقل مدة الرضاع سنة وتسعة اشهر لان غالب الحمل تسعة اشهر ولما كان ما بعد ذلك تارة يشترك في
مؤنته الابوان وتارة ينفرد احدهما طوى ذكرهما وذكر حرف الغاية مقسما للوصى الى قسمين مطيع وعاص واكرا ما يحمل من
الجلا بشارة ونذارة ارشادا الى ان المعنى واستمر كل على ابويه او احدهما حتى بلغ اشده قال في القاموس قوته وهو ما بين ثمانى عشرة
سنة الى ثلاثين واحد جاء على بناء الجمع كانك ولا نظير لهما او جمع لا واحد له من لفظه او واحده شدة بالكسر مع ان فعلة لا يجمع على
افعل او شد ككلب واكلب او شد كذئب واذؤب وما هما بمسموعين بل قياس انتهى وقد مضى في سورة يوسف ما ينفع هنا
جدا وروى الطبرانى في الاوسط في ترجمة احمد بن لبيد البيروتى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الاشد ثلاث وثلاثون
سنة وهو الذى رفع عليه عيسى بن مريم عليه السلام قال الهيثمى وفيه صدقة بن يزيد وثقه ابو زرعة وابو حاتم وضعفه
احمد وجماعة وبقية رجاله ثقات قال الزمخشرى وهو اول الاشد وغايته الاربعون ولما كانت ايام الصبى
والشباب وان كانت صفوة عمر الانسان واوقات لذاذاته ومجمع شمله وراحاته فيما يظهر له سر عمره في الغالب لغلبة الاخلاق
الخبيثة عليه البهيمية والسبعية لما جبلانه عليه من نتائج الشهوات ونوازع الغضب والبطالات عبر بما يدل على التخبط
والسوء والضيق تنبيها على ذلك فقال شارحا للاستوا ومعبرا عنه وبلغ اربعين سنة فاجتمع اشده وتم حزمه وجده
وزال عنه شره الشباب وطيش الصبى ورعونة الجهل ولذلك كان هذا السن وقت بعثة الانبيا وهو يشعر بان
اوقات الصبى اخف في المؤاخذة مما بعدها وكذا ما بين اول الاشد والاربعين قال ان كان محسنا قابلا لوصية ربه رب

ابها المحسن اليها بالايجاد وتيسير الابوين وغيرهما وتحنين اوزعني اى اجعلني اطيق ان اشكر نعمتك اى وازعا للشكر اى كافا
مرتبطا حتى لا ينفلت مني في وقت من الاوقات وذلك الشكر بالتوحيد في العبادة كما انه توحد بنعمة الايجاد والتربية ووحدها
تعظيما للامر بالاشارة الى ان النعمة الواحدة لا يبلغ شكرها الا بمعونة الله مع ان ذكر الابوين يعرف ان المراد بها الجنس ولما
كان ربما ظن ان المراد بنعمته قدرته على الانعام ليكون المعنى ان اشكرك لكونك قادرا على الانعام قال التي انعمت علي اى بالفعل
لوجوب ذلك على خصوصه بي وعلى والدي ولو بمطلق الايجاد والعافية في البدن لان النعمة عليهما نعمة علي وقد مضى في النمل ما يتعين استحضاره
هنا ولما كان المقصود الاعظم من النعمة الماضية نعمة الايجاد المراد من شكرها التوحيد اتبعها تمام الشكر فقال وان
اعمل اى انا في خاصة نفسي صالحا ولما كان الصالح في نفسه قد لا يتبع المرتفع لعدم الاذن فيه قال ترضاه والشكر اشارة
الى العجز عن بلوغ الغاية فانه لن يقدر الله حق قدره احد ولما دعا لنفسه بعد ان اوصى برعاية حق ابيه لغيره سبحانه
الدعا لمن يتفرع منه حثا على رعاية حقوقهم لئلا يسلطهم على عقوقه فقال واصلح اى اوقع الاصلاح وقال لي في ذريتي لان صلاحهم
يلحقه نفعه والمراد بقصر الفعل وجعلهم ظرفا له ان يكون بانيا راسخا ساريا فيهم وهم محيطون به فيكونوا صالحين ولما
استحضر عند كمال العقل في الاربعين ان ما مضى من العمر كان اغلبه ضايعا فدعى وكان من شرط قبول الدعا التوبة علله بقوله
اني تبت اى رجعت اليك عن كل ما يقدح في الاقبال عليك واكد اعلاما بان حاله في الاقبال على التوبة حال من يبعد منه الاقلاع
فينكر اخباره به وكذا قوله واني من المسلمين اى الذين سلموا ظواهرهم وبواطنهم لك فانقادوا اتم انقياد ولما
وصف هذا المومن بادئا به لكونه في سياق الاحسان وكان المراد بالانسان الجنس قال مادحا له بصيغة الجمع مبينا ان قبول
الطاعات مشروط ببر الوالدين لان ما ظهر دليل ما بطن ومن لا يشكر من كان من جنسه لا سيما وهو اقرب الناس اليه لا سيما وهو
السبب في ايجاده لم يشكر الله كما في الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس ومن صلح ما بينه وبين الله صلح ما بينه وبين الناس عامة
لا سيما الاقارب نسبا ومكانا لا سيما الوالدين اولئك اى العالوا الرتبة الذين يتقبل باسهل وجه عنهم واشار بصيغة
التفعل الى انه يعمل في قبوله عمل المعتني وقراءة حمزة والكسائي وحفص بالنون فيه وفي الذي بعده يدل على ذلك وقوله احسن
يجوز ان يراد به مطلق الطاعات ويكون ما دون الاحسن مقبولا قبولا مطلقا على مقدار النية فيه وتكون المعدية بعن اشارة الى
ان جبلاتهم مبنية على الترقي في معارج الكمال في كل وقت الى غير نهاية فتكون هذه المحاسن ليست منهم بمعنى انهم مجبولون على العلا
منها في نهاياتهم والعبرة بالنهايات ولذلك قال ما عملوا ولم يقل اعمالهم ولما كان الانسان محل النقصان
وان كان محسنا نبه على ذلك وعلى ان شرط تكفير السيئات التوبة بقوله ويتجاوز اى بوعد مفعول لا بد من كونه وهو معنى
قراءة حمزة والكسائي بالنون في الفعلين عن سيئاتهم اى فلا يعاقبهم عليها ولما كان هذا مفهما لانهم من اهل الجنة صرح
زيادة في مدحهم بقوله في اصحاب الجنة اى انه يفعل بهم ذلك وهم في عدادهم لانهم لم يزالوا يوافقونهم لانهم ما برحوا يعملون الرضى
ولما كان هذا وعدا اكد مضمونه بقوله وعد الصدق لكونه مطابقا للواقع الذي كانوا اى بكون ثابت جدا
يوعدون اى يقع لهم الوعد به في الدنيا ممن لا اصدق منهم وهم الرسل عليهم السلام ولما ذكر سبحانه هذا المحسن
بادئا به لكون المقام للاحسان اتبعه المسيء المناسب للمقصود للسورة المذكور صريحا في مطلعها فقال والذي قال
لوالديه مع اجتماعهما كافرا لنعمتهما نابذا لوصيتنا بهما وكان كافرا اتبعه اعظم منع مطلقا والتثنية مشيرة الى انه اغلظ
الناس كبدا لان العادة جرت بقبول الانسان كلام اصله ولو كان واحدا وان الاجتماع مطلقا له ما يؤثر فكيف اذا كان والدا
اف اى تضجر وتقذر واسترذال ونكر مني ولغاتها اربعون حكاها في القاموس المتواتر منها عن القراء ثلاث الكسر بغير تنوين
وهو قراءة الجمهور والمراد به ان المعنى الذي قصده متعذر بشغل ثابت دائم ومع التنوين وهو قراءة المدنيين وحفص والمراد
به انه شغل عظيم سائر مع الدهر بالغلبة والقهر والفتح من غير تنوين وهو قراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب والمراد به
اقتران المعنى المقصود بالاشتهار بالعلو والانتشار مع الدوام وقد تقدم في الاسراء عن الحرالي وهو الحق ان التافيف اهى
الاذى واشنعه فان معناه ان الموقف به لا خطر له ولا وزن اصلا ولا يصلح لشيء بل هو عدم بل العدم خير منه مع انه العذر
ولما كان كانه قيل لمن هذا التافيف قال لكما ولما كانا كانهما قالا له لم هذا التعدد العظيم
بعد الاحسان الذي لا تقدر على جزائه قال مبكتا موبخا منكرا على تقدير كونه وعدا اتعدانني اى على سبيل الاستمرار
بالتجديد في كل وقت ان اخرج اى من مخرج مما يخرجني من الارض بعد ان غبت فيها وصرت ترابا يحييني كما كنت اول مرة وقد
اى والحال انه قد خلت اى مضت على سنن الموت القرون اى الاجيال الكثيرة مع ملابستهم واثبت الجار لان القرن
لا يتخرم الا بعد مدة طويلة فالانخرام في ذلك غير مستغرق للزمان فقال من قبلي اى قرنا بعد قرن وامة بعد امة
وتطاولت الازمان واغلبهم مكذب بهذا الحديث فانا مع الاغلب وتايد ذلك بانه لم يرجع احد منهم وهما اى والحال
انهما كلما قال لهما ذلك يستغيثان الله اى يطلبان بدعائهما من له جميع الكمال ان يغيثهما بالهامه قبول كلامهما قابلين

لولدهما

لولدهما مجتهدين بالنصيحة له بعد الاجتهاد بالدعا ويلك كما يقوله المشفق اذا اراد به الكرب وبلغ منه الغم اشارة الى
انه لم يبق له ما يعرض الا الويل وهو الهلاك آمن اى اوقع الايمان الذي لا ايمان غيره وهو الذي ينقذ من كل هلكة ويوجب
كل فوز بالتصديق بالبعث وبكل ما جاء عن الله ثم عللا امرهما على هذا الوجه موكدين في مقابلة انكاره فقالا ان وعد الله
اى الملك المحيط بجميع صفات الكمال الموصوف بالعزة والحكمة حق اى ثابت اعظم ثبات لانه لو لم يكن حقا لكان نقصا من
جهة الاخلاف الذي لا يرضاه لنفسه اقل العرب فكيف وهو يلزم منه منافاة الحكمة بكون الخلق حينئذ على وجه العبث
لانهم عباد ورعايا لا يعرضون على ملكهم الذي ابدعهم مع علمه بما هم عليه من ظلم بعضهم لبعض وبغي بعضهم على بعض
فيقول مسببا عن قولهما ومعقبا له ما هذا اى الذي يذكرانه من البعث الا اساطير الاولين اى خرافات كتبها
على وجه الكذب الاوايل وتناقلها منهم الاغمار جيلا بعد جيل فصارت بحيث يظن الضعفا انها صحيحة هذا والعجب كل
كل العجب انه بتصديقه لا يلزمه فساد على تقدير من التقادير الممكنة بل يحمله التصديق على محاسن الاعمال ومعالي الاخلاق
التي هو معترف بانها محاسن من لزوم طريق الخير وترك طريق الشر وتكذيبه يجره الى المرح والاشر والبطر وافعال الشر
ودنايا الاخلاق مع احتمال الهلاك الذي يخوفانه به وهو لا ينفي انه محتمل وان استبعده فما دعواه الا ان كان يرى لا ياباه
عاقل ولكنها عقول كادها باريها ولما كان هذا الكمال مع بلوغ النهاية في حسن الانتظام قد حصر الانسان
في هذين القسمين مثلا بليغا لكفار العرب ومومنيهم فالاول للمومنين التابعين لملة ابرهيم عليه السلام لانه اعظم
ابنائه الكرام محمد عليه افضل الصلاة والسلام والثاني للكفار المنابذين لاعظم ابائهم ابرهيم عليه السلام الذي يعرف
منه نقلا متواترا توثيقه من ابائهم وقرانا معجزا كانهم سمعوا من خالقهم انه موحد لله مقر بالبعث محذر من غوائله وكان
قد ابنه سبحانه الحديث عنهم بما ذكر مما كفروا به المنعمين واستحقوا اكل السوأتين خزي الدنيا وعذاب الاخرة
اخبر عنهم بما انتجه تكذيبهم بموعود ربهم وعقوقهم لوالديهم حقيقة او تعليما بقوله اولئك اى البعدا من العقل
والمروة وكل خير الذين حق اى ثبت ووجب ولما كان هذا وعيدا دل عليه باداة الاستعلاء فقال عليهم
القول اى الكامل في بابه بانهم اسفل السافلين وهذا يكذب من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما
فانه اسلم وصار من اكابر الصحابة رضي الله عنهم فحقت لهم الجنة ولما اثبت لهم هذه الشنيعة عرف
بكثرة من شاركهم فيها فقال في اى كائنين في امم اى خلائق كانوا بحيث يقصدهم الناس ويتبع بعضهم بعضا قد
خلت تلك الامم ولما كان المحكوم عليه بعض الناس لعين ادخل الجار فقال من قبلهم فكانوا قدوتهم من
الجن بدا بهم لان العرب كانت تستعظمهم وتستجير بهم وذلك لانهم يتظاهرون لهم ويودونهم ولم ينقطع اذاهم
لهم وتسلطهم عليهم ظاهرا وباطنا الا بالقران فانه احرقهم بانواره وجلاهم عن تلك البلاد بجلي اثاره والانس
وما نفعتهم كثرتهم ولا اغنت عنهم قوتهم ثم علل حقوق الامر عليهم او استانف بقوله موكدا تكذيبا لظن هذا القسم
الذي الكلام فيه ان الصواب مع الاكثر انهم اى كلهم كانوا اى جبلة وطبعا وخلقا لا يقدرون على الانفكاك عنه خاسرين
اى عريقين في هذا الوصف ولما قسمهم في الاعمال جمعهم في العدل والافضال فقال ولكل اى من فريقي
السعدا والبعدا من الثقلين الجن والانس في الدنيا والاخرة درجات ودركات اى منازل ومراتب متفاضلين فيها
من اجل ما عملوا او من جوهره ونوعه من الاعمال الصالحة والطالحة ولما كان التقدير ليظهر ظهورا لا
وقفة فيه الحقائق بينا انه سبحانه فاعل بالاختيار بالمفاوتة بين العقلا ويظهر ظهورا لا وقفة فيه ان الحقائق
على غير ما كان يتراءى لهم في الدنيا فان حجب المكاره والشهوات كانت تري الامور على خلاف ما هي عليه عطف عليه قوله
في قراءة البصريين وعاصم وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه وليوفيهم اى ربهم الذي تقدم اقبال المحسن عليه ودعاؤه له
وقراءة الباقين بالنون انسب لمطلع السورة ولما تشير اليه من كشف حجب الكبريا في يوم الفصل ولما
كان سبحانه يعلم مثاقيل الذر وما دونها وما فوقها ويجعل الجزاء على حسبها في المقدار والشبه والجنس والنوع
والشخص حتى يكاد يظن العامل ان الجزاء هو العمل قال اعمالهم اى جزاءها من خير وشر وجنة ونار وهذا ظاهر في
ان الجن يثابون بالاحسان كما يعاقبون بالعصيان وسورة الرحمن كلها خطاب للثقلين بالثواب لاهل الطاعة
والعقاب لاهل المعصية من كل من الثقلين كما سياتي ان شا الله تعالى بيانه وعن اطبعيهم بالثواب كما يجازي عاصيهم
بالعقاب قال مالك وابن ابي ليلى والضحاك وغيرهم كما نقله البغوي وهم اى والحال انهم لا يظلمون اى لا يتجدد
لهم من ظالم ما شيء من ظلم في جزاء اعمالهم بزيادة في عقاب او نقص من ثواب بل الرحمانية كما كانت لهم في الدنيا فهي لهم
في الاخرة فلا يظلم ربك احدا بان يعذبه فوق ما يستحقه من العقاب او ينقصه عما يستاهل من الثواب ولما كان
الظاهر في هذه السورة الانذار كما يشهد به مطلعها قال ذاكرا بعض ما يبكت به المجرمون يوم البعث الذي كانوا

به يكذبون ويكون فيه توفية جزا الاعمال عاطفا على ما تقديره ادكرلهم هذا لعلهم يانفون ان يكونوا المسيئين فيكونوا من المحسنين
ويوم اى واذكر لهم يوم يعرضون هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الوصف الذى اوجب لهم الخزى اشارة الى ان الامر كان ظاهرا لهم
ولكنهم ستروا انوار عقولهم فقال يعرض الذين كفروا اى من الفريقين المذكورين على النار اى يصلون لهيبها ويقلبون فيها كما يقرض
اللحم الذى يشوى مقولا لهم على سبيل التنديم والتقريع والتوبيخ والتشنيع لانهم لم يتذكروا الله حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها
مع مخالفة امره سبحانه ونهيه اذهبتم فى قراءة نافع وابى عمرو والكوفيين بالاخبار وقراءة الباقين بالاستفهام لزيادة الانكار
والتوبيخ طيباتكم اى لذاتكم باتباعكم الشهوات فى حياتكم ونفرها بقوله الدنيا اى القريبة الدنية المودن وصفها لمن
يعقل بحياة اخرى بعدها فكان سعيكم فى حركاتكم وسكناتكم لاجلها حتى بلغتموها واستمتعتم اى طلبتم واوجدتم انتفاعكم لها
وجعلتموها غاية حظكم فى رفعتكم ونعمتكم ولما كان ذلك استهانة بالاوامر والنواهى للاستهانة بيوم الجزا
سبب عنه قوله فاليوم تجزون اى على اعراضكم عنا بجزاء من لا تقدرون على التفصى من جزائه بايسر امر منه عذاب الهون اى
الهوان العظيم المجتمع الشديد الذى فيه ذل وخزى بما كنتم جبلة وطبعا تستكبرون اى تطلبون الترفع وتوجدونه على الاكابر
فى الارض التى هى لكونها ترابا وموضوعة على الزوال والخراب احق شى بالتواضع والذل والهوان ولما كان
الاستكبار قد يكون بالحق لكونه على الظالمين فيكون ممدوحا قيده بقوله بغير الحق اى الامر الذى يطابقه الواقع وهو اوامرنا
ونواهينا ودل باداة الكمال على انه لا يعاقب على الاستكبار مع الشبهة وبما كنتم على الاستمرار تفسقون اى تجددون
الخروج عن محيط الطاعة الذى يدعوا اليه الفطرة الاولى والعقل الى نوازع المعاصى ولما هددهم سبحانه
بالامور الاخروية وستر الامر بالتذكير بها لكونها مستورة وتم لهما مكذبون فى قوله ويوم وختم بالعذاب على الاستكبار هم
المذموم والفسوق عطف عليه تهديدهم بالامور المحسوسة لانهم متقيدون بها مصرحا بالامر بالذكر فقال واذكر اى لهولاء
الذين لا ينفطون بمحط الحكمة الذى لا يخفى على ذى لب وهو البعث ولما كان ابعد ما يهددون به فى هذه السورة
وانسبه لمقصودها عادا لكونهم اقوى الناس ابدانا واعتاهم رقابا واشدهم قلوبا واوسعهم ملكا واعظمهم استكبارا بحيث
كانوا يقولون من اشد منا قوة وبنوا البنيان الذى يبقى الدهر ولا يفنى ولا يعمله الامن نسى الموت اورجا الخلود واعظموا
جنة على وجه الارض لان لكلهم عمها كلها مع قرب بلادهم لكونها فى بلاد العرب من قريش ومعرفتهم باخبارهم ورؤيتهم لديارهم
وكون عذابهم ناشيا من بلادهم بدعا من دعائهم ذكرامرهم على وجه دل على مقصود السورة وعبر بالاخوة تسلية لنبيه صلى الله عليه
وسلم لان طبيعة القوم لمن هو منهم ويعلمون مناقبه ومفاخره انكا فقال اخا عاد وهو اخوهم هود عليه السلام الذى كان من قومه
لا يعرسهم قومك فى قوة ولا مكنة وصدهم عن ذلك بمن الجن وبادام بامر الله لم يخف عاقبتهم ونجيته منهم فهولك قدوة وفيه
اسوة ولقومك فى قصدهم اياك بالاذى من اس موعظة ولما ذكره عليه السلام لمثل هذه المقاصد الجليلة ابدل
منه قصته زيادة فى البيان فقال مبينا ان الانذار هو المقصد الاعظم من الرسالة اذ اى حين انذر قومه اى الذين لهم
زاية على القيام فيما يحاولونه بالاحقاف قال الاصبهانى قال ابن عباس هى واد بين عمان ومهرة قال وقال مقاتل كانت منازل عاد
باليمن فى حضرموت بموضع يقال له مهرة اليه تنسب الابل المهرية وكانوا اهل عمد سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم
وكانوا من قبيلة ارم وقال قتادة كانوا مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف بالكسر وهو رمل مستطيل
مرتفع فيه انحنا وقال ابن دريد هو ما استطال من الرمل جثة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا وقال فى القاموس او هو الرمل
العظيم المستدير واصل الرمل والحقوقف الرمل والظهر والهلال الطال واعوج ومن الامر الجلى ان هذه الهيئة لا تكون فى
بلاد الريح بها غالبة شديدة لانه لو كان ذلك نسفت الريح الرمل اسفا بخلاف بلاد الجبال كمكة المشرفة فان الريح تكون بها غاية فى الشدة
لانها اما ان تصك الجبال فتنعكس راجعة بقوة شديدة او يكون هنا لجبال فتتراد بينها او تنضغط فتخرج مما تجد من الفروج
على هيئة مزعجة فينبغى ان يكون اهل الجبال اشد من ذلك حذرا ولما ذكر النذير والمنذرين ومكانهم لما ذكر
من المقاصد ذكر انهم اعرضوا عنه ولم يكن بدعا من الرسل ولا كان قومه جاهلين باحوالهم فاستحقوا العذاب تحذيرا من مثل
حالهم فقال وقد اى والحال انه قد خلت اى مرت ومضت وماتت النذر اى الرسل الكثيرون الذى يحط امرهم الانذار
ولما لم يكن ارسالهم بالفعل مستغرقا لجميع الازمنة ادخل الجار فقال من بين يديه اى قبله كنوح وشيث وادم
عليه السلام فما كان بدعا منهم ومن خلفه اى الذين تواتبعده فما كنت انت بدعا منهم ولما اشار الى كثرة الرسل
ذكر وحدتهم فى اصل الدعا فقال مفسرا للانذار معبرا بالنهى الا تعبدوا اى ايها العباد المنذرون بوجه من الوجوه
شيا من الاشيا الا الله الملك الذى لا يملك غيره ولا خالق سواه ولا منعم الا اياه هو فانى اراكم تشركون به من لم يشركه فى
شى من تدبيركم والملك لا يقر على مثل هذا ولما امرهم ونهاهم علل ذلك فقال محذرا لهم من العذاب موكدا لما لهم
من الانكار لاعتمادهم على قوة ابدانهم وعظيم شانهم انى اخاف عليكم لكونكم قومى واعز الناس على عذاب يوم عظيم لابد

جهة الامر الا هاهذا به انا اضرر تم على ما انتم فيه من الشرك ولما تشوق السامع الى جوابهم عن هذه الحكمة اجيب بقوله
قالوا اى منكرين عليه اجئتنا اى يا هود لتافكنا اى تصرفنا عن وجه امرنا الى قفاه عن الهتنا فلا نعبدها ولا نعتد بها
ولما كان معنى الانكار النفى فكان المعنى انا لا ننصرف عنها سببوا عنه قولهم فاتنا بما تعدنا سموا الوعيد وعدا استهزاء به
ولما كان ذلك معناه تكذيبه زادوه وضوحا بقولهم معبرين باداة الشك اشارة الى ان صدقه فى
ذلك من فرض المحال ان كنت اى كما يقال عنك كونا ثابتا من الصادقين فى انك رسول من الله وانه ياتينا بما تخافه علينا
من العذاب ان اضررنا ولما تضمن قولهم هذا نسبته داعيهم عليه السلام الى ما لا دلالة لكلامه عليه بوجه وهو
ادعاء العلم بعذابهم والقدرة عليه وتكذيبه فى كل منهما اللازم منه اتهامهم ادعاوتهم العلم بانهم لا يعذبون
وكانوا كاذبين فى جميع ذلك كان كانه قيل بم اجابهم فقيل قال مصدقا لهم فى سلب علمه بذلك وقدرته عليه نكذبا لهم فى
نسبتهم اليه ادعا شى منهما والى انفسهم بانه لا يقع انما العلم اى المحيط بكل شى عذابكم وغيره عند الله اى المحيط بجميع
صفات الكمال فهو ينزل علم ما توعدون على من يشا ان شا ولا علم لى الان ولا لكم بشى من ذلك ولا قدرة ولما
كان العلم المحيط يستلزم القدرة فكان التقدير فليست القدرة على الاتيان بعذابكم الا له سبحانه لا لى ولا لغيرى وليس
على الا البلاغ وقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم من الوعظ بان اعمالكم اعمال من قد عرض نفسه للعذاب باشراكه بالمحسن المطلق
من لا يكافيه بوجه فهو بحيث يخشى عليه الاخذ عطف عليه قوله وابلغكم اى ايضا فى الحال والاستقبال ما ارسلت اى
من لا مرسل فى الحقيقة غيره فانه يقدر على نصر رسوله به اى من التوحيد وغيره سوا كان وعدا او وعيدا او غيرهما ولم يذكر
الغاية لان ما ارسل به صالح لهم ولغيرهم ولما كان معنى الاخبار بالابلاغ انه ليس على الا ذلك وكان معنى قصر
العلم المطلق على الله نصه نفيهم فى نفى علمه عليه السلام بذلك حسن قوله مستدركا علمه بجهلهم ولكنى اراكم اى اعلمكم علما
هو كالروية قوما اى علاظا شدادا عاسين تجهلون اى لكم مع ذلك صفة الجهل وهو الغلظة فى غير موضعها مع قلة
العلم تجددون ذلك على سبيل الاستمرار بسبب انكم تفعلون باشراككم بالمحسن المطلق وهو الملك الاعظم من الاحسان له
بوجه افعال من يستحق العذاب ثم لا تجوزون وقوعه وتكذبون من ينبهكم على ان ذلك امر يحق ان يحذر منه وتنسبونه
الى غير ما ارسل له من الانذار من ادعا القدرة على العذاب ونحوه ولما تسبب عن قولهم هذا اتيان العذاب
فاتاهم فى سحاب اسود استمروا على جهلهم فى الامن وعدم تجويز الانتقام وكان اتيانه كان قريبا من استعجالهم به فلذلك هم
اى بالفا فى قوله مسببا عن تكذيبهم مبينا لعظيم جهلهم بجهلهم فى المحسوسات مفصلا لما كان من حالهم عند روية
الباس فلما راوه اى العذاب الذى توعدهم به عارضا اى سحابا اسود بارزا فى الافق ظاهرا لامر عند من له اهلية
النظر حال كونه قاصدا اليهم مستقبل اوديتهم اى طالبا لان يكون مقابلا لها وموجها الى ذلك وهو وصف لعارضا
نكرة اضافته لفظية وان كان مضافا الى المعرفة وكذا ممطرنا قالوا على عادة جهلهم مشيرين اليه باداة القرب
الدالة على انهم فى غاية الجهل لان جهلهم به استمر حتى كاد ان يواقعهم هذا عارض اى سحاب معترض فى عرض السماء
ناحيتها ممطرنا لكونهم راوه اسود مرباد افظنوه ممتلا ماء يغاثون به بعد طول القحط وارسال رسلهم الى مكة
المشرفة ليدعوا لهم هنالك الله الذى استعجلوه بالقدح فى ملكه بان اشركوا به من يودهم علما منهم بان شركاءهم لا تغنى
عنهم فى الامطار شيئا غافلين عن ذنوبهم الموجبة لعذابهم فلذلك قال تعالى مضربا عن كلامهم والظاهر انه حكاية لقول
هود عليه السلام فى جواب كلامهم بل هو اى هذا العارض الذى ترونه ما استعجلتم به اى طلبتم العجلة فى اتيانه اليكم من
العذاب ولما اشتد تشوف السامع الى معرفته قال ريح اى ذكت هذا السحاب الذى رايتموه فيها عذاب
اليم اى شديد الايلام كانت تحمل الظعينة فى الجو تحملها وهودجها حتى ترى كانها جرادة وكانوا يرون ما كان خارجا
عن منازلهم من الناس والمواشى فتطير بهم الريح بين السماء والارض ثم تقذف بهم تدمر اى تهلك اهلاكا عظيما شديدا
سريعا يا فى بغتة على طريق الهجوم كل شى اى اتت عليه هذا شانها فمن سلم منها كهود عليه السلام ومن امن به رضى الله
عنهم فسلامته امر خارق للعادة كما ان امرها فى اهلاك كلما مرت عليه امر خارق للعادة واجملنا ان يحتمل ان يكونا
وصفا الريح ويحتمل وهو اعذب واهز للنفس واعجب ان يكونا استينافا ولما كان ربما ظن ظان انها مورة
بنفسها قال بامر ربها اى المبدع لها والمربى والمحسن بالانتقام بها من اعدائه ولما ذكرها بهذا الذكر الهائل
وكان التقدير فجاتهم فدمرتهم لم تترك منهم احدا تسبب عن ذلك زيادة فى التهويل قوله فاصبحوا ولما
اشتد اصغاء السامع الى كيفية اصباحهم قال مترجما لهلاكهم لا ترى اى ايها الرائى فلما عظمت روعة القلب
وهول النفس قال الا مساكنهم اى جرا على اجرامهم فانطبقت العبارة على المعنى وعلم ان المراد بالاصباح مطلق الكون
ولكنه عبر به لان المصيبة فيه اعظم وعلم انه لم يبق من المكذبين ديار ولا نافخ نار وهذا كناية عن عموم الهلاك لهم

سواء كان الرمل دفنهم او كانوا على وجه الارض مرئيين كما في الاية الاخرى فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية روى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بمن امن معه في حظيرة فامالت الريح على الكفرة الاحقاف التي كانت مجتمعهم اذا ابهوا ومحل بسطهم اذا لعبوا فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم فاحتملتهم فقذفتهم في البحر وكذا اهلكت مواشيهم وكل شيء لهم فيه روح ولم يصب هودا عليه السلام ومن معه رضي الله عنهم منها الا ما يلين ابشارهم ونعش ارواحهم والاية على هذا على حقيقتها في انه لم يصبح الصباح ومنهم احد يرى طارت لهذا الهول الافئدة واندهشت

الالباب قال تعالى منبها على زبد المراد بطريق الاستئناف **كذلك** اي مثل هذا الجزاء الهائل في اصله او جنسه او نوعه او شخصه من الاهلاك **نجزي** بعظمتنا دائما اذا اشئنا **القوم** وان كانوا اقوى ما يكون **المجرمين** اي العريقين في الاجرام الذين يقطعون ما حقه الوصل فيصلون ما حقه القطع وذلك الجزاء هو الاهلاك على هذا الوجه الشنيع فاحذروا ايها العرب مثل ذلك ان لم ترجعوا ولما كان هذا محلا يتوقع فيه الاخبار عن حال مكنتهم ليعلم هل تركوا الدفع لمانع فيهم او لان ما اتاهم بحيث لا يمكن لاحد دفاعه قال ذاكرا حرف التوقع محوفا للعرب مقسما لان قريشا قد قال قايلهم انهم يدفعون العذاب بدفع الزبانية ونحوها **ولقد** اي فعل بهم ذلك والحال انا وعزتنا قد **مكناهم** تمكينا نظهر به عظمتنا **فيما ان** اي الذي ما **مكناكم فيه** من قوة الابدان وكثرة الاموال وغيرها وجعل النافي ان لانها ابلغ فيما لان ما ينبغي تمام العوف لتركيبها من الميم والالف التي حقيقة ادراكها فوت تمام الادراك وان ينبغي ادنى مظاهر مدخولها فكيف بما وراه من تمامه لان الهمزة اول مظهر لعوق الالف والنون لمطلق الاظهار هذا الى ما في ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار الى غير ذلك من بدايع الاسرار ولما كانت قريش تفتخر بعقولها فربما ظنت انها في العقل ومعرفة ما فيه من الحواس امكن منهم وانهم ما اتي عليهم الا من عدم فهمهم قال **وجعلنا** اي جعلا يليق بما زدناهم عليكم به من المكنة على ما اقتضته عظمتنا **لهم سمعا** بدا به لان المقام للانذار المنبه بحاسة السمع على ما في الايات المرئيات من المواعظ فهو انفع لانه اوضح ووحده لقلة التفاوت فيه **وابصارا** اي منبهة على ما في الايات المرئيات من مطابقة واقعها من اخبار السمع وجمع لكثرة التفاوت في انوار الابصار وكذا في قوله **وافئدة** اي قلوبا ليعرفوا بها الحق فيتبعوه والباطل فيجتنبوه ويشكروا من وهبهما لهم وختم بها لانها الغاية التي ليس بعدها للادراك منتهى ولا وراها مرمى وعبر بما هو من التفؤد وهو التحرق اشارة الى انها في غاية الذكا **فما اغنى عنهم** في حال ارسالنا اليهم الريح على لسان هود عليه السلام ثم النقمة بيد الريح **سمعهم** واكد النفي بتكرير المنافي فقال **ولا ابصارهم** وكذا في قوله **ولا افئدتهم** اي لما اردنا اهلاكهم واكد باثبات الجار فقال **من شيء** اي من الاغنا وان قل لا في دفع العذاب ولا في معرفة الصواب بل صرفوا ما وهبنا لهم من القوى فيما لا ينبغي تعليق الهمم به من امور الدنيا حتى فاقوا في ذلك الامم وعملوا اعمال من يخلد كما قيل والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا ولما ذكر نفي الاغناء ذكر ظرفه على وجه يفهم التعليل فانه اذا ذكر الانتقام في وقت فعل الشيء علم ان علته فعل ذلك الشيء فقال **اذ كانوا** اي خلقا وطبعا **يجحدون** اي يكررون على مر الزمان الجحد **بايات الله** اي الانكار لما يعرفون من دلايل الملك الاعظم **وحاق** اي احاط على جهة الاحراق والعظم بامور لا يدرى وجه المخلص منها **بهم ما** اي عقاب الذي **كانوا** على جهة الدوام لكونه خلقا لهم **به يستهزءون** اي يوجدونه على سبيل الاستمرار ايجاد من هو طالب له عاشق فيه ولما تم المراد من الاخبار بهلاكهم على ما لهم من المكنة العظيمة ليتعظ بهم من سمع امرهم اتبعهم من كان مشاركا لهم في التكذيب فشاركهم في الهلاك فقال مكررا لتخويفهم دالا على احاطة قدرته باحاطة علمه **ولقد اهلكنا** بما لنا من العظمة **ما حولكم** يا اهل مكة **من القرى** كاهل الحجر وسبا ومدين والايكة وقوم لوط وفرعون واصحاب الرس وغيرهم ممن فيهم معتبر ولما كان الموعوظ به الاهلاك ذكر مقدما فتشوق السامع الى السوال عن حالهم في الايات فقال عاطفا بالواو التي لا تمنع معطوفها التقدم على ما عطف عليه **وصرفنا الايات** اي حولنا الحجج البينات وكررناها موصلة مفصلة مرتبة محسنة على وجوه شتى من الدلالات خالصة عن شبهة ولما كان تصريف الايات لا يخص احدا بعينه بل هو لكل من راه او سمع به لم يقيدها بهم وذكر العلة الشاملة لغيرهم فقال **لعلهم** اي الكفار **يرجعون** اي ليكونوا عند من يعرف حالهم في تدبر الايات حال من يرجى رجوعه عن الغي الذي كان ركبه لتقليد او شبهة كشفتها الايات وفضحتها الدلالات فلم يرجعوا فكان عدم رجوعهم سبب اهلاكنا لهم ولما كانوا قد جعلوا محط حالهم في الشرك انهم سبب التواصل بينهم وادعوا انهم يشفعون فيهم فيقربونهم الى الله ويمنعونهم من العذاب في الاخرة وكان دفع الامور المنسوبة بلينه وبين عذاب الدنيا سببه عن اخباره عن اهلاك الامم قوله معقبا للعلة التي جعلها محط نظرهم منكرا عليهم موبخا لهم **فلولا** اي فهلا ولولا **نصرهم** اي هولاء المهلكين **الذين اتخذوا** اي اجتهدوا في صرف انفسهم عن داعي العقل والفطر الاولى حتى اخذوا واشار الى قلة عقولهم ببيان سفولهم فقال **من دون الله** اي الملك الذي هو اعظم من كل عظيم **قربانا** اي لاجل القرب والتقريب العظيم يتقربون اليها ويزعمون انها تقربهم الى الله **الهة** اشركوهم مع الملك الاعظم لاجل ذلك

كان التخصيص بفهم انهم ما نصروهم اضرب عنه فقال **بل ضلوا** اي غابوا **عنهم** وقت بروك النقمة وقرع المثلة حسا ومعنى كان التقدير فذلك الاتخاذ الذي ادتهم اليه عقولهم السافل جدا البعيد من الصواب كان الموصل الى ما لهم هذا عطف عليه قوله **وذلك** اي الضلال البعيد من السداد الذي تحصل من هذه القصة من اخلاف ما كانوا يقولون ان اوثانهم الهة وانها تضر وتنفع وتقربهم الى الله وتشفع لهم عنده **افكهم** اي صرفهم للامور عن وجوهها الى اقفايها ويجوز ان يكون الاشارة الى العذاب اي وهذا العذاب جزاء افكهم **وما كانوا** اي على وجه الدوام لكونه في طباعهم **يفترون** اي يتعمدون كذبه لان اصرارهم عليه بعد مجي الايات لا يكون الا كذلك لان من نظر فيها مجردا نفسه عن الهوى اهتدى ولما كان ما ذكر من البعد من الايمان مع تصريف العظات والعبر والايات يكاد ان يويس السامع من ايمان هولاء المدعوين قرنه دلالة على عزته وحكمته بالتذكير بايمان من هو اعلى منهم عتوا واشد نفرة وابعد اجابة واخفى شخصا فقال لجوابا عما وقع له صلى الله عليه وسلم في عرض نفسه الشريفة على القبايل وابعادهم عنه لا سيما اهل الطايف دالا على تمام القدرة بشارة للمنزل عليه صلى الله عليه وسلم وتوبيخا لمن تاخر عن اجابته من قومه عاطفا على ما تقديره اذكر هذه الاخبار **واذ** اي واذكر حين **صرفنا اليك** اي وجهنا توجيها خاصا مسخنا ملفتا فيه ميل اليك واقبال عليك واعراض عن غيرك بوادي نخلة عند انصرافك من الطايف حين عرضت نفسك الشريفة عليهم بعد موت النضير بن فردوك ردا تكاد تنشق منه المرائر وتسيل من تكاره النواظر ولما كان استعطاف من جبل على النفرة والطهارة من بني على الاختفا ان اعظم في النعمة عبر بما يدل على ذلك فقال **نفرا** وهو اسم يطلق على ما دون العشرة وهو المراد هنا ويطلق على الناس كلهم وحسن التعبير به ان هولاء لما حضروا نفروا السبق وحسن المتابعة كانوا كانهم هم النفر لا غيرهم **من الجن** من اهل نصيبين من الناحية التي منها عداس الذي جبرناك به في الطايف بما شهد به لسيديه عتبة وشيبة ابني ربيعة انك خير اهل الارض مع انه ليس لهولاء النفر من جلالتهم الا النفرة والاجتنان وهو الاختفا والستر فجعلناهم العين للظاهرين عند لتبلغهم ما ارسلناك به فانا ارسلناك الى جميع الخلايق وهذا جبر لك وبشارة بايمان النافرين من الانس كما ايدناك منهم بعد نفرة اهل الطايف بعداس ثم وصفهم بقوله **يستمعون القران** اي يطلبون سماع الذكر الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس وانت في صلاة الفجر في نخلة تصلي باصحابك ودل على قرب زمن الصرف من زمن الحضور بتعبيره سبحانه بالفاء في قوله مفصلا لحالهم **فلما حضروه** اي صاروا بحيث يسمعونه **قالوا** اي قال بعضهم ورضي الاخرون **انصتوا** اي اسكتوا وميلوا بكلياتكم واستمعوا احفظا للادب على بساط الخدمة وفيه تادب مع العلم في تعلمه قال القشيري فاهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار والثوران والانزعاج يدل على غيبة او قلة تيقظ ونقصان من الاطلاع ودل على ان ما استمعوه كان يسيرا وزمنه قصيرا وعلى تفصيل حالهم بعد انقضايه بالفاء في قوله **فلما** اي فانصتوا فحين **قضي** اي حصل الفراغ من قراءته الدالة على عظمته من اي قارى كان **ولوا** اي وقفوا التولية اي العرب بتوجيه الوجوه والهمم والعزايم **الى قومهم** الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه ودل على حسن تقبلهم لما سمعوه ورسوخهم في اعتقاده بقوله **منذرين** اي مخوفين لهم ومحذرين عواقب الضلال بامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم ولما كان كانه قيل ما قالوا لهم في انذارهم قيل **قالوا يا قومنا** مترفقين لهم مترققين بهم بذكر ما يدل على انهم منهم يهمهم ما يهمهم ولما كانوا ابن ولما في اسفار الانبياء من بني اسرايل والزبور والانجيل خالية من الاحكام والحدود الا يسيرا من ذلك في الانجيل قاطعين او كالقاطعين بانه لا ينزل كتاب يناظر التوراة في الاحكام والحدود وغيرها فكان قومهم ربما توقفوا في الاخبار بانزال ما هو اشرف من ذلك اكدوا قولهم **انا سمعنا** اي ما بيننا وبين القاري واسطة واشاروا الى انه لم ينزل بعد التوراة شي جامع لجميع ما يراد منه مغن عن جميع الكتب غير هذا وبذلك عرفوا انه ناسخ لجميع الشرايع فقالوا **كتابا** اي ذكرا جامعا للاحكام لبعد التوراة على بني اسرايل **انزل** اي ممن لا منزل غيره وهو مالك الملك وملك الملوك لان عليه من رونق الكتب الالهية ما يوجب القطع لسامعه بانه منها فكيف اذا انضم الى ذلك الاعجاز وعلموا قطعا بعربيته انه عربي وبانهم كانوا يضربون مشارق الارض ومغاربها ويسمعون قراءة الناس لما يحفظونه من الحكم والخطب والكهانة والرسايل والاشعار وانه مباين لجميع ذلك انه قريب العهد بالنزول من محل العظمة فقالوا واستثبتين للحادث **من بعد موسى** فلم يعتد وا بما انزل بين هذا الكتاب وبين التوراة من الانجيل وما قبله لانه لا يساوي التوراة في الجمع ولا يعسر هذا الكتاب في الاحكام والحكم واللطايف والمواعظ مع ما زاد به من الاعجاز وغيره ولما اخبروا بانه منزل استعوا ما يشهد له بالصحة فقالوا **مصدقا لما بين يديه** اي من جميع كتب بني اسرايل الانجيل وما قبله ثم بينوا تصديقه بقولهم **يهدي الى الحق** اي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع فلا يقدر احد على ازالة شي مما يخبر به الكامل في جميع ذلك **والى طريق** موصل الى

المقصود مستقيم فهو يوصل بغاية ما يمكن من السرعة لا يمكن ان يكون فيه عوج فيقدر السالك على ان يختصر طريقا يكون
وترا لما تقوس منه — ولما — اخبروهم بالكتاب وبينوا انه من عند الله وانه اقرب موصل اليه فكان قومهم جديرين بان
يقولوا فما الذي ينبغي ان نفعل اجابوهم بقولهم يا قومنا الذين لهم قوة العلم والعمل اجيبوا داعي الله اي الملك الاعظم
المحيط بصفات الكمال فان دعوة هذا الداعي عامة لجميع الخلق فالاجابة واجبة على كل من بلغه امره — ولما — كان
المجيب قد يجيب في شيء دون شيء كما كان ابو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا وآمنوا به اي اوقعوا التصديق بسبب
الداعي لا بسبب آخر كان المقول معه مقول مع الله وآمنوا من كل تكذيب او الضمير للمضاف اليه وهو الله بدليل قوله
يغفر لكم من ذنوبكم اي الشرك وما شابهه مما هو حق لله تعالى وادخلوا اعلاما بان مظالم العباد لا تغفر الا بارضاء
اهلها وكذا ما يجازي به صاحبه في الدنيا بالعقوبات والنكبات والهموم ونحوها مما اشار اليه قوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فيما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير ويجركم اي يمنعكم منع الجار لجاره لكونكم بالتحيز الى داعيه حزبه من حزبه
من عذاب اليم واقتصارهم على المغفرة تذكيرا بذنوبهم لان مقصودهم الانذار لا ينافي صريح قوله في هذه السورة ولكل
درجات مما عملوا في اثبات الثواب ونقله ابو حيان عن ابن عباس قال لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في الجنة ويزدحمون
على ابوابها و — ولما — فرغوا من الترغيب بالحق والدلالة عليه والدعاء اليه والانذار بالرفق بما افهم كلامهم من انهم
ان لم يجيبوا انتقم منهم بالعذاب الاليم اتبعوه ما هو اغلظ انذارا منه فقالوا ومن لا يجب اي لا يتجدد منه ان يجيب
داعي الله اي الملك الذي لا كفوء له ولا طاقة لاحد بسخطه الذي احاط بكل شيء قهرا بدعوة هذا الرسول جميع الخلق
ودل الكتاب والسنة كما قدمته في الانعام والفرقان على عموم الرسالة — ولما — وكان التارك للاجابة ممن
عمت رسالته عاصيا مستحقا للعذاب عبر عن عذابه بما على تحتمه فقال فليس بمعجز اي لما يقتضي به عليه في الارض فانه
انه سلك فيها فهو في ملكه وملكه وقدرته محيطة به وليس له من دونه اي الله الذي لا يجير عليه اولياء يفعلون لاجله
ما يفعل القريب مع قريبه من الدفع عنه والاستشفاع له والافتداء والمناصبة لاجله — ولما — انتفى عنه الخلاص
من كل وجه وكان ذلك لا يختلف سواء كان العاصي واحدا او كثيرا انتج قوله معبرا بالجمع لانه ادل على العذر ودلالة على ان
العصاة كثير لملائمة المعاصي لاكثر الطباع اولئك اي البعداء من كل خير في ضلال مبين اي ظاهر في نفسه انه ضلال
مظهر لكل احد قبح احاطته بهم قال القشيري ويقال الاجابة على ضربين اجابة الله واجابة الداعي فاجابة الداعي بشهود الواسطة
وهو الرسول صلى الله عليه وسلم واجابة الله بالجهر اذا ابلغه رسالته على لسان السفير وبالسر اذا حصلت التعريفات من الواردات
على القلب فمستجيب بنفسه ومستجيب بقلبه ومستجيب بروحه ومستجيب بسره ومن توقف عن دعاء الداعي اياه هجر
فيما كان يخاطب به — ولما — اتم سبحانه ما اقتضاه مقصود هذه السورة من اصول الدين وفروعه والتحذير من
سطواته بذكر بعض مثلاته وختم بضلال من لم يجب الداعي نبه على ان اوضح الادلة على احاطته بالجلال والجمال وقدرته على الاجل
المسمى الذي خلق الخلق لاجله ما حلى به مطلع السورة من ابداع الخافقين وما فيهما من الآيات الظاهرة للاذن والعين فقال
منكرا لهم على ضلالهم عن اجابة الداعي ومنكرا عليهم وموبخا لهم مرشدا بالعطف على غير مذكور وواضح الوسائل في المقاصد
والوسائل عاطفا عليه قوله ردا المقطع السورة بتقرير المعاد على مطلعها المقرر للمبدا الخلق لكونه بالحق اولم يروا
اي يعلموا علما هو في الوضوح كالرؤية ان الله ودل على ما دل عليه هذا الاسم الاعظم بقوله الذي خلق السموات على ما احوت
عليه مما يعجز الوصف من العبر والارض على ما اشتملت عليه من الآيات المدركة بالعيان والخبر ولم يعي اي يعجز يقال
عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه مراده او عجز عنه ولم يطق احكامه قال الزجاج عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه
واعييت تعبت وفي القاموس واعيى الماشي كل بخلقهن اي بسببه فانه لو حصل له شيء من ذلك لادى الى نقصان فيهما
او في احدهما واكد الانكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في خبر ان فقال بقادر اي بقدرة عظيمة على ان يحيي اي على
سبيل التجديد مستمرا الموتى والامر فيهم لكونه اعادة ولو بهم جزءا يسيرا مما ذكر اختراعه اصغر شانا واسهل صنعا
— ولما — كان هذا الاستفهام الانكاري في معنى النفي اجابه بقوله بلى ثم علموا انه قادر على ذلك علما هو في
انتفائه كالرؤية بالبصر لانهم يعلمون انه المخترع لذلك وان الاعادة اهون من الابتداء في مجاري عاداتهم ولكنهم عن ذلك
غافلون لانهم عنه معرضون — ولما — كان توابع هذه الادلة الواضحة التي هي اعظم من المشاهدة بالبصر ينكرون
ما دلت عليه هذه الصيغة من احاطة القدرة علل ذلك مؤكدا له بقوله مقررا للقدرة على وجه عام بخلقه البعث
الذي ذكر اول السورة انه ما خلق هذا الخلق الا لاجله ليختم بما بدا به انه على كل شيء اي هو اهل لان تتعلق القدرة به
قدير — ولما — ثبت البعث بما قام من الدلائل ذكر بعض ما يحصل في يومه من الاهوال تحذيرا منه فقال
عاطفا على ما تقديره اذكر لهم هذا القياس الناطق بالمراد وما مضى في هذه السورة من الزواجر ويوم اي واذكر يوم

يعرض باسرارهم من ايّ امر نار الذين كفروا اي ستروا بغفلتهم وتماديهم عليها هذه الادلة الظاهرة على النار عرض الجند على
الملك فيسمعوا من تغيظها وزفيرها ويروا من لهيبها واضطرابها وسعيرها ما لو قدر ان احدا يموت في ذلك اليوم لما تواهن بعا
وهائل رؤيته — ولما — كان كانه قيل ماذا يصنع بهم في حال عرضهم قيل يقال على سبيل التبكيت والتقريع والتوبيخ
أليس هذا اي الامر العظيم الذي كنتم به توعدون ولرسلنا في اخبارهم تكذبون بالحق اي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع
لا القدرة لكم على صليه امر موضاك وسحر فلا تبالون بوروده — ولما — اشتد تشوف السامع العالم بما كانوا يبدون
من الشماخة والعتو الى جوابهم قال في جوابه مستانفا قالوا اي مصدقين حيث لا ينفع التصديق بلى وما كفاهم البدار الى
تكذيب انفسهم حتى اقسموا عليه لان حالهم كان مباعدا للاقرار وذكروا صفة الاحسان زيادة في الخضوع والاذعان
وربنا اي انه لحق هو من اثبت الاشياء وليس فيه شيء مما يقارب السحر ثم اسنا نفجواب من سال عن جوابه لهم بقوله قال
مبكتا لهم بيانا لذلهم موضع كبرهم الذي كان في الدنيا مسببا عن تصديقهم هذا الذي اوقعوه في غير موقعه وجعلوه في دار
العمل التي مبناها على الايمان بالغيب تكذيبا معبرا بما يفهم غاية الاستهانة بهم فذوقوا العذاب اي باشروه مباشرة الذائق
باللسان ثم صرح بالسبب فقال بما كنتم اي خلقا مستمرا تكفرون في دار العمل — ولما — علم بما قام من الادلة هـ
وانتصب من القواطع هذا ما لهم سبب عنه قوله ردا على ما بعد خلق الخافقين في مطلعها من امر الرسول ونسبتهم له الى الافترا
وما بعده فاصبر اي على مشاق ما ترى في تبليغ الرسالة قال القشيري والصبر هو الوقوف بحكم الله والثبات من غير بث
ولا استكراه كما صبر اولوا العزم اي الجد في الامر والحزم في الجد والارادة المقطوع بها والثبات الذي لا محيد عنه
الذين مضوا في امر الله مضيا كانهم اقسموا عليه فصاروا كالاسد في حملته والرجل الشديد الشجاع المحفوف بقبيله قال
الرازي في اللوامع فارقت نفوسهم الشهوات والمنى فبذلوا انفوسهم لله صدقا لاتفاق الفهم والقلب على البذل — ولما —
تشوف السامع الى بيانهم قال من الرسل وهو ظاهر جدا ان من للتبعيض والمراد بهم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تاسيس
قواعدها وتثبيت معاقدها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام — وقد نظمهم — بعضهم في قوله

أولوا العزم نوح والخليل بن آزر ... وموسى وعيسى والحبيب محمد

والخلاف في تعيينهم كثير منتشر هذا القول اشهر ما فيه وكله مبني على ان من للتبعيض وهو الظاهر والقول بانهم جميع الرسل
قال ابن الجوزي قاله ابن زيد واختاره ابن الانباري وقال من للتجنيس لا للتبعيض وفي قول انهم جميع الانبياء الا يونس عليهم السلام
قال ابن الجوزي حكاه الثعلبي — ولما — امره بالصبر الذي هو من اعلى الفضائل نهاه عن العجلة التي هي من امهات الرذائل
ليصح التحلي بفضيلة الصبر الضامنة للفوز والنصر فقال ولا تستعجل لهم اي تطلب العجلة وتوجدها بان تفعل شيئا مما
يسوءهم في غير حينه الالائق به — ولما — كان ما امر به ونهى عنه في غاية الصعوبة سهله بقوله مستانفا كانهم
يوم يرون اي في الدنيا او في الآخرة ما يوعدون من ظهور الدين في الدنيا والبعث في الآخرة وبناه للمفعول لان
المنكي هو الايعاد لا كونه من معين لم يلبثوا اي في الدنيا حيث كانوا الا ساعة — ولما — كانت الساعة قد
يراد بها الجنس وقد تطلق على الزمن الطويل حقق امرها وحقرها بقوله من نهار — ولما — تكفل ما ذكر في هذه
السورة من الحجج الظاهرة والبراهين الباهرة ببيان ما هو مقصودها بحيث لم يبق فيه لبس وكان مقصودها ايلا الى مقصود
سورة ابراهيم عليه السلام وهو التوحيد اللازم منه احاطة العلم بكل شيء وشمول القدرة لكل شيء ختمت بما ختمت به ابراهيم
الا ان الحواميم لما كان حذف المبتدا ومتعلق الخبر وقيل بلاغ اي هذا الذي ذكرنا هو من الظهور وانتشار النور بحيث
يرد المنذرين ويوصلهم الى رضى العزيز الحكيم الكافل بالفوز الدائم والنعيم المقيم ومن لم يوصله فذاك الذي حكم العزيز
بشقائه فلا حيلة لغيره في شفائه من عظيم دائه ولذلك سبب عن كونه بلاغا قوله زيادة على ختام ابراهيم ما يناسب
مطلعها فهل يهلك بني للمفعول من اهلك لان المحذور الهلاك والدلالة على ان اهلاكهم عليه سبحانه
يسير جدا الا القوم اي الذين فيهم اهلية القيام بما يحاولونه من اللدد الفاسقون اي الذين يقون في ادامة الخروج من
محيط ما دعوا اليه هادي العقل والفطرة الاولى من الطاعة التي بها النقل الى مضل المعصية الناهي عنها النقل
والعقل واما الذين فسقوا والذين يفسقون فان هادي هذه السورة يردهم ويوصلهم الى المقصود فهذا الآخر نتيجة
قوله اولها والذين كفروا عما انذروا معرضون وذكر اليوم الموعود هو الاجل الذي وجد الخافقان بسببه والدلالة
على القدرة بخلقهما من غير اعياء هو ذكر اولها انهما ما خلقا الا بالحق وذكر البلاغ هو تنزيل الكتاب من الله وحكمه
على الفريق في الفسق بالهلاك مع الهادي الشفيق ولغيرهم بالنجاة مع انتسابه في الفسق مع النكير هو من ثمرات العزة والحكمة
فقد التحم هذا الآخر بذلك الاول اي التحام واتصل بمعناه اتصال الجوهر النفيس في منثور النظام والتام باول التي تليها
احسن التيام فسبحان من جعله اشرف الكلام لكونه صفة الملك العلام منزلا على خاتم الرسل الكرام عليه افضل

الصلاة وكمل السلام والتحية والاكرام

سورة محمد عليه السلام

وتسمى القتال والذين كفروا مقصودها
التقدم الى المؤمنين في حفظ حظيرة الدين بادامة الجهاد للكفار حتى يلزموا الصغار او يبطلوا اضلالهم كما اضل الله اعمالهم
لاسيما اهل الردة الذين فسقوا عن محيط الدين الى اودية الضلال المبين والتزام هذا الخلق الشريف الى ان تضع الحرب
اوزارها باسلام اهل الارض كلهم بنزول عيسى عليه السلام وعلى ذلك دل اسمها الذين كفروا والا فمن المعلوم ان من صد
عن سبيلك فقاتلته واتلفته ان لم تقاتله كنت مثله واسمها محمد واضح في ذلك لان الجهاد كان خلقه صلى الله عليه وسلم الى
ان توفاه الله تعالى وهو نبي المرحمة بالملحمة لانه لا يكون حمد الا ثم نوع ذم كما تقدم تحقيقه في سورة فاطر وفي سبا
وفي الفاتحة ومتى كان كف عن اعداء الله كان الذم واوضح اسمائها في هذا المقصد القتال فان من المعلوم انه لاهل الضلال
بسم الله الملك الاعظم الذي اقام جنده للذب عن حماه الرحمن الذي عمت رحمته تارة بالبيان واخرى بالسيف والسنان
الرحيم الذي خص حزبه بالحفظ في طريق الجنان ولما اقام سبحانه الادلة في الحواميم حتى صارت كالشمس لا
يزيغ عنها الا هالك وختم بانه لا يهلك بعد هذه الادلة الا الفاسقون افتتح هذه بالتعريف بهم فقال الذين كفروا
اي ستروا انوار الادلة فضلوا على علم وصدوا اي امتنعوا بانفسهم ومنعوا غيرهم لعراقتهم في الكفر عن سبيل الله اي
الطريق الرحب المستقيم الذي شرعه الملك الاعظم اضل اي ابطل ابطالا عظيما يزيل العين والاثر اعمالهم التي هي
ارواحهم المعنوية وهي كل شيء يبغضه ونه نفع انفسهم من جلب نفع او دفع ضر بعدوان وفر سيئاتهم وافسد بالهم
ومن جملة اعمالهم ما يكيدونكم به لانها اذا اضلت عما قصدوا بها بحكمه سبحانه لها صارت ضايعة هلكت من جهة
انها ذهبت في المهالك ومن جهة انها ذهبت في غير الجهة التي قصدت لها فبطلت منفعتها المقصودة منها فصارت هي
باطلة فاذهبوا انتم ارواحهم الحسية بان تبطلوا صورهم واشباحهم بان تقطعوا اوصالهم وانتم في غاية الاجتراء
عليهم فان ربكم الذي وجدتم قد ابطلهم واذن لكم في ابطالهم فانه قد علم انه لا اصلاح لهم والمؤذي طبعا يقتل شرعا
لمن قدر على قتله فهو محكوم بكفره محتوم بخيبته وخسره وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما انبتت سورة
الاحقاف على ما ذكر من آل من كذب وكفر وافتتحت السورة باعراضهم ختمت بما قد تكرر من تقريعهم وتوبيخهم فقال تعالى
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى اي لو اعتبروا بابدائه لتيسر
عليهم امر العودة ثم ذكر عرضهم على النار الى قوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون فلما ختم بذكر هلاكهم افتتح السورة
الاخرى بعاجل ذلك اللاحق بهم في دنياهم فقال تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا
الوثاق الاية بعد ابتداء السورة بقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم فنبه على ان اضلال محنتهم انما
هو بما اراده تعالى بهم في سابق علمه ليعلم المؤمنون ان الهدى والضلال بيده فنبه على الطرفين بقوله اضل اعمالهم وقوله
في الاخر كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ثم بين انه تعالى لو شاء لانتصر منهم ولكن امر المؤمنين بقتالهم ابتلاء واختبارا
ثم حض المؤمنين على ما امرهم به من ذلك فقال ان تنصروا الله ينصركم ثم التحم الكلام الى انتهى ولما ذكر اهل
الكفر معبرا عنهم بادنى طبقاتهم ليشمل من فوقهم ذكر اضدادهم كذلك ليعم من كان منهم من جميع الفرق فقال والذين امنوا
اي اقروا بالايمان باللسان وعملوا تصديقا لدعواهم ذلك الصالحات اي الاعمال الكاملة في الصلاح بنيانا مناسبا
على الايمان ولما كان هذا الوصف لا يخص اتباع محمد صلى الله عليه وسلم خصهم بقوله وامنوا اي مع ذلك
ولما كان بعضهم كحيي بن اخطب ومن نحا نحوه قد طعن في القران بنزوله منجما مع ان التوراة ما نزلت
الا كذلك وليس احد منهم يقدر ان ينكره قال بما نزل اي ممن لا منزل الا هو منجما مفرقا ليجددوا بعد الايمان به ايمانا
بكل نجم منه على محمد النبي الامي العربي القرشي المكي ثم المدني الذي يجدونه مكتوبا في التوراة والانجيل صلى الله
عليه وسلم ولما كان هذا معلما بان كل ايمان لم يقترن بالايمان به صلى الله عليه وسلم لم يعتد به اعترض
بين المبتدا وجوابه بما يفهم علته حثا عليه وتاكيدا له فقال وهو اي هذا الذي نزل عليه صلى الله عليه وسلم
مخصصا بانه الحق اي الكامل في الحقيقة لانه ينسخ ولا ينسخ كائنا من ربهم المحسن اليهم بارساله اما احسانه الى امته
فواضح واما ساير الامم فبكونه هو الشافع فيهم الشفاعة العظمى يوم القيامة وامته هي الشاهدة لهم ولما
ثبت بهذا انهم احق الناس بالحق بين ما اثمر لهم ذلك دالا على انه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره فلا يسع الخلق الا العفو
لانهم وان اجتهدوا في الاصلاح بدر لهم لنقصانهم من سيئات او هفوات فقال كفر اي غطى تغطية عظيمة عنهم في الدارين
بتوبتهم وايمانهم لان التوبة تجب ما كان قبلها كالايمان سيئاتهم اي الاعمال السيئة التي لحقتهم فبلغ لك بما يظهر لهم
من المحاسن وهدى اعمالهم ولما كان من يعمل سوءا يخاف عاقبته فيتفرق فكره ولا يطيب عيشه خائفا قال واصلح
بالهم اي موضع سرهم وفكرهم بالامن والتوفيق والسداد وقوة الفهم والرشاد لما يوفقهم له من محاسن الاعمال

ويطيب

ويطيب به اسمهم في الدارين قال ابن برجان واذا اصلح ذلك من العبد صلح ما يدخل اليه وما يخرج عنه وما يثبت فيه واذا
فسد فبالضد من ذلك ولذلك اذا اشتغل البال لم ينتفع من صفات الباطن بشيء وقد علم ان الاية من الاحتباك ذكر ضلال
الكفار اولا دليلا على ارادة الهدى للمؤمنين ثانيا واصلاح البال ثانيا دليلا على حذف افساده اولا ولما
كان الجزاء من جنس العمل علل ما تقدم من فعله بالفريقين بقوله ذلك اي الامر العظيم الذي ذكر هنا من جزاء الطائفتين
بان اي بسبب ان الذين كفروا اي ستروا مرائي عقولهم اتبعوا اي بغاية جهدهم ومعالجتهم لما قادتهم اليه فطرهم
الاولى الباطل من العمل الذي لا حقيقة له في الخارج تطابقه وذلك هو الابتداع والميل مع الهوى وايثار الحظوظ
فضلوا وان الذين امنوا اي ولو كانوا في اقل درجات الايمان اتبعوا اي بغاية جهدهم منابعين لما تدعو اليه الفطر الاولى
كالنبي لنوازع الشهوات ودواعي الحظوظ على كرهها وقوتها الحق اي الذي له واقع يطابقه وذلك هو الحكمة وهي العمل
بموافقة العلم وهو معرفة المعلوم على ما هو عليه من ربهم الذي لم يحسن اليهم بايجادهم وما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا
ولما علم من هذا ان باطن حال الذين كفروا الباطل وباطن حال الذين امنوا الحق وتقدم في البقرة ان المثل هو ما
يتحصل في باطن الادراك من حقائق الاشياء المحسوسة فيكون الطف من الشيء المحسوس فاذا ذلك هو وجه الشبه علم
ان مثل كل من الفريقين ما علم من باطن حاله فمثل الاول الباطل والثاني الحق فلذلك قال سبحانه استينافا جوابا لمن كانه
قال لما ادركه من دهش العقل لما راعه من علو هذا المقال هل يضرب مثل مثل هذا كذلك اي مثل هذا الضرب العظيم
الشان يضرب الله اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال للناس اي كل من فيه نوع الاضطراب والحركة امثالهم
اي امثال انفسهم وامثال الفريقين المتقدمين وامثال جميع الاشياء التي يحتاجون الى بيان امثالها مبينا لها مثل هذا البيان
ليأخذ كل احد من ذلك جزاء حاله فقد علم من هذا المثل ان من اتبع الباطل اضل الله عمله ووفر سيئاته وافسد باله
ومن اتبع الحق عمل به ضد ذلك كائنا من كان وهو غاية الحث على طلب العلم في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
والعمل بهما ولما تحرر ان الكفار احق الخلق بالعدم لان الباطل شانهم وحقيقة حالهم سبب عنه قوله فاذا لقيتم
اي ايها المؤمنون الذين كفروا ولو بادنى انواع الكفر في اي مكان كان واي زمان اتفق ولما كان المراد الفعل
المجزي بغاية التحقيق عبر عنه موكدا له مع الاختصار بذكر المصدر الدال على الفعل مصورا له باشنع صورة مع ما فيه من
الغلظة على الكفار والاستهانة بهم فقال فضرب الرقاب اي عقبوا لقيكم لهم من غير مهلة بان تضربوا رقابهم ضربا بالصدق
في الضرب بما يزهق ارواحهم فان ذلك انهار للعرصة وعمل بالاحوط وكذلك النفس التي هي اعدى العدو اذا ظفرت بها وجب
عليك ان لا تدع لها بقية قال القشيري فالحية متى بقيت فيها بقية فوضعت عليها اصبع نفثت فيها سمها ولما
كان التقدير ولا تزال كذلك فعلكم غياه بقوله حتى وبشرهم بالتعبير باداة التحقق فقال اذا اثخنتموهم اي اغلظتم
القتل فيهم واكثرتموه بحيث صاروا لا حراك بهم كالذي يثخن فافرط تثخنه فجعل ذلك شرطا للاسر كما قال تعالى ما كان
لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فشدوا لانه لا مانع لكم الان من الاسر الوثاق اي الرباط الذي يستوثق به
من الاسرى بالربط على ايديهم مجموعة الى اعناقهم مجازا عن الاسر بغاية الاستيلاء والقهر ولما كان الامام مخيرا
في اسراهم بين اربعة اشياء القتل والاطلاق مجانا والاطلاق بالفدية وهي شيء يلجئ عوضا عن رقابهم والاسترقاق
عبر عن ذلك بقوله مفصلا فاما منا اي ان تنعموا عليهم انعاما بعد اي في جميع ازمان ما بعد الاسر باستبقائهم ثم
بعد الانعام باستبقائهم اما ان يكون ذلك مع الاسترقاق او مع الاطلاق ثم الاطلاق اما مجانا واما فداء بمال
او باسرى من المسلمين ونحو ذلك فافهم التعبير بالمن الذي معناه الانعام ان الابقاء غير واجب بل جائز ودخل في الابقاء
ثلاث صور الاسترقاق والاطلاق مجانا وبالفداء افصح سبحانه بالفداء الذي معناه الاخذ على وجه انه قسيم للمن
ليعلم ان المراد به الابقاء مع عدم الاخذ فدخل فيه الاطلاق مجانا وهو واضح والاسترقاق لانه انعام بالنسبة الى
القتل وافهم التعبير بالمن الذي معناه الانعام من المنان الذي هو اسمه تعالى ومعناه المعطي ابتداء جوابا لقتل لان
الانعام مخير فيه لا واجب لانه لو كان واجبا كان حتما لا نعمة فقد دخلت الصور الاربع في التعبير بهاتين الكلمتين
والله الهادي وكل هذا على ما يراه الامام او نائبه مصلحة قال القشيري كذلك حال المجاهد مع النفس اذا كان
في اغفاء ساعة وافطار يوم ترويح للنفس من الكد وقوة على الجهد فيما يستقبل من الامر على ما يحصل به الاستصواب
من شيخ المريد وفتوى لسان الوقت او فراسة صاحب المجاهدة انتهى وقد افهم هذا السياق ان هذا الحكم ثابت
غير منسوخ والامر بالقتل وجد في غيرها من الايات عام غير مخصوص بما افهمته الغاية من ان التقدير والجهاد على هذه
الصفة باق وماض مع كل امير برا كان او فاجرا لا تزال طائفة من الامة قائمين به ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم
حتى ياتي امر الله وهو والله اعلم المراد بقوله تعالى حتى اي افعلوا ما امرتكم به على ما حددت لكم الى ان تضع الحرب

أوزارها وهي اثقالها اي الآلات التي تشتغل القايمين لها من النفقات والسلاح والكراع ونحو وذلك لا يكون وفي الارض
كافر وذلك على زمن عيسى عليه السلام حين تخرج الارض بركاتها وتكون الملة واحدة وهي الاسلام لله رب العالمين فيتخذ
الناس حديد السلاح سككا ومناجل وفوسا ينتفعون بها في معايشهم كما ورد في الحديث وفي الحديث الجهاد ماض منذ
بعثني الله الى ان تقاتل آخر امتي الدجال رواه في الفردوس عن انس رضي الله عنه الجهاد واجب عليكم مع كل بر وفاجر رواه
ابو داود وعن ابي هريرة رضي الله عنه ولما كانت الحرب كريهة الى النفوس شديدة المشقة اكد امرها بما معناه
ان هذا امر قد فرغ منه فقال ذلك اي الامر العظيم العالي الحسن النافع الموجب لكل خير ولما كان هذا ربما
اوهم ان التاكيد في هذا الامر لكون الحال لا يمكن انتظامه الا به اتبعه ما يزيل هذا الايهام فقال ولو ولما كان
لو عبر بالماضي انه كان ولم يبق عبر بالمضارع الدال على الحال وما بعده فقال يشاء الله اي الملك الاعظم الذي له جميع الكمال
لانتصر منهم الى بنفسه من غير احد انتصارا عظيما بان لا يبقى منهم احدا ولكن اوجب ذلك عليكم ليبلو ولما
كان الابتلاء ليس خاصا بفريق منهم بل عاما للفريقين لانه يكشف عن اهل المحاسن واهل المساوي من كل منهم قال بعضكم
ببعض اي يفعل في ذلك فعل المختبر ليرتب عليه الجزاء على حسب ما تاتونه من العواقب ولما افهم هذا ان الابتلاء بين
فريقين بالجهاد قال عاطفا على ما تقديره فالذين قاتلوا او قتلوا في سبيل الشيطان اضل اعمالهم والذين قاتلوا وفي قراءة
البصريين وحفص قتلوا وهي اكثر ترغيبا والاولى اعظم ترجية في سبيل الله اي لاجل تسهيل طريق الملك الاعظم
المتصف بجميع صفات الكمال ولما كان في سياق الترغيب قرن الخبر بالفاء اعلاما بان اعمالهم سببه فقال فلن
يضل اي يضيع ويبطل اعمالهم لكونها غير تابعة لدليل يبصرهم بالادلة ويوفقهم لاتباعها وهو معنى قوله تعليلا
سيهديهم اي في الدارين بوعد لا خلف فيه بعد المجاهدة الى كل ما ينفعهم مجددا ذلك على سبيل الاستمرار ويصلح بالهم
اي موضع فكرهم فيجعله مهيئا لكل خير بعيدا عن كل شر امنا من المخاوف بما فيه من السكينة فاذا قتل احد في سبيله تولى
سبحانه ورثته باحسن من تولي المقتول لو كان حيا ولما كان هذا ثوابا عظيما اتبعه ثوابا اعظم منه فقال
ويدخلهم الجنة اي الكاملة في النعيم واجاب من سأل عن كيفية ادخالهم اياها وكيفيتها عند ذلك بقوله عرفها لهم اي
بتعريف الاعمال الموصلة اليها والتوفيق لهم اليها في الدنيا وبالتبصير بالمنازل في الآخرة حتى ان احدهم اعرف بمنزله
فيها منه بمنزله في الدنيا وطيب رائحتها وجعل موضعها عاليا وجد رائحتها عالية وذات اعراف وشرف وفي هذه الآية
بشرى عظيمة لمن جاهد ساعة ما بان الله يميته على الاسلام المستلزم لان لا يضيع له عمل ويؤيده ما رواه الطبراني
في الكبير عن فضالة بن عبيد الانصاري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاسلام ثلاثة ابيات
سفلى وعليا وغرفة فاما السفلى فالاسلام دخل فيه عامة المسلمين فلا تسأل احدا منهم الا قال انا مسلم واما العليا فتفاضل
اعمالهم بعض المسلمين افضل من بعض واما الغرفة العليا فالجهاد في سبيل الله لا ينالها الا افضلهم ولما
ذكر القتال تشوف السامع الى حال المقاتل من النصر والخذلان فاجاب بما يعرف بشرط النصر فقال يا ايها الذين آمنوا
اي اقروا بذلك وان كان في ادنى الدرجات بما اشعرت به اداة البعد والصلة بالماضي ان تنصروا الله اي بتجديد لكم
نية مستمرة وفعل دائم على نصرة دين الملك الاعظم بايضاح ادلته وتبيينها وتوهية شبه اهل الباطل وقتالهم
ويكون ذلك خالصا له لا لغيره من النيات الفاسدة المعلولة كطلب الدنيا او الشهرة بالشجاعة والعلم وطيب الذكر
والغضب للاهل وغير ذلك ينصركم فانه الناصر لا غيره من عدد او عدد فيقمع اعداء الدين بايديكم ولما
كان النصر قد يكون مع العجز والكسل والجبن والفشل بين انه يحميهم من ذلك فقال ويثبت اقدامكم اي تثبيتا عظيما
بان يملأ قلوبكم سكينة في حال القتال ووقت البحث والجدال وعند مباشرة جميع الاعمال فتكونوا عالين قاهرين في غاية
ما يكون من طيب النفوس وانشراح الصدور وثقة بالله واعتزاز به وانما لا يعلوكم اهل الارض ولما
ذكر اهل الايمان بين ما لاهل الكفران فقال والذين كفروا اي ستروا ما دل عليه العقل وقادت اليه الفطر الاولى
وبين ان سوء اعمالهم اسباب وبالهم بالفاء فقال مؤكدا لجعل الخبر مفعولا مطلقا لاجل استبعادهم للخذلان بما لهم من القوة
بكثرة العدد والملاءة بالعدد فتعسا اي فعثر عثروا فيقال لهم ما يقال للعاثر الذي يراد انه لا يقوم من تعسه لا انتعاش
معه كما يقال لمن عثر واريد قيامه لعا لك والمراد بالتعس الانحطاط والسفول والهوان والقلق ولما
كان كانه قيل لمن هذا قيل لهم اي فلا يكادون يثبتون في قتال لمن صلحت منه الاعمال ولما كان الانسان قد يعثر
ويقع ويقال له تعسا ويقوم بعد ذلك ولا يبطل عمله بين ان هؤلاء ليس لهم ذلك بل مهما قالوه كان مخالفا اصلا فقال معبرا
بالماضي اشارة الى التحتم فيه واما الاستقبال فربما تاب على بعضهم فيه عاطفا على ما تقديره فقال تعالى لهم ذلك واضل
اعمالهم وان كانت ظاهرة الاتقان لاجل تضييع الاساس بالايمان ولما بين ما صنع بهم ليجتري به حزبه عليهم

بين سببه ليجتنب فقال ذلك اي الامر البعيد من الخير بانهم اي بسبب انهم كرهوا ما انزل الله اي الملك الاعظم الذي له
نعم الامة والذي انزله من القرآن والسنة هو روح الوجود الذي لا بقاء بدونه فلما كرهوا الروح الاعظم بطلت
ارواحهم فتبعتها اشباحهم وهو معنى قوله مسببا بيانا لمعنى اضلال اعمالهم فاحبط اي ابطل ابطالا لا صلاح معه
اعمالهم بسبب انهم افسدوها بنياتهم فصارت وان كانت صورها صالحة ليس لها ارواح لكونها واقعة على غير ما
امر به الله الذي لا امر الا له ولا يقبل من العمل الا ما حاكه ودسمه وهذا وعيد للامة بانها ان تخلت عن نصر الله والجهاد
في سبيله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلها سبحانه الى نفسها وتخلى عن نصرها وسلط عليها عدوها ولقد
وجد بعض ذلك من تسلط الفسقة لما وجد التهاون في بعض ذلك والتواكل فيه ولما كان لا يستبين بهذه
العصا ويجزي مثل هذه البلايا الا من امن العقوبة وكان لا يامن العقوبة الا من اعرض عن الله وكان يكفي في الصد عن
الامن ونابعه تعالى بالامم الخالية لاجل تكذيب رسله ومناصبة اوليائه والاعتداء على حدوده قال منكرا عليهم
موبخا لهم نعدما الهم بالتحذير من بطشه وسطوته وشديد اخذه وعقوبته مسببا عن كراهتهم المذكورة وما
نازعها من العداوة لاهل الله افلم يسيروا اي بسبب تصحيح اعمالهم وبنائها على الاساس في الارض اي التي فيها اثار
الوقايع فانما هي الارض في الحقيقة لما لها من زيادة التعريف بالله فينظروا اعقب سيرهم وبسببه ولما كانت
متابعة خالعة للقلوب بما فيها من الامور الباهرة الناطقة بما السنة الاحوال لغير التنبيه بالمقال ساق ذلك
بسوقه في اسلوب الاستفهام مساقا سنها على انه من العظمة بحيث يفرغ الزمان للعناية بالسؤال عنه فقال كيف كان
عاقبة اي اخر امر الذين ولما كان لا يمكنهم معرفة ذلك من جميع المهلكين نبه باثبات الجار على انهم بعضهم
بل بعض المكذبين للرسل وهم الذين سمعوا اخبارهم ورأوا ديارهم كعاد وثمود ومدين وسبأ وقوم لوط فقال من قبلهم
ولما كان كانه قيل ما لهم قال دمر الله اي اوقع الملك الاعظم الهلاك العظيم الداخل بغير اذن الهاجم
بغتة عليهم بما عم اهاليهم واحوالهم وكل من رضي فعالهم او مقالهم وعدل عن ان يقول ولهؤلاء الى قوله وللكافرين
تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو العراقة في الكفر فكان فيه بشارة بان بعضهم سينجيه الله تعالى من اسباب الهلاك
لكونه ليس عريقا في الكفر لانه لم يطبع عليه امثالها اي امثال هذه العاقبة ولما بين انه يفعل باوليائه وبا
اعدائه بين علته فقال ذلك اي الامر العظيم الذي افعله بالفريقين بان الله اي بسبب ان الملك الاعظم المحيط بصفات
الكمال مولى الذين آمنوا اي القريب من المصدقين به المرضين له فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب
بقريبه الحبيب له قال القشيري ويصح ان يقال ارجى آية في القرآن هذه الآية لانه لم يقل الزهاد والعباد واصحاب
الاوراد والاجتهاد يعني بل ذكر ادنى اسنان اهل الايمان وان الكافرين اي العريقين في هذا الوصف لا مولى لهم
بهذا المعنى لانهم بعيدون من الله فلا ينفعهم قرب قريب اصلا وان كان الله مولاهم بغير هذا المعنى بل بمعنى انه سيدهم
ومالكهم وفيه ايماء الى انه سبحانه ولي من لم يكن عريقا في الكفر فيخرجه من الظلمات الى النور ولما
تشوف السامع الى معرفة تمام اثار الولاية قال شافيا لعي سؤاله مؤكدا لاجل كثرة المكذبين ان الله اي الذي له
جميع الكمال يدخل الذين آمنوا اي اوقعوا التصديق وعملوا تصديقا لما ادعوا انهم اوقعوه الصالحات فتمتعوا
بما رزقهم الله من الملاذ لا على وجه انها ملاذ بل على وجه انها ماذون فيها وبلاغ الى الآخرة واكلوا لا للترفه بل
لتقوية البدن على ما امروا به تقوتا لا تمتعا جنات اي بساتين عظيمة الشأن موصوفة بانها تجري وبين قرب الماء
وجهها بقوله من تحتها الانهار اي هي دائمة النمو والبهجة والنضارة والثمرة لان اصول اشجارها ريى وهي بحيث
متى اثرت بقعة منها ادنى اشارة جرى منها نهر فانساهم دخولها غصص ما كانوا فيه في الدنيا من نكد العيش ومعاناة
الشدائد وصوا نعيمها الى ما كانوا فيه في الدنيا من نعيم الوصلة بالله ثم لا يحصل لهم كدر ما اصلا وهي ما واهم
لا يبغون عنها حولا وهذا في نظير ما زوى عنهم من الدنيا وضيق فيها عيشهم نفاسة منهم عنها حتى فرغهم لخدمته
والتهم حضرته حبا لهم وتشريفا لمقاديرهم والذين كفروا اي غطوا ما دل عليه العقل فعملوا لاجل كفرهم الاعمال
الناشئة المبعدة عن جناب الله يتمتعون اي في الدنيا بالملاذ لكونها ملاذ كما تتمتع الانعام ناسين ما امر الله
به معرضين عن الغاية بالعرض المرض اصلا بل يكون ذكر الموت حاثا لهم على الانهماك في اللذات مسابقة له جهلا منهم بالله
ويأكلون اي على سبيل الاستمرار كما تأكل الانعام اكل التذاذ ومرح من اي موضع كان وكيف كان الاكل في سبعة
امعاء اي في جميع بطونهم من غير تمييز لحرام من غيره لان الله تعالى اعطاهم الدنيا ووسع عليهم فيها وفرغهم لها حتى
شغلهم عنه هوانا بهم وبغضا لهم فيدخلهم نارا وقودها الناس والحجارة والنار اي والحال ان ذات الحرارة
العظمى والاحراق الخارج عن الحد مثوى اي منزل ومقام لهم تنسيهم اول انغماسهم فيها كل نعيم كانوا فيه ثم لا يصير لهم

نعيما املا بل لا ينفك عنهم العذاب وقتا ما فالآية من الاحتباك ذكر الاعمال الصالحة ودخول الجنات اولا دليلا على حذف
الفاسدة ثانيا ودخول النار ثانيا والتمتع والمثوى ثانيا دليلا على حذف التقلل والمأوى اولا وهو احتباك في احتباك
واشتباك مقارن لاشتباك ولما وعد سبحانه انه ينصر من ينصره لانه مولاه ويدخله دار نعمته وجعل
من يعاديه لانه عاداه الى ان يدخله دار شقوته كان التقدير دليلا على ذلك فكاين من قوم هم اضعف من الذين اسعول نصرناهم
على من كذبهم فلا خاذل لهم فعطف عليه قوله وكاين ولما كانت قوة قريش في الحقيقة ببلدهم وكان الاسناد اليها
ادل على ما لو اهلها وشدة انفاقهم حتى كانهم كالشيء الواحد قال من قرية اي كذبت رسولها هي اشد قوة واكثر عددا من
قريتك ولما كان انزال هذه بعد الهجرة عين فقال التي اخرجتك اي اخرجك اهلها متفقين في اسباب الاخراج
من انواع الاذى على كلمة واحدة حتى كانهم قلوبهم قلب واحد فكانها هي المخرجة وهي مكة كذبوك واذوك حتى اخرجاك الى من
عندهم لتنصرك عليهم بل ابدلناك بهم من قريتك هذه الذي وتك من الانصار نصرا جاريا على ما نا لعونه وتعادونه
اهلكناهم بعذاب الاستيصال كما اقتضت عظمتنا وحكى حالهم الماضية بقوله فلا ناصر لهم ولما كان هذا
دليلا شهوديا بعد الادلة العقلية على ما تقدم من الوعد به سبب عنه الانكار عليهم فقال افمن كان اي في جميع احواله على بينة
اي حالة ظاهرة البيان في انها حق من ربه المربي له المدبر له المحسن اليه بما يفهم من الادلة التي تعجز الكل عن ان يأتوا بواحد منها
فبصر سوء عمله وارته على حقيقته فراه سيئا فاجتنبه مخالفا له قال القشيري العلماء في ضياء برهانهم والعارفون في ضياء
بيانهم كمن زين له تزيين الشيطان بتسليطنا له عليه وخلقنا للاثار بايدينا سوء عمله من شرك او معصية دونه فهو
ولما كان التقدير فراه حسنا فعمله ملازما له فكان على عمى وضلال وكان قد افرد الضمير لعموم من لمن حمله لفظها
جمع ردا على معناها ليعمهم القبح مثنى وفرادى واشارة الى ان القبيح يكون ولا قليلا جدا متى غفل عنه فلم يحسم مادته دب
وانتشر فقال عاطفا على ما قدرته واتبعوا اهواءهم فلا شبهة لهم في شيء من اعمالهم السيئة فضلا عن دليل والاية من الاحتباك
ذكر البينة اولا دليلا على ضدها ثانيا والتزيين واتباع الهوى ثانيا دليلا على ضدهما اولا وسره انه ذكر الاصل الجامع
للخير ترغيبا والاصل الجامع للشر ترهيبا ولما تكرر ذكر الجنة والنار في هذه السورة الى ان ختم بهذه الاية
التي قسم الناس فيها الى اوليائه المهتدين واعدائه الضالين المعتدين نبه دعى سياقها الى ان التقدير فمن كان على البينة احياه
الحياة الطيبة في الدارين ومن يتبع هواه ارداه فيهما اتبعه وصف الجنة التي هي دار اوليائه قادهم اليها الهدى والنار
التي هي دار اعدائه ساقهم اليها الضلال المحتم للردى فقال مثل الجنة اي البساتين العظيمة التي تستر داخلها من كثرة
اشجارها ولما تكرر وعده سبحانه للذين امنوا بالجنة معبرا في بعضها بالاسم الاعظم الجامع وبعضها بالضمير
العائد عليه صار الوعد بها في غاية التحقق فعبر عنه هنا بالماضي المبني للمفعول اشارة الى انه امر قد تحقق باهل الامر
وفرغ منه الى ان صار حاضرا لا مانع منه الا الوصف الذي علق به الوعد ووصفها بصفات تفيد القطع بانه لا يقدر
عليها الا الله فصار مجرد ذكرها مفيدا للذكر والاخبار عنها بصيغة المجهول اعلاء للامر فقال التي وعد المتقون
اي الذين جعلتهم تقواهم بعداء الوقوف عن كل فعل لم يدل عليه دليل على ان استهواهم فاتبعوا ابعادا للتهمة عليهم من امور
الدين حتى انقسم الناس الى ثلاثة اقسام مقبل عليه بكليته فهو متبع ومعرض عنه جملة وهو مستمع غير متبع ولما كان
التقدير مثل بستان عظيم لا يسقط ورقه ولا ينقطع ثمره ولا ينقص نعيمه لما فيه من الانهار المتنوعة وكان ما هو
بهذه الصفة انما هو موهوم لنا لا معلوم طواه وذكر ما دل عليه من صفة الجنة الموعودة المعلومة بوعد الصادق
الذي ثبت صدقه بالمعجزات فقال استئنافا فيها اي الجنة الموعودة ولما كان ما يعهدونه من الجنان
لا يحتمل اكثر من ثلاثة انهار عبر بجمع الذي يستعار للكثرة اذا دلت قرينة وهي هنا المدح والامتنان فقال انهار
من ماء ولما كان ما في الدنيا تختلف الطعوم مع اتحاد الارض ببساطتها وشدة اتصالها الدالة على ان
فاعل ذلك قادر مختار وقد يكون اسنا اي متغيرا غير الماء الذي يشرب بريح منتنة من اصل خلقته او من عارض عرض له
من منبعه او مجراه قال غير آسن اي ثابت له في وقت ما شيء من الطعم او الريح او اللون بوجه من الوجوه وان طال مكثه
وان اضيف اليه غيره فانه لا يقبل التغير بوجه ولما كان اكثر شرابهم بعد الماء اللبن ثنى به فقال وانهار
من لبن ولما كان التغير غير محمود وكانوا يعهدون في الدنيا ان اللبن كله على جميع انواعه طيب حال
نزوله من الضرع مع اختلاف ذوات الدر في الاشكال والانواع والمقادير والامزجة ومع انفصاله لكل واحد منها من الاخر
وانه انما يتغير بعد حلبه عبر بما ينفي التغير في الماضي فقال لم يتغير طعمه اي بنفسه عن اصل خلقته وان قام من
الدهر وهذا يفهم انهم لو ارادوا التغير لشهوة اشتهوها تغير وانه مع طيبه على انواع كثيرة كما كان في الدنيا متنوعا
ولما كان اكثر ما بعد اللبن الخمر قال وانهار من خمر ولما كانت الخمر يكره طعمها وانما يشربها

شاربوها

شاربوها لاثرها وانه متى تغير طعمها زال اسمها عرفا ان كل ما في خمر الجنة في غاية الحسن غير متعرض لطعم فقال لذة اي ثابتة لها اللذة
ودائمة حال شربها وبعده للشاربين في طيب الطعم وحسن العاقبة ولما كان العسل اعزها واقلها اخر وان كان احلاها
قال وانهار من عسل ولما كان عسل الدنيا لا يوجد الا مخلوطا بالشمع وغيره من القذى قال مصفى اي موصوفا صفاء
ما اضمد في تصفيته من ذلك وهذا الوصف ثابت له دائما لا انفكاك له عنه في وقت ما فقد حصل بهذا غاية التشويق الى الجنة
بالتمثيل بما يستلذ من اشربة الدنيا لانه غاية ما نعلم من ذلك مجردا عما ينقصه او ينغصه مع الوصف بالغزارة والاستمرار قال البغوي
قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار
الاربعة تخرج من نهر الكوثر وقال ابن عبد الحكم في فتوح مصر حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان معاوية
ابن ابي سفيان رضي الله عنهما سال كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي فلق البحر لموسى اني لاجده
في كتاب الله ان الله عز وجل يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريه ان الله يامرك ان تجري فيجري ما كتب الله
له ثم يوحي اليه بعد ذلك يا نيل غر حميدا حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن يزيد بن ابي حبيب عن ابي الخير عن كعب الاحبار
انه كان يقول اربعة انهار من الجنة وضعها الله عز وجل في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة
وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة حدثنا سعيد بن ابي مريم حدثنا الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة
قالا حدثنا يزيد بن ابي حبيب عن ابي الخير عن ابي جنادة الكناني انه سمع كعبا يقول النيل في الاخرة عسلا اغزر ما يكون من الانهار
التي سمى الله عز وجل والفرات خمرا اغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل وجيحان ماء اغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله
عز وجل واصل هذا كله ما في الصحيح في صفة الجنة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيحان
وجيحان والنيل والفرات من انهار الجنة وقال ابو حيان في حكمة ترتيبها عن ما تقدم انه بدئ بالماء التي لا يستغنى عنه المشروبات
ثم باللبن اذ كان يجري مجرى المطعومات في كثير من اوقات العرب وغيرهم ثم بالخمر لانه اذا حصل الري والمطعم تشوقت النفس الى
ما يلتذ به ثم بالعسل لان فيه الشفاء في الدنيا مما يعرض من المطعوم والمشروب انتهى واحسن منه انه لما كان السياق للتعجيب في
ضرب المثل لانه قول لا يبعد عن غرابته بدئ بانهار الماء لغرابتها في بلادهم وشدة حاجتهم اليها ولما كان خلوها
عن تغيير اغرب ثناه ولما كان اللبن اقل فكان جريه انهارا اغرب ثنى به ولما كان الخمر اعز ثلث به ولما كان
العسل اشرفها واقلها ختم به ونبه مع هذا التذكير بقدرته تعالى على ما يريد بسبب وبغير سبب فان هذه المشروبات الثلاثة
التي بعضها متمحض للشرابية كالخمر وبعضها فيه غذائية وهي فيه اغلب وهو العسل وبعضها نزع الى كل منهما وهو اللبن
كلها من الماء مع تمايزها منه افاقا واثرا في الغذاء والدواء وغير ذلك فان الماء اصل النبات ومن النبات يكون اللبن والخمر والعسل
بما لا يخفى من الاسباب واما الاخرة فغنية عن الاسباب لظهور اسمه الظاهر سبحانه هناك لانه لا ابتلاء فيها وبهذا فهم
الترتيب سر اخر وهو انه تعالى قدم الماء لانه الاصل لها وثلاه باقرب الاشياء اليه في الشرابية والطبع اللبن ثم بما هو افق
الى اللبن من جهة انه شرب فقط ثم بالعسل لانه ابعدها منه ولما كانت الثمار المستطابات تعد تابعة للشراب
قال ولهم فيها ولما كان اهلها متفاوتين في الدرجات فلا يجمع حال غالبهم جميع ما في الجنة من الثمار بعض فقال
من كل الثمرات اي جميع اصنافها على وجه لا حاجة معه من قلة ولا انقطاع ولما كان العيش لا يطيب مع [illegible]
بما يوجب العتب قال مشيرا الى انه لا يغفر لاحد ان يغفر الله حق قدره لان الذنب منضاف اليه عن رتبته سبحانه ومغفرة من
ربهم اي المحسن اليهم بمحو ذنوبهم السالفة اعيانها واثارها بحيث لا يخشون لها عاقبة بعقاب ولا عتاب وعدم بلوغهم الى ما
يحق له من الشكر سبحانه ولما ارشد السياق الى ان التقدير افمن هو في هذا النعيم الاكبر المقيم بنى عليه قوله كمن هو خالد
اي مقيم اقامة لا انقطاع معها وحسن لان الخلود يعم من فيها على حد سواء في النار اي التي لا يطفأ لهيبها ولا ينفك اسيرها
ولا يؤنس غريبها ولما كان كل واحد من داخليها له شيء يخصه على حسب عمله ولا يظلم ربك احدا كان الموت احرم
السقي على النقمة التي تذكر لا كونه من ساق معين بنى للمجهول قوله مشيرا الى ضمير الجمع قوله وسقوا عوض ما ذكر من شراب
اهل الجنة ماء حميما هو في غاية الحرارة فقطع امعاءهم ويمكن ان تكون الاية من الاحتباك وذلك انه لما قدم ان المؤمنين في جنات
تجري من تحتها الانهار وان الكافرين مثوى لهم النار كان التقدير انكارا على من لا يرتدع للزواجر تنبيها على ان عمله عمل من يسوي
بين الجنة والنار لان كون النار جزاء المسيء والجنة جزاء للمؤمن صار في حد لا يسوغ انكاره امثل الجنة الموصوفة كمثل النار
ومن هو خالد في الجنة كمن هو خالد في النار والله الموفق ولما كان التقدير بعد هذا التمثيل والوصف
والتشويق الذي يبهر العقول فمن الناس من يستمع منك بغاية المحبة والانصاف فيعليه الله بفهم ما تتلو واعتقاد
والعمل به واعتماده وهم المتقون الذين وعدوا الجنة عطف عليه قوله ومنهم من يستمع اي بغاية جهده لعلة تجري في المتلو
مطعنا يشكك به على الضعفاء وبين بعدهم بقوله اليك ولما افرد المستمع نظرا الى اللفظ من اشارة الى قلة المستمع

جمع نظراً الى معناها اشارة الى كثرة المعرضين الجامدين من المستهزئين منهم والسامعين فقال حتى اى واستمروا بهم
لانفسهم فى الاصغاء حتى اذا خرجوا اى المستمعون والسامعون من عندك قالوا اى الفريقان عمى وتعاميا واستهزاء
كان مجرد حصول العلم النافع مسعداً اشار الى تعظيمه ببنائه لما لم يسم فاعله فقال للذين اوتوا العلم اى
بسبب تهيئة الله لهم بما اتاهم من صفاء الافهام بتجردهم عن النفوس والحظوظ وانقيادهم لما تدعو اليه الفطر الاولى ما
ذا قال اى النبى صلى الله عليه وسلم آنفاً اى قبل افتراقنا وخروجنا منه ساعة اى اول وقت يقرب منا من انفه الا
بالتحريك ومواتيه اوهاً واولها قال ابو حيان حال اى مبتدئاً اى ما القول ائتنفه الان قبل انفصالنا عنه ورد كونه
ظرفاً بانه تفسير معنى وانه لا نعلم احداً من النحاة عده فى الظروف وقال البغوى ويقال ائتنفت الامر ابتدأته وانف الشئ
اوله قال وقال مقاتل وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه استهزاء ماذا قال محمد قال ابن عباس رضى الله عنهما وقد سئلت فيمن سال ولما دل هذا على
المصغى من المعرض على غاية الجمود دل على غاية الشقاء فانتج قوله اولئك اى خاصة البعداء من الفهم ومن كل خير الذين طبع الله
الملك الاعظم على قلوبهم فلم يؤمنوا فلم يفهموا اهم الانتفاع لان مثل هذا الجمود لا يكون الا بذلك ولما كان الله
قد صاروا كالبهائم عطف عليه ما هو من افعال البهائم فقال واتبعوا اى بغاية جهدهم اهواءهم اى مجانبين لوازع العقل
وما هى المروة فلذلك هم بينها وبون لعظيم الكلام ويقبلون على جميع الحطام فهم اهل النار المشار اليهم قبل بآية مثل الجنة
بانهم زين لهم سوء عملهم ولما ذكرهم اقبح الذكر ذكر الذين آتاهم العلم فقال والذين اهتدوا اى اجتهدوا باستماعهم
منك فى مطاوعة داعى الفطرة الاولى الى الوقوع على الهدى بالصدق فى الايمان والتسليم والاذعان بانواع المجاهدات
زادهم اى الله الذى طبع على قلوب الجملة هدى بان شرح صدورهم ونورها بانوار المشاهدات فصارت اوعية للحكمة
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم وآتاهم تقواهم اى بين لهم ما هو اهل لان يحذر ووفقهم لاجتنابه
مخالفة للهوى فهم القسم الاول من آية توطئة المثل الذين هم على بينة من ربهم ومعنى الاضافة انه آتى كلا منهم بحسب
ما تقتضيه حالته قال ابن برجان التقوى عمل الايمان كما ان اعمال الجوارح عمل الاسلام ولما كان اشد ما يتقى العقبة
التى هم بها مكذبون بسبب عن اتباعهم للهوى قوله فهل ينظرون اى ينتظرون ولكنه جرده اشارة الى شدة قربها الا الساعة
ولما كان كانه قيل ما ينتظرون من امرها ابدل منها قوله ان تأتيهم اى تقوم عليهم وعبر بالاتيان زيادة فى
التخويف بغتة اى فجاءة من غير شعورهم ولا استعداد لها ولما دل ذلك على مزيد القرب وكان مجئ علامات الشئ
ادل على قربه مع الدلالة على عظمته قال معللاً فقد ودل على القرب بذكر الفعل فقال جاء اشراطها اى علاماتها المنذرة
بها من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وانشقاق القمر المؤذن بآية الشمس فى طلوعها من مغربها
وغير ذلك وما بعده مقدمات الشئ الا حضوره ولما كان المنجى من اهوالها تذكرها قبل حلولها للعمل بما يقتضيه
التذكر وكانت اذا جاءت شاغلة عن كل شئ سبب عن مجيئها قوله فانى اى فكيف ومن اين لهم اذا جاءتهم اى الساعة او اشراطها
المعينة لها مثل طلوع الشمس من مغربها ذكراهم لانهم فى اشغل الشغل ولو فرغوا لما تذكروا ولو تذكروا فعلوا ما افادت لفوات
وقت الاعمال وشرطها وهو العمل على الايمان بالغيب وهكذا ساعة الانسان التى تخصه وهى موته واشراطها الحاملة
على الذكرى المرض والشيب ونحو ذلك ومن اشراطها المعينة لها التى لا ينفع معها العمل الوصول الى حد الغرغرة ولما
علم بذلك ان الذكرى غير نافعة اذا انقضت هذه الدار التى جعلت للعمل او جاءت الاشراط المحققة الكاشفة لها سبب عنه
امر اعظم الخلق تكويناً ليكون لغيره تكليفاً فقال فاعلم انه اى الشان الاعظم لا اله الا الله اى انتفى انتفاء عظيماً ان يكون
معبود بحق غير الملك الاعظم فان هذا العلم هو اعظم الذكرى المنجية من اهوال الساعة وانما يكون علماً اذا كان نافعاً وانما
يكون نافعاً اذا كان مع الاذعان والعمل بما يقتضيه والا فهو جهل صرف وهذا العلم يفيد انه لابد من قيام الساعة لان الاله
واحد بذلك وهو متصف بالكمال ولا شريك له يمنعه من انجاز وعده قال القشيرى والعبد يعلم اولاً ربه بدليل وحجة فعلمه بنفسه
ضرورى وهذا هو اصل الاصول وعليه ينبنى كل علم استدلالى ثم تزداد قوة علمه بزيادة البيان وكثرة الحجج ويتناقص علمه بنفسه
لغلبات ذكر الله بقلبه فاذا انتهى الى حال المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه فى تلك الحالة ضرورياً
ويقل احساسه بنفسه حتى يصير علمه بنفسه كالاستدلالى وكانه غافل عن نفسه او ناس لنفسه ويقال الذى راى البحر
غلب عليه ما ياخذه فى الرؤية للبحر عن ذكر نفسه فاذا ركب البحر قوى هذا الحال فاذا غرق فى البحر فلا احساس له بشئ سوى
ما هو مستغرق فيه ومستهلك وهذه الكلمة من الاسرار ما يملأ الاقطار منها انها بكلماتها الاربع مركبة من ثلاثة
احرف اشارة الى الوتر الذى هو الله سبحانه والشفع الذى هو الخلق لانه تعالى ازواجاً منها حرف لسانى وحرفان حلقيان
الهاء والالف لا تغيران الالف عبر عنها بمظهرها وهو الهمزة ظاهراً مرتين وخفياً فى اداة التعريف فى الابتداء [illegible]

بلفظها

بلفظها اربع مرات فتلك سبع هى اتم العدد ولذلك بنى الخلق عليه فالسموات سبع والاراضى كذلك وذكر اشارة الى ان الاله
الحق الذى هو غيب محض انما هو علم بالتنزيل بافعاله فهى وصلة الى معرفته وهى منقسمة الى علوى وسفلى كما ان الالف التى هى كالغيب
لانها لا يمكن النطق بها ابداً انزلت فى مظهر الهمزة التى تكررت فى هذه الكلمة مرتين فى مقابلة الكونين العلوى والسفلى وبينهما
ما لا نعلمه مما حجب عنا كما خفيت همزة الوصل وعبر فى الامر بهذه الكلمة بالعلم اعلاماً بان عمل القلب هو المهم العظيم ولما
كانت حروفها حلقية ولسانية كان فى ذلك اشارة الى انه لا يكفى فى امرها الا اذعان الباطن ومطابقة الظاهر الذى هو اللسان
فهو ترجمان القلب ومتى لم يطابق اللسان القلب حيث لا مانع كان صاحبه من اهل آية الصافات واحرفها اللفظية اربعة عشر
حرفاً على عدد السموات والارض الدالة على الذات الاقدس الذى هو غيب محض والمقصود منها اسم الجلالة الذى هو الاله الحق
والجلالة الدالة عليه خمسة احرف على عدد دعائم الاسلام الخمس وترتيبه دلالة على التوحيد ولم يجعل فيها شيئاً شفهياً
لتمكن ملازمتها لكونها اعظم مقرب الى الله واقرب موصل اليه مع الاخلاص فان الذاكر بها يقدر على المواظبة عليها ولا يعلم
جليسه بذلك اصلاً لان غيرك لا يعلم ما فى وراء شفتيك الا باعلامك وكما دل الكلام على التوحيد بهذه الكلمة صريحاً دل
على كلمة الرسالة التى لا ينفع التوحيد الا بها تلويحاً بتسمية السورة سورة محمد فهى القتال لانه امر صلى الله عليه وسلم ان
يقاتل الناس حتى يصرحوا بما صرحت به السورة من كلمة التوحيد وهى سورة محمد لان التوحيد لا ينفع به دون الشهادة له بالرسالة
وبين الكلمتين مزيد اتفاق يدل على تمام الاتحاد والاعتناق وذلك ان احرف كل منهما ان نظرنا اليها خطاً كانت اثنى عشر حرفاً
على عدد اشهر السنة يكفر كل حرف منها شهراً وان نظرنا اليها نطقاً كانت اربعة عشر تملأ الخافقين نوراً وان نظرنا اليها
بالنظرين معاً كانت خمسة عشر لا يوقفهما عن ذى العرش خالق الكونين موقف وهو سر غريب دال على الحكم الشرعى الذى هو عدم
انفكاك احداهما عن الاخرى فمن لم يجمعهما اعتقاداً لم يقبل ايمانه وقدمت هذه فى هذه السورة سابقة لان لها السبق
وذكرنا الاخرى فى الفتح باثبته وسميت سورة هذه بالقتال وسورة الكلمة المحمدية بالفتح اشارة الى انه ما قاتل احد عليهما
مع الاخلاص الا فتح عليه ولا يقدر احد على مخالفته مع مناصبته الا انقاد على وجه الذل والاضطراب ولما
كان حصول التوحيد الذى هو كمال النفس موجباً للاجابة كما فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه عند الترمذى وابى يعلى ما من
مؤمن يدعو الله بدعوة الا استجيب له ما لم يدع اثماً او قطيعة رحم الحديث قال معلماً انه يجب على الانسان بعد تكميل نفسه
السعى فى تكميل غيره ليحصل التعاون على ما خلق العباد له من العبادة واستغفر اى اطلب الغفران من الله بعد العلم بانه لا غفور له
بالدعاء وبالاجتهاد فى الاعمال الصالحة لذنبك وهو كل مقام عال ارتفعت عنه الى اعلى منه واوجدها استن بك
من اساء اليك لتكثر اتباعك فان الاستقامة مهيئة للامامة ولما كان تكميل النفس مرقياً الى تكميل الغير
ليكون له مثل اجره قال تعميماً للجار معبراً بالايمان والوصف ايذاناً بان على الامة تحتاج الى ذلك لانه لا يقدر احد ان
يقدر الله حق قدره وهذا اشرف لهذه الامة حيث امر الشفيع المجاب بالاستغفار لهم وهو بالدعاء والحث على الاجتهاد
فى الاعمال الصالحة حاذفاً المضاف اشارة الى الاحتياج الى المغفرة فى كل حال لما للانسان من النقصان بالخطاء
والنسيان وللمؤمنين والمؤمنات اى الراسخين فى الايمان لانهم احق الناس بذلك منك لان ما عملوا من خير كان لك مثل اجره
ولا يخلو احد منهم من تقصير فى المعارف الالهية والعمل بموجبها او هفوة ولما كانت معرفة من يذنب ومن لا
يذنب متوقفة على احاطة العلم قال عاطفاً على ما تقديره فالله يعلم حركاتكم وسكناتكم سراً وجهراً ويعلم انكم لا بد ان تعملوا ما جبلكم
عليه من ذنوبكم لمراده ثم يسعى فى كمال نفسه وتكميل غيره بغسل الذنوب بالرجوع الى الطاعة علام الغيوب والله المحيط بجميع
صفات الكمال يعلم متقلبكم اى تقلبكم ومكانه وزمانه ومثواكم اى موضع سكونكم وقراره للراحة وكلما يقع فيه من
الثواء فى وقته فى الدنيا وفى الاخرة من حين كونكم نطفاً الى ما لا آخر له ولما كان ادل دليل على احاطة العلم علم
ما ابطنه الانسان ولاسيما ان كان مخالفاً لما اظهره قال دالاً على احاطة علمه باظهار اسرار المنافقين عاطفاً على ومنهم
من يستمع اليك ويقول على سبيل التجديد المستمر الذين امنوا اى ادعوا ذلك بالسنتهم وفيهم الصادق والمنافق الذين
علم صدقهم فى ايمانهم بالحرص على طلب الخير بتجدد الوحى الذى هو الروح الحقيقى لولا نزلت اى على سبيل التدريج وبناء للمفعول
دلالة على اظهارهم انهم صاروا فى صدقهم فى الايمان واعتقادهم ان التنزيل لا يكون الا من الله بحيث لا يحتاجون الى
التصريح به سورة اى سورة كانت لنسر بسماعها ونتعبد بتلاوتها ونعمل بما فيها كائناً ما كان ويسمو الوحى فينا
متجدداً مع تجدد الزمان ليكون ذلك انشط لنا وادخل فى تحريك عزائمنا فاذا انزلت سورة اى قطعة من القران نكا
نزولها كلها تدريجاً او جملة وزادت على مطلوبهم فى الحسن بانها محكمة اى بينة لا يلبس شئ منها بنوع اجمال ولا ينسخ لكونه
جامعاً للمحاسن فى كل زمان ومكان وذكر فيها القتال باى ذكر كان والواقع انه لا يكون الا ذكراً مبيناً انه لا يزداد
الا وجوباً وتاكيداً حتى تضع الحرب اوزارها قال البغوى وكل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى اشد القران على المنافقين

وهو مروي عن قتادة رايت اي بالعين والقلب الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين ونفاق من الذين اقروا بالايمان وطلبوا
تنزيل القران وكانوا قد اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن ينظرون اليك كراهة لما نزل عليك بعد ان حرصوا في
طلبه نظر المغشي عليه ولما كان للغشي اسباب بين ان هذا اشدها فقال من الموت الذي هو نهاية الغشي فهو لا يطرف
بعينه بل شاخص لا يطرف كراهة للقتال من الجبن والخور ولما كان هذا امرا منابذا للانسانية لانه مباعد
للدين والمروة سبب عنه اعلا التهديد فقال متوعدا لهم بصورة الدعا بان يليهم المكروه فاولى اي اشد ميل وويل وانكال
وعثار موقع في الهلكة كائن لهم اي خاص بهم وقرنه بذلك لما تقدم في اخر الانفال من زيادة ولي تدور على الميل فاذا كان
على صيغة افعل التفضيل وهو قول الاكثر جاءت الشدة وقال الاصمعي انه فعل ماض اي قاربهم ما يهلكهم او اوكلهم الله الهلاك
وقال الرضي في باب المعرفة والنكرة انه علم للوعيد وكيه وزن الفعل فلذا منع الصرف وليس فيه افعل تفضيل ولا افعل فعلا
ولا اسم فعل لان ابا زيد حكى لحاقها التانيث لدفعا لولا اولاة الان كارهة وهو من وليه الشر اي قربه قال وقيل [illegible]
بضرا لوزن لان ذلك في علم اخر ولما علم بما ذكر من التسبيب ان هذا الدعا عليهم لما تقدم من سوء ادبهم في مقالهم
وقبح ما ظهر من فعالهم حصل التشوف الى ما ينبغي لهم فقال على طريق النشر المشوش طاعة اي منهم وقول معروف اي
بالتسليم والاذعان وحسن الانقياد خير لهم مما اظهروا من المحبة في الطاعة وما افصحوا لهم عنه من الكراهة ونكر الاسمين ليكونا
صالحين للتعظيم وما دونه ثم سبب عنهما قوله مسندا الى الامر ما هو لاهله تاكيدا لمضمون الكلام فاذا عزم الامر اي فاذا امر
بالقتال الذي ذكر في اول السورة وعزم من الاوامر امرا يجزم ما به معنى وما عليه فلو صدقوا الله اي الملك الاعظم في قولهم
الذي قالوه في طلب التنزيل لكان صدقهم له خيرا لهم اي من تعللهم وتسللهم عنه لواذا على تقدير التنزل في تسليم ان في
حماحمهم عن الامر وتقاعدهم عنه نوع خير ويجوز ان يكون خيرا اسما لا للتفضيل ليفهم ان كذبهم شر لهم ولما
كان هذا استكينا لهم من اجل فتورهم عن امر الله سبب عن ذلك الفتور بيان ما يحصل منه من عظيم الفساد ويتاثر به من خراب
البلاد وشتات العباد في معرض سؤال في اسلوب الخطاب بعد التبكيت والتهديد في اسلوب الغيبة تنبيها على تناهي الغضب
وبلوغه الغاية فقال فهل عسيتم اي فتسبب عن شرعكم الى السؤال في ان يامركم الملك بما يرضيه فاذا اجابكم فرحكم بما يعلم
انه اصلح الاشياء لكم وهو الجهاد كرهتموه ووجمتم منه وقعدتم عنه ان نقال لكم لما يرى منكم من المخايل الدالة على ضعف الايمان
هل يمكن عندكم نوع امكان وتتوقعون شيئا من توقع ان يكون حالكم جديرا وخليقا لتغطية علم العواقب عنكم فتخافون من انفسكم
ولما كان المقام لذم الاعراض عن الامر فصل بين عسى وخبرها بشرطية معبر فيها بالتولي بصيغة التفعل الدال
مع نهاية الذم الى ان المعرض عن امر الله معرض عما تدعوه الفطرة الاولى لقويمه والعقل السديد الى حسنه فهو لا يعرض عنه
الا بمجاهدة منه لنفسه فقال ان توليتم اي بانفسكم عن الجهاد الذي امركم به ربكم الذي عرفكم من فوايده ما لا مزيد عليه مما
لا يتركه معه عاقل ولا يتحمل تركه الا على سبيل الفرض بما اشارت اليه اداة الشرط او حصلت توليتكم بتحصيل يحصل او جهالكم
وزينتها في اعينكم حتى فعلتموها وهذا المعنى الثاني هو المراد ببنائه للمجهول في رواية رويس عن يعقوب ان تفسدوا اي
توقعوا الافساد العظيم الذي يستمر تجدده في الارض بغيا لكراهة الله وسخطه ويغضب اشد غضب على فاعله وتكونوا
في غاية الجرأة عليه فان الذي حكم بانزال ما انزل حكم بان من جنح عما يرضيه رغبة في الاخرة اجراه على ما يسخطه حبا في
الدنيا وقد كنتم في الجاهلية على ذلك في اغارة من بعضكم على بعض ونحو ذلك وتقطعوا تقطيعا كثيرا منتشرا كبيرا ارحامكم
فتكونوا بذلك اعزة على المؤمنين كما كنتم اذلة على الكافرين واقل ما في اعراضكم خذلانكم للمؤمنين المجاهدين بما قد يكون سببا
لظهور الكافرين عليهم فتكونوا بذلك قد جمعتم بين قطيعة ارحامكم وفقدكم لما كان يصل لكم من منافعهم فان كففتم بعد ذلكم عن
قتلتهم كنتم مع ما فاتكم من خيرهم لجبن الطباع وارضاتم بالفساد وان تعاطيتم الاخذ بثاراتهم كنتم ممن اجتهد في قتل ما امر به بعد قوله
وانه ذلك وقد علم من هذا ان من امر بالمعروف وجاهد اهل المنكر امرا لافساد في الارض وقطيعة الرحم ومن تركه وقع فيهما
ويمكن ان يكون توليتم من ولاية الامر فتكون الاية مشيرة الى ولاية الحجرة ومنذرة بذلك ان اضيع الامر بالمعروف وقد وقع ذلك
وشوهد ما انبنى عليه من الفساد والقطيعة وعظايم الانكاد وسوء الصنيعة ولما بين لهم ما يكون ممن تناقل
عن امر الله لان الملك لا يطرق احما الا في شيء الا وهو واقع فرقا بين كلامه وكلام غيره فليعلم ملك الملوك المحيط بكل شيء قدرة وعلما
بين حالهم الذي انتجه لهم ذلك فقال ملتفتا عنهم ايذانا بالغضب مخاطبا من جبل على الشفقة على خلق الله والرحمة لهم اعلاما له
بان هؤلاء قد ختم شقاوهم فليسوا باهل للشفاعة فيهم ولا للاسى عليهم اولئك اي البعداء البغضاء الذين لعنهم الله اي
طردهم اشد الطرد الملك الاعظم لما ذكر من افسادهم وتقطيعهم ثم سبب عن لعنهم قوله فاصمهم عن الانتفاع بما يسمعون
واعمى ابصارهم عن الانتفاع بما يبصرون فليس سماعهم سماع ادكار ولا ابصارهم ابصار اعتبار فلا اسماع ولا ابصار
ولما الخبر بذلك فكان ربما سال من لا يعي الكلام حق وعيه عن السبب الموجب للكفر المسبب للصمم والعمى اجابه

بقوله منكرا

منكرا عليهم مظهرا للتاء المتفعل اشارة الى ان المامور به صرف جميع الهمة الى التامل افلا يتدبرون اي كل من له اهلية
التدبر بقلوب منفتحة منشرحة لهمته والى كل خير القران بان يجهدوا انفسهم في ان يتفكروا في الكتاب الجامع لكل خير
الفائق بين كل لبس تفكر من ينظر في ادبار الامور وماذا يلزم من عواقبها ليعلموا انه لا عون على الاصلاح في الارض وصلة
الارحام والاخلاص لله في لزوم كل طاعة والبراءة من كل معصية مثل الامر بالمعروف من الجهاد بالسيف وما دونه وربما
دل اظهار التاء على ان ذلك من اظهر ما في القران من المعاني فلا يحتاج في العثور عليه الى كبير تدبر والله اعلم ولما
كان الاستفهام انكاريا فكان معناه نفيا فهو لكونه داخلا على النفي نفي له فصار اثباتا فكان كانه قيل هل يجدون التدبر
تدبرا مستمرا الترق قلوبهم به وتنير بصائرهم له فيكفوا عن الافساد والتقطيع عادله بقوله مشبها للقلوب بالصناديق
دالا على ذلك التشبيه بذكر ما هو مختص بالصناديق من الاقفال ام على قلوب من قلوب الفاعلين لذلك ونكرها للتبعيض
ولتحقيرها بتعظيم قسوتها اقفالها اي الحقيقة لها الجديرة بان تضاف اليها فهي لذلك لا تعي شيئا ولا تفهم امرا ولا تزداد
الا غباوة وعنادا لانها لا تتقد على التدبر قال القشيري فلا تدخلها زواجر التنبيه ولا ينبسط عليها شعاع العلم فلا
يحصل لهم فهم الخطاب والباب اذا كان مقفلا فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج ما فيه فلا الكفر الذي فيهم يخرج ولا الايمان الذي يدعو
اليه يدخل انتهى والاضافة تشعر بان بعض المتولين على قلوبهم اقفال لكن ليست متمكنة منها فهو سبحانه يفتحها
بالتوبة عليهم اذا اراد واما الاولون فلا صلاحية لهم وفي هذه الايات اعظم حاث على قبول امر الله لا سيما الجهاد
واشد زاجر عن الاعراض عنه لان حاصلها انه لعن من اعرض عنه لكونه لا يتدبر القران مع وضوحه ويسره ليعلم فوايد
الجهاد الداعية اليه المحببة فيه فكان كان قلبه مقفلا والاية من الاحتباك ذكر التدبر اولا دليلا على ضده ثانيا
والاقفال ثانيا دليلا على ضدها اولا وسره انه ذكر نتيجة الخير الكافلة بالسعادة اولا وسبب الشر الجامع للشقاوة
ثانيا ولما اخبر تعالى باقفال قلوبهم بين منشا ذلك فقال موكدا لنفيهما المر لا يهتم به على انه مما ينبغي الاهتمام
بالنظر فيه ليخلص الانسان نفسه منه وتكذيبا لمن يقول ان ذلك حسن ان الذين ارتدوا اي عالجوا نفوسهم في منازعة
الفطرة الاولى في الرجوع عن الاسلام وهو المراد بقوله على ادبارهم اي من اهل الكتاب وغيرهم فقلبوا وجوه الامور الى
ظهورها فوقعوا في الضلال فكفروا ولما كان الذي يلامون عليه ترك ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم مما
اوحاه الله اليه من الشريعة لا ما في عن ابرهيم من الملة التي يكفي في الهداية اليها نور العقل وكان الذم لاحقا بهم
ولو كان ارتدادهم في ادنى وقت اثبت الجار فقال من بعد ما تبين غاية البيان لهم بالدلايل التي هي من شدة ظهورها
غنية عن بيان مبين الهدى اي الذي اتاهم به رسولنا ولما كانوا اقدامهم قوابل لك انفسهم وابعد وهابه عنه
البعد عن كل خير عبر عن المغوي بما يدل على ذلك فقال الشيطان اي المحترق باللعنة البعيد من الرحمة سول اي حسن لهم
بتزيينه واغوايه الذي حصل لهم منه استرخا في عزايمهم وفتور في هممهم تجرؤا معه في مراده في طول الامل والاكتساب
من مواقعة الزلل والاماني من جميع الشهوات والعلل بعد ان زين لهم سوء العمل تمكين الله له منهم واملى لهم اي اطال في
للتوسع بتكرار ذلك عليهم على تعاقب الملوين ومر الجديدين حتى نسوا المواعظ واعرضوا عن الذكر هذا على قراءة الجماعة
بفتح الهمزة واللام واما على قراءة البصريين بضم الهمزة وكسر اللام فالمراد ان الله تعالى هو المملي اي الممهل باطالة العمر
واسباغ النعم وتسهيل الاماني والحلم عن المعاجلة بالنقم حتى اغتروا وهي موافقة لقوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا
يعلمون واملي لهم اما في قراءة ابي عمرو بفتح اليا فهو فعل ماض مبني للمفعول ودل على ان المملي هو الله سبحانه وقراءة يعقوب باسكان
اليا على انه مضارع همزته للمتكلم ولما بين تسليط الشيطان عليهم بين سببه فقال ذلك اي الامر
البعيد من الخير وما دل عليه صريح العقل بانهم اي بسبب ان هؤلاء المتولين قالوا للذين كرهوا ما اي جميع ما نزل الله اي
الملك الاعظم على التدريج بحسب الوقايع من بلاغة اعجاز الخلق في بلاغة التركيب مع فصاحة المفردات وجزالتها مع السهولة
في النطق والعذوبة في السمع والملاءمة للطبع كما يشهد به كل ذوق من الاغبيا والاذكيا على تباينهم في مراتب الغباوة والذكا
والاعجاز اعرابهم في رصانة المعنى وحكمته وتالف في مطابقته للحال التي اقتضى نزوله مطابقة يعجز الخلق عن الاتيان بمثلها
ورابع بنظمه مع ما نزل قبله من الايات على ترتيب الكلام النزول بل على ما اقتضته الحكمة التي تتضاءل دونها الافكار
وتولى حاشية من جلالتها على الادبار بصاير اولي الالباب بصائر وهؤلاء المقول لهم هذا الكلام هم والله اعلم
المصارحون بالكفر قالوا لهم بعد هذه الادلة من الاعجازات وما تقدمها من الايات البينات سنطيعكم بوعد صادق
لا خلف فيه في بعض الامر وهو القتال في سبيل الله الذي تقدم عند نزول سورة ذكره بصيغة كالذي يغشى عليه من الموت
فانتم في امان من ان نسالكم ابدا فانا انما اسلمنا للاحاطة على ما بيننا واموالنا والذي نحبه مما نزل مع التامين من اقر بكلمة
الاسلام والقناعة منه بالظاهر والوعد العام بالتبسط في البلاد والتوسعة في الارزاق ونحو ذلك فكانوا

بذلك كفرة فان الدين لا يتجزأ فمن اضاع من اصوله شيئا فقد اضاعه كله وان التقييد بالبعض يفهم انهم لا يطيعونهم في البعض
الآخر وهو اظهار الاسلام والنصر بصورة المسالمة وذلك كله بان الله تعالى جبلهم جبلة هيام بها المثل هذا انما قالوه
مضيعين لما من عليهم من غريزة العقل مستخفين الى مجاري عادتنا لاحسانهم طاعة العدو مع تغييب علم العواقب عنهم ان يخذلوا
وتسلط عليهم ليكون احدهم في الظاهر ممن الطاعوا في الباطن ولو انهم استمسكوا بدينهم وكانوا مع اهله يدا على من سواهم
لم يبق لهم عدو ولا طرقهم طارقة يكرهونها بسوء ولما كان من له ادنى عقل لا يخون الا اذا ظن ان خيانته
تخفى لا سيما من عاقبتها سوء وقباحة ما ارتكبوه فقال **والله** اي قالوا ذلك والحال ان الملك الاعظم المحيط بكل شيء علما وقدرة
يعلم على مر الاوقات **اسرارهم** اي كلها هذا الذي افشاه عليهم وغيره مما في ضمائرهم مما لم يبرز على السنتهم وكعلمه لم
يعلمه من نصلاء عن افواههم التي تحدثت بها السنتهم فبان بذلك انه لا اديان لهم ولا عقول ولا مروات ولما
بين تعالى احاطة علمه بهم اتبعه احاطة قدرته فقال مسببا عن خيانتهم وهم في القبضة مما لا يخفى مما يريدونه صيانة الفهم
عن العقل معبرا بالاستفهام منبها على احوالهم فيما يجازون به على هذا الاستحقاق لما من البشاعة والقباحة والفظاعة يحق
السؤال عنه لاجله فقال **فكيف** اي حالهم **اذا توفتهم الملائكة** اي قبضت رسلنا وهم ملك الموت واعوانه ارواحهم كاملة
ناقلين لها الى دار الجزاء مقطوعة عن جميع اسبابهم وانسابهم فلم ينفعهم تقاعدهم عن الجهاد في تأخير آجالهم وصور حالهم وقت
توفيهم فقال **يضربون** اي يتابعون في حال التوفية ضربهم **وجوههم** التي هي اشرف جوارحهم التي جبنوا عن الحرب صيانة
لها عن ضرب الكفار ولما كان حالهم في جبنهم مقتضيا لضرب الاقفاء صوره باشنع صوره فقال **وادبارهم** التي ضربها
اول ما يكون على هوان المضروب وسفالته ثم تتصل بعد ذلك الآلام وعذابهم وهوانهم الى ما لا آخر له ولما
كان كفران النعم يوجب مع احلال النقم ابطال ما تقدم من الخدم قال **ذلك** اي الامر العظيم الاهانة من فعل رسلنا بهم
بانهم اتبعوا اي عالجوا فطرهم الاولى في ان تبعوا **ما اسخط الله** اي الملك الاعظم وهو العمل بمعاصيه من موالاة اعدائه
ومناواة اوليائه وغير ذلك ولما كان فعل ما يسخط قد يكون مع الغفلة عن انه يسخط بين انهم ليسوا كذلك فقال
وكرهوا بالاشراك **رضوانه** بكراهتهم اعظم اسباب رضاه وهو الايمان ثم لما دونه بالقعود عن ساير الطاعات اكره
لانه للظاهر غاية الظهور في انه مسخط فاعله غير معذور في ترك النظر فيه **فاحبط** اي فلذلك تسبب عنه انه ابطل
اعمالهم الصالحة فاسقطها بحيث لم يبق لها وزن اصلا لتضييع الاساس من مكارم الاخلاق من قرى الضيف والاخذ بيد
الضعيف والصدقة والاعتاق وغير ذلك من وجوه الارفاق ولما صور سبحانه ما انتجه خيانتهم بافتح صوره
وبان به انه ما حملهم على ما تعلقوا الا جهلهم وسفاهتهم فانتج اهانتهم بالتبكيت فقال عاطفا على ما تقديره اعلموا حين قالوا
ما يسخطنا انا نعلم سرهم ونجواهم وان قدرتنا محيطة بهم ليكونوا امرا وظنوا انفسهم على انا نظهر للناس ما يكمنونه ونأخذهم
اخذا وبيلا فيكونوا اجهل الجهلة **ام** حسبوا الضعف عقولهم عما افهمه التعبير بالحسبان هكذا كان الاصل ولكنه عبر
بما دل على الآفة التي ادتهم الى ذلك فقال **حسب الذين في قلوبهم** التي اذا فسدت فسدت جميع اجسادهم **مرض** اي آفة لا طب
لها حسبانا هو في غاية الثبات بما دل عليه التاكيد في قوله **ان لن يخرج الله** اي بما له من هو محيط بصفات الكمال للرسول
صلى الله عليه وسلم والمومنين رضوان الله عليهم على سبيل التجديد والاستمرار **اضغانهم** اي ميلهم وما يبطنونه في دواخل
اكتنافهم من اعوجاجهم الدال على احقادهم وبيانهم كامنون عداوة في قلوبهم مضرون عليها ينتظرون لها الدواير لانتهاز فرصتها
ليس الامر كما توهموا بل الله يفضحهم ويكشف تلبيسهم ولما علم من ذلك احاطة علمه سبحانه وشمول قدرته علم
ما له سبحانه من باهر العظمة وقاهر العزة فنقل الكلام الى اسلوبها منبها على ذلك عاطفا على ما تقديره خابت ظنونهم وتالله
ارأوهم فلنخرجن ما يبطنون في سترهم حتى لا ندع منه شيئا يبدون اخفاءه الا كشفناه وابديناه للناس واوضحناه فانا نعلمه
ونعلم ذلك منهم من قبل ان نخلقهم فلو نشاء لفضحناهم حتى يعرفهم الناس اجمعون فلا يخفى منهم احد على احد منهم فقال **ولو**
ويجوز ان تكون واوه للحال اي ام حسبوا ذلك والحال انا لو **نشاء** اي وقعت منا مشيئة الآن او قبله او بعده ولما كانوا
لشدة جهلهم لا يتصورون ان اسرارهم كلها معلومة مقدور على ان يعلمها بشر مثلهم اكد قوله **لاريناكهم فلعرفتهم**
اي فتعقبت رؤيتك اياهم معرفتك لهم انت بخصوصك **بسيماهم** اي بسبب علاماتهم التي نجعلها عالية عليهم غالبة لهم
في اظهار ضمايرهم غلبة لا يقدرون على مدافعتها بوجه ولم نذكرهم سبحانه باسمائهم ابقاء على قرابتهم المخلصين من الفتن
ولما انتفى ما علق بالمشيئة مما كان ممكنا له في الماضي وغيره عطف عليهم ما عليه ما يجزم له مما كشف من امرهم
في المستقبل فقال مؤكدا الاستبعاد من يستبعد ذلك منهم او ممن شاركهم في مرض القلب من غيرهم فقال في جواب قسم محذوف دل
عليه باللام **ولتعرفنهم** اي بعد هذا الوقت معرفة تتجدد بحسب تجدد اقوالهم مستمرة باستمرار ضمايرهم الخبيثة واسرارهم
في لحن القول اي الصادر منهم وحكمه فحواه اي معناه ومذهبه وما يدل عليه ويلوح به من ميله عن حقايقه الى عواقبه وما

تؤول اليه امره مما يخفى على غيرك وقال ابن برجان هو ما تنحوا اليه بلسانك اي تميل اليه ليفطن لك صاحبك وتخفيه على من
لم يكن له عهد بمرادك وعلى القول بالتحقيق فلحن القول ما يبدو من عرض الكلام وحقيقات الخطاب وسياق اللفظ وهيئة النجه
حال القول وان لم يرد المتكلم ان يظهر ولكنه على الاغلب يغلبه حاله فلا يقدر على كل كتمه وان كان في تكليفه متعمدا
على ذلك وحقيقته حال البوح عن السر واظهار كلام للباطن كما دينا في كلام اللسان بحال لحقيقة ومعاني يقف عليها
باطن المخاطب وقال

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا ● واللحن يعرفه ذوو الالباب

وقال آخر

عنا لمده لنا عيناي مثل على ● اشياء لولاهما ما كنت ادريها

وقال ابو حيان كانوا اصطلحوا على الفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح
وقال الاصبهاني وقيل للمخطي لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب وقال البغوي واللحن وجهان صواب وخطأ فالفعل
من الصواب لحن يلحن لحنا فهو لحن اذا فطن للشيء والفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا فهو لاحن والاصل فيه ازالة الكلام عن جهته
قال فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه وقال الثعلبي وعن انس رضي الله عنه ما خفي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في غزوة وفيها سبعة
المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا على جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق ومثل ابن عباس رضي الله عنهما
بقولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب قال ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب ولما اخبر سبحانه انه يعلم
ظواهرهم وبواطنهم وانه يجليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم في صور ما يجنونه من اقوالهم واكد ذلك لعلمه بشكهم
فيه واجههم بالتبكيت زيادة في اهانتهم عاما لغيرهم اعلاما بانه محيط بالكل فقال عاطفا على ما تقديره فالله يعلم
اقوالكم **والله** اي بما له من الكمال **يعلم اعمالكم** كلها الفعلية والقولية جليها وخفيها علما ثابتا غيبيا وعلما الحا
شهوديا يتجدد بحسب تجددها مستمرا باستمرار ذلك ولما اخبر سبحانه انه يعرفهم لنبيه صلى الله عليه
وسلم اتبعه الاخبار بانه يعرفهم لكافة المومنين ايضا فقال مؤكدا لاجل ظنهم ان عندهم من الملكة الشديدة
والعقل الرصين ما يخفون به امورهم **ولنبلونكم** اي نعاملكم معاملة المبتلي بان نخالطكم بما لنا من العظمة بالاوامر
الشديدة على النفوس والنواهي الكريهة اليها والمصايب خلطه مميله محيلة وهكذا التقدير في الفعلين الاتيين في
قراءة الجماعة بالنون جريا على الاسلوب الاول وفي قراءة ابي بكر عن عاصم بالياء الضمير لله تعالى الذي هو محيط بصفات
العظمة الراجعة الى القهر وغيرها من صفات الاكرام الآيلة الى الانعام فهو في غاية الموافقة لقراءة النون **حتى نعلم**
بالابتلاء علما شهوديا يتبعه غيرنا مطابقا لما كنا نعلمه علما غيبيا فنستخرج من سرايركم ما كوناه فيكم وجبلناكم عليه مما
لا يعلمه احد منكم بل ولا تعلمونه انتم حق علمه **المجاهدين منكم** في القتال وفي ساير الاعمال والشدايد والاهوال امتثالا
للامر بذلك ولما كان عماد الجهاد الصبر على المكاره قال تاكيدا للامر **والصابرين** اي على شدايد الجهاد وغيره
من الانكاد قال القشيري فبالابتلاء والامتحان تتبين جواهر الرجال فيظهر المخلص وينفضح المماذق وينكشف المنافق
ولما نصب معيارا للعلم بالذوات اتبعه مسبارا للمعرفة للاخبار فقال عاطفا على نعلم في رواية الجماعة
وعلى نبلو في الرواية عن يعقوب باسكان الواو **ونبلو اخباركم** اي نخالطها بان نسلط عليها من يحرفها فيجعل حسنها قبيحا
وقبيحها مليحا ليظهر للناس العامل لله والعامل للشيطان فان العامل لله اذا سمي قبيحه باسم الحسن علم ان ذلك لطف
من الله اليه فيستحيي منه ويرجع اليه واذا سمي حسنه باسم القبيح واشتهر به علم ان ذلك لطف من الله به ليلا يدركه
العجب او يهاجمه الرياء فيزيد في احسانه والعامل للشيطان يزداد في القبايح لان شهرته عند الناس محط نظره ويرجع
عن الحسن لانه لم يوصله الى ما اراد به من ثناء الناس عليه بالخير ولم يؤكد نبلو في قراءة يعقوب اشارة الى ان حاله
حال المجهر بعد ظهوره خبر اسهل من حاله قبل ظهوره وعن الفضيل انه كان اذا قرا هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلنا
فانك ان بلوتنا هتكت استارنا وفضحتنا ولما جرت العادة بان الانسان لا يعذب ويهدد الا من ضره كان ربما
تقدم من الاخبار ربك لهم وقبيح اعمالهم منشأ للسؤال عن ذلك فاستانف قوله مؤكدا لظنهم انهم الغالبون لحزب الله
ان الذين كفروا اي غطوا ما دلتهم عليه عقولهم من ظاهر آيات الله لا سيما بعد ارسال الرسول المؤيد بواضح المعجزات
صلى الله عليه وسلم **وصدوا** اي امتنعوا ومنعوا غيرهم زيادة في كفرهم **عن سبيل الله** اي الطريق الواضح الذي نهجه الملك
الاعظم ولما كان اكثر السياق للمساترين بكفرهم ادغم في قوله **وشاقوا الرسول** اي الكامل في الرسلية المعروف
غاية المعرفة ولما كان سبحانه قد عفا عن اهمال الدليل العقلي على الوحدانية قبل الارسال قال مثبتا الجار اعلاما
بانه لا يغفر لمضيعه بعد الارسال ولو في ادنى وقت **من بعد ما تبين** اي غاية التبين بالمعجز **لهم الهدى** بحيث صار ظاهرا
بنفسه غير محتاج بما اظهره الرسول من الخوارق الى مبين ومنه ما اخبرت به الكتب القديمة الالهية ولما كان

المناصب للرسول انما ناصب من ارسله دل على ذلك بقوله معربا له من الفاء دلالة على عدم التسبيب بمعنى ان عدم هذا الضرر موجود
عملوا او لم يعملوا امعربا له من الفاء دلالة على عدم التسبيب وجدوا او لم يوجدوا ولن يضروا الله اى ملك الملوك ولم يقل الرسول
شيئا اى كثيرا او لا قليلا من ضرر بما جمعوا عليه من الكفر والصد ولما كان التقدير انما ضروا انفسهم باجرا بانهم اتعبوها
بما لم يغن عنهم شيئا عطف عليه وسيحبط اى بوعد لا خلف فيه اعمالهم من المحاسن لبنائها من المنافق على غير اساس
ثابت فهو انما يرائي بها ومن المجاهر على غير اساس اصلا فلا ينفعهم شي منها ومن المكائد التي يريدون لها توهين الاسلام وجعله بهم
بها في تدبيرهم لها وان تناهوا في احكامها فلا تثمر لهم الا عكس مرادهم سوا ولما جرى ما تقدم كله من ترغيب
المخلص وترهيب المتردد المبطل الى الاخلاص ودعا الى ذلك مع بيان انه لا غرض اصلا وانما هو حكمة ولطف واحسان
ومن انتج قوله مناديا من احتاج الى النذار من نوع بعد لاحتياجه الى ذلك وعدم منادرته قبله يايها الذين امنوا اى اقروا
بالسنتهم اطيعوا الله اى الملك الاعظم تصديقا لدعواكم طاعة بشدة الاجتهاد فيها انها خالصة وعظم الرسول
صلى الله عليه وسلم بافراده فقال واطيعوا الرسول لان طاعته من طاعة الذي ارسله فاذا فعلتم ذلك حققتم انفسكم
واعمالكم كما مضى اول السورة فتكون صحيحة ببنائها على الطاعة بتصحيح النيات وتصفيتها مع الاحسان للصورة في الظاهر
ليكمل العمل صورة وروحا ولما كانت الطاعة قد تحمل على اقامة الصورة الظاهرة فاكد بنهيها على الاخلاص ليكمل حسنا
ومعنى ولا تبطلوا اعمالكم اى بمعصيتهما فان الاعمال الصالحة اذا نوى بها من لا يرضيها بطلت وان كانت في الذروة من حسن الصورة
لكانت صورة بلا معنى فهي مما يكون هباء منثورا مثل ما تفعل اولئك المظهرون للايمان المبطنون للمشاققة بالنفاق والريا
والعجب والمن والاذى ونحو ذلك من المعاصي ولكن السياق بسابقه ولاحقه يدل على ان الكفر هو المراد الاعظم بذلك والاية
من الاحتباك ذكر الطاعة اولا دليلا على المعصية ثانيا والابطال ثانيا دليلا على الصحة اولا وسره انه امر بما به السعادة ونهى
عن نهاية الفساد ثانيا لانه اعظم في النهي عن الفساد لما فيه من تقبيح صورته وهتك سريرته ولما دل لما اخبر به
اولا عن المنافقين على انهم مغلوبون في الدنيا خاسرون في الاخرة وكانت الخسارة في الاخرة مشروطة بشرط علل ما امر
المؤمنون هنا من الطاعة ونهوا عنه من ابطال الاعمال بالمعصية زيادة في حثهم على ما امر به بعلتين كل منهما مستقل بامتثال الامر
واجتناب نهيه احديهما عدم المغفرة والثانية بطلان الاعمال والاموال بكون الدنيا لا حقيقة لها وقدم الاولى لان الثانية
وهي ان الدنيا لعب كالعلة الحاملة على ما اوجبها ومن حسن التعليم بيان الحكم ثم تعليله باقرب ما يحمل عليه او يبعد عنه فكانه
قيل لا تبطلوها بالصد عن سبيل الله الحامل عليه الاقبال على الدنيا التي هي عين الباطل فانكم ان فعلتم ذلك فاتتكم المغفرة ولك
من معنى قوله تعالى مؤكدا لانكارهم مضمونه ان الذين كفروا اى اوقعوا الكفر بفعلهم فعلا لسانا لما دل عليه عقله من ايات الله
المرئية ثم المسموعة وصدوا عن سبيل الله اى طريق الملك الاعلى الواضح المستقيم الموصل الى كل ما ينبغي ان يقصد كل من اراده
بتماديهم على باطلهم واذاهم لمن خالفهم ولما كان هذا امرا قبيحا من جهات عديدة لما فيه من مخالفة الملك الاعظم
المرهوب بطشه المحذورة سطوته ومن ترك الواسع الى الضيق والمستقيم الى المعوج والموصل الى الفوز الى الموصل الى
الخيبة فكان التمادي فيه في غاية البعد نبه على ذلك باداة التراخي فقال ثم ماتوا اى بعد امد لهم في مضمارهم بالتطويل
اعمارهم وهم اى والحال انهم كفار ولما كان السبب الاعظم في الاحباط الموت على الكفر نبه عليه بالفاء الدالة على ربط
الجزاء بالشرط وتسببه عنه فقال مؤكدا له لانكارهم ذلك فلن يغفر الله اى المحيط بجميع صفات الكمال التي تمنع من تسوية
المسيء بالمحسن لهم فلا يمحو ذنوبهم ولا يستر عيوبهم بل يفضح سرائرهم ويوهن كيدهم ويردهم على اعقابهم في كل ما تقلبوا فيه
لانهم قد ابطلوا اعمالهم بالخروج عن دائرة الطاعة فلم يبق لهم ما يغفر لهم بسببه وقد دلت هذه الاية على ما دلت عليه اية
البقرة من ان احباط العمل في المرتد مشروط بالموت على الكفر ولما قدم سبحانه ذم الكفرة وانه عليم وانه
يبطل اعمالهم في الدنيا في الحرب وغيرها وختم بان عداوته لهم مستحكمة لا انفكاك لها وكان ذلك موجبا للاجتراء عليهم سبب عنه
قوله مرغبا لهم في لزوم الجهاد محذرا من تركه فلا تهنوا اى تضعفوا ضعفا يؤديكم الى الهوان والذل وتدعوا اى اعداءكم
الى السلم اى المسالمة وهي الصلح وانتم اى والحال انكم الاعلون على كل من ناواكم لان الله عليهم ثم عطف على الحال قوله والله
اى الملك الاعظم الذي لا يعجزه شيء ولا كفؤ له معكم اى بنصره ومعونته وجميع ما يفعله الكريم اذا كان مع غيره ومن
علم ان سيده معه وعلم انه قادر على ما يريد لم يبال بشيء اصلا ولن يتركم اعمالكم اى يسلبكموها ويجعلكم وترا منها بمعنى
انه يبطلها كما يفعل مع اعدائكم في احباط اعمالهم لانكم منصورون مغفور عنها لانكم لم تبطلوا اعمالكم بجعل الدنيا محط امركم
فلا يجوز لامام المسلمين ان يجيب الى المسالمة الكفار وبه قوة على مدافعتهم ولا يحل له ترك الجهاد الا لمعنى يظهر فيه
النظر للمسلمين ومتى لم يجاهد في سبيل الله انصرف باسه الى المسلمين ولما اتم العلة الاولى اقبل على الثانية
الصادرة عن الطاعة الغاية الى المعصية الملائمة للشهوة المبطلة للاعمال الموجبة للتهاون المؤدي الى عدم المغفرة فقال مرغبا

في

في طاعته الموجبة للعلو الدائم ببيان قصر ايام المحنة وتجرع مرارات المشقة انما الحيوة واشار الى دناءتها تنفيرا عنها
بقوله الدنيا ولما كان مطلق العلو موجبا لاعظم اللذاذة فكيف اذا كان موجبه الدين الضامن لدوام اللذة موصولا
بدنوها بالاخرة وكان اللعب ما يغشاه من زيادة البسط وينقضي بسرعة مع دلالته على الخفة كالرقص ونحوه اشارة الى
ان العاقل من يسعى في زيادة بسط يحمل على لزامه ويدوم واتبعه اللهو لانه ما يستجلب به السرور كالغنا اشارة الى
انه ان كان المراد بالدنيا زيادة بسطها فهو ينقضي بسرعة مع ما فيه من الرعونة وان كان المراد اصل البسط
والسرور وتقدم منه بالعلو الحاصل لكم بالجهاد ما هو في غاية العظمة والجد والثبات فلا سفه اعظم من العدول عنه
الى ما ان يحمل على الطيش وانقضى بسرعة لعب اى اعمال ضايعة سافلة تزيد في السرور ما يسرع اضمحلاله فيبطل
من غير ثمرة ولهو اى مشغلة يطلب بها اثارة اللذة كالغنا وحيرة وغفلة فان تتبعوها تكفروا وتبطروا او تحتربوا
على الله وان تكفروا به وتحتربوا عليه تبطل اجوركم فلا يكون لكم اجر ولا اموال لانه تبطل اعمالكم واموالكم بكونها تصير
صورا لا معاني لها ولما صور سبحانه الدنيا بالامور هاعند الجاهل وامضها عند العاقل وحاصله انها
زيادة سرور لمن كان مسرورا واستجلاب له لمن كان مضرورا لكنه سريع الانصرام بخلاف ثمرة الاجتماع على الدين
من سرور العلو بالاسلام فانه باق على الدوام علم ان التقدير بنا على ما تبع وصف الدنيا والاخرة جد وعمل وحضور
فان تعقلوا اعلمها تؤمنوا وتتقوا فلا تحد عنكم الدنيا على دناءتها عن نيل الاخرة بالجهاد الاكبر والاصغر على مشقتهما وشرفه
قال بانيا على ما ارشد السياق الى تقديره وان تؤمنوا وتتقوا اى تخافوا فتجعلوا بينكم وبين غضبه سبحانه وقاية
من جهاد اعدائه ومقاساة نصب انفاد الحروب وحر الامر بالمعروف وانفاق الاموال في ذلك فتكونوا جادين تتركوا
اللهو واللعب الغايدين الى الكفر يؤتكم اى الله الذي تعلمتم ذلك من اجله في الدار الاخرة اجوركم اى ثواب كل اعمالكم
لبنائها على الاساس ولانه غني لا ينقصه الاعطاء والاية من الاحتباك ذكر الحيوة الدنيا واللهو واللعب اولا دالا على ذكر
الاخرة والجد ثانيا وذكر الايمان والتقوى ثانيا دالا على حذف ضدهما الكفران والجراءة اولا وسره ان تصوير الشي بحال
الصبي والسفيه اشد في الزجر عنه عند ذوي الهمم العالية وذكر الاجر المرتب على الخوف الذي هو فعل الحزمة اعون
على تركه ولما كان الملعوب به الملهو منه يسل اللاعب اللاهي من ماله ولا يمنع عند سواله فيكون سببا
لضياع اعماله وامواله بين ان المعبود بخلاف ذلك في الامرين وانه يعطي ولا ياخذ لنفسه وانما اخذ امر بمواصلة
بعضكم لبعض فقال ولا يسئلكم اى الله في الدنيا اموالكم اى لنفسه ولا كلها وهذا مفهم لانهم ان لم ينفقوا ما ذكر
سلط عليهم من ياخذ اموالهم بما يخرج اضغانهم فكان من يرجى ومتى سئلوا اموالهم بخلوا فان كرهوا على ذلك احنوا
ضغاين وحقايد ولم يبق من الامام لهم نصيحة ولا منهم للامام ولا لبعضهم لبعض وكان الخلاف وفي ذلك الخلاف عنه
وهو انذار منه سبحانه بما يكون بعد وما انذر شيئا الا كان منه ما شاء الله ولما كان الانسان لما جبل عليه
من النقصان قد يميل جميع ما له لهوا ولعبا بالمقامرة ونحوها ولا ينهاه ذلك بل لا يزيده الا اقبالا رجاء ان يظفر
ولو سئل جميع ماله في الطاعة لبخل قال تعالى ذاكرا لهم ذلك تنبيها عليه ايماء الى حلمه تعالى عنهم وتحببه اليهم معللا
ما قبله ولما كانت الاموال قد تطلق على معظمها حقق المعنى بقوله ان يسئلكموها اى الاموال كلها فيحفكم
اى يبالغ في سؤالكم ويبلغ منه الغاية حتى يستاصلها فيجهدكم بذلك تبخلوا فلا تعطوا شيئا ويخرج اى الله او المصدر
المفهوم من تبخلوا اذ لك السوال اضغانكم اى ما يكتم عنه حتى يكون احد لك عداوة وحقدا وقد دل اضافة الاضغان
الى ضميرهم ان كل انسان ينطوي لما له من النقصان على ما جبل عليه من الاضغان الا من عصم الرحيم الرحمن قال الرازي
وهذا دليل على ان العبد اذا امتنع من مواسم الخيرات سوى الزكاة لم يخرج من البخل فحد البخل منع ما يقتضيه الشرع
والمروة فلابد من مراعاة المروة ودفع قبح الاحدوثة وذلك يختلف باختلاف الاشخاص وقد المادة مهما ظهر له
ان قباحة البذل اعظم من قباحة الامساك ثم يشق عليه البذل فهو بخيل محب للمال والمال لا ينبغي ان يحب لذاته هو
بل لفائدته وحفظ المروة لفضل واقوى من الشبع بالاكل الكثير مثلا ولما اخبر ببخلهم لو سئلوا
جميع اموالهم او اكثرها دل عليه بمن يبخل منهم عما سأله منهم وهو جزء يسير جدا من اموالهم فقال منبها لهم على حسن
تدبيره لهم وعفوه عنهم عند من جعلها للتنبيه ومن جعل الهاء بدلا من همزة استفهام جعلها للتوبيخ والتقريع
لانه من حق من دعاه مولاه ان يبادر الاجابة مسرورا فضلا ان يبخل وفي ها التنبيه والاسماء عندي من بري تكريرها
تاكيد الاجل استبعادهم ان احدا يبخل عما يامر الله به سبحانه هانتم وحقر امرهم او احضرهم في الذهن وصوره بقوله
هؤلاء تدعون اى الى ربكم الذي لا يريد بدعائكم الا نفعكم واما هو فلا يلحقه نفع ولا ضر لتنفقوا شيئا يسيرا من
الزكاة وهو ربع العشر ونحوه ومن نفقة الغزو وقد يحصل من الغنيمة اضعافها والاجر وقد يحصل من المتجر اكثر وقد عم

ذلك وغيره بقوله في سبيل الله اي الملك الاعظم الذي يرجى خيره ويخشى ضيره بخلاف من يكون وما يكون به اللهو واللعب ولما
اخبر بدعائهم فصلهم فقال فمنكم اي ايها المدعوون من يبخل وهو منكم لا شك فيه وحذف القسم الاخر وهو ومنكم من يجود
لان المراد الاستدلال على ما قبله من البخل ولما كان بخله عن اعطاء المال الجزء يسير منه انما طلبه لنفع المطلوب
منه فقط زاد العجب بقوله ومن اي والحال انه من يبخل بذلك فانما يبخل بماله بخلا صادرا عن نفسه التي هي منبع الرذايل
فلا تنفس وتنافس الا في الشيء الخسيس فان نفع ذلك الذي طلب منه فبخل به انما هو له والكرم لانه لا يكاد احد يصدق
ان عما فلا يتجاوز بماله عن نفع نفسه وكذا حذف ومن يجد فانما يجود على نفسه لفهمه من السياق واستغناء الدليل عنه
هذا والاحسن ان يكون يبخل متضمنا يمسك ثم حذف يمسك ودل عليه بحال محذوفة دل عليها التعدية بعن ولما
كان سؤال المال قد يوهم شيئا قال مزيلا له معززا الان بخل الانسان انما هو عن نفسه عطفا على ما تقديره لا يضر بخله
انما يعود عليه وهو سبحانه لم يسألكم ذلك لحاجته اليه ولا الى شيء منكم بل لحاجتكم الى الثواب وهو سبحانه قد بنى امور
هذه الدار كما اقتضته الحكمة على الاسباب والله اي الملك الاعظم الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال الغني وحده
وانتم ايها المكلفون خاصة الفقراء اي كلكم لان العطا ينفعكم والمنع يضركم فمن افتقر منكم الى فقير مثله وقع في الذل
والهوان وقد جرت عادتكم انه اذا خلكم من اليسر ورما لا يجد اذا طلب من احد منكم احد من المحاويج دالا غنيا شيئا طمعا في
جزايه فكونوا كذلك واعظم اذا طلب منكم الغني المطلق ولما كان التقدير فان تقبلوا يؤتكم تفلحوا عطف عليه
قوله مرهبا لان الترهيب اردع وان تتولوا اي توقعوا التولي عنه بان تكلفوا انفسكم ضد ما تدعوا اليه الفطرة الاولى
من الشماخ بذلك الجزاء اليسير جدا الموجب للثواب الخطير والفوز الدايم ومن الجهاد في سبيله والقيام بطاعته لكونه
المحسن الذي لا محسن في الحقيقة غيره يستبدل اي يوجد قوما فيهم قوة وكفاية لما يطلب منهم محاولته ولما
كان ذلك مفهما انهم غيرهم لكنه لا يمنع ان يكونوا مع كونهم غيرا عيانهم من قومهم او ان لبسا وهم في الصفات وان كانوا من
غير قومهم بنى على انهم يكونون من غير قومهم وعلى غير صفاتهم بل هم اعلى منهم درجة واكرم خليقة واحسن فعلا فقال غيركم
اي بدلا منكم وهم على غير صفة التولي ولما كان الناس متفاوتين في الجبلات وكان المال محبوبا كان من المستبعد
جدا ان يكون هذا البدل على غير ما هم عليه قال مشيرا الى ذلك بحرف التراخي تاكيدا لما افهمه ما قبله من التعبير بغيره
وتثبيتا له ثم اي بعد استبعاد من يستبعد وعلو الهمة في مجاوزة جميع عقبات النفس والشيطان لا يكونوا امثالكم
في التولي عنه بترك شيء مما امر به او فعل شيء مما نهي عنه ومن قدر على الايجاد قدر على الاعدام بل هو اهون في مجاري العادات
فقد ثبت انه سبحانه لو شاء لانتصر من الكفار اما باهلاكهم واما بناس غيركم بضرب رقابهم واسرهم وغير ذلك من امرهم
وثبت بمواصلة ذم الكفار مع قدرته عليهم انه ابطل اعمالهم فرجع بذلك اخر السورة على اولها وعانق موصلها
ما ترى من مفصلها وعلم ان معنى هذا الاخر وذلك الاول انه سبحانه لابد من اذلاله الكافرين واعزازه المؤمنين
لانهم ان اقبلوا على ما يرضيه فجاهدوا فالنصر نصرا عزيزا بما ضمنه قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم
وان تولوا اتى بقوم غيرهم يقبلون عليه فيصيرهم قيم وعد فصار ذلك خبرا لانهم امرا محتما وهو معنى اول سورة الفتح
والله الموفق

سورة الفتح

مقصودها ما دل عليه اسمها الذي يعم فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية
وفتح خيبر ونحوهما وما وقع تصديقا للخبر به من غلب الروم على اهل فارس وما تفرع عن فتح مكة المشرفة من اسلام اهل
جزيرة العرب وقتال اهل الردة وفتوح جميع البلاد الذي يجمعه كله اظهار الدين على الدين كله وهذا كله في غاية الظهور
بما نطق به ابتداؤها وانثاؤها في مواضع منها لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الاية وانتهاؤها ليظهره على الدين
كله محمد رسول الله الى قوله ليغيظ بهم الكفار اي بالفتح الاعظم وما دونه من الفتوحات وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة كما كان في اولها للرسول صلى الله عليه وسلم واجرا عظيما كذلك بسائر الفتوحات وما حوت من الغنايم ثم للثواب
الجزيل على ذلك في دار الجزاء بسم الله المحيط بكل شيء قدرة وعلما الرحمن الذي عم المكلفين بنعمة الوعد والوعيد الرحيم
الذي اختص اهل حزبه لامامة دينه الحق فاظهرهم على سائر العبيد ولما كانت تلك سورة الجهاد وكانت
هذه سورة الفتح بشارة للمجاهدين من اهل هذا الدين بالفوز والظفر والنصر على كل من كفر وهذا كما سياتي في ايلاء
سورة النصر لسورة الكافرون فاخبرت القتال عن الكافرين بابطال الاعمال والتدمير واهلاكهم بالقتال وافساد
جميع الاحوال ووعد الذين امنوا بما نزل على محمد بالهداية واصلاح البال وختمها بالتحريض على مجاهدتهم بعد ان ضمن النصر
منهم النصر وتثبيت الاقدام وهدد من اعرض باستبدال غيره به وان ذلك البدل لا يتولى عن العدو ولا ينكل عنه
فكان ذلك محتما لسفول الكفر وعلو الايمان وذلك هو بعينه الفتح المبين فافتتح هذه بقوله على طريق النتيجة لذلك بقوله
مؤكدا اعلاما بانه لا بد منه وانه مما ينبغي ان يؤكد لابتهاج النفوس الفاضلة به وتكذيب من في قلبه مرض وهم اغلب الناس

في ذلك الوقت انا اي بما لنا من العظمة التي لا تثبت لها الجبال فتحنا اي اوقعنا الفتح المناسب لعظمتنا لكل مغلق باتقان
الاسباب المنتجة له من غير شك ولذلك عبر عنه بالماضي ولما كانت منفعة ذلك له صلى الله عليه وسلم لان اعلاء
كلمة الله يكون به فيعليه ويملي الارض من امته فلا يعمل احد منهم حسنة الا كان له مثل اجرها ويكونون على قصر زمنهم
ثلثي اهل الجنة فيكون ذلك شرفا له الى غير ذلك من الاسرار التي يعيى دون ايسرها الكفار قال لك اي بصلح الحديبية
في ذي القعدة سنة ست من الهجرة التي نزلت هذه السورة في شانه بضجنان في الرجوع منه الى المدينة الشريفة قال
الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فراوا ما لا اعدل منه
والاحسن فاستولى الاسلام على قلوبهم وتمكن منهم فاسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكذا كان من الفتح تقوية امره صلى الله
عليه وسلم بالتصديق فيما انزل عليه من سورة من غلبهم على اهل فارس في دولة من قال انه كان زمن الحديبية ثم زاده
تاكيدا بقوله فتحا وزاد في اعظامه بقوله مبينا اي لا لبس فيه على احد بل يعلم كل ذي عقل به انك ظاهر على جميع
اهل الارض لانك كنت وحدك وكان عند اهل الكفر انك في ايديهم وان امرك لا يعدو امثل فتيلا ناس ضعفا فعذبوهم
وكانوا معهم في اسوأ الاحوال وتقرر ذلك في اذهانهم مدة طوال الابلا عشرة سنة ثم انقذ الله اتباعك الكثير هم
اتباعا منهم بالهجرة الى النجاشي رحمه الله اولا والى المدينة الشريفة ثانيا وهم مطيعون بانك انت وانت راسهم لا
ينتظم لهم دونك امر ولا يحصل لكسرهم ما لم تكن معهم جبر في قبضتهم لا خلاص لك ابدا منهم ولا انفكاك من بلدتهم
فاستخرجك الله من عندهم بعد ان حماك على خلاف القياس وانت بينهم من ان يقتلوك مع اجتهادهم في ذلك واستفراغهم
قواهم في اذاك ثم بذلوا جهدهم في منعك من الهجرة فما قدروا ثم في ذلك كما اطاقوا ولا فازوا ولا ظفروا بل غلبوا وقهروا
ثم ابدلك انصارا ابرارا اخيارا فكنتم على قلتكم كالليوث الكواسر والبحار الزواخر ما سلتم على جهة الا عمرتموها وفرستم
بالصف من اربابها وقتلتموها او اسرتموها ولم تزالوا تزدادون وتقوون وهم ينقصون ويضعفون حتى اتيتموهم
في بلادهم التي هم قاطعون بانهم ملوكها يتعذر على غيرهم غلبهم عليها بل سلوكها فما دافعوكم عن الدخول عليهم الا بالراح
وسالوكم في وضع الحرب للدعة والاصلاح فقد ظهرت اعلام الفتح اتم ظهور وعلم ارباب القلوب انه لا بد ان يكون في
امتطايكم الذرى وسموكم الى رتب المعالي امور واي امور وروى الامام احمد عن مجمع بن جارية الانصاري رضي الله عنه
قال شهدنا الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال
الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على
راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع عليه الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر رضي الله عنه او فتح هو يا رسول الله
قال نعم والذي نفسي بيده وقال الامام ابو جعفر بن الزبير ارتباط هذه السورة بالتي قبلها واضح من جهات وقد تقدم
بعضها منها ان سورة القتال لما امروا فيها بقتال عدوهم في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا الاية واشعروا
بالمعونة عنه ووقوع الصدق في قوله ان تنصروا الله ينصركم واستدعى ذلك تشوف النفوس الى حال العاقبة
تعرفوا ذلك في هذه السورة فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الايات فعرف تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بعظيم صنعه له واتبع ذلك ببشارة المؤمنين لعامة فقال هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين الايات والتحمت
الى التعريف بحال من نكث من بايعه صلى الله عليه وسلم وحكم المخلفين من الاعراب والحض على الجهاد وبيان حال
ذوي الاعذار وعظيم نعمته سبحانه على اهل بيعته لقد رضي الله عن المؤمنين واثابهم الفتح واخذ المغانم وبشارتهم
بفتح مكة لتدخلن المسجد الحرام الى ما ذكر سبحانه من عظيم نعمته عليهم وذكرهم في التوراة والانجيل ما تضمنت هذه
السورة الكريمة **ووجه اخر** وهو انه لما قال تعالى في اخر سورة القتال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون
والله معكم ولن يتركم اعمالكم كان هذا اجمالا في عظيم ما منحهم وجليل ما اعطاهم فتضمنت سورة الفتح تفسير هذا الاجمال
وبسطه وهذا يستدعي من بسط الكلام ما لم نعتمده في هذا التعليق وهو بعد مفهوم مما سبق من الاشارات في الوجه
الاول **ووجه اخر** مما قد يغمض وهو ان قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
اشارة الى من يدخل في ملة الاسلام من الفرس وغيرهم عند تولي العرب وقد اشار ايضا الى هذا قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الايات واشار الى ذلك عليه السلام ويل للعرب
من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا وعقد المسبحة بالابهام اشار عليه السلام الى
تولي العرب واستيلاء غيرهم الواقع في الاثنين وانما اشار عليه السلام بقوله اليوم الى المقدر والتاخر وفتح هذا
الامر الى ايام ابي جعفر المنصور فغلبت الفرس والاكراد واهل الصين وصين الصين وهو ما يلي ياجوج وماجوج
وكان فتحا وعزا وظهورا لكلمة الاسلام وغلب هؤلاء في الخطط والتدبير الاماري وسادوا غيرهم ولهذا اجعل

صلى الله عليه وسلم بجمعهم فتحا فما كان الفتح اليوم ولو اراد غير هذا لم يعبر بفتح الانزي قول عمر لحذيفة رضي الله عنهما
في حديث الفتن حين قال له ان بينك وبينها بابا مغلقا فقال عمر ايفتح ذلك الباب ام يكسر فقال بل يكسر ففرق بين الفتح والكسر
وانما اشار الى قتل عمر رضي الله عنه فلذا قال عليه السلام فتح وقال من ردم يأجوج ومأجوج واراد من نحوهم وجنسهم واتباعهم
لانا العرس ومن الى معهم هم اهل الجهات التي تلي الردم فعلى تفسير هذا يكون قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
اشارة الى غلبة من ذكرنا واقتدارهم في الولايات والخطط الدينية والمناصب العلمية ولما كان هذا قبل ان
يوضح امره يوهم نقصا وحطا بين انه تجديد فتح واعزاز منه تعالى لكلمة الاسلام فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية
ذكر القاضي ابو بكر بن العربي في تخليص التلخيص علما المالكية مشيرا الى التفاوت درجاتهم ثم قال وامضاهم في النظر عزيمة
واقواهم فيه شكيمة اهل خراسان العجم انسابا وبلدانا العرب عقايد وايمانا الذين تنجز فيهم وعد الصادق المصدوق
وملكهم الله مقاليد التحقيق حين اعرضت العرب عن العلوم وتولت عنها واقبلت على الدنيا واستوسقت منها قال اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هولاء الذين قال الله فيهم وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
فاشار عليه السلام الى سلمان وقال لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من هولاء انتهى ولما اخبر سبحانه
بالفتح عقب سورة الدين بشارة بظهور اهل هذا الدين وادبار الكافرين كما سياتي في اية سورة النصر لسورة الكافرين
لذلك علل الفتح بالمغفرة وما بعدها رمزا الى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بروحي هو وابي وامي ايماء الى ان المراد
من اخراجه الى دار العنا انما هو اظهار الدين القيم وازهاق الباطل لتعلو درجته وتعظم رفعته فعند حصول الفتح
تم المراد كما كانت سورة النصر التالية للكافرون رامزة الى ذلك كما هو مشهور ومذكور ومسطور فالفتح الذي هو احد
العلامات الثلاث المذكورة في سورة النصر هو السبب الاعظم في النصر على جميع المناوين الذي هو السبب الاعظم في ظهور
دينه على الدين كله الذي هو العلامة العظمى على اقتراب اجله نفسي فداؤه والناس عيني من كل سوء وقاؤه فقال تعالى
ليغفر لك الله مشيرا بالانتقال من اسلوب العظمة بالنون الى اسلوب الغيبة المشير الى غاية الكبر بالاسناد الى الاسم
الاعظم الى ان هذه المغفرة محيطة بحسب احاطة هذا الاسم الجامع لجميع الاسماء الحسنى ما تقدم من ذنبك اي الذي
تقدم في القتال امرك بالاستغفار له وهو ما تنتقل عنه من مقام كامل الى مقام فوقه اكمل منه فتراه بالنسبة
الى الكمالية المقام الثاني ذنبا وكذا قوله وما تاخر قال الرازي المغفرة المعتبرة لها درجات كما ان الذنوب لها درجات
حسنات الابرار سيئات المقربين انتهى ويجوز ان يكون المراد لتشاهد المغفرة بالفعلة اليسا بعد علم اليقين بعين اليقين
وحق اليقين فالمعنى ان الله تعالى يتوفاه صلى الله عليه وسلم عقب الفتح ودخول جميع العرب الذين يفتحون جميع البلاد ويهدي
الله بهم سائر العباد في دينه وياس الشيطان من ان يعبد في جزيرتهم الا بالمحقرات لوجود المقصود من امتلاء الاكوان
بحسناته صلى الله عليه وسلم وعموم ما دل عليه اسمه المذكور في هاتين السورتين من حمد بكماله في ذاته وصفاته ببلوغ اتباعه
الحمد لا يحصرون فيه بعد ولا يقف لهم مخلوق على حد ولما كان تمام النعمة يتحقق بشيئين اظهار الدين والنقلة
الى مرافقة النبيين قال تعالى مخبرا بالثاني ويتم نعمته عليك بنقلك من عالم الشهادة الى عالم الغيب ومن عالم الكون
والفساد الى عالم الثبات والصلاح الذي هو اخص حضرته واولى برحمته واظهار اصحابك من بعدك على جميع اهل الملل ودحض
شبه الشيطان ويدمغون كل كفران وينشرون رايات الايمان في جميع البلدان بعد اذلال اهل العدوان ومحو كل
طغيان ولما كانت هدايتهم من هدايته اضافها سبحانه اليه اعلاما له انها هداية تليق بجنابه الشريف
سرورا له فقال ويهديك اي بهدايته جميع قومك صراطا مستقيما اي واضحا جليلا جليا موصلا الى المراد من كثب لا عوج
فيه بوجه هدايته تقتضي لزومه والثبات عليه وينصرك الله بنصرهم على ملوك الامم وجلائهم لسائر العجم نصرا يليق
اسناده الى اسمه المحيط بسائر العظم نصرا عزيزا اي يغلب المنصور به كل من ناواه ولا يغلبه شيء مع دوامه فلا ذل بعده
لان الامة التي تتصف به لا يظهر عليها احد والدين الذي قضاه لاجله لا ينسخه شيء ولما كان صلى الله عليه
وسلم قد اخبر المومنين برؤياه انه يطوف بالكعبة الشريفة وعزم على العمرة عام الحديبية وخرج صلى الله عليه وسلم وخرج
معه خلاصة اصحابه الف وخمسمائة فكانوا موقنين انهم يعتمرون في وجههم ذلك وقد دلك في صدورهم واشربته قلوبهم
فصار نزعه منها اشق شيء يكون فصدهم المشركون بعد ان بركت ناقته وصالحهم صلى الله عليه وسلم على ان يرجع عنهم في ذلك
العام ويعتمر في مثل ذلك الوقت من القابل وكان ذلك بلا ذنب منه من لزم الاعتقاد مطرقا للشيطان الوسوسة في الدين
وقد كان مثله في الاسرا ولم يكن صلى الله عليه وسلم اخبرهم بيوم في امره فارتد ناس كثير بسببه قال تعالى دالا على انه تفرد
بتثبيت المومنين في هذا المحل الضنك اظهارا لتمام قدرته ولطيف حكمته هو اي وحده الذي انزل في يوم الحديبية
وعزم السكينة اي الثبات على الدين في قلوب المومنين اي الراسخين في الايمان وهم اهل الحديبية بعد ان دهمهم فيها ما من

شانه

شانه ان يزعج النفوس ويريع القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة رضي الله عنهم دون بلوغ مقصودهم فلم يرجع احد منهم
عن الايمان بعد ان ماج الناس وزلزلوا حتى عمر رضي الله عنه مع انه الفاروق ومع وصفه في الكتب السالفة بانه قرن من حديد
فما الظن بغيره في قلق نفسه وتزلزل قلبه وكان للصديق رضي الله عنه من القدم الثابت والاصل الراسخ ما علم به رضي الله عنه
انه لا يساوى حتى ثبتهم الله اجمعين قال الرازي والسكينة الثقة بوعد الله والصبر على حكم الله بل السكينة ههنا معنى
يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخايف ويتسلى به الحزين والضجر واثر هذه السكينة الوقار والخشوع وظهور الحزم في الامور
انتهى وكل من رسخ في الايمان له من هذه الاية نصيب جناه دان ولما اخبر بما لا يقدر عليه غيره علله بقوله ٢٧
ليزدادوا اي بتصديق الرسول حين لم ابهم لابد ان يدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت وعلم الله به من الشبهة بذكره بانه
لم يقل لهم انهم يدخلون العام ايمانا بهذا التصديق بالغيب من ان صلحهم للكفار ورجوعهم من غير بلوغ قصدهم هو عين الفتح
لترتب الصلح عليه وترتب فشو الاسلام على الصلح كما كشف عنه الوجود بعد ذلك ليفيضوا عليه غيره من الاوامر مع ايمانهم
الثابت من قبل هذه الواقعة قال القشيري بطلوع اقمار عين اليقين على نجوم علم اليقين ثم بطلوع شمس حق اليقين على بدر عين
اليقين ولما كان ربما ظن شيء من اخذ الامور بالتدريج شيئا في القدرة قال ولله اي الذي له السكينة عليهم ليكون نصرهم
في هذه العمرة بالقوة ثم يكون عن قريب بالفعل والحال انه لم وحده جنود السموات والارض اي جميعها ومنها السكينة هي
يدبرهم بلطيف صنعه وعجيب تدبيره فلو شا لنصر المومنين الان بالفعل ودمر على اعدائهم بجنود من جنوده او بغير سبب لكنه
فعل ذلك ليكون النصر بكم فيعلوا امركم ويعظم اجركم ويظهر الصادق في نصره من الكاذب فان الدار دار البلاء وبناء المسببات
على الاسباب على وجه الاغلب فيه الحكمة لا القهر وظهور الكلمة فاسمه الباطن هو الظاهر في هذه الدار فلذلك نرى المسببات
مستورات باسبابها فلا يعلم الحقايق الا البصر الاثري انه صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه السورة قبلها عليهم
قال بعض الصحابة رضي الله عنهم اي رسول الله وفتح هو وقال بعضهم لغرضه وباع البيت وصدوا هدينا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيس الكلام هذا بل هو اعظم الفتح اما رضيتم ان يطردوهم في بلادهم فيدفعوكم عنها بالراح ويسلوكم
القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما كرهوا واظفركم الله عليهم وردكم سالمين ماجورين فهو اعظم الفتوح
انسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون على احد وانا ادعوكم في اخراكم انسيتم يوم الاحزاب اذ جاوكم من فوقكم ومن
اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو
اعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت اعلم بالله وبامره منا وانزل الله تاكيدا لامر الرؤيا لمن
اشكل عليهم حالها لقد صدق الله رسوله الرؤيا باجمع الاية فهذه اشياء كما ترى كلها راجعة الى الخفا بالتحجب في اسمائه
الاسباب فلا يبصرها الا ارباب البصائر في النظر في حكمة الله سبحانه ولما كان مبني ما مضى كله على القدرة بامور
خفية يظهر منها من الضعف غير ما كشف عنه الزمان من القوة وكان تمام القدرة متوقفا على شمول العلم قال تعالى وكان الله
اي الملك الاعظم ازلا وابدا عليما ازلا وابدا حكيما في اتقان ما يصنع برده لهم عن هذه العمرة بعد ان دبر اسباب الفتح لياتي من الناس
فيه اخل بعضهم بعضا لما علم من انه لا يسمع القران احد له عقل مستقيم ويرى ما عليه اهله من شدة الاستمساك به
والبغض لما كانوا فيه من متابعة الاباء الا بادر الى المتابعة ودخل في الدين برغبة وادخل سبحانه خزاعة في
صلح النبي صلى الله عليه وسلم وبني بكر وهم اعداوهم في صلح قريش ليبغوا عليهم وتعينهم قريش فينتقض الصلح بعد ان
كثرت جنود الله وعز ناصر الدين فيفتح الله بهم مكة المشرفة فتنتشر اعلام الدين وتخفق الوية النصر المبين ويدخل
الناس في الدين افواجا فيظهر دين الاسلام على جميع الاديان ولما دل على الفتح بالنصر وما معه وعلل الدليل
بالسكينة على علة الدليل وهي ازدياد الايمان او علل ما دل عليه ملك الجنود من تدبيرهم وتدبير الاكوان بهم
بقوله زيادة في السكينة ليدخل اي بما اوقع من السكينة المومنين والمومنات الذين جبلهم جبلة خير بما دبعضهم
ودخول بعضهم في الدين بجهاد المجاهدين ولو سلط على الكفار جنوده من اول الامر فاهلكوهم او دمر عليهم بغير وسطة
لفات دخول اكثرهم الجنة وهم من امن منهم بعد صلح الحديبية جنات اي بساتين لا يصل الى عقولكم من وصفها الا ما يعرفونه
بعقولكم وان كان الامر اعظم من ذلك تجري ودل وقرب وبعض بقوله من تحتها الانهار فاي موضع اردت ان تجري
منه نهرا اقدرت على ذلك لان الماء قريب من وجه الارض مع صلابتها وحسنها ولما كان المكان لا يطيب الا بالقرار
قال خالدين فيها اي لا الى اخر ولما كان السامع لهذا ربما ظن ان يفعله ذلك باستحقاق قال اشارة الى انه لا سبب
الا رحمته ويكفر اي يستر سترا بليغا عنهم سيئاتهم التي ليس من الحكمة دخول الجنة دار القدس قبل تكفيرها بسبب ما كانوا
متلبسين به منها من الكفر وغيره فكان ذلك التكفير سببا لدخولهم الجنة وكان ذلك اي الامر العظيم من الادخال والتكفير
المهيئ له وقدم الظرف تعظيما لها فقال عند الله اي الملك الاعظم ذي الجلال والاكرام فوزا عظيما بلا جميع الجهات

ولما كان من اعظم الفوز اقرار العين بالانتقام من العدو وكان العدو المغاتم اشد من المجاهر المراغم قال ويعذب المنافقين
اي يزيل كل ما لهم من العذوبة والمنافقات بما غاظهم من ازدياد الايمان والمشركين والمشركات بصدهم الذي كان سببا للصلح
الحض الذي كان سببا لانزال السكينة الذي كان سببا لقوة اهل الاسلام بما نازعته من كثرة الداخلين فيه الذي كان سببا لتدمير
اهل الكفران ثم بعد ذلك عذاب النيران ولما اخبر بعذابهم اتبعه وصفهم بما سبب ذلك لهم فقال الظانين بالله اي
المحيط بجميع صفات الكمال ظن السوء من انه لا يفي بوعده في انه ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين او انه لا يبعثهم او
انه لا يعذبهم بمخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم ومشاققة اتباعه ولما اخبر بعذابهم فسره بقوله عليهم
اي في الدنيا والآخرة بما يجزيهم الله به من كثرة جنوده وغيظهم منهم وقهرهم بهم دائرة السوء التي دبروها او قدروها
للمسلمين لاخلاصهم منها فهم مخذولون في كل موطن خذلانا ظاهرا يدركه كل احد وباطنا يدركه من اراد الله من ارباب
البصائر كما اتفق في هذه العمرة والسوء بالفتح والضم ما يسوء كالكره الا ان غلب في ان يضاف الى ما يراد ذمه والمضموم
جار مجرى الشر الذي هو ضد الخير قاله الكشاف ولما كان من دارت عليه السوء قد لا يكون مغضوبا عليه قال وغضب
الله اي الملك الاعظم بما له من صفات الجلال والجمال فاستعلى غضبه عليهم وهو عبارة عن انه يعاملهم معاملة الغضبان بالاطاقة
لهم به ولما كان الغضب قد لا يوجب الاهانة والابعاد قال ولعنهم اي طردهم طردا اسفلوا به اسفل سافلين بعدوا به
عن كل خير ولما قربهم في الدارين وكان قد يظن انه يخص الدنيا فلا يوجب عذابا للآخرة اتبعه ما يخصها فقال
واعد اي هيأ الآن لهم جهنم تلقاهم بالعبوسة والتغيظ والزفير والتجهم كما كانوا يتجهمون عباد الله مع ما فيها من العذاب
بالحر والبرد والاحراق وغير ذلك من انواع المشاق ولما كان التقدير فساءت معدا عطف عليه قوله وساءت مصيرا
ولما كان هذا معلما بان الكفار مع ما يشاهد منهم من الكثرة الظاهرة والقوة المتضافرة المتوافرة لا اعتبار لهم
لانه لا يحيط بهم في الدارين وكان ذلك امرا يوجب تشعب الفكر في المؤثر فيهم ذلك عطف على ما تقديره اعلاما بان التدبير
على هذا الوجه حكم ومصالح يجل عنها الوصف ودفعا لما قد يتوهم من لم يرسخ ايمانه مما يجب التنزيه عنه فلله القوة
جميعا يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير سبب ترونه ولله الملك الاعظم جنود السموات والارض فهو يسلط ما يشاء منها على من يشاء
ولما كان ما ذكر من عذاب الاعداء وثواب الاولياء متوقفا على تمام العلم ونهاية القدرة التي يكون بها الانتقام
والسطوة قال وكان الله الملك الذي لا امر لاحد معه ازلا وابدا عزيزا يغلب ولا يغلب حكيما يضع الشيء في احكم مواضعه
فلا يستطاع نقض شيء مما ينسب اليه ولما بين انه ليس لغيره مدخل في ايجاد النصر وكانت السورة من اولها حضرة
مخاطبة واقبال فلم يدع امرا الى نداء بيا ولا غيرها وكان كانه قيل فما فائدة الرسالة الى الناس اجيب بقوله تقريرا لما حكم به
من صفتي العزة والحكمة انا بما لنا من العزة والحكمة ارسلناك بما لنا من العظمة التي هي معنى العزة والحكمة الى الخلق كافة
شاهدا على اعمالهم من كفر وايمان وطاعة وعصيان من كان بحضرتك فبنفسك ومن كان بعد موتك او غائبا عنك
فبكتابك مع ما ايدناك به من الحفظة من الملائكة ولما كانت البشارة محبوبة الى النفوس رغبهم فيما عنده
من الخيرات وحببهم فيه بصوغ اسم الفاعل منها مبالغا فيه فقال ومبشرا اي لمن اطاع بانواع البشاير ولما
كانت النذارة كريهة جدا لا يقدم على ابلاغها الا من كمل عرفانه بما فيها من المنافع الموجبة لتجشم مرارة الاقدام
على الصدع بها اتى بصيغة المبالغة فقال ونذيرا ولما ذكر حال الرسالة ذكر علتها فقال ليؤمنوا اي الذين
حكمنا بايمانهم ممن ارسلناك اليهم هذا على قراءة ابن كثير وابي عمرو بالغيب وعلى قراءة الباقين بالخطاب المعنى ايها الرسول ومن
قضينا بهداه من امته يجددون لذلك في كل لحظة مستمرين عليه وكذا الافعال بعده وذلك اعظم لطفا لما في الانس بالخطاب
من رجا الاقتراب بالله اي الذي لا يسوغ لاحد من خلقه ولا لكل خلقه التوجه الى غيره لاستجماعه لصفات الجلال والاكرام
ورسوله الذي ارسله من له كل شيء ملكا وملكا الى جميع خلقه ولما كان الايمان امرا باطنا فلا يقبل عند
الله الا بدليل وكان الايمان بالرسول ايمانا بمن ارسله والايمان بالمرسل ايمانا بالرسول وحد الضمير فقال ويعزروه
اي يعينوه ويقووه وينصروه على كل من ناواه ويمنعوه من كل من يكيده مبالغين في ذلك باليد واللسان والسيف
والسنان وغير ذلك من الشأن فتؤثروه على انفسكم وغيرها تعظيما له وتفخيما هذا حقيقة المادة وما خالفه فهو اما من
باب الازالة كالعزر ومعنى الدبوغ واما من باب الاول كاللوم والضرب دون الحد فانه يوجب للملوم والمضروب تجنب
ما نقم عليه فيعظم فهو من اطلاق الملزوم على اللازم وهو من وادي ما قيل عداي لهم فضل علي ومنة
فلا اذهب الرحمن عني الاعاديا ۞ هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ۞ وهم نافسوني فاقتنيت المعاليا
ولما كان المعنى يحتمل الازالة كما ذكر خلص المراد بقوله ويوقروه اي يجتهدوا اتباعه في تبجيله
واجلاله بان يجلوا عنه جميع الاثقال ليلزموا السكينة باجتماع همه وكبر عزمه لزوال ما كان يتشعب فكره من كل ما يهمه

ويسبحوه اي ينزهوه عن كل وصمة من اخلاف الوعد بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام ونحو ذلك ويعتقدوا فيه الكمال
المطلق والافعال الثلاثة تحتمل ان يراد بها الله تعالى لان من سعى في قمع الكفار فقد فعل المعنى المؤثر فيكون ما عائدا على المذكور
واما ان يكون جعل الاسمين واحدا اشارة الى اتحاد المسميين في الامر فلما اتحد امرهما وحد الضمير اشارة الى ذلك ولما
كانت محبة الله ورسوله لا يرضى منها بدون النهاية قال كانيا عن ذلك بكرة واصيلا اي وعشيا ايماء الى ما بين النهار والليل
بذلك ولما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وما ارسله له وختم الآية بانه لا يرضى من ذكره وذكر رسوله الا
بالمداومة بالفعل او بالقوة مع توحيد الضمير اشارة الى وحدة الارادة والمحبة من الرسول والمرسل اوضح المراد بتوحيد
الضمير بقوله مرغبا في اتباعه ومرهبا لاتباعه عن ادنى فترة او توان فيما خلوا فيه من الايمان الذي هو علة الرسالة وما ذكر معه
في جواب من يسال ما سبب توحيد الضمير والمذكور اثنان مؤكدا لاجل ما غلب على الطباع البشرية من التقيد بالوهم والنكوص عما غاب
ولا مرشد اليه سوى العقل ان الذين ولما كان المضارع قد يراد به مطلق الوقوع لا بقيد زمن معين كما نقلته في اول
البقرة عن ابي حيان وغيره عبر به ترغيبا في تجديد مثل ذلك والاستمرار عليه فقال يبايعونك اي في بيعة الرضوان وقبلها
وبعدها على ما جئت به من الرسالة التي مقصودها الاعظم النذارة التي مبناها على المخالفة التي سفاها الشدائد التي عمادها
الثبات والصبر وسميت مبايعة لانهم باعوا انفسهم فيها من الله بالجنة وهذا معنى الاسلام فكل من اسلم فقد باع نفسه
سبحانه منه ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الآية انما يبايعون الله اي الملك الاعظم لان عملك كله من قول وفعل له
وما ينطق عن الهوى ولما عظم بيعته بما رغب فيها ترغيبا مشعرا بالترهيب زادها تعظيما بما الترهيب فيه
اظهر من الاول فقال مبينا للاول يد الله اي المتردي بالكبريا ولما كان منزها عما قد يتوهم من الجارحة او
غيرها مما فيه شائبة نقص اوما الى نفي ذلك بالفوقية مع ما فيه من الدلالة على تعظيم البيعة فقال فوق ايديهم اي في المبايعة
غالبة عليهم بالقوة والقدرة والقهر والعزة والتنزه عن كل شائبة نقص وكذلك كرر الاسم الاعظم في هذه الآية ثلاث مرات
اشارة الى العظمة التامة للوصف والغيب العالي عن الادراك ثم اعاد ذكره بالضمير ايذانا بالغيب المحض بما هو المراد من
تعظيم البيعة واجلال الرسول صلى الله عليه وسلم مع العلم القطعي بتنزيه الله تعالى عن كل شائبة نقص من حلول واتحاد
فما هو الا صح في مجاري عادات العرب ظاهر جدا في محاوراتهم لا يشك فيه منهم عالم ولا جاهل اصلا فلعنة الله
على من حمله على الظاهر من اهل العناد بدعة الاتحاد وعلى من تبعهم على ذلك من الرعاع الطغام الذين شاقوا الله ورسوله عليه
الصلاة والسلام وجميع الائمة الاعلام وسائر اهل الاسلام ورضوا لانفسهم بان يكونوا اتباع فرعون اللعين وناهيك به
من ضلال مبين ولما كان كلام الله تعالى وان جرى مجرى الشرط والتهديد لا بد ان يقع منه شيء وان قل وكان من سر
التعبير بالمضارع في يبايعونك الاشارة الى نكث الجد بن قيس اصل بيعته على الاسلام فانه اختبأ في الحديبية وقت البيعة
لئلا يبايع سبب عن ذلك وفصل ترغيبا وترهيبا فقال معبرا بالماضي ايذانا بانه لا ينكث احد من اهل هذه البيعة فمن نكث اي
نقض البيعة في وقت من الاوقات فجعلها كالكساء الخلق والحبل البالي الذي ينقض فانما ينكث وعبر بالمضارع اشارة الى ان
من فعل النكث فهو في كل لحظة ناكث نكثا جديدا على نفسه لا على غيرها فان فعله بمرأى من الله ومسمع وهو قادر عليه جدير
بان يعاقبه بما يجعل لنفسه من العار العظيم في الدنيا ويحل به لنكثه عذابا اليما ولا يضر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئا فان الله ناصره لا محالة وكذا كل منكوث به اذا اراد الله نصره فانه سبحانه فوق كل يد ولما اتم
الترهيب لانه مقامه الحث على الوفاء الذي به قيام الدين على ابلغ وجه اتبعه الترغيب انما الحث فقال ومن اوفى اي فعل
الاتمام والاكثار والاطالة بما عاهد وقدم الظرف اهتماما به فقال عليه الله اي الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما من
هذه المبايعة وغيرها فانما وفاؤه لنفسه فسيؤتيه بوعد مؤكد لا خلف فيه اجرا عظيما لا تسع عقولكم شرح وصفه ومن فيها
بالمؤنا ظهر ما سبق في الجلالة من التعظيم والآية من الاحتباك ذكر اولا ان النكث عليه دليلا على ان الوفاء له ثانيا واثبات الاجر
ثانيا دليلا على احلال العقاب اولا وسره انه بين ان ما يريده الناكث من الاذى لغيره انما هو واقع به لان ذلك اعظم في الترهيب
عن النكث لما جبل الانسان عليه من النفرة عن ضر نفسه وبعد عنه وذكر الاجر للموفي لانه اعظم في الترغيب ۞ وسبب
بيعة الرضوان هذه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فهم من بروك ناقته في الحديبية الاشارة من الله سبحانه الى انه
لم يأذن في دخولهم البلد الحرام في هذه السفرة فمشى مع ارادته سبحانه لانه ليس فيها مخالفة لما امره به سبحانه الى ان وقع
الصلح الذي كان هو الفتح بعينه وكان في غضون ذلك ان ارسل عثمان بن عفان رضي الله عنه الى مكة المشرفة ليخبر قريشا
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجئ لقتال وانه لا يريد الا الاعتمار فارجف مرجفون بانه قد قتل فعزم صلى الله عليه وسلم
على مناجزتهم فبايع الصحابة رضي الله عنهم على ان لا يفروا عنه فبايع كل من كان معه الا الجد بن قيس فانه اختبأ تحت ابط بعيره
لئلا يبايع وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر ولما ذكر سبحانه اهل بيعة

الرضوان واضافتهم الى حضرة الرحمن تشوف السامع الى خبر من غاب عن تلك الجناب وابطا عن حضرة تلك العمرة فاستوفت الاخبار عما بينا فقوته بقوله سيقول اى بوعد لا خلف فيه واكد امر نفاقهم تنبيها على جلدهم فيه ووقاحتهم به ولطفا لنبى صلى الله عليه وسلم وشدة رحمته ورفقه وشفقته فقال لك اى لانهم يعلمون انك الطف الخلق عشرة واعظمهم شفقة على عباد الله ثم بطهو فى تبوك من فاسد عذرهم ما لا يطيعون فيه من غير لين خلص المؤمنين وغاب عنهم لما عندهم من غلظ الاكباد ان الكذب بحضرتك فى غاية القباحة لانك اعظم الخلق وافطنهم مع ما ياتيك من الانباء عن علام الغيوب وحقر امرهم بسلب الفعل عنهم وجعلهم مفعولين لا فاعلين اشارة الى انهم طردوا عن هذا المقام لانهم اشرار لئام فقال المخلفون اى الذين خلفهم الله عنك فلم يرضهم لصحبتك فى هذه العمرة فجعلهم كالشئ التافه الذى يخلفه الانسان لانه لا ابه فيه فلا يوبه له ولا يعبأ به وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما اراد الاعتمار ندب اصحابه رضى الله عنهم لذلك وندب من الاعراب الذين حول المدينة الشريفة من كان قد اقر بالاسلام فلم يرد الله حضورهم لان اسلامهم لم يكن خالصا فلو حضروا الفسد بهم الحال وان حفظ الله بحوله وقوته من الفساد لعقب ذلك فسادا آخر وهو ان يقال انه لم يكف عنهم الاعداء الا الكثرة فتخلفوا لما علم الله فى تخلفهم من الحكم ولما كان قد تخلف بالجسد من خلص الانصار وغيرهم من كان حاضرا معه صلى الله عليه وسلم بالقلب اخرجهم بقوله من الاعراب اى اهل البادية كذبا وبهتانا تجرأة على الله وعلى رسوله شغلتنا اى عن اجابتك فى هذه العمرة اموالنا واهلونا اى لانا لو تركناها ضاعت لانه لم يكن لنا من يقوم بها وانت قد نهيت عن اضاعة المال والتفريط فى العيال ثم سببوا عن ذلك هذا القول المراد السوء قولهم فاستغفر اى اطلب المغفرة لنا من الله ان كنا اخطانا او قصرنا ولما كان هذا ربما نغتر به من لا خبرة له رده تعالى بقوله مبينا على ان من صدق مع الله لم يشغله عنه شاغل ومن شغله عنه شئ كان سوء ما عليه يقولون تعبير بالمضارع اشارة الى ان هذا ديدن لهم لا ينفكون عنه ولما صح بعد ذلك ايمان اكثرهم لم يعبر بالافواه دابه فى المنافقين بل قال بالسنتهم اى فى الشغل والاستغفار واكد ما افهمه ذكر اللسان من انه قول ظاهرى نفيا للكلام الحقيقى الذى هو النفسى بجعل اعتبار قوله ما ليس فى قلوبهم لانهم لم يكن لهم شغل ولا كانت لهم نية فى سؤال الاستغفار ولما كان فعلهم هذا فى تخلفهم واعتلالهم وسؤالهم الاستغفار ظنا منهم انهم يدفعون عن انفسهم بذلك المكروه ويخلصون لها المحبوب وكان كانه قيل قد علم كذبهم فماذا يقال لهم استانف سبحانه الجواب بقوله قل اى لهؤلاء الاغبياء واعظا لهم مسببا عن تخادعهم من لا يخفى عليه خافية اشارة الى ان العاقل يقبح عليه ان يقدم على ما يوجب تخشى عاقبته فمن يملك لكم ايها المخادعون من الله اى الملك الذى لا امر لاحد معه لانه لا كفؤ له شيئا يمنعكم ان اراد بكم خاصة ضرا اى نوعا من انواع الضر عظيما او حقيرا كاهلاك الاموال والاهلين وانتم تحتاطون فى حفظهما فلم ينفعهما حضوركم او اهلاككم انتم او اراد بكم نفعا يحفظهما به مع غيبتكم فلا يضرها بعدكم عنها ويحفظكم فى انفسكم وقد علم من تصنيفه سبحانه حالهم الى صنفين مع الابهام انه يكون لبعضهم الضر لان منهم من ارتد فى زمن الردة ولبعضهم النفع لانه ثبت على الاسلام ولما كان التقدير قطعا لا احد يملك منه سبحانه لهم شيئا من ذلك بل هو قادر على كل ما يريد منه ويفعلكم لما عندكم من الجلافة والغباوة والكثافة تفعل من يظن انه لا يقدر عليكم ولا يعلم كثيرا مما تعملون فيخفى عليه كذبكم وليس الامر كما ظننتم فانه لا يخفى عليه سبحانه شئ من اعمالكم بنى عليه ما ارشد الى تقديره فقال بل كان الله اى المحيط ازلا وابدا بكل شئ قدرة وعلما بما تعملون ايها الجهلة خبيرا يعلم بواطن اموركم هذه وغيرها كما يعلم ظواهرها ولما امر بالاعراض عن ظنهم ان كذبهم يخفى عليه بامر عام وقدمه لانه اعم نفعا بما فيه من الشمول اتبعه الاضراب عن مضمون كلامهم فقال بل اى ليس تخلفكم لما اخبرتم به من الاشتغال بالاهل والاموال بل ظننتم وانتم واقفون مع الظنون الظاهرة ليس لكم نفوذ الى البواطن واشار الى تاكد ظنهم على وهمهم فقال ان لن ينقلب ولما كان الكلام فيما يوشك ان يسول من الانبعاث والمسير فالاعتبار الى ان من ارسل رسولا لشئ وهو لا يقدر على نصره ليبلغ ذلك الشئ الى الغاية التى ارادها منه كان عاجزا عما يريد الرسول وعظم التابعين فقال والمؤمنون معبرا بما يحوله من الوصف المفهم للرسوخ الى اهليهم واتهم تاكيد ذلك عندهم بقوله ابدا اى لما فى قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين فحملكم ذلك على ان قلتم ما هم فى قريش الا اكلة راس ولما كان الانسان قد يظن ما لا يحب قال مشيرا بالبناء للمفعول الى ان ماحوته قلوبهم مما ينبغى ان ينزه سبحانه عن نسبته اليه وان كان هو الفاعل له فى الحقيقة وزين ذلك اى الامر القبيح الذى خراب الدنيا فى قلوبكم حتى احببتموه ولما علم ان ذلك سوء صرح به على وجه يعم غيره فقال وظننتم اى بذلك وغيره مما يترتب عليه من اظهار الكفر وما يتفرع عنه ظن السوء اى الذى لم يدع شيئا مما يكره غاية الكراهة الا احاط به ولما انكشف جميع امره كشف آخره فقال وكنتم اى بالنظر الى جملتكم من حيث هو جمع فى علمنا قبل ذلك بما جبلناكم عليه وعلى ما كشفه الحال عنه لمن له بصيرة قوما اى مع قوتكم على ما تحاولونه بورا اى فى غاية الهلاك والكساد والفساد وعدم الخير لانكم جبلتم على ذلك الفساد فلا انفكاك لكم عنه وهذا كما مضى بالنظر الى الجمع من حيث هو جمع لا بالنسبة الى الكل

فانه

فانه قد خلص منهم بعد ذلك كثير وثبتوا فلم يرتدوا ولما كان التقدير من ذلك لانكم لم تؤمنوا فمن آمن منكم ومن غيركم وخلص ايمانا محبة وحرص اعطف عليه قوله معمما ومن لم يؤمن اى منكم ومن غيركم بالله اى الذى لا موجود على الحقيقة سواه ورسوله الذى ارسله لاظهار دينه وهو الحقيق بالاضافة اليه معبرا عنه بالاسم الاعظم وللزيادة فى تعظيمه وتحقير شانه وتوهية كيده التفت الى مقام التكلم بمظهر العظمة فقال فانا اى على ما لنا من العظمة اعتدنا له او لهم هكذا كان الاصل ولكنه قال معلقا الحكم بالوصف ايذانا بان من لم يجمع الايمان بهما فهو كافر وان السعير لمن كان كفره راسخا فقال للكافرين اى الذين لا يجمعون الايمان بالمرسل والرسول فيكونون بذلك كفارا ويستمرون على وصف الكفر لانهم جبلوا عليه سعيرا اى نارا شديدة الاتقاد والتلهب فهى عظيمة الحر توجب الجنون وانقياد الباطن بالجوع بحيث لا يشبع صاحبه والانتشار بكل شر فان التنكير هنا للتعظيم والتهويل وهذه الآية مع ما ارشد السياق الى طرفها عليه لمن يؤمن دالة وان كانت فى سياق الشرط على ان اكثرهم يخلص ايمانه بعد ذلك ولما انقضى حديث الجنود عامة ثم خاصة من المتمردين والمخلفين وختم بعذاب الكافرين وكان المتصرف فى الجنود ربما كان بعض خواص الملك فلا يكون تصرفه لهم تاما وكان الملك قد لا يقدر على عذاب من اراد من جنوده وكان ذو اقتدار قد لا يقدر على العذاب بكل ما يريده من السعير الموجع لعدم عموم ملكه قال تعالى عاطفا على آية الجنود ولله اى وحده ملك السموات والارض اى من الجنود وغيرها يدبر ذلك كله كيف يشاء ولما لم يكن فى هؤلاء من عذب بما عذب به الامم الماضية من الريح ونحوها لم يذكر ما بين الخافقين وذكر من نتيجة التفرد بالملك ما نصبه الحال من الترغيب والترهيب يغفر لمن يشاء اى لا اعتراض لاحد عليه ويعذب من يشاء لانه لا يجب عليه شئ ولا يكافئه احد وليس هو كالملوك الذين لا يتمكنون من مثل ذلك لكثرة الاكفاء المعارضين لهم فى الجملة وعلم من هذا التقسيم المبهم ايضا ان منهم من يرتد فيعذبه ومنهم من يثبت على الاسلام فيغفر له لانه لا يعذب بغير ذنب وان كان له ان يفعل ذلك لانه لا يسأل عما يفعل وملكه تام فتصرفه فيه عدل كيف ما كان ولما كان من يفعل الشئ فى وقت قد لا يستمر على وصف القدرة عليه قال وكان الله اى المحيط بصفات الكمال ازلا وابدا لم يتجدد له شئ لم يكن ولما ابتدا الآية بالمغفرة ترغيبا فى التوبة ختم بذلك لان المقام له وزاد الرحمة تشريفا لنبى المرحمة بالتر فقال غفورا اى لذنوب المسيئين رحيما اى مكرما بعد الستر بالانعمة الفعول بقدرته على الانعام كقدرته على الانتقام ولما ذم المخلفين بما ستره انهم هالكون بعد ان قدم انه لعنهم وكان قد وعد سبحانه اهل الحديبية فتح خيبر جبرا لهم بما منعهم من الاستيلاء على مكة المشرفة لما له فى ذلك من الحكم البالغة الدقيقة وختم بانه نافذ الامر وكان فى ذلك مستندا لاحاطة العلم دل على كلا الامرين بقوله استئنافا فاجابا بالمراد كانه قيل فاهل يعفو للمخلفين حتى يكونوا كانهم ما تخلفوا سيقول اى بوعد لا خلف فيه ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم بحيث لا مطمع لاحد يظفر منه بشئ لا مر الله اسقط ما عبر فى ذكرهم اولا من خطابه وقال المخلفون اى الذين يطمعون فيه من الصحابة ان يسعى فى تمكينهم من المسير فى جيشه صلى الله عليه وسلم كما الحكم عليه ونحو ذلك ولم يقيدهم بالاعراب ليعم من كان تخلف من غيرهم اذا انطلقتم بتمكين الله لكم الى مغانم ولما ابهم اللفظ الاخذ والتعبير بصيغة منتهى الجموع كثرتها صرح بالاول رفعا للمجاز فقال لتاخذوها اى من خيبر ذرونا اى على اى حالة شئتم من الاحوال الدنية نتبعكم ولما كان يلزم من تمكينهم من ذلك اخلاف وعد الله بانها تختص اهل الحديبية وانه طرد المنافقين وخيب قصدهم علل قولهم بقوله يريدون اى بذلك بهم معكم ان يبدلوا كلام الله اى المحيط قدرة وعلما فى الاخبار بلعنهم وابادتهم وان فتح خيبر مختص باهل الحديبية لا يشركهم فيه الا من وافقهم فى النية والهجرة ليتوصلوا بذلك الى تشكيك اهل الاسلام فيه والمراد انه يعلمهم فعل من يريد ذلك ولا يبعد ان يكونوا صنفين منهم من يريد ذلك ومنهم من لم يرده ولكن بفعله فعل من يريده ولما كان السامع جديرا بان يسال عما يقال لهم فان تخاطبنا لاصدق الخلق قل اى لهم اذا ابلغك كلامهم انت بنفسك فان غيرك لا يقوم مقامك فى هذا الامر المهم قولا مؤكدا لن تتبعونا اى وان اجتهدتم فى ذلك وساقه مساق النفى وان كان المراد به النهى لانه مع كونه آكد يكون علما من اعلام النبوة وهو ازجر وادل على الاستهانة ولما آذن هذا التاكيد انه من عند من لا يخالف اصلا فى مراده بين هو بينه بقوله كذلكم اى مثل هذا القول البديع الشان العلى الرتبة قال الله اى الذى لا يكون الا ما يريد وليس هو كالملوك الذى لا قدرة لهم على الغفران لمن شاء او العقاب لمن شاء اى هذا الوقت وهو الذى لا يمكن الخلف فى قوله فانه قضى ان لا يحضر خيبر المراد بهذه الغنائم الا من حضر الحديبية واسر بذلك نبيه كما قال بعد اجتهاد بعض المخلفين فى اخلافه فانهم عزموا لهم الطمع بعد سماعهم قول الله هذا فطلبوا ان يخرجوا معه صلى الله عليه وسلم فمنعوا فلم يحضرها منهم احد وذلك انه صلى الله عليه وسلم رجع من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست فاقام الى ان اتم المحرم سنة سبع وخرج باهل الحديبية الى خيبر ففتحها الله عليه واخذ جميع اموالها

من المنقولات والعقارات واتى ابيه صلى الله عليه وسلم وهو بها بعد فتحها ابن عمه جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وبعض من معه
من مهاجرة الحبشة فاشركهم النبي صلى الله عليه وسلم مع اهل الحديبية لانهم لم يكونوا مخلفين بل كانوا متخلفين لعذر عدم
الادراك ولما كانوا منافقين لا يعتقدون شيئا من هذه الاقوال بل يظنون انها حيل على التوصل الى المرادات الدنيوية
سبب عن قولهم ذلك قوله تنبيها على جلافتهم وكساد ظنونهم فسيقولون ليس الامر كما ذكر مما ادعى انه قول الله بل انما قلتم
ذلك لانكم تحسدوننا فلا تريدون ان يصل الينا من الغنائم شيء ولما كان التقدير وليس الامر كما زعموا رتب عليه
قوله بل كانوا اي جبلة وطبعا لا يفقهون اي لا يفهمون فهم الحاذق الماهر الا قليلا في امر دنياهم ومن ذلك اقرارهم
بالايمان لاجلها واما امور الآخرة فلا يفهمون منها شيئا ولما كان ذلك يوقع في نفس السامع السؤال عن هذا الطرد هل
يستمر اجيب بانهم سيمتحنون بامر شاق يحمل به الله للتمييز بين المخلص وغيره فقال مكررا لوصفهم بالتخلف اعلاما بانهم
في الحقيقة ما تخلفوا بل منعوا طردا لهم وابعادا معذبا لهم بما خلعهم عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العمرة من الخوف
من قتال قريش لشدة باسهم حما ثابت المحبين له صلى الله عليه وسلم بقصد ما عزموا عليه من القتال الى النصر او الموت من كف
ايديهم عنهم بما جعله الله سببا للفتح الاعظم والتفرغ لفتح خيبر واخذ غنائمها الكثيرة من غير كبير كلفة قل اي يا اعظم
الخلق للمخلفين وزاد في ذمهم بنسبتهم الى الجلافة فقال من الاعراب اي اهل غلظ الاكباد ويجوز ان يكون هذا القيد
للاحتراز عن المخلفين من اهل المدينة فيكون اشارة الى ان الاعراب ينقسمون عند هذا الدعا الى مطيع وعاص كما اشار اليه تقسيمه
سبحانه لهم وان المخلفين من اهل المدينة لمثل ما اعتل به الاعراب لا مطمع في صلاحهم ستدعون بوعد لا خلف فيه
باخبار محيط العلم والقدرة دعوة محيطة ونفيرا عاما لما اقيم الاسناد الى جميعهم من اعم صحة امامه [illegible]
ودل على بعدهم عن ارضهم بقوله الى قوم ولما افهم التعبير بذلك ان لهم قوة وسلكا على ما يحاولونه اوضح المعنى بقوله
اولي باس اي شدة في الحرب وشجاعة مع مكر ودهاء شديد ولما كان كانه قيل لماذا قال تقاتلونهم اي بامر
امامهم او يسلمون اي يدعوكم اليهم ليكون احد الامرين لان كلمة الله هي العليا المقاتلة منكم او الاسلام منهم
فان لم يسلموا كان القتال لا غير وان اسلموا لم يكن قتال لان الامام لا غرض له الا اعلاء كلمة الله ولا يكون شيء غير هذين الامرين
من ابقاء بجزية او مصالحة او متاركة الى مدة او نحو ذلك وهذا الداعي هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه والقوم بنو حنيفة
وغيرهم من اهل الردة الذين كان الدعا اليهم اول الخلافة الصديق رضي الله عنه واما قول من قال انهم ثقيف فضعيف
لان الدعا لم يكن اليهم انما كان المقصود بالذات فتح مكة وكان امر هوازن وثقيف وغيرهما تبعا له في غزوته لم يكن اليهم
وايضا فان ثقيف لما عسر امرهم تركهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا بعد ذلك وترك ايضا فلا هو ان قلم تبتبعهم ولا
امر باتباعهم وظاهر الاية انه اذا انتشب القتال لا يترك الا ان حصل الاسلام والقول بانهم فارس والروم ضعيف
ايضا بان كلا منهم تقبل منهم الجزية وتاويله بانه اسلام لغوي لا داعي له مع امكان الحقيقة وقد كان ما اشار اليه التقسيم
فانهم لما دعوا اليهم انقسموا الى المجيب وهم الاكثر وقد اتاهم الله الاجر الحسن في الدنيا بالغنيمة والذكر الجميل وهو
المرجو لهم في الآخرة ومرتد وهم قليل وقد اذاقهم الله العذاب الاليم في الدنيا بالقتل على اقبح حال وهو يذيقهم في الآخرة
اعظم النكال واما قتال عز العرب فاطاع فيه الكل ولم يحصل فيه ما اشير اليه من التقسيم فتحقق بهذا انهم اهل الردة
والله الموفق ولذلك سبب عن دعوة الحق قوله مرددا القول في حالهم مبهما له اشارة الى انهم عند الدعا ينقسمون الى
مقبل ومتول فان تطيعوا اي توقعوا الطاعة للداعي الى ذلك وهو ابو بكر رضي الله عنه يؤتكم الله اي الذي له الاحاطة
اجرا حسنا دنيا واخرى جعل الله طاعة ابي بكر رضي الله عنه في هذا الامر بالخصوص كطاعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي طاعته طاعة الله جزاء له على خصوصه في مزيد تسليمه لما فعل النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح وثباته لما
اجابه عمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم من غير ان يكون حاضرا له كما هو معلوم من السيرة ولما
كانت مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن يقوم مقامه لا تكون الا عن منازعة للفطرة الاولى ومعالجة لها [illegible] لتسهل
فقال وان تتولوا اي عن قبول دعوته عصيانا كما توليتم اي عالجتم انفسكم وكلفتموها التولي بالتخلف عن الرسول صلى الله
عليه وسلم من قبل اي في بعض الازمان التي تقدمت على هذا الدعا وذلك في الحديبية يعذبكم اي يحال الحكم بعقوبة تزيل
العذوبة في الدنيا او في الآخرة او فيهما عذابا اليما لاجل تكرر ذلك منكم ولما توعد المتخلفين بتخلفهم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توعدهم في التقاعد عن طاعة هذا الامام القائم بعده بالحق وكان اهل الاعذار لا
يتيسر لهم ما اريد بهذا الدعا وكان الدين مبنيا على الحنيفية السمحة استانف قوله مستثنيا لما استثناه الوعيد من ذمهم
ليس على الاعمى اي في تخلفه عن الدعا الى الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم او مع غيره من ائمة الهدى حرج اي ميل بثقل الاثم
لاجل ان عماه موهن لسعيه وجميع بطشه ولاجل تاكيد المعنى تسكينا لما ثار من روع المؤمن كررا لنافي والحرج في كل

جملة فقال ولا على الاعرج وان كان نقصه ادنى من نقص العمى حرج وجعل كل جملة مستقلة تاكيدا لهذا الحكم ولما ذكر
هذين الامرين الخاصين لمزيد ضررهما في العاقة عن كمال الجهاد عم بقوله ولا على المريض اي باي مرض كان حرج فلم يخرج
اهل هذه الاعذار الذين لم يمنعهم الا العذر من اهل الحديبية واطلق الحرج المنفي ليقبل التقدير بالتخلف والاجابة لان
حضورهم لا يخلو عن نفع في الجهاد وذكر هكذا دون اسلوب الاستثناء ايذانا بانهم لم يدخلوا في الوعيد اصلا حتى يخرجوا
منه ولما بشر المطيعين لتلك الدعوة وتوعد القاعدين عنها وعذر المعذورين وكانت اجابة المعذور جائزة
بل ارفع من قعودهم وكذلك لم ينف اجابتهم انما نفى الحرج قال معمما عاطفا على ما تقديره فمن تخلف منهم فتخلفه مباح له
ومن يطع الله اي المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من اثار صفاته على من يشا ولو كان ضعيفا المانع منها من يشاء وان كان
قويا ورسوله من المعذورين وغيرهم فيما ندبا اليه باي طاعة كانت اجابته يدخله اي الله الملك الاعظم جزاء له هي
جنات تجري ونبه على قرب منال الما باثبات الجار في قوله من تحتها الانهار اي ففي اي موضع اردت اجريت نهرا ومن يتول
اي كائنا من كان من المخاطبين الآن وغيرهم عن طاعة من الطاعات التي امرا بها اي طاعة كانت يعذبه اي على توليه في
الدارين او احدهما عذابا اليما وقراة اهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون اظهر في ارادة العظمة
لاجل تعظيم النعمة والنقمة ولما وعد المطيع واوعد العاصي وكانت النفوس الى الوعد اشد التفاتا دل عليه
بثواب عظيم منه امر محسوس يعظم جذبه للنفوس القاصرة عن النفوذ في عالم الغيب فقال مؤكدا لان اعظم المراد به المبايعون
مستحقا لان السياق موجب للتوقع لما جرى من السنة الالهية انها اذا اشوقت الى شيء دلت عليه بمشهود يقرب
الغائب الموعود لقد رضي الله اي الذي له الجلال والجمال عن المؤمنين اي الراسخين في الايمان اي بفعل معهم فعل الراضي
بالعجل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب وافهم ذلك انه لم يرض عن الكافرين فجعل لهم في الدنيا مع ما اعد لهم في الآخرة
فالآيات تفسير لما ذكر من جزا الفريقين بامور مشاهدة ولما ذكر الرضى ذكر وقته للدلالة على سببه فقال
اذ اي حين وصور حالهم اعلاما بانها اشارة معجبة شديد الرسوخ في الرضى فقال يبايعونك اي في عمرة الحديبية
لما صد المشركون عن الوصول الى البيت فبعث عثمان رضي الله عنه اليهم ليخبرهم بانك لم تجئ لقتال وانما جئت للعمرة
فبلغك انهم قتلوه فندبت الى البيعة لمناجزتهم فبايعك كل من كان معك على ان لا يفروا والتناجز بهم القوم وزاد
الامر بيانا وفيه تفضيلا لاهل البيعة بقوله تحت الشجرة واللام للعهد الذهني وكانت سمرة في الموضع الذي كان
النبي صلى الله عليه وسلم نازلا به في الحديبية ولاجل هذا الرضى سميت بيعة الرضوان وروى البغوي من طريق الثعلبي
عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة ولما دل
على اخلاصهم بما وصفهم سبب عنه قوله فعلم اي بما له من الاحاطة ما في قلوبهم اي من مطابقته لما قالوا بالسنتهم
في البيعة وانما حصل لبعضهم من الاضطراب في قبول الصلح والكآبة منه انما هو لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
واثار ما يريدون من اعلاء دينه واظهاره لا عن شك في الدين وسبب عن هذا العلم ترغيبا في مثل حال الممدوحين عنهم
قوله فانزل السكينة اي ثبات القلوب وطمانينتها في كل حالة ترضي الله ورسوله ودل على عظمها بحيث انها نقلت الخوف
وان عظم بقوله عليهم فاثر ذلك انهم لم يخافوا عاقبة القتال لما ندبوا اليه وان كانوا في كثرة الكفار كالشعرة البيضا
في جنب الثور الاسود ولا اثر الصلح بما يتراءى فيه من الضعف وغيره من مخايل النقص في قلوبهم في ذلك المقام الدحض
والموطن الضنك الا ايمانا او اصدق عزيمة الرسول صلى الله عليه وسلم ومضاء امره في ذلك بما يفعل ويقول ولما
ذكر منته سبحانه عليهم بما هو الاصل الذي لا ينبني الا عليه اتبعه اثاره فقال واثابهم اي اعطاهم جزاء لهم على ما
وهبهم من الطاعة والسكينة فيما جزاء معقبا عليهم بملاءمة مواضع احتياجهم هو اهل لان يقصده الانسان ويتردد
في طلبه لماله من الاقبال والمكنة والتمول فتحا بما اوقع سبحانه من الصلح المترتب على تحجيز قريش عن القتال قريبا
بترك القتال الموجب لبعد راحتهم وقوتهم وحموهم لاختلاط بعض الناس ببعض فدخل في الدين من كان مباعدا له
لما يرى من محاسنه فسيكون الفتح الاعظم فتح مكة المشرفة الذي هو سبب لفتح جميع البلاد ولما ذكر
الفتح ذكر بعض ثمرته فقال ومغانم ونبه بصيغة منتهى الجموع الى انها عظيمة ثم صرح بذلك في قوله كثيرة ولما كان
الشيء ربما اطلق على ما هو بالقوة دون الفعل ازال ذلك بقوله ياخذونها وهي خيبر ولما كان ذلك
مستبعدا لكثرة الكفار وقلة المؤمنين بين سببه فقال عاطفا على ما تقديره لعزة الله وحكمته وكان الله اي الذي
لا كفؤ له عزيزا اي يغلب ولا يغلب حكيما يتقن ما يريد فلا ينقض ولما قرر ذلك وحرر وتاكد وتقرر
اقبل سبحانه عليهم بالخطاب تلذيذا لهم فقال مزيلا لكل احتمال يتردد في خواطر المخلفين وعدكم الله اي
الملك الاعظم مغانم وحقق معناها بقوله كثيرة تاخذونها اي فيما ياتي من بلدان شتى لا تدخل تحت حصر ثم سبب عن هذا

الوعد قوله فجعل لكم اى منها هذه اى القضية التى اوقعتها بينكم وبين قريش من وضع الحرب عشر سنين ومن انكم تاتون فى
العام المقبل فى مثل هذا الشهر فتعتمرون فانها سبب ذلك كله عزاه ابو حيان لابن عباس رضى الله عنهما وهو فى غاية
الظهور ويمكن ان يكون المعنى التى فتحها عليكم من خيبر من سبيها واموالها المنقولات وغيرها وكف ايدى الناس اى
من اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان ان يعينوا اهل خيبر او يغيروا على عيالاتكم بعد ما هموا بذلك بعد ما كف ايدى
قريش ومن دخل فى عهدهم بالصلح عنكم على ما انتم فيه من القلة والضعف ولما كان التقدير رحمة لكم على طاعتكم
لله ورسوله وجزاء التقوى ايديهم ونزوا اسباب الفتح القريبة بما يدخل من الناس فى دينكم عند المخالطة بسبب الامان
عطف عليه قوله ولتكون اى هذه الاسباب من الفتح والاسلام آية اى علامة هى فى غاية الوضوح للمؤمنين اى منكم على
دخول المسجد الحرام آمنين فى العمرة ثم فى الفتح ومنكم ومن غيركم من الراسخين فى الايمان الى يوم القيمة على جميع ما يخبر الله به
لما وقع التدريب عليه فى هذا التدبير الذى دبره لكم من انه لطيف يوصل الى الاشياء العظيمة باضداد اسبابها فيما
يرى الناس فلا يرتاع مؤمن لكثرة المخالفين وقوة المنابذين ابدا فان بسبب كون الله مع العبد هو الاتباع بالاحسان الذى
عماده الرسوخ فى الايمان الذى علوا الحكم به تحببنا وخبر المعلق عليه وخبر المعلق وهو النصر باسباب خفية او جلية
ويهديكم فى نحو هذا الامر الذى همكم فازعجكم بالثبات عند سماع الوعد والوعيد والثقة بمضمونه لانه قادر حليم
فهو لا خلف الميعاد صراطا مستقيما اى طريقا واسعا واضحا موصلا الى الكرامة من غير شك وهذا من اعلام النبوة فانه
لم يزغ احد من المخاطبين بهذه الاية وهم اهل الحديبية وكانه والله اعلم لذلك لم يقل ويهديهم بالغيب على ما اقتضاه
السياق لئلا يعم غيرهم ممن يظهر صدقه فى الايمان ثم يزيغ وكذا اكثر تفاصيل هذه السورة من اعلام النبوة فانه وقع
الاخبار به قبل وقوعه ولما بشرهم سبحانه بما بشرهم به من كون القضية فتحا ومن غنائم خيبر اتبع ذلك
البشارة بغيرها دالا على انها مما لا مطمع لهم فى حوزه ولا علاجه لولا معونته فقال واخرى اى ووعدكم مغانم كثيرة
غير هذه وهى والله اعلم لذلك لم يقل ويهديكم غنائم هوازن التى لم يحصل قبلها ما يقاربها ولما كان فى
علمه سبحانه ان الصحابة رضى الله عنهم يظنون فيها الامن لا يمكنه فى العادة ان يهزمهم لبعض الغنائم وكان ما فى علمه
تعالى فى تحققه كالذى وقع وانقضى قال لم تقدروا اى بما علمتم من فراركم عليها ولما توقع السامع بعد عليه
بجزمهم عنها الاخبار عن السبب الموصل الى اخذها بما تقرر عنده من صدق الوعد بها قال مستحاجرا بالتوقع قد احاط الله
اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما بها فكانت بمنزلة ما ادر عليه سور مانع من ان يفلت منها شئ عن حوزتكم او يقدر غيركم
ان ياخذ منها شيئا ولذلك وللتعميم ختم الاية بقوله وكان الله اى المحيط بجميع صفات الكمال ازلا وابدا على كل شئ منها
ومن غيرها قديرا بالغ القدرة لانه بكل شئ عليم ولما قدم سبحانه انه كف ايدى الناس اجمعين عنهم ذكر حكمهم
لو وقع قتال فقال معترا القدرته عاطفا على نحو فلو اراد لمكنكم من الاعتمار مؤكدا لاجل استبعاد من يستبعد ذلك
من الاعراب وغيرهم ولو قاتلكم اى فى هذا الوجه الذين كفروا اى اوقعوا هذا الوصف من الناس عموما الراسخ فيه
ومن دونه وهم اهل مكة ومن لافهم وكانوا قد اجتمعوا وجمعوا الاحابيش ومن اطاعهم وقدموا خالد بن الوليد طليعة
لهم الى كراع الغميم ولم يكن اسلم بعد لولوا اى بغاية جهدهم الادبار منهزمين ولما كان عدم نصرهم
بعد التولية مستبعدا ايضا لما لهم من كثرة الامداد وقوة الحمية قال معبرا باداة البعد ثم اى بعد طول الزمان
وكثرة الاعوان لا يجدون فى وقت من الاوقات وليا اى من يفعل معهم فعل القريب من الحياطة والشفقة والحراسة
من عظيم ما يحصل من رعب تلك التولية ولا نصيرا ولما كانت هذه عادة جارية قديما مع اولياء الله
حيثما كانوا من الرسل واتباعهم وانجدنا لهم الغالبون قال سنة الله اى سن المحيط بهذا الخلق فى هذا الزمان
وما بعده كما كان محيطا بالخلق فى قديم الدهر وكذلك قال التى قد خلت اى سنة مؤكدة لا تتغير وادخل الجار لاجل ان
القتال ما وقع فى الزمان الماضى لا بعده ولا التوراة فقال من قبل واما قبل ذلك فانما كان يحصل الهلاك بامر
من عند الله بغير ايدى المؤمنين ولن تجد ايها السامع لسنة الله الذى لا يخلف قوله لانه محيط بجميع صفات الكمال
تبديلا اى تغييرا من مغير ما يغيرها بما يكون بدلها ولما تقرر ان الكفار مغلوبون وان قاتلوا وكان ذلك
من خوارق العادات مع كثرتهم دائما وقلة المؤمنين حتى يأتى امر الله موقعا للعلم القطعى بانه ما دبره الا الواحد القهار
القادر المختار عطف عليه عجبا اخر وهو عدم نصر اهل مكة فى هذه العمرة للقتال بعد تعاهدهم وتعاقدهم عليه
مع ما لهم من قوة العزايم وشدة الشكايم فقال عاطفا على ما تقديره هو الذى سن هذه السنة العامة وهو الذى كف
اى وحده ايديهم اى الذين كفروا من اهل مكة وغيرهم فان الكل شئ واحد عنكم وايديكم ايها المؤمنون عنهم ولما
كان الكفار لو بسطوا ايديهم مع ما حماه الله وسنته من تولية الكفار دخلوا مكة قال ببطن مكة اى كائنا كل منكم

ومنهم

ومنهم فى داخل مكة ثم حالا وانتم ما لا وعن القفال انه قال يجوز ان يراد به الحديبية لانها من الحرم انتهى وعبر بالبطن دون الباء
كما فى العمران اشارة الى انه فعل هنا ما اقتضاه مدلول هذا الاسم من الجمع والنقص والتنقية فسبب لهم اسباب الاجتماع
والتنقية من الذنوب بما اشارت اليه آية المعرج حالا واياتا الفتح مالا وفى ما يدل عليه اسمها من الاهلاك على خلاف القياس
كان هذا البر مستغرقا لجميع الزمان الاتى بل لانه ان يبسط ايدى المؤمنين بها يوم الفتح ادخل الجار فقال من بعد
ان اظفركم اى اوجد فوزكم بكل ما طلبتم منهم وجعل لكم الطول والعز عليهم وذلك فيما رواه اصحاب السير قالوا ودعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم خراش بن امية الخزاعى رضى الله عنه فبعث الى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ
اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا قتله فمنعته الاحابيش فخلوا سبيله حتى
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثت قريش اربعين رجلا منهم او خمسين وامروهم ان يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله
ليصيبوا لهم من اصحابه احدا فاخذوا اخذا فاتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفى عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا فى
عسكره بالحجارة والنبل ثم ذكروا ارساله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضى الله عنه الى مكة ثم ارسال قريش لسهيل بن عمرو فى الصلح
وروى مسلم فى صحيحه عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال لما اصطلحنا واختلط بعضنا ببعض اتيت شجرة فاضطجعت فى اصلها
فاتانى اربعة من المشركين من اهل مكة فجعلوا يقعون فى النبى صلى الله عليه وسلم فابغضتهم فتحولت الى شجرة اخرى وعلقوا
سلاحهم واضطجعوا فبيناهم كذلك اذ نادى مناد من اسفل الوادى يا آل المهاجرين قتل ابن زنيم فاخترطت سيفى ثم شددت
عليهم على اولئك الاربعة وهم رقود فاخذت سلاحهم فجعلته ضغثا فى يدى ثم قلت والذى كرم وجه محمد لا يرفع احد منكم
راسه الا ضربت الذى فيه عيناه ثم جئت بهم اسوقهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عمى عامر رضى الله عنه برجل من
العبلات يقال له مكرز يقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس مجفف فى سبعين من المشركين فنظر اليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه فعفى عنهم وانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم الاية
وروى مسلم والنسائى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم وفى رواية النسائى قالوا ناخذ محمدا
واصحابه فاخذهم النبى صلى الله عليه وسلم سلما فاستحياهم فانزل الله عز وجل وهو الذى كف ايديهم عنكم الاية ولما
كان هذا ونحوه من عنف اهل مكة وغلظتهم وصلابتهم وشدتهم ورفق النبى صلى الله عليه وسلم بهم ولينه لهم مما اخرق اغلب
الصحابة رضى الله عنهم قال تعالى يسليهم وكان الله اى المحيط بالجلال والاكرام بما يعملون اى الكفار على قراءة ابى عمرو وبالغيب
وانتم على قراءة الباقين بالخطاب فى ذلك الوقت وفيما بعده كما كان قبله بصيرا اى محيط العلم ببواطن ذلك كما هو محيط
بظواهره فهو يجريه فى هذه الدار التى ربط فيها المسببات باسبابها على اوثق الاسباب فى نصركم وغلبكم لهم وقسركم وستعلمون
ما دبر من دخولكم مكة المشرفة آمنين لا تخافون فى عمرة القضاء صلحا ثم فى الفتح بجحفل جرار رفيعة نبطت اطفاد المنايا باسنة
رماحه وعادت كؤس الحمام طوعا لبيض صفاحه فيمن كان من اهل مكة وغيرهم ممن هو الان جاهد عليكم ويصيرون احب الناس
اليكم يبذلون انفسهم فى جهاد الكفار ونكم يفتح الله بكم البلاد ويطهرهم وهم اعظم المحامين عنكم على ساير العباد ولما
كان ما مضى من وصفهم على وجه يشمل غيرهم من جميع الكفار عينهم مبينا لسبب كفهم عنهم مع استحقاقهم
فى ذلك الوقت للبوار والنكال والدمار فقال هم اى اهل مكة ومن لافهم الذين كفروا اى اوغلوا فى هذا الوصف بجميع
بواطنهم وتمام ظواهرهم وصدوكم زيادة على كفرهم فى عمرة الحديبية هذه عن المسجد الحرام اى مكة ونفس المسجد والكعبة
للاحلال مما انتم فيه من شعاير الاحرام بالعمرة والهدى اى وصدوا اما الهدى يعنوه الى مكة المشرفة لتذبحوه بها وتفرقوه على
الفقراء ومنه اربعون وفى رواية سبعون بدنة كان اهداها النبى صلى الله عليه وسلم معكوفا اى حال كونه مجموعا محبوسا
مع رعيكم له واصلاحه لما اهدى لاجله ان يبلغ محله اى الموضع الذى هو اولى المواضع لنحره وهو الذى اذا اطلق انصرف
الذهن اليه وهو فى العمرة المروة ويجوز الذبح فى الحج والعمرة فى اى موضع كان من الحرم فالموضع الذى نحر فيه النبى صلى الله عليه
وسلم فى هذه المرة عند الاحصار ليس محله المطلق ولما كان التقدير فلولا ما اشار سبحانه اليه من ربط المسببات
باسبابها لسلطكم عليهم فغلبتموهم على المسجد واتممتم عمرتكم على ما اردتم عطف عليه امرا اخص منه فقال ولولا رجال
اى مقيمون من اظهر الكفار بمكة مؤمنون اى عريقون فى الايمان لكانوا لذلك اهلا للوصف بالرجولية ونساء مؤمنات
اى كذلك حبس الكل عن الهجرة العذر لان الكفار لكثرتهم استضعفوهم فمنعوهم الهجرة على ان ذلك شامل لمن حبله الله على الخير
وعلم منه الايمان وان كان فى ذلك الوقت مشركا لم تعلموهم اى لم يحط علمكم بهم من جميع الوجوه لتميزوهم باعيانهم عن المشركين
لانهم ليس لهم قوة التميز منهم بانفسهم وانتم لا تعرفون اماكنهم لتعاملوهم بما هم له اهل ولا سيما فى حال الحرب والطعن والضرب
ثم ابدل من الرجال والنساء قوله ان تطؤوهم اى تؤذوهم بالقتل وما يقاربه من الجراح والضرب والنهب ونحو من الوطء

الذى هو الايقاع بالحرب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم آخر وطأة وطئها الله بوج يكون لك الاذى منكم لهم على ظن انهم مشركون
اذى الدائس للمدوس وتضغطوهم وتاخذوهم اخذ اشد يدا بقهر وغلبة تقصرونه لا تردون يد لامس ولا تقدرون على مدافعة
فتصيبكم اى فيتسبب عن هذا الوطء ان يصيبكم منهم اى من جهتهم وبسببهم معرة اى مكروه واذى هو كالحرب فى المشقة
واداه واثم وخيانة بقتالكم دون اذن خاص وبعدم الامعان فى البحث وغرم وكفارة ودية وتاسف وتعيير ممن لا علم له على الوطء
المسبب عنه اصابة المعرة اتماما للمعنى قوله بغير علم اى بانهم من المؤمنين ولما دل السياق على ان جواب لولا محذوف
تقديره لسلطكم عليهم وما كف ايديكم عنهم ولكنه علم ذلك وعلم انه سيؤمن ناس من المشركين فمن عليكم بان دفع حرج اصابتهم
بغير علم عنكم وسبب لكم اسباب الفتح الذى كان يتوقع بسبب تسليطكم عليهم بامر سهل وكف ايديكم ولم يسلطكم
عليهم ليدخل الله اى الذى له جميع صفات الكمال فى رحمته اى اكرامه وانعامه من يشاء من المشركين بان يعطفهم الى الاسلام
ومن المؤمنين بان يستنقذهم منهم على رفق وجه ولما كان ذلك انتج قوله لو تزيلوا اى تفرقوا فزال احد الفريقين عن
الاخر زوالا عظيما بحيث لا يختلط صنف بغيره فيؤمن وطء المؤمنين له بغير علم لعذبنا اى بايديكم بتسليطنا اياكم ومجرد ايدينا من غير
واسطة الذين كفروا اى اوقعوا ستر الايمان ولما كان هذا عاما لجميع من اتصف بالكفر من اهل الارض صرح بما دل عليه
السياق فقال منهم اى الفريقين وهم الصادون عذابا اليما اى شديد الايجاع بايديكم او من عندنا لنوصلكم الى قصدكم من الاعتمار
والظهور على الكفار ففيه اعتذار لهم وتدريب على تادب بعضهم مع بعض وفى الاشارة الى بيان سر من اسرار منع الله لهم من التسليط
عليهم حث للعبد على ان لا يتهم الله فى قضائه فربما عسر عليه امر ابظهر له ان السعادة كانت فيه وفى باطنه ثم قال فيكون منع
الله له منه رحمة فى الباطن وان كان نقمة فى الظاهر فالزم التسليم مع الاجتهاد فى الخير والحرص عليه والندم على فواته
واياك والاعتراض وفى الاية ايضا ان الله تعالى قد يدفع عن الكافر لاجل المؤمن ولما بين شرط استحقاقهم للعذاب
بين وقته وفيه بيان لعلته فقال اذ اى حين جعل الذين كفروا اى ستروا ما تراءى من الحق فى مرائى عقولهم فى قلوبهم اى قلوب انفسهم
الحمية اى المنع الشديد والانفة والاباء الذى هو فى شدة حره ونفوذه فى اشد الاجسام كالسم والنار ولما كان
مثل هذه الحمية قد تكون موجبة للرحمة بان يكون لله قال مبينا لعيبها مبعدا لجرمها معظما لجرمها حمية الجاهلية اى التى مدارها مطلق
المنع سواء كان بحق او بباطل فتمنع من الاذعان للحق ومبناها التشفى على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب تخطى حدود الشرع
ولذلك انفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذى الناس فيه سواء ومن الاقرار بالبسملة فاتجملهم هذه الحمية
ان تكبروا عن كلمة التقوى وطاشوا وجنحوا الى الشرك الذى هو ابطل الباطل ولما كانت هذه الحمية مع الكثرة موجبة
ولابد لذل من تصوب اليه ولا سيما ان كان قليلا بين دلالة على ان الامر تابع لمشيئته لا للجارى لعادة انه تابع لها ضد
تقتضيه عادة فقال مسببا عن الحمية فانزل الله اى الذى لا يغلبه شئ وهو يغلب كل شئ بسبب حميتهم سكينته اى الشئ
اللائق اضافته اليه سبحانه من الفهم عن الله والروح الموجب لسكون القلب المؤثر للاقدام على العدو والنصر عليه انزالا
كائنا على رسوله الذى عظمته من عظمته ففهم عن الله مراده فى هذه القضية فجرى على اتم ما يرضيه وعلى المؤمنين اى
العريقين فى الايمان لانهم اتباع رسوله وانصار دينه فالزمهم قبول امره الذى فهمه عن الله وخفى عن اكثرهم حتى فهموه
صلى الله عليه وسلم عند نزول سورة الفتح وحماهم من همزات الشياطين ولم يدخلهم ما دخل الكفار من الحمية لينالوا غضبا
لانفسهم فيتعدوا حدود الشرع والزمهم اى المؤمنين الزام اكرام وتشريف لا الزام اهانة وتعنيف كلمة التقوى وهى
كل قول او فعل ناشئ عن التقوى واعلاه كلمة الاخلاص المتقدمة فى القتال وهى لا اله الا الله التى هى احق ما يتقى
التحقق بمدلولها من ابه لهفا على الا الله الثبات على كل ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوحيد والبسملة والرسالة مع تغير
الكتابة بكل منهما لاجل الكفار فى ذلك المقام الدحض الذى لا تكاد تثبت فيه قدم واضافها الى التقوى التى هى اتخاذ ساتر يقى حر
النار لجعلها وصفا لازما لهم لا ينفك عنهم لانها سببها الحامل عليها وجميع الحامل على التقوى اعتقاد الوحدانية بلا اله الا الله
فانها كلمة كما قال الرازى اولها نفى الشرك واخرها تعلق بالله وهذا من اعلام النبوة فان اهل الحديبية الذين الزموا هذه الكلمة ماتوا
كلهم على الاسلام وكانوا اى جبلة وطبعا ولما كان فى الكفار من يستحقها فى علم الله فيصير مؤمنا عبر بافعل التفضيل فقال
احق بها اى كلمة التقوى من الكفار والاعراب وغيرهم من جميع الخلق ولمثل هذا التعميم اطلق الامر بحذف المفضل عليه ولما كان الاحق
بالشئ قد لا يكون اهله من اول الامر قال واهلها اى ولاتها والملازمون لها ملازمة العشير لعشيره والدائبون لها والالفون لها
ولما كان الحكم بذلك لا يكون الا لعالم قال عاطفا على ما تقديره لما علم الله من صلاح قلوبهم وكان الله اى المحيط بما
وقد من بكل شئ من ذلك وغيره عليما اى محيط العلم والاية من الاحتباك ذكر حمية الجاهلية اولا دليلا على ضدها ثانيا
وكلمة التقوى ثانيا دليلا على ضدها اولا وسره انه ذكر مجمع الشر اولا ترهيبا منه ومجمع الخير ثانيا ترغيبا فيه ولما
قرر سبحانه علمه بالعواقب لاحاطة علمه ووجه اسباب كفه ايدى الفريقين وبين ما فيه من المصالح وما فى التسليط من

من المفاسد من قتل من حكم بايمانه من المشركين واصابة من لا يعلم من المؤمنين وغير ذلك الى ان ختم بالاحاطة علمه المستلزم لشمول
قدرته انتج ذلك قوله لمن توقع الاخبار عن الرؤيا التى اقلقهم امرها وكاد بعضهم ان يزلزله ذكرها على سبيل التاكيد
لقد ولما كان النظر الى الرؤيا اعتبارا ان احدا لم يرجح الواقع وهو غيب عن الصحابة رضى الله عنهم والاخر من
جهة الاخبار وهو مع الرؤيا شهادة بالنسبة اليه سبحانه عبر بالصدق والحق فقال صدق الله اى الملك الذى لا كفو
له المحيط بجميع صفات الكمال رسوله الذى هو اعز الخلائق عنده وهو غنى عن الاخبار عما لا يكون انه يكون فكيف اذا كان المخبر رسوله
الرؤيا التى هى من الوحى لانه سبحانه يرى الواقع ويعلم مطابقتها لما فى الحكم من دخول المسجد الحرام امنين بحلق بعض وبتقصير بعض اخرون
ملتبسا حلم ورؤيا رسوله صلى الله عليه وسلم بالحق لان مضمون الخبر اذا وقع فطبق من الواقع وبينه كان الواقع يطابقه
لا يخرم شئ منه عن شئ منه والحاصل انك اذا نسبتها الى الواقع طابقته فكانت صدقا واذا نسبت الواقع اليها طابقها
فكان حقا ولما اقسم لاجل التاكيد لمن كاد يتزلزل اجابه بقوله مؤكدا بما يفهم القسم ايضا اشارة الى عظم الزلزال
لتدخلن اى بعد هذا دخولا قد حتم امره المسجد اى الذى يطاف فيه بالكعبة ولا يكون دخوله الا بدخول الحرم الحرام
اى الذى اجاره الله من امتهان الجبابرة ومنعه من كل ظالم ولما كان لا يجب عليه سبحانه شئ وان وعد به ك
اشار الى ذلك بقوله تاديبا لهم ان يقول احد منهم بعد ذلك الم نقل انا ندخل البيت ونحو ذلك ولغيرهم ان يقول نحو ذلك
ان شاء الله اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال حال كونكم امنين لا تخشون الا الله منقسمين بحسب التحليق والتقصير
الى قسمين محلقين رءوسكم ولعله اشار بصيغة التفعيل الى ان فاعل الحلق كثير وكذا ومقصرين غير ان التقديم يفهم ان الاول
اكثر ولما كان الامن حال الدخول لا يستلزم الامن بعده قال لا تخافون اى لا يتجدد لكم خوف بعد ذلك الى
ان تدخلوا عليهم عام الفتح قاهرين ولما كان من المعلوم ان سبب هذا الاخبار احاطة العلم فكان التقدير هذا امر
حق توثقوا به غاية الوثوق لانه اخبار عالم الغيب والشهادة صدق سبحانه فيه وما ردكم عنه هذه الكرة على هذا
الوجه الا لامور دبرها وشئون احكمها وقدرها فان عاطفا على صدق وعلم سببا عنه او معللا له فعلم اى بسبب ولاية
علم من اسباب الفتح وموانعه وبنائه على الحكمة ما لم تعلموا انها الامة اولها فجعل بسبب احاطة علمه من دون اى ادنى رتبة
من ذلك اى الدخول العظيم فى هذا العام فتحا قريبا يقويكم به من فتح خيبر ووضع الحرب بين العرب بهذا الصلح
واختلاط بعض الناس ببعض بسبب ذلك الموجب لاسلام بشر كثير تتقوون بهم فتكون تلك الكثرة والقوة سبب هيبة
الكفار المانعة لهم من القتال فتقل القتلى رفقا باهل حرم الله اكراما لهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم عن اماره قومه
واصابة من عنده من المسلمين المستضعفين من غير علم ولما اخبر بهذه الامور الجليلة الرفيعة المبنية على
احاطة العلم علمها وبين الصدق فيها بقوله هو اى وحده الذى ارسل رسوله اى الذى لا رسول احق منه باضافته
اليه بالهدى اى الكامل الذى يقتضى ان يستقيم به اكثر الناس ولو انه احد سئ يكون دينه ادنى مقال الحركين الارسال
بالهدى ودين الحق اى الامر الثابت الكامل فى الثبات الذى يطابقه الواقع ليظهره اى دينه على الدين كله دين اهل
مكة والعرب عباد الاصنام الذى يقتضى اظهاره عليه دخوله اليها امنا واظهاره على من سواهم من اهل الاديان الباطلة
بايدى صحابته الابرار والتابعين لهم باحسان الجهاد الى تكامل نزول عيسى عليه السلام مع الدنو بالخلق والرحمة لهم
فلا يفعل الامن لاصلاح له اصلا وعلى هذا الجبروت يحصل الفتح فلاجل ذلك هو يدبر امره بمثل هذه الامور التى توجب لضرع
وتعلى قدره مع الرفق بقومه وجميل الصنع لاتباعه فلابد ان تروا من فتوح اكثر البلاد وقهر الملوك الشداد ما تقر به
به بقدرة الله ولما كان فى سياق احاطة العلم وكان التقدير شهد ربه سبحانه بتصديقه فى كل ما قاله باظهار المعجزات
على يديه بنى عليه قوله وكفى بالله اى الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال شهيدا اى ذا رؤية وخبر بطنه كل شئ ودخلته لما له
الغنى فى امره ولا شهيد فى الحقيقة الا هو سبحانه لانه لا احاطة لغيره ورتبة الاله سبحانه وهو يشهد بكل ما اخبر به رسوله
صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة خصوصا وفى غيرها عموما ولما ختم سبحانه باحاطة العلم بالخفايا والظواهر
فى الاخبار بالرسالة عينها فى قوله جوابا لمن قد يقول من الرسول المنوه باسمه محمد رسول الله اى الملك الذى لا كفو له
هو الرسول الذى لا رسول يساويه لانه رسول الى جميع الخلق من ادرك زمانه بالفعل فى الدنيا ومن تقدمه بالقوة
فيها وبالفعل فى الاخرة يوم يكون الكل تحت لوائه وقد اخذ على الانبياء كلهم الميثاق بان يؤمنوا به ان ادركوه واخذوا له
الانبياء على اممهم لا تكتب الرحمة التى وسعت كل شئ الا لمن وقع العلم المحيط بانه يؤمن به فما عمل عامل عملا صالحا الا كان له
مثل اجره تقديره ذلك العامل او نحو كان من اهل السماء او من اهل الارض وهذا امر لا يحصيه الا الله واشار بذكر هذا
الاسم بخصوصه فى سورة الفتح الى انه صلى الله عليه وسلم هو الخاتم لما اشارت اليه الميم التى مخرجها ختام المخارج وهى
محيطة لما اشارت اليه صورتها وكررت فى الاسم لمزيد غاية التاكيد وهى لام كما اشار اسمه احمد الى انه مع كونه خاتما

هو نايح بما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم كنت أولهم خلقا وآخرهم بعثا واختصت به سورة الصف ليعادل ذلك
بتصريح المبشر به عليه السلام بالبعدية في قوله برسول يأتي من بعدي اسمه احمد واشارت الميم اوله ايضا الى بعثه عند
الاربعين وما بقي من حروفه وهي حد بعدد اله كمال الحمد بالفعل في السنة الثانية والخمسين من عمره وهي الثانية عشر
من نبوته ببيعة الانصار رضي الله عنهم وقد اشارت هذه السورة الى كلمة الاخلاص تلويحا وصرحت بما ذكر من كلمة
الرسالة تصريحا وبطنت سطوة الالهية وظهرت الرحمة المحمدية كما اشارت القتال الى الرسالة تلويحا وصرحت سطوة
الالهية بكلمة الاخلاص الناشئة القتال تصريحا وقد تقدم في القتال شيء من اسرار الكلمتين ولما ذكر الرسول
ذكر المرسل اليهم فقال والذين معه اي بمعيته الصحبة من اصحابه وحسن التبعية من التابعين لهم باحسان ولما
كان شرف القوم شرفا لرئيسهم مدحهم بما يشمله فقال اشداء على الكفار فهم لا تاخذهم بهم رأفة بل هم معهم كالاسد
على فريسته لان الله امرهم بالغلظة عليهم رحماء بينهم كالولد مع الوالد لان الله تعالى امرهم باللين للمؤمنين وهكذا من في
زمانهم الان كان من اهل صيتهم فهو يحبهم ويحبونه بشهادة آية المتابعة ولما كان هذا بخلاف ما وصفت
به الامم الماضية من انهم ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فكان عجبا بين الحامل عليه بقوله تراهم اي ايها
الناظر لهم ركعا سجدا اي دائمي الخضوع فاكثر اوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملكية على صفاتهم الحيوانية فكانت الصلاة
آمرة لهم بالخير مصعبة عن كل نقص وضير ولما كانت الصلاة مما يخلله الرياء بين اخلاصهم بقوله يبتغون
اي يطلبون بذلك وغيره من جميع احوالهم بغاية جهدهم تغليبا لعقولهم على شهواتهم وحظوظهم فضلا اي زيادة من الخير
من الله الذي له الاحاطة بصفات الكمال من الجلال والجمال الذي اعطاهم ملكة الغلظة على الكفار بما وهبهم من جلاله
والرقة على اوليائه بما اناله من رحمته التي هيأتهم بها للاحسان الى عباده فنزعوا الهوى من صدورهم فصار نوره
وحق اي شيدهم المحسن اليهم لا يرون سيدا غيره ولا محسن سواه ولما ذكر عبادتهم وطلبهم الزيادة
منها ومن غيرها من فضل الله الذي لا يوصل الى عبادته الا بمعونته اتبعه المطلوب الاعلى فقال ورضوانا اي رضى
منه عظيما ولما ذكر كثرة عبادتهم واتبعها اخلاصهم فيها اهتماما به لانه لا يقبل عمل بدونه دل على
كثرتها بقوله سيماهم اي علامتهم التي لا تفارقهم في وجوههم ثم بين العلامة بقوله من اثر السجود فهي نور يوم القيامة
رواه الطبراني عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع ما لهم من مثل ذلك في الدنيا من اثر الخشوع
والهيبة بحيث انهم اذا رؤي احدهم اورث لرائيه ذكر الله واذا قرأ اورثت قراءته حزنا وخشوعا واخباتا وخضوعا
وان كان رث الحال زري الهيئة ولا يظن ان من السيما ما يصنعه بعض المرائين من هيئة اثر سجود في جبهته فان ذلك
من سيما الخوارج وفي نهاية ابن الاثير في تفسير الثفنات ومنه حديث ابي الدرداء رضي الله عنه رأى رجلا بين عينيه مثل
ثفنة العنز فقال لو لم يكن هذا كان خيرا يعني كان على جبهته اثر السجود وانما كرهها خوفا من الرياء بها وقد روى
صاحب الفردوس عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لابغض الرجل واكرهه اذا رأيت بين عينيه
اثر السجود ولما اتم وصفهم بهذا الامر الذي لا يقدر عليه الا من صفاه الله من جميع حظوظه وشهواته
اشار الى علوه فقال ذلك اي هذا الوصف العالي جدا البديع المثال البعيد المنال مثلهم في التوراة فانه قال فيها
اتانا ربنا من سيناء واشرق لنا من جبل ساعير وظهر لنا من جبل فاران معه ربوات الاطهار على يمينه
اعطاهم وحببهم الى الشعوب وبارك على جميع اطهاره وهم يتبعون آثارك وظهوره من فاران صريح في نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فانه لم يأت منها وهي جبال مكة باتفاقهم بعد نزول التوراة بالنبوة غيره صلى الله عليه وسلم وربوات
الاطهار اشارة الى كثرة امته وانهم في الطهارة كالملائكة وايد ذلك بجعلهم من اهل اليمين ووصفهم بالتحبيب الى الشعوب
بكل ذلك الى ما وصفوا به هنا بشهادة الوجود هذا ما وجدته في التوراة بعد تبديلهم لما يدل لو امنوا واخفائهم كما قال الله
تعالى الكثير ولما ... في فتح بيت المقدس عن كعب الاحبار ان سبب اسلامه ان اباه كان اعطاه
انه خرج عنه ورقتين جعلهما في كوة وطين عليهما وامره ان يعمل بهما بعد موته قال فلما مات فتحت عنهما فاذا فيهما محمد رسول الله
خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة ومهاجره بطيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة
ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح امته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال ويذلل السنتهم
بالتكبير وينصر الله نبيهم على كل من ناواه يغسلون فروجهم بالماء ويأتزرون على اوساطهم واناجيلهم في صدورهم ياكلون
قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها تراحمهم بينهم تراحم بني الام والاب وهم اول من يدخل الجنة يوم القيامة من الامم
هم السابقون المقربون والشافعون والمشفع لهم واصله في الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وفي الدارمي عن
كعب هذا ولاصحاب الفتوح عن شهر بن حوشب عن كعب قال قلت لعمر رضي الله عنه وهو بالشام عند انصرافه

يا امير المؤمنين انه مكتوب في كتاب الله ان هذه البلاد التي كان فيها بنو اسرائيل وكانوا اهلها مفتوحة على رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين
شديد على الكافرين سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره وقوله لا يخالف فعله والقريب والبعيد عنده في الحق سواء اتباعه رهبان
بالليل واسد بالنهار رحماء متراحمون متوادون فقال عمر ثكلتك امك احق ما تقول قلت اي والذي انزل التوراة على موسى والذي يسمع ما
نقول انه لحق فقال عمر فالحمد لله الذي اعزنا وشرفنا واكرمنا ورحمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورحمته التي وسعت كل شيء هذا
على ان المراد بالمثل الوصف ويمكن ان يكون على حقيقته ويكون الذي في التوراة ما ترجمته مثلهم على اعدائهم كقرون الحديد وفيما بينهم في
النفع والتواصل بالماء والصعيد ولهم كخامة الزرع مع الريح والصديق النصيح وفي الاقبال على الاخرة كالمسافر الشاحب
والباكي الناحب نعبر عنه في كتابنا بما ذكر ولما ذكر مثلهم في الكتاب الاول اتبعه الكتاب الثاني الذي هو ناسخ لبعض
انه احد على كل ناسخ لشريعته ان يصفهم لامته ليتبعوهم اذا دعوهم فقال ومثلهم في الانجيل اي الذي نسخ الله به بعض احكام
التوراة كزرع اي مثل زرع اخرج شطأه اي فراخه وورقه وما خرج حول اصوله فصار ذلك كله مثله ولما
ذكر هذا الاخراج سبب عنه قوله فآزره اي فاحاط به الشطء فقواه وطعم من حيث به غريبة تنشعبه فضعفه وساواه
وحاذاه وعاونه ونظيره ان قراءة الهمز بالمد على المفاعلة ابلغ من قراءة ابن عامر بالقصر لان الفعل اذا كان من اثنين يتجاذبانه كان
الاجتهاد فيه اكثر ثم سبب عن الموازرة قوله فاستغلظ اي فطلب المذكور من الزرع والشطء الغلظ واوجده فتسبب عن ذلك
اعتداله فاستوى اي وجد فيه القيام العدل وجودا عظيما كانه كان بغاية الاجتهاد والمعالجة على سوقه اي قصبه جمع ساق
وهو ما قام عليه الشيء حال كون هذا المذكور من الزرع والشطء يعجب الزراع ويجوز كونه استئنافا للتعجيب والمبالغة في
مدحه واظهار السرور في امره واذا اعجبهم وهم في غاية العناية بامره والتفقد لحاله والملابسة له ومعرفة معايبه
كان لغيرهم اشد اعجابا ومثل لانهم يكونون قليلين ثم يكثرون مع البهجة في عين الناظر لما لهم من الرونق الذي هو شأن نور الايمان
وثبات الطمأنينة والايقان وشدة الموافقة من بعضهم لبعض ونفي المخالف لهم وابعاده وقد تقدم في هذا الكتاب في آخر المائدة
امثال ضربت في الانجيل بالزرع اقربها الى هذا مثل حبة الخردل فراجعه ولما انهى سبحانه مثلهم ذكر الثمرة في جعلهم
كذلك فقال ليغيظ معلقا له بما يؤخذ من معنى الكلام وهو جعلهم كذلك لاجل ان يغيظ بهم اي غيظا عظيما بالغ القوة والاحكام
الكفار وذلك انهم لما كانوا اول الامر قليلا كان الكفار طامعين في ان لا يتم لهم امر فكلما ازدادوا كثرة مع تمادي الزمان زاد غيظ
الكفار منهم فكيف اذا رأوا مع الزيادة والقوة منهم حسنا ونضارة ورونقا وبهجة فهو في الغيظ مما لو كانوا في اول الامر كثيرا لانه
كان يكون دفعة وينقص زمنه ثم ان بغض صحابيا خيف عليه الكفر لانهم اول مراد بالآية وغيرهم بالقصد الثاني وبالتبع ومن بغضهم
كلهم كان كافرا واذا احكمناه على غيرهم كان دليلا على ان من خالف الاجماع كفر قاله القشيري ولما تم مثلهم وعلة جعلهم كذلك
بشرهم فقال في موضع وعدهم لتعليق الوعد بالوصف على عادة القرآن ترغيبا في التمسك به وترهيبا من مجانبته وعد الله
اي الملك الاعظم الذين آمنوا ولما كان الكلام في الذين معه صلى الله عليه وسلم وكانت المعية ظاهرة في الاتحاد في
الدين لم تكن شاملة للمنافقين فلم يكن للاهتمام بالتقييد بمنهم هنا كالاهتمام به في سورة النور فاخر وقدم العمل لان العناية
به هنا اكثر لانه من سيماهم المذكور ثم قال وعملوا اي تصديقا لدعواهم الكون معه في الدين الصالحات ولما كان
قوله معه يعم كما مضى من بعد الصحابة رضي الله عنهم وكان الخلل فيمن بعدهم كثيرا قيد بقوله منهم اي من الذين معه سواء كانوا من اصل
الزرع او فراخه التي اخرجها وهم التابعون لهم باحسان ولما كان الانسان وان اجتهد مقصرا عن بلوغ ما يحق لله
من العبادة اشار الى ذلك بقوله مغفرة اي لما يقع منهم من الهفوات او الذنوب والسيئات واجرا عظيما بعد ذلك الستر وقد جمعت
هذه الآية الخاتمة لهذه السورة الفاتحة جميع حروف المعجم بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع امرهم وعلو
نصرهم وذلك انه لما كانت هذه العمرة قد حصل لهم فيها كسر لرجوعهم قبل وصولهم الى قصدهم من الدخول الى مكة المشرفة والطواف
بالبيت العتيق ولم يكن ذلك بسبب خلل الى من قبلهم كما كان في غزوة احد على ما مضى من بيانه في آل عمران التي هي سورة التوحيد
الذي كلمته كلمة التقوى عند الآية الثانية لهذه بشرهم سبحانه بما في هذه السورة من البشائر الظاهرة تصريحا وبما في
هذه الآية الخاتمة من جمعها لجميع حروف المعجم تلويحا الى ان امرهم لا بد من تمامه واشتداد سلكه وابرامه واتساق شأنه وانتظامه
وخفوق الويته واعلامه وافتتحها باسم محمد وهي مضمومة وختمها باسم عظيما المنصوبة اشارة بما للميم من الختام بمخرجها الى ان
تمام الامر قد دنى جدا ابانه وحضر زمانه وبما في اولها من الضم الى رفعة دائمة في حمد كثير وبما في آخرها من النصب الى تمام الفتح
وانتشاره وقربه واشتهاره على وجه عظيم وشرف في علو جسيم واوما بدورها الى انه امر لا انتهاء له بل كلما ختم ابتدى
وقد ظهر من هذا وما في صريح الآية من القوة المعزة للمؤمنين المذلة للكافرين حسن تنطعها على مطلعها بالفتح للنبي صلى الله عليه وسلم
والتمكين العظيم لاصحابه رضي الله عنهم والرحمة والمغفرة والفوز العظيم لجميع اتباعه وانصاره واشياعه رضي الله عنهم
وجعلنا منهم بمنه وكرمه وهذا آخر القسم الاول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما في

الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم وحاصلها الغفر له بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا ختم القسم الثاني المفصل بسورتين مما نصره له صلى الله عليه وسلم بالكمال على من تصدى بالنصر باطنا

سورة الحجرات

مقصودها الارشاد الى مكارم الاخلاق بتوقير النبي صلى الله عليه وسلم بالادب معه في نفسه وفي امته وحفظ ذلك من اجلاله بالظاهر ليكون دليلا على الباطن فيسمى ايمانا كما ان الايمان بالله يشترط فيه تقبل الاعمال الظاهرة والاذعان لفعلها بشرايطها واركانها وحدودها ليكون بينه على الباطن وحجة شاهدة له الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون لحاصل مقصودها مراقبة النبي صلى الله عليه وسلم في الادب معه لانها اول المفصل الذي هو ملحق القرآن كما كان مقصود الفاتحة التي هي اول القرآن مراقبة الله وابتدى باول المفصل بحرف من الحروف المقطعة كما ابتدى بائي ما عداه بالحروف المقطعة واسمها الحجرات واضح الدلالة على ذلك بما دل عليه ايته

بسم الله الملك الجبار المتكبر الذي من اخل بتعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم لم يرض منه عملا الرحمن الذي من عموم رحمته اقامة الآداب للتوصل الى حسن المآب الرحيم الذي خص اولي الالباب بالاقبال على ما يوجب لهم جميل الثواب

لما نوه سبحانه في القتال بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصرح في ابتدائها باسمه الشريف وسمى السورة به وملا سورة الفتح بتعظيمه وختمها باسمه ومدح اتباعه لاجله افتتح هذه باشتراط الادب معه في القول والفعل للعدم من جزيه والفوز بقربه ومدار ذلك معالي الاخلاق وهي اما مع الله او مع رسوله صلى الله عليه وسلم او مع غيرهما وان كان كل قسم لا يخلوا عن لحظ الاخر وغيرهما اما ان يكون داخلا مع المومنين في ربقة الطاعة او خارجا عنها وهو الفاسق والداخل في طاعة المومنين السالك لطريقتهم اما ان يكون حاضرا عندهم او غايبا عنهم فهذه خمسة احوال اقسام فصل الندا بسببها خمس مرات كل من قسم منها وافتتح بالله لان الادب معه هو الاصل الجامع للكل والاصل الذي لا يبنى الا عليه فقال منادبا للمتسمين باول اسنان القلوب منبها على ان سبب نزولها من الكاهم لا من افعال اهل الكمال فهو هفوة فقال وما كان ينبغي ان يقال وليشمل الخطاب المعهود للاعلى ولو مع النفاق من بوته مرتاب الاولى يايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان لا تقدموا وحذف المفعول ليعم كل ما يصح تقديمه فيذهب الوهم كل مذهب ويجوز ان يكون حذفه من غير قصد اليه اصلا بل يكون النهي موجها الى نفس التقدمة اي لا تتلبسوا بهذا الفعل ويجوز ان يكون من قدم بالتشديد بمعنى اقدم وتقدم اي تجمع نفسه على التقدم ومنه مقدمة الجيش وهم متقدموه واشار الى الهجنة بما هو اعتنه وتصور شناعته والى الهم في البعثة ترهيبا لهم فقال بين يدي الله اي الملك الذي لا يطاق انتقامه ولما كان السياق للنهي عن التقديم والتقدم وكان مقتضى الرسالة انفاذ الاوامر والنواهي عن الملك من غير ان يكون من المرسل اليهم اعتراض اصلا وبذلك استحق ان لا يتكلم بحضرته في مهم ولا يفعل مهم الا باذنه لانا نعيب لما لهم من النقص لا استقلال لهم بشيء اصلا عبر بالرسول دون النبي بعد ان ذكر اسمه تعالى الاعظم زيادة في تصوير التعظيم فقال ورسوله اي الذي عظمته ظاهرة جدا لانها من عظمته ولذلك قرن اسمه باسمه وذكره بذكره فهو منبه لما ياتي من تعظيمه فالتعبير بذلك اشارة الى ان النفس اذا خليت وفطرتها الاولى امتلات لمجرد رؤيته هيبة منه واجلالا له فلا يفعل احد غير ذلك الا بتحجيع منه لنفسه وتكليفها ضد ما تدعوا اليه الفطرة الاولى فالمعنى لا تكونوا متقدمين في شيء من الاشيا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ورسوله صلى الله عليه وسلم يبلغ عنه لا ينطق عن الهوى فعلى الغير الاقتدا والاتباع لا الابتدا والابتداع سوا كان النبي صلى الله عليه وسلم حاضرا او غايبا لمون اعيد فان اثاره كعينه لمن يريد الجهد فيها هدى للاصلح والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولما استعار لله لا على القدرة التعبير باليدين وصور البينية ترهيبا من انتقام الفاددا داخوف صرح بذلك بقوله واتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الاعظم وقاية فان التقوى مانعة من ان تضيعوا حقه او تخالفوا امره وتقدموا على شيء لم تعلموا رضاه فيه ولما كان سبحانه مع كل بعلمه واقرب اليه من نفسه وكان مع ذلك غيبا محضا لكونه محتجبا برداء الكبر وازار العظمة والقهر وكان الانسان لما غاب عنه نسيه ذكرهم رهبا بقوله مستانفا او معللا موكدا تنبيها على ما في ذلك من الغرابة والعظمة التي يحق للانسان مجاهدة نفسه لاجلها في الايمان والمواظبة على الاستمرار على استحضاره لان افعال الاهي في افعال من يكرم ان الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال ولما كان ما يتقدم فيه اما قول او فعل قال سميع اي لاقوالكم قبل ان تقولوها عليم اي باعمالكم قبل ان تعملوها وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما وصف سبحانه عباده المصطفين لصحابة نبيه والمخصوصين بفضيلة مشاهدته وكريم عشرته فقال محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحما بينهم فاثنى سبحانه عليهم وذكر وصفه تعالى لهم بذلك في التوراة والانجيل وهذه خصيصة انفردوا بها والمزية تكريمها وجرت على واضح قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وشهدت لهم بعظيم المنزلة لديه ناسب هذا طلبهم بتوفية الشعب الايمانية قولا وعملا ظاهرا وباطنا على اوضح عمل واخلص نية وتنزيههم عما وقع من قبلهم في مخاطبات انبيائهم كقول بني اسرايل يا موسى ادع لنا ربك الى ما يشهد من هذا الضرب بسوء حالهم فقال تعالى يايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الايه يايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول الى قوله والله غفور رحيم

فطلبوا

فطلبوا باداب تناسب علي ايمانهم وان اغتفر بعضه لغيرهم ممن ليس في درجتهم وقد قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وكان قد قيل لهم لا تفعلوا ما منح لكم في التوراة والانجيل فانها درجة لم ينلها غيركم من الامم فقابلوها بتنزيه اعمالكم عن ان يتوهم في ظواهرها انما صدرت عن عدم اكتراث في الخطاب او سوء قصد في الجواب وطابقوا بين بواطنكم وظواهركم وليكن علنكم منبئا بسليم سرايركم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ثم عرفوا بسوء حال من عدل به عن هذه الصفة فقال تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ثم امروا بالتثبت عند نزغة شيطان او تقول ذي بهتان يايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا الايه ثم امرهم تعالى باصلاح ذات بينهم ثم والتعاون في ذلك بقتال الباغين الى الفياة وتحسين العشرة والتزام ما يثمر الحب والتودد الايماني والتواضع وان الخير كله في التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكل ذلك محرز لعلي صفاتهم التي وصفوا بها في خاتمة سورة الفتح ولما انبت اعظام الرسول صلى الله عليه وسلم بان لا يفتات عليه بان يناهب ما هو وظيفته من التقدم في الامور وقطع المهمات تلا بكلم الاجوابا او سوالا في امر ضروري لا يمكن تاخيره وكان من يكلمه كذلك ربما رفع صوته دفعا الاولى به غير مما هو دونه وكان من جملة احواله ان يوحى اليه بالامور العظيمة وكان رفع الصوت اذ ذاك من المشوشات في حسن التلقي للوحي مع ما فيه من قلة الاحترام والاخلال بالاجلال والاعظام قال لذا ذكر الثاني الاقسام وهو ما كان النظر فيه الى مقامه صلى الله عليه وسلم بالقصد الاول مستنتجا مما مضى من وصفه بالرسالة الدالة على النبوة امرا بحفظ حرمته ومراعاة الادب في خدمته وصحبته بتبجيله وتفخيمه واعزازه وتعظيمه مكررا النداء تذكيرا لهم بما الزموا انفسهم به من طاعته بتصديقه واستدعا التجديد الاستبصار وتطريبا للندب الى الانصات واشارة الى ان المنادى له امر يستحق ان يفرد بالندا ويستقل بالتوصيه يايها الذين امنوا مكررا للتعبير بالادنى من اسنان القلوب للتنبيه على ان فاعل مثل هذه المنهيات والمحتاج فيها الى التنبيه بالنهي قد فعل من هذا حاله لا ترفعوا اصواتكم اي في شيء من الاشيا فوق صوت النبي اي الذي يتلقى عن الله وتلقيه عنه متوقع في كل وقت وهذا يدل على ان اذى العلما الذين هيا لهم الله للتلقي فهم دينه عنه شديد جدا فان يكبرا وقاتهم بمنعهم من كثير من ذلك ولما بين ما في ذلك لاجل النبوة بين ما ينبغي له في نفسه من المرتبة فقال ولا تجهروا له بالقول اي اذا كلمتموه سوا كان ذلك مثل صوته او اخفض من صوته فان ذلك غير مناسب لما يهابه العظما ويوقر الكبرا ولما شمل هذا كل جهر مخصوص وهو ما يكون مسقطا للمرتبة قال كجهر بعضكم لبعض اي فانكم ان لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره ولما نهى عن ذلك بين ضرره فقال مبينا ان من الاعمال ما يحبط ولا يدرى انه محبط ليكون العامل كالماشي في طريق خطر لا يزال يتوقى خطره ويديم حذره ان اي النهي لاجل خشية ان تحبط اي تفسد فتسقط اعمالكم اي التي هي الاعمال بالحقيقة وهي الحسنات كلها وانتم لا تشعرون اي بانها حبطت فان ذلك اذا اجترا الانسان عليه استخف به واذا استخف به واظب عليه واذا واظب عليه اوشك ان يستخف بالمخاطب فيكفر وهو لا يشعر ولما تقدم سبحانه في الاخلال بشيء من حرمته صلى الله عليه وسلم ونهى عن رفع الصوت والجهر الموصوف انتج المحافظة عنده على سبيل الاجلال فبين ما لمن حافظ على ذلك الادب العظيم فقال مؤكدا لان في المنافقين وغيرهم من يكذب بذلك وتنبيها على انه لمحبة الله له ورضاه به اهل لان يوكد امره ويواظب على فعله ان الذين يغضون اي يخفضون ويلينون لما وقع عليهم من السكينة من هيبة حضرته قال الطبري واصل الغض الكف في لين اصواتهم تخشعا وتخضعا ورعاية للادب وتوقيرا ولما كان المبلغ ربما انساه اللغط ورفع الاصوات ما كان يريد ان يبلغه انه بينت لي ليلة القدر فخرجت لاخبركم بها فتلاحى رجلان فانسيتها وعسى ان يكون خيرا لكم قال عند رسول الله اي الذي من شانه ان يعلوا كلامه على كل كلام لانه مبلغ عن الملك الاعظم وعبر بعند الذي للظاهر اشارة الى ان اهل حضرة الخصوصية لا يقع منهم الا اكمل الادب ولما ابتدا ذكرهم مؤكدا تنبيها على عظيم ما ندبوا اليه زاده اعظاما بالاشارة اليهم باداة البعد فقال اولئك اي العالوا الرتب لما لهم من علو الهمم بالخضوع لمن ارسله مولاهم الذي لا احسان عندهم الا منه الذين امتحن الله اي فعل المحيط بجميع صفات الكمال فعل المختبر بالمخالطة البليغة بالشدايد على وجه يؤدي الى المحنة باللين والخلوص من كل درن والانشراح والاتساع قلوبهم فاخلصها للتقوى اي الخوف المودي الى اسعاد صاحبه باقامة ما يقيه من كل مكروه والامتحان اختبار بليغ يؤدي الى الخير فالمعنى انه طهر قلوبهم ونقاها كما يمتحن الصايغ الذهب والفضة بالاذابة للتنقية والتخليص من كل غش لاجل اظهار ما بطن فيها من التقوى ليصير معلوما للخلق في عالم الشهادة كما كان معلوما له سبحانه في عالم الغيب وهو خروجهم عن العادات البشرية ومفارقتهم لما توجبه الطبيعة وهو حقيقة التوحيد فان التقوى لا تظهر الا عند المحن والشدايد بالتكاليف وعزها ولا تنبت الا بملازمة الطاعة في المنشط والمكره

والخروج عن مثل ذلك ولما كان الانسان وان اجتهد فى الاحسان محلا للنقصان اسند نفى الاجر عن جزائهم بقوله مغريا لهم من فناء السبب اشارة الى ان ذلك بمحض احسانه لهم مغفرة اى لهفواتهم وزلاتهم واجر عظيم اى جزاء لاجر وصفه على محاسن ما فعلوا ولما نهى سبحانه عن الاخلال بالادب وامر بالمحافظة على التعظيم وذكر وصف المطيع اتبع ذلك على سبيل النتيجة وصف من اخل به فقال مؤكدا لاجل ان حالهم كان حال من يدعى عقلا انا اثما ان الذين ينادونك اى يجدون دعاءك من غير توبة والحال انهم اياك كائنين من وراء اثبات هذا الجار يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان داخلها ولو سقط لم يفد ذلك بل كان يفيد ان نسبة الاماكن التى ورائها الحجرات كلها بالنسبة اليه واليهم على حد سوا وذلك بان يكون الكل خارجا والورا الجهة التى تواريك او تواريها من خلف او قدام ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم من العظمة فى نفسه وفى تبليغ رسالات الله فى حينها لم كان من العظمة بحيث لا يخفى على احد فليس لاحد ان يعتا عليه ولا ان يعجله عن شئ وكان نداؤه لذلك من وراء حجرة واحدة كندائه من وراء كل حجرة جمع فقال الحجرات ولم يضفها اليه اجلالا له وليشمل كونه فى غيرها ايضا والمعنى مبتدين النداء من جهة تكون الحجرات فيها بينك وبينهم فتكون موارية لك منهم ولهم منك وهى جمع حجرة وهى ما حوط من قطع الارض بحائط يمنع من يكون خارجه من اذى من يكون داخله بقول او فعل فانه يكون فيما يختص به من الاجتماع بنسائه او اصلاح شئ من حاله لا ينبغيا له بحضور الناس فما تتقاضاه المروة واسند الفعل الى الجميع وان كان المنادى بعضهم للرضى به او السكوت عن النهى ولما كان الساكت قد لا يكون راضيا قال اكثرهم اى المنادى والراضى دون الساكت لعذر لا يعقلون لانهم لم يصبروا ولم يفعلوا معه صلى الله عليه وسلم كما يفعل بعضهم مع من يماثله والعقل يمنع من مثل ذلك لمن اتصف بالرياسة فكيف اذا كانت رياسة النبوة والرسالة عن الملك الجبار الواحد القهار ولما ذمهم بسوء عملهم ارشدهم الى ما يمدحون به من جنسه فقال ولو انهم اى المنادى والراضى صبروا اى حبسوا انفسهم ومنعوها عن مناداتهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها وهو حبس فيه شدة وصبر عن كذا المحذوف المفعول لكثرة دوره اى نفسه حتى تخرج من تلقاء نفسك عند فراغ ما انت فيه مما يهمك من واردات الحق ومصالح الخلق ولما كان الخروج قد يكون الى غيرهم من المصالح فلا يسوغ فى الادب ان يقطع ذلك عليه قال اليهم اى ليس لهم ان يكلموك حتى تفرغ لهم فتقصدهم فانك لا تفعل شيئا فى غير حينه لمقتضى امر الرسالة لكان اى الصبر ولما كان العرب اهل معال فهم بحيث لا يرضون الا الاحسن قال خيرا لهم اى من استعجالهم فى ايقاظك وقت الهاجرة ومما لو قرعوا الباب بالاظافير كما كان يفعل غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم وهذا على تقدير ان يكون ما ظنوا من ان فيه خيرا فكانوا يعقلون فى التعبير بذلك مع الانصاف بل الاعضا والاحسان هز لهم الى المعالى وارشاد الى ما يتفاخرون به من المحاسن قال الرازى قال ابو عثمان الادب عند الاكابر يبلغ صاحبه الى الدرجات العلا والخير فى الاولى والعقبى انتهى والخيرية صبر فى الدين معروفة واما فى الدنيا فانهم لو تادبوا لزادهم زادهم صلى الله عليه وسلم فى الفضل فاعتق جميع سبيهم وزادهم والاية من الاحتباك حذف اولا التعليل بعدم الصبر اولا لما دل عليه ثانيا والعقل ثانيا لما دل عليه من ذكره اولا ولما كان التقدير تاديبا وترهيبا على الصفح عن الجاهل وعدم تعليمه ولكنهم لم يصبروا واساوا الادب فكان ذلك شرا لهم والله عليم بما فعلوا حليم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة لاساءتهم الادب على رسوله صلى الله عليه وسلم عطف عليه استعطافا لهم مع افهام الترهيب والله اى المحيط بجميع صفات الكمال غفور اى ستور لذنب من تاب من جهله رحيم يعامله معاملة الراحم فيسبغ عليه نعمه ثابوا اعفهم الله فى غلطتهم على حسن خلقه ان جعلهم اغلظ الناس على شر الناس الدجال فان النبى صلى الله عليه وسلم قال انهم اشد الناس عليه ولما انهى سبحانه ما اراد من النهى عن اذى الرسول صلى الله عليه وسلم فى نفسه وكان من دلائل اذاه فى امته فانه عزيز عليه ما عنتوا وكان من اذاه فيهم فاسقا وكان من اعظم الاذى فيهم ما اورث كربا فثار حربا وكان ربما اتخذ اهل الاعراض هذه الاداب ذريعة الى اذى بعض المسلمين نقد قومهم بالاخلال بشئ منها فوقعوا بهم فما تقدم نواهيه عنهم من الاخلال بحقه والتعبير بولايه ورقه وكان الرسول صلى الله عليه وسلم من الاخلاق الطاهر والمعالى الطاهرة ما يؤمن معه ان يوقع شيئا فى غير محله او يامر بامر من غير حله هذا مع ماله من العصمة قال حسبنا على ما فى القسم الثالث من محاسن الاخلاق من ترك العجز بالاعتماد على اخبار الفسقة مخاطبا لكل من اقر بالايمان على طريق الاستنتاج مما مضى نادبا الى الاسترشاد بالعقل الذى نفاه عن اهل الاية السالفة والعفو عن المذنب والرحمة لعباد الله منادبا باداة البعد اشارة الى ان من احتاج الى التصريح بمثل هذا التنبيه غير مكتف بما افاده من قواعد الشرع فقد وضع نفسه فى محل بعيد وتنبيها على ان ما فى حيزها كلام له خطر عظيم ووقع جسيم يايها الذين امنوا وعبر بالفعل الماضى الذى هو لادنى اسنان القلوب وعبر باداة الشك ايذانا بقلة الفاسق فيهم وقلة مجيئه اليهم بخبر له وقع ان جاءكم اى فى

وقت من الاوقات فاسق اى خارج من ربقة الديانة اى فاسق كان بنباء اى خبر يعظم خطبه فيور شرا اى خبر كان مما يكون كذلك فتبينوا اى عالجوا البيان وهو فصل الخطاء من الصواب استعمالا للغريزة العقل المنفى عن المنادين واتصافا بالغفران والرحمة ليرحمكم الله ويغفر لكم وهذه القراءة غاية لقراءة حمزة والكسائى بالمثلثة ثم المثناة الفوقية والسياق مرشد الى ان خبر الفاسق كالنمام والساعى بالفساد كما انه لا يقبل فكذلك لا يرد حتى يتميز والى ان خبر العدل لا وقفة فيه والا لاستوى مع الفاسق فالتثبت معلل بالفسق فاذا انتفى ولم توجد علة اخرى توجب التثبت وجب القبول والمعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه والتبين باحد شيئين بمراجعة منهما ان كان غايبا فانه لا يكون ابدا كاينة الا وفى الكتاب والسنة المخرج منها ولما امر بالتبين ذكر علته فقال ان اى لاجل كراهة ان تصيبوا اى باذى قوما اى هم مع قوتهم النافعة لاهل الاسلام برآء مما نسب اليهم بجهالة اى مع الجهل بحال استحقاقهم لذلك ولما كان الانسان اذا وضع شيئا فى غير موضعه جديرا بالندم سبب عن ذلك قوله فتصبحوا اى فتصيروا ولكنه عبر بذلك لان اشنع الندم ما استقبل الانسان صباحا وقت انتباهه وفراغه واقباله على لذاته على ما فعلتم اى من اصابتهم نادمين اى عريقين فى الاسف على ما فات بما يوقع الله فى نفوسكم من امور ترجف القلوب وتخور الطباع وتلك سنته فى كل باطل فانه لكونه من الرذائل فى نفسه لا ينشا عنه الا الرذائل والندم غم على ما وقع مع تمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام بما يترتب عليه بما يرشد اليه مدن ودبر وهو يشابه من تضييع انفاق الاسباب التى امر الانسان بالسعى فيها كما اشار اليه حديث احرص على ما ينفعك ولا تعجز فان غلبك امر فقل قدر الله وما شاء فعل ولا تقل لو انى فعلت كذا كان فان لو تفتح عمل الشيطان والفاسق المذكور فى الاية المراد به الجنس والذى نزلت بسببه هو الوليد بن عقبة ولم يزل كذلك حتى ان عثمان رضى الله عنه ولاه الكوفة فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان رضى الله عنه ولما كان اقدامهم على كثير من الامور من غير مشاورة لمن ارسله الله رحمة لعباده ليعلمهم ما ياتون وما يذرون عمل من لا يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منه وكان الاعراض عنه حيا وعن نيل الجهد فى استخراج الامور من شرعه بعد موته امرا مفسدا اعلم ان لم يعتبر وينتبه له غاية التنبيه الان من اجل مراعاة ذلك فى عداد الكافرين فقال واعلموا اى ايها الامة وقدم الخبر ايذانا بان بعضهم بلغ اعراضه او اقدامه على ما لا علم له به يعمل عمل من لا يعلم مقدار ما خصه الله به من انعامه عليه به صلى الله عليه وسلم وهو تفيد توبيخ من نقل ذلك ان فيكم اى على وجه الاختصاص لكم ويا له من شرف رسول الله اى الملك الاعظم المتصف بالجلال والاكرام على حال هى انكم تريدونه ان يتبع ارآكم وذلك امر شنيع جدا فانه لا يليق ان يتحرك الا بامر من ارسله فيجب عليكم الرجوع عن تلك الحالة فانكم تجهلون اكثر مما تعلمون ولا رادتهم ان يطيعهم فى جميع الامور عبر بالمضارع فقال لو يطيعكم وهو لا يخفى عنكم على مقتضى ما يعن لكم وتستصوبونه ليكون فعله معكم فعل المطواع لغيره التابع له فينقلب حينئذ الحال ويصير المتبوع تابعا والمطاع طايعا لعنتم اى لاثمتم وهلكتم ومن اراد دائما ان يكون امر الرسول صلى الله عليه وسلم تابعا لامره فهو ممن زين له الشيطان الكفران فاولئك هم الغاوون وسياق لو يعلم قطعا ان التقدير ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يطيعكم مع كراهته لما يشق عليكم لما هو متحقق به من طاعة الله والوقوف عند حدوده والتعبد فى جميع الحركات والسكنات بامره مع ماله من البصر فى التمييز بين الملتبسات والخبرة التامة بالامور المشتبهات التى هى سبب هلاك الاغلب لكونها لا يعلمها كثير من الناس والتقيد بالكثير فعلم بانهم يصيبون وجه الرشاد فى كثير من الامور ولما كان التقدير حتما بما هدى اليه السياق ولوحا العموم فى الامور التى لا يطيعكم فيها لعنتم استدرك عنه قوله ولكن الله اى الملك الاعظم الذى يفعل ما يريد حبب اليكم الايمان فلزمتم طاعته وعشقتم متابعته ولما كان الانسان قد يحب شيئا وهو يعلم فيه عيبا فيكون جديرا بان يتزلزل فيه نفى ذلك بقوله وزينه فى قلوبكم اى فلا شئ عندكم احسن منه ولا يعادله ولا يقاربه بوجه وكره اليكم الكفر وهو تغطية ما دلت عليه الفطر الاولى والعقول المجردة من الهوى من الحق بالجحود والفسوق وهو المروق من ربقة الدين ولو من غير تغطية بل بغير تاويل والعصيان وهو الامتناع من الانقياد عامة فلم تخالفوه ورايتم خلافه هلاكا فضرهم والمنة لله الموضع شئ للرسول صلى الله عليه وسلم نعلم من هذا ان الله تعالى هو الفاعل وحده لجميع الافعال من الطاعات والمعاصى والعادات والعبادات لانه خالق الكل ومدحوا بفعل الله بهم لانهم الفاعلون فى الظاهر هو واقع موقع الجمع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تخالفوه وانما وضع فعل الله وهو لا يمدحون عليه موضع فعلهم الذى يمدحون عليه للحث على الشكر والاعلاء من العجب ولما ارشد السياق الى ما تقديره على هذا الوجه انتج قوله مادحا لهم ثانيا الكلام من خطابهم الى خطابه صلى الله عليه وسلم ليدل على عظم هذه الاوصاف ونبه باداة البعد على علو مقام المتصف بها اولئك اى الذين اعلى الله مقاديرهم هم اى خاصة الراشدون اى الكاملون فى الرشد وهو الهدى على احسن سمت وتقدير وفى تفسير الاصبهانى الرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه انتهى والذى انتج الرشاد متابعة الحق فان الله تكفل لمن تعهد الخير وجاهد نفسه على البر باصابة الصواب واحكام المساعى المنافى للندم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم

فلا يخ

سبلنا وان الله لمع المحسنين وقد دل السياق على انهم كانوا في حجرا لوليد صنفين صنف صدقه وارادغزو بني المصطلق
واشار به وصنف توقف وان الصنفين سلموا آخرا الامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرشدوا فالاية من الاحتباك او هي
شبيهة به دلت الشرطية في لو يطيعكم على الاستدراكية والاستدراكية في ولكن الله على تقدير الشرطية دلالة ظاهرة ولما
ذكر التحبيب والتزيين والتكريه وما انتجه من الرشاد ذكر علته اعلاما بانه تعالى لا يجب عليه شيء حثا على الشكر فقال فضلا اي
زيادة وتطولا وامتنانا عظيما جسيما ودرجة عالية من الله الملك الاعظم الذي بيده كل شيء ونعمة اي عيشا حسنا ناعما
وخفضا ودعة وكرامة ولما كان التقدير فالله سميع مفضل بيده كل ضر ونفع عطف عليه قوله والله اي المحيط
بصفات الكمال عليم اي محيط العلم فهو يعلم احوال المومنين وما بينهم من التفاضل حكيم بالغ الحكمة فهو يضع الاشيا في اوفق
محالها واتقنها فلذلك يضع نعمته من الرسالة والايمان على حسب علمه وحكمته ولما كانت النميمة ونقل الاخبار
الباطلة الذميمة ربما جرت فتنا او وصلت الى القتال وكان الحكيم العليم لا ينصب سببا الا ذكر حكم مسببه واشار الى دوايه
وكان لا ينهى عن الشيء الا من كان مهيئا له لما في جبلته من الداعي اليه فكان نقد بوائقه ولو في وقت قال تعالى معلما الناطرق
الحكمة في دفع ما جرت اليه الاخبار الباطلة من القتال معبرا باداة الشك اشارة الى ان ما في حيزها لا ينبغي ان يقع بينهم ولا
ان يذكروه الا على سبيل الفرض وان طايفتان اي جماعتان بالفعل او بالتوجه بكل جماعة منهما بان تجتمع على ما دهمها من الامر بحيث
تصير من شدة مراعاته كالطايفة حوله والمتحلقة به بحيث لا يدري من شدة اجتماعهما على ذلك اولها من آخرها من المومنين اي ممن هو
معدود في عداد الفريقين في الايمان سوا كان هو عريقا او فاعلا ما يطلق عليه به الاسم فقط ولما كانت الشناعة والفساد
في قتال الجماعة اكثر عبر بضمير الجمع دون التثنية تصويرا لذلك باقبح صورة فقال اقتتلوا اي فاختلطوا بسبب القتال حتى كانوا
كالفرقة الواحدة فاصلحوا اي فاوقعوا الاصلاح ليحصل الصلح ولما كانت العبرة في الصلح اذا وقع بين الطايفتين ما
يسكن به الشر وان تخلف شذان من الجانبين لا يعبا بهم عبر بالتثنية دون الجمع فقال بينهما اي بالوعظ والارشاد الدنيوي
والاخروي ولا تظنوا ان الباغي غير مومن فتتجاوزوا فيه امر الله ولما كان البغي من اشنع الامور فكان ينبغي ان لا يلم به احد
عبر باداة الشك ارشادا الى ذلك فقال فان بغت اي اوقعت الارادة السيئة الكاينة من النفوس التي لا تامر بخير احداهما اي
الطايفتين على الاخرى فلم ترجع الى حكم الله الذي خرجت عنه ولم تقبل الحق ولما كان الانهماك ربما اوهم لبسا
فتمسك به متعنت في امر فساد زال بالانطمار كل لبس فقال فقاتلوا اي اطلبوا واوجدوا مقاتلة التي ولما كان
القتال لا يجوز الا بالاستمرار على البغي عبر بالمضارع افهاما لانه متى زال البغي ولو بالتولية من غير شك حرم القتال فقال تبغي
اي توقع الارادة السيئة وتصر عليها وادیموا القتال لها حتى تفيء اي ترجع مما صارت اليه من حر القطيعة الذي كانه حر الشمس
حين نسخه الظل الى ما كانت فيه من البر والخير الذي هو كالظل الذي نسخ الشمس وموقعي قوله تعالى الى امر الله اي الزام
ما امر به الملك الذي لا يهمل الظالم بل لا بد ان يقاصصه واسم ما كانت عليه من العدل قبل البغي ولما كانت مقاتلة
الباغي جديرة بترجيعه اشار الى ذلك بقوله فان فاءت اي رجعت الى ما كانت عليه من التمسك بامر الله الذي هو العدل فاصلحوا
اي اوقعوا الاصلاح بينهما ولما كان الخصام يجر في الغالب من القول والفعل ما يورث للمصلحين احنة على بعض
المتخاصمين فيحمل ذلك على الميل مع بعض على بعض قال بالعدل ولا يحملنكم القتال على الحقد على المتقاتلين فتحيفوا ولما
كان العدل في مثل ذلك شديدا على النفوس لما تحملت من الضغاين قال واقسطوا اي ازيلوا القسط بالفتح وهو الجور
بان تفعلوا القسط بالكسر وهو العدل العظيم الذي لا جور فيه في ذلك وفي جميع اموركم ثم علله ترغيبا فيه بقوله موكدا
تنبيها على انه من اعظم ما يتمادح به وردا على من لعله يقول انه لا يلزم نفسه الوقوف عند الاضعف ان الله اي الذي
بيده النصر والخذلان يحب المقسطين اي يفعل مع اهل العدل من الاكرام فعل المحب ولما امر بما قد يفضي
الى القتال وكان الباغي ربما كان اقرب الى المصلح من جهة النسب من المبغي عليه فربما حمله على
الاحجام عن الاصلاح علل ذلك سبحانه بما قدم فيه قرابة الدين على قرابة النسب وكشف كشفا تاما عن انه لا يسوغ تركه
لما يودي اليه من تفرق الشمل المودي الى وهن الاسلام واهله المودي الى ظهور الباطل المودي الى الفساد الاعظم الذي
لا تدارك له فقال تعالى انما المومنون اي كلهم وان تباعدت انسابهم واغراضهم وبلادهم اخوة لانتسابهم الى اصل واحد
هو الايمان لا بعد بينهم ولا يفضل احد منهم على اخر بجهة غير جهة الايمان ولما كانت الاخوة داعية ولا بد الى
الاصلاح سبب عنها قوله فاصلحوا ولما كانت الطايفة قد تطلق على ما هو اصل لان يطاف حوله كما يطلق على
ما فيه اهلية التحلق والطواف وكان اقل ما يكون ذلك في الاثنين فان مخاصمتهما تجر الى مخاصمة طايفتين بان يغضب لكل من
من قبيلته واصحابه قال واضعا الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقرير الامر وتاكيده واعلاما بان المراد بالطايفة القوة لا
العدد بحيث يكون ذلك شاملا للاثنين فما فوقهما بين اخويكم اي المختلفين بقتال او غيره كما تصلحون بين اخويكم من النسب ان لا

تفعلوه

٢-٨

تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير بل الامر كما نقل عن ابي عثمان الحيري ان اخوة الدين اثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع
بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب وقرا يعقوب اخوانكم بالجمع وقراءة الجماعة ابلغ لدلالتها على الاثنين فما
فوقهما بالمطابقة واتقوا الله اي الملك الاعظم الذي هم عباده في الاصلاح بينهما بالقتال وغيره لا تفعلوا ما صورته اصلاح
وباطنه افساد واشار الى سهولة الامر عنده ونفوذ امره وان النفوس انما تسوقها الى الاكرام لا الى كونه من معين فبنى للمفعول قوله
لعلكم ترحمون اي لتكونوا اذا فعلتم ذلك على رجاء عند انفسكم ومن ينظركم من ان يكرمكم الذي لا قادر على الاكرام في الحقيقة غيره
بانواع الكرامات كما رحمتم اخوتكم باكرامهم عن افساد ذات البين التي هي الحالقة وقد دلت الاية على ان الفسق بغير الكفر لا يخرج عن
الايمان وعلى ان الاصلاح من اعظم الطاعات وعلى وجوب نصر المظلوم لان القتال لا يباح بدون الوجوب قال القشيري وذلك لا
عظم وزر الواشي والنمام والمضرب في افساد ذات البين وقال من شرط الاخوة ان لا تحوج اخاك الى الاستعانة بك والتما
النصر منك ولا تقصر في تفقد احواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج الى مسالتك نهى عن الاسراع
بالايقاع بمجرد سماع ما يوجب النزاع وختم بما ترجى به الرحمة وكان ربما كان الخبر الذي امر سبحانه بتبينه صحيحا نهى عن
موجبات الشر التي يخبر بها فتكون سببا للضغاين التي يتسبب عنها الشر الذي هو سبب النقمة رحمة لعباد الله وتوقعا للرحمة
منه فقال على سبيل النتيجة من ذلك ذاكرا ما في القسم الرابع من الاداب والمنافع من وجوب ترك اذى المومنين في حضورهم
والازراء بحالهم المذهب لسرورهم الجالب لشرورهم يا ايها الذين امنوا اي اوقعوا الاقرار بالتصديق لا يسخر اي يهزا ويستهزئ
ولما كانت السخرية تكون بحضرة ناس قال معبرا بما يفهم ان من شارك او رضي او سكت وهو قادر فهو ساخر مشارك
للقايل قوم اي ناس فيهم قوة المحاولة وفي التعبير به للهزء الى قيام الانسان على نفسه وكفها عما تريد من النقايص شكر الما
اعطاه الله من القوة من قوم فان ذلك يوجب الشر لان بعض الناس اذا حركه الانتقاص قوي بما يثور عنه من حظ النفس
ولما كان الذي يقتضيه الراي الاصيل انه لا يستذل الانسان الا من امن ان يصير في وقت من الاوقات
اقوى منه في الدنيا او في الاخرة علل بقوله عسى اي لانه جدير وخليق لهم ان يكونوا اي المستهزا بهم خيرا منهم فينقلب الامر
عليهم ويبلون لهم سوء العاقبة قال ابن مسعود رضي الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت ان احول كلبا
وقال القشيري ما استصغر احد احدا الا سلط عليه ولا ينبغي ان يعتبر بظاهر احوال الناس فان في الزوايا خبايا والحق
سبحانه يستر اولياءه في حجاب الظنة كذا في الخبر كم من اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره ولما كان
اطلاق القوم لمن فيه اهلية المقاومة وهم الرجال قال معبرا بما هو من النسوء بفتح النون اي ترك العمل ولا نساء من
نساء ثم علل النهي بقوله عسى ان ينبغي ان يخشى من ان يكن اي المسخور بهن خيرا منهن اي الساخرات ولما
كانت السخرية تتضمن العيب ولا يصرح فيها وكان اللمز العيب نفسه رقى الامر اليه فقال ولا تلمزوا اي تعيبوا على وجه
الخفية انفسكم بان يعيب بعضكم بعضا باشارة او نحوها فكيف اذا كان على وجه الظهور فانكم في التواصل والتراحم
كنفس واحدة او يعمل الانسان ما يعاب به فيكون قد لمز نفسه ولا تنابزوا اي ينبز بعضكم بعضا اي يدعوا على وجه التعيير
والتسفيل بالالقاب بان يدعو المرء صاحبه بلقب يسوء سواء كان هو المخترع له او لا واما القاب المدح فهي
كالصديق والفاروق ولما كان الايمان نقيدا لا وابدا الى صيانته وكان التنابز والسخرية ذلعا لذلك النقيد
علل بما يوذن بانه فسق معبرا بالكلمة الجامعة لجميع المذام تنفيرا من ذلك فقال بئس الاسم الفسوق اي الخروج من ربقة الدين
بعد الايمان ترك الجار ايذانا بان من وقع في ذلك اوشك ان يلازمه فيستغرق زمانه فيه فان النفس عشاقة للنقايص
ولا سيما ما فيه استعلا فمن فعل ذلك فقد رضي لنفسه ان يوسم بالفسق بعد ان كان موصوفا بالايمان ولما
كان التقدير فمن تاب فاولئك هم الراشدون وكان المقام بالتحذير اليق عطف عليه قوله ومن لم يتب اي يرجع عما نهى الله عنه
تخففا بنفسه كانت شدة غلبها فاولئك اي البعداء من الله هم اي خاصة الظالمون اي العريقون في وضع الاشيا في
غير مواضعها ولما كان الانسان ربما دعا صاحبه بلقب له شيء غير قاصد به عيبه او فعل فعلا يتنزل على الهزء
غير قاصد به الهزء نهى تعالى عن المبادرة الى الظن من غير تثبت لان ذلك من وضع الاشيا في غير مواضعها الذي هو معنى
الظلم فقال خاتما بالقسم الخامس منبها على ما فيه من المعالي والنفايس يا ايها الذين امنوا اي اعترفوا بالايمان وان كانوا
في اول مراتبه اجتنبوا اي كلفوا انفسكم ان تتركوا وتبعدوا وتجعلوا في جانب بعيد عنكم كثيرا من الظن اي في الناس
وغيرهم فاحتاطوا في كل ظن ولا تمادوا معه حتى تجزموا به فتقدموا بسببه على ما يقتضيه من الشر لا سيما الذين لحقه من
باطله بان يظهر عليه امارة صحيحة وسبب ظاهر والبحث عن ذلك الذي اوجب الظن ليس المنهي عنه كما فعل النبي صلى الله
عليه وسلم في قصة الافك وتثبت حتى جاءه الخبر اليقين من الله واهم هذا ان كثيرا منه غير مجتنب كما في الاجتهاد حيث لا قاطع
وكان ظن الخير في الله تعالى بل قد يجب كما قال تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا وقد افاد التنكير

شياع التهمة في كل ظن فكان بمعنى بعض مع الكفالة بأن كثيرًا منه منهي عن الإقدام عليه إلا بعد تبين أمره ولو عرف لا فهم أنه لا يجتنب
إلا إذا اتصف بالكثرة قال القشيري النفس لا تصدق والقلب لا يكذب والتمييز بين النفس والقلب مشكل ومن بقيت عليه من حظوظه
بقية وإن قلت فليس له أن يدعي بيان القلب بل هو بنفسه ما دام عليه شيء من بقيته ويجب عليه أن يتهم نفسه في كل ما يقع له من نقصان
عزم ثم علل ذلك بقوله مشيرًا إلى أن العاقل من يكلف نفسه عند أدنى احتمال الحزم مؤكدًا لأن أفعال الناس عند الظنون أفعال من هو
جازم بأنه بريء من الإثم ﴿إن بعض الظن إثم﴾ أي ذنب يؤهل صاحبه لاستحقاق العقوبة كالظن في أصول الدين وحيث يخالفه قاطع
قال الزمخشري والهمزة في الإثم عن الواو وكأنه يثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه ولما كان نهى عن اتباع الظن أتبعه
ما يتفرع عنه فقال ﴿ولا تجسسوا﴾ أي تتبعوا في البحث عن العورات ولا يكون ذلك إلا في المستورات ولما كانت الغيبة
أعم من التجسس قال ﴿ولا يغتب﴾ أي يتعمد أن يذكر ﴿بعضكم بعضًا﴾ في غيبته بما يكره قال القشيري وليس تحصل الغيبة للخلق إلا من
الغيبة عن الحق وقال أبو حيان قال ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس ولما كان تمزيق عرض الإنسان
كتمزيق لحمه وجلده لأن ذلك ساتر عظمه الذي به قوامه كما أن عرضه ساتر عليه وكونه بحيث لا يردع عن نفسه بسبب غيبته
كموته وأعمال الفم والجوف في ذلك كأكله وكان هذا لو تأمله العاقل كان منه على غاية النفرة ولكنه لخفائه لا يخطر
بباله جلاه له في قوله تقريرًا وتعبيرًا بالحب عما هو في غاية الكراهة لما للمغتاب من الشهوة في الغيبة لتكون التصوير بذلك
زاجرًا له عنها ومكرهًا فيها ﴿أيحب﴾ وعم بقوله ﴿أحدكم﴾ وعبر بالفعل تصويرًا للفعل فقال ﴿أن يأكل﴾ وزاد في التنفير بجعله
في إنسان هو أخ فقال ﴿لحم أخيه﴾ وأنهى الأمر بقوله ﴿ميتًا﴾ ولما كان الجواب قطعًا لا يحب أحد ذلك أشار إليه بما
سبب عن قوله ﴿فكرهتموه﴾ أي بسبب ما ذكر طبعًا فأولى أن تكرهوا الغيبة المحرمة عقلًا لأن داعي العقل بصير عالم
وداعي الطبع أعمى جاهل وقد رتب سبحانه هذه الحكم أبدع ترتيب فأمر سبحانه بالتثبت ولما كان ربما
أحدث ضغينة نهى عن العمل بموجبه من السخرية واللمز والنبز وما يتمادى معه مما يخشى ذلك من الظنون فإن أبت النفس إلا
تماديًا مع الظن فلا يتصل إلى التجسس والبحث عن المعايب فإن حصل الاطلاع عليها كف عن ذكرها وسعى في سترها وفعل
ذلك كله لخوف الله لا لشيء غيره فإن وقع في شيء من ذلك بادر المتاب رجاء الثواب ولما كان التقدير فاتركوه
بسبب كراهتكم لما صورته عطف عليه ما دل على العلة العظمى وهي خوف الله فقال ﴿واتقوا الله﴾ أي اجعلوا بينكم وبين
غضب الملك الأعظم وقاية بترك ذلك وإصلاح ذات البين ولما كان التقدير فإن الله يتوب عليكم إن تبتم
علله بما دل على أن ذلك صفة له متكررة التعلق فقال ﴿إن الله﴾ أي الملك الأعظم ﴿تواب﴾ أي مكرر للتوبة وهي الرجوع
عن المعصية إلى ما كان قبلها من معاملة التائب وإن كرر الذنب فلا ييأس أحد وإن كثرت ذنوبه وعظمت ﴿رحيم﴾
يربي على ذلك أن يكرمه غاية الإكرام ولما ذكر سبحانه الأخوة الدينية تذكيرًا بالعاطفة الموجب
للإكرام المانع من الانتقاص ونهى عن أمور يجر إليها الإعجاب بالنفس من جهة التعظم بالآباء والعراقة في النسب العالي
أسقط ذلك مبينًا أن لا نسب إلا ما يثمر الإيمان الذي يداويه من التقوى وعبر بما يدل على الذبذبة والاضطراب
إشارة إلى سفول رتبة من افتخر بالنسب وإلى أن من لم يتعظ لما مضى فيعلو عن رتبة الذين آمنوا فقد سفل سفولًا
عظيمًا فقال مبينًا على غير ما مضى ذاكرًا الأخوة النسبية وتممها ﴿يا أيها الناس﴾ أي كافة المؤمن وغيره ﴿إنا﴾ على عظمتنا
﴿خلقناكم﴾ أي أوجدناكم من العدم على ما أنتم عليه من المقادير في صوركم وما أنتم عليه من التشعب التي يفوت الحصر وأخرجنا كل
واحد منكم ﴿من ذكر﴾ هو المقصود بالعزم والقوة ﴿وأنثى﴾ هي موطن الضعف والراحة لا مزية لأحد منكم في ذلك على آخر فلا فخر
في نسب ولما كان تفصيلهم إلى فرق لكل منها تعرف به أمرًا باهرًا عبر فيه بنون العظمة فقال ﴿وجعلناكم﴾ أي
بعظمتنا ﴿شعوبًا﴾ تتشعب من أصل واحد جمع شعب بالفتح وهو الطبقة الأولى من الطبقات الست من طبقات النسب
التي عليها العرب ﴿وقبائل﴾ تحت الشعوب وعمائر تحت القبائل وبطونًا تحت العمائر وأفخاذًا تحت البطون وفصائل تحت
الأفخاذ والعشائر تحت الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وعبد مناف فخذ وهاشم فصيلة
والعباس عشيرة قاله البغوي وليس بعد العشيرة حي يوصف انتهى واقتصر على الأولين لأنهما أقصى ما يسهل على الآدمي معرفته
فما دونه أولى ثم ذكر علة التشعب ليوقف عندها فقال ﴿لتعارفوا﴾ أي ليعرف الإنسان من يقاربه في النسب ليصل من رحمه ما
يحق له لا لتواصفوا وتفاخروا ولما كانت فائدة التفاخر بالتواصف عندهم الإكرام لمن كان أفخر وكانت الآية السالفة
التي رتبت عليها هذه آمرة بالتقوى كان التقدير فاتقوا الله في أقاربكم وذوي أرحامكم فقال مبطلًا للتفاخر بالأنساب معللًا لما أرشد
إلى تقديره السياق مؤكدًا لأجل ما عندهم من أن الكرم إنما هو بالنسب ﴿إن أكرمكم﴾ أيها المتفاخرون ﴿عند الله﴾ أي الملك الذي
لا أمر لأحد معه ولا كريم إلا من أخبر بكرمه ولا كمال لأحد سواه ﴿أتقاكم﴾ فذلك هو الذكر الذي يصح أصله باقتدائه بأبيه آدم
عليه السلام فلم يمل إلى الأنوثة وإن كان أدناكم نسبًا ولذلك أكرم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم خياركم في الجاهلية

خياركم في الإسلام إذا فقهوا أي علموا بأن كانت لهم ملكة الفقه فعملوا بما علموا كما قال الحسن رحمه الله إنما الفقيه العامل
بعلمه وقد تقدم أن هذا هو المراد بقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون لما دل عليه سياقها وسباقها وإلا
لا يفتخر على غيره لأنه لا يعتقد أنه أتقى قال الرازي في اللوامع أكرم الكرم التقوى وهو مجمع الفضائل الإنسانية والأم
اللؤم الفجور وذلك أن الكرم اسم للأفعال المحمودة وهذه الأفعال إنما تكون محمودة إذا كانت عن علم وقصد بها الله وهذا
هو التقوى فليس التقوى إلا العلم وتحري الأفعال المحمودة انتهى وذلك لأن التقوى تثبت الكمالات وتنفي النقائص فيصير صاحبه
بشريًا ملكيًا ولما كان مركوزًا في طباعهم مغروزًا في جبلاتهم متوارثًا عندهم أن الفخر إنما هو بالأنساب وأن
الكريم إنما هو من طاب بأصله وكان قلع ذلك من نفوسهم فيما أجرى به سبحانه العادة في دار الأسباب يتوقف على تأكيد أكده
سبحانه بقوله معللًا لإخباره بالأكرم ﴿إن الله﴾ أي المحيط علمًا وقدرة ﴿عليم﴾ أي بالغ العلم بالظواهر ﴿خبير﴾ محيط العلم بالبواطن
والسرائر روى البغوي بسنده من طريق عبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته
يستلم الأركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخًا فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذي
أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها بآبائها الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس
الآية ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وأخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي قال المنذري بإسناد
حسن واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها
بالآباء الناس بنو آدم وآدم من تراب مؤمن تقي وفاجر شقي لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن
أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها ولما أمر سبحانه بإجلال رسوله صلى الله عليه وسلم وإعظامه
ونهى عن أذاه في نفسه أو في أمته ونهى عن التفاخر الذي هو سبب التقاطع والتدابر وختم بصيغة الخبر دل عليها بقوله مشيرًا إلى
أنه لا يعبد بشيء مما أمر به أو نهى عنه إلا مع الإخلاص فقال ﴿قالت الأعراب﴾ أي أهل البادية من بني أسد وغيرهم الذين هم معدن
الغلظة والجفاء الذين تقدم نداؤهم في سورة الفتح والحجرات في تعلم إشارة إلى ضعفهم في العزائم قال ابن برجان هم قوم
شهدوا بشهادة الحق ولا يعلمون ما شهدوا به غير أن أنفسهم لبست تنازعهم إلى التكذيب ﴿آمنا﴾ أي بجميع ما جئت به فامتثلنا ما
أمرتنا به في هذه السورة ولنا النسب الخالص فنحن أشرف من غيرنا من أهل المدر ولما كان الإيمان التصديق بالقلب فلا
اطلاع لآدمي عليه إلا بإطلاعه سبحانه وكانوا كاذبين في دعواه قال ﴿قل﴾ أي تكذيبًا لهم مع مراعاة الأدب في عدم التصريح
بالتكذيب ﴿لم تؤمنوا﴾ أي لم تصدق قلوبكم لأنكم لو آمنتم لم تمنوا بإيمانكم لأن الإيمان التصديق بجميع ما لله من الكمال الذي منه
أنه لولا منته بالهداية لم يحصل الإيمان فله ولرسوله الذي كان ذلك على يده المن والفضل ولما كان التقدير ما كان
الأصل فيه أن يكون الرد به وهو فلا تقولوا آمنا لأنه كذب وعدل عنه للاحتراز عن النهي عن القول بالإيمان عطف عليه قوله
﴿ولكن قولوا﴾ لأنكم أسلمتم للدنيا لا للدين وعدل عنه لئلا يكون شهادة لهم بالإسلام في الجملة ﴿أسلمنا﴾ أي أظهرنا الانقياد
في الظاهر للأحكام الظاهرة فأمنا من أن نكون حربًا للمؤمنين وعونًا للمشركين يقال أسلم الرجل إذا دخل في السلم كما يقال
أشتى إذا دخل في الشتاء ولم يقل ولكن أسلمتم لما فيه من الشهادة لهم بالإسلام الملازم للإيمان المنفي عنهم فكان يكون
تناقضًا والآية من الاحتباك نفي الإيمان الشرعي أولًا يدل على إثبات الإسلام اللغوي ثانيًا والأمر بالقول بالإسلام ثانيًا يدل
على النهي عن القول بالإيمان أولًا ولما كانت لم غير مستغرقة عطف عليها ما يستغرق ماضي الزمان كله ليكون الحكم
بعدم إيمانهم مكتنفًا بأمرهم بالاقتصار على الإخبار بإسلامهم فقال معلمًا بأن ما يجتهدون في إخفائه منكشف لديه لا يعلم من
خلق ﴿ولما يدخل﴾ أي إلى هذا الوقت ﴿الإيمان﴾ أي المعرفة التامة ﴿في قلوبكم﴾ فلا يعد إقرار اللسان إيمانًا إلا بمواطأة القلب فعصيتم
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأحبطتم أعمالكم والتعبير بلما يفهم أنهم آمنوا بعد ذلك ويجوز أن يكون المراد بهذا النفي نفي
التمكن في القلب لا نفي مطلق الدخول به ليلا لما المؤمنون دون لما الذين آمنوا ولما كان التقدير فإن تؤمنوا يعلم الله ذلك
من قلوبكم غنيًا عن قولكم عطف عليه قوله ترغيبًا لهم في التوبة ﴿وإن تطيعوا الله﴾ أي الملك الذي من خالفه لم يأمن عقوبته
﴿ورسوله﴾ الذي طاعته من طاعته على ما أنتم عليه من الأمر الظاهر فتؤمنوا من قلوبكم ﴿لا يلتكم﴾ أي ينقصكم ويحبسكم من لاته
يليته وهي لغة أهل الحجاز وقرأ البصريان بالهمز من ألاته وهو النقص أيضًا وهي لغة أسد وغطفان وهم المخاطبون
بهذه الآية المعاتبون بها قاله أبو حيان قال مجاهد نزلت في أسد بن خزيمة انتهى فلذلك اختار أبو عمرو القراءة بها وعدل
عن لغة الحجاز ﴿من أعمالكم شيئًا﴾ فلا حاجة إلى إخباركم عن أعمالكم بغير ما يدل عليه من الأقوال والأفعال قال ابن برجان فعموم
الناس وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين فإن تعلموا أعلم ما شهدوا وعوه وأعلنوه علمًا ويقينًا فهم المؤمنون وفي الآية احتباك
من وجه آخر ذكر عدم الإيمان أولًا دليلًا على إثباته ثانيًا وذكر توفير الأعمال ثانيًا دليلًا على نفيها وإحباطها أولًا وسره
أنه نفى أساس الخير أولًا ورغب في الطاعة بحفظ ما تعبوا عليه من الأعمال ثانيًا ولما كان الإنسان مبنيًا على

النقصان بعلو وكل الى عمله هلك ولذهب عمله فيما يعتريه من النقص فلذا مستعطفا لهم الى التوبة مؤكدا ندبهما على انه مما يحق تؤكيده
لان الخلائق لا يفعلون مثله إن الله اى الذى له صفات الكمال غفور اى ستور للهفوات والزلات للمرتاب وصحابتيه ولغيره
اذا اراد فلا عتاب ولا عقاب رحيم اى يزيد على الستر عظيم الاكرام ولما نفى عنهم الايمان وكان ربما غلط شخص
فى نفسه فظن انه مؤمن وليس كذلك اخبر بالمؤمن على سبيل الحصر ذاكرا امارته الظاهرة والباطنة وهى امهات الفضائل العلم
والعفة والشجاعة فقال جوابا لمن قال فمن الذى امن عادلا عن جوابه الى الوصف الراسخ ترغيبا فى الاتصاف بوصفه وايذانا بان
المخبر عن نفسه بانه امن لا انه راسخ انما المؤمنون اى الذين هم عريقون فى الايمان الذى هو حياة القلوب قال القشيرى والقلوب
لا تحيا الا بعد ذبح النفوس والنفوس لا تموت ولكنها تعيش الذين امنوا اى صدقوا معترفين بالله معتقدين جميع ما له من صفات
الكمال ورسوله شاهدين برسالته وهذا هو المعرفة التى هى العلم وغايتها الحكمة وهذا الاثبات هنا يدل على ان المنفى فيما قبل الكمال
المطلق والا لقال انما الذين امنوا ولما كان هذا عظيما والثبات عليه اعظم وهو عين الحكمة اشار الى عظيم مرتبة
الثبات بقوله ثم اى بعد امتطاء هذه الرتبة العظيمة لم يرتابوا اى ينازعوا الفطرة الاولى فى تعمد التسبب الى الشك
ولم يوقعوا الشك فى وقت من الاوقات الكائنة بعد الايمان فلا بد ان لا يطاول الازمنة وحصول الفتن وصفهم بعدم الريب
غضا جديدا ولعله عبر بصيغة الافتعال اشارة الى العفو عن حديث النفس الذى لا يستطيع الانسان دفع اصله ويكرهه
غاية الكراهة ويجتهد فى دفعه فاذا ان المذموم المشى معه والمطاولة فيه حتى يستحكم ولما ذكر الامارة الباطنة
على وجه جامع لجميع العبادات المالية والبدنية فقال وجاهدوا اى اوقعوا الجهاد بكل ما ينبغى ان يجهد النفس فيه تصديقا
لما ادعوه بالسنتهم من الايمان باموالهم وذلك هو العفة وانفسهم اعم من النية وغيرها وذلك هو الشجاعة وقدم
الاموال لقلتها فى ذلك الزمان عند العرب فى سبيل الله اى طريق الملك الاعظم بقتال الكفار وغيره من انواع العبادات المحتاجة
الى المال والنفس لا الذين يتخلفون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا قال القشيرى جعل الله الايمان مشروطا بخصال ذكرها
وذكر بلفظ انما وهى للتحقيق تقتضى الطرد والعكس ثم افرد الايمان عن شرائطه التى جعلها له فرد وعليه قوله والايمان
للعبد الايمان فايمان لا يوجب الايمان لصاحبه لخلافه اولى به ولما عرف بهم بذكر اماراتهم على سبيل الحصر اتبع
ذلك حصرا اخر قطعا لاطماع المدعين على وجه اثنى عليهم فيه بما تعظم المدحة به عندهم ترغيبا فى مثل حالهم فقال
اولئك اى العالوا الرتبة الذين حصل لهم استواء الاخلاق والعدل فى الدين بجمع امهات الاخلاق هم اى خاصة الصادقون
قالا وحالا وفعالا واما غيرهم فكاذب ولما كانوا كانهم يقولون نحن كذلك امره صلى الله عليه وسلم بالانكار عليهم والتوبيخ
لهم دلالة على ما اشار اليه ختام الاية من احاطة علمه الذى تميز به الصادق من غيره من جميع الخلق فقال قل اى لهؤلاء الاعراب
مجهلا لهم مبكتا اتعلمون اى اتخبرون اخبارا عظيما بليغا كانهم لما امنوا كان ذلك اعلاما منهم بالايمان فلما قالوا امنا كان
ذلك تكريرا فكان فى صورة التعليم فبكتهم بذلك الله اى الملك الاعظم المحيط علما وقدرة بدينكم فلذلك تقولون امنا
تعنى ذلك نوع بشرى لهم لانه اوجد لهم دينا واضافه اليهم قال ابن برجان ولما انكر عليهم وبكتهم وصل به
ما يشهد لهم له فقال والله اى والحال ان الملك المحيط بكل شئ يعلم ما فى السموات كلها على عظمها وكثرة ما فيها ومن فيها ولما
كان فى سياق الرد عليهم والتبكيت لهم كان موضع التاكيد فقال وما فى الارض كذلك كان المقام للتعميم
اظهر ولم يضمر لئلا يتوهم الاختصاص بما ذكر من الخلق فقال والله اى الذى له الاحاطة الكاملة بكل شئ اى مما ذكر ومما
لم يذكر عليم ولما كان قولهم هذا صورته صورة المنة قال منكرا مبكتا لهم عليه معبرا بالمضارع تصويرا لحاله
فى شناعته يمنون عليك اى يذكرون ذكر من اصطنع عندك صنيعة واسدى اليك نعمة انما تفعلها لحاجتك اليها لا لقصد الثواب
عليها لان المن هو القطع قال فى الكشاف لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال
من عليه صنيعة اذا اعتده عليه منة وانعاما ولما كان الاسلام ظاهرا فى الدين الذى هو الانقياد بالظاهر
مع ادعان الباطن لم يعبر به وقال ان اسلموا اى اوقعوا الانقياد للاحكام فى الظاهر ولما كان المن هو
القطع من العطا الذى لا يراد عليه جزاء قال قل اى فى جواب قولهم هذا لا تمنوا معبرا بما من المن اشارة الى ان الاسلام لا
يطلب جزاؤه الا من الله فلا ينبغى عده صنيعة على احد فان ذلك يفسده على اسلامكم لو فرض انكم كنتم مسلمين اى بينين
بدين الاسلام الذى هو الانقياد الظاهر مع ادعان الباطن اى لا تذكروه على وجه الامتنان اصلا فالفعل وهو تمنوا متضمن
تذكروا انفسه لا لمعناه كما تقدم فى ولتكبروا الله على ما هداكم بل الله اى الملك الاعظم الذى له المنة على كل موجود
ولا منة عليه بوجه يمن عليكم اى يذكر انه اسدى اليكم نعمه ان اى بان هداكم للايمان اى بينه لكم او وفقكم للاهتداء
وهو تصديق الباطن مع الانقياد بالظاهر والتعبير عن هذا بالمن فى احق مواضعه فانه سبحانه غير محتاج الى عمل فانه
لا ينفع بطاعة ولا يضر وانما طلب الاعمال لنفع العاملين انفسهم ومن عليهم بان ارسل رسوله صلى الله عليه وسلم فبين لهم

تكذيبه باجمعهم فلم يزل يقويه حتى اظهر فيه آية محمد واظهر دينه على الدين كله ودخل الناس فيه طوعا وكرها على وجوه من
المجد يعرفها من استحضر السيرة ولا سيما من عرف امر بنى اسد وغطفان الذين نزلت فيهم هذه الايات وكيف كان حالهم
فى غزوة خيبر ولما كان المراد بهذا تحميلهم وتعليمهم حقائق الامور لا الشهادة لهم بالهداية قال مبنيا على ذلك
ان كنتم اى كونا انتم عريقون فيه صادقين اى فى ادعائكم ذلك فانه على تقدير الصدق انما هو بتوفيق الله وهو الذى خلق
لكم قدرة الطاعة فهو الفاعل فى الحقيقة فلله المنة عليكم قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى من لاحظ شيئا من اعماله واحوا
فان راها من نفسه كان شركا وان راها لنفسه كان مكرا فكيف يمن العبد بما هو شرك او مكر والذى يجب عليه قبول المنة
كبرى لنفسه على غيره منة هذا لعمرى فضيحة والمنة تكدر الصنيعة اذا كانت من المخلوقين وبالمنة تطيب النعمة
اذا كانت من قبل الله ولما نفى عنهم ما هو باطن وختم حد الهم سبحانه بهذه الشرطية فكان ربما توهم قاصر
النظر جامد فى الفكر عدم العلم بما هم عليه ازال ذلك على وجه عام واكد لذلك فقال إن الله اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما
يعلم اى بطريق ثبوت الصفة وتجديد التعلق واستمراره كلما تجدد محدث او كان بحيث يتجدد غيب السموات اى كلها
والارض كذلك ولما اريد التعميم من غير تقييد بالخافقين اظهر ولم يضمر قوله والله اى الذى له الاحاطة بذلك
وبغيره مما لا تعلمون بصير اى عالم اتم العلم ظاهرا وباطنا بما تعملون من ظاهر اسلامكم وباطن ايمانكم فى الماضى والحاضر
والاتى سواء كان ظاهرا او باطنا سواء كان قد حدث فصار بحيث تعلمونه انتم او كان مغروزا فى جبلاتكم وهو خفى عنكم
هذا على قراءة الخطاب التفاتا اليهم لاستنقاذ من يتوهم منهم هذا التوهم وهى ابلغ وعلى قراءة ابن كثير بالغيب تكون على
الاسلوب الاول مما امر النبى صلى الله عليه وسلم بابلاغه لهم فهو سبحانه عالم بما انطوى ضميره على الايمان ومن هو
متلبس بالكفران ومن هو ثابت على ما هو عليه ويتحول حاله بابعاده او جذب اليه قال القشيرى ومن وقفهم هنا تكدر عليه
العيش اذ ليس يدرى ما غيبه فيه ابكى وهل تدرين ما يبكينى ابكى حذارا ان تفارقينى
وتقطعى حبلى وتهجرينى انتهى وفى ذلك اعظم زجر وترهيب لمن تقدم بين يدى الله ورسوله ولو ان تقدمه فى سره فانه
لانهى ابلغ من احاطة العلم فكانه قيل لا تقدموا بين يديه فان الله محيط العلم فهو يعلم سركم وجهركم فقد
التقى هذا الاخر الى الاول والتف به التفاف الاصل بالموصل سورة ق وتسمى الباسقات مقصودها تصديق
النبى صلى الله عليه وسلم فى الرسالة التى معظمها الانذار واعظمه الانذار بيوم الخروج بالدلالة على ذلك بعد الايات المسموعة
الغيبة باعجازها عن تاييد بالايات المرئية الدالة قطعا على الاحاطة بجميع صفات الكمال ولحسن من هذا ان يقال المقصود
الدلالة على احاطة القدرة التى هى نتيجة ما ختمت به الحجرات من احاطة العلم لبيان انه لا بد من البعث ليوم الوعيد لتنكشف
هذه الاحاطة بما يحصل من الفصل بين العباد بالعدل لان ذلك هو سر الملك الذى هو سر الوجود وذلك هو نتيجة مقصود البقرة
والذى تكفل بالدلالة على هذا كله ما شوهد من احاطة مجد القران باعجازه فى بلوغه فى كل من جمع المعانى وعلو التراكيب وجلالة
المفردات وتلاؤم الحروف وتناسب النظم ورشاقة الجمع وحلاوة التفصيل الى حد لا تطيقه القوى ومن احاطة اوصاف
الرسول الذى اختاره سبحانه لابلاغ هذا الكتاب فى الخلق والخلق وما شوهد من احاطة القدرة بما هدى اليه القران من ايات
الايجاد والاعدام وعلى كل من الاحتمالين دل اسمها ق بما فى ايته من اثبات المجد لهذا الكتاب والمجد هو الشرف والكرم
والرفعة والعلو وذلك لا يكون الا والاتى به كذلك وهو ملازم لصدقه فى جميع ما اتى به وللقاف وحدها اتم دلالة على
ذلك او لانجر جها فانه من اصل اللسان مما يلى الحلق ويحاذيه من الحنك الاعلى فان ذلك اشارة الى ان المقصود السورة
الاصل والعلو وكل منهما دال على الصدق دلالة قوية فان الاصل فى وضع الخبر الصدق ودلالته على الكذب عقلية لا وضعية
وهى ايضا محيطة باسمها ومسماها بالمخارج الثلاث والاحاطة بالحق لا يكون الا مع العلو وهو لا يكون الا مع الصدق ولا
سيما الجبل المحيط بالارض هذا مخرجها واما صفاتها فانها عظيمة فى ذلك فان لها الجهر والشدة والانفتاح والاستعلاء
والقلقلة وكل منها ظاهر الدلالة على ذلك جدا وادل ما فيها من المخلوقات على هذا المقصد النخل لما انفردت به عما
شاركها من النبات بالاحاطة بالطول وكثرة المنافع فانها جامعة للتفكه بالقلب ثم الطلع ثم البسر ثم الرطب والاداء
بالتمر وبالخشب والحطب والعصى والخوص النافع للافتراش والليف النافع للحبال وغير ذلك من الخلال هذا مع كثرة
ملابسة العرب الذين هم اول مدعو بهذا الذكر لها ومعرفتهم بخواصها وادل ما فيها الطول مع انه ليس لعروقها من
الامتداد فى الارض والتمكن ما لغيرها ومثل ذلك غير كاف فى العادة فى الامساك عن السقوط وفى كثرة الحمل وعظم
الاثنا وتناضد الثمر ولذلك سميت سورة الباسقات لا النخل بسم الله الذى من احاطة حمده بيانه ما لنبيه صلى
الله عليه وسلم من احاطة المجد ولعزته سبحانه من الاحاطة التى ليس لها حد الرحمن الذى عم خلقه برحمته حين ارسل
البليغ بشرائعه اصدقاء العباد واظهر بعظيم معجزاته ان قدرته ما لها من نفاد الرحيم الذى خص بالفوز فى دار القرار

اهل الرشاد ولما ختم سبحانه الحجرات باحاطة العلم قال اول هذه ق اشارة الى انه سبحانه هو محكم المحيط
علما وقدرة بما له من العلو والشرف والقوة والقيومية والقهر ونافذ القضاء والفتح لما اراد من المغلقات بما اشارت اليه
القاف بصفاتها واظهرته بمخرجها المحيط بما جمعه سماها من المخارج الثلاث الحلق واللسان والشفتان وقد بين الاستاذ
ابو الحسن الحرالي سر افتتاح المفصل بهذا الحرف فقال في اخر كتابه في الحرف اعلم ان القران منزل مثانى من
ما عدا المفصل منه الذى هو من قاف الى الخاتمة الكتاب العزيز وفاتحته ما يختص بولى العلم والفقه من مبسوطات الحكم
ومحكمات الاحكام ومطولات الاقاصيص ومتشابه الايات والسور المفتتحة بالحروف العليه الاحاطة الغيبية
المنبى المستندة الى احاد الاعداد فللعلو رتبة ايراده وطوله منى الحق تعالى الخطاب وانتظمه فى سور كثيرة العدد
يسير عدد الاى قصير مقدارها ذكر فيها من اطراف القصص والمواعظ والاحكام والنبا واخر الجزا ما يليق بسماع
العامة ليسهل عليهم سماعه ولياخذوا بحظ مما اخذ الخاصة وليتكرر على اسماعهم فى قراة الايمة له فى الصلوات المفروضة
التى لا مندوحة لهم عنها ما يكون لهم خلفا مما يفوتهم من مضمون سائر السور المطولات فكان احق ما افتتح به مفصلهم حرف
القاف الذى هو وتر الاحاد والظاهر منها ليكون مضمون ما يحتوى عليه اظهر مما يحتوى عليه ما افتتح بالم ولذلك كان
صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقرا فى خطبة يوم الجمعة سورة ق لتبتنى للعامة المتوجه بخطبة يوم الجمعة اليهم لانها
صلاة جامعة الظاهر بفاتحة المفصل الخاص بهم وفى مضمونها من معنى القدرة والقهر المحتاج اليه فى اقامة امر العامة
ما فيه كفاية وشفعت بسورة ن المطهر ظاهر ق لخصوا عاقبة القهر والاهانة واختصت سورة ن من مقتضى العلم
بما هو محيط بامر العامة المنتهى الى غاية الذكر الشامل للعالمين وكما كان جميع السور المفتتحة بالحروف المتضمنة
للمراتب التسع والعاشر الجامع قواما واحاطة فى جميع القران كذلك كان سورة ق وسورة ن قواما خاصا واحاطة
خاصة بما يخص العامة من القران الذين يجمعهم الارض بما احاط بظاهرها من صورة جبل ق وما احاط بباطنها من صورة
حيوان ن الذى تمام امرهم بما بين مبدئ قاف منها وبهذه السورة المفتتحة بالحروف ظهر اختصاص القران وتميز
عن سائر الكتب لتضمنها الاحاطة التى لا تكون الا للخاتم الجامع واقترنها من التفصيل فى سورها ما يليق باحاطتها
ولاحاطة معانيها وابهامها كان كلما فسرت به من معنى يرجع الى مقتضاها فهو صحيح فى احاطتها ومنزلها من اسماء
الله وترتيبها فى جميع العوالم فلا يخطى فيها مفسر لذلك لانه كلما قصد وجها من التفسير لم يخرج عن احاطة ما يقتضيه
ومهما فسرت به من انها من اسماء الله او من اسماء الملائكة او من اسماء الانبيا او من مثل الاشيا وصور الموجودات او من
انها اقسام اقسم بها او فواتح عرفت بها السور او اعداد تدل على حوادث وحظوظ من ظاهر الامر او باطنه على اختلاف
رتب واحوال مما اعطيه محمد صلى الله عليه وسلم من مقدار امد الخلافة والملك والسلطنة وما ينتهى اليه امره من
ظهور الهداية ونحو ذلك مما يحيط بامد يومه الى غير ذلك وكل داخل فى احاطتها وكذلك ايضا لا تختص بمحل مخصوص
تلزمه علامة اعراب مخصوصة فمهما قدر فى مواقعها من هذه السور جرا او نصبا او رفعا فداخل فى احاطة رتبتها
ولم يلزمها معنى خاص ولا اعراب خاص لما لم يكن لها انتظام لانها مستقلات محيطات وانما ينتظم ما يتم معنى كل واحد
من المنتظمين بحصول الانتظام وذلك يختص من الكلم بما يقصر عن احاطة مضمون الحروف حتى انه متى وقع استقلال واحاطة
فى كلمة لم يقع فيها انتظام ولما اشار سبحانه الى هذه الاحاطة بالقاف اقسم على ذلك قسما هو فى
نفسه دال عليه فقال والقران اى الكتاب الجامع الفارق المجيد اى الذى له العلو والشرف والكرم والعظمة
على كل كلام والجواب انهم ليعلمون ما اشارت اليه القاف من قوتى وعظمتى واحاطة علمى وقدرتى وما اشتمل عليه القران
من المجد باعجازه واشتماله على جميع العظمة ولم ينكروا شيئا من ذلك بقلوبهم ومجيد القران كما تقدم فى الفاتحة ما
جربت احكامه من بين عاجل ما شهد واجل ما علم بعلم ما شهد فكان معلوما بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضى
وما شهد له من الاخبار الحاضر وما يتجدد مع الاوقات من امثاله واشباهه واذا تاملت السورة وجدت ايها منزلة
على جميع ذلك فانه سبحانه ذكرهم فيها ما يعلمون من خلق السموات والارض وما فيهما ومن مصارع الاولين وكذا السورة
الماضية ولا سيما اخرها المشير الى انه ادخل مثل الناس الايمان برحيل واجد عليهم بحجى لاعجازه لمجد منزله بقدرته
واحاطة علمه والله الهادى ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقال الامام ابو جعفر بن الزبير
لما كانت سورة الحجرات قد انطوت على جملة من الالطاف التى خص بها تعالى عباده المومنين كذكره تعالى اخوتهم وامرهم بالتثبت
عند غائلة معتد فاسق يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق الاية وامرهم بغض الاصوات عنده عليه السلام وان لا يقدموا بين يديه وان لا
يعاملوه فى الجهر بالقول كمعاملة بعضهم بعضا وامرهم باجتناب كثير من الظن ونهاهم عن التجسس والغيبة وامرهم بالتواضع
فى قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى واخبرهم تعالى ان استجابتهم وامتثال هذه الاوامر ليست بحولهم ولكن

بفضله وانعامه فقال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
الايتين ثم اعقب تعالى بقوله يمنون عليك ان اسلموا الاية ليبين ان ذلك كله بيده ومن عنده اراهم سبحانه حال من قضى عليه بالكفر
ولم يحبب اليه الايمان ولا زينه فى قلبه بل جعله فى طرف من حال من امر ونهى فى سورة الحجرات مع المساواة فى الخلق وتماثل
الادوات فقال تعالى والقران المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم الايات ثم ذكر سبحانه وضوح الادلة افلم ينظروا الى السماء
فوقهم الايات ثم ذكر حال غيرهم ممن كان على رايهم كذبت قبلهم قوم نوح ليتذكر بمجموع هذا من قدم ذكر حاله وامره ونهيه
فى سورة الحجرات وليتادب المومن بادابه ويعلم ان ما اصابه من الخير فانما هو من فضل ربه واحسانه ثم انتهت الاى
الى قوله خاتمة السورة نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد انتهى ولما كان
هذا ظاهرا على ما هدى اليه السياق بنى عليه قوله دلالة اخرى على شمول علمه بل اى انكذيبهم ليس لانكار شىء من مجده ولا
انكار صدقك الذى من مجده بل لانهم عجبوا اى الكفار واضمرهم قبل الذكر اشارة الى انه اذا ذكر شىء خارج عن سنن الاستقامة
انصرف اليهم والعجب تغير النفس لامر خارج عن العادة ولما كان المقام لتخويفهم من تقدم بين يدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم او من عليه باسلام او غيره ولتخويف من انكر البعث اقتصر على النذارة فقال ان جاءهم منذر انذرهم
ما يحق الانذار منه من عذاب الله عند البعث الذى هو محط الحكمة وعجبهم فى هذا العجب بقوله منهم لان العادة عندهم
وعند جميع الناس انه اذا كان الذين منهم لم يبد لهم فى انذاره شك بوجه من الوجوه وهؤلاء خالفوا عادة الناس فى تعجبهم
من كون النذير وهو احدهم خص بالرسالة دونهم ولم يدركوا جهة الخصوصية لكونه مثلهم فلذلك انكروا رسالته
ونفذ كتابه بالسنتهم نفاسة وحسدا لانهم كانوا معترفين بخصايصه التى رفعه الله تعالى بها عليهم قبل الرسالة
لحطهم تعجبهم ذلك الى الحضيض من دركات السفه وخفة الاحلام لانهم عجبوا ان كان الرسول بشرا واوجبوا ان يكون
الاله حجرا وعجبوا من الاعادة وامن تراب ثبتت له الحياة ولم يعجبوا ان يبتدوا من تراب لم يكن له اصل فى الحياة ولذلك
سبب عنه قوله فقال اى بسبب انذاره بالبعث وعقبه الكافرون فاظهر فى موضع الاضمار ايذانا بانهم لم يخف عليهم
شىء من امره ولكنهم ستروا انعدام امرائى عقولهم الدالة على جميع امره دلالة ظاهرة وعبر بما دل على النذارة لانها المقصود
الاعظم من هذه السورة وجميع سياق الحجرات ظاهر فيها هذا اى كون النذير منا خص بالرسالة من دوننا وكونه انذر به
من البعث بعد الموت شىء عجيب اى بليغ فى الخروج عن عادة اشكاله وقد كذبوا فى ذلك اما من جهة النذير فانا كثر الرسل من
الطوايف الذين ارسلوا اليهم وقليل منهم من كان غريبا ممن ارسل اليه واما من جهة البعث فانا كثر ما فى الكون مثل ذلك من اعادة
كل من الملوين بعد ذهابه واحيا الارض بعد موتها وابتدا الاحيا لجميع موات الحيوان واخراج النبات والاشجار والثمار
وغير ذلك مما هو ظاهر جدا ولما كان المتعجب منه مجملا اوضحه بقوله حكاية عنهم مبالغين فى الانكار بافتتاح
انكارهم باستفهام انكارى ايذا متنا ففارقت ارواحنا اشباحنا وكنا ترابا لا فرق بينه وبين تراب الارض ولما كان العامل
فى الظرف ما تقديره نرجع دل عليه بقوله دالا بالاشارة باداة البعد الى عظيم استبعادهم ذلك اى الامر الذى هو فى غاية
البعد وهو مضمون الخبر برجوعنا رجع اى رد الى ما كنا عليه بعيد جدا لانه لا يمكن تمييز ترابنا من بقية التراب ولما كان
السياق لاحاطة العلم بما نعلم وما لا نعلم توقع السامع الجواب عن هذا الجهل فقال مزيلا لسببه مفتتحا بحرف التوقع قد اى بل
نحن على ذلك فى غاية القدرة لانا قد علمنا بما لنا من العظمة ما تنقص الارض منهم اى من اجزايهم المتحللة من ابدانهم بعد الموت
وقبله فانه لو زاد الانسان بكل طعام ياكله ولم ينقص صار كالجبل بل نحن دايما فى ايجاد واعدام لتلك الاجزا وذلك فرع
العلم بها كل جزء فى وقته الذى كان نقصه فيه بل ذلك الجزء احيل لم يكن شىء من ذلك الا باعيننا بما لنا من العظمة والخبرة
النافذة فى البواطن فضلا عن الظواهر والحفظ الذى لا يصوب الى جنابه عى ولا نسيان ولا غفلة ولا غير ولكنه عبر بمن
لان الارض لا تاكل عجب الذنب فانه كالبزر لاجسام بنى ادم ولما كانت العادة جارية عند الناس بان ما كتب حفظ اجرى
الامر على ما جرت به عوايدهم فقال مشيرا بنون العظمة الى غناه عن الكتاب وعندنا اى على ما لنا من الجلال الغنى عن كل شىء
كتاب اى جامع لكل شىء حفيظ اى بالغ فى الحفظ لا يشذ عنه شىء من الاشياء دق او جل فكيف يستبعد على عظمتنا ان نعيد
على تمييز ترابهم من تراب الارض ولم يختلط فى علمنا شىء من جزء منه بشىء من جزء اخر منه فضلا عن ان يختلط شىء منه بشىء اخر
من تراب الارض وغيرها ولما كان التقدير فهم لا ينكرون ذلك من عظمتنا لانهم معترفون بانا خلقنا السموات
والارض وخلقناهم وانا نحن ننزل الماء فننبت النبات اضرب عنه بقوله بل كذبوا بالحق اى الامر الثابت الذى لا ابعد
منه لما اى حين جاءهم لما ثار عندهم من اجل تعجبهم من ارسال رسولهم من حظوظ النفوس وغلبهم من الهوى حسدا منهم من
غير تامل لما قالوه ولا تدبر ولا نظر فيه ولا تفكر فلذلك قالوا ما لا يعقل من ان من قدر على ايجاد شىء من العدم وابدايه
لا يقدر على اعادته بعد اعدامه له وافنائه ولما تسبب عن اختلاطهم فى هذا القول الواهى وانهم انهم فى

عهدتهم اضطرابهم في الراى هل يرجون فينسبوا الى الجهل والطيش والسفه والرعونة امريد ومون عليه فيؤدى ذلك مع كفرهم
بالذى خلقهم الى اعظم من ذلك من القتال والقتل والنسبة الى الطيش والجهل فالمعبر عن هذا المعنى فهم اى لاجل مبادرتهم
الى هذا القول السفساف في امر مريج اى مضطرب جدا مختلط من المرج الذى هو اختلاط النبت بالانواع المختلفة فهم تارة
يقولون سحر وتارة كهانة وتارة شعر وتارة كذب وتارة غير ذلك والاضطراب موجب للاختلاف وذلك ادل دليل على الابطال
كما ان الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك ادل دليل على الابطال كما ان الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك ادل دليل
على الحقية قال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج امرهم وكذا قال قتادة وزاد وقال التبس عليهم دينهم ولما اخبر انهم
قالوه عن غير تامل انكر عليهم ذلك موبخا لهم دالا على صحة ما انكروه وفساد انكارهم بقوله مسببا عن عجلتهم الى الباطل
افلم ينظروا اى بعين البصر والبصيرة الى السما اى المحيطة بهم وبالارض التى هم عليها ولما كان هذا اللفظ يطلق
على كل ما علا من سقف وسحاب وغيره وان كان ظاهرا في السقف المكوكب حققه بقوله فوقهم فان غيرها انما هو فوق بعض منهم
لا فوق الكل كان امرها عجيبا فهو اهل لان يسال عن كيفيته دل عليه باداة الاستفهام فقال كيف بنيناها
اى اوجدناها على ما لنا من المجد والعزة مبنية كالخيمة الا انها من غير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب الصغار والكبار
السيارة والثابتة وما اى والحال انه ما لها واكد النفى بقوله من فروج اى فتوق وطاقات وشقوق بل هى ملساء متلاصقة
الاجزاء فان كانت هذه الزينة من تحتها فالذى وقع ذلك على هذا الاحكام الذى تشاهدونه بما فيه من المنافع والستر
الذى لا يحتمل على مر الجديدين فهو من القدرة بحيث لا يعجزه شىء وان كانت الزينة من فوقها فكذلك وان كان بعضها من فوق
وبعضها من تحت فالامر اعظم وهذا يدل على ان السما كرة مجوفة الوسط مقببة كالبيضة فان نفى الفروج فيها على هذا الوجه
المؤكد يدل على ذلك دلالة ظاهرة وافرد السما ولم يجمع لان بناها على ما ذكر وان كانت واحدة يدل على كمال القدرة فان البنا
المجوف لا يمكن بانيه اكمال بنائه من غير ان يكون له فروج وان اشكل على ذلك كان موضع الوصل ظاهرا للرائين بما فيه من قطور
وتشعب وقصور او ما يشبه ذلك ولم يمكنه مع ذلك الخروج منه ان كان داخله فلم يقدر على حفظ خارجه وان كان خارجه
لم يتمكن من حفظ داخله وهذا الكون محفوظ من ظاهره وباطنه فعلم ان صانعه منزه عن الاتصاف بما يحيط به العقول لكونه
داخل العالم او خارجه او متصلا به او منفصلا او محتاجا في الصنعة الى آلة او في الحفظ الى ظهير او معين وجمع الفروج للدلالة
على ارادة الجنس بالسما بعدما افادة افراد لفظها فيدل الجمع مع ارادة الجنس على التوزيع مع الانضمام الى ان البانى لو احتاج في
هذا الخلق الواسع الاطراف المتباعد الاكناف الى فرج واحد لاحتاج الى فروج كثيرة فان مثل هذا الجرم الكبير لا يكفى فيه فرج
واحد لمن يحتاج الى الحركة فنزل كلام العليم الخبير على مثل هذه المعانى ولا يظن انه عبرت فيه صيغة من الصيغ لاجل الفاصلة فقط
فان ذلك لا يكون الا من محتاج والله متعال عن ذلك ويجوز وهو احسن ان يراد بالفروج قابلية الانبات لتكون مثل الارض تتخللها
المياه فتمتد فيها عروق للاشجار والنبات وتظهر منها وان يراد بها الخلل كقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر
هل ترى من فطور اى خلل واختلاف وفساد وهو لا ينفى الابواب والمصاعد والله اعلم ولما دل سبحانه على تمام قدرته
وكمال علمه وغير ذلك من صفات الكمال بآية السما اتبع ذلك الدلالة على انه لا يتعالى فيه انه داخل العالم ولا خارجه ولا انه
متصل به ولا منفصل عنه ونبه على تلك الدلالة بآية الارض واخرها لان السما ادل على المجد الذى هذا سياقه لانها اعجب صنعة
واعلى علوا واجل مقدارا واعظم اثرا ولان الارض لكثرة الملابسة لها والاجتناء من ثمارها يغفل الانسان عن دلالتها بما لها في
ذلك من الصنائع والمنافع فقال والارض اى المحيطة بهم مددناها اى جعلناها بما لنا من العظمة مبسوطة لا مستديرة
ولما كان المد ودينكفا قال والقينا اى بعظمتنا فيها رواسى اى جبالا ثوابت كانت سببا لثباتها وخالفت
عادة المراسى في انها من فوق والمراسى التى تعالجونها انتم من تحت ولما كان سكانها لا غنى لهم عن الرزق قال ممتنا عليهم
وانبتنا اى بما لنا من العظمة فيها وعظم قدرته بالتبعيض فقال من كل زوج اى صنف من النبات تزاوجه اشكاله يحيط
بازاواجكم كلها بهيج اى هو في غاية الرونق والاعجاب فكان مع كونه رزقا متنزها ولما ذكر هذه الصنائع الباهرة
عللها بقوله تبصرة اى جعلنا هذه الاشياء كلها لاجل ان تنظروها بابصاركم ثم تتفكروا ببصائركم فتعبروا منها الى صانعها
فتعلموا ما له من العظمة وذكرى اى وانتذكروا بها تذكرا عظيما بما لكم من القوى والقدر فتعلموا بعجزكم عن كل شىء من ذلك ان صانعها
لا يعجزه شىء وانه محيط بجميع صفات الكمال لو الم يجعله شائبة من شوائب النقص لما فاض عنه هذا الصنع العجيب البديع
ولما كان من لا ينتفع بالشىء كانه عادم له لذلك الشىء قصر الامر على المنتفع فقال لكل عبد اى يتذكر بما له من النقص
وبما دل عليه هذا الصنع من الكمال انه عبد مربوب لصانعه ولما كان الانسان لما له من النقصان لا يزال كلما اعلاه عقله
اسفله طبعه فكان ربما ظن انه لا يقبل اذا رجع رغبة في الرجوع بقوله منيب اى رجاع عما حطه اليه طبعه الى ما يعليه اليه
عقله فيرجع من شهود هذه الافعال الى شهود الصفات الى علم الذات ولما كان انزال الماء من ابهر الآيات وادلها على

انه

انه لا يبيل اذا رجع رغبة في الرجوع بقوله منيب اى رجاع عما حطه اليه طبعه الى ما يعليه اليه عقله فيرجع من شهود هذه الافعال
الى شهود الصفات الى علم الذات ولما كان انزال الماء من ابهر الآيات وادلها على انه اجل من ان يقال انه داخل العالم او
خارجه او متصل به او منفصل عنه مع انه تكون النبات وحصول الاقوات وبه حياة كل شىء افرده تنبيها على ذلك فقال
ونزلنا اى شيئا فشيئا في اوقات وعلى سبيل التقاطر ولولا عظمتنا التى لا انتهاء لها لغلب بما له من الثقل والميوع والنفوذ فنزل
دفعة واحدة فاهلك ما نزل عليه فزالت المنة وعادت المنفعة مضرة من السما اى المحل العالى الذى لا يمسك فيه الماء عن دوام
التقاطر ولولا عظمتنا التى لا انتهاء لها لغلب بما له من الثقل والميوع والنفوذ فنزل دفعة واحدة الا انما هو ماء مباركا اى نافعا
جدا ثابتا لا حيا لا محيطا بجميع منافعكم ولما كان الماء سببا في تكون الاشيا وكان ذلك سببا في انعقاده حتى يصير حشيشا
وحبا وعنبا وغير ذلك عجبا قال فانبتنا معبرا بمظهر العظمة به جنات من الشجر والثمر والزرع والريحان وغيره مما يجمعه الكرمان
البساتين فتجرى اى تستر الداخل فيها ولما كان القصب الذى يحصد فيكون حبه قوتا للحيوان وساقه للبهائم
حبه بقوله وحب الحصيد اى النجم الذى من شانه ان يحصد من البر والشعير ونحوهما واوما بالتقييد الى ان هذه الحبوب
اشرف من حب الكلا الذى ينبته الله من المطر لانها القيام البنية وتلك للزينة ولما كان النخل من اعجب ما يتكون منه
مع ما له من المنافع التى لا توجد فيه نبها تحرى والطباق للزرع بالطول والقصر والاتساق بالاقتيات للآدميين والبهائم قال
والنخل باسقات اى عاليات طويلات على جميع الاشجار المثمرة ذوات ثمار رطبة لها مع يبس سوقها طلع نضيد اى مصفوف
متراكم بعضه فوق بعض وهو حشو طلعه والطلع ذلك الخارج من اعلى النخلة كانه نعلان مطبقان والحمل النضيد بينهما
والطرف محدد او الطلع ما يبدو من ثمر النخل ولظهورها وذلك الغير يسمى الكفرى لتغطيته اياه على احكم ما يكون
واوثق والطلع يشبه ما للناقة المبسوق من اللبا المتكون في ضرعها قبل النتاج ثم يصير بعد انتاجه في البياض وهو طلع
الى الافتراق حال النوع الى احمر واصفر واخضر وغير ذلك من الالوان الغريبة والاوصاف العجيبة وهى محيطة المنافع
بالفكه على عدة انواع والاقتيات وغير ذلك وطلعها مخالف لعادة اكثر الاشجار فان ثمارها مفردة كل حبة منفردة
عن اختها ولما ذكر سبحانه بعض ما له في الماء من العظمة ذكر له علة هى غاية في المنة على الخلق فقال رزقا للعباد اى
انبتناه به ذلك لاجل انه بعض ما جعلناه رزقهم ولما كان في ذلك اعظم مذكر للبصراء بالبعث وبجميع صفات الكمال
اتبعه ما له من التذكير بالبعث بخصوصه فقال واحيينا به اى الماء بعظمتنا بلدة وسمها بالتاء اشارة الى انها في غاية
الضعف والحاجة الى النبات والخلو عنه وذكر قوله ميتا للزيادة في تقرير تمكن الحاجة فيها ولما كان هذا
خاتمة من اوضح ادلة البعث قال على سبيل النتيجة كذلك اى مثل هذا الاخراج العظيم الخروج الذى هو لعظمته كانه
مختص بهذا المعنى وهو بعث الموتى من قبورهم على ما كانوا عليه في الدنيا لا فرق بين خروج النبات بعد ما تهشم وتفتت
في الارض وصار ترابا كما كان من بين اصفره وابيضه واحمره وازرقه الى غير ذلك وبين اخراج ما تفتت من الموتى كما كانوا
في الدنيا قال ابو حيان ذكر تعالى في السما ثلاثة البنا والتزيين ونفى الفروج وفي الارض ثلاثة المد والقا الرواسى والانبات
قابل المد بالبنا لان المد وضع والبنا رفع والقا الرواسى بالتزيين بالكواكب لارتكاب كل واحد منها اى على سطح ما هو
فيه والانبات المترتب على الشق بانتفا الفروج فلا شق فيها ونبه فيما تعلق به الانبات على ما يقطف كل سنة ويبقى اصله
وما يزرع كل سنة او سنتين ويقطف كل سنة وعلى ما اختلط من جنسين فبعض الثمار فاكهة لا قوت واكثر الزرع قوت
والتمر فاكهة وقوت ولما وصل الامر الى حد لا خفاء معه فصح انهم يعلمون ذلك ولم يحملهم على التصريح بالتكذيب
به الا المبادرة الى ذلك بغلبة الهوى من غير تامل العاقبة فصار من باب لزوم الغلط وكان السياق لانكار البعث
الذى جاء به منذر من القوم المنذرين كان قيل ان انكار هؤلاء لعجب فهل وقع هذا لاحد قط فقال تعالى مسليا لهذا
النبى الكريم لان المصيبة اذا عمت هانت مبينا لمجد القرآن بمجد اياته تحقيقا للانذار وتحذيرا بدلالة النتيجة كذبت
وسم الفعل بالتا اشارة الى هوانهم في جنب هذا المجيد ولما كان هؤلاء الاحزاب المذكورون لعتوهم وكثرتهم
كانهم اهل الارض قاطبة قد استغرقوا مكانها وزمانها اسقط الجار فقال قبلهم ولما لم يكن لهم شهرة
يعرفون بها قال قوم نوح واشارة الى عظيم التسلية بانهم جاءهم منذر منهم وكانوا في القوة في القيام فيما يحاولونه
والكثرة بحيث لا تسع الافهام جميع اوصافهم فاذا رسولهم وطال دابهم من بيانهم عشرة قرون ولما كان
اخرامرهم انه لقى عليهم الماء ان نزل عليهم من السما وطلع اليهم من الارض فاغرقهم اتبعهم من طابقهم قصتهم بان
نزل بهم الماء فاوبقهم لما بين حاليهم من الطباق دلالة على عظيم القدرة والفعل بالاختيار فقال واصحاب الرس اى البير
التى تقوضت بهم فخسفت مع ما حولها فذهبت بهم وبكل ما لهم كما ذكرت قصتهم في الفرقان ولما كانت
انه قوم صالح من اعظم الدلالات على القدرة على البعث وكان اهلاكهم مناسبا لاهلاك من قبلهم اما لاصحاب الرس فلانه

بالرجفة التي هي مبدأ الخسف واما قوم نوح فلان الرجفة ناشئة عن الصيحة التي حملتها الريح التي من شأنها حمل السحاب الحامل
لما اغرقهم به وكانوا اصحاب بئر فلم يخسف بهم فقال وثمود ولما انفق قوم هود عليه السلام والقبط في
الاهلاك بالريح التي ارسلت بها صيحة ثمود اولئك مع الحجارة والرمل وهؤلاء مع الماء الذي فرقه الله بالريح عند ضرب العصى و
وكان لكل منهما من فخامة الملك وعز السلطان ما هو مشهور وقدم اشدهما ابدانا واوسعهما ملكا لان اهلاكهم كان ادل
على القدرة واقرب شبها بهلاك ثمود فقال وعاد وعطف عليهم اقرب الطائفتين شبها في الهلاك بقوم نوح واصحاب الرس فقال
وفرعون نص عليه لانه ليس في افراد هذه الفرق كافر غيره والنص عليه يفهم عظمته وما تقدم غيره من وصفه بانه ملك
قاهر وانه استخفهم فاطاعوه فيعلم كفرهم طاعة له ولئلا يوافق ما قبله وما بعده ولم يكن السياق للعز والشقاق فلم يدع
داع الى بيان ثبات الملك بالاوتاد ولما كان هلاك المؤتفكات جامعا في الشبه لهلاك جميع من تقدم من الخسف
وغمر الماء بعد القلب في الهوى ابتعهم لهم معبرا عنهم بالحصر من تسمية قبائلهم او مدنهم لانها عدة مدن وعبر بالاخوة دون القوم
لان السياق لتكذيب من هو منهم لانه ادخل في التسلية فقال واخوان لوط اي اصهاره الذين صاروا بينه وبينهم مع المصاهرة
بالمناصرة لملوكهم ورعاياهم على من ناواهم بنفسه وعمه ابرهيم خليل الله عليهما السلام كما مضى بيانه في البقرة ما صار كالاخوة
ومع ذلك عاملوه بما اشتق من لفظ هذا الجمع من الخيانة له ولانفسهم وغيرهم ولما كان الشجر مظنة الهوا البارد
والروح وكان اصحابه قد عذبوا بضد ذلك قال واصحاب الايكة لمشاركتهم لهم في العذاب بالنار اولئك بحجارة الكبريت
النازلة من العلو وهؤلاء بالنار النازلة من ظلة السحاب وعبر عنهم بالواحدة والمراد الغيضة اشارة الى انهم من شدة
التفافها كالشجرة الواحدة ولما كان تبع مع كونه من قومه ملكا قاهرا وخالفوه مع ذلك وكان لقومه نار في
بلادهم يتحاكمون اليها فتاكل الظالم منهم ختم بهم فقال وقوم تبع مع كونه ملكا وهو يدعوهم الى الله فلا يظن ان التكذيب
مخصوص بمن كان قويا او من كان مستضعفا بل هو واقع ممن شئنا من قوي وضعيف لا يخرج شيء عن مرادنا ولما لم
يكن هنا ما يقتضي التأكيد مما مر بيانه في ص قال معربا بتنوينه كل اي من هذه الفرق كذب الرسل اي كلهم بتكذيب رسولهم
فان الكل متساوون فيما يوجب الايمان من اظهار المعجز والدعا الى الله فحق اي فتسبب عن تكذيبهم لهم انه ثبت عليهم ووجب
وعيد اي الذي كانوا يكذبون به عند انذارهم لهم اياه فعجلنا لهم منه في الدنيا ما حكمنا به عليهم في الازل فاهلكناهم اهلاكا
عاما كاهلاك نفس واحدة على انحاء مختلفة كما هو مشهور عند من له بامثاله عناية واتبعناه ما هو في البرزخ واخرنا ما هو في القيامة
الى يوم البعث فثبت باهلاكنا لهم على تنائي ديارهم وتباعد اعصارهم وكثرة اعدادهم ان لنا الاحاطة البالغة فتسل
بحوالك المرسلين وتاس بهم ولتحذر قومك ما حل بمن كذبهم ان اصروا ولما ذكر سبحانه التسلية بتكذيب هذه الاحزاب
بعد ذكر تكذيب قريش واقامة الادلة القاطعة على ما كذبوا به وبطلان تكذيبهم وختم بحقوق الوعيد الذي شوهدت اوائله
باهلاكهم فثبت صدق المرسل وثبتت القدرة على كل ما يريد سبحانه بهذا الخلق من الايجاد والاعدام انكر عليهم التكذيب
ووبخهم عليه تقريرا لحقوق الوعيد فقال مسببا عن تكذيبهم بعد ذكر انه خلق جميع الوجود افعيينا بالخلق اي احصل لنا مع
ما لنا من العظمة الاعيا وهو العجز بسبب الخلق في شيء من ايجاده او اعدامه الاول اي من السموات والارض وما بينهما ابتداء
اختراعا من العدم ومن خلق الانسان وساير الحيوان بتجدد في كل وان في الاطوار المشاهدة على هذه التدريجات المعتادة
بعد ان خلقنا اصله على ذلك الوجه مما ليس له اصل في الحياة ومن اعدامه بعد خلقه جملة كمن الام او تدريجا كغيرهم ليطمعوا
بسبب العجز بالخلق الاول الذي هو اصعب في مجاري العادات من الاعادة انا نعجز عن الاعادة ثانيا يقال عيي بالامر اذا
لم يهتد لوجه مراده او عجز عنه ولم يطق احكامه ولما كان التقدير قطعا مما دلت عليه همزة الانكار لم نعي
بذلك بل اوجدناه على غاية الاحكام للظرف والمظروف وهم يعلمون ذلك ولا ينكرونه ويقرون بتمام القدرة عليه وفي
طيه الاعتراف بالبعث وهم لا يشعرون اضرب عنه لقولهم الذي يحمل باعتقادهم اياه فقال بل هم في لبس اي خلط شديد
وشبهة موجبة للتكلم بكلام مختلط لا يعقل له معنى بل السكوت عنه اجمل قال علي رضي الله عنه يا حارث انه لملبوس عليك
اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله لهم ان البعث خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح والحكم
بطريق الاولى من اجل خلق جديد اي بالاعادة ولما ذكر خلق الخافقين اتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيهما فقال
ولقد اي والحال انا قد خلقنا بما لنا من العظمة الانسان وهو اعجب خلقا واجمع من جميع ما مضى ذكره بما فيه من الانس والطغيان
والذكر والنسيان والجهل والعرفان والطاعة والعصيان وغير ذلك من عجيب الشأن وكلنا به من جنودنا من يحفظه
فيضبط حركاته وسكناته وجميع احواله ونعلم اي والحال انا نعلم بما لنا من الاحاطة ما توسوس اي تكلم على وجه الخفاء به
الان وفيما بعد ذلك مما لم ينقدح بعد من خزائن الغيب الى سر النفس كما علمنا ما تكلم نفسه وهي الخواطر التي تعرض له حتى انه هو
ربما عجز عن ضبطها فنحن نعلم ان قلوبهم عالمة بقدرتنا على اكمل ما نريد وبصحة القرآن واعجازه وصدق رسوله صلى الله

عليه وسلم وامتيازه وانما حملهم الحسد والنفاسة والكبر والرياسة على الانكار باللسان حتى صار لهم ذلك خلقا وتمادوا فيه
حتى غطى على عقولهم فصاروا في لبس محيط بهم من جميع الجوانب ولما كان العالم بالشيء كلما كان قريبا منه كان علمه به امكن
واثبت قال ممثلا لعلمه ومصورا له بما نعلم انه موجبه ونحن بما لنا من العظمة اقرب اليه قرب علم وشهود من غير مسافة من حبل الوريد
لان ابعاضه واجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله شيء والمراد به الجنس والوريدان عرقان كالحبلين مكتنفان بصفحتي العنق
في مقدمها متصلان من الراس الى الوتين وهو عرق القلب وهذا مثل في فرط القرب واضافته مثل مسجد الجامع وقد مضى
في تفسير والله يعصمك من الناس في المائدة ما ينفع هنا قال القشيري وفي هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وانس
وسكون قلب لقوم ولما كان سبحانه قد وكل بنا حفظة تحفظ اعمالنا وتضبط اقوالنا واحوالنا وكان المعروف
لنا ان سبب الاستحفاظ خوف الغفلة والنسيان وعدم سبحانه الاخبار بكمال علمه فابان ذلك المحدود وعلق باقرب ونعلم
قوله تأكيدا لما علم من احاطة علمه من عدم حاجته وتخويفا بما هو اقرب الى ما الفناه اذ اي حين يتلقى اي بغاية الاجتهاد
والمراقبة والمراعاة من كل انسان خلقناه وابرزناه الى هذا الوجود المتلقيان وما ادراك ما هما هما ملكان
عظيمان حال كونهما عن اليمين لكل انسان قعيد منهما وعن الشمال قعيد اي رصد حبيس مقاعد لذلك الانسان بليغ المقاعدة
ونحن اقرب منهما واعلم علما وانما استحفظناهما لاقامة الحجة بهما على مجاري عاداتكم وغير ذلك من الحكم ولما
كانت الافعال اللسانية والقلبية والبدنية ناشئة عن كلام النفس فكان الكلام جامعا قال مبينا لاحاطة علمه بلحاظ
من اقامه لحفظ هذا الخلق الجامع في جواب من كانه قال ما يفعل المتلقيان ما يلفظ اي يرمي ويخرج المكلف من فيه وعم
في النفي بقوله من قول اي مما تقدم النهي عنه في الحجرات من الغيبة وما قبلها وغيره لكل قول وفعل الا لديه اي الانسان او القول
على هيئة من القدرة والعظمة هي من اغرب المستغرب رقيب من حفظتنا شديد المراعاة له في كل من احواله عتيد اي
حاضر مراقب غير غافل بوجه روى البغوي بسنده من طريق الثعلبي عن ابي امامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على صاحب السيئات فاذا عمل
حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر
ولما كان مثل ارسال الحافظين ثم الموت ثم النفخ ارسال الملك في الدنيا الى الناس لعرضهم فيصير الانسان
منهم ساعيا في التزين للملك بما يعجبه من مقصود ذلك العرض في الاجل الذي ضربه لهم فاذا جاء ذلك الوقت الذي هو كالموت
اخذته الرسل شاء او ابى كما يفعل حال الموت بالميت ومن احضروه منهم حبسوه على باب الملك لتكامل المعروضين فاذا تكامل جمعهم
وامر بقيامهم للعرض دعا لهم المنادي بالبوق الذي يسمى النفير وهو كالصور قال الله تعالى مبينا لاحاطة قدرته بجميع خلقه
عاطفا على ما تقديره فاضطرب ذلك الانسان الموكل به في الوقت المأمور بالتزود فيه بما يرضي الله بالقول والفعل على حسب ارادته
سبحانه سواء كان موافقا للامر او مخالفا الى آن اوان الرحيل معبرا بالماضي تنبيها على ان الموت مع انه لا بد منه قريب جدا
وجاءت اي اتت وحضرت سكرة الموت اي حالته عند النزع وشدته وغمرته يصير الميت بها كالسكران لا يعي ويخرج بها
افعاله واقواله عن قانون الاعتدال مجيئا ملتبسا بالحق اي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع فلا حيلة في الاحتراس منه
من بطلان الحواس وكشف الغطاء عن اهوال البرزخ من فتنة السؤال وضيق المجال او سعة الحال وقيل للميت بلسان الحال
ان لم يكن بلسان المقال ذلك اي هذا الامر العظيم العالي الرتبة الذي يحق لكل احد الاعتداد له بغاية الجد ما اي الامر الذي
كنت جبلة وطبعا ولما كانت نفرته منه وهربه من وقوعه بحفظ الصحة ودواء الادواء في الغاية كان كأنه
لا ينفر الا منه فاشار الى ذلك بتقديم الجار فقال منه تحيد اي تميل وتنفر وتروغ وتهرب ولما كان التقدير
فاخذ ذلك الانسان بالقهر من بين الاهل والاخوان والعشاير والجيران وضم الى عسكر الموتى وهم بالبرزخ نزول ولانتظار
بقيتهم حلول ولم نزل كذلك حتى يتكامل القادمون عليهم والواصلون اليهم عطف عليه قوله مبينا لاحاطته من عالم الملكوت
والعز والجبروت ونفخ اي بادنى اشارة وايسر امر في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام للموت العام
والبعث العام عند التكامل والانقطاع … وهو بحيث لا يعلم قدر عظمه واتساعه الا الله تعالى وهو عليه السلام
قد التقم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وحنى جبهته واصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فيا لها من عظمة ما اغفلنا عنها
وانسانا لها وامننا منها والمراد بهذه النفخة البعث ولما كان ذلك الاثر عن النفخ هو سر الوجود اشار الى
عظمته بقوله ذلك اي الوقت الكبير العظيم الاهوال والزلازل والاوجال يوم الوعيد اي الذي يقع فيه ما وقع
الايعاد به ولما كان التقدير فكان من تلك النفخة صيحة هايلة ورجة شاملة فقام الناس عامة من قبورهم
وحصل ما في صدورهم عطف عليه قوله بيانا لاحاطة العرض وجاءت كل نفس اي مكلفة كاينا معها سائق يسوقها
الى ما هي كارهة للقائه لعلمها بما قدمت من النقائص وشهيد يشهد عليها بما عملت والظاهر من هذا ان السائق

لا تعلق له بالشهادة اصلاً لئلا تقول تلك النفس انه خصم والخصم لا تقبل شهادته ويقال حينئذ للمفرط في الاعمال في اسلوب
التأكيد جرياً على ما كان يستحقه انكاره في الدنيا وتنبيهاً على انه لعظمه مما يحق تأكيده لقد كنت اي كوناً كانه جبلة لك في
غفلة اي عظيمة محيطة بك ناشئة لك من هذا اي من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الاسباب واجرا الثواب
او العقاب لانه على شدة جلائه خفي على من اتبع الشهوات فكشفنا بعظمتنا بالموت ثم البعث عنك غطاءك الذي كان يحجب عن
غفلته من الرؤية بالآمال في الجاه والمال وساير الحظوظ والشهوات تحقيقاً لما له سبحانه من الاحاطة بالتقدير والتحبير
وعن الواسطي من كشف عنه غطاء الغفلة ابصر الاشيا كلها في اسر القدرة وانكشف له حقايق الاشيا باسرها وهذا
عبارة عن العلم باحوال القيمة ولما تسبب عن هذا الكشف الانكشاف التام عبر عنه بقوله فبصرك اليوم
اي بعد البعث حديد اي في غاية الحدة كالنفوذ فلذا تقر بما كنت تنكر ولما اخبر تعالى عما تقوله له الملائكة
او من اراد الله من جنوده وكان قد اخبر ان معبوداتهم من الاصنام والشياطين وغيرها يلعنون عليهم يوم القيمة صدّاً اخبر
عما يقوله القرين من السايق والشهيد والشيطان الذي تقدم حديثه في الزخرف فقال عاطفاً على القول المتقدم قبل البعد
معبراً بصيغة المضي تأكيداً لمضمونه وتحقيقاً وقال قرينه اي الشيطان الذي سلط على اغوايه واستدراجه الى ما يريد
نقله الكرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما هذا اي الانسان الذي قرنتني به ولما كان الامر في كل من الطايع والعاصي
في غاية التعجب لان الطايع ينابذ هواه فيكون ملكياً مجرداً عن حظوظه ونوازع نفسه وما بنيت عليه من النقايص والشهوة
والعاصي طوع نوي الشيطان يصرفه في اغراضه كيف يشا فيطيعه بغاية الشهوة مع علمه بعداوته وان طاعته لا تكون الا
بمخالفة امر الله الولي الودود وكان العاصي اكثر كثرة يكون الطايع فيها بالنسبة اليه كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود
وكان ذلك منابذاً للعقل اشارة الى هذه المنابذة باداة ما لا يعقل والى جميع ما في امرهم من العجب بلدى فقال ما لدي
اي الامر الذي عندي من الامر المستغرب جداً لكون المطبوع عصياني وهو مطبوع على النقايص والحظوظ التي يري انها جامع
لذته وراحته والعاصي الطاغي وهو يعلم بعقله انه شر محض وترك الخير المحض وهو عالم بان في ذلك هلاكه عتيد اي
حاضر مهيأ لما يراد منه ولما كانت العادة جارية بان من احضر اليه شيء يبادر الى امره بقول او فعل وصل
بذلك ما هو نتيجته وبدأ بالعاصي لان المقام له فقال بما يدل على انه لا وزن له فلا وقفة في عذابه بحساب ولا غيره مؤكداً
خطاباً للموكل بالالقا او خطاباً للسايق والشهيد او للسايق وحده مثنياً لضميره تثنية للامر كانه قال الق الق تأكيداً
له وتهويلا القيا اي اطرحا دفعاً من غير شفقة وقيل بل هو تثنية واصل ذلك ان الرفقة ادنى ما تكون ثلاثة تجري كلام الواحد
على صاحبيه الا ترى ان الشعرا اكثر شيء قيلا يا صاحبي ويا خليلي والسر فيه اذا كان المخاطب واحداً افهامه انه يراد منه
الفعل بجد عظيم تكون قوته فيه معادلة لقوة اثنين في جهنم اي النار التي تلقى الملقى فيها بما كان يعامل به عباد الله من الكبر
والعبوسة والتكره والتغضب ولما كان المقصود تعليل القايه بوصفهم غيرهم ليكون لطفا لمن اراد الله
عصمته ممن سمع هذا المقال وحجة على من اراد اهانته قال كل كفار عنيد اي مبالغ في ستر الحق والمعاداة لاهله بغير حجة
حمية وانفة نظراً الى استحسان ما عنده والشنان عليه تجبراً وتكبراً على ما عند غيره ازدراً له كاينا من كان مناع اي
كثير المنع للخير من المال وغيره من كل معروف يتعلق بالمال والقال والفعال معتد متجاوز للحدود مريب اي داخل في الريب
وهو الشك والتهمة في امر الدين وموقع غيره فيه ثم ابدل من كل قوله بياناً لمبالغته في الكفر الذي اوجب له كل شر الذي
جعل كفراً مضاعفاً وعناداً ومنعاً للخير الذي يجب عليه في قلبه ولسانه وبدنه وتجاوزاً للحد ودخولاً في الشك وادخالا
لغيره فيه مع الله اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال فليس امره خفياً عن ذي عقل الهاً ولما كان
ربما تعنت متعنت فنزل الاية على من يدعوا الله بغير هذا الاسم الاعظم صرح بالمراد بقوله اخر وزاد الكلام انه ماخوذ
من التاخر الناظر الى الرداة والسقوط عن عين الاعتبار بالكلية ولما كان هذا قد جحد الحق الواجب لله لذاته
مع قطع النظر عن كل شيء ثم ما يجب له من جهة ربوبيته وانعامه على كل موجود ثم من جهة ادامة احسانه مع المعصية بالحلم
وعاند في ذلك ونفى اثباته للغير ما لا يصح له بوجه من الوجوه سبب عن وصفه قوله فالقياه في العذاب اي الذي يزيل كل عذاب
الشديد ولما كان القرين قد قال ما تقدم مريداً به جهلاً منه الخلاص من العذاب باظهار انه ليس باوصاف هذه
النفس بل من كبار المؤمنين فلجيب مقالته بالقا تلك النفس معللاً الامر بالقايها بما عمل هذا القرين فتشوف السامع الى ما يكون
من حاله وكانت العادة جارية بان من تكلم بشيء في شخص بما فيه مثله ولا سيما ان كان هو السبب فيه او كان قد تكلم ذلك الشخص
فيه فكان قياس ذلك يقتضي ولا بد ان تقول تلك النفس المقول فيه هذا عند الامر بالقايه ربنا هو اطغاني اجاب تعالى هذا السؤال
بقوله قال قرينه منادياً باسقاط الاداة دأب اهل القرب ايهاماً انه منهم ربنا ايها المحسن الينا ايتها الخلايق كلهم ما اطغيته
اي اوقعته فيما كان فيه من الطغيان فانه لا سلطان لي عليه وانت اعلم بذلك ولكن كان بجبلته وطبعه في ضلال بعيد

محيط به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه فلذلك كان يبادر الى كل ما يغضب الله وان حركته اليه انا فانه لا يحتاج الى ادنى تحريك
تسوّله نورته من هو مجبول عليه مركوز في طباعه ولما كان كانه قيل ثم يجاب عن هذا وهل يقبل منه قيل لا قال
اي الملك المحيط علماً وقدرة الذي حكم عليهم بذلك في الازل لا تختصموا اي توقعوا الخصومة بهذا الجد والاجتهاد لدي
اي في دار الجزاء بهذه الحضرة التي هي فوق ما كنتم تدركونه من الاخبار عنها بكثير واعجب مما لا يدرك بحق الادراك فقد انكشف فيها
اتم انكشاف ما كان يستغربه الحاكمة فقال بانكشافها نفع ايمان جديد وقد اي والحال اني قد قدمت اي تقدمت تقدماً امرت
واوصيت قبل هذا الوقت موصلا ومنهياً اليكم اي كل ما ينبغي تقديمه حتى لم يبق لبس ولا ترك لاحد حجة بوجه وجعلت ذلك
رفقا بكم ملتبساً بالوعيد في الوقت الذي كانت تحته هذه الحضرة التي هي غيب الغيب مستورة بستاير الكبرياء والعظمة بل
كان ما دونها من الغيب مستوراً فكان الايمان به نافعاً ولما كانت الاوقات كلها عنده سبحانه حاضرة عبر سبحانه
في تعليل ذلك بما التي هي للحاضر دون لا التي للمستقبل فقال ما يبدل اي يغير من مغير ما كان من كان بوجه من الوجوه بحيث يجعل
له بدل فيكون فيه خلف القول لدي اي الواصل الي من حضرتي التي لا يحاط بامر غرايبها بان من اشرك بي لا اغفر له واغفر ما
دون ذلك لمن اشا والعفو عن بعض المذنبين ليس تبديلا لان دلايل العفو دلت على تخصيص الوعيد وانه مشروط بشرايط
وما انا واكد النفي فقال بظلام اي بذي ظلم للعبيد لا القرين ولا من الطغاة ولا غيرهم فاعذب من لا يستحق او اعفو عمن قلت
اني لا اغفر له وامر بحدى فعادوه في فلو عفوت عنه كنت مع تبديل القول قد سويتهم باكرام من عادوه في لبس الاثم
ولما كان هذا التقاول مما يهول امره ويخلع القلوب ذكر صورة وقته بصورة تزيد في ذلك الهول وينقطع دون
وصفها القول ولا يطمع في الخلاص منها بقوة ولا حول فقال ما معناه يكون هذا كله يوم ولما كان المقصود الاعلام
بان النار كبيرة جداً مع ضيقها فهي تسع من الخلايق ما لا يحصر وانها مع كراهتها لمن يصلاها وتجهمها له بحسب تهيئها فتهجم
عليها وجلبهم اليها عبر عنه على طريق الكناية بقوله نقول اي على ما لنا من العظمة التي لا يسوغ لشيء ان يخرج عنها لجهنم دار العذاب
مع الكراهة والعبوسة والتجهم اظهاراً للهول بتصوير الامر المهدد به وتفريع الكفار وتنبيه من يسمع هذا الخبر عن هذا الهول
من الغفلة هل امتلأت تصديقاً لقولنا لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك بعد ان يلقى فيها من الخلايق ما لا يحيط به
الوصف فتقول لا وتقول طاعة لله ومحبة في عذاب اعدايه واخباراً بانها لم تمتلئ لان النار من شانها انها كلما زيدت
حطباً زادت لهيباً هل من مزيد اي زيادة او شيء من العصاة اراده سواء كان كثيراً او قليلاً فاني اسع ما يوتى به الي ولا
تزال كذلك كما ورد في الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه اي يضربها من جبروته
بصوت اهانة فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك ثم يسيمرون بين كذى دولتي الحر والزمهرير وقد جعل سبحانه
لذلك انه في هذه الدار بخلاف الزمان بالحر والبرد فاذا افرط الحر جاءت رحمته تعالى بالبرد وبالما من السما فامتزجا معاً فكان التوسط
واذا افرط البرد جاءت رحمته بالحر بواسطة الشمس فامتزج الوجودان فكان التوسط وكل ذلك له دواير موزونة باقساط
معلومة بتقدير العزيز العليم ذكر ذلك ابن برجان ولما ذكر النار وقدمها لان المقام للانذار اتبعها دار الابرار
فقال ساراً لهم باسقاط مونة السير وطي شقة البعد وازلفت اي قربت بايسر امر مع الدرجات والخيام الممتلئة الجنة
للمتقين اي العريقين في هذا الوصف فاذا راوها تسابقوا اليها وتركوا ما كانوا فيه في الموقف من منابر النور وكثبان
المسك ونحو هذا واما غيرهم من اهل الايمان فقد تكون لهم على غير هذا الوصف فيساق اليها الذين اتقوا كما مضى في الزمر ولما كان الغرض
امراً نسبياً اكده بقوله غير بعيد اي ازلافاً لا يصح وصفه ببعد ولما كان التقريب قد لا يدري الناظر ما سببه
قال ساراً لهم هذا الازلاف والذي ترونه من كل ما يسركم ما اي الامر الذي توعدون اي وقع الوعد لكم به في الدنيا
وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية وعبر عنه لاني من الازلاف الماضي تحقيقاً للامر وتصويراً لحضوره الآن ليكون المضارع
من الوعد في احكم مواضعه وابهم الامر لانه اكثر تشويقاً والتعيين بعد الابهام الذ فلذلك قال بياناً للمتقين معيداً للجار
لما وقع بينه وبين المبدل منه من الجملة الاعتراضية جواباً لمن كانه قال لمن هذا الوعد لكل اواب اي رجاع الى الاستقامة
بتقوى القلب ان حصل في ظاهره عوج فنبه بذلك على انه من فضله لم يشترط في صحة الوصف بالتقوى دوام الاستقامة
حفيظ اي مبالغ في حفظ الحدود وساير العهود بدوام الاستقامة او الرجوع بعد الزلة ثم ابدل من كل تتميما لبيان
المتقين قوله من خشي ولم يعد الجار لانه لا اعتراض قبله كالاول ونبه على كثرة خشيته بقوله الرحمن لانه اذا خاف
مع استحضار الرحمة العامة للمطيع والعاصي كان خوفه مع استحضار غيرها اولى وقال القشيري التعبير بذلك للاشارة
الى انها خشية تكون مقرونة بالانس يعني الرجا كما هو المشروع قال ولذلك لم يقل الجبار او القهار قال ويقال الخشية لطف
من الخوف فكانها قريبة من الهيبة بالغيب اي مصاحباً له من غير ان يطلب آية او امراً يضطره الى حد المكاشفة بل استغنى بما بين
العظمة التي منها انه مربوب فلا بد له من رب وهو ايضاً بيان لبليغ خشيته ولما كان النايع من الطاعة الدايم الى التو

قال وجاء اي بعد الموت بقلب منيب اي راجع الى الله تعالى بوازع العلم ولم يقبل بنفس لطفا بالعصاة لانهم وان قصرت نفوسهم
ولم يكن لها صفة فالعدم فلهم الاسف بقلوبهم وصدقا الندم ولما كان الاخبار بكونها لهم وان كان امرا سارا لا يغني
دخولها في ذلك الوقت زاد سرورهم بالاذن بقوله معبرا بضمير الجمع بيانا لان المراد من جميع المتقين ادخلوها اي يقال لهم
ادخلوا الجنة ولما كان المراد استقبالهم بالالذاذ بالبشارة قال بسلام اي مصاحبين للسلامة من كل ما يمكن
ان يخاف فانتج ذلك قوله انهاء للسرور الى غاية لا توصف ذلك اي اليوم العظيم جدا يوم ابتداء وتقدير الخلود اي
الاقامة التي لا اخر لها ولا نفاد لشيء من لذاتها اصلا ولذلك وصل به قوله جوابا لمن كانه قال على اي وجه خلودهم لهم بظواهرهم
وبواطنهم ما يشاؤن اي تتجدد مشيئتهم او تمكن مشيئتهم له فيها اي الجنة ولدينا اي عندنا من الامور التي هي في غاية
الغرابة عندهم وان كان كل ما عندهم مستغربا مزيد اي مما لا يدخل تحت اوهامهم ليشاؤه فان سياق الامتنان يدل على ان
تنوينه للتعظيم والتعبير بلدي يوكد ذلك تاكيدا بينا بسبها بان يكونوا في كل لحظة في زيادة لم يحط بها علم اخص الخواص
فهم في كل لحظة في زيادة لم يحط بها علم اخص الخواص فهم في كل لحظة في زيادة على امانيهم عكس ما كانوا في الدنيا فبذلك
تزداد علومهم لعدد وران الله لا تنحصر لان معلوماته لا تنتهي ولما ذكر سبحانه اول السورة تكذيبهم بالقدرة
مع اعترافهم بما يلزمهم في ذلك التكذيب ثم سلى وهدد بتكذيب الامم السالفة وذكر قدرته عليهم وابتعه الدلالة على كمال
قدرته الى ان ختم بالاشارة الى ان قدرته لا نهاية لها ولا تحصر بحد ولا تحصى بعد ردا على اهل العناد ببدعة الاتحاد في توهم
ليس في الامكان ابدع مما كان عطف على ما قدرته بعد نحو وعيد من اهلاك تلك الامم ما هو اعم منه لشموله جميع الزمان
الماضي وادل على شمول القدرة فقال وكم اهلكنا اي بما لنا من العظمة ولما كان المراد تعميم الاهلاك في جميع
الازمان لجميع الامم نزع الجار بيانا للاحاطة العددية فقال قبلهم وزاد في دلالة التعميم فاثبته في قوله من قرن اي
جيل هم في غاية القوة وزاد في بيان القوة بقوله هم اي اولئك القرون بظواهرهم وبواطنهم اشد منهم اي من قريش
بطشا اي قوة واخذا لما يريدونه بالعنف والسطوة والشدة وحذف الجار هنا يدل على ان كل من كان قبل قريش كانوا
اقوى منهم واثباته في حديد يدل على ان المذكورين بالاهلاك هناك مع الاتصاف بالبدا المذكور بعض المهلكين لا كلهم ولما
اخبر سبحانه باشديتهم سبب عنه قوله فنقبوا اي اوقعوا التنقيب في البلاد بان فتحوا فيها الابواب الحسية والمعنوية
وخرقوا الى احجارها ما لم يقدر غيرهم عليه وبالغوا في السير في النقاب وهي طرق الجبال والطرق الضيقة فضلا عن الواسعة
وما في السهول بعقولهم الواسعة واراءهم النافذة وطبايعهم القوية وجواهرهم الكعز الاحجار واخبروا غيرهم بما لم يصل
اليه وكان كل منهم نقابا في ذلك اي علامة فيه فصارت له به مناقب اي مفاخر ولما كان التقدير ولم يسلموا
مع كثرة تنقيبهم وشدته من الهلاك بغوايل الزمان ونوازل الحدثان توجه سؤال كل سامع عما في ذلك من العجايب والاسرار
والهول والمخاوف سؤال تنبيه للغافل الذاهل وتقريع وتبكيت للمعاند الجاهل بقوله هل من محيص اي معدل ومحيد
ومهرب وان دق من قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما في رد امرنا ولما ذكر هنا من المواعظ ما ارفض له الجماد تكبت
بمن يدعي انه من رؤس النقاد انتج قوله موكدا لاجل انكار الجاحد وعناد المعاند ان في ذلك اي الامر البديع من العظات
التي صرفناها هنا على ما ترون من الاساليب العجيبة والطرق الغريبة في الاهلاك وغيره لذكرى اي تذكرا عظيما جدا
ولما كان المتذكر بمصارع المهلكين تارة يكون حاضرا فيرى مصارعهم حال الايقاع بهم او يرى اثارها بعد
وتارة يخبر عنها فاذا نادى بالذي لانه اجدر بالتذكر لمن كان اي كونا عظيما له قلب من في غاية العظمة والنورانية ان
راى شيئا من ذلك فهو بحيث يفهم ما يراه ويعتبر به ومن لم يكن كذلك فلا قلب له لان قلبه لما كان عن نافع كان عدما ولما
بدا بالناظر لكونه اولى بالاعتبار واقرب الى الادكار ثنى بمن تبلغه الاخبار فقال او القى اي القاء عظيما بغاية
اصغائه حتى كانه يرمي بشيء ثقيل من علو الى اسفل السمع اي الكامل الذي قد جرده عن الشواغل من الحظوظ وغيرها ان سمع ما غاب
عنه وهو اي والحال انه في حال القائه شهيد اي حاضر في كليته فهو في غاية ما يكون من تصويب الفكر وجمع الخاطر
فلا يغيب عنه شيء مما تلي عليه والقي اليه فيتذكر بما ذكرناه به عرفنا شيئا من الجزئيات مما انتجه من القدرة على كل شيء على كل شيء
وراى بحر القران فعلم انه كلام الله فسمعه منه فصدق الرسول وقبل كل ما يخبر به ومن سمع شيئا ولم يحضر له ذهنه فهو غايب
فالاول العالم بالقوة ومن المجبول على الاستعداد الكامل فهو بحيث لا يحتاج الى غير التدبر لما عنده من الكمال المهيئ لفهم ما يذكر به القران
والثاني القاصر بما عنده من كثافة الطبع فهو بحيث يحتاج الى التعليم فيتذكر بشرط ان يقبل بكليته ويزيل الموانع كلها فلذلك حسن جدا
موقع او المقسمة وعلم منه عظيم شرف القران في انه مقسر للكامل والناقص ليس منه مانع غير الاعراض ولما دل
على تمام علمه وشمول قدرته بخلق الانسان اثر ما ذكره من جميع الاكوان ثم باعدامه لاصناف الانسان في كل زمان ذكر بخلق ما هو اكبر
منه في المقدار والانسان بعضه على وجه اخر فقال عاطفا على ولقد خلقنا الانسان وا كد تنبيها لمنكري البعث وتبكيتا

وانتجه بحرف التوقع لان من ذكر بخلق شيء توقع الاخبار عما هو اكبر منه ولقد خلقنا اي بما لنا من العظمة التي لا يقدر قدرها ولا يطاق
حصرها السموات والارض على ما هما عليه من الكبر وكثرة المنافع وما بينهما من الامور التي لا ينتظم الامر على قاعدة الاسباب
والمسببات بدونها في ستة ايام الارض في يومين والسموات في يومين ولو شئنا لكان ذلك في اقل من لمح البصر ولكنه سن لنا التاني
بذلك وما مسنا لاجل ما لنا من العظمة ادنى مس وعم في النفي فقال من لغوب اي اعياء فانه لو كان لاقتضى ضعفا فاقتضى فسادا
فكان من ذلك شيء على غير ما اردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا في الباقي فانتم تشاهدون الامر في الكل على حد سواء من نفوذ الامر
وتمام التصرف من اللعب وهو الاعيا والريث اللغاب وهو الفاسد وكان علم الحبيب القادر ربما يعقل لعدو واعظم نذارة للعدو
وبشارة للولي سبب عن ذلك قوله فاصبر على ما اي جميع الذي يقولون اي الكفرة وغيرهم ولما كان قولهم
لا يليق بالجناب الاقدس امر سبحانه بما يفيد ان ذلك بارادته وانه موجب لتنزيهه وكماله لانه قهر قايله على قوله ولو كان الامر
بارادة ذلك القايل استقلالا لكان في غاية البعد عنه لانه موجب للهلاك فقال وسبح اي اوقع التنزيه عن كل شائبة
نقص ملتبسا بحمد ربك اي باثبات الاحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن اليك بجميع هذه البراهين التي
خصك بها تفضيلا لك على جميع الخلق في جميع ما قبل طلوع الشمس بصلاة الصبح وما يليق به من التسبيح غيرها وقبل الغروب
بصلاة العصر والظهر كذلك فالعصر اصل في ذلك الوقت والظهر تبع لها ولما ذكر ما هو ادل على الحب في
المعبود لانه وقت الانتشار الى الامور الضرورية التي بها القوام والرجوع لقصد الراحة الجسدية بالاكل والشرب
والتعب والاجتماع بعد الانتشار والانضمام مع ما في الوقتين من الدلالة الظاهرة على طي الخلق ثم نشرهم اتبعه
بلون وقتا لسكون المراد به الراحة بلذيذ الاضطجاع والمنام فقال ومن الليل اي في بعض اوقاته فسبحه
بصلاتي المغرب والعشا وقيام الليل لان الليل وقت الخلوات وهي لذة المناجاة ذكر الفرايض التي
لا مندوحة عنها على وجه يشمل النوافل من الصلاة وغيرها اتبعها النوافل المقيدة بها فقال وادبار السجود اي الذي هو
الاكمل في بابه وهو صلاة الفرض بما يصلي بعده من الرواتب والتسبيح بالقول ايضا قال الرازي واعلم ان ثواب
الكلمات بقدر صدورها عن جنان المعرفة والحكمة وان يكون عين قلبه تدور دوران لسانه وتلاحظ حقايقها ومعانيها
فالتسبيح تنزيه عن كل ما يتصور في الوهم او يرتسم في الخيال او ينطبع في الحواس او يدور في الهواجس ولهم يكشف
عن المثل وصنع الصانع وانه المتفرد بالنعم انتهى ومعناه ان هذا هو الحقيقة فاذا انطبعت في الجنان قامت باللسان
وتصورت بالاركان وحمل على الصلاة لانها افضل العبادات وهي جامعة بما فيها من الاقوال والافعال لوجهي الذكر التنزيه
والتحميد وهاتان الصلاتان للمصدر بهما افضل الصلوات فهما اعظم ما يقع به التسبيح بالحمد والمعنى والله اعلم
ان الاشتغال استمطار من المحمود المسبح للنصر على المكذبين وان الصلاة اعظم ترياق للنصر وازالة الهم ولهذا كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ولما سلاه سبحانه عما يسمع منهم من التكذيب
وغيره من الاذى بالاقبال على حضرته والانتظار لنصرته اتبعه تعزيته الاشارة فيه الى اظهر ما صور به يوم مصيبتهم
وقربه حتى كانه يسمع في وقت نزول هذه الاية ما فيه لهم من الهلاك وقوارع المصيبات تحذيرا لهم وبشرى لاوليايه
بتمام تاييده عليهم ونصره لهم في الدنيا والاخرة فقال واستمع يوم اي اسمع بتعهدك للسمع بغاية جهدك باصغا سمعك
واقبال قلبك بعد تسبيحك بالحمد ما يقال لهم يوم ينادي المنادي بهم في الدنيا يوم بدر اول الايام التي اظهر الله
تعالى فيها لاوليايه مجده بالانتقام من اعدايه وفي الاخرة يوم القيمة حين النفخ في الصور النفخة الثانية وما بعدها
ولما كان المراد اظهار العظمة بتصوير تمام القدرة وكان ذلك يتحقق باسماع البعيد من محل المنادي كما يسمع
القريب سوا وكان القرب ملزوما للسماع قال مصورا لذلك من مكان هو صخرة بيت المقدس قريب اي يسمع الصوت من بعد
كما يسمعه من قرب يكونون في البقاع سوا لا تفاوت بينهم اصلا ولما عظم هذا المقال بما كان من ثوب الاجمال ابدل
منه ايضاحا وزيادة في التعظيم قوله يوم يسمعون اي الذين ينادون الصيحة اي صيحة صعضع المستنفر لهم الى بدر في
الدنيا فكانت صيحته قاضية بضمهم عن جميع متصرفاتهم وصيحة النفخ الثانية في الصور في الاخرة فهما نفخا حشر الى القضا
بين المحق والمبطل بالحق اي الامر الثابت الذي كانوا ينسبونه جحدا وبعدونه خيالا فيعلمون حينئذ ان الواقع قد طابقه فكان
حقا وانه هو قد طابق الواقع فكان الاخبار به صدقا ولما عظمه سبحانه باجمال بعد اجمال اشارة الى ان ما فيه من
شديد الاهوال يطول شرحه بالمقال زاده تعظيما بما انتجه الكلام فقال ذلك اي اليوم العظيم الذي يظهر به المجد ويعلو
بضعفا المؤمنين الجد يوم الخروج اي الذي لا خروج اعظم منه وهو خروجهم من بيوتهم في الدنيا الى مصارعهم ببدر ومن قبورهم
من الارض التي خلقوا منها الى مقامعهم في النار ولما بنت دعايم القدرة ووقت بشاير النصرة وختم بما يصدق
على البعث قال انا اي بما لنا من العظمة نحن خاصة نحيي ونميت بحدد ذلك شيئا بعد شيء سنة مستقرة وعادة مستمرة كما تشاهدون

فقد كان منا بالاحيا الاول المبدا **والينا** خاصة بالاماتة ثم الاحيا **المصير** اى الصيرورة ومكانها وزمانها بان يجيء جميع من اماته
يوم البعث ونحشرهم الى محل الفصل فنحكم بينهم وليس المعاد باصعب من المبدا لمن افربه وانكر البعث كان معاندا او مجنونا وقطعا
ولما تحقق بذلك امر البعث غاية التحقق صور خروجهم فيه فقال معلقا بما ختم به او مبدلا مما قبله زيادة في تفهيمه
وتبجيله وتعظيمه **يوم تشقق الارض** وعبر بفعل المطاوعة لاقتضا المطاوعة له وحذف تا المضارعة اشارة الى سهولة الفعل
وسرعته **عنهم** اى مجاورة لهم بعد ان كانوا في بطنها فيخرجون منها احيا كما كانوا على ظهرها احيا حال كونهم **سراعا** الى اجابة مناديها
واشار الى عظمة الامر بقوله **ذلك** اى الاخراج العظيم جدا **حشر** اى جمع بكره وزاد في بيان عظمة هذا الامر بدلالته على اختصاصه
بتقدم الجار فقال **علينا** اى خاصة **يسير** ولما كيف يتوقف فيه عاقل فضلا عن ان ينكره واما غيرنا فلا يمكنه ذلك بوجه
ولما اقام الادلة سبحانه على تمام قدرته وشمول علمه وختم بسهولته عليه واختصاصه به وصل به تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بتهديدهم
على تكذيبهم بالعلم الذي هو اعظم التهديد فقال **نحن** اى لا غيرنا ولا هم انفسهم **اعلم** اى من كل من يتوهم فيه العلم **بما يقولون** اى في الحال
والاستقبال من التكذيب بالبعث وغيره مع اقرارهم بقدرتنا ولما كان التقدير فنحن قادرون على ردهم عنه لما لنا من العلم المحيط
وانت لهم منذر تنذرهم وبال ذلك عطف عليه قوله **وما انت عليهم** ولما اباد حرف الاستعلا القهر والغلبة صرح به
موكدا للنفي فقال **بجبار** اى بمتكبر قهار عات تردهم قهرا عما تكره منهم من الاقوال والافعال انما انت منذر ولما نفى عنه
الجبروت ثبت له ما امره واو العطف من النذارة كما قدرته قبله فقال مسببا عنه معبرا بما للتذكير الذي يكون عن نسيان لان كل ما في القران
من وعظ اذا تامله الانسان وجده شاهدا في نفسه او فيما يعرفه من الافاق **فذكر** اى بطريق البشارة والنذارة **بالقران** اى
الجامع المجيد لكل خير المحيط بكل صلاح **من يخاف وعيد** اى يمكن خوفه وهو كل عاقل ولكنه ساقه هكذا اعلاما بان الذي يخاف
بالفعل فينكشف الحال عن سلامته هو المقصود بالذات وغيره انما يقصد لاقامة الحجة عليه لا لرده ولا يوسف عليه ولا ينار بنكده
بل يعتقد انه عدو لا نصر عداوته ولا شفع ولاية وما ادى الا نفسه وكل من والاه في الدنيا والاخرة وهذا هو المجد للقران ولمن
انزله ولمن اتى به عنه من موصفته وشمول علمه فقد انعطف هذا الاخر على ذلك الاول اشد انعطاف والتف فروعه باصله اى
التفاف فاعترفت له اولوا البراعة واهل الانصاف والاتصاف بالتقدم في كل صناعة بالسبق الذي لا يمكن لحاقه اى اعتراف
سورة الذاريات
مقصودها الدلالة على صدق ما انذرت به سورة ق تصريحا وبشرت به تلويحا ولا سيما اخرها
من مصاب الدنيا وعذاب الاخرة واسمها الذاريات ظاهر في ذلك بملاحظة جواب القسم فانه مع القسم لشدة الارتباط كالاية الواحدة
وان كان خمسا وللتعبير عن الرياح بالذاريات اتم اشارة الى ذلك فان تكذيبهم بالوعيد لكونهم لا يشعرون بشي من اسبابه وان
كانت موجودة معهم كما ان ما يأتي من السحاب من الرحمة والنقمة اسبابه موجودة وهي الرياح وان كانوا لا يرونها والريح من شانها الذرو
وهو التفريق فاذا اراد الله جمعت فكان ما اراد فانها تفرق لا تجمع فاذا اراد سبحانه جمعها حملها سبحانه ما اوجده فاوقره
به فاجراها اجرا سهلا فاوجد منها ما قسم منها ما اراد تارة برقا واخرى رعدا اشد صلصلة من صليل الحديد على الحديد او الحجر على مثله
مع لطافة السحاب وكل ما شاهد فيه من الاسباب وادته مطر اشد الانصباب ومرة ثلجا او بردا يرجم بهاب وحبابا وعنا
وشرابا لها اى لهاب ووقتا جواهر ومرجانا بديعة الاعجاب فتكون مرة سرورا ورضوانا واخرى غموما واحزانا وعنا
وخسرانا على انهم احيل الناس في معرفة ذلك يعرفون السحاب الذي يحمل المطر والذي لا يحمله والذي يمطر دان ها الذي لم يات له
ان يمطر الى غير ذلك من اشيا ذكرها اهل الادب وحملها اهل اللغة عنهم وكل ذلك بتصريف الملائكة عن امر الله ولذلك
والله اعلم سن ان يقال عند الرعد سبوح قدوس يا بالاول المعروف الحق هو الله رب الملائكة اى الذين اقيموا الهدا والروح
اى الذي يجمله هذا الجسم من مطر او غيره وغيرهما والله الموفق **بسم الله** المحيط بصفات الكمال فهو لا يخلف الميعاد **الرحمن**
الذي عم الخلائق بنعمة الايجاد **الرحيم** الذي خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد ولما ختم سبحانه ق بالتذكير
بالوعيد افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه فقال مناسبا بين القسم والمقسم عليه **والذاريات** اى الرياح التي من شانها الذرو
طاردة والوحى والتفريق والاذهاب واكد ذلك بقوله **ذروا** اى بما تصرفها فيه الملائكة قال الاصبهاني الرياح تحت اجنحة
الكروبيين حملة العرش فتهيج من ثم فتقع بعجلة الشمس ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع برووس الجبال ثم من رووس الجبال تقع في البر
فاما الشمال فانها تمر بجنة عدن فتاخذ من عرف طيبها فتمر على ارواح الصديقين ثم تاخذ حدها من كرسي بنات نعش الى مغرب الشمس
وتاتي الدبور حدها من مغرب الشمس الى مطلع سهيل وتاتي الجنوب حدها من مطلع سهيل الى مطلع الشمس وتاتي الصبا حدها من مطلع
الشمس الى كرسي بنات نعش فلا تدخل هذه في حد هذه ولا هذه في حد هذه ولما كانت غاية الذرو والتهيئة
للحمل قال مسببا ومعقبا **فالحاملات** اى من السحب التي فرقت الريح اصلها وهو الابخرة والطارته في الجو الحمة العلو ثم
جمعته فانعقد سحابا فبسطته مع الانتيام فحمله الله ما اوجد فيه من مراده من الماء والصواعق وغيرها **وقرا** اى
حملا ثقيلا وقد كان قبل ذلك لا يرى شي منه ولا من محموله فتحققوا قدرة الله على كل ما يريد وان لم تروا اسبابه ولا يغرنكم

بالله الغرور ولما كان الحمل انما هو للوضع في الاماكن التي يراد ضرها ونفعها وكان سير الغمام بعد الحمل في ساحة الجو
وباحة الافق من غير ممسك يرى ادل على القدرة ولا سيما ان تباعدت اماكن صبه اذا كان مع الجري الذي يضرب به في سرعته المثل
وكذا جري السفن في باحة البحر بعد ثقلها بالوسق قال **فالجاريات يسرا** اى جريا ذا سهولة ولما كان في غاية الدلالة
على تمام القدرة تفريق محمولها في الاراضي المحتاجة ولا سيما ان تباعدت اماكن صبه ومواطن سكبه وكان ذلك التفريق هو
غاية الجري المرتب على الحمل المرتب على الذرو قال مسببا معقبا مشيرا بالتفعيل الى غرابة فصلها لقطراتها وبداعة
تفريقها لوجهاتها من غدايتها وغير ذلك من احوال الجاريات وتصريفها للذاريات **فالمقسمات** اى من السحب بما تصرفها فيه
الملائكة عليهم السلام وكذا السفن بما تصرفها الله به من الرياح اللينة او العاصفة من سلامة وعطب وسرعة وابطاء
وكذا غيرها من كل امر تصرفه الملائكة بين العباد وتقسمه ولما كان المحلوف المحلف كما تقدم قال جامعا لذلك
امرا اى من الرحمة او العذاب قال الرازي في اللوامع وهذه اقسام يقسم الله بها ولا يقسم بها الخلق لان قسم الخلق
استشهاد على صحة قولهم بمن يعلم السر كالعلانية وهو الله تعالى وقسم الخالق ارادة تاكيد الخبر في نفوسهم فيقسم
ببعض بدايع خلقه على وجه يوجب الاعتبار ويدل على توحيده فالرياح بهبوبها وسكونها لتاليف السحاب وتذرية الطعام
واختلاف الهوا وعصوفها مرة ولينها اخرى والسحاب بحدوثها وقوفها مستقلات بالماء من غير عماد وصرفها في وقت الغنى عنها
بما لو دامت لاهلكت ولو انقطعت لم يقدر احد على قطرة منها وبتفريق المطر والا اهلك الحرث والنسل والسفن
بتسخير البحر لجريانها وتقدير الريح لها بما لو زاد لغرق ولو ركد لاهلك والملائكة بتقسيم الامور بامرها كل ذلك دليل
على وجود الصانع الحكيم والفاطر العليم القادر الماجد الكريم ولما كانوا يكذبون بالوعيد اكد الجواب بعد
بعد التاكيد بنفس القسم فقال **انما** اى الذي **توعدون** اى من الوعد للطايع والوعيد للعاصي وان لم تروا اسبابه
ولما كان انما توعدوا به لتحقق وقوعه وقربه كانه موجود يخاطبهم عن نفسه عبر عن المصدر باسم الفاعل
فقال **لصادق** اى مطابق الاخبار به للواقع وسترون مطابقته له اذا وقع وتعلمون ان ذلك الواقع حق ثابت لا خيال
لمطابقته قال ابن برجان واعلم ان الله عز وجل انما اقسم بقسم الامطار بقا معناه لمعان في المقسم من اجله بسراج منير
يهدي به الله تعالى من يشاء وانما يعمى عن رويه ذلك ظواهر اشخاص المحسوسات ويصم عن اسماع نداياتها ضوضاء المشا
ولولا ذلك لما نودوا بها من مكان قريب وقال البيضاوي كانه استدل باقتداره على هذه الاشيا العجيبة المخالفة
لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث ولما كان اجل وعيدهم ما يتعلق بالجزا يوم القيمة وكانوا ينكرونه قال
وان الدين اى الجزاة لكل احد بما كسب يوم البعث والشرع الذي ارسلت به هذا النبي الكريم **لواقع** لا بد منه وان انكر
ذلك فيظهر دينه على الدين كله كما وعد بذلك ثم يقيم الناس كلهم للحساب وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه
لما ذكر سبحانه المواعيد الاخراوية في سورة ق وعظيم تلك الاحوال من لدن قوله وجاءت سكرة الموت بالحق
الى اخر السورة اتبع سبحانه ذلك بالقسم على صحة وقوعه وصدقه فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع والدين الجزاء اى انهم سيجازون على ما كان منهم ويوفون قسط اعمالهم ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولما اقسم تعالى على صدق وعده ووقوع الجزاء عقب ذلك بتكذيبهم
بالجزاء وازديادهم فقال يسالون ايان يوم الدين ثم ذكر تعالى حال الفريقين وانتهاء الطريقين الى قوله وفي الارض
ايات للموقنين فوبخ تعالى من لم يعمل فكره ولا بسط نظره فيما اودع سبحانه في العالم من العجايب واعقب بذكر اشارات
الى احوال الامم وما اعقبهم تكذيبهم وكل هذا تنبيه لبسط النظر الى قوله ومن كل شي خلقنا بقوله كذلك ما اتى
الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اى ان هذا دابهم وعادتهم حتى كانهم تعاهدوا عليه والقاه بعضهم
الى بعض فقال تعالى اتواصوا به بل هم قوم طاغون اى عجبا لهم في جريهم بالتكذيب والفساد في مضمار واحد ثم قال
تعالى بل هم قوم طاغون اى ان علة تكذيبهم هي التي اتحدت فاتحد معلولها والعلة طغيانهم واظلام قلوبهم بما
سبق ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ثم زاد نبيه عليه السلام انسيا بما ورد على طريقة تخيير عليه السلام في امرهم
من قوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم ثم اشار تعالى بقوله وذكر فان الذكرى تنفع المومنين الى ان اخرا زاجرا عليه
السلام انما هو في التذكار والدعا الى الله تعالى ثم ينفع الله بذلك من سبقت له السعادة انما يستجيب الذين يسمعون
ثم اخبر نبيه عليه السلام بان لهم سهما لهم قسط ونصيب مما نال غيرهم ممن ارتكب من مرتكبهم وسلك مسلكهم
فقال تعالى وان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم الى اخر السورة انتهى ولما اخبر سبحانه عن شان خبرة
انبعة الاخبار عن دعوى كلامهم فقال مقسما عليه لمبالغتهم في تاكيد مضامينه مع التناقض بفعله الجميل وصنعه الجليل
اشارة الى انهم لو تخلقوا من اخلاقه الحسنى بقول ولا فعل **والسماء ذات الحبك** اى الايات المحكمة بطرائق النجوم المحكمة

الحسنة الصنعة الجيدة الوصف والزينة حتى كأنها منسوجة الجميلة الصنعة الجليلة الآثار الجامعة بين القطع والاختلاط
والاتفاق والاختلاف والآتي به واصل الحبك الاحكام في امتداد واطراد قاله الرازي في اللوامع **إنكم** يا معشر قريش **لفي قول**
محيط بكم في امر القرآن والآتي به وجميع امر دينكم وغيره مما تريدون به ابطال الدين الحق **مختلف** كاختلاف طرائق السما التي لا
تكاد تنتظم ولا يعرف اولها من آخرها واختلاف هذه الاشيا المقسم بها من اول السورة ولخلاف غاياتها لكنه مع ذلك في
متدافع وان كنتم تجتهدون في تزيينه وتقريبه للافهام وتحسينه فانه لا يكاد اذا عرضه الناقد على الفكر الناقد ينضبط
بضابط ولا يرتبط برابط بل تارة تقولون هذا شعر فيلزمكم وصفه بما تصفون به الشعر من الاتساق بالوزن المحرر والروي
المتحد والعذوبة والرشاقة وتارة تقولون هذا سحر فيلزمكم مع الاقرار بالعجز عنه انه لا حقيقة له والواقع انه لا يتأمله
ذو فهم الا رأى حقايقه اثبت من الجبال وتارة تقولون اضغاث احلام فيلزمكم انه لا ينضبط بضابط ولا يكون له مفهوم
محصل ولا يعجز احد عن تلفيق مثله فقد ابطلتم قولكم انه شعر وانه سحر وتارة تقولون انه كهانة فيلزمكم ان تعتقدوا
فيه ما في اقوال الكهان من الاخبار بالمغيبات واظهار الخبء وفصل الحكم فابطلتم ما مضى من قولكم اضغاث احلام وسحر وشعر
وتارة تقولون انه جنون فقد نقضتم جميع اقوالكم الماضية وناديتم على انفسكم بالمباهتة وتقولون في الآتي به انه شاعر
وساحر ومجنون وكاهن وكاذب وكل قول منها ينقض الآخر وانتم تدعون انكم اصدق الناس وابعدهم عن عار الكذب وانكم
اعقل الناس وانصفهم فقد تباعد اولا ما بين اقوالكم ثم ما بينها وبين افعالكم فكان اختلاف طرائق النجوم دالا على صانع مختار
تام العلم كامل القدرة وكذا اختلاف قولكم على هذا الوجه مع ما لكم من العقول دال على قاهر لكم على ذلك فهما آيتان في الآفاق
وفي انفسكم ولما كان هذا الاختلاف مما لا يكاد يصدق لانه لا يقع فيه عاقل بين سببه بانهم مغلوبون عليه
بقهر يد القدرة فقال **يؤفك** اي يصرف بايسر امر واسهله عن سنن الاستقامة ويقلب من وجه لقفاه **عنه** اي بسبب صرفه
عن هذا القول المجاوز الحد المائل به عن عادته فهو لذلك يقوله **من أفك** اي قلبه قالب قاهر اي تبين بهذا الصرف الذي هو اعظم
الصرف انه حكم بصرفه في الأزل حكما بتا جامعا وصار لا يقصد غيره سوى ولا يفعل الا كان مقلوبا وجهه لقفاه لا يمكن ان
يأتي منه شيء على وجهه فكأنه لا مأفوك سواه لشدة افكه وعجيب امره ولما كان الكذب الاخبار بما لا حقيقة له وتفعله
افتراء وكان الخرص الكذب والافترا والاختلاف وكل قول بالظن قال معلقا بما لهم على قولهم هذا قتلوا او قتلتم هكذا كان الاصل
ولكنه اظهر الوصف الذي استحقوه بقولهم **قتل الخراصون** اي حصل بايسر امر قتل الكذابين لا محالة من كل قايل والمقول
بالظن المنقطعين للكلام من اصل لا يصلح من الخرص وهو القطع وهم الذين يقولون عن غير سند من كتاب او سنة او اثارة من علم
وهو دعا وخبر لانه مجاب لا محالة **الذين هم** اي خاصة **في غمرة** اي انماق في العمى والضلال غارقون في سكرهم وجهلهم الذي
غمرهم ولذلك هم مضطربون اضطراب من هو غريق في معظم البحر فهو لا يكاد ينتظم له امر من قول ولا فعل ولا حال **ساهون**
اي عريقون في السهو وهو النسيان والغفلة والحيرة وذهاب القلب الى غير ما يهمه فتفاعل ذلك ذوا الوان متخالفة من هول ما
هو فيه وشدة كربه ولما حكم بسهوهم دل عليه بقوله **يسألون** اي حينا بعد حين على سبيل الاستمرار استهزاء بقولهم
أيان اي متى واي حين **يوم الدين** اي وقوع الجزاء الذي تخبرنا به ولولا انهم بهذه الحالة لتذكروا وامن انفسهم انه ليس احد منهم
يترك عبيده او اجراءه في عمل من الاعمال الا وهو يحاسبهم على اعمالهم وينظر قطعا في احوالهم ويحكم بينهم في اقوالهم وافعالهم
فكيف يظن باحكم الحاكمين ان يترك عبيده الذين خلقهم على هذا النظام المحكم وابدع لهم هذين الخافقين وهيأ لاجلهم فيهما ما لا يحصى
لهم في التزود للمعاد الى سواه فيتركهم سدى ويوجدهم عبثا ولما تعرا امر العتبة بالتعبير بساهون قال **يوم** اي
يكون **يوم هم على النار** لا على غيرها **يفتنون** اي يعرضون فيحرقون ويعذبون ويفضحون على الوان من ذلك مختلفة شديدة
الاختلاف مقولا لهم على سبيل التقريع والتوبيخ **ذوقوا فتنتكم** اي ما تستحقونه من الفتنة بما تسببتم فيه لانفسكم بتلذذكم
وفتنتكم لاهل الحق واستعجالكم بما توعدون استهزاء وتكذيبا **هذا** العذاب الملون **الذي** انتم فيه **ما كنتم** اي كونا هو كالجبلة
ولما كانوا يتبالغون في استعجاله ويديمون ذلك كما دل عليه التعبير بالمضارع وكنتم كانوا كانهم لا يستعجلون بغيره
تقدم الظرف فقال **به تستعجلون** اي تطلبون عجلته وان يأتي قبل اوانه الحقيق به فتبدرون قولكم ايان يوم الدين
ولما اخبر بما لهم في ذلك اليوم وهم يستعجلون به اتبع ذلك اضداده ليكون النفع تاما فاعلم بالمتقين فيه وهم خايفون
من حلوله لو كان لاحدهم طلاع الارض ذهبا لافتدى به من هوله فقال تكميلا للاعلام باصل الاقسام التي تقع في ذلك اليوم
مؤكدا لما لهم من التكذيب بذلك **إن المتقين** اي الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا **في جنات** اي بساتين عظيمة تجن داخلها اي تستره
من كثرة ظلالها لكثرة اشجارها وعظمها وتستر ما فيها من النعيم ليتكشف لهم كل يوم منه ما لم يخطر على قلب فيكون اسر لهم وزيادة
العلم والمعلومات **وعيون** لا حد لها في عاجلهم وآجلهم فاليوم قربات ومناجاة وغدا جنات ونجاة ولما كان
من في البستان لا بد له من المآكل والمشارب وغير ذلك من المآرب دل على انه حاصل لهم على وجه لا يدركه الوصف فقال

موضع

موضع يأتيهم فيها ما يشتهون **آخذين** للدلالة على انهم لا يزالون في اخذ وعلى ان ما يؤتيهم به ليس كما يأمر به بعض الملوك
بعضه او ينقصه بعض خواصهم او يكون دنيا فيزهد فيه المأمور له به فيعرض عنه **ما** اي كل شيء **آتاهم** اي اعطاهم اياه
ربهم اي مولاهم المحسن اليهم المدبر لهم بتمام علمه وشامل قدرته فهو لا يدع لهم لذة الا اتحفهم بها فيقبلونها بغاية الرغبة
لانها في غاية النفاسة ولما كان هذا امرا عظيما يذهب الوهم في سببه كل مذهب علله بقوله مؤكدا
لنسبة الكفار لهم الى الاساءة **إنهم كانوا** اي كونا هو كالجبلة ولما كان الانسان اما ان يكون مطيعا في مجموع عمره
او في بعضه ويموت على الطاعة وكانت الطاعة تجب ما قبلها وتكون سببا في تبديل السيئات حسنات فضلا منه سبحانه فكان
كل من القسمين مطيعا في جميع زمانه نزع الجار فقال **قبل ذلك** اي في دار العمل وقبل آخذين كلما فرض عليهم بغاية القبول
لانهم كانوا قبل فرض الفرائض يعملون على المحبة وهو معنى **محسنين** اي في معاملة الخالق والخلائق يعبدون الله كانهم يرونه
ثم فسر احسانهم معبرا عنه بما هو في غاية المبالغة بقوله **كانوا** اي لما عندهم من الاجلال له والحب فيه بحيث كانهم مطبوعون
عليه ولغاية التاكيد وقع الاسناد اليهم مرتين **قليلا من الليل** الذي هو وقت الراحات وقضا الشهوات واكد المعنى باثبات
ما فقال **ما يهجعون** اي يفعلون الهجوع وهو النوم الخفيف القليل فما ظنك بما فوقه لان الجملة نفت هجوعهم وهو النوم
للراحة وكسر التعب وما شغبه وذكر الليل لتحقيق المعنى فان الهجوع النوم ليلا فالمعنى انهم يحيون اكثر الليل وينامون اقله
ولما كان المحسن لا يرى نفسه الا مقصرا قال دالا على ذلك وعلى ان تهجدهم يتصل باخر الليل مؤكدا بالاسناد مرتين
ايضا **وبالأسحار** قال ابن زيد السحر السدس الاخير من الليل **هم** اي دايما بظواهرهم وبواطنهم **يستغفرون** اي يعدون مع
هذا الاجتهاد انفسهم مذنبين ويسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله وانهم لا يقدرون على ان يقدروه حق قدره
وان اجتهدوا والقول سيد الخلق لا احصي ثناء عليك وابراز الضمير دال على ان غيرهم لو فعل هذا ليلة لاعجب بنفسه ورأى
انه لا احد افضل منه وعلى ان استغفارهم في الكثرة يقتضي انهم يكونون بحيث يظن انهم احق بالتذلل من المصرين على المعاصي فان
استغفارهم ذلك على بصيرة لانهم نظروا ما له سبحانه في الآفاق وفي انفسهم من الآيات والحكم البالغة التي لا تحصى فعلموا انه
اهل لان يطاع ويخشى فاجتهدوا وتركوا الهجوع واجروا الدموع ثم قابلوا ذلك بنعمه فاذا الاعمال في غاية التقصير فاقبلوا
على الاستغفار عالمين بانه لا يمكن ان يقدر حق قدره ولما ذكر معاملتهم للخالق اتبعه المعاملة للخلائق تكميلا
لحقيقة الاحسان فقال **وفي أموالهم** اي كل اصنافها **حق** اي نصيب ثابت ولما كان السياق هنا للاحسان
وكان احسانهم لفرط محبتهم الى عباد الله لا يوقفهم عن الواجب بخلاف ما في سأل من سياق للمصلين مطلقا ترك وصفه
بالمعلومية فقال **للسائل** اي الذي ينبه على حاجته بسؤال الناس وهو المتكفف **والمحروم** وهو المتعفف الذي لا يجد
ما يغنيه ولا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه وهذه صفة اهل الصفة رضي الله عنهم فالمحسنون يعرفون صاحب
هذا الوصف لما لهم من نافذ البصيرة ولله بهم من العناية ولما دل اقسامه بالسما وما قبلها من الذاريات
على ما له في العلويات من الآيات الى ان ختم بالاموال التي منبتها الارض وكان التقدير ففي السموات آيات للمؤمنين دالات
على عظمته واستحقاقه للعبادة بغاية الخضوع رغبا ورهبا عطف عليه قوله **وفي الأرض** مما فيها ايضا من اختلاف
بالمعادن الكثيرة المتباينة مع اتحاد اصلها والنبات والحيوان والجماد في البر والبحر وغير ذلك من الاسرار الدالة على فاعل
مختار **آيات** اي دلالات عظيمات هي مع وضوحها بعدا للتأمل خفيات **للموقنين** اي الذين صار الايقان لهم غريزة ثابتة
فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها مع ما بالاجسام منها من الاسباب فيشغلهم ولا يرون اثر اسباب ما فيها من الآيات فاداهم
ذلك الى الايقان بما بعثت عليه الرسل مما لا تستقل به العقول من البعث وغيره قال القشيري من الآيات فيها انها
تحمل كل شيء فكذلك العارف يحمل كل احد ومن استثقل احدا او تبرم برؤية احد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعة الخلق
بعين التفرقة واهل الحقايق لا يتصفون بهذه الصفة ومن الآيات فيها انه يلقى عليها كل قذارة وقمامة فتنبت كل
زهر ونور وكذلك العارف يتشرب ما يسقى من الجفا ولا يترشح الا بكل خلق علي وشيمة زكية ولما اشار
الى آيات الآفاق اتبعها آيات الانفس فقال **وفي أنفسكم** اي من الآيات التي شاركتم بها الجماد ثم فارقتموه بالنمو ثم بالحس
ثم فارقتم الحيوان الحساس بالعقل الموصل الى بدايع العلوم ودقايق الفهوم ولما كانت اظهر الآيات سبب
عن التنبيه عليها الانكار عليهم في ترك الاعتبار بها فقال **أفلا تبصرون** اي بابصاركم وبصايركم فتتأملوا ما في ذلك
من الآيات وتتفكروا وهل ترون اسباب اكثرها فان كل هذه آيات دالة على قدرة الصانع على كل ما يريد واختياره وانه
ما خلق هذا الخلق سدى فلا بد ان يجمعهم اليه للعرض عليه فالموقنون لا يزالون ينظرون في امثال هذا بعيون باصرة
والهام نافذ فكلما رأوا آية اعتبروا بها فازدادوا ايمانا الى ايمانهم وايقانا تاما مع ايقانهم واول نظرهم فيما اوعوا
من الآيات الحاجة فمن تاملها علم انه عبد ومتى علم ذلك علم ان له ربا غير محتاج ومن ابصر ذلك ابصر جميع الاسما والصفات

فتعذ نهم فی شغاف لكتابیات فارتقی الی اعلا الدرجات [ولما] بان بما قدمته فی المقسمات امرا ما فی جهة العلو من
الاسباب الموجبة للنعمة والعذاب قال وفی السماء ای جهة العلو رزقكم بما یاتی من المطر والریاح والحر والبرد وغیر ذلك
مما رتبه سبحانه لمنافع العباد وما توعدون وجمیع ما اتیكم به الرسل من الوعد والوعید من الصواعق والزلازل وغیر ذلك
من الاهوال وموجبات النكال وكذا الرحمة والخیر والنعمة وكلما تتعلق به الآمال فكما انكم تصدقون بذلك وانتم لا ترونه
لكم ان تصدقوا بالجنة والنار وان لم تروهما فانه لا فرق بین ما ینزله الله فتكون منه ریاض وجنات وسیول واد وامرار
وسموم وعقارب وحیات وحشائش وسباع وحشرات وبین ماء یعید به الاموات ثم یحشرهم الی جنان ونیران فكما انه لا مریة
فی اظهار هذا الغیب فكذلك لا لبس فی اظهار ذلك الغیب ومن المعنی ایضا انه لا تشتغل برزق فانه فی السماء ولا
سبیل لك الی العروج الیها واشتغل بما كلفته من الخدمة لمن عنده الرزق ففی السماء الرزق والیها رفع العمل فان اردت
ان ینزل الیك رزقك فاصعد الیها الصالح من عملك ولهذا قالوا الصلاة قرع باب الرزق واصطبر علیها لا نسالك رزقا
نحن نرزقك [ولما] اقسم بما له من المعمورات لمن وقف مع المحسوسات المشهورات فترقوا بذلك الی اعلی الدرجات
وانكشف ما له من الكمال انكشافا تاما وعلم ان فی خزائنه سبحانه كلما اخبرت عنه به رسله من وعد ووعید سببه عنه
قوله مقسما بنفسه المقدس لكن بصفة مالوفة فورب ای مبدع ومدبر السماء والارض بما اودع فیهما مما علمتموه وما لم تعلموه
انه ای الذی توعدونه من الخیر والشر والجنة والنار وتقدم الاقسام علیه انه صادق لحق ای ثابت بمطابقة الواقع فقد جمع
الحق مع الصدق مثل ما انكم وانتم مساوون لبقیة ما فی الارض من الجمادات وغیرها تنطقون نطقا مجددا فی كل وقت
مستمرا انما هو بخیال ولا سحر ای ان ذا الحق مثل ما ان هذا حق فالذی جعل لكم قوة النطق من بین ما فی الارض باسباب لا
ترونها ولا تحسونها ومع ما عداكم من ذلك باسباب مثل ذلك لقادر علی الاتیان بوعده من الرزق وغیره مما دمتم تحتاجون
الی ذلك بما جعل فیكم من الحیاة التی یصح بها العلم الناشئ عنه النطق المحوج الی الرزق من ای جهة اراد وان لم تروا اسبا
كما انه لو اراد لانطق جمیع ما فی السموات وما فی الارض من الجمادات بما یقیمه لها من الاسباب التی اقامها لكم وان لم تروا ذلك
[ولما] بین بما مضی من القسم وما تبعه انه اودع فی السموات والارض وما بینهما اسبابا صالحة للاتیان بما وعد به
من الخیر وما توعدنا به من الشر وان كنا لم نرها وهو قادر مختار فصار ذلك كالمشاهد فلا وجه للتكذیب بوعد ولا وعید
دل علیه وصوره بما شوهد من احوال الامم وبدأ الانباء لسیاق للمحسنین براس المحسنین من اهل هذه الانباء الذی اخبرته
الملائكة علیهم السلام بما بشرته معه وان كان علی غیر العادة فتعجبت زوجته من ذلك مع كونها اعلی نساء
ذلك الزمان واتبع قصته قصة لوط ابن اخیه علیهما السلام لاتصال ما بین قصتیهما فی الزمان ولمناسبة عذابهم
لما اقسم به فی اول السورة فانه سبحانه امر الذاریات فاقتلعتهم بقراهم وحملتها كما تحمل السحاب ثم كبتهم ثم امر
السماء فرجمتهم والارض فخسفت بهم والملائكة الموكلة بمثل ذلك ففعلوا جمیع ما امروا به وداوا بهم فی قریتهم وقصدوهم
بالمكروه لانهم خفی علیهم امرهم واتوا الخلیل علیه السلام وهو اعلی اهل ذلك الزمان وهم فی ذلك ولم یعلم اول
الامر شیئا من حالهم ولاطفهم الآدمیین فقال منحما لامر العقبة بتخصیص الخطاب باعلا الخلق وانفذهم امرا
اشارة الی انه لا یفهم هذا حق فهمه سواه علی طریق الاستفهام علی عادة العرب فی الاعلام بالامور الماضیة وان
كان المخبر عالما بان المخاطب لا علم له بذلك لان المقصود لیس الا التنبیه علی ان ذلك الامر مما ینبغی الاهتمام به والبحث
عنه لتعرف ما فیه من الامور الجلیلة قال ابو حیان تقریر لیجمع نفس المخاطب كما تبدأ المرء اذا اردت ان تخبره بعجیب
فتقرره هل سمع ذلك ام لا فكانك تقتضی بان یقول لا ویستطعمك الحدیث انتهی هل اتاك یا اكمل الخلق حدیث
ضیف عبر عنهم بلفظ الواحد اشارة الی اتحاد كلمتهم ابرهیم وهو خلیلنا ودل علی انه لم یعرف شیئا مما اتوا له بقوله
دالا علی انه لم یعرف شیئا مما اتوا له بقوله دالا علی انهم جمع المكرمین ای الذین هم اهل الكرامة واكرمهم ابرهیم علیه السلام
بقوله وفعله فی خدمته ذلك انه مبنیة علی ما بنی فی هذه السورة من قدرة الله تعالی وصدق وعده ووعیده مع ما فیه
من التسلیة لك ولمن تبعك والبشارة باكرام المصدق واهانة المكذب قال القشیری وقیل كان عددهم اثنی عشر
ملكا وقیل جبریل علیه السلام وكان معه تسعة وقیل كانوا ثلاثة اذ ای حدیثهم حین دخلوا علیه ای دخول استعلاء
مخالف لدخول بقیة الضیوف فقالوا سلاما ای نخبرك ثم استانف الاخبار عن جوابه بقوله قال ای بلسانه سلام
ای ثابت دائم هو احسن من تحیتهم [ولما] كان ما ذكر من دخولهم وسلامهم غیر مستغرب عند المخاطبین بهذا
وكانت القصة قد ابتدئت بما دل علی غرابة ما نقص منها تشوف السامع الی ما كان بعد هذا فاجیب بقوله قوم ای ذوو
قوة علی ما یحاولونه ویقومون فیه منكرون ای حالهم لا یلابسه اهل لان ینكره المنكر وقدم هذا علی موضعه الذی
كان الیق به فیما یظهر بادی الرای ایضاحا لان السیاق لخفاء الاسباب علی الآدمی وبعدها وان كانت فی غایة الظهور

والعرب ولو انه فی غایة العلو فان انكاره لهم كان متاخرا عن احضار الاكل لكونهم لم یاكلوا وهذا القول كان فی نفسه ولم
یواجههم به [ولما] اشار الی انه حین انكاره لهم لم یعرف من ای نوع هم ولا خصوص ما هم فیه رتب علی رده لسلامهم
انه اسرع غایة الاسراع فی احضار ما ینبغی للضیف علی ظن انهم آدمیون فقال فراغ ای ذهب فی خفیة وخفة ومواضع
ستر عن اعینهم كما هو من آداب الضیافة خوفا من ان یمنعوه او یكدر علیهم الانتظار الی اهله ای الذین عندهم بقره فجاء
بعجل ای فتی من اولاد البقر سمین قد سواه وانضجه فقربه الیهم [ولما] احضر ما ینبغی الاحضار به من امر
الضیافة الا الاكل كان من المعلوم ان التقدیر فكان كانه قیل فما ذا قال لهم حین لم یاكلوا قیل قال ای متادبا
غایة الادب ملوحا بالانكار الا تاكلون ای منه [ولما] كان كانه قیل فلم یاكلوا سبب عنه قوله فاوجس
ای اضمر اضمارا حالا فی جمیع سره منهم خیفة لاجل انكاره عدم اكلهم فانه لما رای اعراضهم عن الطعام ذهب وهمه فی
سبب اتیانهم الیه كل مذهب قالوا مونسین له لا تخف واعلموه انهم رسل الله وبشروه بغلام یاتیه علی شیخوخته
ویاس امراته بالطعن فی السن بعد عقمها وهو اسحاق علیه السلام [ولما] كان السیاق لخفاء الاسباب كان فی
الذروة وصفه بقوله علیم ای مجبول جبلة مهیاة للعلم ولا یموت حتی یظهر علمه بالفعل فی اوانه [ولما]
كان ابعد بعید عن قبول الولد تسبب عن ذلك قوله دالا علی ان الولد اسحاق مع الدلالة علی اخفاء الاسباب لا یوثر
فی وجود المسببات فاقبلت ای من سماع هذا الكلام امراته [ولما] كانت قد امتلأت عجبا عبر بالظرف فقال
فی صرة ای صیحة وكرب من الصریر قد احاط بها فذهب وهمها فی ذلك كل مذهب فصكت ای ضربت بسبب تعجبها
باطراف انامله فعل المتعجب وجهها لتلاشی اسباب الولد فی علمها بحسب العادة مع معرفتها بان العبرة فی الاسباب
وان كانت سلیمة بالمسبب لانها قال البغوی واصل الصك ضرب الشیء بالشیء العریض وقالت تریدان تستبین الامر
طلب الولد منها او من غیرها عجوز ومع العجز عقیم فهی فی حال شبابها لم یكن تقبل الحمل قال القشیری قیل انها كانت
یومد ابنه ثمان وتسعین سنه [ولما] ... فی هذا اشد تشوف الی الجواب استانف تعالی الجواب بقوله
قالوا كذلك قال ربك ای مثل ما قلناه من هذه البشری العظیمة قال ربك ای المحسن الیك بما هیالك له لكن علی ما ذكرت
من حالك وبما هیالك من قبل الاتصال بخلیله صلی الله علیه وسلم [ولما] كان محط تعجبها ان ذلك كان بایام
شبابها اولی عللوا اخبارهم تاكیدا له موكدین لاجل قولها وفعلها فعل المنكر وان كانت ما ارادت به الا الاستثبات
انه هو ای وحده الحكیم ای الذی یضع الاشیاء فی احق مواضعها فلم یستعظم هذا المولود علی كل من عقمك وعجزك ثم عللوا
ذلك بقولهم العلیم ای المحیط العلم فهو لذلك لا یعجزه شیء لما تقدم من البرهان فی سورة طه ان احاطة العلم
تستلزم شمول القدرة [ولما] كان الخلیل علیه السلام اعلم اهل زمانه بالامور الالهیة علم ان اجتماع الملائكة
علی تلك الهیئة التی راهم فیها لیس لهذه البشارة فقط فلذلك استانف تعالی الجواب لمن كانه قال ما كان من حاله وحالهم
بعد هذا بقوله قال مسببا عما راه من حالهم فما خطبكم ای خبركم العظیم ایها المرسلون ای لامر عظیم قالوا
قاطعین بالتاكید بان مضمون خبرهم حتم لا بد منه ولا مدخل للشفاعة فیه انا ارسلنا ای بارسال من تعلم الی قوم مجرمین
ای هم فی غایة القوة علی ما یحاولونه وقد ضیعوا ما انعم الله به علیهم من القوة فی قطع ما یحق وصله ووصل ما یحق قطعه
لنرسل علیهم ای من السماء التی فیها ما وعد العباد به وتوعدوا حجارة من طین ای مهیئا للاحراق والاحراق مسومة
ای معلمة بعلامة العذاب المخصوص [ولما] راوا اهتمامه بالعلم بخبرهم خشیة من ان یكونوا تارة فی مدد وتارة
فی سفر ارسلوا العذاب احد بعد علیه امره امنوا خوفه بوصفها الاحسان فقالوا عند ربك ای المحسن الیك بهذه البشارة
وغیرها للمسرفین ای المتجاوزین للحدود غیر واقفین بما ابیح لهم [ولما] كان من المعلوم ان القوم یكونون تارة فی
مدد وتارة فی سفر وعلم من الایة السابقة ان العذاب مختص بذوی الاسراف سبب عن ذلك مفصلا لخبرهم قوله تعالی
معلما انهم فی مدد فاخرجنا ای بما لنا من العظمة بعد ان ذهبت رسلنا الیهم ووقعت بینهم وبین لوط علیه السلام
محاولات معروفة لم یدع الحال هنا الی ذكرها والملائكة سبب عذابهم واهل القریة المحاولون فی امرهم لا یعرفون
ذلك وهذه العبارة ان كانت اخبارا لنا كانت خبرا عما وقع لنعتبر به وان كانت لابرهیم علیه السلام كان معناها
ان الحكم الاعظم وقع باخراجهم بشارة له بنجاتهم من كان فیها ای قراهم [ولما] كان الاكرم القلب عما والبدن
الذی به صلاحه او فساده فكان علمه افضل الاعمال لانه به یكون استسلام الاعضاء او جماحها بدا به فقال من
المؤمنین ای المصدقین بقلوبهم لانا لا نسویهم بالمجرمین فخلصناهم من العذاب علی قلتهم وضعفهم وقوة المخالفین وكثرتهم
وسبب عن التفتیش والسیر والفرق للظواهر والبواطن قوله فما وجدنا اسند الامر الیه تشریفا لرسله اعلاما
بان فعلهم فعله فیها غیر بیت ای واحد وهو بیت لوط ابن اخی ابرهیم علیهما السلام وقیل كانت عدة الناجین منهم

ثلاثة عشر ولما كان الاسلام قد يطلق على الظاهر فقط وان كان المراد هنا الاخص لحرمه فقال من المسلمين اي
العريقين في الاسلام الظاهر والباطن لله من غير اعتراض اصلا وهم ابرهيم وآله عليهم السلام فانهم اول من وجد منه الاسلام
الاتم وثوابه كما مضى في البقرة وسواه اتباعهم فكان هذا البيت الواحد صادقا عليه الايمان الذي هو التصديق
والاسلام الذي هو الانقياد قال البغوي وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مومن الا وهو مسلم يعني
لما بينهما من التلازم وان اختلف المفهومان وقال الاصبهاني وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر ولما
كان ابقا آثار المهلكين ادل على قدرة من اهلكهم قال وتركنا اي بما لنا من العظمة فيها اي تلك القرى بما اوقعنا بها
من العذاب الذي كان به فوه انسب شي بفعل الذاريات بالسحاب فانا قلعنا قراهم كلها وصعدت في الجو كالغمام الى عنان
السما ولم يشعر احد من اهلها بشي من ذلك ثم قلبت واتبعت الحجارة ثم خسف بها وغمرت بالما الذي لا يشبه شيئا من مياه
الارض كما ان خباثتهم لم تكن تشبه خباثة احد ممن تقدمهم من اهل الارض آية اي علامة عظيمة على قدرتنا على ما نريد للذين
يخافون كما تقدم احرق انهم المقصودون في الحقيقة بالانذار لانهم المنتفعون به دون من قسى قلبه فلم يعتبر العذاب
الاليم اي يخافون كما حل بهذه القرى في الدنيا من رفع الملائكة لهم في الهوى الذاري الى عنان السما وقلبهم واتباعهم الحجارة
المحرقة وغمرهم بالما المناسب لفعلهم بنتنه وعدم نفعه وما ادخر لهم في الاخرة اعظم ولما قدم سبحانه احق
القصص الدالة على قسمه وما اقسم عليه بما فيها من خفاء الاسباب مع وجودها ثم ما فيها من انزال ما به الوعيد من السما بالنار
والما الذي اشير اليه بالمقسمات مع الفرق بين المسلم والمجرم اتبعها قصة من اهلك بحاملات فيها مطر وبرد وما ممطر
كما مضى بيانه في الاعراف ثم بعد ذلك بريح فرقت البحر ونشفت ارضه وادخله فرعون والقبط وهو واضح الامر في
انه سبب هلاكهم وهم لا يشعرون به فقال عاطفا على المقدر في قصة ابرهيم عليه السلام او الظاهر في وفي الارض
او على التي في قوله وتركنا فيها آية للذين يخافون وهذا اقرب من غيره واولى وفي موسى اي في قصته وامره آية على ذلك
عظيمة اذ ارسلناه بعظمتنا الى فرعون الذي كان قد اسى الى ابرهيم عليه السلام بعد عظيم احسانهم اليه والى جميع
قومه بما احسن اليهم يوسف عليه السلام بسلطان مبين اي معجزات ظاهرة في نفسها منادية من شدة ظهورها بانها
معجزة فكان فيها دلالة واضحة على صدق وعيد ومع ذلك فلم ينفعهم علمها ولذلك سبب عنه وعقب به قوله فتولى
اي كلف نفسه الاعراض عنها بعدما دعاه علمها الى الاقبال اليها واشار الى قوله بقوله بركنه اي بسبب ما يركن
اليه من القوة في نفسه وباعوانه وجنوده او بجميع بدنه كناية عن المبالغة في الاعراض وقال معلما بجرمه عما اتاه به
وهو لا يشعر ساحر ثم ناقض كما فضحكم فقال بجملة عما يلزم على قوله او مجنون اي لاجترائه على مع مالي من عظيم الملك
بمثل هذا الذي يدعوا اليه ويتهددني عليه ولما وقعت التسلية بهذا للاوليا قال تعالى محذرا للاعدا فاخذناه
اي غضب وقهر بعظمتنا بما اسند جناه واو هناه به من العذاب الذي منه سحاب حامل ما وبردا ونارا وصواعق
وجنوده اي كلهم فنبذناهم اي طرحناهم طرح مستهين بهم مستخف لهم كما تطرح الحصيات في اليم اي البحر الذي
هو اهل لان يقصد بعد ان سلطنا الريح عليه ففرقته لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه ونشفت ارضه فايبست
ما برزت فيه من الطرق لنجاة اوليائنا وهلاك اعدائنا وهو اي والحال ان فرعون مليم اي آت بما هو بالغ في الغاية
الملامة ويجوز ان يكون حالا من اليم بمعنى انه فعل بهم فعل اللايم لهم من الاهانة اذا بالغ في عذله وصار ذا الائمة اي لم
من الام لازما وان يكون مخففا من لام المهموز فيكون المعنى فهو مصلح اي فاعل فعل المصلحين في انجاء الاوليا واغراق
الاعدا بالانتقام والانطباق عليهم قال في القاموس اللوم العذل لام لوما ولاما ولومة للمبالغة والام اتى
ما يلام عليه او صار ذا لائمة ولائمة بالضم كهمزة ينسبه الى اللوم والمليم اصلية كاللائمة ولامه فالتام وللايم
يونس عليه السلام ان يعبر في حقه بنحو هذه العبارة فان اسباب اللوم تختلف كما ان اسباب المعاصي تختلف في قوله
وعصوا رسله وعصى آدم ربه وبحسب ذلك يكون اختلاف نفس اللوم ونفس المعصية ولما اتم قصة من
جمع له السحاب والما والنار والريح اتبعها قصة من اهلكهم بريح ذارية لم يوجد قط مثلها وكان اصلها موجودا بين ظهرانيهم وهم
لا يشعرون به بل قاربت الوصول اليهم وهم يظنونها مما ينفعهم فقال وفي عاد اي آية عظيمة اذ اي حين ارسلنا اي
بعظمتنا عليهم ارسال العلو والقهر الريح فانهم لم تحمل سحابة سودا ولم تذر ذوا الرمل وترمي بالحجارة على كيفية لا تطاق
العقيم اي التي لا ثمرة لها فلا تلقح شجرا ولا تنشي سحابا ولا تحمل مطرا ولا رحمة فيها ولا بركة فلذلك اهلكتهم هلاك الاستيصال
ثم بين عقمها واعقامها بقوله ما تذر اي تترك على حالة ردية واغرق في النفي فقال من شيء ولما كان اهلاكها
انما هو بالفاعل المختار نبه على ذلك باداة الاستعلا فقال اتت عليه اي اتيانا اراد مرسلها استعلاها على ظاهره
وباطنه واما من اريدت رحمته كهود عليه السلام ومن معه رضي الله عنهم فكانت لهم روحا وراحة لا عليهم الا جعلته

كالرميم

٢١٦

كالرميم اي الشي البالي الذي قد هكته الايام والليالي فصيرته البلى الى حالة الرماد وهو في كلامهم ما يبس من نبات الارض وديس
قال ابن جرير وخرج بالتعبير به هود عليه السلام ومن معه من المومنين رضي الله عنهم فانها تركتهم على حالة حسنة لم يصبهم
منها سوء كما اشير الى مثل ذلك باداة الاستعلا ولما اتم ما اقتضاه سياق السورة من قصة اهل الريح الذارية
اتبعها قصة من اهلكوا بما تحمله السحاب من الصاعقة وما تحمله الريح من صوت الصيحة الراجفة الماحقة فقال وفي ثمود اي
قوم صالح عليه السلام آية عظيمة كذلك اذ اي حين قيل لهم ممن لا يخلف الميعاد تمتعوا اي بلين المساكن وغير مما مكناكم فيه
من الزروع والنخل والابنية في الجبال والسهول وغير ذلك من جلايل الامور على الوجه الذي امرناكم به ولا تطغوا حتى
حين اي وقت ضربناه لآجالكم فعتوا اي اوقعوا بسبب احساننا اليهم العتو وهو التكبر والاباء عن امر ربهم اي مولاهم
الذي اعظم احسانه اليهم فعقروا ناقته وارادوا قتل نبيه عليه السلام فاخذتهم بسبب عتوهم اخذ قهر وعذاب
الصاعقة اي الصيحة العظيمة التي حملتها الريح فاوصلتها الى مسامعهم بغاية العظمة ورجت ديارهم رجة ازالت
ارواحهم بالصعق وقوله وهم ينظرون دال على انها كانت في غمام وكان فيها نار ويجوز مع كونه من النظر ان يكون ايضا من
النظر ان يكون ايضا من الانتظار فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة ايام وجعل لهم في كل يوم علامة وقعت بهم فتحققوا
وقوعه في اليوم الرابع فما اي فتسبب عن ذلك انهم ما استطاعوا اي تمكنوا واكد النفي فقال من قيام اي بعد مجيئها
بل عاجلتهم باهلاكها عن القيام ولما كان الانسان قد لا يتمكن من القيام لعارض في رجليه وينتصر من عدوه بما
يرميه بعقله وتدبير رايه قال وما كانوا اي كونا ما منتصرين اي لم يكن فيهم اهلية الانتصار بوجه لا بانفسهم
ولا بناصر ينصرهم فيطاوعونه في النصرة لان شيوخهم لذلك سقط بكل اعتبار ولما اتم قصة من اهلكوا
بما من شانه الاهلاك وهو الصاعقة اتبعهم قصة من اهلكوا بما من شانه الاحيا وهو الماء الذي هو حامل ما تشتمل عليه
الحاملات التي اتانا بها الذاريات وقد كان موجودا في الارض والسما واسبابه مهياة وهم لا يحسون بشي من ذلك واما
عبادنا المومنون فهيانا لهم اسباب النجاة من السفينة وغيرها واعلمناهم بها فكان كلما اردنا وقاله عنا اولياونا
فقال مغيرا للاسلوب تنبيها على العظمة بنفس الاهلاك لكونه بما شانه الاحيا والابقا وبالتصرف في الاسباب وقوم
اي واهلكنا قوم نوح على ما كان فيهم من الكثرة وقوة المحاولة والقيام بما يريدونه ويجوز ان يكون معطوفا على فيها
اي وتركناهم آية ويحسن هذا الاعراب انهم لكونهم هلكوا جميعا وكانوا جميع اهل الارض وعم عذابهم جميع الارض كانوا
هم آية ويويد هذا الاعراب ايضا قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر عطفا على ضمير فيها ولما كان اهلا
على عظمهم وانتشارهم في بعض الزمان ادخل الجار فقال من قبل اي قبل هذه الامم كلها ثم علل اهلاكهم بقوله انهم
كانوا خلقا وطبعا لا حيلة من اهل الاسباب في صلاحهم قوما اي اقويا فاسقين اي عريقين في الخروج عن حظيرة الدين
ولما كان اهلاكهم بالما الذي نزل من السما وطلع من الارض بغير حساب كان ربما ظن ظان ان ذلك لخلل كان فيهما
ثم اصلح بعد ذلك كما يقع لبعض من يصنع من الملوك صنعا يبالغ في اتقانه فيختل قال عاطفا على ما نصب قوم مبينا
ان فعل ذلك ما كان الا باختياره دالا على وحدانيته لتمام الدلالة على ما تقدم من امر البعث والسما بنيناها بما لنا
من العظمة ولما كانت السما الية لعظمتها وطهارتها قال بايد اي بقوة وشدة عظيمة لا يقدر قدرها
بصفات الالهية قال واكد لما يلزم انكارهم للبعث من الطعن في القدرة وانا على عظمتنا مع ذلك لموسعون اي اغنيا
وقادرون ذوو سعة لا تتناهى اي قدرة من الوسع وهو الطاقة ولذلك اوسعنا مقدار جرمها وما فيها من الرزق
عن اهلها فالارض كلها على اتساعها كالنقطة في وسط دائرة السما بما اقتضته صفة الالهية التي لا يصح فيها الشركة
اصلا ومطيقون لما لا يحصى من امثال ذلك ومما هو اعظم منه بما لا يتناهى ومحيطون بكل شي قدرة وعلما وجديرون وحقيقون
بان يكون ذلك من اوصافنا فنوصف به لما يشاهد لنا من القوة على كل ما نريد فلسنا كمن تعرفون من الملوك لانهم اذا فعلوا
شيا لم يقدروا على اعظم منه وان قدروا كان ذلك منهم بكلفة ومشقة وسترون في اليوم الاخر ما يتلاشى ما ترون في
جنبه ومن اتساعنا جعلها بلا عمد مع ما هي عليه من العظمة الى غير ذلك من الامور الخارقة للعوائد والارض فرشناها
كذلك بما لنا من العظمة فصارت مهادا جديرة بان تستقر عليها الاشيا وبيانه على تمهيدنا الارض للجنة وشققنا لانهارها
وغرسنا لاشجارها فنعم اي فتسبب عن ذلك انا نعالي في وصفنا بنعم الماهدون اي نحن لحكم القدرتنا فما نزل من السما
ولا نبع من الارض شي الا بارادتنا واختيارنا وتقديرنا من الازل لانا اذا اصنعنا شيا علمنا ما يكون منه من حين انشايه
الى حين افنايه ولا يكون شي منه الا بتقديرنا وذلك تذكير بالجنة والنار فما فيهما من خير فهو آية على الجنة وما فيهما من جبال
ووهاد ووعر وحزونة فهو آية على النار ولما كان خلق الاشيا المتضادة من الشي الواحد دالا على القدرة
من هذا الوجه قال ومن كل شي اي من الحيوان وغيره خلقنا بعظمتنا ولما كان الفلاسفة يقولون انه لا

يشاغل الوحيد الا الواحد قال ردا عليهم زوجين اى شيئا مثله شيئين كل منهما لا يزاوج الاخر من وجه وان خالفه من اخر ولا
يتم نفع احدهما الا بالاخر من الحيوان والنبات وغيرهما ويدخل فيه الاضداد من الغنى والفقر والحسن والقبح والحياة والموت
والظلام والنور والليل والنهار والصحة والسقم والبر والبحر والسهل والجبل والشمس والقمر والحر والبرد اللذين
ما من نفس حيوان الا بينة عليهما ونبأنها على الاعتدال في بعض الاحوال انه على الجنة مذكرة بها مشوقة اليها ولما
كان ذلك في غاية الدلالة على ان كلا من الزوجين محتاج الى الاخر وانه لا بد ان ينتهي الامر الى واحد لا مثل له وانه لا يحتاج
ذلك بعد التنبيه الى كبير تامل قال لعلكم تذكرون فادغم تاء التفعل لدلالة على العلاج والاجتهاد في العمل فصار
المعنى لتكونوا عند من ينظر ذلك حق النظر على رجاء من ان يتذكروا قليلا من التذكر فيهديكم الى سواء السبيل ولما
كان كل شيء من سواه لا بد له من ضد يضاده او قرين يسد مسده واما هو سبحانه فلا مثل له لانه لو كان له مثل لنازعه
فلم يقدر على كل ما يريد وثبت انه اهلك القرون الاولى لمخالفة الرسل عليهم السلام فثبت ان وراء المكلفين عذابا
يحق لهم الفرار منه وثبت ان كل شيء غيره محتاج الى زوجه فثبت حاجة الكل وانه لا كفاية عند شيء في كل ما يرام منه وجب
ان لا يفزع الا الى الواحد الغنى فسبب عن ذلك قوله ففروا اى اقبلوا والجئوا ولما درب عباده في هذه السورة
بصفة الربوبية كثيرا فاهلوا الى النفوذ في الغيب وكانت العبادة لا تكون خالصة الا ان علقت بالذات لا لشيء اخر
ذكر اسم الذات فقال إلى الله اى الذى لا سمى له فضلا عن مكافى وله الكمال كله فهو في غاية العلو فلا يغير ولا يسكن احد الى محتاج
مثله فان المحتاج لا غنى عنده ولا يفر اليه سبحانه الا من تجرد عن حضيض عوائقه الجسمية الى اوج صفاته الروحانية
وذلك من وعيده الى وعد الله الذى دل عليهما بالزوجين فتكفل السياق بالتحذير والاستعطاف بالاستدعاء فهو من باب لا ملجا
منك الا اليك اعوذ بك منك واستمر الى اخر السورة في ذكره اشارة الى علو امره ثم علل بقوله مؤكدا لما لهم من الانكار انى لكم
منه اى لا من غيره نذير اى من ان يفر احد الى غيره فانه لا يحصل له قصده ولما اقام الدليل العقلى الظاهر جدا بما
يعلمه كل احد في نفسه على ما قاله في هذا الكلام الوجيز قال مبين ففرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا ومن الكسل
الى التشمير حذرا وحزما ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء وفرار الخاصة من الخبر الى الشهود ومن الرسوم الى الاصول ومن
الحظوظ الى التجريد وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق الى الحق شهودا استهتارا في شهود جلاله واستغراقا في وحدانيته
قال القشيري ومن صح فراره الى الله صح قراره مع الله انتهى وهو بكمال المتابعة لا بغير غير ومن فهم منه اتحادا بذات او صفة
فقد نابذ طريق القوم فعليه لعنة الله ولما ثبت انه لا ملجأ الا الى الواحد المنزه عن الزوج وذلك هو الله
الذي له الكمال كله وكان ربما وقع في وهم ان في الوجود من غير الزوجين المعروفين من يفزع اليه كما يفزع الى وزير الملك
وبوابه ونحو ذلك مما يوصل اليه قال محذرا من سطواته ولا تجعلوا اى باهوائكم مع الله وكرر الاسم الاعظم ولم يضمر
تعيينا للمراد لانه لم يشاركه في التسمية به احد وتنبيها على ما له من صفات الكمال وتعميما لوجوه المقاصد لئلا يظن لو
قيل معه ان المراد النهى عن الجعل من جهة الفرار لا من جهة غيرها الها ولما كان المراد كمال البيان منع مجاز
التجريد ومنع تعنت من يطعن بتكثير الاسماء كما اشار اليه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية بقوله آخر ثم علل النهى مع
التأكيد لطعنهم في نذارته فقال إنى لكم منه اى لا من غيره فان غيره لا يقدر على شيء نذير اى محذر من الهلاك الابدى بالعذاب
التي الاخلاص منها ان تعلموا ذلك مبين اى لا اقول شيئا من واضح النقل الا ودليله ظاهر من صريح العقل ولما ذكر قولهم
المختلف الذى منه تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبته الى السحر والجنون وغير ذلك من الفنون ومنه الاشراك
مع اعترافهم بانه لا خالق الا الله ولا كاشف للضر غيره الى غير ذلك من انواع الاضطراب واخبر بهلاكهم على ذلك وحذرهم
منه ودل عليه الى ان ختم بانذار من اتخذ الها غيره قال مسليا كذلك اى مثل قول قومك المختلف العظيم الشناعة
البعيد من الصواب بما له من الاضطراب وقع لمن قبلهم ودل على هذا المقدر بقوله مستأنفا ما اتى الذين ولما كان
الرسل انما كان ارسالهم في بعض الازمان الماضية ولم يستغرقوا جميعها بالفعل اثبت الجار في قوله من قبلهم وعمم
النفى بقوله من رسول اى من عند الله الا قالوا اى ولو بعضهم من صنفى المنافين ساحر او مجنون لان الرسول يأتيهم
بمخالفة مالوفاتهم التي قادتهم اليها اهواؤهم والهوى هو الذي اوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء كانت او للتفصيل
بان بعضهم قال واحدا وبعضهم قال الاخر او كانت للشك لان الساحر يكون لبيبا فطنا اتيا بما يعجز عنه كثير من الناس والمجنون
بضد ذلك كلهم عجب منهم بقوله أتواصوا به اى اوصى بهذا بعض الاولين والاخرين بعضا ولما كان
هذا في اسلوب الاستفهام اشارة الى انه قول ينبغي السؤال عن سببه لما له من الخفاء اجاب عنه بانهم لم يتواصوا به لان
الاولين ما اجتمعوا مع الاخرين بل هم لم يجتمعوا في وصف اداهم الى ذلك وهو انهم قوم ذوو شماخة وكبر طاغون
اى عالون في الكفر مسرفون في المعاصي والظلم مجاوزون للمقدار واشار بالضمير الى ان الطغيان امر ذاتي لهم فهو

نحو

نحو منه سبحانه بانه هو الذي قدرهم بسوقهم الى هلاكهم بقدرته التامة وعلمه الشامل ولما كان صلى الله عليه
وسلم يكاد يتلف نفسه الشريفة بابى هو وامى غما عليهم واسفا لتخلفهم عن الاسلام وخوفا ان لا يكون وفى بما عليه
من التنبيه والابلاغ سبب تعالى عن حالهم قوله فتول عنهم اى كلف نفسك الاعراض عن الابلاغ في ابلاغهم بالمجادلة لهم
والصدع بالتغليظ بعد ما تقدم منك من الابلاغ فما انت بسبب الاعراض بعد الانذار بملوم اى بمستحق للملامة بسبب
اعراض من اعرض منهم عنك فانى انما حكمت بذلك لانى قسمت الناس الى مؤمن تنفعه الذكرى وطائع لا ينفعه شيء ولذلك كله
وذكر اى بالرفق واللين ولما اصروا على التكذيب والاعراض حتى ايس منهم اكد ما سببه عن التذكير بقوله فان
الذكرى اى التذكرة البليغة تنفع المؤمنين اى الذين قدر الله ان يصيروا واعرقين في وصف الايمان ولا بد من اكثار
التذكير ليغلب ما عندهم من نوازع الحظوظ وصوارف الشهوات مع ما هم مجبولون عليه من النسيان ولما
كان هذا ربما اوهم ان سواهم عن مقصود علمهم قال مؤكدا بالحصر دالا على انه هو الذى قسم الناس الى طاغين ومؤمنين
بالعطف على ما تقديره فما حكم عليهم بذلك الضلال والهدى غيرى وما ارسلت الرسل وانزلت الكتب الا لاستجلاء
المؤمنين واقامة الحجة على الضالين وما خلقت الجن والانس الذين اكثرهم كافرون الا ليعبدون اى ليعبروا ويخضعوا
على وجه ينفعون به انفسهم او يضرونها لا لشيء يلحقني انا منه شيء من نفع او ضر فاني بنيتهم على العجز واودعتهم نوازع
الهوى وركبت فيهم غرائز فمتناهم به لاتباع الهدى فمن اطاع عقله كان عابدا لي فارا الي مع جريه تحت الارادة عبادة
شرعية امرية يستفيد بها الثواب ومن اطاع الهوى كان عابدا لي مع مخالفة امرى عبادة ارادية قسرية يستحق
بها العقاب وكل تابع لهواه اذا حقق النظر علم ان الخير في غير ما هو مرتكبه فما الزمه ما هو فيه مع علمه بان غيره
خير منه الا قهر ارادتى فهذه عبادة لغوية وتلك عبادة شرعية وقد مر في اخر هود ما ينفع هنا وهذا كله معنى
قول ابن عباس الا ليعبدون الى بالعبودية طوعا وكرها ولما حصر سبحانه خلقهم في ارادة العبادة صرح بهذا
المفهوم بقوله ما اريد منهم اى في وقت من الاوقات وعم في النفى بقوله من رزق اى شيء من الاشياء على وجه ينفعنى من جلب
او دفع لانى منزه عن لحاق نفع او ضر كما يفعل غيرى من الموالى بعبيدهم من الاستكثار بغلاتهم والاستعانة بقواتهم لانى
الغنى المطلق وكل شيء مفتقر الى وما اريد اصلا ان يطعمون اى ان يرزقون رزقا خاصا هو الاطعام وفيه تعريض
باصنامهم فانهم كانوا يجعلون معها ما ينفعها ويحضرون لها الماكل فربما اكلتها الكلاب ثم بالت على الاصنام ثم
لا ينهاهم ذلك وهذه الاية دليل على ان الرزق اعم من الاكل وان التعبير بالارادة دال على ما قلت انه مقصود بالعبادة
هو الجارى تحت الارادة تارة بموافقة الشرع وتارة بمخالفته ولما كان الاهتمام بامر الرزق وقد ضمنه
سبحانه شاغلا عن كثير من العبادة وكان الانسان يظن ان الذى حصل له ما حوله من الرزق سعيه قال حاصرا ذلك
مؤكدا ازالة لذلك الظنون معللا لافتا الكلام الى سياق الاسم الاعظم الذي لم يتسم به غيره نصا على المراد
وبالغا من الارشاد اقصى المراد ان الله اى المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن جميع شوائب النقص هو اى لا غيره
الرزاق اى على سبيل التكرار لكل حي وفي كل وقت ثم وصفه بما يبين هوان ذلك عنده فقال ذو القوة اى التي لا
تزول بوجه المتين اى الشديد الدائم الشدة ولما اقسم سبحانه على الصدق في وعيدهم ودل على ذلك
حتى ختم بقصر جميع احوالهم على ارادته وختم بقوته التي لا حد لها سبب عن ذلك ايقاعه بالمتوعدين فقال مؤكدا لاجل
انكارهم فان للذين ظلموا اى اوقعوا الاشياء في غير مواقعها ولما كان القسم على ما يوعدون بما حمل المطر عبر
عن نصيبهم الذي قدره عليهم من ذلك بقوله ذنوبا اى حظا من العذاب طويل الشر كانه من طوله صاحب ذنب وهو
على ذنوبهم مثل ذنوب اصحابهم اى الذين تقدم ظلمهم بتكذيب الرسل وهو في مشابهته له كالدلو الذى يساجل به
دلو اخر وذلك دليل واضح على ان ما يوعدون صادق وان الدين واقع فلا يستعجلون اى يطلبوا ان ياتيهم به قبل اوانه
الاخروية فان ذلك لا يفعله الا ناقص وانا متعال عن ذلك لا اخاف الفوت ولا يلحقني عجز ولا اوصف به ولا بد ان اوقعه
بهم في الوقت الذى قضيت به في الازل لانه احق الاوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم وحينئذ يعلمون ما له من شديد
ما اقطعه ووعيد ما اعظمه واوجعه امر الابد فعله دائم ولا يمنع وقوعه مانع ولما كان سبب عنه قوله فويل
اى شر حال وعذاب يوجب الندب والتفجع للذين كفروا اى ستروا ما ظهر من هذه الادلة التي لا يسع عاقلا انكارها من
يومهم اضافه اليهم لانه خاص بهم دون المؤمنين الذي يوعدون في الدنيا والاخرة وقد ارتقى اخرها على اولها بعدد
الوعيد وثبت بالدليل القطعي ذلك القسم الاكيد

سورة الطور

مقصودها تحقيق وقوع العذاب الذى
هو مضمون الوعيد المقسم على وقوعه في الذاريات الذى هو مضمون الانذار المدلول على صدقه في ق وان وقوعه اثبت واملى
من الجبال التي اخبر الصادق بسيرها وجعل دك بعضها اية على ذلك ومن الكتاب في اثبت اوضاعه لامكان غسله وحرقه

ومن البيت الذي يمكن عامره وغيره احرامه والسقف الذي يمكن رافعه وضعه والبحر الذي يمكن من سجره ان يرسله وقد بان انه انها
ادل ما يكون على ذلك بملاحظة القسم وجوابه حتى بمفردات الالفاظ في خطابه بسم الله الملك الاعظم ذي الملك والملكوت
الرحمن الذي عم بالرحموت من حقيقة الثبوت الرحيم الذي خص برحمة توفيقه اهل القنوت ولما ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد
افتتحت هذه باثبات العذاب الذي هو روح الوعيد فقال تعالى والطور وذلك انهم لما كانوا يقولون عما اتاهم به الرسول صلى الله
عليه وسلم انه سحر خيال لا حقيقة له اقسم بالجبل الذي هو عندهم وعند غيرهم من ذوي العقول اثبت الارض واشدها واصلبها
وعبر عنه بالطور لانه مشترك بين مطلق الجبل وبين المضاف الى سينا الذي كان فيه نبوة موسى عليه السلام وانزال كثير من كتابه
وغير ذلك آيات يعلمها بنو اسرائيل الذين يستنصحونهم ويسالونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ويرضون بقولهم فيه فمن آياته انه
كانت فيه الرحمة بمناجاة موسى عليه السلام وما كتب له فيه على الواح الجوهر وما انزل عليه من الناموس الذي جعله هدى
ورحمة وموعظة وذكرا وتفصيلا لكل شيء وكان فيه مع الرحمة العذاب بما اتاهم من الصاعقة التي اماتتهم ثم احياهم الله وبما
كانوا يشاهدون من السحاب الذي يجلله فيكون كتنار الاتون وفيه بروق كاعظم ما يشاهد من النار وابواق ترعو بصوت
هائل ولما شوهد من اندكاك الجبل عند التجلي وصعق موسى عليه السلام الى غير ذلك من الآيات التي بعضها يكشف الظلمات
وايضا فالطور كل جبل ينبت وانبات الجبل عجيب فان نباته لا يكون الا بسبب وسبب النبات الماء والماء منبث في الارض
لتركبها عليه وهو مواز لما انكشف منه من ماء البحار وكلما علت الارض بعدت عن الماء والجبال ابعدها منه فسبب انباته
خفي جدا لا يعلمه الا الله ومن فهمه اياه ولما كانت الارض لوح السماء التي منها الوعيد وكانت الجبال اشدها فذكر
اعظمها آية وكان الكتاب لوح الكاتب وكانت الكتب الالهية اثبت الكتب وكان طور سينا قد نزل فيه كتاب الهي قال وكتاب وحقق
امره بقوله مسطور اي متقن الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة لكتاب موسى عليه السلام الذي
انزله عليه وكلمه بكثير منه في الطور وتنكيره للتعظيم لانه ان كان المراد به الكتب الالهية فهو اثبت الاشيا وان كان المراد القرآن
بخصوصه فهو اثبتها لانه لا مبدل لكلماته وان كان المراد صحيفة قريش فقد كانوا اوطنوها اثبت العهود وذكر امتن ما يكتب فيه ولينه
واشده واتقنه فقال في رق اي جلد مهيأ بالقشر للكتابة منشور اي مهيأ للقراءة والاتعاظ بما فيه ويمكن ان يكون المراد به
جميع الكتب المنزلة عاما بعد خاص قال الرازي قال الصادق ان الله تجلى لعبده بكتابه كما تجلى بالطور ولما كان محلا للتجلي خلقا
والكتاب لما كان محلا للتجلي امرا اجراهما في قرن انتهى ويجوز ان يكون ارادته سبحانه صحيفة الظلم التي كتبوها بما تعاقدوا عليه
من انهم لا يعاشرون بني هاشم ولا يكالمونهم ولا يبايعونهم ولا يشاورونهم ولا يناكحونهم ولا يوازرونهم ولا يعاملونهم حتى
يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقوها في جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم الى شعب ابي طالب خلف ابي قبيس ومعهم
بنو المطلب رهط امامنا الشافعي فتحيزوا معهم من بين عبد مناف فكان ذلك سبب شرفهم على مدى الدهر فارسل الله على
الصحيفة بعد ان مضى على ذلك سنتان حين جهدهم العيش وعضهم الزمان وزلزلتهم الزعازع زلزالا شديدا وهم ثابتون
ليظهر الله بذلك شرف من شاء من عباده الارضة فابقت ما فيها من اسماء الله ومحت ما كان من ظلمهم وقطيعتهم فكان
ذلك سببا لان قام في نقضها معشر منهم فنقضها الله بهم وكانوا اذ ذاك كفرة كلهم ليظهر قدرته سبحانه على كل من النقض
والابرام بما شاء ومن شاء والبيت المعمور الذي هو قيام للناس كما كانت قبة الزمان قياما لبني اسرائيل هذا ان كان تعالى
اراد به الكعبة التي علقوا فيها الصحيفة بعد ان كانوا لما عمروها اختلفوا فيمن يضع الحجر الاسود في موضعه وزاد بهم
الاختلاف حتى تهيئوا للقتال وتحالفوا عليه فكان منهم لعقة الدم ومنهم المطيبون كما هو مشهور في السير ثم اتفقوا انه
رضوا ان يحكم بينهم اول داخل من باب بني شيبة فكان اول داخل منه النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا باجمعهم هذا محمد هذا
الامين رضينا بحكمه فحكم صلى الله عليه وسلم بان يضع الحجر الشريف في ثوب وياخذ رئيس كل قبيلة بطرف من اطرافه
ويرفعوه كلهم فلما وازى موضعه اخذه هو صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فوضعه موضعه فكان الفخر له مضاعفا
بحمله واصلاحه بينهم واختصاصه بوضعه وهو معمور بالزوار والخدمة ولذة الغاشية ولما كان البيت
لا بد في مسماه من السقف قال والسقف المرفوع يريد سقف الكعبة اشارة الى انه محكم البنا مغلق الباب متقن السقف
اتقانا هو اعظم من اتقان قبة الزمان التي شاهد فيها بنو اسرائيل من العظمة الالهية والجلال ما ان ما انبئوهم عنه اخبروكم به
ومع ذلك سلط على الصحيفة التي في جوفه ولعلها كانت في سقفه بحيث لا يصل اليها احد ما افسدها تحقيقا للنبوة بما اراد
من امره تحذيرا مما توعد به ويمكن ان يراد به مع ذلك السما التي فيها ما يوعدون ومن المعلوم لكل ذي عقل ان قل السقوف
يرتفع بغير عمد الا باسباب لا ترى فلا شك بالسماء التي لها من السعة والعظمة والنجوم وما فيها من الكواكب ما لها مما لا تسع
العقول شرحه وهم لا ينظرون اسبابه كما قال تعالى بغير عمد ترونها ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال انه العرش
وهو سقف الجنة ولما كان الماء اقوى من كل ما تقدم ختم به فقال والبحر المسجور اي الذي فيه من الماء اكثر من ملئه

وهو ساجر اي مانعه كما يمنع الكلب بساجوره عن الانبساح ولو اراد خلاه فانه قوي فجرى فاهلك ما مر عليه من جبل وكتاب
وبيت كما شوهد لما سجره سبحانه لبني اسرائيل فانفلق وتشققت ارضه ثم لما اراد سيبه على الفرعون فغرقهم به فاهلكهم
حتى لم يبق منهم احدا ولما اقسم بما يدل على نبوة موسى عليه السلام وتلك مما اشار الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وشيء مما هو مشترك بينهما وكان الاول معدا للدلالة على استقرار الارض والثالث على صلاحها للسكنى والثاني على الحافظ
في ذلك والرابع بما كمل المنافع وحد من السقوط كما خوف بالاول من الخسف وختم بما دل على ما اريد بالاول من الاستقرار لانه لو كان
سيل لانطلق البحر الى جهته اجاب القسم بقوله ان عذاب ولما كان سبحانه عظيم الاكرام له صلى الله عليه وسلم
اضاف العذاب الى صفة الاحسان والتربية الخاصة به واضاف الصفة الى ضميره ايذانا بانه يريه في امته ما يسره
وان مماثلة ذنوبهم لذنوب اصحابهم الماضين انما هي في مجرد الاذلال لا في انه يستاصلهم كما استاصل اولئك فقال ربك
اي الذي تولى تربيتك اي عذاب اراده بكل من اراده به لا سيما المعادي لاوليائه سبحانه لواقع اي ثابت نازل بمن اراده
نزول ما هو ثقيل من مكان عال كما انه لو اراد لقلب الارض التي تثبتها واوقع السقف الذي رفعه واطلق البحر الذي
سجره لما علم من طلاقة البحر بعد فلقه على الفرعون حتى اغرقهم به ماله من دافع لانه لا شريك له يوقعه لما دلت عليه هذه
الاقسام من كمال قدرته وجلال حكمته وضبط اعمال العباد للمجازاة سواء قلنا ان الكتاب هو الذي تكتبه الحفظة
او الذي يضبطه الدين فكما اوقع الخزي بهم في الصحيفة ونقض معاقدتهم وفض جمعهم واخرج معاشرك من ذلك الضيق
فكذلك يؤيدك حتى يوقع بهم ويفض جمعهم وتكسر شوكتهم وتقتل سرواتهم ويظهر دينك على دينهم ويصير من بقي منهم
من حزبك وانصار دينك قال البغوي قال جبير بن مطعم رضي الله عنه قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم في اسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله
ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم اكن اسلمت يومئذ فاسلمت خوفا من نزول العذاب ما كنت
اظن ان اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما توعد تعالى كفار قريش ومن كان على طريقتهم
من سائر من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيصيبهم ما اصاب غيرهم من مكذبي الامم المنبه على ذكرهم في
السورة قبل ثم اشار سبحانه الى عظيم ما ينالهم من الخزي واليم العذاب بقوله فويل للذين كفروا من يومهم الذي
يوعدون اقسم سبحانه على صحة ذلك ووقوعه والعياذ به سبحانه من سخطه واليم عذابه فقال تعالى والطور الى
قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع ثم اوما سبحانه الى مستحقيه ومستوجبيه فقال فويل يومئذ للمكذبين ثم ذكر
ما يعنفون به ويوبخون على ما سلف منهم من نسبته عليه السلام الى السحر وتكذيبه فقال ذوقوا عذاب النار التي كنتم
بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون ثم اعقب بذكر حال المومنين المستجيبين ثم ذكر اثر اعلامه بحال الفريقين نعمته
على نبيه عليه السلام وعصمته ووقايته مما تقوله المفترون فقال تعالى فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ثم جرت
الآي على توبيخهم في مقالاتهم ووهن انتقالاتهم فمرة يقولون كاهن ومرة يقولون مجنون ومرة يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
توبيخهم على ذلك كله وبين كذبهم وارغمهم واسقط ما بايديهم بقوله فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وهذا هو
السقط لما تقولوه اولا واخرا وهو الذي لم يجدوا عنه جوابا ورضوا بالسيف والجلا ولم يتعرضوا لتعاطي معارضته
وهذا هو الوارد في قوله تعالى في صدر سورة البقرة وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآيات فما نطقوا في جوابه ببنت
شفة قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله فسار له من جملة آية باهرة وحجة قاهرة
انتهى ولما اثبت وقوع العذاب فتشوفت نفس الموقن الى وقته قال مستانفا ببيان انه واقع على تلك الصفة
يوم تمور اي تتحرك وتضطرب وتجيء وتذهب وتتكفأ تكفؤ السفينة وتدور دوران الرحى ويموج بعضها في بعض
وتختلف اجزاؤها بعضها في بعض ولا تزول عن مكان قال البغوي والمور يجمع هذه المعاني وهو في اللغة الذهاب والمجيء
والتردد والدوران والاضطراب قال الرازي وقيل تجيء وتذهب كالدخان ثم تضمحل السماء التي هي سقف بيتكم
الارض مورا اي اضطرابا شديدا وتسير الجبال اي تنتقل من اماكنها انتقال السحاب وحقق معناه بقوله سيرا
لتصير هباء منثورا وتكون الارض قاعا صفصفا ولما حقق العذاب وبين يومه بين اهله بقوله مسببا عن
ذلك فويل وهي كلمة يقولونها لمن وقع في هلاك ومعناها حلول شر فاضح يتلون فيه نديه وتفجع يومئذ اي يوم اذ يكون
ما تقدم ذكره للمكذبين اي العريقين في التكذيب وهم من مات على نسبة الصادقين الى الكذب ولما كان
التكذيب قد يكون في محله بين ان المراد تكذيب ما محله الصدق فقال الذين هم اي من بين الناس بظواهرهم وبواطنهم
في خوض اي اعمالهم واقوالهم اعمال الخائض في ماء فهو لا يدري اين يضع رجله ولما كان ذلك قد يكون مرة هشة
بهم او غم نفى ذلك بقوله يلعبون فاجتمع عليهم امران موجبان للباطل الخوض واللعب فهم بحيث لا يكاد يقع لهم

قول ولا فعل في موضعه فلا تونس على بيان او حجة ولما صور نكيرهم باشنع صورة بين وقتهم ببيان ظرفه وما يفعل به
فقال يوم يدعون اي يدفعون دفعا عظيما بشدة بجفوة وغلظة من كل من يقيمه الله لذلك ذاهبين ومنتهين الى نار جهنم
وهي الطبقة التي تلقاهم بالعبوسة والكراهة والتغيظ والزفير واكد المعنى وحققه بقوله دعا قال البغوي وذلك ان خزنة
جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعونهم دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم مقولا لهم تبكيتا
وتوبيخا هذه النار اي الجسم المحرق المفسد لما اتى عليه الشاغل عن اللعب التي كنتم بجلافتكم الفاسدة ولما
كان تكذيبهم بها في اقصى درجات التكذيب وكان سببا لكل تكذيب كانه مقصور عليها قدم المعمول للظرف اشارة الى
ذلك بها تكذبون اي في الدنيا على التجديد والاستمرار ولما كانوا يقولون عنادا ان القرآن بما فيه من الوعيد
سحر سبب عن ذلك الوعيد قوله مبكتا موبخا متهكما افسحر هذا اي الذي انتم فيه من العذاب مع هذا الاحراق الذي تعلمونه
منه ام انتم في منام او نحوه لا تبصرون بالقلوب كما كنتم تقولون في الدنيا قلوبنا في اكنة ولا بالاعين كما كنتم تقولون
للمنذر من بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون اي انتم عمي عن المخبر عنه مع احراقه لكم كما كنتم عميا عن الخبر اي هل تستطيعون
ان تقولوا انكم لا تبصرون المخبر عنه كما كنتم تقولون في الخبر كذبا وفجورا ثم يقال لهم بعد هذا التبكيت الذي يقطع بان جوابهم
يكون بان يقولوا لا وعزة ربنا ما هو سحر ولا خيال بل هو حقيقة ونحن له في غاية الابصار على سبيل الاخزاء والاذلال والاهانة
اصلوها اي باشروا حرها وقاسوه واصلوهم كما كنتم تواصلون اذى عباد الله بما يحرق قلوبهم فاصبروا اي فيتسبب عن تكذيبكم
في الدنيا ومباشرتكم لها الآن ان يقال لكم اصبروا على هذا الذي لا طاقة لكم به او لا تصبروا فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم
اي الصبر والجزع ولما كان المعهود ان الصبر له مزية على الجزع بين ان ذلك حيث لا تكون المصيبة على وجه الجزاء الواجب
وقوعه فقال معللا انما تجزون اي يقع جزاؤكم الآن وفيما ياتي على الدوام ما كنتم اي دائما بما هو لكم كالجبلة تعملون مما يحرق
الاولياء غير مبالين بهم فكان هذا الحرق فعلكم بهم ولما ذكر ما للمكذبين من العذاب المشار اليه بكليات القسم اتبعه
ما لاضدادهم من الثواب المنبه عليه ايضا بتلك الكلمات ليتم الخبر ترغيبا وترهيبا فقال جوابا لمن كانه قال فما لمن عاداهم فكان
مؤكدا لما للكفار من التكذيب ان المتقين اي الذين صارت التقوى لهم صفة راسخة في جنات اي بساتين ذات اشجار دائما في الدنيا
حكما وفي الآخرة حقيقة ولما كانت البساتين ربما تشقي بهاد اكلها او صاحبها قال ونعيم اي نعيم في العاجل معنى
بما هم فيه من الانس وفي الآجل بالفعل وزاد في تحقيق التنعم بقوله فاكهين اي متلذذين معجبين ناعمين بما آتاهم ربهم الذي
تولى تربيتهم بتعليمهم الطاعات الى ان اوصلهم الى هذا النعيم فهو لا عظمته من عظمته لا يبلغ كنه وصفه ولما
كان المنعم قد يكون نعمته بعد عذاب بين انهم ليسوا كذلك فقال ووقاهم اي قبل ذلك ربهم اي المحسن بتربيتهم بكفهم
بكفهم عن المعاصي والفاد وورات عذاب الجحيم اي النار الشديدة التوقد ولما كان من باشر النعمة وجانب النقمة
هنا عظيم قال مترجما لذلك على تقدير القول كلوا اي اكلا هنيئا واشربوا شربا هنيئا اي لا تنغيص فيه وهو صفة في موضع المصدر
اي هنئتم بمعنى ان كل ما تتناولونه مامون العاقبة من التخمة والسقم ونحوهما بما كنتم اي كونا راسخا تعملون اي مجددين له
على سبيل الاستمرار حتى كانه طبع لكم ولما كان النعيم لا يتم الا بان يكون الانسان نخوة وما نبه عليه بقوله متكئين اي
مستندين استناد راحة لانهم مخدومون فلا حاجة بهم الى الحركة على سرر مصفوفة اي منصوبة واحدا الى جنب واحد مستوية
كانها السطور على احسن نظام وابدعه قال الاصبهاني والصف مد الشيء على الولاء ولما كان السرور لا يتم الا بالتمتع
بالنساء قال وزوجناهم اي بما يليق بما لنا من العظمة ولما كانت تلك الدار غنية عن الاسباب فكانوا اغنياء
عن العقد قال مشيرا بالباء الى صرف الفعل عن ظاهره فانه اذا كان بمعنى النكاح تعدى بنفسه وتضمين الفعل قربناهم اي جعلناهم
ازواجا مقترنين بحور اي نساء بيض في شدة بياض العين وشدة سواد سوادها واستدارة حدقتها ورقة جفونها في غاية
لا توصف عين اي واسعات الاعين في رونق وحسن ولما وصف حال المتقين من اعداء المكذبين وبدا بهم لشرفهم
اتبعهم من هو ادنى منهم حالا لتكون النعمة تامة فقال والذين آمنوا يعني اقروا بالايمان ولم يبدلوا ولا بالغوا في الاعمال الصالحة
ولما كان من هؤلاء من لا يتبعه ذريته بسبب ايمانه لانه يرتد عنه عطف على فعلهم تمييزا لهم واحترازا عمن لم يثبت قوله
واتبعتهم اي بما لنا من الفضل الناشئ عما لنا من العظمة ذرياتهم الصغار والكبار وان كثروا وافرادا عنهم فالكبار بايمانهم
والصغار بايمان آبائهم بايمان اي بسبب ايمان حاصل منهم ولو كان في ادنى درجات الايمان ولكنهم ثبتوا عليه الى ان ماتوا وذلك
هو شرط اتباعهم الذريات ويجوز ان يراد وهو اقرب بسبب ايمان الذرية حقيقة ان كانوا كبارا وحكما ان كانوا صغارا ثم اخبر
عن الموصول بقوله الحقنا بهم اي بفضلنا لاجل عمل آبائهم ذرياتهم وان لم يكن للذرية اعمال لانه لعين تجاري الفعين وتكرم
ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها اخذ لعلم او عمل كانت اجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة
وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب في جواب من سال عمن يحب القوم ولما يلحق بهم ولما كان ربما

خيف

بياض م

خيف ان ينقص الآباء بسبب الحاق ذرياتهم بهم شيئا من درجاتهم قال وما التناهم اي نقصنا الآباء وحبسنا عنهم من عملهم
واكد النفي بقوله من شيء اي بسبب هذا الالحاق ولما اثبت سبحانه للذين آمنوا هذا الالحاق وكان من فوقهم
من الذين يؤمنون والمؤمنين والمتقين وغيرهم اولى منهم وانما فصلهم منهم لان هؤلاء قد لا يؤتون قبل دخول الجنة العذاب
جامعا للقرينين ويقال ولعله اقرب انه لما ذكر اتباع الادنى للاعلى في الخير فضلا اشفقت النفس من ان يكون اتباع في الشر
فاجاب تعالى بانه لا يفعل بقوله كل امرئ اي من الذين آمنوا والمتقين وغيرهم بما كسب اي من ولد وغيره رهين اي مسابق ومخاطر
ومطلوب ومأخوذ شيئا بدل كسبه وموفي على قدر ما يستحقه ومحتبس به ان كان عاصيا فمن كان صالحا كان اخذا بسبب صلاحه
وكل لانه كسبه ولا يؤخذ به الا وهو حسن في نفسه لاجل الحكم بايمانه سواء كان حقيقة او حكما وكل حسن مرتفع فلذلك
يلحق بابيه واما الاساءة فقاصرة على صاحبها يؤخذ بها ويرهن بذنبه ولا يؤخذ بذنب غيره والحاصل ان المعالي التي هي كالحياة
تتعدى من صاحبها على غيره فتحييه والمساوي التي هي كالموت لا تتعدى صاحبها قال الرازي في اللوامع اعلم ان الذوات بقاؤها
ودوامها النفوس الانسانية ذوات وصورها علومها واخلاقها فحيثما كانت العلوم حق اليقين ثم عين اليقين والاخلاق مقومة
على نهج الشرع المبين كانت النفوس دائمة بدوامها غير مستحيلة اذ لا تتطرق الاستحالة الى اليقين والعلم الحق وغير كائنة ولا
فاسدة اذ ليس غير اليقين ولا العلوم الحقيقية من عالم الكون والفساد وان لم تبلغ النفس الى كمال اليقين فتعلقت بذيل
صاحبه كالحي ينخرط الانسان في سلك محبيه ولو احبكم حجر الحشر معه فان الدين هو الحب في الله والبغض في الله
ولهذا اكتفى الشرع من المكلفين بالاسلام والتسليم والتفويض والتحكيم دون الموقوف على المسائل الغويصة بالبراهين الموضحة
الصحيحة فما لم يبلغ الولد حد التكليف واخترم الحقوا بآبائهم وحكم عليهم بحكم عقائدهم وآرائهم حتى يكون حكم آبائهم جاريا
عليهم وحكم القيمة ما في ذراريهم واما اذا كانت الصور القائمة بالذوات مستحيلة بان كانت جهلا او باطلا ينقص او لد احرح
واحر اوله كان ذات النفس لا تنعدم ولا تفنى بل تبقى على حال لا تموت فيها ولا تحيى فانها لو فنيت لاستراحت ولو بقيت
لاستطابت فهي على استحالة بين الحياة والموت وهذه الاستحالة لا تكون الا في اجساد وابدان كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها انتهى وهو كما ترى في غاية النفاسة ويؤيده يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ويجوز ان يكون الجملة
تعليلا لما قبلها من النفي اي ما نقصناهم لانه قد سبق في حكمنا بان يكون كل امرئ قد رضينا ان نرهن بما قد ينقصه بما كسب
اي هو لا بغير ما كسب مما كسبه غيره رهين اي معوق عن النعيم حتى ياتي بما يطلقه من العمل الصالح ولما
جمعهم في الحاق الذرية بهم لانه من اعظم النعيم وامنهم مما قد يخشى من نقصهم بتقصير غيرهم وعلم ذلك لئلا يكونوا ارسخ في النفس
اتبعه ما يشاكله فقال وامددناهم اي الذين آمنوا والمتقين ومن الحقناهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة زيادة على ما تقدم
بفاكهة ولما كانت الفاكهة ظاهرة فيما نعرفه في الدنيا وان كان عيش الجنة بنعيم الدنيا نعكسها ليس فيه شيء
يقصد به حفظ البدن قال ولحم مما يشتهون ليس في شيء منه شيء مما لا يعجبهم غاية الاعجاب ولما كان هذا
النعيم العظيم المقيم يدعو الى المعاشرة بالقرب القاطع بين ان ذلك حالهم اللازمة الظاهرة مع الخصال اللائقة
الظاهرة فقال يتنازعون اي يشربون متجاذبين تجاذب الملاعبة لفرط المحبة والسرور وتحلية المصاحبة فيها
كاسا اي خمرا من رقة حاشيتها تكاد ان لا ترى في كاسها ولما كان في خمر الدنيا غوائل نفاها عنها
فقال لا لغو اي سقط مما لا يضر ولا ينفع فيها اي في تنازعها ولا بسببها لانها لا تذهب بعقولهم فلا يتكلمون الا بالحسن
الجميل ولا تاثيم اي ولا شيء فيها مما يلحق شاربها اثما ولا يسوغ نسبته اليه ولما كانت المعاطاة لا يكمل
بسطها ويعظم انسها الا بخدم وسقاة قال ويطوف عليهم اي بالكؤوس وغيرها من انواع التحف غلمان ولما
كان احب ما للانسان ما يختص به قال لهم ولم يضفهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم
احدا في الدنيا بقول او فعل ان يكون خادما له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا وافاد التنكير ان كل من دخل الجنة وجد
له خدما لم يعرفهم قبل ذلك كانهم في بياضهم وشدة صفائهم لؤلؤ مكنون اي مصون في الصدف لم تغيره العوارض
هذا حال الخادم فما ظنك بالمخدوم ولما كان اللذ ما الى الحبيب واعظم ما يكون من ادبه ذكر محبوبه والثناء عليه
والثناء عليه بما من به قال تعالى شارحا لذلك عاطفا على ما تقديره تاملوا على تعاطي ما ذكر من النعيم واقبل بعضهم لما ارادهم
من السرور وراحهم من اللذة والحبور على بعض يتساءلون اي يسال بعضهم بعضا عن السبب الموصل له الى هذا النعيم الذي لا يقدر
مخلوق على وصفه حق وصفه ثم استانف شرح ذلك بقوله قالوا اي قال كل منهم مؤكدا استلذاذا بما اداهم الى ما هم فيه لانه لا
يكاد يصدق مسند من النعمة بفعل الكون الى الله الذي جبلهم جبلة خير مسقطين الجار اشارة الى دوام خوفهم تنبيها على ان الخوف
الحامل على الكف عن المعاصي يشترط فيه الدوام بخلاف الرجاء الحامل على الطاعات فانه يكفي فيه ما تيسر كما تاتي الاشارة
اليه باثبات الجار انا كنا قبل اي في دار العمل في اهلنا على ما لنا من العدد والعدد والنعمة والسعة ولنا بهم من جواذب

م

اللهو والدواعي الى اللعب مشفقين اى عريقين فى الخوف من الله لا يلهينا عنه شيء مع لزومنا لما نقدر عليه من طاعته لعلمنا بانا
لا نقدره لما له من العظمة والجلال والكبرياء والكمال حق قدره وانه لو واخذنا باصغر ذنوبنا اهلكنا قال الرازى والاشفاق
دوام الحذر مقرونا بالترحم وهو ان تشفق على النفس ان تجنح الى العناد وله اقسام اشفاق على العمل ان يصير الى الضياع واشفاق
على الخليقة بمعرفة مقاديرها واشفاق على الوقت ان يشوبه تفرق وعلى القلب ان مازجه عارض وعلى النفس ان يداخلها سبب انتهى
ولما حكى عنهم سبحانه انهم اثبتوا لانفسهم عملا ربما لمن ادبرت سعادته فكان بحيث يظن انهم رأوه هو
السبب لما وصلوا اليه قالوا نافين لهذا الظن مبينين انهم فيه انما هو ابتداء تفضل من الله تعالى لان اشفاقهم منه منه
سبحانه لكيلا يعتمد الانسان على شيء من عمله فلا يزال معظما لربه خائفا منه فمن الله الذى له جميع الكمال بسبب اشفاقنا منه
علينا بما يناسب كماله فامننا ووقانا اى وجنبنا بما سترنا به عذاب السموم اى الحر النافذ فى المسام نفوذ السم ولما ذكروا
اشفاقهم بينوا مؤكدين ايضا المثل ذلك انا كنا اى بما طبعتنا عليه وهيأتنا له ولما كان الدعا بمعنى فعل العبادة مع
وكانت تقع فى بعض الزمان اثبت الجار اشارة الى ذلك مع اسقاطه قبل هذا فى الدعا بالقوة اشارة الى ان التحلي بالفضائل
يرضى منه باليسير والتخلي عن الرذائل لا بد فيه من البراءة عن كل قليل وكثير فقيل من قبل اى فى الدنيا ندعوه اى نسأله
ونعبده بالفعل وما خوفنا بالقوة فقد كان فى كل حركة وسكنة ثم عللوا دعاءهم اياه مؤكدين لان انعامه عليهم مع تقصيرهم
مما لا يكاد يفعله غيره فهو مما يعجب منه غاية العجب فقالوا انه هو اى وحده البر اى الواسع الجود الذى عطاؤه حكمة
ومنعه رحمة لانه لا ينقصه اعطا ولا يزيده منع فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فربما بره بالنعمة وربما بره بالبؤس
فهو يختار له من الاحوال ما هو خير له ليوسع له البر فى العقبى فعلى المؤمن ان لا يتهم ربه فى شيء من قضائه الرحيم المكرم لمن اراد
من عباده باقامته فيما يرضاه من طاعته ثم بافضاله عليه وان قصر فى خدمته ولما كان هذا مع تشويقه الى
الجنة والاعمال الموصلة اليها وعظا يرقق القلوب ويجلي الكروب سبب عنه قوله فذكر اى جدد التذكير بمثل هذا لكل من رجا
خيره ودم على ذلك وسماه تذكيرا لانه مما يعلمه الانسان اذا امعن النظر من نفسه او من الآفاق وعلل تجديد التذكير بقوله فما انت
اى وانت اشرف الناس عنصرا واكملهم نفسا وازكاهم خلائق هم بها معترفون من قبل النبوة بنعمة ربك اى بسبب ما انعم به عليك
المحسن اليك من هذا الناموس العظيم الاعظم بعد تاهيلك له بما هيأك به من رجاحة العقل وعلو الهمة وكرم الفعال وجود
الكف وطهارة الاخلاق وشرف النسب واكد النفي بقوله بكاهن اى تقول كلاما مع كونه سجعا متكلفا اكثره فارغ
وتحكم على المغيبات بما يقع خلاف بعضه ولما كان للكاهن والمجنون اتصال بالجن اتبع ذلك قوله ولا مجنون اى
تقول كلاما لا نظام له مع الاخبار ببعض المغيبات فلا يغترك قولهم هذا عن التذكير فانه قول باطل لا يلحقك به معرة
اصلا وعما قليل يكون عيبا لهم لا يغسله عنهم الا اتباعك فلم تمر ايام حتى كل منهم غسل عاره ومن استمر على عناده استمر تبابه
ولما كانت نسبته صلى الله عليه وسلم فيما اتاهم به من هذا القرآن الآمر بالحكمة الى انه اتى به عن الجن الذين فى
طبعهم الفساد مما لا ينبغي ان يتخيله احد فضلا عن ان يقوله له صلى الله عليه وسلم ولا يكاد يصدق ان احدا يرميه به
لكان فى طيه سؤال تقريع وتوبيخ نبه على ذلك بالعطف على ما تقديره ايقولون هذا القول البعيد من اقوال اهل العقول
ام يقولون ما هو اعجب فى مجرد قوله فضلا عن تكريره قام معادلة للاستفهام قبلها لا منقطعة وكذا جميع ما بعدها
وهو معنى ما نقله البغوى عن الخليل انه قال ما فى سورة الطور من ذكر ام كله استفهام وليس بعطف شاعر يقول كلاما
موزونا بالقصد يلزمه التكلف لذلك فيغلب التزام الوزن قائله حتى يجعل اللفظ هو الاصل ويجعل المعنى تابعا له
فيأتى كثير من كلامه ناقص المعاني هلهل النسج مقلوبا فانه على امر معترفا اذا وقف عليه بتقصيره معتذرا بما اراده به
زعم من اوزانه وساق سبحانه هذا وكذا ما بعده من الاقسام على طريق الاستفهام مع ان نسبتها اليهم محققة تنبيها على
ان مثل هذا لا يقوله عاقل وان قاله احد لم يكد الناقل عنه يصدق نتربص اى ننتظر به ريب المنون اى حوادث الدهر من
الموت وغيره القاطعة من المن وهو القطع ولما كان كانه قيل انهم ليقولون ذلك قال معلما جوابهم قل تربصوا اى
ولم يعرج على محاججتهم فى قولهم هذا تنبيها على انه من السقوط بمنزلة لا يحتاج معها الى رد بمجادلة ثم سبب عن امره لهم بالتربص
قوله فانى معكم واكد تنبيها على انه يرجو الفرج بمصيبتهم كما يرجون الفرج بمصيبته وان كانت كثرتهم وقوتهم عندهم
مانعة من مثل هذا التربص من المتربصين اى العريقين فى التربص وان ظننتم خلاف ذلك واشار بالمعية الى انه مساويهم
فى ذلك وان ظنوا لكثرتهم وقوتهم ووحدته وضعفه ان الامر بخلاف ذلك قال القشيرى حاكيا فى التفسير ان جميعهم اى الذين
تربصوا به ماتوا قال ولا ينبغي لاحد ان يؤمل نفاق سوقه بموت احد لتنتهي النوبة اليه فقل من تكون هذه صفته الا سبقته
المنية ولا يدرك ما تمناه من الامنية ولما كان قولهم هذا مما لا يقال اصلا وان قيل على بعد كان قوله كانه على جهة
سبق اللسان او نحو ذلك نبه عليه بمعادلة ما تقديره افلو اذلك ذهولا ام تأمرهم اى تزين لهم تزيينا يقيم ما لم اليه من الاتيان

كلامهم

كالامر احلامهم اى عقولهم التى يزعمون انهم اختصوا بجودتها دون الناس بحيث انه كان يقال لهم اولوا الاحلام والنهى بهذا
اى وهم يعتقدون صحته وانه العدل السوا لا انهم متعبدون بالاحلام والنهى على ما فيه من الفساد بالتناقض بعد اختلال كل قول منه
على حدته بما تقدم بيانه وهو توبيخ عظيم بالاشارة الى انه ليست لهم عقول اصلا لقولهم هذا فان الكاهن شرطه ان يكون فى غاية
المعرفة عندهم حتى انهم يجعلونه حكما ويتابعونه والمجنون لا يصلح لشيء لانه لا يعقل والشاعر بعيد الامر بوزن الكلام
وكثرته من سجع الكاهن وكلام المجنون ام هم بظواهرهم وبواطنهم قوم اى ذوو قوة على ما يحاولونه فهم لذلك طاغون
اى يجاوزون الحدود وذلك عادة لهم بما افهمه الوصف فهم لذلك لا يبالون بالعناد الظاهر فى مخالفته لما تامر به الاحلام
والنهى ولا يقوله الا الطغام السفهاء مع ظهور الحق لهم فهم يقولون الكلام المناقض غير مبالين باحد ولا مستحيين من ان ينسبوا
الى العدوان والمبالغة فى العصيان والآية من الاحتباك ذكر الاحلام اولا دليلا على ضدها ثانيا والطغيان ثانيا دليلا على
ضد العدل السوا اولا وسره ان ما ذكر اشد تنفيرا من السوء واعظم تقبيحا له وتحذيرا منه ام يقولون ما هو افحش عارا
من التناقض تقوله اى تكلف قوله من عند نفسه كذبا وليس بشعر ولا كهانة ولا جنون وهم على كثرتهم والمام بعضهم بالعلم وعرافة
آخرين فى الشعر والخطب والترسل والسجع يعجزون عن مثله بل عن مثل شيء منه ولما كان الكلام حقيقة فى النفسى
وكانوا يعلمون بطلان جميع ما يقولونه من ذلك كان التقدير لم يقولوا اشياء من ذلك حقيقة واعتقادا بل لا يؤمنون
اى لا يقرون بالحق مع علمهم ببطلان قولهم وتناقضه عنادا منهم لا تكذيبا فى الباطن ولما كان هذا القول اظهر
بطلانا من كل ما قالوه لان تكذيبهم له على تقدير كذبه على زعمهم غير موقوف على شيء خارج عن القوة طالبهم بالمعارضة لانهم
اذا عارضوه بمثله انفصل النزاع ولذلك سبب عما مضى قوله تكذيبا لهم فى قولهم هذا الذى اظهروه بالسنتهم يوقفون به
غيرهم عن الخير فليأتوا اى على اى تقدير ارادوه بحديث اى كلام مفرق متجدد اتيانه مع الاوقات لا يتكلفهم ان ياتوا به جملة مثله
اى القرآن فى البلاغة وصحة المعانى والاخبار بالمغيبات مما كان او يكون على ما هى عليه والحكم ولما كان المقصود
هنا مطلق التعجيز للمكذبين لا بقيد الاجتماع كما فى سبحان لان نزول هذه فى اوائل ما نزل تحداهم بالاتيان بالمثل فى التنجيم
والتطبيق على الوقائع سورا او آيات او دون ذلك تحدث وتجدد شيئا فى اثر شيء بما اشار اليه التعبير بالحدوث ولذلك عرا
عن نظائره بالاجتماع ودعا المستطاع ولكونهم كاذبين فى جزمهم بنسبته الى التقول وغيره اشار الى ذلك بقوله مفرعا
لهم الهابا الى الخوض فى المعارضة ان كانوا اى كونا هم راسخون فيه صادقين اى فى انه تقوله من عند نفسه شيئا فشيئا كونا
هم عريقون فيه كما يزعمون سواء ادعوا انه شاعر او كاهن او مجنون او غير ذلك لان العادة تحيل ان يأتي واحد من قوم وهو
مساويهم بما لا يقدرون كلهم على مثله والعاقل لا يجزم بشيء الا وهو عالم به ويلزم من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما ياتى
به فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم فى الفصاحة والبلد والنسب وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة
العلماء ومزاولة الخطب والرسائل وغير ذلك فلا يقدر على ما يعجزون عنه الا بتاييد الهي وهو المراد من تكذيبهم وقد علم
بهذا وبما تقدم من نحو معرفا فى السور التى فيها مثله ان المتحدى به فى كل سورة غير المتحدى به فى الاخرى والله الهادى
وهذه الاقسام الماضية من تكذيبهم يتأتى ان تكون على تقدير الاعتقاد للاله على ما هو عليه من صفات الكمال فاتبعها اقساما
على تقدير التعطيل واذا لم يكن اله لم يكن رسول فياتى التكذيب ثم اتبع ذلك قسما آخر هو على تقدير اثبات الاله لكن مع ضعف
بالشركة وتكون الشركة تارة تكون من المتكلم وتارة من غيره قدم منهما ما للمتكلم على زعمه وقدم تقدير شركته بالخلق
ثم بضبط الخزائن ثم بالكتابة ثم بسماع الاسرار ثم بضعف السفه بالرضى بالصنف الاردا ولما مضت فضيحتهم
بالتحدى وكانت عندهم فضيحة التناقض دون فضيحة المعارضة فكانوا يقدمونها عليها فلم يجترئ منهم احد نفسه يوما
من الايام على شيء يعارضه به علما منهم بانهم يصيرون بذلك الى خزي لا يمكن ان يغسل عاره كما صار مسيلمة لانهم كانوا اعقل
العرب وكان التقدير كما هدى اليه السياق فانك مستو معهم بالنسبة الى ايجاد الله لكم هو سبحانه خالقهم كما انه خالقك
ولا خصوصية لك منه على زعمهم ام هو خالقهم كما هو خالقك فيلزمهم ان ياتوا بمثل ما تاتى به وكان ذلك على تقدير اقرارهم
بالله وادعائهم لكذبه صلى الله عليه وسلم عليه عادله سبحانه تبكيتا لهم واظهارا لفضائح هى اشنع مما فروا منه من المعارضة
بقوله على تقدير ان يكونوا منكرين للاله او مدعين لان يكونوا آلهة ام خلقوا اى وقع خلقهم على هذه الكيفية المتقنة من غير شيء
ليكونوا الخالقين لصحيح العقل اذ تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم كتعلقه بالمخلوق فيسلم لهم انك تاتى بما لا يقدرون على
معارضته لانك اقوى منهم بكونك مستندا الى الخالق وهم ليسوا مستندين الى شيء او ليكونوا لذلك اقوى منك واعلى فيكون
لهم التكبر عليك ام هم الخالقون اى الذين لهم هذا الوصف فيكونون قد خلقوا انفسهم ليكونوا لذلك شركا فيكون الخالق
والمخلوق واحدا وهو مثل القسم الذى قبله فى عدم الاسناد الى شيء او يكون ثبوت هذا الوصف لهم موجبا لان يكونوا
على ثقة مما يقولونه وللتكبر عليك فان ادعوا ذلك حكم اذى الخلق بجنونهم ام خلقوا اى على وجه الشركة السموات والارض

فهم بذلك عالمون بما فيهما على وجه الاحاطة واليقين حتى علموا انك تقولته ليصير لهم رده وا لتهكم عليه
التقدير لم يكن شئ من ذلك ليكون لهم شبهة في الكلام فيما عطف عليه قوله بل لا يوقنون اى ليس لهم نوع يقين ليسكنوا الى قول
واحد لكونه الحق او ليعلموا ان هذه الملازم الفاضحة يلزمهم فيكفوا عن امثالها ام عندهم اى خاصة دون غيرهم خزاين ولما
كان ذكر الرحمة لا تقتضيه مقصود السورة الذي هو العذاب لم يذكر كما في ص وسبحان فقيل ربك المحسن اليك بارسالك
بهذا الحديث فيعلموا ان هذا الذي اتيت به ليس من قولك لانه لا تصرف له في الخزاين الاهم فيصح قولهم انك تقولته وحينئذ
يلزمهم فضايح لا اخر لها منها ان ياتوا بحديث مثله بل احسن منه من تلك الخزاين ام هم لا غيرهم المسيطرون اى الرقبا الحافظ
والجبارون والمسلطون الرؤسا الحكام الكتبة ليكونوا اضابطين للاشيا كلها كما هو شان كتاب السر عند الملوك فيعلموا انك
تقولت هذا الذكر لانهم لم يكتبوا به اليك ام لهم سلم يصعدون به الى السما يستمعون اى يتعمدون السمع لكل ما يكون نازلا
ومنها فيه اى في ذلك السلم وتسببه كما يكون بعض من يحضر مجالس الملوك في الدنيا ويعلم ما يقع فيه ليكونوا اضابطين لما ياتي من الملك
فيعلموا ان ما قالوه فيك حق ولما كان من يكون هكذا متمكنا من الاتيان منها بالعجايب سبب عنه قوله فليات مستمعهم
ان دعوا ذلك بسلطان مبين اى حجة قاهرة بينة في نفسها موضحة لانها من السما على صحة ما يرمونك به ولما
كان ما مضى على تقدير وجود الاله مع الشركة وكان ادعا وهم الولد عظيما جدا لدلالته على حاجته وضعفه وكان جعله بنات
اعظم لانه دال مع ضعفه على سفهه دل على استعظامه بالالتفات الى خطابهم للاستبعاد بعدا بهم فقال ام له البنات اى
كما ادعيتم ولكم اى خاصة البنون لتكونوا اقوى منه فتكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا امنين
من عذاب ياتيكم منه لضعفه وقوتكم وهذه الاقسام كلها على تقدير التكذيب وفي هنا يذكر ما على تقدير التصديق وانما وقع الرد
فيها لعارض عرض ولما كان المكذب بشئ قد يكون معترفا بانه من عند الهه وان الهه متصف بجميع صفات الكمال فلا
شريك له وانما تكذيبه لقادح لا يقدر عليه وكرب ربي بعظيم انكاره اليه اعرض عنهم التفاتا الى الاسلوب الاول تعالى
مخاطبا له صلى الله عليه وسلم تنويها بذكره ورفعا لعظيم قدره وتسليه بما يعلم من نفسه الشريفة البراة منه ام تسالهم
اى ايها الطاهر الشيم البعيد عن مواقع التهم اجرا على ابلاغ ما اتيتهم به فهم من مغرم ولو قل والمغرم التزام ما لا يجب
مثقلون اى حمل عليهم حاملا بذلك تعلا فهم لذلك يكذبون من كان سببا في هذا الثقل بغير مستند ليستريحوا مما حرج لهم من الثقل
ولما كان من يدعي الانفراد بشئ يحسد من يدعي مشاركته بشئ فيه فقال ام عندهم اى خاصة بهم الغيب اى علمه
فهم يكتبون اى يجددون للناس كتابة جميع ما غاب عنهم مما ينفعهم ويضرهم حتى يحسدوك فيما شاركتهم به منه فيردوه لذلك
وينسبون الى ما تنسبون اليه مما يعلم كل احد نزاهتك عنه وبعدك منه ام يريدون بهذا القول الذي يرمونك به كيدا
اى مكرا وضررا عظيما يطفئون به نور الله بزعمهم مع علمهم بانك صادق وفيه فهم بسبب ارادتهم ذلك هكذا كان الاصل ولكنه
قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فالذين كفروا اى ستروا الادلة تارة عنادا وتارة بالاعراض عن تاملها هم اى خاصة هم
المكيدون اى يختص وبال الكيد بلزومه لهم وقطعه لدابرهم لان من كان الاله عليه كان خاسرا واعرب ما لهم من الكيد الكا
في بدر عند انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من ام وهي خمس عشرة مرة لا بدر كانت في الثانية من الهجرة وهي الخامسة عشرة
من النبوة فقد سبب الله فيها من الاسباب ما اوجب سعيهم الى هلاكهم بامور خارقة للعادة فلو كانت لهم بصاير لكفتهم في الهدى
والردع عن الضلالة والغواية ولما كان التقدير اكذلك الامر عادله بقوله ام لهم اله اى يمنعهم من التصديق بكتابنا
او يثنيهم ويرد اليه للامان من عذابنا غير الله الذي احاط بجميع صفات الكمال فلا يمكن بوجه من الوجوه ولا على تقدير من التقادير
ان يكون معه اله ولذلك وصل به قوله سبحان الله اى الملك الاعظم الذي تعالى عن ان يداني جنابه شايبة نقص عما يشركون
من الاصنام وغيرها واخر سبحانه هذا القسم وهو من الشركة لكونه بالغير لانه اتى على تقدير التصديق للرسول ولانه دينهم الذي
اوقعهم عن الهدى فاوقعهم في الردى ليختم بنفيه والتنزيه عنه الاقسام فيحصل به غاية القصد والمرام والحاصل انه
قسم سبحانه حالهم في ردهم القران الى التكذيب وغيره ولما كان التكذيب وهو النسبة الى الكذب وهو عدم
المطابقة للواقع اما في الارسال واما في معاني ما وقع به الارسال اما لنقص في الرسول او لنقص في المرسل والذي في الرسول
اما ان يكون لامر خارج عنه او لامر داخل فيه ولما كان الخارج قد يكون معه نقص داخل بدا به ولما كان ذلك
قد يكون فيه ما يمدح به ولو من وجه وهو الكهانة بدا بها واتبعه الداخل كذلك بادئا بما قد يمدح به وهو الشعر
ولما كان القول بجمع الكهانة والجنون والشعر في شخص واحد وقول واحد على غاية من ظهور التناقض لا يخفى اتبعها الذي بالتهكم على
عقولهم ولما كان الكذب في الذي بالتقول قد يخفى اتبعه دليله بالعجز عن المعارضة ولما
تم ما هو ابدا الرسول اتبعه ما الرتهم به في المرسل ولما كان ذلك اما ان يكون بالتعطيل اولا وكان التعطيل اشد
بدا به وهو الخلق من غير شئ ولما كان النقص مع الاقرار بالوجود اما ان يكون بالشركة او لا وكان ما بالشركة اما

ان

ان يكون المكذب هو المشارك او لا وكانت شركة المكذب اشد في التكذيب بدا بها ولما كانت شركة المكذب اما ان يكون
في الخلق او لا وكان الاول اما ان يكون بخلق النفس او الغير وكانت الشركة بخلق النفس اصدق بدا بها في قوله ام الخالقون
ولما كانت الشركة بغير الخلق اما ان يكون بضبط الخزاين اولا وكان الثاني اما ان يكون بضبط الكتابة فيها واليه الاشارة
بالمسيطر او بضبط ما يومر به فيها واليه الاشارة بالسلم او بسعة صاحب الخزاين لرضاه بالبنات وكان كل قسم اشد مما بعده
رتبها هكذا ولما انتهى ما يرجع الى التكذيب اتبعه الرد لا للتكذيب بل لامر اخر وكان ذلك الامر
اما من الاتي او من الاتي اليه او من غيرهما وكان ما من الاتي اصدق بدا به وهو المغرم وكان ما من الاتي اليه اما
لحسد او غيره وكان امر الحسد اشد بدا به وهو المشاركة في الاتيان بما يكون به الفخر والرياسة وهو علم الغيب المناظر
بوجه للكهانة المبدو بها في قسم التكذيب واخر ما من الغير وهو الشريك المانع لهم من القبول وخلطه بهذا القسم
مع كونه قسيما لما فرض فيه المكذب مشاركا لخلوه عما فارق تلك الاقسام من التكذيب هذا تمام القول في ابطال ما الزمهم
فيما تقولوه في امر القران وقد تضمن ما نرى من تاصيله وتقسيمه وتفصيله من بيان مقدورات الله وعجايب مصنوعاته
ما الزمهم حتما التوحيد الملزم بتصديق الرسالة والاذعان للحق مع ما له من الاعجاز في ترتيبه ونظمه وتهذيبه وهده
وتسهيله وتقريبه مجلوا اسلوبه العظيم بالفاظ هي الدر النظيم ومعان علت عن لاحق يعرفه او تعليم يكاد لها
انبت القلوب تهيم فتطير وابلغ البلغا في افنانه وحما يتدله ويحير فكان ذلك كما قال جبير بن مطعم رضي الله عنه كما
روى البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة عنه رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا في المغرب
بالطور قال البخاري في التفسير فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يو
ام عندهم خزاين ربك ام هم المسيطرون كاد قلبي يطير وقال ابن ماجة فلما سمعته يقرا ام خلقوا من غير شئ ام هم
الخالقون الى قوله فليات مستمعهم بسلطان مبين كاد قلبي يطير وسبق في اول السورة ما ذكر البغوي من هذا الحديث
ولما كان التقدير تسكينا لقلب من يريد اجابتهم الى الايات المقترحات طمعا في ايمانهم فلعمر تلونا عليهم في
هذه السورة وغيرها من الايات وحلونا من المعجزات البينات واتينا من نبا قصصهم في هذه التقسيمات بما يهد الجبال
الشامخات وبينا من فضايحهم بحسن سوقها وحلاوة ذوقها وصحة معانيها واحكام مبانيها ما يزلزل الراسيات ويحل
العزمات ويزعج الارمات وبصد ذوي المروات عن امثال هذه النقايص الفاضحات بما لها من الادلة الواضحات ولكنهم
لما الزمناهم به من العكس لا يؤمنون وكرنا هم بما اعميناهم من بصايرهم فهم لا يعلمون انهم المكيدون عطف عليه قوله وان يروا
اى معاينة كسفا اى قطعة وقيل قطعا واحدها كسفة مثل سدرة وسدر من السماء حال انها ساقطا يقولوا
لددا وتجلدا في البغي واصرارا وتعلقا بما امكنهم من الشبه تحيلا على القبول وابقا لدعوى الاراء والعقول ودابا
الاصيل في نصر الباطل ومكابرة الحق لما لهم من العراقة في عمى القلوب بما للناس من القدرة على صرفهم عن وجوه الامور هذا
سحاب فان قيل لهم هو مخالف للسحاب بصلابته وغلظته قالوا مركوم اى تراكم بعضه على بعض فلذلك تصلب وكذلك
سبب عن هذا الحال الدال على انهم وصلوا في عمى البصاير الى انه لو جاءتهم كل اية لا يؤمنون قوله مسليا لنبيه صلى الله عليه
وسلم ومن تبعه فذرهم اى اتركهم على شر احوالهم حتى يلاقوا سعيا بسو اعمالهم يومهم كما انه هو يسعى اليهم لا محالة
الذي فيه لا في غيره لان ما حكمنا به لا يتقدم ولا يتاخر يصعقون بالموت من شدة الاهوال وعظيم الزلزال
كما صعق بنو اسرائيل في الطور ولكنا لا نعيدهم كما افقنا اوليك الا عند النفخ في الصور ليحشرهم للحساب الذي يكذبون به
والظاهر ان هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصر فيه فما اغنى احد منهم عن احد شيا كما قال ابو سفيان
ابن الحارث ما هو الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويا سروننا كيف شاؤا يوم لا يغني اى بوجه
من الوجوه عنهم كيدهم الذي يرومونه بهذه الاقوال المتناقضة شيئا اى من الاغنا في دفع شئ يكرهونه من الموت
ولا غيره كما يظنون انه يغني عنهم في غير ذلك من احوال هذه الدار بتثبيط الناس عن اتباع القران بما يصفونه به من
البهتان ولا هم ينصرون اى يتجدد لهم نصر من احد ما في ساعة ما ولما اتم هذا الكلام السابق ان
التقدير فان لكل ظالم في ذلك اليوم عذابا لا يحيط به الوصف فان الاصعاق من اشد ما يكون من العذاب عطف عليه
قوله مؤكدا لما لهم من الانكار ان ينتصر عليهم المؤمنون وهم من الكثرة والقوة بحيث لا مطمع فيهم لاحد لا سيما المؤمنين مثل
في الضعف والقلة وان وكان الاصل لهم ولكنه اظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال للذين ظلموا اى اوقعوا
الاشيا في غير مواقعها كما يقولونه في القران ويقولونه من العصيان ويعتقدونه من الشرك والبهتان عذابا دون
ذلك اى غير عذاب ذلك اليوم الصعب المرير وادنى رتبة منه ان كان المراد بالصعق ما يكون بعد البعث فعذاب
البرزخ في القبور وان كان المراد به الموت فيما يلقونه في الدنيا من عذاب بواسطتكم مثل تحيزكم الى الانصار في

تنون

قهم

دار الهجرة ومعدن النصرة وصيرورتكم في القوة بحيث تناصبونهم الحرب وتعاطونهم الطعن والضرب فتكونوا بعد ان كنتم طوع ايديهم
قذى في اعينهم وشجا في حلوقهم ودحضا لاقدامهم ونقضا لابرامهم ومثل المخطط الذي حصل لهم والسرايا التي بعثوها ايضا
مثل سرية حمزة اسد الله واسد رسوله وعبيدة بن الحرث وعبد الله بن جحش التي كانت مقدمة لغزوة بدر قلت كان
بعضهم يبصر هذا مثل عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث ويقولون والله ما هو بشاعر ولا كاهن ولا ساحر
ولا مجنون ولكنه لقوله الذي يقول باقا كل ولكن اكثرهم بسبب ما يرون من كثرتهم وحسن حالهم في الدنيا وقوتهم لا يعلمون
اي يتجدد لهم علم بتفوقكم عليهم لانهم لا علم لهم اصلا حتى يروا ذلك معاينة قلت كان العلم المحيط من الملك
القاهر اعظم مسل للولي واكبر مخيف للعدو وكان عاطفا على قد ربهم او على ما تقديره فكن انت من العلماء بذلك ليكون فيه لك اعظم سلية
واصبر اي اوجد هذه الحقيقة لتصبر على ما انت فيه من اداء الرسالة وما لها من الكلف من اذى الناس وغيره ولكونه في مقام الاعراض
عن الكفار وكون اعراضه عنهم اصعب عليه من معاناة انذاره وان شاعها تكذيبهم واستهزاؤهم اشتدت العناية هنا
بالصبر فقدم وايضا فان الاعراض عنهم مقتض لعدهم فانين وذلك هو مقام الجمع والجمع لا يصلح الا بالفرق فلذلك قدم الامر بالصبر
وذكر اشارة الى انه متمكن في مقام الفرق كما انه عريق في مقام الجمع بخلاف المدثر فانه لما كان للانذار الناشي عنه غاية الاذى
فاشتدت العناية هناك بتقديم ذكر الاله نظرا الى الفناء الفاني وان كان مباشرا لدعائهم وعبر عنا بذكر بحسن التربية زيادة في التعزية
واقتضى هذا السياق ان دعته سبحانه بقوله لحكم ربك اي المحسن اليك فانه هو المريد لذلك ولو لم يرده لم يكن شيء منه فهو احسان
منه اليك وتدريب لك وترقية في معارج الحكم وسبب عن ذلك قوله مؤكدا لما يغلب على الطبع البشري في بعض اوقات الامتحان
من نوع نسيان فانك باعيننا جمع لما اقتضته نون العظمة التي هذا سياقها وهي ظاهرة في الجمع واشارة الى انه محفوف بالجنود
الذين دونهم من دونه سبحانه فهو مكلوء مرعي به وبجنوده فاعل في حفظه فعل من له اعين محيطة محفوظة من كل جهة من
جهاته قلت كانت الطاعة اعظم ناصر واكبر معز وكانت الصلاة اعظمها قال وسبح اي اوقع التنزيه عن كل
شائبة نقص بالقلب واللسان والاركان ملتبسا بحمد ربك اي المحسن اليك فاثبت له كل كمال مع تنزيهك له عن كل نقص لا
يكون في ملكه ما لا يريد ولا يريد الا ما هو حكمة بالغة حين تقوم اي من النوم في جميع الاوقات التي هي مظنة القيام على الامور
الدنيوية والاشغال النفسانية وهي اوقات النهار الذي هو للانتشار بصلاة الصبح والظهر والعصر وتحمل العبارة التسبيح
عند كل قيام بكفارة المجلس وهي سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك فانها تكفر ما كان في المجلس
كما رواه ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب والنسائي وابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم ومن الليل الذي هو محل السكون والراحة فسبحه كذلك بالنية والقول كلما انتبهت وبالفعل بصلاة المغرب
والعشاء وصلاة الليل ولتعظيمه صرح به وقدمه على الفعل والضمير يعود على المضاف اليه واشار الى التهجد بعد حوله لهما
قبله بقوله وادبار النجوم اي وسبحه في وقت ادبارها اي اذا ادبرت وذلك من اخر الليل في نصفه الثاني وكلما كان دبر الفجر
كان اعلى وبالاجابة اولى والى قرب الفجر تشير قراءة الفتح جمع دبر اي في اعقابها عند خفائها او افولها وذلك بصلاة الفجر سنة
وفرضا احق واولى لانه وقت ادبارها حقيقة فصارت الصبح محفوفا عليها من تشريفا لها وتعظيما لقدرها فان ذلك منجي
من العذاب الواقع وينصر على العدو والدافع من المجاهر المدافع والمنافق المخادع وقد رجع اخرها على اولها ومقطعها على موصلها بالحلول
العذاب على الظالم وبعده عن الطابع المسالم

سورة والنجم

مقصودها ذم الهوى لانتاجه الضلال والعمى بالاخلاد
الى الدنيا التي هي دار الكدر والبلاء والتصرم والفناء ومدح العلم لانتاجه الهدى في الاقبال على الاخرى لانها دار البقاء في السعادة او
الشقاء والحث على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في نذارته التي بينتها ق وصدقتها الذاريات واوقعتها وعينتها الطور كما يتبع في
بشارته لان علمه هو العلم لانه لا ينطق عن الهوى لا في صريح كتابه ولا في بيانه له لان الكل عن الله الذي له صفات الكمال فلا بد من
بعث الخلق اليه وحشرهم لديه لتظهر حكمته غاية الظهور فيرفع اهل التزكي والطهور ويضع اهل الفجور ويفضح كل متحل بالزور
منتحل للشرور وعلى ذلك دل اسمها النجم لمن تامل القسم والجواب وما نظر به من نجوم الكتاب بسم الله الذي احاط بصفات
الكمال فلا يكون رسوله الا من جواب ذوي الكمال الرحمن الذي عم الموجودات بصفة الجمال الرحيم الذي خص اهل وده بالانقاذ
من الضلال والهداية الى ما يرضي من الخلال وصالح الاعمال قلت ختمت الطور بامره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح بالحمد
وكان امره تكوينيا لا تكليفا لكان بلا كائنا لا محالة وذلك بعد ذكر تقسيمهم القول في النبي صلى الله عليه وسلم بانه كاهن وساحر
وشاعر ومجنون وكان ذلك لا تعلق بالشياطين وكانت الشياطين مباينة للقرآن بجبلتها وبمنعها بالرجوم بالنجوم كما بين احد
الشعرا افتتحت هذه بالحث على الاهتداء بهديه والاسترسال بدله واتباع اثره قلت كان من ذلك تسبيحه
بالحمد في ادبار النجوم اقسم اول هذه بالنجم على وجه اعم مما في اخر تلك فعبر بعبارة تفهم غروبه وصعوده لانه لا يغيب في
الافق الغربي واحد من السيارة الا طلع من الافق الشرقي نظير له منها لما يكون عند ذلك من تلك العبادة العالية والاذكار

الزاكية

الزاكية مع ما فيه من عجيب الصنع الدال على وحدانية مبدعه من زينة السماء التي فيها ما توعد والحراسة من المردة حفظا بالنجوم
الكتاب والاهتداء به في الدين والدنيا وغير ذلك من الحكم التي تحير فيها الحكماء فقال تعالى والنجم اي هذا الجنس من نجوم
السما او القرآن لنزوله مفرقا وهم يسمون التفرق تنجيما او النبات قال البغوي سمي النجم نجما لطلوعه وكل طالع نجم اذا هوى
اي نزل للافول او لرجم الشياطين عند الاستراق كما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كان المراد السماوي فكانت غاية
العبادة والاستغفار والدعاء للملك الجبار بالاسحار او صعد فكان به اهتداء السارى والمصلي والقاري فانه يقال الهوي
هويا بالفتح اذا سقط وبالضم اذا علا وصعد او نزل به الملك للاسعاد او الابعاد ان كان المراد القرآني لما يحصل به
من البركات في الدين والدنيا والشرح للصدور والاطلاع على عجائب المقدور او اذا سقط منبسطا على الارض او ارتفع عنها
ان كان المراد النباتي لما فيه من غريب الصنعة وجليل التقدير الدال على تمام القدرة وكمال العلم والتوحد بالملك والغنى
المطلق. قلت اقسم بهذا القسم الجليل اجابة بقوله معبرا بالماضي نفيا لما كانوا رموه به ولم يشمل ما قبل
النبوة فيكون ما بعدها بطريق الاولى ما ضل اي عدل عن سواء المحجة الموصلة الى غاية المقصود اي انه ما عمل عمل الضال
يوما من الايام فما تقول القرآن من عنده ولا عمل فيه عمل المجانين ولا غيرهم مما رموه به واما وجدك ضالا فالمراد عن علم الهدى
وعبر بالصحبة لانها مع كونها ادل على القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة بهم اليه ومقبحة عليهم اتهامهم في انذارهم
تعرفون طيب اعراقه وطهارة شمائله واخلاقه فقال صاحبكم اي في انذاره لكم بالغيب فلا وجه لكم في اتهامه ولما
كان الهدى قد يصحبه ميل لا يضر بالوصول الى القصد وان حصل به نوع خلل في القرب او نحوه وقد يكون القصد معه
غير صالح قال وما غوى اي وما مال ادنى ميل ولا كان مقصده مما يسوء فانه محروس من اسباب الغواية الشياطين وغيرها وقد
دافع سبحانه عن نبينا صلى الله عليه وسلم واما بقية الانبياء فدافعوا عن انفسهم ليس بي ضلالة ليس بي سفاهة ونحو ذلك
قاله القشيري قلت كان ذلك قد يكون مع الهوى مصادفة قال وما ينطق اي يجاوز نطقه فيه في وقت من
الاوقات لا في هذا الحال ولا في الاستقبال نطقا ناشئا عن الهوى اي عن امره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم والشعرا
وغيرهم وما يقول هذا القرآن من عند نفسه قلت اكد سبحانه في نفيه ذلك عنه هذا التاكيد تبرئة له عما
نسب اليه وكان ذلك مظنة السؤال عن اصل ما يقوله اجاب بالحصر لانه اصرح وادفع لانكارهم البالغ فقال ان اي ما هو
اي الذي يتكلم به من القرآن وبيانه وكل اقواله وافعاله واحواله وبيانه الا وحي اي من الله تعالى واكده بقوله يوحى
اي يجدد اليه ايحاؤه هنا وقتا بعد وقت ويجوز ان يجتهد صلى الله عليه وسلم فاذا استقر اجتهاده على شيء اوحي اليه انه قد
اصاب الحق مع انه اذن له سبحانه في الاجتهاد في الوحي ومع انه من يرد ما يجتهد فيه الى ما اوحي اليه بري من الهوى وقال
الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما قطع سبحانه تعلقهم بقولهم ساحر وشاعر ومجنون الى ما هو وابه مما علموا انه لا يقوم
على ساق ولكن شان المنقطع المبهوت ان يستريح الى كل ما امكنه وان لم يغن عنه اعقب ذلك تعالى بقسمه على تنزيه نبيه
وصفيه من خلقه عما تقولوه ونوهموه ضعفا وبهم فقال تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ثم اتبع سبحانه بهذا القسم
بسط الحال في تقريبه عليه السلام وادنائه وتلقيه لما يتلقاه من ربه وعظيم منزلته لديه وفي اثناء ذلك تحريكهم عز وجل
وتبكيتهم وتوبيخهم على سوء مرتكبهم بتلطف واستدعاء كريم منعم فقال تعالى افرأيتم اللات والعزى والتحمت الاي على
هذه الاغراض الى الاعلام بانفراده سبحانه بالايجاد والقهر والاعزاز والانتقام لا يشاركه في شيء من ذلك غيره فقال
تعالى وان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى قلت بين كل ذلك فقال فباي الاء ربك تتمارى اي في اي نعمة تشكون
ام باي آية تكذبون ثم قال هذا نذير من النذر الاولى واذا كان عليه السلام قد بان مكذبيه شان مكذبي غيره انتهى قلت
كان الوحي ظاهرا فيما يكون بواسطة الملك تشوقا لسامع الى بيان ذلك فقال مبينا له باوصافه لانه لذلك اضخم في حقه
واعلى لمقداره فقال علمه اي صاحبكم الوحي الذي اتاكم به شديد القوى اي فلا تعجبوا من هذه البحار الزاخرة التي اتاكم بها وهو
اي بان يعلمه بهذه الصفة التي هو بها بحيث ينفذ كل ما امره الله به ذو مرة اي حزم في قوة وقدرة عظيمة على الذهاب
فيما امر به والطاقة لحمله بغاية النشاط والحدة كانه ذو مزاج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس في مزاولته ماض على طريقه
واحد على غاية من الشدة لا توصف لا التفات له بوجه الى غير ما امر به فهو على غاية الخلوص فهو مجتمع القوى مستحكم الشان
شديد الشكيمة لا يسأم في شيء يزاوله ومن شدته ما اعطى من القدرة القوة القدرة على التشكل والى ذلك كله اشار بما
سبقه هذا من قوله فاستوى اي فاستقام واعتدل بغاية ما يكون من قوته على اكمل حالاته في الصورة التي فطر عليها
وهو اي والحال ان جبريل عليه السلام وجوزوا ان يكون الضمير المنفصل للنبي صلى الله عليه وسلم اي استوى جبريل والنبي
عليهما السلام معه بالافق الاعلى اي الناحية التي هي النهاية في العلو والفضل من السموات مناسبة لحاله هذا الاستوا
وذلك حين راه صلى الله عليه وسلم جالسا على كرسي بين السماء والارض قد سد الافق قلت كان الدنو من الجرم

الالهية التي هي مهيأة لتلقي الوحي من العلو والعظمة بحيث لا يوصف اشار الى ذلك باداة التراخي فقال ثم اي بعد ذلك الاستواء
العظيم دنا اي جبريل عليه السلام من الجناب الاقدس دنو زيادة في الكرامة لا دنو مسافة وكل قرب يكون منه سبحانه فهو مع
انه منزه عن المسافة يكون على وجهين هو خلقه فهو اقرب الى كل موجود من نفسه وقرب ولاية حتى يكون سمع الموجود وبصره بمعنى انه
لا يسمع ولا يبصر الا بما يرضاه اشار اليه ابن برجان فاخذ الوحي الذي اذن له في اخذه في ذلك الوقت فتدلى عقب ذلك رسولا
من الله الى صاحبكم اي نزل اليه نزولا هو فيه كالمتدلي بحبل فوصل اليه ولم ينفصل عن محله من الافق الاعلى لما له من القوة
والاستحكام قال البيضاوي فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة فكان في القرب من صاحبكم في رأي من يراه
منكم قاب اي على مسافة قدر قوسين من قسيكم قال الرازي في اللوامع اي بحيث الوتر في القوس مرتين وعن ابن عباس رضي الله
عنهما القوس الذراع بلغة ازد شنوءة وقال ابن برجان قاب القوسين ما بين السيتين وقيل ما بين المقبض والوتر او ادنى
بمعنى ان الناظر منكم لو رآه لتردد وقال ذلك من شدة ما يرى له من القرب منه صلى الله عليهما وسلم روى مسلم في الايمان من صحيحه
عن الشيباني قال سالت زر بن حبيش عن قول الله تعالى فكان قاب قوسين فقال اخبرني ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم راى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح فاوحى اي الذي سر من كلام الله بسبب هذا القرب وعقبه الى عبده اي
عبد الله واضماره من غير تقدم ذكر صريح لما هو معلوم مما تقدم في اخر الشورى ان كلام الله يكون وحيا بواسطة رسول فهو
يوحي باذنه سبحانه والمقام يناسب الاضمار لان الوحي هو الكلام الخفي وعبر بالعبد اشارة الى انه لم يكن احد يستحق هذا الاسم
العظيم غيره لانه لم يتعبد قط لاحد غير الله وكل من عداه حصل منهم تعبد لغيره في الجملة فكان احق الخلق بهذا الوصف مع ما
كان يتعبد به لله في غار حراء وغيره وهذه النزلة والله اعلم كانت على هذا التقدير في اول الوحي لما كان بحراء ورجع منه النبي
صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده وقال زملوني زملوني واشار الى عظمة ما انزل به بقوله ما اوحى اي انه امر جل
عن الوصف فاجمل له ما فصله بعد ذلك هذا الذي ذكر من تفسير الضمائر ظاهر العبارة وان كان الاضمار في جميع الافعال
لا يخلو عن لبس واشكال ويمكن لاجل احتمال الضمائر لما يناسبها من الظواهر ان يكون ضمير دنا وما بعده لله تعالى وحينئذ
يصير الضمير في عبده واضحا كما تقدم في هذا الوجه جعله له سبحانه لانه لا يجوز غيره روى البخاري في التوحيد في باب وكلم الله
موسى تكليما عن انس رضي الله عنه عن قصة الاسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى
اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم
يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى
احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل عليه السلام فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه
فغسله من ماء زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم اتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا به صدره
ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء من هذا فقال جبريل
قالوا ومن معك قال معي محمد قال وقد بعث اليه قال نعم قالوا فمرحبا به واهلا ثم ذكر عروجه الى السموات السبع وانه لما وصل
الى السابعة علا فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب
قوسين او ادنى فاوحى اليه فيما يوحي الله خمسين صلاة فذكر مشورة موسى عليه السلام في سؤال التخفيف حتى صارت
خمسا كل واحدة بعشر فقوله ودنا الجبار رب العزة صريح في هذا الوجه وهو في غاية الحسن اذا جمعته مع ما يأتي في الوجه
المنقول عن جعفر الصادق رحمه الله فيكون المعنى انه صلى الله عليه وسلم لما استوى بالافق الاعلى فوصل الى حد لا يمكن
المخلوق الصعود عنه تنزل له الخالق سبحانه ولذا عبر بثم يعني انه سبحانه تنزل له تنزلا لا يمكن الاطلاع على كنهه رتبته
في العلو والعظمة ثم تنزل ولما كانت العبارة ربما اوهمت شيئا لا يليق نفاه صلى الله عليه وسلم
بما في الرواية من تخصيص التعبير باسم الجبار فعلم انه قربه تقريبا لا يليق به وسمي ذلك دنوا لكان الدنو والتدلي تمثيلا لما وصل منه
سبحانه الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم بغاية السهولة واليسر واللطافة مع اتصاله بالحضرات القدسية والتعبير
بالتدلي لافهام العلو مثل ما كني بالنزول كل ليلة الى سماء الدنيا عن اجابة الدعاء بفتح ابواب السماء كما رويناه في جزء البيتي
من حديث عثمان بن ابي العاص رضي الله عنه تمثيلا بما نعرفه من حال الملوك في ان احدهم يكون نزوله عن سريره ادناء في ايصال
خواصه اليه وفتح بابه ادنا لمن يليهم وكلما نزل درجة كان الاذن اعم الى ان يصل الى الاذن العام لجميع الناس هذا مع علم
المخاطبين بانه لابد على سبيل التمثيل ممن يحتاج الى هذه الدرجات واما من هو غني عن كل شيء فله سبحانه المثل الاعلى لا يشبه
شيئا ولا يشبهه شيء وفي قران الفجر من سورة سبحان لهذا مزيد بيان وقال القاضي عياض في الشفا ما حاصله ان تلك الضماير
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قال جعفر بن محمد يعني الصادق ابن الباقر ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال الفا
انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم الى ما اودع

قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب وقال جعفر ايضا والدنو من الله
لا حد له ومن العباد بالحدود انتهى وحينئذ يكون ضمير استوى له صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فتسبب عن تعليم جبريل له هو
استواؤه اي اعتداله علمه الى غاية لم يصلها غيره من الخلق علما وكسبا بالملك والملكوت والحال انه بالافق الاعلى ليلة الاسرا
وتدليه كناية عن وصوله بسبب عظيم حامل حمل السبب للمتدلي وعبر به وهو ظاهر في النزول من علو مع عدم الانفصال
منه لئلا يوهم اختصاص جهة العلو به سبحانه دون بقية الجهات ومنه اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وكلما قيل
في الاشارة بلا تفضلوني على يونس بن متى ومن المحاسن جدا ان يكون المتدلي المنقلبة عربيا في هذا الوجه بدلا من لام فيكون من
التدلل وهو الانبساط وثوقا بالمحبة يقال تدلل عليه اي انبسط وثوقا بحبه فافرط عليه وانبساطه صلى الله عليه
وسلم في تلك الحالة وافراطه كثرة سؤاله وشفاعته في امته وبذلك ظهر الى عالم الشهادة انه ارحم الخلق كما كان معلوما
في عالم الغيب فتسبب عنه زيادة تقريبه حتى كان قاب قوسين او ادنى وابراز هذا الكلام في هذه الضماير المحتملة لهذه
الوجوه من غير ظاهر يعين المراد مناسب لتلك الحالة فانها كانت حالة غيب وخفا وستر وكان العلم فيها واسعا وسوق
الضماير هكذا اكثر احتمال الكلام للوجوه فيتسع العلم مع انه ليس فيها وجه يودي الى لبس في الدين ولا ركاكة في معنى ولا نظم
ولا محال في العلم والله اعلم و ولما اثبت هذا الكلام ما اثبت من القرب للنبي صلى الله عليه وسلم ممن اوحي اليه
على كلا التقديرين قرره على وجه افاد الرؤية فقال ما كذب الفؤاد اي القلب الذي هو في غاية الذكا والانقياد ما راى
البصر اي انه حين رؤية البصر كان حاضرا القلب لانها رؤية بصر فقط يكون فيها الخلو عن حضور القلب النسبة الى الغلط
وقال القشيري ما معناه ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما راه ببصره بل راه على الوصف الذي علمه قبل ان راه فكان
علمه حق اليقين وفي صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور انى
اراه وفي صحيح مسلم ايضا عن مسروق انه قال لعائشة رضي الله عنها لما انكرت الرؤية الم يقل الله تعالى ولقد راه بالافق
المبين ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل عليه
السلام لم اره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رايته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض قال
البغوي وذهب جماعة الى انه راه فقال بعضهم جعل بصره في فؤاده ثم روى من صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
راه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى انه راه بعينه وهو قول انس رضي الله عنه وقال ابن برجان ما معناه ان النوم والصعق
من ايات الله على لقاء الله وهي مقدمات لذلك وتكمل حقيقة هو ثبتهما كاشراط الساعة والاسرا وان لم يكن موتا
ولا صعقا ولا نوما على اظهر الوجوه فقد خرج عن مشاهدات الدنيا الى مشاهدة الافق الاعلى فلا انكار للرؤية هنالك هو
فالاسرا حالة غير حالة الدنيا بل هي من احوال الاخرة وعالم الغيب والله الهادي ولما تقرر ذلك غاية التقرر
كان موضع الانكار عليهم فقال مسببا عن ذلك افتمارونه اي تستخرجون منه بجدالكم له فيما اخبركم به شكا فيه ولا شك فيه
وعبر بالمفاعلة في قراءة الجماعة غير حمزة والكسائي ويعقوب اشارة الى اجتهادهم في تشكيكه من مرى الشيء استخرجه ومن
الناقة استخرج ما في ضرعها فامرت هي دركتها والمرية بالكسر والضم الشك والجدل على ما يرى على صفة مطابقة القلب
والبصر وذلك مما لم تجر العادة بدخول الشك فيه ولا قبول الجدال وزاد الامر وضوحا بتصويره الحال الماضية بالتعبير
بالمضارع اشارة الى انه ما نسي كما انه لم يهم ولم يلتبس الامر عليه بل كانه الان ينظر ولما كان الشيء اقوى ما يكون
اذا كان بحس البصر فاذا وافقه كون القلب في غاية الحضور كان امكن فاذا تكرر انقطعت الاطماع عن التعلق بالمجادلة فيه قال
مؤكدا لاجل انكارهم ولقد راه اي الله تعالى او جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية روى مسلم في الايمان عن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما قال ما كذب الفؤاد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفؤاده مرتين وجعل ابن برجان الاسرى من
الاولى بالفؤاد مقدمته وهذه بالعين ولما كان ذلك لا يتاتى الا بتنزل يقطع مسافات البعد التي هي الحجب
لبصره بحيث يراه البشر عبر بقوله نزلة وانتصب على الظرف لان الفعلة بمعنى المرة اخرى اي ليكمل له الامر مرة في
عالم الكون والفساد واخرى في المحل الاسنى الاعلى وعين الوقت بتعيين المكان فقال عند سدرة المنتهى اي الشجرة
التي هي كالسدر وينتهي اليها علم الخلائق ينتهي اليها ما يعرج من تحت وما ينزل من فوق فيتلقى هنالك وذلك والله اعلم هو
ليلة الاسرى في السنة الثالثة عشر من النبوة قبل الهجرة بقليل بعد ان ترقى في معارج الكمالات من السنين على عدد السموات وما
بينهما من المسافات فانتهى الى مستوى يسمع فيه صريف الاقلام وعظمها بقوله عندها اي السدرة جنة المأوى اي الذي لا
ماوى في الحقيقة غيره لانه لا يوازي في عظمه وزادها تعظيما بقوله اذ يغشى السدرة اي يغطيها ويركبها ويلزمها من
فراش الذهب والنور الاخضر والملائكة والنبق وغير ذلك فان الغشو الغبق ما يغشى اي لا يحتملون وصفه وهو بحيث كاد
ان لا يحصى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث وغشيها الوان لا ادري ما هي فليس احد من خلق الله يستطيع ان

يبغيهما او كما قال صلى الله عليه وسلم واكد الرؤية وقررها مستانفا بقوله ما زاغ اى ما ادنى ميل البصر اى الذى لا بصر لمخلوق
اكمل منه فما قصر عن النظر الى ما اذن له فيه وما زاد وما طغى اى تجاوز الحد الى ما لم يؤذن له فيه مع ان ذلك العالم غريب عن بنى
آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر بل كانت له العفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على اتم قوانين العدل فانه
ما راه على حقيقته وكما هو قال الشهرزورى فى اول الباب الثانى والثلاثين من عوارفه واخبر تعالى بحسن ادبه فى الحضرة بهذه الآية
وهذه غامضة من غوامض الادب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كانوا قد انكروا الاسرى انكارا لم
يقع لهم فى غيره مثله زاد فى تاكيده على وجه يتم غيره فقال لقد راى اى ابصر بسبب ما اهلناه له من الرسالة تلك الليلة
ابصارا اساريا الى البواطن غير مقتصر على الظواهر من آيات ربه اى المحسن اليه بما لم يصل اليه احد بعده ومن ادعى ذلك فهو كافر
الكبرى من ذلك ما راه فى السموات من الانبياء عليهم السلام اشارة بكل نبى الى امر دقيق جليل وحالة شريفة قال الامام
ابو القسم السهيلى فى الروض الانف والذى اقول فى هذا ان ماخذ فهمه من علم التعبير فانه من علم النبوة واهل التعبير يقولون
من راى نبيا بعينه فى المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبى فى شدة او رخاء او غير ذلك من الامور التى اخبر بها
عن الانبياء فى القرآن والحديث وحديث الاسرى كان بمكة ومكة حرم الله وامنه وقطانها جيران الله لان فيها بيته فاول ما
راى صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم السلام آدم عليه السلام الذى كان فى امن الله وجواره فاخرجه ابليس عدوه منها
وهذه القصة تشبهها الحالة الاولى من احوال النبى صلى الله عليه وسلم حين اخرجه اعداؤه من حرم الله وجوار بيته كربه ذلك
وغمه فاشبهت قصته فى هذا قصة آدم عليه السلام مع ان آدم تعرض عليه ارواح ذريته البر والفاجر منهم فكان فى
السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لان ارواح اهل الشقا لا تلج فى السما ولا تفتح لهم ابوابها كما قال الله ثم راى فى الثانية عيسى
ويحيى عليهما السلام وهما الممتحنان باليهود اما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله اليه واما
يحيى عليه السلام فقتلوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله الى المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت
محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخر عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى عليه السلام منهم ثم سموه فى
الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاده حتى قطعت ابهره كما قال عند الموت وهكذا فعلوا بابنى الخالة عيسى ويحيى لان ام يحيى
اشياع بنت عمران اخت مريم امهاتهما واما لقاؤه ليوسف عليه السلام فى السماء الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه
حالة يوسف عليه السلام وذلك ان يوسف ظفر باخوته بعدما اخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم اليوم الآية
وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم اسر يوم بدر جملة من اقاربه الذين اخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من اطلق ومنهم
من افداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم اقول ما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم ثم لقاؤه لادريس
عليه السلام فى السما الرابعة وهو المكان الذى سماه الله مكانا عليا وادريس اول من آتاه الله الخط بالقلم فكان
ذلك مؤذنا بحالة رابعة وهو علو شانه عليه السلام حتى اخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال ابو سفيان وهو
عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وراى ما راى من خوف هرقل لقد امر امر ابن ابى كبشة حتى اصبح
يخافه ملك بنى الاصفر وكتب عنه بالقلم الى جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشى وملك عمان ومنهم من هادنه
واهدى اليه واتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه فاظفره الله به فهذا مقام علو وخط بالقلم كنحو ما اوتى ادريس
عليه السلام ولقاؤه فى السماء الخامسة لهرون عليه السلام المحبب فى قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم
فيه ولقاؤه فى السما السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين امر بغزو الشام فظهر على الجبابرة
الذين كانوا فيها وادخل بنى اسرائيل البلد الذى خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبوك من ارض الشام وظهر على صاحب دومة حتى صالحه على الجزية بعد ان اتى به اسيرا وافتتح مكة ودخل اصحابه البلد
الذى خرجوا منه ثم لقاؤه فى السما السابعة ابرهيم عليه السلام لحكمتين احدهما انه راه عند البيت المعمور مسندا ظهره اليه
والبيت المعمور حيال مكة واليه تحج الملائكة كما ان ابرهيم عليه السلام هو الذى بنى الكعبة واذن فى الناس بالحج اليها والحكمة
الثانية ان اخر احوال النبى صلى الله عليه وسلم حجه الى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين الفا من المسلمين
ورؤية ابرهيم عليه السلام عند اهل التاويل تؤذن بالحج لانه الداعى اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة انتهى وهذا
المقام وهو الاسرا وما تفرع منه هو الموصل الى اعلا ما يكون فى تجريد التوحيد فجعل سبحانه عنوانه المفروض فيه الحاجز
بين الاسلام والشرك وهو الصلاة الجامعة لمعانى الدين الشاملة لجميع البركات بان جعلت خمسين مستغرقة لجميع الفراغ
ثم ردت الى خمس وهى فى القوى كخمسين ثم رتب عليها اجر الخمسين ودفع كل واحدة من صلاة الجماعة الى سبع وعشرين صلاة وفضل
صلاتى الطرفين الصبح الثانية والعصر الرباعية بشهادة فريقى الملائكة وكتابتهما فى صحيفتى كل من الجمعين ذكره
الكرمانى فى جوامع التعبير فاسرى به فى شهر ربيع الاول قبل الهجرة بسنة من بيت ام هانى رضى الله عنها ثم ساق حديث الاسرا

مستانفا

مستانفا عجيبا جدا لطولا **ولما** اخبر سبحانه عن استقامة طرق نبيه صلى الله عليه وسلم بما ثبتت به رسالته بما اوحى
اليه وما اراه من آياته التى ظهر بها استحقاقه سبحانه للالهية منفردا بها سبب عنه الانكار عليهم فى عبادة معبوداتهم
على وجه دال على انها لا تصلح لصالحة فقال أفرأيتم اى اخبرونى بسبب ما تلوت عليكم من هذه الآيات الباهرات هل رايتم رؤيته
خبرة بالباطن والظاهر اللات وهى صنم ثقيف والعزى وهى شجرة لغطفان وهما اعظم اصنامهم فانهم كانوا يحلفون بهما
ومناة وهى صخرة لهذيل وخزاعة ودل على انها عندهم بعدهما فى الرتبة بقوله مشيرا بالتعدد والتعبير عنه بما عبر به
الى ان شانها لا تصلح لصالحة حتى ولا ان يذكر الثالثة الاخرى اى انه ما كفاهم خرق سياج العقل فى مجرد تعديد الاله
بجعله اثنين حتى اضافوا بالثالث واقروا بانه متاخر الرتبة فكان الاله عندهم قد يكون سافلا ويكون ملازما للسفول لكونه
انثى قال الرازى فى اللوامع واشتقوا اسماءها تشبيها لها بالملائكة على زعمهم انها بنات الله انتهى ولا شك عند من له ادنى معرفة
بالفصاحة ان هذا الاستفهام الانكارى والتعبير عما من شانهم كراهته لانفسهم بالولادة التى هى احب الاشياء الى الانسان
بل الحيوان لا يسوغ ان يقال بعده ما يقتضى مدحا بوجه من الوجوه فتبين بطلان ما نقل نقلا واهيا من انه قيل حين قرئ
هذه السورة فى هذا المحل تلك الغرانيق العلا الى اخره لعلم كل عربى ان ذلك غاية فى الهذيان فى هذا السياق فلا وصلة بهذا
السياق المعجز بوجه **ولما** كان التقدير بما افهمه السياق كيف ادعيتم انها آلهة اهى كذلك مع ان عادتكم احتقار الاناث
عن ان يكن لكم اولادا فكيف رضيتم ان يكن لكم آلهة ويكونوا الها عبادا مع انها لم تنزل لكم وحيا ولا ارسلت اليكم رسولا ولا فعلت
مع احد منكم شيئا مما اكرمنا به عبدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا ارتكم قط اية ولا هى متاهلة لشيء من ذلك بل لا تملك ضرا
ولا نفعا وادعيتم انها بناته او استوطنها جنيات هى بناته وادعيتم مع ادعاء مطلق الولدية لمن لا يليق به حاجة ولا شبيه له
انه اردى الصنفين فكان ذلك نقصا مضموما الى النقص وبخسا على بخس سبحانه وتعالى عن صاحبة او ولد فاستحققتم بذلك
الانكار الشديد وعلم بهذا التقدير الذى هدى اليه ولا بد السياق بطلان حديث الغرانيق ولا سيما مع تعقيبه بقوله الكم
اى خاصة الذكر اى النوع الاعلا **ولما** كانت الاسماء مشعرة بالتانيث وكانوا قد يسمون الذكر باسم مؤنث صرح بالمراد
فقال وله اى وحده الانثى اى النوع الاسفل **ولما** كان الاستفهام انكاريا زاد الانكار بقوله فذلكة لفعلهم
تلك اى هذه القسمة البعيدة عن الصواب اذا اى اذ جعلتم البنات له والبنين لكم قسمة ضيزى اى جائرة ظالمة ناقصة
فيها بخس للحق الى الغاية عوجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما اوصلتكم الكراهة له الى دفنه حيا وقد علم ان الاية من الاحتباك
دل ذكر اسمها فى اسلوب الانكار على حذف انكار كونها آلهة وانكار تخصيصه بالاناث على حذف ما يدل انهم جعلوها
بناته **ولما** انهى هذا الانكار بطلان قولهم هذا احصر القول الحق فيها فقال مستانفا ان اى ما هى اى هذه الاوثان
الا اسماء اى لا حقائق لها فما ادعيتم لها من الالهية ليس لها من ذلك غير الاسما واكد ذلك بقوله سميتموها اى ابتدعتم تسميتها
لها انتم ولجت فى قولهم من اصله فقال وآباؤكم لا غير بمجرد الهوى لم تروا منها آية ولا كلمتكم قط كلمة تعتمدونها هى
وعلى تقدير ان تكلم الشياطين على السنتها فاى طريقة توهمت شرعت لكم واى كلام صالح او بليغ برز اليكم منها واى آية كبرى
اريتموها **ولما** علم بهذا ان الله تعالى لم يامرهم بشيء من ذلك صرح به نافيا ان يدل على ما وسموها به دليل فقال ما
ولما تقدم فى الاعراف نزل الثانى للتدريج لما تقدم مما اقتضاه نفى هنا الافعال الثانى الاصل الفعل سواء
كان بالتدريج او غيره لان المفصل لباب القرآن فهو للمقاصد وذلك كاف فى ذم الهوى الذى هو مقصود السورة فقال
انزل الله اى الذى له جميع صفات الكمال بها اى لاجل استحقاقها للاسما ولا لما وسمتموها به من الالهية واعرق فى النفى بقوله
من سلطان اى حجة تصلح مسلطا على ما ادعيتموه **ولما** كان هذا النفى المستغرق موجبا للخصم ابتاع الحيلة فى
ذكر دليل على اى وجه كان وكان هؤلاء قد ابلسوا حين سماع هذا الكلام لم يجدوا ما يقولون ولا يجدون فكان من حقهم
ان رجعوا فلم يرجعوا اعرض عنهم ابدا نابشديد الغضب فقال ان اى ما يتبعون اى فى وقت من الاوقات فى امر هذه الاوثان
بعبادتهم لها ومن انها آلهة وانها تشفع لهم او تقربهم الى الله الا الظن اى وهو غاية امرهم لم يحسنوا الظن بحجر والظن
ترجيح احد الجانبين على عمى الطائر **ولما** كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوى قال وما تهوى الانفس لا
اى تشتهى وهى لما لها من النقص لا تشتهى ابدا الا ما يهوى بها عن غاية اوجها الى اسفل حضيضها واما المعالى وحسن العواقب
فانما يسوق اليها العقل قال القشيرى فاما الظن الجميل بالله فليس من هذا الباب والناس عواقبا الشخص عليه ليس من
هذه الجملة بسبيل انما الظن المعلول فى الله وصفاته واحكامه ولقد اى العجب انهم يفعلون ذلك والحال انه قد جاءهم
من ربهم اى المحسن اليهم الهدى اى الكامل فى بابه الى الدين الحق بالكتاب الناطق بالصواب على لسان الرسول صلى الله
عليه وسلم والراى بعضهم من راى الهدى تبعه ولو اتاه به عدوه فكيف اذا اتاه به من هو معترف بانه افضل منه من
عند من احسانه لم ينقطع عنه قط **ولما** كان التقدير اعليهم ان يتركوا اهويتهم ويتبعوا ما يهدى لهم

الذي لا يملك لهم معه أم لهم ما تمنوا هكذا كان الاصل ولكنه ذكر الاصل الموجب لاتباع الهوى فقال للإنسان اي
الجنس بنفسه المحسن لكل ما يأتي وما يذر ما تمنى اي من اتباع ما يشتهي من رجاء ومال ونجح ورفاهة عيش ومن كفره وعناده
وقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ولما كان الاستفهام انكاريا كان المعنى ليس له ما تمنى وكان ذلك
دليلا قطعيا على انه مربوب مقهور ذكر له الامر كله فتسبب عنه قوله فلله اي الملك الاعظم وحده ولما
كانت الاخرى دار اللذات وبلوغ جميع الاماني او حرمانها وكانوا يدعون ان لهم فيهما على تقدير كونها جميع ما يتمنون من شفاعة
الهتهم واجابتها الى اسعادهم ونحو ذلك قدم قوله الآخرة فهو لا يعطي الاماني فيها الا لمن تبع هداه وخالف هواه والأولى
والأولى فهو لا يعطي جميع الاماني فيها لاحد اصلا كما هو مشاهد فمن ترك هواه فيها نال امانيه في الآخرة ومن تبع هواه لم
يصل الى مراده في الدنيا وحرم امنيته في الآخرة فلهذا قدمها لا للفاصلة فانه لو قيل الاخرى لصلحت للفاصلة ولما
كان التقدير فكم من شخص في الارض ترونه مع انه في غاية المكنة فيما يظهر لكم لا يصل الى ربع ما يتمناه عطف عليه قوله
مظهرا للفخامة ملكه وانه لا يبالي باحد ذا الا على الكرم وكم من ملك اي مقرب ودل على زيادة قربه بشرف مسكنه فقال
في السموات اي هم في الكرامة والزلفى لا تغني اي تجزي وتسد وتكفي ولما كان رد الجمع حال اجتماعهم ادل
على العظمة عبر بما يحتمل ذلك فقال شفاعتهم اي عن احد من الناس شيئا ثم قصر الامر عليه وردّه بحذافيره اليه بقوله الا
ودل باثبات الجار على انه مع ما يحد سبحانه لا مطلقا فقال من بعد أن يأذن اي يمكن ويريد الله اي الملك الذي لا امر
لاحد معه وعبر بان والفعل دلالة على انه لا عموم بعد الاذن لجميع الاوقات وانما ذلك متجدد مع تجدد الاذن على حسبه
وقيد الامر اثباتا لعموم العظمة بقوله لمن يشاء اي يتجدد تعلق مشيئته به لان يكون شافعا او مشفوعا له ولما
كان الملك قد يأذن في الشفاعة وهو كاره قال لتعلما انه ليس كاولئك ويرضى فحينئذ تغني شفاعتهم اذا كانوا
من المأذون لهم كل هذا قطعا لاطماعهم عن قولهم بمجرد الهوى ان الهتهم تشفع لهم ولما اخبر باتباعهم للهوى ونفى
ان يكون لهم من ذلك ما يتمنونه دل على اتباعهم للهوى بقوله انهم ان الذين واكد تنبيها على انه قول بالغ في العجب الغاية
ولا يكاد يصدق ان عاقلا يقوله واعلم بما جرأهم على قولهم ذلك وامثاله بقوله لا يؤمنون اي يصدقون مقرين بالآخرة
ومثال لما كذا قوله ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم وهم رسل الله تسمية الانثى بان قالوا هي بنات الله كما يقال
في جنس الانثى بنات وما اي والحال انهم ما لهم به اي بما سموهم به واغرق في النفي بقوله من علم ولما نفى علمهم
تشوف السامع الى الحامل لهم على ذلك فقال ان اي ما يتبعون اي بغاية ما يكون من شهوة النفس في ذلك وغيره الا الظن ولما
كانوا كالقاطعين بان ذلك ينفعهم اكد قوله وان اي والحال ان الظن اي مطلقا في هذا وغيره ولذا
اظهر في موضع الاضمار لا يغني اي اغناء مبتدئا من الحق اي الامر الثابت في نفس الامر الذي هو حقيقة الشيء وذاته بحيث
يكون الظن بدله والظن انما يعتبر في العمليات لا العلميات ولا سيما الاصولية شيئا اي من الاغناء عن احد من الخلق فانه لا
يؤدي ابدا الى الجزم بالعلم بالشيء على ما هو عليه في نفس الامر فهو ممنوع في اصول الدين فان المقصود فيها تحقيق الامر على ما هو عليه
في الواقع واما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه المأذون فيه ومورده الى الاصول المستنبط منها لعجز الانسان
عن القطع في جميع الفروع تنبيها على عجزه وافتقاره الى الله ليقبل عليه ويتبرأ من حوله وقوته ليكشف له عن الحقائق ولما
كانوا ابعد شيء عن الهدى قد اصروا على الهوى وكانت هذه السورة في اوائل ما نزل والمؤمنون قليل سبب عن ذلك قوله
فاعرض عن من تولى اي كلف نفسه خلاف ما يدعو اليه العقل والفطرة الاولى عن ذكرنا اي ذكره ايانا فاعرض عن
الذكر الذي انزلناه فلم يتله ولم يتدبر معانيه فلا يلتفت الى شيء من علمه فانه مطموس على قلبه ولو كان ذهنه ادق من الشعر
فانه لا يقوده الا الى شر ولا تذهب نفسك عليه حسرات فانه ما عليك الا البلاغ ولما كان المعرض في وقت قد
يقبل في اخرى علل ذلك على وجه بليغ بقوله ولم يرد اي في وقت من الاوقات الا الحياة الدنيا اي الحاضرة لتقيده
بالمحسوسات كالبهائم مع العمى عن دناءتها وحقارتها ثم ترجم جملتي الاعراض والارادة بقوله ذلك اي الامر المتناهي
في الجهل والقباحة مبلغهم اي نهاية بلوغهم وموضع بلوغهم والحاصل لهم وتهكم بهم بقوله من العلم اي غايتهم من العلم
انه لا علم لهم لان عيون بصائرهم عمي ومرائيها كثيفة مظلمة لا تنكشف عن نظر الآخرة التي هي اصل العلوم كلها ثم علل
هذه الجملة بقوله مؤكدا قطعا لطمع من يظن ان وعظه وكلامه يرد احدا عن غيه وان ابلغ في امره ودعاه في سر وجهر
واعلاما بان ذلك انما هو من الله لمن وعظه سبحانه راجيا منه في الحاحه اوشك ان يقع به كما فعل في وعظ مصعب
ابن عمير رضي الله عنه فصغى به اسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما في ساعة واحدة كما هو مشهور في السيرة
ان ربك اي المحسن اليك بالارسال وغيره هو اي وحده اعلم بمن ضل عن سبيله ضلالا مستمرا فلا تعلق املك بان يصل علمه الى
ما وراء امر الدنيا وعبر بالرب اشارة الى ان ضلال هذا من الاحسان اليه صلى الله عليه وسلم لانه لو دخل في دينه لافسد

مقطع ٣

ذكر

اكثر مما يصلح كما قال تعالى لاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم وذلك لانه جبل جبلة غير قابلة للخير وهو
اي وحده اعلم بمن اهتدى اي ظاهرا وباطنا ولما كان هذا ربما اوهم ان من ضل على هذه الحالة ليس في قبضته قال
نافيا لهذا الايهام مبينا انه له الاسماء الحسنى ومقتضياتها في العالم موضع والحال انه له او عطفا على ما تقديره فلله من
في السموات ومن في الارض ولله اي الملك الاعظم وحده ما في السموات من الذوات والمعاني فيشمل ذلك السموات والاراضي
فان كل سماء في التي تليها والارض في السما وما في الارض وكذلك الاراضي والكل في العرش وهو والعرش العظيم ولما
امره صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنهم وسلاه واعلم ان الكل في ملكه فلو شاء لهداهم ورفع النزاع ولكنه له في ذلك حكم
تحار فيها الافكار علل الاعراض كما تقدم في الجاثية في قوله قل للذين امنوا يغفروا بقوله ليجزي اي يعاقب هو سبحانه كافيا
لك ما اهمك من ذلك ويجوز ان يكون للتعذير وكأنه سبحانه مالك ذلك كله هو ملكه ليحكم بجزاء كل على حسب ما يستحق
فان الحكم نتيجة الملك الذين اساؤا بالضلال بما عملوا اي بسببه وبجنسه اما بواسطتك بسيوفك وسيوف اتباعك
اذا اذنت لكم في القتال واما بغير ذلك بالموت حتف الانف تضرب الملائكة وجوههم وادبارهم ثم بعذاب الآخرة على جميع
ذنوبهم من غير ان يكون عجل لهم في الدنيا شيء ينقص بسببه عذاب الآخرة ويجزي اي يثيب ويكرم الذين احسنوا اي على ثباتهم
على الدين وصبرهم عليه وعلى اذى اعدائهم بالحسنى اي الثواب الذي هو غاية في الحسن ما بعدها غاية فان الحسنى تأنيث
الاحسن ولما وعد الذين وقع منهم احسان وصفهم فقال الذين يجتنبون اي يكلفون انفسهم ويجهدونها
على ان يتركوا كبائر الاثم اي ما عظم الشارع اثمه بعد تحريمه بالوعيد او الحد وعطف على كبائر قوله والفواحش وهي
من الكبائر ما كرهه الطبع وانكره العقل واستخبثه الشرع ولما اوهم هذا التقييد ان من خالط ما دون
ذلك كان مغفورا له صرح به فقال الا اي لكن اللمم معفو عنه فمن خالطه لا يخرج عن عداد من احسن فهو استثناء
منقطع ولعله وضع فيه الا موضع لكن اشارة الى ان الصغير يمكن ان يكون كبيرا باستهانته مثلا كما قال تعالى وتحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم واللمم هو صغار الذنوب والمراد هنا ما يحصل منها في الاحيان كانه وقع من صاحبه فلتة
بغير اختيار منه لا ما يتخذ عادة او يكثر حتى يصير كالعادة قال الرازي في اللوامع واصله مقاربة الذنب ثم الامتناع منه
قبل الفعل قال ذو النون ذكر الفاحشة من العارف كفعلها من غيره انتهى ويقال الم بالمكان اذا قل لبثه فيه وقال
البغوي قال السدي قال ابو صالح انه سئل عن اللمم فقال هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده قال فذكرت ذلك لابن عباس
رضي الله عنهما فقال لقد اعانك عليها ملك كريم ثم قال البغوي واصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين
ولا يكون له عادة ولا اقامة انتهى وعلى هذا يصح ان يكون الاستثناء متصلا ولما كان الملوك لا يغفرون لمن
تكررت ذنوبه اليهم وان صغرت فكان السامع يستعظم ان يغفر ملك الملوك سبحانه مثل هذا علل ذلك بقوله ان ربك
اي المحسن اليك بارسالك رحمة للعالمين والتخفيف عن امتك واسع المغفرة فهو يغفر الصغائر حتما اوجبه على نفسه ويغفر
الكبائر ان شاء بخلاف غيره من الملوك فانه لو اراد ذلك ما امكنه اتباعه ولو جاهد حتى يمكن من ذلك في وقت فسدت مملكته
فادى ذلك الى زوال الملك من يده او اختلاله ولما وصف الذين احسنوا لكان ربما وقع في وهم انه لا يعلمهم سبحانه
الا بافعالهم وربما قطع من عمل بمضمون الآية انه ممن احسن قال نافيا لذلك هو اعلم بكم اي بذواتكم واحوالكم منكم باعيانكم
اذ اي حين انشاكم ابتداء من الارض التي طبعها طبع الموت البرد واليبس بانشاء ابيكم آدم عليه السلام منها وتهيئتكم
للتكوين بعد ان لم يكن فيكم وانتم تراب قابلية للحياة بقوة قريبة ولا بعيدة اصلا فميز التراب الذي يصلح لتكونكم منه
والذي لا يصلح وإذ اي حين انتم اجنة اي مستورون ولما كان الستر قد يكون في بطن الارض وان كان
الجنين معروفا للطفل في البطن حقق معناه بقوله في بطون امهاتكم بعد ان مزج بذلك التراب البارد اليابس الماء والهواء
فنشات الحرارة والرطوبة فكانت هذه الاربعة الاخلاط امهات ثم فكان منها غذاؤكم فصيركم بها قابلية الحياة التي
تتبعها الاخلاق المركبة والمدسبة ولكن لا علم لكم اصلا فهو يعلم اذ ذاك ما انتم صائرون اليه من خير وشر واعلم
منه من العمر بخلاف ذلك لانه يعلم ما جبلكم عليه مع ذلك وانتم لا تعلمون الا ما يكون في انفسكم حال كونه على الاكمل
لا تحيطون به اذ ذاك علما ولما كان من عادة من سلم من الذنوب ان يفتخر على من قارفها لما يرى الانسان عليه من محبة
الفخر لما جبل عليه من النقصان وكان حاله قد يتبدل فيسبق عليه الكتاب فيشقى سبب عن ذلك قوله فلا تزكوا
اي تمدحوا بالزكا وهو البركة والطهارة عن الدنايا انفسكم اي حقيقة بان يثني الانسان على نفسه فان تزكيته
لنفسه من علامات كونه محجوبا عن الله او مجازا بان يثني على غيره من اخوانه فانه كثيرا ما يثني بشيء فيظهر خلافه وربما
حصل له الاذى بسببه وان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع الحديث ولذلك
علل بقوله هو اعلم اي منكم ومن جميع الخلق بمن اتقى اي جاهد نفسه حتى حصل منه تقوى فهو يوصله فوق ما يومل

الثواب في الدارين فكيف من صارت له التقوى وصفا ثابتا ولما امره سبحانه بالاعراض عمن تولى عن الشرف بذكر
الملك الاعظم والتجالي اليه ونهى عن التزكية للجهل بالعواقب وكان قد ارتد ناس عن الاسلام كان سبب ارتدادهم اخباره صلى الله
عليه وسلم عن بعض ما راى من الايات الكبرى ليلة الاسرى وكان لما نزلت عليه صلى الله عليه وسلم سجدة النجم وسجد فيها صلى الله
عليه وسلم سجد معه كما في البخاري المسلمون والمشركون والجن والانس ولم يكن في ظن احد من الخلق انقلابهم على ادبارهم بعد حين ولا
في ظن المرتدين شيء من ذلك قوله افرايت اي اخبرني الذي تولى اي عن ذكرنا بعد ان كان حريصا عليه يظن هو وغيره انه عريق في اهله
واعطى بايمانه واعماله في ايام ايمانه قليلا واكدى اي قطع ذلك العطا على نكده وقلته وابطله وافسده فصار كالحافر الذي
وصل في حفره الى كدية يقال لحافر البئر اجبل اذا وصل الى جبل واكدى اذا وصل الى كدية اي صفاة عظيمة شديدة لا تعمل فيها
المعاول فصار لا يقدر معها على شيء من عمله ولا يستطيع النفوذ فيها بنوع من حيله وقد كان قبل ذلك لما صادف التراب اللين يظن
انه لا يمنعه مانع له مما يريد فهذا دليل جزئي شهودي على انه لا علم لاحد من الخلق عما جنا الله في نفسه فضلا عن غيره فلا ينبغي
لاحد ان يزكي نفسه ولا غيره قيل نزلت في الوليد بن المغيرة اسلم ثم ارتد لتعيير بعض المشركين له وقوله له ارجع وانا احمل
عنك العذاب ومن يتضح لكل من ارتد ظاهرا او نافق او انهمك في المعاصي بعد ايمانه معرضا عن الاعمال الصالحة ولما
كان هذا قد وقع في خطر عظيم من افساد العمل في الماضي وتركه في المستقبل فصار على خطاء عظيم في احد ما يتعلق باصل
الدين الكفر والايمان وكان مثل هذا لا يفعله عاقل بنفسه الا عن بصيرة قال تعالى موبخا له منكرا اعنده اي خاصة
علم الغيب اي كله بحيث لا يشاركه فيه مشارك يمكن ان يخفى عنه شيء منه فهو اي فيتسبب عن ذلك انه يرى اي الرؤية
الكاملة فيعلم جميع ما ينفعه فيرتكبه وجميع ما يضره فيجتنبه ويعلم ان هذا القليل الذي اعطاه قد قبل وامن من
العطب فاكتفى به ولما كان المعنى لم يطلع على علم غيره ينفعه فيرتكبه وجميع ما يضره فيجتنبه عبر عنه جامعا
للوعظ والتهويل بقوله ام لم ينبا اي يخبر اخبارا عظيما متتابعا بما في صحف موسى اي التوراة المنسوبة اليه بانزالها عليه
وكذا ما تبعها من اسفار الانبياء الذين جاؤوا بعده بتقريرها ولما قدم كتاب موسى عليه السلام لكونه اعظم كتاب
بعد القران مع انه موجود بين الناس يمكن مراجعته قال وابرهيم ومدحه بقوله دالا بالتشديد بالفعل على غاية الوفا الذي وفى
اي اتم ما امر به وما امتحن به وما القي شيئا من قلق وكان اول من هاجر قومه وصبر على حر ذبح الولد وكذا على حر النار ولم
يستعن بمخلوق وحصر هذين النبيين لان المدعوين من بني اسرائيل اليهود والنصارى يدعون متابعة موسى عليه السلام ومن العرب
يدعون متابعة ابرهيم عليه السلام ومن عداهم لا متمسك لهم ولا سلف في نبوة محققة ولا شريعة محفوظة ثم فسر الذي في
الصحف او استانفه بقوله ان لا تزر اي تاثم وتحمل وازرة اي نفس بلغت مبلغا تكون فيه حاملة لوزر وزر اخرى
اي حملها الثقيل من الاثم يعني لم يحمل معه اثم احد الثقلين الذي لزمه ولا بد ان يكون اثما وهما قبل التولي وما بعده ولما
نفى ان يضره اثم غيره نفى ان ينفعه سعي غيره فقال وان ليس للانسان كائنا من كان الا ما سعى فلا بد ان يعلم الحق في ايجاده
فيسعى فيه ودعا المؤمنين للمومن من سعيه بموادته لهم ولو بموافقته لهم في الدين فقط وكذا الحج عنه والصدقة ونحوهما
واما الولد فواضح في ذلك واما ما كان بسبب العلم والصدقة ونحوهما فكذلك ونصيحة النبي صلى الله عليه وسلم عن
امته اصل كبير في ذلك فان من يتبعه نقده واداه وهذا اصل في التصدق عن الغير واهداء ما له من الثواب في القراة ونحوها
اليه ولما ثبت انه ليس له ولا عليه الا ما عمل وكان في الدنيا قد يفعل الشيء من الخير والشر ولا يراه من فعل لاجله
ولا غيره نفى ان تكون الاخرة كذلك بقوله وان سعيه اي من خير وشر سوف اي من غير شك بوعد لا خلف فيه وان طال المدى
ولما كان الاطلاع نفسه مرضيا او مخزيا بالنسبة الى احد بعينه بناه للمجهول فقال يرى
ولما كان المخوف منه المجازاة مطلقا لا من مجازي معين قال ثم يجزاه كان في هذه الدار ربما وقعت المسامحة ببعض
الاشيا والغفلة عن بعضها قال الجزا الاوفى اي الاتم الاكمل ان كان خيرا فمع المضاعفة وان كان غيره فعلى السوا الا من اراد
الله ذلك له ويعفو عن كثير لكنه يدخره له ولما كانت رؤية الاعمال لا تنقطع برؤية الموكلين بها من الملائكة او غيرهم
ممن اقامه الله لذلك وكان الراي كلما كان اكبر كان للامر اهول وكانت رؤية الملك الاعظم اخوف قال عاطفا على ان لا
تزر معبرا بحرف الغاية ان الرائين للاعمال لكثير لا تحصى جنوده سبحانه وان الى ربك اي المحسن اليك لا الى غيره المنتهى
اي الانتهاء برجوع الخلائق حسا بالبعث ومعنى بالعمل والعلم واسناد الامور وارسال الامال ومكان رجوعهم وزمانه كما
كان منه المبتدا فكذلك خلقا لذلك كله وحسابا عليه روى البغوي من طريق ابي جعفر الرازي عن ابي بن كعب رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية قال لا فكرة في الرب قال وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا
تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ورواه ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما
ولفظه ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره هذا المراد وهو واضح من اول الاية بالاتحاد او غير ذلك من الالحاد

فعليه

فعليه لعنة الله وعلى الذاب عنه والساكت عنه ولما ذكر تعالى الامور الاختيارية وقدمها لانها محط الابتلا
وسلب علمها عن اصحابها وحذر من عواقبها باحاطته بكل شيء وكان معنى ذلك انه القادر لا غيره والعالم لا غيره عطف عليه قوله
ذاكرا الامور الاضطرارية التي هي في غاية التنافي اكمالا للدليل على انه يعلم ما في النفوس دون اصحابها وغيرهم وانه اليه
المنتهى اعادة وابدا يوقف ما يشاء على ما يريد من الاسباب التي تفعل باذنه من الضحك او البكا او غيرهما من الامور المتنافية
التي لولا الالف لها لقضى الانسان ان المتلبس باحدها لا يتلبس بضده اصلا ومن غيرها وانه ولما كانت التاثيرات
الادراكية تحال على اسبابها اكد الكلام فقال هو اي لا غيره اضحك وابكى اي ولا يعلم احد قبل وقت الضحك والبكا
انه يضحك او يبكي ولا انه باي شيء يعجبه او يحزنه ولو قيل له حال الضحك انك بعد ساعة لا تنكر ذلك وربما ادركه
ما ابكاه وهو في الضحك وبالعكس ولما كانت الاماتة والاحيا اعظم تنافيا مما مضى فكانت القدرة على الحيا
في الشخص الواحد اعظم ما يكون وكان ربما نسبا الى من قتل او داوى من مرض او اطلق من وجب قتله اكد فقال وانه
هو اي لا غيره ولما كان الالباس في الموت اكثر وكان الموت انسب للبكا والاحيا انسب للضحك وكان طريق
النشر المشوش افصح قدمه فقال امات واحيا وان رايتم اسبابا ظاهرية فانه لا عبرة لها اصلا في نفس الامر بل هو الذي خلقها
ولما ذكر الاحيا وكان تضعيف الولد الى نوعيه ظاهرا في اختصاصه به وهو في غاية التعذر على سواه اعراه عن
مثل التاكيد في الذي قبله فقال وانه خلق الزوجين ثم فسرهما بقوله الذكر والانثى فانه لو كان ذلك في يد غيره لمنع البنات
لانهما مكروهة لكل احد ثم ذكر ما يظهر ولا بد انه من صنعه بسببه انه مادة الاثنين واحدة وهو الماء الذي هو اشد الاشيا
امتزاجا فقال من نطفة وصور كونه منها بقوله اذا تمنى اي تراق وتدفق بالفعل لا قبل ذلك لا يمكن فيه طعن بانه كان به داء او غيره
بل انتم تعلمون انه لا يخلق الولد الا بعد الامنا بالفعل وخروج اصله ماء لا يمكن خلقا من خلق الله ان يعرف بمجرد رؤيته انه
صالح للانثى فقط او للذكر فقط او لهما او للاشكال بالخنوثة ولما ساق هذه الاشيا دليلا على احاطة علمه
لكونها ان دلت على تمام قدرته وختمها بالنشاة الاولى فلزم من ذلك الاقرار حتما بانه قادر على البعث عبر بما يقتضي انه لما
تقدم به وعد على السنة جميع رسله صار واجبا عليه بمعنى انه لا بد من كونه لانه لا يبدل القول لديه لا لغيره لذلك فعبر
بحرف الاستعلا تاكيدا له ردا لانكارهم اياه فقال وان عليه اي خاصة به علما وقدرة النشاة اي الحياة وموضعه ومدا
لابن كثير وابي عمرو ومقصورا لغيرهما مصدر نشا اذا حيي وربي وشب الاخرى اي التي يحيي بها الخلق بعد ان يميتهم ولما
كان الغنى والفقر من الامور المتوسطة بين الاختيارية والاضطرارية لما يحل من الامرين تسببت وكان مقسوما بين الذكور
والاناث بحكمة ربانية لا ينفع الذكر فيها قوته ولا يضر الانثى ضعفها وكان ذكر النشاة الاخرة كالمعترض لما اوجب ذكره
النشاة الاولى يعقب ذكر تمامه وكان ذكر الغنى مع انه يدل على الفقر اليق بالامتنان والنسبة الى الرب وكان الغنى الحقيقي
انما يكون في تلك الدار اخر ذكره الى هنا فقال وانه ولما كان ربما نسب الى السعي وغيره اكد بالفصل فقال
هو اي وحده من غير نظر الى سعي ساع ولا غيره اغنى ولما كان الغنى في الحقيقة انما هو غنى النفس وهو رضاها
بما قسم لها وسكونها وطمانينتها وانما سمي ذو المال غنيا لان المال يحصل طمانينة النفس فمن كان راضيا بكل ما قسم الله له
فهو غني وهو في الجنة معنى وان كان في الدنيا قال واقنى اي امكن من المال وارضى بجميع الاحوال قال البغوي اعطى اصول
الاموال وما يدخر بعد الكفاية قال وقال الاخفش اقنى افقر انتهى ونقل الاصبهاني مثله عن ابن زيد فيكون الهمزة للازالة
ويقال اقناه بكذا ارضاه واقناه الصيد امكنه منه ولما كانت الشعرى لانها تقطع السماء عرضا
اذل النجوم بعد تمام القدرة على الفعل بالاحيا مع انها مما دخل تحت الجنس المقسم به اول السورة وهي لمرورها في سيرها
عرضا على جميع المنازل التي كانت العرب تستمطر بها وتنسب الاتيان بالخير الموجب للغنى اليها كانت قد عبدها من دون الله
ابو كبشة الخزاعي لكونها عنده اجل الكواكب قال تعالى ذا الاتا للتاكيد على سفاهة من عبدها وانه هو اي لا غيره رب الشعرى
اي الكاملة في معناها وهي العبور واهل علم النجوم يقولون ان الاحكام النجومية المنسوبة اليها اصح ما ينسب الى
العالم العلوي وهي نجم في الجوزا وتسمى كلب الجبار وسميت الجوزا بالجبار تشبيها لها بملك على كرسيه وعلى راسه تاج وقال
الرازي في اللوامع هي احد كوكبي ذراعي الاسد قال ابن القاص في كتاب دلائل القبلة وترى عند صلاة الصبح نيرة زاهرا
نورها على نور الكواكب حولها وقد طمس الصبح نور سائر الكواكب واما الشعرى الاخرى فهي الغميصا بالغين المعجمة
والصاد المهملة فهي اقل نورا منها ولذلك سميت الغميصا قال القزاز في جامعه وقيل بكت على اخيها فغمصت عينها اي غارت
وذهبت ولما دل سبحانه على كمال علمه وشمول قدرته بامور الخافقين العلوي والسفلي فكان ذلك داعيا
الى الاقبال على ما يرضيه وناهيا عن الاحلام بما يسخطه شرع في التهديد بالسلب وقص عن ذلك ما وقع في مصارع الاولين من
عجايب قدرته فقال وانه اهلك عادا ولم يات بضمير الفصل لانه لم يدع في احد غيره اهلاكهم وهو لا مرية بقوله

الأولى اي القدما في الزمان جدًا دلالة على انه المتصرف في جميع الازمنة وقدمهم لانهم اشد الناس من حيث طغوه جبرًا وجزموا بانه
من الانواء النافعة التي كانت عادتهم باستمطارها وقيل ان عادًا قبيلتان فالاولى قوم هود عليه السلام والاخرى اصحاب
ارم ذات العماد قاله جماعة منهم القشيري قال البغوي وكان لهم عقب فكانوا عادًا الاخرى وقال ابن جرير وعادًا الاولى هم
الذين عنى الله بقوله الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم وانما قيل لهم عادًا الاولى لان بني لقيم بن هزال بن هزيل بن عبيل بن صد بن عاد
كانوا ايام ارسل الله على هؤلاء عذابه سكانا بمكة مع اخوانهم العمالقة ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام
فلم يصبهم من العذاب ما اصاب قومهم وهم عاد الاخرة ثم هلكوا بعد بغي بعضهم على بعض فتفانوا وقال غير ابن جرير ان ارم
عاد الاخرة وعطف عليهم قوله وثمودا اي اهلكهم ثم سبب عن الاهلاك قوله فما ابقى اي من الفريقين احدًا ومن قال ان عادًا
قبيلتان جعل عدم الابقاء خاصًا بثمود وقراءة عاصم وحمزة ويعقوب بمنع الصرف نص في انهم قوم صالح عليه السلام وقراءة
الباقين بالصرف انسب للاهلاك والاعدام ولما قدم من كان اهلاكهم بنفس الريح التي هي مبدأ الامطار الاتية
اليهم في السحاب واتبعهم من كان اهلاكهم بما تحملها الصيحة وارجافها اتبعهم من كان اهلاكهم بالماء الذي هو غاية
السحاب فقال وقوم نوح اي اهلكهم لاجل ظلمهم بالتكذيب ولما كان اهلاكهم في بعض الزمان الماضي قال من
قبل اي قبل الفريقين فصار في الكلام تهويلان يهزان القلب ويفعلان في النفس وصف هؤلاء بالقبلية واولئك بالاولى
ولولا تعذيبهم ما كان هذا او علل اهلاكهم بما يؤذن انه لا فرق عنده بين قوي وضعيف وقليل وكثير مؤكدًا لان ما اشتهر
من طغيان عاد يوجب ان يظن انهم اطغى الناس انهم كانوا اي بما لهم من الاخلاق التي هي كالجبلات التي لا انفكاك عنها
هم اي خاصة اظلم اي من الطائفتين المذكورين واطغى اي واشد تجاوزًا في الظلم وعلوًا واسرافًا في المعاصي وتجبرًا وعتوًا
لتمادي دعوة نوح عليه السلام ولانهم اطول اعمارًا واشد ابدانًا وكانوا مع ذلك ملوك الارض ويجوز ان يكون الضمير للفرق
الثلاثة ولما ذكر الهلاك بالريح ثم بالصاعقة الناشئة عنها ثم بالماء الناشئ عن السحاب الناشئ عن الريح ذكر
الاهلاك بالريح والنار والماء اعلامًا بانه الفاعل وحده بما اراد من العناصر التي هي سبب الحياة مجتمعة ومنفردة فقال
مقدمًا على العامل اعلامًا بالتخصيص بما يذكر من العذاب افادة لانه تعالى قادر على كل شيء فلم يعذب فرقة بما عذب به الاخرى
والمؤتفكة اي المدن المنقلبة عن وجوهها الى اقفائها بقدرة جعلتها من شدتها وعظمها كانها انقلبت بنفسها من
غير قالب وذلك انه سبحانه نتقها من الارض فعلقها ثم رفعها في الهواء الى عنان السماء ثم قلبها واتبعها بحجارة النار
الكبريتية وغمرها بالماء الذي لا يشبهه شيء من مياه الدنيا وكذلك قال اهوى اي دفع وحط وانزل فكان الانزال
اهواء حقيقيًا والرفع مجازيًا لانه سببه وهي مدن قوم لوط عليه السلام واشار الى الحجارة والماء بقوله مسببًا عن
الاهواء ومعقبًا له فغشاها اي اتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء وهوله بقوله ما غشى اي امرًا عظيمًا من الحجارة
وغيرها لا تسع العقول وصفه وقد اشتمل ما ذكره سبحانه عن الصحف على بيان ما ينفع من الاعمال وما يضر وبيان التوحيد
باحاطة الله سبحانه بالنهايات التي لا نهاية بعدها علمًا وقدرة لاختصاصه ببيان المصنوعات وبيان البعث للتخويف
بالآجل واهلاك المتمردين للتخويف بالعاجل لمن كان قلبه جافيًا عن العود الى الآجل ولما اهلك كل
واحدة من هذه الفرق فلم يبق من فجارها احدًا ونجى من اطاعه منهم فلم يهلك منهم احد وكان اهلاكه لكل منهم بشيء غير
ما اهلك به الفريق الاخر فدل كل من ذلك على تمام علمه وكمال قدرته وكان كل ما تقدم في هذه السورة من النعم والنقم
لكونه كان على اتم اوجه الحكم نعمة على كل مؤمن لما فيها من الترغيب في ثوابه والترهيب من عقابه خاطب سبحانه راس المؤمنين
لان خطابه له اشد في تذكير غيره فقال مسببًا عما مضى فباي الاء ربك اي اعطية المحسن اليك التي هي على وجه الانعام
والاكرام وهي آثار المعرفة به سبحانه بمنزلة ظل الشخص من الشخص فكما انه لا يتصور ظل لا لشخص فكذلك لا يكون فعل
الا لفاعل ولا اثر الا لمؤثر تتمارى اي تشك باجالة الخواطر في فكرك في ارادة هداية جميع قومك بحيث لا تريد ان احدًا منهم
يهلك وقد حكم ربك باهلاك كثير منهم لما اقتضته حكمته فكان بعض خواطرك في تلك الاجالة يشكك بعضًا ولما تم الكلام
على هذا المنهاج البديع والنمط الرفيع في حسن البيان للمواعظ والشرع والقصص القديمة والانذار العظيم الشامل على وجه معجز
من وجوه شتى انتج قوله مرغبًا مرهبًا خاتمًا السورة بما بداها به من ذكره صلى الله عليه وسلم هذا اي النبي صلى الله عليه وسلم
نذير اي محذر بليغ التحذير ولما كان الرسل الماضون قد تقررت رسالاتهم في النفوس وسكنت اليها القلوب
بحيث انه لا يسع انكارها وكان قد اخبر عن اهلاك من كذبهم لاجل تكذيبهم وانجائهم وانجاء من صدقهم لاجل تصديقهم وكان من
قرر حبه صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك الا ان الرحمة به اغلب مرغبًا في اتباعه مرهبًا من نزاعه قال من النذر الاولى
ولما كان يجب له ما وجب لهم وانتم كالمنذرين الاولين فاحذروا ما حل بالمكذبين منهم وارجوا ما كان للمصدقين
كان كلا انت قريبًا وكانت الساعة وهي ما ادرته من القيامة وما دونها لابد من اتيانها لما وقع من الوعد الصادق به المحفوف بالدلائل

التي

التي لا تقبل شكًا بوجه من الوجوه فكان باعتبار ذلك لا شيء اقرب منها قال دالا على ذلك بصيغة الماضي الذي قد تحقق وقوعه
وباشتقاق الفاعل مما منه الفعل ازفت الازفة اي دنت الساعة الدانية في نفسها التي وصفت لكم بالقرب عن قرب لانها محط
الحكمة واظهار العظمة وما خلق الخلق الا لاجلها المشتملة على الضيق وسوء العيش من القيامة ومن كل ما وعد بوقوعه في الدنيا مما يكون
به ظهور هذا الدين وقمع المفسدين ولما ساق الخافق من ذكرها على هذا الوجه تشوف السامع الى دفعها فاستانف
قوله ليس لها واسند ذلك بقوله من دون الله اي من ادنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلمًا كاشفة اي كاشف
يوجدها ويقيمها ويجلي علمها او يدفع كربها وهمها وان بالغ في الكشف وبذل الجهد فيه فالهاء للمبالغة ويجوز ان يكون
مصدرًا كالخاتمة والكاذبة والباقية فتكون الكشف للنائبة ولما افهم هذا ان الله يكشفها اي يكشف
كربها عمن يريد من عباده وثقلها على من يشاء ويكشف علمها باقامتها ولا حيلة لغيره في شيء من ذلك بوجه سبب عنه وعما
تقدمه من الانذار قوله منكرًا موبخًا افمن هذا الحديث اي القول العظيم الذي ياتيكم على سبيل التجدد بحسب الوقائع والحا
تعجبون انكارًا وهو في غاية ما يكون من ترقيق القلوب ولما كان المتعجب قد يمسك نفسه عن الضحك بين
انهم ليسوا كذلك فقال وتضحكون اي استهزاء تجددون ذلك في كل وقت مستبدًا ضحككم منه وهو بعيد عن ذلك هو
ولما كان البكا كان انما يورث الحزن بكونه نزل بالحزن قال ولا تبكون اي كما هو حق من يسمعه
تذكون وعلى التقصير في العمل بين ان الامر اخطر من ذلك وانتم اي والحال انكم في حال بكائكم سامدون اي دائبون في العمل
جادون فيه فان الامر جد فالداب في العمل والجد فيه حينئذ علة للبكا فكانه قيل ولا دائبون في العمل فتبكون هو
والمائلة ذلك لان سمد معناه داب في العمل ورفع راسه تكبرًا وعلا وسمد الابل جد في السير وسار سيرًا شديدًا وسمد
ودم وسمد قام متحيرًا وحزن وسر وغفل ولها وقام وقعد ونام واهتم وتكبر وتبختر وبطر واشر وسمد الارض سهلها
وايضًا جعل فيها السماد اي السرقين والشعر استاصله وهو لك سمدًا اي سرمدًا والسمد الحواري ذكر ذلك مبسوطًا القزاز
في جامعه وصاحب القاموس فالمادة تدور على الانتشار وعلى الداب في العمل فتارة يذكر مبدأ او الباعث عليه وتارة
الناشئ عنه وتارة ما بينهما وهو الجد في العمل فيطلق الاسم على كل من ذلك تارة حقيقة ومرة بمجاز الاول واخرى بمجاز الكون
فالقصد باعث وكذا الاهتمام والقيام ورفع الراس ناشئًا عنهما وذلك اوله والسدم بمعنى الهم والحرص واللهج بالشيء
والسديم للضبيل الرقيق هو مبدأ للكثيف والمسدم البعير المهمل وما دبر ظهره كانه من الاراحة وركيه سدم مندفعه
للمعالجة في فتحها ولانه تقتها داب في العمل وكذا اسدم الباب اي ردمه والدسم الودك لانه منشط على العمل وبينا
منه الوضر والدنس ودسم المطر الارض بلها قليلا لانه مبدأ للكثير والقارورة سدها والباب اغلقه لانه يعالج في فتحه
والدسمة غبرة الى السواد فانه مبدأ السواد والدسيم لما لم يكن ابواه من نوع واحد كانه مبدأ لكل نوع منهما ولانه
يلزم الخلط في العادة العلاج ومنه الدسمة للردي من الرجال كانه لم يكمل فيه النوع ولان نقص الشيء عن عادته يلزمه العلاج
والعمل بالاخبار والدسيم الدقيق بالعمل المشفق وانا على دسم من الامر اي على طرف منه والمسد محركة المحور من الحديد لانه
آلة الفتل وحبل من ليف او ليف المقل لانه محل الداب والمساد نحي السمن ودمسه دفنه يصلح ان يكون مبدأ ومقصدًا
ومنه دمس بينهم اصلح لانه دفن احقادهم وعالج في ذلك والدمس اخفا الشيء والظلام لانه منشأ التعب ودمس الموضع
درس للتعب في معرفته ودمس الاهاب غطاه فتمرط شعره والدمس الشخص وبالتحريك ما غطى والدموس بالضم جمعه
محر نفسه العلاصيم تنفخ فيحرق ما اصاب بنفخها ومن اثارة الناشئة عنه الود وكذا القيام متحيرًا والغفلة واللهو
والسرور والحزن والنوم والكبر والتبختر والعلو والغنا والتسميد اي الحوارى كالسمد بمعنى المرهد والسادم
بهم مع ندم او الغيظ مع حزن والدياش الكن وما بين ذلك بعد الارض والشعر والسير الشديد والجد فيه وهو
نفس الداب وكذا السديم للكثير الذكر والمسدم وعاشق سدم شديد العشق والدسيم ظلمة السواد والدسيم
الكثير الذكر ودسم البعير طلاه بالهنا والمسد ادآب السير وبالتحريك المضفور المحكم الفتل ورجل ممسود
مجدول الخلق مشبه به وهي الهاء ودمس بينهم اصلح وهو من الدفن ايضًا لانه دفن احقادهم فتبين انه جعل السمود
في الآية بمعنى الداب في العمل اولى وان كون الجملة حالا اقرب من جعلها معطوفة على تضحكون ولما حث
على السمود فسبب مسببًا عن الاستفهام ومدخوله قوله فاسجدوا اي اخضعوا خضوعًا كثيرًا بالسجود الذي في الصلاة هو
لله اي الملك الاعظم واعبدوا اي بكل انواع العبادة فانه ما ضل صاحبكم عن الامر بذلك وما غوى قال الرازي
في اللوامع قال الامام بن علي الترمذي تعبدنا ربنا مخلصين ان نكون له كالعبيد وان يكون لعبيده كما هو لهم انتهى
ولو كان السمود بمعنى اللهو كان الانسب تقديمه على ولا تبكون والله اعلم وقد ظهر ان اخرها نتيجة اولها ومفصلها
ثمرة موصلها

سورة القمر وهي اقتربت

مقصودها بيان آخر النجم في امر الساعة من تحققها وشدة قربها

ونصنيف اهلها باعتبار ماذكرهنالك من العجب من القرآن والضحك او البكا او النمال الى طالب علم ممتد به بادروا الى منع نفسه
شهواتها صا لتباهما لها فهو خايب وذلك لانه سبحانه وعد بذلك لاخبار نبيه صلى الله عليه وسلم عنه وتحقق صدقه بما اتى به
من اياته التي ثبت بها اقتداره على ما يريد من الايجاد والاعدام فثبت تفرده بالملك وابدا اقترانها بالتاثير في آية الليل بما
يدل على الاقتدار على نقض السموات المستلزم لاهلاك الارض فاذن بذلك بانه ما بقي الا تاثير آية النهار وعندها يكون كلي الاء
تنشاد وعموم البوار المودن بالاحصار لذى الواحد القهار واذل ما فيها على هذا الغرض كله اول اياتها فلذلك سميت
بما تضمنته من الاقتراب والساعة والقمر وكانت تسميتها بالقمر اشهر لدلالته بسرعة سيره وكثرة تقلبه على الاقتراب
المختتم به النجم بالاشارة لا بالعبارة ولم تسم بالانشقاق لانه اذا اطلق انصرف الى الاتم فالسما احق به بسم الله الذي
احاط علمه فتمت قدرته الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء فعمت الشقي والسعيد نعمته الرحيم الذي خص بتمام النعمة من اصطفاه
فاسعد بتمام رحمته ولما ختمت النجم بالتهديد باقتراب القيمة التي ينكرونها بعدان فتحها بالاقسام بالتاثير بذلك مع
الدلالة عليه عقلا وسمعا بالتاثير في اعظم ايات الليل وغير ذلك ليقلع العباد عن الفساد ويعتدوا لها قبل مجيها احسن اعتداد
فقال دالا على عظيم اقتداره عليها بتانيث فعلها اقتربت الساعة اي اشتد قرب اللحظة التي لا ساعة في الحقيقة غيرها
التي تقوم فيها القيمة لانه قل ما بقي حينا وبينها بالنسبة الى ما مضى من زمن آدم عليه السلام لبعث خاتم الانبيا الذي لم يبق
بعد امته امة تنتظر فتكون في الزمان مهلة لذلك ولما كان الاخبار باقترابها يحتاج عند المعاند الى اية تدل عليه
وكانت الايات السماوية اعظم فالتاثير فيها ادل على تمام الاقتدار وكان القمر ادل على الانوا التي بها منافع الخلق في معاشهم
وكانت العرب اعرف الناس بها ذكرهم بالتاثير فيه على اقترابها مع الارهاب من شديد العذاب باعدام الاسباب فقال وانشق
بغاية السرعة والسهولة القمر اية للرسول المنذر لكم بها فكان انشقاقه دالا على صدقه مع الدلالة على ذلك باعجاز القرآن وعلى
وذلك الاعلى كونهما وقربها ايضا بالتاثير العظيم الخارق للعادة فما قبله من التاثير في احد النيرين الذين هما اعظم الاسباب بالمنامة
للمعايش الدال على القدرة على التاثير في الاخر الدال ذلك على القدرة على تمام التصرف فيهما من جمعهما وخسفهما واعدامهما وطمسهما
الذي هو من اسباب خراب الارض يقول الانسان عنده اين المفر المودن بطي العالم المعلم بان له ربا فاعلا بالاختيار مدبرا بالحكمة
الدال على بعث عباده ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون فيثيب من تابع رسله ويعاقب من خالفهم وانشقاق القمر على حقيقته
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم امر شهير جدا واجماع اهل التفسير عليه كما قاله القشيري وقال رواه ابن مسعود رضي الله عنه
ولا مخالف له فيه انتهى وذلك ان قريشا سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر بحيث طلعت
فرقة منه عن يمين حرا واخرى عن يساره روى ذلك الشيخان عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ومعلوم ان الامة تلقت كتابيهما
بالقبول فهو يكاد يلحق بالمتواتر وقد ايده القرآن فلم يبق فيه شك قاله القشيري وروى ايضا عن ابن عمر وحذيفة وابن عباس
وجبير بن مطعم رضي الله عنهم وقال ابو حيان بسبب نزولها ان مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا
فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا بالايمان ان فعل ذلك وكانت ليلة بدر فسال ربه فانشق القمر انتهى ومن قال ان المراد انه
سينشق يحتاج في صرف لفظ الماضي عن حقيقته الى المستقبل الى دليل صارف واني له ذلك ولاسيما وقد تايدت الحقيقة
بالسنة الصحيحة الشهيرة وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما اعلمهم سبحانه بان اليه المنتهى وان عليه النشاة الاخرى
وانه ان تجزى كل نفس بما اسلفت اعلمهم سبحانه بقرب ذلك وحسابه ليزدجر من وفقه للازدجار فقال تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر ثم ان سورة ص تضمنت من عناد المشركين وسوء حالهم وتوبيخهم في عبادتهم ما لا يضر ولا ينفع ما
لا يكاد يوجد في غيرها مما تقدم مما وبعد التنبيه في السور قبلها والتحريك بايات لا يتوقف عنها الا من اضله الله وخذله
وابتنت السور بعد على ما تمهد مما تضمنته سورة ص فلم تخل سورة منها من توبيخهم وتقريعهم كقوله في الزمر والذين اتخذوا
من دونه اوليا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقوله قل الله
اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه وقوله مثلا لحالهم ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون الاية الى ما
بعد من التقريع والتوبيخ وقوله في سورة غافر ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد وقوله ذلكم
بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا وقوله اولم يسيروا في الارض الاية وقوله ان الذين يجادلون في ايات الله
بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وقوله الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا
بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون الى قوله فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون وقوله اولم
يسيروا في الارض الى ما تخلل هذه الاي وقوله في السجدة فاعرض اكثرهم وقالوا قلوبنا في اكنة وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القران ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا الى قوله اولئك ينادون من مكان بعيد وقوله سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم الى خاتمة السورة وقوله في الشورى والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل كبر على

المركين

المشركين ما تدعوهم اليه والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم الاية ام لهم شركا شرعوا لهم من الدين
ما لم ياذن به الله الاية فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا وقوله في الزخرف افنضرب عنكم الذكر صفحا الاية وجعلوا له
من عباده جزءا الى ما تردد في هذه السورة مما قرعوا به اشد التقريع وتكرر في ايات كثيرة فتاملها وقوله في الدخان بل هم في
شك يلعبون الى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون وقوله ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين الى قوله ان هذا ما كنتم
به تمترون وقوله في الشريعة فباي حديث بعد الله واياته يومنون الايات الى قوله والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب
من رجز اليم وقوله افرايت من اتخذ الهه هواه الى اخر السورة وقوله في الاحقاف والذين كفروا عما انذروا معرضون معظم
ايات هذه السورة لم يخرج عن هذا الى خاتمتها وكذا سورة القتال ولو لم يتضمن الا الامر بقتلهم واسرهم وتحيل حربهم فاذا
لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب واما سورة الفتح فما تضمنته من البشارة والفتح اشد على الكفار مما قرعوا به ولم تخرج عن
الغرض المتقدم وكذا سورة الحجرات لتضمنها من الامر بتعزير النبي صلى الله عليه وسلم واجلاله ما يغر غير المومن ويقتل
العدو والحاسد ومما فيها ايضا من ايتلاف امر المومنين وجمع كلمتهم وتاخيهم وموقع هذا من العدو بحيث لا يخفى على احد واما
سورة الذاريات والطور والنجم فما تضمنته مما ذكرناه قبل اوضح شيء وبذلك افتتحت كل سورة فتامل مطالعها تجد ذلك
غاية في الغرض فلما انتهى ما قصد من تقريع مكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغت الاي في هذه السور من ذلك اقصى
غاية وتمحض باطلهم وانقطع دابرهم ولم يحيروا جوابا عرض عليهم سبحانه في سورة القمر احوال الامم مع انبيائهم وكان
القصد من ذلك والله اعلم مجرد التعريف بانهم ذكروا فكذبوا فاخذوا والتنبيه لهولاء ان لا فرق بينهم وبين غيرهم وان لا يغرهم
عظيم حلمه سبحانه عنهم فهذه السورة اعذار عند تمكنهم وانقطاع حججهم بما تقدم وبعد ان انتهى الامر في وعظهم هم
وتنبيههم بكل اية الى غاية يعجز عنها البشر ولهذا افتتح سبحانه هذه السورة بقوله ولقد جاءهم من الانبا ما فيه مزدجر
حكمة بالغة فما تغني النذر ووضحها بقوله اكفاركم خير من اوليكم وهذا ابين شيء فما قدمناه وكانه قيل لهم اي فرق بينكم وبين
من تقدم حتى ترتكبوا مرتكبهم وظننتم انكم ستفوزون بعظيم جرائمكم فذكر سبحانه لهم قصة كل امة وهلاكها عند
تكذيبها باعظم ايجاز وبذل ابرادوا فخم عبارة والطف اشارة فبدا بقصة قوم نوح كذبت قبلهم قوم نوح الى قوله
ولقد تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ثم استمر في ذكر الامم مع انبيائهم حسبما ذكروا في السور الواردة
قبلها اخبارهم من تكرارها بعد امته الا ان الواقع هنا من قصصهم اوقع في الزجر وابلغ في الوعظ واعرق في الافصاح بسوء
منقلبهم وعاقبة تكذيبهم ثم ختمت كل قصة بقوله فكيف كان عذابي ونذر وتخلل هذه القصص قوله تعالى ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر وفي اشارة الى ارتفاع عذر من تعلق باستصعاب الوقوف على زواجره وتنبيهاته ومواعظه
ويدعي بعد ذلك واستغلاقه فقيل له انه ميسر قريب المرام وهذا فيما يحصل عنه التنبيه والتذكر لما عنه تكون الاحكام
باذن الله وورا ذلك من المشكل والمتشابه ما لا يتوقف عليه ما ذكر وحسب عموم المومنين الايمان بجميعه والعمل بالمحكم
ثم يفتح الله تعالى فهم ذلك على من شرفه به واعلا درجته فيبين له بحسب ما يشرح الله صدره يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات ومن تيسير المقصود المتقدم تكرار قصص الانبيا مع اممهم في عدة سور اذ حفظ منها
اطلع على ما كاف في الاعتبار بهم ثم اذا ضم ذلك بعضه الى البعض اجتمع منه ما لم يكن ليحصل من بعض تلك السور فسبحان
من جعله حجة باهرة وبرهانا قاطعا على صدق الاتي به وصراطا مستقيما ونورا مبينا ولما ذكر سبحانه
عواقب الامم في تكذيبهم قال لمشركي العرب اكفاركم خير من اوليكم ومن هذا النمط قول شعيب عليه السلام ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي
ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح الاية ثم قال تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع
ويولون الدبر اي انكم ان تعلقتم بتالفكم وجماعتكم فسافرق ذلك بهزيمتكم يوم بدر وقتل صناديدكم فما حملكم بعد هذا
انبا مساق القصص في هذه السور واعتماد التعريف بحال من ذكر في انهم كذبوا وعاندوا فاعقب تكذيبهم اخذهم وهلاكهم
ثم تعقب هذا كله بصرف الكلام الى مشركي العرب في قوله اكفاركم خير من اوليكم وليس في شيء من السور المذكور فيها
قصص الامم على هذا الاستيفا كالاعراف وهود ونظايرهما ليس في شيء من ذلك تعقيب بذكر مشركي العرب على الصفة
الواردة هنا فانبا ذلك بكمال المقصود من الوعظ والتحريك بذكرهم وانقضاء هذا الغرض وذلك انهم ذكروا اولا
بعرض احوال الامم والتعريف بما آل اليه امرهم وكان ذلك في صورة عرض من يريد تاديب طايفة ممن اليه نظرهم قبل ان يظهر
منهم تمرد وعناد فهو يستلطف في دعايهم ولا يكلمهم تكليم الواجد عليهم بل يفهمهم من كلامه الاشفاق والاستعطاف
وارادة الخير بهم ثم يذكرهم بذلك ويكرره عليهم المرة بعد المرة وان تخلل ذلك ما يبين منه فظاعة التهديد وشدة
الوعيد فلا يصحبه تعيين المخاطب وصرف الكلام بالكلية اليه بل يكون ذلك على طريق التعريض والتوبيخ ثم لو كان لا غنى
بما قبله وما بعده من التلطف حتى اذا تكررت الموعظة فلم تقبل هنا محل الغضب وشدة الوعيد وعلى هذا وردت السور

المذكورة فيها حالا لا الامم كسورة الاعراف وهود والمؤمنين والظلة والصافات وما من سورة منها الا والتي بعدها اشد في التعريف
واميل الى الزجر والتعنيف فتامل تعقيب القصص في سورة الاعراف بقوله تعالى وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون وقوله
بعد موعظة بالغة بذكر من حرمه بعد اشرافه على الفوز وهو الذي اخلد الى الارض واتبع هواه فقال بعد ذلك فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون وتذكيرهم اياه بحجة العقلة الى ما ختمت به السورة وذلك غير خاف في التلطف بالموعظة وقال تعالى بعد
قصص سورة هود وكذلك اخذ ربك الاية وقال بعد فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء الى قوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص
وتكررت اي الى اخر السورة تجاري ما ذكر ولم تبق هذه واي الاعراف في تلطف الاستدعا وقال تعالى في اخر قصص سورة المؤمنين
فذرهم في غمرتهم حتى حين الى قوله لا يشعرون ثم قال بعد ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب
اذا هم يجأرون استمرت اي على هذه الوعيد يتلو بعضها بعضا الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله تعالى بعد انه لا يفلح
الكافرون وكم بين هذه الاي وبين الواقعة عقب قصص سورة هود وقال في اخر قصص الظلة وانه لتنزيل رب العالمين الى قوله
خاتمة السورة وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فوبخهم وعنفهم ونزه نبيه عليه السلام عن سوء توهمهم وعظيم
افكهم وافترائهم وكل هذا تعنيف وزجر لم يتقدم لهم مثله في السور المذكورة ثم هو صريح في مشركي العرب معين لهم في غير تلويح
ولا تعريض ثم انه وقع عقب كل قصة في هذه السورة قوله تعالى ان في ذلك لاية وفيه تهديد ووعيد بين وقال تعالى في اخر
قصص والصافات فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون
ولد الله وانهم لكاذبون وهذا اعظم تقريع واشد توبيخ ثم نزه نفسه سبحانه عن بهتان مقالهم وسوء ارتكابهم وقبح فعالهم
بقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون فلما اخذوا بكل ما خذ فما اغنى ذلك عنهم قال تعالى في سورة القمر ولقد جاءهم من
الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فتول عنهم ولم يقع امره صلى الله عليه
وسلم بتركهم والاعراض عنهم والتولي الا بعد حصول القصص في السور المذكورة واخذهم بكل طريق واول امره بذلك صلى
الله عليه وسلم في سورة السجدة فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون ثم في سورة والذاريات فتول عنهم فما انت بملوم ثم
قوله هنا فتول عنهم فتامل ذلك ثم ذكر تعالى قصص الامم اثر قوله هنا فتول عنهم باشد وعيد واعظم تهديد بتعقيب كل
قصة بقوله تعالى ولقد تركناها اية فهل من مدكر وقوله فكيف كان عذابي ونذر ثم صرف الكلام اليهم بما تقدم من قوله
اكفاركم خير من اولئكم فبلغ ذلك اعظم مبلغ في البيان والاعذار ثم قال تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر ثم عرف سبحانه بسابق
حكمته فيهم انا كل شيء خلقناه بقدر وانقضى ذكر القصص فلم يتعرض لها مستوفاة على هذا المساق فيما بعد الى اخر الكتاب
فسبحان من رحم به عباده المتقين وجعله اية باهرة الى يوم الدين وقطع به عناد الجاحدين وغائلة المعتدين وجعله
بيانا كافيا ونورا هاديا واعظا شافيا جعلنا الله ممن اهتدى واعتلق بسببه انه اهل الاستجابة والعفو
والمغفرة انتهى ولما كان التقدير فاعرض الكفار عن ايه الانشقاق وقالوا سحر مع علمهم بانه دال قطعا على
صدق من انشق لتصديقه عطف عليه الاعلام بحالهم في المستقبل فطما لمن يطلب من المؤمنين اجابة مقترحاتهم رجاء ايمانهم
فقال وان يروا اي فيما ياتي اية اي اية كانت يعرضوا اي عن الانتفاع بها كما اعرضوا عن هذه لما راوها وقال بعضهم
سحر فقال بعضهم امهلوا حتى يجيء السفار فان قالوا انهم راوا كما رايتم فليست بسحر فان محمدا لا يستطيع ان يسحر اهل الارض
كلهم فجاء السفار وشهدوا برؤيته منشقا ومع ذلك فما امنوا ويقولوا اي على سبيل التجديد والاستمرار سحر اي
هذا الذي ياتينا به هذا الرجل انما هو من وادي الخيال الذي لا حقيقة له مستمر اي لكنه فارق السحر بانه لا ينكشف في الحال
لانه محكم قوي ثابت دائم بشموله واحاطته بجميع الانواع ولذلك يتاثر عنه هذه الخوارق المتباينة الانواع الكثيرة ه
وطمع عن التشوف الى اجابتهم الى المقترحات عطف على ما قدرته مما تسبب منهم عن الانشقاق قوله وكذبوا
ولما كان التكذيب في نفسه اي بكون الانشقاق دالا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وجزموا بالتكذيب عنادا
قد يكون حقا قال مبينا انه باطل واتبعوا اي بمعالجة فطرهم الاولى المستقيمة في دعائها الى التصديق اهواءهم حين نابذوا
ما دلتهم عليه تلك الفطر الاولى وعقولهم قال القشيري اذا حصل اتباع الهوى فمن شؤمه يحصل التكذيب لان الله يلبس على
قلب صاحبه حتى لا يستبصر والرشد واتباع الرضى مقرون بالتصديق لان الله تعالى ببركة الاتباع للحق يفتح عين
البصيرة فياتي بالتصديق ولما كان ذلك مقطعا لقلوب المحقين سلاهم بالوصول الى محط عظيم تظهر فيه
الحقائق وتضمحل الشقاشق فقال عاطفا على ما تقديره فسيستقر كل من امر المحق والمبطل في قراره ويطلع على دقائقه
واسراره وكل امر من امورهم وغيرها مستقر اي ثابت وموجود انتهاؤه الى غاية تظهر فيها حقيقته من غير حيلة لقاصد
على رد ذلك القرار ولا خفاء على احد فلا بد ان ينتهي الحق من كل شيء من الاحوال والهدايات والضلالات والسعادات
والشقاوات وغيرها الى نهايته فيثبت ثبوتا لا زوال له وينتهي الباطل مما ادعاه الخلق فيه الى غايته فيتلاشى

تلاشيا لا ثبات له بوجه من الوجوه فاذا استقرت الامور ظهر لهم ما هم عليه وعلموا الخاسر من الفائز وفي مثل هذا قال
عاصم بن عمرو التميمي اخو القعقاع في وقعة البثني من بلاد العراق والوقت حيلنا لما التقينا تقارب والامور لها انتهاء
وقرا ابو جعفر بالجر صفة لامر فيكون كل معطوفا على الساعة اي واقترب كل امر مستقر اي ثابت وهو الحق اي اقترب
ظهور الحق وثباته ولا يكون ذلك الا وقد كان خفاء الباطل وفواته ولما حذر وبشر قال معللا انه محيط
العلم بامرهم من قبل الاجابة الى شق القمر وانه ما شبعه لطمع في ايمانهم بل للاعلام بحدثه لانهم مؤكدا لمن يتعلق رجاؤه بان
تواتر الايات ربما اوجب لهم التصديق المتضمن لان ما جاءهم ليس فيه كفاية ولقد جاءهم اي قبل هذا الانشقاق من الانباء
اي الامور العظيمة المرتبة والمسموعة التي تستحق لعظمتها ان يخبر بها اخبارا عظيما لاسيما ما جا في القران من تفصيل
اصول الدين وفروعه واخبار الاولين والاخرين والاولى والاخرى ما فيه خاصة مزدجر اي موضع للزجر من شانه
ان يكون لهم به ازدجار عظيم عما هم فيه من الباطل ولكن لم يزدجر منهم الا من اراد الله قال القشيري لان الله اسبل على
ابصارهم سجوف الجهل فعموا عن مواضع الرشد ولما كان ما فيه ذلك قد لا يكون محكما بينه بقوله حكمة
اي عظيمة بالغة اي لها اعظم البلوغ الى انهى غايات الحكمة لصحتها وظهورها تماما ووضوحها نفعها مع الزجر ترجية
ومواعظ واحكام ودقائق تجل عن الوصف ولما تسبب عنها ان جاءهم سبب عن ذلك قوله فما تغنى
مرتجيا او باستفهام انكاري موبخ تغني النذر اي الانذارات والمنذرون والامور المنذر بها ومنها انما المغني ذلك
هو الله تعالى فما شاءه كان وما لم يشاه لم يكن ولعل الاشارة باسقاط يا تغني باجماع المصاحف من غير موجب في اللفظ
الى انه كما سقطت غاية احرف الكلمة سقطت ثمرة الانذار وهو القبول ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد
التعلق بطلب نجاتهم فهو لذلك ربما اشتهى اجابتهم الى مقترحاتهم سبب عن ذلك قوله فتول عنهم اي كلف نفسك الاعراض
عن تمني ذلك فما عليك الا البلاغ واما الهداية فالى الله وحده ولما كان بين اقتراب الساعة بالاجابة الى بعض مقترحاتهم
القائم مقامها كلها الا انه لا لانه على القدرة عليها واتبع ذلك العظم عن طلب الاجابة الى شيء منها لانها لا تغني شيئا نظائف القول
الكاملة الى وصف الساعة فاجاب عن ذلك على سبيل الاستيناف بذكر ظرفها وذكر امارات ما يقع فيه من الاهوال فقال
معلقا بما تقديره الساعة كائنة على وجه الاقتراب الشديد يوم يدع ويجوز والله اعلم ان يكون الناصب له تول لانهم لما اعرضوا
حين دعاهم كان جزاؤهم ان يعرض عنهم يوم حاجتهم اليه لان الجزاء من جنس العمل فكانه قيل بعدا ان عدا القيمة امر اختلفا لا اباني
النزاع فيه تول عنهم في ذلك اليوم العبوس الذي زلت فيه الشافع المقبول واتركهم لاهوال وذواهيه فقد بان ان الله
الخاسر بتوليهم انما هو هم لان توليهم عنك لا يضرك شيئا اصلا وتوليك عنهم يضرهم ضررا ما بعده ضرر والله اعلم ه
وحذف واو يدعو في الرسم باجماع المصاحف من غير موجب لان المقام لبيان اقترابها فكانه اشارة الى كونها بادنى دعاء
واضعف جذبه تشبيها للخبر بالامر اشارة الى ان هذا الدعاء لا بد من ان يكون على اعظم وجه واتقنه واهوله وامكنه
كما يكون كل مامور به من الامر المطاع والوقف على هذا وامثاله لغير واو وجميع القراء موافقة للرسم لان القاعدة انما كان فيه
لغاية اتبعت وان خالفت الرسم او الاصل وما لم يرد فيه على احد منهم رواية اتبع فيه الرسم وان خولف الاصل لان التخفيف
معهود في كلام العرب كالوال والمتعال لكن قال شيخنا علامة القراءات في عصره شمس الدين بن الجزري في كتابه النشر
في هذه الاحرف الاربعة هذا ويدع الانسان في سبحان ويمحوا الله الباطل في الشورى وسندع الزبانية في العلق نص
الحافظ ابو عمرو والداني عن يعقوب على الوقف عليها بالواو على الاصل ثم قال قلت وهو من انفراده وقد قراته من
طريقه الداعي اي بالنفخ في الصور الى شيء نكر اي عظيم الوصف في النكارة مما تكرهه النفوس فتوجل منه القلوب لانه
لا شيء منه الا وهو خارج عما تعرفه من العادة ولما بين دعاءه بما هاله الامر بين حال المدعوين زيادة في
الهول فقال خاشعا ابصارهم اي ينظرون نظر الخاضع الذليل السائل المنزلة المستوحش الذي هو جسر حال وسبب
الخشوع الى الابصار لان الذل والعز يتبين في النظر فالذل ان يرمي به صاحبه الى الارض مثلا مع هيئة يعرف منها
ذلك كما قال تعالى خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وافرد في قراءة ابي عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي دلالة على
ان الخشوع بلغ النهاية في الشدة وتساويه في ذلك الى كل بصر على حد سواء وجمع على لغة اكلوني البراغيث في قراءة الباقين
بضم الخاء وتشديد الشين مفتوحة او هو مسند الى المدعوين والابصار بدل بعض اشارة الى ان ذلك موزع على الابصار
ولما بين من حالهم ما يدل على بكارة ذلك اليوم بين كيفية خروجهم بيانا لما يلزم من تقويم زيادة الذعر
فقال يخرجون اي على سبيل التجدد والاستمرار من الاجداث اي القبور المهيأة لسماع النفخ في الصور كانهم في
كثرتهم وتراكم بعضهم على بعض وصغارهم وضعفهم وتموجهم جراد منتشر اي منبث متفرق حيران متطاوع لمن يسرع بعد
ما كان فيه من سكون الطي مختلط بعضه ببعض لا جهة له في الحقيقة يقصدها لو خلي ونفسه ولما كان الاد

قد تكون على وجه المهل والوقار فقال مبينا ان الامر على غير ذلك زيادة في هول ذلك اليوم وتقريرا لما تقدم من وصفه **مهطعين الى الداعي** اي مسرعين خائفين مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه مادّي اعناقهم نحوه مصوّبي رؤوسهم لا يلتفتون الى سواه كما يفعل من ينظر في ذل وخضوع وصمت واستكانة **ولما** بين حالا لكل حصر حال المطلبين فقال **يقول** اي على سبيل التكرار **الكافرون** اي الذين كانوا في الدنيا عريقين في ستر الادلة واظهار الاباطيل المضلة **هذا** اي الوقت العظيم جدا لما نرى فيه من الاهوال **يوم عسر** اي هو في غاية العسر والصعوبة والشدة وذلك بحسب حالهم فيه ولما تقدم امره سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتولي عنهم تهديدا لهم وشرح ما اراد من امر الساعة لما دعا الى ذلك من تقدم ذكرها ولانها اشد هول يهددون به وبيانا لان الخلق ما خلق الا لاجلها لانها محط الحكمة وختم بعسرها على الكافرين عقب ذلك التهديد بعذاب الدنيا دعا لاهل الغلظة الموكلين بالمحسوسات فذكرا عسر يوم كان على الكافرين فيها فقال مهددا الفريقين بجمل القصة مثالا لهم في الاهلاك وفي امر الساعة من حيث انه كما اهلك اهل الارض في آن واحد بما ارسله من الماء فهو قادر على ان يهلكهم في آن واحد بالصيحة وكما صرف هذا التصريف الذي ما سمع بمثله في الاهلاك فهو قادر على ان يصرفه في الاحياء عند البعث على وجه ما عهد مثله تنبت به الاجساد ويحيي به العباد جوابا لمن كانه قال هذا ما يوعدونه بعد الموت فهل لهم عذاب قبله يدل على كمال القدرة **كذبت** اي اوقعت التكذيب العظيم الذي عموا به جميع الرسالات وجميع الرسل وانث تعليما تحقيرا لهم وتهوينا لامرهم في جنب قدرته **ولما** كان تكذيبهم لما كان من تصميمهم عليه وعزمهم على عدم الانفكاك عنه لكونه جبلة لهم مستغرقا لجميع ما بعدهم من الزمان وكانوا قد سنّوا سنة التكذيب فكان عليهم مع وزرهم وزر من بعدهم وكان ما قبلهم من الزمان يسيرا في جنب ما بعدهم عدّ عدما فلذلك ذكر الظرف من غير حرف لانه مع انه الحق اعظم في التسلية فقال **قبلهم** اي في جميع ما سلف من الزمان بعضه بالفعل وبعضه بالقوة لقوة العزم **قوم نوح** مع ما كان بهم من القوة ولهم من الانتشار في جميع الاقطار **ولما** ذكر تكذيبهم مطلقا اشارة الى انه جبلة لهم جحدوا بها النبوة راسا فلا حظ لهم من التصديق للحق فلا يفترق حالهم بالنسبة الى احد من الناس كائنا من كان فلذلك سبّب عن هذا المطلق قوله المقيد **فكذبوا عبدنا** اي على ما له من العظمة بنسبته الينا بكونه لم يتعبد لغيرنا قط مع تشريفنا اياه بالرسالة فكان تكذيبهم فردا مما دخل في تكذيبهم المطلق الشامل لكل ما يكن تكذيبه وهو صدق **وقالوا** مع التكذيب **مجنون** اي فهذا الذي يظهر له من الخوارق من امر الجن **ولما** كان اعلاء الصوت على صوت النبي كائنا من كان عظيم الفضيحة جدا زائد الفظاعة فكيف اذا كان مرسلا فكيف اذا كان من اولي العزم فكيف اذا كان على سبيل الانكار عليه فكيف اذا كان على صورة ما يفعل من لا خطر له بوجه قال بانيا للمجهول اشارة الى تبشيعه من غير نظر الى قائل وايذانا بان ذلك لم يكن من اكابرهم فقط بل من كبيرهم وصغيرهم **وازدجر** اي اعملوا انفسهم في انتهاره وتوعده وتهديده وانتشر ذلك في جميعهم بغاية ما يكون من الغلظة كفا له عن الرسالة ومنعا له منها او المعنى انهم قالوا انه استطير عقله بالجنون **ولما** طال ذلك منهم ومضت عليه اجيال لهم جيلا بعد جيل حتى مضى له في انذارهم اكثر مما مضى من الزمان لامة هذا النبي الخاتم الى يومنا هذا واوحى الله انه لن يؤمن منهم غير من آمن معه تسبب عن ذلك الدعا بالراحة منهم فلذلك قال صارفا وجه الخطاب الى صفة الاحسان والتربية والامتنان ايذانا بانه اجاب دعاه وكفى عداه **فدعا ربه** اي الذي رباه بالاحسان اليه برسالته معلما له لما ايس من اجابتهم **اني مغلوب** اي من قومي كلهم بالقوة والمنعة لا بالحجة واكده لان من يأتي عن الملك الاعظم يكون ظنه النصر والابلاغ في الشكاية اظهارا للذل العبودية لان الله سبحانه عالم بسر العبد وجهره فما شرع الدعا له الا لاظهار التذلل وكذا الابلاغ فيه **فانتصر** اي اوقع نصري عليهم انت وحدك على ابلغ وجه **ولما** استجاب له سبحانه سبب عن دعائه قوله غاية الى مظهر العظمة اعلاما بمزيد الغضب الموجب للاستيعاب بالغضب **ففتحنا** اي بسبب دعائه فتحا يليق بعظمتنا **ابواب السماء** كلها في جميع الاقطار وعبر بجمع القلة عن الكثرة لان عادة العرب تستعمله لها وهو ارشق واشهر من بيان وسياق العظمة يأبى كونه لغيرها **ولما** كان المراد تهويل امر الماء بذكر حاله التي كان عليها حتى كان المحدث بذلك شاهدا جعله كانه آلة فتحت بها السماء فقال **بماء منهمر** اي منصب بابلغ ما يكون من السيلان والصب كثرة وعظما ولذلك لم يقل بمطر لانه خارج عن تلك العادة واستمر ذلك اربعين يوما **وفجرنا** اي صدعنا بما لنا من العظمة وشققنا وبعثنا واسلنا **الارض عيونا** اي جميع عيون الارض ولكنه عدل عنه للتهويل بالابهام ثم البيان وافادة لان وجه الارض صار كله عيونا **ولما** كان الماء اسم جنس يقع على الانواع المختلفة كما يقع على النوع الواحد وكان قد ذكر ماء السماء وماء الارض تسبب فعلنا هذا اسبب عن ذلك قوله **فالتقى الماء** فقال **على امر** **ولما** تقررت هذه العظمة لهذه الواقعة فكان ربما ظن انه صار جزافا وزاد على الحد المأمور به اشار الى انه بالنسبة الى عظمته في غاية الحقارة فقال **قد قدر** اي موضع كونه مقدرا عليه في كل وقت بغاية السهولة

قد وقع تقديره في الازل فلم يستطع ان يزيد على ذلك قطرة مما فوقها ولا ان يهلك غير من امرنا باهلاكه واشار بالتخفيف الى غاية السهولة في ذلك عليه سبحانه **ولما** ذكر ما علم منه بقرينة ما ذكر من خرقه للعادة وانه اجابة لدعوته عليه السلام ذكر تتميم الانتصار بنجاته فقال **وحملناه** اي بما لنا من العظمة وشققنا وبعثنا واسلنا **الارض عيونا** اي جميع عيون الارض ولكنه عدل عنه للتهويل بالابهام ثم البيان وافادة لان وجه الارض صار كله عيونا **ولما** كان الماء اسم جنس يقع على الانواع المختلفة كما يقع على النوع الواحد وكان قد ذكر ماء السماء وماء الارض تسبب عن ذلك قوله **فالتقى الماء** اي المعهود وهو ماء السماء وماء الارض بسبب فعلنا هذا وزاد في تعظيمه باداة الاستعلاء فقال **على امر** **ولما** تقررت هذه العظمة لهذه الواقعة فكان ربما ظن انه صار جزافا وزاد على الحد المأمور به اشار الى انه بالنسبة الى عظمته في غاية الحقارة فقال **قد قدر** اي موضع كونه مقدرا عليه في كل وقت بغاية السهولة قد وقع تقديره في الازل فلم يستطع ان يزيد على ذلك قطرة مما فوقها ولا ان يهلك غير من امرنا باهلاكه واشار بالتخفيف الى غاية السهولة في ذلك عليه سبحانه **ولما** ذكر ما علم منه بقرينة ما ذكر من خرقه للعادة وانه اجابة لدعوته عليه السلام ذكر تتميم الانتصار بنجاته فقال **وحملناه** اي بما لنا من العظمة على متن ذلك الماء بعد ان صار جميع وجه الارض بحرا واحدا وحذف الموصوف تهويلا بالحث على تعرفه بتأمل الكلام فقال **على ذات** اي سفينة صاحبة **الواح** اي اخشاب نخرته حتى صارت عريضة **ودسر** جمع دسار وهو ما تشد به السفينة وتوصل به الواحها ويلحم بعضها ببعض من مسمار من حديد او خشب او من خيوط الليف على وجه الضخامة والقوة والدفع والمتانة ولعله عبر عن السفينة بما شرحها تنبيها على قدرته على ما يريد من رتق الفتق وفتق الرتق بحيث يصير ذلك المصنوع الى ما هيأه له واراده منه وان كان ذلك الماء عظيما وذلك المصنوع حقيرا **ولما** كان ذلك خارقا للعادة فكان يمكن ان يكون في السفينة خارق آخر بان سكانها على ظهر الماء من غير حركة بين الامر ليس كذلك فقال لمظهر امر خارقا آخر في جريها **تجري** اي السفينة **باعيننا** اي محفوظة من ان تدخل بحر الظلمات او يأتي عليها غير ذلك من الآفات حفظا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشيء باعين كثيرة ولا يغيب عنه اصلا وجوز وان يكون جمع تكسير لعين الماء ثم علل ذلك بقوله **جزاء** اي لعبدنا نوح عليه السلام ولكنه عبر عنه بما يفهم العلة ليحذر السامع وقوع مثل ذلك العذاب له ان وقع منه مثل فعل قومه فقال **لمن** وعبر عن طول زمان كفرهم بقوله **كان كفر** اي وقع الكفر به وهو اجل النعم على اهل ذلك الزمان وذلك جزاء من كفر النعم ويجوز ان يكون المراد به قومه بين انه وقع الكفر منهم وقوعا كانهم مجبولون عليه حتى كانه وقع عليهم لتوافق قراءة مجاهد بالبنا للفاعل **ولما** تم الخبر عن نجاته بجملته نبه على آثارها بقوله **ولقد تركناها** اي هذه الفعلة العظيمة من جري السفينة على هذا الوجه وابقاء نوعها دالة على ما لنا من العظمة وقيل تلك السفينة بعينها بقيت على الجودي حتى ادرك بقاياها هذه الامة **آية** اي علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط والقدرة العامة **فهل من مدكر** اي مجتهد في التذكر بسبب هذا الامر لما يحق على الخلق من شكر الخالق بما هدت اليه رسله كما قالوا **ولما** تقدم تعالى قوله فما تغني النذر واتبعه ذكر اهلاك المكذبين وكان ما ذكر من شانهم امرا متناهيا في الجلالة والعظمة بحيث يحق للسامع ان يسأل عنه ويتعرف احواله ليهتدي بهداية على ذلك بقوله مسببا عن التذكير باستفهام الانكار والتوبيخ **فكيف كان** اي وجد وتحقق **عذابي** اي لمن كفر وكذب رسلي **ونذر** اي الانذارات الصادرة عني او المنذرين المبلغين عني فانه انجى نوحا عليه السلام ومن امن به من اولاده وغيرهم ومتعهم بعد اهلاك عدوهم وجعل الناس كلهم الآن من نسله قال القشيري وفي هذا قوة لرجاء اهل الدين اذا لقوا في دين الله محنة يعني من غيرهم ما اتاهم الله ان يهلك الله عن قريب عدوهم ويمكنهم من ديارهم وبلادهم ويورثهم ما كان لهم وكذلك سنة الله في جميع اهل الضلال انتهى وكان المعنى في تكرير ذلك سلبهم بعد التذكر بما انتابهم به من قصص هذه الامم مبشرا لفهم صغيرهم وكبيرهم ذكرهم واشار لهم كيف كان اخذه لهم وعاقبة نحو ايامهم لعلهم يتعظون فينفعهم انذار المنذرين **ولما** كان هذا المفصل مما انزل اول القرآن تيسيرا على الامة نبه على ذلك بقوله **ولقد يسرنا** اي على ما لنا من العظمة **القرآن** اي على ما له من الجمع والفرق والعظمة المناسبة لكونه صفة لنا **للذكر** اي الاتعاظ والتذكر والتدبر والتفهم والحفظ والتشريف لمن يراعيه قال ابن برجان انزلناه باللسان العربي ونزلناه للافهام تنزيلا وخاطبناهم بعوائدهم واعلمناهم من قبل اعمالهم واقتبسناهم المعرفة واليقين من قبل ذواتهم وضربنا لهم الامثال واطلنا لهم في هذه الاعمار ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم وقال القشيري يسر قراءته على السنة قوم وعلمه على قلوب قوم وفهمه على قلوب قوم وحفظه على قلوب قوم وكلهم اهل القرآن وكلهم اهل الله وخاصته انتهى والآية ناظرة بالعطف والمعنى الى ولقد جاءهم من الانباء الآية فالمعنى انا لو شئنا بما لنا من العظمة لجئناهم بعبارات لا يفهمون رايحتها وبلاغات لا يهتدون الى وجه فهمها اصلا لكنا لم نفعل ذلك بل خاطبناهم بابلغ من بلاغاتهم مع تيسير فهم ما خاطبناهم به فكان في ذلك اعجازان احدهما انه فوق بلاغاتهم الثاني انه مع علوه يشترك في اصل فهمه الذكي والغبي **ولما** كان هذا القرآن العظيم الجامع ترجمة لافعاله سبحانه في هذا الوجود المشاهد والغائب الذي اخبرنا عنه وشرحا لما انزل علينا من اسمائه الحسنى وصفاته العلى التي تعرف الينا بها وكان سبحانه قد جعل خلق الآدمي جامعا لما من شيء من افعاله الا وفي نفسه منه اثر ناط التفكر في

القرآن والتعرف للاجزاء منه بالتذكر الذي يكون لما كان الانسان يعرفه ثم نسيه فصار لا يستقل باستحضاره فاذا ذكر به ذكر فقال منبها على عظيم فضل العلم والقرآن الذي هو طريقه بالتكرار والتعبير بما هو من الذكر على انه محفوظ للانسان بما هيئ له من تيسير امره **فهل من مدكر** قال البخاري في آخر صحيحه قال مطر الوراق هل من طالب علم فيعان عليه وقد تكررت هذه الموعظة في هذه السورة اربع مرات وذكرت الجملة الاخيرة منها مرتين مرة في اول القصص في قصة نوح عليه السلام ومرة كما ياتي في آخرها وذلك عقب قصة فرعون وقوله فكيف كان عذابي ونذر مثل ذلك وذكرت فباي الاء ربكما تكذبان في الرحمن احدى وثلاثين مرة فنظرت في سر ذلك فظهر لي والله الهادي ان الذي تقدم من سورة المفصل على هذه السورة اربع سور هذه السورة خامستها فاشير الى الذكر بكل سورة منها خاتما على اثرها باية ختمت كلماتها بكلمة عادت حروفها السور الخمس وادغم حرف منها في آخر بعد قلبه كل منهما فكانت هذه الكلمة التي اولها الذكر مشيرة الى الحواس الخمس الظاهرة التي هي مبادي العلم وكان ما في اول هذه المواعظ واخرها الخلو عن ذكر القرآن موازنا للحرفين اللذين طرقهما الوهن بالتغيير والقلب لكن لما كان الحرفان بالادغام كحرف واحد كانت الجملتان الموازنتان لهما كاية واحدة من تلك الاربع وكان هذا الاول والاخر مشارا به الى هذه السورة التي جمعت الذكر بالسور الاربع واعربت عن ذكر القرآن لافتتاح السور بالنجوم وما يقرب من المحو وهو آية الليل والتاثير فيها والساعة التي هي من اغيب الغيب وكلمة فيها سوى الله بخصوصه لسلب الامر كله عنهم وخصت بها الاولى والاخرى لجامع ما بينهما من غرق العصاة في الماء ونجاة المطيعين بعضهم بالسفينة وبعضهم بيبس البحر الذي هو مسرح السفن وكانت الموعظة المذكور فيها القرآن في ختام قصة نوح عليه السلام مع عمومها جميع القرآن اشارة الى خصوص التذكير بسورة ق لما بينهما من جامع الاحاطة باحاطة جبل ق بالارض كلها وطوفان قوم نوح عليه السلام بعموم جميع الارض والتي في قصة عاد اشارة الى سورة الذاريات لان هلاكهم كان بالريح والتي في قصة ثمود اشارة الى التذكير بالطور لجامع ما بينهما من الرج والرجف والدك والصعق اما في قصة ثمود فظاهر واما في الطور فلما كان من دكه وصعقه بني اسرائيل فيه وقد ذكر الصعق في آخر الطور وما في قصة لوط اشارة الى النجم لان مدائنهم ارتفعت الى عنان السماء ثم اهويت واتبعت الحجارة فلما كان الامر هكذا وكانت النعم محيطة بالانسان من جهاته الست فضرب الحواس الخمس في الجهات الست فكانت ثلاثين كان كانه قيل هل من مدكر بهذا القرآن ولا سيما ما تقدم من هذه السورة منه في المفصل بما لله عليه من النعم في نفسه وفي الافاق المشار الى القسم الاول منها بمدكر والى الثاني بتكرير ذكر الالاء في كل اية تكريرا انتهى الى العدد المخصوص والى المجموع بالمجموع ليعلم ان نعم الله محيطة به على وجه لا يقدر على صنعه الا الله الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال التي اعظمها من جهة كونها اساسا يبنى عليه الوحدانية المنزهة عن الشركة فيخشى من معصيته ان يسلبه نعمه او واحدة منها فلا يجد من يقوم له ولا بشيء منها غيره او يعذبه بشيء من مثل عذاب هذه الامم او بغيره لما له من احاطة القدرة والعلم فلا يجد من يرد عنه شيئا منه غيره سبحانه واما الواحد الزائد فهو اشارة الى ان المدار في تلك الادراكات هو العقل والحواس اسباب كما ان المقصود بذلك كله واحد وهو الله تعالى وكل هذه الاشياء اسباب لمعرفته وايضا فالواحد اشارة الى ان زيادة الالاء من فضل الله لا تنقطع كما ان الواحد الذي هو اصل العدد لا يزال كلما اتمت زيادتها دورا عاد ابتداء دور اخر دائما ابدا

بديعة جدا وهي تاكيد التقرير لمزيد الاذعان بالتكرير دالة على اشتداد الغضب المقتضي لانهاء العقوبة كما ان من اشتد غضبه من انكار شخص لشيء من قبله اذا بينه له غاية البيان بامور متنوعة وهو مستمر في ذلك عابدا الله دون جحد بلحده فيجمع له جمعا لا يقدر على العدول عن الحق بحضرتهم فيدعوه وهو في قبضته فيذكر له تلك المعاني من ذلك الجمع فيصير كلما ذكر له نوعا منها بحضرتهم قال له هل ظهر لك هذا فيقول له ذلك المنكر نعم ظهر لي فلا يزيده ذلك الا غضبا لما تقدم له من عظيم لدده فيذكر له معنى اخر ثم يقول له هل ظهر لك هذا فيقول نعم والله فلا يعرج على اعترافه ذلك ويذكر له نوعا اخر ويقول مثل ذلك مريدا الزيادة في تبكيته وتخجيله وهكذا الى ان يشتفي غيظه كل ذلك للتنبيه على لدده وكفاية كل نوع منها لما ابرمه من البيان وقال في الكشاف فائدته ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع لهم العصى مرات ويقعقع لهم الشنان تارات لئلا يغلبهم السهو وتستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكريرات لتكون العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان انتهى **ولمثل ما مضى** او قريب منه كرر التهويل بالعذاب ست مرات اربع منها فكيف كان عذابي ونذر واثنتان منها فذوقوا عذابي ونذر فهما بمنزلة واحد من الاربع ليرجع الست الى الخمس الدال عليها مدكر اشارة الى ان الحواس الخمس كما ضربت في الجهات الست لاجل النعم التي هي جلب المصالح ضربت فيها المدكر بدفع النقم الذي هو درء المفاسد والتحذير منها ومن فوائد تكرار الست الراجعة الى الخمس مرتين مرة لجلب النعم واخرى لدفع النقم ان الحواس مكررة ظاهرا وباطنا فمن ذلك نشأ بالقرآن ظاهرا صحت حواسه الظاهرة ونورت له الباطنة ومن ابى عذب بسلب الباطنة فتفسد الظاهرة واختير التوعظين عدد الست مع ارادة ارجاعه الى الخمس لان الستة عدد تام وذلك لان كسورها اذا جمعت ساوتها ولم تزد عنها ولم تنقص وهي النصف

والذي

تيسيره

٢٢٤

والثلث والسدس وهذا العدد مع تلك الاجزاء مساو لدعائم الاسلام الخمس وحظيرته الجهاد الذي هو عماد تقوى المتقين اهل مقعد الصدق الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل الى نبيهم صلى الله عليه وسلم وما انزل من قبله المشار به الى الصيام كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم والحج واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا والجهاد ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الى قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم وذلك اشارة الى ان هذا الدين تام لا زيادة فيه ولا نقص لان النبي الذي ارسل به ختام الانبيا وتمام الرسل الاصفيا كان عاد قد تكبروا بجثتهم وقوتهم وكانت حال قريش قريبة من ذلك بقولهم انهم امنع العرب واقواهم واجمعهم للكمالات واعلاهم كرر ذلك في قصتهم من بين زيادة في تذكير قريش وتحذيرهم ولا سيما وقد كان بدء عذابهم من بلدهم مكة المشرفة كما هو مشروح في قصتهم وكرر الامر بالذوق في قصة لوط عليه السلام لانهم عذبوا بما يردع من كان له ادنى ذوق بالطمس فلما لم ينفعهم ذلك اتاهم اكبر منه فكانوا كامس الدابر فلكل مرة من العذاب مرة من الامر بالذوق وخصوا بالامر بالذوق لما في فاحشتهم الخبيثة بما يستلذونه منه وقد عم عذاب هذه الامم جميع الجهات بما لقوم نوح ولوط عليهما السلام من جهة الفوق بالماء الماطر وحجارة السجيل ومن جهة التحت من الماء النابع والخسف وما في عموم عذابهم من استغراق بقية الجهات والله الهادي **ولما** انقضت قصة نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم كان ذلك موجبا للسامع ان يظن انه لا يكفر احد بعدهم وان لم يرسل رسولا فكيف اذا ارسل فتشوف الى علم ما كان بعده هل كان كما ظن ام رجع الناس الى طباعهم وكانت قصة عاد اعظم قصة جرت بعد قوم نوح عليه السلام فيما يعرفه العرب تصلح ان يكون واعظا لهم وكان عذابهم بالريح التي اهلكتهم ونسفت جبالهم التي كانت في محالهم من الرمال المتراكمة فتنقلها الى امكنة اخرى اقرب دليل على انه تعالى يسير الجبال يوم الدين هذا الى ما في صوتها الخارج عن العوائد من تصوير النفخ في الصور تارة للاماتة وتارة للاحيا فاجيب بقوله **كذبت عاد** اي اوقعت التكذيب العام المطلق الذي اوجب تكذيبهم رسولهم هودا عليه السلام في دعايته لهم الى الله وانذاره لهم عذابي كان من عادة الملوك او بعضهم انه اذا اهلك قوما كثير من جيرتهم لئلا يتجاسر مثلهم بمثل ذنوبهم ان يرفقوا بهم ويتالفهم لئلا يهلكهم فيختل ملكه عفت الاخبار بتلك ببيان هذه الاعلام بعد بيتهم لانه لا يبالي بشيء لان كل شيء في قبضته وما كان تكذيبهم الا بارادته كما ان عذابهم بمشيئته فقال مسببا عن ذلك **فكيف** اي فعلى اي الاحوال لاجل تكذيبهم **كان عذابي** لهم **ونذر** اي وانذاري اياهم بلسان رسولي وكرر في اخر قصتهم هذا الاستخبار لما كان في قصتهم من بين ما تقدم من سر والله اعلم **ولما** ذكر تكذيبهم واعقبه تعذيبهم علم السامع انه شديد العظمة فاستمطر ان يعرفه فاستانف قوله مؤكدا تنبيها على ان قريشا في افعالهم في التكذيب كافعالهم كانهم مكذبون بعذابهم **انا ارسلنا** بعظمتنا وعبر بحرف الاستعلاء اعلاما بالنقمة فقال **عليهم ريحا** كانت الريح ربما كانت غيثا نافعا وصفها بما دل على حالها فقال **صرصرا** اي شديدة البرد والصوت **ولما** كان مقصود السورة قرب قيام الساعة ووصف سيرهم الى الداعي بالاسراع ناسب ان يعبر عن عذابهم باقل ما يمكن فعبر باليوم الذي يراد به الجنس الشامل للقليل والكثير وقد يعبر به عن مقدار من الزمان يتم فيه امر ظاهر سواء كان لحظة او اياما او شهورا او اكثر من ذلك او اقل كيوم البعث ويوم بدر ويوم الموت في قوله تعالى الى ربك يومئذ المساق فقال **في يوم** واكد شومها بذم زمانها فقال **نحس** شديدا لقباحته قيل كان يوم الاربعاء اخر الشهر وهو شوال لثمان بقين منه الى الغروب بالاربعاء الاخر وحقق ان المراد باليوم الجنس لا الواحد بالوصف فقال **مستمر** اي قوي في نحوسته نافذ ما ضمنه امره من ذلك شديدة اسبابه موجودة مرارته وجودا مطلوبا من مرسله في كل وقت مستحكم المرارة قويها دايما الى الوقت انفاذ المراد منه علم وصفها في ذاتها اتبعه وصفها بفعلها فيهم فقال **تنزع** اي تاخذ من الارض بعضهم من وجهها وبعضهم من حفر حفروها ليمتنعوا بها من العذاب واظهر موضع الاضمار ليكون نصا في الذكور والاناث وعبر بما هو من النوس تنبيها لهم فقال **الناس** اي الذين هم صور لا ثبات لهم بارواح التقوى فتطيرهم بين السماء والارض كانهم الهباء المنثور فتقطع رؤسهم من جثثهم وتغير الوانهم بعضهم الى السواد ولذا قال **كانهم** اي حين يصرعون فيلقون بلا ارواح فيهم **اعجاز** اي اصول **نخل** قطعت رؤسها ولما كان الحكم هنا على ظاهر حالهم وكان الظاهر دون الباطن حمل على اللفظ قوله **منقعر** اي منقصف منصرع من اسفل يقرع واصله مغرسه والتشبيه مشيرا الى انهم طوال قد قطعت رؤسهم وفي الحاقة وقع التشبيه في الباطن الذي هو الاعضاء الرئيسة والمعاني اللطيفة التي عنها تكون القوى فانث الوصف حملا على معنى النخل لا لفظها والله اعلم **ولما** طابق ما اخبر به من عذابهم ما تقدم به اولا اكد ذلك لما تقدم من سر فقال مسببا عنه مشيرا الى انه لشدته هو له مما يجب السؤال عنه **فكيف كان** ايها السامع ولفت القول الى الافراد تنبيها للعبيد على المحافظة على مقام التوحيد **عذابي** لمن كذب رسلي **ونذر** اي وانذاري او ورسلي في انذارهم هل صدق ثم سبحانه تحذيرا من مثل حالهم بامر ناظر ثم نظرا الى تدبر ما في سورة الذاريات اتبع ذلك التنبيه على انه ينبغي للسامع ان يتوقع الحث على ذلك فقال مؤكدا

لما لاكثر السامعين من التكذيب بالقال أو بالحال معلماً انه سهل طريق القراءة من مثل هذه الفنن الكبار اليه وتيسر امر الاعتماد
عليه عائداً الى مظهر العظمة ايذاناً بان تيسير القرآن لما ذكر مع اعجازه لايكون الا بعظمة تفوت قوى البشر وتعجزهم فقال
ولقد يسرنا على ما لنا من العظمة في الذات والصفات القرآن الجامع الفارق كله وما اشارت اليه هذه القصة من تفصيله
للذكر للحفظ والشرف والفهم والتدبر والاتعاظ بما صرفنا فيه من انواع المواعظ مع الهيئة المحفظ بالايجاز وعذوبة اللفظ
وقرب الفهم وجلالة المعاني وجزالة السبك وتنويع الفنون وتكثير الشعب واحكام الربط فهل من مدكر اي متسبب عن هذا الامر
العظيم الذي فعلناه انه موضع السؤال عن احوال السامعين هل فيهم من يقبل على حفظه ثم تدبره وفهمه ويتيقظ بما حل بالامم
السالفة ويتذكر جميع ما صرف فيه من الاقوال ويبرزها على نفسه وما لها من الاحوال ويجعل ذلك نوجهنا فنكفيه بتشريفه
بأمر دنياه واخراه ولما كان هذا موضع الاقبال عليه بمواعظ القرآن وكانت قصة ثمود في العظم والوعظ
كان بعد عاد مع ما في صيحتهم الخارجة عن المعهود من تصوير الساعة بنفختها المميتة ثم المحيية قال مؤنثاً لفعلهم اشارة
الى سفول هممهم وسفول فعلهم معلماً ان من كذب هلك على طريق الجواب لمن لعله يقول استبعاداً للتكذيب بعد ما جرى في
القصتين الماضيتين من التعذيب كذبت ثمود اي قوم صالح بالنذر اي الانذارات والمنذرين كلهم لانهم شرع واحد ثم
علل ذلك وعقبه بقوله معلماً بالضمير المباشر لهذا الكفر حالهم لئلا يظن انه الساقط فقالوا منكرين لما جاءهم من الله
غاية الانكار ابشراً انكاراً لرسالة هذا النوع ليكون انكاراً لنبوة نبيهم على اعظم الوجوه واعظموا الانكار بقولهم مقدمين بعد
الانفراد عنهم بخصوصية منا اي فلا فضل له علينا فما وجه اختصاصه بذلك من بيننا وزاد واد ذلك فقالوا واحداً اي
ليس معه من يؤيده ثم فسر الناصب لقوله بشراً بقوله نتبعه اي نجاهد انفسنا في خلع ما الفنا وخلاف ابائنا والاقرار على
انفسنا بسخافة العقل والعراقة في الجهل ونحن الناس كثرة وقوة وفهماً ودربة ثم استنتجوا عن هذا الانكار السديد قولهم
مؤكدين لاستشعارهم بان كلامهم اهل لان يكذب انا اذاً اي اذا اتبعناه لفي ضلال اي ذهاب عن الصواب محيط بنا
وسعر اي يكون عاقبتنا في ذلك الضلال الكون في وايل امر لاندري عاقبته فانه لم يجرب ولم يخبر ولم يمض عليه احد
قبلنا يكون سلفاً لنا فيجرنا ذلك الى الجنون وحرج ونار كما يكون من يتوه في القفار في انواع من الحر يتوقد حر الجبال وحر الفلاة
وحر السموم والاوجال وذلك اعظم من النار التي يتوعدنا بها وهو معنى تفسير ابن عباس رضي الله عنهما له بالعذاب وجعل
سفيان بن عيينة له جمع سعير والمعنى انا اذا اتبعناك كما تقول جامعين بين الضلال والعذاب بساير انواعه ولما كان
فيما قالوه اعظم تكذيب له لو لعل على صحته في زعمهم عا او ما اوا اليه من كونه ادمياً مثلهم وهو مع ذلك واحد من احادهم
فليس هو بامثلهم وهو منفرد فلم يتابع فكيف يفكر غيره حتى يكون موضع الوثوق به دلوا عليه بامر اخر ساقوه ايضاً مساق
الانكار وما وا بالالقا الى انه في اسراعه كانه حجر سقط من علو فقالوا أالقي اي انزل بغتة في سرعة لانه لم يكن عندهم في
مضمار هذا الشأن ولا توهموا انيه قبل اسادته به شيئاً منه بل اتاهم به بغتة في غاية الاسراع ولما كان الالقاء
يكون للاجسام غالباً فكان رفع هذا التوهم اهم بان تقديم النايب عن الفاعل اولى بخلاف ما تقدم في ص فقالوا عليه ودلوا
على وجه التعجب والانكار بالاختصاص الذكر اي الوحي الذي يكون به الشرف الاعظم وعبروا بعلى اشارة الى ان مثل هذا الذي
يقوله لا يقال الا عن قضاء غالب وامر قاهر فقالوا عليه ودلوا على وجه التعجب والانكار بالاختصاص بقولهم من بيننا اي
وفينا من هو اولى بذلك منه سناً وشرفاً ونبلاً ولما كان هذا الاستفهام لكونه انكارياً بمعنى النفي اضربوا عنه
بقولهم على وجه النتيجة عطفاً على ما افهمه الاستفهام من نحو ليس الامر كما زعم بل هو اي فيما ابدى من الشبه كذاب اي بليغ في
الكذب اشر اي مرح غلبت عليه البطالة حتى اعجبته نفسه ففرح وتجبر وبطر ونشط في ذلك فصار كالمنشار الذي هو
متفرغ للقطع مهيئاً له حتى الامر سيئ الاثر فهو يريد الترفع ولما كان هذا غاية الذم لمن يستحق منهم غاية
المدح اجاب تعالى عنه موعظة لعباده لئلا يتقولوا ما يعلمون بطلانه او يقولوا ما لا يعلمون صحته بقوله سيعلمون
اي بوعد لا خلف فيه ولما كان المراد التقريب لانه اكد في التهديد قال غداً اي في الزمن الآتي القريب
لان كل ما حقق اتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا ويوم القيامة وقراءة ابن عامر وحمزة ورويس عن يعقوب بالخطاب التفات
معلم بنهاية الغضب من الكذاب الاشر اي الذي الكذب والاشر وهو احتقار الناس والاستكبار عليهم بما ابدوه من الحق مقصور
ومقصور عليه لا يتعداه الى من رميه وذلك انهم حكوا الكذب دينهم ولم يتعد بهم حتى يدعى شيء منه لصالح عليه السلام فكان
الكلام معناهم قاصراً له عليهم ببيانه على هذا الوجه المبهم المنصف الذي فيه مراوعة العقل وهذا النقص مما لا يعلمه حق
علمه الا الله تعالى وكلما كان الانسان اسلم طبعاً واكثر علماً كان له اعظم ذوقاً ولما علم من هذا انه سبحانه
فصل الامر بينهم تشوف السامع الى علم ذلك فقال مستأنفاً دالاً بانهم طالبوه باية على صدقه انا اي بما لنا من العظمة مرسلوا
الناقة اي موجدوها ومخرجوها كما اقترحوا من حجر اهلناه لذلك وخصصناه من بين الحجارة دالة على ارسالنا صالحاً

عليه

عليه السلام مخصصين له من بين قومه وذلك انهم قالوا لصالح عليه السلام نريد ان نعرف المحق منا بان ندعو الهتنا وتدعو الهك
فمن اجابه الهه علم انه المحق فدعوا اوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع انت فقال فما تريدون قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة
عشراء فاجابهم الى ذلك بشرط الايمان فوعدوه بذلك واكدوا وانكثوا بعد ما كذبوا في ان الهتهم تجيبهم وصدق هو
صلى الله عليه وسلم في كل ما قال فاخبره ربه سبحانه انه يجيبهم الى اخراجها فتنة لهم اي امتحاناً يخالطهم به فيميلهم
عن حالهم التي وعدوا بها ويحيلهم عنها وسبب سبحانه عن ذلك امره بانتظارهم فيما يصنعون بعد اخراجها لما توصلهم اليه
عواقب الفتنة فقال فارتقبهم اي كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على اعمالهم انتظار من يحرسهم وهو عال عليهم
فانهم واصلون باعمالهم الى الداهية التي تسمى ام الرقوب ليكونوا كمن جعل الحبل في رقبته وذلك بصيغة الافتعال على انه
يكون له منهم اذى بالغ قبل انفصال النزاع فقال فارتقبهم اي كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على اعمالهم انتظار
من يحرسهم وهو عال عليهم واصطبر اي عالج نفسك واجتهد في الصبر عليهم ونبئهم اي اخبرهم اخباراً عظيماً بامر عظيم
وهو ان الماء اي الذي يشربونه وهو ماء بئرهم قسمة بينهم اي بين ثمود وبين الناقة غلب عليها ضمير من يعقل يعني اذا بعثناها
كان لهم يوم لا تشاركهم فيه في الماء ولها يوم لا تدع في البئر قطرة باحد منهم وتوسع الكل بدل الماء لبنا ولما
اخبر بتوزيع الماء اعلم انه على وجه غريب بقوله استينافاً كل شرب اي ماء من ذلك وحظ منه وهو دالية ووقت
شرب فيه محتضر اي اهل لما فيه من الامر العجيب ان يحضره الحاضرون حضوراً عظيماً ويكلفوا انفسهم ذلك لانه صار
في كثرته وخشيته كالحاضرة لا البادية وتأهل لان يعاوده حاضروه من حشمه ويرجعوا اليه وان يجتمع عليه الجمع الكثير
ويتوفر دواعيهم عليه ولما كان التقدير فكان الامر كما ذكرنا واستمروا الامداد الذي ضربنا فافتتنوا كما اخبر
نادوا بسبب الفتنة صاحبهم قدار بن سالف الذي انتدبوه بطراً واشراً لقتل الناقة وكذباً في وعدهم الايمان واكرا
بالاحسان وهو اشقى الاولين فتعاطى اي اوقع بسبب ندائهم التعاطي الذي لا تعاطي مثله قتلاً وما لا يحق له ان يتناوله
بسبب الناقة وهو سيفه بيديه قايماً في الامر الناشئ عن هذا الاخذ على كل حال ودفع راسه بغاية الهمة ومد يديه
مداً عظيماً ورفعهما وقام على اطراف اصابع رجليه حين عاطوه ذلك اي سالوه فيه فطاوعهم وتناول الناقة بذلك السيف
غير مكترث ولا مبال فعقر اي فتسبب عن هذا الجهد العظيم انه صدق فيما ابت له الكذب في الوعد بالاحسان اليها والاكر
وهو ايقاع العقر الذي ما كان في ذلك الزمان عقر مثله وهو عقر الناقة التي هي آية الله اي اهلاكها ولما
وقع كذبهم على هذا الوجه العظيم المبني على غاية الاشر حقق الله تعالى صدقه في توعدهم على تقدير وقوع ذلك منهم فاوقع عذابهم
سبحانه على وجه هو من عظمه اهل لان يسأل عنه فنبه سبحانه على عظمه بايراده في اسلوب الاستفهام مسبباً عن
فعل الاشقى فقال فكيف كان وحافظ على مقام التوحيد كما مضى فقال عذابي اي كان على حال وجه هو اهل لان يجتهد
في الاقبال على تعرفه والسؤال عنه ونذر اي انذاراتي ولما علم تنوع ذهن السائل لوعي الخبر استانف
قوله مؤكداً اشارة الى ان عذابهم مما يستلذ ويتبجح به وارغاماً لمن يستبعد ان صيحة واحدة تفعل مثل ذلك واعلاماً بان القدرة
على عذاب من كذب من غيرهم كهي على عذابهم ولا معنى للتكذيب انا بما لنا من العظمة ارسلنا ارسالاً عظيماً ودل على كونه عذاباً بقوله
عليهم صيحة وحقر شأنهم بالنسبة الى عظمة عذابه بقوله واحدة صاحها عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن صيحته هذه
التي هي واحدة طاقة وتلاشى عندها صياحهم حين نادوا صاحبهم لعقر الناقة ولما تسبب عنها هلاكهم قال فكانوا
اي كوناً عظيماً كهشيم المحتظر اي متحطمين كالشجر اليابس الذي جعله الراعي ومن في معناه ممن يحمل شيئاً ياوي اليه ويحفظ
به ماشيته في وقت ما لا ابقاء له وهو حظيرة اي شيء مستدير مانع في ذلك الوقت لمن يدخل اليه فهو يتهشم ويتحطم كثير منه
ويتوطاه فتدوسه الغنم وهو يصير يتحطم اولاً فاولاً وكلما سقط منه شيء تداسه الغنم كان هشيماً وكالحشيش
اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته ولما كان التقدير فلقد ابلغنا في الموعظة لكل من يسمع هذه القصة
عطف عليه قوله مؤكداً لاجل من يعرض عن هذا القرآن ويعلل اعراضه عنه بصعوبته ولقد يسرنا اي على ما لنا من العظمة
القرآن اي الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملتبس للذكر اي الحفظ والتذكير والتذكر وحصول النباهة به والشرف في
الدارين ولما كان هذا غاية في وجوب الاقبال عليه بجميع القوى قال فهل من مدكر اي من ناظر فيه بسبب قولنا هذا
بعين الانصاف والتجرد عن الهوى ليرى كل ما اخبرنا به فيعينه عليه ولما كان التقدير كانه قال ان المنذرين
لم يتعظوا به فزد في وعظهم وكانت قصة لوط عليه السلام مع قومه اعظم ما كان بعد ثمود مما تعرفه العرب بالاخبار
ورؤية الاثار مع ما في قصتهم من تصوير الساعة في تبديل الارض غير الارض استانف قوله كذبت قوم لوط اي وهم في
قوة عظيمة على ما يحاولونه وان كانوا في تكذيبهم هذا في ضعف عقول الشاعر التجرد عن الهوى بما دل عليه تانيث الفعل
بالتانيث وكذا ما قبلها من القصص بالنذر اي الانذار والانذارات او المنذرين ودل على تناهي القباحة في مركبهم في

بتقديم الاخبار عن عذابهم فقال مؤكدا لوعدنا لمن استمر على التكذيب إنا اى بما لنا من العظمة أرسلنا ودل على انه ارسال اهانة بقوله
عليهم ودل على هوانهم وتلويح امره كل ما يراد به بقوله حاصبا اى ريحا ترميهم بحجارة هى دون ملء الكف فكانت مهلكة لهم محرقة
خاسفة مغرقة إلا آل لوط وهم من آمن به فكان بحيث اذا رايته فكانك رايت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من افعاله والمشى على
منواله فى اقواله واحواله ولما كان استثناؤهم منهما انجاءهم مع التجويز لارسال الشئ عليهم عن منعه بما ذكر فان سائلا
جوابا لمن كانه قال ما كان حالهم نجيناهم اى تنجية عظيمة بالتدريج وذكر اول الشروع فى انجائهم فقال بسحر اى اخر ليلة من
الليالى وهى التى عذب فيها قومه فهو نكرة لانا لا نعرف تلك الليلة بعينها ولو قصدت سحر الليلة التى اصبحوا فيها كان معرفة لا
ينصرف والسحر السدس الاخير من الليل الوقت الذى يكون فيه الانسان لا سيما النسا والاطفال فى غاية الغفلة بالاستغراق
فى النوم ويفتح الله فيها ابواب السما اى ياذن فى الدعا لتحصل منه الاجابة كما ان الملوك اذا فتحوا ابوابهم كان ذلك اذنا للناس
فى الدخول لقضا الحوائج فالنزول وفتح الابواب كناية عن ذلك والله متعال عن حاجة الى نزول وفتح باب او غير ذلك ولما كان
المراد من الموعوظين الطاعة التى هى سبب النجاة قال ذاكرا للانعام معبرا عنه بغايته المقصودة منه معترفا ان انعامه عدل
ومعافاته فضل لان احدا لا يقدر ان يكافى نعمه ولا نعمة منها معللا للانجا نعمة من عندنا اى عظيمة غريبة جدا لشكرهم ولما
كان كانه قيل هل هذا الانجا من بين الظالمين مختص بهم اجاب بقوله كذلك اى مثل هذا الانجا العظيم الذى جعلناه جزاءهم
نجزى من شكر اى اوقع الشكر بجميع اجابه فامن واطاع لا سيما بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر كائنا من كان من سوقة او سلطان
شجاع او جبان فانا ننعم عليه بالانجا بعد اهلاك عدوه قال القشيرى والشكر على نعم الدفع اتم من الشكر على نعم النفع ولا يعرف
ذلك الا كل موفق كيس فالاية من الاحتباك ذكر الانعام اولا لانه السبب الحقيقى دليلا على حذفه ثانيا والشكر ثانيا لانه السبب
الظاهرى دليلا على حذفه اولا ولما كان التقدير دفعا لما استشرف السائل اليه ما كان من حاله صلى الله عليه وسلم
معهم قبل العذاب لقد بالغ فى شكرنا بوعظهم ونصحهم ودعائهم الينا صرفا بقوله لما انعمنا به عليه من الرسالة فى اتم مواضعه
عطف عليه ايماء اليه قوله مؤكدا لان تمادى المحذر من العذاب على الاقامة فى موجبه يكاد ان لا يصدق ولقد انذرهم اى رسولنا
لوط عليه السلام بطشتنا اى اخذتنا لهم المقرونة من الشدة بما لنا من العظمة ووحدها اشارة الى انه لا يستهان بشئ من عذابه
سبحانه بل الاخذة الواحدة منه كافية لما لها من العظمة فى غير محاجة الى التثنية ودل على ان انذاره كان جديرا بالقبول
لكونه واضح الحقيقة بما تسبب عن ذلك من قوله فتماروا اى تكلفوا الشك بالنذر اى الانذار مصدرا والانذارات او المنذرين
جمع النذير حتى اداهم ذلك الى التكذيب فكان سببا للاخذ ولما كان ترك الاحتياط فى اعمال الحيلة فى وجه الخلاص
من انذار النذير عظيم العراقة فى السفه دل على انهم تجاوزوا ذلك الى انتهاك حرمة النذير فقال مقسما لان مثل ذلك لا يكاد يقع
فلا يصدقه من حكاه ولقد راودوه اى ارادوا فى التكذيب الموجب للتعذيب ان عالجوه معالجة طويلة تحتاج الى فتل ودوران
عن ضيفه ليسلمهم اليهم وهم ملائكة فى صورة شباب مرد وافرد وان كان المراد الجنس استعظاما لذلك لو كان الضيف واحدا
فطمسنا اى فتسبب عن مراودتهم انا طمسنا بعظمتنا اعينهم فسويناها مع سائر الوجه فصارت بحيث لا يرى لها شق قال
البغوى وهذا قول اكثر المفسرين وذلك بصفقة صفقها لهم جبريل عليه السلام وقال القشيرى مسح بجناحه على وجوههم
فعموا ولم يهتدوا للخروج قال ابن جرير والعرب تقول طمست الريح الاعلام اذا دفنتها بما تسفى عليها من التراب فانطلقوا
هرابا مسرعين الى الباب لا يهتدون اليه ولا يقعون عليه بل يصادمون الجدران نحو مما هو اعظم من ذلك وهم يقولون
عند لوط اسحر الناس وما ادتهم عقولهم الى ان يؤمنوا فينجوا انفسهم قال القشيرى وكذلك اجرى سنته فى اوليائه
بان يطمس على قلوب اعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون اولياءه ويخلصهم من كيدهم ولما كان هذا اول عذابهم قال
فذوقوا اى فتسبب عن ذلك انا قلنا لهم قائلين على لسان الملائكة او الحال ذوقوا ايها المكذبون لرسلى فى انذارهم عذابى ونذر
اى وعاقبة انذارى على السنة رسلى ولما كان تماديهم بعد هذا على حالهم عجيبا اذ العادة قاضية بان من اخذ
ارعوى لو كان اجرأ الخلق وسال العفو عنه صدقا او كذبا خداعا ومكرا ليتخلص مما هو فيه اخبر انهم على تكذيبهم حتى عذبوا
على قرب العهد فقال مقسما لذلك ولقد صبحهم اى اتاهم فى وقت الصباح وحقق المعنى بقوله بكرة اى فى اول نهار العذاب
ولو كان اول نهارك الذى انت به كان معرفة فاستمع عذاب اى بقلع بلادهم ورفعها ثم قلبها وحصبها بحجارة النار ودحسها
وغمرها بالماء المنتن الذى لا يعيش فيه حيوان مستقر اى ثابت عليهم غير منزايل لهم بحيال ولا سحر كما قالوا عند الطمس فاهلكهم
فاتصل بعذاب البرزخ المتصل بعذاب القيمة المتصل بالعذاب الاكبر فى الطبقة التى تناسب اعمالهم من عذاب النار فقال لهم
لسان الحال ان لم ينطق لسان المقال فذوقوا بسبب افعالكم الخبيثة عذابى ونذر ولما كرر هذا التكرار
علم منه ان سبب العذاب التكذيب بالانذار لاى رسول كان وكان استئنافا لكل قصة منبها على انها اهل على حدتها
لان يتعظ بها على ان التقدير فلقد بلغت هذه المواعظ النهاية لمن كان له قلب فعطف عليه قوله مذكرا بالنعمة التى لا عدل لها

ولقد

ولقد يسرنا اى على تعالى جدنا وتناهى مجدنا القرآن الجامع الفارق للذكر ولو شئنا لاعليناه بما لنا من العظمة الى حد
تعجز القوى عن فهمه كما اعليناه الى رتبة وقفت القوى عن معارضته فى نظمه او مطلع لا يتشبث باذيال ادانى علمه الا الخواص
من حذاق العباد فكيف بما فوق ذلك ولما كانوا مع ذلك واقفين عن المبادرة اليه والاقبال عليه قال تلطفا بهم
وتعطفا عليهم مسببا عن ذلك فهل وانه فقال من مدكر معتبر لنفسه من مثل هذا الذى اوقع فيه هؤلاء انفسهم ظنا منهم
ان الامر لا يتصل الى ما وصل اليه جهلا منهم وعدم اكتراث بالعواقب ولما كان الاخر ينبغى له ان يحذر ما وقع للاول
وكان قوم فرعون قد هلكوا بعد قوم لوط عليه السلام فكان ربما ظن انهم لم ينذروا لان من علم ان العادة جرت ان من كذب
الرسل اهلك انكر ان يحصل لمن سمع ذلك تكذيب قال مقسما ولقد جاء آل فرعون اى ملك القبط بمصر واشراف قومه الذين
اداروا كانه زوى فيهم لشدة قربهم منه وتخلقهم باخلاقه النذر اى الانذارات والمنذرون بنذارة موسى
وهرون عليهما السلام فان نذارة بعض الانبيا كنذارة الكل لانه لم يات احد منهم الا وله من الايات ما مثله امن عليه البشر
والمعجزات كلها متساوية فى خرق العادة وكان قد انذرهم يوسف عليه السلام ولما كان كانه قيل فما فعلوا عند
مجئ ذلك اليهم قال كذبوا اى تكذيبا عظيما مستهينين بآياتنا التى اتاهم بها موسى عليه السلام وغيرها لاجل تكذيبهم بها
على ما لها من العظمة المعرفة قطعا انها من عندنا ولما كانت خوارق العادات كما مضى متساوية الاقدام فى الدلالة
على صدق الاتى بها وكانوا قد صمموا على انه مهما اتاهم باية كذبوا بها كانوا كانهم قد اتاهم كل اية فلذلك قال كلها وسبب
عن ذلك قوله فاخذناهم اى بما لنا من العظمة بنحو ما اخذنا به قوم نوح من الاغراق اخذ عزيز اى لا يغلبه شئ وهو يغلب كل شئ
مقتدر اى لا يعجل بالاخذ لانه لا يخاف الفوت ولا يخشى معقبا لحكمه بالغ القدرة الى حد لا يدرك الوصف كنهه لان صيغة
الافتعال مبناها على المعالجة ومن عالج فعلا اجهد نفسه فيه فكان على اتم الوجوه وهذه الغاية هى المرادة ليعبر فهو مثل
لانه سبحانه يخاطبنا بما نعهده ولهذه المبالغة لم يفلت منهم احد وقد ختمت القصص بمثل ما فتحت به من عذاب المفسدين
بالاغراق ليطابق الختم البدء وكانت نجاة المصلحين من الاولين بالسفينة وكانت نجاة المصلحين من الاخرين بارض البحر
كانت هى سفينتهم ليكون الختم اعظم من البدء كما هو شان اهل الامداد ولما بلغت هذه المواعظ المنتهى
ودلت اقدامها على رتبة المنتهى ولم يبق لهم ذلك كفار قريش عن شرادهم ولا فتر من جحودهم وعنادهم كان لسان حالهم قائلا لا نخاف
شيئا من هذا لكان الحال مقتضيا لان يقال لهم الزاما بالحجة اكفاركم الراسخون منكم فى الكفر الثابتون عليه يا ايها المكذبون
لهذا النبى الكريم الساترون لشموس دينه خير فى الدنيا بالقوة والكثرة او الدين عند الله او عند الناس من اولئكم اى
الكفار العظماء الجبابرة الاشداء الذين وعظناكم بهم فى هذه السورة ليكون ذلك سببا لافتراق حالكم منهم فيامنوا العذاب
مع جامع التكذيب وان لم تكن لهم براءة من الله ام لكم اجمعين دونهم كفاركم وغير كفاركم براءة من العذاب من الله فى الزبر الكتب
الالهية بان عذابه امنتم بها من العذاب مع انهم خير منكم فالاية من الاحتباك اثبت الخيرية اولا دليلا على حذفها ثانيا والبراءة
ثانيا دليلا على حذفها اولا ولما بلغوا الى هذا الحد من التمادى فى الكفر مع المواعظ البالغة والاستعطاف
المليين استحقوا اعظم الغضب فاعرض عنهم الخطاب ايذانا بذلك واهانة لهم واحتقارا واقبالا على النبى صلى الله عليه وسلم
تسلية له فقال عاطفا على ما تقديره ايدعون جهلا ومكابرة شيئا من هذين الامرين ام يقولون اى هؤلاء الذين اتيناهم
تعاملهم باللين فى القال والقيل والصفح الجميل امتثالا لامرنا تعظيما لقدرنا فاستهانوا بك نحن جميع اى جمع واحد
مبالغ فى اجتماعه فهو فى الغاية من الضم فلا افتراق له منتصر اى على كل من يناويه لانهم على قلب رجل واحد فالافراد للفظ جميع
وللافهام هذا المعنى او ان كل واحد منهم محكوم له بالانتصار ولما كان لسان الحال ناطقا بانهم يقولون هذا كله
لانهم قالوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا ونحوها وقال بعضهم لئن بعثنا لاوتين مالا وولدا ولا شك انهم كانوا فى غاية
الاستحالة لغلبة المؤمنين لهم على قلتهم وضعفهم استانف الجواب بقوله سيهزم اى بايسر امر من اى هازم كان بوعد لا خلف
فيه وقراءة الجماعة بالبناء للمفعول معبرة للعظمة بطرحه كلام القادر فهى ابلغ من قراءة يعقوب بالنون والبناء
للفاعل الدال على العظمة صريحا الجمع اى الذى تقدم انه بولغ فى جمعه فصدق الله وعده وهزموا فى يوم بدر وغيره فى الدنيا
عن قريب ولم تزالوا يضعفون حتى اضمحل امرهم وزال بالكلية شرهم وهى من دلائل النبوة البينة ويولون الدبر اى يقع
توليتهم كلهم لهذا الجنس بان يكونوا اليا الهازمين مع الهزيمة لانه لم يثبت لهم فى حال الهزيمة نوع مسكة يطمعون بها فى
الجبار فكان من افراد الدبر والمنتصر وجمع المولين ابلغ مما لو وضع غيره موضعه واقطع للتعنت ولما وقع هذا فى
الدنيا يوم بدر وكان ذلك من اعلام النبوة وكان ربما ظن ان ذلك هو النهاية كان كانه قيل ليس ذلك الموعد الاعظم بل الساعة
اى القيمة التى يكون فيها الجمع الاعظم والهول الاكبر موعدهم اى الاعظم للخزى المتوعد به والساعة ادهى من كل
ما يفرض وقوعه فى الدنيا افعل تفضيل من الداهية وهى امر هائل لا يهتدى لدوائه وامر لان عذابها للكافر غير مفارق

ولا من آمل | أخبر عن الساعة هذا الاخبار الهايل علله معتما لاهلها مجملا لبعض ما لهم عند قيامها بقوله مؤكدا
لما لهم من التكذيب ان المجرمين اى القاطعين لما امر الله به ان يوصل فى ضلال اى عمى عن القصد بتكذيبهم بالبعث محيط بهم
مانع من الخلاص مردو اهى الساعة وغيرها ومن الوصول الى شئ من مقاصدهم التى هم عليها الان معتمدون وسعر اى نيران
تضطرم وتتقد غاية الاتقاد يوم اى فى يوم يسحبون اى فى الساعة دايما بايسر وجه اهانة لهم من اى ساحة كان
فى النار اى الكاملة فى النارية على وجوههم لانهم فى غاية الذل والهوان جزاء بما كانوا يذلون اولياء الله مقولا لهم من قبل
قايل الحق ذوقوا لانه لا منعة لهم ولا حمية عندهم بوجه مس سقر اى الم مباشرة الطبقة النارية التى تلفح بحرها
فتلوح الجسم وتذيبه فتسيل دهنه وعصاراته كما يسيل الدبس وعصارة الرطب فتسمى النخلة بذلك مسقارا ولما
اخبر بقيام الساعة وما ينفق لهم فيها جزاء الاعمال التى قدرها عليهم وهى شر فرضوا بها لاتباع الشهوات واحتجوا على
رضاه بمشيئته لها وكان ربما ظن ظان ان تماديهم على الكفر لم يكن بارادته سبحانه علل ذلك منبها على ان الكل بفعله
وانما نسبته الى العباد بامور ظاهرية تقوم عليهم لها الحجة فى مجارى عاداتهم فقال انا اى بما لنا من العظمة خلقنا كل
شئ اى من الاشياء المخلوقة كلها صغيرها وكبيرها ولما كان هذا التعميم فى الخلق امرا افهمه النصب اسئانف
قوله تفسيرا للعامل المطوى واخبارا بجعل ذلك الخلق كله على نظام محكم وامر مقدر مدبر خلقناه بقدر اى قضاء
وحكم وقياس مضبوط وقسمة محدودة وقوة بالغة وتدبير محكم فى وقت معلوم ومكان محدود مكتوب ذلك فى اللوح
قبل وقوعه تقيسه الملائكة بالزمان وغيره من العد وجميع انواع الاقيسة فلا يخرج عنه مقدار ذرة لانه لامنازع لنا
مع ما لنا من القدرة الكاملة والعلم التام فهذا العذاب بقدرنا ومشيئتنا فاصبروا عليه وارضوا به كما كنتم ترضون
اعمالكم السيئة وتحتجون على عبادنا بانها بمشيئتنا بنحو لو شاء الله ما اشركنا فقد اوصلتكم الى ما ترون وانكشف
لكم انكشافا انه لا يكون شئ على خلاف مرادنا ولا ابطال لشئ قدرناه لم قال الرازى فى اللوامع الالهية ساقطة عن افعاله
كما ان الكيفية والكمية ساقطتان عن ذاته وصفاته انتهى ولا يكون شئ من امره سبحانه الا ما هو على غاية الحكمة ولو
كان الخلق لا يبعثون بعد الموت ليقع القصاص والقياس بالعدل لكان الامر جزافا لا بقدر وعدل لان المشاهد ان
الفساد فى هذه الدار من المكلفين اكثر من الصلاح اضعافا مضاعفة وقرى فى الشواذ برفع كل وجعله ابن جنى اقوى
من النصب وليس كذلك لان الرفع لا يفيد ما ذكرته وما حمله على ذلك الا انه معتزل والنصب على ما قررته قاصم لاهل
الاعتزال | بين ان كل شئ بفعله بين يسر ذلك وسهولته عليه فقال وما امرنا اى فى كل شئ اردناه
وان عظم امره وعظم القدرة وحقر المقدور دات ما للتانيث فقال الا واحدة اى فعلة يسيرة لا معالجة فيها وليس هناك
احداث قول لانه قديم بل بتعلق القدرة بالمقدور على وفق الارادة الازلية ثم مثل لنا ذلك باسرع ما نعلمه واخفه فقال
كلمح البصر فكما ان لمح احدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الافعال كلها عندنا بل ايسر ولما اخبر عن تمام قدرته
وكان اهلاك من ذكر من الكفار وانجاء من ذكر من الابرار فى هذه السورة نحوا مما ذكر من امر الساعة فى السهولة والسرعة
دل على ذلك بانجاء اوليايه واهلاك اعدايه فذكرهم جملة وبما كان من احوالهم بايسر امر لان ذلك اوعظ للنفوس وارجى
للعقول فقال مقسما تنبيها على تماديهم فى الكفر مع هذا الوعظ فعل المكذب بلاحهم لاجل تكذيبهم عاطفا على ما تقديره
فلقد انجينا رسلنا واشياعهم من كل خطر ولقد اهلكنا اى بما لنا من العظمة اشياعكم اى الذين انتم وهم شرع واحد فى
التكذيب والقدرة عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا ان يصيبكم ما اصابهم ولذلك سبب عنه قوله فهل من مدكر اى
بما وقع لهم انه مثل من مضى بل اضعف وان قدرته سبحانه عليه كقدرته عليهم ليرجع عن غيه خوفا من سطوته سبحانه
ثمت الدلالة على احاطة القدرة بما شوهد من الافعال الهايلة التى لا تسعها قدرة غيره سبحانه وكانوا
يظنون ان احوالهم غير مضبوطة لانه لا يمكن ضبطها ولا يسعها علم عامل ولا سيما انه اذا ادعى انه واحد شرع فى اتمام
الاخبار بعظمة القدرة بالاخبار بان افعالهم كلها مكتوبة فضلا عن كونها محفوظة فقال وكل شئ فعلوه اى الاتباع
فى اى وقت كان كاينا للكتابة فى الزبر اى كتب الحفظة فليحذروا من افعالهم فانها غير منسية هذا ما اطبق عليه
القراء مما ادى الى هذا المعنى من رفع كل لانه لو نصب لاوهم تعلق الجار بالفعل فيوهم انهم فعلوا فى الزبر كل شئ من الاشيا
وهو فاسد ولما | خصهم عم بقوله واعظا ومخوفا ومحذرا بان كل شئ محفوظ فمكتوب فمعروض على الانسان
يوم الجمع وكل صغير وكبير اى من الجواهر والمعانى منهم ومن غيرهم مستطر اى مكتوب على وجه عظيم من اجتهاد الحفظة
فى كتابته وتحريره مع يسر ذلك وسهولته | ولما اخبر عن احوال الكفرة فى الدنيا والاخرة وعظا بها ولاعلاما
بعظمته وعلى صفاته وسعة مملكته وشامل علمه وقدرته ختم باحوال القسم الاخر من اهل الساعة وهم اهل طاعته
تتميما لذلك وبشارة للسالك فى احسن المسالك فقال مؤكدا ردا على المنكر ان المتقين اى العريقين فى وصف التقوى

من

من الله الذى داموا الى ان لا يفعلوا شيئا الا بدليل | ولما كان من فى البساتين والمياه ظافرا بكل مراد على عكس ما
عليه الضال البعيد عن القصد الواقع فى الهلاك والنار قال فى جنات اى بساتين ذات اشجار تستر داخلها قال القشيرى
والجمع اذا قوبل بالجمع فالاحاد تقابل بالاحاد ولما كانت الجنان لا تقوم وتدوم الا بالماء قال ونهر وافرده
لان التعبير بفيه معنم لعمومهم به عموم ما كانه ظرف وهم مظروف فوق له ولكثرة الانهار وعظمها حتى انها لقرب بعضها من بعض
واتصال منابعها ونبوع جميع الارض لجرى الانهار منها كانها شئ واحد وما وعد به المتقون من النعيم فى تلك الدار هو
ثمرات نعيم معجلة لهم فى هذه الدار فلهم اليوم جنات العلوم وانهار المعارف وفى الاخرة الانهار الجارية والرياض
والاشجار والقصور والزخارف وهو يصلح مع ذلك لان يكون من السعة النهار فيكون المعنى انهم فى ضياء وسعة لا يزول
اصلا بضد ما عليه المجرم من العمى الناشئ عن الظلام لمثل هذه الاغراض افرد مع ارادة الجنس لاجل الفاصلة فقط ولما
كانت البساتين لا تسكن فى الدنيا لانه ليس فيها جميع ما يحتاجه الساكن بين ان حال تلك على حال هذه فقال مبدلا مما قبله
فى مقعد اى تلك الجنان محل اقامتهم التى تراد للقعود صدق اى مهما اراده الانسان صدق وجودة الارادة ولا
تغدينه الا اهل الصدق ولا يكون فيه الا الصدق لا لغو فيه ولا تاثيم والتوحيد لارادة الجنس مع ان الابدال افهم
انه لا موضع فى تلك الجنان الا وهو صالح للتسمية بهذا الاسم ولانهم لاتحاد قلوبهم ورضاهم كانهم فى مقعد واحد على انه
نزى بالجمع | ولما كان هذا غير معهود لمن ان سببه تمكين الله لهم منه لاختصاصه لهم وتقريبه اياهم لارضايهم
له فقال معبرا لذلك بالتعبير بالعندية لان عنديته سبحانه منزهة عن قرب الاجسام والجهات عند مليك اى
ملك تام الملك مقتدر اى شامل القدرة بالغها الى حد لا يمكن ادراكه لغيره سبحانه كما تقدم قريبا فهو يوصلهم
الى كل خير ويدفع عنهم كل ضير وكما انهم فى الاخرة عندية الاشهاد فلهم فى الدنيا عندية الامداد ولهذا الاسم
الشريف سر جليل فى الانتصار على الظالمين وقد ختمت السورة كما ترى بما ابتدئت به من امر الساعة وكانت البداية
للبداية والنهاية للنهاية وزادت النهاية بيان السبب الموجد لها وهى قدرته سبحانه وعز شانه وعظمت رحمته
واحسانه وعفوه ومغفرته ورضوانه ولتضعيف الناس فيها الى كافر مستحق الانتقام ومؤمن متاهل لغاية الاكرام
لم يذكر فيها الاسم الاعظم الجامع الذى يذكر فى سياق يقتضى جمع الجلال والاكرام لصنف واحد ومؤمن يقع منه الالمام
ويتدنس بالعصيان وهم الذين امنوا ولما ركبها السورتين اللتين بعدها فى هذا الغرض وهو الكلام فى حق الصنفين بقط
من غير ذكر عاص ممن امن اشترك الثلاثة فى الخلو عن ذكر الاسم الاعظم فلم يذكر فى واحدة منها وجاء فيها من الصفات ما يقتضى
العظمة على اهل الكفران وما ينبئ عن الاكرام والاحسان لاهل الايمان ولمن خاف مقام ربه جنتان ولاجل هذا ختمت
هذه بصفة الملك المقتضى للسطوة التامة والاكرام البالغ وعدم المبالاة باحد كاينا من كان لان الملك من حيث هو
ملك انما يقتضى مقامه اهانة العدو واكرام الولى وجعل ذلك على وجه المبالغة واردفه بالتصريح بلازم الملك من
القدرة على وجه المبالغة ايضا كل ذلك للاعلام بان تصريفه سبحانه لاحوال الاخرة كما قصه فى هذه السورة من تصريفه
لاحوال الدنيا من اهلاك الاعدا وانجا الاوليا وكان هذه السور كانت هكذا لانها جاءت عقب النجم التى شرح فيها الاسرا
وما كان للنبى صلى الله عليه وسلم من العظمة بخرق العوايد باختراق السموات والوصول الى اعلى الغايات من المناجاة وغيره
فى سر الملكوت ومحال الجبروت بعد ان لوح بمقام موسى عليه السلام بالطور ليعلم الفرق وبوصف كل بما هو الحق فكان
ذلك مقتضيا ليلا يكون بعده من الناس الا مؤمن خالص فان كان غيره فهو معاند شديد الكفر وكانها جعلت ثلاثا لارادة غاية
التاكيد لهذا المعنى الشديد فلما انقضت الثلاث كان متبركا به فى معظم ايات الحديد ثم توجت كل اية من ايات المجادلة
به اشارة الى انه قد حصل غاية التشوق اليه وترهيبا لمن يعصى ولا سيما من يظاهر وترغيبا فى الطاعة للملك الغافر
والله الموفق | سورة الرحمن ... [illegible] ... مقصودها الدلالة على ما ختمت به القمر من
عظيم الملك وتمام الاقتدار بعموم رحمته وسبقها الغضبه المدلول عليه بكمال علمه اللازم عليه شمول قدرته المدلول
عليه بتفصيل عجايب مخلوقاته وبدايع مصنوعاته فى اسلوب التذكير بنعمايه والامتنان بجزيل الايه على وجه منتج للعلم باحاطته
بجميع اوصاف الكمال فمقصودها بالذات اثبات الاتصاف بعموم الرحمة ترغيبا فى انعامه واحسانه وترهيبا من انتقامه
بقطع مزيد امتنانه وعلى ذلك دل اسمها الرحمن لانه العام الامتنان واسمها عروس القران واضح البيان فى ذلك لان العروس
الحاوية لما فيه من حلى وحلل وجواهر وكلل والعروس مجمع العمر والجمال والبهجة فى نوعها والكمال بسم الله الذى ظهرت
احاطة كماله بما ظهر من عجايب مخلوقاته الرحمن الذى ظهر عموم رحمته بما بهر من بدايع مصنوعاته واشتهر من عظيم اياته
وبيناته الرحيم الذى ظهر اختصاصه لاهل طاعته بما حققوا به من الدل المعيد للعز بلزوم عباداته لما ختم
سبحانه القمر بعظيم الملك وبليغ القدرة وكان الملك القادر لا يكمل ملكه الا بالرحمة وكانت رحمته لا تتم الا بعمومها

قصر هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه في الدارين وذلك من آثار الملك وفصل فيها ما اجمل في آخر القمر من مقر الاولياء والاعداء في
الآخرة وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال وموازنة لما حصل بالملك والاقتدار من غاية التنزل والظهور والهيبة
والرعب باسم مع انه في غاية الغيب دال على اعظم الرجا مفتتحا لها باعظم النعم وهو تعليم الذكر الذي هو ذكرى ذوي الهمم العالية في الترغيب
الى الاقبال عليه بقوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر لانه لما كان للعظمة الدال عليها نون يسرنا التي هي عماد الملك نظر ان
نظر للكبرياء والجبروت فيقتضي ان يتكلم بما يعجز خلقه من كل جهة في الفهم والحفظ والاتيان بمثله وكل معنى من معانيه ونظر
للاكرام والرحمة وكانت رحمته سابقة لغضبه فنظر بها الى خلقه لاسيما هذه الامة المرحومة فيسر لها الذكر تحقيقا للرحمة
بعد ان بقي من آثار الجبروت الاعجاز عن النظم ومن الاعجاز عن فهم الحروف المقطعة اوائل السور ومنع المتعنت من ان يقول انه
لا معاني لها بان فهم بعض الاصفياء بعض اسرارها فقال جوابا لمن كأنه قال من هذا الملك المقتدر: **الرحمن** اي العام الرحمة قال ابن
برجان وهو ظاهر اسمه الله وباطن اسمه الرب جعل هذه الاسماء الثلاثة في ظهورها مقام الذات يحتجب بها عنه وحجابا بينه وبين
خلقه يوصل بها الخطاب منه اليهم ثم اسماؤه الظاهرة مبينة لهذه الاسماء الثلاثة انتهى ومن مقتضى اسمه الرحمن ابتث جميع
النعم ولذا ذكر في هذه السورة امهات النعم في الدارين — ولما كان لا شيء من الرحمة ابلغ ولا ادل على القدرة من ايصال
بعض صفات الخالق الى المخلوق نوع ايصال ليتخلقوا به بحسب ما يمكنهم منه فيحصلوا على الحياة الابدية والسعادة السرمدية قال
علم القرآن اي المرئي المشهود بالكتابة والمتلو المسموع الجامع لكل خير الفارق بين كل لبس وكان القياس يقتضي ان لا يعلم المسموع
احد لانه صفة من صفاته وصفاته في العظم كذاته وذاته غيب محض لان الخلق احقر من ان يحيطوا به علما واين الثريا من يد المتناول
فدل تعليمه القرآن على انه يقدر ان يعلم ما اراد من اراد علم آدم الاسماء كلها ولا يخفى ما في تقديمه على جميع النعم من المناسبة
لانه نعمة الدين التي تتبعها نعم الدنيا والآخرة وهو اعلى مراتب الدين فهو سنام الكتب السماوية وعمادها ومصداقها والعيار
عليها وفايدته الايصال الى مقعد الصدق المتقدم لانه بين ما يرضي الله ليعمل به وما يسخطه ليجتنب وقال الامام ابو جعفر بن
الزبير من المعلوم ان الكتاب العزيز وان كانت آيه كلها معجزة باهرة وسوره في جليل النظم وبديع التأليف قاطعة بالخصوم
قاهرة فبعضها اوضح من بعض في تبيين اعجازها وتظاهر بلاغتها وايجازها الا ترى تسارع الافهام الى الحصول على بلاغة آيات
وسور من اول وهلة دون كبير تأمل كقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك وقوله فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الآيات لا
يتوقف في باهر اعجازها الا من طبع الله على قلبه او صد دونه باب الفهم جملة فانى له بولوجه وقرعه وسورة القمر من هذا
النمط الا ترى احتشاد القصص فيه مع حصول اطرافها وتوفية اغراضها وما جرى مع كل قصة من الزجر والوعظ والتنبيه
والاعذار ولولا اني لم اقصد التعليق الا ما ينبني عليه من ترتيب السور لاوضحت مما اشرت اليه ما لم استوفه ولعل
الله سبحانه ييسر ذلك فيما بالبدء من التفسير نفع الله به ويسر فيه فلما انطوت هذه السورة على ما ذكرنا وبان فيها عظيم
الرحمة في تكرر القصص وشفع العظات وظهرت حجة الله على الخلق وكان ذلك من اعظم الطافه تعالى لمن يسر لتدبر الكتاب
ووفقه لفهمه واعتباره اردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان
وخص من اسمائه الحسنى هذا الاسم اشعارا برحمته بالكتاب وعظيم احسانه به وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قد تمهد
ان سورة القمر اعذار ومن ان للعباد بجميل هذا اللطف وعظيم هذا الحكم حتى يرادوا الى بسط الدلالات وايضاح البينات
ان تعذر ليهم زيادة في البلاغ فابان تعالى ان هذا رحمة ثم قد تمهد ان سورة القمر فقال الرحمن علم القرآن ثم اذا تأملت سورة القمر
وجدت خطابها واعذارها خاصا ببني آدم بل بمشركي العرب منهم فقط فاتبعت بسورة الرحمن تنبيها للثقلين واعذار اليهم
وتقريرا للجنسين على ما اودع تعالى في العالم من العجائب والبراهين الساطعة فتكررت فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى
فبأي آلاء ربكما تكذبان خطابا للجنسين واعذار للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر اشد البيان انتهى — ولما
كان كأنه قيل كيف علمه وموضعه من صفاته ولم علمه فاكد مستأنفا ومعللا **خلق الانسان** اي قدره واوجده على هذا الشكل
المعروف والتركيب الموصوف منفصلا عن جميع الجمادات واصله منها ثم عن سائر الناميات ثم عن غيره من الحيوانات وجعله اصنافا
وفصل كل قوم بلسانهم عن غيرهم وخلقه له دليل على خلقه لكل شيء موجود انا كل شيء خلقناه بقدر والانسان وان كان اسم
جنس لكن اجمعهم بالارادة بهذا اولهم وهو آدم عليه السلام وارادته كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تمنع ارادة الجنس
من حيث هو — ولما كان كأنه قيل فكان ماذا لخلقه له قال **علمه البيان** وهو القوة الناطقة وهي الادراك
للامور الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغائب بقياسه على الحاضر تارة بالتوسم واخرى بالحساب ومرة بالعيافة
والزجر وطورا بالنظر في الآفاق وغير ذلك من الامور مع التمييز بين الحسن والقبيح وغير ذلك مما اودعه له سبحانه مع تعبيره
عما ادركه مما هو غائب في ضميره وافهامه للغير تارة بالقول وتارة بالفعل نطقا وكتابة واشارة وغيرها فصار بذلك
ذا قدرة على الكمال في نفسه والتكميل لغيره فهذا تعليم البيان الذي مكن من تعليم القرآن وهذا وان كان لانه سبحانه جبلناه

عليه

عليه وخلقناه به قد صار عندنا مألوفا ومشهورا معروفا فهو عند غيرنا على غير ذلك كما اوضحه لنا سبحانه بنعمه علينا بمحاجته
بملائكته الكرام عن ابينا آدم عليه السلام وما ابدى لهم من علمه ولهرهم من اسم كل شيء بمعناه واسمه — ولما بين
سبحانه النعمة في تعليم القرآن الذي هو حياة الارواح وبين الطريق فيها دل على البيان بذكر المبينات التي يجمعها امر وبعد
امر ولها مدخل في حياة الاشباح وعدها على سبيل الامتنان بيانا لانها من اكبر النعم فقال في جواب من كأنه قال ما بيانه باديا
بالكوكب الاعظم الذي هو اعظم نورا واكبر جرما واعم نفعا ليكون خضوعه لقبول الآثار دالا على خضوع غيره بيانا
لحكمه في تدبيره وقوته في تقديره **الشمس** وهي آية النهار **والقمر** وهو آية الليل اللذان كان بهما البيان الابراهيمي ولعله
بالهدى الامة بغاية بيانه عليه السلام تشريفا لهما بالاشارة الى علو شأنهما **بحسبان** اي يجريان بما يجري كل منهما مع
اشتراكهما في انهما كوكبان سماويان بحساب عظيم جدا لا يكاد يوصف جلالته في دقته وكثرة شعبه وعظم ما يتفرع عليه
من المنافع الدينية والدنيوية ومن عظمة هذا الحساب الذي افادته صيغة الفعلان الذي هو على نهج واحد لا يتعداه في
تعلم به الاعوام والشهور والايام والساعات والدقائق والفصول في منازل معلومة ويعرف موضع كل منهما في الآفاق
العلوية وما يحدث له وما يؤثره في الكوائن السفلية بحيث انه به انتظام غالب الامور السفلية الى غير ذلك من الامور
التي خلقهما الله عليهما ولها وبين الانسان وبين كل منهما من المسافات ما لا يعلمه على التحرير الا اللطيف الخبير وهذا مع
تطاول الايام والدهور لا يختل ذرة دلالة على ان صانعه قيوم لا يغفل ثم بعد هذا الحساب المتجدد الحساب الاعظم
الذي هو لتكوير الشمس وانكدار القمر دلالة على انه فاعل بالاختيار مع ما افاد ذلك من تعاقب الملوين تارة بالاعتدال وتارة بالزيادة
واخرى بالنقص وغير ذلك من الامور في لطايف لعقود — ولما كان سيرهما على هذا المنهاج مع ما لهما من الدؤوب فيه
بالتغير والتنقل طاعة منهما لمدبرهما وخضوعهما ومسيرهما وكان خضوعهما وهما النيران الاعظمان دالا على خضوع ما دونهما
من الكواكب بطريق الاولى كان ذكرهما مغنيا عن ذكر ما عداهما بخصوصه فاتبعهما خضوع ما هو للارض كالكواكب للسماء
في الزينة والنفع والصغر والكبر والكثرة من النبات معدما صغاره لعموم نفعه وعظيم وقعه بانه منه اكثر الاقوات
لجميع الحيوان والملابس من القطن والكتان وغير ذلك وعجيب الشأن معبرا بما يصلح لبقية الكواكب فقال **والنجم** اي وجميع النجوم
السماوية وكل نبت ارتفع من الارض ولا ساق له من النباتات الارضية التي هي اصل قوام الانسان وسائر الحيوان **والشجر**
وهو كل ما له ساق ويتفكه به او يقتات **يسجدان** اي يخضعان وينقادان لما يراد منهما وينزلان للانتفاع بهما انقياد الساجد
من العقلاء لما امر به بجريهما فيما سخر له وطاعتهما لما قدر لهما من غير اباء على تجدد الاوقات كما هو الشأن من نمو في النبات
ذو نوف واخضرار ويبس واثمار وعطل لا ينبغي لنجم ان يعلوا الى رتبة الشجر ولا الشجر ان يسفل الى رتبة النجم الى غير ذلك
مما صار فيه من سجود الظلال ودوران الحبال والمثال مما يدل على وحدانية الصانع وفعله بالاختيار ونفي الطبائع
من تسيير في الكواكب وتدبير في المنافع بالحر والبرد اللذين جعل سبحانه بهما الاعتدال في النبات من الفواكه والاقوات
وغير ذلك من وجوه الانتفاعات — ولما كان تغير ما تقدم من الشمس والقمر والنجم والشجر يدل دلالة واضحة على انه سبحانه
هو المؤثر فيه وكانت السماء والارض ثابتين على حالة واحدة فكان ربما اشكل امرهما كما ضل فيهما خلق من اهل الجحود
اهل الجحود والاعتزال والوقوف مع الشاهد وغيرهم وكان اذا ثبت انه تعالى المؤثر فيهما ثبت انه المؤثر فيما فيهما فلذا
قال مسندا للتأثير فيهما اليه بعد ان عرى ما قبلهما من مثله لما اغنى عنه من الدلالة بالتغير والسير والتنقل عطفا على
ما تقديره وهو الذي دبر ذلك **والسماء رفعها** اي حسا بعد ان كانت ملتصقة بالارض ففتقهما منها واعلاها عنها
بما يشهد له كذلك العقل عند كل من له تأمل في ان كل جسم ثقيل مارفعه عما تحته الا رافع ولا رافع لهذه الا الله فانه
لا يقدر على التأثير فيها لعظمها بنوع من انواع التأثير غيره ولعظمها قدمها على الفعل تنبيها على التفكر فيما فيها من جلالة
الصنائع وانواع البدائع ومعنى بان جعلها منشأ لاحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن
ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه — ولما كانت السماء مع علوها دالة على عز موجدها ومدبرها
دالة على عدله باعتدال جميع احوالها من الحر والبرد والمطر والثلج والندى والظل وغير ذلك في ان كل فصل منها
معادل لضده وانه لا يبرز لها سبحانه الا بقدر معلوم والا لفسدت الارض علمنا على انه شرع لنا مثل ذلك العدل
لتقوم احوالنا وتصلح اقوالنا وافعالنا كما قامت به السموات والارض فقال **ووضع الميزان** اي العدل الذي جرى
به الخافقين من الموازنة وهي المعادلة لتنتظم امورنا — ولما ذكر اولا القرآن الذي هو ميزان المعلومات
ودل على حمايته بانواع من البيان الذي دقي به الانسان فصار اهلا للفهم وذكر نعمة الميزان للمحسوسات اقبل في
بالخطاب عليه لافتا له عن اسلوب الغيبة تنشيطا له الى ارتفاع مراتب الكمال بحسن الامتثال معللا فقال **ان** اي لان
لا تطغوا اي تتجاوزوا الحدود **في الميزان** اي الاشياء الموزونة من الموزونات المعروفة والعلم والعمل المعتدل احدهما

بالآخر وفي مساواة الظاهر والباطن والقول والفعل فالميزان الثاني عام لميزان المعلومات وميزان المحسوسات
ولما كان التقدير فاقتدوا وابا فعالي وتخلقوا بكل ما امر به من معالي عطف عليه قوله واقيموا الوزن اي جميع
الافعال التي تقاس بها الاشيا بالقسط ولما كان المراد العدل العظيم بينه بالتاكيد بعد الامر بالنهي عن الضد فقال
ولا تخسروا الميزان اي تنقصوا في شي من آلة العدل التي تقدر بها الاشيا من الذرع والوزن والعد والكيل ونحوه نوعا من
انواع الخسر بما دل عليه تجريد الفعل فيخسر ميزان اعمالكم وجزائكم يوم القيمة وقد علم بتكرير الميزان ما اريد من التاكيد في الامر به
لما له من الضخامة سواء كان بمعنى واحد او بمعان مختلفة ولما ذكر انعامه الدال على اقتداره برفع السما ذكر على ذلك
الوجه مقابلها بعد ان وسط بينهما ما قام به من العدل تنبيها على شدة العناية والاهتمام به فقال والارض اي ووضع الا
رض ثم فسر ناصبها للكون كالمذكور مرتين اشارة الى عظيم تدبيره ولشدة ما فيه من الحكم فقال وضعها اي دحاها وبسطها
على الماء للانام اي كل من فيه قابلية النوم وقابلية الونيم وهو السقوط بعد ان وضع لهم الميزان الذي لا تقوم الارض الا به
ولما كان في سياق بيان الرحمة بمزيد الانعام وكانت اقامة البينة اعظم نعمة وكانت الفواكه الذ ما يكون في
وكانت برقتها وشدة لطافتها منافية للارض في جسمها وكثافتها فكان كونها فيها عجيبا دالا على عظيم قدرته وكان ذكرها
يدل على ما بعده منها من النعم من جميع الاقوات بدا بها ليصير ما تقدمها كالمذكور مرتين فقال مستانفا وصفها بما هو نعم
فيها فاكهة اي ضروب منها عظيمة جدا يدرك الانسان بما له من البيان تباينها في الصور والالوان والطعوم والمنافع
وغير ذلك من بديع الشان ولما كان المراد بتنكيرها تعظيمها نبه عليه بتعريف نوع منها ونوه به لان فيه مع التفكه
القوت وهو اكثر ثمار العرب المقصودون بهذا الذكر بالقصد الاول فقال والنخل ودل على تمام القدرة بقوله ذات
الاكمام اي اوعية ثمرها وهو الطلع قبل ان ينفتق بالثمر وكل نبت يخرج ما هو مكمم فهو ذو اكمام ولكنه
مشهور في النخل لشرفه وشهرته عندهم قال البغوي وكلما ستر شيئا فهو كم وكمة ومنه كم القميص وفيه تذكير بثمر الجنة
الذي ينفتق عن ثيابهم وذكر اصل النخل وخرج للتنبيه على كثرة منافعه من الليف والسعف والجريد والجذوع وغيرها
من المنافع التي الثمر منها ولما ذكر ما يتفكه من الفواكه وهو في غاية الطول تبعه الاصل في الاقتيات للناس
والبهايم وهو مما كان من القصر فقال ذاكرا ثمرته لانها المقصودة بالذات والحب اي من الحنطة وغيرها ونبه على تمام
القدرة بعد تنبيهه بثمار هذه المذكورات مع ان اصل الكل الما بقوله ذو العصف اي الورق والبقل الذي اذا زال
عنه ثقل الحب كان مما تعصفه الرياح اي تطيره وهو التبن الذي هو من قوت البهايم ولما كان الريحان يطلق
على كل نبت طيب الرائحة خصوصا وعلى كل نبت عموما اتبعه به ليخص ويعم جميع ما ذكر مع سائر النبات من غيره على وجه يذكر
بنعمه بغذاء الارواح بعد ما ذكر غذا الاشباح فقال والريحان ولما كان من كفر به سبحانه بانكاره او انكار
شي من صفاته او كذب باحد من رسله فقد انكر نعمه او نعمة منها فلزمه بانكاره لتلك النعمة انكار جميع النعم لان الرسل داعية
الى الله بالتذكير بنعمه وكان ما مضى من هذه السورة الى هنا اثنتي عشرة آية على عد الكوفي والشامي عدد فيها اصول نعمه
سبحانه على وجه دل بغاية البيان على ان له كل كمال وكان هذا العدد اول عدد زايد اشارة الى تزايد النعم لان كسوره
النصف والثلث والربع والسدس تزيد على اصله وكان قد مضى ذكر الثقلين الجن والانس في قوله الانام قال تعالى اشارة
الى انهم المقصودون بالوعظ منكرا موبخا مبكتا لمن انكر شيا من نعمه او قال قولا او فعل فعلا يلزم منه انكار شي منها فيجب
شكرها فباي آلاء اي نعم وعطف ربكما اي المحسن اليكما بما اسدى من المزايا التي اسداها اليكم على وجه الكبرياء والعظمة
وهي دائبة لا تنقطع من غير حاجة الى مكافاة احد ولا غيرها ايها الثقلان المدبر لكما الذي لا مدبر ولا سيد لكما غيره من اياته
وصنايعه وحكمه وحكمته وعزته في خلقه واستسلامهما لكل له وخضوعهما لديه فان كل هذه النعم الكبار آيات دالة عليه
وصنايع محكمة واحكام وحكم طرق لها عزته وبانت قدرته تكذبان فمخاطبته بهذا الثقلين دليل على ان هذه الا
نعم على الجن كما انها نعم على الانس وان لهم من كما لهم وذكر هذه الاية بعد هذا العدد من الايات اشارة الى زيادة
النعم الى حد لا يحصى بحيث ان استيفاء عدها لا يحيط به عقول المكلفين لئلا يظنوا انه لا نعمة غير ما ذكر في هذه السورة
والتعبير عنها بلفظ الآلاء من اجل انها النعم المخصوصة بالملوك لما لها من المعاني والصفات المميزة لها عن غيرها ولما رايتها
من الحنين والدعا وهي وان كانت من او فيمكن اخذها من الل وال لان الاصل الهمزة واللام فاذا انضم اليهما الامر اخرى
او الف ازداد المعنى الذي كان ظهورا لان الال لا يغيب الهمزة وباطنها واللام هي غير ما كان فلم يحصل خروج عن ذلك المعنى
فاذا نظرت الى الال كان المعنى ان تلك النعم الكبار الملوكية تظهر للعباد معرفته سبحانه وانه يؤول له كل شي اولا من
غير نزاع كما انه كان به كل شي وتكل عن نظرها الابصار النوافذ كما تكل عن روية الاشخاص التي يرفعها الال فهي لانها
تدل عليه سبحانه نعم عظيمة وان كانت نقما لانه لا نعمة مثل ما دل عليه سبحانه وكرر هذه الاية في هذه السورة من ها

بعد

بعد كل آية الى آخرها لما تقدم في القمر من ان المنكر اذا انكر انكاره جدا بحيث احرق الاكباد في المجاهرة بالعناد حسن
جدا ان يرد ما انكره عليه وكلما ذكر بفرد منه قيل له لم تنكره سوا اقر به حالا التقرير او استمر على العناد فالتكرار
حينئذ بغيتها التعريف بان انكاره تجاوز الحد ولتغاير النعم وتعددها واختلافها حسن تكرير التوقيف عليها واحدة واحدة
تنبيها على جلالتها فان كانت نعمة فالامر فيها واضح وان كانت نقمة فالنعمة دفعها او تاخير الايقاع بها
من ان يذكر نكيرتها افادة تعالى من النعم بالحواس الخمس مضروبة في الجهات الست على انك اذا اعتبرت نفس الاية وجدتها
مشيرة الى ذلك فان كل كلمة منها الا الاخيرة في رسم من اثبت الالف من كتبة المصاحف خمسة احرف ان اعتبرت هجا الاوليين
والثالثة خمسة في الرسم ستة في الهجا والنطق فهي للحواس والجهات لان لكل من الرب والكلمة الاخيرة ستة احرف ان
اعتبرت رسمها في المصاحف التي اسقطت الفها فان في اثباته وحذفه اختلافا بين ائمة المصاحف وهي اشارة الى الجهات
لانها التي ملك الانسان التصرف فيها واما الحواس فلا اختيار له فيها وان اعتبرت هجاها بحسب النطق كانت
سبعة احرف اشارة الى ان النعم اكثر من ان تحصى لما تقدم من اسرار عدد السبعة والى ان تكذيب المكلفين متكاثر جدا
فلذلك كان في غاية المناسبة ان تبسط هذه النعم على حسب ضرب الحواس الخمس في الجهات الست وذلك في الحقيقة زيادة
فايدة فانه من المالوف المعروف والجميل الموصوف ان تكرير التكذيب يوجب التكرير عند التقرير ويبلغ به النهاية في حسن
التاثير وزاد واحدة على مسطح الخمس في الست واحدة اشارة الى ان نعمه لو احد لا انقطاع لها ولذلك فصلها الى ثمان
ذكرت اولا عقب النعم فكانت على عدد السبع الذي هو اول عدد تام لانه جمع الفرد والزوج وزوج الفرد وزوج
الزوج وزاد بواحدة اشارة الى انه كلما انقضى دور من عدد تام ابتدا دور جديد لنعم اخرى فهي لا تتناهى لان موليها
له القدرة الشاملة والعلم التام ورحمته سبقت غضبه وفي كونها ثمانية اشارة الى انها اسباب الجنة
ذات الابواب الثمانية ان شكرت وفي تعقيبها بسبع نارية اشارة الى انها سبب النار ذات الابواب السبعة ان كفرت
وفي تعقيبها بها اشارة الى ان سببيتها للنار اقرب لكونها حفت بالشهوات وفي ذلك ايضا اشارة الى ان من اتقى
ما توعد عليه بشكر هذه النعم وقي ابواب النار السبعة ثم عقبها بثمانية ذكر فيها جنة المقربين اشارة الى ان من عمل
لما وعد كما امره به الله نال ابواب الجنة الثمانية [illegible] عقب جنة اصحاب اليمين اشارة الى مثل ذلك
والله اعلم وكان ترتيبها في غاية الحسن ذكر النعم اولا استعطافا وترغيبا في الشكر ثم الاهوال ترهيبا ودرا للمفاسد
بالعصيان والكفر ثم النعم الباقية لجلب المصالح وبدا باشرفها فذكر الجنة العليا لان الغالب اثر التخويف يكون
النشاط والهمم تكون اعلا والعزم اشد ثم جنة هذه الاية الاولى من الاخرى واللائقين مشيرين الى نعمة البصر
من جهة الامام فكانه قبل اتبعة البصر مما يواجهكم او غيرها ولما كان قد تقدم في اشارة الخطاب
الامتنان بخلق الانسان ثم ذكر اصول النعم عليه على وجه بديع الشان الى ان ذكر غذا روحه الريحان اتبع ذلك تفصيلا
لما اجمل من خلقه فقال خلق الانسان اي اصل هذا النوع الذي هو من جملة الانام الذين خلقنا الريحان لهم والغالب
عليه الانس بنفسه وبما الفه ولما كان اغلب عناصره التراب وان كان من العناصر الاربع عبر عنه به
اشارة الى مطابقة اسمه بما فيه مما يقتضي الانس لدى حاصله الثبات على حالة واحدة فسماه الذي اغلبه التراب
لثقله وثباته ما لم يحركه محرك وعبر عن ذلك بما هو في غاية البعد عن قابلية البيان فقال من صلصال اي طين يابس
له صوت اذا نقر عليه كالفخار اي الخزف المصنوع المشوي بالنار لانه اخذ من التراب ثم خلطه بالماء حتى
صار طينا ثم تركه صار حما مسنونا منتنا ثم صوره كما يصور الابريق وغيره من الاواني ثم ايبسه حتى صار في غاية
الصلابة فصار كالخزف الذي اذا نقر صوت صوتا يعلم منه هل فيه عيب ام لا كما ان الادمي بكلامه يعرف حاله وغاية امره
وماله فالمذكور هنا آخر تخليقه وهو انسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبدوه وتارة اثناوه فالارض امه والما ابوه ممزوجين
بالهوا الحامل للجزء الذي هو من فيح جهنم فمن التراب جسده ونفسه ومن الماء روحه وعقله ومن النار غوايته وحدته ومن
الهوا حركته وتقلبه في محامده ومذامه ولما كان الجان الذي شمله ايضا اسم الانام مخلوقا من العناصر الاربع
واغلبها في جبلته النار قال وخلق الجان اي هذا النوع المستتر عن العيون بخلق ابيهم وهو اسم جمع للجن كان الجن
يطلق على الملائكة لاستتارهم بين انهم لم يرادوا بها فقال من مارج اي شي صاف خالص مضطرب شديد الاضطراب والاختلاط
قال البغوي وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقال القشيري هو اللهب المختلط بسواد النار اسمي وموجب
نارهم اي اختلطت ببرد الزمهرير ولما كان المارج عاما في النار وغيرها بينه بقوله من نار اي هي اغلب عناصره
فتعين المراد بذكر النار لان الملائكة عليهم السلام من نور لا من نار وليس عندهم مروج ولا اضطراب بل هم في غاية الثبات
على الطاعة فيما امروا به وقد عرف بهذا كل مضطرب قدره لئلا يتعدى طوره كان خلق هذين الثقيلين

على هذين الوجهين اللذين هما في غاية التنافي مستويًا احدهما عن الاخر منع كل من التسلط على الاخر الا بادرا اظهارا العظيم قدرته
وباهر حكمته من اعظم النعم قال مسببا عنه فباي الاء ربكما اى النعم الملوكية الناشية عن صبد عكما ومربيكما وسيد كما تكذبان
ابنعما البصر من جهة الورا او غيرها من خلقكم على هذا النمط الغريب وابداعكما او دعكم من القوى وجعلكم خلاصة مخلوقاته
ومن منع احد فتبليكم عن الاخر وتيسيره لكم الارزاق والمنافع وحملكم على الحنيفية السمحة وقدرته على اعادتكم كما قدر على ابداعكم
ذكر سبحانه هذين الجنسين اللذين احدهما ظاهر والاخر مستتر ارشادا الى التامل فيما فيهما من الدلالة على كمال
قدرته وكانا محتاجين الى ما هما فيه من المحل وكان صلاحه بما دبر سبحانه فيه من منازل الشروق الذى هو سبب الانوار
والظهور والغروب الذى هو منشا الظلمة والخفا اتبعه قوله منبها على النظر في بديع صنعه الدال على توحيده رب اى هو
خالق ومدبر المشرقين ومدبرهما على كيفية لا يقدر على شيء منها غيره ورب المغربين كذلك وهذه المشارق والمغارب هي ما
للشتاء من البروج السافلة الجنوبية التى هي سبب الامطار والثلوج التى هي سبب الحياة والظهور وكون الشمس منحدرة في
افاق السما وما للصيف من البروج العالية في جهة الشمال التى هي سبب التنسم والافول والشمس صعدة في جو السما وما بينهما
من الربيع الذى هو للنمو والخريف الذى هو للذبول فهي اية الايجاد والاعدام فاول مشارق الصيف وقت استوا الليل
والنهار عند حلول الشمس باول البروج الشمالية صاعدة وهو الحمل يعتدل الزمان حينئذ لقطعها الجنوبية واستقبالها
الشمالية ثم اخر مشارقها اذا كانت الشمس في اخر الشمالية واول الجنوبية عند حلولها براس الميزان يعتدل الزمان ثانيا
لاستقبالها البروج الجنوبية ثم تحولها باخر القوس وراس الجدى يكون الانتهاء في قصر الايام وطول الليالى لتوسطها البروج
الجنوبية ثم بحلولها الدلو عند خروجها من برج التوامين الى السرطان من بروج الشمال وهي اخر درجات الشمس يكون طول
الايام وقصر الليالى فيختلف على هذين الفصلين البرد والحر وكون الشمس في اول برج الحمل هو بمثابة طلوعها من المشرق في اول كل
نهار وكونها في الاعتدال الثانى عند استقبالها البروج الجنوبية اذا حلت براس الميزان هو بمثابة غروبها ثم بكونها في الانتهاء
في طول الايام حين حلولها ببرج السرطان هو بمثابة استوائها في الصيف في كبد السما كما ان حلولها راس الجدى عند الانتهاء في
الشتا في قصر الايام وطول الليالى هو بمثابة استوائها فيما يقابل استوائها في الشتا في كبد السما في النهار ذكر ذلك ابن برجان
وقال بعد ذلك سخر سبحانه لعباده حسبتهم اى بواسطة الشمس وهي اعدى عدو لهم فاخرج لهم بواسطتها الزرع والزيتون
والرمان والنخيل والاعناب والجنان المعروشات وغير المعروشات ومن كل الثمرات ولما كان في هذا من النعم ما لا يحصى
قال مسببا فباى الاء ربكما الذى دبر لكما هذا التدبير العظيم تكذبان ابنعمة البصر من جهة اليمين او غيرها من تسخير الشمس والقمر
دائبين سائرين لادارة الازمان وتجديد الايام وعد الشهور والاعوام واعتدال الهوى واختلاف الاحوال على الوجه الملائم
لمصالح الدنيا ومعاشهما على منهاج محفوظ وقانون لا يزيغ ولما كانت باحة البحر لجرى المراكب مثل ساحة السما لسير
الكواكب مع ما اقتضى ذكرهم من ذكر المشارق والمغارب للشتا الحاصل فيه من الامطار ما لو جرى على القياس لافاض البحار
فاغرقت البرارى والقفار وعلت على الامصار وجميع الاقطار فقال مرج اى ارسل الرحمن البحرين اى الملح والعذب فجعلهما
مضطربين من طبعهما الاضطراب بحال كونهما يلتقيان اى يتماسان على ظاهر الارض بلا فصل بينهما في رؤية العين وفي باطنها
لجعل الحلاوة على مياه الجنة والملوحة على بعض شراب اهل النار لا يروى شاربه ولا يغنيه بل يحرق باطنه ويغنيه الجرى نادى
والروم هما يلتقيان في البحر المحيط لكونهما خليجين منه ولما كان التقاء المايعين ولا سيما مع الاضطراب الدائم
يوجب الاختلاط فيحيلهما لاحدهما او لكل منهما من الصفات الى صفات اخرى فتشوفت النفس الى المانع من مثل ذلك في البحرين
قال مستانفا بينهما برزخ اى حاجز عظيم من القدرة المجردة على الاول وبسبب الارض على الثانى يمنعهما مع الالتقاء من الاختلاط
وقال ابن برجان البرزخ ما ليس هو بصريح هذا ولا بصريح هذا كذلك السهل والجبل بينهما برزخ يسمى الخيف كذلك الليل والنهار
بينهما برزخان يسميان الغبش كذلك بين الدنيا والاخرة برزخ ليس من هذه ولا من هذه ولا هو خارج عنهما وكذلك الربيعان هما
برزخان بين الشتا والصيف بمنزلة غبش اول النهار وغبش اخره جعل بين كل صنفين من الموجودات برزخا ليس من هذا ولا من
هذا وهو منهما كالجماد والنبات والحيوان ولما علم ذلك كانت نتيجته لا يبغيان اى لا يطغيان فيهلكا الناس كما
طغيا فاهلكا من على الارض ايام نوح عليه السلام ولا يبغى واحد منهما على الاخر بالممازجة ولا يتجاوزان ما حده لهما خالقهما
ومدبرهما لا في الظاهر ولا في الباطن فمتى جعرت على جنب الملح وجدت الما العذب فان قربت الحفرة منه بل كلما قربت كان احلى
خلطهما سبحانه في راى العين وحجز بينهما في عين القدرة هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا ادراك فكيف يبغى بعضكم على بعض
ايها المدركون العقلا ولما كان ذلك امرا باهرا دالا دلالة ظاهرة على تمام قدرته لا سيما على الاخرة قال مسببا عنه
فباى الاء ربكما اى الموجد لكما والمربى تكذبان ابنعمة الابصار من جهة اليسار او غيرها فهلا اعتبرتم بهذه الاصول من
انواع الموجودات فصدقتم بالاخرة لعلمكم من هذه البرازخ ان موتكم هذه برزخ وفصل بين الدنيا والاخرة كالعتابين

ذكر المنة
النهار والليل ولو استقريتم ذلك في ايات السموات والارض وجدتموه شايعا في جميع الاكوان
بالبحر ذكر النعمة بما ينبت فيه كما فعل في البر فقال معبرا بالمبنى للمفعول لان كلا من وجوده فيه والتسليط على اخراجه
منه خارق من غير نظر الى مخرج معين والنعمة نفس الخروج ولذلك قرا غير نافع والبصريين بالبنا للفاعل من الخروج يخرج
منهما اى بمخالطة العذب بالملح من غير واسطة او بواسطة السحاب فصار ذلك كالذكر والانثى قال الرازى فيلقى العذب
كاللقاح للملح وقال ابو حيان قال الجمهور انما يخرج من الاجاج في المواضع التى تقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب
اسناد ذلك اليهما وهذا مشهور عند الغواصين وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة مولاه تكون هذه الاشيا في البحر
بنزول المطر لان الصدف تفتح افواهها للمطر انتهى فتكون الاصداف كالارحام للنطف وماء البحر كالجسد الغاذي
والدليل على انه من ماء المطر كما قال الاستاذ حمزة الكرمانى ان من المشهور ان السنة اذا اجدبت هزلت الحيتان وقلت
الاصداف والجواهر انتهى ثم لا شك في انهما وان كانا بحرين فقد جمعهما وصف واحد بكونهما ما فيسوغ اسناد الخروج
اليهما كما نسند خروج الانسان الى جميع البلد وانما خرج من دار منهما وكما نسب الرسل الى الجن والانس بجمعهما في خطاب واحد
فقال رسل منكم وكذا وجعل القمر فيهن نورا وسماه كبيرا اللؤلؤ وهو الدر الذى هو في غاية البياض والاشراق والصفا
والمرجان اى القضبان الحمر التى هي في غاية الحمرة فسبحان من غاير بينهما في اللون والمنافع والكون نقل هذا القول عن عطية
عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال وهذا هو المشهور الاستعمال انتهى وقال جمع كثير ان اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره
ولما كان ذلك من جليل النعم سبب عنه قوله فباى الاء ربكما اى الملك الذى هو الملك الاعظم تكذبان
مع هذه الصنايع العظمى ابنعمة البصر من جهة الفوق او غيرها من خلق المنافع في البحار وتسليطكم عليها واخراج الحلى العجيبة
وغيرها ولما ذكر سبحانه الخارج منه بما السما ذكر السائر عليه بالهوا واشار بتقديم الجار الى ان السائر في الفلك
لا تصريف له وان ظهر له تصريف فهو لضعفه كلا تصريف فقال وله اى لا لغيره فلا تغتروا بالاسباب الظاهرة فتقفوا
معها فتسندوا اشيا من ذلك اليها كما وقف اهل الاغترار بالشاهد الذين هم اجهل اهل الارض اذهانا واحقرهم شانا
ولما كانت حياة كل
فنالوا بالاتحاد والوحدة الجواري اى السفن الكبار والصغار الفارغة والمشحونة
شيء كونه على صفة كماله وكانت السفن تبنى من خشب مجمع وتوصل حتى تصير على هيئة تقبل المنافع الجمة وكانت تربى
بذلك الجمع كما يربى النبات او الحيوان وكانت ترتفع على البحر ويرفع شراعها وتحدث في البحر بعد ان كانت مستترة بجبال الاهر
قال تعالى المنشات من نشا اذا حيى وربى والسحابة ارتفعت واصل الناشى كلما حدث بالليل وبكا ومعنى قراة حمزة
وابى بكر بكسر الشين انها رافعة شراعها بسبب استمساكها عن الرسوب ومنشية للسير ومعنى قراة الباقين انه
انشاها الصانع وارسلها ورفع شراعها ولما كانت مع كونها عالية على الماء منغمسة فيه مع انه ليس
لها من نفسها الا الرسوب والغوص قال في البحر ولما كانت ترى على البعد كالجبال على وجه الماء قال كالاعلام
اى الجبال الطوال ولما كان فيهما من المنافع بالتكسب من البحر بالصيد وغيره والتوصل الى البلاد الشاسعة للفوايد
الهايلة وكانت عالم في البحر الاخلاص الذى يلزم منه الاخلاص في البر لانهما بالنسبة الى ابداعه لهما وقدرته على التصرف
فيهما بكل ما يريد على حد سوا سبب عن ذلك قوله فباى الاء ربكما اى نعمه العظمى تكذبان ابنعمة البصر من تحتكم او غيرها من
الاسفار في محل الاخطار والنجاة عند الاضطرار والربح في محل الخسار والارشاد الى ذلك بعد خلق مواد السفن وتعليم
صنعها وتسخيرها والفلك يعرض بوتهما بمثابة جميع الكون فخدامها كالملايكة في اقامة الملكوت وتحصين ما حكمه باذنهم
والمسافرون بها الذين انشئت لاجلهم وزان المكلفين الماعودين المتميمين الذين من اجلهم خلقت السموات والارض وما
بينهما نعبر بهم من عرضهم الى قرارهم ومن غيبتهم الى حضورهم ومشاهدتهم ومدبرها امرها في اعلاها بامرهم باسن
ينفقدونه ويسعون له ثم قد يصرف الاعتبار الى ان يكون اية على قطع المومن ايام الدنيا فالدنيا هي البحر والسفينة
جسمه وباطن العبد هو المحمول فيه والعقل صاحب سياستها والقوى خدمها وامر الله وتدبيره محيط بها والا
اسبابها والتوفيق ريحها والذكر شراعها والرسول سايقها بما كانه من عند ربه والعمل الطيب يصلح شانها ذكر ذلك
ابن برجان ولما اخبر تعالى انه خلق السموات والارض وما بث فيهما من المنافع من الاعيان والمعانى واستوى في الارض
بقسميها برا وبحرا احتضنا ذلك العناصر الاربعة التى اسس عليها المركبات وكان اعجبها للمخلوق من الصنايع ما في البحر
وكان راكبه في حكم العدم دل على انه المتفرد بجميع ذلك بهلاك الخلق فقال مستانفا معبرا بالاسمية الدالة على الثبات
ومن الدلالة بالتصريح هو لا بفناء العاقل على فناء غير العاقل بطريق الاولى كل من عليها اى الارض بقسميها والسماء
فان اى هالك معدوم بالفعل بعد ان كان هو وغيره من سائر ما سوى الله وليس ذلك كله من شانه الا العدم فهو فان بهذا
الاعتبار وان كان موجودا فوجوده بين عدمين ولهما انه لم يكن وثانيهما انه يزول ثم هو فيما بين ذلك يبعا وده لا فنا

نولج

بيان

والايجاد في كل حين في احواله واعراضه وقواه واسباب الهلاك محيطة به حسًّا ومعنًى وهو لا يراها كما انها محيطة بمن هو
في السفينة من فوقه ومن تحته ومن جميع جهاته ولما كان الوجه اشرف ما في الموجود وكان يعبر به عما
اريد به صاحب الوجه مع انه لا يتصور بقاء الوجه بدون صاحبه فكان التعبير به عن حقيقة ذلك الشيء اعظم وادل على الكمال
وكان من المعروف عند اهل الشرع انه سبحانه ليس كمثله شيء فلا يتوهم احد منهم من التعبير به نقصًا قال ويبقى اي بعد فناء
الكل بقاء مستمرًا الى ما لا نهاية له وجه ربك اي المحسن اليك بالرسالة والتربية بهذا الوحي الذي لا يحيد من المعارف وكل
عمل اريد به وجهه سبحانه خالصًا ولما ذكر مباينته للمخلوقات وصفه بالاحاطة الكاملة بالنزاهة
والحمد فقال واصفًا الوجه لان المراد به الذات التي لا اشرف منها معبرًا به ولانها ابلغ من صاحب وبها ينبه على التنزيه
عما ربما توهمه من ذكر الوجه بليد جامد مع المحسوسات بقياس الغائب الذي لا تعتريه حاجة ولا يلم بجنابه الاقدس
نقص بالشاهد الذي كله حاجة ونقص ذو الجلال اي العظمة التي لا ترام وموصفة ذاته التي تقتضي اجلاله عن
كل ما لا يليق به والاكرام اي الاحسان العام وموصفة فعله ولما كان الموت نفسه فيه نعم لا تنكر
وكان موت ناس نعمة على ناس مع ما ختم به الاية من وصفه بالانعام قال فباي الاء ربكما اي المربي لكما على هذا الوجه الذي
ماله الى العدم الى اجل مسمى تكذبان ايها الثقلان الانس والجان ابنعمة السمع من جهة الامام او غيرها من ايجاد الخلق
ثم اعدامهم وتخليف بعضهم في اثر بعض وايراث البعض ما في يد البعض ونحو ذلك من امور لا يدركها على جميعها الا الله
تعالى ولما كان ذلك دليلا على العدم الحاجة وعلى دوام الوجود الغني قال دليلا على ما قبله يسأله اي
على سبيل التجدد والاستمرار من في السموات اي كلهم والارض كلهم من ناطق وصامت بلسان الحال والقال او بهما
ولما كان كأنه قيل فماذا يفعل عند هذا السؤال وكان اقل الاوقات المحدودة المحسوسة اليوم عبر به عن اقل
الزمان كما عبر عن اخف الموزونات بالذرة فقال مجيبًا لذلك كل يوم اي وقت من الاوقات من يوم السبت وغيره وعلى اليهود
لعنة الله وغضبه حيث قالوا في السبت ما [illegible] لقوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
وما مسنا من لغوب ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم هو في شان اي من احداث اعيان وتجديد معان او اعدام ذلك قال
القشيري فنون اقسام المخلوقات وما يجريه عليها من اختلاف الصفات انتهى وهي شؤون يبديها لا شؤون يبتديها متعلق بها
على وفق ارادته على ما تعلق به العلم في الازل انه يكون او يعدم في اوقاته فكل شيء قانت له خاضع لديه ساجد لعظمته شاهد
لقدرته دال عليه وان من شيء الا يسبح بحمده وذلك التغيير مع انه من اجل النعم ادل دليل على صفات الكمال له وصفات النقص للمغير
وانها عدم في انفسها ولانها نعم قال فباي الاء ربكما اي المدبر لكما هذا التدبير العظيم لكل ما يصلحكما تكذبان ابنعمة السمع
من جهة الخلف او غيرها من تصرفه اياكم فيما خلقكم له مما هو اعلم به منكم من رضا نعم ومعايشكم وجميع تقلباتكم وقد تكررت
هذه الاية المقررة على النعم من اولها الى هنا ثماني مرات عقب النعم اشارة والله اعلم الى ان نعمه سبحانه لا تحصى لانها
تزيد على السبعة التي هي العدد التام بواحد موبدا لها وتجديد من العدد اشارة الى انه كلما انقضى منها دور ابتدا
دور اخر ووجه اخر وهو ان الاخيرة صرح فيها بمن في السموات والارض والسبع التي قبلها تختص باهل الارض اشارة
الى ان امهات النعم سبع كالسموات والارض والكواكب السيارة ونحو ذلك ولما انقضى عد النعم
العظام على وجه هو في غاية الاحكام من البيان وكان تغير سائر الممكنات من النبات والجماد والملائكة والسموات
والارض وما حوتا مما عدى الثقلين على نظام واحد لا تفاوت فيه واما الثقلان فاحوالهما لاجل تنازع العقل والشهوات
لا تكاد تنضبط بل يتغير حال الواحد منهم في اللحظة الواحدة الى الوان كثيرة متضادة لما فيهم من المكر واحوال المغالبة
والبغي والاستيثار بالعلو بالامر والنهي وكان اكثرهم يموت بناده من غير اخذ ثاره فاقتضت الحكمة ولا بد انه لا بد
لهم من يوم يجمعون فيه يكون بينهم فيه الفصل على ميزان العدل خصهما بالذكر فقال التفاتا بالنهاية في الوعيد لانه ليس
للعصاة بعد الانعام والبيان الا التهديد الشديد للرجوع الى طاعة الملك الديان والالتفات في قراءة الجماعة
بالنون الى التكلم اشد تهديدًا من قراءة حمزة والكسائي بالتحتية على نسق ما مضى سنفرغ اي بوعد قريب لا
خلف فيه عن جميع الشؤون التي ذكرت لكم اي نعمل عمل من يفرغ للشيء فلا يكون له شغل سواه بفراغ جنودنا من الملائكة
وغيرهم مما امرناهم به مما سبقت به كلمتنا ومضت به حكمتنا من الاجال والارزاق وغير ذلك فينتهي كله ولا يكون
لهم حينئذ عمل الا جمعكم لنقضي بينكم ايها الثقلان بالنصفة والثقل هو ما يكون به قوام صاحبه فكانهما سميا بذلك
تمثيلا لهما بذلك اشارة الى انهما المقصودان بالذات من الخلائق وقال الرازي في اللوامع وصفا بذلك لعظم شانهما
كانه عدا ما سواهما لا وزن له بالاضافة اليهما انتهى وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي
وقال جعفر الصادق سميا بذلك لانهما مثقلان بالذنوب ولما كان هذا اجل النعم التي يدور عليها العباد

وتصلح بها البلاد وتقوم بها السموات والارض لان مطلق التهديد يحصل به انزجار النفس عما لها من الانتشار فيما يضر ولا ينفع
تكنيف بالتهديد بيوم الفصل قال فباي الاء ربكما اي المحسن اليكما بهذا الصنع المحكم تكذبان ابنعمة السمع عن النبي او بغيرها
من اثابة اهل طاعته وعقوبة اهل معصيته وسمى ابن برجان هذه الاخبار التي لا تكون جمع فيه خطاب القبض بخبر فيه
عن موجوداته وما هو خالقه قال وذلك اخبار منه عن محض الوحدانية وما قبله من سنفرغ ونحوه مما فيه نون الجمع اخبار عن
وصف تكوينه ووجوده وهو خطاب البسط ولما كان التهديد بالفراغ ربما اوهم انهم الآن معجوز عنهم او عن بعض
اسرهم بين بخطاب القبض المظهر لمحض الوحدانية انهم في القبضة لا تفعل لاحد منهم بدليل انهم لا يصلون الى جميع مراد
مما هو في مقدورهم ولكنه ستر ذلك بالاسباب التي توجب التقيد بها اسناد الامور الى مباشرها فقال منبها للمراد من
بالثقلين يا معشر اي يا جماعة فيهم الاهلية والعشرة والتصادق الجن قدمهم لانهم لمزيد قوتهم ونفوذهم في المسام
وقدرتهم على الخفاء والتشكل في الصور ربما ظن انهم لا يعجزهم شيء والانس اي الخواص والمستانسين والمانوسين المبني امرهم
على الاقامة والاجتماع ولما بان بهذه التسمية المراد بالتثنية جمع دلالة على كثرتهم فقال ان استطعتم
اي ان وجدت لكم طاعة الكون في ان تنفذوا اي تسلكوا باجسامكم وتمضوا من غير مانع يمنعكم من اقطار اي نواحي السموات
والارض التي هي اهل لان تحللها الفطر بسهولة انفتاقها لشيء تريدونه من هرب من الله من ابتاع الجزاء لكم او عصيان عليه
في قبول احكامه وجري مراداته واقضيته عليكم من الموت وغيره او غير ذلك فانفذوا وهذا يدل على ان كل واحدة منها محيطة
بالاخرى لان النفوذ لا يكون حقيقة الا مع الخرق ولما كان نفوذهم في حد ذاته ممكنا ولكنه منعهم ذلك بانه لم
يخلق في احد منهم قوته ولا سيما وقد منعهم منه يوم القيمة بامور منها احداق اهل السموات السبع بهم صفًا بعد صف وسرادق
النار قد احاط بالكافرين ولا منفذ لاحد الا على الصراط ولا يجوزه الا كل ضامر مخف اشار اليه بقوله مستانفا لا تنفذون
اي من شيء من ذلك الا بسلطان اي بتسليط عظيم منه سبحانه بامر قاهر وقدرة بالغة واني لكم بالقدرة على ذلك قال
البغوي وفي الخبر يحاط بالخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن الاية انتهى وهذه حكاية ما يكون من ذلك
يوم القيمة لانه خاص به ولما كان تطويرهم فيما بينهم وبين بقية الحيوانات بما اعطاهم من القوى الحسية
والمعنوية وما نصب لهم من المصاعد العقلية والمعارج النقلية التي يتفقدون بها الى غاية الكائنات ويتخللون بما يودي بهم
اليه علمها الى اعلى المخلوقات ثم تطويرهم فيما بين الحيوانات وبين النباتات ثم بينها وبين الجمادات دالا دلالة واضحة على انه
سبحانه يعطي من يشاء ما يشاء فلو اراد قواهم على النفوذ منها ولو قواهم على ذلك لكان من اجل النعم وانه سبحانه قادر على ما
يريد منهم فلو شاء اهلكهم ولكنه يؤخرهم الى اجالهم حلما منه وعفوا عنهم سبب عن ذلك قوله فباي الاء ربكما اي المحسن
اليكما المربي لكما بما تعرفونه من قدرته على كل ما يريد تكذبان ابنعمة السمع من جهة اليسار او غيرها من جعلكم سواء انكم
لا تقدرون على مخالفة مراده سواء كنتم جميعا او فرادى او من ضمكم الى يوم الجمع وقد جمعكم قبل حين ابتداء خلقكم او اليوم
المشهود وقد اشهدكم قبل على انفسكم وعهد اليكم او بكشط السموات وقد شاهدتم كشط السحاب بعد بسطه
او بالجزاء وقد رايتم الجزاء العاجل وشاهدتم ما اصاب الامم الماضية ولما سلب عنهم القدرة على النفوذ بـ
الذكور تنبيها على سلب جميع القدرة عنهم وعلى ان ما يقدرون عليه انما هو تقدير لهم نعمة منه عليهم وكان منهم من بلغ
الغاية في قسوة القلب وجمود الفكر فهو يحيل العجز عن بعض الامور الى انه لم تجر بذلك عادة لا الى انه سبحانه المانع من
ذلك فجعل شيء من سطوته فقال يرسل عليكما اي ايها المعاندون قال ابن عباس رضي الله عنهما حين تخرجون من القبور تسوقكم
الى المحشر شواظ اي لهب عظيم منتشر مع النضج محيط بكم من كل جانب له صوت شديد جهنمية ذو الخلق الضيق
الشديد النفر ولما كان الشواظ يطلق على اللهب الذي لا دخان فيه وعلى دخان النار وحرها وعلى غير ذلك
بينه بقوله من نار ونحاس اي دخان هو في غاية الفظاعة فيه شرر متطاير وقطر مذاب قال ابن جرير والعرب تسمي الدخان
نحاسا بضم النون وكسرها واجمع القراء على ضمها انتهى وجر ابو عمرو وابن كثير عطفا على نار ورفعه الباقون عطفا على شواظ
ولما كان ذلك ممكنا عقلا وعادة وكانوا اعداء ربما لو وقعوا في مثل ذلك لم يخلصوا منه بوجه سبب عنه
قوله فلا تنتصران قال ابن برجان هذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار فيقول امرت
بكل جبار عنيد فتلتقطهم من بين الجمع لقط الحمام حب السمسم ويغشى المجرمين دخان جهنم من بين المومنين ولا يضرهم وانه
الشواظ وعنق من النار فيما هنا الصواعق ما هنا وبروقه والنار المعهودة ولما كان التهديد
بهذا لعظاتهم فهو نعمة عليهم والعوض عن المعاجلة بارساله كذلك سبب عنه قوله فباي الاء ربكما اي المربي
لكما بدفع البلايا وجلب المنافع تكذبان ابنعمة السمع من فوق وغيرها بكونكم فيما تشهدونه في الدنيا من دلائل ذلك ايات
ما يوجب لكم الايمان ولما كان هذا انما لم تجر عادة بعمومه وانما طردت بجريان اشياء منه في اماكن متفرقة

لاتحاصر كثرة بين ايديهم وقته بقوله فاذا اي فيتسبب عن هذا الارسال انه اذا انشقت السماء من هوله وعظمه فكانت
ابوابا لنزول الملائكة وغير ذلك من ايات الله فكانت لما اصابها من الحر وردة اي حمراء مشرقة من شدة لهيبه
وقال البغوي كلون الفرس الورد وهو الذي يضرب الى الحمرة او الصفرة كالدهان اي ذائبة صافية كالشيء الذي
يدهن به وكالاديم الاحمر والمكان الزلق وايته ذلك في الدنيا الشفقان عند الطلوع وعند الغروب وجواب
اذا محذوف تقديره علمتم ذلك علما شهوديا او فما اعظم الهول حينئذ ويجوز ان يكون الجواب شيا دل عليه الاية الاتية
نحو فلا يسال احدا اذا الصرف دينه وحذفه افخم ليذهب الوهم فيه كل مذهب ولما كان حفظ السماء عن مثل ذلك بتاخير
ارسالها هذا وغيره من الاسباب وجعلها محال الروح والفرج والحياة والرزق من اعظم الفواصل سبب عنه فباي الاء ربكما
اي المدبر لكما هذا التدبير المتقن تكذبان ابنعمة السمع من بحث او غيرها وليس شيء مما اخبركم به من احوال الاخرة الا قد اقمت لكم
في الدنيا ما نبهته ونبه الى العلم بكونه ولما كان يوم القيمة ذا الوان كثيرة ومواقف مهولة طويلة شهيرة يكون في
كل منها شؤون عظيمة وامور حبيرة ذكر بعض ما سببه هذا الوقت من التعريف بالعاصي والطايع بايات يجعلها الله سيما
في علمها فقال فيومئذ اي فيتسبب عن يوم اذا انشقت السماء انه لا يسئل سؤال تعرف واستعلام بل سؤال التقريع والتوبيخ
وملامة وذلك انه لا يقال له هل فعلت كذا بل يقال له لم فعلت كذا على ان ذلك اليوم طويل ممدود والوان تارة يسئل فيه
وتارة لا يسأل والامر في غاية الشدة وكل لون من تلك الالوان يسمى يوما فقد مضى في الفاتحة ان اليوم عبارة عن وقت
يمتد الى انقضاء امر مقدر فيه ظاهر من ليل او نهار او غيرهما لقوله تعالى الى ربك يومئذ المساق اي يوم اذ بلغت
الروح التراقي وهو لا يختص بليل ولا نهار وبناه للمفعول تعظيما للامر بالاشارة الى ان الشان المعرف بالمذنب لا يكون
خاصا باحد دون احد بل يعرفه كل من اراد علمه واضمر قبل الذكر لما هو مقدم في الرتبة ليفهم الاختصاص ووحد الضمير
لاجل اللفظ فقال عن ذنبه اي خاصة ويسأل المحسن عن حسنته سؤال تشريف له وتنديم لمن دونه ولما
كان الانس اعظم مقصود بهذا ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم منهم وكان التعريف بالمشاهد المالوف اعظم في التعريف
وكان علم احوال الشيء الظاهر اسهل قدمهم فقال انس ولا جان ولما كان هذا التمييز من اجل النعم لئلا يؤدي
الالباس الى ترويع بعض المطيعين غلطا او نكايته بالسؤال عنه قال فباي الاء ربكما اي الذي رباكما هكم بما لا مطمع في انكاره
ولا خفاء فيه تكذبان ابنعمة الشم من الامام ام غيرها ولما كان الكلام عاما عرف انه خاص بمعرفة المجرم من
غيره دون التعبير بالذنب او غيره من الاحوال فقال معللا لعدم السؤال يعرف اي لكل احد المجرمون اي العريقون في
هذا الوصف بسيماهم اي العلامات التي صور الله ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد ان كانت باطنة وظاهرة الدلالة عليهم
كما يعرف الان الليل اذا جاء لا يخفى على احد اصلا وكذلك النهار ونحوهما لغير الاعمى وتلك السيما والله اعلم زرقة العيون وسواد
الوجوه والعمى والصمم والمشي على الوجوه ونحو ذلك وكما يعرف المحسنون بسيماهم من بياض الوجوه واشراقها وتبسمها
والغرة والتحجيل ونحو ذلك وسبب عن هذه المعرفة قوله مشيرا بالبناء للمفعول الى سهولة الاخذ من اي اخذ كان فيوخذ
بالنواصي اي منهم وهي مقدمات الرؤس والاقدام بعد ان يجمع بينهما كما كانوا يجمعون ما امر الله به ان يفرق ويفرقون ما
امر الله به ان يجمع فيسحبون بها سحبا من كل ساحب اقامه الله لذلك لا يقدرون على الامتناع بوجه فيلقون في النار ولما
كان ذلك نعمة لا يقام بشكرها لكل من يسمعها لان كل احد ينتفي من الاجرام ويود للمجرمين عظيم الانتقام
سبب عنه قوله فباي الاء ربكما اي النعم الكبار من الذي دبر مصالحكم بعد ان اوجدكم تكذبان ابنعمة السمع من وراء ام
بغيرها مما يجب ان يفعل من الجزاء في الاخرة لكل شخص بما كان يعمل في الدنيا او غير ذلك من الفضل ولما كان
اخذهم على هذا الوجه موذنا بانه الى خزي عظيم صرح به في قوله بانيا على ما هدى اليه السياق من نحو اخذ امعوا انه
عند وصولهم الى محل النكال على الحال التي ذكرت من الاخذ بنواصيهم واقدامهم هذه اي الحضرة العظيمة الكريهة المنظر
القريبة منكم الملازمة القرب لكم جهنم التي يكذب اي ماضيا وحالا وماّلا استهانة ويودوا الى الدنيا بعد ادخالهم
اياها لعادوا لما نهوا عنه بها المجرمون اي الحقيقون بالاجرام وهو قطع ما من حقه ان يوصل وهو ما امر الله به وحض
هذا الاسم اشارة الى انها تلقاهم بالتجهم والعبوسة والكلاحة والفظاظة كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الاجرام
المذكور قال ابن برجان وقرا عبد الله هذه جهنم التي كنتم بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان ثم استانف ما يفعل
بهم فيها فقال يطوفون بينها اي بين دركها النار التي تتجهمهم وبين حميم اي ماء حار هو من شدة حرارته ذو دخان ولما كان
هذا الاسم يطلق على الماء البارد بين امره فقال آن اي بالغ حره الى غاية ليس وراءها غاية قال الرازي في اللوامع وقيل حاضر
وبه سمي الحال بالان لانه الحاضر الموجود فان الماضي لا تدارك له والمستقبل امل وليس لنا الا الان ثم ليس للانسان طرفة
عين لان الان هو الجزء المشترك بين زمانين فهم دائما يترددون بين عذابي النار المذيبة للظاهر والماء المقطع بحره للباطن

الذي

ولما كان لا يلبس من علم
احوال الظاهر على احد
الخفي من الكلام علمه
سبحانه بين فقال

الذي لا بد الحاضر الممتد ترددا الطايف الذي لا اول لترددهم ولا اخر ولما كان عذاب المجرم القاطع لما من شانه ان يكون
متصلا من اكبر النعم واشرها لكل احد حتى لمن سواه من المجرمين سبب عنه قوله فباي الاء ربكما اي المحسن اليكما ايها الثقلان
باهلاك المجرم في الدارين وانجاء المسلم مما اهلكه به المجرم والتهديد لطفا بالمهددين ليرتدعوا وينزجروا عما يكون سببا لهلاكهم
تكذبان ابنعمة الشم من اليمن ام غيرها مما اراكم من اياته وظاهر عليكم من بيناته في السموات والارض وما اراكم من طالع الدنيا
من الشمس التي هي اية النار والقمر الذي هو اية النعيم وغير ذلك من اياته المحكمة المرئية والمسموعة وقد كررت هذه الاية عقب ذكر
النار واهوالها سبع مرات تنبيها على استدفاع ابوابها السبعة كما مضى والله المستعان ولما عرف ما للمجرم
المجتري على العظايم وقدمه لما اقتضاه مقام التكذيب من الترهيب وجعله سبعا اشارة الى ابواب النار السبع طمعا بعضه
ما للخايف الذي اداه خوفه الى الطاعة وجعله ثمانيا على عدد ابواب الجنة الثمانية فقال ولمن اي ولكل من ووحد الضمير مراعاة
للفظ من اشارة الى قلة الخايفين خاف اي من المتقين ولما كان ذكر الخوف من الزمان المضروب للحساب والتدبير والمكان
المعد لهما ابلغ من ذكر الخوف من الملك المحاسب المدبر والخوف مع ذكر وصف الاكرام ابلغ من الخوف عند ذكر اوصاف الجلال
قال دالا بذلك على ان المذكور راس الخايفين مقام ربه اي مكان قيامه الذي يقيمه وغيره فيه المحسن اليه للحكم وزمانه الذي
مربه له وقيامه عليه وعلى غيره بالتدبير فهو رقيب عليه وعليهم فكيف اذا ذكر مقام المنتقم الجبار المتكبر فترك لهذا ما يغضبه
وفعل ما يرضيه جنتان عن يمين وشمال واحدة للعلم والعقد والاخرى للعمل ويمكن ان يراد بالتثنية انهما لا نهاية لها من تكرره
ومتكرره مثل العبا في جهنم ونحو ذلك ولما كانت هذه نعمة جامعة سبب عنها قوله فباي الاء ربكما اي نعم
المربي لكما باحسانه الكبار التي لا يقدر غيره على شيء منها تكذبان ابنعمة الشم من اليسار المسنعة من القلب ام غيرها من تربيته
جنان الدنيا بنفس جهنم من حر الشمس وحرورها فجعل من ذلك جميع الفواكه والزروع الى غير ذلك من المرافق التي طبخها لها
وكاي من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون او غير ذلك من نعمه التي لا تحصى ولما كانت البسا
لا تجمل بدونها الا بكثرة الانواع والالوان والفروع المشتبكة والاغصان قال واصفا لهما ذواتا اي صاحبتا بردعين الحمد
لان اصلها ذو وافنان اي جمع فن تتنوع فيه الثمار وفنن وهو الغصن المستقيم طولا لكونه الزينة بالورق والثمر وكمال الانتفاع
بالعطاء في كل غصن فنون من الفاكهة ولذا سبب عنه قوله فباي الاء ربكما اي المحسن اليكما والمدبر لكما تكذبان ابنعمة الشم
من جهة الفوق او غيرها مما ذكر لكم من وصف الجنة الذي جعل لكم من امثاله ما تعتبرون به ولما كانت الجنان لا تقوم الا
بالانهار قال فيهما عينان اي في كل واحدة عين تجريان في اي مكان شاء صاحبها وان علا مكانه كما يصعد المياه في الاشجار
في كل غصن منها وان زاد علوها جزاء على عيني دموعه الجاريتين من خشية الله وذلك على ما لجنان الدنيا والشمس صاعدة
في البروج الثمانية حين تكامل المياه وتفجرها عيونا في ايام الربيع والصيف لقرب العهد بالامطار فباي الاء ربكما اي المالك
لكما والمحسن اليكما تكذبان ابنعمة الشم من جهة النجار ام غيرها مما ذكر وجعل له في الدنيا امثالا كثيرة ولما
كان بالمياه حياة النبات وزكاوه قال ذاكرا افضل النبات فيهما اي هاتين الجنتين العاليتين ودل على جمع كل ما نعلمه
وزيادة بقوله من كل فاكهة اي نعلمها او لا نعلمها زوجان اي صنفان يكمل احدهما بالاخر كما لا يدرك كنهه احد الذي
بسبب العمل بالمرضي والاخر بالانتهاء عما يسخط فباي الاء ربكما اي النعم الكبار التي رباها الموجد لكما المحسن اليكما
تكذبان ابنعمة اللمس من الامام ام غيرها من انه اوجد لكم جنان الدنيا بواسطة حر النار التي هي اعدى عدو لكم اشارة الى انه
قادر على ان يوجد برضوانه وجنته من موضع غضبه وانتقامه اكراما فقد جعل لها في الدنيا مثالا لما ذكر في الاخرة فباي
شيء من ذلك تكذب لا يكمل الايمان حتى يصدق المؤمن انه تعالى قادر ان يجعل من جهنم جنة بان يجعل موضع سخطه رحمة ونباتا
ذللا ويعتبر ذلك بما اراه من نحو ذلك ولما كان التفكه لا يكمل حسنه الا مع التنعم من طيب الفرش وغيره
قال مخبرا عن الذين يخافون انهم من قبيلي الانس والجن مراعيا معنى من بعد مراعاة لفظها تحقيقا للواقع متكئين اي لهم
ذكر في حال الاتكاء وهو يدل على تمام التنعم بصحة الجسم وفراغ البال على فرش وعظمها بقوله مخاطبا لكم كلفين بما يحتمل عقولهم
والا فليس في الجنة ما يشبهه على الحقيقة شيء من الدنيا بطاينها اي فما ظنك بظهايرها ووجوهها من استبرق
وهو ثخين الديباج يوجد فيه من حسنه بريق كانه من شدة لمعانه وطلب ايجاده حتى كانه نور مجرد ولما كان المتكئ
قد يشق عليه القيام لتناول ما يريد قال وجنا الجنتين اي مجنيهما اسم بمعنى المفعول كانه عبر به ليفهم سهولة تناول المصدر
الذي هو الاجتناء دان اي قريب من كل من يريده من متك وغيره لا يحوج الى صعود شجرة وهو موجود في كل حين يراد غير مقطوع ولا
ممنوع ولما كان ربما وجد مثل من ذلك شاهد له من اغصان تنعطف بحملها فتقرب واخرى تكون قريبة من ساق
الشجرة فيسهل تناولها قال فباي الاء ربكما اي النعم الكبار الملوكية التي اوجدها لكما هذا المربي لكما الذي يقدر على
كل ما يريد تكذبان ابنعمة اللمس من جهة النور ام غيرها من قدرته على عطف الاغصان وتقريب الثمار ولما كان

بين
وجين
متاع

مادكر لانم نعمة الانا النسوان الحسان قاكدا لا على الكثرة بعد بسيا في الاحسان بالجمع الذي هو اولى من التثنية بالدلالة على ان في كل بستان
جماعة من النسوان الحسان ابن من عظيم الله وفرط الاذن فيهن اي الجنان التي علم مما مضى ان لكل فرد من الخائفين منها جنتين ولما كان
سيا في الاحسان عرفا بان جمع القلة اريد به الكثرة مع ما ذكر من حسنانه في صور نص فالمعبر ابه قاصرات الطرف اي نساء هم
مخدرات هن في وجود الستر بحيث يقضي من ذكرهن بغير الوصف من غير تصريح قد قصرن طرفهن وهمهن على ازواجهن ولهن من
الجمال ما قصر به طرف ازواجهن عن الالتفات الى غيرهن لغضو الطرف وسحره وشدة اخذه للقلوب جزاء لهم على قصرهم همهم
في الدنيا على ربهم … كان الاختصاص بالتي لاسيما المراة من اعظم الملذذات قال لم يطمثهن اي يجامعهن ويسلط
عليهن في هذا الخلق الذي انسان فيه نوع من انواع السلطنة سواكن انسيات او جنيات او غير ذلك يقال الطمث المراة د…
كضرب وفرح حاضت وطمثها الرجل افتضها وايضا جامعها والبعير عقلته فكانه قيل هن ابكار لم يخالط موضع الطمث …
منهن انس ولما كان المراد تعميم الزمان اسقط الجار فقال قبلهم اي المتكئين ولا جان وقد جمع هذا كل من يمكن منه
جماع من ظاهر او باطن وفيه دليل على ان الجني يغشى كما يغشى الانسي كما نقل عن الزجاج فباي الاء ربكما اي النعم الجسام من المربي
الكامل العلم الشامل القدرة القيوم تكذبان ابنعمة اللمس من الجمع اليمنى ام غيرها مما جعله الله لكم مثالا لهذا من الابكار
الحسان وغير ذلك من انواع الاحسان … ذل ما تقدم من وصف المستمتع بهن بالعفة والنفاسة زاده على وجه
افاد انه يكون به غاية ما يكون من سكون النفس وقوة القلب وشدة البدن واعتدال الدم وغير ذلك من خواص ما شبههن به فقال
كانهن الياقوت الذي هو في صفائه بحيث ينفذ عن سلكه وهو جوهر معروف قال في القاموس اجوده الاحمر الرماني نافع للوسوسة
والخفقان وضعف القلب شربا وجمود الدم تعليقا والمرجان في بياضه وصغاره الذ انصع بياضا قال ابو عبد الله القزاز
والمرجان صغار اللؤلؤ وهو الذي يخرج من نبات البحر احمر معروف انتهى وقد يستفاد من ذلك ان الوانهن البياض والحمرة على نوع
من الاشراب هو في غاية الاعجاب من الشفوف والصفا وهو مع ذلك ثابت لا يعتريه متغير ليطابق الحديث الذي فيه يرى مخ
ساقها من وراء سبعين حلة وقال ابو حيان شبههن فيما يحسن التشبيه به فالياقوت في املاسه وشفوفه والمرجان في
املاسه وجمال منظره فباي الاء ربكما اي النعم العربية البالغة في الحسن من المالك الملك المربي بدايع التربية تكذبان
ابنعمة اللمس من جهة البشري ام غيرها مما جعله مثالا لما ذكر من وصفهن من تشبيه … في الحسن …
يساويه شيء ولهو المشبه به فهو كما قيل   بيضاء في دعج صفراء في نعج   كانها فضة قد شابها ذهب
وقد جعل سبحانه الاشيا الشفافة مثالا لذلك وانت ترى بعض الاجسام يكاد يرى فيها الوجه بل في سواد … اعظم …
حين يرى الوجه فيه فان السواد منشا الظلام … كان لذلك افاده الاحسان من النعم … فقال
سايلا لهم بذلك مع ما فيه من لين المدح لاسيما والمادح الملك الاعلى معظما له بسياق الاستفهام المفيد للاثبات بعد النفي
المفيد للاختصاص على وجه الانكار الشديد على من يتوهم غير ذلك هل جزاء الاحسان اي في العمل …
اوغيرهم الا الاحسان اي في الثواب وهذا من المواضع التي اعيدت فيها المعرفة والمعنى مختلف روى البغوي بسنده عن انس
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه
بالتوحيد الا الجنة وذلك جزاء الاحسان للعبد في العمل في مقابلة احسان ربه اليه بالتربية فباي الاء ربكما اي النعم
اللطيفة الحسنة من السيد الكريم الرحيم الجامع لاوصاف الكمال تكذبان ابنعمة اللمس من جهة الفوق ام غيرها مما جعله الله
سبحانه مثالا لمن احسن فقوبل باحسانه وهذه الاية جامعة … الكريم …
الكائنة للمقربين والله الهادي ولما كان قد علم بما ذكر اولا ان هذا الكلام من الخوف مع ذكر …
واخر مثل ذكر الاحسان ان هذا الفريق محسنون وكان من المعلوم ان العاملين طبقات وان كل طبقة اجرها على مقدار
اعمالها … بان اعد لمن دونهم فقال ومن دونهما اي من ادنى مكانا ورتبة …
المقربين جنتان اي لكل واحد ممن دون هولاء المحسنين من الخائفين وهم اصحاب اليمين …
في الدرج وجعل ابن برجان الجنان الاربع موزعة بين الكل وان تخصيص …
في فصول الدنيا الاربعة الشتا والربيع والصيف والخريف وتفسير …
ذهب ابنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة ابنيتهما وما فيهما ثم جوز ان يكون المراد …
فتكون هاتان يسكنهما اهل البرزخ كما كان وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك … فباي الاء ربكما اي الحسن
… الى الاعلى ومن دونه تكذبان ابنعمة اللمس من جهة التحت ام غيرها مما جعله في الدنيا مثالا لهذا من
تفضيل بعض البساتين على بعض الى غير ذلك من انواع التفضيل …
فكان … مما لا يقوم بالعلم كفايتهما قال مدهامتان اي خضراوان خضرة تضرب من شدة الري الى السواد …

قال الاصبهاني … هابين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وفي الاوليين الاشجار والفواكه فباي
الاء ربكما اي النعم … العالي منكما ومن دونه بسعة رحمته تكذبان ابنعمة الذوق من جهة الامام ام غيرها مما جعله مثلا
لذلك من جنان الدنيا الكثيرة الري وغيره ولما ذكر ما يدل على ريهما حققه بقوله فيهما اي في كل من جنتي كل شخص
عينان نضاختان اي تفوران شدة توجب لهما رشاشا بحيث لا ينقطع ذلك ولم يذكر جريهما فكانهما بحيث تروبان
… النضخ دون الجري وفوق النضح قال الاصبهاني واصل النضخ اي بالمعجمة الرش انتهى وكانهما
… تمثيلان من غير جري وقال ابن برجان ما معناه ان عدم جريهما لكونهما على مثال الجنتين … ههنا
… نزول الماء وسكناه في اعماق الارض لينعكس بالنبع والفوران صاعدا مع ان الجنة لا مطر فيها
فباي الاء ربكما اي النعم … البليغ الحكمة في التربية تكذبان ابنعمة الذوق من جهة ما وراء اللسان ام غيرها مما جعله
مثالا … تفور ولا تجري والانابيب المصنوعة للفوران لانها بحيث تروق ناظرها الصعود ها بقوة
… ذلك من النعم الكبار وغيرها ولما ذكر الري والسبب فيه ذكر ما ينشا عنه فقال
فيهما فاكهة … وحضر اشرفها واكثرها وجودا في الخريف والشتا كما في جنان الدنيا التي جعلت مثالا لهاتين
… من كلا منهما فاكهة وادام فلذا خصا تشريفا وتنبيها على ما فيهما مع التفكه واولهما اعم نفعا واعجب
فباي الاء ربكما اي نعم المحسن اليكما ايها الثقلان بجليل التربية تكذبان ابنعمة الذوق من اليمين ام غيرها
مما جعل مثالا لهذا من جنان الدنيا وغير ذلك … كان ما ذكر لا يكمل لذته الا بالانيس وكان … وردانه يكون في
بعض ثمار الجنة وجعل ثمارها نساء وولدان كما ان مثال ذلك في باطن مياه الدنيا وجعلنا من الماء كل شيء حي قال جامعا
… الجنتين لكل واحد من افراد هذا الصنف فيهن اي الجنان الاربع او الجنان التي خصت المكان
وجوز … ان يكون الضمير للفاكهة والنخل والرمان فانه يتكون منها نساء وولدان في داخل قشر الرمان ونحوه هي
خيرات … فيهن من الخير اصله خير مثقلا لان خيرا الذي للتفضيل لا يجمع جمع سلامة ولعله خفف لانه …
… جميع شانهن ولكون هاتين الجنتين دون ما قبلهما حسان اي في غاية الجمال خلقا وخلقا فباي الاء
ربكما اي … الاحسان اليكما تكذبان ابنعمة الذوق من جهة اليسار ام غيرها مما جعله مثالا لتكوين النسا والولدان
… الاشجار والزروع من المياه التي بها العيش فيها التوليد وغير ذلك مما تظهره الفكرة لاهل العبر
… الكلمة من الذوق لا ينشا عنه سبحانه في هذه الدار على سبيل التشبيه والحكمة ثم بينهن بقوله
حور اي … بين سواد السواد وشدة بياض البياض وقال ابن جرير بيض جمع حوراء مقصورات اي على
… صيانة عن التبذل فهو كناية عن عظمتهن في الخيام اي التي هي من الدر المجوف الشفاف جزاء لمن قصر نفسه
… الزلات وصان قلبه عن الغفلات فباي الاء ربكما اي الجليل الاحسان اليكما تكذبان ابنعمة الذوق
… مما جعله مثالا لهذا في الدنيا فانه كما خلقنا من تراب ثم طورنا في اطوار الخلقة بحسب
… ذلك خلق اولئك من ارض الجنة ورياضها وفواكهها عن كلمة السكان من غير الاسباب
… نفس الاخيار ذوي الهمم العالية صار في غاية الالتفات الى الانكار فقال لم يطمثهن اي يسلط
… عمم الزمان بتحديد الانكار فقال قبلهم اي انتفى الطمث المذكور في جميع الزمان الكائن قبل طمث
… الاختصاص كل بما عنده اي فتنتسب عن هذا المعاد لمثل هذا النعم العظيمة التي تفوت الحصر انا نقول
… الله وننبيها على ما له تعالى من النعم التي تفوت الحصر فقال فباي الاء ربكما اي النعم
… من القدرة التامة والعظمة الباهرة العامة تكذبان ابنعمة الذوق من تحت ام بغيرها مما
… المحذرات وجميع ما ذكر من النعم الظاهرة في كل حالة في الدنيا والاخرة ختم بالقرار ربع وعشرون لما منها
… ربوبيته وست عشرة في الجنان وجعلها على هذا العدد اشارة الى تعظيمها بتكثيرها
… النعم المحيطة بالجهات الست والحواس الخمس على الوجه الاكمل من درء المفاسد وجلب المصالح
… بعد ذكر من قوله فهل من مدكر في القمر باخر فيها الى الحواس الخمس وتكرارها وتكرار تكليف كان عن اي
… الست من جهة الدرء والجلب او بربها بنعمة اخرى ولعل اشارة الى ان السبب في هذا
… الواحد تعالى اعتقادا ادى الى الخضوع لامره وتقبل كلما جا من عنده تعالى فلذلك كانت نعمه لا
… دائم دون منتهى ابتدا دون اخر جديد وهكذا على وجه لا انقطاع له ابدا كما ان الواحد الذي هو اصل
… وهذه النعمة هي الدالة على الراحة الدائمة التي هي المقصودة بالذات على وجه لا يرى اغرب منه
… مبينا حال المحسنين ومن دونهم منشر كالهم في الراحة عليها الاعين رات ولا اذن سمعت ولا خطر

على قلب بشر **متكئين** اي لهم ذلك في حال الاتكاء دائمًا لانه لا شغل لهم بوجه إلا التمتع **على رفرف** اي ثياب ناعمة وفرش رقيقة النسج من الديباج لينة ووسائد عظيمة ورياض باهرة وبسط لها اطراف فاضلة ورفرف السحاب هيدبه اي ذيله المتدلي كان الاخضر احسن الالوان وابهجها قال **خضر وعبقري** اي متاع كامل من البسط وغيرها هو في كماله وغرابته كانه من عمل الجن لنسبته الى بلدهم قال في القاموس عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها في غاية الحسن والعبقري الكامل من كل شيء والسيد الذي ليس فوقه شيء وقال الرازي هو الطنافس المخملة وقال ابن جرير الطنافس الصغار الثخان وقال القشيري العبقري عند العرب كل ثوب موشى وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريًا من الناس يفري فريه وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسي وبختي
ولما كان المراد به الجنس ودل على كثرته بالجمع مع التعبير بالمفرد اشارة الى وحدة تكامله بالحسن فقال **حسان** اي هي في غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف **فبأي آلاء ربكما** اي النعم العظيمة من المحسن الواحد الذي لا محسن غيره ولا احسان الا منه ولا تعد نعمه ولا يحصى ثناء عليه **تكذبان** وبهذه الاية تمت النعم الثمان المختصة بجنة اصحاب اليمين اشارة الى العمل لابوابها الثمانية والله الموفق
ولما دل ما ذكر في هذه السورة من النعم على احاطته سبحانه باوصاف الكمال ودل بالاشارة بالنعمة الاخروية على ان نعمه لا نهاية لها لانه مع انه الكمال كله متعال عن كل شائبة نقص فكانت ترجمة قوله في ختام نعم الاخرة مناظرًا لما تقدم من ختام نعم الدنيا معبرًا هنا بالبقاء لما ذكر قبله من الفناء وهنا بما من الكثرة البركة اشارة الى ان نعمه لا انقضاء لها **تبارك** قال ابن برجان تفاعل من البركة ولا يكاد يذكر جل ذكره الا عند امر معجب انتهى ومعناه ثبت ثباتًا لا يتسع العقول لجميع وصفه لكونه على صيغة المفاعلة المفيدة للجهد اذا كانت مع من تمكن منازعته وذلك وصفه مع اليمن والبركة والاحسان
ولما كان تعظيم الاسم انفع وابلغ في تعظيم المسمى قال **اسم ربك** اي المحسن اليك بانزال هذا القرآن الذي جبلك على متابعته فصرت مظهرا له وصار خلقًا لك فصار احسانه اليك فوق الوصف ولذلك قال واصفًا للرب في قراءة الجمهور **ذي الجلال** اي العظمة الباهرة هو المنتقم من الاعداء **والاكرام** اي الاحسان الذي لا يمكن الاحاطة به فهو المتصف بالجمال الاقدس المقتضي لفيض الرحمة على جميع الاولياء وقرأ ابن عامر ذو صفة للاسم وكذا هو في مصاحف اهل الشام والوصفان الاخيران من شبه الاحتباك لانه حذف من الاول متعلق الصفة وهو النقمة للاعداء ومن الثاني اثر الاكرام وهو الرحمة للاولياء فاثبات الصفة اولا يدل على حذف ضدها ثانيًا واثبات الفعل ثانيا يدل على حذف ضده اولا وقال الرازي كانه ريد بالاسم الذي افتتح به السورة وقد انعطف اخر السورة على اولها على وجه اعم يشمل الاكرام بتعليم القرآن وغيره والانتقام بادخال النيران وغيره والله الموفق

سورة الواقعة

مقصودها شرح احوال الاقسام الثلاثة المذكورة في الرحمن الاولياء من السابقين واللاحقين والاعداء المشاققين من المجاهرين والمنافقين من الثقلين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار الذي دل عليه اخر الرحمن باثبات الكمال ودل عليه اخر ... بالتنزيه بالنفي لكل شائبة نقص ثم الاثبات بوصف العظمة لجميع الكمال من الجلال والجمال ولو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة فان استواءهم يكون شبهة لاهل الطبيعة واسمها الواقعة دال على ذلك بتامل ايته وما تعلق به **بسم الله** الذي له الكمال كله فتفاوت بين الناس في الاحوال **الرحمن** الذي عم بنعمة البيان وفاضل في قبولها بين اهل الادبار واهل الاقبال **الرحيم** الذي اقبل باهل حزبه الى قربه ففازوا بمحاسن الاقوال والافعال لما صنف سبحانه الناس في تلك الى ثلاثة اصناف مجرمين وسابقين ولاحقين وختم بعلة ذلك وهو انه ذو الانتقام والاكرام شرح احوالهم في هذه السورة وبين الوقت الذي يظهر فيه اكرامه وانتقامه بما ذكر في الرحمن غاية الظهور فقال بانيًا على ما ارشد السياق الى تقديره يكون ذلك كله كونًا يشترك في علمه الخاص والعام **اذا وقعت الواقعة** اي التي لا بد من وقوعها ولا واقع يستحق ان يسمى الواقعة بلام الكمال وتاء المبالغة غيرها وهي النفخة الثانية التي يكون عنها البعث الاكبر الذي هو القيامة الجامعة لجميع الخلق للحكم بينهم على الانفراد الظاهر الذي لا يدعي لاحد مشاركة فيه بوجه من الوجوه ويجوز ان يكون اذا منصوبا بالمحذوف لتذهب النفس فيه كل مذهب فيكون اهول اي اذا وقعت كان ما لا يدخل تحت الوصف عنها نطاق الحصر
ولما كان هذا معناه الساعة التي ابرم القضاء بانه لا بد من كونها عبر عنه بانيا على مبتدا محذوف فقال **ليس لوقعتها** اي لتحقق وجودها **كاذبة** اي كذب فهي مصدر عبر عنه باسم الفاعل للمبالغة بانه ليس في احوالها شيء يمكن ان ينسب اليه كذب ولا يمشي فيها كذب اصلا ولا يقدر عليه بل كلما اخبر بمجيه جاء من غير ان يرد منه شيء وكلما اخبر بنفيه انتفى فلا ياتي به شيء وقدر عظمتها وحقق ثبات الامر فيها بقوله مخبرا عن مبتدا محذوف **خافضة** اي هي لمن يشاء الله خفضه من عظماء اهل النار وغيرهم مما يشاؤه من اجلاد وغيرها الى اسفل سافلين **رافعة** اي لمن يشاء رفعه من اهل الجنة وغيرهم من صغارهم وغيرها مما يشاؤه الى عليين لا راد لامره ولا معقب لحكمه
ولما كان في هذا من

الهول ما يقطع القلوب لواعيه اكده وزاد ما شاء منه بقوله مبدلا من الظرف الاول بعض ما يدخل في الخفض والرفع **اذا رجت الارض** اي كلها على سعتها وثقلها باليسر من امره **رجا** اي زلزلت زلزالا شديدا بعنف فانخفضت وارتفعت وانتقضت باهلها انتفاضا شديدا قال البغوي واصل الرج في اللغة التحريك
ولما ذكر حركتها المزعجة اتبعها غايتها فقال **وبست الجبال** اي فتتت على صلابتها وعظمها بادنى اشارة وخلط حجرها بترابها حتى صار الكل شيئا واحدا وصارت كالعهن المنفوش وسيرت فكانت تمر مر السحاب **بسا فكانت** اي بسبب ذلك **هباء** اي غبارا هو في غاية الانمحاق والانسحاق لطافته اشار بصيغة الانفعال فقال **منبثا** اي منتشرا متفرقا بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه فهو كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل من كوة
ولما ذكر غايات مباديها المزعجة المرهبة ذكر مبادي غاياتها فقال **وكنتم** اي قسمتم بما كان في جبلاتكم وطباعكم في الدنيا **ازواجا ثلاثة** اي اصنافا فالاتم حكمة صنف منها الاثنان قسمين اعلاه ودونه ليكون ذلك ادل على تمام القدرة وهم اصحاب الميمنة المنقسمون الى سابقين وهم المقربون ولاحقين وهم الابرار اصحاب اليمين وكانهم من ادنى القلب الذي هو العدل السواء من اصحاب المشامة الى اخر الميمنة فاصحاب السواء هم المقربون وبقية اصحاب الميمنة اصحاب اليمين واصحاب المشامة هم القسم الثالث وكل من الثلاثة منقسم الى اعلاه ودونه وقد بينت الاقسام الثلاثة اخر السورة قال البيضاوي وكل صنف يكون او يذكر مع صنف اخر زوج
ولما قسمهم الى الثلاثة الاقسام فرع تقسيمهم ذكر احوالهم وابتداء ذلك بالاعلام بانه ليس الخبر كالخبر كما انه ليس العين كالاثر فقال **فاصحاب الميمنة** اي جهة اليمين وموضعها واعمالها فخم امرهم بالتعجيب من حالهم بقوله منبها على انهم اهل لان يسال عنهم فيما تفهمه اليمين من البركة والخير فكيف اذا عبر عنها بصيغة مبالغة فقال **ما** وهو مبتدا ثان **اصحاب الميمنة** والجملة خبر عن الاولى والرابط تكرار المبتدا بلفظه قال ابو حيان واكثر ما يكون ذلك في موضع التهويل والتعظيم وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم من الاعذار في السورتين المتقدمتين والتقرير على عظيم البراهين والله اعلم في اخر سورة القمر ان كل واقع في العالم فبمقتضاه سبحانه وقدره انا كل شيء خلقناه بقدر وكل شيء فعلوه في الزبر واعلمهم سبحانه في الواقعة بانقسامهم للاخراوي فافتتح بذكر الساعة اذا وقعت الواقعة الى قوله وكنتم ازواجا ثلاثة فتجردت هذه السورة للتعريف باحوالهم الاخراوية وصدرت بذلك كما جرد في السورتين قبل التعريف بحالهم في هذه الدار وما الجزء في السور الثلاث جاريا على غير هذا الاسلوب فبحكم استدعاء الترغيب والترهيب لطفا بالعباد ورحمة ومطابقتها مبنية على ما ذكرته تصريحا لا تلويحا وعلى الاستيفاء لا بالاشارة والايماء ولهذا قال تعالى في اخر القصص لعبرة فهم الاخراوية في هذه السورة هذا نزلهم يوم الدين فاخبر ان هذا حالهم يوم الجزاء وقد قدم حالهم الدنياوي في السورتين قبل وتلا التعريف المتقدم فيما بعد وذلك قوله فاما ان كان من المقربين الى خاتمتها انتهى
ولما ذكر الناجين بقسميهم اتبعهم اضدادهم فقال **واصحاب المشامة** اي جهة الشوم وموضعها واعمالها عظم ذمهم فقال **ما اصحاب المشامة** اي هم اهل لان يسال عما اصابهم من الشوم والشر والسوء بعظيم قدرته التي ساقتهم الى ما وصلوا اليه من الخزي الذي لا يفعله بنفسه عاقل بل ولا بهيمة مع ما ركب فيهم من العقول الصحيحة والافكار العظيمة وصان الاولين عن ذلك لان هؤلاء فاوصلهم الى النعيم المقيم
ولما ذكر القسمين وكان كل منهما قسمين ذكر اعلى اهل القسم الاول ترغيبا في حسن حالهم ولم يقسم اهل المشامة ترهيبا من سوء ما لهم فقال **والسابقون** اي الى اعمال الطاعة اصحاب الحنين الاولين في الرحمن وهم اصحاب القلب **السابقون** اي هم الذين يستحقون الوصف بالسبق لا غيرهم لانه لا منزلة اعلى من منزلتهم فلذلك سبقوا الى جنتيهم وهم قسمان كما ياتي عن الرازي وعن المهدوي ان النبي صلى الله عليه وسلم السابقون هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم ولما بين علو شانهم ونسب السبق اليهم ترجمه نازعا للفعل منهم بقوله **اولئك** اي العالو الرتبة جدا من اصحاب الميمنة هم **المقربون** اي الذين اصطفاهم الله تعالى للسبق فاراد بهم لقربه او انعم عليهم بقربه وكل الافعال في تقريبهم لم يكونوا سابقين قال الرازي في اللوامع المقربون تخلصوا من نفوسهم فاعمالهم كلها لله دينا ودنيا من حق الله وحق الناس وكلاهما عندهم حق الله والدنيا عندهم اخرتهم لانهم يراقبون ما يبدو لهم من ملكوته فيتلقونه بالرضى والانقياد وهم صنفان فصنف قلوبهم في جلاله وعظمته هائمة قد ملكتهم هيبته فالحق يستعملهم وصنف اخر قد ارخي من عنانه هو فالامر عليه اسهل لانه قد جاوز بقلبه هذه الخطة ومحله اعلى فهو امين الله في ارضه فيكون الامر عليه اوسع انتهى ثم بين تعرفه لهم بقوله **في جنات النعيم** اي الذي لا نعيم غيره لانه لا كدر فيه بوجه ولا منغص والصنف الاخر منهم هم المقربون والمشار اليهم من اصحاب المشامة اولئك المغضوب عليهم المبعدون ومن دونهم الضالون البعيدون وهم اصحاب الشمال
ولما ذكر السابقين فصلهم فقال **ثلة** اي جماعة كبيرة حسنة وقال البغوي والثلة جماعة غير محصورة العدد **من الاولين**

ذلكم

قال هم

ص

فعون

وهم الانبيا الماضون عليهم السلام ومن امن بهم من غير واسطة رضى الله عنهم **وقليل من الاخرين** وهم من امن بمحمد صلى الله عليه
وسلم كذلك بغير واسطة رضى الله عنهم فقد كان الانبيا عليهم السلام مائة الف واربعة وعشرين الفا وكان من خرج مع موسى عليه السلام
من مصر وهو مومن به من الرجال المقاتلين ممن هو فوق العشرين ودون الثمانين ستمائة الف فما ظنك بمن عداهم من الشيوخ ومن دون
العشرين من البالغين والصبيان ومن النسا فكيف بمن عداهم من ساير النبيين عليهم الصلاة والسلام المجددين من بني اسرائيل وغيرهم
وقيل الثلة والقليل كلاهما من هذه الامة رواه الطبراني وابن عدي عن ابن عباس رضى الله عنهما وفيه ابان بن ابي عياش وهو
متروك ورواه اسحاق بن راهويه ومسدد وابو داود الطيالسي وابرهيم الحربي والطبراني من رواية علي بن زيد وهو ضعيف
عن عقبة بن صهبان عن ابي بكرة رضى الله عنه مرفوعا وموقوفا والموقوف اولى بالصواب وتطبيقه على هذه الامة سواء كان
مرفوعا او موقوفا صحيح لاعتبار عليه فيكون الصحابة رضى الله عنهم كلهم من هذه الثلة وكذا من تبعهم باحسان الى راس القرن
الثالث وهم من لا يحصيهم الا الله ومن المعلوم انه تناقص الامر بعد ذلك الى ان صار السابق في الناس اقل من القليل لرجوع الاسلام
الى الحال الذي بدا عليها من الغربة بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا وطوبى للغربا ويجوز ان يقدر ايضا وثلة اي
جماعة كثيرة هلكى من الاولين وهم المعاندون من الامم الماضين وقليل من الاخرين وهم المعاندون من هذه الامة ولما
ذكر السابقين في الخير بصنفيهم مشيرا الى السابقين في الشر بصنفيهم ذكر جزا اهل الخير ليعلم منه جزا اوليك فقال مبينا
انهم ملوك لكن ملكهم لا يتنافس فيه ولا يتحاسد بل هو كله تقابل بالوداد والصفا **على سرر** وهو ما تيسر للانسان من المقاعد
العالية المصنوعة للراحة والكرامة التي هي اية الملك وهو العرش **موضونة** اي منسوجة نسجا مضاعفا منضودا داخلا
بعضه في بعض مقارب النسج محبوكا كالدرع لكن نسجها بالذهب متصلا بالجوهر من الدر والياقوت ولما ذكر السرر
وبين عظمتها ذكر غايتها فقال **متكئين** اي متمكنين بهيئة المتربع او غيرها على الجنب او غيره **عليها** ولما كان
الجمع اذا كثر كان ظهور بعض اهله الى بعض اعلم ان جموع اهل الجنة على غير ذلك فقال **متقابلين** فلا يعد ولا يدابر ولا
ينظر بعضهم الى قفا بعض ولا يحجب بعضهم بعضا ولما كان المتكي قد يصعب عليه القيام لحاجته قال **يطوف**
عليهم اي لكفاية كل ما يحتاجون اليه **ولدان** على الحسن صورة وزي وهيئة **مخلدون** قد حكم الله ببقائهم على ما هم عليه
من الهيئة قال البغوي تقول العرب لمن كبر ولم يشمط انه مخلد قال قال الحسن هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات يثابون
عليها ولا سيئات يعاقبون عليها لان الجنة لا ولاده فيها فهم خدام اهل الجنة ولما كان مدحهم هذا في غاية
الابلاغ مع الايجاز فيه الراي وكان فيه باشارته الى تبليغ المالهم تحريك الى مثل اعمالهم وكان الاكل لدي هو من اعظم
المارب مشارا اليه بالمدح العظيم الذي من جملته الاستراحة على الاسرة التي علم من عادة الملوك انهم لا يسمونها الا بعد
قضا الوطر منه فلم يبق بعد الا ما تدعو الحاجة اليه بعد قضاء الوطر من المشارب وما يتبعها قال تعالى **باكواب** اي كيزان
مستديرة الافواه بلا عرى ولا خراطيم لا يعوق الشارب منها عايق عن شرب من اي موضع اراد منها فلا يحتاج ان يحول الاناء
عن الحالة التي تناوله بها ليشرب ويمكن ان يكون البداءة بالشراب لما نالوا من المتاعب من العطش حال من يشرب من الحوض
فيكون حينيذ قبل الاكل والله اعلم **واباريق** اي او اني لها عرى وخراطيم فيها من انواع المشارب ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين **وكاس** اي اناء معد للشرب فيه الشراب والشراب نفسه ولما كان الشراب عاما بينه بقوله
من معين اي خمر جارية صافية صفا المالين تتكلف عصرها بل تنبع كما ينبع الماء ولما اثبت نفعها وما
يشوق اليها نفى ما ينفر عنها فقال **لا يصدعون** اي تصدعا يوجب المجاوزة **عنها** اي يوجع في الراس ولا تفرق للملالة
ولا ينزفون اي يذهب بعقولهم بوجه من الوجوه او يفرغ شرابهم من نزف البير اذا نزح ماؤها كله ونزف فلان ذهب
عقله او سكر وبني الفعلان للمجهول لانه لم تدع حاجة الى معرفة الفاعل وقال الرازي في اللوامع قال الصادق لا تذهل
عقولهم عن موارد الحقايق عليهم ولا يغيبون عن مجالس المشاهدة بحال ولما بدا بالالذ الهاضم للاكل تلاه
بما يليه مما يدعو اليه الهضم تصريحا به بعدا للتلويح فقال **وفاكهة مما يتخيرون** اي مهما يجب لو كان فيها جيد وغيره
فاختاروا وبالغوا في التنقية لكان مما يقع التخير عليه ولما ذكر ما جرت العادة بتناوله لمجرد اللذة اتبعه
ما العادة انه لاقامة البنية وان كان هناك لمجرد اللذة ايضا فقال **ولحم طير** ولما كان في لحم الطير ما يرغب
عنه احترز عنه بقوله **مما يشتهون** اي غاية الشهوة بحيث يجدون لاجرم من اللذة ما لا اوله ولما لم يكن بعد
الاكل والشرب اشهى من الجماع قال عاطفا على ولدان **وحور عين** اي يطفن عليهم وجر حمزة والكساي عطفا على سرر فان
الناس في معنى المتكا لانهن يسمين فراشا ولما كان المثل في الاصل للشي نفسه كما مضى في الشورى قال **كامثال**
اي مثل اشخاص **اللؤلؤ المكنون** اي المصون في الصدف عما قد يدنسه ولما كان هذا ابلغ في وصف جزايهم بالحسن والصفا
دل على ان اعمالهم كانت كذلك لان الجزا من جنس العمل فقال **جزاء** اي فعل لهم ذلك لاجل الجزا **بما كانوا** جبلة وطبعا **يعملون**

اي يجددون فعله على جهة الاستمرار ولما اثبت لها الكمال وجعله لهم نفى عنه النقص فقال **لا يسمعون**
اي على حال من الاحوال **فيها لغوا** اي شيا مما لا ينفع فان انكى ما يسمع الحكيم ذلك واللغو الساقط **ولا تاثيما** اي ما
يحصل به الاثم او النسبة الى الاثم بل حركاتهم وسكناتهم كلها رضى لله وما قطع قلوب السايرين الى الله الا هاتان
الخصلتان بينا احدهم يبني ما ينفعه مجتهدا في البنا اذا هو قد غلبه طبعه فهدم اكثر ما بنى وبينا هو يظن انه
تقرب اذا هو قد تحقق بمثل ذلك انه قد تبعد من حضرته وشط مزاره فالله المستعان ولما كان الاخير
معيارا للعموم ساق بصورة الاستثنا قوله **الا قيلا** اي هو في غاية اللطافة والرقة بما دل عليه المبني على اباء قبلها
يجانس مع ما دل عليه مادة قولي ولما شوق اليه بالتعبير بما ذكر بينه بقوله **سلاما** ودل على دوامه وتكرره
فقال **سلاما** اي لا يخطر في النفس ولا يظهر في الحس منهم قول الا دال على السلامة لانه لا عطب فيها اصلا وساقه
مساق الاستثنا المتصل دلالة على انه ان كان فيها لغو فهو ذلك حسب وهو ما يوهمهم ويتحفهم ويبشرهم مع انه ذاك
على حسن العشرة وجميل الصحبة وتهذيب الاخلاق وصفا المودة ولما اتم سبحانه القسم الاول الفعلي الذي
العدلي من الثلاثة بقسميه وذكر في جزايه مما لا صحاب المدن ما لا يمكنهم الوصول اليه عطف عليه الثاني الذي هو دون
ذلك وهم والله اعلم الابرار وهم ايضا صنفان وذكر في جزايهم من جنس ما لاهل البوادي انهى ما يتصورونه ويتمنونه
فقال **واصحاب اليمين** ثم فخم امرهم واعلى مدحهم لتعظيم جزايهم والاشارة الى انهم اهل لان يسال عن حالهم فانها في
غاية الاعجاب فقال **ما اصحاب اليمين** ولما عبر عنهم بما افهم انهم اولو القوة والجد في الاعمال والبركة في
جميع الاحوال ذكر عيشهم بالفاكهة لان عيش الجنة كله تفكه ذاكرا منها ما ينبت في بلاد العرب من غير كلفة
بغرس ولا خدمة واشار الى ما يذكره بان جعله ظرفهم فقال من غير ذكر لسرر الملك الذي جابه المقربين من الملك
ولم يزد على لذات الماكول وما معه مما يتصور للبهايم **في سدر** اي شجر نبق منه الى الاغصان من شدة حمله من شدة النعيم
اي سد له **مخضود** اي هو مع انه لا شوك له ولا عجم بحيث تنثني اغصانه من شدة الحمل من خضد الشوك قطعه والغصن
ثناه وهو رطب وفي ذكر هذا تنبيه على ان كل ما لا نفع فيه او فيه نوع اذى له في الجنة وجود كريم لان الجنة انما
خلقت للنعيم ولما ذكر ما يطلع في الجبال والاماكن المعطشة والرمال التبعه ما لا يطلع الا على المياه دلالة
على ان اماكنهم في غاية السهولة والري فقال **وطلح** اي شجر موز او نخل وقال الحسن شجر له ظل بارد طيب وقال الفرا
وابو عبيدة شجر عظام لها شوك وقيل هو ام غيلان وله نور كثير طيب الرايحة وحكي عن ابي تراب النخشبي انه كان
سايرا مع قوم من الصوفية على قدم التوكل فجاعوا اياما فقال اتريدون ان تاكلوا قالوا نعم فضرب بيده على شجرة ام غيلان
فاذا عليها اعراجين موز فاكلوا الا شابا منهم فقال لا اكل ولا اصحبك بعدها لاني كنت اسير بلا معلوم وقد صرت
انت الان معلومي كلما جعت النعت بعيني اليك **منضود** اي منظوم بالحمل من اعلاه الى اسفله متراكم متراكب بعضه
على بعض على ترتيب هو في غاية الاعجاب قال في القاموس الطلح شجر عظام والطلع والموز والطلع من النخل شيء
يخرج كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد او ما يبدو من ثمرته اول ظهورها ولما
ذكر ما لا يكون الا في البلاد الحارة قال **وظل ممدود** اي مستوعب للزمان والمكان فهو دايم الامتداد كما بين الاسفار
وطلوع الشمس لا فنا له ولا نهاية ولما كان ما ذكر من الري لا يستلزم الجري قال **وماء مسكوب** اي جار
في منازلهم في غير اخدود ولا يحتاجون فيه الى جلب من الاماكن البعيدة ولا ادلا في بير كما لاهل البوادي ولما
ذكر ما تقدم عمم بقوله **وفاكهة كثيرة** اي اجناسها وانواعها واشخاصها ولما كانت لا يكون عندنا الا في
اوقات يسيرة بين ان امر الجنة على غير ذلك فقال **لا مقطوعة** ولما كانت في الدنيا قد يتعذر التوصل اليها
مع وجودها لشي من الاشيا اقله صعود الشجرة او التحجير بجدار وغيره قال **ولا ممنوعة** ولما كان التفكه لا
يكمل الالتذاذ به الا مع الراحة قال **وفرش مرفوعة** اي هي رفيعة القدر وعالية بالفعل لكثرة الحشو ولتراكم بعضها
على بعض ولانها على السرر وروى البغوي من طريق النسائي عن ابي سعيد وابي هريرة رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسماية عام ولما كانت النسا تسمى فرشا قال تعالى معيدا للضمير
على غير ما يتبادر الى الذهن من الظاهر على طريق الاستخدام مؤكدا لاجل انكار من ينكر البعث **انا** اي بما لنا من العظمة
التي لا يستعاظمها شي **انشاناهن** اي الفرش التي معناها النسا من اهل الدنيا بعد الموت ولو عن الهرم والعجز بالبعث
وزادهن في الزينة فقال **انشاء** اي من غير ولادة بل جمعناهن من التراب كما فعلنا بساير المكلفين ليكونوا كابيهم ادم
عليه السلام في خلقه من تراب لتكون الاعادة كالبداة ولذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه السلام
ويجوز ان يراد به الحور فيكون انشا مبتدعا لم يسبق له وجود ولما كان الفصل منهم الثبات الى الاختصاص

وغيرهن

وكان الأصل في الأنثى المنشأة أن يكون بكرا بنية على أن المراد بكارة لا تزول إلى حال الوطء ثم تعود فكلما عاد إليها وجدها بكرا
نقال فجعلناهن اي الفرش للثيبات بعظمتنا المحيطة بكل شيء ممكن ابكارا اي بكارة دائمة لانه لا تغير في الجنة ولا نقص
ولما كان مما جرت به العادة ان البكر تنفر من الزوج لما يلحقها بازالة البكارة من الوجع دل على انه لا نكد هناك اصلا
بوجع ولا غيره بقوله عربا جمع عروب وهي الغنجة المتحببة الى زوجها وقال الرازي في اللوامع العطفة بمراد الزوج كفطنة العرب
ولما كان الاتفاق في السن ادعى الى المحبة ومزيد الالفة قال اترابا اي على سن واحد وقد واحد بنات ثلاث وثلاثين في
وكذا ازواجهن قال الرازي في اللوامع العطفة بمراد الزوج كفطنة العرب كان الاتفاق في السن ادعى الى المحبة
ومزيد الالفة قال اترابا وكذا ازواجهن قال الرازي في اللوامع اخذ من لعب الصبيان بالتراب انتهى وروى البغوي من طريق
عبد عن الحسن قال كانت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان لا يدخلها
عجوز قال فولت تبكي قال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشأناهن انشاء الاية ورواه الترمذي
في الشمائل عنه هكذا مرسلا ورواه البيهقي في كتاب البعث عن عائشة رضي الله عنها والطبراني في الاوسط من وجه اخر عنها
ومن وجه اخر عن انس رضي الله عنه قال شيخنا حافظ عصره ابن حجر وكل طرقه ضعيفة وروى البغوي ايضا من طريق الثعلبي عن
انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلهن ابكارا
ولما كان هذا الوصف البديع مقتضيا للمازدي النفس منه لمن يقال لمن هؤلاء وان كان قد علم قبل ذلك نبه
عليه بقوله لاصحاب اليمين ويجوز ان يتعلق باترابا لتكون نصا في انهن على اسنان ازواجهن ولما انهى وصف ما فيه
اهل هذا الصنف على ابهى ما يمكن ان يكون لاهل البادية بعد ان وصف ما للسابقين بأعلى ما يمكن ان يكون لاهل الحاضرة وكان
قد تقدم المقايسة في السابقين بين الاولين والاخرين فعل هنا كذلك فقال ثلة من الاولين اي من اصحاب اليمين وثلة اي منهم
من الاخرين فلم يبين فيهم قلة ولا كثرة والظاهر ان الاخرين اكثر فان وصف الاولين بالكثرة لا ينافي كون غيرهم اكثر ليتفق
مع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة ثلثا اهل الجنة فانهم عشرون ومائة صف هذه الامة منهم ثمانون صفا
ولما انهى وصف ما لهذين الصنفين المحمودين وبه تمت اقسام اصحاب الميمنة الاربعة الذين هم اصحاب القلب واليمين
اتبعه اضدادهم فقال واصحاب الشمال اي الجهة التي يتشاءم العرب بها وتعبر بها عن الشيء الاخس والحظ الانقص والظاهر
انهم ادنى اصحاب المشأمة كما كان اصحاب اليمين دون السابقين من اصحاب الميمنة ثم عظم ذمهم ومصابهم فقال ما اصحاب الشمال
اي انهم بحال من الشؤم موجدة بان يسال عنه ولما فخم ذمهم ومعابهم ذكر عذابهم ليعلم ان القسم الاشد منهم في
الشؤم اشد عذابا فقال في سموم اي ظرفهم المحيط بهم لفح من لفح النار شديد يتخلل المسام وحميم اي ماء حار بالغ في الحرارة
الى حد يذيب اللحم ولما كان التهكم في القلب من شديد الوقع ما يجل عن الوصف والحد قال وظل ثم اتبعه ما
صرح بانه تهكم فقال من يحموم اي دخان اسود كالحمم اي الفحم شديد السواد بما افهمته الزيادة وشبهه صيغة المبالغة
ولما كان المعهود من الظل البرد والاراحة نفى ذلك عنه فقال لا بارد ليروح النفس ولا كريم ليؤنس به ويجاء اليه
ويرجى خيره ويعول في حال عليه لان يفعل ما يفعله الواسع الخلق الصفوح من الاكرام بل هو مهين سماه ظلا لترتاح النفس
اليه ثم نفى عنه نفع الظل وبركته لينغص حرقات اليأس بعد الرجا الى احراق اليحموم تنغيص الغصة غصتين ولما
انتج هذا انه على خلق اللئيم فهو موضع الحرارة ثم الضيق والخسة والشين علله بقوله انهم اكد وان كان فيهم اهل الصر
لاجتماعهم في الاستراواح الى متابعة الدين باتباع الشهوات ولان ما مضى لهم بالنسبة الى هذا العذاب حال نائم وعبر بالكون
دلالة على العراقة في ذلك ولو بهتوهم لهم جبلة وطبعا فقال كانوا اي في الدنيا ولما كان ذلك ملازما لاستغراق
الزمان بميل الطباع نزع الجار فقال قبل ذلك اي الامر العظيم الذي وصلوا اليه مترفين اي في سعة من العيش متمكنين
في الشهوات مستمتعين بها متمكنين فيها لتراني طباعهم اليها فاعقبهم ما في جبلاتهم من الاخلاد الى الترف عدم الاعتياد
والانعاظ في الدنيا والتكبر على الدعاة الى الله وفي الاخرة شدة الالم لرقة اجسامهم المهيأة للترف بتعودها بالراحة
باخلادها اليها وتعويلها عليها وكانوا اي مع الترف يصرون اي يقيمون ويدومون على سبيل التجديد بما لهم من
الميل الجبلي الى ذلك على الحنث اي الذنب ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم الذي هو وقت المؤاخذة بالذنب ويطلق
الحنث على الكذب والميل الى الاباطيل واليمين الغموس ونقض العهد المؤكد ولما كان ذلك قد يكون من المعهود مما قد
يغتفر بكونه صغيرا او في وقت يسير قال العظيم دالا على انهم يستهينون العظائم من القبائح والفواحش ولما وصفهم
بالترف والاصرار على السرف وكان ذلك يلازم البطالة وكان يلزم عنها الغباوة او العناد الموجب للشقاوة ذكر انكارهم
لما ابين منه فقال عاطفا على ما افهمه التقدير عن الاثم بالحنث من نحو فكانوا يقسمون بالله جهد ايمانهم انهم لا يبعثون وان الرسل
كاذبون وكانوا يقولون اي انكارا للجديد لذلك دائما جلافة او عنادا ائذا اي انبعث اذا وحذف العامل لدلالة مبعوثون

عليه

عليه ولا يعمل ما بعد الاستفهام وحرف التاكيد الدال لهما الصدر منعا ه متنا اي فلم يبق في ركاد واحاطت بوجه
وكنا اي كونا ثابتا ترابا وعظاما ولما كان استفهامهم هذا الانكار ان يكون في شيء من اقامة ابدانهم او رد
احوالهم اعادوا الاستفهام تاكيدا لانكارهم فقالوا أئنا لمبعوثون اي كائن وثابت بعثنا ساعة من الدهر واكدوا
لكون انكارهم لما دون المؤكد بطريق الاولى كانت اوهامهم واقفة مع المحسوسات لجمودهم وكان البلى
كلما كان اقوى كان ذلك البالي في زعمهم من البعث ابعد قالوا محرجين في جملة فعلية عطفا على الواو من مبعوثون
من غير تاكيد بضمير للفصل بالاستفهام أوآباؤنا اي ويبعث اباؤنا اي يجدد بعثهم في جنس ما وزادوا الاستبعاد على
فهو بقولهم الاولون اي الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم فصاروا كلهم ترابا ولا سيما ان حملتهم السيول ففرقت ترابهم
في كل اوب وذهبت بهم في كل صوب وسكن نافع وابن عامر الواو على ان العاطف او ويجوز ان يكون العطف على محل ان
واسمها ولما كانوا غاية في الجلافة رد انكارهم باثبات ما نفوه وزادهم الاخبار باهانتهم ثم دل على صحة
ذلك بالدليل العقلي لمن يفهمه فقال مخاطبا لاعلى الخلق وارفقهم بهم لان هذا المقام لا يذوقه حق ذوقه الا هو كانه
لا يقوم بتقريره لهم والرفق بهم غيره قل اي لهم ولكل من كان مثلهم واكد لانكارهم ان الاولين الذين جعلتم الاستبعاد
فيهم اولويا ونص على الاستغراق بقوله والاخرين ودل على سهولة بعثهم وانه في غاية الثبات بقوله منبها على
ان تقلبهم بالموت والبلى تحصيل لا تفويت لمجموعون بصيغة اسم المفعول في المكان الذي يكون فيه الحساب ولما
كان جمعهم بالتدريج عبر بالغاية فقال الى ميقات اي زمان ومكان يوم معلوم اي معين عند الله ومن شانه ان يعلم
بما عليه من الامارات والميقات ما وقت به الشيء من زمان ومكان اي حد ولما كان زمان البعث متراخيا
عن نزول القرآن عبر بأداته واكد لاجل انكارهم فقال ثم اي بعد البعث بعد الجمع المطلع انكم وابدا ما فهمته من ان
اصحاب الشمال هم القسم الادنى من اصحاب المشأمة فقال ايها الضالون اي الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لا يفهمون شيئا
اتبع ذلك ما اوجب الحكم عليهم بالضلال فقال المكذبون اي تكذيبا ناشئا عن الضلال والتقليد بما لا يكذب به الا عريق
في التكذيب بالصدق لآكلون من شجر مبتدئة النار ولما كان الشجر معدن الثمار الشهية كالسدر والطلح بينه بقوله
من زقوم اي شيء هو في غاية الكراهة وبشاعة المنظر ونتن الرائحة والاذى قال ابو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع
وعد الحق في واعيه والزقم شرب اللبن والافراط فيه يقال بات يزقم اللبن زقما ومن هذا الزقوم الذي ذكر الله تبارك
وتعالى وقال قال ابو حنيفة الزقوم شجرة غبراء صغيرة الورق لا شوك لها ذفرة لها كعابر في سوقها ولها ورد تجرسه
النحل ونورها ابيض وراس ورقها قبيح جدا وهي مرعى ومنابتها السهل وقال في القاموس في الدال المهملة الدفر
بالتحريك وقوع الدود في الطعام والذل والنتن ويسكن وقال في المعجمة الذفر محركة شدة ذكاء الريح كالذفرة او
يخصان برائحة الابط المنتن والنتن وماء الفحل والذفراء من الكتائب المتمكنة من الحديد والكعبرة كقشعريرة وعين
وراء مهملتين عقدة انبوب الزرع وعن السهيلي ان ابا حنيفة ذكر في النبات ان شجرة باليمن يقال لها الزقوم لا ورق لها
وفروعها اشبه شيء برؤوس الحيات وقال البيضاوي شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة وفي القاموس
والزقمة الطاعون وقال في النهاية تقول من الزقم اللقم الشديد والشرب المفرط وقال ابن القطاع زقم زقما بلع
وقد علم من مجموع هذا الكلام من تفسيره بالطاعون تارة والشرب المفرط اخرى ومن اشتراط الاشتراط والنجع
المنتنة والبشعة المنظر انه شيء كريه يضطر اكله الى التملؤ منه بنهمة ونهمة عظيمة ومن المعلوم ان الحامل له
على هذا مع هذه الكراهة لا يكون الا في اعلى طبقات الكراهة ولذلك حسن جدا موقع قوله مسببا عن الاكل فمالئون
اي بالاكل هو في غاية الثبات وانتم في غاية الاقبال عليه مع ما هو عليه من عظيم الكراهة منها اي الشجر انثه لانه
جمع شجرة او هو اسم جنس وهم يكرهون الاناث فتانيثه والله اعلم زيادة في تنفيرهم منه البطون اي لشيء عجيب
يضطركم الى تناول هذا الكريه مما هو اشد منه كراهة بطيئا من جوع او غيره وان فرض انهم قالوا ان امره معروف
لهم انه الزبد بالتمر لم يضر ذلك بل يكون المعنى انهم يتملؤون منها يملأ من ياكل من هذا في الدنيا مع انه من المعلوم انه
لا شيء في النار المعد للعذاب لمن اعدت لعذابه حسن ولما كان من ياكل كثيرا يعطش عطشا شديدا
ليشرب ما قدر عليه رجاء تبريد ما به من حرارة العطش سبب عنه قوله فشاربون عليه اي على هذا الملء او الاكل من الحميم
اي الماء الذي هو في غاية الحرارة بحيث تنوعت احماؤه واغلاؤه ولما كان شربهم لاد فيطرق من ذلك في غاية العجب
اتبعه ما هو اعجب منه وهو شدة تملؤهم منه فقال مسببا عما مضى فشاربون اي منه شرب بالفتح في قراءة الجماعة
وبالضم لنافع وعاصم وحمزة والكسائي وقرئ شاذا بالكسر والثلاثة مصادر وقال في القاموس شرب كسمع شربا
ويثلث او الشرب مصدر وبالضم والكسر اسمان وبالفتح القوم يشربون وبالكسر الماء والحظ منه والمورد والوقت

الشرب والكل يصلح هنا الهيم لان بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقا جمع اهيم وقال القزاز جمع هيما وهو اى
الهيام بالضم دا يصيب الابل فتشرب ولا تروى انتهى فاصبحت كالهيما لا الما يبرد صداها
ولا يقضى عليها هيامها ويقال الهيم الرمل ينصب فيه كلما صب عليه والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى
الشرب على هذه الهيئة ولما كان ذلك كله قبل هذا عذابهم كله قيل تهكما بهم ونكاية لهم هذا نزلهم اى ما
يعد لهم اول قدومهم مكانهم ما يعد للضيف اول حلوله كرامة له يوم الدين اى الجزا الذى هو حكمة القيمة واذا كان
هذا نزلهم فما ظنك بما ياتى بعده على طريق ما يعتنى به فما ظنك بما يكون لمن هو اعتى منهم من المعاندين وهو فى طريق التهكم مثل قول
اى الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ولما ذكر الواقعة
وما يكون فيها للاصناف الثلاثة وختم بها على وجه بين فيه حكمتها وكانوا ينكرونها دل عليها بقوله نحن اى لا غيرنا خلقناكم
اى بما لنا من العظمة ولعل هذا خطاب للدهرية المعطلة من العرب ولما كانوا منكرين للبعث عدوا منكرين للابتدا
وان كانوا من المحصلة المعترفين بالخالق لانهما لما بينهما من الملازمة لا انفكاك لاحدهما عن الاخر فقال فلولا اى فتسبب
عن ذلك ان يقال لهم تهديدا ووعيدا هلا ولم لا تصدقون اى بالخلق الذى شاهدتموه ولا منازع لنا فيه فتصدقوا بما لا فرق بينه
وبينه الا انه يكون اخف منه فى مجارى عاداتكم وهو الاعادة فتعملوا اعمال العبيد لسادتهم ليكون حالكم حال المصدق بانه مربوب
ولما حضضهم على التصديق بالاستدلال بايجادهم وكان البعث انما هو تحويلهم من صورة باليه الى الصورة التى كانوا
عليها من قبل سبب عن تكذيبهم به مع تصديقهم بالخلق عدم النطق فى تبديل الصور فى تفاصيله او سبب عن قول من عساه يقول
من اهل الطبايع انما خلقنا من نطفة حدثت بحرارة كامنة فقال افرايتم اى اخبرونى هل رايتم بالبصر والبصيرة انا خلقناكم
فيهديكم ذلك الى انا نقدر على الاعادة كما قدرنا على البداءة فرايتم ما تمنون اى تريقون من النطف التى هى منى فى الارحام بالجماع
ولما كانت العبرة بالمسبب لا بالسبب نبه على ذلك بتجديد الانكار رسيما على انهم وان كانوا معترفين بتفرده
بالابداع فان انكارهم للبعث مستلزم لانكارهم لذلك فقال اانتم تخلقونه اى توجدونه مقدرا على ما هو عليه من الاستوا والحكمة
بعد خلعه من صورة النطفة الى صورة العلقة ثم من صورة العلقة الى صورة المضغة ثم منها الى صورة العظام والاعصاب
أم نحن خاصة ولما كان المقام لتقرير المنكرين اكد بذكر الخبر المفهوم من السياق على وجه افهم ان التقدير وانتم الخالقو
له أم نحن فقال الخالقون اى الثابت لنا ذلك فلا بد من الاحيا كما ذكر تخلقونه ولا دليل على احد فى مثله له سبحانه ثانيا وذكر
الاسم ثانيا دليلا على حذف مثله لهم اولا وسر ذلك انه ذكر ما هو الاوفق لافعالهم مما يدل على التجدد ولو وقتا ما وما هو الادل
بصفاته سبحانه مما يدل على الثبات والدوام ولما كان الجواب انا الخالق وحدك وكان الطبيعى ربما قال انما ذلك
الحرارة المحكمة للنطفة وكانت المفاوتة فى الاجال مع المساواة فى سمة الحياة من الدلايل العظيمة على تمام القدرة على الافنا والا
بالاختيار مبطلة لقول اهل الطبايع دامغة لهم اكد ذلك الدليل بقوله نحن اى بما لنا من العظمة لا غيرنا قدرنا اى تقديرا عظيما
لا يقدر سوانا على نقض شى منه بينكم اى كلكم لم نترك احدا منكم بغير حصة منه الموت اى اوجبناه على مقدار معلوم لكل
احد لا يتعداه فقصرنا عمر هذا وربما كان فى الاوج من قوة البدن وصحة المزاج فلو اجتمع الخلق كلهم على اطالة عمره ما قدروا ان يؤخروه
لحظة واطلنا عمر هذا وقد يكون فى الحضيض من ضعف البدن واضطراب المزاج فلو تمالاوا على تقصيره طرفة عين لعجزوا
وانتم معترفون بانه سبحانه رتب افعاله على وجه الكمال والحكمة البالغة فلو كانت فايدة الموت مجرد القهر وهى الحمل على
لكانت نقصا لكونه يعم الغنى والفقير والظالم والمظلوم ولكان جعل الانسان مخلدا اولى واحكم ففايدته غير مجرد القهر
وهى الحمل على احسان العمل للقاهر خوفا من العرض عليه والمحاسبة بين يديه ثم النقلة الى دار الجزا والترقية الى العلوم التى
الله تعالى حجابها من تمييز الخبيث من الطيب والعلم بمقادير الثواب والعقاب وغير ذلك مما يبصره اولوا الالباب ولما كان
حاصل الموت انه تغيير الصورة التى كانت الى غيرها وكان من قدر على تحويل صورة شى الى شى قدر على تحويلها الى شى اخر مما يماثل ذلك
الشى قال وما نحن اى على ما لنا من العظمة واكد النفى فقال بمسبوقين اى بالموت ولا عاجزين ولا مغلوبين على ان نبدل تبديلا
عظيما امثالكم اى صوركم واشخاصكم لما تقدم فى الشورى من ان المثل فى الاصل هو الشى نفسه وننشئكم اى انشاء جديدا
بعد تبديل ذواتكم فيما لا تعلمون فان بعضهم ياكله السباع او الحيتان او الطيور فتنشا ابدانها منه وبعضهم يصير ترابا
فربما نشا منه نبات فاكلته الدواب فنشات منه ابدانها وربما صار ترابه من معادن الارض الذهب والفضة والحديد
والحجر ونحو ذلك وقد لمح الى ذلك قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا الى اخرها او يكون المعنى كما قال البغوى نأتى بخلق مثلكم
بدلا منكم ونخلقكم فيما لا تعلمون من الصور اى بتغيير اوصافكم وصوركم الى صور اخرى بالمسخ ومن قدر على ذلك قدر على الاعادة ولما
كان التقدير فلقد علمتم النشاة الثانية النطفية عطف عليه قوله مؤكدا لتنبيههما على انهم لما كانوا يعملون بخلاف ما يعلمون
كانوا كانهم منكرون لهذا العلم ولقد علمتم اى ايها العرب النشاة الاولى اى الترابية لابيكم ادم عليه السلام والحمية

لابيكم حوى عليهما السلام حيث لم تكن هناك طبيعة تقتضى ذلك والا لوجد مثل ذلك بعد ذلك والنطفية لكم وكل منها تحويل
من شى الى غيره فما الذى شاهدتم قدرته على ذلك لا يقدر على تحويلكم بعد ان تصيروا ترابا الى ما كنتم عليه اولا من الصور
ولهذا سبب عما تقدم قوله فلولا اى فهلا ولم لا تذكرون اى تذكرا عظيما اكرهون انفسكم عليه وان كان فيه خفاء ما بما اشار
اليه الادغام من ان المعلوم عليه غيب وكذا بعض ما قبله وكذا بعض ما قيس به ان من قدر على هذه الوجوه من الابدا قادر على
الاعادة بل هى اهون فى مجارى عاداتكم ولما كان علمهم بامر النبات الذى هو الاية العظمى لاعادة الاموات
اعظم من علمهم بجميع ما مضى وكان امره فى الحرث والقا البذر فيه اشبه شى بالجماع والقا النطفة ولذلك سميت المراة
حرثا وصل بما مضى مسببا عنه قوله منكرا عليهم افرايتم اى اخبرونى هل رايتم بالبصر والبصيرة ما نبهناكم عليه فيما تقدم
فتسبب عن تنبيهكم لذلك انكم رايتم ما تحرثون اى تجددون حرثه على سبيل الاستمرار بتهيئة ارضه للبذر والقاء
البذر فيه ولما كانوا لا يدعون القدرة على الانبات بوجه وكان القادر عليه قادرا على كل شى وهم ينفعون فى
امر البعث ما يؤدى الى الطعن فى قدرته كرر الانكار عليهم فقال اانتم تزرعونه اى تنبتونه بعد طرحكم البذر فيه
وتحفظونه الى ان يصير ما لا ام نحن اى خاصة واكد لما مضى بذكر الخبر المعلوم من السياق فقال الزارعون اى المنبتون
له والحافظون فلا بد من الاحيا بمثل ما مضى فى اختها سوا ولما كان الجواب قطعا انا الفاعل لذلك وحدك
فالموضحا لانه ما زرعه غيرى بان الفاعل الكامل من يدفع عما صنعه ما يفسده ومن اذا اراد افساده لم يقدر احد على منعه
لو نشاء اى لو عاملناكم بصفة العظمة واكد لان فعلهم فعل الامن من ذلك مع انهم فى غاية الاستبعاد لان يهلك
زرعهم كلما زرعوه او لان المطعوم اهم من المشروب واعظم فانه الاصل فى اقامة البدن والمشروب تبع له فقال
لجعلناه اى بتلك العظمة حطاما اى مكسرا مفتتا لا حب فيه قبل الثبات حتى لا يقبل الخروج او بعده ببرد مفرط او
حر مهلك او غير ذلك فلا ينتفع به فظلتم اى فاقمتم بسبب ذلك نهارا فى وقت الاشغال العظيمة وفى كل وقت وتركتم
كل ما يهمكم تفكهون قال فى القاموس تفكههم بمليح الكلام تفكيها اطرفهم بها وفكه كفرح فكها فهو فكه وفاكه طيب
النفس ضحوك او يحدث صحبه فيضحكهم ومنه تعجب كتفكه والتفاكه التمازح وتفكه تندم والافكوهة
الاعجوبة وقال ابن برجان الفكه هو المتردد فى القول الذاهب فيه كل مذهب انتهى فالمعنى فاقمتم دائما تندمون
على انفاقكم او على معاصيكم التى سببت ذلك التلف او تعجبون وتتحدثون فى ذلك ولم تعرجوا على شغل غيره كما تفعلون
عند الاشيا السارة التى هى فى غاية الاعجاب والملاحة والملايمة ولهذا عبر عما المراد به الاقامة مع الدوام
بظل الذى معناه اقام نهارا اشارة الى ترك الاشغال التى هم ومحلها النهار وتمنع الانسان من اكثر ما يهمه من
الكلام لهذا النازل الاعظم وحذف احدى لامى ظل وتا التفعل من تفكه اشارة الى ضعف المصابين عن الدفاع
فى بقايهم وفى كلامهم حال بقايهم الضعيف وكون المحذوف عين الفعل وهو الوسط اشارة الى خلع القلب
واحراق الجوف والعجز العظيم فلا قدرة لاحد منهم على ممانعة هذا النازل بوجه ولا على تبريد ما اعتراه منه
من حرارة الصدر وخوف الفقر بغير الشكاية الى امثاله ممن يعلم انه لا اصر فى يده ولا نفع وربما كان ذلك اشارة الى
ان عادته سبحانه قرب الفرج فى شدايد الدنيا ليكون الانسان متمكنا من الشكر لا عذر له فى تركه ويكون المعنى انكم مع
كثرة اعتيادكم للفرج بعد الشدة عن قرب تياسون او لما بينكم من البلا تنقبلون على كثرة الشكاية ولا تشغلكم
كثرة التجارب لادرار النعم ولما ذكر تفكههم وكان التفكه يطلق على ما ذكر من التعجب والتندم
وعلى التنعم قال الكسائى هو من الاضداد تقول العرب تفكهت اى تنعمت وتفكهت اى حزنت بين المراد بقوله حكاية
لتفكههم انا واكد اعلاما بشدة ياسهم لمغرمون اى مولع بنا وملازمون بشر دايم وعذاب وهلاك لهلاك رزقنا
او ملزمون بغرامة ما انفقنا ولم ننتفع به وقراءة ابى بكر عن عاصم بالاستفهام لانكارهم هذا الواقع والاستعظام له
والتعجب منه وهى منبهة على انهم لشدة اضطرابهم من ذلك الحادث مذبذبون تارة يجزمون باليأس والشر وتارة
يشكون فيه وينسبون الامر الى سوء تصرفهم وعليه يدل اضطرابهم بقولهم بل نحن اى خاصة محرومون اى
حرمنا غيرنا وهو من لا يرد قضاؤه فلا حظ لنا فى الاكتساب فلو كان الزارع ممن له حظ لافلح زرعه قال فى القاموس
الغرام الولوع والشر الدايم والهلاك والعذاب والغرامة ما يلزم اداؤه وحرمه منعه والمحروم الممنوع
عن الخير ومن لا ينمى له مال والمحارف اى بفتح الراء وهو الممنوع من الخير الذى لا يكاد يكتسب وقال الاصبهانى
فى تفسيره والمحروم ضد المرزوق اى والمرزوق المجدود بالجيم وهو المحظوظ ولما وقفهم على قدرته
فى الزرع مع وجود اسبابه وقدمه لشدة الضرورة اليه وكان ربما التبس نوع لبس لان لهم فيه سببا فى الجملة اتبعه
التوقيف على قدرته على التصرف فى سببه الذى هو الما الذى لا سبب لهم فى شى من امره اصلا فقال مسببا عما افادهم

هذا التنبيه مذكرا بنعمة الشرب الذي يحوج اليه الغذا **أفرأيتم** اي اخبروني هل رايتم بالبصر والبصيرة ما نبهنا عليه مما مضى
في المطعم وغيره فرأيتم **الماء** ولما كان منه ما لا يشرب وكانت النعمة في المشروب اعظم قال واصفا له بما اغنى عن وصفه
بالغذ وبه وبين موضع النعمة **الذي تشربون** ولما كان عنصره في جهة العلو قال منكرا عليهم مقررا لهم **ءانتم انزلتموه**
ولما كان الانزال قد يطلق على مجرد ايجاد الشيء الغفير وكان السحاب من عادته المرور ومع الريح لا يكاد يثبت عبر
بقوله تحقيقا لجهة العلو وتوقيفا على موضع النعمة في ابانته الى ان تم حصول النفع به **من المزن** اي السحاب المملو الممدوح
الذي شانه الاسراع في المضي وقال الاصبهاني وقيل السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ماء **ام نحن** اي خاصة واكد بذكر
الخبر وهو لا يحتاج الى ذلك في اصل المعنى فقال **المنزلون** اي له رحمة لكم واحسانا اليكم بتطبيع عيشكم على ما الناس من تمام العظمة
الذي شانه الكبر والجبروت وعدم المبالاة بشيء والاية من الاحتباك بمثل ما مضى في الايتين السابقتين سوا ولما
كان الجواب قطعا انت وحدك فعلت ذلك على غناك عن الخلق بما لك من الرحمة وكمال الذات والصفات قال مذكرا به
بنعمة اخرى **لو نشاء** اي حال انزاله وبعده قبل ان ينتفع به ولما كانت صيرورة الماء ملحا اكثر من صيرورة النبت
حطاما لم يؤكده لذلك وللتنبيه على ان السامعين لما مضى من التوقيف على تمام القدرة صاروا في حيز المعترفين فقال **جعلناه**
اي بما تقتضيه صفة العظمة **أجاجا** اي ملحا مرا محرقا كانه في الاحشا لهيب النار المؤجج فلا يبرد عطشا ولا ينبت نبتا ينتفع
ولما كان هذا مما لا اساغ لانكاره سبب عنه على سبيل الانكار والتحضيض قوله **فلولا تشكرون** اي فهلا ولم لا
تجددون الشكر على سبيل الاستمرار باستعمال لما افادكم ذلك من القوى في طاعة الذي اوجده لكم ومكنكم منه وجعله ملايما
لطباعكم مشتهى لنفوسكم نافعا لكم في كل ما تروونه ولما كانت النار سببا لعصر ما فيه الماء فيتحلب
فينفاطر كما كان الماء سببا لتشقق الارض بالزرع ولم يكن للمخلوق قدرة على التوصل اليها بنوع سبب انتفعه كما ابتع
الزرع بالماء لذلك وليبان القدرة على ما لا سبب فيه للمخلوق في الشغل كما كان انزال الماء عريا عن تسببهم في العلو فكان
مسببا عما مضى تنبيها على انه اهلهم للتامل في مصنوعاته والتبصر في عجايب اياته **أفرأيتم** اي اخبروني هل رايتم بالابصار
والبصاير بما تقدم فرأيتم **النار** ولما كان المراد نارا مخصوصة يوقفهم على تمام قدرته ويكشف لهم ذلك كشفا بينا بايجاد
الاشيا من اضدادها قال **التي تورون** اي تستخرجون من الزند فتوقدون بها سواء كان الزند يابسا او اخضر بعد ان كانت خفية
فيه لا يظن من لم يجرب ذلك ان فيه نارا اصلا فكان ذلك للعنل النورية التي يظهر فيها شيء ويزداد عزم ثم صارت بعد ذلك الخفا
الى ظهور عظيم وسلطنة منزايدة وعظمة باهرة تحرق كل ما الابسها حتى ما خرجت منه والعرب اعرف الناس بامر الزند
وذلك انهم يقطعون غصنا من شجر المرخ واخر من العفار ويحكون احدهما على الاخر فينقدح منهما النار على ان النار في كل شجر وانما
خص المرخ والعفار لسهولة القدح منهما وقد قالوا في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ولما كان هذا من
عجايب الصنع كرر التقرير والانكار تنبيها عليه فقال **ءانتم انشأتم** اي اخترعتم واوجدتم وابتدعتم واحييتم وربيتم
ونعمتم **شجرتها** اي المرخ والعفار التي تتخذ منها الزناد الذي تخرج منه واسكنتموها النار مختلطة بالماء الذي هو ضدها
وخبأتموها في تلك الشجرة لا يعدو واحد منهما على الاخر مع المضادة فيغلبه حتى يمحقه ويعدمه **أم نحن** اي خاصة واكد بقوله
المنشئون اي لها بما لنا من العظمة على تلك الهيئة ثم قدر على ايجاد النار التي هي ايبس ما يكون في الشجر الاخضر مع ما فيه
من المائية المضادة لها بكيفيتها كان اقدر على اعادة الطراوة والغضاضة في تراب الجسد الذي كان غضا طريا
فيبس وبلي والاية من الاحتباك بمثل ما مضى في اخواتها سوا ولما كان الجواب قطعا انت وحدك قال دالا على
ذلك تنبيها على عظم هذا الخبر **نحن** اي خاصة **جعلناها** بما اقتضته عظمتنا وقدرتنا فيها ما هو اولى بسياق
البعث الذي هذا مقامه فقال **تذكرة** اي شيئا تتذكرونه تذكرا عظيما جليلا لا كلما اخبرنا به من امر البعث وعذاب النار
الكبرى وما يخشى فيهما من شجرة الزقوم وغير ذلك مما يثيره من العلوم لاولي البصاير والفهوم قال ابن برجان نور ان قدح الله
من الشجر الزناد دون ان الصبيحة بهم ودون انشائه الاجسام ودونا نشابه شجرة النار ويتذكر بانشائها في الشجر
انشا الحياة في الاجسام وباطنها رها من غيبها ان النار الكبرى في غيب ما نشاهد وهذا من اثار كونها في الجو انتهى
وعلق بها سبحانه كثيرا من اسباب المعائش التي لا غنى عنها ليكون مذكرهم بما اوعد وانه حاضر معهم دائما فيكون احذر لـ
بالتعاظم **ومتاعا** اي انشاء وبقاء وتعميرا ونفعا وايصالا الى غاية المراد من الاستضاءة والاصطلاء والانضاج
والتحليل والاذابة والتعقيد والتكليس وهو وليد السباع وغير ذلك والمراد انها سبب لجميع ذلك **للمقوين** اي
الجياع الذين اقوت بطونهم اي خلت من الغذاء والاعيان من النازلين بالارض اللي والقواء بالكسر والمد اي القفر الخالية
المتباعدة الاطراف البعيدة من العمران وكل ذي تمتيع للقوا فهو موصوف به وان لم يكن حالا لوصف كذلك وقال
الرازي اقوى من الاضداد اغنى وافتقر وقال ابو حيان وهذه الاربعة التي ذكرها تعالى وقعهم عليها من امر خلقهم

وبه تقوام عيشهم من المطعوم والمشروب والنار من اعظم الدلايل على البعث اذ فيها انتقال من شيء الى شيء واحداث
شيء من شيء ولذلك امر في اخرها بتنزيهه ولما دل سبحانه في هذه الايات على عجايب القدرة وعجايب الصنع
بدا بالزرع وختم بالنار والنجم واوجب ما نبه عليه من التذكر لامرها والتبصر في شانها انهما من اسباب ما قبلها وانه
سبب لما الكونه سببا لانبات ما هي منه وكان مجموع ذلك اشارة الى العناصر الاربعة قال ابن برجان الا ان الماء والارض
لحائل الاركان والاخلاق والصفات للهوى والنار وكان ذلك من جميع وجوهه امرا باهرا اشار الى زيادة عظمته بالامر
بالتنزيه مسببا عما افاده ذلك فقال معرضا عمن قد يلم به الانكار مقبلا على اشرف خلقه اشارة الى انه لا يفهم هذا المقام
حق فهمه سواه ولا يعلمه حق علمه غيره **فسبح** اي اوقع التنزيه العظيم عن كل شايبة نقص من ترك البعث وغيره ولا سيما
بعد بلوغ هذه الادلة الى الحد المحسوس بتسبيح متعجب من اثار قدرته الدالة على ساهي عظمته وتسبيح شكر وتعظيم له في
اكبار وتنزيه عما يقول الجاحدون وتعجيب منهم معتديا بجميع ما في السموات والارض ومن اعجب ذلك انه سخر لنا في هذه
الدار جهنم قال ابن برجان يحصل منها بحرارة الشمس خالت وثمرات وفواكه وزروعا ومعايش ولما
كان تعظيم الاسم ابلغ في تعظيم المسمى قال **باسم** اي ملتبسا بذكر اسم **ربك** اي المحسن اليك بهذا البيان الاعظم واثبتوا
الف الوصل هنا لانه لم يكثر دوره كثرته في البسملة وحذفوها منها لكثرة دورها وهم شانهم الايجاز وتقليل الكثير
اذا عرف معناه وهذا معروف لا يجهل واثبات ما اثبت من اشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه وكذا الاجتزاء بالالف
مع غير الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير الجلالة من الاسما لما تقدم من العلة ولما كان المقام للعظمة
قال **العظيم** اي الذي ملا الاكوان كلها عظمة فلا شيء منها الا وهو مملوء بعظمته تنزيها عن الحقه شايبة نقص
او يفوته شيء من كمال الكمال المشبرى وهذه الايات التي عددها سبحانه تمهيد لسلوك طريق الاستدلال
وكما في الخبر لكن ساعة خير من عبادة سنة هذه الفكرة التي نبه الله عليها ولما كان من العظمة الباهرة
ما ظهر في هذه السورة من افانين الانعام في الدارين وبدايعة الاحكام لكونها النتيجة ثم دل عليها بانعامه في الدنيا
فكان تذكيرا بالنعم ليشكر ودلالة على النتيجة ليتذكر وفي كل حالة تستحضر فلا تكفر فوصلت الدلالة الى
حد هو اوضح من المحسوس واضوا من الشموس وكان مع هذه الامور الجليلة في مظهر اعجز الخلايق عن ان ياتوا بمثله من كل
وجه اما من جهة الجواب عن شبهاتهم وتعنتهم فلكونه يطابق ذلك مطابقة لا يمكن ان يكون شيء مثلها ويزيد على ذلك بما
شا الله من المعارف من غير ان يدع لبسا واما من جهة المفردات فلكونها النهاية في جلالة الالفاظ ورشاقة الحروف
وجمع المعاني فيفيد ذلك انه لا تقوم كلمة اخرى مقام كلمة منه اصلا واما من جهة التركيب فلكون كل كلمة منها
في احق مواضعها بحيث انه لو قدم شيء منها او اخر لاختل المعنى المراد في ذلك السياق بحسب ذلك المقام واما من
جهة الترتيب في الجمل والايات والقصص في المبادي والغايات فلكونه مثل تركيب الكلمات كل جملة منتظمة بما قبلها
انتظام الدر اليتيم في العقد المحكم النظيم لانها اما ان تكون علة لما تلته او دليلا او متممة بوجه من الوجوه الفايقة
على وجه ممتنع الجناب جليل الحجاب ليكون اجلى في فهمه واحلا بعد دقة في نظمه وشاهد عليه فكان ثبوت جميع ما اخبر به
على وجه لا مطعن فيه ولا وقفة في اعتقاد صحته فثبت ان الله تعالى ارسل الاتي بهذا القران صلى الله عليه وسلم بالهدى
ودين الحق لانه اتاه كلما ينبغي له فاتاه الحكمة وهي البراهين القاطعة واستعمالها على وجوهها والموعظة الحسنة
وهي الامور المرققة للقلوب المنورة للصدور والمجادلة التي هي على احسن الطرق في نظم معجز موجب للايمان فكان
من تبعه ولا يؤمن لم يبق له من التمحلات الا ان يقول هذا البيان ليس لظهور المدعي وثبوته بل لقوة عارضه المدعي
وقوته على تركيب الادلة وصوغ الكلام وتصريف وجوه المقال ومن يعلم انه يغلب لقوة جداله لا لظهور مقاله كما انه
ربما يقول لاحد المناظرين عند انقطاعه لخصمه انت تعلم ان الحق معي لكنك تستضعفني ولا تنصفني وحينئذ لا يبقى للخصم جواب
الا الاقسام بالايمان التي لا يخرج عنها انه غير مكابر وانه منصف وانما يرجع الى الايمان لانه لو اتى بدليل اخر لكان معرضا
لمثل هذا فيقول وهذا ايضا غلبتني فيه لقوة جدالك وقدرتك على سوق الادلة بلاغة مقالك فلذلك كانوا اذا الجموا
النبي صلى الله عليه وسلم قالوا انه يريد التفضل علينا فيما نعلم خلافه فلم يبق الا الاقسام فانزل الله انواعا من الاقسام
بعد الدلايل العظام ولهذا كثرت الايمان في اواخر القران وفي السبع الاخير خاصة اكثر فلذلك سبب عن هذه الادلة
الرابعة والبراهين القاطعة قوله **فلا اقسم** باثبات لا النافية اما على انه يؤكد بان تنفي ضد ما اثبته القسم فيجمع
الكلام بين اثبات المعنى المخبر به ونفي ضده واما على تقدير ان هذا المقام يستحق لعظمته وانكاركم له ان يقسم عليه باعظم
من هذا على ما له من العظمة لمن له علم ولما كان الكلام السابق في الماء الذي جعله سبحانه مجمعا للنعم الدنيوية الظاهرة
وكان تدريب سبحانه لانزاله الانوا على منهاج دبره وقانون الحكمة وجعل انزال القران نجوما مفرقة وبوارق متلالئة

منالغة قال بمواقع النجوم اي مساقط الطوائف القرانية المنيرة النافعة المحيية للقلوب وهبوطها الذي ينبني عليه
ما ينبني من الاثار الجليلة وازمان ذلك واماكنه واحواله وبمساقط الكواكب وانوائها واماكن ذلك وازمانه في
تدبير على ما نزل من الصنع المحكم والفعل الاتقن الاقوم الدال بغروب الكواكب على القدرة على الطي بعد النشر والاعدام بعد
الايجاد وبطلوعها الذي يشاهد انها ملجأة اليه الجاء الساقط من علو الى سفل لا يملك لنفسه شيئا على القدرة ثم
على الايجاد بعد الاعدام وباثار الانواء على مثل ذلك باوضح منه الى غير ذلك من الدلالات التي تضيق عنها العبارات وتقصر
دون علياها مديد الاشارات ولمثل هذه المعاني الجليلة والخطوب العظيمة جعل في الكلام اعتراضا بين القسم وجوابه
وفي الاعتراض اعتراضا بين الموصوف وصفته تاكيدا للكلام وهزا لنافذ الافهام تنبيها على ان الامر عظيم والخطب
فادح جسيم فقال موضحا له بالتاكيد رحمة للعبد بالاشارة الى انهم جروا على غير ما يعلمون من عظمتها فعد واعز عالمين
وانه اي هذا القسم على هذا النهج لقسم لو تعلمون اي لو تجدد لكم في وقت علم لعلمتم انه عظيم واقسامه لنا على ذلك
ونحن اقل قدرا واضعف امرا اعلاما بما له بنا من الرحمة التي من اعظمها انه لا يتركنا سدى كل ذلك لننصح انفسنا باتباع
امره والوقوف عند زجره قال ابن برجان ومن ايتانه جل جلاله في خليقته وحكمته في بريته ان جعل لكل واقع من النجوم الفلكية
طالعا يجيء بالاضافة الى الواقع الرقيب دون تاخر وذلك هو المشار اليه بقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فباي
الاء ربكما تكذبان يجمع ذلك الشمس والقمر والنجوم وهي نجوم منازل القمر عدها ثمانية وعشرون منزلة سوى تجمعها الشمس فهي
تسع وعشرون منزلة يستتر فيها القمر ربما استتر ليلة وربما استتر ليلتين فالقمر ينزل من هذه المنازل كل ليلة منزلة
حتى يتمها لتمام الشهر واما الشمس فانها تقيم في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما خلا الجبهة فانها تقيم فيها اربعة عشر يوما
ويسمى حلولها في هذه المحال ثم طلوع المنزلة التي تليها لوقوع هذه رقيبها نوءا انتهى وهو تعيين لمن تامل هذه الحكم علم ان
ما في هذا القسم من العظم واشبع القول فيها انواء الحكم وبين ما فيها من بدايع النعم ثم قال وبفضل الله يفتح رحمته كما شاء
فينزل من السماء ماء مباركا يكثر به من يبس الزمهرير فيرطبه ويبرد من حر السعير فيعدله وقسم السنة على اربعة فصول
اتم فيها اسس في الارض بركاتها وتقدير اقواتها قال تعالى وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم قال وجعل هذه
الدنيا على هذا الاعتبار الجنة الصغرى ثم على الاعتبار بحقيقة النعيم وانارته بالزمهرير والسعير هي جهنم الصغرى ثم
ولما اتم القسم على هذا الوجه الجليل اجابه بقوله مؤكدا لما لهم من ظاهر الانكار انه اي القران الذي اقسمنا بنجوم
نجومه وانهامها لقران اي جامع سهل قريب حفظه مبين للغوامض ذو انواع جليلة كريم ظهرت فيه افانين انعامه سبحانه
فيما ذكر من امور هذه الدنيا وجل من امور الدارين بما ذكر في هذه السورة وما تقدمها من اصلاح المعاش والمعاد فهو بالغ الكرم
منزه عن كل شائبة لوم ودناءة ومن كرمه كونه من الملك الاعلى الى خير الخلق بسفارة روح القدس وبلسان العرب الذي
اتفق علماء الفرق على ان لسانهم افصح الالسن وعلى وجه اعجز العرب ولما ذكر المعنى في كرمه كمل النظم الدال عليه بلفظ
دال على نفس النظم فقال في كتاب اي خط ومخطوط فيه جامع على وجه هو في غاية الثبات مكنون اي هو في مستور مصون
لما له من العلو والنفاسة في السماء في اللوح المحفوظ وفي الارض في الصدور المشرفة وفي السطور في المصاحف
المكرمة المطهرة محفوظا مع ذلك من التبديل والتغيير الذي هو مكتوب فيه ولما كان انما هو كذلك قد يحصل
لدخلل لسوء حرامه قال لا يمسه اي الكتاب الذي هو مكتون فيه اعم من ان يكون في السماء او في الارض والقران اي المكتوب
منه فضلا عن ان يتصرف فيه الا المطهرون اي الطاهرون الذين بولغ في تطهيرهم وهم رؤس الملائكة الكرام ولم
يكن السفير به الا هم ولم ييسر الله حفظه الا لاطهر عباده ولم يعرف معناه الا الاشرف من حفاظه واطهرهم قلوبا
ومن عموم ما يحتمله اللفظ من المعنى بكونه العالم بكل شيء فهو لا يحمل لفظا معنى الا وهو مراد له انه على هذا نفي معنى النهي
وهو ابلغ بحرم مسه على من لم يكن في غاية الطهارة بالبعد عن الحدثين الاكبر والاصغر فهو على هذا نفي بمعنى النهي وهو
ابلغ قال البغوي وهو قول اكثر اهل العلم وروي باسناده من طريق ابي مصعب عن مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم
ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم رضي الله عنه ان لا يمس القران الا طاهر والمراد
به المصحف للجواز كما في النهي ان يسافر بالقران الى ارض العدو ومما يحمله ايضا التعبير بالمراتة لا يعيروه بلسانه
الا طاهر فان اريد الجنابة كان النهي للحرمة والا للاكمل ولما ذكر كرمه الذي منه صيانته ابتعه
شرفه بشرف منزله وانزاله على حال هو في غاية العظمة مسميا له باسم المصدر للمبالغة ولان هذا المصدر اغلب
احواله ولذلك غلب عليه هذا الاسم تنزيل اي وصوله اليكم بالتدريج بحسب الوقايع والتعريب للافهام والتاني
والترقية من حال الى حال وحكم الى حكم بوساطة الرسل من الملائكة ولما كان هذا في غاية الاتقان والتيسير
ذكر من صفاته تعالى ما يناسبه فقال من رب العالمين اي الخالق العالم بتربيتهم ولما انتج من وصف

هذا الكتاب العظيم ما يقتضي ان يكون بمجرده سببا لما لا تدركه العقول من كماله وكافيا في الاذعان لاعتقاده فكيف اذا كان
ما تكلم العقول به وتقضي بفساد ما سواه فكيف اذا كان مما يتذكر الانسان مثله في نفسه عجب منهم في جعله سببا لانكار
البعث الذي اذا تذكر الانسان احوال نفسه كفاه ذلك في الجزم به فقال منكرا متعجبا افبهذا ولما كان الا
مر انما يتجدد له من النعم والوهان فكيف اذا كان على النعم قال الحديث اي الذي تقدمت اوصافه العالية وهو يتجدد
اليكم انزاله وقتا بعد وقت انتم اي وانتم العرب الفصحاء والمفوهون البلغاء مدهنون اي كذابون منافقون بسببه
تظهرون غير ما تبطنون تظهرون انه كذب وانتم تعلمون صدقه بحسن معانيه وعجزكم عن مماثلته في نظومه ومبانيه
وتقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا وجميع افعالكم يخالف ذلك فانكم تصبرون على وقع السيوف ومعانقة الحتوف ولا تتوقعون
معارضته وتباري شيئا منه او تناقضه او تلابسون انما المؤمنون من يكذب به ويطعن في علاه ويتوسل ولو على وجه خفي
الى نقض شيء من عراه بها ونابه ولا تتصلبون في نصرته تعظيما للامر حتى تكونوا اصلب من الحديد قال في القاموس دهن نافق
والمداهنة اظهار خلاف ما تضمر كالادهان والغش وقال البغوي هو من الادهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر
وقال الرازي والفرق بين المداراة والمداهنة يرجع الى القصد فما قصد به عرض سوى الله فهو المداهنة وما قصد به
امر يتعلق بالدين فهو المداراة وقال ابن برجان الادهان والمداهنة الملاينة في الامور والتغافل والركون الى التجاوز
انتهى فهو على هذا انكار على من يسمع احدا يتكلم في القران بما لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة واهل الاتحاد كابن عربي
الطائي صاحب الفصوص وابن الفارض صاحب التائية اول من صوبت اليه هذه الاية فانهم تكلموا في القران على
وجه يبطل الدين اصلا وراسا ويحله عروة عروة ثم اضل الناس على هذا الدين ومن يؤول لهم او ينافح عنهم او يعتذر لهم
او يحسن الظن بهم مخالفة لاجماع الامة ابحث حال الامة فان مراده ابقاء كلامهم الذي لا افسد للاسلام منه من غير ان
يكون لابقائه مصلحة ما بوجه من الوجوه ولما كان هذا القران متكفلا باسعاد الدارين قال وتجعلون
رزقكم اي حظكم ونصيبكم وجميع ما تنتفعون به من هذا الكتاب وهو نفعكم كله انكم تكذبون اي توجدون حقيقة
التكذيب في الماضي والحال وتجددون ذلك في كل وقت به وبما ارشد اليه من الامور الجليلة الجلية وهي كل ما هو اهل
للتصديق به وتصفونه بالاوصاف المتناقضة ومن ذلك ما ارشد اليه من انه لا فاعل الا الله فتقولون انتم اذا امطرتم ما
يرزقكم به هذا بنوء كذا معتقدين تاثير ذلك النوء وانما هو بالله تعالى فجعلتم جزاء الرزق وبدل الشكر على الرزق التكذيب
وقال ابن برجان وتجعلون رزقي اياكم من قران عظيم انزلته وكلام عظيم نزلته ونور ايمان بينته وضياء يقين جليته
وما انزلته من السماء لبركات قدرتها من رياح ارسلتها وسحاب الفتها تجعلون مكان الشكر على ذلك التكذيب فلما انكر
عليهم هذا الانكار وعجب منهم هذا التعجيب في ان ينسبوا الغيث فعلا او يكذبوا له خبرا سبب عنه تحقيقا لانه لا فاعل
سواه قوله فلولا وهي اداة تفهم طلبا بزجر وتوبيخ وتقريع بمعنى فهلا ولم لا اذا بلغت اي الروح منكم ومن غيركم عند
الاحتضار اضمرت من غير ذكر لدلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة الحلقوم وهي مجرى الطعام في الحلق والحلق مساغ
الطعام والشراب معروف فكان الحلقوم ادنى الحلق الى جهة اللسان لان الميم لمنقطع التمام وانتم اي والحال انكم ايها
العاكفون حول المحتضر المتوجعون له حينئذ اي حين اذ بلغت الروح ذلك الموضع ولما كان بصرهم لكونه
لا ينفذ في باطن كالعدم قال تنظرون اي لكم وصفا التحرق اليه ولا حيلة لكم ولا تغني بغير النظر ولم يقل تبصرون
ليلايظن ان لهم ادراكا بالبصر لشيء من البواطن من حقيقة الروح ونحوها ونحن اي والحال انا نحن بما لنا من العظمة اقرب
اليه اي المحتضر حقيقة بعلمنا وقدرتنا وملائكتنا منكم على شدة قربكم منه ولكن لا تبصرون اي مع تحديقكم اليه
لا تبائن ذلك التحديق عليه وهو الابصار لقربنا منه والملائكتنا الموكلين بقبض روحه لتعلموا ان الفعل لنا لا لغيرنا
فلا يتجدد لكم شيء من هذا الوصف لتدركوا به حقيقة ما هو فيه فثبت ما اخبرنا به من الاختصاص بباطن العلم والقدرة
اللذين عبرنا عنهما بالقرب الذي هو اقوى اسبابهما ولما طال الكلام لاثبات هذه الاغراض المهمة قبل جواب
لولا اعادها تاكيدا لها وتبيينا فقال فلولا ان كنتم اي ايها المكذبون بالبعث غير مدينين اي مقهورين مملوكين مجزيين محاسبين
بما عملتم في دار البلاء التي اقامكم فيها احكم الحاكمين بامتناعكم بانفسكم عن ان يجازيكم او يمنع غيركم لكم منه واصل تركيب دان
للذل والانقياد قاله البيضاوي ترجعونها اي الروح الى ما كانت عليه ان كنتم اي كونا ثابتا صادقين اي في انكم
غير مقهورين على الاحتضار على الملك الجبار الذي اقامكم في هذه الدار للابتلاء والاختبار وانه ليس لغيركم امر وفي تكذيبكم
للمخبر به من امر الدينونة بدل شكركم وهذا دليل على انه لا حياة لمن بلغت روحه الحلقوم اصلا وهذا الزام لهم بالبعث
حاصله انه سبحانه ان كان لا يبعثكم فليس هو الذي قدر الموت عليكم وان كان لم يقدره فما لكم لا ترفعونه عنكم لانه من العوارج
التي لا يتراع علاجها وانتم تعالجون مقدماته وان قلتم انه مقدر لا يمكن علاجه لزمكم الاقرار بان البعث مقدر ولا يمكن علاجه

فان انكرتم احدهما فانكروا الاخر وان اقررتم باحدهما فاقروا بالآخر والا فليس الا العناد فان قلتم نحن لا نعلم انه [illegible]
لو لم يكن بتقدير لامكنت معاودته وقتاما لا سيما والنفوس مجبولة على كراهيته وفي الموتى الحكماء والملوك [illegible]
[illegible] بالعنتم في الجحود بايات الله [illegible] في كل شيء ان ارسل اليكم رسولا قلتم ساحر كذاب وان صدقه بكتاب معجز قلتم سحر
وافتراء وامر عجاب وان رزقكم من الماء الذي به حياة كل شيء مطرا ينعشكم به قلتم صدق نوء كذا على حال مؤد الى التعطيل
والاهمال والعبث فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن عند بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم مدبر لهذا الكون بالارسال والانزال
وافاضة الارواح وقبضها وبعث العباد لدينونتهم على ما فعلوا فيما فاتهم فيه فهو تمثيل بافعال الملوك على ما نعهد لكما
ان ملوك الدنيا لا يرسل احد منهم الى احد من رعيته فيأخذه قهرا الا للدينونة فكيف يظن بملك الملوك غير ذلك فتكون
ملوك الدنيا احكم منه فان كان ليس بتمام القدرة فافعلوا برسله كما تفعلون برسل الملوك فانه ربما خلص المطلوب منهم
بنوع من انواع الخلاص بعد بلوغه الى باب الملك فارساله سبحانه هو مثل ارسال الملوك غير انه لتمام قدرته باخذ احدا
لا يقدر احد على رده ولا على ان يتبع ماخوذه اصلا لا يتجهونه بعد الاخذ ولا يخفف عنه شيئا مما هو فيه بغير ما امر به
سبحانه على السنة رسله من الدعاء والصدقة ولا يعلم حاله بوجه من الوجوه بل الامر كما قيل اذا غيب المرء استسر حديثه
ولم يخبر الافكار عنه بما يعني   كان التقدير لا يقدر احد اصلا على ردها بعد بلوغها الى ذلك المحل الا بان يريد
جميع الخلائق للدينونة بما فعلوا فيما اقامهم فيه وامرناهم به ولا يكون الا بما نريد فكما انكم مقرون بانه خلقكم من تراب
وبانه يعيدكم فيه الى التراب يلزمكم حتما ان تقروا بانه قادر على ان يعيدكم الى التراب وان انكرتم هذا اللازم لزمكم
انكار ملزومه وذلك مكابرة في الحس فليكن الاخر مثله فثبت انا انما نعيد الخلائق الى التراب لنجمعهم فيه ثم نبعثهم منه
لنجازي كلا بما يستحق ونقسمهم الى ازواج ثلاثة فاما ان كان اى الميت منهم من المقربين اى السابقين الذين اجتذبهم الحق
من انفسهم فقربهم منه فكانوا مرادين قبل ان يكونوا مريدين وليس القرب قرب مكان لانه تعالى منزه عنه وانما هو بالتخلق
بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير الانسان روحانيا خالصا كالملائكة لا سبيل للحظوظ والشهوات عليه
فان قربهم انما هو بالانخلاع من الارادة اصلا وراسا وذلك انه لا شهوات لهم فلا اغراض فلا فعل الا ما امر به فلا ارادة
الا الارادة قلبيا للمولى سبحانه وهو معنى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي اى مطلق الارادة في غير امر من الامور الله لان الملوك
الذي لغيره لا ينبغي ان يكون له شيء للارادة ولا غيرها وفقنا الله لذلك فروح اى فله راحة ورحمة وما ينعشه من نسيم الريح
ومعنى قراءة يعقوب بالضم طمانينة في القلب وسكينة وحياة لا موت بعدها وريحان اى رزق عظيم ونبات حسن بهيج
والازاهير طيبها لرائحة   ولما ذكر هذه اللذاذة ذكر ما يجمعها وغيرها فقال وجنة اى بستان جامع للفواكه
والرياحين وما يكون عنها ويكون عنه   كانت جنات الدنيا قد يكون فيها نكد اضاف هذه الجنة الى المراد بالجنان
اعلاما بانها لا تنفك عنه فقال نعيم اى ليس فيها غيره بل هي مقصورة عليه واما ان كان اى الميت من اصحاب اليمين اي
الذين هم في الدرجة الثانية من اصحاب الميمنة فسلام اى سلامة ونجاة وامن وقول دال عليه   ولما كان
ما يواجه به الشريف من ذلك اعلى قال لك اى يا اعلى الخلق او ايها المخاطب   كان من اصاب السلام على وجه
من الوجوه فايزا فكيف اذا كان صدرا للسلام ومنبعا له قال من اصحاب اليمين اى انهم في غاية من السلامة واظهار السلام
لا يدرك وصفها ومتوليه فيه معنى التعجيب فان اضافته لم تفده تعريفا وفي اللام من مبالغة في ذلك فالمعنى وامام
فعجبا لك وانت اعلى الناس في كل معنى واعرفهم بكل امر عريب منهم في سلامتهم وسلامهم ونقائهم وملكهم وشرفهم وعلو
مقامهم وذلك كله انما اعطوه لاجلك زيادة في شرفك لاتباعهم لدينك

فيالك من ليل كان نجومه • بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وقوله: لله در انوشروان من رجل • ما كان اعرفه بالدون والسفل

اى عجبا لك من ليل وعجبا من انوشروان   ذكر الصنفين الناجين اتبعهما الهالكين جامعا لهم في صنف واحد
لان من اريدت له السعادة يكفيه ذلك ومن ختم بشقائه لا ينفعه الاغلاظ والاكثار فقال واما ان كان اى ذلك الذي اخذناه
من اصحاب المشامة وانتم حوله تتقطع اكبادكم له ولا تقدرون له على شيء اصلا من المكذبين   ولما كان المكذب تارة يكون
معاندا وتارة يكون جاهلا مقصرا قال الضالين اى اصحاب الشمال الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها لتهاونهم في البحث
فنزل اى لهم وهو ما يعد للقادم على ما لاح من حميم اى ماء متناه في الحرارة لعدما نالوا من العطش كما يرد اصحاب الميمنة الحوض
كاسا دربه للقادم على ما لاح من حميم ليبرد به غلة عطشه ويغسل به وجهه ويديه وتصلية جحيم اى لهم بعد النزل ان يصلوا
النار الشديدة التوقد صليا عظيما   ثم ما اريد من اثبات البعث على هذا الوجه المحكم المبين وكان توابع
البيان يكذبونه لفت الخطاب عنهم الى اكمل الخلق واكد تشبيعا لهم فقال سائقا له مساق النتيجة ان هذا اى الذي ذكر

في

في هذه السورة من امر البعث الذي كذبوا به في قولهم انا لمجموعون ومن قيام الادلة عليه   ولما كان من الظنون في حد
لا يساويه فيه غيره زاد في التاكيد على وجه التخصيص فقال لهو حق اليقين اى لكونه لما عليه من الادلة القطعية المشاهدة كانه
مشاهد مباشر قال الاصبهاني قال قتادة في هذه الاية ان الله عز وجل ليس تاركا احدا من الناس حتى يقفه على اليقين من هذا
القران فاما المؤمن فايقن في الدنيا فنفعه ذلك واما المنافق فايقن يوم القيمة حيث لا ينفعه انتهى   ولما
تحقق له هذا اليقين سبب عنه امره بالتنزيه له سبحانه عما وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالعجز بعد تقسيمه للازواج
الثلاثة على طريقة الايجاز كما امر بذلك بعد الفراغ من تقسيمهم على طريق الاطناب اشارة الى ان المعاونة بينهم مع ما لهم من العقول
من اعظم الادلة على الفعل بالاختيار وعلى فساد القول بالطبيعة فقال فسبح اى اوقع التنزيه كله عن كل شائبة نقص بالا
القول والفعل بالصلاة وغيرها بان تصفه بكل ما وصف به نفسه من الاسماء الحسنى وتنزهه عن كل ما نزه عنه نفسه
ولعصرم الفعل لافادة العموم اثبت الجار في قوله باسم ربك اى المحسن اليك بما خصك به مما لم يعطه احدا غيرك عما وصفه
به الكفرة من التكذيب بالواقعة واذا كان هذا الاسم فكيف بما هو له العظيم اى الذى ملأت عظمته جميع الاقطار والاكوان
وزادت على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواه لان من له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم وهذا الكلام الاعز الاكرم لشائبة
نقص ان تلم بجنابه او تدنو من فناء بابه   انطبق اخر السورة في الاخبار بالبعث وتصنيف الخلائق فيه
الى الاصناف المذكورة في اولها اى انطباق وزاد هذا الاخر بان اعتنق بما قبله اى اعتناق واتفق مع اول التي بعدها
اى اتفاق وطابقه اجل طباق وختمت بصفتي الرحمة والعظمة وخلت عن الاسم الاعظم الجامع كالتي قبلها لما
ذكر في اخر الثمن من انه لم يذكر في واحدة من الثلاث احد من اهل المعصية المصاحبة للايمان ليخاطب بالاسم الجامع للاهانة
والاحسان وانما ذكر اهل الكفران المستوجبون للهوان بالخلود في النيران واهل الايمان المتاهلون للاحسان بتابيد
الاسكان في اعالي الجنان   سورة الحديد مقصودها بيان ان عموم الرسالة مناسب لعموم الالهية بالبعث الى
الازواج الثلاثة المذكورة في السورتين الماضيتين من الثقلين تحقيقا لانه سبحانه مختص بجميع صفات الكمال تحقيقا لتنزهه
عن كل شائبة نقص المبدو به هذه السورة المختوم به ما قبلها المراد لقولهم انا لمجموعون او اباؤنا الاولون المقتضي
لجهاد من يحتاج الى الجهاد ممن عصى رسوله صلى الله عليه وسلم بالسيف وما ترتب عليه من النفقة ردا لهم عن النقائص الجمادية
والاء الى الكمالات الروحانية التي دعا اليها الكتاب حذرا من سوء الحساب يوم التجلي للفصل بين العباد بالعدل ليدخل في
اهل الكتاب وغيرهم في الدين طوعا او كرها وليعلم اهل الكتاب الذين كانوا يقولون انه ليس احد افضل منهم فضيلة هذا النبي
صلى الله عليه وسلم على جميع من تقدمه من الرسل عليهم السلام بعموم رسالته وشمول خلافته وانتشار دعوته وكثرة امته
تحقيقا لانه لاحد لغايات فضله سبحانه لتكون هذه السورة التي هي اخر النصف الاول والتي بعدها التي هي اول النصف
الثاني من حيث العدد غاية للمقصود من السورة التي هي اوله عند الالتفات والرد كما كانت السورة التي هي اخر النصف الاول
في المقدار وهي الاسرا وكذا السورة التي هي اول النصف الثاني وهي الكهف كاشفتين لمقصد الاولى فيما دعت اليه من
الهداية وشدت اليه من الانذار وعلى ذلك دل اسمها الحديد بتامل اياته وتدبر سر ما ذكر فيه وغايته   اسند
صاحب الفردوس عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحتجموا يوم الثلاثا فان سورة الحديد انزلت
يوم الثلاثاء بسم الله الذي احاطت الهيته بجميع الموجودات الرحمن الذي وسعهم جوده في جميع الحركات والسكنات الرحيم
الذي خص من بينهم بما له من الاختيار في كمال الاقتدار اهل ولايته بما يرضيه من العبادات   ختمت الواقعة بالامر
بتنزيهه عما اكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه وتبيينه بالدليل والبرهان والسيف والسنان فقال تعالى
كالتعليل لاخر الواقعة سبح اى اوقع التسبيح بدلالة الجلالة تعظيما له سبحانه واقرارا بربوبيته واذعانا لطاعته
وهو متعد لنفسه وعدي باللام للعموم بقصره وهو الاخلاص بتعديته باللام وجعله ماضيا هنا وفي الحشر والصف ومضارعا في الجمعة والتغابن
ليدل على ان ما اسند اليه التسبيح هو من شانه وهجيراه وديدنه وتخصيص كل من الماضي والمضارع بما افتتح به لما ياتي في اول الجمعة
والاتيان بالمصدر اول الاسرا ابلغ من حيث انه يدل باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال لله اى الملك المحيط
بجميع صفات الكمال ما في السموات اى الاجرام العالية والذي فيها وهو الاراضي ومن فيها وكل سماء ومن فيها وما بينهما لانهما كلها في
العرش الذي هو اعلى الخلق   ولما كان الكلام اخر الواقعة مع اهل الخصوص لم يحتج الى تاكيد لحرف ما جعلا للخافقين كشيء واحد
لان نظرهم لهما نظر علو نظرا واحدا لما اخبر به عنهما من التنزيه فقال والارض اى وما فيها وكذا نفس الاراضي كما تقدم فشمل ذلك
جميع الموجودات لانه اذا سبح ذلك كله تسبيح العرش بطريق الاولى وتنزيه هذه الاشياء بما فيها من الحيوانات الدالات على انه
سبحانه لا يلم بجنابه شائبة نقص وان كل شيء واقف على الباب بشاهد الطلب قال القشيري التسبيح التقديس والتنزيه
ويكون بمعنى سباحة الاسرار في بحار الاجلال فيظفرون بجواهر التوحيد وينظمونها في عقود الايمان ويرصعونها في اطواق

الوصلة ثم ذلك دل على انه لا قدرة لشيء عن الانفكاك عنه وان له كل كمال فهو المستحق للتسبيح والحمد فقال
وهو اي وحده **العزيز** الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء **الحكيم** الذي اتقن كل شيء صنعه وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير العاصمي
في برهانه لما تقدم قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون وفيه من التقريع والتوبيخ لمن قرع به ما لا خفاء به ثم اتبع بقوله تعالى افرايتم
ما تمنون الايات الى قوله ومتاعا للمقوين فقرروا ووبخوا على سوء جهلهم وقبح ضلالهم ثم قال تعالى بعد ذلك افبهذا الحديث انتم
مدهنون واستمر توبيخهم الى قوله ان كنتم صادقين فلما اشارت هذه الايات الى قبائح مرتكباتهم اعقب تعالى لكتبريه عز وجل
عن سوء ما انتحلوه وضلالهم مما جهلوه فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم اي نزهه عن عظيم ضلالهم وسوء اجترامهم ثم اعقب ذلك
بقوله سبح لله ما في السموات والارض اي سبح باسم ربك فهي سنة العالم باسرهم وله اسلم من في السموات والارض سبح لله ما في
السموات والارض ثم اتبع ذلك بقوله له الملك وله الحمد فبين تعالى انفراده بصفة الجلال ونعوت الكمال وانه المنفرد بالملك
والحمد وانه الاول والاخر والظاهر والباطن الى قوله وهو عليم بذات الصدور فتضمنت هذه الاي ارغام من اشير الى حاله في
الاي المتقدمة من سورة الواقعة وقطع ضلالهم والتعريف بما جهلوه من صفاته العلى واسمائه الحسنى جل وتعالى ثم التحمت الاي السور
واتصلت معانيها ثم صرف الخطاب الى عباده المومنين فقال تعالى آمنوا بالله ورسوله واستمرت الاي على خطابهم الى اخر السورة انتهى
ولما اخبر بذلك دل عليه على وجه مصرح بما افهمه الاول من تسبيح السموات والارض بقوله **له** اي وحده **ملك السموات**
والارض اي ملك ما فيهما وما بينهما ظاهرا وباطنا فالملك الظاهر ما هو الان موجود في الدنيا من ارض مدحية وسماء مبنية
وكواكب مضية وافلاك علية ورياح محسوسة وسحاب مرئية وما تفصل اليه كل من خلق وامر والملك الباطن الغائب عنا واعظمه
المضاف الى الاخرة وهو الملكوت قال القشيري الملك مبالغة من الملك يعني بكسر اللام الضمة قال والملك اي بالكسر القدرة على الابداع
ولا مالك الا الله واذا قيل لغيره مالك فعلى المجاز بالاحكام المتعلقة في الشريعة على ملك الناس اي بتصحيحه وافساده ونحو
ذلك فالاية من الاحتباك ذكر ما بين السموات والارض اولا دليلا على حذف ما بينهما ثانيا وذكر الخافقين ثانيا دليلا على حذف مثل ذلك اولا
ليكون التسبيح والملك شاملا للكل ولما كان ذلك مما لا نزاع فيه وكان ربما عاند معاند دل عليه بما لا مطمع فيه لغيره فقال
مقدما للاحيا لانه كذلك في الخارج ولان من الحياة اكثر لان البعث حياة دائمة لا موت بعدها **يحيي** اي له صفة الاحيا فيحيي ما يشا
من الخلق بان يوجده على صفة الحياة كيف شاء في اطوار يقلبها كيف شاء وممن شاء **ويميت** اي له هاتان الصفتان على سبيل
الاختيار والتجدد والاستمرار فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت له من صفة الاحيا ولما كان هذا شاملا للقدرة
على التجديد والاعادة عمم الحكم بقوله **وهو على كل شيء** اي مشيء من الاحيا والاماتة وغيرهما من كل ممكن **قدير** اي بالغ القدرة الى حد
لا يمكن الزيادة عليه ولما اخبر بتمام القدرة دل على ذلك بقوله **هو** اي وحده **الاول** اي بالازلية قبل كل شيء فلا
اول له والقديم الذي منه وجود كل شيء وليس وجوده من شيء لان كل ما نشاهده متاثر لانه متغير وكلما كان كذلك فلا بد له
من موجد غير متاثر **والاخر** بالابدية الذي ينتهي اليه وجود كل شيء في سلسلة الترقي وهو بعد فنا كل شيء ولو بالنظر الى ما له
من ذاته فلا اخر له لانه يستحيل عليه نعت العدم لان كل ما سواه متغير وكل ما تغير بنوع من التغير جاز اعدامه وما جاز اعدامه
فلا بد له من معدم يكون بعده ولا يمكن اعدامه ولما كان السبق يقتضي البطون والتاخر يوجب الظهور وكانا امرين
متضادين لا يكاد الانسان يستقل بتعقلهما في شيء واحد نبهه على اجتماعهما فيه فقال مشيرا بالواو الى تمام الاتصاف وتحققه
والظاهر اي بالاخرية وللعقل بادلته الظاهرة في المصنوعات بما له من الافعال ظهورا لا يجهله عاقل وهو الغالب في
علوه ورفعته فليس فوقه شيء **والباطن** بالصمدية وعن اطلاع الحواس وارتسام الخيال وتصور الوهم والفكر وبتمام العلم والحكمة
بما له من العظمة في ذاته بكبر التعالي واحتجب بطونا لا يكتنهه شيء وقال القشيري الاول بلا ابتدا الاخر بلا انتها الظاهر بلا خفا
الباطن بنعت العلا وعز الكبريا انتهى والعطف للدلالة كما اشير اليه على الاحاطة التامة لانها لما كانت متضادة كانت
بحيث لو اعريت عن الواو لربما ظن ان وجودها لا على سبيل التمكن فلا يكون محيطة بل متعينة بحيثية مثلا فجات الواو دالة على
تمكن الوصف واحاطته وانه واقع بكل اعتبار ليس واحد من الاوصاف متحملا لشيء في الاخر ولا سارحا لمعناه فهو اول على الاطلاق
واخر كذلك وظاهر حتى في حال بطونه وباطن كذلك وهذا جار على الاصل فان صفاته تعالى محيطة فلا اشكال انما الاشكال
عند الخلو من العطف وهو الاغلب في ايرادها كما في اخر الحشر ولعل ذلك مراد الكشاف بقوله ان الواو الاولى معناها الدلالة
انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية اي جمعا هو في غاية المكنة والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفا واما الوسطى
فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية
انتهى ولما كان من ظهر لشيء بطن عن غيره ومن بطن عن شيء غاب عنه علمه وكان سبحانه في ظهوره على غير ذلك بل المعنى
انه ليس فوقه شيء وفي بطونه بحيث ليس دونه شيء فقد جمعت الاوصاف احاطة العلم والقدرة اعلم بنتيجة ذلك فقال
وهو بكل شيء عليم اي لكون الاشيا عنده على حد سوا والظهور والبطون انما هو بالنسبة الى الخلق واما هو سبحانه فلا باطن

من الخلق عنه بل هم في غاية الظهور لديه لانه الذي اوجدهم وهذا المعنى ما قاله البغوي سال عمر رضي الله عنه كعبا عن هذه
الاية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن انتهى لان العلم يستلزم القدرة على حسبه ولما
كان الصانع للشيء عالما به دل على علمه وما تقدم من وصفه بقوله **هو** اي وحده **الذي خلق السموات** وجمعها لعلم العرب بتعددها
والارض اي الجنس الشامل للكل وافردها لعدم توصلهم الى العلم بتعددها **في ستة ايام** ستا للثاني وتقريرا للايام التي اولها
سابعها الذي خلق فيه الانسان الذي دل يوم خلقه باسمه الجمعة على انه المقصود بالذات وبانه السابع على انه نهاية المخلوقات
ولما كان تمكن الملك من سرير الملك كناية عن انفراده بالتدبير واحاطة قدرته وعلمه وكان ذلك موروح الملك دل
عليه منبها على عظمته باداة التراخي فقال **ثم استوى** اي اوجد السوا وهو العدل ايجاد من هو شديد العناية به **على العرش**
المحيط بجميع الموجودات بالتدبير المحكم للعرش وما دونه ومن دونه ليتصوروا لعباد ان العرش منشا التدبير ومظهر التقدير
كما يقال في ملوكنا جلس فلان على سرير الملك بمعنى انه انفرد بالتدبير وقد لا يكون هناك سرير فضلا عن جلوس ولما
كان المراد بالاستوا الانفراد بالتدبير وكان التدبير لا يصح الا بالعلم والقدرة كشفه بقوله دالا على ان علمه بالخفايا كعلمه
بالجلايا **يعلم ما يلج** اي يدخل دخولا يغيب به **في الارض** اي من النبات وغيره من اجزا الاموات وغيرها وان كان ذلك بعيدا من العرش
فان الاماكن كلها بالنسبة اليه على حد سوا في البعد والقرب **وما يخرج منها** كذلك وفي التعبير بالمضارع دلالة على ما
اودع في الخافقين من القوى فصارا بحيث يتجدد منهما ذلك بخلقه تجددا مستمرا الى حين خرابهما ولما قرر ذلك
فيما قد يتوهم بعده لبعده عن العرش بسفوله تنبيها على التنزه عن التحيز فكان اولى بالتقديم اتبعه تتميمه وموجهه العلو
تعميما للعلم بسائر الخلق فقال **وما ينزل من السماء** ولم يجمع لان المقصود حاصل بالواحد مع افهام التعبير به الجنس الشامل
للكل وذلك من الوحي والامطار والحر والبرد وغيرها من الاعيان والمنافع التي يوجدها سبحانه من مقادير اعمار بني ادم وارزاقهم
وغيرها من جميع شؤونهم **وما يعرج** اي يصعد ويرتقي ويغيب **فيها** كالابخرة والانوار والكواكب والاعمال وغيرها ولما كان
من يتسع ملكه يغيب عنه علم بعضه لبعده عنه عرف انه لا مسافة اصلا بينه وبين شيء من الاشيا فقال **وهو معكم**
اي بهما الفعلان المحتاجان الى التهذيب بالعلم والقدرة المسببين عن القرب **اينما كنتم** فهو عالم بجميع اموركم وقادر عليكم
تعالى عن اتصاله بالعالم ومماسته او انفصاله عنه بغيبته او مسافة قال ابو العباس بن تيمية في كتابه الفرقان بين اولياء
الرحمن واوليا الشيطان لفظ مع لا يقتضي في لغة العرب ان يكون احد الشيئين مختلطا بالاخر كقوله اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين وقوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقوله محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار ولفظ مع
جات في القران عامة وخاصة فالعامة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك
ولا اكثر الا هو معهم الاية فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وسفين الثوري
واحمد بن حنبل هو معهم بعلمه واما المعية الخاصة ففي قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله لموسى
وهرون عليهما السلام انني معكما اسمع وارى وقال اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وابا
بكر الصديق رضي الله عنه فهو مع موسى وهرون عليهما السلام دون فرعون ومع محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه
دون ابي جهل وغيره من اعدائه ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين فلو كان معنى المعية انه بذاته في كل مكان
تناقض الخبر الخاص والخبر العام بل المعنى انه مع هولاء بنصره وتاييده دون اوليك وقوله تعالى وهو الذي في السماء اله
وفي الارض اله اي هو اله من في السما واله من في الارض كما قال تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم
وكذلك في قوله وهو الله في السموات وفي الارض كما فسره ائمة العلم كاحمد وغيره انه المعبود في السموات والارض ولما كانت
الاعمال لها ظاهر وباطن عبر في امرها باسم الذات دلالة على شمولها بالعلم والقدرة وتنبيها على عظمة الاحاطة بكل صفة
من صفاته فقال **والله** اي المحيط بصفات الكمال وقدم الجار لمزيد الاهتمام والتنبيه على تحقق الاحاطة كما مضى التنبيه
عليه غير مرة وتمثيله بنحو اعرف فلانا ولا اعرف غيره فقال **بما تعملون** اي على سبيل التجدد والاستمرار **بصير** اي عالم بجلايله
ودقايقه ولما كان صانع الشيء قد لا يكون ملكا وكان الملك لا يكمل ملكه الا بعلم جميع ما يكون في مملكته والقدرة
عليه وكان انكارهم للبعث انكارا لان يكون ملكا اكد ذلك بتكرير الاخبار به فقال **له** اي وحده **ملك السموات** وجمع لاقتضا
المقام له **والارض** افردها لخفا تعددها عليهم مع ارادة الجنس ودل على دوام ملكه واحاطته بقوله عاطفا على ما تقديره
من الله المبدا معبرا بالاسم الاعظم الجامع لئلا يظن الخصوص بامور ما تقدم **والى الله** اي الملك الذي لا كفوء له وحده
ترجع بكل اعتبار على غاية السهولة **الامور** اي كلها حسا بالبعث ومعنى بالابدا والافنا ودل على هذا الابدا والافنا
بابدع الامور واوضحها فقال **يولج** اي يدخل ويغيب بالنقص والمحو **الليل في النهار** فاذا هو قد قصر بعد طوله وقد انمحى
بعد شخصه وحلوله فملا الضيا الاقطار بعد ذكا الظلام **ويولج النهار** الذي عم الكون ضياوه وانارة الاكوان

في الليل الذي كان قد غاب في علمه فاذا الظلام قد طبق الآفاق والطول الذي كان له قد صار نقصا ولما كان في هذا
اظهار لخفي الاشياء حتى يصير في غاية الجلا اتبعه علم ما هو عند الناس اخفى ما يكون فقال وهو اي وحده عليم اي بالغ العلم بذات الصدور
اي ما يصحبها فتحفيه فلا يخرج منها شي في المضمرات على مدى الايام على كر اختلافها وتغيرها وان خفيت على اصحابها ولما قامت
الادلة على تنزهه سبحانه عن كل شائبة نقص واحاطته بكل صفة كمال المقتضي لثبوت الملك له الموجب قطعا لتفرده بعموم
الالهية المقتضي لارسال من يريد الى جميع من في ملكه وختم بالعلم بالضماير التي محلها الايمان قال امرا بالاذعان له ولرسوله
صلى الله عليه وسلم امنوا اي ايها الثقلان بالله اي الملك الاعظم الذي لا مثل له ورسوله الذي عظمته من عظمته ولما كان
الايمان اساسا والانفاق وجها ظاهرا ورأسا فاتحا مغانم الاسباب الحامل الخفي والوجه الظاهر الكامل البهي وانفقوا
اي في اظهار دينه ورغبهم في ذلك بطلب اليسير مما اعطاهم وزهدهم فيه بقوله مما جعلكم اي بقدرته مستخلفين اي
مطلوبا منكم وجود الخلافة فيه وتوليه دونكم بما يرضي من استخلفكم في تمهيد سبيله فطيبوا بها نفسا لانها ليست في
الحقيقة لكم وانما انتم خزان وخافوا من عزلكم من الخلافة بانتزاعها من ايديكم بتوليته غيركم امرها اما في حياتكم واما
بعد مماتكم كما فعل بغيركم حين وصل اليكم ما اوصل من اموالهم فليس لكم منها الا ما اكلتم فافنيتم او لبستم فابليتم او تصدقتم
فابقيتم وفي رواية فامضيتم فليهن الانفاق منها عليكم كما يهون على الانسان النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه ولما امر
بالانفاق ووصفه بما يهله سبب عنه ما رغب فيه فقال مبالغا في تاكيد الوعد لما في ارتكابه من العسر بالتعبير عنه بالجملة
الاسمية وبنا الحكم على الضمير والوصف بالكبير وغير ذلك فالذين امنوا وبين ان هذا خاص بهم لضيق الحال في زمانهم فقال
منكم وانفقوا اي من اموالهم في الوجوه التي ندب اليها على وجه الاصلاح كما دل عليه التعبير بالانفاق لهم اجر كبير اي لا يبلغه
عقولكم حقيقة كبره فاغتنموا الانفاق في ايام استخلافكم قبل عزلكم واتلافكم ولما رغب في الايمان والانفاق
وكان الايمان مقتضيا للانفاق عجب ممن لا يبادر الى هذا الحامل على كل خير فقال مفصلا لما احمل من الترغيب فيهما بادئا بالاتي
كل خير منفسا عنهم بالتعبير باداة الاستقبال بالبشارة بالعفو عن الماضي موبخا وموبخا لمن لا يبادر الى مضمون ما دخل عليه
الاستفهام عاطفا على ما تقديره فما لكم لا تبادرون الى ذلك وما اي واي شي لكم من الاعذار او غيرها في انكم او حال كونكم
لا تؤمنون بالله اي تجددون الايمان تجديدا مستمرا بالملك الاعلى الذي له الملك كله والامر كله بعد سماعكم لهذا الكلام لان
لا لا تدخل على مضارع الا وهو بمعنى الاستقبال ولو عبر بعبارة تدل على الحال لو بما نعتت منعت نقال فات ماطلبنا
والذي بعد هذا من الحال التي هي في معنى العلة دالة على هذا وهي قوله والرسول اي والحال ان الذي له الرسالة العامة يدعوكم
صباح مساء على ما له من مقتضيات القبول منه من حسن السمت وجلالة القدر واظهار الخوارق وغير ذلك لتؤمنوا اي لاجل
ان تجددوا الايمان بربكم اي الذي احسن تربيتكم بان جعلكم من امة هذا النبي الكريم فشرفكم به وقد اي والحال انه قد اخذ
ميثاقكم اي وقع اخذه فصار في غاية القباحة ترك ما وقع التوثق بسببه بنصب الادلة والتمكين من النظر بابداع العقول
وذلك كله مضم الى اخذ الذرية من ظهر ادم عليه السلام واشهادهم على انفسهم واشهاد الملائكة عليهم وبني الفعل للمفعول
في قراءة ابي عمرو ليكون المعنى من اي آخذ كان لان العقد عند الكرماء شديد من غير نظر الى معين لاسيما العرب فكيف اذا كان الاخذ
الملك الاعظم القادر على كل شي العالم بكل شي ورسوله الذي تعظيمه من تعظيمه كما صرحت به قراءة الجماعة بالبناء للفاعل ولا
يخفى الاعراب والحاصل انهم نقضوا الميثاق في الايمان فلم يواخذهم حتى ارسل الرسل ولما حثهم على تجديد الايمان
على سبيل الاستمرار بالتعجب من ترك ذلك وكان كل احد يدعي العراقة في الخير هيجهم وألهبهم بقوله ان كنتم اي جبلة ودأبا
ثابتا مؤمنين اي عريقين في وصف الايمان وهو ان تكونوا على نور الفطرة الاولى ولما وصفه بالربوبية دل
عليها بقوله هو اي لا غيره الذي ينزل اي على سبيل التدريج والموالاة بحسب الحاجة كان الخطاب في هذه السورة
للخاص قال كما مضيفا الى ضميره غير مقرون بما يدل على الجلال والكبرياء على عبده اي الذي هو احق الناس بحضرة جماله واكرامه لانه ما تعبد
لغيره قط آيات اي علامات من ظهورها حقيقة بان يرجع اليها ويتقيد بها بينات جدا على ما له من النعوت التي هي في غاية الوضوح
ليخرجكم اي الله او عبده بما انزل اليه مع انه بشر مثلكم والجنس الى جنسه اميل ومنه اقبل ولاسيما ان كان قريبا ونسيبا اريبا
من الظلمات التي انتم منغمسون فيها من الحظوظ والنقائص التي جبل عليها الانسان والغفلة والنسيان الحاملة على تراكم
الجهل فمن اتاه سبحانه العلم والايمان فقد اخرجه من هذه الظلمات التي طرأت عليه الى النور الذي كان له وصفا لروحه في البطن
الاولى السليمة ولما كان التقدير فان الله به للطيف خبير عطف عليه قوله مؤكدا لاجل ما لزم من طول البلاء لو
وانكار الكفار وان الله اي الذي له صفات الكمال بكم قدم الجار لان عظيم رحمته لهذه الامة موجب لعد نعمته على غيرها
عدما بالنسبة الى نعمته علينا لرءوف رحيم اي كثير بالنظر الى الرحمة الخاصة التي هي لاتمام النعمة العامة صنيعا مثلكم من
كان له به وصلة بما يفعل في ايام جاهليته من الخيرات كالانفاق في سبل المعروف وغير الانفاق لكونه خير الادباء ونحوه

كالصديق

كالصديق رضي الله عنه فعاد عليه بعد عموم رحمة البيان بخصوص رحمة عظيمة اوصلته الى اعلى درج العرفان ومنكم من كان مبالغا
في اتباع الهوى فابتداه بعد عموم رحمة البيان بخصوص رحمة هداه بها الى اعمال الجنان وهي دون ما قبلها في الميزان وفوقها
من حيث ابتهابه وهي سبب من المرحوم ولما امرهم بالايمان والانفاق وكان الايمان مع كونه الاساس الذي لا يصح عمل بدونه
ليس فيه شي من خسران او نقصان فبدأ به لذلك ورغب بختم الاية بالاشارة بالرافة الى ان من توصل اليه بشي من الايمان
او غيره زاده من فضله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا الى قوله ومن اتاني يمشي اتيته هرولة عطف عليه الترغيب في
التوصل اليه بالانفاق منكرا على من تركه موبخا لمن حاد عنه وهو يعلم انه فان معهما بزيادة ان المصدرية اللوم على تركه
في جميع الازمنة الثلاث فقال وما اي واي شي يحصل لكم في ان لا تنفقوا اي توجدوا الاخراج للمال في سبيل الله اي في
كل ما يرضي الملك الاعظم الذي له صفات الكمال لتكونوا لكم به وصلة فيخصكم بالرافة التي هي اعظم الرحمة فانه ما بخل احد
عن وجه خير الا سلط الله عليه غرامة في وجه شر واظهر موضع الاضمار في جملة حالية باعثا على الانفاق بابلغ بعث فقال
ولله تأكيدا للعظمة بالندب الى ذلك باستحضار جميع صفات الكمال الاسما صفة الارث المقتضية للزهد في الموروث
ميراث اي الارث والموروث والمورث عنه وغير ذلك السموات والارض جميعا لا شي فيهما ومنهما الا وهو كذلك يزول
عن المنتفع به ويبقى لله بقاء الارث ومن تأمل انه زايل هو وكل ما في يده والموت من ورائه وطوارق الحوادث مطيفة به وعما
قليل ينقل ما في يده الى غيره هان عليه الجود بنفسه وماله ولما رغبهم في الانفاق على الاطلاق رغبهم في المبادرة
اليه ماحيا اهله حاثا منهم اهل السباق فقال لا يستوي كان المراد اهل الاسلام قيد بقوله منكم
من انفق اي اوجد الانفاق في ماله وجميع قواه وما يقدر عليه ولما كان المقصود الانفاق في زمن الايمان لا
مطلق الزمان خص بالجار فقال من قبل الفتح اي الذي هو فتح جميع الدنيا في الحقيقة وهو فتح مكة الذي كان سببا لظهور
الدين على الدين كله لما نال المنفق اذ ذاك بالانفاق من كثرة المشاق لضيق المال حينئذ وذلك مستلزم لكون المنفق فيه
بصيرة ونفقته اعظم غناء واشد نفعا وفيه دليل على فضل ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من انفق لم يسبقه في
ذلك احد وفيه نزلت الاية كما حكاه البغوي عن الكلبي ولما كان المراد بالايمان جزمت به الحضرة وكان الانفاق
وان كان مصدقا للايمان لا يكمل تصديقه الا ببذل النفس قال وقاتل اي سعيا في انفاق نفسه لمن امن به وحذف المنفي
التسوية به وهو من لم ينفق مطلقا او بقيد القبلية لدلالة ما بعده ولعله افرد الضمير اشارة الى قلة السابقين هم
ولما كان نفي المساواة لا يعرف منه الفاضل من غيره وكان قد حذف قسيم من انفق لوضوحه والتنفير منه
ودلالة ما بعده عليه نفى اللبس بقوله اولئك اي المنفقون المقاتلون وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار
المقربون اهل الرتبة العالية لمبادرتهم الى الجود بالنفس والمال اعظم درجة ولعظم الدرجة يكون عظم صاحبها من
الذين انفقوا ولما كان المراد التفضيل على من اوجد الانفاق والقتال في زمان بعد ذلك لا على من استغرق كل زمان
بعد بالانفاق والقتال ادخل الجار فقال من بعد وقاتلوا ولما كان التفضيل مفهما اشتراك الكل في الفضل
صرح به ترغيبا في الانفاق على كل حال فقال وكلا اي من الفريقين وعد الله اي الذي له الجلال والاكرام الحسنى اي الدرجة
التي هي في غاية الحسن وان كانت في نفسها متفاوتة وقرا ابن عامر وكل وهو اوفق لما عطف عليه ولما كان زكاء
الاعمال انما هو بالنيات وكان التفضيل مناط العلم قال مرغبا في احسان النيات مرهبا من التقصير فيها والله اي الذي له الاحاطة
الكاملة بجميع صفات الكمال وقدم الجار اعلاما بمزيد الاعتنا بالتمييز عند التفضيل فقال بما تعملون اي تجددون عمله على ممر
الاوقات خبير اي عالم بباطنه وظاهره علما لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الاعمال على قدر النيات التي هي ارواح صورها
ولما فضل السابقين في الانفاق ووعد بالحسنى اللاحقين بحسن الاتباع واشار لهم الى انه ربما الحقهم بعضهم
بصفا الاخلاص فهو فوق الدواعي على البذل اثر ذلك بقوله مسميا الصدقة التي صورتها صورة اخراج من غير عوض باسم
القرض الذي هو اخراج بعوض ترغيبا فيها لما اعد عليها من الجزاء المحقق فكيف اذا كان مضاعفا من واكد بالاشارة بقوله
ذا لاجل ما للنفوس من الشح الذي يقرض الله اي يعطي الذي له جميع صفات الجلال والاكرام باعطاء المستحق لاجله عطاء
من ماله هو على صورة القرض لرجاء الثواب قرضا حسنا اي طيبا خالصا مخلصا فيه متحريا به افضل الوجوه طيبة به
النفس من غير من ولا كدر بتسويف ونحوه ولما كان ما يعطي الله المنفق من الجزاء مسببا عن انفاقه ربطه بالفا
فقال عطفا على يقرض فيضاعفه له مرغبا فيه بجعله مبالغا فيه بالتضعيف اولا وجعله من باب المفاعلة ثانيا وكذا
التفعيل في قراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب فيضعفه وقراءة عاصم وابن عامر ويعقوب بالنصب جوابا للاستفهام هو
لو كدا الربط بالتسبيب ولما كانت المضاعفة منه سبحانه لا تعلم كنهها قال وله اي المقرض بعد ما تعقلونه
من المضاعفة زيادة على ذلك اجر لا يعلم قدره الا الله وهو معنى وصفه بقوله كريم اي حسن طيب زاك نام ولما بين ما

لهذا المفرض من بعض وصفه بالكرم ببيان وقته فقال يوم اى لهم ذلك فى الوقت الذى ترى فيه بالعين كما اشار الى المحبوب
من المال لا يخرج عنه لا سيما مع الافتقار الامن وقرالذى فى قلبه بتعبيره بالوصف فقال المومنين والمومنات اى الذين صار الايمان
لهم صفة راسخة يسعى شعارا لهم وامارة على سعادتهم نورهم الذى يوجب ابصارهم لجميع ما ينفعهم فياخذوه وما يضرهم فيتركوه
وذلك بقدر اعمالهم الصالحة التى كانوا يعملونها بنور العلم الذى هو من الايمان كما انهم قدموا المال الذى انما يقتنيه الانسان لمثل
ذلك جزاء وفاقا ولما كان من يراد تعظيمه يعطى ما يجب وما يعين شرفا فى الاماكن التى يحبها قال بين ايديهم اى امامهم
توجهوا ولذلك حذف الجار وبايمانهم اى ويلتصق بتلك الجهة لان هاتين الجهتين اشرف جهاتهم وهم اما من السابقين واما من
اهل اليمين ويعطون صحايفهم من هاتين الجهتين والشقى بخلاف ذلك لا نور له ويعطى صحيفته بشماله من وراء ظهره والاول
نور الايمان والمعرفة والاعمال المقبوله والثانى نور الانفاق لانه بالايمان نبه عليه الرازى ولما ذكر نورهم
فيما يحبون من الجهات ويسر لهم اتبعه ما يقال لهم من المحبوب فى سلوكهم لذلك المحبوب فقال بشراكم اليوم اى بشارتكم العظيمة
فى جميع ما يستقبلكم من الزمان ولما شوقوا بذلك اخبروا بالمبشر به بقوله مخبرا اشارة الى ان المخبر به يحسد
من البشرى لكونه معدن السرور جنات اى كاينة لكم تتصرفون فيها اعظم تصرف والخبر فى الاصل دخول ولكنه عدل عنه
لما ذكر من المبالغة ثم وصفها بما لا تكمل اللذة الا به فقال تجرى وافهم القرب بانبات الجار فقال من تحتها الانهار ولما كان
ذلك لا يتم مع خوف الانقطاع قال خالدين فيها خلودا لا اخر له لان الله اورثكم ذلك فلا يورث عنكم كما كان حطام الدنيا
لان الجنة لا موت فيها ولما كان هذا امرا سارا فى ذلك المقام الضنك معجبا باهرا استانف مدحه بقوله ذلك
اى ذلك الامر العظيم جدا هو اى وحده الفوز العظيم اى الذى ملا بعظمته جميع الجهات من فرقهم ومن تحتهم ونفوسكم وارواحكم
ولما عظم هذا الاجر الكريم ببيان ما لاهله فى الوقت الكاين فيه عظمه بما لاضدادهم من النكال فقال مبدلا
من الظرف الاول يوم يقول اى قولا يجدد ما يلجى اليه من الامور العظيمة الشاقة المنافقون والمنافقات اى بالعراقة
فى اظهار الايمان وابطال الكفران للذين امنوا اى ظاهرا وباطنا على ادنى الوجوه واما من علا عن هذا البين من المومنين ومن
فوقهم فالظاهر انهم لا يرونهم ليطمعوا فى منادتهم وان السر قد امن يد المتناول انظرونا اى انتظرونا بان تمكثوا مكانكم
لنلحقكم وكان الفعل جرد فى قراة الجماعة لاقتضاء الحال الايجاز بغاية ما تصل القدرة اليه خوف الفوت لان المومنين
يسرعون الى الجنة كالبرق الخاطف وقد حققت المعنى قراة حمزة بقطع الهمزة وكسر الظاء اى اخرونا فى المشى وتانوا علينا
وامهلونا لا تطلبوا منا السرعة فيه بل امكثوا فى مكانكم لننظر فى امرنا كيف نلحق بكم والحاصل انهم عدوا وتانيهم فى المشى
وتلبثهم ليلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس اى ناخذ ونصيب ونستصبح من نوركم اى هذا الذى نراه لكم ولا يلحقنا
منه شى كما كنا فى الدنيا نرى لما بكم بما نرى من ظواهركم ولا ننعلق من ذلك بشى جزاء وفاقا وسبب هذا القول انه ورد
انهم يعطون مع المومنين نورا خديعة لهم بما خادعوا فى الدنيا لتعظم عليهم المشقة بفقده لانه لا يلبث ان يبعث الله
عليهم ريحا وظلمة فيطفا نورهم ويبقون فى الظلمة والى ذلك ينظر قول المومنين اتمم لنا نورنا اى لا تطفيه كما
اطفات نور المنافقين ولما كان المنكى لهم انما هو الرد من اى قايل كان بنى للمفعول قوله قيل اى لهم جوابا
لسوالهم قول رد وتوبيخ وتبكيت وتنديم ارجعوا وراءكم اى فى جميع جهات الوراء التى هى ابعد الجهات عن الخير كما انتم
فى الدنيا لا تزالون مرتدين على اعقابكم عما يستحق ان يقبل عليه ويسعى اليه فالتمسوا بسبب ذلك الرجوع نورا ويجوز ان
يراد بالوراء الدنيا لان هذا النور انما هو منها بسبب ما كان فيها من الاعمال الزاكية والمعارف الصافية وهذا افاك
الامام الغزالى فى كتاب المحبة من الاحيا ان هذه الاية تدل على ان الانوار لا بد ان يتجدد اصلها فى الدنيا ثم يزداد فى الاخرة
اشراقا فاما ان يتجدد ثم نور فلا ولما كان التقدير فرجعوا او وقفوا فى الظلمة سببا عنه وعقب قوله فضرب
مبنيا للمفعول على نحو الاول ولافادة ان ضربه كان فى غاية السرعة والسهولة ويجوز ان تكون الفا معقبة على ما قبله من
غير تقدير بينهم اى فى جميع المسافة التى بين الذين امنوا واضدادهم فى وقت قولهم هذا ولما كان المقصود ان
ضربه كان فى غاية السرعة والسهولة لم يوقع الفعل واتى بالفاء ليفيد انه كان كانه عصى ضربت به الارض مرة واحدة
فقال بسور اى جدار محيط بهم يحيل بين الجنة والنار لا يشذ عنه احد منهم ولا يقدر واحد ممن سواهم ان يتجاوزه الا انهم
له باب موكل به حجاب لا يفتحون الا لمن اذن له الله من المومنين لما بهرهم اليه من نورهم الذى بين ايديهم لشفاعة او نحوها
باطنه اى ذلك السور والباب وهو الذى من جهة الذين امنوا جزاء لايمانهم الذى هو غيب فيه الرحمة وهى ما لهم من
الكرامة بالجنة التى هى سائرة تبطن من فيها باشجارها وما يشبهها كما كانت بواطنهم ملاى رحمة وظاهره اى السور او
الباب الذى يظهر لاهل النار مبتدى من قبله اى تجاه ذلك الظاهر وناحيته وجهته وعنده العذاب من النار ونحوها
لاقتصار اهله على الظواهر من غير ان يكون لهم نفوذ الى باطن وعكس ما ارادوا من حفظ ظواهرهم فى الدنيا مع فساد بواطنهم

ودل على ما افهمه التعبير بالمضارع فى يقول من التكرير بقوله استينافا ينادونهم اى المنافقون والمنافقات يواصلون النداء
وهم فى الظلمة للذين امنوا يترفقون لهم فى مدة هذا القول والضرب الم نكن اى بكلياتنا معكم اى فيما كنتم فيه من الدين
نستحق المشاركة فيما صرتم اليه بسبب ذلك الدين الذى كنا معكم فيه قالوا اى الذين امنوا بلى قد كنتم معنا ولكنكم فتنتم
اى كنتم بما كان لكم من الدين به تخبرون انفسكم فتخالطونها بالخبائث من احوال الدين مخالطة محيلة لها مميلة عما كانت عليه
من اصل الفطرة من الاستقامة تريدون بذلك ان تظهر لكم فيه امور محسوسة لتخلصوا فيه من الشكوك فتخلصوا فما امنتم بالغيب
فاهلكتموها وتبعتم ايضا الامور التى كنتم تفتتنون بها من الشهوات فاوجب لكم الاعراض عن المعالى الباطنات وتربصتم
اى كلفتم انفسكم على ان اخرجتموها عن الفطر الاولى فامهلتم وانتظرتم لتروا الامر عيانا ولم تفعلوا مثل ما فعلنا من الايمان
بالغيب وترك التجربة وكنتم ما يحصل لنا مما فيه فتنة الى انفسنا وتقصيرنا وكنا كلما حصل لنا ما لم نزل نقول هذا ما
وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولا يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما وانتظرتم ايضا الدواير باهل الايمان ليظهر
النفاق وارتبتم اى شككتم بتكليف انفسكم الشك بذلك التربص وغرتكم الامانى اى ما تتمنون اى تريدون وتقدرون
من الارادات التى معها شهوة عظيمة من الاطماع الفارغة التى لا سبب لها غير شهوة النفس اياها كما كنتم تتوقعون لنا من دواير
السوء حتى جاء امر الله اى قضاء الملك المتصف بجميع صفات الكمال فلا كفوله ولا خلف لقوله من الموت ومقدماته من الامور
المدهشة كما كنتم فى الدنيا مقصرين كنتم فى هذا الموطن وغركم بالله اى الملك الذى له جميع العظمة فهو بحيث لا يخلف الميعاد
وهو الولى الودود الغرور اى من لا صنعة له الا الكذب وهو الشيطان وهو العدو الحسود فانه يوسع لكم بغروره التسويف
ويقول ان الله غفور رحيم وعفو كريم وما اعسى ان تكون ذنوبكم عنده وهو عظيم ومحسن وحليم ونحو هذا فلا يزال حتى يوقع
الانسان بما اوقعه واصل عليه مثل ذلك حتى يتمادى فما دام ما دام صار الباعث له حينئذ من قبل نفسه فصار طوع يده
ولما اقروا لهم بالكون الجامع وذكروا ما حصل به الفرق المانع فظهر انه لا كون سببوا عنه قولهم فاليوم اى بسبب افعالكم
تلك لا يوخذ بناه للمفعول لان الضار عدم الاخذ لا كونه من اخذ معين ولتعميم سد باب الاخذ مطلقا منكم فدية اى نوع
من انواع الفدا وهو البذل والعوض للنفس على اى حال كان من قلة وكثرة او حسن او غيره لان الاله غنى وقد فات محل العمل الذى شرعه
لكم لانقاذ انفسكم ولما كانوا مكذبين اكد فقال ولا من الذين كفروا اى اظهروا كفرهم ولم يستروه كما سترتموه
انتم لما وانتم لهم فى الكفر ولما كان كانه قيل فاين نكون قال ماواكم اى منزلكم ومسكنكم ومجمعكم النار لا مقر لكم غيرها
تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الاولياء باقبالكم على الشهوات واضاعة حقوق ذوى الحاجات واكد ذلك بقوله هى اى لا غيرها
مولاكم اى قرينكم وموضع قربكم ومصيركم وناصركم على نحو تحية بينهم ضرب وجيع فهى اولى بكم لا قرب لكم الى غيرها ولا مصير الى
سواها ولا ناصر الا هى ولما كان التقدير فبيس المولى هى عطف عليه قوله وبيس المصير اى هذه النار فلما كان هذا
وعظا شافيا لسقام القلوب وكاشفا لعظايم الكروب انتج قوله حاثا على الاقبال على كتابه الذى رحم به عباده بانزاله على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم على وجه معلم باعجازه انه كلام الله مستعطفا لهم الى جنابه زاجرا عما سال بعضهم فيه سلمان رضى الله عنه
من ان يحدثهم عن التوراة او الانجيل فكانوا كلما سالوا عن شى انزل سبحانه اية يزجرهم بها وينبههم على ان هذا القران فيه
كلما يطلب الى ان نزل هذه الاية زاجرة هذا الزجر العظيم لئلا يظن ظان ان القران غير كاف محوجا لهم بما وقع لاهل الكتاب
من الاعراض عن كتابهم قال الكلبى نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله استبطا قلوب المومنين
على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران فقال الم يان اى يحن ويدرك وينتهى الى الغاية للذين امنوا اى اقروا بالايمان
بالسنتهم صدقا او كذبا ان تخشع اى تكون لهم رتبة عالية فى الايمان بان تلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمين وتخبت فتعرض
عن الفانى وتقبل على الباقى قلوبهم لذكر الله اى الملك الاعظم الذى لا خير الا منه فيصدق فى ايمانه من كان كاذبا ويقوى فى لدين من
كان ضعيفا فلا يطلب لداء دينه دواء ولا لمريض قلبه شفاء فى غير القران فان ذكر الله يجلو اصداء القلوب ويصقل مراياها
ولما كان الذكر وحده كافيا فى الخشوع والانابة والخضوع لانه يجمع لكل رغبة ويمنع لكل رهبة وكان من الناس من لا يعود
له فهمه سبحانه من الجلال والاكرام قال وما نزل اى الله تعالى بالتدريج على قراة الجماعة بالتشديد وما وجه انزاله من عند الله
على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم على قراة نافع وحفص عن عاصم ورويس بخلاف عنه عن يعقوب بالتخفيف من الحق اى من الوعد والوعيد
والوعظ وغيره على نبيكم صلى الله عليه وسلم من القران اشارة الى ان غير هذا الذكر دخاله الدخيل واما هذا فثابت ثباتا لا يعدله
احد على ارادته ولما كان للمسابقة والمنافسة امر عظيم فى تحريك الهمم لاهل الانفة واولى المعالى قال ولا يكونوا
كالذين ولما كان العلم بمجرده كافيا فى اعلاء الهمة فكيف اذا كان من عند الله فكيف اذا كان بكتاب اشار الى ذلك بالبناء للمجهول
فقال اوتوا الكتاب اى لو كان الاتيان من عند غير الله لكان جديرا بالهداية فكيف وهو من عنده ولما كان انزال الكتب
لم يكن الا على بنى اسرائيل فلم يكن مستغرقا للزمان الماضى ادخل الجار فقال من قبل اى قبل ما نزل اليكم وهم اليهود والنصارى

كانوا في كل قليل يغيرون فكان عاطفاً على أوتوا الكتاب **فطال عليهم الأمد** أي الزمان الذي ضربناه لشرفهم
ومددناه لعلوهم من أول إتيانهم الكتاب الذي من شأنه ترقيق القلوب والأمد الأجل وكل منهما يطلق على المدة كلها وعلى آخرها
وكذا الغاية يقول النحاة من لابتداء الغاية وإلى لانتهائها والمراد هنا جميع المدة **فقست** أي بسبب الطول **قلوبهم** أي صلبت
واعوجت حتى كانت بحيث لا تنفعل للطاعات والخير فكانوا كل قليل في تعنت جديد على أنبيائهم عليهم السلام يسلونهم
المقترحات وأما بعد أنبيائهم فابعدوا في القساوة فمالوا إلى دار الكدر بكليتهم وأعرضوا عن دار الصفا فانجروا إلى الهلاك
باتباع الشهوات قال القشيري وقسوة القلب إنما تحصل من اتباع الشهوة فإن الشهوة والصفوة لا يجتمعان ولما كان
التقدير فبعضهم ثبت على ما نزل عطف عليه قوله **وكثير منهم** أخرجته قساوته عن الدين أصلاً ورأساً فهم **فاسقون** أي عريقون
في صفة الإقدام على الخروج من دائرة الحق التي حدها لهم الكتاب وعن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أنه
قال لم يكن بين إسلامهم وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله بها إلا أربع سنين رواه الطبراني في الكبير قال الهيثمي وفيه موسى
ابن يعقوب الزمعي وثقه ابن معين وغيره وضعفه ابن المديني وبقية رجاله رجال الصحيح ولما كان الموجب الأعظم
للقسوة إنكار البعث وكان العرب يزيدون على أهل الكتاب من موجبات القسوة به وكان عمل العامل بما يدل على القسوة عمل من ينكره
قال مهدداً لهم به مقرراً لما ابتدأ به السورة من أمر الإحياء ومشيراً إلى القدرة على إحياء القلوب ممثلاً لإزالة القساوة عنها بمقبل
الذكر والتلاوة ترغيباً في إدامة ذلك **اعلموا** أي يا من آمن بلسانه **أن الله** أي الملك الأعظم الذي له الكمال كله فلا يعجزه شيء
يحيي أي على سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدونه **الأرض** اليابسة بالنبات ولما كان هذا الوصف ثابتاً
دائماً بالفعل تارة والقوة أخرى وكان الحال هنا مقتضياً للتعميم قال **بعد موتها** من غير ذكر الجار وكأنه يحييها بخروج بها
النبات بعد أن كان قد تفتت وصار تراباً فكذلك يحيي الأموات بجمع أجسامهم وإفاضة الأرواح عليها كما فعل بالنبات وكما
فعل بالأجسام أول مرة سواء لا فرق بوجه إلا أن يقال الابتداء أصعب في العادة فاحذروا سطوته واخشوا غضبه
وارجوا رحمته لإحياء القلوب فإنه قادر على إحيائها بروح الوحي كما أحيا الأرض بروح الماء لتصير بإحيائها بالذكر خاشعة بعد
قسوتها كما صارت الأرض بها رابية بعد خشوعها وموتها ولما انكشف الأمر بهذا غاية الانكشاف أنتج قوله
قد بينا أي على ما لنا من العظمة ولما كان العرب يفهمون من لسانهم ما لا يفهمه غيرهم فكانوا يعرفون من إعجاز القرآن بحكم
فواتحه وجلالة مقاصده ودقة مسالكه وعظمة مداركه وجزالة تراكيبه ومتانة أساليبه وغير ذلك من شؤونه وأنواعه
وفنونه المنتج لتحقق أنه كلام الله ما لا يعلمه غيرهم كانوا كأنهم مخصوصون بهذا البيان فقدم الجار فقال **لكم الآيات** أي العلامات
النيرات ولما كان السياق للبعث وكان من دعائم أصول الدين وكان العقل كافياً في قياسه على النبات وكان العقل
الذي لا يقود إلى سعادة الآخرة ناقصاً وكان العقل الذي لا ينجح صاحبه مساوياً للعدم قال معبراً بأداة الترجي بخلاف ما
سبق في آل عمران فإنه من صالح النفس التي اجتمعت بها دواع تدعو إلى فهمها وتبعث على إتقان علمها **لعلكم تعقلون** أي لتكونوا
عند من يعلم ذلك ويسمعه من الخلائق على رجاء من حصول العقل لكم بما يتجدد لكم من فهمه على سبيل التواصل للدار بالاستمداد ولما
كانت الصدقة كالبذر الذي تقدم أن الله يحييه ويضاعفه أضعافاً كثيرة على حسب زكاء الأرض قال منتجاً مما مضى ما يعرف
أن من أعظم ما يدل على الخشوع المحثوث عليه والبعد عن حال الذين أوتوا الكتاب في القسوة الصدقة بالإنفاق الذي قرنه في
أولها بالإيمان وحث عليه في كثير من آياتها تنبيهاً على أنه ثمرته التي لا تتخلف عنه معبراً عنه بما يرشد إلى أنه المصدق لدعواه
والكرم لما يسبك في البعث من إنكار بركة الصدقة عاجلاً وآجلاً تقيداً بالمحسوسات **إن المصدقين** أي العريقين في هذا الوصف
من الرجال **والمصدقات** أي من النساء بأموالهم على الضعفاء الذين إعطاؤهم يدل على الصدق في الإيمان لكون المعطي لا يرجو منه نفعاً دنيوياً
ولعله أدغم إشارة إلى إخفاء الصدقات وقراءة أبي رضي الله عنه بالإظهار ترشد إلى الإكثار من الصدقة حتى تصير ظاهرة وقراءة
ابن كثير وأبي بكر عن عاصم بالتخفيف تدل مع ذلك على التصديق بالإيمان فكل من القراءات يدل على ما ومن التفصيل بذكر النوعين يعرف
شدة الاعتناء ولما كانت صيغة التفعل تدل على تكلف حث على حمل النفس على التطبع بذلك حتى يصير لها خلقاً في غاية
الخفة عليها فقال عاطفاً على صلة الموصول في اسم الفاعل معبراً بالماضي بعد إفهام الوصف الثبات دلالة على الإتباع بالفعل
عطفاً على ما تقديره موقعاً ضمير المذكر على الصنفين تغليباً الذين صدقوا إيمانهم بالتصدق **وأقرضوا الله** أي الذي له الكمال
كله بتصدقهم سواء كانوا من الذكور أو الإناث وإنفاقهم في كل ما ندب إلى الإنفاق فيه وأكد ووصف بقوله **قرضاً حسناً**
أي بغاية ما يكون من طيب النفس وإخلاص النية في الصدقة والنفقة في سبيل الخير وحسنه أن يصرف بصره عن النظر إلى فعله
والامتنان به وطلب العوض عليه قاله الرازي **يضاعف** أي ذلك القرض **لهم** ويثابون بحسب تلك المضاعفة لأن الذي
كان القرض له سبحانه كريم لا يرضى في الخير إلا بالفضل وثقل في قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب دلالة على المبالغة
في التكثير وعبر بالمفاعلة في قراءة الجماعة لإفهام أن تلك الكثرة مما لا بد من كونه وأنه عمل فيه عمل من يباري آخر ويغالبه وبين

هذا في آخر صحيح مسلم

للمقول

للمقول لأنه على باهر العظمة اللازم عنه كونه بغاية المقبولية **ولهم** أي مع المضاعفة **أجر كريم** أي لا كدر فيه بانقطاع ولا قلة
ولا دناءة بوجه من الوجوه أصلاً ولما بين سبحانه أن الصدقة كالبذر الذي هو من أحسن الأرباح وأبهجها بين
الحامل عليها ترغيباً فيه فقال عاطفاً بالواو إشارة إلى التمكن في جميع هذه الصفات **والذين آمنوا** أي أوجدوا هذه الحقيقة
العظيمة في أنفسهم **بالله** أي الملك الأعلى الذي له الجلال والإكرام **ورسله** أي كلهم لأجل ما لهم من النسبة إليه فمن كذب بشيء
عن أحد منهم أو عمل عمل المكذب له لم يكن مؤمناً به **أولئك** أي الذين لهم الرتب العالية والمقامات السامية **هم** أي خاصة
الصديقون أي الذين هم في غاية الصدق والتصديق لما يحق له أن يصدقه من سمعه وقال القشيري الصديق من استوى ظاهره
وباطنه ويقال هو الذي يحمل الأمر على الأشق ولا ينزل إلى الرخص ولا يجنح للتأويلات ولما كان الصديق لا يكون
عريقاً في الصديقية إلا بالتأهيل لرتبة الشهادة قال **والشهداء** معبراً بما مفرده شهيد عاطفاً بالواو إشارة إلى قوة التمكن
في كل من الوصفين وقال القشيري هم الذين يشهدون بقلوبهم مواطن الوصلة ويعتكفون بأسرارهم في أوطان القربة وزاد
الأمر عظماً بقوله **عند ربهم** أي الذي أحسن إليهم بالتربية لمثل تلك الرتبة العالية من الشهادة لله بكل ما أرسل به رسله
وللأنبياء الماضين على أممهم والحضور في جميع الملاذ بالشهادة في سبيل الله قال مجاهد كل مؤمن صديق وشهيد وتلا هذه الآية
لهم أي جميع من مضى من الموصوفين بالخير **أجرهم** أي الذي جعله ربهم لهم **ونورهم** أي الذي زادهم من فضله برحمته أولئك هم
أصحاب النعيم المقيم ولما ذكر أهل السعادة جامعاً لأصنافهم أتبعهم أهل الشقاوة كذلك فقال **والذين كفروا**
أي ستروا ما دلت عليه أنوار عقولهم ومرائي فكرهم **وكذبوا بآياتنا** على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا سواء كانوا في ذلك
مجاهرين أو عمل العالم بها عمل المكذب **أولئك** أي البعيدون من خاصة من كل خير **أصحاب الجحيم** أي النار التي هي غاية في توقدها
خالدون فيها من دون العصاة وأما غيرهم فدخولهم لها إن دخلوها فليس على وجه الصحبة الدالة على الملازمة وأولئك هم الكاذبون
الذين لا تقبل لهم شهادة عند ربهم لهم عقابهم وعليهم ظلامهم والآية من الاحتباك ذكر الصديقية وما معها أولاً دليلاً على أضدادها
ثانياً والجحيم ثانياً دليلاً على النعيم أولاً وسره أن الأول أعظم في الكرامة والثاني أعظم في الإهانة ولما ذكر
سبحانه حال الفريقين الأشقياء والسعداء فتقرر بذلك أمر الآخرة فعلم أنها الحيوان الذي لا انقضاء له من إكرام أو هوان
وكان الموجب للهوان فيها إنما هو الإقبال على الدنيا لحضورها ونسيان الآخرة لغيابها قال منتجاً مما مضى مبيناً لحقيقة ما رغب
فيه المكلف المركب على الشهوة من العاجلة بما يزهد فيه مصدراً له بما يوجب غاية اليقظة والحضور **اعلموا** أي أيها العباد
المبتلون وأكد المعنى بزيادة ما لما للناس من الغفلة عنه فقال قاصراً أقصر قلب **إنما الحياة الدنيا** أي الحاضرة التي رغبت في
الزهد فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن **لعب** أي تعب لا ثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان **ولهو** أي شيء
يفرح الإنسان فيلهيه أي يشغله عما يعنيه ثم ينقضي كلهو الفتيان ثم أتبع ذلك أعظم ما يلهي في الدنيا فقال **وزينة**
أي شيء يبهج العين ويسر النفس كزينة النسوان وأتبعها ثمرتها فقال **وتفاخر** أي كتفاخر الأقران يفتخر بعضهم على بعض ولما
كان ذلك مخصوصاً بأهل الشهوات قال **بينكم** أي يجر إلى التنازع الجار إلى الحسد والبغضاء وأتبع ذلك ما يحصل به الفخر
فقال **وتكاثر** أي من الجانبين **في الأموال** التي لا يفتخر بها إلا أحمق لكونها مائلة **والأولاد** التي لا يغتر بها إلا سفيه لأنها
زائلة وإنما هي فتنة وابتلاء ليظهر بها الشاكر من غيره ثم أرخ لذلك كله فيكون ذهابه عن قرب فيكون على
أضداد ما كان عليه فيكون أشد في الحسرة ومطابقة ذلك لما تعدد أن الإنسان ينشأ في حجر وليه فيشب ويقوى ويكسب
المال والولد ويغشاه الناس فيتلون حولهم أمور معجبة وأحوال ملهية مطربة فلما تم شبابه والطغاه بحده وذهابه
وأشكاله وأترابه أخذ في الانحطاط ولا يزال حتى يشف ويضعف ويسقم ويهرم وتصيبه النوائب والفوادح في
المصائب في ماله وأولاده وحشمه وأصحابه ثم في آخر ذلك يموت فإذا هو قد اضمحل أمره ونسي عما قليل ذكره وصار
ماله لغيره وزينته متمتعاً بها سواه فالدنيا حقيرة وأحقر منها طالبها وأقل منها خطراً المزاحم فيها فما هي إلا جيفة
وطلاب الجيفة ليس لهم خطر وأخسهم من بخل بها قال القشيري وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة
فكل ما يشغله عن الآخرة فهو الدنيا انتهى ولما قرر سبحانه أنها ظل زائل وعرض مائل وكان بعض الناس
ينتبه فيشكر وبعضهم يعمى فيكفر وكان القسم الثاني أكثر لأن وجودها وإقبالها يعمي أكثر القلوب عن حقارتها
ضرب لذلك مثلاً مقرراً الماضي من وصفها لأن للأمثال في تقرير الأشياء وتصويرها ما ليس لغيرها فقال **كمثل** أي هذا
الذي ذكرته من أمرها يشبه مثل **غيث** أي مطر حصل بعد جدب وسوء حال ولما كان في سياق التحقير
للدنيا والتنفير عنها عبر عن الزارع بما ينفر فقال **أعجب الكفار** أي الزراع الذين حصل منهم الحرث والبذر الذي
يستر الحارث بحرثه كما يستر الكافر حقيقة أنوار الإيمان بما يحصل منه من الجحد والطغيان ولأنهم هم أعجب بالزرع
الحطام الملهي عن الله الأمع الكفر به سبحانه فإن المؤمن وإن أعجبه ذلك يتذكر به قدرة الله وعظمته وما أعد لأهل طاعته

في الاخرة فيحمله ذلك على الطاعة فالتعبير بالكفار الذي هو بمعنى الزراع دونه اشارة الى عظمة ذلك النبات فانه لا يعجب
العارفين به الممارسين له الذين لهم غاية الاحتيال على تلك الحرفة والمنافسة فيها الا ما يكون نهاية في الاعجاب والى انه لا يعجب
احدا شي من الدنيا اعجابا يركن اليه ويانس به انسا يودي الى ما في الاية من اللهو وما معه الا الكافر في نفسه اتلك كفر النعمة التي
من شانها ان تدعوا الى تذكر الخالق تذكرا يحمل على الشكر وترك الشكر كفر نباته اي نبات ذلك الغيث كما يعجب الكافر في الغالب
بسط الدنيا له استدراجا من الله سبحانه ولما كان الزرع ليشبح بعد مدته فيضمحل كما هو شان الدنيا كلها قال
ثم يهيج اي يسرع تحركه فيتم جفافه فيحين حصاده فتراه مصفرا عقب ذلك الدو بالقرب منه على حالة لا نمو معها بل ولا نباه ولذلك
قال معبرا بالكون لان السياق للتزهيد في الدنيا وانها ظل زايل لا حقيقة لها ثم اي بعدما هي الجفاف والابيضاض يكون اي
كونا كانه مطبوع عليه وابلغ سبحانه في تقرير اضمحلاله بالاتيان مع فعل الكون ببنا المبالغة لان السياق للتقرير ان الدنيا عدم وان
كانت في غاية الكثرة والاقبال والمواتاة بخلاف ما مضى في الزمر فقال حطاما كان الحطامية كانت في جبلته واصل طبعه ولما ذكر
الظل الزايل ذكر اثره الثابت الدايم مقسما له الى قسمين فقال عاطفا على ما تقديره هذا حال الدنيا في سرعة زوالها وتحقق فنايها
واضمحلالها وفي اي وهذا الذي عرض من حال الدنيا هو في الاخرة على حالين احدهما عذاب شديد اي لمن اخذها بغير حقها معرضا عن
ذكر الله لان الاغترار بها سببه فكان كانه هو ولما قدم ما هو السبب الاغلب لان اكثر الخلق هالك اتبعه
الصنف الناجي فقال ومغفرة اي لاهل الدرجة الاولى في الايمان من الله اي الملك الاعظم لمن ذكر بما صنعه له في الدنيا عظمته
سبحانه وجلاله فتاب من ذنوبه ورجع اليه في التطهير من عيوبه ورضوان لاهل عظمته سبحانه وجلاله الدرجة العليا هم
وهم من اقبل عليه سبحانه فشكره حق شكره ببذل وسعه فيما يرضيه فاخر الاية تقسيم للدنيا على الحقيقة لئلا يظن حصرها فيما
ذكر اول الاية انها لا يكون الا كذلك فالمعنى ان الذي ذكر اولا هو اغلب احوالها وعاقبته النار وما كان منها من ايمان وطاعة
ونظر توحيد لله وتعظيم ومعرفة يودي الى اخذها تزودا او نظرها اعتبارا وتعبدا فهو اخرة لا دنيا ولما كان
ان مثل الغيث المذكور الحطام وتارة يعقبه نكد لازم واخرى سرور دايم فمن عمل في ذلك عمل الحزمة بحرس الزرع مما يود به
حصده في وقته وعمل فيه ما ينبغي ولم يبخس حق الله فيه سره اثره وحمد عاقبته ومن اهمل ذلك اعقبه الاسف وذلك هو مثل الدنيا
من عمل فيها بامر الله اعقبته حطاما منها سرورا دايما ومن اهمل ذلك اورثه خزيا لازما ولما كان التقدير فما الاخرة
لمن سعى لها سعيها الا حق مشهور وسعي مشكور عطف عليه قوله وما الحياة الدنيا اي لكونها تشغل بزينتها مع انها زايلة الا
متاع الغرور اي هو في نفسه غرور لا حقيقة له الا ذلك لانه لا يحصل لمن اقبل على التمتع الا ذلك لانه لا يسر بقدر ما يضره هم
ولما بين ان الدنيا خيال ومحال ليصرف الكلمة من العباد عنها لسفولها وحقارتها وان الاخرة بقاء وكمال
ليرغبوا غاية الرغبة فيها وليشتاقوا كل الاشتياق اليها لكمالها وشرفها وجلالها انتج ذلك قوله سابقوا اي افعلوا افعال
الساعي بالاعمال الصالحة حتى السعي فعل من يسابق شخصا فهو يجتهد غاية الاجتهاد في سبقه ويكره ما كان قرينه بطيئا
المسارعة فلا يكون الاجتهاد النفس من الجانبين مع السرعة في الهرف فاية العمران الامر بالمسارعة
لانها للحث عن التجرد عن النفس والمال وجميع الحظوظ اصلا وراسا ولذلك كانت جنتها للمتقين
ولما وما هنا في سياق التصدق الذي هو تجرد عن فضول الاموال ولذا كانت جنته للذين امنوا
كان الانسان وان بذل الجهد ضعيفا لا يسعه الا العفو سواء كان سابقا او لاحقا من الابرار او المقربين
الى مغفرة اي لستر ذنوبكم عينا واثرا من ربكم اي المحسن اليكم بايداكم وطوركم بعد
ان تفعلوا اسباب ذلك بامتثال اوامره سبحانه واجتناب زواجره ولما كان
عليها من نتيجتها قال وجنة اي وبستان هو من عظم اشجاره واطراد انهاره يجيب لساتر
ذلك لا يكمل الا بالسعة قال عرضها اي فما ظنك بطولها ولما كان السياق كما بين
كان الموعود به دونها في ال عمران فافرده وصرح بالعرض فقال كعرض السماء والارض اي
عمران يحتمل الطول وجميع السموات والاراضي على هيئتهما ويحتمل ان يكون ذلك على تقدير ان يقدر
راس كل منهما براس الاخرى ومد جميع الذات الى نهايتهما على مثل الشراك وهذه الاية ظاهرة
اعدت اي هيئت هذه الجنة الموعود بها وفرغ من امرها بايسر امر للذين امنوا اي اوقعوا
الامنة ايقاعا لا ريب معه ولو انه على ادنى الوجوه فكانوا من السابقين وهذا يدل على ان الجنة
ان الايمان كاف في استحقاقها واحاديث الشفاعة موجبة لذلك بالله اي الذي له جميع
الايمان ورسله فلم يفرقوا بين احد منهم فهذه الجنة غير المذكورة في ال عمران وان قيل ان الجنة
الصديقون والشهدا كانت ابلغية تلك بالتصريح بالجمع وعدم التصريح بالعرض لكونها في

سباق

سياق صرح فيه بالجهاد وقد جرت السنة الالهية باعظام المواعيد للمجاهدين لشدة الخطر في امر النفس وصعوبة الخروج
عنها وعن جميع المالوفات ولما كان ما ذكر من الوعد بالمغفرة والجنة عظيما لا سيما لمن امن ولو كان ايمانه على ادنى الدرجات
ومع التجرد من جميع الاعمال العظيمة بقوله ردا على من يوجب عليه سبحانه شيئا من ثواب او عقاب ذلك اي الامر العظيم جدا فضل
الله اي الملك الذي لا كفوء له فلا اعتراض عليه يوتيه من يشاء ولعل التعبير بالمضارع للاشارة الى ان هذا خاص بهذه الامة
التي هي اقل عملا واكثر اجرا فاذا حسدهم اهل الكتاب قال تعالى هل ظلمتكم من اجركم شيئا فاذا قالوا لا لان المعروف من الاجر
لجميع الطوايف على حسب الشرط قال ذلك فضلي اوتيه من اشا والله اي والحال ان الملك المختص بجميع صفات الكمال وله
الامر كله ذو الفضل العظيم اي الذي جل عن ان يحيط بوصفه العقول ولما كانت الدنيا مانعة عن المسابقة
الى الاخرة بلذاتها والامها وكانت كما انها منزل رخا هي دار بلا وكان نقدا فتصر سبحانه في الاية السابقة على الاول لان السياق
للانفاق والترغيب في معالي الاخلاق وجعل المسابقة الى السعادة نتيجة الزهد فيها تحركت النفس للسوال عما يعوق
عن الخير من الضرب ببساط البلا فقال مسليا عنه لان النفوس اشد تاثرا بالمكاره واسرع انفعالا بالمضار ومحققا
ومعربا بالاعلام بانه لم يكن فيها خير ولا شر الا بقضاء ختم في الازل وقدر احكم ووجب حين لم يكن شي غيره عز وجل
وذكر فعل المونث الجايز التذكير لكون التانيث غير حقيقي للاشارة الى عظم وقع الشر ما اصاب واكد النفي فقال من مصيبة
وهي في الاصل لكل ات من خير او شر الا ان العرف خصها بالشر وعم الساكن والمتحرك بقوله في الارض اي من نباتها ومياهها
ونحو ذلك ولا في انفسكم اي بموت ومرض وعين وعرض الا هي كائنة في كتاب اي مكتوب لانه مقدر مفروغ من تقديره
من القدم وبين ان الكتابة حدثت بعد ان كان هو سبحانه ولا شي معه بادخال الجار فقال من قبل ان نبراها اي نخلق ونوجد
ونقدر المصيبة والارض والانفس وهذا دليل على ان اكساب العباد بخلقه سبحانه وتقديره ولما كان ذلك
متعذرا على المخلوق فهو اشد شي نكرة له وقوفا مع الوهم قال موكدا ان ذلك اي الامر الجليل وهو علمه بالشي وكتبه له على
تفاصيله قبل كونه ثم سوقه النفوس والاسباب الى اخراجه بعد التكوين على مقدار ما سبق علمه به وكتبه له على الله اي
لما له من الاحاطة بصفات الكمال يسير لان علمه محيط بكل شي فقدرته شاملة لا يعجزها شي ولما بين هذا
المعنى العظيم الدال على ما له سبحانه من الكبرياء والعظمة بين ثمرة اعلامه به فقال لكيلا اي اعلمناكم بانا على ما لنا من
العظمة قد فرغنا من التقدير فلا يتصور فيه تقديم ولا تاخير ولا تبديل ولا تغيير لا الحزن يدفعه ولا السرور يجلبه
ويجمعه كما قال صلى الله عليه وسلم يا معاذ ليقل همك ما قدر يكن لان لا تاسوا اي تحزنوا حزنا كبيرا زايدا على ما في اصل
الجبلة يوصل الى الهلع بتعاطي اسبابه والتمادي فيها لينا ثر عنها السخط وعدم الرضى بالقضا فربما جر ذلك الى امر عظيم
على ما فاتكم اي من المحبوبات الدنيوية ولا تفرحوا اي تسروا سرورا يوصل الى البطر بالتمادي مع ما في اصل الجبلة بما
اتاكم اي جاكم منها على قراءة ابي عمرو بالقصر واعطاكم الله على قراءة الباقين بالمد وهي تدل على ان النعم لا بد في ايجادها
وابقايها من حافظ ثم انها لو خليت ونفسها لفاتت لانه ليس لها من ذاتها الا العدم وقد بين سبحانه ان في تقديره
هذا وكتبه من اليسر ان من وطن نفسه على فقد ما لديه من اعيان ومعان قل تاثره بالعدم والوجدان فلم يفتره ذلك عن
المسابقة المذكورة فالمنهي عنه التمادي مع الحزن حتى يخرج عن الصبر ومع الفرح حتى يلهي عن الشكر لا اصل المعنى لانه ليس
من الافعال الاختيارية قال جعفر الصادق ما لك تاسف على مفقود ولا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود ولا
يتركه في يدك الموت انتهى ولقد عزى الله المومنين رحمة لهم في مصابهم وزهدهم في رغايبهم بان اسفهم على فوت
المطلوب لا يعيده وفرحهم بحصول المحبوب لا يبقيه ولان ذلك لا مطمع في بقايه الا بادخاره عند الله وذلك بان يقول
في المصيبة قدر الله وما شا فعل ويصبر وفي النعمة هكذا اقضي وما ادري ما انا له هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر
ام اكفر فلا يزال خايفا عند النعمة راجيا اثر النعمة قايلا في الحالين ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن واكمل من هذا ان يكون
مسرورا بذكر ربه له في كلتي الحالتين كما قال القايل سقيا لعهدك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصبابة معهدا
وهذا صفة المتحررين من رق النفس وقيمة الرجال انما تعرف بالواردات المغيرة فمن لم يتغير بالمضار ولم يتاثر بالمسار فهو
سيد وقته اشار اليه القشيري ولما كان الامعان في استجلاب الاسى انما هو من الياس ونسيان النعم وزيادة
الفرح الموصل الى المرح انما يجره الكبر والبذخ وكان في اوصاف اهل الدنيا التفاخر قال تعالى مبينا ان المنهي عنه سابقا
التمادي مع الجبلة في الحزن والفرح عاطفا على ما تقديره فان الله لا يحب كل يوس كفور والله لا يحب اي لا يفعل فعل
المحب بان يكرم كل مختال اي متكبر نظرا الى ما في يده من الدنيا فخور قال القشيري الاختيال من بقايا النفس ورويتها والفخر
من روية خطر ما به يفتخر ولما كان من جملة صفات المختال المكاثر بالمال البخل وكان ثمرة تقدم الحث على الانفاق
وكان مما يوجبه لذة التخايل والاختيال التي وصل اليها المال الحاملة على البخل خوفا من الاقتار الموجب عند اهل الدنيا للصغار

قال تعالى واصفا للمختال او لكل مختال الذين يبخلون اى يوجدون هذه الحقيقة مع الاستمرار ويامرون الناس اى كل من يعرفونه
بالبخل ارادة ان يكون لهم رفقا يعملون باعمالهم الخبيثة فيتحاموا عنهم او انهم يوجبون باعمالهم من التكبر والبطر بالاموال
التى حصلها لهم البخل استدراجا من الله لهم بخل غيرهم لانه اذا رام عظموا بالمال بخل ليكثر ماله فيعظم وذلك كله نتيجة حبهم
بالموجود وبطرهم عند اصابته فكانوا امرين بالبخل لكونهم اسبابا له والسبب كالامر فى ايجاد الشيء ولما
كان التقدير لم يقبل على ما ندب اليه من الاقراض الحسن والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان الله شكور عليم عطف عليه قوله ذاما
للبخل محذرا منه ومن يتول اى يكلف نفسه من الاعراض ضد ما فى فطرته من محبة الخير والاقبال على الله فان الله اى الذى له جميع صفات
الكمال هو اى وحده الغنى اى عن ماله وانفاقه وكل شيء اليه مفتقر الحميد اى المستحق للحمد سواء حمده الحامد ام لا وقراءة نافع
وابن عامر باسقاط هو مفيدة لحصر المبتدا فى الخبر للتعريف وان كانت قراءة الجماعة اكد ولما ظهرت الادلة حتى
لم يبق لاحد علة وانتشر نورها حتى ملا الاكوان وعلا علوا انضال دون عليائه كيوان وكان فيما تقدم شرح حال الدنيا وبيان حقيقتها
وان الآدمى اذا خلى ونفسه ارتكب ما لا يليق من التفاخر وما شاكله وترك ما يراد منه مما دعى اليه من الخير جلا منه وانقيادا مع طبعه
وكان ختم الاية السابقة ربما اوهم المتاركة قال تعالى منبها على ذلك فى جواب من توقع الاخبار عن سائر الانبياء هل اوتوا من البيان
ما ازال اللبس مؤكدا لازالة العذر باقامة الحجج بارسال الرسل بالمعجزات الحاضرة والكتب الباقية معلما ان من اعرض كلف الادب
بالسيف فان الحكيم العظيم تابى عظمته وحكمته ان يخلى المعرض من تنبيه يرده عما هو فيه وقسر يكفه عما يطغيه لقد ارسلنا
اى بما لنا من العظمة رسلنا اى الذين هم نهاية الجلال بما لهم منا من الاتصال من الملائكة الى الانبياء على جميعهم افضل الصلاة والسلام
والتحية والاكرام ومن الانبياء الى الامم بالبينات اى الموجبة للاقبال فى الحال لكونها لا لبس فيها اصلا ودل على عظمة انبيائه
عليهم السلام بانهم لعلو مقامهم بالارسال كانهم اتوا الى العباد من موضع عال جدا فقال وانزلنا اى بعظمتنا التى لا شيء اعلى
منها معهم الكتاب اى الحافظ فى زمن الاستقبال فى الاحكام والشرائع ولما كان فهم الكتاب ربما اشكل لانه
يحتاج الى ذهن صقيل وفكر طويل وبصر كبير وعلم كبير قال الرازى ولهذا قيل لولا الكتاب لاصبح العقل حائرا ولولا العقل
لم ينتفع بالكتاب عقبه بما يشترك فى معرفته الكبير والصغير والجاهل والنحرير وهو اقرب الاشياء الى الكتاب فى العلم
بمطابقة الواقع لما يراد فقال والميزان اى العدل او الحكمة ولعله كل ما يقع به التقدير حسا او معنى وتعقيبه به اشارة
الى ان عدم زيغه لعدم حظ وبحوم فى حكم الكتاب خاليا عن حظ نفس وصل الى المقصود ليقوم الناس اى الذين فيهم قابلية التحرك
الى المعالى كلهم بالقسط اى العدل الذى لا مزيد عليه لانتظام جميع احوالهم هذا المراد عن البينات لذات من اقامها ولكن لما
فيما عندنا ولما كان الاعراض بعد الابلاغ فى الايضاح موجبا للردع عن الفساد بانواع الجهاد قال ممهدا او ممتنا
ترغيبا وترهيبا معبرا عن الخلق بالانزال تشريفا وتعظيما وانزلنا اى خلقنا خلقا عظيما بما لنا من العزة الحديد اى المعروف
على وجه من القوة والصلابة واللين والحدة لقبول التاثير بعيد به كالمباين لما فى الارض فلذلك سمى ايجاده انزالا ولان الاوامر بالايجاد
والاعدام تنزل من السما وتكون الارض له بمنزلة الرحم للنطفة على ايدى الملائكة لان السماء محل الحوادث الكبار والبدائع والآثار
ولان الماء الذى هو اصله واصل كل نام ينزل من السما وتكون الارض له بمنزلة الرحم للنطفة ولما وقع التشوف
الى سبب انزاله قال فيه باس اى قوة وشدة وعذاب شديد بما فيه من الصلابة الملائمة للمضى والحدة ومنافع للناس بما
يعمل منه من مرافقهم ومعاونهم ليقوم احوالهم بذلك قال البيضاوى ما من صنعة الا والحديد آلتها ولما
كان التقدير ليعلم الله من يعصيه فيخذل وليناه بوضع باسه فى غير ما امر به نصرة لشيطانه وهواه وافتتانه عطف
عليه قوله وليعلم الله اى الذى له جميع العظمة علم شهادة لاجل اقامة الحجة بما يليق بعقول الخلق فيكون الجزاء على العمل لا على العلم
واوقع ضمير الدين عليه سبحانه تعظيما له لانه شارعه فقال من ينصره اى يقبل مجردا على الاستمرار على نصر دينه ورسله بالذب
عنهم والدعاء اليهم كائنا ذلك النصر بالغيب من الوعد والوعيد اى بسبب تصديق الناصر لما غاب عنه من ذلك او غائبا عن كل ما له
له النصر روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ينصرونه ولا يبصرونه انتهى فلم يدع سبحانه بهذه الاية لاحد عذرا بالرسل الذين هم
الجنس مع تاييدهم بما يقع عنهم اللبس والكتاب الهادى عن كلام الخلق والعقل الذى عرف العدل والسلاح الذى يرد اولى الجهل
كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت بين يدى الساعة بالسيف فبيان الشرائع بالكتاب وتقويم ابواب العقل بالميزان وتنفيذ هذه
المعانى بالسيف فان مصالح الدين من غير هيبة السلطان لا يمكن رعايتها فالملك والدين توأمان فالدين بلا ملك ضائع والملك بلا
عن الدين باطل والسلطان ظل الله فى الارض فظواهر الكتاب للعوام ودون معارفه لاهل الحقائق بالميزان ومن خرج من الطائفتين
فله الحديد وهو السيف لان تسوية الدين منه نبه عليه الرازى ولما كان طلب النصرة ربما اوهم الضعف
قال نافيا لذلك مؤكدا قطعا لتعنت المتعنتين مظهرا للاسم الاعظم اشارة الى ان له جميع صفات الكمال لا يمكن ان يتطرق اليه حاجة فى
ان الله اى الذى له العظمة كلها ولما لم يكن هنا داع الى اكثر من هذا من التاكيد خلاف ما اشير اليه من الديار المذكور

الجد بحوه قال معللا بانه غنى عن كل شيء معريا الخبر من اللام قوى اى فهو قادر على اهلاك جميع اعدائه وتاييد من ينصره من اوليائه
عزيز فهو غير مفتقر الى نصر احد وانما دعا عباده الى نصر دينه ليقيم الحجة عليهم فيرحم من اراد بامتثال المامور ويعذب من يشا
بارتكاب المنهى لبنائه هذه الدار على حكمة ربط المسببات بالاسباب ولما عم الرسل جامعا لهم فى البينات فكان
السامع جديرا بان يتوقع تعيين بعضهم خص من بينهم من اولى العزم ابوين جامعين فى الذرية والرسالة لان ذلك انسب لمقصود
السورة ليتبين فضل محمد صلى الله عليه وسلم الذى عم برسالته عموما لم يكن لاحد غيره فنوح عليه السلام ارسل الى اهل الارض
لكونهم كانوا على لسان واحد وعموم ابرهيم عليه السلام باولاده عليهم السلام ونص بعدهما على عيسى عليه السلام لما له من عموم
الرسالة الى بنى اسرائيل بالنسخ والتشريع ثم من نزوله فى هذه الامة للتقرير والتجديد فقال ولقد ارسلنا اى بما لنا من صفات
الكمال والجلال والجمال نوحا الاب الثانى وجعلنا الاغلب على رسالته مظهر الجلال وابرهيم ابا العرب والروم وبنى اسرائيل
الذى اكثر الانبياء من نسله وجعلنا الاغلب على رسالته محلى الاكرام وجعلنا بما لنا من العظمة فى ذريتهما النبوة المقتضية
للوصلة بالملك الاعظم لتنفيذ الاوامر والكتاب الجامع للاحكام الضابط للشرائع بان استنبانا بعض ذريتهما وانزلنا
اليهم الكتب فلا يوجد نبى ولا كتاب الا وهو مدل اليهما بامتن الاسباب واعظم الانساب ولما كان مظهر العظمة
مقتضيا للاستقامة من اريد استقامته مع عدم المبالاة به كائنا من كان سواء اتصل بالاولياء او الاعدا للبلايا من احد فيقع فى الحرم
او يساير احد فيلزم الهوان قال فمنهم اى ذريتهما من الصنفين مهتد موبعين الرضى منا وموثر لزم طريق الاصفيا واستمسك
بعروتهم ولم يزغ اصلا وان كان من اولاد الاعدا ولما كان من زاغ بعد تذكيره بالكتب والرسل مستحقا للمبالغة
فى الذم ولو انه واحد فكيف اذا كان كثيرا نبه بتغيير السياق على ذلك وعلى ان الاغلب الضلال فقال وكثير منهم اى الذرية
الموصوفين فاسقون ثم بعين السخط وان كانوا اولادا لاصفيا وهم من خالف الاوليا بمتابعة او ابتداع او زيغ عن سبيلهم
بالمرة بمجوح بافراط او تفريط ولما كان من مقاصد هذه السورة العظمى الاعلام بنسخ الشرائع كلها بشريعة هذا النبى
الخاتم العام الرسالة لجميع الخلائق قال مشيرا الى عظمة الارسال والرسل باداة التراخى ثم قفينا اى بما لنا من العظمة تقفية
لما من العظمة ما يجل وصفه على اثارهم اى الابوين المذكورين ومن مضى قبلهما من الرسل ولا يعود الضمير على الذرية لانها باقية مع الرسل
وبعدهم برسلنا اى فارسلناهم واحدا فى اثر واحد بين من لا يحصى من الخلق من الكفرة محروسين منهم فى الاغلب بما تقتضيه العظمة لا
تنسى آثار الاول منهم حتى يرسل الذى بعده فى قفاه فكل رسول بين يدى الذى بعده والذى بعده فى قفاه فهو مقفى له لان الاول
ذاهب الى الله والثانى تابع له ونبينا صلى الله عليه وسلم اعرق الناس فى هذا الوصف لانه لا نبى بعده ولهذا كان هذا الوصف احد
اسمائه ولما كان عيسى عليه السلام اعظم من جا بعد موسى عليه السلام من بنى اسرائيل وهو الناسخ لشريعته والمؤيد بها هذا
النبى الخاتم صلى الله عليهما وسلم فى تجديد دينه وتقرير شريعته وكان الزهد والرافة والرحمة فى تابعيه فى غاية الظهور مع ان ذلك
لم يمنعهم من القسوة المنبه سابقا على ان الموجب لها طول الامد الناشى عنه الاعراض عن الآيات الحاضرة معه والكتاب الباقي
بعده خصه بالذكر واعاد العامل فقال وقفينا اى اتبعنا بما لنا من العظمة على اثارهم قبل ان تدرس بعيسى ابن مريم وهو اخر من
قبل النبى صلى الله عليه وسلم الخاتم عليهم السلام فامته اولى الامم بالامر باتباعه صلى الله عليه وسلم واتيناه بما لنا من العظمة
الانجيل كتابا ناصا بكل ما جاء به مقيما للملة مبينا للقيمة مبشرا بالنبى العربى موضحا الامر مكررا من ذكره وجعلنا بعظمتنا
فى قلوب الذين اتبعوه اى بغاية جهدهم فكانوا على منهاجه رافة اى اشد رقة على من كان يتسبب الى الاتصال بهم ورحمة اى رقة
وعطفا على من لم يكن له سبب فى الصلة بهم كما كان الصحابة رضى الله عنهم رحماء بينهم حتى كانوا اذلة على المؤمنين مع ان قلوبهم فى
غاية الصلابة فهم اعزة على الكافرين وترتيب الوصفين هكذا ادل دليل على انهما لم يقصد بهما مراعاة الفواصل فى رؤف رحيم كما
قاله بعض المفسرين وتقدم فى اخر براءة ان ذلك قول لا يحل التصويب اليه ولا التعويل عليه وان قائله من قاله ورهبانية اى
امورا حاملة على الرهبة والتخلى من النسا والعمل على حسبها ومبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس ولما قدم
المعمول لفعل غير مذكور ليدل عليه بما يفسره ليكون مذكورا مرتين تاكيدا له ايهاما لعدم نفس الابتداع اتبعه المفسر لعامله فقال
ابتدعوها اى حملوا انفسهم على عملها والنظر بنوها من غير ان يكون لهم فيها سلف يعلمونه او يكون مما صرح به كتابهم وان كانت
مقاصده لا تاباها فاعتزلوا لاجلها الناس وانقطعوا فى الجبال عن الاستيناس فكانت لهم بذلك اخبار شايعة فى النواحى والآلا
وفى التقديم على العامل سر اخر وهو الصلاحية للعطف على ما قبلها لئلا يتوهم من لفظ الابتداع انه لا صنع لله فيها ما كتبناها
اى فرضناها بعظمتنا عليهم فى كتابهم ولا على لسان رسولهم الا اى لكن ابتدعوها ابتغاء اى لاجل تكليفهم انفسهم الوقوع
بغاية الاجتهاد فى تصفية القلوب وتهذيب النفوس وتزكية الاعمال على رضوان الله اى الرضى العظيم من الملك الاعظم وساق
المنقطع مساق المتصل اشارة الى انه مما يرضى الله وانه ما ترك فرضها عليهم الا رحمة لهم لاجل صعوبتها وانه صيرها بعد التزامهم
لها كالمكتوبة فيكون التقدير حينئذ الا لاجل ان يبتغوا رضوانه على وجه الثبات والدوام قال الامام ابو القسم عبد الرحمن بن عبد الله

بن عبد الحكم المصري في كتابه فتوح مصر والمغرب فلما ان اغرق الله عز وجل فرعون وجنوده كما حدثنا هانى بن المتوكل عن ابن
لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن تبيع قال استاذن الذين كانوا امنوا من السحرة موسى عليه السلام في الرجوع الى اهله وماله
بمصر فاذن لهم ودعا لهم فترهبوا في رؤس الجبال فكانوا اول من ترهب وكان يقال لهم الشيعة وبقيت طائفة منهم مع موسى عليه
السلام حتى توفاه الله عز وجل ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك اصحاب المسيح عليه السلام ولما
تسبب عن ضعوتهم انهم اضاعوها بالتقصير عن شاوها والشغول عن عليايها قال فما رعوها اي حفظوها كلهم حفظ من هو مرتاع
من خوف ضياعها حق رعايتها بصون العناية في رعاية الاعمال والاحوال والاوقات فصول الاعمال لتوفيرها التطهيرها من
غير التفات اليها ورعاية الاحوال عند الاجتهاد مراياة ولحال دعوى ورعاية الوقت الوقوف مع حصول على بساط شهود الجلال
ذكره الرازي بل غلبت عليهم صفات البشر فقصر بعضهم عن عالي مداها واخطؤا عن شامخ ذراها ففي هذا تنفير عظيم عن البدع
وحث شديد على لزوم ما سنه الله وشرع وتحذير من التشدد فانه لن يشاد الدين احد الا غلبه وهو اكبر جار الى البدعة ولهذا
كثر في اهل الرهبانية المروق من الدين بالاتحاد والحلول وغير ذلك من البلايا ولو كان يظهر ان التشدد والتعمق خير لان الشارع الذي
احاط علما بما لم يحط به نهى عنه وقد افادت التجربة انه قد يضر لان هؤلاء ابتدعوا ما ارادوا به الخير فكان داعيا لكثير منهم الى
دار البوار وفيه ايضا حث عظيم على المداومة على ما اعتيد من الاعمال الصالحة ما عمل النبي صلى الله عليه وسلم عملا الا داوم عليه
وكان ينهى عن التعمق في الدين ويامر بالرفق والقصد ولما كانت متابعة النفس في التقصير بالافراط او التفريط
قد توصل الى المروق من الدين فتوجب الكفر فتحط على الهلاك كله اشار الى ذلك بقوله فاتينا اي بما لنا من صفات الكمال الذين
امنوا اي استمروا على الايمان الكامل ولعل في التعبير بالماضي بعد ارادة التعميم للادنى والاعلى اشارة الى ان المتعمقين ايمان ولو
لمجرد معصية كما اشار اليه ختم الاية فهو في غاية الذم للتعمق والمدح للاقتصاد منهم اي من هؤلاء المبتدعين لانهم رعوها
حق رعايتها وصلوا ايمانهم بعيسى ومن قبله عليهم السلام بايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي دعى اليه الخروج عن الفقر الذي هو
روح الرهبانية موافقة لما في كتابهم من البشارة به اجرهم اي اللائق بهم وهو الرضوان المضاعف ولما كانت متابعة
الاهوا تكسب صفات ذميمة تصير ملكات راسخة للانفس اشار الى ذلك بالعدول عن النهج الاول فقال وكثير منهم اي هؤلاء
الذين ابتدعوا فضيعوا فاسقون اي عريقون في وصف الخروج عن الحجر والذي حدها الله تعالى روى البغوي من طريق الثعلبي
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من امن بي فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون
انتهى ومثل هذه الرهبانية في انه لا يا باها قواعد الدين ما يفعله بعض العلماء من الكتاب والسنة فيذكر فيكون اخذا له
من الاصول التي بنيت عليها الامة كما ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفعلون اشياء فان قررهم النبي صلى الله عليه وسلم عليها كانت
شرعا لنا وكنا اخذين لها من تقريره صلى الله عليه وسلم لانهم لم يصلوا فيه الا رتبة الاجتهاد في شيء وامكنه فيه من القواعد
فاداه اجتهاده الى ان هذا امر وانه مرغوب فيه مثلا كان ذلك منه بما يشهد له من قواعد الدين بمنزلة ما قاله الصحابة
رضي الله عنهم باقرارهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا فرق بين ما يقرره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه او بقواعد شريعته ومهما كان
مقررا بقواعد شرعه كان عليه امره ومهما لم يكن مقررا لها كان مما ليس عليه امره فهو رد على قائله فهذا فرق بين البدع الحسنة
والبدع السيئة القبيحة والله الموفق وذكر ابن برجان تنزيل هذا على الحديث الذي فيه لتتبعن سنن من كان قبلكم فذكر ان اصحاب
عيسى عليه السلام عملوا بعده بالانجيل حتى قام فيهم ملك بدل كتابهم وشايعه على ذلك روم ويونان فضعف اهل الايمان
فاستذلوهم حتى هربوا الى البراري وعملوا الصوامع وابتدعوا الرهبانية وكذلك كان في هذه الامة لتصديق الحديث الشريف
فانه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه خلفاؤه باحسان فلما مضت الخلافة الراشدة تراكمت الفتن كما اخبر صلى الله
عليه وسلم واشتد البلاء على المتمسكين بصريح الايمان ورجم البيت العتيق بحجارة المنجنيق وهدم وقتل عبد الله بن الزبير رضي
الله عنهما واستبيحت مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام وقتل فيها خيار المسلمين راى المؤمنون العزلة والجهاد
فلزموا الزوايا والمساجد وابتنوا الربط على سواحل البحر واخذوا في الجهاد للعدو والنفوس وعالجوا تصفية اخلاقهم
ولزموا الفقر اخذا من احوال اهل الصفة وتسموا بالصوفية وتكلموا على الورع والصدق والمنازل والاحوال والمقامات
التي توجب الزهد في الدنيا والاقبال على
هؤلاء وزان اولئك والله الموفق

ذكر بعض ما في الانجيل من حكم

الله التي يصح تمسك اهل هذه الرهبانية بها قال متى وعزم واغلب البيا فلمتى ان اخطا عليك اخوك فاذهب اعتبه وحدك فان
سمع منك فقد ربحت اخاك وان لم يسمع منك فخذ معك واحدا او اثنين لان من فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلمة وان لم يسمع
منهم فقل للبيعة فان لم يسمع من البيعة فليكن عندك كالوثني والعشار الحق اقول لكم وقال لوقا انظروا الان ان اخطا اليك
اخوك فانتهره فان تاب فاغفر له فان اخطا اليك سبع مرات في اليوم ورجع اليك سبع دفعات يقول لك انا تائب فاغفر له وقال
متى حينئذ جاء اليه بطرس وقال له اذا اخطا الي اخي كم اغفر له سبع مرات قال اليس اقول لك الى سبع مرات بل الى سبعين مرة

ولهذا

ولهذا اشبه ملكوت السموات ملكا اراد ان يحاسب عبيده فلما بدا المحاسبة قدم اليه عبد مديون عليه جملة وزنات
ولم يكن معه ما يوفي فامر سيده ان يباع امراته وبنوه وكل ما له حتى يوفي فخر ذلك العبد له ساجدا قائلا يا رب تراف علي وانا
اوفيك كل ما لك فتحنن سيد عليه وترك له كل ما عليه فخرج ذلك العبد فوجد عبدا من اصدقائه عليه مائة دينار فامسكه
وخنقه وقال اعطني ما عليك فخر ذلك العبد على رجليه وطلب اليه قائلا تراف علي فانا اعطيك ما لك فابى ومضى فتركه في
السجن حتى يوفي الدين فراى العبيد اصحابه فحزنوا جدا واعلموا سيدهم بكل ما كان منه حينئذ دعاه سيده وقال له ايها العبد
الشرير كل ما كان عليك تركته لك لانك سالتني ما كان ينبغي لك ان ترحم ذلك العبد صاحبك كرحمتي اياك وغضب سيده
ودفعه الى المعذبين حتى يوفي جميع ما عليه هكذا ابي السماوي يصنع بكم ان لم تغفروا لاخوانكم سيئاتهم من كل قلوبكم فلما اكمل يسوع
هذا الكلام انتقل من الجليل وجاء الى تخوم يهوذا وعبر الاردن فتبعه جمع كثير فابراهم هناك قال لوقا فلما اكمل ايام صعوده
اقبل بوجهه الى يروشليم وارسل مخبرين قدام وجهه فمضوا ودخلوا قرية السامرة لكيما يعدون له فلم يقبلوه فقال تلميذاه يعقوب
ويوحنا يا رب تريدان نقول فتنزل عليهم نار من السما فتهلكهم كما فعل ايليا فالتفت ونهرهما قائلا لستما تعرفان اي روح انتما
ان ابن البشر لم يات ليهلك نفوس الناس بل يحيي ومضوا الى قرية اخرى وقال متى حينئذ قدم اليه صبيان ليضع يده عليهم ويباركهم
فنهرهم التلاميذ فقال لهم يسوع دعوا الصبيان ولا تمنعوهم ان ياتوا الي لان ملكوت السموات لمثل هؤلاء ووضع يده عليهم
وباركهم وقال مرقس الحق اقول لكم ان من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها واحتضنهم ووضع يده عليهم وباركهم وقال متى
ومضى من هناك وجاء اليه واحد وقال يا معلم صالح وقال مرقس ايها المعلم الصالح ما اعمل من الصلاح لارث الحياة الدائمة قال
له لماذا تقول صالح ولا صالح الا الله الواحد ان كنت تريد ان تدخل الحياة احفظ الوصايا قال له وما هي قال يسوع لا تقتل
لا تزن ولا تسرق ولا تشهد بالزور وقال مرقس لا تجر اكرم اباك وامك وحب قريبك مثلك قال له الشاب كل هذا قد حفظته من صغري
قال له يسوع ان كنت تريد ان تكون كاملا فاذهب وقال مرقس فنظر اليه يسوع واحبه وقال تريد ان تكون كاملا واحدة بقيت
عليك امض وبع كل شيء لك واعطه للمساكين ليكون لك كنز في السما وتعال اتبعني فلما سمع الشاب الكلام مضى حزينا لانه كان له
مال كثير فقال يسوع لتلاميذه الحق اقول لكم انه يعسر على الغني الدخول الى ملكوت السما وايضا اقول لكم انه اسهل ان يدخل الجمل
في ثقب الابرة من غني يدخل الى ملكوت السما فلما سمع التلاميذ بهتوا جدا فقالوا من يقدر ان يخلص فنظر يسوع وقال لهم اما
عند الناس فلا يستطاع هذا واما عند الله فكل يستطاع حينئذ اجاب بطرس وقال له هوذا نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك
فماذا عسى ان يكون لنا قال لهم يسوع الحق اقول لكم انتم الذين تبعتموني في الجيل الاتي اذا جلس ابن الانسان على كرسي مجده تجلسون
انتم على اثني عشر كرسيا تدينون اثني عشر سبط اسرائيل كل من ترك بيتا او اخا او اخوات او ابا او اما او امراة او بنينا او حقلا
من اجل اسمي ياخذ مائة ضعف ويرث حياة الابد وقال لوقا ما من احد يترك منزلا او والدين او اخوة او امراة او اولادا من اجل
ملكوت الله الا وينال العوض اضعافا كثيرة في هذا الزمان وفي الدهر الاتي حياة الابد وقال متى وعزم كثير اولون يصيرون
اخرين واخرون يصيرون اولين يشبه ملكوت السموات انسانا رب بيت خرج الغداة يستاجر فعلة لكرمه فشارط الاكرة
على دينار واحد في اليوم الى اخر ما مضى في الاعراف من البشارة بامة محمد صلى الله عليه وسلم في مثل الفعلة في الكرم الذين فضل
اجرهم وهو العامل قليلا على من عمل اكثر النهار وقد ساقه ابن برجان في اخر تفسير الحديد عن الانجيل بعبارة اخرى تفسر كثيرا
من عبارة النسخة التي نقلت منها فاحببت ان اذكر عبارة ابن برجان هنا تكميلا للفائدة قال وفي الكتاب الذي يذكر انه الانجيل
وكثير يتقدم الاخرون الاولين ويكون الاولون ساقة الاخرين وكذلك يشبه ملكوت السموات برجل ملي خرج في استيجار
الاعوان لخدمة كرمه في اول النهار وعامل كل واحد منهم في نهاره على درهم ثم ادخلهم كرمه فلما كان في الساعة الثالثة نظر نفرا
في الرحاب لا شغل لهم فقال اذهبوا انتم ايضا الى الكرم وسامركم بحقوقكم ففعلوا ثم فعل مثل ذلك في الساعة السادسة فلما
كان في الساعة الاحدى عشرة وجد غيرهم وقوفا فقال لهم لم وقفتم ههنا طول نهاركم دون عمل فقالوا له انا لم يستاجرنا احد
فقال لهم اذهبوا انتم وسامركم بحقوقكم فلما انقضى النهار قال لوكيله ادع الاعوان واعطهم اجرتهم وابدا بالاخرين حتى تنتهي
الى الاولين فبدا بالذين دخلوا في الساعة الاحدى عشرة واعطى كل واحد منهم درهما فاقبل الاولون وهم يرجون الزيادة فاعطى كل
واحد منهم درهما فاستنكروا ذلك على صاحب الكرم وقالوا سويتنا بالذين لم يعملوا الا ساعة من النهار في شخوصنا طول نهارنا
وعدا ابنا بحرارته فاجاب احدهم وقال له لست اظلمك يا صديقي اما عاملتني على درهم فخذ حقك وانطلق فانه يوافقني ان اعطي الاخر
كما اعطيتك افلا يحل لي ذلك وان كنت انت حسودا فاني انا رحيم من اجل ذلك يتقدم الاخرون الاولين ويكون الاولون ساقة
الاخرين فالمدعوون كثير والمجبرون قليل وذكر ابن برجان ان الساعة السادسة لعيسى عليه السلام واصحابه في اول الامر والتاسعة
لمحمد صلى الله عليه وسلم والحادية عشرة لاخر الزمان كانه يعني ما بعد الدجال من ايام المهدي امة محمد صلى الله عليه وسلم التي يكون
فيها عيسى عليه السلام مجددا ولهذا جعلهما النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح شيئا واحدا من العصر الى غروب الشمس

ثم قال متى في بقيته ما مضى عن الانجيل من النسخة التي نقلت منها عقب ما تقدم مرانه في الاعراف وصعد يسوع الى غروب الشمس ثم قال
متى في بقيته ما مضى الى اورشليم واخذ الاثني عشر حينئذ جاءت اليه ام ابني زبدي يعقوب ويوحنا مع ابنيها وسجدت له
فقال لها ماذا تريدين قالت ان يجلس ابناي احدهما عن يمينك والآخر عن يسارك في ملكوتك اجاب يسوع اما جلوسهما عن يميني ويساري
فليس لي بل للذي اعد لهم ربي فلما سمع العشرة تغضبوا على الاخوين وقال مرقس على يعقوب ويوحنا فدعاهم يسوع وقال لهم اما علمتم
ان رؤسا الامم يسودونهم وعظماءهم مسلطون عليهم ليس هكذا يكون فيكم لكن من اراد ان يكون كبيرا فيكم فيكون لكم خادما ومن اراد
ان يكون فيكم اولا فيكون لكم عبدا وقال مرقس فيكون اخرا للكل وخادما للجميع كذلك ان الانسان لم يات ليخدم بل ليخدم ويبذل
نفسه فداء عن كثير فلما خرج من اريحا تبعه جمع كثير واذا اعميان جالسان على الطريق فسمعا ان يسوع مجتاز فصرخا قائلين ارحمنا
يارب يا ابن داود فوقف يسوع ودعاهما وقال لهما ما تريدان ان افعل بكما قالا له يارب ان تفتح اعيننا فتحنن يسوع ولمس اعينهما
وللوقت ابصرت اعينهما وتبعاه وعبارة مرقس عن ذلك وجاء الى اريحا وخرج من هناك ومعه تلاميذه وجمع كثير واذا طيمان بن
طيما الاعمى جالسا يسال على الطريق وقال لوقا يتسول فسمع الجمع مجتاز فسال ما هذا فاخبروه ان يسوع الناصري جاء وقال
مرقس فلما سمع بان يسوع مقبل بدا يصيح ويقول يا يسوع الناصري ابن داود ارحمني فانتهروه ليسكت فازداد صياحا قائلا يارب
يا ابن داود ارحمني فوقف يسوع وقال ادعوه فدعي الاعمى وقالوا له ثق وقم فانه يدعوك فطرح ثوبه ونهض وجاء الى يسوع واجاب
يسوع وقال له ما تريد ان اصنع بك فقال له الاعمى يا معلم وقال لوقا يارب ان ابصر فقال له يسوع اذهب ايمانك خلصك وللوقت
ابصر وتبعه في الطريق قال لوقا يمجد الله وكان جميع الشعب الذين راوه يسبحون الله وقال ايضا وكان بينما هو منطلق الى
يروشليم اجتاز بين السامرة والجليل وبينما هو داخل الى احدى القرى استقبله عشرة رجال برص فوقفوا من بعيد ورفعوا
اصواتهم قائلين يا يسوع المعلم ارحمنا فنظر اليهم وقال لهم اذهبوا اروا انفسكم للكهنة وفيما هم منطلقون طهروا فلما
راى احدهم انه قد طهر رجع بصوت عظيم يمجد الله وخر على وجهه عند رجليه شاكرا له وكان سامريا اجاب يسوع وقال اليس
العشرة قد طهروا فاين التسعة لم يوجد من يرجعوا ويمجدوا الله ما خلا هذا الغريب ثم قال له قم فامض ايمانك خلصك قال
متى ولما قربوا من يروشليم وجاء الى بيت فاجي عند جبل الزيتون وقال مرقس عند باب فاجي وبيت عنيا جانب طور الزيتون
قال متى حينئذ ارسل يسوع اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا الى القرية التي امامكما فتجدان اتانا مربوطة وجحشا معها
فحلاهما وائتياني بهما فان قال لكما احد شيئا فقولا له ان الرب يحتاج اليهما فهو يرسلهما للوقت كان هذا ليتم ما قيل في
النبي القايل قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك ياتيك متواضعا راكبا على اتانه وجحش ابن اتانه فذهب التلميذان وصنعا كما
امرهما يسوع واتيا بالاتانة والجحش وتركوا ثيابهم عليها وجلس فوقها وجمع كثير فرشوا ثيابهم في الطريق واخرون قطعوا
اغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق وعبارة مرقس عن ذلك تجدا جحشا مربوطا لم يركبه احد من الناس قط فحلاه
وائتيا به فان قال لكما احد لم تفعلان هذا فقولا ان الرب يحتاج اليه فمن ساعته يرسله فذهبا ووجدا الجحش مربوطا
عند الباب خارجا على الطريق فحلاه فقال لهما قوم من القيام هناك ما تصنعان فقالا لهم كما قال يسوع فتركوهما وجاءا
بالجحش الى يسوع فالقوا عليه ثيابهم وجلس فوقهما وكثير بسطوا ثيابهم في الطريق واخرون قطعوا اغصانا من الحقل
وفرشوها في الطريق قال متى والجمع الذي تقدمه والذي تبعه صرخوا قائلين اوصنا يا ابن داود مبارك الاتي باسم الرب
قال مرقس ومباركة المملكة الاتية باسم الرب لابينا داود اوصنا في العلا وقال لوقا وكان لما قرب من منحدر جبل الزيتون
بدا جميع الملا او التلاميذ يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم من اجل جميع القوات التي نظروا قائلين مبارك الملك
الاتي باسم الرب والسلامة في السما والمجد في العلا وقوم من الفريسيين من بين الجمع قالوا له يا معلم انتهر تلاميذك فقال
لهم ان سكت تلاميذي نطقت الحجارة فلما قرب ونظر المدينة بكى عليها وقال لو علمت في هذا اليوم ما لك فيه من السلامة
فاما الان فانه قد خفي عن عينيك وسوف تاتي ايام يلقي اعداوك معاقلك ويحيطون بك ويضيقون عليك من كل موضع ويقتلونك
وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجرا وقال متى فلما دخل الى يروشليم ارتجت المدينة كلها قايلين من هو هذا فقال الجمع هذا
يسوع النبي الذي هو من ناصرة الجليل فدخل يسوع الى هيكل الله واخرج جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب
موايد الصيارف وكراسي باعة الحمام وقال لهم مكتوب ان بيتي بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة اللصوص وقال
يوحنا فصعد يسوع الى يروشليم فوجد في الهيكل باعة البقر والكباش والحمام وصيارف جلوسا فصنع مخصرة من حبل
واخرج جميعهم من الهيكل وطرد البقر والخراف وبدد دراهم الصيارف وقلب موايدهم قال متى وقدم اليه عميان
وعرج في الهيكل فشفاهم فراى رؤسا الكهنة العجايب التي صنع والصبيان يصيحون في الهيكل ويقولون اوصنا
يا ابن داود مبارك الاتي باسم الرب فتغيظوا وقالوا اما تسمع ما يقول هولاء فقال لهم يسوع نعم ما قراتم قط ان من فم
الاطفال والمرضعين اعددت تسبيحا وتركهم وخرج خارج المدينة وبات هناك في بيت عنيا وفي غد عبر الى المدينة

فجاع ونظر الى شجرة تين على الطريق فجاء اليها فلم يجد فيها شيئا الا الورق فقال لها لا يخرج منك ثمر الى الابد فيبست تلك الشجرة
للوقت فنظر التلاميذ وتعجبوا وقالوا كيف يبست التينة للوقت اجاب يسوع وقال لهم الحق اقول لكم ان كان لكم ايمان ولا
تشكون مثل هذه الشجرة التي فقط تصنعون ولكن تقولون لهذا الجبل انتقل واسقط تعال واسقط في البحر فيكون
وقال مرقس ان كان لكم ايمان بالله الحق اقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل واسقط في البحر ولا يشك في قلبه بل يصدق
فيكون له الذي قال من اجل هذا اقول لكم ان كل ما تسالونه في الصلاة بايمان انكم تنالونه فيكون لكم وقال متى وكل ما تسالونه
في الصلاة بايمان تنالونه وقال مرقس فقال له يوحنا يا معلم راينا واحدا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لانه لم يتبعنا
قال لهم يسوع لا تمنعوه ليس يصنع احد قوة باسمي ويقدر سريعا ان يقول علي الشر كل من ليس هو عليكم فهو معكم ومن سقاكم
كاس ماء باسم انكم للمسيح الحق اقول لكم ان اجره لا يضيع وفيه مما لا يجوز اطلاقه في شرعنا اطلاق الاب على الله والطلا
الرب على غيره بلا تقييد وقد تقدم من التنبيه على مثل ذلك غير مرة **ولما** قرر سبحانه ان الرسل دعاة للخلق الى سيدهم
طوعا وكرها بالكتاب والحديد وقرر ان السعادة كلها في اتباعهم وان البدع لا تاتي بخير وان من الشيطان امرها وختل انه
خبر ان اصحاب الذي كان نسخ شريعة من قبله ابتدعوا بدعة حسنة فوكلوا اليها ففسق اكثرهم فاقتضى ذلك ارسال من
ينسخ كل شريعة تقدمته نسخا لا زوال له لانه لا نبي بعده وينهى عن البدع نهيا لم يتقدمه احد الى مثله انتج ذلك
قوله يا ايها الذين امنوا اي اقروا بذلك اقرارا صحيحا بمن تقدم وبالنبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله اي خافوا عقابه
فاجعلوا بينكم وبين سخطه لانه الملك الاعظم وقاية بحفظ الادب معه ولا تامنوا مكره فكونوا على حذر من ان يسلبكم
ما وهبكم فاتبعوا الرسول لتسلموا وحافظوا على اتباعه لئلا تهلكوا وامنوا برسوله اي الذي لا رسول له الان غيره هو
ايمانا مضموما الى ايمانكم بالله فانه لا يصح الايمان به الا مع الايمان برسوله وبان تثبتوا على الايمان به او تضموا الايمان به
الى الايمان بمن تقدمه يا اهل الكتاب لان رسالته عامة فقد نسخ جميع ما تقدمه من الاديان فاياكم ان يسلكم عنه تمييل
من حسد او غيره فبادروا الى اجابته والزموا جميعا غرزه فلا تميلوا الى بدعة اصلا يؤتكم ثوابا على اتباعه كفلين اي
نصيبين ضخمين من رحمته يحصنانكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع وهو كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه
على الكاهل ومؤخره على العجز وهذا التحصين لاجل ايمانكم به صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل ورفع الاصار
وهو اولى بالاجر من الذي عمل الخير في الجاهلية وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله عنه اسلمت على ما اسلفت من خير وذلك
على ان الكفلين برفع الدرجات وافاضة خواص من الخيرات بقوله ويجعل لكم اي مع ذلك نورا مجازيا في الاولى من العلوم
والمعارف القلبية وحسيا في الاخرة بسبب العمل تمشون به اي مجازا في الاولى بالتوفيق للعمل وحقيقة في الاخرة بسبب
العمل **ولما** كان الانسان لا يخلو عن نقصان فلا يبلغ جميع ما يحق للرحمن قال ويغفر لكم اي ما فرط منكم من سهو
وعمد وهزل وجد **ولما** قرر ذلك اتبعه التعريف بان الغفران وما يتبعه صفة له شاملة لمن يريد ذ
فقال والله اي المحيط بجميع صفات الكمال غفور اي بليغ المحو للذنوب عينا واثرا رحيم اي بليغ الاكرام لمن يغفر له هو
ويوفقه للعمل بما يرضيه **ولما** كان اهل الكتاب قد تابعوا اهويتهم على بغض الاميين واشربت قلوبهم ان النبوة
مختصة بهم لانهم اولاد ابرهيم عليه السلام من ابنه عمه والعرب وان كانوا اولاده فانه من الامة وما دروا ان نوعهم
من اولاده مرشح لنبوة بعضهم وكونهم من الامة مهيئ لعموم الرسالة لاجل عموم النسب قال دالا على انهم صاروا
كالبهايم لا يبصرون الا المحسوسات معلقا الجار بامنوا ويوتكم وما بعده لئلا يعلم اي يعلم علما عظيما يثبت
مضمون خبره وينبغي صدمه بما افاده زيادة النافي اهل الكتاب اي من الفريقين الذين اقتصروا على كتابهم وانبيايهم ولم
يومنوا بالنبي الخاتم وما انزل عليه ان اي انهم لا يقدرون اي في زمن من الازمان على شيء اي وان قل من فضل الله اي الملك
الاعلى الذي خصكم بما خصكم به لا بمنع ولا باعطاء حيث نزع النبوة منهم ووضعها في بني عمهم اسمعيل عليه السلام الذين كانوا
لا يقيمون لهم وزنا فيقولون انهم تبعوا الامة وانهم اميون وانه ليس علينا فيهم سبيل وجعل النبوة التي خصكم بها عامة
كما اشار اليه ما في ان الامة من عموم نسبه وانشعابه وحيث عملوا كثيرا واعطوا قليلا اليهود من اول النهار على قيراط
قيراط والنصارى من الظهر على قيراط قيراط وهذه الامة من صلاة العصر على قيراطين قيراطين فقال الفريقان ما لنا
اكثر عملا واقل اجرا قال هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال ذلك فضلي اوتيه من اشا وذكر ابن برجان معنى هذا الحديث
كما تقدم عنه قريبا من الانجيل وطبقه عليه وذكرته انا في الاعراف روى الامام احمد في مواضع من المسند والبخاري
في سبعة مواضع في الصلاة والاجارة وذكر بني اسرايل وفضايل القران والتوحيد والترمذي في الامثال وقال حسن
صحيح من وجوه شتى جمعت بين الفاظها عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلكم وفي رواية مثل هذه
الامة وفي رواية مثل امتي وفي رواية انما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل وفي رواية مثلكم ومثل اهل الكتابين

كرجل كمثل رجل استعمل عمالا وفي رواية استاجر اجرا فقال من يعمل لي من صلاة الصبح وفي رواية من غدوة الى نصف النهار على قيراط قيراط الا فعملت اليهود وفي رواية قالت اليهود نحن نعملوا ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط الا فعملت النصارى وفي رواية قالت النصارى نحن نعملوا ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى غروب الشمس وفي رواية الى ان تغيب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين عملتم وفي رواية تعملون وفي رواية وانتم المسلمون تعملون من صلاة العصر الى الليل وفي رواية الى المغارب وفي رواية مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن وفي رواية ما لنا اكثر عملا واقل عطا وفي رواية اجرا قال الله تعالى هل وفي رواية وهل نقصتكم وفي رواية هل ظلمتكم من حقكم وفي رواية اجركم شيئا قالوا لا قال فانه وفي رواية فانما هو فضلي وفي رواية فذلك فضلي اوتيه من اشا وفي رواية اعطيه من شيت وفي رواية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول الا انما بقاكم وفي رواية انما بقاؤكم وفي رواية انما اجلكم في اجل من خلا من الامم وفي رواية فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وفي رواية مغرب وفي رواية مغارب الشمس اعطي وفي رواية اوتي اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى اذا انتصف النهار عجزوا وفي رواية حتى انتصف النهار فعجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا واعطي وفي رواية ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى وفي رواية الى صلاة العصر وفي رواية حتى صليت العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القران فعملتم به حتى غربت الشمس وفي رواية حتى غروب الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين وفي رواية ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين وفي رواية فقال اهل التوراة والانجيل ربنا هولاء اقل منا عملا واكثر اجرا وفي رواية جزاء وفي رواية اي ربنا اعطيت هولاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا منهم قال الله تبارك وتعالى وفي رواية فقال هل ظلمتكم من اجركم وفي رواية من اجوركم من شي فقالوا لا قال فهو فضلي وفي رواية فذلك فضلي اوتيه من اشا وقد اخرج بعض العلماء من هذا الحديث ما قبل هذه الامم ونزل على ذلك احوالها فقال انه دال على قوم نوح وابرهيم عليهما السلام كانوا لهم الليل فكان قوم نوح عليه السلام في اوله في ظلام من طويل لم يبلغ لهم شي من تباشير الضيا ولا امارات الصبح ونوح عليه السلام يخبرهم به ويامرهم بالتهيو له فلذلك طال بلاوه عليه السلام بهم وما امن معه الا قليل واما قوم ابرهيم عليه السلام فكانوا كانهم في اواخر الليل قد لاحت لهم مبادي الصباح واومضت بوارق الفلاح فلذلك امن له لوط عليه السلام وكذا سارة زوجته واولاده منها ومن غيرها كلهم واستمر الاسلام في اولاده والنبوة حتى جا موسى عليه السلام فكان وقته كما بين الصبح والظهر فكان قومه تارة وتارة يحسبون انهم في ضيا كيف ما كانوا فيروغون يمينا وشمالا فيكونون تحت دخل غبرا وكسوفا واسرا ثم يخرجون منه فيرجعون الى الضيا فكانت غلطاتهم تارة كبارا وتارة صغارا واما قوم عيسى عليه السلام فكانوا كمن هو في الظهيرة في شدة الضيا فالغلط منه لا يكون الا عن عمى عظيم فلذلك كان غلطهم افظع الغلط واخبثه والله الموفق

وان اي وليعلموا ان **الفضل** اي الذي لا يحتاج اليه من هو عنده **بيد الله** اي الذي له الامر كله **يؤتيه من يشاء** منهم او من غيرهم نبوة كانت او غيرها ولما كان ربما ظن انه لا يحصره الا لانه لا يسع جميع الناس دفع ذلك بقوله **والله** اي الذي احاط بجميع صفات الكمال **ذو الفضل العظيم** اي مالكه ملكا لا ينفك ولا مالك لاحد فيه معه ولا تصرف بوجه اصلا فلذلك يخص من يشا بما يشا فلا يعترض احد اصلا على اعتراض بوجه فقد نزه له التنزيه الاعظم جميع ما في السموات والارض فهو العزيز الحكيم الذي لا عزيز غيره ولا حكيم سواه فقد انطبق كما ترى اخرها على اولها ورجع متصلها على موصلها والله الهادى

سورة المجادلة

مقصودها الاعلام بايقاع البأس الشديد الذي اشار اليه الحديد بمن حاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لما له سبحانه من تمام العلم اللازم عنه تمام القدرة اللازم عنه الاحاطة بجميع صفات الكمال وعلى ذلك دل تسميتها بالمجادلة باول قصتها واخرها وتكرير الاسم الاعظم الجامع في القصة وجميع السورة تكريرا لم يكن في سواها بحيث لم يخل منه اية واما الايات التي تكرر في كل منها مرتين فاكثر فكثيرة كل ذلك للدلالة على ان اكثر المراد فيها الخطاب لمن يصح ان ينظر اليه تارة بالجلال وتارة بالجمال فيجمع له الوصفان وهم من امن ووقع منه هفوة او عصيان ولهذا ختمها باشد التكثير فهاجين وقع فيها بعض اهل الايمان ولم يمحها لهم عنه وقوعهم فيها ردا للشرع الى ما دعا اليه الطبع كما فعل في غيرها كالاكل والجماع في ليل رمضان من غير تقييد بيقظة ولا منام لمنابذتها للحكمة وبعدها عن موجبات الرحمة وهذا اشد لما تقدم من سر احلال الواقعة والرحمن والقمر من هذا الاسم الجامع والله الموفق **بسم الله** الذي احاط علمه فتمت قدرته فكملت جميع صفاته **الرحمن** الذي شمل الخلائق جودا بالايجاد وارسال الهداة **الرحيم** الذي خص اصفياءه فتمت عليهم نعمة مرضاته لما ختمت الحديد بعد اثبات عجز الخلق بعظيم الفضل له سبحانه وكان سماع اصوات جميع الخلائق من غير ان يشغل صوت عن صوت وكلام عن كلام من الفضل العظيم وكان قد تقدم ابتداع بعض المتعبدين من الرهبانية لما لم يصرح لهم بالاذن فيه فكان سببا للتضييع وكان

الظهار على نوعين موقت ومطلق وكان الموقت مما يدخل في الرهبانية لانه من التبتل وتحريم ما احل الله من الطيبات وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد منع نفسه بالموقت منه من مرغوبها مما لم يات عن الله فظاهر من امراته محافظة على كمال التعبد خوفا من الجماع في نهار رمضان وكان ذلك مما لم ياذن به بل نهى عنه كما روى ابو داود عن انس رضي الله عنه والطبراني في الاوسط عن سهل بن حنيف رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشددوا على انفسكم فانما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على انفسهم وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد منع نفسه بالموقت قد ظاهر مطلقا فشكت امراته ما لحقها من الضرر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهتفت باسم الله وكان علمه سبحانه بخصوص شكاية هذه المراة هي المسكينة وانا له ضررها بحكم عام لها ولغيرها من عباده حتى صارت واقعتها رحمة عامة للمسلمين الى يوم القيمة معلما بانه ذو الفضل العظيم وانه الظاهر الباطن ذو الملك كله وكان قد امر بالايمان به وبرسوله ووعد على ذلك بالنور كان السالك لذلك جديرا بان يتوقع البيان الذي هو النور في هذه الرهبانية التي ابتدعت في هذه الامة وتخفيف التشديد الذي وقع من بعضهم ليعلم اهل الكتاب ما لهذه الامة من الكرامة على ربها وانه يختص برحمته من يشاء فقال **قد سمع الله** اي اجاب بعظيم فضله الذي احاط بجميع صفات الكمال فوسع سمعه الاصوات **قول** وعبر بالوصف دون الاسم تعريفا برحمة السائلة فقال **قول التي تجادلك** ايها النبي في ان تغفلك الى مرادها **في زوجها** اي في الامر المخلص له من مراده ظهاره رحمتها **وتشتكي** اي تتعهد بتلك المجادلة الشكوى منتهية **الى الله** اي سؤال الملك العظيم الرحيم الذي احاط بكل شي علما ولصبها فيما في شكواها وقطع رجايها في كشف ما لها من غير الله كانت هي والنبي صلى الله عليه وسلم موقنين ان الله يكشف ضرها **والله** اي والحال ان الذي وسعت رحمته كل شي لان له الامر كله **يسمع تحاوركما** اي مراجعتكما التي يحور اي يرجع فيها الى كل منكما جواب كلامه من الاخر كانها لتعلل فرح في امرها وترك مرضها ناشئة عن حرج كان ذلك في غاية ما يكون من خرق العادة بحيث ان الصديقة عايشة رضي الله عنها قالت عند نزول الاية الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في جانب البيت ما اسمع كثيرا مما تقول الخ نبهنا على شدة غرابته ولانه ربما استبعده من اشتد جهله لعراقته في التقيد بالعادات فقال **ان الله** اي الذي احاط بجميع صفات الكمال فلا حول له **سميع بصير** اي بالغ السمع لكل مسموع والبصر لكل ما يبصر والعلم لكل ما يصح ان يعلم ازلا وابدا وقد مضى نحو هذا التناسب في المايدة حين ابتع تعالى اية القسيسين والرهبان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم غير ان هذا خاص وذاك عام فهذا فرد منه فالمناسبة واحدة لان الاخص في ضمن الاعم والحاصل انه سبحانه امتن عليهم بما جعل في قلوبهم من الرهبانية وغيرها واخبرهم انهم لم يوفوها حقها وانه اتى مومنيهم الاجر وامر المسلمين بالتقوى واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ليحصل لهم من فضله العظيم ضعف ما حصل لاهل الكتاب ونهاهم عن التشديد على انفسهم بالرهبانية فصاروا مفضلين من وجهين كثرة الاجر وخفة العمل وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء روى البزار من طريق خصيف عن عطاء ومن غيرها ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله اني ظاهرت من امراتي ورايت ساقها في القمر فواقعتها قبل ان اكفر قال كفر ولا تعد وروى ابو داود عن عكرمة ان رجلا ظاهر من امراته ثم واقعها قبل ان يكفر فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ما حملك على ما صنعت قال رايت بياض ساقها في القمر قال فاعتزلها حتى تكفر عنك قال المنذري واخرجه ايضا عن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه واخرجه النسائي وابن ماجة والترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وقال النسائي المرسل اولى بالصواب من المسند وقال ابو بكر المعافري ليس في الظهار حديث صحيح يعول عليه قال المنذري وفيما قاله نظر فقد صححه الترمذي كما ترى ورجال اسناده ثقات وسماع بعضهم من بعض مشهور وترجمة عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما احتج بها البخاري في غير موضع انتهى وللترمذي وقال حسن غريب عن سلمة بن صخر رضي الله عنه في المظاهر يواقع قبل ان يكفر قال كفارة واحدة وروى احمد والحاكم واصحاب السنن الا النسائي وحسنه الترمذي قال ابن الملقن وصححه ابن حبان والحاكم من طريق سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر البياضي رضي الله عنه قال كنت امرا اصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امراتي شيئا يتابع بي حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينا هي تحدثني ذات ليلة تكشف لي منها شي فما لبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم الخبر وقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذاك يا سلمة قلت انا بذاك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم في ما اراك الله وفي رواية قال فاحكم في بحكم الله فاني صابر لذلك قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق ما املك غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قلت وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي فقلت بين ستين مسكينا قال والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشين ما لنا طعام قال فانطلق الى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الراي

ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الراي وفي رواية والبركة وقد امر لي وامر لي بصدقتكم وفي رواية د
فادفعوها اليه فدفعوها الي واعله عبد الحق بالانقطاع وان سليمان لم يدرك سلمة حكى ذلك الترمذي عن البخاري وقال الترمذي
ان سلمة بن صخر يقال له سلمان ايضا ورواه الامام احمد ايضا من طريق اخرى قال حدثنا عبد الله بن ادريس هو الاودي عن محمد بن
اسحاق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سلمة بن صخر البياضي رضي الله عنه قال كنت امرءا اصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر
رمضان خفت فتظاهرت من امراتي في الشهر فبينا هي تحدثني ذات ليلة اذ انكشف لي منها شيء فلم البث ان وقعت عليها ف
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق ما املك غير رقبتي قال صم شهرين
متتابعين قلت وهل اصابني ما اصابني الا في الصيام قال فاطعم ستين مسكينا وهذا اسناد حسن متصل ان شاء الله ان سلم
تدليس ابن اسحاق وروى الحاكم والبيهقي من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وابي سلمة بن عبد الرحمن ان سلمة بن صخر البياضي
رضي الله عنه جعل امراته عليه كظهر امه ان غشيها حتى يمضي رمضان ثم ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعتق
رقبة وقصة سلمة هذه اصل الظهار الموقت وقد دلت على انه لا عود فيه فلا كفارة عليه الا بوطئها في مدة الظهار وروى
ابو داود عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت رضي الله
عنه فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن
عمك فما برحت حتى نزل القران قد سمع الله الى الفرض فقال يعتق رقبة قالت لا يجد قال يصوم شهرين متتابعين قالت يا رسول
الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قالت ما عنده من شيء يتصدق به قال فاني ساعينه بعرق من تمر قلت
يا رسول الله فاني اعينه بعرق اخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك قال والعرق ستون
صاعا وفي رواية والعرق مكتل يسع ثلاثين صاعا وروى الدارقطني ان انس بن مالك رضي الله عنه قال ان اوس بن الصامت
رضي الله عنه ظاهر من امراته خويلة بنت ثعلبة رضي الله عنها فشكت ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ظاهر مني حين
كبرت سني ورق عظمي فانزل الله اية الظهار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاوس اعتق رقبة قال ما لي بذلك يدان قال
فصم شهرين متتابعين قال اما اني اذا اخطاني ان اكل في اليوم يكل بصري قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني منك
بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاوس اعتق رقبة قال ما لي بذلك يدان قال فصم شهرين متتابعين قال اما
اني اذا اخطاني ان اكل في اليوم يكل بصري قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له والله رحيم قال وكانوا يرون ان عنده مثلها وذلك لستين مسكينا وللدار
قطني ايضا والبيهقي ان خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها اراها زوجها وهو اوس بن الصامت ابو عبادة رضي الله عنهما وهي تصلي
فراودها فابت فغضب وكان به لمم وخفة فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا
شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت له بطني جعلني عليه كامه وللطبراني من طريق ابي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال كانت
خولة بنت ثعلبة تحت اوس بن الصامت وكان به لمم فقال في بعض هجرانه انت علي كظهر امي قال ما اظنك الا قد حرمت علي فاتت
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله ان اوس بن الصامت ابو ولدي واحب الناس الي والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا
قال ما اراك الا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله لا تقل كذلك والله ما ذكر طلاقا فرادت النبي صلى الله عليه وسلم مرارا ثم
قالت اللهم اني اشكو اليك فاقتي ووحدتي وما يشق علي من فراقه الحديث ومن طريق ابي العالية قال فجعل كلما قال لها حرمت عليه
هتفت وقالت اشكو الى الله فلم ترم مكانها حتى نزلت الاية وروى ابو داود عن هشام بن عروة ان جميلة كانت تحت اوس بن الصامت
وكان رجلا به لمم فكان اذا اشتد به لممه ظاهر من امراته فانزل الله عز وجل فيه كفارة الظهار واخرجه من حديث عروة
عن عايشة رضي الله عنها مرسلا وقال القشيري وفي الخبر انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ان اوسا تزوجني
شابة غنية ذات اهل ومال كثير فلما كبر سني وذهب مالي وتفرق اهلي جعلني عليه كظهر امه وقد ندم وندمت وان لي
صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا يعني ففرج الله عنها وحصل من هذا اسلوبه وهو ان كثيرا من
الاشيا ظاهرها العلم يحكم فيه بشيء ثم الضرورة تغير ذلك الحكم لصاحبها وقال البغوي وكان هذا اول ظهار في الاسلام وقال
ابو حيان وكان عمر رضي الله عنه يكرم خولة رضي الله عنها ويقول اذا دخلت سمع الله لها فالمظاهرة في حديث سلمة رضي الله
عنه موقتة وفي حديث خولة رضي الله عنها مطلقة وفي قصة سلمة رضي الله عنه من التحكم رهبانية مبتدعة لم ترع
حق رعايتها كرهبانية النصارى ولم يتبع النبي صلى الله عليه وسلم في ابتداعها حق الاتباع واما في قصة خولة رضي الله عنها
فهي مصيبة كان ينبغي فيها التسليم وعدم الحزن كما في اية لكيلا تاسوا الاية على ان منشاها من زوجها حين راودها فيه الما
بالرهبانية وازاله شكايتها مع انها امراة ضعيفة من عظيم الفضل وزاده عظما جعله حكما عاما لمن وقع فيه من جميع الامة
انه تعالى الخبير عن احاطة العلم استانفا الاخبار عن حكم الامر المجادل بسببه فقال دالا للظهار وكاسيا

الذين ولما كان الظهار منكرا لكونه كذبا عبر بصيغة التفعل الدالة عليه فقال يظاهرون اي يوجدون
الظهار في اي زمان كان وكانه ادغم تا التفعل والمفاعلة لان حقيقته انه يذهب ما احل الله له من مجامعة زوجته ولما كان
الظهار خاصا بالعرب دون سائر الامم نبه على ذلك تهجينا له عليهم وتقبيحا لعادتهم فيه تنبيها على ان للاتقي بهم ان يكونوا
ابعد الناس من هذا الكلام لان الكذب لم يزل مستهجنا عندهم في الجاهلية ثم ما زاده الاسلام الا استهجانا فقال منكم اي ايها
العرب المسلمون الذين يستقبحون الكذب ما لا يستقبحه غيرهم وكذا من ازدنتهم من نسائهم اي يحرمون نساءهم على انفسهم
تحريم الله عليهم ظهور امهاتهم بان يقول احدهم لزوجته شيئا من صرايحه مثل انت علي كظهر امي او كنايته كانت اي وكل زوج
صح طلاقه صح ظهاره من حر او عبد مسلم او ذمي دخل بالزوجة او لا قادرا كان على الجماع او عاجزا صغيرة كانت الزوجة او كبيرة
عاقلة كانت او مجنونة سليمة كانت او رتقا مسلمة كانت او ذمية ولو كانت رجعية ولما كان وجه الشبه
التحريم وكان للتحريم رتبتان عليا موصوفة بالتابيد والاحترام ودنيا خالية عن كل من الوصفين وكان التقدير خبر المبتدا
مخطئون في ذلك لانه كذب لان التشبيه ان اسقطت اداته لم يمكن حمله على الحقيقة ليكون من الرتبة العليا ولو على ادنى
احوالها من انه طلاق لا رجعة فيه كما كانوا يعتقدونه وان اثبتت ليكون من الدنيا لم يكن صحيحا لانه ممنوع منه لان الشرع
انما هو لله والله لم يكن يشرع ذلك وكان تعليل شقي التشبيه يفيد معنى الخبر بزيادة التعليل حذف الخبر واكتفى
بالتعليل فقال معللا له مهجنا للظهار الذي تعوده العرب من غير ان يشاركهم فيه احد من الامم ما هن اي نساؤهم
امهاتهم على تقدير ارادة احدهم اعلى رتبتي التحريم والحاصل انهم لما كانوا يعتقدون انه طلاق لا رجعة فيه جعلوا معتقد
ان المراة ام لان الحرمة المؤبدة من خصائص الام فخوطبوا بذلك تقريعا لهم لانه اردع وفي سورة الاحزاب ما يوضح هذا
ولما كانوا قد مرنوا على هذا الحكم في الجاهلية واستقر في انفسهم استقرارا لا يزول الا بغاية التاكيد ساق
الكلام كذلك في الشقين فقال ان اي ما امهاتهم اي حقيقة الا اللائي ولدنهم ونساؤهم لم يلدنهم فلا يحرمن عليهم
حرمة مؤبدة للاكرام والاحترام ولا هن ممن الحق بالامهات بوجه يصح كازواج النبي صلى الله عليه وسلم فانهن امهات
لما لهن من حق الاكرام والاحترام والاعظام لان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم في ابوة الدين من اب النسب وكذا المرضعات
لما لهن من حق الارضاع الذي هو وظيفة الام بالاصالة واما الزوجة فمباينة لجميع ذلك ولما فرغ من تعليل
الشق الاول على اتم وجه اتبعه تعليل الاخر كذلك فقال عاطفا عليه مؤكدا لانهم كانوا قد الفوا قوله فاشربته قلوبهم وانهم
اي المظاهرين ليقولون اي في هذا التظهر على كل حالة منكرا من القول تنكره الحقيقة والاحكام قال ابن الملقن في عمدة
المحتاج ومحرم اتفاقا كما ذكره الرافعي في الشهادات وزورا اي قولا مائلا عن السداد منحرفا عن القصد لان الزوجة
معدة للاستمتاع الذي هو في الغاية من الامتهان والام في غاية البعد عن ذلك لانها اهل لكل احترام فلا تشبه ام حقيقة
ولا شبهة بها بامر نصبه الشارع للاحترام كالارضاع او كونها فراشا للعظيم كالنبي او للاب او للحرمة كاللعان فقد
علم ان ذلك الكلام ليس بصدق ولا اجابة مسوغ فهو زور محض ولحصر من هذا ان يقال ولما كان ظهارهم هذا
يشتمل على فعل وقول وكان الفعل هو التحريم الذي هو موضع وجه الشبه وكانت العادة في وجه الشبه ان يقع منه بادنى
ما ينطلق عليه الاسم وكانوا قد خالفوا ذلك فجعلوه في اعلا طبقاته وهو الحرمة المؤبدة التي يلزم منها ان يكون المشابهة
من كل وجه في الحرمة مع ان ذلك بغير مستند من الله الذي لا حكم لغيره الذي هم تعالى ان يكون التشبيه من كل وجه مطلقا
فكانوا جاعلين الزوجة اما حقيقة لا دعوى كما جعلوا الحرمتين من غير فرق بل اولى لان التشبيه اعلى ووقع بين الحقيقتين
لا بين الحرمتين ثم وقفهم على جهلهم فيه فقال ما هن الى اخره ولما وقفهم على جهلهم في الفعل وقفهم على جهلهم
في القول فقال وانهم الى اخره قال النووي في الروضة قال الاصحاب الظهار حرام وله حكمان احدهما تحريم الوطء اذا
وجبت الكفارة الى ان يكفر والثاني وجوب الكفارة بالعود انتهى وهذا القول وان افاد التحريم فانه يفيد لكونه
ممنوعا منه على وجه ضيق حرج المورد عسر المخرج ليكون عسره زاجرا عن الوقوع فيه قال ابو عبد الله القزاز في ديوانه
الجامع وظاهر الرجل امراته وظاهر من امراته اذا قال انت علي كظهر امي او كظهر ذي محرم وانما استخصوا الظهر في
الظهار لان الظهر موضع الركوب والمراة مركب الرجل في النكاح فكني به عن ذلك فكانه قال ركوبك علي للنكاح
كركوب امي وكان الظهار في الجاهلية طلاقا ولذلك اشكل معنى قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا وقال ابن الاثير في النهاية
ظاهر الرجل من امراته ظهارا وتظهر وتظاهر اذا قال لها انت علي كظهر امي وكان في الجاهلية طلاقا وقيل انهم ارادوا
انت علي كبطن امي اي كجماعها فكنوا بالظهر عن البطن للمجاورة وقيل ان اتيان المراة وظهرها الى السما كان حراما عندهم
وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جا الولد احول فلقصد الرجل المطلق منهم الى
التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعلها كظهر امه وانما عدي الظهار بمن لانهم كانوا

اذا ظاهروا المراة يجتنبوها كما يجتنبوا المطلقة ويحترزون منها فكان قوله ظاهر من امراته اي بعد واحترز منها كما قيل آلى من
امراته لما ضمن معنى التباعد عدي بمن انتهى وقال ابن الملقن في العمدة شرح المنهاج وكان طلاقا في الجاهلية ونقل عن صاحب الحاوي
انه عندهم لا رجعة فيه قال فنقل الشارع حكمه الى التحريم بعد العود ووجوب الكفارة انتهى وقال ابو حيان قال ابو قلابة وغيره
كان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة ولما كان التقدير فان الله حرمه عطف عليه مرغبا في التوبة وداعيا
اليها قوله مؤكدا لاجل ما يعتقدون من غلظه وانه لا مثنوية فيه وان الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه في شرع
ولا غيره لعفو اي من صفاته ان يترك عقاب من شاء غفور من صفاته ان يمحو عين الذنب واثره حتى انه كما لا يعاقب عليه لا يعاتب
فعل من تاب طلبا للعفو عن زلله والاصلاح لما كان من خلله ولما هجن سبحانه الظهار واثبت تحريمه كل البلغ و
واكد وكان ما مضت عليه العوائد لا بد ان يبقى منه بقايا اتبع ذلك بيان حكم هذه الواقعة وما لعله يقع من نظائرها فقال
والذين يظهرون ولما كان في بيان الحكم اسقط التشنيع اعلاما بعمومه الكافر كعمومه المسلم ليفيد تغليظ العقاب
عليه لئلا يتوهم انه يخص العرب الذين قصد تهجينه عليهم بانهم انفردوا به عن سائر الناس فقال من نسائهم بدون منكم ولما كان مقتضى
اللفظ المباعدة مما قبل ذلك فيها فكان امساكها بعد ينبغي ان يكون في غاية البعد قال مشيرا الى ذلك باداة البعد ثم يعودون اي
بعد هذا القول مرة ثانية من غير مفارقة بلفظ مما ناط الله الفرقة به من طلاق او سراح ونحوهما فيكون المظاهر عائدا الى هذا القول
بالقوة بان يمسكوا المقول في ذلك ظهارا منها لامكان هذا القول في ذلك الزمن وذلك لان العادة قاضية بان من قال قولا ولم يتبعه ويحرره
ويمضيه بانه يعود الى قوله مرة اخرى وهلم جرا ويكون التقدير لنقض ما قالوا فيحلوا ما حرموا على انفسهم بعد مراتب بالطلاق فان
كان الظهار معلقا لم يلزم حكمه الا بالحنث فان طلق في الحال والا لزمته الكفارة وحق العبارة التعبير باللام لدلالتها على
الاتصال كما يقتضيه الحال بالخلاف الى فانها تدل على مهلة ويتراخى هذا في الظهار المطلق واما الموقت بيوم او شهر او غير ذلك
فلا يكون عائدا فيه الا بالوطء في الوقت المظاهر فيه واما مجرد امساكها فليس بعود لانه انما امسكها لما له فيها من الحل بعد وقت
الظهار ولما كان المبتدا الموصول مضمنا معنى الشرط ادخل الفاء في خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال
فتحرير اي فعليهم بسبب هذا الظهار والعود تحرير رقبة اي سليمة عن عيب يخل بالعمل كاملة الرق مقيدة ايضا بمومنة
لانها قيدت بذلك في كفارة القتل فيحمل هذا على ذاك ولان معاوية بن الحكم رضي الله عنه كانت له جارية فقال للنبي صلى الله عليه وسلم
علي رقبة افاعتقها فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله فاخبرته بما دل على توحيدها فقال لمن انا قالت انت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اعتقها فانها مومنة رواه مالك ومسلم فعلل الاجزاء بالايمان ولم يسأله عن سبب الوجوب فدل على انه لا فرق
بين واجب وواجب والموجب للكفارة الظهار والعود جميعا كما ان الموجب في اليمين اليمين والحنث معا ولما كان التحرير
لا يستغرق زمن القتل بل يكون في بعضه ادخل الجار فقال من قبل ولما كان المراد المس بعد المظاهرة لا مطلقا قال
ان يتماسا اي يتجدد منهما مس وهو الجماع سوا كان بابتداء المباشرة منه او منها بما افادته صيغة التفاعل وهو حرام قبل التكفير
ولو كان على ادنى وجوه التماس واخفاها بما اشار اليه الادغام ولو كان بايلاج الحشفة فقط مع الانزال او بدونه واما مقدمات الجماع
فهي فيها كالحائض لا تحرم على الاظهر فان جامع عصى ولم تجب كفارة اخرى لما روى الترمذي عن سلمة بن صخر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم في المظاهر يواقع قبل ان يكفر قال كفارة واحدة ولما كان الوعظ هو الزجر عن الفعل الموعوظ لاجله قال مستانفا
ذلكم اي الزاجر العظيم جدا الذي هو عام لكم من غير شبهة توعظون به اي يكون بمشقته زاجرا لكم عن العود الى مقاربة مثل ذلك
فضلا عن مقارفته لان من حرم من احلها له الله تحريما منابذا على زعمه كان كانه قد قتلها ولكون ذلك لفظا اخترعه وانتهك فيه
حرمة امه كان قد عصى معصية اوبق بها نفسه كلها ابيا فاحوجه الى ان يعتقها عضوا عضوا باعتاق رقبة تماثل رقبته
او رقبة من كانه قتلها ولما كان التقدير فالله بما يردعكم بصير عطف عليه قوله والله اي الذي له الاحاطة
بالكمال وقدم الجار اشارة الى ارادة المبالغة للتنبيه على الاهتمام بالزام الانتهاء عن ذلك فقال بما تعملون اي تجددون
فعله خبير اي عالم بظاهره وباطنه فهو عالم بما يكفره فافعلوا ما امر به وقفوا عند حدوده قال القشيري والظهار
وان لم يكن له في الحقيقة اصل ولا بتصحيحه نطق ولا له شرع فبعدما رفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ولوح بشيء ما
وقال انه حكمه لم يخل الله ذلك من بيان ساق اليه شرعه تقضى فيه بما انتظم فيه الجواب ارتفاع شكواها ولما
كانت الكفارة مرتبة وكان المظاهر كانه قد قتل نفسه بقتل المظاهر عنها كما مضى فكان مفتقرا الى ما يحيي نفسه شرع له
العتق الذي هو كالاحيا شرع له عند العجز عنه ما يميت نفسه التي اماتتها له احياها وهو وكان الشهران نصف المدة التي ينفخ
فيها الروح فكان صومهما كنصف قتل النفس التي قتلها احيا الروح وانعاش العقل فكان كانه اماتها فجعله سبحانه
بدلا عن العتق الذي هو كالاحيا فقال فمن لم يجد اي الرقبة المامور بها بان كان فقيرا فان كان غنيا وما له غايب فهو واجد
فصيام اي فعليه صيام شهرين ولما كان المراد ذكر الشهر كما مضى وكانت المتابعة اتكا ولذلك سمي رمضان شهر

الصبر

الصبر قيده بقوله متتابعين اي على اكمل وجوه التتابع على حسب الامكان بما اشار اليه الاظهار فلو قطع التتابع بشيء ما ولو
كان بنسيان النية وجب عليه الاستيناف والاغما لا ينقطع التتابع لانه ليس في الوسع وكذا الافطار بحيض او نفاس او جنون
بخلاف الافطار بسفر او مرض او خوف على حمل او رضيع لان الحيض معلوم فهو مستثنى شرعا وغيره مغيب للعقل من قبل
التكليف واما المرض ونحوه ففيه تعمد الافطار مع وجود العقل ولما كان الامساك عن المسيس قد يكون
اوسع من الشهرين ادخل الجار فقال من قبل وحل المصدر لافادة انه لم يكن بعد المظاهرة فقال ان يتماسا فان جامع ليلا عصى
ولم ينقطع التتابع ولما كان اطعام نفس قوت نصف يوم كاماتة نفسه بالصيام يوما قال فمن لم يستطع
اي يقدر على الصيام قدرة تامة بما اشار اليه اظهار التاء لهرم او مرض او شبق مفرط يمنعه الصوم فاطعام اي فعليه
اطعام ستين مسكينا لكل مسكين ما يقوته نصف يوم وهو مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك نحو نصف قدح بالمصري
وهو رطل وحفنتين يكفي معتدل الخلق من غالب قوت البلد وهو كما في الفطرة سوا وحذف قيد المماسة لذكره في الاولين ولعل
الحكمة في تخصيص هذا به ان ذكره في اول الخصال لا بد منه واعادته في الثاني لطول مدته فالصبر عنه فيها مشق وهذا
يمكن ان يفعل في لحظة لطيفة لا مشقة للصبر فيها عن المماسة هذا واذا عاد فان وصل الظهار بالطلاق او مات احدهما
في الحال قبل امكان الطلاق فلا كفارة قال البغوي لان العود في القول هو المخالفة وفسر ابن عباس رضي الله عنهما العود بالندم
فقال يندمون ويرجعون الى الالفة وهذا يدل على ما قال الشافعي فان ظاهر الرجعية انعقد ظهاره فان راجعها لزمته
الكفارة لان الرجعة عود ولما ذكر الحكم بين علته ترغيبا فيه فقال ذلك اي الترخيص العظيم لكم والرفق بكم
والبيان الشافي من امر الله الذي هو موافق للحنيفية السمحة ملة ابيكم ابرهيم عليه السلام كان لتومنوا اي وهذا هو
الفعل العظيم الشان لتجددوا ايمانكم ويتحقق وجوده بالله اي الملك الذي لا امر لاحد معه فتطيعوا بالانسلاخ من فعل
الجاهلية ورسوله الذي تعظيمه من تعظيمه وقد بعث بملة ابيه ابرهيم عليهما السلام فلو ترك هذا الحكم الشديد على
ما كان عليه في الجاهلية لكان مشككا في البعث بتلك الملة السمحة ولما رغب في هذا الحكم رهب من التهاون
به فقال وتلك اي هذه الافعال العظيمة المزكية وكل ما سلف من امثالها في هذا الكتاب الاعظم حدود الله اي اوامر
الملك الاعظم ونواهيه واحكامه التي يجب امتثالها والتقيد بها لتراعى حق رعايتها فالزموها وقفوا عندها
ولا تعتدوها فانه لا يطاق انتقامه اذا تعدى نقضه او ابرامه ولما كان التقدير فللمومنين بها جنات النعيم
عطف عليه قوله وللكافرين اي العريقين في الكفر بها او بشيء من شرائعه عذاب اليم بما آلموا المومنين به من الاعتدا ولما
ذكر حدوده ولوح بالعطف على غير معطوف عليه الى البشارة لحافظيها وصرح بتهديد متجاوزيها اتبع ذلك تفصيل عذابهم
الذي منه بشارة المومنين بالنصر عليهم فقال مؤكدا لاجل انكارهم لان يغلبوا على كثرتهم وقوتهم وضعف حزبه وقلتهم
ان الذين يحادون الله اي يغالبون الملك الاعلى على حدوده ليجعلوا حدا وحدا غيرها وذلك صورته صورة العداوة مجرد
ذلك مستمرين عليه باي محادة كانت ولو كانت خفية بما اشار اليه الادغام كمحادة اهل الاتحاد الذين يتبعون المتشابه
ويجرونه على ظاهره فيحلون به المحكم ليستحلوا الشريعة باسرها فان كثيرا من السورة نزل في المنافقين واليهود ولما ذكر مما
ياتي في النجوى وغيرها ورسوله الذي عزه من عزه كبتوا اي صرعوا وكبوا لوجوههم وكسروا واذلوا واخزوا وانهم يظفروا
وردوا بغيظهم في كل امر يرومونه من اي كايد كان بايسر امر واسهله وعبر بالماضي اشارة الى تحقق وقوعه والفراغ
من قضايه كما فرغ مما مضى وهذا قال لتكون الدعوى معروفة بدليلها كما كبت الذين ولما كان المحادون لم يستغرقوا
جميع الازمان الماضية والاماكن ادخل الجار فقال من قبلهم اي من المحادين كقوم نوح ومن بعدهم ممن اصر على العصيان ولم
ينقد لدليل ولا برهان قال القشيري ومن ضيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة واحدث في دينه بدعة انخرط في
هذا السلك ووقع في هذا الذل ولما استوفى المقام حظه بيانا وترغيبا وترهيبا عطف على اول السورة
او على ما يقدر من نحو فقد كان لكم فيما مضى من اول الاسلام الى هذا الاوان مما يدل على كونه سبحانه بالنصر والمعونة مع نبيه
صلى الله عليه وسلم واتباعه رضي الله عنهم معتبر قوله وقد انزلنا اي بما لنا من العظمة عليكم وعلى من قبلكم ايات بينات
اي دلالات عظيمة هي في غاية البيان لذلك ولكل ما يتوقف عليه الايمان لتترك المحادة ويحصل الاذعان ولما كان
التقدير فللمومنين بها نعيم مقيم في مقام امين عطف عليه قوله وللكافرين اي الراسخين في الكفر بها او بغيرها من امر الله
عذاب مهين بما تكبروا واعتزلوا على اولياء الله وشرايعه يهينهم ذلك العذاب ويذهب عزهم وشماختهم ويتركون
به محادتهم ولما ذكر عذابهم ذكر وقته على وجه معتبر لما مضى من شمول علمه وكمال قدرته فقال يوم يبعثهم الله
اي يكون ذلك في وقت اعادة الملك الاعظم للكافرين المصرح بهم والمومنين المشار اليهم احياء كما كانوا جميعا اي حال
كونهم مجتمعين في البعث ولما كان لا اوجع من التبكيت بحضرة الناس فكيف اذا كان بحضرتهم كلهم فكيف اذا كان

بر اى من جميع الخلايق وسمع سببه عن ذلك وعقب قوله فينبئهم اى يخبرهم اخبارا عظيما مستقصى بما عملوا الجزاء لهم واقامة للحجة عليهم
كان ضبط ذلك امرا عظيما استانف قوله بيانا لهوانه عليه احصاه الله اى احاطه به عددا كما وكيفا وزمانا
ومكانا بما له من صفات الجلال والجمال ولما ذكر احصاءه له فكان ربما ظن انه مما يمكن في العادة احصاوه نفى ذلك بقوله
ونسوه اى كلهم مجتمعين عن الجد في الكرم فكيف بكل واحد على انفراده ونسوا ما فيه من المعاصي تهاونا بها وذلك عين التهاون بالله
والاجترا عليه قال القشيري اذا حوسب احد في القيمة على عمل عمله تصور له ما فعله ثم يذكر حتى كانه في تلك الحالة قام من بساط
الزلة فيقع عليه من الخجل والندم ما يفي في جنبه كل عقوبة فسبيل المسلم ان لا يحوم حول مخالفة امر مولاه فان جرى المقدور
ووقع في هجنة التقصير فليكن من زلته على بال وليتضرع الى الله بحسن الابتهال ولما كان التقدير ربما ارشد اليه العطف
على غير مذكور فالله بكل شيء من ذلك وغيره عليم عطف عليه قوله والله اى بما له من القدرة الشاملة والعلم المحيط على كل شيء على الاطلاق
من غير مثنوية اصلا شهيد اى حفيظ حاضر لا يغيب ورقيب لا يغفل حفظه له ورقبته وحضوره ايا له مشتمل عليه قاهر له
باحاطة هو بكل شيء لم يكن حفظه له على اتم وجه يريح وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما نزه نفسه عن تقول الملحدين واعلم ان العالم
باسره ينزهه عن ذلك بالسنة احوالهم اشهادة العوالم على انفسها بافتقارها لحكيم اوجدها لا يمكن ان يشبه شيئا منها بل يتنزه
عن اوصافها ويتقدس عن سماتها فقال سبح لله ما في السموات والارض وعرف اى تعرف بعظيم سلطانه وعلى ملكه ثم انصرف
الخطاب الى عباده في قوله امنوا بالله ورسوله الى ما بعده وذلك من الاي وكان ذلك ضربا من الالتفات والواقع هنا منه اشبه شيء
بقوله سبحانه في سورة البقرة واذ قال ربك للملائكة فانه بعد تفصيل حال المتقين وحال من جعل في طرف منهم وحال من تشبه
بظاهرهم بالمنافقين وهو معدود في شرار الكافرين فلما تم هذا النمط عدل الكلام الى دعاء الخلق الى عبادة الله وتوجه بايها
الناس اعبدوا ربكم ثم عدل بالكلام جملة وصرف الخطاب الى التعريف نبيه عليه السلام بمبدإ الخلق واذ قال ربك للملائكة اني
جاعل في الارض خليفة فجاء ضربا من الالتفات فكذا الواقع هنا بين سبحانه حال مشركي العرب وقبح عنادهم وقرعهم وذكرهم في
سور طالب ابها جاز على ذلك وتجدد له اولها سورة ص كما نبه عليه في سورة القمر والى الغاية التي ذكرنا فيها الى ان وردت سورة القمر
منبئة بقطع دابرهم والحرقها الاعذار المنبه عليه وكذا في سورة الرحمن بعدها ثم اعقب ذلك لتعريف بحال النزل الاخراوي في سورة
الواقعة مع زيادة تقريع وتوبيخ على مرتكبات استدعت تسبيحه تعالى وتقديسه عن شنيع افترايهم فاتبعت بسورة الحديد ثم
صرف فيها الخطاب الى المومنين واستمر ذلك الى اخر السورة جرت سورة المجادلة على هذا القصد مصرفا خطابها الى ما له يتشوف
المومنون الى تعرف حكمها وهو الظهار البين امر فيه فلم يعدل بالكلام بعد كما كان قد صرف اليه في قوله امنوا بالله ورسوله الا كثر
من الغرض لبيان حكم يقع منهم ثم ان السور الواردة بعد الى اخر الكتاب استمر معظمها على هذا الغرض لا تنفصل ما قصد من التعريف
باخبار القرون السالفة والامم الماضية وتقريع من عاند وتوبيخه وذكر مآل الخلق واستقرارهم الاخراوي وذكر تفاصيل
التكاليف والجزاء عليها من الثواب والعقاب وما به استقامة من استجاب وآمن وما يجب ان يلتزمه على درجات التكاليف
وتاكيدها فلما اكمل ذلك صرف الكلام الى ما يخص المومنين في احكامهم وتعرفهم بما فيه من خلاصهم لعظم اي السورة بعد هذا
شانها وان لم تخل عنها فلاستدعاء وموجب وهو الاقل كما بينا انتهى ولما كان هذا الاخبار عن احاطة علمه
وشمول قدرته مع انه بديهي التصور يحتاج عند من حرج الهوى الى الشرك المقتضي للنقص الى دليل فقد كان العرب ينكرون هم
ان يسع الناس كلهم اله واحد قال تعالى دالا على ذلك بدليل شهودي لتقيد الانسان غالبا بالمحسوسات قاصرا الخطاب
على اعلى الخلق اشارة الى انه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره الم تر اى تعلم علما هو في وضوحه كالرؤية بالعين ان الله اى الذي له
صفات الكمال كلها يعلم ما في السموات كلها ولما كان الخطاب لاعلى الخلق وكان المقام لاحاطة العلم وكان
خطابه صلى الله عليه وسلم بذلك اشارة للسامعين الى عورة هذا المقام وانه بحيث لا يكاد يتصور ولا يفهم حق فهمه
الا هو صلى الله عليه وسلم ومن الحق به ممن صفى فهمه وسرى ذهنه وانخلع من الهوى والعوايق جمع واكد باعادة الموصول
فانراده صلى الله عليه وسلم بالخطاب بعد ان كان مع المظاهرين ثم المجادلين اشارة الى التعظيم وتاكيد تنبيه على صعوبة
المقام بالتعميم ليرعى حق الرعي بتوفية نحو التعلم كما دعته الصديقة ام المومنين عايشة رضي الله عنها في قولها سبحان
من وسع سمعه الاصوات تعني في سماعه مجادلة المراة وهو في غاية الخفا فقال تعالى وما في الارض اى كليات ذلك
وجزئياته لا يغيب عنه شيء منه بدليل ان تدبيرهم محيط بذلك على اتم ما يكون وهو يخبر من يشاء من انبيائه واصفيائه بما يشاء
من اخبار ذلك الماضية والدانية الحاضرة والغايبة الماضية والاتية فيكون كما اخبر ولما كان ذلك وان
كان معلوما متعذر الاحاطة للانسان بكل جزئي منه دل عليه بما هو اقرب منه فقال ما يكون بالفوقانية في قراءة ابي جعفر
لتانيث النجوى اشارة الى العلم بها ولو ضعفت الى اعظم حد وقرا الباقون بالتحتانية للحايل ولان التانيث غير حقيقي
وهي على كل حال من كان التامة وعمم النفي بقوله من نجوى اى تناجي متناجين جعلوا نجوى مبالغة والنجوى السر والمسا

اسم ومصدر قاله في القاموس وقال عبد الحق في الواعي النجوى الكلام بين الاثنين كالسر والتسار وانتهى واصله من النجوة
للمرتفع من الارض والنجو الخلوص عن القطع وكشط الجلد والحدث والكشف لان التسار يرفع ما كان في ضميره الى صاحبه
ويخلصه بمشاورته له ويقطعه من ضميره ويكشطه منه ويحدثه ويكشفه ولما كانت النجوى لا تكمل الا
بثالث يحفظ الانس بادامة الاجتماع لان الاثنين ينفردان عند عروض حاجة لاحدهما ويكونان في التناجي والتسار وكالمتنا
والثالث وسط بينهما مع انه سبحانه وتر يحب الوتر والثلاثة اول اوتار العدد كما كان محافظا لها في ازل الازال قال
ثلاثة اى في حال من الاحوال الا هو رابعهم اى مصيرهم اربعة فهو اسم فاعل والمعنى بعلمه وقدرته كما يكون كل من المتناجين
عالما بنجوى البعض فروح النجوى العلم بالسر ولما كان الثلاثة قد يريد احدهم ان ينفرد باخر منهم فيصير الثالث
وحده فاذا كانوا اربعة دام الانس بينهم ثم لا يكمل الانجماس بحفظ الاجتماع اذا عرضت لاحد الاثنين حاجة قال ولا خمسة
اى من نجواهم الا هو سادسهم كذلك فالحاصل انه ما يكون من وتر الا كان هو سبحانه شافع وتريته واما وتريته هو سبحانه
فقد كانت ولا شيء اصلا معها وستكون ولا حي معها فلا وتر في الوجود على الحقيقة غيره ولما علم بالتكرير انما ذكر
على سبيل المثال لا لمعنى يخصه من جهة العلم عمم بقوله ولا ادنى فبدا بالقليل لانه قبل الكثير وهو اخفى منه من ذلك اي
الذي ذكر وهو الواحد والاثنان والاربعة الذي بعيد عن رتبته وان كان قد شرفه سبحانه بالطلاق معينه بعد ان لا نسبة
له منها ولما كان العلم بالكثير اعسر من اجل انتشاره قال ولا اى يكون من نجوى اكثر اى من ذلك كالستة فما فوقها الى
نهاية هذا العدد على قراءة الجماعة بالجر بفتحة الراء ورفع يعقوب على محل من نجوى الا هو معهم اى يعلم ما يجري منهم وبينهم
ويلزم من احاطة علمه احاطة قدرته كما تقدم في طه لتكمل شهادته ولما كان العموم في المكان يستلزم العموم في الزمان
وكان المكان اظهر في الحصر قال اينما اى في اي مكان كانوا فانه لا مسافة بينه وبين شيء من الاشيا لانه الذي خلق المسافة وعلمه
بالاشيا ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ولا بسبب من الاسباب غير وجوده على ما هو عليه من صفات الكمال
قال الرازي ما فارق الاكوان الحق ولا قارنها كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها ومظهرها وكيف تقارنه الحدث القدم
وهو به قوام الكل وهو القيوم على الكل انتهى والحاصل انه سبحانه لا يخفى عليه شيء من العالم وان بلغ في دقته الى ما
لا ينقسم وهو مشاهد له لانه كله حفظا وعلما واحاطة وحضورا وآية ذلك في خلقه ان جملة الجسم حي بالروح فلا يبقى
جزء منه الا وهو محفوظ بالروح بحيث بسببها وهو سبحانه لا يحجب علمه ولا الاشيا من صفاته حجاب فقد صحت المعية وهو حيث
لا يحويه المكان ولا يحصره العد يقبض المخلوق ويبسطه لا يبعد المخلوق ولا صفته ولا فعله ولا معنى من معانيه الى صفة
من صفاته اما الدنو من المكانة ومن العلو العلا ومن الاسماء ذا الصفات مقتضاها اشار الى ذلك ابن برجان وقال ومن
يدبر ما قراه ويفهم ما تعلمه ادرك من تحقيق ما نحن بسبيل تبيانه ما قد دله الازي الى الجن ابن مكانهم وان كانوا موصوفين به
ثم الملايكة ارفع قدرا ومكانة بل ان الروح من جميع الجملة التي تحمله به حيث وبه تدبيرها وبه قيامها باذن الله خالقها قال عليه
السلام في خطبته الكبرى وهي اخر خطبة خطبها اخرجها الحارث ابن ابي اسامة وهو في المنبر وقال ايها الناس ادنوا واوسعوا
لمن خلفكم ثلاث مرات فدنى الناس وانضم بعضهم الى بعض والتفتوا فلم يروا احدا فقال رجل منهم بعد الثالثة لمن نوسع يا رسول
الله الملايكة فقال لا انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا بين ايديكم ولا خلفكم ولكن عن ايمانكم وعن شمايلكم وعلى ذلك فليسوا في
مكان الايمان هنا والشمايل في المكانة من ذلك فالله جل جلاله اعلا واجل وانا مكانة واكرم استوا انتهى ولما
كان الانسان نساء ولا سيما ان تمادى به الزمان قال عاطفا على ما تقديره فيضبط عليهم حركاتهم وسكناتهم من اقوالهم
وافعالهم واحوالهم ويحفظها على طول الزمان كما كان حافظا لها قبل خلقها في ازل الازال ثم ينبئهم اى يخبر اصحابها
اخبارا عظيما بما عملوا دقيقه وجليله يوم القيمة الذي هو المراد الاعظم من الوجود لاظهار الصفات العلا فيه اتم
الظهار ولما كان خبر بهذا الامر العظيم علله بما هو دليل على الشهادة فقال موكدا لما لهم من الانكار قولا او فعلا
بالاشراك الذي يلزم منه النقص ان الله اى الذي له الكمال كله ولما كان المقام للابلاغ في احاطة العلم
لتقدم الجار كما مضت الاشارة اليه غير مرة فقال بكل شيء اى مما ذكر وغيره عليم اى بالغ العلم فهو على كل شيء قدير فهو على كل شيء
شهيد لان نسبة ذاته الاقدس الى الاشيا كلها على حد سوا لا فرق اصلا بين شيء واخر قال القشيري معية الخلق الحق
سبحانه وان كانت على العموم بالعلم والروية وعلى الخصوص بالفضل والنصرة فلهذا الخطاب في قلوب اهل المعرفة اثر عظيم
الى ان ينتهي الامر بهم الى التوكل فالوله والهيمان في خمار سماع هذا عيش رغد ولما كان هذا الدليل انما
تعذر الاحاطة به قال دالا عليه بامر جزئي واقع بعلم الجمهور عنه حقيقته فان عاينه بعد سقط معه الكلام الا
بجد الحسام الم تر اى تعلم علما هو كالروية ودل على سفول رتبة المرئي بابعاده عن اعلى الناس قدرا بحرف الغاية فقال
الى الذين ولما كان العاقل من اذا زجر عن شيء انزجر حتى يتبين له انه لا ضرر عليه في فعل ما زجر عنه عبر بالبنا

للمفعول فقال نهوا اى من ناه ما لا ينبغى للمنهى مخالفته حتى يعلم انه مامور لمقابلة عن النجوى اى عن الاسرار لاحلال انفسهم بذلك
فى محل التهمة بما لا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ابو العلا المعرى   والخل كالماء يبدى لى ضمائره   مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
كان الناهى هو الله فكان هذا المنهى اهلا لان يبعد منه غاية البعد عبر باداة التراخى فقال ثم يعودون اى على
سبيل الاستمرار لانه وقع مرة بادروا الى التوبة منها او فلتة وقعت معفوا عنها لما نهوا عنه اى من غير ان يعبوا بما يتوقع من جهة
الناهى من الضرر عنه ويتناجون اى يقبل جميعهم على المناجاة اقبالا واحدا فيفعل كل منهم منها ما يفعله الاخر مرة بعد اخرى على سبيل
الاستمرار وقرا حمزة وينتجون بصيغة الافتعال تدل على التعمد والمعالجة بالاثم اى بالشى الذى يكتسب عليهم به الذنب وبالكذب
وبالاجل ولما ذكر المطلق اتبعه المقيد بالشدة فقال والعدوان اى العدو والذى هو نهاية فى قصد الشر بالافراط
فى مجاوزة الحدود   كان ذلك شرا فى نفسه اتبعه الاشارة الى ان الشى يتغير وصفه بالنسبة الى من يفعل به
فيكبر بكبر المعصى فقال ومعصيت الرسول اى الذى جاءهم من الملك الاعلى وهو كامل فى الرسالة لكونه مرسلا الى جميع الخلق
وفى كل الازمان فلا نبى بعده فهو لذلك يستحق غاية الاكرام ولما انهى تعظيم الذنب الى غايته اذن بالغضب بان
لفت الكلام الى الخطاب فقال واذا جاوك اى ايها الرسول الاعظم الذى ياتيه الوحى ممن ارسله ولم يغب اصلا عنه لانه المحيط
علما وقدرة حيوك اى واجهوك بما يعدونه تحية من قولهم السام عليك ونحوه وعم كل لفظ بقوله بما لم يحيك به الله اى الملك الاعلى
الذى لا امر لاحد معه لمن تجاوز ما شرعه فقد عرض نفسه لسخطه ومما دخل فيه قول بعض الناس لبعض صباح الخير ونحوه من صباح
السلام   كانوا يخفون ذلك جهدهم ويظنون باملاء الله لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه وان اطلع
عليه لم يقدر على ان ينتقم منهم عبر عن ذلك بقوله ويقولون اى عند الاستدراج بالاملاء مجددين لقولهم مواظبين عليه فى
انفسهم من غير ان يطلعوا عليه احدا لولا اى هلا ولم لا يعذبنا الله اى الذى له الاحاطة بكل شى على زعم من يزعم بما نقول مجددين
له مع المواظبة ان كان يكرهه كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم   ولما تضمن هذا اعلامه سبحانه بهذه الاخبار عن هؤلاء
القوم فثبت بذلك علمه بجميع ما فى الكون لان نسبة الكل له على حد سواء فاذا ثبت علمه بالبعض ثبت علمه بالكل فثبت قدرته
على الكل فكان على كل شى قديرا شهيدا قال مهددا لهم مشيرا الى انه لا ينبغى لاحد ان يقول مثل هذا الا ان كان قاطعا بانه لا يحصل له
عذاب او يحصل له منه ما لا يبالى به ثم رده بقوله حسبهم اى كفايتهم فى الانتقام منهم وفى عذابهم ورشقهم بسهام لهيبها ومثلى
شررها وتصويب صواعقها جهنم اى الطبقة التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة والنكد والغلاظة فان حصل لهم فى الدنيا عذاب
كان زيادة على الكفاية فاستعجالهم بالعذاب محض رعونة يصلونها اى يغامسون عذابها دائما فاى قدر اعدد فيها لهم   ولما كان
التعبير فانهم فكم يصيرون اليها ولابد سبب عنه قوله فبئس المصير اى مصيرهم وسبب ذلك ان اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
فيما بينهم وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم يوهمونهم انهم يتناجون فيما يسوءهم فيظنون انه بلغهم شى عن اخوانهم الذين خرجوا فى
السرايا غزاة فى سبيل الله من قتل او هزيمة فيحزنهم ذلك فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن التناجى فى
هذه الحالة فلم ينتهوا وروى احمد والبزار والطبرانى باسناد قال الهيثمى فى المجمع جيد لان حمادا سمع من عطاء بن السائب فى حالة
الصحة عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ان اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سام عليكم ثم يقولون فى انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول فنزلت وروى ابو يعلى عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عند ذلك اذا سلم عليكم احد
من اهل الكتاب فقولوا وعليك   ولما نهى عن النجوى وذم على فعلها وتوعد عليه فكان ذلك موضع ان يظن ان النهى عام
لكل نجوى وان كانت بالخير استانف قوله مناديا بالاداة التى لا يكون ما بعدها الا كلاما له وقع عظيم معبرا بادون اسنان الايمان
لاقتضاء الحال له يايها الذين امنوا اى ادعوا انهم اوجدوا هذه الحقيقة اذا تناجيتم اى فعل كل منكم الكلام من نفسه فرفعه
وكشفه لصاحبه سرا فلا تتناجوا اى توجدوا هذه الحقيقة ظاهرة كتناجى المنافقين بالاثم اى الذنب وكل فعل يكتسب بسببه
عقوبة   عم ثم خص فقال والعدوان اى الذى هو العدو الشديد بما يؤذى وان كان العادى يظن انه لا يكتسب عليه به اثم
ولما كان السياق لاجلال النبى صلى الله عليه وسلم مع انه لا يعرف حقيقة الاثم الا منه قال تعالى ومعصيت الرسول اى
الكامل فى الرسالة فان ذلك يشوش فكره فلا يدعه يبلغ رسالات ربه وهو منشرح الصدر طيب النفس   ولما علم
ان تناجيهم انما هو عن شر يفسد ذات البين وهو ما لا يريدون اطلاع النبى صلى الله عليه وسلم صرح بقوله حثا على اصلاح ذات البين
لان خير الامور ما عاد باصلاحها وشر الامور ما عاد بافسادها وتناجوا بالبر اى بالخير الواسع الذى فيه حسن التربية ولما
كان ذلك قد يفعل طبعا حث على القصد الصالح بقوله والتقوى وهو ما يكون فى نفسه ظاهرا انه يكون سترة تقى من عذاب الله
بان يكون مرضيا لله ولرسوله   ولما كانت التقوى كامل المحاسن اكدها ونبه عليها بقوله واتقوا الله اى اقصدوا اقصدا
يتبعه العمل ان تجعلوا بينكم وبين سخط الملك الاعظم وقاية   ولما كانت ذكرى الاخرة هى مجمع المخاوف ولا سيما فضائح
الاسرار على رؤس الاشهاد قال الذى اليه اى خاصة تحشرون اى تجمعون بايسر امر واسهله بقهر وكره وهو يوم القيامة

فيتجلى

فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق والانصاف بينهم بالعدل ومحاسبتهم على النقير والقطمير لا تخفى عليه خافية ولا تبقى منه د
دانية تنكشف فيه سرادقات العظمة ويظهر ظهورا تاما نفوذ الكلمة وتتجلى فى مجالى العز سطوات القهر وتنبث لوامع الكبر
فاذا تعلم ذلك مستحضرين لذلك لم تقدموا على شى تريدون اخفاءه من النبى صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك اقر لعينه واظهر لكم فى
ولما شدد سبحانه فى امر النجوى وكان لا يفعلها الا اهل النفاق فكان ربما ظن ظان انه يحدث عنها ضرر لاهل الدين
قال سارا للمخلصين وغاما للمنافقين مبينا ان ضررها انما يعود عليهم انما النجوى اى المعهودة وهى المنهى عنها وهى ما كره صاحبه
ان يطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ما يخيله الشيطان من الاحكام المكروهة للانسان من الشيطان اى مبتدئة
ومنتهية من المحترق بطرده عن رحمة الله فانه الحامل عليها بتزيينها لفاعلها تابعا لاعدى اعدائه مخالفا لاعظم اوليائه ولما
بين انها منه بين الحامل له على تزيينها فقال ليحزن اى الشيطان الذين امنوا اى ليوهمهم انها بسبب شى وقع مما يؤذيهم والحزن هم
غليظ وتوجع يرق له القلب حزنه واحزنه بمعنى وقال فى القاموس او احزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا فعلى هذا قراءة نافع
من احزن اشد فى المعنى من قراءة الجماعة   ولما كان ربما حمل هذا من فى قلبه مرض ان فى يد الشيطان شيئا من الاشياء سلب ذلك
بقوله وليس اى الشيطان وما حمل عليه من التناجى واكد النفى بالجار فقال بضارهم اى الذين امنوا شيئا من الضرر وان قل وان خفى
بالتهمة او الادغام الا باذن الله اى بتمكين الملك المحيط علما وقدرة روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه   ولما كان التقدير فقد علم انه لا يخشى احد غير الله لانه
لا يقع الا ما اراده فليخش المربوبون عطف عليه قوله وعلى الله اى الملك الذى لا كفوء له لا على احد غيره فليتوكل المؤمنون
اى الراسخون فى الايمان فى جميع امورهم فانه القادر وحده على اصلاحها وافسادها ولا يحزنوا من احد ان يكيدهم بسر ولا جهر فانهم
اذا توكلوا عليه وفوضوا امورهم اليه لم ياذن فى حزنهم وان لم يفعلوا احزنهم وخص الراسخين لامكان ذلك منهم فى العادة واما
اصحاب البدايات فلا يكون ذلك منهم الا خرق عادة   ولما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس بالمقال فيشاعنه
ظن الكدر وتباعد القلوب اتبعه الاختصاص بالمجلس الذى هو مباعدة بالاجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر فى
الكلام فيشاعنه الحزن معلما لهم بكمال رحمته وتمام رافته بمراعاة حسن الادب بينهم وان كان من امور العادة دون احكام العبادة
فقال مخاطبا لاهل الدرجة الدنيا فى الايمان لانهم المحتاجون لمثل هذا الادب يايها الذين امنوا اى اقروا بهذا الوصف على الامتثال
اذا قيل لكم اى من اى قائل كان فان الخير يرغب فيه لذاته تفسحوا اى توسعوا اى كلفوا انفسكم فى اتساع المواضع فى المجلس اى الجلوس
او مكانه لاجل من ياتى فلا يجد مجلسا يجلس فيه والمراد بالمجلس جنس المكان الذى هم ماكثون فيه بجلوس وقيام فى صلاة او غيرها لانه اهل
لان يجلس فيه وذلك فى كل عصر ومجلس النبى صلى الله عليه وسلم اولى بذلك وقراءة عاصم بالجمع موضحة لارادة الجنس فافسحوا اى وسعوا
فيه عن سعة صدر يفسح الله اى الذى له الامر كله والعظمة الكاملة لكم فى كل ما تكرهون ضيقه من الدارين   ولما
كانت التوسعة يكفى فيها التزحزح مع دوام الجلوس تارة واخرى تدعو الحاجة فيها الى القيام للتحول من مكان الى اخر قال واذا
قيل اى من اى قائل كان كما مضى اذا كان يريد الاصلاح والخير انشزوا اى ارتفعوا وانهضوا الى الموضع الذى تؤمرون به او لقضية
الحال للتوسعة او غيرها من الاوامر كالصلاة والجهاد وغيرهما فانشزوا اى فارتفعوا وانهضوا يرفع الله اى الذى له جميع صفات
الكمال عبر بالجلالة واعاد اظهارها موضع الضمير ترغيبا فى الامتثال لما للنفس من الشح بما يخالف المالوف الذين امنوا وان كانوا غير
علماء منكم ايها المامورون بالتفسح السامعون للاوامر المبادرون اليها فى الدنيا والاخرة بالنصر وحسن الذكر والتمكين ووصف
الايمان الموجب لعلو الشان بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم فى سعة صدورهم بتوسعهم لاخوانهم   ولما كان
المؤمن قد لا يكون من المشهورين بالعلم قال والذين   ولما كان العلم فى نفسه كافيا فى الاعلاء من غير نظر الى موت معين بنى
للمفعول قوله اوتوا العلم اى وهم مؤمنون درجات درجة بامتثال الامر واخرى بالايمان ودرجة بفضل علمهم وسابقتهم
روى الطبرانى وابو نعيم فى كتاب العلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من جاءه اجله وهو يطلب العلم ليحيى به
الاسلام لم يفضله النبيون الا بدرجة واحدة ورواه الدارمى وابن السنى فى رياضة المتعلمين عن الحسن غير منسوب قال
شيخنا فقيل هو البصرى فيكون مرسلا وعن الزهرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال انتهى وكلما كان الانسان اعلم كان اذكر
ولعله ترك التقييد بمن فى هذا وان كانت مرادة ليفهم ان العلم يعلى صاحبه مطلقا فان كان مؤمنا عاملا بعلمه كان النهاية
وان كان عاصيا كان ارفع من مؤمن عاص وعار عن العلم وان كان كافرا كانت رفعته دنيوية بالنسبة الى الكافر الذى لا يعلم ودل
على ذلك ختم الاية بقوله مرغبا مرهبا والله اى والحال ان المحيط بكل شى قدرة وعلما بما تعملون اى حالا لامر وغيره خبير
اى عالم بظاهره وباطنه فان كان العلم مزينا بالعمل بامتثال الاوامر واجتناب النواهى وتصفية الباطن كانت الرفعة فى
حسبه وان كان على غير ذلك فكذلك وقدم الجار ومدخوله وان كان علمه سبحانه بالاشياء كلها على حد سواء تنبيها على مزيد الاعتناء
بالاعمال لا سيما الباطنة من الايمان والعلم اللذين هما الروح الاعظم لان المقام لنزول الانسان عن مكانه بالتفسح والانخفاض والارتفاع

ولا يخفى ما في ذلك من حظ النفس الحامل على الجري مع الدسائس فكان جديراً بمزيد الترهيب وسبب الاية ان اهل العلم لما كانوا احق بصدر
المجلس لانهم اوعى لما يقول صاحب المجلس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليليني اولوا الاحلام منكم والنهى وكان صلى الله عليه وسلم
يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء اناس من اهل بدر منهم ثابت بن قيس ابن شماس وقد سبقوا غيرهم الى المجلس فقاموا حيال النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم
فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفعلوا فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بعدد
القادمين من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فقال المنافقون الستم
تزعمون ان صاحبكم يعدل فوالله ما عدل على هؤلاء ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب من نبيهم فاقامهم واجلس من ابطأ
عنه مكانهم فانزل الله هذه الاية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا
يفسح الله لكم رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما وقال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قاتل المشركين
فصف اصحابه رضي الله عنهم للقتال تشاحوا على الصف الاول فيقول الرجل لاخوانه توسعوا لنلقى العدو ونصيب الشهادة
فلا يوسعون له رغبة منهم في الجهاد والشهادة فانزل الله هذه الاية وهي دالة على ان الصالح ان كره مجاورة فاسق منع من
مجاورته لانه يؤذيه ويشغله عن كثير من مهماته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وقال اعوذ بك من جار السوء
في دار المقامة فان جار البادية يتحول وقال شر الناس من لا يامن جاره بوائقه فقال تعالى معظما لرسوله صلى الله عليه وسلم
وناهيا عن ابرامه صلى الله عليه وسلم بالسؤال والمناجاة ونافعا للفقراء ومميزا بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا
ولما نهى عما يجر من المقال والمقام وكان المنهي عنه من التناجي انما هو حفظ قلب الرسول صلى الله عليه وسلم عما يكدره
فهو منصرف الى مناجاتهم غيره وكان ذلك مفهما ان مناجاتهم له صلى الله عليه وسلم لا حرج فيها وكان كثير منهم يناجيه ولا قصد له الا
الترفع بمناجاته فاكثروا في ذلك حتى شق عليه وكان النافع للانسان انما هو كلام من يلائمه في الصفات ويشاكله في الاخلاق وكان
الرسول صلى الله عليه وسلم ابعد الناس من الدنيا تقذرا لها لاجل بغض الله لها امر من اراد ان يناجيه بالتصدق ليكون ذلك امارة على
الاجتهاد في التخلق باخلاقه الطاهرة من العزوف عن الدنيا والاقبال على الله ومطهرا له عما سلف من الاقبال عليها فان الصدقة برهان
على الصدق في الايمان وليخفف عنه صلى الله عليه وسلم ما كانوا قد اكثروا عليه من المناجاة فلا يناجيه الا من خلص ايمانه فتصدق ويكون
ذلك مقدمة لانتفاعه بتلك المناجاة كما ان الهدية تكون مهيئة للقبول كما ورد نعم الهدية امام الحاجة فقال تعالى يا ايها الذين امنوا
اي ادعوا انهم اوجدوا هذه الحقيقة اغنياء كانوا او فقراء اذا ناجيتم اي اردتم ان تناجوا الرسول اي الذي لا اكمل منه في الرسالة
فهو اكمل الخلق وظيفته تقتضي ان يكون منه الكلام بما ارسله به الملك ويكون هيبته مانعة من ابتدائه بالكلام فلا يكون
للمبلغين الا الفعل بالامتثال لا غير فقدموا اي بسبب هذه الارادة العالية على سبيل الوجوب ومثل النجوى بشخص له يدان
يحتاج ان يطهر نفسه ليتاهل للقرب من الرسول صلى الله عليه وسلم فقال بين يدي نجواكم اي قبل سركم الذي تريدون ان ترفعوا
به صدقة تكون لكم برهانا قاطعا على اخلاصكم كما ورد ان الصدقة برهان فهي مصدقة لكم في دعوى الايمان التي هي التصديق
بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به عن الله ومعظمه الاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة ولذلك استأنف
قوله ذلك اي الخلق العالي جدا من تقديم التصدق قبل المناجاة باخير الخلق ولعله افرده بالخطاب لانه لا يعلم كل ما فيه من
الاسرار غيره وعاد الى الاول فقال خير لكم اي في دينكم من الامساك عن الصدقة واطهر لان الصدقة طهرة ونماء وزيادة في كل
خير ولذلك سميت زكاة خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والتعبير بافعل لانهم مطهرون قبله بالايمان ولما
امرنا لكن وكانت عادته ان لا يكلف بما فوق الوسع للتخفيف على عباده لا سيما هذه الامة قال فان لم تجدوا اي ما تقدمونه ولما
كان المعنى الكافي في التخفيف فليس عليكم شيء دل عليه باحسن منه فقال فان الله اي الذي له جميع صفات الكمال واكده لاستبعاد
مثله فان المعهود من الملك اذا الزم رعيته بشيء انه لا يسقطه اصلا وراسا ولا سيما ان كان يسيرا ودل على انه سبحانه ان
يكلف بما فوق الطاقة بقوله غفور رحيم اي له صفتا الستر للمساوي والاكرام باظهار المحاسن ثابتتان على الدوام فهو يغفر
ويرحم تارة بعدم العقاب للعاصي وتارة بالتوسعة للضيق بان ينسخ ما يشق الى ما يخف وهذه الاية قيل انها نسخت قبل
العمل بها وقال علي رضي الله عنه ما عمل بها احد غيري اردت المناجاة ولي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيته عشر مرات
اتصدق في كل مرة بدرهم ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس فنزلت الرخصة في ترك الصدقة وروى النسائي في الكبرى والترمذي
وقال حسن غريب وابن حبان وابو يعلى والبزار عن علي رضي الله عنه انه قال لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهم
ان يتصدقوا قلت بكم يا رسول الله قال بدينار قلت لا يطيقون قال فبنصف دينار قال لا يطيقون قال فبكم قال بشعيرة فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد فانزل الله تعالى ءأشفقتم الاية وكان علي رضي الله عنه يقول بي خفف الله عن هذه
الامة وعدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال ان يكون لم يجد عند المناجاة شيئا او ان لا يكون احتاج الى المناجاة ولما

ذا حثهم الاية على التخفيف وكان بعد يدعي مدعون عدم الوجدان كذبا فيحصل لهم حرج وكان تعالى شديد العناية بنجاة هذه الامة
دل على لطفه بهم بنسخه بعد فرضه فقال موبخا لمن يشح على المال البادئ الى الخروج عنه من غير ايجاب ءأشفقتم اي خفتم من العيلة
كما يعدكم به الشيطان من الفقر خوفا كاد ان يفطر قلوبكم ان تقدموا اي باعطاء الفقراء وهم اخوانكم بين يدي نجواكم اي للرسول
صلى الله عليه وسلم وجمع لانه اكثر توبيخا من حيث انه يدل على ان النجوى تتكرر وذلك يدل على عدم خوفهم من مشقة النبي صلى
الله عليه وسلم من ذلك وجود خوفهم من فعل التصدق فقال صدقات وكان بعضهم ترك وهو واجد فبين سبحانه رحمته
لهم بتجاوزه عنهم لذلك في موضع العقاب لغيرهم عند الترك ولما كان من قبلها اذا كلفوا الامر الشاق حملوا على
التزامه بمثل دفع الجبل فوقهم فاذا خالفوا عوقبوا ابين فضل هذه الامة بانه خفف عنهم فقال معبرا بما قد يشعر بان بعضهم
ترك عن قدرة فاذ اي فحين لم تفعلوا اي ما امرتم به من الصدقة للنجوى بسبب هذا الاشفاق وتاب الله اي الملك الاعلى
الذي كان من شأن ما هو عليه من العظمة ان يعاقب من ترك امره عليكم اي رجع لمن ترك الصدقة عن وجدان ولمن تصدق ولمن لم
يجد الى مثل حاله قبل ذلك من سعة الاباحة والعفو والتجاوز والمعذرة والرخصة والتخفيف قبل الايجاب ولم يعاقبكم
على الترك ولا على ظهور استثقال ذلك منكم قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار
وعلى كل منهما فهي لم تتصل بما قبلها نزولا وان اتصلت بها تلاوة وحلولا فاقيموا بسبب العفو عنكم شكرا على هذا الكرم والحلم
الصلاة التي هي طهرة لارواحكم وصلة لكم بربكم وءاتوا الزكاة التي هي نزاهة لابدانكم وتطهير ونماء لاموالكم وصلة لاهل
باخوانكم ولا تفرطوا في شيء من ذلك فتهملوه فالصلاة نور تهدي الى المقاصد الدنيوية والاخروية وتعين على نوائب الدارين
والصدقة برهان على صحة القصد في الصلاة ولما خص اشرف العبادات البدنية واعلى المناسك المالية
عم فقال حاثا على زيادة النور والبرهان اللذين بهما تقع المشاكلة في الاخلاق فتكون المناجاة عن اعظم اقبال واتفاق فقال
واطيعوا الله اي الذي له الكمال كله فلم يشركه في ابداعه لكم على ما انتم عليه احد ورسوله الذي عظمته من عظمته في سائر
ما يامركم به فانه ما امركم لاجل اكرام رسولكم صلى الله عليه وسلم الا بالحنيفية السمحة وجعل المحافظة على ذلك قائمة
مقام ما امركم به ثم نسخه عنكم من تقديم الصدقة على النجوى ولما كان قد يخفى عن امر اشعر السياق بانه وقع فيه
تفريط فكان ذلك ربما جرا على اشتمال المحرمات رهب من جنابه باحاطة العلم وعبر بالخبير لان اول الاية وقع على امر باطن
ولم يبالغ بتقديم الجار لما فيهما من الامور الظاهرة فقال عاطفا على ما تقديره فالله يحب الذين يطيعون والله اي الذي احاط
بكل شيء قدرة وعلما خبير بما تعملون اي تجددون عمله يعلم بواطنه كما يعلم ظواهره ولما اخبر باحاطة علمه ردعا
لمن يغتر بطول حلمه دل على ذلك باطلاعه على نفاق المنافقين الذي هو ابطن الاشياء فقال معجبا مرهبا معظما للمقام بتخصيص
الخطاب باعلى الخلق صلى الله عليه وسلم منبها على انه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره الم تر ودل على بعدهم عن الخير بحرف الغاية
فقال الى الذين تولوا اي تكلفوا بغاية جهدهم ان جعلوا اولياءهم الذين يلون امورهم قوما ابتغوا عندهم العز اغترارا
بما يظهر لهم منهم من القوة غضب الله اي الملك الاعلى الذي لا كفء له عليهم اي على المتولين والمتولين لانهم قطعوا ما بينهم
وبينه والاولون هم المنافقون تولوا اليهود وزاد في الشناعة عليهم بقوله مستانفا ما هم اي اليهود المغضوب عليهم
منكم ايها المؤمنون ليبوا لوهم خوفا من السيف ورغبة في السلم ولا منهم اي المنافقين فيكونوا لانهم لهم محبة سابقة
وقرابة شابكة ليكون ذلك لهم عذرا بل هم مذبذبون فهم مع المؤمنين باقوالهم ومع الكفار بقلوبهم فما تولوهم الا عشقا
في النفاق ولمقاربة ما بينهم فيه او يكون المعنى ما المنافقون المتولون من المسلمين ولا من اليهود المتولين وزاد في الشناعة
عليهم بانجح الاشياء الحامل على كل رذيلة فقال ذاكرا لحالهم في هذا الاتخاذ ويحلفون اي المنافقون يجددون الحلف على الاداء
ودل باداة الاستعلاء على انهم في غاية الجراءة على استمرارهم على الايمان الكاذبة بان التقدير مجترئين على الكذب في دعوى
الاسلام وغير ذلك مما يقعون فيه من عظائم الاثام فاذا عوتبوا عليه بادروا الى الايمان ولما كان الكذب
قد يطلق في اللغة على ما يخالف الواقع وان كان عن غير تعمد بان يكون الحالف يجهل عدم مطابقته للواقع قال نافيا لذلك
مبينا انهم جراء على اليمين الغموس وهم يعلمون اي انهم كاذبون فهم متعمدون وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق اسمر قصيرا خفيف اللحية
فقال النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له فعلت فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما
سبوه فنزلت ولما اخبر عن حالهم اتبعه الاخبار عن مآلهم فقال دالا على ما قال القشيري على ان من وافق مغضوبا
عليه اشرك نفسه في استحقاق غضب من هو غضبان عليه فمن تولى مغضوبا عليه من قبل الله استوجب غضب الله وكفى
بذلك هوانا وحزنا وحرمانا معبرا بما دل على انه امر قد فرغ منه اعد الله اي الذي له العظمة الباهرة فلا كفوء له وعبر بما دل
على التهكم بهم فقال لهم عذابا اي امرا قاطعا لكل عذوبة شديدا يعلم من رآه ورأى انهم ان ذواتهم مسترعية اليه

صعيفة عنه ولما اخبر بعذابهم علله بما دل على انه واقع في اتم مواقعه فقال مؤكدا انقيضا على من كان يستحسن افعالهم إنهم ساء اي بلغ الغاية مما يسوء ودل على ان ذلك لهم كالجبلة بقوله ما كانوا يعملون اي يجددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه من غشهم المؤمنين ونصحهم للكافرين وعيبهم للاسلام واهله واجترائهم على الايمان الكاذبة واصروا على ذلك حتى زادهم التمرن عليه جراة على جميع المعاصي ولما دلت هذه الجملة على سوء اعمالهم وهدا ومنهم عليها اكد ذلك بقوله اتخذوا اي كلفوا فطرهم الاولى المستقيمة لما لهم من العراقة في اعوجاج الطبع والمحبة للاذى أيمانهم اي الكاذبة التي لا يهون على من في قلبه مثقال حبة من ايمان جنة اي وقاية وسترة من كل ما يفضحهم من النفاق كائنا ما كان اي يوجب قتلهم بما يقع منهم من الكفران ولما كان علمهم بانه يرضى منهم بالظاهر ونصدق ايمانهم هو الذي جراهم على العظايم فكانوا يرغبون الناس في النفاق بعاجل الشهوات ويثبطونهم عن الدين بما فيه من عاجل الكلف واجل الثواب سبب عن قبول ايمانهم قوله مظهرا لزيادة التوبيخ لهم فصدوا اي كان قبول ذلك منهم وتاخير عقابهم سببا لانقاعهم الصد عن سبيل الله اي شرع الملك الاعلى الذي هو الطريق الى رضوانه الذي هو سبب الفوز الاعظم فانهم كانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويوهنون امره ويحقرونه ومن رآهم قد خلصوا من المكاره بايمانهم الحانثة وردت عليهم الارزاق واستد راجا وحصلت لهم الرفعة عند الناس بما رضوهم من اقوالهم المؤكدة بالايمان عن ذلك فاتبع سنته في اقوالهم وافعالهم ونسج على منوالهم غرورا بظاهر امرهم معرضا عما توعدهم الله سبحانه عليه من جزاء اثمهم ومكرهم واجرى الامر على اسلوب التهكم باللام التي تكون في المحبوب فقال فلهم اي فتسبب عن صدهم انه كان لهم عذاب مهين جزاء بما طلبوا بذلك الصد اعزاز انفسهم واهانة اهل الاسلام ولما كان لهم اموال واولاد يعتزون بها قالوا انتصرنا بها الا على من استتر بجنة دون طاعته لتسلم دنياه وراءه نكشف لسهام العذر من حيث لا يسعهم لا دينه يبقى ولا دنياه تسلم لن تغني اي بوجه من الوجوه عنهم اي في الدنيا ولا في الاخرة بالافتداء ولا بغيره اموالهم واكد النفي باعادة النافي للتنصيص على كل منهما فقال ولا اولادهم اي بالنصرة والمدافعة من الله اي اعتناء مبتديا من الملك الاعلى الذي لا كفؤ له شيئا اي من اغناء ولو قل جزاء بهما اراده سبحانه كان ونفذ ومضى لا يرفعه شيء تكذيبا لمن قال منهم لئن كان يوم القيمة لنكونن اسعد فيه منكم كما نحن الان ولننصرن بانفسنا واولادنا واموالنا ولما انتفى الاغناء المبتدي من الله فانتفى بانتفائه كل اغناء سواه انتج ذلك قوله أولئك اي البعداء من كل خير أصحاب النار ولما افهمت الصحبة الملازمة اكدها بقوله هم اي خاصة لاضمحلال عذاب غيرهم لكونهم في الهاوية في جنب عذابهم فيها اي خاصة دون شيء يقصر عنها خالدون اي مقيمون بافوتد ايمون كلازمون الى غير نهاية ولما كان افسادهم لذات البين سرا وحلفهم على نفي ذلك جهرا مع الالتزام بقبول ما ظهر من ذلك منهم مع علمه سبحانه بانه كذب غايظا موجعا وكان ربما توهم متوهم انه تعالى كما الزم بقبولنا لما ظهر منهم في دار العمل يأمر بقبوله لهم في دار الجزاء فكان نافيا لذلك معزيا للمؤمنين بانهم يفعلون ذلك معه سبحانه بعد كشف الغطا وتحقيق الامور لان الانسان يبعث على ما مات عليه لانه لكلحبلته التي لا ينفك عنه ولا ينفعهم ذلك ذاكرا ظرف الخلود واظهار التعذيب يوم يبعثهم الله اي الذي له جميع صفات الكمال باحيايهم عما كانوا فيه من الموت وردهم الى ما كانوا قبله جميعا لا يترك احدا منهم ولا من غيرهم الاعادة الى ما كان قبل موته فيحلفون اي فيتسبب عن ظهور القدرة التامة لهم ومعاينة ما كانوا يكذبون به من البعث والنار انهم يحلفون له اي لله في الاخرة انهم مسلمون فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ونحو من الاكذوبات التي تزيدهم ضررا ولا تغني عنهم شيئا بوجه من الوجوه جريا على ما طبعوا عليه من ايثار الهوى والقصور على النظر في المحسوسات التي الفوها كما يحلفون في الدنيا لكم لكونكم لا تعلمون الغيب مع توقعهم ان الله يفضحهم كما فعل بهم ذلك مرارا وحلفهم ناشئ عن اعتقاد بعدهم من القبول فانه لا يحلف لك الا من طرايك تكذبه قال القشيري عقوبتهم الكبرى ظنهم الاجنبية وغاية الجهد كذبهم على ما جرتهم في دهشتهم ولما كان الذي يحملهم على الاقدام على ذلك ضعف عقولهم وتوغلهم في النفاق ومرودهم عليه حتى يعتوا على مثل ذلك مع علمهم بان ذلك لا ينجيهم لاحاطة علمه سبحانه عبر بالحسبان فقال دالا على انهم في الغاية من الجهل وقلة العقل ويحسبون اي في القيمة بايمانهم الكاذبة انهم على شيء اي يحصل لهم به نفع لظنهم ان ايمانهم تروج على الله فتنجيهم كما كانت في الدنيا تنجيهم ولما ذلك ان امورهم لا حقيقة لها لا في اخبارهم ولا في ايمانهم ولا في حسبانهم قال منادياً عليهم مؤكدا لتكذيب حسبانهم ألا إنهم هم اي خاصة الكاذبون اي المحكوم بكذبهم في حسبانهم وفي اخبارهم في الدارين لعراقتهم في وصف الكذب بحيث لا يستحيون من الكذب عند الله ولما كان هذا الامر فيما لا ينبغي ان يحصل لسامعه غاية العجب من وقوع عاقل فيه من الدهر فضلا عن ملازمته اخبر عن الحامل لهم عليه فقال مستانفا استحوذ اي طلب ان يغلب ويحوق ويسرع ويضرب الحوطة ويحث ويقهر ويستولي عليهم الشيطان مع انه طريد محترق ووجد منه جميع ذلك ووصل منهم الى ما يريده وملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا رعيته واقطاعه وصار هو محيطا بهم من كل جهة غالبا عليهم ظاهرا وباطنا من قولهم حاذ الابل اي استوليت عليها وحاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها والحوذ السوق السريع ومنه الاحوذي الخفيف في الشيء لحذقه وجاء على الاصل على حكم الصحيح لانه لم يبن على حاذ كما نقصر

فانه لا يجرد له ان يقولوا انفر فأنساهم اي فتسبب عن استحواذه عليهم انه انساهم ذكر الله اي الذي له الاسماء الحسنى والصفات العلى بعد ان كان ذكره مركوزا في فطرهم الاولى فصاروا لا يذكرونه اصلا لا بقلب ولا لسان ولما كان ذلك انتج ولابد قوله أولئك اي الذين احلوا انفسهم ابعد منزل حزب الشيطان اي اتباعه وجنده وجماعته وطايفته واصحابه هم المتحزبون اليه لدفع ما حزبه اي نابه واشتد عليه المبعدون المحترقون لانهم تبعوه ولم يخافوا في محاربته وانما ذم ما يرد لهم مع انه كله نقايص ومعايب وهم مطبوعون على بغضه وتركوا من له الكمال كله وذكره وحبه مركوز في فطرهم فلذلك كانت نتيجة هذا ونتيجته قوله ألا واكد لظنهم الربح لما لهم في الدنيا من الكثرة وظهور التفاخر والاستدراج بالبسطة والسعة فقال إن حزب الشيطان اي الطريد المحترق هم اي خاصة الخاسرون اي العريقون في هذا الوصف لانهم لم يظفروا بغير الطرد والاحتراق ولما بين ما اوصلهم اليه نسيان الذكر من الخسار بين انه اوقعهم في العداوة فقال معللا الخسار والنسيان والتحزب واكد تكذيبا لحلفهم على نفي ذلك مظهرا موضع الاضمار للتنبيه على الوصف الموقع في الهلاك إن الذين يحادون ولعل الادغام لسترهم ذلك بالايمان ويفهم منه الحكم على من جاهر بطريق الاولى الله اي يفعلون مع الملك الاعظم الذي لا كفؤ له فعل من ينازع اخر في ارض فيغلب على طايفة منها فيجعل لها حدا لا يتعداه خصمه ورسوله اي الذي عظمته من عظمته ولما كانوا لا يفعلون ذلك الا لكثرة اعوانهم واتباعهم فيظن من رآهم انهم الاعزاء الذين لا احد اعز منهم قال تعالى نفيا لهذا الغرور الظاهر أولئك اي الاباعد الاسافل في الأذلين اي الذين يعرفون انهم اذل الخلق بحيث يوصف كل منهم بانه الاذل مطلقا من غير مفضل عليه ليعم كل من يمكن منه ذل وذلك في الدنيا والاخرة سواء كانوا فارس او الروم او اعظم منهم سوقة كانوا او ملوكا كفرة كانوا او فسقة كما قال الحسن ان المعصية في قلوبهم لتدل وان طقطقت بهم البغال ولما اخبر لهم بالخسيف الاسفل علل ذلك بما يدل على انه سبحانه لا شريك له بالتمام كلما ينصرا وليائه على ضعفهم وحر كان اعدائه على قوتهم لانه سبحانه غيب محض لا دلالة عليه الا بافعاله فقال كتب اي فعل فعل من ابرم امرا ففرغ منه وكتبه فاوجب وحتم وقضى وبت الله اي الملك الذي لا كفؤ له لأغلبن اكده لما لهم من ظن الغلب بالكثرة والقوة أنا ورسلي اي بقوة الجدال وشدة الجلاد فهو صادق بالنسبة الى من بعث بالحرب والى من بعث بالحجة وعلل هذا القهر بقوله مؤكدا لان افعالهم مع اوليائه افعال من يظن ضعفه إن الله اي الذي له الامر كله قوي اي فهو يفيض من باطن قوته ما يظهر به ظاهر نصرة اوليائه فان القوي من له استقلال باطن بما يحمله القايم في الاجر ولو ضوعف عليه ما عسى ان يضاعف جانبه مما ينظر في الى الاخلال دنيئه وبطيء منبعث عن ذلك الاستقلال الباطن وما ظهر من اثر ذلك فهو قدرة فلا اقتدار يظهر من الخلق الا بالاسناد الى القوة بالله ولا قيام بالحقيقة لباطن الا بالله الذي بيده ملكوت كل شيء فلذلك كان بالحقيقة لا قوي الا هو ولما كان القوي قد يكون غيره اقوى منه ولو في وقت نفى ذلك بقوله عزيز اي غالب غلبة لا يجد معها المغلوب نوع مدافعة وانفلات ثابت له هذا الوصف دائما ولما ظهر بهذا كالشمس ان من والاه سبحانه كان فايزا ومن عاداه كان خاسرا كانت نتيجته قطعا التحذير من موالاة اعداء الله في سياق النفي المفيد للمبالغة في النهي عنه والزجر عن قربانه فقال لا تجد اي بعد هذا البيان قوما اي ناسا لهم قوة على ما يريدون محاولته يؤمنون اي يجددون الايمان ويديمونه بالله اي الذي له الاسماء الحسنى والصفات العلى واليوم الآخر الذي هو موضع الجزاء لكل عامل بكل ما عمل الذي هو محط الحكمة يوادون اي يحصل منهم وداد ظاهر ولا باطنا بما اشار اليه الادغام واقله الموافقة في الظاهر من حاد الله اي عادى بالمناسبة في الحدود الملك الاعلى كذلك فان المحادة لا تخفى وان كانت باطنة يستر بها صاحبها لان الظاهر عنوان الباطن والافعال دليل على الاقوال وهذا حامل على زيادة التنفر منهم ورسوله فان من حاده فقد حاد الذي ارسله بل لا تجدهم الايجاد ونهم لانهم يوادونهم وزاد ذلك تاكيدا بقوله ولو كانوا آباءهم الذين وجب الله على الابناء طاعتهم في المعروف وذلك كما فعل ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فقتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد أو أبناءهم الذين جبلوا على محبتهم ورحمتهم كما فعل ابو بكر رضي الله عنه فانه دعا ابنه يوم بدر الى المبارزة وقال دعني يا رسول الله اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري أو إخوانهم الذين هم اعضادهم كما فعل مصعب ابن عمير رضي الله عنه قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وخرق سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الصفوف يومئذ على اخيه عتبة بن ابي وقاص غير مرة ليقتله فراغ عنه روغان الثعلب فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتريد ان تقتل نفسك وقتل محمد بن مسلمة الانصاري رضي الله عنه اخاه من الرضاع كعب بن الاشرف اليهودي راس بني النضير أو عشيرتهم الذين هم انصارهم وامدادهم كما فعل عمر رضي الله عنه قتل خاله العاصي بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم قتلوا يوم بدر بني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وعن الثوري ان السلف كانوا يرون ان الاية نزلت فيمن يصحب السلطان انتهى ومدار ذلك على ان الانسان يقطع رجاءه من غير الله وان لم يكن كذلك لم يكن مخلصا في ايمانه ولما كان لا يحمل على البراءة ممن هذا شانه الا صريح الايمان انتج قوله أولئك اي الاعظمون شانا الاعلون همما كتب اي وصل واثبت وصلا هو في لحمة كالحرز في الاديم وكالطراز في الثوب الرقيم فلا انفكاك له في قلوبهم الإيمان فجعلها اوعية له فاثمر ذلك نور الباطن واستقامة الاعمال

في الظاهر وأيدهم اي قواهم وشددهم واعانهم ونجحهم وعظمهم وشرفهم بروح اي نور شريف جدا يفهمون به ما اودع في
كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من كنوز العلم والعمل فهو لقلوبهم كالروح للابدان فلا يفعلون شيئا من احوال اهل الجاهلية
كالمظاهرة وزاد هذا التأييد شرفا بقوله منه اي احياهم به فلا انفكاك له لكنهم في وقت من الاوقات فاثمر لهم استقامة المناهج
ظاهرا وباطنا ففهموا بالدلايل والحجج وظهروا بالسيف المفني للمهج وعملوا الاعمال الصالحة فكانوا للدنيا كالسرج فلا تجد شيئا اجل
في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدايه بل هو عين الاخلاص ومن جنح الى منحرف عن دينه او داهن مبتدعا في عقده
نزع الله نور التوحيد من قلبه ولما اخبر بما اتاهم في الدنيا وهو غير مفارق لهم في الاخرة اخبر بما يوتيهم في الاخرة فقال
ويدخلهم جنات اي بساتين تستر داخلها من كثرة اشجارها واخبر عن ريها بقوله تجري ولما كانت المياه لو عمت الارض
لم يكن بها مستقر انبت الجار فقال من تحتها الانهار اي فهي لذلك كثيرة الرياض والاشجار والساحات والديار ولما
كان ذلك لا يلذ الا بالدوام قال خالدين فيها ولما كان ذلك لا يتم الا برضى مالكها قال رضي الله اي الملك الاعظم الذي له
الامر كله فلا التفات الى غيره عنهم ولما كان ذلك لا يكمل سروره الا برضاهم ليتم حسن المجاورة قال ورضوا عنه اي لانه
اعطاهم فوق ما يؤملون ولما اخبر عنهم بما يسر كل سامع فيشتاق الى مصاحبتهم ومعاشرتهم ومقاربتهم مدحهم وعرفهم
بقوله اولئك اي الذين هم في الدرجة العليا من العظمة لكونهم قصروا ودهم على الله علما منهم بانه ليس النفع والضر الا بيده حزب الله
اي جند الملك الذي احاط بجميع صفات الكمال واولياؤه فانهم يغضبون له ولا يخافون فيه لومة لايم ولما بين ما اعدهم
واعد لاضدادهم انهم المختصون بكل خير قال على طريق الانتاج مما مضى مؤكدا لما لاضدادهم من الانكار الا ان حزب الله اي جند الملك
الاعلى وهم هؤلاء الموصوفون ومن والاهم هم اي خاصة المفلحون اي الذين حازوا الظفر بكل ما يؤملون في الدارين وقد علم من الرضى
من الجانبين مع الحزبية والافلاح عدم الانفكاك عن السعادة فاغنى ذلك عن تقييد الخلود بالتأبيد ختمهم بذلك لان لهم العز والفوز
والعلم والحكمة فلذلك علم امر المجادلة ورحم شكواها لانها من حزبه وسمع لها ومن سمع له فهو مرضي عنه وحرم الظهار بسبب
شكواها اكراما لها بحكمه لانه مناف للحكمة لانه تشبيه خارج عن قاعدة التشبيهات وفيه امتهان للام التي لها في دينه غاية
الاكرام بالتسوية بالزوجة التي هي محل الافتراش وختم ايتها بان من تعدى حدوده فعاود احوال الجاهلية فهو محاد له سبحانه
فهو من حزب الشيطان فقد عاد اخرها الى اولها بادل دليل على احسن سبيل لان هذا القرآن العظيم اشرف حديث واقوم قيل وهذا
مقصود التي بعدها ولا شك انه موجب للتنزيه مبعد عن التشريك والتشبيه فسبحان من انزله اية دائمة البيان موجهة للايمان
قامعة للطغيان على مدى الدهور وتطاول الزمان

سورة الحشر وتسمى سورة النضير

مقصودها بيان ما دل
عليه اخر المجادلة من التنزه عن شوايب النقص باثبات القدرة الشاملة بدليل شهودي على انه يغلب هو ورسله ومن حاده في الاذلين
لانه قوي عزيز المستلزمة للعلم التام المستلزم للحكمة البالغة المستلزمة للحشر المظهر لفلاح المفلح وخسار الخاسر على وجه
الثبات الكاشف اتم كشف لجميع صفات الكمال وادل ما فيها على ذلك تامل قصة بني النضير المعلم باول الحشر المؤذن بالحشر
الحقيقي بالقدرة عليه بعد اطباق الولي والعدو على ظن انه لا يكون فلذا سميت بالحشر وبني النضير لانه سبحانه حشرهم بقدرته
من المدينة الشريفة الى خيبر والشام والحيرة ثم حشرهم وغيرهم من اليهود الحشر الثاني من خيبر الى الشام الذي هو اية الحشر
الاعظم الى ارض المحشر لقهر هذا النبي الكريم اهل الكتاب المدعين لانهم افضل الناس وانهم مؤيدون بما لهم من الدين الذي اصله
توحيد بما اوحت اليه الحديد كما قهر اهل الاوثان الذين هم عالمون بانهم بدلوا الدين الصحيح فثبت بظهور دينه على كل دين
على حد سوى الكامل وعد به سبحانه صدقه في كل ما جاء به واعظم ما جاء به بعد التوحيد الايمان بالبعث الاخر لانه محط الحكمة
وموضع اظهار النقمة والرحمة بسم الله الملك الاعظم الذي لا راد لامره فلا خلف لميعاده الرحمن الذي عمت نعمة ايجاده
فلا محيص عن نعاده الرحيم الذي خص اهل وداده بالتوفيق لما يرضيه عنهم فيوجب لهم الفوز باسعاده
ختمت المجادلة بانه معز اهل طاعته ومذل اهل معصيته ومحادته علالله تنزهه عن النقايص تاييدا للموعد بنصرهم فقال
سبح اي اوقع التنزيه الاعظم عن كل شايبة نقص لله الذي احاط بجميع صفات الكمال ولما كان الكفار من جميع بني ادم
تعبد بعضهم الشمس وبعضهم القمر وبعضهم غيرهما من الكواكب وكانت الكواكب مبثوثة في السموات كلها لا تخص عما يعينها
وكذا الملايكة جمع دلالة على ان الكل عبيده فقال ما في السموات اي كلها ولما كان الكلام في النهي عن موادة
الذين يحادون الله وكان ذلك لمن دون الخلص اكد باعادة النافي لاحتياجهم للتاكيد فقال وما ولما كان جميع
ما عبدوه مما اشركوا به من الارضيات من حجر وصنم وبقر وغيرها لا يعدو الارض التي هم عليها افرد فقال في الارض ولما شمل
هذا جميع العالم اشار الى ان عظمته لا تنتهي فقال وهو اي والحال انه وحده العزيز اي الذي يغلب كل شيء ولا يمتنع عليه شيء الحكيم
الذي نفذ علمه في البواطن والظواهر واحاط بكل شيء فاتقن ما اراد بكل ما خلقه فجعله على وحدانيته دليلا والى بيان ما له من
العز والحكمة سبيلا وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لاحقا باتصال الايه بما تاخر من اي سورة المجادلة الا ترى ان قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم انما يراد به يهود فذكر سبحانه سوء سيرتهم وعظيم جرايمهم ثم قال في اخر السورة
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله فحصل من هذا كله تنفير المومنين عنهم واعلامهم بان بعضهم من
الايمان وبعضهم من النفاق لقبح ما انطووا عليه وشنيع ما ارتكبوه فلما اشارت هذه الاي الى ما ذكر اتبعت بالاعلام في اول
سورة الحشر بما عجل لهم من هوانهم واخراجهم عن ديارهم واموالهم وتمكين المسلمين منهم جرى على ما تقدم الايماء اليه من سوء مرتكبهم
والتحمت الاي باتحاد المعنى وتناسبه وتناسج الكلام وافتتحت السورة بالتنزيه لبنائها على ما اشار اليه غضبه تعالى
عليهم اذ لا يكون الا على اعظم جريمة واسوء مرتكب ومواعيدهم وعصيانهم المفصل في مواضع من الكتاب وقد قال تعالى فيهم
بعد ذكر غضبه عليهم اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فبين تعالى ان لعنته اياهم انما ترتبت على عصيانهم واعتدايهم وتفصيل اعتدايهم ايضا في موا
فلما كان الغضب مشيرا الى ما ذكر من عظيم الشرك اتبعه سبحانه تنزيه نفسه جل وتعالى فقال سبح لله ما في السموات وما في الارض
وانما يرد مثله من التنزيه اثر جريمة تقع من العباد وعظيمة يرتكبونها وتامل ذلك حيث وقع ثم عاد الكلام الى الاخبار بما فعل تعالى
باهل الكتاب مما يتصل بما تقدم ثم تناسجت الاي انتهى ولما نزه نفسه الاقدس دل على ذلك التنزه وعلى العزة
والحكمة بدليل شهودي من انه انفذ ما كتب من انه يغلب هو ورسله ومن انه كبت الذين حادوه وخيب ظن الذين نافقوا اتولوا اليهود
من اهل الكتاب ليعتزوا بهم فاذل اليهود وطردهم من مهبط الوحي واخزى المنافقين الذين هم جعلوهم محط اعتمادهم وموضع
ولايتهم ووداداتهم فقال هو اي وحده من غير ايجاف خيل ولا ركاب الذي اخرج على وجه القهر الذين كفروا اي ستروا ما في كتبهم من
الشواهد لمحمد صلى الله عليه وسلم من بانه النبي الخاتم وما في فطرهم الاولى من اتباع الحق احق وقبح عليهم كفرهم بقوله موضع
من بني النضير او اليهود مثلا من اهل الكتاب اي الذي انزله الله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم وفي التعبير بكفروا اشعار
بانهم الذين ازالوا بالتبديل او الاخفاء ما قدروا عليه مما بقي من التوراة دالا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولما
كان الوطن عديل الروح لانه للبدن كالبدن للروح فكان الخروج منه في غاية العسر دل على مزيد قهرهم به بان قال من ديارهم
ولما كان منهم من جلا من المدينة الشريفة الى خيبر وهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب ولحق سايرهم باريحا
من ارض الشام ارض المحشر ولحق بعضهم بالحيرة لوح الى فتح خيبر وحشرهم منها حشرا ثانيا بقوله معللا او موقتا لاول
اي لاجل اول وعند اول الحشر وفي ذلك ايضا اشارة الى ان كل بلد حشروا اليه سيفتح ويزلزلون منه زلزلة اخرى لا
تزال مصايبهم باهل الاسلام قايمة حتى يكون الحشر الاعظم بالقيمة والحشر الجمع من مكان والسوق الى غيره بكره وسمي اولا
لانهم اول من اجلي من اليهود من جزيرة العرب والحشر الثاني لهم من خيبر على زمن عمر رضي الله عنه وعند ابن اسحاق ان اجلاءهم في مرجع
النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا
قالوا الى اين قال الى ارض المحشر وقال ابن عباس رضي الله عنهما من شك ان المحشر بارض الشام فليقرا هذه الاية انتهى وهذا الحشر
يدل على الحشر الاعظم وينبه على قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بين يدي الساعة انا والساعة كهاتين ولما كان قد اخبر
ان حشرهم لم يكن بسبب غير محض قدرته استانف شرح ذلك بقوله ما ظننتم اي ايها المؤمنون ان يخرجوا اي يوقعوا الخروج
من شي او شيء منهم لما كان لكم من الضعف ولهم من القوة لكثرتهم وشدة باسهم وشكيمتهم وقرب بني قريظة منهم فكانوا بصدد
مظاهرتهم واهل خيبر ايضا غير بعيد عنهم وكلهم اهل ملتهم والمنافقون من انصارهم واسرتهم فخابت ظنونهم في جميع ذلك
وتالت اناوهم وسلط عليهم المؤمنون على قلتهم وضعفهم واذا اراد الله نصر عبد استاسد ارنبه واذا اراد الله قهر
عدو استنوق اسده ولما كانت الحصون تمنع الى اتيان الامداد قال وظنوا انهم ودل على قوة ظنهم وثباته بالجملة
الاسمية فقال مانعتهم حصونهم اي ثابت لها المنع ولهم الامتناع كانوا في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها
ومنعها اياهم وفي جعل ضميرهم اسم ان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يطمع معها
في معازتهم ودل على ضعف عقولهم بان عبر عن جنده باسمه وباسمه الاعظم فقال من الله اي الملك الذي لا عز الا له وانهم جنده
لا تقاتلون الا فيه وبه وباسكم من باسه فقد اجتمع الظنان على شي واحد ولما كان اسنادهما للمضاف الى المضاف
اليه سايغا في لسان العرب وكثيرا جدا لانه لا يلبس على من له المام بكلامهم وبليغا جدا لما له من العظمة قال فاتاهم الله اي
حاكم الملك الاعظم الذي لا يحتملون مجيئه بما صور لهم من حقارة انفسهم التي اضطرتهم الى الجلاء من حيث لم يحتسبوا اي
من الجهة التي لم يحملوا انفسهم على حسبها وهي خذلان المنافقين لهم رعبا لرعبهم واستضعافا كاستضعاف انفسهم
عن مقاومة جند الله بعد ان كان الشيطان زين لهم غير ذلك وملا قلوبهم من الاطماع الفارغة حتى قطعوا بما مناهم ومنيهم
لهم واغواهم ولما كان التقدير فاوهنهم الله بذلك عطف عليه قوله وقذف اي انزل انزالا كانه قذف بحجارة
فثبت وارتكز في قلوبهم الرعب اي الخوف الذي سكنها فرضها فملاها وعبر عنه الى جميع قواهم فاجتثها من اصلها بين حالهم عند

او قذفنا الرعب بقوله يخربون بيوتهم اي يبالغون على قراءة ابي عمرو بالتشديد في اخرابها اي افسادها فان الخربة الفساد وقراءة
غيره تفهم الفعل المطلق الذي لا ينافي المقيد بايديهم ضعفا منهم بما اشار اليه الى جمع القلة ويأسا من قوتهم لياخذوا ما اعجبوا
من آلاتها فكان الرجل منهم لما تحملوا للرحيل يهدم بيته عن نجاف بابه وما استحسن من خشبه فيضعه على ظهر بعيره فياخذه ويخرب
الجدار ويهدموا السقف حسدا للمسلمين ان يسكنوها بعدهم لان النبي صلى الله عليه وسلم امرهم ان يخلوا له عن البلد ولهم ما
حملت ابلهم ولما كان السبب في تخريب الصحابة رضي الله عنهم لبيوتهم ما احرقوهم به من المكر والغدر كانوا كانهم
امروهم بذلك فنابوا عنهم فيه فقال معبرا ايضا بجمع القلة للدلالة على ان الفعل له سبحانه وحده وايدي المؤمنين اي
الراسخين في الايمان استيلاء وغلبة عليهم وقد كان المؤمنون ايضا يخربون ما ضيق عليهم المجال منها لاجل القتال وقدم تخريبهم
لانه اعجب ولما كان في غاية الغرابة ان يعمل الانسان في نفسه كما يفعل فيه عدوه سبب عن ذلك قوله فاعتبروا
اي احملوا انفسكم بالامعان في التامل في عظيم قدرة الله على ان تعبروا من ظواهر العلم في هذه القضية بما دبر الله في اخراجهم
الى بواطن الحكمة بان لا تعتمدوا الكم ناصرا من الخلق ولا نعمة ولا على غير الله فان الاعتبار كما قال القشيري احد قوانين الشرع ومن
لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره انتهى وقد احتج بالاية مثبتوا القياس فانه مجاوزة من الاصل الى الفرع والمجاوزة اعتبار وهو مامور
به في هذه الاية فهو واجب ولما كان الاعتبار عظيما عظيم النفع لا يحصل الا للكمل زاده تعظيما بقوله يا اولي الابصار
بالنظر بابصاركم وبصائركم في غريب هذا الصنع لتحققوا به ما وعدكم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار دينه
واعزاز نبيه ولا تعتمدوا على غير الله كما اعتمد هؤلاء على المنافقين فان من اعتمد على مخلوق اسلمه ذلك الى صغاره ومذلته ولا
تلموا انفسكم كما ارادوا ان يغدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيطرحوا عليه وهو قاعد بفناء دار من دورهم رحى من السطح
ليقتلوه بها عموا ولا تفعلوا شيئا من قبيح افعالهم لئلا يحصل لكم مثل نكالهم كما احكمه قوله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن
من كان قبلكم الحديث وذلك الغدر منهم بعد ان حرضوا قريشا على غزوة احد ودلوهم على بعض العورات وقال البغوي
ان كعب بن الاشرف اتى قريشا بعد احد في اربعين راكبا فحالفهم على النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام يخبره ذلك
وقال انه لما نقضه ثم عليه السلام ارسلوا اليه ان يخرج في ثلاثين ويخرج منهم ثلاثون ليسمعوا منه فان امنوا به آمن الكل فاجابهم
فارسلوا ان الجمع كثير فاخرج في ثلاثة ليخرج ثلاثة منا فارسلت امراة منهم الى اخيها وكان مسلما انهم اشتملوا على الخناجر يريدون
الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفعل صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكل ما ذكر من اسباب قصتهم كما ترى دائر على المكر بل هو
عين المكر ولما دل هذا على غاية الوهن منهم فكان موضع التعجب من الكف عن قتلهم بين ان السبب في ذلك امر الباهر
وعز القاهر حتما على ما ختم به الاية السابقة من الاعتبار والتدبر والاستبصار فقال ولولا ان كتب الله اي فرض فرضا
حتما الملك الذي له الامر كله ودل على انه كتب اذلال واخزاء بقوله عليهم اي بخصوصهم فيما كتب على بني اسرائيل في الازل
كما كتب على بني قينقاع الجلاء اي الخروج من ديارهم والجولان في الارض فاما معظمهم فجلاهم بخت نصر من بلاد الشام الى العراق
واما هؤلاء فحماهم الله بمهاجر رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجلاء وجعله على يدي رسوله صلى الله عليه وسلم فاجلاهم
فذهب بعضهم الى خيبر وبعضهم الى الشام مرة بعد مرة لعذبهم في الدنيا اي بالسيف كما سيفعل باخوانهم من بني قريظة
الذين كتب عليهم العذاب دون الجلاء من قتل المقاتلة وسبي الذرية فانه تعالى قد قضى قضاء حتما انه يطهر المدينة بلد الوحي
منهم ولما كان التقدير ولكنه كتب عليهم ذلك فهو عذابهم الآن في الدنيا لا محالة وان اجتمع اهل الارض على نصرهم
عطف عليه قوله على طريق التهكم بالتعبير باداة النفع ولهم اي على كل حال احلوا او تركوا في الآخرة التي هي دار البقاء عذاب
النار وهو العذاب الاكبر ولما اخبر بما لهم في الدنيا وبما لهم في الآخرة علله بقوله ذلك اي الامر العظيم الذي
فعله بهم من الجلاء ومقدماته في الدنيا ويفعله بهم في الآخرة بانهم ولما كانوا قد ضموا في هذه القضية الى ما كانوا
عليه من الكفر الظاهر كفرا باطنا بما ارادوا من القاء الرحى وغيره من الاذى مكرا منهم ادغم في قوله شاقوا الله اي الملك
الاعلى الذي له الاحاطة التامة فكانوا في شق غير شقه بان صاروا في شق الاعداء المحاربين بعد ما كانوا في شق الموادعين مع
ولما جاري صلى الله عليه وسلم اخفاهم لما ارادوا ان يفعلوه بالاخفاء لخلاصه منهم بان رجع الى المدينة المنورة
وترك اصحابه رضي الله عنهم عندهم قال ورسوله الذي اجلاه له من اجلاله ولما اخبر بفعله وسببه عطف
عليه تاكيدا لمضمونه وافادة لانه يفعل في غيرهم ممن كان على امرهم اعظم من فعلهم فقال ومن يشاق الله اي يوقع في الباطن مشاقة
الملك الاعلى الذي لا كفؤ له في الحال او الماضي او الاستقبال سواء بطن معها مشاقة اخرى او لا وترك الادغام على حاله
لانهم ما اظهروا المعادات وانما كان ما فعلوا مكرا ومساترة وذلك احق من المجاهرة واظهر في الانفال لعوق امر المجاهرين هم
كما مضى ولم يعد ذكر الرسول تفخيما له بالافهام ان مشاقته مشاقة لله من غير مثنوية اصلا واشارة الى انهم بالغوا في اخفاء
مشاقتهم فلم يظهر عليها غير الله فلم يحصل منهم في ذلك مفاعلة بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن بهم وانما

جاهرهم

كون

جاهرهم حين اعلمه الله بمكرهم بخلاف ما تقدم في الانفال فان المقام اقتضى هناك الذكر لانهم مكروا به كما قال تعالى واذ يمكر
بك الذين كفروا الاية وهو صلى الله عليه وسلم اخفى امر هجرته واعمل الحيلة في الخلاص من مكرهم على حسب ما امره الله به فحصلت
المفاعلة في تحيز كل من الفريقين الى شق غير شق الاخر خفية فان الله اي المحيط بجميع العظمة شديد عقابه له لانه شديد العقاب
وذلك كما فعل ببني قريظة بعد هذا حين نقضوا عهدهم واظهروا المشاقة في غزوة الاحزاب وكما فعل باهل خيبر وكانوا مما
يساترون في الاولى عند فتحها وفي الثانية عند اجلائهم منها فقد سوى بين المساترين والمجاهرين في العذاب وهو للمجاهرين
اشد عذابا كما هو واضح ولما دل سبحانه على عزته وحكمته بما فعل ببني النضير الذين يقولون انهم انجب الناس
واشدهم شكيمة بما لهم من الاصالة والاصطفاء على العالمين مع التايد بالكتاب والحكمة وختم بان من شاق رسوله فقد شاقه
ومن شاقه فقد شدد عقابه اتبعه بيان ما عاقبهم به من قطع الصحابة رضي الله عنهم بامر النبي صلى الله عليه وسلم لنخلهم
الذي هو اعز عليهم من ابكارهم وهم ينظرون اليه لا يغنون شيئا ولا منعة لديهم فقال ما وهي شرطية واتبعها شرطها البتة
لها فقال قطعتم اي كلما قطعتموه وبين ما في ما من الابهام بقوله معبرا عن النخل بما يفيد نوعه وانه هان عليهم القطع ولان من لينة
وهي ضرب من النخل قال ابن اسحاق هو ما خالف العجوة من النخل وقال ابن هشام اللينة من الالوان وهي ما لم تكن برنية ولا عجوة من النخل فيما
حدثني ابو عبيدة انتهى وقال صاحب القاموس اللون الدقل من النخل وهي جماعة واحدتها لونه ولينة قال المهدوي وروي عن
ابن عباس ومجاهد وغيرهما انها النخل كله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا انها لون من النخل وقال البغوي ورواية باذان عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان واحدها
لون ولينة وقال ابن عطية الحسن ومجاهد وابن زيد وعمرو بن ميمون اللينة النخلة اسمان بمعنى واحد وجمعها لين وليان وقال
سفيان الثوري اللينة ما تمرها لون وهو نوع من التمر شديد الصفرة يشف عن نواه فيرى من خارج قال البغوي يغيب فيها الضرس
وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمن وصيف واحب اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعونها شق عليهم
وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذه النخل فانما هي لمن غلب عليها وقال الرازي في اللوامع واختلاف
الالوان فيها ظاهر لانها اول حالها بيضاء كصدف مليء درا منضدا ثم غبرا ثم خضرا كانها قطع زبرجد خلق فيها الماء ثم حمرا
كياقوت رص بعضه ببعض ثم صفرا كانها شذر عقيان ولذلك اذا ابلغ الارطاب بنصفها سميت مجزعة لاختلاف لونيها كانها
الجزع الظفاري ولما كان ما فسر ابو ثابت هو اللينة اعم الضمير مؤنثا فقال او تركتموها ولما كان
الترك يصدق ببقائها مغروسة او مقطوعة قال قائمة ولما كان المراد نخلا كثيرة لارادة الجنس قال على اصولها
بجمع الكثرة فباذن الله اي فقطعها بتمكين الملك الاعظم ورضاه قال القشيري وفي هذا دليل على ان الشريعة غير معللة واذا
جاء الامر الشرعي بطل طلب التعليل وسكتت الالسنة عن التقاضي بلم وخطور الاعتراض والاستقباح بالبال خروج عن
حد العرفان ولما فطم عن طلب العلل خطابا للكمل طيب قلوب من دونهم بعلة مطوية على ما تقديره فليس ذلك بفساد
ولكنه صلاح اذن لكم فيه ليشفي به صدور المؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم فقال واضعا موضع ضميرهم ظاهرا يدل على ما اوجب
خزيهم وليخزي الفاسقين اي الذين هم اصلا في المروق من دائرة الحق بان يزيلهم ويفضحهم ببيان كذبهم في دعواهم العز والشجاعة
والتاييد من الله لانهم على الدين الحق وانه لا يتطرق اليه نسخ روى ابو يعلى عن جابر رضي الله عنه انه قال رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم
فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله علينا اثم فيما قطعنا او علينا فيما تركنا فانزل الله الاية انتهى وكان ناس من
المؤمنين مالوا الى الكف عن القطع لما سموه اليهود فسادا وطائفة اشاروا بالاستمرار على القطع لانه يغيظهم فصوب سبحانه
في الاية من امر بالكف وحلل من قطع من الاثم فدلت الاية على جواز افساد اموال اهل الحرب على اي حال كان مثمرا كان او لا هو
بالتحريق والتغريق والهدم وغير ذلك لاخزائهم بذلك ولما كانت الغنائم التي تقسم بين الجيش انما هي ما قاتلوا عليه واما ما
اخذ منهم بغير قتال فهو فيء ياخذه الامام فيقسمه خمسة اخماس ثم يقسم خمسها خمسة اقسام احدها هو ما كان للنبي صلى الله
عليه وسلم يكون بعده لمصالح المسلمين والاقسام الاربعة الاخرى من هذا الخمس لمن ذكر في الاية بعدها والاربعة الاخماس
الكائنة من اصل القسمة وهي التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانها حصلت بكفايته وارعابه للعدو تفرق بين
المرتزقة في جميع النواحي وكانت الاموال كلها لله انعاما على من يعبده بما شرعه على السنة رسله عليهم السلام كانت اموال
الكفار في ايديهم غصبا غصبوه من اوليائه فخص سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم باموال بني النضير يضعها حيث شاء
لانها فيء فقال وما افاء الله اي رد الملك الذي له الامر كله ردا سهلا بعد ان كان فيما يظهر في غاية العسر والصعوبة على
رسوله وصيره في يده بعد ان كان خروجه عنها بوضع ايدي الكفرة عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالفيء الذي هو عود
الظل الى الناحية التي كان ابتداؤه منها منهم اي رده ابتداء من الفاسقين فبين ان هذا فيء لا غنيمة ويدخل في الفيء اموال
من مات منهم عن غير وارث وكذا الجزية واما الغنيمة فهي ما كان بقتال وايجاف خيل وركاب ولما كان الحرب انما

هو كر وفر في اسراع وخفة ورشاقة لمحاولة الفرسان ومراوغة الشجعان ومغاورة اهل الضرب والطعان قال معللا
لكونه فيئا **فما اوجفتم** اي اسرعتم وقال ابن اسحق حركتم واتعبتم في السير انتهى وذلك الايجاف للغلبة **عليه** واعرق في النفي
بالجار فقال **من خيل** واكد باعادة النافي لظن من ظن انه غنيمة لاحاطتهم بهم فقال **ولا ركاب** اي ابل غلبة ذلك عليها
من بين المركوبات ولا قطعتم من اجله مسافة فلم يحصل لكم كبير مشقة في حوز اموالهم لان قريتهم كانت في حكم المدينة الشريفة
ليس بينها وبين ما يليها منها مسافة بعيدة بل هي ملاصقة لاحدى قرى الانصار التي المدينة اسم لها كلها وهي قرية بني عمرو بن
عوف في قبا وبينها وبين القرية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم نازلا بها نحو ميلين فمشى الكل مشيا ولم يركب الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يقاتلوا بها قتالا يعتد به فلذلك جعلها الله فيئا ولم يجعلها غنيمة فهي تقسم قسمة الفيء لا قسمة الغنيمة
فخمسها لاهل خمس الغنيمة وهم الاصناف الخمسة المذكورون في الاية التي بعدها وما فضل وهو الاربعة الاخماس له صلى الله
عليه وسلم مضمومة الى ما حازه من خمس الخمس ولما كان معنى هذا انما كان التسليط بكم استدرك بقوله **ولكن الله**
اي الذي له العز كله فلا كفؤ له **يسلط رسله** اي له هذه السنة في كل زمن **على من يشاء** بجعل ما اتاهم سبحانه من الهيبة
رعبا في قلوب اعدائه فهو الذي سلط رسوله صلى الله عليه وسلم على هؤلاء بان القى في روعه الشريف ان يذهب اليهم فيسألهم
الاعانة في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه خطأ فلما جلس صلى الله عليه وسلم الى جانب بيت من
بيوتهم وكانوا موادعين له صلى الله عليه وسلم نقضوا عهدهم خفية مكرا منهم بعد ان رحبوا به ووعدوه الاعانة وامروا
احدهم ان يرمي عليه من فوق السطح صخرة ليقتله فاعلمه الله بهذا فذهب وترك من اصحابه هناك حتى لحقوا به وهذا بعد ما كان
حيي فعل من قتل وسعيه في مكة وندبه لقريش الى حرب النبي صلى الله عليه وسلم ومعاقدته لهم على ان يكون معهم عليه واعلم الله
بذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم فارسل اليهم عند ما اصبح انكم قد خنتم الله ورسوله فاردتم ان تفعلوا كذا وان الارض
لله ورسوله فاخرجوا منها وقد اجلتكم عشرا فمكثوا على ذلك اياما يتجهزون ودس اليهم ابن ابي ومن معه من المنافقين انهم
معهم في الشدة والرخاء لا يسلمونهم وقال ابن ابي معي الفان من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم فيموتون عن اخرهم
ويمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي بن اخطب في ذلك فارسل انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فقصدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المؤمنين يحمل رايته علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فصلى العصر بفنائهم بعد ان استعمل على
المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه واقام عليهم ست ليال وهم متحصنون فقطع من نخلهم وحرق فنادوه ان قد كنت تنهى
عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بالك تقطع النخل وتربصوا نصر ابن ابي ومن معه على ما قالوا فلم يفوا لهم فالقى الله
الرعب في قلوبهم فارسلوا بالاجابة فقال لا الا ان يكون لي سلاحكم وما لم تقدروا على حمله على ابلكم من اموالكم فتوقفوا
ثم اجابوا فحملوا من اموالهم ما استقلت به الابل لا الحلقة وذهبوا على ستمائة بعير واظهروا الحلي والحلل وابدوا نساءهم
زينتهن فلحق بعضهم بخيبر وبعضهم بالشام فخلوا الاموال والحلقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم منهم الا رجلان
يامين بن عمرو وابو سعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاها فجعل الله اموال من لم يسلم منهم فيئا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خاصة به يضعها حيث يشاء كما روى ذلك في الصحيح عن عمر رضي الله عنه في قصة مخاصمة علي والعباس رضي الله
عنهما وفيه انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم فانه قال ان الله قد خص رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يعطه
احدا غيره ثم قرا ما افاء الله على رسوله منهم الى قوله قدير فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما احتازها
دونكم ولا استاثر بها عليكم قد اعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال يعني الذي وقع خصامهما فيه فكان ينفق
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ياخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله وفي الصحيح
ايضا عن مالك بن اوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم
مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق على اهله منها نفقة سنة
ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله انتهى وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اموالهم بعد ما تركه لنفسه
صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة شديدة ابو دجانة سماك بن
خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة رضي الله عنهم وكان لسيف بن ابي الحقيق عندهم ذكر فنفله سعد بن معاذ
رضي الله عنه وقال الاصبهاني ان الفيء كان يقسم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما اربعة
اخماسها وهي عشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما يشاء ويحكم فيها ما اراد والخمس الباقي على ما يقسم عليه
خمس الغنيمة يعني على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوي القربى ومن بعدهم هذا كان عليه صلى الله عليه وسلم في صفاياه
فلما توفي كانت الى امام المسلمين وكذا جميع ما ترك صلى الله عليه وسلم لانه قال لا نورث ما تركنا صدقة فولي ذلك ابو بكر
رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه فكانا يفعلان فيها ما فعله صلى الله عليه وسلم وقال الاصبهاني ايضا عن مالك بن اوس بن

الحدثان رضي الله عنه قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما الصدقات للفقراء حتى بلغ عليم حكيم ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرا واعلموا انما
غنمتم من شيء فان لله خمسه الاية ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرا ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الاية حتى بلغ للفقراء المهاجرين الاية
والذين تبوؤا الدار والذين جاؤا من بعدهم ثم قال استوعبت هذه المسلمين عامة فليس احد الا له فيها حق ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي
نصيبه منها لم يعرق جبينه فيه وقال ابن عطية ما اخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبني النضير ومن فدك فهو خاص للنبي صلى الله عليه
وسلم وليس على حكم الغنيمة التي يوجف عليها ويقاتل فيها ومذهب الشافعي رحمه الله ان اهل هذه الاموال التي هي كبقية الفيء تقسم
على خمسة اسهم خمس منها للاصناف المذكورة اولها النبي صلى الله عليه وسلم واربعة اخماسها له صلى الله عليه وسلم وحده واجاب
الشافعي عن قول عمر رضي الله عنه فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بانه عام اريد به الخاص ومعناه فكان ما بقي
منها في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعطاء الخمس لاربابه خاصا به صلى الله عليه وسلم لا يشرك احد في خصوصيته به ثم انه مع
ذلك ما احتازه دونهم بل كان يفعل فيه ما ذكر في الحديث من الايثار قال الشافعي لانا لم نشك ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى
المذكورين في الاية منها حقهم وقد عهدنا ان حق هذه الاصناف من مال المشركين الخمس كما هو صريح في سورة الانفال واستفيد من قول
عمر رضي الله عنه انها كانت للنبي صلى الله عليه وسلم انه كان له ما كان يشترك فيه المسلمون بعد الخمس من الغنيمة التي حصلت بما
حصل للكفار من الرعب منهم والذي كان يشترك فيه المسلمون بعد الخمس هو اربعة الاخماس فالنبي صلى الله عليه وسلم قام مقام
المسلمين فيه اذ هم لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب وانما حصل ذلك بالرعب الذي القاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في قلوب
المشركين فكانت الاربعة الاخماس تختص بمن كان السبب في حصول الجميع وان خمس المال يكون للاصناف المذكورة والذي كان له
صلى الله عليه وسلم من الفيء من الاربعة الاخماس يكون بعد موته صلى الله عليه وسلم للمقاتلة لانه يحصل بالرعب الحاصل للكفار
منهم كاربعة اخماس الغنيمة التي حصلت بقتالهم ولما كانت قدرته سبحانه عامة بالتسليط وغيره اظهر ولم
يضمر فقال **والله** اي الملك الذي له الكمال كله **على كل شيء** اي شيء ان يصح ان تتعلق المشيئة به وهو كل ممكن من التسليط وغيره
قدير اي بالغ القدرة الى اقصى الغايات والاية تدل على ان ايجاف الخيل والركاب وقصد العدو والى الاماكن الشاسعة له وقع
كبير في النفوس ورعب عظيم ولما نزع سبحانه اموالهم من ايدي الجيش بين مصرف غيرها مما كان مثلها بان فتح له صلى
الله عليه وسلم بغير قتال فقال مستانفا جوابا لمن كان قال هل يعم هذا الحكم كل فيء يكون بعد بني النضير **ما افاء الله**
اي الذي اختص بالعز والحكمة والقدرة **على رسوله** ولما كان سبحانه محيط العلم بانه يسلط على اهل وادي القرى
وغيرهم اعظم من هذا التسليط قال ليكون علما من اعلام النبوة **من اهل القرى** اي قرية بني النضير وغيرها من وادي القرى والصفرا
وينبع وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى عربية **فلله** اي الملك الاعلى الذي الامر كله بيده **وللرسول** لانه اعظم خلقه
ورتبته تلي رتبته وهذان يرى انهما قسمان وليس كذلك انما قسم واحد ولكنه ذكر سبحانه نفسه المقدس تبركا فان كل امر
لا يبدا به فهو اجذم وتعظيما لرسوله صلى الله عليه وسلم اعلاما بانه لا هوى له اصلا في شيء من الدنيا وانما رضاه رضى مولاه خالقه
القران الذي هو صفة الله فهو مطهره ومجلاه وسهمه صلى الله عليه وسلم يصرف بعده لمصالح المسلمين كالسلاح والثغور والعلماء
والقضاة والائمة ولما ابان هذا الكلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل والعظمة ما لا يدخل تحت الوصف
اتبعه تعظيما اخر بتعظيم اقاربه لاجله ولذلك اعاد العامل فقال **ولذي القربى** اي منهم لان رتبتهم بعد رتبته وهم بنو هاشم
وبنو المطلب رهط امامنا الشافعي سواء فيه غنيهم وفقيرهم لان اخذهم لذلك بالقرابة لا بالحاجة كما هو مذهب الشافعي
ولما ذكر اهل الشرف اتبعه اهل الضعف جبرا لوهنهم فقال مقدما اضعفهم **واليتامى** اي الذين هم احق
الناس بالعطف لان مبنى الدين على التخلق باخلاق الله التي من اجلها تقوية الضعيف وجبر الكسير **والمساكين** فانهم في الضعف
على اثرهم ودخل فيهم الفقراء فانه اذا انفرد لفظ الفقير او المسكين دخل كل منهما في الاخر وانما يفرق اذا جمع بينهما وكذا الفيء
والغنيمة اذا انفرد احدهما دخل كل في الاخر واذا اجتمعا فالفيء ما حصل بغير قتال وايجاف خيل وركاب والغنيمة ما حصل
بذلك **وابن السبيل** وهم الغرباء لانقطاعهم عن اوطانهم وعشائرهم وقسمة الفيء على هذه الاصناف كما مضى ان يقسم خمسة اقسام
خمس منها للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه من المخلوقين وذكر الله فيهم للتبرك لان الاصناف المذكورة هي التي يعبر عنها
باسمه سبحانه والاربعة الاخماس خاصة له صلى الله عليه وسلم ينفق منها نفقة سنته وما فضل عنه انفقه في مصالح المسلمين
السلاح والكراع ونحو ذلك وما كان له صلى الله عليه وسلم في حياته فهو للمصالح بعد وفاته كما كان يفعل بعد ما يفضل عن حاجته
قال الشافعي في الام وما اخذ من مشرك بوجه من الوجوه غير ضيافة من مر بهم من المسلمين فهو على وجهين لا يخرج منهما كلاهما مبين
في كتاب الله تعالى وعلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي فعله فاحدهما الغنيمة قال الله عز وجل في سورة الانفال واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الاية والوجه الثاني الفيء وهو مقسوم في كتاب الله في سورة الحشر قال الله تبارك وتعالى
وما افاء الله على رسوله منهم الى قوله رؤوف رحيم فهذان المالان اللذان خولهما الله من جعلهما له من اهل دينه وهذه اموال

تقوم بهما الولاة لا يسعهم تركها فالغنيمة والفيء يجتمعان في ان فيهما معا الخمس من جميعهما لمن سماه الله تعالى ومن سماه تعالى له
في الآيتين معا سواء مجتمعين غير متفرقين ثم يتفرق الحكم في الاربعة الاخماس بما بين الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وفي فعله
فانه قسم اربعة اخماس الغنيمة والغنيمة هي الموجف عليها بالخيل والركاب لمن حضر من غني وفقير والفيء وهو ما لم يوجف عليه
بخيل ولا ركاب فكانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم في قرى عرينة التي افاءها الله عليه ان اربعة اخماسها لرسول الله صلى
الله عليه وسلم خاصة دون المسلمين يضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اراه الله عز وجل ثم ذكر حديث عمر رضي الله عنه
من رواية اوس بن الحدثان رضي الله عنه في خصام علي والعباس رضي الله عنهما قال الشافعي فاموال بني النضير التي افاء الله على رسوله
صلى الله عليه وسلم التي ذكر عمر رضي الله عنه ما بقي منها في يدي النبي صلى الله عليه وسلم بعد الخمس وبعد اشياء فرقها النبي صلى الله
عليه وسلم منها بين رجال من المهاجرين لم يعط منها انصاريا الا رجلين ذكرا فقرا وهذا مبين في موضعه وفي هذا الحديث دلالة
على ان عمر رضي الله عنه انما حكى ان ابا بكر رضي الله عنه وهو احصيا ما بقي من هذه الاموال التي كانت بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على وجه ما رايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به فيها وانهما لم يكن لهما مما لم يوجف عليه المسلمون من الفيء ما كان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وانهما انما كانا فيه اسوة المسلمين وذلك سيرتهما وسيرة من بعدهما والامر الذي لم يختلف فيه احد
من اهل العلم عندنا علمته ولم يزل يحفظ من قولهم انه ليس لاحد ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من صفي الغنيمة ولا من
اربعة اخماس ما لم يوجف عليه منها وقد مضى من كان ينفق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ازواجه وغيرهن لو كان معهن
فلم اعلم احدا من اهل العلم قال لورثتهم تلك النفقة التي كانت لهم ولا خلاف ان تجعل تلك النفقات حيث كان النبي صلى الله عليه
وسلم يجعل فضول غلات تلك الاموال مما فيه صلاح الاسلام واهله قال الشافعي والجزية من الفيء وسبيلها سبيل جميع ما اخذ
مما اوجف من مال مشرك ان يخمس فيكون لمن سمى الله عز وجل الخمس واربعة اخماسه على ما سابينه ان شاء الله تعالى وكذلك كل ما
اخذ من مشرك بغير ايجاف وذلك مثل ما اخذ منه اذا اختلف في بلاد المسلمين ومثل ما اذا اخذ منه اذا مات ولا وارث له
وغير ذلك مما اخذ من ماله وقد كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فيء من غير قرى عرينة وذلك مثل جزية اهل البحرين وهجر وغير ذلك
فكان له اربعة اخماسها يمضيها حيث اراه الله عز وجل واوفى خمسه من جعله الله له انتهى ولما حكم سبحانه هذا
الحكم في الفيء المخالف لما كانوا عليه في الجاهلية من اختصاص الاغنياء به بين علته المظهرة لعظمته سبحانه وحسن تدبيره ورحمته
فقال معللا بما علق به الجار كي لا يكون اي الفيء الذي يسره سبحانه بقوته وما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم من قذف الرعب في
قلوب اعدائه ومرجعه ان يعطاه الفقراء دولة اي شيئا يتداوله اهل الغنى والشرف على وجه القهر والنكبة اثرة جاهلية هذا على
قراءة الجماعة وقرا ابو جعفر وهشام عن ابن عامر بالتانيث من كان التامة ودولة بالرفع على انها فاعل بين الاغنياء منكم يتداولونه
بينهم فانهم كانوا يقولون من عز بز ومنه قول الحسن اتخذ عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستاثر به وقيل
الضم اسم للمتداول كالغرفة اسم ما يغترف والفتح للتداول ولما كان التقدير فافعلوا ما امرتكم من قسمته لمن امرت بهم عطف
عليه قوله وما اي وكل شيء اتاكم اي احضر اليكم وامكنكم منه الرسول اي الكامل في الرسالة من هذا وغيره فخذوه اي فتقبلوه تقبل
من حازه وما نهاكم عنه من جميع الاشياء فانتهوا لانه لا ينطق عن الهوى ولا يقول ولا يفعل الا ما امره به الله ربه فمن فعل ذلك
هانت عليه الامور كما ورد القرآن صعب مستصعب على من تركه ميسر على من طلبه وتبعه روي ان الاية نزلت في ناس من الانصار
قالوا لنا من هذه القرى سهمنا ولما كان الكف عما الفته النفوس صعبا ولا سيما ما كان مع كونه ممتعا مما يعلي وجه
الرياسة رهب من المخالفة فيه بقوله واتقوا الله اي واجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب الملك
الاعظم المحيط علما وقدرة وعلل ذلك بقوله معظما له باعادة الجلالة مؤكدا لان فعل المخالف فعل المنكر ان الله اي الذي له
وحده الجلال والاكرام على الاطلاق شديد العقاب اي العذاب الواقع بعد الذنب ومن زعم ان شيئا مما في هذه السورة نسخ بشيء مما
في سورة الانفال فقد اخطا لان الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة ولما نوع سبحانه اموال الفيء مما كانت عليه في
الجاهلية وبين مصرف الفيء من القرى وتمادى في المخالفة في ذلك لصعوبته على النفوس فكان ذلك جديرا بالتقبل بعد ان فهم ان اموال
بني النضير لم تسلطه عليهم ومن رسوله صلى الله عليه وسلم وكان من المعلوم من حاله صلى الله عليه وسلم الايثار على نفسه والقناعة
بما دون الكفاف بين المصرف فيها بعد كفايته صلى الله عليه وسلم لان بيان ذلك هو المقصود الاعظم لكونه حاصلا حاضرا المواطاة
باموال اهل القرى فعلم ان المراد من لله وللرسول وما عطف عليهما لان من اعطي المهاجرين لهجرتهم وتجردهم من ديارهم واموالهم
فانما اعطاهم لوجه الله ووجه رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يكون بدلا من ذي القربى لئلا يختص بفقيرهم او يكون جوابا لمن كانه قال
فسمعنا واطعنا فلمن يكون ما سلط الله رسوله صلى الله عليه وسلم من اموالهم فقيل له للفقراء اي الذين كان الانسان منهم يعصب الحجر
على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتاء لتقيه البرد ما له دثار غيرها بعد ان كان له من الاموال ما يسعه ويفضل منه ما يصل به
غيره فانما وصفهم بالفقر لانهم كانوا عند نزولها كذلك ثم خصص بالوصف فقال المهاجرين ولما كانت الهجرة قد تطلق

على من هجر اهل الكفر من غير مفارقة للوطن قال الذين اخرجوا وبناه للمفعول لان المنكي الاخراج لا كونه من مخرج معين من ديارهم
ولما كان الاخراج هنا مضمنا معنى المنع واختير التعبير به اشارة الى ان المال لستره للانسان كانه ظرف له قال
واموالهم ولما كان طلب الدنيا من النقائص بين انه اذا كان من الله لم يكن كذلك وانه لا يكون قادحا في الاخلاص وان من تبحبح
النضير انما يسر تحقيقا لرجائهم فقال يبتغون اي اخرجوا حال كونهم يطلبون على وجه الاجتهاد دون ان انه لا يجب عليه سبحانه
لاحد شيء بقوله فضلا من الله اي الملك الاعظم الذي لا كفؤ له لانه المختص بجميع صفات الكمال من الدين والدنيا والاخرة فيغنيهم بفضله
عمن سواه ورضوانا بان يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم في العوض منه قادحا في الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته
ولما وصفهم بتعليق بواطنهم به سبحانه وقطعها بالرضى بالاخراج عمن عداه وصفهم ببذل ظواهرهم له
فقال وينصرون اي على سبيل التجديد في كل وقت والاستمرار الله اي الملك الاعظم ورسوله الذي عظمته من عظمته
بانفسهم واموالهم ليضمحل حزب الشيطان ولما بان ما لهم سبحانه من العناية ترقب السامع من مدحهم
ما يليق بهذا الاخبار فقال مستانفا ما هو كالعلة لتخصيصهم اولئك اي العالو الرتبة في الاخلاق الفاضلة هم اي
خاصة الصادقون اي العريقون في هذا الوصف لان هجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الايمان
بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما وهو القريب المصافي نسبا ودارا ووالوا من والاهما ممن كانوا
وان بعدت ديارهم وشطت مزارهم وهذا دال على ان مبنى الدين على اقامة البينات بالثبات عند الابتلاءات وعلى ان العون
ياتي على قدر البلاء لان الله تعالى خص المهاجرين بما اذن فيه من اموال بني النضير ولما مدح المهاجرين واعطاهم
فطابت نفوس الانصار بذلك وكانوا في كل حال معه صلى الله عليه وسلم كالميت بين يدي الغاسل مهما شاء فعل ومهما اراد
منهم منا راليه ووصل اتبعه مدحهم جبرا لهم وشكرا لصنيعهم فقال عاطفا على مجموع القصة والذين تبوؤا اي جعلوا
بغاية جهدهم الدار الكاملة في الدور وهي التي اعدها الله في الازل للهجرة وهياها للنصرة وجعلها دائرة على جميع البلدان
محيطة بها غالبة عليها بحلول اقامتهم وملابستهم وصحبتهم وملازمتهم لكونها اهلا لان يعود اليها من خرج منها فلانه
يهجرها اصلا فهي محل مباءة وليست موضعا يهاجر منه لبركتها وخيرها ولما كان المراد الابلاغ في مدحهم قال
مضمنا تبوؤا معنى لازم والايمان اي ولازموا الايمان وصحبوه وخصوه بالصحبة ولزموه لزوما هو كلزوم المنزل الذي لا غنى
لنازله عنه ويجوز ان يكون الايمان وصفا للدار باعادة العاطف للاشارة الى التمكن في كل من الوصفين فيكون كانه قيل
تبوؤا المدينة التي هي الدار وهي الايمان لانها محل تمكن الايمان وانتشاره وظهوره في سائر البلدان فلشدة ملابستها
له سميت به ويجوز ان يكون المعنى ومحل الايمان اشارة الى انهم ما اقاموا بها لاجل ان اموالهم بها بل محبة في الايمان علما منهم
بانه لا يتم بدره ويكمل شرفه وقدره وينتشر اعلامه ويقوى ذكره الا بها ولولا ذلك لهجروها وهاجروا الى النبي صلى الله
عليه وسلم في اي مكان حله فهو مدح لهم بانهم متصفون بالهجرة بالقوة مع اتصافهم بالنصرة بالفعل ولما كان
انفرادهم باقامة الايمان في الدار المذكورة قبلهم وقدوم المهاجرين عليهم مدحا ناما قال كما دحا لهم بذلك دالا باثبات الجار
على انهم لم يستغرقوا زمان القبل من حين ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم بالايمان من قبلهم اي قبل هجرة المهاجرين لان
وصفهم بالهجرة لم يكن الا بعد ايجادها فالانصار جمعوا التمكن في الايمان الى التمكن في الدار من قبل ان يجمع المهاجرون
بينها بالهجرة ولما ابتدا ذكرهم هذا الابتداء الجليل اخبر عنهم بقوله يحبون اي على سبيل التجديد والاستمرار
وقيل العطف على المهاجرين وهو حال فيكون هذا حكما بالمشاركة من هاجر وزادهم محبة فيهم وعطفا عليهم بقوله اليهم
لان القصد الى الانسان يوجب حقه عليه لانه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد اليه والدليل المشهود على ما
اخبر الله عنهم به من المحبة انهم شاطروا المهاجرين في اموالهم وعرضوا عليهم ان يشاطروهم نساءهم على شدة غيرتهم
فابى المهاجرون المشاطرة في النساء وقبلوا منهم الاموال ولما اخبرهم بالمحبة ورغبهم في ادامتها عطف على
هذا الخبر ما هو من ثمراته فقال ولا يجدون اي اصلا في صدورهم التي هي مساكن قلوبهم فتصدر منها اوامر القلوب
فضلا عن ان تنطق السنتهم ولما كان المراد نفي الطلب منهم لما خص به المهاجرون وكان الحامل على طلب
ذلك الحاجة وكان كل احد يكره ان ينسب الى الحاجة وان اخبر بها عن نفسه في وقت ما لغرض قال حاجة موقعا اسم
السبب على المسبب مما اوتوا اي المهاجرون من الفيء وغيره من اموال بني النضير وغيرهم من اي موت كان فكيف اذا كان
المؤتي هو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واذا لم يجدوا حاجة تدعوهم الى الطلب فلان لا يجدوا الحكم احسدا ولا
غيظا من باب الاولى فهذه الاية من اعظم حاث على حسن الاخلاق مجرد من الحسد والاستيثار ولما اخبر
عن تخليهم عن الرذائل اتبعه الاخبار بتحليهم بالفضائل فقال ويؤثرون عظم ذلك بقصر الفعل فصار المعنى
يوقعون الايثار وهو اختيار الاشياء الحسنة لغيرهم تخصيصا لهم بها لا على احبائهم مثلا بل على انفسهم فيبذلون

لغيرهم كاينا من كان فانى لهم وذكر النفس دليل على انهم فى غاية النزاهة من الرذايل لان النفس اذا طهرت كان القلب اطهر واكد
ذلك بقوله ولو كان اى كونا هو فى غاية المكنة بهم اى خاصة لا بالموثر خصاصة اى فقر وخلل فى الاحوال وحاجة شديدة محيطة
بهم من كل جانب من خصاص البنا وهى فرجة ولما كان التقدير فمن كان كذلك فهو من الصادقين عطف عليه قوله ومن ولما
كان المقصود النزاهة عن الرذيلة من اى جهة كانت وكان علاج الرذايل صعبا جدا لا يطيقه الانسان الا بمعونة من الله سبحانه
بنى للمفعول قوله يوق شح نفسه اى يحصل بينه وبين اخلاقه الذميمة المشار اليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا يكون بايعا
لما عنده حريصا على ما عند غيره حسدا قال ابن عمر رضى الله عنه الشح ان يطمح عين الرجل فيما ليس له قال صلى الله عليه وسلم اتقوا
الشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ولما كان النظر الى التطهير من سفساف
الاخلاق عظيما تسبب عنه امرا ما لانه لا يحصل ما تسببه عنه بدونه قوله فاولئك اى العالو المنزلة هم اى خاصة المفلحون
اى الكاملون فى الفوز بكل مراد قال القشيرى وتجرد القلب من الاعواض والاملاك صفة السادة والاكابر ومن اسرته
الاخطار وبقى فى شح نفسه فهو فى مصارفة معاملته ومطالبة الناس فى استيفاء حظه فليس له من مذاقات هذه الطريقة
شىء وشرح الاية ان الانصار كانوا المائدة عليهم المهاجرون قسموا دورهم واموالهم بينهم وبينهم فلما افاء الله على رسوله
صلى الله عليه وسلم اموال بنى النضير خطب النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ما صنعوا بالمهاجرين من انزالهم اياهم واثرتهم
على انفسهم ثم قال ان احببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما افاء الله على من بنى النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى
فى منازلكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال السعدان رضى الله عنهما بل تقسم بين المهاجرين خاصة
ويكونون فى دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا وفى رواية انهم قالوا اقسم فيهم هذه خاصة واقسم لهم
من اموالنا ما شئت فنزلت ويوثرون على انفسهم الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابنا
الانصار وقال ابو بكر رضى الله عنه جزاكم الله خيرا يا معشر الانصار فوالله ما مثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوى

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت • بنا نعلنا فى الواطين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا • تلاقى الذى يلقون منا لملت

انهم فهم لعمرى الحقيقون بانهم اخوان الصفا وخلان المودة والوفا والكرامة والاصطفا ولما اثنى سبحانه على المهاجرين
والانصار رضى الله عنهم بما هم اهله لقن التابعين لهم باحسان ما يوجب لهم الثنا فقال عاطفا على المهاجرين فيقتضى الشركة لهم
او على اصل القصة من عطف الجمل والذين جاءوا اى من اى طايفة كانوا ولما كان المراد المجىء ولو فى زمن يسير ابتدأ
الجار فقال من بعدهم اى بعد المهاجرين والانصار وهم من آمن بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد ايمان الانصار الذين اسلموا مع
النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة ثم ذكر الخبر او الحال على نحو ما مضى فى الذى قبله فقال يقولون اى على سبيل التجدد
والاستمرار تصديقا لايمانهم بدعايهم لمن سبقهم ربنا اى ايها المحسن الينا بايجاد من مهد الدين قبلنا ولما
كان الانسان وان اجتهد موضعا للنقصان قال ملقنا لنا اغفر اى اوقع ستر النقايص اعيانها واثارها لنا ولما بدوا
بانفسهم ثنوا بمن كان السبب فى ايمانهم فقالوا ولاخواننا اى فى الدين فانها اعظم اخوة وبينوا العلة بقولهم الذين سبقونا
بالايمان ولما لقنهم سبحانه حسن الخلافة لمن مهد لهم ما هم فيه اتبعه تلقين ما يعاشرون به اعضادهم الذين هم معهم
على وجه تعم من قبلهم فقال معلما بان الامر كله بيده حثا على الالتجا اليه من اخطار النفس التى هى اعدا الاعدا فقال ولا تجعل وافهم قوله
فى قلوبنا انه ذايل النفس قل ان تنفك وانها ان كانت مع صحة القلب اوشك ان لا تؤثر غلا اى ضغنا وحسدا وحقدا وهو
حرارة وغليان توجب الانتقام للذين امنوا اى اقروا بالايمان وان كانوا فى ادنى درجاته ولما كان هذا دعا
جامعا للخير لقنهم ما يجيبهم فى لزومه والتحلى به مع ما فيه من التملق للاله والتعريض له بقوة الرجا فقال ربنا اى ايها
المحسن الينا بتعليم ما لم نكن نعلم واكدوا اعلاما بانهم يعتقدون ما يقولونه وان ظهر من افعالهم ما يقدح فى اعتقادهم ولو فى بعض
الاوقات فقالوا انك رءوف اى راحم اشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة بفعل من افعال الخير رحيم مكرم غاية الاكرام لمن
اردت ولو لم تكن له وصلة فانت جدير بان تجيبنا لاجل ابتداء يكون لنا وصلة فنكون من اهل الرافة او لا فنكون من اهل الرحمة
فقد افادت هذه الاية ان من كان فى قلبه غل على احد من الصحابة رضى الله عنهم فليس ممن عنى الله بهذه الاية
ولما دل على ان هذا الثنا للصادقين فى الايمان باقامة البينة بالهجرة والايثار والاجتهاد فى الدعا لمن سبق الى الايمان فسهل به ظن
الايمان فاخرج ذلك المنافقين وافهم انهم لا يفعلون ذلك لانهم لا رسوخ لهم فى الايمان الحامل على ذلك دل على نفاقهم الموجب لذمهم
بقوله متمما للقصة مخاطبا لاعلى الخلق اشارة الى انه لا يطلع على نفاقهم لما لهم فيه من دقة المكر حق الاطلاع غيره صلى الله عليه
وسلم معجبا منه لهم فى عدم رسوخهم مع ما يرون من المعجزات والايات البينات ويرون من رجال المومنين من اسباغ الرحمة
عليهم بتسهيل الامور والنصرة على الجبابرة والاعراض عن الدنيا مع الاقبال على الاخرة والاجتهاد فى الدين الذى هو وحده

داع الى الايمان ومرقق للقلوب وبين الحقايق غاية البيان الم تر اى تعلم علما هو فى قوة الجزم به كالمشاهد يا اعلى الخلق وبين بعد همم
عن جنابه العالى ومنصبه الشريف العالى باداة الانتها فقال الى الذين نافقوا اى اظهروا غير ما اضمروا واظهروا الخير وبالغوا
فى اخفاء عقايدهم بالشر مبالغة من يساجل غيره وهم عبد الله بن ابى واصحابه قالوا والنفاق لفظ اسلامى لم يكن العرب تعرفه قبله
وهو استعارة من فعل الضب فى نافقايه وقاصعايه وصور حالهم بقوله يقولون لاخوانهم اى فى الموالاة والصلات ولما
جمعهم فى الكفر وان افترقوا فى المساترة به والمجاهرة وصف المجاهرين بنوع مشاركة توجب النفرة منهم وتقتضى بيلا لمن صادقهم
فقال الذين كفروا اى غطوا انوار المعارف التى دلتهم على الحق وعينتهم بما بلغ فى ذمهم من حيث انهم ضلوا على علم فقال من اهل
الكتاب وهم بنوا النضير هولاء وبكتهم بكذبهم فيما اكدوا الوعد به لانه فى حيز ما ينكر من جهة انهم لا يقدرون على المجاهرة
بكفرهم فكيف بالمبارزة بالخلاف لقومهم الانصار والنبى صلى الله عليه وسلم فيهم فى قولهم لئن اخرجتم اى من مخرج ما من بلدهم
الذى فى المدينة الشريفة فخرجتم من غير ان تقاتلوا لنخرجن معكم ولما كان ما قضيه على اخوانهم من الاخراج قالا وكل بعض
ولما كان من المعلوم ان للمنافقين اقارب من اكابر المومنين وكان من المعلوم انهم يقولون عليهم فى منعهم من القيام
معهم نصيحة لهم واحسانا اليهم وكان تجويز بنى النضير لذلك موهنا لهم قالوا مؤكدين للكون معهم ولا نطيع فيكم اى فى
خذلانكم والمعنى انه لو فرض انه صار احد فى القرب منهم مثل قرب المظروف من الظرف ما اطعناه فى التقصير فيما يسركم
احدا اى يسلبنا خذلانكم من الرسول والمومنين واكدوا بقولهم ابدا اى ما دمنا نعيش وبمثل هذا العزم استحق الكافر الخلود
الابدى فى العذاب ولما قدموا فى وعدهم ما كان فالا قاضيا عليهم اتبعوه قولهم وان قوتلتم اى من اى مقاتل كان
قاتلتم ولم تخرجوا لننصرنكم فالاية من الاحتباك ذكر الاخراج اولا دليلا على ضده ثانيا والقتال ثانيا دليلا على ضده
اولا ومعنى الاية ان النبى صلى الله عليه وسلم ارسل الى بنى النضير اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى وقد هممتم بالغدر بى
وقد اجلتكم عشرا فمن رؤى بعد ذلك منكم ضربت عنقه فارسل اليهم ابن ابى بما تقدم ولما كان قولهم هذا كلاما يقضى
على سامعه بالصدق من حيث كونه مؤكدا مع كونه مبتدا من غير سؤال فيه بين حاله سبحانه بقوله والله اى يقولون
ذلك والحال ان المحيط بكل شىء قدرة وعلما يشهد بما يعلم من بواطنهم فى عالم الغيب ولما كان بعض من يسمع قولهم هذا
ينكر ان لا يطابقه الواقع وكان اخلافهم فيه متحققا فى علم الله اطلع عليه من لا يطلع الا على ما كشف الواقع عن انه غير مطابق
فقال تشجيعا للمومنين على قتالهم مؤكدا انهم اى المنافقين لكاذبون وهذا من اعظم دلايل النبوة لانه اخبار بمغيب بعيد
عن العادة بشهادة ما ظننتم ان يخرجوا فحققه الله عن قرب ولما كان الكذب فى قولهم هذا كونه اخبارا بما لا يكون
شرحه بقوله مؤكدا باعظم من تاكيدهم لئن اخرجوا اى بنوا النضير من اى مخرج كان لا يخرجون اى المنافقون معهم اى
حمية لهم لاسباب يعلمها الله ولئن قوتلوا اى اليهود من اى مقاتل كان فكيف باشجع الخلق واعلمهم صلى الله عليه وسلم لا
ينصرونهم اى المنافقون ولقد صدق الله وكذبوا فى الامرين معا القتال والاخراج لا نصروهم ولا خرجوا معهم فكان ذلك
من اعلام النبوة وعلم به من كان شاكا فضلا عن الموقنين صدق الكلام على ما لم يكن ولا يكون لو كان كيف كان يكون بصدق الكلام
على ما لم يكن ويكون كيف يكون اذا كان فى قوله تعالى ولئن نصروهم اى المنافقون فى وقت من الاوقات ليولن اى المنافقون
ومن ينصرونه وحقرهم بقوله الادبار ولما كان من عادة العرب الكر بعد الفر بين انهم لا كرة لهم بعد هذه
الفرة وان طال المدى فقال ثم لا ينصرون اى لا يتجدد لفريقهم ولا لواحد منهما نصرة فى وقت من الاوقات وقد صدق
سبحانه لم يزل المنافقون واليهود فى الذل ولا يزالون ولما كان ربما قيل ان تركهم لنصرهم انما هو لخوف الله
او غير ذلك مما يحسن ونفعه علل بما ينفى ذلك ويظهر انحطاط نظرهم الى المحسوسات كالبهايم فقال مؤكدا له لاجل ان اهل
النفاق ينكرون ذلك وكذا من قرب حاله منهم لانتم ايها المومنون اشد رهبة اى من جهة الرهبة وهو تمييز محول
عن المبتدا اى لرهبتكم الكاينة فيهم اشد وعظمها بقوله فى صدورهم اى اليهود ومن ينصرهم لما فاض اليها من قلوبهم
من الله اى من رهبتهم التى يظهرونها لكم منه وان ذكروه بكل صفة من صفاته فرهبتهم منكم سببا لاظهار رهبتهم
انهم يرهبون الله رياء لكم ولما كان هذا مما يتعجب منه المومن علله بقوله ذلك اى الامر الغريب وهو
خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف لرويتهم له وعدم خوفهم من الخالق على ما له من العظمة فى ذاته ولكونه
غيبا عنهم بانهم قوم اى على ما لهم من القوة لا يفقهون اى لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم فى وقت من الاوقات
فهم شرح صدورهم ليدركوا به ان الله هو الذى ينبغى ان يخشى لا غيره بل هم كالحيوانات لا نظر لهم الى الغيب انما همهم
مع المحسوسات والفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلى وغامضه الخفى بسرعة فطنة وجودة قريحة ولما
اخبر برهبتهم دل عليها بقوله لا يقاتلونكم اى كل من الفريقين اليهود والمنافقين او احدهما ولما
كان الشىء قد يطلق ويراد بعضه حقق الامر بقوله جميعا اى قتالا لا تقصدونه مجاهرين وهم مجتمعون كلهم فى وقت من الاوقات

ومكان من الاماكن إلا في قرى محصنة اي ممنعة بحفظ الدروب وهي السكك الواسعة بالابواب والخنادق ونحوها أو من وراء جدر
اي محيطة بهم سواء كان بقرية او بغيرها لشدة خوفهم وقد اخرج بهذا ما حصل من بعضهم عن ضرورة كاليسير ومن كان ينزل من اهل خيبر
من الحصن فيبادر ونحو ذلك فانه لم يكن عن اجتماع او يكون هذا خاصا ببني النضير في هذه الكرة ولما كان ربما ظن ان هذا
عن عجز منهم لازم لهم دفعه بقوله اعلاما بانه انما هو من معجزات هذا الدين بأسهم اي قوتهم وما فيهم من الصفات التي ينشأ
عنها العذاب بينهم شديد اي اذا ادار واراد بعضهم بعضا فجز المؤمنين عليهم بما ينظرونه من شدتهم وتحاميهم
اذا حاربوا المشركين لا يكون عند محاربة المؤمنين كرامة اكرم الله بها المؤمنين تتضمن علما من اعلام النبوة تقوية لايمانهم
واعلالا لشانهم ولما كانت علة الشدة الاجتماع شرح حال التي الشدة والرهبة بقوله مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم
اشارة الى شدة ما يظهرون من التعاضد لبعض تحسبهم اي اليهود والمنافقين يا اعلى الخلق او يايها الناظر من كان لذلك
لتعاطف الظاهر جميعا لما هم فيه من اجتماع الدفاع وعن ذلك نشأت الشدة وقلوبهم شتى اي متفرقة اشد افتراق وعن
ذلك نشأت الرهبة وموجب هذا الشتات اختلاف الاهواء التي لا جامع لها من نظام العقل كالبهائم وان اجتمعوا في عداوة
اهل الحق كاجتماع البهائم في الهرب من الذيب قال القشيري اجتماع النفوس مع تنافر القلوب واختلافها اصل كل فساد
وموجب كل تخاذل ومقتض لتجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراك في الهمة والتساوي في القصد يوجب كل ظفر وكل
سعادة ولما كان السبب الاعظم في الافتراق ضعف العقل قال معللا ذلك اي الامر الغريب من الافتراق بعد
الاتفاق الذي يخيل الاجتماع بانهم قوم اي مع شدتهم لا يعقلون فلا دين لهم يجمعهم لعلمهم انهم على الباطل فهم اسرى الاهوية
والاهوية في غاية الاختلاف فالعقل مدار الاجتماع كما كان الصحابة رضوان الله عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان
الهوى مدار الاختلاف ولما كان الاخبار بعدم عقلهم دعوى دل عليها بامر مشاهد فقال كمثل اي قصتهم في
عدم فقههم بل عقلهم الذي نشأ عنه اخراجهم هذا وما شابهه من مكرهم وغدرهم واعتمادهم على ابن ابي ومن معه من المنافقين
مثل قصة الذين من قبلهم ولما كان ادخال الجار مع دلالته على عدم استغراق زمان القبل يدل على قرب الزمن
صرح به فقال قريبا وهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما بنوا قينقاع من اهل دينهم اليهود اظهروا اباء شديدا عندما
قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم في اثر غزوة بدر فوعظهم وحذرهم باس الله فقالوا لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما اغمارا
لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة والله لو قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس ثم مكروا بامراة من المسلمين فارادوها على كشف
وجهها فابت فعقدوا طرف ثوبها من تحت خمارها فلما قامت انكشفت سوءتها فصاحت فغار لها شخص من الصحابة رضي
الله عنهم فقتل اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه فانتقض عهدهم فانزل النبي صلى الله عليه وسلم بساحتهم جنود الله
فاذلهم الله ونزلوا من حصنهم على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا احلاف ابن ابي ولم يغن عنهم شيئا غير انه سأل النبي صلى
الله عليه وسلم في ان لا يقتلهم والح عليه حتى كف عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بانفسهم من غير حشر لهم بالالزام بالجلاء
ولما كان كانه قيل ماذا كان خبرهم قال ذاقوا وبال اي وخامة وسوء عاقبة امرهم في الدنيا وهو كفرهم وعداوتهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحربه الذين هم حزب الله وسماه امرا لانه مما ايتمروا فيه ولهم اي في الاخرة عذاب اليم اي
شديد الايلام ولما شبه سبحانه امرهم في طاعتهم لابن ابي ومن معه وهم البعداء المحترقون بسبب ابعاد المؤمنين
لهم بابعاد الله واحراقا كبادهم لذلك مع ما اعد لهم في الاخرة بامر بني قينقاع شبه قصة الكل بقصة الشيطان ومن اطاعه
من الانس والجن معا لا مبينا المعنى الذي حط عليه اخر الكلام كمثل اي مثل الكل الواعدين بالنصر والمغترين بوعدهم مع علمهم بان الله
كتب في الذكر لاغلبن انا ورسلي في اخلافهم الوعد واسلامهم اياهم عند ما حق الامر يشبه مثل الشيطان اي البعيد من كل
خير لبعده من الله المحترق بعذابه والشيطان هنا مثل المنافقين اذ قال للانسان اي كل من فيه نوس واضطراب وهو هنا
مثل اليهود اكفر اي بالله بما زين له ووسوس اليه من اتباع الشهوات القائم مقام الامر ولما كان الانسان لما ساعد
تزيين الشيطان عليه من شهواته وحظوظه واخلاقه يطيع امره غالبا قال فلما كفر اي وجد الانسان الكفر على اي وجه كان
وذلك الفاعل اتباعه في متابعة تزيينه قال اي الشيطان الذي هو هنا عبارة عن المنافقين موكدا لما لم يتعلق بمن له الوعد
شيء من صادق الاعتماد عليه والتكذيب بانه يخذله اني بريء منك اي ليس بيني وبينك علاقة في شيء اصلا ظنا منه ان هذه
البراءة تنفعه شيئا مما استوجبه المامور بقبوله لامره وذلك كناية عن انه فعل معه من الاعراض عنه والتمادي في كل ما يدل
على اعماله فعل من اكد البراءة منه وذلك كما فعل المنافقون باليهود جراوهم على امر شهي اليهم ومنوا الاقامة في بلدهم فلما
نصبوا الحرب طمعا في نصرهم فعل المنافقون في تثبطهم عنهم فعل المتبري منهم فكان ذلك اشد عليهم مما لو قطعوهم في
نصرهم لان هذه المنزلة انهزامهم عنهم من الصف الموجب لانهزامهم لا محالة ثم علل البراءة بقوله اني اخاف الله اي الملك
الذي لا امر لاحد معه فلا انطاق لصولته ثم شرح ذلك بقوله رب العالمين اي الذي احدثهم من العدم ورباهم بما يدل على جميع

الاسماء الحسنى والصفات العلى فلا ينبغي لاحد من خلقه عن احد شيئا الا باذنه وهو لا ينفع اصلا لمن يقدح في ربوبيته ولا سيما
ان نسبها الى غيره وكان هذا التمثيل لما يجده الانسان بعد الوقوع في المعصية من الندم والحيرة فاذا لم يجد ذلك وهم بالتوبة زين
له المعصية وصعب عليه امر التوبة وعسره وجراه على المعصية بعينها او على ما هو اكبر منها ولا يزال كذلك حتى يبعد عليه
الرجوع فيتحقق هلاكه وهلاك من اوقعه فلذلك سبب عنه قوله فكان ولما كان تقديم الشيء على محله موجبا
لروعة تنبه الانسان للتفتيش عن السبب والتشوق الى المؤخر قال عاقبتهما مقدما للخبر كان انهما اي الغار والمغرور
في النار حال كونهما خالدين فيها لانهما ظلما ظلما لا فلاح لما معه ولما كان ذلك قد يحمل على انه في انسان بعينه قال معلقا
بالوصف تعميما وزجرا عنه وذلك اي العذاب الاكبر جزاء الظالمين اي كل من وضع العبادة في غير محلها ولما
ابلغ سبحانه في المواعظ في هذه السورة قولا وفعلا وكانت الايقاعات المذكورة فيها مسببة عن الخيانات ممن كان له عهد
فنقضه او ممن كان اظهر الايمان فابان فعله كذبه قال سبحانه استثناجا عن ذلك وعظا للمؤمنين لان الوعظ بعد الدماء
اوقع في النفس واعظم في ترقيق القلب وتحذيرهم مما يوجب العقوبة يايها الذين امنوا مناديا لهم بنداء البعد معبرا بادنى
اسنان الايمان لانه عقب ذكر من اقر بلسانه فقط اتقوا الله اي اجعلوا لكم وقاية تقيكم سخط الملك الاعظم الذي لا امر
لاحد معه ولا بد ان يستعرض عبيده فاحذروا عقوبته بسبب التقصير فيما حده لكم من امر او نهي ولتنظر نفس اي كل
نفس تنظر الى نفاستها وتريد العلو على اقرانها ولعله وحدها للاشارة مع افادة التعميم الى قلة الممتثل لهذا الامر
جدا ما قدمت اي من الزاد الذي يكون به صلاح المنزل الذي من لم يسع في اصلاحه لم تكن له راحة هل يرضي الملك ما قدمته
فينجيها ام يغضبه فيرديها ولما كان الاجل مبهم الوقت فكان لقاء الله في كل يوم بل كل لحظة للعاقل
مترقبا لكونه ممكنا مع كونه على الاطلاق محققا لا يجهله احد قال مشيرا بتنكيره وابهامه الى تهويله واعظامه لغد
اي لاجل العرض بعد الموت او في يوم القيمة الذي هو في غاية القرب لان هذه الدنيا كلها يوم واحد يجيء فيه ناس ويذهب
اخرون والموت او الاخرة غد لا بد من كل منهما وكل ما لا بد منه فهو في غاية القرب لا سيما ان كان باقيا غير منقض وكل
نظر لعدم احسن مراعاة يومه وتنوينه للتعظيم من جهات لا تحصى ولما امر بتقواه سبحانه خوفا من سطوته
امر بتقواه لاجل مراقبته حياء من جلاله وهيبته تاكيدا للامر لان مدار النجاة على التقوى لان مكايد الشيطان
دقيقة لمن لم يبالغ في محاسبة نفسه وتفقد ما يمكن ان يكون من الخلل في اعماله اوشك ان يحبط الشيطان اعماله فقال
واتقوا الله اي الجامع لجميع صفات الكمال حياء منه فالتقوى الاولى لايجاد صور الاعمال وهذه لتصفيتها وتزكيتها
او واحدها ولذلك علل بقوله ترغيبا مرهبا ان الله اي الذي له الاسماء الحسنى والصفات العلى خبير اي عظيم الاطلاع
على ظواهركم وبواطنكم والاحاطة بما تعملون فلا تعملون عملا الا كان بمرأى منه ومسمع فاستحيوا منه وكرر الاسم الاعظم
كراهية ان يظن تقييد التقوى بحيثية من الحيثيات وتعظيما لهذا المقام اعلاما بان شؤونه لا تنحصر وان احاطته لا تخص
مقاما دون مقام ولا شانا سوى شان ولما امر الى تقواه تارة بالخوف واخرى بالحياء تاكيدا لها وعلل ذلك
بما هو شعبة من التحذير وكان الانسان لما له من النسيان احوج الى التحذير قال موكدا لشعبته وايضاحا لان التقوى الثانية
لمحاسبة النفس في تصفية العمل ولا تكونوا ايها المحتاجون الى التحذير وهم الذين امنوا كالذين نسوا الله اي اعرضوا
عن اوامره ونواهيه وتركوها ترك الناسين لمن برزت عنه مع ما له من صفات الجلال والاكرام لما استغواهم به من امره
الشيطان حتى ابعدهم جدا عن العمران فانساهم اي فتسبب عن ذلك انه انساهم بما له من الاحاطة بالظواهر والبواطن
انفسهم فلم يقدموا لها ما ينفعها وان قدموا شيئا كان مشوبا بالمفسدات من الرياء والعجب فكانوا ممن قال فيه سبحانه
وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة الاية لانهم لم يدعوا بابا من ابواب الفسق فان راس الفسق الجهل بالله وراس العلم ومفتاح
الحكمة معرفة النفس فاعرف الناس بنفسه اعرفهم بربه ولما كانت ثمرة ذلك انهم اضاعوها فهلكوا قال
اولئك اي البعيدون من كل خير هم اي خاصة الفاسقون اي العريقون في المروق من دائرة الدين ولما
تم الدليل على ان حزب الله هم المفلحون لما ايدهم به في هذه الحياة الدنيا من النصر والشدة على الاعداء واللين والمعاضدة
للاولياء وساير الافعال الموصلة الى جنة الماوى وصرح في اخر الدليل بخسران حزب الشيطان فعلم ان لهم مع هذا الهوان
عذاب النيران وكان المغرور بعد هذا بالدنيا الغافل عن الاخرة لاجل شهوات فانية وحظوظ زايلة عاملا عمل من يعتقد
انه لا فرق بين الشقي بالنار والسعيد بالجنة لتجشمه التجرع لمرارات الاعمال المشتملة عليها التي ادلتكم له متركا لهم منزلة
الجازم بذلك او الغافل عنه نبههما لهم على غلطهم وايقاظا من غفلتهم لا يستوي اي بوجه من الوجوه اصحاب النار التي
هي محل الشقاء الاعظم واصحاب الجنة التي هي دار النعيم الاكبر لا في الدنيا ولا في الاخرة وهي مراد له انه لا يقتل مسلم بكافر
ولما كان نفي الاستواء غير معلم في حد ذاته بالاعلى من الامرين وكان هذا السياق معلما بما حفه من القرائن لغلو اهل

اهل الجنة صرح به في قوله أصحاب الجنة هم اي خاصة الفائزون اي المدركون لكل محبوب الناجون من كل مكروه واصحاب
النار هم الهالكون في الدارين كما وقع في هذه الغزوة لفريقي المومنين وبني النضير ومن والاهم من المنافقين فشتان ما بينهما
كان قد مر في هذه السورة فضلا عما تقدمها من حكم هذا القران واعجازه تارة بمطابقته لما نزل بسببه مطابقة
تجلو عنه كل اشكال وتارة بما يشاهد من صدقه فيما اخبر باتيانه من الافعال واخرى بما يتحدى به من الاقوال ومن نظم كل جملة
مع ما تقدمها على ما لا يمكن لبشر مثله من الاحوال الى غير ذلك من امور لا يحصرها المقال ترتب على ذلك قوله مبينا ان سبب افتراق
الفريقين في العقبى افتراقهم في هذا القران في الاولى تمثيلا للقلوب في قسوتها او لينها عند سماع القران وتخييلا توبيخا للقاسي ومدحا
للعاطف اللين لافتا القول الى اسلوب العظمة لاقتضاء الحال لها لو انزلنا بعظمتنا التي اباناها هذا الانزال هذا القران اي الجامع لجميع
العلوم الفارق بين كل ملتبس المبين لجميع الحكم على جبل اي جبل كان لرايته يا اشرف الخلق وان لم يشاهد غيرك ذلك لكل الرؤية
خاشعا اي مطمئنا مخبتا على صلابته متذللا باكيا متصدعا اي متشققا غاية التشقق كما تصدع الطور لتجلينا له بما دون ذلك من العظمة
التي جلونا كلامنا الشريف لموسى عليه السلام في ملابسها من خشية الله اي من الخوف العظيم ممن له الكمال كله حذرا من ان لا يكون مودنا
ما افترض عليه من تعظيم القران عند سماعه فما الانسان حرم وقد اتاه الله من العقل ما لم يؤت الجبل يستخف بحقه ويعرض عما فيه من العبر
وفي الاية مدح للنبي صلى الله عليه وسلم في ثباته لما لا تثبت له الجبال وذم للمعرضين بكونهم اقسى من الجبال ولما كان التقدير توبيخا
وتبكيتا لمن لم يرق للقران ألم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فانا قد فصلنا لهم الحلال والحرام والامر والنهي
واوضحنا المحكم ودللنا على المتشابه وقصصنا الاقاصيص بعد جعلهم عقلا ناطقين فتلك اقاصيص الماضين لعلهم يعتبرون
عطف عليه قوله وتلك الامثال اي التي لا يشابهها شيء نضربها للناس اي الذين يحتاجون اليها وهم من فيهم تذبذب واضطراب
لعلهم يتفكرون اي لتكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرجى تفكره في تلك الامثال فينفعه ذلك اذا اداه التفكر الى التذكر فراى فيه
الرسول صلى الله عليه وسلم له ان كل ما في القران من شيء ففيه شاهد منه فتطابق له كتاب الخلق وكتاب الامر فتخلى من الشهوات
البهيمية فتجافى الحظوظ النفسية فتحلى بالملابس الروحانية فصار بالمجاهدات والمنازلات الى الصفات الملكية فكان اهلا
للمقامات القدسية في الجنان العلية ولما اعلى سبحانه اولياءه بان فتح السورة بالايمان بالغيب وهو العزيز الحكيم
بعد التنزيه عن نقائص التعطيل وكل شائبة نقص ونزل لعباده في اشباه الصفات والافعال الى ان وصلهم الى المحسوس الامثال
فتاهلوا للسنا في ذاته وما علا من صفاته الموجبة لخشيته رقاهم الى التفكر في تفصيل ما افتتح به فقال عائدا الى اسلوب العظمة الاعظم
منها باسبال الحجب العز على منهاج الحكمة هو اي الذي وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شيء يستحق الوصف بهو غيره لانه
الموجود دائما ازلا وابدا فهو حاضر في كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس فلذلك تتصدع الجبال من خشيته ولما
عبر عنه باخص اسمائه لخصوصيته لطفا بنا وتنزلا لنا باشهرها الذي هو مسمى الاسماء كلها فقال الله اي المعبود الذي لا ينبغي
العبادة ولا الالهية الا له الذي بطن عن الوهم والخط ولا يحيط به العقول من نعوت الكبرياء والعظمة والاكرام وظهر بافعاله التي
لا تضاهى هي بوجه غاية الظهور فتميز غاية التميز فلم يجعله شرك اصلا في اسمه من الام ولا تسمية من التسمي قال الحرالي في شرح
الاسما وهو لوم القلوب والعقول اي محارها الذي لا تدركه فلزم الخلق من توحيد اسم الاله ما حصل لهم من توحيد اسم الله من
الاحدية الاحاطية انتهى فلذلك كان وصفه الذي لا اله الا هو فانه لا مجانس له ولا يليق ولا ينبغي ولا يتصور ان يكافيه او يدانيه
شيء والاله اول اسم لله فلذلك لا يكون احد مسلما الا بتوحيده فتوحيده فرض وهو اساس كل فريضة وتوحيد سائر الاسماء نفل وهو
اساس كل نافلة فمن وحدها في الكل كمل دينه وتمت النعمة عليه والا كان من الذين امنوا فان كان له لكمه فقد عصم من نار الاحكام
على الابدان في الدنيا وان كان علما تخلص من نار الهلع على النفوس في الدنيا وهو الجزع عند مس الشر والمنع والبخل عند مس الخير ولن
يشهد التوحيد في هذه الكلمة التي مضمونها توحيد اسم الاله احسانا الا بعد احصاء جميع الاسماء علما قال الحرالي والاله التعبد
وهو الذي لكل من توهم حاجة لشيء وتوهم ان عنده قوام حاجته تذلل له فكان بذلك له الها وكل من عبد ما احاط به عينه فقد
خذل عقله عن تصحيح معنى الاله الذي يجب ان يكون غيبا فكان تصحيح معنى له انه غيب قائم مستحق للعبادة والتذلل اجلالا له
والاستغنا به ولما اخبر بتفرده دل عليه باستحقاقه لذلك فقال مقدما لما هو متقدم في الوجود عالم الغيب
اي الذي غاب عن علم جميع خلقه كان ربما ظن ان وصفه بالغيب امر نسبي سمي غيبا بالنسبة لناس دون ناس دل
بذكر الضد على ان المراد كل ما غاب وكل ما شهد فقال والشهادة اي الذي حضر فكان بحيث يحسه ويطلع عليه بعض خلقه
ولما تعالى في صفات العظمة ونعوت الجلال والكبر وبطن غاية البطون لحظ في رحمة العباد بالتنزل لهم بالتعطف
اليهم بعواطف الرحمة فقال بانيا الكلام على الضمير اعلاما بان المحدث عنه اولا هو بعينه المحدث عنه ثانيا هو الرحمن اي العام
الرحمة قال الحرالي والرحمة اجراء الخلق على ما هو انفع لهم بما يلائم خلقهم وخلقهم ومقصد افئدتهم فاذا اختص ذلك البعض
كان رحيمية واذا استغرق كان رحمانية ولاستغراق معنى اسم الرحمن لم يكن ليتم معناه وجودا في الخلق فلم يجر على احد منهم

لله لكمال معناه الرحمن في معنى استغراقه يعني باسمه الله ولما كانت الرحيمية خاصة بما ترضاه الالهية قال الرحيم
اي ذو الرحمة العامة المسعدة في الظاهر والرحمة الخاصة المسعدة في الباطن وقال الحرالي الرحمة من الرحيم لاختصاص من شملته الرحمانية
بمزيد ما اوتيه من الرحمة في مقابلة من آل امره الى نقمة ليجمع مقتضى الاسمين من عموم الرحمانية واختصاص الرحيمية ولما
ظهر في الخلق خصوص الايثار اجرى عليهم اسم الرحيم كرحمة الخلق ابناءهم ولما كان حق اسم الرحيم اثبات رحمة غير مجذوذة
ولم يكن ذلك للخلق لم يكن بالحقيقة الرحيم الا الله الذي اذا اختص بالرحمة لم يجذها فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها ان الله لا ينزع العلم انتزاعا بعد ان اعطاكموه واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلذلك بالحقيقة لا رحيم الا الله تحقيق علم كما انه لا رحمن الا الله
بادي معنى ولما كان الملك كمال الاستيلاء على الخلق ليقصرهم بتملكهم على بعض مستطاعهم ويدينهم اي يجزيهم
على حسب دينهم اي ما وضع لهم من عادة فرضها لهم وحكمه عليهم وبحسب احصائه عليهم دقيق اعمالهم واحاطته بخفي احوالهم
والاطلاع على سرائرهم ليحقق استيفاء الجزاء فيتحقق بذلك كمال الملك فكان لذلك لا يتحقق حقيقة الملك لمن هو دون العلم بالسر
واخفى المحصي الحسيب لما قيل الدار الخبير بخبث الكون فكان لا ملك بالحقيقة الا الله ولكنه تعالى لما كان قد اولى الخلق من
رفعة بعضهم فوق بعض ما اجرى عليهم اسم الملك فتنة لهم وضل بسبب ذلك قوم ادعوا الملك الحقيقي فغلط من اراد الله من
اراد الله من الخلق فيهم وضلوا انهم اعادا التهليل مع اسمه الملك كما ابداه مع اسمه الاله اول اسماء الله ولذلك ايضا قال
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الشيخان وابو داود والترمذي في حديث الذي يسمى
ملك الملوك في رواية مسلم لا ملك الا الله فقال مصرحا بما في باطن اسمي الرحمة من القهر والجبر على النسق الاول في النبأ على الضمير
تاكيدا للتعيين المحدث عنه وتوحيده هو الله اي الذي لا يقدر على تعميم الرحمة لمن اراد وتخصيصها بمن شاء الا هو الذي لا اله
اي معبود بحق الا هو الملك فلا ملك في الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج الى شيء فانه مهما اراد كان ولما كان الملك اصل
ما في الخلق من الافات لانه راس الشرف الذي هو باب لترك الملازم لمخالفة كتاب الله اما في الاعمال فيكون فتنة واما في الراي فيكون
علوا وكبرا وكفرا فان امر الله في ادم على ما هو نبوة ثم ينزل فيصير خلافة ثم ينتهي نزوله فيكون ملكا ثم تداعى الاحداث في ادم على ما هو
نبوة ثم ينزل فيصير خلافة ثم ينتهي نزوله فيكون ملكا فلما كان نزاعي الملك لوجا ذلك فا اعقب صفة الملك القدوس مصرحا بما لزم
عن تمام ملكه من ابانه البليغ في النزاهة عن كل وصم يدركه حس او يتصوره خيال او يسبق اليه وهم او يختلج به ضمير فان القدس طهر لا
يقبل التغير ولا يلحقه حس فلا يزال على وصف الحمد بثبات القدس ولما كان ما خول سبحانه الخلق من حال طهر لا يظهر فيه التغير بما دونه
اجري عليهم من اسم القدس كروح القدس المؤيد للشارع بالبعث في دعوته المويد لشاعره في منافحته عنه ولاجل قصر تحلي الخلق بالملك
في قليل متاع الدنيا رغب النبي العبد صلى الله عليه وسلم عنه واختار العبودية الداعية له بدوام العز لسيده فوضح بذلك
ان لا قدوس الا الله حقيقة معنى وتصحيح احاطة ولما كان سبحانه لتمام ملكه وعلو ملكه وكمال قدسه
لا يتصور ان يلحقه نقص في ذات ولا صفة ولا فعل فلا يتيح منه اهلاك على حال من الاحوال ولا شر بضر في الدنيا والاخرة
في وقت من الاوقات لانه سبحانه لعلمه بالبواطن والظواهر على حد سوا يضع الامور في احكم مواضعها بما لا يدركه غيره اصلا
ولا يدركه حق ادراكه فاحتيج الى ما يومن من ذلك وكان السلام حدا ما بين الالفة والفرقة وحدا ما بين الرحمة والسطوة وهوادي
مال الجاهل من عباد الرحمن ومال المعتدي من المعتدى وكان سلام المسلم للجاهل مداراة ليلا يزيد في جهله عليه او ارتقابا
لاستقبال مكنة وكان الله لا يعبا بالخلق ولا يحتاج لارتقاب مكنة لانه لا يعجزه شيء فلم يحقق السلام بكل معنى من وجوه السلام
له وانا فيها على غيره بما ما الامنة اعفاء من معالجة استحقاق السطوة وحفيظة حرمة اختصاص الرحمة اتبع ذلك مومنا للعاصي
من المعاجلة والمطيع من سوء المعاملة قوله السلام لانه حد ما بينهما ظاهرا ولذلك اردفه بما يتعلق بالباطن ليحصل احاطة السلام
ظاهرا وباطنا فقال المومن لانه الامن حد ما بين المحبة والكره فيمن لا وسيلة له للحب وهو ادنى ما يقبله ذو الحب ممن يستحي منه
الحب ولذلك لم يقبل بدل الحب ممن كان ظاهرا لوسيلة للحب الا بالحب فلم يثبت ايمان المومن بمجرد الايمان حتى لا يكون
لمحبته على كل حب ومساواة لاخيه المومن فيما يحب لنفسه وادناه الامنة في الغيب من الغيبة والغيب الى غاية الاصاد
من بوائق الغشم والظلم من الجار المستحق حفظ جاره في غيبه فالاخلال بالايمان لكونه الامنة في الغيب نفاق والاخلال بالاسلام
لكونه السلم في المواجهة اجرام فنادى اخلال في جانب الحق او الخلق يثلم الاسلام والايمان وذلك كله انما هو في الحقيقة
من الله تعالى فهو الذي يعزى اليه الامن والامان بافادته اسبابه ومنع اسباب المخاوف فلا امن في الوجود ولا امان الا وهو
مستفاد من جهته ولما كان الاطلاع على ما ذكر ليتحقق معنى السلم والامن وعلى كل من تلك الحدود خفيا جدا لا يبصر
الا من يريد علم قال المهيمن فان الهيمنة شهادة حزم واحاطة وابصار لكلية ظاهر الامر وباطنه بحيث لا يخفى منه خافية
هوية ولا بادية ظاهرة ولاحاطة معناه لا يكاد يقع له في الخلق مسوغ اطلاق الا مسامحة لان الخلق لا يشهدون الا الظواهر

ولذلك انجم معناه على كثير من فضلاء الدين فهو معناه موجب توحيد خواص الخاصين بمعنى انه يشهد
على الوجه المشروح مع الامانة المامونة والحفظ والرعاية فيكون قائما على كل شئ بكل ما لديه من رزق وعمل واجل ولذلك كان
القران الذى هو صفته سبحانه مهيمنا على جميع الكتب الذى قبله مصدقا لما يستحق التصديق منها مكذبا لما يستحق التكذيب
كان تمام الجبر ملزوما لتمام القدرة صرح بهذا اللازم فقال العزيز
كان المغلوب
لا ينفاد باطنا فلا يباشر على ما غلب عليه للغالب وقد لا يكون الغرض ظاهرا لكل احد اردفه بقوله
الجبار وهو العظيم الذى يفوت المنال ومناله فهو على هذا من اسماء الذات ويصلح امور من يريد من الخلق ويقهرهم على ما يريد
فهم احقر من ان يقصدوا طريقة عن غير ارادته والجبر طول بالجى الادنى لما يريد منه الاعلى ويغضب من الاعلى ما يحاول مناله
منه الادنى مع الظهور التام والدنية ورمادنه عليه فالجبار لا يخرج شئ عن قبضته وتقصر الايدى عن حمى حضرته ولا
ينال بعد شئ عن اوصاف الخلق لمنال الدناب منهم ما شاء وعجزهم عنه ولما فيه من الاجبار كان هو الاسم الذى
منهم من الحسب الذى جبلها على ضدها من الاستزادة فلا تزال تقول لما جبلت عليه هل من مزيد حتى
يضع الجبار فيها قدمه فيهما فان القدم موضع الاهانة وهذه الاهانة هى مبدا ظهور غلبة الرحمة للغضب فله الملك
ظهورا بالايدى الظاهرة من الانسان وما دونه وله الملكوت بطونا بالايدى الباطنة من الملك وما دونه وله الجبروت احتفافا
كان الاجبار يكون بنوع ملاطفة اتبعه قوله المتكبر ليعم الاجبار الظاهر والباطن
وظاهر خلقه الذى يجد الخلق صغرهم من دونه وكبره عليهم وامتناعه عما لا يريد من مرادهم
الى جلاله وعن جبروته وعظمته وكماله ولسواء الخلق في عام حصر القدر تعليمهم الصغر فلم يضع
لم يكن للخلق منهم حقيقته حظ ولا لاهم حق فلخص بهذا الاسم لاستيلايه على الظواهر باطنها وما لا
وبالجاء غيرهم الى الاحتياج اليه والابتاع بجبابرتهم واذلالهم وغير ذلك من الامور المزعجة المرهبة
بالجبار لاستيلايه على البواطن ولما تقرر بما ذكر من مظاهر عظمته استيلاؤه على الظواهر
انتج ذلك تعاليه عن شوب نقص لا سيما بالشرك فقال سبحانه سبحان الله اى تنزه الملك الاعلى
تنزها لا تدرك العقول منه الا مراتب علا عن اوصاف الخلق فلا يدانيه شئ من نقص عما يشركون
من الاصنام وغيرها مما في الارض وفي السماء من كبير وصغير جليل وحقير ثم دليل الوحدانية
الى الملك ثم بالتعلى الى التكبر فانتج هذه الخاتمة ابتدا سبحانه دليلا آخر هو في غاية التنزل
ما افتتح به الاول من الترتيب في المراتب الثلاث غيب الغيب ثم الغيب ثم الظهور على مراتبه اعلاما
غيب ومن برح عنه هلك هو اى الذى لا شئ يستحق ان يطلق عليه هذا الضمير غيره لان وجوده من
فهو اهل لان لا يكون فلا يكون له ظهور ليكون له بطون ولما ابتدا بهذا الغيب
اخبر عنه باشهر الاسماء الذى لم تقع فيه شركة بوجه فقال الله اى الذى ليس كمثله شئ ولا كفوا له فهو
بوجه بدا سبحانه بهذا الدليل الجامع بين الغيب والظهور ثم تنزل متضمن للعلم
فقال الخالق اى الذى لا خالق على الحقيقة الا هو لان الخلق فرض حد وتقدير في مطلوب منه لوجود
الذى يخلق اى يقدر في الجملة حدا وقدر الفعل ونحوه وهو سابق للفرى والبرى ونحوه سبق العلم
الذى كل شئ عنده بمقدار الذى يقول يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق وان من شئ الا عندنا
معلوم ومن ناشيته العقد الفرق والترتيب ومن ناشية الفرق والترتيب الاحيا والاماتة
الاماتة على اول كل امر الجمع والرب فلا يملك الخلق الفرق الا من يملك الجمع والرب وقد اوى الخلق
ولم يملكوا جمع ما فرقوا ولا لقيا ما شتتوا كالقاطع عضوا الا يقدر على لامه والهادم بناء لا يقدر
شيئا لا يقدر على وصله فلان الخلق لا يحيطون بتقدير ما يشرعون في قدره ولا يقدرون بعد الفرق
كان المحيط التقدير في الشئ من جميع جهاته وجملة حدوده القادر على جميع ما فرق الذى كما بدا اول
بين ولاح تحت هذا اللبس في اطلاق اسم الخالق على الخالق الحق ذى الحول والقوة والقدرة والاحاطة
الخالق من الخلق المقدر بغير احاطة علم ولا تاصيل حول ولا قدرة ولا اتمام ابداء ولا حفظ من اعادة
لا معبود الا الذى لا اله الا الله وان ليس اطلاق هذا الاسم على الخلق مبدا افتتنه التى يضل بها من يشا

ويهدى

ويهدى من يشاء وتحقيق افراد الخلق لله فيما ظهر على ايدى اهل الملك والملكوت واحاطة جبروته بما ظهر وما بطن من اعمالهم
وصنايعهم هو اول الجمع من مجامع التوحيد ومواساس الايمان امة محمد صلى الله عليه وسلم حيث فرض عليهم في الفاتحة اياك نعبد
واياك نستعين فهم خير امة اخرجت للناس حيث اخلصوا الدين لله ولموقع الشرك فيه كانت القدرية مجوس هذه الامة ولما كان
الخالق الحق هو من اتقن التقدير والبرى وان كان اغلب الخلق لقصورهم لا يفهمون منه الا مطلق التقدير
ولانت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى ﴿ اردفه تنبيها على ذلك
وتفريحا او تاكيدا قوله البارئ اى الذى يبرئ قوم ما وقع به التقدير ويقطعه ويصلحه لقبول الصورة على اتم حال وان كان من
المحيط العلم كان تمام التهيئة للصورة على كمال المشية فيها وان كان ممن لا يحيط علما طرا له في البرء من النقص عن التمام ما لا يمكن معه
حصول المقصود في الصورة ولا يكاد يقع الاحسان للخلق في مصوراتهم الا وفاقا لا يعلمون كنهه ولا يثقون بحصوله ولما كان
من يهيى الامور للتصوير قد لا يتقنه قال المصور فان التصوير اتمام تفصيل الخلق الظاهر واكمال تخطيطه واحكام اعضائه
وهو حد ما انتهى اليه الخلق في الظهور وليس وراء ظهور الصور كون الا لطائف تطويرها في اسنان كمالها بعد نفخها باحيائها
بكمالها من الروح المقوم لها سواء كان حيوانيا او غيره الى غاية كمالها الذى يعطيه المصور لها افضالا ومزيدا ويظهره ابداعا
ويتضح الفرق في هذه الاسماء الثلاثة بالبناء فانه يحتاج اولا الى مقدر يقدر ما لا بد منه من الحجر واللبن والخشب والحديد
ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس فيرسمه وهو الخلق ثم يحتاج الى نجار ينحت الحجارة
ويهيئها لتصلح لمواضعها التى يكون فيها من الابواب واوساط الجدر واطرافها وزواياها وغير ذلك وكذا الخشاب والحداد
في الخشب والحديد وهو البرء ثم ياخذ الكل البنا فيضعها مواضعها الى ان يقوم صورتها التى رسمها المهندس ولا وقدرها
ولا تقوم الصورة بالحق الا اذا كانت محكمة بحسب الطاقة كما ان البنا يضع الحجارة اولا ثم يجعل الخشب فوقها لا بالاتفاق
بل بالحكمة ولو قلب ذلك لم تثبت الصورة ولم يكن لها الاسم الا على اقل وجوه الضعف فكل من كان احكم كان تصويره اعظم
ولذلك لا مصور الا الله قال الرازى في اللوامع والتصوير موجود في كل اجزاء العالم وان صغر حتى في الذرة والنملة بل في
كل عضو من اعضاء النملة بل الكلام يطول في طبقات العين وعددها وهيئتها وشكلها ومقاديرها والوانها ووجه الحكمة
فيها فمن لم يعرف صورتها لم يعرف مصورها الا بالاسم المجمل وهكذا القول في كل صورة لكل حيوان ونبات بل لكل جزء من نبات
وحيوان ولما علم من هذا انه لا بد وان يكون المصور بالغ الحكمة اردفه بقوله له اى خاصة الاسماء الحسنى اى
من الحكيم وغيره مما لا يتم التصوير الا به ولا بد ركونه انتم حوا دراله اخبر سبحانه اول السورة ان الكائنات
اجرت تسبيحه خضوعا لعزته وحكمته ودل على ذلك بما تقدم الى ان ختمه للاذان لواعيه بالاسماء الحسنى دل على دوام
اتصافه بذلك لمن يحتاج لما له من النقص من الخلق الى التذكر بعبر بالمضارع فقال يسبح اى يكرر التنزيه الاعظم من كل شائبة
نقص على سبيل التجديد والاستمرار له اى على وجه التخصيص بما افهمه قصر المتعدى وتعديته باللام ما في السموات ولما
كان هذا المنزع الذى استجلى التنزيه من الاسماء الحسنى قد اشرقت انفاسه ولطفت اقطاره واغراسه حتى صار علويا فراى الارض
عالية كالسما لما شاركتها به في الدلالة على تمام كماله فجعلهما معهما لانه لا يحتاج الى تاكيد كالشئ الواحد باسقاط ما والصقها لها
الاحقة الى ذلك فقال والارض فمن تامل الوجود مجملا ومفصلا علم تسبيح ذلك كله بنعوت الكمال واوصاف الجلال والجمال وهو
اى والحال انه وحده العزيز اى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ ولا يوجد له مثال ويعز الوصول اليه وتشتد الحاجة اليه
ولما كان من يكون بهذه الصفة لا يتم امره ويثبت كل ما يريده الا ان كان على قانون الحكمة قال الحكيم من الحكمة وهى
اتقان الحكم وانهاوه الى الحد لا يمكن نقضه والحكم واكد الحر الى المنع عما يتراءى اليه المحكوم بالدنا عليه وحمله على ما يمتنع منه نظرا
له نفى ظاهره الجهد وفي باطنه الرفق وفي عاجله الكرع وفي اجله الرضى والروح لموقعه في الابدان المداواة تداووا عباد الله
فان الذى انزل الدا انزل الدوا وموقعه في الاديان التزام الاحكام والصبر والمصابرة على مجاهدة الاعمال وجهاد الاعداء
ظاهرا من عدو الدين والبغى وباطنا من عدو النفس اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ومن بعض الجهل والوكد عدوه
والشيطان عدو يجرى من ابن ادم مجرى الدم ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فالحمل على جميع انواع الصبر والمصابرة ظاهرا
بالايالة الغالبة هو الحلم والعلم بالامر الذى لاجله وجب الحكم من توامر عاجلته وحسن العقبى في اجلته هى الحكمة
فالحلم مباح التعليم للناس عامة بل واجب ان يتعلم كل امرء من الاحكام ما يخصه وان ينتدب طايفة لعلم ما يعم جميع الناس
فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين والحكمة التى هى العلم بما لاجله وجب الحكم مشروطه التعليم بالتزكية
هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فما يعلمهم الحكمة الا بعد التزكية
فمن تزكى فهو من اهلها ومن لم يتزك فليس من اهلها على مراده حمد العمل بالاحكام فيتيسر بها ما يعسر
دونها والحكم ضيق الامر للنفس كما ان السجن ضيق الخلق للبدن والحكمة توطن محل ضيق الحكم الامها فخرج وتؤول الى سعة الواسع

ولايم الحكم وتستوي الحكمة الا بحسب سعة العلم ولما لم يكن للخلق من العلم الا بقدر ما بينهم الله لم يكن لهم من الحكمة الا
مقدار ما يؤتيهم ولقد آتينا لقمن الحكمة ولما كان انما العلم عند الله كان انما الحكمة حكمة الله وانما ما يؤتيكم وكذا لقد آتينا
لقمن الحكمة الحكم حكم الله فهو الحكيم الذي لا حكيم الا هو انتهى وقد علم سر اتباع الاسما الشريفة من غير عطف وذاك انه
لما ابتدئ بهو واخبر عنه بالاسم العلم الاعظم المفرد المصون الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى اتبعه تلك الاوصاف العلى من غير
عطف اعلاما بانه لا شئ منها يؤدي جميع معناه بالمفهوم المتعارف عند اهل اللغة ولذلك جمع بعدها الاسما اشارة الى انه لا يجمع
معناه الا جميع الاوصاف المنزلة في كتبه والماخوذة عن اوليائه والتي استاثر بها في غيبه وليس شئ مما ذكر منها هنا صادا
في المعنى الظاهري للآخر كالاول والآخر حتى يظن لاجله نقص في المعنى بسبب ترك العطف واما ترتيبها هكذا فلان كل اسم منها
كما مضى شارح لما خفي من الذي قبله ومبين للازمه وموضح لما الاح انه من مضمونه وقد تم على افتتاحها ختامها
على افتتاحها ختامها وعانق ابتداءها تمامها ووفى مطلعها مقطعها وزاد وبلغ الغاية من الارشاد
الى سبل الرشاد فسبحان من انزله رحمة للعباد وهاديا الى الصواب والسداد

سورة الممتحنة

مقصودها براءة من اقر بالايمان ممن اقسم بالعدو وان دلاله على صحة مدعاه كما ان الكفار تبرءوا من المومنين وكذبوا بما جاءهم من الحق لئلا يكونوا على باطلهم
احرص من المومنين على حقهم وتسميتها بالممتحنة اوضح شئ فيها وادله على ذلك لان الصهر اعظم الوصل واشرفها بعد الدين فاذا
نفي ومنع دل على اعظم المقاطعة لدلالته على الامتهان بسبب الكفران الذي هو اثبر العصيان بسم الله الكافي من نجا اليه
في تولاه اغناه عمن سواه الرحمن الذي عم بنعمة الايجاد من خلق عن وجوده العدم ووراه وشمل برحمة البيان من حاطه بالعقل
ورعاه الرحيم الذي خص بالتوفيق من احبه وارتضاه ولما كان التاديب عقب الانعام جديرا بالقبول وكان قد اجرى
سبحانه سنته الالهية بذلك فادب عباده المومنين عقب سورة الفتح السببي بسورة الحجرات وكانت سورة الحشر مذكرة
بالنعمة في فتح بني النضير ومعلمة بانه لا ولي الا الله ولذلك ختمها بصفتي العزة والحكمة بعد ان افتتحها بهما وثبت ان من الحكمة
حشر الخلق وان اولياء الله هم المفلحون وان اعداءه هم الخاسرون وكان الحب في الله والبغض في الله افضل الاعمال واوثق
عرى الايمان ولذلك حذر سبحانه من والى اعداءه وناصرهم وهم مع التكلم بكلمة الاسلام منافقين انتج ذلك قطعا وجوب
البراءة من اعدائه والاقبال على خدمته وولايته فقال معيدا للتاديب عقب سورة الفتح على اهل الكتاب بسورة جامعة
متعلقة بالفتح الاعظم والفتح السببي يايها الذين آمنوا مناديا باداة البعد وان كان من نزلت بسببه من اهل القرب
ومعبرا بالماضي اقامة لمن والى الكفار نوع موالاة في ذلك المحل الهابط له وعتبيا الى الترفع عنه لئلا يقدح في خصوصيته
ويحط من علي رتبته مع اللطف به بالتسمية له بالايمان حيث شهد سبحانه على من فعل نحو فعله مع بني النضير بالنفاق
واحله محل اهل الشقاق تحكم على القلوب في الموضعين فقال هناك الذين نافقوا كما قال هنا الذين آمنوا ولما كان
قد تقدم في المجادلة النهي الشديد عن اظهار مطلق الموادة للكفار وفي الحشر الزجر العظيم عن ابطان ذلك فتكفلت
السورتان بالمنع من مصاحبة ودهم ظاهرا او باطنا بكت هنا من اتصف بالايمان وقرعه ووبخه على السعي في موادتهم
والتكلف لتحصيلها فان ذلك قادح في اعتقاد تفرده سبحانه بالعزة والحكمة فعبر لذلك بصيغة الافتعال فقال
بعد التبكيت بالندا باداة البعد والتعبير بادنى اسنان الايمان لا تتخذوا وزاد في ذلك المعنى من وجهين التعبير بما
العداوة بحرية عليهم وتنفيرا منهم والتوحيد لما يطلق على الجمع لئلا يظن ان المنهي عنه المجموع بقيد الاجتماع وللاشارة
الى انهم في العداوة على قلب واحد فاهل الحق اولى بان يكونوا كذلك في الولاية فقال عدوي اي وانتم تدعون انكم اوليائي ومن
المشهور ان مصادق العدو ادنى مصادقة لا يكون وليا فكيف بما هو فوق الادنى وموصول من عدا وابلغ في الانفاظ بقوله
وعدوكم اي العريق في عداوتكم ما دمتم على مخالفته في الدين ولما وحد لاجل ما تقدم من الاشارة الى الاتحاد في الكلمة
بين ان المراد الجمع فقال اولياء ثم استانف بيان هذا الاتخاذ بقوله مشيرا الى غاية الاسراع والمبادرة الى ذلك بالتعبير
بقوله تلقون اي جميع ما هو في حوزتكم مما لا يطعمون فيه القا الشئ الثقيل للثقيل من علو اليهم على بعدهم منكم حسا ومعنى
بالمودة اي بسببها ولما توقع السامع التصريح بمضادتهم في الوصف الذي اداهم به بعد التلويح اليه
قال ملهبا ومهيجا الى عداوتهم بالتذكير بمخالفتهم اياهم في الاعتقاد المستلزم لاستصغارهم لانه اشد المخالفة وقد
اي والحال انهم قد كفروا اي غطوا جميع ما لكم من الادلة بما اي بسبب ما جاءكم من الحق اي الامر الثابت الكامل في الثبات الذي
لا شئ اعظم ثباتا منه ثم استانف بيان كفرهم بما يبعد من مطلق موادتهم فضلا عن السعي فيها بقوله مذكرا لهم بالحال الماضية
زيادة في التنفير منهم ومصورا لها بما يدل على الاستمرار يخرجون الرسول اي الكامل في الرسالة الذي يجب على كل احد عداوة
من عاداه ادنى عداوة ولو كان اقرب الناس فكيف اذا كان عدوا وبين ان المخاطب من اول السورة من المهاجرين وان ايراده
على وجه الجمع للستر والتعميم في النهي بقوله واياكم اي من دياركم من مكة المشرفة ولما بين كفرهم معبرا بالمضارع

اشارة

اشارة الى دوام اذاهم لمن آمن المقتضي لخروجه عن وطنه علل الاخراج بما يحقق معنى الكفر والعداوة فقال ان اي لاجل ان اخرجوكم من
اوطانكم لاجل ان تؤمنوا اي توقعوا حقيقة الايمان مع التجديد والاستمرار ولما كان الايمان به سبحانه مستجمعا
من جهتي الذات والوصف لفت الخطاب من التكلم الى الغيبة التنبيه عليهما فقال بالله اي الذي اختص بجميع صفات
الكمال ولما عبر بما ابان انه مستحق للايمان لذاته اردفه بما اختص بيقتضي وجوب ذلك لاحسانه فقال ربكم اي
المحسن اليكم على ما بينهم لهم بما فعلوا معهم وانقضى ما اريد من التنبيه بسياق الغيبة عاد الى التكلم لانه اشد
تحببا واعظم استعطافا وادل على الرضى فالهبهم بما كان من جنابهم من ذلك الفعل ان لا يضيعوه فقال معلما ان ولايته
سبحانه لا تصح الا بايمان ولا يثبت الايمان الا بدلائله من الاعمال ولا تصح الاعمال الا بالاخلاص ولا يكون الاخلاص
الا بمباينة الاعداء ان كنتم اي كونا راسخا حين اخرجوكم عن اوطانكم لاجل ايمانكم بي خرجتم اي منها وهي احب البلاد اليكم
جهادا اي لاجل الجهاد في سبيلي اي بسبب ارادتكم تسهيل طريقي التي شرعتها لعبادي ان يسلكوها وابتغاء مرضاتي
اي ولاجل تطلبكم باعظم الرغبة لرضاي ولكل فعل يكون موضعا له وجواب هذا الشرط محذوف لدلالة لا تتخذوا
عليه ولما فرغ من بيان حال العدو وشرط اخلاص الولي وكان التقدير فلا تتخذوهم اولياء بني عليه قوله مبينا
للتعليق اعلاما بان الاسرار الى احد بما فيه نفعه لا يكون الا بالمودة تسرون اي توجدون ان اسرار جميع ما يدل على مناصحتهم
والتودد اليهم واشار الى بعدهم عنهم بقوله اليهم ابلاغا في التوبيخ بالاشارة الى انهم يتجشمون في ذلك مشقتين
ابلاغ الاخبار التي يريد النبي صلى الله عليه وسلم وهو المؤيد بالوحي كتمها عنهم على وجه الاسرار خوفا لافتضاح
والابلاغ الى المكان البعيد بالمودة اي بسببها او بسبب الاعلام باخبار رسولها ويلزم منها المودة ولما كان
المراد بالاسرار الستر على من يكره ذلك قال مبكتا لمن يفعله وانا اي والحال اني اعلم اي من كل احد حتى من نفس الفاعل
بما اخفيتم اي من ذلك وما اعلنتم فاي فائدة لاسراركم ان كنتم تعلمون اني عالم به وان كنتم تتوهمون اني عالم به وان
كنتم تتوهمون اني لا اعلمه فهي القاصمة ولما كان التقدير بما هدى اليه العاطف فمن فعل منكم هذا فقد ظن اني
لا اعلم الغيب او فعل ما يقتضي ظن ذلك عطف عليه قوله ومن يفعله اي يوجد الاتخاذ سرا او علنا او يوجد الاسرار بالمودة
او الاعلان او لهي في وقت من الاوقات ماض وحال واستقبال ولما كان المحب قد يفعل بسبب الادلال ما يستحق به
التبكيت فاذا بكت ظن ان ذلك ليس على حقيقته لان محبته لا يضرها شئ وكان قد ستر المعاتب بان اخرج الكلام مخرج
العموم صرح بان هذا العتاب مراد به الاحباب منكم وحقق الامر وقربه بقوله فقد ضل اي عمي ومال واخطا سواء
السبيل اي قويم الطريق الواسع الموصل الى القصد قويمه وعدله ولما نزول هذه الآيات روي من وجوه
كثيرة فبعضه في الصحيح عن علي ومنه في الطبراني عن انس ومنه في التفاسير ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد
مناف اتت المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فسالها ما اقدمها فقالت ذهبت موالي وقد احتجت
حاجة شديدة وكنتم الاهل والعشيرة والموالي فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب فاعطوها
وكسوها وحملوها فكتب معها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم واعطاها عشرة دنانير فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر وعليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا فقال
انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم
تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فانطلقوا تتعادى بهم خيلهم فادركوها في ذلك المكان فانكرت وحلفت بالله ففتشوها
فلم يجدوه فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او لالقين الثياب
ولاضربن عنقك فقالت على ان لا تردوني ثم اخرجته من عقاصها قد لفت عليه شعرها فخلوا سبيلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحاطب هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على هذا فقال لا تعجل يا رسول الله والله ما كفرت
منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع
الله به عن عشيرته وكنت غريبا حليفا فيهم وكان اهلي بين ظهرانيهم فاردت ان اتخذ عندهم يدا يدفع الله بها عن اهلي وقد
علمت ان الله تعالى ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق ولا تقولوا
له الا خيرا فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه
وقال الله ورسوله اعلم فانزل الله تعالى يايها الذين آمنوا لا تتخذوا الآيات وقال الامام ابو جعفر بن الزبير افتتحت
يعني هذه السورة بوصية المومنين على موالاة اعدائهم ونهيهم عن ذلك وامرهم بالتبري منهم وهو المعنى الوارد في قوله

خاتمة المجادلة لا تجد قوماً يؤمنون بالله الآية واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم الى آخر
السورة وقد حصل منها انا اسنى احوال اهل الايمان واعلى مناصبهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه توصى
عباده في افتتاح الممتحنة بالتنزه عن موالاة الاعداء ووعظهم بقصة ابرهيم عليه السلام والذين معه في تبريهم من قومهم
ومعاداتهم والانفصال في هذا بين وكانت سورة الحشر وردت مورد الاعتراض المقصود بها تمهيدا للكلام وتنبيه التابع
على ما به تمام الغاية لما ذكر ان شان المومنين انهم لا يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اقرب الناس اليهم اعترض بتنزيهه عن
مرتكباتهم ثم اتبع ذلك ما عجله لهم من النقمة والنكال ثم عاد الامر الى النهي عن موالاة الاعداء اجمله ثم لما كان اول سورة الممتحنة
انما نزل في حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه وكتابه لكفار قريش بمكة والقصة مشهورة وكفار مكة ليسوا من يهود وطلب المعاداة
للجميع والمعاهد فصل بها هو من تمام الاخبار بحال اليهود وحينئذ عاد الكلام الى الوصية عن تطابيهم من الكفار المعاندين وتم
السور الثلاث وكثر في سورة الممتحنة ترداد الوصايا والعهود وطلب الوفاء لذلك كله ولهذه المناسبة ذكر فيها الحكم في
بيعة النساء وما يشترط عليهن في ذلك لتنبني السورة على طلب الوفا افتتاحاً واختتاماً حسب ما بين في التفسير ابتدا المومن
عن حال من قدم ذكره في سورة الحشر وفي خاتمة سورة المجادلة انتهى ولما كان ما بينه تعالى من اخراجهم لهم موضحا لعداوتهم
وكان طول كفهم عن قصدهم بالاذى من سنة الاحزاب سنة خمس الى سنة ثمان ربما شكك في امرها وكان سبحانه قد اعز المومنين
بعد ذلهم وقواهم بعد وهنهم وضعفهم وثقفهم بعد جهلهم بين ضلال معتقد ذلك بان كف الكفار انما هو لعجزهم وانه
لو حصل لهم ما هو للمسلمين الان من القوة لبادروا الى اظهار العداوة مع ان ذلك في نصر الشيطان فاولياء الرحمن اولى بابتاع
ما اتاهم من الايمان فقال مبيناً لبقاء عداوتهم ان يثقفوكم اي يجدوكم في وقت من الاوقات ومكان من الاماكن وهم يطمعون في
اخذكم بكونهم اقوى منكم او اعرف بشيء مما يتوسل به لمال الغلبة واشار باداة الشك الى ان وجدانهم وهم على صفة الثقافة
مما لا يتحقق له وانما هو على سبيل الفرض والتقدير وانه مما علم سبحانه انه لو كان كيف كان يكون مع انه مما لا يكون وبه على عراقتهم
في العداوة بالتعبير بالكون فقال يكونوا لكم اي خاصة اعداء اي يعدون الى اذاكم كل عدو يمكنهم وان وادعوهم ولما كانت
العداوة قد تكون باعراء الغير عرف انهم لشدة غيظهم لا يقتصرون على ذلك فقال ويبسطوا اليكم اي خاصة وان كان هناك في ذلك
الوقت من غيركم من قتال اعز الناس عليهم ايديهم اي بالضرب ان استطاعوا والسنتهم اي بالشتم مضمومة الى فعل ايديهم فعل من
ضاق صدره بما تجرع من آخر من الغصص حتى اوجب له غاية السعة بالسوء اي بكل ما من شانه ان يسوء ولما كان اعدى
الاعداء من تمنى ان يفوتك اعز الاشياء لديك وكان اعز الاشياء عند كل احد دينه فان منهما للبيان وودوا اي وتمنوا مع هذه
الودادة قبل هذا لان مصيبة الدين اعظم فهم اليها اسرع لان ذلك العدو القصد الى اعظم ضر يراه لعدوه وعبر بما ينبئهم
التمني الذي يكون في المحالات ليكون المعنى انهم احبوا ذلك غاية الحب وتمنوه وفيه بشرى بانه من قبيل المحال لو تكفرون
اي يقع منكم الكفر الموجب للهلاك الدائم وقدم الاول لانه ابين في العداوة وان كان الثاني انكا ولما كان عداوتهم
معروفة وانما اعطاها محبة القرابات لان الحب للشيء يعمي ويصم فحطا رايهم في موالاتهم بما اعلمهم به من حالهم زهدهم فيما
يرجع الى حال من والوهم لاجلهم بما نورثونه من الشقاء الدائم يوم البعث فقال محسنا نفيا اعلاما بانها خطا على كل حال لن
تنفعكم اي بوجه من الوجوه ارحامكم اي قراباتكم الحاملة لكم على رحمتهم والعطف عليهم ولا اولادكم الذين هم اخص ما
انوا بيتم اعداء الله لاجلهم فينبغي ان لا تعدوا اقربهم منكم بوجه اصلا ثم علل ذلك وبينه بقوله يوم القيمة اي القيام
الاعظم ولما كان النافي للنفع وقوع الفصل لانه من فاصل معين قال بانيا للمفعول على قراءة ابي عمرو وابن عامر
من اكثر طرقه لا انه شدد الصاد للمبالغة في الفصل يفصل اي يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الاسباب
بينكم اي ايها الناس فيدخل من شاء من اهل طاعته الجنة ومن شاء من اهل معصيته النار فلا ينفع احد احدا منكم بشيء
من الاشياء الا ان كان قد اتى الله بقلب سليم فباذن الله في اكرامه بذلك ولما كان التقدير اعلاما بان الله
هو الفاصل وهو القضاء النافع بما دلت عليه قراءة الباقين الا ان حمزة والكسائي بضم اليا وفتح الفا وكسر الصاد مشددة
اشارة الى عظمة هذا الفصل بخروجه عن المالوف عودا الى الاسم الاعظم اشارة الى عظم الامر بانتشار الخلائق واعمالهم والله
على ذلك قدير عطف عليه قوله والله اي الذي له الاحاطة التامة بما تعملون اي من كل عمل في كل وقت بصير فيجازيكم عليه في الدنيا
والآخرة وقد مضى غير مرة ان تقديم الجار في مثل هذا للتنبيه على مزيد الاعتناء بعلم ذلك لا على الاختصاص ولا لاجل الفواصل
ولما كان ابلغ في وعظهم سبحانه بعد ذلك وكانت عادته التربية بالماضين كان موضع توقع ذلك فقال معبرا باداة التوقع
قد كانت اي وجدت وجودا تاما وكان تانيث الفعل اشارة الى الرضى بها ولو كانت على ادنى الوجوه لكم اي ايها المومنون اسوة
اي موضع اقتدا وتاسية وتسن وتشرع وطريقة مرضية حسنة يرغب فيها في ابرهيم اي في قوله الى الاخبيا والذين معه
اي ممن كان قبله من الانبيا قاله القشيري وممن امن به في زمانه كابن اخيه لوط عليه السلام وهم قدوة اهل الجهاد والهجرة

اذ اي حين قالوا وقد كان من امن به اقل منكم واضعف لقومهم الكفرة وقد كانوا اكثر من عدوكم واقوى وكان لهم فيهم ارحام وقرابات
ولم يفيدوهم رجا بالقيام والمحاولات ولما كان ما ذكر من ضعفهم وقوة قومهم مبعدا لان يبارزوهم اكدوا قولهم فقالوا انا
اي من غير توقف ولا شك برآء اي متبرئون تبرية عظيمة منكم وان كنتم اقرب الناس الينا ولا ناصر لنا منهم غيركم ولما
تبرأوا منهم اتبعوه ما هو اعظم عندهم منهم وهو سبب العداوة فقالوا ومما تعبدون اي توجدون عبادته في وقت من الاوقات
الماضية المعبد التعبير عنها بالمضارع تصوير الحال او الحاضرة او الاتية كاينا من كان لا تخاف شيئا من ذلك لان الهنا الذي
نالعنا كل شي في الانقطاع اليه لا ينا ومنه شيء ولا نقدر ونا ثم مع اشراككم به على البراءة منه ولما كانوا مشركين قالوا
مستثنين ومبينين لشمول كل شيء عن متعالي رتبته معبودهم من دون الله اي الملك الاعظم الذي هو كاف لكل مسلم ولما
كانت البراة على انحاء كثيرة بينوا انها براءة الدين الجامعة لكل براة فقالوا كفرنا بكم اي اوجدنا الستر لكل ما ينبغي ستره حال كوننا
مكذبين بكل ما يكون من جهتكم من دين وغيره الذي يلزم منه الايمان وهو ايقاع الامان من التكذيب بمن يخبرنا بسبب كل ما يضاده مصدقين
بذلك المضاد ولما كان المومن على جبلة مضادة لجبلة الكافر عبر بما يفهم ان العداوة كانت موجودة ولكنها كانت مستورة
بما دل الاعلى قومها بتذكير الفعل وبدا اي ظهر ظهورا عظيما وعلى عظمتها بالدلالة بنزع الخافض على انها شاملة لجميع البينين فقال
بيننا وبينكم اي في جميع الحد الفاصل من كل واحد منا وكل واحد منكم العداوة وهي المباينة في الافعال بان يعدو كل على الاخر ولا يكون
ذلك الا عند ما يستحق الغيظ الانسان لارادة ان يشفي صدره من شدة ما حصل له من حرارة الحنق فالعداوة مما يمتد فتكون ما للتمة
الظرفيه قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في تلويحه على توضيح صدر الشريعة في اوايله في علاقات المجاز الفعل المنسوب الى الظرف
بواسطة تقدير في ان ذكر يقتضي كون الظرف معيارا له غير زايد عليه مثل صمت الشهر فاذا امتد الفعل امتد الظرف ليكون
معيارا له فيصح حمل اليوم في نحو سرت يوم كذا على حقيقته وهو ما امتد من الطلوع الى الغروب واذا لم يمتد الفعل يعني مثل وقوع
الطلاق لم يمتد الظرف لان الممتد لا يكون معيارا لغير الممتد فحينئذ لا يصح حمل اليوم على النهار الممتد بل يجب ان يكون مجازا عن جزء
من الزمان لا يعتبر في العرف ممتدا وهو الان سوا كان من النهار او من الليل بدليل قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره فان التولي
عن الزحف حرام ليلا كان او نهارا ولان مطلق الان جزء من الان اليومي وهو جزء من اليوم فيكون مطلق الان جزءا من اليوم فيتحقق
العلاقة ولما كان ذلك قد يكون لغير البغض بل لنا ديب ونحوه قال والبغضاء اي وهي المباينة بالقلوب بالبغض العظيم
ولما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا ابدا ولما كان ذلك موئسا من صلاح الحال وكان قد يكون بحظ نفس
بينوا غايته على وجه عرفت به علته بقولهم حتى تؤمنوا اي توقعوا الايمان من التكذيب لمن امركم بالايمان واخبركم عن الرحمن حال
كونكم مصدقين ومعترفين بالله اي الملك الذي له الكمال كله ولما كانوا يؤمنون به مع الاشراك قالوا وحده اي تكونوا
مكذبين بكل ما يعبد من دونه ولما حث سبحانه المخاطبين على التاسي بقول ابرهيم ومن معه في ذلك الوقت عليهم السلام استثنى
منه فقال تاسيا لمن نزلت القصة بسببه واستعطافا له وهو حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه الا قول ابرهيم اي فلا تاسي لكم به
لابيه واعدا له قبل ان تبين له انه ثابت العداوة لله تعالى لكونه مطبوعا على قلبه فلا صلاح له بقال ان اباه وعده انه يؤمن فاستغفر
فلما تبين له انه لا يؤمن تبرا منه لاستغفرن اي لاوجدن طلب الغفران من الله لك فان هذا الاستغفار لكافر فلا ينبغي لكم ان تاتوا
به لمن مطلقا غير ناظر الى علم انه مطبوع على قلبه او في حيز الرجوع ولما وعده بالاستغفار ترغيبا له رهبه لئلا
يترك السعي في النجاة بما معناه انه ليس في يدي غير الاستغفار فقال وما املك لك اي لكونك كافرا من الله اي لانه الملك الاعلى
المحيط بنعوت الجلال والاعرق في النفي بقوله من شيء والاستثناء وقع على هذا القول بقيد الاجتماع ولا يلزم منه التعرض للاجزاء فلا
تكون هذه الجملة على حيالها مستثناة لان النبي صلى الله عليه وسلم لما نادى واصباحاه حين انزل الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
كان يقول لكل من سماه لا املك لك من الله شيئا حتى قال في اخر ذلك يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا اغني عنك من الله
شيئا ولما حثهم على التاسي بقول الخلص وقدم منه المجافاة لانها المقصودة واستثنى ما لا ينبغي التاسي فيه اعراضا
به بين اجزا مقالهم بيانا للاهتمام به للتنفير من قوله اتم ما يوتسى فيه فقال مبينا انهم ما اقدموا على مجافاتهم بما قال الا وقد
قدروا جميع ما يفعلونه وصوابه دون موادتهم وانقطعوا الى الله وحده انقطاعا تاما بما يفعل بهم ما ياسهم تسليطهم عليهم او
حمايتهم منهم لكنهم سالوا الحماية لا لذاتها ولا لانفسهم بل لئلا يزيد ذلك اعداءهم ضلالا ربنا اي ايها المحسن الينا بتخليصك
لنا من الهلاك باتباعهم عليك اي لا على غيرك توكلنا اي فعلنا في جميع امورنا معك فعل من يحملها على قوي ليكفيه امرها لانا
نعلم انك تكفي اذا شئت كل مهم وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وقد عادينا فيك قومنا عناة اقويا ونحن ضعفا ودينا
بكل ما يحصل لنا منهم غير ان عاقبتك هي اوسع لنا ولما كان الذي ينبغي لكل احد وان كان محسنا ان يعد نفسه مقصرا
شاردا عن ربه لانه لعظم شانه جلاله لا يقدر احد ان يقدره حق قدره وان يعزم على الاجتهاد في العبادة قالوا محترزين بذلك
عادين لذلك العزم رجوعا واليك اي وحدك انبنا اي رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا ولما كان المعنى تعليلا كانه

منك المبدا عطف عليه قوله واليك اي وحدك المصير ولما اخبروا باسلامهم له سبحانه وعللوه بما اقتضى الاحاطة
فاقتضى مجموع ذلك الثناء الاتم فلزم منه الطلب صرحوا به فقالوا داعين باسقاط الاداة للدلالة على غاية قربه سبحانه بما له
من الاحاطة ربنا اي ايها المربي لنا والمحسن الينا لا تجعلنا باضعافنا والتسليط علينا فتنة اي موضع اختبار للذين كفروا
بان تعذبونا بعذاب يميلنا عما نحن عليه ويميلهم عما وصلوا اليه بسبب اسلامنا من الزلزال بما يوجب ذلك لهم من اعتقاد انك
لو كنت راضيا بديننا فكنا على الحق وكانوا هم على الباطل ما امكنتنا منا فيزيدهم ذلك طغيانا ظنا منهم انهم على الحق وانا على الباطل
ولما كان نداء المسلم الاعظم الاعتراف بالتقصير وان بلغ النهاية في المجاهدة فان الاله في غاية العظمة والعبد في
نهاية الضعف فبلوغه ما يجب له سبحانه لا يمكن بوجه قالوا واغفر لنا اي استر ما عجزنا فيه وامح عينه واثره ولما
طلبوا منه الحياطة من جميع الجوانب عللوه زيادة في التضرع والخضوع واستنجازا للمطلوب مكررين صفة الاحسان زيادة في الرفق
والاستعطاف بقولهم ربنا اي ايها المحسن الينا واكدوا اعلاما بشدة رغبتهم في حسن الثناء عليه سبحانه واعترافا بانهم قد يفعلون
ما فيه شيء من تقصير فيكون مثل افعال من لا يعرفه سبحانه فقالوا انك انت اي وحدك لا غيرك العزيز الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه
شيء الحكيم الذي يضع الاشياء في اوفق محالها فلا يستطاع نقضها ومن كان كذلك فهو حقيق بان يعطي من امله فوق ما طلب ولما
اتم ما حثهم على التاسي فيه بذكر اعظم ابائهم لان دواعي الانسان للمداراة عما يخاف عليه من اقاربه واولاده وجميع احواله عظيمة جدا اكان
المداراة اعظم الاسباب ان كانت تقدم له صداقة وبها لغة فكان جديرا بعد الوعظ والتاسية ان تبقى عنده بقايا ولا سيما والناس
صنفان ومنهم من يرده ايسر وعظ ومنهم من يحتاج الى اكثر من ذلك اعاد التاسية تاكيدا لها على وجه يبلغ الذروة من جمال الترغيب
وجلال الترهيب وليكون فيها اتم دلالة على ان ما بينهما من قول ابرهيم عليه السلام المامور بالتاسي به من الدعا وغيره الا ما استثني
لتشتد الرغبة فيه فقال مصدرا بما دل على القسم اشارة الى ان فعل غير هذا كان فعله فعل منكر حسن هذا التاسي ولذلك ذكر الفعل
الذي اتيه في الاول لقد كان لكم اي ايها الذين ادعوا الايمان وقدم الظرف بيانا للاهتمام به فقال فيهم اي ابرهيم ومن معه
اسوة حسنة وابدل من لكم ما هو المقصود في الدلالة على الباطن فقال مشيرا الى ان من لم يتاس بهم في هذا لم يكن راجيا لما ذكر لمن كان
اي جبل على انه يرجوا الله اي الملك المحيط بجميع صفات الكمال فهو ذو الجلال الذي يجير ولا يجار عليه والاكرام الذي هو جدير بان يعطي
جميع ما يسئله واليوم الاخر الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير ولا تخفى فيه خافية فمن لم يتاس بهم كان تركه للتاسي دليلا على
سوء عقيدته فلا يلومن الا نفسه فقد دان لامام المسلمين لمن عثر عليه في عقوبته فان علم الغيب الذي علمناه لنبينا صلى الله عليه
وسلم بان حاطبا رضي الله عنه صحيح العقيدة غير متاهل للعقوبة منقطع بموته صلى الله عليه وسلم ولا يبقى الا ما نصبناه من العقل
واقتناه من الدلايل ولما كان التقدير فمن اقبل على هذا التاسي لكونه يرجوا الله واليوم الاخر فلم يخلد الى الدنيا يتوله الله
فان الله رحيم ودود عطف عليه قوله ومن يتول اي يوقع الاعراض عن اوامر الله تعالى في وقت من الاوقات مطلقا لكونه اخلد الى
الدنيا ولم يرج اليوم الاخر اعرض الله عنه واشار بصيغة التفعل الى ان ذلك لا يقع الا بمعالجة للفطرة الاولى واكد لان
فاعل ذلك كالمنكر لمضمون الكلام فقال فان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة هو اي خاصة الغني اي عن كل شيء الحميد
اي الذي له الحمد المحيط لاحاطته باوصاف الكمال في حال الطاعة له والمعصية كان العاصي عبد لارادته كما ان المطيع عبد لامره
وارادته ولطفه فلا يخرج شيء عن مراده وكل شيء خاضع لحكمته وقد بينت الاية الادب لعشرته بالهبت وهيجت على المفارقة للعصاة
والتبرء منهم حسا ومعنى واظهار ذلك لهم قولا وفعلا الى ان تحصل التوبة ومن لم يفعل ذلك كان شريكا في الفعل فيكون شريكا في الجزاء
كما ورد ثم لا تمنعه ذلك ان يكون اكيله وجليسه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على السنة الانبيا ومن فعل ما امره الله به كان
فعله جديرا بان يكون سبب الوصلة والقرب والمودة والاية من الاحباب ذكرا الرجا او دليلا على صدق ما بينا والتولي بما بينا دليلا
على صدق اولا وسر انه ذكر سببا للسعادة ترغيبا وسببا للشقاوة ترهيبا ولما اتم وعظهم بما هو الانفع والاقرب للصلاح
فعلوا وكان ذلك شاقا لما جبل عليه البشر من حب ذوي الارحام والعطف عليهم فتشوفت النفوس الى تخفيف بنوع من الانواع اشبه
الرخصة فيما قصد حاطب رضي الله عنه بغير الطريق الذي يتوصل به فقال على عادة الملوك في الرمز الى ما يريدونه فتقنع الموعود به
بل تكون ذلك الرمز عنده اعظم من البت من غيرهم لما لهم من العظمة التي تقتضي النزاهة عما تلم بساحته نقص وذلك اعظم في الايمان بالغيب
لان الموعود لا يزال في خوف وقد جاجوا ابا الملك كانه يقول كيف يكون الخلاص من مثل هذه الواقعة وقد تبينت باب هذه الدار على حكمة
الاسباب عسى الله اي انتم جديرون بان تطمعوا في الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما ان يجعل باسباب لا تعلمونها بينكم وبين اي في
جميع الحد الفاصل بين المجموعين او بين كل شخص من المجموعين الذين عاديتم اي بالمخالفة في الدين منهم اي من هؤلاء الذين عادوكم لما
تقدم من نزاعهم من اهل مكة مودة وقد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه واجرى سنته الالهية بان من عادية فيه
جعل عاقبة ذلك الى ولاية عظيمة ومن ثبت في مقاطعته فيه سبحانه اقامه له صدا ولما كان التقدير فالله بهم
رفيق عطف عليه تذكيرا لهم بما له سبحانه من العظمة قوله والله اي الذي له كمال الاحاطة قدير اي بالغ القدرة على كل ما يريده فهو

يقدر على تقليب القلوب وتيسير العسير فلما تم الرجا لم يبق الا ذكر الذنب فاتبعه تطييبا للقلوب عما نزلت هذه الايات بسببه قوله
والله اي الذي له جميع صفات الكمال غفور اي محاء لاعيان الذنوب واثارها رحيم يكرم الخاطئين اذا ارادوا التوبة ثم بالجزاء غاية
الاكرام قال الرازي في اللوامع كان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل ابا سفيان رضي الله عنه على بعض اليمن فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم
اقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فقاتله فكان اول من قاتل على الردة فتلك المودة بعد المعاداة ولما تم الوعظ والتاسية
وتطييب القلوب النفوس بالترجية وكان وصف الكفار بالاخراج لهم من ديارهم يحتمل ان يكون بالقوة فيعم ويحتمل ان يكون بالفعل
فيخص اهل مكة او من باشر الاذى الذي تسبب عنه الخروج منهم بين ذلك بقوله مؤذنا بالاشارة الى الاقتصاد في الولاية
والعداوة كما قال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون
حبيبك يوما ما لا ينهاكم الله اي الذي اختص بالجلال والاكرام عن الذين لم يقاتلوكم اي بالفعل في الدين اي بسبب تكونون مظروفين
له ليس شيء من احوالكم خارجا عنه فاخرج ذلك القتال بسبب حق دنيوي لا تعلق له بالدين واخرج من لم يقاتل اصلا كخزاعة
والنساء ومن ذلك اهل المدينة بل الاحسان لهم من محاسن الاخلاق ومعالي الشيم لانهم جيران ولما كان الذين لم يقاتلوا
كذلك ربما كانوا قد ساعدوا على الاخراج قال ولم يخرجوكم وقيده بقوله من دياركم ولما كان قد وسع لهم سبحانه بالنهي
في اول النهي حصر بقوله مبدلا من الذين ان اي لا ينهاكم عن ان تبروهم بنوع من انواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح في قصد
الموادة وتقسطوا اي تعدلوا العدل الذي هو في غاية الاتزان بان تزيلوا القسط الذي هو الجور وبين ان المعنى موصلين
لذلك الاقساط اليهم اشارة الى ان يحل الاقساط ضمن الايصال والى ان ذلك لا يضرهم وان تكلفوا الارسال اليهم من البعد
لما ازينه فان ذلك من الرفق والله يحب الرفق في جميع الامور ويعطي عليه ما لا يعطي على الخرق ثم علل ذلك بقوله موكدا
دفعا لظن من يرى اذى الكفار بكل طريق ان الله اي الذي له الكمال كله يحب اي يفعل فعل المحب مع المقسطين اي الذين يزيلون
الجور ويوقعون العدل ولما علم الحال من هذا ومما في اول السورة اتبعه التصريح بما افاده مجموعا احسن جمع مصورا
احسن تصوير فقال انما ينهاكم الله اي الذي له الاحاطة الكاملة علما وقدرة عن الذين قاتلوكم متعمدين لقتالكم كائنين في الدين
ليس شيء من ذلك خارجا عنه لكون العداوة في الله واخرجوكم من دياركم اي بانفسهم لبغضكم وظاهروا اي عاونوا غيرهم على
اخراجكم ولما تناول هذا المقصود صريحا وكان النهي الذي موضعه الافعال قد علق باعيانهم تاكيدا له عرف ان المقصود
بقوله ان اي انما ينهاكم عن المذكورين في ان تولوهم اي تكلفوا فطركم الاولى في ان تفعلوا معهم جميع ما يفعله القريب الحميم الشفيق
فتصرحوا بانهم اولياؤكم وتناصروهم ولو كان ذلك على ادنى الوجوه بما اشار اليه اسقاط التاء ولما كان التقدير
فمن اطاع فاولئك هم المفلحون عطف عليه قوله ومن يتولهم اي يكلف نفسه الحمل على غير ما تدعوا اليه الفطرة الاولى من المنابذة
والطلق ولم يقيده بمنكم ليعم المهاجرين وغيرهم والمومنين وغيرهم فاولئك اي الذين ابعدوا عن العدل هم اي خاصة العريقون
في انهم الظالمون اي العريقون في ايقاع الاشيا في غير مواضعها كمن يمشي في ماخذ الاشتقاق بسبب هذا التولي
كان نزول هذه الايات الماضية في الفتح الاعظم حين قصد النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان المسير بجنود الله الى مكة المشرفة
لنجولها عليهم بالسيف حين نقضوا بغيا لهم الخزاعة الذين كانوا قد تحيزوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا في عقده وعهده
في صلح الحديبية الذي كان سنة ست على وضع الحرب بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ومن دخل في عقدهم ومن كان في ذلك الصلح
ان من جا الى النبي صلى الله عليه وسلم من قريش ومن دخل في صلحهم رده اليهم وان كان مسلما ومن جاءهم ممن كان مع النبي صلى الله عليه
وسلم لم يردوه اليه بحيث قام من ذلك ووجد كثير من الصحابة رضي الله عنهم من اعظمهم عمر رضي الله عنه حتى سكنه الصديق
رضي الله عنه بما وقر في صدره من الحكم ورد النبي صلى الله عليه وسلم ابا بصير رضي الله عنه وكان رده اليهم للوفا بالعهد
سببا للتصديق لقوله صلى الله عليه وسلم اما من جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وقصته في ذلك كله
مشهورة وكانت من من صيغ العموم وكانت دلالة العام قطعية في الحكم على الافراد ظنية كما قال الشافعي رحمه الله في
الدلالة على جزئي من تلك الافراد بخصوصه حيث لا قرينة لان تلك الصيغ ترد تارة على عمومها وتارة يراد بها بعض الافراد
فتكون من العام الذي اريد به الخصوص وتارة يقع فيها التخصيص فتكون من العام المخصوص فطرقها الاحتمال فاحتاج ما دلت
عليه من الظاهر الى قرينة وكان دخول النساء تحت لفظ من في صلح الحديبية اما عريا عن القرينة او ان قرينة القتال الذي
وقع الصلح عليه وبسببه صارفة عنه وكذا قرينة التعبير عنهن بما دون من في كثير من الكتاب العزيز فانكحوا ما طاب لكم من
النساء او ما ملكت ايمانكم ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم واحل لكم ما وراء ذلكم
لما استمتعتم به منهن فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وكان قد ختم سبحانه هذه
الايات التي ادب بها في غزوة الفتح بما ابان به ما لا يخرج عن الصلح في عمرة الحديبية مما هو اقرب الى الخير من البر والعدل ونهى
عن تولي الكفار وكانت المصاهرة والمناكحة من اعظم التولي وصلح الحديبية مما لا يخرج عنه ولا يحل ما العهد في ان من جاء من الكفار

بلغ

الى النبي صلى الله عليه وسلم رده اليهم وان كان مسلما فقال مخاطبا لادنى اسنان اهل الايمان الذين يحتاجون الى التنبيه واما من هو اعلى منهم فهو عالم بذلك مؤتمر به بما اتاه الله من العلم وانار به قلبه الشريف من فنون العلم ليكفوا النبي صلى الله عليه وسلم مقدمات البيعة منهن **يا ايها الذين امنوا** اي اقروا بالايمان وهو ايقاع الامان من التكذيب لمن يخبرهم بما ينبغي التصديق به بسبب تصديقهم بالله
كان في علمه سبحانه انه يأتيهم نساء يهربن بدينهن الى الله بشرهم بذلك بالتعبير باداة التحقق فقال **اذا** اي صدقوا ما ادعيتموه من الايمان بانه في اي زمان **جاءكم** ولما كان لا يهجر داره وعشيرته لا سيما ان كانوا اقارب بسبب كفرهم الا من رسخ في الايمان ذكرا كان او انثى قال **المؤمنات** اي النساء اللاتي صار وصف الايمان لهن صفة راسخة بدلالة الهجرة عليه **مهاجرات** للكفار ولارضهم **فامتحنوهن** اي اختبروهن تاكيدا لما دلت عليه الهجرة من الايمان بالتحليف بانهن ما خرجن بحدث احدثنه ولا بغضا في زوج ولا رغبة في عشير ولا خرجن الا حبا لله ورسوله ورغبة في دين الاسلام قال الامام شهاب الدين بن النقيب في الهداية من مختصره للكفاية لفقيه المذهب نجم الدين احمد بن الرفعة في شرح التنبيه واختلف قول الشافعي هل كان النبي صلى الله عليه وسلم شرط لهن في الصلح رد النساء ففي قول لم يشرطه بل اطلق رد من جاءه فتوهموا تناول النساء وكان صلى الله عليه وسلم عالما بعدم دخولهن فاطلق للخديعة يعني ومن شرعه ان الحرب خدعة وفي قول شملهن الشرط لكن هل شرطه صريحا او دخلن في الاطلاق فيه وجهان اظهرهما الثاني وهل كان شرط ردهن جائزا فيه وجهان احدهما نعم ثم نسخ وهل ناسخه الاية المذكورة ام منع النبي صلى الله عليه وسلم من الرد فيه وجهان مبنيان على انه هل يجوز نسخ السنة بالقران وفيه قولان عن الشافعي ومختاره منهما المنع وهو الجديد وكذا لا يجوز عنده وعند اصحابه نسخ الكتاب بالسنة وان كانت متواترة انتهى ومعناه انه لم يقع فان وقع نسخهما بالقران كان معه سنة وان وقع نسخه بالسنة كان معهما قران وهو معنى قول السبكي في جمع الجوامع قال الشافعي وحيث وقع بالسنة فمعها قران او بالقران فمعه سنة عاضدة تبين توافق الكتاب والسنة ولما كان الاختبار بما دل على ان ايمانهن لا يفيد الا ظنا نفى ذلك بقوله مستانفا في جواب من يقول اليس الله يعلم ذلك ومفيدا ان علمكم الذي تصلون اليه بالامتحان ليس بعلم وانما سماه به ايذانا بان الظن الغالب في حكمكم بالاجتهاد والقياس قائم مقام العلم مخرج من عهدته ولا تنفعكم ما ليس لكم به علم **الله** اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما **اعلم** اي منكم ومنهن انفسهن **بايمانهن** هل هو كائن اولا على وجه الرسوخ اولا فانه يحيط بما غاب كاحاطته بما شهد وانما وكل الامر اليكم في ذلك سترا للناس ولئلا تكون شهادته لاحد بالايمان او الكفران موصلة الى عين اليقين فيخرج عن مبنى هذه الدار قال القشيري وفي الجملة الامتحان طريق الى المعرفة وجواهر النفس تتبين بالتجربة ومن اقدم على شيء من غير تجربة تحسى كاس الندم **فان علمتموهن** اي العلم الممكن لكم وهو الظن المؤكد بالامارات الظاهرة بالحلف وغيره **مؤمنات** اي مخلصات في الهجرة لاجل الايمان والتعبير بذلك للايذان بمزيد الاحتياط
ذكر هذا الامتحان بين انه علة لما يمتن والدفع عنهن فاتبعه مسببه فقال **فلا ترجعوهن** اي بوجه من الوجوه **الى الكفار** وان كانوا ازواجا ومن الدليل على ان هذا ظاهر في المراد وان القران موضح له انه صلى الله عليه وسلم لما ابى ان يرد اليهم من جاء من النساء لم يعب احد من الكفار ذلك ولا نسب الى عهده صلى الله عليه وسلم وحاشاه خللا ولو رأوا ان ذلك كذلك لملأوا الارض تشنيعا كما فعلوا في سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه الى نخلة التي نزل بسببها يسئلونك عن الشهر الحرام الايات على ان الاحاديث الصحيحة وغيرها ناطقة بان هذه الاية نزلت في الحديبية قبل ان ينفصل الامر غاية الانفصال وكيف لا وقد روى البخاري في المغازي من صحيحه والبغوي من طريقه وهذا لفظه عن مروان والمسور بن مخرمة عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لما كاتب سهيل بن عمرو وكان مما اشترط على النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم يأته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاء المؤمنات مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عاتق فجاء اهلها يسألون النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها اليهم لما انزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن وقال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم فجاءت سبيعة بنت الحارث مسلمة بعد الفراغ من الكتاب فاقبل زوجها وكان كافرا فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ما هاجرت لبغض زوج ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس الدنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك فحلفت فلم يردها فاعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر رضي الله عنه وكان يرد من جاء من الرجال ويحبس من جاء من النساء بعد الامتحان ويعطي ازواجهن مهورهن وذلك النسخ ليس بشيء الا ان يؤول بانه لما كان من العام الذي اريد به الخصوص بان ان بعض ما تناوله ظاهر اللفظ من الحكم مرفوع وذلك لان الله لا يأمر باخلاف الوعد فكيف بنقض العهد ولما نهى عن رد المهاجرات الى المشركين وعبر بالكفار نفيا لعلة ذلك تعو[يضا]

منه ما حكم من تشريفها لهن بهجرتهن **لا هن** اي الازواج **حل** اي موضع حل ثابت **لهم** اي بالكفار باستمتاع ولا غيره كان نفي الحل الثابت عن مانع من تجدد حل الرجال لهن ولو على تقدير من التقادير وفرض من الفروض قال مفيدا لذلك ومؤكدا لقطع العلاقة من كل جانب **ولا هم** اي رجال الكفار **يحلون** اي يتجدد في وقت من الاوقات ان يحلوا **لهن** اي للمؤمنات حتى لو تصور ان يكون رجالهن نساء وهن ذكورا ما حلوا لهن بخلاف اهل الكتاب وكذا انفك الملازمة في مسالة المظاهرة والايلاء فيحل للمراة ان تستمتع به اذا كان ناسيا مثلا واما هو فيحرم عليه ذلك قبل التكفير وقال البيضاوي الاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع من الاستئناف انتهى فنفت هذه الجملة الفعلية من وجه تجدد الحل للنساء فافهمت الجملتان عدم الحرج فيما كان قبل ذلك تطييبا لقلوب المؤمنات ولما نهى عن الرد وعلله امر بما تقدم من الاقساط اليهم فقال **واتوهم** اي الازواج **ما انفقوا** اي عليهن من المهور فان المهر في نظير اصل العشرة ودوامها وقد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية واما الكسوة والنفقة فانها لما يتجدد من الزمان جزم بنا به منعهن عن الكفار اباحهن للمسلمين فقال على وجه الرفق واللطف **ولا جناح** اي ميل وحرج **عليكم** ايها المشرفون بالخطاب **ان تنكحوهن** اي بتجدد زواجكم بهن بعد الاستبراء وان كان ازواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق بينهم عنهن لان الاسلام فرق بينهم فانه لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ولما كان قد امر برد مهور الكفار وكان ربما ظن انه مغن عن تجديد مهر لهن اذا نكحهن المسلم نفي ذلك بقوله **اذا اتيتموهن** اي لاجل النكاح **اجورهن** ولما قطع ما بين الكفار والمسلمات مع الاعراض عن الكفار لغضبانهم قطع ما بين المؤمنين والكافرات مع الاقبال عليهم لطاعتهم رفعا لشانهم فقال **ولا** ولما كان امساك المراة مع عداوتها لمخالفتها في الدين دليلا على غاية الرغبة فيها دل على ذلك اشارة الى التوبيخ بالتضعيف في قراءة البصريين فقال **تمسكوا** اي بعدم التصريح بالطلاق **بعصم الكوافر** جمع عصمة وهي ما يتم به علقة النكاح **واسالوا** اي ايها المؤمنون الذين ذهبت ازواجهم الى الكفار **ما انفقتم** اي من مهور نسائكم اللاتي اعتصمن عنكم بهم او فررن اليهم امر برد مهور المؤمنات الى الكفار واذن للمؤمنين في المطالبة بمهور ازواجهم اذن للكفار في مثل ذلك ايماء الى القسط بين عباده مسلمهم وكافرهم معبرا بالامر مع الغيبة اعراضا عنهم اعلاما بشدة كراهته سبحانه للظلم وانه يستوي فيه الكافر مع عداوته بالمؤمن مع ولايته **وليسالوا** اي الكفار **ما انفقوا** اي من مهور ازواجهم اللاتي اسلمن واعتصمن بكم عنهم وهل هذا الحكم باق قال قوم نعم وقال عطاء ومجاهد وقتادة نسخ فلا نعطي الكفار شيئا ولو شرطنا الاعطاء ولما كان هذا حكما عدلا لا يفعله مع عدوه ووليه الا حكيم قال مشيرا الى مدحه ترغيبا فيه مشيرا بميم الجمع الى العموم **ذلكم** اي الحكم الذي ذكر في هذه الايات البعيد بعلو الرتبة عن كل سفيه **حكم الله** اي الملك الذي له صفات الكمال فلا ينبغي لشائبة نقص ان تلحقه ولما كان هذا مما يفرح به ويغتنم عند تقدير فوائده قال مستانفا مبشرا بادامة تجديد امثاله لهم **يحكم** اي الله احكمه على سبيل المبالغة ودل على استغراق الحكم لجميع ما يعرض بين العباد وانه لم يهمل سبحانه شيئا منه باغراء الجار من قوله **بينكم** اي في هذا الوقت وفي غيره على هذا المنهاج البديع وذلك لاجل الهدنة التي وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم واما قبل الحديبية فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك النساء ولا يرد الصداق ولما كان التقدير فالله حكم عدل قال **والله** اي الذي له الاحاطة التامة **عليم** اي بالغ العلم لا يخفى عليه شيء **حكيم** اي فهو لتمام علمه يحكم كل اموره غاية الاحكام فلا يستطيع احد نقض شيء منها ولما كان المظنون بالكفار عدم العدل فلا يعطون المؤمنين مهور نسائهم الكافرات قال مداويا لذلك الداء **وان فاتكم** اي بالانفلات منكم بعد الهجرة او بادامة الاقامة في بلاد الحرب **شيء** اي قل او كثر **من ازواجكم** اي من انفسهن او مهورهن **الى** اي متحيزا او واصلا الى **الكفار** فعجزتم عنه **فعاقبتم** اي بمكنتم من المعاقبة بان فات الكفار شيء من ازواجهم بالهجرة اليكم او غنمتم من اموال الكفار فجاءت نوبة ظفركم باداء المهر الى اخوانكم طاعة وعدلا عقب نوبتهم التي اقتطعوا فيها ما انفقتم عصيانا وظلما **فاتوا** اي فاحضروا واعطوا من مهر المهاجرة **الذين ذهبت ازواجهم** اي منكم ان اختاروا الاخذ **مثل ما انفقوا** على الكافرة الفائتة الى الكفار مما غنمتم من اموالهم او بان تدفعوا اليهم مثل مهور ازواجهم مما كنتم تعطونه لازواج المهاجرات فيكون ذلك جزاء وقصاصا لما فعل الكفار ولما كان التحري في مثل ذلك عسرا على النفس فان المهور تتفاوت تارة وتتساوى اخرى وتارة تكون نقودا وتارة عروضا الى غير ذلك من الاحوال مع ان المعامل عدو في الدين فلا يحمل على العدل فيه الا خالص التقوى قال **واتقوا** اي في الاعطاء والمنع وغير ذلك **الله** الذي له صفات الكمال وقد امرتم بالتخلق بصفاته على قدر ما تطيقون ثم وصفه بما يوكد صعوبة الامر ويحث على العدل فقال ملهبا لهم كل الالهاب هازا لهم بالوصف بالرسوخ في الايمان **الذي انتم به** اي خاصة **مؤمنون** اي متمكنون في رتبة الايمان ولما خاطب سبحانه المؤمنين الذين هم موضع الذب والحماية والنصرة بما وطد به المؤمنات في دار الهجرة بوقع الامتحان وعرف الايمان امر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بايمانهن بمبايعتهن فقال **يا ايها النبي** مخاطبا له بالوصف المقتضي للحلم ودل على تحقق كون

ما يخبر به من يحبهم من أداة التحقق علماً من أعلام النبوة فقال **إذا جاءك المؤمنات** جعل إقبالهن عليه صلى الله عليه وسلم لا سيما مع الهجرة مصححاً لإطلاق الوصف عليهن **يبايعنك** أي كل واحدة منهن تبايع **على أن لا يشركن** أي يوقعن إشراكاً لأحد من الموجودات في وقت من الأوقات **بالله** أي الملك الذي لا كفوء له **شيئاً** أي من إشراك على الإطلاق ولما كان الشرك به أحق الملك لمن لا يستحقه أتبعه أخذ مال المالك بغير حق لا تنقصاً الكمال لذلك بتمكن المرأة من اختلاس مال الزوج وعسر تحفظه منها فقال **ولا يسرقن** أي يأخذن مال الغير بغير استحقاق في خفية وأتبع ذلك بذل حق الغير لغير أهله فقال **ولا يزنين** أي يمكن أحداً من وطئهن بغير عقد صحيح ولما كان الزنا قد يكون سبباً في إيجاد أو إعدام نسمة بغير حقها أتبعه إعدام نسمة بغير حقه فقال **ولا يقتلن أولادهن** أي بالوأد كما تقدم في النحل وسواء في ذلك كونه من زناً أو لا ولما ذكر إعدام نسمة بغير وجه أتبعه ما يشمل إيجاد نسمة بغير حل فقال مفصحاً له على سبيل الكناية عنه بالبهتان وما معه بالتصوير له بلوازمه وآثاره لأن استهجان القبيح وتصور صورته أزجر عنه فقال **ولا يأتين ببهتان** أي ولد من غير الزوج يبهت من الحاقه به حيرة في نفيه عنه **يفترينه** أي يتعمدن كذبه وحقق المراد به وصوره بقوله **بين أيديهن** أي بالحمل في البطون **وأرجلهن** أي بالوضع من الفروج ولأن عادة الولد مع أنه يسقط بين يدي أمه ورجليها أن يمشي أمامها وهذا شامل لما كان من شبهة أو لقطة ولما حقق هذه الكبائر تعظيماً لأمرها لعسر الاحتراز منها وأكد النهي عن الزنا مطابقة والتزاماً لما يجر إليه من الشرور والقتل فما دونه وغلظ أمر النسب لما يتفرع عليه من إيقاع الشبهات وانتهاك الحرمات عم في النهي فقال **ولا يعصينك** أي على حال من الأحوال **في معروف** أي فرد كان منه صغيراً كان أو كبيراً وفي ذكره مع العلم بأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به إشعار بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقدم المنهيات على المأمورات المستفادة من المعروف لأن التخلي عن الرذائل مقدم على التحلي بالفضائل لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح **فبايعهن** أي التزم لهن بما وعدت على ذلك من إعطاء الثواب لمن وفت منهن في نظير ما ألزمن أنفسهن من الطاعة ولما كان الإنسان محل النقصان لا سيما النسوان رجاهن سبحانه بقوله **واستغفر** أي اسأل **لهن الله** أي الملك الأعظم ذا الجلال والإكرام في الغفران إن وقع منهن تقصير وهو واقع لأنه لا يقدر أحد على أن يقدر الله حق قدره ولما كانت عظمته سبحانه مانعة لعظيم الهيبة من سؤاله قاطعة به علله بقوله مظهراً الاسم الأعظم لئلا يظن بإضماره تقيده بحيثية الهجرة من النساء ونحو ذلك مؤكداً لما طبع الآدمي عليه من أنه لا يكاد يترك المسيء من عقاب أو عتاب فضلاً عن التفضل بزيادة الإكرام **إن الله** أي الذي له صفات الكمال فلو أن الناس لا يذنبون لجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ليظهر صفة إكرامه **غفور** أي بالغ الستر للذنوب عيناً وأثراً **رحيم** أي بالغ الإكرام بعد الغفران فضلاً منه وإحساناً وقد حقق سبحانه ذلك وصدق ومن أصدق من الله قيلاً فأقبل النساء للبيعة عامة ثاني يوم الفتح على الصفا بعد ما فرغ صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال فنزلت هذه الآية وهو على الصفا فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فلما ذكر الشرك قالت والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط فقال ولا يسرقن فقالت إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فلا أدري أيحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وإنك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عني ما سلف عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أو تزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً وأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر البهتان وهو أن تقذف ولداً على زوجها ليس منه قالت هند والله إن البهتان لقبيح وما تدعونا إلا إلى الرشد ومكارم الأخلاق فقال ولا يعصينك فقالت ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا تحل له وكانت أسماء بنت يزيد ابن السكن في المبايعات فقالت يا رسول الله ابسط يدك نبايعك فقال إني لا أصافح النساء لكن آخذ عليهن وعن الشعبي أنه صلى الله عليه وسلم دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمس أيديهن فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنهن في المبايعة فيما استطعتن وأطقتن فقالت الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ولما ذكر ما أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم في المبايعات بعد أن عد الذين آمنوا أصلاً في امتحان المهاجرات فعلم من ذلك أن تولي النساء مع أنه لا ضرر فيهن بقتال ونحوه لا يسوغ إلا بعد العلم بإيمانهن وكان الحكم بصفتي الغفر والرحمة ربما جرأ على محاباة المؤمنين لبعض الكفار من أزواج أو غيرهم لقرابة أو غيرها لعلة يبديها الزوج أو غير ذلك من الأمور رد سبحانه الأمر بالبراءة من كل عدو ردا للآخر السورة على أولها تأكيداً للإعراض عنهم وتنفيراً من توليهم كما افتتحه أي المبايعة وآية الامتحان فقال مناديا لهم بالإقبال بالخطاب كما فعل أولها لذلك العتاب **يا أيها الذين آمنوا** ولما كان الميل عن الطريق الأقوم على خلاف ما تأمر به الفطرة الأولى فلا يكون إلا عن معالجة عبر بالفعل كما عبر أول السورة بالافتعال

فقال **لا تتولوا** أي تعالجوا أنفسكم أن تتولوا **قوماً** أي ناساً لهم قوة على ما يحاولونه تغيرهم من باب الأولى **غضب الله** أي أوقع الملك الأعلى الغضب **عليهم** لإتيانهم على ما أحاط بهم من الخطايا فهو عام في كل من اتصف بذلك يهوداً ولا أولياء ولما كان السامع لهذا يتوقع بيان سبب الغضب قال معللاً ومبيناً أنه لا خير فيهم يرجى وإن ظهر خلاف ذلك **قد يئسوا** أي تحققوا عدم الرجاء **من الآخرة** أي من أن ينالهم منها خير إما لإحاطة معاصيهم بهم أو لعدم اعتقادهم لقيامها ولأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فيوشك من والاهم أن يكتسب منهم فيحل به الغضب **كما يئس** من نيل الخير منها **الكفار** ولما كان من مات فصار من أهل القبور قد كشف له عن أحوال القيامة فعرف أنه ناج أو هالك وكان الموتى أعم من الكفار وموتى الكفار أعم ممن دفن منهم قال **من أصحاب القبور** فإن الكفار منهم قد علموا إياسهم من حصول الخير منها علماً قطعياً ويجوز أن يكون من ابتدائية فيكون المعنى كما يئس عباد الأوثان من لقاء من مات منهم باعتقاد أنه لا اجتماع بينهم أصلاً لأنه لا يمكن بعثه على زعمهم لا إلى دنيا ولا إلى آخرة لأنه لا آخرة عندهم لا سيما إن كان مع كونه في قبر وعلى هذا يكون الظاهر وضع موضع المضمر للدلالة على أن الذي أيأسهم تغطيتهم الدلائل مع وضوحها لو أنصفوا فلا تتولوا من هذه صفته فيكون بينكم وبينه ما بين القريب مع قريبه من تولي كل منهم من الآخر ما يتولاه القريب الصديق لقريبه فإن تولهم ضرر لا نفع فيه فإن من غضب عليه الملك الشديد لكل حركاته وسكناته لا يفلح هو ولا من تولاه وأقل ما في ذلك أنه من الضرر أنه تنقطع المعاونة فيه والمناصرة بالموت وإن كان بعد الموت مشاركه ففي العذاب الدائم والخزي اللازم وقد علم أن هذا الآخر هو أولها وهذا الموصل مفصلها فسبحان من أنزله كتاباً معجزاً حكيماً وقرآناً موجزاً جامعاً عظيماً

سورة الحواريين مقصودها الحث على الاجتهاد التام في الاجتماع على قلب واحد في جهاد من دعت الممتحنة إلى البراءة منهم بحملهم على الدين الحق أو محقهم عن جديد الأرض تنزيهاً للملك الأعلى عن الشرك وصيانة لجنابه الأقدس عن الإفك ودلالة على الصدق في البراءة منهم والعداوة لهم فهي نتيجة سورة التوبة وأدل ما فيها على هذا المقصد الصف بتأمل آيته وتدبر ما له من جليل النفع في أوله وأثنائه وغايته وكذا الحواريون **بسم الله** الملك الأعظم الذي له الأمر كله لأنه لا كفوء له **الرحمن** الذي عم بنعمة البيان عموماً يرضيه فمن شاء فقد شرع لكل أحد أن يرده ويقبله **الرحيم** الذي خص بإتمام الإنعام الموصل إلى دار السلام من شاء من عباده فهيأه لذلك وأهله ولما ختمت الممتحنة بالأمر بتنزيهه سبحانه عن تولي من يخالف أمره بالتولي عنهم والبراءة منهم اتباعاً لأهل الصافات المتجردين عن كل ما سوى الله لا سيما عمن كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون وافتتحت الصف بما هو كالعلة لذلك فقال **سبح لله** أي أوقع التنزيه الأعظم للملك الأعظم **ما في السموات** من جميع الأشياء التي لا تعقل من أفلاكها ونجومها وغير ذلك من جواهرها وأعراضها في طلوعها وأفولها وسيرها في ذهابها ورجوعها وإنشاء السحاب وإنزال المياه وحبس ذلك ولما كان الخطاب مع غير الخلص أكد فقال **وما في الأرض** أي بامتثال جميع ما يراد منه مما هو كالمأمور بالنسبة إلى أفعال العقلاء من نزول المياه وإخراج النبات من النجم والشجر وإنضاج الحبوب والثمار وغير ذلك من الأمور الصغار والكبار ولما كان امتثال غير العاقل وعصيان العاقل ربما أوهم نقصاً قال **وهو** أي وحده **العزيز** أي العظيم النفع الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ويصعب الوصول إليه **الحكيم** الذي يضع الأشياء في أتقن مواضعها فما مكن العاقل من المعصية إلا لإظهار صفات الكمال من العلم والقدرة والحلم والكرم والرحمة والنقمة وغير ذلك وقد علم بهذا التنزيه وختم آيته بهاتين الصفتين أنه تعالى منزه عما تضمنه يأس الكفار المذكورين من أنه لا بعث وعن أن يجعل سبحانه لهم حظاً في الآخرة لأن كلاً من عدم البعث والتسوية بين المسيء والمحسن نقص وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير افتتحت بالتسبيح لما خُتمت به سورة الممتحنة من قوله لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم وهم يهود وقد تقدم الإيماء إلى ما استوجبوا به هذا فأتبع بالتنزيه لما تقدم من بيانه فإنه مما يعقب به ذكر جرائم المرتكبات والإبراد في غير ذلك ثم أتبع ذلك بأمر العباد بالوفاء وهو الذي حذر لهم في الممتحنة ليتنزهوا عن حال مستوجبي الغضب بنقيض الوفاء والمخالفة بالقلوب والألسنة يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم لياً بألسنتهم وطعناً في الدين من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم وبمجموع هذا استحقوا اللعنة والغضب فقيل للمؤمنين يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون احذروا أن تشبهوا أحوالكم بأحوال من استحق المقت واللعنة والغضب ثم أتبع بجنس الجزاء المزدلفي قوله وعداً للتائبين وضميراً وثبت على ما أمر به فقال إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً الآية ثم تناسج ما بعد ولما كان الوارد من هذا الغرض في سورة الممتحنة قد جاء على طريق الوصية وسبيل النصح والإشفاق أتبع في سورة الصف بصريح العتب في ذلك والإنكار ليكون بعد ما تمهد في السورة قبل أدفع في الزجر وما أكل كم بين قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الآيات وما تضمنت من التلطف وبين قوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون انتهى ولما تقدمت في الممتحنة قصة الفتح الأعظم في شأن حاطب بن أبي بلتعة

رضي الله عنه وجعل متابعة الكفار بكل اعتبار علما على صحة الهجرة وادعاء التجرد لجهاد اعداء الله وقصة الفتح السببي من تحريم المؤمنات على المشركين وتحريم المشركين على المؤمنات في عمرة الحديبية وابدى سبحانه في ذلك من الصنايع التي تعجز قوى الخلق عنها ان رتبهما في الفتح السببي على ما في الفتح الفعلي الحقيقي فجعل الاول في الزمان اخرا في الرتبة والاخر في الزمان اولا في الرتبة مع شدة الاحكام في ترصيف النظام والبلوغ في الرشاقة والانسجام الى حد لا تطيقه نوافذ الافهام مع براعة المعاني ومتانة المباني وكان فعل من ناصح الكفار ممن امن بلسانه وادعى بجنانه وهاجر بأركانه نوع مناصحة فعل من يقول ما لا يفعل في مناددتهم والتجرد لعداوتهم ذكر اول هذه السورة من نزهه بالسنة احوال ما لا يفعل ما يجعل المسلم بشي من ذلك ناديا لامثاله وندبيا لمن عمر شي من المخالفة بباله وكان للعاقل اولى من عزم بتنزيه جناب القدس بالطاعة فكيف اذا كان ممن اقر بالايمان وتقلد عهدة الاذعان وكان من عصى منهم مناديا على نفسه بمخالفة قوله لفعله ومن نزهه حق تنزيهه لم يقصر في حق من حقوقه بتضييع شي من اوامره كان تنزيه ما لا يفعل بان يخالف شيئا من مراده قال مرهبا بنداء البعد والتوبيخ الذي هو من مبادي الغضب والانكار بالاستفهام والتعبير بما يفهم ادنى مراتب الايمان يايها الذين امنوا اي ادعوا الايمان لم قال في الكشاف هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في بم وفيم ومم وعم والى م وعلى م وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشي واحد ووقع استعمالها بزيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثة اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وقال الدمي في الموصول انه حذفت لان لها صدر الكلام ولم يمكن تاخير الجار عنها فقدم وركب معها حتى يصير المجموع كلمة موضوعة للاستفهام عن مرتبة الصدر وجعل حذف الالف دليل التركيب تقولون اي من دعوى الايمان التي مقتضاها التزام الاخلاص في جميع الاحوال ما لا تفعلون اي ما لا تصدقونه بالفعل الذي يكون بغاية الرغبة والقوة فتتخذوا العدو وليا بالابقاء عليه وارسال النصح اليه وقد تلفظتم بالايمان الذي يستلزم المعاداة لكل من كفر وخلف الوعد في نفسه قبيح ومع الخالق اقبح

ولما كان ذلك مسلكا دحض المخاطبين بتعظيمه لينجوا انفسهم بالكف عنه فقال كبر فقصد به التعجب وهو تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا في امر خارج عن نظايره واشكاله وفسر ما قصد منه بالدلالة على خلوصه في المقت بقوله مقتا اي عظم جدا وما اعظمه من بغض هو اشد البغض وزاد في تبشيعه زيادة في التنفير منه بقوله عند الله اي الملك الاعظم الذي يحتقر عنده كل متعاظم

ولما ابلغ في تبشيعه فتشوفت النفس الى المسند اليه ذلك قال ان تقولوا اي عظم من ذلك جهة ان يقع في وقت من الاوقات او حال من الاحوال قولكم ما لا تفعلون وقال القشيري ويقال لم يتوعد الله على زلة بمثل ما توعد على هذا انتهى وكل ما ذكر في سببها صالح للسببية قول بعضهم لو ندري احب الاعمال الى الله لاجتهدنا فيه ثم ولوا يوم احد وتواني بعضهم في الجهاد وكون صهيب رضي الله عنه قتل يوم بدر رجلا ادى المسلمين وانكا فيهم وادعى غيره انه قتله فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر وعبد الرحمن بن عوف لصهيب رضي الله عنهم اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال لصهيب رضي الله عنه انما قتلته لله ولرسوله فاخبر عمر وعبد الرحمن رضي الله عنهما النبي صلى الله عليه فقال اكذلك يا ابا يحيى قال نعم يا رسول الله والتزام المنافقين احكام الاسلام وتخلفهم اخلافا في الامور العظام وكذا قصة حاطب رضي الله عنه

ولما عظم ما يكرهه بعد ما الهب به من تنزيهه عنه العاقل فكان العاقل جديرا بان يسال عما يحبه لينزهه به قال ذاكرا الغاية التي هي امر جامعة لكل ما قبلها من المحاسن موكدا لان الخطاب مع من قصر او هو في حكمه ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال يحب اي يفعل فعل المحب مع الذين يقاتلون اي يوقعون القتال في سبيله اي بسبب تسهيل طريقه الموصلة الى رضاه انفاعا مطروقا للسبيل لا يكون شي منه لشي خارج عنه فيقاتلون اعداء الدين من الشيطان بالذكر القلبي واللسان والانسان بالسيف والسنان صفا اي مصطفين حتى كانهم في اتحاد المراد على قلب واحد كما كانوا في التساوي في الاصطفاف كالبدن الواحد

ولما كان الاصطفاف يصدق مع التقدم والتاخر اليسير نفى ذلك بقوله حالا بعد حال كانهم اي من شدة التراص والمساواة بالصدور والمناكب والثبات في المراكز بنيان وزاد في التاكيد بقوله مرصوص اي عظيم الاتصال شديد الاستحكام كانما رص بالرصاص فلا فرجة فيه ولا خلل فان من كان هكذا كان جديرا بان لا يخالف شيئا من افعاله شيئا من اقواله فالرص اشارة الى اتحاد القلوب والنيات في موالاة الله ومعاداة من عاداه والمنتج لتسوية الصفوف في الصلاة التي هي محاربة الشيطان والحرب التي هي مقارعة حزبه اولي الطغيان والافعال التي هي ثمرات الابدان

ولما كان التخلف عن امر الله والغفلة عن شي يودي تركه الى التهاون به والاخلال بادب من ادابه موجبا للكون في صف الشيطان ومفارقة حزب الرحمن فيكون اذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيوجب ذلك لا لشقا كله لانه جدير بان يجر الى اكبر منه الى ان يحيط الخطايا فتنلج الرزايا وكان التذكر بالمشاهدات والامور الواقعات مما ليس لغيره في التاديد وموجع الترهيب ذكر بما كان لبني اسرائيل ترهيبا من مثل حالهم لئلا يوقع في مثل حالهم حين تقاعسوا عما امروا به من فتح بيت المقدس من الله تعالى غضبه من يعلم ذلك فسماهم فاسقين وضربهم بالتيه اربعين سنة واماتهم في تلك الاربعين كل

من تولى منهم في ذلك فلم يدخل الى بيت المقدس منهم احد فحرموا البلاد التي تقاعدوا عن فتحها وهي بعد مكة والمدينة خير بلاد الله ومهاجر ابيهم ابرهيم عليه السلام وموطن ابويهما اسحاق ويعقوب عليهما السلام وانزه الارض واكثرها خيرا وابركها مع ما كانوا فيه من الضيق والنكد من التيه الذي هو طرد عن جناب الله كما اشار اليه التعبير عن زمنه بالسنين لما ابقوا بعدهم من سوء الذكر وشناعة الفالة الى اخر الدهر فقال تعالى واذ عطفا على ما تقديره اذكر واما فعل بعضكم مما اشرت اليه اول هذه الايات من الاداب من تنبيه الكفار بما قد يمنع من الفتح او يكون سببا في عسره او في اهلال خلق كثير من عبادي الذين خلقتهم في احسن تقويم من المومنين وغيرهم او من الفرار من الكفار عند المقارعة او التقاعس عن التقاعد التي عليه وادى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اذا من اذى الله فحلم عنكم وقبل بما له من بليغ الرحمة بكم والشفقة عليكم منكم وكان يهمه ما عنتم به مرسله سبحانه انذارا بما هو لادى الانسان في الايمان في نظير الطلاقة على بني اسرائيل الغسول الموذن بالرسوخ واذكروا حين قال موسى لقومه وهم مع كونه منهم ممن له توفر على ما يحاولونه يا قوم استعطافا لهم واستنهاضا الى رضى ربهم لم توذونني اي تجددون اذاي مع الاستمرار بالتواني في امر الله والتقاعد عن فتح بيت المقدس مع قولي عن الله انكم فاتحوها ان اطعتموه وان الله اقسم لابائكم انه ما يحملها لا محالة

ولما كان هذا الاستفهام الانكاري موجبا لتوقع ما ياتي بعده من موجب التعظيم بدل الاذى والتبجيل والانقياد موضع التوقف والاباء قال محققا بحرف التحقيق مضمون الكلام وقد اي والحال انكم تعلمون اي علمتم علما قطعيا مع تجدده لكم كل وقت بتجدد اسبابه بما اتيتكم به من المعجزات وبالكتاب الحافظ لكم عن الزيغ اني رسول الله الملك الاعظم الذي لا كفوء له ورسوله يعظم ويحترم لانه نتهك جلالة من يحترم اليكم لا اقول لكم شيئا الا عنه ولا انطق عن الهوى فعصيانكم عصيانه مع اني ما قلت لكم شيئا الا تم وان كنتم قاطعين بانه فهي معصية لا حامل عليها اصلا الا رداءة الجبلات

ولما تحتم اليهم واستعطفهم وذكرهم ما يعلمون من رسليته وصلته بالله بما شاهده وامن الايات التي هي اعظم الاحسان اليهم اعلم انهم اوسكوا العصيان فقال معبرا عن ذلك بالفا تسبيبا عن هذا القول الذي هو اهل لان يسبب الثبات وتعقيبا وتقريبا فلما زاغوا اي تحقق زيغهم عن قرب عن اوامر الله في الكتاب الاتي اليهم بما اتوا من قبول امره في الاقدام على الفتح ازاغ الله الذي له الامر كله قلوبهم عن الاستوا وجمع اللائم بدل انه لم يثبت منهم الا القليل فهزمهم بين يدي اعدائهم وضربهم بالتيه لانهم فسقوا عن امر الله فالله لا يهديهم فاسند الذنب اليهم والعقوبة اليه وان كان الكل فعله تعليما لعباده الادب واعلاما بان افعالهم الاختيارية ينسب اليهم كسبها وتقوم به الحجة عليهم لعدم علمهم بالعاقبة والله اي الملك الاعظم الذي له الحكمة البالغة لانه المستجمع لصفات الكمال لا يهدي اي بالتوفيق بعد هداية البيان القوم الفاسقين اي العريقين في الفسق الذين لهم قوة المحاولة فلم يحملهم على الفسق ضعف فاحذروا ان تكونوا امثالهم في العزايم فتسا ووهم في عقوبات الجرايم

ولما كان اذى النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفة امر الله تارة يكون مع العلم برسالته والاقرار بها وتارة مع الانكار وقدم القسم على ما كان منه بسبيل تقدير التصديق وذكر فيه بقصة قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يوذونه مع العلم برسالته وهددهم بما اتفق لهم من زيغ القلوب التي هي عماد الابدان وصلاح الانسان اتبعه ما يكون منه عند فرض الانكار

ولما كان رد المنكر تارة يكون بالعقل وتارة بالنقل وكان الذي بالعقل يكون بنظر المعجزات ولا سيما اخراج الخبء وقد كان منه في قصة حاطب رضي الله عنه في اخراج كتابه الذي اجتهد في اخفائه واجتهدت الظعينة الحاملة له في كتمانه ما فيه مقنع في العلم بالرسالة وتحقق الجلالة اتبع ذلك دليلا نقليا تاييدا للعقل بالنقل مع كونه دليلا على صحة الاخبار بازاغة قلوب بني اسرايل جزاء على زيغهم عن الحق فقال واذ اي واذكروا حين قال عيسى ووصفه بما حقق من هو فقال ابن مريم اي لقوم موسى عليه السلام الذين ارسل اليهم وثبتت نبوته لديهم بالمعجزات مع اخلاص الدعوة لله وتقدم من كان قبله من اهل الله يا بني اسرايل فذكرهم بما كان عليه ابوهم من الدين وما اوصى به بنيه من التمسك بالاسلام ولم يعبر بالقوم كما قال موسى عليه السلام لانه لا اب له فيهم وان كانت امه منهم فان النسب انما هو من جهة الاب واكد لانكار بعضهم فقال اني رسول الله اي الملك الاعظم اليكم اي لا الى غيركم حال كوني مصدقا نصبه بما في الرسول من رايحة الفعل ولا ينصب باليكم لانه صلة للرسول وحرف الجر لا تعمل بانفسها بل بما فيها من معنى الفعل فاذا كانت صلات لم يكن متضمنة لمعنى فعل فلا تعمل وهو الحرف الذي يسمى في غير الكتاب العزيز لغوا لما بين يدي اي تقدمني وكان من قبلي من التوراة التي تعلمون ان الله انزلها على موسى عليه السلام وهي اول الكتب التي نزلت بعد الصحف وحكم بها النبيون فتصديقي لها مع تاييدها مويد لانها اقتضت من الدلايل حق ومبين لها دليلي فيما لم انسخه منها كما يستدل الانسان بما تقدمه من الاعلام وداعية لهم

ذكر اول الكتب ذكر اخر الرسل ليكون في ذلك اشارة الى ان البشارة به في التوراة والانجيل فقال ومبشرا اي في حال التصديق للتوراة

ولما كانت رسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الخلق لم يذكر في رسالته

حرف الغاية كما ذكر في الرسالتين المذكورتين قبل فقال برسول اي الى كل من شملته الربوبية يأتي ولما كان اتيانه بعده
بمدة طويلة ادخل الجار فقال من بعدي ولما كان الانبا نهاية البيان وازاحة اللبس بكل اعتبار اقعد في الغاية من هذا
بعده والاخذ لمرجها فنص عنه اي بالاسم الذي ما شارك النبي صلى الله عليه وسلم فيه احد في زمانه ولا قبله اصلا ورتبه دال
على المبالغة في معناه فقال اسمه احمد اي دال على انه ابلغ الخلق حامدا ومحمودا وهو اسمه صلى الله عليه وسلم في السما التي يستصير
اليها هذا المبشر وفي تخصيصه بالذكر احتراز عن ان يتوهم ان البعدية في الرتبة لانه يليح بتصديره بالهمزة التي هي اول الحروف
مخرجا واشد حروف الحلق الذي هو اول المخارج وتضمنه الميم الى انه صلى الله عليه وسلم كما انه خاتم بما اشار اليه اشهر
اسمائه واعظمها محمد لابتدائه بالميم التي هي امكن حروف الشفة التي هي خاتمة الحروف لان مخرجها اخر المخارج لا نبي بعده
فهو فاتح متقدم باعتبار الذكر والشرف والحكم بالوصف الشريف لا نبي قبله وجبت له النبوة وان ادم لمنجدل في
طينته وبين الروح والجسد كما في الحديث الذي اخرجه احمد عن ميسرة الفجر رضي الله عنه والترمذي عن ابي هريرة
رضي الله عنه واخرجه البيهقي في اول دلايل النبوة وقال ان معناه انه كذلك في قضاء الله وتقديره وكانه يريد
قضاء مكتوبا في ام الكتاب ومنه نورا للمراد من الملائكة قبل اتمام خلق ادم عليه السلام فانه يحتمل انه سبحانه لما
صور ادم عليه السلام جعل طينته شفافة تشف عن ذريته وجعل لصالحيهم نورا فلما راوا اعظمهم نورا
سالوا عنه فاخبرهم سبحانه به واثبت ما اراد من اوصافه في ام الكتاب كما انه كان نبيا بالاخبار في دعوة ابيه
ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم عليهم السلام وبامارة النور الذي خرج من امه كما في الحديث الذي رواه البيهقي في
الدلائل وغيره عن العرباض بن سارية رضي الله عنه اني عبد الله وخاتم النبيين وفي رواية اني عند الله لخاتم النبيين
وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم عن ذلك دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا امي التي رات وكذلك
امهات النبيين يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم رات حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام [illegible]
ذلك بذكره سبحانه له للملائكة مثل تاويله بدعوة ابرهيم عليه السلام في قوله تعالى حكاية عنه ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك وبشارة عيسى عليه السلام في مثل حكايته سبحانه عنه في هذه الاية وتاويله بالنور
الذي راته امه مثل تاويله بالنور الذي يحتمل ان يكون الملائكة عليهم السلام راوه في شفاف طينة ادم عليه السلام
والله تعالى اعلم وكانت سورة القتال الاحق باسمه الدال على الختم لان الختام يحتاج الى علاج في الامر ما كان من صدع الامر
وكذا سورة الفتح لما يلزمه من محاولة المنغلق وازالة الاغلاق وختام السورتين بالميم عظيم المناسبة لذلك لان الميم
اسم لتمام الظاهر المختام بالالف والى ذلك اشار ثم الفا التنوين في الفتح بعد الميم مع انه لا يخلو من اشارة الى انه
الفاتح مع كونه الخاتم ويؤيد ذلك افتتاح السورة باول حروف الاسم الملجي الى الفتح وكانت هذه السورة احق به لان
الاول دال على الاتفاق واجتماع الكلمة دون اختلاف وافتراق كما كان عند نزول ادم عليه السلام وبعده بمدة
والى ذلك اشار ختمها وختم نظيرتها الصافات بالنون الذي هو مظهر مبين محيط بما اظهره فهو مبشر لهذه الامة
بالاجتماع والظهور على الامم الذي يحيط اخره بجميع اهل الارض على زمن المبشر عيسى عليه السلام المؤيد للمبشر به بتجديد
امره واقامة دينه صلى الله عليه وسلم واخر هذه نتيجة اخر الصافات بالحمد الذي هو الاحاطة باوصاف الكمال

من تصديقه للتوراة وبشارته باحمد صلى الله عليه وسلم قال وكان رجل

مريض اسمه العازر من بيت عينا وهو اخو مريم ومرتا فارسلت الاختان الى يسوع ان الذي تحبه مريض فاقام في الموضع
الذي هو فيه يومين ثم قال للتلاميذ امضوا بنا الى اليهودية فقال له تلاميذه الان يا معلم اراد اليهود رجمك وانت تريد
المضي اليهم فقال ان العازر حبيبنا قد نام فانا انطلق لنوقظه قالوا يا سيد ان كان نائما فهو يستيقظ فقال ان العازر
مات ثم اقبلوا الى بيت عينا فاذا له اربعة ايام في القبر وكانت بيت عينا من يروشليم على نحو خمس عشرة غلوة وكان كثير
من اليهود قد جاؤوا الى مرتا ومريم يعزونهما فلما سمعت مرتا بقدوم يسوع خرجت لتلقاه فقالت له يا سيد لو كنت
ههنا لم يمت اخي وانا اعلم ان الله يعطيك كل ما سالته قال سيقوم اخوك قالت انا اعلم انه سيقوم في القيمة ثم جاءت
مريم للقائه وظن اليهود الذين كانوا يعزونها انها تذهب الى القبر فتبعوها فلما انتهت الى المكان الذي كان فيه
يسوع خرت على قدميه ساجدة فلما راها تبكي وراى اليهود الذين كانوا معها قال اين وضعتموه فقالوا له يا سيد تعال
وانظر فدمع يسوع فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه فقال اناس منهم اما كان هذا الذي فتح عيني الاعمى يقدر ان يجعل هذا
لا يموت فجاء الى القبر وكان مغارة وعليه حجر موضوع فقال ارفعوا الصخرة فقالت له مرتا اخت الميت يا سيد قد انتن لان
له اربعة ايام قال يسوع الم اقل لك ان امنت رايت مجد الله فرفعوا الصخرة فرفع يسوع نظره الى فوق وقال اشكرك
لانك تسمع لي اقول هذا من اجل هذا الجمع ليؤمنوا انك ارسلتني قال هذا القول ونادى بصوت عظيم وصاح عازر اخرج فخرج

الميت

الميت ويداه ورجلاه ملفوفة باللفايف ووجهه ملفوف بعمامة فقال يسوع حلوه ودعوه يمضي وان كثيرا من اليهود الذين جاؤوا
الى مريم لما راوا ما صنع يسوع امنوا ومضى قوم منهم الى الفريسيين فاخبروهم فجمع عظما الكهنة والفريسيين محفلا وقالوا ماذا نصنع
اذا كان هذا الرجل يعمل ايات كثيرة وان تركناه فسيؤمن به جميع الناس وتاتي الروم فتغلب على امتنا وموضعنا وان واحدا منهم
اسمه قيافا كان عظيم الكهنة في تلك السنة قال لهم انه خير لنا ان يموت رجل واحد من الشعب من ان تهلك الامة كلها الى اخر
ما مضى في الساعة قوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الايات رجع الى متى قال حينئذ ذهب الفريسيون
وتشاوروا ليصطادوه بكلمة فارسلوا اليه تلاميذهم والهيرودسيين قايلين يا معلم قد علمنا انك محق وطريق الله بالحق
تعلم ولا تبالي باحد ولا تنظر لوجه انسان فقل لنا ما عندك ايجوز لنا ان نعطي الجزية لقيصر ام لا فعلم يسوع شرهم فقال لماذا
تجربونني يا مراؤون اروني دينار الجزية فاتوه بدينار فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة فقالوا لقيصر حينئذ
قال لهم اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا وقال يوحنا فقال يسوع انا ماكث فيكم زمانا
يسيرا ثم انطلق الى من ارسلني وتطلبونني فلا تجدوني وحيث اكون انا لستم تقدرون على المجي الى فقال اليهود فيما بينهم الى
اين هذا مزمع ان يذهب الى بعي اليونانيين ليعلم اليونانيين وقال متى وفي ذلك اليوم جا اليه الزنادقة القايلون ليس
قيامة وسالوه فذكر سوالهم وجوابه لهم الى ان قال في اخر جوابه اما قراتم ما قيل لكم من الله وقال مرقس في سفر موسى
نزل الله على العوسجة اذ قال انا هو اله ابرهيم واله اسحاق واله يعقوب وانتم تضلون كثيرا وعبارة لوقا فقد انبا بذلك
موسى في العليقة كما قال الرب انا اله ابرهيم واله اسحاق واله يعقوب وقال متى فلما سمع الجمع بهتوا من تعليمه فلما سمع
الفريسيون انه قد ابكم الزنادقة اجتمعوا عليه جميعا وساله كاتب منهم ليجربه قائلا يا معلم اي الوصايا اعظم في الناموس
موسى قال له يسوع تحب الرب الهك من كل قلبك انتهى ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه الوصية الاولى العظيمة
والثانية التي تشبهها ان تحب قريبك مثل نفسك قال مرقس ليس وصية اعظم من هاتين انتهى في الوصيتين سائر الناموس
والانبيا متعلقة قال مرقس فقال له الكاتب حسنا يا معلم الحق قلت انه واحد وليس اخر غيره وان تحبه من كل القلب
ومن كل النية ومن كل النفس ومن كل القوة وتحب القريب مثلك هذه افضل من جميع الذبائح والمحرقات فلما راى يسوع
عقله اجابه قائلا لست بعيدا من ملكوت الله وقال لوقا فقال ليسوع ومن هو قريبي قال يسوع كان رجل نازلا من يرو
شليم الى اريحا فوقع بين اللصوص فسلبوه وجرحوه ومضوا وتركوه مثخنا قرب الموت واتفق ان كاهنا نزل في تلك الطريق
فابصره وجاز وكذلك لاوي جا الى المكان فابصره وجاز وان سامريا جاز به فلما راه تحنن ودنا منه وضمد جراحاته وحمله
على دابته وجاء به الى الفندق وعني بامره وفي الغد اخرج دينارين اعطاهما لصاحب الفندق وقال اهتم به فان انفقت
عليه اكثر من هذين فعند عودي ادفعه لك فمن من هولاء الثلاثة تظن انه قد صار قريبا للذي وقع بين اللصوص فقال له
الذي صنع معه رحمة فقال له يسوع اذهب انت وافعل هكذا وقال مرقس فلم يستجر احد ان يساله ثم قال وكانت جماعة
كثيرة يسمعون منه بشهوة وقال يوحنا وامنوا باسمه عند كونه باروشليم في عيد الفسح كثير لانهم عاينوا الايات التي عمل
ثم قال وكان رجل من الفريسيين اسمه نيقوديمس رئيسا لليهود اتى الى يسوع ليلا وقال له يا معلم نحن نعلم انك من الله
اتيت معلما لانه ليس يقدر احد ان يعمل هذه الايات التي تعمل الا من الله معه قال متى وحينئذ كلم يسوع الجمع وتلاميذه
وقال على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون وكلما قالوه لكم احفظوه انتم وافعلوه ومثل اعمالهم لا تصنعوا لانهم
يقولون ولا يفعلون لانهم يربطون احمالا ثقالا لا يستطاع حملها ويحملونها على اعناق الناس ولا يريدون ان يحركوها باصبعهم
وكل اعمالهم يصنعونها لكي يراها الناس يعرضون ارديتهم ويعظمون اطراف ثيابهم ويحبون اول المتكات في الولايم
وصدور المجالس في المجامع والسلام في الاسواق وان يدعوهم الناس معلمين فاما انتم فلا تدعوا لكم معلما على الارض ولاحد
لان معلمكم واحد هو المسيح وانتم جميعا اخوة ولا تدعوا لكم ابا على الارض فان اباكم واحد هو الذي في السموات والكبير
الذي فيكم يكون لكم خادما فمن رفع نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون
لانكم بيوت الارامل والايتام مرتبطة بتطويل صلاتكم ومن اجل هذا تاخذون اعظم دينونة الويل لكم انكم تغلقون
ملكوت السموات قدام الناس فلا انتم تدخلون ولا تتركون الداخلين يدخلون الويل لكم انكم تطوفون البر والبحر
لتصطنعوا غريبا واحدا فاذا صار صيرتموه لجهنم ابنا مضعفا لكم الويل لكم يا هداة العميان الذين يقولون من
حلف بالهيكل فليس عليه شي ومن حلف بذهب الهيكل يخطي ايها الجهال العمي ايما اعظم الذهب ام الهيكل الذي يقدس
الذهب ومن حلف بالمذبح فلا شي ومن حلف بالقربان الذي فوقه فهو يخطي يا جهال وعميان ايما اعظم القربان او المذبح
الذي يقدس القربان ومن حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما فوقه ومن حلف بالهيكل فهو يحلف به وبالساكن فيه
ومن حلف بالسما فهو يحلف بكرسي الله وبالجالس عليه الويل لكم انكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتتركون ثقل

الناس الحكم والحجة والإيمان به قالوا لو قال تعشرون النعنع والشداب وكل البقول وترفضون حكم الله ومحبته قد كان ينبغي أن تعملوا
هذا ولا تغفلوا عن هذا انتهى يا هداة عميانا الذين يتركون البعوضة ويبلعون الجمل الويل لكم تنقون خارج الكأس والسكرجة وداخلها
مملوء اختطافا وظلما أيها الأعمى أولا داخل الكأس والسكرجة لكيما يطهر خارجهما وقال لوقا اعطوا الرحمة فكل شيء يطهر لكم الويل لكم لانكم
تشبهون القبور المكلسة التي ترى من خارجها حسنة وداخلها مملوء عظام الأموات وكل نجس وقال لوقا انكم مثل القبور المخفية
والناس يمشون عليها ولا يعلمون انتهى وكذلك انكم ترون الناس ظاهركم مثل الصديقين ومن داخل مملوؤون إثما وزنا قال
لوقا واشرابها الكتبة الويل لكم لانكم تحملون الناس أثقالا وأنتم لا تدنون منها بإحدى أصابعكم الويل لكم لانكم أخذتم
مفاتيح المعرفة فما دخلتم ومنعتم الذين يريدون الدخول انتهى الويل لكم لانكم تبنون قبور الأنبياء قال لوقا الذين قتلهم آباؤكم
انتهى وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لم نشاركهم في دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم
أبناء قتلة الأنبياء انكم تكملون مكيلة آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم من أجل هذا أرسل إليكم
أنبياء وحكماء وكتبة فتقتلون منهم وتصلبون وتجلدون منهم في مجامعكم وتطردونهم من مدينة إلى مدينة لكي يأتي عليكم دم
الصديقين المسفوك على الأرض وقال لوقا وأنتم تشهدون وتسرون بأعمال آبائكم لانهم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم
ولهذا قالت حكمة الله هو ذا أرسل إليكم أنبياء ورسلا فتقتلون منهم وتطردونهم لننتقم عن دم جميع الأنبياء الذي اهريق
من أول العالم إلى هذا الجيل وقال متى من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن براشيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول
لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل يا أوريشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم من مرة أردت أن أجمع بنيك مثل
كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها فلم تريدي وها هو ذا أترك بيتكم لكم خرابا أنا أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا
مبارك الآتي باسم الرب وقال مرقس ثم جلس يسوع عند باب الخزانة ينظر الجمع يلقي نحاسا في الخزانة وأغنياء كثير ألقوا
كثيرا فجاءت امرأة أرملة مسكينة فألقت فلسين فاستدعى بتلاميذه وقال الحق أقول لكم إن هذه الأرملة المسكينة
ألقت أكثر من الكل الذين ألقوا في الخزانة لأن الكل ألقوا من فضل ما عندهم وهذه ألقت مع مسكنتها كل ما لها ثم خرج
من الهيكل انتهى هذا ما فيه الدلالة على الرسالة وتصديق التوراة وأما البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد تقدم
في هذا الكتاب مفرقا كالأعراف والنساء وغيرهما وقال ابن هشام في تهذيب السيرة النبوية جمع ابن إسحق قال ابن إسحق
وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم عليه السلام فيما جاءه من الله في الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما اثبت يحنس الحواري لهم حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال من أبغضني
فقد أبغض الرب ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا وظنوا
أنهم يعزونني وأيضا للرب ولكن لابد أن تتم الكلمة التي في الناموس أنهم أبغضوني مجانا أي باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا
الذي يرسله الله إليكم من عند الرب روح القسط هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد علي وأنتم أيضا لأنكم قديما كنتم
معي هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا فالمنحمنا بالسريانية محمد صلى الله عليه وسلم وهو بالرومية البارقليطس انتهى ولما تم
الدليل النقلي على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كونه أشرف الأنبياء وخاتمهم عليهم دل الناس من بني إسرائيل النبع
فقال فلما جاءهم أي عيسى أو محمد صلى الله عليه وسلم بني إسرائيل وغيرهم بالبينات أي من المعجزات العظيمة التي لا تسوغ العاقل إلا
بالتسليم لها ومن الكتاب المبين قالوا أي عند مجيئها سواء من غير نظرة تأمل ولا غيره هذا أي الذي أتى به من البينات أو الآتي بها
على المبالغة كما دل عليه قراءة حمزة ساحر إشارة بالإشارة إلى القريب بعد الإشارة بفاء التعقيب إلى شدة انتقال الكفر
بادل وقات المجيء سحر فكانوا أول كافر به لأن هذا وصف لهم لازم سوء المعتمم ذلك وهم بعمد دينهم أو منضما إليهم غيرهم مبين
أي في غاية البيان في سحريته حتى أن شدة ظهوره في نفسه مظهرة لكل من رآه أنه سحر عنادا منهم ومكابرة للحق الذي لا لبس
فيه ولما كان التقدير إعلاما بأنهم أظلم الناس لتعمدهم الكذب فمن أظلم منهم لتهتكهم في ذلك عطف عليه قوله ومن أظلم
وعم كل من اتصف بوصفهم فقال ممن افترى أي تعمد على الله أي الملك الأعلى الكذب الذي هو أقبح الأشياء وهو أي والحال أنه يدعى
من أي داع كان إلى الإسلام الذي هو أحسن الأشياء فيكفي في الدعالة أدنى تنبيه لأنه الاعتراف بالحق لمن هو له فيجعل مكان
الإجابة افتراء الكذب في تلك الحالة الحسنى ولما كان التقدير فهو لا يهديه الله لأجل ظلمه عطف عليه قوله
والله أي الذي له الأمر كله فلا أمر لأحد معه لا يهدي القوم أي لا يخلق الهداية في قلوب من فيهم قوة المحاولة للأمور
الصعاب الظالمين أي الذين يخبطون في عقولهم خبط من هو في الظلام ولما أخبر عن ردهم للرسالة علله بقوله
يريدون أي يوقعون إرادة ردهم للرسالة بافترائهم ليطفئوا أي لأجل أن يطفئوا نور الله أي الملك الذي لا شيء يكافئه
بأفواههم أي بما يقولون من كذب لا منشأ له غير الأفواه لأنه لا اعتقاد له في القلوب لكونه لا يتخيله عاقل فهم بذلك
كالنافخين في الشمس أرادوا أن يمحوا النجم عنها ونقص شأنهم ذمهما فمثل إرادتهم لإخفاء القرآن بتكذيبهم وجمع كيدهم

بمن يريد إطفاء الشمس بنفخة فهو في اجتهاد الجهد واصل الضلال وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها ويجهد أن يأتي لها بضرب فأفاد قصر الفعل
أن إرادتهم كلها مقصورة لهذا الغرض وأنه لا إرادة لهم غير ذلك وأنه لا ينبغي أن يكون لهم إرادة لأنهم عبيد والإرادة لا تنبغي إلا للسيد
لتكون إرادة العبد تابعة لها فتكون امتثالا لا إرادة فكأنه لا إرادة له فهو أبلغ مما في براءة لأن هذه نتيجتها أخبر
بعلة إرادتهم وأشار إلى وهي أمرهم بعد أن أخبر بردهم للحق وجرأتهم عليهم بالإخبار بأصلا لم يرد ذلك بقوله مظهرا عين مضمر تنبيها على
جميع صفات الجلال والإكرام والله أي الذي لا مدافع له لتمام عظمته ولما كانت هذه السورة نتيجة سورة براءة التي أخبر فيها
بأنه يأبى إلا إتمام نوره أخبر في هذه بنتيجة ذلك وهي ثبات تمام النور ودوامه لأن هذا شأن الملك الذي لا كفؤ له إذا أراد شيئا
فكيف إذا أرسل رسولا فقال متم وهذا المعنى يؤيد قول الجمهور إنها مدنية بعد التأييد بذكر الجهاد فإن فرضه بعد الهجرة والظاهر
من ترتيبها على الممتحنة التي نزلت في غزوة الفتح أنها بعد براءة في النزول أيضا ولما كان النور لإظهار صور الأشياء وبعد إظلامها
سببا لوضع الأشياء في أتقن مواضعها وكان ما أتى من عند الله من العلم كذلك جعل عينه فأطلق عليه اسمه فقال نوره فلا يغيره ستر
أحد له بتكذيبه ولا إرادة إطفائه وزاد ذلك بقوله ولو كره أي إتمامه له الكافرون أي الراسخون في صفة الكفر المجتهدون
في المحاماة عنه ولما أخبر بذلك علله بما هو شأن كل ملك فكيف بالواحد في ملكه فقال هو أي الذي ثبت أنه جامع لصفات الجمال
والجلال وحده من غير أن يكون له شريك أو وزير الذي أرسل رسوله أي الحقيق أن يعظمه كل من بلغ أمره لأن عظمته من عظمته
ولم يذكر حرف الغاية إشارة إلى عموم الإرسال إلى كل من شمله الملك كما مضى بالهدى أي البيان الشافي ودين الحق أي الملك
الذي ثباته لابد أنه ثبات فلا ثبات لغيره فثبات هذا الدين بثباته ويجوز أن يكون المعنى والدين الذي هو الحق الثابت في
الحقيقة الكامل فيها كما ليس لغيره فيكون من إضافة الموصوف إلى صفته إشارة إلى شدة التباسه بها ليظهره أي يعليه مع
الشهرة وإذلال المنازع على الدين أي جنس الشريعة التي يجعل ليجازى من يسلكها ومن يزيغ عنها بما يشرع فيها من الأحكام
كله فلا يبقى دين إلا كان دونه وانمحق به وذل أهله ذلا لا يقاربه ذل ولو كره أي إظهاره المشركون أي المعاندون في
كفرهم الراسخون في تلك المعاندة وأعظم مراد بهذا أهل العناد ببدعة الاتحاد فإنهم ما تركوا شيئا مما سواه حتى أشركوه به
تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وهم مع بعد تخليتهم من العقول وفسادها في الأوهام ومصادمتها لجميع النقول في غاية
الكثرة لمصير الناس إلى ما وعد الله ورسوله من أن أكثرهم قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وصاروا حثالة كحثالة التمر
لا يعبأ الله بهم لكنهم على كثرتهم بما ضمنته هذه الآية في أمثالها في غاية الذل ولله الحمد لإظهار الأتباع للكتاب والسنة
وهم يعلمون أنهم يكذبون في هذه الدعوى لأنهم في غاية المخالفة لهما حيث إنهم يعتقدون أنهما شرك لإثباتهما الله تعالى وجودا
خالف وجود الخلق وهم يقولون مكابرة للضرورة أن الوجود واحد وأنه لا موجود ظاهرا وباطنا سواه ولذلك
سموا الوجودية ثم لا يردهم علمهم بذلهم وأنه لا عز لهم إلا بحمى الشريعة عن ضلالهم فاعجب لذلك والجأ إلى الله تعالى بسؤال
العافية فإن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ووصفهم بالذل مع كثرتهم في غاية الدلالة على الله سبحانه لأن الملك
الكامل القدرة لا يعز من يطعن في ملكه ويسعى في رد رسالته وإهانة رسله ولقد أنجز سبحانه كثيرا من وعده
بما دل لكونه تغلبا على أقوى الملوك من الأكاسرة والقياصرة على القدرة على الباقين وذلك أنه لما تقاعد قوم عن
نصرته وانتدبوا للتكذيب وجحد ما شاهدوه من صدقه يسر الله له أنصارا من أمته من نزاع القبائل وآحاد الأفاضل
وسادات الأفاضل فبلغوا في تأييده أقصى الآمال ولما أنتج هذا كله نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم على كل حال ودمار من
خالف أمره أنتج قطعا أن الجهاد معه متجر رابح لأن النصر مضمون والموت منهل لابد من وروده سواء خاض الإنسان
الحتوف واحترس في القصور المشيدة فقال تعالى في أسلوب التنبيه والاستفهام لأنه أفهم وأشد تشويقا بالأداة
التي لا يكون ما بعدها إلا بالغا من العظم إلى النهاية يا أيها الذين آمنوا أي قالوا في إقرارهم بالإيمان ما عليهم أن يفعلوا
بمقتضاه هل أدلكم وأنا المحيط علما وقدرة فهي إيجاب في المعنى ذكر بلفظ الاستفهام تشويقا ليكون أوقع في النفس فيكون له
أشد تقبلا والآية أيضا نتيجة ما مضى باعتبار آخر لأنه لما دل على الإخلال بالعزائم واحتز بما يجبن عن القتال ونكث تلك الذي الرسول
صلى الله عليه وسلم بالمخالفة لا يضر إلا نفسه كان موضع الاستشراف في طاعته فترتب عليه الاشتياق إلى ذكر ثمرته فذكرها
ولما كان فعل حاطب رضي الله عنه لأجل أن لا نجاح أهله الذين كانوا بمكة في أنفسهم ولا في شيء من مالهم وكان هذا في
معنى التجارة قال على تجارة وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد بما ناسب لهذا المقام من قراءة الجماعة بالتخفيف وقراءة الجماعة
انسب لمقصود حاطب رضي الله عنه من عذاب أليم بالإجابة في النفس أو المال ولما كان الاتجار اجتهاد النفس في
تحصيل الربح النافع وكان الإيمان والجهاد أعظم اجتهاد للنفس في تحصيل الجنة الباقية الذي لا ربح يوازيهما فاستعار
لهما اسمها وكان جواب السائل الإقبال وجواب الاستفهام نعم عدوا كأنهم أقبلوا أو نعموا تنبيها على ما هو الأليق بهم فاستؤنف
لهم بيان التجارة بأنه الجمع بين الإيمان الذي هو أساس الأعمال كلها والجهاد بنوعيه المكمل للنفس والمكمل للغير فقال تؤمنون

اى امنوا الشرط تجديدها لايمان على سبيل الاستمرار بالله الذي له جميع صفات الكمال ورسوله الذي تصديقه آية الاذعان للعبودية والخضوع لكونه ملكا وتجاهدون اى وجاهدوا بيانا لتصحيح ايمانكم على سبيل التجديد والاستمرار ويدل على انهما بمعنى الامر ما ارشد اليه جزم ما ايتم في موضع الجواب مع قراءة عبد الله رضي الله عنه امنوا وجاهدوا بصيغة الامر في سبيل الله اى بسبب تسهيل طريق الملك الاعظم الموصل اليه الذي لا امر لغيره بحيث يكون طرفا لكم في جميع هذا الفعل فلا يكون شئ منه خارجا عنه ليكون خالصا ينبغى بلا حرج لتسهيل الوصول اليه من كل من اراده لانه فرق بين قولنا فلان فعل كذا الصادق عمره وبين قولنا يفعله الدال على ان فعله قد صار ديدنا له فالمعنى يا من فعل الايمان ان اردتم التجارة فكونوا عريقين في وصف الايمان حسبما يدنى لا الاقدام وادموا الجهاد دلالة على ذلك فان الجهاد لما فيه من الخطر والمشقة والضرر اعظم دليل على صدق الايمان ويؤيد ذلك ان السياق لقصة حاطب رضي الله عنه المفهم في الظاهر لعدم الثبات في الايمان وارادة الجهاد الدال على الصدق فيه ولذلك قال عمر رضي الله عنه ما قال والله الهادى

ولما كان الجمع بين الروح وعديلها المال على وجه الرضى والرغبة ادل على صحة الايمان قال باموالكم وقدمها لعزتها في ذلك الزمان ولانها قوام الانفس والابدان لمن يبذلها له كله لم يبخل بنفسه لان المال قوامها والمال قد لا يقوم الانفس الغائب به فقال وانفسكم ولما امرهم في صيغة الخبر اهتماما به وتاكيدا لشانه اشار الى عظمته بمدحه قبل ذكر جوابه فقال ذلكم اى الامر العظيم من الايمان وتصديقه بالجهاد خير لكم اى خاصة مما تريدون من الذين يدنيه مما يحب الكفار ان كنتم اى بالجبلات الصالحة تعلمون اى ان يكن يمكن ان يتجدد لكم علم في وقت فانتم تعلمون ان ذلك خير لكم فاذا علمتم انه خير اقبلتم عليه فكان لكم به امر عظيم وان كانت قلوبكم قد طمست طمسا لا رجاء لصلاحه فصلوا على انفسكم صلاة الموت

ولما كان معنى يؤمنون الامر كما تقدم ولكنه خرج عند ذلك لما ذكر وكان اهم ما الى الانسان خوفه مما هدد عليه امن سبحانه من ذلك دلالة على اصل الفعل بجزم ما هو موضع الجواب فقال يغفر لكم اى خاصة دون من فعل ذلك ذنوبكم اى يمحوا عيانها واثارها كلها

ولما نزع القلوب من كدر العقاب والعتاب لذذها بطيب الثواب فقال ويدخلكم اى بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم جنات تجري ودل على قرب الجاري وتخلله الاراضي بالجار فقال من تحتها اى تحت اشجارها في غرفها وكل متنزه فيها الانهار فهي لا تزال غضة زهرا ولم يجمع بهذا الاسلوب الى ذكر الخلود لاغناء ما بعده عنه ودل على الكثرة المفرطة من الدور بقوله من صيغة منتهى الجموع ومساكن ولما كانت المساكن لا تروق الا بما يقارنها من المعاني الحسنة قال طيبة

ولما كانت لا ترغب فيها الا بدوام الاقامة بين صلاحيتها لذلك بقوله في جنات عدن اى بساتين هي اهل للاقامة بها لا يحتاج في اصلاحها الى شئ خارج يحتاج في تحصيله الى الخروج عنها له ولا احولنا الاقامة قال حمزة الكرماني في كتابه جوامع التفسير هي قصبة الجنان ومدينة الجنة اقربها الى العرش

ولما كان هذا امر شريفا لا يوصل الى غيرها قال ذلك اى الامر العظيم جدا وحده الفوز العظيم ولما ذكر ما انعم عليهم به من الاخرة لانه اهم لدوامها وكان التقدير بما دل عليه العطف هذا لكم عطف عليه ما جعل لهم في الدنيا فقال واخرى اى ولكم نعمة او وعطيكم او يزيدكم نعمة اخرى

ولما كان الانسان احب في العاجل وافرح بالناجز قال تحبونها اى محبة كثيرة متجددة متزايدة بنفي طاهر هذه البشرى لتشوقوا الى الجهاد ويحببه وفي باطنها حث على حب الشهادة بما يشير اليه من التوبيخ على حب العاجل والتفريغ نصر من الله اى الذي احاطت عظمته بكل شئ لكم وعلى قدر احاطته تكون نصرته وفتح قريب اى يدخلون منه الى كل ما كان متعذرا عليكم من حصون اعدائكم وغيرها من امورهم في حياة نبيكم صلى الله عليه وسلم اعظمه فتح مكة الذي كتب حاطب رضي الله عنه بسببه وبعد مماته وفيه شهادة لحاطب رضي الله عنه بانه يحب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والفتح عليه لمكة وغيرها لصحة ايمانه كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى

ولما كان ما تقدم من المعاتبة انذارا لمن خالف فعله قوله من الذين امنوا وكان المقام قد اخذ حظه من الانذار والتوبيخ طوى ما تقديره فانذر من لم يكن راسخا في الدين من المنافقين ومن خالف فعله قوله من المؤمنين عطف عليه دلالة عليه ليكون اوقع في النفس لما يشير اليه طيه من الاستعطاف قوله وبشر المؤمنين اى الذين صار الايمان لهم وصفا راسخا كحاطب رضي الله عنه بان الله تعالى يفتح لك البلاد شرقا وغربا واول ذلك فتح مكة المشرفة ولا يحوجهم سبحانه الى ان يبدوا واعز عشائرهم واموالهم ولا ان يكون شئ من افعالهم يخالف شيئا من اقوالهم

ولما هز سبحانه الى الجهاد وشوق اليه بانه متجر رابح ولوح الى النذارة بالتنشيط بالبشارة بمهمات النفوس للاقبال عليه وانبعثت اى انبعاث اليه حض عليه بالايجاب المقتضى للثواب والعقاب فقال منادرا بما داه البعد والتعبير بما يدل على ادنى الاسنان تنبيها على انه لا يعدم الوصف بالايمان الا بعدون بالحرمان تشويقا وتحبيبا يا ايها الذين امنوا اى اقروا وابدوا ذلك فادعوا بهذا الوعظ غاية الاذعان اى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم كونوا اى بغاية جهدكم انصار الله اى دائبين في وصف النصر ذي الذروة العليا من ثبات الاقدام في تاييد الذي له الغنى المطلق لتكونوا بما اشارت اليه قراءة الجماعة بالاضافة

بالاجتهاد في ذلك كانكم جميع انصاره فانكم اشرف من قوم عيسى عليه السلام وما ندبكم سبحانه لنصرته الا لتشريفكم بمصاحبة رسله الذين هم خلاصة خلقه عليهم السلام فتقولوا سمعنا واطعنا نحن انصار الله وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بالتنوين ولام الجر على معنى كونوا بعض انصاره وليشبه ان يكون المامور به في هذه القراءة الثبات على الايمان ولو في ادنى الدرجات وفي قراءة الجمهور الرسوخ فيه

ولما كان التقدير على صفة هي من الثبات والسرعة على صفة الحواريين عبر عن ذلك بقوله كما اى كونوا انصار الله حين قال عيسى بن مريم حين ارسله الى بني اسرائيل ناسخا لشريعة موسى عليه السلام للحواريين اى اخلص اصحابه وخاصته منهم من انصاري حال كونهم سائرين في منازل السلوك والمعاملات ومراحل المجاهدات والمنازلات الى الله اى المحيط بكل شئ ونحن اليه راجعون كما كان به منه وبين

ولما اشتد تشوف السامع الى جوابهم بان ذلك بقوله قال الحواريون معلمين انهم جادون في ذلك حدا لا مزيد عليه عاملين فيما دعاهم اليه عمل الواصل لا السائر المنازل لعلمهم ان اجابته اجابة الله لانه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه الا عن الله نحن اى بأجمعنا انصار الله اى الملك الاعلى الذي هو غني عنا وقادر على نصرنا ولو كان عدونا كل اهل الارض ننصره الان بالفعل لا نحتاج الى تدريب لسير ولا انظار الى غير لاستحضارنا بجميع ما تقدم عليه الادنى من صفات جلاله وجماله وكماله ولذلك اظهروا ولم يضمروا

ولما كان التقدير ثم دعوا من خالفهم من بني اسرائيل وبادروهم بسبب عنه قوله فامنت اى به طائفة اى ناس فيهم اهلية الاستدارة لما لهم من الكثرة من بني اسرائيل قومه وكفرت طائفة اى منهم واصل الطائفة القطعة من الشئ فايدنا اى قوينا بعد رفع عيسى عليه السلام الذين امنوا اى الذين اقروا بالايمان المخلص منهم وعبر في القول والفعل وسددنا قلوبهم على عدوهم الذين عادوهم لاجل ايمانهم

ولما كان الظفر بالمحبوب احب ما يكون اذا كان اول النهار سبب عن تاييدهم قوله فاصبحوا اى صاروا وانبعث ما كانوا فيه من الذل ظاهرين اى عالين غالبين ظاهرين في اقوالهم وافعالهم لا يخافون احدا ولا يستخفون منه فالتاييد تارة يكون بالعلم وتارة بالفعل علمه شدة بيان القوى فصار علمه في غاية الاحكام وتبعته قوة هي في منتهى التمام لانه ناشئ عن علم مستفاد من قوة والا لقال علمه كثير العلم قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قوة مستفادة من علم والظاهر كما هو ظاهر قوله تعالى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وغيرها ان ناسا المؤمنين به كان بعد رفعه بيسير حين طهر الحواريون وانبثوا في البلاد يدعون الى الله بما اتاهم من الايات فاتبعهم الناس فلما تمادى الزمان ومات الحواريون رضي الله عنهم افترق الناس ودب لهم الفساد فغلب اهل الباطل وضعف اهل الحق حتى كانوا عند بعث النبي صلى الله عليه وسلم عدما او في حكم العدم كما دلت عليه قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه فقد رجع اخر السورة كما ترى بما وقع من التنزه عما توهمه علوا من النقص بنصر اوليائه وقسر اعدائه ومن الامر بما اخبر اولها انه يحبه من القتال في سبيله حثا عليه وتشويقا اليه على اولها واتصل بما بشر به من امن ولو على ادنى وجوه الايمان من العز موصلها بمفصلها من ازيل من الاسباب الحاملة له على المداراة والامور التي اوقعته في المماشات مع الكفار والمجارات فاوجب ذلك رسوخ الايمان وحصول الايقان المقتضى لتنزيه بالفعل عن كل شوب نقصان والله الموفق

سورة الجمعة مقصودها

مقصودها بيان مسمى الصف به ليل هو اوضح شرائع الدين واوثق عرى الاسلام وهو الجمعة التي اسمها مبين للمراد منها من ترصيف الاجتماع فيها والجائب لاقبال عليها والتجرد عن غيرها والانقطاع لما وقع من الفرق حال الخطبة عن بعث للتزكية بالاجتماع عليه من الجهاد وغيره من العسر واليسر والمنشط والمكره واسمها الجمعة انسب شئ فيها لهذا القصد بتدبر اياته وتامل اوائله وغاياته الحاثة على قوة التواصل في الاجتماع والحاملة على دوام الاقبال على المزكي والحب له والاتباع بسم الله الذي احاط علمه بكل معلوم فشمل بيانه الرحمن الذي عمت نعمه بيانه بعد شمول كرامة الجادة فهو العظيم شانه الرحيم الذي خص حزبه بالتوفيق لما يرضاه فثبت في سويدا كل منهم حبه له وايمانه لما ختمت الصف بالاقبال ببعض بني اسرائيل الى جنابه الاقدس بعد ان زاغوا فازاغ قلوبهم كلهم او الا الشاذ منهم بما افهمه اطلاق الضمير عليهم عن تايد من اسمه منهم على الدوام ثبت ان له تمام القدرة المستلزم لشمول العلم اللازم منه التنزه عن كل شائبة نقص وكان سبحانه قد ذكر التسبيح الذي هو الاعظم الاشهر للتنزيه بلفظ الماضي ثلاث مرات في افتتاح ثلاث سور وذلك نهاية الاثبات المؤكد فثبت بذلك انه وقع تنزيهه من كل ناطق وصامت اختيارا او لهذه ان ذلك التنزيه على وجه التجديد والاستمرار بالتعبير بالمضارع لاستمرار ملكه فقال يسبح اى يوقع التنزيه الاعظم الاتم الاكمل لله اى الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما واكد ذلك بما في القرآن ولم يجمع لفظ الاقرار بالوقوع على هذا الوجه الى التاكيد باكثر من مرة وجعل بين كل مسبحين سورا خلية من ذلك لتكون ذلك على قصد التاكيد من حيث سلك الاعتبار بالذكر وان وقع فصل ويكون التاكيد لاكثر تنبيها واعظم صدعا وتذكيرا

ولما كان تفريغ العاقل الناطق بطاعة الصامت اعظم قال ما في السموات وان كان العاقل يدخل في ذلك دوقوع ما عليه فيكون تسبيحه تارة طوعا موافقة للامر وتارة كرها بالانقياد مع الارادة وتسبيح الصامت طوعا على كل حال

ولما كان الخطاب من الذين آمنوا دعاء لك الى التأكيد لاحتياجهم اليه فقال وما في الارض كذلك ولما ثبت بالسور الثلاث الماضية
ان الموجودات وقعت له التسبيح واخرجت هذه باستمرار ذلك على سبيل التجديد ذلك مع التنزيه عن النقائص على اثبات الكمال الذي
لا يكون الا للملك عظيم الشان مطاع الامر وكان الاقتصار على الصامت بالتعبير بما هو ظاهر فيه ربما اوهم شيئا قال مصرحا بما افهمه السياق الملك
الذي تثبت له جميع الكمالات فهو يتصرف فيمن يشاء من جنده ولو كان ذليلا مع ظاهره القدوس الذي انتفت عنه جميع النقائص فلا يكون شيء الا
باذنه وتنزه عن احاطة احد من الخلق بعلم او ادراك كنه ذاته فليس في ايدي الخلق الا التردد في شهود افعاله والتدبر لمفاهيم نعوته
وجلاله واخصهم بالقرب والعداد في حزبه المتخلق باوصافه على قدر احتماله فينبغي للمؤمن التنزه عن ان يقول ما لا يفعل او يبني شيئا
من اموره على غير احكام وقد مضى شرح الاسمين الشريفين قريبا وذكر خلاصة شرحهما بما هو خاصة الملك للملك واية الطهارة للطاهر
فقال العزيز اي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء فلو اراد لجعل العقلاء كلهم انضاموا تسبيحهم بالجري تحت مراده طوعا كما يسبحون
بالموافقة لامره طوعا الحكيم الذي يوقع كل ما اراده في احكم مواقعه واتمها واتقنها وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما ختمت سورة
الصف بالثناء على الحواريين في حسن استجابتهم وجميل ايمانهم وقد امر المؤمنين بالتشبه بهم في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا
انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله الاية كان ذلك مما يوهم فضل اتباع عيسى عليه السلام على اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم فاتبع ذلك بذكر هذه الاية والثناء عليها فافتتحت السورة بالتنزيه عما اشار اليه قوله وكفرت طائفة فانهم ارتكبوا
العظيمة وقالوا بالبنوة فنزه سبحانه نفسه عن ذلك قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الى قوله ذو الفضل العظيم ثم اعلم
تعالى بحال طائفة لاح لها نور الهدى ووضح لها سبيل الحق فعميت عن ذلك وارتكست في ظلمات جهلها ولم ترد مما حملت الا حيرة
وضلالا فقال تعالى مثل الذين حملوا التورية الايات وهي في معرض التنبيه لمن تقدم الثناء عليه ورحمه الله اياه لئلا يكونوا
فيما تلا عليهم نبيهم من الايات وتعليمهم من الكتب والحكمة مثل اولئك المحرومين فانهم نسوا ولعبوا بعد حملهم التورية وزعموا
انهم الذين مواخاة والوفاء به فوعظ هؤلاء بمثالهم لطفا من الله بهذه الامة وما يتذكر الا اولوا الالباب انتهى ولما كانت
القدرة على تزكية الجلف الجافي بحمله على التنزه ادل على القدرة على غيره وكان قد سلف عن بني اسرائيل انهم لم يقبلوا التزكية
بل زاغوا دل على قدرته في عزته وحكمته وملكه وقدسه على تزكية جميع العقلاء بقوله هو اي وحده الذي بعث اي من حضرة غيب
غيبه لشرع اوامره ونواهيه في الاميين اي العرب لانهم كانوا اميين فانهم من بين سائر الامم لا يكتبون ولا بقاؤهم عن الحلقة الاولى
حين الخروج من بطن الام وذكر ظرف البعث واهمال غايته دال على انها كل من يتاتى البعث اليه وهم جميع الخلق ويجوز ان تطلق الامية
على جميع اهل الارض لان بعثته صلى الله عليه وسلم كان حين ذهب العلم من الناس ولان العرب اصل لجميع الناس من تبع لهم فلا بدع ان يحمل
عليهم وصفهم رسولا كان تقويم الشيء بمثله اعجب قال منهم بل الامية بمعنى عدم الكتابة والتجرد عن كل تكلف وصف
لازم له دائما وعلمه لما لم يكن يعلم من غير تطلب لكانت آثار البشرية عنه مندرسة وانوار الحقائق عليه لائحة وذلك لئلا
يتوهم الافتقار الى الاستعانة بالكتب لان مشاكلته لحال من بعث فيهم اقرب الى مساواتهم له لو امكنهم فيكون عدم امكان
المساواة ادل على الاعجاز وذكر بعثه فيهم ان خص الوصف بالعرب لا ينفي بعثه الى غيرهم ولا سيما مع ما ورد فيه من الصرائح
والادلة من الدلائل القواطع فذكر موضع البعث وابتداءه فتكون الغاية مطلقة تقديرها الى عامة الخلق ولما
كان كونه منهم مفهما لانه لا يزيد عليهم من حيث كونه منهم وان زاد فبشيء يسير عجب من امره ونبه على عظمته بقوله بشأنه
يتلوا اي يقرأ قراءة يتبع بعضها بعضا على وجه الكثرة عليهم مع كونه اميا مثلهم اياته اي ياتيهم بها على سبيل التجدد والمواصلة
اية تنبيه على صدقه لانه امي مثلهم بل فيهم الكاتب والعالم وان كانوا مغمورين في كثرتهم فما خصه عنهم بذلك الا القادر على
كل شيء ولما كان المقام للتنزيه والتأديب لمن وقع في موادة الكفار ونحو ذلك قدم التزكية فقال ويزكيهم
اي عن الاخلاق الرذيلة والعقائد الزائغة فكانت تزكيته لهم مدة حياته بنظره الشريف اليهم وتعليمه لهم وتلاوته
عليهم فربما نظر الى الانسان نظرة محبة فزكاه الله بها وربما سرت تلك النظرة الى ثان فاشرقت انوارها عليه على حسب
القابليات كما وقع لعمير بن وهب ثم صفوان بن امية ولذي النور الطفيل بن عامر الدوسي رضي الله عنه ثم قومه فاما
عمير فكان من اعظم المؤذين للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن امن به فقعد اكثر مع صفوان بعد وقعة بدر في الحجر ومن فقد وامر صناديدهم
وانه ليس في العيش بعدهم خير ثم تمنوا رجلا يغتال النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمير لولا غرمي وبنات لي وعيال اخشى
عليهم الضيعة من بعدي لاتيته فان لي علة ابني اسير عندهم فقتلته فاغتنمها صفوان فعاهده ان يكفي عياله ان مات وان يؤدي
ان عاش فقال اكتم علي ليالي ثم ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فهداه الله فحلف صفوان ان لا يكلمه ابدا فلما فتحوا مكة
فر صفوان ليركب البحر من جدة فاستاذن عمير النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذهب اليه فلحقه فلم يزل به حتى رجع ثم اسلم
فكان من خيار الصحابة رضي الله عنهم واما ذو النور فخرج حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم سال ان يجعل الله له اية
بها على قومه فاتاه الله نورا في اسرار على الحي الذي هو منه ثم دعا اباه وامه فاسلما ثم صاحبته فكذلك ثم قومه فما

خلف

خلف منهم احد واما غير الصحابة رضي الله عنهم فتزكيته لهم باثاره بحسب القابليات والامور التي قضى الله ان تكون مهيآت فمن كان له اعشق كان
لاتباعه الزم فكان في كتاب الله وسنته ارسخ من سيرته وغيرها علما وعملا فكان اشد زكا ولما كانوا بعد التزكية التي هي تخلية عن الرذائل احوج
ما يكون الى تحليته بالفضائل قال ويعلمهم الكتاب اي المنزل عليه الجامع لكل خير دنيوي واخروي في الاولى والاخرى والحكمة وهي غاية الكتاب في
قوة فهمه والعمل به فهي العلم المزين بالعمل والعمل المتقن بالعلم معقوله ومنقوله ليضعوا كل شيء منه في احكم مواضعه فلا يزيغوا عن الكتاب كما
زاغ بنو اسرائيل فيكون مثلهم كمثل الحمار ولو لم يكن له صلى الله عليه وسلم معجزة الا هذه لكانت غاية ولما كان الوصف بالامية
مفهما للضلال وكان كثير منهم كان الى انزال هذه السورة لعقد ايمانهم على دين متين وحال جليل مبين وكانوا بعد هذا انبه لمن تعدا الامية
يتصلون لان الارسال من حضرة غيب الغيب في العلوم المنافية للامية الى ما لم تصل اليه امة من الامم قبلهم وكان ذلك موجبا
للتوقف في كونهم كانوا اميين اكد هذا المفهوم بقوله وان اي والحال كانوا اي كونا هو كالجبلة لهم ولما كان كونهم ذلك في بعض الزمن
الماضي دخل الجار فقال من قبل اي قبل رسالته اليهم من حين غير دين ابيهم اسمعيل عليه السلام وعبدوا الاصنام لفي ضلال اي بعد
عن المقصود مبين اي ظاهر في نفسه مناد لغيره انه ضلال لاعتقادهم الاباطيل الظاهرة وطمعهم انهم على شيء وعموم الجهل لهم ورضاهم
به واختيارهم له وعيبهم من يميل الى التعلم ونحو التبصر كما وقع لهم مع زيد بن عمرو بن نفيل وغيره فوصفهم بهذا غاية في نفي التعلم عن
نبيهم واعظام لما جاء به من الاعجاز وتقرير لشدة احتياجهم الى من يرشدهم الى الهدى وينقذهم مما كانوا فيه من العمى والردى ولما
كانت تزكيته لهم مع اميتهم وعيشهم بوصف الامية في الجمل امرا باهرا في دلالته على تمام القدرة زاد في الدلالة على ذلك بالحاق
كثير ممن في غيرهم من الامم مثلهم في الامية بهم فقال واخرين اي وبعثه في اخرين منهم في الامية لا في العربية لما يلحقوا بهم في وقت من الاوقات
الماضية في صفة من الصفات بل هم اخلف الناس كعوام المجوس واليهود والنصارى والبرابر ونحوهم من طوائف العجم الذين هم الكن
الناس لسانا واكثفهم طبعا وشانا وسيلحقهم الله بهم في العلم والتزكية ولما كان عدم لحاقهم بهم في الماضي ربما اوهم شيئا في القدرة
والحاقهم في المستقبل في غاية الدلالة له والقدرة قال وهو اي والحال انه وحده العزيز اي الذي يقدر على كل شيء ولا يغلبه
شيء فهو يزكي من شاء ويعلمه ما اراد من اي طائفة كان ولو كان اجهل اهل تلك الطائفة لان الاشياء كلها بيده الحكيم فهو
اذا اراد شيئا موافقا لشرعه وامره جعله على اتقن الوجوه واوثقها فلا يستطاع نقضه ومهما اراده كيف كان ولا بد من انفاذه
فلا يطاق رده بوجه ويكون المراد بالاخرين العجم وان الله تعالى سيلحقهم بالعرب قال ابن عمر رضي الله عنهما وسعيد بن جبير
وهي رواية ليث عن مجاهد ويؤيده ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا لما سال عنهم لما نزلت سورة الجمعة فوضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان رضي الله عنه وقال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء ولما كان هذا
امرا باهرا عظيما نبه عليه بقوله على وجه الاستئناف من قدرته ذلك اي الامر العظيم الرتبة تفضيل الرسول وقومه وجعلهم متبوعين بعد
ان كان العرب اتباعا للاوثان لهم عند غيرهم من الطوائف فضل الله اي الذي له جميع صفات الكمال والفضل ما لم يكن مستحقا لخلاف
الفرض يؤتيه من يشاء بحوله وقوته بان يهيئه ولو كان ابعد الناس منه والله اي الملك الاعظم ذو الفضل ولما كان
ذاله على الكمال دل على ذلك بقوله العظيم اي الذي يحقر دونه كل عظيم من غيره ولما كان ادب عباده المؤمنين في الممتحنة
عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم واتمه في الصف بالتحذير من ازاغة القلوب بما اذى بنو اسرائيل نبيهم موسى عليه السلام واعلم انه سبحانه
جمع الاداب كلها في هذا الكتاب الذي انزل على نبيه محمد الذي جعله خاتم الانبياء واشرف الاصفياء ودل على فضله العظيم بتعليم الجاهل
دل على عقابه الاليم بتمثيله الدال على باهر قدرته بتجهيل العالم بازاغة قلبه واذهاب لبه بيأسه من الاجر لغضبه عليه تحذيرا من الوقوع
فيما يوجب الاضلال بعد العلم فقال جوابا لمن كان قال هذا فضله على الجاهل فكيف فعله بالعالم فقال محذرا لمن يزكي ولا يتزكى بان يقول
ما لا يفعل ويحمل الكتاب فيحمله غير عامل به من ان يفعل به ما فعل باليهود من الذل في الدنيا والخزي والعذاب في الاخرة بازاغة القلوب
واحاطة الذنوب فيكون ابخس ممن قيل فيه * من فاته العلم واخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا مثل الذين
ولما كان العلم ولا سيما الرباني يحتاج ان يفرح به ويرغب فيه من اي موصل كان بني للمجهول قوله وصيانة لاسمه الشريف عن
ان يذكر عند الغضب حملوا التورية اي كلفوا والزموا حمل الكتاب الذي اتاه الله لبني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام من
بان علمهم اياها سبحانه وكلفهم حفظ الفاظها عن التغيير والنسيان ومعانيها عن التحريف والتلبيس وحدودها واحكامها عن
الاهمال والتضييع ولما كان من كلفهم حملها وهي من عند الله وعلى لسان رجل منهم هو اعظمهم في انفسهم واجلهم احسانا
اليهم في غاية البعد ولا سيما مع طول الزمان المسهل لحفظها الميسر لتدبرها ونعرف مقدارها عبر باداة البعد فقال
ثم لم يحملوها بان حفظوا الفاظها ولم يعملوا بما فيها من الوصية باتباع موسى عليه السلام اخاهم ثم محمد صلى الله عليه وسلم
علم اذا جاء فهي ضارة لهم لشهادتها عليهم فاذنها لهم في النار دون غيره نفع اصلا كمثل اي مثل مثل الحمار الذي هو ابلد الحيوان
فهو مثل في الغباوة حال كونه يحمل اسفارا اي كتبا من العلم كاشفة للامور تنفع الالباء جمع سفر وهو الكتاب الكبير المسفر عما فيه
ولما كان المثل الجامع لهما هو وجه الشبه تحصا منقلا متعبا جدا انه لا نفع له به اصلا فهو ضرر عليه صرف

لا يدرك مما هو جاهله غير انه متعب ولا يدري اصحيح هو ام كذب فتح قوله مغيرا بالاداة التي هي لمجامع الذم ترهيبا للاميين من ان يعملوا بغير الحكام
القران فيكونوا اسوأ مثلا من اهل الكتاب فيكونوا ادون من الحمار لان رسولهم صلى الله عليه وسلم اعظم وكتابهم اعلى وافخم فقال بئس مثل القوم
اي الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريد ونه فلم يؤمنوا من عجز يعذرون به الذين كذبوا اي عمدا على علم بايات الله اي دلالات
الملك الاعظم على رسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم وجميع ما يرضيه منهم فان مثلهم قد تكفل بتعريف الهم فقد اجمعوا امع الحمار في وصف
هو الروح الباطني وهو الضر الصرف الذي لا نفع فيه بوجه ما نفع الاشياء وهو ما دل على الله فضمن سعادة الدارين وهذا المثل وان كان
ايضا في اليهود فهو لجميع قراء السوء من كل ملة لاشتراكهم معهم في وجه الشبه كما ان مثل الكلب في الاعراف على هذا النحو وكانه لم يدخل سبحانه
هذه الامة في ذلك صريحا اشارة الى حفظها من غير ان تكلها الى نفسها كما انه انا اهل العلم منع الامية منها ومن رسولها من غير ان يكلمهم الى
كتابة ولا تفهم من علم ما ولا تكلف لشيء ولما كان التقدير فاستحقوا الوصف بجميع المذام لانهم ظلموا اشد الظلم عطف عليه قوله والله
اي الذي له جميع صفات الكمال لا يهديهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال لا يهدي القوم اي لا يخلق
الهداية في قلوب الاقوياء الذين تعمد والزيغ الظالمين اي الذين تعمدوا الظلم بمنابذة الهدى الذي هو البيان الذي لم يدع لبسا حتى
صار الظلم لهم صفة راسخة ولما كان قولهم انهم اولياء الله واحباؤه في غاية البعد من هذا المثل اشار الى ما يدل على صحة
المثل قطعا فقال معرضا عنهم امرا لمن كذبوه تبكيتا لهم قل اي يا ايها الرسول الذي هم قاطعون بانه رسول الله يا ايها الذين هادوا اي دانوا
باليهودية ولما كان الحق يصدع من له ادنى مسكة فكانوا جديرين بالرجوع عن العناد عن هداة الشك فقال ان زعمتم اي قلتم
قولا هو معرض للتكذيب ولذلك اكدتموه انكم اولياء لله اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه خصكم بذلك خصوصية ..
من دون اي ادنى رتبة من رتبة الناس فلم يتعد لولايته تلك المرتبة الدنيا الى احد غيركم بل خصكم بذلك عن كل من فيه اهلية للولاية
لاسيما الاميين فتمنوا الموت واخبروا عن انفسكم بذلك للنقلة من دار البلاء الى محل الكرامة والا لا ان كنتم اي كونا راسخا
صادقين اي عريقين عند انفسكم في الصدق فان من علامات المحبة الاشتياق الى المحبوب ومن المقطوع به ان من كان في كدر وكان
اولى بعدوه عند الوصول اليه الراحة التي لا يشوبها ضرر انه يتمنى النقلة الى وليه روي انه صلى الله عليه وسلم قال لهم والذي
نفسي بيده لا يقولونها منكم احد الا غص بريقه فلم يقلها منهم احد علما منهم بصدقه صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا ولم يؤمنوا اعنادا
منهم ولما كان التقدير فقال لهم رسولنا صلى الله عليه وسلم امتثالا لا امرنا ذلك فلم يتمنوا في الوقت الخاصة تصديقا لما اتى به
وتحقيقا لمعجزات رسالته دل على هذا المقدار بما عطف عليه من قوله الدال قطعا على صدقه بتصديقهم له بالكف عما اخبر
انهم لا يفعلونه ولا يتمنونه اي في المستقبل واكتفى هنا بالتعبير بلا لان المذكور من دعواهم هنا انهم اولياء لا كل الاولياء في دون
دعوى الاختصاص بالنعمة تدليلا ان الدنيا ليست خالصة للاولياء المحققين الولاية بل البر والفاجر مشتركون فيها ولما
اخبر عن عدم تمنيهم وسع لهم المجال تحقيقا للمراد فقال ابدا وعرفان سببه معرفتهم بانهم اعداء الله فقال بما قدمت ولما
كان اكثر الافعال باليد نسبت الكل اليها الا انها صارت عبارة عن القدرة فقال ايديهم اي من المعاصي التي احاطت بهم فلم تدع لهم
حظا في الاخرة لعلمهم ولما كان التقدير فتسببنا عن هذا انا لا يقولوا سلمنا جميع ما قيل في الظالمين لكنا لسنا منهم فالله عليم
بهم في افعالهم ونياتهم عطف عليه قوله معلقا بالوصف تعميما واعلاما بان وصف ما قدموا الظلم والله اي الذي له الاحاطة
بكل شيء قدرة وعلما عليم اي بالغ العلم محيطة بهم هكذا كان الاصل ولكنه قال بالظالمين تعميما وتعليقا بالوصف لا بالذات فالمعنى
بانه عالم باصحاب هذا الوصف الذي تختن فيه منهم ومن غيرهم فهو مجاز بهم على ظلمهم وهم يعلمون ذلك واعظم مصدق لله ومن اصدق
من الله فلا في بعدا انهم ما قد تلوا اقط اي ادروا الى حصونهم وقراهم كما مر في سورة الحشر فدل ذلك على انهم احرص على الحيوة من الذين
اشركوا كما مضى في سورة البقرة فانهم عالمون بانهم يصيرون الى النار والعرب يظنون انهم لا يبعثون فهم لا يخافون ما بعد الموت
وهم يتجهان بعدهون على الموت كما قال ـــــــ عنترة بن شداد العبسي

بكرت تخوفني الحتوف كانني ... اصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
فاجبتها ان المنية منهل ... لا بد ان اسقى بذاك المنهل
فاقني حياءك لا اباك واعلمي ... اني امرؤ سأموت ان لم اقتل

كان عدم تمنيهم علما من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لموافقة ما اخبر به وكان ذلك فعل من يعتقد ان التمني يقدمه
عن اجله ويقدمه بوجوده فصاروا ابين للتكذيب مما عنهم وبهاية البلادة امره صلى الله عليه وسلم بتنبيههم على بلادتهم
بتكبيتا لهم فقال قل واكد اعلاما لهم بانه يلزمهم من فعلهم هذا انكار الموت الذي لا ينكره احد فقال ان الموت وزاد في اللوم
والتوبيخ بقوله الذي تفرون منه اي بالكف عن التمني الذي هو ايسر ما يكون مع انه يوصله الى التكذيب من اشهر جاهدون
في تكذيبه والكذو توعدهم بهم لان علمهم على من هو منكر له وربطه بالفاء جعلا لفرارهم كالسبب له فان الجبن من اسباب الموت
مع ما يكسب من العار كما قال ان الجبان حتفه من فوقه اي هو غالب عليه غلبة العالي على السافل فقال فانه ملاقيكم اي مدرككم

في كل حال سلكتموه بالظاهر او الباطن ولما كان الحبس في البرزخ امرا معا انه لا بد منه مهولا ننبه عليه وعلى طوله باداة التراخي فقال
ثم تردون ونبه بالبناء للمفعول على القهر منه سبحانه والصغار منه وانه عنده في غاية السهولة الى عالم الغيب وهو كل ما غاب عن العباد
فهو خبير عن افلاكم عن علم قبل كونه وبعد كونه ولما كان بعض الفلاسفة يقر بعلمه تعالى بالكليات وينكر علمه بالجزئيات قال
والشهادة وهي كل ما ظهر وتشخص ولو لواحد من الخلق قبل كونه وبعد كونه ولما كان التوقف على الاعمال قطعيا فرحا قال
مسببا عن الرد فينبئكم اي يخبركم اخبارا عظيما مستوفي بما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة تعملون اي بكل جزء منه مما برز الى الخارج
وما كان في خلالكم ولو بعتم لعلمتموه لنجازيكم عليه ولما فتح سبحانه المخالفة بين القول والفعل وصور صاحبها بصورة
الحمار على الهيئة السابقة وحذر عن ذلك بما هيأ به العاقل للاجابة الى دوام الطاعة بعدما بين ان جميع الكائنات مقرة بتمول
ملكه بما لها من التسبيح بالسنة الاحوال والقيام في مراداته بغاية الامتثال فكان العاقل جديرا بالمبادرة الى غاية التسبيح بلسان
المقال وختم بالتحذير من الاحبار يوم الجمع الاعظم بجميع الاعمال قال على طريق الاستفتاح مما مضى من الترغيب والترهيب
ناديا لهم ليكونوا اولياء الله الى التزكية المذكورة التي هي ثمرة الرسالة بما حاصله الاقبال بالكلية على الله والاعراض بالكلية
عن الدنيا الجمع المكلف بالتحلي بالمزايا والتخلي عن الدنايا بالخص من المزايا اعظم تسبيح يفعله العاقل في ايام الاسبوع وهو الاسراع بالاجتماع
العظيم في يوم الجمعة الذي يناظر الاجتماع لاجابة المنادي في يوم الجمع الاكبر ثم الاقبال الاعظم بفعل صلاة الجمعة التي هي من اليوم
الذي ضيعه اليهود واستبدلوا به ما كان سبب لعنهم بعذاب لم يعذب به احد من العالمين كما جعل نتيجة السورة الماضية
النداء بالارشاد الى الايمان والجهاد الموجب للامان يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالسنتهم بالايمان والمهم باداة البعد
المسيرة الى احتياجهم الى التزكية الى المبادرة الى الاقبال على ما يتعاقب ذلك من الاوامر اذا نودي اي من اي مناد كان من اهل
النداء للصلاة اي لاجل الحضور اليها واليه عند قعود الامام على المنبر ولما كانت الاجابة يكفي في ايجابها النداء
في الوقت المعروف للنداء ولا يشترط لها استغراق النداء لجميع اليوم اتى بالجار فقال من يوم الجمعة اي اليوم الذي عرض
على من قبلنا فابوه فكان كمثل الحمار يحمل اسفارا وادخره الله لنا ووفقنا لقبوله فكانوا لنا تبعا مع تاخرنا عنهم في الزمان
سمي بذلك لوجوب الاجتماع فيه للصلاة تعلقه بالسكون وبضم اسم المفعول كالضحكة للمضحوك منه فان فتح ميمه كان بمعنى
الوقت الجامع كالضحكة للكثير الضحك ومن جمعه ان فيه اجتمع خلق ادم عليه السلام فاجتمع بخلقه جميع الخلق وهو جدير بيوم
البعث والجمع الذي يقع فيه الابتداء لا عمال ونظير فيه ظهور ابتنا تا ما الجلال والجمال بيوم ينادي المنادي من مكان
قريب وفيه تقوم الساعة روى مالك عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت الشمس فيه
يوم الجمعة فيه خلق ادم عليه السلام وفيه اهبط وفيه تاب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة
يوم الجمعة من حين يصبح حتى تغرب الشمس شفقا من الساعة الا الانس والجن وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسال
الله شيئا الا اعطاه اياه وفي اخر الحديث ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال انها اخر ساعة في يوم الجمعة وان الصلاة
ما هو اعم من فعلها وانتظارها لقول النبي صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر فيه الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها
وكان الاذان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند باب المسجد اذا صعد صلى الله عليه وسلم على المنبر فاذا نزل بعد الخطبة
اقيمت الصلاة وكذا في زمن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس وتباعدت المنازل وقلت الهمم
زاد مؤذنا اخر على دار التي تسمى الزوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن ثانيا الاذان الذي كان على زمن النبي صلى الله عليه
وسلم فاذا نزل من المنبر اقيمت الصلاة ولم يعب احد على عثمان رضي الله عنه زيادة الاذان الاول لانه من السنة بما جعل
اليه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ولما كان المراد اجابة المنادي جزما
من غير تردد مع قطع كل علاقة بلا التفات الى شيء من غير ما عذر الشارع به عبر عنه بالسعي وهو في الحسن انه الشعر بالنية
لا بالقدم فقال فاسعوا اي لتكونوا اولياء الله ولا تشبهوا ولا تكونوا في ذلك اعداءه كاليهود الى ذكر الله اي بالخطبة والصلاة
المذكورين بالملك الاعظم الذي من انقطع عن خدمته تملك هذا المراد بالسعي لا حقيقته بل هو منهي عنه كما قال صلى الله عليه وسلم
اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا ولما امر
بالمبادرة الى التجارة الاخروية وكان طالبا لارباح لكونها حاضرة اعظم مانع عن امور الاخرة لكونها غائبة وكان البيع اجل
ذلك لتعين الفائدة فيه وبكونه اكثر ما يشتغل به الاسواق لكثرة الوافدين الى الامصار يوم الجمعة من الحواضر واجتماعهم
للتجارة عند تعالي النهار قال ناهيا عن تجارة الدنيا وكل ما يعوق عن الجمعة معبرا به عنها لانه اعظمها وذروا البيع اي
اتركوه ولو على اصح حالاته وادلها واحرها فافاد النهي عنه النهي عن غيره من باب الاولى ووقت التحريم من الزوال الى فراغ الصلاة
فان خالف وباع صح العقد مع عصيانه فان النهي ليس لعينه ولا لما هو داخل فيه ولا لما هو خارج ولازم بل لامر مفارق
بطريق الاتفاق وهو ما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الدار المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بالماء المغصوب

ولما امر بما هو شاق على النفوس معبرا بالفعل المريض لفظا ومعنى رغب فيه بقوله ذلكم اي الامر العالي الرتبة من فعل السعي وترك
الاشتغال بالدنيا خير لكم لان الذي امركم به له الامر كله وهو يريد تطهيركم في اديانكم وابدانكم واموالكم وسعة اسعادكم واسعافكم
والصالاذ ذلك لعواد في الحث عليه بقوله ان كنتم اي بما هو لكم كالجبلة تعلمون اي يتجدد لكم علم في يوم من الايام فانتم ترونه لا
خير افادا علمتموه خيرا اقبلتم عليه فكان ذلك لكم خيرا وصلاة الجمعة فرض عين تجب على كل من جمع البلوغ والعقل والحرية والذكورة
والاقامة اذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقهاء، وانما عبر عنها بهذه الاشارة الى انها ولا يسعه ان يتركها بعد علمه انه على وجوه الخير
وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة فاذا احضر وصلى مع الامام سقط عنه فرض الظهر ولا يكمل به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه
اذا احضر تكمل به العدد ولما حث على الصلاة وارشد الى ان وقتها لا يصلح لطلب شيء غيرها وانه متى طلب فيه شيء من الدنيا
محقت بركته مع ما اكتسب من الاثم بين وقت العاشر فقال مبيحا لهم ما كان حظر عليهم ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه ان شئت فاخرج
وان شئت فاقعد فاذا قضيت الصلاة اي وقع الفراغ منها على اي وجه كان فانتشروا اي فدبوا وتفرقوا مجتهدين في ذلك
في الارض جميعها ان شئتم لا حجر عليكم ولا حرج رخصة من الله لكم وابتغوا اي وتعمدوا وكلفوا انفسكم مجتهدين بالسعي في طلب العاجل
من فضل الله اي نافلة الملك الاعلى الذي له كل كمال ولا يجب لاحد عليه شيء بالبيع والشراء وغيرهما من مصالح الدين والدنيا التي كنتم
نهيتم عنها ولما كان السعي في طلب الرزق ملهيا عن الذكر بين انه اعظم السعي في المعاش وان من غفل عنه لم ينجح له مقصد وان تحايل
له غير ذلك فقال واذكروا الله اي الذي بيده كل شيء ولا شيء لغيره فانه لا رخصة في ترك ذكره اصلا ولما كان العبد مطلوبا
بالعبادة في كل حال فانه مجبول على النسيان فمهما فرغ من نفسه استولت عليها الغفلة فمن ثم على البطالة فهلكت قال كثيرا اي بحيث
لا تغفلوا عنه بقلوبكم اصلا ولا بالسنتكم حتى عند الدخول الى الخلاء وعند اول الجماع وعند الانزال واستثني من اللساني وقت التلبس
بالقذر كالكون في قضاء الحاجة ولما كان مراد الانسان من جميع تصرفاته فلاحه قال معللا لهذا الامر لعلكم تفلحون اي لتكونوا
عند الناظر لكم والمطلع عليكم من احوالكم ممن يرجى له الفوز على رجاء من ان يظفر بجميع مطلوباتكم فان الامور كلها بيد من تكررون
ذكره وهو يدنو بكم ما تريدون وان تسمعوه كنتم جديرين بان يكلكم الى انفسكم فتهلكوا ولما كان التقدير ربما كاد
ينطق به نص الخطاب هذه اوامرنا الشريفة وتقدستنا العظيمة وتفضلاتنا الكريمة العميمة فمالهم اذا نودي لها تولوا عنها واقبلوا على
في الاقبال اليها وكان قلبه متوجها نحو البيع وغيره من الامور الدنيوية عاكفا عليها ساعيا بجميع اليها كان الفقوله انه اسلم الى الكلام
من فعله هذا عطف عليه قوله واذا راوا اي بعد الوصول الى مواطنها المرخ ومحلها التسبيح الشرح الملح والاشتغال بشانها
العالي تجارة اي ضمنوا الاتي موضع التجارة ولما ذكر ما من شانه اقامة المعاش اتبعه ما هو ازل منه وهو ما الالهو
وبه البطالة التي لا تحتج الهاد وقدر ولا تليق لها بالة فقال اولهوا اي ما يلهي عن كل نافع ولما كان مطلق الانفضاض
صحيحا لانه لا يكون الا تفرقا على حال السيء من الفض وهو الكسر بالتفرقة والفضاض ما تفرق من الشيء عند الكسر وقال الفض العم
والطابع كسر بيما كيف اذا كانت علته قبيحا قال تعالى معبرا به انفضوا اي تفرقوا واسرعوا من المحلة ولما كان سبب
نزول الاية انه كان اصاب الناس جوع وجهد فقدم دحية الكلبي رضي الله عنه بعير تحمل ميرة وكان من عرفهم ان يدخلوا
في مثل ذلك بالطبل والمعازف والصياح وكان قصد بعض المنفضين العير وبعضهم ما ثار منها من اللهو ولكن قاصد التجارة
هو الاكثر انث الضمير فقال معلما بالاهتمام بها لان اللهو مسبب عنها اليها ولذلك لا انه على انه اذا ذم قاصدها مع ما فيها
من النفع والانسان لا بد له من اصلاح معاشه لقيام حاله ولا سيما والحاجة اذ ذاك شديدة كان الذم لقصد اللهو
من باب الاولى ولما كان ذلك حال الخطبة التي هي حديث تحذير صغا اليها والاتعاظ بما في صرف النفس عن الدنيا
والاقبال على الاخرة قال وتركوك اي تخطب حتى بقيت في اثني عشر رجلا قال جابر رضي الله عنه انا احدهم ودل على سنة وعظه
القيام بقوله قائما فالواجب خطبتان قائما يفصل بينهما بجلوس والواجب فيهما ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث واجبة في الخطبتين معا ويجب ان يقرا في الاولى اية من القران وفي الثانية ان يدعو للمؤمنين
فلو ترك واحدة من هذه الخمس لم تصح الخطبة عند الشافعي ولجواز الجمعة خمس شرائط الوقت وهو وقت الظهر والعدد
وهو اربعون والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط وجبت الظهر ولا تنعقد الخطبة الا بعد تمام الاربعين
وبقاء هذا العدد شرط الى اخر الصلاة فلو انفض بعضهم ثم عاد ولم يفته شيء من الاركان صحت ولما كان هذا الفعل
من شغلت همته عن سماع كلام الحق من الحق امره صلى الله عليه وسلم بوعظهم الهاما لهم الى الرجوع الى ما يعليهم للخطاب ولو بالعتاب
قال قل اي لهم ترغيبا في الرجوع الى ما كانوا عليه من طلب الخير من معدنه ما عند الله اي المحيط بجميع الصفات الكمال من الاعراض العاجلة
في الدنيا من واردات القلوب وبوارد الحقيقة الحاصلة من سماع الخطبة الامر بكل خير الناهي عن كل شر المبينة لكل
الباطن وتقويم الظاهر والبركة في جميع الاحوال والاجلة في الاخرة ما كان يدخل تحت الوصف خير ولما قدم التجارة
اولا اهتماما بها قدم هنا ما كانت سببا له ليصير كل منهما مقصودا بالنهي فقال من اللهو ولما بدا به الا انتقل الاغلب

في حال الرفاهية عليه قال معيدا الجار للتاكيد ومن التجارة اي وان عظمت ولما كان من عنده الشيء قد لا يعطيه لمن هو له واذا اعطاه
لا يعطيه الا لمن يحبه قال والله اي ذو الجلال والاكرام وحده خير الرازقين لانه يرزق متاع الدنيا لمن سأله ولكونه زادا الى الاخرة
البر والفاجر المطيع والعاصي ويعطي من يريد ما لا يحسبه العدد ولا يحصره الجد واما المعارف الالهية والاعمال الدينية الدالة عليها
زبون الصدق وصفاء الاخلاص وجلاله المتابعة فلا يؤتيها الا الابرار وان كانوا اضعف الناس وابعدهم من ذلك ولا يعوق احدا
اقبل على ما نهى عنه شيئا ما كان ينفعه فلا تطلبوا الغنى في البيع والتجارة انما هو في متابعة امر من احل البيع وامر به وشرع ما هو خير منه
زكية وبركة ونماء في الظاهر والباطن روى صاحب الفردوس عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
قال يوم الجمعة اللهم اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك سبعين مرة لم يمر به جمعتان حتى يغنيه الله واصل الحديث
اخرجه احمد والترمذي وقال حسن عن علي رضي الله عنه وفي اللباب عن ابن عباس رضي الله عنهما فاقبلوا على متابعة رسوله
صلى الله عليه وسلم والزموا هديه واستمسكوا بغرزه تنالوا خير الدارين بسهوله فقد رجع اخر السورة كما ترى على اولها بما
هو من شان الملك من الرزق وانالة الارباح والفوائد ولا سيما اذا كان قد وسا وبتبكيت من اعرض عن خطبته صلى الله
عليه وسلم اللازم منها استمرارا لاقبال عليه ودوام الاقامة بين يديه لانه لا يدعوهم الا لما يحييهم من الصلاة والوعظ
الذي هو عين تزكية القوى التسبيحه يتلو عليهم اياته ويعلمهم الكتاب والحكمة لتزكيتهم ويرزقهم من فضله

سورة المنافقين

مقصودها كمال التحذير مما يثلم الايمان من الاعمال الباطنة والترغيب مما يقدح في الاسلام من الاحوال
الظاهرة لمخالفة الفعل في القول فانه نفاق في الجملة فيوشك ان يجري الى كمال النفاق فيخرج من الدين ويدخل الهاوية
ليكون هذا التحذير سببا في صدق الاقوال ثم صدق الاعمال ثم صدق الاخلاق ثم صدق الاحوال ثم صدق الانفاس فصدق
القول ان لا يقول القائل الا عن برهان وصدق العمل ان لا يكون للبدعة عليه سلطان وصدق الاخلاق ان لا يخالطها مداهنة
الاحسان لعبده لما لعله فيه نقص الاحسان وصدق الاحوال الا ان يكون على كشف وبيان وصدق الانفاس ان لا يتنفس الا عن وجد
كالعيان وتسميتها بالمنافقين واضحة في ذلك بسم الله الذي له الاحاطة العظمى علما وقدرة فمن زاغ اراده الرحمن الذي ستر
لعموم رحمته من اراد من عباده وفضح من شاء وان دق مكره واخفاه الرحيم الذي وفق اهل وده باتمام نعمته لما يحبه ويرضاه
ولما نهى سبحانه في الممتحنة عن اتخاذ عدوه وليا وذم في الصف على المخالفة بين القول والفعل وحذر في الجمعة من
الاعراض عن حال من احوال النبي صلى الله عليه وسلم كائنا ما كان من الاحوال ولو مع الوفاق لان صورة ذلك كله صورة النفاق فتح في اول
هذه حال من اقبل عليه على حال النفاق لانه يكون كاليهود الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها واسمعوا السورة كلها في ذمهم بافتتح
الذم ليكون زاجرا عن كل ما ظاهره نفاق فقال تعالى اذا جاءك اي يا ايها الرسول المبشر به في التوراة والانجيل المنافقون
اي العريقون في وصف النفاق وهو اسلام الظاهر وكفر الباطن واعلمهم من اليهود قالوا مؤكدين لاجل استشعارهم لتكذيبهم
لبعدهم لما عندهم من الارتياب نشهد قال الحسن هو بمنزلة يمين ايمانهم قالوا نقسم انك لتاكيد لذلك وايهاما لان قوة تاكيدهم
لشدة رغبتهم في مضمون ما يقولون لرسول الله اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة فوافقوا الحق بظاهر احوالهم وخالفوا
بقلوبهم وافعالهم ولما كانت الشهادة الاخبار عن علم اليقين لانها من الشهود وهو كمال الحضور وتمام الاطلاع
ومواطاة القلوب للالسنة صدق سبحانه المشهود به وكذبهم في الاشارة بالشهادة ومواطاة السنتهم لقلوبهم فقال
والله يعلم وعلمه هو العلم في الحقيقة واكد سبحانه لعدم انكار المنافقين فقال انك لرسوله سواء شهد المنافقون بذلك
ام لم يشهد وانما الشهادة بذلك حق ممن يطابق لسانه قلبه واسقط هذا الاستشهاد شهادتهم وتكذيبهم لئلا يتوهم ان تقمنة
شهادتهم من الرسالة كذب ولما كان ربما ظن ان هذا اثبات لكلام المنافقين دل على انه تحقيق لمضمون كلامهم دون
شهادتهم فقال والله اي المحيط بجميع صفات الكمال يشهد شهادة هي الشهادة لانها محيطة بدقائق الظاهر والباطن ان المنافقين
اي الراسخين في وصف النفاق لكاذبون في اخبارهم عن انفسهم انهم يشهدون لان قلوبهم لا تطابق السنتهم فهم لا يعتقدون
ذلك ومن شرط قول الحق ان يتصل ظاهره بباطنه وسره بعلانيته ومتى تخالف فهو كذب لان المراد انهم كاذبون في صحة
ما تضمنته شهادتهم من انك رسول الله والحاصل ان الشهادة تتضمن شيئين صدق مضمون الخبر والاذعان له فصدقهم الله
في الاول وكذبهم في الثاني فصاروا اينما هم اسفل حالا واشر مالا من اليهود وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما اعقبت حال
المؤمنين فيما خصهم الله به مما انطوت عليه الايات الثلاث من صدر سورة الجمعة الى قوله والله ذو الفضل العظيم
بذكر حال من لم ينتفع بما حمل حسبما تقدم وكان في ذلك من المواعظ والتنبيه ما ينتفع به من سبقت له السعادة اتبع بما هو اوضح
في الغرض وابلغ في المقصود وهو ذكر طائفة بين اظهرهم من قدم الثنا عليهم ومن اقرب قرابتهم واقاربهم تلبست في
الظاهر بالايمان واظهرت الانقياد والاذعان وتعرضت فاعرضت وتنصلت فما وصلت بل عاقتها الاقدام فعميت البصائر
والابصار ومن المطرد المعلوم ان اتعاظ الانسان باقرب الناس اليه وباهل زمانه ابلغ باتعاظه ممن بعد عنه زمانا

ونبيا فاتبعت سورة الجمعة بسورة المنافقين وعظا للمؤمنين بحال اهل النفاق وبسطا من قصصهم ما لا يلائم ما ذكرناه وكان قد قيل لهم
لبس من ظنهم الانقياد والاستجابة بمن نحا اشد اثر منهم كان فيما حمل كمثل الحمار يحمل اسفارا باعجب من حال اخوانكم ذماما وقرابة واشد اعرفوا الناس بهم
وانهم قد كانوا في الجاهلية موصوفين بجودة الرأي وحسن النظر واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم ولكن المنافقين
لا يفقهون قلت وقد مر في الخطبة ما رواه في مصنف ابن ابي شيبة من قول اناس من المؤمنين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في
الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين فاما سورة الجمعة فيبشر بها المؤمنين ويحرضهم واما سورة المنافقين فيوئس بها المنافقين ويوبخهم وهذا
نحو مما ذكرناه اولا انتهى ولما كان المعنى انهم لم يعتقدوا ما شهدوا به وكان كانه قيل ما الحامل لهم على هذا الكلام المؤكد
والكذب في غاية القباحة لا سيما عند العرب علله بقوله سمينا شهادتهم ايمانا لان الشهادة تجري مجرى القسم في ارادة التوكيد
ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم اتخذوا اى اخذوا واجتهدوا في ايمانهم اى كلها من شهادتهم هذه المجتهد في توكيدها وكل غيرها جنة
اى وقاية يقيهم المكاره الدنيوية ويستترون بها فيصونون بها دماءهم واموالهم فاستضاؤا بنور الاجابة فلم ينبسط عليهم
شعاع السعادة فانطفأ نورهم بظهر الحرمان وبقوا في ظلمات القسمة السابقة بحكم الخذلان فصدوا اى فسبب لهم اتخاذهم هذا ان
اعرضوا بانفسهم مع سوء البواطن وجرأة الصدور وحملوا غيرهم على الاعراض لما يرى من مشي حالهم وسلك الظواهر مع بقائهم
على ما كانوا الفوه من الكفر الذي يزينه الشيطان عن سبيل الله اى عن طريق الملك الاعظم الذي شرعه لعباده ليصلوا به
الى محل رضوانه ووصلوا الى ذلك بخداعهم ومكرهم بجراءتهم على الايمان الكاذبة التي يمشون حالهم بها بما شرعه الله في هذه الحنيفية
السمحة من القناعة من الحالف بيمينه فيما لا يعلم الا من قبله ولما كان ما اخبر به من حالهم في غاية القباحة انتج قوله انهم واكد
لان حالهم يعجبهم ويعجب كثيرا ممن قاربهم ساء ما كانوا اى جبلة وطبعا يعملون اى يجددون عمله مستمرين عليه بما هو كالجبلة من جرأتهم
على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وخلص عباده بالايمان الخائنة ولما كانت المعاصي تعمي القلب فكيف باعظمها علله بقوله ذلك
اى الامر العظيم في البعد من الخير من الكذب في الاخبار بالشهادة والحلف على الصدق والصد عن السبيل والوصف لعملهم بالسوء
بانهم امنوا اى بسبب انهم اقروا بالايمان بالسنتهم من غير مطابقة من قلوبهم ولما كان الكفر مستبعدا فكيف اذا كان
بعد الاقرار عبر باداة البعد لذلك وليفهم الذم على التعقيب من باب الاولى ولئلا يتوهم ان الذم انما هو على تعقيب الايمان
بالكفر فقط لا على مطالعة فالتعبير بثم يفهم ان من استمر طول عمره على الايمان ثم كفر قبل موته بلحظة كان له هذا الذم فقال
ثم كفروا اى سرا فيما بينهم وبين الناس ولو بقلوبهم بالله ولما كان مجرد الطبع على القلب في غاية الشناعة كان مفهما لبشاعته
اذا كان منه من الله من باب الاولى بني للمجهول قوله فطبع اى حصل الطبع وهو الختم مع انه معلوم انه لا يقدر على ذلك
غيره سبحانه على قلوبهم لاجل اجترائهم على ما هو اكبر الكبائر على وجه النفاق حتى مرنوا على الكفر واستحكموا فيه وكذلك من ترك
الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها فهم اى فتسبب عن ذلك انهم لا يفقهون اى لا يقع لهم فقه في شيء من الاشياء فهم لا يميزون صوابا
من خطأ ولا حقا من باطل لان المختوم عليه لا يصل اليه شيء ولا يخرج منه شيء ولما وصف سبحانه بواطنهم بما ذمهم
لان الانسان بعقله كما ان المرء كول بشكله وكان شكلهم اشكال يعجب ناظرها لان العرب كانت تقول جمال المنظر يدل على فعال على
حسن المخبر فالعالي واذا رأيتهم اى ايها الرسول على ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة او ايها الرائي كائنا من كان بعين البصر
تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها فان غايتهم كلها بصلاح ظواهرهم ويرفهون انفسهم فهم اشباح وقوالب ليس وراءها الباب
وحقائق قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ابن ابي يعني الذي انزلت السورة بسببه جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من
المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجلسون فيه ولهم
جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ولما وصف البواطن
والظواهر كان قولهم المنبئ عما يضمره قلبه ولسانه منشر وطالما هو ظاهر العيان بمطابقة اللسان والقلب عبر
باداة الشك اشارة الى انهم لا يكلمونه صلى الله عليه وسلم الا اضطرارا لانهم لا يحبون مكالمته ولا معاشرته علما لما عندهم
من امراض القلوب وان يقولوا اى يوجد منهم قول في وقت من الاوقات تسمع لقولهم اى لانه يكون بحسب تلذذ السمع
ورونق الفكر لما فيه من الادهان مع الفصاحة فهو ياخذ بمجامع القلب ولما اخبر عن ظاهرهم دل على ان ذلك
الظاهر امر لا حقيقة له وانهم لما وطنوا انفسهم على الوقاحة وخلعوا لباس الحياء بالكذب بذلوا جميع الجهد في تحسين
القول لانه لا درك عليهم فيه فيما يحسبون بوجه لانهم لا يحسبون للاخرة حسابا فقال كانهم اى في حسن ظواهرهم وسوء
بواطنهم وفي الحسن والجزر وعدم الانتفاع بهم في شيء من ثمر او نبات فانهم لا حقيقة لهم خشب جمع كثرة للخشبة وهو
دليل على كثرتهم ولما كان الخشب ربما اطلق على المغروس بين ذلك بقوله مما يا ليتشدد على الكثرة مسندة
اى قد قطعت من مغارسها وقشرت واسندت الى الجدار لئلا يفسد بها التراب فهي بيض تلوح يعجب ناظرها ولا ثمر
لها ولا باطن مثمرة ولا سقي ولا مدد سماوي لها اصلا بل كما نوع ركافية فقدت روح الانبات الذي به كمالها كما فقد

الثاني

الثاني روح الايمان الذي به كمال الناطق وبقاؤه فهم في تلك الحالة اشباح بلا ارواح اجسام بلا احلام ولما كان من يقول ما لا يفعل
يصير متهما لكل من يكلمه لانه لا حلاوة له قد صار عدوا فيتوهم الناس كلهم اعداء له فيكسبه ذلك اشد الجبن وذلك هو السبب الاعظم في تحسين
قوله قال يحسبون اى لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم لكثرة ما باشروه من سوء اعمالهم كل صيحة اى من ينادي في انفلات دابة او انشاد ضالة
ونحو ذلك عليهم اى واقعة ولما كان من بطن عداوة الناس لم يكون هو عدوا وهم قال ما هو نتيجة ما مضى هم اى خاصة العدو اى الكامل
العداوة بما دل عليه الاخبار بالمفرد الذي يقع على الجمع دون الجمع اشارة الى انهم في شدة عداوتهم للاسلام واهله وكمال قصدهم وشدة سعيهم فيه
على قلب واحد وان اظهروا التودد في الكلام والتقرب به الى اهل الاسلام فان السنتهم معكم اذا لقوكم وقلوبهم عليكم مع اعدائكم
فهم عيون لهم عليكم ولما بين ذلك من سوء احوالهم سبب عنه قوله فاحذرهم لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك
وتحت ضلوعه الداء الدوي فان من استشعر انك عدو له بغى لك الغوائل واغلب من يعجبك قوله على هذا الوصف يكون ولكنه يكون بلطف
الله دائم الخذلان منكوسا في اكثر تقلباته بيد القهر والحرمان لبس قوله تعالى قاتلهم الله اى احلهم الملك المحيط قدرة وعلما محل
من يقاتله عدو قاهر له اشد مقاتلة على عادة الفعل الذي يكون بين اثنين ولما كان حالهم في غاية العجب في صدهم عن الاسلام
اولا بالعمى عن الايات الظاهرات وثانيا عن الاخبار باسرارهم وخفي مكرهم واخبارهم وفي عدم صرفهم عما هم عليه من قبح السرائر
وسوء الضمائر تعكيس مقاصدهم وتخييب مصادرهم في مكرهم ومواردهم ودل على ذلك بقوله انى كيف ومن اى وجه يؤفكون
اى يصرفهم عن ادراك قبح ما هم عليه صارف ما كائنا ما كان ليرجعوا عنه الى حسن الدين والانس به وادراك بركته وعظيم
اثره ولما كان هذا امرا عظيما فاعلا طاعة الله ورسوله محتاج فاعله حاجة شديدة الى التطهير وهو جدير بعظمة
ان لا يطهر غاية التطهير الا بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا لم يفعلوا ذلك دل على سوء بواطنهم وغلظ اكبادهم
وانهم كالخشب المسندة في انهم لا ثمرة لهم ولا ذكاء اصلا بقوله واذا قيل لهم اى من اى قائل كان تعالوا اى ارفعوا انفسكم
مجتهدين في ذلك بالمجيء الى اشرف الخلق الذي لا يزال مكانه عاليا لعلو مكانته يستغفر لكم اى يطلب الغفران لاجلكم
خاصة بعد ان تتوبوا من ذنبكم من اجل هذا الكذب الذي انتم مصرون عليه ولما تقدم عاملان اعمل الثاني
منهما كما هو المختار من مذهب البصريين فرفع قوله رسول الله اى اقرب الخلق الى الملك الاعظم الذي لا شبهة في جوده لووا
رؤسهم اى فعلوا الكل بغاية التشدد والكره وهو الصرف الى جهة اخرى اعراضا وعتوا واظهارا للبغض والنفرة وبالغوا
فيه مبالغة تدل على انهم مغلوبون عليه لشدة ما في بواطنهم من المرض ورأيتهم اى بعين البصر يصدون اى يعرضون
اعراضا قبيحا عما دعوا اليه محله دون ذلك كل ما دعوا اليه والجملة في موضع المفعول الثاني لرأيت وهم مستكبرون اى ثابتا الكبر
عمن دعوا اليه وعن اجلال انفسهم الى محال لا عتذارهم لشدة غلظتهم لا يدركون قبح ما هم عليه ولا يهتدون الى دوائه
واذا ارشدهم غيرهم وبينهم لا ينتهون فقد روي انهم لما نزل القرآن فيهم اتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا ويلكم
افتضحتم واهلكتم انفسكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه واسألوه ان يستغفر لكم فابوا ذلك فانزل الله هذه
الاية وروي ان ابن ابي لوى رأسه وقال لهم امرتموني بالايمان فامنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي ففعلت ولم يبق
الا ان امروني بالسجود لمحمد ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب صلاحهم فهو يحب ان يستغفر لهم وربما ندبه الى ذلك
بعض اقاربهم فكان استغفاره بحيث يسأل عنه قال مسليا على انهم ليسوا باهل للاستغفار لانهم لا يؤمنون سواء اى عليهم
واستعلى هذا الاستواء الذي عالجوا انفسهم عليه حتى تخلقوا به فصار مجبولا داعيا في صلاحه وكلفه عليهم ولما كان قد
يصلح في مثل هذا السياق عن الهمزة معنى الاستفهام كان معنى استغفرت لهم اى في هذا الوقت ام لم تستغفر لهم اى فيه او فيما
بعده مستويا فيهم استغفارك لهم وتركك الاية لانه لا اثر له عندهم ولهذا كانت نتيجة عموم ذلك لهم النفي المبالغ فيه بقوله
لن يغفر الله اى الملك الاعظم لهم ولعل التعبير بالاستفهام بعد سلخ معناه للاشارة الى انهم لو شاهدوا الملك يستفهم عن
ذلك لما زادهم عن نفاقهم وما زادهم ذلك على ما عندهم شيئا وكان النبي صلى الله عليه وسلم فهم هذه الاية بانه ساقه المحتمله
للتخيير وانه ان زاد على السبعين كان الغفران مرجوا فاستجاز بذلك الصلاة على ابن ابي راس المنافقين والاستغفار لهم
لما عنده صلى الله عليه وسلم من عظيم الشفقة على عباد الله ومزيد الرحمة لهم ولا سيما من كان في عدد اصحابه وللانصار
رضي الله عنهم به عناية ولما كان التقدير تعليل المبالغة في الاخبار بعدم الغفران لهم لان فسقهم قد استحكم
فصار وصفا لهم ثابتا عبر عن ذلك بقوله ان الله اى الذي له صفات الكمال لا يهدي القوم اى الناس الذين لهم قوة في انفسهم
على ما يريدونه ولما لا بهم لا عذر لهم في الاصرار على الفسق وهو المروق من حصن الاسلام بخرقه وعتكه مرة
بعد مرة والتمرن عليه حتى يستحكم فيهم الفسوق في النفاق والخروج عن ربقة الاصطلاح ولما كان هذا داعيا
عن السؤال الى الامر الذي فسقوا به قال مبينا له هم اى خاصة بما لا يبواطنهم الذين يقولون اى اوجدوا هذا القول ولا يزالون
يجددونه لانهم كانوا امروا بوطين بالاسباب محجوبين عن شهود التقدير غير متحققين بتصريف الاحكام فاوظفهم ما خاطر قلوبهم من نهي

انطفآء نور الله فتواصوا فيما بينهم بقولهم لا تنفقوا ايها المخلصون في النصرة على من اى الذين عند رسول الله اى الملك المحيط بكل شي وهم
فقرآء المهاجرين وكانهم عبروا بذلك وهم لا يعتقدونه هكذا اشارة الى انه لو كان رسوله وهو الغني المطلق لاغنى اصحابه ولم يحوجهم
الى ان ينفق الناس عليهم وما دري الاغبيا ان ذلك امتحان منه سبحانه لعباده فسبحان من يضل من يشآء حتى يكون كلامه ابعد
شي عن الصواب بحيث يتعجب العاقل كيف يصدر ذلك من احد وان هذه ليست عبارتهم وهو الظاهر وعبر سبحانه عنهم بذلك
اشارة الى ان كلامهم يؤول الى ارادة ضرر من الله معه توقيفا على كفرهم وتنبيها على ان من ارسل رسولا لا يكله الى احد يكفيه
جميع ما يهمه من غير افتقار الى شي اصلا فقد ارسل الله سبحانه اليه صلى الله عليه وسلم مفاتيح خزائن الارض فابا وما كفاهم
هذا الجنون حتى زادوه ما دل على انهم ظنوا ان ابواب الرزق تغلق اذا امتنع المنفقون من الناس عن انفاقهم وعبر بحرف غاية
يكون لما بعدها حكم ما قبلها فقالوا حتى ينفضوا اى يتفرقوا فتفرقوا فسبحانه كثر فيذهب كل احد منهم الى اهله وشغله الذي
كان له قبل ذلك قال الحرالي حتى كلمة تفهم غاية محوطة يدخل ما بعدها في حكم ما قبلها مقابل معنى الى وقال اهل العربية لا يجرها
الا اخر او متصل بالاخر نحو الفجر من حتى مطلع الفجر وحتى اخر الليل لا تقول حتى نصف الليل وما درى الاخلاف انهم لو فعلوا ذلك
اتاح الله غيرهم للانفاق او كلا يسيرا من طعام على كفيته لا يشبعه معمما كثيرا اي هو بركة وشعير عائشة وعكة ام ايمن رضي الله عنهم وغير
ذلك غير مرة ولكن من يضلل الله فما له من هاد ولذلك عبر في الرد عليهم بقوله ولله اى قالوا ذلك واسمع واعلى يجد بقوله والحال
ان للملك الذي لا امر لغيره خزائن السموات اى كلها والارض كذلك من الاشيآء المعدومة الداخلة تحت مقدوره انما امره اذا
اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ومن الاشيآء التي اوجدها فهو يعطي من يشآء منها ما يشآء حتى من ابغضهم لا يقدر احد على منع
شي من ذلك الا بما في يده ولا بما في يد غيره ونبه على سوء غباوتهم وانهم يعتقدوا بالوهم حتى شغلوا عن رتبة البهائم كما قال العظيم ان كان
محل اصادقا لنحن شر من البهائم بقوله ولكن المنافقين اى العريقين في وصف النفاق ولما كان ما نسب الى الخلق من الارزاق
ظن كثير منهم انهم حصلوه بقوتهم عبر بالفقه الاخص من العلم فقال لا يفقهون اى لا يتجدد لهم فهم اصلا لان البهائم اذا رات
شيئا ينفعها اقامت في مكان طلبته مرة اخرى وهؤلاء راوا غير مرة ما اخرج الله من خوارق البركات على يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم ينفعهم ذلك فمن راى ان رزقه بيد الخلق فالهاه ذلك عن الله حتى ضيع حقوقه وداهن في دينه فقد رمى من
القرآن ودل على عدم فقههم بقوله يقولون اي يوجدون هذا القول ويجددونه مؤكدين له لاستشعارهم بان [illegible]
ينكره ان رجعنا اي نحن الذي استهما العصابة المنافقة الى المدينة اي من غزاتنا التي قدرنا وانها من نصرة النبي صلى الله عليه
وسلم ما يحجز الوصف وهي غزوة بني المصطلق حين هذيل بالمريسيع وهو ماء من مياههم من ناحية قديد الى الساحل وذلها
تكلم ابن ابي بالافك واشاعه ليخرجن ودلوا على تصميمهم على عدم المساكنة بقوله الاعز يعنون انفسهم منها اى المدينة الاذل
وهم كاذبون في هذا لكنهم تصوروا الشدة عادتهم الا العزة لهم وانهم يقدرون على اخراج المؤمنين ولله اى والحال ان كل من
له نوع بصيرة يعلم انه للملك الاعلى الذي له وحده عز الالهية العزة كلها فهو قهار لمن دونه وكل ما عداه دونه ولما
حصر العزة فيه بما دل على ذلك من تقديم المعمول اخبر انه يعطي منها من اراد ما اراد واحقهم بذلك من اطاعه فترجم ذلك بقوله
ولرسوله لان عزته من عزته بعز النبوة والرسالة واظهار الله دينه على الدين كله وللمؤمنين اى الذين صار الايمان
لهم وصفا راسخا لان عزتهم بعز الولاية ونصر الله اياهم عزة لرسوله صلى الله عليه وسلم ومن تعزز بالله لم يلحقه ذل ولما
كان حملهم من هذا شك لكثرة ما راوا من نصرة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ومن تابعه رضي الله عنهم واعلائهم على كل من
ناواهم قال منبها على ذلك ولكن المنافقين الذين استحكم فيهم مرض القلوب ولما كانت الدلائل على عزة الله لا تخفى على احد
لما يتحقق من قهره للملوك وغيرهم بالموت الذي لم يقدر احد على الخلاص منه ولا المنازعة فيه وبالمنع من اكثر المرادات ومن نصر الرسل
واتباعهم باهلاك اعدائهم بانواع الهلاك وبانه سبحانه ما قال شيئا الا تم ولا قالت رسله شيئا الا صدقهم فيه حكم لانه
ما العلم الاتم من الفقه فقال لا يعلمون اي لا يوجد لهم علم الآن ولا يتجدد في حين من الاحيان فلذلك هم يقولون مثل
هذا الخراف وروي انه لما نزلت هذه الآية جاء عبد الله ولد عبد الله بن ابي بن سلول الذي نزلت بسببه الى ابيه وذلك
في غزوة المريسيع لبني المصطلق فاخذ بزمام ناقة ابيه وقال انت والله الذليل ورسوله صلى الله عليه وسلم العزيز
ثم لما دنوا من المدينة الشريفة جرد سيفه واتاه اباه فاخذ بزمام ناقته وزجرها الى ورائها وقال اباك وراك والله لا تدخلها
حتى ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئن لم تقر بان رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانت الاذل لاضربن عنقك
قال افاعل انت قال نعم قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقيل لرسول الله عليه السلام فامره ان يدعه يدخل
المدينة فاطلقه فدخل ولما كان هذا الذي حكاه سبحانه عن المنافقين بحيث يتعجب غاية العجب من تصوره فانه
له فضلا عن ان يتفوه به فكيف بان يعتقد على ان العلة الموجبة له طمس البصيرة وان العلة في طمس البصيرة الاقبال
بجميع القلب على الدنيا رجوعا الى ايضاح ما تقدم في سورة الجمعة من الاذن في طلب الرزق والتحذير من شغل فاعل جاذب

رضي الله عنه وفعل من انصرف عن خطبة الجمعة لتلك العير وكان بهذا التنبيه على وجه حاسم لمادة شرهم في كلامهم فان كلمة النصح كما قيل
مطاعه ولو بان ما تاثر اما ولو بان تغير بنوع تغيير في وقت ما فقال لمنادي بالمن يحتاج الى ذلك يا ايها الذين امنوا ان بواطنهم
من عند كظواهرهم لا تلهكم اموالكم ولما كان الخطاب مع من يحتاج الى التاكيد قال ولا اولادكم لا تشغلوا على شي
من ذلك بجميع قلوبكم اما لا يحصركم سوآء كان ذلك في اصلاحها او التمتع بها بحيث تشتغلون وتغفلون عن ذكر الله اى من
وحد الملك الاعظم الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي فله الملك وله الحمد يعطي من يشآء ويمنع من يشآء فاذا كان العبد
ذاكرا له بقلبه دائما لم يفعل كقول المنافقين لا تنفقوا ولا يخرجن الاعز منها الاذل لعلمه ان الامر كله لله وانه لن يضر الله
شيئا ولا يضر بذلك الا نفسه وهذا يشمل ما فالوا من التوحيد والصلاة والحج والصوم وغير ذلك ولارادة المبالغة
في النهي وجه النهي الى الاموال والاولاد والمراد منه ولما كان التقدير فمن انتهى فهو من الفائزين عطف عليه قوله
ومن يفعل اى يوقع في زمن من الازمان على سبيل التجديد والاستمرار ذلك اي الامر البعيد عن افعال ذوي الهمم من الالهاء
الى الاشتغال بالفاني والاعراض عن الباقي والاقبال على العاجل مع نسيان الآجل فاولئك اى البعداء عن الحزم هم خاصة
الخاسرون اى العريقون في الخسارة حتى كانوا كانهم مختصون بها دون الناس كان ذلك ضد ما ارادوا بتوفير النظر لهم والاقبال
عليهم من السعي للتكثير والزيادة والتوفير وفي نهايته ان من شغله من امر دينه الذي امره سبحانه به ونهاه عن ان يجعله
اكبر همه اضاعه وتوعد عليها سبحانه امر دنياه الذي ضمنه له ونهاه عن ان يجعله اكبر همه وتوعد على ذلك فما ذكره الا
من وجد في جميع امور دينه ودنياه وتوجه اليه في جميع نوائبه واقبل عليه بكل همومه وبذل نفسه له بذل من يعلم انه مملوك
مربوب فقام امر ربه على نفسه واتخذه وكيلا فاستراح من المخاوف ولم يمسك الى شي من المطالع فصار حرا والماخذ
من الاقبال على الدنيا رغبة في بذلها مخالفة للمنافقين فقال وانفقوا اى ما امرتم به من واجب ومندوب وزاد في الترغيب
بالرضى منهم باليسير ما هو كل له بقوله مما رزقناكم اى بعظمتنا وبلغ النهاية في ذلك بالرضى بفعل ما امر به مع التوبة النصوح
في زمن ما ولو قل بما ارشد اليه اثبات الجار فقال مرغبا في التاهب للرحيل والمبادرة لمباغتة الاجل بحذف راس الاعتراف بالتسويف
في وقت السلامة من قبل وذلك المضمر للتقييد من بدل العرب فقال ان ياتي ولما كان التقدم المفعول
كما تقدم في النسآء اهول قال احدكم الموت اى بروية دلائله واماراته وكل لحظة مرت فهي من دلائله واماراته ولما
كان الشدة انه يقتضي الاقبال على الله سبب عن ذلك قوله فيقول اى بسبب الاخذ في الرحمة واشار الى شرفها للعلوب بقوله
رب لولا اى هلا ولم لا اخرتني اى اخرت موتي امهالا الى اجل اى زمان وشي من زيادة اسهل ان ما فات ليس الا يقوله
قريب فاصدق اى اتزود في سفري هذا الطويل الذي انا مستقبله قال الصميري في كتاب التوبة من الاحياء قال بعض العارفين
ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف
والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه
فيقول يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود فيه صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة
فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن
التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان
كانت سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة والعياذ
بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين
عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني ان يعاجله المرض او الموت
فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو فياتي الله بقلب غير سليم فالقلب امانة الله عند عبده قال بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده
سرين على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك
عمرك واسترعيتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في
امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعذاب ولعله ادغم تاء
التفعل اشارة الى انه ان اخر فعل ذلك على وجه الاخفاء ليكون افضل ويكون ادغامها اختصار البلوغ انه ان اخر فعل ذلك
على وجه الاخفاء ليكون افضل ويكون ادغامها اختصارا لبلوغ الامر الى حد يحوج الى غاية الايجاز في القول كما طلب في الزمن
ويؤيده قراءة الجماعة غير ابي عمرو واكن بالجزم عطفا على الجواب الذي هدى السياق الى تقديره فان حال هذا الذي شرف
هذا الاشراف يقتضي ان يكون اراد ان اخرتني اتصدق ولكنه حذفه لضيق المقام عنه واقتضاء الحال لحذفه وهو معنى
ما حكاه سيبويه عن الخليل ان الجزم على توهم الشرط الذي دل عليه التمني لا الموضع فان الجازم غير موجود ومعنى ما قال غيره
ان لولا لكونها تحضيضية متضمنة معنى الامر ومعنى الشرط فكانه قيل اخرني فيكون جوابه العادي عن الفاء مجزوما

انظار المعرّدين بما يحز وما محلا فاكن عطفا على المحل ونصب ابو عمرو عطفا على اللفظ لانه جواب التمني الذي دلت عليه لولا واجماع
المصاحف على حذف الواو لا يضره لانه قال الاعمش لا للاختصار وهو ظاهر وذلك للمناسبة بين اللفظ والخط والزمان والادرك
هنا لعروف خلال القرآء ومرادهم ان شاء الله بقولهم من الضابط المشهور وان يوافق رسم المصحف ولو احتمالا من الصالحين
اي العريقين في هذا الوصف العظيم وزاد في الحث على المبادرة بالطاعات قبل الفوات بقوله موكدا الاجل عظم الزحام هذا
المختصر للتاخير عطفا على ما تقديره فلا يؤخره الله فيفوته ما اراد ولن ويجوز ان يكون ذلك الجملة حالا اي قال ذلك والحال انه لن
يؤخر الله اي الملك العظيم الذي لا كفو له فلا اعتراض عليه نفسا اي نفس كانت وحقق الاجل بقوله اذا جاء اجلها اي وقت موتها
الذي حده الله لها فلا يؤخر الله نفس هذا القائل لانها من جملة النفوس التي شملها النفي كان المعنى على طريق النتائج
التي لا شك في رشاد اللفظ انها الله عالم بانه يقول ذلك عطف عليه قوله حاثا على المسارعة الى الخروج عن عهدة الطاعات
والاستعداد لها لابد منه من اللقاء محذرا من الاخلال لانه لا تهديد كالعلم والله اي الذي له الاحاطة الشاملة علما وقدرة
خبير اي بالغ الخبرة والعلم ظاهرا وباطنا بما تعملون اي توقعون عمله من الماضي والحال والمآل كله باطنه وظاهره من هذا الذي
اخبركم ان المحتضر الخاطئ يقوله ومن غيره منه ومن غيره انما الناس هذا على قراءة الجمهور بالخطاب وعلى قراءة ابي بكر عن
عاصم بالغيب يمكن ان يراد المنافقون ويمكن ان يعم فيكون الضمير للنفس على المعنى ويمكن ان يكون الضمير للناس على الالتفات
للاعراض عنهم [?] ولذلك علم سبحانه كذب المنافقين في انهم يعتقدون ما شهدوا به في امر الرسالة وعلم جميع ما قص
من اخبارهم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير مقصودها الابلاغ في التحذير
مما حذرت منه المنافقون باقامة الدليل القاطع على انه لابد من العرض على الملك للدينونة على النقير والقطمير يوم القيمة
يوم الجمع الاعظم واسمها التغابن واضح الدلالة على ذلك وهو ادل ما فيها عليه فلذلك سميت به بسم الله ذي الملك فلا
كفو له ولا مثيل الرحمن الذي وسع الخلائق برّه الجليل الرحيم الذي خص من عمه بالبر ففهم للجميل [illegible]
العبر بنفوذ الامر واحاطة العلم افتتح هذه باحاطة الحمد ودوام التنزه عن كل شائبة نقص ارشادا الى النظر في افعاله
والتفكر في مصنوعاته لانه الطريق الى معرفته واما معرفته بكنه الحقيقة فمحال لانه لا يعرفها الا هو لذلك الامثلة ولا مثل العالي
موكدا لما ختمه اول الجمعة يسبح اي يوقع التنزيه التام مع التجديد والاستمرار لله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال
ما في السموات الذي من جملته الاراضي وما فيها فلابد من شيء منه يشاء الا كان على وفق الارادة فكان ذلك الكون الكائن
شاهدا له بالبراءة عن كل شائبة نقص ولما كان الخطاب مع من يقدم في اخر المنافقين مما هو محتاج الى التاكيد قال موكدا
باعادة الموصول وما في الارض اي كذلك بدلالتهما على كماله واستغنائه وقد تقدم ان موافقة العاقل للامر مثل موافقة غير العاقل
للارادة فعليه ان يهذب نفسه غاية التهذيب ليكون في طاعته بامتثال الاوامر كطاعة غير العاقل في امتثال المراد
منه ساق سبحانه ذلك الدليل النقلي على كماله نزاهة على وجه تضمن الدليل العقلي لمن له كما قال علي رضي الله عنه لا ينفع
مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع وذلك بكونه سبحانه جعلهم مظروفين كما هو المشاهد والمظروف
محتاج لوجود ظرفه قبله فهو عاجز فهو مسبح دائما ان لم يكن بلسان قاله كان بلسان حاله وصانعه الغني عن الظرف وغيره
سبوح عال عن ذلك بقوله له اي وحده الملك اي كله مطلقا في الدنيا والاخرة وهو السيادة العامة للخاص والعام والسياسة
العامة بركنيها دفع الشرور وجلب الخيور الجالبة للسرور والحبور من الابداع والاعدام فهو ابلغ مما في الجمعة فان الملك
قد يكون ملكا في الصورة وذلك الملك الذي هو ظاهر فيه لغيره فدوام التسبيح الذي اقتضته عظمة الملك هنا اعظم من
ذلك ولما اثبته في الجمعة التنزيه عن النقص اتبعه هنا الوصف بالكمال فقال وله اي وحده الحمد اي الاحاطة
باوصاف الكمال كلها فلذلك ينزهه جميع مخلوقاته فمن فهم تسبيحها فذلك المحسن ومن كان في طبعه وفطرته الاولى الفهم
ثم صبغه يوشك ان يرجع فيفهم ومن لم يفهمها لذلك فذلك الضلال الذي لا حيلة فيه وهو اي وحده على كل شيء اي ممكن
اي يمكن ان يتعلق به المشيئة قدير لانه وحده بكل شيء مطلقا عليم لان نسبة ذاته المقتضية الى القدرة الى الاشياء كلها
على حد سواء وهذا اوضح حدا ولان من عرف نفسه بالنقص عرف ربه بالكمال وقوة السلطان والجلال وقال الامام
ابو جعفر بن الزبير لما بسط في السورتين قبل من حال من حمل التوراة من بني اسرائيل ثم لم يحملها وحال المنافقين المتظاهرين
بالاسلام وقلوبهم كفرا وعنادا بكائنة الاظلام وبين خروج الفريقين عن سواء السبيل المستقيم وتنكبهم عن هدى
الدين القويم واوهم ذكر اتصافهم بمحلا وصافهم خصوصهم في الكفر بوسم الابعاد وسما ينبي عن عظيم ذلك الابعاد سوا
ما تناول غيرهم من اصناف الكفار فانبأ تعالى عن ان الخلق بجملتهم وان تشعبت الفرق وافترقت الطرق راجعون بحكم السوابق
الى طريقين فقال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن وقد اوضحنا الدلائل ان المومنين على درجات واهل
الكفر ذو طبقات واهل النفاق ادونهم حالا واسوأهم كفرا وضلالا لان المنافقين في الدرك الاسفل من النار

وافتتحت السورة بالتنزيه لعظيم مرتكب المنافقين في جهلهم وقولهم لنطق سورة المنافقين من عظيم مرتكبهم الاعلى ما حكاه تعالى من
قولهم لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد اشار قوله تعالى يعلم ما في السموات وما في الارض ويعلم ما تسرون وما
تعلنون والله عليم بذات الصدور الى ما قبله وبعده من الايات الى سوء جهل المنافقين وعظيم جرمهم من قولهم بالسنتهم ما لم
تنطو عليه قلوبهم والله يشهد ان المنافقين واتخاذهم ايمانهم جنة الى ما وصفهم سبحانه به كما فتح تعالى سورة التغابن بشرحه
عما توهموه من مرتكباتهم التي لا يخفى عليه سبحانه الم يعلم ان الله يعلم سرهم ونجواهم ثم قال تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون
فقرع ووبخ في عدة ايات ثم اشار الى ما منعهم من تامل الايات وصدهم عن اعتبار المعجزات وانه الكبر المهلك عقولهم فقال
تعالى مخبرا عن سلفهم في هذا المرتكب مع عاقبته ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا
ابشر يهدوننا ثم تناسج الكلام معرفا بما جلبهم الاخراوي وما اعقبهم الى قوله وبئس المصير ومناسبة ما بعد بينة في النفس بحول
الله انتهى ولما كان اعظم الدلائل عليه سبحانه ايات الافاق وايات الانفس وقدم الاول علو به وشغلته لوضوح اتبعه
الثاني دلالة على تمام ملكه بانه المختص بالاختراع لا عجب لا شيء خلقا والحمل على المكاره فقال هو اي وحده الذي خلقكم اي انشاكم
على ما انتم عليه بان قدركم واوجدكم بالحق على وفق التقدير حالا فالمن انكر ذلك بالدهرية واهل الطبايع ولما كان
من نقد م في سورة المنافقين ما اعلم انهم من نفاق عرف في هذه ان ذلك مسبب عن ابداعه لان من معهود الملك ان يكون في
مملكته الولي والعدو والموالف والمخالف والطائع والعاصي والملك يغتفر ويعفو ويعاقب ويثيب ويقدم ويوخر
ويرفع ويضع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا فتستغفروا لذهب بكم ثم جاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر
لهم اخرجه مسلم والترمذي عن ابي ايوب رضي الله عنه فقال تعالى مفصلا ما نفعت واشارة الى انه عالم به وقادر عليه وما
كان منه شيء الا بارادته وفيه تلويح الى انه الاكثر ومع كثرته هو الاضعف لان الله ليس معه معونته وللاعدام
الصنف الاخر فمنكم اي فتسبب عن خلقه لكم وتعالى عن الامشاجكم التي تنشأ عنها الاخلاق وان كان منكم بابداعه لصفاتكم
كما ابدع ذواتكم كافر اي عريق في صفة الكفر مهلك نفسه بما عباه لاكتسابه وتيسره له بعد ما خلقه في احسن تقويم على
الفطرة الاولى وفي الحكم تلك الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام طبع كافرا بمعنى ان فطرته الاولى خلقت مهيأة للكفر
فان الافعال عامة وخاصة فالخاصة تضاف الى العبد يقال صلى وصام وامن وكفر والعامة تضاف الى الله تعالى فيقال اوجد
القدرة على الحركة والسكون وخلق الحركة والسكون والافعال الخاصة متعلق الامر والنهي ومنكم مومن اي راسخ في الايمان
في علم الله تعالى في الازل منجح نفسه بالاعمال الصالحة التي طابق بها العلم الازلي فهو سبحانه خلق الكافر وخلق كفره فعلا له والمومن
وايمانه فعلا لانه خلق القدرة والاختيار وغيبت العاقبة فكل منهما يكتسب باختياره بتقدير الله ولا يوجد من كل منهما الا ما
قدره عليه واراده منه لان وجود غير المقدر عجز وخلافا لمراد المعلوم محال وقد علم من هذا القسمة علما قطعيا ان احد
القسمين مبطل ضال مخالف لامر الملك الذي ثبت ملكه ومن المعلوم قطعا ان كل ملك لابد له ان يحكم بين رعيته في الامر الذي
اختلفوا فيه وينصف المظلوم من ظالمه ومن المشاهد ان بعضهم يموت على كفره من غير نقص بحجة وبعضهم على ايمانه
ولذلك فعلم ان هذه الدار ليست دار الفصل وان الدار المعدة له انما هي بعد الموت والبعث وهذا انما هو مركوز في
الطباع لا يجهله احد ولكن الخلق اعرضوا عنه بما هم فيه من القواطع فصار بحيث لا يستقل به عقولهم ولكنهم اذا ذكروا به
واوضحت لهم هذه القواطع التي اشار سبحانه اليها وجردوا النفس عن الحظوظ والمروءة مع الالف عدوه من الضروريات
وعلم من تسبيبه تقسيمهم هنا عن تقدير وجوب الايمان بالقدر خيره وشره ولما كان التقدير فالذي ابدعكم
وجعلكم على ذلك وفاوت بينكم على كل شيء قدير عطف عليه قوله والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بفعله قدم
الجار لا للتخصيص بل اشارة الى مزيد الاعتنا كما تقول لمن سألك هل تعرف كذا وطمع منه التوقف في علمك له نعم اعرفه
ولا اعرف غيره فقال بما تعملون اي توقعون عمله كسبا بصير اي بالغ العلم بذلك فهو الذي خلق جميع اعمالكم التي تنسب
كسبها اليكم وهو خالق جميع الاستعدادات والصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرية لانه لا يتصور ان يخلق
الخالق ما لا يعلمه ولو سئل الانسان كم مشى في يومه خطوة لم يدر وكيف لو سئل عن موضع مشيه ومتى زمانه وكيف انه لا
يمشي اكثر مشيه وهو غافل عنه ومن جهل فعاله كما وكيفا واناً وغير ذلك لم يكن خالقا لها بوجه ولما ذكر
المظروف ذكر ظرفه الاعلى بتمام احاطته بالبواطن والظواهر بانه خلق الشيء العظيم جدا فاتى على وفق الارادة من غير
لا يحتاج ان يزيد فيه ولا ينقص منه فقال خلق السموات اي التي هي السقف لبيت عبيد الملك على كبرها وعلوها حاوية
والارض اي التي هي قرار بيتهم وممادة على سعتها وما فيها من المنافع والمعادن بالحق اي بالامر الذي يطابقه الواقع فلا
زائل عنه والا ناقضا بل جاء الواقع منهما مطابقا لما اراد سواء كما يريد احدنا الشيء فاذا اوجده لم يكن على وفق مراده
سواء او بسبب اظهار الامر الثابت وابطال الباطل فهو خالق المسكنين الدنيوي والاخروي خلافا لمن لا يقول بذلك

من صابئ وفلسفي وغيرهم ولما كان أهل الطبائع يقولون إن الأفلاك لها تأثير بحسب الذات والطبع قال دالاً
مذكراً بنعمته ليشكر ﴿وصوركم﴾ أيها المخاطبون على صور الأنواع فوق شيء من صور العلويات ولا السفليات ولا يشبه صورة نوع
الآخر من كل وجه ﴿فأحسن صوركم﴾ فجعلها أحسن صور الحيوانات كلها كما هو مشاهد في الدنيا وكذا في الآخرة خلافاً لأهل التناسخ
مع أن وضعها في نفسها أحسن الأوضاع لو غير شيء منها عن مكانه إلى غيره لما يعلمه لحصلت البشاعة والنفرة به مع تفضيل الآدمي
بتزيينه بصفوة أوصاف الكائنات وجعل سبحانه أعضاءه متصرفة بكل ما يتصرف به أعضاء سائر الحيوانات مع زيادات تخص الآدمي
إلى حسن الوجه وجمال الجوارح فهو أحسن بالنسبة إلى النوع من حيث هو هو وبالنسبة إلى الأفراد في نفس الأمر وإن كان
بعضها أحسن من بعض فقبح القبيح منه إنما هو بالنسبة إلى أحسن منه وكذا قال الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان فخلق
الإنسان في أحسن تقويم لا ينفي أن يكون للنوع الذي جعل أحسن أفراد أنواع لما فوقه من الجنس لا نهاية لأحسنية بعضها بالنسبة
إلى البعض ليشاهد ما وجد من أفراد نوعه من الذوات فقدرة الله لا تتناهى فإياك أن تصغي إلى ما وقع في كتب الإمام الغزالي
أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان وإن كان قد علم أنه اعترض عليه في ذلك وأجاب عنه في الكتاب الذي أجاب فيه عن أشياء اعترض
عليه فيها فإنه لا يعتبر بذلك الجواب أيضاً فإن ذلك يستحيل إلى أنه سبحانه لا يقدر على أن يخلق أحسن من هذا العالم وهذا لا
يقوله أحد وهو لا ينقص مقدار الغزالي فإن كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد كما قال الإمام مالك وعزاه الغزالي إلى ابن عباس رضي
الله عنه وقال الشافعي صنفت هذه الكتب وما ألوت فيها جهداً وإني لأعلم أن فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول ﴿ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ولما كان التقدير فكان منه سبحانه المبدأ عطف عليه قوله ﴿وإليه﴾ أي وحده ﴿المصير﴾ أي
بعد البعث فيعيد القدرة التي قدرتهما على الابتداء فمن كان على الفطرة الأولى لم يغيرها أدخله الجنة ومن كان قد أفسدها
بحال وجه نفسه بما طبعها به من خبث جسده أدخله النار وفي الدنيا أيضاً بانفراده بالتدبير فلا يكون طبيعياً من الملك والسوقة
الأمام بريب ذلك الفاعل ولما تقرر بما مضى إحاطة قدرته بما دل على ذلك من إبداعه للخلق على هذا الوجه المحكم
وشهد البرهان القاطع بأن ذلك صنعه وحده لا تخلق فيه لطبيعة ولا غيرها دل على أن ذلك يستتبع شمول علمه إشارة إلى أن
من لم يكن تام العلم كان ناقص القدرة فقال ﴿يعلم﴾ أي علمه حاصل في الماضي والحال والمآل يتعلق بالمعلومات على حسب تعلق قدرته
على وفق إرادته بوجه الفاً ﴿ما﴾ أي الذي أو كل شيء ﴿في السموات﴾ كلها ولما كان الكلام بعد قيام الدليل القطعي البديهي
على جميع أصول الدين مع الخلص لأن بداعة الأدلة قادتهم إلى الاعتقاد أو إلى حال صاروا فيه أهلاً للاعتقاد والتحلي
بحلية أهل السداد ولم يؤكد بإعادة الموصول بل قال ﴿والأرض﴾ ولما ذكر حال الظرف على وجه يشمل الظروف
وكان الاطلاع على أحوال العقلاء أصعب قال مؤكداً بإعادة العامل ﴿ويعلم﴾ أي بتجدد الاستمرار ﴿ما تسرون﴾ أي حال الانفراد
وحال الخصوصية مع بعض الأفراد ولما كانت لدقتها وانتشارها بحيث تنكر بعض الضعفاء الإحاطة بها وكان
الإعلان ربما خفي لكثرة لغط واختلاط أصوات ونحو ذلك أكد فقال ﴿وما تعلنون﴾ من الكليات والجزئيات خلافاً لمن يقول
يعلم الكليات فقط ولا يعلم الجزئيات إلا بعد وجودها من فلسفي وغيره ولمن يقول يعلم الكليات وجزئيات خاصة
ولما ذكر حال المظروف على وجه يشمل ظرفه وهي الصدور وكان أمرها أعجب من أمر غيرها قال مصرحاً بها
إشارة إلى دقة أمرها مظهراً موضع الإضمار تعظيماً ﴿والله﴾ أي الذي له الإحاطة التامة بكل كمال ﴿عليم﴾ أي بالغ العلم
﴿بذات﴾ أي صاحبة ﴿الصدور﴾ من الأسرار والخواطر التي لم تبرز إلى الخارج سواء كان صاحب الصدر قد علمها أو لا
وعلمه لكل ذلك على حد سواء لا تفاوت فيه بين علم الخفي وعلم الجلي لأن نسبة المقتضي لعلمه وهو وجوده أنه على ما هي عليه
من صفاته لكمال الكل على حد سواء فاتقوا في الإخلاص وغيره مراقبة من يعلم أنه يعلمه لا يغيب عنه واحذروا أن
تخالفوا لستر العلانية فإن حقه أن يتقى ويحذر ولتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وتقديم تقرير القدرة على
تقرير العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته أولاً وبالذات وكمال قدرته يستلزم كمال علمه لأن من لا يحيط علمه لا يتم قدرته
فلا يأتي مصنوعه محكماً ولما تقرر الإيمان به من أنه الملك الذي له وحده الملك وأشار بما شاهد من انقسام
عبيده إلى مؤمن وكافر إلى أنه لا بد من الأخذ على يد الظالم منهما كما هي عادة الملوك لا يسوغ في الحكمة ولا في العادة غير ذلك
وأخبر أن علمه محيط بالنسبة إلى العلويات والسفليات والظواهر والبواطن على حد سواء استتبع ذلك وجوب الإيمان
برسله لجمع الكلمة عليه سبحانه لتكمل الحياة بإصلاح ذات البين لئلا يقع الخلاف فتفسد الحياة ووجوب الاعتبار بمن مضى
من أممهم ممن لم يعتبر غيرهم ممن سواه من الأمم ودل عليه بإهلاكه من خالفهم إهلاكاً متسقاً للعادة وخصوصيته بهم على جهة
مفرق ربما مضى من انفراده بالملك ليعلم أن الكفرة هم المبطلون فقال ﴿ألم يأتكم﴾ أي أيها الناس ولا سيما الكفار لتعلموا أنه
شامل العلم محيط القدرة ينتقم من المسيء ﴿نبأ الذين﴾ وعبر بما يشمل شديد الكفر وضعيفه فقال ﴿كفروا﴾ أي خبرهم العظيم
كان المهلكون على ذلك الوجه بعض الكفار وهم الذين أرسل إليهم الرسل فلم يسعفوا ما مضى للزمان فقال ﴿من قبل﴾

فخوفه

كالقرون

كالقرون المذكورين في الأعراف ثم سبب عن كفرهم وعقبه قوله ﴿فذاقوا﴾ أي باشروا مباشرة الذائق بالعدل الثاني لما كان حكم عليهم
بالعدل الأول بالتقسيم إلى كافر ومؤمن ﴿وبال أمرهم﴾ أي شدة ما كانوا فيه مما يستحق أن يشار ويؤمر وينهى وثقله ووخامة
مرتباته في الدنيا وأصله الثقل كيف ما قلت ﴿ولهم﴾ أي مع ما ذاقوا بسبب في الدنيا ﴿عذاب أليم﴾ أي في البرزخ ثم القيامة التي هي موضع
الفصل الأعظم ولما ذكر ما أحله بهم سبحانه وأشار إلى القطع بأنه من عندهم بأنه ساقه في خرقه للعوائد بالاستئصال
والخصوص لمن كذب الرسل والنجاة لمن صدقهم علله بقوله ﴿ذلك﴾ أي الأمر الشنيع العظيم من الوبال الدال قطعاً على
أن الكفر باطل الباطل وأنه مما يغضب الخالق ولما لم يكن مقصودها المقصود بالأمر من يصيغا لنا من صنفين وإنما
حصل التقسيم هنا بالعرض للدلالة على الساعة اكتفى بضمير الشأن فقال ﴿بأنه﴾ أي بسبب أن الشأن العظيم البالغ في فظاعته ﴿كانت﴾
على عادة مستمرة ﴿تأتيهم رسلهم﴾ أي رسل الله الذين أرسلهم إليهم وخصهم بهم ليكونوا أمنع شرورهم فهم ﴿بالبينات﴾
أي الأمور التي توضح غاية الإيضاح أنهم رسل الله من الكتب وغيرها فشاهدوا الأمر من معدنه فلذلك كان عقابهم أشد
ولما كان سبحانه أودع الإنسان من جملة ما منحه به خاصة لطفه وهي العزة وحب الكبر والعلو فمن وضعها
موضعها بالتكبر على من تكبر على أمر الله بالتكبر عليه ومن شياطين الإنس والجن ممن عصاه سبحانه نجا ومن وضعها في غير موضعها
بالتكبر على أولياء الله رب العزة هلك بين تعالى أن الكفار وضعوها في غير موضعها ﴿فقالوا﴾ أي الكل لرسلهم منكرين غاية الإنكار
﴿أبشر﴾ أي هذا الجنس وهو مرفوع على الفاعلية لأن الاستفهام يطلب الفعل ولما كان يكفيهم لفعل لهم أعظم
وكان لو أفرد الضمير لم يكن له روعة الجمع قال ﴿يهدوننا﴾ فأنكروا على الملك الأعظم رسالتهم ﴿فكفروا﴾ أي لذلك عقب مجيء الرسل
وبسببه من غير نظر وتفكر وأدنى تأمل وتبصر حسداً للرسل لكونهم مساوين لهم في البشرية فاستبعدوا أن يخصوا
من بينهم بأمر لا سيما إن كان عظيماً جليلاً فلزمهم ارتكاب أقبح الأمور وهو استبعاد أن يكون النبي بشراً مع الإقرار
بأن يكون الإله حجراً ﴿وتولوا﴾ أي كلفوا أنفسهم خلاف ما يدعو إليه الفطرة الأولى من الإعراض عن الرسل بعد إنكار رسالتهم
لشبهة قامت عندهم وذلك أنهم قالوا إن الله عظيم لا يشبهه البشر فينبغي أن يكون رسله من غير البشر ولو تأملوا حق التأمل
لعلموا أن هذا هكذا وأن الرسل إنما هي ملائكة لكن لما كان لا يقوى جميع البشر على رؤية الملائكة كما هو مقتضى العظمة التي توهموها
ولم يثبتوها على وجهها اختص سبحانه من البشر ناساً وهم الأنبياء عليهم السلام بقوى زائدة طوقتهم بها على معالجتها فأتوا إليهم
ليكونوا واسطة بين الله وبين خلقه لأن بعض الجنس أميل إلى بعض وأقبل ولما كان هذا كله إنما هو لمصالح الخلق لا يعود على الله سبحانه
وعز شأنه نفع بوجه ولا يلحقه ضرر من عدمه ولا بالعكس نبه على ذلك بقوله ﴿واستغنى الله﴾ أي فعل الملك الأعظم الذي لا أمر
لأحد معه فعل من يطلب الغنى عنهم وأوجد الإيجاد أعظمه بمن هداه لاتباع الرسل فأعرض عنهم حين أعرضوا عن رسله فضرهم
إعراضهم عنهم ولم يضره إعراضهم وما ضر إلا أنفسهم وأطلق الاستغناء ليعم كل شيء ولما كان التعبير
بذلك قد يوهم حدوث ما لم يكن له نفى ذلك بقوله مظهراً زيادة في العظمة ﴿والله﴾ أي المستجمع لصفات الكمال من غير تقييد
بحسبه ﴿غني حميد﴾ له صفة الغنى المطلق والكمال الأبلغ الذي هو الإحاطة بجميع أوصاف الكمال على الدوام أزلاً وأبداً لم يتجدد له
شيء لم يكن ولما قرر وجوب الإيمان به وبرسله وبكتبه وبالقدر كله وقسم الناس إلى مؤمن وكافر وأخبر أن الكافر
تكبر على الرسل عن الموجب الأعظم لكفرهم بقوله دالاً على وجوب الإيمان بالبعث وبرد اللبس وإن كان عقل الإشارة إلى
يستقل ببعض أمور الإلهية معبراً بما أكثر إطلاقه على ما يشك فيه ويطلق على الباطل إشارة إلى أنهم شاكون وإن كانوا جازمين
لكونهم لا دليل لهم وإلى أنهم في نفس الأمر مبطلون ﴿زعم﴾ قال ابن عمر رضي الله عنهما هي كنية الكذب وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنهما عند أبي داود بئس مطية الرجل زعموا ﴿الذين كفروا﴾ أي واقعوا الستر لما دلت عليه العقول من وحدانية الله
وعلى أدنى الوجوه ولما كان الزعم ادعاء العلم فكان يتعدى إلى مفعولين أقام سبحانه مقامهما قوله ﴿أن لن يبعثوا﴾
أي من باعث ما بوجه من الوجوه ولما كان بهذا أشار سبحانه بنوعي المؤمن والكافر إلى الدليل القطعي الضروري على
وجود المبطل اللازم منه دفعه اللازم منه وجوب البعث كفى في الأمر بإجابتهم بقوله ﴿قل﴾ أي لهم ﴿بلى﴾ أي لتبعثن
ثم أكده بصريح القسم فقال ﴿وربي﴾ أي المحسن إلي بالانتقام ممن كذب وبإحقاق كل حق أتيت به وإبطال كل باطل ﴿لتبعثن﴾
مشيراً ببنائه للمفعول إلى أنه يكون على وجه القهر لهم بأهون شيء وأيسر أمر وكذلك قوله ﴿ثم لتنبؤن﴾ أي تخبرن حتماً
إخباراً عظيماً ممن يقيمه الله لإخباركم ﴿بما عملتم﴾ للدينونة عليه وشرح لبعض ما أفاده بناء الفعلين للمجهول بقوله ﴿وذلك﴾ أي
الأمر العظيم عندكم من البعث والحساب ﴿على الله﴾ أي المحيط بصفات الكمال وحده ﴿يسير﴾ لقبول المادة وحصول
القدرة وكون تعلقها سبحانه كذلك شاملاً بنسبة الأشياء الممكنة كلها جليلها وحقيرها إليها على حد سواء ولما كان
في ذلك نوع هذا الوجه على الأقسام من غير إسناد لا للإشارة إلى تأمل الكلام السابق بما اشتمل عليه من الأدلة التي
منها ذلك البرهان الذي هي بسبب عنه قوله فذلكة لما مضى من الأدلة وحملها بتحصيل عليه الكلام في الإيمان

بالله وملكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره والاسلام والاحسان فامنوا بالله اى الذى لا اعظم منه لا الاحاطة
بكل شئ وان لا كفو له ولا راد لامره ولما دعا هذا الى الايمان به سبحانه عقلا ونقلا ذكرا وفكرا اتبع بالايمان بالرسل من الملكة
والبشر فقال ورسوله اى كل من ارسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم بما ثبت من تصديقه بالمعجزات من انه رسوله ويلزم من
الايمان به الايمان بمن اتبعه من الملكة ولما كانت تلك المعجزات موجبات للعلم كانت احق الاشياء باسم النور وكان النور هو
المظهر للاشياء بعد ان حجبها مانع الظلام وكان اعظم تلك المعجزات واحقها بذلك كتاب الله المنزلة على انبيائه عليهم السلام
واعظمها القران الذى هو اعجازه بيانا لكل شئ قال والنور وعينه بقوله الذى انزلنا اى بما لنا من العظمة فكان معجزا وكان باعجازه
ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره وهذا وان كان هو الواقع لكن ذكر هذا الوصف صالح لشمول كل ما اوحاه الله سبحانه الى رسله صلى
الله عليهم وسلم ومن المعلوم ان اعظمه القران المنزل على اشرف رسله فهو احق ذلك باسم النور لما مضى من اعجازه لمن امن به
ادخل الله قلبه من انوار الفهوم والالطاف والسكينة ما يضيء الاقطار ولما كان التقدير فالله محاسبكم على ما قابلتم به
العادة عليكم بذلك من ايمان وكفران عطف عليه مرغبا مرهبا قوله والله اى المحيط علما وقدرة وقدم الجار لمبالغة عن مزيد
التاكيد فقال بما تعملون اى توقعون عمله فى وقت من الاوقات خبير اى بالغ العلم بباطنه وظاهره ولما اخبر بالبعث
واقسم عليه واشار الى دليله السابق وسبب عنهما بحى فى يومه ذكر يومه وما يكون فيه ليحذر فقال مستغرقا ما مضى من فى كل ثم
الايمان دعامة اليوم الاخر واعظا لمن يقول يا ليت شعرى يا حالى بعد رحالى او قامعا لمن يقول لا حال بعد الرحال بالاعلام بانها
احوال اى احوال تشيب الاطفال وتقصم ظهور الرجال بل تهد شم الجبال يوم اى تبعثون فى يوم يجمعكم ايها الثقلان ولما
كان الوقت المورخ به فعل من الافعال انما يذكر لاجل ما وقع فيه صار كانه علة لذلك الفعل فقال تعالى ليوم الجمع اى لاجل ما يقع
فى ذلك اليوم الذى يجمع فيه اهل السموات والارض من الحساب والجزاء الذى يكون فوز الناس فيكونون غابنين ويكون خيبة
الناس فيكونون مغبونين وكل منهم يطلب ان يكون غابنا ولما كان المقصد امرا عظيما مقطعا ذكره للاكباد قال تعالى مشيرا الى اهواله
باداة البعد منبها على نفاذه ذلك اى اليوم العظيم المكانة الجليل الاوصاف يوم التغابن اى الذى لا تغابن فى الحقيقة غيره لعظمه ودوامه
والغبن ظهور النقصان للحظ الناشئ عن خفاء لانه يجتمع فيه الاولون والاخرون وسائر الخلائق اجمعون ويكون فيه التبع والاتباع
على غاية لا توصف بحيث ان جميع ما يقع فيه يمكن ان يطلع عليه كل احد من اهل ذلك الجمع فاذا افتضح احد افتضح عند الكل وما من عبد
يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليزداد
حسرة فيغبن فيه كل كافر بتركه الايمان وكل مؤمن بتقصيره فى الاحسان ومادة غبن تدور على الخفاء من معانى الجسد
وهى ما يخفى عن الغبن وسمى الغبن فى البيع لخفائه عن صاحبه فالكافر والظالم يظن انه غبن المؤمن بنعيم الدنيا الذى استاثر به
الكافر وبالنقص الذى ادخله الظالم على المظلوم على الحقيقة بنعيم الاخرة وكمال جزائها العظيم الدائم فالغبن فيه لا يشبهه
غبن فقد بعث ذكر هذا اليوم على هذا الموجب على التقوى انما بعث وهى الحاملة على اتباع الاوامر واجتناب النواهى لئلا
يحصل الغبن بفوات النعيم او نقصانه ويحصل بعده للكافر العذاب الاليم ولما كان كل احد يحب ان يكون فى
النور ويكره ان يكون فى الظلام ويحب ان يكون غابنا ويكره ان يكون مغبونا ارشدت سوابق الكلام ولواحقه الى ان التقدير
فمن امن كان فى النور وكان فى ذلك اليوم برجحان ميزانه من الغابنين ومن كفر كان فى الظلام وكان فى ذلك اليوم بنقصان
ميزانه من المغبونين فعطف عليه قوله بيانا لاثار ذلك الغبن وتفصيلا له باصلاح الحامل على التقوى وهو امور منها القوة
العلمية ومن يؤمن اى يوقع الايمان ويجدده على سبيل الاستمرار بالله اى الملك الاعظم الذى لا كفو له ولما ذكر
الرأس وهو اصلاح القوة العلمية اتبعه البدن وهو اصلاح القوة العملية فقال ويعمل تصديقا لايمانه صالحا اى
عملا هو مما ينبغى الاهتمام بتحصيله لانه لا مثل له فى جلب المنافع ودفع المضار ولما كان الدين
مع سهولته متينا لم يشاده احد الا غلبه قال حاملا على التقوى بالوعد بدفع المضار وقدمه لعله اشد اشارة الى ان
التكفير والدخول متفاوت بحسب طول الحساب وقصره وكل ما فرغ واحد من الحساب دخل الجنة ان كان من اهلها
يكفر اى الله على قراءة الجماعة بان يستر سترا عظيما عنه سيئاته التى غلبه عليها نقصان الطبع واتبع ذلك الحامل الاخر وهو
الترجية بجلب المسار لان الانسان يطير الى ربه سبحانه بجناحى الخوف والرجاء والرهبة والرغبة والنذارة والبشارة
فقال ويدخله اى رحمة له واكراما وفضلا جنات اى بساتين ذات اشجار عظيمة واغصان ظليلة تستر داخلها ورياض
مديدة موعة الازاهير عطرة النشر تبهج رائيها واشار الى دوام ريها بقوله تجرى ولما ومن عظمه
بقوله الانهار ولما كان التروح وتوقعه عن مثل هذا المحزن زال توقع ذلك بقوله جامعا لئلا يظن الخلود لواحد
بعينه لنص نحاب من معناها الجمع وان كل من يتناوله مستو فى الخلود خالدين فيها واكد بقوله ابدا والتعبير على قراءة
نافع وابن عامر بالنون بنقل التكفير والادخال الى هذا النعيم بما لنا من العظمة فانه لا يقدر على اسعاد من شاء واشقاء

كان عموم الآية لا يمنع الارض
من ... يبين انه ... لاهلها
على احسن الاحوال فقال
من ختام

من شاء الامن كان عظيما لا راد لامره اصلا ولما كان هذا امرا باهرا حاملا لما نعمه سرورا لقائل اشار الى عظمته بما جلب سرور
القلب بقوله ذلك اى الامر العالى جدا من الغفران والاكرام لا غيره ولما لانه جامع لجميع المصالح مع دفع المضار وجلب المسار
الفوز العظيم ذكر الفائزين ومنه التقوى ترغيبا اتبعه بالعلمية والذين كفروا اى غطوا ادلة ذلك اليوم وكانوا من الظلام ولما
ذكر افسادهم القوة العلمية اتبعه العملية فقال وكذبوا اى وقعوا جميع التغطية وجميع التكذيب باياتنا اى بسببها مع مالها
من العظمة باضافتها الينا فلم يعملوا شيئا ولما بين افسادهم للقوتين توعدهم بالمضار فقال معرضا من القاء جانبى الاشقاء
والسعادة طرحا للاسباب لان نظر هذه السورة الى الجبلات التى لا مدخل فيها للعبد اكثر بقوله هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم
مؤمن فان ذلك احدر بالخوف منه ليكون احدر بالبعد عما يدل على الجبلة الفاسدة من الاعمال السيئة اولئك اى البعد
البغضاء اصحاب النار ولما كان السجن اذا رجى الخلاص منه قلل من خوف داخله وكان التعبير بالصحبة مشعرا بالدوام
المقطع للقلوب لانه مويس من الخلاص اكده بقوله خالدين فيها زاد فى الارهاب منها بقوله مشيرا الى مضار القلب بعد
ذكر مضار القالب وبئس المصير اى جمعت المذام كلها الصيرورة اليها وبعينها التى الصيرورة اليها فكيف كونها
على وجه الاقامة زمانا طويلا فكيف اذا كان على وجه الخلود ولما كان من تعرفه من المرغبين والمرهبين لا يفعل ذلك
الا فيما ليس قادرا على حفظه وضبطه حتى لا يحتاج العامل فى عمل ذلك الى رقيب يحفظه وكل يلزمه ذلك العمل ويضبطه
وكان قول المنافقين المتقدم فى الانفاق والاخراج من المصائب وكانت المصائب تطيل ذلك اكانت من الحبيب فالحق اما لمن
يتوهم عدم القدرة متمما ما مضى من خلال الاعمال بالايمان بالقدر خيره وشره مرغبا فى التسليم مرهبا من الجزع فاصل
الفعل ليعم كل مفعول ما اصاب اى احدا يمكن المصائب ان تتوجه اليه وذكر الفعل اشارة الى القوة واغرق فى النفى بقوله من مصيبة
اى مصيبة كانت دينية او دنيوية من كفر او غيره الا باذن الله اى بتقدير الملك الاعظم وتمكينه فلا ينبغى لمؤمن ان يعوقه
شئ من ذلك عن التقوى النافعة فى يوم التغابن ولما تسبب عن ذلك ما تقديره فمن يكفر بالله يعد بره عليه الكفر
بنوقلبه ويزده ضلالا لا يفعل ما يتوقى به فى المصيبة حتى يصير مصائب عن تمالكه عطف عليه قوله باعثا على اول ركنى الاسلام
وهو اصلاح القوة العلمية ومن يؤمن بالله اى يوجد الايمان فى وقت من الاوقات ويجدده بشهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله تسبيب الملك الاعظم وتقديره واذنه يهد قلبه اى يرده هداية بما يجدده له من التوفيق فى كل وقت
حتى يرسخ ايمانه فيتراح عنه كل مصيبة فانه يتذكر انها من الله وان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
فيسلم لقضائه فيصبر له ويتعلق بقول ما امر الله به ورسوله فيخف عليه ولا يعوقه عن شئ من المنجيات فى يوم التغابن
بل يحصل له بسببها عنه ارباح وفوائد فيكون حياته طيبة بالعافية الشاملة فى الدينيات والكونيات لان العافية
فى الكونيات تطيب الحياة فى الاخرة فتكون العيشة راضية وذلك بان يصير عمله كله صوابا فى سرائه وضرائه فيترك
كل فاحشة دينية ظاهرة بدنية وباطنة قلبية ويترك الهلع فى المصائب الكونية كالخوف والجوع ونقص من الاموال
والانفس والثمرات فى ذلك لانه بصلاح القلب يصلح البدن ولما كان التقدير تعليلا لذلك فالله على كل
شئ قدير فهو لا يدع شيئا يكون الا باذنه عطف عليه قوله والله اى الملك الذى لا نظير له بكل شئ مطلقا من غير مثنوية عليم
فاذا تحقق من هدى قلبه زاد عنه كل اعتقاد باطل من كفر او بدعة وصفات خبيثة ولما كان التقدير فاصبروا
عند هجوم المصائب عطف عليه قوله تحذيرا من ان تشتغل بها فتوقع فى الهلاك وتقطع عن اسباب النجاة دالا على تعلم
امور الدين من معادنها مشيرا الا ان العبادة لا تقبل الا بالاتباع لا بالابتداع واطيعوا الله اى الملك الاعلى الذى له
الامر كله فافعلوا فى كل مصيبة ونائبة تنوبكم وقضية تعروكم ما شرعه لكم واكد باعادة العامل اشارة الى ان
الوقوف عند الحد ودوام لاسيما عند المصائب فى غاية الصعوبة فقال واطيعوا الرسول اى الكامل فى الرسلية فانه المعصوم
بما خلق فيه من الاعتدال وما زكى به من شق البطن وغسل القلب مرارا وما ايد به من الوحى حتى كانت الافعال باشارة
العقل مع الطاعة لله والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم فى كل اقدام واحجام كانت معتدلة سواء كانت شهوانية او غضبية
دينية ولم يكن كذلك كانت منحرفة الى اعلى والى اسفل فكانت مكروهة فان الله تعالى لطف بسره ركب فى الانسان قوة
غضبية دافعة لما يهلكه ويوذيه وقوة شهوانية جالبة لما ينميه ويقويه فاعتدال الغضبية شجاعة ونقصها
جبن وزيادتها تهور فالناس باعتبارها جبان وشجاع ومتهور واعتدال الشهوانية عفة ونقصانها زهادة وزيادتها
شره والناس باعتبارها زاهد وعفيف وشره وكل طرفى قصد الامور ذميم ومدار العدل المتابعة
الرسول صلى الله عليه وسلم فيما شرعه فبذلك تنزاح الفتن الظاهرة والباطنة ولا طريق الى الله الا ما شرعه
وكل طريق لم يشرعه ضلال من الكفر الى ما دونه سبب عن امره ذلك قوله معبرا باداة الشك اشارة الى البشارة
بحفظ هذه الامة عن الردة او مشعرا بان بعضهم يقع منه ثم يعقب رجوعه او هلاكه فان توليتم اى كلفتم انفسكم ضد

ما ندعوا اليه الفطرة الاولى من الاعراض عن هذا النور الاعظم والميل الى طرف من الاطراف المهوية من طرفى القصد فما على رسولنا
شى من توليكم **فانما على رسولنا** اضافه اليه على وجه العظمة تعظيما له وتهديدا لمن تولى عنه **البلاغ المبين** اى الظاهر فى نفسه المظهر
لكل احد انه اوضح له غاية الايضاح ولم يدع لبسا وليس اليه خلق الهداية فى القلوب — ولما كان هذا موجبا للاستغاثة باعراضهم
مع عدم الحيلة فى ردهم عرف بان ذلك انما هو اليه وانه القادر عليه فقال جوابا لمن كانه قال فما الحيلة فى امرهم مكملا للتسلى الذى
بالاستعانة لمن سان فيه الاخر وهو العبادة **الله** المحيط بجميع صفات الكمال **لا اله الا هو** فهو القادر على الاقبال بهم ولا يقدر
على ذلك غيره فانه المحاتى لكل دافع ونفع وهو المستعان فى كل شان فاياه فليرج فى هدايتهم المسلمون **وعلى الله** اى الذى له الامر كله
لا على غيره — ولما كان مطلق الايمان هو التصديق بالله باعتقاد انه القادر على كل شى ولا امر لاحد معه ولا كفوا له
فكيف بالتسوخ فيه نبه على هذا المقتضى للربط بالفاء والتاكيد بلام الامر فى قوله **فليتوكل المؤمنون** اى يوجد التوكل ايجادا
هو فى غاية الظهور والثبات لعرفهم فى هذا الوصف فى ذرة التولى منهم ان حصل منهم تولى وكذا فى كل معقود فالعقد ليست
مختصة بالموجود فكما ان قانون العدل فى الموجود الطاعة فقانون العدل فى المعقود التوكل وكذا فعل الصحابة رضى الله
عنهم فكان لهم الحظ الاوفر فى كل توكل لاسيما حين ارتدت العرب بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم وكان احقهم بهذا الوصف
الصديق رضى الله عنه كما يعرف ذلك من نظر الكتب المصنفة فى السير واخبار الردة لاسيما كتابى المسمى بالعدة فى اخبار
الردة — ولما كانت امور الدين تارة تكون باعتبار الامر الدينى من سائر الطاعات المحضة وتارة باعتبار الامر التكوينى
وهو ما كان بواسطة مال واهل وولد ودوام سبحانه القسم الاول فى الايتين الماضيتين شرع فى الثانى فانه قد يشاعثه
فتنة الدين لانه يفرق بين المرء وزوجه وبين المرء وابنه وقد هل الخليل عن خليله كما شوهد ذلك فى بدء الاسلام وكان اعظم
ذلك فى الردة وكان قد تقدم النهى عن الهاء الاموال والاولاد وكان النهى عن ذلك فى الاولاد فقاعنه فى الازواج بطريق الاولى
فقال جوابا عن ذلك لمن يحتاج فلذلك اقتصر عليهم دون الازواج وكان المامور بالتوكل كان اى ان تسلم قيادة لكل احد
لا يعتدح فى التوكل اشاره الى ان من اهتدى الدال على الاسباب مانع من ذلك فامر بحو عقلها وتوكل واحرص على ما ينفعك
واستعن بالله ولا تعجز الحديث فقال جوابا عن ذلك لمن يحتاج الى السوال عن مثله مبينا للاوامر بالاعتبار الامتحان
التكوينى وان كان ادلى الناس بذل الجهد فى تاديبه وتقويمه وتقلبه اقرب الاقارب والصق الناس بالانسان وهو كالعله
لاخر المنافقين — ولما كان الازواج اوبعضهن من الاولاد قد يبين فقال مؤكدا لمن يستعبد
ذلك **يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم** وان اظهر غاية المودة **واولادكم** وان اظهروا غاية الشفقة **عدوا لكم** اى يشغلهم لكم عن الدين
او لغيره ذلك من جمع الاموال وتحصيل الجاه لاجلهم والتهاون بالنهى عن المنكر فالولد محبنه مبخله وعرض ذلك فقال ابو حيان
ولا اعدى على الرجل من زوجه وولده اذا كانا عدوين وذلك فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فباذهاب ماله وعرضه
واما فى الاخرة فبما سعى من اكتسابه من الحرام وبما يكتسبانه منه بسبب جاهه فالرجل من راى ذلك نعمة من الله تحمله
متناله على طاعته لا قاطعا ومعوقا عما يرضيه بان يلهيه محبته او عداوته — ولما احسن العداوة عنى ما قد يتمم
الواحد فقط تخفيفا — ولما امر بالحذر اجمع اشاره الى ان زيادة التحرز والخوف من كل احد ولو كان اقرب
الاقربين لان الحزم سوء الظن كما رواه الطبرانى فى الاوسط عن الاخبار بالعداوة الامر بالحذر فى قوله
فاحذروهم اى بان تتقوا الله فى كل امر هم فيطلبوا الى السعى عليهم الكفاف من حله وتقتصروا عليه ولا يحملكم حبهم
على غير ذلك ولتشتد حذركم منهم بالعمل بامر الله حتى فى العدل بينهم لئلا يتمكنوا من اذاكم فليعظم بهم الخطب وتكون
ذلك فتنة لكم فى الدين اما بالردة والعياذ بالله او بالشغل عن الطاعة او بالاقحام فى المعصية ومخالفة السنة والجماعة
— ولما كان قد وقع منهم ما يؤدى مع الحذر لانه لا يغنى من قدر وبعد الاستسلام وكان وكل المؤدى الى الله وعظم
فى الاستبصار قال عاطفا الى ذلك **وان تعفوا** اى توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لا فائدة فى ذلك
لان من طبع على شى لا يرجع وانما النافع الحذر الذى ارشد اليه سبحانه لئلا يكون سببا للوقوع المنهى عنه — ولما كان
الرجوع عن الحظوظ صعبا جدا اكد سبحانه فقال **وتصفحوا** اى بالاعراض عن المقابلة بالتثريب باللسان اى بان تستروا ذنوبهم
سترا تاما شاملا للعين والاثر بالتجاوز بعد ترك العقاب بعدم العتاب فلا تكون منكم اشتغال بعداوتهم ولا فائدة فى
عما سبق من الطاعة — ولما كان التقدير يغفر الله لكم بسبب عند قوله **فان الله** اى الجامع لصفات الكمال **غفور** اى بالغ
المحو لاعيان الذنوب واثارها جزاء لكم على غفرانكم لهم وهو جدير بان يصلحهم لكم بسبب غفرانكم **رحيم** يزيدكم بعد
ذلك الستر الاكرام بالانعام ان اكرمتموهم تخلقوا باخلاقه سبحانه يزدكم من فضله — ولما حكم على البعض كانه قيل
فما حكم سائر وكان الحكم بذلك يلزم منه الحذر من الكل لكن التصريح سر كبير فى ذلك النفس لذلك فقال حاصرا الجميع فانما
اليهم المال الذى كان به قيام ذلك كله وقدمه لانه اعظم فتنة **انما** واسقط الجار لان شيئا من ذلك لا يخلو عن شغل القلب

وتغفروا

فقال

فقال **اموالكم** اى عامه **واولادكم** كذلك **فتنة** اى اختبار يمثل من الله لكم وهو اعلم بما فى نفوسكم منكم لكن ليظهر فى عالم الشهادة
من يميله ذلك فيكون عليه نقمة ممن لا يميله فيكون له نعمة فربما اراد الانسان صلاح ماله وولده فبالغ فافسد نفسه ثم
لا يصلح ذلك ماله ولا ولده وذلك انه من شانه ان يحمل على كسب الحرام ومنع الحق والايقاع فى الاثم روى ابو نعيم فى الحلية فى
ترجمة سفين الثورى عنه انه قال يوتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته ويكفى فى فتنة المال قصة ثعلبة بن حاطب احد
من نزل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله وكانه سبحانه ترك ذكر الازواج فى الفتنة لان منهن من يكون صلاحا وعونا على الاخرة
— ولما كان التقدير فمن الاحتراز من شينهم تعب كبير لا يفوت به منهم الا حظ يسير وكانت النفس عند ترك شهواتهما
ومحبوباتها قد تتعزى عطف عليه مهونا له بالاشارة الى كونه فانيا وقد وعد عليه بما لا نسبة له به مع بقائه قوله **والله**
اى ذو الجلال **عنده** وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمته **اجر** ولم يكتف سبحانه بذلك لا لدلالة السياق على ان التنوين
للتعظيم حتى وصفه بقوله **عظيم** اى لمن اثر امره التى يمانعها لصاحبها فلم يقدم على رضاه مالا ولا ولدا وذلك
الاجر اعظم من منفعتكم باموالكم واولادكم على وجه نقص من الطاعة — ولما كان التقدير وعنده عذاب اليم
لمن خالف سبب عنه قوله يدفع كله احرى لما تقدم من السورة كلها **فاتقوا الله** مظهرا غير مضمر تعظيما للمقام واحرازا
من ان يتوهم نوع تقييد فاقهم الاظهار المعنى اجعلوا بينكم وبين سخط الملك الاعلى وقاية من غير نظر الى جهة
وللخصوصية نبى اما باجتناب نواهيه بعد امتثال اوامره فان التقوى اذا انفردت كان المراد بها فعل الاوامر
وترك المناهى واذا اجتمعت مع غيرها اريد بها اجتناب النواهى فقط — ولما كان الامر اذا انسب اليه سبحانه اعظم من
مقاله قائل فلا يستطيع احد ان يقدره سبحانه حق قدره خفف ويسر بقوله **ما استطعتم** اى ما دمتم فى الجملة قادرين
مستطيعين ويتوجه عليكم التكليف فى العلميات والعمليات وابذلوا اجتهادكم فى ذلك فى الايمانيات لما علمتم من
ذاته ومرتبته وصفاته تعالى وافعاله وغير ذلك من جميع اعمالكم الظاهرة والباطنة واعظمها الهجرة والجهاد فلا يمنعكم
الاخلاد اليهم ذلك فالتقوى فيما وقع من المكروهات التندم والاقلاع مع العزم على ترك العود وفيما لم يقع بالاحتراس
عن اسبابه وبذل الانسان جميع جهده هو الاتقاء حق التقاء فلا نسخ والله اعلم — ولما كان اظهار الاسلام ليس فيه
مشقة كالاعمال قال **واسمعوا** اى سماع اذعان وتسليم لما توعظون به ولجميع اوامره **واطيعوا** اى وصدقوا ذلك
الاذعان بمباشرة الافعال الظاهرة فى الاسلاميات من القيام بامر الله والشفقة على خلق الله من كل مرو نهى على
حسب الطاقة وحذف المتعلق ليحصل الامر بكل طاعة من الكل والبعض وكذا فى الانفاق — ولما كان الانفاق شديدا
اكد امره بتخصيصه بالذكر فقال **وانفقوا** اى اوقعوا الانفاق كما حد لكم فيما اوجبه او ندب اليه وان كان فى حق من يطلعهم
منها على عداوة والانفاق لا يختص بنوع بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتى والخارجى — ولما كان الحامل على الشح ما يخطر فى البال
من الضرورات التى اعظمها ضرورة النفس رغبه فيه بما تصير فائدته بادية وتعم جميع ما تقدم فقال **خيرا** اى يكن ذلك
اعظم خير واعم **لانفسكم** فان الله يعطى خيرا منه فى الدنيا مع ما يزكى به النفس ويدخر عليه من الجزاء فى الاخرة مما لا يبلغ كنهه
فلا يغرنكم عاجل شى من ذلك فانما هو زخرف — ولما ذكر فى الانفاق من الجزاء عم فى جميع الاوامر فقال **ومن يوق** بناه للمفعول
تعظيما للترغيب فيه بنفسه مع قطع النظر عن الفاعل اى بغيبة واقى وكان قد اضافه الى ما السوء كله منه فقال **شح نفسه**
فيفعل ماله وجميع ما امر به ما يطيقه فيما امر به موقنا به مطمئنا اليه حتى يرتفع عن قلبه الاخطار ويحوز عن رق المكونات
والشح خلق باطن هو الداء العضال الداس الجنة وكل فتنة ضلاله والبخل فعل ظاهر ينشا عن الشح والنفس تارة تشح بترك الشهوة
من المعاصى فتفعلها وتارة باعطاء الاعضاء فى الطاعات فتتركها وتارة بانفاق المال ومن فعل ما فرض عليه خرج عن الشح — ولما
كان الوافى انما هو الله سبحانه وقاية قوله **فاولئك** اى العالوا الرتبة **هم** اى خاصة **المفلحون** اى الذين حازوا جميع
المرادات بما اتقوا الله فيه من الكونات من المال والولد والاهل والموسوسات من جميع القواطع — ولما امر به ورغب
من ضنك على وجه اعم رغب فيه تاكيدا الامر لما فيه من الصعوبة لاسيما فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فان المال كان فيه فى
غاية العزة ولاسيما ان كان فى اوائل السنة التى فتح الامر بها بمهمل عدا ولاسيما ان كان فى حال ظهور العدو وتمال
بانا للاولاح متلطفا فى الاستدعاء بالبعث فى العرض مشيرا الى انه بالاخلاف لطبع باداة الشك **ان تقرضوا الله** اى الملك الاعلى
ذا الغنى المطلق المستجمع لجميع صفات الكمال بصرف المال وجميع قواكم التى جعلها فتنة لكم فى طاعته ورغب بالاحسان فيه
بالاخلاص وعزم فقال **قرضا حسنا** اى على صفة الاخلاص والمبادرة ووضعه فى احسن مواضعه على احسن الوجوه واجملها
واهنا بها واعدلها واعظم الترغيب فيه بان رتب عليه الربح فى الدنيا والغفران فى الاخرة فقال **يضاعفه لكم** اى
لاجلكم خاصة اقل ما يكون للواحد عشرا الا ما لا يتناهى على حسب النيات قال القشيرى يتوجه الخطاب بهذا على الاغنياء
فى بذل اموالهم وعلى الفقراء فى اخلاء ايامهم واوقاتهم عن مرادتهم وايثار مراد الحق على مراد انفسهم فالغنى يقال له اثر

حكمي على مرادك في مالك وغيره والفقير يقال له اثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك ولما كان الانسان لما له من النقصان وان اجتهد
لا يبلغ جميع ما امر به لان الدين وان كان يسرا فهو متين لن يشاده احد الا غلبه قال ويغفر لكم اي يوقع الغفران وهو محو ما فرط عنه
واثره لاجلكم ببركة الانفاق وقد تضمنت هاتان الجملتان جلب السرور ودفع الشرور وذلك هو السعادة كلها ولما
كان التقدير فالله عفو رحيم عطف عليه قوله والله اي الذي لا تتناهى عظمته شكور اي يبلغ الشكر لمن يعطي لاجله ولو كان قليلا
فيثيبه ثوابا خارجا عن الحصر وهو ناظر الى المضاعفة حليم لا يعاجل بالعقوبة على شيء من الذنوب وان عظم بل يمهل
طويلا ليتذكر العبد الاحسان مع العصيان فيتوب ولا يهمل فلا يغتر بحلمه فان غضب الحليم لا يطاق وهو راجع الى الغفران
ولما كان الحليم قد يتهم في حلمه بان ينسب الى تحمل الذنب وعمى عباده قال عالم الغيب وهو ما غاب عن الخلق كلهم فيشمل ما
هو داخل القلب مما لم تبرزه الجبلة ولا علم لصاحبه به فضلا عن غيره ولما كان قد يظن انه لا يلزم من علم ما غاب
علم ما شهد او يظن ان العلم انما يتعلق بالكليات قال موضحا ان علمه بالعالمين بكل من الكليات والجزئيات قبل الكون وبعده
على حد سواء والشهادة وهو كل ما ظهر فكان بحيث يعلمه الخلق وهذا الوصف داع الى الاحسان من حيث انه يوجب للمؤمن [illegible]
ظاهر الاثم وباطنه وكل قصور وفتور وغفلة وتهاون فيعبد الله كانه يراه ولما شمل ذلك كل ما غاب عن الخلق
وما لم يغب عنهم ولم يبق الا ان يتوهم ان تاخيرا لعقوبة للعجز قال العزيز اي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ولما كان
ذلك قد يكون لامر لا يمدح عليه قال الحكيم اي انه ما اخره الا لحكمة بالغة يعجز عن ادراكها الخلائق وقد اقام الخلائق
في طاعته بالجري تحت ارادته وتارة يوافق ذلك امره فيسمى طاعة وتارة يخالفه فيسمى معصية فمن اراد ان يعمه
عليه بالتوفيق للطاعة موافقة امره باحاطة علمه والاتقان في التدبير ببالغ حكمته وادامه ذلك وحفظه
عن كل فقد باهر عزته ومن اراد منعه ذلك بين لك ايضا والكل مسبح له سبحانه بافادة انه الواحد القهار وقد
احاط اول الجمعة بهذه السورة اولها واخرها فجاءت هذه شارحة له وكاشفة عنه على وجه الجزم لان مقصد هذه
نتيجة مقصد تلك وقد رجع بالتنزه عن شوائب النقص والاختصاص بجميع صفات الكمال وشمول القدرة للخلق واحاطة
العلم باحوال الكافر والمؤمن على افتتاحها حسن ختامها وعلم بما ظاهر جلاله انتظامها وبداعة اتساق جميع ابهاها براعة
التيامها والله الموفق

سورة الطلاق وتسمى النساء القصرى

مقصودها تقدير حسن التدبير في
المفارقة والمهاجرة بتهذيب الاخلاق بالتقوى لا سيما في الانفاق لا سيما ان كان ذلك عند الشقاق لا سيما ان كان في
امر النساء لا سيما عند الطلاق ليكون الفراق على نحو التواصل والتلاق واسمها الطلاق اجمع ما يكون لذلك فلذا
سميت به وكذا سورة النساء القصرى لان العدل في الفراق بعض مطلق العدل الذي هو محط مقصود سورة النساء
بسم الله الذي جمع صفات الكمال الرحمن الذي عم بجميل النوال الرحيم الذي خص بتمام النعمة ذوي الهمم العوال
لما ختم التغابن بانه تعالى شكور حليم عزيز حكيم مع تمام العلم وشمول القدرة بعد التحذير من النساء بالعداوة وكانت
العداوة تجر الى الفراق افتتح هذه بتمام الانفس عند توزان الحظوظ بتمام التقوى واعلى الخطاب تحببا بتوجيهه
الى اعلى الخلق تنبيها على عظمة الاحكام الواردة في هذه السورة فانها مبنية على الاسماء الاربعة لتتلقى بغاية الرغبة
فقال يا ايها النبي مخصصا له صلى الله عليه وسلم ذاكرا الوصف الذي هو سبب التلقي لغرائب العلوم ورغائب الحكم
والعلوم ولما علم من الاقبال عليه صلى الله عليه وسلم عظمة الحكم ومن التعبير في النداء باداة التوسط
التي لا تذكر الا في امر مهم جدا ان الذي هو قريب اهل الحضرة غير مقصود بها من كل وجه وان القصد لتبيينه
جلالة هذه الاحكام وبذل الجد في تفهيمها والعمل بها فلذا اقبل على الامة حين انتبهوا والقوا اسماعهم فقال
معبرا باداة التحقق لانه من اعظم مواقعها اذا طلقتم وعلم من ذلك عموم الحكم له صلى الله عليه وسلم لكن لما كان
الانسان مع نسائه حالان احدهما المشاححة كان غيره اولى بالخطاب فيه وثانيهما الجود والمصالحة بالحلم والعفو
فكان هو صلى الله عليه وسلم اولى بذلك فخاطب له سورة التحريم النساء اي اردتم طلاق هذا النوع واحد منه فاكثر
فطلقوهن اي ان شئتم مطلق طلاق [illegible] وكلما فكان احسد للسلام ما اتى من لواحق الكلام من الاشارة الى الرجعة
لعدتهن اي في وقتها وعند استقبال العدة اي استقبال طهر تحسب منها وهو الطهر الذي لم يجامع فيه ان كانت مدخولا
بها وذلك معنى قراءة ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم في قبل عدتهن فهذا طلاق السنة وغيره طلاق البدعة فان الطلاق
في الحيض يطول على المعتدة لانه غير محسوب ولا بد ان يكون الطهر لم يجامع فيه لانها اذا جومعت ربما حملت فطالت العدة
وهذه اللام للوقت مثلها في كتبته لخمس ان بقين من شهر كذا واختير التعبير بها لانها تفهم مع ذلك ان ما دخلت
عليه كالعلة الحاملة على متعلقها فصار كانه قيل طلقوا لاجل العدة واذا كان لاجلها علم ان المراد تحقيقها على المرأة
الطائفة لان مبنى الدين على اليسر وذلك دال على ان العدة بالاطهار وان الطلاق بالحيض حرام لان الامر بالشيء نهي عن

ضده ولا بد لي عدم الوقوع لان النهي غير مستلزم للفساد وقد بين ذلك كله حديث ابن عمر رضي الله عنهما في طلاقه زوجته
في الحيض الذي كان سبب النزول فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم ان شاء امسك وان
شاء طلق قبل ان يمس وعلم من ان من عدتها تعتبر الاقراء التي هي الاطهار وقصرها وهي غير المدخول بها والتي لم تحض والايسة والحامل
لا سنة في طلاقها ولا بدعة وكذا المخالعة لان النبي صلى الله عليه وسلم لما اذن لثابت بن قيس رضي الله عنه في الخلع من غير
استفصال عن حال امراته لانه انما يكون في الغالب عن تشاجر وسؤال من المراة ويقع الطلاق البدعي لان النبي صلى
الله عليه وسلم امر ابن عمر رضي الله عنهما بالمراجعة منه ويأثم به بعد العلم ولو طلق في الحيض وراجع جاز له ان يطلق
حال انقضاء الحيض قبل المجامعة والامر بالامساك الى كمال الطهر والحيض الذي بعده للندب حتى لا يكون في صورة من راجع
للطلاق ولا بدعة في جمع الثلاث لانه لا اشارة اليه في الاية ولا في حديث ابن عمر رضي الله عنه الذي هو سببها ثم قد يدعى
ذلك الاية البقرة في قوله مرتان وان الطلاق ابغض الحلال الى الله كما رواه ابو داود وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما
فالبغضة اليه ايماء وما حلف به ولا استحلف الا منافق كما في الفردوس عن انس رضي الله عنه ولما كان نظر
الشارع الى العدة شديدا لما فيها من الحكم بالتاني لاحتمال الندم وبالنظر لبراءة الرحم احتياطا للانساب وقطع المشاجرات
والمنازعات المفضية الى ذهاب الاموال والازواج وقد افهمه التعبير باللام صرح به بصيغة الامر فقال واحصوا
اي اضبطوا ضبطا كانه في اتقانه محسوس بعد الحصى العدة لتكملوها ثلاثة اقراء كما يقتضيه الامر به لتعرف زمان الرجعة
والنفقة والسكنى وحل النكاح لاخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوائد الجليلة ولما كان الطلاق على غير
هذا الوجه حراما للضرار ومخالفة الامر وكذا التهاون في الضبط حتى يحتمل ان تنكح المراة قبل الانقضاء مجانبة ذلك
كله بقوله واتقوا اي في ذلك الله اي الملك الاعظم الذي له الخلق والامر لذاته في التزمن والاخفاء لان في ذلك ما هو خفيه
ربكم اي لاحسانه في تربيتكم في حملكم على الحنيفية السمحة ورفع جميع الاصار عنكم ولما امر بالتقوى وناط
بعضها بصفة الاحسان فسره بقوله ولا تخرجوهن اي ايها الرجال في حال العدة من بيوتهن اي المساكن التي وقع الفراق
وهي سكنهن وكانه عبر بذلك اشارة الى ان استحقاقها لا ينفد العدة في العظمة كاستحقاق المالك ولانها كانت في
حال العصمة كانها مالكة له فليس من المروءة اظهار الجفاء عنها منه ولانها ان رجعت كانت حاصلة في البيت ولم
تنحش الزوج في المقاطعة وان لم يحصل ذلك وظهر انها حامل لم تحصل شبهة في الحمل ولما كان ذلك ربما افهم
انه لحقهن فقط نفاه بقوله ولا يخرجن اي بانفسهن ان اذن لكن غير محرج من جهة الزوج او غيره فعلم من ذلك انه يختم
استكمال العدة في موضع السكنى وان الاسكان على الزوج وتخرج لضرورة بيع الغزل وجداد النخل ونحو ذلك
ولما كان منطوق ذلك انه لا يجوز له اخراجها كارهة ولا يجوز لها ان تخرج بنفسها فقط وهو كاره فافهم ذلك
انهما لو اتفقا جاز لان ذلك خارج عن النهي استثنى من كلا شقي المنهي عنه قوله الا ان ياتين اي جنس المطلقات الصادق
بواحدة او اكثر بفاحشة اي خصلة محرمة شديدة القباحة مبينة اي ظاهرة في نفسها ظهورا بينها عند كل من اراد
بيانها كالزنا وذلك كالبذاءة منها على الزوج او اقاربه فانه كالنشوز يسقط حقها من السكنى فيجوز له اخراجها لقطع الشر
وهو معنى قراءة ابي رضي الله عنه الا ان يفحشن عليكم وكالزنا فتخرج بنفسها ويخرجها غيرها من الزوج وغيره لاقامة الحد
عليها وغير ذلك من الفواحش كان يطلقها للنشوز فانه اسكنها حينئذ ولما كان التقدير هذه الاحكام
هذا الفرع عطف عليه تعظيما لها وتلك اي الاحكام العالية جدا بما فيها من الجلالة وبانتسابها الى الملك الاعلى
من هذا الذي ذكر في هذه السورة وغيرها حدود الله اي الملك الاعظم الذي له نور السموات والارض ولما
كان التقدير فمن تجاوزها فقد اضر نفسه بانتهاك النور المبين عطف عليه قوله ومن يتعد اي يقع منه في وقت
من الاوقات انه يتعمد ان يعدو حدود الله اي الملك الاعظم فقد ظلم نفسه بان مشاها في الظلام فصادف تضيع
الاشياء في غير مواضعها فصار معرضا للهلاك بالعقاب كالماشي في الظلام معرض للوقوع في حفرة والدوس على شوكة
او حية او عقرب او سبع او لان يتعرف بقاطع او ان يضل عن الطريق الى مهالك لا يمكن النجاة منها ومثال ذلك الحكيم اذا
وصف دواء لقانون معلوم في وقت محدود ومكان مخصوص فخولف لم يضر المخالف ذلك الحكيم وانما ضر نفسه
ولما كان له سبحانه مع انها كلها حق لا شك فيه بوجه اسرار واغوار لا تدرك ولا تحصى وقد تظهر
بعضها لسان الحال تارة يبديها لعبده وكان منتهاها طالما وكان من اقرب ما اتسمه الايقاع في مهاوي العشق اشار
سبحانه الى قوله مبينا عظمته بخطاب الاعلى لا تدري اي ايها النبي الكريم ما يكون عن ذلك من الامور التي يحدثها الله
للتيسير على المطلق بما يصلحه فغيرك من باب اولى ولما نفى عنه العلم المعين لاختصاصه سبحانه وحذف المتعلق
اغراقا في التعميم وكان لكل حال مما يحدث له من الامور ما بين رجاء واشفاق عبر عن ذلك باداة صالحة لهما فقال

لعل الله اي الذي بيده القلوب ومقاليد جميع الامور يحدث اي يوجد شيئا حادثا لم يكن ايجادا اثباتا لانقياد الخلق على النسب
في زواله فيكون مستغرقا الزمان العمر كما اشار اليه نزع الجار في قوله بعد ذلك اي الحادث من الاساءة بالضرار بالاخراج او تطويل العدة
او غير ذلك امرا اي من الامور المهمة كالرغبة المفرطة في الزوجة فلا يتاتى ذلك اما بان كان الضرار بالطلاق الثلاث او بان كانت من
ذوي الانفة فاثرت فيها الاساءة وفي من يتبصر لها فتمنعت نفسها منه وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقوله في التغابن ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقوله تعالى
انما اموالكم واولادكم فتنة والمؤمن قد يعرض له ما يضطره الى فراق من نبه على فتنته وعظيم محنته وردت هذه السورة منبهة
على كيفية الحكم في هذا الافتراق وموضحة احكام الطلاق وان هذه العداوة وان استحكمت وبادرت الفتنة وان اضطرت
لا توجب التبري بالجملة وقطع المعروف لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ووصى سبحانه بالاحسان المجمل في قوله او تسريح
باحسان وبين تفصيل ذلك وما يتعلق به فهذا الرفق المطلوب بايقاع الطلاق في اول ما تستقبل المطلقة في عدتها وتحسبه
من مدتها تحذيرا من ايقاع الطلاق في الحيض الموجب طول العدة وتكثير المدة واكد سبحانه هذا بقوله واتقوا الله ربكم
ثم نبه سبحانه على حقهن ايام العدة من الانفاق والسكنى مستقرهن من حين ايقاع الطلاق الى انقضاء العدة فقال لا تخرجوهن من بيوتهن
الى ما استمرت عليه السورة من بيان الاحكام المتعلقة بالطلاق وتفصيل ذلك كله كان الاولاد اذا ظهر منهم ما
يوجب فراقهم والعداوة مع غير معترض الى ما سوى الفضح والترك بخلاف المراة لم يحتج الى ما احتيج اليه في حقهن فقد وضح وجه ورود
سورة الطلاق في هذا الموضع والله اعلم انتهى ولما حد سبحانه ما يفعل في العدة اتبعه ما يفعل عند انقضائها مما امر
به فيها معبرا باداة التحقق لان الخطاب على تقدير الحياة معلما ان الرجعة الى اخر جزء من العدة لانه اذا اثبت في اخرها البعيد
من الطلاق كان ما قبله اولى لانه اقرب الى الطلاق فاذا بلغن اي المطلقات اجلهن اي شارفن انقضاء العدة مشارفة عظيمة
فامسكوهن اي بالمراجعة وهذا يدل على ان الاولى من الطلاق ما دون البائن لا سيما الثلاث ولما كان الانسان
لما له من النقصان لا يقدر على كمال الاحسان قال منكرا بمعروف اي حسن عشرة لا لقصد المضارة بطلاق اخر لاجل تطويل
اخرى ولا غير ذلك او فارقوهن اي بعدم المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها بمعروف بايفاء الحق مع حسن الكلام
وكل امر عرفه الشرع اي حسنه فلا يقصد اذاها بتفريقها من ولدها مثلا او نحوه ان كانت عاشقة مثلا لقصد الاذى
فقط من غير مصلحة وكذا ما اشبه ذلك من انواع الضرر بالفعل او القول فقد ضمنت لانه بافصاحها الحث على فعل الخير
ونهاهما عن احتباب المنكرات ولما كان كل من المرافقة والمفارقة امرا عظيما تنبني عليه احكام تحل وتحرم اضدادها
ويكون الخلاف فيها في غاية الخطر وكان الاشهاد ادل على المراد وانفى للنزاع وفي انفاء جانبا على اللبس والتعذيب والتعدي العال
المعقلين العجزة واشهدوا اي على المراجعة او المفارقة ذوي عدل اي مكلفين حرين ثقتين تقطين منكم اي مسلمين وهو امر ارشاد
شاد مندوب اليه وعن الشافعي وجوبه في الرجعة والصحيح الاول ومن فوائده ان لا يموت احدهما فيدعي الاخر الوجه
بقاء علقة العدة ليرث ولما كان اداء الشهادة يعسر على الشاهد لترك مهماته وعسر لقاء الحكم الذي يؤدي عنده
وربما بعد مكانه وكان للعدل في الاداء عوائق ايضا وكان الشهود من المامورين بالاشهاد حث على الاداء على وجه العدل
بقوله واقيموا اي ايها المامورون حيث كنتم شهودا الشهادة اي التي تحملتموها بادائها على اكمل احوالها كما يفعل من يريد اقامة
شيء ليصير واقفا بنفسه غير محتاج الى ما يدعمه ولما كان ربما كان ميل احد من المشهود عليهما الشاهد بشيء من المعاني
فاداها على وجهها لذلك الشيء لا لكونه الحق قال مرغبا مرهبا لله اي مخلصين لوجه الملك الاعلى المحيط علما وقدرة وجودا وجلالا
والاكرام في ادائها على وجه الحق ظاهرا او باطنا لا لاجل المشهود له والمشهود عليه ولا لشيء سوى وجه الله ولما كان
احكامه سبحانه لا سيما في هذا الكتاب المعجز مقرونة بعللها ومقاصدها لتامل كل فاهم وتخشع لها القلوب وتحب الانفس في
داخل الصدور قال ذلكم اي الذي ذكرت لكم ايها الامة من هذه الامور البديعة النظام العالية المرام واولاها بالذكر
هنا الاشهاد واقامة الشهادة ولما كانت اوامر الله كلها وقصصه واحكامه وجميع كلامه مختصا من بين كلام
الناس بانه يرقق القلوب ويلين الشكائم لكونه روحا لما فيه من العدل الذي تهواه النفوس وتعشقه الالباب وتميل اليه
الطباع وقامت السموات والارض ولما فيه ايضا من كرم تعشقه الفطر القويمة من جميع اهل الحزم من الانبياء والملائكة
والاولياء مع تشريفا لكل ما ذكر الله تسمى وعظا وبني للمجهول اشارة الى ان الوعظ نفسه نافع ولو لم يعرف قائله والى ان
الفاعل معروف وان الله لكونه سميعا عظيما مع كونه احكاما فقال له يوعظ به اي يلين ويرقق من كان اي كونا راسخا من جميع
الناس يؤمن بالله اي يوقع ويجدد منكم او من غيركم على سبيل الاستمرار من صميم قلبه الايمان بالملك الذي له الكمال كله
ولما كان البعث محط الحكمة لان الدنيا مزرعة الاخرة ولا يكون زرع بغير حصاد كان خلو الايمان عنه محبطا للايمان
فقال واليوم الاخر فانه المحط الاعظم للترغيب وامامن لم يكن متصفا بذلك فكانه لا شاهد له فما وعظه لانه لم ينتفع

ولما كانت العبادة لا تكون الا بالاعانة وكان التقدير فمن اتعظ بذلك كان اتعاظه شاهدا له بايمانه بذلك وكان متقيا عطف
به عليه قوله اعتراضا بين هذه الاحكام مؤكدا للترغيب في الاعانة المترتبة على التقوى ومن يتق الله اي يخف الملك الاعظم فيجعل بينه وبين ما
يسخطه وقاية مما يرضيه وهو اجتلاب ما امر به واجتناب ما نهى عنه من الطلاق وغيرها ظاهرا وباطنا وذلك صلاح قوى العلم
بالايمان والعمل بفعل المامور وترك المنهي عنه لانه تقدم ان التقوى اذا انفردت في القران عن مقارنة الامر والنهي اذا اقترنا بها
عن احسان او رضوان خصت بالمناهي يجعل اي الله بسبب التقوى له مخرجا بدفع المضار من كل ضيق احاط به في نظير ما اجتنب من المناهي
ويرزقه بحوله وقوته بجلب المسار في الدين والدنيا والاخرة في نظير ما اجتلبه من فعل الاوامر ولما كان اجل الهبات ما جاء
من غير مكان الرجاء قال من حيث لا يحتسب اي لا يقوى رجاؤه له واكد في هذا واعظم الوعد لانه وان كان عاما لكل متق فتعلقه بما تقدم
اقوى والنظر فيما تقدم الى حقوق العباد اكثر والمضايقة فيها اشد والدواعي اليها ابلغ فالانقاذ فيه بعدم الطلاق في الحيض
والاضرار بالمراة بتطويل العدة والاخراج من المسكن وكتمان الشهادة والعسر في ادائها والاخلال بشيء منها والتاكيد لهذا الابلاغ
في الوعد لاجل ما جبل عليه الانسان من القلق في اموره عطف على ذلك قوله ومن يتوكل اي يسند اموره كلها ويفوضها معتمدا فيها
على الله اي الملك الذي بيده كل شيء ولا كفؤ له فقد جمع الاركان الثلاثة الذي لا يصلح التوكل الا بها وهي العلم المحيط بلا ابد لمن عليه
والقدرة التامة بلا عجز والرحمة بالمتوكل والعناية به بلا حيف عليه والتوكل يكون مع مباشرة الاسباب وهو من المقامات
العظيمة والاتكال وليس بمقام بل خسة همة وعدم مروءة لانه ابطال حكمة الله التي احكمها في الدنيا من ترتيب المسببات
على الاسباب قاله الملوي فهو اي الله في غيب غيبه فضلا عن الشهادة بحسب توكله حسبه اي كافيه وحذف المتعلق للتعميم
وحرف الاستعلاء للاشارة الى انه كانه قد حمل اموره كلها عليه سبحانه لانه القوي الذي لا يعيبه شيء والكريم الذي يحسن جائزة لك
ورعيه والعزيز الذي يدفع عنه كل ضار ويجلب له كل سار الى غير ذلك من المعاني الكبار فلا بد وان له في عالم الشهادة شيء يسقيه
لامر الغيب ولا عيب الغيب وفي الحديث لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
ولما كان ذلك امرا لا يكاد يحيط به الوهم علله بقوله مهولا له بالتاكيد والاظهار في موضع الاضمار ان الله اي
المحيط بكل شيء المنزه عن كل شائبة نقص بالغ امره اي جميع ما يريده فلا بد من نفوذه سواء حصل توكل ام لا وسماه امرا اشارة
الى انه ان تسحق مما يؤمر به والى انه في سرعة الكون اذا اريد لم يتخلف بوجه بل يكون كالمومر الجبر للملك الجليل الكبير ولما
كان ضرب المقادير من المقادير موجبا لعدم الاخلال بشيء منها علل ذلك بما اقتضى حتم الوعد والتوكل فقال قد جعل الله
اي الملك الذي لا كفؤ له ولا معقب لحكمه جعلا مطلقا من غير تقييد بجهة ولا حيثية لكل شيء قدرا اي تقديرا لا يعدوه في مقداره
وزمانه ومكانه وجميع عوارضه واحواله وان اجتهد جميع الخلائق في ان يتعداه فمن توكل استفاد الامر وخفف عنه الالم
وقذف في قلبه السكينة ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد المه وطال غمه لشدة سعيه وجيبه اسبابه التي لعتقد انها هي
المنجية فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط جف القلم فلا يزاد في المقادير شيء ولا ينقص منها شيء ويحكى ان رجلا
اتى عمر رضي الله عنه فقال ولني مما ولاك الله فقال اتقرأ القران قال لا قال انا لا نولي من لا يقرا القران فانصرف الرجل واجتهد
حتى تعلم القران رجاء ان يعود الى عمر فيوليه فلما تعلم القران تخلف عن عمر رضي الله عنه فراه ذات يوم فقال يا هذا اهجرتنا
فقال يا امير المؤمنين لست ممن يهجر ولكني تعلمت القران فاغناني الله عن عمر وعن باب عمر قال اي اية اغنتك قال قوله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومن يتوكل على غيره سبحانه ضاع لانه لا يعلم المصالح وان علمها لم يعلم اين هي وان علم لم يعلم متى يستعملها
وان علم لم يعلم كم القدر المستعمل وان علم لم يعلم كيف يستعملها وهو سبحانه المنفرد بعلم ذلك كله وبما لا يعلمه حق علمه غيره والاية
تفهم ان من لم يتق يعسر عليه وهو موافق لما روى ابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد عن ثوبان رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب
يصيبه وتفهمه ان من لم يتوكل لم يكف شيئا من الاشياء ولما وسط بين العدد هذه الجمل الواعظة دلالة على
عظمها حثا على امتثالها والمبادرة اليها وختم بالتقدير اتبع ذلك بيان مقادير العدد على وجه ابان ان الكلام الاول
في ذوات الحيض الرجعيات فقال واللائي يئسن اي من المطلقات من المحيض اي الحيض لزمانه لوصولها الى سن تجاوز القدر التي ترجو فيه
النساء الحيض فصارت بحيث لا ترجوه وذلك السن خمس وخمسون سنة او ستون سنة وقيل سبعون وهن من القواعد
واما من انقطع حيضها في زمن ترجو فيه الحيض فانها تنتظر سن الياس ولما كان هذا الحكم خاصا بازواج المسلمين
لحرمة فرشهم وحفظ انسابهم قال من نسائكم اي ايها المسلمون سواء كن مسلمات او من اهل الكتاب ولما كان الموجب
للعدة انما هو الدخول لا مجرد الطلاق قال ان ارتبتم بان اخذتم النظر في امرهن فاداكم الى ريبة هل هن حاملات ام لا وذلك
بالدخول عليهن الذي هو سبب الريبة بالحمل في الجملة فعدتهن ثلثة اشهر كل شهر يقوم مقام حيضة لان اغلب عوائد النساء ان
يكون لكل قرء في شهر ولما تم حكم ذوات الحيض اشارة وعبارة قال واللائي لم يحضن اي لصغرهن او لانه لا حيض لهن اصلا

وان كن بالغات فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا وهذا مشير الى ان اولات الحيض بالبنات كن او لا عدتهن ثلاثة قروء كما تقدم في البقرة لان هذه الاشهر
عوض عنها فاما ان يكون القرء وهو الطهر بين حيضتين او من الطلاق والحيض وهذا كله في المطلقة واما المتوفى عنها زوجها فاربعة اشهر وعشر
كما في البقرة ولما [...] نوع من اقسام الحوامل اتبعه ذكر الحوامل فقال **واولات الاحمال** اى من جميع الزوجات المسلمات والكفار المطلقات
على كل حال والمتوفى عنهن اذا كان حملهن من الزوج مسلما كان او لا **اجلهن** اى لمنتهى العدة سواء كان لهن مع الحمل حيض او لا **ان يضعن** ولما
كان توحيد الحمل لا ينشأ عنه لبس وكان الجمع ربما اوهم انه لا تحل واحدة منهن حتى يضع جميعا قال **حملهن** وهذا على عمومه مخصص لآية يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لان المحافظة على عمومه اولى من المحافظة على عموم ذاك في قوله ازواجا لان عموم هذه بالذات لان الموصول من
صيغ العموم وعموم ازواجا بالعرض لانه بدل اى لا تصلح لتناول جميع الازواج في حال واحد والحكم معلل هنا بوصف الحملية بخلاف
ذاك ولان سبيعة بنت الحرث وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال فاذن لها النبي صلى الله عليه وسلم ان تتزوج ولان هذه الآية
متاخرة النزول عن آية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص وتقديم تلك في العمل بعمومها رفع لما في الخاص من الحكم فهو نسخ والاول هو
الراجح للوفاق وعليه فان كان الحمل من زنا او شبهة فلا حرمة له والعدة بالحيض ولما كانت امور النساء في المعاشرة والمفارقة
من المعاسرة والمياسرة في غاية المشقة ولا يحمل على العدل فيها والعقد الا الخوف فالله كرر للمعها بالحث على التقوى اشارة الى ذلك
وترغيبا في لزوم ما امر به **ومن يتق الله** اى يوجد الخوف من الملك الاعظم ايجادا مستمرا ليجعل بينه وبين سخطه وقاية من طاعته امتثالا
للمامور واجتنابا للمنهي **يجعل له** اى يوجد ايجادا مستمرا باستمرار التقوى لان الله لا يمل حتى تملوا **من امره** اى كله في النكاح وغيره
يسرا اى سهولة وفرجا ومخرجا في الدارين بالدفع والنفع وذلك اعظم من مطلق المخرج المتقدم في الآية الاولى ولما كان
تكرار الحث على التقوى للسؤال عن سببه استانف قوله كالتعليل له **ذلك** اى الامر المذكور من جميع هذه الاحكام العالية
المراتب **امر الله** اى الملك الاعلى الذي له الكمال كله ونبه على علو رتبة الامر بقوله **انزله اليكم** ولما كان الله
قد اباه هو في مهاوي الهلكات الى اسفل سافلين عطف عليه قوله **ومن يتق الله** اى الذي له الامر لا احد معه بالاجتلاب
والاجتناب ولما كان الانسان محل العجز والنقصان اعلمه بانه اذا وقع منه زلل فراجعه بالتقوى لطف به فيه جزاء
على تقواه بالدفع والنفع فقال **يكفر** اى يغطي تغطية عظيمة ويستر ويغيب ويسقط **عنه سيئاته** لتتحلى عن المعنى ان فان
الحسنات يذهبن السيئات ولما كان الكريم لا يرضى لمن اقبل اليه بالعفو فقط قال **ويعظم له اجرا** بان يبدل
سيئاته حسنات ويوفيه اجرها في الدارين مضاعفا فيتحلى بالمقربات وهذا اعظم من مطلق اليسر المتقدم ولما
قدم من التكفير واسعة الاجر الكبير وكان قد تقدم ايجاب ترك المطلقة في منزل الطلاق واذن في اخراجها عند الفاحشة
المبينة وكان ربما كان منزل الطلاق مستعارا او كان مما لا يليق بالزوج وكان ربما نزل الكلام السابق
عليه استانف البيان لما لا يحمل لبسا فقال امرا بعد ذلك النهي على وجه مشير بسابقه ولاحقه الى الحلم عنهن فيما يمكن الحلم فيه
حفظا للقلوب وابعادا للشقاق بعدا للاخراج بالطلاق لئلا يعظم الكسر والوحشة **اسكنوهن** اى هؤلاء المفارقات في العدة
ان كن حاملات كن او لا مسويات كن او رجعيات بخلاف ما كان من العدة عن وفاة لعدم حمل او كان عن شبهة او فسخ ولما
كان المراد مسكنا يليق بها وان كان بعض مسكن الرجل ادخل اداة التبعيض فقال **من حيث سكنتم** اى من اماكن سكناكم لتكون
قريبة منكم ليسهل تفقدكم لها للحفظ وقضاء الحاجات ولما كان الانسان ربما سكن في ماضي الزمان ما لا يقدر
عليه الان قال مبينا للمسكن المامور به منبها على المراد بعد التكليف بما يطيق **من وجدكم** اى سعتكم وطاقتكم باجارة او ملك
او اعارة حتى تنقضي العدة بحمل كانت او غيره ولما كان الاسكان قد يكون مع الشنآن قال **ولا تضاروهن** اى حال السكنى
في المسكن ولا في غيره ولما كانت المضارة قد تكون للمقصد الحسن لان يكون تاديبا بامر يعرف ليتوصل بصورة شر
ظاهر الى خير كثير قال **لتضيقوا** اى تضييقا بالغا لا شبهة في كونه كذلك مستعليا **عليهن** حتى يلجئهن ذلك الى الخروج
ولما كانت النفقة واجبة للرجعية وكانت عدتها تارة بالاقراء وتارة بالاشهر وتارة بالحمل وكان ربما توهم
انها بعد الثلاثة الاشهر من مدة الحمل للرجعية وجميع المدة لغيرها لا يجب الانفاق فيه قال تعالى **وان كن** اى المعتدات
اولات حمل اى من الازواج كيف ما كانت العدة من موت وطلاق بائن او رجعي **فانفقوا عليهن** وان مضت الاشهر **حتى
يضعن حملهن** فان العلة الاعتداد بالحمل وهذه الشرطية تدل على اختصاص الحوامل من بين المعتدات البوائن بوجوب
النفقة ولما عني سبحانه وجوب الانفاق بالوضع وكانت قد تريد ارضاع ولدها وكان اشتغالها بارضاعه يسو
عليها كثيرا من مقاصدها ويكسد ها اجرها بان تحاول لحاتا على مكافاة الاخوان على الاحسان مشيرا باداة الشك الى انه
لا يجب عليها الارضاع **فان ارضعن** وبين ان النسب للرجال بقوله **لكم** اى باجرة بعد انقطاع علقة النكاح **فاتوهن
اجورهن** على ذلك الارضاع ولما كان ما يتعلق بالنساء من مثل ذلك موضع المشاجرة لاسيما امر الرضاع
وكان الخطر في امره شديدا وكان الله تعالى قد رحم هذه الامة بانه حرك لكل منهما حض من يامرهما بخير لا سيما في امر الولد

مطلقات ص

رحمة له قال مشيرا الى ذلك **وائتمروا** اي ليامر بعضكم بعضا في الارضاع والاجرة وغير ذلك وليقبل بعضكم امر بعض وزادهم رغبة
في قوله **بينكم** اي ان هذا الخير لا يعدوكم ولذلك بقوله **بمعروف** ونكره سبحانه تخفيفا على الامة بالرضى بالمستطاع وهو يكون مع الخلق بالانصاف
ومع النفس بالخلاف ومع الحق بالاعتراف ولما كان ذلك موجبا للمياسرة وكان قد يوجد في الناس من الغالب عليه الشر قال مشيرا
بالتعبير باداة الشك الى ان ذلك وان وجد فهو قليل عاطفا على تقديره فان تياسرتم فهو حظكم وانتم جديرون بسماع هذا الوعظ بذلك
وان تعاسرتم اى طلب كل منكم ما يعسر على الاخر بان طلبت المراة الاجرة وطلب الزوج ارضاعها مجانا فليس له ان يكرهها ولما
كان سبحانه قد تكفل بارزاق عباده وقدرها قبل ايجادهم قال مخبرا خبر اللاب بما يصلح عتابا باللام **فسترضع** اى بوعد لا خلف فيه
وصرف الخطاب الى الغيبة ايذانا بان الاب ترك الاولى فيما هو جدير به من المياسرة لكونه حقيقا بان يكون اوسع بطانا واعظم
شانا من ان يضيق عما يرضى به المراة اسنادا به صلى الله عليه وسلم في انه ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما او قطيعة
رحم فقال **له** اى الاب **اخرى** اى مرضعة غير الام ولعل الله عنها وليس له اكراهها الا اذا لم تقبل ثدي غيرها وهذا الحكم لا يختص
بالمطلقة بل المنكوحة كذلك ولما كانت المعاسرة في الغالب من ترك السماح من خوف الاعدام نبه سبحانه على ان ذلك
ليس بعذر بتقسيم الناس الى موسع عليه وغيره وان اللائق بالموسع عليه ان يوسع ولا يسيء الظن بربه وقد جرب رفده وان المقتر عليه
لا ينبغي له ان يفعل فعل من يخاف ان يخلف وعده فقال شارحا للمياسرة **لينفق ذو سعة** اى مال واسع ولم يكلفه سبحانه جميع وسعه
بل قال **من سعته** اى التي وسعها الله عليه ولما كان الاعطاء من غير تقتير رملين ونما للسعة كان التقتير كناية عن الضيق فقال
ومن قدر اى ضيق وسكنت عنه حركته وزرفت عنه معيشته **عليه رزقه** بان جعله الله الذي لا يقدر على التضييق والتوسيع
غيره بقدر قوته فقط من غير وسع لشي غيرها لامر من الامور التي نظرها الله بها عجز العباد رحمة لهم ليهذب به نفوسهم
وبناه للمفعول تعليما للادب بعد سبحانه **فلينفق** اى وجوبا على المرضع وغيرها من كل ما اوجبه الله عليه او ندبه اليه وليسر
سبحانه بانه لا يخلي احدا من شيء يقوم به ما دام حيا بقوله مشيرا بالتبعيض الى ان ما اوجبه سبحانه لا يستغرق ما وهبه **مما
اتاه الله** اى الملك الذي لا ينفد ما عنده ولا حد لجوده ولو من راس المال ومتاع البيت ومن ثمن الضيعة ان لم يكن من الغلة
لانه سبحانه قد ضمن الاخلاف ومن ملك ما يكفيه للوقت ثم اهتم للزيادة للغد فذلك اهتمام غير مرحوم وصاحبه غير معان في
هذا ارشاد الى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في عدم التكلف والسير في كل امر على حسب الاوقات ولما كان تعالى له
التكليف بما لا يطاق اخبر انه رحم العباد بانه لا يفعله فقال معللا او مستانفا جوابا لمن يقول فما يفعل من لم يكن له موجود
املا تحببا في دينه صلى الله عليه وسلم بما فيه من اليسر **لا يكلف الله** اى الذي له الكمال كله **نفسا** اى نفس كانت **الا ما
اتاها** وربما افهم ان من كلف نفقة فاوجد من فضل ما عنده ما يسده نزل الاثاث الفاضل عن حاجته وسئل عن دينه
ولما كان التذكير بالاعدام ربما اوجع قال تعالى جابرا له وتطييبا لقلبه بادبا الى الايمان بالغيب **سيجعل الله** اى
الملك الذي له الكمال كله فلا خلف لوعده ونزع الجار زيادة في الجبر فقال **بعد عسر** اى من الامور التي تعسرت لانه يجعل
ذلك بعد كل عسر **يسرا** اى لا بد من ذلك ولا يوجد احد يستمر التعسير عليه طول عمره في جميع احواله فالتعسير واستطار اليسر
من الله صفة المتوسطين في الاحوال الذين انحطوا عن درجة الرضى واستوى وجود السبب وفقده او نفعه عندهم
والقنوط ويعيشون في اثناء الرجال يعللون بحسن الوعد لتمني ولقد صدق وعده فيمن كانوا موجودين حين نزول
الآية فتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس والروم واشتغلوا اكثرها حتى صاروا اغنى الناس وصدق لانه دائم غير انه كان في
الصحابة رضي الله عنهم ابين لانهم ايمانا ولما كان الامر قد بلغ النهاية في الاحكام والمواعظ والترغيب لمن اطاع
فلم يبق الا الترهيب لمن عصى بما شوهد من المثلات وبالغ العقوبات فان من الناس البليد الذي لا يتعظ بما يرى وكان التعبير
بكاى من ناس كانوا في غاية الضيق فاطاعوا او اتروا فجعلناهم في نهاية السعة بل جعلناهم ملوكا عطف عليه تزهيدا
في الدنيا فاحبة بانها تطغي في الاغلب وتهيئ بها لاهل المعاصي قوله معبرا بالكثرة العزى الخارجة عن الحد **وكاين من قرية**
اى مدينة كبيرة جامعة عتو عن اهلها انها منا لغة **عتت** اى استكبرت وجاوزت الحد في عصيانها وطغيانها فاعرضت عنادا
عن امر ربها اى الذي احسن اليها ولا محسن اليها غيره بكثرة الرزق وطيب العيش والطف في التربية والرحمة بعد الايجاد والملك
ورسله فلم يقبل منهم ما جاؤا به عن الله فان طاعتهم من طاعة الله ولما كانت محاسبة مثل هؤلاء الاهلاك لان الحساب
هو ذكر الاعمال والمجازاة عليها بما يحق لكل منها قال ملتفتا الى مقال التكلم في مظهر العظمة **فحاسبناها** اى فتسبب عن عدم شكرهم
للاحسان ان احصينا اعمالها ولما كان ذلك على وجه المناقشة على التقصير والتطهير بالمجازاة على كل فعل عالمين
به قال **حسابا شديدا** بمعناه المطابقي من ذكر الاعمال كلها والمجازاة عليها وهذا هو المناقشة وبين ان العامل اذا ازاغ
بعلمه هو كالنفس في الجاهل لان المجازاة فيه ايراد حسبت عمله على سبيل الاستقصاء واما الحساب اليسير فهو عرض الاعمال فقط من
غير جزاء على قبيحها فهو دلالة لا تضمن وانما شدد على هذه القرية لان اعراضها كان كذلك بجانبه عليه تسميته عتوا **وعذبناها**

ذلك

اي في الدنيا جزاء على ما احصيناه من ذنوبهما عذابا نكرا اي شديد النكارة لان العقل يحير في امره لانه لم ير مثله ولا قريبا منه ليعتبره به
وازال ذكر الكثرة شبهة ان يكون الاهلاك وقع اتفاقيا في وقت من الاوقات فذاقت بسبب ذلك بعد ما كان لها من الكرم والقوة وبال
اي وخامة وعقوبة وشدة وثقل وفساد امرها اي في العتو وجميع ما كانت تأمر فيه مثله بالمرعى الوخم الذي يمرض ويهلك ولما كان
كل مقهور انما يسلي نفسه بانتظار الفرج ورجاء العقبة آيسها من ذلك مذكرا للفعل اشارة الى الشدة بقوله وكان عاقبة اي آخر ومنتهى
وعقب امرها اي جميع عملها التي كانت فيه خسرا اي نفس الخسر في الدارين فكلما اشتد الامر وجدوه امامهم فان من زرع الشوك كما قال
القشيري لا يجني الورد ومن اضاع حق الله لا يطاع في حظ نفسه ومن احترق بمخالفة امر الله فليصبر على مقاساة عقوبة الله ثم فسر الخسر وانار
الجواب لمن يقول اهل لها غير هذا في غير هذه الدار بقوله اعد الله اي الملك الاعظم لهم بعد الموت وبعد البعث عذابا شديدا
ولما تمت الاحكام ودلائلها واحكمت الايات وثوابت اصلها والنهي بثبات وعوالمها كانت في كلها وثمرة سياقها وموعظتها
ما تسبب عن ذلك من قوله تعالى تنبيها على ما يحيي الحياة الطيبة وينجي في الدارين فاتقوا الله اي الذي له الامر كله بامتثال الاوامر واجتناب
نواهيه ولما كان في تخليص المواعظ من الاحكام واستمدادها من اصل هذا الكلام امر عظيم من الدقة مكان لا يبصره الا ذوو الافهام
قال يا اولي الالباب اي العقول الصافية النافذة من الظواهر الى البواطن الذين امنوا اي اخلصوا من آثار الشرك واوجدوا الايمان
حقيقة ثم علل هذا الامر بما ازال العذر رفقا بهم تنبيها على ما من عليهم به من المراسلة فان مراسلات الاكابر فخر فكيف بمراسلات الملوك
فكيف بمراسلات ملك الملوك حثا لهم بذلك على شكره قد انزل الله اي الذي له صفات الكمال اليكم خاصة ذكرا اي كلاما مذكورا انه غاية
الشرف لكل من تقبله بل تشرف الارض كلها بنزوله ورفع عنها العذاب وعمها النفع الصواب لان فيه تبيان كل شيء فمن استضاء
بنوره اهتدى ومن حاد الى برد افنائه وصل من آداب الجهل الى شفاء به ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم صورة
القرآن فالقرآن باطنه وهو ظاهره لانه خلقه لا قول له ولا فعل الا به فكان كانه هو ابدل منه قوله رسولا على ان الآية فيه غنى عن
تأويل فان الذكر بكسر الذال في اللغة كما في القاموس من الرجال القوي الشجاع الابي ثم بين ذلك بقوله يتلوا اي يتابع ان يقص عليكم
ايات الله اي دلائل الملك الاعظم ذي الجلال والاكرام الظاهرة حال كونها مبينات اي لا لبس فيها بوجه ولما تبين
ان الذكر والرسول صارا شيئا واحدا وعلم ما في هذه المراسلة من الشرف اتبع ذلك بيان شرف آخر بسبب ثمرة انزاله فقال ليخرج
الذين امنوا اي اوجدوا الشهادتين وعملوا تصديقا لما قالوه بالسنتهم وتحقيقا لانه من قلوبهم الصالحات من الظلمات اي التشابه
والاخلاق الرذيلة المؤدية الى ظلمة الجوارح بعد الظلم وانتشارها في السبل الشيطانية الى النور الذي هو العقل الخالص الذي لا
دنس فيه لسلوك صراط الله الذي واحد لا شتات فيه ولا لبس فيه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل كما بادر
الى اخراج انفسهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان ومن فساد الاعمال الصالحة وذلك بان يصيرهم متخلقين بالقرآن ليكونوا انظار
لهديه حركاتهم وسكناتهم واقوالهم وافعالهم فيكونوا ذكرا ولما كان التقدير فمن امن بالله وعمل صالحا شاهد بركة ذلك
في نفسه عاجلا عطف عليه بالسعادة الاجلة قوله ومن يؤمن بالله اي يجدد في كل وقت على الدوام الايمان بالملك الاعلى بان لا يزال
يترقى في معارج معارفه ويعمل على التجديد المستمر صالحا لله وفي الله فله دوام النعيم وهو معنى ادخاله الجنة ولما كان
قد تقدم قريبا في آية التقوى انه يكفر عنه سيئاته قال شارحا لقوله ويعظم له اجرا يدخله اي عاجلا مجازا بما يبيح له من لذات
العرفان ويفتح له من الانس واجلا حقيقة جنات اي بساتين في غاية ما يكون من جمع جميع الاشجار وحسن الدار وبين دوام ريها
بقوله تجري وبين انكشاف كثير من ارضها بقوله من تحتها اي تحت غرفها الانهار وهو كناية عن ان ارضها في غاية الري بحيث
ان ساكنها تجري في اي موضع اراد ... ارادة الشرط والجزاء على لفظ من اشارة الى انه لا يشترط في الايمان ولا في جزائه مشاركة
احد وانه لا يتوقف في القبول على شيء غير الوصف المذكور ثم جمع الحال بشارة بان الداخلين كثير وان الداخل الى دار الكرامة
لا يحصل له هوان بعد ذلك اصلا فقال خالدين فيها واكد معنى الخلود ليعم الدوام بلا انقضاء فقال ابدا ولما علم ان الخلود
لكل الداخلين الى الجنة رجع الى الاسلوب الاول تنصيصا على كل فرد ابلاغا في عظمة هذا الجزاء بقوله نتيجة لذلك منبها على ان هذه
النتيجة من حقها ان يتوقع قولها من كل من سمع هذه البشرى قد احسن الله اي الملك الاعلى ذو الجلال والاكرام له اي خاصة
رزقا اي عظيما عجيبا قال القشيري الرزق الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن اموره بسببه ولا زيادة
تشغله عن الاستمتاع بما رزق وحرصه كذلك ارزاق القلوب احسنها ان يكون له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا
يتعذب بتعطشه ولا يكون زيادة فيكون على خطر من مغاليط لا يخرج منها الا بتأييد من الله سماوي ولما تقدم
ان فائدة الذكر النقل من حال الى حال وكان من المعلوم ان تحويل جبل عن مكانه اسهل من تحويل شخص عن خلقه وشأنه وتقدم
ان جزاء المجاهد في ذلك الجنات الموصوفة ولا بد لذلك يحتاج الى قدرة تامة دل على قدرته سبحانه عليه بقوله الله اي الذي
له جميع صفات الكمال التي القدرة الشاملة احدها بما اخبر عنه بما يدل على ذلك لان الصنعة تدل على الصانع
وعلى ما له من الصفات الذي خلق اي اوجد وحده من العدم بتقديره على وفق ما دبر بعلمه على هذا المنوال الغريب البديع

هي اولى بزيادة عظمتها اشارت وادانا وان عامر شؤون العظمة ولما صح

سبع سموات اي وانتم تشاهدون عظمة ذلك وتشهدون انه لا يقدر عليه الا تام العلم كامل القدرة ثم زاد على ذلك ما انتم
اعرف به فقال ومن الارض مثلهن اي سبعا كما دل عليه حديث سعيد بن زيد وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين من اخذ
شبرا من الارض بغير حقه طوقه الله من سبع ارضين ولفظ حديث ابن عمر رضي الله عنهما خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين
وقد تقدم في سورة السجدة ما ينفع في ذلك وظاهر يدل على انها كما هي مثلها في العدد فهي مثلها في الكرية واحاطة كل واحدة
منها بالتي تحتها وان التي نحن عليها هي السابعة العليا كالسماء السابعة التي سقفها الكرسي لان ذلك دل على ما السياق له من تمام
العلم وشمول القدرة في الاسفل لا ل عليه بقوله يتنزل اي بالتدريج الامر اي الذي يجود به الرحمن من التدبير من امر الدين
والتكوين من العرش والكرسي بينهن بالوحي من السماء السابعة العليا الى الارض السابعة السفلى واستعد وتمهن بلا فروج فاتفق
فيهن حتى نفذ فيهن ذلك والله اعلم هو ما يريد من عظيم تدبيره بانزال الكتب وارسال الرسل واثبات شريعة ومحو اخرى
وتوجيه الاسباب الى المسببات من المطر والنبات والليل والنهار والفصول وخلق الحيوانات والمعادن وسائر النباتات
وتردد الملكية لسائر المصنوعات هذا ما دل عليه ظواهر الكتاب والسنة واولها بعضهم بانها سبعة اقاليم وهو رد
لقواعد في ان لنا تأويل بغير دليل يوجب مما ياتي من صريح الحديث النبوي والكلام الضابط فيما يؤول وما لا يؤول
ان النقليات اربعة اقسام قطعي السند والدلالة ظنيهما ظني السند قطعي الدلالة وعكسه قطعي السند ظني الدلالة فالاول
يجب اعتقاد ظاهره ومن خالفه كفر والبقية تجب اعتقاد ظواهرها ما لم تعارض فان عورضت بقطعي وجب العدول
عن الظاهر اجماعا فمن اعتقده كفر ثم للناس بعد ذلك مذهبان اما السلف فيفوضون المراد الى الله واما الخلف فان كان
لذلك محمل واحد عينوه وان كان ثم محامل سردوها ولم يعينوا شيئا منها مع اعترافهم بانهم لم يبتوا على قطع من المراد مما
ذكروه من ان المراد شيء مما ذكروه وانما هو شيء يليق بالمقام والعلم عند الله وبان طريق السلف اسلم وبانه ما حملهم على التأويل
الا انتشار المبتدعين واشهارهم به عمهم بين الناس فان الامام علاء الدين القونوي في باب السير من شرحه للحاوي قال الامام
يعني امام الحرمين ولو بقي الناس على ما كانوا عليه في صفوة الاسلام لما اوجبنا الاشتغال بعلم الكلام بل ربما نهينا عنه
واما الان وقد ثارت البدع فلا سبيل الى تركها تلتطم امواجها فلا بد من اعداد ما يدعى به الى المسلك الحق وتحل به الشبه
فصار الاشتغال بادلة المعقول وحل الشبه من فروض الكفايات ومن استراب في اصل من اصول الاعتقاد فعليه السعي
في ازاحته الى ان تستقيم عقيدته انتهى ثم انك تجد العلماء يختلفون في بعض الادلة فبعضهم يجريها على الظاهر وبعضهم يؤول
وذلك للاختلاف في المعارض هل هو قطعي الدلالة ام لا وهذا الموضع منه فان ظواهر الكتاب والسنة تدل على الارضين
مثل السموات في العدد وفي ان بينها خلاء وفي ان في كل واحدة مخلوقات لا يعلمها الا الله بل بعض الاحاديث يكاد يقطع به
فهو مما تكاد ذلك ولكنه لم يخرج عن ان يكون ظنيا فاكثر العلماء وحققهم على ان المعارض هو ما قاله اهل علم الهيئة من الادلة
على كونها واحدة ليس بقطعي فاولوا كونها سبعة بالاقاليم السبعة لهذا العالم الذي اوجده ولما ذكر سبحانه
الصنعة نبههم على التفكر فقال لتعلموا اي وقدرات في التعدد حقيقة حديثا صريحا لكن لا ادري حاله ذكره ابن برجان في
اسمه تعالى الملك من شرحه للاسماء الحسنى قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما تحت هذه الارض قالوا الله ورسوله
اعلم قال ما اتدرون ما تحت هذه الارض قالوا الله ورسوله اعلم قال هو الماء اتدرون ما تحت هذه الارض قالوا الله ورسوله
اعلم قال ارض اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم حتى عد سبع ارضين ثم رأيته في ... حدثني عن ابن ذر العقيلي
ولفظه هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انها الارض قال هل تدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله
اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم رأيت
في الفردوس عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين السماء الى السماء مسيرة خمسمائة عام وما بين
السماء السابعة وبين الكرسي والعرش مثل ذلك وما بين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام والارضون وغلظ صحفهن
وبحارهن مثل ذلك بتسويه كل واحد من الثقلين سبعا كل واحدة منها وبين الاخرى مسافة يحتمل مع الكتابة الزائد
وانتم تعلمون انه لا ينفصل الجسم والاسماء الكثيف عن اجزائه الا فاصل قاهر بقوة باهرة وقدرة ظاهرة وعلم شامل
لما يحتاج اليه ذلك فكيف اذا كان على هذا المنهاج البديع والوجه المنيع على مر الدهور والاعقاب وتعاقب الشهور
والاعوام على حساب معلوم ونظام منظوم لا يدركه الا اعلى الناس حسابا واعظمهم صوابا مع المنافع التي يفصل بعضها
والمرافق التي ينزه الخالق باثارها واعيانها وتوقظ الغافل وتنبه الجاهل وتدمغ المعاند فتستبين بها انها لا تسع احكاما ذاعن في خلقها
لها ومن خلقها قادر على تدبيرها على الوجه المذكور ومن كان كذلك كان منزها عن الشريك قطعا ومن كان كذلك قدر على
كل شيء فكذا قال ان الله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة كلها على كل شيء اي من غير هذا العالم ممكن ان يدخل تحت المشيئة فانه غني
معقول الاستدلال بهذا العالم فان من قدر على ايجاده من العدم قدر على ايجاد ما هو دونه وما هو مثله وما فوقه الى ما

لا نهاية له لانه لا فرق في ذلك بين قليل ولا كثير جليل او حقير ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قديرا اي بالغ القدرة من عالم اخر مثل
هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الابدع الى ما لا نهاية له واياك ان تلتفت الى من قال انه ليس في الامكان ابدع من هذا العالم
فانه مذهب فلسفي خبيث والاية نص في ابطاله وان نسبه بعض الملحدين الى الغزالي فاني لا اشك انه مدسوس عليه فانه مذهب
فلسفي خبيث لشهادة الغزالي بذلك كما بينت ذلك في كتابي تهديم الاركان من ليس في الامكان ابدع مما كان وكلوح لا له البرهان على ان
في الامكان ابدع مما كان وكتابي اطباق الاغلال في اعناق الضلال مع كونه مذهب الفلاسفة اخذه الغزالي من ابن عربي
واودعه فصوصه وغير ذلك من كتبه واستند فيه في بعضها الى الغزالي نفاقا فالمكره اعاذ الله من شره والغزالي بري
منه لشهادة ما وجد من عقائده في الاحياء وغيره [illegible] كما ان احاطة العلم دالة على تمام القدرة والتمام [illegible]
جميع الاسماء والصفات فالدال الله اي الذي له جميع صفات الكمال قد احاط لتمام قدرته بكل شيء مطلقا ولما
اسند الاحاطة اليه سبحانه تعظيما لها بين جهتها تمييز محول عن الفاعل فقال علما فله الحجة البالغة بما يامر به من
الاحكام في العلم بمصالحه ومفاسده فعاملوه معاملة من يعلم احاطة علمه فيعلم انه رقيب عليه فاذا اطلعهم الساعة
فاعملوا ما امركم به لتسلموا في الدنيا وتسعدوا في الاخرة والاولى ودبروا في جميع اموركم مثل ما دبر به امركم في ان بيتكم
ومسكنكم ارضه وسقفه فانه جعل فيه جميع ما تحتاجون وبسط نواله على ما يرضيه ومن يسخطه ونشر حكمه وفضله واخر
باسه وعدله فعند تناقرها او تطاوعها بين محملا مفصلا

[illegible]

مقصودها الحث على تقدير التدبير في الادب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع سائر العباد والدلالة
الى التحلي بالادب الشرعي وحسن المعاشرة لاسيما للنساء اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في حسن عشرته وكرم صحبته
وبيان ان الادب الشرعي تارة يكون باللين والاناة واخرى بالسوط وما داناه ومرة بالسيف وما والاه وكل من اسمها
التحريم والنبي موضح لذلك بسم الله الذي له الكمال كله على الدوام الرحمن الذي عم عباده بعظيم الانعام الرحيم
الذي اتم على خواصه نعمة الاسلام ● ختم سبحانه الطلاق باحاطة علمه وتنزل امره بين الخافقين
في تدبيره دل عليه اول هذه باعلى امور الخلق امرا ومع بين خير خلقه وبين نسائه اللاتي هن خير النساء واجتهد كل في احفاد
ما تعلق به منه فاظهره سبحانه عنايته بالازواج نبيه صلى الله عليه وسلم في صورة عتابه لانه ابلغ رفقا به لانه يكاد من
شفقته ان يبخع نفسه الشريفة رحمة لامته تارة لطلب رضاهم واخرى رغبة في هدايتهم لانه صلى الله عليه وسلم بالغ
في تهذيب اخلاقه مع ما طهره الله به من شرائعها عن كل دنس حتى ضيق عليها بالامتناع عن بعض ما ابيح له حفظا لخاطر الغير
فقال تعالى مناديا له باداة البعد وهو اقرب اهل الحضرة مع انها معدة لما يكون اذا خطب جليل ومعنى جسيم جزيل
وفيها ايماء الى تنبيه الغير واسماعه ارادة لتاديبه وتزكيته وتهذيبه يا ايها النبي فخاطبه بالوصف الذي يعلم بالعصمة
ويلائمه اشد الملائمة حلوا للبال وسرورا للقلب وانشراحا للصدر لانه للتلقي عن الله يحث كل سامع على البعد عن كل ما
يسوءه لم تحرم اي تفعل فعل المحرم بمنع نفسك الشريفة ما احل الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه لك بالوعد لبعض
امهات المؤمنين رضي الله عنهن بالامتناع من شرب العسل الذي كان عند حفصة او زينب رضي الله عنهما والامتناع من
ملامسة سريتك مارية رضي الله عنها تضييقا على نفسك لاحسان العشرة مع نسائك رضي الله عنهن فان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يشرب عسلا عند حفصة بنت عمر او زينب بنت جحش رضي الله عنهما على اختلاف الروايتين في ذلك في الصحيح
وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة دخل على نسائه امراة امراة وكانت قد اهديت لحفصة بنت عمر رضي
الله عنهما عكة من عسل فكانت اذا دخل عليها فسلم حبسته وسقته منها وان عائشة رضي الله عنها انكرت احتباسه
عندها فقالت لجويرية عندها حبشية يقال لها خضراء اذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة فادخلي عليها
فانظري ماذا يصنع فاخبرتها الخبر فوصت صواحباتها فقلن له من شربه باختياره بانه يوجد منه ريح كريهة لانك
نحله جرست العرفط فقال لن اعود له ● وروى الطبري وابن مردويه انه صلى الله عليه وسلم خلا بمارية رضي الله عنها
ام ولده ابرهيم عليه السلام في بيت حفصة رضي الله عنها فوجدت من ذلك حفصة رضي الله عنها فقال هي علي حرام
ولا تذكري ذلك لاحد وابشرك على ذلك البشارة وهي ان ابا بكر يلي هذا الامر من بعدي وابوك يليه من بعد ابي بكر رضي
الله عنهما لا تخبري بذلك احدا فاخبرت عائشة رضي الله عنها ● وروي ان حفصة رضي الله عنها قالت في يوم هاني النبي
صلى الله عليه وسلم ان لي الى ابي حاجة نفقة لي عنده فاذن لي ان ازوره واتي بها فاذن لها فلما خرجت ارسل الى جاريته
مارية القبطية رضي الله عنها فوقع عليها فاتت حفصة فوجدت الباب مغلقا فجلست عنده فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك فقالت انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ووقعت عليها في يومي
وعلى فراشي اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال صلى الله عليه وسلم اليس هي جاريتي قد احلها الله

لي

لا تبكي فهي علي حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا احدا فلما خرج اخبرت عائشة رضي الله عنها فحلف على ترك مارية رضي الله عنها
ثم علل ذلك سبحانه بقوله تبتغي اي تريد ارادة عظيمة من مكارم اخلاقك وحسن صحبتك مرضات ازواجك اي الاحوال والمواضع
والامور التي يرضين بها وهن اولى بان يبتغين رضاك وكذا جميع الخلق ليتفرغ لما يوحى اليك من ربك لكن ذلك الذي وجب ان كذا
[illegible] كان اعلى ما يقع به المنع من الاشياء من جهة العباد الايمان وكان تعالى قد جعل من رحمته لعباده لايمانهم كفارة قال
والله اي يفعل ذلك لرضاهن والحال ان الملك الاعلى غفور رحيم اي محاء ستور لما يشق على خلص عباده مكرم لهم ثم علل او بين بقوله
قد فرض الله اي قدر ذو الجلال والاكرام الذي لا شريك له ولا امر لاحد معه وعبر بالفرض حثا على قبول الرخصة اشارة الى ان ذلك
لا يقدح في الورع ولا يخل بحرمة اسم الله لان اهل الهمم العوال الاحبون لا ينقله من عزيمة الى رخصة بل من رخصة الى عزيمة
او عزيمة الى مثلها ولما كان التخفيف على امته تعظيما له صلى الله عليه وسلم قال لكم اي ايها الامة التي انت راسها وعبر
بمصدر حلل الذي بمثل تكرمة تكرمة اظهارا لمزيد العناية فقال تحلة اي تحليل ايمانكم اي ستاحكلم مما تعقدونه بها
منها تارة بالاستثناء وتارة بالكفارة تحليلا عظيما حث بعده الحال الى ما كان عليه قبل اليمين وقد بين ذلك في سورة المائدة
فحلل يمينك واخرج من تضييقك على نفسك واشرح صدرك لتلقي ما ياتيك من انباء الله وانت متفرغ له بطيب النفس وقرة
العين وهذا يدل على ان قوله انت علي حرام كاليمين اذا لم يقصد به طلاقا في الزوجة ولا عتاقا في الامة واذا كان الله قد فرض
ذلك لكافة الامة تيسيرا عليهم فرسولهم اولى بان يجعل له ذلك قال مقاتل فاعتق صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة رقبة
وقد قيل ان تحريمه صلى الله عليه وسلم هنا كان بيمين حلفها وحينئذ لا يكون فيه حجة لمن راى ان انت علي حرام يمين والله اي
والحال ان المختص باوصاف الكمال مولاكم اي يفعل معكم فعل القريب الصديق وهو اي وحده العليم اي البالغ العلم بمصالحكم
وغيرها الى ما لا نهاية له الحكيم اي الذي يضع كل ما تصدر عنكم لكم في اتقن محاله بحيث لا يتمكن هو ولا يقدر غيره ان يغيره ولا
شيء منه ● وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لا خفاء لشدة اتصال هذه السورة بسورة الطلاق لاتحاد مرماهما وتقارب معناهما
وقد ظن انه صلى الله عليه وسلم طلق نساءه حين اعتزل في المشربة حتى ساله عمر رضي الله عنه والقصة معروفة وتخييره عليه
الصلاة والسلام اياهن اثر ذلك بعد ما عزل اليهن شهرا كاملا وعتب الله عليهن في قوله ان تظاهرا فان الله هو مولاه وقوله
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الاية فهذه السورة وسورة الطلاق اقرب شيء واشبه بسورة الانفال
وبراءة لتقارب المعاني والتحام المقاصد انتهى ولما كانت العادة فيمن راى حبيبه قد ضاق صدره ان يسعى اولا
في شرح صدره وطيب نفسه ثم يزيله بسطا بان يقول للحاضرين ان حبيبنا هذا الكريم علينا اتفق له كذا وقد كرهت
هذا وضمنت زواله وكان تعالى قد طيب نفسه صلى الله عليه وسلم باول السورة اتبعه الامر الاخر فكان التقدير
اذكروا هذا الذي ذكرته من حسن عشرة نبيكم صلى الله عليه وسلم لنسائه رضي الله عنهن وكريم صحبته وشريف اخلاقه
وجميل افضاله وجليل حلمه واذكروا ما خففه الله به عنكم في الايمان التي لا مثوبة فيها ولو ذكر فيها اسمه المقدس
عطف عليه قوله تشريفا لنبيه صلى الله عليه وسلم بالمعاتبة عليه وباظهار ما هو حامل له من تحمل هذا السر على اجل وجه
تخفيفا عنه وتنزيها لحاله واذ اي واذكروا كريم اخلاقه صلى الله عليه وسلم وطاهر شمائله في عشرته حين اسر النبي اي
الذي شانه ان يرفعه الله وانما كان يتلقى من فياض علمه ما يخبر به الناس فانه ما ينطق عن الهوى واسقط الى وجه ولم يعينها
سبحانه تشريفا له صلى الله عليه وسلم فقال الى بعض ازواجه وهي حفصة رضي الله عنها صيانة انه امر لان تحرمهن رضي الله
عنهن من حرمته صلى الله عليه وسلم حديثا ليس هو من شان الرسالة ولو كان من شانها لعم به واعلنه ولم يخص به ولا
استره وذلك هو تحريم مارية رضي الله عنها ووعده ان يترك العسل وبشارته بولاية ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
ولم يبين الحديث ويفصله اكراما له صلى الله عليه وسلم وحفظا لستره لان العادة جارية بان الانسان لا يحب
تفصيل سره وان كنا اطلعنا عليه بعد ذلك لنا تاسي به فيما فيه من الاحكام فان احواله صلى الله عليه وسلم كلها
احكام لنا الا ما اختص به واشار الى قرب زمن افشائه في زمن التحديث بالفاء في قوله فلما نبات اي خبرت به اخبارا
عظيما جليلا لشرفه في نفسه ولانه من عند الله وبالغت في ذلك فاخبرت به كله من جميع وجوهه وجعل ذلك في سياق
حكاية لانه استر لحرمه صلى الله عليه وسلم حيث لم ينقل فيسات به ولم ينقل انبات بالانباء به ونحو هذا ابهاما تفهم انه
مقصود بالذات واظهره الله اي اطلعه الملك الذي له الاحاطة بكل شيء عليه اي الحديث بانه قد افشي منا صحبته
في اعلامه بما يقع في غيبته ليحذره ان كان شرا ويثبت عليه ان كان خيرا عرف اي النبي صلى الله عليه وسلم التي اسر اليها
بعضه وهو امر الخلافة عتابا لها عليه لانه كان اوصاها ان لا تظهره والكف عن بعض العتب ليبعث على حياء المعتوب
واعون على توبته وعدم عوده الى فعل مثله واعرض عن بعض وهو امر السرية والعسل تكرما منه ان يستقصي في العتاب
وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفين ما زال التغافل من فعل الكبراء وانما عاتب على امر الخلافة

خوفا من ان ينتشر فالتي ينبغي منهما انا رحسنا من بعض المنافقين واورث الحسود للصديق والفاروق كيدا او حرا الى معشرهم لا
لعلمهما وحفظا لكتابي عرف اي قريبة والمعرفة سبب التعريف والتعريف عن المعرفة فاطلاق احدهما على الاخر سائغ وعلاقة ذلك
واشار الى مبادرته بتعريفها ذلك للابتداء ما يكرهه منه بقوله فلما نبأها به اي بما فعلت من افشاء ما عرفها منه على وجه
لو تعاد زمن ذلك الذي عرفها به شيء منه ولا من عوارضه لتزداد بصيرة • روي انها قالت فلما عائشة رضي الله عنهما
سرا وانا اعلم انها لا تظهره قاله الملوي وهو معنى قوله قالت اي ظنا منها ان عائشة رضي الله عنها افشت عليها من انبأك هذا
اي مطلق اخبار واستانف قوله قال نبأني وحذف المفعول اختصارا للفظ وتكثيرا للمعنى بالتعميم اشارة الى انه اخبر بجميع ما دار
بينهما وبين عائشة رضي الله عنها مما عرفا به ومن غيره على تمام ما كان العليم اي المحيط العلم الخبير اي المطلع على الضمائر والظواهر
فهو اهل لان تحذر فلا يتكلم سرا ولا جهرا الا بما يرضيه ولما عرف من هذا ان المعاتبة للتثنية ومن نياته وكان قد يكون عددا
اشار الى انه واحد فالمعاتب ثنتان وكانت قد تسعت قلوبهما المآبالى من قبل الله من لا عاتب بهما العتاب على هذا الامر الحي جل
والكريم عليهما فيه لعدم الاستقصا فمالت قلوبهما الى المعالي وعاصت على جليل المعارف فضاعت من جواهر ذلك دقيق المعاني
لغلبة لهما الخطاب تلطيفا للعتاب لتشريفا للمتاب فقال لتشريفا اخرله صلى الله عليه وسلم بالاقبال على لسانه رضي الله عنهما
بالعتاب لاجله فيما ما عنه بما ربما ازعجه لو باشره حفظا لخاطره الشريف بما قد يغيره ان تتوبا اي يا عائشة ويا حفصة
مما صنعتها حفصة بالافشاء وعائشة بالاحتيال على المنع من شرب العسل والتحليف على مارية الى الله اي الملك الذي احاط
علمه فجلت قدرته ولطف بهما لاجله صلى الله عليه وسلم غاية اللطف في قوله فقد صغت اي مالت وعاصت بما ضاعت قلوبكما
اي جمع القلوب جمع كثرة تأسيدا لما حصمته من ميل القلب بكثرة المعارف بما افاد بها هذا السر والعتاب عليه من الحياء فصارتا
حريتين بالمبادرة الى التوبة متأهلتين لذلك غاية التأهل ولما اورد ما صارتا حقيقتين به باداة الشك
اقامة للسامع بين الخوف والرجاء من ذلك وهو اعلم بما يكون اكمل ذلك بذكر شق الخوف فقال معلما ان الملك واولياءه انصار له
وان تظاهرا بالتشديد للادغام في قراءة الجماعة لان التظاهر هنا ان وقع كان على وجه الخفاء في اعمال الحيلة في امر مارية رضي
الله عنها والعسل وما يأتي من مثل ذلك مما تبعث عليه الغيرة عليه اي النبي صلى الله عليه وسلم النبآء من قبل الله بما يريد الله
ويعلي ذكره وقراءة الكوفيين بالتخفيف باسقاط احدى التاءين اشارة الى سهولة امر هذه المظاهرة وقلة اذاها له صلى الله
عليه وسلم ولما كان المعنى كانه لا يبالي بمظاهرتكما عبر عنه فان الله الملك الاعظم الذي لا كفو له هو اي بنفسه الاقدس وحضرة
عينه التي لا يقوم لمالها من العظمة شيء مولاه اي ناصره والمتولي من امره ما يتولاه القريب الصديق القادر وكل من له دعي
وكل من له وعي يعلم كفايته سبحانه في ذلك فهو يحمل ابلغ ما تعمله مولى مع من هو متول لامره وفي معاونته لنبيه صلى الله عليه
وسلم اظهارا لشرفه ومراعاة لحفظ خاطره وشرح لصدره ولما كانت النفوس لمبنى هذه الدار على حكم الاسباب
موكلة بها ناظرة اتم نظر اليها وكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يلجأن في بيوتهن ويعلمهن قد صار عندهن بذلك
الاسباب لظاهره المألوفة وكان هو اعظم انصار النبي صلى الله عليهما وسلم قال وجبريل لانه من اعظم الاسباب التي سببها
الله سبحانه ولما كان الحامل على مظاهرته صلى الله عليه وسلم على كل ما يريده الايمان فكلما كان الانسان فيه امكن كان له
اشد مظاهرة واعون قال وصالح المؤمنين اي الراسخين في رتبة الايمان والصلاح من الانس والجن وابواهما رضي الله عنهما
اعظم مراد بهذا وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو امرتني لاضربن عنقها وان الصالح وان كان لفظه
مفردا فمعناه الجمع المستغرق لانه للجنس ودل على ذلك مع المتصف بهذا اجل العلة الراسخين في الايمان وقلة الراسخين في الصلاح
من الراسخين في الايمان فهو قليل من قليل وقد جوز بعضهم ان يكون جمعا وانه حذفت واوه في الرسم على خلاف القياس وهي حذفه
الوصل لالتقاء الساكنين فظن لذلك مفردا ودخل في ذلك جبريل عليه السلام ايضا ولما كان الله سبحانه قد اعطى
الملائكة من القوى والتصرف في الظواهر والبواطن ما جل عن الوصف قال تعظيما للمقام لعدة تعظيمه بما ذكر من
رئيس الكل وهو من عليهم السلام والملائكة اي كلهم ومنهم جبريل عليه السلام فهو مذكور خصوصا وعموما تنبيها من اظهارا
لشدة محبته وموالاته للنبي صلى الله عليه وسلم ولما كان المراد التعميم في الزمان والمكان بعد التعميم في الصالحين
من الملائكة والانس والجان قال من غير جار تعظيما لنصرة الملائكة لما لهم من العظمة في القلوب لما تقرر لمن باشر منهم العذاب
تارة بالرجفة واخرى بالصعقة وتارة بالخسف واخرى بغير ذلك فكيف اذا تصور الادمي المعتاد بالمحسوسات اجتماعهم
على ما لهم من الاشكال المهولة بعد ذلك اي الامر العظيم الذي تقدم ذكره وهو مظاهرة الله ومن ذكر معه ظهير اخبر
عن الجمع باسم الجنس اشارة الى انهم على كلمة واحدة في المظاهرة تخوف بهذا اكله لاجل المتاب لطفا به صلى الله عليه وسلم
واظهارا لعظمته وفي قصة صاحب يسين قال وما انزلنا على قومه الاية تحقيرا لقومه واهانة لهم وجوز ان يكون
ظهير خبر جبريل عليه السلام وخبرها تقدم محذوف لدلالته عليه اي كذلك ولما حذرهما بما تقدم زاد في

الخبير

الخبير بما يقطع القلوب لان اشد ما على المرأة ان تطلق ثم اذا طلقت ان تستبدل بها ثم ان يكون البدل خيرا منها فقال مبينا
لادنى انواع المظاهرة سائقا الامر مساق الرجاء اشارة الى انه يكفي العاقل في الخوف تجويز احتمال الضرر فكيف اذا كان الامر حتما
لان من المعلوم ان عسى من الله على طريق الكبراء لا سيما الملوك في اكتفائهم بالاشارات والرموز فمن هنا كانت واجبة لانه
ملك الملوك وهو ذو الكبرياء في الحقيقة لا غيره عسى ربه اي المحسن اليه بجميع انواع الاحسان التي عرفتموها وما لم تعرفوه منها
اكثر جدا وحققه وسط بين جزئها اهتماما ونحوها قوله ان طلقكن اي بنفسه من غير اعتراض عليه جميعا او بعضكن باجاده
الطلاق لمن لم يطلقها وادامته لمن طلقها ان يبدله منكن بمجرد طلاقه لكن من غير ان يحوجه الى تعنيت بطلب لامثالها
فيه بما اشارت اليه قراءة نافع وابي جعفر وابي عمرو بالتشديد فهي ابلغ من قراءة الباقين بالتخفيف الدال على مطلق الابدال
الصالح للمبالغ فيه وغيره ومن التشريف ايضا اضافة الطلاق اليه والابدال الى الله مع التعبير بصفة الاحسان وتخصيص
الاضافة لضميره ولما كان الاوجع لقلب الحرة حرة مثلها لا سرية قال ازواجا ولما كان علوها عليها في الرتبة
هو النهاية في التأسيف قال خيرا ودل على انها للتفضيل بقوله منكن وهذا على سبيل الفرض وعامة في الدنيا والاخرة
فلا يقتضي وجود من هو خير منهن مطلقا وان قيل بوجوده في خديجة رضي الله عنها لما جرت من تحاملها على نفسها في حقه صلى الله عليه
وسلم وبلوغها في حبه والادب معه ظاهرا وباطنا النهاية القصوى ومريم عليها السلام التي احصنت حتى كانت من القانتين فذلك
في الاخرة والكلام خارج مخرج الشرط بالطلاق وقد علم سبحانه انه لا يقع لكنه سبحانه لو علم انه لو وقع ابدله صلى الله عليه
وسلم من هو بالصفات المذكورة المقتضية للاخلاص في طاعته كما اشار اليه قانتات ولا شك ان من لازم طاعته وقيد الانقياد
به في الدارين كان خيرا من غيره وتعليق بطلاق الكل لا يدل على انه لم يطلق حفصة رضي الله عنها فقد روي انه طلقها ولم
يزدها ذلك الا فضلا لان الله تعالى امره بان يراجعها لانها صوامة قوامة والله الموفق ولما وعد بما ذكر وكان اول
منظور اليه الظاهر فصل ذلك الوعد وبشر الجزية بادئا بقوله مسلمات اي ملقيات لجميع قيادهن ظاهرا وباطنا لله ولرسوله
صلى الله عليه وسلم على وجه الخضوع ولما كان المشاهد من الاسلام انما هو الظاهر قال مؤمنات اي راسخات في القوة
العلمية تصديقا بالباطن ولما كان ذلك قد يكون فيه نوع شوب قال قانتات اي مخلصات في ذلك لا اسابة في شيء منهن
فهن في غاية ما يكون من ادامة الطاعة له مع الذل والانكسار والمبادرة الى امتثال امره صلى الله عليه وسلم في المنشط
والمكره ولما كان الانسان مجبولا على النقصان وكان الاخلاص يدل صاحبه على تقصيره فكان ربما قرنه ذلك قال
تسهيلا لحل منه وتقربا لدوام طاعته مقبلا الادب لمحتاجه تائبات اي راجعات عن الهفوات والزلات سريعا ان
وقع منهن شيء من ذلك ولما كان هذا مصححا للعبادة مسهلا لدوامها قال عابدات اي مديمات للعبادة بسبب
ادامة تجديد التوبة ولما كان دوام العبادة مسهلا للخروج عن الدنيا قال سائحات اي متصفات بصفات
الملائكة من التخلي من الدنيا والاستغراق في الاخرة بما ادناه الصيام ماضيا فكان تابعا لوبه في مرده اعاد وتصير لطيف
الذات حلو الشمائل قال الملوي والمرأة اذا كانت كثيرة الصيام قليلة الاكل يقل عرقها وتصغر كرشها وتلطف رائحتها
وتخف حركتها المراد منها انتهى وسوق هذه الاوصاف بهذا السياق في عتاب من هو متصف بها معرف ان المراد منها
التمام لاسيما وهي لا توجد وصف منها على سبيل ان توخ الاكان مستلزما للسابقها فلذلك لم يحتج في تعدادها الى العطف
بالواو والتجريد عنه افعل في الدلالة على ارادة اجتماعها كلها ولما اكمل الصفات الدينية النافعة في صور
العشرة ابتعها ولم يتبع الا الصفات لكونه وكان التنويع الى عارفة بالعشرة وباقية على اصل الفطرة الذ واشهى
الى النفس قال معتبرا للنساء المتصفات بالصفات لست عاطفا ما في الوصفين بالواو للتضاد ثيبات قدمهن
لانهن اخبر بالعشرة التي هذا سياقها وابكارا ولما ابلغ سبحانه في عتاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
مع صيانتهن من التسمية اكراما له صلى الله عليه وسلم وانصافهن بهذه الاوصاف لعظمه على سبيل التوخ من دوام
صحبة النبي صلى الله عليه وسلم لهن ليكن من ازواجه في الجنة وكان اتصافهن في ذلك الذي داعهن الى السعادة العظمى
انما هو تحسن تأديبا ولياتهن لهن واكمل ذلك الادب تحسن عشرته صلى الله عليه وسلم وتأديبهن بكريم اخلاقه امر
ذلك امر لامته بالتأسي به في هذه الاخلاق الكاملة والتأسي باولياتهن في ذلك للتعرف من حق الله وحق الازواج مجمل
بذلك صلاح ذات البين المثمرة للخير كله فقال تعالى متبعا لهذه الموعظة الخاصة موعظة عامة دالة على وجوب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر للاقرب فالاقرب يا ايها مخاطبا لادنى الاسنان اشارة الى من فوقهم تأسي بمن رسخ قوله
الاسلام فهو غني عن امر جديد الذين آمنوا اي اقروا بذلك قوا انفسكم اي اجعلوا لها وقاية بالتأسي به صلى الله عليه وسلم
في ادبه مع الخلق والخالق في تبينه لمن يستحق اللين من الخلق لعظمها الخالق فعاملوه قبل كل شيء بما يعاملكم به من الادب
وكذا كونوا مع بقية الخلق ولما كان الانسان راعيا لاهل بيته ومسؤولا عن رعيته قال واهليكم من النساء والاولاد

وكل من يدخل في هذا الاسم قوهم نارا بالنصح والتأديب ليكونوا متخلقين بأخلاق أهل النبي صلى الله عليه وسلم كما روى أحمد والطبراني عن سعيد
ابن العاص رضي الله عنه رفعه ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن ولما كانت الأشياء لا تعظم في نفسها وعند المخبر بها إلا بما
بما تشتمل عليه من الأوصاف قال وقودها أي التي توقد به الناس والحجارة أي التي هي ألين الأشياء وأصلبها ما من ذلك هو لها وقود تطرق الأولى
وصفها بغاية الأدب في الاستمرار اتبعه وصف الغواة فقال معبرا بأداة الاستعلاء لأنه على تحكم من التصرف ولما
فيها عليها ملائكة أي يكون أمرها على سبيل الاستعلاء فلا تعصيهم شيئا لشاد بل لله لها غلاظ أي في الأبدان والقلوب فظاظة على أهلها لأجل
لذلك لعصيان الملك الأعلى ولما كان الغلظ قد يكون مع الرخاوة قال شداد أي في كل شيء يحاولونه بالقول والفعل حتى روي
أن الواحد منهم يلقي بالدفعة الواحدة في النار من الكفار سبعين ألفا ولما كان المعنى أنهم يوقعون غلظهم وشدتهم بأهل
المعاصي على مقادير استحقاقهم من ذلك بما خلع القلوب لكونه بأمر الله فقال لا يعصون الله أي الملك الأعلى في وقت من الأوقات ما أمرهم
أي أوقع الأمر لهم به في زمن ما ولما كان المطيع قد يحصل بعض المأمور به في أنه ينقص ركنا أو شرطا أو وقتا لنسيان أو نوم
ونحوه أو في معناه بوسوسة أو حديث نفس ونحوه ينقص عن إيقاعه على أعلى الدرجات كما قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه ابن ماجه
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما والطبراني عن ثوبان رضي الله عنه استقيموا ولن تحصوا قال نافيا لذلك عنهم ويفعلون أي
مجددين مع كل أمر على سبيل الاستمرار ما يؤمرون أي ما يتبع لهم الأمر به في أي وقت كان من غير نقص ما وبني الفعل لما لم يسم
فاعله كناية عن سهولة انقيادهم وإشارة إلى أن الذي أمرهم معلوم أنه الله ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم مراد
بأمر الأمة بالتأدب معه فكان لعمل الإخلال بالأدب معه كفرا علم أن هذه النار لأولئك فعلم أن التقدير يقولون يا أيها
الذين كفروا أي بالإخلال بالأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم فأداهم ذلك الإخلال بالأدب مع الله وبالأدب مع سائر
خلقه لا تعتذروا أي تبالغوا في إظهار العذر وهو إيثار الحيلة في دفع ما ظهر من التقصير اليوم فإنه يوم الجزاء لا يوم
الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار وصار الأمر إلى ما صار وإذا نهي عن المبالغة في الاعتذار لعدم نفعها كان النهي عن
مطلقه من باب الأولى وهذا أقطع لرجائهم وأجلب لتأسيهم لتعظم همهم وتنقطع قلوبهم لأن معناه أن الاعتذار لا ينفعكم
وإن بالغتم فيه ولذلك استأنف قوله على طريق الحصر إنما تجزون أي في هذا اليوم ما كنتم أي بما هو لكم كالجبلة والطبع
تعملون أي على سبيل الإصرار ولا بعد عن الله في أن يصور لكل إنسان صورة عمله بحيث لا يشك أنها عمله ثم يجعل تلك الصورة
عذابه الذي يجد فيه من الألم ما علم سبحانه أنه مقدار استحقاقه ولما أفهم الأمر بالوقاية والمدح للملائكة أن
المأمورين بالوقاية مقصرون قال مرشدا إلى دوام التقصير يا أيها الذين آمنوا أي ادعوا ذلك بما هو أدنى من أداة البعد توبوا أي
ارجعوا رجوعا تاما إلى الله الملك الذي لا كفؤ له ولما كان كل فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث قال توبة
نصوحا أي بالغة في كونها ناصحة على الإسناد المجازي أي نصوحا فيها بالإخلاص في الأزمان الثلاثة الماضي بالندم والحال بالإقلاع
والمستقبل بالعزم على عدم العود إلى الذنب فلا يبقى فيها رجوع كما لا يعود الحليب إلى الضرع فلا يؤذي أحد رسوله صلى الله عليه
وسلم فإن أذى رسوله من أذاه قال القرطبي النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود
بالجنان ومهاجرة سيئ الإخوان وقال [illegible] أن يكون لله وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه
ولما أمر بالتوبة عللها بما يفيد للاطباع من الإقامة بين الرجاء والخوف إعلاما بأن هذا المقام هو المنجي لأنه اعتقاد
الكمال له سبحانه وهو أن له أن يفعل ما يشاء في المطيع وغيره بقوله عسى ربكم أي افعلوا ذلك ليكون المحسن إليكم بهذا
البيان جديرا وحقيقا أن يكفر أي يغطي تغطية عظيمة عنكم أي بالتوبة إذا كان التائب على خطر فما ظنك بالمصر سيئاتكم أي
ما بدا منكم مما يسوء ولما ذكر نفع التوبة في دفع المضار ذكر نفعها في جلب المسار فقال ويدخلكم أي يوم الفصل جنات
بساتين كثيرة الأشجار تستر داخلها ولما كان ذلك لا يجري في بعض أرضها قال معبرا بأداة التبعيض تجري
من تحتها أي تحت غرفها وأشجارها الأنهار فهي لا تزال ريى ولما ذكر الغفران والإكرام ذكر وقته فقال [illegible] للأهله
معرضا لغيرهم مستحقا لأهل وده بكونه ونفيهم ولم يخذلهم كما غدا آية يوم لا يخزي الله أي الملك الأعظم النبي أي الرجل الذي
ينبئه الله بما يوحي إليه الرفعة التامة من الإخبار التي هي في غاية العظمة والذين أي ولا يخزي الذين آمنوا معه وهم الصحابة
رضي الله عنهم إن كان المراد المعية في مطلق الزمان وسابقوهم إن كان المراد في الوصف أو زمان مخصوص كبيعة الرضوان
لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما رواه مسلم عن أم مبشر رضي الله عنها وأبو داود والترمذي
عن جابر رضي الله عنه ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقال تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل
الفتح وقاتل إلى قوله وكلا وعد الله الحسنى وتساوم رضي الله عنهم [illegible] مع الكون معه في الإيمان لسعد عن
النار وإذا استحضرت قصص الأنبياء من سورة هود عليه السلام اتضح لك حسن هذا الوجه ويجوز أن يكون الذين
مبتدأ وخبره نورهم أو يكون الخبر إشارة معه إلى أن جميع الأنبياء وصالحي أممهم من أمته وتحت لوائه وذلك في غاية ما يكون

من الشرف والرفعة له صلى الله عليه وسلم والإيمان المقيد بمعيته أي بأهل المصاحبة أمانه صلى الله عليه وسلم غير الإيمان المطلق ولا ما
من أن يدخل غيرهم من المؤمنين النار ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين فلا تمسك للمعتزلة بها في أن مرتكب الكبائر يخلد في النار لأنه داخل النار
فهو مخزي فهو غير موصوف بالإيمان لأن من أضعف الإيمان الأجرى بدليل الآية قال أبو حيان وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم تضرع في
أمر أمته فأوحى الله إليه إن شئت جعلت حسابهم إليك فقال يا رب أنت أرحم بهم مني فقال تعالى إذا لا أخزيك فيهم ولما نفى عنهم
الخزي بشرهم بقوله مقدما للنور لأن السياق لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف ما مضى في الحديد نورهم يسعى أي سعيا مستمرا متجددا
وعلى التفسير الآخر يكون هذه الجملة حالية ويجوز أن يكون خبر الذين إذا جعلناه مبتدأ بين أيديهم وحذف الجار إشارة إلى أنه ملء
تلك الجهة وكذا وبأيمانهم وأما ما يلي شمائلهم فإنهم لا يلتفتون إليه لأنهم إما من السابقين وإما من أهل اليمين فهم يمشون في جهات
الجهتين ويؤتون صحائفهم منهما وأما أهل الشمال فيعطونها من وراء ظهورهم ومن شمائلهم وهم ما لهم من النور إنما الواسع
لهذه وإن سعوا سعوا ولما كانت إدامة التعبد للملك أشرف صفات العبد قال يقولون أي مجددين لذلك دائما لعلمهم
أن الله تعالى له أن يفعل ما يشاء لا حق لأحد عليه ولا سيما إذا رأوا انطفاء نور المنافقين كما سيأتي لا يسقط الافتقار إلى الله
عن المؤمنين في الدنيا ولا في الآخرة بل هم في الآخرة أشد افتقارا إليه وإن كانوا في دار العز لشوقهم إلى لقائه ربنا أي
أيها المفضل علينا بهذا النور وبكل خير كان أو يكون فيه أتمم ولما كان الإنسان ربما رزق شيئا
فانتفع به غيره دونه قالوا لنا نورنا أي الذي منت به علينا حتى يكون في غاية التمام متوصلا به إلى المأمن من دار السلام
ولا تجعلنا كالمنافقين الذين أطفأت أنوارهم فكانت عاقبتهم إلى الظلام ولما كان كل من حسن أدبه لا بد أن يعتقد
في نفسه النقص قالوا واغفر لنا أي امح عنا كل نقص كان يميل بنا إلى أحوال المنافقين عينه وأثره وهذا النور هو صورة
أعمالهم في الدنيا لأن الآخرة تظهر فيها حقائق الأشياء وتتبع الصور معانيها وهو شرع الله الذي شرعه وهو الصراط الذي
يضرب بين ظهراني جهنم لأن الفضائل في الدنيا متوسطة بين الرذائل فكل فضيلة تكتنفها رذيلتان إفراط وتفريط [illegible]
في الصراط المستقيم والرذيلتان ما كان من جهنم عن يمينه وشماله فمن كان يمشي في الدنيا على ما أمر به سواء من غير إفراط
ولا تفريط كان نوره تاما ومن أمالته الشهوات طفئ نوره في بعض الأوقات واختطفته كلاليب على صور الشهوات
فمال به في النار بعد رسله الله بها والمنافق يظهر له نور إقراره بكلمة التوحيد فإذا مشى طفئ لأن إقراره لا حقيقة له
فنوره لا حقيقة له ولما كان ما ذكر لا يقدر عليه إلا الله علله بقوله مؤكدا لإنكار الكفار البعث وما يتفرع عنه
إنك أي وحدك على كل شيء أي ممكن دخول المشيئة فيه قدير أي بالغ القدرة ولما ذكر ما تقدم من لينه صلى
الله عليه وسلم لأضعف الناس النساء وحسن أدبه وكريم عشرته لأنه مجبول على الشفقة على عباد الله والرحمة لهم وختم بما
للمؤمنين من الشرف ولله من تمام القدرة أنتج ذلك القطع بإذلال أعدائهم وإخزائهم فقال مقبلا بالأمر [illegible] ذلك
اليوم بيدا نصح الخلق ليكون صلى الله عليه وسلم جامعا في طاعته سبحانه بين المتضادات من اللين والشدة والرضى
والغضب والحلم والانتقام وغيرها فيكون ذلك أدل على التعبد لله بما أمر به سبحانه والتخلق بأوامره وكل ما يرضيه
يا أيها النبي مناديا بأداة التوسط إسماعا للأمة الوسطى تنبيها على أنهم المنادون في الحقيقة ولأجله لا لأنها على التوسط
والله أعلم كان ما يتبعها الإمالة شأن عظيم معبرا بالوصف الدال على الرفعة بالإعلام بالأخبار الإلهية المبنية
على الأحكام والعظمة المثمرة للغلبة وأما وصف الرسالة فيغلب فيه الرحمة فيكثر إقباله إلى اللين والمسايسة نظرا
إلى وصف الربوبية جاهد الكفار أي المجاهرين بكل ما يجهدهم فكفهم من السيف وما دونه فيعرفوا أن الأسود إنما اكتسبت
من صولتك فيعرفوا أن ذلك اللين لأهل الله إنما هو من تمام عقلك وعزيز علمك وفضلك وكبر حلمك وخوفك من الله وسلك
والمنافقين أي المساترين بما يليق بهم من الحجة إن استمروا على المساترة والسيف إن احتيج إليه إن أبدوا أنواع مظاهرة
واغلظ أي كن غليظا بالفعل والقول بالتوبيخ والزجر والإبعاد والهجر عليهم فإن الغلظة عليهم من اللين لله كما أن اللين
لأهل الله من خشية الله وقد أمر سبحانه باللين لهم في أول الأمر لإزالة أعذارهم وبيان إصرارهم فلما بلغ الرفق
أقصى مداه جاز أوانه إلى الغلظة وتعداه وقد بان بهذه الآية أن فعل التفضيل في قول النسوة لعمر رضي الله عنه
أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم على بابه ولا [illegible] ولما كان انتقام الولي من العدو إنما هو
لله لا حظ له فيه وكان موجحا لعدم اكتفاء الله به في حق الولي فكان التقدير فإنهم ليس لهم عصمة ولا حرمة في الدنيا
والآخرة ولا قوة وإن لاح في أمرهم خلاف ذلك عطف عليه قوله ومأواهم أي في الآخرة جهنم أي الدركة النارية التي
تلقى داخلها بالعبوسة والكراهة ولما كان التقدير إنها مصيرهم لا محالة عطف عليه قوله وبئس المصير أي
هي ولما كان الاستئصال في الإنجاء والإهلاك [illegible] الله لهم عن الإساءة إلى أوليائه والانتقاص لأحبائه
أشبه شيء بحال أهل الدنيا به في الدنيا والآخرة في الدنيوية بالعدل والفضل وكان المفتتح به السورة عتاب النساء

ثم اتبع بالامر الناد بجميع الائمة الا انختم هلاك الحالف في الدارين وكان للكفار عزا بات بالمسلمين دعا الى انفسهم والمسلمين
قرابات بالكفار بحاربهم انفا نفعهم فالمحبتا بالمخل من الاقارب بمثالين يسكر عليه صلى الله عليه وسلم من النسا وضرب
الله اى الملك الذى احاط بكل شى عبادة وقدرة مثلا نعلم به من ضربه قابلية العلم ونعظ به من ليه اهلية الاتعاظ للذين كفروا
اى غطوا الحق على غيرهم وعلى انفسهم وعلى غيرهم سوا كانوا مشاققين ومنافقين وعدم انتفاعهم مع كفرهم بما بينهم وبين من
من الوصل والعلاقه تغلظ عليهم في الدارين بما يستحقون من غير محاباه لاحد وان اجل بغاية وعلا بنفسه وبرابته
لان الكفر قاطع للعلاقه بين الكافر والمسلم امراة نوح الذى اهلك الله من كذبه بالحب والحنف والاغراق وامراة لوط
قبل واهله ودل على وجه الشبه بقوله كانتا اى مع كونهما كافرتين ولم ينكل نحنهما بل اظهر بوصف العبودية المضافة اليه سبحانه
والوصف بالصلاح لان ذلك انخم فيكون اشد تابنا للموعوظ واعظم ودفعا لان يتوهم شى لا يليق بمقامهما عليهما الصلاة والسلام
فقال تحت عبدين اى كل واحد منهما تحت واحد وعبر بذلك لان ابتر النساء عند الملك كما تقدم ودل على كثرة عبيده تبنيهما
على عناه بقوله من عبادنا كالمتطبقات العرب منفاوته بحسب الصلاح قال صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام
فخانتاهما بعدم المتابعة في الدين نفاقا منهما لا بالخيانة في الفراش فقد صان الله جميع الانبياء من ذلك ولم يعل واحد منهما
لاجل كفر بهما رب اجعلنى مع بنتك في الجنة واذن بعدم قبول الشفاعة فيمن اسا الى الحبيب ونعذ انه حتما للشقى بقوله
فلم اى فتسبب عن ذلك ان العبدين الصالحين لم يغنيا عنهما اى المراتين بحق الزواج من الله اى من عذاب الملك الذى له الامر كله
ولا امر لغيره شيئا اى من اغنا لاجل خيانتهما بالمخالفة في الدين ودل على كمال قدرته تعالى بالتعبير بالمجهول فقال وقيلا اى للمراتين
ممن اذن له في القول النافذ الذى لا مرد له ادخلا النار اى مقدمتهما من الاصرار على الكفر ثم الاهلاك لعذاب لا انفكاك له
في الدنيا وحقيقتهما في الاخرة لان الله ابغضهما لانهما عدو ولا ولياته وذلك كما قيل عدو صديقي ليس لي بصديق
(ولما) فعلنا فعل الرجل الى سفلا لهما وعدم عدهما لانفسهما تبعا غلط عذابهما بالكون مع الرجال في عذابهم فقال
والاعلى بنفوذ الحكم فيمن هو اقوى منهما بعد نفوذه فيهما مع الداخلين اى الذين هم اعظم منهما ممن لهم وصلة باهل الله وممن لا
وصلة لهم بهم تلبسا وادب كل احد مع النبى صلى الله عليه وسلم غاية الادب خوفا من مثل ذلك وهذا خالع القلوب من اشد ايات
رضى الله عنهن ثم مثل للنذارة بان طاعة المطيع لا تنفع العاصي وان كان اقرب الناس الى المطيع الا ان كان له اساس
بعض البنا عليه وجوز الاعتداد به والنظر اليه اتبعه مثل البشارة بان عصيان العاصي لا يضر المطيع فقال وضرب الله اى
الملك الاعلى الذى له صفات الكمال مثلا للذين امنوا ولو كانوا في ادنى درجات الايمان مبينا ان وصلة الكفار اذا كانت على
وجه الاكراه والاجبار لا تضر امراة فرعون واسمها اسية بنت مزاحم امنت وعملت صالحا فلم تضرها الوصلة بالكافر بالزوجية
التى هى من اعظم الوصل ولا نفعه اعانه كل امرئ بما كسبت رهين واثابها ربها سبحانه ان جعلها في الاخرة زوج خير خلقه
محمد صلى الله عليه وسلم في دار كرامته بصبرها على عبادة الله وهى في حبالة عدوه واسقط وصفه بالعبودية دلالة على حقارته
وعدم رحمته لانه اعدى اعدائه واشار الى وجه الشبه في المثل وهو التحيز الى حزب الله بقدر الوسع فقال اذ اى مثلهم
مثلها حين قالت تضرعا بالبعث ينادى به بدا الخواص باسقاط الاداة لاجل انها مومنة وان كانت تحت كافر فلم
تضرها صحبته شيئا لاجل عملها رب اى ايها المحسن الى بالهداية وانا في حبالة هذا الكافر الجبار ولم يعذبنى بعذاب الدنيا
(ولما) كان الجار مطلوبا كما قالوا اقبل الدار اطلبت خير جار وقدمت الظرف اهتماما به لنصبه على المجاورة
ولدلالته على الزلفى فقالت عندك بيتا وعينت مرادها بالعندية فقالت في الجنة اى دار المقربين فطهى من اولئك لاكلابها
واخره ان مطلوبها احص في داره وقد اجابها سبحانه بان جعلها زوجة لخاتم رسله الذى هو خير خلقه واقربهم منه
فكانت معه في منزله الذى هو اعلى المنازل (ولما) سالت ما خيرها الى جناب الله سالت دفع ما يباعدها في الدارين من اعدائه
فقالت ونجنى اى نجاة عظيمة من فرعون اى فلا اكون عنده اى ولا تسلطه على بما يضرنى عندك وعمله اى ان اعمل بشى منه ونجنى
من القوم الظالمين اى الناس الاقويا الاعزة الذين يضعون اعمالهم في غير مواضعها التى امروا
بوضعها فيها فعل من يمشى في الظلام عامة وهم القبط لا تخالطنى باحد منهم فاستجاب الله دعاها واحسن اليها لاجل محبتها
للمحبوب وهو موسى عليه السلام لما غلب السحرة امنت به فعذبها فرعون فماتت بعد ان اراها الله بيتها في الجنة ولم يضرها
كونها تحت فرعون شيئا لانها كانت معذورة في ذلك فالاية من الاحتباك حذف اولا ولا علم تشا الا الجنة لدلالة
اليه ثانيا عليه وحذف ثانيا كانت تحت كافر الدلالة الاول عليه (ولما) اتم المثل من اساوا الادب فلم ينفعها الوصلة
بالاولياء بل زادتهما ضررا الاعراض عن الخير مع قربه وتيسره ومن احسنت الادب فلم تضرها الوصلة بالاعدا
بل زادتها خيرا الاحسان مع قيام المنفر لها عن الاحسان ضرب مثلا بفرعونيهما في قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان
عن ابى موسى رضى الله عنه كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وفضل عائشة على النساء

كفضل الثريد على سائر الطعام ومع مقارنتهما لها مزاحم في الكمال فبين حالهما في البنوة والكون طباق فلم ينلها سبحانه بخلطه زوج
جعلهما بما تقدم من صنفى الثيبات والابكار اللاتى تعظهما لنبيه صلى الله عليه وسلم فاحسنت الادب في نفسها مع الله ومع سائر
من لونهما الادب معه في عبادته فاحسن لهما رعايتها على ما وفقها عليه من الاحسان وذلك رعاية لاسلافهما اذ كانوا من اعظم
الاحباب فقال ومريم اى وضرب مثلا لاهل الانفراد والعزلة من الذين امنوا مريم ابنة عمران احد الاحباب وذكر وجه الشبه
فقال التى احصنت فرجها اى عفت عن السوء وجميع مقدماته عفة كانت كالحصن العظيم المانع من العدو فاستمرت على بكريتها الى
الممات فتزوجها في الجنة خير الخلق عبادنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وامام المرسلين (ولما) اغنت بالتهابوح
الله الذى بثه في قلبها من محبة الذكر والعبادة عن الانس بازواج الناس كان ذلك سببا لان وهبها روحا منه جسدا في اكمل الصور
المعدودة في ذلك الحين فقال مخبرا عن ذلك فنفخنا اى بعظمتنا بواسطة ملكنا روح القدس (ولما) كانت هذه الصورة
لتشريف النبى صلى الله عليه وسلم وتكميل نسائه في الدنيا والاخرة نص على المقصودية بتذكير الضمير ولم يؤنثه قطعا للسان
من يقول لعنا ان المراد نفخ روحها في جسدها فقال فيه اى فرجها الحقيقى او هو جيبها وكل جيب سمى فرجا وبنى له على الاول
قراءة فيها شاذة من روحنا اى روح هو اهل لشرفه عظمنا من خلقه ولطف بكونه ان يضاف الينا لكونه خارجا عن المسببات
المعتادة وهو جبريل عليه السلام او روح الحياة (ولما) كان التقديس وكان ما اردناه بحملها من غير ذكر وولدت عيسى
عليه السلام الذى كان من كلمتنا وهى احمل نشر كلمتنا كن حمل من غير ذكر ثم كلمتنا لديه يا مريم من غير مساعد ثم كلمتنا تكلم يا عيسى
في المهد بالحكمة عطف عليه قوله وصدقت فاستحقت لذلك ان تسمى صديقة بكلمات ربها اى المحسن اليها بما تقدم وغيره مما كان
من كلام جبريل بسببه ومن عيسى عليه السلام ومما تكلم به عن الله وكتابه اى الضابط الجامع لكلامه الذى نزل على ولدها وغيره
من كتب الله كما دل على ذلك قراءة البصريين وحفص بالجمع (ولما) كان التصديق ربما كان تصديقه في الظاهر وسرنا
بين في الضمائر فقال وكانت اى جبلة وطبعا شرفها بان جعلها في رتبة الاكمل وهم الرجال فقال من القانتين اى المخلصين الذين
في غاية القوة والكمال لانها كانت من شان الاحباب المصطفين على العالمين فلم تكن عبادتها تقصر عن عبادة الاقويا الكملة وقد
اتم سبحانه الامثال في الاداب بالثيبات والابكار الاخيار والاشرار فالعطف اخر السورة على اولها في المعانى والاداب
وزاد ذلك حسنا كونهما في النساء وفي الذوات والاعيان بزواج النبى صلى الله عليه وسلم لاسية امراة فرعون ومريم ابنة
عمران في الجنة دار القرار السالمة من الاكدار الزواج الابدى فصار اول السورة واخرها في ازواجه صلى الله عليه
وسلم وفي ختامها بالقنوت الذى هو خلاصة الاوصاف الماضية في الابكار المذكورات اعظم مناسبة والله الهادى

سورة الملك [illegible] والواقية والمنجية قال الولي الملوى هذه السورة كان [illegible] يحبها الكثير علومها وقال وددت لو كانت في صدر [illegible]

مقصودها الخضوع لله لاتصافه بكمال الملك الدال عليه قطعا احكام المكونات الدال عليه تمام العلم الدال عليه مع احكام
المصنوعات علم ما في الصدور ولينتج ذلك العلم بتحتم البعث ليدينونه العباد على ما هم عليه من الصلاح والفساد كما هى عادة
الملوك في دينونة رعاياهم لتكميل الحكمة وتتميم النعمة وتظهر صورة الملك واسمها الملك واضح في ذلك لان الملك محل الخضوع
من كل من يرى الملك وكذا تبارك لان من كان كذلك كان له تمام الثبات والبقا فكان له من كل شى كمال الخضوع والانقيا
وكذا اسمها المانعة والواقية والمنجية لان الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة ومن لزمها نجا مما يخاف ووقى من كل هول
وفي كل محل ور بسم الله الذى خضعت لكمال عظمته الملوك الرحمن الذى عم بنعمته الايجاد وبيان محل السلوك الرحيم الذى خص
اولياءه بتمام الهداية وزوال الشكوك (لما) ختمت تلك بان من اعرض عنه سبحانه اهلكه ولم يغن عنه احد
ومن اقبل عليه رفعه واستخلصه فلم يضره احد وختم بانه قوى مريم عليها السلام حتى كانت في درجة الكملة ورزقها الرسو
في الاخلاص وكان مثل هذا لا يقدر على فعله الا من لا كفوء له وكان من لا كفوء له اهلا لان تخلص له الاعمال ولا يلتفت الى سواه
كان لانه الملك الذى يملك الملك قال مشيرا اللهم الى الاستبصار المنير للارادة الى رياضة تثمر جميع ابواب السعادة
تبارك اى تكبر وتقدس وتعالى وتعاظم وثبت شانا لا مثل له مع اليمن والبركة وتواتر الاحسان والعلا
كان بمنزلة الملك قد لا يكون متمكنا من انفاذه في بذل او اعطاء ما يريد منه لغيره ونزعه منه متى اراد قال الذى بيده اى
بقدرته ونصرته لا بقدرة غيره الملك اى من ظاهر العالم فانه كل يدبر له ويدبر فيه ويعطيه اظهار ما يريد لا مانع
له من شى ولا كفوء له بوجه وهو كناية عن الاحاطة والقهر وذكر اليد انما هو تصوير للاحاطة ولتمام القدرة
لانها محلهما مع التنزه عن الجارحة وكل ما نفهم حاجة او شبها بالخلق وقال الامام ابو جعفر بن الزبير وورود ما افتتحت
به هذه السورة من التنزيه وصفات التعالى مما يكون عقيب تفصيل وايراد عجائب من صنعه سبحانه كوروده في قوله
تعالى فتبارك الله احسن الخالقين عقب تفصيل لتقلبات الانسان من لدن خلقه من سلالة من طين الى انشائه خلقا

احد وكذا كل ما ورد من هذا ما لم يرد اثنا، اى قد جردت للتنزيه والاعلام بصفاتنا لتعالى الجلال ولما كان اوقع فى
اخر سورة التحريم ما فيه اعظم عبرة لمن يذكر واعلى آية لمن استبصر من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين صالحين قد نفعهما الله رحمة لعباده
واجتهدا فى ضرار الخلق بحرم الاستنادة بنور ربهما والعباد بهداهما من لم يكن احد من جنسهما اقرب لهما منه ولا اكثر مشاهدة لما
بدا به من الآيات وعظيم المعجزات ومع ذلك فلم تغنيا عنهما من الله شيئا ثم اعقبت هذه العظة بما جعلت فى طرف نقيض
من حالها وهو ذكر امرأة فرعون التى لم تضرها مرتكب صاحبها وعظيم جرأته مع شدة الوصلة واستمرار الالفة لما سبق لها فى العلم القديم
السعادة وعظيم الرحمة فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة وحصل فى هاتين القضيتين تقديم سبب رحمة تم التمسك به اولى الالباب
فى ظاهر الامر وتقديم سبب امتحان عصم منه اقرب الناس الى التورط فيه ثم اعقبت ذلك بقصة عن بعض مثل هذين الشيئين واتصلت
فى مقدماتهما عن تلك القضيتين وهو ذكر مريم ابنة عمران ليعلم العاقل حيث تضع الاسباب وان القلوب بيد العزيز الوهاب
اعقب تعالى ذلك بقوله الحق تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير واذا كان الملك بيده سبحانه يؤتى الملك والفضل
من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء كما صرحت به الاية الاخرى فى آل عمران فقد اتضح اتصال سورة الملك
بما قبلها ثم تنبت سورة الملك على التنبيه والاعتبار ببسط الدلائل ونصب البراهين حسبما يبسطه التفسير انتهى ولما
كان التصرف فى الملك قد لا يكون قدرته تامة ولا عامة قال وهو اى وحده لا عظمته تستولى على القلوب وسياسته تعم كل جليل ودقيق
لانه على كل شئ اى ممكن يشاؤه من الملك وغيره من باطنه وهو الملكوت وغيره مما وجد ومما لم يوجد قدير اى تام القدرة ودل
على ذلك بقوله الذى خلق اى قدر واوجد كان الخوف من ايقاع المولم ادعى الى الخضوع لانه ادل على الملك مع ان
الاصل فى الاشياء العدم قدم قوله الموت اى هذا الجنس وهو زوال الحياة عن الحى الذى هو فى غاية الاقتدار على الفعل بجعله
جمادا كان لم يكن به حركة اصلا واول ما يفعل فى تلك الدار بعد استقرار كل فريق فى داره ان يعدم هذا الجنس فيذبح بعد ان يصور
فى صورة كبش والحيوة اى هذا الجنس وهو المعنى الذى يقدر الجماد به على التقلب بنفسه بالارادة. وقال ابن عباس رضى الله عنهما
الموت خلقه الله على صفة كبش املح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه الا مات والحياة على صورة فرس بلقاء هى التى كان جبريل والانبياء عليهم السلام
يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها الا حيى وهى التى اخذ السامرى قبضة من اثرها على الحلى الذى القاه بنو اسرائيل فنوى ان
يكون عجلا فصار عجلا ولما ذكر الدال على القدرة اتبعه غايته وهو الحكم الذى هو خاصة فقال ليبلوكم اى يعاملكم
وهو اعلم بكم من انفسكم معاملة المختبر لاظهار ما عندكم من العمل بالاختيار ايكم احسن عملا اى من جهة العمل اى عمله
احسن من عمل غيره وعبارة القرآن فى اسناد الحسن الى الانسان تدل على ان من كان عمله احسن كان هو احسن ولو انه اسوأ الناس
منظرا ومن كان عمله اسوأ كان بخلاف ذلك والحسن انما يدرك بالشرع فما حسنه الشرع فهو الحسن وما قبحه فهو القبيح
وكان ذلك مفيدا للقيام بالطاعة لان من يتفكر فى حاله علم انه مباين لبقية الحيوانات بعقله وللنباتات بحياته
وللجمادات بنموه وان ذلك الجسد ليس من ذاته بدليل موته فما كان له ذلك الا بفاعل مختار له الحيوة فى ذاته مجتهد فى رضاه
باتباع رسله ان كان عاقلا فيشكره اذا انعم ويصبر له اذا امتحن وانتقم ويخدمه بما امره وينزجر عما عنه زجره فهذه
الاية مشتملة على وجود المقتضى اعداد او ارشاد فالاعداد اثابته سبحانه للعبد باعداده لقبول السعادة كالحداد يلين الحديد
بالنار ليتقبل ان يكون سكينا والارشاد اخذه بالناصية الى ما اعد له كضربه السكين واصلاحها للقطع بها وانتفاء المانع
هو الموقوف عن ذلك وهو دفع المشوشات المفسدات كتثلم السكين وهو يجرى مجرى السبب وسبب السبب وهو ما اشتمل
عليه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اعنى ولا تعن على الحديث فذكره لتمام القدرة والعزة مع ذكر الاحسن دال على توفيقه
بما ذكر ومن تامل الاية عرف انه ما خلق الا ليتميز جوهره من صدف غيره او صدفه من صدف غيره وان الدنيا مزرعة
وان الاخرة محصدة فيصير من نفسه على بصيرة وتارة فى ارادته لما خلق له وتارة بالنظر الى جمال ربه من حسن واحسان
واحرى الى جلاله من قدرة واحكام وتارة بالنظر لنفسه بالشفقة عليها من خزى الحرمان فيجتهد فى رضى ربه وصلاح
نفسه خوفا من عاقبة هذه البلوى كان لا يفعل الابتلاء منا الا جاهل بالعواقب وعاجز عن رد المسئ عن اسائته
وجعله محسنا من اول نشأته فلا نقدر ان نأمن الا على عن مثيجاله بعد ان نفاه بلطيف تدبيره وعظيم امره فى خلق الموت والحيوة
ومن يلا لوصف لعزة بما قد يقوله من يكون تقوى لهم انا لا احتاج الى تعب كبير فى الوصول اليه سبحانه بل اصل اليه اى
وقت شئت بالسرعة وهو اى والحال انه وحده العزيز اى الذى يصعب الوصول اليه جدا من العزاز وهو المكان الوعر والذى
يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ فلو اراد جعل الكل محسنين ولا يكون كذلك الا وهو تام القدرة فيلزم تمام العلم والوحدانية
ووجوب الوجود ازلا وابدا ولما كان العزيز منا يهلك كل من خالفه اذا علم بمخالفته قال مبينا انه سبب امهاله للعصاة ترغيبا
للمسئ فى التوبة بعد ترهيبه من الاصرار على الحوبة لانه قد يكون مزدريا بالفتنة فاعلا مثل لا يصلح للخدمة لما لم يرد له
القاطعة وان التراب من ذنب لا ارباب الغفور اى انه مع ذلك يفعل فى محو الذنوب عينا واثرا فعل المبالغ فى ذلك

وسلبى بن امثل اليه احسن بلمى كما قال تعالى فى الحديث القدسى ومن اتانى يمشى اتيته هرولة ولما اثبت له سبحانه صفتى العز والعفو
على ابلغ ما يكون دل على ذلك بقوله الدال الاعلى كمال تفرده لعجائب آيات الانفس بآيات الافاق ارشادا الى معالى الاخلاق الذى خلق اى ابدع
على هذا التقدير من غير مثال سبق سبع سموات حال كونها طباقا جمع طبق كل واحدة منها كانها لشدة مطابقتها الاخرى طابقتها
مطابقتها بحيث يكون كل جزء منها مطابقا لجزء من الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك وهى لا تكون كذلك الا بان تكون الارض
كرة والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة بالبيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى ان يكون العرش
محيطا بالكل والكرسى الذى هو اقربها اليه بالنسبة اليه كحلقة ملقاة فى فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء فى التى فوقها بهذه
النسبة وقد قرر اهل الهيئة انها كذلك وليس فى الشرع ما يخالفه بل ظواهره توافقه ولا سيما التشبيه بالحلقة الملقاة
فى فلاة كما مضى بسط ذلك فى سورة السجدة واحاط سبحانه بالارض منافعها من جميع الجوانب وجعل المركز بحيث يجذب اليه
الاسفل فكيف ما مشى الحيوان فى جوانبها ان يكون رجلاه الى الارض وراسه الى السماء لتكون السماء فى رأسه دائما اعلى والارض
اسفل فى اى جانب كان هو عليها فسبحان اللطيف الخبير ولا شك ان من تفكر فى هذه العظمة مع ما لطف بنا فيها عجبا
لنا من المنافع اثره سبحانه بالحب وافرده عن كل ضد قطعا بالحال اليه ولم يعول الا عليه فى كل دفع ونفع وسارع فى مراضيه
ومحابه فى كل خفض ورفع ولما كان ذلك فى حد ذاته خارجا عن طوق المخلوق وكان سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام
وما بين كل سماءين كذلك مع عدم الفروج والعمد والاطناب فكان ذلك النهاية فى الخروج عن العادة فى حد ذاته
ولانه قيل ان القبة اذا بنيت بلا فروج ولا شئ يدخل الهواء منه تفسد وتسقط دل على عزته بعظيم صنعه فى ذلك بقوله
واصفا لها ما ترى فى وكان الاصل خلقها ولكنه دل على عزته وعموم عظمته بقوله خلق الرحمن اى الهادى لعبيدها ولو رحمته وعموم
رحمته التى اقتضت اكرامه لخليقه بعد عفرانه لما ظهر من النقائص بما احسن اليهم بها فى اتساعها وزينتها وما فيها من المنافع واعرق
فى النفى بقوله من تفاوت من صغير ذلك الخلق وكبيره بالنسبة الى الخالق فى ايجاده له على حد سوا انما قوله اذا اراده كن فيكون
لا فرق فى ذلك بين الذرة مثلا والعرش ولا بالنسبة الى الخلائق فى عجز صغيرهم وكبيرهم عن ايجاد شئ من العدم وصغيرا كان او كبيرا
جليلا كان او حقيرا ولا ترى تفاوت فى الخلق بان يكون شئ منه فاتتا للاخر بالمخالفة والاضطراب والتناقض فى الخلقة غير مناسب
له بان يكون خارجا عنه او منافرا له فى مقتضى الحكمة وآثار الاحسان فى الصنعة والنزول عن الاتقان والاتساع والخروج
عن الاحكام والاتفاق والدلالة للخالق على كمال القدرة وللمخلوق على العجز وتنبيه من ضعف البنية بحيث يكون كل واحد
كالطالب لان يخالف الاخر او نجم لان يفوت الاخر وتخالفه على قراءة حذف الالف والتشديد بحيث يكون التفاضل فى الزوجات
وعدم المساواة كانه مقصود بالذات وبالقصد الاول فاذا وقع فى شئ منه مخالفة كان على وجه التبع ولتعلم انه ليس
مقصودا بالذات وانما اريد به الدلالة على الاختيار وان الفاعل هو القادر المختار لا الطبيعة. قال الرازى كان
التفاوت الشئ المختلف لا على النظام. وقال البغوى من اعوجاج واختلاف وتناقض. وقال غيره عدم التناسب كان بعض
الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه وهو من الفوت وهو ان يفوت بعضها بعضا لقلة استوائها. وقال ابو حيان والتفاوت تجاوز
الحد الذى يجب له زيادة او نقصا انتهى ويظهر ذلك بان اعلى الخلق اجوف والاجوف يعمل مبسوطا ثم يضم ويوصل احد جانبيه
بالاخر فيكون ثم نوع فطر يعرفه اهل الحذق وان اجتهد صانعه فى اخفائه وان كان فيه اشياء متقابلة كان فيها تفاوت
ولو قل وان اجتهد الصانع فى المساواة وخلق الله لا تفاوت فيه بوجه فالسموات كرية ولا ترى فى جانب منها شقا
ولا فطرا اطلاقا ولا خفايا والحيوان اجوف ولا ترى فى شئ من جسده فيما يكون الضم والتجويف وقع به وكل من متقابلة
مساو للاخر كالعينين والاذنين والمنخرين والساقين ونحوها مما يقصد فيه التساوى لا تفاوت فيه اصلا الى غير ذلك مما
يطول شرحه ولا يمكن ضبطه فسبحان من لا تتناهى قدرته ولا تتناهى مقدوراته ولا تحصى بوجه معلوماته وكل ذلك
عليه هين والامر فى ذلك واضح بين هذا مع الاتساع الذى لا يدرك مقداره باكثر من ان كل سماء بالنسبة الى التى فوقها
كحلقة ملقاة فى فلاة الى ان يوصل الى الكرسى ثم العرش العظيم ومن سكونهما كذلك لحصول النفع بكل منهما من الكواكب
مربوطة او سيسة او منورة والاتصالات ممطرة ومنبتة بجرى كل ذلك منهما على ترتيب مطرد ونظام غير منخرم متقدر
جريه بالقسط مرتب على منافع الوجود ومصالح الكائنات كلها متكفولة عما هو اللطيف الخبير شريف لا يتعدى شئ
منها طوره ولا يتخطى حده لا يرسب فيما تحته من الهواء فهوى ولا يرتفع عن محله مقدار ذرة فيطغو قد احاط بكلها
الامر وضبطها صاغرة العز كان العلم الناشئ عن الحس اجلى العلوم دل على بديع ما ذكر بمشاهدة الحس له وكذلك
سبب عنه قوله منبها بالرجع الذى هو تكرير المرجوع على ان كل احد يشاهد ذلك كذلك من حين يعقل الى ان يبلغ حد التكليف
المقتضى للمخاطبة بهذا الكلام فارجع البصر اى لتعدد رد بصرك له قبل ذلك ودل بتوجيه الخطاب نحو اكمل الخلق فى السمع والبصر
والبصيرة وكل يعنى الى ذلك لا شبهة فيه ولما كان السؤال عن التى تدل على شدة الاهتمام بالبحث عنه نبه ان هذا امما

استدلت غاية الاولين به فقال هل ترى اي في شيء منهما ولما كان هذا الاستفهام معيدا للنفي اعرق في النفي بقوله من فطور
اي خلل بشقوق وصدوع او غيرها لتعاين ما هي عليه واخبرت به من تناسبهما واستقامتهما واستحكامهما ما يحق لهما بما يدل على عزة بانيهما
وبليغ عظيم عرفانه وهذا ايضا يدل على احاطة كل منهما بما دونه فانه لو كان لهما فروج لفاتت المنافع التي رتبها النجوم المفرقة في طبقاتها
او بعضها او كمالها فالهواء وجميع المنافع متجانسة فيهما محوطة بهما مضبوطة به متصرفة فيهما على حسب التدبير والحيوان في الهواء
كالسمك في الماء لو انحسر الهواء عنه لمات كما انه لو انكشف الماء عن السمك لمات ولما كان في سياق المجازاة بالاعمال الصالحة
والصالحة التي دل عدم الانتصاف من الظالمين في هذه الدار على انها تكون بعد البعث وكانت العزة مقتضية لذلك وكان
خلقه سبحانه لهذا الوجود على هذا النظام شبيها لها وكانت اعمالهم اعمال المنكر لها ولا سيما تصريحهم بانه لا بعث دل على
عظيم عزته بما ابدعه من هذا السقف الرفيع البديع بحمله محفوظا هذا الحفظ المنيع على تعاقب الاحقاب وتكرر السنين
فقال معبرا باداة التراخي الاعلى جلاله بادامة التكرر طول الزمان ثم ارجع البصر والكرة ان نقصته ثم من طلب التكرير
بقوله كرتين اي مرتين اخريين هذا معناه لولها لغة وبالنظر الى السياق علم ان المراد من تعظيمه لا يزال يكرر ذلك لازدياد الخلل الى
ما لا نهاية له كما ان لبيك مراد به اجابة بعد اجابة الى غير نهاية ودل على ذلك بقوله ينقلب اليك من غير اختيار بل غلبة واعيا
وانكسارا البصر خاسئا اي صاغرا مطرودا لم يجد ما اراد بعيدا عن اصابة المطلوب وهو اي والحال انه حسير اي كليل تعب معي
من طول المعاودة وكثرة النظر وبعد المسرح واذا كان هذا الحال في بعض المصنوع فكيف عند طلب العلم بالصانع في كمال
من جلاله وجماله فكيف بمن يتفوه بالحلول والاتحاد حسبه جهنم وبئس المهاد ولما اخبر سبحانه عن بديع هذا
الخلق ونبه على بعض فوائده وامر بالابصار وتكريره وكان الشامخ اول ما تصوب نظره الى السماء الشديدة هيبتها وغريب صنعها
وبديع وضعها وشريف نفعها فكان بحيث يتوقع الاخبار عن هذه الزينة التي رصعت بها قال في جواب من توقعه مؤكدا بالقسم
اعلاما بانه ينبغي ان يبعد الغافل عن انكار شيء مما ينسب الى صاحب هذا الخلق من الكمال لما طبعا على تقديره لقد كفى هذا الدلالة
في الدلالة على عظمة مبدعه وتمام قدرته ولقد واستجلب الشكر بجلب المسار وفقا لناظر الى مقام العظمة صرفا للقول عن
ما اقتضاه الرحمن من عموم الرحمة تذكيرا في الاية الماضية وتنبيها على ما في الزينة بالنجوم من مزجها بالرجوم الذي هو عذاب
زينا دلالة اخرى لعدلنا لدلالة السماء الدنيا اي ادنى السموات الى الارض وهي التي تشاهدونها وهي سقف الدار التي جمعكم
فيها في هذه الحياة بمصابيح اي نجوم متقدة عظيمة جدا اكثرها تفوت الحصر ظاهرة سابحة حصيفة زاهرة وهي الكواكب
التي تنور الارض بالليل نور السرج التي تزينون بها سقوف دوركم فتعتقد شعبة من صور الصباح والتزيين بها لا يمنع
ان يكون مركوزة فيما فوقها من السموات وهي ترى الينا بحسب شفوف اجرام السماء من الصفاء ولذلك المصابيح
من سنة الاضاءة ولما اخبر بعظيم قدرته فيما زينها على ما فيها من جلب المادة الانوار والهداية في الدين والدنيا
التي لولاها لما انتفع احد في ليل انتفاعا تاما اخبر بما فيها مع الزينة من دفع المضار لعبادة عامة وان كان المراد البعض الاعلى
فان ما للرجوم منها غيرها للاهتداء والرسوم فقال وجعلناها اي النجوم من حيثية بعظمتنا مع كونها زينة واعلاما
للهداية رجوما جمع رجم وهو مصدر واسم لما يرجم به للشياطين الذين يحاولون الطرد من الحق لما الهمهم من الاحراق حراسة
للسماء التي هي محل تنزل امرنا بالقضاء والقدر وانزال هذا الذكر الحكيم لئلا يفسدوا بما استرقوا السمع منها على الناس
دينهم الحق ويلبسوا عليهم امرهم يخلط الحق الذي جئنا به الاديان بالباطل يخرجهم لانهم اعداء وهم من النور الى الظلمات
كما نوا في الجاهلية مع ما فيهما بما خلق سبحانه في امزجتها من رطب وتجفيف وحر وبرد واعتدال ينشأ عنه الفصول
الاربعة وتصرفها به من شروق وغروب وحركة وسكون يعرف تماما اليه المآل كما اخبرت به الرسل من الزوال
مع ما تدل عليه من الليل والنهار والعشي والابكار واشياء يكل عنها الوصف فيدرؤا تماما وعن احصاء منافعها حتى لو عدم
شيء مما في السموات مما دبره الحكيم لصلاح هذا العالم لهلك كل حيوان ونبات على وجه الارض والشهاب المرجوم به
منفصل من نار الكوكب وهو قار في فلكه على حاله كقبس النار يؤخذ منها وهي باقية لا تنقص وذلك فسوغ تسميتها بالرجوم
فمن لحقه الشهاب منهم قتله او ضعضع امره وخبله ويحتمل مع ذلك ان يكون المراد ظنونا لشياطين الانس وهم
المنجمون يتكلمون بها رجما بالغيب في اشياء من عظيم الابتلاء ليتبين الموفق من المزلزل والعالم من الجاهل وفي البخاري
قال قتادة خلقت النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك اخطأ
واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به ولما كان التقدير وجعلناهم بها بالفعل عند استراقهم للسمع العادين
مسكن المكرمين ومحل النزاهة والانس ومهبط القضاء والتقدير وكان ذلك الاعم من اشد الم عذابهم في الدنيا عطف
عليه قوله ترهيبا من جلاله بعد ما رغب في عظيم جماله واعتدنا اي هيأنا في الاخرة مع هذا الذي في الدنيا مما ناله
العظيم لهم اي الشياطين عذاب السعير اي النار التي هي في غاية الاتقاد لانه لا بشارة لاهل السهو والعقل ولما اخبر

عن هيئة العذاب لهم بالخصوص احترازا عن تصنيفه لكل عامل بما عملهم على وجه ابد زجرا لهم تنبيه فقال حاثا على التفكر في عظيم شقاوة الخارج
عن العادة لكونه ليس بسيف ولا عصى ولا سوط ونحوه بل بالنار الخارجة عن العادة في عدم الانطفاء ولا للمعذب من الخلاص منها
رحل كلما طال الزمان تلقته بالشدة والامتداد بئس الجامعة للملام في كل شيء مع الاهانة والاحتقار وللذين كفروا اي اوقعوا التغطية
لما من حقه ان يظهر ويشهر من الادعان للالهية فقال صارفا القول عن مقام العظمة الى صفة الاحسان الخاصة تنبيها على ما في الكفران من
عظيم الكفران بربهم اي الذي تفرد بايجادهم والاحسان اليهم فانكروا الجادة لهم بعد الموت كفرا بما شاهدوا من اختراعه لهم من
العدم عذاب جهنم اي الدركة النارية التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والتغيظ ولما كان التقدير فبئس مصيرهم
قال دالا على عدم خلاصهم منها اصلا وبئس المصير اي هي ولما عبر عن ذمها بجمع المذام اتبعه الوصف لبعض تجهمها على وجه
التعليل فقال دالا بالالقاء على حقارتهم وحقارتهم معبرا باداة التحقق دلالة على انه امر لابد منه وبالبناء للمفعول على الدوام
وغاية السهولة على كل من يؤمر به اذا القوا اي طرح الذين كفروا والاحسان من اي طارح امرناه بطرحهم فيها حين تعلمهم الملائكة فطرحهم
كما يطرح الحطب سمعوا لها اي جهنم نفسها شهيقا اي صوتا هائلا اشد نكارة من اول صوت الحمار لشدة توقدها وغليانها او لاهلها
على حذف مضاف وهي تفور اي تغلي بهم كغلي المرجل بما فيه من شدة التلهب والتسعر فهم لا يزالون فيها صاعدين هابطين
كالحب اذا كان الماء يغلي به لا قرار لهم اصلا ولما وصفها بالفوران بين سببه تمثيلا لشدة اشتعالها عليهم فقال تكاد
تميز اي تقرب من ان ينفصل بعضها من بعض كما يقال يكاد فلان ينشق من غيظه وفلان غضب فطارت شعبة منه في الارض وشعبة
في السماء كناية عن شدة الغضب من الغيظ اي عليهم وكانه حذف احدى التائين اشارة الى انه يحصل منها افتراق وانفصال على
وجه من السرعة لا يكاد يدرك حق الادراك وذلك كله لغضب سيدها ويؤتى بها يوم القيامة الى المحشر تقاد بالف زمام لكل زمام
سبعون الف ملك يقودونها وهي من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الازمة جميعا وتحطم اهل المحشر فلا يردها
عنهم الا النبي صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك من القوة ما لو امر به ان يقتلع الارض وما عليها من الجبال
ويصعد بها في الجو فعل من غير كلفة وهذا كما اطفاها في الدنيا بنفخة كما رواه الجماعة الا الترمذي وهذا لفظ ابي داود عن عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر صلاته الى ان قال ثم نفخ في آخر سجوده فقال
اف اف الم تعدني الا تعذبهم وهم يستغفرون وفي رواية للنسائي انه قال صلى الله عليه وسلم لقد ادنيت مني النار حتى جعلت اتقيها
خشية ان تغشاكم ولما ذكر سبحانه حالها اتبعه حالهم في تعذيب القلب باعتقادهم انهم طلبه على وجه بين البيت
وعدا بهم زجراتها فقال كلما ولما كان الملكي يجرد الالقاء للمفعول دلالة على ذلك وعلى حقارتهم وسهولة القائهم قوله
القي فيها اي جهنم بدفع الزبانية لهم الذين هم اغيظ عليها من النار فوج اي جماعة في غاية الاسراع مرجفين مضطربي الاحوال
من شدة الشوق سألهم اي ذلك الفوج خزنتها اي النار سؤال توبيخ وتقريع ولما كان كانه قيل ما كان سؤالهم قال قالوا
موبخين لهم مبكتين متحسرين عليهم في استحقاقهم العذاب زيادة في عذابهم بتعذيب ارواحهم بعد تعذيب اشباحهم الم يأتكم
الم يأتكم اي في الدنيا نذير اي يحذركم هذا العقاب ويذكركم بما حل بمن قبلكم من المثلات لتكذيبهم بالايات ويتلو عليكم
الكتب المنزلات قالوا بلى ولما طابق هذا الجواب فوقع السائل ايضاحه افصحوا بما انهم وشرحوه تاسفا على انفسهم
وتحسرا فقالوا قد جاءنا واظهروا موضع الاضمار تاكيدا وتنصيصا فقالوا نذير اي محذر بليغ التحذير فكذبنا اي فتسبب
عن مجيئه الينا وقوعنا التكذيب بكل ما قاله النذير وقلنا اي زيادة في التكذيب ما نزل الله اي الذي له الكمال كله عليكم ولا على غيركم
ولعل التعبير بالتفعيل اشارة الى انكارهم الفعل بالاختيار الملازم للتدريج تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واغرقوا في النفي
فقلنا من شيء لا وحيا ولا غيره وما كفانا هذا الفجور حتى قلنا مؤكدين ان اي ما ولما كان تكذيبهم رسولا واحدا تكذيبا
لجميع الرسل قالوا انتم اي ايها النذر المذكورون في نذير المراد به الجنس وفي خطابهم اشارة ايضا الى جواب لكل لكل
كان متحدا مع افتراقهم في الزمان حتى كانهم كانوا على ميعاد الا في ضلال اي بعد عن الطريق خطأ وعما يحيط بكم كبير فبالغوا في
التكذيب والسفه بالاستجهال والاستخفاف ولما حكى سبحانه ما قالوه للخزنة تحسرا على انفسهم حكى ما قالوه بعد
ذلك فيما بينهم زيادة في التحزن ومعناه لانفسهم بانفسهم فقال وقالوا اي الكفرة زيادة في توبيخ انفسهم لو كنا اي بما
هولنا كالعزيز ولما كان السمع اعظم مدارك العقل الذي هو مدار التكليف قالوا نسمع اي سماعا ينفع بالقبول
للحق والرد للباطل او نعقل بما ادته الينا حاسة السمع وغيرها عقلا ينجي وان لم يكن لنا سمع واما قصروا الفعلين اشارة
الى ان ما كان لهم من السمع والعقل عدم لكونه لم ينفع فعيهم هذا البلاء بالقبول عن الرسل لما ذكروه به من نصائح
ربهم وشهادة الشواهد من الايات البينات ما كنا اي كونا دائما في اصحاب السعير اي في عداد من اعدت له النار التي
هي في غاية الاتقاد والحر والتلهب حتى كان بها حيوانا وحكم بخلوده في صحبتها واعظم ما في هذا من العذاب بكونهم الجئوا
الى ان باشروا التوبيخ انفسهم ومقتها بانفسهم انه لا يقبل منهم حر وخاج عن العادة في الدنيا من ان الانسان اذا اظهر الخضوع

باعراضه ولومه نفسه وانصافه نفسه رحم وقيل في الاية اعظم فضيلة للعقل روى ابن المحبر في كتاب العقل والحرث عن ابي سعيد الخدري
… وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار
… الاقرار ابدا في صدورهم وانما يكون بافعالهم لو قالوه في دار العمل وندموا عليه واقلعوا عنه بسبب
… بت ازواجهم بمقت الملائكة لهم ثم مقتهم لانفسهم مقت الله لهم فاعترفوا اي بالغوا جابعين
… انفسهم في الاعتراف وهو الاقرار عن معرفة ولما كان الذي اوردهم المهالك هو الكفر
… فقال بذنبهم اي في دار الجزاء كما كانوا يبالغون في التكذيب في دار العمل علم بكن سعهم ليوات
… الى انهم كانوا كالكلمة في المبالغة في التكذيب على حد واحد كما قال تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من
… اتواصوا به بل هم قوم طاغون او ان الاقرار اشارة الى ان الكفر اكبر الذنوب وتقليلها حرفها
… في كلتا الدارين في ابعاد انفسهم عن مواطن الرحمة وتسفيلها الى محال النقمة انتج ذلك وسبب قوله
… هود دعاء عليهم مستجاب لاصحاب السعير اي الذين قضت عليهم اعمالهم بملازمتها ولما
… صفة العزة لما حصل لهم من العزة اتبعهم اضدادهم المطوعين انفسهم لاشارة العقل
… اكد الما للاضداد من التكذيب ان الذين يخشون اي يخافون خوفا ارق قلوبهم وارق عيونهم
… لهم قرار من توقعهم العقوبة كلما ازدادوا طاعة ازدادوا خشية يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
… بهم وعدل عن سياق الجلالة الجامع الى صفة الاحسان تنبيها على انه غلب عليهم النظر الى الا…
… عليه الخشية من نقصانهم بالعقوق الذي اداهم الى الدعر فقال ربهم الذي احسن اليهم بتطويرهم
… الجزء اذا كانوا يخشونه مع نظرهم الى صفة احسانهم فما ظنك بهم عند النظر الى صفات
… عنه سبحانه ووعيد غائبا عنهم وهم غائبون عن اعين الناس وقد ملا الخوف ما غاب منهم عن الناس
… قلوبهم تسلط نيران الخوف وتكلم بسيوف الهيبة فيتركون المعصية حيث لا يراهم احد من
… عظيمة لما عند الانسان من القوى الموجبة للطغيان • قال بعض العارفين في الانسان
… من الحظوظ ما نشأ منها والعياذ بالله المنازعة في الكبرياء والعظمة والجلال والجمال فالعلة
… والنبي فما من احد الا وهو مستبطن ما قال فرعون ولكن لا يجد له مجالا كما وجد فرعون
… واعتقاده انه لو تمكن من الوجود لدبره ويرى ان تدبيره هو التدبير وان كان افسد
… لو كان كذا لكان كذا والنفس تختل الخواص القوة والامدا رحسب لو ارادت ان تجرب
… الانسان فان اعدى عدو له نفسه فمهما تركها انتشرت كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
… عقل الملوك برب واحد يكون وراءه بالقرب عنده يقول له اذا اجتمعت جنوده لعد كل الكل
… يقول له كلما قال له نعم فعلى العاقل ان يطوع نفسه لان ترجع مطمئنة بان ترضى بالله ربا
… دينا والنصير عزيزا فيهما فلا ينازع الملك في ردائه الكبرياء وازاره العظمة وتاجه الجلال
… من الشرائع ويطمع من المعارف ويحكم به على عبيده من قضائه وقدره ولما كانت
… النعيم الا راحة منها قال لهم مغفرة اي عظيمة تاتي على جميع ذنوبهم ولما كان السرور انما
… كبير يكون لهم به من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدائد الالام وتصغر
… كانت الخشية من الافعال الباطنة وكان كل احد يدعي انه يخشى الله قال لخوفا لهم بعلمه
… عاطفا على ما تقديره لاجل المراقبة فابطنوا افعالكم واظهروها واسروا اي اخفوا
… الحسن الاعلى وكثيره قال قولكم اي خيرا كان او شرا او اجهروا به فانه يعلمه ويجازيكم
… ذلك ان المشركين كانوا يقولون اسروا لئلا يسمع اله محمد ثم علل ذلك مؤكدا لاجل انكارهم
… ربكم عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي بحقيقتها وكمها وحالها وجلتها وما حدث
… عنها او كانت مما لم يختلج بعد بدليل ما اخبر به سبحانه عنهم مما وقع وهم يخفونه او لم يقع
… دل على ذلك بقوله منكرا لمن يتوقف فيه ادنى توقف ومنكرا عليه باثبات العلم ونفي
… ما يمكن ان يعلم وحذف المفعول للتعميم ثم ذكر الفاعل واصفا له بما يقرب المخبر به للافهام
… من القلوب الحاوية للاسرار والابدان وغير ذلك وطبع في كل شيء من ذلك ما طبع مما قدره
… ادرى بما صنعه ويجوز وهو احسن من ان يكون من مفعولا والفاعل مستترا اي لا يعلم الله
… للطف والجزء اللتان ما ادرا البواطن ادراكا لا يكون مثله لان العرض ثبات

العلم بما اخفوه لظنهم انهم اذا اسروا واخفوا لا يثبت مطلق العلم فانهم لم ينكروه وهو اي والحال انه هو اللطيف اي الذي يعلم ما يثبته
في القلوب لانه يصل الى الاشيا باضدادها فكيف بغيرها ذلك الخبير اي البالغ العلم بالظواهر والبواطن فكيف يخفى عليه شيء من الاشيا
وهو اعظم تهديد لانه يكون بذلك من علم ان من يعصيه عالم به وهو قادر عليه لا يعصيه ابدا ولما كان ذلك امرا غامضا دل عليه
بامر مشاهد ابدعه بلطفه واتقنه بخبرته لاستدعاء الشكر من عباده على ما ابدع لهم ومن عليهم به من النعم الباهرة التي بها
قوامهم ولولاها لما كان لهم عيش عبادة على ما ابدع لهم بقاء فقال مستانفا هو اي وحده الذي جعل لكم لتتوصلوا الى ما تعلم
الارض على عظمها وعظمها وحزونة كثير منها ذلولا اي مسخرة لا تمتنع قابلة للانقياد لما تريدون منها من مشي وابنا طيناه وزرع
حبوب وغرس اشجار وغير ذلك غاية الانقياد بما تفهمه صيغة المبالغة مع ان فيها اماكن خوارة تسوخ فيها الارجل وتغوص
فيها ما خالطها ومواضع مشتبكة بالاشجار تعثر او تتعسر سلوكها واماكن هي ملاى سباعا وحيات وغير ذلك من الموانع
واماكن هي جبال شاهقة اما تتعذر سلوكها كجبل السد بيننا وبين ياجوج وماجوج ورد في الحديث انه تزلق عليه الارجل
ولا تثبت او تتعسر سلوكها ومواطن هي بحور عذبة او ملحة تلاطمت لجعلها كلها كذلك لتكون بحيث لا يمكن الانتفاع بها فاقسمها الى
سهول وجبال وبر وبحور وانهار وعيون وملح وعذب وزرع وشجر وتراب وحجر ورمال ومدر وغير ذلك
الاحكمه بالغة وحكم باهرة لتكون قابلة لجميع ما تريدون ومنها صالحة لسائر ما ينفعكم فيها ولما كان معنى التذليل
ما تقدم سبب عنه قوله تمثيلا لفرط التذليل لان منكبي البعير وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير واعزه تكسبين
واناه عن ان يطاه الراكب بقدميه ويعتمد عليه فامشوا اي الهونا مكتسبين وغير مكتسبين ان شئتم من غير صعوبة
توجد لكم ونبا او جوا في مناكبها اي اماكنها التي لو لا تسهيلها لكانت كالحيوانات تنكب عن الوقوف عليها فكيف بالمشي
وقال ابن عباس رضي الله عنهما انها الجبال لان تذليلها ادل على تذليل غيرها ولكن مشيكم فيها وتصرفكم بذل واحبات
ويكون استصغارا لانفسكم وشكرا لمن سخر لكم ذلك ولما ذكر انه يسرها للمشي ذكرهم بانه سهلها لاخراج البركات
فقال وكلوا ودل على ان الرزق فوق الكفاية بقوله من رزقه اي الذي اودعه لكم فيها وامكنكم من اخراجه بضد ما تعرفون من احوالكم
فان الدفن في الارض مما يفسد المدفون ويحيله الى جوهرها كما يكون لمن قبرتموه فيها ومع ذلك فاستودعتموه من الحب وغيره مما
ينفعكم فيخرجه لكم سبحانه على احسن ما تريدون ويخرج لكم منه من الاقوات والفواكه والادهان والملابس ما تعلمون
وكذلك النفوس هي صعبة كالجبال وان قدتها للخير انقادت لك كما قيل • هي النفس ما عودتها تتعود ولما
كان التقدير للبعث على الشكر والتحذير من الكفر واعبدوه جزاء على احسانه اليكم وتربيته لكم فمنه مبدأ جميع ذلك عطف
عليه ما يدعو الى الخامل السيد والخجل من توبيخه عند لقائه فقال واليه اي وحده النشور وهو اخراج جميع الحيوانات
التي اكلتها الارض وافسدتها بما يخرجها الى الوقت الذي يريد على ما كان كل منها عليه عند الموت كما اخرج تلك الارزاق لافرق
بين هذا وذاك غير انكم لا تتأملون فنسبا لكم عما كنتم تعملون فيا فوز من شكر ويا هلاك من كفر فان هذا البعث شيء على الشكر
واشد شيء ابعادا عن العصيان لاسيما الكفر لما قرر من حاجة الانسان والاحسان اليه بانواع الاحسان ولما
لم يكن بعد الاستعطاف الا الانذار على اخلاف قال مهددا للمكذبين بعذاب دون عذاب جهنم منكرا عليهم الامان بعد اقامة
الدليل على ان بيده الملك وانه قادر على ما يريد منه باسباب جنوده وبغير سبب مقررا بعد تقرير حاجة الانسان
وعجزه انه لا حصن له ولا مانع بوجه من عذاب الله فهو دائم الافتقار ملازم للصغار اامنتم اي ايها المكذبون وحا
بهم كانوا يعتقدون مع انه اذا حمل على الرتبة واول السماء بالعلو او جعل كناية عن التصرف لان العادة جرت غالبا ان
من كان في شيء كان متصرفا فيه صح من غير تاويل فقال من في السماء اي على عمكم الغالبة عليكم القاهرة لكم او المعنى
من الملئكة الغلاظ الشداد الذين صيرهم في مصالح العباد سبحانه المعنى هو في غاية العلو رتبة وان ذلك اشارة
الى ان في السماء اعظم امره لانها رفع اليها اعمال عباده وهي مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن السلطان
والكبرياء وجهة العرش ومعدن المطهرين والمقربين من الملائكة الذين اقامهم الله في تصريف امره ونواهيه الذي
دعا الى مثل هذا التأويل لسائغ الماشي على لسان العرب قيام الدليل القطعي على انه سبحانه ليس بمتحيز في جهة لانه محيط
فلا يحاط به لان ذلك لا يكون الا للمحتاج ثم ابدل من بدل الاشتمال فقال ان ولما كانت قدرته على ما يريد
بلا واسطة كقدرته بالواسطة وقدرته اذا كان بالواسطة جعلا كقدرته اذا كان واحدا لان الفاعل على كل تقدير
حقيقة هو لا غير وحد مما يتضمنه لفظ من اشارة الى هذا المعنى كما مضى فقال يخسف اي امنتم خسفه ويجوز ان يراد
من الله تعالى كما مضى خطابا على زعمهم وظنهم انه في السماء والزاما لهم بانه كما قدر على الامطار والانبات وغيرهما من
التصرفات في الارض فهو يقدر على غيره بكم الارض كما خسف بقارون وغيره ولما كان الذي يخسف به
الارض يصير كالساقط في الهواء وكان الساقط في الهواء يصير يضطرب سبب عن ذلك قوله فاذا هي اي الارض

التي انتم بها تمور اي تضطرب وتهوي بكم وتجري هابطة في الهوا او تنكفا الى حيث شا سبحانه قال في القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الارض والتحرك كانوا ربما استبعدوا الخسف وكانوا يعهدون ما ينزل من السما من الامطار والصواعق وغير ذلك قوله ام امنتم ايها المكذبون وكرر لهم ذكر ما يخشونه زيادة في الترهيب فقال من في السما على التقدير ان يرسل عليكم
اي من السما حاصبا اي حجارة تحصبكم اي ترميكم بها مع ريح عاصف تقودها كما وقع لقوم لوط واصحاب الفيل ولما كان
هذا الكلام انذارا عظيما ووعظا بليغا وكان حالهم عنده مترددا بين اقبال وادبار سبب عنه على تقدير ادبارهم بما
بما للانسان من النقصان قوله متوعدا بما يقطع القلوب ولذا لقول الى مقام التكلم ابدا انا بشديد الغضب فستعلمون
اي عن قرب بوعيد لا خلف فيه في الدنيا ثم في الاخرة كان العلم بكيفية الشي اعظم من العلم بمطلق ذلك الشي لانه يلزم
من العلم بها العلم به وكان هو بحيث يسئل عنه لا يكون الا عظيما قال كيف نذير اي انذاري البليغ اذا شاهدتم العذاب وهو بحيث لا
يستطاع ولا تعلق الاطماع بكشف له ولا دفاع وحذف الياء منه ومن نكير اشارة الى انه وان كان خارجا عن الطوق ليس منتهى
مقدوره بل الذي مزيد لا غاية له بوجه ولا تحديد ولما كان من المعلوم ان المامور بالاعلام بهذا الانذار صلى الله
عليه وسلم في غاية الرحمة لهم والشفقة عليهم فهو بحيث يشق عليه غاية المشقة ما افهمه هذا الكلام من اهلاكهم ان لم
يصدقوا وحث التاني بهم لفت سبحانه الخطاب اليه عاطفا على ما تقديره فلقد طال انما لنا لهم وحلمنا عليهم وتعريفنا
لهم لعظيم قدرتنا وهم لا يرجعون وكثر وعظنا لهم وتصريفنا القول بينهم وهم يتمادون ولا ينتهون قوله مصورا لهم ما توعدهم
به في امر محسوس لان الامور المشاهدات اروع للانسان لما له من التقيد بالوهم مؤكدا اشارة الى ان التكذيب مع اقامة
البراهين امر يجب ان يكون ولا يكاد يصدق ولقد كذب الذين كان التكذيب لم يعم الماضين بعض فقال
من قبلهم يعني كفار الامم الماضية ولما كان سبحانه قد املى لهم ثم اخذهم بعد طول الحلم اخذا بغتة احاط ولم يدع
الى الان على تمادي الزمان مادة فكان بحيث يسال عنه لعظيم احواله وشدة زلازله وفظاعة اهواله سبب عن ذلك قوله
منبها على استحضار ذلك العذاب ولو بالسؤال عنه فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بما اصبتهم من العذاب في تمكن كونه
وهول امره فقد جمع الى التسلية غاية التهديد ذكر مصارع الاولين وكان التذكير بالخاص تذكير القريش
بما حصب به على قرب لزمان عدو هم اصحاب الفيل بما ارسل عليهم من الطير الابابيل تحذيرا لهم من ذلك ان تمادوا على كفره
ولو تماد وا الى شكره فكان التقدير تقريرا لزيادة قدرته وحسن تدبيره ولطيف تربيته حيث جبر لضعفها بالطيران
ليكمل لعموم روحانيته امر معاشها تقريرا لان يملك الملك وترهيبا من ان ينازعه احد في تدبيره مع تبعية القول تهويفا
عن خطابهم ايذانا بشدة حسابهم وسوء منقلبهم وما بهم الدبروا الى قدرتنا على مصارع الاولين واهلاك المكذبين وانجا
المومنين عطف عليه قوله معرضا عنهم زيادة في الانذار بالخصب من الطير وغيرها اولم يروا واجمع نعوا هنا على القراة
بالغيب لان السياق للرد على المكذبين بخلاف ما في النحل واشار الى بعد الغاية بحرف النهاية فقال الى الطير وهو جمع طاير
ولما كان الجو كله مباحا للطيران برع الحار فقال فوقهم وبين حال الطيران في الفوقية بقوله واصفا لها بالثناء
اشارة الى ضعفها في نفسها لولا تقويته لها صافات اي باسطات اجنحتها مادها غاية المد بحيث تصير مستوية
لا اعوجاج فيها مع انه اذا كان جماعة منها كانت صفوفا او صفا واحدا في غاية الانتظام تابعة لامام منها ولما
عبر عن الصف بالاسم لانه الاصل الثابت عبر عن التحريك بالفعل لان الطيران في ساحة الهوا كالسباحة في ساحة الما
والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها والقبض طارئ على البسط فقال ويقبضن اي يوقعن قبض الاجنحة وبسطها
وقتا بعد وقت للاستراحة والاستظهار به على التسبح في الهوا ثم هذا التعبير على هذا الوجه الرابع للقلب
ترجمه بقوله ما يمسكهن اي في الجو وكذا جميع العالم من حال القبض والبسط عن السقوط على خلاف ما تقتضيه الطبع
ولما كان بهذا امر التدبير المحكم الناظر الى عموم الرحمة قال الا الرحمن اي الملك الذي رحمته عامة لكل شي
بان هيا من بعد ان فاض عليهن رحمة الايجاد على اشكال مختلفة وخصايص معينة للجري في الهوا بما اوجد لها من القوادم
والخوافي وغير ذلك من الهيئات القابلة لذلك وكذا جميع العالم لو امسك عنه حفظه طرفة عين لفسد من سماوات
الافلاك ومداعي الجبال وغيرها وعبر من التجلي بالاسم الاعظم لان سياقها للرد على اهل الطبايع وهم الفلاسفة
الذين لا يقوم بالرد عليهم الا المتبحر في معرفة اصول الدين بمعرفة جمع معاني الاسماء الحسنى والصفات العلى التي جمعها
اسم الذات كان هذا امرا رابعا العقل ولكنه لشدة الالف صار لا يتنبه له الا بالتنبيه وكان الجاهل
ربما ظن ان التعبير على الطيران خاص بالطير به سبحانه على عظمة ما هيا للطير له وعلى انه يقدر ان يجعل ذلك لغيره
بقوله مؤكدا لاجل قصور بعض العقول عن التصديق بذلك انه اي الرحمن سبحانه بكل شي بصير اي بالغ البصر والعلم
بظواهر الاشيا وبواطنها فيهما اراد كان وهو يخلق العجايب ويوجد الغرايب فيهيئ من اراد من الادميين وغيرهم

لمثل ذلك ولما كان التقدير تقريرا لذلك فمن يدبر مصالحكم ظاهرا وباطنا وفعل هذه الانواع من العذاب بالمكذبين من
قبلكم عطف عليه قوله عايدا الى الخطاب لانه اقعد في التبكيت والتوبيخ ادل على ان المخاطب ليس باهل لان يهاب مقررا لانه مختص
بالملك امن وبنيه على ان المدبر للاشيا لا بد ان يكون في غاية القرب والشهادة لها ليكون بصيرا بعيبها ويكون مع مزيد قربه
عالي الرتبة بحيث يشار اليه فقال مقررا لعجز العباد هذا باشارة الحاضر الذي وابرز العايد لانه لا بد من افراده مع الاسم
لعدم صلاحه لتحمل الضمير فقال هو جند اي عسكر وعون وصرف القول عن الغيبة الى الخطاب لانه ابلغ في التقريع فقال لكم ينصركم
اي على من يقصدكم بالخسف والحصب وغيرهما ويجوز ان يكون التقدير الكم اله يدبر مصالحكم ام كان الذي عذب من كذب الرسل سوانا
ام لكم جند يشار اليه ينصركم دوننا كما قال تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا ولكنه اخرجه مخرج الاستفهام عن تعيين الجند
تعريضا بانهم لغاية جهلهم اعتقدوا ان لهم من اجناد الارض والسماء من ينصرهم والاملاك بوا منين ولما كانت
المراتب متفاوتة عن خيانة متكثرة جدا قال تعالى مشيرا بالحرف والظرف الى ذلك منبها على ظهوره سبحانه فوق كل شي لم
يقعد راجل ولا يقدر ان ينازعه في ذلك ولا في انه مستغرق لكل ما دونه من المراتب من دون الرحمن ان ارسل عليكم عذابه
واظهر ولم يضمر تعبيرا على استحضار ما له من شمول الرحمة وتلويحا الى التهديد بانه لو قطعها عن احد ممن وجد غمة الغضب
كله ولذلك قال مستفتحا عنه تنبيها على ان دفع المضار ونفع المسار ليس الا بيده لانه المختص بالملك ان اي ما وابرز الضمير
تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ومواجهة بذلك لانه اقعد في التوبيخ فقال الكافرون اي العريقون في الكفر وهم من يموت على كفره
الا في غرور اي قد احاط بهم فلا خلاص لهم منه وهو انهم لعنهم وان على غير معتمد ولما قدم اعظم الرحمة بالحياطة
والنصرة الموجبة للبقا اتبعه ما يتم به البقا فقال امن واشار الى القرب بالعلم والبعد بالعلو والعظمة بقوله هذا
واشار الى معرفة كل احد له بصفاته العليا التي تنشا عنها افعاله الحكيمة فقال الذي واسقط العايد لتحمل الفعل
فقال يرزقكم اي على سبيل التجدد والاستمرار لا ينقطع معروفه ابدا مع انه وسع كل شي ولا غفلة له عن شي ان امسك رزقه
بامساك الاسباب التي ينشا عنها ويكون بوصوله اليكم منها كالمطر ولو كان الرزق موجودا او كثيرا وسهل التناول فوضع
الاكلة في فمه فامسك الله عنه قوة الازدراد لعجز اهل السموات والارض عن ان يسوغوه تلك اللقمة ولما كانت هذه
الايات شمول علمه على سبيل العموم والخصوص فكان ذلك مظنة ان يرجع الجاحد ويخجل المعاند ويعلم الجاهل وينتبه الغافل فكان
توقع ان يقال هل رجعوا عن تكذيبهم عطف عليه قوله لافتا الكلام الى الغيبة اعراضا عنهم تنبيها على سقوط منزلتهم سوا فهامهم
وقوة غفلتهم بل لجوا اي تمادوا واسفاهة لا احتياطا وشجاعة قال الرازي في اللوامع واللجاج تقحم الامر مع كثرة الصوارف عنه
في عتو اي مظروفين لعناد وتكبر عن الحق وخروج الى فاحش الفساد ونفور اي شراد عن حسن النظر والاستماع دعا اليه الطباع
واستولى ذلك عليهم حتى احاط بهم مع انهم لا قوة لاحد منهم في جلب سار ولا دفع ضار والداعي الى ذلك الشهوة او الغضب
ولما كان هذا فعل من لا بصر له ولا بصيرة سبب عنه قوله ممثلا بالموحد والمشرك تسالكين في ابهمها تمسلكين
افمن يمشي اي على سبيل الاستمرار مكبا اي داخلا نفسه في الكب وصايرا اليه وهو السقوط على وجهه وهو كناية عن السير
على رسم مجهول واثر معوج معلول على غير عادة العقلا لخلل في اعضائه واضطراب في عقله وارائه فهو كل حين يعثر فيخر على وجهه
لانه عدم نظره يمشي في اصعب الاماكن لا مال له الهوى له عن المنهج المسلوك وغلبة الجهل عليه فهو بحيث لا يكون تكرر المشاق عليه
زاجرا له عن السبب الموقع له فيه ولم يسم سبحانه ممشاه طريقا لانه لا يستحق ذلك ولما كان ربما صادف السهل لا عن بصيرة
بل اتفاقا قال اهدى اي اشد هداية امن يمشي دايما مستمرا سويا قايما رافعا راسه ناصبا وجهه سالما من العثار لانه لا ينتفع
به بصر ما امامه وما عن يمينه وما عن شماله على صراط اي طريق موطا واسع مسلوك مستقيم اي هو في غاية القوم هذا مثل
من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا فانه يتبع الفطرة الاولى السليمة عن شهوة او غضب وشايبة حظ والاول مثل الكافر
حاله في سيره الى الله حال المكب الذي كب نفسه لغاية الشهوة على وجه لا يرى ما حوله ولا يشعر بما احاط به ولا ينظر في
الايات ولا يعتبر بالمسموعات فهو اليوم يمشي بباطن نظره يوم القيمة يحشر على وجهه الى النار جزاء وفاقا لما كان
في هذه الدار فيظهر له سبحانه ما ابطن له اليوم والمومن بخلاف ذلك فيهما ولانه من الاحتمال ذكر الكب اولا دليلا
على حذف ثانيا والمستقيم ثانيا دليلا على المعوج اولا وسره انه ذكر انكا ما للمجرم واسر ما للمسلم ولما كان العرب
الموعوظون بهذا الذكر يتغالون في التفاخر بالهداية في الطرق المحسوسة وعدم الاخلال بشكر المعروف المسدى به
ولو قل فنفى عنهم الاول بقيام الادلة على خطابهم الفاحش في كل ما خالفوا فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من طريقهم المعنوي
الذي اتخذوه دينا فهو اشرف من الطريق المحسوس اتبعه بيان نسلاخهم من الثاني مع التاكيد لا نسلاخهم من الاول فقال امرا
للرسول صلى الله عليه وسلم بتنبيههم لان الانسان عن بعد اقبل لانه اليه اسهل اسقاطا لهم من رتبة الفهم عن الله لسقوط هممهم
لقصور نظرهم مع انه جعل لهم حظا من الخشوع برياسهم لخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لاقامتهم بالمذلول في لاية في ما يرجى

احباك

معه العلم ويورث الفطنه والفهم قل اي يا اشرف الخلق واشفقهم عليهم مذكرا لهم بما دفع عنهم الملك من المفسدات وجمع لهم من المصلحات
والقوى والعقل ليرجعوا اليه ولا يقفوا في حال من احوالهم الا عليه وينظروا في لطف صنعه وحسن تربيته فيمشي كل منهم سويا هو اي الذي
شرفكم بهذا الذكر وبين لكم هذا البيان وحده الذي انشاكم اي اوجدكم ودرجكم في مدارج التربية حيث طوركم في اطوار الخلقة في الرحم
وبشركم بعد الخروج الى اللبن حيث كانت المعدة ضعيفة عن اكثف منه ولما كان اعظم النعم بعد الايجاد العقل نبه عليه بذكر
طريق تنبيهه فقال وجعل لكم اي خاصة مشاعر الجسم الذي انشاه السمع اي الكامل لتسمعوا ما تعقله قلوبكم فتهديكم ووحده
لعلة التفاوت فيه ليظهر سر تصرفه سبحانه في القلوب بغاية المفاوته مع انه اعظم الطرق الموصله للمعاني اليها والابصار
لتنظروا اصنافها فتعتبروا او تزدجروا وجمعها لكم والافئدة اي القلوب التي جعلها سبحانه في غاية التوقد بالادراك لما لا يدركه
بقية الحيوان لتتفكروا وتعقلوا على ما تعلمكم وجمعهما لكثرة التفاوت في نور الابصار وادراك الافكار وهذا تنبيه على اعمال
هذه القوى في درك الحقائق ليلطف السر لتدق الفكر قال الشيخ ولي الدين الملوي انظر الى الافئدة كيف تحكم بان الاثنين اكثر
من الواحد وان الجسم الواحد لا يكون في مكانين وان الضدين لا يجتمعان وغير ذلك مما لا يخفى ولما كان التقدير فتم منكم
المكلف على وجهه فلم تستعملوا شيئا من هذه الاسرار الشريفة مما خلق له كانت ترجمة ذلك قليلا واكد المعنى بما صورته صورة
النافي فقال ما زاد تشويقا للنفس الى العامل ووصف المصدر ودل عليه بقوله تشكرون اي توقعون الشكر لمن
اعطاكم ما لا تقدرون قدره باستعماله فيما خلق لاجله وانتم تدعون انكم اشكر الناس للاحسان واعلاهم في العرفان ولما
دل سبحانه على تعذيبهم عن الهداية وعن الشكر الذين يفخرون على الناس كانه بكل منهما واستعطفهم بما اودع فيهم من اللطائف
الربانية الروحانية المقتضية بنورانيتها للعروج الى مواطن القدس ومعادن الانس دل على قدرته على حشرهم بحذبهم من
التمادي في الاعراض بعين يحده كل منهم من نفسه على وجه دال على كمال قدرته بما اودع فيهم مع تلك اللطائف من جانب طباع
الارض الموجبة للسفول لتكون اذا اعلته تلك اللطائف بالنوبة مجتهدا في تنقيته اثار تلك الكثائف المسفلة كما يكون للذرع اذا
حصد من بقايا تلك الجذر التي ان لم تقلع من اصلها عادت بالنبات الى ما كان عليه الذرع اولا فقال مستانفا اشارة الى انه
دليل براسه كاف فيما سيق له قل هو اي وحده الذي ذراكم اي خلقكم ونشركم وكثركم وانشاكم بعد ما كنتم كالذر اطفالا
ضعفاء ثم قواكم ثم جعلكم شيئا فشيئا واسكنكم الغضب والرعونة واللجاج الحامل لكم على الولوع بما يلجئ اليه الطباع المثيرة
في الارض التي تقدم انه ذللها لكم ورزقكم منها النبات التي تقدم ان ابداه منها ثم رده الى النهاية افناه فيها ثم اعاده كما كان ثم
ان صار ذرا فانا ونشاه فانشا مما نادليل على القدرة على البعث لا فرق في ذلك بينكم وبينهم اصلا فكان منه الى البدو
واليه وحده تحشرون شيئا فشيئا الى البرزخ ودفعة واحدة يوم البعث على السرعة بمراد من عباده كرها منكم
كما كان امركم في الدنيا فانه لم يكن منكم الا الانسان احب من الدعة والسكون فكان سبحانه يضطره بما اودعه من الطبائع
المتضاده واثاره له من الاسباب في طلب رزقه وغير ذلك من امره الى السعي الى حيث يكره فكما انه قدر على ذلك
منكم في الابتداء فهو يقدر على مثله في الانتهاء ليحكم بينكم ويجازي كلا على عمله كما يفعل كل ملك برعيته وكل انسان
منكم في جماعته ولما كان التقدير فلقد ابلغ سبحانه في وعظهم بنفسه وعلى لسان اشرف العباد بما هدى الله التائب
قطعا ذكر حالهم عند ذلك فقال علاما بكمال طباعهم حيث لم يلطف سرائرهم لقبول محبة الله واثارة الاحوال
الحسنة من الصبر المثبت واليقين وحسن الانطباع لقبول النصائح والخوف وعدم الاغترار باحد غير الله من
جهة نفع او ضر ولذلك لفت القول الى الاعراض ايذانا بشدة الغضب منهم ويقولون اي يجددون هذا القول تجديدا
مستمرا استهزاء وتكذيبا وجوز ان يكون حالا من الواو في الجواب متى هذا وزادوا في الاستهزاء بقولهم الوعد والهوا وهيجوا
انضاحا للتكذيب على زعمهم بقولهم ان كنتم اي جبلة وطبعا صادقين اي في انه لا بد لنا منه وانكم مقربون عند الله
فلو كان لهم ثبات لصبر واليقين لما طاشوا هذا الطيش بابراز هذا القول البشيع الذي ظاهره طلب الاخبار بوقت الامر المتوعد
به وباطنه الاستعجال به استهزاء وتكذيبا ولما كان قولهم هذا مع انه استعجال بامر الساعة استهانة بها حتى انها
عندهم كانها من قبيل الوعد الحسن وهو متضمن لايهام انها مما يطلع الخلق على تعيينه نفى ذلك بانا لعظمها بعظم من اهل
بيده فقال امرا له تحواهم بوذنا بدون ذلك الاعراض لانهم لا ينكرون علمه تعالى ذلك الانكار قل اي يا اكرم الخلق منها لهم
تحصيل اليقين بان ما علموه حكموا بعلمهم فيه وما لا رد واعلم الى الله انما العلم اي المحيط من جميع الوجوه بما سالتم عنه
من تعيين زمان هذا الوعد وغيره ولاجل اظهار فضل العلم اللازم من كمال تمام القدرة صرف القول عن عموم التكلم
الى افهام العموم المطلق بالاسم الاعظم فقيل عند الله اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال فهو الذي يكون عنده ويسكن
ما اراد منه لا يطلع عليه غيره وهيبته تمنع العالم بما له من العظمة ان يجترئ على سؤاله عما لم ياذن فيه وعظمته تقتضي
الاستبداد بالامور العظام والى ذلك يلوح قوله وانما انا ولما كان السياق للتهويل والتخويف وكانت

النذاره

٤-٤

النذاره التي يلزم منها البشاره وكانت النذاره يكفي فيها تجويز وقوع المنذر به فكيف اذا كان مظنونا فكيف اذا كان معلوم الوقوع
في الجملة ليكون العاقل متوقعا له في كل وقت قال نذير اي كامل في امر النذاره التي يلزم منها البشاره لمن اطاع النذير لا وظيفة
لي عند هذا الملك الاعظم غير ذلك فلا وصول لي الى سؤاله عما لا ياذن لي في السؤال عنه ولما كان النذير قد لا يقدر على
اقامة الدليل على ما ينذر به لانه يكفي العاقل في قبوله غلبة الظن بصدقه بل امكان صدقه في التحرز عما ينذر به بين
انه ليس كذلك فقال مبين اي كاشف للنذاره غاية الكشف باقامة الادلة عليها حتى تصير كانها مشاهدة لمن له قبول للعلم
ولما كان ما ينذر به لا بد من وقوعه وكان كل ات قريبا عبر عن ذلك بالفاء والماضي فقال صارفا القول الى الاعراض
لان وقت الرؤية للعذاب في غاية المناسبة للاهانة فلما راوه اي الوعد بانكشاف الموعود به عند كونه وحقق معنى الماضي
والفاء بقوله زلفة اي ذا قرب عظيم منهم وذلك بالتعبير عن اسم الفاعل بالمصدر للابلاغ في المعنى المراد واكد المبالغة
بالتاء لا يمان دلما لعنه اذا المراد منها التانيث ولا سيما ان دلت قرينة اخرى على ذلك ولما كان المخوف في النذر
الوقوع في السوء لا بعينه بكونه من معين قال سيئت ولما كان السوء يظهر في الوجه قال وجوه واظهر موضع الاضمار
تعميما الذين كفروا اي ظهر والسوء وغاية الكراهة في وجوه من اوقع هذا الوصف ولو على ادنى وجوه الايقاع وغلبها الكآبة
ولما كان لا اوجع من التبكيت عند احاطة المكروه من غير حاجة الى تعيين فاعله بني للمفعول قوله وقيل اي لهم هذا
الذي كنتم اي جبلة وطبعا به اي بسببه ومن اجله وصرف القول الى الخطاب لان التقريع به انكا بافي العذاب تدعون اي
تطلبون اي توقعون الطلب طلبا شديدا تبلغون فيه غاية الجهد على وجه الاستعجال ان ينزل بكم مكروهه فعل من لا يبالي
به بوجه وتكررون ذلك الطلب وتعودون اليه في كل وقت معرضين عن السعي في الخلاص منه من عد وان العذاب وسبل الوعد
الحسن بجزيل الثواب ولسان قوة طلبهم له وتداعيهم اليه استهزاء به حتى كانهم لا مطلوب لهم غيره قدم الجار المفيد غالبا
للاختصاص وهو افتعال من دعا الشيء وبالشيء اذا طلبه ودعاه الله بمكروه انزل به ولما كان المعلوم ان من يمنى
آخر عن هواه وبالغ في ذلك الغصه ذلك التمني وتمنى هلاكه فكيف اذا وال عليه الانذار والتخويف بما لا يصل الى دركه
عقله ولا يرى له مقدمة يحققها وكان الكفار يسعون في هلاك النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتبعه كل سعي وكان هلاك
النذير انما ينفع المنذر على تقدير نجاته من هول ما كان يحذره منه النذير امره سبحانه ان يذكرهم بهما لينظروا في
ذلك المتوعد به فان كان ممكنا سعوا في الخلاص مما قد يكون منه من العذاب وسلكوا في الهرب منه مسلكا سهلا لا بعد امن
سوء الانقلاب ودخلوا الى فسيح المانع منه من اوسع باب وكفوا عن السعي في هلاك النذير وطووا ما مدوا له من الاسباب
ليظهر اذا كان صادقا على نبي نجيهم او يخفف عنهم ذلك المصاب فقال منبها على شدة الحذر من مكر الله وعدم الاغترار به
للمؤمن الطائع ليعلم انه لا يقدر ان يقدر الله حق قدره فكيف بالعاصي فضلا عن الكافر مكرر الامر بالقول تنبيها على ان كل جملة
صدرت به كافية في الدلالة على مقصود السورة وكان اليه لما اشتملت عليه من باهر القدرة ووافر العظمة
قل اي لهؤلاء الذين طال تفجرهم منك وهم يتمنون هلاكك ارايتم اي اخبروني خبرا انتم في الوثوق به على ما هو كالرؤية
ولما كانوا اعرف عالمين بعاقبة الامر في هلاكه ومن معه بما يقصدونه بهم حذرهم عاقبة ذلك بالتعبير باداة
الشك واسناد الاهلاك الى الله معبرا عنه بالاسم الدال على تناهي العظمة الجد لا يدع لغيره منها شيئا اعلاما بانه على
القطع بانه لا شيء في ايديهم هؤلاء يخافهم بوجه فقال ان اهلكني اي اماتني بعذاب او غيره الله اي الذي له من الجلال والاكرام
ما يعصم به وليه ويقصم عدوه ومن معي اي من المؤمنين والمناصرين لعصبة علينا مع ما لنا من الاسباب بالطاعة بالاعمال
الصالحة التي رتب سبحانه عليها الفوز والنجاة حتى لا يبقى احد ممن يكدر عليكم بالمنع من الهوى القائد الى التوى والحث على
العقل الضامن للنجاة او رحمنا بالنصرة واظهار الاسلام كما نرجوا فاجانا بذلك من كل سوء ووقانا كل محذور واتانا
كل سرور وفقا لانه من الاحتباك ذكر الاهلاك اولا دليلا على النجاة ثانيا والرحمة ثانيا دليلا على الغضب اولا فمن وكان
ظاهر الحال يقتضي تخيركم مع طلبكم المسببات من الفوز والنجاة لغير اسباب منافية للنجاة جالبة للعذاب وضع
الظاهر موضع المضمر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واستعطافا لهم الى ايقاع الايمان والرجوع عن الكفران فقال يجير
الكافرين اي العريقين في الكفر بان يدفع عنهم ما يدفع الجار عن جاره من عذاب اليم يصيبهم به الذي هم عالمون بانه
لا شيء الابتداء والا لنجا احد من الموت الذي خلقه وقدره بين عباده حتما على ما كانوا يؤملون به من يدعوهم اليه
ويفضحهم فيه فاذا كان لا ينجيهم من عذابه شيء سواء متنا او بقينا فالذي يبتغي لهم ان كانوا عقلاء السعي فيما ينجي من عذابه الا
السعي في اهلاك من هو ساع في خلاصهم من العذاب ولا يقدرون على هلاكه اصلا الا بتقدير الذي امره لا بد لهم
ولما كان لا يقدر على التعميم بالنعمة الا من كان عام النعمة والرحمة وكان المتمكن بالنعم اشد استعطافا فاصرف
القول الى التعبير بما هو صرح في ذلك فقال مذكرا بذلك لعلمهم بانه لا نعمة عليهم الا منه واعترافهم بذلك البحث روح وتنبيه

احتباك

كونوا

عموم قدرته فتعلموا اقدرته على البعث فيتفصل النزاع قل يا خير الخلق هو اي الله وحده الرحمن اي الشامل الرحمة لكل ما تناوله الربوبية
فلا يليق في عقل عاقل ان يدع احدا من خلقه في ظلم ظالمه فلا يأخذ له بحقه لان ذلك لا يرضاه اقل الناس لنفسه مع عجزه فكيف هو من هو كامل
القدرة والا لما قدر على عموم الرحمة امنا به اي انا ومن امن بي لهذا البرهان القاطع بانه لا يكافئه شيء فهو كاف في الايمان وعليه اي وحده
توكلنا لانه لا شيء في يد غيره والا لرحم من يريد عذابه او عذب من يريد رحمته فكل ما جرى على ايدي خلقه من رحمة او نقمة فهو الذي
اجراه لانه الفاعل بالذات المستجمع لما يليق به من الصفات فنحن نرجو خيره ولا نخاف غيره وقد امرنا له بهذه العبادة على جمعها الطهر
بالالوهية والربوبية فلا نحتج في السلوك اليه المعوق عن ذكره والتفكر في الآية ولو كان المعوق نفسنا في ظاهر الحياة الدنيا
ولو كان نخوفا فانه لا خوف معه سبحانه والتوكل عليه منجاة من كل هلكة محلية لكل ما لكه ولم تفعل كما تفعلون انتم في توكلكم
على رجالكم وجاهكم واموالكم ولما ابان ان هذا طريق الصواب وعلى كل ارتياب وكان لا بد من الرجوع اليه والابتلاء
لا تمام الرحمة بالثواب والعقاب سبب عنه قوله فستعلمون اي عند التجلي عليكم بصفة العظمة عما قليل بوعد لا خلف فيه
من هو اي منا ومنكم متداع بذاته ظاهرا او باطنا في ضلال اي اخذ في غير مسلك موصل الى مقصد محيط به الضلال بحيث انه
لا قدرة له على الانفكاك منه الا ان اطاع من يجره بيده فيخرجه منه ولما كان الشيء اذا كان فيه نوع لبس كان ربما
اقتضى قبول العذر قال مبين اي بين في نفسه موضح لكل احد انه لا خفاء به ولما افتتح السورة بعظيم بركته
وتمام قدرته وتفرده في مملكته ودل على ذلك بتفرده بالاماتة والاحياء ختم بمثل ذلك بالماء الذي وجوده سبب للحياة
وعدمه سبب للموت فقال قارعا بالتنبيه مشيرا بتكرير الامر الى مزيد التوبيخ والزجر والتبكيت والاعلى نعيس بالتهمه
من اهل الضلال ومصرحا بما لوح اليه من ذلك الاجمال قل اي يا اعظم خلقنا واعلمهم بنا ارايتم اي اخبروني اخبارا لا لبس
فيه ولما كان شديد العناية بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم سكن قلبه في وعيدهم بالاشارة الى الرفق بهم
لاجله فابتدأ الوعيد بحرف الشك فقال ان ولما كانت النعمة اشد ما تكون اذا كانت في الصباح الذي هو موضع
ارتقاب الفلاح قال اصبح ماؤكم اي الذي تعدونه في ايديكم مما نبهت عليه الاضافة ولما كان المقصود المبالغة
جعله نفس المصدر فقال غورا اي نازلا في الارض بحيث لا يمكن لكم نيله بنوع حيلة مما دل على ذلك الوصف بالمصدر
فمن ياتيكم على ضعفكم حينئذ وافتقاركم وانخلاع قلوبكم واضطراب افكاركم بماء معين اي جار دائما لا ينقطع او ظاهر
للاعين سهل المأخذ فقد رجع هذا الآخر كما ترى على ذلك الاول وعانقه على احسن وجه واكمل

سورة ن والقلم

مقصودها اظهار ما استتر وبيان ما ابهم في آية فستعلمون من هو في ضلال مبين بتعيين المهتدي الذي رضي
على هدايته حيازته العلم الذي هو النور الاعظم الذي لا يضل مصاحبه بتقبل القرآن والتخلق بالفرقان الذي هو
صفة الرحمن بقدر الامكان الذي تصل اليه قوة الانسان وادل ما فيها على هذا الغرض ن وكذا القلم فلذا سميت بكل منهما
وبالكلام على كل منهما تعرف ذلك وحاصله ان النون مبين محيط في بيانه كما يحيط ضوء الشمس بما تطرحه وكما تحيط الدواة
بمدادها بما دل عليه بمخرجه وصفاته واستقراء الكلم الواقع فيها والمعاني التي اشتركت في لفظه واما القلم فانه
للمعارف امر لا ينكر بسم الله الذي له الاحاطة الكاملة فهو على كل شيء قدير لانه بكل شيء عليم الرحمن الذي عمت نعمة ايجاده
لاهل معاداته البرءة منهم والسقيم الرحيم الذي اتم تلك النعمة على من وفقه لطاعته فالزمه الصراط المستقيم لما ابهم الضال
والمهتدي في اخر الملك والمسيء والمحسن في العمل والهاوختم بانه المادّ بالمعين الذي دلت صورته بمجموعها على تمام نعماها
ودل كل في احد منها على شيء منه فدلت ميمه على عام شيء ظاهر وعينه على انه هادية وياؤه على قائم ملطف متنزل مع كل عام
ونونه على مظهر مبين محيط بما اظهره وردهم سبحانه اليه لتعذر شرادهم منه بالاستفهام في هذه الآية بما نبههم
عليه من عجزهم وعجز كل من يدعونه من دونه وانه لا يقدر على الاتيان بذلك الماء الذي هو حياة الاشباح بعد ذهابه
الا من تمت قدرته فكان قادرا على كل ما يريده الا من كمل علمه الذي يحيي به موات الارواح دل على شمول قدرته بكمال علمه بما اودعه
على هذا النبي الامي من العلوم التي زخرت بحارها فاجاد زارها واعرق تيارها فاصبح هذه السورة تكمله الشأن
وبين اسم الحرف الذي اخر حروف تلك ومن لوازم بعض ما دل عليه المادّ الذي هو الحياة المصححة للعلم ونبه على نصبه سبحانه
له دليلا على العلم بما نبه عليه من مخرج مسماه وصفاته ومواقعه في الكلم في جميع تقلباته فقال ن هذه الكلمة حرف
من حروف المعجم وهي اسم المسمى به ظهور الاشياء وعلمها وادراكها كما دل عليه موقعه في اسم النور والنار والنيل النير
والنباهة والنبأ والنفح والنبا والنجابة والنجاة والنبت والندم وقد تقدم في البقرة عن ابي بكر الصديق رضي
الله عنه انه قال لكل كتاب سر وسر القرآن هذه الحروف ولا يعلم ما هي الا راسخها سبحانه ولما كان هذا
الحرف مشتركا في اللغة بين حرف المعجم والدواة والحوت وشفرة السيف سكن للدلالة بادئ بدء على انه حرف
ولا يمنع اسكانه المناسل في البنا من ارادة بقية المعاني لان العرب ربما سكنت الكلمة تنبيها بالوقف عليها على انها

معا فلا يلزم من الاسكان عن عامل البناء وقيل النون اللوح والنون الكلمة من الصواب والسمكة فهو صالح لحرف المعجم الكلي الصالح
لكل فرد وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اخر حروف الرحمن والدواة لما يفتأ منها من العلوم والحوت الذي على ظهره
الكون واسمه البهموت لما في ذلك من عجائب القدرة والاسرار ويكون الاقسام وقع بالنون مفعولا والقلم علوا للاحاطة والسعة
لما يفيأ عنه من جليل الآثار وكيف ما كان المراد فهو للاحاطة وهو سر باطن لا نظير له وانما تظهر نتائجه فهو الحكم ونتائجه القضاء
والقدر بالاشقاء او الاسعاد كان هذا الحرف آية الكشف للاشياء كان مخرجه امكن المخارج وابرزها
واخفها واوسعها وهو رأس المقول فانه يخرج مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا من اللثة وهو اخرج من مخرج اللام
ومن مخرج اللام ايضا وتسمى هذه الحروف الثلاثة الذلقية مع بقية حروف فر من لب لان طرف كل شيء ذلقه والنون
امكنها في هذا المخرج واشدها انطباقا فيما بين اللسان واللثة وهو مما كرر مسماه في اسمه فانتهى الى حيث ابتدأ واخص
يكون عماده وقوامه الحرف الاقوى الاظهر والرفعة والعلو وهو الواو والذلقية التي هو احدها صفة المصمتة وهي احرف
الحروف على اللسان واكثرها امتزاجا بغيرها واما المصمتة فمنعت ان تنفرد بنفسها في لغة العرب في كلمة هي اكثر من ثلاثة
احرف بل لا بد ان يكون معها بعض الذلقية والالف خارجة عن الصنفين لانها مجرد هواء لا مستقر لها فقد ناسبت مخرجها
لسعته وخفته ووصفها بالزيادة التي يقع لها النصف مما من الحروف لكمال غنته عن سواها ولا يقع لما لم يخالطها
كما في ذكر ما ذكر من ان معناها البيان والاظهار ومن صفاته الجهر وبين الشدة والرخاوة والانفتاح والاستفال
والغنة الخارجة من الخيشوم اذا سكن وكل هذا واضح في العلم الذي له الاتساع والانتشار والتغلغل في الاشياء
الباطنة ويشاركه الميم في الغنة كما انه يشاركه في ان له حظا من الظهور والنون هو الاصل في الغنة كما انه الاصل
في الظهور لما له من العلو بالعماد وهو ايضا من حروف الزيادة والزيادة التي لا يستقر على حال فيقع مرة ويثبت
واخرى صوتا كما ان العلم ايضا كذلك لا استقرار له بل مهما وسعته اتسع ومهما تركته اضمحل واجمع وهو من حروف الابدال
التي تبدل من غيرها ولا يكون غيرها بدلا منها فلا ريب ولا ادغم الميم بدل من الباء خلافا للعكس كما ان العلم اصل يتبعه غيره
ولا يكون هو تابعا لغيره وهي من الحروف الصحيحة وليست معتلة والعلم جدير بهذا الوصف وهو اذا كان مخفي من
الحروف المستتر به ويقال لها المخالطة لكثرة اللام وتحتها وهي التي اشتقت بها العرب فزادتها على التسعة والعشرين
المستعملة وهو من الحروف الصتم وهي ما عدا الحلقية سميت بذلك لتمكنها في خروجها من الفم واستحكامها فانه نفا
للمحكم المصتم والعلم اشد ما يكون مناسبة لهذا الوصف فقد انطبقت بمخرجها وجميع صفاتها على العلم الذي هو
مقصود السورة فتبين حقا انه مقصودها واما رتبة العلم في بيان العلم واظهاره وكشف خفاياه واسراره
وبثه واشهاره فهي حيث لا يجهلها احد اتصف بالعقل ومما اختص به هذا الحرف انه يصحب كل حرف لان حين هو
ما يعبر عنه التنوين الذي انتظامه بالحركات هو ما اثبته العلم المكمل به الحيوة التي هي آية ما يعبر عنه هذه الحركات
فلما كانت الحركات به مما يعبر عنه هذه الحركات فلما كانت الحركات ثابتة على ما هو الحيوة كان التنوين عنها اية على ما به
كمال الحيوة من العلم وهو سبب لما به القيام من الظهور ومن معناه اسمه تعالى النور ثم هو اسم لكل ما نظهر ما خفي باطنا
كالعلم في الادراك الذي نظهر حقائق الاشياء به وظاهرا كالنور بين العيون وسائر الانوار الظاهرة والباطنة وما هو سبب
الظهور كالعيون فيما به يشاهد الاشياء ونظهر به صورها والدواة التي منها مداد ما كتب بالقلم في العوالم اعلاها
وادناها وكل له يتوصل بها الى اظهار صوره تكون تماما كما المرن الذي هو مدد كل شيء كون الله به الكائنات
والباديات وجعلنا من الماء كل شيء حي ومنه معنى النجم النابي التي هو للشجر بمنزلة العود للبشر ملتبسا بالنور بالفتح
الذي فيه حظ من النور بالضم والدري الذي هو طامح في نفسه نظير الطرق الاهتدا وكذا الامر في النار المخلصة
من رتبة ظلمتها التي هي عاتيها بالرماد وانبادوها بما يخرج منه من شجر وحديد وحجر ولما كان هذا الحرف
اسما لما به ظهور امر لم يختص بشيء من المظهرات دون اخر بل شمل النون والحاسة والمراد والمادة ولذلك كان مع الكاف
الذي هو علم التكوين سبب ظهور كل شيء انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ولصدقه على كل مظهر فسره
ابن عباس رضي الله عنهما بالدواة فبين بما يستمد منه القلم ويلحظ موقعه في نخل فانه اسم لما ارتفع من الارض وظهر
في نفسه واظهر غيره وفي نهود الجارية وهو ظهور ثديها وفي النهب وهو ما اخذ اخذا ظاهرا كما قال صلى الله عليه
وسلم ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وفي النجز والنقع والنصر والنقر والنقب وما
اشبهها فانها كلها ظهور واظهار كالنمر والمن والنمو ولا اخل علوه واستنطاقه وانه استغراق المظهر المبين كانت فاتحته
بعالي الالف وهو الواو وانتهاؤه الى مثل ما بدئ به ولكون الميم تماما كان قوامه بمنزلة الالف التي هي الباء في قولك
ميم ولرجوع الواو الى علو الالف كان عمادها الالف في قولك واو وهذه الحروف الثلاثة طامح في عالمين ظاهرها

المبتدأ به وباطنهما المختوم به فالنون الاولى يعبر بها عن نور الابصار والخاتمة يعبر بها عن نور القلوب ولما كان
الهاء دون الدال وكان محيطا باطنا غيبا وجب ان يكون محل تضعيفه بالتاء محل محيطا باطن باء الالوهية في الغيب عن الهاء الونوعه
في رتبة العشرات وهو النون فكان ظاهرا باطنا بالاضافة الى حفظ الهاء باطنا بالاضافة الى ظهور الميم فتكون النون ظهور الميم
المعبر عن الملك الذي يستوي في السورة الماضية كما كان شهادة الدال وثبوته بالهاء ولذلك انبنى تمام كل عمل على نور علم
كما كان قوام امر ظاهر كل الغيب بها وكان النور مدادا المثل للعلم الذي يظهر صورها بسطر العلم حتى ان ابه ما بطن منه
فاظهره العلم هو ما بطن دون الارض من النون الذي عليه الارض الذي ما يطعمه اهل الجنة زيادة كبده مع النور الذي عليه
الارض ايضا الذي يذبح لهم على ما ورد في الخبر وقابل استبطان النون في الارض ظهور القاف على ظاهر الذي هو جبل الزبرجد
المحيط بالدنيا وعن ذلك كان الاستيلاء على القلوب في الدنيا انما يكون بالعلم الذي هو حقيقته نون كما ان الاستيلاء على الاجسام
في ظاهر الدنيا انما يكون بالقدرة التي هي حقيقة كاف على ما نطق من خالص العلماء في النون لا نطق الملوك في القاف لا ظهر
وهذا ان الصنفان من الخلق هما المسئولان على الناس بالايالة وظهور الامر ولذلك افتتح المفصل من القرآن بحرفي ق ونون
واقترن ايضا هذان الحرفان في كلمة القرآن ولفظ الفرقان اللذين هما من ظواهر اسمائه وانما كان اول ما يطعمه اهل الجنة
من النور الذي عليه الدنيا الذي كان يرعى في اطراف الجنة على ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام لان صورة النور في
معنى ما هو الكد والكدح وجهد العمل في الارض الذي قام عليه امر الدنيا ولما كان اهل الدنيا اول ما يراحون منه
من امر الدنيا نقلهم امر الكد من بدء معاشهم في الجنة كان الذي يذبح لهم النور الذي هو صورة كدهم فيأكلونه وهو جزاء لما
به في دنياهم من حيث كانوا ادوي دين فما استحقوا بذلك جزاء كدهم بما هو صورته واضيف لذلك زيادة كبد النون التي
صورة حظهم من اصل العلم فاطعموها وجوزوا بما اودعوا في اعمالهم حسن نياتهم في اصلاح شئونهم فلما اتوا عليهما استقبلوا الراحة
والخروج عن الكلفة في معاشهم في الجنة والذي جوزيهم به سبحانه الى شيء من الايمة ما اتقنه بحكمته من بناء المفصل البادي
على حرف القاف الذي به القوة والقهر والقدرة والنون الذي به اظهار ذلك للعقل بنور العلم وذلك ان القرآن
نزله سبحانه مثاني ضمن ما عدا المفصل منه الذي هو من ق الى خاتمة الكتاب العزيز وفاتحة ما اختص باولي العلم
من مبسوطات الحكم ومحكمات الاحكام ومطولات الاقاصيص ومتشابه الايات والصور المفتتحة بالحروف العليا
الاحاطة الغيبية المنبئ المستندة الى احاد الاعداد مما يختص العلم ظاهرها خاصة الامة ويختص بامر باطنها النبي صلى
الله عليه وسلم فلعلو رتبة ايراد ما عدا المفصل بسبب الحق تعالى الخطاب وانتظمه في سورة لكثرة العدد ليسره عدا الاي
في المفصل كن منها اطراف القصص والمواعظ والاحكام والانباء وامر الجزاء ما يليق بسماع العامة ليسهل عليهم سماعه
وليأخذ واحظ مما اخذ الخاصة وليتكرر على سماعهم في قراءة الائمة له في الصلوات المفروضة التي لا مندوحة لهم عنها
ما يكون لهم خلفا مما يفوتهم من مضمون سائر السور المطولات فكان احق ما افتتح به مفصلهم حرف القاف الذي هو ذو
الاحاد حتى صارت عشرة ثم اذا ضربت في نفسها صارت مائة فافتتح به المفصل ليكون مضمون ما يحتوي عليه ما افتتح بالم
ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقرأ في خطبة يوم الجمعة سورة ق فيفتتح للعامة المتوجه بخطبة يوم الجمعة
اليهم لانها صلاة جامعة الظاهر بفاتحة المفصل الخاص في مضمونها من حق القدرة والقهر المحتاج اليه في اقامة
امر العامة ما فيه كفايته وشفعت بسورة نون المظهرة ظاهر وخصوا بما فيه القهر والابانة واختصت سورة ن من معنى
العلم بما هو محيط بامر العامة المنتهي الى غاية الذكر الشامل للعالمين لان بالقوة العزيزة عن العلم ربما كان ضررها اكثر
من نفعها كما قال بعض السلف كل عز لم يوطد بعلم فالى ذل يؤول ولما كان جميع السور التسع والعشرين المفتتحة
بالحروف المتضمنة للمراتب التسع في التسعة والعاشر الجامع للمراتب التسع باشارات احادها والعاشر الجامع لضرب العشر
المؤثر في نفسه تماما واحاطة في جميع القرآن كذلك كان سورة ق وسورة ن تماما خاصا واحاطة خاصة بما يخص
العامة من القرآن الذين يجمعهم الارض بما احاط بظاهرها من صورة جبل ق وما احاط بباطنها من صورة حوت
نون الذين تمام امرهم بما بين مبدئي قائمتها وبهذين السورتين المفتتحة بالحروف ظهر اختصاص القرآن وتميز عن سائر
الكتب لتضمنه الاحاطة التي لا تكون الا للخاتم الجامع واقترن من التفصيل في صورهما ما يليق باحاطتهما والاحاطة تعاليها
وايهامها كان يحمل ما فسرت به من معنى يرجع الى مقتضاها صحيحا في احاطتها ومنزلتها من اسماء الله وترتيبها في جميع العوالم
فلا يخطئ فيها مفسر لذلك لانه كلما قصد وجها من التفسير لم يخرج عن احاطة ما تقتضيه ومهما فسرت به من انها اسماء الله
او من اسماء الملائكة او من اسماء الانبياء او من مثل الاشياء او صور الموجودات ومن انها اقسام اقسم بها او فواتح عرفت
بها السور او اعداد تدل على حوادث وحظوظ من ظاهر الامر وباطنه على اختلاف رتب واحوال مما اعطيته المنزل
صلى الله عليه وسلم من مقادير امد الخلافة والملك والسلطنة وما ينتهي اليه امره من ظهور الهداية وعود ذلك مما يحيط

بامد يومه الى غير ذلك وكل داخل في احاطتهما وكذلك ايضا لا يختص بمحل مخصوص تلزمه علامة اعراب مخصوصة فهما قد يقعان في مواقعهما
من هذه السور زجرا او نصبا او رفعا فداخل في احاطة رتبتهما ولم يلزم منهما معنى خاص لما لم يكن لها انتظام لانهما مستقلات محيطات
وانما لو ينتظم مما بينهما معنى كل واحد من المنتظمين لحصول الانتظام وذلك يخص من الكلم بما يقصر عن احاطة مضمون الحروف حتى انه متى وقع
استقلال واحاطة في كلمة لم يقع فيهما انتظام ولما كان قوام هذا الوجود بالسيف والعلم وكان نون مشتركا بين معان منها السيف
والدواة التي هي الة القلم واللوح الذي هو محل ما يثبت من العلم وكان السيف قد تقدم في جزء القاف الذي افتتحت به سورة ق كما هو
انسب لتضمنه القوة والقدرة والقهر في سورة الحديد بعد الوعظ والتهديد والتذكير بالنعم في السور الواقعة بينهما ذكرها
ما هو لحن النون من الة العلم فقال مقسما **والقلم** اي قلم القدرة الذي هو اول ما ابدعه الله ثم قال له اكتب فخط جميع الكائنات
الى يوم القيامة في اللوح المحفوظ حقيقة وفي الواح صفة الكائنات حالا ومجازا فاظهر جميع العلوم ثم ختم على فيه فلم ينطق ولا
ينطق الى يوم القيامة والذي يكتب به الخلق ما يلهمهم الله من تلك المعارف والعلوم وذلك هو قوام امور الدنيا والاشارة به
الى انقضائه الذي هو من نتائج ن لانه من مصنوعات الله الظاهرة التي اقتضت حكمته سبحانه ايجادها ووجهه الى تفصيل ما جرى به
الحكم ولما كان الحاصل بالقلم من ثبت الاخبار ونشر العلوم على تشعبها والاسرار مما يفوق الحصر فكان كانه العالم المنطوق اللسن
المنطيق وكان المراد به الجنس اسند اليه كما يسند الى العقلاء فقال **وما يسطرون** اي قلم القدرة وجمعه واجراه مجرى اولي العلم
للتعظيم لانه فعل افعالهم والاقلام على ارادة الجنس ويجوز ان يكون الاسناد الى الكاتبين به لما دل عليهم من ذكر اما الملائكة ان
كان المراد ما كتب في الكتاب المبين واللوح المحفوظ وغيره مما يكتبونه واما كل من يكتب منهم ومن غيرهم حتى اصحاب الصحيفة الظالمة
التي تقاسموا فيها على ان يقاطعوا بني هاشم ومن لاذ بهم حتى يسلموا اليهم رسول الله عليه السلام يفعلوا به ما شاءوا وكيف ما كان فهو
اشارة الى القدرة لانه انما يسطر ما قضى به وحكم ولما كان المخاطب بهذا صلى الله عليه وسلم قد عاشر المرسل اليهم
دهرا طويلا ودار ما ناهز نحو اربعين سنة وهو اعلاهم قدرا واطهرهم خلائق وامتنهم عقلا واحكمهم رأيا وادفعهم عن سوء انتساب
الادناس مهمة وازكاهم نفسا بحيث انه لا يدعى منهم الا بالامين ولم تجد دله شيء يستحق لهم ان يصفوه بسببه بالجنون الذي معناه
عنه الضلال عن المقاصد المذكوراة الملك في قوله فستعلمون من هو في ضلال مبين الا العقة التي ما نالها احد قط مثلها
في دهر من الدهور ولا في عصر من الاعصار فالمجيبا هذا القسم رادا عليهم باجلى ما يكون وادله على المراد وما يسأله صلى
الله عليه وسلم مما اوجب فراقهم عليه له من الوحشة وشرحا لصدره وتهديبة لشره **ما انت** يا اعلى المناهلين خطابا
بنعمة اي بسبب انعام **ربك** المربي لك بمثل ملك الهمم العالية والسجايا الكاملة بان خصك بالقرآن الذي هو الجامع لكل علم
وحكمة واكد النفي بزيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم فقال **بمجنون** اي بالذي وصفك بهذا هو الحقيق باسم الجنون
ومعناه فضلا عن الضلال الذي رد في حزبك بينك وبينهم فيه سلوكا السبيل الانصاف لينظروا في ذلك بالادلة فيعلموا
ضلالهم وهذا اثبات بالدليل القطعي بالنظر في الاثار المطرد لذلك غاية الاطراد فنفى عنه صلى الله عليه وسلم الشقاوة
التي سببها فساد العقل فثبتا السعادة التي سببها صلاح العقل نعمة الرب ۞ وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تضمنت
سورة الملك من عظيم البراهين ما يجر العقول عن استيفاء الاعتبار بعضه كالاعتبار بخلق السموات في قوله تعالى
الذي خلق سبع سموات طباقا اي يطابق بعضها بعضا من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق ويشعر هذا البناء بهما
في مساحة اقطارها ومقادير اجرامها والله اعلم ووقع الوصف بالمصدر ليشعر باستحكام مطابقة بعضها لبعض ابتداء
منه سبحانه انها مع عظيم اجرامها وتباعد اقطارها يطابق بعضها من غير زيادة ولا نقص ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت اي من اختلاف واضطراب في الخلقة او تناقض انما هي مستوية مستقيمة وجئ بالظاهر في قوله ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت ولم يقل ما ترى فيه من تفاوت ليشعر ان جميع المخلوقات جار على هذا كل مشكل يناسب شكله لا تفاوت في
شيء من ذلك ولا اضطراب فاعطى الظاهر من التعميم ما لم يكن ليعطيه الاضمار كما اشعر خصوص اسم الرحمن بما في هذه الادلة
المبسوطة من الرحمة للخلائق لمن ذوق الاعتبار ثم نبه تعالى على ما يرفع الريب ويزيح الاشكال في ذلك فقال فارجع البصر اي
عاود الاعتبار وتأمل ما لم تشاهده من المخلوقات حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا يبقى معك في ذلك شبهة
هل ترى من فطور اي من صدوع وشقوق ثم امر تعالى بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا هل تجد عيبا او خللا ينقلب اليك البصر
خاسئا اي انك اذا فعلت هذا رجع بصرك بعيدا عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار وبالاعياء
وبالكلال لطول الاجالة والترديد وامر برجوع البصر ليكون في ذلك استحكامه واستعداده حتى لا يقع بالرجعة
الاولى التي يمكن فيها الغفلة والذهول الى ان يحسر بصره من طول المعاودة اذ معنى التثنية في قوله كرتين التكرير
كقولهم لبيك وسعديك فيحسر البصر من طول التكرار ولا يعثر على شيء من فطور فلو لم تنطو السورة على غير ما وقع من
اوله الى هنا لكان في ذلك اعظم معتبر واوضح دليل لمن استبصر اذ هذا الاعتبار بما ذكر من عمومه جار في كل المخلوقات

ولا يستقل بفهم مجازيه الا الاجاد من العقلاء بعد التحريك والتنبيه فشهادته بنبوة الآتي به قائمة واضحة ثم قد تكررت في السورة
واداناها كاف في الاعتبار فاني يصد بعض عن منصف بعض ما هزاؤبه في قولهم مجنون وشاعر وساحر بل ان على قلوبهم ما كانوا يكسبون
فلعظم ما انطوت عليه سورة الملك من البراهين اتبعت بتنزيهه الاتي بها صلى الله عليه وسلم عما يقوله المبطلون مقسما على ذلك
زيادة في التعظيم وتاكيدا في التعزير والتكرير فقال تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون واني يصح من مجنون
الصور لبعض تلك البراهين وقد انقطعت دونها انظار العقلاء فكيف بسطها وايضاحها في نسق بوجيز ونظم معجز وتلازم بأسر
العقول وعبارة تفوق كل مقول تعرف ولا تدرك ويستوضح سبيلها فلا تسلك قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتون بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله فقوله سبحانه ما انت بنعمة ربك بمجنون جوابا لقوله تعالى في اخر السورة ويقولون انه لمجنون
وتقدم الجواب نفي قولهم والتنزيه عنه على حكايته قولهم ليكون ابلغ في اجلاله صلى الله عليه وسلم واخف وقعا على واقط
حالة في الفرح لك منهم ولهذا اقدم مدحه صلى الله عليه وسلم بما خص به من الخلق العظيم فكان محمدا وبر في الاجلال من بعدهم قولهم
ثم ردده اذ كسرت سورة تلك المقالة الشنعاء بتعقيب التنزه عنها اتم في الغرض واكمل في الموضع اليق بذلك تنزيهه عليه الصلاة
والسلام ووصفه من الخلق والمنح الكريمة بما وصف مما اعقب به ذلك اذ بعض ما تضمنته سورة الملك مما تقدم الايماء
اليه شاهد قاطع لكل عاقل منصف لصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وجليل صدقه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا فقد تبين موقع هذه السورة هنا وتلاؤم ما بعدها من اولها ذكر في التفسير انتهى ولما نفى عنه ما قالوه مما نوهوا
به فثبت له صلى الله عليه وسلم كمال العقل وكان المجنون من لا يكون له عمل ينتظم ولا قول يرتبط فلا يستعمله احد في شيء يكون
له عليه اجر اثبت له الاجر المستلزم للعقل فتحقق اثباته من احكم الحكماء على وجه ابلغ مما لو صرح به فقال على وجه التأكيد
لانكارهم له بما ادعوا من البهت وان لك اي على ما تحملت من اثقال النبوة وعلى صبرك عليهم فيما يرمونك به وهو تسلية له
صلى الله عليه وسلم لاجرا ولما اثبت له ما يلائم العقل بصلح لان يكون في الدنيا وان يكون في الآخرة ذا الاثنوية
وما افهمه السياق من مدحه على عظمته وكان الاجر لا يستلزم الدوام وقد يكون منغصا بنوع منه قال غير ممنون اي
مقطوع ولا منقوص في دنيا ولا اخرة ولا لاحد من الناس عليك به صنيع يمن به بان يذكر على سبيل اللوم والتقريع فهذا بيان
السعادة والاجر لا يكون الا على العمل الصالح والعمل ثمرة الاخلاق وصلاحه نتيجة الاخلاق الحسنة والعقل الراجح ولما
ثبت بهذا العقل مع ما افاده من الفضل وكان الذي يوجر قد يكون في ادنى رتبة العقل بين انه صلى الله عليه وسلم في اعلاها بقوله
مؤكدا لما مضى وانك وزاد في التأكيد لزيادتهم في المكابرة فقال لعلى خلق افهم السياق التعظيم صرح به فقال
عظيم وهو الاسلام الذي دعا اليه القرآن لا يا ليلا تنصرف ولا بالعطاء تنصرف لانه خلقه بشهادة اعرف الناس به
زوجه ام المومنين الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما القرآن فلا يتحرك ولا يسكن الا بامره وتمسه فهذا الخلق
نتيجة الهدى والهدى نتيجة العقل وهو سبب السعادة فافهم ذلك عدم سعادتهم لعدم عقولهم وقال الواسطي اظهر
الله قدرته في عيسى عليه السلام ونفاذه في آصف وسخطه وقهره في عصى موسى عليه السلام واظهر اخلاقه ونعوته
في محمد صلى الله عليه وسلم فكان متخلقا باخلاق الله والتخلق باخلاقه ان ينزه علمه عن الجهل وجوده عن البخل وعدله عن الظلم
وحلمه عن السفه واعلم ان الخلق والخلق صورتان الخلق صورة الظاهر والخلق صورة الباطن فمناسبا لاعضاء الظاهر
لعبر به عن الخلق الحسن وتناسب المعاني الباطنة يعبر بها عن الخلق الحسن ثم الخلق الحسن تارة مع الله وتارة مع حكم الله وتارة
مع الخلق فمع الله بالتعظيم والاجلال ومع حكمه بالصبر في الضراء والشكر في الرخاء والامتثال للاوامر والانزجار
عن النواهي عن طيب قلب مسارعة وسماحة وحسن الخلق مع الخلق في المعاملة وحسن المجاملة في العشرة روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلق وعاء الدين لان من الخلق يخرج الدين وهو الخضوع والخشوع وبذل النفس واحتمال
المكروه ولما كان الاسلام اشرف الاديان اعطاه الله تعالى اقوى الاخلاق واشرفها وهو الحياء كما روي ان
لكل دين خلقا وخلق الاسلام الحياء من الحيوة حياة القلب فكان صلى الله عليه وسلم ياخذ العفو ويامر بالعرف ويعرض عن
الجاهلين ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويحسن مع ذلك ويحمل يجذب بردته حتى يؤثر في عنقه فيلتفت وهو
يضحك ويقضي حاجة الجاذب ويحسن اليه فقد اشتمل الكلام التدبيري المشار اليه بالنون والقضاء الكلي التأثيري
المشار اليه بالقلم والقدر المبرم التفصيلي الواقع على وفق القضاء المشار اليه بالسطر ومثال ذلك الان من اراد
بناء دولاب احتاج اولا الى مهندس يدبر له بعلمه موضع البئر والمدار وموضع المحالة وموضع السهم وموضع
الجداول ونحو ذلك وهو الحكم التدبيري وثانيا الى الصانع يحفر البئر ويبني ويجار بركب الاخشاب على وفق حكم المهندس
وهو القضاء التأثيري وثالثا الى فاتحة الثور في موضعه ودوران المحالة بما عليها من القوادس وجري الماء في الجداول
على وفق القضاء وهو القدر ورابعا وخامسا الى بيان انقسام القدر له الى شقي وسعيد فالحكم باطن وهو سر من اسرار الله

تعالى

تعالى ولما انفى سبحانه على نبيه ما بهتوه به ودل على ما وهبه له من كمال العقل وتمام الشرف والنبل تلويحا وتصريحا فثبت غاية الثبات
باخبار العالم الحكيم دل عليه بالمشاهدة على وجه هو من اعلام النبوة للحكم على المستقبل فقال تسبيبا عن صادق هذا الاخبار فستبصر اي تعلم
عن قرب بوعد لا خلف فيه علما انت في تحققه كالمبصر بالحس الباصر ويبصرون اي يعلم الذين رموك بالبهتان علما هو كذلك ولما
كان هو صلى الله عليه وسلم ومن معه قليلا والاعداء اكثر وكان قد ابهم امر الملك الضال في القرينتين قال بايكم اي في اي فريقكم المفتون
اي بالضلال والجنون حتى صد عن الهدى ودين الحق او بايكم الفتنة بالجنون وعزم على ان يكون مصدرا فن قال الرازي مصدر مثل المفتون
وهو الجنون بلغة قريش كما يقال ما له معقول وليس له مجلود اي عقل وجلادة ولما كان هذا اخبارا بجنونهم المستلزم لضلال
على هذا الوجه المنصف وكان مثل هذا قد يقع في محاورات الناس بضرب من الظن استانف تعالى ما هو كالتعليل لما افاده السياق
من هذا الحكم عليهم اعلاما بانه ناشئ عن علم قطعي لا مرية فيه بوجه فقال مؤكدا لاجل انكارهم بان يكون الامر على ما افاده ما تقدم ان
ربك اي الذي رباك احسن تربية وجبلك على اعظم الاخلاق هو اي وحده اعلم اي كل احد لا سيما من تخرص بمن ضل اي حار وجار وذهب
وضل وضاع وغاب غيبة عظيمة لا يهتدي معها وسلك غير سبيل القصد واخطأ موضع الرشد تعرضا عن سبيله فكان اجن المجانين
لانه سبحانه خالقهم وشارعه الا يعلم من خلق ولا سيما وهو الحي القيوم الذي لا يغفل وهو خاصة اعلم بالمهتدين اي الثابتين على
الهدى وهم اولو الاحلام والنهى وهذا سر القدر الذي يقال انه انما يظهر يوم الحاقة ولما كان من طبع البشر
ان الحليم منهم اذا الزبن اذا اشتد عليه الاذى ممن لم تجر العادة بان مثله يطيق مثلهم قاربهم ولا يتهم فيما وقع الخلاف بسببه
بعض المقاربة وكان سبب تلك المقاربة انما هو عدم علمه بالعواقب سبب سبحانه عما مضى من اعلامه بحقائق الامور وكشفه
مستورها قوله الهاما وتهييجا على الثبات على معاصاتهم اعلاما للضال بما رآه ليتعلم المهتدي لان الامور تعلم باضدادها
وهو خطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد امته ليكون ذلك ابلغ في سماعهم فلا تطع اي ايقاع المامور بانفاذهم من غوائل الهوى
واشراك اهلاكهم المكذبين اي العريقين في التكذيب قال الملوي ولا يخفى ان كل كفر ظهر وكل ضلال له طرت وكل بدعة وكل شر انما
كان سببه افساد القوة العلمية والنطقية وهو يكون بالتكذيب ثم علل ذلك بما يدل لمجموعه على وقوعه منهم من مدة طويلة
وانهم يسمون عليه بقوله ودوا اي احبوا محبة واسعة متجاوزة للحد فيه بما مع الاستمرار على ذلك واكدها كم على
هذه الودادة بما افهمه التمني وان ذلك مستمر منهم لانه وقع ومضى فقال مشيرا الى فساد القوة النطقية وخلو الحجة
العزيزية لو تدهن اي تلاين فتدا في على بعض ما يريدون فتهادنهم على بعض ابهمهم عن الشرك وترك التعرض لسب الهتهم وتسفيه
احلامهم وتضليل آبائهم قال ابن برجان والادهان ملاينة وانحراف الباطل واغماض عن الحق المعرفة بذلك انتهى وهو من
الدهن لانه يلين ما يدهن به كانوا يلقون له صلى الله عليه وسلم بعض الاوقات خداعا كما قيل في سبب نزول الكافرون
من انهم قالوا له تعال فلنصطلح على ان نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة ونحو هذا من الاباطيل حتى انهم سجدوا لما رآه
صلى الله عليه وسلم لما تلا عليهم سورة النجم فسجد فيها فسجد وراءه الكفار والمومنون والجن والانس حتى سمع المهاجرون
الى الحبشة وهم بالحبشة فرجع بعضهم ظنا منهم انهم قد اسلموا او وجدوهم على اخبث ما كانوا عليه فقال سبحانه معرفا بان ذلك منهم
خداع فيدهنون اي فتسبب ودادتهم انك تدهنهم بدهنون فهو عطف على ودوا والاجواب لو لاجل تنبيهه صلى الله عليه
وسلم على ان لينهم انما هو خداع لم يرد به غير الفساد وقد اخذوا الادهان وان كانوا قد يماني ودادة طمعا بان يبتدئهم
فيظهرون حينئذ قال القشيري من صح عقيدته لا يتمنى ان يكون الناس كلهم مرضى ولما نهاه عن طاعة المكذب وعلله
وكان من الناس من يخفى تكذيبه قال ناصبا علامات المكذب ولا تطع اي في وقت من الاوقات كل حلاف اي مبالغ في الاجتراء
على الايمان وان لم تظهر لك تكذيبه وليس المراد النهي عن العموم بل عموم النهي اي انه عن كل حلاف فالنهي اصل والكل وارد عليه
كما تقدم تخريجه كما تقدم تخريج مثله في اخر البقرة في قوله تعالى والله لا يحب كل كفار اثيم وهذه الاوصاف متفرعة من الكذب
وخبث السجية فهي كالتفصيل فكثرة الحلف دالة على فساد القوة العلمية فنشأ عنها سقوط تعظيم الحق فصار صاحبها لا يعرف
معروفا ولا ينكر منكرا فلذلك يحلف صادقا وكاذبا كيف ما اتفق مهين اي حقير ضعيف وضيع سافل الهمة والمروءة وفاسد
الرأي لان الانسان لا يكثر الحلف الا وهو يتصور في نفسه انه لا يصدق الا بذلك لانه ليس له من المهابة عند من يحدثه
والجلالة ما يصدقه بسببه وهو مورث للبطالة لما فيها من موافقة طبعه وذلك هو الحقارة ولما كان من اتصف
بصفة احب ان يشاركه الناس فيها او يغاروه لا سيما ان كانت تلك الصفة دنية ليسلم من العيب والانفراد به ولان
المداناة اكف قال هماز اي كثير العيب للناس في غيبتهم وقال الحسن هو الذي يغمز باخيه في المجلس لان الهمز العض والعصر والدفع
من المهماز الذي يطعن به في بطون الدواب وهو مخصوص بالغيبة كما ان اللمز مخصوص بالمواجهة ولما كانت النميمة
وهي نقل الحديث اشد الهمز افاد انه يفعله ولا يقتصر على مجرد الفعل بل يسعى به الى غيره وان بعد فقال مشاء اي كثير المشي
بنميم اي بنقل ما قاله الانسان في اخر واذاعة سر لا يريد صاحبه اطلاعه على وجه الافساد للبين مبالغ في ذلك

كان من كان هكذا يريد اعلا نفسه بهضم الناس وكان المنع لارادة الاستيثار بالممنوع ليكون الغير محتاجا اليه وقاكما عليه لان من طبعه الارتباط الاطماع لا شكرا لبعد الجواد فانه يرفع نفسه عن المطامع ولا يرتبط الا شكرا على الصنائع فجود طباعه ان الناس كذلك قال مناع اي كثير المنع شديده للخير اي كل خير من المال والايمان وغيرهما من نفسه ومن غيره من الدين والدنيا ولما كان من يفعل هذه المخازي من الناس قد يقتصر في الهمز والنم على الواضح وفي المنع على ماله منعه لشيء من انه لا يتمنع بذلك بل زاد عليه بذل الجهد فيما يصير به الاثم فقال معتد اي بالغ التجاوز للحدود في كل ذلك اثيم مبالغ في ارتكاب ما يوجب الاثم فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث يرغب في المعاصي ويتطلبها ويدع الطاعات ويزهد فيها ولما كان من يتصف بهذه الدنيا بالتي من شانها ان ينقاد الناس عنه وينفرهم منه يسعى في سترها ان كان عاقلا بلين وتواضع وخداع وسهولة انقياد بين ان هذا على غير ذلك فقال منبها على هذا بالتعدية عتل اي اكول شديد الخصومة جاف غليظ في خلقه وخلقه ثقيل كانه قطعة جبل قد انقطع عن مكانه لا ينجر الى خير الا بعسر وصعوبة وعنف من عتله اذا قاده بغلظة فهو في غاية ما يكون من يبس الطباع وعدم الطواعية في الخير والانطباع قال الرازي وسئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشديد الخلق الرحيب الجوف الاكول الشروب الظلوم ونبه سبحانه على شانه في تلك المخازي الموجبة لاستغراق اوقاته واحواله بها بنزع الخافض فقال بعد ذلك اي الخلق الجدير بتكلف الابعاد عنه الذي يجمع من هذه الاوصاف التي بلغت نهاية القباحة حتى صارت كانها خلق واحد ثابت راسخ لا حيلة في مداواته وعلى ذلك تبه قوله زنيم اي صارت له علامة سوء وشر وفساد قبيح ولا امة بينه تعرف بها كما تعرف الشاة وهي الحلمة التي تكون تحت حلقها مدلاة سوى العقد بمعايبه ومستقبح اخلاقه وقيل هو الذي يتشبه بقوم وليس منهم في شيء ولا يخلو التعبير به من اشارة الى انه دعي ليس ثابت النسب الى من ينتسب اليه ليكون منقطعا من كل خير وان كان ينتسب الى اباء كرام اخذا من زنمة البعير حلقة تقطع من اذنه فتترك معلقة ولا ينفعل لذلك الانكرام الا بل هذه الافعال كلها تنافي الشجاعة المقتضية للاحسان صاحبها الى كل احد وان لا يحسب له حسابا ولا يحصل اليه اذى لا بعد ظهور شره فيعامله حينئذ بحسب العدل بما لا يزري بالمروءة والمشار اليه بهذا مع ارادة العموم قيل الوليد بن المغيرة وقيل الاخنس بن شريق وقيل الاسود بن عبد يغوث قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة ولما كان حطام هذه الدنيا كله عرضا فانيا وظلا متقلصا زائلا لا يفتخر به ولا يلتفت اليه الا من كانت فيه هذه الاوصاف فاذا كان كرمه وميلغ علمه امرا له الترفع على الحقوق والتكبر على العباد قال ان اي لاجل ان كان اي هذا الموصوف ذا مال اي مذكور بالكثرة وبنين انعمنا عليه بهما فصار بطاع لاجلهما فكان بحيث يجب عليه شكرنا بسببهما اذا تتلى اي تذكر على سبيل المتابعة عليه ولو كان ذلك على سبيل الخصوص له اياتنا اي العلامات الدالة لانها في غاية الظهور على اتصافنا بالملك الاعلى وما له من الصفات العلى قال اي قائلا هذا القول من غير تامل ولا توقف عوضا عن الشكر فان مع حاله متعلق بما دل عليه الكلام نحو كذب لاجل كونه متمكنا ولا يتعلق بقال لانه جزاء الشرط ويجوز ان يتعلق بلا تطع اي لا توجد طاعته لاجل ان كان كذا وقرئ بالكسر على انها شرطية فيكون النهي عن طاعته لعلة الغنى مفهما للنهي عن طاعته عند الوصف بغيره من باب الاولى كالتعليل في الاملاق بالولاد اساطير جمع سطور جمع سطر الاولين اي اشياء سطروها ودونوها وزعموا انها حملة ذي طبعه على تكرره بالمال تورطه في التكذيب باعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر موضع الشكر ولم يستحي من كونه يعرف كذبه كل من سمعه فاعرض عن الشكر ووضع موضعه الكفر فكان هذا دليلا على جميع تلك الصفات السابقة مع التعليل بالاسناد الى ما هو عند العاقل ادهى من بيت العنكبوت والاستئناف الية وحرف كاف في الاتصال بالرسوخ في الدناءة ولا يعمل فيه ان بل بما دل عليه لان ما في حيز الشرط لا يعمل فيما قبله ولما كان هذا المذكور قد اعرق في الشر وقع السامع جزاءه قال معلما انه يجعل له من الخزي والفضائح ما يصير به شهرة بين الخلائق في الدنيا والاخرة سنسمه اي نجعل لما يلحق به من العار في الدارين كالوسم الذي لا يمحى اثره اصلا تقول العرب وسمه ميسم سوء ولما كان الوسم منكيا وكان جعله في موضع لا يستر انكا وكان الوجه اظهر ما في الانسان وكان اظهر ما فيه واكرمه الانف ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة قال على الخرطوم اي الانف الطويل جمعه وما قاربه من الحنكين وسما مستعليا عليه بوضوحه جدا ليكون هتكه بين الناس وفضيحة لفوحه وذلا وعارا وكذا كان لعمري له هذا الذكر الشنيع والذم القبيح من الكفر وما معه وسيكون له يوم الجمع الاعظم ما هو اشنع من هذا على انه قد حقق في الدنيا هذا الخط حسا بانه ضرب يوم بدر ضربة خطمت انفه قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتعبير عن الانف هكذا للاستهانة والاستحقاق ولما ذكر في اول الملك انه خلق الموت والحيوة للابتلاء في الاعمال وختم هنا بعيب من اغتر بالمال والبنين وهو يعلم ان الموت وراءه اعاد ذكر الابتلاء واكده لان اعمالهم مع العلم بانه عرض زائل اعمال من يظن الملك الثابت والتصرف التام فقال انا بلوناهم اي عاملنا على ما لنا من العظمة هؤلاء المكذبين الذين نسمهم على الخراطيم من قريش وسائر عبادنا بما وسعنا به عليهم معاملة المختبر مع علمنا الظاهر والباطن لنظهر ذلك وظنوا

انهم احباب ومن قدرنا عليه من اوليائنا اعداء فاستهانوا بهم وتسوهم لاجل تقللهم من الدنيا الى السفه والجنون والضلال والفتون يوشك ان ناخذهم بغتة كما فعلنا باصحاب الجنة فكل من عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ابتلي به فان امن كان ممن احسن عملا والا لم يعرف عاقبة اهل مكة نعمة الله عليهم به صلى الله عليه وسلم اخرجه الله عنهم واكرمه بالانصار جعله اكرم الكرامات لهم وكل من سمع به ولم يؤمن فهو كذلك يكون اعماله كثمر الجنة نظنها شيئا فيجدونه احوج ما يكون اليها او كان ابتلاؤنا لهم بالقحط الذي دعا عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كلوا الجيف فما نابوا كما نابت اصحاب الجنة كما بلونا اي اختبرنا بان عاملنا معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر والباطن وحاصله انه استخراج ما في البواطن ليعلمه العباد في عالم الشهادة كما يعلمه الخالق في عالم الغيب اصحاب الجنة عرفها لانها كانت شهيرة عندهم وهي بستان عظيم كان دون صنعا بفرسخين يقال له الضروان او انه كناية عن الجزاء وان يطأه اهل الطريق كان صاحبه ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل والقته الريح او بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة فلما مات شح بنوه بذلك فحلفوا على ان يجدوها قبل الشمس حتى لا ياتي الفقراء الا بعد فراغهم وذلك يعني قوله تعالى اذ اي حين اقسموا ودل على تاكيد القسم بالتاكيد فقال ليصرمنها عبر به عن الجداد لدلالته على القطع البائن المعزوم عليه المستاصل المانع للفقراء ليكون قطعا من كل وجه من الصرم لقود بعرض على فم الجدي ليلا يرضع ومن الصرم لما للمعاداة لان اتيهما والناقة القليلة اللبن مصبحين اي داخلين في اول وقت الصباح ولا اي والحال انهم يستثنون اي لا يطلبون ولا يوجدون ثنيا اي عودا الى ما قيل ليمين بقولهم ان شاء الله وغير ذلك من الالفاظ الموجبة لان يكون شيء من جنتهم مطلقا غير ممنوع وسمي ذلك استثناء لانه اخراج الشيء يكون حكمه غير المذكور اولا وكان الاصل فيه الا ان يشاء الله والحق به ان شاء الله لرجوعه اليه في اتحاد الحكم فطاف اي فتسبب عن عليهم هذا الصلح ان طاف عليها اي جنتهم طائف اي عذاب فهلك بحيث مع انه امر يسير عند الله وان كان عظيما بالنسبة اليها لانه لم يدع منها شيئا ولا يكون الطائف بهذا المعنى الا بالليل كذا اصل ورده اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ولما كان بهذا مقتضاه في الصورة اخبر بانه لطف وتربية في المعنى بقوله من ربك اي المعروف بالعظمة التي لا تحد وبالاحسان اليك فهو جدير بان يؤدب قومك ليقبلوا امنك كما ادب اصحاب الجنة بما اوجب توبتهم بتربية العباد ليقبلوا عنك ويكونوا خلقين بالتجنب للدنيا والاقبال على المعالي وهم اي والحال ان اصحاب الجنة المقسمين نائمون وقت ارسال الطائف فاصبحت اي فتسبب عن هذا الطائف الذي ارسله القادر الذي لا يغفل ولا ينام على اهل من لا يزال اسير العجز والنوم فعلا وقوة ان صارت جنتهم وقد احسنا بهم لها بالعدو وسرورهم بها كالصريم اي كالاشجار الذي صرم عنها ثمرها او كالشيء الذي انقطع ما بينه وبين قاصده فلا وصول له اليه بوجه وقيل كالليل المظلم الاسود وقيل كالرماد الاسود ليس بها ثمرة ولان ذلك الطائف اهلها لم يدع فيها شيئا لانهم طلبوا الكل فلم يترك مما يمنع عنه الطوارق نقيض ما كان لا بيهم من بقرة عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة في جميع احواله ولما كانوا الغفوة عنهم ما اقسموا عليه كانهم كانوا على ميعاد سبب عنه قوله فتنادوا اي كانوا كانه نادى كل منهم للاخر مصبحين اي في حال اول دخولهم في الاصباح وفسر التنادي بقوله ان اغدوا اي بكروا جدا مقبلين ومستولين وقادرين على حرثكم اي محل فائدتكم الذي اصلحتموه وتعبتم فيه ولا يستحقه غيركم وكانهم استبطاوا فتهم وغدوهم فكنوا عنه بقولهم ان كنتم اي اليوم كونا هو لكم بغاية الرغبة صارمين اي جادين جدا دائبين لكم من غير مشاركة احد لكم كما كانوا انعم عليه او جازمين بما عزمتم عليه وعبر عن اسراعهم الى الذهاب بقوله فانطلقوا اي بسبب هذا الحث وعقبه كانهم كانوا متهيئين وهم اي والحال انهم يتخافتون اي يقولون في حال انطلاقهم قولا هو في غاية الاسرار كانهم ذاهبين الى سرقة مرددا اي في غاية الحراسة من الخفوت وهو الهمود يؤثر ما يتخافتون به بقوله ان لا يدخلنها واكدوه لانه لا يصدق ان احدا يصل الى هذه الواقعة وصلابة الوجه وان جدادا يخلو من سائل ولما كانت العادة قاضية بانه لا بد ان يسمى الانسان شيئا او يعقل بالاحرة يدخل منه وسببه بقوله اليوم اي في جميع النهار بما دل عليه نزع الخافض ليكون واعليه سرارا وتعنتا وتضمنه ولا بد عوا به ثمرة واحدة ولا موضعا يطمع نفسه احد في قصده كم عليكم اي وانتم تمنعا مسكين وهو نهي للمسكين في اللفظ للمبالغة في نهي نفسهم ان لا يدعوه ان يدخل عليهم فقالهم واسطهم سنا وخيرهم نفسا واعدلهم طبعا مما يدل عليه ما ياتي لا تقولوا هكذا واصنعوا من الاحسان كما كان يصنع ابوكم وكانه طواه سبحانه لانه مع الدلالة عليه بما ياتي لم يؤثر شيئا واكدوا نطلاقهم حال الاصباح بقوله وغدوا اي ساروا والتباعد في على حرد اي غيظ وهو القصد وشدة الغضب مع الجزم بالامر واللجاج فيه والشرعة والنكد بالمنع وقلة الخير من حاردت السنة لم يكن فيها مطر والابل منعت درها وحرد اذا اشرع قادرين عند انفسهم وفي زعمهم بدليل عدم استثنائهم فان الجزم على الفعل في المستقبل فضلا عن ان يكون مع الحلف فعل من لا كفوا له ودل على فجرهم بما من منزلهم بالفاء فقال فلما راوها اي بعد مسير يسير وليس للزرع ولا للثمر بها اثر قالوا لانها صارت بتسوا احالها من ذلك الظن بعيدة من حال ما كانت عليه عند توادعهم وتغير بنائهم فادهشهم منظرها وحيرهم خبرها واكدوا لان ضلالهم لا يصدق

مع قرب عهدهم وكثرة ملابستهم لها وقوة معرفتهم بها فقالوا انا لضالون اي عن طريق جنتنا لان هذه لا تشبهها بوجه فيما كانت
فيه بالامس من النضارة وشدة الجمل وحسن الهيئة   الخلي ما ادهشهم في الحال فقالوا مضربين عن الضلال بل نحن محرومون
اي ثابت حرماننا مما كان فيها من الخير الذي لم يغب عنه الا سواد الليل حرمنا الله منه بما عزمنا عليه من حرمان المساكين ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ولما كان الفزع بالمصاب مظنة الرقة والتوبة لمن اريد به الخير وزيادة الكفر لغيره
استانف قوله قال اوسطهم اي ازيدهم عقلا وسنا وفضلا منكرا عليهم الم اقل لكم ان ما فعلتموه لا ينبغي وان الله سبحانه بالمرصاد
لمن عزم على ما في نفسه وحاد   كان منع الخير ولا سيما في مثل هذا مستلزما لظن النقص في الله تعالى اما لانه سبحانه
لا يخلف ما حصل التصدق به واما انه لا يقدر على هلاك ما اباح الانسان به قال مستانفا لولا اي هلا ولم لا تسبحون اي توقعون
التنزيه لله تعالى عما اوهمه فعلكم واقل التسبيح الاستثناء عند الاقسام شكا في قدرة الانسان واثباتا للقدرة للملك
الديان استحضارا لعظمته سبحانه ودل سياق الكلام على انهم كانوا متهيئين للتوبة بقوله قالوا اي من غير تلعثم بما دعاهم
من تركه ابهم سبحان ربنا اي تنزه المحسن الينا التنزيه الاعظم عن ان يكون وقع منه فيما فعل ظلم واكدوا قباحة فعلهم
هضما لانفسهم وخضوعا لربهم وتحقيقا لتوبتهم لان ما كانوا عليه من الحال يقتضي ان لا يصدق رجوعهم عنه بقولهم انا كنا
اي بما في جبلتنا من الفساد ظالمين اي راسخين في ايقاعنا الاشياء في غير مواقعها حيث لم نعزم على ما جاز ما على ما كان يفعل
ابونا من البر ثم حيث حلفنا على ترك ذلك ثم حيث لم نرد الامر الى الله بالاستثناء حيث حلفنا فان الاستثناء تنزيه الله
عن ان يجري في ملكه ما لا يريد واكد توبتهم بقوله مسببا عن اعترافهم بالظلم فاقبل بعضهم اي في الحال مبادرة الى الخضوع على
بعض ودل تسميته من قرعتهم في اللفظ على الاستواء في التوبة يتلاومون اي بفعل كل منهم مع الاخر في اللوم على ما قصدوه
من المنع وترك ما تركوه من الاعطاء والدفع ما نفعله الاخر معه وحسب النقصان اليه كما هو داب المغلوبين العجزة ولما تشوف
السامع الى معرفة بعض ذلك قال قالوا منادين لما تغلبهم قربة منهم وملازمة له عن كل شيء ياويلنا اي هذا اوقت حضورك ايها
الويل اياتا ومنادمتك لنا فانه لا نديم لنا الان غيرك والويل الهلاك والاشراف عليك   كان اهل الدالة
يكرون ان يكونوا من منع الفقراء طاغينا اكدوا قولهم انا كنا اي جبلة وطبعا طاغين اي مجاوزين للحدود فيما فعلنا من التقاسم
على منع الفقراء او على جدها في الصباح من غير استثناء فعل القادر وكان ذلك ان كان لا بد لنا منه ممكنا بغير قسم ولا اخفا
من الفقير ولا مخافته حال الستر بان يقال للفقير ايتح الله ونحو ذلك من الكلام ولما قدموا اما هو النفع
لهم من اللوم المقتضي لاجماعهم على التوبة فعلم بذلك الندم الذي هو امارة التوبة اسئنفوا جوابا لمن سال هل اقتصروا
على التلاوم قولهم عسى اي يمكن ان يكون وهو جدير وخليق بان يكون ربنا اي الذي احسن الينا بتربية هذه الجنة وباهلاك
ثمرها الان تاديبا لنا ان يبدلنا اي من جنتنا شيئا خيرا منها يعم لنا امر معاشنا فتقبل اخرتنا هذه التي نحن فيها من
الهموم والبداءة ليسرورو لذاذة بما افاده ايقاع الفعل على ضميرهم وقراءة ابي عمرو ونافع بالتشديد وقراءة الباقين
بالتخفيف وهما متقاربان على ان التشديد يدل على تدرج فالتخفيف ابلغ معنى وانما تعلق رجاؤنا بسبب توكلنا
وعلمنا بان ربنا قادر على ما يريد ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون   دل هذا الدعاء على اقبالهم
على الله وحده صرحوا واكدوا الان خالهم الاول كان حال من يكره منه مثل ذلك فقالوا معللين انا   كان
المقام للتوبة الرجوع عن الحوبة عبروا باداة الانتهاء اشارة الى بعدهم عن الحضرات الربانية تادبا منهم فقالوا الى
ربنا اي المحسن الينا والمربي لنا بالايجاد ثم الابقاء خاصة لا الى غيره راغبون اي ثابتة رغبتنا ورجاؤنا الخير والاكرام
بعد العفو وقد نقل ان الله قبل رجوعهم واخلف عليهم فابدلهم جنة يقال لها الحيوان بحيث كان القطف لو احد منها حمله
وخلق من كثرة البغل رواه البغوي عن ابن مسعود ولكن لما كان المقام لترهيب من يركن الى ماله واحتقر الضعفاء من عباد الله
ولم يحلهم حلاله طواه وذكر ما صورته هذا الكلام وانتجه من مساواة حال قريش وحال هؤلاء في الاحسان وطول الحلم مع
احتقار اوليائه والتقوي عليهم بافضاله ونعمائه فقال مرهبا كذلك اي مثل هذا الذي بلونا به اصحاب الجنة من اهلاك
ما كانوا عندا نفسهم في غاية القدرة عليه والثقة به مع الاستحسان منهم لفعلهم والاستصواب وهددناه به اهل
مكة فلم يبادروا الى المتاب العذاب اي الذي نحذرهم منه ونخوفهم به في الدنيا فانهم الاجل الذي قدرناه له اخذناهم
به غير مستعجلين ولا معرطين لانه لا يعجل الا ناقص يخاف الفوت ولما كانوا منكرين لامور الاخرة واشد من انكارهم
لامور الدنيا اكد قوله ولعذاب الاخرة اي الذي يكون فيها للعصاة اكبر اي من كل ما يتوهمونه   كان هذا
موجبا لمن له ادنى شعور للهروب منه قال لو كانوا اي الكفار يعلمون اي لو كان لهم علم لشيء من عذابهم في وقت من الاوقات
لرجعوا عما هم فيه مما عرفوا انه يغضب الله فيكون سببا للعذاب في الدارين ويهم مع ذلك بما يزري بهم عند الناس من تلك
الاثار الخبيثة التي منها الايمان الكاذبة وبدل على عدم شجاعتهم وقلة عقولهم لكنهم ليس لهم نوع علم الان والمحتوم

مؤنة على الكفر لا يجد له نوع علم وعزم سيرجع في الوقت الذي قدره الله له   ولما ذكر ما لاهل الجحود الذين لا يجوزون الممكنات
ذكر اضدادهم فقال مؤكدا لاجل انكارهم ان للمتقين اي العريقين في صفة التقوى خاصة دون غيرهم ممن لا يتقي والتقوى الاحتراز بالوقاية
الحامل عليه الخوف من المؤذي الحامل عليه تجويز الممكنات فاول الملوي واصلها ان العرس الواقي وهو الموجوع الحافي لا يضع حافره
حتى يبصر هل الموضع لين مناسب وكذا المتقي لا يتحرك ولا يسكن الا على بصيرة من الله بذلك فلا يفعل احد منهم شيئا من تلك الاثار
الخبيثة التي تقدمت للمكذبين فجاز والكمال لصلاح القوة العلمية وزاد في الترغيب بشارة الى جنة القلب وبسط الروح
بقوله عند ربهم اي المحسن اليهم في موضع نما م اولئك وجنة اما لهم فان نعيمهم دال على رضاه سبحانه ورضي صاحب الدار يطيب
قبل تطر الدار   ولما اشار الى جنة القلب تبعها جنة القالب فقال جنات جمع جنة وفي لغة البستان الجامع وفي
عرف الشرع مكان اجتمع فيه جميع السرور واسقي منه جميع الشرور النعيم وهو الحال الخالص من المكدر والمشوب والمنغص
لاشئ فيها غيره اصلا بما افادته الاضافة   كان عدم ابراز كل من الفريقين الدار التي يعدهم وصفها بالتسوية بين
المحسن والمسيء وكان ذلك لا يليق بحكيم ان يفعله وجب نكاره لتحقق ان ما اخبر به سبحانه لا يكون الا كذلك لا سيما وقد كان الكفار
يقولون انهم كالمسلمين واحسن حالا منهم وذلك انه ان كان لا بعث كما كانوا يظنون فقد استووا فيما بعده مع ما فضلوهم
به في الدنيا من اتباع الاهواء والظفر باللذائذ وان كان ثم بعث فكانوا يقولون لشبهة دعتهم اليها شهوة انا نكون على
تقديره احسن حالا منكم واثر عند الله في حسن العيش كما نحن في هذه الدار الا ونحن عنده افضل منكم فقال تعالى منكرا الذ
غاية الانكار عائبا التحكم بالجهل غاية العيب نافيا للمساواة لئلا يكون نافيا لما هو اعلى من باب الاولى مسببا عما تقدم ولا يكون
لغير المتقين ذلك افنجعل المسلمين اي الذين هم عريقون في الانقياد لاوامرنا والصلة لما امرنا بوصله طلبا لمرضاتنا
ولا اختيار لهم معنا في شيء ولا في غيرها لحسن جبلاتهم كالمجرمين اي الراسخين في قطع ما امرنا به ان يوصل وانهم لا ينقادون
شلل ذلك بل من عاند لهم نوع معاند قاطعتموه ولو وصل الامر الى القتل   ولما كشف هذا الدليل الشبهة ودفع الستر
فاوصل الى اعظم من ضوء النهار التفت القول اليهم بالخطاب لفت المغضب عند العتاب فقال متعجبا منهم منبها على جاهم فيه
من اعوجاج الفطر وفساد الفكر منكرا عليهم غاية الانكار ما لكم اي اي شيء يحصل لكم من هذه الاحكام الجائرة البعيدة
عن الصواب   نبه على انه ليس لهم في مثل هذه الاحكام شيء يجب ان يكون نافعا وكان العاقل ذا علم ان شيئا من
الاشياء لا ينفع فيه العدمنه انكر عليهم ثانيا حال الحكام منهم هذه لان نفي احوالها اشد لنفيها كما تقدمت في كيف
تكفرون في البقرة فقال كيف تحكمون اي بعقل عاقكم الى هذا الحكم الذي تضمن التسوية من الشيئين المحسن من
عبيده والمسيء   ولما كان الحكم لا يمكن وجوده الا مكيفا بكيفية وكان سبحانه قد نفى حكمهم هذا بانكار جميع كيفياته
التي يمكن ان يصح معها وكان الحكم الصحيح لا بد وان يكون مستندا الى نقل وعقل زاد بطلان حكمهم وضوحا بنفي الارين
معا فقال عاطفا على ما تقديره الكم دليل من العقل اليه تتحاكمون ام لكم كتاب اي سماوي معروف انه من عند الله
خاص بكم فيه لا في غيره من اساطير الاولين ونزل المحرفين تدرسون اي تقرءون قراءة انقنتم بها ضبطها والتفهم فيه بسببها
       ذكر الدرس ذكر المدروس فقال ان لكم اي خاصة على وجه التاكيد الذي لا رخصة في تركه فيه اي الكتاب
لتكونوا في غاية الوثوق به لا في غيره مما لا وثوق لكم به لما تخيرون اي تبالغون في انتقائه واخذ خياره وكثر المهم وكان
حقها الفتح لولا اللام لان ما بعدها هو المدروس ويجوز ان تكون الجملة حكاية للمدروس وان تكون استئنافية
       ولما نفى دليل العقل والنقل مع التعجب منهم والتهكم بهم وكان قد بقي ان الانسان ربما عاهد غيره على شيء فلزمه
الوفاء به وان كان خارجا عما يدعو اليه العقل والنقل نفى ذلك بقوله ام لكم ايمان اي غليظة جدا علينا قد حملتمونا
اياها بالغة اي لا جل عظمها الى الغاية ربما الناكيد بحيث يكون بلوغ غيرها ناقصا بالنسبة الى بلوغها ذلك عهد دائما
اي ان بلوغها هو البلوغ لا غير وثباتها منتهية الى يوم القيمة لا يمكن الخروج عن عهدتها الا في ذلك اليوم ليحتاج
لاجلها الى اكرامكم في الدارين   ذكر القسم بالايمان ذكر المقسم عليه فقال ان لكم اي خاصة دون المسلمين
لما تحكمون اي تفعلونه فعل الحاكم الذي يلزم قوله لعلو امره على وجه التاكيد الذي لا مندوحة عنه فتحكمون
لانفسكم بما تريدون من الخير   ولما تحت منهم وتهكم بهم دل على ذلك تهكما اعلى منه بكشف عوارهم غاية الكشف
ويبرز بهم اشد الحيف فقال محوفا لهم بالاغراض سلهم اي يا ايها الرسول الذي تحت دلالته بقوة انوارها الانوار
       ولما كان السؤال سببا لحصول العلم علق سلهم عن مطلوبها الثاني وكان حقه ان يتعدى بعن فقال ايهم بذلك
اي الامر العظيم من المعاهدة والدليل النقلي والعقلي زعيم اي كفيل وضامن وسيد او رئيس او متكلم بحق او باطل
لتلزمه في دعائه صحة ذلك ما تدعيه به ضحكة للعباد واعجوبة للحاضر منهم والبادي فلم يجسر لما يعلمون من حقيته
هذا القرآن وما لا قوا الهمركلا من العرافة في البطلان احد منهم على اشد عداوتهم وحبهم للغلبة وشماختهم ان يبرز

لادعاء ذلك ولما نفى ان يكون لهم منه سبحانه في تسويتهم بالمسلمين دليل عقلي او نقلي وعهد وبنى على هذا الترتيب المحكم والتمام
الاحكم اتبعه ما يكون من عند غيره ان كان ثم على ما ادعوا فقال ام لهم شركاء اي شرعوا لهم امرا او وعدا ولم يأت به نبي ولا اتوا بآية
من الاله لهم كما اتينا لنبينا صلى الله عليه وسلم فليأتوا بشركائهم اي يأتوا الهم او افعالهم كما اتينا نحن في نصرنا نبينا صلى الله عليه
وسلم من الامر معا بما لا شبهة فيه وتحل عليهم بالكذب ملجئا مهيجا بما حرق اكبادهم ولا يقدرون على دفعه بوجه فيكون ذلك
اعظم دليل على ابطالهم فقال ان كانوا اي جبلة وطبعا صادقين اي عريقين في هذا الوصف كما يدعونه ولما نفى جميع
شبههم الذي يمكن ان يتشبثوا بها مع البيان لعدم قدرتهم على ما يريدون من تحقيق الادلة وتحقيق البراهين الدال على تمام العلم
اللازم منه كمال القدرة فاوضح لهم من وضوح الامر الى حد لم يبق معه الا العناد اتبع ذلك تهديدهم بما ثبتت قدرته عليه من
يوم الفصل ومعاملتهم فيه بالعدل فقال يوم يجوز ان يكون بيانا ليوم القيمة ويبنى لاضافته الى جملة وان يكون ظرفا ليأتوا
او منصوبا بما اخذ من معنى الكلام من نحو سيعلمون ما يلقون من غب هذه المعاندات وان نالوا في هذه الدار جميع اللذات
في جميع اليوم الذي يكشف اي يحصل الكشف فيه بني للمفعول لان المخيف وقوع الكشف الذي هو كناية عن تفاقم الامور وخروجها
عن حد الطوق لا كونه من معين مع ان من المعلوم انه لا فاعل هنالك غيره سبحانه عن ساق اي يشتد الامر فيه غاية الاشتداد
لان من اشتد عليه الامر وجد في فصله شمر عن ساقه لاجله وشمرت حرمه عن سوقهن غير محتشمات هربا فهو كناية عن هذا ولذلك
نكره تهويلا له وتعظيما نقل هذا التأويل عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما وعن انكشاف جميع الحقائق وظهور الجلائل
فيه والدقائق من الاهوال وغيرها كما كشفت هذه الآيات جميع الشبه فترك السامع لها في مثل ضوء النهار وفي الجزء الخامس والثلثين
من مسند ابي يعلى الموصلي عن ابي بردة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا قال عن نور عظيم يخرون له سجدا وهو لا ينافي
ما ذكر من التأويل من الشدة والكشف ولما كان هذا الكشف الذي كشف لهم المعاني في هذا القرآن انما هو لاجل العبادة
الذي هي الخضوع الذي يعبر عنه بالسجود وهو اثباتها واماراته ما اشتمل عليه الباطن منهما وعلانيتهما فيأتون بها وهم قادرون
عليهما ذكرهم بيوم يريد نهايته فلا يأتي لهم نيل مرامهم وزيادة تحسير واظهار تضليل وتحسير لان ظهورهم واعضاءهم
تكون طبقا واحدا لا تنثني فكلما ارادوا السجود انقلبوا على اقفائهم فقال بانيا للمفعول دلالة على ارادتهم الانقياد
ورغبتهم فيه من اي داع كان وهو دال على ان التكليف لا ينقطع الا بتحول كل من الفريقين داره ويدعون اي من داعي الملك
الديان الى السجود توبيخا على تركهم الآن وتنديما وتعنيفا لا تعبدا او تكليفا يريدونه ليعتقوا انفسهم مما يرون من المخاوف
فلا اي فيتسبب عن ذلك انهم لا يستطيعون اي لانهم غير سالمين لا اعضاؤهم تنقاد به مع شدة معالجتهم لانفسهم على ان تطوع
لهم اعضاؤهم بما تفهمه هذه الصيغة من ان الانسان منهم اراد الفعل وعالجه فلم يطعه لان ظهورهم تكون على حالة لا تنثني
معها بل كانت فيها السفافيد فيكون لهم من ذلك اشد ندم لتركهم اياه في الدنيا وهم يقدرون عليه وهو اذ ذاك نافع لهم
ومعالجتهم فعله اشد معالجة وهم غير قادرين عليه وهو غير نافع لهم واذا اعجز وامتنع المعالجة كان ابدا ونهاية العجز وذلك انه
يبعث المرء على ما مات عليه ويحشر على ما بعث عليه ولما كان ربما ظن ظان ان المانع لهم الكبر كما في هذه الدنيا
قال خاشعة اي مخبتة متواضعة ابصارهم لان ما في القلب يعرف في العين وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود
ووجوههم اضوأ من الشمس ووجوه الكافرين والمنافقين سود مظلمة ولما كان الخاشع كذلك قد يكون خشوعه
لخير عنده حمله على ذلك على العز قال ترهقهم اي تغشاهم وتقهرهم ذلة اي عظيمة لانهم استعملوا الاعضاء التي اعطاهموها سبحانه
ليتقربوا بها اليه في دار العمل في التمتع بما سخط منه ولما دلت هذه العبادة مطابقة لما ورد في الحديث الصحيح على ان
كان في قلبه مرض في الدنيا يصير ظهره طبقا واحدا فقاره واحدة فيعالج السجود فيصير كلما اراده انقلب لقفاه عجبا
منهم في ملازمة الظلم الذي هو ايقاع الشيء في غير موقعه فقال وقد اي والحال انهم كانوا اي دائما بالخطاب الثابت يدعون
في الدنيا من كل داع يدعو الينا الى السجود وهم اي فيأبونه والحال انهم سالمون فهم مستطيعون ليس في اعضائهم ما يمنع من
ذلك وانما منعهم منه الشماخة والكبر فالآية من الاحتباك ذكر عدم الاستطاعة اولا دال على حذف الاستطاعة
ثانيا وذكر السلامة ثانيا دال على حذف عدم السلامة اولا ولما علم بهذا انه سبحانه المتصرف وحده بما يشاء وكيف
يشاء من المنع والتمكين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجد من تكذيبهم له مع اتيانه بما لا يحتمل التكذيب بوجه من المشقة
ما لا يعلم مقداره الا الله تعالى وعلم المعلوم بان له منه اخف عنه لا افناء القول الى التكلم بالافراد تنصيصا على المراد
زيادة في تسكين القلب وشرح الصدر فذرني اي اتركني على اي حالة اتفقت ومن يكذب اي يوقع التكذيب لمن يتلو ما حدث
انزاله من كلامي القديم على اي حالة كان ايقاعه وافرد الضمير نصا على تهديد كل واحد من المكذبين بهذا الحديث اي بسببه
اي خل بيني وبينهم وكل امرهم الي ولا تكترث بشيء منه اصلا فاني اكفيكهم لانه لا مانع منهم فلا تهتم به اصلا ولما
كان كانه قيل ما ذا الفعل به اذا خليت بينك وبينهم اجاب بقوله جامعا الضمير لكون الواحد مهددا من باب

احتباك

الاولى

الاولى سنستدرجهم اي سنأخذهم بعظمتنا عما قليل على غرة بوعد لا خلف فيه وندنيهم الى الهلاك درجة درجة بواسطة من نشاء
من جنودنا وبغير واسطة بما نوالي عليهم من النعم التي توجب عليهم الشكر فيجعلونها سببا لزيادة الكفر فنوجب لهم النقم ولما
كان اخذ الانسان من مأمنه على حالة غفلة بتورطه في اسباب الهلاك حتى لا يحس بالهلاك الا وهو لا يقدر على التفصي منها بوجه
قال من حيث اي من جهات لا يعلمون اي لا يتجدد لهم علم ما في وقت من الاوقات بغوائلها وذلك انه سبحانه يغريهم بالامهال ولا يعاجلهم
بالعقاب في وقت المخالفة كما يفعل بمن يراد به الخير فيستيقظ بل يمهلهم ويمدهم بالنعم حتى يزول عنهم خاطر التذكر فيكونوا منعمين
في الظاهر مستدرجين في الحقيقة فيقولون قد علمنا ان القدر قابض على القضاء وان الاعمال القضاء وجزاؤها قدر ويقولون ان
انعامنا في الدنيا فنحن فائزون في جزائها الا ما يرينا لولا يعذبنا الله بما نقول فانهم كاذبون في توعدنا فانا كلما احدثنا
ما يسمونه معصية تجددت لنا نعمة وذلك كما قادهم الى بدر لحينهم وهم في غاية الرغبة قال الزمخشري والاستدراج ان يريد
الشيء ويطوى عن صاحبه وجه الفضيحة حتى يأخذه بغتة فيدرج اليه شيئا بعد شيء ولما كان الاستدراج يكون باسباب
كثيرة من بسط النعم وغيرها فابرزه بالنون المشتركة بين الاستتباع والعظمة وكان تأخير الاجل لا يكون الا لله وحده بغير واسطة
شيء قال واملي اي واؤخر انا وحدي في آجالهم واوسع لهم من جميع تمتعهم ليزدادوا اثما لانه لا يقدر على مد الآجال وترفيه العيش
غيري ولما سلاه صلى الله عليه وسلم بهذه غاية التسلية علل واستأنف في جواب من لعله يقول لم يكن احدهم على هذا
الوجه سيما انعامه كيدا ان كيدي اي ستري لاسباب الهلاك عمن اريد اهلاكه وابدائي ذلك في ملابس الاحسان وخلع البر
والامتنان متين اي في غاية القوة حيث كان حاملا للانسان على اهلاك نفسه باختياره وسعيه عند الاخذ الى ما اتسلته
ما احمله وان اتمهل الى ما كان استدراجا ولما كان هذا القرآن اعظم احسان ساقه سبحانه اليهم وكان موجبا للشكر
عليهم للذي نزله ولاكرام الآتي به فكان سببا لمباشرتهم من التكذيب به والاذى لآتيهم به ما يوجب اخذهم قال الا
على متانة كيده سبحانه ودقة استدراجه عاطفا على الذكر لشيء فيه يرتابون قوله منكرا عليهم مبينا ان تكذيبهم انما هو لانه
طبع وخبث سجية لا لشبهة لهم فيه ولا شبهة ام تسألهم انت يا اعقل الخلق واعلاهم هما اجرا على الابلاغ فهم اي فتسبب
عن ذلك وتعقب انهم من مغرم كلفتهم به مثقلون اي واقع اثقاله بهم حتى اوجب لهم ذلك الغرم الناقص لاموالهم التقاعد عن التصديق
فصاروا يشتهون اقلاعك عنه ولما نفى ان يكون تكذيبهم لشهوة دعتهم الى ذلك نفى ان يكون لهم في ذلك شبهة من
شك في الذكر او حيف في المذكر وان يكونوا على ثقة او ظن من سلامة العاقبة فقال ام عندهم اي خاصة الغيب اي علمه من اللوح
المحفوظ او غيره فهم لسبب ذلك يكتبون اي ما يريدون منه ليكونوا قد اطلعوا على ان هذا الذكر ليس من عند الله او على انهم لا
ذل عليهم في التكذيب فقد علم بهذا انه لا شهوة لهم في ذلك عادية ولا شبهة وانما تكذيبهم بمجرد خبث طباع وظلمة
نفوس واماني فارغة واطماع ولما انتفى جميع ذلك فثبت انهم على خطر عظيم وانه سبحانه المختص بعلم الغيب وقد اخر
اهلاكهم من اجله صلى الله عليه وسلم وان كفر من كفر وايمان من آمن بقضائه وتقديره فكان لا بد منهما كان ذلك سببا حاملا
له على الصبر الى الوقت الذي ضرب به سبحانه للفرج فقال مسببا عما تقديره لم يكن لهم شيء مما ذكر وانما هو القضاء والقدر
فاصبر اي اوقع الصبر واوجده على كل ما يقولونه فيك وعلى غير ذلك من كل ما يقع منهم ومن غيرهم من مجرى القضاء لحكم ربك اي لقضاء
الذي قضاه وقدره المحسن اليك الذي اكرمك بما اكرمك به من الرسالة والزمك بما الزمك من البلاغ وخذلهم بالتكذيب
ومد لهم على ذلك في الآجال واوسع عليهم النعم واخر ما وعدك به من النصر ولما كان حاصل قصة يونس عليه السلام
انه استثقل الكرامة بالرسالة لما فيها من الامور الشديدة من معالجة الخلق فامتحن كان سببا لقوله ذلك ثم كان سبب
اسلام قومه اداناء العذاب منهم وتقريب غشيانه لهم اشار له بقصته الى انه يراد اعلاؤه عليه واعلاء امته على
امته بما يحتاج الى الصبر على من يستقبل من صبر وامر شديد فقال ولا تكن اي لا يكن حالك في الضجر والعجلة ولما كان
قد افتتح السورة بالنون الذي من معانيه الحوت عبر هنا تحقيقا للارادة به فقال كصاحب اي كحال صاحب الحوت
وهو يونس عليه السلام اذ اي حين والعامل في هذا الظرف المضاف المحذوف من الحال ونحوها او يكون التقدير لا
يكن حالك كحاله يحصل لك مثل ما حصل له نادى اي دعا ربه في الظلمات من بطن الحوت وظلمة ما يحيط به من الحجبة وظلمة
اللج وهو اي والحال انه عند ندائه مكظوم اي مملوء كربا وهما وشدة وغما محمول على السكوت بطنه فهو لا يستطيع من شدة
حزنه ومحبوس عن جميع ما يريد من التصرف فالجأه سبحانه بذلك الى الدعاء والتضرع من الكظم وهو السكوت
عن امتلاء وتجرع للمرارات ومن هذا كظم السقاء اذا ملأه وشد رأسه فكان مكظوما والمكظوم المكروب كانه قد
اخذ بكظمه وهو مخرج نفسه ولما تشوف السامع الى ما كان من امره بعد هذا الامر العجيب قال لولا ان وعظم
الاحسان بالتذكير وصيغة التفاعل فقال تداركه اي ادركه ادراكا عظيما كان كالآمر النعمة وفيه يريد ان يترك الاهم
نعمة اي عظيمة جدا من ربه اي الذي احسن اليه بارساله والتوبة عليه والرحمة لنبذ اي لولا هذه الحالة

السنة التي أتم الله عليه بها لطرح طرحاً قبيحاً جداً بالعراء أي الأرض الفضاء التي لا بناء فيها ولا نبات لبعده من الانس حين طرح فيها كما حكم به
من الأزل وهو أي والحال أنه مذموم أي ملوم على الذنب كان التقدير ولكنه تداركه بالنعمة فلم يكن في بطن الحوت مليماً بسبب عنه
قوله فاجتباه أي اختاره لرسالته ربه ثم سبب عن اجتبائه قوله فجعله من الصالحين أي الذين دخلوا في رتبة الصلاح فصلحوا
في أنفسهم للنبوة والرسالة كذلك للالتفات تشريف للعالمين ولما نهاه صلى الله عليه وسلم عن طاعة المكذبين وحذره ادهانهم
وضرب لهم الأمثال وتوعدهم إلى أن قال ذرني ومن يكذب بهذا الحديث وختم بقصة يونس عليه السلام للتدريب على الصبر
وعدم الضعف ولو بالصغو إلى المدهن وكان التقدير تسبيباً عما فيها من النهي فإنهم إنما يبالغون في أذاك ليضجروك فتترك ما أنت
فيه قال عاطفاً على هذا المقدر محذراً له مما في صدورهم من الإحن عليه وفي قلوبهم من الضغائن له ليشتد حذره من ادهانهم
مؤكداً لأن من يرى ادهانهم ظن إذعانهم وينكر لما لعلهم فيه طغيانهم وإن أي وإنه يكاد وأظهر موضع الإضمار
تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف فقال الذين كفروا أي ستروا ما قدروا عليه مما جئت به من الدلائل ولما كانت المخففة
أتى باللام التي هي علمها فقال ليزلقونك أي من شدة عداوتهم وحسدهم وغيظ قلوبهم بأبصارهم أي بعيونهم [illegible]
عما أنت فيه والزلل العظيم الذي صاحبه في موضع دحض لا يستمسك فيه بالهلاك فما دونه من الأذى حتى يرموك من مقامك الأرفع
كما يزل الإنسان فينطرح لما يتراءى في عيونهم حين تصويب النظر للغيظ من الحنق والسخط الدال على التصميم ... يتقلع هو من قولهم
نظر إلي نظراً يكاد يصرعني لو أمكنه أن يصرعني به لصرعني كما قال يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا وقيل يهلكونك
بإصابة العين. قال القشيري كانوا إذا أرادوا أن يصيبوا شيئاً بأعينهم جاعوا ثلاثة أيام ثم نظروا إلى ذلك الشيء وقالوا ما
أحسنه من شيء فيسقط المنظور إليه في الوقت ففعلوا ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ما أفصحه من رجل فحفظه الله منهم وللشيخين
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق. وزاد في رواية عند أحمد وابن ماجه يحضرها الشيطان وحسد
ابن آدم. ولأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما العين حق ولو أن شيئاً سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا
ولأبي نعيم في الحلية من حديث جابر رضي الله عنه رفعه العين حق تدخل الجمل القدر والرجل القبر ولأبي داود من حديث
أسماء بنت يزيد رضي الله عنهما وإنها لتدرك الفارس فتدعثره ولما ذكر هذا الإزلاق العظيم ذكر ظرفه معبراً
بالماضي تذكيراً بالحال الماضية فقال لما سمعوا الذكر أي القرآن الذي غلب عليهم التذكير بأمور يعلمها كل أحد من نفسه
ومن الآفاق حتى كان هو إياه أول ما سمعوه حسداً على ما أوتيت من الشرف فكان سماعهم له باعثاً لما عندهم من البغض والحسد
على أنه لم يزدهم تمادي الزمان إلا احتقاداً لا ألفة ويقولون أي قولاً لا يزالون يجددونه ولما كان صلى الله عليه وسلم
في غاية البعد عما نسبوه إليه أكدوا قولهم إنه لمجنون حيرة في أمرك وتنفيراً عنك لما يعلمون من أنه لا يسمعه أحد لا غرض له
إلا كذبهم ومال بكليته إليك وكان معك وارتبط بك واغتبط بما جئت به. وعن الحسن أن قراءة هذه الآية دواء للإصابة
بالعين ولما كان معنى قولهم هذا إنما يقوله تخاليط من يصرع بالجن أكذبهم بقصر القلب قوله متعجباً منهم وما أي والحال
أن هذا القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم هو إلا ذكر أي موعظة وشرف للعالمين أي كلهم عاليهم ودانيهم ليس منهم أحد إلا وهو
يعلم أنه لا شيء يشبهه في جلالة معانيه وحلاوة ألفاظه وعظم سبكه ورقة حواشيه وجزالة نظومه ونفهم منه على حسب
ما هيأه الله له ليناسب عموم ذكريته عموم الرسالة للمرسل به وكل ما فيه من وعد ووعيد وأحكام ومواعظ شامل
لهم كلهم موجب للتفرقة بين مسلمهم ومجرمهم لتصديق ما فيه وأوله بكمال جلاله وكماله فقد رجعت خاتمتها كما ترى على فاتحتها
بالنون والقلم وما يسطرون من هذا الذكر وسلب ما قالوه فيه من الجنون والإقسام على الخلق العظيم الذي هو الذكر
الحكيم وتبين كونه ذكراً لجميع الخلق بما فيه من الوعد والوعيد على أنه لا بد من الحاقة وهو القيامة لتظهر فيها كمالاته وأحكامه
وتفصيله وتبين غاية الإيضاح سبيله ويحق فيها حقائقه وتظهر جلائله ودقائقه بما يقع من الحساب وتبين عاد الشأن
الخطأ من الصواب

سورة الحاقة مقصودها تنزيه الخالق ببعث الخلائق لإحقاق الحق وإزهاق الباطل بالكشف
التام لشمول العلم للكليات والجزئيات وكمال القدرة على العلويات والسفليات وإظهار العدل بين سائر المخلوقات
وتمييز المسلم من المجرم بالملذذ والمؤلم وتسميتها بالحاقة في غاية الوضوح في ذلك وهو أدل ما فيها عليه بسم الله الذي
له الكمال كله نزاهة وحمداً الرحمن الذي عم بجوده بالعدل كلهم وحمداً الرحيم الذي خص أهل وده بالوقوف عند حدوده
فنالوا بطيب جوارحه علواً ومجداً وفوزاً بالأماني وسعداً. ولما قدم سبحانه في ن الإنكار الشديد لأن يسوى
المسيء بالمحسن وذكر القيامة وبعض أحوالها بيوم يكشف عن ساق وزيادة المشاق وختم بالتهديد العظيم بآية الاستدراج الذي
لا يدفع بعلاج وختم بأن القرآن ذكر أي شرف وتذكير ومواعظ للعالمين في شمولهم كلهم برحمته أما من بعد إنزاله
فبوعده ووعيده ووعظه وقصصه وأمره ونهيه وأما من قبل إنزاله فبالشهادة لهم وعليهم وكان ذلك أولى الله وجميع
ذلك إنما يظهر ظهوراً تاماً يوم الجمع الأكبر وكان ذلك اليوم أعظم مذكر للعالمين وواعظ لهم وزاجر يقتضي جميع

الخيرات على تذكره وبتذكر العرض على الملك الديان والسر في إنزال القرآن هو التذكير بذلك اليوم الذي هو نظام الوجود قال واصفاً للقيامة
واليوم الذي يكشف فيه عن ساق وأعظم بذكرها ومحذراً من أمرها الحاقة أي الساعة التي يكذب بها هؤلاء وهي ثابتة الأشياء وأحوالها
فلا كاذبة لها ولا لشيء فيها ولا بد من حقوقها فهي ثابتة في نفسها ومن إحضار الأمور فيها بحقائقها والمجازاة عليها بالحق الذي لا مرية
فيه لأحد من الخلق فهي فاعلة بمعنى مفعول فيها وهي فاعلة أيضاً لأنها غالبة لكل خصم من حاقته بحقيقته أحقه أي غالبه في الحق غلبة
فيه فهي تحق الحق ولا بد فيعلو على الباطل فيدمغه ويزهقه فيحق العذاب للمجرمين والثواب للمسلمين وكل ما فيها دائر على الثبات
والثبات لأن ذلك مقتضى الحكمة ولا يرضى أحد من الحكام بترك رعيته بغير إنصاف بعضهم على زعمه فكيف بالحكيم العليم وقصة
صاحب الحوت عليه الصلاة والسلام أدل دليل على القدرة عليها ولما كان ذلك كله أمراً رائعاً للعقول هائلاً
للقلوب من عجائب النفوس وكان ربما توقف فيه الجلف الجافي أكد أمره وزاد في تهويله وأطنب في تفخيمه وتجليله إشارة
إلى أن هوله يفوت الوصف بقوله معلماً أنه مما يحق له أن يستفهم عنه شأنه بأداة الاستفهام مراداً بها التعظيم
للشأن وأن المخبرين كالعيان ما الحاقة فأداة الاستفهام مبتدأ أخبر عنه بالحاقة وهما خبر عن الأولى والرابطة
تكرير المبتدأ بلفظه نحو زيد ما زيد أي ما هو وأكثر ما يكون ذلك إذا أريد معنى التعظيم والتهويل ولما كان
السياق لزجر المراد بكشفها لساق عظيم التهويل بقوله وما أدراك أي في الزمن الماضي وقصره لتذهب النفس فيه
كل مذهب أي وأي شيء أعلمك بشيء من الأشياء مع تغاطيك للبحث والمداورة ثم زاد التحذير مبتدأ بقوله على النحو الأول
مستفهماً والمراد التفخيم ومزيداً للتعظيم ما الحاقة أي إنها بحيث لا يعلم كنهها أحد ولا يبلغها دراية وكيف ما قدرت
حالها فهي أعظم من ذلك فلا يعلم حق العلم إلا بالعيان. وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير لما بنيت سورة ن والقلم على تقريع
مشركي قريش وسائر العرب وتوبيخهم وتنزيه نبي الله صلى الله عليه وسلم عن شنيع قولهم وقبيح بهتهم وبين حسدهم وعداوتهم
وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم أتبعت بسورة الحاقة وعداً لهم وتنبيهاً أن حالهم في سوء ذلك المرتكب
قد سبق إليه غيرهم كذبت ثمود وعاد بالقارعة فهل ترى لهم من باقية الدهر وكم أهلكنا قبلهم من قرن فهل ينتظرون
إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً فسورة الحاقة جارية
مجرى هذه الآي المعقب بها ذكر عناد مشركي العرب ليتعظ بها من رزق التوفيق ويجعلها الله تذكرة وتعيها أذن
واعية ولما ذكر حال من هلك من الأمم السالفة بسوء تكذيبهم وقبيح عنادهم أتبع ذلك بذكر الوعيد الأخراوي
يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ثم عاد الكلام إلى ما بنيت عليه سورة ن والقلم من تنزيهه صلى الله عليه وسلم
وتكريمه مقسماً على ذلك إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن وانتهى نفي ما يقولونه منصوصاً على تنزيهه
عن كل علة منها في السورتين ما أنت بنعمة ربك بمجنون وما الذي جئت به بقول شاعر ولا بقول كاهن بل هو تنزيل من رب
العالمين وإنه لتذكرة للمتقين وإنه لحق اليقين فنزه ربك وقدسه عن عظيم ما ارتكبوه انتهى. فلما بلغ التهويل حده
وكان سبب لإنكار الساعة ظن عدم القدرة عليها مطلقاً أو لعدم العلم بالجزئيات قال دالاً على تمام القدرة
والعلم بالكليات والجزئيات محذراً من أنكرها بأنه قادر على تعجيل الانتقام ولكنه لا كرامة لهذه الأمة
أخر عذابها إلى الآخرة إلا لمن كان منهم من الخواص فإنه يطهرهم في الدنيا ليستديم نعيمهم بعد الموت بادياً بأشد القبائل
تكذيباً بالبعث لكونهم أقيمت الدليل على القدرة عليه وقالوا مع ذلك أبشراً منا واحداً نتبعه إلى أن قالوا بل
هو كذاب أشر وقالوا في التكذيب بها العجب أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون هيهات هيهات لما
توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا للاثنين فإن الأمر فيهم دائر بين عاد وثمود كذبت ثمود وتقدمهم أيضاً من حيث إن بلاد
أقرب إلى قريش وأعظ العرب أكثر وإهلاكهم بالصيحة وهي أشبه بصيحة النفخ في الصور المبعثرة لما في القبور وعاد
وكان الوصف أن يقال بها ولكنه أظهرها بوصف زادها عظماً وهولاً فقال بالقارعة أي التي تقرع أي تضرب ضرباً
قوياً وتدق دقاً عنيفاً شديداً الأسماع وجميع العالم بانفطار السموات وتناثر النيرات وتسف الجبال الراسيات
فلا يثبت لذلك الهول شيء ولما جمعهم في التكذيب فصلهم في التعذيب لأجل ذلك التكذيب فقال فأما ثمود
وهم قوم صالح عليه السلام ولما كان الهائل لهم لتعنيدهم بالمحسوسات إنما هو عذاب لا لكونه من معين
بني للمجهول قوله فأهلكوا أي بأيسر أمر من أوامرنا بالطاغية أي الصيحة التي جاوزت الحد في الشدة فرجفت منها
الأرض والقلوب ولما ذكر المهلكين بالصيحة لأجل التكذيب بالقارعة تحذيراً لمن يكذب بها أتبعه المهلكين
بما هو سبب لانعقاد الصيحة وتقويتها دلالة على تمام القدرة على كل نوع من العذاب بالاختيار فقال وأما عاد أي
قوم هود عليه السلام فأهلكوا بأشق ما يكون عليهم وأيسر ما يكون في قدرتنا بريح صرصر أي هي في غاية ما يكون من
شدة البرد والصوت كأنه كرر فيها البرد حتى صار يحرق بشدته والصوت حتى صار يصم بقوته قال الملوي

اصله حر وهو البرد الشديد عاتية اي مجاوزة للحد في شدة عصفها وعظمه قصفها بفعل افعال المستكبر الذي لا يبالي بشي فلم يستطع خزانها ضبطها ولم يملك المعذب بها ردها ولا ربطها بل كانت تنزعهم من اماكنهم التي احتفروها ومصانعهم التي اتقنوها واحكموها فتهلكهم قال الملوي قال علي بن ابي طالب وابن عباس رضي الله عنهما لم ينزل قطرة ماء ولا ريح الا بمكيال على يد ملك الا يوم الطوفان فان الله تعالى اذن للماء فطغى على الخزان ويوم عاد اذن للريح فعتت على خزانها

وصفها بالعتو على الخلق والغلبة لهم بحيث كانت خارقة للعادة في الريات مثلها لا يعد لاجل صغارها بالنسبة الى عظمته وانه هو الذي اوجدها لا الطبيعة ولا غيرها بل انما كانت بقدرته واختياره قهرا لمن طعن في ملكه وكذب رسله فيما اخبروا به من امر الساعة التي هي موضع الحكمة واظهار جميع العظمة فقال مستانفا دالا على ذلك سخرها اي قهرها على ان سلطها والتسخير استعمال الشي بالاقتدار ودل على انه تسخير تعذيب لا تسخير رحمة وتاديب باداة الاستعلاء فقال عليهم وكلفها ذلك ودللها له فلم يمكنها مع عتوها الا ان كانت تطوع امره وصنيعه عظمته وقهره ولما كانت هذه السورة لتحقيق الامور وكشف المشكل وايضاح الخفي حقق فيها زمن عذابهم تحقيقا لمن يتقدم مثله فذكر الايام والليالي وقدم الليالي لان المصائب فيها افظع واقبح واشنع لقلة المغيث والجهل بالماخذ والخفا في المقاصد والمنافذ ولان عددها ما ذكر في اللفظ وتذكير اللفظ ادل على قوة المعنى لدلك جعل المميز جمع كثرة ولانها سبع والسبع يبالغ به وهو اجمع العدد كما يأتي تحقيقه قريبا في حملة العرش ولا يمكن ان يظن بعددها ان شدة العذاب كان فيها لانه يلزم حينئذ ان لو بعد الايام فلذلك قال سبع ليال اي لا تفتر فيها الريح لحظة لانه يولع في شدتها مبالغة لم يكن لها قط ولا يكون ابدا وثمانية ايام كذلك حال كونها حسوما جمع حاسم اي نحس مانع من التصرف دائم متتابع لا فترة له من حسم الكي اذا تابع فيه بالمكواة قاطع لكل خير مستاصل له فاتت عليهم من غير فترة اصلا في جميع ذلك الوقت فاستاصلتهم لم تبق منهم احدا حتى ان عجوزا منهم توارت في سرب فانتزعتها منه واهلكتها وبها سميت ايام العجوز او لانها عجز الشتاء وهي ذات برد ورياح شديدة وهي من صبيحة الاربعا الثمان بقين من شوال الى غروب الاربعا الاخر وهو اخر الشهر وقد لزم من زيادة عدد الايام ان الابتدا كان بها قطعا والا لم تكن الليالي سبعا فيا ملك لك كان الحاسم المهلك سبب عنه قوله مصورا لحالهم الماضية فترى القوم اي الذين هم غاية في القدرة على ما يحاولونه فيها اي تلك المدة من الايام والليالي لم يتاخر احد منهم عنها صرعى اي مجدلين على الارض موتى مصروعين بحذف على كل منهم من شدة ضغطها بادر عليهم الذل والصغار جمع صريع كانهم اعجاز اي اصول نخل قد شاخت وهرمت فهي في غاية البحر خاوية اي متاكلة الاجواف ساقطة من خوى النجم اذا سقط للغروب ومن خوى المنزل اذا خلا من قطانه فلو اكانت تدخل من افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فالوصف بذلك لعظم اجسامهم وتقطيع الريح لهم وقطعها رؤسهم وخلوهم من الارواح وتسويدها لهم ولما كان هذا امرا بالغا لمنزلة ادنى من قوله وكان الاستفهام مما يزيد الروعة قال مسببا عن استيصالهم ليكون الاخبار به مشيرا لغاية العلم بالجزئيات كالدعوى بدليلها فهل ترى اي ايها المخاطب الخبير بالناس في جميع الاقطار لهم اي خصوصا واعرق في النفي عن المصدر الملحق بالطاهر مبالغة فقال من باقية اي بقاء او نفس موصوفة بالبقاء ونجا الله تعالى صالحا عليه السلام ومن امن به من بني ثمود ولم يضرهم الطاغية وهودا عليه السلام ومن امن به من بني عاد لم يهلك منهم احد فدل ذلك دلالة واضحة على ان له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما ان له كمال الاحاطة بالكليات وعلى قدرته واختياره وحكمته فلا يجعل المسلم اصلا كالمجرم ولا المسي كالمحسن ولما اخبر تعالى عن اهلاك بالريح ومن اهلك بما سببته الريح تسبيبا فرسا لغير واسطة وكان ذلك لخروجه عن العادة زادا على اهل الطبائع اخبر عن اهلاك بما سببه الريح من الماء بواسطة السحاب وكانت سبب نظائبعه عليهم مع ان كفرهم بالتعطيل الذي هو اخس انواع الكفر للقول بالطبيعة التي تتضمن الانكار للبعث وكان اعراضهم مما يكذب معتقدهم لخروجه عن العادة فقال منبها على قوة كفرهم بالمجي وجاء اي اتيانا عاليا شديدا فرعون الذي ملكناه على طائفة من الارض فعتى وتجبر وادعى الالهية نا سيا هيبتنا وقدرتنا بنعمتنا وانكر الصانع وقال بالطبائع ومن قبله اي في جهته وفي حيزه وما يليه في السير بسيرته من العلو في الارض بغير الحق والعتو في الكفر وهو ظرف مكان هذا على قراءة البصريين والكسائي بكسر القاف وفتح الموحدة فعم ذلك كل من كان كافرا تاما من قبله ومن بعده وهو معنى قراءة الباقين بفتح القاف واسكان الباء على انه ظرف زمان بل لعدة زيادة ولما كان قوم لوط عليه السلام قد جمعوا انواعا من الفسوق لم يشاركهم فيها احد فاشتمل عذابهم على ما لم يكن مثله عذاب فكان كل من فعلهم الذي لم يسبقهم به احد من العالمين وعذابهم الذي ما كان مثله قبل ولا بعد زادا على اهل الطبائع نص عليهم من بين من دخل فيمن قبله على العاتين فقال والموتفكات

اهل المداين المنقلبات باهلها حتى صار عاليها سافلها لما حصل لاهلها من الانقلاب حتى صاروا اياه واتبعت بحجارة الكبريت وخسف بها وغمرت بما ليس في الارض مثله وهي قرى قوم لوط عليه السلام بالخاطئة اي الخطا او الافعال ذات الخطا التي يتخطا منها الى نفس الفعل القبيح من اللواط والصفع والضراط مع الشرك وغير ذلك من انواع الفسق ولما كانت الرسل كالفرد الواحد لاتفاق مقاصدهم في الدعا الى الله والحمل على طاعته قال مسببا عن مجيئهم بذلك موحدا في اللفظ لما هو صالح للكثير بارادة الجنس فعصوا اي خالفوا وتابعوا رسول ربهم اي خالفت كل امة من رسله المحسن اليها بابداعها من العدم وابداعها القوي وترزيقها وبعث رسولها لارشادها اعراضا باحسانه ولم يجوزوا ان المحسن يقدر على الضر كما قدر على النفع لانه الضار كما انه النافع فللتنبيه على مثل ذلك لا يجوز ان يفصل احد الاسمين عن الاخر وسبب عن العصيان قوله فاخذهم اي ربهم اخذ قهر وغضب اخذة لم يسو من امة منهم احدا امم كذبت الرسول فلم يكن يكن ينصر على عدو من الادمين لابد ان يفوته كثير منهم وان اجتهد في الطلب وما ذاك الا لتمام علمه سبحانه بالجزئيات والكليات وشمول قدرته وبلك الاخذ مع كونها لهذه العظمة من انها اخذتهم كنفس واحدة جعلها سبحانه رابية اي عالية عليهم غلبة الغدر من قوة البطش وشدة النكال زائد على الحد نامية بقدر زيادة اعمالهم في القبح والربا النمو واصله الزيادة فاغرق فرعون وجنوده واغرق كل من كذب نوحا عليه السلام وهم كل اهل الارض غير من ركب معه في السفينة وحمل جدار لوط عليه السلام بعدان تنقها من الارض على متن الريح بواسطة من امره من الملئكة ثم قلبها واتبعها الحجارة وخسف بها وغمرها بالماء المنتن الذي ليس في الارض ما يشبهه ولما كان ربما وقع في وهم التعجب من وجود فرعون ومن بعده مع الاخبار باخذ من قبله على قراءة الجماعة مع ان من من صيغ العموم وذلك معهم لاخذ جميع من في الارض اشار الى انه كما اهلك جميع المخالفين انجى جميع الموافقين فقال جوابا لذلك السوال المؤكد الاجل من يتعنت ولان ذلك مما يتعجب منه ويلذ ذكره انا اي على عظمتنا لما طغى الما اي فزاد عن الحد حتى علا على اعلى جبل في الارض بعد ربما لعرق من كان عليه حين اغرقنا قوم نوح عليه السلام به فلم يطيقوا ضبطه ولا قاوه بوجه من الوجوه ولا وفقوا الركوب للسفينة فكان خروجه عن العادة زادا على الطبائع ولما كان الانجاد نعمة فكان انجاءاباتهم من الغرق حتى كان ذلك سببا لوجودهم نعمة عليهم قال حملناكم اي في ظهور ابائكم لعظمتنا في الجارية اي السفينة التي جعلنا لها بحكمتنا عريقة في الجريان حتى كانه لا جارية غيرها على وجه الماء الذي جعلنا ها من شانه الاغراق وهو تعبير بالصفة عن الموصوف ونوح عليه السلام اول من صنع السفينة وانما صنعها بوحي الله وحفظه له من ان يزل في صنعها قال اجعلها كهيئة صدر الطائر ليكون ما يجري فيه الماء مقاربا لما يجري في الهوا واغرقنا سوى من في تلك السفينة من جميع اهل الارض من ادمي وغيره ولما بدا سبحانه بثمود الذين هم اقرب المهلكين الى مكة المشرفة لان التخويف بالاقرب افعل وختم بقوم نوح عليه السلام لانهم كانوا جميع اهل الارض ولم يخف امرهم على احد من بعدهم على اخبار انجائهم بالسفينة دون غيرها فقال لنجعلها اي هذه الفعلات لعظمتنا من انجاء المؤمنين بحيث لا يهلك منهم بذلك العذاب احد وكذا السفينة التي حملنا فيها نوحا عليه السلام ومن معه بابقائها اية من اياته واعجوبة من بديع بينانه وغريبة في الدهر من العجوبات لكم ايها الاناسي تذكرة اي سببا عظيما لذكر اول الشانها والموعظة به لتستدلوا بذلك على كمال قدرته تعالى وتمام علمه وعظمة رحمته وقهره فيقودكم ذلك اليه ويعتل يقلوبكم عليه ولتعيها اي ولتحفظ قصة السفينة وغيرها مما تقدم حفظا ثابتا مستقرا كانه محوي في وعاء ولما كان المنتفع بما سمع الحافظ له قليلا جدا دل على ذلك بتوحيد الاذن فقال موحدا منكرا مع الدلالة على تعظيمها اذن اي عظيمة النفع واعية اي من شانها ان تحفظ ما ينبغي حفظه من الاقوال والافعال الالهية والاسرار الربانية لنفع عباد الله كما كان نوح عليه السلام ومن معه وهم قليل سببا لادامة النسل والبركة فيه حتى ملات ذريته الارض وفي الوعي الحفظ في النفس والايعاء الحفظ في الوعاء وفي ذلك توبيخ للناس بقلة الواعي منهم ودلالة على ان الاذن الواحدة اذا اعقلت عن الله فهي السواد الاعظم وما سواها لا يبالي بهم الله بالة قاله الاصبهاني والزمخشري وغيرهما ولما ذكر القيمة وهول امرها بالتعبير بالحاقة وغيرها ودل على قدرته عليها وعلى حكمته بقصص من ذكر على الوجه الذي مر الى ان ختم بالذين كانت قصتهم اشبه تلك القصص بالقيمة من حيث ان امر الله فيها عم اهل الارض وهي زمن يسير وكان الناجون فيها بالنسبة الى المهلكين كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود سبب عن جميع ما مضى قوله شرحا لامرها فاذا نفخ وبني الفعل للمجهول دلالة على هوان ذلك عليه وانه وما تاثر عنه لا يتوقف على نافخ معين بل من اقامه لذلك من جنده تاثر عنه ما يريد وذكره وان كان المسند اليه مونثا للفصل ولكونه غير حقيقي التانيث وللدلالة على قوة النفخ في الصور اي القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام كانه عبر عنه به دون القرن مثلا لانه يتاثر عنه تارة اعدام الصور وتارة ايجادها وردها

الى اشكالها ساعة ثمة كما بين السماء والارض واسند الفعل الى المصدر لتقدمه بادي بدء لا لتوكيد وان كان التاكيد يفهم منه وموضع
مقصود بالذات فقال نفخة ولما دل الفعلة على الوحدة الكرة دلالة على عظيم قدرته وحقارة الاشياء عنده بقوله واحدة
اى فهلك الخلائق كلهم هكذا قالوا ان هذه النفخة هي الاولى قالوا وعندها خراب العالم وظاهر السياق انها الثانية التي بها
البعث وخراب ما ذكر بعد قيامهم انسب لانه لهم اهيب وكونها الثانية احدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ولما
ذكر التاثير في الاحياء اتبعه التاثير في الجمادات وبدا بالسفليات لملامستها للانسان فتكون عبرته بها اكثر فقال وحملت
اي بمجرد القدرة الارض اي المنبسطة ورجت رجا والجبال اي التي بها ثباتها ثم رفعت من اماكنهما وبثتا بثا فكانت هباء منبثا
لم يبق فيهما حجر ولا كدية اريد قوة الدك والابلاغ في تاثيره جعل الجبال شيئا واحدا فقال فدكتا اي سحقت
الجملتان الارض والاوتاد بسطتها ودق بعضهما ببعض دكة واحدة اي فصارتا كثيبا مهيلا وسويتا بالبسيط فلم يتميز شيء
منهما من الاخر بل صارا في غاية الاستواء من قولهم ناقة دكاء اي لا سنام لها وارض دكاء اي متسعة مستوية قالوا والدك والدق
اخوان والدك ابلغ قال ابو حيان والدك فيه تفرق الاجزاء والدق فيه اختلاط الاجزاء ولما ذكر نفخ الصور سبب
عنه قوله فيومئذ اي اذ دكتا وهو بدل من اذا كرر لطول الفصل وافادة هولها وتعظيما ونصبا لطرف بقوله وقعت
الواقعة اي التي وقع الوعد والوعيد بها فكانت كانها شيء ثقيل جدا انزل بمسك فماله من ذاته غير السقوط وهي القيامة
والحاقة والقارعة نوع اسماءها تهويلا لها اي قامت القيمة وكان المراد بها النفخة الثانية ذكر تاثير العالم السفلي
ذكر العلوي فقال وانشقت السماء اي هذا الجنس لشدة ذلك اليوم ولما كان الشيء لا ينشق الا لخلل فيه سبب عنه قوله
تحقيقا لذلك فهي يومئذ اي اذ وقعت الواقعة واهية اي ضعيفة متساقطة حقيقة لا استمالك كان العادة
جارية فيما نعرف ان الملك يظهر انواعا من عظمته يوم عرض الجند قال معرفا لنا نحو ما الفناه والملك اي هذا النوع الذي
تصدق على الواحد مما فوقه والجمع لا يصدق على ما دون الجمع فهذا اشمل على ارجائها اي نواحي السماء واطرافها وحواشيها
لم تنشق منها قال الضحاك يكونون بها حتى يامرهم الله فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها انتهى وقيل ارجاء الارض واحدها
رجا مقصور والاثنان رجوان فيحيطون بالانس والجن فيحشر وبهم حشر الصيد لارادة احذه كان الملك يظهر في يوم
العرض سرير ملكه ومحل عزه قال ويحمل عرش ولما كان هذا امرا هائلا مقطعا للقلوب قال مونسا للمنزل عليه هذا
الذكر مؤمنا له من كل ما يحذر ربك اي المحسن اليك بكل ما تريد لا سيما في ذلك اليوم بما يظهر من رفعتك كان العرش
عاما لجهة الفوق كلها اسقط الجار فقال فوقهم اي فوق رؤسهم يومئذ اي يوم اذ وقعت الواقعة بعد ما كان تحته من
السموات السبع والكرسي ثمانية اي من الملئكة اشخاص وصفوف يؤيد حملته الاربعة باربعة اخرى لشدة ذلك
اليوم وثقله وهو في حديث اخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجة وابو يعلى والبغوي عن العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه وظاهره انه اشخاص ولفظه ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض وظاهر ذلك انهم في
الدنيا وكونهم في الدنيا اربعة فقط ذكره المفسرون ورواه الطبراني من طريق ابن اسحق قال بلغنا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة امدهم الله باربعة اخرين وهو مذكور في حديث الصور
الطويل الذي يرويه ابو يعلى وغيره من طريق اسمعيل بن رافع عن يزيد بن زياد عن القرظي عن رجل عن ابي هريرة رضي الله
عنه وهذا العدد يحتمل ان يراد بهم اهل السموات السبع والكرسي فتلك ثمانية وهم خلق لا يحصيهم الا الله وهو اوفق
لاظهار العظمة ويمكن ان يراد انهم ثمانية افراد ويكون حملهم اظهر في العظمة ليعلم ان كل من يرى ذلك ان مثلهم لا يقدر على
حمل مثله في عظمته واحاطته وهذا هو اظهر المعاني من الاحاديث الواردة فيه واختيار هذا العدد وفق للوجه
الذي قبله لانه يزيد على العدد الموضوع للمبالغة لانه اشارة الى انك كلما بالغت زاد الامر على ما بلغت بما هو اول
العقد وذلك اشارة الى عدم الانتهاء والوقوف عند حد والى ذلك يشير ايضا ان للثمانية من الكسور النصف والربع
والثمن وذلك سبعة والسبعة عدد جامع لجميع انواع العدد الفرد والزوج وزوج الزوج وزوج الفرد وكل ذلك
اشارة الى المبالغة في اظهار العظمة والكبرياء والعزة وتمثيل لنا بما نعرف باحوال الملوك او لان الامر اعظم من مقالة
قائل ان دقق البلغاء او ان تخموا • اعلاما لعظمة ذلك اليوم ليخشى العباد • فيلزموا اسباب الاسعاد • وهذا الذي قلته
من سر السبعة قد ذكره الامام بدر الدين بن الدماميني في شرحه على الواو من حاشيته على مغني ابن هشام عن تفسير
العماد الكندي قاضي الاسكندرية المسمى الكفيل بمعاني التنزيل فقال ونقل الاستاد عبد الله الكفيف
المالقي انها لغة فصيحة لبعض العرب ان يقولوا واحد اثنان ثلثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة
هكذا العشرة • ومتى جاء في كلامهم لفظ الثمانية ادخلوا الواو • وقد نظر بعض اصحابنا في كون السبعة تسمى
العدد دابانا • وبح • يا سائلي عن سر كون العدد غايته في سبعة لم يزد • ما سر الانحصار فيه في واحد فرد وثني مسند

• وذلك الشيء الذي نسبته منحصر في واحد وازيد • فالعدد والفرد اذا ما اجتمعا زوج مع الفرد الذي لم ينسد
• واثنان واثنان اذا ما اجتمعا اربعة تضعف مع ما في اليد • فتلك سبعة اذ انكاملت اربعة واثنان مع منفرد
• وما انى بعد ذلك فهو تكرار له لا زائد في العدد • ثلثة مع ما مثلها فرد وفرد قد مضى وما مضى لا يعتد
• وهكذا اربعة مع مثلها زوج وزوج قد مضى لا يرتد • وقال الامام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتابه في
الملل والنحل اكثر اصحاب العدد على ان الواحد لا يدخل في العدد فالعدد مصدره الاول اثنان وهو ينقسم الى زوج وفرد فالفرد
الاول ثلثة والزوج الاول اربعة وما وراء الاربعة مكرر كالخمسة فانها مركبة من فرد وزوج وتسمى العدد الدائر والستة مركبة
من فردين وتسمى العدد التام والسبعة مركبة من فرد وزوج وتسمى العدد الكامل والثمانية مركبة من زوجين وهي بداية
اخرى فصدر الحساب في مقابلة الواحد الذي هو علة العدد وليس يدخل فيه ولذلك هو فرد لا اخت له كان العدد
مصدره من اثنين صار منهما المحصور محصورا في ثمن ولما كان العدد منقسما الى فرد وزوج صار من ذلك الاصل
محصورا في اربعة فان الفرد الاول ثلثة والزوج الاول اربعة وهي النهاية وما عداها مركب منهما وكانت البسائط العامة
الكلية في العدد واحد واثنان وثلثة واربعة وهي الكمال وما زاد عليها من المركب الكلي فمركبات كلها ولا حصر لها • وقال
ابو الحكم بن برجان في تفسير سورة الفتح رانتهاء العدد بستة والسابع وترها بلغ النهاية في تخيير العباد
من يوم التناد وكان لهم حالتان عامة وخاصة فالعامة العرض والخاصة المنقسم الى محسن ومسيء زاده عظما بقوله
يومئذ اي اذا كان جميع ما تقدم ولما كان المهول نفس العرض بني فعله للمفعول ولانه كلام القادر فقال تعرضون
اي على الله للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر في امورهم ليختار منهم المصلح للاكرام والتقريب والاثابة والمفسد للابعاد
والتعذيب والاصابة عبر عن الحساب بالعرض الذي هو جزؤه فالمحسن لا يكون له غير ذلك والمسيء يناقش لا تخفى منكم اي في ذلك
اليوم على احد بوجه من الوجوه خافية اي لا يقع اصلا على حال من الاحوال شيء من خفاء الشيء كان من جهة الخفاء في الدنيا
ولا من الا نفس وان كان في غاية الدقة والغموض لان ذلك يوم الظهور التام من القبور وغير ذلك من الامور •
ليكون ذلك اسعادة من اسعد وافضح لشقاوة من اشقي وابعد • قال ابو موسى رضي الله عنه هي ثلث عرضات • فاما عرضتان
فجدال ومعاذير • واما الثالثة فعند ها تطاير الصحف فاخذ بيمينه واخذ بشماله كان من المعلوم انهم قسمان
محسن ومسيء وكان التقدير فيعطى كلا منكم صحيفة اعماله من افعاله واقواله وجميع خلائقه واحواله فمنكم من يدفع اليه
في يمينه فيظهر له حسناته ويستر عنه سيئاته ومنكم من يعطاها في شماله فيبدو له سيئاته ويمحى ما كان من حسناته لانه
اوفي ثوابها في الدنيا بما عجل له من طيباته عطف عليه مفصلا له قوله فاما من اوتي بناه للمفعول لانه دلالة السعادة الوقوع
في اليمن لا من معط معين كتابه اي الذي اثبت فيه اعماله بيمينه فيقول لما راى من سعادته بحالها والاظهار لنعمة ربه
ان الانسان مطبوع على ان يظهر ما اتاه من خير تكميلا للذة بكثافة نعمائه وتفريح الاوليائه قيل انه تكتب سيئاته في باطن صحيفته
وحسناته في ظاهرها فيعمد الناس الى الباطن ويقرأ الناس الظاهر فاذا انتهاه قيل له قد غفرها اقلب الصحيفة فحينئذ يكون قوله
هاؤم اي خذوا ايها الحاضرون من الخلائق الملئكة وغيرهم فها صوت يفهم منه معنى خذ واو يوصل تارة بالكاف
وتارة بالميم اسم فعل وانما اختارها هنا ليعلم ان خطابه لجميع اهل الموقف من كان منهم باطنا من الملئكة والجن وغيرهم
ومن كان منهم ظاهرا الان الالف عند اربابه بين غيب واحاطة كما دل عليها مخرجها وهي عبارة عندهم على القائم الاعلى
المحيط وروى معنى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما والهمزة بدء غيبه ولذلك كان مخرجها اقصى الحروف الحلقية
دلالة على ذلك وبدء غيب الله سبحانه وتعالى فعاله وهي تشمل الخفي والظاهر واما الكاف فهي عندهم ظهور مسكا مل
ذي استقلال وهو من يكون من شانه الظهور وابنا الجنس احق بهذا وقد دل على ذلك مخرج الكاف الذي كان بعد القاف
من اصل اللسان لا من باطن واسطة ومفعولها محذوف عند البصريين دل عليه كتابيه من قوله اقرؤا كتابيه وهاء
السكت كانه اشارة الى شدة الكرب في ذلك اليوم بدلا له على انه اذا كان هذا السعيد يسكت في كل جملة للاستراحة
لا يقدر على المضي في الكلام فما الظن بغيره وتسرا بضامع ذلك الى فراغ الامر وتجازه والجزم به والوثوق بانه لا
تغير ولما كانت حقيقة الحساب ذكر الاعمال والمجازاة عليها وكان الادمي لانه مجبول على النقص لا يقدر ان يقدر
الله حق قدره وكلما كان الانسان اعلى كان لاستشعار النقص من نفسه اكثر وكان من نوقش الحساب كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم عذب قال مؤكدا الان من يرى حاله وكتابه ينكر ان يكون له ذنب ومنه تقصير اني ظننت اي في ذلك اليوم خوفا
من سوء اعمالي التي اعرفها من نفسي اني ملاق اي ثابت لي ثباتا لا ينفك ان الغي حسابيه لاني كنت جامعا كما امرت بين الخوف
والرجا فخاف ان يقابل بين حسناتي وبين النعم فلا تقوم لاصغر نعمة فاعذب على سيئاته وارجو غفرانه فحقق سبحانه
رجاي وامن خوفي فعلمت الان اني لا اناقش الحساب وانما حسابي العرض وهو الحساب اليسير بان تعرض اعمالي فلا اجازى

على سيئتها واثاب على حسنتها منا منه ورحمة وفضلا ونعمة ويجوز ان يكون الظن في الدنيا عبر به عن اليقين اشارة الى انه يكفي العاقل
في الخوف الحامل له على العمل ظن الخطر وفيه اشعار بهضم النفس لان الانسان لا ينفك عن خطرات من الشبه تعرض له وتهجم عليه
وايذان بان مثل ذلك لا يقدح في الجزم بالاعتقاد وتنبيه على انه يكفي في ايجاب العمل الظن فيكون حينئذ تعليلا لاعطاء الكتاب
باليمين وفيه تبكيت للكفار وندا عليهم بانهم لم يصلوا في هذا الامر المحقق الى مرتبة الظن فكيف بالمحقق من العلم فاهملوا العمل
له فخابوا ولما كان تعذر بهذا اصحاب سبب عنه ما يأثر عن الحساب اليسير من اعطاء الثواب فقال فهو في عيشة اي حالة
من العيش ولما كان الرضى بالشيء لا يكون الا اذا بلغ نهاية السول وغاية المامول قال مسندا الرضى الى العيشة كناية عن
رضى صاحبها على الوجه الابلغ راضية اي ثابت لها الرضى ودائم لها لانها في غاية الحسن والكمال والعرب لا تعبر عن اكثر السعادات
باكثر من العيشة الراضية بمعنى ان اهلها راضون بها والمعتبر في كمال اللذة الرضى وانه لو كان للعيشة عقل لرضيت
لنفسها بحالتها ولما شوق سبحانه الى حال صاحب هذه العيشة وكان تمام اجمالها فضلها وشرفها بالابد اك(?)
منها زيادة في التشويق فقال في جنة اي بساتين جامعة لجميع ما يراد منها ولما كان شرف المساكن العلو قال
عالية اي في المكان والمكانة والابنية والدرجات والاشجار وكل اعتبار ولما كان من شان العالي عسر الوصول
اليه قال قطوفها جمع كثرة لقطف بالكسر وهو ما يجنى من الثمرات المجتمعة في عرق عن فروعه دانية اي قريبة المآخذ
سهلة التناول جدا للراكب والقائم والقاعد والمضطجع كل ذلك على حد سواء دائم من غير انقطاع لا كلفة على احد من اهلها في
تناول شيء من ذلك ولما كان كون الثمار بهذه الصفة دالا على كثرة الري كما ان الري دال على غزارة المشرب وكانت
من مفردة اللفظ عامة المعنى وكان قد افرد الضمير باعتبار لفظها تنصيصا على كل فرد فرد باعتبار المعنى اعلاما باشتراك
جميع اهلها في النعيم حال الانفراد والاجتماع فقال كلوا واشربوا اي مقولا لهم ذلك اشارة الى ان ذلك لا مانع منه
والى انهم يؤمرون به صريحا دالا على رضى صاحب الجنة لئلا يتنغص عليهم عيشهم بنوع من الانواع الموهمة للخطر وحذف المفعول
ايذانا بالتعميم لئلا يظن انه يستثنى منها شيء فيكون سبب الفتنة كما وقع لآدم عليه السلام ولما كان الماكول والمشروب
في هذه الدار يورث التخم والامراض وفيهما ما لا يلذ وكان ما وقع لابينا آدم وامنا حواء عليهما السلام على اكلة واحدة
من وخامة العاقبة معروفا امنا لهم من ذلك هنيئا اي اكلا طيبا لذيذا شهيا سائغا بعيدا عن كل اذى وسلامة العاقبة
بكل اعتبار ولا فضلة هناك من بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا ورق(?) ولا وهن ولا صداع ولا ثقل ولما
شوق الى المسببات حملهم على اسبابها وحثهم على المسابقة في تحصيلها والمثابرة والمداومة على الاستكثار منها فقال
زيادة في لذتهم بان ذلك على وجه العوض لا امتنان عليهم في شيء منه لاحد من الخلق فان احب ما الى الانسان انه ياكل
مما افادته يمينه وحصله بعمله مع ما في ذلك من الشرف بما اسلفتم اي اعطيتم من انفسكم لاجر يكم طوعا من الاعمال
الصالحة ومما تركتم من الدنيا مما هو سافل بالنسبة الى ما عوضتم عنه من اعمال القلب والبدن والمال
في الايام ولما كان سبحانه قد ضمن كل ما يشتغل به الانسان من مصالح دنياه فهو واصل اليه لا محالة وان فرغ
او قاربه كلها لعبادة ربه قال الخالية اي الماضية في الدنيا التي انقضت وذهبت واسترحتم من تعبها والتي لا اشاغل
فيها عن العبادة اما بترك الاشتغال بالمعاش الواصل الى درجة التوكل واما بالسعي على وجه الاقتصاد بقصد المساعدة
للعباد في امور هذه الدار والافضال عليهم وان لا يكون كلا عليهم من غير اعتماد على السعي بل امتثالا للامر مع القناعة
بالكفاف ولما كانت العادة جارية بان اهل العرض ينقسمون الى مقبول ومردود وذكر سبحانه المقبول بادئا به
تشويقا الى حاله وتغبيطا بعاقبته وحسن ماله اتبعه المردود تنفيرا عن احواله بما ذكر من قبائح احواله فقال واما من
ولما كان الدال على المساءة الاتيان على وجه قبيح لا تعيين المؤتى قال بانيا للمفعول لذلك وللدلالة على ذل الاخذ
وعدم قدرته على الامتناع على شيء يسوءه اوتي كتابه اي صحيفة حسابه بشماله فيقول اي لما يرى من سوء عاقبته
التي كشف له عنها الغطاء حين لم يشكل فيها ما يرى من قبائحه التي قدمها وكان يابى بها يوم مسكه في ذلك اليوم لمن
يابى المكابرة والمدافعة بالباطل على ما كان عليه في الدنيا يا ليتني تمنيا للمحال وجرى على نسق ما مضى في البناء للمفعول
الدال على ذله وعدم حيلته فقال لم اوت اي من موت ما كتابيه اي هذا الذي ذكرني بخبائث اعمالي وعرفني جزاءها ولم اي
ويا ليتني لم ادر ولو حاولت الدراية ما اي حقيقة حسابيه من ذكر العمل وذكر جزائه بل استمريت جاهلا لذلك كما كنت
في الدنيا ولما تمنى هذين الشيئين استانف مراده بهما فقال لانه راى ما يستقبله شرا مما كان فيه من
البرزخ يا ليتها اي الموتة التي متها كانت القاضية اي البائنة الحاتمة الملازمة لدوام الموت كما كنت اعتقد في الدنيا
قال الرازي في الحديث تمنوا الموت اذ ذاك ولم يكن في الدنيا شيء اكره منه عندهم ولما كان التمني
معناه الا انه كان له ضد ما تمناه من البعث على ما كانت تخبره به الرسل ومن الحساب الذي هو سر البعث وخالصه

وقد كان يقول انه يتخلص منه على تقدير كونه بماله وجاهه قال معللا لتمنيه ما اغنى نافيا اسفا على فوات ما كان يرجو من نفعه
والمفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم او مستفهما استفهام على نفسه وتوبيخ حيث سولت له ما امرته كل سوء وكل محال
منازعة للفطرة الاولى المؤيدة بما اخبرت به الرسل حتى اوقعه ذلك التسويل في المهلكة عني ماليه اي الذي منعت منه حق
الله وتعظمت به على عباده وهذا النفي للاغناء شامع مفهوم على كل من تقديري النفي والاستفهام ولما كان المال سبب
الوصول الى السلطان قال نافيا لما اوصله اليه ماله شارحا لعدم اغنائه هلك عني اي تجاوز الى حتى كاني لم اكن فيه ساعة
قط سلطانيه اي تسلطي على الدعاة الى الله بالشبه الباطلة التي كان يطلق اللسان بها فما ساعد عليها مع ظهور بطلانها
الملك الذي وصل اليه المال فعاد الان ذلك الملك اعظم ملك والمساعد ابعد مباعد ولما كان كانه قيل هذا
ما قال فما يقال له اجيب بانه يقال للزبانية تعذيبا له ووجها بالتوبيخ والامر بالتعذيب على رؤوس الاشهاد خذوه
اي ايها الزبانية الذين كان يستهين بهم عند سماع ذكرهم ولما كان الاخذ دالا على الاهانة الناشئة عن الغضب
سبب عنه قوله فغلوه اي اجمعوا يديه الى عنقه ورجليه من وراء قفاه الى ناصيته ولما كان الغل لما بعده من
العقاب قال معظما لرتبة عقابه في الشدة والهول بالتعبير بما اداه التراخي ثم الجحيم اي النار العظمى التي تجحم على من يريد
دفاعها وتحجم عنها من رآها لانها في غاية التجحم والتوقد والتغيظ والتشدد صلوه اي بالغوه في تصليته اياها وكرروها
لغمسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد اخرى ولا تصلوه في اول امره غيرها لانه كان لا يالو جهدا ان يحرق قلوب الفصحاء(?)
باشد ما يقدر عليه من الكلام وغيره وكان يتعظم على الضعفاء فناسب ان يصلى اعظم النيران وعبر ايضا باداة التراخي لعلو رتبة
مدخولها فقال مؤذنا بعدم الخلاص ثم في سلسلة اي عظيمة جدا لا ما هو دونها ولما كان قد تهادي لا لة على الاهتمام
بها وعلى تخصيصها لشدة مخافتها عرف بعظيم هولها وشدة فظاعتها ليجتمع المفهوم والمنطوق على تهويلها فقال ذرعها
اي في اي شيء وضعت في طول وعرض سبعون ذراعا يحتمل ان يكون هذا العدد حقيقة وان يكون مبالغة والذي يدل على
انها للمبالغة ما رواه الترمذي وقال اسناده حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت
الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها او قعرها
واشار سبحانه الى ضيقها على ما يحيط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال فاسلكوه اي ادخلوه بحيث يكون كانه
السلك اي الخيط الذي يدخل في ثقب الخرزة بعسر لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه او بجميع بدنه بان تلف عليه
فيصير في غاية الضنك والهوان لا يقدر على حركة اصلا وهذا تعذيب القالب لانه افسد القلب بعدم الايمان
والقالب بعدم الاعمال ولما ذكر على الاجمال عقابه اتبعه اسبابه فقال بادئا باعظمها مؤكدا لان كل كافر
حتى المعطل يقر بالله نوع اقرار ويدعي الايمان به نوع ادعاء لانه لا يقدر على غير ذلك لما له سبحانه من غلبة الظهور بالسنا
والضياء والنور انه كان اي جبلة وطبعا وان اظهر شيئا يلبس به على الضعفاء ويدلس على الاغبياء لا يؤمن اي الان ولا
في مستقبل الزمان بالله اي الملك الاعلى الذي يعلم السر واخفى ولما كانت عظمة الملك موجبة لزيادة النكال
لمن يعاند على قدر علوها وكان الذي اورث هذا الشقي هذا الخزي هو تعظمه على امر الله وعباده اشار الى انه لا احد
يستحق العظمة غيره سبحانه فقال العظيم اي الكامل العظمة ولما بين عناده للملك الاعظم بافساده القوة العلمية
بين ما يوجبه الكفر من احتقاره للضعفاء افسادا للقوة العملية اعلاما بانه مكلف بفروع الشريعة كما انه مكلف
باصولها وبيانا لان عناده لمن فوقه لرداءة طبعه لا لعلو همته فقال معظما لهذا الذنب لجعله في سياق الكفر وبالتعبير
بالحض مشيرا به الى ان فاعل ذلك شديد الاستغراق في حب الدنيا لانه لا يمنعه من حث غيره على الخير الا ادخاره لنفسه
ولا يحض اي يحمل ويحث على بذل طعام او اطعام المسكين اي بتسهيله باعانته عليه ان كان موجودا او السؤال في بذله ومما
يقوم مقامه ان كان مفقودا فكيف بالبذل من عنده فان ذلك لا يحمل عليه الا الايمان لخلوه عن حظ والتقييد يفهم
انه يحث على خدمة الاكابر الجبابرة ويحث العكوف على ابوابهم والاضافة مع التعبير بالطعام دون الاطعام للاشعار
بان الفقراء يملكون كفايتهم من اموال الاغنياء فدل ذلك على انه مع كفره الذي هو اشنع صفات الباطن في غاية
الشح والقساوة وعدم المروءة للاعراض عن اسباب التمدح وعن التنزه وعن سوء القالة وقبح الذكر وذلك اشنع
الرذائل فلذلك خصص هذين الامرين وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يحض على طعامهم ويقول خلعنا نصف السلسلة
بالايمان افلا نخلع الاخر يعني بالحث على الاطعام وذمه على سببها(?) بانه بالمساكين يفهم الذم على الاستهانة بمن دونهم
ممن هم اسوء حالا منهم بطريق الاولى ولما وصفه سبحانه بافتح العقائد واشنع الرذائل سبب عنهما في مقابلة
افساد القوتين العلمية والعملية قوله فليس له اليوم ولما ذكر الزمان المتعقب للبعث ذكر المكان الدائم

وهو الدار الآخرة فقال ههنا اى فى مجمع القيمة كله حميم اى صديق خالص يحترق له ويحميه من العذاب لانهم كلهم له اعداء كما انه كان لا
يرق على الضعفاء المساكين من الاولاد من حطام الاموال ولما نفى عنه الجاه لانسلاخه من حزب الملك الولى الودود وتحيزه
الى حزب الشيطان العدو والجحود اتبعه المقصود بالمال الذى تنشأ عنه جميع الاستمتاعات وتقصد عند الاجتماعات
والانس بالاصحاب لاخلاده الى ماله واعراضه عن عيال الملك لاجل ضعفهم الذى وهبه المال وامره بمواساتهم منه فقال
ولا طعام ولما كان الاستثناء معيارا للعموم قال الا من غسلين اى غسالة اهل النار من قيحهم وصديدهم فعلين
من الغسل ويلزم من هذا الطعام ان يكون تحت غمر السيل ما غسالته الا انه ولما حصر طعامه فيما لا يقربه احد
باختيار حصر من يتناوله معبرا عنهم بالوصف الذى اوجب لهم اكله فقال لا يأكله وفرع الاستثناء تنبيها على ان
المستثنى هو المقصود حتى كانه لا يستثنى منه فقال الا الخاطئون اى يأكله المتعمدون للخطايا لا غيرهم وهو من خطئ الرجل
بوزن فرح مهموز اذا تعمد الذنب واما المخطئ فهو من قصد الخير فلم يصبه بغير تعمد فليس عليكم جناح فيما اخطأتم به اى الذم
الصواب فلم يصيبوه وهذا الطعام يغسل ما فى بطونهم من الاعيان والمعانى التى بها قوام صاحبها وهى بمنزلة ما كانوا
يتحوّلون به من اموالهم التى ابطنوها وذخروها فى خزائنهم واستأثروا بها على الضعفاء ولما ذكر سبحانه الحاقة التى جعلها دار
الحساب للمحسن والمسئ الذين شملتهما القدرة واقتضتهما الحكمة وصوّب لهما القرآن الذى هو ذكر للعالمين بالوعد والوعيد
والبشارة والتهديد من المعلوم ببداهة العقل انه لا يصح اصلا فى حكمة احد ان يترك من تحت يده هملا لاسيما ان كان تقدم
اليهم بالامر والنهى واقام الدليل على قدرته عليهما بما تعدد من اشتاتهم لاجل تكذيب رسلهم ليكون عذابهم وتنجية المحسن
منهم مثالا محسوسا تشهد فيه الحاقة لان من قدر على ذلك كانت له القدرة التامة على كل ممكن وذكر ما دلت الحكمة عليه
من نعيم الطائع وتعذيب العاصى بما هو انسب الاشياء لعدم كل منهما فى هذه الاساليب المعجزة مفردات وتراكيب ومعانى فدل
ذلك على انه سوف تعاد الى بعثة يوم آخر وهو انه لتمام علمه وكمال قدرته لا يقر من كذب عليه على كذبه فضلا عن ان يؤيده
فقال مسببا عن ذلك حين بلغ الامر فى الوضوح الى النهاية ذاكرا ما هو ابلغ من القسم لان بعض الجدال اذا احجه خصمه يقول انما
غلبتهم بانك الشئ منى فى الجدال لا بالحق فان الحق معى يحلف له صاحبه انه ما غالطه ولا يعتقد فى جده له الا الحق فلا اقسم اى لا ابلغ
فى اقسام بما اى بمجموع تبصرون اى لكم اهلية ابصاره من كل ما دخل فى عالم الشهادة وما لا تبصرون اى ما ليس لكم فى
هذه الدار اهلية ابصاره وذلك جميع الموجودات واجبها وجائزها معقولها ومحسوسها لان الامر اوضح من ان يحتاج
الى اقسام وان كنت اقسم فى غير هذا الموضع بما شئت من افراد المجموع ولما اكد غاية التاكيد بها قال لان الامر
وصل فى الوضوح الى حد لا يحتمل التاكيد فكان ذلك تاكيدا لعدم التاكيد استانفه لخبر عما اخبر به انه لا يحتاج الى اقسام
باثبات اداة التاكيد لاجل انكارهم ليكون الكلام جامعا بين التاكيد بالنفى والتاكيد بالاثبات فقال انه اى هذا الذى
ختمت به سورة ن ودل على الساعة بما اتى به من هذه الاساليب التى هى مع كونها حكمة معجزة لقول اى تلاوة رسول اى انا
ارسلته به وعنى اخذه وليس فيه شئ من تلقاء نفسه انما هو كله رسالة واضحة جدا انا شاهد بها بما له من الاعجاز الذى
يشهد به كلامى ولما كان من شأن الرسول ان لا يبلغ به الا ما ارسله به مرسله وكان بعض الرسل قد يزاد او ينقص
تعمدا او سهوا اخبر به ان له صلى الله عليه وسلم من الوصف ما حفظه فقال كريم اى هو فى غاية الكرم الذى هو البعد من مساوى
الاخلاق باطنها وظاهرها معاليها لشرف النفس وشرف الاباء فهو لا يزيد ولا ينقص والكرم التى اجتماع الكمالات اللائقة به
فيه ولما اثبت ان قوله سبحانه لانه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا ينطق عن الهوى نفى عنه ما يقولونه
عليه فبدأ بالشعر وهو ما يقوله الانسان من تلقاء نفسه على وزن مقصود صدقا كان او كذبا ولا بد فيه للتقيد بالوزن
والقافية من التكلف الذى القرآن بعيد عنه وهو مشاركة للسجع فى التكلف الناقض للمعنى على منه بالوزن الذى يكسبه
الرونق والحلاوة فقال وما هو اى هذا الذكر فى باطن امره ولا ظاهره واكد النفى فقال بقول شاعر اى يأتى بكلام مقفى
موزون بقصد الوزن وانما قيل انه ليس بقول من هو كذلك لانه لا يوافق الوزن فيه الا اماكن نادرة بالنسبة الى المجموع
القرآن ومن المقطوع به ان ذلك لا يرضى به شاعر وهو ان ينصب نفسه منصبا للوزن والنظم والادهمان لعدم الوزن
ثم يأتى بكلام اكثره غير موزون فعلم قطعا ان الذى وافق الوزن فيه غير مقصود فليس بشعر ولما كانت مخالفة
القرآن للشعر خفية من حيث انه لا يعرف ذلك الا الشعراء وهم قليل فى الناس والاغلب لا يعرفون ذلك ختم
الاية بالايمان الذى هو التصديق بالغيب فقال قليلا ما تؤمنون اى ما توجدون التصديق الذى هو الايمان الا ايجادا
او زمانا قليلا وذلك لانى قد اخبرتكم بذلك فى غير موضع فلم تصدقوا وفيكم شعراء اكثر يعرفون معرفة تامة انه مخالف
للشعر وقد اخبركم بعضكم بذلك كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وغيرهما ثم لا تتبعون ذلك ثمرته وهو
الايمان بالله ورسوله وايمانهم العليل اقرار من اقر من شعرائهم انه ليس بشعر واخلاصهم بالوحدانية عند الاضطرار

وارادهم

وارادهم الخالق بالخلق والربوبية وهو ايمان لغوى لا شرعى ولما كان من يعرف الشعر يعرف النثر فهو اعلى فقدمه
اتبعه النثر فقال ولا بقول كاهن وهو المنجم الذى يخبر عن اشياء توهمها لدى بخبره بذلك واغلبها يلتبس لها صحة وعبارته عن ذلك
بالسجع المتكلف المقصود كونه سجعا الذى يكون المعنى فيه تابعا للفظ للتحلية بمشاكلة المقاطع ولما كانت مباينته
القرآن للسجع خفية جدا لما فيه من الفواصل فى الاغلب وتركها فى البعض فارقا لان الساجعين لا يرضون بان يتركونه لا اخت
لها ويعدون ذلك عيبا وعارا رديا وكذا تطويل السجعة عن قرينتها وتضعيفها على عدلتها لا يرضى به ساجع ولو انه هاجر
ومباينة النبى صلى الله عليه وسلم للكهانة ظاهرة جدا فان الكاهن من نصب نفسه لله لا لا له على الضوائع والاخبار بالمغيبات
تصدق فيها تارة وتكذب كثيرا او ياخذ الجعل على ذلك ويقتصر على من يسأله فعبر لذلك بكاهن دون ساجع اذا امره على
التفكر فقال قليلا ما واكد القلة والخفاء بادغام تا التفعل فقال تذكرون فلذلك يلتبس عليكم الامر وعلى من يسوق
عليه بذلك فعلم ان الذى تفرق بينهما موجود فيهم لانه يرى ان الكتاب تابع للمعنى الصحيح الثابت فان صح غاية الفصاحة
مع وجود القرآن المتوافقة فيما لو كان والا انتقل عن ذلك الى قرآن غير متوافقة فى روى ولا ما يقاربه او قرينة مفردة
مع امكان جعلها كما قبلها لكن مع نقصان المعنى المقصود او طول الكلام ونحو ذلك وان النبى صلى الله عليه وسلم لم يدع يوما
علم الغيب ولا نصب نفسه الشريفة لشئ من الكهان فيه ولا نقل فى ساعة من الدهر خبرا ذكر انه استفاده منهم ولا منه
لذلك كما تفعل الكهان بل ذم الفاسقين منهم غاية الذم وقال ان اكثر ما يأتون به الكذب ولا سأل جعلا على ما يدعو اليه
ولا اقتصر على من يأتيه للسؤال بل هو صلى الله عليه وسلم يتبع الناس فى مجامعهم يدعوهم الى الله بانقاذهم من الضلال
فمباينته للكهان لا تحتاج الى غير تذكر فلذلك اشار اليه بادغام تاء التفعل فثبت ان القول ليس بكهانة وقائله والمؤدى له
ليس بكاهن ونسبة القول الى المبلغ لكونه مبلغا واضحة الصحة ولما اثبت انه قول الرسول الذى لا ينطق عن الهوى
ونفى عنه ما قد يلبس من الشعر والكهانة ولم يذكر ما كانوا يرمونه به من السحر والاضغاث لانه عناد محض لا يرتاب
احد فيه وكانت السورة مقصودا بها اثبات الحقائق التى قد تخفى وصفه بما حقق ما اريد من نسبته الى الرسول صلى الله
عليه وسلم فقال تنزيل اى على وجه التنجيم واشار الى ارساله الى جميع الخلق من اهل السموات والارض بقوله من رب العالمين
اى موجدهم ومدبرهم بالاحسان اليهم بما يفهم كل منهم من هذا الذكر الذى رباهم به ورتب سبحانه نظمه على وجه يحمله على
كل منهم شيئا يكفى فى هدايته البيانية بخلاف الشعر والكهانة يفهمها الا قليل من الناس لا جميع العالمين بل كثير من اكابر
العلماء وحذاقهم على حذقهم لان الفصيح من فصحاء العرب ولا يفهم المراد منها ولا يتضح له بوجه ولما كان قد بقى
من الاقسام التى كانوا يقولونها عليه الافتراء اى الرسالة بمعنى انه عثر على بعض كتب الله الذى نزلت على من قبله فانتحلها
من غير ان يوحى اليه وكان الدليل على ان ذلك ليس كذلك ان العادة تحيل ان يطلع شخص من الناس على شئ لم يطلع عليه احد
منهم ولاسيما ان كان ذلك الشخص قليل المخالطة للعلماء فكيف ان كان اميا لا يكتب ولا يقرأ كما كان صلى الله عليه وسلم
قال عاطفا على ما تقديره فلو لم يكن تنزيل رب العالمين عليه لم يعجزوا عنه ولو تقول اى كلف نفسه ان يقول مرة من الدهر
كذبا علينا على ما لنا من العظمة بعض الاقاويل اى التى لم نقلها او قلناها ولم نأذن له فيها وهو جمع اقوولة من القول كالاضاحيك
جمع اضحوكة لا جمع اقوال ليكون جمع الجمع لانه يلزم عليه الا يعاقب بما دون ثلاثة اقوال لاخذنا اى لعظمتنا اخذ
قوة وغضب وقهر واهلاك واكده للاعلام لشدة الغضب من الكذب وشدة قبحه ولما كان اخذنا بالاتى غاية
كل اخذ لان من افترى على الملوك لا يفعل به الا ذلك قال منه اى خاصة باليمين اى التى هى العضو الاقوى منه فيما يكون
بطشه فيذهبه لشدة بطشنا او اليمين منا فيكون كناية عن اخذنا له بغاية القوة فان غاية كل شئ فى ميامنه وقيل
اذا اراد الملك اهانة شخص قال لخذه يا فلان فيأخذه بيمينه فهو كناية عن الاذلال وقيل هذا تصوير لقتل الصبر
باشنع صورة فان الملك اذا اراد التخفيف على من يقتله امر السياف فاخذ بيساره وضرب بالسيف من
ورائه لان العنق من خلفها وسع فيكون اسرع قطعا ولا يرى المقتول لمع السيف وان اراد التعذيب والمبالغة فى الايلام
اخذ بيده اليمنى بيده اليسرى وضربه وهو مستقبل له يرى لمع السيف ورهاء تحت الضرب يضنو المحال فى حنكه
فيحتاج الى ثانية وثالثة فهو الحس ولما صور مقصد الاذلال باقطع صورة اتمه مشيرا الى شدته وبشاعته بحرف
التراخى فقال ثم لقطعنا اى حتما بلا مثنوية بما لنا من العظمة قطعا بلا شئ عند كل قطع منه الوتين اى العرق الاعظم فى
العنق الثابت الدائم المتين الذى يسمى الوريد وهو بين العلباء والحلقوم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه نياط القلب
وفى القاموس عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه انتهى واختير التعبير به لان مادته بهذا الترتيب تدور على
المتانة والدوام فلذا كان يفوت صاحبه بفواته وقال ابن برجان عرق متصل بنياط القلب مستبطن للصلب
يملأ الجسد كله بسقيه الكبد وهى بيت الدم وهو يجر منها الدم فى البدن ياخذ منه ستون عرقا هى انهار الدم فى الجسد

كله من هذه الانهار نا خذ عروق الجسد ثمانية عشر تسقي الصدر وسبعة تسقي العين واربعة تسقي الدماغ والوتين
من مجمع الوركين الى مجمع الصدر من الترقوتين ثم تنقسم عنه سائر العروق الى سائر الجسد ولا يمكن في العادة الحيوة لعد
قطعه وفي المائدة عند والله يعصمك من الناس ما دتما ينفع هنا ولما اتم تصوير ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه
من ان يا خذ السياف واعوانه ويكبحه بالسيف فيضرب به عنقه سبب عنه قوله اتماما للعظمة قوله فما منكم اى
ايها الناس المعروضين في النبي فقال من احد عنه اي القتل او المقتول المنقول ولما كان خدعا ما حقق عمومه واصغا
له واخبر عن ما على لفظ المجاز بقوله حاجزين اي يكون حاجزا اي جرما كثيفا مانعا من الوصول اليه فلا غرض يتعلق من عاقل
بان ينصح لاحد بنصيحة تعود على المنصوح وحده بالنفع ولا حظ للقائل بل يكذب يكلف نفسه تقوله على ملك لا يقدر ذلك
المنصوح ان يحميه عن عقوبته على ذلك الكذب واختار الاخبار بالجمع لانه يدل على عدم حجز الفرد من باب الاولى ومنكم
حال لتقدمه وهذا كله كناية على ابلغ الوجوه عن ان هذا الذكر كلام الله لا شبهة فيه بوجه مضموما ذلك الى وجوه
اعجازه لان لولا امتناع الثاني لاجل امتناع الاول فالتقدير كما يقال في القياس الاستثنائي لكنا لم نا خذه هذا الاخذ
فثبت انه ما تقول علينا شيئا فثبت انه قال كلاما نا بونا تاما بالبرهان على وجه لا مرام نقصه ولما كان هذا كناية
عن هذا امر عن نظر الى حقايق مفرداته ولا يعني شيء منها على انفراده فكان كانه قيل تنزيل من رب العالمين غير متخيل فيه
الكذب بوجه عطف على ذلك قوله وانه اى القران بعد ان كان ذكرا لجميع العالمين لتذكرة اى موعظة عظيم جدا للمتقين اى
من العالمين لانهم المنتفعون به لاقبالهم عليه اقبال مستفيد ولما علم من هذا انه سبحانه عالم بمعنى المسي والمحسن
ظواهرهم وبواطنهم صرح بالقسم الاخر فقال مؤكدا لاجل انكار الضلال وانا اى بما لنا من العظمة لنعلم اى علما عظيما محيطا
ان منكم ايها الارضيون السفليون الذين لبس لهم اهلية العلو الى تجريد الارواح عن علايق الجسد الكثيفة مكذبين
اى عريقين في التكذيب فانزلنا الكتب وارسلنا الرسل ليظهر منكم الى عالم الشهادة منها ما كنا نعلمه في الازل غيبا من تكذيب
وايمان فيستحقون بذلك الثواب والعقاب فلذلك وجب الحكم التي لا يكذب بها احد ولا يشك بها خاصة الملك المظهر
لكماله ان يبعث الخلق على ما كانوا عليه من احسابهم قبل الموت ليحكم بينهم فيجازي كلا بما يليق به اظهارا للعدل ولما
كان سببا للتكذيب ستر ما يجليه مرائي العقول من الدلايل وكان التقدير فانه لبشرى للمومنين ولكنه طواه لان السياق
للتهديد بالحاقة عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب به وانه اى القران لحسرة اى تمادي من باديه في الدنيا
والاخرة على الكافرين اى العريقين في الكفر لكونهم كذبوا به لما يظهر لهم من جزائهم وجزاء المؤمنين ولما كان
كل من العريقين يدوق جزاه في الاخرة وكان كل احد سمع القران ذاق انه لا يقدر على الاتيان بشيء بما ثله ولا بما دانيه
قال مؤكدا تنزيلا لهم في عداد الجاهلين وانه اى القران والجزا يوم الجزاء لحق اليقين اى الامر الثابت الذي يذاق
فيصير لا يقبل الشك فهو يقين مؤكد بالحق من اضافة الصفة الى الموصوف وهو فوق علم اليقين وفي ذلك اشارة الى
ان العبد ينبغي له ان يتحقق لذلك معرفة الحق فيكون مشاهدا للغيوب كمشاهدة المرئيات لما يشاهد من امثالها
فامر البعث يشاهد كل يوم في الليل والنهار وفي العام في النبات وغير ذلك ولما كان البعث هذا المقصد من اعظم
الكمال وكان عدمه موجبا للنقص سبب عن كلا الامرين اشارة وعبارة قوله امرا بعد الاخبار في اول المسبحات
فسبح اى اوقع التنزيه الكامل عن كل شائبة نقص باسم اي بسبب علمك بصفات ربك اى الموجد والمربي لك والمحسن
اليك بانواع الاحسان العظيم الذي ملات الاقطار كلها عظمته وزادت على ذلك بما شاء سبحانه مما لا تسعه العقول
لا تستماع عن بلوغهن لن يحيطها فانه تعالى قادر على ذلك لا يعجزه شيء وقد وعد بذلك وهو صادق الوعد وعدم البعث
محال بالحكمة لظلم اكثر الناس وفيه اشارة الى المتاركة والتعجب من حالهم في تصميمهم على الكذب والعناد والجلد على الحد
والفساد وقد رجع اخر السورة على اولها باحقاق الحاقة لنفي ما وقع الخبط فيه من باب الاحتجاب بالاسباب من موانع
النقص ومظنات اللبس فيثبت الحق وينفي الباطل فيفرق بين المحسن والمسيء والسعيد والشقي فيحق السلام لحزب
الرحمن ويثبت الهلاك لاصحاب الشيطان ويظهر اسمه الظاهر لكل مومن وكافر ان في ذلك لعبرة لاولي الالباب

سورة سال ويسمى المعارج مقصودها

اثبات القيمة وانذار من كفر بها وتصوير عظمتها بعظمة ملكها
وطول يومها وتسليه المنذر بها بما للمكذبه من الصغار والذل والنار ودل على وجوبها وقوعها سابقا بما ختمت
به سميتها في السورة الماضية بالحاقة تنبيها على انه لا بد منها ولا محيد عنها ودل على ذلك بالقدرة في اولها والعلم
في اثنائها والتنزه عما في اهمالها من النقص في اخرها ولاحقا بما اخبر بانه ارسل جميع رسله بالتحذير منها فارسل نوحا
عليه السلام في الزمان الاقدم كما ذكر في سورته عند ما اختلف الناس بعد ما كانوا عليه في زمان ابيهم ادم عليه السلام
من الاتفاق على الدين الحق فافترقوا الى مصدق ومكذب فعلم منه ان من بعده اولى بذلك لقربهم منها واتبع ذلك

الاعلام بانه دعا الى ذلك الجن الذين كان سبيلهم فيها سبيل الادميين واتبع ذلك بحذار سال والرسل بها زمانا ما اخريهم زمانا بار
واولهم نبوة حين كان نبيا وادم بين الروح والجسد فبدا في سورة المزمل بنبوته ومن بعد بتزكيته وتقديسه ورفعته والا
عن رسالته والتحذير من مخالفته واتبع ذلك لا نذاره بها بالصدع بالرسالة لمحو كل ضلال له فلما تقررت نبوته وثبتت رسا
على اجمل الوجوه واجلاها واثبتها واعلاها واشرفها واولاها جعل سبحانه سورة القيمة كلها اعلاما بان الامر عظيم جدا
يجب الاعتناء به والتاهب له والاجتهاد بغاية القوة وافراغ الجهد ثم اتبع ذلك الانسان دلالة على انه المقصود بالذات
من الاكوان فلا يسوغ في الحكمة ان يجعله سبحانه سدى ومن كثير من احوالها ثم اقسم بالمرسلات ان امرها حق لا بد منه ولا مندوحة
عنه ثم عجب في عم منهم في تساؤلهم عنها وتعجبهم منها ثم اقسم على وقوعها في النازعات وصور من امرها وهزاهزها ما اراد ثم
ذلك الدلالة في سورة عبس على ان من الناس من طبع على قلبه فلا حيلة في تصديقه بها مع ما تبين بالسور الماضية وغيرها
من امرها ثم صورها في كورت تصويرا صارت منه رأي العين لو كشف الغطاء ما ازداد المؤمنون بها يقينا ثم بين في الانفطار
ان الامور فيها ليست على منهاج الامور هنا بل الاسباب كلها منقطعة والانساب مرتفعة والكل خاضعون مخبتون خاشعون
اعظمهم في الدنيا تجبرا اشدهم هنالك صغارا وتحسرا ثم اتبع ذلك من يستحق هنالك النكال والسلاسل والاغلال
ثم اولاه رفعة اهل الايمان الذين طبعهم على الاقرار بها والعرفان واستمر على هذا الى اخر القران قبل ان يأتي بسورة الا وهي
معرفة بها غاية المعرفة الى ان ختم بالدين اشارة بذلك على ان معرفتها هي الدين واشار في تبت لها واتبعها الاخلاص
اشارة الى انه لا يسلم فيها الا الموحد من المعاندون من الفرق الباطنة والظاهرة المتصفون بالمحاربة المتعاظمة المتكاثرة
فاذن ذلك ان اكثر عناية القران في امرها العظيم الشان لانه لا كتاب بعد هذا الكتاب ينتظر ولا امة اشرف من هذه
تخص ببيان اعظم من بيانها وهو احد الاوجه التي فاق بها القران على الكتب الماضية والصحف الكائنة في القرون الخالية
واذن ذلك بان الامر قد قرب والهول قد دهم والخوف قد فدح ليشمر اهل الاختصاص في النجاة من غدايها والخلاص حين
لا مفر ولا ملجا ولات مناص نسال الله العافية في يومها والعيشة الراضية وعلى هذا القصد دل اسمها سال وكذا
المعارج وهما انسب ما فيها للدلالة على ذلك وفانا الله من افاتها والمهالك بسم الله الملك الاعظم الذي
تنقطع الاعناق والامال دون علياته الرحمن الذي اوضح نعمة البيان وعمت بها وشمر ها حتى صارت في الوضوح الى حد لا مطمع
لاحد في ادعاء خفائه الرحيم الذي اصطفى من عباده من وفقه للفهم عنه والطاعة له فكان من اوليائه لما ختم
امر الطامة الكبرى في الحاقة حيث ثبت امره وتساوى سره وجهره ودل عليها حتى لم يبق هنالك نوع لبس في وجوب التفرقة
في الحكمة بين المحسن والمسيء وختم بان ترك ذلك مناف للكمال فيما يتعارفه من امور العمال بعد ان اخبر انه يعلم ان منهم
مكذبين وكان السائل عن شيء يدل على ان السائل ما فهمه حق فهمه ولا انصف بحقيقة علمه عجب في اول هذه ممن سال عنها
فقال سال ودل على انه لو لم يسال عنها الا واحد من العباد لكان جديرا بالتعجب منه والانكار عليه بالافراد في قوله
سائل وهو من السؤال في قراءة من خفف بابدال الهمزة الفا ومن همز ولما كان سؤالهم عن وقت مجيء الساعة والعذاب
وطلبهم تعجيل ذلك انما هو استهزاء ضمن سال استهزاء ثم حذفه ودل عليه بحال ابن عمه منه وحده فيها ودل عليها بما تعدى
به فقال او انه حذف مفعول السؤال المتعدي بعن ليعم كل مسؤول عنه اشارة الى ان من تامل الفطرة الاولى وما دعو
اليه من الكمال قاطعا بها فكان مسلما فاضت عليه العلوم وبرقت بتجليه اشعة الفهوم فتبين المراد من دلالة النص بقوله
بعذاب اى عن القيمة بسبب عذاب وتسهيلها بعذاب عظيم جدا واقع وعبر باللام بهكما بهم مثل فبشرهم بعذاب فقال
للكافرين اى الراسخين في هذا الوصف بمعنى ان كان لهم في الاخرة شيء فهو العذاب وقراة نافع وابن عامر بتخفيف الهمزة
اكثر تعجيبا اى اندفع فمه بالكلام وتحركت به شفتاه لانه مع كونه يقال سال يسال مثل خاف يخاف لغة في المهموزة
يحتمل ان يكون من سال يسيل قال البغوي وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا من اهل
هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه فانزلت ولما احبر بتحتم وقوعه علله بقوله ليس له اى بوجه من الوجوه ولا
حيلة من الحيل دافع مبتدى من الله اي الملك الاعلى الذي لا كفو له فلا امر لاحد معه واذا لم يكن له دافع من عزم وقد
تقدم الوعد به وذلت الحكمة عليه تحتم وقوعه وامتنع رجوعه ولما كان القادر يوصف بالعلو والعاجز
يوصف بالسفول والدنو وكان ما يصعد فيه الى العالي يسمى درجا وما يهبط فيه الى السافل يسمى دركا وكانت الاماكن
كلها بالنسبة اليه سبحانه على حد سوا اختير التعبير بما يدل على العلو الذي يكنى به عن القدرة والعظمة فقال
واصفا بصيغة كونه مشيرا الى التعليل ذي المعارج اى الدرج التي اسمها لها اصلا بما دلت عليه صيغة منتهى الجموع
وهي كناية عن العلو وسميت بذلك لان الصاعد في الدرج تشبه مشيته الاعرج وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
انها السموات ودل على ما دلت عليه الكثرة مع الدلالة على عجيب القدرة في تخفيفها على الملائكة بقوله تعرج الملائكة

له

اي يوم اشد الخلق واقدره على اختراق الطباق والاسراع في النفوذ حتى يكونوا اعظم من لمع البرق والخفاق والروح اي جبريل عليه السلام
خصه تعظيما له او خلق هو اعظم من الملائكة وقيل روح العبد المؤمن اذا قبض اليه اي الى محل مناجاته ومنتهى ما يمكن من العلو المحلو فانه وعلق
بالعروج او بواقع قوله في يوم اي من ايامكم وبين عظمه بقوله كان اي كونا في غاية الثبات مقداره اي لو كان الصاعد فيه ادميا خمسين
الف سنة من المستقيم في صعوده او الكون فيه ان ربنا لعثنه بان قال سنة ولو بلغ ما مثلا ويجوز ان يكون هذا اليوم ظرفا
للعذاب فيكون المراد به يوم القيمة وان يكون طوله على الكافر باعتبار ما يلحقه من الغم لشدة المخاوف عليه فانه ورد انه
يخفف على المؤمن حتى يكون بمقدار صلاة واحدة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المعنى انه لو ولي الحساب غير الله لم يفرغ
منه الا في هذا المقدار ويفرغ هو سبحانه منه في نصف يوم من ايام الدنيا وقال مجاهد والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا
من اولها الى اخرها خمسون الف سنة لا يدري احدكم مضى وكم بقي الا الله وقد مضى في سورة الم السجدة ما ينفع هنا
ولما كان هذا كله مسليا للنبي صلى الله عليه وسلم عن استعجاله اياه بالعذاب استهزاء وتكذيبا سوا اريد تصوير
العظمة او العذاب سبب عنه قوله فاصبر اي على اذاهم ولا يلفتك ذلك عن تبليغهم فانك شارف ذلك وقت الانتقام
منهم انها الفاتح الخاتم الذي لم اذن لاحد ما بحثت على لسانه والصبر حبس النفس على المكروه من الاقدام او الاحجام
وجماله بسكون الظاهر بالتثبت والباطن بالعرفان صبرا جميلا اي لا يشوبه شي من اضطراب ولا استثقال ولا شكوى
ولا استعجال فان عذابك ونصرك عليهم لعظمة من ارسلك فلا بد من وقوعه لان القدح فيه والتكذيب به قدح فيها
وهذا قبل الامر بالقتال وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما انطوت سورة الحاقة على اشد وعيد واعظم تهديد اتبعت
بجواب من استبطا ذلك واستبعده اذ هو مما يجا اليه المعاند الممتحن فقال تعالى سال سائل بعذاب واقع الى
قوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ذكر حالهم اذ ذاك يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه الاية ثم
اتبع بان ذلك لا يغني عنه ولا يفيده انها لظى ثم ختمت السورة بتاكيد الوعيد واشد التهديد فذرهم يخوضوا ويلعبوا
الى قوله ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون انتهى ولما كان كونه تعالى بما تقدم من العظمة امرا معلوما بما له من
الاثار من هذا الكون وما فيه وكان استبعادهم لما اخبر به امرا واهيا ضعيفا سفسا فلا يكاد يصدق فان احدا
يحاول ان يرد به هذه الامور التي هي في وضوحها كالشمس لاخفاء لها اصلا ولا لبس قال مؤكدا انهم اي الكفار يرونه
اي ذلك اليوم الطويل وعذابه بعيدا اي زمن وقوعه لانهم يرونه غير ممكن ويفعلون افعال من يستبعده ونراه
لما لنا من العظمة التي قضت بوجوده وهو علينا هين قريبا سوا اريد بذلك قرب الزمان او قرب الامكان فهو هين
على قدرتنا وهو ات لا محالة وكل ات قريب والقريب والبعيد عندنا على حد سوا ولما ذكر عن هذا اليوم
ما بعث على السؤال عنه استانف بيانه مبينا عظمته فقال يوم اي يقع حين تكون السماء اي التي هي اوثق ما تراه واصلبه
من عظمة ما يقع فيه من الاهوال كالمهل اي الشي المذاب من المعادن في مهل او دردي الزيت وتكون الجبال التي هي اشد الارض
وانقلها فيها كالعهن اي الصوف المصبوغ الوانا المنفوش تطيره الريح كالهبا وذلك لان الجبال في اصلها متلونة كما قال
تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر الاية قال البغوي ولا يقال عهن الا للمصبوغ قال واول ما تتغير به الجبال
تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم هبا منثورا انتهى ولا يسال من شدة الاهوال حميم حميما اي قريبا في غاية القرب
والصداقة قريبا مثله عن شي من الاشياء لفرط الشواغل ولانه قد كشف لهم انه لا تغني نفس عن نفس شيا وانه
قد تقطعت الاسباب وتلاشت الانساب لما كشف الابتلاء عن انه لا عز الا بالتقوى هذا على قراءة الجماعة بفتح الياء
وعلى قراءة ابن كثير بالبنا للمفعول المعنى انه لا يطالب احد باحد كما يفعل الحكام في الدنيا من انه يلزم اقارب من فر
به لانه لا حاجة له بذلك لان القدرة محيطة بالكل على حد سوا ولما كان عدم السؤال قد يكون لعدم رؤية
بعضهم لبعض لكثرة الجمع وشدة الزحام وتفرق الناس فيه على حسب مراتب اعمالهم استانف الجواب لمن
كان يقول لعل ذلك يترك لعدم رؤيتهم لهم فقال دالا بالمجهول على ان الفعل على عظمه ذلك التبصير وخروجه
عن العادة جامعا لان المقصود من الحميم الجنس والجمع ادل على عموم التبصير قال البغوي وليس في القيمة مخلوق الا وهو
نصب عين صاحبه من الجن والانس انتهى وكان جمعه ذلك انه ادل على تقطع الاسباب فلا يسال احد منهم الاخر
عن شي في امره لاشتغال كل بنفسه فعدم السؤال لا للخفا بل للاشتغال يبصرونهم اي يبصر بهم مبصر فلا يخفى
احد على احد وان بعد مكانه ويفر كل من الاخر لشغله بنفسه ولما تناهى الاخبار بعظمة ذلك اليوم الى حد
لا تحمله القلوب ذكر نتيجة ذلك فقال مستانفا يوم يود المجرم اي النوع سوا كان كافرا او مسلما عاصيا علم انه
يعذب بعصيانه وقيد به لان المسلم الطايع يشفع فيمن اذن له فيه ولا يهمه شي من ذلك ودل على ان هذه الوداده
تمر بقوله لو يفتدي اي نفسه من عذاب يومئذ اي يوم اذ كانت هذه المخاوف باعلق الناس بقلبه واقربهم منه فضلا عن

ان

ان يسال عن اخوانه لكان السياق للابتدا باعزهم في ذلك بخلاف ما ياتي في عبس فقال ببنيه لشدة ما يرى ولما ذكر
الصق الناس بالفواد واعز من يلزمه نصره والذب عنه اتبعه ما يليه في الرتبة والمودة وما الافتدا به الا لاستماعه عند العرب
من اقبح العار فقال وصاحبته اي زوجه التي يلزمه الذب عنها والكون دائما معها لكونها عديلة زوجه ولما ذكر
الصاحبة لما لها من تمام الوصلة اتبعها الشقيق الذي لا يلزم من الذب عنه ما يلزم من الذب عن الحريم وربما كان صبا نافقال
واخيه ولما كان من بقي من الاقارب بعد ذلك متقاربين في الرتبة ذكر اقربهم فقال وفصيلته اي عشيرته الذين هم
اقرب من فصل عنه التي تؤويه اي تضمه اليها عند الشدائد وتحميه لانه اقرب الناس اليها واعزهم عليها فهم اعظم الناس
حقا عليه واعزهم لديه ولما كانت هذه الاية في الفدية قدم الابعد عن ذلك فالابعد من جهة النفع والمعزة
ولما كانت اية عبس في الفرار والنفرة قدم الالصق فالالصق والاعلق في الانس فالاعلق والملاحظ هنا عموم
فقال ومن في الارض اي من الثقلين وغيرهم سوا كان فيهم صديق لا صبر عنه ولا بد في كل حال منه اولا ولما كان
ربما حضر في ذلك بغيره قال محققا للارادة الحقيقة في معنى من جميعا ولما كان الانسان تكشف له الامور هنالك اي كشف
ويظهر له انهم طهور قال تعالى فبصرك اليوم حديد فيعلم انه لا ينجيه من الخطايا المحيطة شي دل على الاستبعاد باداة البعد
فقال عاطفا على يفتدي ثم ينجيه اي يود لو يكون له بذلك نجاة تنجيه ولو في وقت من الاوقات ولما كان هذا انما
قد يطمع في النجاة فان بعض الناس يطبع على قلبه فيستغويه الاطماع حتى يعد المحال ممكنا قال العبر بمجمع الروادع
والزواجر الصوادع كلا اي ليكن للمجرم ردع اي ردع عن وداده هذا او ترتب اثره عليه فان ذلك لا يكون ابدا بوجه من الوجوه
ولما كان الاضمار قبل الذكر لتعظيم ذلك المضمر في المهتم الذي هو فيه لان ذلك اشارة الى انه مستحضر في الذهن
لا يغيب لاجلاله للمقام عليه من عظيم الدلالة قال لعله هذا الردع العظيم عن النجاة بمثل عن وداده تمنيها انها اي النار
التي هي سوط الملك المعد لمن عصاه المهدد في هذا السياق بعذابها المسؤولية عليها لتكون سجنه لظى اي ذات اللهب
الخالص المتناهي في الحر يتلظى اي يتوقد فيا كل بسببه بعضها بعضا ان لم تجد ما تاكله وتاكل كل ما وجدته كاينا ما كان نزاعة
للشوى اي هي شديدة النزع للجلود للروس بليغة تجما الظن لغيره من الجلد وقال في القاموس الشوى اليدان والرجلان
والاطراف وقحف الراس وما كان غير مقتل انتهى وقلع الجلد كله واللحم تنزع ذلك ثم تعود كما كان في الحال
الذي كانوا ابتكروه في نعيمهم في كل لحظة ولما كان الخلاص غير ممكن لمن الداعي الفادر عن الاحضار كنى عن احضارها
اياهم وحثها لهم بقوله تدعوا بهم ويجوز ان يكون ذلك حقيقة فيقول في الدعا الى نفسها الي يا مشرك الي يا منافق
ونحو هذا ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب من اي كل شخص ادبر اي وقع منه ادبار عما من حقه الاقبال عليه سوا كان
ذلك الادبار عنها او عن الاعمال التي من شانها التنجيه منها ولما كان الادبار قد يكون عن طبع غالب فيكون
صاحبه في عداد من يعذر بين ان الامر ليس كذلك فقال وتولى اي كلف فطرته الاولى المستقيمة الاعراض عن اسباب
النجاة ولما كانت الدنيا والاخرة ضرتين وكان الاقبال على احدهما داعيا الى الاعراض عن الاخرى قال في الاعلى
ادباره بقلبه وجمع اي كل ما كان منسوبا الى الدنيا ولما كانت العادة جارية بان من كانت له الدنيا اكبر همه
كان همه جمعه الاكثار لا الانفاق سبب عن جمعه قوله فاوعى اي جعل ما جمعه في وعا وكنزه حرصا وطول امل ولم يعط
حق الله فيه وكان همه الابقا لا الاعطا ما وجب من الحق اقبالا على الدنيا واعراضا عن الاخرة ولما كان من
اعجب العجب ان يقبل على الدنيا احد يسمع هذا التهديد بالعرض بين يدي الله والعقاب بل من لم يقبل على عبادته سبحانه
بين ان ذلك للمجاجلة عليه سبحانه وان الانسان مقهور مع جبلته الا من حفظه الله وذلك دال من طلا الطرفين
على عظيم قدرته سبحانه فقال مؤكدا لاقتضاء المقام للتاكيد لان الانسان لو حوقف بالعرض على بعض الامر لما ابا
لانس من بعضه فكيف بالعزيز الحكيم العظيم العليم ان الانسان اي هذا الجنس عبر به من الانس بنفسه والروية
لمحاسنها والنسيان لربه ولذنبه خلق هلوعا ذكر الحال الى بيان الجبلة الداعية الا ما نقضيه باختيار صاحبها
على وجه كانه الجا ثم بانا لسهولة الامور عليه سبحانه بني للمفعول قوله خلق هلوعا اي جبلة هو فيما يبلغ الهلع
وهو افحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح على المال والسرعة فيما لا ينبغي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه الحريص على ما لا يحل له وروي عنه ان تفسيره ما بعده ولما كان الهلع شدة الحرص وقلة الصبر فسر
معناه فقال معلقا المعمول للذي هو الظرف على العامل بيانا لاسراعه في ذلك اذا مسه اي ادنى مس الشر
اي هذا الجنس وهو ما نظار بشر من الضر جزوعا اي عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه
ينقد نصفين ويتفتت واذا مسه اي كذلك الخير اي هذا الجنس وهو ما يلايمه فيحبه من السعة في المال والعز من انواع
الرزق منوعا اي مبالغا في الامساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه وتوفيا

مع المحسوس لغلبة الجمود والبلادة وهذا في الوصف ضد الإيمان لأنه نصفان شكر وصبر ولما كان التقدير
فهو يسارع في إيثار ما جبل عليه بما يترتب على الجزع مما لا يجوز في الشرع ومما لا يترتب على المنع من ذلك أيضاً فيكون
من أهل النار وكان من القدرة البالغة أن يحفظ سبحانه من أراد من الجري مع جبلته ويحمله على كسر نفسه مرة بعد أخرى
حتى يتلاشى ما عنده من جبلة الشر ويبقى الروح على حالها عند الفطرة الأولى فلا تزال الحجة عنده المبادرة إلى طاعته
سبحانه وحفظ حدوده فكان للاكرامه أعظم من حفظ المكلف لحدود الشرع مع المنافاة لطبعه فيكون جامعاً للإيمان
بصفتيه الصبر والشكر لما جمع من هذه الأوصاف المفاتيح لأبواب الجنة الثمان فكانت أسباباً لما استثني من هذا
النوع الهلوع ولذلك جمع فقال إلا المصلين أي المحافظين على الصلاة التي هي موطن الافتقار إلى الغني فإنهم في هذا الوصف
فإنه لا يشتد هلعهم ولا يشتد جزعهم ولا منعهم فيكونون في أحسن تقويم معتدلين متباعدين عما يرضي الرب لأنه سبحانه
قرن بما جبلهم عليه من الهلع من طهارة الجسد الظاهرة بطهارته وزكاة وجههما هناك به ليتهذب نفسه مما يشوه له
أصدقاء الخير وأولياء المعروف وسماع المواعظ الحسان والابتعاد عن معادن الدنس من البقاع والأقران في الكلام
والأفعال وغير ذلك من سائر الأحوال والملابسة بكل ما يحمل على المعالي من صالح الخلال حتى كانوا من أهل الكمال
ولذلك وصفهم بما يبين عراقتهم في الوصف بها فقال الذين هم أي بكلية ضمائرهم وظواهرهم على صلاتهم أي التي هي معظم
دينهم وهي النافعة لهم لا لغيرهم مما أفادته الإضافة والمراد الجنس الشامل لجميع الأنواع إلا أن معظم الأنواع الفرض
ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات في قوله دائمون أي لا فتور لهم عنها ولا انفكاك لهم منها بل لا يغيبون ملازمة
حكم بسببها العفا في حال الفراغ نصب عينهم ثم دوام الذكر لها والتهيؤ لأدائها لأنها صلاتهم يمحو ذهلها الذي لأجله
عندهم الأمنة فلم يكونوا ناسين لمساويهم ولا ناسين لمحاسنهم وكفى بالصلاة بركة في جلالتها على النجاة من هذا الوصف
الموجب للأسباب النارية وهي عبادة ذات شروط وأركان وأبعاض وهيئات وسنن وآداب مفتتحة بالتكبير مختتمة
بالتسليم وهي منقسمة إلى ذات ركوع وسجود وإلى ذات سجود بلا ركوع كسجدة الشكر والتلاوة وإلى ما لا ركوع فيها ولا
سجود كصلاة الجنازة ولما ذكر زكاة الروح اتبعه زكاة عديلها المال فقال مبيناً للرسوخ في الوصف بالعطف
بالواو والذين في أموالهم أي التي من سبحانه بها عليهم حق ولما كان السياق هنا لأعم من المحسنين الذين تقدموا
في الذاريات اقتصر على الفرض فقال معلوم أي من الزكوات وجميع النفقات الواجبة ولما كان في السؤال من
بذل الوجه وكسر النفس ما يوجب الرقة وكآبة النفس من المذمة قدم قوله للسائل أي المتكفف ولما كان
في الناس من يزف همته وعلت رتبته عن مهاوي الابتذال بذل السؤال مع الإقلال ندباً لمثل على الله التعطف
والتوسل إليه فقال والمحروم أي المتعفف الذي لا يسأل فيظن غنياً ولا مال له يغنيه فهو يتلظى بنار في ليله ونهاره
ولا مفزع له بعد ربه المالك لعلانيته وأسراره إلا إلى إفاضة مدامعه بذلك والانكسار وهذا من الله تعالى حث
على تفقد أرباب الضرورات ممن لا كسب له ومن افتقر بعد الغنى وقد كان للسلف الصالح في هذا قصب السبق حكي
عن زين العابدين أنه لما مات وجد في ظهره آثار سود كأنها السيور فتعجبوا منها فقال بعد موته لنسوة أرامل كان
يحمل إليهن ليلاً لئلا يعرف الماء على ظهره وأجربة الدقيق ففقدناه وافتقدنا فعلموا أنه هو وأن تلك السيور من ذلك
وحكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن خضاراً ما شاء في زمن خلافته في الليل فتبعه فجاء إلى نسوة أرامل فقال
عندكن ماء وإلا أملأ لكن فأعطينه جرة فأخذها وذهب فملأها على كتفه وأتى بها إليهن والحكايات عنهم في هذا
كثيرة ولما كان المال لا يصلح كذلك لا يصلح الدنيا بين أن النافع منهما إنما هو المصدق للإيمان فقال والذين
يصدقون أي يوقعون التصديق لمن يخبرهم ويجددونه كل وقت بيوم ولما كان المقصود الحث على العمل لأجل
العرض على الملك الأعلى عبر بقوله الدين أي الجزاء الذي هو ما مثله وهو يوم القيمة الذي يقع الحساب فيه والدينونة
على النقير والقطمير والتصديق به حق التصديق الاستعداد له بالأعمال الصالحة فالذين يعملون لذلك اليوم هم
العمال وأما المصدقون بمجرد الأقوال فلهم الوبال وإن لم يعملوا أمثال الجبال ولما كان الدين معناه الجزاء
من الثواب والعقاب وكان ربما صرفه صارف إلى الثواب فقط للعلم بعموم رحمته سبحانه وأن رحمته غلبت
غضبه فصرح بالعقاب فقال والذين هم أي بجميع ضمائرهم من عذاب ربهم أي المحسن إليهم لا من عذاب غيره فالمحسن
أولى بأن يخشى ولو من قطع إحسانه أو كل عقد أعماله وإذا خيف مع تحليه في مقام الإحسان كان الخوف أولى عند
إعلانه في نعوت الجلال من الكبر والقهر والانتقام مشفقون أي خائفون في هذه الدار خوفاً عظيماً هو في
غاية الثبات من أن يعذبهم في الآخرة أو في الدنيا أو فيهما فهم لذلك لا يفعلون إلا ما يرضيه سبحانه ولما
كان المقام للترهيب ولذلك عبر عن الرجاء على فعل الطاعات بالدين فصار العذاب مذكوراً مرتين تلويحاً وتصريحاً

رادة

زاده تأكيداً بقوله اعتراضاً مؤكداً لما لهم من إنكاره إن عذاب ربهم أي الذين هم مغمورون بإحسانه وهم عارفون بأنه قادر
على الانتقام ولو بقطع الإحسان غير مأمون أي لا ينبغي لأحد أن يأمنه بل يجوز أن يحل به وإن بالغ في الطاعة لأن الملك مالك
وهو تام الملك له أن يفعل ما يشاء ومن جوز وقوع العذاب بعد عن موجباته غاية الإبعاد ولم يزل لم يبرح مجانباً للخوف
والرجاء ولما ذكر التحلي بتطهير النفس بالصلاة وتزكية المال بالصدقة فندبا إلى التخلي عن أمر جامع بين تدنيس المال
والنفس وهو الزنا الحامل عليه شهوة الفرج التي هي أعظم الشهوات حملاً للنفس على المهلكات فقال بعدما ذكر التخويف
بالعذاب إعلاماً بأنه أسرع إلى صاحبه من القاذورة ووقوعاً من الذباب في أحلى الشراب فقال والذين هم أي ببوا

طنهم

العالية على ظواهرهم لفروجهم أي سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً حافظون أي حفظاً ثابتاً دائماً عن كل ما نهى الله عنه
ولما ذكر هذا الحفظ على هذا الوجه ذكر ما أذن فيه في أسلوب الاستثناء إشعاراً بأنه كأنه لم يكن يخرج إلا
بعد تقرر عموم الحفظ لأنه مقصود ابتداء بقصد الصفة فقال إلا على أزواجهم أي بعقد النكاح ولما قدمهن
لشرفهن وشرف الولد منهن أتبعه بقوله أو ما عبر بما هو في الأغلب لغير العقلاء تنبيهاً على اتباع البطان في أحسنها لهن
ملكت أيمانهم أي من السراري اللاتي هن محل الحرث والنسل اللاتي هن أقل عقلاً من الحرائر اللاتي هن أعقل عقلاً من
الرجال ولما كان الناكح عبادة نادراً جداً أو كان الأصل في العبادة الخروج عن العادة وإن لم يتحر للعبادة
كان ربما أوهم الاكتفاء في مدحه بنفي اللوم عنه والكره لأن الأصل كان استحقاقه للملام لإقباله على تحصيل ما له من المرام فقال
مستأنفاً عن المستثنى فإنهم أي بسبب قنا لهم بالفروج عليهن وإزالة الحجاب من أجل ذلك غير ملومين أي في الاستمتاع
بهن من لائم ما كما نبه عليه البناء للمفعول لهم يصونهن للتعفف وصون النفس وابتغاء الولد للتعاون على طاعة الله
ولما أفهم ذلك تحريم غير المستثنى ووجوب الحفظ للفروج عنه صرح به على وجه يشمل المتعة حالف فقال مسبباً
عنه فمن ابتغى أي طلب وعبر بصيغة الافتعال لأن ذلك لا يقع إلا عن إقبال عظيم من النفس واجتهاد في الطلب
وراء ذلك أي شيئاً من هذا خارجاً عن هذا الأمر الذي أحله الله والذي هو أعلى المراتب في أمر النكاح وقضاء اللذة
وأحسنها وأجملها ولما كان الوصول إلى ذلك لا يكون إلا بتسبب من الفاعل ربط بالفاء قوله فأولئك أي
الذين هم في الحضيض من الدناءة وغاية البعد عن مواطن الرحمة هم أي بضمائرهم وظواهرهم العادون أي المخصوصون
بالخروج عن الحد المأذون فيه ولما ذكر العادة أتبعه الواقف عند الحدود فقال والذين هم أي بكل الجهد
من توجيه الضمائر لأماناتهم أي كل ما ائتمنهم الله عليه من حقه أو من حق غيره ولما كان ذلك قد يكون من غير
عهد كان مخصصاً وعهدهم أي ما كان من الأمانات مرتبطاً بالكلام والتوثق راعون أي حافظون لها معترفون بها على
وجه نافع غير ضار ولما كان أجل العهود والأمانات ما كان بالشهادة قال بياناً لفضل الشهادة والذين هم
أي بغاية ما يكون من توجيه القلوب بشهاداتهم الذي شهدوا بها أو يستشهدون بها بطلب أو غيره وبقدم المعمول
إشارة إلى أنهم في فرط قيامهم بها ومراعاتهم لها كأنهم لا شاغل لهم سواها قائمون أي يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام
والحسن أداء من هو منتهى لها واقف في انتظارها ولما كانت صفة أداء هذه المذكورات نقائص مهلكات
وكانت الأنفس لما لها من النقص نزاعة إلى النقائص مائلة إلى الدسائس ذكر سبحانه بالدواء المبري من كل داء فقال
مشيراً إلى حفظ أحوال الصلاة وأوصافها بعد ذكر الحفظ لذواتها وأعيانها على شدة الاهتمام بها والذين هم
ولما وسط الضمير إشارة إلى الإقبال بجميع القلب وقدم الصلاة كما فعل قبل تأكيداً وإبلاغاً في المراد إلى أنفى ما
يكون كما لا يخفى على ذي ذوق فقال على صلاتهم أي من الفرض والنفل يحافظون أي يبالغون في حفظها ويجددونه كأنهم
يباررونها الحفظ ويسابقونها فيه فيحفظونها لتحفظهم أو يسابقون غيرهم في حفظها لأوقاتها وشروطها وأركانها
ومتمماتها في ظواهرها وبواطنها من الخشوع والمراقبة وغير ذلك من خلال الإحسان التي إذا فعلوها كانت ولا
بد ناهية لفاعلها لأن الصلاة الكاملة تنهى عن الفحشاء والمنكر فتحمل على جميع هذه الأوامر وتبعد عن أضدادها
ولكون السياق هنا للتخلي عن الأوصاف الجارة إلى الكفر وحد الصلاة إشارة إلى أنه يكفي في ذلك الفرائض وإن كان
الجنس ليشمل في المؤمنون لأن السياق لأهل الرسوخ في المحاسن ولذلك جمع بين النوع والأفراد في الأول لينصب بادئ
بدء إلى الفرائض والجمع في بعض القراءات ليعم مع ذلك النوافل بأنواعها وفي فتح الأوصاف بالصلاة وختمها بها
من بيان جلالتها وعظمها أمر باهر ولما ذكر جلالهم أتبعه ما أعطاهم فقال مستأنفاً أو منتجاً من غير فاء إشارة
إلى أن رحمته هي التي وصلتهم إلى ذلك من غير سبب منهم في الحقيقة أولئك أي الذين هم في غاية العلو لما لهم في هذه
الأوصاف العالية وعبر بما يدل على أنه محل جزائهم سبحانه فقال في جنات أي في الدنيا والآخرة أما في الآخرة
فواضح وأما في الدنيا فلأنهم لما جاهدوا أنفسهم بإتعاب نفسهم في هذه الأوصاف حتى تخلقوا بها أعطاهم بمباشرتها

الدنيا فلانهم لما جاهدوا فيه باتعاب انفسهم في هذه الاوصاف حتى تخلقوا بها اعطاهم بمباشرتها الذاذات من اعظم القرب
وحلاوة المناجاة لا يساويها اصلا والجنة محل اجتمع فيه جميع الراحات والمستلذات والسرور وانتفى عنه جميع المكروهات
والشرور وضدها النار وزادهم على ذلك بقوله مكرمون معبرا باسم المفعول اشارة الى عموم الاكرام من الخالق والخلق
الناطق وغيره لانه سبحانه قضى بان يعلي مقدارهم حتى يكون اعظم منتقص في العيب مبالغا في اكرامهم عند المواجهة ليكون لهم نصيبا
من خلق نبيهم صلى الله عليه وسلم لقيه يوم بني قريظة علي رضي الله عنه وكان قد سبقه اليهم فقال يا رسول الله ما عليك الا تدنو
من هذه الاجانب فقال ولم لعلك سمعت لي منهم اذى لو قد دنوت منهم لم يقولوا من ذلك شيئا ثم دنا منهم فقال هل اخزاكم الله
يا اخوان القردة والخنازير فقالوا له يا ابا القاسم ما كنت جهولا وكلموه باحسن ما يمكنهم وكذا كانت معه قريش قبل الهجرة في الاكثر
احوالكم هذا في الدنيا واما في الاخرة فتتلقاهم الملائكة بالبشرى حين الموت وفي قبورهم وحين قيامهم من قبورهم الى دخولهم الى
قصورهم ولما تحرر بهذا الكلام الالهي الذي لا يشك عاقل في ان مخلوقا لا يقدر عليه وانه لا يقدر عليه الا الاله الواحد
الذي لا شريك له العالم بكل شيء القادر على كل شيء انه لا ينقضي عن نقائص الانسان حتى يتخلص من ظلمات النقصان الى نور الاحسان
الا من لازم هذه الاوصاف وزكى نفسه بها البصيرة ملا منع العلم القطعي عند المسلم والكافر ان الكمال سبب السعادة وان
الانسان مطبوع على ما صدر به سبحانه من النقائص علم ان المتصفين بهذه الصفات هم المخصوصون بالسعادة الاخروية
وكان الكفار يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ويجلسون حوله بالقرب منه ليسمعوا كلامه ويكذبوه ويهزءوا به وكان
العاقل لا ينبغي ان يأتي شيئا لا سيما ان كان اتيانه اليه على هيئة الاسراع الا ليحصل السعادة تسبب عن ذلك قوله تعالى
عن عظمة القرآن بما حاصله انهم حين يسمعونه يصيرون لشدة ما يغيظهم امره لا انهم لكونهم يفعلون افعال من لا وعي له
فما للذين كفروا اي اي شيء من السعادة للذين ستروا مرائي عقولهم عن الاقرار بمضمون هذا الكلام الذي هو اوضح من الشمس
حال كونهم قبلك اي نحوك ايها الرسول الكريم وفيما اقبل عليك مهطعين اي مسرعين مع مد الاعناق وادامة النظر اليك
في غاية العجب من مقالك هيئة من يسعى الى امر لا حاجة له به دونه ولما كان الذي يتطير مراعي الايامن والاشائم على ما
تقدم في الصفات لا يترك ذلك الا في امر ادهش عقله واطار لبه فلم يدعه يتأمل والتيسير الى شدة اعتنائهم بهذا
الاهطاع يتيمنون به وعن الشمال اي منك وان كانوا يتشاءمون به عزين اي حال كونهم جماعات وخلقا خلقا متفرقين
او فاشي او جماعة لا يمهلون لما نوا جتمعا عزة واصلها عزوة لان كل فرقة تعتزي الى غير ما تعتزي اليه الاخرى جمع جمع سلامة
شذوذا ولما كان هكذا الاسراع على هذا الوجه لا ينبغي ان يكون الا فيما يحقق انه مسعد ومع تحققه انه مسعد لا ينبغي
ان يكون الا في ما يحصل به السعادة الابدية قال منبها على ذلك منكرا ان يكون لهم ما كان ينبغي الا يكون فعلهم ذلك الا له
مع انه كان من جملة استهزائهم اذا تحلقوا للسماع ما يقتضيه ان يقولوا ان كان ما يقوله حقا من البعث والجنة لنكونن اسعد
بها منهم كما انا اسعد منهم في هذه الدار كما قال تعالى عنهم في قوله ولئن رددت الى ربي ان لي عنده للحسنى وذلك انه
كثيرا ما يأتي الغالط من الانسان بكونه خيرا في الدنيا فيظن ان ذلك لما يعلمه من الناس لانه خير في نفس الامر او يظن ان
انها له وهو على الباطل رضي به ولا يدري انه لا ينجح وتعلو وتحل الامن يخاف الفوت او يكون شيء يعجز ارادته
ايطمع اي هذا الانسان وعبر بالطمع اشارة الى انهم بلغوا الغاية في السفه لكونهم طلبوا اعز الاشياء من غير سبب
تعاطوه له ولما كان اتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة لجماعة قال كل امرئ منهم اي على انفراده ولما
كان المحبوب دخول الجنة لا كونه من مدخل معين قال بانيا للمفعول ان يدخل اي بالاهطاع وهو كافر من غير ايمان يزكيه
كما يدخل المسلم فيستوي المسيء والمحسن جنة نعيم اي لا شيء فيها غير النعيم في كل ما فيها على بعد ضبطه ولما كان معنى
الاستفهام الانكاري المفيد للنفي لا يدخل الكرذ ذلك مع افهامه الزجر والاستصغار بالانسان تاما والزاجر والرادع
فقال كلا اي لا يكون ما طمعوا فيه اصلا لان ذلك تمن فارغ لا سبب له بما دل عليه التعبير بالطمع دون الرجا ولما
كان الانسان اذا اكثر من شيء وجعله ديدنه شاع عندهم ان يقال فلان خلق من كذا علل ذلك بقوله مؤكدا عدالهم
منكرين لانهم مع علمهم نقصانهم يدعون الكمال انا على ما لنا من العظمة خلقناهم بالعظمة التي لا يقدر احد ان يقاويها
فتصرف فيما ارادته عن تلك الوجهة الذي وجهته اليها الغيرها مما يعلمون اي مما يستحيى من ذكره ذاتا ومعنى
اما الذات فهو نطفة مذرة اخرجت من مخرج البول مرتين وغذيناها بدم الحيض فهي تتحلب منها البول والعذرة
واما المعنى فالهلع والجزع والمنع اللاتي هم موافقون على عدها نقائص فلا يصلحون لدار الكمال الا بتزكية انفسهم مما تقدم
من هذه الخلال التي حض عليها الملك المتعال • روى البغوي بسنده عن بسر بن جحاش رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل بني آدم اني تعجزني وقد خلقتك
من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق

مع عدم التحفظ من شيء عن
اي متجاوزين لك اي كل مكان
كان عن جهة اليمين اي منك
حيث م

وان اوان الصدقة ولما كان في ذكر هذا الخلق مع ما تقدم اشارة عظيمة الى ما كانوا يقولون انه ان كان الامر كما
يقولون من الحشر والجنة لنكونن عند الله منكم ولندخلنها كما نحن الان ارفع منكم عندك بما لنا من الاموال والبسطة في الدنيا
والوجاهة والاقبال تنبيه على ان الكل مساوون على انهم من نطفة فما فضلهم في هذه الدنيا بهذه النعم الظاهرة الا
هو سبحانه وقد فضل المؤمنين بالنعم الباطنة التي زادتهم في التمكين فيها التزكية بهذه الاوصاف العملية الناشئة عن الصفة
العلمية وهو قادر على ان يضم النعم الباطنة النعم الظاهرة ولذلك سبب عنه قوله واكد بنفي القسم المشير الى عدم الحاجة
اليه لكثرة الكفار وقوة شوكتهم فلا اي فتسبب عن خلقنا لهم من ذلك المبتدأ على انا نقدر على كل شيء نريده وانه لا يعجزنا
شيء اي لا اقسم ولفتنا القول الى افراد الضمير معرى عن مظهر العظمة لئلا يتعنت متعنت في امر الوحدانية برب اي سيد
ومبدع ومدبر المشارق اي مشارق الشمس والقمر والكواكب السيارة كل يوم في موضع منها على المنهاج الذي دبره والقانون
القويم الذي اتقنه وسخره ستة اشهر صاعدة وستة هابطة والمغارب كذلك وهي التي نشأ عنها الليل والنهار والفصول
الاربعة فكان بها صلاح العالم بمعرفة الحساب واصلاح المآكل والمشارب وغير ذلك من المآرب فيوجد كل من الملوين
بعد ان لم يكن والنبات من النجم والشجر كذلك اعادة مستمرة دالة على انه قادر على الايجاد والاعدام لكل ما يريده
كما يريد من غير كلفة ولما كان المعنى لا اقسم بذلك وان كان عظيما لان الامر في وضوحه لا يحتاج الى قسم كما لو قال
خصم لخصمه احلف فيقول الامر اغنى عن حلفي ولا يحتاج الى اليمين من لا بينة له ثم يأتي من البينات بما لا يكون معه شبهة وكان
في تفضيل انفسهم مع الاعتراف لله بالقدرة كالمنكر من القدرة على قلب الشيء الامر اكد قوله عائدا الى مظهر العظمة بعد دفع
اللبس بما هو في وضوحه اجلى من الشمس انا اي بما لنا من العظمة لقادرون بانواع التاكيد بالاداة والاسمية والالتفات
الى مظهر العظمة في كل من الاسم والخبر فكان في اخبار بعيد الاقسام مع التاكيد اشارة الى اعلى مراتب التاكيد على ان نبدل اي
تبديلا عظيما بما لنا من الجلالة عوضا عنهم خيرا منهم اي بالخلق وتحويل الوصف ليكونوا اشد بسطة في الدنيا واكثر اموالا
واولادا واعلى قدرا واكثر حشما وجاها وخدما فيكونون عندك خلفا على قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك
والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزء والتصفيق والصفير وكل ما يضيق به صدرك وقد فعل
ذلك سبحانه بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان بالسعة في الرزق باخذ اموال الجبارين من كسرى وقيصر
والتمكين في الارض حتى كانوا ملوك الدنيا والعمل بما يوجب لهم ملك الاخرة فرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبذلوا في مرضاته الانفس والاموال ولما كان الانسان قد يفعل شيئا ثم يعقل عليه اخبر انه سبحانه على غير ذلك فقال
وما واكد الامر بالاسمية الكائنة في مظهر العظمة فقال نحن واعرق في النفي فقال بمسبوقين اي من سابق ما يغلبك
فقد بدا للمخالفين وتسلية للموالين فذرهم اي اتركهم على اسوا احوالهم يخوضوا اي يفعلوا في مقالهم وفعالهم الذي
لا شيء منه على اتقان بل هو كفعل الخائض في الماء الذي لا يضع رجله في موضع يعلم انه يرضيه فهو بصدد ان يعثر او يغرق
ويلعبوا اي يفعلوا فعل اللاعب الذي لا فائدة لفعله الا اضاعة الزمان والتعطل لما هم من عظيم الشأن ولما كان
ما توعد الله من احوال الاخرة لا بد منه وتوعده كانه قادم على الانسان والانسان ساع بجهده اليه فلذلك عبر بالملاقاة
فقال حتى يلاقوا ولما كان ما يقع للكفار منه اعظم كان ذلك اليوم كانه خاص بهم فقال يومهم الذي ولما كان
الوعيد وهو ما كان من الخبر مخوفا للمتوعد صادعا للقلوب اذا كان من القادر من غير حاجة الى ذكر المتوعد بني للمفعول
قوله يوعدون وهو يوم كشف الغطاء الذي وتخليته عندنا الغرغرة ونهايته النفخة الثانية الى دخول كل من الفريقين
في داره ومحل استقراره والآية منسوخة بآية السيف ولما كان ما بعد النفخة الثانية اعظمه واهوله ابدل
منه قوله يوم يخرجون اي هؤلاء الذين يسألون عنه سؤال استهزاء ويستبعدونه وقراءة ابي بكر عن عاصم بالبناء للمفعول
على طريقة كلام القادرين يدل على انه مما هو في غاية السهولة من الاجداث اي القبور الذي صاروا بتغيبهم فيها تحت
وقع الحافر والخف فهم بحيث لا يدفعون شيئا يفعل بهم بل لحمهم كلحم ما ضحى فان الجدث لغة في الجدف الجدثة صوت
الحافر والخف ومضغ اللحم سراعا اي يخرجون للداعي ولما كانت في عادة الانسان الاسراع الى ما يقصد من
الاعلام المنصوبة وعادتهم هم بالخصوص المبادرة الى الانصاب التي يعبدونها على ما هي عليه من الخساسة خفة
منهم في العلوم وطيشا في الحلوم قال كانهم الى نصب اي علم منصوب مصدر بمعنى المفعول كما تقول هذا نصب عيني
وضرب الامير هذا على قراءة الجماعة بالفتح وعلى قراءة ابن عامر وحفص بالضم الى علم او شيء لعبك ونه من دون الله على ما فيه من
الداء الفاتل والبلاء او حجر يدعون عليه قال في الجمع بين العباب والمحكم النصب والنصب والنصب الداء والبلاء
والنصب كل ما نصب فجعل علما والنصب والنصب المنصوب والنصب والنصب كل ما عبد من دون الله والجمع انصاب
والانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله وانصاب الحرم حدوده وقال ابو حيان

والنصب ما نصب للانسان فهو يقصد مسرعا اليه من علم او بناء او صنم وغلب في الاصنام حتى قيل الانصاب يوفضون اي يعلمون عجلة من هو ذاهب الى ما يسره حتى كانه نظره اليه كما كانوا يسرعون الى انصابهم كان ابتغاءهم الى الانصاب على حال السرور واخبر ان هذا على خلاف ذلك وان ذكر النصب وتصوير حال الابتدال لبيان ما كان لا هكذا بهم فقال خاشعة اي منكسرة متواضعة لما بها من الذل والحقها علامة التانيث زيادة في هذا المعنى ومبالغة فيه ابصارهم ولما كان خشوعها دائما عبر بالاسم وكان ذلهم يتزايد في كل لحظة عبر بالفعل المضارع المفيد للتجدد والاستمرار فقال ترهقهم اي تغشاهم فتعمهم وتحمل عليهم فتكلفهم كل عسر وضيق على وجه الانواع اليهم ذلة ضد ما كانوا عليه في الدنيا لان من تعزز في الدنيا على الحق ذل في الاخرة ومن ذل للحق في الدنيا عز في الاخرة ولما صور ذلك بهذه الصورة اشار الى ان هذا ما تنكره العقول من وصفه وانه اعظم من ذلك فقال ذلك اي الامر الذي هو في غاية ما يكون من علو الرتبة في العظمة اليوم الذي كانوا اي في حال الدنيا على غاية ما يكون من المكنة في الوعيد ولما كان الوعيد لا يحقق الا اذا كان من القادر واذا كان كذلك كان مخيفا موجعا من غير ذكر من صدر عنه بني للمفعول قوله يوعدون اي يجدد لهم الايعاد به في الدنيا في كل وقت لعلم يتعظون به فلو بهم يرجعون عما هم فيه من الجروات وهذا هو زمان العذاب الذي سالوا عنه اول السورة فقد رجع كما ترى اخرها على اولها اي رجوع وانضم بعضها الى موصلها انضمام المفرد الى المجموع. والله الهادي

سورة نوح عليه السلام مقصودها

الدلالة على القدرة على ما انذر به اخر سال من اهلاك المنذرين وتبديل خير منهم ومن العقدة على ايجاد يوم العقبة الذي طال انذارهم به وهم عنه معرضون وبه مكذبون وتسميتها بنوح عليه السلام ادل ما فيها على ذلك فان امره في اهلاك قومه بسبب تكذيبه في ذلك مشهور ومقصود من غيرها موضح ومذكور وتقرير امر البعث في قصته في هذه السورة مقرر ومسطور

بسم الله الذي له الكمال كله من الجلال والاكرام الرحمن الذي عم بما افاضه من ظاهر الانعام الرحيم الذي خص اولياءه بلزوم الطاعة في الابتداء واتمام النعمة في الختام ولما ختم سال بالانذار للكفار وكانوا اعبادا اوثان بعذاب الدنيا والاخرة ابتعها اعظم عذاب كان في الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام مع المساواة وكان قومه عباد اوثان وكانوا يستهزؤن به وكانوا اشد تمردا من قريش واجلف واقوى واكثر فلم ينفعهم شيء من ذلك عند بروك النقمة عليهم وان اتيان العذاب لهم وابتداها بالانذار تحويفا من عواقب التكذيب به فقال مؤكدا لاجل انكارهم ان يكون الرسول بشرا او لتنزيلهم منزلة المنكرين حيث فوا برسالته وطعنوا في رسالة عم مع المساواة في البشرية انا اي بما لنا من العظمة البالغة ارسلنا نوحا وهو اول رسول الى نعف اخلاف ولاد ادم عليه السلام بعد دين ابيهم الا قوم الى قومه اي الذين كانوا في غاية القوة على القيام بما يحاولونه وهم بصدد ان يحبوه ويكرموه لما بينهم من القرب بالنسب واللسان وكانوا جميع اهل الارض من الادميين ولما كان لما مضى المرسل والرسول والمرسل اليهم وكان الارسال متضمنا معنى القول احذ في تفسيره بيانا للمرسل به فقال ان انذر اي حذر تحذيرا عظيما قومك الاستمرار على الكفر ولما كان المقصود اعلامهم بذلك في بعض الاوقات لان الانسان لا بد له من اوقات يشغل بنفسه من نوم واكل وغير ذلك اي بالجار تخفيفا عليه ورفقا به فقال من قبل ان ياتيهم اي على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة عذاب اليم وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر في قوله واصبر صبرا جميلا وحليل الاغضاء في قوله فذرهم يخوضوا ويلعبوا اتبع ذلك بذكر قصة نوح عليه السلام وتكرر دعائه قومه الى الايمان وخص من خبره حاله في طول مدة التذكار وتكرار الدعاء لانه المقصود في الموضع تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم وليتاسى به في الصبر والرفق في الدعاء كما قيل له صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقد دام دعاء نوح قومه ادوم من عدد بك ومع ذلك فلم يزدهم الا فرارا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم مضت اي السورة على هذا المنهج من تجديد الاخبار بطول مكابدته عليه السلام وتكرر دعائه فلم يزدهم ذلك الا بعدا ونصميما على كفرهم حتى اخذهم الله واجاب فيهم دعاء نبيه نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وذلك لياسه من فلاحهم واخر في هذا احض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الصبر على قومه والتحمل منهم كما صرح به في قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وكما قيل له قبل فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك انتهى ولما اخبر عن رسالته ومضمونها بما اعلم ان السياق كان غالبا عليهم استانف قوله بيانا لامتثاله قال اي نوح عليه السلام يا قوم

فاستعطفهم بتذكيرهم انه احدهم يهمه ما يهمهم ولما كان من طبع البشر انكار ما لم يعلم الا من عصم الله فجعله منقادا لله بالغيب اكد قوله اني لكم نذير اي مبالغ في النذارة مبين اي امري بين في نفسه بحيث انه صار من شدة وضوحه كانه مظهر لما يتضمنه منادي بذلك للقريب والبعيد والفطن والغبي ولما كان ترك ما انذرهم به لسببه من الكفر لا ينفعهم الا ان امنوا وكان الايمان مخلصا من عواقب الانذار لانه لا يصح الايمان الا بترك جميع انواع الكفر فسر الانذار بقوله ان اعبدوا الله اي الملك الاعظم الذي له جميع الكمال وذلك بان تخلصوا التوجه اليه فان عناه يمنع من ان تقبل عبادة فيها شرك وهذا هو الايمان الواقي من كل سوء واتقوه اي اجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن كل ما يكرهه فلا تتحركوا حركة ولا تسكنوا سكنة وهذا هو العمل الواقي من كل سوء ولما كان لا سبيل الى معرفة ما يرضي الملك ليلزم وما يسخطه ليترك الا منه ولا وصول الى ذلك الا من خاصته ولا خاصة في مثل رسوله الذي استمنه على سره قال واطيعون اي لاعرفكم ما تقصر عنه عقولكم من صفات معبودكم ودينكم ودنياكم ومعادكم وادلكم على اجلاب لذاذ يهديكم واجتناب شبه تردكم في طاعتي فلا حكم يرضي الملك عنكم وهذا هو الاسلام فقد جمع هذا الدعاء الايمان والاسلام والعمل فهي الاسافي التي تدور عليها اسباب الفلاح ولما كان الانسان محل النقصان فلا ينفك عن ذنب فلا يسعد الا فيما الكرم اشار الى ذلك مرغبا منعطفا لهم لئلا ييأسوا فيهلكوا بقوله جوابا للامر يغفر لكم اي كرما منه ولما كان من الذنوب ما لا يحتم غفرانه وهو ما بعد الاسلام قال من ذنوبكم اي ما تقدم الايمان من الشرك والعصيان وما تاخر عن الايمان من الصغائر التي تفضل الله بالوعد بتكفيرها باجتناب الكبائر هذا بما اوجبه سبحانه على نفسه المقدس بالوعد الذي لا يبدل واما غير ما عدا الشرك فالى مشيئته سبحانه ولما كان الانسان لما يغلب عليه من النسيان والاستعجال بالامال يعرض عن الموت اعراض الشاك فيه بل المكذب ذكرهم ترهيبا لطفا بهم ليستحضروا انهم في القبضة فيرجعوا عما يغضبه سبحانه الاهلاك في كل حين ويؤخركم اي تاخيرا ينفعكم واعلم ان الامور كلها قد قدرت وفرغ من ضبطها لاحاطة العلم والقدرة فلا يزاد فيها ولا ينقص ليعلم ان الارسال انما هو مظهر لما في الكيان ولا يظن انه قابل للاعيان بتغير ما سبق به القضاء من الطاعة والعصيان فقال الى اجل مسمى اي قد سماه الله وعلمه قبل ايجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه فيكون موتكم على العادة متفرقا والا اخذكم جميعا بعذاب الاستئصال وهذا من علم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك انه علم انهم ان اطاعوا نوحا عليه السلام كان موتهم على العادة والا اهلكوا اهلاك النفس وعلم انهم لا يطيعونه وان موتهم انما يكون بعذاب الاستئصال ولما كان الانسان مجبولا على الاطماع الفارغة فكان ربما قال للتعنت وغيره لم لا يخلدنا فالقطماع عن ذلك مؤكدا لاقتضاء المقام له ان اجل الله اي الذي له الكمال كله ولا راد لامره اذا جاء لا يؤخر واما ما قبل مجيئه فربما ينفع الدعاء والطاعات والبر في البركة فيه بمنع الشواغل والطاقة الحياة فبادروا مجي الاجل بالايمان لانه اذا جاء لم يمكنكم التدارك ولا ينفعكم بعد العيان الايمان. ولما كان من يعلم هذا ايقنا ويعلم انه اذا كشف له الغطاء عند الغرغرة احب ان يؤخر ليتوب بحين لا تاخير احسن العمل خوفا من فوات وقته وتحتم معتنه نبه على ذلك بقوله لو كنتم تعلمون اي لو كان العلم او تجدده وقتا ما في غرائزكم لعلمتم بتنبيه رسولكم صلى الله عليه وسلم ان الله يفعل ما يشاء وان الاجل ات لا محالة فعملتم للنجاة ولكنكم تعملون بالانهماك في الشهوات عمل الشاك في الموت ولما كان صلى الله عليه وسلم اطول الانبياء عمرا وكان قد طال نصحه لهم وبلاده بهم نبه على ذلك بقوله مستانفا قال منادبا لمن ارسله لانه تحقق ان الاقرب منه عنده واسقط اداة النداء كما هي عادة اهل القرب فقال رب ولما كانت العادة جارية بان المنكر لا يبادر ان يؤثر ولو قليلا الا وكانت مخالفتهم لذلك مما هو اهل لان الشك فيه قال مؤكدا اطهارا للتحسر وحرقته عليه السلام منهم في تماديهم في اصرارهم على التكذيب شكاية لحاله الى الله تعالى واستنصارا به واستمطارا للتنفيس على ما يفعل بعد بذله الجهد وتنبيها لمن يقص عليهم هذا وان كان المخاطب سبحانه عالما بالسر واخفى اني دعوت اي اوقعت الدعاء الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة قومي اي الذين هم جديرون باجابتي لمعرفتهم ونسبهم مني وفيهم قوة المحاولة لما يريدون ولما كان تدرج الاوقات بالدعاء قال ليلا ونهارا فعم بتماديه المداومة ولما تسبب عن ذلك ضد المراد قال فلم يزدهم دعاي اي شيئا من احوالهم التي كانوا عليها الا فرارا اي بعدا عنك ونفورا واعراضا كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة واسند الزيادة الى الدعاء لانه سببها ولما كان الفرار رجحانا عن دعاء عطف عليه ما استبه فقال مؤكدا لان اعراضهم مع هذا الدعاء الطويل مما لا يكاد يصدق واني كلما اي على تكرار الاوقات وتعاقب الساعات دعوتهم اي الى الافبال عليك بالايمان والاخلاص لك ولما كان اعراضهم عما ينفعهم اقبح ذكر ما تسبب عن الاجابة بالايمان فقال لتغفر لهم اي ليؤمنوا فتمحوا ما فرطوا فيه في حقك فافرطوا الاجابة في التجاوز في الحدود ومحو اثار الغا

ولا سقى لشئ من ذلك عيناً ولا اثراً حتى لا نعاقهم عليه ولا تعابهم جعلوا اى كل واحد ودل على مبالغتهم في التصامم بالتعبير بالكل عن البعض فقال
اصابعهم كراهة له واحتقاراً للداعى في اذانهم حقيقة لئلا يسمعوا الدعاء اشارة الى انا لا نريد ان نسمع ذلك مثل فان ابيتا الا الدعا فانا
لا نسمع لشدة اسماعنا عناداً ودلوا على الافراط في كراهة الدعاء بما رجع عنه قوله واستغشوا ثيابهم اى اوجدوا التغطية لرؤسهم
بثيابهم ايجاد من هو طالب لذلك شديد الرغبة فيه حتى يجمعوا امليو ما فيمتنع السماع لكلامه والنظر اليه اظهاراً
لكراهته وكراهة كلامه وهكذا حال النصحاء مع من ينصحونه دائماً واصروا اى داموا على سوء اعمالهم وادامى غاية
الاقبال عليه من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يطردها ويكدمها استعير للاقبال على المعاصي وملازمتها
لانه يكون بغاية الرغبة كان فاعله حمار وحش قد ثارت شهوته واستكبروا اى اوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه واكد
ذلك بقوله استكباراً تنبيهاً على ان فعلهم مناف للحكمة فكان مما ينبغي ان لا يفعلوه فهو مما لا يكاد يقصد ولذلك وقد
نادت هذه الايات بالتصريح في غير موضع بانهم عصوا نوحاً عليه الصلاة والسلام وخالفوه مخالفة لا اقبح منها
ظاهراً بتعطيل الاسماع والابصار وباطناً بالاصرار والاستكبار ولم يوافقوه بقول ولا فعل فلعنة الله عليهم
وعلى من يقول انهم وافقوه بالفعل لانه دعاهم للمغفرة وقد غطوا وجوههم والتغطية هي الغفر ونحو ذلك من الخرافات
التي لو سمعها اسخف عباد الحجارة التي لا اسخف منهم لهزأ وانف ابي قبولها وما قال هذا القائل ذلك الا تحريفاً لكتاب الله
نحو تحريف الباطنية الذين جمعت الامة على تكفيرهم لذلك التحريف ولعنة الله على من يشك في كفر من يحرف هذا التحريف
او يتوقف في لعنه وهم الاتحادية الذين مرقوا من الدين في اخر الزمان ومن اكابرهم الحلاج وابن العربي
وابن الفارض وتبعهم على مثل هذا الهذيان اسخف الناس عقولاً ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلاً ولقد
اخبرني الامام العلامة برهان الدين ابرهيم بن ابي شريف المقدسي الشافعي [illegible] عن بعض من تعصب
لهم في هذا الزمان وهو من اعيان المدرسين بالقاهرة انه قال له ما حملني على اعتقادي لابن الفارض الا اني رايت
كلام التائية له متناقضاً فتارة يعبر منها بالحلول وتارة بالاتحاد وهو عندي يحاشى عن ذلك فعلمت ان لهؤلاء
القوم اصطلاحاً استبهنا منه لنسبة البنائين اذا سمعوا النحوي يقول الفاعل مرفوع فانهم يضحكون منه ولو فهموا
اصطلاحه لم يعترض هكذا معنى ما نقل لي عنه وهو لا يرضاه ذو مسكة وهو شبيه بما نقل المسعودي في اول مروج
الذهب عن بعض من الهمه العقل علم من النصارى في زمن احمد بن طولون فاختبره فوجده في العلم كما وصف فساله عن
سبب ثباته على النصرانية مع علمه فقال لسبب تناقضها مع انه دان بها ملوك متكبرون وعلماء متبحرون وزهاد
عن الدنيا معرضون ومدبرون فعلمت انه ما جمع هذه الاصناف على التدين بها مع تناقضها الا امر عظيم اضطرهم
لذلك ودنت بها فقال اذهب في لعنة الله فلقد ضيعت كل عقل وصفت به ولقد صدق والله في الامر العظيم
الذي حملهم على ذلك وهو القضاء والقدر الذي حمل كل احد منهم على القائه نفسه في نار جهنم باختياره مع غنته
في ذلك ومعاندته من يصده عن ذلك وذلك ادل دليل على تمام علم الله وقدرته وانه واحد لا شريك له ولا
معقب لحكمه وفي هذا تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع
وهم اهل الكتاب وقد اشبعت القول في هذا في كتابي [illegible] لتكفير ابن الفارض الذي بينت فيه عوارهم واظهرت
عارهم وكذا كتابي صواب الجواب للسائل المرتاب وبدهيه المعارض في تكفير ابن الفارض ولم ابق على ذلك شيئاً
من لبس ولله الحمد [ولما] ذكر دعاه في جميع الاوقات مع اعراضهم وكان هذا موئساً وموجباً للاقلاع عن الدعاء
وان وجد الدعاء بعده فهو في غاية البعد نبه على اعادته مع الاستغراق به لجميع الحالات كما استغرق جميع
الاوقات معبراً باداة التراخي الدالة على تباعد الاحوال فقال ثم واكد لنحو ما مضى من ان مجرد اقباله على
دعائهم بعد ذلك لا يكاد يصدق فضلاً عن الاكثار منه فقال اني دعوتهم اى الى الايمان ومنابذة الشيطان ولما
كان الجهر احد نوعي الدعاء نصبه به نصب المصدر فقال جهاراً اى مكاشفة مع مخافة الصوت والتعميم لجماعتهم جليلهم
وحقيرهم والاحلام في ذلك والمداومة له حتى كاد يصرح لكل من سلك التحديق الجهر والاقبال عليهم من غير
احتجاب عنهم ولا ارتقاب لجماعته وكررت ذلك عليهم حتى اخرجت ما عندهم من الجواب ولم اكف عنه سنة
اذانهم واستغشائهم ثيابهم [ولما] كان الجهر قد لا يشيع ويبشر في جماعاتهم قال مشيراً الى انه اذاع ذلك
واكد الاشارة الى ما فيه من الشدة فقال ثم اني اعلنت اى اظهرت واشعت وشهرت ليعلموا انه الحق من جهد
لكوني لست مستحيياً منه ولا مستخفياً له لهم اى خصصتهم بذلك لم يكن فيه حفظ نفس لي بوجه فاني كررت ذلك
عليهم بعد ان اسقط الوجوب عني ولما قدم الجهر لانه اقرب الى عدم الايهام وكان السر احدث بمعرفة
الضمائر واقرب الى الاستماع له اتبعه به فقال واسررت لهم اى دعوت كل واحد منهم على انفراده لتكون ادعى

له واحد يقبوله النصيحة وادل على الاخلاص وكل ذلك مما فعلته الا لاجل نصيحتهم لا لحظ لي انا في ذلك [ولما] كان يحس
الانسان ليكون وحده ليس عنده احد ولا هو مشتغل بصارف مما يعسر جداً فلا يكاد يتصور اكده فقال اسراراً وليدل بتاكيده
على تاكيد ما قبله من الافعال والظاهر من حاله ومن هذا الترتيب مما صرح به من الاجتهاد انه سار على مقتضى الحكمة فدعا اولاً اقرب
الناس اليه واشدهم به الفاً ثم الى من بعدهم حتى عمهم الدعاء وكانت هذه الدعوة سراً كل واحد منهم على حدته ليعلموا نصحه ولا
يحمل احداً منهم ذلك على تبكيت ولا تقريع فلا يكون في دعائه ما يكون سبباً لانفة احد منهم فلما اطبقوا على الاعراض جهر ليعلموا انه
ملجأ من الله الى ذلك وانها عزمة ان قصروا فيها عن الاجابة دعوه فلما اصروا جمع بين السر والعلن فلما تمادوا وطال الاذى
نكا وعلى هذا فثم لبعد الترتيب في الزمان ويمكن كونها للترتيب لان الجهر ابعد من الاسرار ثم الاعلان فوقه اريد بعداً
[ولما] اخبر بانه بالغ في الدعوة الى حد لا مزيد عليه فلم يدع من الاوقات ولا من الاحوال شيئاً سبب عنه بيان ما
في دعوته وهو التسبب في السعادة كلها بدفع المضار وجلب المسار فقال لعقد ما طلب الغفران بالتوبة عن الكفر
لطهروا فيكونوا قابلين للتحلية بالمحاسن الدينية بعد التخلية من الاخلاق الدنية فقلت اى في دعائي لهم استغفروا ربكم
اى اطلبوا من المحسن اليكم المبدع لكم المدبر لاموركم ان يمحو ذنوبكم اعيانها وآثارها بالرجوع عن عبادة غيره الى الاخلاص
من عبادته [ولما] ذكر انه استعطفهم اولاً بياناً ان رجوعهم ممكن لئلا يقولوا انا قد بالغنا في المعاصي فلا نتقبل
واعلمهم ان الاستغفار باب الدخول الى الطاعة الجابرة اكد ذلك في الاستعطاف بقوله معللاً للامر والجواب بنحو يغفر لكم
مؤكداً لاجل توقفهم انه كان اى ازلاً وابداً ودائماً مستمراً غفاراً اى متصفاً بصفات الستر على من يرجع اليه على ابلغ الوجوه
وادلها واداوم الغفران دفع المضار كلها [ولما] فرغ من امر التوبة وبين قبولها وقدمه اهتماماً به لانه اصل ما يبنى عليه
ولان التحلي قبل التخلي ودرء المفاسد قبل جلب المصالح والفوائد رغب فيها بما يكون من الزيادة في الاحسان على اصل القبول
وبشاعن الاستغفار من الاثار الكبار من الافضال لجلب المسار بما هو مثال للجنة التي كان سبب الاخراج منها العصيان الاثيم
احب شيء في الارباح الحاضرة والفوائد العاجلة لاسيما بما يبهج النفوس ويشرح الصدور ولاذهابه البؤس فقال مجيباً
لفعل الامر يرسل السماء اى المظلة الخضراء او السحاب والمطر عليكم اى بالمطر وانواع البركات مدراراً اى حال كونها كثيرة
الدرور متكررته ومعنا البناء يستوي فيه المذكر والمؤنث ويمددكم اظهر لان الموضع لارادة المبالغة والبسط
والسعة باموال وبنين وذلك نعمهم من ان اكثر الاستغفار حماه الله ما يشره وحماه مما يضره ويجعل لكم اى في الدارين
جنات اى بساتين عظيمة واعاد العامل للتاكيد والبسط لان المقام له فقال ويجعل لكم انهاراً تخصكم بذلك عمن لم يفعل
ذلك فان من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً . روي ان عمر رضي الله عنه استسقى فلم يزد
على الاستغفار فلما نزل قيل يا امير المؤمنين ما رايناك استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي بها يستنزل
القطر ثم قرا هذه الاية . وقال القشيري من وقعت له الى الله حاجة فلن يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار وقال
ان عمل قوم نوح كان بعكس ذلك كلما ازداد نوح في الضمان ووجوه الخير والاحسان ازدادوا في الكفر والنسيان
[ولما] كان من رجا ملكاً عمل بما يرضيه ومن خاف تجنب ما يسخطه نبههم على ذلك بالاشارة الى الجلال الموجب للتوقير
والجمال بالاحسان الى الخلق مصرحاً لهم بالترغيب ملوحاً الى الترهيب فقال مستانفاً في جواب من يقول لهم هل بقي شيء من
ذلك ما اى اي شيء يحصل لكم حال كونكم لا ترجون اى يكون في وقت من الاوقات على حال تؤملون بها من فاعل الوقار ومبدعه
تعظيمه فانه لو اخره لكان لو قاراً فقال لله الملك الذي له الامر كله وقاراً اى ثواباً يوقركم فيه ولو قيل فان علله اكثر من
عبره تعظيمه فانه لو اخره لكان ولا تخافون له اهانة بالعقاب بان تعلموا انه لابد ان يحاسبكم بعد البعث فيثيب
الطائع ويعاقب العاصي كما هي عادة كل احد مع من تحت يده فتوقروا رسله تتصل نعمهم فتؤمنوا وتعملوا فان من اراد
من احد ان يوقره وقره وعظم الجارية على ذلك فان الجزاء من جنس العمل وذلك انما يكون بمعرفة الله بما له من الجلال
والجمال والخلق انما تفاضلوا بالمعرفة بالله لا بالاعمال لما سبق ابو بكر رضي الله عنه الناس بشيء وقر في صدره فان بالمعرفة
تزكو الاعمال وتصلح الاقوال وانما يصح تعظيمه سبحانه بان لا يرى لك عليه حقاً ولا تنازع له اختياراً وتعظم امره ونهيه
بعدم المعارضة بترخص جاف او تشديد غال وحمل على توهين لا انقياد وتعظيم حكمه بان لا يبتغى له عوجاً ولا يدافع
بعلم ولا يبتغى له عرضاً وعلة ولاجل ان المطلوب تحصيل الاعمال التي هي من اسباب ظاهرة عبر بالرجاء ليسرهم بان
اعمالهم موثرة وعبر بالطمع في غير هذه الاية تنبيهاً على انه لا سبب في الحقيقة الا رحمة الله بجلال دعا الى ذلك
[ولما] كان هذا اشارة الى الاستدلال على البعث بما يعلمونه من انفسهم صرح لعجلهم لوح فقال بناحرف التوقع
لانه يقاربه وقد اى والحال انه قد احسن اليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره فدل ذلك على تمام قدرته
ثم لم يقطع احسانه عنكم فاستحق ان تؤمنوا به لانه هل جزاء الاحسان الا الاحسان ورجاء له دوام احسانه وخوفاً

من قطعه لانه خلقكم اى اوجدكم من العدم مقلبين اطوارا اى تارات عناصر اولا ثم مركبات تغذى الحيوان ثم اخلاطا ثم
نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما واعصابا ودماء ثم خلقا آخر نابتا ما ناطقا ذكرانا واناثا طوالا وقصارا بيضا وسودا
وبين ذلك الى غير ذلك من الامور الدالة على قدرته على كل ما يريد ومن قدر على هذا ابتداء كان على الاعادة اعظم قدرة وقد
ثبت حكمته وانه لم يخلق الخلق سدى بما بان من هذا التطور على هذه الهيئات المعجبة التى لا قدرة لغيره عليها بوجه
وهم يتمارحون فى هذه الدار تمارح الحمر ويموت المظلوم على حاله والظالم ببلوغ آماله فلا بد ان يعيدهم ليفصل
بينهم مقتضى حكمته وعدله واكرامه وفضله ولو ترك ذلك لكان نقصا فى ملكه ومن قدر على ذلك كان قادرا على الجزاء
بالثواب والعقاب فهو اهل لان يخشى ويرجى ولما كان هذا واضحا لكنهم قوم لد لا يرسم الا الشمس المنيرة
فى وقت الظهيرة ذكرهم بعد التذكير بما فى انفسهم بما هو اكبر من ذلك من ايات الافاق وقسمها الى علوى وسفلى وبدا
بالانفس لانها مع شرفها اقرب منظور اليه لهم وثنى بالعلوى لانه يليها فى الشرف ووضوح الايات فقال دالا على
القدرة على البعث والجزاء بالثواب والعقاب الم تروا اى ايها القوم ولما كان تامل الكيفيات يحتاج الى
دقة ويوقف على عجائب ولطائف يؤذن قطعا بان فاعلها لا يعجزه شيء قال منكرا عليهم عدم التامل كيف خلق الله اى
الذى له العلم التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة سبع سموات هى فى غاية العلو والسعة والاحكام
والزينة ليعرف كونها سبعا بما فيها من الزينة ولما كانت المطابقة بين المتقابلات فى غاية الصعوبة لا يكاد
يقدر عليها من جميع الوجوه احد قال طباقا اى متطابقا بعضها فوق بعض كل واحدة فى التى تليها محيطة بما تحتها
من فروج لا يكون تمام المطابقة الا كذلك بالاحاطة من كل جانب ولما كان المحيط لا يتوصل الى داخله الا بخط
العلم والقدرة قال دالا على كمال تصرفه معبرا بالجعل الذى يكون عن تصيير وتسبيب وجعل القمر اى الذى يرونه
وهو فى السماء الدنيا وبدا به لقربه وسرعة حركته وقطعه جميع البروج فى كل شهر مرة وغيبته فى ليالى السرار ثم
ظهوره وذلك اعجب فى القدرة ولما كانت السماء سقافات قال فيهن اى السموات جميعهن نورا اى لامعا منتشرا
كاشفا للمرئيات لاحد وجهيه يضيء لاهل الارض والثانى لاهل السموات ولما كان نوره مستفادا من نور الشمس قال
وجعل معظما لها باعادة العامل الشمس اى فى السماء الرابعة سراجا اى نورا عظيما كاشفا لظلمة الليل عن وجه الارض
وهى فى السماء الرابعة وروى ابن مردويه وعبد الرزاق والطبرى عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهم ان الشمس
والقمر وجوههما مما يلى السماء واقفيتهما الى الارض وروى الحاكم منه ذكر القمر وجعلهما سبحانه اية على رؤيته
عباده المحسنين له فى الجنة فانه يرى كل احد كلا منهما كانه مخليا وكذلك يرونه سبحانه عيانا جهارا كما رآه فى
الدنيا بالايمان نظرا واعتبارا ولما دل على كمال علمه وتمام قدرته بخلق الانسان ثم بخلق ما هو اكبر منه
اعاد الدلالة بخلق الانسان لانه اعظم المحدثات وادلها على الله على وجه اخر مبين لبعض ما اشار الاول من التفصيل
مصرح بالبعث فقال مستعيرا الانبات للانسان والله اى الملك الاعظم الذى له الامر كله انبتكم اى بخلق ابيكم ادم عليه
السلام من الارض اى كما ينبت الزرع عبر بذلك تذكيرا لنا بما كان من خلق ابينا ادم عليه السلام لانه ادل على الحدوث
والتكون من الارض واشار الى انه جعل غذاءنا من الارض التى خلقنا منها وبذلك الغذاء نمونا ولما كان الكلام
للبعث كانه انكار للابتداء اكده بالمصدر واجراه على غير فعله بتجريده من الزيادة اشارة الى هوانه عليه
سبحانه وسهولته مع انه ابداع وانشاء واختراع فقال نباتا ومع ذلك فالاية صالحة للاحتباك ذكر انبت
اولا دالا على حذف مصدره ثانيا وذكر النبات ثانيا دالا على حذف فعله اولا ليكون المعنى انبتكم انباتا
فنبتم نباتا ولما كان فى الموت ايضا دليل على تمام العلم والقدرة غير انه ليس كدلالة الابتداء بالابداع
وكان مسلما ليس فيه نزاع ذكره من غير تاكيد بالمصدر فقال دالا على البعث والنشور ثم يعيدكم على التدريج فيها
اى الارض بالموت والاقبار وان طالت الاجال ويخرجكم اى منها بالاعادة واكد بالمصدر الجارى على الفعل
اشارة الى شدة العناية به وتحتمه ووقوعه لا محالة ولانكارهم فقال اخراجا اى غريبا ليس هو كما تعلمون بل يكونون فيه
فى غاية ما يكون من الحياة الباقية بلا نسل ارواحكم بها اجسامكم ملابسة لا انفكاك لها بعدها لاحدهما عن الاخر
ولما كان الثابت من الشيء لا يتصرف فى ذلك الشيء دل على كمال قدرته بخرق تلك العادة لهم على وجه
الانعام عليهم فقال مظهرا الاسم الشريف من غير اضمار تعظيما للادلة ولئلا يتقيد لقدرته بما يعتبر به الاسم
دالا بالعالم السفلى بعد الارشاد بالعلوى واخر السفلى لان اياته على ظهوره خفيت لكثرة الالف لها والله اى
المستجمع لجميع الجلال والاكرام جعل لكم اى نعمة عليكم اهتماما بامركم الارض بساطا اى تتمكنون عليها من التصرف فيها
والتقلب عليها بسهولة التصرف فى البساط ثم علل ذلك فقال لتسلكوا اى متخذين منها اى الارض مجددين ذلك

سبلا اى طرقا واضحة بكثرة فجاجا اى ذوات اتساع لتتوصلوا الى البلاد الشاسعة برا وبحرا فيعم الانتفاع بجميع البقاع فالذى
قدر على خلق ابائكم واقدركم على التصرف فى اصلكم مع ضعفكم قادر على اخراجكم من احشائكم التى هى اطوع امره ومحل عظمته وقهره ولما
كانوا قد جادلوه عليه السلام بعد هذا البيان الذى لا شك فى دلالته على المراد من حقق بصفة الايقان فاكثروا الجدال ونسبوه الى
الضلال وعصوه اقبح العصيان وقابلوه باشنع الاقوال والافعال طوى ذلك مشيرا اليه بقوله مستانفا قال نوح اى بعد
رفقه بهم ولينه لهم شاكيا منهم رب اى ايها المحسن الى المدبر المتولى لجميع امرى ولما كان الضعفاء اكثر الناس بحيث اذا اجمعوا
دل رؤس الاغويا بالاموال والاولاد كانوا كانهم الكل فقال مؤكدا لان عصيانهم له بعد ذلك مما يبعد وقوعه انهم اى قومى الذين
دعوتهم اليك مع صبرى عليهم الف سنة الا خمسين عاما عصونى اى فيما امرتهم به ودعوتهم اليه فابوا ان يجيبوا دعوتى وشردوا
عنى اشد شراد وخالفونى اقبح مخالفة واتبعوا اى بغاية جهدهم نظرا الى المظنون العاجل لعدم نزل المحقق عاجلا واجلا من اى روسا
البطرين باموالهم المفتخرين باولادهم وقسرهم بقوله لم يزده اى شيئا من الاشياء ولما كان المال يكون للانسان قبل
الولد وكان ينبغى ان يشكر الله الذى اتاه اياه ليكون له خيرا فى الدارين وكذا الولد قال ماله اى بكثرته وولده كذلك
وهو للجنس فى قراءة التحريك وكذا فى قراءة ابن كثير والبصريين وحمزة والكسائى بالضم والسكون على انه لغة فى المفرد كالحزن
والحزن والرشد والرشد ويكون على هذا جمعا كالاسد والاسد ويكون اختيار ابى عمرو لهذه القراءة فى هذا الحرف وحده
للاشارة بجمع الكثرة المبنى على الضمة التى هى اشد الحركات الى انهم وان زادت كثرتهم وعظمت قوتهم لا يزيدونهم شيئا
الا خسارا بالبعد من الله والعمى عن مجد الطريق فان البسط لهم فى الدنيا بذلك كان سببا لطغيانهم وبطرهم واتباعهم
لاهوائهم حتى كفروا واستخفوا غيرهم فغلبوا عليهم فكانوا سببا فى شقاوتهم وخسارتهم وكان عندهم انها زادة
رفعة فى الشقاق دليل على انهم ما حصلت لهم الوجاهة الا بهما ولما كانت كثرة الرؤساء وقوة اخرى الى قوتهم بمتاع الدنيا
وكان التقدير فامرتهم بالايمان فابوا وامروهم بالكفر فانقادوا له عطف عليه مبينا لكثرتهم بضمير الجمع العائد على من
عاطفا على لم يزده المفرد والضمير للفظ جامعا له للمعنى ليجمع العبارة الحكم على المفرد والجمع فيكون ادل شيء على المراد منهما فقال
ومكروا اى هؤلاء الرؤساء فى تنفير الناس عنى واكد الفعل بالمصدر الدال على قوته فقال كبارا فانه ابلغ من كبار المخفف الابلغ
من كبير فلم يدعوا احدا منهم بذلك المكر بشيء وقالوا اى لهم فى اداء المكر ولما كان دعاء الرسل عليهم السلام جديرا
بالقبول لما له من الجلال والحلاوة والبيان والرونق والظهور فى الفلاح اكدوا قولهم لا تذرن آلهتكم اى لا تتركنها على
حالة من الحالات لا قبيحة ولا حسنة واضافوها اليهم تحبيبا فيها ثم خصوا بالتسمية زيادة فى الحث وتصريحا بالمقصود
فقالوا مكررين للنهى والعامل تاكيدا ولا تذرن ولعلهم كانوا ابوا فعول العرب فى الود وهو الحب الكثير فناسب المقام
بداءتهم بقولهم ودا واعادوا النافى تاكيدا فقالوا ولا سواعا واكدوا هذا التاكيد والمغوا فيه فقالوا ولا يغوث
بلغ التاكيد نهايته وعلم ان المقصد النهى عن كل فرد لا عن المجموع بقيد الجمع اعروا فقالوا ويعوق ونسرا معرى من التاكيد
للعلم بارادته وكان هؤلاء اناسا صالحين فلما ماتوا حزن عليهم الناس فزين لهم ابليس تصويرهم ليتشوقوا الى العمل بطاعتهم
الحسنة بتصورهم فلما تمادى الزمان زين لهم عبادتهم لتحصيل المنافع الدنيوية ببركاتهم ثم تسمى القوم الصالحون وجعلوا
اصناما الهة من دون الله وكانت عبادة هؤلاء اول عبادة الاوثان فارسل الله نوحا عليه السلام للنهى عن ذلك الى ان كان
من امره وامر قومه ما هو معلوم ثم اخرج ابليس هذه الاصنام بعد الطوفان فوصل شرها الى العرب فكان ود لكلب
بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير لال ذى الكلاع وقيل غير ذلك قال البغوى سواع
لهذيل ويغوث لمراد ثم لبنى غطيف بالجوف عند سبا ويعوق لهمدان قال ابو حيان قال ابو عثمان النهدى رايت يغوث
وكان من رصاص يحمل على جمل احرد ولا يهيجونه ويسيرون معه حتى يكون هو الذى يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضى
لكم المنزل فينزلون حوله ويضربون عليه بناءه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب وصول شر تلك الاوثان الى
العرب انها دفنها الطوفان ثم اخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات لثقيف والعزى لسليم
وغطفان وجشم ومناة بقديد لهذيل واساف ونائلة وهبل لاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود ونائلة حيال الركن اليمانى
وكان هبل فى جوف الكعبة وقال الواقدى ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على
صورة فرس ونسر على صورة نسر انتهى ولا يعارض هذا انهم صور لناس صالحين لان تصويرهم لهم يمكن ان يكون منتزعا من
معانيهم فكان ود اكان كاملا فى الرجولية وكانت سواع امراة كاملة فى العبادة وكان يغوث شجاعا ويعوق كان سابقا
قويا وكان نسر عظيما طويل العمر والله اعلم ولما كان ذكر مكرهم وما اظهروا من قولهم عطف عليه ما وقع
السامع من امرهم فقال وقد اضلوا اى الاصنام وعابدوها بتحسين العبادة كثيرا من عبادك الذين خلقتهم على الفطرة
السليمة من اهل زمانهم وممن اتى بعدهم فانهم اول من سن هذه السنة السيئة فعليهم وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة

مكارا فزاد فى تاكيد الصيغة
قال الناظم فى المبالغة فقال

كان التقدير ولا تزد الظالمين الا خسارا عطف عليه قوله مظهرا في موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ولا
تزد الظالمين اي الراسخين في الوصف الموجب لان يكونوا نارا المتصف به كالماشي في الظلام رفيق وقوعا مما يخالفه شيئا من الاشياء التي
يمكن ان يزادوها على الاشياء التي هي فيهم الا ضلالا اي طبعا على قلوبهم حتى لا يهتدوا الى الحق وعن جميع مقاصدهم فلا يكون منها شي على وجه يكون فيه شي
من سداد وكان هذا كان بعدما اعلمه الله سبحانه انه لن يؤمن منهم الا من قد امن والكلام عليه على كل حال كالكلام على دعاء موسى وهرون
عليهما السلام في الشد على قلوب فرعون وملائه لئلا يؤمنوا في حال ينفعهم فيه كما مضى في سورة يونس عليه السلام وقد بالغ ابن عربي
في المروق من الدين فقال في فصوصه ان هذا الدعاء حسن في حقهم وقال ان الضلال اهدى من الهدى وان الضال احسن حالا من المهتدي
لان الضال لا يزال قريبا من القطب المقصود دائرا حاله والمهتدي صاحب طريق مستطيل فهو بعيد عن المقصود فابان عن انه
تعالى لم يخلق خلقا اسفه منه الا من اتبعه عليه ولا اخوه من الضلال الذي لا يرضاه عاقل من عباد الاصنام الذين لا اسفه
منهم ولا عزم فعليه اشد الخزي واللعنه ولما فرغ من امرهم في ضلالهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق
الا اهلاكهم وكان من معلومات الضلال المحق واذهاب العين كما يضل الماء في اللبن قال مبينا اجابته له عائدا الى الجمل
الذي اهلكوا بسببها واكد بما النافيه في الصوره لا الصفه مضمون الكلام لاعتقاد الكفار ان الايجاد والاهلاك
عادة الدهر مما ولما كان الكافر قد احاط ثلاث مرات بكفره في الايمان بالطاغوت وتكذيب ربه وتكذيب رسوله صلى الله عليه
وسلم وكان ذلك كافيا في استحقاقه للاخذ قال خطيئاتهم جامعا له جمع السلامة في قراة الجماعه وافهمت قراة ابي عمرو بجمع التكسير
انهم مع هذه الاصناف الكافية من الاخذ من الذنوب ما يفوت الحصر يوجب تغليظ ذلك الاخذ فهي مشيره الى ان يتبع الاخر
من كل خبث ولما كان الموجع اغراقه لا كونه من معين قال مخبرا عما فعل بهم في الدنيا اغرقوا اي بالطوفان بامر الله المتقول
لذلك وللاعلام بانه في غاية السهولة على الفاعل المختار لو احد لفعل الماء فطاف ماء عليهم جميع الارض السهل والجبل فلم يبق منهم
احد او كذا الكلام فيما تسبب عنه وتعقبه من قوله فادخلوا اي بعد اغراقهم في الاخرة التي ولها البرزخ يعرضون فيه على
النار بكرة وعشيا نارا اي عظيمة جدا اخفها ما يكون من مبادئها في البرزخ قال الشيخ ولي الدين الملوي فقد بدوا في الدنيا
بالغرق وفي الاخرة بالحرق والاياس من الرحمة واي عذاب اشد من ذلك وقال الضحاك في حالة واحدة كانوا يغرقون من
جانب ويحرقون في الماء من جانب بقدرة الله وتمادى لا لاله في قول غير علي عذاب القبر ولما كان قد استندوا الى الهتهم
لتنصرهم من اخذ الله قال مسببا عن هذا الاغراق والادخال مؤيسا من الرحمة ليكون ذلك اشد العذاب فان الانسان كما قال
الملوي اذا كان في العذاب ويرجو الخلاص يهون عليه الامر بخلاف ما اذا ايس من الخلاص معلما بان الهتهم عاجزة فانها
لم تغن عنهم شيئا توبيخا لمن يعتقد مثلها فلم يجدوا وحقق الامر فيهم بقوله لهم اي عندما اناخ الله بهم سطوته واحل
بهم نقمته ولما كانت الرتب كلها دون رتبته تعالى وكان ليس لاحد ان يستغرق جميع ما تحت رتبته سبحانه من المراتب
في كلمتها الجار من دون الله اي الملك الاعظم الذي تتضائل المراتب تحت رتبة عظمته وتذل لعزته وكبريائه سطوته انصارا
تنصرهم وتمنعهم على من اراد بهم ذلك لمنعوه مما فعل بهم او يعتضوا منه لهم بما شهد به شاهد الوجود الذي هو اعدل
الشهود من انه تم ما اراده سبحانه من اغراقهم من غير ان يتخلف منهم احد على كثرتهم وقوتهم لكونهم اعداء اوليائه
نبيه عليه السلام ومن معه رضوان الله عليهم على ضعفهم وقلتهم لم يتفق منهم احد لكونه اولياه فكما انه لم يهلك من
اراد انجاءه احد فلذلك لم يسلم منهم احد ممن قال عن عوج ما يقوله القصاص فهو ضلال اشد ضلال فلعنة الله على من يقول
انه كان عين ناصرهم مع هذه الدلالات التي هي كفر ظاهر لا محيد عنه بوجه وقائل ذلك هو ابن عربي صاحب الفصوص
الذي لم يرد بتصنيفه الا هدم الشريعة المطهره ونظمه ابن الفارض في تائيته فلعنة الله عليه وعلى من تبعه او شك
في كفره او توقف في لعنه بعد ما نصب من الضلال الذي سعر به البلاد واردى كثيرا من العباد ولما اتم الخبر
عن اغراقهم وقدمه للاهتمام بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم في اجابة دعوته تحذيرا للعرب ان يخرجوا رسولهم
صلى الله عليه وسلم فيحوجوه الى مثل ذلك عطف على قول نوح عليه السلام من اوله قوله عندما اخبره تعالى انهم مغرقون
وانه لا يؤمن منهم الا من قد امن بعد ان طال بلاؤه بهم حتى ان كان الرجل ليأتي بابنه اليه فيقول احذر هذا ان يضلك
وان ابي حذرنيه وكانت صيغة العموم ليست نصا في افرادها استنجاز الوعد وقصر بجابر اداه وقال نوح واسقط
الاداة كما هي عادة اهل الحضرة فقال رب لا تذر اي لا تترك بوجه اصلا ولو على ادنى الوجوه على الارض اي كلها من
الكافرين اي الراسخين في الكفر ديارا اي احدا يدور ورمتها وهو من الفاظ العموم التي تستعمل في النفي العام فيعال من
الدوران والدار لا فعال والا لكان دوارا ويجوز وهو اقرب ان يكون هذا الدعاء عند ركوبه السفينه واشد الاغراق
فيهم يريد به العموم كراهية ان يبقى احد منهم على جزوة جبل او نحوه لا اصل الاغراق وان يكون معنى ما قبله الحكم باغراقهم
وحتم القضاء به والشروع فيه ولما كان الرسل عليهم السلام لا يقولون ولا يفعلون الا ما فيه مصلحة الدين على

دعاه بقوله واكد اظهار الجرمه باعتقاد ما انزل عليه من مضمون قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن وان كان ذلك خارجا عن العادة
انك اي رب ان تذرهم اي تتركهم على اي حالة كانت في ابقائهم سالمين على وجه الارض ولو كانت حالة دنية يضلوا عبادك اي الذين امنوا والذين
يولدون على الفطرة السليمة ولما كان ربما كان الانسان ضالا ووجد له ولد ناصح نفى ذلك بقوله ولا يلدوا اي ان قدرت
بتمام الا فاجرا اي مارقا من كل ما ينبغي الاعتصام به واكتفى فيه باصل الفاعل اشارة الى ان من جاوز احدا او شرع في شي يعد من التمادي في
الغي صار ذلك له ديدنا فبالغ فلذلك قال كفارا اي بليغ الستر لما يجب اظهاره من ايات الله لان قوله رب لا تخلف ضلالا الظالمين
ان هذا الكلام لا يقوله الا عن وحي كما في سورة هود عليه السلام من قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فيكون صغارهم
معذبين بما يعلم الله منهم لو بلغوا الا بما عملوه كما قال صلى الله عليه وسلم في اولاد الكفار الله اعلم بما كانوا عاملين ولما دعا على
اعداء الله دعا للاولياء به وبدا بنفسه لانه راس تلك الامة فقال مسقطا على عادة اهل الخصوص رب اي ايها المحسن الي باتباع
من اتبعني وتجنب من يجنبني فان من طبعه على شي لا يحول عنه ولما كان المقام الاعلى اجل من ان يقدره احد حق قدره قال
اغفر لي فانه لا ينبغي وان كنت معصوما الا حلمك وعفوك ورحمتك ولما اظهر بتواضعه عظمة الله ربه لمدعوهم
على الاحق فالاحق فقال ولوالدي وكانا مؤمنين وهما لملك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش قال ابو حيان وقال ابن عباس رضي الله عنهما
لم يكفر لنوح عليه السلام اب فيما بينه وبين ادم عليه السلام واعاد الجار اظهارا للاهتمام فقال ولمن دخل بيتي لان المحرم
بالانسان له حق اكبر ان كان مخلصا في حبه ولذا قال مؤمنا خص عم واعاد الجار ايضا اهتماما فقال وللمؤمنين
والمؤمنات اي العريقين في هذا الوصف في كل امة الى اخر الدهر ولا تزدهم في حال من الاحوال شيئا من الاشياء الا مغفرة
ولما كان التقدير بما ارشد اليه الاحتباك ولا تكرم المارقين عطف عليه قوله ولا تزد الظالمين اي العريقين في
الظلم في حال من الاحوال الا تبارا اي هلاكا مدمرا مفتتا لصورهم قاطعا لاعقابهم وكما استجاب الله في اهل الايمان
والكفران من اهل ذلك الزمان فكذلك يستجيب له في اهل الايمان واهل الخسران بالسعادة والتبار في جميع الاعصار
الى ان تتعفوا بين يدي العزيز الجبار والاية من الاحتباك اثبات الدعاء المقتضي لاصل الاكرام للمؤمنين اولا مرشدا الى حذف
الدعاء بزيادة التبار ثانيا مفهم لحذف الدعاء الموجب بزيادة المغفرة اولا وهذا الاخر المفصح بالتبار هو ما ارشد
اليه الابتداء بالانذار فقد انطبق الاخر على الاول على اصرح وجه واكمل احسن حال واجمل

[illegible]

اظهار شرف هذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم حيث لين له قلوب الجن والانس وغيرهم
فصار مالكا لقلوب المجانس وغيره وذلك لعظمة هذا القران ولطف ما له من عزيب الشان هذا والزمان اخره
والزمان ليس في قوته دون ربع العشر في زمن نوح عليهما السلام اول نبي بعثه الله الى المخالفين وما امن معه
من قومه الا قليل وعلى ذلك دلت تسميتها بالجن وتعقل اوحي تاملا الاية المشتملة على ذلك وما فيها من لطيف
المسالك بسم الله المحيط بالكمال ارسل رسوله الخاتم بالهدى ليظهره على الدين كله بما له من الجلال والجمال
الرحمن الذي بعموم رحمته عم بهذا الارسال النعم بالبيان ما يلزم الخلق من المقال والفعال الرحيم الذي
خص من بين اهل الدعوة من شاء بمحاسن الاعمال لما سبق لهم من الفوز في ازل الازال ولما كان نوح عليه السلام
اول رسول ارسله الله الى المخالفين من اهل الارض وكان قومه عبادا اوثان وعصوه اشد العصيان مع انه
منهم نسبا ولسانا وختمت سورته بدعائه عليهم السلام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فهو اخر
رسول بعثه الله الى اهل الارض وغيرهم من جميع الخلق وكان قومه العرب قد وافقوا قوم نوح عليه السلام
في اكثر احوالهم عبادة الاوثان حتى تلك الاوثان اما باسمائها او باعيانها على ما ورد في الاخبار وفي عصيان
رسولهم واستضعاف اتباعه والاستهزاء بهم ابتدئت هذه بما كان من سهولة من سمع هذه الدعوة الخا
الجامعة من عتاة الجن فضلا عن الموافقين في الجنس مع قصر الزمان وضعف الاعوان اجلالا لهذا القران
بتفال منهما له بالامر على ما في هذا من عظيم القدر مع الاشارة الى تبكيت العرب عن ابطائهم عن الاجابه
الى ما يعرفون من رشده بمعناه ويطيعه لكونه بلسانهم وكونهم من نوع الداعي وقبيله واقرب الناس اليه قل اي يا اكمل لقومك
ولما كان المقصود تعظيم الموحى به واما الموحى الى كل من الرسولين فواحد بني للمفعول قوله مبينا السيرة الحق تلقيهم
لهذا القران بالاجذار تاما من اشرف البيان والقائهم له بالابلاغ الى غيرهم من وراث العلم منهم ليكون لهم الستر كان شرف
العلم لكمال التسمم والتعليم لتكميل غيرهم فيكون لهم مثل اجر من عمل بما القوه اليه واملوه عليه اوحي الي اي اخبرت على وجه
الخفا ممن لا يعلم الغيب غيره في هذا القران الذي قضى اعجازه ان اكون اكثر الانبياء تابعا على لسان جبريل عليه السلام من
الذي هو امينه والواسطة بينه وبين انبيائه ثم وضع موضع المفعول الذي لم يسم فاعله قوله انه اي الشان العظيم استمع
اي القى الاصغا بالامال والتقبل الا لغا استماعا هو الاسماع في الحقيقة لانه لقرائه هذا القران نفر هم في

نهاية النفرة جبلة وطبعا **من الجن** الذين هم في غاية الاستتار وهم اجسام حية مائلة خفيفة تغلب عليها النارية او الهوائية كما تغلب على
اجسام الانس الترابية والنفر ما بين الثلثة والعشرة • قال البغوي وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل كانوا سبعة وفي هذه
العبارة دليل على انه صلى الله عليه وسلم ما راهم ولا قرا عليهم وانما اتفق حضورهم عند قراءته وهل هذا الاستماع هو المذكور
في الاحقاف او غيره قال ابو حيان المشهور انه هو وقيل غيره والجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى والسورة
التي استمعوها • قال عكرمة اقرأ وقيل الرحمن ولم يذكر هنا ولا في الاحقاف انه راهم ويظهر من الحديث تعدد الواقعة فمنها
ما كان في المبدا ولم يكن معه احد من الصحابة رضي الله عنهم كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي في الصحيح انهم
فقدوه صلى الله عليه وسلم ليلة فالتمسوه في الاودية والشعاب فلما اصبح اذا هو جاء من قبل حرا فقال اتاني داعي الجن
فذهبت معه فقرات عليهم القران فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم ومنها ما كان معه عبد الله رضي الله عنه
فذهب معه الى الحجون عند الشعب فخط عليه خطا وقال لا تجاوزه فانحدر عليه امثال الحجل يجرون الحجارة باقدامهم
حتى غشوه فلا اراه فقاموا الى ان يكلمه ان اجلس فقرا القران فلم يزل صوته يرتفع واختفوا بالارض حتى ما اراهم قال الاصبهاني
وقيل كانوا من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس • وقال القشيري لما رجم بالشهب فرق ابليس جنوده
لعلم ذلك فاتى سبعة منهم بطن نخلة فاستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فامنوا ثم اتوا قومهم فقالوا انا سمعنا قرانا
عجبا لعين ولم يرجعوا الى ابليس لما علموه من كيده وسفاهته وجاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين من قومهم فاسلموا
فذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك الايات **فقالوا** اي فتسبب عن استماعهم ان قال من سمع منهم لمن لم يسمع او لمن كان يواجهم
من الانس امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرا سمع مقالة فوعاها فاداها كما سمعها وكان قولهم ساويا الى هذا القران
والتنابه مؤكدين لبعد حالهم عن سماع الوحي وعلمهم بما ارادوا به من الاعجاز **انا** بالكسر لانه مبتدا المحكي بعد القول **سمعنا**
حين تعمدنا الاصغاء والقينا اليه افهامنا **قرانا** اي كلاما هو في غاية الانتظام في نفسه والجمع لجميع ما يحتاج اليه ثم وصفوه
بالمصدر مبالغة في امره فقالوا **عجبا** اي بديعا خارجا عن عادة امثاله من جميع الكتب الالهية فضلا عن كلام الناس في جلالة
النظم واعجاز التركيب والوضع مع الموافقة لها في الدعوة الى الله والبيان للمحاسن والمساوي والدعا الى الكل فلاح حتى
صار نفس العجب والعجب ما خرج عن حد اشكاله ونظائره فخفي سببه وهذا يدل على قوتهم العلمية في فصاحتهم وكمالهم
في علم الرسوم وهو موضوع الكلام على ابلغ جهات المنظوم • وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم ذكر حال الكفار في
تعاميهم عن النظر وجريهم في اللدد والعناد حسبما انطوت عليه سورة ن والقلم ثم اتبعت بوعيدهم في الحاقة
ثم بتحقيقه وقربه ووقوعه في المعارج ثم بتسليته عليه الصلاة والسلام وتانيسه بقصة نوح مع قومه اعتبارا لله
بما يتعظ به الموفق ويعلم ان القلوب بيد الله فقد كان سبحانه معاندي قريش والعرب اقرب في ظاهر الامر لقبول
من جنسهم ومن انفسهم فقد تقدمت لهم معرفة صدقه وامانته ثم جاءهم بكتاب بلسانهم الذي به يتحاورون ولغتهم
التي بها يتكلمون قد بهرت العقول اياته ووضحت لكل ذي قلب سليم براهينه ومعجزاته وقد علموا انهم لا يجدون على معارضته
الى ما شاهدوه من عظيم البراهين ومع ذلك عموا وصموا وسبق الى الايمان من ليس من جنسهم ولا سبقت له مرية تكرمهم
وهم الجن ممن سبقت لهم من الله الحسنى فامنوا وصدقوا وامر صلى الله عليه وسلم بالاخبار بذلك فانزل عليه قل اوحي الي
انه استمع نفر من الجن الايات الى قوله اخبارا عن تعريف الجن سائر اخوانهم بما شاهدوه من عبادة كفار العرب وانه
لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ثم استمرت الاي ملتحمة المعاني متعاضدة المباني الى اخر السورة
انتهى ولما . بينوا فضله من جهة الاعجاز وغيره بينوا المقصود بالذات الدال على عوصهم على المعاني بعد علمهم
بحسن المباني فقالوا **يهدي** اي يبين غاية البيان مع الدعا في لطف وهدو **الى الرشد** اي الحق والصواب الذي يكاد يشرد
لثقله على النفوس الداعية الى الهوى وخفة صنعة الغي والسفه الملائم لنقائص النفوس ولما وصفوه بهذه الكمالات
سببوا عن ذلك قولهم اعمالا للقوة العلمية في المبادرة الى الصواب من غير تخلف صلا **فامنا** اي كل من استمع منا لم
يتخلف منا احد ولا توقف بعد الاستماع **به** اي اوقعنا الايمان لمبلغ القران بتكذيبه وتخالفه ادنى مخالفة بسبب
هذا القران ولما اخبروا عن المعاصي وكان الايمان لا يعتد الا مع الاستمرار قالوا عاطفين على ما تقديره نوحد
الله في الحال لان ذلك نتيجة الايمان بالقران وخلعنا الانداد **ولن** اي والحال انا نمنع ايقاع الادعان في الحال **نشرك**
بعد ذلك اصلا الى دوم لانه امر لا يكاد يصدق **بربنا** اي الذي لا احسان قائم بنا من الايجاد وما بعده الا منه
احدا اي من الخلق لانه لم يشركه في شي من امرنا احد وقد صحت الدلائل على التوحيد فيما سمعنا من هذا القران
اظهروا القوتين العلمية بفهمهم للقران والعلمية بما حصل لهم من الادعان عملوا اما لهم في الدعا الى الله من قوة البيان
فعند ان يزهوه سبحانه عن الشرك عموما خصوا مؤكدين في قراءة ابن كثير والبصريين وابي جعفر بالكسر لما تقدم

من ان من نزه السيوح له لا يكاد يصدق فقالوا عاطفا على انا سمعنا **وانه** اي الشان العظيم **تعالى** اي انتهى في العلو الى حد لا يستطاع
جد اي عظمة وسلطانا وكمال غنى **ربنا** الموجد لنا المحسن الينا وان كان هذا التعالي لجده فما بالك به وكذا حكت منه القراءة بقول الجن
ما بعد هذا الا وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام عبد الله فانه مفتوح فيها عطفا على الموحى به فهو في محل رفع الا عند ابي
جعفر فانه فتح وانه تعالى وانه كان يقول وانه كان رجال وقرا فتحهن نافع وابو بكر عن عاصم في غير وانه لما قام فانهما كسراها وفتح الباقون
وهم ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم الكل الى ما صدر بالفاعل انه معطوف على محل الجار في به اي صدقناه وصدقنا انه تعالى
لفظه والا الزام اعادة الجار عند نحاة البصرة وقيل عطف على لفظ الضمير في به على المذهب الكوفي الذي نصره ابو حيان وغير واحد
من اهل اللسان ولما وصفوه بهذا التعالي الاعظم المستلزم للغنى المطلق والتنزه عن كل شائبة نقص بينوه بنفي ما ينافيه
بقولهم ابطالا للباطل **ما اتخذ** عبر بصيغة الافتعال بيانا لموضع النقص لبعد **صاحبة** اي زوجة **ولا ولدا** لان العادة جارية
بانه لا يكون ذلك بمعالجة وتسبيب ومثل ذلك لا يكون الا لمحتاج الى ابضاع او غيره والحاجة لا تكون الا من ضعف وعجز
وذلك ينافي الجد فالمحتاج لا يصح اصلا ان يكون الها وان كان بغير تسبيب ومهلة فهو عبث لان مطلق الاختراع يغني عنه
فلم يبق الا العبث الذي يتنزه الاله عنه والصاحبة لابد وان يكون من نوع صاحبها ومن له نوع فهو مركب تركيبا عقليا من صفة
مشتركة وصفة مميزة والولد ولا ان يكون جزا منفصلا عن والده ومن له اجزا فهو مركب تركيبا حسيا ومن المقطوع به ان ذلك
لا يكون الا لمحتاج وان الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسي او عقلي ولما تبين لهم ما هو عليه سبحانه من النزاهة
عن كل شائبة نقص وصفوا من قال بضد صفاته لديهم وعرضهم بالترفع عن الخسائس والرذائل بعد التمادي في الباطل فقالوا
للخلق في ذات الخالق مؤكدين بما للسامع في الغالب من تصديق ما سمع والمحاجة عنه فقالوا **وانه** اي وقالوا ان الشان هذا
على قراءة الكسر وامنا بانه على قراءة الفتح **كان يقول** اي قولا هو في عراقته في الكذب بمنزلة الجبلة **سفيهنا** هو للجنس فيتناول
المشتركين الجنس تناولا اوليا وكل من تبعه ممن لم يعرف الله لان ثمرة العقل العلم وثمرة العلم معرفة الله فمن لم يعرفه فهو الذي لازم
الطيش والغي لانه لا علم عنده اصلا يحمله على الرزانة كذبا مستعليا **على الله** اي الذي له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفيه
في الولد **شططا** اي قولا هو في بعده عن الصواب نفس البعد ومجاوزة الحد ولما ذكروا ما هدوا اليه من الحق في الله وفي
من كان يحملهم على الباطل ذكروا عذرهم في اتباعهم للسفيه وفي وقوعهم في مواقع التهم فقالوا مؤكدين لان ما كانوا عليه من الكفر
جدير بان يظن انه لا يخفى على احد لشدة وضوح بطلانه **وانا** معشر المسلمين من الجن **ظننا** اي بما لنا من سلامة الفطرة المقتضية
لتحسين الظن لشهادة حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند احمد المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم **ان** اي انه وزادوا في التاكيد
لما مضى فقالوا **لن تقول** وبداوا بافضل الجنسين فقالوا **الانس** واسعوهم بنا يهم فقالوا **والجن** اي متخرصين **على الله** اي الملك الاعلى
الذي بيده النفع والضر **كذبا** اي قولا هو لعراقته في مخالفة الواقع نفس الكذب وهو في قراءة ابي جعفر بفتح القاف والواو
المشددة المفتوحة مصدر من غير اللفظ وانما ظننا ذلك لما طبع عليه المجبول على السهو ان من تصديق الاشكال لا سيما
اذا كان قولهم جازما وعظيما لا يقال مثله الا بعد تثبت لا سيما اذا كان على ملك الملوك لا سيما اذا كان القائل كثيرا لا
سيما اذا انالته والجنس اخر فصار والا يحصون كثرة ولا يطيق العقول مخالفة جمع هذه الصفة الا بقاطع نقلي
والاية على قراءة ابي جعفر من الاحتباك فعل التقول ولا دليل على فعل الكذب ثانيا ومصدر الكذب ثانيا دليلا على مصدر التقول
اولا وسر التقول دال على التعمد فهو الخس معنى والكذب الخس لفظا وهذا مرشد الى انه لا ينبغي التقليد في شي لان الثقة بكل احد
عجز وانما ينكشف ذلك بالتجربة والتقليد قد يجر الى الكفر المهلك هلاكا ابديا والى ارشد النبي صلى الله عليه وسلم
بما اخرجه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنه بان من اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه وفي ذلك غاية الحث على ان
الانسان لا يقدم ولا يحجم في امور الدين الا بقاطع ولما علم من قولهم ان مستند الضلال الظنون وشبه متى حكت
على محك النظر بان فسادها واظهر زيفها نفادها اتبعه شبهة اخرى زادت لغيرهم ضلالا لبعضهم بعض للتقيد بالمحسوس
والوقوف مع الخيالات الموهومات فقال حاكيا عنهم تنبيها على عدم الاغترار بالمدح والاطرا الموجبين للغلط في النفس
وعلى انه يجب التثبت حتى لا يقع الغلط في الاسباب المسخرة فيظن انها مؤثرة فيتجاوز بها الحد عن رتبة الممكنات الى رتبة
الواجب مؤكدين لانه لا يكاد يصدق ان الجن تخاطبهم الانس فيكادون منهم **وانه** اي الشان **كان رجال** اي ذوو قوة وباس
من الانس اي النوع الظاهر في عالم الحس **يعوذون** اي يلتجئون ويعتصمون خوفا على انفسهم وما معهم اذا نزلوا واديا **برجال من
الجن** اي القبيل المستتر عن الابصار فانه كان القوم منهم اذا نزلوا واديا او غيره من القفر تعبث بهم الجن في بعض الاحيان
لانه لا مانع لهم منهم عن ذكر الله ولا دين صحيح ولا كتاب من الله صريح فحملهم ذلك على ان يستجيروا بالعظماء منهم فكان الرجل
يقول عند ضرفه اي اعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهاء قومه او نحو هذا فلا يرى الا خيرا وربما هدوه الى الطريق وردوا
عليه ضالته فكان ذلك للفتنة للانس باعتقادهم في الجن غير ما هم عليه فيتبعوهم في الضلال وفتنة للجن بان يغتروا بانفسهم

ويقولوا اسيدنا الجن والانس فضلوا او يضلوا ولذلك سبب عنه قوله فزادوهم اى الانس والجن باستعاذتهم بهذه المرتبة التى اعادتهم
اعاذتهم والجن الانس بتدليس الجن لهم وتخويفهم منهم رهقا اى ضيقا وشدة وغشيانا لما لم فيه من احوال الضلال الذى يلزم منهما
الضيق والشدة واصل الرهق غشيان بقوة وشدة وقهر ۔ وقال البغوى والرهق من كلام العرب الاثم وغشيان المحارم كما
يتفق لمن يسلك من اهل التصوف على غير اصل شرعى فى اسباب السير انوارا وانما هى شيطانية فيظنها رحمانية فيقف عندها
ويأنس بها فيفسد فى اصل جبلته نشا عنه شق مفصح وربما كان ذلك سببا لكفره ثم زاده ذلك اثما له من الانس ضلالا او يزداد
من اضله من الجن ضلالا او اضلالا وعتوا او يزداد الفريقان بعدا عن اللجاء الى الله وحده ولقد اغنانا الله بالقرآن ذا الذكر المانع
عن خير خلقه بشرطه فى وقايته عن كل شى كما اخبر صلى الله عليه وسلم ان من قال عند ابتداء الخلاء بسم الله اللهم انى اعوذ بك من الخبث
والخبائث ستر عن الجن وان من قال اذا اتى امراته بسم الله اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنى فاتاه ولد لم يقدر
الشيطان ان يضره ومن اذن من تغول الغيلان ۔ وروى الترمذى واحمد قال المنذرى ورواته رواة الصحيح عن شداد بن اوس
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم ياخذ مضجعه فيقرا سورة من كتاب الله الا وكل الله به ملكا فلا يقربه
شئ يؤذيه حتى يهب متى هب وللطبرانى فى الكبير ۔ قال المنذرى ورواته رواة الصحيح الا المسيب بن واضح ۔ قال الهيثمى
وهو ضعيف وقد وثق عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه قال خرجت من حمص فآوانى الليل الى البقيعة فحضرنى من اهل الارض
فنزلت هذه الاية من الاعراف ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض الى اخر الاية فقال بعضهم احرسوه الان حتى يصبح
فلما اصبحت ركبت دابتى والاحاديث فى هذا كثيرة فى اية الكرسى وغيرها وكذا حكايات من اعترضه بعض الجن فلما قرا ذهب عنه
ولما كان التقدير فضل كل من الفريقين بالاخر ضلالا لا يعبا احتى بعدوا عن الشرائع النبوية واعتقدوا اما الجحود
اعتقاده من التعطيل واعتقاد الطبيعة فلا يزال الامر هكذا ارحام تدفع وارض تبلع ولا رسول يهديهم ولا بعث للعرض على
بارئهم عطف عليه قوله مؤكدا فى قراءة الكسر اشارة الى ظهور دلايل البعث وانه لا يكاد يصدق ان احدا يكذب به منبها
على ان الاهوا والاغاليط قد يتطابق عليها الجم الغفير حثا للمهتدى على ان لا يستوحش فى طريق الهدى لقلة السالكين ولا يغتر
بطرق الردى لكثرة الهالكين وانهم اى الانس الذين كانوا يخاطبون الجن والجن الذين كانوا يخاطبون الانس ظنوا اى الانس والجن ظنا
ليسوا فيه على ثلج والظن قد يصيب وقد يخطى وهو الاكثر كما ظننتم اى ايها الجن والانس المعنى فى قراءة الفتح واوحى الى ان الجن والانس
ظنوا وسد عن معمول ظن بقولهم ان اى ان الشان العظيم لن اكد للدلالة على شدة انكارهم لذلك يبعث واشاروا الى خطاهم فى هذا
الظن بالتعبير بالجلالة فقالوا الله اى الذى له الاحاطة الكاملة علما وقدرة احدا اى يعدمونه لما لبس به عليهم ابليس حتى
راوا احسنا ما ليس بالحسن او احدا من الرسل يزيل به عماية الجهال وما عليه الانس من استغوا الجن لهم وغير ذلك من الضلال
وقد ظهر بالقرآن ان هذا الظن كاذب وانه لابد من البعث فى الامرين فانه حكمة الملك وخاصة الملك ۔ ولما كان عدم
البعث من خلل فى القدرة شرعوا فى اثبات تمام القدرة على وجه دال على صحة القرآن وحراسته من الجان لئلا يظن انه
نحو ما للكهان فقالوا مؤكدين فى قراءة الكسر لاستبعاد الوصول الى السماء حثا على طلب المهمات وان بعد مكانها وانا
ولما كان يعبر عن الامعان فى التفتيش باللمس وكان تجريد الفعل اعظم فى ذلك للدلالة على الخفة وعدم الكلفة قال لمسنا
السماء اى الدنيا التمسنا اخبارها على ما كان من عادتنا لاستماع ما نغوى به الانس لما ساهو كالجنس باللمس باليد
فوجدناها من جميع نواحيها وهو من الوجدان ملئت اى ملا هو فى غاية السهولة والخفة على فاعله حرسا اى حراسا اسم جمع فهو
مفرد اللفظ ولذلك وصف بقوله شديدا اى بالملائكة وشهبا جمع شهاب وهو المتوقد من النار تعلقت همهم حتى طلبوا
المهمات الدنيوية والشهوات النفسانية من مسيرة خمسمائة سنة صعودا فكان من يكسل عن طلب مهمات الدين المحققة من
مسيرة ساعة او دونها او يقعد فى مجلس العلم ساعة او دونها والتعبير بالماضى يدل على انها كانت قبل ذلك تحرس لكن لا
على هذا الوجه فقيل انها حرست لنزول التوراة اشتد الحرس للانجيل ثم ملئت لنزول القرآن تمنعوا من الاستماع اصلا الا
ما اصدق القرآن ارهاصا للنبوة العظمى الخاتمة لئلا يحصل بهم نوع لبس ۔ ولما اخبروا عن حالها اذ ذاك لانه الاهم
عندهم اخبروا عن حالها فقالوا مؤكدين لما للانسان من التكذيب بوصولها الى السماء وانا كنا اى فيما مضى نقعد منها اى السماء
مقاعد اى كثيرة قد علمناها لا حرس فيها فهى صالحة للسمع اى لان نسمع منها بعض ما تتكلم به الملائكة مما امروا بتدبيره وقد
جاء فى الخبر ان صفة قعودهم هى ان يكون الواحد منهم فوق الاخر حتى يصلوا الى السماء قال ابو حيان فمتى احترق الاعلى كان
الذى تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان فيزيدون معها الكذب ۔ ولما كان التقدير فنسمع
منها فنسمع ما يقدر لنا من غير مانع عطف عليه قوله فمن يستمع اى يجتهد فى الوصول الى السمع الان اى فى هذا الوقت فما يستقبل
كما يهمهم قسموا الزمان الكائن من الطلاق للاستماع لهم وآخر ما صار اليه الحال من الحراسة واطلقوا الان على الباقى كله لا
انهم ارادوا وقت قولهم فقط او ارادوا لانهم لا يعلمون ما بعده فيجوزون ان يكون الحال فيه على غير ذلك يجد له اى لاجله

شهابا اى شعلة من نار ساطعة محرقة ۔ ولما كان الشهاب فى معنى الجمع لان المراد ان كل موضع منها كذلك وصفه باسم الجمع فقال رصدا اى
يرصد الراموين به من غير غفلة ويجوز ان يكون مصدرا على المبالغة كرجل عدل والرصد الترقب لانه لما كان لا يتاخر عن رميه عند الدنو
من السماء كان كانه هو الراصد له المراقب لامره الملاحظ الذى لا فتور عنده ولا غفلة بوجه بل هو الرصد وهو المعنى لنفسه فمتى
تسمع للاستماع رمى به فمنعه من الاستماع وان ادركه احرقه واما السمع فقد امتنع لقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون
ولما اخبر عن اعمالهم انه كان عقب سماعهم من غير توقف ثم ذكروا منعهم من الاستراق ذكروا انهم اشتبه عليهم المنع
فلم يعلموا سره دلالة على ان جهل بعض المسائل العرضية لا يقدح ودفعا الى التادب بالحمية عن الخوض فى شى بغير علم وحثا على التفو
الى علام الغيوب فيتبعوا الذى حملهم على ضرب مشارق الارض ومغاربها حتى وجدوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرا القرآن
فقالوا مؤكدين لان العرب كانوا ينسبونهم الى علم المغيبات وحل المشكلات وانا لا ندرى اى بوجه من الوجوه وان ادار فى ما
واجتهدنا اشر ۔ ولما كان المحذور نفس الارادة الماضية النافذة بنوا للمفعول قولهم اريد معلمين للادب فى ان الشر
يتحاشى من اسناده اليه سبحانه حيث لا اشكال فى معرفة انه لا يكون شى الا به بمن فى الارض اى بهذه الحراسة فيفتشا
عنها الغى ام اراد بهم ربهم اى المحسن اليهم المدبر لهم بنوه للفاعل فى جانب الخير اعلاما مع تعليم الادب بان رحمته
سبقت غضبه واشارة الى انه قد يكون اراد بهذا المنع الخير رشدا اى سدادا فيتشا عنه الخير فالاية من الاحتباك
ذكر الشر اولا دليلا على الخير ثانيا والرشد ثانيا دليلا على الغى اولا ۔ ولما اخبر سبحانه بقولهم اعمالهم وكان
ربما ظن ان ذلك انما كان لا لاجل ان شانهم الذين اتبعه ما يعلم ان ذلك خارقة لاجله صلى الله عليه وسلم كاشف لاعظامه
واكرامه وجدت فقال حكاية عنهم مؤكدين لان الكلام السابق ظاهر فى سلامة طباع الكل وانا منا اى ايها الجن الصالحون
اى العريقون فى صفة الصلاح التى هى تهيئه لقبول كل خير ۔ ولما كان غير الصالح قد يكون فاسدا بان يكون مباشرا
للفساد قاصدا له وقد يكون غير مباشر للفساد قاصدا له وقد يكون غير مباشر له قالوا مفتطنين لمراتب
العلوم والاعلام المقربة والمبعدة ومنا وبنا الظرف المبتدا به لاضافته الى مبنى فقيل دون اى قوم فى ادنى رتبة
من ذلك اى هذا الوصف الشريف العالى ۔ ولما كان من دون الصالح ذا انواع كثيرة بحسب قابليته للفساد
او الصلاح وتبعيته له او بعده عنه حسن بيان ذلك بقولهم كنا اى كونا هو كالجبلة طرائق اى ذوى طرق
اى مذاهب ووجوه كثيرة واطلقوا الطرق على اصحابها اشارة الى ان شدة تلبسهم بها ۔ ولما كان الانفصال
قد يكون بادنى شى بين انه على اعلى الوجوه فاطلق عليهم نفس المتقطع ووصفهم به فقال قددا اى فرقا متفرقة اهواؤها
جمع قدة وهى الفرقة من الناس هواها على غير هوى من الغير وهو القطع الموجب للتفرق العظيم مثل السيور
التى تقطع من الجلد وتقد منه بحيث تصير كل فرقة على حدتها قال الحسن والسدى كافرين ومسلمين ورافضة ومعتزلة
ومرجئة وغير ذلك مثل فرق الانس ۔ ولما دلوا على فهمهم عما كانوا يفعلونه باهل الارض فهمهم وابهة القرآن
فى الحقيقة عن الخافقين فمعانيهم وحفظا به ودلوا على فهمهم موضع العبر بالتفرق كان ذلك موجبا للعلم بشمول
قدرته تعالى حتى لا يدركه طالب ولا ينجو منه هارب لما ابدا لهم من شؤون عظمته وقهره فى الحراسة وغيرها
فذكر سبحانه ما اثر ذلك عندهم من الاعتراف والاذعان للواحد القهار فقال حاكيا عنهم ذلك ندبا الى الاقتدا
بهم فى معرفة النفس بالعجز والذلة والضعف بالتفرقة والانقسام ومعرفة الرب بالقدرة الكاملة والسلطة
والعظمة بالتفرد التام الذى لا يقبل المماثلة ولا المشابهة وانا اكدوا الظن الانسى فى قوتهم غير ما هو لها ظننا اطلقوا الظن
على العلم اشارة الى ان العاقل ينبغى له ان يجتنب ما يخيله صادرا ولو بادنى انواع التخيل وكيف اذا تيقن ان اى ان الشان
العظيم وزادوا فى التاكيد لما تقدم فقالوا لن نعجز الله اى ان نقاومه ان اراد بنا سوءا لما له من الاحاطة بكل شى علما
وقدرة لانه واحد لا مثل له ودلوا على وجه الضعف بقولهم فى الارض اى كائنين فيها مقيمين وهى جهة السفل المللو(؟)
للقهر وذلك اقصى جهدنا فان الجن من سعة ملكه الذى هو فى قبضته ولن نعجزه اى بوجه من الوجوه هربا اى ذوى هرب
او من جهة الهرب باى هربنا من الارض الى غيرها فان السماء منعت منا وليس لنا مضرب الا فى قبضته فان امر الى ان(؟)
الهرب وقد منعوا ابدا لك وجهى النجاة بالقتال والنصر والهرب عند العجز ۔ ولما كان الظان قد يتبادر الى العمل
بموجب ظنه وقد لا يسنوا ان مراد بهم به العلم وانهم بادروا الى العمل بما دعا اليه فقالوا مؤكدين لما للجن من الاسا
والعسر وانا لما سمعنا اى من النبى صلى الله عليه وسلم الهدى اى القرآن الذى له من العراقة التامة فى صفة البيان
والدعاء الى الخير ما سوغ ان يطلق عليه نفس الهدى امنا به اى من غير وقفة اصلا عملا لما به من هذا الوصف العظيم
۔ ولما كان التقدير فامنا بسببه سماعنا الذى قادنا اليه حفظ الناس السماء من الاستماع بنا لتمام قدرته علينا
الذى هدانا اليه منعنا من الاستماع بالحراسة سببوا عن ذلك قولهم معترفين بالعجز عن مقاومة المهند من الملك الطالبين

الخصوص بتحصينه والاعتصام بحبله فمن يؤمن اي يوجد حقيقة الايمان ويستمر على تجديدها كل لحظة ولما فهموا ان دعاءه الى
وبيانه للطريق مع قدرته التامة انما هو من عموم لطفه ورحمته ذكروا وصف الاحسان لزيادة الترغيب فقالوا بربه اي
المحسن اليه منا ومن غيرنا ولما كان المؤمن هو المخلص من بين الخلق بالنجاة ادخل الفاء على الجواب ورفعه على تقدير مبتدا
دلالة على ذلك وعلى ان نجاتهم ما لا بد منه فقال فهو خاصة فلا يخاف اصلا بخسا اي نقصا وقلة وخسة ونكدا في الثواب والاكرام
بوجه من الوجوه ولا رهقا اي مكروها يلحقه بقهره لانه لم يفعل مع احد شيئا من ذلك ليجازى عليه فهو احث للمؤمن على اجتناب
ذلك لئلا يجازى به وقد هدى السياق الى تقدير ومن يشرك به فلا يامن بخسا ولا صعقا ولما كان هذا ظاهرا في انهم
اسلموا كلهم قالوا انا فنن لهذا الظاهر مؤكدين لان اسلامهم مع شدة نفرتهم لا يكاد يصدق وانا منا اي ايها الجن
المسلمون اي المخلصون في صفة الاسلام للهادي فاسلموا قيادهم فهم عريقون في ذلك مقسطون مستقيمون ولا يفارقون الدليل
فهم على الصراط السوي العدل المرضي ومنا الجائرون الكافرون ومنا القاسطون وهم الجائرون عن المنهج الاقوم السالكون
في المتاهة المجاهل التي ليس بها معلم فهم بربهم كافرون ومنا المقسطون فقال قسط اذا جار جورا اسقطه عن رتبة
الانسان الى رتبة ادنى الحيوان واقسط اذا ازال الجور فعدل فالاية من الاحتباك المسلمين يدل على الكافرين والقاسطون
يدل على المقسطين ولما كان قد علموا انما سمعوا من القرآن انه لا بد من البعث للجزاء تسببوا عن هذه القسمة قولهم فمن اسلم
اي اوقع الاسلام كله بان اسلم ظاهره وباطنه للدليل من الجن ومن غيرهم ولما كانوا قد علموا انما سمعوا من القرآن
انه لا بد من البعث للجزاء تسببوا عن هذه القسمة قولهم فمن اسلم اي اوقع الاسلام كله بان اسلم ظاهره وباطنه للدليل
من الجن ومن غيرهم ولما كان في مقام الترغيب في الحق ربط بفعلهم ذلك تسبيبا عنه قوله مدحا لهم فاولئك اي العالو
الرتبة تحروا اي توخوا وقصدوا واجتهدوا رشدا اي صوابا عظيما وسدادا لما كان لما عندهم من النقائص شاغلا عنهم
فعالجوا انفسهم حتى ملكوها فجعلوها لهم منزلا من قولهم الحرا بالقصر الخوص العطاه ياوى اليه الظبي والناحية والموضع
وما احراه بكذا ما اوجبه له وبالحرا ان يكون كذا اي خليق وقد يجي بالحري من غير ياء يراد به بالجهد وتحرت الشيء تصدت
ناحيته فكان لهم ذلك الى الجنة سببا ومن قسط فاولئك ضلوا فقد نالوا عتبا وشططا ولما عرفوا ما في الاعتصام
بطاعة الله نبهوا على خطر التعرض لبطشه فقالوا واما القاسطون اي العريقون في صفة الجور عن الصواب من الجن وغيرهم
فاولئك اهملوا انفسهم فلم يحروا الهدى فضلوا فاتعدوا عن المنهج فوقعوا في المهالك التي لا منجا منها فكانوا اي جبلة لهم لجهنم اي النار
البعيدة القعر التي تتلقاهم بالتجهم والكراهة والعبوسة حطبا توقد بهم النار فهم في انقاد ما داموا احياء وهم
احياء ما دامت تتقد لا يموتون فيستريحون ولا يحيون فينتعشون والاية من الاحتباك وهو منطوق لما اوجده من السياق
لا بمفهوم ذكر التحري ولا دليلا على تركه ثانيا دليلا على حذف الجنة اولا وسر ذلك انهم في مقام الترهيب فذكروا ما
يحذر وطووا ما يحب العلم به لان الله تعالى لا يضيع لاحد اجرا بل لا يقتصر على ما يقابل الحسنة في العرف بل لا بد ان يزيد عليها
تسعة اضعافها وعنده المزيد ولما رغبت ورهبت سبحانه على السنة الجن بما هداهم لهم ونور قلوبهم وكانت الاية السالفة
اخر ما حكى عنهم وكان التقدير اوحي الي ان القاسطين من قومي وغيرهم لو امنوا لفعل بهم من الخير ما فعل بمؤمن الجن حين امنوا
فاعتنا بقومهم الله جلاله عن حراقة من غير كلفة فكسا لهم كل عظم لقوه لحما اوفر ما كان واعاد لهم كل روث راوه حبا
احسن ما كان ببركة هذا النبي الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم وان اي واوحي الي ان الشان العظيم لو استقاموا
اي طلب القاسطون من الخلق كلهم الجن والانس القوم وادوم كائنين على الطريقة اي التي لا طريقة غيرها وهي التي نهاها
الحق من القرآن من الاسلام والاقساط المؤدية الى الفلاح في الدارين ولما كان الماء اصل كل خير كما قال تعالى في
قصة نوح عليه السلام يرسل السماء عليكم مدرارا وكان منه كل شيء حي وكان عزيزا عند العرب قال معظما له بالالتفات
الى مظهر العظمة لاسقيناهم اي جعلنا لهم بما لنا من العظمة ماء غدقا اي كثيرا اعظم اعظم النعم نكثر به الرزق ونزين
به الارض ونرغد به العيش ولما كانت نعمة فضلا منه وليست مستحقة عليه بعبادة ولا غيرها قال معرفا ان
غايتها استحقاق الثواب والعقاب على ما كتبه على نفسه سبحانه ولا سبيل الفول لديه وان جميع ما يعامل به
عباده سبحانه من نفع وضر انما هو فتنة لهم ليستخرج ما جبلوا عليه من حسن وقبح لنفتنهم اي نعاملهم معاملة المختبر
بما لنا من العظمة فيه اي في ذلك الماء الذي يكون عنه انواع النعم لينكشف حال الشاكر والكافر. قال الرازي
وهو ابعد ما حبس عنهم المطر سنين انتهى. وقال عمر رضي الله عنه اين ما كان الماء كان المال وان كان المال
كانت الفتنة. وقال الحسن وغيره كانوا سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر ففتنوا بها فوثبوا بامامهم
فقتلوه يعني عثمان رضي الله عنه ويجوز ان يكون مستعارا للعلم وانواع المعارف الناشئة عن العبادات التي هي
للنفوس كالنفوس للابدان ويكون الفتنة بمعنى التخليص من الهموم الرذائل في الدنيا والنعم في الاخرة من فتنت

الذهب

احتمال

احتمال

الذهب اذا خلصته من غشه ولما كان التقدير فمن يقبل عن ذكر ربه نعمه في دار السلام ابدا عطف عليه قوله ومن يعرض
اي اعراضا مستمرا الى الموت عن ذكر ربه اي مجاوزا عن عبادة المحسن اليه المربي الذي لا احسان عنده من غيره يسلكه اي يدخله عذابا
يكون مظروفا له كالخيط في ثقب الخرز في غاية الضيق صعدا اي شاقا شديدا يعلوه ويغلبه ويصعد عليه ويكون كل يوم اعلى مما قبله
ثم اوفاقا فان الاعراض كلما تمادى زمانه كان اقوى مما قال ولما كان التقدير لانه اوحي الي ان الامر على ما تقدم فونه بينكم
من عمران من دخل مع غير سيده عذبه ابدا عطف عليه قوله مبينا السيرة الابناء وما يجب لهم من الكمال الذي يكون بتقوى العلم
والعمل والتكميل الذي يكون بهما مع قوة البيان ومن لم يكن كاملا لم يتصور منه تكميل ليكون له ولد قلبه كما ان من لم يكن بالغا
يتقوى منه ولد صلب ومبينا المأجور عليهم وما يستحيل منهم وما لله تعالى من العناية بشانهم وان اي واوحي الي ان المساجد اي مواضع
السجود من العالم الافاقي من الارض ومن العالم النفسي من الجسد كما قاله سعيد بن جبير وطلق بن حبيب لله اي مختصة بالملك
الاعظم فلا تدعوا اي بسبب ذلك انها المحاقون على وجه العبادة مع الله اي الذي له جميع العظمة احدا لان من تعبد لغير سيده
الذي هو العالم الافاقي ذباله سيده الذي هو العالم النفسي كان اشد الناس لوما وعقوبة فكيف يليق بكم ان يخلق لكم وجها ويدين
ورجلين وارضا تنتفعون بها وسماء ثم نفعها فتسجدون بالاعضاء التي وجدها لكم في الارض التي امكنكم من الانتفاع بها
تحت السماء التي تم منافعها بها لغيره فتكونون قد صرفتم نعمه السيد الذي يجب شكره عليها لغيره ايفعل هذا عاقل قال
البغوي فان جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها بكسر الجيم وان جعلتها الاعضاء فواحدها بفتح الجيم ولما كان
من يدعو سيده وينقطع اليه عاملا للواجب عليه اللائق بامثاله لا ينكر عليه ولا يعجب منه وانما يعجب ممن دعا غير
سيده او مال اليه ادنى ميل فيسال عن سببه قال تعجبا من القاسطين من الجن والانس وانه اي واوحي الي انه قال الجن لمن
اطاعهم من قومهم حاكين ما راوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه متعجبين من ذلك الشأن والقصة العظيمة
العجيبة لما قام كادوا يكونون على هكذا كان الاصل ولكنه عبر بالعبد كما تقدم من ان من عاش سيده ولو كان ذا له
السيد احقر الموجودات لا يفعل به ذلك فكيف اذا كان سيده مالك الملك وملك الملوك فقال قام عبد الله اي عبد
الملك الاعلى الذي له الجلال كله والجمال فلا موجود يدانيه بل كل موجود من فائض فضله يدعوه اي يدعو سيده دعاء
عبادة ومن حيث كون سيده يسمع من دعاه ويجيبه ولما كان القاسطون اكثر الناس بل الناس كلهم في ذلك الوقت
جنا وانسا قال مبينا لانه يقول على الابتداء ان يؤذوا وينقصوا رفعا لدرجاتهم وتسلية لورثاتهم وان كانت
رتبتهم تابى ذلك كادوا اي قرب القاسطون من الفريقين الجن والانس يكونون عليه اي على عبد الله لبدا اي متراكمين بعضهم
على بعض من شدة ازدحامهم حتى كان ذلك جبلة لهم تعجبا مما راوا منه من عبادته وارادة لرده عن ذلك وذلك
امر لا يتعجب منه وانما التعجب ما فعلوا هم من عبادة غيره سبحانه ومن تعجبهم من عبادة عبد له واخلاصه من عبادته
وهو جمع لبدة بكسر اللام وقرئ بضم اللام جمع لبدة بضمها وهي ما تلبد اي ركب بعضه على بعض ولما استشرفت على
قراءة الكسر نفس السامع الى قوله صلى الله عليه وسلم لمن تراكموا عليه في ذلك اشار الى الجواب بقوله مبينا لما يستحيل
على الانبياء عليهم الصلاة والسلام من دعاء غير الله ومن دعا ترك الدعاء اليه ومن مخالفة شيء من امره قال ولما تاقت نفسه
صلى الله عليه وسلم على قراءة الفتح الى ما يدفع به ما راى منهم قال تعالى مرشدا له الى ذلك قل اي لمن ازدحم عليك عادا
لهم عداد الجاهلين بما تصنع لانهم عملوا عمل الجاهل انما ادعوا اي دعاء العبادة ربي اي الذي وحدني ورباني ولا
نعمة عندي لاحد سواه وحده لا ادعو غيره حتى تعجبوا مني وتزدحموا علي والظاهر المتبادر الى الفهم ان المعنى واوحي الي
لما قمت في الصلاة اعبد الله في بطن نخلة وراني الجن الذين وجههم ابليس نحو تهامة وسمعوا القرآن ازدحموا علي
حتى كادوا يقتلونني ويكون بعضهم على بعض سمعوا توحيد الله وتمجيدي له وافرادي بالعبادة والعلم وجميع صفات
الكمال امنوا وقيل هو حكاية الجن لقومهم عن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وفعل اصحابه وراءه في تراصهم في صلاتهم
وحفوفهم به ووعظه وتعليمه لهم. ويحكى هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير فان ذلك
هيئة غريبة يحكى ان ملك الفرس ارسل من دخل في المسلمين لما قصد بلاده فكان مما حكى له عنهم انه قالوا اذا
صلوا صفوا انفسهم صفوفا ونقدمهم رجل يقومون بقيامه ويسجدون بسجوده ويقعدون بقعوده ويفعلون
كفعله لا يخالفونه فلما سمع ذلك الملك راعه وقال ما لي وهؤلاء لا ما لي ولعمر. ونقل ابو حيان عن مكحول
انه بلغ من تابع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن سبعين الفا وفرغوا عند انشقاق الفجر ولما كان الداعي
لولي نعمته يمكن ان يكون اشرك غيره في دعائه ولو بادنى وجوه الاشراك ويكون الحصر باعتبار الاغلب فاستحق الاعلاء
عليه والازدحام نفى ذلك بقوله تاكيدا للمعنى الحصر وتحقيقا له ولا اشرك به اي الان ولا في مستقبل الزمان بوجه
من الوجوه احدا من ود وسواع ويغوث وغيرها من الصامت والناطق ولما كان السامع ربما قال ما له هؤلاء

يقلكم او يدعو ربه في دفع المتلبد من عليه بالاهلاك والتوبة والمتابعة امره بما يبين عظمة ربه وانه لابد فيه الامات بربه
بقوله مبينا انه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم ما يستحيل على جميع الممكنات من ان يؤثر من شيء بنفسه او يخالف ربه قل اي لهؤلاء
الذين خالفوك واكد قطعا لمن ربما اعتقد لكثرة ما يرى من الكرامات انه مهما اراد فعله الله له اني لا املك اي الان ولا بعد لكم
بنفسي من غير اقدار الله لي لانه لا يؤثر في شيء من الاشياء الا الله ولما كان المقام لدفع شرهم عنه قال ضرا فانهم ولا نفعا ولا
غيا ولا رشدا اي صوابا وسدادا فالاية من الاحتباك وهو ظاهر على هذا التقدير قال ابو حيان يحذف من كل ما يدل مقابله
عليه انتهى ويجوز ان يكون تقديره لا املك ضرا الا اني لا املك لكم اضلالا ولا املك رشدا فلا املك لكم نفعا وانه لا نفع في غير
الرشاد ولا ضر في غير الضلال فقبح الله ابن عربي الطائي الذي يقول في فصوصه ان الضلال اهدى من الهدى فلا اسخف عقلا
منه الا من تبعه عليهم لعنة الله وخزيه فان قالوا انه اراد غير ما يفهم من ظاهر اللفظ فقل كذبتم فقد بين مراده اطباقكم
على الفسوق والفجور لا تكاد تجد منكم من يتهم بمذهبه وهو يتقيد بشرع ولم يخرج الاية بهذا عن الاحتباك فان ذكر الضر
اولا دل على حذف النفع ثانيا وذكر الرشد ثانيا دل على حذف الضلال اولا ولما اجاب من تشوف الى علة صبره
عن نفعهم عنه بما حاصله انه لا شيء بيده لان الهه من العظمة في احاطة العلم والقدرة وانه لا يخرج شيء عن مراده ولا يبوئه
شيء فلا يعجل في شيء بحيث لا يفعل الا ما يريد سواء شئت الا فكان ذلك ربما اوجب ان يظن منه صلى الله عليه وسلم موافقة
لهم لئلا يبغضوه ولانه يستحلون في اذى من خالفهم اجاب بما حاصله احدهما انه بين ضررين احدهما منهم ان خالفهم
والاخر منه سبحانه انه اعرض عنه وهو سبحانه يرد اذا بهم ان اراد وهم لا يقدرون على رد اذاه فقال قل اني لن
يدعوك الى موافقتهم واكد لما في ظن كثير من الناس من ان الاسباب لا يتخلف فقال لي وزاد في التاكيد لان ذلك في غاية
الاستقرار في النفوس فقال لن يجيرني اي فيدفع عني ما يدفع الجار عن جاره من الله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه
احدا اي كائنا من كان ان ارادني سبحانه بسوء ولما كان من هو بهذه المثابة بما هرب منه المطلوب قال لن توكدا
ولن اجد اي صلا ولما كانت كل رتبة دون رتبته وكانت الرتب التي دون رتبته كثيرة جدا لما له من العلو
المطلق ولغيره من مراتب السفول التي لا تحد فالتنبيه الى ذلك بالجار من دونه اي الله ملتحدا اي معدلا وهو موضع ميل
وركون ومدخلا وملتجا وحيلة وان اجتهدت كل الجهد لان اللحد اصله الميل لا يقال الا في ميل من حق الى باطل والجد
جادل وممارى وركن ولما كان من المعلوم ان هذا شيء لا مثوبة فيه وكانت الرتب التي دون شريف رتبته سبحانه
كثيرة جدا وان كان ما يليها له حكم شرفها وحقيتها وكان اولى لك البلاغ منه سبحانه بلا واسطة ثم البلاغ بواسطة
ملائكته الكرام عنه استثنى من ملتحدا على طريق لا ملجا ولا منجا منك الا اليك ففروا الى الله فقال الا بلاغا اي
يبلغني كائنا من الله اي الذي له الاحاطة احاط بكل شيء قدرة وعلما ولكنه لسعة رحمته يجري الامور على ما يتعارفون
في انه لا يا خذ احدا الا بحجة يعترفون بانه حجة ولما كان من الرتبة الادنى التي هي اعلا ابعها التي يليها فقال ورسالاته
اي التي اوحى الي بها بواسطة الملك فاني اتلقى ذلك حق تلقيه بحفظه والعمل به فيكون ذلك عاصما من كل سوء في الدنيا
والاخرة ولما كان التقدير ليسان ان الله شرف الرسل بان اعظم عظمه من عظمته فجعل عصيانهم عصيانه
حتى يكون جزاء من عصاهم هو جزاء من عصاه سبحانه لانهما انما ينطقون بامره فمن يطع الله ورسوله فان له جنة نعيم
يكونون فيها ابدا الدهر سعدا اعطف عليه قوله ومن يعص الله اي الذي له العظمة كلها ورسوله الذي ختم به النبوة
والرسالة فجعل رسالته محيطة بجميع خلقه في التوحيد او غيره على سبيل الجحد فان له اي خاصة نار جهنم اي التي
تلقاه بالعبوسة والغيظ ولما عبر بالافراد نظرا الى لفظ من لانه اصرح في كل فرد عبر بالجمع حملا على معناها
لانه ادل على عموم الذل فقال خالدين فيها واكد المعنى وحققه لقول من يدعي الانقطاع فقال ابدا واما من يدعي
انها لا تحرق وان عذابها عذوبة فليس احد اجهل منه الا من تابعه على ضلاله وغيه ومحاله وليس لهم دواء الا
السيف في الدنيا والعذاب في الاخرى بما يسمونه عذوبة وهم صائرون اليه وموقوفون عليه ولما
ذكر تلبدهم عليه وقدم ما هو الاهم من امره من كشف غمتهم باعلامهم ان ذلك الذي انكروه عليه هو الذي يحوله
ومن انه عن ضعفه حتى عن مقاومتهم هو عن الاعراض عن الله اضعف لان الله اقوى من كل شيء وانه لا يسعه الا امتثال
امره واشار الى انهم عاجزون عن مكر نية سطوته سبحانه لعدم القدرة على الاجارة عليه صرح بذلك تهديدا
لهم فقال مغيا لتلبدهم عليه حتى اذا راوا اي بابصارهم فيه ما اي الشيء الذي ولما كان المنكي من الوعيد
ركه على من كان لاجله الوعيد لا كونه من معين قال يوعدون اي ما حصل لا يعاد به في الدنيا او في الاخرة اما في الاخرة
فواضح واما في الدنيا فمثل اخراج النبي صلى الله عليه وسلم مع اجتماع المشركين على المكر به ليقتلوه واجتهادهم في ذلك
ثم سره اياه وعزوته مثل غزوة بدر وغيرها من ايام الله التي ملأت الارض نورا واهل الحق سرورا وجودا

واهل

واهل الباطل خسرا وبورا ورعبا وهلاكا وثبورا فسيعلمون اي من ذلك اليوم الذي يكون فيه ما وليه بوعد لا خلف فيه ولا طول
لامد من اضعف ناصرا اي من جهة الناصر انا وان كنت في هذا الوقت وحيدا مستضعفا او هم واقل عددا وان كانوا الان بحيث
لا يحصيهم عدد الا الله فيا لله ما اعظم كلام الرسل حيث يستضعفون انفسهم من حيثية ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذي بيده
الملك وله جنود السموات والارض بخلاف اهل الاتحاد فانه لا كلام لهم الا في تعظيم انفسهم وازدراء من وراءهم واذا حققت
احدا من اتباع احد منهم قالوا فان هذا على لسان النبوة ونحو هذا من مخادعاتهم ولما كان من المعلوم انهم اذا سمعوا الوعيد
قالوا استهزاء وعمى عن طريق الصواب واستعلاء بمن يكون عجل به استانف قولهم جوابا لهم جواب من لا يستخفه عجلة ولا ضجر لانه لا يخاف
الفوت ولا يلحقه ضرر يبقاء العدو واجتهاده في اذاه ولبيانه مبينا ما يجوز على الرسل من انه يخفى عليهم ما يخفى على البشر ويطلعهم
الله على ما يخفى على غيرهم قل اي في جوابهم ان كذبوا ابانيا بهم العذاب وسالوا استهزاء عن وقت وقوعه اما كونه فلا بد منه لانه
قد برز الوعيد به ممن لا يخلف الميعاد واما تعيين وقته فقد اخفاه سبحانه لانه اقعد في التهديد وهو معنى قوله ان اي ادري
بوجه من الوجوه وان عالجت ذلك وسبرت فيه وزاد في تقرير خفائه وانه لا يزال في حيز ما يسال عنه بصيغة الاستفهام
فقال مقدما ما يخيفهم اقريب ما توعدون اي فيكون الان او قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قرب ام يجعل له اي لهذا
الوعيد ولما كان التاخير ربما افهم تهاونا بالولي قال دافعا لذلك ربي اي المحسن الي ان قدمه او ان يتوقع دون ذلك الامد
اخره امدا اي اجلا مضروبا عظيما بكل اعتبار حتى في البعد لا يتاتى مع ذلك ان يكون الان ولا ان يتوقع دون ذلك الامد
فهو في كل حال متوقع فكونوا على غاية الحذر لانه لا بد من وقوعه فوقوعه ينفي ذلك عن غيري على وجه عام لجميع الغيب حال من عظمة
مرسله ما ينقطع دونه الاعناق فقال واصفا له عالم الغيب اي كله وهو ما لم يبرز الى عالم الشهادة فهو مختص سبحانه بعلمه فلذلك
سبب عنه قوله فلا يظهر اي بوجه من الوجوه في وقت من الاوقات على غيبه اي الذي غيبه عن غيره فهو مختص به احدا لعزة علم الغيب
ولانه خاصة الملك ولما كان لا يعلم الغيب الابر دره الى عالم الشهادة وكان الاول من يطلع عليه شرفا ينبغي ان
يعرف له قال الا من ارتضى اي عمل الله تعالى في كونه رضي عمل من يتعمد ذلك ويجتهد فيه وبين من بقوله من رسول اي من الملائكة ومن
الناس فانه يظهر عليه ذلك المرتضى الموصوف لا كل مرتضى بان يظهر على ما شاء منه لان الغيب جنس لا يحصل له الا في ضمن افراده فمتى
ظهر فرد منه فقد ظهر فيه الجنس بظهور حصة منه وتارة يكون ذلك الرسول ملكا وتارة يكون بشرا يكلمه الله بغير واسطة
كموسى عليه السلام في ايام المناجاة ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في العالم الاعلى الاسنى اذن له في ايصاله الدنا
بالوحي للانبياء وتارة بالنفث والالهام للاولياء وذلك عند هدو نفوسهم بسكون قواها عن منازعة العقل بالشهوات
والحظوظ كما يكون للنفوس عامة حين سكون القوى عن المنازعة بالنوم فيكون متهيئة للنفث فيما فمن اعرض عن جانب الحس
واقبل على جانب القدس فقد هيأ نفسه لنفث الملك في روعه بعلم ما لم يكن يعلم وليس احد من الناس الا وقد علم من نفسه انه
اذا اقبل على شيء بكليته حدث له فيه امور رحمانية الهامية بغتة من غير سابقة فكر وطلب وعلى قدر التهيئة يكون
النفث من قبل الله سبحانه وربما كان النفث شيطانيا بما تلقيه الشياطين من الاستراقات من الملائكة اما من الارض
بعدين وهدا ومن السماء بالاستراق فيما قال الله تعالى علم ويجوز ان يكون للاولياء شافهة من الملك كما كان لمريم عليها السلام
من الملائكة وقال جبريل عليه السلام عن بعضهم لو سلم رد عليه ولما دل هذا السياق على عزة عالم الغيب وكانت عزته
سببا لحراسته من يطلع عليه ليؤديه الى من امر به اعلم سبحانه بذلك لكونه مؤكدا تمييزا له من علم الكهان الذي اي صلة
على الجان دالا على اجلال الرسل واعظامهم وتبجيلهم واكرامهم فانه اي الله سبحانه يظهر ذلك الرسول على ما يريد من الغيب
وذلك انه اذا اراد اظهاره عليه يسلك اي يدخل ادخال السلك في الجوهرة في نفوقه ونفوذه من غير ادنى تعريج الى غير
المراد ولما كان الغرض يحصل بما يعمه سبحانه من جنوده للحراسة ولو انه واحد من كل جهة بل وبغير ذلك وانما
جعل هذا الاخراج الامر على ما يتعارفه العباد عبر بالجار دليلا على عدم استغراق الرصد للجهات الى منقطع الارض
مثلا فقال من بين يديه اي الجهة التي يعلمها ذلك الرسول ومن خلفه اي الجهة التي تغيب عن علمه فصار ذلك كناية عن كل جهة
ويمكن ان يكون ذكر الجهتين دلالة على الكل وخصهما لان العدو متى اعرت واحد منهما ومتى حفظنا الرصد من غيرهما
لانه يصير بين الاولين والاخرين رصدا اي حرسا من جنوده يحرسونه ويحفظونه لحفظ ما معه من الغيب من اختطاف
الشياطين وغيرهم لئلا يسترقوا شيئا من خبره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقال مقاتل وغيره يخبرونه لمن انكره
بان يحذروه منه ان كان شيطانا او يامرونه بالسماع منه ان كان ملكا وذلك ان ابليس كان ياتي الانبياء في صورة جبريل
عليه السلام ولما كان هذا الداب من الحفظ في كل رسول من الغاية جامعا تعيين سلكا اقتضاه الجنس وبيانا لان
الافراد او لا مراد به الجمع وانه ما عبر به الا لتشمل الحراسة كل فرد فرد منهم فقال ليعلم اي الله علما كائنا واقعا
على هذه الصفة التي تتعلق بها علمه في الازل لتنزل وجودها بما لا يعلمه الا هو سبحانه انها ستكون ان اي ان الرسل

قد ابلغوا الى من ارسلوا اليه رسالات ربهم اى الذى وجدهم ودبر جميع امورهم واختارهم لرسالته على ما هى عليه لم يشبها شائبة
ولا لحقها غير ولما كان هذا ربما اوهم انه محتاج فى الحفظ الى الرصد ازال ذلك بقوله واحاط اى فعل ذلك والحال انه قد
احاط بما لديهم اى الرسل والمرسل اليهم من الملائكة والبشر على ادنى الوجوه واعظمها واعزها بما اشار اليه التعبير بلدى
ولما كان هذا كافيا فى المقصود لكنه قاصر على محل الحاجة عم تعريفا بالامر على ما هو عليه فقال حاملا على شدة الوثوق
بما تقوله الرسل عن ربهم وانه لا لبس فيه ولا غائلة بوجه مبينا غاية البيان كذب حديث الغرانيق الذى ذكره بعض المفسرين
وغيرهم فى سورة والنجم واحصى اى الله سبحانه كل شئ اى على العموم من غير استثناء اصلا عددا اى من جهة العدد لكل ما يمكن عده ولو
على اقل مقادير الذر فيما لم يزل وفيما لم يزل فهو دليل قاطع على علمه تعالى بالجزئيات كعلمه بالكليات وقد التقى اول السورة واخرها
وباطنها الغيبى وظاهرها بدلالة اخرها على الاول المجمل واولها على الاخر المفصل فى ذلك ان اول السورة بين عظمة الوحى بسبب الحرس من
فى اثنائها حفظه من مسترق السمع وختم بتاكيد حفظه وحفظ جميع كلماته واستمر فى تاكيد امر حتى ثابت عظمة هذا القران وظهر
عزة هذا الفرقان على كل كتاب بكل اعتبار وحساب فافتتح المزمل بمثل ذلك وختمها بالامر بقراءة ما تيسر منه وذكر فى المدثر
طعن الطاعن فيه وما ناله بسبب ذلك الطعن من الخزى والعذاب فى الدنيا والاخرة مع ضمان الحفظ منه ثم نهى
نبيه صلى الله عليه وسلم فى سورة القيمة عن العجلة امره لئلا يختل حفظه او يزيغ ادنى زيغ لفظه وتشريعا للامة
فى ترك الاستعجال فانه ليس فى اداب الرجال ثم اكد امر ترتيله فى الانسان وبين ان علة الاعراض عنه حب العاجلة التى
عز النقصان وختم المرسلات بتهديد ما تخيله الاوهام والظنون فقال فباى حديث بعده يؤمنون فسبحان من نظمه
هذا النظام وجعله اقصى المراد وغاية المرام

سورة المزمل

مقصودها الاعلان بان محاسن
الاعمال تدفع الاخطار والاوجال وتخفف الاحمال الثقال ولا سيما الوقوف بين يدى الملك المتعال والتجرد فى خدمته
فى ظلمة الليال فانه نعم الاله لقبول الافعال والاقوال ومحو ظلل الضلال والمعين الاعظم على الصبر والاحتمال
لما يرد من الكدورات فى دار الزوال والقلعة والارتحال واسمها المزمل ادل ما فيها على هذا المقال بسم الله الكافى من توكل
عليه فى جميع الاحوال الرحمن الذى عم بنعمة الايجاد والبيان المهتدى والضال الرحيم الذى خص حزبه بالسداد فى الاقوال
والافعال لايصالهم الى دار الكمال ولما تقدم فى اخر الجن تعظيم الوحى وان من تعظيمه حفظ المرسل به من جميع الافات
المفترة عن ابلاغه بما له سبحانه من احاطة العلم والقدرة وندب نبيه الذى ارتضاه لرسالته والاطلاع على ما اراد
من غيبه صلى الله عليه وسلم اول هذه الى القيام باعباء النبوة بالمناجاة بهذا الوحى فى وقت الانس والخلوة بالاحباب
والبسط والحلوة لمزيد قابلية للاعتلاء والمناجاة المهيئ لحمل اعباء الرسالة والمقوى على نقال المعالجة لاهل الضلال
فقال معبرا بالاداة الصالحة للقرب والبعد المختصة بانها لا يقال بعدها الا الامور التى هى فى غاية العظمة اشارة
الى انه صلى الله عليه وسلم يراد به غاية القرب بالامور البعيدة عن تناول الخلق لكونها خوارق للعادات ونواقض
للمالوفات المطردات واما التزمل فهو وان كان من الات ذلك الا انه من الامور العادية فهو دون ما يراد من التهيئة
لذلك الاستعداد وبالتزمل لكونه منافيا للقيام للصلاة يايها المزمل اى الذى اخفى شخصه وستر امره وما امر به مما
اشار اليه المتزمل الذى هو لوله التلفف فى الثوب على جميع البدن والاختفاء لزوم مكان واحد وكانه يكون منطرحا
على الارض كما قال صلى الله عليه وسلم فى قتلى احد زملوهم بثيابهم ودمائهم مع الاشارة الى الاختفاء ايضا بادغام التاء
وربما اشار الادغام الى ان الستر بالثوب لم يعم جميع البدن كما يأتى فى المدثر على ان فيه مع ذلك اشارة الى السيادة لانه
على حمل اعباء ما يراد به من قولهم زمل الشئ اذا رفعه وحمله والازدمال احتمال الشئ وزملت الرجل على البعير وغيره اذا
حملته عليه ومن زملت الدابة فى عدوها اذا انشطت والزامل من حمر الوحش الذى كانه يطلع من نشاطه ورجل زمل
شديد والزاملة بعير يستظهر به الرجل لحمل طعامه ومتاعه عليه ويقال للرجل العامل بالامر هو ابن زوملتها وقال ابن
عطا يايها المخفى ما نظهره عليه من اثار الخصوصية هذا وان كشفه وقال عكرمة يايها الذى زمل هذا الامر وقال السدى
اراد يايها النائم وقال غيره كان هذا فى ابتدا الوحى بالنبوة والمدثر فى ابتدا الوحى بالرسالة ثم خوطب بعد ذلك بالنبى
والرسول قم اى فى خدمتنا لحمل اعباء نبوتنا والازدمال بالاجتهاد فى الاحمال واترك التزمل فانه مناف للقيام ولما
كان الاجتهاد فى الخدمة دالا على غاية المحبة وكانت النية خيرا من العمل وكان الانسان مجبولا على الضعف وكان سبحانه
لطيفا بهذه الامة تشريفا لامامها صلى الله عليه وسلم رضى منا سبحانه بصدق التوجه الى العمل وجعل جزءا اكثر
من اعمالنا لحمل احياء البعض احياء للكل فاطلق اسم الكل واراد البعض فقال الليل اى الذى هو وقت الخلوة والخفية والستر
فضلا لنا فى كل ليلة من هذا الجنس فقف بين يدينا بالمناجاة والانس بما انزلنا عليك من كلامنا فانا نريد اظهارك واعلاء
قدرك فى البر والبحر والسر والجهر وقيام الليل فى الشرع معناه الصلاة فلذا لم يقيد وهى جامعة لانواع الاعمال

الظاهرة

الظاهرة والباطنة وهى عمادها فذكرها دال على ما عداها ولما كان للبدن حظ فى الراحة قال مستثنيا من الليل الا قليلا
اى من كل ليلة ويؤذى هذا النداء لانه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحى فى غار حرا رجع الى خديجة زوجته رضى الله عنها يرجف فؤاده
فقال زملونى لقد خشيت على نفسى فسالته رضى الله عنها عن حاله فلما قص عليها امره وقال خشيت على نفسى ان يكون هذا مبادى شعر
وكهانة وكل ذلك من الشياطين وان يكون الذى ظهر له بالوحى ليس بملك وكان صلى الله عليه وسلم يبغض الشعر والكهانة غاية
البغض فقالت له وكانت وزيرة صدق كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب
الحق ونحو هذا من المقال الذى يثبت وفائدة التزمل ان الشجاع الكامل اذا دهمه امر فوق قواه تفرق امره فى جمع
الى نفسه وقصر بصره وبصيرته على جسمه اجتمعت قواه اليه فقويت جبلته الصالحة على ملك العوارض الجبلية
فهو منها فرجع الى امر الجبلة العظيمة وزال ما عرض من العلة البدنية وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما كان ذكر اسلام
الجن قد احرز غاية انتهى مرعاها وتم مقصدها ومبناها وفى الاعلام باستجابة هؤلاء وحرمان من كان اولى بالاستجابة واقرب
فى ظاهر الامر الى الانابة لبعد تعذرهم وعنادهم وشك ان يتهدد الحد صرف الكلام الى امره صلى الله عليه وسلم بما يلزمه من
وظائف عباداته وما يلزمه فى ادكار من ليله ونهاره مفتتحا ذلك باجمل مكالمة والطف مخاطبة يايها المزمل تسلية
له صلى الله عليه وسلم كما ورد فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وليحصل منه الاكتراث لعناد من تقدم عناده وكثرة
الحجة واتبع ذلك بما يشهد لهذا الغرض ويعضده وهو قوله تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرنى والمكذبين
اولى النعمة ومهلهم قليلا وهذا عين الوارد فى قوله تعالى ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وفى قوله نحن اعلم بما يقولون وما
انت عليهم بجبار ثم قال ان لدينا انكالا فذكر ما اعد لهم واذا تاملت هذه الاى وجدتها قاطعة بما قدمناه وبان تلك
التحام ما ذكره ثم تدرج الكلام الى التلطف به عليه الصلاة والسلام وباصحابه رضى الله عنهم واجل جزائهم مع وقوع
التقصير ممن يصح منه لعظيم المعبود الحق جل جلاله علم ان لن تحصوه فتاب عليكم الى قوله فاقرؤا ما تيسر من القران
ثم ختم السورة بالاستغفار من كل ما تقدم من عناد الجاحدين المتقدم ذكرهم فيما قبل من السور الى ما لا يفى العباد المستجيبون
به بما اشار اليه قوله تعالى علم ان لن تحصوه انتهى ولما كان الليل اسما لما بين غروب الشمس وطلوع الفجر وكان قيامه فى غاية
المشقة حمل عنا سبحانه من ثقل ذلك فقال مبينا لمراده بما حط عليه الكلام بعد الاستثنا ومبدلا من جملة المستثنى والمستثنى
منه نصفه اى الليل فعلم ان المراد بالقليل المستثنى النصف وسماه قليلا بالنسبة الى جميع الليل وبالنسبة الى النصف الذى
وقع احياؤه ولان ما ملئ بالعمل اكثر مما لا عمل فيه ويجوز ان يكون نصفه بدلا من الليل فيكون كانه قيل قم نصف الليل الا قليلا
وهو السدس او انقص منه الى الربع وكانت العبارة هكذا ليفيد ان من قام ثلث الليل بل ربعه فما فوقه كان محييا الليل
كله ولما كانت الهمم مختلفة بالنسبة الى الانتخاص وبالنسبة الى الاوقات قال او انقص منه اى من هذا النصف الذى
امرت بقيامه او من النصف المستثنى منه القليل على الوجه الثانى وهو الثلث قليلا فلا تقمه حتى لو احييت ثلث الليل على الوجه
الاول او ربعه على الوجه الثانى كنت محييا له فى فضل الله بالتضعيف او زد عليه اى على النصف قليلا كالسدس مثلا ولا
يكون الذى تقومه الثلثين مثلا وعلى كل تقدير من هذه المقادير يصادف القيام وهو لا يكون الا بعد النوم وقت
الوقت الذى باركه الله بالتجلى فيه فانه صح انه ينزل سبحانه عن ان يشبه ذاته شيا او نزوله نزول غيره بل هو كناية عن
فتح باب السماء الذى هو كناية عن وقت استجابة الدعاء حتى يبقى ثلث الليل وفى رواية حتى يبقى شطر الليل الاخر الى سماء
الدنيا فيقول هل من سائل فاعطيه هل من تائب فاتوب عليه هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر وكان هذا القيام فى اول
الاسلام فرضا عليهم على التخيير من هذه المقادير الثلثة فكانوا يشقون على انفسهم فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم
حتى يصبح مخافة الا يحفظ القدر الواجب وكذا بعض اصحابه رضى الله عنهم واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم وكان
هذا قبل فريضة الخمس ونزل اخرها بالتخفيف بعد سنة علم ان لن تحصوه الايات فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة
ولما امر بالقيام وقدر وقته وعينه امر بهيئة التلاوة على وجه عام لليل والنهار معلم بان القيام بالصلاة التى روحها
القران فقال ورتل القران اى اقرأه على تؤدة وبين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدها حتى يكون المتلو شبيها بالثغر المرتل
وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان فان ذلك موجب لتدبره فينكشف له مهماته ويتجلى عليه سرائره وخفياته قال ابن
مسعود رضى الله عنه ولا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر وكن قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم
احدكم اخر السورة وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ولما امر سبحانه بالترتيل علم ان تقديره تاكيدا بالمصدر
فقال ترتيلا ولما كان المراد منه صلى الله عليه وسلم الثبات فى النبوة ومن امته الثبات فى الاقتداء به فى تحمل
الامر والنهى وكان ذلك فى غاية الصعوبة وكان الانسان عاجزا الا باعانة مولاه وكان العون النافع انما يكون لمن صفت

نفسه عن الاكدار واشرقت بالانوار وكان ذلك انما يكون بالاجتهاد في خدمته سبحانه علل هذا الامر بقوله مبينا للقران الذي
امر بقراته ما هو وما وصفه معلما ان التهجد يعد للنفس من القوى ما به تعالج المشقات مؤكدا لان الانسان بما هو خارج عن جميع اشكال
الكلام ولا يكاد يصدق انا اي بما لنا من العظمة سنلقي اي قريبا بوعد لا خلف فيه مهيئا لذلك بما حوله ولما كان المقام لبيان
الصعوبة عبر باداة الاستعلاء فقال عليك واشار الى التيسر مع ذلك اشارة ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر بالتعبير
بما يدور مادته على اليسر والخفة فقال قولا يعني القران ثقيلا اي لما فيه من التكاليف الشاقة من جهة حملها وتحملها للمدعوين
لانها تضاد الطبع وتخالف النفس ومن جهة رزانة لفظه لامتلائه بالمعاني مع جلالة معناه وتصاعده مع خفائه فلا تفهمه المتامل
وتستخرج ما فيه من الجواهر الا بمزيد فكر وتصفية سر وتجريد نظر فهو ثقيل على المنافق من جميع هذه الوجوه وعلى المخالف من جهة
انه لا يقدر على رده ولا يتمكن من طعن فيه بوجه مع انه ثقيل في الميزان وعند لقيه وله وزن وخطر وقدر عظيم. روي في الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه الوحي يفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشاتي الشديد البرد وكان اذا نزل
عليه الوحي صلى الله عليه وسلم وهو راكب على ناقته وضعت جرانها فلا تكاد تتحرك حتى يسرى عنه. قال القشيري وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان سورة الانعام نزلت عليه جملة وهو راكب فبركت الناقة من ثقل القران وهيبته وهو مع ثقله على الاركان خفيف
على اللسان سهل التلاوة والحفظ على الانسان ولما افهم هذا ان التهجد في غاية العظمة اكد ذلك حاثا على عدم الرضى بدون
الافضل الاجمل الاكمل بقوله مؤكدا لتحقق مر القيام على النفس ان ناشئة الليل اي ساعاته التي كل واحدة منها ناشئة والعبادة التي
تنشا فيه بغاية الخفة ممن نشا اي نهض من مضجعه بغاية النشاط لقوة الهمة ومضاء العزيمة التي جعلتها كانها نشات بنفسها
وقال ابن عباس رضي الله عنه ما كان بعد العشاء فهو ناشئة وما كان قبله فليس بناشئة. وقالت عائشة رضي الله عنها الناشئة
القيام بعد النوم. وقال الازهري الناشئة القيام مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو ولما كان ذلك في غاية
الصعوبة لشدة منافرته للطبع زاد في التوكيد ترغيبا فيه فقال اي خاصة لما لها من المزايا اشد اي اثقل واقوى وانفس وارصن
وطاء اي كلفة ومشقة لما فيها من ترك الراحة وفراق الالف والمحبوب واشد ثبات قدم على انه مصدر وطئ في قراءة الجماعة
بفتح ثم سكون ومواطاة بين القلب واللسان في الحضور وفي لزوم الدين بالاذعان والخضوع على انه مصدر واطا مثل قاتل
على قراءة ابي عمرو وابن عامر بالكسر والمد وهي ابلغ لان صيغة المفاعلة تكون بين اثنين يتغالبان فيكون الفعل اقوى
ولما كان التهجد يجمع القول والفعل وكان ما في الفعل لانه اشق فكان بتقديم الترغيب بالمدحة احق اتبعه القول فقال
واقوم قيلا اي اعظم سدادا من جهة القول في فهمه ووقعه في القلوب لحضور القلب وزوال لغط الليل وهدوء الاصوات
وتجلي الرب سبحانه بحصول البركات واخلص من الرياء والقصود الدنيات ولما بين سبحانه من اول السورة الى هنا
ما به صلاح الدين الذي عصمة الامر وبه صلاح الدارين واظهر ما للتهجد من الفضائل وكان المتعبد ربما قوي اطباعه
لينال هذه الثمرات قال معللا محققا له مبينا ما به صلاح الدنيا التي فيها المعاش وصلاحها وسيلة الى صلاح المقصود
وهو الدين وهو الذي ينبغي له لئلا يكون كلا على الناس ليحصل من الرزق ما يعينه على دينه ويوسع به على عيال الله من غير ملل
ولا ضجر ولا تسال ولا امتنان مؤكدا للنفس من الكسل عنه ان لك اي ايها المتهجد ويا اكرم العباد ان كان الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم ليكون اكد في الزام الامة به في النهار الذي هو محل السعي في مصالح الدنيا ولما كان الانسان يهتم
في سعيه لنفسه حتى يكون كانه لشدة عزمه وسرعة حركته كالسابح فيما لا عائق فيه قال سبحا طويلا اي تقلبا ممتدا لزمان
قال البغوي واصل السبح سرعة الذهاب. وقال الرازي سهولة الحركة ولما كان المتهجد ربما اجتهد في التهجد عطف عليه
قوله حاثا على حصول الفكر واذكر اسم ربك اي المحسن اليك والموجد والمدبر لك بكل ما يكون ذكرا من اسم وصفة وثناء وخضوع
وتسبيح وتحميد وصلاة وقراءة ودعاء واقبال على علم شرعي وادب مرعي ودم على ذلك فاذا اعظمت الاسم بالذكر فقد عظمت
المسمى بالتوحيد والاخلاص وذلك عون لك على مصالح الدارين اما الاخرة فواضح واما الدنيا فقد ارشد النبي صلى الله عليه
وسلم اعز الخلق اليه فاطمة ابنته رضي الله عنها لما سالته خادما تعينها التعب الى التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم
ولما كان الذكر قد يكون مع التعلق بالغير علم ان الذكر بالحقيقة انما هو المستغرق فيه سبحانه وبه يكون تمام القول
فقال وتبتل اي اجتهد في قطع نفسك عن كل شاغل والاخلاص في جميع اعمالها بالتدريج قليلا قليلا منتهيا اليه ولا تزال على
ذلك حتى يصير لك ذلك خلقا فتكون نفسك كانها منقطعة بغير قاطع ومقطعة بقطعها كثيرا بكل قاطع فيكون التقدير بما ارشد
اليه المصدر تبتلا وبتلها تبتيلا فاعلم انه لما كد بالمصدر ارشد الى الجمع بين التفعل والتفعيل لشدة الاهتمام وصعوبة
المقام وهو من البتل وهو القطع ومنه صدقة بتلة اي مقطوعة عن صاحبها ولذلك قال زيد بن اسلم التبتل رفض الدنيا وما فيها
والتماس ما عند الله والبتول مريم عليها السلام لانقطاعها الى الله عن جميع خلقه وكذا فاطمة الزهراء البتول ايضا
لانقطاعها عن قرين فالمراد بهذا هو المراد من كلمة التوحيد المقتضية للاقبال عليه والاعراض عن كل ما سواه وذلك

بملازمة الذكر وخلع الهوى والاية من الاحتباك وهو ظاهر ذكر فعل التبتل دليلا على حذف مصدره وذكر مصدر تبتيلا دليلا على حذف
فعله ولما كان الواجب على كل احد شكر المنعم بين انه سبحانه الذي انعم بسكون الليل الذي امر بالتهجد فيه وبانتشار النهار
الذي اذن بالسبح فيه فقال واصفا الرب المامور بذكره في قراءة ابن عامر ويعقوب والكوفيين من غير حفص معظما له بالقطع في قراءة
الباقين بالرفع رب المشرق اي موجد محل الانوار الذي بها تنمحي هذه الليل التي امرت فانت فيه وتضيء بها الصباح وعند الصباح
يحمد القوم السرى بما انالهم من الانوار في مرائي قلوبهم وما زينها به من شهب المعاني كما اوجد الشهب في افاق افلاكهم من شموس المعاني
المتممة لبدور الانس في مواطن القدس ولا يطلع كوكب في الموضع الذي هو ربه الا باذنه وهو رب كل مكان. وما احسن ما قال
الامام الرباني تقي الدين بن دقيق العيد. كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض ولا نستريح.
واختلف الاصحاب ماذا الذي يريح من يشكو ام ويريح. فقيل تعريسهم ساعة وقلت بل ذكراك وهو الصحيح.
ولما ذكر مطالع الانوار لانها المقصودة لما لها من جلي الاظهار ووحد لانه اوفق للمقصود السوق الذي محطه الاجماع
المدلول عليه بالتزمل اتبعه مقابله فقال والمغرب اي الذي يكون عنه الليل الذي هو محل السكن وموضع الخلوات ولذيذ
المناجاة فلا تغرب شمس ولا قمر ولا نجم الا بتقديره واذا كان رب ما فيه هذه الصنائع التي هي ابدع ما يكون كان رب ما دون ذلك
ولما علم بهذا ان المختص بتدبير الكائنات المتفرد بايجاد الموجودات كان اهلا لان يفرد بالعبادة وجميع التوجه قال
مستانفا لا اله اي معبود بحق الا هو اي ربك الذي دلت تربيته لك على مجامع العظمة واتصافه بصفات الكمال والتنزه
عن كل شائبة نقص فلذلك تسبب عنه قوله فاتخذه اي خذه بجميع جهدك وذلك بافرادك اياه بكونه وكيلا اي على كل من خالفك
بان تفوض جميع امورك اليه فانه يكفيكها كلها وكلا وهذا غاية الكلاية فانه المتفرد بالقدرة عليها ولا تنس اصلا في بذل عزم
ولا تهتم بشيء اصلا وليس في ذلك بان يترك الانسان كل عمل فان ذلك قطع فارغ بل بالاجمال في طلب كل ما ندب الانسان الى طلبه ليكون
متوكلا في السبب لا من دون سبب فانه يكون حينئذ كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية
على الاسباب ولو لم يكن في افراده بالوكالة الا انه يفارق الوكلاء بالعظمة والشرف والرفق من جميع الوجوه فان وكيلك
من الناس دونك وانت تتوقع ان يكلمك كثيرا في مصالحك وربك اعظم العظماء وهو يامرك بان تكلمه كثيرا في مصالحك
وتساله طويلا وكيلك من الناس اذا حصل مالك سالك الاجرة وهو سبحانه يوفر مالك ويعطيك الاجر وكيلك من
الناس ينفق عليك من مالك وهو سبحانه يرزقك وينفق عليك من ماله ومن تمسك بهذه الاية عاش حرا كريما ومات حا
شريفا ولقي الله عبدا صالحا مختارا نقيا ومن شرط الموحد ان يتوحد الى الواحد ويقبل على الواحد ويبذل له نفسه
عبوده وبامنه على نفسه ويفوض اليه اموره ويترك التدبير ويثق به ويركن اليه ويشهد للربوبية ويتواضع
لعظمته ويترنم بما يناسبه ويتخذه عدة لكل نائبة دنيا واخرة ولما كانت الوكالة لا تكون الا فيما يعجز وكان الامر
مشيرا الى انه لا بد ان يكون عن هذا القول الثقيل خطوب طوال وزلازل واهوال قال واصبر واشار الى عظم الصبر
بتعديته بحرف الاستعلاء فقال على ما وخففا الامر بالاشارة الى انهم لا يصلون الى غير الاذى بالقول وعظمه باسم الموصول
عليه فقال يقولون اي المخالفون المعهودون من الوكالة من مذاهبهم الحق بالباطل في حق الله وحقك ولما كانت مجانبة
البغيض لا تعد الا عند الاضطرار مما يخفف من اذاه قال واهجرهم اي اعرض عنهم جهارا دافعا للحرج مهما امكن هجرا جميلا
بان تعاشرهم بظاهرك وتباينهم بسرك وخاطرك فلا تخالطهم الا فيما امرك الله به على ما احق لك من دعائهم اليه سبحانه
ومن موافقتهم في افراحهم واحزانهم وتودي حقوقهم ولا تطالبهم بحقوقك تصريحا ولا تلويحا ولما كان في امره
هذا بما يفعل ما يشق جدا بما فيه من احتمال علومهم اعلم بقرب فرجه بتهديد بليغ لهم باخذهم شر بعقاب فقال وذرني اي اتركني
على اي حالة اتفقت مني في معاملتهم واظهر في موضع الاضمار تعليقا للحكم بالوصف وتعميما فقال والمكذبين اي العريقين
في التكذيب فاني قادر على رحمتهم وتعذيبهم ولما ذكر وصفهم الذي استحقوا به العذاب ذكر الحامل عليه تزهيدا
فيه وصرفا عن معاشرة اهله لئلا تكون المعاشرة فتنة فيكون حاملا على الاتصاف به وحادة الى حب الدنيا فقال
اولي النعمة اي اصحاب التنعم بغضارة العيش والبهجة التي افادتموها النعمة بالكسر وهي الانعام وما تفخرون به من الاموال
والاولاد والجاه الذي افادته النعمة بالفتح وهي المسرة التي تقتضي الشكر وهم اكابر قريش واتباعهم ولما
كان العليم القدير اذا امال مثل هذا القول من اوليائه عاجل عدوه قال محققا للمراد بما امر به من الصبر مزهدا في النعم
الدنيوية بان زمنها قصير ومهلهم اي اتركهم برفق وتان وتدريج ولا تهتم بشانهم ولما كان سره بوعيدهم
الشديد بهذا العتاب الذي مضمونه ان اخذهم بيدك صلى الله عليه وسلم وهو سبحانه ليس في تاخيرهم زادهم السار
بقوله قليلا اي من الزمان والامهال الى موتهم او الايقاع بهم قبله وكان بين نزول هذه الاية ووقعة بدر
يسير قاله الطبري وفيه بشارة له صلى الله عليه وسلم بالبقاء بعد اخذهم كما كان وانه ليس محتاجا في امرهم

اي عز وكلم الينه سبحانه بالقايم عن بالهه وتعريع ظاهره وباطنه لما هو ما مورثه من الانبا لعلى الله سبحانه ففي الايه ان من اشتغل
بعدو وكله الى تعتنيه مضاد ذلك كالمانع من اخذ الله فاذا توكل عليه تعقذ ازال ذلك المانع ولما كان هذا امادي بابعادهم
وكان وصفهم بالنعمه مفهما لانهم معتادون بالمشاكل الطيبه وكان منع اللذيذ من الماكل لمن اعتاده لابلغ في نكايه النفس بعد نكاية
البدن الا بعد تقدم اهانته استانف قوله بيانا لنوع ما افهمه التمهيل من مطلق العذاب واكد لاجل تكذيبهم انا واشار الى
شدة غرابته وجلالته وعظمته وخصوصيته وخفى حضوره بقوله لدينا دون عندنا ولما كان اشد ما على الانسان
منعه مما يريده من الانبساط به بالحركات قال ذاكرا ما يضاد ما هم فيه من النعم والعز انكالا جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل
الذي لا ينفك ابدا اهانة لهم لا خوفا من فرارهم جزاء على تقييدهم انفسهم بالشهوات عن اتباع الداعي واتساعهم في المشي في فضا
الاهويه ولما كان ذلك محرقا للباطن اتبعه حريق الظاهر فقال وجحيما اي نارا حامية جدا شديدة الاتقاد بما كانوا
يتقيدون به من تبريد الشراب والتنعم برقيق اللباس والثياب وتكلف انواع الراحه ولما اتم ما يقابل تكذيبهم
اتبعه ما يقابل النعمه فقال وطعاما اي صاحب انتشاب في الحلق كالضريع والزقوم يشتبك فيه فلا يسوغ لا ينزل ولا يخرج
بما كانوا يعانونه من تصفية الماكل والمشارب وانواع الجهد في الظفر بجميع الماارب ولما حصرهم قال وعذابا اليما اي مولما شديد
الايلام لا يدع لهم عدوا به يبقى من الاشياء اصلا بما كانوا يتصفون بداوقاتهم ويكيدون على من يدعوهم الى ما ينفعهم بلا لاص
من شهود المشاهدات والعروج من حضيض الشهوات الى درج الباقيات الصالحات ولما ذكر هذا العذاب ذكر
ظرفه فقال يوم ترجف اي تضطرب وتتزلزل زلزالا لا اشد منه الارض اي كلها والجبال التي هي اشدها ولما كان
التقدير فكانت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا عطف عليه قوله وكانت الجبال اي التي هي مراسي الارض
واوتادها وعبر عن شدة الاختلاط والتلاشي بالتوحيد فقال كثيبا اي رملا مجتمعا فعيل بمعنى مفعول من كثبه اذا
جمعه ومادة كثب بتركيبها كثب وكبث تدور على الجمع مع القرب ويلزمه القلة فان حقيقة القرب قلة المسافة زمانا
او مكانا والتعومه من كثبت التراب درسته فكثب عليه بمعنى حمل او كر معناه قارب ان يخالطه وكثيب الرمل قطعة
تنقاد محدودبة ناظرا الى القلة من معنى قطعه وكلما انصب كذلك ايضا لان الانصباب عادة يكون للماقل لما
لعم واما نعم كثاب بتقديم الثاء وتاخيرها ايضا اي كثير فلجانبه الكثرة من الصيغه والكنانة من الغرس هو اضيق
موضع في عرضها والكثبة من الارض المطمئنة بين الجبال لانها تكون صغيرة عادة والكثاب كسحاب النضيج من ثمر الاراك
وقيل ما لم ينضج فهو من مقاربة النضج وان اريد المتفرق فلقرب بعضه لبعضها من بعض لان الاراك نفسه صغير
الشجر وكبث اللحم كفرح بات مغموما فتغير او اروح اي اجمع على ابانة الذي هو فيه انا اخر وجمع ما هو فيه حتى يضايق
فهو من الجمع لهذا واما الكبيث كقنفذ والثاء مؤخرة للصلب الشديد فهو في الغالب من جمع اجزائه وتداخل بعضها
في بعض وكبيث للسفينة ان تجنح الى الارض هو من الجمع والقرب معا واما كبث كتابة بمعنى تجمعها فكان فعل استعمل
هنا للازالة التي ازال اجتماعها او بمعنى قربها من رميه بتيسيرها لسرعة التناول ولما كان الكثيب
ربما اطلق مجازا على ما ارتفع وان لم يكن ناعما قال مهيلا اي رملا سائلا رخوا لينا لمنثور امرها اذا انتثر وقال
الكلبي هو الذي اذا اخذت منه شيا تبعك ما بعده ولما ذكر العذاب ووقته وقدمهما ليكون السامع
اقبل لما يطلب منه اتبعهما السبب فيه مشيرا الى ما به اصلاح امر الاخرة التي فيها المعاد واليها المنتهى والماب
فقال مؤكدا لاجل تكذيبهم انا ارسلنا اي بما لنا من العظمه اليكم يا اهل مكه شرفا لكم خاصة والى كل من بلغته الدعوة
عامه رسولا اي عظيما جدا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وامامهم صلى الله عليه وسلم شاهدا عليكم اي بما تصنعون
ليؤدي الشهادة عند طلبها منه يوم ننزع من كل امة شهيدا وهو يوم القيمه ولما كانت هذه السورة من
اول ما نزل والدين ضعيف واهله في غاية القلة والذلة لتعنتهم مما آل به الامر الى ان كان في زمان صار فيه الدين
عزيزا كعزته اذ ذاك وكان فرعون اعتى الناس في زمانه واجرئهم واشدهم خداعا وامكرهم وكان بنو اسرائيل في غاية
الذل له والطواعية لامره ومع ذلك فلما ارسل الله اليه موسى عليه السلام الذي ذبح فرعون ابناء بني اسرائيل لاجل الذي كان
في جملة من ذبحه لانه قيل له انه يولد لبني اسرائيل مولود يكون هلاك القبط على يده الطعنه به واهلكه على قوته
والجى منه بني اسرائيل على ضعفهم قال تعالى منبها لقريش والعرب وعيرهم على ان من كان الله معه لا ينبغي له ان يعادى
ولو انه اضعف الخلق وتنبيها لهم على الاعتبار بحال هذا الطاعية الذي يزيد عليهم بالملك وكثرة الجنود والاموال
كما ارسلنا اي بما لنا من العظمه الى فرعون اي ملك مصر رسولا ولعله نكره للتنبيه على انه ليس من قوم فرعون فلا مانع منه
من جهتهم ولا تشنيع ليعلم ان من كان له فتنته تجاى منه اولى بالنصرة ولما كان الارسال سببا للقبول والرد قال
فعصى فرعون اي بما له من تعوج الطباع الرسول اي الذي تقدم انا ارسلناه اليه فصار معهودا لكم بعد ما اراه من المعجزات

والايات اللامعات مما اشار اليه مظهر العظمه ولذلك سبب عن عصيانه قوله فاخذناه اي بما لنا من العظمه وبين انه اخذ قهر
وغضب بقوله اخذا وبيلا اي ثقيلا شديدا متعبا مضيقا رديء العاقبه من قولهم طعام وبيل اذا كان وخما لا يستمرأ لا ينزل
في المري ولا يخف عليه وذلك انا اهلكناه ومن معه اجمعين لم ندع منهم احدا وسياتي ان شاء الله تعالى في المزمل شرح فاعدة اعادة
النكرة والمعرفه ولما علم بهذا انه سبحانه شديد الاخذ وانه لا يغني في الحد منه الجد سبب عن ذلك قوله محذرا لهم
الاقتداء بفرعون فكيف تتقون اي توجدون الوقاية التي تقي انفسكم ولما كان السفير من سبب الهداية دائم لانه
ادل على رحمة المحذر وابعث على اجتنابه قال مشيرا باداة الشك الى ان كفرهم بالله مع ما نصب من الادلة العقليه الموثقة
بالنقلية ينبغي ان لا يوجد بوجه وانما يذكر على سبيل الفرض والتقدير ان كفرتم اي اوقعتم الستر لما غرس في فطركم من انوار
الدلائل القائده الى الايمان فبقيتم على كفركم على ان العبارة مشيرة الى انه عفا عنهم الكفر الماضي فلا يعاقبهم عليه رحمة منه
ولا يبعد عليهم الى ما اوقعوه بعد مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم يوما اي هو مثل في الشدة بحيث انه يقال فيه يجعل لشدة
اهواله وزلازله واهواله الولدان اي عند الولادة او بالقرب منها شيبا جمع اشيب وهو من ابيض شعره وذلك
كناية عن كثرة الهموم فيه لان العادة جارية بانها اذا تفاقمت اسرعت بالشيب والمعنى انكار ان تقدروا على ان تجعلوا
لهم وقاية تغايه جهدهم تقيهم عذاب ذلك اليوم الموصوف بهذا الهول الاعظم وذلك حين يقول الله يا ادم قم
فابعث بعث النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين واسند الجعل الى اليوم لكونه واقعا فيه كما جعله المتقي وانما المتقي
العذاب الواقع فيه ولما كان هذا امرا عظيما صور بعض اهواله زيادة في عظمه فقال السماء اي على عظمها وعلوها وشدة
احكامها ولما كان المراد الجنس الشامل للكل ذكر فقال منفطر اي منشق متزايل من هيبة الرب تزايل المتقرط من السلك
ولو انث لكان ظاهرا في واحدة من السماوات وفي اختيار التذكير ايضا لطيفه اخرى وهي افهام الشدة الزائدة في الهول
المؤدي الى انفطار ما هو في غاية الشدة لان الذكر في كل شيء اشد من الانثى وذلك كله تهويلا لليوم به اي بسبب ذلك اليوم
والباء للالة ويجوز كونها بمعنى فيه اي يحصل فيه التفطر والتشقق بالغمام ونزول الملائكه وغير ذلك من التساقط والتوي
على شدتها وثباتها فما ظنك بغيرها ولما كان هذا اعظما استانف بيان هوانه بالنسبة الى عظمته سبحانه فقال كان
اي على كل حال وبكل اعتبار وعده اي وعد الله الذي تقدم ذكره في مظاهر العظمه فالاضافه للمصدر الى الفاعل مفعولا اي
سهلا يسيرا وغاينه في اي شيء كان فكيف اذا كان بهذا اليوم الذي هو محط الحكمه والضمير لليوم فالاضافه الى المفعول
اشارة الى ان الوعد الواقع به وفيه لا بد منه ومعلوم انه لا يكون الا من الله ولما كان ما مضى من هذه السورة من
الاحكام والترغيب والترهيب مرشدا الى معاني الاخلاق ومنقذا من كل سوء قال مستانفا مؤكدا تنبيها على عظمها وانها مما
ينبغي التنبيه عليه ان هذه اي القطعه المتقدمه من هذه السورة تذكرة اي تذكير عظيم هو اهل لان يتعظ به المتعظ
ويعتبر به المعتبر ولا سيما ما ذكر فيها باهل الكفر من انواع العقاب ولما كان سبحانه قد جعل للانسان عقلا
يدرك به الحسن والقبيح واختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد فلم يبق له مانع من جهة اختيار الاصلح والاحسن الا الامر المشية
التي لا اطلاع له عليها ولا حيلة له فيها سبب عن ذلك قوله فمن شاء اي التذكر للاتعاظ اتخذ اي اخذ بغاية جهده
الى ربه اي خاصة لا الى غيره سبيلا اي طريقا سالكه حظوظه لكونه لا لبس فيه فيسلكه على وفق ما جاء من التذكرة
وذلك للاعتصام حال السير بالكتاب والسنه على وفق ما اجمعت عليه الامة ومن زاغ عن ذلك هلك ولما كان
ربما تغالى بعض الناس في العبادة وشق على نفسه وربما شق على غيره اشار سبحانه الى الاقتصاد تخفيفا لما يلحق الانسان
من النصب مشيرا الى ما تعمل حالة اتصال الروح بالجسد وهي حالة الحياة لان منفعتهما التزود من كل خير لما اداه هو
المقابر فان الروح في غاية اللطافه والجسد في غاية الكثافه لانهما من عالم الامر وهو ما يكون لا ايجاد فيه بمرة واحدة
من غير تدريج وتطوير والجسد من عالم الخلق فهي غريبة فيه يحتاج الى التأنيس وما يلبسهما بكل ما يعين بهما الى العالم
الروحاني المجرد عن علائق الاجسام وذلك بصرف القلب عن هذه الدنيا والتلبس بالاذكار والصلوات وجميع
الاعمال الصالحات فان ذلك هو المعين على تصالها بعالمها العالي العزيز الغالي واعون ما يكون على ذلك تحكيم
دين العدل في الاعمال والاقتصاد في الاقوال والافعال فقال مستانفا الجواب عن تيسير السبيل وبيانه على الحنيفيه
السمحه بحيث صار لا مانع منه الابد القدرة ان ربك اي المدبر لامرك على ما يكون احسانا اليك ورفقا بك وبامتك يعلم
ولما كانت كثرة العمل تمهد وحه وقلته بخلاف ذلك الاشعار انك تقوم اي في الصلاة كما امرت به اول السورة
توله للاقل وقوله ادنى اي زمانا اقل والادنى مشترك بين الاقرب والادون لا اشتراك رتبة لان كلا منهما يلزم عنه قلة
المسافه من ثلثي الليل في بعض الليالي ونصفه وثلثه اي وادنى من كل منهما في بعض الليالي هذا على قراءة الجماعة والمعنى
على قراءة ابن كثير والكوفيين بالنصب بعطف النصف والثلث لداخل تحت لادنى من الثلثين وهو على القراءتين مطابق

لما دعا التخيير فيه وأول السورة من قيام النصف بتمامه أو الناقص منه وهو الثلث أو الزائد عليه وهو الثلثان أو الأقل من الأكثر
من النصف لنصف وهو الربع ولما ذكر سبحانه قيامه صلى الله عليه وسلم أتبعه قيام أتباعه فقال عاطفا على الضمير
المستكن في تقوم وحسنه الفصل وطائفة أي وتقوم كذلك جماعة فيهما أهلية التحلي باقتدائهم بك وأنا لبعضهم على بعض ولما
كان الصاحب ربما أطلق على من مع الإنسان بقوله دون قلبه عدل إلى قوله من الذين معك أي باتباعهم وأفعالهم على الإسلام
وكان ذلك أخبار هؤلاء دون أن يقول من المسلمين لأنه يفهم أن طائفة لم تقم هذا القيام فلم يرد أن يسميهم مسلمين والمعية أعظم
ولما كان القيام على هذا التفاوت مع الاجتهاد في السبق في العبادة دالا على عدم العلم بالمقادير على ما هي عليه قال تعالى
والله أي تقومون هكذا لعدم علمكم بمقادير الساعات على التحرير والحال أن الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما وحده يقدر
أي يقدر تقديرا عظيما هو في غاية التحرير الليل والنهار فيعلم كل دقيقة منهما على ما هي عليه لا يخالفها لا يوجد شيء منهما إلا به إلا
لعلم من خلق ولما علم من هذا المشقة عليهم في قيام الليل على هذا الوجه علما أو عملا ترجم ذلك بقوله علم أي الله أن لن تحصوه
أي تطيقوا التقدير علما أو عملا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فتاب أي فتسبب عن هذا العلم أنه
سبحانه رجع بالنسخ عما كان أوجب عليكم بالترخيص لكم في ترك القيام المقدر أول السورة أي رفع التبعة عنكم كما رفعها
عن التائب وكأنه سماه توبة وإن لم يكن ثم معصية إشارة إلى أنه من شأنه لثقله أن يجر إلى المعصية ولما رفعه بسبب
عليه بما يسهل عليهم فقال معبرا عن الصلاة بالقراءة لأنها أعظم أركانها إشارة إلى أنها يستحب لا واجب فاقرءوا أي في الصلاة
وغيرها في الليل والنهار ما تيسر أي سهل وهان إلى الغاية عليكم ولان وانقاد لكم من القرآن أي الكتاب الجامع لجميع ما ينفعكم قال
القشيري يقال من خمس آيات إلى ما زاد ويقال من عشر آيات إلى ما يزيد قال البغوي قال قيس بن أبي حازم صليت خلف ابن
عباس رضي الله عنهما بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية
الثانية وقيل إنه أمر بالقراءة مجردا إقامة لها مقام ما كان يجب عليهم من الصلاة زيادة في التخفيف ولذلك روى أبو داود
وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام
بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين قال المنذري
من سورة الملك إلى آخر القرآن ألف آية ولما كان هذا نسخا لما كان واجبا من قيام الليل أول السورة لعلمه سبحانه
لعدم إحصائه شرع ذلك العلم المجمل بعلم مفصل بيانا لحكمة أخرى للنسخ فقال علم أن أي أنه سيكون بغير تقدير لا بد
منه منكم مرضى جمع مريض وهذه السورة من أول ما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم ففي هذا بشارة بأن أهل الإسلام يكثرون
جدا ولما ذكر عذر المرض وبدأ به لكونه أعم ولا قدرة للمريض على دفعه أتبعه السفر للتجارة لأنه يليه في العموم ولا
منتشرا مع كثرة أهل الإسلام وما تبع الأرض لهم وآخرون أي غير المرضى يضربون أي يوقعون الضرب في الأرض أي يسافرون
لأن الماشي بجد واجتهاد يضرب الأرض برجله ثم استأنف بيان علة الضرب بقوله يبتغون أي يطلبون طلبا شديدا
وإشارة إلى سعة ما عند الله بكونه فوق أمانيهم فقال من فضل الله أي بعض ما أوجده الملك الأعظم لعباده ولا حاجة
به إليه بوجه من الربح في التجارة أو تعلم العلم وآخرون أي منكم أيها المسلمون يقاتلون أي يطلبون ويوقعون
قتل أعداء الله ولذلك بينه بقوله في سبيل الله أي ذلك القتال مظروف لطريق الملك الأعظم لتزول عن سلوكه الموانع
بقتل قطاع الطريق المعنوي ذي الحق والظهور ولم يضم لعظمها للجهاد ولئلا يلبس بالعود إلى التجر وهو ندب لنا من الله إلى
رحمة العباد والنظر في أعذارهم فمن لا يرحم لا يرحم. قال البغوي روى إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال أيما رجل جلب
شيئا من مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله
وآخرون يضربون في الأرض الآية وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل
الله أحب إلي من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله ولما كانت هذه أعذارا أخرى
مقتضية للترخيص وأسبابا لعدم الإحصار رتب عليها الحكم السابق فقال مؤكدا للقراءة بيانا لمن يعظمها فاقرءوا
أي كل واحد منكم ما تيسر لكم منه أي القرآن ضمره إعلاما بأنه عين السابق فصار الواجب قيام شيء من الليل على وجه
التيسير ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ولما كان صالحا لأن يراد به الصلاة لكونه أعظم أركانها وأن يراد
به نفسه من غير صلاة زيادة في التخفيف قال مرجحا لإرادة هذا الثاني وتنصيصا على إرادة الأول وأقيموا
أي أوجدوا الصلاة المكتوبة بجميع الأمور التي تقوم بها من أركانها وشروطها ومقدماتها ومتمماتها وهيئاتها
ومحسناتها ومكملاتها ولما ذكر صلة الخالق التي هي أحد عمودي الإسلام البدني أتبعه المالي الذي هو العمود
الآخر وهو الوصلة بين الخلائق فقال وآتوا الزكاة أي المفروضة ولما كان المراد الواجب المعروف أتبعه
سائر الإنفاقات المفروضة والمندوبة فقال وأقرضوا الله أي الملك الأعلى الذي له جميع صفات الكمال التي بها

الغنى من أبدانكم وأموالكم في أوقات صحتكم ويساركم قرضا حسنا من نوافل الخيرات كلها في جميع شرعه برغبة تامة وعلى
هيئة جميلة في ابتدائه وانتهائه وجميع أحواله فإنه محفوظ لكم عنده مبارك فيه يرده عليكم مضاعفا أحوج ما تكونون إليه
ولما كان هذا الدين جامعا وكان هذا القرآن حكيما لأن منزله له صفات الكمال فأمر في هذه الجمل بأمهات الأعمال
اهتماما بها أتبع ذلك أمرا عاما لجميع شرائع الدين فقال وما تقدموا وحث على إخلاص النية بقوله لأنفسكم أي خاصة سلفا لأجل
ما بعد الموت حيث لا تقدرون على الأعمال من خير أي خير كان من عبادات البدن والمال قال تجدوه محفوظا لكم عند الله
أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما هو أي لا غيره خيرا أي لكم وجاز وقوع الفصل بين غير معرفتين لأن أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع
دخول أداة التعريف عليها ولما كان كل من عمل خيرا جوزي عليه سواء كان عند الموت وفي مهل الحياة سواء كان كافرا
أو مسلما مخلصا أو لا إن كان مخلصا كان جزاؤه في الآخرة وإلا ففي الدنيا قال وأعظم أجرا أي مما لمن
أوصى في مرض الموت أو كان بحيث يجازى به في الدنيا ولما كان الإنسان إذا عمل ما يمدح عليه ولا سيما إن كان المادح له
ربه ربما أدركه الإعجاب بين أنه لا يقدر على أن يقدر الله حق قدره فلا يزال مقصرا فلا يسعه إلا العفو
بل الغفر فقال حاثا على أن يكون ختام الأعمال بالاستغفار والاعتراف بالتقصير في خدمة المتكبر الجبار مشيرا
إلى حالة انفصال روحه عن بدنه وأن ملاكها الراحة من كل شر واستغفروا الله أي اطلبوا وأوجدوا ستر الملك
الأعظم الذي لا يحيطون بمعرفته فكيف بأداء حق خدمته لتقصيركم عينا وأثرا بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه
ولما علم من السياق ومن التعبير بالاسم الأعظم أنه سبحانه بالغ في العظمة إلى حد يوئس من إجابته علل الأمر
بقوله مؤكدا تأنيسا لما يستبعده من يستحضر عظمته سبحانه وشدة انتقامه وقوة بطشه إن الله وأظهر إعلاما بأن
صفاته لا تنحصر آثارها على المستغفرين ولا على مطلق السائلين غفور أي بالغ الستر لأعيان الذنوب وآثارها حتى لا يكون
عنها عقاب ولا عتاب رحيم أي بالغ الإكرام بعد الستر إفضالا وإحسانا وتشريفا وامتنانا وقد اشتملت هذه السورة
على شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوتي من جوامع الكلم اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي
فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي إليها منقلبي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر كما يشير
إلى كل جملة منها في محلها ولقد رجع آخر السورة بالترغيب في العمل وذكر جزائه على أولها الأمر بالقيام بين يديه وبأسنانه
الاستغفار إلى أعظم المقام وإن جل العمل ودام وإن كان بالقيام في ظلام الليالي والناس نيام فسبحان من له هذا
الكلام المعجز لسائر الأنام لإحاطته بالجلال والإكرام

سورة المدثر مقصودها الجد والاجتهاد
في الإنذار بدار البوار لأجل الاستكبار وإثبات البعث في نفس المكذبين الفجار والإشارة بالبشارة لأهل الادكار
بحكم العزيز الغفار واسمها المدثر أدل ما فيها على ذلك وذلك واضح لمن تأمل النداء والمنادى به والسبب

بسم الله الملك الأعلى الواحد القهار الرحمن الذي عم بنعمتي الإيجاد والبيان الأبرار والفجار الرحيم الذي خص
الذين خص أهل اصطفائه بالاصطباغ بسنة الاستبصار والتوفيق إلى ما يوصل به إلى دار القرار لما ختمت المزمل بالبشارة
لأرباب البصائر بعد ما بدئت بالاجتهاد في الخدمة المهيئ للقيام بأعباء الدعوة افتتحت هذه بمحط حكمة الرسالة
وهي النذارة لأصحاب الخسارة فقال معبرا أي إفهامه لبشارة بالسعة في المال والرجال والصلاح وحسن الحال
في الحال والمآل ومعرفا بأن المخاطب في غاية اليقظة بالقلب وإن ستر القالب يا أيها المدثر المشتمل بثوبه من تدثر
بالثوب اشتمل به والدثار بالكسر ما فوق الشعار من الثياب والشعار ما لاصق البدن ولذا قال الأنصار شعار والناس
دثار والدثر المال الكثير ودثر الشجر أورق وتدثر الطائر أصلح عشه والتعبير بالأداة الصالحة للقرب
والبعد يراد به غاية القرب بما دل عليه السياق وإن كان التعبير بالأداة فيه نوع ستر لذلك مناسبة
للتدثر واختير التعبير بها لأنه لا يقال تعدها إلا ما جل وعظم من الأمور وكان للدثار كما تم عم بدنه الشريف
بأن دل عليه التعبير بالإدغام دون الإظهار الدال على المبالغة لأن المراد إنما كان ستر العين ليجتمع القلب
فيكفي في ذلك ستر الرأس وما قاربه من البدن والإدغام شديد المناسبة للدثار ولما كان في حال يدثر
بلزوم موضع واحد فلزم من ذلك إخفاء نفسه الشريفة أمره صلى الله عليه وسلم بالقيام وسبب عنه الإنذار
إشارة إلى أن ما يراد به من أنه يكون إشهار الخلق بالرسالة العامة مقتض لتشمير الذيل والحمل على النفس بغاية الجد
والاجتهاد اللازم عنه كثرة الانتشار فهو مناف للتدثر بكل اعتبار فقال قم أي مطلق قيام ولا سيما من محل
تدثرك بغاية العزم والجد ولما كان الأمر عند نزول هذه السورة في أوله والناس قد عمهم الفساد ذكر أوصى
الرسالة ابتداء بشدة الحاجة إليه فقال لمتسبب عن قيامه فأنذر أي فافعل الإنذار بكل من يمكن إنذاره فأنذر من
كان راقدا في غفلاته متدثرا بأثواب سكراته لا ينتبه عما أمامه من أهوال القيامة وكذا من كان مستيقظا ولكنه

متدثرا باثواب تشويقاته واغشيته فترانه فانه يجب على كل مربوب ان يشكر ربه ولا عاقبه بعناده او غفلته عنه بما الله الاعراض عنه
وحذف المفعول اشارة الى عموم الانذار لكل من يمكن منه المخالفة عقلا وهم جميع الخلق وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان نزل عليه جبريل
عليه السلام باقرأ باسم ربك ونحوها فكان بذلك نبيا ثم نزلت عليه هذه فكان بها رسولا وذلك انه نودي وهو في جبل حراء فلما سمع
الصوت نظر يمينا وشمالا فلم ير شيئا فرفع رأسه فاذا جبرئيل عليه السلام جالس على عرش بين السماء والارض فعرق من ذلك
اشد العرق فبادر الحي الى البيت ترجف بوادره وقال دثروني دثروني لقد خشيت على نفسي صبوا على ماء باردا ولما كان الانذار
يتضمن مواجهة الناس بما يكرهون وذلك عظيم على الانسان وكان المعتبر عن اتباع الداعي احدا من تركه لما يأمر به وطلبه على الاجر
كان الموجب لاتباعه علمه بما دعا اليه وبعده عن اخذ الاجر عليه امره بتعظيم من ارسله سبحانه فانه اذا عظم حق تعظيمه
صغر كل شيء دونه فهان عليه الدعاء وكان له معينا على القبول فقال وربك اي خاصة فكبر اي وقم فتسبب عن قيامك لغاية
الجد والاجتهاد ان تصفه وحدها بالكبرياء قولا واعتقادا على كل حال وذلك بتنزيهه عن الشركاء او لكل شيء وكذا عن كل ما لا
يليق به من وصل وفصل ومن سوء العزم والاشتغال بسواه • وقال الامام ابو جعفر بن الزبير ملاءمة السورتين المزمل والمدثر واضحة
واستفتاح السورتين من نمط واحد وما ابتدئت به كل واحدة منهما من جليل خطابه عليه السلام وعظيم تكريمه بانها
المزمل يا ايها المدثر والامر فيهما بما اختصه قم الليل الا قليلا نصفه الاية وفي الاخرى قم فانذر وربك فكبر ثم اتبعت الاولى بقوله
واصبر على ما يقولون وفي الثانية بقوله ولربك فاصبر وكل ذلك قصد واحد واتبع امره بالصبر في المزمل بتهديد الكفار
ووعيدهم وذرني والمكذبين الايات وكذلك في الاخرى ذرني ومن خلقت وحيدا الايات فالسورتان واردتان
في معرض واحد وقصد متحد انتهى ولما كان تنزيه العبد عن الادناس لاجل تنزيه المعبود ابلغ في تنزيه المعبود قال
امرا بتطهير الظاهر والباطن استكمالا للقوة النظرية في تعظيمه سبحانه لتصلح ان تكون من اهل حضرته وهو اول ما موديه
من رفض العادات المذمومة وثيابك فطهر اي فخص ثيابك الحسية بابعادها عن النجاسات بمجانبة عوائد المتكبرين
من تطويلها وتطهيرها لتصلح للوقوف في الخدمة بالحضرة القدسية والمعنوية وهي كل ما اشتمل على العبد من الاخلاق والمدونة
والعوائد السقيمة من التنزه عن الخدمة والضجر والاسترسال مع شيء من عوائد النفس وذلك يكون باستكمال القوة العملية
ولما امر بمجانبة القذر في الثياب واراد الحسية والمعنوية وكان ذلك ظاهرا في الحسية او جعل ذلك كناية عن
تجنب الاقذار كلها لان من جنب ذلك ملابسه ابعده عن نفسه من باب الاولى حقق العموم واكد فقال والرجز اي كل قذر فانه
سبب للدنايا التي هي سبب للعذاب قال في القاموس الرجز بالكسر والضم القذر وعبادة الاوثان والعذاب والشرك
فاهجر اي جانب جهارا وعبادة ليحصل لك الثواب كما كنت تحصل لك الثناء الحسن حتى ان قريشا انما تسميك الامين والاسلام
بك احدا منهما ولما بدأ باحد سببي القبول اتبعه الثاني المبعد عن قاصمة العمل من الاعجاب والرياء والملل فقال
ولا تمنن اي على احد بدعائك له او شيء تعطيه له على جهة الهبة او الغرض بان تقطع لك من احسنت اليه بالتثقيل
عليه بذكره على وجه الاستعلاء والاستكثار بما فعلته معه او لا تعط شيئا حال كونك تستكثر اي تطلب ان تعطى اكثر
واكثر مما اعطيت قاله ابن عباس رضي الله عنهما وهو من قولهم من اذا اعطى وذلك ان اللائق بالمعطي من الخلق
ان يستقل ما اعطى ويشكر الله الذي وفقه له وبالاخذ ان يستكثر ما اخذ فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يفعل شيئا
لعلة اصلا بل لله خالصا فانه اذا زال الاستكثار حصل الاخلاص لانه لا يتعلق همه بطلب الاستثمار فكيف بالاستقلال
فيكون العمل في غاية الخلوص لا يقصد به ثواب اصلا ولا يراد لغير وجه الله وهذا هو النهاية في الاخلاص ولما
كان الانذار شديدا على النفوس يحصل به من المعالجات ما الموت دونه لان ترك المألوفات اصعب شيء على النفوس وكذا
ترك العوائد قال امرا بالتحلي بالعاصم بعد التخلي عن القاصم معلما بان الاذى من المنذرين لازم لا بد منه لتدرج الكفار
على بصيرة فاقتضى الحال لذلك ان الاية تذاريهون بالنفائس الفانين والكون مع الباقي وحده فاشار الى ذلك
بتقديم الاله معبرا عنه بوصف الاحسان ترغيبا فقال ولربك اي المحسن اليك المربي المدبر لجميع مصالحك وحده فاصبر
اي على مشاق التكاليف امرا ونهيا واذى المشركين وسطوة العيش وجميع البلايا فانه يجزل عطاءك من جزيل الدارين حيث
لا يحوجك الى احد ويخرج الثناء لك وهون عليك حمل المشاق في الدارين ولا سيما امر يوم البعث فان من حمل العمل
في الدنيا حمله العمل في الاخرة ولما كان المقام للانذار وكان من يرد الاوامر يكذب بالعز ومن يتهاون بها يطاع
ولا يستكثر حذر من الفتور عنها بما يذكر ما للمكذب بها فقال مسببا عن ذلك باعثا على اكتساب الطاعات من غير كسل
ولا توقف مذكرا بان الملك لتمام القدرة واصغى بجبهته انتظارا للامر بالنفخ مبشرا بالبناء للمفعول الذي هو ابلغ
وخفته عليه مؤذنا باداة التحقق لانه لا بد من وقوعه فاذا نقر اي نفخ وصوت بشدة وصلابة ونفوذ
في الناقور اي الصور وهو القرن الذي اسرافيل عليه السلام ملتقمه الان وهو مصغ لانتظار الامر بالنفخ فيه للقيمة ويجوز ان

> اي لا تعلق همتك احدا بان تطلب ان يجازى على ما وهبت بالمثل فضلا من باب الاولى ان لا تطلب الاقل

يراد بالايام التي يقضى فيها بالذل على الكافرين كيوم بدر والفتح وغيرهما كما جعلت الساعة والقيامة كناية عن الموت فقال
صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته عبر عنه بالنقر اشارة الى انه في شدته كالنقر في الصلب فيكون عنه صوت هائل
واصل النقر القرع الذي هو سبب الصوت فهو اشد من صدع لهم بالانذار والحذار من دار البوار فهنالك ترد الارواح الى
فيبعث الناس فيقومون من قبورهم كنفس واحدة وترى عاقبة الصبر وترى اعداؤك عاقبة الكفر والتعبير فيه بصيغة المبالغة
وجعله فاعلا كالجاسوس اشارة الى زيادة العظمة حتى كانه هو الفاعل على هيئة هي في غاية الشدة والقوة وحذر النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه رضي الله عنهم من النفخ في الصور وقربه فقالوا كيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم
الوكيل ويجوز ان يكون للتسبيب عن الامر بالصبر اي اصبر لنا خذ بثارك في ذلك اليوم مما يفعل عنك فيكون تسلية له صلى
الله عليه وسلم وتهديدا لهم ولما ذكر هذا الشرط الذي صور بصورته هائلة اجابه بقوله فذلك اي الوقت الصعب
الشديد العظيم الشأن جدا البالغ في ذلك مبلغا يشار اليه اشارة ما هو البعد بعيد وهو وقت النقر ثم ابدل من
هذا المبتدأ زيادة في تهويله قوله يومئذ اي وقت اذ يكون ذلك النقر الهائل يوم عسير اي بالغ العسر على الكافرين
اي الذين كانوا يستهينون بالانذار ويعرضون عنه لانهم راسخون في الكفر الذي هو ستر ما يجب اظهاره من دلائل الوحدانية
ولما كان العسر قد يطلق على الشيء وفيه يسر من بعض الجهات او يعالج فيرجع يسيرا بين انه ليس كذلك بقوله غير
يسير فجمع فيه بين اثبات الشيء ونفي ضده تحقيقا لامره ودفعا للمجاز عنه وتاكيدا لكونه وانه غير منقطع بوجه وتبشيرا
بالكافرين بتعسيره على المؤمنين ولما اذن هذا بان اكثر الخلق هوا في يوم القيمة على غيره وخسر طويته وسوء امره
وكان ذلك مما يهم لشفقته صلى الله عليه وسلم على الخلق ولما يعلم من نصيبهم للعقاب وهو اعز من عليه وحقيرا لحضرة
لديه توعد بالكفاية بقوله مستأنفا منبها على اسباب الهلاك التي اعظمها الغرور وهو شبه زوجها شهوة ذرني اي
اتركني على اي حالة اتفقت ومن اي مع كل من خلقت اي اوجدت من العدم وانشأت في اطوار الخلقة حال كونه وحيدا لا مال له
ولا ولد ولا شيء وحال كوني انا واحدا اشد بد البنات في صفة الواحدية لم يشاركني في صنعته احد فلم يشكر هذه النعمة
بل كفرها بالشرك بالله ولما كان المطغي للانسان المكنة التي قطب دائرتها المال قال وجعلت له اي باسباب وجدتها
انا وحدي لا حول منه ولا قوة بدليل ان غيره اقوى منه بدنا وقلبا واوسع فكرا وعقلا وهو دونه في ذلك مالا
ممدودا اي مبسوطا واسعا ناميا كثيرا احاط اعمالا لجميع اوقات وجوده والمراد به كما يأتي الوليد بن المغيرة قال ابن عباس
رضي الله عنهما كان له بين مكة والطائف ابل وخيول ونعم وجنان وعبيد وجوار ولما كان اول ما تمتد اليه النفس بعد
كثرة المال الولد وكان احب الولد الذكر قال وبنين ولما كان الاحتياج الى فراقهم ولو زمنا يسيرا اشاقا
وكان الزامهم له واعناءهم عن الضرب في الارض نعمة اخرى قال شهودا اي حضورا معه لغناهم عن الاسفار بكثرة المال
وانتشار الخدم وقوة الاعوان وهم مع حضورهم في الذروة من الحضور بتمام العقل وقوة الحذق فهم في غاية المعرفة
بما يريد بهم للاطلاع حيثما اراد بهم وجدهم وتمتع بلقائهم ومع ذلك فهم اعيان المجالس وصدور المحافل كانه لا
شاهد بها غيرهم منهم خالد الذي من الله بالاسلامه فكان سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا كناية
عن سعة الرزق وعظم الجاه وكان من بسط له في المال والولد والجاه تتوق نفسه الى تمام ذلك بالحفظ والتيسير قال
مستعطفا لمن كان هكذا بالتذكير بنعمه ومهدت اي بالتدريج والمبالغة له اي وطأت وبسطت وهيأت في لين باسه
بان جمعت له الى ملك الاعيان ملك المعاني التي بها القلوب واطلت عمره وازالت عنه موانع الرغد في العيش وقررت اسباب
الوجاهة له حتى ان لذلك الناس وقام بذلك مطمئنا يرجع الى رايه الاكابر قال ابن عباس وسعت له ما بين اليمن الى
الشام فاكملت له من سعادة الدنيا ما اوجب لتفرده في زمانه من اهل بيته ونحو بحيث كان يسمى الوحيد وريحانة
قريش ولم يرع هذه النعمة العظيمة واكد ذلك بقوله تمهيدا ولما كان قد فعل به ذلك سبحانه فاورثته هذه
النعم من الكبر والبطر والاستكبار على من حوله فيها ضد ما كان ينبغي له من الشكر والازدجار قال محققا انه سبحانه
هو الذي وهبها له وهو الواحد القهار مشيرا باداة التراخي الى استبعاد الزيادة على حالته هذه من عدم الشكر
ثم اي بعد هذا الامر العظيم الذي ارتكبه من تكذيب رسولنا صلى الله عليه وسلم يطمع اي بغير سبب يدلي به البتة مما جعلناه
سببا للمزيد من الشكر ان ازيد فيما اتيته من دنياه او اخرته وهو يكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما
كان العقد كانه ليطمع في ذلك لان المال والجاه يجران الشرف والعظمة بالسوء يسعى هذا هو المعروف المتداول
المألوف استأنف زجره عن ذلك بمجامع الزجر علما من اعلام النبوة وبرهانا قاطعا على صحة الرسالة فقال الا
يصح ان يقوله غيره سبحانه لانه تعالى علم انه لا يزداد دينه ولا امتراط لنفق الواقع فلم يزد بعد ذلك شيئا بل لم يزل في
نقصان حتى هلك وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته كلا اي وعزتنا وجلالنا لا يكون له زيادة

دها

على ذلك اصلا واما النقصان فسيرى ان استمر على تكذيبه فليرتدع عن هذا الطمع ولينزجر وليرتجع فانه حمق محض وزخرف محض
صرف ولما ردعه هذا الردع المقتضي لانه لا بد للاذعان وتصديق الايمان مما لم يسول عليه الحرمان علله بقوله مؤكدا لانكارهم
العناد والعصيان انه اي هذا الموصوف كان بخلق كانه جبلة له وطبع لا يقدر على الانفكاك عنه لآياتنا على ما لها من العظمة خاصة لكونها
هادية الى التوحيد انه لا غير لها من الشبه القائدة الى الشرك عنيدا اي بالغ العناد على وجه لا يبعد عناده لغيرها بسبب مزيد تحكم
عنادا وانما العناد كما قال الملوي من كبر في النفس او يبس في الطبع او شراسة في الاخلاق او خلل في العقل وقد جمع ذلك كله ابليس لانه
خلق من نار وهي من طبعها اليبوسة وعدم الطواعية وحقيقته ميل عن الجادة ومجاوزة للحد مع الاصرار واللزوم ومنه مخالفة
الحق مع المعرفة بانه حق ولما كان هذا جزاء للتشوف الى بيان هذا الردع وكان العناد غلظة في الطبع وسكاسة في الخلق
توجب النكد والمشقة جعل جزاءه من جنسه فقال سارهقه اي الحقه بعنف وغلظة الحاقا يغشاه ويحيط به بوعيد لا خلف فيه
صعودا اي شيئا من الدواهي والانكاد كانه عقبة فان الصعود لغة العقبة الشاقة المصعد جدا • روى الترمذي عن
ابي سعيد رضي الله عنه انه جبل من نار يتصعد عليه سبعين خريفا ثم يهوي • وفي رواية انه كلما وضع يده في مطلع الصعود
ذابت فاذا رفعها عادت وكذا رجله وقال الكلبي انها صخرة ملساء في النار يكلف ان يصعدها يجذب من امامه بسلاسل
الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها اسقط الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها
فذلك دابه ابدا ولما حصل التشوف الى بعض ما عاند به الآيات قال مبينا لذلك مؤكدا لاستبعاد العقلاء لما مع
بعده عن الصواب ومعرفة كل ذي لب انه كذب انه اي هذا العنيد فكر اي ردد فكره وادارة تابعا لهواه لاجل الوقوع على
شيء يطعن به في القرآن وقدر اي اوقع تقديره الامور التي يطعن بها فيه وقاسها في نفسه ليعلم انها اقرب الى القبول
ولما كان تفكيره وتقديره هذا اوقعه في الهلاك بمنعه من حياة الايمان اصيب بما هو مما يمنعه من حياة نافعة
في الدارين وذلك هو الهلاك الدائم ولما كان الضار انما هو الهلاك لا كونه من معين سبب عن ذلك ما تاكد للمعقول
قوله مخبرا ودعاء عليه بما لا يمكن تخلفه فقتل اي هلك ولعن وطرد في دنياه هذه ولما كان التقدير غاية
التفكير وكان المفكر ينبغي ان يهديه الى الصواب فقاده الى الغي عجب منه فقال منكرا عليه معبرا باداة الاستفهام
اشارة الى انه مما يتعجب منه ويسأل عنه كيف قدر اي على اي كيفية اوقع تقديره هذا واداة انكر مطلق الكيفية لكونها لا
تكاد تبطل ابطالها تحقق كان انكار المكيف الحق ولما كان وقوعه في هذا الطعن عظيما جدا لما فيه من الكذب المفضوح
ومن معاندة من هو القوي المتين المنتقم القهار العظيم ومن غير ذلك من الوجوه المبعدة عن الوقوع فيه اكد المعنى زجرا عن
مثله وحثا على التوبة منه فقال معبرا باداة التراخي لانه على عظمة هذا القتل بالتعبير بها وبالتكرار ثم قتل اي هلك
ولعن هذا العنيد هلاكا ولعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة كيف قدر ولما كان الانسان
الماهر بالنظر اذا فكر وصحح فكره نظر في لوازمه قال مشيرا الى طول ترويه ثم نظر اي فيما يدفع امر القرآن مرة بعد
اخرى وفي ذلك اشارة الى قبح افعاله لظهور الحق له مع اصراره فانه تكرار النظر في الحق لا يزيد على كل حال الا ظهورا
وفي الباطل لا يفيده الا ضعفا ووهنا ولما كان من فعل كذلك قطعه لفساد رايه ووقف مع عظم نفسه يصير يعبس ويكلح
اشتباه ما يغشاه ما تغير لها خلقته من غير اختيار قال ثم عبس اي قطب وجهه وكلح فتربد وجهه مع تقبض الجلد ما بين العينين كراهة
شديدة كالمهتم للتفكر في شيء وهو لا يجد فيه فرجا لانه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مطعنا
وبسر اتباع لعبس تاكيدا لها وربما افهمت انه سر ما قاله ووزنه بميزان الفكر وتبعه تتبعا مفرطا حتى رشح فيه وذمه
كذا قال انها اتباع فان اريد بها التاكيد والا فقد وردت مفردة قال في القاموس بسر اذا عبس وبسر الحاجة طلبها في غير
اوانها وبسر الدين تقاضاه قبل محله فكانه لما طال عليه التفكر صار يستعجل وصوله الى مراده ويقال بسر اذا اشتد التي
فكانه لما عبس خطر له السحر فابتدأ في ابتداء ما سنح له من امره • وقال ابن برجان البسور هيئة في الوجه تدل على حزن في القلب
ولما كان هذا النظر على هذا الوجه امدح شيء للمنظور فيه اذ لم يوصل منه الى طعن وكان ظاهرا انه لتطلب الحق كان
الاصرار معه على الباطل في غاية البعد قال دالا على ذلك من المدح وعدم وجدان المطعن معبرا باداة البعد ثم اي بعد
هذا التروي العظيم ادبر اي عما اداه اليه فكره من الايمان بسلامة المنظور فيه وعلوه عن المطاعن فحاد عن وجوه الافكار
الى قفاها واستكبر اي اوجد الكبر عن الاعتراف بالحق ايجاد من هو في غاية الرغبة فيه فكان هذا غاية العناد وكان
معنى العنيد فقال اي عقب ما جره اليه طبعه الخبيث من ايقاع الكبر على هذا الوجه لكونه رآه نافعا له في الدنيا ولم
يفكر في عاقبة ذلك من جهة الله وانه سبحانه لا يهدي كيد الخائنين ولا يخرج مراد الكاذبين ونحو هذا
فكيف لو رقي نظره الى من الاحوج واكد الكلام لما يعلم من انكار من يسمعه فقال ان اي ما هذا اي الذي اتى به محمد صلى الله
عليه وسلم الا سحر اي امور تخييلية لا حقائق لها وفي لدقتها بحيث يخفى اسبابها ولما كان من المعلوم لهم ان محمدا صلى الله عليه

وسلم ما سحر قط ولا تعلم سحرا وكان من ادعى فيه ذلك علم كذبه بادي نظر بعدا لامر يقدر استطاعته قال يؤثر اي من شأنه ان ينقله
السامع له عن غيره فهو لقوة سحريته واتقانها في بابها يفرق بمجرد الرواية بين المرء وزوجه وبين المرء وابيه وابنه الى غير ذلك
من العجائب التي تنشأ عنه ولما كان السامع يجوز ان يكون ماثورا عن الله فيوجب له ذلك الرغبة فيه قال من غير عاطف
كالمبين للاول والمؤكد له وساقه على وجه التاكيد بالحصر لعلمه ان كل ذي بصيرة ينكر كلامه ان اي ما هذا اي القرآن الا قول البشر
اي ليس فيه شيء عن الله فلا يغتر احد به ولا يعرج عليه وقد مدحه بهذا الذم بعد هذا التفكر كله من حيث انه اثبت انه معجوز
عنه لاغلب الناس كما يعجزون عن السحر فتكلف قفا ونطق خلفا فكان شبيها من بعض الوجوه كما قال بعضهم

لو قيل كم خمس وخمس لاغتدى • يوما وليلته يعد ويحسب
ويقول معضلة عجيب امرها • ولئن عجبت لها لامري اعجب
حتى اذا اخذت يداه وغورت عيناه • مما يحط ويكتب
اوفى على شرف وقال الا انظروا • ويكاد من فرح يجن ويسلب
خمس وخمس ستة او سبعة • قولان قالهما الخليل وثعلب

وهكذا كل حق يجد المبالغ في ذمه لا ينفك ذمه عن افهام مدح له ينقض كلامه • ولكن ابن النقاد المعدودين الافراد
بين العناد وهذا الكلام صالح لعموم كل من خلقه سبحانه هكذا في الزوغان عن الحق لما يتفضل به عليه من الرياسة لان اهل
العظمة في الدنيا هم في الغالب القائمون في رد الحق والتعاظم على اهله كما ذكر هنا والاساس في ذلك ما قالوا انها نزلت في الوليد
ابن المغيرة المخزومي وفي ذلك من اعجاز كلام الله ان تنزل الآية في شخص فتبين حاله غاية البيان وتعم غيره ذلك البيان قالوا وكان
للوليد هذا عشرة من البنين كل واحد منهم كبير قبيلة ولهم عبيد يسافرون في تجاراتهم ويعاونون احبابهم ولا يحوجهم
الى الخروج من البلد للتجارة وغيرها واسلم منهم ثلاثة الوليد بن الوليد وخالد وهشام • وقيل انه لما نزل على النبي صلى الله
عليه وسلم اول السورة غافر الى المصير واول فصلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد يسمعه فاعاد القراءة
فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام
الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى ثم انصرف فقالت قريش صبا
والله الوليد والله لتصبون قريش كلها وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد الى
جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي قال وما يمنعني وهذه قريش تجمع لك نفقة تعينك بها
على كبر سنك ويزعمون انك صبوت لتدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد • وقال
الم تعلم قريش اني من اكثرها مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى
مجلس قومه واداروا الراي فيما يقولونه في القرآن فقالوا له ما تقول في هذا الذي جاء به محمد قال تقولوا اسمع لكم
قالوا شعر قال ليس بشعر قد علمنا الشعر كله • وفي رواية هل رأيتموه يتعاطى شعرا قالوا كهانة قال ليس بكهانة هل رأيتموه
يتكهن قط وانواع البهت التي رموا بها القرآن فردها واقام الدليل على ردها وقال لا تقولون شيئا من ذلك الا
علم انه كذب قالوا فقل انت اقترح لنا فيه رأيا نجتمع عليه قال اقرب ذلك اليه السحر هو يفرق بين المرء وابيه
وبين المرء وابنه والمرء وزوجه وعشيرته فافترقوا على ذلك وكان قوله هذا سبب هلاكه فكان كما قال بعضهم

احفظ لسانك ايها الانسان • لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه • كانت تهاب لقاءه الشجعان

ولما تم بيان عناده فحصل التشوف لتفصيل جزائه في معاده قال مبينا لبعض ما اتهمه ارهاقه الصعود
سأصليه اي بوعيد لا بد منه عن قرب سقر اي الدركة النارية التي تفعل في الادمغة من شدة حموها ما يجل عن الوصف
فادخله اياها والوجه في شدة ابتدارها واذيب دماغه بها واسيل دهنه وكل عصارته لشدة ابتدارها جزاء على تعظيمه
هذا الذي قدره وتخيله وصوره باداراته في طبقات دماغه ليحرق به اكباد اصفياء الله واوليائه ولما
اثبت له هذا العذاب عظمه وهوله بقوله وما ادراك اي اعلمك وان اجتهدت في البحث ما سقر يعني ان علم هذا خارج
عن طوق البشر لا يمكن ان يصل اليه احد منهم الا باعلام الله له لانه اعظم من ان يطلع عليه بشر ولما اثبت لها
هذه العظمة زادها عظما ببيان فعلها دون شرح ماهيتها فقال لا تبقي اي لا تترك سقر شيئا يلقى فيها على حالة البقاء
على ما كان عليه ولا تذر اي تترك على حالة من الحالات ولو كانت اقبح الحالات فضلا عما دونها بل هي دائمة الاهلاك لكل ما
اذن لها فيه والتغيير لاحوال ما اذن لها في عذابه ولم يؤذن في محقه بالكلية لكل شيء فترة وملال دونها
ولما كان تغير حال الانسان الى دون ما هو عليه غائظا له موجعا واول ما كان ذلك تغير لونه لان الظاهر عنوان الباطن

قال تعالى ذا الاصل شدق بخلاف فى الذى لواحة اى شديدة التغيير للبشرة بالسواد والزرقة واللمع والاضطراب والتعطيش ونحوها من
الالتماع من لاح جرها يقول العرب لاحت النار الشئ اذا احرقته وسودته للبشر اى للناس والخلق وهم جمع بشرة
اشار عليها اى مطلقا النار بعزته ما بانى من الخزنة تسعة عشر اى ملكا
عشر لكل احد تسعة لان الواحد وبما يعرفان بثالث ثلثا والله اعلم كانوا تسعة ولان الكفر يكون بالله وكتابه
ورسوله صلى الله عليه وسلم فكان لكل تكذيب فى كل طبقة رطيفا تمما الست ملك او صنف من الملئكة على الاول وكونهم اتخاما
باعيانهم اكثر المفسرين وقد علم مما مضى انهم غلاظ شداد يكفى كل واحد منهم لاهل الارض كلهم كما ان ملكا واحدا وكل نفس
جميع الارواح وجاء فى الاثر ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى احدهم
مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم قال عمرو بن دينار واحد منهم
يدفع بالدفعة الواحدة اكثر من ربيعة ومضر • وقيل ان هذه العدة لمكافاة ما فى الانسان من القوى التى بها ينتظم
قوامه وهى الحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس • والخمس الباطنة المتخيلة والواهمة
والمفكرة والحافظة والذاكرة وقوتا الشهوة والغضب والقوى الطبيعية السبعة الماسكة والهاضمة والجاذبة
والدافعة والغاذية والنامية والمولدة • وقيل اختار هذا العدد لان التسعة نهاية الاحاد والعشرة بداية
العشرات فصار مجموعهما جامعا لاكثر القليل واقل الكثير وكان اجمع الاعداد فكان اشارة الى ان جزئيها اجمع الجموع
ويروى عن ابن مسعود ان قراءة البسملة تنجى من خزنة النار فانها حرفا كل حرف منها الملك منهم كان
هذا عن تمييز المعدود وكانت الحكمة فى تعيين هذا العدد غير ظاهرة وكان هذا العدد مما يستقله المتعنت فيريد تكثيرا
قال تعالى مبينا لذلك وما جعلنا اى بما لنا من العظمة وان خفى وجه العظمة فيه على من عمى قلبه اصحاب النار اى خزنتها
الا ملئكة اى فليسوا من جنس المعذبين فيرقوا لهم او يطيق المعذبون محاولتهم او يستروحوا اليهم وهم اقوى الخلق
وقد تكرر عليكم ذكرهم وعلمتم اوصافهم وانهم ليسوا كالبشر بل الواحد منهم يصيح صيحة واحدة فيهلك مدينة كاملة
كما وقع لثمود فكيف اذا كان لكل واحد من هؤلاء الخزانة رئيسا تحت يده من الجنود ما لا يحصيه الا الله وما جعلنا بما
لنا من العظمة عدتهم اى مذكورة ومحصورة بما ذكرنا الا فتنة اى حالة مخالطة مميلة محيلة للذين كفروا اى وجدوا
هذا الوصف ولو على ادنى ثباتهم يستقلونه ويستهزؤن به ويتعنتون انواعا من التعنت تخبيثا لبعض اعتبار قيل هو
ابو جهل قال ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابى كبشة يقول كذا واسمع الدهم الشجعان كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال
ابو الاسد بن اسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوا انتم اثنين وهذا كله على سبيل
الاستهزاء فانهم مكذبون بالبعث الذى هذا من اثاره وكان فى علم اهل الكتاب ان هذه العدة عدتهم وان العرب
اذا سمعوا هذه العدة كانت سببا لشك اكثرهم وموضعا للتعنت فلذلك علق بالفتنة او بجعلنا قوله ليستيقن اى يوجد
اليقين ايجادا تاما بغاية الرغبة الذين اوتوا الكتاب بناه للمفعول لان مطلق الايتاء كاف فى ذلك من غير احتياج الى
تعيين المؤتى مع انه معروف فانه هو الله قال البغوى مكتوب فى التورية والانجيل انهم تسعة عشر ويزداد الذين امنوا اى
اوجدوا بهذه الحقيقة ولو على ادنى الوجوه الى ما عندهم من الايمان ايمانا بتصديق ما لم يعلموا وجه حكمته لاسيما مع
افتتان غيرهم به وكثرة كلامهم فيه فان الايمان بمثل ذلك يكون اعظم اثبت فى الجاهل والعالم ما انبت
الكفة بنفى صنف مبينا للفتنة تعالى ولا يرتاب اى يشك شكا يحصل بتعمد وتكسب الذين اوتوا الكتاب لما عندهم من العلم
المطابق لذلك قال ابن برجان • وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان قوما من اهل الكتاب جاؤا اليه فى قصة
فيها طول وفيها انهم سالوه عن خزنة جهنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده هكذا وهكذا فى مرة عشرة وفى
مرة تسعة فقالوا بارك الله عليك يا ابا القسم ثم سالهم ما تربة الجنة فسكتوا هنيهة ثم قالوا اخبرنا يا ابا القسم فقال صلى الله
عليه وسلم الخبز من الدرمك والمؤمنون اى الراسخون الذين رسخ الايمان عندهم لما راوا من الدلائل التى جعلتهم فى مثل ضوء
النهار وليقول استعر الذين فى قلوبهم مرض اى شك او نفاق وان قل نزول هذه السورة قبل وجود المنافقين علم من اعلام
الله تعالى ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الامور علة لصلاح ناس وفساد اخرين لانه لا يسئل عما يفعل على ان العلة قد تكون
مقصودة للشئ بالقصد الاول ثم يترتب عليها شئ اخر يكون مقصودا بالقصد الثانى فتقول خرجت من البلد مخافة الشر
ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض والكافرون اى ويقول الراسخون فى الكفر الجازمون بالتكذيب المجاهرون به الثابتون
لما دلت عليه الادلة من الحق ماذا اى اى شئ اراد الله اى الملك الذى له جميع العظمة بهذا اى العدد القليل فى جنس عظمته
مثلا اى انه صار بذلك مستغربا استغراب المثل وانه لذلك اشار الى انه ليس المراد ظاهره بل مثل لشئ لم يفهموه
وفهموا ان من استجماعه للعظمة وهذا العدد عنادا وما علموا ان القليل من حيث العدد قد يكون اعظم بقوته من

الذين م

الكثير العدد فيكون ادل على استجماع العظمة كان التقدير اراد بهذا اضلال من ضل ممن لا يبالى وهداية من اهتدى وهو
لا يبالى كانه قيل هل يفعل مثل هذا فى غير هذا فقال جوابا كذلك اى مثل هذا المذكور من الاضلال والهداية يضل الله اى الذى
له مجامع العظمة ومعاقد العز من يشاء باى كلام شاء ويهدى بقدرته التامة من يشاء بنفس ذلك الكلام او بغيره وذلك من حكم
جعل الخزنة تسعة عشر والاخبار عنهم بتلك العدة فان ابراز الاحكام على وجه الغموض من اعظم المهلكات والمسعدات
لان المنحرف الطباع يبحث عن عللها بحث متعنت فاذا اعيت عليه قطع ببطلان تلك الاحكام او شك وربما ابى الانقياد وذلك هو
سبب كفر ابليس والمستقيم المزاج يبحث مع التسليم فان ظهر له الامر ازداد تسليما والا قال امنت بذلك كل من عند ربنا فكان فى
غاية ما يكون من تمام الانقياد لما لا يعلم سره رزقنا الله التسليم لامره واعاننا على ذكره وشكره ولما كان هذا مما يوهم قلة
جنوده تعالى اتبعه ما يزيل ذلك فقال وما اى والحال انه ما يعلم جنود ربك المحسن اليك بانواع الاحسان المدبر لامرك بغاية
الاتقان من جعل النار وخزنتها وجعلهم على هذه العدة وغير ذلك فلا يعلم عدتهم لاجل كثرتهم وخروجهم عن طوق المخلوق وما هم
عليه من الاوصاف فى الاجسام والمعانى الا هو فلو اراد لجعل الخزنة اكثر من ذلك فقد روى ان البيت المعمور يدخله كل يوم
سبعون الف من الملئكة لا يعودون اليه نوبة اخرى ما عليهم وقد ورد ان الارض فى السماء كحلقة ملقاة فى فلاة وكل سماء فى التى
فوقها كذلك وقد ورد فى اطيط السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قائم يصلى وانما خص هذا العدد
لحكم لا يعلمها الا هو ومن اراد اطلاعه على ذلك من عباده مع ان الكفاية تقع بدون ذلك فقد كان فى الملئكة من اقتلع مداين
قوم لوط وهى سبعة الى عنان السماء وكل ما فى الانسان من الجواهر والاعراض من جنود الله لو سلط عليه شئ من نفسه
لاهلكه لو تحرك عرق ساكن او سكن متحرك او انسد مجوف او تجوف منسد لهلك ولما ذكر شيئا من اسرار سقر وكان
الاخبار عنها غامضا وكان ذلك من رحمة العباد ليفتح لهم بابا الى التسليم لما يغمض من تدبيرهم بامر مليكهم لان العاجز لا
يسعه فى المشى على قانون الحكمة الا التسليم للقادر والا اهلاك نفسه وما صير غيرها حصر امرها فى التذكير تاكيدا للاعلا
لاجل ان الاغلب المخاطبين من اعوجاج الطباع المقتضى للرد والانكار المقتضى لسوق الكلام على وجه التاكيد فقال وما
هى اى النار التى هى من اعظم جنوده سبحانه الا ذكرى للبشر اى تذكرة عظيمة لكل من هو ظاهر البشرة فيه انه اقبل شئ للتاثر
بها لاجل انا لعرفون منها فى دنياهم والا هو سبحانه قادر على ايجاد ما هو اشد منها واعظم واكبر ايلاما مما لا يعلمه الخلائق
ولما كان حصرها فى الذكرى ربما اوهم نقصا فى امرها اوجب لبعض المعاندين ريبة فى عظمها وانه لا حقيقة
والاعداب فيها قال رادعا عن ذلك ومنبها على الاستعداد والحذر بكلمة الردع والتنبيه كلا اى ابا لان ان يرتاب فى
اهوالها وعظيم احوالها واحوالها فان الامر اعظم واعظم مما حصر بالبال فليرتدع السامع وليتزجر ولما حصر
امرها فى الذكرى وبقى ان يظن بها نقص فيما جعلت له تاكيدا للكلام اشارة الى ما لاغلب المخاطبين من السكاسة والعوج
انقاذا مما هم فيه من الغفلة وتلطيفا لما لهم من اللوم والكثافة وتنبيها لهم على السعى فى تقويم انفسهم بما لا يستعملونه
من الادوية التى يرشدهم سبحانه الى علاج امراض القلوب بها اذا الامر تاكيدا فاقسم على ذلك بما هو ذكرى للناس
ولا تظهر معه ظلام من الليل كما ان ضياء القران لا تظهر معه ظلام الجهل لمن اعمل عن فكرته والقى حظوظ نفسه فقال
والقمر اى الذى هو اية الليل الهادية لمن ضل بظلامه والليل اذ ادبر اى مضى فانقلبت راجعا من حيث جاء فانكشف
ظلامه من الجهل بانصرافه والكشف كالليل الريب والشكوك بانصرافه والصبح اذا اسفر فاقبل ضياؤه وتجلى
العلم بحلوله وحصل الهدى به بحصوله او دبر بمعنى اقبل قال قطرب تقول العرب دبرنى فلان اى جاء خلفى ولما
اقسم على ما اخبر به من ذكراها واكده لانكارهم العظيم لبلاياها استانف تعظيمها والتخويف منها تاكيدا للتخويف
لما تقدم من الانكار فقال انها اى النار التى سيتردد ذكره من ذلك كا تمما وزاد فى التاكيد على مقتضى زيادتهم فى الاستهزاء
فقال لاحدى الكبر اى من الدواهى والعظائم جمع كبيرة وكبرى وهو كناية عن شدة هولها كما يقال هو احد الرجال اى لا مثل
له او المراد انها واحدة سبع هى غاية فى الكبر اى دركات النار وهى جهنم فلظى فالحطمة فالسعير فسقر فالجحيم فالهاوية
فى احداها فى عظيم اخطارها وشدة ابلائها واضرارها حال كونها نذيرا عظيما او من جهة نذارتها او انذارا فالنذير
فعيل بمعنى المصدر مثل وكيف كان نكيرا اى انكارى وعبر بقوله للبشر لما تقدم من الاشارة الى اسراع الجسم الظاهر
فى قبول التاثير لاسيما بالنار كان التقدم عند الناس لاسيما العرب محبوبا والتاخر مكروها وكان سبحانه قد
فى الانسان قوة واختيارا بها يفعل ما قدره الله له وغطى عنه علم العاقبة حتى صار الفعل ينسب اليه وان كان انما
هو مخلوق الله قال تعالى باعثا لهم على الحزم ومبعدا من الشر مستانفا او مبدلا جوابا لمن يقول وما عسى ان يفعل ك
او ينفع الانذار وقد قال انه هو الهادى المضل يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء لمن شاء اى بارادته وصحح
بالمقصود لئلا يتعنت متعنتهم فيقول المراد غيرنا فقال منكم ان يتقدم اى الى الخيرات او يتاخر اى عنها فيصل الى

بق

ح

غضب الله والنار التي هي اثر غضبه التي جعل ما عندنا من مؤلم الحر ومهلك البرد منها اعن نفسها تذكيرا لنا ورحمة بنا وحذف
المفعول لان استعماله كثر حتى صار يعرف وان لم يذكر ومن جرد ذلك لمن شاء ان يتقدم التقدم بماله من المكنة والاختيار في ظاهر
الامر ولمن شاء ان يتاخر التاخر فان يتقدم مبتدا وهو جملة لمن ثوصا ان يصلي ويجوز ان تكون الجملة بدلا من الكاف على طريق
الالتفات من الغائب الى الحاضر ليصير كل مخاطب به كانه هو المقصود بذلك بالقصد الاول فيتامل المعنى في نفسه فيجده صادقا
ثم يتامل فلا يجد مانعا من تعديته الى غيره من جميع البشر ويكون ان والفعل على هذا مفعولا لشاء ولما كان التقدم والتاخر
بالافعال وكان اكثر افعال الانسان الشر لما جبل عليه من النقصان قال مبينا لما يقدم وما يوخر كل نفس اي ذكرا وانثى على
العموم بما كسبت اي خاصة لا ما كسب غيرها رهينة اي مرتهنة بالفعل اسم بمعنى الرهن كما في قول الحماسي

ابعد الذي بالنعف نعف كويكب ۞ رهينة رمس ذي تراب وجندل

لا تانيث رهين الذي هو وصف لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي مذكره ومؤنثه ولو كانت الفواصل التي يعبرون بها عن
السجع تراعي في القران بوجه لقيل رهين لاجل يمين ولكنه لا نظر فيه لغير المعنى ويجوز ان يكون الهاء للمبالغة بمعنى
مؤنثة ايضا فالمبالغة محبوسة حبسا عظيما في النار لجعل الاصل في الكسب الموبق ولما كان الرهن تارة يغلق
وتارة يفك وكان اكثر الخلق هالكا جعل رهينة بمعنى هالكة ثم استثنى الممدوح فقال الا اصحاب اليمين اي الذين تقدم
وصفهم وهم الذين نجروا الى الله فانهم وابوا وامروا وانتهوا ابوا هيبة فانهم لا يرتهنون باعمالهم بل يرحمهم الله فيتقبل
حسناتهم ويتجاوز عن سياتهم ولما اخرجهم من حكم الارتهان الذي طلق على الاهلاك لان سببه استانف بيان حالهم
فقال في جنات اي بساتين في غاية العظم لا يهمرا اطلقوا انفسهم وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا فالاية من الاحتباك اثبات ولا
الارتهان دليلا على حذف ضده ثانيا واثبت ثانيا الجنة دليلا على حذف ضدها اولا ولما كان السؤال عن
حال الغير دالا على الراحة والفراغ عن كل ما يهم النفس عبر عن راحتهم في اجل وعظ والطف تحذير بقوله
يتساءلون اي فيما بينهم يسال بعضهم بعضا عن المجرمين اي احوال الفريقين في قطع ما امر الله به ان يوصل ولما كان
يوم القيمة في غاية الصعوبة فكل احد مشغول فيه بنفسه فكان لا علم له بتفاصيل ما يتفق لغيره وكان اولياء الله
اذا دخلوا دار كرامته ارادوا العلم بما فعل باعدائهم فيه سبحانه فيسالوا عن حالهم فقال بعضهم لبعض لا علم لنا فكشف
الله لهم عنهم حتى راوهم في النار ليسر بهم ليقر الله اعينهم لبعد اتيهم زيادة في نعيمهم وثوابهم كما تقدم في الصافات
عنه قال قائل منهم اني كان لي قرين وكان بساط الكلام دالا على هذا كله اشار لنا سبحانه اليه بقوله حكاية عما يقول
لهم اولياؤهم توبيخا وتعنيفا وشماتة وتقريعا تصديقا لقوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون الايات
وليكون حكايته ذلك موعظة للسامعين وذكرى للذاكرين ما هي محتملة للاستفهام والتوبيخ والتعجب سلككم اي ادخلكم
ايها المجرمون ادخالا هو في غاية الضيق حتى كانكم السلك في الثقب في سقر فكان هذا الخطاب مفهما لانهم لما سالوا
نفوا العلم عن انفسهم وكان من المعلوم ان نفي العلم لانهم شغلوا عن ذلك بانفسهم وانهم ما شغلوا مع كونهم من اهل السعادة
الا ان ذلك البوعظيم الشواغل وكان من المعلوم انه اذا انعكس عليهم علم اخوالهم من اهل الجنة وهم عنهم بعداء من الشفاعة
فهم لم يبق لهم طريق الى علم ذلك لا يظن به التعريض بالشفاعة الا السؤال منهم عن انفسهم فانهم يخاطبونهم بذلك فيعلمون
علمهم ليزدادوا بذلك غبطة وسرورا بما نجاهم الله من مثل حالهم ويكثروا من الثناء على الله تعالى بما وفقهم له وليكون
ذلك عظة لنا بسماعنا اياه يحكي الله عنهم انهم لما سالوهم قالوا ذاكرين علة دخولهم النار بافساد القوة العملية في التعظيم لامر الله
قد لكمال الجمع ما تقدم في مهمات السورة بما حاصله انهم لم يتحلوا بفضيلتين ولم يتخلوا عن رذيلتين تعريفا بانهم كانوا مخاطبين
بفروع الشريعة وفي البداءة بالعمل تنبيه على انه يجب على العاقل المبادرة الى ما يامره به الصادق لانه المصدق لحسن
الاعتقاد والمبادرة الى التلبس بالعمل اسهل من المبادرة الى التلبس بالعلم لان العمل له صورة وحقيقة وحظ الصور
اسهل من التحقيق ومن صور شيئا كان اقرب الى تحقيقه ممن لم يصوره فكان اخذ تحقيقه ممن لم يباشر تصويره ففيه حينئذ
حث على المسابقة الى الاعمال الصالحة وان لم تكن النية خالصة وايذان بان من ادمن ترك الاعمال قاده الى الانسلاخ من حسن
الاعتقاد وورطه في الضلال لم نك حذفوا النون دلالة على ما هم فيه من الضيق عن النطق حتى بحرف يمكن الاستغناء عنه
دلالة على انه لم يكن لهم نوع طبع جيد يحثهم على الكون في عداد الصالحين فكان ذلك مشيرا الى اعظم ما هم فيه من الدواهي
الشاغلة بضد ما فيه اهل الجنة من الفراغ الحامل لهم على السؤال عن احوال غيرهم وكان ذلك منبها على فضيلة العلم من المصلين
اي صلاة يعتد بها فكان هذا تنبيها على ان رسوخ القدم في الصلاة مانع من مثل حالهم وعلى انهم يعاقبون
على فروع الشريعة وان كانت لا تصح منهم فلو فعلوها قبل الايمان لم يعتد بها وعلى ان الصلاة اعظم الاعمال والحساب
بها يقدم على غيرها ولما نفوا الوصلة بالخالق اتبعوه افساد القوة العملية بعدم وصلة الخلائق بترك النفقة

احتباك

على خلق الله فقالوا ولم نك بحذف النون ايضا لما هم فيه من النكد ونفيا لادنى شيء من الطبع الجيد نطعم المسكين اي لاجل مسكنته
نفوا هنا وجود اطعامه لانهم ان اتفق اطعامهم له فلعلة اخرى غير المسكنة واما الصلاة فهم يوجدونها لله بزعمهم لكن لما كانت على
غير ما امر لم تكن مقبولة فلم يكونوا من الراسخين في وصفها ولما سلبهم التحلي بلباس الاولياء اثبت لهم التحلي بلباس الاشقياء بافساد
القوة النطقية جامعا القول الى الفعل فقالوا وكنا اي بما جعلنا عليه من الشر نخوض اي نوجد الكلام الذي هو في غير مواقعه
ولا علم لنا به ايجاد المشي من الخائض في ماء غمر مع الخائضين بحيث صار لنا هذا وصفا راسخا فنقول في القرآن انه سحر
وانه شعر وانه كهانة وغير هذا من الاباطيل لا نتورع عن شيء من ذلك ولا نقف مع عقل ولا نرجع الى صحيح نقل فلما نحن الذين
يبادرون الى الكلام في كل ما يسئلون عنه من انواع العلم من غير تثبت بين لهم من هنا ولما كان الادمان على الباطل يجر
الى غلبة الهزء والسخرية وعلية ذلك توجب ولا بد افساد القوة العلمية بتصديق الكذب وتكذيب الصدق قالوا بيانا
لاستحقاقهم الخلود وكنا نكذب اي بحيث صار لنا وصفا ثابتا بيوم الدين ولما كان التعبير واسم تكذيبنا الصيرورة
لنا اوصافا ثابتة بنوا عليه قولهم حتى اتانا اي قطعا اليقين اي بالموت او مقدماته التي قطعتنا عن دار العمل وطاح الايمان
بالغيب ولما اقروا على انفسهم بما اوجب العذاب الدائم فكانوا ممن يشتد مزاجه فتعذر علاجه سبب عنه قوله فما تنفعهم
اي في حال اتصافهم بهذه الصفات وهي حالة لازمة لهم دائما شفاعة الشافعين اي لو شفعوا فيهم ولما كان هذا الاخبار
بنعيم المنعم وعذاب المعذب موجبا للتذكر سبب عنه الانكار عليهم فقال فما اي اي شيء يكون لهم حال كونهم عن التذكرة اي
التذكر العظيم خاصة بالقرآن خصوصا وبغيره عموما معرضين وعلى الباطل وحده مقبلين وذلك من اعجب العجب لان طبع
الانسان اذا حذر من شيء حذره اشد الحذر كما لو حذر المسافر من سبع في طريقه فانه يبذل جهده في التحرز عنه
والحذر منه وان كان المخبر كاذبا فكيف يعرضون على هذا الحد وهو الاعظم والمخبر اصدق الصادقين فما اعراضهم هذا دليل
على اختلال عقولهم واختبال فهومهم وزاد ذلك عجبا اشد نفارهم حتى كانهم في اعراضهم عن التذكر من شدة النفرة
والاسراع في الفرة حمر اي من حمر الوحش وهي اشد الاشياء نفارا ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل بالسرعة
السير بالحمر في عدوها اذا وردت ماء فاحست عليه ما يريبها وفي تشبيه الكفرة بالحمر ولا سيما في هذه الحالة
مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل وعدم التثبت مستنفرة اي موجدة للنفار
لغاية الرغبة فيها حتى كانها تطلبه من انفسها لانه من شانها وطبعها هذا على قراءة الجماعة وقرأ اهل المدينة والشام
بالفتح بمعنى انه نفرها منفر ولما كان ذلك لا يكون الا لسبب عظيم يتشوف اليه استانف قوله فرت من قسورة
اي اسد شديد القسر عظيم القهر فتشتت في جهاتها سفرا وصادرين ولما كان الجواب قطعا لا شيء لهم في اعراضهم
هذا اضرب عنه بقوله بل يريد اي على دعواهم وبزعمهم كل امرئ منهم اي المعرضين مع ادعائه الكمال في المروءة ان يؤتى
اي من السماء بناه للمفعول لان مرادهم معروف صحفا اي قراطيس منشرة اي كثيرة جدا وكل واحد منها منشور لا مانع
من قراءته واخذه وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى
فلان اتبع محمدا ولما كان ذلك انما هو تعنت لا انه على حقيقته قال كلا اي ليس لهم غرض في الاتباع بوجه من الوجوه
لا بهذا الشرط ولا بغيره بل علتهم الحقيقية في هذا الاعراض انهم لا يخافون اي في زمن من الازمان الاخرة ولما كان
نعلم هذا فعل من لا يعتقد في القرآن انه ليس بوعظ صحيح يستحق ان يتبع قال رادعا لهم عن هذا اللازم كلا اي ليس الامر قطعا
كما يزعمون من ان هذا القرآن لا يستحق الاقبال عليه ثم استانف قوله مؤكدا لاجل ما تضمن هذا الفعل من انكارهم انه اي
القرآن تذكرة اي موضع وعظ عظيم موجبا لحا باعظما اتباعه وعدم الانفكاك عنه بوجه فليس لاحد ان يقول انا معذور
لاني لم اجد مذكرا ولا معرفا فان هذا اعظم مذكر واشرف معرف ولما كان في غاية السهولة والحلاوة لكل من
عزم بوجه من الوجوه وكان الله سبحانه قد خلق القوى والقدر وجعل للعبد اختيارا في الصباغ عن كونه موضعا للتذكر
فمن شاء اي ان يذكره ذكره فثبت في صدره وعلم معناه وتخلق به فليس احد يقدر ان يقول انه صعب التركيب عظيم التعقيد
عسر الفهم يحتاج في استخراج المعاني منه الى علاج كبير وممارسة طويلة فانا معذور في الوقوف عنه بل هو كالبحر الفرات
من شاء اغترف لانه خوطب به امة امية لا ممارسة لها لشيء من العلوم فسهل في لفظه ومعناه غاية السهولة مع انه لا يؤ
الى القرآن ولا يطمع في مناظرة اثر من اثار بل كلما زاد الانسان فيه تاملا زاده معاني ولما كان هذا ربما اوهم
ان للعبد استقلالا بالتصرف قال معلما بان هذا انما هو كاية عما له من السهولة والحلاوة والعذوبة التي توجب
عشقه لكل ذي لب منبها على ترك الاعجاب والاصطبار الذل والافتقار والالتجاء الى العزيز الغفار في طلب التوفيق
لاقوم طريق وما يذكرون اي ولا واحد منكم بهذا القرآن ولا غيره في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الملك الاعظم
الذي لا امر لاحد معه وهو صريح في ان فعل العبد بمشيئة الله وما يشاء عنها انما هو بمشيئة الله ولما ثبت

صل

انه سبحانه الفعال لما يريد وانه لا فعل لغيره بدون مشيته وكان من المعلوم ان اكثر افعال العباد مما لا يرضيه فلولا حلمه ما هدروا
على ذلك وكان عفو القادر مستحسنا قال مبينا لانه اهل للرعبة والرغبة هو اى وحده اهل التقوى اى ان تتقيه عباده وتحذروا
غضبه بكل ما تصل يد ريبهم اليه من الجلال والعظمة والقهر وجوزان يكون الضمير للمتقى واهل المغفرة اى لان يطلب غفرانه
للذنوب لا سيما اذا اتقاه المذنب لان له الجمال واللطف وهو قادر ولا قدرة لغيره فلا ينفعه شئ ولا يضره شئ فهو
الحقيق بان يجعل موضع الانذار الذى امر به اول السورة البشارة ويوفق عباده لتكثيره ويمحو الذنب وكذا فعل سبحانه
بقوم هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم • روى احمد والترمذى والنسائى وابن ماجة والطبرانى فى الاوسط والحاكم
وابو يعلى والبغوى والبزار عن انس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الاية قال يقول الله انا اهل
ان اتقى فمن اتقى ان يشرك بى غيرى فانا اهل ان اغفر له وقال الترمذى وابن عدى والطبرانى تفرد به سهيل بن ابى حزم القطعى
فقد رجع اخر السورة على اولها وانطبق مفصلها على موصلها بضم البشارة الى النذارة وصار كانه قيل انذر العاصى فانه
اهل لان يرجع الى طاعته فيكون سبحانه اهلا لان يعود عليه بسترزلاته سورة القيامة مقصودها
الدلالة على عظمة المدثر المامور بالانذار صلى الله عليه وسلم لعظمة مرسله سبحانه وتمام اقتداره بانه كشف له العلوم حتى صار
الى الاعيان بعد الرسوم يشرح اخر سورته بين ان هذا القران تذكرة عظيمة لما اوضحه الله من وضوح المعانى وعذوبة
الالفاظ وجلالة النظوم ورونق السبك وعلو المقاصد فهو لذلك معشوق لكل طبع معلوم ما خفى من اسرار واشاراته
بصدق لبيه وقوة العزم بحيث يبصر بعد كشفه اذا اثر كانه كان منسيا بعد حفظه فذكره فمن شاء ذكره فحفظه وعلم
معانيه وتخلق بها وانما المانع عن ذلك مشية الله فمن شاء حجبه عنه اضلالا وزاغا ومن شاء حجبه عن بعضه ومن
شاء كشف عنه الحجاب وجعله منه على اعظم صواب دون شك ولا ارتياب وجلا عليه اوائله وعرائسه وحاجوائحه
واسمها القيمة واضح فى ذلك جدا وليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيرها اذا تؤملت الاية مع ما اشارت اليه لا النافية
للقسم والمؤكدة من نهاية الوضوح فى جد لا يحتاج الى اقسام عليه لانه لا يوجد احد يدع من بحث يبعث بعد وبعضهم على بعض
وينتصفون فيما حولهم فيه من غير حساب فكيف باحكم الحاكمين الذى وكل بعبيده اضعافهم من الملئكة فهم يدرون فى
كل لحظة منهم كؤوس المنايا ويأخذون من امرهم به سبحانه الى دار البرزخ للتهيئة للعرض ويوقفونهم زمنا بعد زمن
بعد زمن الى العود فى الارض حتى ينتهى الجمع فى القبور ويقيمهم فى النقر فى الناقور والنفخ فى الصور الى ساحة الحساب
للثواب والعقاب ولم يحجب عن علم ذلك حتى ضل عنه اكثر الخلق الا شتد سبحانه بتقليب النفس الامارة حتى صارت
اللوامة منهمكة فى الشهوات اللوم عن الانتصار عن شئ جنبه كما ان ما جلاه لنبيه صلى الله عليه وسلم حتى كانه
خلقه ولمن اراد من اتباعه الارادة سبحانه بتغليب المطمئنة حتى صار الكل روحا صرفا ونورا خالصا بحتا بسم الله
الذى شرف رسوله صلى الله عليه وسلم فاعجز الخلق بكتابه بما له من الجلال الرحمن الذى عم بنعمتى الايجاد والبيان اهل
الهدى والضلال الرحيم الذى خص اهل العناية بالسداد فى الاقوال والافعال ولما ذكر سبحانه الاخرة اول
المدثر وخوفه منها بالتعبير بالناقور وما تبعه ثم اعاد امرها اخرها وذكر التقوى الذى هى اعظم النجح فيها والمغفرة
التى هى الدر الاعظم لها وكان الكفار يكذبون بها وكان سبحانه قد اقام عليها من الادلة من اول القران الى هنا ما تم مع
الاقسام واخرى مع الخلو عنه ما صيرها فى حد البديهيات وكانت العادة قاضية بان المخبر اذا كذبه السامع حلف على
ما اخبر به وكان الاقسام مع تحقق العناد لا يفيد اشار سبحانه الى ان الامر قد صار غنيا عن الاقسام لما له من الظهور
الذى لا ينكره الا معاند فقال مشيرا الى تعظيمها والتهويل فى امرها بذكرها واثبات امرها بعدم الاقسام ونا كيد
لا اقسم اى لا اوقع الاقسام او اوقعه مؤكدا بيوم القيمة على وجود يوم القيامة او بسبب وجوده لان الامر غنى بيانه
عن ذلك وعلى القول بانه قسم هو مؤكد بالنافى ودخوله فى التاكيد سائغ بل شائع فى كلامهم جدا وحاز القسم بالشئ
على وجوده اشارة الى انه فى العظمة فى الدرجة العليا كما يقول الانسان والله ان الله موجود اى لا شئ احلف به على وجوده
ما يها المنكر اعظم منه حتى احلف به ولا بد لى من الحلف لاجل انكارك فانا احلف به عليه فالمعنى حينئذ انه لا شئ ادل
على عظمة الله من هذين الشيئين فلذا اوقع القسم بهما وسر التاكيد بلا كما قال الرازى فى اللوامع ان الاثبات
من طريق النفى اكد كانه رد على المنكر اولا ثم اثبت القسم ثانيا فان الجمع بين النفى والاثبات دليل الحصر ولما
كان من المقرر المعلوم الذى هو فى اقصى غايات الظهور ان من طلبه الملك طلب عرض وحساب وثواب وعقاب
يلوم نفسه فى كونه لم يبالغ فى العمل بما يرضى الملك والاخلاص فى موالاته والتحبب اليه ومصافاته وكان اكثر لوم
النفس واقعا فى ذلك اليوم وكان ادراكها اللوم المبنى على ادراك الامور الكلية والجزئية ومعرفة الخير والشر
والتمييز بينهما من اعظم الدلائل على تمام قدرة الخالق وكمال عظمته الموجب لايجاد ذلك اليوم لاظهار عظمته

وحكمه وحكمته قال ولا اقسم بالنفس على حد ما مضى فى ان الفاصلة او سبب اللوامة اى التى تلوم صاحبها وهى خير وشر فالخير
تكون سببا للنجاة فيه والاخرى تكون سببا للهلاك فيه فان لامت على الشر وعلى التهاون بالخير انجت وان لامت على ضد ذلك اهلكت
وكيف ما كانت لا بد ان تكون مرة وهى بين الامارة والمطمئنة فما غلب عليها منهما كانت فى حزبه قال الرازى فالمطمئنة التى تقادت لاوامر
الله والامارة المخالفة لها المتبعة للهوى واللوامة هى المجاهدة فتارة لها اليد وتارة عليها وهى نفس الانسان خاصة لانها
بين طورى الخير والشر والكمال والنقصان والصعود والهبوط والطاعة والعصيان قال الامام السهروردى فى الباب
السادس والخمسين من معارفه وهى نفس واحدة لها صفات متغايرة والملئكة فى درجة الكمال والحيوانات لاخرى فى دركة
النقصان ولهذا جمع بين القيامة وبين اللوامة ان الثواب والعقاب للادمى دون الملئكة والحيوانات البهم واللوامة بشدد
لومها فى ذلك اليوم على عدم الخير او عدم الزيادة منه لا اقسم على ذلك بهذا الذى هو مراد للامور على عظمته فى ذلك سبحانه
فان الامر فى ذلك غنى عن القسم ولما كان النقدير قطعا بما يرشد اليه جميع ما مضى جوابا للقسم انك والله صادق فى انذارك
فلا بد ان ينقر فى الناقور بالنفخ فى الصور دال بانيا عليه بعد الاشارة الى تعظيم امر القيمة بما دل عليه حذف الجواب
من نهاية فى وضوح الامر وتحتم الكون على حالة لا تخفى على احد منكرا على من يشك فيما بعد ذلك ايحسب الانسان اى هذا
النوع الذى جبل على الانس بنفسه والنظر فى عطفيه والسرور بحسه واسند الفعل الى النوع كله لان اكثرهم كذلك لغلبة
الحظوظ على العقل الا من عصمه الله ان اى انا ولما كان فيهم من يبالغ فى الانكار عبر ايضا باداة التاكيد فقال لن نجمع اى على ما
لنا من العظمة عظامه اى التى هى قالب بدنه وعماده من الارض بعد تفرقها كما كانت بعد تمزقها وتفتتها وافراقها وبلاها
واتحاقها وقد سدت المخففة مسد مفعولى يحسب والمعنى يحسبنا غير جامعين • وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم
قوله مخبرا عن اهل الكفر وكنا نكذب بيوم الدين • ثم تقدم فى صدر السورة قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور الى قوله غير
يسير والمراد به يوم القيمة والوعيد به لمن ذكر بعد فى قوله ذرنى ومن خلقت وحيدا الايات ومن كان على حاله فى تكذيب
وقوع ذلك اليوم ثم تكرر ذكر عند جواب من سئل بقوله ما سلككم فى سقر فبسط القول فى هذه السورة فى بيان ذكر
ذلك اليوم واهواله واشير الى حال من كذب به فى قوله تعالى يسئل ايان يوم القيمة وفى قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع
عظامه ثم ابتع ذلك بذكر احوال الخلائق فى ذلك اليوم ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر انتهى ولما اسند
الحسبان الى النوع لان منهم من يقول لا نبعث لانا تفتتنا وتمحق بالحسبان بلى اى لنجمعن عظامه وجميع اجزائه لانا قد
على تفصيل عظامه وتنميتها من بعد ارتفاقها حال كونها نطفة واحدة لان كل من قدر على التفصيل قدر على الجمع والتوصيل حال
كوننا قادرين اى على ما لنا من العظمة على ان ولما كانت تسوية الصغير اصعب قال نسوى بنانه اى اصابعه او سلاماته
وهى عظامه الصغار التى فى يديه ورجليه كل منهما طول اصبع واقل خصها لانها اطرافه واخر ما يتم به خلقه بان نجمع بعضها الى
بعض على ما كانت عليه قبل الموت سواء فالكبار بطريق الاولى لانها ابين ولا فرق بين تسويتنا ذلك من النطفة وتسويتنا
له من التراب وهى لا تكون مستواة وهى قالب للبدن الا بتسوية ما عليها من لباس اللحم والعصب والجلد كما نعهدها الغاية
تسوية البنان كما لو قيل للنساج تقدر على ان تنسج هذا الخط فقلت نعم وعلى ان تنسج الجوز كل مع ما تفهم من تخصيصها من التنبيه
على ما فيهما من بديع الصنع المنافى عنه ما لها من لطائف المنافع او ان نسويها الان فنجمعها على ما كانت عليه حال كونها
نطفة من الاجتماع قبل فتقها وتفريقها حتى يكون خفا للبعير فان القادر على تفصيل الانامل حتى تتهيأ للاعمال
اللطيفة قادر على جمعها فان ولعنها تلك المنفعة ومن قدر على تفصيل الماء بعد اختلاطه وجمعه بعد انفصاله قادر
على جمع التراب بعد افتراقه وكيف ما كان فهو تنبيه على الانامل فى لطف تفصيل الانامل وبديع صنعها الموجب للقطع
بان صانعها قادر على كل ما يريد قال فى القاموس البنان الاصابع او اطرافها او السلاميات وزن حبارى عظام
صغار طول اصبع واقل فى اليد والرجل ولما تقدم ما اشار الى ان القيمة فى غاية الظهور واضرب عن هذا الانكار
فقال بانيا على ما تقدير انه لا يحسب عدم ذلك لانه من الظهور فى حد لا يحتاج الى كبير تامل ولو مشى مع عقله عرف
الحق بل يريد اى يوقع الارادة الانسان اظهر فى موضع الاضمار للتصريح بالتعميم لمقتضى الطبع الموجب له
عدم الفكر فى الاخرة مع شدة ظهورها لانه معنى بشهواته فلا نجاة الا لمن عصمه الله وحذف مفعول يريد اشارة
الى كل ما يريد بمقتضى طبعه وشهواته انه خارج عن طوعه فهو معاقب عليه لانه عبد والعبد يجب عليه ان يكون مراقبا
للسيد لا يريد الا ما يامره به فاذا اراد ما امره به لم تنسب اليه ارادة بل الارادة للسيد لا له ولما كان
ذلك وكانت ارادته الخارجة عن الامر معصية قال معللا ليفجر امامه اى يقع منه الارادة ليقع منه فى الفجور فى المستقبل
من زمانه بان يقضى شهواته ويمضى راكبا رأسه فى هواه ونفسه الكاذبة يتودد عليه الامانى ويتوسع له فى الامل
ويطعمه فى العفو من دون عمل قال الحسن المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ويقول ما اردت بكلامى ما اردت باكلى والفاجر

يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها ويجوز ان يعود الضمير على الله تعالى ليكون المعنى ليعمل الفجور بين يدي الله تعالى وبمرأى منه ومسمع ويطمع ان لا يحاسب بذلك او يجازيه بفجوره ٭ قال في القاموس والفجر الانبعاث في المعاصي والزنا كالفجور ولما كان
عريقا في التلبس بهذا الوصف انتج له الاستهزاء بهذا الخطب الاعظم فترجم ذلك بقوله يسئل اي يسئوال استهزاء واستبعاد
ووضع موضع مفعول يسئل جملة اسمية من خبر مقدم ومبتدا مؤخر فقال ايان اي اي وقت يكون يوم القيمة ولما
كان الجواب يوم يكون كذا او كذا عدل عنه الى ما سبب عن استبعاده لانه اهول فقال لذا الاعلى جواب العالم بتجرد الانسان عن
مسكنته وما العنه من احواله فيكون اهول معتبرا باداة التحقق لانه موضعها فاذا برق البصر اي تحير ووقف فلا يطرف
من هول ما يرى هذا على قراءة نافع بالفتح وهي اشارة الى مبتدأ حاله وقراءة الجماعة بالكسر مشيرة الى منتهاه فان معناها تحير
ودهش وغلب من برق الرجل اذا نظر الى البرق فحسر بصره ونفرق تفرق الشيء في المال اذا انفتح عنه وعاه بك لبلى قراءة
بلق من بلق الباب اذا انفتح وبلق الباب كنصر فتحه كله او شده كاتلقه فانبلق وبلق كفرح تحير قاله في القاموس ولما
كان اثبات السموات اخوف ذكرها بادئا بما طبعته البرد اشارة الى شدة الحر والتوهج والاخذ بالانفاس المزعج لشدة الناس
فقال وخسف القمر اي ذهب خسفه فان خسفه الله فاذهب صورته كما تذهب صورة الارض المخسوفة وذلك باذهاب
ضوئه من غير سبب لزوال ربط المسببات في ذلك اليوم بالاسباب وظهور الخوارق بدليل قوله وجمع اي جمعا في غاية
الاحكام والشدة كما افهمه التذكير وعلى اثر الوجوه واسميهما الشمس اي اية النهار والقمر مع عدم انارته وان كان
نور الان من نورها فذهب الانتفاع بهما وهما مع ذهاب النور ونفرق البصر مدركان لوجود الكشف التام عن الحجاب
كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وبعد جمعهما يلقيان في النار كانهما ثوران عقيران وبني الفعل
للمفعول لان المهول مطلق جمعهما المخرج لهما عن العادة وللدلالة على السهولة ولما عظم امر القيمة بما تقدم اكد ذلك بان
الامر فيه على غير ما نعهد في الدنيا من وجدان مهرب او حاكم غير الذي يخافه المطلوب ونحو من تسعد الكل ونعر قهما فقال
يقول الانسان اي لشدة روعه جريا مع طبعه يومئذ اي اذ كان هذا الخطب لاجل الفادح الاكبر ٭ وحكى بقول جملة اسمية
من خبر مقدم ومبتدا مؤخر فقال اين المفر اي الفرار والموضع الذي يليه الفرار والزمان لقائل لذلك قول الايس مدهوش
قاده اليه الطبع وذلك حين تقاد جهنم بسبعين الف سلسلة كل سلسلة بايدي سبعين الف ملك لها زفير وشهيق ولما
كان ذلك اليوم يوم انقطاع الاسباب قال نافيا لما سال عنه باداة الردع كلا اي لا يقال هذا فانه لا سبيل الى وجود
معناه وهو معنى لا وزر اي ملجا ومعتصم ولا حصن ولا التجاء واعتصام وكون هذا من كلام الانسان رجوعا من طبعه الى عقله
افعد وادل على الهول لانه يفهم انه بعد ان سال من عظيم الهول نظر في جملة الامر فتحقق ان لا ملجا بوجه اصلا فقال معبرا
بالاداة الجامعة لمجامع الردع ولما كان المعنى لا مفر من الله الا اليه لانه مالكه الي وقد بين ساكنه قال حاجة
ذاكرا صفة الاحسان وحده لا اليه شي غيره يومئذ اي اذ كانت هذه الاشيا المستقر اي استقرار الخلق كلهم ناطقهم وصامتهم
ومكان قرارهم وزمانه الى حكمه سبحانه ومشيئته ظاهرا او باطنا لا حكم لاحد غيره بوجه من الوجوه في ظاهر ولا باطن كما هو في الدنيا
كان موضع السؤال عن علة هذا الاستقرار قال مستانفا بانيا للمفعول لان المنكي انما هو كشف الاسرار لا كونه من كاشف
معين وللدلالة على يسر ذلك عليه سبحانه بان من يريد به الى ذلك فعله كائنا من كان ينبؤا اي يخبر تخبيرا عظيما مستقصى الانسان
يومئذ بما قدم اي اذ كان هذا الزلزال الاكبر بما قدم اي من عمله العظيم واخر اي في اول عمره واخره كانه عن الاستقصا
او بما قدمه فاثره على غيره هل هو الشرع او الهوى وبما عمل في مدة عمره وبما اخر عمله لعاجلة الموت له عنه بتخبر بما كان بعمله
من امله لو مد في اجله او الذي قدمه هو ما عمله بنفسه وما اخره هو ما سنه فعمل به الناس من بعده من خير او شر قاله ابن عباس
رضي الله عنهما وعليه مشى الغزالي في الباب الثالث من كتاب التوبة من الاحيا ولما عظم القيمة بكشف الاسرار فيها بالانباء بها
وكان الشان ان الانسان لا يحتاج الى الانباء الا بما هو جاهل به او غائب عنه وكان مما يخفف على الانسان في الدنيا النسيان وكان
ذلك اليوم يوم كشف الغطاء اذن عظمها بالاعلام بانه يخلو بصيرة الانسان حتى يصير مستحضرا لجميع ما له من شان فيكان
التقدير وليس جاهلا بشي من ذلك ولا محتاجا الا الى الانباء به قال بانيا عليه بل الانسان اي كل احد من هذا النوع على نفسه
خاصة بصيرة اي حجة بينة على اعماله فالهاء للمبالغة يعني انه في غاية المعرفة باحوال نفسه فانه اذا تامل وانعم النظر
ولم يتقيد بالحظوظ عرف جيد فعله من رديئه اما في الدنيا فلان الفطرة الاولى شاهدة بالخير والشر كما اشار اليه
صلى الله عليه وسلم بقوله البر ما اطمانت اليه النفس وان افتاك الناس وافتوك رواه الامام احمد عن ابي ثعلبة الخشني رضي
الله عنه وقوله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت رواه البخاري
عن ابن مسعود رضي الله عنه واما في الاخرة فان الله تعالى يعطيه ذلك اليوم قوة الذكرى حتى يصير اعماله كلها بين عينيه
لانه تعالى ينفي عنه الشواغل البدنية ويكشف عنه الحجب النفسانية حتى يصير اعماله ممثلة له كانه لا يراها ولا ينفعه

معاذيره لان كل شيء يعتذر به عن نفسه يعرف كذبه بنفس وجوده لا بشيء خارج عنه تارة بكونها لغوا او جيت على ما هو عليه من العلم وسلامة
الاسباب المزيلة العلل وتارة بانطاق جوارحه ولما كان الانسان يعتذر في ذلك اليوم عن كل سوء عمله ويجادل اعظم مجادلة
وكان المجادل في الغالب يظن انه لم يعرف بنيته ولا يعلم له ذنبا قال تعالى ولو القى اي ذكر بغاية السرعة ذلك الانسان من غير تلعثم دلالة
على غاية الصدق والاهتمام والتملق معاذيره اي كل كلام يمكن ان يخلص به جمع عذر او معذرة وهو ابتداع الحيلة في دفع الخلل ٭ وفي القاموس
المعاذير الستور والحجج جمع معذار وذلك لا ستر الكماة في اطلاق الستر بالفتح والستر بالكسر في ستر المذنب والحجة في ستر الذنب
فالمعنى انه حجة على نفسه ولو احتج عنها واجتهد في ستر عيوبها فلا يقبل منها الاعتذار لانه قد اعطي البصيرة فاعماها بهوى
النفس وشهواتها وتلك البصيرة هي نور المعرفة المذكور في الفطرة الاولى وهي كقوله تعالى لا ينفع الظالمين معذرتهم ولما
كان معنى هذا كله ان الانسان محجوب في هذه الدار عن ادراك الحقائق بما فيه من الحظوظ والكسل والفتور لما فيه من النقائص
وكان النبي صلى الله عليه وسلم مبرا من ذلك لخلق الله له كاملا وترقيته بعد ميلاده كل يوم في مراقي الكمال حتى صار الى حد لا يشغله
عن العلوم شي وكان بحيث يرى مواقع الفتن خلال البيوت كمواقع القطر ويرى من وراءه كما يرى من امامه ويقول والله ما يخفى
علي خشوعكم ولا ركوعكم لاني اراكم من وراء ظهري ويرى صلى الله عليه وسلم في اشد الظلام وغير ذلك مما له صلى الله عليه وسلم
مما يدل على الكشف التام ولكنه كان صلى الله عليه لتعظيمه لهذا القران لما له في نفسه من الجلالة ولما فيه من خزائن السعادة
والعلوم التي لا حد لها فيستقصي ولانه كلام الملك الاعظم وبامره نزل اليه مع رسوله صلى الله عليه وسلم يعالج عنه بسماعه
اول ما يأتيه شدة فكان يحرك به لسانه استعجالا لاستعماله ليحفظه ولا يشذ عنه منه شي وكان قد ختم سبحانه ما قبلها بالمعاذ
وكانت العجلة مما يعتذر عنه وكان الحامل على جميع ما يوجب الملامة والاعتذار ما طبع عليه الانسان من حب العاجل قال سبحانه
نتيجة عن هذه المقدمات الموجبة لانكشاف الاشيا للانسان الموجبة لاجاريها والخوف من عواقبها لان لا يميل الى العاجلة
ولا يبقى في مخالفة لولا ما شغله به من الحجب ٭ اعلاما بانه سبحانه قد رفع عن النبي صلى الله عليه وسلم تلك الحجب واوصله من رتبة
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا الى انهاها وبانه قادر على ما يريد من كشف ما يريد لمن يريد كما يكشف لكل انسان عن اعماله
في القيمة حتى يصير يعرف ما قدم منها وما اخر وتنبيها على ان النبي صلى الله عليه وسلم لا سبب له في هذا القران بغير حسن التلقي
المجرد له عن قول البشر وتمهيدا لما يحرك من لسانه بالقران قبل تمام الالقاء لذة ما طبع عليه الانسان لا تحرك به
الذي ليست له حركة الا في ذكر الله اي القران الذي هو تذكرة من شاء ذكر لولا حجاب المشيئة وقد كشف سبحانه حجاب المشيئة
لهذا النبي الكريم وشاء ان يذكره حين قال وما تشاؤون الا ان يشاء الله لانه ما نزل اليه بغير اكتساب منه الا وقد شاء
ذلك لسانك الذي ليست له حركة الا في ذكر الله لم يكن لهذا التحريك فائدة مع حفظ الله له على كل حال لا تفضل الطاعة
بالعجلة وكانت العجلة في الانسان بالشي قبل وانه الاليق به وان كان النبي صلى الله عليه وسلم مثابا على ذلك اعظم الثواب
لانه لا حامل له عليه الا حب الله وحب ما ياتي منه جعلها سبحانه عليه وان لم يكن مقصوده فقال لتعجل به اي بحمله واخذه
قبل ان يفرغ من القائه اليك رسولنا جبريل عليه السلام مخافة ان يتفلت منك فان هذه العجلة وان كانت من الكمالات
بالنسبة اليك والى اخوانك من الانبياء عليهم السلام كما قال موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى لانها من
النفس اللوامة التي تلوم على ترك المبادرة الى افعال الخير فغيرها من افعال المطمئنة اكمل منها فنقل صلى الله عليه
وسلم من مقام كامل الى اكمل منه وكان هذا الكلام المتعلق بالقران والذي بعده فرقانا بين صفتي اللوامة في الحكم
واللوامة في الشر والاية ناظرة الى قوله تعالى في المدثر حكاية ان هذا الا قول البشر وما بينهما اعتراض في وصف
حال القيمة جر اليه قوله تعالى ساصليه سقر اي ان الذي حمل به المقول في القران امران احدهما انه سحر والاخر
انه قول البشر والعلم اليقين حاصل بانتفاء الاول واما الثاني فكان صلى الله عليه وسلم يخشى ان لا يستمر حفظه
فيدخل عليه كلمة مثلا فيكون من قول البشر فنهاه الله تعالى عن العجلة وضمن له الحفظ بعلة هذا النهي بقوله مؤكدا
لانه من مجرا انه ان علينا اي بما لنا من العظمة لا على احد سوانا جمعه اي في صدرك حتى تثبته وتحفظه وقرانه اي طلاوة لسانه
واثباته في رتبته من الكتاب حال كونه مجموعا ان جمع مسرا احسن تيسير فارح نفسك مما تعالج في امره من المشقة
وتكاد من علي لحنا ولما نهاه امره فقال فاذا قراناه اي قرانا جبريل عليه السلام على نادرته اليك كما حملناه اياه
بما لنا من العظمة وعلى حسبها فاتبع اي بغاية جهدك بالقاء سمعك واحضار ذهنك قرانه اي قراته مجموعة على حسب ما
اداه اليك رسولنا وجمعناه في صدرك وكررناه حتى يصير لك به ملكة عظيمة واعمل به حتى يصير لك خلقا فيكون
فاتحا الى كل خير فالضمير يجوز ان يكون للقران ويكون القران هنا بمعنى القراءة عبر به عنها لعظمها لها اي اتبع قراءة
القران اي قراءة جبريل عليه السلام له ولو كان علي بانه لم يكن بحذو فان المراد به خاص وبالضمير عام ويجوز ان يكون
الضمير لجبريل عليه السلام اي اتبع قراءته ولا تراسله كان بيان كلماته ونظومه على اي وجه بجمعه من مثل

صلصلة الجرس وغيرها وبيان معانيه وما فيه من خزائن العلم من العظمة بمكان يقصر عنه الوصف اشارة اليه باداة التراخي فقال دالا على
ان اداة جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة مشعرا بانه كان يتحمل بالسؤال عن المعنى كما كان يتحمل بالقراءة ثم والذلك
اوشارة الى انه لعظمته مما يتوقف فيه فقال ان علينا اي بما لنا من العظمة ومعاينته لك سواء بسمعته من جبريل عليه السلام على مثل
صلصلة الجرس او بكلام الناس المعتاد بالصوت والحرف وتفرقه على لسانك وعلى السنة العلماء من امتك والاية مشيرة الى تنزل
مطلق العجلة لانه اذا نهى في اعظم الاشياء واهمها كان غيره بطريق الاولى روى البخاري في تفسير الاية في اول صحيحه واحمد
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة كان يحرك شفتيه فقال سعيد بن جبير قال ابن عباس
رضي الله عنه فانا احركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فانزل الله عز وجل الاية حتى قال جمعه في صدرك ثم تقرأه
فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع له وانصت ثم ان علينا ان نقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل
عليه السلام استمع مطرقا فاذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما اقرأه جبريل كما وعد الله بكفالة
قوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا
كان سبحانه قد ختم الكلام في المكذبين بان اعمالهم محفوظة وان كل احد على نفسه شاهد لانه يعلم جميل ما يفعل من
قبيحه وان اعتذر واولاه ما استند الضلالة به وختم بضمان البيان للقرآن فكان شاهدا بينا على كل انسان بما له من
عظيم البيان قال نافيا لما يظن من جهلهم بقبيح افعالهم الذي اقتضاه اعتذارهم مشعرا بان الادمي مطبوع على الاستعجال
بعد النهي عن العجلة في اعز الاشياء واعلاها واهمها واولاها لانه اصل الدين ليكون ذلك مؤكدا للنهي عن العجلة بالقرآن ومؤكدا
الزامهم بحبهم العاجلة مغلطا لهم بحملهم على الميل مع الطبع وترك ما يقتضيه العلم والعقل كلا اي لا يجهل احد منهم قبائح ما ارتكبه
وان اعتذر وما ارتكب شيئا منها عن جهل بل هم تحبون اي محبة متجددة مستمرة على تجدد الزمان العاجلة بدليل انهم يقبلون عليها
الاقبال عليها بما حسن وبما وجبها اوجب لهم ارتكاب ما يعلمون قبحه فان الاخرة والاولى ضرتان من احب احداهما فعل بحسبها
ساعد من الاخرى فان حبك للشيء يعمي ويصم وهذا بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم في مطلق العظمة العجلة فكيف بالعاجلة
فاذا طبعناه على الكمال فكان يعالج من العجلة بالقراءة شدة فحين نهيناه عن ذلك انتهى مرجوعا الى طبعه الكامل الذي لا
يشوبه نقص ولذا كان امره تكوينيا لا اباء معه ولا تكلف فان نفسه المطمئنة هي الغالبة ولها السلطان الاكبر والاجل بصادر الدار
وكونهم يحبون العاجلة فالوا يذرون اي يتركون على اي وجه كان ولو انه غير مستحسن الاخرة لانهم يبغضونها لا دركهم ما
يضرهم فيها وجميع العمر وان كان مبنى الخطاب مع الانسان نظرا للمعنى اشارة الى انه لا يسلم من العجلة المذمومة الا افراد
حفظهم الله بقدرته الباهرة والايات من الاحتباك ذكر الحب اولا دليلا على البغض ثانيا والترك ثانيا دليلا على الاقبال
والاخذ اولا فانهم اللوامة تلومهم على التقصير في الشر كما ان نفسك تحثك على الازدياد من الطرح والمبادرة اليه نعم
النفس هي ولعلمن مقامها واما انفسهم فانها تحثهم لاحلال اللوم على التقصير في الشر على الاخلاد الى العاجل الفاني والاباء
عن الباقي لكونه غائبا فبئس الانفس هي ذكر الاخرة التي اعرضوا عنها ذكر ما يكون فيها بيانا لجهلهم وسفههم
وقلة عقلهم وترهيبا لمن ادبر عنها وترغيبا لمن اقبل عليها لطفا بهم ورحمة لهم فقال وجوه اي من المحشورين وهم جميع الخلائق
يومئذ اي اذ تقوم القيمة ناضرة من النضرة بالضاد وهي النعمة والرفاهية اي هي بهية مشرقة ظاهر عليها اثر النعمة
بحيث يدل ذلك على نعمة اصحابها الى ربها اي المحسن لها خاصة باعتبار ان عد النظر الى غيره كلا نظر ناظرة اي دائما هم
يحدقون ابصارهم نحو جوده بالتجلي لا يعتليهم عن ذلك فاذا رفع الحجاب عنهم ابصروه باعينهم بدليل التعدية بالى ذ
النظر حقيقة من غير اكتنام ولا انضمام ولا ازدحام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما واكثر المفسرين وجميع اهل السنة
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحاح من وجوه كثيرة بحيث تشتهر غاية الشهرة ويكون الرؤية
كما مثلت في الاحاديث كما يرى القمر ليلة البدر كل من يريد رؤيته من بيته مخليا به هذا وجه الشبه لانه في جهة ولا
في حالة لها شبه تعالى الله عن التشبيه وهكذا رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من الاشخاص المتكثرة في البلاد
المتباينة في وقت واحد وقدم الجار الدال على الاختصاص اشارة الى ان هذا النظر بالنسبة للنظر الى غيره فلا يعد ذلك
نظرا بالنسبة اليه والى ان تلك الوجوه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث لا تفتر عن ذلك ولا يعد نظرها الى ما سواه
بشيء منه من ان يفعل بها فاقرة وعبر بالوجوه عن اصحابها لانها ادل على السرور وليكون ذكرها انص
في ان المراد بالنظر حقيقته وزاده صراحة بالتعدية بالى فان الانتظار لا يعدى بها وجوب اتباع الظاهر قال
الامام حجة الاسلام الغزالي في كتاب المحبة من الاحياء بعد ان جوز ان يخلق الله النظر في الجبهة وغيرها والجواب لاهل السنة
والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع تجري
على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا بضرورة انتهى واهل الجنة متفاوتون في النظر روي ان منهم من ينظر الى الله

بكرة وعشية وفي خبر وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ويتفاوتون في ذلك
الكشف في الجمال والاسرار والبهجة التي يكون عنها اللذة بحسب اعمالهم ولما ذكر اهل النعيم اتبعه اضدادهم من اهل
النقم فقال ووجوه يومئذ اي في ذلك اليوم بعينه باسرة اي شديدة العبوس والكلوح والتكره لما هي فيه من الغم كانها قد
عرفت فيه وتيقنت بعد ان سبرت احوالها فلم تظهر لها وجه خلاص والباسر ابلغ من الباس لكنه غلب في الشجاع لاشتداد
كلوحه عند العراك وتلك الوجوه عن ربها محجوبة والى انواع العذاب ناظرة ولما كان ظن الشر كافيا
في الحث على منه والمبالغة في استعمال ما يحمي منه قال دالا على انه عبر بالوجه عن الجملة تظن اي توقن بما ترى من المخايل
ان يفعل بناه للمفعول لان المحذور وقوع الشر لا كونه من معين بها اي بهم فانه اذا اصيب الوجه الذي هو اشرف ما
في الجملة كان ما عداه اولى فاقرة اي داهية تكسر الفقار وهو عظم السلسلة الظهر الذي هو اصلب ما في العظام
فيكون قاصمة الظهر فالاية من الاحتباك ذكر النظر في الاولى دليلا على ضده في الثانية وذكر الفاقرة في الثانية دليلا
على ضده في الاولى ولما ذكر محبتهم للعاجلة بالدال على التجدد والاستمرار وما تقضي في ذلك انه تحجب عن ضعفك التجدد
اصلا حتى انه ينقطع عنده هول المطلع على الدلالة على تمام القدرة وانه لا بد قصا ونحو فقال رادعا لمن يظن عدم
انقطاعه كلا اي لا بد وم هذا الحب بل لا بد ان ينقطع انقطاعا قبيحا جدا ولما كان الحب للدنيا هو النفس اضمرها
لذلك ولدلالة الكلام عليها فقال ذاكرا طرف ما افهم حرف الردع تقديره من عدم المحبة اذا بلغت اي النفس
المقبلة على العاجلة بامر محقق بما افهمته اداة التحقيق التراقي اي عظام اعالي الصدر جمع ترقوة وهي العظام التي
حول الحلقوم عن يمين ثغرة النحر وشمالها بين الثغرة وبين العاتق ولكل انسان ترقوتان وهو موضع الحشرجة ولعله
جمع المثنى اشارة الى شدة انتشارها بغاية الجهد لما هي فيه من الكرب لاجتماعها من اقاصي البدن الى هناك وضيق
المحال عليها كانها تريد ان تخرج من ادنى موضع يقرب منها وهذا كناية عن الاشفاء على الموت وما احسن قول حاتم
الطائي واشتد الغيا مع مع ما هنا في امر البروج • اماوي ما يغني الثراء عن الفتى • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر •
ولما كان اهل الميت لشدة انزعاجهم اذ ذاك واشتداد تطلبهم لما ينجي المحتضر من غير ان يفيدهم ذلك شيئا كان
قولهم كانه لا قائل له على التعيين بنى للمفعول قوله وقيل اي من كل قائل يعز عليه الميت استفهاما واستبعادا من راق اي من
هو الذي يتصف برسوخ القدم في امر الرقي ليرقيه فيخلصه مما هو فيه فانه صار الى حالة لا يحتمل شيئا دوا
بلا رجا الا في الرقي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا القول من بعض الملائكة للاستفهام عمن يرقى بروحه الى
السماء املائكة الرحمة او ملائكة العذاب فالاول اسم فاعل من رقى يرقى بمعنى الرقية بالفتح في الماضي والكسر في المضارع
والثاني الذي بمعنى الصعود بالكسر في الماضي والكسر في المضارع ولما كان الانسان مطبوعا على الترجي بين
الامور الممكنة يتعلق لما يغلب عليه من طبع الالف وشدة الركون للدنيا بادنى شيء عبر بما هو اهل المتحقق بالظن
فقال وظن اي المحتضر لما لاح له من امور الاخرة او القائل هل من راق من اهله انه اي الشان العظيم الذي هو فيه
الفراق اي لما كان فيه من محبوب العاجلة الذي هو الفراق الاعظم الذي لا فراق مثله ففي الخبر ان العبد ليعالج
كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك تفارقني وافارقك الى يوم القيمة
والتفت الساق اي هذا النوع بالساق اي انضمت اليها واتصلت بها ودارت احداهما بالاخرى كما كالشيء
الواحد وهو كناية عن الموت لان الشيء لا يكون الا مع انفصال احدى الساقين عن الاخرى وعن اشتداد الامر
جدا وبعده عن الخلاص فان العرب لا تذكر الساق في مثل هذا السياق الا في موضع يدل على عسر ساق
واذا اشتد حراب المتحاربين داننا السوق بعضها من بعض فلا افتراق الا عن موت احدهما او اشد من مويته من هزيمته وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه كناية عن اختلاط شدة اخر الدنيا بشدة اول الاخرة وجواب اذا محذوف تقديره زال تعلقه
الذي كان بالدنيا وجه لها واعراضه عن الاخرة ولما موروثة تاسفه على الدنيا واعراضه عنها ذكر غاية ذلك
فقال معرفا النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب اشارة الى انه لا يفهم هذا حق فهمه غيره الى ربك اي موعد وحكم المحسن اليك
بارسالك وتصديقك في جميع ما بلغته عنه ونصرك على كل من ناداك لا الى غيره يومئذ اي اذ وقع هذا الامر المساق اي السوق
وموضع السوق وزمانه كل ذلك داخل في حكمه قد انقطعت عنه احكام اهل الدنيا فاما ان تسوقه الملائكة الى سعادة بتيته
واما الى شقاوة بتيته او هو كناية عن عرضه بعد الموت على الله تعالى فلا ينفعه اذ احقوله الوعظ بالموت قوله اموت فاسم
فانه يرجع بالموت الى سيده فان كان مطيعا لقيه بما يرضيه وان كان عاصيا لقيه بما يليق به العبد الابق على قدر اباقه
ولما ذكر كراهته للدنيا ذكر كراهته للاخرة لا كرانه سبه افساده ما اتاه الله من قوى العلم والعمل بتعطيلها
عن الخير واستعمالها في الشر فقال حاكيا عمل العبد الموافق والابق عاطفا على يسئل ايان الذي معناه جحدا لبعث فلا صدق

هذا الانسان الذي الكلام فيه الرسول فيما اخبر به مما كان يعمل من الاعمال الجيدة ولا ايمانه بالانفاق في وجوه الخير التي ندب اليها واجبة كانت او مسنونة وحذف المفعول لانه ابلغ في التعميم ولما ذكر اصل الدين اتبعه فروعه دلالة على ان الكافر مخاطب بها فقال ولا صلى اي بما امر به من فرض وغيره فلا تمسك بحبل الخالق ولا وصل حبل الخلائق على حد ما شرع له ولما نفى عنه افعال الخير اثبت له افعال الشر فقال ولكن اي فعل ضد التصديق بان كذب اي بما اتاه من الله وتولى اي وفعل ضد الصلاة التي هي صلة بين المخلوق والخالق فاجتهد في خلاف ما تدعوه اليه فطرته الاولى المستقيمة من الاعراض عن الطاعة من الصلاة وغيرها حتى صار له ذلك ديدنا فصار تركه الطاعة لا يخطر بقلبه لكن علما بالموت لفطرته الاولى وحياة النفس الامارة وليس هذا تكرارا لانه لا يلزم من عدم التصديق التكذيب ولما كان الاصرار على هذا عظيما بعيد كل البعد ان يعمله احد فكيف بالافتخار به والتكذيب لاجله اشار اليه باداة البعد فقال مؤذنا بان الحامل على التكذيب الكبر والحامل على الكبر الترف وسبب ذلك الانقياد او الاتباع الطبع في فساد القوتين العملية والعلمية حتى ينشأ عنهما هذا الخلق السيء وهو عدم المبالاة والمراد به ذلك حتى صار ملكة يفتخر به ثم ذهب اي هذا الانسان بعد توليه عن الحق الى اهله غير مفكر في عاقبة ما فعل من التكذيب حال كونه يتمطى اي يتبختر افتخارا بتكذيبه واعراضه وعدم مبالاته بذلك من المط ابدلت الحرف الثاني الفا تخفيفا فصار من المطا وهو الظهر كانه يساعد على مط الخطا اولان المتبختر اذا مشى لوى ظهره وانما فعل هذا المرء به على المعصية بدل الاستحياء والخجل والانكسار ولما كان هذا غاية الفجور وكان هذا الانسان يحبونه اذا اتبكل اليهم لا سيما اذا كان على هذه الحالة عندا غلبا للناس اخبر بما هو حقيقه ان يقال له في موضع تحية اهله من التهديد العظيم فقال اولى لك اي ولاك الله ما تكره ودخلت اللام للتاكيد الزائد والتخصيص وزاد التاكيد بقوله فاولى اي انه لا كان الله يداهية عقب داهية والمبالغ ذلك التاكيد اشار الى انه يستحقه على مدى الاعصار فقال مشيرا باداة التراخي الى عظم ما ارتكب وقوة استحقاقه لهذا التاكيد ثم اولى لك اي ايها الذي قد احل نفسه بالغفلة دون محل البهائم فاولى اي وصلت اليك هذا الى الهلاك بل اهلكه لعقبها داهية تارة متوالية وتارة متراخية وبعضها اعظم من بعض فحقك ذلك لا محالة فان هذا دعا من بيده الامر كله ويجوز ان يكون المعنى اولى لك ان تترك ما انت عليه وتقبل على ما ينفعك وقال ابن جرير في تفسير المدثر ان ابا جهل لما استهزا على جعل خزنة النار تسعة عشر اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فياخذ بيده في بطحاء مكة ويقول له اولى لك فاولى الى اخرها فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو جهل والله لا تفعل انت وربك شيئا فاخزاه الله يوم بدر انتهى ويمكن تنزيل الكلمات الاربع الحياة ثم الموت ثم البعث ثم دخول النار فيكون المعنى لك المكروه الاني في الموت والبعث ودخول النار قال البغوي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابا جهل وقد افهمت الاية ان من اصلح قوتيه علمه وعمله بان صدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر واتبع واقام الصلاة فتبعها جميع الاعمال التي هي عمادها فنشأ عن ذلك خلق حسن وهو الوجل مع الطاعة فهنالك يقال له بشرى لك فبشرى ثم بشرى لك فبشرى ولما كان تقبل من اعرض عن الله اصلا فلم يخطر شيئا من عظمته على باله فكان ظانا انه يهمل اهمالا لله وانه هو السيد لا عبودية عليه فلا يومن ولا ينهى ولا يعمل الا بمقتضى شهواته قال منكرا عليه معيرا اياه الحسبان الذي الحامل عليه نقص العقل ايحسب اي يجوز لعلة عقله الانسان اي الذي هو عبد مربوب ضعيف عاجز محتاج بما يرى من نفسه وابناء جنسه ولما كان الحامل على الجزاء مطلق الترك مهملا لا كون الترك من معين قال بانيا للمفعول ان يترك اي يكون تركه بالكلية سدى اي مهملا لا عبثا لا يكلف ولا يجازى ولا يعرض على الملك الاعظم الذي خلقه فيسال لم لا عن شكره فيما اسدى اليه فان ذلك مناف للحكمة لكونها تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن المساوي والجزاء على كل منهما واكثر الظالمين والمظلومين يموتون من غير جزاء فاقتضت الحكمة ولا بد البعث للجزاء ولما كان الانسان يجري مع ما في طبعه من النقائص فيغفل عما خلق له فتتراكم ظلماته فيبعد عن علم ذلك انما يجهل بالحكماء ويجهل بالقدرة والحكمة وذلك انه لا يجوز في عقل عاقل ان صانعا يصنع شيئا ويتركه ضياعا وهو حكيم او حاكم فكيف باحكم الحكماء والحاكمين فقال منكرا عليه ظنه انه يهمله سبحانه مع علمه بصنائعه المحكمة فيه مقررا احوال بدايته التي لا يسوغ معها انكار اعادته لانها ادل دليل على انها الاسم الاعظم منها اصلا وخاد فانون الكون اعلاما بان الامر في هذه النتيجة العظمى ضاف عن اقل شيء يمكن الاستغناء عنه كراهة التمادي من الموعوظ على ما وعظ لاجله فيحصل له الهلاك واشار الى مهانة اصله وحقارته الم يك اي الانسان نطفة اي شيئا يسيرا جدا من مني اي من ماء من صلب الرجل وترائب المراة مقصود مقدر من الله للابتلاء والاختبار بما له المنية التي هي الموت يمنى اي يصب الله للانسان المعالجة في اخراجها بما ركب فيه من الشهوة وجعل له من الزوج التي يسرها لقضاء وطره منها حتى ان وقت صبها في الرحم انصبت منه بغير اختيار حتى كانه لا فعل له فيها اصلا ولذلك بني للمفعول ليتم به فاعله ولما كان تكثير تلك النطفة وتحويلها امرا عظيما عجيبا اشار اليه باداة البعد مع افادتها للتراخي في الزمان ايضا فقال ثم كان اي كونا محكما علقة اي دما احمر عبيطا شديد الحمرة والغلظ

فخلق اي قدره سبحانه عقب ذلك لحمه وعظامه وعصبه وغير ذلك من جواهره واعراضه فسوى اي عدل من ذلك خلقا اخر غاية التعديل مخصصا مستقلا ولما كان استبعادهم للقيمة اما الاستبعاد القدرة على اعادة الاجزاء بعد تفرقها او لاستبعاد القدرة على تمييز ترابهما من تراب الارض بعد الاختلاط وكان تمييز النطفة الى ذكر وانثى كافيا في رد الاستبعادين قال فجعل اي بسبب النطفة منه اي هذا الماء الدافق والمخلوق المسوى وهو شيء واحد الزوجين اي النوعين اللذين لا يكمل الانتفاع باحدهما الا بالاخر ثم بينهما بقوله الذكر والانثى وهما كما تعلمون متباينان في الطباع مختلفان في اوصاف الاعضاء والابانات والمتاع فكما لم يترك النطفة حتى صيرها علقة ولا ترك العلقة حتى صيرها عظاما ولم يترك العظام حتى صيرها خلقا اخر الى اخر تمام الخلقة لتمام الحكمة الظاهرة وفصلها الى ذكر وانثى وهي ماء بتمييز ما يصلح منه للذكر وما يصلح منه للانثى اشد واخفى من تمييز تراب الميت من تراب الارض فكذلك لا يترك الجسم بعد موته حتى يعيده ثم يبعثه الى اخر ذلك لتمام الحكمة الباطنة وهي الجزاء والحكم الذي هو خاصة الملك ولما تقرر من حيث اتقان الاصطناع انه لا يجوز معه الاهمال وانقطع النزاع وكان ربما توقف من حيث ظن عدم القدرة على ذلك بعد الموت قال منبها على تمام القدرة مقررا عليه منكرا على من توقف موبخا له مرتبا على ما قام على القدرة على الاعادة من دليل القدرة الشهودي على البداية اليس ذلك اي الخالق المسوي الاله الاعظم الذي قدر على هذه الانشاآت وصنع هذه الصنائع المتقنة التي لا يقدر غيره على شيء منها واغرق في النفي فقال بقادر اي عظيم القدرة على ان يحيي اي كيف اراد دفعة او في اوقات متعاقبة الموتى فيقيم القيامة بلى وعزته وجلاله وعظمته وكماله انه على كل ما يريد قدير وقد رجع اخر السورة على اولها اتم رجوع والتام به اتم التئام فمن جمعا بينهما اعظم تمام بجمع العظام واتحاد العظام ليوم التغابن والزحام اعاننا الله فيه بحسن الختام ● روى البغوي بسنده من طريق ابي داود عن اعرابي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرا المرسلات فقرا فباي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا بالله ورواه الترمذي وقال في اخر القيمة يحيي الموتى بلى وعزة ربنا وقال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد وروى احمد وفيه رجلان لم اعرفهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المرسلات عرفا فباي حديث بعده يؤمنون ومن قرا والتين والزيتون فليقل وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرا اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى

سورة الانسان وتسمى هل اتى والامشاج

مقصودها ترهيب الانسان بما دل عليه اخر القيمة من العرض على الملك الديان لتعذيب العاصي في النيران وتنعيم المطيع في الجنان بعد جمع الخلائق كلها الانس والملائكة والجان وغير ذلك من الحيوان ويكون الحشر موافقا طوال وزلازل واهوال لكل منها اعظم شان وادل ما فيها على ذلك الانسان بتامل اسمه وتدبر مسالته وغايته وكذا تسميتها بهل اتى وبالدهر وبالامشاج من غير ميل ولا اعوجاج بسم الله الملك الذي خلق الخلائق لمعرفة اسمائه الحسنى الرحمن الذي عمهم بنعمة الظاهرة فرادى ومثنى الرحيم الذي خص من اختاره لوداده بالنعمة الباطنة والمقام الاسنى ولما تقدم في اخر القيمة التهديد على مطلق التكذيب وان المرجع الى الله وحده والانكار على من ظن انه يترك سدى والاستدلال على البعث وتمام القدرة عليه تلاه اول هذه بالاستفهام الانكاري على ما يقطع معه بانه لا يترك سدى فقال مفصلا ما له سبحانه عليه من نعمة الايجاد والاعداد والامداد والاسعاد هل اتى اي يوجد من الوجود على الانسان اي هذا النوع الذي شغله عما يراد به ويراد له العظم وفقدان في نفس الامر الانس بنفسه والنسيان لما بعد حلوله رمسه حين من الدهر اي مقدار محدود وان قل من الزمان الممتد الغير المحدود حال كونه لم يكن اي في ذلك الحين كونا راسخا شيئا مذكورا اي ذكرا ظاهرا في الملا الاعلى وغيره حتى انه يكون متهاونا به غير منظور اليه لتجوز ان يكون سدى بلا امر ونهي ثم يذهب عدما بالكلية ليس الامر كذلك بل انما اتى عليه شيء من ذلك بعد خلقه الا وهو فيه شيء ومذكور وذلك ان الدهر هو الزمان والزمان مقدار حركة الفلك كما نقله الرازي في كتاب اللوامع في سورة يس عند ولا الليل سابق النهار فانه قال الزمان ايضا من حركات السماء فان الزمان مقدار حركات الفلك انتهى وادم عليه السلام تم الخلق بتمام خلقه في اخر يوم الجمعة او لجمعة كانت وكانت طينته قبل ذلك بمدة محررة هو فيها بين الروح والجسد ● قال ابن مسعود رضي الله عنه خلق الله ادم عليه السلام من تراب فاقام اربعين سنة ثم من طين اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وستين سنة وقال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنهما ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة فحينئذ ما اتى عليه زمان الا وهو شيء مذكور اما بالتعبير واما بالتصوير فالاستفهام على بابه وهو انكاري وليست هل بمعنى قد الا ان قدرت قبلها الهمزة وكان الاستفهام انكاريا لينتفي مضمون الكلام والمراد انه هو المراد من العالم فحينئذ ما خلق الزمان الا لاجله فهو اشرف الخلائق وهذا ادل دليل على بعثه للجزاء فهل يجوز مع ذلك ان يترك سدى فيفنى المظروف الذي هو المقصود بالذات ويبقى الظرف

الذي ما خلق الا صوانا له والذي يدل على ذلك من اقوال السلف انه روي ان رجلا قراها عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال
يا ليت ذلك لم يكن وقال الامام ابو جعفر بن الزبير قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا التعريف للانسان
بحاله وابتداء امره ليعلم ان لا طريق له للكبر واعتقاد السيادة لنفسه وانه لا يغلطه ما اكتنفه من الالطاف الربانية
والاعتنا الالهي والتكرمة فيعتقد انه يستوجب ذلك ويستحقه وما بكم من نعمة فمن الله ولما تقدم في العنية احتاج
تعالى عن حال منكري البعث عنادا واستكبارا وتعاميا عن النظر والاعتبار ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وقوله فلا
صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى تبختر عتوا واستكبارا ومرحا وتجبرا وتعريفه بحاله التي لو فكر
فيها لما كان منه ما وصف وذلك قوله الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى اتبع ذلك بما هو اعرق في التوبيخ واعلى
في التعريف وهو انه قد كان لا شيء فلا نطفة ولا علقة ثم انعم عليه بنعمة الايجاد ونقله تعالى من طور الى طور فجعله نطفة من ماء
مهين في قرار مكين ثم كان علقة ثم مضغة الى اخراجه وتسويته خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فمن اعتبر اتصافه بالقدم
ثم تقلبه في هذه الاطوار المستكشف حالها والواضح فناؤها واضمحلالها وامده الله بتوفيقه عرف حرمان من وصف
في قوله ثم ذهب الى اهله يتمطى فسبحان الله ما اعظم حلمه واكرم رفقه ثم بين تعالى ان ما جعله للانسان من السمع والبصر انما
له ومن ادراكه ادركه الغلط وارتكب الشطط انتهى ولما ذكر مطلق خلقه وذكر انه خلاصة الكون شرع بذكر كيفية
خلقه ويدل على ما التزم من ذلك من انه خلق الخلق الا لاجله وانه لا يجوز ان يهمل فقال معلما بالحال التي هي قيد لحمله ومحط الفائدة
انه ما خلق الا للاخرة مفصلا امر الايجاد بالفاعل والصورة والمادة والغاية واكرم لا بكار منهم له انا اي على ما لنا من
العظمة خلقنا اي قدرنا وصورنا واظهرنا ولم نضمر لان الثاني خاص والاول عام لادم عليه السلام وجميع ولده فقال الانسان اي
بعد خلق آدم عليه السلام من نطفة اي مادة هي ما يسيل جدا من الرجل والمرأة وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة وهو المادة
التي هي السبب الحامل للقوة المولدة ولما كان خلقه على طبائع مختلفة وامزجة متفاوتة اعظم لاجره ان جاهد ما تنازعه
من المختلفات بامر ربه الذي لا يختلف وكانت افعاله تابعة لاخلاقه واخلاقه تابعة لجبلته قال امشاج اي اخلاط
جمع مشج او مشيج مثل خدن وخدين واخدان وخلط وخليط واخلاط من مشجت الشيء اذا اخلطته لانه من مني الرجل ومني
المرأة وكل منهما مختلف الاجزاء متباين الاوصاف في الرقة والثخن والقوام والخواص يجتمع من الاخلاط وهي العناصر
الاربعة ماء الرجل غليظ ابيض وماء المرأة رقيق اصفر فايهما علا كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة
الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقال يمان كل لونين اختلطا فهو امشاج وقال قتادة هي اطوار الخلق
من النطفة وما بعدها وكما تشبه ما غلبت عليه من باطن الامشاج من الطيب والخبث وكيفية تمشيجه ان الماء اذا وصل
الى قرار الرحم اختلط بماء المرأة ثم يبدأ من الطمث وخثر حتى صار كالراث ثم احمر وحينئذ يسمى علقة فاذا اشتد ذلك
الامتزاج وقوي وتمتن حتى استعد لان تنقسم فيه الاعضاء سمي مضغة فاذا افيضت عليه صور الاعضاء وتقسم كساه حينئذ
مفيضه عز وجل لحما فافاض عليه القوة العاقلة وسمي حينئذ جنينا وذلك بعد تقسيم اجزائه الى عظام واعصاب وعروق
واوتار ولحم فدور الرأس وشق في جانبيه السمع وفي مقدمه البصر والانف والفم وشق في البدن سائر المنافذ ثم مد
البدن والرجلين وشعبهما وسمهما بالاصابع وركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة
والمثانة فسبحان من خلق تلك الاشياء من نطفة سخيفة مهينة كون منها العظام مع قوتها وشدتها وجعلها عماد
البدن وقوامه وقدرها بمقادير واشكال مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل وقصير ومستدير وعريض
ومجوف ومصمت ودقيق وثخين ولم يجعلها عظما واحدا لان الانسان محتاج الى الحركة بجملة بدنه وبعض اعضائه
ثم جعل بين تلك العظام مفاصل ثم وصلها باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصقها بالطرف الاخر بالرباط ثم
خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة وفي الاخر حفرا موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وخلق الرأس مع كربه
من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والف بعضها مع بعض فجعل في القحف ستة وفي اللحي الاعلى اربعة عشر واثنان
للاسفل والباقي في الاسنان وجعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات فيها تجويفات وزيادات ونقصانات
لينطبق بعضها على بعض وركب الظهر من اربع وعشرين خرزة وعظم العجز من ثلاثة اجزاء مختلفة وجعل من اسفله عظم العصعص
والعقد من ثلثة اجزاء مختلفة ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وغيرها حتى بلغ مجموع عظام بدن
الانسان مائتي عظم وثمانية واربعين عظما سوى العظام التي حشي بها خلل المفاصل وخلق سبحانه الة التحريك للعظام
وهي العضلات وهي خمسمائة وسبع وعشرين عضلة كل منها على قدر مخصوص ووضع مخصوص لو تغير عن ذلك ادنى تغير لاختلف
مصالح البدن وكذا الاعصاب والاوردة والشرايين ثم انظر كيف خلق الظهر اساسا للبدن والبطن حاويا للالات الغذا
والرأس مجمعا للحواس فنحت العين وركب طبقاتها واحسن شكلها ولونها واحكامها بحيث ينطبع في مقدار عدسة منها صور

الحيوان على عظمها وحماها بالاجفان لسترها وتحفظها ثم اودع الاذنين ماء مرا ليدفع عنهما الهوام وحاطهما بصدفتين لجمع الصوت
ورده الى الصماخ وليحس بدبيب الهوام وجعل فيهما تعريجا لتطول الطريق فلا يصل الهوا الى جرم الصماخ بسرعة ثم رفع الانف في الوجه
واودع فيه حاسة الشم للاستدلال بالروائح على الاطعمة والاغذية والاستنشاق الروائح الطيبة لتكون مروحة
للقلب واودع الفم اللسان وجعله على كونه لحمة واحدة معربا عما في النفس وزين الفم بالاسنان فحدد بعضها لتكون الة للثقب
وحدد بعضها لتصلح للقطع وجعل بعضها عريضا مفلطحا صالحا للطحن وبين بيض لونها ورتب صفوفها وسوى رؤسها ونسق
ترتيبها حتى صارت كالدر المنظوم ثم اطبق على الفم الشفتين وحسن لونهما ليحفظا منفذه وهيأ الحنجرة لخروج الصوت
وخالف اشكال الحناجر في الضيق والسعة والخشونة والملاسة والصلابة والرخاوة والطول والقصر فاختلفت
الاصوات بسببها ليميز السامع المصوتين بسبب تمييز اصواتهم فيعرفهم وان لم يرهم وسخر كل عضو من اعضاء الباطن لشيء
مخصوص فالمعدة لانضاج الغذا والكبد لاحالته الى الدم والطحال لجذب السودا والمرارة لجذب الصفرا والكلية لجذب
الفضلة المائية والمثانة لخدمة الكلية بقبول الماء عنها ثم اخراجه من طريقه والعروق لخدمة الكبد في ايصال
الدم الى سائر اطراف البدن وكان من مبدا ذلك النطفة على صغرها في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغطا وامتد
البصر اليه لرأى التخطيط والتصوير يظهر عليه شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا الالة فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه
فيا لله للعجب ممن يرى نقشا حسنا على جدار فيتعجب من حسنه وحذق صانعه ثم لا يزال يستعظمه ثم ينظر الى هذه العجائب
في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا تحيره جلاله وحكمته ولما كان الانسان مركبا
من روح خفيف طاهر وبدن هو مركب الحظوظ والشهوات واللهو والدنيات فكان الروح بكماله والبدن بنقائصه
يتعالجان كل منهما يريد ان يغلب صاحبه فقوى سبحانه الروح بالشرع الداعي الى معالي الاخلاق الناهي عن مساويها المبين
لذلك غاية البيان على يد انسان طبعه سبحانه على الكمال المقدر على التلقي من الملائكة فيكمل ابناء نوعه فدل على ذلك بحال
بناها من ضمير العظمة فقال مبينا للغاية نبتليه اي نعامله بما لنا من العظمة بالامر والنهي والوعظ معاملة المختبر
ونحن اعلم به منه ولكنا فعلنا ذلك لنقيم عليه الحجة على ما يتعارفه الناس فان العاصي لا يعلم انه اريد منه العصيان وكذا
الطائع فصار التكليف بحسب وهمه لما خلق له تعالى من القوة والقدرة الصالحة في الجملة ولما ذكر الغاية اتبعها
الاعدادات المصححة لها فقال فجعلناه اي بما لنا من العظمة بسبب ذلك سميعا اي بالغ السمع بصيرا اي عظيم البصر والبصيرة
ليتمكن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الايات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصح تكليفه وابتلاؤه وقدم الغاية
لانها متقدمة في الاستحضار على التابع لها المصحح لورودها وقدم السمع لانه انفع في المخاطبات ولان الايات المسموعة
ابين من الايات المرئية قال الرازي في اللوامع والى هنا انتهى الخبر العظيم ثم يبتدي منه الاختيار الكسبي انتهى وذلك
نفخ الروح وهي حادثة بعد حدوث البدن باحداث القادر المختار لها بعد تهيئة البدن لقبولها ثم افاض سبحانه على
الجملة العقل وجعل السمع والبصر آلتين له ولعله خصهما لانهما انفع الحواس ولان البصر يعم البصيرة وهي تتضمن الجمع وجعل
سبحانه له ذلك لاستقراء صور المحسوسات وانتزاع العلوم الكلية منها وبذلك يكمل علمه الذي منه الدفع عن نفسه التي
جعلها الله محل التكليف ليتحمل تكليفه وذلك انه سبحانه ركبه من العناصر الاربعة وجعل صلاحه بصلاحها وفساده
بفسادها لتقابلها فاضطر الى قوى يدرك بها المنافي فيجتنبه والملائم فيطلبه فرتب له سبحانه الحواس الخمس الظاهرة فجعل
السمع في الاذن والبصر في العين والذوق في اللسان والشم في الانف وبث اللمس في سائر البدن ليدفع عن سائر الاعضاء ما
يؤذيها وهذه الحواس الظاهرة تنبعث عن قوة باطنة تسمى الحس المشترك يحمل ما ادركته هذه وهو في مقدم البطن الاول
من الدماغ وينتقل ما ارتسم هنا الى الخزانة الخيال وهي في مؤخر هذا البطن من الدماغ فيتحفظ فيها صورته وان غابت عن الحواس
وثم قوة اخرى من شانها ادراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات الشخصية كعداوة زيد وصداقته تسمى الوهم
ومحلها الدماغ كله والاخص بها التجويف الاوسط وخصوصا مؤخره وقوة اخرى ايضا شانها حفظ ما ادركته القوة الوهمية
من المعاني الجزئية تسمى الحافظة باعتبار والذاكرة باعتبار ومحلها التجويف المؤخر في الدماغ وقوى اخرى من شانها
تلك الخزائن وتركيب بعض مودعاتها مع بعض وتفصيل بعضها من بعض ومحلها سلطانها اول التجويف الاوسط وتلك القوة
تسمى متخيلة باعتبار تصرف الوهم لها ومفكرة باعتبار استعمال النفس لها وقد اقتضت الحكمة الربانية تقديم ما يدرك
الصور الجرمية وتاخير ما يدرك المعاني الروحانية وتوسيط المتصرف فيهما بالحكم والاسترجاع للامثال المنمحية
من الجانبين ثم لا تزال هذه القوى تخدم ما فوقها كما تخدم هي الحواس الى ان تصير عقلا مستفادا وهو قوة للنفس بها
يكون لها حضور المعقولات بالفعل وهذا العقل هو غاية السلوك الطلبي للانسان وهو الرئيس المطلق المخدوم للعقل
بالفعل وهو القوة التي تكون للنفس بها اقتدار على استحضار المعقولات الثانية وهو المخدوم للعقل الهيولاني المستعد

بالهيولى الخالية في نفسها عن جميع الصور ونمونه من شانها للاستعداد المحض لدرك المعقولات باستعمال الحواس في الصفح الجزئيات
واستقرائها المحض وما كلها للعقل العملي وهو القوة النظرية المحض وهم للوهم المحض وهم لما بعدهن من الحافظة وما قبله من المتخيلة المحض وهم
للخيال المحض وهم للحس المشترك المحض وهم للحواس الظاهرة كان كانه قيل هب خلق هكذا امكان ماذا افاد شفا لهذا السؤال
وبيانا لنعمة الامداد **انا** اي بما لنا من العظمة **هدينه** اي بينا له لاجل الابتلا **السبيل** اي الطريق الواضح في الحقيقة عمه وهو طريق
الخير الذي من حاد عنه ضل وذلك بما انزلنا من الكتب وارسلنا من الرسل ونصبنا من الدلائل في الانفس والافاق وجعلنا له من
البصيرة الذي يميز بها بين الصادق والكاذب وكلام الخالق وكلام الخالق والحق والباطل **ولما** كان الانسان عند الناس
لما كان منه قسمان وكان السياق لبيان تعظيمه بانه خلاصة الكون والمقصود من الخلق قال بيانا لا من ضمير في هدينه تشميما
له تعلقا ما القسم الذي نعم عليه بالبيان لنعم الهداية بخلق الايمان لان ذلك انسب بذكر تشريفه للانسان بجعله خلاصة الوجود
وبقوله ان رحمتي سبقت غضبي في سياق بيان الخلق معبرا باسم الفاعل الحال عن المبالغة لانه لا يقدر احد ان يشكر جميع النعم فلا
ولا يسمى شكورا الا بتفضل من ربه عليه **انا شاكرا** اي لانعام ربه عليه **ولما** كان الانسان لما له من النقصان لا ينفك غالبا
عن كفر ما اي بصيغة المبالغة بتسميها له على ذلك معرفا انه لا يا خذ الا بالتوغل فيه ليعرف نعم الحلم عنه بحمله الجمل على الايتاك
على من يرضى منه بقليل الشكر ويحتمل ان يفهم ان من كفر نعمة واحدة فقد كفر الجميع فصار بليغ الكفر فقال **واما كفورا** اي بليغ
الكفر بالاعراض والتكذيب وعبادة الغير والمعاند فاحسانه غير موقوف واسائه مفرطه وبدا بالشاكر لانه الاصل ذو الشجاعة
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
الحديث ورواه احمد بن منيع عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه الامام احمد عن جابر رضي الله عنه ولفظه كل مولود يولد على الفطرة
حتى يعرب عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا ورواه احمد ايضا وابو يعلى عن الاسود بن سريع رضي الله عنه **ولما** قسمهم الى
القسمين ذكر جزاء كل قسم فقال مستانفا جواب من يسال عن ذلك مبشرا للشاكر الذي سعد بعروجه في مراقي العبادات
الى ملوكات العلويات لروح وريحان وجنة نعيم ومنذرا للكافر الذي سعد بالهبوط في دركات المخالفات الى التقيد
بالسفليات لنزل من حميم وتصلية جحيم مقدما العاصي لان طريق الشر المسوق افصح وليعادل البداءة بالشاكر في اصل
التقسيم ليتعادل الخوف والرجاء ولكون الشاكر اولا واخرا ولان الانتفاع بالوعيد لانه ادل على القدرة لا سيما في حق
اهل الجاهلية الذين بعدت عنهم معرفة النكال بفقد الشرعية والاكثر في القران العظيم من الدعاء بالترغيب والترهيب لانه الذي
تفهمه الجهال الذين هم اغلب الناس دون الحجج والبراهين فانها لا يفهمها الا الخواص واكد لاجل تكذيب الكفار **انا** اي على ما لنا من العظمة
اعتدنا اي هيانا واحضرنا لشدة وغلظة **للكافرين** اي العريقين في الكفر خاصة وقدم الاسهل في العذاب فالاسهل ترقيا فقال
سلاسل يقادون ويوثقون بها وقراه من نونه مشيرة الى انها عظيمة جدا وكذا وقفا وقف عليه بالالف مع المنع من
الصرف **واغلالا** اي جوامع تجمع ايديهم الى اعناقهم فيهانون بها **وسعيرا** اي نارا حامية جدا شديدة الاتقاد **ولما**
اوجز في جزاء الكافر اتبعه جزاء الشاكر واطنب فيه تاكيدا للترغيب فان النفوس بعد كثيرا لوعد لها يعذبن لادنى
وعدوا قله فلذلك يكلف بانمه واجله فقال مستانفا مؤكدا لتكذيب الكافر مبينا بذكر الجمع على هذه الصفة انهم في غاية ما يكون
من رغد العيش لانه يلزم من شربها جميع مقدماتها ومتمماتها **ان الابرار** بخصوصهم من عموم الشاكرين جمع بر كارباب
جمع رب او بار كاشهاد جمع شاهد وهم الذين سمت قسمهم عن المستحقرات وظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة فاتقوا من مساكنة
الدنيا **يشربون** اي مهما يريدون شربه **من كاس** اي خمر حالة الحسن وهو اسم لقدح يكون فيه **كان مزاجها** اي الذي تمزج
به **كافورا** لبرده وعذوبته وطيب عرفه وذكر فعل الكون يدل على ان له شانا في المزج عظيما يكون فيه كانه من
نفس الجبلة لا كما يعهد **ولما** كان الكافور على ما يعهد جامدا بين على انه هنا ليس كذلك فقال مبدلا من كافورا **عينا**
يشرب بها اي مزاجها كما تقول شربت الماء بالعسل **عباد الله** اي خواص الملك الاعظم واولياؤه اي شرابا ذا دواك
ولما كان المزاج يتكلف بنقله قال **يفجرونها تفجيرا** اي حال كونهم يشققونها ويجرونها بغاية الكثرة الى حيث
ارادوا من مساكنهم وان علت وغيرها **ولما** ذكر جزاءهم على برهم المبين لشكرهم اتبعه تفصيله فقال مستانفا
بيانا لان شكرهم بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وعمارة الظاهر والباطن لانهم جمعوا بين كرم الطبع ولطافة
المزاج الحامل على بحور الممكن بالمقتضي للايمان بالغيب **يوفون** اي على سبيل الاستمرار **بالنذر** وهذا كناية عن وفائهم بجميع
انواع العبادة لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان بما اوجبه الله من غير واسطة اوفى وعبر بالمضارع اشارة الى انهم يكونون كذلك
تعلق مرادهم فيه سبحانه **ولما** دل وفاؤهم على سلامة طباعهم فالعاطف دالا له على جمعهم للامرين المتعاطفين
منهم يفعلون الوفا لاجل الخوف بل لكرم الطبع **ويخافون** اي مع فعلهم للواجبات **يوما كان** اي كونا هو في جبلته **شره** اي ما
فيه من الشدائد **مستطيرا** اي موجودا الطيران وجودا كانه بغاية الرغبة فيه فهو في غاية الانتشار والخوف

ان دليل على عمارة الباطن فالواو لما فارق الخوف قلبا الا حرب من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل فالخوف لاجتناب الشر والوفا
لاجلاب الخير **ولما** كان من خاف شيئا سعى في الامن منه بكل ما عساه ينفع فيه وكان يكذ ذكر لديهم عنهم منه بالواجب اتبعه
المندوب دلالة على انهم لا يركنون لهم الى الدنيا ولا يوثق بها فقد جمعوا الى كرم الطبع بالوفا ورقة القلب شرف النفس
بالانسلاخ من الفاني فقال **ويطعمون الطعام** اي على حسب ما تيسر لهم من عالي ودون على الدوام **ولما** كان الانسان
قد يسمح بما لا يلذ له **على حبه** اي حبهم اياه حبا هو في غاية المكنة والاستعلا على قلوبهم لقلته وشهوتهم له وحاجتهم اليه كما قال
تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليفهم انهم للفضل اشد بذلا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد
ذهبا ما بلغ مد احدهم اي الصحابة رضي الله عنهم ولا نصيفه لقلة الموجود اذ ذاك وكثرته بعد **مسكينا** اي محتاجا احتياجا
يسيرا فصاحب الاحتياج الكثير اولى **ويتيما** اي صغيرا لا اب له ذكرا كان او انثى **واسيرا** اي في ايدي الكفار او اعم من ذلك ليدخل
فيه المملوك والمسجون والكافر في ايدي المسلمين وقد نقل في غزوة بدر ان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يؤثر اسيره على نفسه
بالخبز وكان الخبز اذ ذاك عزيزا حتى كان ذلك الاسير يعجب من مكارمهم حتى كان ذلك مما دعاه الى الاسلام وذلك لان النبي
صلى الله عليه وسلم لما دفعهم اليهم قال استوصوا بهم خيرا وفي حكم الاسير الحقيقي كل مضرور يفعلون ذلك والحال انهم يقولون
بلسان الحال او المقال ان احتيج اليه اراحة لقلوبهم المن وتوقع المكافاة ويؤكد من شان الى ان الا ان الاستخلاص من عرض لا يكاد
احد يتصدق وانه يتاتى لاحد **انما نطعمكم** اي ايها المحتاجون **لوجه الله** اي لذات الملك الذي استجمع الجلال والاكرام لكونه
امر بذلك وعبر لان الوجه الذي يستحي منه ويرجى ويخشى عند رؤيته **ولما** ابتغوا بهذا الاخلاص حققوه بنفي ما يغير
فيه وفسروه بما لا يكون لا به فقالوا **لا نريد منكم** اي لاجل ذلك **جزاء** اي شيئا من اعواض الدنيا **ولا شكورا** اي شيئا من قول ولا فعل
وكانه اختير هذا المصدر المزيد كالدخول والخروج والقعود اعماء الى ان المنفي ما يتكلف له واما مثل المحمدة والدعاء فلا
ولو ارادوا شيئا من ذلك لما كان لله وروي في سبب نزول هذه الاية ان عليا وابنيه وامهما فاطمة رضي الله عنهم اشتروا علي
انفسهم ثلاثة ايام واصبحوا الرابع يرتعشون فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم ساءه ذلك فاتاه جبريل عليه السلام بهذه
السورة مهنيا له بها ولا يستبعد الصبر على الجوع هذه المدة لانه ربما كان للنفس همة قوية من اسعاد في محبة الله تعالى
وغير ذلك فيصعد الى البدن فتشغله طبيعته عن تحليل الاجزاء فلا يحتمل الجوع كما انا نشاهد الانسان يبقى في المرض الحاد مدة
من غير تناول شيء من غذاء ولا يتاثر بدنه لذلك فلا يبدع ان يتفق الانفعال الطبيعية في حق بعض الناس لكن وهو احد القولين في قول
النبي صلى الله عليه وسلم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني **ولما** كانت الانفس مجبولة على حب الجزاء والثناء وكان لا يكاد
يصدق ان احدا يفعل ما لا يقصد به شيئا من ذلك وكان الله سبحانه قد من علينا بان جعل لعباده لاجل خوفه ورجائه
لا تقدح في الاخلاص عللوا قولهم هذا على وجه التاكيد بقولهم **انا نخاف** **ولما** كان الخوف من المحسن بالنظر الى احسانه
موجبا للخوف منه بالنظر الى عزه وجبروته وسلطانه من باب الاولى قالوا **من ربنا** اي الخالق لنا المحسن لنا **يوما** اي
اهوال يوم هو في غاية العظمة وبينوا عظمته بقولهم **عبوسا** اي ضيقا قاله ابن عباس رضي الله عنهما نسبوا العبوس اليه
لانه في شدته كالاسد الغضبان فهو موجب لعبوس الوجوه فيه او هو لعبوسة اهله كليلة نائم ونهاره صائم وعيشة
راضية **قمطريرا** اي طويلا قاله ابن عباس رضي الله عنهما او شديد العبوس مجتمع الشر كالذي يجمع بين عينيه ماخوذ من القطر
لان يومه يكون عابسا وزيد فيه الميم ويولع فيه بالصيغة وهو يوم القيمة يقال قمطر اليوم فهو مقمطر اذا كان صعبا
شديدا **ولما** كان تعليم هذا خالصا لله سبب عنه جزاءهم فقال مخبرا انه دفع عنهم المضار ودفع جلب لهم المسار
فوقاهم الله اي الملك الاعظم بسبب خوفهم **شر ذلك اليوم** اي العظيم واشار الى النعم الظاهر بقوله **ولقاهم** اي اعطاهم عظمة
فيه وفي غيره **نضرة** اي حسنا ونعمة تظهر على وجوههم وعيشا هنيا والى النعيم الباطن بقوله **وسرورا** اي انعاما فلوبهم
من مقابلة خوفهم في الدنيا وعبوس الكفار في الاخرة وحزنهم وهذا يدل على ان وصفا اليوم بالعبوس للدلالة على
المبالغة في عبوس اهله واشار الى المسكن بقوله **وجزاهم بما صبروا** اي بسبب ما اوجدوه من الصبر على العبادة من
لزوم الطاعة واجتناب المعصية ومنع انفسهم الطيبات وبذل المحبوبات **جنة** اي بستانا جامعا فقال **وحريرا**
اي هو في غاية العظمة **ولما** ذكر انه كفاهم المخوف وحباهم الجنة اتبعه حالهم فيها وحالها فقال دالا على راحتهم
الدائمة **متكئين فيها** لان كل ما ارادوه حضر اليهم من غير حاجة الى حركة اصلا ودل على الملك بقوله **على الارائك** اي الاسرة
العالية التي في الحجال لا تكون اريكة الا مع وجود الحجلة وقال بعضهم هي السرر المتخذ في قبة عليه شوار ونجد اي متاعه
وهي مشيرة الى الزوجات لان العادة جارية بان الارائك لا تخلو عنهن بل هي لهن لاستمتاع الازواج بهن فيها **ولما**
كانت بيوت الدنيا وبساتينها يحتاج الى الانتقال منها من موضع الى موضع لاجل الحر والبرد بين ان جميع
ارض الجنة وغيرها سواء في لذة العيش وسبوغ الظل واعتدال الامر فقال نافيا ضر الحر ثم البرد **لا يرون فيها** اي بابصارهم

ولا ابصارهم اصلا شمسا اى ولا قمرا اولا يرون فيها ابصارهم اى لا يحسون زمهريرا اى بردا شديدا من عجاوا لا حرا فالآية من الاحتمال دل بنفى الشمس اولا على نفى القمر لانه يظهرون بهما ودل بنفى الزمهرير الذى هو سبب البرد ثانيا على نفى الحر الذى سببه الشمس فافاد هذا ان الجنة غنية عن النيرين لا نهاية بينهما واهلها غير محتاجين الى معرفة زمان لانه لا تكليف فيها بوجه وانها ظليلة معتدلة دائما لان سبب الحر الان قرب الشمس من مسامته الرؤس وسبب البرد بعدها عن ذلك ولما كانت ترجمة هذا كما مضى جنة ظليلة ومعتدلة عطف عليه بالواو دلالة على تمكن هذا الوصف وعلى اجتماعه مع ما قبله قوله ودانية اى قريبة من الابرار عليهم ظلالها من غير ان يحصل منها ما يزيل الاعتدال وذللت قطوفها جمع قطف بالكسر وهو العنقود واسم للثمار المقطوفة اى المجتنية تذليلا اى سهل تناولها تسهيلا عظيما لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك لكل من يريد اخذها على اى حالة كان من اتكاء وغيره فانهم كانوا فعودا دلالة لهم وهذا اجزاء لهم على ما كانوا ابوا للون انفسهم لامر الله ولما كان الدوران بالانية متحدا داعيته بالمضارع وبناه للمفعول ايضا لانه المقصود مطلقا من غير تعيين طائف فقال ويطاف اى من اى طائف كان لكثرة الخدم عليهم بانية جمع اناء جزاء على طوافهم على المحتاجين بما يصلحهم ولما كان مقصودها ترهيب الانسان الموبخ فى سورة القيمة من الكفر وكان الانسان ادنى اسنان المخاطبين فى مراتب الخطاب اقتصر فى الترغيب فى ترف الانية على الفضة دون الذهب المذكور فى فاطر والحج المعتبر فيهما بالناس فلعل هذا الصنف وذا الصنف على منه مع امكان الجمع والمعاقبة واما من هو اعلى من هذين الصنفين من الذين امنوا والذين هو فوقهم فلهم فوق هذين من الجواهر ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال من فضة اى سمة وذلك واما الحقيقة فان الرتبة من بعد المتناول ولما جمع الانية حض فقال واكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند التناول الى ادارة كانت اى تلك الاكواب كونا من جبلتها قواريرا اى كانت بصفة القوارير من الصفاء والرقة والشفوف والاشراق والزهارة جمع قارورة وهى ما قر فيه الشراب ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج ولما كان هذا راس اية وكان التعبير بالقوارير ربما افهم او اوهم انها من الزجاج وكان فى الزجاج من النقص سرعة الانكسار لافراط الصلابة قال معيدا للفظ اول الاية الثانية تاكيدا للاتصاف بالصالح من اوصاف الزجاج وبيانا لنوعها قوارير من فضة اى جمعت صفتى الجوهرين المتباينين صفاء الزجاج وشفوفه وبريقه وبياض الفضة وشرفها ولينها وقراه من نون الاثنين صار فا من جهة المنع مشيرة الى عظمها وامتداد كثيرتها وعلوها فى الفضل والشرف وقراه ابن كثير فى الاقتصار على التنوين الاول للتنبيه على انه راس اية والثانى اول التى بعدها مع افهام العظمة لان الثانى عادة للاول لما تقدم من الافادة وكان منونا ووقف ابو عمرو على الاول بالالف مع المنع فى الصرف ذلك كاف فى الدلالة على انه راس اية ولما كان الاناء لا حاجة ان يكون الاناء ولا ما فيه من ماكول ومشروب زائد عن حاجته ولا ناقصا عنها قال قدروها اى فى الذات والصفات تقديرا اى على مقادير الاحتياج من غير زيادة ولا نقص لان ما اراده كل منهم كان لا كلفة ولا لذة ولا نقص ولما ذكر الاكواب تبعها غايتها فقال تخصيصا بالعطف على ما تقدم من يسقون فيها ما تشتهى انفسهم وتلذ اعينهم ويسقون ممن اراد ومن خدمهم الذين لا يحصون كثرة فيها اى الجنة او تلك الاكواب كاسا اى خمرا فى اناء كان مزاجها على غاية الاحكام زنجبيلا هو فى غاية اللذة وكانت العرب تستلذ الشراب الممزوج به لهضمه وتطييبه الطعم والنكهة ولما كان الزنجبيل يلذع الحلق فيصعب اساغته قال تسمى اى لسهولة اساغتها ولذة طعمها وسمو وصفها سلسبيلا والسلسبيل والسلسل والسلسال لما كان من الشراب غاية فى السلاسة زيدت فيه الباء دلالة على المبالغة فى هذا المعنى قالوا وشراب الجنة فى برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع ولما ذكر المطوف به لانه الغاية المقصودة وصفا لطائف لما فى طوافه من العظمة المشهودة تصويرا لما هم فيه من الملك لغيرهم نحو امنه من الملك ويطوف عليهم اى بالشراب وغيره من الملاذ والمحاب ولدان اى غلمان هم فى سن من هو دون البلوغ اقل اهل الجنة من يخدمه الف غلام مخلدون اى قد حكم من لا يرد حكمه بان يكونوا كذلك دائما من غير علة ولا ارتفاع عن ذلك الحد مع انهم مزينون بالخلد وهو الحلق والاساور والقرط والملابس الحسنة اذا رايتهم باعلى الحلق وانت اثبت الناس نظرا او ايها الراى من كان فى اى حالة حسبتهم من بياضهم وصفاء الوانهم ولمع انوارهم وانعكاس شعاع لبعضهم الى بعض انبثاثهم فى المجالس لؤلؤا اى هم ابا لؤلؤا منثورا وذلك كناية عن كثرتهم وانتشارهم فى الخدمة وشرفهم وحسنهم وعن ان لؤلؤ الجنة فى غاية الكبر والعظم واختلاف الاشكال وكانه عبر بحسبان اشارة الى ان ذلك مطلق تجويز لا مع ترجيح قال بعض المفسرين هم غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين • وقال بعضهم هم اطفال المؤمنين لانهم ماتوا على الفطرة • وقال ابن برجان والذى والله اعلم انه من علم الله ايمانه من اولاد الكفار يكونون خدما لاهل الجنة كما كانوا لهم فى الدنيا سببا وخدما واما اولاد المؤمنين فيلحقون باباءهم سنا وملكا وسرورا لهم ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى ابنه ابرهيم عليه السلام

ان له لظئرا يتم رضاعه فى الجنة فانه يدل لعلى استقبال شانه فيها هنالك وتنقله فى الاحوال كالدنيا ولا دليل على خصوصيته بذلك ولما ذكر المخدوم والخدم ذكر المكان فقال واذا رايت اى احللت بصرك وحذف مفعوله ليشيع ويعم ثم اى هنالك فى اى مكان كان واى شئ كان رايت نعيما اى ليس فيه كدر بوجه من الوجوه ولما كان النعيم قد يكون فى حالة وسط قال وملكا كبيرا اى لا يخطر على بال بما هو فيه من السعة وكثرة الموجود والعظمة ادناهم وما فيهم دنى الذى ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه ولما ذكر الدار وساكنيها من مخدوم وخادم ذكر لباسهم بيانا حالا من الفاعل والمفعول عاليهم اى حال كونهم وبهما اراده كان الخادم والمخدوم يعلوا اجسامهم على سبيل الدوام وسكن نافع وحمزة الياء على انه مبتدأ وخبر شارح للملك على سبيل الاستيناف ثياب سندس وهو مارق من الحرير خضر رفعه الجماعة صفة لثياب وجره ابن كثير وحمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم صفة لسندس حملا على المعنى فانه اسم جنس واستبرق وهو ما غلظ من الديباج يعمل بالذهب وهو ثياب حرير صفاق نحو الديباج قاله فى القاموس رفعه ابن كثير ونافع وعاصم نسقا على ثياب وجره الباقون على سندس ولما كان المقصود لارباب الباس الفاخر الحلية اخبر عن تحليتهم وبنى الفعل للمفعول لدلالة على تيسر ذلك لهم وتهونه عليهم فقال وحلوا اى وجدت تحلية المخدومين والخدم اساور من فضة وان كانت تتفاوت بتفاوت الرتب وتقدم سر تخصيص هذه السورة بالفضة والاساور تجمع ما فيها من لين الزينة لذة اتساع الملك فانها كناية عنه لانه كما قال الملوى كان فى الزمن المتقدم اذا احل ملك اقاليم عظمه لكثرته لبس سوارا وسمى الملك المسور لاتساع مملكته وعظمتها وكثرة اقاليمها وان لم يجمع اقاليم لم يسور فما ظنك بمن اعطى من ذلك جمع الكثرة وهى بالغة من الاعضاء ما يبلغه التحجيل فى الوضوء كما قال صلى الله عليه وسلم يبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء فلذا كان ابو هريرة رضى الله عنه يرفع الى المنكبين والى الساقين ولما كان ربما ظن بما تقدم من ذلك الممزوج شئ من نقص لاجله يمزج كما هو فى الدنيا وكان قد قال اولا ويشربون بالبناء للفاعل وثانيا يسقون بالبناء للمفعول قال بانيا للفاعل تعظيما بانا الفضل ما يسقونه فى نفسه وفى كونه من عند الاله الاعظم المتصف بغاية الاحسان على صفة من العظمة تليق باحسانه سبحانه بما افاده اسناد الفعل اليه وسقاهم وعبر بصفة الاحسان تاكيدا لذلك فقال ربهم اى الموجد لهم المحسن اليهم المدبر لمصالحهم شرابا طهورا اى ليس هو كشراب الدنيا سواء كان من الخمر او من الماء او من غيرهما بل هو بالغ الطهارة والوصف بالشرابية من العذوبة واللذة واللطافة وهو مع ذلك اله للتطهير البالغ للغير فلا يبقى فى بواطنهم غش ولا وسواس ولا تريد من الا ما يرضى مليكهم بما اسس على غاية الحكمة ووفاق كامل وسجايا مطهرة واخلاق مصطفاة لا عوج فيها ولا يستحيل شئ من شرابهم الى نجاسة من بول ولا غيره بل يصير رشحا كرشح المسك ويعطى الرجل شهوة مائة رجل فى الاكل وغيره فاذا اكل شرب فطهر باطنه وترشح منه المسك فعادت الشهوة بل الحديث يدل على ان شهوتهم لا تنقضى اصلا فانه قال يجد لاخر لقمة من اللذة ما يجد لاولها ثم قال لهم هذا سبحانه فاكلا لهم مؤكدا تسكينا لقلوبهم لئلا يظنوا انه ما فيه على وجه الضيافة ونحوها فيظنون انقطاعه ان هذا اى الذى تقدم من الثواب كله كان كونا ثابتا لكم تقوية جزاء اى على اعمالكم التى كنتم تجاهدون فيها انفسكم عن هواها الى ما يرضى ربكم فكنتم كل ما عملتم عملا كونت اياه من قبل موتكم ولما كان المقصود القبول لان القابل الشاكر هو المقول له من هذا ما هو جزاء له وكان اى على وجه الثبات سعيكم ذكر انه بين الناس السبيل مبنى للمفعول قوله مشكورا اى لا يضيع شئ منه ويجازى باكثر منه اضعافا مضاعفة فانقسموا الى مبصر شاكر واعمى كافر واتبعه جزاء الكافرين والشاكرين وختمه بالشراب الطهور الذى من شانه ان يحيى ميت الاراضى كما ان العلم منبعه القران يحيى ميت القلوب وسكن القلوب بنا به الجزاء وختم الكلام بالشكر كما بدا به وكان ما يهدى جميع الناس من الانكاد يتصدق فاذكر ما شرف به النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فل الاجر وجعل الشراب الطهور جزاء له لما بينهما من المناسبة على سبيل التاكيد واكده تاكيدا بما افاد التخصيص لما لهم من الانكار ولتطمئن نفس اتباعه بما حث عليه من الصبر الى وقت الاذن فى القتال انا نحن على ما لنا من العظمة التى لا نهاية لها لا غيرنا نزلنا عليك وانت اعظم الخلق اثرا الا استعلى حتى صار المنزل خلقا لك القران اى الجامع لكل هدى الحافظ من الزيغ لما يحفظ الطب للتصحيح صحة المزاج الشافى لما عساه يحصل من الادواء بما يهدى اليه من العلم والعمل وزاد فى التاكيد لعظيم انكارهم فقال تنزيلا اى على التدريج بالحكمة جوابا للمسائل ورفقا بالعباد فدرجهم فى وظائف الدين تدريجا موافقا للحكمة ولم يدع لهم شبهة الا اجاب عنها وعلمهم جميع الاحكام التى فيها رضانا وانا ففهمهم من المواعظ والاداب والمعارف بما ملأ الخافقين وخصصنا به شكرا على سيرتك الحسنى التى كانت قبل النبوة وتجنبك كل ما يدنس فلما كان تنزيلنا كان جامعا للهدى بما لنا من احاطة العلم والقدرة فلا عجب فى كونه جامعا لهدى الخلق كلهم لم يدع لهم فى شئ من الاشياء لبسا وهى ناظرة الى قوله فى القيمة لا تحرك به لسانك الملتفتة الى ما فى المدثر من ان هذه تذكرة الناظرة الى ان سنلقى عليك قولا ثقيلا المسير الى ما فى سورة الجن من امر القران والحاصل ان اكثر القران فى تقرير عظمة القران فانه المقصود بالذات لانه الاية الكبرى

التي اذا انبتت بنعمها جميع المراد من الشريعة وتعريق تقرير شانه اتقن ما يكون في احكام امره وذلك ان الحكيم اذا اهتم بشيء اتقن الكلام به
فاذا راى من ينكره انتقل الى عزم على قانون الحكمة ثم صار يرمي به في خلال ذلك رمياً كانه غير قاصد له ولا يزال يفعل ذلك حتى يتقرر امره غاية
التقرر ويثبت في النفس من حيث لا تشعر ولما تقرر ان الناس من ترك الهدى الذي هو القرآن هي عنه لاعراضه عنه بسبب
عن هذا الاعراض ذلك الضلال لتوليه منهما على امراض القلوب ومرشداً الى دوائها فاصبر لحكم ربك اي المحسن اليك بتخصيصه لك
بهذه النعمة على ضلال من حكم بضلاله وعلى كل ما ينوبك واطعه في التعبد له بجميع ما امرك به من الرفق الى ان يامرك بالسيف
واستعن على مر الصبر باستحضار ان المربي الشفيق يربي بما يشاء من المر والحلو على حسب علمه وحكمته والصبر حبس النفس وضبطها
على مقاومة الهوى لئلا تنقاد الى شيء من قبائح اللذات ولما امر سبحانه بالصبر وكان الامر به مفهما لوجود المخالف
وكان المخالفون له صلى الله عليه وسلم هم العيم المضاد للشاكر وهم الكفرة وكان ما يدعونهم اليه تارة مطلق اثم واخرى كفراً
وتارة غير ذلك ذكر النتيجة ناهياً عن القسمين الاولين ليعلم ان المسكوت عنه لا نهي فيه فقال ولا تطع منهم اي الكفرة الذين هم
ضد الشاكرين آثما اي داعيا الى اثم سواء كان مجرداً عن مطلق الكفر او مصاحبا له أو كفورا اي مبالغا في الكفر وداعيا
اليه وان كان كبيرا وعظيما في الدنيا فان الحق اكبر من كل كبير وذلك انهم كانوا مع شدة الاذى له صلى الله عليه وسلم يبذلون
له الرغائب من الاموال والتمليك والتزويج لاعظم نسائهم على ان يتبعهم على دينهم ويكف عما هو عليه والنهي عن الاحد المبهم
نهي عن كل منهما فانه يجب اجتنابه في رتبة واحدة وذلك ظاهر الاثم وباطنه وكذا الانتهاء عنه لا يتحقق الا بالانتهاء عن كليهما
ولو عطف بالواو لم يفد ذلك لان نفي الاثنين لا يستلزم نفي كل منهما وافهم ترتيب النهي على الوصفين انه اذا دعاه الكفار الى ما لا
يتعلق به كفر ولا اثم جاز له قبوله ولما نهى عن طاعتهما القاطعة عن الله امر بلازمه الموصل الى الله وهو الذكر بين
عاتق الذي هو دوا الماعساه يلحق من الاذى والجرد دونه الاثم والكفور لارباب القلوب الصافية والذكر مقدم على كل
عبادة فان وضع العبادة لما كان طلبا للتوصل الى نيل معرفة الله سبحانه وكان التصور بحسب الاثر اول مراتب التصور
طبعاً بذاته وذلك لان النفس يجب لشغول لما لها من النقائص فاحتاجت الى سبب منشو لها الى الاعلى فوضعت لها العبادات
واجلها العبادة المشفوعة بالذكر لانه السبب الموصل الى المقصود ولا تعتد العبادة بدونه فقال واذكر اي بلسانك
اسم ربك اي المحسن اليك بكل جميل بكرة عند قيامك من منامك الذي هو الموتة الصغرى وتذكرك انه يحيي الموتى ويحشرهم
جميعا واصيلا عند انقراض نهارك وتذكرك انقراض دنياك وطي هذا العالم لاجل مجازاة يوم الفصل وفي ذكر الوقتين
ايضا اشارة الى دوام الذكر وذكر اسمه لازم لذكره ويجوز ان يكون امرا بالصلاة لانها افضل الاعمال البدنية لانها
اعظم الذكر لانها ذكر اللسان والجنان والاركان فوظفت فيها اذكار لسانية وحركات وسكنات على هيئة مخصوصة من
عادتها ان لا تفعل الا بين ايدي الملوك فكان تنبيهها على وجود الصانع والاعتراف بالهيبة وتعدده اكثر فكانت افضل
فيكون هذا على هذا امرا بصلاتي الصبح والعصر فانه لم يكن امر في اول الاسلام بغيرهما وبهما امر من كان قبلنا وهما
افضل الصلوات وكانتا ركعتين ويجوز ان يكون امرا بصلاتي الصبح والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما لانه
مطلق العشي واما المغرب والعشاء ونافلة الليل فدخلت في قوله ومن الليل اي بعضه والباقي للراحة بالنوم فاسجد له
اي فصل له صلاتي المغرب والعشاء وذكرهما بالسجود تنبيها على انه افضل الصلاة فهو اشارة الى ان الليل موضع الخضوع
وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص ومزيد الفضيلة لان الالتفات فيه الى جانب الحق اتم
لزوال الشاغل للحواس من حركات الناس واصواتهم وسائر الاحوال الدنيوية فكان ابعد عن الرياء فكان الخشوع فيه
واللذة التامة بحلاوة العبادة اوفى وسبحه اي بالتهجد ليلا طويلا نصفه واكثر منه او اقل ولعله سماه تسبيحا لان
مكابدة القيام فيه وغلبة النوم تذكر بما لله من العظمة بالتنزه عن كل نقيصة ولانه لا يترك محبوبه من الراحة بالنوم
الا من كان الله عنده في غاية النزاهة وكان له في نهاية المحبة ولما انهى امره بلازم النهي علل النهي بقوله مخبرا
باشارة القريب مؤكدا لما لهم من التعنت بالطعن في كل ما يذكره صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء اي الذين يغفلون عن الله
من الكفرة وغيرهم فاستحقوا المقت من الله يحبون اي محبة تتجدد عندهم زيادتها في كل وقت العاجلة اي ويأخذون منها
ويستحقون لما حفت به من الشهوات زمنا قليلا لقصور نظرهم وجمودهم على المحسوسات التي لا ثبات عليها منشاء العادة والقصور ومعدن
الامراض للقلوب التي في الصدور ومن تعاطى اسباب المرض مرض وسمي كفورا ومن تعاطى ضد ذلك شفي وسمي شاكرا ويذرون اي يتركون
منها على حالة هي ابلغ ما يسوؤهم اذا ارادوا وراءهم اي امامهم اي قدامهم على وجه الاحاطة بهم وهم عنه معرضون كما يعرض الانسان
عما وراءه او خلفهم لانه يكون بعدهم ولابد ان يدركهم يوما اي منها ولما كان ما اعنى الانسان وشق عليه ثقل قال
ثقيلا اي شديدا جدا لا يطيقون حمل ما فيه من المصائب بسبب انهم لا يعدون له عدة فالآية من الاحتباك ذكر الحب والعاجلة
اولا دلالة على ضدهما ثانيا والترك والثقل ثانيا دلالة على ضدهما اولا وسر ذلك ان ما ذكر اولا ادل على تجاذبه العقل بعدم التأمل للعواقب

احتباك

ولما كان تركهم لليوم الثقيل على وجه التكذيب الذي هو ابلغ الترك وكان تكذيبهم لاعتقادهم عدم القدرة عليه قال دالا على
الاعادة بالابتداء من باب الاولى نحن خلقناهم بما لنا من العظمة لا غيرنا وشددنا اسرهم اي قوينا واتقنا ربط مفاصلهم الظاهرة
والباطنة بالاعصاب على وجه الاحكام بعد كونهم نطفة امشاجا في غاية الضعف واصل الاسر القد تشد به الاقتاب والربط
والتوثيق ولا شك ان من قدر على انشاء شخص من نطفة قادر على ان يعيده كما كان لان جسده الذي انشأه ان كان محفوظا فالامر فيه
واضح وان كان قد صار ترابا فابتداعه منه مثل ابتداعه من النطفة واكثر ما فيه ان يكون كابيه آدم عليه السلام بل هو اولى
فان ترابه له اصل في الحياة بما كان حيا وتراب آدم عليه السلام لم يكن له اصل قط في الحياة والاعادة اهون في مجاري عادات
الخلق من الابتداء ولذلك قال معبرا باداة التحقيق واذا شئنا اي بما لنا من العظمة ان نبدل لما انشأنا من صفاتهم او ذواتهم
بدلنا امثالهم اي بعد الموت في الخلقة وشدة الاسر تبديلا والمعنى جئنا بامثالهم بدلا منهم وخلائف لهم او يكون المراد
وهو اقعد بالمثل الشخص اي بدلنا اشخاصهم لتصير بعد القوة الى ضعف وبعد الطول الى قصر وبعد البياض الى سواد وغير ذلك
من الصفات كما شوهد في بعض الاوقات في المسخ وغيره وكل ذلك دال على تمام قدرتنا وشمول علمنا ولما كان هذا دليلا
عظيما على القدرة على البعث مخبرا بالهم قال مؤكدا لانكارهم عنادا ان هذه اي الفعلة البديعة او المواعظ التي ذكرناها
في هذه السورة وفي جميع القرآن تذكرة اي موضع ذكر عظيم للقدرة على البعث وتذكرهم عظيما لما فعلت في الانسان
اولا وموعظة عظيمة فان في تصفحها تنبيهات للغافلين وفي تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن القى
سمعه واحضر قلبه فكانت نفسه مقبلة على ما القي اليه سمعه فمن اقبل هذا الاقبال علم انا آتيناه من الآيات والدلائل ما ان
سلك معه مجتهدا وصل دون ضلال ولذلك سببت عن كونها تذكرة قوله بين خطاب للتنشيط فمن شاء اي ان يجتهد في صعود
الى الله اتخذ اي اخذ بجهده من مجاهدة نفسه ومخالفته هواه الى ربه اي المحسن اليه الذي ينبغي له ان يحبه فيجمع قلبه
ويجتهد في القرب منه سبيلا اي طريقا واضحا واسعا سهلا بافعال الطاعة التي امر بها لانا بينا الامور غاية البيان
وكشفنا اللبس وازلنا جميع موانع الفهم عن شئنا وركبنا ذلك في الطباع فلم يبق مانع من استطراق الطريق اصلا غير
مشيئتنا والفطرة الاولى اعدل شاهد بهذا ولما اثبت لهم المشيئة التي هي مناط التكليف وهي الكسب
فكان ربما ظن ظان وادعى مدع في خلق الافعال كما قال اهل الاعتزال فالتاكيد عنهم الاستقلال لا ثباتا القول الحق لهم
وهو مع كونه خطاب فيه استعطاف لهم الى التذكر في قراءة الجماعة وبالغيب على الاسلوب الماضي في قراءة ابن كثير وابن عامر
وما تشاؤن اي في وقت من الاوقات مشيئة من المشيئات لهذا وغيره على سبيل الاختراع والاستقلال الا وقت ان يشاء
الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه فيوجد المعاني في انفسكم على حسب ما يريد ويقدر على ما يشاء من آثارها
وقد صح بهذا ما قال الاشعرية وسائر اهل السنة من ان للعبد مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر الا بمشيئة الله وتحريكها لقدرة العبد
واتضح مذهب القدرية الذين يقولون انا نحن نخلق افعالنا ومذهب الجبرية القائلين لا فعل لنا اصلا ومثل المولوي ذلك
بمن يريد قطع بطيخة فجد سكينا وهيأها واوجد فيهما اسباب القطع وازال عنهما موانعه ثم وضعها على البطيخة فهو لا يستطيع
دون ان يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ولو وضع عليها ما لا يصلح للقطع كخشبة مثلا لم يقطع ولو تحامل فالعبد
كالسكين خلقه الله وهيأه بما اعطاه من القدرة للفعل فمن قال انا اخلق فعلي مستقلا به فهو كمن قال السكين تقطع بمجرد وضعها
من غير تحامل ومن قال الفاعل الله من غير نظر الى العبد اصلا كان كمن قال هو يقطع البطيخة بتحامله او قصبة ملساء
من غير سكين والذي يقول انه باشر بقدرته المهيأة للفعل خلق الله لها وتحريكها في ذلك الفعل كمن قال ان السكين
قطعت بالتحامل عليها بهذا اجرى سبحانه عادته في الناس ولو شاء غير ذلك فعل ولا يخفى ان هذا هو الحق الذي لا مرية
فيه ثم علل ذلك باحاطته بمشيئتهم قائلا ان الله اي المحيط علما وقدرة كان اي ازلا وابدا عليما حكيما اي بالغ العلم والحكمة
فهو يمنع منعا محكما من ان يشاء غير ما لم ياذن فيه فمن علم في جبلته خيرا اعانه عليه ومن علم منه الشر ساقه اليه وحمله
عليه وهو معنى يدخل من يشاء اي ممن علمه اهلا للسعادة لسر يطلعه في رحمته بحكمته فيسر له احاد السبيل الموصل اليه بان
يوفقه للعمل ويعطيه له ثوابا ولما بشر اهل العدل بما لفعل المضارع المؤذن بالاستمرار ولم يجعله ماضيا
لئلا يتعنت متعنت ممن هو متلبس بالضلال فيقول لنا الا اصلح لانه ما ادخلني عطف عليه ما لاضدادهم في جملة فعلية
بناها على الماضي اعلاما بان عذابهم موجود قد فرغ منه فقال والظالمين اي واهان الراكعين في وضعهم الشيء في غير محله
مرضي كالماشي في الظلام فهو يدخلهم في نقمته وقد اعد لهم اي اعدادا امضاه لعظمته فلا تبدل فيه ولا نقص عذابا
اليما فالآية من الاحتباك ذكر الادخال والرحمة اولا دلالة على الضد ثانيا والعذاب ثانيا دلالة على الثواب
وسر ذلك ان ما ذكره اولى بترغيب اهل العدل فيه وان ساءت حالهم في الدنيا وبترهيب اهل الظلم منه وان
حسنت حالهم في الدنيا فقد رجع هذا الآخر المفصل الى السعادة والشقاوة على اولها المؤذن بان الانسان معني به

له

غاية الاعتناء وانه ما خلق الا للابتلاء فهو اما كافر فمغضوب عليه واما شاكر فمنظور بعين الرضى اليه والله الهادي

[illegible]

الدلالة على آخر الانسان من اثابة الشاكرين بالنعم واهانة الكافرين بعذاب الجحيم في يوم الفصل بعد جمع الاجساد واحياء العباد بعد طي هذا الوجود وتغيير العالم المعهود بما له سبحانه من القدرة على انبات النبات وانشاء الاقوات وانزال العلوم وانساع الهموم لاحياء الارواح واسعاد الاشباح باسباب خفية وعلل مرتبة وغير مرتبة وتطوير الانسان في اطوار الاسنان وابداع الايمان فيما يرضي من الابدان وايجاد الكفران في اهل الجنة والخسران مع اشتراك الكل في البيان في اساليب هذا القرآن الذي عجز الانس والجان عن الاتيان بمثل آية منه على كثرتهم وتطاول الزمان واسمها المرسلات وكذا العرف واضح الدلالة على ذلك لمن تدبر الاقسام وتذكر ما دلت عليه من معاني الكلام بسم الله الذي له القدرة التامة على ما يريد الرحمن الذي له عموم الانعام على سائر العبيد الرحيم الذي خص اهل رضوانه باتمام ذلك الانعام وعنده المزيد لما ختمت سورة الانسان بالوعد لاوليائه والوعيد لاعدائه وكان الكفار يكذبون بذلك افتتح هذه بالاقسام على ان ذلك كائن فقال والمرسلات اي من الرياح والملائكة عرفا اي لاجل القاء المعروف من القرآن والسنة وغير ذلك من الاحسان ومن القاء الروح والبركة وتيسير الامور في الاقوات وغيرها او حال كونها متتابعة متكاثرة بعضها في اثر بعض من قول العرب الناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه فاكثروا ويقال جاءوا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه ولما كان العصوف للعواصف يتعقب الهبوب عطف بالفاء تعقيبا وتسبيبا فقال فالعاصفات اي الشديدات الآثار من الرياح عقب هبوبها ومن الملائكة عقب شقها الهواء او بما لها من كثرة الاجسام والقوة على الانواع التامة عصفا اي عظيما بما لها من النتائج الصالحة ولما كان نشر الرياح للسحاب متراخيا عن هبوبها منبسطا في الثوران وكذا نشر الملائكة لاجنحتها كما تفعل الطائر القوي في طيرانه عطف بالواو الصالحة بالمعية والتعقيب والمهلة وغيرها قوله والناشرات اي للسحاب والاجنحة على وجه اللين في الجو والشرائع التي تنشر العدل بين الناس نشرا واذا رجعت الى قول الذاريات ذروا ذرت في هذا البحر ولما كان السحاب يجتمع بعد الثوران من محال البخارات ويتكاثف ثم يحمل الماء كان ذلك مع كونه معروفا قد تقدم في الذاريات والروم وغيرهما ثم بعد الحمل تضغط السحاب حتى يتحامل بعضه على بعض فتنفرق هنالك فرج يخرج منها طوى ذلك وذكر هذا فقال بالفاء الفصيحة فالفارقات فرقا اي للسحاب حتى يخرج الودق من خلاله والاجنحة وبين الحق والباطل وللحق والهوى وغير ذلك من الاشياء ولما كانت السحاب عقب الفرق ينزل منهما ما في السحاب من ماء او ثلج او برد او صواعق وغير ذلك مما يريد الله مما يبعث على ذكر الله ولا بد والملائكة تلقي ما معها من الروح المحيي للقلوب قال معبرا بما التعقيب والتسبيب فالملقيات ذكرا اطلق عليه الذكر لانه سببه ان كان محمول السحاب ومحمول الملائكة ذكر الله حقيقة ولا يخفى انهما سبب لاصلاح الدين والدنيا ولما ذكر هذه الاقسام عللها بقوله عذرا او نذرا وهما منصوبان على الحال جمعان لعذير بمعنى المعذرة والعاذر ولنذير بمعنى الانذار والمنذر يعني كانت هذه منقسمة الى عذر ان كانت الفتنة مطرا نافعا مريعا غير ضار كان بعد قحط فانه يكون كانه اعتذار عن بلاء السنة وان كانت للملائكة القت بشارة ورحمة واضحة في العذر لا سيما ان كانت بعد انذار والى نذر ان كانت القت صواعق وما هو في معناها من البرد الكبار ونحوها وكذا الملائكة والكل سبب لذكر الله وهو سبب لاعتذار الناس بالتوبة وسبب لعذاب الذين يغفلون عن الشكر ويستقلون ذلك بالمعاصي وينسبون ذلك الى الانواء ولما كانت هذه الاقسام مشتملة على امور عظام منبهة على ان اشباهها من الرياح والمياه كانت مع الناس وهم لا يشعرون بها كما انه يجوز ان يكون النعمة كذلك سواء بسواء قال ذاكرا المقسم عليه مؤكدا لاجل انكارهم انما اي الذي توعدون اي من العذاب في الدنيا والآخرة ومن قيام الساعة ومن البشارة لاهل الطاعة وبناه للمفعول لانه المرهوب لا كونه من معين مع انه معروف انه مما توعد به الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لواقع اي كائن لا بد من وقوعه واتيانه عتيد عندكم وان كنتم لا ترونها كما كان في هذه الاشياء التي اقسم بها وما نأسر عنها ه وقال الامام ابو جعفر بن الزبير اقسم تعالى بالملائكة المتتابعين في الارسال والرياح المسخرة ولاتيه بالمطر والملائكة الفارقة بما به بين الحق والباطل والملقيات الذكر بالوحي الى الانبياء اعذارا من الله وانذارا اقسم تعالى بما ذكر من مخلوقاته على صدق الموعود به في قوله انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا الآيات وقوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا وقوله وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا الآيات الى وكان سعيكم مشكورا وقوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما ولو لم يتقدم الا هذا الوعد والوعيد المختتم به السورة لطابقه افتتاح الاخرى بما عليه اشد المطابقة فكيف وسورة هل اتى على الانسان بسرها انما مواعد اخراوية واخبارات جزائية فاقسم سبحانه وتعالى على صحة الوقوع وهو المتعالي الحق وكلامه الصدق انتهى ولما كان من المعلوم انهم يقولون استهزاء متى هو وكان وقته مما استأثر الله بعلمه لان اخفاءه عن كل احد اوقع في النفوس

واهيب

واهيب عند العقول سبب عن ذلك قوله ذاكرا ما لا تحتمله العقول لتزداد الهيبة وتتعاظم الخوف معبرا باداة التحقق فاذا النجوم اي على كثرتها طمست اي اذهب ضوءها امر فاستوت مع بقية السماء فدل طمسها على ان لفاعله غاية القدرة واعاد الظرف تاكيدا للمعنى زيادة في التخويف فقال واذا السماء اي على عظمتها فرجت اي انشقت فخربت السقوف وما بها من العناد بل يا شمل امر واذا الجبال اي على صلابتها نسفت اي ذهب بها كلها بسرعة ففرقتها الرياح فكانت هباء منبثا فلم يبق لها اثر وذلك كما يخفف الحب من ازال اسباب الارض بالاسباب التي هي الدواعي لان تلك الدار ليست بدار اسباب ولما ذكر تغيير السماء والارض ذكر ما يفعل ذلك لاجله فقال واذا الرسل اي الذين انذروا الناس ذلك اليوم فكذبوهم اي بلغها الذي لا قدر سواه بانتهاء امر ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو وقت قطع الاسباب وابقاع الرحمة والثواب للاحباب والنقمة والعقاب للاعداء لشهادتهم بعد جمعهم على الامم بما كان منهم من الجواب وجواب اذا محذوف للعالم المراد اذا تهويلا له لتذهب النفس فيه كل مذهب فيمكن ان يكون تقديره وقع ما توعدون فان اسمهم من هذا الوعيد ما الاعمال لاثبات لوصفه العقول وعلى ذلك دل قوله ملقيا لما ينبغي ان يقال وهو لاي يوم اي عظيم اجلت اي وقتا جليا به بناه للمفعول لان المقصود تحقيق الاجل لا كونه من معين وتنبيها على ان المعين له معلوم ان الله الذي لا يقدر عليه سواه ثم اجاب عن هذا السؤال بقوله مبدلا من لاي يوم ليوم الفصل اي الذي اذا اطلق ذلك لم ينصرف الا اليه لانه لا يترك فيه شيء الا وقع الفصل فيه بين جميع الخلق من كل جليل وحقير ثم هوله وعظمه بقوله وما ادراك اي واي شيء اعلمك وان اجتهدت في التعرف ثم زاد تهويلا بقوله ما يوم الفصل اي انه امر يستحق ان يسأل عنه ويعظم وكلما عظم شيء فهو اعظم منه ولا يقدر احد من الخلق على الوصول الى علمه لانه لا مثل له يقاس عليه ولما هول امره ذكر ما يقع فيه من الشدة على وجه الاجمال فقال ويل اي هلاك عظيم جدا يومئذ اي اذ يكون يوم الفصل للمكذبين اي بالمرسلات التي احرزت بذلك اليوم وغيره من امر الله والويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات معناه وقد كررت هذه الجملة بعدة المقسم به وما يكون ذكرها من اما يكون في يوم الفصل من الطمس وما بعده وهو تسعة اشياء وزادت واحدة فيكون كل جملة لواحدة من المذكورات والعاشرة للتاكيد دلالة على ان لهم من الويل ما لا ينتهي كما ان الواحد لا ينتهي على انها لو كانت كلها للتاكيد لا والى لكان ذلك حسنا فان من كذب في شيء كان من البلاغة ان يقرع بواحدة منها ثم يقول له عقب قيام الدليل ويل لك ثم يفعل فيما بعده كله كذلك وليعيد عليه ذلك القول بعينه تاكيدا له وتحقيقا لوقوع معناه دلالة على ان الغيظ قد بلغ منتهاه والفجور وانقطاع العذر لم يدع موضعا للتنصل منه والبعد والتبعد عنه وذلك في كلام العرب سائغ معروف شائع ولما اقسم على وقوع الوعد والوعيد مطلقا عم من ان يكون في الدنيا او في الآخرة لانه قادر على كل ما يريد باقسام دلت على القدرة عليه دلالة جلية اتبعه دلالة اجلى منها بما يشاهد من خراب العالم النفسي فقال منكرا على من يكذب به تكذيبهم مع ما كان منه سبحانه الامن كذب الرسل من امم من قبلهم الم نهلك اي بما لنا من العظمة الاولين اي اهلاك عذاب وغضبا بتكذيبهم الرسل عليهم السلام كقوم نوح ومن بعدهم امة بعد امة ورتبا تعقب قرن لم يدع منهم احدا ولما كان اهلاك من في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ان لم يعقص عن اهلاك الاولين لم يرد وكان جواب هذا التقرير بلى قد اهلكتهم قال عاطفا على هذا الذي ارشد السياق اليه ارشادا ظاهرا جعله كالمنطوق ما تقديره نعم اهلكناهم ثم اي بعد اهلاكنا لهم ولما كان الفعل مرفوعا علمنا انه ليس معطوفا على نهلك ليكون تقريرا بل هو اخبار للتهديد تقديره نحن ان شئنا نتبعهم الآخرين اي الذين في زمانك من كفار العرب وغيرهم لتكذيبهم لك او الذين قربوا من ذلك الزمان كاصحاب الرس واصحاب الفيل ولما هدد من واجه الرسل بالتكذيب تسلية لهم وسلى من قطعوه من اتباعهم بما يجب وصله بهم من المعروف فقال مستأنفا منبها على الوصف الموجب لذلك الاهلاك كذلك اي مثل ذلك الاهلاك نفعل بالمجرمين اي جميع الذين يفعلون فعل اولئك الذين يقطعون ما امر الله به ان يوصل وهم عريقون في ذلك القطع وذلك مثبت لنا القدرة على جمعهم ليوم الفصل كما قدرنا على جمعهم لوقت الاجرام وعلى فصلنا في الاهلاك والانجاء بين مكذبي الامم ومصدقيهم فلا بد من ايجادنا ليوم الفصل ويل يومئذ اي اذ يوجد للمكذبين اي بالصفات التي اهلكنا بها تلك الامم تارة بواسطة الغلب وامطار الحجارة واخرى بواسطة الماء وتارة بالرجفة وتارة بغير واسطة ولما ذكر الاهلاك على ذلك الوجه الدال على القدرة التامة على البعث وعلى ما توعد به تخذا البعث اتبعه الدلالة بابتداء الخلق وهو اول قال مقررا ومنكرا على من يخالف علمه بذلك عمله الم نخلقكم اي ايها المكذبون بما لنا من العظمة التي لا يعسرها عظمة من ماء مهين اي نطفة مذرة ذليلة وهو من مهن بالفتح قال في القاموس والمهين الحقير والضعيف والقليل فجعلناه اي بما لنا من العظمة بالانزال لذلك الماء في الرحم في قرار مكين اي محفوظ مما يفسده من الهوى وغيره ومددنا ذلك لاجل التطوير في اطوار الخلقة والتدبير في ادوار الصنعة الى قدر اي مقدار من الزمان قدره الله للولادة معلوم اي عندنا من لحظة الشروع للولادة الى ما

فو قهما او دونهما لا يعلمه غيره ولما كان هذا عظيماً برجه وبينه معظماً له بقوله فقدرنا اى بعظمتنا على ذلك او جعلناه على مقدار
معلوم من الارزاق والاجال والاحوال والاعمال فنعم القادرون نحن مطلقاً على ذلك وغيره او المقدرون في تلك المقادير بما لنا من كمال
العظمة بحيث خلع لك بمباشرته من اردنا منه بطوعه واختياره ولعل التعبير بما قد يفيد مع العظمة الجمع لما اقام سبحانه في ذلك
من الاسباب بالملئكة وغيرها وفيه مع ذلك ابتلاء للعباد الموحد منهم والمشرك ويل يومئذ اى اذ كان ذلك للمكذبين اى بالناشرات
التى نشرت تلك النفوس وكل ما يراد نشره وهم يعلمون قدرتنا على ما ذكر وتقديره من ابتداء خلقهم وغيره مما يفيد كمال القدرة
وهم يكذبون بالبعث ولا يقيسونه بمثله ولما دل باتقان الخلق على تمام قدرته اتبعه الدلالة بانتهاء امره وانابه وما دبّر
فيهما من المصالح فقال الم نجعل اى نصير بما لنا من العظمة الارض كفاتا اى وعاء قابلة لجمع ما يوضع فيها وضمه جمعاً فيه مثل وهو
وهو اسم لما يكفت من الحق بل مثلاً اى يحلف بالفضة وبضمر وجمع كالضمام والجماع لما انضم وجمع او هو مصدر نعت به او جمع كافته
كصائمة وصيام او جمع كفت وهو الوعاء ولو شئنا لجعلناها ناشرة لكم اذا وضعتم فيها كما تنشر النبات وسنجعل ذلك اذا اردنا
البعث ولما كان من المعلوم انه حذف المفعول وهو لكم ابدى حاله دالة ايضاً عليه فقال احياء اى على ظهرها في الدور وغيرها
وامواتا اى في بطنها في القبور وغيرها كما كنتم قبل خلق آدم عليه السلام ولما ذكر ما تعيبه من جبال العلم والملك وغيرهما
اتبعه ما تبرز من الشواهق اعلاماً بانه لو كان الفعل للطبيعة ما كان الامر هكذا فانه لا يخرج هذه الجبال العظيمة على ما لها من
الكبر والثقل والصلابة وغير ذلك من العظمة الا الفاعل المختار وهذا الى ما حفظ في اعاليها من المياه التى تنبث الانهار وتخرج العيون
والانهار بل اكثر ما تخرج من المياه هو منها وكذا غالب المنافع من المعادن وغيرها قال وجعلنا اى بما لنا من العظمة فيها اى الارض
رواسي لولاها لمادت باهلها ومن العجائب انّ مراسيها من فوقها خلافاً لمراسي السفن شامخات اى هي مع كونها ثوابت في انفسها
مثبتة لغيرها طوالاً جداً عظيمة الارتفاع كانها قد تكبرت على بقية الارض وعلى من يريد صعودها وتنكيره للتعظيم ٥
ولما كان من العجائب الخارقة للعوائد فوران الماء الذي من طبعه ان يغور لما له من الثقل واللطافة التى افادته
قوة السريان في الاعماق ذلك منه من موضع من الارض دون آخر وكونه من الجبال التى هي اصلب الارض ومن صخورها غالباً
دلالة ظاهرة على ان الفعل للواحد المختار الجبار القهار لا للطبائع قال واسقيناكم اى جعلنا لكم بما لنا من العظمة شراباً لسقيكم
وسقى ما تريدون سقيه من الانعام والحرث وغير ذلك ماء من الانهار والعيون والغدران والابار وغيرها فراتا اى عظيماً
عذباً سائغاً وقد كان حقيقاً بان يكون ملحاً اجاجاً لما للاراضي الممسكة له من ذلك ولما كان في هذا ادلة ظاهرة على قدرته
على البعث وغيره قال ويل يومئذ اى يوم اذ تقوم الساعة لتكون الفصل بين العباد فيما سابق هو ثابت لا نزاع فيه اشارة الى
انه لا يكذب بها لظهور الادلة الا من لا مسكة له للمكذبين اى الذين هم في غاية الرسوخ في التكذيب حتى كذبوا بما لنا في هذا من
الفرق الذي فرقنا به بين ارض واخرى حتى جعلنا بعضها صالحاً لانغراق ارضه عن الماء وبعضها غير صالح وجعلنا بعضها
قابلاً للجبال وبعضها غير قابل الى غير ذلك من الفروق البديعة ولما وصلت دلالة الساعة في الظهور الى حد لا مزيد
عليه وحكم على المكذبين بالويل مرة واكده بثلاث فكان من حق المخاطب ان يومن فلم يومن امر بما يدل على الغضب فقال تعالى معلماً بما
يقال لهم يوم اذ يحل بهم الويل انطلقوا اى ايها المكذبون الى ما كنتم اى بما هو لكم كالجبلة به تكذبون اى في الدنيا من العذاب تكذيباً
هو من عظمه بحيث يعد غيره من التكذيب بالنسبة اليه عدماً وحدد ذلك التكذيب مستمرين عليه ولما كان المراد زيادة تبكيتهم
وتقريعهم والتهويل عليهم كرر الامر واصفاً ما امروا بالانطلاق اليه فقال انطلقوا هذا على قراءة الجماعة وقراه رويس عن يعقوب
بصيغة الماضي للدلالة على تمام انقيادهم هناك وانه لا شيء من منعه عندهم اصلاً وهي استئناف فيه جواب من يقول ما كان من حالهم
عند هذا الامر الفظيع الى ظل اى من دخان جهنم الذي سمي باليحموم لما ذكر في الواقعة ذي ثلاث شعب يتشعب من عظمه كما ترى الدخان
العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث لان التكذيب بالله وكتبه ورسله فتقعد بهم كل واحدة منها عذاباً يعلمون هنالك انه
تكذيبه منتهى اولان الحاجب عن انوار القدس الحس والخيال والوهم اولان السبب فيه القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية
التى في يمين القلب والشهوية التى في يساره وقيل يخرج عنق يكون بلا شعب من نار ونور ودخان فيقف النور على المؤمنين والصافي على
الكافرين والدخان على المنافقين يكون كذلك الى الفراغ من الحساب ٥ وقال الرازي الشعب لهب وشرر ودخان ولما كان
المتبادر من الظل ما يستروح اليه فظنوا ذلك ازال عنهم هذا الوهم على طريق التهكم بهم لتكون اشد في النكال فقال واصفاً
لذي لا ظليل اى من الحر بوجه من الوجوه ولما كان ربما اشفى عنه غزارة الظل التى افهمتها صيغة المبالغة قد يكون فيه نفع
ما قال ولا يغني اى شيئاً من اغناء من اللهب اى هذا الجنس ولما بيّن ان هذا الظل زيادة في العذاب وكان من المعلوم
انه لا يكون دخان الا من نار قال مبيناً انه لو كان هنالك ظل ما اغنى انها اى النار التى دل عليها السياق ترمي اى من شدة
الاستعار بشرر وهو ما تطاير من النار اذا التهبت واحده شررة وهي صواعق تلك الدار كالقصر اى كل شررة منها
كانها قصر مشيد من عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة مثل جمر وجمرة وهي اسم جنس جمعي لم يستعمل الا في الجمع

فهو

فهو شامل لكثير الجموع وقليلها وكذا كل ما فرق بين واحده وجمعه التاء وليس بجمع لانه ليس بجمع سلامة وهو ظاهر ولا تكسير لان اوزانه معروفة
وليس منها فعل وليس بجنس فانه لا يسهل ما دون الجمع ومن عظمة شررها تعرف عظمة جمرها ولما شبهه في عظمه شبهه في لونه فقال
كانه جمالات جمع جمالة جمع جمل مثل حجارة وحجر للدلالة مع كبره على كثرته وتتابعه واختلاطه وسرعة حركته ومن قرأ بضم الجيم
فهو عنده جمع جمالة وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه به في امتداده والتفافه ولا منافي في ان الشرر منه ما هو هكذا
ومنه ما هو كما تقدم صفر جمع اصفر للون معروف وقيل المراد به سواد يضرب الى صفرة كما في الوان الجمال ولما
كان هذا امراً هائلاً كانت ترجمته ويل يومئذ اى اذ يكون ذلك للمكذبين اى العريقين في التكذيب بالقاء الذكر على الانبياء
بالبشارة والنذارة ولما دلت قراءة انطلقوا بالفتح على امتثالهم الامر من غير ان يتسوا بكلمة صرح به تعالى في الاملاء بما لهم
فيه من المقت والغضب هذا اى الموقف الذي هو بعض مواقف ذلك اليوم سمي يوماً لتمام احكامه فلذا قال مخبراً عن المبتدأ يوم لا
ينطقون اى بشيء ينفعه من فرط الدهشة والحيرة في بعض المواقف وينطقون في بعضها فانه يوم طويل ذو الوان كما قال ابن عباس
رضى الله عنهما ولا ينطقون بما ينفعهم لانهم كانوا في الدنيا لا ينطقون بالتوحيد الذي ينفعهم ولما كانوا لا يعتذرون
على شيء الا باذن الله وكان الموجع لهم عدم الاذن بني للمفعول قوله دلالة على عدم ناصرهم او فرج باتيهم ولا يؤذن اى من اذن ما
لهم اى في كلام اصلاً ولما كان المراد انه لا يوجد لهم اذن ولا يوجد منهم اعتذار من غير ان ينظر الى تسببه عن عدم الاذن
لئلا يفهم ان لهم عذراً ولكنهم لم يبدوه لعدم الاذن قال دالاً فاعطفاً على يؤذن فيعتذرون ليدل ذلك على نفي الاذن ونفي
الاعتذار عقبه مطلقاً ولو نصبه لدل على ان السبب في عدم اعتذارهم عدم الاذن فينقص المعنى ولما كان هذا
امراً قطعياً ترجمه بقوله ويل يومئذ اى اذ كان هذا الموقف للمكذبين اى العريقين في التكذيب بالاخبار بطمس النجوم
فجعلت عقوبتهم سكوتهم الذي هو ذهاب نور الانسان لتكون كالطمس كذبوا به ولما ذكر حيرتهم ودهشتهم
التى هي امارة قبول الحكم وكانت مواطن ذلك اليوم تسمى اياماً لتمام الاحكام في كل موطن منها وتميزه بذلك عما عداه قال
هذا اى ذلك اليوم كله يوم الفصل اى بين ما اختلف فيه العباد من الحق والباطل والعالي والسافل ثم استأنف
قوله جمعناكم اى يا مكذبي هذه الامة بما لنا من العظمة والاولين اى الذين تقدم انا اهلكناهم وقد كانوا اكثر منكم عدداً
واعظم عدداً للفصل بين المتنازعين ونصلي العذاب ونجزي بالثواب وكان منكم من يقول انا اكفي تسعة عشر من ملئكة النار
ثم اشار الى انقطاع الاسباب فقال مسبباً عن ذلك فان كان لكم اى ايها المكذبون على وجه هو ثابت منكم او انكم
كيد اى مقاواة بنوع حيلة او شدة فكيدون تقريع لهم على كيدهم لاولياء المؤمنين في الدنيا بما مكنهم به من الاسباب
وتنبيه على ان من اذى وليه فقد اذنه بالحرب وعلى انهم عاجزون ولما كانوا اقل من ان يجيبوا عن هذا
واحقر من ان يهملوا للكلام قال مترجماً لحالهم بعد هذا الكلام منبهاً على انهم عقلوا ان يكونوا على انفسهم الان لانه لاجله
لهم اذ ذاك ويل يومئذ اى اذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة في عذابهم للمكذبين اى الراسخين في التكذيب
بان السماء تفرج كما كانوا يكذبون بانه يفصل بينهم بعد الموت ولما كان الواقع بعد الفصل قرار كل في داره وكان قد بدأ
بالمكذبين لان التحذير في السورة اعظم فقصلهم عن المصدقين فقال انطلقوا الى ما جئنا باضدادهم العزيز الناجي المشار اليه
في اخر الانسان بقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته فقال هو كذا الاجل تكذيب الكفار بتلك الدار وبان يكون المؤمنون
اسعد منهم المتقين اى الذين يجعلون بينهم وبين ما يغضب الله وقاية بما يرضيه لعرافتهم في هذا الوصف يوم العمل في ظلال
هي في الحقيقة الظلال لا كما تقدم من ظل الدخان ولا تشبهها اعلى ظل في الدنيا واحسنه الا بالاسم ودل انها على حقيقتها
بقوله وعيون لانها تكون عنها الرياض والاشجار الكبار كما دل على ان ذلك الظل المتشعب للتهكم كما ذكر بعده من اوصاف
النار فهذه العيون تبرد الباطن وتغسل الاشجار المظلة كما ان اللهب بحر الظاهر والباطن ويهلك ما قرب منه من شجر
وغيره ولا يبقي ولا يذر ولما ذكر العيون اتبعها ما ينشأ عنها فقال دالاً على ان عيشهم كله لذة وفواكه ولما
كان يوجد في فواكه الدنيا الدون قال دالاً على انه ليس هناك دون مما يشتهون اى بغاية الرغبة ولما فهم من التعبير
بفي انهم متمكنون من هذا جميعه تمكن المظروف من ظرفه قال مبيناً على انه اريد بالفاكهة جميع المآكل وانما عبر
بها اعلاماً بان كل اكل فيها تفكه ليس منه شيء لجلب نفع غير اللذة ولا لدفع ضر كلوا اى مقولاً لهم تناولوا جميع المآكل على وجه
التفكه والتلذذ لا لحفظ الصحة فانها حاصلة بدونه واشربوا اى من جميع المشارب كذلك فان عبر بها النسب
من الماء خاصته اى من جميع المشارب كذلك فان عبر بها ما يشمل من كل شراب اكلا وشربا هنيئا ليس في شيء من ذلك نوع
ضرر وزاد في نعيمهم بان جعل ذلك عوضاً فقال بما كنتم اى بجبلاتكم التى جبلتكم عليها تعملون اى في الدنيا
من الاعمال الصالحة المبنية على اساس العلم الذي افاد التصديق بالجنة فاوجب دخولها كما اوجب تكذيب المجرمين
بالنار دخولهم اياها وعذابهم بها وتكذيبهم بالجنة طردهم عنها وحرمانهم لنعيمها جزاءاً وفاقاً ولما كان

وتمانوهم متوهم ان هذا الناس معينين في زمن مخصوص فقال معلما بالتعميم موكدا ردا على من ينكر انا اي بما لنا من العظمة
كذلك اي مثل هذا الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي كل من كان عريقا في الاحسان لسنا كملوك الدنيا يعوقهم عن الاحسان الى بعض
المحسنين عندهم بما يرونه جزاء لهم بعض اهل مملكتهم لما لهم من الاهوية ولملوكهم من الضعف ولما كان هذا
النعيم عذابا عظيما على من لا سنا له قال ويل يومئذ اي اذ يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين للمكذبين اي الذين يكذبون بان الجبال
تنسف فتكون الارض كلها سهلة دمثة مستوية لا عوج فيها اصلا صالحة للعيون والانهار والتبسط في ارجائها كيف
ما يريد صاحبها ويختار ولما ذكر نعيم اهل الجنة الذي لا ينقضي لان لهم غاية المكنة فيه وكان ذلك اجلا وكان
المكذبون في اتساع في الدنيا وتعقب من قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع وكان لسفاهتهم وقع بعد نعيم نسخة وعد النعيم
ولو كان كثيرا طويلا قليلا قال نتيجة لجواب القسم ضد ما يقال للمتقين تسلية لهم وتحزينا للمكذبين بناء على ما تقدم
ان المكذبين في هذه الدنيا في اسعد راح وغرور ربما لهم لسان الحال المعرب عن اعمالهم في المال توبيخا وتهديدا
كلوا اي ايها المكذبون في هذه الدنيا وتمتعوا اي كذلك بمثل الجيفة فان المتاع من اسمائها كما مر عن مرة عن اهل
اللغة قليلا اي وان امتد زمنه فانه زائل مع قصر مدته في مدى الاخرة ولا يوثر ذلك على الباقي في النشر الاخير
الهمة قال الرازي وقال بعضهم التمتع بالدنيا من افعال الكافرين والسعي لها من افعال الظالمين والاطمئنان اليها من
افعال الكاذبين والكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة من افعال عوام المؤمنين والاعراض عنها
من افعال الزاهدين واهل الحقيقة اجل خطرا من ان يوثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها ولما احلهم
هذا المحل الخبيث وكان التقدير فانه لا بد من وقوع العذاب لكم يوم الفصل علل ذلك بقوله موكدا لانهم يكذبون ان
وصفهم بذلك انكم مجرمون اي عريقون في قطع كل ما امر الله به ان يوصل فلا جائز ان تعاملوا معاملة المحسنين
فلذلك كانت نتيجة هذا ويل يومئذ اي اذ تعذبون باجرامكم للمكذبين اي بوصول الرسل الى وقتها المعلوم الذي كانت
توعد به المجرمين في الدنيا حيث كذبوهم لاجل تمتعهم هذا القليل النكد وعرضوا انفسهم للعذاب الدائم المتمر ولما
كان التقدير فانهم كانوا في دار العمل اذا قيل لهم آمنوا لا يومنون واذا قيل لهم اي لهؤلاء المجرمين من اي
قائل كان اركعوا اي صلوا الصلاة التي فيها الركوع واطلقه تسمية لها باسم جزء منها وخص هذا الجزء لانه يقال
على الخضوع والطاعة ولانه خاص بصلاة المسلمين ولان بعض العرب تنفر عن الدين من اجله وقال الاصبهاني ان فيه
زعم ابراز الاست فيكون ذلك مسبة وكذلك السجود قال في القاموس حنى جبهته ووضع يديه على ركبتيه او على الارض
او انكب على وجهه والتحية ان يقوم قيام الراكع لا يركعون اي لا يخضعون ولا يوجدون الصلاة فلذلك كان ذلك علامة
وفيه دلالة على ان الامر للوجوب يستحق تاركه العذاب وعلى ان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ اي اذ يكون الفصل
للمكذبين اي بذلك الذي تقدم في السورة او بشيء منه او بغيره مما جاءت به الرسل وقد كررت هذه الجملة بعدد
اجزاء القسم واجزاء طرف الجواب لتكون كل جملة منها وعيدا على التكذيب بواحد من تلك الاجزاء ويكون هذه الجملة
العاشرة موكدة لتلك التسع ومكملة لعددها ومعناها ومعلمة بان الويل لهم دائما من غير انفصال له ولما
علم هذا ان لهم الويل دائما ذكر ان سببه عدم الايمان بالقرآن وان من لم يومن بالقرآن لم يومن بشيء ابدا فقال مسببا
عن معنى الكلام فباي حديث اي ذكر يتجدد نزوله على المرسل به في كل وقت تدعوا اليه حاجة بعده اي بعد هذا القرآن
الذي هو شاهد لنفسه بنظمه الجميل بعضها مع بعض وبالاخبار بالمغيبات والجمع على المعاني والتنبيه على الحكم وغير
ذلك من بحور العلوم ورياض الفنون والله باعتبار ذلك هو الشاهد بكلامه يومنون اي يجددون الايمان بسببه
بكل ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم اذا لم يومنوا بهذا الحديث الذي الله شاهد بانه كلامه بما اشتمل عليه بعد
اعجازه من الدلائل الواضحة والمعاني الشريفة لكل سمع فمن لم يومن به لم يومن بحديث غيره فانه لا شيء يقاربه
فكيف يدعي شيء يساويه او يدانيه ومثل هذا انما يقال عند مقاربة الياس من الموعوظ والعادة قاضية بحلول
المكذبين وانطبق اولها على آخرها في اخزاء المجرمين • والله الهادي

سورة عم يتساءلون وتسمى سورة النبا

مقصودها الدلالة على ان يوم القيامة الذي كانوا مجمعين على نفيه وصاروا بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في
خلاف فيه مع المومنين ثابت ثباتا لا يحتمل شكا ولا اختلافا بوجه لانه خالق الخلق مع انه حكيم قادر على ما يريد دبرهم
احسن تدبير بنى لهم مسكنا واتقنه وحكم على وجه سقفه بنوعه من انفسهم بحيث لا يحتاجون الى امر خارج يرونه
فكان ذلك اشد لالفتهم واعظم الانس لبعضهم ببعض وحمل سقفهم وفراشهم كافلين لما فعلهم والحكيم لا يترك عبيده
وهو تام القدرة كامل السلطان يمرحون يبغي بعضهم على بعض ويأكلون خيره ويعبدون غيره بلا حساب فكيف اذا
كان حاكما فاذا كان احكم الحاكمين هذا فيما لا يجوز في عقل ولا يخطر بالبال اصلا فالعلم واقع به قطعا وكل من اسماء ذلك

واضح

واضح في ذلك بتامل آيه ومبتدا ذكره وغايته بسم الله العظيم الذي له جميع صفات الكمال الرحمن الذي ساوى بين عباده في اصول
النعم الظاهرة الايجاد والجاه والمال وبيان الطريق الاقوم بالعقل الهادي والانزال والارسال الرحيم الذي خص من
شاء باتمام تلك النعم فوفقهم لمحاسن الاعمال ولما اخبر في المرسلات بتكذيبهم بيوم الفصل وحكم بان لهم على ذلك الويل المضاعف
المكرر وختمها بانهم ان كفروا بهذا القرآن لم يومنوا بعده بشيء افتتح هذه بان ما خالفوا فيه وكذبوا الرسول في امره لا يقبل النزاع
لما ظهر من بيان القرآن لحكمه الرحمن التي لا يختلف فيها اثنان مع الاعجاز في البيان فقال معجبا منهم غاية العجب زاجرا لهم ومنكرا عليهم
وموعدا لهم ومفخما للامر منبها على انه ينبغي ان لا يغفل وجه خلافهم ولا يعرف محل نزاعهم فينبغي ان يسال عنه كل احد حتى العالم
به اعلاما بان ما يختلفون فيه لوضوحه لا يصدق ان عاقلا يخالف فيه وانه لا ينبغي التساؤل الا عما هو خفي فقال عم اي عن اي
شيء خفف لفظا وكتابة بالادغام وحذف الفه لكثرة الدور والاشارة الى ان هذا السوال مما ينبغي ان يحذف فان لم يكن
مخفي ويستحي من ذكره ويخفف يتساءلون اي اهل مكة وكل من يسال عن شيء من القرآن سوال شك وتوقف وتلدد فيما بينهم وبين
الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين رضي الله عنهم ولشدة التعجب سمى جدالهم وانكارهم وعنادهم اذ اتلبت عليهم اياته وجليت
بيناته مطلق سوال ولما تحم ما يتساءلون عنه معجبا منهم فيه بينه بقوله اعلاما بان ذلك الابهام ما كان الا للاعظام
عن النبا اي من رسالة الرسول واتيانه بالكتاب المبين واخباره عن يوم الفصل الشاهد بكل شيء من ذلك الله بالاعجاز بهذا الحديث
وتوعد الجازم الحثيث ولما كان في مقام التفخيم له وصفه تاكيدا بقوله العظيم مع ان النبا لا يقال الا لخبر
عظم شانه فنفى ذلك كله تنبيه على انه من حقه ان يذعن له كل سامع ويهتم بامره لان يشك فيه ويجعله موضعا للنزاع وعظم
توبيخهم بقوله الذي هم اي بضمائرهم مع ادعائهم انها اقوم الضمائر فيه مختلفون اي شك بما اختلافهم وتباهتهم فيه فبعضهم صدق
وبعضهم كذب والمكذبون بعضهم شك وبعضهم جزم وقال بعضهم شاعر وبعضهم ساحر الى غير ذلك من الاباطيل وذلك الا
هو امر النبي صلى الله عليه وسلم الذي اهمه البعث بعد الموت اشتد التباسه عليهم وكثرت مراجعتهم فيه ومسايلتهم عنه مع عظمه
وعظم ظهوره والعظيم لا ينبغي الاختلاف فيه بوجه فان ذا المروة لا ينبغي له ان يدخل في امر الا وهو على بصيرة فكيف بدا اذا
كان عظيما فكيف به اذا تناهى عظمه فكيف به اذا كان اهم ما يهمه فانه يتعين عليه ان يبحث غاية البحث ويطلب فيه الادلة
ويفحص عن البراهين ويستوضح الحجج حتى يصير من امره بعد علم اليقين الى عين اليقين من حين يبلغ مبلغ الرجال الى ان يموت فكيف اذا
كان بحيث تتلى عليه الادلة وتجلى لديه قواطع الحجج وتجلب اليه البينات وهو يكابر فيها ويماري ويعاند ويبادي • وقال الامام
ابو جعفر بن الزبير سورة النبا اما مطلقها فمرتب على تساول واستفهام وقع منهم وكانه وارد هنا في معرض العدول
والالتفات واما قوله كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون فمناسب للوعيد المكرر في قوله ويل يومئذ للمكذبين وكان قد قيل
سيعلمون عاقبة تكذيبهم ثم اورد تعالى من جميل صنعه وما اذا اعتبره المعتبر علم انه لم يخلق سدى منه عبثا بل ليعتبر
به ويستوضح وجه الحكمة فيه فيعلم انه لا بد من وقت ينكشف فيه الغطاء ويجازي الخلائق على نسبة من احوالهم في الاعتبار
والتدبر والخضوع لمن نصب مجموع تلك الدلائل ويستشعر من تكرار الفصول وتجدد الحالات واحياء الارض بعد موتها
جريان ذلك في البعث واطراد الحكم واليه الاشارة بقوله كذلك تخرج الموتى فقال تعالى منبها على ما ذكرناه الم نجعل
الارض مهادا الى قوله جنات الفافا فهذه المصنوعات المقصود بها الاعتبار كما تقدم ثم قال تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا
اي موعد الجزاء لكم لو اعتبرتم بما ذكر لكم لعلمتم منه وقوعه وكونه ليتحقق جزاؤكم على ما سلف منكم فويل يومئذ للمكذبين ويتمهد
لهذا الفصل بما بعد من الآيات قوله تعالى لما ذكر ما اعد للطاغين انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا وكل شيء
احصيناه كتابا ثم قال بعد ان للمتقين مفازا وقوله بعد ذلك اليوم الحق • وانما الحياة الدنيا لعب ولهو وان الدار الآخرة
لهي الحيوان وقوله بعد يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا انتهى ولما كان الامر من
العظم في هذا الحد قال موكدا البيان لان ما اختلفوا فيه وتساءلوا عنه ليس موضعا للاختلاف والتساول باداة الردع
فقال تهديدا لهم وتوكيدا لوعيدهم كلا اي ليس ما تساءلوا عنه واختلفوا فيه موضع اختلاف اصلا ولا يصح ان يطرقه ريب
بوجه من الوجوه فليزدجروا عن ذلك ولم يدعوا قبل حلول ما لا قبل لهم به ولما كان كانه قيل هل ينقطع ما هم فيه اجاب
بقوله مهددا اخذا في متعلق العلم للتهويل لاجل ذهاب النفس كل مذهب سيعلمون اي يصلون الى حد يكون حالهم فيه في يوم
العناد حال العالم بكل ما ينفعهم ويضرهم وهذا عن قريب بوعد لا خلف له ويكون لهم حينئذ عين اليقين الذي لا يستطاع
دفاعه بعد علم اليقين الذي دافعوه وعظم رتبة هذا الردع والتهديد والزجر والوعيد بقوله ثم كلا اي ان امره في
ظهوره رادع عن الاختلاف في امره سيعلمون اي بعد الموت لعد علمهم قبله ما يكون من امره بوعد صادق لا شك فيه
وبصيرا حالهم اذ ذاك حال العالم في كفهم عن العناد وهم بين ذلول وذليل وحقير وجليل واما من [illegible] منهم
للايمان فيكون ذلولا ومن ادمنا سفاهه بالكفران فتراه ناكسا ذليلا [illegible] في حق اليقين وقد كان هذا كما

قالا الجليل بعد زمن قليل عندهما واقعتهم آيات الله وارغمت منهم الانوف واذلت منهم الجباه وقراءة ابن عامر على ما قيل عنه بتاء الخطاب
اعظم في الوعيد وادل على الاستعطاف للمتاب ولما حقق لهم امره تحقيق من هو غاية الوثوق على ما يقوله لعلمه بذلك بما لا يحتمل
شكا ولا وقفة اصلا فقال معنفا لهم ومنكرا عليهم التساؤل بما ثبت بالبيّنة من التأمل في قربه من النظر في باهر اياته وغرائب
مخلوقاته التي ابدعها من العدم دلالة تامة عظيمة على كمال القدرة مع تمام الحكمة الموجب للقطع بكل ما يخبر به الرسل من
الشرائع والبعث والجزاء دانيا بما هم له اشد الابسة وهو الظرف ألم نجعل اي بما لنا من العظمة الارض مهادا اي فراشا لكم موطا
ممهدا لا يمكن الاستقرار عليه لتتصرفوا في امامها كيف شئتم والجبال التي تعرفون شدتها وعظمها وعجزكم عن نقل شيء من امورها
اوتادا اثبتناها كما ان البيت لا يثبت الا بالاوتاد. قال الافوه الاودي. والبيت لا يبتنى الا له عمد. ولا عماد اذا لم ترس اوتاد.
وذلك لئلا تميد بكم فانها معلقة على فضاء العلم ممسكة بكمال القدرة فلولا الجبال العظم لقلبها لانها بمنزلة السفينة العالية
الفارغة على متن البحر فهي في غاية الحركة لا سيما اذا اعطيت الريح فانه حينئذ لا يستقر عليها قائم ولا يثبت قاعد ولا نائم
فالجبال بمنزلة الامتعة الثقيلة التي تنزلها في الماء فتحفظها عن كثرة التقلب فكيف يصح بوجه ان يتوقف في اخبار من هذه
قدرته لا سيما اذا كان ذلك المخبر به مما ركز سبحانه امره في الفطر الاولى وقرر صحته في العقول للتقرير الاوضح الاجلى
ولما ذكر ما في الظرف الذي هو قرارهم من الدلالة على تمام القدرة اتبعه التذكير بما في المظروف وهو انفسهم لجمع آيات
الانفس والآفاق فيتبين لهم انه الحق وخلقناكم اي بما دل على ذلك من مظاهر العظمة ازواجا طوالا وقصارا وحسانا ودمائما
وذكرانا واناثا لجميع اصنافكم على تباعد اقطاركم وتنائي ديارهم لتنتشروا الى الوقت الذي يكون فيه انقطاعكم
ولما ذكر ما هو سبب لبقاء النوع ذكر ما هو سبب لحفظه عن اسراع الفساد فقال وجعلنا اي بما لنا من العظمة
نومكم الذي ركبنا البدن على قبوله سباتا اي قطاعا عن الاحساس والحركة التي اتعبتكم في نهاركم مع الامتداد والاسترسال
اراحة للقوى الحيوانية والحواس الجسمانية واراحة لكلالها مع انه قاطع لكمال الحيوة فهو مذكر بالموتة الكبرى
والاستيقاظ مذكر بالبعث قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح فيه ولما ذكر النوم اتبعه وقته
الاليق به مذاكرا نعمة الظرف الزماني بعد التذكير بالظرف المكاني فقال دالا بمظهر العظمة على عظمه وجعلنا الليل اي بعد
ذهاب الضياء حتى كانه لم يكن لباسا اي غطاء وغشاء ساترا بظلمته ما اتى عليه عن العيون كما يستره اللباس لتسكنوا
فيه عن المعاش وجعلنا النهار اي الذي اثبتته الشمس معاشا اي وقتا للتقلب الذي هو من اسباب التحصيل الذي هو من اسباب المعاش
وهو العيش ووقته وموضعه ومظهره المتستره الليل قال ابن الاحسان ذكر اللباس اولا دليلا على حذف ضده
ثانيا والمعاش ثانيا دليلا على حذف ضده اولا ولما ذكر المهاد وما فيه اتبعه السقف الذي به يكون
الوقت الزماني بحركته من العنادل الواهرة والمنافع الظاهرة لاحياء المهاد ومن فيه من العباد فقال وبنينا اي بما لنا
عظمة فوقكم اي عاما لجميع جهة الفوق وهي عبارة تدل على الاحاطة سبعا اي من السموات شدادا اي في غاية القوى
والاحكام لا صدع فيها ولا فتق ولا يؤثر فيها كر العصور ولا مر الدهور حتى ياتي امر الله باطها رعظائم المقدور
ولما ذكر السقف ذكر بعض ما فيه من امهات المنافع فقال دالا بمظهر العظمة على عظمها وجعلنا اي بما لا يقدر عليه
غيرنا سراجا اي نجما منيرا وهاجا اي هو بالا لوم وشدة ضيائه جامع بين طرفي الاتقاد وهو الشمس من تلالم ونهج الجوهر
بلالاء والحمي انقعد ولما ذكر ما يحلل الرطوبة بحرارته اتبعه ما يطفي الحرارة برطوبته وبرودته فينشاء عنه
المآكل والمشارب التي بها تمام الحيوة ويكون تولدها من الظرف بالمهاد والسقف وجعل ذلك اشبه شيء بما يتولد
الزوجين من الاولاد فالسماء كالزوج والارض كالمراة والماء كالمني والنبات من النجم والشجر كالاولاد فقال وانزلنا
اي بما يعجز عنها من المعصرات اي السحاب التي اثقلت بالماء فشارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما حصل للزرع اذا حان
له ان يحصد قال الفراء المعصر السحابة التي تتحلب بالمطر ولا تمطر كالمراة المعصر وهي التي دنا حيضها ولم تحض وقال
الرازي السحابات التي دنت ان تمطر كالمعصر التي دنت من الحيض ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يتبع بعضه بعضا يقال
ثجه وثج بنفسه ولما ذكر بدايته اتبعها نهايته فقال لنخرج اي بعظمتنا التي ربطنا بها المسببات بالاسباب
به اي الماء السبب حبا اي نجما ذا حب هو مقصوده لانه بعناية العباد صرح به لانه المقصود وبدا به لانه
القوت الذي به البقاء كالحنطة والشعير وغيرهما ونباتا تتفكهون به وتتنزهون فيه وتعتلفه البهائم ولما كان من
المشاهد الذي لا يسوغ انكاره ان في الارض من البساتين ما يفوت الحصر عبر بجمع القلة تحقيرا له بالنسبة الى باهر العظمة وبالغ الكلمة
فقال وجنات اي بساتين تجمع انواع الاشجار والنبات المغتات وغيرها الفافا اي ملتفة الاشجار مجتمعة بعضها الى بعض من شدة الري
جمع لف بضم اللام وجمع الجمع الفاف وتضمن هذا الذي ذكره المياه النابعة الجارية والواقفة فاكتفي بذكره عن ذكرها قال مقاتل
وكل من هذا الذي ذكر اعجب من البعث ولما ذكر ما دل على غاية القدرة ونهاية الحكمة فدل قطعا على الوحدانية لانه لو كان

احتاك

التعداد لم يكن الحكم ولو لم يتم القدرة فاتم المحبة لمن انصف بذلك فانتج للطالع الشوق الى لقائه والتراخي الى مطالعة كمال نعمائه وللكافر
تاما وتحقيق به من الخوف من لقائه ليتردد ذلك عن اعراضه وابائه اتبعه ما اعلم انه ما ذكر الا للدلالة على النبأ العظيم في لقاء
العزيز الرحيم فقال منتجا عما مضى من الوعيد وما تم لعلى تمام القدرة مؤكدا لاجل انكارهم ان يوم الفصل اي الذي هو النبأ العظيم
وتقدم الانكار به في المرسلات وما خلق الخلق الا لجمعهم فيه واظهار صفات الكمال بالفصل فيه بين كل ملتبس فصلا لا شبهة
فيه ويوخذ للمظلوم من الظالم كان اي في علم الله وحكمته كونا لا بد منه جعل فيه كالجبلة في ذوي الارواح ميقاتا اي حدا
توقت به الدنيا وتنتهي عنده مع ما فيهما من الخلائق ولما ذكره ذكر ما فيه تعظيما له وحثا على الطاعة فقال مبدلا
منه او مبينا له يوم ولما كان الهائل المفزع النفخ لا كونه من معين بني للمفعول قوله ينفخ اي من اي نافخ اذن الله له
في الصور وهو قرن من نور على ما قيل سعته اعظم مما بين السماء والارض وهي نفخة البعث وهي الثانية من النفخات الاربع كما في
اخر الزمر ولذلك قال فتاتون اي بعد القيام من القبور الى الموقف احياء كما كنتم اول مرة لا يعدون من اعضائكم وجلودكم
واشعاركم واظفاركم والوانكم الاصلية شيئا بجمعكم من الارض بعد ان تمزقتم فيها واختلط تراب من بلي منكم بترابها وتراب
بعضكم ببعض وتمييز ذلك وجمعه وتركيبه كما كان واعادة الروح فيه يسير عليه سبحانه كما فعل ذلك كله من نطفة بعد
ان فعله في آدم عليه السلام من تراب لا اصل له في الحيوة حال كونكم افواجا اي امما وزمرا وجماعات مشاة مسرعين كل
امة بامامها روى الثعلبي وابن مردويه عن البراء رضي الله عنه وقال شيخنا ابن حجر في ترجمة محمد بن زهير من لسان الميزان
انه ظاهر الوضع ان معاذا رضي الله عنه سال عن هذه الافواج فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان امتي تحشر على عشرة اصناف
على صور القردة وعلى صور الخنازير وبعض منكسون يسحبون على وجوههم وبعض عمي وبعض صم بكم وبعض يمضغون السنتهم
فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعض مصلوبون
على جذوع من نار وبعض اشد نتنا من الجيف وبعض ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم وفسرهم بالقتات
واكلي السحت واكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين يخالف قولهم فعلهم والموذين للجيران
والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين خيلاء ولما ذكر الانسان في نفسهم
ذكر بعض ايات الافاق وبدا بالعلوي لانه اشرف فقال بانيا للمفعول لان المفزع مطلق التفتيح ولان ذلك ادل
على قدرة الفاعل وهو الله لا مور عليه وفتحت السماء اي شقق هذا الجنس تشقيقا كثيرا وقراء الكوفيون بالتخفيف لان التكثير
يدل عليه ما سبب عن الفتح من قوله فكانت اي كلها كينونة كانها جبلة لها ابوابا اي كثيرة جدا لكثرة الشقوق الكبيرة
بحيث صارت كانه لا حقيقة لها الا الابواب ولما ذكر السقف ذكر اقرب الارض اليه واشدها فقال على طريقة
كلام القادر بنيا وسيرت اي حملت بالسير امر على التيسير الجبال على ما تعلمون من صلابتها وصعوبتها في الهواء كانها الهباء
وعلى ذلك دل قوله فكانت اي كينونة راسخة سرابا اي لا يرى فيها الاجبال شيء وهو سائر يمر مر السحاب ثم يتخفى لتناثر
اجزائها كالهباء فيا لها من عظمة تخلع لها القلوب وتتعاظم الكروب ولما بين ان يوم الفصل هو النبأ العظيم
لقدرة ما دل عليه وذكر ما فيه من المسير ذكر ما اليه من الدارين المصير فقال لعدا التذكير بما في الجبال من العذاب بحزونتها
وما فيها من السباع والحشرات والاشجار الشائكة والقواطع المتشابكة وغير ذلك من عجائبها للتعذير مؤكدا لتكذيبهم
ان جهنم اي النار التي تلقى اصحابها بتجهم لهم بغاية ما يكرهون كانت جبلة وخلقا مرصادا اي موضع رصد لاعداء الله
ترصدهم فيها خزنة النار فاذا ارادوا كردسوهم فيها ولاولياء الله ترصدهم فيها خزنة الجنة لا تجاهم منها عند
ورودها او هي راصدة بليغة الترصد للكفار حتى صارت تحسدهم من الرصد لتجمع اصحابها فلا يفوت منهم
واحد كالمطعان للكثير الطعن والمكثار للمبالغ في الاكثار وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان على جسر جهنم سبعة محابس يسال
العبد اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسال عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى
الثالث فيسال عن الزكوة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسال عن الصوم فان جاء بها تامة جاز الى الخامس فيسال عن
الحج فان جاء بها تامة جاز الى السادس فيسال عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل به
اعماله فاذا فرغ انطلق الى الجنة ولما كان درء المفاسد اولى من جلب المصالح قدم ذكر المخوف فقال
للطاغين اي المجاوزين لحدود الله مآبا اي مرجعا وماوى لعدا ان كان الله ذراهم لها فكانهم كانوا فيها ثم اخرجهم للخروج
منها والبعد عنها بفطرهم الاولى ثم بما انزل الله من الكتب وارسل من الرسل فكانه بذلك اخرجهم منها ثم رجعوا
اليها باختيار سوامر التكذيب ولما ذكر مصيرهم اليها ذكر اقامتهم فيها فقال حالا من ضمير الطاغين لابثين فيها
ولما كان جمع القلة يستعار للكثرة وكان الحقب يطلق على الزمان من غير حد ويطلق على زمان محدود
فقيل على ثمانين سنة وعلى سبعين الف سنة وكان السياق من تصدير السورة بالنبأ وبوصفه مع التعبير بالنبأ

بالعظيم وما بعد ذلك نعيم ان المراد الدوام ان اريد ما لا حد له وان كان المراد ان اريد المحد وجمع الكثرة والكن مافر
به الحقب وانه للمبالغة لا التحديد كان جمع القلة هنا غير مشكل فمن حمله على ما دون ذلك فكفاه زاجرا ان بصيرة التعبير به
ومن اجترا عليه واستهان به كان فتنة له كما كان حصر اعداد الخزنة للنار تسعة عشر فلم يحصر الا فتنة فلذلك عبر عن طول
اللبث بقوله احقابا اي دهورا عظيمة متتابعة لا انقضاء لها على ان التعبير به ولو حمل على الاقل جعل منقضيا الا انه
كما صرح فيه بالخلود لانه اثبت شيئا ولم ينف ما فوقه وعن الحسن انه قال لا يكاد يذكر الحقب الا حيث يراد تتابع الازمنة
وتواليها من غير انفصال ولما كان المسكن لا يصلح الا باعتدال والماء الذي هو حياة كل شيء قال ذاكرا حال هذا
اللبث لا يذوقون اي ساعة ما فكيف بما فوق الذوق فيها اي النار خاصة وكانه اشار بتمييزها الى تمييز يوم في دار
اخرى الزمهرير بردا اي روحا وراحة تنفعهم من الحر ومطلق برد ولا شرابا من ماء او غيره يغنيهم من العطش على حال
من الاحوال الا حال كون ذلك الشراب حميما اي ماء حارا يشوي الوجوه قد انتهى حره حال كون ذلك الشراب
مع حرارته او البرد وغساقا اي عصارة اهل النار من القيح والصديد البارد المنتن فالاستثناء على هذا من نوع الحميم
من الشراب والغساق من البرد فالحميم شرابه في دولة الزمهرير ولما حكم عليهم بهذا العذاب الذي لا يطاق ذكر
حكمته فقال انه جزاهم بذلك جزاء وفاقا اي ذا وفاق لاعمالهم لانهم كانوا باخذون اموال الناس يحرقون صدورهم
عليها ويبردون بها الشراب ويصفونه ويحرقونه فهم يحرقون الان بعصارة غيرهم المنتنة وكانهم نعيا للاحقاب
ان جعلت منقضية يبدلون بعد ذا با غير الحميم والغساق ثم علل عذابهم بقوله مؤكدا لانتهائها على ان الحساب من
الوضوح بحالة يصدق به كل احد فلا يكاد يصدق ان احدا يكذب به فلا يجوزه فقال انهم كانوا اي بما هو لهم
كالجبلة التي لا تنفك عنه لذلك فهم يفسدون القوى العلمية بانهم لا يرجون اي في حال من الاحوال ولو راوا كل اية
حسابا فهم لا يعملون لغير الشهوات فوافق هذا الخلود ثم في النار وعبر عن تكذيبهم بنفي الرجاء لانه ابلغ وذلك ان
الانسان يطمع في الخير بادنى احتمال ولما دل انتفاء رجائهم على تكذيبهم المفسد للقوة العلمية صرح به على
وجه اعم فقال وكذبوا باياتنا اي على ما لها من العظمة الدالة انها من عندنا كذابا اي تكذيبا هو في غاية المبالغة بحيث
لو سمعوا الذي للكذب ما كذبوا به كما كذب بها فكان تجريعهم لما لا يصح ان يشرب به احد وان جرع منه شيئا مات في
الحال من غير موت جزاء لهم على تكذيبهم بالخوارق التي يجرعونها الصادقين من انواع الخرق وقرئ بالتخفيف للدلالة على انهم كذبوا في
تكذيبهم ولما كان التقدير فكل شيء جعلناه له وزنا عطف عليه قوله وكل شيء اي مطلقا من اعمالهم وغيرها او مما لهم
عليه الحساب احصيناه ولما كان الاحصاء موافقا للكتابة في الضبط الذي يعلمه بها فقال كتابا ولا حاجة ان يترك
شيئا من الاشياء بغير جزاء ويمكن تنزيل الاية على الاحتمال وهو احسن دل تعقيل الاحصاء على حذف مصدره واثبات مصدر
كتب عليه اي احصيناه احصاء وكتبناه كتابا وذلك الاحصاء والكتب لعدم الظلم ولما ذكر عذابهم ووجه
موافقته جزاءهم سبب عن تكذيبهم ما يقال لهم بلسان الحال والمقال اهانة وزيادة في الخزي على طريق الالتفات المؤذن
لشدة الغضب وكمال القدرة فقال ويجوز ان يكون مسببا عن مقدر يعقد كذا ما يحول بجازيهم على كل شيء منه فالاقول لهم
الملائكة او لسان الحال فذوقوا اي من هذا العذاب في هذا الحال بسبب تكذيبكم بالحساب والكذب وفهم من الاستقبال
فلن نزيدكم اي بشيء من الاشياء في وقت من الاوقات ولما كان ذلكم ليس لها الا الجحيم كما ان الجنة ليس لها الا النعيم
فافهم بهذا الحصول شيء لهم غير العذاب بحال الا عذابا ذكر جزاء الكافرين واشعر اخره بكونه اجزاء ذكر جزاء المؤمنين
المخالفين لهم فقال مستانفا مؤكدا لتكذيب الكافرين به ان للمتقين اي الذين يجتنبون في الخوف المقتضي لاتخاذ الوقاية مما خاف
فوقوا انفسكم من سخط الله بما يرضيه من الاعمال والاقوال والاحوال مفازا اي فوزا وموضع فوز وزمان فوز
بالراحة الدائمة من جميع ما مضى ذكره للطاغين الذين هم اضدادهم وقد كشفوا انفسهم للعذاب بكل الكشف ثم فسره او ابدل
منه على حذف مضاف اي فوز حدائق اي بساتين فيها انواع الاشجار ذوات الثمار والرياحين ليجمع مع لذة المطعم لذة
البصر والشم احدقت بها الجدران وحوطت بها قال ابن جرير فان لم تكن حيطان محدقة بها لم تقل لها حديقة وخص
العنب لطيبها وشرفها وحسنها وما فيها من لذة الذوق وعبر عن اشجارها بثمرها اعلاما بانها لا توجد الا موفرة حملا
وان ثمرتها في حال منفعتها فقال واعنابا ولما ذكر المساكن النزهة الموفقة المبهجة ذكر ما يتمتع به وهو جامع لالذاذ
الحواس البصر واللمس والذوق فقال وكواعب اي نساء كعبت ثديهن اترابا اي على سن واحد ما مس جلد واحدة التراب
قبل الاخرى بل كن مولودات لكانت ولادتهن في ان واحد ولما ذكر النساء ذكر الملايم لعشرتهن فقال وكاسا اي
من الخمر التي لا مثل لها في لذة الذوق ظاهرا وباطنا واكمال السرور وانعاش القوى ولما كانت العادة جارية بان
الشراب الجيد يكون قليلا لدل على كثرته دليلا على جودته بقوله دهاقا اي ممتلئة ولما كانت مجالس الخمر في الدنيا

ممتلئة بما يتعقبها من اللغو والكذب لا عند من لا مروءة له فلا يبغضه القبيح قال نافيا عنها ما يكدر لذة السمع لا يسمعون فيها اي الجنة
في وقت ما لغوا اي لفظا يستحق ان يلغى لانه ليس له معنى اعم من ان يكون مهملا ليس له معنى اصلا او مستعملا ليس له معنى موجود في الخارج وان
قل او له معنى ولكنه لا يترتب عليه كبير فائدة ولما انتفى الكذب بهذه الطريقة كان التكذيب ادنى للكذب نفاه بقوله
ولا كذابا فان هذه الصيغة تدل على التكذيب ومطلق الكذب فصار المعنى ولا اذى بمعارضة في القول مع موافقة قراءة الكسائي
بالتخفيف فان معناها كذبا او مكاذبة وشدد في قراءة الجماعة لرشاقة اللفظ وموازنة اعنابا واترابا مع الاصابة لحاق
المعنى من غير ادنى جور عن القصد ولا تكلف بوجه ولما كان العطاء اذا كان على المعارضة كان اطيب لنفس الاخذ قال
جزاء وبين انه ما جعله جزاء لهم الا اكراما للنبي صلى الله عليه وسلم فانه سبحانه لا يجب عليه لاحد شيء لا احد لا يمكنه
ان يوفي شكر نعمة من نعمه فان عمله من نعمه فقال من ربك المحسن اليك باكرام امتك بانواع الاكرام وفي عطاء اشارة الى ذلك
وهو بدل من جزاء حسابا اي على قدر الكفاية وان تعلل الانسان بهم ما فعل وحسب جميع انواع الحساب من توهم اعطاه
فاحسبه اذا بالغ عليه العطاء واكثره حتى جاوز العد وقال جني لا يمكن ان يحتاج مع هذا العطاء ان زاد في الانفاق واختير
التعبير به دون كافيا مثلا لانه اوقع في النفس فانه تعالى اذا كان بهذا الحساب فما الظن بالثواب ولما ذكر سبحانه سعة
فضله وصف نفسه الاقدس بما يدل على عظمته زيادة في شرف المخاطب صلى الله عليه وسلم لان عظمة العبد على حسب عظمة السيد
فقال مبدلا على قراءة الجماعة وقاطعا بالرفع على المدح عند الحجازيين وابي عمرو رب السموات والارض اي مبدعهما
ومدبرهما ومالكهما وما بينهما ملكا وملكا ولما شمل ذلك العرش وما دونه علل بقوله الرحمن اي الذي له الانعام
العام الذي ادناه الايجاد وليس ذلك لاحد غيره فان الكل داخل في ملكه وملكه ولذلك قال الاعلى الجبروت بعد صفة الرحمة
لا يملكون اي اهل السموات والارض ومن بين ذلك اصلا وايما من وقت من الاوقات في الدنيا والاخرة لا في يوم بعينه منه
اي العام النعمة خاصة خطابا اي ان يخاطبوه او يخاطبوا غيره بكلمة فما فوقها في امر من امورهم في غاية الاهتمام به بما افاده التعبير
بالخطاب فكيف بما دونه واذا لم يملكوا ذلك منه فمن والكل في ملكه وملكه وعدم ملكهم لان يخاطبهم مفهوم موافقة والحاصل
انهم لا يقدرون على خطاب ما من ذوات نفسهم كما هو شان المالك واما غيره فقد يملكون ان يكرهوه على خطابهم وان خاطبوه
بغير اذن من ذلك العبد ولا رضي من غير تملك منه لانه لا ملك له واذا كان هذا في الخطاب فما ظنك بمن يدعي الوصال بالاتحاد
عليهم اللعنة ولهم سوء المآب ما اجراهم على الاتحاد قال الاستاذ ابو القاسم القشيري كيف يكون للمكون المخلوق والفقير
المسكين مكنة يملك منه خطابا او يتنفس نفسا كلا بل هو الله الواحد الجبار ولما كان هذا ربما افهم سد باب الشفاعة
عنه سبحانه وكان الكلام ربما يقسم من الروح وكان الملائكة اقرب الى الروح اكد هذا المعنى من ملا ما قد يتوهمه
في الشفاعة سواء قلنا ان الروح هنا جنس او لا فقال ذاكرا ظرف لا يملكون يوم يقوم الروح اي هذا الجنس او خلق من خلق
الله عظيم الشان جدا قيل هو الموكل بالارواح او جبريل عليه السلام او القرآن المشار اليه بمثل قوله تعالى ينزل الملائكة
بالروح من امره وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قاله ابن زيد والملائكة اي كلهم ونبه بالاصطفاف على شدة الامر
فقال صفا لقاء اما في ذلك اليوم من شدة الاهوال وحفظ الثقلين وهم في وسط دائرة صفهم من الموج والاضطراب
لعظم ما هم فيه ثم زاد الامر عظما بان اكد العامل في يوم فقال لا يتكلمون اي من تقدم كلهم بان جمعهم فيه تكلمه واحدة
مطلق كلام خطابا كان اي في امر عظيم او لا الا له لغيره ولا سبحانه ولا لغيره اصلا ولا احد منهم ويجوز ان يكون هذا
خاصا بالخواص فيكون الضمير لهم فعبر بطريق الا من اذن له اي في الكلام اذنا خاصا الرحمن اي الملك الذي لا يكون
نعمة الا منه وقال صوابا فان لم يحصل الامران لم يقع الكلام من احد منهم اصلا وهذا كالدليل على انه الخطاب لانه
اذا كان الروح والقريب منه بهذه المثابة في حال كل من حضره كان احوج ما يكون الى الكلام فما الظن بغيرهم وهم
في غير ذلك بطريق الاولى وغيرهم فيه وفي غيره من باب الاولى واما في الدنيا فانه وان كان لا يتكلم احد الا باذنه
لكنه قد يتكلم بالخطا ولما عظم ذلك اليوم بالسكوت خوفا من ذي الجبروت وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع
الا همسا اشار اليه بما يستحقه زيادة في عظمته فقال ذلك اي المشار اليه لبعد مكانته وعظم رتبته وعلو منزلته
اليوم الحق اي في اليومية لكونه ثابتا في نفسه فلا بد من كونه ولا زوال له ثبوتا لا مرية فيه لعاقل وثابتا
كل ما اثبته وباطلا كل ما نفاه ولما قرر من عظمته ما يعجز عن ان يقدر مثله وكان قد خلق القوى والعدد
والعقل بالاختيار فكان من حق كل عاقل تحري ما ينجيه منه سبب عن ذلك تنبيها على الخلاص منه وحثا عليه قوله
فمن شاء اي الاتخاذ من المكلفين الذين اذن لهم اتخذ اي بغاية جهده الى ربه اي خالقه نفسه المحسن اليه او رب
ذلك اليوم باستعمال قواه التي اعطاه الله اياها في الاعمال الصالحة مآبا اي مرجعا هو المرجع مما حصل اليه فيه
الثواب بالايمان والطاعة فان الله جعل لهم قوة واختيارا ولكن لا يقدر احد منهم على مشيئة شيء الا بمشيئة الله

قدم في هذه السورة من شرح النبأ وما قدم من الحكم والمواعظ واللطائف والوعد والوعيد لخصه في قوله
مؤكدا لما لهم من التكذيب إنا على ما لنا من العظمة أنذرناكم أي أيتها الأمة وخصوصا العرب بما مضى من هذه السورة وغيرها عذابا
ولما حذر منه عين وقته مشددا لتهويله فقال يوم ينظر المرء أي جنسه الصالح منه والطالح نظرا لا مرية فيه
ما أي الذي قدمت يداه أي كسبه في الدنيا من خير وشر وعبر بهما لأنه محل القدرة فكنى بهما عنها مع أن أكثر ما يعمل كان بهما مستعلن
به أو مشاركتين فيه خيرا كان أو شرا ولما كان التقدير فيقول المؤمن يا ليتني قمت قبل هذا عطف عليه قوله ويقول الكافر
أي العريق في الكفر عند ما يرى من تلك الأهوال متمنيا محالا يا ليتني كنت أي كونا لا بد منه ولا انفكاك ترابا أي في الدنيا
فلم أخلق ولم أكلف أو في هذا اليوم فلم أعذب والمراد به الجنس وإبليس الذي تكبر عن السجود لآدم عليه السلام المخلوق من التراب
وعظم نفسه بالحسد والافتخار بكونه مخلوقا من نار يقول ذلك عندما يرى ما لآدم عليه السلام والخواص من بنيه من الكرامة
وعن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم أن الله تعالى يقبض يوم البعث البهائم فيقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها كوني ترابا فيكون فيتمنى
الكافر مثل ذلك فقد علم أن ذلك اليوم في غاية العظمة وأنه لا بد من كونه فعلم أن التساؤل عنه للتعجب من كونه من أعظم الجهل
فرجع آخرها إلى أولها والتفت مفصلها أي انعطاف على موصلها واتصل مع ذلك بما بعدها أي اتصال فإن المشرف بالنزع
على الموت يرى كثيرا من الأهوال والزلازل والأوجال التي يتمنى لأجلها أنه كان منقطعا عن الدنيا ليس له بها وصال يوما
من الأيام ولا ليلة من الليالي

سورة النازعات وتسمى الساهرة والطامة ومقصودها

بيان آخر أمر الإنسان
بالإقسام على بعث الأنام ووقوع القيام يوم الزحام وزلل الأقدام بعد البيان التام فيما مضى من هذه السور العظام
تنبيها على أنه وصل الأمر في الظهور إلى مقام ليس بعده مقام وصور ذلك بنزع الأرواح بأيدي الملائكة الكرام ثم أمر
فرعون اللعين وموسى عليه السلام واسمها النازعات واضح في ذلك المرام إذا تؤمل القسم وجوابه المعلوم للأئمة الأعلام
وكذا الساهرة والطامة إذا تؤمل السياق وحصل التدبر في تقرير الوفاق بسم الله الظاهر الباطن الملك العلام الرحمن
الذي عم بالإنعام الرحيم الذي خص أهل ولايته بالتمام فاختصوا بالإكرام في دار السلام ولما ذكر سبحانه يوم يقوم
الروح ويتمنى الكافر العدم أقسم أول هذه بنزع الأرواح على الوجه الذي ذكره بأيدي الملائكة عليهم السلام على ما ينشأ عنه
من البعث وساقه على وجه التأكيد بالقسم لأنهم به مكذبون فقال والنازعات أي من الملائكة كما قال علي وابن عباس رضي الله
عنهم للأرواح والأنفس من مراكزها في السموات امتثالا للأوامر الإلهية غرقا أي إغراقا بقوة شديدة تغلغلا إلى أقصى
المراد من كل شيء من البدن حتى الشعر والظفر والعظم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ أقصى المد وكان ذلك لنفوس الكفار
والعصاة كما ينزع السفود وهو الحديدة المتشعبة المتعاكسة الشعب من الصوف المبلول وعمم ابن جرير كما هي عادته
في كل ما يحتمله اللفظ فقال والصواب أن يقال إن الله تعالى لم يخصص نازعة دون نازعة فكل نازعة داخلة في قسمه للاعتبار بما آتاها الله
من القدرة على ذلك النزع الدال على تمام الحكمة والاقتدار على ما يريد سبحانه ولما ذكر الشدة مبتدئا بها لأنه أهول
أتبعه الرفق فقال والناشطات أي المخرجات برفق للأرواح أو لأجنحتها نشطا أي رفيقا وإن كان لا بد من انفكاك الروح
والجسد تعلقا كما ينشط الشيء من العقال أي يحل من عروة كانت عقدت على هيئة الأنشوطة انتهى والنشط أيضا قال الفراء
أنه سمع العرب يقولون نشطت العقال إذا حللته وأنشطته إذا عقدته بأنشوطة انتهى والنشط أيضا الجذب والنزع يقال
نشط الدلو نشطا إذا نزعها وقال الخليل النشط والإنشاط مدك الشيء إلى نفسك حتى ينحل وكأن معناه الأرواح أهل الطاعة
وكذلك نزع النبات والإنسان والأنعام وكل ما يراد نزعه ونشطه فالذي قدر بعض عبيده على هذا الذي فيه تمييز الأرواح من
غيرها على ما لها من اللطافة وشدة الممازجة قادر على تمييز جسد كل ذي روح من جسد غيره بعد أن صار كل منهما ترابا واختلط
بتراب الآخر ولما ذكر نوعي السل بالشدة والرفق ذكر فعلها في قبالها له ورجوعها عنه فقال والسابحات أي من الملائكة
أيضا في الجو تعدو للطيران إلى ما أمرهم الله به من الأوامر من الروح أو غيرها سبحا هو في غاية السرعة لأنه لا عائق
لها بل يدا أقدرها الله على النفوذ في كل شيء كما أقدر السابح في الماء والهواء ولذلك نسق عليه بالفاء قوله فالسابقات أي بعد
السبح في الطيران إلى ما أمروا به من عين الأرواح في النعيم أو الجحيم أو غير ذلك مما أمروا به في أسرع من اللمح مع الذل
والعجلة لجميع ما يقع بحاولته سبقا ولما بان بذلك حسن امتثالها للأوامر بأنه عظيم نظرها في العواقب فدل
على ذلك بالفاء في قوله فالمدبرات أمرا أي الناظرات في أدبار الأمور وعواقبها لإتقان ما أمروا به في الأرواح وغيرها
أمرا أي عظيما ويصح أن يكون ذلك الشمس والقمر والكواكب والرياح والخيل السابحة في الأرض والجو لمنفعة
العباد وتدبير أمورهم وبعضها سابق لبعض وبه قال بعض المفسرين والجواب محذوف إشارة إلى أنه من ظهور العلم
به بدلالة ما قبله وما بعده عليه في محل لا مزيد عليه فهو بحيث لا يحتاج إلى ذكر فحذفه كإثباته بالبرهان فيقدر
لتبعثن بعد الدنيا التي أنتم بها مغترون لننزعنا لها من محالها ولتقطع أوصالها فإن كل ما تقدم من أعمال الملائكة هو

من مقدمات ذلك تكذيبا لقول الكفار ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر المشار إليه بتسلطهم عليها
لأنه على وجه الاستهزاء والتكذيب ولتعرفوا أن الساعة آتية وأنكم تبعثون بعد الموت وأنها هذه الدار ثم للمجازاة بما عملتم من
أسباب موجودة مهيأة بين أظهركم دبرناها وأوجدناها حين أوجدنا هذه الحياة الدنيا وأنتم لا ترونها كما أن هذه
الأمور التي أخبرناكم بها في نزع الأرواح والنبات والمنافع موجودة بين أظهركم والميت ربما يكون منكم وهي تعمل
أعمالها والمحتضر أشد ما يكون صوتا وأعظم حركة إذ هو قد خفت وهمد بعد ذلك الأمر وسكت وامتدت أعضاؤه ومات وذهب
عنكم قهرا وفات الذي فات كأنه قط ما كان ولا تقلب في زمن من الأزمان بتلك الأسباب التي تعمل أعمالها ونجد حالها ونرى
آثارها ولعلي أهوالها وأحوالها وأنتم لا ترونها فيا لله للعجب لا يرد كم ذلك على كثرته عن أن تستبعد وأعلى قدرته بتمييز تراب
جسد من تراب جسد آخر وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير ولما وضحت سورة النبأ بحال الكافر في قوله يا ليتني
كنت ترابا عند نظره ما قدمت يداه ومعاينته من العذاب عظيم ما يراه وبعد ذكر تفصيل أحوال وأهوال أتبع
ذلك بما قد كان حاله عليه في دنياه من استبعاد دعوته في أخراه وذكر قرب ذلك عليه سبحانه كما قال في الموضع الآخر
وهو أهون عليه وذلك بالنظر إلينا ولما عهدناه وإلا فليس عنده سبحانه شيء أهون من شيء إنما أمره إذا أراد شيئا أن
يقول له كن فيكون فقال تعالى والنازعات غرقا إلى قوله يقولون أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة
يستبعدون ذلك ويستندون فقوله فإنما هي زجرة واحدة أي صيحة فإذا هم بالساهرة أي الأرض قياما ينظرون وما قدروا
الله حق قدره ويستطيلون أن لو كانوا ترابا ولا يبعثهم ذلك ثم ذكر تعالى من قصة فرعون وطغيانه ما ناسب الحال في قصد
الإيقاظ والاعتبار ولهذا أتبع القصة بقوله سبحانه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى انتهى ولما أقسم على القيام
بتلك الأفعال العظام التي ما أقدر أهلها عليها إلا الملك العلام ذكر ما يكون فيه من الأعلام تهويلا لأمر الساعة
لأن النفوس بالمحسوسات مراعاة فالغائب عندها منسية مضاعة فقال ناصبا الظرف بدلالة المحذوف لأنه
لشدة وضوحه كالملفوظ يوم ترجف أي تضطرب اضطرابا كبيرا مزعجا الراجفة أي الصيحة وهي النفخة الأولى التي
هي بحيث تبلغ من شدة ارتجافها القلوب وجميع الأشياء الساكنة من الأرض والجبال إلى نزع النفوس من جميع أهل الأرض
مبلغا تستحق به أن توصف بالعراقة في الرجف قال البغوي وأصل الرجفة الصوت والحركة ولما ذكر الصيحة
الأولى أتبعها الثانية حالا منها دلالة على قربها قربا معنويا لتحقق الوقوع ولأن ذلك كله في حكم يوم واحد فتصح معنى الحال
وإن تعدد منه من زمن صاحبه فقال تتبعها الرادفة الصيحة التابعة لها التي يقوم بها جميع الأموات وتجمع الرفات
وتضطرب من هولها الأرض والسموات وتدك الجبال وتعظم الزلزال ويكون عنها التسيير بعد المصير إلى الكثيب المسيل
وعود ذلك من الأمر الشديد بالطويل قال حمزة الكرماني روى السدي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس إذا ماتوا
في النفخة الأولى أمطر عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحياة فينبتون منه كما ينبت الزرع من الماء حتى إذا استكملت
أجسادهم نفخ فيها الروح ثم تلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم ثم نفخ في الصور ثانية فيجلسوا وهم يجدون طعم النوم
في رؤوسهم وأعينهم ولما ذكر البعث ذكر حال المكذب به لأن السياق له فقال مبتدئا بالنكرة موصوفة قلوب
يومئذ أي إذ قام الخلائق بالصيحة التابعة للأولى واجفة أي شديدة الاضطراب في أجوافها خوفا تكاد تخرج
منها من شدة الواجف ولما وصفها بالاضطراب وكان قد يخفى سببه لكونه قد يكون عند السرور العظيم
كما قد يكون عند الوجل الشديد أخبر عنه بما يحقق معناه فقال أبصارها أي أبصار أصحابها فهو من الاستخدام
خاشعة أي ذليلة ظاهر عليها الذل واضطراب القلوب من سوء الحال ولذلك أضافها إليها ولما وصفها
بالاضطراب والذل علله ليعرف منه أن من يقول بصدقه ولم يكون له صدق وصفهم من الثبات والسكون والعز الظاهر
فقال يقولون أي في الدنيا قولا تجدد دونه كل وقت من غير خوف ولا استحياء استهزاء وإنكارا أئنا لمردودون
أي بعد الموت ممن يتصف بردنا كأننا من كان في الحافرة أي في الحياة التي كانا فيها قبل الموت وهي حالتنا الأولى من قولهم
رجع فلان في حافرته أي طريقته التي جاء فيها فحفرها أي أثر فيها بمشيته كما تؤثر الأقدام والحوافر في الطرق الطرق
على المفعول له فاعله مبالغة وذلك حقيقته ثم قال لمن كان في أمر فخرج منه ثم رجع إليه رجع إلى حافرته وقيل الحافرة
الأرض التي هي محل الحوافر ولما وصف قولهم بهذا الإنكار الذي ينبغي لصاحبه أن يذوب خجلا إذا وقع
منه مرة واحدة وأشار إلى شدة وقاحتهم بتكريرهم له على وجه ما أشار إلى العلة الحاملة
لهم على قوله وهو قولهم أئذا كنا أي كونا صار جبلة لنا عظاما نخرة أي هي في غاية الانكسار حتى تفتت فكان الإنكار
وهو البلى والتمزق والتفتت كأنه طبع لها طبعت عليه وهي أصلب ما في البدن فكيف بما عداها من الجسم وعلى قراءة ناخرة
المعنى بها خلاء فيها فصار الهواء ينخر فيها أي يصوت ولما كان العامل في إذا معنى أنكر نحو أن يقال نرد عند

ذلك في حالتنا الاولى وتقوم كما كان دل على هذا المحذوف قوله تعالى عنهم قالوا اى مرة من المرات تلك اى الرده الى الحالة الاولى العجيبة
جدا البعيدة من العقل في زعمهم اذا اى اذ ردنا الى حياتنا الاولى لاشئ لنا كما ولدنا وننفقد كل ما سعينا في تحصيله وجمعه وباسله كرة اى رجعة
واعادة وعطفة خاسرة اى ذات لشدة خسار تشاهما بما فقدنا مما حصلناه من الجاه والمال وصالح الحلال عرنفه في الخسران حتى كانما
هى الخاسرة ولعله عبر بالماضى لانهم ما سمحوا بهذا القول لامره من الدهر واما اغلب قولهم فكان انهم يكونون على تقدير البعث اسعد من
المومنين على قياس ما هم عليه في الدنيا ونحو هذا من الكذب على الله ولما كان البعث برغم والله لا تردنا هو لا اما هذا الذى
تقولونه كلا استبعاد منكم لما انتم معترون لتسهوا انه لو عقلتم اما من جهة القدرة فلان الابتدا اصعب من الاعادة وانتم
معترون بالابتدا ولان الاستبعاد ان كان من جهة وقوع الظن بان من صار ترابا يصير عوده محالا من جهة تعذر تمييز ترابه
من تراب غيره فتمييز النازع والناشط من الملئكة للروح من الجسد اصعب من ذلك بكثير وكذا غير هذا كما تدبر الملئكة
من الامور فكيف يصعب على ربهم سبحانه شئ يسهل مثله عليهم واما من جهة العوائد فلان حال الابداع رعية له بغير حساب
اصلا واما من جهة الوعد فقد تقدم به وليس من شيم الكرام فضلا عن الملوك اخلاف الوعد ولا اقرار الظلم فلا تكذبوا بها
ولا تستصعبوها فانا مسببا عن ذلك هذا المقدر مهددا لاصحاب الشبهة المقلدين فانما هى اى البعثة زجرة اى صيحة بانتهار تتضمن
الامر بالقيام والسوق الى المحشر والمنع من التخلف واحدة عبر بالزجر وهو اشد من النهى لانه يكون لمعرض لانها صيحة لا يتخلف
عنها القيام اصلا فكان كان لسان الحال قال عن تلك الصيحة ايها الاجساد البالية انتهى عن الرقاد وقومى الى المعاد فما
حكينا من المعاد فقد انتهى زمان الحصاد وآن اوان الاجتنا لما قدم من الزاد فيا ويل من لم يكن له زاد فاذا هم اى فتسبب عن هذه
النفخة وهى الثانية انهم فاجاوا بغاية السرعة كونهم احياء قائمين بالساهرة اى على ظهر الارض البيضا المستوية الواسعة
التى يجددها الله للجزاء فتكون لسعتها كانها قد ابتلعتهم على كثرتهم التى يفوت العدو بها على الحد سميت بذلك لان السراب
يجرى فيها من الساهرة وهى العين الجارية ولان سالكها يسهر خوفا كما ان النوم يكون امنه اولان هذه الارض بالخصوص
لا نوم فيها مع طول الوقوف وتقلب الصروف والوجيبة للجوف ولما كان قصة موسى عليه السلام مع القبط اشد شى
بالبعثة لما حصل فيها من التقلبات والتغيرات واتحاد المعد وما ت من الجراد والقمل والضفادع على تلك الهيئات الخارجة
عن العادات في اسرع وقت وقهر الجبابرة والمن على الضعفا حتى كان اخر ذلك ان حشر بنى اسرائيل فنشطهم من القبط انشاطا نقيا
كلهم مع دوابهم وجميع ما لهم الذى بهم وحشر جميع القبط ورائهم فنزعهم نزعا كلهم بحشر فرعون لهم باصوات المنادين عنه في اسرع
وقت واليسر امرا الى هلاكهم كما تحشر الاموات بعد احيائهم بالصيحة الى الساهرة ثم كانت العاقبة في الطائفتين مما للمدعى اى
امر ان نجا بنو اسرائيل بالبحر كما ينجو يوم البعث المؤمنون بالصراط وهلك فرعون واله به كما يتساقط الكافرون بالصراط
وذلك انه راى فرعون وجنوده البحر قد انفلق لبنى اسرائيل فلم يعتبر واذا لك ثم دخلوا فيه وراءهم ولم يجوزوا ان الذى
حسره على مكانه قادر على ان يعيده كما ابداه فيغرقهم واستمروا في عماهم حتى رده الله فاغرقهم به كما ان من يكذب بالبعث
راى بدء الله له ولغيره ولا بناه بعد ابدائه ثم انه لم يجوز ان يعيده كما بداه اول مرة وصل بذلك قوله تعالى جوابا
لمن يقول هل لذلك من دليل مخاطبا لاشرف الخلق اشارة الى انه لا يعتبر هذا حق اعتباره الا انت مستفهما عن الاتيان
للتنبيه والحث على جمع النفس على التامل والتدبر والاعتبار معبرا او مسليا له صلى الله عليه وسلم ومهددا للمكذبين
ان يكون حالهم وهم اضعف اهل الارض لانه لا ملك لهم كحال فرعون في هذا وقد كان اقوى اهل الارض بما كان له من الملك
وكثرة الجنود وقوتهم وسحرهم ومردتهم في خداعهم ومكرهم وراى من الايات ما لم يره احد قبله فلما اصر على
التكذيب ولم يرجع ولم افاده النادى بل غرقه الله واله فلم يبق منهم احد وقد كانوا لا يحصون عددا حتى انه قيل ان
طليعته كانت على عدد بنى اسرائيل ستمائة الف هل اتاك اى يا اعلم الخلق حديث موسى اى مما كان من امره الذى حددناه
لمن ردنا فيكون لك فيه لك في التسلية ولقومك في الحث على التصديق والتنبيه على الاعتبار والتهديد على
التكذيب والاصرار اذ اى حين ناداه ربه اى المحسن اليه باجاده وتقريبه وتدبيره امر رسالته وبعده بالوادى
المقدس اى المطهر غاية الطهر بتشريف الله له بانزال النبوة المفيضة له بالبركات ثم بينه بقوله طوى وهو الذى
طوى فيه الشر عن بنى اسرائيل ومن اراد الله من خلقه ونشر بركات النبوة على جميع اهل الارض المسلم باسلامه وغيره
برفع عذاب الاستيصال عنه فان العلماء قالوا ان عذاب الاستيصال ارتفع حين انزلت التوراة وهو واد بالطور بين
ايله ومصر ولما ذكر المناداة فسرها بقوله مستانفا مبينا لاصحاب الشهوة المعجبين المتكبرين
وقد ارشد السياق الى التقدير ناداه قائلا اذهب الى فرعون اى ملك مصر الذى كان قد استعبد بنى اسرائيل
ثم خوف من واحد منهم فصار يذبح ابناءهم خوفا منه وهو انت فرسنا لك في بيته لهلاكه حتى يعلم انه لا مفر من قدرتنا
فكنت اعز بنى اسرائيل وكان سبب هلاكه معه في بيته يرى منه ويسمع وهو لا يشعر بذلك ثم قتلت منهم نفسا وخرجت

وخرجت من بلدهم خائفا يترقب ولما امر بالذهاب اليه علله بما يستلزم اهلاكه على يديه عليه السلام اشارة له بالبشارة
بانه لا يسلط عليه وبذلك اكده لان مثل ذلك امر تقتضى طبع البشر التوقف فيه فقال انه طغى اى الحد وجاوز الحد فاستحق
المقابلة بالحد ثم سبب عن الذهاب اليه قوله فقل اى له تفصيلا لبعض ما تقدم في طه من لين القول ولطف الاستدعا في الخطاب
هل لك اى ميل وحاجة الى ان تزكى اى تتحلى بالفضائل وتتطهر من الرذائل ولو بادنى انواع التزكى الطهارة الباطنة الموجبة
للنما والكثرة واشار ما الادغام الى انه يبتدى اليه اسقاط التفعل المقتضى للتخفيف وذلك بالادعان المقتضى للايمان وارسال
بنى اسرائيل وقرا الحجازيان ويعقوب بالتشديد اى تزكية بليغة لان من دخل في التزكى جليا بدكامل الاستسهابنى من اول
العزم اوشك ان يبلغ الغاية في الزكا ولما اشار له الى الطهارة عن الشرك اتبعها الاعمال فقال واهديك
اى ابين لك بعد التزكية بالايمان الذى هو الاساس كيف المسير الى ربك اى الموحد لك المحسن اليك بتعريفك ما ير
من الاعمال وما يغضبه من الخصال لتعد ان يبلغك في الدنيا غاية الامال فتخشى اى بسبب عن ذلك انك تصير بعمل اعمال
من يخاف من عذابه خوفا عظيما فتؤدى الواجبات وتترك المحرمات وسائر المنهيات فتصير الى اعلى درجات التزكية
فتسلك الاخرة الى الملك الدنيا لان الخشية هى الحاملة على كل خير والامن هو الحامل على الشر ولما كان التقدير
فذهب اليه كما امر الله تعالى فقال له ذلك فطلب الدليل على صحة الرسالة واستبعد ان يخص عنه بعلوه وقدرناه ولذا
فاراه اى فتسبب عن طلبه له انه دل على صدقه بان اراه الاية اى العلامة الدالة على ذلك الكبرى وهى قلب العصى حية
او جميع معجزاته فكذب اى تسبب عن رؤيته ذلك انه اوقع التكذيب بشئ انما يقتضى التصديق وعصى اى اوقع العصيان وهو
الاباء الكبير ما دعى اليه مجموعا الى التكذيب بعد اقامة الدليل على الصدق وتحقيقه الامر ولما كان التمادى على
التكذيب ممن عرف الحق ولا سيما اذا كان كبيرا مستبعدا جدا اشار اليه باداة التراخى مع دلالتها على حقيقة التراخى
ايضا فقال ثم ادبر اى فرعون بعد المهلة والاناة ادبارا عظيما بالتمادى على اعظم مما كان فيه من الطغيان بعد خطوب
جليلة ومشاهد طويلة حال كونه يسعى اى يعمل بغاية جهده عمل من هو مسرع غاية الاسراع في ابطال الامر الربانى
بتلة عقله ونشادر رايه وابى ان يعمل الحق فحشر اى فتسبب عن ادباره ساعيا وتعقبه انه جمع السحرة طوعا وكرها
وجنوده فنادى اى في المجامع فقال اى بنفسه او بمن ينادى عنه فكان قوله كقوله انا وقال حمزة الكرمانى
قال له موسى عليه السلام ان ردى رسلى اليك لتؤمن بربك يكون لك اربعمائة سنة في السرور والنعيم ثم تموت
فتدخل الجنة فقال حتى استشير هامان فاستشاره فقال اتصير عبدا بعد ما كنت ربا تعبد فعند ذلك بعث الشرط
وجمع السحرة والجنود فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال انا ربكم الاعلى فكان هذا نداءه يعنى كلكم ارباب
بعضكم فوق بعض وانا اعلاكم ولا رب فوقى اضلاه وذلك لان الاله عنده الطبيعة وهى منقسمة في الموجودات فهم كلهم
ارباب ومن كان اعلى كان فيه في المراد وهو كان اعلى منهم فقبحه الله ولعنه ولعن من يذهب بمذهبه كابن عربى
وابن الفارض واتباعهما حيث نكروا الواحد الجبار الملك القهار ورسوله المصطفى المختار وسعوا في وحدة الوجود
بعض الفلاسفة ثم الحلاج بعد فرعون بهذا الذى لم يصرح الله بذم احد ما صرح بذمه ولم يصرح بشقاء احد ما صرح
بشقائه بهذه الاية فانها مصرحة بوقوع نكاله في الاخرة كما وقع في الدنيا وقوله تعالى واخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين الى غير ذلك من الايات البينات وهى كثيرة واعظمها التى
الكبرى الانتاج وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وان المسرفين هم اصحاب النار ويروى ان ابليس
لما سمع منه قوله هذا قال انا تجبرت على ادم فلعنت ما لعنت وهذا يقول هذا وهذا ادعاء الالهية الكبر الناشى من
فتنة السرا التى الصبر فيها اعظم من الصبر في الضرا وقال الامام الغزالى في كتاب الصبر من الاحياء والصبر على
الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهى الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من
نفس الا وهى مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد مجالا وقبولا فاظهر اذ
استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا
فان امتعاضه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته لا يصدر الا من اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء
الكبريا انتهى ويرويك ان النبى صلى الله عليه وسلم ما لام خادمه في شئ قط والله الموفق
سبحانه عنه بهذه الكلمة الشنعا الفارحة في الملك وكان الملوك لا يحتملون ذلك بوجه سبب عنها وعقب
قوله فاخذه الله اى الملك الذى لا كفؤ له ولا امر لاحد معه اخذ قهر وذل منكلا به نكال الاخرة فهو مصدر
من المعنى اى اخذ تنكيل فيها تكون مثلا يتقيد به كل من سمعه عن مثل حال فرعون وقدمها اهمها ما بها واشارة الى ك

عظيم عذابهما اعظم ولابد وقه الانسان لابكشف غطاء الدنيا بالموت وتنبيهما على ان المنع من مثل هذه الدعوى للصدق مما امكن وليس والله
للفاصلة لانه لو قيل الاخرى لوافقت والاولى اى ونكال الدنيا التي هي قبل الاخرة فان من سمع قصة عرفه ومجموع ما اتفق له كان له ذلك
نكالا مانعا من عمل مثله قال الضحاك اما في الدنيا فاغرقه الله والقاه بنحوه من الارض واما في العقبى فيدخله النار وجعله طابعا
على اهلها مغلولا ممقتا ينادى عليه هذا الذي ادعى الربوبية دون الله انتهى وانا لا اشك ان الحلاج وابن عربي وابن الفارض واتباعهم
يكونوا في النار تحته وبحيث انه يشربون عصارتهم فانهم ادعوا انه ناج وصدقوه فيما ادعاه وادعوا لانفسهم وغيرهم مثل
ما ادعاه تكذيبا للقران واعرافا في العدوان وزادوا عليه باستحلال الاسم الاعظم الذي حماه الله من ان يدعيه احد قبل
ارسال النبي صلى الله عليه وسلم فادعوا انه يطلق عليهم وعلى كل احد بل كل شيء واما من هذه الطائفة الخبيثة التي لا تخلف انهم
لاحيانهم العن فرعونا الذي اجمع على بغضه جميع الطوائف وهو مثل عندهم في الشرارة والخبث فلا يلعنه وان لعنه فبعد توقف
(ولما) لخص ما مضى سبحانه في قصصه في هذه الكلمات اليسيرة احسن تلخيص واقربه مع عدم المخالفة لشيء مما مضى لان المفصل
موضع الاختصار اما باعتبار النزول فانه نزل اولا فكان تقريب القصص للناس بالاقتصار على ما لابد منه اولى لعسا ... اليه
واما من جهة الترتيب فلتذكيرهم بما مضى ليجتمع في المخيلة في اقرب وقت ويتذكر به ذلك المبسوط وحثهم باخذ هذا الاخر
الغريب رشدا الى ما في القصة من العبرة مشيرا الى استحضار ما مضى كله فقال مؤكدا تقريرا للمكذب ومنبها للمصدق ان في ذلك
اى الامر العظيم الذي فعله والذي فعل به لعبرة اى امرا عظيما متسعا للاعتبار به من معنى الى معنى حتى يقع بعد الوصول
الى كثير من المعارف لمن يخشى اى من شانه الخوف العظيم من الله لان الخشية كما تقدم راس الحزم فاولو العبور ان ينتقل السامع
حال عرض اليه فيتذكر بالحادث بنى اسرائيل على ضعفهم منهم على قوتهم ثم بقوة ما حصل لهم من الفهم من ذلك حتى وجب اتباعهم
بالجنود ثم بفرق البحر بايرادهم اياه ثم باغراقهم فيه كلمح البصر لم يخرج منهم مخبر فقدرة الله تعالى على ايراد الكفار النار وفيهم
كل جبار وبجعل العصى حية واخراج القمل والضفادع من الارض وتحويل الماء دما فقدرته سبحانه على الشامع بالعذاب وغيره وعلى
خصوص البعث لما في ذلك من العبرة (ولما) ختم قصته بالعبرة وكان اعظم عبرها القدرة التامة لاسيما على البعث
كما بين سببه باولها واخرها والعقوبة على التكذيب به لان التكذيب يجمع مجامع الشر والتصديق به يجمع مجامع الخير وكانوا استعدوه
لاستبعاد القدرة عليه وصل به ما هو كالنتيجة منه فقال مقررا مخاطبا لاصحاب الشبهة الشاكين موقفا لهم على القدرة منكرا
عليهم استبعادهم ذلك ملتفتا بعد تخصيص الخطاب به صلى الله عليه وسلم لما تقدم من دقة فهمه وجلالة علمه صلى الله عليه وسلم الى عموم
الخطاب بوضوح هذا البرهان لكل انسان استعطافا لهم في توبيخ أأنتم اى ايها الاحياء مع كونكم خلقا كثيرا ضعيفا اشد خلقا اى
اصعب واثقل من جهة التقدير والايجاد ام السماء على ما فيها من السعة والكبر والعلو والمنافع (ولما) كان الجواب قطعا
السماء لما يرى من عظمها لان العالم الانساني مختصر العالم الافاقي ويزيد الافاقي طول البقاء مع عدم التاثر وصل به قوله
دليلا على قدرته على البعث لقدرته على ما هو اشد منه لان الذي قدر على ابتداء الاكبر هو على اعادة الاصغر اقدر مبينا لكيفية
خلقه لها بناها اى جعلها سقفا للارض على ما لها من العظمة ثم بين البناء بقوله رفع سمكها اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وثخنها
الذاهب في العلو رفيعا قال في القاموس السمك السقف او من اعلى البيت الى اسفله او القامة من كل شيء وقال ابو حيان السمك
الارتفاع الذي بين سطح السماء الذي يلينا وسطحها الذي يلي ما فوقها فسواها اى عقبها عدلها عقب ذلك بان جعلها مستوية لا شيء فيها
اعلى من شيء ولا اخفض لا فطور فيها واصلحها بما تم به كمالها من الكواكب وغيرها وجعل مقدار ثخن كل سماء وما بين كل سماءين وثخن كل ارض
وما بين كل ارضين على السواء لا يزيد شيء من ذلك على الاخر اصلا (ولما) كان كل من ذلك يدل على القدرة على البعث لانه ايجاد
ما هو اشد من خلق الادمي من عدم اتبعه ما يتصور به البعث في كل يوم وليلة مرتين فقال واغطش اى اظلم اظلاما لا يهتدى
معه الى ما كان في حال الضياء ليلها بغياب شمسها فاخفى ضياءها بامتداد ظل الارض على كل ما كانت الشمس طرحت عليه واضافه
اليها لانه يحدث بحركاتها وسيرها لانه كان اولا والعدم قبل الوجود واخرج ضحاها بطلوع شمسها فاضاء نهارها والاية
من الاحتباك دل باغطش على اضاءة وباخراج الضحى على اخراج الضياء ولعله عبر بالضحى عن النهار لانه ازهر ما فيه واقوى
نورا (ولما) بدا بدلالة العالم العلوي لانه ادل لما فيه من العجائب والمنافع مع كونه اشرف فذكر انه اتقن السماء
التي هي كالذكر بانه سوى سماءها كالانثى فقال والارض (ولما) كان المراد استغراق الزمان باستمرار الدحو
حذف الخافض فقال بعد ذلك اى المذكور كله دحاها اى بسطها ومهدها للسكنى وبثة المنافع بعد ان كان خلقها واوجدها
قبل ايجاد السماء غير مسواة بالفعل ولا مدحوة (ولما) ذكر الدحو اتبعه ما استلزمه من المنافع لتوقف السكنى
المقصودة بالدحو عليه فقال كالمبين له من غير عاطف اخرج منها اى الارض ماءها بتفجير العيون واضافه اليها
دليلا على انه مودع فيها ومرعاها الذي يخرج بالماء والمراد ما يرعى منها ومكانه وزمانه (ولما) ذكر الارض ومنافعها
ذكر المراسى التي تم بها نفعها فقال والجبال اى خاصة ارساها اى اثبتها واقرها مع كونها ثابتة لا تحول فانه سبحانه

جعلها مراسى للارض تكون سببا لثباتها كما ان المراسى سبب لثبات السفينة (ولما) كانت الاعادة واضحة من تناول الحيوان
الماكل والمشرب وغيرهما من المتاع فانه كلما نقص منه شيء تناول له ما قدر ليعود ذلك او بعضه قال جامعا على انه كل يوم في اعادة
بانيا يوما حالا لا مما بعده من تعلق بره حال كونهما متاعا مقدرا لكم تتمتعون بما فيهما من المنافع ولانعامكم اى مواشيكم بالرعى
وغيره (ولما) ذكر ما دل على البعث تبعه ما يكون عن البعث مسببا عنه دلالة على ان الوجود ما خلق الا لاجل البعث
لانه محط الحكمة فاذا جاءت اى بعد الموت الطامة الكبرى اى الداهية الدهياء التي تطم اى تعلو على سائر الدواهي وتغطيها
فتكون اكبر داهية توجد وهي البعث بالنفخة الثانية كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما والعامل في اذا محذوف تقديره
تفصل الناس الى شقي وسعيد (ولما) كان الشيء لا يعرف قدره اذا كان غائبا الا بما يكون فيه قال مبدلا منه يوم
يتذكر اى يذكر ذكرا عظيما ظاهرا بما اشار اليه الاظهار الانسان اى الجنس الانس بنفسه الغافل عما خلق له ما سعى اى
عمل كله من خير وشر لانه يراه في صحيفة اعماله والاخبار عن تذكره مبين على ما في ذلك اليوم من الخطر لان احدا لا يعمل جهده
فيذكره الا المحوج الى ذلك وهو الحساب ونشر صحيفة اعماله (ولما) اشار الى الحساب ذكر ما بعده فقال وبرزت
اى ظهرت اظهارا عظيما وبناه للمفعول لان الهائل مطلق بروزها لا كونه من معين مع الدلالة على الخفة والسهولة لكونه على
طريقة كلام القادرين الجحيم اى النار التي اشتد وقدها وحرها لمن يرى اى كائنا من كان لانه لا حائل بين احد وبين رؤيتها
لكن الناجي لا يصرف بصره اليها فلا يراها كما قال تعالى لا يسمعون حسيسها (ولما) كان جواب اذا كما مضى محذوفا وكان
تقديره انقسم الناس قسمين قسم للنعيم وقسم للجحيم قال تعالى مسببا عنه مفصلا فاما من طغى اى تجاوز الحد في العدوان
ولم يخش مقام ربه قال في القاموس طغى جاوز القدر وارتفع وطغى غلا في الكفر واسرف في المعاصي والظلم والماء ارتفع
(ولما) كان الذي يعد حدود الله هو الدنيا صرح به فقال واثر اى اكرم وقدم واختار الحياة الدنيا بان جعل
اثر العاجلة الدنية لحضورها عنده اعظم من اثر الاخرة العليا لغيابها فكان كالبهائم لا ادراك له لغير المحسوسات
الحاضرة فانهمك في جميع اعمالها واعرض عن الاستعداد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فلم ينهها عن الهوى
(ولما) كان الانسان مواخذا بما اكتسب تسبب عن اعماله هذه قوله مؤكدا لتكذيبهم بذلك فان الجحيم اى النار
الشديدة التوقد العظيمة التاجج على من يدخلها هي لا غيرها الماوى اى المسكن له هذا من هل البصريين ان الضمير محذوف
وعند الكوفيين ان ال نائبة عن الضمير قاله ابو حيان (ولما) ذكر الطاغي اتبعه المتقي فقال واما من خاف (ولما) كان
ذكر الخوف مما يتعلق بالشيء لاجل ذلك الشيء اعظم من ذكر الخوف من ذلك الشيء نفسه فقال مقام ربه اى قيامه بين
يدى المحسن اليه عند تذكر احسانه فلم يطغ بكفر عند تذكر جلاله وانتقامه او المقام الذي يقوم فيه بين يديه
والزمان واذا خاف ذلك المقام فما ظنك بالخوف من صاحبه وهذا لا ينفعه الا من يحقق المعاد (ولما)
ذكر الخوف ذكر ما تسبب عنه ولم يجعله مسببا عنه ليفهم ان كلا منهما فاضل على حياله وان انفصل عن الاخر فقال
ونهى النفس اى التي لها المنافسة عن الهوى اى كل ما تهواه فانه لا يجر الى خير لان النار حفت بالشهوات والشرع كله مبنى
على ما خالف الطبع وما الهوى الا شر وذلك هو المحارم التي حفت بها النار فانها بالشهوات قال الرازي والهوى
هو الشهوة المذمومة المخالفة لاوامر الشرع قال الجنيد اذا خالفت النفس هواها صار دواها اى فاداه ذلك
انه لم يؤثر الحياة الدنيا فالاية من الاحتباك اثبات الطغيان اولا دليلا على ضده ثانيا وبالنهي عن الهوى ثانيا دلالة
على ايثار الدنيا اولا (ولما) كان مقام الترغيب ربط الجزاء بالعمل كما صنع بالترهيب فقال واكد لاجل تكذيب الكفار
فان الجنة اى البستان الجامع لكل ما يشتهى هي اى خاصة الماوى اى له لا ياوي الى غيرها وهذا حال المراقبين
(ولما) تم هذا التقسيم المفهم ان هذا شيء لا بد منه استانف ذكر استهزائهم تعجيبا منهم فقال يسئلونك اى قريش على سبيل التجديد
والاستمرار سؤال استهزاء وانكار واستبعاد عن الساعة اى البعث الاخر لكثرة ما يتوعدهم بها عن امرنا (ولما) كان
السؤال عنها مبهما بينه بقوله ايان مرساها اى في اى وقت ارساؤها اى وقوعها وثباتها واستقرارها
(ولما) كان يراد هذا هكذا مبهما للانكار عليهم في هذا السؤال وكان من المعلوم ان يقول لهم لكنه ربما تحركت نفسه الزكية
صلى الله عليه وسلم الى اجابتهم لحرصه على اسلامهم شفقة عليهم قطع عن ذلك وصرح بالانكار بقوله فيم اى في اى شيء انت
من ذكراها اى ذكرها العظيم لتعرفها وتبين وقتها حرصا على اسلامهم وذلك لا يفيد علمهم عنها بما لا يحمل المزيد عليه
لما افادته الجملة التي قبل من انه لا يمكن علمها لغيرنا سبحانه فقال الى ربك اى المحسن اليك وحدك منتهاها اى منتهى
علمها وجميع امرها (ولما) كانوا يقولون انه مقول من عند نفسه قلب عليهم الامر فقال انما انت اى يا اشرف المرسلين
منذر اى مخوف على سبيل الحتم الذي لا بد منه مع علمك بما يخوف به العلم الذي لا مرية فيه من يخشاها اى فيه اهلية
ان يخافها خوفا عظيما فيعمل لها لعلمه باتيانها وعلمه بعوده لا محالة وعلمه بان كل ما حقق وقوعه فهو قريب وذلك لا

تعيين وقتها فان من فيه اهلية الخشية لا يريد ابهامها الا خشية وغيره لا يريد ذلك الا احراما واجراما فما انت الا
للانذار بها لا للاعلام بوقتها فان النافع الاول دون الثاني ولست في شيء مما يصفونك به كذبا منهم لانا ما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين ولا انت مبعوث لتحريم وقت الساعة وانما تقصره على من يخشى لان غيره لا ينتفع بالانذار فكانه
لم يحصل له الانذار ولهذا المعنى اضاف اشارة الى انه غريق في الانذار من يخشى واما غيره فهو منذر له في الجملة اي يحصل
له صورة الانذار لا انه منذر بمعنى انه حصل معنى الانذار [ولما] ابلت انه منذر وكان اخوف الانذار الاسراع
قال كأنهم انما يحضر الهم الدنيا من هذا الحد فيهما يوم يرونها اي يعلمون قيامها علما هو كالرؤية ويرون ما يحدث ثمها
لعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور في علمهم بما مر من زمانهم وما يأتي عنهم لم يلبثوا اي هؤلاء المنكرين لصحة الانذار بها
اي في الدنيا وفي القبور الا عشية اي من الزوال الى غروب الشمس [ولما] كانوا على غريته من شيء مما يقولونه قال
او ضحاها اي ضحى عشية من العشايا وهو البكرة الى الزوال والعشية ما بعد ذلك اضيف لهما الضحى لانهما من النهار
والاضافة تحصل بادنى ملابسة وهي هنا كونهما من نهار واحد فالمراد ساعة من نهار من اوله او اخره لم يستكملوا نهارا
تاما ولم يجمعوا بين طرفيه وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم
فلينظر بم يرجع وهذا تعبير لنا بما نحسه تقريبا لعقولنا وان كانت القاعدة انه لا نسبة لما يتناهى الى ما لا يتناهى على ان
الكفار ايضا يستقصرون مدة لبثهم وكانهم اصناف بعضهم يقولون ان لبثتم الا عشرا وبعضهم يقولون ان لبثتم الا يوما
وبعضهم يتحير فيقول فاسئل العادين او ان بلك اقوالهم والحق من ذلك هو ما اخبر الله به عن مضاف الى اقوالهم من ان
ما مضى لهم في جنب ما يأتي كانه ساعة من نهار بالنسبة الى النهار الكامل كما قال في سورة يونس عليه السلام ويوم يحشرهم
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم على ان منهم من يقول ذلك ايضا كما قال تعالى في سورة المؤمنين حين
قال تعالى كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسئل العادين وذلك بالنسبة الى ما كشف
لهم عن انهم يستقبلونه مما لا اخر له وانهم لما نزعتهم نفخة اسرافيل عليه السلام نبها للعدد من قبورهم غرقا
نزعا شديدا فقاموا وراوا الملك الاهوال وعلموا ما يستقبلونه من الاوجال استقصروا امد لبثهم قبل ذلك لان
من استلذ شيئا استقصر مدته وهم استلذوا ذلك وان كان من امر المرئي جنب ما كشف لهم عن انهم لا قوة فقد
رجع اخرها بالقيمة على اولها والتف مفصلها بنزع الانفس اللوامة على موصلها واتصلت باولها لعدها بجهة
الخشية والتذكر فياطيب مفصلها فسبحان من جعله متعانق المقاطع والمطالع وانزله رياضا محكم المذاهب
والمراجع • والله الموفق

سورة عبس وتسمى الصاخة مقصودها

شرح انما انت منذر من يخشاها
بان المراد الاعظم تزكية القابل للخشية بالتخويف بالقيمة التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من
الانسان وبكل من الابتداء والاعادة لطعامه والتعجيب ممن اعرض مع قيام الدليل والاشارة الى ان الاستغنا
والترفع امارة الاعراض وعدم القابلية والمهيئ للكفر والفجور والى ان المصائب امارة الطهارة والاقبال
واستكانة القلوب وسمو النفوس لشريف الاعمال فكل من كان فيهما ارسخ كان قلبه ارق والطف فكان اخشى فكان
الاقبال اليه احب واولى واسمها عبس هو الدال على ذلك بتامل ايته وتدبر فواصله وغاياته وكذا الصاخة
الناتجة لبشرها وشرها والباخذ بسم الله الذي له القدرة البالغة والحكمة الباهرة الرحمن الذي عم بنعمة
الايجاد الظاهر • ثم بايات البيان الزاهرة الرحيم الذي خص اولياءه باتمام نعمته عليهم فكانت بهم الى مرضاته
سارعة [لما] قصره سبحانه على انذار من يخشى وكان قد جاءه عبد الله بن ام مكتوم الاعمى رضي الله عنه وكان
من السابقين وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين مجيئه مشتغلا بدعا ناس من صناديد قريش الى الله وقد وجد منهم
نوع لين فشرع عبد الله رضي الله عنه يسأله وهو لا يعلم ما هو فيه من الشغل يسأله ان يقربه ويعلمه مما علمه الله فكره
ان يقطع كلامه مع اولئك خوفا من ان يفوته منهم ما يرجوه من اسلامهم المستتبع لاسلام ناس كثير من اتباعهم فكان
يعرض عنه ويقبل عليهم وتظهر الكراهة في وجهه لاطفه سبحانه بالعتاب عن التشاغل عن اهل ذلك بالتصدي لمن
شانه ان لا يخشى باتيانه لزينة الحيوة الدنيا وان رأيتموا عظماء له صلى الله عليه وسلم بسياق الغيبة كما قال سعد
ابن معاذ رضي الله عنه لما حكم في بني قريظة وعلى من ههنا يشير الى ناحية النبي صلى الله عليه وسلم وهو معرض عنها
حاشية واجلالا له عبس اي فعل الذي هو اعظم خلقنا وتجله عن ان نواجهه بمثل هذا العتاب بوجهه فعل الكاره
المتقي من تغطية الوجه بما له من الطبع البشري حين يحال بينه وبين مراده واذن بجرحه صلى الله عليه وسلم بان
ذلك خلاف ما طبعه عليه سبحانه من رحمة المساكين ومحبتهم والسرور بقربهم وصحبتهم بقوله وتولى اي كلف
نفسه الاعراض عنه رجاء ان يسلم اولئك الاشراف الذين كان يخاطبهم فيتابعهم ويسلم باسلامهم اتباعهم فعلوا الا الله

لاجل ان جاءه الاعمى الذي ينبغي ان يبالغ في العطف عليه وفي اكرامه جبرا لكسره واعرافا بحقه في محبته وذكره بالوصف للاشعار
بعذره في الاقدام على قطع الكلام والبعث على الرأفة به والرحمة له فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راه بعد ذلك قال مرحبا بمن
عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة الشريفة عند غزوه مرتين قال انس بن مالك ورايته يوم القادسية عليه درع ومعه
راية سوداء رضي الله عنه [ولما] عرف بسياق الغيبة ما اريد من الاجلال وكان طول الاعراض موحشا للانتفاض اقبل صلى
الله عليه وسلم فقال وما يدريك اي واي شيء جعلك داريا بحاله وان اجتهدت في ذلك فان ذوات الصدور لا يعلمها الا الله
لعله اي الاعمى يزكى اي يكون بحيث يرجى تطهره ونمو احواله الصالحة بما يسمع منك ولو على ادنى الوجوه بما اشار اليه ادغام
تاء الانفعال وكذا قوله او يذكر اي ويقع منه التذكر لشيء يكون سببا لزكاته وتذكره ولو كان ذلك منه على ادنى الوجوه
المخرجة من الكفر فان الخير لا يحقر شيء منه وسبب عن تزكيه وتذكره قوله فتنفعه اي عقب تذكره وبسببه الذكرى وفي ذلك
ايماء الى ان الاعراض كان لتزكيه غيره وتذكره وقراءة النصب على انه جواب لعل [ولما] ذكر العبوس والتولي عنه فاتهما
ضدهما لمن كان مقبلا عليهم بين ذلك فقال اما من استغنى اي طلب الغنى وهو المال والثروة فوجد وان لم يكن يخشى
ولم يجد الباب فانت له اي دون الاعمى تصدى اي تتعرض بالاقبال عليه والاجتهاد في وعظه رجاء اسلامه واسلام اتباعهم
وهم عتبة بن ربيعة • وابو جهل وابي وامية ابنا خلف واشار بحذف تاء التفعل في قراءة الجماعة وادغامها في قراءة
نافع وابن كثير الى ان ذلك كان على وجه خفيف كما هي عادة العقلاء • وقال الامام ابو جعفر بن الزبير [ولما]
قال سبحانه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى • وقال بعدها انما انت منذر من يخشاها افتتحت هذه السورة بمثال يكشف
عن المقصود من حال اهل التذكر والخشية وجميل الاعتناء الرباني بهم وانهم وان كانوا في دنياهم ذوي خمول لا يؤبه بهم
فهم عند الله سبحانه في عداد من اختار لعبادته واهله لطاعته واجابة رسله صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته لديه رب
اشعث اغبر لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ومنهم ابن ام مكتوم الاعمى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي
بسببه نزلت السورة وورد تطريز العتب وصاة لنبي الله صلى الله عليه وسلم وتنبيها على ان يعمل نفسه الكريمة على مصابرة
امثال ابن ام مكتوم وان لا يحتقر وحاشاه عليه السلام من ذلك ولكن التحذير ولكن التحذير من هذا وان لم يكن وقع ليتعد
لعظيم الاعتناء مع حذر ومنه قوله سبحانه لئن اشركت ليحبطن عملك ولا تدع مع الله الها اخر ولا تمش في الارض مرحا وهو
كثير وبسط هذا الضرب لا يلائم مقصودنا في هذا التعليق لما دخل عليه صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم سائلا ومسترشدا
وهو صلى الله عليه وسلم يكلم رجلا من اشراف قريش وقد طمع في اسلامه ورجا انقاذه من النار وانقاذ ذويه واتباعه
فتمادى على تكلمه هذا الرجل لما كان يرجوه وكل ابن ام مكتوم الى ايمانه واغفل ثورته مجاوبته وشق عليه الحاحه خوفا
من تفلت الاخر ومضيه على غفته وهلاكه عتب سبحانه عليه فقال عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى وبين منه
سبحانه واحبه وقد تقدم في السورة قبل قول موسى عليه السلام هل لك الى ان تزكى فلم يقدر له بذلك ولا انتفع بعد
صيته في الدنيا ولا اغنى عنه ما نال منها وبارت مواد تدبيره وعميت عليه الانباء الى ان قال ما علمت لكم من اله غيري
فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل
فانى يزكى ولو سبقت له سعادة لانصر من حاله عن اللهو واللعب حين مقالته الشنعاء انا خير من هذا الذي هو مهين
[ولما] سبقت لابن ام مكتوم الحسنى لم يضره عدم الصحبة لدنياوي ولا اخل به عماه بل عظم به ما نزل في حقه
وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى فنال به صفنا ما احله بخلاف من قدم ذكره ممن طرد فلم يتزكى ولم ينتفع
بالذكرى حين قصد بها انما انت منذر من يخشاها كابن ام مكتوم وقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فتبارك ربنا ما اعظم لطفه بعبيده اللهم لا تؤيسنا من رحمتك ولا تقطع بنا عنك
بمنك واحسانك انتهى [ولما] كان فعله ذلك فعل من يخشى ان يكون عليه في بقائهم على كفرهم ملامة بين له انه
سالم من ذلك فقال وما اي يفعلت ذلك والحال انه ما عليك اي باس الا يزكى اصلا ورأسا ولو بادنى تزكي بما اشار
اليه الادغام ان عليك الا البلاغ ويجوز ان يكون استفهاما اي واي شيء عليك في عدم تزكيه وفيه اشارة الى انه يجب
الاجتهاد في تزكية التابع الذي عرف منه القبول [ولما] ذكر المستغني ذكر مقابله فقال واما من جاءك حال كونه
يسعى اي مسرعا رغبة فيما عندك من الخير المذكر بالله وهو فقير وهو اي والحال انه يخشى اي يوجد الخوف من الله ومن الكفار
في اذاهم على الاتيان الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معاثرة الطريق لعماه فانت عنه اي خاصة في ذلك المجلس لكونه في الحاصل
تلهى اي تتشاغل لاجل اولئك الاشراف الذين ترجو اسلامهم ليعلو بهم الدين تشاغلا خفيفا بما اشار اليه حذف التاء
لهي عنه كرضي اذا سلا وغفل وترك وفي التعبير بذلك اشارة الى ان الاشتغال باولئك لا فائدة فيه على ما يفهمه تعارف
المادة والى ان من فضل الانسان ويتخطار قاب الناس اليه له عليك حق عظيم • والاية من الاحتباك ذكر الغني اولا دليلا

على الفقر ثانيا وذكر المجي والخشية ثانيا يدل على ضديهما ثالثا او لان فسر اذ لك التجاذ بمما يدعو اليه الطبع البشري من الميل الى الاغنيا ومن الاستهانة بحق الاعمى اعظاما للمطلوب نعانه ولما كان العتاب الذي من شان الاحباب مفهوما بالنهي عن الاعراض عمن وقع العتاب عليه وكل من كان حاله كحاله والتشاغل عن ذلك صرح به فقال كلا اي لا تفعل ذلك ضلا فان الامر في القضا والقدر ليس على ما يظن العباد ولا هو جار على الاسباب التي تعرفونها بل هو من ورآ علومهم على حكم يدق عن افكارهم وفهومهم ثم علل ذلك فقال مؤكدا لانكارهم ذلك انها اي القران ولعله انث الضمير باعتبار ما تلا عليهم في ذلك المجلس من الايات والسور تذكرة اي تذكيرهم تذكيرا عظيما بما انه مما هو شاهد وه في انفسهم وفي الافاق وليس فيه شي الا وهم يعرفونه لو اقبلوا بكليتهم عليه فما على المذكر بها غير البلاغ فمن اقبل عليه فاهلا وسهلا ومن اعرض فبعدا له وسحقا ولما كان سبحانه قد خلق للانسان عقلا واختيارا وتيسر امر القران في الحفظ والفهم لمن اقبل عليه سبب عن ذلك قوله فمن شآء اي ذكره بعد مشية الله تعالى كما تقدم تقييده في القران عن مرة ذكره اي حفظ القران كله وتذكر ما فيه من الوعظ عن بكره ولا معالجة تحوج الى الاعراض عن بعض المقبلين التي اغبين للاشارة الى حفظه كله ذكر الضمير ولما كان التقدير حال كون القران مثبتا او حال كون الذاكر له مثبتا له قال واصفا للتذكرة مبينا لشرفها بتشريف ظرفها وظرف ظرفها في صحف اي اشيا يكتب فيها من الورق وغيره مكرمة اي مكرمة التكريم ومعظمة في السمآء والارض في كل امة وكل حالة مرفوعة اي عليه المقدار باعلا كل احد لاستمالتها له الامر كله مطهرة اي منزهة عن ايدي اهل السفول وعن قولهم انها سحر وشعر ونحو ذلك وعلو ايضا ثبت بالفتح او الكسر على اختلاف المعينين قوله مبينا شرف ذلك الظرف لذلك الظرف اشارة الى ان الشرف للمظروف بايدي سفرة اي كتبة يظهرون الكتابة بما فيها من الاخبار الغريبة والاحكام المعللة في كل حال فان كان ما تعلق به الجار بالفتح فهو حقيقة في انهم ملائكة يكتبون من اللوح المحفوظ او يكون جمع سافر بمعنى الكاتب والمسافر اي القاطع للمسافة او السفير الذي هو المصلح لانهم سفرا بين الله وانبيائه وهم يصلح امر الدين والدنيا وان كان بالكسر فهو مجاز لان من اقبل على كتابة الذكر يكون مهذبا في الحال او في المال في الغالب وتركيب سفر للكشف كرام اي يتطوعون على معالي الاخلاق ومع انهم اعزا على الله بررة اي اتقيا في اعلا مراتب التقوى والكرم واعزها واوسعها ولما كان الوصف بهذه الاوصاف العالية للكتبة الذين بايديهم طروف الصحف التي هي ظرف للتذكرة للتنبيه على علو المكتوب وجلالة مقداره وعظمة اثاره وظهور ذلك لمن تدبره وتامله حق تامله والمم نظره عقبه بقوله داعيا على من لم يقبل بكليته عليه داعيا عليه باعظم شدائد الدنيا التي هي القتل في صيغة الخبر لانه ابلغ قتل الانسان اي هذا النوع الانس بنفسه الناسي لربه المتكبر على غيره المعجب بما له الذي ابدعها له خالقه حصل قتله بلعنه وطرده وفرغ منه بايسر سعي واسهله من كل من يصح ذلك منه لانه اسرع شي الى الفساد لانه مبني على النقآء بل الا من عصم الله ما اكفره اي ما اشد تغطيته للحق وجحده له وعناده فيه لانكاره البعث واشراكه بربه وغير ذلك من امره فهو دعآء عليه باشنع دعاء وتعجيب من افراطه في ستر محاسن القران التي لا تخفى على احد ودلالته على النعم وكل شي لا يسع احدا التغيير في وجه شي منها وهذا الدعاء على وجازته يدل على سخط عظيم وذم بليغ وهو وان كان في مخصوص فالعبرة بعمومه في كل من كفر انعم الله روي انها نزلت في عتبة بن ابي لهب غاضبا اباه فاسلم ثم استصلحه اباه واعطاه مالا وجهزه الى الشام فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم انه كافر برب النجم اذا هوى والخبر في غير هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك فلما انتهى الى مكان من الطريق فيه الاسد ذكر الدعآء فجعل لمن معه الف دينار ان اصبح حيا فجعلوه في وسط الرفقة والمتاع والرحال فاقبل الاسد الى الرحال ووثب فاذا هو قد مزقه فكان ابوه يندبه ويبكي عليه وقال ما قال محمد شيا الا كان ومع ذلك لم ينفعه ما عرف من ذلك فسبحان من بيده القلوب يضل من يشا ويهدي من يشآء وكل ذلك من هدايته واضلاله شاهد بان له الحمد ولما كان كثير انصباب التعجب منه ناظرا الى تكذيبه بالساعة لاجل ظهور ادلتها في القران جدا ولانه تتوالت في هذه السور اقامة الادلة عليها بما لا مزيد عليه شرع في اقامة الدليل عليها بانه لا انفس من ابتدا الخلق في انواع مهن خسيسة وحقارته وان من الشبه انواب الشرف بعد تلك الخسة والحقارة حذر منه بالشكر لا بالكفر فقال منبها له بالسؤال من اي شي والاستفهام للتقرير مع التحقير خلقه ثم اجاب باشارة الى ان الجواب واضح لا يحتاج فيه الى وقفه اصلا فقال مبينا حقارته من نطفة اي ما يسير جدا الا من غير خلقه اي اوجده مقدرا على ما هو عليه من التخطيط فقدره اي هياه لما يصلح له من الاعضاء الظاهرة والباطنة والاشكال والاطوار الى ان صلح لذلك ثم جعله في ظلمات ثلاث ظلمة البطن ثم الرحم ثم المشيمة او هي على ما قال اهل التشريح ثلاثة اغشية البشيمة تتصل بسرة الجنين تمده بالغذا والثاني يقبل بوله والثالث يقبل البخارات التي تصعد منه بمنزلة العرق والوسخ في ابدان الكاملين واعطا قدره لما اراد منه ثم اي بعد انتهاء المدة السبيل اي الاكمل في العموم والاتساع والوضوح لا غيره وهو مخرجه من

من بطن امه وطريقه الى الجنة او النار يسره اي سهل له امره في خروجه بان فتح فم الرحم وامره ان ينكس وذلل له سبيل الخير والشر وجعل له عقلا يقوده الى ما يسر له منهما وفيه ايما على هذا الى ان الدنيا دار ممر والمقصد غيرها وهو الاخرى التي يدل عليها الدنيا ولذلك عقبه بقوله عادا الموت من النعم لانه لو دام الانسان حيا مع ما يصل اليه من الضعف والخرف لكان في غاية البشاعة والشماتة لاعدائه والمساة لاوليائه على ان الموت سبب الحيوة الابدية ثم اي بعد امور قدرها سبحانه من اجل تقلبات اماته واشار الى ايجاب المبادرة الى التجهيز بالفاء المعقبة في قوله فاقبره اي جعل له قبرا يغيب فيه او امر بدفنه فيه تكرمه له وصيانة عن السباع والامر رحلا للميت قبرا واعطا ولا نفيل لاهله لبدفنوه والمعنى الامتنان بانه جعل للانسان موضعا يجعل له دفنه وجعله بعد الموت بحيث يمكن من دفنه ولو شآء لجعله ينفتت مع النتن ونحوه مما يمنع من قربانه او جعله من حيث سماوته فلا يد فن كبقية الحيوانات فقد عرف بهذا ان الانسان نطفة مكونه واخره جيفة قذره وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة فما شرفه بالعلم الا الذي بدعه وصوره وذلك موجب لان يشكره لا ان يكفره ولما كانت مدة البرزخ طويلة وكان البعث امرا محققا غير مظنون الوقت بالعين لعينه يقال عنه عن المعاني الثلاثة باداة التراخي والتحقق فقال ثم اذا شآء اي انشاره انشره اي بعثه من قبره كما كان في دنياه بزيادة انه على تركيب قوي لا يتهيا فيه فراق الروح للجسد ولما كان اخباره بانه هو الذي يسر له السبيل فد يفهم انه لا يعمل الا بما يرضيه نفي ذلك على سبيل الردع فقال كلا اي لم يرتدع هذا الانسان الذي عرفنا ان هكذا حاله اولا واخرا واوسطا مخرجا تارة من مخرج البول واخرى من مخرج الحيض ومعبرا او ليزجر وليعرف نفسه بالذلة والخسة والحاجة والعجز وليعرف ربه سبحانه بالعزة والعظمة والكبريا والغنى والقدرة على تشريف الحقير وتحقير الشريف بانه سبحانه لا يلزمه شي فلا يلزم من تعريف هذا الانسان السبيل وتمييزه له انه لا يفعل الا ما لا يعاتب عليه فانه لا يكون من الانسان غير الا ما يريده وتارة يريد هداه وتارة يريد ضلاله فقد يامر بما لا يريد ويريد ما لا يامره به ويرضاه ولذلك قال مستانفا نفيا ما افهمه تيسير السبيل من ان الانسان يفعل جميع ما امره به الله الذي يسر له السبيل لما يقض اي يفعل الانسان فعلا تاما فيما مضى ما امره اي به الله كله من غير تقصير ما من حين تكليفه الى حين اقباره بل من حين وجد ادم عليه السلام الى حين نزول هذه الاية والى اخر الدهر لان الانسان مبني على النقصان والاله منزه التنزه الاكمل وما قدروا الله حق قدره وايضا الانسان الذي هو النوع لم يعمل باسره بحيث لم يسد منه فرد جميع ما امره بل اغلب الجنس عصى وكذب بالساعة التي هي حكمة الوجود وان صدق بها بعضهم كان تصديقه بها كتكذيبه لانه لا يعتقد شيئا منها على حالها اي على ما هي عليه ولما ردة بعد تفصيل ما له في نفسه من الايات واشار الى ما له من النقايص شرع يتمم الدليل على تقصيره بانه لا يقدر على شكر نعمة المنعم فيما له من المطعم الذي به قوامه فكيف بغيرها في اسلوب دال على الانسان باياتنا لا افاق منه على سابق النعم في مدة بقائه المستلزم لدوام احتياجه الى ربه فقال مسببا عن ذلك فلينظر الانسان اي يوقع النظر التام بكل شي يقدر على النظر به من بصره وبصيرته ومد له المدى فقال الى طعامه يعني مطعومه وما يتصل به ملتفتا اليه بكليته للاعتبار بما فيه من العبر التي منها انا لو لم نيسره له هلك ولما كان المقصود النظر الى صنائع الله فيه وكان تعالى الانسان تواقوا له في تكذيبه بالبعث فقال من ينكر ذلك الصنع قال سبحانه مفصلا لما يشترك في علمه الخاص والعام من صنائعه في الطعام مؤكدا تنبيها على ان التكذيب بالبعث مستلزم للتكذيب بابداع النبات واعادته في اسلوب مبين ان الانسان محتاج الى جميع ما في الوجود ولو نقص منه شي اختل امره وبدا ولا بالسماوي لانه اشرف وبالمآء الذي هو حياة كل شي تنبيها له على ابتداء خلقه انا اي على ما لنا من العظمة صببنا المآء اي جعلنا منه كل شي حي صبا وشق الارض التي هي كالانثى بالنسبة الى السما فقال ثم اي بعد مهلة من انزال المآء فاوتيا نبهنا في البلاد والنبات شققنا اي بما لنا من العظمة الارض بالنبات الذي هو في غاية الضعف عن شق صحاح الاشيا فكيف بالارض اليابسة المتلززة جدا عند مخالطة المآء وحقق المعنى فقال شقا ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له مبينا الاحتياج الى النبات بقوله فانبتنا اي اطلعنا على وجه الاتصال الموجب للتغذي والنمو فيها بسبب الشق حبا اي لاقوات الانسان وغيره من الحيوان كالحنطة والشعير والذرة وغيرها ولما كان الحب قوتا ابتدا به لانه الاصل في القوام عطف عليه ما هو فاكهة وقوت فقال وعنبا هو فاكهة في حال تمنيته وقوت باتخاذه زبيبا ودبسا وخلا ولما كان في بيان عجائب الصنع ليدل على القدرة على كل شي فيدل على القدرة على البعث فذكر ما ان اخذ ثمره منبتة قبل بلوغه فسد وان ترك اشتد وصلح للادخار واتبعه ما لا يصلح للادخار واتبعه ما ان ترك على اصله فسد وان اخذ وعولج صلح للادخار اتبعه ما لا يصلح للادخار بوجه فقال وقضبا وهو الرطبة من البقل وغيره وهو يزيد على ما مضى بانه فيه ما هو دوا نافع وسم ناقع وبانه يقطع مرة بعد اخرى فيخلف سمي بمصدر قضبه اذا قطعه قضبا وقلع ولما ذكر ما لا يصلح ان يوكل الا رطبا من غير احتياج اتبعه ما لا يفسد حاله الا على امه ولا يبعد القطاف ويصلح بعد القطاف فيوكل او يعصر

فيكون لدهن الاستصباح والادهان والاستدام وفيه تقوية للعظام والاعصاب ولا يفسده الماء بوجه كما ان العنب يعصر فيكون
منه دبس وخل وغيرهما ومتى خالطه الماء فسد فقال **وزيتونا** يكون عنه مع ما مضى حرارة وعفاصة فيهما اصلاح المزاج **ولما** ذكر ما لا
يفسد وبحره يصير على السن دائما بعده ما هو كالعنب يوكل على انه ويقطع فيدخر وهو جامع بين التحلي والتحمض بالحل والتفكه والقوى
والتداوي المستمر النافع ذا الشجر الصادع من عجوة المدينة الشريفة وغير ذلك من ثمره وبحره ولا يصير بحره على الشرد فقال **ونخلا**
وكل من هذه الاشجار مخالف للآخر في الشكل والحمل وغير ذلك مع الموافقة في الارض والسقي **ولما** ذكر هذه الاشياء من الاقوات
والفواكه لكثرة منافعها وكانت البساتين بجمعها وغيرها مع ما لها من بهجة العين وسرور النفس وبسط الخاطر وشرح الفكر
قال **وحدائق** جمع حديقة وهي في وصفه ذات النخل والشجر او كل ما احاط به البناء وهي تجمع ذلك كله **غلبا** جمع غلباء ليشمل الغير والمذ
وهي الحديقة ذات اشجار كثيرة عظام غلاظ طوال ملتفة الاعضاء متكاثفة متكاثرة مستعار من وصف الرقاب يقال
غلب فلان كفرح اي غلظ عنقه والغلباء الضامر العنكل العزيز ومن الهضاب المشرفة **ولما** ذكر ما يتفكه ويدخر
جمع فقال **وفاكهة** اي ثمرة رطبة يتفكه بها كالخوخ والتين والعنب والتفاح والكمثرى مما يمكن ان يصلح فيدخر ومما لا يمكن
ولما ذكر فاكهة الناس ذكر فاكهة بقية الحيوان فقال **وابا** اي ومرعى ونباتا وعشبا وكلأ مما دام رطبا بقصد
من ابت الشيء اذا امّه **ولما** جمع ما يقتات وما يتفكه فدل دلالة واضحة على تمام القدرة ذكر ما للنعمة فيه فارعا بالتلون
الخطاب لتعميم الافراد بعد سياق العتاب للتصريح بان الكل عاجز عن الوفاء بالشكر فكيف اذا انضم اليه الكفر فقال
متاعا وهو منصوب على الحال **ولما** ذكر ما ياكله الناس وما يعلف للدواب وكان البناء وهنا الطعام للانسان والحيوان
ضمهم قال **لكم ولانعامكم** بخلاف ما في النازعات وقد مضى والانعام مما يكون تمام الصلاح للانسان بما له فيها من النعم بالركوب
والاكل والشرب والكسوة والجمال وسائر المنافع وذكر هذا الذي ذكر ظاهر اشير الى المعادن منها ما الاسم ما مضى
الابنة وهي الات الزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك والملائكة المدبرة لما صرحها الله فيه من ذلك قد لذلك على ان
الوجود كله خلق لاجل منافع الانسان ليشكر لا ليكفر وذلك لقدرة على ذلك قطعا على القدرة على البعث **ولما** ذكر عجائب
الصنع في الطعام وكان ذلك ينقطع بنفوذ لاسيما المرعى فانه ياتي عليه الخريف فينشف ثم يتحطم من الرياح ويتفرق في
الارض ثم يصير ترابا ثم يبعث الله المطر فيجمعه من الارض بعد ان صار ترابا ثم ينبته كما كان وكان ذلك مثل احياء الموتى
سواء يحقق بذلك ما تقدم من امر الانسان بعد الاقبار وكان ذلك ايضا مذكرا بامر ابينا آدم عليه السلام لما امره الله
بالاكل من الجنة الا من الشجرة التي نهاه عنها فلما اكل منها اخرجه من الجنة سبحانه في دار لنبت جنة ولا نارا ولا غير هما بل هي
من ممتزج الدارين وكالبرزخ بينهما فيها ما يذكر بهذه وما يذكر بتلك ومنها امثلة الموجودات كلها قال مسببا عما ثبت به
الاحياء للبعث الى المحشر معبرا باداة التحقق لان الساعة مما لا بد منه ولا محيد عنه لا يفاسر الكون فان فيها حساب الذين سخلقوا
في هذا الوجود وانصت عليهم النعم التي اودعها فيه واشار الى انهم عاجزون عن القيام بشكرها وكثير منهم بل الاكثر زاد على ذلك
بكفرها فاوجب ذلك ولا بد حسابهم على ما فعلوا فيما استخلفوا فيه واسترعوه كما هي عادة كل مسترع ومستخلف **فاذا جاءت** اي كانت
ووجدت لان كل ما هو كائن كانه لا فيك وجاء اليك **الصاخة** اي الصرخة العظيمة التي تبالغ في اسماع الاسماع بهاحتى تكاد تصمها
لشدتها وكانها تطعن فيها لقوة وقعها وعظيم وحيها وتضطر الآذان الى ان تصيخ اليها اي فتستمع وهي من اسماء القيامة واصل
الصخ الضرب لشيء صلب على مصمت **ولما** كان وصفها بما يقع فيها اهيب قال مبدلا من اذا دالا على جوابها اي نحو
اشتغل كل بنفسه ولم يكن عنده فراغ ما لغيره **يوم يفر المرء** اي الذي هو اعظم الخلق مروءة **ولما** كان السياق للفرار
فكل مراد نابهم رتبه في الحب والقرب فادنا بهم على سبيل الترقي واخر الاوجب في ذلك لا لاوجب بخلاف ما في سال لتحامي فقال
من اخيه لانه يا لفه صغيرا وقد ركن اليه كبيرا مع طول الصحابة وشدة العرب في القرابة فيكون عنده في غاية العزة
ولما كانت الام مشاركة له في الالف وتلزم من حمايتها اكثر مما يلزم للاخ وهو لها الف واليها احن وعليها ارق واعطف
قال **وامه ولما** كان الاب اعظم منها في الالف لانه اقرب في النوع وللولد عليه من العاطفة لما له من مزيد النفع الكثر
ممن قبله قال **وابيه ولما** كانت الزوجة التي هي اهل لان تصحب الصق بالفؤاد واعرق في الوداد وكان الانسان الذب
عنها تحمل لا يسند اذ قال **وصاحبته** ولعله افردها اشارة الى نفاعتك في الدرجة العليا من المودة بحيث لا يالف
غيرها **ولما** كان للوالد الى الولد من المحبة والعاطفة والاباحة بالسر والمشاورة في الامر ما ليس لغيره ولذلك
يضيع عليه رزقه وعمره قال **وبنيه** واجمع فيهم الصغير الذي هو عليه اشفق والكبير الذي هو في قلبه احل وفي عينه اجل
ومن بينهما من الذكر والانثى **ولما** ذكر الامر الذي سبب فرار الذي سبعه فرار علله فقال **لكل امرئ** اي وان كان اعظم الناس مروءة
منهم يومئذ اي اذ يكون هذه الدواهي العظام والشدائد والآلام **شأن** اي امر عظيم **يغنيه** اي يكفيه في الاهتمام
بحيث لا يدع له فضلة يمكنه صرفها الى غيره ويوجب له لزوم المغني وهو المنزل الذي يرضيه مع انه يعلم انهم لا ينفعونه

لانه

ويخافون ان يطالبوه لما تم منه من الكرب بما لعله تضربه من حقوقهم **ولما** ذكر اليوم وقسم اهله الى السعيدين المقصودين بالذكر اول
ترتيب الوصال ... **وجوه يومئذ** اي اذ كان ما تقدم من الفرار وغيره **مسفرة** اي مضيئة مشرقة باللالاء
النور لنقاء الاعمال الظواهر والبواطن باشراق الطوية من اشرق الصبح اذا اشرق واستنار **ضاحكة** لما علمت سعادتها **مستبشرة** اي طالبة للبشر وهو تغير البشرة
من السرور ومتوجهة لذلك وهي بيضاء ابية بما ترى من بشرى الملائكة وذلك بما كانت فيه في الدنيا من عبوس الوجه وتغيرها
وتحوهما من خشية الله وما نظيرهم من حزن له في الساعة كابن ام مكتوم رضي الله عنه الذي كان يحمله خوفا للساعة على حل الرايه
في اشد الحروب كيوم القادسية والبيات بها حتى يكون كالعمود لا يزول عن مركزه اصلا ليرضي المعبود **ولما** ذكر
اهل السعادة الذين هم المقبلون على الخير المصانون في انفسهم بما يكفر سيئاتهم ويعلي درجاتهم ذكر اضدادهم فقال **ووجوه**
واكدر باعادة الظرف لازالة اللبس فقال **يومئذ** اي اذ وجد ما ذكر **عليها** اي ملاصقة لها مع الغلبة والعلو **غبرة** اي ابتداء
وكآبة بحيث تصير كانه قد علاها غبار روي عائشة حدث وجلة منه غيره وذلك بما لحقها من المشقات وكثرة الزحام مع
رعب الفؤاد وتذكر ماهي صائرة اليه من الانكاد الشداد **ترهقها** اي تغشاها وتقهرها وتعلوها **قترة** اي كدورة وسواد وظلمة
ضد الاسفار وهي باكية عابسة مما كانت في الدنيا من الفرح واللعب والضحك والامن من العذاب فلا بد من الاحبال ذكر
الاسفار والبشر ولا بد لعلى الخوف والدعوة ثانيا وذكر الغبرة ثانيا يدل على البياض والنور ولا وسرد لذلك انه ذكر دليل
الراحة ودليل التعب لظهورهما ترغيبا وترهيبا **ولما** كان هذا امرها بل كان الفاجر لما على قلبه من الدين ولدين
التشاوه قليل الخوف من الآجل عديم الفكر فيما ياتي به عدلما غلب عليه من السهو بين الشبعة والبهيمة بخلاف المتقي في كل
ذلك انشأ بعد الاخبار وزيادة في التهويل فقال **اولئك** اي البعداء البغضاء **هم** اي خاصة **الكفرة** اي الذين ستروا دلائل
الايمان **الفجرة** اي الذين خرجوا عن دائرة الشرع خروجا فاحشا حتى كانوا عريقين في ذلك الكفر والفجور وهم في الاعم
المترفون الذين يحملهم غناهم على التكبر والاشر والبطر فلجمعهم بين الفجور والكفر جمع لهم بين الغبرة والقترة كما يكون
بكون الذنوب من القباحة اذا علا وجوههم غبار ووسخ فقد عاد آخرها على اولها فيمن يستحق الاعراض عنه ومن يستحق الاقبال
عليه والله الهادي

سورة التكوير مقصودها التهديد الشديد بيوم الوعيد الذي هو محط الرحال لكونه
اعظم مقام لظهور الجلال لمن كذب بان هذا القرآن تذكرة في صحف مكرمة بايدي سفرة والدلالة على حقيقة كونه كذلك
بان السفير به امين في الملإ الاعلى مكين المكانة فيما هنالك والموصل له الينا منزه عن التهمة بريء من النقص لما يعلمونه
من حاله قبل النبوة وما كانوا يشهدون له به من الكمال في صحبته لهم المتطاولة التي نبههم بالتعلق بها على ما الاشنو
فيه من امره ولم يأتهم بعدها الا بما هو شرف له وتذكير بما في انفسهم وفي الآفاق من الآيات وذلك كاف لهم في الحكم
بانه صدق والعلم اليقين بانه حق واسمها التكوير ادل ما فيها على ذلك بتامل الظرف وجوابه وما فيه من بديع
القول وصوابه وما سببت عنه من عظيم الشأن لهذا القرآن **بسم الله** الواحد القهار **الرحمن** الذي عمت نعمته
الجادة وبيانه الابرار والفجار **الرحيم** الذي خص اهل وداده بما اسعدهم في دار القرار

عليين

لو عيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة ابتدأت هذه بتمام ذلك مصوّرا لذلك اليوم
بما يكون فيه من الامور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتى كانه راي عين كما روى احمد والترمذي وغيرهما عن ابن
عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم برجال ثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب ان ينظر الى يوم
القيامة راي العين فليقرأ اذا الشمس كورت فقال بادئا بعالم الملك والشهادة لانه اقرب تصورا لما تغلب على
الانسان من الوقوف مع المحسوسات معلما بانه سيخرب هذا العالم في كل ما يجري اليه وجاعلا على عدم المبالاة به والابعاد
من التعلق بشيء من اسبابه **ولما** كان المهول مطلق تكويرها **اذا الشمس** اي التي هي اعظم آيات السماء الظاهرة واوضحها للحس
الدال على عظمة مكورها بني المفعول على طريقة كلام القادرين قوله **كورت** اي لفت بامر من امر من غير كلفة ما اصلا
فادخلت في العرش كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فذهب ما كان ينبسط من نورها من كورت العمامة اذا لففتها فكان
بعضها على بعض وانطمس بعضها بعض والثوب اذا جمعته فرفعته فالتكوير كناية عن رفعها او القائها في جهنم زيادة
في عذاب اهلها ولا سيما عبدتها او العبث عن فلكها من طعنه فكوره اي القاه مجتمعا والتكوير للادارة والجمع والرامع
ولما كان التاثير في الاعظم دالا على التاثير للشمس فعل دل عليه كورت لان اذا اطلب للفعل لما فيها من معنى الشرط
فيما دونه بطريق الاولى اتبع ذلك قوله معمما بعد التخصيص **واذا النجوم** اي كلها كبارها وصغارها **انكدرت** اي انقضت وتهاوت
ولسا وقطعت ونثرت حتى صار ذلك كانه بانفسها من غير فعل فاعل في غاية الاسراع او اظلمت من كدر الماء
فانكدرت قال ابن عباس رضي الله عنهما يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرب
تصيرنارا واوفى الكلبي وعطا تمطر السماء يومئذ نجوما لا يبقى نجم الا وقع **ولما** بدأ باعلام السماء لانها اشهر

احبال

ل

اشراق

واعم تخوفًا وارهابًا وذكر منهما اثنين هما اشهر ما فيهما واعم نفعًا اتبعها باعلامها الارض فقال مكررًا للظرف لمن يبدأ الاعتناء بالتهويل **وإذا الجبال**
اي التي هي في العالم السفلي كالنجوم في العالم العلوي وهي اصلب ما في الارض ودل على عظمة القدرة بالبناء للمفعول فقال **سيرت** اي وقع تسييرها
بوجه الارض فصارت كانها السحاب في السير والهباء المنثور لتستوي الارض فتكون قاعًا صفصفًا لا عوج فيها لانه لا ذلك اليوم لا يقبل العوج
في شيء من الاشياء بوجه ولما ذكر اعلام الجماد اتبعه اعلام الحيوان النافع الذي هو اعز اموال العرب واعلاها على وجه دل على عظم
الهول فقال **وإذا العشار** اي النوق التي اتى على حملها عشرة اشهر جمع عشراء مثل نفساء وهي احب اموال العرب اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع اللحم والظهر
واللبن والوبر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق حفل فاعرض عنها وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذا انفس
اموال الناس لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عز وجل عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الآية ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام السنة **عطلت** اي تركت
مهملة كانه لا صاحب لها مع انفس اموالهم فكانت ذات الغصة لان احسنت اليها واعزها واشد اقبالها عليها وقالت حاملتها انس
ولد وليس لان الامر لاشتغال كل احد بنفسه اهول من ان يلتفت احد الى شيء وان عز ولما ذكر المنزعات الدالات على ارادة امر
عظيم وقرب ذلك الامر بادٍ فيها امارة الحشر ودل على عمومه بذكر ما يظن اهماله فقال **وإذا الوحوش** اي بعثت وجمعت دواب البر
التي لا تأنس باحد التي يظن انه لا عبرة بها ولا التفات اليها فما ظنك بغيرها **حشرت** اي بعثت وجمعت من كل اوب قهرًا لارادة العرض
على الملك الاعظم والفصل فيما بينها في نفسها حتى يقتص للجماء من القرناء وبينها وبين غيرها حتى يسال العصفور ربه لم قتله فلان
يحشر كل شيء للقصاص حتى الذباب ثم لا يستوحش الوحش من الناس ولا الناس من الوحوش من شدة الاهوال وذلك اهول وافزع
واخوف واقطع قال التعبير ولا استبعاد ان يكون ذلك بايصال منافع اليها جزاء لا وجوبا كما قاله اهل البدع انتهى فكل شيء في الدنيا
محصور في تلك الدار فاذا وقع الفصل جعل الخبيث في جهنم زيادة في عذاب اهلها والطيب في الجنة زيادة في نعيم اهلها ولما
افهم هذا الحشر ذكر ما يدل على ما ينال اهل الموقف من الشدائد من شدة الحر فقال **وإذا البحار** اي على كثرتها **سجرت** اي حمي بعضها الى
بعض حتى صارت بحرًا واحدًا ملئت حتى كان ما فيها اكثر منها واحميت حتى كانت كالتنور التهابا وتسعرًا فكانت شرابًا لاهل النار
وعذابا عليهم ولا يكون هذا الا وقد حصل من الحر ما يذيب الاكباد ولما ذكر من الآيات العلوية من عالم الملك اثنين ومن
السفلية اربعة فافهم جميع الخلق ان الامر في غاية الخطر فتشوفت النفوس الى ما يفعل فاذكر المراد من عالم الغيب والملكوت
وهو امور ستة على ما مضى من عالم الملك والشهادة ترغيبا في الاعمال الصالحة والقرناء الصالحين للازدواج بالتوبة وابتدأ اسها
بما يناسب تكوير الشمس **وإذا النفوس** اي من كل ذي نفس من الناس وغيرهم **زوجت** اي قرنت باشباهها وجمع كل من الخلق الى ما كانت نفسه تالفه
وتنزع اليه فكانوا اصنافا كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم والتفاف الازواج كالتفاف الشمس حتى يذهب نورها
ولما صرح الامر فكانت القلوب احرى من الجمر ذكر ما هو المقصود الاعظم وهو السؤال على وجه يفهم العموم فقال **وإذا الموءودة**
اي المدفونة من الاولاد حيا بعد الولادة او حصل تسبب في قتله قبل الولادة بدواء ونحوه سميت موءودة لما يوضع عليها من
التراب فيثقلها حتى تموت وآد مقلوب آد اي اثقل وهو في البنت المعهود لها ارتباط من انكدار النجوم وتساقطها ولما
كان هذا اهون القتل عندهم وكانوا يظنون انه مما لا عبرة به لا ما هو معتنى به وانه لابد من نقمها وجعلها حيث تعقل ويحب
وان كان نحو الذبح فيها في زمن يسير فقال **سئلت** اي وقع سؤالها عما يليق ان تسال عنه ثم مثل على طريق الاستئناف تخويفا
للوالدين **باي** اي بسبب اي **ذنب** باهتا الجاهلون **قتلت** اي استحقت به عندكم القتل وهي لم تباشر سوءا لكونها لم تصل الى حد
التكليف فما ظنك بمن هو فوقها وبمن هو جان وسؤالها هو على وجه التبكيت لقاتلها فان العرب كانت تدفن البنات احياء
مخافة الاملاق ولحوق العار بهم ويقولون نردها الى الله هو اولى بها ولا يرضون البنات لانفسهم ويرضون لخالقهم
وكان فيهم من يتكرم عن ذلك ومن يفتدي الموءودات ويربيهن وليس في الآية دليل على تعذيب اطفال الكفرة ولا عدمه
فان الكافر الذي يستحق الخلود قد يكون مسلما فلا يحل قتله والاطفال لم يعملوا ما يستحقون به القتل ويؤخذ من سؤال
الموءودة تحريم الظلم لكل احد وكف اليد واللسان عن كل انسان ولما دل هذا على عموم السؤال المنشأ عنه ما يدل على
النعيم او النكال فقال **وإذا الصحف** اي الاوراق التي كتبت فيها اعمال العباد **نشرت** اي فرقت مفتحة تبينها حفظها على اربابها
بالسرا وفي السعيد في يمينه من تلقاء وجهه على وجه يكون فيه بشارة له وتاتي الشقي من وراء ظهره وفي شماله تعذيبا وكانت
طويت عند موته ونشرها مثل نشر الحبال ونظائرها فمن اعتقد ان صحيفته تاتي فترديه او تنجيه لم يضع فيها الا حسنا
من قول وعمل واعتقاد ولما ذكر ما يطلق وينشر اتبعه ما يطوى ويحصر لستر ما فوقه من العجائب وللنظر
فقال **وإذا السماء** اي هذا الجنس كله او ده لانه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقي **كشطت** اي قلعت بقوة عظيمة وسرعة
زائدة وازيلت عن مكانها التي هي ساترة له محيطة به او عن الهوى المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها كما يكشط الاهاب عما هو ساتر
له ومحيط به مع شدة الالتزاق به لان ذلك يوم الكشف والاظهار فكشفنا عنك غطاءك وكشطها هو مثل انكشاف الناس
عن العشار وتغيرهم عنها فمن اعتقد ذلك والها عرض عن ربط همته بشيء منها وناط اموره كلها بربها ولما ذكر زوال الموانع

ظهرت

ظهرت عجائب الصنائع التي هي غايات المطالب ونهايات الرغائب والرهائب فقال **وإذا الجحيم** اي النار الشديدة التاجج التي بعضها
فوق بعض العظيمة في مهواة عميقة **سعرت** اي اوقدت ايقادا شديدا بايسر امر وقربت من الكافرين لغاية السرعة فكان الامر في
غاية العسر وذلك قريب من نتيجة ما حصل من الهول من حشر الوحوش ولما ذكر دار الاعداء العداة ترهيبا اتبعه دار
السعداء ترغيبا فقال **وإذا الجنة** اي البساتين ذوات الاشجار الملتفة والرياض المعجبة **ازلفت** اي قربت من المؤمنين وزينت صحاريها
ونظفت ارضها وطهرت عن كل ما يشين وحسنت رياضها بكل ما يزين من قول اهل اللغة الزلف محركة القربة والدرجة والحياض
الممتلئة والزلفة المصنعة الممتلئة والصحفة والارض المكنوسة والزلفة بالكسر الروضة ومعنى هذا ضد تسجير البحار وفيه
من الاحتباك ذكر التسعير اولا دالا على ضده في الجنة ثانيا وذكر التقريب ثانيا دال على مثله اولا ولما كانت هذه الا
هوال موجبة لاجتماع الهم وصرف الفكر عما يشغله من زينة او لهو او لعب وسهو فكان موجبا للعلم بما يرجى نعيما او يوجب جحيما
وكان ذلك موجبا لتشوف السامع الى ما يكون قال تعالى كاشفا لتلك الغمة بالعامل في اذا وما عطف عليها **علمت نفس** اي كل احد من
النفوس والتنكير فيه مثله في تمرة خير من جرادة ودلالة هذا السياق المهول على ذلك يوجب التعميم فيه **ما** اي كل شيء **احضرت**
اي عملت واوجدت فكان هلا المحضور وكان عملها له سببا لاحضار الغدير باهلها في ذلك اليوم محفوظا لم يغب عنه عنها
ذرة من خير وشر ولاجل ذلك كان لكل امرئ شان يغنيه فانه لابد ان يكون في اعماله ما لا يرضيه وما يستصغره عن حضرة
العلي الكبير فمن اعتقد ذلك رغب في ان لا يحضر الا ما يسره ورهب من احضار ما يسوءه فيضره وجميع هذه الاشياء الاثني
عشر المعدودة المذكورة في جواب اذا في الآخرة بعد النفخة الثانية على ما تقدم في الحاقة انه الظاهر وانه رواية
عن ابن عباس رضي الله عنهما لان التهويل بعد القيام انسب وادخل في الحكمة واعجب وقال الامام ابو جعفر بن الزبير
لما قال سبحانه فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه الآيات الى آخر السورة كان مظنة لاستفهام السائل عن الوقوع
ومتى يكون فقال تعالى اذا الشمس كورت ووقوع تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتعطيل العشار
كل ذلك متقدم على فرار المرء من اخيه وامه وابيه الى ما ذكر الى آخر السورة لاتصال ما ذكر في مطلع سورة التكوير
بقيام الساعة فيصح ان يكون امارة للاول وعلما عليه انتهى ولما كان المساق للترهيب وكان اللائق باخر عبس ان يكون
للكفرة وكان اعظم ما حصل الكفرة من اعمالهم بعد الشرك التكذيب بالحق واعظمه التكذيب بالقرآن وذلك التكذيب
هو الذي جمع الخزي كله للمكذب به في قوله قتل الانسان ما اكفره الذي السياق كله له وانما استحق المكذب به ذلك
لان التكذيب به يوقع في كل حرج مع انه لاشيء اظهر منه في انه كلام الله لما له من الرونق والجمع للحكم والاحكام والمعارف
التي لا تنفد على جمعها على ذلك الوجه وترتيبها ذلك الترتيب لا الا الله ثم وراء ذلك كله انه معجز سبب عن هذا التمهيد
قوله مقسما بما دل على عظيم قدرة المقسم عليه بترك الاقسام باشياء من الاجلال والاعظام في اسنى مقام **فلا اقسم**
اي لاجل حقية القرآن لان الامر فيه غني عن قسم لشدة ظهوره وانتشار نوره ولذلك اشار الى المحجوب بلحوق هذه
الاشياء التي ذكرها والقرآن منزه عن كل شائبة نقص لانه كلام الملك الاعلى فقال **بالخنس** اي الكواكب التي تتاخر طلوعها
عن طلوع الشمس فتغيب في النهار لغلبة ضياء الشمس لها وهي النجوم ذوات الانوار التي كانوا يعظمونها بنسبة الامطار والرحمة
التي ينزلها الله اليها وهي القمر فعطارد فالزهرة فالشمس فالمريخ فالمشتري فزحل وقد نظمها بعضهم بيتا فقال

• زحل شرى مريخه من شمسه • فتزاهرت لعطارد الاقمار •

ثم ابدل منها اعظمها فقال **الجوار الكنس** اي السيارة التي تختفي وتغيب بالنهار تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا
دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر وقال الرازي تكنس ويستتر العلوي منها بالسفلي عند القرانات كما تستتر
الظباء في الكناس وقال قتادة تبين بالليل وتخنس بالنهار فتخفى ولا ترى وروي ذلك عن علي رضي الله عنه قال البغوي واصل
الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس ان تاوي الى مكانسها وقال القشيري ان ذلك عز وجل بها وانما نفى الاقسام بها لانها
وان كانت عظيمة في نفسها بما ناط بها سبحانه من المصالح واستمر تعظيمهم لها وتغاليهم فيها لا ان فيها نقائص الغيبوبة
وابتهار النور والقرآن المقسم لاجله منزه عن ذلك بل هو الغالب على كل ما سواه من الكلام وغلبته هي اعظم من غلبة
ضياء الشمس لنور ما سواها من الكواكب فكذلك لا يليق ان تقسم بها لاجله ولما ذكر غيابها فهم منه محله
وهو النهار ذكر محل ظهورها فافهم الظهور فقال **والليل** اي الذي هو محل ظهور النجوم وزوال خنوسها وذهاب كنوسها
اذا عسعس اي اقبل ظلامه واعتكر سواده وقتامه فظهرت الكواكب ظهورا منتشرا في جميع الليل الغاهب
وقيل نقص وعسعس بمعناه فهو مما لا يستحيل بالاعتكار وفي الآية من الاحتباك ذكر خنوس الكواكب وكنوسها اولا دليلا على
ظهورها ثانيا وذكر الليل ثانيا دليلا على حذف النهار اولا ولما كان ربما ظن انما نقص الظلام عن صلاحية الاقسام
بما هل لذلك بزوال الدلالة فقال **والصبح** اي الذي هو اعدل اوقات النهار **اذا تنفس** اي اضاء واقبل وجهه ونسيمه وانه

اى اضاء واقبل روحه ونسيمه وانسه ولعبه واتسع نوره وانفرج به عن الليل دجونه وذلك بعد اقبال الليل وادباره اى لا اقسم به لانه وان
كان ذا نور ولعبه وحبور وبهجة وسرور ورفاة لكن يتضاءل عن نور القران وما فيه من النعيم والرضوان وابن الثريا من يد المتناول على ان
تنفسه بالبرد واللطافة ينسخه الشمس بالحرارة والكثافة وتنفس القران نفحات القدس ونعيم المواعظ والانس لا ينسخه شئ ولما
بين ان هذه الاشياء التى لولاها لما طاب لهم عيش ولا تهنئوا الحياة وهى من الفضل بحيث لا يعلمه الا خالقها تصغر عن ان يقسم
بها على شئ من فضائل القران لما له من عظيم الشان الذى لا يطيق التعبير عنه البيان وتتضاءل دونه التبيان فالمجيب لذلك احا
عما هو محقق فى نفس الامر اعظم من تحقق هذه الاشياء المقسم بها هاد الى مصالح الدارين اكثر من هدايتهما معا للسفيرين فيه
الملكى والبشرى عليهما الصلاة والسلام والتحية والاكرام مؤكد لما سيحققه السياق لما سيحققه مع ما لهم من الانكار بنبيهما
على ضعف عقولهم وعظيم سفههم بعد ان اقسم بثلثة اقسام فان نفى الاقسام بما ذكر من تفاوتهما كالاقسام بها مع بيان
ان المقسم عليه اعظم منها بما لا يقاس **انه** اى هذا الذكر الذى تعالم فى غاسق بعض ما يستحق من الاوصاف الجميلة والنعوت الجليلة
لقول رسول وهو جبرئيل عليه السلام نحن ارسلناه به الى الخير خلقناه وجعلناه مربعا بيننا وبينه لاقتضاء الحكمة ذلك وهى ان
تكون خلاصة الخلق ذا جهتين واحدة ملكية يتلقى بها من الملائكة عليهم السلام وتكون غيرهم من البشر لا يطيق ذلك واخرى بشرية
يتلقى بها منه المبعوث اليهم ومن المعلوم ان الرسول انما وظيفته تبليغ ما ارسل به فهو سفير محض فالذى اوحاه وان كان قوله
لكونه نطق به وبلغه من غير مشاركة شيطان ولا غيره هو قول الله من غير شك لكونه معبرا عن الصفة القديمة النفسية ولو كان
قول الرسول مستقلا به لما كان لوصفه بالرسالة مدخل فما كانت البلاغة تقتضى ذكره بالوصف ولما بين بوصف الرسالة
انه ليس بقوله الا لكونه مرسلا به ومبلغا له وانه فى الحقيقة قول من ارسله وصفه بما اهمه الوصف مما يوجب حفظه
من غير تحريف ما ولا تغيير اصلا بوجه من الوجوه وذلك ببيان منزلته عند الله ووجاهته وبيان قدرته ونفوذ كلمته
فقال **كريم** اى انتفت عنه وجوه المذام كلها وثبتت له وجوه المحامد كلها فهو جواد شريف النفس طاهر عليه معالى الاخلاق
يسرى من يلم شئ من اللوم لسماحته فلذلك هو يسبق الخيرات باذن ربه على من امر به من العالمين فيؤدى ما ارسل به كما
هو لقيامه بالرسالة كما الكرام فلم يغير فيها شيئا ولا فرط حتى يمكن غيره ان يحرف او يغير والكرم اجتماع وكمالات الشئ
اللائقة به ولما اقتضى هذا القوة صرح به تاكيدا فقال **ذى قوة** اى على ضبط ما ارسل به بنفسه وعلى المدافعة للغير
عن ان يدخل فيه شيئا من نقص واكد القوة بقوله **عند ذى العرش** اى الملك الاعلى المحيط عرشه بجميع الاكوان الذى لا عندية فى الحقيقة
الا له **مكين** اى بالغ المكنة عنده عظيم المنزلة جدا بليغ فيها فهو بحيث لا يتاتى منه تفريط ما فى ابلاغ شئ مما ارسل به لا بغيره
الاحوال ولا لعلائه تضاد الشهوات لانه لا شهوة له الا ما يؤمر به مرسله سبحانه ولما كان المتمكن فى نفسه قد لا يكون
له اعوان قال **مطاع ثم** اى فى الملأ الاعلى فهم عليهم السلام اطوع شئ له قال الحسن فرض الله على اهل السموات طاعة جبرئيل
عليه السلام كما فرض على اهل الارض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم ولما كان ذلك لا يقتضى الامانة صرح بها فقال
امين اى بليغ الامانة فهو مصدق فى القول مقبول الامر موثوق به فى امر الرسالة وافاضة العلوم على القلوب وحا
مطهر جوهرا وفعلا وحالا ومن كان بهذه الصفات الخمس لعظمته كان بحيث لا ياتى الا فى امر مهم جدا لان الملوك لا
يرسلون خواصهم الا فى مثل ذلك ولذلك ائتمنه الله على رسالته ولما وصف السفير الملكى وهو جبرئيل عليه السلام
بهذه الصفات الخمس التى ازال التعنت عن القران بكل يسر وكان وصفه بها انما هو لاجل اثبات شرف الرسول البشرى الذى
بين الحق وعامة الخلق وهو النبى صلى الله عليه وسلم بان ما يقوله كلام الله حقا وكانوا يصفونه بما هو فى غاية النزاهة
عنه وهم يعلمون ذلك ابطله مبكتا لهم بالكذب وموبخا بالبلادة بقوله زيادة فى شرفه حيث كان هو المدافع
عنه **وما صاحبكم** اى الذى طالت صحبته لكم وانتم تعلمون انه فى غاية الكمال حتى انه لم يكن له وصف عندكم الا الامين واغرق
فى النفى فقال **بمجنون** اى كما تبهتونه به من غير استحياء من الكذب الظاهر مع ظهور التناقض فعلى الام اللئام
بل جاء بالحق وصدق المرسلين فما القران الذى يتلوه عليكم قول مجنون ولا قول متوسط فى العقل بل قول اعقل العقلاء واكمل الكمل
وهذا النفى المؤكد ثابت له دائما على سبيل الاستغراق لكل زمان هذا ما دل عليه الكلام لا ما قال الزمخشرى انه يدل على افضلية
جبرئيل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى بقية الملائكة فانه ما سيق لذلك ولا هو والله مما يرضى جبرئيل عليه السلام
قال الاصبهانى هنا هذا ابدا على فضله واما انه يدل على انه افضل من جميع الملائكة ومن محمد صلى الله عليه وسلم فلا يمكنه
قال فى قوله تعالى فى البقرة وملائكته ورسله ولم يلزم من تقديم الملائكة فى الذكر تفضيلهم على الرسل اما تقديم جبرئيل على ميكائيل
فليس بعيدا ان يكون للشرف كما ان تخصيصهما بالذكر لفضلهما وفى النجم يوم دنا جبرئيل من ربه عز وجل وهذا قول مجاهد
يدل عليه ما روى فى الحديث ان اقرب الملائكة الى الله عز وجل جبرئيل عليه السلام انتهى ولو صح هذا الحديث لكان فيه
كفاية لكن لم اجده اصلا وقال الاصبهانى فى عم فى يوم يقوم الروح عن ابن عباس رضى الله عنهما هو اعظم الملائكة خلقا

واشرف منهم واقرب من رب العالمين انتهى فهذا كما ترى صريح فى تفضيل الروح وقال السهيلى فى غزوة بدر من كتابه الروض
ونزل جبرئيل عليه السلام بالف من الملائكة فكان فى خمسمائة فى الميمنة وميكائيل عليه السلام على خمسمائة فى الميسرة ووراءهم
مدد من الملائكة وهم الالاف المذكورون فى سورة ال عمران وكان اسرافيل عليه السلام وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره
من الملائكة عليهم السلام انتهى وهذا يدل على شرف اسرافيل عليه السلام لان موقفه موقف رئيس القوم وفعله فعله والله
اعلم ولما كان المجنون لا يثبت ما يسمعه ولا ما يبصره حق الاثبات فكان التقدير بعد هذا النفى فلقد سمع من رسولنا الملكى
ما ارسل به حق السمع ما التبس عليه فيه حق بباطل عطف عليه الاخبار برفعة شانه فى رؤيته ما لم ير غيره واداته وجوده
فقال **ولقد راه** اى المرسل اليه وهو جبرئيل عليه السلام على صورته الحقيقية ليلة المعراج وبعرفات جامعا الى حس
السمع حس البصر **بالافق المبين** اى الاعلى الذى هو عند سدرة المنتهى حيث لا يكون لبس اصلا ولا يكون للشيطان على ذلك
المكان سبيل فهو حق المعرفة وقال البيضاوى بمطلع الشمس الاعلى يعنى وهو مشرق الانوار والافق الناحية التى تفوق وتعلو
ولما انتفى ما يطعن من لبس السمع وزيغ البصر لم يبق الا ما يتعلق بالتادية فنفى ما يتوهم من ذلك بقوله **وما** اى بمعه وراءه
والحال انه ما **هو على الغيب** اى الامر الغائب عنكم فى النقل عنه ولا فى غيره من باب الادب **بظنين** اى بمتهم من المظنة وهى التهمة
كما يتهم الكاهن لانه يخطئ فى بعض ما يقول فهو حقيق بان يوثق بكل شئ يقوله فى كل احواله هذا فى قراءة ابن كثير وابى عمرو والكسائى
ورويس عن يعقوب بالظاء والمعنى فى قراءة الباقين بالضاد ببخيل كما يبخل الكاهن رغبة فى الحلوان بل هو حريص على ان يكون
كل من امنه عالما بكل ما امره الله بتبليغه ولما اثبت له الامانة والجود بعد ان نفى عنه ما نبزوه به وكان الجنون
اظهر من قول المجنون لان بعض المجانين ربما تكلم الكلام المنتظم فى بعض الاوقات فنفاه لذلك وكان قول الكاهن اظهر من الكا
نفى القول فقال **وما هو** اى القران الذى من جملة معجزاته الاخبار بالمغيبات واغرق فى النفى بالتاكيد بالباء فقال **بقول**
شيطان ولما كان الشيطان لا ينفك عن الطرد لان اشتقاقه من شطن وشاط وذلك يقتضى البعد والاحتراق وصفه
بما هو لازم له فقال **رجيم** اى مرجوم باللعن وغيره من الشهب لاجل استراق السمع مطرود عن ذلك لان القائل له كاهن
كما تعلمون وبقى ما قالوه السحر وهو لا يحتاج الى نفيه لانه ليس بقول بل هو فعل صرف او قول مقترن به والاضغاث وهى
كذلك واضحة العوار فلم يعدها فمن علم هذه الاوصاف للقران والرسولين الاتيين به الملكى والبشرى احبه واحبهما
وبالغ فى التعظيم والاجلال واقبل على تلاوته فى كل اوقاته وبالغ فى السعى فى كل ما يامر به والهرب مما نهى عنه ليحصل له الاستشفا
رغبة فى موافقة من اتى به ورؤية من اتى من عنده ولما لم يدع وجها يلبس به على من لا يعرف حاله صلى الله عليه وسلم
سبب عنه قوله منكرا موبخا **فاين تذهبون** اى يعلو بكم عن هذا الحق المبين يا اهل مكة المدعين لغاية الفطنة وقد علمتم هذا
الحفظ العظيم فى الرسولين الملكى والبشرى ثم ان ياتى ما تدعون من التخليط فى هذا الكتاب العظيم الذى دل على حفظه برهان
عجزكم عن معارضة شئ منه وهو استضحاك لهم واستجهال على ابلغ وجه فى كل ما كانوا ينسبونه اليه بحيث صار ضلالا
معروفا لا لبس فيه ولما كان الحال قد صار الى انه اذا انبه صاحبه بمثل هذا القول نظرا دنى نظر فقال من غير
وقفة لا ان قال **ان** اى **هو** اى القران الذى ياتيكم به **الا ذكر للعالمين** اى شرف للخلق كلهم من الانس والجن والملائكة وموعظة
تبلغه عظمة لهم ولما كان الذى تشرف الوجود كله باظهاره فيه نوع تشرف طابق هذا القران ولما كان الذى
ثم شرفه المهتدى فكان الوعظ والشرف انما هو له فى الحقيقة **لمن شاء منكم** اى ايها المخاطبون **ان يستقيم** اى
يوجد القوم ويوجده ولما كان ذلك ربما تعنت به المتعنت فى خلق الافعال قال نافيا لاستقلالهم ومثبتا
للكسب **وما تشاؤن** اى ايها الخلائق للاستقامة **الا ان يشاء الله** اى الملك الاعلى الذى لا حكم لاحد سواه مشيئتكم وان لم
يشاها لم تقدروا على مشيئة فادعوه مخلصين له الدين ليشاء لكم ما يرضيه فيوفقكم اليه وعن وهب بن منبه انه قال
الكتب التى انزل الله على الانبياء عليهم السلام بضع وتسعون كتابا قرات منها بضعا وثمانين كتابا فوجدت فيها من جعل الى نفسه
شيئا من المشيئة فقد كفر انتهى ومن تامل هذه الاية ادنى تامل علم ان كلام المجبر له بعدها فى العقد دليل على ان الانسان
اذا كان له هوى لا يرده شئ اصلا ومن يضلل الله فما له من هاد ولما وصف نفسه سبحانه بانه لا يخرج شئ عن
امره اتبع ذلك الوصف بما هو كالعلة لذلك فقال **رب العالمين** اى الموجد لهم والمالك والمحسن اليهم والمربى لهم وهو
اعلم بهم منهم فلا خلاف لك لا يقدرون الا على ما قدرهم عليه ويجب على كل منهم طاعته والاقبال بالكلية عليه وشكره اسقطا
للزيادة فبهذه الربوبية صح تصرفه فى الشمس وما تبعها بما ذكر اول السورة لاقامة الساعة لاجل حساب الخلائق والفصل
بينهم بقطع كل العلائق كما يفعل كل رب مع من يربيه فكيف باحكم الحاكمين وارحم الراحمين فقد التقى شرفاها على اشرف
الوجوه واحلاها وانتظم اول الانفطار بما له من بديع الاسرار فالتكوير كالانشقاق والتفطير والانكدار مثل التساقط
والانتثار

سورة الانفطار

مقصودها التحذير من الاهمال فى الاعمال السيئة اعتمادا باحسان الربوبية وكو

ونسانا ليوم الدين الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير ولا تغني فيه نفس عن نفس شيئا واسمها الانفطار اذا تاملها فيها وعلى ذلك بسم الله
الذي له الجلال كما ان له الجمال الرحمن الذي عم بالرحمة ليشكر فتعزز لذلك اهل الضلال الرحيم الذي خص من اراد بالتوفيق لما يرى من الخصال
(ولما) ختمت التكوير بانه سبحانه لا يخرج شيء عن مشيئته وانه موجد الخلق ومدبرهم وكان من الناس من يعتقد ان هذا العالم هكذا
بهذا الوصف لا اخر له ارحام تدفع وارض تبلع ومن مات فات وصار الى الرفات ولا عود بعد الفوات افتتح هذه سبحانه بما يكون
مقدمة لمقصود التي قبلها من انه لا بد من نقضه لهذا العالم واخرابه ليحاسب الناس فيجزي كلا منهم من المسيء والمحسن بما عمل فقال اذا السماء
اي على شدة احكامها واتساقها وانتظامها انفطرت اي انشقت شقوقا اعظم سياق التهويل انه صار لها فطور كثيرة فزال ما كان
لها من الكرية الجامعة للهواء الذي الناس فيه كالسمك في الماء فكما ان الماء اذا انكشف عن الحيوانات البحرية هلكت كذلك تكون الهوائية
الحيوانات البرية فلا يكون حياة الا ببعث جديد ونقل عن هذه الاسباب ليكون الحساب والثواب والعقاب (ولما) كان
يلزم من انفطارها وبنيتها وعدم امساكها لما ابنت بها ليكون ذلك اشد تخويفا لمن تحتها بانهم يترقبون كل وقت سقوطها او سقوط
طائفة منها فوقهم فيكونون بحيث لا يقر لهم قرار فقال واذا الكواكب اي النجوم الصغار والكبار كلها الغرار الزاهرة المتوقدة النار
المرصعة ترصيع المسامير في الاشياء الماسكة التي دبر الله في دار الاسباب بها الفصول الاربع والليل والنهار وغير ذلك من
المقاصد الكبار وكانت محفوظة بانتظام السماء انتثرت اي تساقطت متفرقة كما تتساقط الدر من السلك اذا انقطع تساقطا كانه
لسرعته لا يحتاج الى فاعل لقوة تداعيه الى التساقط (ولما) كان اخباره بما دل على دمار السماء مشعرا بوهي الارض
لانها انقض منها واثر فاذى الارض بمنزلة الذكر للانثى وكان الانفعال ربما اوهم ان ذلك يكون بغير فاعل صرح بوهي الارض
معبرا بالبناء للمفعول دلالة على ان الكل بفعله وان ذلك عليه يسير فقال مخبرا بانفطار الاراضي ايضا ليجمع بين التخويف بالمظل
والترويع بالمقل واذا البحار المتفرقة في الارض وهي ضابطة لها امر ضابط لنفع العباد على كثرتها فجرت اي تفجرا كثيرا ازال
ما بينها من البرازخ الحائلة وقال الربيع بفيضها وخروج مائها على حدوده فاختلط بعضها ببعض من ملحها وعذبها فصارت
بحرا واحدا فصارت الارض كلها ماء ولا سماء ولا ارض فاين المفر (ولما) كان ذلك مقتضيا لبعثرة القبور فاوهم ان اهلها
لا يقومون كما كان العرب يعتقدون ان من مات فات قال دافعا لذلك على نمط كلام القادر بين اشارة الى سهولة ذلك عليه
واذا القبور اي مع ذلك كله بعثرت اي بحث ترابها على سهل وجه عن اهلها فقاموا احياء كما كانوا وانما اقطعهم وهالهم
وروعهم (ولما) كانت هذه الشروط كلها التي جعلت اشراطا على الساعة موجبة لعلوم ذهبه ويكتشف كل واحد منها
عن امور عجيبة وكانت كلها دالة على الانتقال من هذه الدار الى دار اخرى لخراب هذه الدار باسرها اجيب بقوله علمت
نفس اي جميع النفوس بالانباء بالحساب وبما يجعل لها سبحانه من قوة التركيب من ملكة الاستحضار كما قال تعالى فكشفنا
عنك غطاءك والدال على ارادة العموم التعبير بالتنكير في سياق التخويف والتحذير مع العلم بان النفوس كلها في علم مثل
هذا وجهله على حد سواء فمهما ثبت للبعض ثبت للكل ولعله نكر اشارة الى انه ينبغي لمن وهبه الله عقلا ان يجوز انه هو المراد
فيخاف ما قدمت اي من عمل واخرت اي جميع ما عملت من خير وشر او غيرهما او ما قدمت قبل الموت وما اخرت من سنة تتبع بعده
وقال الامام ابو جعفر بن الزبير هذه السورة كانها من تمام سورة التكوير لاتحاد القصد فاتصالها بها واضح وقد مضى
نظير هذا انتهى (ولما) كان ذلك خالعا للقلوب وكان الانسان اذا اعتقد البعث قد يتول تهاونا ببعض المعاصي المرجع
الكريم لا يفعل الاخير الخ قوله مناديا باداة البعد لان الخلق مع ذلك معرض منكرا سبحانه على من يقول
هذا اغترارا بخدع الشيطان انكارا ابهما لانكار يا ايها الانسان اي البشر الانس بنفسه الناسي لما يعنيه ما غرك اي ادخلك في الغرة
وهي ان ترى فعلك القبيح حسنا او ترى انه يعفى عنك لا محالة وذلك بمعنى قراءة سعيد بن جبير والاعمش اغرك لهمزة الانكار
وتزيد المنهوك معنى التعجب بربك اي المحسن المالك الذي ابتدأك احسانه ما خلقت له من خلاص نفسك بعمل ما شرعه لك
(ولما) كان التعبير بالرب مع دلالته على الاحسان يدل على الانتقام عند الامعان في الاجرام لان ذلك شان المربي
فكان ذلك مانعا من الاغترار لمن تامل اسمه كما هو كذلك ايضا ظاهره لطف وباطنه جبروت وقهر فقال للمبالغة في المنع
عن الاغترار الكريم اي الذي له الكمال كله المقتضي لان لا يهمل الظالم ولا يسوي بين المحسن والمسيء والموالي والمعادي والمطيع
والعاصي والمقتضي لان لا يهمل الظالم ولا يسوي بين المحسن والمسيء بل يبالغ في التقرب اليه بالطاعة شكرا له وان لا يعرض احد عنه
لانه يسبك كل شيء ولا شيء يسد عنه فيجب ان يخشى شدة بطشه لانه كذلك المتصف بالكرم لا يكون الا عزيزا فانه يكون شديد
الحلم عظيم السطوة عند انتهاك حرمته لعقد ذلك الحلم فانه يجاوز ما كثيرة على مراده ولا يجد المعاقب عذرا في نقضه
خلافا للئيم فانه لا يجاوز ولا يشتد اخذه فصار الانكار بواسطة هذين الوصفين اشد واغلظ من هذه الجهة
ومن جهة انه كان ينبغي ان يستحي من المحسن الذي لا يكدر في احسانه بوجه فلا يعصى له امر ولا يفرط له في حق ومع ذلك ففي ذكر
هذين الوصفين تلقين للحجة قال ابو بكر الوراق لو سالني لقلت غرني كرم الكريم • وقال علي رضي الله عنه من كرم الرجل سوء ادب

غلمانه

غلمانه وقال الامام الغزالي في شرحه للاسماء هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم اعطى ولمن اعطى ان
رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل والشفعاء (ولما) ذكر هذين الوصفين
الدالين على الكمالين بالجلال دل عليهما تقريرا لهما بافاضة الجود في التربية بوصف الجمال بالاكرام لئلا يعتقد الانسان بما له من الطغيان
انه حرم ما لك لنفسه يفعل ما يشاء فقال الذي خلقك اي اوجدك من العدم مهيئا لتقدير الاعضاء فسواك اي عقب تلك الاطوار وتصوير
الاعضاء والمنافع بالفعل بعد ذلك اي جعل كل شيء من ذلك سليما مودعا فيه قوة المنافع التي خلقه لها وعدل المزاج حتى قبل الصور
والتعديل جعل البنية متناسبة الخلقة وكذا العدل في قراءة الكوفيين بالتخفيف اي فاما لك عن تشويه الخلقة وقبح الصورة وجعلك
معتدل الاعضاء صورتك وكل هذا يقتضي غاية الشكر والخوف منه ان عصي لانه كما قدر على التسوية يقدر على التشويه وغير من العذاب
(ولما) اصلا بهذا اضاءة الشمس انه عظيم القدرة على كل ما يريد انتج قوله متعلقا بركبك في اي صورة اي من الصور التي
تعرفها والتي لا تعرفها من الدواب والطيور وغير ذلك من الحيوان وغيره (ولما) كان المراد تقرير المعنى غاية التقرير
اكد الثاني في سياق الاثبات لينفي ضد ما انتجه الكلام فيصير ثبات المعنى على غاية من القوة لا مزيد عليها فقال ما شاء ركبك
اي للعف ركب اعضاءك وجمع الروح الى الجسد بالبدن • روى الطبراني في معاجمه الثلاثة برجال ثقات عن مالك بن الحويرث
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله جل اسمه ان يخلق النسمة فجامع الرجل المراة طار
ماؤه في كل عرق وعصب منها فاذا كان اليوم السابع احضر الله له كل عرق بينه وبين ادم ثم قرا في اي صورة ما شاء ركبك
فتحرر بهذا ان الانسان دفوق فالا رضا ومن خلع ربقه ذلك الربق اللازم وكل الى نفسه فهلك (ولما) اوضح سبحانه غاية
الايضاح الدليل على قدرته على الاعادة بالابتداء وبين تعالى انه ما اوجب للانسان الخسار بنسيان هذا الدليل الدال
على تلك الدار الا الاغترار وكان الاغترار يطلق على ادنى المعنى بين انه ارتقى به الدروم فقال كلا اي ما اوقعكم ايها الناس
في الاعراض عمن يجب الاقبال عليه ويقبح غاية القباحة الاعراض بوجه عنه مطلق الغرور بل اعظمه وهو انكم تكذبون اي على
سبيل التجديد بتجدد اقامة الادلة القاطعة وقيام البراهين الساطعة بالدين اي الجزاء الذي وطنه الله في يوم
البعث فارجعوا عن الغرور مطلقا خاصا وعاما وارتدعوا غاية الارتداع وان اي والحال ان عليكم اي من اقتناهم
من الملائكة من جندنا لحافظين لهم على اعمالكم يقصد بحيث لا يخفى عليهم منها جليل ولا حقير (ولما) اثبت لهم الحفظ نفي عنهم
عن الزيادة والنقص فقال كراما اي لهم في غاية ما يكون من طهارة الاخلاق (ولما) اثبت الحفظ والامانة بغاية الابانة
وكان الحافظ ربما نسي قال كاتبين اي هم راسخون في وصف الكتابة يكتبون ما في الصحف كما يكتب الشهود منكم العهود لنفع الجزاء
بينكم على غاية التحرير (ولما) اثبت لهم الاستعلاء والتعبير بالوصف حاطة الاطلاع على ما يبرز من الاعمال صرح به فقال
يعلمون اي على التجدد والاستمرار ما تفعلون اي تجددون فعله من خير وشر بالعزم الثابت والداعية الصادقة سواء
كان مبنيا على علم او لا فكيف يكون مع هذا التكذيب بالجزاء على النقير والقطمير هل يكون احصاء ما قبل الدين اعمالكم عبثا
وهل علمتم مملكة يكون له رعية يتركهم هملا فلا يحاسبهم على ما في ايديهم وما عملوه ولاجل تكذيبهم بالدين اكد المعنى المستلزم
له وهو امر الحفظ غاية التاكيد والتعبير بالمستقبل يدل على انهم يعلمون كل ما انقدح في القلب وخطر في الخاطر قبل ان يفعل
واما ما لم يخرج في النفس لم يذكر فلا يعلمونه كما بينه حديث من هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها له حسنة (ولما) كانت نتيجة
حفظ الاعمال الجزاء عليها انتج ذلك بيان ما كانت الكتابة لاجله تفريقا بين المحسن والمسيء الذي لا يصح في حكمة حكيم ولا كرم كريم
غيره قوله على سبيل التاكيد لاجل تكذيبهم ان الابرار اي العاملين بما هو واسع لهم مما يرضي الله لفي نعيم اي محيط بهم لا ينفك
اصلا في الدنيا في نعيم الشهود وفي الاخرة في نعيم الرؤية والوجود في هذه الدار معنى وفي الاخرة حسا فكل نعيم في الجنة لهم
من المنح الاجلة ثم قابله في هذه الدنيا لهم عاجله وان الفجار اي الذين شانهم الخروج مما ينبغي الاستقرار فيه من رضى الله
سخطه لفي جحيم اي نار تتوقد غاية التوقد يصلون بها جحيم العقوبة القطيعة كما كان في الدنيا في جحيم البعد والقطيعة عن
(ولما) كان السياق للترهيب وصف عذاب الفجار فقال يصلونها اي يمسون فيها كالشاة المصلية فيباشرون حرها
يوم الدين اي الجزاء على الاعمال المضبوطة على مثاقيل الذر (ولما) كان الجزاء على ما ليعهد لا بد ان ينقضي بين انه لا عذاب
على غير ذلك فقال وما اي والحال انهم ما هم عنها اي الجحيم بغائبين اي بثابت لهم غيبة ما عنها في وقت ما بل هم فيها خالدون
جزاء لاعمالهم وفاقا وعدلا طباقا واحيا لانه في دار الدنيا اذ كانوا لا يحولون عنها الا بعد الموت لان الناس نيام فاذا
ماتوا انتبهوا (ولما) علم ان الوعيد الاعظم يوم الدين هول امره بالسؤال عنه اعلاما بانه اهل لان يصرف العمر الى
الاعتناء بامره والسؤال عن حقيقة حاله سؤال ايمان واذعان لا سؤال كفران وطغيان ليكون اقعد في الوعيد به فقال
وما ادراك اي اعلمك وان اجتهدت في تطلب الدراية به ما يوم الدين اي اي شيء هو في طوله واهواله وفظاعته
وزلزاله (ولما) كان هذا هو اللائق على الحاضر كرر ذلك السؤال لذلك الحال فقال معبرا باداة التراخي زيادة في التهو

ثم ما ادريك اى اعلمك ما يوم الدين وليتا بين انه من العظمة بحيث لا تدرك دراية دار وان عظم وان اجتهد الحفل امره في شرح
ما يحتمله العقول منه على سبيل الاجمال دافعا ما قد يقوله بعض من لا عقل له ان كان ذلك انقضت والنجاة الى بعض الاكابر
وتصدقت لبعض الاعيان الاماثل فاخلص قهرا او شفاعة ونحوها فقال مبدلا من يوم الدين في قراءة ابن كثير والبصريين
بالرفع يوم وهو ظرف قال الكسائي العرب تؤثر الرفع اذا اضافوا اليوم والليل الى مستقبل واذا اضافوا الى فعل ماض آثروا
النصب لا تملك اى بوجه من الوجوه ثم حذف ما تملك اى نفس كائنة من غير استثناء ونصبه الباقون على الظرف ويجوز ان تكون
الفتحة للبناء الاضافة الى غير متمكن لنفس شيئا اى قل او جل وهذا وان كان اليوم ثابتا لكنه في هذه الدار بطن سبحانه في الاسباب
فمعتبر في النفوس ان الموجودين يتصرفون ويفعلون لانهم يتكلمون ويبطشون واما هناك فالمعتبر في النفوس خلاف ذلك من
انه لا يتكلم احد الا باذنه اذنا ظاهرا ولا يكون لاحد فعل الا بامره كذلك فالامر كله له دائما لكن اسمه الظاهر هناك
ظاهر واسمه الباطن هنا مقرر بحجاب العزة وستائر وليتا كان التقدير فلا امر لاحد من الخلق اصلا لا ظاهرا ولا
باطنا عطف عليه قوله والامر اى كله يومئذ اى اذا كان البعث للجزاء لله اى مختص به لا يشاركه فيه باطنا ويحصل هناك الكشف
الكلي ولا يدعي احد لاحد امرا من الامور بغير اذن ظاهر خاص وتصير المعارف بذلك ضرورية فلذلك كان الانفطار والزلازل
الكبار والاحصار لجميع الاعمال الصغار والكبار وقد رجع اخرها كما ترى الى اولها والتف مفصلها بموصلها

سورة التطفيف مقصودها

شرح اخر الانفطار بانه لا بد من دينونة العباد يوم التناد باسكان الاولياء اهل الرشاد
دار النعيم والاشقياء اهل الضلال والعناد دار الجحيم ودل على ذلك بانهم مربوبون والمحسن اليهم بعموم النعم لا يتخيل احد
ابن عاقل ان احدا يترك احدا من غير سؤال عما حمله اياه وكلفه به ولانه لا ينصف بعض من يربيهم من بعض واسمها التطفيف
ادل ما فيها على ذلك بسم الله الذي الحكمة البالغة والقدرة الكاملة الرحمن الذي عم بنعمة الايجاد والبيان الشاملة الرحيم
الذي اكرم حزبه بالتوفيق لحسن المعاملة لما ختم الانفطار بانقطاع الاسباب وانحسام الانساب يوم الحساب
وابلغ في التهديد بيوم الدين وانه لا امر لاحد معه وذكر الاشقياء والسعداء وكان اعظم ما يدور بين العباد المقادير
وكانت المعصية بالبخس فيها من اخس المعاصي ادناها حسد رمز الخيانة فيها وذكر ما اعد لاهلها وجمع اليهم كل من اتصف
بوصفهم محله وصفه على نوع من المعاصي كل ذلك تنبيها للاشقياء الغافلين على ما هم فيه من السموم الممرضة المهلكة ونبه على الشقا
لمن اراده فقال ويل اى هلاك ثابت عظيم في كل حال من احوال الدنيا والاخرة للمطففين اى الذين ينقصون المكيال والميزان
ويبخسون حقوق الناس وفي ذلك تنبيه على ان اصل الافات الخلق السيئ وهو حب الدنيا الموقع في جمع الاموال من غير وجهها
ولو باخس الوجوه التخفيف الذي لا يرضاه ذو مروءة وهم من يقاربون ملء الكيل وعدل الوزن ولا يملؤن ولا يعدلون وكانه
من الازالة اى ازال ما اشرف من اعلى الكيل من الطف وهو ما اشرف من ارض العرب على ريف العراق ومنه في حديث ابن عمر رضي
الله عنهما فالكنت فارسا فسبقت الناس حتى طفف بي الفرس مسجد بني زريق يعني ان الفرس وثب حتى كاد يساوي المسجد ويقال
طف الرجل الحائط اذا علاه او من القرب من قولهم اخذت من متاعي ما خف وطف اى قرب مني وكل شيء ادنيته من شيء فقد
اطففته والطفافة من الاناء وغيره ما قارب ملاه ما يسم ملاه وفي الحديث كلكم بنو ادم طف الصاع او من الطف وهو
التقتير يقال طفف عليه تطفيفا اذا قتر عليه او من الطفيف وهو من الاشياء الخسيس الدون والقليل فكان التضعيف
للازالة على المعنى الاول كما مضى وللمقاربة الكثيرة على المعنى الثاني اى انه يقارب ملء المكيال مقاربة كبيرة مكرا وخداعا
حتى يظن صاحب الحق انه وفى ولا يوفي يقال اطف فلان لفلان اذا اراد ختله واذا اغنى عن هذا فقد نهى عن بعض لكن بمفهوم
الموافقة وعلى المعنى الثالث بمعنى التقتير والمشاححة في الكيل وعلى المعنى الرابع بمعنى التنقيص والتقليل فيه وكانه اختير
هذا اللفظ لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير جدا هذا اصله في اللغة وقد فسره الله تعالى فقال
الذين اذا اكتالوا اى عالجوا الكيل والوزن فاتزنوا بما دل عليه ما ياتي وعبر باداة الاستعلاء ليكون المعنى مستعلين
او متحاملين على الناس اى خاصة بمشاهدتهم كائنين من كانوا لا يخافون شيئا ولا يراعون احدا بل صار بالخيانة والوقاحة
لهم ديدنا وهذا الفعل يتعدى بمن وعلى يقال اكتال من الرجل وعليه ويجوز ان يكون اختيار التعبير بعلى هنا مع ما تقدم
الاشارة الى انهم اذا كان لهم نوع علو بان كان المكتال منه ضعيفا خافوا فيكون امرهم دائرا على الرذالة وسفول الهمة
التي لا اسفل منها يستوفون اى يوجدون لانفسهم الوفاء وهو تمام المكيل بغاية الرغبة والمبالغة في الملء وكانه ذكر
اكتالوا ولم يذكر اتزنوا لانه لا يتأتى الوزن من المعالجة ما يتأتى في الكيل لانهم يتمكنون في الاكتيال من المبالغة في الاستيفاء
المؤدي الى الزيادة فلذلك ذكرهما فيه وليتا انهم يقدم الجار للاختصاص فافهم انهم اذا اخلوا من انفسهم لا يكون كذلك
صرح به فقال واذا كالوهم اى كالوا الناس اى حقهم اى ما لهم من الحق او وزنوهم اى وزنوا ما عليهم من الحق يقال كال الشيء
الرجل وعليه وكال له الطعام وكاله الطعام ووزنت الرجل الشيء ووزنت له الشيء ولعله سبحانه اختار على الاول المعدى

اى اشتبه في الثاني لانه ادل على حضور صاحب الحق فهو في غيبته اولى فهو ادل على المرون على الوقاحة فهما كلمتان لا اربع لانه ليس بعد الواو الف
جمع قال البغوي وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين يقف كالوا او وزنوا ويبتدي هم قال ابو عبيدة والاختيار الاول قال البغوي يعني ان كل واحدة
كلمة لانهم كتبوهما بغير الف باتفاق المصاحف. وقال الزمخشري ولا يصح ان يكون ضميرا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك
ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا استوفوا
واذا تولوا الكيل او الوزن على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط
المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط انتهى
ولا شك ان في خط المصحف تقوية لهذا الوجه المعنوي وتاكيدا يخسرون اى يوجدون الخسارة بالنقص فيما يكيلون لغيرهم والحال
انهم ياخذون وافيا او زائدا او يعطون ناقصا. وقال الامام ابو جعفر بن الزبير قال سبحانه في سورة الانفطار وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين الاية وكان مقتضى ذلك الاشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الاعمال وانه لا يفوت عمل كما قال تعالى وان كان حبة من
خردل اتينا بها اتبع الاية المتقدمة بجزئي عمل يتوهم فيه قرب المرتكب وهو من اكبر الجرائم وذلك التطفيف في المكيال
والميزان والانحراف عن اقامة القسط في ذلك فقال تعالى ويل للمطففين ثم اردف بتهديدهم وتشديد وعيدهم فقال
الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ثم التحمت الاى مناسبة لما افتتحت به السورة الى خاتمتها انتهى وليتا
ذكر سبحانه انهم اذا مرنوا على هذه الرذائل حتى صارت لهم خلقا مرنوا عليه وانسوا به وسكنوا اليه وكان ذلك لا يكون
الا ممن امن العقاب وانكر الحساب انتج ذلك الانكار عليهم على ابلغ الوجوه لانهم مع ان حالهم اهل لان يتعجب منه ويستفهم عنه
وان المستفهم عن حصوله عندهم الظن واما اليقين فلا يتخيل فيهم لبعد حالهم الجافية وافهامهم الجامدة عنه فقال
تعالى الا يظن اولئك اى الاخساء البعداء الارجاس الانذال يتجدد لهم وقتا من الاوقات ظن لم يتيقنوا ايمانهم من
من البراهين التي افادت على رتبة اليقين فانهم لو ظنوا ذلك ظنا لهم ان كان لهم نظر لانتهيهم عن مثل هذه القبائح ومن
تعدى تلك الدلائل القاطعة ظنا يحتاط به لنفسه فلا حصل له اصلا انهم وعبر باسم المفعول فقال مبعوثون اشارة
الى القهر على اهون وجه بالبعث الذي قد اعتادوا مثله من القهر باليقظة بعد القهر بالنوم ليوم اى لاجله وفيه وزاد
التهويل بقوله عظيم اى لعظم ما يكون فيه من الجمع والحساب الذي يكون عنه الثواب والعقاب مما لا يعلم على حقيقته
الا هو سبحانه وليتا عظم ذلك اليوم تحذيرا منه وزاده تعظيما بان اتبعه على سبيل القطع قوله ناصبا بتقدير
اعني على ما بان المجد فيه باعين جميع الخلائق فهو فضيحة لا تشبهها فضيحة يوم يقوم اى على الارجل الناس اى كل من فيه
قابلية الحركة وذلك يوم القيامة خمسين الف سنة لا ينظر اليهم سبحانه رواه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو رفعه
ورجاله ثقات لرب العالمين اى لاجل حكم موجد الخلائق ومربيهم كلهم فلا يخفى احدا من رزقه ولا يهمله من حكمه ولا يرضى بظلم
احد ممن يربيه فهو تنقص لكل من كل حكم التربية كل ذلك من استفهام الانكار وكلمة الظن ووصف اليوم بما وصف
وغير ذلك للابلاغ في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه. وروى الحاكم من رواية عبد الله بن بريدة عن ابيه رضي الله عنه
رفعه ما نقض قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر
ومن طريق عطاء بن ابي رباح عن عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه وللطبراني من طريق الضحاك عن مجاهد وطاوس عن ابن عباس
رضي الله عنهما مرفوعا نحوه وليتا انهى سبحانه ما اراد من تعظيم ذلك اليوم والتعجيب ممن لم يتعلق بترا هيبته
ان يجوزه والانكار عليه وكان مع ما فيه من التقريع مفهما للتقرير نفى باداة الردع للمبالغة في النفي مضمون ما وقع
الاستفهام عنه فقال كلا اى لا يظن ذلك بوجه من الوجوه لكثافة طباعهم ووقوفهم مع المحسوس داب البهائم
بل لا يجوزونه ولو جوزوه لما وقعوا في ظلم احد ممن يسالون عنه في ذلك اليوم المهول وما اوجب لهذا الوقوع
في الجرائم الا الاعراض عنه. وقال الحرالي معنى حقا متصلة بما تقدمها انتهى وهي مع ذلك مفهمة للردع الذي ليس
بعده ردع عن اعتقاد مثل ذلك والمواقعة لشيء مما يوجب الخزي فيه وليتا اخبر عن انكارهم استانف اثباته اكد
على ابلغ وجه واقطعه مهولا لما وقع لهم من السرور والفوات للسرور مؤكدا لاجل انكارهم فقال ان كتاب واظهر
موضع الضمير تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال الفجار اى صحيفة حساب هؤلاء الذين حملهم على فجورهم ومروتهم
وكذا كل من وافقهم في صفاتهم فكان في غاية المروق بمباعدة ملابسة وملازمته وابلغ في التاكيد فقال لفي سجين هو
علم منقول من صيغة مبالغة من وصف من السجن وهو الحبس لانه سبب الحبس في جهنم اى انه ليس فيه اهلية الصعود الى محل
الاقداس اشارة الى ان كتابهم اذا كان في سجن عظيم اى ضيق شديد كانوا هم في اعظم قال ابن جرير وهي الارض السابعة
انتهى وهو يفهم مع هذه الحقيقة انهم في غاية الخسارة لانه يقال لكل من انحط صار ترابا ولصق بالارض ونحو ذلك ثم زاد في

مؤكدا بالاخبار بانه اهل لان يسأل عنه وتضرب اليه اكباد الابل فقال وما ادراك اي جعلك داريا وان اجتهدت
في ذلك ما سجين اي انه بحيث لا تحتمل وصفه العقول وهو مع ذلك في اسفل سافلين تشهده المبعدون من الشياطين وسائر
الظالمين تصعد بالميت منهم الى السماء فتغلق ابوابها دونه فيرد فتهوي به الريح فتشمت به الشياطين وكلما قال فيه وما ادراك
فقد ادراه به بخلاف وما يدريك ولما ابهم ما اراد من وصفه اعرض عن بيانه اشارة الى انه من العظم بحيث انه يكل عنه
الوصف واستأنف امر الكتاب المسجون فيه فقال محذرا منه مهولا لامره كتاب اي عظيم لحفظه التغير والتطهر مرقوم اي
مستور بين الكتابة كما تبين الرقم في جلد الثور الاسود ويعلم كل من رآه انه غاية في الشر وهو كالرقم في الثوب والنقش في الحجر
لا يمحى ولا يبلى ولما اعلم هذا بالكتاب من الشر استأنف الاخبار بما ينتجه مما لاصحابه فقال ويل اي اعظم الهلاك
يومئذ اي اذ يقوم الناس لما تقدم ولما كان الاصل لهم ابدله بوصف ظاهر لتعميم ولتعليق الحكم به فقال للمكذبين
اي الراسخين في التكذيب بكل ما ينبغي التصديق به ولما اخبر عن ويلهم وصفهم بما بين ما كذبوا وبلغ في ذمهم فقال
الذين يكذبون اي يوقعون التكذيب بكل من ينبغي تصديقه مستهينين بيوم اي بسبب الاخبار بيوم الدين اي الجزاء الذي
هو سر الوجود وما اي والحال انه ما يكذب اي يوقع التكذيب به الا كل معتد اي متجاوز للحد في العناد والجمود والتقليد
لان محطه نسبة من ثبت بالبراهين القاطعة على انه على كل شيء قدير الى العجز عن اعادة ما ابتداه اثيم اي مبالغ في
الانهماك في الشهوات الموجبة للاثام وهي الذنوب فاسود قلبه فعمي بنظر الشهوات الذي حجبت بها النار عما عداها ولما
اثبت له الابلاغ في الاثم دل عليه بقوله باداة التحقق اذا تتلى اي من اي تال كان مستعليه بما لها من البراهين
عليه اياتنا اي العلامات الدالة على اربابها له مع ما لها من العظم بالنسبة الينا قال اي من غير توقف ولا تامل بل بحظ
نفسه اوقعته فيه شهوة المغالبة التي سببها الكبر اساطير الاولين اي من الاباطيل ليست كلام الله فكان لفرط جهله بحيث
لا ينتفع بشواهد النقل كما انه لم ينظر في دلائل العقل ولما كان هذا قد صار كالانعام في عدم النظر بل هو اضل سبيلا
لانه قادر على النظر ودونها قال رادعا له ومكذبا ومبينا لما ادى به الى هذا القول وهو لا يعتقده كلا اي ليرتدع ارتداعا
عظيما ولينزجر انزجارا شديدا فليس الامر كما قال في المتلو ولا هو معتقد له اعتقادا جازما لانه لم يتله عن بصيرة
بل ران اي غلب واحاط وغطى تغطية الغيم للسماء والصداء للمرآة وجمع اعتبارا بمعنى كل لئلا يتعنت متعنت فقال مغيرا
بجمع الكثرة اشارة الى كثرتهم على قلوبهم اي كل من هذا القول ما كانوا اي جبلاتهم الفاسدة يكسبون اي يجددون كسبه مستمرين
عليه من الاعمال الرديئة فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات فخيرا فخير او شرا فشر فتراكم الذنب على القلب
فيسود فلذلك كانوا يقولون مثل هذا الاعتقاد بل هو شيء يسدون به المجالس ويقيمون لانفسهم عند العامة المعاذير
ويعتذرون به عن اثام التابعين بما حرقوه من قلوبهم احرق الله بيوتهم وقلوبهم بالنار فانهم لا يطيقون في غص من
الاغصان ولا يخشون من عار ولا شنار روى احمد والترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب صقل منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه
فذلك الران الذي قال الله وقال الغزالي في كتاب التوبة من الاحياء قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدا خلقته عن اتباع
الشهوات وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من وجه الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة
فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكم الدين صار طبعا كالخبث
على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل التصقيل بعده وصار كالمطبوع
من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لابد من محو تلك الاثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي
في جلاء الصورة في المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاثار
وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية
بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم واتبع السيئة الحسنة تمحها ولما كان ادعاؤهم انما هو قول
قالوه بافواههم لا يتجاوز تراقيهم عطف عليه ما اعاد ردعهم عنه وتكذيبهم فيه فقال كلا اي ليس الامر كما قالوا من الاساطير لا في
الواقع ولا عندهم فليرتدعوا عنه اعظم ارتداع ولما كان قول الانسان لما لا يعتقده ولا هو في الواقع كما قال
في غاية العجب لا يكاد يصدق علله مبينا ان الحامل لهم عليه انما هو الحجاب الذي ختم به على قلوبهم فقال مؤكدا لاجل من
ينكر ذلك من المعتزلة وغيرهم انهم عن ربهم اي عن ذكر المحسن اليهم وخشيته ورجائه يومئذ اي اذ قالوا هذا القول الفاسد
ولما كان المانع انما هو الحجاب بنى للمفعول قوله لمحجوبون فلذلك استولت عليهم الشياطين والاهوية فصاروا
يقولون ما لو عقلته البهائم لاستحيت من ان تقوله والاحسن ان يكون الاية بيانا وتعليلا لو يعلم الذي سبق
الاخبار به ويكون التعبير بيوم اذكار يوم الدين ويكون المراد الحجاب عن الرؤية ويكون في ذلك البشارة للمؤمنين

بها وقال البغوي والاكثر المفسرين عن رؤيته وقال الامام مالك والامام الشافعي وشيخه مالك استدلالا بهذه الاية على الرؤية واسند
الحافظ ابو نعيم في الحلية في ترجمة الشافعي انه قال في هذه الاية دلالة على ان اولياءه يرونه على صفته وقال ابن الفضل كما حجبهم في الدنيا
عن توحيده حجبهم في الاخرة عن رؤيته وقال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم
في الدنيا وقال القشيري ودليل الخطاب يوجب ان يكون المؤمنون يرونه كما يعرفونه اليوم انتهى وفيه تمثيل لاهانتهم باهانة من
يمنع الدخول على الملك ولما بين ما لهم من العذاب بالحجاب الذي هو عذاب القلب الذي لا عذاب اشد منه لانه يتفرع عنه
جميع العذاب شرع يبين بعد ما تفرع عنه من عذاب القالب مؤكدا لاجل انكارهم فقال معبرا باداة التراخي اعلاما بعلو رتبته
في انواع العذاب فقال ثم انهم اي بعد ما شاء الله من تمهلهم لصالوا الجحيم اي لداخلون النار العظمى ومقيمون فيها مقاسون
لحرها ويغمسون فيها كما تغمس الشاة المصلية اي المشوية ولما بين ما لهم من العقاب الذي هو للقلب والقالب تبعه القول
بالتوبيخ والتبكيت الذي هو عذاب النفس وبناه للمفعول لان المنكي سماعه لا كونه من معين واشارة الى انه يتمكن من
قولهم كل من يصح منه القول من خزنة النار ومن اهل الجنة وغيرهم لانه لا منعة عندهم ثم يقال اي لهم بعد مدة تبكيتا
وتغريبا ويندبهم وتشنيعا هذا اي العذاب الذي كنتم اي بما لكم من الجبلات الخبيثة به اي خاصة لان تكذيبكم بغيره
كلا تكذيب بالنسبة اليه لما له من الفضاحة ولكم من الرسوخ فيه والملازمة له تكذبون اي توقعون التكذيب به
وتجددونه مستمرين عليه ولما كان هذا ربما افهم انهم يرون جميع عذابهم اذ ذاك نفاه بقوله كلا اي ليس هو المجموع
بل هو فرد من الجنس فلهذا احمل عليه الجنس وهو نزلهم والامر اطم واعظم من ان يحيط به الوصف ولما ذكر ما للمكذبين
من العذاب الذي جره اليهم اقبالهم على الدنيا بادئا به لان المقام من اول السورة للوعيد وصوادع التهديد اتبعه
ما للمصدقين الذي اقبل بهم الى السعادة الحظوظ واعراضهم عن عاجل شهوات الدنيا فقال مؤكدا لاجل تكذيبهم ان كتاب
الابرار اي صحيفة حسنات الذين هم في غاية الاتساع في شرح صدورهم واتساع عقولهم وكثرة اعمالهم وزكائها
وغير ذلك من محاسن امورهم لفي عليين اي اماكن منسوبة الى العلو وفيه النسبة ولا الى علي فعلين ثم جمع وان كان لا واحد
له من لفظه كعشرين واخواته قال الكسائي اذا جمعت العرب ما لا يذهبون فيه الى ان له بناء من واحد واثنين فانهم
يجمعون بالواو والنون في المذكر والمؤنث نهي فهي درجات متصاعدة الى الله ولا يحجب عنه كما يحجب الاشقياء
بعضها فوق بعض الى ما لا نهاية له بحسب رتب الاعمال وكل من كان كتابه من الابرار في مكان لحق به كما ان من كان كتابه من الفجار
في سجين لحق به قال الرازي في اللوامع من ترقى علمه عن الحواس والاوهام وفعله عن مقتضى الشهوة والغضب فهو حقيق بان يكون
عليا ومن كان علمه وادراكه مقصورا على الحواس والخيال والاوهام وفعله على مقتضى الشهوات البهيمية فهو حقيق ان
يكون في سجين ولما كان هذا امرا عظيما زاد في تعظيمه بقوله وما اي واي شيء ادراك اي جعلك داريا وان اجتهدت
في الفحص ما عليون فان وصفه لا تسعه العقول ويلزم منه لعلوه فضاء مطلق واتساع مبين ولما عظم المكان
علمت عظمة الكتاب فابتدأ الاخبار عنه على سبيل القطع زيادة في عظمته فقال كتاب اي عظيم مرقوم اي فيه ان فلانا
امن من النار رقما بالذي رقم ما احسنه وما ابهاه وما اجمله ولما عظمه في نفسه وفي مكانه عظمه في حضاره
فقال يشهده المقربون اي يحضره حضورا تاما دائما لا غيبة فيه والجماعة الذين يعرف كل احد انه ليس لهم عند كل من يعتبر
تقربه الا التقرب من ابتدائه الى انتهائه يشهدون هذا المسطور وهم الملائكة يشيعونه من سماء الى سماء فرحين
به سرورا وتعظيما لصاحبه ويشهده من في السموات من الانبياء عليهم السلام والصديقين والشهداء والصالحين
فالاية مع الاولى من الاحتباك ذكر السجين ولا دل على الاتساع ثانيا وذكر عليين والمقربين ثانيا دالا على اسفل
سافلين والمبعدين اولا ولما عظم كتابهم بهذه الفضائل التفتت النفس الى معرفة حالهم فقال سائقا لبعض هذه الالقاب
مؤكدا لاجل من ينكر ان الابرار اي الذين هذا كتابهم لفي نعيم اي محيط بهم ضد ما فيه الفجار من الجحيم ولما كان
لا شيء انعم للانسان من شيء عال يجلس عليه ويمد نظره الى ما تشتهي مما لديه قال مصيبا لذلك النعيم على الارائك اي الاسرة
العالية مع هذا العلو المطلق في الحجال التي تغني العكر وصفها بما لها من العلو من ترصيع اللؤلؤ والياقوت
وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر ينظرون اي الى ما يشتهون من الجنان والانهار والحور والولدان ليس لهم شغل عن
ذلك وما شابهه من المستلذات وقال القشيري اثبت النظر ولم يبين المنظور اليه لاختلافهم منهم من ينظر الى
قصوره ومنهم من ينظر الى حوره ومنهم ومنهم والخواص على دوام الاوقات الى الله ينظرون كما ان الفجار دائما
عن ربهم محجوبون ولما وصف نعيمهم اخبر انهم من عراقتهم فيه يعرفهم به كل ناظر اليهم فقال تعرف اي ايها
الناظر اليهم هذا على قراءة الجماعة وقراه ابو جعفر ويعقوب بالبناء للمفعول وهو دال على العموم في وجوههم عند
رؤيتهم نضرة النعيم اي بهجته ورونقه وحسنه وبريقه وطراوته من نضرة النبات اذا ازهر ونور وقال الحسن

النضرة في الوجه والسرور في القلب ولما كانت مجالس الانس لا سيما في اماكن النضرة لا تطيب الا بالماكل والمشارب
وكان الشراب يدل على الاكل فالمقتصر عليه لان هكذا السياق فصار بعضه مهما الجمع مع الاقتصار قال يسقون بانيا
للمفعول لانه على انهم مخدومون ابدا لا كلفة عليهم في شيء من رحيق اي شراب خالص صاف عتيق ابيض مطيب في غاية
اللذة فانهم قالوا ان الرحيق الخمر او اطيبها او افضلها او الخالص والصافي وضرب من الطيب ولا شك ان لفا ابل الارب
الخمر مطلقة فكيف باعلاها الا اذا كان مستكملا لمقدمات تمام ماكول ومشروب وملبوس ومنكوح وغير ذلك ولما
كان الختم لا يكون الا لما عظمت رتبته وعزت نفاسته قال يريد الحقيقة او الكناية عن نفاسته مختوم اي فهو مع نفاسته
سالم من الغبار وجميع الاقذاء والاقذار ولما كان الختم حين الفك لا بد ان يبرز من فتاته في الشراب قال ختامه
مسك وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان المراد ختامه اخر طعمه فيحصل ان ختامه في اول فتحه وفي اخر شربه المسك فلذلك
ينبغي ان لا يسحه الاشارة به وانه يكون على قدر كفايته فلشربه والعبارة صالحة لان يكون الختام اولا واخرا
وهي تجري مجرى اقتصاص الكر ولما كان التقدير فيه يبلغ نهايته اللذة الشاربون عطف عليه قوله وفي ذلك اي الامر
العظيم البعيد المتناول وهو العيش والنعيم والشراب الذي هذا وصفه فليتنافس اي فليرغب غاية الرغبة بجميع الجهد
والاختيار المتنافسون اي الذين من شانهم المنافسة وهي ان يطلب كل منهم ان يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة
دون غيره لانه نفيس جدا والنفيس هو الذي تحرص عليه نفوس الناس وتتغالى فيه والمنافسة في مثل هذا بكثرة الاعمال
الصالحة والنيات الخالصة ولما ذكر الشراب بشعه مزاجه على ما يتعارفه اهل الدنيا لكن بما هو اشرف منه
فقال مبينا لحال هذا المشتهي ومزاجه اي يسقون منه والحال ان مزاج هذا الرحيق من تسنيم علم على عين بعينه وهو
مع كونه علما دال على انها عالية المحل والرتبة والشراب ينزل عليهم ماؤها من العلو وقال حمزة الكرماني ماؤها
يجري على الهواء متسنما منصب في اواني اهل الجنة على مقدار الحاجة فاذا امتلات امسك وهو في التعارف جعل
عال وكذا التسنيم واصله من السنام ولذلك قطعها مادحا فقال عينا يشرب بها اي بسببها على طريقة المزج منها المقربون
اي الذين وقع تقريبهم من اجل ان الحق لهم اليه وقصر هممهم عليه كل شراب يريدونه واما الابرار فلا يشربون
بها الا الرحيق واما غيرهم فلا يصل اليها اصلا وقال العصم ان المقربين يشربون من هذا العين صرفا والابرار تمزج
لهم منها ولما ذكر سبحانه جزاء الكافر بالجحيم وجزاء المؤمن بالنعيم وكان من اجل النعيم الشماتة بالعدو وعلل
جزاء الكافر بما فيه شماتة المؤمن به لانه اشتغل في الدنيا بما لا يغني فلزم من ذلك تقويته لما يغني فقال مؤكدا
لان ذوي المروات والهمم العاليات والطبع السليم والمزاج القويم لا يكاد يصدق بمثل هذا واكده اشارة الى انه
من حقه ان لا يكون ان الذين اجرموا اي قطعوا ما امر الله به ان يوصل كانوا اي في الدنيا ديدنا وخلقا من الذين امنوا اي
ولو كانوا في ادنى درجات الايمان يضحكون اي يجددون الضحك كلما راوهم وذكروهم استهزاء بهم في رثاثة احوالهم
وقلة اموالهم واحتقار الناس لهم مع ادعائهم ان الله تعالى لا بد ان ينصرهم ويعلي امرهم واذا مروا اي الذين امنوا
بهم اي بالذين اجرموا يتغامزون اي يغمز بعض الذين اجرموا بعضا لاذى الذين امنوا ولما وضعوهم في هوى اضيع
التردد والتقلب وصفهم في المنازل فقال واذا انقلبوا اي رجع الذين اجرموا برغبتهم في الرجوع واقبالهم عليه من غير
تكره الى اهلهم اي منازلهم التي هي عامرة بجماعتهم انقلبوا حال كونهم فكهين اي متلذذين غاية التلذذ بما كان
من مكنتهم ورفعتهم الذي اوصلتهم الى الاستحسان لغيرهم قال ابن برجان وذكر عليه الصلاة والسلام ان الدين بدا
غريبا وسيعود غريبا كما بدا اي يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر وفي اخرى يكون المؤمن فيهم اذل من الامة وفي اخرى العالم
فيهم انتن من جيفة حمار فالله المستعان ولما ذكر مرورهم بهم ذكر نطقهم رؤيتهم لهم فقال واذا راوهم اي الذين
اجرموا الذين امنوا قالوا اي عند رؤيتهم للذين امنوا مؤكدين لانهم يستشعرون ان كل ذي عقل يكذبهم مستهزئين الخير
ما داه القرب ان هؤلاء اي الذين امنوا لضالون اي عريقون في الضلال لانهم تركوا الدنيا التي اجل لا صحة له وما اي والحال
انهم ما ارسلوا اي من مرسل ما عليهم اي على الذين امنوا خاصة حتى يكون لهم بهم هذا الاعتنا في شؤونهم وخارجها عند مرورهم
وغير حافظين اي عريقين في حفظ اعمال الذين امنوا فما اشتغالهم بهم الى هذا الحد ان كان عندهم في عداد الساقط المهمل
كما يزعمون فما هذه المراعاة المستقصية لاحوالهم وان كانوا في عداد المنظور اليه المعتنى به فليمنعوا افساد حالهم
بوجه يسلمه العقول ويقوم عليه دليل ولينفعوهم والا فهم غير عارفين بمواضع الاصلاح وتعاطي الامور على وجوهها
فما احقهم بقول القائل ، اوردها سعد وسعد مشتمل ، ما هكذا توردياسعد الابل ،
ولما كان لا نعيم افضل من الشماتة بالعدو ولا سيما اذا كانت على اعلى طبقات الشماتة قال فاليوم اي فتسبب عن هذا من
تعلم في دار العمل انه يكون في دار الجزاء الذين امنوا ولو كان في ادنى درجات الايمان من الكفار خاصة وهم الراسخون في الكفر

من عموم الذين اجرموا في الحشر والجنة سخرية وهزءا فان الذين امنوا لا يضحكون من عصاة المؤمنين لو راوهم يعذبون
بل يرحمونهم لا استهزائهم في الذين يضحكون قصاصا وجزاء حين يرون ما هم فيه من الذل بعد سرور حالهم شكرا لله على ما اعطى
من النجاة من النار والنعمة من اعدائهم قال ابو صالح تفتح لهم الابواب ويقال اخرجوا فيخرجون فيسرعون فاذا
وصلوا الى الابواب غلقت في وجوههم وردوا على اقبح حال فيضحك المؤمنون انتهى ثبائها من خيبة وخجل وسواد وجه
وتعب قلب وتغريع نفس من العذاب بالنار وبالشماتة بالعار حال كون الذين امنوا ملوكا على الارائك اي الاسرة العالية
المزينة التي من حسنها اهل لان يقوم المتكئ بها ينظرون اي يجددون تحديق العيون اليهم كلما ارادوا فيرون ما هم فيه من
الهوان والذل والعذاب بعد العزة والنعيم نظر المستفهم هل ثوب بناه للمفعول لان المقصد مطلق مجازاتهم الكفار
اي وقع تثويب اي تغيير في الكفر اي اعطاؤهم الثواب والجزاء على ما انتهى ما يكون فالجملة في محل نصب بينظرون ما
كانوا اي بغير فعلهم بما هو لهم كالجبلات يفعلون اي يجددون فعله [illegible] ودعنا بهم المقولة فالجملة في موضع المفعول
وقد علم ان لهم الويل الذي فتحت السورة بالتهديد به لمن يفعل فعل من لا يظن انه مجاز على فعله واخرها فيمن انقض
الاعراض في خفاء واولها فيمن انتقص الاموال وخفا العدل والوفاء والله الهادي

سورة الانشقاق

مقصودها الدلالة على اخر المطففين من الاولياء ينعمون والاعداء يعذبون لانهم كانوا لا يعترفون بالبعث
والعرض على الملك الذي اوجدهم ورباهم كما يعرض الملوك عبيدهم ويحكمون بينهم وينقسمون الى اهل ثواب واهل عقاب
واسمها الانشقاق [illegible] العلي ذلك بتامل الظرف وجوابه الدال على الناقد البصير وحسابه بسم الله ذي الجلال
والاكرام الرحمن الذي كملت نعمته فشملت الخاص والعام الرحيم الذي تمما نعمة العموم على اوليائه فاسعدهم على باتمام
الانعام ولما ختمت التطفيف بالاولياء في نعيم والاعداء في جحيم ثوابا وعقابا ابتدا هذه بالاقسام على ذلك فقال
اذا السماء اي على ما لها من الاحكام والعظمة انشقت اي فصارت واهية وفتحت ابوابا فتحرفت وتمزقت وذلك لبعد
القيامة من القبور كما مضى في الحاقة عن احدى روايتي ابن عباس رضي الله عنهما واذنت اي كانت شديدة الاستماع
والطواعية والانقياد على اتم وجه كمن له اذن واعية ونفس مطمئنة راضية لربها اي لامر المخترع لها والمدبر
لجميع امرها وهي الان وان كانت منقادة فانقيادها ظاهر لاكثر الخلق وهم المثبتة واما المعطلة فيما نسبوا اثارهما
الى الطبائع والكواكب واما عند الانشقاق فيحصل الكشف التام فلا يبقى لاحد شبهة وحقت بالبناء للمفعول
بمعنى انها مجبولة على ان ذلك حق عليها ثابت لها فهي حقيقة به لانها مربوبة له سبحانه وكل مربوب فهو حقيق بالانقياد
لربه وهي لم تزل مطيعة له في ابتدائها وانتهائها لكن هناك يكون الكشف التام لجميع الانام ولما بدا بالعالم العلوي
لكونه اشرف لانه اعلى مكانة ومكانا ثنى بالسفلي فقال واذا الارض اي على ما لها من الصلابة والثخانة والكثافة
واشار بالبناء للمفعول الى سهولة الفعل فيهما عليه سبحانه وسرعة انفعالها مع كونه اعجب من انشقاق السماء لما
كان في الشيء لو هيه من تطاول مرور الزمان عليه بخلاف المد فقال مدت اي بسطت بسط الاديم ومطت فمنطت
فزيد في سعتها حدا لا يحد ان تمهدت فصارت دكا فزالت جبالها واكامها وتلالها فلا ترى فيها عوجا ولا امتا كما ان
الاديم اذا مد كان كذلك فزال تثنيه واتسع ولما كان الجلد جديرا بانه اذا امد ان يبين عن كل ما فيه من عرم
قال والقت ما فيها اي اخرجت ما في بطنها من الاموات والكنوز والاموات جواسيسها كانما تقذفه قذفا وذلك
ايضا كالبساط اذا انبض وتخلت اي تعمدت وتكلفت الخلو عن ذلك في النزول لغاية جهدها اي فعل ذلك سبحانه
فعلا كانت الارض كانها فاعلة له على هذا الوجه فصارت خلية عن كل شيء كان في بطنها وصار بارزا على ظهرها ولما
كان هذا ربما اوهم انه بغير امره سبحانه قال واذنت لربها اي فعلت ذلك باذن الخالق لها والمربي فما اثرت في ذلك
عن باثر لا بنفسها وفعلت فيه كل فعل السميع المجيب وحقت اي وكانت حقيقة بذلك كما ان كل مربوب كذلك وتكرر
اذا للتنبيه على ما في كل من الحالين من عظيم القدرة والجواب محذوف لانه في غاية الانكشاف بما دل عليه المقام
مع ما تقدم من المطففين وما قبلها من السور وما ياتي في هذه السورة تقديره ليحاسبن كل احد عن [illegible] كله
فليثوبن الكفار ما كانوا يفعلون وليجازين اهل الاسلام بما كانوا يعملون ، وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم
في الانفطار التعريف بالحفظة واحصائهم على العباد في كتبهم وعاد الكلام الى ذكر ما يكتب على البر والفاجر واستقرار
ذلك في قوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين ، وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين اتبع ذلك بذكر التعريف باخذ هذه
الكتب في القيامة عند العرض وان اخذها بالايمان عنوان السعادة واخذها وراء الظهر عنوان الشقاء اذ قد
تقدم في السورتين قبل ذكر الكتب واستقرارها بحسب اختلاف مضمناتها فمنها في عليين ومنها في سجين الى يوم
العرض فيوتى كل كتابه فاخذ بيمينه وهو عنوان سعادته واخذ من وراء ظهره وهو عنوان هلاكه فيحصل الاخبار

بمدح الكتاب بدءاً واستقراراً وتعريفاً بيوم العرض واختتمت السورة بذكر انشقاق السماء ومد الارض والقائها ما فيها وتخليها
تعريفاً بهذا اليوم العظيم بما يتذكره من سبقت سعادته والمناسبة بينه انتهى ولما كان الجواب ما ذكرته ابتعه شرحه
فقال منادياً بأداة صالحة للبعد لان المنادى ادنى الانسان بادياً بالاولى لان اخر التطفيف الذى هذا شرح له ادخال
السرور عليهم **يا ايها الانسان** اى الانس بنفسه الناسى لربه ولما كان اكثر الناس منكراً للبعث اكد فقال **انك كادح** اى ساع وعامل
مع الجهد لنفسك من خير او شر والكدح بما يؤثر خدوشاً وشيناً وفساداً وسائراً منتهياً **الى ربك** الذى اوجدك وربّاك بالعمل
بما يشير بمعنى الى بالموت حساً واشار الى اجتهاد كل فيما هو فيه وخلق له بالتاكيد بالمصدر فقال **كدحاً** اى عظيماً
فملاقيه اى فمتعقب كدحاً لقاؤك لربك وانه يكشف لك انك حيث في سيرك اليه كالمجتهد في لقائه اجتهاد من يسابق
غيره للتأخر وكل ذلك تمثيل لنفوذ ارادته ومضى قضيته بسبب الانتهاء اليه وحقيقته بلا في جزاءه وينكشف لك من عظم
امره ما ينكشف للملاقى مع من يلقاه بسبب اللقاء وهذا امر انت ساع فيه غاية السعى لان من كان الليل والنهار مطيته اوصلاه
بلا شك الى منتهى سفره شاء او ابى وفى ذكر هذا على هذا النمط حث على الاجتهاد فى الاحسان فى العمل لان من ايقن بانه لا بد من العرض
على الملك اجتهد فى العمل بما يحمد عليه عند لقائه ولما كان من المعلوم ان عبيد الملك اذا اعرضوا عليه كان فيهم المقبول
والمردود وسبب ان كدحهم تارة يكون حسناً وتارة يكون سيئاً قال معرفاً ان الامر فى لقائه كذلك على ما يعهد فمن كان مقبولاً
اعطى كتاب حسابه بيمينه لانه كان فى الدنيا فى اهل اليمين اى الدين المرضى ومن كان مردوداً اعطى كتابه بشماله لانه كان
فى الدنيا مع اهل الشمال وهو الدين الباطل الذى يعمل من غير اذن المالك فكانه يفعل من وراءه فترجم بهذا العرض قوله
سبحانه مفصلاً للانسان المراد به الجنس جامعاً للضمير بعد ان اورده مشخصاً على حشر كل فرد **فاما من اوتى** بناه
للمفعول لشارة الى ان امور الاخرة كلها قهر وفى غاية السهولة عليه سبحانه وفى هذه الدار الامر وان كان كذلك الا ان
العزة فى انكشاف ستر الاسباب هناك فلا دعوى لاحد **كتابه** اى صحيفة كتابه التى كتبتها الملائكة **بيمينه** من امامه
وهو المؤمن المطيع **فسوف يحاسب** اى يقع حسابه بوعد لا خلف فيه وان طال الامد لاظهار الجبروت والكبرياء والقهر
حساباً يسيراً اى سهلاً لا مناقشة فيه لانه كان يحاسب نفسه فلا يقع له المخالفة الا ذهولاً فلاجل ذلك تعرض اعماله
فيقبل عن حسنها ويعفى عن سيئها ولما كان هذا دالاً على العفو اتبعه ما يدل على الاكرام فقال **وينقلب** اى يرجع
من بعضه من غير مزعج برغبة وقبول **الى اهله** اى الذين اهلهم الله بهم فى الجنة فيكون اعرف بهم وبمنزله الذى اعدله
منه بمنزله فى الدنيا ولما كانت السعادة فى حصول السرور من غير قيد بنى للمفعول قوله **مسروراً** اى قد اوتى
جنة وحريراً فانه كان فى الدنيا فى اهله مشفقاً من العرض على الله مهموماً مضروراً الحاسب نفسه بكرة وعشياً
حساباً عسيراً مع ما فيه من نكد الاهل وضيق العيش وظهور المخالفين فذكر هنا الثمرة والمسبب لانهما المقصود بالذات
وفى الشق الاخر السبب والاصل وقد استشكلت الصديقة ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها حكم الاية بما روى
عنها فى الصحيح بلفظين احدهما ليس احد يحاسب الا هلك والثانى من نوقش الحساب عذب قال فقلت يا رسول الله
اليس الله يقول فاما من اوتى الاية فقال انما ذلك العرض فان كان اللفظ الاول هو الذى سمعته فالاشكال فيه واضح
وذلك انه يرجع الى كلية موجبة من كل من حوسب هلك والاية ترجع الى جزئية سالبة وهى بعض من يحاسب لا يهلك
وهو نقيض وحينئذ لا يكون اللفظ الثانى من تصرف الرواة وان كان الثانى هو الذى سمعته فطريق تقرير الاشكال
فيه ان تقال المناقشة فى اللغة هى الاستقصاء وهو بلوغ الغاية وذلك فى الحساب بذكر الجليل والحقير والمجازاة
عليه فيرجع الامر ايضاً الى كلية موجبة هى كل من حوسب بجميع اعماله عذب وذلك شامل لكل حساب سواء كان يسيراً
او لا لان الاعم يشمل جميع اخصياته والاية مثبتة ان من اعطى كتابه بيمينه يحاسب عليه ولا يهلك والصديقة
رضى الله عنها عالمة بان الكتاب يثبت فيه جميع الاعمال من قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ومن حديث
الحافظين وغير ذلك فيرجع الامر الى ان بعض من يحاسب بجميع اعماله لا يهلك وحينئذ فالظاهر التعارض فسألت
فاقرها النبى صلى الله عليه وسلم على الاشكال واجابها بما حاصله ان المراد فى الحساب فى الحديث مدلوله المطابقى
وهو ذكر الاعمال كلها والمقابلة على كل منها وذلك هو معنى المناقشة فمعنى من نوقش الحساب من حوسب حساباً حقيقياً
بذكر جميع اعماله والمقابلة على كل منها وان المراد بالحساب فى الاية جزء المعنى المطابقى وهو ذكر الاعمال فقط
من غير مقابلة وذلك بدلالة التضمن مجازاً مرسلاً لانه اطلاق اسم الكل على الجزء ولاجل هذا كان اثبات الصديقة رضى
الله عنها تقول بعد هذا فى تفسير الاية يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنها كما نقله عنها ابو حيان وعلى ذلك دل قوله صلى
الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما ان الله يدنى المؤمن يوم القيمة فيضع كنفه عليه ويستره
ثم يقول له اتعرف ذنب كذا حتى يذكره بذنوبه كلها ويرى فى نفسه انه قد هلك قال الرب سبحانه سترتها

عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ولفظه كنفه يدل على ذلك فان كنف الطائر جناحه وهو اذا وضع فرخه فى كنفه عامله بغاية
اللطف فالله ارحم والطف سبحانه **واما من اوتى** اى بغاية السهولة وان ابى ذلك **كتابه** اى صحيفة حسابه **وراء ظهره** اى فى شماله
اتياناً مستغرقاً لجميع جهة الوراء التى هى علم الشر لانه كان يعمل عمل العالم باذن به الله فكانه عمل من وراءه بما يظن انه يخفى عليه سبحانه
فكان حقيقاً بان تغل يمينه الى عنقه ويكون شماله الى وراء ظهره ويوضع كتابه فيها وهذا احتباك ذكر اليمين اولاً يدل على الشمال
ثانياً وذكر الوراء ثانياً يدل على الامام اولاً وسر ذلك انه ذكر دليل المودة والرفق بالمصافحة ونحوها فى السعيد ودليل الغدر
والاعتيال فى الشقى **فسوف يدعوا** اى بوعد لا محالة فى وقوعه **ثبوراً** اى حسرة وندماً بنحو قوله واثبوراه وهو الهلاك الجامع
لانواع المكاره كلها لان اعماله فى الدنيا كانت اعمال الهالكين ولما كان ذلك لا يكون الا للبلاء الكبير اتبعه ما يمكن ان يكون علته
فقال **ويصلى سعيراً** اى ويغمس فى النار التى هى فى غاية الاتقاد ويقاسى حرها وهى عاطفة عليه ومحيطة به لانه كان تابعاً
لشهواته التى هى محفوفة بها فاوصلته اليها واحاطت به ولما ذكر هذا العذاب الذى لا يطاق اتبعه سببه ترهيباً
منه واستعطافاً الى التوبة وتحذيراً من السرور فى دار الحزن فقال مؤكداً تنبيهاً على انه لا ينبغى ان يصدق ان عاقلاً يثبت له
سرور فى الدنيا **انه كان** اى بما هو كالجبلة والطبع **فى اهله** فى دار العمل **مسروراً** اى ثابتاً له السرور بطراً بالمال
والجاه فرحاً به مخلداً اليه مترفاً مع الفراغ كما قال فى التى قبلها واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين لا يحزن احدهم
لذنب عمله ولا لقبيح ارتكبه بل يسر بكونه يأتى له ذلك فهو يحاسب فى الاخرة حساباً عسيراً وينقلب الى اعدائه مغموماً
كسيراً وقد بان ان الكلام من الاحتباك ذكر الحساب اليسير الذى هو الثمرة والمسبب اولاً يدل على حذف ضده ثانياً
وذكر السرور فى الاهل الذى هو السبب فى الثانى يدل على حذف ضده وهو عدم السعادة وهو الغم ومحاسبته
النفس فى الاول فهو احتباك فى احتباك ثم علل ثبات سروره فقال مؤكداً تنبيهاً ايضاً على انه لا يصدق ان احداً
ينكر البعث مع ما له من الدلائل التى تفوت الحصر **انه ظن** اى لضعف بصره **ان** اى انه **لن يحور** اى يرجع الى ربه وبنقص
او هلاك وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر فلهذا كان يعمل عمل من لا يخاف عاقبة **بلى**
ليرجعن صاغراً فنقضاها لكا ثم علل ذلك بقوله مؤكداً لاجل من ينكر **ان ربه** اى الذى انشاه ورباه **كان** ازلاً وابداً
به اى بهذا الشقى فى اعادته كما كان فى ابتدائه وفى جميع اعماله واحواله الذى لا يجور فى عمل عادل ترك الحساب عليها **بصيراً**
اى ناظر له عالماً به ابلغ نظر واكمل علم فتركه مهملاً مع العلم باعماله مناف للحكمة والعدل والملك فهو شى لا يمكن فى العقل
بوجه ولما احتج سبحانه بانكاره لما اتاه به الرسل من الحشر على وجه موضح للدليل على بطلان انكاره ولم يرجع بسبب
عنه الاقسام على صحة ذلك لانه ليس عند البديد النافع الشفوق بعد اقامة الادلة الا الايمان على صحة ما قاله
نظراً منه للمنصوح وشفقة عليه وكان ترك الخلف على ما هو ظاهر ابلغ من الحلف لما فى ذلك من الترك من تنبيه المخاطب
على النظر والتأمل فقال **فلا اقسم** اى احلف حلفاً عظيماً هو كما موسى البحر بهذه الامور التى ساذكرها بما لها من الدلائل
على القدرة على الابداء والاعادة لا اقسم وان كانت فى غاية العظم لها من الدلالة لو اوضحه لان المقسم عليه اجل منها
والظاهر هو غنى عن الاقسام **بالشفق** اى الضياء الذى يكون فى المغرب عقب غروب الشمس طباقاً احمر ثم صفرة ثم كدرة
الى بياض ثم سواد وكذلك الليل وله بياض يعترض ثم يتزايد غيرته قليلاً قليلاً الى ان يسود مرماداً فيوسق كل شى طلا
سمى شفقاً لرقته ومنه الشفقة لرقة القلب **والليل** اى الذى يغلبه فيذهبه **وما وسق** اى جمع فى بطنه وطرد وساق
من ذلك الوشفق ومن النهار الذى كان قبله والنجوم التى اظهرها وغير ذلك من العجائب التى يدل على ان موجده يعد
ان لم يكن ومذهبه ما كان يقادر على الابداء والاعادة وكل ما يريد **والقمر** اى الذى هو آيته **اذا اتسق** اى انتظم واستوى
واجتمع كماله وتم امره ليلة ابداره بعد ان كان قد غاب ضلالاً ثم بدا هلالاً احنيفاً ضيئلاً دقيقاً ولم يزل يزداد حتى
تم ثم ينقص الى ان يخفى ثم يعود الى حاله دليلاً اظهر من الشمس على قدرة موجده كذلك على كل امر من الابداع والاعادة
ولما كانت هذه الامور عظيمة جداً لا يقدر عليها الا الله ولها من المنافع ما لا يعلم حق علمه الا هو سبحانه
وكل منها مع ذلك دال على تمام قدرته تعالى على الذى تراد تقريره فى العقول والضاحة من القدرة على اعادة
الشى كما كان سواء ونفى الاقسام بها دليلاً على ان ذلك فى غاية الظهور لا مريه غنى عن الاقسام قال فى موضع جواب
القسم ذاكراً ما هو فى الظهور والبداهة بحيث لا يحتاج الى التنبيه عليه بغير ذكره **لتركبن** اى ايها المكلفون هذا على
قراءة الجماعة بضم الباء دلالة على حذف واو الجمع وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى بفتحها على ان الخطاب للانسان باعتبار
اللفظ **طبقاً** مجاوزاً **عن طبق** اى حالاً بعد حال من اطوار الحيوة وادوار العيش وعمرانا الموت ثم من امور البرزخ
وشؤون البعث ودواهى الحشر بدليل ما كان لكم قبل ذلك سواء فتكون فى تمكن الوجود فى كل طبق بحال التمكن على الشى
بالركوب وكل حال منها يطابق للاخر فى ذلك اى الطبق ما يطابق غيره ومنه قيل للغطاء طبق لمطابقته الغطاء

هو

احتمال

والطبق كل ما ساوى شيئا آخر ووجه الأرض والقرن من الزمان او عشرون سنة وكلها واضح الارادة هنا وهو به سمي الكون فاول
اطباق الانسان جنين ثم وليد ثم رضيع ثم فطيم ثم يافع ثم رجل ثم شاب ثم كهل ثم شيخ ثم ميت ثم بعد ذلك نشر ثم حساب
ثم وزن ثم صراط ثم مقر ومثل هذه الاطباق المحسوسة اطباق معنوية من الفضائل والرذائل ولما ظهر المراد ولم
يبق الا العناد تسبب عن ذلك الانكار عليهم والتوبيخ والتقريع والتهديد فقال معرضا عن خطابهم الى الغيبة ايذانا باستحقاقهم
الاخذ ان لم يرجعوا **فما لهم** اي اي شيء لهؤلاء الذين اتينا عليهم هذا الكتاب المعجز في انهم **لا يؤمنون** اي يوقعون الايمان ويجددونه
كل وقت على الاستمرار بكل ما دعا اليه هذا الكتاب الذي خصهم به ملك الملوك وقد وضحت الدلائل وقامت البراهين لاسيما لاهل
الفهم هل هي الا واحدة من هذه الاطباق المستقل انها الآن من كان اليوم على حاله وغدا الى اخرى جدير بان يعلم ان تدبيره
الى سواه ومن لم يعلم ذلك فليس لجنونه دواء ومن علم ان تدبيره الى سواه علم ان المشية في التدبير اليه لا الى نفسه وقيل لابي بكر
الوراق ما الدليل على الصانع فالتحويل كالحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المشية وفسخ العزيمة **واذا قرئ** اي من اي
قارئ كان **عليهم القرآن** اي الجامع لكل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم الفارق بين كل ملتبس **لا يسجدون** اي يخضعون بالقلب بذل
للحق بالسجود اللغوي فيسجدون بالقالب السجود الشرعي لبلاغته لانه ملك الكلام فذا بان بمعارف لا تحصر مع الشهادة لنفسه
بالاعجاز انه من عند الله ليس لهم في ذلك عذر الا الجهل والعجز ولا جهل مع القرآن ولا عجز مع القوة والاختيار ولما
كان هذا الاستفهام انكاريا معناه النفي وكان التقدير انهم لا يؤمنون ولا عذر لهم في ذلك اصلا اضرب عنه بقوله **بل**
ووضع الظاهر موضع المضمر تعميما وتنبيها على الوصف الذي حملهم على التكذيب فقال **الذين كفروا** اي ستروا مرائي عقولهم
الدالة على الحق **يكذبون** اي بالقرآن وبما دل عليه من حقائق العرفان المعلية الى اوج الايمان بالواحد الديان **والله** اي والحال
ان الملك المحيط بكل شيء علما **اعلم** اي منهم انفسهم **بما يوعون** اي يضعون في اوعية صدورهم من الكفر والعداوة بسبب الشهوات
الشاغلة لهم عن التدبر لهذا القرآن وعن شواهد الموجودات ولما كان هذا موجبا لشديد الانذار وضع موضعه تهكما
بهم واعلاما بان الغضب قد بلغ منتهاه قوله **فبشرهم** اي اخبرهم خبرا يغير بشرتهم **بعذاب اليم** اي شديد الالم لشدة الآلام
ان كان لهم يوما من الايام بشارة فهي هكذا ولما اخبر عنهم بهذا الهوان وكان قد عبر عنهم بما دعي للانسان الشامل الى ان
منهم من يتبدل الايمان استثنى منهم فقال **الا الذين آمنوا** اي اوقعوا الايمان **وعملوا** دلالة على صدق ايمانهم **الصالحات** ولما
كان ان من حوسب عذب وان الناجي انما يكون حسابه عرضا علم انه ليس للاعمال دخل في الحقيقة في الاجر وانما المدار كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم على التغمد بالرحمة في ثمرة النعيم اجرا اسقط الفاء المؤذنة بالسببية تنبيها على ذلك على خلاف ما في سورة
التين لما يأتي من اقتضاء سياقها للفاء فقال **لهم اجر** اي عظيم **غير ممنون** اي مقطوع او منقوص او يمتن به عليهم في الدنيا
والآخرة يريدون ذلك في يوم الدين يوم تنشق السماء وتمد الارض وتثوب الكفار ما كانوا يفعلون فقد رجع آخرها الى
اولها واعتلق بعضها بحول الاعتلاق بموصلها

سورة البروج

مقصودها الدلالة على القدرة
على مقصود الانشقاق الذي هو صريح آخرها من تنعيم الولي وتعذيب الشقي بما انه في الدنيا ممن لا يمكن في العادة ان يكون
غدا به ذلك الا من الله وحده تسلية لقلوب المؤمنين وتثبيتا لهم على اذى الكفار وعلى ذلك دل اسمها البروج بتأمل القسم
والمقسم عليه وما هدى اليه ذلك السياق اليه **بسم الله** الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما **الرحمن** الذي عم الخلائق عدلا وحلما **الرحيم**
الذي خص اولياءه باتمام النعمة عليهم عينا كما اظهر رسما لما ختم تلك بثواب المؤمن وعقاب الكافر والاستهزاء به بعد
ان ذكر انه سبحانه اعلم بما يضمر الاعداء من المكر وما يدبرون من الانكاد للاولياء وتوعدهم بما لا يطيقون وكانوا قد
عذبوا المؤمنين بانواع العذاب واجتهدوا في فتنة من قدروا عليه منهم وبالغوا في التضييق عليهم حتى الجأوهم الى شعب
ابي طالب وعزموا من الخروج في البلاد ومفارقة الاهل والاولاد ابتدأ هذه بما اوقعه باهل الحروب ممن تقدمهم
على وجه مؤذن بان ذلك الايقاع منه سبحانه قطعا ومعلم ان العاصين يجازون على فعل هؤلاء الى القذف في النار وان اهل
الايمان يثبتوا وذلك للتسلية للمؤمنين وتثبيتهم ووعيد الكافرين وتوهينهم وتعنيتهم فقال معظما لاجل انكارهم
وتعللهم في التمادي في عداوة حزب الله فعل المنكر ان الله ينتقم لهم بما يدل على تمام القدرة على النعمة **والسماء** اي العالية
العلو المحكمة غاية الاحكام **ذات البروج** اي المنازل للكواكب السيارة التي ركبها الله تعالى على اوضاع في بعضها قوة السبب
للابتداء والاعادة بالانبات وفي بعضها قوة التربية كذلك وفي اخرى قوة الاستحصاد باسباب خفية اقامها سبحانه
لاتين وبها عن انكم لكثرة العلم لذلك صرتم تدركون منه بالتجارب ما يدلكم على تمام القدرة فنسبها بعضكم الى
الطبيعة لقصور النظر في اسباب الاسباب وكلال الفكر عن النفوذ الى نهاية ما تصل اليه فاستبدلوا بالشكر
الكفر واستدل بالايات على ضد ما تدل عليه لجمود الذهن وانعكاس الفكر والمراد بها المنازل الاثني عشر • الحمل
والثور • والجوزاء • والسرطان • والاسد • والسنبلة • والميزان • والعقرب • والقوس • والجدي • والدلو • والحوت

وهي التي تقطعها الشمس في السنة او هي الثمانية والعشرون التي تقطعها القمر في الشهر وهي منازل الشمس هذه الاثنا عشر يسير
القمر في كل واحد منها يومين وثلثا فذلك ثمانية وعشرون يوما ويستتر ليلتين فذلك شهر وهو اشارة الى ان الذي فصل
السماء هذا التفصيل وسخر فيها هذه الكواكب لمصالح الانسان لا يتركه سدى بل لابد من ان يدينه على ما يفعله من خير وشر
شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت وعظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل
تخرج منها واصل التركيب للظهور ولما كانت هذه الجملة من القسم دالة على البعث قال تصريحا **واليوم الموعود** اي يوم
القيامة الذي يحقق الوعد به ويثبت ثبوتا لابد منه بما دل عليه من قدرتنا في مخلوقاتنا وانما سميناه اسبابا هي عندكم
لديكم وانتم لا ترونها ولا تحسون شيئا منها ولم تبينها لكم الرسل لقصور عقولكم عنها بالتزم من الدلالة بالاسباب
التي تعقلونها على مثلها من غير فرق غير انه وان كان العقل لا يستقل به ولا يتقنه منه غير السماع للوعد به من الرسل
فهو لا يحيله بعد سماعه ولما كان الجمع لاجل العرض وكان العرض لابد فيه من شهود ومشهود عليهم وحال على شهود
قال منكرا للابهام للتعظيم والتعميم مثل علمت نفس ما احضرت **وشاهد** اي كريم من الاولياء **ومشهود** اي في نفسه من الاعيان
والآثار الهائلة وعليه فانه يوم تشهده جميع الخلائق ويحضر فيه من العجائب امور يكل عنها الوصف ويحضره الانبياء
الشاهدون والامم المشهود عليهم ولا يبقى صغيرة من الاعمال ولا كبيرة الا احصيت وفي ذلك اشد وعيد لجميع العبيد ولما
كان جواب القسم ما دل عليه مقصود السورة وسوابقها ولواحقها لثبوت العز بعنفوان الاولياء والاعداء ولذلك بين
كلا بما عمل دل عليه بافعاله في الدنيا ببعض الجبابرة فيما مضى وبما يفعل بجبابرة من كذب بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال بادئا بما هو
لعذاب الله في القيامة للبداءة في اخر الانشقاق بقسم المكذبين وهم المحدث عنهم معبرا بما يصلح للدعاء والحقيقة تسلية
للمؤمنين وتثبيتا لهم بما وقع لامثالهم وتحذيرا مما كان لاشكالهم **قتل** اي لعن بايسر امر واسهله من كل لاعن لعنا لافلاح
معه ووقع في الدنيا انه قتل حقيقة **اصحاب الاخدود** اي الحفر العظيم وهو الشق المستطيل في الارض كالنهر روي ان ملكا
من الكفار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان من حمير من ملوك اليمن وكان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين
سنة امن في زمانه ناس كثير فخد لهم اخدودا في الارض وسجره نارا وعرض من امن عليه فمن رجع عن دينه تركه ومن ثبت وهم
الاغلب قذفه في ذلك الاخدود فاحرقه • وقال الامام ابو جعفر بن الزبير وردت هذه السورة في معرض الالتفات
والعدول الى حال نبي الله صلى الله عليه وسلم بما تضمنته هذه السورة من قصة اصحاب الاخدود وقد تقدم هذا
الضرب في سورة المجادلة وسورة النبأ وهنا وقوعه في نفس السورة ومتوسطها وهو اقرب منهما من السورتين واوضح
انتهى ولما ذمهم سبحانه بين وجه ذمهم بسبب اشتمال من اخدودهم فقال **النار** اي العظيمة التي صنعوها
لعذاب اوليائنا وزاد في تعظيمها بقوله **ذات الوقود** اي التي الذي يوقد به من كل ما يصلح من ذلك من الحطب وغيره وعلق
بقتل قوله **اذ هم** اي نظراؤهم وضمائرهم **عليها** اي على جوانب اخدودها **قعود** اي يحفظونها ويفعلون مما يأمرهم
ملكهم من امرها من القاء الناس وغيره فعل القاعد المطمئن الذي ليس له شغل غيرها **وهم على ما يفعلون** اي خاصة بقوته
المغفله ورغبتهم فيه من الفتنة بالعرض على النار وغير مكره من ذلك الفعل **بالمؤمنين** اي الراسخين في الايمان الذي لم
يسهم العذاب عنه **شهود** اي تشهد بعضهم لبعض عند الملك انه لم يقصر فيما امرهم به ويشهدون يوم القيامة بما شهد
به عليهم ايديهم وارجلهم على انفسهم بهذا الظلم ويشهد بعضهم على بعض ويعادي بعضهم بعضا ويحمل كل على الآخر ظلما في
النجاة ولما كان هذا الفعل العظيم لا يكون من عاقل الا لسبب عظيم بين انه انما هو لسبب بعد منه فقال على
طريقه • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •
وما نقموا اي انكروا وكرهوا **منهم** من الحالات وكان ذنبا لهم ونقصا فيهم **الا ان يؤمنوا** اي يجددوا الايمان مستمرين عليه
بالله اي الملك الاعلى الذي جمع له جميع صفات الكمال ولما كان ربما اوهم ترك معاجلته سبحانه لهم لكونهم يعذبون
من امر به لاجل الايمان به ما لا يليق نفى ذلك بقوله واصفا له بما حقق وجوب العبادة له وتفرده بها **العزيز** اي
الذي يغلب من اراد ولا يغلبه شيء فلا يظن امكانه من اهل ولا انه لعجز بل هو يبتليهم ليعظم اجورهم وليعظم عقاب
اعدائهم وليعظم الانتقام منهم **الحميد** • اي المحيط بجميع صفات الكمال فهو يثيب من اصيب فيه اعظم ثواب وينتقم
ممن اذاه باشد العذاب وقرر ذلك بقوله **الذي له** اي خاصة **ملك السموات والارض** اي على جهة العموم مطلقا
فكل ما فيهما جدير بان يعبده وحده ولا يشرك به شيئا ولما قدم سبحانه التحذير بالشاهد والمشهود وان الكفار
شهود على انفسهم زاد في التحذير بانه سبحانه اعظم شهيد في ذلك اليوم وغيره فهو لا يحتاج الى غيره ولكنه اجرى
ذلك على ما يتعارفونه فقال **والله** اي الملك الاعظم الذي له الاحاطة الكاملة **على كل شيء** اي من هذا الفعل وغيره **شهيد**
اي تام شهادة لا يغيب عنه شيء اصلا بل لابد ان ينتقم لهم من اعدائه ويعليهم لعلائه ولذلك قال مستانفا جوابا لمن

يقول فما فعلتم مؤكداً لإنكار الكفار ذلك ان الذين فتنوا اى خالطوا من الاذى بما لا يحتمله القوى فلا بد ان يميل او يحيل فى اى زمان كان
ومن اى قوم كانوا المؤمنين والمؤمنات اى ذوى الرسوخ فى وصف الايمان ولما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان عبر
بأداة التراخى فقال ثم لم يتوبوا اى عن ذنوبهم وكفرهم ولما كان سبحانه لا يعذب احدا الا بسبب سبب عن ذنبهم وعدم توبتهم قوله
فلهم اى خاصة لاجل كفرهم عذاب جهنم اى الطبقة التى تلقى داخلها بغاية الكراهة والتجهم هذا فى الآخرة ولهم اى مع ذلك فى الدنيا
لاجل فتنتهم لاولياء الله عذاب الحريق اى الذى من شأنه المبالغة فى الاحراق بما احرقوا من قلوب الاولياء وقد صدق سبحانه قوله هذا فمن
كذب النبى صلى الله عليه وسلم باهلاكهم شر اهلاك مغلوبين مقهورين مع انهم كانوا قاطعين بانهم غالبون كما فعل بمن كان قبلهم فدل ذلك
على انه على كل شىء قدير فدل على انه يبدئ ويعيد ولما ذكر عقاب المعاندين بادئا به لان المقام له اتبعه ثواب العابدين فقال
مؤكدا لما لاعدائهم من انكار ذلك ان الذين آمنوا اى اقروا بالايمان ولو على ادنى الوجوه من المعتدين فى النار وغيرهم من كل طائفة
فى كل زمان وعملوا الصالحات تصديقا لايمانهم وتحقيقا له ولما كان الله سبحانه من رحمته قد تفضل على اوليائه بعنايته لم يكلهم
الى اعمالهم لم يجعلها سبب سعادتهم فلم يقرن بالفاء قوله لهم اى جزاء مقاساتهم لنيران الدنيا من نار الاخدود والحسية التى ذكرت
ومن نيران الغموم والاحزان المعنوية التى يكون المباشر لاشتباهها عن سبحانه فيكون المقاسى لها مع حفظه للدين كالقابض على الجمر
جنات اى فضلا منه تجرى وقرب منالها بالجار فقال من تحتها اى تحت غرفها واسرتها وجميع اماكنها الانهار فلذ دون
بتردها فى نظير ذلك الحر الذى صبروا عليه فى الدنيا ويروقهم النظر اليها مع خضرة الجنان والوجوه الحسان الجالية
للسرور والجالبة للاحزان ولما ذكر هذا الذى يسر النفوس ويذهب البؤس فذلكه بقوله ذلك اى الامر العالى الدرجة
العظيم البركة الفوز اى الظفر بجميع المطالب لا غيره الكبير كبرا لا يفهمون منه اكثر من ذكر بهذا الوصف على سبيل الاجمال
وذلك ان من كثرة ان هذا الوجود كله يصغر عند اصغر شىء منه ولما كان لا يثيب ويعذب على هذا الوجه الامن
كان فى غاية العظمة قال معللا لفعله ذلك دالا بذلك التعليل على ما له من العظمة التى تتقاصر الافكار دون علمها
مؤكدا للاعداء من الانكار ان بطش ربك اى اخذ المحسن اليك المدبر لامرك اعداء الدين بالعنف والسطوة وغاية الشدة
لشديد اى شدة تزيد عنفها على ما فى البطش من العنف المشروط فى تسميته فهو عنف مضاعف ولما كان هذا البطش
لا يتأتى الا الكامل القدرة دل على كمال قدرته واختصاصه بذلك بقوله مؤكدا لما لهم من الانكار انه وزاد التأكيد بمبتدأ
آخر ليدل على الاختصاص فقال هو اى وحده يبدئ اى يوجد ابتداء اى خلق اراد على اى هيئة اراد ويعيد اى للخلق
بعد افنائه فى كل وقت اراده وغيره لا يقدر على شىء من ذلك وليس هذا الضمير بفصل لانه لا يكون الا والخبر معرفة او شبهه
لها فى انه لا يلحقه ال المعرفة مثل خير منك واجاز المازنى وقوعه قبل المضارع لمشابهته الاسم وامتناع دخول ال عليه
فاشبه المعرفة وقال ولا يكون قبل الماضى لان الماضى لا يشبه الاسم فكان الرضى وما قاله دعوى بلا حجة ومثل ومكر اولئك
هو يبور ليس بنص فى كونه فصلا لجواز كونه مبتدأ ما بعده خبره ونقض قوله فى الماضى بقوله تعالى وانه هو اضحك
وابكى لانه ولما ذكر بطشه سبحانه وكان القادر على العنف قد لا يقدر على اللطف وان قدر فربما لم يقدر
على الابلاغ فى ذلك وكان لا يقدر على محو الذنوب اعيانها وآثارها عن كل احد بحيث لا يحصل لصاحبها عقاب ولا عتاب
من احد اصلا الا من كان قادرا على كل شىء قال مبينا لجميع ذلك دليلا على انه الفاعل المختار ومؤكدا لخروجه عن العوائد
وهو اى وحده الغفور اى المحاء لاعيان الذنوب وآثارها اذا اراد بحيث لا يحصل لمن يحاذيه كدر من جهة ذلك الذنب
اصلا الودود اى الذى يفعل بمن اراد فعل المحب الكثير المحبة فيحببه الى ما شاء ويلقى على صاحب الذنب الذى محاه عنه
ودا اى محبة كبيرة واسعة ويجعل له فى قلوب الخلق رحمة وحلاوة ودنوا وعلى الاتساع وتنبيها على انه اعظم المخلوقات
ذو العرش اى العز الاعظم فى ذاته وصفاته الحسن الجميل الرفيع العالى الكثير العطاء هذا اذا رفع على انه صفة
لذو ولذا ان جر على انه صفة للعرش فى قراءة حمزة والكسائى ولما كان الاختصاص يدل قطعا على كمال القدرة انتج
ذكر هذه الاختصاصات قوله فعال اى على سبيل التكرار والمبالغة لما يريد لا يوده شىء من الافعال
سواء كانت منسوبة اليه من غير واسطة او سببت فى الظاهر الى غيره ولما تمت الدلالة على ان بطشه شديد
قرر ذلك بما وجد من ذلك وذكر تخويفا لقومه وتسلية لان النظر فى المحسوسات امكن فى النفوس فقال هل اتاك
اى يا اعظم خلقنا حديث الجنود اى ذكر ما اتاك مما حدث لهم من بطشنا وما وقع بهم من سطواتنا لتكذيبهم رسلنا عليهم
بحيث صار حديثا يتلى وذكرا بين الخلق لعظمته لا يبلى الجنود جمع جند بالضم وهو العسكر المعد للقتال ذو الاعوان
والمدينة والكل ناظر الى التحرك العظيمة والغلبة الزائدة ولما كان من المعلوم من السياق ان المراد من حديثهم
ما حصل لهم من البطش لتكذيبهم الرسل لا سيما فى البعث الذى السياق له وكان الواقع من بيانه بآيات موسى وصالح عليهما
السلام ابين مما وقع بآيات غيرهم ممن تقدم زمنه على هذه الامة وكانت آيته كل من النبيين واتباع فرعون تحوى

العذابه

المجيد اى الشريف الكريم العظيم ... ذو السرور الدال على اختصاصه بالملك ... والسيادة والشادة ...

اصنافا من الخلق كثيرة حكى ان طليعته يوم تبع بنى اسرائيل وغرق كانت ستمائة الف بدل من الجنود اعلاها بانهم اعداء الله قوله فرعون وكذا
اتباعه الذين كانوا اشد اهل زمانهم واعتاهم واكثرهم رغونة فى دعوى الالهية منه والتصريح منهم والرسوخ فى النكر والسفه
والخفة والطيش مع رؤيته تلك الآيات العظيمة على كثرتها وطول زمنها حتى دخل البحر على امان من الغرق مع ان خطر الغرق به فى تلك
الحالة لم يكن يخفى على من له ادنى مسكة من عقله فاغرقه الله ومن معه اجمعين لم يبق منهم احدا فلعنة الله عليه وعلى اتباعه الطائفة
الاتحادية العربية الفارضية الذين يكفى فى ظهور كفرهم تصويبهم فرعون الذى اجمع على كفره جميع الفرق وثمود التى حملتهم
الخفة على ان عقروا الناقة تعدوهم اياها تكون من الصخرة الصماء عن مخوزين ان الذى خرق العادة باخراجها ذلك يهلكهم
فى شانها وقد جمع سبحانه بهما بين العرب والعجم والاهلاك بالماء الذى هو حياة كل شىء والصيحة التى هى امام الساعة
وانما كانتا آيتاهما ابين لان آية ثمود ناقة خرجت من صخرة صماء ومن آيات موسى عليه السلام ابداع القمل الذى لا يحصى كثرة
من الكثبان وابداع الضفادع كذلك والجراد واحياء العصا مرة بعد اخرى ولا شك عند عاقل ان من قدر على ذلك ابتداء
من لا اصل له فى الحيوة هو على اعادة ما قد كان حيا اشد قدرة ولما كان التقدير فعلم قد اتانى ذلك وعلمت من خبره
وعلم انك قادر على ما تريد ولكن الكفار لا يصدقون فهو معطوف عليه بل الذين كفروا اى جاهروا بالكفر من هؤلاء القوم
وغيرهم وان كانوا فى ادنى مرتبة فى تكذيب اى لماء او من الآيات لاستحكامهم فيه وهو شديد يحيط بهم لاتباعهم اهواءهم
وتقليدهم آباءهم فهم لا يعتدون على الخروج من ذلك التكذيب الذى هو صار ظرفا لهم بعد سماعهم لاخبار هؤلاء المهلكين ورؤيتهم
بعض آثارهم وبعد ما اتمت لهم من الادلة على البعث فى هذا القرآن المعجز ولم يعتبروا بشىء من ذلك لما عندهم من الحسد
فحالهم اعجب من حالهم نحن نخبرهم مثل ما لهم ولما كان هذا ربما اوهم ان تكذيبهم على غير مراده سبحانه قال دافعا لذلك وكذا
تبرئة على اخذهم بحذر الهمدر وتسلية لمن كذبوه والله اى والحال ان الملك الذى اختص بذى الجلال والاكرام من ورائهم اى كل
جهة يوادونها او يوازونها وذلك كل جهة محيط فهو محيط بعلمه وقدرته فهو كناية عن انهم فى قبضته لا يفارقونه بوجه كما انه لا
يفوت من صار فى القبضة باحاطة العدوية من غير ما بغى فهو سبحانه قادر على ان يحل بهم ما احل باولئك ولعله خص الوراء الانسان
يحمى ما وراءه ولانه جهة الفرار من المصائب ولما كان من تكذيبهم وهو اعظم تكذيبهم طعنهم فى اعظم الآيات القرآن بان يقولوا
هو كذب مختلق مما هو اساطير الاولين اى كذوباتهم لا حقائق مع ما جربه مع انه قد اقام الدليل الاعظم لنفسه عالما
من الاعجاز على انه حق وال جمع ابا الضمير ابدا ناما بانه لعظمه فى كل قلب لاعينة له اصلا ليس لاحد حديث الا فيه مبنيا على ما تقديره
ليس الامر كما يزعم الكفار فى القرآن بل هو اى هذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قرآن اى جامع لكل منفعة جليلة
بالغ الذروة العليا فى كل شرف مجيد اى شريف كريم ليس فيه شىء من شوائب الذم عظيم عالى جواد حسن الخلال وحيد فى نظمه ومعانيه
المعنوية والمشاهدة حاو لمجامع الحمد ليس بقول مخلوق ولا هو مخلوق بل هو صفة الخالق وهو جواد بكل ما يراد منه من المحاسن لمن
صدق فتدبره وطهرت طويته وعلت همته وكرمت سجيته فهو باق له مجده ان لم تساحة طعن بوجه من الوجوه ومحال تجرب
احكامه من بين عاجل ما شهد واجل ما علم بعلم ما شهد فكان معلوما بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضى وما شهد
له من الاثر الحاضر وما يتجدد مع الاوقات من امثاله واشباهه وامثاله فكذب من قال انه شعر او كهانة
او سحر او غير ذلك من الاباطيل ولما وصفه فى نفسه بما يأبى الحاق شىء من شبهه وصفه محله فى الملا الاعلى اعلاما
بانه لا يطرأ عليه ما يغيره فقال فى لوح وهو كل صحيفة عريضة من خشب او عظم او غيرهما محفوظ اى له الحفظ دائما
على ابلغ الوجوه من كل خلل ومن ان يصل اليه الا الملائكة الكرام قال الغزالى فى كتاب الموت من الاحياء يعبر عنه تارة باللوح
وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين فجميع ما جرى فى العالم وما سيجرى مكتوب فيه كتبا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن
بهذا من الالواح فلوحه تعالى لا يشبه ذوات خلقه وبمثاله مثال تلك لانسان فى حفظ القرآن ملا كلماته وحروفه ولو فتش
قلبه لم يوجد فيه شىء ولا ينظر ذلك الا بنا ولى يقرب من درجته هذا معنى كلام الامام رحمه الله وقرا نافع بالرفع
صفة للقرآن لحفظه من التحريف والتغيير وكل شبهة وريب فى نظمه او معناه كما ان البروج محفوظة فى لوح السما المحفوظ
بل القرآن بذلك اولى لانه صفة الخالق فى بيان وضعه لما خلق على الوجه الاتم الاعدل لانه ترجمها اوجد الله سبحانه
فى الوجود فصح قطعا انه لا بد ان يصدق فى كل ما اخبر به ومن اعظمه انه سبحانه يحشر الناس الذين هم تابعون بالثواب والعقاب
كما دل ان من كذب اولياءه فى الدنيا بمثل ذلك فاخذ اعداءه وانجى اولياءه فوجع الختام منها على المسك ونعانق الافتتاح بالنهى
فاقتضى ذلك تنزيه المتكلم به عن ان يترك شيئا فضلا عن الانس بغير حفظ وعن كل ما يليق واثبات الكمالات له دالا على الاكمال
بكل طريق

سورة الطارق مقصودها بيان مجد القرآن فى صدقه الاخبار بتنعيم اهل الايمان وتعذيب اهل
الكفران فى يوم القيمة حين تبلى السرائر وتكشف مخبآت الضمائر عن مثقال الذر وما دون المثقال بما دونه الحفظة
فى صحائف الاعمال بعد استيفاء الآجال كما قدر فى الازل لا يزال من غير استعجال ولا تاخير عن الوقت المضروب ولا اهمال

بما

ح

واسمها الطارق ادل ما فيها على هذا الموعود الصادق بتأمل القسم والمقسم عليه حسب ما اتساق الكلام اليه بسم الله الذي له الكمال كله
الرحمن الذي وسع الخلائق عدله الرحيم الذي خص اولياءه بتوفيقه فطهر عليهم جوده وفضله ولما تقدم في اخر البروج ان القرآن
محفوظ لان منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء اخبر ان من احاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق المخالفين والموافقين الموالين
للجازي على عماله يوم احقاق الحقائق وقطع العلائق فقال مقسما على ذلك لانكارهم له والسماء اي ذات الانجم الموضوعة لحفظها من
المردة لاجل حفظ القرآن المجيد الحافظ لطريق الحق بالدال الملوي والمراد بها هنا ذات الافلاك الدائرة لا السموات العلى بما جعل فيها
من ليل ونهار دور تمام ثلثمائة وستين درجة لا تتغير ابدا في هذه الدار بنقص ولا زيادة بنصف درجة ولا دقيقة ولا ثانية
ولا ما دون ذلك بل كلما اراد احد مما شيئا نقص من الاخر بحسابه عرف ذلك من العقل والنقل والتجربة فعرف انه محفوظ
حتى لا يموت قيوم لا يغفل ولا ينام انتهى ولما اقسم بالسماء لما لها من الشرف والمجد تنبيها على ما فيها من بدائع الصنع
الدالة على القدرة الباهرة اقسم باعجب ما فيها وهو جنس النجوم ثم باغربه وهو المعد للحراسة تنبيها على ما في ذلك من غرائب
القدرة فقال والطارق اي جنس الكواكب الذي يبدو ليلا ويخفى نهارا او يطرق ويثقب في الشمع فيبدد ظلمتهم ويهلك من اراد
الله منهم لاجل هداية القرآن في الطرق المعنوية وطلوعه واشراقه في السماء لهداياتهم في الطرق الحسية وهو في الاصل السالك
الطريق واختص عرفا بالاتي ليلا لانه يجد الابواب مغلقة فيحتاج الى طرقها ثم استعمل للبادي فيه كالنجم ولما كان الطارق
يطلق على غير النجم ولا ابهمه اولا ثم عظم القسم به بقوله له وما ادريك اي عرفك باشرف خلقنا وان حاولت معرفة ذلك وبالغت
في الفحص عنه ما الطارق ثم زاده تفخيما بتفسيره لعظم ابهامه مرة اخرى بقوله النجم الثاقب اي المتوهج العالي المضي كانه يثقب
الظلام بنوره فينفذ فيه يقال ثقب نار الموقد او يثقب بضوءه الافلاك فتنفذ عنه او يثقب الشيطان بنار اذا استرق
السمع والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما خصه تفخيما لشأنه لعلو مكانه ولما
ذكر الذي دل به على حفظ القرآن عن اللبس وعلى حفظ الانسان ذكر جوابه في حفظ النفوس التي جعل فيها قابلية
لحفظ القرآن في الصدور ودل على حفظ ما خلق لاجلها من هذه الاشياء المقسم بها على حفظ الانسان لانها اذا كانت محفوظة
عن ادنى زيغ وهي مخلوقة لتنبيه مصالحه كان الظن به فقال موكدا غاية التاكيد لما للكفرة من انكار ذلك والطعن فيه ان بالتخفيف
من الثقيلة في قراءة الجمهور اي ان الشأن كل نفس من الانس مطلقا لا سيما نفوس الناس لما عليها اي بخصوصها حافظ اي رقيب
عتيد لا يفارقها والمراد به الجنس من الملئكة فبعضهم لحفظها من الافات وبعضهم لحفظها من الوسواس وبعضهم لحفظ اعمالها واحصائها
بالكتابة وبعضهم لحفظ ما كتب لها من رزق واجل وشقاوة او سعادة فلا يتعدى شيئا من ذلك فان قلنا ان الحافظ الملئكة صدق
وان قلنا انه الله صدق لانه الامر لهم والمقدر على الحفظ والحافظ لهم من الوهن والزيغ فهو الحافظ الحقيقي واللام في
هذه القراءة هي الفارقة بين المخففة والنافية وما مؤكدة بمعنى صدر ما اثبته الجملة وحافظ خبر ان ويجوز ان يكون
الظرف الخبر وحافظ مرتفع به وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالتشديد لما على انها بمعنى الا وان نافية بمعنى ما والمستثنى منه
كل نفس خبر لنافية محذوف تقديره كائنة او موجودة ونحوهما والمستثنى نفس موصوفة بعليها حافظ ويحتمل ان يكون حالا
فمحله يحتمل الرفع بانه خبر النافية في هذا الاستثناء المفرغ عند بني تميم والنصب بانه خبر عند غيرهم او حال من نفس لانها
عامة والتقدير ما كل نفس موجودة الا نفس كائنا او كائن عليها حافظ والنسبة بين مفهومي القراءتين ان المشددة اخص
لانها دائمة مطلقة والمخففة مطلقة عامة ولا يظن ان المشددة عموما مساوية للمخففة فضلا عن ان تكون اخص لان
حرف النفي دخل على كل وهو من اسوار السلب الجزئي كما تقرر في موضعه فيتحمل الى ان بعض النفوس ليس الا عليها حافظ وانما
كان لا يظن ذلك لانها تنحل الى ما فيها من الحصر المتضمن للنفي والاثبات الى جملتين احدهما اثبات الحفظ للنفس الموصوفة والاخرى
سلب نقيضه عنها لانه من قصر الموصوف على الصفة ونقيض الكلية الموجبة الجزئية السالبة اي ليس كل نفس عليها حافظ
فهو سلب السلب الجزئي سلب للكلي لما تبين انه اخص واذا انتفى الاعم انتفى الاخص فلا شيء من الانفس ليس عليها حافظ فال
الكلام الى لا نفس كائنة الا نفس عليها حافظ وان كان لفظ ليس كل من اسوار الجزئية لما مضى فصارت الاية على قراءة التشديد
مركبة من مطلقة عامة هي كل نفس عليها حافظ بالفعل ومن سلب نقيضها وهو الدائمة المطلقة الذي هو دائما ليس كل نفس
عليها حافظ وذلك على سبيل الحصر وقصر الموصوف على الصفة معناه ان الموصوف لا يتعدى صفته التي قصر عليها الى
الامور الى لا يتجاوزها الى عدم الحفظ وذلك معنى الدائمة المطلقة وهو الحكم بثبوت المحمول للموضوع ما دام
ذات الموضوع موجودة وهي على قراءة التخفيف مطلقة عامة اي حكم فيها بثبوت المحمول للموضوع بالفعل وهو الجزء الاول
مما انحلت اليه قراءة التشديد فمفهوم الاية في قراءة التشديد اخص منه في قراءة التخفيف لان كل دائم كائن بالفعل
ولا ينعكس هذا اذا نظر الى نفس المفهوم من اللفظ مع قطع النظر عن الدلالة الخارجية واما اذا نظر الى نفس الامر في جهة
الدوام فلا فرق غير انه دل عليها باللفظ في قراءة التشديد دون قراءة التخفيف والله اعلم ● وقال الاستاذ

ابوجعفر

ابوجعفر بن الزبير لما قال تعالى في سورة البروج والله من ورائهم محيط وكان ذلك تعريفا للعباد بانه سبحانه لا يعزب
عنه شيء ولا يفوته هارب اردف ذلك بتفصيل يزيد ايضاح ذلك التعريف الجلي من شهادته سبحانه على كل شيء واحاطته فقال
ان كل نفس لما عليها حافظ فاعلم سبحانه بخصوص كل نفس بمن يحفظ انفاسها وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ليعلم العبد انه ليس
بمهمل ولا مضيع وهو سبحانه الغني عن كتب الحفظة واحصائهم ولكن بي سنتهم حتى لا يبقى لاحد حجة ولا تعلق واقسم تعالى على ذلك تحقيقا
وتاكيدا فناسب القصد المذكور انتهى ولما كان التقدير لانه لا بد من العرض على الخالق لان التوكيل بالانسان لا يكون الا لعرضه على
الملك الديان ومحاسبته له كان التقدير بحفظ اعمالها ويكتبها ليحاسبها الملك على ذلك فتسبب عنه قوله فلينظر اي بالبصر
الانسان اي الانس بنفسه الناظر في عطفه ان كان يسأل في ذلك مم اي من اي شيء وبني للمفعول العامل في من امرا بالنظر
وهو قوله خلق اعلاما بان الدال هو مطلق الخلق وتنبيها على تعظيم الفاعل لان العلم به غير محتاج الى ذكره باللفظ لانه لا
يقدر على صنعه من صنائعه غيره امر الانسان بهذا النظر ليعلم بامر مبدئه امر معاده فان من قدر على الابتداء اقدر
على الاعادة قطعا فاذا صح عنده ذلك اجتهد في ان لا يملي على حافظيه الا ما يرضى عرضه على الملك يستتر وقت حسابه
ولما نبه بالاستفهام على ان هذا امر مهم جدا ينبغي لكل احد ان يترك جميع مهماته ويتفرغ للنظر فيه فانه بالنسبة
الساعة الابدية وكان الانسان مع كونه ضعيفا عاجزا لا ينفك عن شاغل ومعثر فلا يكاد يصح له نظر تولى سبحانه شرح
ذلك عنه فاجاب الاستفهام بقوله خلق اي الانسان على ايسر وجه واسهله بعد خلق ابيه ادم عليه السلام من تراب
وامه حواء عليها السلام من ضلع من ماء دافق اي هو لقوة دفق الطبيعة له لانه يدفق نفسه فهو اسناد مجازي والدفق
لصاحبه او هو مثل لابن اي ذي دفق والدفق صب فيه دفع ولم يقل ماءين اشارة الى انهما لاجتماعهما في الرحم وتمتزجان اشد
امتزاج بحيث يصيران واحد ولما كان المراد به ماء الرجل وماء المرأة قال يخرج وبعض ما شأنه الحار فاهم الخروج
عن بقره في قوله من بين الصلب اي صلب الرجل وهو عظم مجتمع من عظام منفككة احكم ربطها غاية الاحكام من لدن الكاهل
الى عجب الذنب والترائب اي ترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وصوبه ابن جرير وما ولي الترقوتين منه وما بين
الثديين والترقوتين او اربع اضلاع من يمنة الصدر واربع من يسرته او اليدان والرجلان والعينان وعلى كل تقدير
شهوتها من امامها وشهوة الرجل فيما غاب عنه من ورائه ولو نزع الخافض لافهم ان الماء يملأ البين المذكور ولم يفهم
انه يخرج عن صاحب البين قال البيضاوي ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء
حتى تستعد لان تتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند الانثيين فلا شك ان الدماغ
اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهو النخاع
وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقال الملوي والذي
اخرجه من حلزون عظام الصلب والترائب الى ان صيره في محله من الانثيين الى ان دفق واغنى بعد ذلك بنقله من خلق
الى خلق بعد كل اربعين يوما الى ان صيره انسانا يعقل ويتكلم ويبني القصور ويهدم الصخور قادر على بعثه ولما
علم بالحفظ والخلق في الاطوار المشار اليها انه خلق لامر عظيم وهو الحساب وثبت على قدرته من هذا الماء وتطوره
في الحالات المشار اليها بالتنبيه بذكر الماء المعاونة لكل احد القدرة على الاعادة بلا فرق الا كون الاعادة على ما
تعرفونه اسهل وكان العرب تنكر وتهزأ قال مؤكدا استئنافا لمن يقول قد نظرت في ذلك فمه انه اي خالقه القادر على ما ذكر
من شؤونه المدلول على عظمه ببني خلق للمفعول على رجعه اي رجع الانسان بالبعث ورده الى حالته الاولى وخلقه الاول كما كان
قبل الموت وعلى رد الماء الدافق الى مجاريه التي خرج منها وحاله الى ما بيته لعدا انعقاده عظما ولحما ودما لقادر اي لثابت
قدرته على ذلك انه انشاته من اليسر ما يكون عنده سبحانه رده بعد شيخوخته على عقبه بان يجعله كهلا ثم شابا
ثم طفلا ثم مضغة ثم علقة ثم نطفة ثم يدفعه الى ذكر الرجل ورحم المرأة ثم الى صلبه وترائبها وهو اهون عليه
وذلك كقدرته على رده بالبعث وعبر بانه ولم يقل ان الله مثلا لانه افعل لانه يقال لكل انسان من اخرجك على هذه
الهيئة فيصير لك على هذه الصفة فاذا قال القادر على كل شيء تفيد قدرته الكاملة قيل له وسلك العقد بعينها
لعبدك ولو سمى له اسمه عن الضمير لكان ربما قال الحس هو خالقي ولما كان بهذا الحرك للسامع غاية التحرك
الى ان يقول متى يكون رجعه له قال مجيبا له يوم تبلى وبناه للمفعول لشأن مع التنبيه على السهولة الى ان
من الامر البين غاية البيان ان الذي يبلوها والذي يرجعها وهو الله تعالى من غير احتياج الى ذكره السرائر
اي كل ما انطوت عليه الصدور من العقائد والنيات واخفته الجوارح من الاخلال بالوضوء والغسل ونحو ذلك
من جميع الخيانات بان تخالط السرائر في ذلك اليوم وهو يوم القيمة من الامور الهائلة ما يميلها فيحيلها عما هي
عليه فتعود جهرا بعد ان كانت سرا فيتميز طيبها من خبيثها ويجازى عليه صاحبه ولما كان المانع من خرائه

عند اظهار سرائره اما هو بنفسه او احد ينصره فان سبب عن اظهارها مجتهد في اخفائها قال فما له اي الانسان الذي اخرجت سرائره
واعرق في النعيم والبغي فقال من قوة اي يمنع بها نفسه من الجزاء ولا ناصر اي بعض يمنعه من نفوذ الحكم فيه وليس له دفع الا بهذين الامرين
قوة قائمة به او قوة خارجة عنه ولما اشتملت هذه الجمل على جازتها على الذروة العليا من البلاغة في اثبات البعث
والجزاء والوحدانية له سبحانه الى غير ذلك من بحور العلوم فثبت ان القران كلام الله فثبت لكل ما فيه حق مع ما رغبهم في ذلك
كله اقتضى الحال الاقسام على حقيته فقال والسماء اي التي كان المطلع الاقسام بها ووصفها بما يؤكد العلم بالبعث الذي هو منبع
العلوم والتقوى لحمله مدار السعادة فقال ذات الرجع اي التي ترجع بالدوران الى المواضع الذي ابتدأت الدوران منه
فترجع الاحوال التي كانت وتصرمت من الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول من الشتاء وما فيه من برد
ومطر والصيف وما فيه من حر وصفا وسكون وغير ذلك والنبات بعد تهشمه وصيرورته ترابا مختلطا بتراب الارض ورجع
الماء على قول من يقول ان السحاب ياخذ من البحر ويعلو به فيعصر في الهواء ثم يرده الى الارض وغير ذلك من الامور الدال
كل منها قطعا على ان فاعل ذلك قادر على اعادة كل ما فني كما كان من غير فرق اصلا ولما ذكر الامر العلوي بادئا به لشرفه
اتبعه السفلي فقال والارض اي مسكنكم التي انتم ملابسوه ومعاينوه كل وقت وحال فتسموه ذات الصدع اي التي تنصدع وتنشق
فيخرج منها النبات والعيون بدءا واعادة دلالة ظاهرة على البعث تجمع بالقسم العالم العلوي الذي هو كالرجل والسفلي الذي
هو كالمراة فكما ان الرجل يسقيها من مائه فتنصدع عن الولد فكذلك السماء تسقي الارض فتنصدع عن النبات وكما يتصدع
عن النبات بعد فناته وصيرورته ترابا فيعود كما كانوا باذن ربهما من غير فرق اصلا ولما كانت هذه كلها امورا قاطعة
ودلائل باهرة ساطعة على حقية القران واثباته بالعلي البيان فكان من المستبعد جدا طعنهم في القران بعد هذا قال مشيرا الى ذلك
بالتاكيد معبرا بالضمير اشارة كما مضى الى انه الحدث عنه الان فهو الثابت في جميع الاذهان لا غيبة له عن شيء اصلا مقسما عليه انه
اي القران الذي اخبر بهذه الاخبار التي هي في غاية الوضوح وتقدم انه مجيد وفي لوح محفوظ وان الكفرة في تكذيب به
ولا سيما ما تضمنه من الاخبار بالبعث لقول فصل اي حاز ارادته الامور وله من القران فيه في الفرق بين الحق والباطل
ما صار به يطلق عليه نفس الفصل ثم اكد الامر لشدة انكارهم فقال وما هو اي في باطنه ولا ظاهره بالهزل اي بالضعيف
المردول الذي لا طائل تحته فمن حقه ما هو عليه الان من كونه مهيبا في القلوب معظما في الصدور يرتفع به قاريه وسامعه
عن ان يلم بهزل ويعلو به في عز العادة والخاصة ولما كان ثبات هذا على هذا الوجه مقتضيا ولا بد رجوعهم عن العناد
فكان ذلك محركا للسامع الى تعرف ما كان من امرهم استانف قوله دلالة على بقائهم على الانكار واكده تنبيها على ان دوامهم
على العناد مع هذا مستبعد جدا انهم اي الكفار يكيدون اي يعملون في امره من الحيل كيدا في ابطاله واطفاء نوره
بالتنائت او اخراجا وقتلك او تنفير الناس عنك والحال انه لا قوة لهم ولا ناصر وسمي جزاءه لهم سبحانه كيدا مشاكلة
ولانه خفي عنهم ومكروه اليهم فهو على صورة الكيد فقال واكيد اي انا بما لي من القدرة كيدا باستدراجهم الى نوع علم
فيما يقتضي ليكمل ما يوجب اخذهم من حيث لا يشعرون ولما كان هذا اعظما بانهم عدم لا اعتبار بهم قال
مسببا عنه تهديدا لهم بالاناة من تهديد فمهل اي تمهيلا عظيما بالتدريج ولما كان في المكذبين في علم الله من يؤمن
فليس مستحقا لايقاع مثل هذا التهديد عبر بالوصف المقتضي للرسوخ فقال الكافرين اي فلا تدع عليهم ولا تستعجل لهم
بالاهلاك فانا لا نعجل لان العجلة وهي ايقاع الشيء في غير وقته الاليق به نقص لانه لا يعجل الا من يكون ما يفعل
المستعجل عليه خارجا عن قبضته ولما كانت صيغة التفعيل ربما افهمت التطويل اكد ذلك بمجرد الفعل دلالة
على ان المراد بالاول ايقاع الامهال مع ان زمنه قصير بالتدريج ليطمئن المهمل بذلك ويصير له به نوع عظمة
ودربة وعزيمة صادقة لان ما يقولونه مما اشتد كراهة النفوس له فلا يقدر احد على الاعراض عنه الا بمعونة عظيمة
امهلهم اي بالاعراض عنهم مرة واحدة لعدا التدريج بما صار لك على حمله من القوة بالتدريج الذي امرت به سابقا
رويدا اي امهالا يسيرا فستكون عن قريب لهم امور واي امور تشفي الصدور ومهما صغر اراد التصغير ترخيم
قال ابن برجان وهي كلمة تعطي الرفق وهذا الاخر هو المراد بما في اولها من ان كلا منهم ومن غيرهم محفوظ بحفظه مضبوطة
اقواله وافعاله واحواله فان ذلك مستلزم لانه في قبضته فهذا النبي الطرفان على اعظم شان بابين برهان
ووقع اول هذا الوعيد يوم بدر ثم تولى نكالهم وتخشيتهم واسفالهم الى ان ذهب كثير منهم بالسيف وكثير
منهم بالموت حتف الانف الى النار وبقي الباقون في الصغار الى ان اعزهم الله بعز الاسلام وصاروا من اكابر الاعلام
تشريفا لهذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام

سورة سبح وتسمى الاعلى قال الملوي في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات مقصودها

ايجاب التنزيه للاعلى سبحانه عن ان يلحق ساحة عظمته شيء من شوائب النقص كاستعجال في امر من اهلاك الكافرين او غيره

او العجز

او العجز عن البعث او اهمال الخلق سدى يبغي بعضهم على بعض بغير حساب وان يتكلم بما لا يطابق الواقع او بما يقدر احد ان يتكلم بمثله
كما اذنت به الطارق مجملا وشرحته هذه مفصلا وعلى ذلك دل كل من اسميها سبح والاعلى بسم الله الذي له العلا كله فلا نقص
يلحقه الرحمن الذي عم جوده فكل موجود هو الذي اوجده وكل حيوان هو يربيه ويرزقه الرحيم الذي من كان من حزبه فانه يلزمه
الطاعة وييسرها له ويوفقه لما تضمن امره سبحانه اخر الطارق بالامهال النهي عن الاستعجال الذي هو منزه عنه
لكونه نقصا واشار نفي الهزل عن القران الى انهم وصموه بذلك وهو في غاية البعد عنه الى غير ذلك مما اشير اليه فيهما وتنزه
نفسه الاقدس سبحانه عنه اكمل خلقه رسوله المنزل عليه هذا القران بتنزيه اسمه لانه وحده العالم بذلك حق علمه واذا
نزه اسمه عن ان يدعو به وثنا او غيره او يضعه في غير ما يليق به كان لذاته سبحانه اشد تنزيها فقال امرا عقبا في الذكر لا
سيما بالتنزيه الذي هو نفي المستحيلات لان التخلي قبل التحلي شارحا الاصول الدين معقدما للالهيات التي هي النهايات
من الذات ثم الصفات لاسيما الربوبية ثم الافعال على النبوات ثم اتبع ذلك النبوة لتعرف العبد ربه على ما هو عليه
من الجلال والجمال فيزول عنه ذا الجهل الموقع في التقليد وذا الكبر الموقع في انكار الحقوق فيعترف بالعبودية
والربوبية مثنيا عليه سبحانه بالجلال ثم الجمال فيتعبد على ما يليق به من امتثال امره واجتناب نهيه تعظيما لقدره
سبح اي نزه وبرئ تنزيها وتبرية عظيمة جدا جليا قوية شديدة اسم ربك اي المحسن اليك بعدما جاد على صفة
الكمال بتربيتك على احسن الخلال حتى كنت في غاية الجلال والجمال ولما كان الانسان محتاجا في ان يكون جنابه طيبة لنفسه
مما يريد اله اشياء كثيرة يتمنى اليه ليكون له به رفعة ينفعه بها عند مهماته ويدفع عنه عند ضروراته ومقتدى
يرتبط نفسه به عند ملماته وطريقة مثلى يرتكبها كما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم رضيت بالله ربا وبمحمد صلى
الله عليه وسلم نبيا ورسولا وبالاسلام دينا ارشدك الى ان الانقطاع اليه ادنى الحياة فقال واصفا للمامور بتسبيحه
باثبات ماله من الواجبات بعد نفي المستحيلات كما اشار اليه سبحانك وبحمدك الاعلى اي الذي له وصف العلو بحقيقة
المكانة لا المكان على الاطلاق عن كل شائبة نقص وكل سوء من الايجاد في شيء من اسمائه بالتاويلات الزائغة والاطلاق فيه
على غيره مع زعم اشتراكها فيه سوا وذكره خاليا عن التعظيم وغير ذلك لتكون ذا تحاشي لتنزيهه فتكون من اهل العرفان الذين
يضيئون على الناس مع كونهم في الرسوخ كالاوتاد الشامخة التي هي مع علوها الا تزجر وقد ذكر سبحانه هذا المعنى معبرا عنه
بجميع جهاته الاربع في ابتدا اسورا اربع استيعابا بالهذه الكلمة الحسنى الشريفة من جميع جهاتها فابتدا سورة الاسرا
التي هي سورة الانسان سبحان المصدر الصالح لجميع معانيه اعلاما بان هذا المعنى ثابت له مطلقا غير مقيد بشيء
من زمان او غيره ثم ثنى بالماضي في اول الحديد والحشر والصف نصر بحا بوقوع ما افهمه المصدر في الماضي الذي
يشمل ازل الازال الى وقت الانزال ثم ثلث في اول الجمعة والتغابن بالمضارع لان تعمهم بما افهمه المصدر والماضي دوام
التجدد فلما تم ذلك من جميع وجوهه توجه الامر خصت به سورته وقد مضى في اول الحديد والجمعة ما يتم هذا ولما
كان الابداع ادل ما يكون مع التنزه على الكمال لاسيما النور الذي هو سبب الانكشاف والظهور مع انه تفصيل لقوله
مما خلق وهو ادل شي على البعث المذكور في يوم تبلى السرائر قال جميعا للفاعل الذي امه لوضوحه في تم خلق جرعا
في الفكر في افعاله سبحانه الذي هو السبب الاقرب للسعادة بالدلالة عليه بما له من الجائزات بعد الترغيب في
الذكر الذي هو المهيئ للفكر الذي خلق اي اوجد من العدم اي له صفة الايجاد لكل ما اراده لا يعسر عليه شيء فسوى
اي اوقع مع الايجاد وعقبه التسوية في كل خلق بان جعل له ما يتأتى بعد كلامه ويتم معاشه وعدل بين الامزجة
الاربعة الماء والهواء والنار والتراب بعد ان قهرها على الجمع مع التضاد لئلا يتفاسد وذلك بالعلم التام
والقدرة الكاملة دلالة على تمام حكمته وفعله بالاختيار وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير قال سبحانه مخبرا عن عمه
الكفار في طلام حيرتهم انهم يكيدون ويكيدا وكان وقوع ذلك من العبيد المحاط باعمالهم ودقائق انفاسهم واحوالهم
من اقبح مرتكب وابعد عن المعرفة بشيء من عظيم امر الخالق جل جلاله وتعالى علاه وشانه اتبع سبحانه ذلك بامر نبيه
عليه الصلاة والسلام بتنزيه ربه الاعلى عن شنيع اعتدائهم وافك افترائهم فقال سبح اسم ربك الاعلى اي نزهه عن
قبيح مقالهم وقدم التنبيه على التنزيه في امثال هذا ونظائره وقوع ذلك اثنان السور فيما بين سورة واخرى
واتبع سبحانه من التعريف بعظيم قدرته وعلى حكمته بما يبين ضلالهم فقال الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى
فتبارك الله احسن الخالقين وتنزه عما يقوله المعتدون انتهى ولما كان جعل الاشياء على قدار متفاوتة
مع الهداية الى ما وقع الخلق له على اوجه متفاصلة مع التساوي في العناصر مما يلي التسوية وهو من خواص الملك
الذي لا يكون الا مع الكمال اتبعه بالواو دلالة على تمكن الاوصاف فقال والذي قدر اي وقع تقديره في اجناس الاشياء
وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها وغير ذلك واحوالها فجعل البطش لليد والمشي للرجل

والسمع للاذن والبصر للعين ونحو ذلك **فهدى** اي اوقع بسبب تقديره وعقبه الهداية لذلك الذي وقع التقدير من اجله من الكل
والجواهر والاعراض الى هيئاته بما يليق به طبعا واختيارا كخلق الهيولى والالهامات من الشكل والجواهر ونصب له الدلائل
والايات لدفع الشرور وجلب الخيور فترى الطفل اول ما يقع من البطن يفتح فاه للرضاعة وغيره من سائر الحيوانات يهتدي الى ما
ينفعه الاستفاعات فالخلق لابد له من التسوية ليحصل الاعتدال والتقدير لابد له من الهداية ليحصل الكمال
كانت دلائل التوحيد تارة بالنفس وتارة بالافاق وثنيه بايات النفس فلم يبق الا ايات الافاق وكان النبات من اياتها ادل
المخلوقات على البعث **والذي اخرج** اي اوقع اخراج **المرعى** بما انزل من المعصرات فانبت ما ترعاه الدواب من النجم وغيره ابتداء
واعادة فدل ذلك على تمام قدرته لاسيما على البعث لانه سبحانه اقدر على جمع الاموات من الارض بنفسه بعد ان تفتتوا من الماء
على جمعه للنبات التي كانت تفتتت في الارض وصارت ترابا واخراجه كما كان في العالم الماضي باذنه سبحانه وهو خلق العدل
وكمال الاختيار بمعاقبة الاضداد على الذات الواحدة قال العلي **فجعله** اي بعد اطوار من اخراجه **غثاء** اي كثيرا اتم امهاله
فايبسه وهشمه وفرقه فجمع السيل بعضه الى بعض فجعله زبدا وهالكا وباليا وفتاتا على وجه الارض **احوى** اي في غاية الري
حتى صار اسود يضرب الى خضرة او احمر يضرب الى سواد واشتدت خضرته فصارت تضرب الى سواده وقال القزاز
في ديوانه الحوى شبه من شيات الخيل بين الدهمة والكمتة وكثر هذا حتى سموا كل اسود احوى انتهى فيجوز ان يريد حيث
انه اسود من شدة يبسه فحوته الرياح وجمعته من كل اوب حيث تفتت فكان من
الكلمتين فيهما حياة وموت واخر الثانية ليحملهما لان دلالتهما على الحصر اتم فلو قدمت لم تنصرف الى غيرها فدل جمعه بين
الاضداد على الذات الواحد على كمال الاختيار واما الطبائع فليس لها من التاثير الذي اقامه سبحانه فيه الا الايجابي
كالنار متى اصابت شيئا احرقته ولا تقدر بعد ذلك ان تنقله الى صفة اخرى غير التي اثرتها واخبار بالبداية والنهاية
الى تذكر ذلك وانه على سبيل التكرار وفي كل عام الدال على بعث الخلائق وخص المرعى لانه ادل على البعث لانه مما لا ينبته الناس اذا
انتهى هشيما وتفتت وصار ترابا ثم يعيده سبحانه وصف من امره صلى الله عليه وسلم بتسبيحه بما دل على اوصاف جماله ونعوت
كبريائه وجلاله وشرح جماله سبحانه من القدرة التامة على الابداع والهداية والتصرف في الارواح الحسية والمعنوية
بالنشر الى صفاته ثم الى افعاله والطي والقبض والبسط دالة على تمام اصول الدين بالدلالة على وجوده سبحانه على سبيل التنزل
في ذاته الى صفاته ثم الى افعاله فتم ما للخالق واتبعه ما للخلائق وبدا بما لاشرف خلقه المنزل عليه هذا الذكر تقرير النبوة
التي بها تتم السعادة بالحقائق الواصلة الى عبده التي بها تتم امره من القوتين العلمية ثم العملية بقبول الرسالة بعد التوحيد
لان حياة الانسان لا يتم طيبها الا بمقتدى يقتدى به في اقواله وافعاله وسائر احواله ولا مقتدى مثل المعصوم عن كل ميل
الموجب ذلك الحب من كل من يعرف حاله والحب في الله اعظم دعائم الدين فقال معللا للامر بالتسبيح للموصوف بالجلال
والجمال الاعلى انه يحيي ميت الارواح **سنقرئك** اي بجلالة عظمتنا بوعد لا خلف فيه على سبيل التكرار بالتجديد والاستمرار
قاريا اي جامعا لهذا الذكر الذي هو حياة للارواح بمنزلة الحياة للاشباح الذي يعلم انه قول فصل عالم به كل علم ناشرا
له في كل حي تاركا به بين كل ملتبس وان كنت اميا لا تحسن الكتابة ولا القراءة ولذلك سبب عنه قوله **فلا تنسى** كما قلت ولا
تحرك به لسانك عند التنزيل لتعجل به ولا تتعب نفسك فان علينا حفظه في صدرك واطلاق لسانك به ولما
كان سبحانه ينسخ من الشريعة ما يشاء بحسب المصالح تخفيفا لما له تعالى من الرفق قال لافتا القول الى سياق الغيبة
اعلاما بان ذكر الجلالة اعظم من التصريح باداة العظمة **الا ما شاء الله** اي الملك الذي له الامر كله ان تنساه لانه نسخه او لنظير
عظمته في ان اعظم الخلق لغلبة القران لانه صفة الله فتنسى الكلمة او الاية ثم تذكرها ثانيا بتذكير احد من احاد امتك
وبان يعيد ذلك ولما كان الفاعل لهذه الامور كلها لا يتم الا اقرا والحكم على ما يقرا انه لا ينسى الا ما شاء لا يكون الا بمحيط
العلم قال تعالى مصرحا بذلك موكدا لاجل انكار المثل القصور في النظر لمثله جاريا على اسلوب الغيبة معبرا بالضمير اشارة
الى تعاليه في العظمة الى حيث تنقطع امال الخلق عن ادراكه بما لزم من افعاله **انه** اي الذي مهما شاء كان ولما كان المراد بيان
احاطة علمه سبحانه وانه نسبة الجلي الخفي من جهره بالقران وترديده على قلبه سرا وغير ذلك اليه على حد سوا وكان
السياق للحكم ذكرهما مصرحا بكل منهما وقدم الجلي لان بهذا اقتاحه وذكره بوصفه معبرا عنه بالاسم الدال على احاطة
علمه به فقال **يعلم الجهر** اي ما ثبت له هذا الوصف على سبيل التجدد والاستمرار في الاقرار والقراءة وغيرهما ولما
ذكره باسمه ليدل على انه يعلمه مطلقا لا بقيد كونه جهرا قال مصرحا بذلك **وما يخفى** اي يتجدد خفاؤه من القراءة
وغيرهما على اي حالة كان لا احفا فيكل علمه به اذا جهر به بطريق الاولى ولما ذكر الالهيات والنبوة واشار
الى التسبيح اشار الى ان الدين المشروع له هو الحنيفية وانه سبحانه لا يبقيه في شيء بنسخ او غيره الا كان هو الايسر له والا
لان الرفق والعنف يتغيران بحسب الزمان فقال مخبرا للقوة العملية اثر بيانه للعلمية **ونيسرك** اي نجعلك انت مهيئا

سهلا ملينا موفقا **لليسرى** اي في حفظ الوحي وتدبره وغير ذلك من الطرائق والحالات كلها التي هي لينة سهلة حنيفية
كما اشار اليه قوله تعالى كل ميسر لما خلق له ولهذا الموبعل ويسر لك لانه مطبوع على حبها ولما كمله وهياه سبحانه للايسر
ولبشره غاية التيسير سبب عنه وجوب التذكير لكل احد في كل حالة تكميلا لغيره شفقة على خلق الله بعد كماله في نفسه فان
لله ساعات له فيهما نفحات تقضى فيها الحاجات وذلك لانه لما صار كالطبيب الحاذق في علاج المرضى فيقوم بنفع عباده لشكره
نعمة ذكره باذن منه اشارة الى ان التلميذ يحتاج الى اذن المشايخ وتزكيتهم والى ان اعظم الادواء ان يقتصر الانسان على ما
عنده ولا يطلب الازدياد مما ليس عنده من خير الزاد فقال **فذكر** اي بهذا الذكر العظيم وعبر باداة الشك ابهاما للاطلاق
الكلي فقال **ان نفعت الذكرى** اي ان جوزت نفعها وترجيته ولو كان على وجه ضعيف مما اشار اليه نابيت العقل بعد ما افاد
اداة الشك ولا شك ان الانسان لعدم علمه بالغيب لا يقطع بعدم نفع احد بل لا يزال على رجاء منه وان استبعد ولهذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يدعو الى الله تعالى وان اشتد الامر ولا يحقر احدا ان يدعوه ولا يياس من احد وان اشتد
عليه والامر بالاعراض عمن تولى ونحو ذلك انما هو بالاعراض عن الحزن عليه وعن تقطيع النفس لاجله عليهم حسرات ونحو ذلك ولما
امره بالتذكير لكل احد قسم الناس له الى قسمين قسم يقبل العلاج وقسم لا يقبله بانه سبحانه عالم بكل من القسمين حاله وان اراد ابل العين
ولم يزل عالما بذلك ولكنه لم يعين ابتلاء منه لعباده سبحانه لتقوم له الحجة بما يتعارفونه بينهم والحجة البالغة فقال جاسا على
شكر الجوارح العقل بحثه والجوارح من القلب واللسان وغيرهما **سيذكر** اي بوعد لا خلف فيه ولو على اخفى وجوه التذكر بما اشار
اليه الادغام **من يخشى** اي في جبلته نوع خشية وهو السعيد لما قدر له في نفسه من السعادة العظمى بقبول الحنيفية السمحة
يتذكر ما يعلم منها في نفسه فيتعظ فان من الخشية حاملة على كل خير فيتنعم بقلبه وقالبه في الجنة العليا وحي فيها من غير
سقم ولا نوى بلا اخر وانتهائها [illegible] ذكر من حجبته في الله ذكر من يبغض في الله وعلامة الحب الاقتداء وعلامة البغض التجنب
والانتهاء والابتداع والاباء فقال **ويتجنبها** اي يكلف نفسه وفطرته الاولى المستقيمة تجنب الذكرى التي نشأ تذكيره بها من
اشرف الخلائق واعظمهم وصلة بالخالق كان هذا الذي يعالج نفسه على العوج شديد العتو قال **الاشقى** اي الذي
له هذا الوصف على الاطلاق لانه خالف اشرف الرسل فهو لا يخشى وكانه اشقى الناس كما ان من امن به اشرف ممن امن من قبله من
الرسل عليهم السلام ولما ذكر وصفه الذي اوجب له العمل السيء ذكر جزاءه فقال **الذي يصلى** اي يباشر مباشرة المغموس بقلبه
وقالبه مقاسيا **النار الكبرى** اي التي هي اعظم الطبقات وهي السفلى لانه ليس في طبعه ان يخشى بل هو كالجلمود الا في لا يتجاهل
معقلا ومنكرا معاندا او المراد نار الاخرى فانها اعظم من النار الدنيا بسبعين جزءا فلهذا استحقت ان تصف بافعل
التفضيل على الاطلاق والاية من الاحتباك ذكر الثمرة في الاول وهي الخشية دليلا على حذف ضدها من الثاني
وهي القسوة الناشئة عن الحكم بالشقاوة وذكر الاصل والسبب في الثاني وهو الشقاوة دليلا على حذف ضده في الاول
وهو السعادة فالاسعاد سبب والخشية ثمرة والاشقاء سبب والقساوة ثمرة ومسبب وكذا ما تبعه من النار وما
نشا عنها وسر ذلك ذكر مبدا السعادة اولا حثا عليه ومال الشقاوة ثانيا تحذيرا منه قال الملوي والاشتمال
القران العظيم على احسن ما يكون من البراعة في التركيب وبداعة الترتيب وكثرة العلوم مع الاختصار وعدم التكرار
فيكتفي في موضع بالثمرة بلا سبب وفي اخر بالسبب بلا ثمرة لدلالة الاول على الثاني والثاني على الاول فضم السبب الى الثمرة
والثمرة الى السبب كما يطلق القضاء ويكتفي به عن القدر ويطلق القدر ويكتفي به عن القضاء وكذلك يذكر الحكم وينتهي فيدل
عليهما فتذكر الثلاثة وتظهر بمثال وهو ان من اراد اقامة دولاب لهندس اولا موضع البئر لسمته ورسمه ومداره
وحوضه الذي يصب فيه الماء وجداوله التي ينساق منها فهذا هندسة وتدبير وحكم وارادة فاذا صنع ذلك
واتمه سمي قضاء وايجادا وتاثيرا فاذا ركب على الجبال قواديس تحمل مقدارا من الماء معينا اذا نزلت الى الماء اخذته
واذا صعدت فانتهت واردت الهبوط فرغته فيتصرف الماء في جداوله الى ما صنع له كان ذلك قدرا فهو النهاية
في ذكره واخذ من تكنه الحكم والقضاء والعقدة لتل الاخر كان ما هذا شانه يهلك على ما جرت به العادة في شرع وقته
فاذا كان من شانه بهذا العظم انه لا يهلك كان ذلك دليلا واضحا على انه لا يعلم كنه عظمة مقدره الا هو سبحانه فاشار الى ذلك
بالتعبير باداة التراخي اعلاما بان مراتب هذه الشدة في التزايد بين الموت والحياة لا يعلم علوها عن تلك الصلي الا الله
فقال **ثم لا يموت فيها** اي لا يتجدد في هذه النار موت وان طال المدى ولما كان من يدخل النار فلا يموت في موته قد يكون
ذلك اكراما من باب خرق العوائد احترز عنه **ولا يحيى** اي حياة ينفعه لانه ما زكى فلا صدق ولا صلى ثبت بهذا
ان لهذا الشقي الاعظم فكان التقدير لانه لم يزك نفسه لانه ما كان مطبوعا على الخشية انتج ولا بد قوله تعالى قد الا
على الدين التكليفي وهو اجتلاب واجتناب فجمع الاخلاص والاجتناب بالتزكية بالتحلي بالابواب والملازمة للاعتاب
بامتثال الامر واجتناب النهي بالمجاهدات المقربات اليه سبحانه المنجيات بعد ما حذر من المهلكات المسارعة

احتباك

في مجاهدة ومراضيه اجماعا الى ذي الجاه العريض والاقتدا بمن لا يريع الارتباط بطريقة مثل الحصل بها الاغتباط ليصل بها
الى المقصود ونعم اوقاته بوظائفها لئلا يحصل له خلل ولا ضياع لنفائس الاوقات ولا غفلة لشهوته بها وقطاع الطريق
قد افلح اي فاز بكل مراد من تزكى اي عمل بنفسه في تطهيرها من فاسد الاعتقادات والاخلاق والاقوال والافعال والاحوال
وتنميته اعمالها القلبية والقالبية وصدقة اموالها وذلك هو التسبيح الذي امر به اول السورة وما تاخر عنه من عمل هذا
فهو الاسعد وكان اعظم الاحوال المزكية الذكر والصلاة قال تعالى وذكر اي بالقلب واللسان ذكرا او ذكرا بالكسر والضم
اسم ربه اي صفات المحسن اليه فانه اذا ذكر الصفة سرتها فافاض باطنه على ظاهره ذكر اللفظ الدال عليها واذا ذكر
ذلك اللفظ وهو الاسم الدال عليها انطبع في قلبه ذكر المسمى فصلى اي الصلاة الشرعية لانها اعظم الذكر فهي اعظم عبادات
البدن كما ان الزكوة اعظم عبادات المال ومن فعل ذلك استراح من ذكر الاعجاب وما يتبعه من النقائص الموجبة لسوء الانقلاب
وكان متخلقا بما ذكر من اخلاق الله في اول السورة من التخلي عن النقائص بالتزكية والتحلي بالكمالات بالذكر والصلاة لانه لعظمته
لا يناهل لذكره الامن واطب على ذكر اسمه فلا يشقى ولا يصلى النار الكبرى بوعد لا خلف فيه فالاية من الاحتباك في الاحتباك ذكر
اولا الصلى دليلا على حذف ضده ثانيا وثانيا التزكية دليلا على حذف ضدها وقد تكفل ذكر التزكية والذكر والصلاة من
اسباب التداوي بالانضاج ثم الاشربة ثم الاغذية والاية صالحة لارادة زكاة الفطر وتكبيرات العيد وصلاته وان
كانت السورة مكية وفرض الصيام بالمدينة لان العبرة بعموم اللفظ لاحاطة علمه سبحانه بالماضي والحال والاستقبال
على حد سواء. قال الرازي في اللوامع وتقدم زكوة الفطر على صلاة العيد وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول رحم الله امرا
تصدق ثم صلى ثم يقرا هذه الاية وان كانت السورة مكية فانه يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال تعالى وانت حل
بهذا البلد والسورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح انتهى. ولحن من البغوي وزاد البغوي ان ابن عمر رضي الله عنهما
كان يامرنا فعا رضي الله عنه نحو ما قال ابن مسعود رضي الله عنه ويقول انما نزلت هذه الاية في هذا وروى البزار عن
عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يامر بزكوة الفطر قبل ان يصلي صلاة العيد ويتلو
هذه الاية. وفي السند كثير بن عبد الله حسن له الترمذي وضعفه غيره ولما كان التقدير وانتم لا تفعلون ذلك الذي هم
لا يفعلونه على القراتين عطف عليه قوله بالخطاب في قراة الجماعة على الالتفات الدال على تناهي الغضب منهما على
المعاملات بسبب التداوي الرابع وهو الاستفراغ بنفي الرذائل والخبائث بالذي علمها ينبغي البراة منه والحث على ما ينبغي
تحصيله تحصيلا لحسن الرعاية بل تؤثرون اي تختارون وتخصون بذلك على وجه الاستبداد اي الاشقيا والغضب
على الاصل عند ابي عمرو الحيوة الدنيا اي الدنية بالنيا الحاضرة مع انها تشوه وفانية لاشتغالها لاجل حضورها الحيوانات
التي هي مقيدة بالمحسوسات فاستغرق اشتغالكم بها اوقاتكم ومنعكم عن ذكر اسم الله المنهي اياه ذكر الله والمنهي له عن تزكية
نفوسكم فاوقعكم ذلك في داء التعب وهو البطر والذنب وهو العرج وحب المال المودي الى شر الاعمال وتتركون
الاخرة والاخرة اي والحال ان الدار التي هي غاية الخلق ومقصود الامر العالية المنزهة عن العبث المنزهة عن الخروج عن
الحكمة خير اي من الدنيا على تقدير التسليم لان فيها خيرا لان نعيمها خالص لا كدر فيه بوجه وابقى اي منها على تقدير الحال
في الدنيا من انتفاد نعيمها الى وقت زوالها يسمى بقا لان نعيم الاخرة دائم لا انقطاع له اصلا وما كان باقيا لا انفاد له ما يقتضي بوجه
من الوجوه فمن علم ذلك وهو امر لا يحتمل اشتغل بما يحصل الاخرة ونفى الدنيا بقسميها من الاعيان الحسية والشهوات المعنوية
من الرعونات النفسانية والمستلذات الوهمية والاية من الاحتباك ذكر الايثار والدنو اولا دليلا على التزك والعلو
ثانيا وذكر الخير والبقا ثانيا دليلا على ضدهما اولا وسر ذلك انه لا يؤثر الدنيء الا دني فذكره اولا لانه اشد في التنفير
وذكر الخير والبقا ثانيا لانه اشد في الترغيب ولما كانت هذه النتيجة التي هي الفلاح بالتزكية وما تبعها خلاصة
الكتب المنزلة التي بها تدبير البقا الاول وصفها ترغيبا فيها بوصف جمع القدم المستلزم للصحة نوادر الافكار على
تعاقب الاعصار لانها مضت عليه السنون ومرت على قبوله الدهور التي يكون النفس اقبل للادعان له وادعى الى الترابه
وافاد مع القدم ان المنزل اليه صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل عليهم السلام لا هو على منهاجهم فرد رسالته من بينهم
لا يقول به منصف لا سيما وقد زاد عليهم في المعجزات وسائر الكرامات بقوله موكدا لاجل من يكذب ان هذا اي الوعظ العظيم
بالتسبيح الذي ذكر في هذه السورة وما تاخر عنه من التزكية بالذكر الموجب للصلاة والاعراض عن الدنيا والاقبال على
الاخرة لانه جامع لكل خير وهو ثابت في كل شريعة لانه المقصود بالحكمة فهو لا يقبل النسخ لفي الصحف الاولى فمن تبع هذا
القران الذي هو في هذه الصحف الربانية فقد تحلى من زينة اللسان بما يفعله من البيان الذي هو في غاية التحرير وعظم الشان
وبما يعلمه من المغيبات مما يكون او كان ونسبه اهل هذه الازمان فاستراح من ضلال الشعرا والكهان لم يوقعن في الاثم
والعدوان التبليغ لاعدا الله والترغيب الجاذب للقلوب والترهيب الزاجر والملح الجرهد والجد ودالرعة الى

ذلك من امور لا يصل اليها الشعرا ولا ينتهي الى ادنى جنابها بلاغات البلغا ولما كان ذلك عاما خص من بينه لعظمها العدد من
الموعظة اعظم الانبيا الاقدمين فقال مبتدئا مشيرا الى الاستدلال لا بالتجربة صحف ابرهيم اقدمه لان صحفه اقرب الى الوعظ
كما نطق به حديث ابي ذر رضي الله عنه وموسى ختم به لان الغالب على كتابه الاحكام والمواعظ فيه قليلة ومنها الزواجر البليغة
كاللعن لمن خالفها وامر التورية التي اعظمها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والاخبار بانهم يخالفونه كما هو مذكور في اواخرها
مع ان ذكر النبيين عليهما السلام على الاصل في ترتيب الوجود والافضلية وقد حث اخرها على التزكي وهو التطهر عن الادناس التي
هو معنى التنزه والتخلق باخلاق الله بحسب الطاقة وكان اتيانه والتذكير به اعلام بان الله تعالى لم يهمل الخلق من البيان لعدان
خلقهم لم يخلقهم سدى لان ذلك من العبث الذي هو من اكبر النقائص وهو سبحانه منزه عن جميع شوائب النقص فقد رجع اخرها الى اولها
وكان تنزيه الرب سبحانه وتنزيه النفس بضاعة نعو لها والله الموفق. سورة الغاشية مقصودها
شرح ما في اخر سبح من تنزيه الله سبحانه تعالى عن العبث باثبات الدار الاخرة التي الغاشية مبداوها وذكر ما فيها للاشقى
والاتقى والدلالة على القدرة عليها وادل ما فيها على هذا المقصود الغاشية نعوذ بالله من الغفلة لغافل والبصير الغاشية
لئلا يكون الغاشية علينا بسوء الاعمال ناشئة بسم الله الذي له العظمة البالغة والحكمة الباهرة الرحمن الذي له الفيض
الاعلى والنعم الظاهرة الرحيم الذي اصطفى ولنا فاصلح بواطن نعمهم حتى عادت زاهرة طاهرة لما ختمت سبح
بالحث على تطهير النفوس عن رجز الدنيا ورغب في ذلك بتخيبه الاخرة تارة والاقتدا باولي العزم من الانبيا اخرى رهب
او لهذه من الاعراض عن ذلك مرة ومن التزكي بعين منهاج الرسل اخرى فقال تعالى مذكرا بالاخرة التي حث عليها اخر
تلك معظما الاشرف خلقه صلى الله عليه وسلم لان ذلك اعظم في تعظيم اتباعه وانفذ في تحريك النفوس الى تلقي الخبر
بالقبول هل اتاك اي جاءك وكان لك واحمك على وجه الوضوح يا اعظم خلقنا حديث الغاشية اي القيمة التي تغشى الناس
بدواهيها وشدايدها العظمى وزواجرها ونواهيها فان الغشي لا يكون الا بما يكره. وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما
تقدم تنزيهه سبحانه عما توهمه الظالمون واستمرت اي السورة على ما يوضح تقدس الخالق جل جلاله عن عظيم مقالهم اتبع
ذلك بذكر الغاشية بعد افتتاح السورة بصورة الاستفهام تعظيما لامرها فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم هل اتاك
حديث الغاشية وهي القيمة وكانه سبحانه يقول في ذلك اليوم يشاهدون جزاءهم ويشتد تحسرهم حين لا يغني عنهم شي
عرف بعظيم امتحانهم في قوله ليس لهم طعام الا من ضريع مع ما بعد ذلك وما قبله ثم عرف بذكر من كان في نقيض
حالهم اذ ذلك ازيد في العزح وادعى ثم اردف بذكر ما نصب من الدلائل وكيف لم يعن فقال افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت الايات اي فلا يعتبرون بكل ذلك ويستدلون بالصنعة على الصانع ثم امره بالتذكار انتهى ولما هول
امرها بابهامها وعمومها زاد في التهويل بما ذكر من احوالها في تفصيل الناس الى شقي وسعيد وبدا بالشقي لان المقام لانذار
الموثر للنجاة الدنيا وسوء الابتدا بالنكد التفصيل فقال وجوه اي كثيرة جدا كائنة يومئذ اي اذ تغشى الناس خاشعة اي
ذليلة مجتنبة من الخجل والفضيحة والخوف والحزن عاملة اي مجتهدة في الاعمال التي تتعب بها النجاة لا نجاة تفوات العمل
من اهلها جاهدة فيما كلفتها به الزبانية من جر السلاسل والاغلال وخوض الغمرات من النيران ونحو ذلك كان تعال اذ الامانة
ثم تمثل له امانته في قعر جهنم فيتكلف النزول اليهم يحملها على عنقه ويصعد في جبال النيران حتى كاد ان يصل الى اعلاها
سقطت منه فيتكلف النزول وهكذا بما كان يهمل العمل في الدنيا ناصبة اي هي في ذلك في غاية التعب والدوب في العمل
والاجتهاد هذه رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذلك لانهم لم يخشعوا لله في الدنيا فلم يعملوا له فلم ينصبوا في
طاعته فاضطرهم في ذلك اليوم الى اعظم مما ابوه في الدنيا مع المضرة دون المنفعة ويجوز ان يراد بهما الذين
تعبوا ونصبوا في الدنيا وهم على غير دين الاسلام كالرهبان من النصارى اي لعبد النسخ وزنادقة المتصوفة من الغلاة
واتباعهم بان يكون وجوه مبتدا ويومئذ خبره اي كائنة يومئذ ثم بعد ربما يقع في جواب سوال سائل يقول لها شانها
فاجيب بقوله خاشعة اي في الدنيا الى اخره وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطا عنه ولما كان العذاب
لا يكون الا على ما يكرهه المعذب دل على ذلك وعلى انه على انهى ما يكون بعناء الفعل للمفعول في قراة ابي عمرو ويعقوب وابي
بكر عن عاصم فقال تصلى اي يصليها مصل اي على ايسر وجه واسهله بامر من الامر بان يغمسها قهرا على وجه الاحاطة بها والمعنى
على قراة الجماعة بالبنا للفاعل تدخل وتباشر بان يدينها فيها اصحابها فتحيط بها من كل جانب وهو دال على غاية الذل لان من
فعل بنفسه هذا لا يكون لا كذلك نارا حامية متناهية في الحر لانها عملت بالجهل على خلاف ما حثت لها انبياؤها فاخلت بركن العمل
او شرطه لما استولى عليها من الغفلة التي احاطت بها فلم تدع لها موضعا يصلح لدخول الرحمة منه وكان من في الحر احوج
شي الى ما يبرد باطنه قال بانيا عند الكل للمفعول جريا على قراة ابي عمرو في الذي قبله تسقى اي يسقي كل من اذن له الملك
في ذلك على اهون وجه من عين انية اي بلغت غايتها في الحر فنضجت غاية النضج فصارت تذاب بوها منهم سقط لحم وجوههم

واذا شربوا وطعموا دعاهم مما شربوا فى الدنيا من كاساة الهوى التى قطعوا بها سلادهم لها قلوب الالبا ولما ذكر ما يسقونه على
وجه علم منه انه لا يلذ ولا يروى من عطش اتبعه ما يطعمونه فقال حاصرا لهم ليس لهم اى هؤلاء الذين اذابوا انفسهم فى عبادة لهو
بالذات الله فيها طعام اصلا الا من ضريع اى بيبس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا ابيس تحامته وهو سم وقال فى القاموس
والضريع كامير الشبرق او يبسه او نبات رطبة يسمى شبرقا وبابسه ضريعا لا تقربه دابة لخبثه او شىء فى جهنم امر من الصبر انتن من
الجيفة واحر من النار ونبات منتن يرمى به البحر وقال البغوى فى الغريبين وعبد الحق فى الواعى الضريع الشبرق وهو نبات ذو
بالحجاز ذو شوك ويقال شبرق ما دام رطبا فاذا احف فهو ضريع وقال الفرا ... انه الضريع بيبس من يبس البحر وقيل هو
يبس الشبرق خاصة وقيل هو نبات احضر يرمى به البحر وهو منتن ابو حنيفة وهو مرعى لا تعقد عليه السائمة شحما ولا لحما
وان لم تفارقه الى غيره ساءت حالها وقال ابن الاثير فى النهاية الضريع هو نبت بالحجاز له شوك كبار وقال الشبرق نبت حجازى
يوكل وله شوك واذا ابيس سمى الضريع وهو ثوب مشبرق وهو الذى افسد وفى نسخه سخافه وشبرقت الثوب بصاحرقته
وقال فى القاموس الشبرق كزبرج رطب الضريع واحدتها وقال البغوى قال مجاهد وعكرمة وقتادة هو نبت ذو شوك
لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهو رواية العوفى عن ابن عباس رضى
الله عنهما ولا يمتنع فى قدرة الله ان يكون الغسلين اذا انفصل عن ابدان اهل النار صار على هيئة الشبرق المسمى ضريعا فيكون طعامهم
الغسلين الذى هو الضريع ويمكن ان يكون ذلك كناية عن اقبح العيش ولا يراد به شىء بعينه والله اعلم قال الملوى سمى ضريعا
لان الانسان يتضرع عند اكله من خشونته ومرارته ونتنه ولما حصر اكلهم فى هذا وكان الضريع المعروف عند العرب
قد يتصور متصور انه لو اكره شىء على اكله لسمنه او سد جوعته وكان الضريع الماكول لهم فى الغيه شوكا من نار كما ورد تفسيره
عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم نفى عنه فائدة الطعام فقال واصفا الضريع او الطعام المقدر
بعد الا بما يفهمه تحامى الابل التى ترعى كل نابت وهى اعظم الحيوانات قبالا من انواع الشوك على انه ضرب لا نفع لا يسمن اى
فلا يشبع ولا يقوى لانه يلزم له نفى ما يقصد الكفاف فقال ولا يغنى اى يكفى كفاية مبتدئة من جوع فلا يحفظ الصحة
ولا يمنع الهزال والمقصود من الطعام احد الامرين وذلك لانهم كانوا ياكلون الحرام الذى ينبت عليه لحومهم فيفسدها
بفساده ويمنعونه نفوسهم فيحبها الخبيثة ويتعبدون بالشبه ويباشرون العلوم التى تظلم القلوب كالفلسفة والسحر والنجوم
ونحوها مما يجرى الى البدع والاية من الاحتباك نفى السمن ولا بد اولا على اثبات الهزال ثانيا ونفى الاغناء من الجوع ثانيا دل
على نفى الشبع اولا ومن جعل ذلك صفة لطعام افسد المعنى لانه يؤول الى ليس لهم طعام منفى عنه الاسمان والاغناء بل لهم طعام
لا ينفى عنه ذلك ولما ذكر الاعداء وقدمهم لما تقدم اتبعه الاولياء فقال مستانفا ذكر ما لهم من ضد ما ذكر للاعداء وجوه
يومئذ اى اذ كان ما ذكر ناعمة اى ذات بهجة وسرور وقد ظهر عليها النعمة والنضرة والراحة والرفاهية بضد ما للاشقياء
لان هؤلاء اتعبوا انفسهم فى دار العمل الدنيا وصبروا على التقشف وشظف العيش لسعيها اى لعملها للاخرة الذى كانه
لا سعى غيره خاصة لعملها انه منجح راضية لما رات من ثوابه تود ان جميع سعيها فى الدنيا كان كذلك لعدا ان كان ذلك السعى الذى
هو للاخرة كونها الها فى الدنيا لا تباشر الا ثنوى الانس ولما ذكر السعى اتبعه ثوابه فقال فى جنة عالية اى فى المكان
والمكانة والاشجار والغرف وغير ذلك بما صرفوا انفسهم عن الدنيا ورفعوا هممهم الى النفائس ولما كان ما كان
من هذا لا يصفو وفيه ما يكره من الكلام قال منزها لها عن كل سوء لا يسمع اى انها الداخل اليها على قراءة الجماعة وقرا ابن كثير
وابو عمرو ورويس عن يعقوب بالبناء للمفعول وهو ابلغ فى النفى فيها لاغية اى لغو ما او نفس تلغوا وكلمة ذات لغو على الاسناد
المجازى بل المسموع فيها الذكر من التحميد والتمجيد والتنزيه لحمل ما يرى فيها من البدائع على ذلك مع نزع الحظوظ الحاملة
على غيره من القلوب بما كانوا يكرهون من لغو اهل الدنيا المنافى للحملة ولما وصف الجنة باول لما العيش فيها وهو عدم المنغص
اتبعه ما يطلب بعده وهو تناول المستلذات وكان الاكل قدمهم من ذكر لفظ الجنة ذكر المشروب لذلك ولدلالته اذا كان
جاريا على زيادة حسن الجنة وكثرة ما فيها من النباتات المعجبة والمفكهة من النجم والاشجار والرى والاطيار فقال لانه ليس
كل جنة بها لغر فيه جارية فيها اى الجنة ولما كان الماء الجارى صالحا لان يفسر الى اماكن كثيرة وحد قوله المراد
به الجنس الشامل للكثير مقابلة لعين اهل النار فى دار البوار عين جارية اى عظيمة الجرى جدا فهى بحيث لا ينقطع اصلا الماء الاعظم
من الزكاء والكرم وما الماء بها من الغزارة وطيب العنصر فهو صالح لان يعم بجميع نواحيها اقاصيها وادانيها وان عظم اتساعها
وتباين اقطارها وبقاعها كما تراه يجرى من ساق الشجرة الكبيرة جدا فيسقى جميع اعضائها واوراقها وثمارها ويزيد على
ذلك بان جريه من اسفل الى فوق يحد به جاذب الشوق وتوقه اى توق بعد رة الخلاق العظيم والذى قدر على هذا
الماء هو مشاهد لنا لا شك فيه قادر على ان يجعل هذه العين الصالحة بالحسن ولو كانت واحدة بالتحصص عامة لجميع مرافق الجنة
تجرى الى جنانها ورياضها وبساتينها ومصانعها ومجالسها وبعيدها الى عالى غرفها وان علت معتمه بحسب اصلاح موزعة

احتال

على قدر المنافع لغاية الاحكام ولما كان الداخلها من الخضوع الذى يجرى منهم الدموع ويقل الجوع ويكثر الطعام والجلاء
لم يبق بعد الاكل والشرب الا الاتكاء فقال معقبا انهم ملوك فيها معبرا بالجر قطعا للكلام عن الاول تنبيها على شرف العين لان الماء مما
لا حياة بدونه سرر اى ذات الحد فى الكثرة جمع سرير وهو مقعد عالى يجلس عليه الملك ينقل الى الموضع الذى تشمية تسمى بذلك لانه
لسر النفس والمادة كلها للسرور والطيب والكرم ولذلك يطلق على الملك والنعمة وخفض العيش مرفوعة اى رفعها رافع
عظيم الى السماء وهو جهة العلو ليرى الجالس عليها جميع ملكه وما انعم به وما شاء الله من عز وفى القدر لا كما نحمد ونه فى الدنيا
بل ارتفاعها نمط جليل من مقدار عظمة رافعها الذى رفع السماء فالتنكير للتعظيم وبناء الاسم للمفعول للدلالة على انه
ليس من دابها الا الانخفاض واما ارتفاعها بنفسه القادر على كل شىء وهذا يدل على انها كالسماء لا عمد لها قال البغوى
قال ابن عباس رضى الله عنهما الواحها بالذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ اهلها فاذا اراد ان يجلس
عليها تواضعت حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى موضعها انتهى وذلك بما كانوا يتواضعون ويباشرون من مشاق العبادة
على التراب ورثاء الاثواب ولما كان المستريح يحتاج الى تكرار الشرب وما يشرب فيه قال واكواب جمع كوب وهو
اناء لا عروة له فهو صالح للمناولة والشرب من كل جهة موضوعة اى ملأى وهو بحيث يسهل عليهم تناولها ولما كان من
كان بهذه المثابة يحتاج الى المساند والفرش الزائد قال ونمارق اى مساند يستند وذلك الواحد نمرقة بالفتح والضم
وهى الوسادة مصفوفة اى بعضها الى بعض فهو فى غاية الكثرة كانها الروابى المنضدة على بساط الارض وزرابى اى بسط عريضة
كثيرة الوبر كانها الرياض فاخرة ناضرة زائدة عن مواضع استراحاتهم وهى جمع زربية مبثوثة اى مبسوطة على وجه التفرق فى الموا
التى لا يراد التنزه بها من مواضع الرياض الناسبة والاشجار المشاكلة كما بسط سبحانه اديم الارض ورصعه بانواع النبات
الفاخرة بما بسطوا انفسهم فى الدنيا للحق والانوبها له ولما انهى سبحانه ما اراد من تصوير ملك الدار على ما يليق بعقله
السور العصار وكانوا ينكرون غاية الانكار ورغم بما لعصمهم من الزيغ عن العقائد الحقة فى سفهها حرا لكارهم مذاكرا
لهم بامورهم فى غاية المعرفة وهى فى غاية الوصول فى نفسها لان نزول هذه السور كان فى اول الامر قبل ان يتمهدوا على المعارف
تدل على قدرته على البعث وعلى قدرته على ما ذكر من هذه الامور الذى اودعها الجنان للذة الانسان وذلك لما فى هذه الامور التى
ذكرها من عجائب الصنع مع تفاوته فى جعل بعضها ذا اختيار فى الخفض والرفع وبعضها على كيفية واحدة لا قدرة له على الانفكاك
عنها من علو او سفول مع التمهد والتوعر فقال مسببا عما مضى من الاخبار عن احوال الفريقين فى الاخرة وعن قدرته على ما ذ
افلا ينظرون اى المنكرون من هذه الامة لقدرته سبحانه على الجنة وما ذكر فيها والجنة وما ذكر فيها نظر اعتبار
كان لهم من ملابسة الابل ما ليس لهم من ملابسة غيرها وكانت فريدة فى المخلوقات لا شبيه لها مع ما لها من كثرة المنافع كما قال
الحسن رحمه الله مع اكلها لكل مرعى واجترائها بالتراب شىء لا سيما فى الماء وطول صبرها عنه مع عظم خلقها وكثرة جرمها
وشدة قوتها فكانت تدل على تمام القدرة والفعل بالاختيار لعينها بذكرها على التدبر فى الايات المبثوثة فى الحيوانات
التى هى اشرف المركبات وعظمها شانا واكثرها ضعفا بعد ما اشار الى دلالتها على البعث فى البروج بذكر ثمود بعد ان
صرح به فى سبحان كما مضى بيانه فى الموضعين وباين ان شاء الله فى الفجر والشمس واوضح التعبير عنها هنا بما يدل على الخلطة
المميلة المحبلة المناسبة لمعنى الغاشية بخلاف التعبير فى سورة النحل بالانعام لانها سورة النعم الى الابل وبنبه على عجيب
خلقها مما ينبغى ان يتوفر الدواعى على الاستفهام والسؤال عنه باداة الاستفهام فقال بانيا للمفعول لان الشان الى ان
الدال هو التامل فى مجرد خلقها الدال على احاطة علم الله وقدرته وعظم احسانه كيف خلقت اى خلقا باين خلق غيرها
على وجه عظيم دال على كمال قدرته تعالى وفضله بالاختيار وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الفاسمة جعلها
عظيمة باركة للحمل ناهضة به من غير معين منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار الثقال ترعى كل نابت وتحتمل
العطش الى عشر فصاعدا ليتاتى لها قطع المفاوز فهى سفن البر مع ما لها من منافع اخر قال البيضاوى ولذلك خصت بالذكر
لبيان الايات المبثوثة فى الحيوانات التى هى اكثر المركبات واشرفها صنعا لانها اعجب ما عند العرب انتهى وتنفعل للبسط
فتتاثر بالصوت الحسن جدا ومن عجائبها انها لا تكذب اصلا فانها لا تبرك عجزا عن الحمل الا وليس فيها من القوى شىء وليس
فيها ما لم يكراهية الا كثرة رغائبها فلعله سبحانه نفى عن الجنة اللغو لذلك ولعله مثل العين الجارية وقرنها بذرها والسرر
مرفوعة التى حكى انها تنخفض حتى يمكن المتنفع بها من ظهورها ثم ترتفع به فى السماء فى علوها مع ما تعهد ومن من برول الابل بالحمل
والركوب ثم ارتفاعها لتمام الانتفاع وقرن نصب الاكواب بسنامها والنمارق بسقفها حال بروكها ثم فصل ما ذلك عليه
الابل من الاكواب بالجبال التى تنبنى وبسط الزرابى بمهاد الارض قال ابو حيان وكيف سؤال عن حال والعامل فيه
خلقت واذا علق الفعل عما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته ولما ذكر سبحانه هذا المخلوق المفرد
الذى هو اكمل ما يكون على هذا القول بالطبيعة اتبعه ذكر السماء ليتذكر السامع ذلك فيباعد من يقول به فقال والى

السماء التي هي من جملة مخلوقاتنا كيف رفعت اي حصل بالبناء امر رفعها من الذي خلقها بلا عمد على ما لها من السعة والكبر والثقل
والاحكام وما فيها من حال الكواكب والغرائب والعجائب فدل ذلك الدال على القدرة على ايجاد الجنة العالية وعلى رفع السرر فيها لانه
دال على الفعل بالاختيار ونفي حكم الطبيعة حتما وذلك دال على كمال قدرته تعالى ولما ذكر العالي من الحيوان الملابس للانسان والعالي
من الاكوان اتبعه اعلى الارض فقال والى الجبال اي الشامخة وهي اوتاد الارض كيف نصبت اي كان نصبها من ناصبها ثابتة حوالي
بقية الارض بلا موجب فيها لذلك من طبيعة ولا غيرها الا بفعل الفاعل المختار فهي راسخة لا تميل فوضعها كذلك على ما فيها من
المنافع من المياه الجارية والاشجار المختلفة اعجب من وضع الاكوان والنمارق المرسة ونحو ذلك ثم ليمنعها الارض حفظت
من الميد واعتدال امر الكواكب في تقدير الليل والنهار لاعتدال البلاد بالطلوع على بعضها قبل بعض حتى كانت المطالع والمغارب
على ترتيب مطرد ونظام محكم غير منخرم تعد به الازمان والفصول والسنون والايام والشهور الى غير ذلك من الامور ولا
يكون ذلك الا بقاهر قادر مختار لا شريك له ولما كان الخفض لا يكون الا بخافض قاهر كالرفع كذلك قال والى الارض
اي على سعتها كيف سطحت اي تحقق سطحها من باسطها حتى صارت مهادا موضوعا ممشى عليه بغاية السهولة والقدرة على حملها
كذلك على ما فيه من الزينة بناضر النبات وغير ذلك من الاختلافات دالة على الفعل بالاختيار ولبست بدون
القدرة على بث الزرابي في الجنة على اختلاف اشكالها وصورها والوانها ولما دل ما ذكر من عجائب صنعه سبحانه
في انواع المخلوقات من البسائط والمركبات العلويات والسفليات على كمال قدرته على كل شيء وذلك على كمال قدرته على
البعث وعلى كل ما ذكر انه يفعله في الجنة والنار وكان الحث على النظر في هذه الاشياء باستفهام انكاري وكان ذلك مبدا
لانتفاء النظر او الاستماع عنه فذكر يعني كل من يرجى تذكره وانتفاعه بالتذكر بما اشرف خلقنا بما في غرائزهم وفطرهم
من العلم الاول بما في هذه الاشياء وامثالها مما يدل على صحة ما نزلنا عليك ليعلمهم على كمال قدرته الذي بعثك فينقادوا
لك اتم انقياد لا سيما في اعتقاد حقية البعث ولا يهمنك كونهم لا ينظرون ولعل التذكر يوصل المذكر اذا اقبل عليه بحسن
رغبته الى ان يعرف ان الابل تشبه الانفس المطمئنة الذلولة المنقادة والسماء تشبه الارواح القدسية النورانية
والجبال تشبه العقول والمعارف الراسخة والارض تشبه البدن المشتمل على الاعضاء والاركان ولما كانت هذه
السورة مكية من اوائل ما انزل وكان مامورا اذ ذاك بالصفح قال انما انت مذكر اي لا مقاتل قاهر فاصبر لهم على التذكر
والرجوع فلا عليك ان لم ينظروا ولم يتذكروا لانه ما عليك الا البلاغ ولذلك قال لست واشار الى القهر باداة
الاستعلاء فقال عليهم اي خاصة بمصيطر اي بمتسلط واما غيرهم فسنسلطك عليهم عن قريب وقراها الكسائي بالسين
على الاصل ولما نفي عنهم تسلط الدنيا وكان التقدير فمن اقبل وامن فان الله ينعمه النعيم الاكبر قال مستدركا قسيمهم
في صورة الاستثناء الا اي لكن من تولى اي كلف نفسه المطمئنة وفطرته الاولى المستقيمة للاعراض وكفر اي واصر على
كفره واجاب الشرط بقوله مسببا عنه فيعذبه الله اي الملك الاعظم بسبب تكبره على الحق ومخالفته لامرك المطاع وامر الله
الذي كله حسن جميل والعلة صورة وهو منقطع بصورة المتصل بالتعبير باداته اشارة الى ان العذاب من الله عذاب
منه صلى الله عليه وسلم لانه سببهم تكذيبهم له ولو قرا ابن عباس رضي الله عنهما الا بالفتح والتخفيف على انها استفتاحية
العذاب يعني عذاب الاخرة ويجوز ان يكون الاستثناء متصلا فيكون المعنى الا من اصر على الكفر تسلطك الله عليه فيقتله
فيعذبه الله في الدار الاخرة ثم علل اخباره عن عذابه في الاخرة بقوله مؤكدا لما لهم من التكذيب ان الينا اي خاصة
بما لنا من العظمة ايابهم اي رجوعهم وان تولوا بالموت ثم بالبعث ثم بالحشر ولما كان الحساب متاخرا عن ذلك كله وعظيما
كما وكيفا عظمه باداة التراخي فقال ثم ان اكد لانكارهم واتى باداة دالة على انه كالواجب في انه لابد منه فقال علينا
اي خاصة لما لنا من القدرة والتنزه عن نقص العيب والجور وكل نقص لا على غيرنا لان غيرنا لا قدرة له فقد نفذ منا
فيه بالوعود الصادقة واكدنا بها غاية التاكيد حسابهم اي يوم القيامة على النقير والقطمير وغير ذلك من كل صغير وكبير
وذلك يكون في الغاشية يوم ينقسم الناس قسمين في داري هوان ودار امان فقد التف اخرها باولها وتعانق مفصلها موصلها

سورة الفجر مقصودها الاستدلال على اخر الغاشية الاياب والحساب وادل ما فيها على هذا المقصود
الفجر بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالامس من غير فرق في شيء من الذات وانبعاث النيام من الموت الاصغر النوم بالانتشار
في صياد النهار للمجازاة في الحساب بالثواب والعقاب بسم الله جامع العباد لعد من نعمهم بما لهم من العظمة الرحمن الذي
عمهم بعد العموم بالايجاد بالبيان المبين من شاء للايمان الرحيم الذي خص اولياءه بالرضوان المبيح للجنان لما
ختمت تلك بان لا بد من الاياب والحساب وكان تغيير الليل والنهار وتجدد كل منهما بعد اعدامه دالا على القدرة
على البعث وكان الحج قد جعله الله تعالى في شرعه له على وجه البعد عن المخيط ولزوم التلبية والسير الى الاماكن المخصوصة
ابتداء بذلك فقال تعالى والفجر اي الكامل في هذا الوصف لما له من العظمة حتى كانه لا فجر غيره وهو فجر يوم النحر الذي هو اول

الاكبر

الاحق في الاياب الى بيت الله الحرام بدخول حرمه والتحلل من محارمه اكمل صيانته ولما ذكر هذا اليوم بما العبارة به عنه ادل على
البعث لانه ينفجر عن صبح قد اضاء ونهار قد انبرم وانقضى لا فرق بينه وبين ما مضى عمه فقال معبرا بالمقابل وليال عشر هي اعظم ليالي العام
وهي اية الله على البعث بالقيام الى الاجابة داعي الله على هيئة الاموات والشفع اي لمن تعجل في يومين والوتر اي لمن تاخر فاله الى البزار
وروى احمد والبزار برجال صحيح عن عياش بن عقبة وهو ثقة عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العشر عشر الاضحى
والشفع يوم الاضحى والوتر يوم عرفة ولما كان تعاقب الليل والنهار ادل على القدرة واظهر في النعمة قال رادا اخر القسم
على اوله ومذكرا بالنعمة وكمال القدرة لان الليل اخفاهما سرى وسرى فيهما واعظمهما في ذلك امر الان لسير النهار ظاهر
لسراته بخلاف الليل فانه مخصوص فكان ادل على القدرة والليل اي من ابتدائه الصغير اذا يسر اي يمضي كما يمضي ليل الدنيا
وظلام ظلمها فيخلفه الفجر ويسري فيه الذين ابوا الى الله راجعين الى ديارهم بعد حط اوزارهم وقد رجع اخر القسم الى اوله
واثبت الياء في يسري ابن كثير ويعقوب وحذفها الباقون وعلة حذفها فيما سال عنها المورج الاخفش فقال لا اجيبك حتى تخدمني
سنة فسالها بعد سنة فقال الليل لا يسري فيه ولا يسري فعدل به عن معناه فوجب ان يعدل عن لفظه لقوله تعالى وما كانت
امك بغيا لما عدل عن باغية عدل لفظه فلم تقل بغية انتهى وهو يرجع الى اللفظ مع انه يلزم منه رد رواية الاثبات
والحكم المعنوية فيه والله اعلم من جهة السارين وما يقع السرى فيه فاما من جهة السارين فانقسامهم ليلة النفر المجاورون
الى بلاده فاشير الى المجاورين بالحذف فحالهم على ذلك لما فيه من خلاف المسالك فكان ليل وصالهم ما انقضى كله فهم يغتنمون
طوله ويلتذون بطوله في تلك المشاهد والمشاعر والمعاهد والى الراجعين بالاثبات لما سرى الليل بحذافيره عنهم ابوا
راجعين الى ديارهم فيما انكشف من نهارهم واما من جهة ما وقع فيه السرى فللاشارة الى طوله تارة وقصره اخرى فالحذف اشارة
الى الطول بما وقع من تمام سراه وما وقع للسائرين فيه من القيام وصف الاقدام بين يدي الملك العلام كما قال
الامام تقي الدين بن دقيق العيد

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لا نعرف الغمض ولا نستريح *

الابيات المذكورة عنه في المزمل فقد انقسم الليل الى ذي طول وقصر والسارين فيه الى ذي سفر وحضر فدلت المفاوتة
في ذلك في جميع افراد القسم على ان فاعلها قادر مختار واحد قهار ولذلك اتبعه الدلالة بقهر القهار دون وابان انجبار
واما بقي فقد ذكرت حكمته في مريم ولما كان هذا قسما عظيما في ذكر تلك الليالي المتضمن لذكر تلك المشاعر وما فيها من الخضوع والبكاء
والخشوع كما قال ابو طالب في قصيدته اللامية المشهورة

وليلة جمع والمنازل من منى * وهل فوقها من حرمة ومنازل *

وفي تذكيره بالبعث ودلالته عليه دلالة عقلية واضحة بالايجاد بعد الاعدام مع ما في الاثبات في اسمها وفي نفوس
المخاطبين بها من الجلالة نبه على ذلك بقوله هل في ذلك اي المذكور مع ما له من علو الامر ووضوح القدر قسم اي كاف
مقنع لذي اي صاحب حجر اي عقل يمنعه ويحجره عن الهوى في درك الهوى فيعليه الى اوج الهدى في درج العلى حتى يعلم
ان الذي فعل ما تضمنه هذا القسم لا يترك سدى وانه قادر على ان يحيي الموتى قال ابن جرير يقال للرجل اذا كان مالكا نفسه قاهرا
لها ضابطا انه لذو حجر انتهى فمن بلغ ان الحجره عقله عن المئاتم وحمله على المكارم فهو ذو حجر وقال الامام ابو جعفر بن الزبير
ابتدا سبحانه لمن تقدم ذكره وجها اخر من الاعتبار وهو ان يتذكروا احوال من تقدمهم من الامم وما اعقبهم تكذيبهم
واخبارهم فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الى قوله ان ربك لبالمرصاد اي لا يخفى عليه شيء من حال
الخلائق ولا يعزب عنه ما اكنوه سواء منكم من اسر القول ومن جهر به فهلا اعتبر هؤلاء بما يعاينونه ويشاهدونه من
خلق الابل ورفع السماء ونصب الجبال وسطح الارض وكل ذلك لمصالحهم ومنافعهم فالابل لانتقالهم واثقالهم والسماء لسقيهم
واظلالهم والجبال لاختزان مياههم واقلالهم والارض لحلهم وترحالهم فلا يهمنك استبصروا او لا يمن خلا من القرون
اعتبروا الم تر كيف فعل ربك بعاد على عظيم طغيانهم وجميع بهتانهم ان ربك لبالمرصاد سيتذكرون حين لا تنفع الذكرى
اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى انتهى
ولما كان التقدير كما هدى اليه السياق لتبعثن كلكم صاغرين ثم لتحشرن ثم لتحاسبن فيجازى كل احد بما عمل فان
امنوا بذلك نجوا والا عذبهم الذي ثبتت قدرته على العذاب الاكبر بعد العذاب الادنى بسبب قدرته على البعث
بسبب قدرته على ما رايتم من خلق الابل والسماء والجبال والارض على ما في كل من العجائب بسبب قدرته على كل شيء وهذا
هو المقصود بالذات حذف زيادة في تعظيمه واعتمادا على معرفته بما هدى اليه من السياق في جميع السورة وما قبلها
ولما طوى جواب القسم لارشاد السياق اليه ودنا وبل المعنى عليه وتهويلا له مع العلم بانه لا يكون قسم بغير مقسم
عليه وكان قد علم ان القدرة على ما مر العذاب الادنى للامم الماضية فقال مخاطبا لمن قال له في اخر تلك فذكر انما انت مذكر
تسلية له صلى الله عليه وسلم واشعارا بانه لابد من ان ينصره حتى يدين عزه وتهديدا لمن كذب من قومه الم تر اي تنظر بعين الفكر

تعالى بعاد اي الذين بلغوا في الشدة فقالوا من اشد منا قوة ٥ م صح

بأشرف رسلنا فتعلم علما هو في التيقن به كالمحسوس بالبصر وعبر بالاستفهام اشارة الى ان ما نبه به الى رؤيته مما يحق ان يسأل
عنه كيف فعل ربك اي المحسن اليك بارسالك خاتما لجميع الانبياء بالامم الماضية بما شاركوا به هؤلاء من تكذيب الرسل وجعل حظوظهم
الدنيا وعملوا اعمال من يظن الخلود وبدا باشدهم في ذلك واغناهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقال لهم نبيهم هود صلى الله عليه وسلم
وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وذلك على بنائهم جنة في هذه الدنيا الفانية التي هي دار الزوال والقلعة والارتحال
والنكد والبلاء والكدر والمرض والبؤس والضر فقال بعاد اي مبتنا لهم على حذف مضاف ارم اي اهلها وعمادها واطلقها عليهم
لشدة الملابسة لما لهما من البناء العجيب والشأن الغريب ثم بينها بقوله ذات اي صاحبة العماد اي البناء العالي
الثابت بالاعمدة التي لم يكن في هذه الدار مثلها ولذا قال التي لم يخلق اي يقدر ويصنع بناؤه للمفعول لارادة التعميم مثلها ويصح
ان يعود الضمير على عاد باعتبار القبيلة وعلى ارم باعتبار البلدة واوضح هذا بقوله معمما للارض كلها في البلاد اي في بنائها
ومرافقها وثمارها وتقسيم مياهها وانهارها وطيب ارضها وحسن اطيارها وما اجتمع بها مما يفوت الحصر ويعجز القوى ولا
مثل اهلها الذين بنوها في قوة ابدانهم وعظيم شانهم وغير ذلك من امورهم وكان صاحبها شداد قد ملك المعمورة
كلها وبحرها فبناها في برية عدن في ثلثمائة سنة يضاهي بها الجنة على ما زعم قال ابو حيان على اوصاف بعيد او مستحيل
عادة ان يكون في الارض مثلها فلما تمت على ما اراد قصدها للسكنى وعمره اذ ذاك تسعمائة سنة فلما كان منها على يوم وليلة بعث الله
عليهم صيحة من السماء فاهلكتهم وكانوا كامس الذاهب واخفى هذه بنيتهم فلم يرها احد الا عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل
ضلت له على زمن معوية رضي الله عنه فوقع عليها ولما خرج منها وانفصل عنها خفيت عنه وكان قد حمل معه بعض
ما راى فيها من اللؤلؤ والمسك والزعفران فباعه وسمع به معوية رضي الله عنه فارسل اليه فحدثه فارسل معوية
رضي الله عنه الى كعب الاحبار فسأله عن ذلك فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك اشقر
احمر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذاك الرجل
ذكره شيخنا في تخريج احاديث الكشاف وقال واثار الوضع عليه لائحة وقال جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنهما
الاوصاف كلها للقبيلة وهم عاد الاولى واسمها ارم باسم جدهم وكانوا اعرابا سيارة يعبون بيوتهم على الاعمدة على عادة
العرب ولم يخلق مثلهم امة من الامم في جميع البلاد [ولما] بناء لهوى لان امرهم كان اعجب وقصتهم اتم واغرب
ثنيا بقرب الامم اليهم زمانا واشبههم بهم شانا لانهم اترفوا بما حوته من جنات وعيون وزروع ونخل طلعها
هضيم فجعلوا موضع ما لزمهم من الشكر الكفر واستحبوا العمى على الهدى مع ما في اياتهم وهي الناقة من عظم الدلالة
على القدرة على الساعة فقال وثمود الذين جابوا اي قطعوا ونحتوا قطعا حقيقيا كان عندهم كالواجب الصخر
بالواد اي وادي الحجر او وادي القرى فجعلوا بيوتا مستقرة في الجبال فعل من يعيش الدهر ويفني الزمان قال ابو حيان
قيل من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة [ولما] ذكر قبيلتين من العرب
ذكر بعض من جاورهم من طغاة العجم لما في قصتهم من العتو والجبروت مع ما حوته من الغرائب وخوارق العجائب
لاسيما في القدرة على البعث بقلب العصي حية واعادتها جمادا مع التكرر وبايجاد الضفادع والقمل من تراب الارض
وغير ذلك فقال وفرعون اي وفعل بفرعون ذي الاوتاد اي الذي تثبت مملكته تثبت من يظن انه لا يزول بالعساكر والجنود
وغيرهم من كل ما يظن انه يشد امره من الجنات والعيون والزروع والمقامات الكريمة فصارت له الاسباب
المبسوطة في الملك [ولما] كان المراد بفرعون هو وجنوده لان الراس يكنى به عن البدن لانه جماعه وبه قوامه
وصفه بوصف جمع قومه وجميع من ذكر هنا فقال الذين اي فرعون وجنوده وكل من ذكر هنا من الكفرة من عاد وثمود
وانما عمهم طغوا اي تجاوزوا الحد في البلاد التي ملكوها بالفعل وغيرها بالقوة فاكثروا عقب طغيانهم ونسبه فيها
الفساد بما فعلوا من الكفر والظلم بما صار سنة لمن فعل به [ولما] كان ذلك موجبا للعذاب سبب عنه قوله فصب
اي انزل انزالا هو في غاية القوة عليهم اي في الدنيا ربك اي المحسن اليك المدبر لامرك الذي جعل ما مضى من اخبار
الامم واثار القرى موطئا له سوط عذاب اي جعل عذابهم من الاغراق والرجف وغيرهما في ثبوته وتمكنه وعلوه ولحاقه
كالمسوط في شدة ضربه ولصوقه بالمضروب واسراعه اليه والتفافه به كالسوط في كونه منوعا الى انواع
متشابكة واصله الخلط وانما سمي هذا الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض
ولانه يخلط اللحم والدم وقيل شبهه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بالترديد والتكرير الى ان يهلك المعذب
به وايذانا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى السيف هذا سوط الدنيا وسيف الاخرة
اشد وامضى ثم علل اخذه لكل ظالم وانتقامه من كل مفسد بانه رقيب فقال ممثلا ان العصاة لا يفوتونه مؤكدا
تنبيها على ان افعال العباد اعمال من ينكر ذلك او لا يخطر بباله ان ربك اي هو لا الى المدبر لامرك بثوابك لبالمرصاد

اي لا يفوتونه بل هو قادر وهو مطلع على كل شيء اطلاع من يرصد بالاقامة في مكان الرصد وزمانه مع غاية الحفظ والوعي
وهو قادر على ما يريد [ولما] ذكر سبحانه ان عادة هؤلاء العرق كانت الطغيان وذكر ان عادة الرب سبحانه فيمن
تولى وكفر انه يعذبه كما هدد به اخر تلك ودل على ذلك بما شوهد في الامم وعلل ذلك بانه لا يغفل ذكر عادة الانسان
من حيث هو من غير تقييد بهؤلاء العرق عند الابتلاء في حال السراء والضراء فقال مشيرا الى جواب ما كانت الكفار يقوله
من انهم ان عند الله من المسلمين لاتساعه عليهم في الدنيا وتقلل الصحابة رضي الله عنهم من الدنيا مسببا عما مضى عاطفا على ما تقديره
هذه كانت عادة هؤلاء الامم وعادة الله فيهم فاما الانسان اي الذي ودع الحجر العقل هذه الاقسام وما اراد منه من
اعتقاد المقسم عليه بها وحمل على النسيان والانس بنفسه والمحبة لها والرضى عنها [ولما] كان المقصود التعجب من حاله
عند الابتلاء قدم الظرف الدال على ذلك على الخبر فقال اذا واكد الامر بالنافي فقال ما ابتلاه اي عامله معاملة
المختبر بان خالطه بما اراد مخالطه بمثله وتخلله ربه اي الذي ابدعه واحسن اليه بما حفظ وجوده لينظر جودته
لو شكر او كفر فاكرمه اي بان جعله عزيزا بين الناس واعطاه ما يكرمونه به من الجاه والمال ونعمه اي بان جعله متلذذا
مترفها بما اعطاه غير تعبان بسببه فيقول سرورا بذلك وافتخارا ربي اي الموجد لي والمدبر لامري اكرمن اي فظن
ان ذلك عن استحقاق فيفتخر به واما هو اذا واكد على نمط الاول فقال ما ابتلاه اي ربه لينظر صبره او جزعه
[ولما] كان قوله في الاول فاكرمه ونعمه فهو كناية عن الضيق كما ان العطا بغير حساب كناية عن السعة فجعله بمقابل رضي و
الذي لا يعيش عادة بدونه ولم يجعل فيه فضلا عن ذلك ولم يقل فاهانه موضع قدر عليه تعليما للادب معه سبحانه
وصونا لاهل الله عن هذه العبارة لان اكثرهم مضيق عليه في دنياه ولان ترك الاكرام لا ينحصر في كونه اهانة فيقول
اي الانسان بسبب الضيق ربي اي المربي لي اهانن فيهتم لذلك ويضيق به ذرعا ويكون ذلك اكبر همه [ولما]
كان نسبه هذا اليه توبيخا وتعريفا لقصور نظره فان الاقتار قد يؤدي الى سعادة الدارين وان التوسعة
قد تؤدي الى شقاوتهما وهذا اكثر ما يوجد قال رادعا عن مثل هذا القول باعظم ادوات الزجر معللا للتوسعة
والاقتار كلا اي اني لا اكرم بكثرة الدنيا ولا اهين بقلتها لا التوسعة منحصرة في الاكرام ولا التضييق منحصرا
في الاهانة والصغار وانما اتبعهم الاهانة من انهم لا يطيعون الله وربما كانت بالتوسعة وربما كانت بالاقتار
فربما عصى فوسع عليه اهانة له وهذا لمن يريد سبحانه به الشقاء فيعجل له طيباته في الدنيا استدراجا وربما
عصى فضيق عليه اكراما له لان ذلك يكفر عنه وفي الصحيح في حديث الاقرع والابرص والاعمى في بني اسرائيل شاهد عظيم
لذلك [ولما] زجر عن اعتقاد ان التوسعة للاكرام والتضييق للاهانة ذكر ان معاد من حمل على جنا الطاعة
ومن حمل على حب المعصية بغض الدنيا وحبها فقال معرضا عن كلام الانسان في الصنفين واحدا او لانه انص على التعميم
وجمع تابعا اعلاما بان المراد الجنس بل اي يستهينون بامر الله بما عندكم من العصيان فيوسع على بعض من حمل على
الشقاء اهانة له بالاستدراج ويضيق على بعض من لم يحمل على ذلك اكراما له وردعا عن اتباع الهوى وردا الى الا
لا يمنعه من حث على غيره الى الضعفاء وترجم هذا العصيان الذي هو سبب الخذلان بقوله لا تكرمون اي اكثر الناس
اليتيم بالاعطاء ونحوه شفقة عليه ورحمة له لانه ضعيف لا يرجى من قبله نفع غالبا ولا غيره [ولما] كان الانسان
لا يمنعه من حث غيره على الخير الا حب الدنيا ان كان المحثوث اعظم منه فيخرج لحوائجه وان كان مثله فانه يخشى ان
يفارضه بذلك فيحثه على مسكين اخر وكان الاحسان بالحث على الاعطاء اعظم من الاعطاء لانه يلزم منه الاعطاء
خلاف العكس قال ولا تحضون اي يحثون حثا عظيما لا اهلهم ولا غيرهم على طعام المسكين اي بذله له سخاء وجودا انما
المداناة الى انه شريك للغني في ماله بعد الزكوة [ولما] دل على حب الدنيا بامر خارجي دل عليه بامر في الانسان
فقال وتاكلون اي على سبيل التجدد والاستمرار التراث اي الميراث اصله وراث ابدلت الواو تاء وكانه عبر عنه
به دلالة على اخذ الظاهر الذي لم يشر اليه الواو والتفتيش عن الباطن المشار اليه بخروج التاء تفتيشا تما
ادى الى اخذ مال الغير اكلا لما اي ذا لم اي جمع وخلط بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء ولا
الصبيان ويأكلون ما جمعه المورث وان كانوا يعلمون انه حرام ويقولون لا يستحق المال الا من يقاتل ويحمي
الحوزة [ولما] كان ذلك قد يفعل عن ضرورة مع الكراهة قال ما هو صريح في المقصود وتحبون اي على الاستمرار
المال اي هذا النوع من اي شيء كان واكده بالمصدر والوصف فقال حبا جما اي كثيرا مع حرص وشره فصار قصارى
امرهم النظر الدنيوي ولم يعرفوا انفسهم عن جهة المعاد داعيا اليه العقل الذي يعقل النفس عن الهوى والحجر الذي
يحجرها عن الحظوظ والنهية التي تنهاها عن الشهوات الى الاقبال على الله [ولما] كان السياق هاديا الى ان
التقدير يحسبون ان ذلك يدوم لهم ويدوم اكرامهم وتحسن احوالهم وينفع بالهم زجر عنه باعظم زواجر الزجر فقال كلا اي ما هكذا

ينبغي أن يكون الامر استانف ذكر ما يوجب ندمهم وتلهفهم من رقدتهم وتعرفهم ان حب المال لا ينفعهم ولو انقضى بموته ما انقضى
الجاذه للسعادة فقال **اذا دكت الارض** اي حصل دكها ورجها وزلزلتها لتسويتها فتكون كالادم الممدود ويندك الطالاعوج
فيها بوجه واشار البنا للمفعول الى سهولة ذلك لان الامر عظيم لعظمة الفاعل الحق ولذلك قال **دكا دكا** اي مكررا ابا الدربع
على كل موضع نات فيها فتكون لكل جبل واكمة وثنية وعقبة ودك حصة على حدته لتعبده ذلك لانه دالبالغ فيه فتصير جبالها واكا
هباء منثورا ثم تسوى حتى لا يكون فيها شيء من عوج وهو كناية عن زلازل عظيمة لا تحملها الجبال الرواسي فكيف بغيرها **وربك**
دلت التسوية على امر عظيم فان العادة في الدنيا ان الطرق لا تعمر بالكنس والرش والتسوية الا لحضور عظيم كالسلطان قال
ملتفتا بالمخاطب من اواخر البروج الى هنا بذكر صفة الاحسان على وجه نعت انكاد اضداد **وجاء ربك** اي المحسن اليك
باظهار رفعتك العظمى في ذلك اليوم الاعظم بفصل القضاء بين العباد لتشفعه عنك **والملك** اي هذا النوع حال كون الملائكة
مصطفين **صفا صفا** اي مودعا اصطفافهم على صفاتهم كل صف صف على حدته ويحيط اهل السماء الدنيا بالجن والانس
واهل كل سماء كذلك وهم على الضعف ممن احاطوا به حتى يحيط اهل السماء السابعة بالكل وهم على الضعف من جميع من احاطوا
به من الخلائق ومعنى مجيئه سبحانه بعد ان نفي عنه ان يشبه مجيء شيء من الخلق لانه سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا
في صفاته ولا في افعاله فاذا اصحبنا العقد في ذلك في كل ما كان من المتشابه قلنا في هذا انه مثل امره سبحانه في ظهور ايات
اقتداره وتبين اثار قدرته وقهره وسلطانه بحال الملك اذا حضر بنفسه فظهر بحضوره من اثار الهيبة والسياسة ما
لا يظهر بظهور عساكره بحال الملك اذا حضر بنفسه كلها خالية عنه فيجبه عبارة عن حكمه واظهار عظمته وبطشه كل
ما يظهر من الملوك اذا جاؤوا الى مكان وهو سبحانه وتعالى شانه حاضر مع المحكوم بينهم بعلمه وقدرته لم يوصف بغيبة اصلا
ازلا ولا ابدا لخصوص فيه ذلك الحال وبعده كما كان قبل ذلك من غير فرق اصلا لم يتجدد شيء غير تعلق قدرته على حسب ارادته
بالفصل بين الخلق ولو غاب في وقتا وامكنت غيبته بحيث يحتاج الى المجيء لكان محتاجا ولو كان محتاجا لكان عاجزا ولو عجز
او امكن عجزه في حال من الاحوال لم يصلح للالهية تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا • وفي ذكر صفة تنبيه على صرف
المجيء عن حقيقته وارشاد الى ما ذكرت من التمثيل **ولما** كانت جهنم لا تاتي بنفسها لما بها من الحفا خارجة عن العد رسل
تقودها الملائكة فكما عالجوها ذهابا وايابا يحصل للناس من ذلك من الهول ما لا يعلمه الا الله وكان المهول نفس المجيء
لا تعيين الفاعل لذلك بنى للمفعول قوله **وجيء** اي بامر سهل **يومئذ** اي اذ كان ما ذكر **بجهنم** اي النار التي تجهم من يصلاها
روي انه يؤتى بها لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وهي كقوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى
وابدل من اذ تاكيدا وتوضيحا لطول الفصل تهويلا قوله **يومئذ** اي اذ وقعت هذه الامور راى الانسان ما اعد للشاكر
والكافر **ولما** تقدم هذه الامور الجليلة والقوارع اهتماما وتنبيها على انها لما لها من عظيم الموعظة جديرة بان
يتعظ بها كل سامع ذكر العامل في ظرفها وبدله فقال **يتذكر الانسان** اي على سبيل التجديد والاستمرار فيتذكر كل ما كان
ينفعه في الدنيا وما يضره فيعلم ان جنة الدنيا لو تعف الاخيار الا زادتهما شيئا لم يكن له ولا كان ينقصه تركها
شيئا لو بذلها واذا تذكرها ذلك هان عليه البذل وليست تلك الدار دار العمل فلذلك قال **وانى** اي وكيف ومن اي وجه
له الذكرى اي نفع التذكر العظيم فانه في غير موضعه فلا ينفعه لفوات دار العمل لا يقع على شيء سوى الندم وتضاعف
الغم والالم **ولما** كان الندم يقتضي ان يعمل الانسان ما ينافيه بين انه ليس هناك عمل الا اظهار الندم فاستانف
قوله **يقول** اي متمنيا المحال على سبيل التجديد والاستمرار **يا ليتني** وهل ينفع شيئا ليت **قدمت** اي اوقعت التقديم
لما ينفعني والعمل به **لحياتي** اي ايام حياتي في الدنيا او لاجل حياتي هذه الباقية التي لا موت بعدها ويمكن ان يكون
سبب تمنيه هذا علمه بانه كان في الدنيا مختارا وان الطاعات في نفسها كانت ممكنة لا مانع له منها في الظاهر الا صرف
نفسه عنها وعدم تعلقه بما اتاه الله من القوى بها **ولما** كان هذا غير نافع سبب عنه قوله **فيومئذ** اي اذ وقعت
هذه الامور كلها **لا يعذب** اي يوقع **عذابه** اي عذاب الله اي مثل عذابه المطلق الحق فكيف تعذيبه **ولما** اشتد
التشوف الى الفاعل اتى به على وجه لا اعم منه فقال **احد** **ولما** جرت العادة بان المعذب يستوثق منه بحبس
او غيره ويمنع من كل شيء يمكن ان يتعلل به نفسه خوفا ان يهرب او يهلك نفسه فقال **ولا يوثق** اي يوجد **وثاقه** اي مثل
وثاقه فكيف بوثاقه **احد** • والمعنى انه لا يبقى في حال احد لاجل انقطاع الانساب والاسباب ان احدا يقدر على مثل
ما يقدر عليه سبحانه من الضر ليخشى كما وقع في هذه الدنيا بل يقع في الدنيا في اوهام كثير ان عذاب من يخشونه اعظم
من عذاب الله ولذلك يقدم خوفه على الخوف من الله وبني الكسائي ويعقوب للفعلين والمعنى على قراءة الجماعة بنيهما
للفاعل لا يعذب احد عذابا مثل عذاب الله اي لا يعذب احد غير الله احدا من الخلق مثل عذاب الله له • والحاصل
انه لا يخاف في القيمة من احد غير الله فانه ثبت بهذا الكلام ان عذابه لا مثل له ولم يذكر المعذب من هو فيجمع

الامر اي ان المعنى يومئذ يخاف الانسان من الله خوفا لا مثل له ولم يذكر المعذب من هو فيرجع الامر اي لا يخاف من احد مثل خوفه
منه سبحانه ويجوز ان يكون الضمير في عذابه للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية احدا من الانسان مثل عذابه وفي المبني للمفعول
لا يعذب عذاب الانسان احد لكن يبعده انه يلزم عليه ان يكون عذاب الانسان اعظم من عذاب ابليس ويجوز ان يكون المعنى انه لا يحمل
احد ما يستحقه من العذاب لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى **ولما** علم ان هذا الجزاء للجزوع الهلوع المضطرب النفس
الطائش في حالتي السراء والضراء الذي لا يكرم اليتيم ولا المسكين ويحب الدنيا وكان من المعلوم ان في الناس من ليس هو كذلك
تشوفت النفس الى جزائه فشفى عي هذا التشوف بقوله اعلاما بانه يقال لهم عند النفخ في الصور وبعثرة ما في القبور
للبعث والنشور **يا ايتها النفس المطمئنة** اي التي هي في غاية السكون لا خوف عليها ولا حزن ولا نقص ولا غبن لانها كانت في الدنيا في غاية
الثبات على كل ما اخبر به عن الدار الاخرة وغيرها من وعد ووعيد وتحذير وتهديد فهم راجون للوعد خائفون
من وعيده واذا كانت هذه حال النفس التي شانها الميل الى الدنيا بما ظنك بالروح التي هي خير صرف **ارجعي** اي بالبعث
الى ربك اي موعدك الذي وعدك وربك ربه المؤمنين والى بدنك حال كونك **راضية** اي بما تعطينه فلا كدر
يلحقك بوجه كما كنت في دار القلق والاضطراب مطمئنة ساكنة تحت القضاء والقدر سالكة سبيل الرضى في حصول
ابتلاء بالتكريم والتنعيم او التضييق والتغريم وثوقا بما عند الله **مرضية** عند الله وسائر خلقه فلا شيء يكرهك بسبب
ما كنت مطمئنة تعملين الاعمال الصالحة تحت القضاء والقدر رحيمه وشره حلوه ومره ثم بين ما احل من الرجوع فقال
فادخلي اي بسبب هذا الامر **في عبادي** اي في زمرة الصالحين الوافدين على الذين هم اهل الاضافة الي او في اجساد عبادي
التي خرجت في الدنيا منها وقراه عبدي بالتوحيد للجنس الشامل للقليل والكثير يدل على ذلك **وادخلي جنتي** اي هي
جنة عدن وهي اعلى الجنان قال البغوي قال سعيد بن جبير مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف فشهدت جنازته
فجاء طائر لم ير على خلقه فدخل نعشه فلم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر ولم ير من تلاها وهذا
الاخير هو اولها على ما هو ظاهر المقسم عليه بالجزم من البعث المختوم الذي لولاه لكان خلق الخلق من العبث المذموم المنزه عنه
الحي القيوم فسبحان الملك الاعظم الذي هذا كلامه علت معانيه عن طعون شرفت علامه وعز في ذروة الاعجاز تركيبه ونظامه
وان الثريا من يد المتناول **سورة البلد مكية** الدلالة على بقي العدد من عن الانسان واثباتها الحا

الدال بذكر ما للانسان من الهموم والاحزان وذكر الاسباب لموقعه له فيما شا واي ذكر السبب المخلص منها الموصل
الى السعادة في الاخرة وهو ما هدى اليه ربه سبحانه وذلك هو معنى اسمها فان من تامل ما ان اهل الحرم وما هم فيه
من الرزق والحفظ على قلة الرزق بالدهم مع ما فيه غيرهم من هم اكثر منهم واقوى من الخوف والجوع علم ذلك **بسم الله**
الملك الواحد القهار **الرحمن** الذي اسبغ نعمته على سائر بريته وفاوت بينهم في عطيته فكان كل ساخط لحالته في كبد
ما بهمه في خاصته وعامته لحكم تعجز الافكار **الرحيم** الذي خص اهل ولايته بما يرضيه عنهم من تصفيته فيوصلهم الى جنته
وينجيهم من النار **لما** ختمت كلمات الفجر بالجنة التي هي افضل الاماكن التي يسكنها الخلق لا سيما المضافة الى اسمه
الاخص المؤذن بانها افضل الجنان بعد ما ختم اياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الامان التي وقعت في كبد الندم التي
تتمنى لاجله العدم بعد ما تقدم من انها لا تزال في كبد ابتلاء المعيشة في السراء والضراء افتتح هذه بالامان
مقسما في امرها باعظم البلاد واشرفها ولي الانس المطمئنة فقال موكدا بالنار من جعل انه سعى ضد ما يحبت من
مضمون الكلام مع القطع بانه لم تقصد به غير ذلك **لا اقسم** اي اقسم قسما اثبت مضمونه والنفي ضد ويمكن ان يكون
النفي على ظاهره والمعنى ان الامر في الظهور غني عن الاقسام حتى بهذا القسم الذي انتم عارفون بانه في غاية العظم فيكون
كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم **بهذا البلد** اي الحرام وهو مكة التي لا يصل اليها قاصدوها
الا بشق الانفس ولا يزدادون لها مع ذلك الا حبا الدال على ان الله جعلها خير البلاد وقذف حبها في قلوب من اختارهم
من حاضر وباد لانها تشرفت في اولها واخرها وانشاتها بخير العباد ولم يصفه بالامن لانه لا يناسب سياق المشقة كما
ما في التين فان المراد هناك الكمالات **ولما** عظم البلد بالاقسام به زاده عظما بالحال به اشعارا بان شرف
المكان لشرف السكان وذلك في جملة حالية فقال **وانت** يعني وانت خير كل حاضر وباد **حل** اي مقيم او حلال لك
ما لم يحل لغيرك من قتل من يريد ممن يدعي انه لا يؤذن لاحد عليه **بهذا البلد** فتحل قتل ابن خطل وغيره وان كان متعلقا
باستار الكعبة وتحرم قتل من دخل دار ابي سفيان وغيره لك مما فعله الله لك بعد الهجرة بعد نزول هذه السورة المكية
بمدة طويلة علما من اعلام النبوة والمعنى لتستحل اهله منك وانت اشرف الخلق لما لا يستحلونه من اذى المؤمنين فيه واشاده
الى ان سيد ذكره فقد وقع القسم بسيد البلاد وسيد العباد ولكل جنس سيد وهو ابتهما في الشرف فاشرف الجماد
الياقوت وهو سيده ولو ارتفع عن هذا الشرف لصار نباتا ينمو كما في الجنة واشرف جنس النبات النخل ولو ارتفع

هما رحيوانا يتحرك بالارادة فالحيوان سيد الاكوان وسيد الانسان لما له من النطق والبيان وسيد الانسان الرسل
عليهم الصلاة والسلام لما لهم من عظيم الوصلة بالملك الديان وسيدهم من جمعوا به لما فاق به من الفضائل التي اعلاها هذا القرآن
فسيد الخلق محمد بن عبد الله رسول الله اشرف الممكنات وسيدها لانه وصل الى اعلى مقام يمكن ان يكون لها ولو بقي فوق ذلك مقام
يمكن للممكن لنقل اليه ولكونه اشرف كانت مكابدته اعلى المكابدات بصبره على اذى قومه بالكلام الذي هو انفذ من السهام
ووضع السلا من الجزور على ظهره الشريف نفديه بنحورنا ووجوهنا ومصون جباهنا وخدودنا وهو ساجد ووضع النول فطرانه
والاجماع على خنقه وتجميع انواع الاذى من الحبس والنفي والقتل بحيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوذي احد في الله
ما اوذيت افهمت هذه الحال ان القسم انما هو في الحقيقة به صلى الله عليه وسلم كرر الاقسام به على وجه تم
عنه فقال ووالد ولما كان المراد التعجب من ابتداء الخلق بالتوليد من كل حيوان في جميع امر التوليد وما عليه
الانسان من النطق والبيان في غرائب لغتهم وكان البيان لهم اولى لانهم الانس الامام وكانوا لهم احسن الناس حسن التعبير باداة
ما لا يعقل لانها من ادوات التعجب فقال وما ولد اي من ذكر وانثى كائنا من كان فدخل كما مضى النبي صلى الله عليه وسلم لما كان
مقسما به مرارا وكذا دخل ابواه ابرهيم وابنه اسمعيل عليهما السلام وما صنع وما صنع الله لهما بذلك البلد ومعلوم ان
ذكر الصنعة تنبيه على صانعها فالمقصود والقسم من حل البلد على ما هو عليه من الجلال وخص النبي صلى الله عليه وسلم بما خصه
به من الارسال وفاوت بين المتوالدين في الحاصل من النقص في الكمال وسائر الاحوال تنبيها على ما له من الكمال بالجلال والجمال
ولعله خص هذه الاشياء بالاقسام تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتنبيها على احتمال الاذى اشارة الى من كان يدخلهم
عليه بانه لا يزال في نكد كان الذي ينبغي له ان يختار ان يكون في ذلك النكد فيما يرضى الله تعالى في ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان في مكة المشرفة في اعظم شدة مما يعانيه من اذى الكفار في نفسه وصاحبه اصحابه رضي الله عنهم لعلو مقامه فان اشد
البلاء للامثل فالامثل كما مضى مع امره صلى الله عليه وسلم بالصبر والصفح وكل والد ومولود في شدة مالوالدية والمولودية
وغير ذلك مما لا يحصى من الانكاد البشرية من حين هو لطيفة في ظلمات ثلاث في ضيق ممر ومعبر ولادة ورباط في تابوت
وفطام عن الالف واهانة من المؤدب والمعلم وتوبيخ من المشايخ ومعاندة من الاقران وممن يتسلط عليه من السوان
مع انه عرضة للامراض وسائر ما يكون من الاعراض والاعراض والفاقات والنوائب والافات والمطالب والحاجات
لا يخطي هواه ولا يبلغ مناه ولا يدرك ما احبه ولا ينجو غالبا مما يخشاه وتفاصيل هذا الاجمال لا تحصى ولا حد لها ينتهي
الى الموت وما بعده فلذلك كان المقسم عليه قوله لقد خلقنا بما لنا من العظمة الانسان اي هذا النوع في كبد اي شدة
شديدة ومشقة عظيمة محيطة به احاطة الظرف بالمظروف لو وكله سبحانه في شيء منها الى نفسه هلك ولولا هذه
البلايا لادعى ما لا يليق به من عظيم المزايا وقد ادعى بعضهم مع ذلك الالهية وبعضهم الاتحاد برب العباد تعالى الله عن قولهم
الواضح الفساد بما ذرأه سبحانه به من الموت والمرض وسائر الانكاد فعل سبحانه ذلك لطفا بما للعبد من الضعف والعجز
مع ما منحه به من القوى الظاهرة والباطنة في القول والفعل والبطش والعقل بما له سبحانه من تمام العلم وشمول القدرة
وليظهر من خلقه الدال على هذه الصفة علم جميع ما في السورة فعلم قطعا انكار ظنه لتناهي قدرته وتعالى عظمته وفساد
هذا الظن بشاهد العقل من حيث كونه مصنوعا وبشاهد الوجود من اجل انه يسلك طريق الشر ولا يبعد على طريق
الخير الا بالتوفيق فعلم قطعا اعجاز السورة لانه لا قدرة للمخلوق على ان ياتي بحكمه واحد يجمع جميع ما وراها من الجهل
هذا الحد العالي من فنون الايجاز التي وصلت الى حد الاعجاز هذا الى ما لبقية الجمل من الاعجاز في حسن الرصف
واحكام التركيب والربط والمراعاة بالالفاظ للمعاني الى غير ذلك مما لا يبلغ كنهه الا من له سبحانه وعز شانه وعلم
ان الاكرام والاهانة ليستا دائرتين على التنعيم في الدنيا والتضييق كما تقدم شرحه في سورة الفجر ولاجل ما علم
من كون الانسان لا يزال في نكد ومشقة ونصب من حيث احتياجه اولا الى مطلق الحركة والسكون وثانيا الى المأكل
والمشرب وثالثا الى ما يترتب عليهما الى غير ذلك مما يعي حصره ويجمل حق توجه الانكار في قوله تعالى بيانا للاسباب
الموقعة له في النكد وهي شهوتان نفسية وحسية والنفسية منحصرة في ربع الاولى انه يشتهي ان يكون كل من في الوجود في
قبضته فاشار اليها ايحسب اي هذا الانسان لضعف عقله مع ما هو من انواع الشدائد ان لن يقدر
اكد بالنفي لعلية وخصوص هذا النافي قدم الجار تاكيدا لما يفيد من الاهتمام بالانسان فقال عليه اي خاصة احد اي
من اهل الارض والسماء فيغلبه حتى انه يعاند خالقه مع ما ينظر من اقتداره على امثاله بنفسه وبمن شاء من جنوده
فيعادي رسله ويجحد اياته ۰ وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما اوضح سبحانه حال من تقدم ذكره في السورتين من عظم
جرمهم وسوء عقلهم وما اعقبهم ذلك من التذكر بحسرة حين لا ينفع التندم ولات حين مطمع اتبع ذلك بتعريف
نبيه عليه السلام بان وقوع ذلك منهم انما جرى على حكم السابقة التي شاءها والحكمة التي قدرها كما جاء في الموضع الاخر

ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها فاشار تعالى الى هذا بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد اي انا خلقناه كذلك ابتلاء ليكون
كالعالمين سبق له الشقاء عن التفكر والاعتبار وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا فاعلمهم بما خلقهم فيه من الكبد واغفل
قلوبهم فحسبوا انهم لا يقدر عليهم احد وقد بين سبحانه فعله هذا بهم في قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم فانت تشاهدهم يا محمد ذوي ابصار والات تعينهم مما ابطا
الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين فهلا اخذ في خلاص نفسه واعتبر بحاله وامسه فلا اقتحم العقبة ولكن اذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له انتهى كان الانسان لا يفتخر بالانفاق اذا افضى الى الاملاق فعلم ان مراده الاشارة الى انه
اضعاف ما انفق من حيث انه عبر عنه بلفظ الاهلاك اشارة الى الثانية والثالثة من شهواته النفسية وهما ارادته
ان يكون له الافتخار والامتنان على جميع الموجودات وارادته ان يكون عنده من الاموال ما لا يحيط به الاذكار
ولا يحويه الاقطار كما يشير اليه حديث لو ان لابن ادم واديا من ذهب ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب علل سبحانه جهله في
حسابه ذلك وما يتبعه بقوله يقول اي مفتخرا بقدرته وشدته اهلكت مالا لبدا ولقصد المبالغة في كثرته جاءت
قراءة ابي جعفر بالتشديد على انه جمع لابد كركع وراكع فانهما انه بحيث لا يحصى بل لو جمع لم تسعه الارض الا ان يكون بعضه
على بعض ولا بعد ولا احصاء وذلك قليل من الكثير الذي متى قلدت به اعناق الرجال المن واستعبدت به الاحرار في كل
زمن تصرف بحيث اذا دعوت كنز الملبي واذا ناديت كنز المجيب واذا امرت عظم الممتثل فاوصل الى الماصية ورغبة في نعمه
الباقية ممن يسعى على دمه من يخالف امره فضلا عن ان يريد احماله ذكرا ونقص قدري ولما كان الشيء لا يعي الا اذا كان
مجهولا او لو من بعض الجهات انكر عليه هذا الظن على تقدير وقوعه فانه لا يوصل الى ما ظنه الاية بقوله مشيرا الى شهوته النفسية
الرابعة وهي ان يكون امره مستورا فلا يطلع على عيبه اصلا ابدا ايحسب اي هذا الانسان لعبيد نقله عقله ان لم يره
اي بالبصر ولا بالبصيرة في لن من الماضي احد اي في عمله هذا سره وجهره وجميع امره فيفحص جميع ما عمل اذا اراد وكل ما فانه
من اثار هذه الشهوات الاربع وهو لا يزال فانيا له كان من ارادته تحصيله في نكد ومعاناة وكبد بحيث يرمي نفسه لتحصيله في
المهالك ولا يحصل منه على ما يرضيه ابدا او هذا كناية عن انه يعمل من المساوي اعمال من يظن انه لا يطلع عليه فلذلك نبهه
الله تعالى بانواع النعمة ليباحث حذره ويحرز عمره انكر عليه سبحانه هذه النقائص قررا على ما اوجب شهوته
الحسية المتفرعة الى انواع بما يستلزم ان يكون فاعله له المال عليه من بعض فيفضه عالما بجميع امره قادرا على نفعه وضره
بنفسه وبمن اراد من جنده فقال مشيرا الى ما يتنعم على نظر العين الباصرة الجالبة له للعالم الحسي ونظر عين البصيرة الجالبة في
العالم المعنوي من شهوته ان يحصل على كل ما يراه بعين باصرته وتعلمه بعين بصيرته من مليح ويخلص من كل ما يراه من قبيح وهذا كما
له بما كان يجب عليه من الشكر باستعمالها لهذه المشاعر فيما شرع له وكفها عما منع الله منه الم نجعل اي بما لنا من العظمة
التي لا يمكن احدا ان يضاهيها ولا يقرب منها له عينين يبصر بهما والا لتعطل عليه اكثر ما يريد شققناهما وهو في الرحم
في ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا تزيد احداهما على الاخرى شيئا وقدرنا البياض والسواد والزرقة والشهلة وغير
ذلك على ما نريد واودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها ولما قرره سبحانه على ما يتشاغل عنه بشهوته
الامر والنهي وانواع الكمالات والشرب وعلى النطق بفصاحة الكمالية فقال ولسانا يترجم به عما في ضميره وشفتين اي
يستران فاه ويعينانه على الاكل والشرب وعلى النطق بفصاحة وبلاغة على حد معلوم لا يبلغه غيره فيجتمع له امره ويصل الى
مقاصد جمة واحوال مهمة ولم يذكر السمع لان الكلام يستلزمه والمعنى السابق قادرين بالقدرة التي جعلنا له بها ما
ذكر على ان نجعل لغيره مثل ما جعلنا له والا تبقاومه وتغلبه كان الله تعالى على كل احد في كل لمحة منة جديدة
في بقاء هذه الالات لثلثة عبر فيها بالمضارع ولما كانت النعمة في العقل انما هي بهدايته ولا تم بجهله على الخير نازلا
وكان امره خفيا وكان من المعلوم ان كل احد غير مهتد في كل حركاته وسكناته الى ما يتحدث بل كان هذا المنكر عليه
لم يوهل لطريق الخير اختير له لفظ الماضي لذلك تحقيقا لكونه وجعله عن الا اسهل وطبعه لا يعدل بل هي
غالبة على صاحبها فائدة الى مضاره ومحابه ومشاره وان كثر وهو السبيل التي يكون الخلاص من شر تلك الانكاد
في دار الاسعاد فقال وهديناه اي بما ابنيناه من العقل النجدين اي طريقي الخير والشر وصادقا جعلنا له من ذلك
بصيرا سميعا عالما فصار موضعا للتكليف روى الطبراني عن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ايها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى يا ايها الناس انما هو نجدان نجد خير ونجد شر فما جعل
نجد الشر احب اليكم من نجد الخير ۰ قال المنذري النجد هنا الطريق المستوي وهو طريق في ارتفاع عبر عن الخير والشر
لاعلامها الانسان عن رتبة في الحيوان وان الانسان لا يختار واحدا منهما الا بمعاناة وتكلف كمعاناة من يصعد
في عقبة والنجد لغة الموضع العالي ۰ والله تعالى العلي من اراد على من شاء منهما خلاف ما كان يقتضيه ظاهر حاله

من انه لا يحب كلف شئ اصلاً ولا يريد الاشياء تاتيه الا عنوة وذلك لاجل اظهار قدرته سبحانه اما صعوبة طريق الخير فيما حفه به من
المكاره حتى صار العمل به مع ان كل احد يعشق اسمه ومعناه اشد شئ واصعبه واشقه واتعبه واما صعوبة طريق الشر فواضحة جداً مع ان الله
يلزمه لمن اراد تسهيله وتحبيبه وتخفيفه وتقريبه مع ان كل احد يكره اسمه وينفر من معناه وجعل الله الفطر الاولى السليمة
التي فطر العباد عليها من الاستقامة بحيث تدرك الشر وتنهى عنه وتدرك الخير وتامر به عن ان الشهوات والحظوظ تعالجها والغالب
من اقانة الله والى ذلك يشير حديث ذا المرتشي فاصنع ما شئت وحديثا البر ما اطمانت اليه النفس وانشرح له الصدر والاثم
ما حاك في الصدر وتردد في القلب وان افتاك الناس وافتوك **ولما** كان معنى ما مضى ان هذا الانسان عاجز وان ناهيك قوته
ولعجلك لذروة قدرته وانه مغلوب جميع امره مفضوح في سره كما هو مفضوح في جهره كما اشار اليه حديث جندب رضي الله عنه
عند الطبراني ما اسر عبد سريرة الا البسه الله رداءها وحديث ابي سعيد رضي الله عنه عند احمد وابي يعلى لو ان احدكم يعمل في
صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس فهو موصول اليه ومقدور عليه وانه كان يجب عليه الشكر على ما جعل له سبحانه
من القوى التي جعلها سبباً لكشفه لآيات للكفر سبب سبحانه عنه قوله تفصيلاً للاشياء الموصلة الى الراحة في العقبى بالفعل فيها
عنه على سبيل الحقيقة دلالة على عجزه **فلا اقتحم** اي وثب ورمى بنفسه بسرعة وضغط وشدة حتى كان من شدة المحبة لما يراه فيما دخل
فيه من الخير كانه اتاه من غير فكر ولا روية بل هجما **العقبة** اي وهي طريق النجاة والمعز في اللغة ابتداء الطريق الصاعد في الجبل
المستعار اسمها الافعال البر المعز في النفوس انها مريحة لا متعبة مع كونها اعظم فخر واعلى منقبة لانا حجبناه عنها بايدينا
وعظيم قوتنا وعجيب قدرتنا وذلك ان الخير لما كان محببا الى القلوب معشوقا للنفوس من غنائه لا يعدل عنه احد جعلناه
في بادي الامر كريها وعلى النفوس مستصعبا ثقيلا حتى صار لمخالفته الهوى كانه عقبة كؤود ولا ينال ما فيه من مشقة الصعود
الا بعزم شديد وهمة ماضية ونية جازمة ورياضة وتدريب وتهذيب وشديد مجاهدة وعظيم مكابدة للنفس
والهوى والشيطان بحيث يكون متعاطيه في فعله له كالرامي بنفسه فيه بلا روية رمي العاشق له المنهمك عليه فكان هذا
سببا لان هذا الجاهل بنفسه المتعدي لطوره لم يختر لنفسه الخير بما اوتي من البصر الذي يبصر به صنائع الله والبصيرة
التي يعرف بها ما يضره وما ينفعه شكراً لربه سبحانه لاحسانه اليه وهل جزاء الاحسان الا الاحسان بل اختار الشر وارتكب
الضر مع اناهيا [illegible] لكل منهما فبانت لنا القدرة واتضحت في صفاتنا العظمة وتحقق له الضعف وظهر منه النقص والعجز
فوجب عليه لعزتنا الخضوع واجراء مصون الدموع واظهار الافتقار والذل والصغار لنفتح سبيل الجنة وننجيه من طريق
النار ومن اقتحم هذه العقبة التي هي الاعمال الصالحة اقتحم عقبة الصراط فكانت سهولتها عليه بقدر مكابدته لهذه واستراح
من تلك المكابدات والاحزان والهموم وصار الى حياة طيبة كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة
طيبة الآية واقتحامها بان يترحل من عالمه السافل الى العالم العالي الكامل الذي ليس فيه الا الله وذلك هو الاعراض
عن العبودية وتلك هي الحرية لان الحر من خرج من رق الشهوات الى خدمة المولى فسار طوع امره في سره وجهره
لا لحظ للشهوة فيه ولا وصول الحظ اليه وذلك يكون بشيئين احدهما جذب والاخر كسب فالمجذوب محمول والكاسب
في تعب المجاهدات لسبق الهمة العالية بحصول **ولما** بين انه لا خلاص من النكد الا بهذا الاقتحام شرع في تفسيره
العقبة بادئا بتهويل امرها لعظم قدرها فقال معبرا بالماضي الذي جرت عادة القرآن بانه اذا عبر به شرح المستفهم
عنه **وما ادراك** اي ايها السامع لكلامنا الراغب فيما عندنا **ما العقبة** اي انك لم تعرف كنه صعوبتها وعظم ثوابها
فلما تفرغ القلب بالاستفهام عما لا يعرفه وكان الانسان اشهى ما اليه تعرفه ما اشكل عليه فتشوقت النفوس الى علمها
قال مشيرا الى العقبة التي تمر بها السخاء واصلاح قوة الشهوة معبرا بالفك الذي هو ادنى ما يكون من العتق لان الاعانة فيه
ولو بما قل كما ورد في حديث البراء رضي الله عنه اعتق النسمة وفك الرقبة وعتقها ان تنفرد به وفكها ان تعين في ثمنها وفسر
المراد بهذه العقبة بما دل على معادل لا كما ياتي تعيين تقديره فانها لا تستعمل الا في مكرر **فك** اي الانسان **رقبة** اي
من الاسر والظلم او الغرم او السم شكرا لمن اولاه الخير وسعيا للكرم حبا للمعالي والمكارم لا رياء وسمعة كما فعل هذا
الطاغي الضال ولا الطمع في جزاء لا الخوف من عذاب **او اطعم** اي اوقع الاطعام لشيء له قابلية ذلك **في يوم ذي مسغبة** اي جوع
عام في مكان جوع زمان جوع بما افهمه الوصف والصيغة فكان لذلك يحمل على الضنة بالموجود خوفا من مثل ما فيه المطعم
مخالفا للنفس والاثر عليها اعتمادا على الله **يتيما** اي انسانا صغيرا لا اب له يرجى او يخاف **ذا مقربة** لا يرجى باطعامه التودد
لا قاربه لا للتكثر بهم مع انه يجمع بذلك بين صدقة وصلة وان كان غنيا **او مسكينا** اي شخصا لا كفاية له **ذا متربة** اي حاجة
مفقعة له على التراب لا يقدر على سواه وان كان اجنبيا فهو لا يقصد باطعامه الا سد فاقته وقد دخل فيهم اليتيم البعيد
والفقير من باب الاولى ○ فالآية من الاحتباك ○ ذكر القرب ولا يدل على ضده ثانيا وذكر المتربة ثانيا يدل على ضدها
اولا وسر ذلك انه اذا ذكر في اليتيم القرب المعطف وفي المسكين الوصف المرقق الملطف **ولما** كانت هذه الاعمال [illegible]

احتباك

تدل

تدل على جودة الطبع وعلو الهمة وكرم العنصر واباء النفس اشارة الى شدة حسنهما لانه لا يوفق لهما الا المخلص وان كان غير مستند الى شرع
والى ما ينشأ من سلاسة الطبع وسهولة الانقياد والى عظمة الايمان بالتعبير باداة التراخي في قوله مشيرا الى العقبة الثانية وهي الحكمة
المزكية للقوة النطقية **ثم كان** اي بعد التخلق بهذه الاخلاق الزاكية العالية النفيسة الغالية في حال كفره او مبادئ سلامه للدلالة
على صفاء جبلته وجودة عنصره من الراسخين في الايمان المعبر عنه بقوله **من الذين امنوا** اي عند ما دعاه اليه الهادي ولو حمله
حمية الانف وسماحة النفس على الاباء عن ان يكون تابعا بعد ما كان متبوعا وسافلا في زعمه اثر ما كان رفيعا بل سدد النظر وقوم
الفكر فايقن انه يعلي نفسه من الحضيض الى ما فوق السها ويرقيهما في طرفة من درج العلى الى ما ليس له انتهاء ان في ذلك لآيات لاولي
النهى فحينئذ يعلم استقامة طبعه وكرم عزيزته وعلو همته وحسن نيته وجميل طويته وغزارة عقله وجلالة نبله وفضله واحكام
التقدم على الاعلام في الجاهلية والاسلام ولذلك كان الصديق رضي الله عنه اعلى الناس درجة بعد الانبياء عليهم الصلاة
والسلام والتحية والاكرام لان هذه كانت افعاله قبل الاسلام كما قال ابن الدغنة حين وجده قد خرج من مكة المشرفة يريد الهجرة
حين اذاه الكفار ان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق كما قالت خديجة
رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم حين رجع اليها يرجف فؤاده من تجلي جبريل عليه السلام له سواء فلم يشرب في [illegible]
وشرب من صافي مشربه توفيقا من الله تعالى لم يبلغهم حين عاجلهم الى الدين ولا كانت عنده كبوة ولا تردد في رجاء الاسلام الى
مرام بحيث قال يوم الحديبية لعمر رضي الله عنه حين اظهر الكراهة للصلح قال له النبي صلى الله عليه وسلم سواء حرفا بحرف من غير
ان يكون حاضرا او ينقل اليه كلامه فصار حينئذ حائزا افضل السبق لا مطمع في مداناته فكيف بمحاذاته ومساواته ولكمال عظمته
وجلاله لم يشرب قط خمرا وكان اذا ليم على ذلك في الجاهلية قال العشيرة انه والله لو وجدت شيئا يزيد في عقلي لاشتريته
بجميع مالي فكيف اشتري ما يزيل عقلي وتلك الاعمال لا تصح وان كانت ممدوحة في كل حال الا بالايمان اما ان كانت بعده
فواضح واما ان كانت قبله فيثاب تعاطيه عليها كما قال صلى الله عليه وسلم اسلمت على ما سلف منك من خير **ولما** كان
الايمان معليا للانسان عن دركة الهوان الى عظم الشان حاملا له على محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق وذلك انه يقوي الجمع
شرائع الدين العظيمة الشان وكانت موجبة للجهاد الاكبر من حيث مخالفتهما وكانت ذات للضعف وزر عليه الا بالشجاعة وهي القوة
الثالثة الذي اذا هذبت راحت وكانت لا تكون الا بعظيم الصبر وكان الصبر المراد به لا يقوم الا بالتعاون قال **وتواصوا**
اي وصى واوصى بعضهم بعضا **بالصبر** في اقتحام عقبات الاعمال التي لا يحوزها الا الابطال الرجال من الامر بالمعروف وغالي ما
دونه وان كان فيه الحتوف فان الشجاعة كما قيل صبر ساعة **ولما** كان الانسان لا بد ان يعرض له من غيره من الخلاف
ما يوجب قسوته عليه فكانت الرحمة من ثمرات الاصطبار المتمم للعدالة وهي التوسط بين مذمتي الافراط والتفريط
في الشفقة والبلية وهي العقبة الرابعة قال مؤكدا باعادة العامل اشارة الى قلة العاملين بها **وتواصوا بالمرحمة**
اي الرحمة العظيمة بحسب زمانها ومكانها بان يوطنوا انفسهم على كل ما يحمل على الرحمة العظيمة التي توجبها الحب في الله والبغض
فيه لانهم كانوا نوافل الايمان خالصين عن الرياء والاعجاب متمسكين للمتزكية من كامل الايمان فصاروا في غاية النورانية
والعرفان **ولما** كان ذلك من معالي الاخلاق وموجبات العواقب والوفاق وكانت نتيجته لا محالة **اولئك** اي العظماء
الكبراء العالو المنزلة ولو بات بضمير للفصل كما ياتي للاضداد لئلا يخلص الفعل له سبحانه من غير نظر الى ضمائرهم
الدالة على جلالتهم لانه هو الذي جعلها واغنى عنه بالاشارة الدالة على علو مقامهم وبعد مرامهم **اصحاب الميمنة**
اي الجانب الذي فيه اليمن والبركة والنجاة من كل هلكة تعميمهم من السابقين المقربين واصحاب اليمين الابرار كما مضى شرحه
في الواقعة وبهذا التعريض بذلك الذي تلفت احواله في المنافسة والمشاققة والمعاكسة **ولما** ارشد السياق لمعادلة
فلا اقتحم العقبة الى ان التقدير ولا احجم عن العقبة التي هي الافعال الموجبة للمعتبة مع كونها متعبة بل قطع من يستحق
الوصل ووصل من يستاهل القطع ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالملاءمة واكتسبوا السيئات واتبعوا الشهوات
وعاملوا بالقسوة عطف عليه قوله **والذين كفروا** اي ستروا ما اظهرته لهم مراءي بصائرهم من العلم **ولما** كان الكفر بالآيات
من اسوأ انواع الكفر لانه كفر بما جعله الله علما على غيب تجليه وهي جميع ما تدركه الحواس من الاقوال والافعال الدالة
على ذي الجلال لانها دالة على الصفات الدالة على الموصوف بها الذي ظهر بافعاله وبطن لعظيم جلاله قال **باياتنا**
اي على ما لها من العظمة بالاضافة الينا والظهور الذي لا يمكن خفاؤه **هم** اي خاصة لسوء ضمائرهم لفساد جبلاتهم **اصحاب
المشأمة** اي الخصلة المكسبة للشؤم والحرمان والهلكة فهو الاقتسام على انفسهم وكفرهم دال على فساد جبلاتهم فهو يشير الى
ان من كان كفره اخف لم يكن جبليا فيوشك ان يهتدي فيكون من اصحاب الميمنة **ولما** كان معنى هذا انهم في الجانب الذي
فيه الشؤم والهلكة والبعد من كل بركة انتج قوله **عليهم** اي خاصة **نار مؤصدة** اي مطبقة الباب مع احاطتها بهم
من جميع الجوانب بما افهمه اداة الاستعلاء ومع الضيق والوعورة وهذا لعمري اشد الكبد والنصب والنكد فالمجازاة

له

منه الى الله الاحد الواحد الصمد وقد علم ان اولها هو هذا الاخر فكان لنقاء طرفيها مما اشتد به الايدي وتعقد عليه الخناصر
والله المرجو للهداية الى محل السرائر وهو الهادي

سورة الشمس وضحاها مقصودها

اثبات تصرفه سبحانه
في النفوس التي شرح الابدان تعودها الى سعادة او كبد وهوان ونكد كما ان الشمس سراج الفلك تصرف سبحانه في النفوس بالاختيار
اضلالا وهداية نعيما وشقاوة كتصرفه سبحانه في الشمس بمثل ذلك من صحة واعتلال وانتظام واختلال وكذا في جميع الاكوان
بما له من عظيم الشان واسمها الشمس واضح الدلالة على ذلك بتامل القسم والمقسم عليه بسم الله الذي هو الملك الاعظم فله التصرف العام
الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء فاليه الانعام الرحيم الذي خص من شاء بالتوفيق فبنى العامة عليهم على التمام ولما اثبت في
سورة البلد ان الانسان في كبد وختمها بان من حاد عن سبيله كان في انكد النكد وهو النار الموصدة اقسم اول هذه على ان الفاعل لذلك
اولا واخرا هو سبحانه لانه يحول بين المرء وقلبه وبين القلب ولبه فقال مقسما بما يدل على تمام علمه وشمول قدرته في الافاق علويها وسفليها
والانفس شقيها وسعيدها وبدا بالعالم العلوي فافاد ذلك العلم قطعا بانه الفاعل المختار وعلى العلم بوجوب ذاته وكمال صفاته
وذلك اقصى درجات القوى النظرية تذكيرا بالعظائم الاية ليحمل على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو كمال القوة العملية
مع ان اول ما اقسم به مذكر بما ختم به اخر تلك من النار والشمس اي الجامعة بين النفع والضر بالنور والحر كما ان العقول
كذلك لا انور منها اذا نارت ولا اظلم منها اذا بارت وضحاها اي ضوئها الناشئ عن جرمها العظيم الشان البديع الكون
المذكر بالنيران اذا اشرقت وقام سلطانها كاشراق انوار العقول والضحى بالضم والقصر صدر النهار حين ارتفاعه وبالفتح
والمد شدة الحر لعقد اشتداد النهار وهي ضاح اذا ظهر للشمس والحر ولما افتتح بذكر اية النهار اتبعه اية الليل فقال
والقمر اي المكتسب من نورها كما ان انوار النفوس من انوار العقول اذا تلاها اي تبعها في الاستدارة والنور بما دل على
ان نوره من نورها من القرب الماحق لنوره والبعد المكتسب له في عقده امكانها من جرمه ولا يزال يكثر الى ان يتم المقابلة
فيتم النور ليلة الابدار عند تقابلهما في افقي الشرق والغرب ومن ثم ياخذ في المفارقة فينقص بقدر ما ينحرف عن المقابلة
ونسبة التبع اليه مجازية اطلقت بالنسبة الى ما ينظر منه كذلك ولما ذكر الاثنين ذكر ما بهما اتيانه وبدا
بهما لانه لا صلاح له الا بهما كما انه لا صلاح للبدن الا بالنفس والعقل فقال والنهار اي الذي هو محل الانتشار فيما اجرت
به الاقدار اذا جلاها اي جلى الشمس جلية عظيمة بعضها اعظم من بعض باعتبار الطول والقصر والصحو والغيم والضباب
والصفاء والكدر كما ان الابدان تارة تزكي القلوب والنفوس والعقول وتارة تدسها لان العقل يكون في غاية
الصفا والدعاء الى الخير في حال الصغر ثم لا يزال يزيد او ينقص بحسب زكاء البدن في حسن الجبلة وسوء الجبلة حتى يصير
الشخص نورا محضا ملكا ناطقا اذا طابق البدن العقل فنفعا وناعلى الخير او يصير ظلاما بحتا شيطانا رجيما اذا خالف
البدن العقل لسوء الجبلة وشرارة الطبع ولما ذكر معدن الضياء ذكر محل الظلام فقال والليل اي الذي هو
ضد النهار فهو محل السكون والانقباض والكمون اذا يغشاها اي يغطي الشمس فيذهب ضوءها حين تغيب فيمتد ظلال الارض
على وجهها المماس لنا فياخذ الافق الشرقي في الاظلام ويمتد ذلك الزمان بحسب طول الليل وقصره كما يغطي البدن نور العقل
بواسطة طبعه بخبثه ورداءة عنصره وذلك كله بمقادير معلومة وموازين قسط محتومة ليس فيها اختلال ولا
يعتريها انحلال حتى يريد ذو الجلال ولم يعبر في الماضي كما في النهار لان الليل لا يذهب الضياء ثمرة بل يستره فيبدو ولا
ينفك عن نور بخلاف النهار فانه اذا ابدى الشمس ولم يكن غيم ولا كدر جلاها الشمس في ان واحد فلم يبق معه ظلام بوجه
ولما ذكر الاثنين ومحل اثرهما ذكر محل الكل فقال والسماء اي التي هي محل ذلك كله ومجلاه كما ان الابدان محل النفوس
والنفوس مركب العقول ولما رقي الافكار من اعظم المحسوسات لمماسته الى ما هو دونه في الحس وفوقه في الاحتياج
الى اعمال الفكر رقي الى الباطن الاعلى المقصود بالذات وهو المبدع لذلك كله معبرا عنه باداة ما لا يعقل مع الدلالة
بنفس الاقسام على ان له العلم التام والاحاطة الكبرى بالحكمة البالغة تنبيها لهم ووضعوهم بالاشراك والكفر
الحشر بتلك المنزلة السفلى والمساواة بالجمادات التي حكموا فيها مع ماله من صفات الكمال التي ليس لغيره ما يداني شيئا منها
زجرا لهم بالاشارة والايماء عند ذلك ومشيرا الى شدة التعجب منهم لكونهما اداة التعجب فقال وما بناها اي هذا
البناء المحكم الذي ركب فيه ما ذكره اشارة الى ما وراءه مما يعجز الوصف ولما ذكر البناء ذكر المهاد فقال
والارض اي التي هي فراشنا بمنزلة محال تصرفاتكم بالعقل في المعاني المقصودة وما طحاها اي بسطها على وجه هي فيه
محيطة بالحيوان كله ومحاط بها في مقعر الافلاك وهي مع كونها ممسكة بالقدرة كانها طافحة في بحار رحابها وهي
موضع التعب والهلاك ومحل الجمع كل هذا بما اشار اليه التعبير بهذا اللفظ اشارة الى معاني سعي الانسان من امثال
هذا فان لاهل البصائر وليس في العالم الافاقي شيء الا وفي العالم النفساني نظيره وانشد واني ذلك

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وتستنكر
وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

فالسموات سبع كطباق الدماغ التي تتعلق بالقوى الحسية والمعنوية كالذاكرة والحافظة والواهمة والمتخيلة والمفكرة والحس
المشترك وما هو لمقاسم البصر في العين ونظير الشمس الروح في اشراقه ووحشته ونظير الليل الطبع فان ما به من نور انما هو من
الروح كما ان الليل كذلك لا يكون نوره الا من الشمس بواسطة افادتها للقمر المنير له والكواكب ونظير النهار الذي هو نير في اصله ويتكدر
بما حدث له من السحب ونحوها القلب ونسجه الشكوك والاوهام النفسية ونظير القمر في ظلمته باصله وانارته بالشمس النفس
فاذا اكسبها القلب المستفيد من الروح والنور انار جميع البدن واذا اظلمت اظلم كله والاعضاء الباطنة كالكواكب يقوم بها البدن
فينير له الوجود بواسطة الروح والنفس والامطار كالدمع والحر كالحزن والبرود كالسرور والرعد كالنطق والبرق كاللمح والرياح
كالنفس الى غير ذلك من البدائع لمن تامل والعالم السفلي سبع طبقات ايضا كالعلوي ونظيرها طبقة الجلد وهي ثلاث وطبقة اللحم
وطبقة الشحم وطبقة العروق وطبقة العصب والجبال كالعظام والمعادن منها المياه وفيها العذب كالريق والملح كالدمع
والمر كما في الاذن والمنتن منه كما في الانف ومنه ما هو حار كالبول ومنه ما هو كالعيون وهو الدم والسيل كالعروق والمعادن
المنطبعة كالحديد والرصاص هي وسخ الارض وهي كالعذرة وما يخرج من الجلد من خبث والنبات كالشعور وبان يحلق كالحصاد
وتارة يقلع بالنتف والحيوانات التي فيها كالقمل وطيورها كالبراغيث وعامر البدن ما اقبل منه وخرابه ما ادبر ولما
اتم الاشارة الى النفوس لاهل البصائر صرح بالعبارة لمن دونهم فقال ونفس اي اي نفس جمع فيها سبحانه العالم باسره
ولما كانت النفوس اعجب ما في الكون واجمع عبر فيها بالتسوية حثا على تدبر امرها للاستدلال على مبدعها والسعي في
اصلاح شانها فقال وما سواها اي عدلها على هذا القانون الاحكم في اعضائها وما فيها من الجواهر والاعراض والمعاني
وعجائب المزاج من الاخلاط المتنافرة التي لا يلائم بينها الا بالتسوية والتعديل فجعلها متمازجة وقد ارشد السياق والسباق
واللحاق الى ان جواب القسم بعد تقدير لقد طبع نفوسكم سبحانه على طبائع متباينة هيأها بها لما يريد من القلوب
من تزكية وتدسية بما جعل لكم من القدرة والاختيار وابلغ في التقدير لكم في تزكية نفوسكم وتطهير قلوبكم
لاعتقاد الحشر بما هو اوضح من الشمس لا شبهة فيه ولا لبس لتنجوا من عذاب الدنيا والاخرة بالاتصاف بالتقوى
والاقلاع من الفجور والطغوى وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير لما تقدم في سورة البلد تعريفه تعالى بما خلق فيه
الانسان من الكبد مع ما جعل له سبحانه من الات النظر وبسط له من الدلائل والعبر فاعتبر في صون من ملك قياده
ومن رشده وعناده وهديناه النجدين اي هديناه السبيل وذلك بما جعل له من القدرة الكسبية الذي حقيقتها
ابهام او لم واي بالاستعداد والاستقلال ثم والله خلقكم وما تعملون اقسم سبحانه في هذه السورة على فلاح من اختار رشده
واستعمل جهده وانفق وجد قد افلح من زكاها وخيبة من غاب هداه فاتبع هواه وقد خاب من دساها فبين حال
الفريقين وسلوك الطريقين انتهى ولما كان اعجب امورها الفجور لما غلب عليها سبحانه من الحظوظ والشهوات
وهي تعلم بما لها من زاجر العقل بصحيح النقل ان الفجور اقبح القبيح والتقوى لما اقام عليها من ملك العقل الملكي وعن العلم
النوراني احسن الحسن وتذوق ان الفجور اشهى شهي وان التقوى امر شيء واصعبه واثقله واتعبه وان علمها ان هذا الا
يفيد رعليه سواه لانه اعجب من جميع ما مضى لان البهيمة لا تقدم على ما يضرها وهي تبصر ولو وطئت والادمي يقدم
على ما يضره وهو يعلم فقال ويقابل من صنعه فقال سببا عما حذف من جواب القسم فالهمها اي النفس الهام الفطرة الاولى
فجورها اي انبعاثها في الميل مع دواعي الشهوات وعدم الخوف الحامل على خرق سياج الشريعة بسبب ذلك الطبع
الذي عدل فيه بها وصفا تماثي شتى المتساويات على التمازج غاية التعديل وتقواها اي خوفها الذي اوجب كونها
وحرزها بوقايات الشريعة فالاية من الاحتباك ذكر الفجور اولا دال على السكون الذي هو ضد ثانيا وذكر التقوى
ثانيا دال على ضده وهو عدم الخوف والهامها الامرين هو جعله لها عارفة بالخير والشر مستعدة ومهيئة لكل
منهما ثم زاد ذلك بالبيان لنا بحيث لم يبق لبس فزالت الشبهة عقلا بالغريزة والالهام ونقلا بالرسالة والاعلام
ودل بالاضافة على ان ذلك كله منسوب اليها ومكتوب عليها وان كان بخلقه وتقديره لانه اودعها قوة وجعل لها اختيارا
صالحا لكل من النجدين واوضح امر النجدين في الكتب وعلى السنة الرسل الخدم ما وهبه لها من الفطرة القويمة واخفى
عنها سر القضاء والقدر وعلم العاقبة فاقام بذلك عليها الحجة واوضح المحجة ولما كان من المعلوم ان من سمع
هذا الكلام يعلم ان التقوى لا يكون الا مامورا بها والفجور لا يكون الا منهيا عنه فيتوقع ما يقال فيهما مما ينشأ عنهما
قال الغالي قد افلح اي ظفر بجميع المرادات من زكاها اي نماها واصلحها ووصفها تصفية عظيمة بما يسره الله له من العلوم
النافعة والاعمال الصالحة وطهرها عما يشين لمجانبته من مذام الاخلاق لان كلا ميسر لما خلق له والدين مبني على التخلية
والتحلية وزكى صالح للمعنيين وقد خاب اي حرم مراده وخسر وكان سعيه باطلا من دساها اي اغواها اغواء عظيما
وافسدها ودس محياها وقذرها وحقرها واهلكها بمجانبتها الاعتقاد ومساوي الاعمال وقبائح النيات والاحوال

واخفاها بالجهالة والفسوق والجلافة والعقوق واصل دسى دسس فالتزكية ان يحرص الانسان على نمية ان لا ينكسف وقمره
ان لا يخسف ونهاره ان لا يتكدر وليله ان لا يطغى والتدسيس اقله اهمال الامر حتى تكسف شمسه ويخسف قمره ويتكدر نهاره ويدوم
ليله وطريق ذلك اعتبار نظائر المذكورات من الملوين وحاجات واعطاء كل ذي حق حقه فنظير الشمس النبوة لانها كلها ضياء بلا
وصف قاهر وضحاها الرسالة وقمرها الولاية والنهار هو العرفان والليل عدم طمأنينة النفس بذكر الله وما جاء من عنده
واعراضها عن الانقياد لقبول ما جاء من النبوة او الولاية والعلماء العاملون هم اولياء الله قال الامامان ابو حنيفة والشافعي
ان لم يكن العلماء اولياء الله فليس لله ولي رواه عنهما الحافظ ابو بكر الخطيب وهو مذكور في التبيان وغيره من مصنفات
النواوي ونظير السماء العزة والترفع عن الشهوات وعن خطوات الشياطين من الجن والانس والارض نظيرها التواضع
لحق الله ورسوله وللمؤمنين فيكون باخراجه لهم المنافع كالارض المخرجة لنباتها والتدسية خلاف ذلك من عمل بالسوء
فقد هضم نفسه وحقرها فاخفاها كما ان اللئام ينزلون بطون الاودية ومعاطفها بحيث تخفى اماكنهم على الطارقين والاجواد
ينزلون الربى ويوقدون النيران للطارقين ويشهرون اماكنهم للمعتفين منازل الاشراف في الاطراف كما قيل

قوم على الحجاج سهل وضلهم ● ومقامهم وعز على الفرسان ●

ولما كان السياق في الترهيب بما دلت عليه سورة البلد وتقديم الفجور رهنا وكان الترهيب احث على التزكية لهذا الاعلى
جبلة المدعي ليعتبر به من سمع خبرهم لاسيما ان كان يعرفه ثم كذبت ثمود انث فعلهم لضعفه ثم تكذيبهم لان كل سامع لهم
يعرف ظلمهم فيه لوضوح ايتهم وقبح غايتهم وما لهم لسفول الهمم وقباحة الشيم وخصهم لان ايتهم مع انها كانت اوضح
الايات في نفسها ادلها على الساعة وقريش سائر العرب عارفون بهم لما يرون من اثارهم ويتناقلون من اخبارهم
بطغواها اي اوقعت التكذيب لرسولها بكل ما اتى به عن الله بسبب ما كان لنفوسهم من وصف الطغيان وهو مجاوزة الحد
وارتفاعهم والغلو في الكفر والاسراف في المعاصي والظلم او بما توعدوا به من العذاب العاجل وهو الطاغية التي
اهلكوا بها وطغى واوي يائي يقال طغا كدعا يطغو طغوى وطغوا انا نصبها كطغى يطغى وطغى كرضي طغيا وطغيانا بالضم
والكسر فالطغوى بالفتح اسم وبالضم مصدر فقلبت الياء على تقدير كونه يائيا واوا للتفرقة بين الاسم والصفة
واختير التعبير به دون الياء لقوة الواو فانهم انهم بلغوا النهاية في تكذيبهم فكانوا على الغاية من سوء تعذيبهم
ولما ذكر تكذيبهم دل عليه بقوله اذ اي تحقق تكذيبهم او طغيانهم بالفعل حين انبعث اشقاها اي اشد ثمود شقا
وهو عاقر الناقة لما ذكر في الكفر والزيادة فيما شرعه العقر وهو قدار بن سالف وهو من ملاءه على عقرها فان افعل
التفضيل اذا اضيف صلح للواحد والجمع فقال لهم اي بسبب الانبعاث والتكذيب الذي دل على تصديهم لها
بالاذى واظهر ولم يضمر وعين الاظهار بالجلالة اشارة الى عظيم ايتهم وبديع بدايتهم وهابيتهم فقال رسول الله اي
الملك الذي له الامر كله فتعظيمه من تعظيم مرسله وهو صالح عليه السلام وذكر الناقة وعبر بالرسول لان وظيفته الابلاغ
والتحذير الذي ذكر هنا ولذلك قال مشيرا بحذف العامل الى ضيق الحال عن ذكره لعظيم الهول وسرعة التعذيب عند
مسها بالاذى وزاد في التعظيم باعادة الجلالة ناقة الله اي الملك الاعظم الذي له الجبروت كله فلا يعبر من انتهك حرمته
واحترا على ما اضافه اليه ولهذا عاد الاظهار دون الاضمار والعامل ذروا واحذروا ونحو ذلك اي احذروا اداها
بكل اعتبار وسقياها اي الماء الذي جعله الله لها لسقيها وهو بئرها ولا تذودوها عن بئرها في اليوم الذي يكون فيه
نوبتها في الشرب ولا تمسوها بسوء وكانه صلى الله عليه وسلم فهم عنهم بعد مدة انهم يريدون عقرها فكرر عليهم
التحذير فكذبوه اي اوقعوا التكذيب له بسبب طغيانهم وعقب امره بهذا الاخر فيما حذر من حلول العذاب وسكوت الفا
في الفصيحة اي قال لهم ذلك فكانت تعد ايامه وبينهم في امرها امور وقعوا التكذيب فيه منها كلها فعقروها بسبب
التكذيب بعضهم بالفعل وبعضهم بالرضى به فدمدم اي عذب عذابا تاما مجللا مطبقا مستاصلا اشدهم به
ذنوبهم واسرع في الاهمال وطحنهم طحنا مع الغضب الشديد قال الرازي والدمدمة تحريك البناء حتى ينقلب ودل
باداة الاستعلاء على شدته واحاطته فقال عليهم ودل على شدة العذاب لشدة الغضب بلفت القول بذكر صفة
الاحسان الى الكفر وها لانه لا اشد غضبا ممن تعزا احسانه فقال ربهم اي الذي احسن اليهم فغرهم احسانه فقطعه عنهم
فعادوا كالامس الدابر بذنبهم اي بسببه ولما استووا في الظلم والكفر بسبب عقر الناقة بعضهم بالفعل وبعضهم بالرضى
واحتج فالبسماع ذلك ومعنا فسواها اي الدمدمة عليهم فجعلها كانها ارض بولغ في تعديلها فلم يكن فيها شيء خارجا
عن شيء كما سوى الشمس المقسم بها وسوى بين الناس فيها وكذا اقسم به بعدها فكانت الدمدمة على شوبهم كما كانت على صغيرهم
فلم تدع منهم احدا ولم تسويهم هلاك احد منهم على الحال بل كانوا كنفس واحد من شدة الصيحة وشدة الرجفة كما انهم
استووا في الكفر والرضى بعقر الناقة وكل نفس هي عند صاحبها كالناقة اوصى الله صاحبها ان يرعى نعمته سبحانه فيها

يتركها ولا يؤذيها فان الناقة عبارة عن مطية يقطع عليها السير حسا او معنى وذلك صالح لان يراد بها النفس التي يقطع بها عقبات
الاعمال والسقيا ما يعيش المسقي به وهو صالح لان يراد به الذكر والعبادة فلم يرع النعمة ولم يشكر المنعم فقد عقرها فاستحق الدمدمة
وكانه سوى بينهم في الدمدمة سوى بين المنتكسين في النجاة ولا اي والحال انه يخاف في وقت من الاوقات اي دائما روي ذلك عن ابن عباس
رضي الله عنهما ويؤيد قراءة اهل المدينة والشام بالفاء المسببة عن الدمدمة والتسوية وكذا هي في مصاحفهم عقباها اي
عاقبة هذه الدمدمة وتبعتها فانه الملك الاعلى الذي كل شيء في قبضته كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء فعلم انه سبحانه
يعلي اولياءه لانهم على الحق ويسفل اعداءه لانهم على الباطل فلا يصل بعد ذلك الاهمال بصير نهاره ظلاما من الليل الحالك
وقد رجع اخرها على اولها بالقسم وجوابه المجد وفا الذي هو طبع النفوس على طبائع مختلفة والعدم المهم بالانذار من الهلاك
وشمس القسم ايضا فان من له هذه الافعال الهائلة التي سوى بين خلقه فيها وهذا التدبير المحكم هو بحيث لا يعجزه امر ولا يخشى عاقبة
والله الموفق

سورة الليل مقصودها

الدلالة على مقصود الشمس وهو النصر في التام في النفوس باثبات كمال
القدرة بالاختيار باختلاف الناس في السعي مع اتحاد مقاصدهم وهي الوصول الى الملاذ من نمو البطن والفرج وما تبع ذلك
من الراحة واسمها الليل اوضح ما فيها على ذلك بتامل القسم والجواب والوقوع من ذلك على الصواب وايضا الليل نفسه من ال
على ذلك بانه على غير مراد النفوس لما فيه من الظلام والنوم الذي هو اخو الموت وذلك مانع عن اكثر المرادات ومقتض لاكثر
المضادات بسم الله الذي له العظمة الظاهرة والحكمة الباهرة الرحمن الذي شملت نعمة الجادة وبيانه المؤمن الرحيم
الذي خص من اراد من عباده بما يرضيه فجعله حامده وشاكره لما بين في الشمس حال من زكى نفسه وحال من دساها واوضح
في اخرها من مخالفة ثمود لرسولهم ما اهلكهم فعلم ان الناس مختلفون في السعي في تحصيل الخير وتجد الشر فمنهم من تغلبه
طلبة النفس ومنهم من يغلب عليه منار الهدى فتباينوا في مقاصدهم في مصادرهم ومواردهم بعد ان تبين انه هو الذي
يصرف النفوس في الفجور والتقوى اقسم اول هذه على ذلك بما دل على عجائب صنعه في ضده ونفعه تنبيها على تمام قدرته في انه
الفاعل بالاختيار يحول بين المرء وقلبه حتى يحمله على التوصل الى مراده بضد ما يوصل اليه بل بما يوصل الى مضاده على انه لا يكاد
يصدق الاتحاد في القصد والاختلاف في التوصل والسعي وشرح جزاء كل تحذيرا من تجد الشر وترغيبا في تجد الخير وبين ما به
التزكية وما به التدسية فقال والليل الذي هو اية الظلام الذي هو سبب الخبط والخلط لما يحدث عنه من الاشكال
واللبس في الاحوال والاهلاك لموصل الى طلب العدم وهو محل الاسرار بما يصل الاخيار ويقطع الاشرار اذا
يغشى اي يغطي ما كان من الوجود مبصرا بضياء النهار على التدريج قليلا قليلا وبما يدل عليه من جلال مبدعه وعظيم حقه
ومطلعه والنهار اي الذي هو سبب انكشاف الامور كالموت الذي يزيل عن الروح وعلائق البدن فيتجلى لها ما كانت فيه من
النجاح والجهر الذي يشرح النفس بازالة اللبس اذا تجلى اظهر ظهورا عظيما بضياء الشمس فاظهر ما كان خفيا فلم يدع
لمبصر شيئا من لبس فمن كان يريد السر قصد الليل ومن اراد الجهر قصد النهار سواء كان من الابرار او من الفجار ولما ذكر
المتخالطين معنى انتهما المخالطين حسا قال مصرحا بما هو مراد في الاول ومخصصا له بالتصريح تنبيها على انه لكونه عالما
عاملا قد يغلط في نفسه فيدعي الالهية او الاتحاد او غير ذلك من وجوه الالحاد وما خلق وحكم التعبير بما الاغلب فيه غير العقلاء
ما تقدم في سورة الشمس من تنبيههم على انهم لما اشركوا به سبحانه ما لا يعقل نزلوه تلك المنزلة وقد احاط بكل شيء وهو الذي
خلق العلماء وهم لا يحيطون به علما مع ما تقدم مما من التعجيب منهم في ذلك لكونها صيغة التعجب الذكر اي حسابا له الرجل
ومعنى بالهمة والقوة والانثى حسابا له المراة ومعنى سفول الهمة وضعف القوة وما دل عليه من عظيم الاصطناع وما هو الاختراع
والابتداع فانه دل بفرقه بينهما وهما من عين واحدة وهي التراب على تمام قدرته المستلزم لشمول علمه وفعله بالاختيار
فالاية من الاحتباك ذكرا ولا الصنعة دلالة على حذفها ثانيا وثانيا الصانع دلالة على حذفه اولا وعبر بالسعي ليدل كل
في عمله غاية جهده ولما ذكر ما هو محسوس المخالف من المعاني والاجرام اتبعه ما هو معقول للناس من الاعراض فقال
ان سعيكم اي عملكم ايها المكلفون في التوصل الى مقصد واحد ولذلك اكده لانه لا يكاد يصدق اختلاف وجوه
السعي مع اتحاد المراد وعبر بالسعي ليدل كل في عمله غاية جهده لشتى اي مختلف اختلافا شديدا كاختلاف ما تقدم
وهو جمع شتيت كمثلى وقتيل فيكون الانسان رجلا وهو انثى الهمة ويكون انثى وهو ذكر الفعل فتباينهم في الاعتقادات
وتعاندهم في المقالات وتباينهم غاية التباين في افعال الطيبات والخبيثات فساع في فكاك نفسه وساع في اتباعها يعلم قطعا
انه لا بد من محق ومبطل ومرض ومغضب لانه لا يجوز ان يكون المتنافيان متحدين في الوصف بالارضاء والاغضاب
فبطل ما اراد المشركون من قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الاية وما ضاهاها وقال الامام ابو جعفر بن الز
لما بين تباين حالهم في الافتراق قسم سبحانه على ذلك الشأن في الخلائق بحسب تقدير ازلا ليبلوهم ايهم احسن عملا فقال
تعالى ان سعيكم لشتى فاتصل بقوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ثم ان قوله تعالى فاما من اعطى واتقى الى قوله

احتباك

بلا عمه تفسيرا وتذكيرا بالامر عليه من كون الحسن والشر بارادته والهامه وحسب السوابق قوله فالهمها فجورها وتقواها فهو سبحانه
الهمهم للاعطاء والاتقاء والتصديق والمقدر للبخل والاستغناء والتكذيب والله خلقكم وما تعملون لا يسئل عما يفعل ثم ازداد ذلك الصا
بقوله تعالى ان علينا للهدى وان لنا للاخرة والاولى فنبا للقدرية والمعتزلة وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون ولما طابق بين القسم والمقسم عليه ونبه بالقسم والتاكيد مع ظهور المقسم عليه على انهم في امنهم مع التجدد بركن بدعي انه
لا فرق وان ماآل الكل واحد كما يقوله اصحاب لوحل عليهم الخزي واللعنة شرع في بيان تشتت المساعي وبيان الجزائها فقال
مبينا عن اخلاقهم ما هو مركوز في الطباع من انه لا يجوز تسوية المحسن بالمسيء ناشرا المزكي نفسه او دساها نشرا مستويا ابدانا بان
المطبع في هذه الامة ولله الحمد كثير بشارة لنبيها صلى الله عليه وسلم **فاما من اعطى** اي وقع منه اعطاء على ما حده ناله وامرناه
به **واتقى** اي وقعت منه التقوى وهي اتخاذ الوقايات من الطاعات واجتناب المعاصي خوفا من سطوتنا **وصدق** اي اوقع التصديق
للخبر **بالحسنى** اي وهي كلمة العدل التي هي احسن الكلام من التوحيد وما يتفرع عنه من الوعود الصادقة بالاخرة والاخلاف في
النفقة في الدنيا واظهار الدين وان قل اهله على الدين كله وعبر بذلك عن كل ما وعد به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله وعدل
الكلام الى مظهر العظمة اشارة الى صعوبة الطاعة على النفس وان كانت في غاية اليسر في نفسها لانها في غاية الثقل على النفس
فقال **فسنيسره** اي نهيئه بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه **لليسرى** اي الخصلة التي هي في غاية اليسر والراحة من الاعمال
المقتضية للعمل بما يرضيه سبحانه ليصل الى ما يرضى به من الحياة الطيبة ودخول الجنة ولما ذكر المزكي وغير بتابعه المدى
وشفوته فقال **واما من بخل** اي وجد عنده الحقيقة الخبيثة فمنع ما امر به وندب اليه **واستغنى** اي طلب الغنى عن الناس عما وعد
به من الثواب واوجد بما زعمت له نفسه الخائنة وظنونه الكاذبة فلم يحس الى الناس ولا عمل للعقبى **وكذب** اي اوقع التكذيب
لمن يستحق التصديق **بالحسنى** اي فانكرها وكان جامدا مع المحسوسات كالبهائم **فسنيسره** اي نهيئه بما لنا من العظمة
بوعد لا خلف فيه **للعسرى** اي الخصلة التي اعسر الاشياء واكرهها وهي العمل بما يغضبه سبحانه الموجب لدخول النار
وما ادى اليه واشار بنون العظمة في كل من تجد الخير وتجد الشر الى ان ركاب الانسان لكل منهما في غاية البعد اما تجد الخير
فلما حفه من المكاره واما تجد الشر فلما في العقل والفطرة الاولى من الزواجر عنه وذلك كله امر قد فرغ منه في الازل
بتعيين اهل السعادة واهل الشقاوة وكل كما قال صلى الله عليه وسلم ميسر لما خلق له ولما كان اهل الدنيا اذا وقعوا في
ورطة تخلصوا منها باموالهم قال **وما يغني** اي ما تلك الكالة **عنه** اي هذا الذي بخل وكذب **ماله** اي الذي يخل به رجاء نفعه
ويجوز ان يكون استفهاما انكاريا فيكون نافيا الاغناء على ابلغ وجه **اذا تردى** اي هلك بالسقوط في حفرة القبر والنار تفعل
من الردى وهو الهلاك والسقوط في بئر ولما كان ربما قال المتعنت الجاهل بما له سبحانه من العظمة التي لا اعتراض لاحد عليها
لا ييسر الكل للحسنى استانف جوابه مبينا ما الزم به نفسه من المصالح تفضلا منه لما له من اللطف والكرم وما يفعله
بما هو له من غير نظر الى ذلك بما له من الجبروت والكبرياء فقال مؤكدا تنبيها على ما انه يجب العلم بانه لا حق لاحد عليه اصلا
ان علينا اي على ما لنا من العظمة **للهدى** اي البيان للطريق الحق واقامة الادلة على ذلك ولما بين ما الزم به نفسه المقدس
فصار كانه عليه لتحتم وقوعه فكان ربما اوهم انه يلزمه شيء اتبعه ما ينفيه ويفيد ان له غاية التصرف فلا يعترض عليه في
فقال **وان لنا** اي بما لنا المنكر وان خاصا بنا وقدم ما العناية به اشد لا لاجل تكاثرهم لا للفاصلة فانه يفيد هاهنا ان لنا
للعاجلة والاخرى فقال **للاخرة والاولى** فمن ترك طاعتنا له من طريق الهداية لم يخرج عن كونه لنا ولم يضر الانسة
ولنا التصرف لنا من بما نعيم من الاسباب المقربة للشيء جدا ثم بما نقيم من الموانع الموجبة لبعده غاية البعد فنعطي من نشاء
ما نشاء ومن طلبه منها شيئا من غير بابه خاب سعيه وبئس التقديم لاجل الفاصلة فقد ثبت بطلان هذا وانه لا يحل
اعتقاده في غير موضع منها آخر سورة براءة وانه لا فرق بين ان يعتقد ان فيه شيئا موزونا يقصد الوزن فقط ليكون
شعرا وان يعتقد ان فيه شيئا قدم او اخر لاجل الفاصلة فقط ليكون مسجعا على انه لو كان هذا لاجل الفاصلة فقط لكان
يمكن ان يقال للاولى وللاولة والاخرى مثلا ولما اخبر سبحانه انه الزم نفسه المقدس البيان وان له كل شيء المستلزم
لاحاطة العلم وشمول القدرة سبب عن ذلك بما سبب عنه من قوله لانذار القول الى تجريد الضمير من مظهر العظمة للترفق بالمخاطبين
وتبعيدا لوهم وتقريب الفهم فقال **فانذرتكم** اي حذرتكم ايها المخالفون للطريق الذي بينته **نارا تلظى** اي تتقد وتتلهب تلهبا
هو في غاية الشدة من غير كلفة فيه على موقدها اصلا ولا احد من خزنتها بما اشار اليه اسقاط التاء وفي الادغام ايضا اشارة
الى ان دنيا راالاحق وكذلك التبصر انذار ما تلظى منه وما فوق ذلك من باب الاولى ولما كان قد تقدم عن تخصيص كل
من المحسن والمسيء بدان بطريق الحصر انكار الان يسوى محسن مسيء في شيء وكان الحصر بلا والا اصرح انواعه قال **لا يصلاها** اي
يقاسي شدتها على طريق اللزوم والانغماس **الا الاشقى** اي الذي هو في الذروة من الشقاوة وهو الكافر فان الفاسق وان
دخلها لا يكون ذلك على طريق اللزوم ولذلك وصفه بقوله **الذي كذب** اي افسد قوته العلمية بان اوقع التكذيب

بما حقه التصديق **وتولى** اي افسد قوته العملية بان اعرض عن الحق تكبرا وعنادا فلم يؤد ما له لزكوة نفسه **وسيجنبها** اي النار الموصوفة بوعد
لا خلف فيه عن قرب بما افهمته السين من التاكيد مع التنفيس وتجنبه له في غاية السهولة بما افهمه البناء للمفعول **الاتقى** اي الذي
اسس قوته العلمية امكن تاسيس فكان في الذروة من رتبة التقوى وهو الذي اتقى الشرك والمعاصي وهو يفهم ان من لم يكن في الذروة ولا
يكون كذلك فان الفاسق يدخلها ثم يخرج منها ولا يبقى في الحصر السابق ولما ذكر ما يتعلق بالقوة العلمية اتبعه ما ينظر الى القوة
العملية فقال **الذي يؤتي ماله** اي يصرفه في مصارف الخير ولذلك سببه بقوله **يتزكى** اي يتطهر من الاوضار والادناس بتطهيره
لنفسه وتنميتها بذلك الايتاء بالبعد عن مساوي الاخلاق ولزوم محاسنها لانه ما كذب وما تولى فالاية من الاحتباك ذكر التكذيب
اولا دليلا على حذف ضده ثانيا والمال ثانيا دليلا على حذف ضده اولا ولما كان الانسان قد يعطي لمن يكون نفسه يدفع ما انه ومكافاة
نعمة قال **وما** اي والحال انه ما **لاحد عنده** واعرق في النفي فقال **من نعمة تجزى** اي بما يحق جزاؤه لاجلها ولما نفي ان يكون
بذلك يقصد مكافاة قال مبينا قصده باستثناء منقطع **الا** اي لكن يقصد بذلك **ابتغاء** اي طلب وقصد **وجه ربه** اي الذي
اوجده ورباه واحسن اليه بحيث انه لم ير احسانا الا منه ولا عنده شيء الا وهو من فضله **الاعلى** اي مطلقا فهو اعلى من كل شيء
فلا يمكن ان يعطي احد من نفسه شيئا يقع مكافاة له وعبر عن المنقطع باداة المتصل للاشارة الى ان الاية المذكورة كانه نعمة
ممن اتاه المال لان الابتغاء وهو نظلب رضي الله كان السبب في ذلك الايتاء لغاية الترغيب وقد آل الامر بهذه العبارة
الرشيقة والاشارة الانيقة مع ما او مات اليه من الترغيب واعطته من البحث الى المعنى ان لا نعمة عليه لاحد في ذلك الا
الله وعبر بالوجه اشارة الى ان قصده اعلى المقصود فلا نظر له الا الى ذاته سبحانه التي عبر عنها بالوجه لانه اشرف الذات
وبالنظر اليه تحصل الحياء والرغبة والرهبة لا الى طلب شيء من دنيا ولا اخرى ولما كان هذا مقاما ليس فوقه مقام قال تعالى
لعقد وعد بالانجاء من النار **ولسوف يرضى** اي اتيه اداة التنفيس ولا بدع ان يكون هذا الوعد على هذا الوجه الاعلى لان الاية
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا رضي الله عنه في ضعفاء من المسلمين يعذبهم المشركون فاعتقهم فبين تعالى
انه مطبوع على تزكية نفسه فهو المفلح كما ذكر في الشمس وانه مخلص لا عطائه الضعفاء من الاتباع والمساكين واعتاقه الضعفاء
في كل حال كما ذكر في سورة البلد نقل البغوي عن الزبير يعني ابن بكار انه قال كان ابو بكر رضي الله عنه يبتاع الضعفاء فيعتقهم
فقال له ابوه اي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري اريد وقال انه اعتق بلالا وام عميس وزنيرة فاصيب بصرها
حين اعتقها فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى ولا
تنفعان فرد الله عليها بصرها واعتق النهدية وابنتها وجارية بني المؤمل وقال انه اشترى بلالا من امية بن خلف
استنقاذا له مما كان فيه من العذاب لعبده كان لابي بكر رضي الله عنه كان ذلك العبد صاحب عشرة الاف دينار
وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا فلما اشتراه به واعتقه قال المشركون ما فعل هذا ببلال الا ليد كانت لبلال عنده
فانزل الله تعالى ذلك تكذيبا لهم ومن ابدع الاشياء تعقيبها بالضحى التي هي في النبي صلى الله عليه وسلم وفيها ولسوف
يعطيك ربك فترضى اشارة الى انه اقرب منه الى مقامه صلى الله عليه وسلم ما عدا عيسى صلى الله عليه وسلم لانه الاتقى
بعد النبيين مطلقا والى ان خلافته حق لا مرية فيه لانه مما وعد النبي صلى الله عليه وسلم انه يرضيه وانه لا يرضيه غيره
كما انه ارضاه خلافته له في الصلاة ولم يرضه عمر حين نهى عن ذلك بل زجر لما سمع قراءة عمر وقال يابى الله والمؤمنون الا ابا بكر
رضي الله عنه وقد رجع اخرها على اولها بان سعى هذا الصديق رضي الله عنه مباين اتم المباينة لسعي ذلك الاشقى وقال العصم
ان المراد بذلك الاشقى ابو جهل ايضا فان هذا الحكم دال على ان من صفى نفسه وزكاها بالتجلي بالنور المعنوي من انواع
الخير يرضى بالنور الحسي بعد الموت والله الموفق

سورة والضحى مقصودها

الدلالة على آخر الليل بانه اتقى لا انتفاء على الاطلاق في عين الرضى آثما لا ينفك عنه
ظلام الليل بما يجليه به من ضياء العبادة وغير ذلك من انواع الخير
في دنيا ولا اخرى لما تحلى به من صفات الكمال التي هي للاتصال المقصود بها من النور المعنوي كالضحى بما له من النور الحسي
الذي هو اشرف ما في النهار وقد علم بهذا ان اسمها ادل ما فيها على مقصودها **بسم الله** المعز لمن اراد الكريم الرب الودود
ذي الجلال والاكرام **الرحمن** الذي عم بنعمته الخاص والعام **الرحيم** الذي اعلى اهل وده فخصهم باتمام الانعام ولما ختم
في اخر الليل باسعاد الاتقى وكان النبي صلى الله عليه وسلم اتقى الخلق مطلقا وكان قد قطع عنه الوحي حينا ابتلاء لمن شاء من عباده
وكان به صلى الله عليه وسلم صلاح الدنيا والاخرة وكان الملوان سبب صلاح معاش الخلق وكثير من معادهم اقسم سبحانه بهما
على انه اسعد الخلائق دنيا واخرى فقال لمعنى ما ما يناسب حال الاتقى الذي قصد به ابو بكر رضي الله عنه قصدا اوليا
من النور الذي يملا الاقطار ويمحو كل ظلام يرد عليه ويصل اليه مقسما بما ذكر من وقت الضياء الناصع حالة اول النهار واخر
الليل التي هي ظلمة ملتفة ساتر لما ساق النهار وعند الاسفار **والضحى** فذكر ما هو اشرف النهار وهو الطيبة وهو صدر وقته
واضوءه وهو صدر من ذلك وقت ارتفاع الشمس لان المقسم لاجله اشرف الخلائق وذلك يدل على انه يبلغ من الرفعة

ما لا يبلغه احد من الخلق ولما ذكر النهار باشرف ما فيه مناسبة لاجل المقسم لاجله اتبعه الليل مقيدا بما يفهم اخلصه لانه
ليس لاشرف ما فيه اسم يخصه فقال والليل اى الذى به تمام الفلاح ولما كان اوله واخر النهار واخره واول النهار ضوءا ممتزجا
بظلمة الالتفاف ساق الليل بساق النهار قيده بالظلام الخالص فقال اذا سجى اى سكن اهله او ركد ظلامه والباسه وسواده واعتدل
فخلص فغطى بظلامه كل شىء والمسجى المغطى مع تغطيته سكنت ريحه فكان فى غاية الحسن ويمكن ان يكون الاول مشيرا الى ما ياتى به
هذا الرسول صلى الله عليه وسلم من المحكم والثانى مشيرا الى المتشابه وهذه الاربعة للاحوال النور والظلمة وهى ضوء ممتزج بظلمة
وظلمة ممتزجة بضوء وضياء خالص وظلامه خالص الحاصلة فى الافاق وفى الانسان مثلها فروحه نور خالص والنفس ظلمة ممتزجة
بنور القلب فان قويت شهوة النفس على نورانية العقل اظلم جميعه وان قويت نورانية العقل على ظلمة النفس صار نورانيا
وان غلبت الروح على الطبع تروحن فارتفع عن رتبة الملئكة وان غلب الطبع على الروح انزله عن رتبة البهائم كما قال تعالى ان هم الا كالانعام
بل هم اضل سبيلا ولما اقسم بهذا القسم المناسب لحاله صلى الله عليه وسلم اجابه بقوله ما ودعك اى تركك تركا يحصل به فرقة كفرقة
المودع ولو على احسن الوجوه الذى هو مراد المودع ربك اى الذى احسن اليك بايجادك اولا وجعلك اكمل الخلق ثانيا وبالاحسان تربيته
ثالثا كما انه لا يودع الليل للنهار بل الضحى النهار الذى هو اشد ضياءه ولا يمكن توديع الضحى للنهار ولا الليل فتسجوه لليل
ولما كان ربما تعتقت معتقت فقال ما تركه ولكنه لا يحبه فكم من مواصل وليس بواصل قال نافيا لكل نوع وما قلى اى وما
بغضا ما وحذف الضمير اقتصارا لفظا ليعم فهو من تقليل اللفظ لتكثير المعنى وذلك لانه كان انقطع الوحى عنه مدة لانهم سألوه
عن الروح وقصة اهل الكهف وذى القرنين فقال اخبركم بذلك غدا ولم يستثن فقالوا قد ودعه ربه وقلاه فنزلت لذلك ولما نزلت
كبر صلى الله عليه وسلم فكان التكبير فيها وفيما بعدها سنة كما ياتى ايضاحه وحكمة اخرها وقد فهمت هذه العبارة ان المراتب اربعة
تقرب بالطاعات ومحبة وهى للمؤمنين وابعاد بالمعاصى وبغض وهى للكفار وتقرب بالطاعات مخلوط بتبعيد بالمعاصى
وهى للعصاة المؤمنين واعراض مخلوط بتقريب بصور طاعات لا قبول لها وهى لعباد الكفار وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير لما
قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها ثم اتبعه بقوله فسنيسره وبقوله ان علينا للهدى وان لنا للاخرة والاولى فلزم الخوف
واشتد الوجل وتعين على الموحد الاذعان للتسليم والتضرع فى التخلص والنجاة الى السميع العليم اتبع تعالى بحب عباده اليه واعظمهم
منزلة لديه وذكر له ما منحه من تقريبه واجتبائه وجمع خيرى الدارين له فقال والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما
قلى وللاخرة خير لك من الاولى ثم عدد تعالى عليه نعمه لعدد وعده الكريم له بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى واعقب ذلك
بقوله فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فقد اوى ربك قبل تعرضك واعطاك قبل سؤالك فلا تقابله بنهر من تعرض وانما
من سال وقد حاشاه سبحانه عما نهاه عنه ولكنه تذكير بالنعم وليستوضح الطريق من وفق من امته صلى الله عليه وسلم اما هو
صلى الله عليه وسلم فحسبك من تعرف رحمته ورفقه وكان بالمؤمنين رحيما عزيز عليه ما عنتم الى حكم ثم تامل استفتاح هذه
السورة ومناسبة ذلك المقصود وكذلك السورة قبلها من القسم فى الاولى بقوله والليل اذا يغشى تنبيها على انبرام الامر
فى السلوك على المكلفين وغيبة حكم العواقب وليناسب هذا حال المتذكر بالايات وما يلحقه من الخوف مما امر غاب عنه
من تيسيره وتيسيره واستعصامه به يحصل اليقين واستعبار درجات المتقين ثم لما لم يكن هذا غائبا بالجملة عن احاد
المكلفين اعنى ما يثمر العلم اليقين ويعلى من اهل الترقى فى درجات المتقين بل قد يطلع سبحانه خواص عباده بملازمته التقوى
والاعتبار على واضحة السبيل فيريهم مشاهدة وعيانا ما قد استحلوا ابل سبيله بمشقة النظر فى الدليل قال صلى الله عليه وسلم لحارثة
وجدت فالزم وقال مثله للصديق وقال تعالى لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا والاخرة فلم يبق فى حق
هؤلاء ذلك الابهام ولا كدر خواطرهم تكاثر ذلك الاظلام بما منحهم سبحانه من نعمة الاحسان بما وعدهم فى قوله يجعل لكم
فرقانا ويجعل لكم نورا تمشون به او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها
فحال هؤلاء على بصيرة واستولوا اجتهادا بتوفيق ربهم على اعمال جليلة خطيرة فقطعوا عن الدنيا الامال وتاهبوا الاخرة
باوضح الاعمال تتجافى جنوبهم عن المضاجع فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين فلابتداء الامر وسنة الابهام والاظلام ما
اشار سبحانه والليل اذا يغشى ولما ال اليه الحال فى حق من كتب فى قلبه الايمان وايده بروح منه اشار قوله سبحانه
والنهار اذا تجلى ولانحصار السبل وان تشعبت فى طريقى فمنكم كافر ومنكم مؤمن فريق فى الجنة وفريق فى السعير اشار قوله
تعالى وما خلق الذكر والانثى ومن كل شىء خلقنا زوجين ففروا الى الله الواحد مطلقا فقد وضح لك ان شاء الله بعض ما يسر من
تخصيص هذا القسم والله اعلم اما سورة والضحى فلا اشكال فى مناسبة استفتاح القسم بالضحى لما بشره به سبحانه لا سيما اذا
اعتبر ما ذكر من سبب نزول السورة وانه صلى الله عليه وسلم كان قد فتر عنه الوحى حتى قال بعض الكفار قلا محمدا ربه فنزلت
السورة مشعرة عن هذه النعمة والبشارة انتهى ولما ذكر حاله فى الدنيا بانه لا يزال يواصله بالوحى والكرامة ومنه

ما هو مفتوح على امته من بعده روى عن انس رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما هو مفتوح على امتى
كنوز القرى اشتوى ذلك فلما كان ذلك وكان ذكره على وجه يشمل الدارين صرح بالاخرة التى هى اعلى واجل ولادنى من يدخلها فيها ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فكيف بما له صلى الله عليه وسلم فقال مؤكدا لذلك لما لهم فيه من الانكار وللاخرة اى التى هى المقصود من الوجود
بالذات لانها باقية خالصة عن شوائب الكدر والحالة المتاخرة لك ليفهم منه انه لا يزال فى ترق من على الى اعلى وكامل الى اكمل دائما
ابدا لا الى نهاية خير وقيد بقوله لك لانه ليس كل احد كذلك من الاولى اى الدنيا الفانية التى لا يسر وفيها خالص كما ان النهار
الذى هو بعد الليل خير منه واشرف ولا سيما الضحى منه وقد فهم ذلك ان الناس على اربعة اقسام منهم من له الخير فى الدارين
وهم اهل الطاعة الاغنياء ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ومنهم من له صورة خير فى الدنيا وشر فى الاخرة وهم
الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شر فى الدنيا وخير فى الاخرة وهم المؤمنون الفقراء ولما ذكر سبحانه الدنيا والاخرة
ذكر ما يشملهما مما اراده من فضله فقال مصدرا بحرف الابتداء تاكيدا للكلام لانهم ينكرونه وليست للقسم لانها اذا دخلت
على المضارع لزمته النون المؤكدة وضم هذه اللام الى كلمة التنفيس للدلالة على ان العطاء وان تاخر لحكمة كائن لا محالة ولسوف
يعطيك اى بوعد لا خلف فيه وان تاخر وقته بما افهمته الاداة ربك اى الذى لم يزل يحسن اليك فترضى اى فيتعقب
على ذلك ويتسبب عنه رضاك وهذا شامل لما منحه بعد كمال النفس من كمال العلم وظهور الامر واعلاء الدين وفتح البلاد
ودينونة العباد ونقص من ممالك الجبابرة وانهاب كنوز الاكاسرة والقياصرة واحلال الغنائم حتى كان يعطى عطاء
من لا يخاف الفقر وشامل لما ادخر سبحانه له فى الاخرة من المقام المحمود والحوض المورود والى غير ذلك مما لا يدخل تحت
الحدود وقد افهمت العبارة ان الناس اربعة اقسام معطى راض وممنوع غير راض ومعطى غير راض وممنوع راض وعن على رضى
الله عنه انها ارجى اية فى القران لانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحد من امته فى النار ولما وعد بانه لا يزال فى كل لحظة
يرقيه فى مراقى العلاء والشرف ذكره بما رقاه به قبل ذلك من حين توفى ابوه وهو حمل وماتت امه وهو ابن ثمان سنين ثم
يتمه من الابوين قبل بلوغه لئلا يكون عليه كما قال جعفر الصادق حق لمخلوق فقال مقررا له الم يجدك اى يصادفك اى
يتعلق لك فعل من صادف فاخر حال كونه يتيما فاوى ولما كان يلزم من اليتم فى الغالب عدم العلم لليتيم لتهاون الكافل ومن
عدم العلم الضلال قال مبينا ان يتمه واهماله من الحمل على دينهم كان نعمة عظيمة عليه لانه لم يكن على دين قومه فى حين من الاحيان
اصلا ووجدك اى صادفك ضالا اى لا تعلم الشرائع ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فاطلق اللازم وهو الضلال على
الملزوم والمسبب على السبب وهو عدم العلم فكنت لاجل ذلك لا تقدم على فعل من الافعال لانك لا تعلم الحكم فيه الا ما
علمت بالعقل الصحيح والفطرة الصحيحة المستقيمة من التوحيد وبعض توابعه وهكذا هو التقوى كما تقدم فى الفاتحة
ولم يرد به حقيقته وانما اعراه من التعلق بشىء من الشرائع ونحوها باعدام من يحمله على ذلك ليفرغه ذلك التاهل
بنفسه فيوصله بعقله السديد الى الاعتقاد الحق فى الاصول والوقوف فى الفروع فهدى اى فهداك الهدى محيطا
بكل علم فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر ما لم تكن تعلم ولما كان العيال يمنع من التفرغ لعلم او عمل قال ووجدك
اى حال كونك عائلا اى ذا اعيال لا تقدر على التوسعة عليهم او فقيرا قال ابن القطاع عال الرجل افتقر واعال كثر عياله
فاغنى بما جعل لك من ربح التجارة ثم من كسب الغنائم وقد افهم ذلك ان الناس اربعة اقسام منهم من وجد الدين والدنيا
ومنهم من عدمهما ومنهم من وجد الدين لا الدنيا ومنهم من وجد الدنيا لا الدين ولما ذكره بما انعم عليه به من هذه
النعم الثلاث وصاه بما يفعله فى ثلاث مقابلة لها فقال مسببا عنه مقدما معمول ما بعد الفاء عليها اهتماما به فاما
اليتيم اى هذا النوع فلا تقهر اى تغلبه على شىء فانما ادبك اليتم تاديبا باحسن الاداب لتعرف ضعف اليتيم وذله
وتوقد لك كفالته وخلاه عن الله لان اليتيم لا كافل له الا الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين السبابة
والوسطى ولما كان ما بدا به له شىء ما هو كفاية له من حيث كونه يتيما من الخلق فيصير محط الرجال فى كل سؤال من
علم ومال قال مقدما اهتماما به اشارة الى جبر الخواطر واستيلافا للخلق من اعظم المقاصد فى اتمام الدين واما
السائل اى الذى احوجته العيلة وغيرها الى السؤال فلا تنهر اى تزجره زجرا مهينا فقد علمت مضاضة العيلة بل اعطه
ولو قليلا او رده ردا جميلا وكذا السائل فى العلم ولما ذكر له تفصيل ما يفعل فى اليتيم والفقير والجاهل امره بما
يفعل فى العلم الذى اتاه اياه اعلاما بانه الآلة التى يستعملها فى الامرين الماضيين وغيرهما لانهما اشرف احوال الانسان وهى اوفق
الامور لان يكون مقطع السورة ليوافق مطلعها فقال واما بنعمة ربك اى الذى احسن اليك باصلاح جميع ما يعمك من العلم
وغيره وبالهجرة وسداد بما عند تمام عددها تمام السنين فى احدى عشر فحدث اى فاذكر النبوة وبلغ الرسالة فاذكر جميع
نعمه عليك فانها النعم على الخلق كافة ومنها انقاذك بالهجرة من ايدى الكفرة واعزازك بالانصار وتحديثك بها شكرها فانك
مرشد يحتاج الناس الى الاقتداء بك ويجب عليهم ان يعرفوا الله ذلك ويعرفوا مقدار الجود واحق تحدثهم انى ما

ودعك وما قلاك ومن قال ذلك فقد خاب وافترى واشرح لهم تفاصيل ذلك بما وهبتك من العلم الذي هو اصول كل
صفا الضحى وقد رجع آخرها على اولها بالتحدث بهذا القسم والمقسم لاجله وما للملك الاعلى في ذلك من عميم فضله ولقد امتثل صلى الله
عليه وسلم وابتدا هذا التحديث بالذي يشرح الصدور ويملأ الاكوان من السرور والبهجة والحبور لانه باكبر النعم المرسلة لكل النعم
بالتكبير كما ورد في قراءة ابن كثير وفي رواية السوسي عن ابي عمرو واختلف القراء في ابتدائه وانتهائه ولفظه فقال بعضهم هو من
اول الشرح فمن قال للاول لم يكبر آخر الناس ومن قال للآخر انتهى بكبيره بالتكبير في آخرها وسببه ان جبريل عليه السلام لما اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بعد فترة الوحي فتلا السورة عليه كبر استبشارا لما كان اخره من الفترة ومن قول المشركين قلاه ربه وحدثنا
بالنعم التي حباه الله بها في هذه السورة له ولامته امتثالا لما امره به واختلف عنهم في لفظه فمنهم من اقتصر على الله اكبر
ومنهم من زاد التهليل فقال لا اله الا الله والله اكبر وهذا هو المستعمل ومنهم من زاد ولله الحمد والراجح قول من قال انه لآخر
الضحى اسنادا ومعنى لانها وان كانت هي السبب والعادة جارية بانه من دهمه امر عظيم يكبر معه او لم لكن شغله صلى الله
عليه وسلم بالاصغا الى ما يوحى اليه منعه من ذلك فلما ختمت السورة تفرغ له فكان ذلك الوقت كانه ابتدا مفاجاة الامر
العظيم له وزاد ما في السورة جلائل النعم المقتضية للتحميد وما في ذلك من بدائع الصنع الموجب للتهليل وقد علم بذلك سبب من
ظنه في اولها واما من ظنه لاول الشرح فلكونه كان في آخر الضحى اذا وصل بها الم نشرح التبس الحال وتعلق الاشياء الاول
هو الامر المعتاد وحكمته مع ما مضى من سببه ان التهليل توحيد سبحانه بالامر وامتناع شريك يمنعه من شي يريده من
الوحي وغيره والتكبير تعريض بالكبر بما تنزيها له عن شوب نقص يعلم به من ان يتجدد له علم ما لم يكن ليكون ذلك سببا لقطع من
وصله بوحي وغيره والتحميد اثبات لتفرده بالكمال له على اسباغ نعمه وفي ذلك ان هذه السور دانت مال القران ان اشرف
على الختام لان عادة الحكما من المدبرين تخفيف المنازل في الاواخر على السائرين تخفيفا لمرحلة رفقا بالمقصرين فناسب
الذكر بهذا عند الاخر لان تذكر الانقضا يبهج مثل ذلك عند السالك ولان تقصير السور ربما اوهم شيئا مما لا يليق من
التنزيه بتكبيره سبحانه عن كل ما يوهم نقصا واثبات الكمال له بالتوحيد منبه على الحث على تدبر ما في هذه السور من الجمع للمعاني
على وجازتها وقصر اياتها وحلاوة تمامها مع ما في ذلك من تخفيف التعليم والتدريب على الحفظ في المبادي والتحبيب فهم والتهيم
على اتمام النعمة على غاية الاحكام من لدن حكيم عليم

سورة الم نشرح مقصودها

ما في آخر الضحى من النعمة وبيان المراد
بالتحديث بها هو شكرها بالنصب في عبادة الله والرغبة اليه بتذكر احسانه وعظيم رحمته بوصف الربوبية وامتنانه
وعلى ذلك دل اسمها الشرح بسم الله الذي جل امره وتعالى جده فعظم ماله من الانعام الرحمن الذي افاض جوده على سائر خلقه
لانه ذو الجلال والاكرام الرحيم الذي اغلى اهل رحمته بخاص رحمته في مقامات الاختصاص الى اعلى مقام ولما امره
صلى الله عليه وسلم آخر الضحى بالتحديث بنعمته فصلها في هذه السورة فقال مبتدئا في استفهام انكاري مبالغة في اثباتها عند
من ينكرها والتقرير بها مقدما المنة بالشرح في سورته قبل الاعلام بالمغفرة كما فعل ذلك في سورة الفتح الذي هو نتيجة
الشرح لتكون البشارة بالاكرام ولا لا فيا القول الى مظهر العظمة تعظيما للشرح الم نشرح اي شرحا يليق بعظمتنا لك اي خاصة
عن الشروح له فكان المشروح مبهما فزاد تشوف النفس اليه ليكون اضخم له بينه ليكون بيانا بعد ابهام فيكون اعظم
في التنويه به واحلى التعريف بالمرفقال صدرك اي بشرحه وتفرجه بالمحجة فان هذه السورة مدنية عند ابن عباس
رضي الله عنهما وتحليه ولعظمه وتخرج منه قلبك وتشقه وتغسله وتملاه ايمانا وحكمة وعلما ورحمة فاتسع جدا حتى وسع مناجاة
الحق ودعوة الخلق فكان مع الحق بعظمته وارتفاعه ومع الخلق بخفض لوانه وشعاعه وقد كان هذا الشرح حقيقة مرادا
وكان مراجا ايضا باحلال جميع معانيه وكل ذلك على ما لا يدخل تحت الوصف ولا يعبر لكم عنه باكثر من انه شي بعظمتنا فالعلم
الذي شق به معرفة الله والدار الآخرة والدين والدنيا والحكمة التي ذرت فيه هي من وضع الشي في محله واعطا كل ذي حق حقه
وقرا ابو جعفر المنصور بفتح حا نشرح وخرجها ابن عطية على التاكيد بالنون الخفيفة ثم ابدل الالف من النون ثم حذف النون
تخفيفا وابو حيان بان اللحياني حكى في نوادره عن بعض العرب النصب بلم والجزم بلن وسره هنا ان كلفظ بالفتح في اللفظ
غاية المناسبة للشرح ووجه قراة الجمهور انه لما دل على الفتح ما لشرح دل بالجزم على انه مع ذلك رابط لما اودعه من الحكم
ضابط له هاد بما فيه من رزانة العلم ووقار التقوم الحلم. قال ابن حيان فرق ما بين النبي والولي في ذلك ان النبي شرح صدره
ظاهرا فاعلى ظاهرا والولي شرح ذلك منه باطنا فعلى به باطنا والكافر ضيق ذلك منه وابقى بظلمته وحظوظ الشيطان
منه فهو لا يستطيع يتولا لهدايته ولا الصعود في معارج العبرة الاعلى معنى كما يستطيع الصعود في السما كذلك يجعل الله
الرجس على الذين لا يؤمنون بالآيات ولما كانت سعة الصدر بالعلم والحكمة هي الجمال باجتماع المحاسن وكان ذلك
مع حمل ما يعني من اعظم النكد وكان الجمال بجمع المحاسن لا يكمل الا اذا اجتمع الى الجمال والجلال بانتفاء الرذائل وكان الاستفهام الانكاري
اذا اجتمع مع النفي صار اثباتا لانه نفي للنفي فالعاطف عليه ما لا لعطفا لا نفي الاثبات ووضعنا اي حططنا واسقطنا

وابطلنا حطا لا رجعة له ولا فيه بوجه بما لنا من العظمة مجاوزا عنك وزرك اي حملك الثقيل الذي لا يستطاع حمله ولذلك وصفه
بقوله الذي انقض ظهرك اي جعله وهو عاديه ذات نقيض بصوت مفاصله من الثقل كما يصوت الرحل الجديد اذا لزمه الحمل الثقيل
وذلك هو ما دهمه عند ما امر بانذار قومه ومفاجاتهم بما يكرهون من عيب دينهم وتضليل ابائهم وتسفيه حلومهم في الدين من
لا يرضاه اذا العقلا اذا امل شيئا من امل مع التجرد من حظ النفس مع ما عندهم من الانفة والحمية والغا الانس في المال
لا دني غضب فقال رب اذن يثلغوا راسي فيدعوه خبزة فخففه سبحانه ذلك بما اظهر له من الكرامات وايده به من المعجزات
وضمن له من الحماية الى امور لا يحيط بها علما الا الذي ابدته بها حتى خف عليه ذلك فصار اشفق اهله عليه يمنعه من بعض الابلاغ ويسكت
شوبه لئلا يخرج الى الناس فيقول لهم ذلك فيحصل له ما يكره فيجاذب نفسه منه ويخرج اليهم فيخبرهم كما وقع في امر الاسرا وغيره
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو ان جبريل عليه شق صدره فاخرج منه قلبه فشرحه واخرج منه علقة سودا فالقاه وغسله
ثم ملاه علما وايمانا وحكمة يعني فصار يحتمل ما لا يحمله غيره وخف عليه ما يثقل على غيره ولا شك ان ذلك وزر لغوي وهو واضح
وشرعي بالمال لعلى بعد تركك الامتثال اللازم للاستثقال وقد اعاده الله من ذلك وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير
معنى هذه السورة من معنى السورة قبلها وحاصل السورتين تعداد نعمه عليه سبحانه فان قلت فلم فصلت سورة الم نشرح ولم
يلتق ذكر هذه النعم في سورة واحدة قلت من المعهود في البشر فيمن عدد على ولده او عبده نعما ان يذكر له اولا شاهدا للجهود
عليه منها ما سببه مما يمكن ان يتعلق في بعضها بان ذلك وقع جزا لا ابتدا فاذا استوفى له ما قصده من هذا اتبعه بذكر ما يعلم
ابتدا انه وقد كان ابتداه بها قبل وجوده كقول الاب مثلا لابنه الم اختر لاجلك الام والنفقة حيث استولدتك واعددت
من مصالحك كذا وكذا ونظير ما اشرنا اليه قوله سبحانه لزكريا عليه السلام ولم تك شيئا وقد قدم له انا نبشرك بيحيى
وتوهم استناد الكسبية في وجود الولد عن جانبه في حق من قصر نظره ولم يوفق فابتدى بذكرها ثم اعقب بما لا يمكن
ان يتوهم منه ذلك وهو قوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وله نظاير من الكتاب وعليه جا ما ورد في هاتين
السورتين والله اعلم انتهى ولما شرفه من نفسه بالكمال الجامع للجلال الى الجمال وكان ذلك لا يصفو الا مع
الشرف عند الناس قال ورفعنا اي بما لنا من العظمة لك اي خاصة رفعة تتلاشى عندها رفعة غيرك من الخلق ذكرك عند
جميع العالمين العقلا وغيرهم بالصدق والامانة والحلم والرزانة ومكارم الاخلاق وطهارة الشيم وانتفاء شوائب النقص
حتى ما كانت تسمى الا عند قومك قبل النبوة الا الامين وكانوا يضربون المثل بشمائلك الطاهرة واوصافك الزاهرة
الباهرة ثم بالنبوة ثم بالرسالة ثم بالهجرة بان جعلنا اسمك معروفا باسمنا في كلمة الايمان والاذان والاقامة
والتشهد والخطبة فلا اذكر الا ذكرت معي ومن الكرامة الطعن على اعدائك والكرامة لاوليائك وجعل رضاك
رضاي وطاعتك طاعتي وامر ملائكتي بالصلاة عليك ومخاطبتي لك بالالقاب العلية والسمات المعربة الغالية من الرسول
والنبي ونحو ذلك على حسب الاساليب ومناسبات التراكيب الى غير ذلك من فضائل ومناقب وشمائل لا تنضبط بالوصف
قال الرازي ثم جعل الامته من ذلك اوفر الحظ قيل يا رسول الله من اوليا الله قال الذين اذا ذكر الله وفي حديث الذين
اذا رؤوا ذكر الله وقال خياركم من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويزهدكم في الدنيا عمله فمنتهى قسمة الشان
خالط ذكره بذكره ولما ذكر هذه المآثر الشريفة التي هي الكمال وكان الكمال لا يصفو الا مع مساعدة الاقدار وقال
اللهم اذا اعطيتني تسعة عشر لا تهما فاذا احصل فيها تعطل حصل بكدر على حسنه بين انه ازال عنه العوائق في عبارة داله
على ان سبب المنحة بهذه الكمالات هو ما كان صلى الله عليه وسلم فيه من الصبر على الاكدار وتجرع مرارات الاقدار فقال
مؤكدا ان عيبا في حمل مثل ذلك رجا في الاثابة بما يليق من هذه المعاني مبالغا في الحث على تحمله بذكر المعية اشارة الى تعادل
الزمنين انهما كانا كالمتلاصقين مسببا عما مضى ذكره من حاله في الضحى فان فعل الله سبحانه هذه الكمالات الكبار بسبب انه
قضى في الازل قضا لا مرد له ولا معقب لشي منه ان مع العسر اي هذا النوع خاصة يسرا اي عظيما جدا اجلب به
المصالح ويشرح به ما كان فيه من العراقيح فان اهل الكمالات لا ينتظرون التخاطم منهم بالفطرة الاولى لكني
وطر الناس علمها انه المتفرد بالكمال وانه الفاعل بالاختيار لنسخه الكوائن باضدادها وقد اجرى سنته القديمة
سبحانه بان الفرج مع الكرب فلما فاتى صلى الله عليه وسلم مما ذكر في الضحى من اليتم الشديد وضلال قومه العرب
خاصة كلهم الذين الهمه الله مخالفتهم في اصل الدين بتجنب الاوثان وفي فرعه في الوقوف مع الناس في الحج في عرفة موقف
ابراهيم عليه السلام ومن العيلة ما لم يحمله احد حتى كان يحث بمن عليه سبحانه بانقاذه منه في كتابه القديم وذكره الحكيم
وكان مع تحمل ذلك قائما بما يحق له من الصبر ويعلو الى مالي الشكر فيحمل كما قالت له صديقته الكبرى خديجة رضي الله عنها
الكل ويقري الضيف ويصل الرحم ويعين على نوائب الحق ثم حمل اعباء النبوة فكان يلقى من قومه من الاذى والكرب والبلا
ما لم يحمله غير نبوة الله تعالى بانه ييسر له جميع ذلك ويلين قلوبهم فينظر دينه على الدين كله وتغني اصحابه رضي الله عنهم بعد

عقيلتهم وكثرتهم بعد قلتهم وبعزهم بعد ذلتهم ونصيرهم هولاء المخالفون له اعظم اعضاد ويعادله المخالف ثم انقياد ويتيح له اكثر البلاد
لتكون هذا العطا بحسب ما كان في الشدة بحسب ما كان وقع من العسر فانه كان قد قضى سبحانه قضاء لا رد له انه لا يخالف بين الاحوال دليلا
قاطعا على انه وحده الفعال وان فعله بالاختيار لا بالذات والايجاد كان العسر مكروها الى النفوس وكان الله سبحانه فيه
حكما عظيما وكانت الحكم لا تتراءا الا لافراد من العباد كرره سبحانه على طريق الاستيناف جواب من يقول وهل بعده من عسر موكدا
له ترغيبا في اجره ترقبا لما يتسبب عنه مبشرا بتكرر يسر مع وحدة العسر وان كان حمل كل واحد منهما على شيء غير ما قصد به الاخر
ممكنا فقال **فان مع العسر** اي المذكور فانه معرف والمعرفة اذا اعيدت معرفة كانت عين الاولى سواء اريد العهد او الجنس **يسرا**
اي المذكور فانه معرفة لدفع المضادة والمكافأة فان النكرة اذا اعيدت نكرة احتمل ان يكون غير الاولى وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم انها عنها فقد قال الحسن البصري ان الاية لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقد
روي هذا من وجه كثيرة فروى عبد الرزاق عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لو كان العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه
وللطبراني عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه ثم قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية. قال الحافظ نور الدين الهيثمي وفيه ابو مالك النخعي وهو ضعيف ورواه الطبراني
ايضا في الاوسط والبزار رضي الله عنه بنحوه قال الهيثمي وفيه عائذ بن شريح وهو ضعيف روى الفراء عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين. وروى
عبد الرزاق عن معمر عن ايوب عن الحسن به مرسلا ومن طريقه اخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب ورواه الطبراني
من طريق ابن ثور عن معمر ورواه ابن مردويه من طريق اخرى موصولا واسناده ضعيف. وفي الباب عن عمر ذكره مالك في
الموطا عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر رضي الله عنه انه بلغه ان ابا عبيدة رضي الله عنه حصر بالشام فكتب اليه عمر
فيه ولن يغلب عسر يسرين ومن طريقه رواه الحاكم قال ذلك شيخنا ابن حجر في تخريج احاديث الكشاف. وقال هذا اوضح
طرقه انتهى. وهذا من جهة ان اليسر نكرة والعسر معرفة وقد اشتهر ان النكرة اذا اعيدت نكرة والثاني غير الاول
والمعرفة بالعكس. قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في اول التلويح في الكلام على المعرفة والنكرة والكلام فيما اذا اعيد
اللفظ الاول اما مع كيفيته من التنكير والتعريف وبدونها وحينئذ يكون طريق التعريف هو اللام او الاضافة
ليصح اعادة المعرفة نكرة وبالعكس وتفصيل ذلك ان المذكور اولا اما ان يكون نكرة او معرفة وعلى التقديرين اما ان يعاد
نكرة او معرفة فيصير اربعة اقسام وحكمها ان ينظر الى الثاني فان كان نكرة فهو مغاير للاول والا لكان المناسب هو
التعريف بناء على كونه معهودا سابقا في الذكر وان كان معرفة فهو الاول حملا له على المعهود الذي هو الاصل الا ان المعرفة
تستغرق الجنس والنكرة تتناول البعض فيكون داخلا في الكل سواء قدم او اخر. وفيه نظر اما اولا فلان التعريف لا يلزم
ان يكون للاستغراق بل العهد هو الاصل وعند تقدم المعهود لا يلزم ان يكون للاستغراق بل العهد هو الاصل وعند تقدم
المعهود لا يلزم ان يكون نكرة عنه واما ثانيا فلان معنى كون الثاني عين الاول ان يكون المراد به هو المراد من الاول والجزء
بالنسبة الى الكل ليس كذلك واما ثالثا فلان اعادة المعرفة نكرة مع مغايرة الثاني للاول كثير في الكلام قال الله تعالى
ثم اتينا موسى الكتاب الى قوله وهذا كتاب انزلناه. وقال تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو. وقال تعالى ورفع بعضكم فوق بعض
درجات الى غير ذلك. وقال غيره يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا ومنه قول الشاعر. اذا الناس ناس والزمان زمان
فان الثاني اذا كان عين الاول ولم يكن في الاخبار به فائدة انتهى قال وانا اعلم ان المراد ان هذا هو الاصل عند الاطلاق
وخلو المقام عن القرائن والا فقد تعاد النكرة نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
ولولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة يعني قوة الشباب ومنه باب التاكيد اللفظي وقد تعاد النكرة معرفة مع المغايرة كقوله تعالى وهذا كتاب انزلناه
مبارك الى قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا. وقال غيره فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح
خير المراد بالنكرة خاص وهو الصلح بين الزوجين وبالمعرفة عام في كل صلح جائز وزدناهم عذابا فوق العذاب فان الشيء لا
يكون فوق نفسه انتهى قال وقد تعاد المعرفة معرفة مع المغايرة كقوله تعالى وهو الذي انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا
لما بين يديه من الكتاب. وقال غيره قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الاول عام والثاني خاص هل جزاء الاحسان الا الاحسان
الاول للعمل والثاني للثواب وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاولى القاتلة والثاني المقتولة انتهى. قال وقد تعاد المعرفة
نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالى انما الهكم اله واحد ومثله كثير والمعرفة مثل النكرة في حالتي الاعادة معرفة والاعادة
نكرة في انها ان اعيدت معرفة كان الثاني هو الاول وان اعيدت نكرة كان غيره ثم مثل بالاية التي هنا. وقال هذا مبني
على التنكير للتفخيم وتعريف العسر للعهد اي العسر الذي انتم عليه او الجنس الذي تعرفه كل احد فيكون اليسر الثاني مغايرا

للاول

للاول بخلاف العسر انتهى. وقال في الكشاف واما الوصف فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد تناول
بعضا غير البعض الاول بغير اشكال علم من هذا ان المراد يكون بحسب الازدياد في الشدة على المهد ودم من الشكر **ولما** علم ان الثنا
من الوعد بالمزيد قال مسببا عما اعطاه من اليسر بعد ذلك العسر بداله الى الشكر واعلاما بانه لا ينفك عن عمل امر في الله **فاذا
فرغت** اي بما اتاك من اليسر من جهاد الذي انت فيه في وقت المخاطبة بهذا الكلام بما يوجب عسرا في المثال والحال فعقبه اليسر
في اي موضع كان لاسيما عند دخول الناس في الدين افواجا او من العبادة الثقيلة العظيمة بسماع الوحي وتحمله او من الغرض
باليسر الذي بشرنا به **فانصب** اي بالغ في التعب بعبادة اخرى من التسبيح والاستغفار والنفل من اول الاجهد المعروف
والى ربك اي المحسن اليك بما ذكر في هاتين السورتين خاصة **فارغب** اي بالسؤال لانه القادر وحده كما قدر على تيسيرك فيما مضى
وحده لانه المختص بالعظمة فلا تذر اصلا الا المن لعظمته ما يريد منها والرغب شعار العبد دائما في كل حال اي افعل ذلك الم
نشرح لك صدرك فعقد اتصل بهذا الاول بالآخر اتصال المعلول بالعلة ولا امر ما بعد هابذلك ايضا لعنته ملامة
الشهوس للاهلة واخر هذه السورة مشير الى الجهاد في العبادة عند الفراغ من جهاد الكفار في جزيرة العرب بعد انقضاء ما
يوازي عددا اي هذه السورة من السنين بعد الهجرة وهي ثمان رغبة في الاخرة التي هي خير من الاولى اشارة الى قرب الاجل
بما اشارت اليه سورة النصر كما سياتي ان شا الله تعالى سورة والتين مقصودها سر مقصود الم
نشرح وذلك هو اثبات القدرة الكاملة وهو المشار اليه باسمها فان في خلق التين والزيتون من الغرائب ما يدل على
ذلك وكذا فيما اشير اليه بذلك من النبوات وضم القسم الى المقسم عليه وهو الانسان الذي هو اعجب ما في الاكوان واوضح
في ذلك **بسم الله** الملك الاعظم الذي لا نعبد الا اياه **الرحمن** الذي عم بنعمتي ايجاده وبيانه جميع خلقه اسفله واعلاه
وادناه واقصاه **الرحيم** الذي خص من بينهم اهل وده بما يرضاه وارادي من عداهم واشقاه **ولما** ذكر سبحانه في تلك
السورة اكمل خلقه واكمله به وختمها بالامر بتخصيصه سبحانه بالرغبة اليه فكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتورم قدماه
ويبذل الجهد في كل ما يرضاه ذكر في هذه انه سبحانه خصه كما فعل خاتمه اكمل ذوات المخلوقات خصه بان جعل نوعه صلى الله عليه
وسلم اكمل الانواع وهو الانسان واصله اعظم الاصول وهو ابرهيم عليه السلام وبلده افضل البلاد وهي مكة وان من
عاداه بما بان شرعه افضل الخلق وان له سبحانه تمام القدرة وهو فاعل بالاختيار يعلي من يشاء ويسفل من يشاء
فمن لبسها من احر نلك منزلة العلة من المعلول واقسم فيها سبحانه باشيا اشار بها الى شرفها في نفسها وفي عظيم صنعها وشرف البقاع
التي يكون بها اياما الى ماشر فها به مما اظهر بها من الخير والبركات بسكنى الانبياء والصالحين فكانت منها اجل ابرهيم ومولد عيسى
واكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومنشاهم وكان منها مظهر نبوة موسى ومظهر نبوة اسمعيل عليهما السلام وولد خاتم
الانبياء الكرام عليه افضل الصلاة والسلام ومكان البيت الذي هو قوام للناس وهدى للعالمين الى غير ذلك من الاشارات
الظاهرات والدلالات الواضحات على تمام قدرته وفعله بالاختيار لانه يعلي من يشاء من العقلاء وغيرهم من البقاع
وغيرها الى احسن تقويم ويسفل من يشاء من ذلك كله الى اسفل سافلين. وقال الامام ابو جعفر بن الزبير هذه سورة موضحة
ومتممة للمقصود في السورتين قبلها فبان لك ان الصورة الانسانية بظاهر الامر فيما هي عليه من الترتيب والاتقان قد
كانت تقتضي الاتقان بظاهرها ارتباط الكمال بها من حيث انها في احسن تقويم والافتراق يعطي في الظاهر فكيف افترق الحكم والخلق
السلوك فمن ساعد بالاستصلاح والامتثال ونازل اسفل سافلين فضلا عن بشر في بعض درجات الكمال الغادرين بين برقى
من خص بمزية التقريب الا انه يودي من قريب فاشرع في مناجاة مناديه واصاح وما اعتل بجاذبه فسلك من اصحاب
السبيل ما رسم له وبني على ما كتب له من ذلك عمله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها فعلى العاقل المنصف في نفسه ان يعلم ان
كل ميسر لما خلق له فيضرع الى خالقه في طلب الخلاص من وجد خيرا فليحمد الله فوضحت هذه السورة ما اعطاه الله نبيه
صلى الله عليه وسلم وخصه به من ضروب الكرامات وابتداه به من عظيم الالاء مما تضمنته السورتان الى ما منحه
من خير الدارين وما تضمنه قسمه سبحانه له انه ما ودعه ولا قلاه من الملاطفة والتانيس ودلائل الحب والتقريب
كل ذلك فضلا منه تعالى واحسان لا لعمل تقدم يستوجب ذلك او بعضه ولو تقدم عمل لم يبلغ الاعشيته وتوفيقه واراده
ولا يستوجب احد عليه شيئا وانما هو فضله يوتيه من يشاء فقال سبحانه منبها على ما وقع الادماء الى بعضه لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ومع ذلك لا ينفعه وقوع صورته الظاهرة في عالم الشهادة على اكمل خلق واتم وضع بل اذا لم يصحبه توفيق
وسبقية سعادة من خالقه ولم يجعل له نورا يمشي به لم يرعن نفسه ولا عرفا لا ابنا جنسه فقصر نظره على اول ما شا
ووقف عندما عاين من غير اعتبار بحدثه الى حقيقة مآله وتبين حاله انه لم يكن شيئا مذكورا فلما قصر وما ابصر اعتقد لنفسه
الكمال وعمي عن المبتدا او المآل فصار اسفل سافلين حيث لم ينتفع بالاعتبار نظره ولا يعرف حقيقة خبره ولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات

فهم الذين هداهم ربهم بايمانهم فمحوا السيئة من خلقه في احسن تقويم واستوضحوا الصراط المستقيم واستبصروا وابصروا ونظروا
فاعتبروا وقالوا ربنا الله ثم استقاموا فلهم اجر غير ممنون انتهى ولما كان التين احسن الفواكه تقويما فيما ذكروا من فضيلته وهو
مع كونه فاكهة شهية حلو جدا غذا يعم الصلب وقوت كالبر وسريع الهضم ودواء كثير النفع يولد دما صالحا ويبعث الريه ويلين الكلى
ويلين الطبع ويحلل البلغم ويزيل رمل المثانه ويفتح سدد الكبد والطحال فكان جامعا لجميع منافع المتناولات من الغذا والتفكه
والتحلي والتداوي فهو كامل في مجموع ماهو فيه من لذة طعمه وكثرة نفعه وكونه كفاكهة الجنة بلا شائبة تعوق عن اكله من صوان
يتبع او نوى يرمى مع انه ينتفع به رطبا ويابسا وهو مع ذلك في سرعة فساده وسوء تغيره اسفهارشه واردا وها مغبة فهو كالفطرة
الاولى في مبدانه سهولة وحسنا وقبولا لكل من الاصلاح والتغيير وكاخر الهرم عند نهايته في عظم تغيره بحيث انه لا ينتفع لشي منه اذا
تغير وغيره من الفواكه اذا فسد جانب منه بقي اخر فكان في هذا كالقسم للسافل من الانسان اقسم الله به سبحانه فقال **والتين**
بادئا به لان القسم المشار به اليه اكثر فالاهتمام به اكبر ولما كان الزيتون في عدم فساده بطراوته او تغيره بلحمه وفيه الدسومه
والحرافه والمرارة وهو ادام ودواء مع هيئته للنفع بكل حال في اكله بعد تربيته والتنوير بدهنه والادهان به لازالة
الشعث وتنعيم البشرة وتقوية العظم وشد العصب وغير ذلك من المنافع مع لذته وما يتبع ذلك من فضائله الجمة كالمؤنس
بلاده به فقال **والزيتون** ولما كان مع ذلك مشارا بهما الى مواضع نباتهما وهي الارض المقدسة من جميع بلاد الشام
ايماء الى من كان بها من الانبيا والتابعين لهم باحسان لاسيما ابرهيم عليه السلام الذي كانت مهاجره فاحياها الله بعبادته
وبتردد الملائكة اليه بالوحي ومن بعده اولاده الذين طهرها الله بهم من الشرك وانارها بهم بالتوحيد وختمهم بعيسى عليه
السلام احد اولي العزم المشرف بكونه من امة محمد عليهما الصلاة والسلام وكانت الكناية بالشجرتين عن البلد المراد به
سكانه ابلغ من التصريح بالمراد من اول وهلة ساقه على ذلك النهج العزيز ولم يبق ممن لم يسكنهما من اشرافهم الا موسى وهرون
واسمعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام فاشار الى الاولين بقوله معبرا بما يدل على حسن التقويم لان الطور الجبل والتين
النجم والشجر المثمر وغير **وطور** اي جبل المكان المسمى بهذا الاسم ولما كان الكلام في التقويم كان المناسب له صون جميع السلامه
فقال **سينين** وماكان بالجبل ذي النبت الحسن الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام من لذيذ المناجات وعجائب المواعدة وحكم
الكلام مع ان فيه من الاشجار والاماكن ما يكون من الحر والبرد وفيه الحلوم وحسنه وعلو جمع الخاطر للمتفرد وطمانينه
النفس للتخلي للعبادة والتحصن مما يخشى لعلوه وصعوبته وفيه ما يصلح للزرع من غير كلفة وفيه ما ياكله الناس والدواب
مع الماء العذب والفنا الرحب والمنظر الانيق وسينين وسينا اسم للموضع الذي هذا الجبل به واشار سبحانه الى الاخرين
من اولاد ابرهيم عليهما السلام ختاما للقسم باكمل المقسم به كما جعل المنزل عليه ذلك الذي هو ختام الرسل اكمل النوع
المقسم لاجله ليكون في البدء بما يرد بعد حسن التقويم الى الفساد والختم بما هو اشرف المذكورين بكل اعتبار طباق حاذ
على الاسرار **وهذا البلد** اي مكة صرح هنا بهذين المكانين ترشيحا لان المراد بالاولين مواضع نبتهما مع ملاك الاشارة
اللطيفة بذكر اسميهما الى مناسبتهما للمقسم من اجله **الامين** اي الذي يامن فيه من حل به من البشر والطير والوحش فكانه
بذلك كالرجل الامين الذي يامنه اخر على نفسه وما يعز عليه فيودعه اليه ويوفره عليه وامانته شامله لكل ما يخشى حتى الفقر
والعيلة والجوع وتغير الدين بعد تغيره مع ان به البيت الذي جعله هدى للعالمين وقياما للناس فهو مدار الدين والدنيا
وكان به من الاسرار بالوحي واثاره ما لم يكن في بلد من البلاد وذلك اشارة الى انه تعالى كما جعل النبي المبعوث منه في اخر الزمان
في احسن تقويم جعله في احسن تقويم البلدان اذ كان امنا من غير ملك مرهوب والناس يتخطفون من حوله
وهو محل الانس للناس كما ان الذي فيه محل الانس بلا انفراد وهو مجمع المرافق ومعدن المنافع ومحل ذوي الوجاهة دينا ودنيا
ومحل الرفعة والمناصب مع ما كان المكانان من تنزل الكتب السماوية واشراق الانوار الدينية فهما دونهما في التخويف لهم
بانهم ان لم يرجعوا عن غيهم اخافه اخافة لم يخفها بلدا من بلاد العرب فيكونون بذلك قد ردوا اسفل سافلين في البلد كما
ردوا في الاخلاق بالنفاق واللدد ولما كان هذا القسم مع كونه جامعا لبدائع المصنوعات التي هي لما ذكر من حكمها داله
على كمال علم خالقها وتمام قدرته جامعا لاكثر الذين امنوا وكان ابرهيم عليه السلام لكونه اباهم مذكورا مرتين بالارض
المقدسة من القدس ومكة موضع اكمل الخلق وافطنهم المخاطب بهذا الذكر المقسم عليه علما منه ببلوغ القسم الى غايته واستوائه
على نهايته اجيب بقوله محققا **لقد خلقنا** اي قدرنا واوجدنا بما لنا من العظمة الباهرة الظاهرة والعزة الغالبة القاهرة
الانسان اي هذا النوع الذي جمع فيه الشهوة والعقل وفيه من الانس بنفسه ما نسبه اكثر منهم ولهذا قال الملائكة
عليهم السلام اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لانهم علموا انه اذا اجتمع الغضب والشهوة الى العقل جاءت المنازعة
فيتولد الفساد من الشهوة والسفك من الغضب **في احسن تقويم** اي كائن منا روحا وعقلا او اعم من ذلك بما جعلنا له من
حسن الخلق والخلق بما خص به من انتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات

بعد ما شارك فيه غيره من السمع والبصر والذوق واللمس والشم الجوارح التي هيأناه بها لما خلق له حتى قيل كانه العالم الاصغر كما مضى تسطره
في سورة الشمس تحرير بيانه بما اودعناه فيه بما جبلناه عليه من الفطرة الاولى التي لا تبديل لها من الطبع الاول السليم الذي هيأناه به لقبول
الحق وتمثل ما قلته في حمل الاية على الفطرة الاولى قال الاصفهاني في تفسير كان الناس امة واحدة في البقرة وقال ابن برجان هنا مفطورا
على فطرة الاسلام الدين القيم بما منحناه به من العقل المذكور القويم فكما جعلنا له شكلا يميزه عن سائر الحيوان منحناه عقلا
يهديه الى العروج عن دركات النيران الى درج الجنان بالايمان والاعمال الصالحة البالغة نهاية الاحسان بدليل من فيه من الانبيا
الذين خاتمهم محمد على جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام والتابعين لهم باحسان الذين ملاوا الارض علما وحكمة
ونورا وقال البغوي خلقه سبحانه مديد القامة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعقل والتمييز انتهى والعقل هو المقصود في
الحقيقة من الانسان لان من اسمائه اللب ومن المعلوم ان المقصود من كل شي لبه وهو الشرع كما مضى في اخر النساء ومن الظاهر ان
عقول الناس بحسب الخلق متقاربة وانها انما تفاوتت بحسب الجبلة فبعضهم جعل غضبه وجبلته في غاية الفساد فلا تزال
جبلته تردى على عقله فيتناقص الى ان يصير الى اسوا الاحوال فكل ميسر لما خلق له فبعضهم يصرف عقله بحسب ما هياه الله
الى ما يحبه وبعضهم يصرفه كذلك الى ما يريد به لانك تجد اعقل الناس في شي واعرفه به اشدهم بلادة في شي اخر فاعتبر ذلك
وبذلك انتظم امر الخلق في امر معاشهم بالعلوم والصنائع والاحوال والله الهادي وهذه الاية على ان الله تعالى
منزه عن التركيب والصورة لانه لو كان في شي منهما لكان هو الاحسن لان كل صفة يشترك فيها الخالق والخلق فالمبالغة للخالق
كالعالم والاعلم والكريم والاكرم قال الاستاذ ابو القاسم القشيري في تفسير وصيغة افعل لا تدل على ما قاله
الزنادقة وان عزي ذلك الى بعض الاكابر من قولهم ليس في الامكان ابدع مما كان لان الدرجة الواحدة تتفاوت الى ما لا يدخل
تحت حصر كتفاوت افراد الانسان في صوره والوانه وغير ذلك من اكوانه وبديع شانه وقد بينت ذلك في تصنيف
مفرد لهذه الكلمة سميته تهديم الاركان من ليس في الامكان ابدع مما كان ثم نواصحته غاية الايضاح والبيان وجرت فيه من
نعم الاذان ونصر الله الحق بموافقة الاعيان وقمع اهل الطغيان بما اودعته بكتاب دلالة البرهان على ان في
الامكان ابدع مما كان ثم سقيت السقاء ودمغت الاحصاء وحسابا لاوهام بالقول الفارق بين الصادق والمنافق
وهو نحو كراريس في غاية الابداع في قطع النزاع ويمكن ان تكون صيغة افعل فيه بالنسبة الى تعلق ارادة الله جل ان
ينقطع له بحث لان من المجمع عليه عند اهل السنة وصرح به الاشعري في غير موضع من كتبهم ان الله تعالى لا تتناهى
مقدوراته اصلا وممن صرح به الاشعري والتزمه الامام حجة الاسلام الغزالي في كتبه الاحيا وغيره ولا سيما
كتابه تهافت الفلاسفه وبين ان هذا من قواعدهم لنفيهم صفة الارادة وقولهم بان فعله بالذات وبين فساد ذلك
وانه سبحانه قادر على اختراع عالم اخر وثالث متفاوته بالصغر والكبر وعلى كل ممكن وعرفان الممكن هو المقدور
عليه ايضا ممكن وعرف الممتنع بانه اثبات لشي مع نفيه واثبات الاخص مع نفي الاعم واثبات الاثنين مع نفي الواحد
وقال ما لا يرجع الى ذلك فهو ممكن يدخل فيه عالم ابدع من هذا العالم والله الموفق ولما كان الانسان مع هذه المحاسن
قد سلط سبحانه عليه شهوات وهيا طبعه لرذائل واخلاق دنيات واهويه وحظوظ للانفس مهلكات وكان اكثر
الخلق مما هالكا لتبيين قدرة الله لم يستثن بل حكم على الجنس كله بها كما حكم عليه بالتقويم فقال دالا باداة التراخي
على ان اعوجاجه بعد ذلك العقل الرصين والذهن الصافي المستنير في غاية البعد لولا القدرة الباهرة والقوة
القاسرة القاهرة **ثم رددناه** اي بما لنا من القدرة الكاملة والعلم الشامل بتعطيل منافع ما خلقناه فضيع نفسه
وفوت اسباب سعادته ونكسناه نحن في خلقه فصار بالاسر في خلقه وخلقه نفسا وهوى واعم من ذلك بالنكس
اسفل سافلين اي الى ما تحت رتبة الجمادات المستقذرات فصار يعمل الاعمال السيئات المقتضية بعد حسن الجمع لغاية
السيئات ما رده في خلقه بان سلطنا عليه الشهوات التي ركبناها في النفوس وجعلناها داعية الى كل بوس فغلبت
على عقله فاعمته حتى اوردته الموارد واوقعته في المهاوي والمعاطب حتى انه ليركب كثيرا في اموره وهو قاطع
بانه باطل شنيع لا يقدم على مثله عاقل فصار يعبد من دون الله ما هو دون البشر ومطلق الحيوان مما لا ضر فيه ولا
نفع ويصادر بكسب الظلم والعدوان والافك والبهتان وما لا يحصى بالعد من انواع الفواحش والعصيان ويظلم ابنا
جنسه وغيرهم ويجتهد في الفجور ويتصرف بما لا يشك في انه لا يقره عليه من له ادنى نظر ممن يلزمه امره ويعنيه
شانه فصار بذلك احط رتبة من البهائم بل من ادنى الحشرات المستقذرات لانها وان كانت لها شهوات الا انه ليس لها
عقل تعطيه وتطمس نوره بطلابها فلا تنسب الى انها فوتت شيئا لعدم تكليفها لعدم العقل الموجب للشرف
واما هو فاستعمل ما خلقناه له من الالات وما فضلناه به من الكمالات في غير ما خلقناه له فاستحق العذاب المهين في
ثم يموت من غير مجازاة على شي من ذلك او على كثير منه فلا بد في الحكمة حينئذ من بعثه وله بعد البعث عذاب على ذلك العذاب في

سبحانه

مقيم • واما في خلقه فبالهرم حتى صار بعد تلك القوى ضعيفا وبعد ذلك العلم العزيز والفكر المنير
لا يعلم شيئا وصار يستقذره ويتكرهه من كان يألفه ويستعظمه • وقال ابن برجان اما رده في طريق الديانة فبالكفر والتكذيب
واما فيما سبيله الجزاء فالمسخ في دار البرزخ وتحويل صورته الى ما غلبت عليه خليقته وعمله في الدنيا من الدواب والهوام
والبهائم وفي الاخرة بزرق عينيه وتشويه خلقته • وقال الامام ابو العباس الاقليشي في شرح المقدم الموضح في شرحه للاسماء
الحسنى ان الله خلقه اى الانسان اولا في احسن تقويم ثم ركبه في هذا الجسم الذي يجذبه الى اسفل سافلين • فان قدم عقله
على هواه صعد الى اعلى عليين وكان من المقربين المقدسين وان قدم هواه هبط الى دركات الجحيم وكان من المبعدين
الموحشين حكم بهذا الرد على جميع النوع اشارة الى الكثرة المتصف به منهم وكان الصالح قليلا جدا جعله محط الاستثناء
فقال الا الذين امنوا اى بالله ورسله فكانوا من ذوى البصائر والمعارف فغلبنا بلطفنا عقولهم على ما دعت اليه واعانت
عليه الفطرة الاولى على شهواتهم وحميناهم من اذى العمى فكانوا اكملاء زدناهم سناء زدنا انوار عقولهم ونقصنا شهواتهم
بما اضعفنا من احكام نقائصهم طبائعهم وتعلقهم بهذا العالم واحكمنا من مدارك انوار الحق واشراقاته منهم واعطيناهم
قوى ازواجهم ولما كان الانسان قد يدعى الايمان كاذبا قال وعملوا اى تصديقا لدعواهم الايمان الصالحات
اى من محاسن الاعمال من الاقوال والافعال ثابتة الاركان على اساس الايمان محكمة بما ابنيناهم من العلم غاية الاحكام متقنة غاية
الاتقان فانا حفظناهم وقليل ما هم بما كملناهم به وشرفناهم على جميع الحيوانات وسائر من سواهم فلم يمكن منهم الشهوات
ولا عزها وامنناهم على ما اقتضاه منهاج العقل فتبعوا الرسل بسبب ابقائنا لهم على الفطرة الاولى في احسن تقويم لم يدنس
محاسنها التهوك ولا حظ ولا هوى فيستميل انقيادهم فادام ذلك الى العدل والنصفة والاحسان وجميع مكارم الاخلاق
ومعالى الامور فلم يزيغوا عن منهاج الرسل في قول ولا عمل • فالاية كما ترى من الاحتباك حذف اولا ايمانا انتجته الاية
عمل السيئات وثانيا الابقاء على اصل الخلق في احسن تقويم على الفطرة الاولى ليكون نظمها في الاصل ثم رددناه اسفل سافلين
بعمل السيئات فله على ذلك عذاب مهين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانا ابقيناهم على اصل الفطرة الاولى في احسن
تقويم ولما كان السياق لمدح المؤمنين حسن ان يعد اعمالهم التي تفضل عليهم بها سببا لما من عليهم به من الثواب فقال
فلهم اى فتسبب عن ذلك ان كان لهم في الدارين على ما وفقوا له مما يرضيه سبحانه اجر اى عظيم جدا وهو مع ذلك غير ممنون اى
مقطوع او يمن عليهم به حتى في حالة المرض والهرم لكونهم سعوا في مرضاة الله وعزموا عزما ناقصا انهم لا ينقصون من اعمال البر ذرة
لو عاشوا مدى الدهر وذلك لان اجر الاعمال لهم فضلا منه بالاصل والفرع حتى انهم اذا عجزوا بالهرم كتب لهم اجر ما كانوا يعملون في
حال الصحة ولمن تابع هواه في السفول عذاب عظيم لانه رد اسفل سافلين ثبت بهذا انه لا يجوز في الحكمة تركهم بغير جزاء مما
يشاهد من ظلم بعضهم لبعض مجانبة لما تقتضيه قوانين العقل الذي لا شك فيه فكان ذلك بحيث لا يرضاه احد منهم ولا يقر مخلوق عنده
في ملكه على مثله بان يبغي بعضهم على بعض ثم يهملهم بل لا بد ان يحجز بينهم او يأخذ للمظلوم من الظالم ولو كان ذلك المالك اقل الناس واجهلهم
فكيف ان كان عاقلا فكيف ان كان حاكما لا يخاف احدا فكيف ان كان عدلا مقسطا قد ثبتت احاطة علمه وقدرته حسن كل الحسن ان
يكون ذلك سببا للانكار على من ظن ان الله يهمل عباده من الحكم بينهم بمجازاة كل من المطيع والعاصي بما عمل مع ما يرى من ظلم بعضهم
لبعض وان الظالم يموت قبل القصاص فكان مستبلغا الوعد بما افصح به الكتاب من اثابة المؤمنين الذين طال ما بغى عليهم الظلمة
وانتقصهم حقوقهم الفسقة والوعيد بما افهمه الخطاب لعتاب المجرمين الذين طال ما بغوا على غيرهم فما اى فتسبب
عن اقامة الدليل على تمام القدرة وعلى بغى الجبابرة بعضهم على بعض انه يقال لك تصديقا لك فيما اخبرت به من ان الله يبعث
الخلائق بعد موتهم ليجازي كلا بما عمل انكارا على من كذبك في ذلك ما يكذبك اى اى شيء ينسبك الى الكذب يا اشرف الخلق
واكملهم نفسا وانقاهم عرضا واطهرهم خلقا وخلقا وعبر بما اشارة الى ان المكذب بعد ما مع هذا الدليل القطعي الذي ضمنته
هذه السورة في عداد ما لا يعقل بل دونه بعد اى بعد مشاهدة بعض الناس على بعض استعمال الحال النكس واعراه من الجاد
اشارة الى ان هذا الذم لمن استغرق زمانه الذي بعد هذا الدليل بالتكذيب اشارة الى ان من امن قبل العجز عنه واتصل
ايمانه ذلك بموته كان ممن له اجر غير ممنون بالدين اى الجزاء لكل احد بما يستحقه على سبيل العدل والانصاف فلاجل
تلك الاعمال التي غلبت فيها الحظوظ على العقول توقع بما من الظلم والاذى ما لا يسع عاقلا من العباد ان يحسن عنده تركها
من غير جزاء حتى كان اكثر افعالنا لعباد ظلما ومن شان الملوك الانصاف بين عبيدهم ورعاياهم فكيف بالله الذي شرع لعباده
ذلك وقد ثبت بما له من هذا الخلق العظيم على هذا النظام المحكم والمنهاج الاقوم انه الحكيم الذي لا حكيم غيره العليم الذي
لا عليم سواه صح ان ما دل ان الظالم بغير انتقام والمحسن بلا اكرام ليس على منهاج العدل الذي شرعه الله
حسن جدا تقريرا للانكار بقوله اليس الله اى على ما له من صفات الكمال واكده بالجار في قوله باحكم الحاكمين اى
حتى يدع الخلق يهلك بعضهم بعضا من غير جزاء فيكون خلقهم عبثا بل هو احكم الحاكمين علما وقدرة وعدلا وحكمة بما

احتمال

موعد من ابداعه الخلق ومفاوتته بينهم وجعل الانسان من بينهم على احسن تقويم فلا بد ان يقيم الجزاء ويضع الموازين
القسط ليوم القيمة فيظهر عدله وحكمته وفضله وهذا الاخر هو اولها فتمما من جهة النبوات التي ظهر بها حكمه وحكمته
ومقسما عليه من حيث ان الخلق في احسن تقويم يقتضي العدل لا محالة والرد اسفل سافلين يقتضي الحكم حتما لاجل ما يقع
من الظلم والتشاجر بين من استمر على الفطرة القويمة ومن رد اسفل سافلين • فقد اشتملت هذه السورة على وجازتها
على جميع مقاصد التورية اجمالا وزادت الدلالة على الاخرة وذلك ان تمامها هو قوله في التوراة انا مارسا من سينا
اشرق لنا من جبل ساعير وظهر لنا من جبال فاران ثم الخلق في احسن تقويم ثم هو خلق ادم عليه السلام المذكور
في اولها وخلق زوجه وما يحتاجان اليه من السماء والارض وخلق الاصفياء من اولادهما وما جاء به من الخير
والذين امنوا وعملوا الصالحات هو ما فيهما من الشرائع والاحكام وقوله بعد ما تقدم من المعبر بالقسم عنه معه
دعوات لا ظهار عن ضمنه اعطائهم وحبهم الى الشعوب وبارك على جميع اظهارهم والرد اسفل سافلين هو ما ذكر اولها
من العصاة من قابيل ومن بعده الى اخرها على ما اشار اليه من عصيان بني اسرائيل الموجب للعنهم وقد اكتنفت
باول التورية واخرها واوسطها وابتدأ باخرها لانه من النبوات وهي اهم المهم لانها المنجية من شر قطاع الطريق
واخرها ادلها فيها على النبوات لا سيما الثلاث العظام المشار اليها بقسم هذه السورة • والله الهادي •

سورة العلق ويسمى اقرأ مقصودها

الامر لا سيما المقصود بالتفصيل في سورة التين بعبادة من
له الخلق والامر شكرا لاحسانه واجتنابا لكفرانه طمعا في جنابه وخوفا من سرابه لما بين في التين انه يدين
العباد يوم المعاد وكل من اسمائها دال على ذلك لان المربي يجب شكره ويحرم غاية التحريم كفره على ان اقرا يشير الى الامر
والعلق يشير الى الخلق واقرأ يدل على البداية وهي العبادة بالمطابقة وعلى النهاية وهي النجاة يوم الدين باللازم والعلق
يدل على كل من النهاية ثم البداية بالالتزام لان من عرف انه مخلوق من دم عرف ان خالقه قادر على اعادته من تراب فان
التراب قبل الحياة من الدم ومن صدق بالاعادة عمل لها وخص العلق لانه مركب الحياة ولذلك يسمى نفسا بسم الله الذي له
صفات الكمال فاستحق التفرد بالالهية الرحمن الذي عمت نعمته فاستوجب الشكر من سائر البرية الرحيم الذي وفق من
شاء من خواصه لما اتاه من به المواهب لتنبيه لما امره سبحانه في الضحى بالتحديث بنعمته وذكر بمجامعها في الم نشرح
فانتج ذلك اوائه بما امر به في ختمها من تخصيصه بالرغبة اليه ودل في التين على انه اهل لذلك لتمام قدرته
الذي يلزم منه لانه لا قدر لغيره الاية فانتج تمام الحكم فاثمر قطعا البعث للجزاء فتشوف السامع الى ما يوجب حسن الجزاء
في ذلك اليوم وباى وسيلة يقف بين يدي الملك الاعلى في يوم الجمع الاكبر من خصال الذين امنوا وعملوا الصالحات فارشد
الى ذلك في النفس في هذه السورة فقال بادئا بالتعريف بالعلم الاصلي ذاكرا اصل من خلقه سبحانه في احسن تقويم
ولبعض اطواره الحسنة والقبيحة تعجيبا من تمام قدرته سبحانه وتنبيها على تعرفها وانعام النظر فيها وقدم الفعل العامل
في الجار والمجرور هنا لانه اوقع في المعنى اذ ان يقدم لكونها اول ما نزل فكان الامر بالقراءة اهم اقرأ وحذف مفعوله
اشارة الى انه لا قراءة الا ما امر به وهي الجمع الاعظم فالمعنى اوجد القراءة لما لا مقروء غيره وهو القران الجامع لكل خير
وافصح له بانه لا يقدر على ذلك الا بمعونة الله الذي ادبه فاحسن تاديبه ورباه فاحسن تربيته فقال لما ارشد
المعنى الى ان تقديره حال كونك مفتتحا القراءة باسم ربك اى بان تسمي او مستعينا بالمحسن اليك لما له من الاسماء الحسنى
والصفات العلى بما خصك به في الم نشرح او بذكر اسمه والمراد على هذا بالاسم الصفات العلى وعبر به لانه يلزم من
حسن الاسم حسن مدلوله ومن تعظيم الاسم تعظيم المسمى وجميع ما يتصف به وما ينسب اليه قولا وهذا لا يدل على ان
القراءة لا تكون تامة الا بالتسمية ولكونه من سياق الامر بالطاعة الداعي اليها تذكر النعم لم يذكر الاسم الاعظم
الجامع وذكر صفة الاحسان بالتربية الجامع لما عداه وتانيسا له صلى الله عليه وسلم لكونه اول ما نزل
حين حبب اليه الخلاء فكان يخلو يتعبد لربه في غار حراء فجاءه جبريل عليه السلام بخمس ايات من اول هذه السورة
الى قوله ما لم يعلم ولهذا السر ساقه مساق البسملة بعبارة هي اكثر ما تنساق ولا الامر وابسط منها فاشار الى
الاسم الاعظم بما في مجموع الكلام من صفات الكمال واشار الى عموم المشار الى تعميمها بحذف المفعول والى خصوص صفة
الرحيم بالاكرمية التي من شانها بلوغ النهاية وذلك لا يكون بدون افاضة العمل بما يرضي فيكون سببا للكرامة الدائمة
وبالتعليم الذي من شانه ان يهدي الى الرضوان واشار الى الاستعاذة بالامر بالقراءة لما افهمه قوله تعالى
واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة اى من شياطين الجن والانس حجابا مستورا وقوله
تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم خصه تشريفا باضافته بهذا الوصف الرب
اليه ووصفه على جهة العموم بالخلق والامر اعلاما بان له التدبير والتاثير وبدا بالخلق لانه محسوس بالعقل

فهو اعلق بالفهم واقرب الى التصور وادل على الوجود وعظيم القدرة وكمال الحكمة فكانت البداءة به في هذه السورة التي هي اول ما نزل انسب
الامور في غاية الوضوح فقال الذي خلق وحذف مفعوله اشارة الى ان له هذا الوصف وهو التقدير والايجاد على وفق القدر
الان وفيما كان وفيما يكون فكل شيء يدخل في الوجود فهو من صنعه ومبرز باذنه ومنعه وضره ونفعه ولما كان الحيوان
اكمل المخلوقات وكان الانسان اكمل الحيوان وزبدة محضه ولباب حقيقته وسر محضه وادله على تمام القدرة لكونه جامعا لجميع ما
في الاكوان فكان خلقه ابدع من خلق غيره فكان لذلك ادل على كمال الصانع وعلى وجود ارادته بالعبادة خصه فقال خلق الانسان
اي هذا الجنس الذي من شانه الانس بنفسه وما راى من اخلافه وحسه وما الفه من ابناء جنسه ولما كانت العرب تاكل
الدم وكان الله تعالى قد حرمه لانه اصل الانسان وغيره من الحيوان وهو مركب الحياة فاذا اكل بطبع اكله بخلق ما هو دمه قال معرفا
بانه بنى هذه الدار سبحانه على حكمة الاسباب مع قدرته على الايجاد من غير تطوير في تسبيب من علق اي خلق هذا النوع من هذا الشيء
وهو دم شديد الحمرة غليظ كامن جمع علقة وكذا الطين الذي يعلق باليد يسمى علقا وهم معترفون بخلق الادمي من الامرين كليهما فالاية من ادلة امامنا
الشافعي على استعمال المشترك في حقيقتيه ولعله عبر به ليعم الطين فيكون مع ما فيه من الاشارة الى بديع الصنعة اشارة الى حرمة
اكل ما هو اصلنا من الدم والتراب قبل ان يستحيل فاذا استحال وصف بالحلال لان الاستحالات لها مدخل في الاحلال
في النكاح وغيره واحمرار النطفة ليس استحالة لانها كانت حمرا قبل قصر الشهوة لها وربما ضعفت الشهوة عن قصرها فترى حمرا
فاذا تحول الدم لحما صار الى جنس ما يحل وكذا اذا تحول التراب بمخالطة الماء ثمرا وحبا حل. وقال الامام ابو جعفر بن الزبير
لما قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين وكان معنى ذلك اي شيء يحمل على هذا
بعد وضوح الامر لك وبيانه وقد نزهه تعالى عن التكذيب بالحساب واعلى قدره عن ذلك ولكن سبيل مثل هذا اذا ورد كسبيل
قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وبابه وحكم هذا القبيل واضح في حق من تعدى اليه الخطاب وقصد بالحقيقة به من امته
صلى الله عليه وسلم من حيث عدم عصمتهم وامكان تطرق الشكوك والشبهة اليهم فتقدير الكلام اي شيء يمكن فيه ان يحملكم على
التوقف والتكذيب بامر الحساب وقد وضح لكم ما يرفع الريب ويزيل الاشكال الم تعلموا ان ربكم احكم الحاكمين فيليق به
وهو العلي الخبير ان يجعل اختلاف احوالكم في الشكوك بعد خلقكم في احسن تقويم افيحسن ان تفعل ذلك عبثا وقد قال تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا فلما عذر سبحانه العبد على انه احكم الحاكمين مع ما تقدم ذلك من موجبات الاعتبار
في نوع الحق اذا اعتبر ونظر ووقعت في الترتيب سورة العلق مشيرة الى ما به يقع الشفاء ومنه يتعلم الابتداء والانتهاء
وهو كتابه المبين الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمحسنين فامر نبيه انه ليتدبروا آياته فقال اقرا باسم
ربك مستعينا به فسوف يتضح سبيلك. وينتهج دليلك تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. وايضا
فانه تعالى علم عباده خلقه الانسان في احسن تقويم ثم رده اسفل سافلين وحصل منه على ما قدم بيانه اقرا والتين
وتباين القابلين كل ذلك لسابق حكمته وارادته ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها وقد بين سبحانه لنا اقصى غاية ينالها اكرم
خلقه واجل عباده لديه من الصنف الانساني وذلك فيما اوضحته السورتان قبل من حال نبينا المصطفى صلى الله عليه
وسلم وجليل علوه الكريم في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وفضل حال الابتداء الم نشرح على تقدم سوال رب اشرح
الى ما اشرت اليه اي السورتين من خصائصه الجليلة وذلك اعلى مقام مناله احد ممن ذكر فوقع تعقيب ذلك بسورة تضمنت
الاشارة الى حال من جعل في الطرف الاخر من الجنس الانساني وذلك حال من اشير اليه من لدن قوله تعالى ارايت الذي ينهى
عبدا اذا صلى الى قوله كلا لا تطعه ليظهر تفاوت المنزلتين وتباين ما بين الحالتين وهي العادة المطردة في الكتاب ولم يقع صريح
التعريف هنا كما وقع في الطرف الاخر لتطابق المقصود ولعل بعض من لم يتفطن يعترض هنا بان هذه السورة من اول ما
انزل فكيف يستقيم مراد لمن ادعى ترتيبها على ما تاخر عنها نزولا فنقول له وابن غاب اعتراضك في عدة سور مما تقدم بل في معظم
ذلك والا افليست سورة البقرة من المدني ومقتضى ما لفقناه بناء ما بعدها من السور على الترتيب الحاصل في مصحف
الجماعة انما هو عليها وفيما بعد من المكي ما لا يحصى فانما غاب عنك لنسيان ما قدمناه في الخطبة ترتيب السور على ما هي عليه
راجع الى فعله عليه الصلاة والسلام كان ذلك بتوقيف منه او باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم على ما قدمناه فارجع بصرك
واعد في الخطبة نظرك. والله يوفقنا الى اعتبار بيناته وتدبر اياته ويحملنا في ذلك على ما يقرب اليه بمنه وفضله
انتهى ولما اتم سبحانه ما اراد من امر الخلق وهو الايجاد بالاسباب ما لبث ان اخذ في التنبيه على عالم الامر
وهو الابداع من غير تسبيب فقال مكررا الامر بالقراءة تنبيها على عظم شانها وتانيسا له صلى الله عليه وسلم مسكنا لروعه
ومعلما ان من جاءه الامر من قبله ليس كما رابهم اقرا ولما كان قد قال صلى الله عليه وسلم هذا الامر اجابا بالواقع
كما يقوله لسان الحال لو لم ينطق لسان المقال ما انا بقارئ فكان التقدير فربك الذي رباك فاحسن تربيتك واذنك
فاحسن تاديبك امرك بالقراءة وهو قادر على جعلك قارئا عطف عليه قوله وربك او يكون التقدير والحال ان

الذي خصك بالاحسان الجم الاكرم اي الذي له الكمال الاعظم مطلقا من جهة الذات ومن جهة الصفات ومن جهة الافعال فلا
يلحقه نقص في شيء من الاشياء اصلا لان حقيقته البعيدة عن اللوم الجامع لمساوي الاخلاق فهو الجامع لمعالي الاخلاق وليس غيره يتصف
بذلك فهو يعطيك ما لا يدخل تحت الحصر واشار الى ان من ذلك انه يفيض على امته الامية من العلم والحكمة ما لم يفضه على امة
قبلها على قصر اعمارهم فقال مشيرا الى العلم التعليمي مشعرا بوصفه سبحانه بالخبر بالعلم الى ترتيب الحكم بالاكرمية على هذا الوصف
الناقل للانسان من الحال العلقي السافل الى هذا الحال العالي الكامل الذي علم اي بعد الحلم عن معاجلتهم بالعقاب جودا منه
من غير مانع من خوف عاقبة ولا رجاء منفعة بالقلم اي الكتابة به ولما نبه بذلك على ما في الكتابة من المنافع التي لا يحيط بها
غيره سبحانه لانها ما ثبتت عليها استقامة امور الدنيا والدين في الدنيا والاخرة وهي كافية في الدلالة على دقيق حكمته تعالى
ولطيف تدبيره زاد ذلك عظمة على وجه يعم غيره فقال علم اي بالعلم الضروري والنظري الانسان اي الذي من شانه
الانس بما هو فيه لا ينتقل الى غيره بل حتى ان لم يلهمه ربه اياه ما لم يعلم اي بلطفه وحكمته لينتظم به حاله في دينه من
الكتاب والسنة ودنياه من المعاملات والصنائع فيفيض عليه من علمه اللدني الذي لا سبب له ظاهر ما يعرف به ترتيب
المقدمات بالحدود والوسطى فيعلم النتائج وما يعرف به الحساب وذلك بعد خلق القوى ونصب الدلائل وانزال
الايات ولو كان ذلك بالاسباب فقط لتساوى الناس في مدة التعليم وفي اصل المعلوم كما تساووا في مدة الحمل واصل
الانسانية وقد ذكر سبحانه مبدأ الانسان ومنتهاه بنقله من اخس الحالات الى اعلاها تقريرا للربوبية وتحقيقا
للاكرمية قال الملوي ولو كان شيء من العطاء والنعم اشرف من العلم لذكره عقب صفة الاكرمية انتهى وفي ذلك اشارة
الى مزيد كرم العلماء بالتعليم. وفي الاية الاشارة الى مطالعة عالمي الخلق والامر قال الرازي وفي كل من العالمين خصوص
وعموم انتهى والمعنى انه يعلمك ايها النبي الكريم وان كنت اميا لا تعلم شيئا كما علم بالقلم من لم يكن يعلم فتكون انت بما ازيد
اليه صفة الاكرمية على ما انت فيه من الامية اعلم من اهل الاقلام واعلى في كل مقام سام ولما كان الدم اكثر الاخلاط
واشدها هيجانا فان مرضه لا يشبهه شيء من امراض بقية الاخلاط وكان مع ذلك سريع البرء ان اصعب علاجه وعوج
بامر قاهر له اقوى منه وكان العلم فيمن الغنى في الاغلب. وكانت رتبة العالم تعوق ذلك غيره فالتعرف بعد التعريف بالالهيات
بامر النفس مبينا لعظم الانسان المردود اسفل سافلين معبرا بالحالة ورادعا له عن ضلاله كلا اي ارتدع ايها العالم عن
الطغيان ان نسبك للغنى حقا ان الانسان اي هذا النوع الذي هو نوعك ومن شانه الانس بنفسه والنظر في عطفه ليطغى اي من
شانه الا من عصمه الله ان يزيد على الحد الذي لا ينبغي له مجاوزته كما يزيد الخلط الدموي اكثر مما لاكثر الخلق من التلبس به
فانه لا طاغي يقدر بانه طغى ان اي لاجل ان راه اي علم الانسان نفسه علما وجدانيا استغنى اي وجد له الغنى هذا هو الطبع
الغالب في الانسان متى استغنى عن شيء عمي عن مواضع افتقاره فتغيرت احواله معه وتجاوز فيه ما ينبغي له الوقوف عنده ولا
بلا خوف ان ادم الا التراب ومن كان مفتقرا الى شيء كان منطاعا له كما في حد ساحر اهل التاريخ وجامنها يعسر لديه انه
ما سال عن ما طلبه فاذا اعطيه واستغنى به سال غيره حتى يدخل دار الغرور ولعله نبه بهذا على ان هذه الامة المحاجة
ستفتح لها خزائن الارض فتطغيها الغنى كما اطغى من قبلها وان كانوا لم يكونوا ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين
بشرهم بالفتوحات وعلى انه يغدى على احدكم بصحفة ويراح عليه باخرى قالوا نحن اليوم خير ام يومئذ فقالوا بل يومئذ
نتفرغ لعبادة ربنا فقال بل انتم اليوم خير منكم يومئذ وقال صلى الله عليه وسلم ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى ان تبسط عليكم
الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم او كما قال صلى الله عليه وسلم ولما
كان الدواء لذلك مثل تذكر الجزاء قال معرفا ان الانسان لا يزال مفتقرا الى مولاه في حياته ومماته وغناه وفقره محذرا له
لانه مؤكدا لاجل انكارهم ذلك ان الى ربك اي المحسن اليك بالرسالة التي رفع بها ذكرك لا الى غيره من التراب ونحوه
الرجعى اي الرجوع الاعظم الثابت الذي لا محيد عنه اما في الدنيا فلا محيد عن الاقرار به فانه لا يقدر احد على شيء الا بتقديره
واما في الاخرة فيما اثبت من برهانه في سورة التين فيحاسب الناس باعمالهم ويجازي كل احد بما يستحق من ثواب وعقاب
ففيه وعيد للطاغي وتحقير للغنى بتقطع ولما اخر تطغيانه وعجل بذكر دوائه لان المبادرة بالدواء احكم الداء
واجبه دل على طغيانه تخوفا من عواقب الرجعى في اسلوب التعجب لانه اوقع في النفس واروع للب لان ابا جهل قال لئن
رايت محمدا يعفر وجهه لافضحن راسه بصخرة فجاء ليفعل ما زعم فنكص على عقبيه ويبست يده على حجر فسئل عما دهاه
فقال ان بيني وبينه لهولا واجنحة وفي رواية لخندقا من النار وفي رواية انه تخالج من الابل ما رايت مثله ولو دنوت
لاكلني واصل الحديث في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه فقال ارايت تقدم في الانعام ان هذا الفعل اذا لم
يكن بصريا كان بمعنى اخبرني والمعنى اخبرني هل علمت بقلبك علما هو في الجلاء كرؤية بصرك الذي ينهى اي على سبيل
التجديد والاستمرار ولما كان افحش ما يكون صد العبد عن خدمة سيده قال معبرا بالعبودية منكرا للمبالغة

في تقبيح النهي والدلالة على كمال العبودية عبدًا أي من العبيد إذا صلى أي خدم سيده الذي لا يقدر أحد أن ينكر سيادته بإيقاع الصلاة التي هي صلة
وهي أعظم أنواع العبادة لأنها مع كونها أقرب وصلة إلى الحق انقطاع وتجرد بالكلية عن الخلق وكان نهيه له عن ذلك تهاونًا عن الحق لأهله حسدًا
وبغيًا فكان ذا الأعلى أن من طبع كل زمان عداوة أهل الفضل وصدهم عن الخير لئلا يختصوا بالكمال ولما كان هذا أمرًا خارجًا عن الحكمة
في الطغيان وكان السؤال إنما هو عن رؤية حاله في نهيه العبد عن الصلاة لا عن رؤية ذاته فتشوف السامع إلى معرفة ذلك الحال
كرر التكرير لزيادة التعجيب من حاله والتحذير فقال مكررًا العامل زيادة في التأكيد وبيانًا لأن هذا في الحقيقة أول السؤال عن الحال
أرأيت أي أخبرني عن حاله إن كان أي هذا الناهي معبرًا بأداة الاستعلاء إشارة إلى أنه في غاية الثبات والتمكن فقال على الهدى
أي الكامل في النهاية فكف عن نهي هذا المصلي عن خدمة مولاه الذي هو معترف بسيادته وإن ادعى كذبًا أن له شريكًا كما أنه لا ينهى
عن السجود للأصنام ولما ذكر ما لعله يكون عليه في نفسه ذكر ما لعله يعانيه من إنجاء غيره فقال أو أمر أي ذلك الناهي
بالتقوى أي التي هي عماد الدين وهي عمارة الباطن بالنور الناشئة عن الهدى وعمارة الظاهر كذلك المثمرة عن عمارة الباطن الموجب
لذلك فأمر هذا المصلي بملازمة خدمة سيده المجمع على سيادته ولا شك في توحده بالربوبية بالإقبال على ما يرضيه من أعمال
العباد ليكون ذلك وقاية للفاعل من سخطه فيأمن من الهلاك والجواب محذوف تقديره ألم يكن خيرًا له فليتدبر كل امرئ أموره
فلا يقدم عليه حتى يعلم بالدليل أنه هدى وتقوى ولما كان التقدير حتمًا كما هدى إليه السياق وما دونه من جواب السؤال الذي
بني عليه قوله زيادة في التوبيخ والتعجيب والتقريع استفهامًا عن حال هذا الناهي مناف للحال الأول [illegible] الفعل إيضاحًا
لذلك أرأيت أي أخبرني أيها السامع ولا تستعجل إن كذب أي وقع هذا الناهي التكذيب بأن المصلي على الهدى بخدمة سيده
المتفق على سيادته فكان بذلك مرتكبًا للضلال الذي لا شك في كونه ضلالًا ولا يدعو إليه إلا الهوى ولما كان المكذب
قد لا يترك من كذبه أشار إلى أن حاله هذا إلى غير ذلك فقال وتولى أي وكلف فطرته الأولى بعد معالجتها الإعراض عن قبول
الأمر بالتقوى وذلك التولي إخراب الباطن بالأخلاق السيئة الناشئة عن التكذيب وإخراب الظاهر بالأعمال القبيحة الناشئة
عن التكذيب والجواب محذوف تقديره ألم يكن ذلك التولي والتكذيب شرًا له لأن التكذيب والتولي من غير دليل شر
محض فكيف إذا كان الدليل قائمًا على ضدهما ولما عجب من حاله البعيدة عن العقل مع نفسه ومع أبناء جنسه أنكر عليه محتجًا
من كونه يعلم أنه ليس بيده شيء المنتج لأنه مراقب وحاله مضبوط غاية الضبط وسيع لك فقال ذاكرًا مفعول رأيت الثاني
وهو لا يكون إلا جملة استفهامية ألم يعلم أي يقع له علم يومًا من الأيام بأن الله وهو الملك الأعلى يرى أي له صفتا البصر والعلم
على الإطلاق فهو يعلم كل معلوم ويبصر كل مبصر ومن كان له ذلك كان جديرًا بأن يهلك من يراه على الضلال والإضلال
وينتصر من يطيع أمره على كل من يعاديه وإنما جاء هذا الاستفهام الإنكاري على هذا الوجه لأنهم يعترفون بكل ما أنكر عليهم
فيه ويلزمهم بما يفعلون من عداوة النبي صلى الله عليه وسلم أن يكونوا منكرين له وذلك هو عين التناقض الذي أشنع عندهم
منه هذا ويمكن وهو أحسن أن تنزل الآية على الاحتباك فيقال لما كان السؤال عن حال الناهي لأن الرؤية علمية لا بصرية تشوف
السامع إلى معرفتها وكان للناهي حالان طاعة ومعصية بدأ بالأولى لشرفها على الأسلوب الماضي في التقرير على سبيل التعجب
فقال أرأيت أي أخبرني إن كان الناهي ثابتًا في نفسه هذا متمكنًا على الهدى أي الكامل أو كان قد أمر في ذلك الأمر أو في أمر ما
من عبادة الأوثان وغيرها بالتقوى وحذف جواب السؤال عن هذا الحال لدلالة جواب الحال الثاني عليه وهو ألم يعلم بأن
الله يرى كل ما يصح أن يرى فينهى عنه إن كان منكرًا ولا يقر عليه ويحاسب به ليرى هذا الناهي أفعاله بما شرعه سبحانه
من الدليل العقلي والسمعي فيعلم أي بما يرضيه ليقره عليه كما يقر سائر ما يرضيه أو يسخطه فيمنعه منه ولما ذكر
ما يمكن أن يكون عليه من الفساد فقال مقررًا معجبًا معيدًا العامل لزيادة التعجيب على النمط الأول أرأيت إن كذب أي هذا
الناهي بالحق في وقت النهي ولما كان لا يلزم من التكذيب الفعل قال وتولى أي عن الذي ينهيه هذا فكان على الضلال والهوى
متمكنًا في ذلك بحيث إنه لا يصدر عنه فعل إلا فاسدًا ألم يعلم بأن الله يرى فيحاسب نفسه بما أرشد إليه سبحانه من البراهين
فيعلم أنما هو عليه من الرشد إن كان الله يقره عليه ويمكنه منه أو الغواية إن كان ينهاه عنه ولا يقره عليه كما فعل بهذا الذي
أقسم لئن رأى هذا المصلي وأقدم عليه ليصخرنه وهو عند نفسه في غاية القدرة على ذلك ثم منعه الله منه ورده عنه
فرجع على عقبه خاسئًا ظاهرًا عليه الجبن والرعب وغيرهما مما يتحاماه الرجال ويأنف منه الضراغم الأبطال والاحتباك
هنا تطلب أرأيت جملة ليس هو من التنازع لأنه يستدعي إضمارًا والجمل لا تضمر إنما هو من باب الحذف لدليل فحذف الكون
على الضلال ثانيًا لدلالة الكون على الهدى عليه أولًا وحذف ألم يعلم بأن الله يرى أولًا لدلالة ذكره آخرًا عليه ولما كان
هذا الخبيث معرضًا عن هذا العلم الذي هو معترف به كله وإنما كان إعراضه لما عنده من الحظوظ والشهوات الموقعة حكم الله
اشتغل سافلين إلى رتبة البهائم أتى بأعظم أدوات الردع فقال كلا أي ليس عنده علم بشيء مما رآه من الأذى فليرتدع
عن تعاطي ذلك لأنه لا يضر إلا نفسه ولما كان نفي العلم عنه يوهم أنه في عداد الغافلين الذين لا ملامة عليهم بين أن انتفا

العلم

العلم عنه ليس عن غفلة بل عن رضا منها إنما هو عن تهاون بالخير ورضا بالعمى والتقليد فهو من قسم الضلال الذي فرط في استعمال القوى العلمية المذكور
في الفاتحة فاستأنف الإخبار عنه في جواب من يقول فما يفعل به معبرًا بأداة الشك إفادة له وكيفية في محل الرجاء لا أنها آتية لا محالة للتكليف
ومؤكدًا لأنهم منكرون لئن لم ينته أي يفعل هذا الناهي لهذا العبد المطيع فيعف ويكف عما هو فيه من نهيه وتكذيبه وتوليه ولما
كان الحال غير محتاج إلى أكثر من التأكيد لإيقاع الفعل غيرنا بالحقيقة ولم يثقلها أشار إلى أن هذا الناهي أقل من أن يحتاج إلى فعل شديد
بل أقل نفحة من العذاب تكفي في إهلاكه وما كان أصل التأكيد إلا تطييبًا لقلوب الأولياء وتكذيبًا للأعداء لنسفعًا أي والله لنأخذن
ولنقبضن قبضًا وأخذًا بشدة وعنف مع الجر والاجتذاب والطمر والدفع والغيظ أخذ من نفعس مأخوذه ويذله ويسود
وجهه ويقذره بالناصية أي بالشعر الذي في مقدم رأسه وهو أشرف ما فيه والعرب لا تأنف من شيء أنفتهم من جر الناصية
وإذا انتهكت حرمة الأشرف فما بالك بغيره واستغنى بتعريف العهد عن الإضافة ولما كان من المعلوم أن من صار في
القبضة على هذه الهيئة المهينة المزرية فهو هالك أغنى به عن أن يقول ولنسحبنه بها على وجهه إلى النار ووصفها بما يدل على ذلك
فقال مبدلًا لأن البدل وصف بما أريد به من المعرفة ناصية ثم عظمها الفتح كاذبة أي متعمدة للكذب خاطئة أي صادر
عنها الذنب من الكذب وغيره من غير تعمد فأغلب أحوالها على غير صواب تارة عن عمد وتارة عن غير عمد وما زال الأسوء بجبلة صاحبها
حتى صار لا يكاد يصدر عنه فعل سديد ووصفها بما هو لصاحبها على الإسناد المجازي مبالغة في تكذيبه على أنه يقدر على منع
المهتدي وإذلاله أو شيء من أذاه إلا أن أذن له صاحب الأمر كله فيما يكون سبب الزيادة رفعته وفي العدول عن الحقيقة
كأن يقال ناصية كاذب خاطئ بالإضافة إلى هذا المجاز من الجزالة والفخامة والجلالة ما لا يخفى ولما كان هذا
غاية الإهانة وكان الكفار إنما يقصدون بإعراضهم النماخة والأنفة والعز عن أن يكونوا أتباعًا أذنابًا وإنما عزهم بقومه
وأقرب من يعتز به الإنسان أهل ناديه وهم القوم الذين يجمعون نهارًا ليتحدث بعضهم بعضًا ويستروح بعضهم إلى بعض لما
عندهم من التصافي لأنهم لا يتركون اشتغالهم نهارًا ويجمعون لذلك إلا عن ذلك قال تعالى مسببًا عن أخذه على هذا الوجه المزري
فليدع أي دعاء استغاثة ناديه أي القوم الذين يجمعون نهارًا يتحدثون في مكان يتنادى فيه بعضهم بعضًا من أنصاره وعشيرته
ليخلصوه مما هو فيه والذي نزلت فيه هو أبو جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديًا ولما
كان كأنه قيل فلو دعا ناديه يكون ماذا قال سندع أي بوعد لا خلف فيه الزبانية أي الأعوان الموكلين بالنار ليجروه إليها
وهم في الأصل الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع ورتبي على النسبة أصلها زباني والتاء عوض عن الياء
وهم كل من عظم خلقه واشتد بطشه وقد أجمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من هذا الفعل خطًا ولا موجب لحذفه من
العربية لفظًا وكأن المعنى في ذلك والله أعلم أن لا يظن أنهم دعوا الرفعة لهم في ذواتهم يستعان بهم بسببها لأن معنى الواو
عند التباين العلو والرفعة إشارة إلى أنه لا قوة لهم إلا بالقوي العزيز أو يقال إن الحذف دال على تشبيه الأمر بالفعل
بالأمر اللازم لعلي أن هذا الدعاء أمر لا بد من إيقاع مضمونه ومن إجابة المدعوين إلى ما دعوا إليه وأن ذلك كله يكون على غاية
الإحكام والاتساق من خطه ومعناه والانتظام لا سيما مع التأكيد بالسين الدال على حتم الإيجاد والتمكين أو يكون المعنى أنا ندعو
بالسر دعاء واستهلال مر فيكون منهم ما لا يطاق ولا يستطاع دفاعه بوجه فكيف لو أكرنا دعوتهم وقوينا عزمهم ولما كان
الذي تقدم من النهي للمصلي والسفع بناصيته إن لم ينته وأمره بدعاء ناديه وكان الحكم في الأول أنه لا يجيبه إلى ترك الصلاة
وفي الثاني أن الناهي لا ينتهي عن عصيانه بالتهديد وأنه لا ينفعه دعاء ناديه فالكل منفي حسن كل الحسن الإتيان بأداة الردع
فقال كلا أي لا يقدر على دعاء ناديه ولا ينتهي عن أذاه للمطيع بالتهديد فليرتدع عن كل من ذلك ولما كان كأنه قيل
فما أفعل يا خير العرفان من علم أن طبع الزمان وأهله الفساد وجب عليه الإقبال على شأنه والإعراض عن سائر العباد
لا تطعه أي في نهيه لك عن الطاعة بالصلاة وغيرها ولما كان نهيه عن الصلاة التي هي عماد الدين وكانت الصلاة
يعبر عنها بالسجود لأنه مع أنه جزؤها هو أشرفها وهو أيضًا يطلق على مطلق العبادة قال تعالى مشيرًا إلى النصر له صلى
الله عليه وسلم ولأتباعه على كل من يمنعهم عبادته واسجد أي دم على صلاتك وخضوعك بنفسك وجدد ذلك في كل وقت
ولما كان السجود أقرب مقرب للعبد إلى الله قال واقترب أي اجتهد بسرك في بلوغ درجة القرب إلى ربك والتحبب
إليه بكل عبادة لا سيما الصلاة فإنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقد شرح هذا المقام كما تقدم في الفاتحة
قوله صلى الله عليه وسلم سلوا الفرجة في أعوذ بعفوك من كثير من الدعاء أعوذ بعفوك من عقوبتك فإن هذه الجملة أفادت
كما قال الإمام الغزالي في كتاب الشكر من الإحياء مشاهدة أفعال الله فقط فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله
من فعله قال ثم اقترب بمعنى في مشاهدة الأحوال وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك
وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانًا في التوحيد فاقترب وترقى من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات
فقال وأعوذ بك منك فرارًا منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارًا منه إليه ومستعيذًا ومثنيًا

فنى عن مشاهدة نفسه ادرى اى ذلك نقصانا فاترب فقال انت كما اثنيت على نفسك لا احصى ثناء عليه فقوله لا احصى فناء عن نفسه وخروج
عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت بيان ان المثنى والمثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شى هالك الا وجهه فكان اول
مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذ انتهى
الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى اخرى الا ويرى
الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية وكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا فى سلوكه وتقصيرا فى مقامه واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى حتى استغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما
بعضها بعد نقصا افضل ولها وان كان يجاوز اقصى غايات مقامات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى ما وراءها فكان
استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضى الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكا فى السجود
وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناها افلا اكون طالبا للمزيد فى المقامات فان الشكر سبب الزيادة
حيث قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم انتهى وهو على ما ترى من النفاسة • ثم من اكثر من الدعاء فى سجوده فقمن ان يستجاب له
والصلاة لا تقوم الا بالقراءة فاذا فعلت ذلك حجبت عن الاغيار بحجاب منيع فازددت صفا وصفت حالا عن الغير
كما يرشد اليه ما فى صحف ابرهيم عليه السلام ينبغى للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا لزمانه مقبلا على شانه فقد رجع
اخرها الى اولها على احسن وجه واجمل

سورة القدر مقصودها

تفصيل الامر الذى هو احد قسمى ما ضمنه مقصود
اقرا وعلى ذلك دل اسمها لان الليلة فضلت به فهو من اطلاق المسبب على السبب وهو دليل لمن يقول باعتياد تفضيل الاوقات
لاجل ما كان فيها كما قال ذلك اليهودى فى اليوم الذى نزل فيه اليوم اكملت لكم دينكم واقره الفاروق عمر بن الخطاب رضى
الله عنه على ذلك واعلمه انه صار لنا عيدا بل عيدين عيدا من جهة كونه يوم عرفة وعيدا من جهة كونه يوم جمعة بسم الله
الذى جل امره وتنزهت ذاته الرحمن الذى عمت نعمته فبدعت صفته الرحيم الذى خص اهل التوحيد بتمام النعم وخصهم
بمرضاته ولما ذكر الله سبحانه كتابه فى هذا الذكر العربى المعجز ذا كراتة مستحضرا فى كل قلب كان ذلك مغنيا عن اعادة
تصريح اسمه فكان متى اضمره علمه المخاطب بما فى السياق من القرائن الدالة عليه وبما له فى القلب من العظمة وفى الذهن من
الحضور ولا سيما فى هذه السورة لافتتاح العلق بالامر بقراءته وختمها بالصلاة التى هى اعظم اركانها وكانت دلالته عليه
دلالة هى فى غاية الوضوح فكان كانه قال واقترب بقراءة القرآن فى الصلاة فكان اضماره ادل على العظمة من اظهاره لان
لدلالة الاضمار على انه ما ثم شى يستحق غيره فهو بحيث لا يحتاج الى التصريح به قال مفخما له باضماره واسناد انزاله
اليه وجعل ذلك فى مظهر العظمة وتعظيم وقت انزاله المتضمن لعظمة البلد الذى انزل فيه على قول الاكثر والنبى الذى انزل
عليه مؤكدا لاجل ما لهم من الانكار انا اى بما لنا من العظمة انزلناه اى هذا الذكر كله من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء
الدنيا مرتبا هذا الترتيب الذى جمع الله الامة المعصومة عليه وهو الموجود الان وكذا كان ابتداء اول نجم منه وهو اول السورة
الماضية اقرا لاجل ان عظمته من عظمتنا بما له من الاعجاز فى نظمه ومن تضاؤل القوى عن الاحاطة بعلمه واول ما انزل
منه صدرها الى خمس ايات منها اخرها ما لم يعلم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مجاور فى هذا الشهر الشريف بجبل حرا
من جبال مكة المشرفة ثم صار ينزل مفرقا بحسب الوقائع حتى تم فى ثلاث وعشرين سنة وكلما نزل منه نجم يامر النبى صلى الله
عليه وسلم بترتيبه فى سورته عن امر الله حتى تم فى السور على ما هو عليه الان على ما هو عليه فى بيت العزة ولما عظمه بما
ذكر زاده عظما بالوقت الذى اختار انزاله فيه ليكون طالعه سعيدا كما كان اثره حميدا فقال فى ليلة القدر اى الليلة التى
لها قدر عظيم وشرف كبير والاعمال فيها ذات قدر وشرف فكانت بذلك كانها مختصة بالقدر فلا قدر لغيرها
وقال الامام ابو جعفر بن الزبير ورد تعريفا بانزال ما تقدم الامر بقراءته لما قدمت الاشارة الى عظيم امر الكتاب وان
السلوك اليه سبحانه انما هو من ذلك الباب علم سبحانه بليلة انزاله وعرفنا بقدرها لنعتمدها فى مظان دعائنا
وتعلق رجائنا ونبعث فى الاجتهاد فى العمل لعلنا نوافقها وهى كالساعة من يوم الجمعة فى ابهام امرها مع جليل قدرها وفى
قبيل قدرها ومن قبيل الصلاة الوسطى ولله سبحانه فى اخفاء ذلك اعظم رحمة وكان فى التعريف بعظيم قدر هذه الليلة
التعريف بجلالة المنزل فيها فصارت سورة القدر من تمام ما تقدم ووضح اتصالها انتهى ولما علم من السياق
تعظيمها لعظمة ما انزل فيها وبالتعبير عنها بهذا قال مؤكدا لذلك التعظيم حثا على الاجتهاد فى احيائها لان للانسان من
الكسل والتداعى الى البطالة ما يزهد فى ذلك وما ادريك اى واى شى اعلمك وانت شديد التفحص ما ليلة القدر اى
لم يبلغ درايتك وانت اعلم الناس غاية فضلها ومنتهى قدرها على ما لك من سعة العلم واحاطة الفكر وعظم المواهب ولما
ثبت عظمها بالتنبيه على انها اهل لان يسال عن خصائصها قال مستانفا ليلة القدر اى التى خصصناها بانزالنا
فيها خير من الف شهر اى خالية عنها او العمل فيها خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة قدر وذلك ثلاث وثمانون

سنة واربعة اشهر قالوا وهى مدة ملك بنى امية سوا وتسميتها بذلك لشرفها ولعظم قدرها او لانه يفصل فيها من ام الكتاب مقادير الامور
ليكتب فيها ما قدر الله وحكم ما يكون من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل من قولهم قدر الله على هذا الامر بقدر اى قضاه وهى الليلة
المرادة فى سورة الدخان بقوله تعالى يفرق فيها كل امر حكيم • وذكر الالف ما للمبالغة فيها بنهاية مراتب العدد لتكون ابلغ من السبعين
فى تعظيمها او لان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر شخصا من مومنى بنى اسرائيل لبس السلاح مجاهدا فى سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه
وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطاهم سبحانه ليلة من قامها كان خيرا من ذلك وابهمها فى العشر الاخير من شهر رمضان فى قول الجمهور
على ما صح من الاحاديث ليجتهدوا فى ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة والصلاة الوسطى فى الخمس واسمه الاعظم
فى الاسماء ورضاه فى سائر الطاعات ليرغبوا فى جميعها وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها وقيام الساعة فى الاوقات ليجتهدوا
فى كل لحظة حذرا من قيامها والسر فى ذلك ان النفس لا يوصل اليه الا باجتهاد عظيم اظهارا للغاشية واعطاما للرغبة
وايذانا بالسرور به لكن جمل السورة ثلثين كلمة سوا ورجح انها السابعة والعشرون التى وراها قوله هى كما نقل عن ابى
بكر الوراق ولما عظمها ذكر وجه العظم ليكون اعلاما بعد ابهام وهو اوقع فى النفس فقال مستانفا تنزل اى تنزلا تدريجا
متواصلا على غاية ما يكون من الخفة والسرعة بما اشار اليه حذف التا الملئكة اى هذا النوع العظيم الذى هو جند كله والروح
اى جبريل عليه السلام خصه بيانا لفضله او هو مع اشراف الملئكة وهو خلق اكبر من الملئكة او امر تسكن اليه نفوس العارفين
ويحصل به اليمن والبركة فيها واشار الى خفاء ذلك التنزل باسقاط تا التنزل فمع ما تقدم من الاشارات ودل على زيادة الكرم
فى ذلك التنزل وعظيم طاعة الملائكة بقوله باذن ربهم اى بعلم المحسن اليهم المربى لهم وتمكينه وتسهيله الى الارض والسما الدنيا
او تقربهم من المؤمنين مبتدى تنزلهم من كل امر اى الامور الكلية التى يفرقون فيها باذن الله تعالى تفاصيل الامور التى يريدها
سبحانه فى ذلك العام فى اوقاتها من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل او من اجل تقدير كل شى يكون فى تلك السنة وعبر عن
التنزل بالامر اعلاما بانهم لا يفعلون شيا منه الا بامره ولما ذكر سبحانه هذه الفضائل كانت النتيجة انها متصفة بالسلامة
التامة كاتصاف الجنة التى هى سببها بها فكان ذلك ادل على عظمتها فقال سلام اى عظيم جدا هى اى ما هى الا سلامة وخير
ليس فيها شر ولا يزال ذلك السلام والبركة فيها حتى اى الى مطلع الفجر اى طلوعه ووقت طلوعه وموضع طلوعه لا يكون فيه شى
كما فى غيرها من ليلها فلا تطلع الشمس فى صبحيتها بين قرنى شيطان ان شا الله وذلك سر قراءة الكسائى بالكسر والله اعلم واختير
التعبير بحتى دون الى ليعلم ان لما بعدها حكم ما قبلها فيكون المطلع فى حكم الليلة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان جبريل عليه السلام
ينزل ليلة القدر فى كوكبة من الملائكة ومعه لواء اخضر يركز فوق الكعبة ثم يفرق الملائكة فى الناس حتى يسلموا على كل قائم
وراكع وساجد الى ان يطلع الفجر فمن تامل هذه السورة علم منها ما للقرآن من العظمة فاقبل عليه بكليته يتلوه حق تلاوته كما
امر فى سورة اقرا فامن من عثرات من هول يوم الدين المذكور فى التين ومن تلاوته بحقه تعظيم ليلة القدر لما ذكر من
شرفها وذلك حادى الى الحرص عليها فى كل السنة فان لم يكن ففى كل رمضان فان لم يكن ففى جميع ليالى العشر الاخير منه ليكون له
من الاعمال بسبب فضلها ومضاعفة العمل فيها ما ليس يحصيه الا الله بحيث انه ربما اضعاف من عمل من اجتهد فيما قبلها الف سنة
ورجوع اخرها لكون هذا التنزل فى ليلة القدر على اولها فى غاية الوضوح لان اعظم السلام فيها نزول القرآن ولعل كونها
ثلثين كلمة اشارة الى ان خلافة النبوة التى هى ثلثون سنة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم التى اخرها يوم نزل امير المؤمنين
الحسن بن على رضى الله عنهما فيه عن الخلافة لمعوية رضى الله عنه فى شهر ربيع الاول سنة احدى واربعين هى كليلة القدر فى
الزمان وما بعدها كليالى العام فيه الفاضل عزم وتلك المدة كانت لخمس خلفاء اشارت اليهم حروف كلمة الاخيرة منها
فالالف لابى بكر رضى الله عنه وهى فى غاية المناسبة له فان الربانيين قالوا هو اسم للقائم المحيط الاعلى الغالب عن مقامه
لكنها الحاضر معه وجودا كالروح وكذا كان رضى الله عنه حاضرا مع الامة بوجوده وهو غائب عنهم بتوجهه
وجميع قلبه انما هو مع الله تعالى • واللام لعمر رضى الله عنه وهى شديدة المناسبة له فانها صلة بين باطن الالف
وظاهر الميم الذى هو لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه للتمام وكذلك فعل وصل بين السيرتين وصلا تاما حيث وصل ضعف
الصديق فى بدنه وقوته فى امر الله بقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتظم الامر به انتظاما لا مزيد عليه • والفاء
لعثمن رضى الله عنه وهو اشارة لبدء خصوصيته لتنفل بمزيد او نقص وانه الفطرة الاولى وانها المحسوسة الليس
اولى حرف وجد اذا اصابه اقل شى من الهوا الممدود وغيره وكذلك الفطرة اذا اصابها اقل شى من الهوى المقصود
غيرها وكذا كان حاله رضى الله عنه حصلت له افات الاحسان الى اقاربه الذى قاده اليه قوم وفطرته حتى حصلت له
الافات لكبار رضى الله عنه • والهاء لعلى رضى الله عنه وهى اشارة الى الجمع والاجمال الذى يحصل عنده غنا وهو
الامور له رضى الله عنه فانه حصل به الجمع بعد الافتراق العظيم بقتل امير المؤمنين عثمن رضى الله عنه شهيدا مظلوما وحصل
به الاجمال لكن لم يتم به التفصيل بسبب ما حصل من العناد • والراء اشارة الى الحسن رضى الله عنه وهى تطوى وتصيير

وتربيته وهي لكل مرتب مثل زوج المرأة وسيد العبد وكذلك فعل رضي الله عنه لما رأى الملك يملك بقتل المسلمين ربابه بنزول عن الامر
لمعوية فكان كالسيد اذن لعبده ودبر امره به وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم سيدا رضي الله عنهم اجمعين سورة لم يكن
الاعلام بان هذا الكتاب العظيم من علو مقداره وجليل آثاره انه كما هو لقوم نور وهدى فهو لآخرين
وقر وعمى فيقود الى الجنة دار الابرار ويسوق الى النار دار الاشقياء الفجار وعلى ذلك دل كل من اسميها الذين كفروا والمنفكين
بتامل الآية في انقسام الناس الى اهل الشقاوة واهل الهداية وكذا البينة بانقسام اهل الدعوة فيها بحسب الارادة الى القسمين
اهل الشقاوة واهل السعادة بسم الله الذي له العلو المطلق فلا يخرج شيء عن مراده الرحمن الذي عم بنعمة الجادة وبيانه جميع عباده
الرحيم الذي خص اهل وداده بالاعمال المتكلفة بانجاء العامل بها واسعاده ولما اخبر الله تعالى ان الليلة الشريفة التي صار بها
بنوع خفاء في تنزل من تنزل فيها وفي تعيينها الآثار القائمة على ما لها من تلك الصفة حتى يأتي الفجر الذي يحصل به غاية البيان
اخبر ان اهل الاديان سواء كان لها اصل من الحق ام لا لم يصح في العادة الجارية على حكم الاسباب في دار الاسباب ان يتحولوا
عما هم فيه الا بسبب عظيم يكون بيانه اعظم من بيان الفجر وهو القرآن المذكور في القدر والرسول المنزل عليه ذلك فقال لم يكن
اي في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال لكونها هو كالجبلة والطبع وهذا يدل على ما كانوا عليه فلا ذلك من انهم يبدلون ما هم
عليه من الكفر والايمان بكفروا بعد ما ثم لا يثبتون عليه لان ذلك ليس في جبلاتهم وانما هو خاطر عارض كما هو محكي عن سيرتهم من
بعد موسى عليه السلام لما كانت تسوسهم الانبياء عليهم السلام كما دل على بعض ذلك قوله تعالى فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم
ثم عموا وصموا وكذا المشركون كانوا يبدلون دين اسمعيل عليه السلام ولا ينفصلون عنه بالكلية وتارة يعبدون الاصنام
وتارة الملائكة واخرى الجن ولم يكونوا يثبتون على حالة واحدة ثباتا كليا مثل ثباتهم على الاسلام بعد مجيء البينة ونسيانهم
امور الجاهلية بالكلية حتى نسوا الميسر ولم يكن احد من اولادهم يعرف كيفيته وكذا السائبة وما معها وغير ذلك من خرافاتهم
الذين كفروا اي سواء كانوا عريقين في الكفر ام لا ولما كان العالم اولى باتباع الحق واشد جرما عند فعل ما يقتضي اللوم
بدأ بقوله من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى الذين كانوا اصل دينهم حقا فالحدوا فيه بالتبديل والتحريف والاعوجاج
في صفات الله تعالى ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته في الفروع وموافقته في الاصول فكذبوا والمشركين اي بعبادة
الاصنام والنار والشمس ونحو ذلك مما هم عريقون في دين لم يكن له اصل في الحق بان لم يكن لهم كتاب منفكين اي منفصلين زائلين
عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث لا يبقى لهم به علقة ويثبتون على ذلك الانفكاك واصل الفك الفتح
والانفصال لما كان ملتحما من ختم الكتاب والختم والعظم اذا زال ما كان ملتصقا ومتصلا به او عما في نفسهم من ظن اتباع الحق اذا
جاءهم الرسول المبشر به مما كان اهل الكتاب يستفتحون به والمشركون يقسمون بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم فيصيروا في ذلك احزابا وفرقا حتى اي الى ان تاتيهم عبر بالمضارع لتجدد البيان في كل وقت بتجدد الرسالة
والتلاوة البينة اي الآية التي في البيان كالفجر المنير الذي لا يزداد بالتمادي الا ظهورا وضياء ونورا وذلك هو الرسول وما
معه من الآيات التي اعظمها الكتاب سواء كان التوراة او الزبور او الانجيل او القرآن ولذلك ابدل منها قوله رسول اي عظيم جدا
وزاد عظمته بقوله واصفا له من الله اي الذي له الجلال والاكرام يتلوا اي يقرأ قراءة متواترة ذلك الرسول بعد تعليمنا له صحفا
جمع صحيفة وهي القرطاس والمراد ما فيها عبر بها عنه لشدة المواصلة مطهرة اي هي في غاية الطهارة والنزاهة من كل قذر
بما جعلنا لها من البعد من الادناس بان الباطل من الشرك بالاوثان وغيرها من كل زيغ لا يأتيها من بين يديها ولا من خلفها
وانها لا يمسها الا المطهرون وقراءته وان كان اميا مثل ما فيها قراءة لها ولما عظمه بان وصف صحفه التي هي محل المكتوب
بالطهارة بين سبب ذلك فقال فيها اي تلك الصحف كتب جمع كتاب اي علوم هي لنفاستها حقيقة بان تكتب قيمة اي هي في
غاية الاستقامة لنطقها بالحق الذي لا مرية فيه ليس فيها شيء ولا عوج بنوع من الانواع فاذا اتتهم هذه البينة انفكوا
وانفكاكهم انهم كانوا مجتمعين قبل هذا اهل الكتاب يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لما عندهم من البشائر الصريحة
والمشركون يقولون لئن جاءنا نذير لنكونن من احدى الامم ويقولون نحن نعرف الحق والباطل لاهله ولا ندفعه
بوجه فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بما لا شبهة فيه تفرقوا فبعض امن وبعض كفر وقال الامام ابو جعفر بن الزبير
في كمال ما تقدمها لانه لما امره عليه الصلاة والسلام بقراءة كتابه الذي به اتضحت سبيله وقامت حجته واتبع ذلك
بالتعريف بليلة انزاله وعظمها بعظيم ما اهلت له مما انزل فيها اتبع ذلك بتعريفه عليه السلام بان هذا الكتاب
هو الذي كانت يهود تستفتح به على مشركي العرب وتعظم امره وامر الآتي به حتى اذا حصل ذلك المشاهد لهم كانوا اول
كافر به فقال تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وذلك دين القيمة
وبالتعريف بهذا تاكيد ما تقدم بيانه بما يثمر الخوف وينتج باذن الله التسليم والتبري من ادعاء حول وقوة فان
هؤلاء قد كانوا قدم اليهم في امر الكتاب والآتي به ما يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وقد كانوا يؤملون

الانتصار

الانتصار به عليه السلام من اعدائهم ويستفتحون بكتابه فرحم الله من لم يكن عنده علم منه فابى بكر وعمر وانظارهما رضي الله
عنهم وحرم هؤلاء الذين كانوا على بصيرة من امره وجعلهم بكفرهم شر البرية ورضي عن الآخرين ورضوا عنه واسكنهم في جوار
ومنحهم الفوز الاكبر والجنات الابدية وان كانوا قبل بعثه عليه السلام على جهالة وعمى فلم يضرهم اذ قد سبق لهم في الازل
اولئك هم خير البرية انتهى ولما كان التقدير فاذا اتتهم البينة انفكوا فلقد تفرق المشركون بعد اتيانك وانت البينة
العظمى الى مهتد وضال والضال الى مجاهر ومساتر وكذا اهل الكتاب ثم ما اجتمع العرب على الهدى الا من بعد ما جاءهم
البينة عطف على هذا الذي افهمه السياق قوله معلما بزيادة القبح في وقوع الذنب من العالم بافرادهم بالتصريح عن المرض
وما تفرق اي الآن وفيما مضى من الزمان تفرقا عظيما الذين ولما كانوا في حال هي اليق بالاعراض بنى للمفعول قوله اوتوا
الكتاب اي عما كانوا عليه من الاطباق على الضلال او الوعد باتباع الحق المنتظر في محمد صلى الله عليه وسلم وكذا كان تفرقهم
في عيسى صلى الله عليه وسلم من قبل فاستمر بعضهم على الضلال وبالغ في نقض العهد والعناد وفي بعض بالوعد فاهتدى
وكان تفرقهم لم يعد تفرقا الا شيئا يسيرا ثم اجتمعوا فلم يؤمن منهم لمن بعد خلافه لباتهم تفرقا لكونه قليلا من كثير
فلذلك ادخل الجار فقال الا من بعد وكان ذلك الزمن اليسير هو باسلام من اسلم من قبائل العرب الذين كانوا قد اطبقوا
على النصرانية من تنوخ وغسان وعاملة وبكر بن وائل وعبد القيس ونحوهم وكذا من كان تهود من قبائل اليمن واسلم
ثم طبق اليهود والنصارى على الضلال فلم يسلم منهم الا من لا يعد لقلته معرفا لهم ما اي الزمن الذي جاءتهم فيه او مجيء البينة
فكان حالهم كما قال سبحانه وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد كان مجيء البينة يقتضي
اجتماعهم على الحق لا تفرقهم فيه وكانه اشار الى المشركين بالعاطف ولم يصرح بذكرهم لانهم كانوا عكس اهل الكتاب لم يتفرقوا
الا شيئا يسيرا في اول الامر فكان الضال منهم اكثر ثم اطبقوا على الهدى لما لهم من قوم الطبع ومعتدل المزاج فدل ذلك
على غاية العوج لاهل الكتاب لانهم كانوا لما عندهم من العلم اولى من المشركين بالاجتماع على الهدى ودل ذلك على ان وقوع
اللدد والعناد من العالم اكثر وحصول الآية من قوة ما لطباعهم من كدر النفس بتربيته وتنبيه بالمعاصي من اكل السحت
من الربا وغيره من الكبائر والتسويف بالتوبة فالوت ذلك ابدانهم فاشربته قلوبهم حتى تراكم ظلامها وتكاثف رينها وعما
فلما دعوا لم يكن عندهم شيء من نور يكون لهم به قابلية الانقياد للدعاة ولما كان حال من ضل على علم اشنع زاد في تقبيحهم
فقال وما اي فعلوا ذلك والحال انهم ما ولما كان المقصود بروز الامر المطاع لا تعيين الامر قال بعد وصف الصحف
بانه ثبتت بها قيمة بانيا للمفعول امروا اي وقع امرهم بما امروا به ممن اذا اطلق الامر لم يستحق ان ينصرف الا اليه في الملك
الكتب التي وجب ثبوت اتباعها واذعنوا له الا ليعبدوا اي لاجل ان يعبدوا الله اي الاله الذي له الامر كله ولا امر
لاحد غيره بان يوجدوا عبادته ويجددوها في كل وقت والعبادة امتثال امر الله كما امر على الوجه المامور به من اجل
انه امر مع المبادرة لغاية الحب والخضوع والتعظيم وذلك مع الاقتصاد لئلا يمل الانسان فيخل ويحصل له
الاعجاب فتفسد عبادته حال كونهم مخلصين اي ثابتا غاية الثبات اخلاصهم له الدين بحيث لا يكون فيه شوب
شيء مما يكدره من شرك جلي ولا خفي بان يكون لا لامتثال لكونه امرا طلبا لرضاه لا لشيء من نفع ولا دفع ويكون ذلك على
الصواب فان كثيرا من العاملين يكون مخلصا ويكون شاوه بغير اساس صالح فلا ينفعه بل يكون وبالا عليه فانه
ضيع الاصل كالرهبان وكذا كثير ممن يعتقد ولاية شخص وهو لا يعرف ان يميز بين الولي والعدو والمكرم والمستدرج
وحقيقة الاخلاص انه افراد الحق والطاعة بالقصد مع نسيان الخلق في الاعمال والتوصل اليه بالتوقي عن ملاحظتهم
مع التنقي عن مطالعة النفس ونية العبد نفسه عبدا مامورا لا يريد ثوابا جاعلا كل شيء وسيلة الى الله وعلامته
عدم رؤية العمل ويعرف ذلك بالخوف وعدم الالتفات الى طلب الثواب وبالحياء منه لكونه يرى انه ما قام بحق
السيد على ما ينبغي كما قال تعالى يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ۝ قال القشيري ونقاوة الاخلاص
تصفية العمل من الخلل ۝ وقال الرازي الاخلاص النية الصافية لان النية دائمة والعمل ينقطع والعمل يحتاج الى النية
والنية لا تحتاج الى العمل ولاجلها اتجه التعبير بالاسم من التمكن والثبات كرره بقوله حنفاء اي في غاية الميل مع
الدليل الى القوم بحيث لا يكون عندهم اعوجاج اصلا بل مهما حصل ادنى زيغ عرضوه على الدليل فما لواعه بما لهم من الخفة
فقادهم الى الصلاح فصاروا في غاية الاستقامة وصاروا في العبادة الانسانية واصل الحنف في اللغة الميل
الملوي وخصته العرف بالميل الى الخير ولذا سمي الاحنف بن قيس لميل في رجليه الى داخل من جهة القدام الى الوراء وسموا
الميل الى الشر الحادا فالحنيف المطلق الذي يكون متبرئا عن اصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس
والمشركين وعن فروعها من جميع النحل الى الاعتقادات الحقة وعن توابعها من الخطايا والسيئات الى العمل الصالح
وهو مقام التقي وعن المكروه وهاتا الى المستحبات وهو المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما

لا يبقى الا الذي يعنى وهو المقام الثاني من الورع وعما يجر الى الفضول وهو مقام الزهد فالاية جامعة لمقامي الاخلاص الناظر
احدهما الى الحق والثاني الى الخلق فالاخلاص لمقام المشتغل بالمصغي له لانه افراد الحق بالقصد في الطاعة والحنوف لمقام المشتغل
بالمصغي له لانه افراد الحق بالقصد في الطاعة والحنوف لمقام المشتغل بالمصغي منه لانه الميل عن سائر المخلوقات الى الله والى
ما يرضيه ولما ذكر اصل الدين اتبعه الفروع فبدا باعظمها الذي هو مجمع الدين وموضع التجرد عن العوائق فقال
ويقيموا الصلوة اي يعدلوا من غير اعوجاج ما بجميع الشرائط والاركان والحدود الصلوة لتصير بذلك اهلا لان تقوم بنفسها
وهي التعظيم لامر الله ولما ذكر صلة الخالق اتبعها صلة المخلوق فقال ويؤتوا الزكوة اي بان يحضروها لمستحقيها
شفقة على خلق الله اعانة على الدين اي ولكنهم حرفوا ذلك وبدلوه بطباعهم المعوجة وتدخل الزكوة عند اهل الله في
ما رزق الله من عقل وسمع وبصر ولسان ويد ورجل وجاهة وغير ذلك كما هو واضح من قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
ولما كان هذا دينا حسنا بينا فضلوا عنه على ما عندهم من الادلة زاد في توبيخهم بمدحه فقال وذلك اي والحال ان هذا
الموصوف من العبادة على الوجه المذكور الذي هو في غاية العلو والجزم دين القيمة اي الملة او النفوس او الكتب التي لا عوج
فيها وهو على الاول من اضافة الموصوف الى الصفة وعن الخليل انه قال هو جمع قيم والقيم والقائم واحد والمعنى دين القائمين
لله بالتوحيد ودل على ما قدرته في امر المشركين بذكرهم في نتيجة ما مضى في قوله مؤكدا لاجل انكارهم ان الذين كفروا اي
وقع منهم الستر لمرائي عقولهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك ان لم يكونوا عريقين فيه من اهل
الكتاب اي اليهود والنصارى والمشركين اي العريقين في الشرك ودل بالاتيان بالوصف هنا والفعل في اولئك والله اعلم
على ان المشرك يرجع عن شركه ويؤمن ان لم يكن عريقا في الشرك خلافا لاهل الكتاب متى يلبس احد منهم بكفر لا يرجع عنه والا كان
تلبسه على اصعب الوجوه وكذا كل من ينتسب الى علم ولاسيما ان كان بليدا متى عرضت له شبهة تعذر رجوعه عنها فلذلك جمع
بينهم في قوله في نار جهنم اي النار التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة تكون عذابا لاجسامهم خالدين فيها اي يوم القيمة في
الحال لسعيهم في موجباتها واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب التساوي في النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر
وخفته ولما كان معظم السياق للعبادة والترغيب فيها من القراءة والجحود والانفكاك عن الكفر لم يذكر التأبيد
بلفظه بل اكتفى بما دل عليه وقال في نتيجة ما مضى اولئك اي البعداء البغضاء هم اي خاصة بما لغمارهم من الخبث شر البرية
اي الخليقة الذين اهملوا اصلاح انفسهم وفرطوا في حق خالقهم ومربيهم وهذا نار لا تزال احمم حسن ينادي عليهم به ولما ذكر الاعداء
وبدأ بهم لان السياق لزم من جهلهم من المالوف وترك المعروف اتبعه الاولياء فقال مؤكدا لما للكفار من الانكار ان الذين
امنوا اي اقروا بالايمان من الخلق كلهم من الملائكة وغيرهم وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات اي هذا النوع ولما كان
نعيم القلب اعظم قدمه على نعيم البدن بلاغا في مدحهم فقال اولئك اي العالو الدرجات هم اي خاصة خير البرية ولما
خصصهم بالخيرية ذكر ثوابهم فقال ذاكرا جنة ابدانهم معظما لهم بالتعبير عن النعمة عليهم بلفظ الجزاء المؤذن بانه في مقابلة
ما وصفوا به جزاؤهم اي على طاعاتهم وعظمه بقوله عند ربهم اي المحسن لهم والمحسن اليهم جنات عدن اي اقامة لا تحول
عنها تجري اي جريا دائما لا انقطاع له ولما كان عموم الماء مانعا من تمام اللذة قرب وبعض بقوله من تحتها اي تحت ارضها
وغرفها واشجارها الانهار ولما كانت اللذة لا تكمل الا بالدوام قال خالدين فيها ولما كان النظر الى الترغيب
في هذا السياق اتم حثا على اتباع الدليل المعروف والمفارقة للحال المالوف اكد معنى الخلود تعظيما لجزائه بقوله ابدا
ولما كان هذا كله ثمرة الرضى وكان التصريح به اقر للعين لانه جنة الروح قال مستانفا او معللا رضي الله اي بما له من
نعوت الجلال والجمال عنهم اي بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق ولما كان الرضى اذا كان من الجانبين كان اتم واعلى
قال ورضوا عنه لانهم لم يبق لهم امنية الا اعطاهموها مع علمهم انه متفضل في جميع ذلك لا يجب عليه لاحد شيء ولا يقدر
احد حق قدره فلو اخذ الخلق بما يستحقونه اهلكهم واعظم نعمة عليهم ما من عليهم به من متابعتهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان ذلك كان سببا لكل خير ولما كان ذلك ربما ادعى انه لناس مخصوصين في زمان مخصوص قال معمما له ومنبها
على الوصف الذي كان سببا لاعمالهم التي كانت سبب جزائهم ذلك اي الامر العالي الذي جوزوا به لمن خشي ربه اي خاف
المحسن اليه خوفا يليق به فلم يركن الى التسويف والتكاسل ولم يطع نفسه بالسير بالجري مع الهوى في التظلم بالمحرمات
بل كان ممن يطلب معالي الاخلاق ويستغني قلبه فيما يرضي ربه فكان بتواتر احسانه يزيد خوفا فيزيد شكرا
فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير وهي للعارفين قال الملوي ما معناه ان الانسان اذا استشعر عقابا
بابته او خشي الجفة حاله يقال لها الخوف وهي انخلاع القلب عن طمانينة الامن وتوقعه واضطرابه لتوقع مكروه
فان اشتد سمي وجلا وحولانه في نفسه فاذا اشتد سمي رهبا لاداته الى الهرب وهي حالة المومنين الفارين الى الله
ومن غلب عليه الحب لاستغراق في شهود الجماليات الحقيقية حاله تسمى هيبة اذ لا ينفك عن خوف الابعاد او صد لعقله

اوزله ومن غلب عليه التعظيم لاستغراق في شهود الجلاليات صار في الاجلال وراهن الخشية انما يخشى الله من عباده العلما
فمن خاف ربه هذا الخوف انفك من جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه سبحانه ولم يقدح في النية ولا توقف فيها وما فارق
الخوف قلبا الا خرب فكان حذرا ان يقدح في كل ما ادى الى العائق. وقد رجع اخر السورة على اولها بذلك وصنف الناس
صنفين صنف انفك عن هوى نفسه فاتخلها وصنف استمر في اسره فاردأها وقد ذكرت في مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور
سر تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه بقراءة هذه السورة عليه بخصوصها وحاصله ان سبب تخصيصه
بذلك انه وجد اثنين من الصحابة رضي الله عنهم قد خالفاه في القراءة فرفعهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فامرهما فقرءا عليه فحسن لهما
قال فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فضرب صلى الله عليه وسلم في صدري ففضت عرقا وكانما انظر
الى الله فرقا ثم قص على خبر التخفيف بالسبعة الاحرف وكانت السورة التي وقع فيها الخلاف النحل وفيها انه سبحانه بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم البعث شهيدا وانه نزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وانه نزل عليه روح القدس
بالحق ليثبت الذين امنوا وان اليهود اختلفوا في السبت وسورة لم تكن على قصرها جامعة لكل ما في النحل على طولها بزيادة وفيها
التحذير من الشك بعد البيان وتقبيح حال من فعل ذلك وان حاله يكون كحال الكفرة من اهل الكتاب في العناد فيكون شر البرية
فقراها صلى الله عليه وسلم عليه رضي الله عنه تذكيرا له بذلك كله على وجه ابلغ واخصر ليكون شرع له تصويرا ليكون
ارسخ في النفس واثبت في القلب واعشق للطبع فاحتصه الله المتثبت واراد له الثبات فكان من المراد من ظاهر وصل
اليه قلبه ببركة ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لصدره من كشف الحجب ونفي الشياطين والنظر الى سبحات القدس وشهود
تلك الحضرة الشماء وصيرورته الى ان يكون اصفى الصحابة رضي الله عنهم مرآة لتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم من
الامر الشريف بتخصيصه بذلك فيصير كلما قرأ هذه السورة الجامعة غائبا عن تلاوة نفسه مصغيا بأذني قلبه
الى روح النبوة يتلوها عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذي وصل اليه بسر تلك الضربة ولتثبته في هذا المقام
قال صلى الله عليه وسلم اقرأ وكرامي رواه احمد والترمذي وابن ماجة عن انس رضي الله عنه وهو صحيح ورواه بعضهم
مرسلا ومما فيه ولم اذكره في المصاعد سنة التواضع لا يمنع احدا ما يراه من علو من القراءة على من هو دونه ثم مما يمنع
اكثر اهل الكتاب من الاسلام الى رؤية ما كانوا عليه من العلم بكتب الله وسنن الرسل عليهم السلام وجهال العرب بذلك
نظروا الى ما كان ولم ينظروا الى الحالة الراهنة الان فخلق الحسد ادبانهم وسلبهم ايمانهم وصاروا اشقى الناس كما نبهوا
عليه اول السورة. نسئل الله العافية. سورة الزلزلة مقصودها انكشاف الامور وظهور المقدور
اتم ظهور وانقسام الناس في الجزاء في دار البقاء الى سعادة وشقاء وعلى ذلك اسمها بتامل الظرف ومظروفه وما اداه
من بديع المقدور وصرفه بسم الله المحيط بكل شيء قدرة وعلما الرحمن الذي عم الخلق بنعمة الظاهر فتما الرحيم الذي
اتم النعمة على خواصه حقيقة واسماعنا ورسما ولما ختم تلك بجزاء الصالح والطالح في دار البقاء على ما اسلفوه
في موطن الفناء ذكر في هذه اول مبادي تلك الدار وابلغا بابتهاج ذكر في القارعة ثواني مباديها واخرها باتهام والمع
في التكاثر بالاخبار باظهار ما يكون عليه الجزاء فقال معبرا باداة التحقق لان الامر حتم لا بد من كونه اذا ولما
كان المخوف الزلزلة لا تعلم فاعلها وكان البناء للمفعول يدل على سهولة الفعل وبه جاء بني للمفعول قوله زلزلت
الارض اي حركت واضطربت زلزلة البعث بعد النفخة الثانية بحيث تهدم ذلك لانه كان تتفق ذلك من
الزلزلة لبعضها دون بعض وعلى وجه دون ذلك وعظم هذا الزلزال وهوله باضافته لتذهب النفس فيه كل مذهب
فقال كاسر الزاي لانه مصدر ولو فتحها لكان اسما للحركة. قال البيضاوي وعظمه ذلك اليوم ولو شرح كما يليق به
لطال الشرح وذلك كما تقول اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق الشقي اهانته اي على حسب ما يليق به. وقال الامام
ابو جعفر بن الزبير وردت عقب سورة البرية ليبين بها حصول جزاء الفريقين ومآل الصنفين المذكورين
في قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب الى قوله شر البرية. وقوله ان الذين امنوا الى خاتمة السورة ولما كان
حاصل ذلك افتراقهم على صنفين ولم يقع تعريف بتباين احوالهم اعقبت ذلك بمآل الصنفين واستيفاء جزاء الفريقين
المجمل ذكرهم فقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم الى اخر السورة انتهى ولما كان الاضطراب
العظيم يكشف عن الخفي في المضطرب قال واخرجت اظهر ولم يضمر تحقيقا للعموم فقال الارض اي كلها اثقالها اي ما هو
مدفون فيها من الاموات والكنوز التي كان امرها ثقيلا على الناس وهو جمع ثقل بالكسر وذلك حين يكون البعث والقيام
متاثرا ذلك الاخراج عن ذلك الزلزال كما يتاثر عن زلزال البساط بالنفض اخراج ما في باطنه ووطنه وحشوته من
وسخ وتراب وغير ذلك وما كان على ظهرها فهو ثقل عليها لا لها لعطفها الله قوة ذلك كله كما يعطيها قوة ان تخرج النفث
الصغير اللطيف الطري الذي هو اتم من الحرير فتشق الارض الصلبة التي يكل عنها المعاول الحديد وسواه

مع ما لها من الصلابة التي تستعصي بها على الحديد فتنفلق بضعفين وينبت منها ما يريده سبحانه ويفلق قشر الجوز واللوز ونوى
الخوخ وغيره مما هو في غاية الصلابة كما يشاهد ويخرج منه الشجر يشق الارض على ضعفه ولينه وصلابتها ويكونه على ظهرها
حتى يصير اغلظ شي واشده وكذا الجبس سوا فالذي قدر على ذلك هو سبحانه قادر على تكوين الموتى في بطن الارض واعادتهم
على ما كانوا عليه كما يكون الجنين في البطن ويشق جميع منافذه على البحر من السمع والبصر والفم وغير ذلك من غير ان يدخل
اليه هناك شي لاستمداد ثم يخرج من البطن وكذا اخراج الموتى من غير فرق وكل عليه هين سبحانه ما اعظم شانه واعز سلطانه
ولما كان الانسان اذا راى هذا اعجب له ولم يدرك سببه لانه امر عظيم قطعي بهر عقله وضيق عنه ذرعه عبر عنه بقوله
وقال الانسان اي هذا النوع الصادق بالقليل والكثير لما له من النسيان لما اكد عنه من امر البعث بما له من الانس بنفسه
والنظر في عطفه على سبيل التعجب والدهش والحيرة ويجوز ان يكون القائل الكافر كما نقول من بعثنا من مرقدنا فيقول له المؤمن
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ما لها اي اي شي للارض في هذا الامر الذي لم نعهد مثله ولما طال الكلام واريد
التهويل ابدل من اذا قوله معرفا للانسان بما سال عنه يومئذ اي اذ كان ما ذكر من الزلزال وما لزم عنه ونصبه وكذا ما
ابدل منه بقوله تحدث اي الارض بلسان الحال باخراج ما في بطنها من الموتى والكنوز وغيرها على وجه يعلم الانسان به
ان الزلزلت ولم اخرجت وان الانداد ربذلك كان خفاه وقال ابن مسعود رضي الله عنه تحدث بلسان المقال اخبارها
اي التي زلزلت واخرجت ما اخرجت لاجلها وكل شي عمل عليها تشهد منها على العالمين فتقول عمل فلان كذا وكذا العبد حتى يكاد
المجرم انه يساق الى النار لينقطع عنه تعداد ذلك الذي يلزم منه العار وتشهد للمؤمن بما عمل حتى يسره ذلك فليشهد للموذن
كلما امتد اليه صوته من رطب ويابس ولما كان من المقرر انه لا يكون شي الا باذنه تعالى وكان قد يبني الافعال لما لم
يسم فاعله وكان الجاهل بما خفي عليه فاعل ذلك قال بان اي تحدث بسبب ان ربك اي المحسن اليك باحقاق الحق وازهاق
الباطل لاعلاء شانك اوحى وعدل عن حرف الغاية ايذانا بالاسراع في الايحا فقال لها اي بالاذن في التحديث المذكور
بالحال او بالمقال ولما اخبر تعالى باخراج الاثقال التي منها الاموات اشتد التشوف الى ما بعد ذلك الاخراج وما
ينشا عنه فقال مكررا ذكر اليوم زيادة في التهويل يومئذ اي اذ كان ما تقدم وهو حين يقوم الناس من القبور يصدر اي
يرجع رجوعا هو في غاية السرعة والاهتداء الى الموضع الذي ينادون منه لا يغلط احد منهم فيه ولا يضل عنه الناس
من قبورهم المدبهم الذي كانوا بهم بالمرصاد لينفصل بينهم اشتاتا اي متفرقين بحسب مراتبهم في الذوات والاحوال من
مؤمن وكافر وامن وخائف ومطيع وعاص ولما ذكر ذلك اتبعه علته فقال بانيا للمفعول على طريقة كلام القادرين
ليروا اي يري الله المحسن منهم والمسي بواسطة من يشاء من جنوده او بغير واسطة حين يكلم سبحانه كل احد من غير
ترجمان ولا واسطة كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم اعمالهم فيعلموا جزاها او صادرين عن الموقف كل الى داره
ليرى جزا عمله ثم سبب عن ذلك قوله مفصلا الجملة التي قبله فمن يعمل من محسن او مسي مسلم او كافر مثقال اي مقدار وزن
ذرة خيرا اي من جهة الخير يره اي حاضرا لا يغيب عنه شي منه لان المحاسب لا حاطة علما وقدرة فالكافر يوقف
على انه جوزي به في الدنيا او انه احبطه لبنائه على غير اساس الايمان فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه ويقوى حزنه
واسفه والمؤمن يراه ليشتد سروره به ولما ذكر الخير اتبعه ضده فقال ومن يعمل اي كائنا من كان مثقال ذرة شرا
اي من جهة الشر يره فما فوقه فالمؤمن يراه ويعلم انه قد غفر له فيشتد فرحه والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه
والذر النملة الصغيرة والهبات التي ترى طائرة في الشعاع الداخل من الكوة وقد رجع اخرها على اولها بتحديث
الاخبار واظهار الاسرار وقد ورد في حديث الاعرابي ان هذه السورة جامعة لهذه الاية الاخيرة وقال ابن
مسعود رضي الله عنه انها احكم اية في القران وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها الفاذة الجامعة ومن فقه
ذلك لم يحقر ذنبا وان دق لانه يجتمع الى امثاله فيصير كبيرا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها اياك ومحقرات
الذنوب فان لها من الله طالبا وروى كما ذكرته في كتابي مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور في حديث انها
تعدل نصف القران ولا تعارض فالاول نظرا اليها من جهة ان الاحكام تنقسم الى احكام الدنيا واحكام الاخرة
اجمالا وزادت على القارعة باخراج الاثقال وان كل احد يرى كل ما عمل والثاني نظرا اليها باعتبار ما تضمنه الحديث
الذي رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله
الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر فاقتضى هذا الحديث
ان الايمان بالبعث الذي قررته هذه السورة ربع الايمان الكامل الذي دل عليه القران واما فامر الدين اربعة
اجزا امر المعبود وامر العبد وامر العبادة وامر الجزا فهذه السورة تكفلت بامر الجزا وسورة الكافرون ربع لانها في امر
العبادة على وجه الخصوص والخفا وان كانت على وجه التمام والوفا وسورة النصر لانها الامر العبادة على وجه العموم والجلال والظهور

والعلا لا علم بان اكثر الخلق يوم الزلزلة هالك لايثار الفاني عليه وما عطف عليه وقد علم **سورة العاديات مقصودها**
ان اسمها ادل شي على ذلك لما هدى اليه القسم والمقسم عليه وما عطف عليه وقد علم ان اسمها ادل شي على ذلك لما هدى اليه القسم والمقسم عليه
بسم الله الذي له الامر كله فلا يسال عما يفعل الرحمن الذي عم بنعمه الجادة وبيانه فتممه اتم تعمة واشمل الرحيم الذي خص خلص عباده
بتوفيقه فاتم نعمته عليهم واكمل ولما ختم الزلزلة بالجزاء الاعمال لشر يوم الفصل فتح هذه ببيان ما يجر الى تلك الاعمال من الطبع
وما يجر اليه ذلك الطبع مما يحمله من النفع موبخا من لا يستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام من تلك الاعمال معنفا من اثر دنياه على اخراه
معلما بما لا يكون الا عند اهل النعم الكبار الموجبة للشكر فمن غلبت عليه الروح شكر ومن غلبت عليه الطبع وهم الاكثر كفر فقال
والعاديات اي الدواب التي من شانها ان تجري بغاية السرعة وهي الخيل التي ظهورها عز وبطونها كنز وهي لرجل وزر ولرجل اجر فاجر
بها وناوي بها اهل الاسلام وابطر عزها حتى قطع الطريق واخاف الرفيق كانت له شرا ومن جعلها في سبيل الله كانت له اجرا ومن حمل
عليها ولم ينس حق الله في رقابها وظهورها كانت له سترا وانما اقسم بها ليتوصل بما فيها من الاسرار الكبار التي بانت بها امثالها
من الدواب كالثور مثلا والحمار ليعلم ان الذي خصها بذلك فاعل مختار واحد قهار فالقسم في الحقيقة به سبحانه ولما كانت
دالة على الضابحات بالالتزام قال ناصبا به او بضبح مقدرا ضبحا والضبح صوت جهير يخرج من افواهها عند العدو والشديد
ليس بصهيل ولا حمحمة ولا رغاء هو من النفس وليس شي من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب واصله للثعلب واستعير للخيل
وحكاه ابن عباس رضي الله عنهما فقال اح اح والضبح عدو دون التقريب ولما ذكر عدوها اتبعه ما ينشا عنه فقال عاطفا
باداة التعقيب لان العدو يحدث بسببه عنه وتعقبه الاثر فالموريات اي المخرجات للنار بما يصطك من نعالها بالاحجار لاسيما
عند سلوك الاوعار ولما كان الاثر اثر القدح قال قدحا اي تقدح ضربا بعنف كضرب الزند ليوري النار ونسبت الاثر
اليها لا لكاد ها صورته وان لم يكن لها قصد اليه ولما ذكر العدو وما ينشا عنه ذكر نتيجته وغايته فقال فالمغيرات
اي بالغارة اهلها عليها على العدو والاغارة الكبس الشديد لارادة القتل والنهب ولما كانت الاغارة الكائن عنها الثبور
والويل والروع ما يكون في اعقاب الليل قال صبحا اي ذات دخول في الصباح ولما كان الاعدا حال الاغارة يكون مختلفا تارة
يمينا وتارة شمالا وتارة امامها ومارة وراها بحسب الكر والفر في الفضا وله المقبل المحارب فينشا عنها الغبار الكثير لاثارة
الهوا له واصطدام بعضه ببعض لتعاكسه بقوة الدفع من قوائمها وما تحركه منه وكان المقسم به منظورا فيه الى ذاته
ونتيجة القسم منظورا فيها الى الفعل بادني بعد مع قطع النظر بالاصالة الى الذات عطف على اسم الفاعل لتحله الى وصلتها
فقال فاثرن به اي بعمل الاغارة ومكانها وزمانها من شدة العدو نقعا اي غبارا مع الاعناق والصياح والزجر بالنعق حتى
صار ذلك الغبار منعقدا ومتحكما عليها ولما كان المغير يتوسط الجمع عند خلالهم فيفرق شملهم لانهم متى افترقوا حصل
بينهم الخلل ومتى اختلفوا تخللهم العدو وتفرق شملهم قال فوسطن به اي بذلك النقع او الفعل او الوقت او الموضع جمعا اي ذوي
المقصود بالاغارة فدخلت في وسط ذلك الجمع لشجاعتها وقوتها وطواعيتها وشجاعة فرسانها ولما اقسم بالخيل التي هي
اشرف الحيوان كما ان الانسان المقسم لاجله اشرف ما اتصف منه بالبيان ويجري به الحكام بحمل البرهان ويقدح المعاني نارا
مغيرته باشرف المعاني واجري باحسن ما يقع به الافتراق من الذي دروا البهتان وانكاد والطغيان وتغير منه يوقف
الاذهان تارة على شبه الخصوم بالبرهان واخرى بما يعتريه من الشبه الملبسة في وجوه المعاني الصحيحة على اهل الطغيان
من ذوي البدع او الكفران واخرى الفاسدين على حزب الملك الديان ويتوسط تارة جمع اولي الطغيان واخرى جمع اولي الايمان
وكانت الاغارة في الغالب لاجل نهب المغار عليهم على اموالهم عدوانا ان كان ذلك في غير الجهاد فقل من يخلص في ذلك الحال فيكون
عمله ليس الا لله كما اشار اليه الحديث القدسي لعبدي كل عبدي للذي يذكرني عند لقاء قرنه قال مجيبا للقسم بذكر المقسم
عليه حاكما على النوع باعتبار عد المخلص لقلته عدما موكدا لما لهم من التكذيب فان كل احد يتبرا من مثل هذا الحال ان الانسان اي
هذا النوع بما له من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه لربه اي المحسن اليه بابداعه ثم ابقائه وتدبيره وتربيته لكنود اي كفور
يكد بنوع المعاملة حيث يقدم بما احسن به الله اليه من الصافنات الجياد وبما اتاه من قوة الجنان والاركان على ما نهاه عنه
ومصدر الكنود بالضم وهو كفران النعمة فالمراد هنا بالتعبير عنه بهذه الصيغة التي هي للمبالغة من يزدري القليل ولا يشكر
الكثير وينسى كثير النعمة بقليل المحنة ويلوم ربه في ايسر نقمة وقال الفضيل بن عياض هو من انسته الخصلة الواحدة من
الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكر ضده وقال الامام ابو جعفر بن الزبير اقسم سبحانه على حال الانسان بما هو
فقال ان الانسان لربه لكنود اي لكفور يبخل بما لديه من المال كانه لا يجازى ولا يحاسب على قليل ذلك وكثيره من اين اكتسبه
وفيما انفقه وكانه ما سمع بقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وانه لحب الخير اي المال لشديد
لبخيل وانه على ذلك لشهيد وان الله على ذلك المطلع والناظر في امره وعاقبة ماله اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور واي مزيد
ما فيهما من الخير والشر ليقع الجزا عليه ان ربهم بهم يومئذ لخبير لا يخفى شي من امرهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال

ذرة شرا يره انتهى ولما كان اقدام الانسان على الظلم عجبا فاذا كان يشهد على نفسه بالظلم كان اعجب قال مؤكدا لاكثر الخلق قبل
البعث والمخالفة من انكار كفرانه وانه اى الانسان على ذلك اى الكنود العظيم حيث اقدم على مخالفة الملك الاعظم المحسن مع الكفران
لاحسانه لشهيد لانه مقر اذا حوقق بان جميع ما هو فيه من احسان ربه وبان ربه نهاه عن المخالفة وانه لا امر عنده منه بما فعل وانه
لا ينبغى لعاقل ان يتحرك حركة يمكن ان يكرهها الملك الذى هو فى خدمته ولا شئ له الا منه بغير اذنه وان تحرك بغير ذلك كان
كافرا لاحسانه مستحقا لعقابه لا يقدر على انكار شئ منه ولما كان من العجائب ان يكفر احد احسان المنعم وهو شاهد على نفسه ذكر الحامل
له على ذلك حتى هان عليه فقال الخير اى الانسان من حيث هو مع شهادته على نفسه بالكفر الذى يقتضى سلب النعم وانه اى لاجل حب
اى المال الذى لا يعد غيره لجهله خيرا لشديد اى بخيل بالمال ضابط له متمسك عليه او بليغ القوة فى حبه لان منفعته فى الدنيا وهو
متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بان اقل ما فيه انه يشغله عن حسن الخدمة لربه وهو معرض عن الدين حيث كانت منفعته
آجلة غائبة مع علمه بانه المعرف بما يرضى من خدمة ربه الحاث عليها الداعى اليها فهو لحب عباده ضعيف متقاعس وكان حب الخير
يقتضى منه الشكر الذى يتقاضى الزيادة ولا يتخيل ان شديدا عامل فى لحب لان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وانما ذلك المتقدم
دليل على المعمول المحذوف ولما كان المال فانيا لا ينبغى لعاقل ان يعلق امله به فضلا عن ان يؤثره على الباقى نبهه على ذلك بما
يبلغ فقال مسببا عن ذلك مجما موقفا له على ما يؤول اليه امره افلا يعلم اى هذا الانسان الذى اساه انسه نفسه ولما
كان الحث امرا فكينا لا يطلع عليه الا عالم الغيب وكان البعث من عالم الغيب وكان امرا لا بد منه وكان المخوف مطلق كونه لم يحتج
الى تعيين الفاعل فبنى للمفعول قوله مهددا ومؤذنا بانه شديد القدرة على اثارة الخفايا معلقا بما تقديره ما يؤول اليه امره
من ان الله يحاسبه ويجازيه على اعماله وانه لا ينفعه مال ولا غيره ولا ينجيه الا ما كان من اعماله موافقا لامر ربه مبنيا على اساس
الايمان داعيا بالاخلاص اذا بعثر اى اثير بغاية السهولة واخرج وفرق ونظر وفتش بغاية السهولة ولما كان المستدل على البعث
جمادا عبر عنه باداة ما لا يعقل فقيل ما فى القبور اى اخرج ما فيها من الموتى الذين ينكر العرب بعثهم فنشروا للحساب اى من
عظامهم ولحومهم واعصابهم وجلودهم وجميع اجسامهم وقلب بعضه على بعض حتى اعيد كل شئ منه على ما كان عليه ثم اعيدت
اليه الروح فكان كل احد على ما يأتى عليه ولما كان المخوف انما هو ما يشار عن البعث من الجزاء على الاعمال الفاسدة قال وحصل اى
اخرج وميز وجمع تعرف انه معلوم كله لغاية السهولة كما اشار اليه البناء للمفعول ما فى الصدور اى من خير او شر مما يظن صاحبه
انه لا يعلمه احد اصلا وظهر مكتوبا فى صحائف الاعمال وهذا يدل على ان النيات يحاسب بها كما يحاسب على ما يظهر من آثارها
ولما كان علم ما فى الصدور امرا باهرا للعقل قال جامعا نظرا الى المعنى لما عبر عنه بالافراد بالنظر الى اللفظ لان
العلم بالكل ملازمة العلم بالبعض بخلاف العكس مؤكدا اشارة الى انه مما لا يكاد يصدق معللا للجملة المحذوفة الدالة على
الحساب ان ربهم اى المحسن اليهم بخلقهم ورزقهم وتربيتهم وجعلهم اقوياء سويين بهم قدم هذا الجار والمجرور للاختصاص
ل للانسان ولما كانت خبرة الاحاطة بالشئ ظاهرا او باطنا وكان يلزم من الخبرة بالشئ بعد كونه بعد طول الحين به
حال كونه من باب الاولى قال يومئذ اى اذ كانت هذه الامور وهو يوم القيامة لخبير اى محيط بهم من جميع الجهات
عالم غاية العلم بظواهر امورهم فكيف ببواطنها جواهرها واعراضها وافعالها واقوالها الخفية كانت او ظاهرة سرا كانت
او علانية خيرا كانت او شرا ومن المعلوم ان فيها الظلم وغيره ومنهم المحسن وغيره فلاجل علمه بذلك سبحانه غاية العلم الحاكم
للاينفع ما ينافى الحكمة وهو ان يسوى الحسنة والسيئة فالاصل بالعقد وتقديم الظرف للابلاغ فى التعريف بانه سبحانه
محيط العلم بذلك كما اذا قيل لك تعرف فلانا فقلت ولا اعرف الا هو فان قصدك بذلك ان معرفتك به فى غاية
الاتقان لا نفى معرفة غيره وفيه اشعار بان كل احد يعرف غاية المعرفة فى ذلك اليوم انه سبحانه عالم باحواله لا ذهول
له عن شئ من ذلك لما يقع فى هذه الدار من الانسان يعمل اشياء كثيرة وهو غافل عن ان ربه مطلع عليه فيها ولو تنبه
لعلم فلاحاطته سبحانه بجميع احوالهم كان عالما بان الانسان لربه كنود وقد رجع آخرها الى اولها وتكفل مفصلها
بشرح مجملها والله الهادى

سورة القارعة مقصودها

ايضاح يوم الدين بتصوير احواله فى مبدأه ومآله وتقسيم
الناس فيه الى ناج وهالك واسمها القارعة واضح فى ذلك بسم الله الملك الاعلى الرحمن الذى عمت نعمة ايجاده وبيانه جميع
الورى الرحيم الذى خص اهل حزبه بالتوفيق لما يحب ويرضى ولما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته القارعة اى الصيحة
او القيامة سميت بها لانها تقرع اسماع الناس وتدق قلوبهم فاشد دقا اعظمها مزعجا بالافزاع والاجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار
والاشياء الثابتة بالانتثار ولما كانت تفوق الوصف فى عظم شأنها وجليل سلطانها عبر عن ذلك وزاده عظما بالابهام
والاظهار فى موضع الاضمار مشيرا بالاستفهام الى انها مما يحق ان يسأل عنه على وجه التعجب والاستعظام فقال
ما القارعة واكد تعظيمها اعلاما بانه مهما خطر ببالك من عظمها فهى اعظم منه فقال وما ادريك اى اى شئ اعلمك
وان بالغت فى التعرف واظهر موضع الاضمار لذلك فقال ما القارعة اى انك لا تعرفها لانك لم تعهد مثلها دون الامام

ابو جعفر بن الزبير لما قال سبحانه افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور وكان ذلك مظنة لان يسأل متى ذلك فقيل
يوم القيامة الهائل الامر الفظيع الحال الشديد البأس والقيامة هى القارعة وكررت تعظيما لامرها كما ورد فى قوله تعالى
الحاقة ما الحاقة وفى قوله سبحانه فغشيهم من اليم ما غشيهم ثم زاد عظيم هولها ايضاحا بقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث والفراش ما تهافت فى النار من البعوض والمبثوث المنتشر ويكون الجبال كالعهن المنفوش والعهن الصوف المصبوغ
وخص لاعداده للغزل اذ لا يصبغ لغيره بخلاف الابيض فانه لا يلزم فيه ذلك ثم ذكر حال الخلق فى وزن الاعمال وصيرورة كل فريق الى ما
كتب له وقد انتهى ولما كان التى الشامع جميع فكره لا تعرف احوالها قال لما تقدم من يوم يكون اى كونا كانه جبلة الناس اى الذين حالهم
كونهم على كثرتهم واختلاف ذواتهم واحوالهم ومراتبهم ومقاديرهم وانتشارهم بعد بعثرة القبور وتحصيل ما فى الصدور ون
كالفراش اى صغار الجراد لانها تتفرش وتتهافت على النار او هو طير غير ذلك لا دم له يتساقط فى النار ليس ببعوض ولا ذباب
وقال حمزة الكرمانى شبههم بالفراش التى تطير من هنا ومن هنا ولا تجرى على سمت واحد وهى همج يجلبها السراج وقال غيره
وجه الشبه الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما تتطاير الفراش وكثرة التهافت فى النار
وركوب بعضهم بعضا وموج بعضهم فى بعض من شدة الهول كما قال تعالى كانهم جراد منتشر المبثوث اى المنتشر المتفرق ن
ولما كانت الجبال اشد ما يكون عظم الرهبة بالاخبار بما يفعل بها فقال وتكون الجبال على ما هى عليه من الشدة والصلابة
وانها تحت دراسخة كالعهن اى الصوف المصبوغ لانها ملونة كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر وغير ذلك المنفوش
اى المندوف المتفرق الاجزاء الذى ليس هو بمتلبد شئ منه على غيره فتراها لذلك متطايرة فى الجو كالهباء المنثور حتى تعود الارض
كلها لا عوج فيها ولا امت ولما كان اليوم انما يوصف لاجل ما يقع فيه سبب عن ذلك قوله مفصلا لهم فاما من ثقلت اى
بالرجحان ولما كانت الموزونات كثيرة الانواع جدا جمع الميزان باعتبار افراده فقال موازينه اى مقادير انواع حسناته
باتباع الحق لانه ثقيل فى الدنيا واجتناب الباطل والموزون الاعمال انفسها تجسدا او صحائفها فهو بسبب رجحان حسناته
فى عيشة اى حياة يتقلب فيها ولعله الحقها الهاء الدالة على الوحدة والمراد العيش ليفهم انها على حالة واحدة فى الصفا
واللذة وليست ذات الوان كحياة الدنيا راضية اى ذات رضى ومرضية لان امه حيه غالبه واما من خفت اى طاشت
موازينه اى بان غلبت سيئاته او لم يكن له حسنة لاتباعه الباطل وخفته عليه فى الدنيا فامه اى التى تؤويه وتضمه
اليها كما يقال للارض ام لانها تقصد لذلك ويسكن اليها كما يسكن الى الام وكذا المسكن وهو يفهم انه مخلوق منها
غلب عليه طبع الشيطان لكون العنصر النارى اكثر اجزائه وعظمها بالتنكير والتعبير بالوصف المعلم بانه لا قرار لها
فقال هاوية اى نازلة سافلة جدا فهو بحيث لا يزال يهوى فيها نارا او هو فى عيشة ساخطة فالآية من الاحتباك
ذكر العيشة اولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا على حذفها اولا ولما كانت مما تفوت الوصف
تعظيم اهوالها وعظيم ذلك الهاجع الامر فيها فقال منكرا ان يكون مخلوق يعرف وصفها وما ادراك اى واى شئ اعلمك
وان اشتد تكلفك ماهيه اى الهاوية لانه لم يعهد احد مثلها ليعتبرها عليه وها السكت اشارة الى ان ذكرها
مما يكرب القلب حتى لا يقدر على الاسترسال فى الكلام او الى انها مما ينبغى ان يتروع السامع عنها بسمعه فيسكت لسماع الجواب
وفهمه غاية السكوت ويصغى غاية الاصغاء ولما هولها بما ذكر اتبعه ما يمكن البشر معرفته من وصفها فقال نار حامية
اى قد انتهى حرها هذا ما تتعارفونه بينكم واما التفاصيل فامر لا يعلمه الا الله تعالى وهذا نهاية القارعة تلاوة
الاول للآخر واضح جدا ظاهر والله الموفق

سورة التكاثر مقصودها

النصوح بما اشارت اليه العاديات
من ان سبب الهلاك يوم الجمع الذى صورته القارعة الجمع للمال والاخلاد الى دار الزوال واسمها واضح الدلالة على ذلك
بسم الله ذى الجلال والاكرام الرحمن الذى عم بالانعام بالبيان بعد الابهام والايجاد بعد الاعدام الرحيم الذى خص
اهل وده بدوام نعمتهم بالاتمام لما اثبت فى القارعة امر الساعة وقسم الناس فيها الى شقى وسعيد وختم بالشقى
افتتح هذه بعلة الشقاق ومبدأ الحشر لينزجر السامع عن هذا السبب ليكون من القسم الاول فقال لما كان حاصلها التقسيم كان
قسم منكم هالكا لانه الهاكم اى اغفلكم الا النادر منكم غفلة عظيمة عن الموت الذى هو حتف كاف فى البعث على الزهد فكيف بما
بعده التكاثر وهو المباهاة والمفاخرة بكثرة الاعراض الفانية من متاع الدنيا المال والجاه والبنين ونحوها مما هو
شاغل عن الله فكان ذلك موجبا لصرف الهمة الى الجمع فصرفكم ذلك الى اللهو فاغفلكم عما امامكم من الآخرة والدين الحق وعن
ذكر ربكم وعن كل ما ينجيكم من سخطه او عن المنافسة فى الاعمال الموصلة الى اعلى الدرجات بكثرة الطاعات وذلك
كله لانكم لا تعلمون مما غلب عليكم من الجهل الذى سببه شهوة النفس وحب الراحة لخفة موازينكم وحذف هذا
المنسى الملهو عنه لتعظيمه والدلالة على انه ليس غيره مما يوسف على اللهو عنه ولما كانوا ينكرون البعث ويعتقدون
دوام الاقامة فى القبور عبر بالزيارة اشارة الى ان البعث امر لا بد منه ولا مرية وان اللبث فى البرزخ وان طال فما هو

كلبث الزائر عند مزوره في جنب الاقامة بعد البعث في دار النعيم او نار الجحيم وان الاقامة فيه محجوبة للعلم بما بعد من الاهوال في الشدائد والاوجال فقال حتى اي استمر تباهيكم ومفاخرتكم الى ان **زرتم المقابر** اي بالموت والدفن فكنتم فيها عرضة للبعث لا تتمكنون من عمل ما ينجيكم لان دار العمل فاتت كما ان الزائر ليس بصدد العمل عند المزور ولا تمكنون فيها الا ريثما يتحمل الجموع بالموت كما ان الزائر معرض للرجوع الى داره ومحل قراره فلو لم يكن لكم وازع عن الاقبال على الدنيا الا الموت لكان كافيا فكيف والامر اعظم فان الموت مقدمة من مقدمات العرض قال ابو حيان سمع بعض الاعراب الاية فقال بعث والقوم للقيمة ورب الكعبة فان الزائر منصرف لا مقيم • وروى ابن ابي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز انه قرأها ثم قال ما ارى المقابر الا زيارة ولا بد لمن زار ان يرجع الى بيته اما الى الجنة او الى النار • وقال الامام ابو جعفر بن الزبير **ولما** تقدم ذكر القارعة وعظيم اهوالها اعقبت بذكر ما شغل وصد عن الاستعداد لها والهى عن ذكرها وهو التكاثر بالعدد والقرابات والاهلين فقال الهاكم التكاثر وهو في معرض التهديد والتقريع وقد اعقبت بما بعضد ذلك وهو قوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ثم قال كلا لو تعلمون علم اليقين وحذف جواب لو والتقدير لو تعلمون علم اليقين لما شغلكم التكاثر قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث • وقوله تعالى لترون الجحيم جواب قسم مقدر اي والله لترون الجحيم وتأكيدها التهديد وكذا ما بعدها الى اخر السورة انتهى **ولما** كان الاشتغال بالتكاثر في غاية الدلالة على السفه لان من المعلوم قطعا ان هذا الكون على هذا النظام لا يكون الا بصانع حكيم وكان العقلاء المنتفعون بالكون في غاية النظام وذلك الحكيم لا يرضى اصلا ان يكون عبيده يظلم بعضهم بعضا ثم لا يحكم بينهم ولا ينظر في مصالحهم علم قطعا انه يبعثهم ليحكم بينهم لانه كامل على ابدائهم يقدر على اعادتهم وقد وعد بذلك وارسل به رسله وانزل به كتبه فثبت ذلك ثبوتا لا مرية فيه ولا مرية عليه فكان الحال مقتضيا لان يردع غاية الردع من اعرض عما يعنيه واقبل على ما لا يعنيه فقال سبحانه معبرا بام الروادع وجامعة الزواجر والصوادع **كلا** اي ارتدعوا اتم ردع وانزجروا اعظم زجر عن الاشتغال بما لا يجدي فانه ليس الامر كما تظنون من ان الفخر في المكاثرة بالاعراض الدنيوية ولم تخلقوا لذلك انما خلقتم لامر عظيم فهو الذي يهمكم فاشتغلتم عنه بما لا يهمكم فكنتم لا عين كمن كان يكفيه كل يوم درهم فاشتغل بتحصيل الكثير وكمن ترك المهم من التفسير واشتغل بالاقوال الشاذة او ترك المهم من الفقه واشتغل بنوادر الفروع وعلل النحو ونحوها وترك ما هو اهم منه بما لا يعنيه الاية **ولما** كان الردع لا يكون الا عن ضار بحزن وبالا وحسرة دل على ذلك بقوله استينافا **سوف** اي بعد مهلة طويلة بتهدد فيها من تذكر **تعلمون** اي يتجدد لكم العلم بوعد لا خلف فيه بما انتم عليه من الخطأ عند معاينة ما يكشفه الموت ويحرزه الفوت من عاقبة ذلك ووباله **ولما** كان من الامور ما لو شرح شانه على ما هو عليه لطال وادى الى الملالة دل على ان شرح هذا الوعيد مطول بقوله مؤكدا مع التعبير باداة التراخي الدالة على علو الرتبة **ثم كلا** اي ارتدعوا ارتداعا اكبر من ذلك لانه **سوف تعلمون** اي يأتيكم العلم من غير شك وان تأخر زمنه بسبب البعث **ولما** كان هذا امرا صادعا اشار الى انه يكفي هذه الامة المرحومة التاكيد مرة فقال مؤكدا للامر بتاكيد الردع ثالثا بالاداة الصالحة ولان يكون بمعنى حقا كما يقوله ائمة القراء **كلا** اي ليشتد ارتداعكم عن التكاثر فانه اساس كل بلاء فانكم **لو تعلمون** اي لها المتكاثرون **ولما** كان العلم يطلق على الظن مجازا بقوله **علم اليقين** اي لو يقع لكم على وجه اليقين مرة من الدهر لعلمتم ما بين ايديكم فالهكم التكاثر ولضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تجارون فحذف هذا الجواب بعد حذف المفعول للتفخيم فهو اشارة الى انه لا يعين غيره والمعنى ان اعمالكم اعمال من لا يتيقنه • قال الرازي واليقين مركب الاخذ في هذا الطريق وهي غاية درجات العامة واول خطوة الخاصة قال عليه الصلاة والسلام خيرما القي في القلب اليقين وعلمه قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق والاية من الاحتباك ذكر الالهاء اولا وحذف سببه وهو الجهل لدلالة الثاني عليه وذكر ولا العلم الذي هو الثمرة وحذف ما يتسبب عنه من عدم اللهو الذي هو ضد الاول ولما زاد في التفخيم لهذا الوعيد ما ضاح المتوعد به لعظيم هامه بمع قسم دل عليه باللام فقال **لترون** اي بالمكاشفة وعزتنا ولا يصح ان يكون هذا جوابا لما قبله لانه محقق **الجحيم** اي النار التي يلقى المعذبين بكراهة وتغيظ وعتو وشديد توقد فالمؤمن يراها وينجو منها سواء خالطها او لا والكافر يخلد فيها **ولما** كان هذا توعدا على التكاثر لانه يقتضي الاعراض عن الاخرة ويوقع في غاية البلايا الكبار اكد فقال مفخما له بحرف التراخي **ثم لترونها** وعزة الله وترقى في العلم عن رتبة الاول فقال **عين اليقين** اي الرؤية التي هي نفس اليقين وذلك هو المعاينة بغاية ما يكون من صفاء العلم لكونه لا ريبة فيه فان المشاهدة اعلى انواع العلم قال الرازي وهو الغني بالاستدلال عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان وخرق الشهود حجاب العلم انتهى **ولما** كان من اهول الخطاب للتهديد رؤية العذاب زاد في التخويف لانه لا اجل ما يكون ان يعذب به العاصي

عندا

عند انادا اوجب السؤال للنكال كان تحاضوا لا مانع من البقاء في الحال ولو لم كان لمن استحقه في مدة احسان مجال فقال منجما باداة التراخي **ثم** اي بعد امور طويلة عظيمة مهولة **لتسئلن** وعزتنا **يومئذ** اي اذ ترون الجحيم **عن النعيم** الذي ادا كم التكاثر اليه حتى الماء البارد في الصيف والحار في الشتاء هل كان استمتاعكم به على وجه الشرف لارادة الترف وكان لارادة القوة للنشاط الى الخير فلم يخرج عن الشرف فالمؤمن المطيع يسأل سؤال التشريف والعاصي يسأل سؤال التوبيخ والتأنيف ولام النعيم قد يكون لمطلق الجنس واليه يشير حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم ضاف الهيثم بن التيهان مع ابي بكر رضي الله عنهما فاطعمهم لحما ورطبا وسقاهم ماء باردا او فرش لهم بساطا في ظل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا من النعيم الذي تسئلون عنه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وقد يكون للكمال فيكون من اعلام النبوة كما في حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه عند احمد بن سند حسن ان شاء الله انهم قالوا عند نزولها اي نعيم وانما هما الاسودان التمر والماء وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر قال ان ذلك سيكون وله شاهد عند الطبراني عن ابن الزبير رضي الله عنهما وعند الطبراني بلاغا عن الحسن البصري مرسلا فقد التحم آخرها باولها على وجه هو من الطف الخطاب وادق المسالك في النهي عما جر الى العذاب لان العاقل اذا علم انه يسأل به سؤال الاعن كل ما يلتذ به علم انه يعوقه ذلك في زمن السؤال عن لذاذات الجنة العوال فكان خوفه من مطلق السؤال ما لعاله عن التنعم بالمباح فكيف بالمكروه فكيف ثم كيف بالمحرم فكيف اذا كان السؤال من ملك يذوب لهيبته الجبال فكيف اذا كان السؤال على وجه العتاب فكيف اذا جر الى العذاب فتأمل كلام خالقك ما الطف شانه واجل عباراته في نذاراته وبشاراته

سورة العصر قال الشافعي رحمه الله انها سورة لو لم ينزل الى الناس الا هي لكفتهم وهو يعني انها شملت جميع علوم القرآن

مقصودها تفضيل نوع الانسان المخلوق من علق وبيان خلاصته وعصارته وهم الحزب الناجي يوم السؤال عن زكا الاعمال بعد الاشارة الى اضدادهم والاعلام بما ينجي من الاعمال والاحوال بترك الفاني والاقبال على الباقي لانه خلاصة الكون ولباب الوجود واسمها العصر واضح في ذلك فان العصر خلاصة الموجود ونتيجة صفاوته ولذلك كان وقته هذا النبي الخاتم الذي هو خلاصة الخلق ووقت العصر وكانت صلاة العصر افضل الصلوات • وبيان اشتمالها على علوم القرآن تنزيل جملها على ما قال الغزالي ان القرآن كالبحر الذي فيه جواهر بها معادن ست منها اربعة مهمة مهمان منها هما ياقوت الجز فاحمر للعلم بالله واخضر لصفاته وازرقه لافعاله وزمرد اخضر هو العلم باليوم الاخر وما فيه ومهمان ولهما دار انضر وهو العلم بالعبادات المقربة اليه سبحانه وتابعهما مسك اذفر وهو العلم بالعادات التي بهما بهما العادات ومتممان وهما درياق اكبر وهو العلم بازاحة الشكوك والشبه والاوهام لانها سموم مهلكة للدين وعنبر اشهب وهو الاعتبار بمن هلك باجتناب ما كان سبب هلاكه والاقتداء بمن نجا باتباع ما كان سبب نجاته فالجملة الاولى للعنبر لان فيها شمر رماح الهالك وضد الناجي وبدي بها لان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وبما عبادات مقصوده وعادات وسيلة اليها محموده والنعمة لله درياق لان الشبه والشكوك انما هي من اوهام عاطلة وخيالات باطله والخامسة وسيلة اليها ومتممة لها لان معرفة ذلك واجتنابه لا يكون الا بعد الجهد في الصبر **بسم الله** الذي كل شيء هالك الا وجهه **الرحمن** الذي عم بالنعمة البر والفاجر فليس شيء يشبهه **الرحيم** الذي خص باتمام النعم اولياءه فكانوا للدهر غرة ولاهله جبهة **ولما** كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة النعم بما فيها من المتاع وكان الانسان منوا لا بما تمهد به ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعدا برؤية الجحيم فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر وكان نعيمه في غاية الكدر دل الاعلى ذلك بان اكثر الناس هالك موكدا بالقسم والاداة لما للاغلب من التكذيب لذلك اما بالقال او بالحال **والعصر** اي الزمان الذي خلق فيه اصله آدم عليه السلام وهو في عصر يوم الجمعة كما ورد في الحديث الصحيح في مسلم او الصلاة الوسطى ووقتها الذي هو زمان صاحب هذا الشرع الذي مقداره فيما مضى من الزمان كمقدار وقت العصر من النهار او بعضه او زمان كل احد الذي هو الخلاصة بالنسبة اليه تنبيها له على نفاسته اشارة الى الاغتنام انفاسه في الخير انفاقا من الحشر او وقت الاصيل لانه افضله بما تحويه من الفراغ من الاشغال واستقبال الراحة والحصول على فائدة ما انفق فيه ذلك النهار الدال على البعث او جميع الدهر الذي اوجد فيه سبحانه المخلوقات وقدر فيه المقدرات بما ظهر فيه من العجائب الدالة على ما لله تعالى من العز والعظمة الداعي الى اخلاص الطاعة له وقصرها عليه **ان الانسان** اي هذا النوع الذي هو اشرف الانواع لكونه في احسن تقويم كما ان العصر خلاصة الزمان والعصر يكون لاستخراج خلاصات الاشياء **لفي خسر** اي نقص بحسب مساعيهم في اهوائهم وصرف اعصارهم في اغراضهم لما لهم بالطبع من الميل الى الحاضر والاعراض عن الغائب والاغترار بالفاني اعم من ان يكون الخسر قليلا او جليلا بحسب تنوع الناس الى كامل وراجح فمن كان كافرا كان في خسران ومن كان مؤمنا عاصيا كان في خسران كان بالغا في المعصية والاكان

والجملة الثانية للمقادير تضمنته الثلاثة والزمرد والثالثة للدرر والياقوت

بلغ مقابلة

وبدا بالزمرد لان الساعة ودرج منه الى الاصلين ضمنا لاقتضاء الحال الاجمالي نقوص الصفات ام

فى مطلق الخسر قليلا او جليلا بحسب تنوع الناس الى كايس وهو مقدر لو المقصد والمجهود فى هذا الشان الى العلم بالاحتياج الى ارسال الرسل لبيان المرضى لله من الاعتقادات والعبادات والعادات ايمانا واسلاما وادامة لذلك لتكون فاعله من قبضة اليمين وتاركه من اصحاب الشمال وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير لما قال تعالى الهاكم التكاثر وتضمن ذلك الاشارة الى قصور نظر الانسان وحصرا دراكه فى العاجل دون الاجل الذى فيه فوزه وفلاحه وذلك لبعده عن العلم بموجب الطبع انه كان ظلوما جهولا اخبر سبحانه ان ذلك شان الانسان بما هو انسان فقال والعصر ان الانسان لفى خسر فالقصور شانه والظلم طبعه والجهل جبلته فحق ان يلهيه التكاثر ولا يدخل الله عليه روح الايمان الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الى اخرها فهولاء الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انتهى ولما كان الحكم على الجنس حكما على الكل لانهم لبس لهم من ذواتهم الا ذلك وكان فيهم من خلصه سبحانه مما طبع عليه الانسان بجعله فى احسن تقويم وحفظ عن الميل مع ما فيه من النقايص استثناهم سبحانه لانهم قليل جدا بالنسبة الى اهل الخسر فقال دالا بالاستثناء على ان النفوس داعية الى الشر مخلدة الى البطالة واللهو فالمخلص واحد من الف كما فى الحديث الصحيح الا الذين امنوا اى وجدوا الايمان وهو التصديق بما علم بالضرورة مجى النبى صلى الله عليه وسلم به من توحيد سبحانه والتصديق بملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ولعل حكمة التعبير بالماضى الحث على الدخول فى الدين ولو على ادنى الدرجات والبشارة لمن فعل ذلك بشرطه بالنجاة من الخسر ولما كان الانسان حيوانا ناطقا وكان كمال حيوانيته فى القوة العملية المحركة بالارادة لا بمقتضى الشهوة الفاسرة البهيمية قال تعالى وعملوا اى تصديقا لما اقروا به من الايمان الصالحات اى هذا الجنس وهو اتباع الاوامر واجتناب النواهى فى العبادات كالصلاة والعادات كالبيع فكانوا بهذا مسلمين بعد ان كانوا مؤمنين فاشتروا الاخرة بالدنيا فلم يلههم التكاثر ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية فلم يلحقهم شى من الخسر ولما كان الانسان بعد كماله فى نفسه بالاعمال لا ينتفى عنه مطلق الخسر الا بتكميل نفسه غيره وحينئذ يكون وارثا لان الانبياء عليهم السلام بعثوا للتكميل وكان الدين لا يقوم واذا قام لا يتم الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر الناشى عن نور القلب ولا يتاتى ذلك الا بالاجتماع قال مخصصا لما دخل فى الاعمال الصالحة تنبيها على عظمه وتواصوا اى وصى بعضهم بعضا بلسان الحال والمقال بالحق اى الامر الثابت وهو كل ما حكم الشرع بصحته فلا يصح بوجه نفيه من قول وعمل اعتقادا وعزم وفعل او ترك فكانوا محسنين والتكميل فى القوة العملية باجتلاب الخيور ولما كان الانسان ميالا الى النقصان فكان فاعل ذلك الاحسان معرضا للشنان من اهل العدوان وهم الاغلب فى كل زمان قال وتواصوا لان الانسان ينشط بالوعظ ويتبعه اللحظ واللفظ بالصبر اى الناشى عن زكاء النفس على العمل بطاعة الله من احقاق الحق وابطال الباطل النفى له والمحق وعلى ما يحصل بسبب ذلك من الاذى باجتناب السرور والى الممات الذى هو سبب موصل الى دار السلام فكانوا مكملين للقوة العملية حافظين لما فيها من العلمية وذلك هو حكمة العبادات لان حكمة الشى هى الغاية والفائدة المقصودة منه وهى هنا امران خارج عن العامل وهو الجنة وداخل قائم به وهو النور المقرب من الحق سبحانه واختير التعبير بالوصية اشارة الى الرفق فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واستعمال اللين لغاية الجهد والصبر هو خلاصة الانسان وسره وصفاوته وزبدته وعصارته الذى لا يوصل اليه الا بضغط الانسان لنفسه وقسرها على افعال الطاعة وقهرها على لزوم السنة والجماعة حتى يصير الصبر لها بالتدريب عادة وصناعة فقد عانق اخرها اولها وواصل مفصلها موصلها وهى اربع عشرة كلمة تشير الى ان فى السنة الرابعة عشرة من النبوة يكون الاذن فى الجهاد الذى هو راس الامر بالمعروف بالفعل لاظهار الحق وهى سنة الهجرة التى تم فيها بدر وعم نوره وقدر وحم عزه ونصره فاذا ضممت اليها اربع كلمات البسملة كانت موازية فى العدد لسنة خمس من الهجرة وكان فيها غزوة بدر الموعد وغزوة الاحزاب وقد وقع فيها اتم الصبر من النبى صلى الله عليه وسلم ثم ممن وافقه من الصحابة رضى الله عنهم لاظهار الحق والصواب فانهم فى بدر خذلوا من ركب عبد القيس ومن نعيم ابن مسعود وموافقه المنافقين وخوفوا حتى كاد يعمهم الرعب والفشل فقال النبى صلى الله عليه وسلم والله لاخرجن ولو لم يخرج معى احد وانزل الله فيها الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الايات وفى الاحزاب زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واسفرت عاقبة الصبر فيهما ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذهابهم الان نغزوهم ولا يغزونا فاذا ضمنا اليها الضماير الا ربعة اشارت الى سنة تسع وقد كان فيها غزوة العسرة لما كان فيها من المشقة التى اسفرت عاقبة الصبر فيها عن قبال الوفود لضخامة العز واحمد ود وتواتر السعود بلطف الرحيم الودود وبذلك كان نور الوجود وتواتر الفضل والجود من الاله المعبود

سورة الهمزة

مقصودها بيان الحرب للاكثر الخاسر الذى الهاه التكاثر فبانت خسارته يوم القارعة الخافضة

الرابعة واسمها الهمزة ظاهر الدلالة على ذلك بسم الله الذى تمام العز وهو الحكم العدل الرحمن الذى عم ظاهر نعمته اهل البخل واولى البذل الرحيم الذى اتم نعمته على من يشاء من عباده فخصهم بالفضل ولما بين الناجين من نمى الانسان فى العصر وختم بالصبر حصل تمام التشوف الى اوصاف الهالكين فقال مبينا لاضلهم واشقاهم الذى الصبر على اذاه فى غاية الشدة لكونه جامعا لما اعده له من العذاب مسلاه للصابر ويل اى هلاك عظيم لكل همزة اى الذى صار له الهمز عادة لانه خلق ثابت فى جبلته وكذا لمزة والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن هذا اصلهما ثم خصا بالكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وقال ابن هشام فى تهذيب السيرة الهمزة الذى يشتم الرجل علانية ويكسر عينه عليه ويغمز به واللمزة الذى يعيب الناس سرا انتهى وقال البغوى واصل الهمزة الكسر والعض على الشى بالعنف والذى دل على الاعتياد صيغة فعلة بضم وفتح كما يقال ضحكة للذى يفعل الضحك كثيرا حتى صار عادة له وضرى به والفعلة بالسكون للمفعول وهو الذى يهمزه الناس ويلمزونه وقد يماد كانه اشارة الى من بعد حرى بان ياتى بما يهمز به ويلمز به فيصير مسخرة يضحك منه والله اعلم وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما قال سبحانه ان الانسان لفى خسر اتبعه بمثال من ذكر نقصه وقصوره واغتراره وظنه الكمال لنفسه حتى يعيب غيره واعتماده على ما جعله من المال ظنا انه يخلده ويبقيه وهذا كله هو عين النقص الذى شان الانسان وهو المذكور فى السورة قبل فقال تعالى ويل لكل همزة لمزة فافتتحت السورة بذكر ما اعد له من العذاب جزاء له على همزه ولمزه الذى اتم حسده والهمزة العياب الطعان واللمزة مثله ثم ذكر تعالى ماله ومستقره بقوله لينبذن فى الحطمة اى ليطرحن فى النار جزاء على اغتراره وطعنه انتهى ولما كان الذى يفعل النقيصة من غير حاجة يحوجه اليها اقبح حالا وكان المتمول عنده هو الواضح وهم يتفاخرون بالربح ويعدون الفاقر به من جزوى المعالى قال منفذا لكل بالوصف مبينا الخاسر كل الخسار الذى جمع ولما كان مطلق الجمع يدل على الكثرة جاء التشديد فى قراءة ابى جعفر وابن عامر وحمزة والكسائى وخلف تصريحا بما علم تلويحا دلالة على المقصود به من جعل الدنيا اكبر همه والتخفيف لمن عداهم اكتفاء بالاصل جدا لوله بخلاف عدده فان مجرده يكون لما قل ولهذا اجمعوا على التضعيف فيه مالا اى عظيما واكد مراد الكثرة بقوله وعدده اى جعله بحيث اذا اريد عده طال الزمان فيه وكثر العداد او ذخره واستكثر تعدادا لما ينوب به فى هذه الدنيا المنقضية وزاده فقد ازح فى بيان حاله فقال يحسب اى لقلة عقله ان ماله اى ذلك الذى عدده اخلده اى اوصله الى رتبة الخلد فى الدنيا فاحب ذلك المال كما يحب الخلود ويجوز ان يكون ذلك كناية عن انه عمل عمل من يحسب ذلك فى المعاصى والاعراض عن الله عز وجل والاقبال على التوسع فى الشهوات والاعراض لذا الملات عمل من يظن انه لا يموت ويجوز ان يكون استينافا وفيه تعريض بانه لا يبقى الخلد الا الاعمال الصالحة المسعدة فى الدار الاخرة ولما كان هذا الحسبان لشدة وهيه وبيان ضعفه لا يحتاج الى اقامة دليل على فساده النفى فيه باداة الردع الجامعة لكل زجر فقال كلا اى لا يكون ما حسبه لانه لا يكون له ما لا يكون لغيره من امثاله بل يموت كما مات كل حى مخلوق ولما كان كانه قيل فما الذى يفعل به بعد الموت قال معبرا بالماضى لتحقق الفعل على القسم لينبذن اى ليطرحن بعد موته طرح ما هو خفيف هين جدا على كل طارح كما دل عليه التعبير بالنبذ وبالبناء للمفعول فى الحطمة اى الطبقة من النار التى من شانها ان تحطم اى تكسر وتهشم بشدة وعنف كل ما طرح فيها فيكون احسر الخاسرين وعبر بها فى مقابلة الاستعداد بالمال الحامل على الاستهانة بالخلق قال الاستاذ ابو الحسن الحرالى فلمعنى ما تخصص بالحكم يسمى تعالى باسم من اسمائها من نحو جهنم فيما يكون بمواجهة ومن نحو الحطمة فيما يكون جزاء لقوة بهر واستعداد لعدد ونحو ذلك فى سائر اسمائها وعظم شانها سبحانه بقوله وما ادراك اى اى شى اعلمك ولو بمحاولة منك للعلم واجتهاد فى تعرف مع كونك اعلم الخلق ما الحطمة اى ما الدركة النارية التى سميت هذا الاسم لهذه الخاصية فانه ليس فى الوجود الذى تشاهد عوض ما يقاربها لتكون مثالا لها ثم فسرها بقوله نار الله اى الملك الاعظم الذى عدل المشركون عنه اى شركائهم فعظمه هذه النار من عظمته واستقامنها من نقمته الموقدة اى الذى وجد وحتم ايقادها بايقاده ومن الذى يطيق محاولة حال او قدر فهى لا تزال لها هذا الاسم ثابتا ولما وصفها بوصف الهازم وصف الحاطم فقال التى ولما كان لا يطلع على احوال الشى الا من قبله علما قال تطلع اى اطلاعا شديدا على الافئدة جمع فؤاد وهو القلب الذى يكاد يحترق من شدة ذكائه فكان ينبغى ان يحال كاله فى اسباب الخلاص لطلاعها عليه بان يعلو وسطه ويشتمل عليه اشتمالا بليغا سمى بذلك لشدة توقده وخص بالذكر لانه الطف ما فى البدن واشد تالما بادنى شى من الاذى ولانه منشا العقائد الفاسدة ومعدن حب المال الذى هو منشا الفساد والضلال وعنه الافعال القبيحة ولما كان الاطلاع على الفؤاد مظنة الموت وفى الموت راحة من العذاب اشار الى خلودهم فيها وانهم لا يموتون ولا ينقطع عنهم العذاب فقال موكدا لانهم يكذبون بها انها واشار الى قهرهم وغلبتهم فقال عليهم وآذن بسهولة التصرف فى تعذيبهم وانقطاع الرجاء من خلاصهم بقوله معبرا باسم المفعول موصدة اى مطبقة

بنهاية الضيق من أوصد الباب إذا أطبقه ولما كانت عادتهم في المنع من التصرف أن يضعوا خشبة عظيمة تسمى المطرقة
فيما خلف الباب يوثق بها الرجل فلا يقدر صاحبها بعد ذلك على حراك قال تصويرا لعذابهم بحال من ضيق عليهم في أي حال كونهم موثقين
عمد بفتحتين وبضمتين جمع عمود ممددة أي معترضة كأنها موضوعة على الأرض فهي في غاية المكنة فلا يستطيع الموثق
بها على نوع حيلة في أمرها فهو تأكيد لإياسهم من الخروج بالإيثاق بعد الإيصاد وهذا أعظم الويل وأشد النكال فقد
رجع آخرها إلى أولها وكان لمفصلها أشد التحام لموصلها والله الموفق

سورة الفيل

مقصودها الدلالة على آخر الهمزة من إهلاك المكاثرين في دار التعاضد والتناصر بالأسباب فعنى انقطاعها أولى باختصاصه سبحانه بتمام القدرة
دون المتمكن بالمال والرجال واسمها الفيل ظاهر الدلالة على ذلك بتأمل سورته وما حصل في سيرة جيشه وصورته

بسم الله الذي له الإحاطة بقدرته في كل شيء عامله الرحمن الذي له النعمة الشاملة الرحيم الذي يخص أهل الاصطفاء
بالنعمة الكاملة لما تقدم في الهمزة أن كثرة الأموال المسببة للقوة بالرجال ربما أعقبت الوبال دل عليه في هذه بدليل
شهودي وصل في تخريبه وتغلغله في الأجسام وتخريقه إلى القلوب في العذاب الأدنى كما ذكر فيما قبلها للعذاب الأكبر
الأخفى محذرا من الوجاهة في الدنيا وعلو الرتبة مشيرا إلى أنها كلما عظمت زاد ضررها بما تكسبه من الطغيان حتى ينازع
صاحبها الملك الأعلى ومع كونه شهوديا فللعرب ولا سيما قريش به الخبرة التامة فقال مقررا منكرا على من خطر له
خلاف ذلك ألم تر أي تعلم علما هو في تحققه كالحاضر المحسوس بالبصر وذلك أنه صلى الله عليه وسلم وإن لم يشهد تلك الوقعة
فإنه شاهد آثارها وسمع بالتواتر مع إعلام الله أخبارها وخصه صلى الله عليه وسلم إعلاما بأن ذلك لا يعلمه وعمل به
إلا هو صلى الله عليه وسلم ومن وفقه الله لحسن اتباعه لما للإنسان من عوائق النقصان وعلائق الحظوظ والنسيان وقرئ
ترْ بإسكان الراء فالواحد في لفظها إلى الجازم وكان السر في هذه القراءة الإشارة إلى الحث في الإسراع بالرؤية
إيماء إلى أن أمرهم على كثرتهم كان كلمح البصر ما لم يعتن به ويسارع إلى تفهمه لا يدركه حق إدراكه ولما كان الناظر
في الكيفية من التدقيق والوقوف على التحقيق في وجوه الدلالات على كمال علم الله وقدرته وإعزاز نبيه بالإرهاص لنبوته
والتمكين لرسالته لتعظيم بلده وتشريف قومه ما ليس للناظر إلى مطلق الفعل قال كيف دون أن يقول ما فعل أي فعل من
له أتم داعية إلى ذلك الفعل وفعل الرؤية معلق عن كيف لما فيه من معنى الاستفهام فلا يعمل فيما عمله عليه بل ناصبه
فعل وجملة الاستفهام في موضع نصب بالفعل المعلق ربك أي المحسن إليك ومن إحسانه إحسانه إلى قومك بك وبهذه
الواقعة الخارقة للعادة إرهاصا لنبوتك كما هو معلوم من أخبار الأنبياء المتقدمين فيما يقع بين أيدي نبوتهم
من مثل ذلك ليكون توطئة لادعائهم النبوة بعد ذلك وفي تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالخطاب والتعبير بالرب مع
التشريف له والإشادة بذكره التعريض بحقارة الأصنام التي سموها أربابا بأنهم إن لم يعلموا ذلك منهم علم اليقين من أن من
أسمى على كون فسيعلمون ذلك حق اليقين عندما يسلط الله عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبلد الحرام ويحلها له
على أعلى حال ومرام بأصحاب الفيل الذين قصدوا انتهاك حرمات الله سبحانه فيخربوا بيته ويمزقوا جيرانه بما أوصلهم
إليه المطر من الأموال والقوة التي من عليهم سبحانه بها فحسبوا أنها تخلدهم فبادرتهم نوائب المهالك ضد ما حسبوه
وهم الحبشة الذين كانوا أغلبوا على بلاد اليمن بني حمير وهو أبو يكسوم أبرهة بن الصباح الأشرم بيعة بصنعاء وسماها
القليس وزينها وأراد أن يصرف إليها حج العرب فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا يتغوط ولطخها
به فأغضب ذلك الأشرم فسأل فقيل له رمى الفاعل من أهل البيت الذي بمكة فحلف ليهدمن الكعبة ومن عجائب صنع
الله سبحانه الحكمة تسميتها بهذا الاسم الذي هو مشتق من القلس الذي أحد معانيه أنه ما خرج من الحلق ملء الفم
فهو بهذا القيء الذي هو أخو الغائط الذي آل أمرها إليه فكان سبب هلاكها هلاك بانيها وذلك أنه غضب من
ذلك فخرج بجيشه ليهدم الكعبة بيت الله ومعه أفيال كثيرة منها فيل عظيم اسمه محمود فقاتله بعض العرب فهزمهم
وقتل منهم فلما دخل وجهه دانوا له فلما خرج إلى المغمس خرج إليه عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه ثلث
أموال تهامة على أن يرجع عنهم وقيل بل كانت طلائعه أخذت له مائتي بعير فطلبها منه فقال قد كنت أعجبتني حين
رأيتك ثم زهدت فيك حين تكلمني في مائتي بعير وتترك كلامي في بيت هو دينكم وفيه عزكم فقال أنا رب الإبل وأما البيت فله
رب يمنعه فقال ما كان ليمتنع مني فقال أنت وذاك فرد عليه إبله فساقها ومضى وأمر قريشا أن يتفرقوا في
الشعاب ويتحرزوا في الجبال وأتى عبد المطلب الكعبة فأخذ بحلقة الباب وجعل يقول

وقال

يا رب لا أرجو لهم سواكا ... فامنعهم أن يخربوا قراكا
لاهم إن المرء يمنع رحله ... وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم ... عدوا محالك

جروا جميع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك ... عمدوا حمالك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

ثم ترك الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه فلما أصبح أبرهة
تهيأ للدخول إلى الحرم وعبأ جيشه وقدم الفيل فبرك فعالجوه فلم يكن فيه حيلة فوجهوه إلى غير الحرم فقام يهرول فوجهوه إلى
الحرم فبرك وكان هذا دأبه في ذلك اليوم فبينما هم كذلك إذ أرسل الله طيرا أكل طائر منها في منقاره حجر وفي رجليه حجران
الحجر منها أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فرمتهم بها فكان الحجر منها يقع في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا
وأهل مكة ومن حضر من العرب في رؤوس الجبال ينظرون إلى صنيع الله بهم وإحسانه إليهم وكان ذلك إرهاصا لنبوة محمد صلى
الله عليه وسلم فإن ذلك كان عام مولده. وقال حمزة الكرماني وفي رواية يوم مولده وكأنه كان سببا لضعفهم حتى
ذهب سيف بن ذي يزن إلى كسرى وأتى منه بجيش فاستأصل بقيتهم كما هو المشهور في السير وما تواتر في الخبر ووفدت قريش
لتهنئته بالنصرة عليهم وكان رئيسهم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وبشره سيف بأنه يولد له ولد اسمه
محمد فأعلمه بأنه ولد وأن أباه توفي فأخبره سيف بأنه النبي المبعوث في آخر الزمان وأن يثرب مهاجره وأنه لو علم
أنه يعيش إلى زمن بعثته لأتى يثرب وجعلها دار حتى ينصر النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر نبوته. وقال الإمام أبو جعفر بن
الزبير لما تضمنت سورة الهمزة وذكر اغترار من فتن بماله حتى ظن أنه يخلده وما أعقبه ذلك أتبع هذا بأصحاب الفيل الذين
غرهم تكاثرهم وخدعهم أملهم لما دام في البلاد استيلاؤهم حتى هموا بهدم البيت المكرم فتعجلوا النقمة وجعل الله كيدهم
في تضليل وأرسل الله عليهم طيرا أبابيل أي جماعات متفرقة ترميهم بحجارة من سجيل حتى استأصلتهم وقطعت دابرهم
فجعلهم كعصف مأكول وأنهم لهم ذلك اغترارهم بتوفرهم من الحشر المتقدم انتهى. ولما عبر بالكيفية تشبيها
على ما فيها من وجوه الدلالة على مقدمات الرسالة أشار إلى تلك الوجوه معددا ما عليها تقريرا أخرجا معا لقصتهم
ومعلما لعضتهم فقال ألم يجعل أي بما له من الإحسان إلى العرب لا سيما قريش كيدهم أي في تعطيل العرب من حج الكعبة
أولا ومن هدمها ثانيا الكعبة بتخريبها وتصرف الحج إلى كنيستهم على زعمهم وقد كان كيدهم عظيما غلبوا به من ناواهم
من العرب في تضليل أي مظروفا لتضييع عما قصد والله من نسخ الحج إلى الكعبة أولا ومن هدمها ثانيا وإبطاله وبعد عن
السداد وإهمال البحث صار بكونه مظروفا لذلك مغمورا به لا يخلص له منه وهذا مشير إلى أن كل من تعرض لشيء من
حرمات الله كبيت من بيوته أو ولي من أوليائه أو عالم من علماء الدين وإن كان مقصرا نوع تقصير وقع في مكره وعاد
عليه وبال شره من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وإلى أن من جاهر بالمعصية أسرع إليه الهلاك بخلاف من تستر وإلى
أن الله تعالى يأتي من يريد عذابه من حيث لا يحتسب لئلا يدوم الحذر ولا يأمن مكره ولو كان الخصم أول عباده لم يخطر للحبشة
ما وقع لهم ولا خطر لأحد سواهم أن طيورا تقتل جيشا ذوي الأبطال وذوات لهم غلب الرجال يقوده ملك جبار
كتيبته في السهل يمشي ورجله على القاذفات في رؤوس المناقب ولما كان العقد يتضمن منعهم من الدخول إلى حرم
إبراهيم عليه الصلاة والتسليم فضلا عن الوصول إلى بلد الرسول صلى الله عليه وسلم عطف عليه أو على يجعل معبرا بالماضي لأنه
بمعناه وهو أصرح والتعبير به أنكد قوله وأرسل وبين أنه إرسال عذاب بقوله عليهم أي خاصة من بين من عاك
من كفار العرب وأشار إلى تحقيرهم وتخسيسهم عن أن يعذبهم بشيء عظيم لكونهم عظموا أنفسهم وتجبروا وأعلاها لهم بالقصد
القبيح لبيته فقال ليعلم أنه سلط عليهم ما لا يقتل مثله في العادة طيرا وهو اسم جمع يذكر على اللفظ ويؤنث على
المعنى وقد يقع على الواحد ولذلك قال تعالى مبينا الكثرة أبابيل أي جماعات كثيرة جدا متفرقة يتبع بعضها بعضا
من نواح شتى فوجا فوجا وزمرة زمرة أمام كل فرقة منها طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق قال
أبو عبيدة يقال جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا وهو جمع إبالة بالكسر والتشديد وهي الحزمة الكبيرة شبهت
بها الجماعة من الطير في تضامها وفي أمثالهم ضغث على إبالة أي بلية على أخرى ولما تشوف السامع إلى فعل الطير
بهم قال مستأنفا ترميهم أي الطير بحجارة أي عظيمة في الكثرة والفعل صغيرة في المقدار والحجم كان كل واحد منها
في نحو مقدار العدسة في منقار كل طائر منها واحد وفي كل رجل واحد ولما كان الشيء إذا كان مصنوعا للعذاب
كان أشد فعلا بينه قال من سجيل أي طين متحجر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية العلو كما بين في سورة هود عليه السلام
قال حمزة الكرماني أبو صالح رأيت تلك الحجارة مخططة بالحمرة ولما تسبب عن هذا الرمي هلاكهم وكان ذلك بفعل
الله لأنه الذي خلق لا أثر لها لأن مثله لا ينشأ عنه ما نشأ من الهلاك قال فجعلهم أي ربك المحسن إليك بإحسانه
إلى قومك لأجلك بذلك كعصف مأكول أي ورق زرع وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود ويجوفه لأن الحجر
كان يأتي في الرأس فيخرق لما له من الحرارة وشدة الوقع كل ما مر به حتى يخرج من الدبر ويصير موضع تجويفه أسود لما له
من النارية وأكل حبه فبقي صفرا منه أو كتبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله

تعالى كانا بالكلأ للطعام وهذا الاهلاك في عجائبه هو من معاني الاستفهام التقريري في اولها فقد تعانق طرفاها والتف اجزاها باولاها **سورة قريش مقصودها** الدلالة على ضد ما دلت عليه الفيل بان اهلاك الجاحدين المعاندين لاصلاح المعترفين العابدين وهو بشارة عظيمة لقريش خاصة باظهار شرفهم في الدارين واسمها قريش ظاهر الدلالة على ذلك والتعبير بقريش دون قوم او الخمس مثلا ونحوه دال على كونهم يغلبون الناس اجمع نعوه كما يدل عليه الاسم وبغير قوة كما دل عليه ما فعل لاجلهم من قصة الفيل **بسم الله** ذي السبحات والحمد لله جميع الكمال **الرحمن** ذي النعم العامة بالايجاد والبيان فهو نوء والايصال **الرحيم** ذي الانتقام بالابعاد والاختصاص لمن يشاء بالاسعاد بالتقريب والاجلال **ولما** كان ما فعله من منع هذا الجيش العظيم الذي من قوته طاعة اكبر ما خلق الله من الحيوان البري فيما نعلمه له من حول الحرم الذي هو مظهر قدرته ومحل عظمته الباهرة وعزته والمذكر بخليله عليه السلام وما كان من الوفا بعظيم خلته كرامة لقريش عظيمة ظاهرة عاجلة حماية لهم عن ان تستباح ديارهم وتسبى ذراريهم لكونهم اولاد خليله وخدام بيته وقطان حرمه ومعتزين به ومنقطعين اليه وعن ان يخرب مواطن عزهم ومحل امنهم وعيشهم وحرزهم ذكرهم سبحانه ما فيه من النعم لاجلهم اكرا ما تانيا بالنظر في العاقبة تعالى مشيرا الى من تعاظم عليه تقصمه من خذله وخدمه اكرمه وعظمه **لايلاف قريش** اي لهذا الامر لا غيره فعلناه لك وهو ايقاعهم الايلاف وهو الفهم لبلدهم الذي ينشا عنه طمانينتهم وهيبة الناس لهم وذلك ملزوم لالفهم او لا في انفسهم فاذا كان لهم الالف بحرمهم بما حصل لهم من العزة والملكة به بما دافع عنهم فيه مع ماله من بعد الافات عنه وكان لهم الالف بينهم فكان بعضهم بالفضل قوى اسرهم فالتواغرهم اي جعلوه بالف ما الفوه اياه اي سوق له وامروه به او يكون اللام متعلقا بفعل العبادة بلا له فليعبد وا اي ليعبد وا لاجل ما وقعنا من الفهم والايلافهم وعلى التقديرين الالف علة للعبادة او بما يوجب الشكر بالعبادة وفي هذا اشارة الى عظام قدرته سبحانه وانه اذا اراد شيئا حصل بسببه لان التدبير كله له يخفض من يشاء وان عز ويرفع من يشاء وان ذل ليثمر اعتقاد ذلك المحبة والانقطاع والاعتقاد عليه في كل نفع ودفع. وقريش ولد النضر بن كنانة واسمهم واسم قبيلتهم مشتق من القرش والتقرش وهو التكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله ويقترش اي يكتسب. وقال البغوي قال ابو ريحانة سال معوية ابن عباس رضي الله عنهم لم سموا بهذا فقال لدابة تكون في البحر من اعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشي من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم **وانشده الجمحي**

وقريش هي التي تسكن البحر بها • سميت قريش قريشا

سلطت بالعلو في لجة البحر على • سائر الجيوش جيوشا

وقال الزمخشري هي دابة عظيمة تعبث بالسفن ولا تنطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم انتهى. وقيل هو ابدالك لتجمعهم الى الحرم بعد تفرقهم فان القرش كما تقدم الجمع وكان التجمع لهم قصيا والقرش ايضا الشديد. وقيل هو من تقرش الرجل اذا تنزه عن مدانس الامور ومن تقارشت الرماح في الحرب اذا دخل بعضها في بعض والمادة كلها للشدة والاختلاط والتعبير بهذا الاسم لمدحهم وكما اجرى سبحانه مدحهم على الالسنة جعلهم موضعا للمدح قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من بني اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بني هاشم. وقال صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش قال العلماء وذلك ان طيب العنصر يؤدي الى محاسن الاخلاق ومحاسن الاخلاق تؤدي الى صفاء القلب وصفاء القلب عون على ادراك العلوم وبادراك العلوم تنال الدرجات العلى في الدنيا والاخرة وجمع الاسم عما على معنى الحي ليكون الاسم بمادته الاعلى الجمع وبصيغته دالا على الحياة اشارة الى كمالهم ظاهرا وباطنا. قال سيبويه في معد وقريش وثقيف صرف هذه الاحياء اكثر وان جعلتها اسما للقبائل يعني فمنعها لجائز حسن والذي يدل على تعلق اللام بفعل دلت عليه الفيل ان السورتين في مصحف ابي رضي الله عنه سورة واحدة من غير فصل وان عبد الرزاق وابن ابي شيبة رويا عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون قال صلى بنا عمر رضي الله عنه المغرب فقرا في الاولى بالتين والزيتون وفي الثانية الم تر كيف ولايلاف قريش وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لاخفا باتصالها اي انه تعالى فعل ذلك باصحاب الفيل ومنعهم عن بيته وحرمه لانتظام شمل قريش وهم سكان الحرم وقطان بيت الله وليؤلفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة وتامن ساحتهم انتهى **ولما** علل بالايلاف وكان لازما ومتعديا يقول الفت المكان والفته اياه فانا مولف والفت فلانا هذا الشي اي جعلته الفا له وكان الاتيان بالشي مجملا ثم مبينا احلا احكم مما منه اضخم لشانه واعلى لامره ابدل منه قوله **ايلافهم** اي ايلافنا اياهم **رحلة الشتاء** التي يرحلونها في زمنه الى اليمن لانها بلاد حارة ينالون بها متاجر الجنوب **والصيف** التي يرحلونها الى الشام في زمنه لانها بلاد باردة ينالون فيها منافع الشمال وهم امنون من سائر العرب لاجل عزهم بالحرم المعظم ببيت الله والناس يتخطفون من حولهم يفعل الله تعالى باصحاب الفيل ما فعل ليزداد العرب لهم هيبة وتعظيما فتزيد في اكرامهم لما رات

من اكرام الله لهم فيكون لهم غاية التمكن في رحلتيهم والرحلة بالكسر هيئة الرحيل وبالضم الجهة التي يرحل اليها وكانوا مضطرين لذلك لان بلدهم لا زرع بها ولا ضرع فكانوا اذا اضربوا في الارض قالوا نحن سكان حرم الله وولاة بيته فلا يعرض لهم احد بسوء فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف واول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم

قل للذي طلب السماحة والندا • هلا مررت بال عبد مناف

الرائشين وليس يوجد رائش • والقائلين هلم للاضياف

والخالطين فقيرهم بغنيهم • حتى يكون فقيرهم كالكاف

القائلين بكل وعد صادق • والراحلين برحلة الايلاف

عمرو العلى هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف

سفرين سنهما له ولقومه • سفر الشتاء ورحلة الاصياف

وتبع هاشما على ذلك اخوته فكان هاشم يؤلف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس وكان تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار بحبال هذه الاخوة اي عهودهم الذي اخذوها بالامان لهم من ملك كل ناحية من هذه النواحي وافرد الرحلة في موضع التثنية لتشمل كل رحلة كما هو شان المصادر واسماء الاجناس اشارة لهم بالبشارة بانهم يمكنون من الرحلة الى اي بلاد ارادوا والشمول الامن لهم وبهم جميع الارض بما نشره الله من الحرم في قلوب عباده في سائر الارض بواسطة هذا النبي الكريم الذي هو اشرفهم واعظمهم واحلمهم واكرمهم **ولما** كان هذا المذكور من الله لهم كافيا لهم من الظاهر بالغنى والباطنة بالامن وكان شكر المنعم واجبا فاذا انعم بما يفرغ المنعم عليه للشكر كان وجوبه عليه اعظم سبب عن الانعام عليهم بذلك **فليعبدوا** اي قريش على سبيل الوجوب شكرا على هذه النعمة خاصة ان لم يشكروه على جميع نعمه التي لا تحصى لانهم يدعون انهم اشكر الناس للاحسان وابعدهم عن الكفران **رب هذا البيت** اي الموجد له والمحسن الى اهله بتربيتهم به بحفظه من كل طامع ونافر لاجل حرمته في كل باغ وباذلال الجبابرة له ليكمل احسانه اليهم وعطفه عليهم باكمال اعزازهم في الدنيا وجعل مادا عابدين له موصولا بعز الاخرة فتتم النعمة وتكمل الرحمة والمراد به الكعبة عبر عنها بالاشارة تعظيما اشارة الى انه اسم ما تقدم في السورة الماضية من المدافعة عنهم معروف انه بسببه لا يحتاج الى التصريح وان ذلك جعله متصورا في كل ذهن حاضرا مشاهدا لكل مخاطب وفي هذا التلويح من التعظيم ما ليس للتصريح ثم وصف نفسه الاقدس بما هو ثمرة الرحلتين ومظهر لزيادة شرف البيت فقال **الذي اطعمهم** اي قريشا بحمل الميرة الى مكة بالرحلتين امنين من ان يهاجوا وباهلاك الذين ارادوا اخراب البيت الذي يطعمهم اطعاما مبتدئا **من جوع** اي عظيم فيه عزهم من العرب وكانوا لهم فيه قبل ذلك لان بلدهم مهيئ لذلك لانه ليس بذي زرع فهم عرضة للفقر الذي ينشا عنه الجوع فكفاهم ذلك وحده ولم يشركهم احد في كفايتهم فليس من الشكر اشراكهم في عبادته والامن الرباسهم ابرهيم عليه السلام الذي دعا لهم بالرزق ونهى ابنا له عن عبادة الاصنام ولم يقل اشبعهم لانه ليس كلهم كان يشبع ولان من كان يشبع منهم طالب لاكثر مما هو عنده ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ذكر السبب في اقامة الظاهر ذكر السبب في اقامة العيش بنعمة الباطن فقال **وامنهم** اي تخصيصا لهم **من خوف** اي شديد جدا من اصحاب الفيل ومما ينال من حولهم من التخطف بالقتل والنهب والغارات وبالامن من الجذام بدعوة ابرهيم عليه السلام ومن الطاعون والدجال ببركة النبي صلى الله عليه وسلم. وعن ذلك تسبيبا لا يحاف بما خصهم به من الايلاف فعلم ان اخرها علة لاولها ويجوز ان يكون الفهم للبلد وقع اولا لاجل ما الله لهم مما ذكر فيكون ذلك مسببا عن الالف فيكون لها علة لاخرها فعد التقى الطرفان والتام البحران المعترفان وكما التقى اخر كل سورة مع اولها فكذلك التقى اخر القران العظيم باوله بالنسبة الى تسع سور هذه اولها اذا عددت من الاخر التهافان حاصلها المن على قريش بالاعانة على المتجر بالالف لهم بالرحلة فيه والضرب في الارض بسببه واختصاصهم بالامر بعبادة الذي من عليهم بالبيت الحرام وجلبهم به الارزاق والامان وهي من اعظم مقاصد التوبة المناظرة لهذه بكونها التاسعة من الاول لتبراه من كل ما دون الله فلعل ذلك يكون سببا للالفة بعد ما ظن انه سبب للفرقة وذكر منافع البيت ومن يصلح لخدمته والقول بما فيه ولنعمته والبشارة بالغنى على وجه اعظم من تحصيله بالمتجر والبيع وادفعوا وافرغوا وادهوا وازهروا واحل والخر لقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الايات. وقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الاية فعلم بهذا علما جليا انه شرع سبحانه في رد المقطع على المطلع من سورة قريش الذي اكرمهم الله بانزال القران بلسانهم وارسل به النبي صلى الله عليه وسلم كما اكرمهم ببنا البيت في شانهم وتعظيمه لقائهم واماتهم ومن عظم المناسبات

في ذلك كونا والسورة التي اخذ فيهما في هذه المقطع على المطلع شديد المشابهة للسورة المناظرة لها حتى ان في كلاهما مع التي قبلها
كالسورة الواحدة فان براءة مع الانفال كذلك حتى قال عثمن رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي ولم يبين امرها فلم يتحرز
له انها مستقلة عنها ولذلك لم يكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكانت هذه التي من الاخر معطوفا بانها مستقلة مع ما ورد من
كونهما مع التي قبلها سورة واحدة في مصحف ابي بكر رضي الله عنه وقراءة عمر رضي الله عنه لهما على وجه يشعر بذلك كما مضى اشارة
الى الاخر بكونا واضح من الاول ومن اعرب ذلك ان السورتين اللتين قبل سورتي المناظرة بين امريهما طباق فالاولى في الاخرى
الفيل اكرم الله فيها قريشا باهلاك اهل الانجيل سببا لكسر شوكتهم وسقوط نخوتهم المفضي الى سعادتهم وعلم ان البراءة
وغيرها انما عمل لاكرامهم لانهم المقصدون بالذات وبالمقصد الاول بالارسال والناس لهم تبع كما ان جميع الرسل تبع للرسول
الخاتم الذي شرفوا بارساله اليهم صلى الله عليه وسلم وكان عدد التسع مشيرا الى ان قريشا اهل لان يصلوا العروج الاسرار
في الملكوت الى الفلك التاسع وهو العرش الذي هو مقلوب الشرع فهم يصعدون باسرار الشرع التي من اعظمها الصلاة من الاسفل
الى الاعلى من الطرفين معا كما انه ينزل عليهم بالبركات من الجانبين واذا ضممت التسع الاولى الى الاخرى كانت ثمان عشرة
فكانت مشيرة الى ركعات الصلوات مضموما اليها الوتر والى ظهور الدين ظهورا كاملا على غالب اقطار الارض كما كان
في سنة ثمان وعشرين وهي الثامنة عشرة من موت النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في اثناء خلافة عثمن رضي الله عنه فانه
كان فيها قد تمزق ملك كسرى وضعف جدا وكذا ملك الروم مع ما كان من زوال امر القبط بالكلية ومن بديع الاشارات
ايضا انك اذا نظرت الى نزول براءة وجدته سنة تسع من الهجرة في غزوة تبوك وعقب الرجوع منها فكان كونها تاسعة
ونزولها في السنة التاسعة مشيرا الى كون الدين يظهر على كل مخالف بعد تسع سنين وهي السنة الثامنة من موت النبي
صلى الله عليه وسلم في وسط خلافة الفاروق وحين ظهر المسلمون على الفرس والروم فقتلوا رجالهم وانتهلوا اموالهم كما كان
قد ظهر عند نزولها على عباد الاوثان من العرب ومن العرب ان قصة الفيل كانت سنة مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهي قبل
النبوة باربعين سنة بعدد كلمات السورتين الفيل وقريش فان الفيل ثلاث وعشرون وقريش سبع عشرة وذلك • والله اعلم
اشارة الى ان ابتداء الامر باهلاكهم والاستباع بهم بما كان معهم من اموالهم وامتاعهم كان لمولده صلى الله عليه وسلم
وتشريفا لوجوده بوجوده ويكون ذلك ظاهرا كما كان السبب الذي هو وجوده صلى الله عليه وسلم اوالى ان وسطه
بكون نبوته صلى الله عليه وسلم ويكون ذلك باطنا كما ان السبب وهو الوحي باطن ثم كان امر الصحابة رضي الله عنهم في
السنة الثامنة الموازية لعدد كلمات البسملتين على يد النجاشي ملك الحبشة الذين كان الامر اولا باهلاكهم واذا
ضممت اليها احدى عشر ضميرا اسبعة في الفيل واربعة في قريش كانت تسعا وخمسين توازيها اذا احسب من المولد سنة
ست من الهجرة وفيها كانت عمرة الحديبية وهي الفتح السبب الخفي والى ذلك اشار صلى الله عليه وسلم بقوله في
بروك ناقته الشريفة حتى بركت فقالت الصحابة رضي الله عنهم خلات القصواء اي حرنت ما خلات ولكن حبسها
حابس الفيل وفيها نزلت سورة الفتح فكان سببا للامن العظيم والغنى وعقبها في سنتها كان البعث الى ملوك الامصار
وفتح خيبر وانتشار ذكر الاسلام في جميع الاقطار وكذا كان عقبها قبل عمرة القضية اسلام عمرو بن العاص على يد
النجاشي لما ساله ان يعطيه عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه ليقتله وذلك حين ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي
رضي الله عنهما يدعوه الى الاسلام فانكر النجاشي ذلك على ابن العاص وشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وامره بان يؤمن
به فيفعل فكان ملك الحبشة بك عاد النبي صلى الله عليه وسلم ناجيا وهاديا والى النبي صلى الله عليه وسلم داعيا عكس ما كان
لملك الحبشة بمولده صلى الله عليه وسلم من انه كان هالكا والى الجحيم هاويا وان حسبت من سنة بنيان الكعبة في الخامسة
والعشرين من مولده صلى الله عليه وسلم كانت السنة التاسعة والخمسون هي الحادية والثلثون بعد الهجرة وهي سنة استيصال
ملك الفرس بقتل اخر ملوكهم يزدجرد والفرس هم الذين ازالوا الحبشة عن بلاد اليمن وطهروا منهم ارض العرب
وبعد سميت السورتين الى ثلاث وعشرين وسبع عشرة اشارة الى ان هذا المولود الشريف الذي حرست الكعبة
بمولده وحصل الامن والعز بركته تبنى الكعبة وتجدد بعد بضع وعشرين سنة من مولده فلو كان بنيانها وسنه
خمس وعشرين سنة فلعله كان في اخر الرابعة والعشرين وبعد قصة الفيل كانت وله نحو سنة من حين الولادة
وبه حين البنيان الف الله بين قريش بعد ان كادوا تنافروا اشد المنافرة وتعاقدوا على الحرب في امر الحجر الاسود
من يضعه في موضعه حتى اصلح الله بينهم صلى الله عليه وسلم بوضعه بيده الشريفة في ثوب وامرهم فامسكت جميع القبائل
باطرافه ثم رفعوه حتى وازوا به موضعه فاخذه هو صلى الله عليه وسلم بوضعه في مكانه وكان الشرف لبطاحته
في الاصلاح والبنيان ونشر مع ذلك انه يبقى في النبوة ثلاثا وعشرين سنة ثم يتوفاه الله تعالى بعد ان جعل كيد جميع
الكفرة في تضليل من عباد الاوثان والفرس والروم وغيرهم بما فتح الله عليه من جزيرة العرب التي الفها الله بها بين كلمتهم

حتى انسابوا على غيرهم فما وافقهم احد نادوه القتال وسموه النضال والنزال ولعل الاشارة بكون قريش سبع عشرة كلمة
الى انه صلى الله عليه وسلم بعد سبع عشرة سنة من بنيان البيت بعثه الله لامر قريش بالعبادة التي اجلها الصلاة التي اعظمها الفرائض
التي هي سبع عشرة ركعة شكرا للنعمة من امنهم من خوف واطعمهم من جوع باعظم العبادة والى ان بعد العشرة قريش بالقوم العربية
من القتل بعد الشتات لعظم الظاهر وجعل كهذا التجار يكون في السنة السابعة عشرة من النبوة وذلك سنة اربع من الهجرة
فان فيها كان اجلاء بني النضير من اليهود من المدينة الشريفة واخلاف قريش الموعد في بدر الموعد وجبنا منهم عن لقاء
جيش النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بعد يسير غزوة الاحزاب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافهم الان
نغزوهم ولا يغزونا يعني ان نخوة الشيطان منهم وحمية الجاهلية اخذت في الاضمحلال لاتهاء قوتهم في الباطل الذي كان
سبب عزهم الظاهري الذي هو الذل في الباطن الذي هو ذلهم لاهل الاسلام في الظاهر وفي اثر الاحزاب كانت غزوة بني
قريظة فاذا ضممت الى الكلمات الضمائر الاربعة كانت احدى وعشرين توازيها سنة ثمان من الهجرة وهي سنة الفتح الاعظم
الذي وقعت به الالفة العظمى بين قريش واسلم وعاهدوا الذي وعدهم الله به في السورة المناظرة لها وهي براءة باتلاف
جميع العرب وانبعاثهم لاجتماع كلمتهم الى جهاد الفرس والروم والقبط واخذهم لبلادهم وابتنائهم لكنوزهم وتحكيمهم في نسائهم
واولادهم فسبحان من هذا كلامه وتعالى شانه وعز مرامه سورة الدين ويسمى ارايت والتكذيب
والماعون التنبيه على ان التكذيب بالبعث لاجل الجزاء اوالحياة فانه يجري المكذب على مساوي الاخلاق ومنكرات
الاعمال حتى يكون لاستهانته بالعظايم خلقا له فيصير ممن لا خلاق وكل من اسمائها في غاية الظهور في الدلالة على ذلك
بتامل السورة لتعرف هذه الاشياء المذكورة فهي ناهية عن المنكرات بتصريحها داعية الى المعالي افهامها وتلويحها
بسم الله الذي تعالت عظمته عن كل شائبة نقص فكان له كل كمال الرحمن الذي عمت نعمته المحسن والمسيء فعمر الكل بالنوال الرحيم
الذي خص اولياءه باتمام النعمة فجبانهم بنعيم الاتصال ولما اخبر عن فعله سبحانه معهم من الانتقام ممن تعدى
حدوده فيهم ومن الرفق بهم بما هو غاية في الحكمة فكان معرفا بان فاعله لا يترك الناس سدى من غير جزاء وامرهم اخر قريش بشكر
نعمته بافراده بالعبادة عرفهم او لعله ان ذلك لا يتهيا الا بالتصديق بالجزاء الحامل على معالي الاخلاق الناهي عن مساو
وعجب ممن يكذب بالجزاء مع وضوح الدلالة عليه بحكمة الحكيم ووصف المكذب به باوصاف هم منها في غاية النفرة
وصونا باتباع صورته لعتاهم على التصديق وزجرا عن التكذيب فقال خاصا بالخطاب راس الاية اشارة الى انه
لا يفهم هذا الامر حق فهمه غيره ارايت اي اخبرني يا اكمل الخلق الذي يكذب اي يوقع التكذيب لمن يخبره كائنا من كان بالدين
اي الجزاء الذي يكون يوم البعث الذي هو محط الحكمة وهو غاية الدين التكليفي الامر بمعالي الاخلاق الناهي عن سفسافها من كذب
باحدهما كذب بالاخر ولما كان فعل الرؤية بمعنى اخبرني المتعدي الى مفعولين كان تقدير المفعول الثاني المستجد
بالانتقام منهم وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تضمنت السورة المتقدمة من الوعيد لمن انطوى على ما ذكر فيها بما هو جار
على حكم الجهل والظلم الكائنين في جبلة الانسان مما تضمنت كقوله ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لفي خسر يحسب ان
ماله اخلده والهكم التكاثر ذلك تنبيه هذه الصفات الاولية ما ذكر فيها ايضا كالشغل بالتكاثر والطعن على الناس
ولمزهم والاغترار المهلك لاصحاب الفيل تبع ذلك بذكر صفات قد توجد في المنتمين الى الاسلام او يوجد بعضها او اعمال
من يتصف بها وان لم يكن من اهلها كدع اليتيم ودفعه عن حقه وعدم الرفق به وعدم الحض على اطعام المسكين والتغافل
عن الصلاة والسهو عنها والرياء بالاعمال والزكوة والحاجات التي يضطر فيها الناس بعضهم الى بعض ويمكن ان يفهم ايهام الماعون
هذا كله ولا اشك ان هذه الصفات توجد في المتسمين بالاسلام فاخبر سبحانه انها من صفات من يكذب بيوم الدين
ولا ينتظر الجزاء والحساب اي ان هؤلاء هم اهلها ومن هذا القبيل قوله عليه الصلاة والسلام اربع من كن فيه كان منافقا
خالصا وقوله عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وهذا الباب كثير في الكتاب والسنة وقد
بسطته في كتاب ايضاح السبيل من حديث سؤال جبريل ومن هذا القبيل عندي والله اعلم قوله تعالى ارايت الذي يكذب
بالدين فذلك الذي يدع اليتيم اي ان هذه الصفات من دفع اليتيم وبعدا لشفقة عليه وعدم الحض على اطعامه والسهو
عن الصلاة والمراءاة بالاعمال ومنع الحاجات ان هذه كلها من شان المكذب بالحساب والجزاء لان نفع التغافل عنها انما يكون
اذ ذاك فمن صدق به جرى في هذه الخصال على السنن المشكور والسعي المبرور ومن كذب به لم يبال بها وباطن جميعها
فتنزهوا ايها المومنون عنها فليست من صفاتكم في اصل ايمانكم الذي بايعتم عليه فمن تشبه بقوم فهو منهم واحذروا
هذه الرذائل فان دع اليتيم من الكبر الذي هلك اصحاب الفيل وعدم الحض على اطعامه فانما هو فعل البخيل حسبت
ان ماله اخلده والسهو عن الصلاة من ثمرات الهاكم التكاثر والشغل بالاموال والاولاد فهي عبادة عن هذه الرذائل
التي ثمرها ما تقدم والتحمت السور انتهى ولما كان المراد بهذا الجنس كان عليهم وان اجتهد وا في الاخفاء

وتوبيخهم فقال مسببا عن التكذيب ما هو دال عليه فذلك اي البغيض البعيد من كل خير الذي يدع اي يدفع دفعا عنيفا بغاية القسوة اليتيم ويظلمه ولا يحث على اكرامه لان الله تعالى نزع الرحمة من قلبه ولا ينزعها الا من شقي لانه لا حامل على الاحسان اليه الا الخوف من الله فكان التكذيب جرأه سببا للغلظة عليه ولما كانت رحمة الضعفاء علامة على الخير ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين كانت القسوة عليهم علامة على الشر وكان من خلا باللين في ماله اشد بخلا بالبذل من ماله قال معرفا لان المكذب نزله تكذيبه الى اسفل الدركات واسوأ الصفات الحامل على شر الحركات ولا يحض اي يحث نفسه ولا اهله ولا غيرهم حثا عظيما يحمي فيبعث على المراد على طعام المسكين اي بذله واطعامه اياه بل يمنعه ولا يكرمه ولا يرحمه وتعبيره عن الاطعام الذي هو المقصود بالطعام الذي هو الاصل واضافته الى المسكين للدلالة على انه يشارك الغني في ماله بقدر ما فرض الله من كفايته وقد تضمن هذا ان علامة التكذيب بالبعث ايذاء الضعيف والتهاون بالمعروف. والاية من الاحتباك الدع في الاول يدل على المقت في الثاني والحض في الثاني يدل على مثله في الاول ولما كان هذا حاله مع الخلائق تبعه حاله مع الخالق اعلاما بان كلا منهما دال على خراب القلب وموجب لمقت الرب واعظم الاهانة والكرب والمعاصي شؤم مهلك منفرا عنهما وتحذيرا منهما فسبب عنه قوله معبرا باعظم ما يدل على الاهانة فويل ولما كان الاصل له بالاضمار والافراد وكان المراد بالذي الجنس الصالح للواحد وما فوقه وكان من يستهين بالضعيف لضعفه يعرض عما لا يراه ولا يحسه لغيبته وكان من اضاع الصلاة كان لما سواها اضيع وكان من باشرها بما ظن انه النجاة ولو كانت مباشرته لها على حال الرياء وغيره من الامور المحبطة للعمل عبر بالوصف تعميما وتعليقا للحكم به وشنعه من الصلاة تحذيرا من الغرور واشار الى ان الذي تم له ملك الحساسة هو ما تقدم من الجري مع الطبع الردي واتى بصيغة الجمع تنبيها على ان الكثرة ليست لها عنده عبرة لان اهانة الجمع مستلزمة لاهانة الافراد من غير عكس فقال للمصلين ولما كان الحكم انما هو على ذات الموضوع من غير اعتبار لوصفه بالفعل علم ان المقصود انما هو من كان مكلفا بالصلاة لا من كان متلبسا بها مثل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة حائض الا بخمار فلذلك وصفهم بقوله الذين هم اي بضمائرهم وخالص سرائرهم ولما كان المراد تضييعهم قال عن دون في صلاتهم اي التي هي جديرة بان تضاف اليهم لوجوبها عليهم وايجابها لاجل مصالحهم ومنافعهم بالتزكية وغيرها ساهون اي غريقون في الغفلة عنها وتضييعها وعدم المبالاة بها وقلة الالتفات اليها ويوضح ذلك ان ابن مسعود رضي الله عنهما قرأ لاهون وفائدة التعبير بالوصف الدلالة على ثبوته ثبوتا يوجب ان لا يذكروها من ذوات انفسهم اصلا ولذلك كشفه بما بعده. روى البغوي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الاية فقال هو اضاعة الوقت وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا ويصلونها اذا حضروا مع الناس ولما كان من كان بهذه الصفة لا نظر له لغير الحاضر كالبهائم قال دالا على ان المراد بالسهو عنها تضييعها عند الانفراد بالترك حسا ومعنى وعند الاجتماع بالافساد في المعنى الذين هم اي بجملة سرائرهم يراءون بصلاتهم وغيرها يرون الناس انهم يفعلون الخير ليراهم الناس فيروهم ويثنوا عليهم والاحسان اليهم ولو يكفوا ما هم مستحقونه من السيف عنهم لا لرجاء الثواب ولا الخوف العقاب من الله ولذلك يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ولما كان من كان بهذه الصفة ربما فعل قليل الخير دون جليله رياء بين انهم غلب عليهم الشح حتى انهم مع كثرة الرياء منهم لم يقدروا ان يراءوا بهذه التي تاسلحوا جميع خلال المكارم فقال ابلاغا في ذمهم اشعارا بان احب الخلق الى الله انفعهم لعياله ويمنعون اي على تجدد الاوقات وحذف المفعول الاول تعميما حتى يشمل كل احد وان جل وعظمت منزلته ولطف محله من علوهم تعريفا بانهم بلغوا من الرذالة ذروة البعيد وراءها لحسد موضع الماعون اي حقوق الاموال والشيء اليسير من المنافع مثل اعارة الانية من متاع البيت التي جرت عادة الناس ان يتعاوروه بينهم ويمنعون اهل الحاجة ما اوجب الله لهم من اموالهم من الحقوق والحاصل انه يبنى جملة ذلك على منع ما يجب بذله مثل فضل الكلا والماء والزكوة ونحوها ليكون موجبا للويل وعلى الزكوة حمله علي وابن عمر رضي الله عنهما والحسن وقتادة قال العلماء هو ماخوذ من المعن وهو في اللغة الشيء اليسير ولذلك فسره بعضهم بالماء وبعضهم بما يعار من المتاع نحو القدر والفاس والدلو وبعضهم بالزكوة لانه لا يؤخذ من المال على وجه الزكوة الا يسير جدا بالنسبة اليه. وقيل هو كل عطية او منفعة. وقال قطرب هو فاعول من المعن والمعن المعروف وقال ابو عبيدة الماعون في الجاهلية العطاء والمنفعة وفي الاسلام الزكوة. وقال الهروي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العارية. ذكره الامام عبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي. وقال ابن جرير واصل الماعون من كل شيء منفعته فدل ذلك على انهم بلغوا النهاية في التكذيب باستهانتهم باعظم دعائم الدين واستعظامهم لادنى امور الدنيا وهذا الاخر كما ترى هو الاول لان الذي جرا اليه هو التكذيب ومن منع هذه الاشياء التافهة كان جديرا بان يمنع ورود الكوثر في يوم الحشر وكما التقى اخرها باولها التقت السورة كلها مع مناظرتها في العدد من اول القران وذلك انه قد علم ان حاصل هذه السورة الابعاد عن سفساف الاخلاق وددتها

ودينها من التكذيب بالجزاء الذي هو حكمة الوجود المثمر للاعراض عن اتيان الخلائق وطاعة الخالق والانجذاب مع النقائص الى الاستهانة بالضعيف الذي لا يستهين به الا ارذل الناس واذلهم والرياء الذي لا يلم به الا من كان في غاية الدناءة فكان ذلك موجبا للمثل الى اعظم الويل وفي ذلك اعظم مرغب في معالي الاخلاق التي هي اضداد ما ذكر في السورة وكذا الامر في وجود في الانفال المناظرة لها في رد المقطع على المطلع على اتم وجه ليكون ذلك اشارة الى انها شارحة لهذه فتنبه الايمان الى ملاحظتها عند قراءتها انظر الى قوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا الاية واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية والذين كفروا الى جهنم يحشرون الاية فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الاية ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس الاية. ولقد انطبقت السورة بمعانيها وتراكيبها العظيمة ونظومها ومبانيها على الارذال الادنيا الاسافل واحاطت بوسمهم بعد كلماتها معدودة فلحقوا فيها وادارت عليهم كؤوس حتوفها من بوائق الهياج بايدي نفوذها ومواضي سيوفها وذلك ان عدة كلماتها خمس وعشرون كلمة فاذا اعتبرتها من اول سني النبوة وارث السنة الثانية عشر من الهجرة وذلك اول خلافة الصديق رضي الله عنه وفيها لم يبق احد على يدي من المصلين الذين ارتدوا واعز الاسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومنعوا الزكوة فتبين انهم ما كانوا يصلون في حياته صلى الله عليه وسلم وينكرون الا رياء الناس فعل الادنيا الانجاس حتى حل بهم الويل بايدي جنود الصديق الذين جاؤهم بالرجل والخيل من قومهم عن اخرهم ولم يمض تلك السنة الا وقد فرغ منهم بالقتال من بني حنيفة باليمامة واطراف بلاد اليمن من اهل البحرين بلاد كندة والاسود العنسي من صنعاء وما مضت سنة ست عشرة الموازية لعدد الكلمات بالبسملة وذلك اوائل خلافة الفاروق حتى دال من جميع جزيرة العرب وهم مشركوا العرب ومنصرهم ومجوسهم الذين كانوا بنواحي العراق والشام والبحرين فاسلم اكثرهم وذهب الباقون الى بلاد الروم وحل الويل بالمرائين من اهل الصلاة فانهم الذين التي لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم بالصلاة فاعرضوا عنها والناس لهم تبع ولم يصح في هذه السورة اعتبار الضمائر الا الذي كان في هذا الحكمة وظهر على كل ظاهر المحل لا اضمار فيه بوجه ولا عائق له ولا سائق وكما انه لا حاجة الى الامر بالضمائر لمفارقته له في الخفاء فتمكن من التبادر على رؤوس المنابر والمنابر وكذلك لم يناسب بعد الوصول الى هذا الحال المكشوف الا تماديا بالدلالة باعداد الحروف

سورة الكوثر وتسمى النحر مقصودها

المنحة بكل خير يمكن ان يكون واسمها الكوثر واضح في ذلك وكذا النحر لانه معروف في نحر الابل وذلك غاية الكرم عند العرب. بسم الله الملك الاعظم الجواد الاكرم الذي لا يحد لغا نقص فضله الرحمن الذي شمل الخلائق بجوده وفاوت بينهم في صبوب بله الرحيم الذي خص حزبه بالاهتداء بهديه والاعتصام بحبله ولما كانت سورة الدين بافصاحها ناهية عن مساوي الاخلاق وكانت بافهامها داعية الى معالي الشيم فجاءت الكوثر لذلك وكانت الذي قد ختمت بابخل البخلاء وادنى الخلائق المنع تنفيرا من البخل وما جره من التكذيب فابتدئت الكوثر باجود الجود العطاء لاشرف الخلائق ترغيبا فيه وندبا اليه فكانه قيل انت يا خير الخلق غير متلبس بشيء مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون انا بما لنا من العظمة والكبر لاجل تكذيبهم اعطيناك اي خولناك مع التمكين العظيم ولم نقل اتيناك لان الايتاء اصله الاحضار وان اشتهر في معنى الاعطاء الكوثر الذي هو من جملة الجود على المصدقين بيوم الدين ولما كان كثير الوصف اكثر من كثرة عنه فكيف بالملك فكيف بملك الملوك فكيف اذا اخرجه في صيغة مبالغة فكيف اذا كان في مظهر العظمة فكيف اذا الصيغة على الواو والذي له العلو والعظمة فكيف اذا انت اثر النعمة التي لها مثل ذلك بل اعظم كان المعنى افضنا عليك واعطيناك من كل شيء من الاعيان والمعاني من العلم والعمل وغيرهما من معادن الدارين ومعاونهما الخير الذي لا غاية له فلا يدخل تحت الوصف فاغنيناك عن ان تؤثر بذلك او تود مما لك لجلب نفع او دفع ضر ومنه النهر الذي في الجنة ويسقي المؤمنين من الحوض المورود منه في المحشر الذي مثاله في الدنيا شريعته صلى الله عليه وسلم التي اوانيها واسبابها عدد النجوم الذين هم علماء امته المهتدى بهم فقد اجتمع لك الغبطتان اشرف العطاء من اكرم المعطين واعظمهم وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما نهى عباده عما يلتفت به من اراد الدنيا وزينتها من الاكثار والكثر والتعزز بالمال والجاه وطلب الدنيا اتبع ذلك بما منح نبيه مما هو خير مما يجمعون وهو الكوثر وهو الخير الكثير ومنه الحوض الذي ترده امته في القيمة لا يظمأ من شرب منه ومنه مقامه المحمود الذي يحمده فيه الاولون والاخرون عند شفاعته العامة للخلق واراحتهم من هول الموقف ومن هذا الخير ما قدم له في دنياه من تحليل الغنائم والنصر بالرعب والخلق العظيم الى ما لا يحصى من خير الدنيا والاخرة مما بعض ذلك خير من الدنيا وما فيها اذ لا تعدل الدنيا وما فيها واجل من هذا العطايا بل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون

ومن الكوثر والخير الذي أعطاه الله كتابه المبين الجامع لعقل الاولين والاخرين والشفاء لما في الصدور ولما كمل له سبحانه من
النعم ما لا يأتي عليه حصر مما لا يناسب دناءة نعيم الدنيا بجملتها قال له منبها على عظيم ما اعطاه لا تمدن عينيك الى قوله ورزق ربك
خير وابقى فقد اضمحل في جانب نعمة الكوثر الذي هي كل ما ذكره الله تعالى في كتابه من نعيم اهل الدنيا وتمكن من يمكن منهم وهذا احد
موجبات تأخير هذه السورة فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا ولا اثم احد من المتنعمين بها لانقضاء هذا الغرض وتمامه
وسورة الدين اخر ما تضمن الاشارة الى شيء من ذلك كما تقدم من تمهيد اشارتها وتبيين تمهيد اوجه تعقيبها بها والله اعلم
انتهى ولما اعطاه ما فرغه للعبادة واكسبه غنى لا حاجة معه سبب عنه قوله امرا بما هو جامع لمجامع الشكر
فصل اي بقطع العلائق بالوقوف بين يدي الله في حضرة المراقبة شكرا للاحسان المنعم خلافا للساهي عنها والمرائي فيها
ولما اي مظهر العظمة لتكثير العطا فتسبب عنه الامر بما للملك من العلو وكان امره صلى الله عليه وسلم تكوينا
لا اباء معه وقع الالتفات الى صفة الاحسان المقتضي للترغيب والاقبال المانعة من التحبب مع التصريح بالتوحيد
وافادة ان العبادة لا تنفع الا شكرا فقال لربك اي المحسن اليك بذلك سرا وعلنا مراغما من شئت فلا تسل لاحد عليك
وانحر اي تقول له الكوثر من المال على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنعهم الماعون لان النحر افضل نفقات العرب لان الجزور
الواحد يغني مائة مسكين واذا اطلق العرب المال انصرف الى الابل ولعله عبر بهذا المراد بالنحر ليفهم الزجر عما كانوا يفعلونه
من الذبح للاوثان ومن معناه ايضا اظهار الذل والمسكنة والخشوع في الصلاة بوضع اليمنى على اليسرى تحت النحر هيئة الذليل
الخاضع وقد قابل في هذا الربعات من سورة الدين الدع وهو البخل بالاعطاء واضاعة الصلاة بالامر بها والربا بالتخصيص بالرب
ومنع الزكوة بالنحر ولما امره باستغراق الزمان في عبادة الخالق والاحسان الى الخلائق وعلى الخلائق علله بما حاصله
انه لا شاغل له ولا حاجة اصلا تلم به فقال ان شانئك اي مبغضك والمتبري منك والمستهين بك مع ما اوتيت من الكمال
والخصال الفاضلة والكمال هو اي خاصة الابتر اي المقطوع من اصله والمقطوع النسل والمعدوم والمنقطع
الخبر والبركة والذكر لا عقبه من يقوم بامره ويذكر به وان جمع المال وفرغ بدنه لكل جمال واما انت فموصول الامر ثابته
الذكر المرفوع القدر فلا تلتفت اليهم بوجه من الوجوه فانهم اقل من ان يبالي بهم من يفرغ نفسه للفوز بالمثول في حضراتنا
الشريفة والافتخار بالعكوف في ابوابنا العالية المنيفة لذلك ما انت عليه ولهم ما هم فيه فالاية الاخيرة النتيجة
لان من الكوثر علو امره وامر محبيه واتباعه في ملكوت السموات والارض ونهر الجنة وسفول شان عدوه فيهما فقد التف
كما ترى مفصلها بموصلها وعرف اخرها من اولها وعلم ان اوسطها كالحدود الوسطى معانقة للاولى لكونها من ثمراتها
ومتصلة بالاخرى لانها من غايات مضمارها. وقد صدق الله ومن اصدق من الله قيلا فانه لم يبق لاحد من مبغضيه ذكر بولد
ولا يوجد لهم شاكر ولا مادح ولا دافع واما هو صلى الله عليه وسلم فقد ملأت ذريته من فاطمة الزهراء الارض وهم الاشراف
مع مبالغة الملوك في قتلهم واخلاء الارض من نسلهم خوفا من شرفهم العالي على شرفهم ورفعتهم بالتواضع الغالب لصلفهم
واذا رجعت اية ما كان محمد ابا احد من رجالكم من الاحزاب علمنا ان لو في بقيته عليهم السلام من علاء قدره ومزيد تشريفه
بتوحيد ذكره واما اتباعه فقد استولوا على اكثر الارض وهم اولوا العرفان والعلم الباهر والعرفان ويؤخذ منها
ان من فرغ نفسه لربه اهلك عدوه وكفاه كل مهم وقد علم ان حاصل هذه السورة الكفر عليه صلى الله عليه وسلم بالخير
العظيم الذي من جملته النهر الماد من الجنة في المحشر المورود لمن اتبعه الممنوع ممن يأتي عنه وقطعه وامره بالصلاة والنحر
للتوسعة على المحاويج والبشارة بقطع دابر اعدائه ونصر جماعته واوليائه كما ان مقاصد الاعراف المناظرة لها في رد
المقطع على المطلع تهديدا للظالمين بالاهلاك في قوله وكم من قرية اهلكناها الاية وتصوير ذلك بذكر مصارع المكذبين
المخالفين للرسل عليهم السلام والامر بالصلاة وستر العورة وما يقصد بالنحر بقوله خذوا زينتكم عند كل مسجد
وكلوا واشربوا الايات. وذكر من يمنح ماء الجنة ومن يمنعه بقوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا من الماء او مما رزقكم الله الايات وقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم
باياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية هذا ما يتعلق بتفسير تراكيبها وجملها واما تأويل تفاصيلها
ومجملها وكذا نظيرتها في تنادي امرها ومحكمها ثم ان هذه السورة في عشر كلمات في الكتابة اشارة الى ان تمام بتر شانئه
يكون مع تمام السنة العاشرة من الهجرة وكذا كان لم يمض السنة الحادية عشرة من الهجرة وفي جزيرة العرب الا من يرى
اشرف احواله بذل نفسه وماله في حبه واذا اضفنا اليها الضميرين المستترين كانت ثنتي عشرة وفي السنة الثانية
عشرة من النبوة بايعه صلى الله عليه وسلم الانصار على منابذة الكفار واذا اضيف الى العشر الضمائر البارزة الخمسة
كانت خمس عشرة فيكون اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم عند تمام السنة الخامسة عشرة من نبوته يبسط يده العالية
لبتر اعدائه وكذا كان في وقعة بدر ان فيعة العند رفي ضمائر الاستار كانت السبعة وهي مستترة. وفي الضمائر البارزة

كانت

كانت بدر وهي مشهورة واذا اضيف الى ذلك الضميران المستتران كانت سبع عشرة وفي السنة السابعة عشرة من نبوته كانت غزوة بدر
الموعد ووفى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالوعد في الاتيان الى بدر للقاء قريش للقتال ومقارعة الابطال فاذلهم الله فلم يأتوا
وانما اعتبر ما بعد الهجرة من احوال النبوة عند ما عدت الكلمات الخطية العشر لكونها اقوى حالا للنبوة كما ان الكلمات الخطية
اقوى من الضمائر وان اشترك الكل في اسم الكلمات فلذلك اخذ تمام البتر الثاني وهو ما كان في السنة الحادية عشرة من
هلاك اهل الردة وثبات العرب في صفة الاسلام ولما ضمت الضمائر البارزة الخمسة التي هي اقرب من المستترة الى
الكلمات الخطية اعتبر من اول النبوة لمناسبة ما كان من ضعف الحال قبل الهجرة فوازى ذلك السنة الثانية من الهجرة التي كانت
فيها غزوة بدر الكبرى وهي وان كانت من العظم على امر بالغ جدا لكنها كانت على وجه تخالف القياس فان حال الصحابة رضي الله عنهم
كان فيها في غاية الضعف ولكونها اول ما وقع فيها النصر من الغزوات لم تكن نفوس المخالفين مذعنة لان ما بعدها يكون مثلها
فاذا ضم الى ذلك الضميران المستتران وهما اضعف من البارز انطبق العدد على سنة غزوة بدر الموعد في سنة اربع وهي
وان كانت قوية لكون قريش ضعفوا عن اللقاء لكن كان حالها اضعف من بدر التي وقع فيها القتال واستد ولكون كلماتها الخطية
والاصطلاحية التي هي ابعاض الكلمات الخطية سبع عشرة مؤذن بان الامر في فصل مصوب بالذات وبالعضد الى الصلوات
الخمس التي هي سبع عشرة ركعة وان من بادر عليها كان مصليا خارجا عن عهدة الامر فاذا اقصرت في السفر بما اقتضته صفة
التربية بالاحسان نقصت بعدد عدة الضمائر سوى الذي في الامر بها لان الامر انشئ عن مظهر العظمة لا يليق فيه التخفيف
بنقص كلمة الامر واذا اضفنا اليها كلمات البسملة الاربع كان لها اسرار كبرى من جهة اخرى وذلك ان الكلمات الخطية
تكون اربع عشرة اشارة الى ان ابتداء البتر للاضداد يكون بالقوة القريبة من الفعل بما يتهيأ له في السنة الرابعة عشرة
من النبوة وذلك عام الهجرة فاذا اضفنا اليها الضمائر البارزة التي هي اقرب الى الكلمات الخطية وهي خمسة كانت
تسع عشرة في السنة التاسعة عشرة من النبوة وهي السادسة من الهجرة كان الفتح المبين على التعيين الذي انزل الله فيه
سورة الفتح فاذا اضفنا اليها الضميرين المستترين كانت احدى وعشرين وهي سنة ثمان من الهجرة سنة الفتح الاكبر
الذي عم العلم فيه بان الشاني هو الابتر واذا اعتبرت حروفها المتلفظ بها كانت اربعا واربعين حرفا فاذا نظرتها
بالسنين من اول حين النبوة كان اخرها سنة احدى وثلثين من الهجرة وهي سنة البتر الاعظم الثانية الاكبر الذي
مزق كتابه وكان مالكا للبلاد اليمن وهو قدر كبير من بلاد العرب وكذا العجم ما قارب بلاده وكانت قريش تجعلهم
من عداديهم كما مضى بيانه في سورة الروم وهو كسرى ملك الفرس ففيها كان انقراض ملكهم بقتل اخر ملوكهم يزدجرد كما ان
اذا اعتبرت كلماتها الخطية مع الضمائر البارزة التي هي كلمات اصطلاحية دون ما استتر فان وجوب استتاره منع
من عده كانت تسع عشرة كلمة فاذا اعتبرت بها ما بعد الهجرة واذ توفيت موت قيصر طاغية الروم في سنة تسع عشرة
من الهجرة اهلكه الله وقد تجهز الى قتال العرب بالاسكندرية بنفسه وامر ان لا يتخلف عنه احد من الروم فكسر الله
بموته شوكة الروم واستأسدت العرب عند ذلك وكانت الاحرف مشيرة الى بتر الشاني من الفرس والكلمات مشيرة
الى بتر الشاني من الروم والفرس اولى باشارة الاحرف لانهم ليسوا بذوي علم والكلمات اقرب الى العلم واذا اعتبرت احرف
البسملة اللفظية كانت ثمانية عشر حرفا فاذا جعلتها سنين من اول النبوة كان اخرها سنة خمس من الهجرة وفيها كانت
غزوة الاحزاب قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافهم منها الان نغزوهم ولا يغزونا فهو اول اخذ الشاني الابتر
واذا اعتبرت الاحرف بحسابها رسما كانت تسعة عشر اخرها سنة ست وهي عمرة الحديبية سنة الفتح السببي وهو
الصلح الذي نزلت فيه سورة الفتح وسماه الله فتحا. وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه اعظم الفتح فكان سبب الفتح
الاعظم بخلطة الكفار لاهل الاسلام بالصلح فاسرعوا الى الاسلام بالدخول فيه لما راوا من محاسن الدين واعجاز القران
فكانوا يوم الفتح عشرة الاف بعد ان كانوا قبل ذلك بسنتين يوم الحديبية الفا واربع مائة والله الموفق قال عبد البر
من اسرار هذه السورة وقد علم منه من اعجازها ما يشرح الخواطر ويبهج النواظر لانه يفوق حسنا على الرياض
النواضر وعلم ان الضاحون لجيث المسخم مسيلمة الكذاب عليه اللعنة والتباب وله سوء المنقلب والمآب حيث
قال في معارضتها انا اعطيناك الجماهر. فصل لربك وهاجر. انا كفيناك المكابر. او المجاهر. لانه كلام مع انه
قصير المدى ركيك اللحمة والسدى غريب الساحة والعنا في الهلاك والعنا ليس فيه غناء الكل غضب وعنا عن طلل النسج
رث القوى منفصم العرى متخلخل الارجاء فاسد المعاني والبناء فاسد الالفاظ مر الجناء لان العلل هنا ناتية للمقاولة
والنوامل منافرة للمتمولات. ثم رأيت في دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني ان الوسطى من قال العاهر
وجاهر ان كان المراد بالبين لم يمنع الصفح بالباطل وذاك لا يرضى به عاقل وان كان بالحرب كان على النصف لكل من
يدبر تعرف ولا نص فيه على الغلبة بمطلوبيته ولا طلب مع نقص الجود على كل تقدير الذي هو المقصود للغني والفقير

والمأمور والامر هذا امنع الاغارة على الاسلوب والحذو على المعهود عن مجاز في القصاص حياة في اسقاط القتل لنفي القتل
بالرشاقة مع الوجازة والعذوبة مع البلاغة في اصابة حاق المعنى مما يقود الى التماح بالنفس ويحمل على المبادرة الى امتثال
الامر والاولى من يخف عقل الحيف واكله الى الحلق مع نقصان المعنى للسار للاسرار والاخرى يحمله لذوي النية والستر مع ما
فاتهما من قصر الحسان وخصوص لسبار المماحوت من بيان الكذب لسبار للاعمال المحرب للادبار تصديقا للنبي البار ربما يبدي
صحابته الاخيار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار • سبحان من علا فعلا كلامه كل كلام والسلام سورة الكافرون
ومقصودها ... المقشقشة مقصودها اثبات مقصود الكوثر بالدليل الشهودي على ان من اعطاها كامل العلم شامل القدرة
لانه المنفرد بالوحدانية فلذلك لا يساوي من كان معه ولذلك لما نزلت قراها صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام ماكانوا
وهذا المراد بكل من اسميها اما الكافرون فمن وجهين باظرا الى اثبات وناظرا الى نفي اما المثبت فمن حيث انه اشار الى تأمل جميع السور
من اطلاقا لبعض على الكل واما النافي فمن جهة انهم انما كفروا بانكار ما هو مقصودها اما صريحا فالوحدانية وتمام القدرة واما
لزوما فهو العلم فانه يلزم من نقص القدرة نقصه واما الاخلاص فلان من اعتقد ذلك كان مؤمنا مخلصا بريا من كل شرك ومن كل
كفر واما المقشقشة فلانها ابرات من كل نفاق وكفر من قولهم تقشقشت قروحه اذا تقشرت للبرء وعندي انه من الجمع اخذا
من القش الذي هو تطلب الماكول من ههنا وههنا فانها جمعت جميع اصول الدين فاثبتتها على اتم وجه فلزم من ذلك انها جمعت جميع
انواع الكفر فحذفتها ونفتها وقد تقدم تمام توجيه ذلك في براءة فامر تسميتها ادل على الاخلاص ومن المعلوم ان من اخلص لله كان
من اهل ولايته حقا فحق له ما يفعل الولي مع وليه ولذلك والله اعلم سنت قراءتها مع قل هو الله احد في ركعتي الفجر ليحوز فاعل
ذلك البراءة من الشرك والاتصاف بالتوحيد ولا تنهار ثمرة ما ورد ان من صلى الصبح كان في ذمة الله ومن كان كذلك كان
جديرا بان ينال ما اشرفت اليه السورة التي تلي سورة الاخلاص من الفتح له والنصر والخيبة لعدوه والخسر والخزي
بسم الله المحيط علما وقدرة فهو الواحد الذي لا يستطيع احد ان يقدر قدره • الرحمن الذي عم بوجه البيان من اوجب
عليهم شكره • الرحيم الذي خص اهل وده فالتزموا نهيه وامره ولما اخبر في الكوثر ان شانئه عدم وجب ان يعرض
عنه ويقبل بكليته على من انعم عليه بذلك فقال معلما ما يقول ويفعل قل ولما كان شانئه اعرق الخلق في الضلال
والبعد من الخير قال مناديا باداة البعد وان كان حاضرا معبرا بالوصف المؤذن بالرسوخ يا ايها الكافرون اي الذين
قد حكم بثباتهم على الكفر فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما دلت عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لوجوده وهم من ادنى الخط
وهم كفرة مخصوصون وهم من حكم بموته على الكفر ومما دل عليه التعبير بالوصف دون الفعل واستغرقت اللام كل من
كان على هذا الوصف في كل مكان وكل زمان وانما عبر بالجمع الذي هو اصل في القلة وقد يستعار للكثرة اشارة الى البشارة
بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلى الله عليه وسلم واشارة الى حقارة الكافرين وذلتهم
وان كانوا كثيرا كما يشير اليه جعل كل كلمة منها بحرف من الكوثر كما بان في مناسبتها بهذا الوصف الذي استمر ذلوله في
بلدتهم ومحل عزهم وحميتهم ايذان بانه يحرس منهم علما من اعلام النبوة وقال الامام جعفر بن الزبير لما انقضى في الفرقان
المنزه ذكر ما في الكتاب العزيز من اوله الى اخره على اختلاف احوال كل فريق وتفاوت درجاتهم واعني بالفريقين من اشير
اليه في قوله سبحانه اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فهذا طريق احد الفريقين وفي قوله غير
المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى من كان في الطرف الاخر من حال اولئك الفريق اذ ليس الا طريق السلامة
او طريق الهلاك فريق في الجنة وفريق في السعير فمنكم كافر ومنكم مؤمن والسالكون طريق السلامة فاعلى درجاتهم
مقامات الرسل والانبياء عليهم السلام ثم يليهم اتباعهم من صالحي العباد وعلمائهم العاملين وعبادهم واهل الخصوص
منهم والقرب من احوال من تمسك منهم ودركهم مختلفة وان جمعهم جامع وهو قوله فريق في الجنة واما اهل التنكب
عن هذه الطريق وهم الهالكون فعلى طبقات ايضا ويضم جميعهم طريق واحد فكيف ما تشعبت الطرق فالى ما ذكر من الطرفين
مرجعهما وباختلاف سبل الجميع عرف اي الكتاب وفصلت ذكر كله تفصيلا لا يبقى معه ارتياب لمن وفق فلما انتهى ذلك
كله بما يتعلق به وتناولت بيانه الاي من لدن قوله ذلك الكتاب هدى للمتقين الى قوله ان شانئك هو الابتر
اتبع ذلك بالتفاصيل التسجيل فقال تعالى قل يا ايها الكافرون فبين سبحانه ان من قضى عليه بالكفر والموافاة
عليه لا سبيل له الى خروجه عن ذلك ولا ينفع منه الايمان ابدا ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولو انهم بعد عذاب الاخرة ومعاينة البعث وعظيم تلك الاهوال
وسؤالهم الرجوع الى الدنيا وقولهم ربنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فلو اجيبوا الى هذا ورجعوا لعادوا الى
حالهم الاول ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه تصديقا لكلمة الله واحكاما للسابق فمن حق عليه كلمة العذاب
افانت تنقذ من في النار فقال لهم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد الى اخرها فبان امر الفريقين

وارتفع الاشكال واستمر كل على طريقه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان عليك الا البلاغ فتأمل موقع هذه السورة وانها الخاتمة
لما تضمن في الكتاب يلح لك وجه تأخيرها والله اعلم انتهى ولما كان القصد اعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه وانه لا يبالي
بهم بوجه لانه محفوظ منهم فالعوذ تالية لذلك وحزم تعالى في اخر الكوثر من حيث انه مع المجاهرة بالمنابذة لا يستطيعون له بنوع مكايدة
نادته بادئا بالبراءة من جهته لانها الاهم لا اعبد اي الان ولا في مستقبل الزمان لان لا للمستقبل وما للحال كذا قاله ابو طاهر
عبارة سيبويه في قوله نفي لقوله سيفعل ولا لقوله يفعل ولم يقع انها نفي للمضارع الذي لم يقع سواء كان في
غاية القرب من الحال ام كما نقله عنه في البحر ولن يفعلوا على انا نطقنا بهذا الكلام لا يكاد يتحقق حتى يمضي
زمن فيصير مستقبلا فلذا اعترض دون ما بشارة بانه سبحانه يثبته على الصراط المستقيم ولا يظفرهم به علما من اعلام
النبوة ولما كان في معبوداتهم ما لا يعقل وكان المقصود تحقير كل ما عبد من سوى الله قال ما تعبدون اي الان وفي اي
الزمان من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه العبادة في سر ولا علن لانه لا يصلح للعبادة بوجه
ولما بدء بما هو الاحق بالبداءة وهو البراءة من الشرك والطهارة من وضر الاباطيل لانه من درء المفاسد فالبلغ في ذلك
بما هو الحقيق بحاله صلى الله عليه وسلم وكانوا هم يعبدون الله تعالى وجه الاشراك وكانت العبادة مع الشرك غير معتد بها
بوجه نفى عبادتهم له في الجملة الاسمية الدالة على الثبات لا في الفعلية الدالة على نفي كل فعل من كثير من حيث ان الفعل
نكرة في سياق النفي فقال ولا انتم عابدون اي عبادة معتدا بها من حيث كونها هلالا يكون وصفا ثابتا ولما كان
الانزاع لهم في ان معبوده عالم وكانت ما صالحة للاطلاق عليه سبحانه عبر عنه ايضا بها لان ذلك مع انه لا اصرح في ضمنه
اقرب الى الانصاف بهوادة على الى عدم المراء والخلاف فقال ما اعبد اي الان وما نعبد لان معبودي وله العلم التام والقدرة
الشاملة ابعدكم عنه فلا مطمع في الوفاق بيننا ولما كان مما نفي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل فيه الماضي وكان
عدم المشاركة بوجه من الوجوه في زمن من الازمان ادل على البراءة واقعد في دوام الاستهانة وكانوا يعدون سكونه صلى
الله عليه وسلم عنهم فيما قبل النبوة عبادة وكانوا غير مقتصرين على عبادة اصنامهم التي تتخذ وهائل اذا احرجوا من الحرم
فنزلوا منزلا نظروا الى احسن حجر يستحسنونه فيعبدونه فان لم يروا حجرا جمعوا شيئا من تراب وحلبوا عليه شيئا من لبن
وعبدوه ما داموا في ذلك المنزل وكان ذلك من اشد ما يعاب به من جهة عدم الثبات وانه لا معبود لهم معين قال
مشيرا على ذلك كله ولا انا عابد اي متصف بعبادة ما عبدتم اي فيما سلف لم يصح وصفي قط بعبادة ذلك من اول الزمان
الى ساعتنا هذه فكيف ترجون ذلك مني وانا لم افعله ولا قبل النبوة ولا كان من شاني قط ولما كان هو صلى
الله عليه وسلم ثابتا على اله واحد لعبده غيره ولم يلتفت يوما لغيره سواه وكان قد انتفى عنه بالجملتين هذه الماضية التي
اول النبوة ان يعبد باطلهم حالا وما لا وان يكون عبده قبل ذلك وكان الحاظي ظان ان النفي عنهم انما هو لعبادة معبوده
في الحال نفى ذلك في الاستقبال ايضا علما من اعلام النبوة مع تاكيد ما افادته الجملة الماضية جريا على مناهج العرب
في التاكيد قطعا لان ما لهم منه على اتم وجه وآكده لانه على وجه لا ينفك عن عليه لما ينفك كل جملة مع التاكيد من فائدة
جديدة تهمهم فقال ولا انتم عابدون اي عبادة يكم وصف معتد به في الحال والاستقبال ولما لم يكن قبل البعث مشهورا
عندهم بعبادة الله غيرها لا يتوجه لهم اليه انكار وهو المضارع الذي ظاهره الحال والاستقبال مراد به ما يشمل الماضي لما
ذكره ابو حيان وغيره في سورة الحج عند ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله من انه يطلق المضارع مرادا به مجرد ايقاع
الفعل من غير نظر الى زمان معين فقال ما اعبد اي وجدت مني عبادته واتصفت بها الان وفي ماضي الزمان ومستقبله اتصافا
يعتد به ولما كان ذلك كله وبدا النفي في الجمل السابقة بالمنسوب اليه صلى الله عليه وسلم ابدا انا بالاهم من براءته
منهم انتج قطعا • قوله مقدما ما يتعلق بهم على وجه اختصاصهم به تاكيدا لما صرح به فيما مضى من براءته منهم لكم اي خاصة دينكم اي
الذي تعلمون انه لا اصل له يثبت عليه ولا دليل يرجع بوجه اليه الا الاشار كم فيه بوجه ولا ترجعون عنه بوجه بل تموتون
عليه موتا لبعضكم حتف الانف ولاخر من قتل على يدي بالسيف ولي اي خاصة دين من واسع روضة الاسلام الى اعلى مقام الايقان
والاحسان وانتم تعلمون لو جردتم عقولكم عن الهوى واخلصتم افكاركم من الحمية والاباء انه كله دليل وفرقان ونور ووجه وبرهان
لا تشاركوني فيه بوجه ولا تقدرون على ردي عنه اصلا فكانت هذه علما من اعلام النبوة من حيث انه مات منهم ناس كثير بعد ذلك
على الكفر واتم الله له هذا الدين فصدق سبحانه فيما قال وثبت مضمون الكوثر باكمل استدلال واما من بعد ذلك فليس مرادا
لانه لم يكن عريقا في وصف الكفران ولا راسخا في الضلال والطغيان فاستعد وصف الاسلام والايمان وساق الجمل كلها غير
مؤكدة اشارة الى انها من الوضوح في حد لا خفاء به اصلا ولا شك ان اخرها الذي هو اختصاص كل بدينه هو اولها الذي افاد
انه لا يعبد معبودهم ولا يعبدون معبوده فصار اخرها اولها ومفصلها موصلها هذا هو الذي دل عليه السياق وليس فيه
اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليحتاج الى النسخ وهذا اعظم دلائل اعجازها وجمعها للمعاني في اشاراتها وايجازها ان حاملها

قطع رجا اهل الكفران من ان يقادمهم النبي صلى الله عليه وسلم في ان يعدل بربه احدا في زمن من الازمان وذلك من اعظم مقاصد المناظرة لها في رد الاخر على الاول لانعام لانها السادسة في العدد من الاخر كما ان هذه السادسة في العدد من الاول ولما اعز الله الحق ولما اعز الله
اتبعي ربنا وبمورث كل شيء الى عبده لك من الايات والفواصل والايات هذا ما يتعلق بمعاني تركيبها ونظومها على ما في عليه وبراتبها
وسياقاتها وآساليبها وكلماتها الخطبة سبع وعشرون الى اربع كلمات البسملة احدى وثلثون الى ربعة ضماير مستتر خمسة وثلثون
الى التسعة بارزة فثلاث اربع واربعون كلمة الضماير منها ثلاث عشر في مدة الاقامة بمكة المشرفة قبل الهجرة لانها في الخفا باكالضماير
في خزائن السرائر ولا سيما الاربع الاول منها الموازية لضماير الاستار وغير الضماير احدى وثلثون المناظر لها من السنين سنة احدى
وثلثين وفي سنة قتل يزدجرد ملك الفرس اكبر الكفرة من اهل ذلك الزمان واعتاهم وموافقة كلماتها في العدد لاحرف الكوثر
مشيرة الى ان الشانئ من اتباعه صلى الله عليه وسلم اكثر واكبر من كثير شانئيه واضداده وحاسديه وقد دل على ذلك شاهد
الوجود يوم الفتح والمسلمون عشرة الاف والكفار من قريش ومن حولهم لا يحصون كثرة وقد كان يعلم في ذلك اليوم ما شهد به اعدا
خماس الذي كان يعد امراته ان يخدمها بعض المسلمين في قوله فرهاربا ولم يستطع ان يغلق وراءه بل قال لها اغلقي بابي فقالت له
اين ما كنت تعدني به

انك لو شهدت يوم الخندمة	اذ فر صفوان وفر عكرمة
واستقبلتهم بالسيوف المسلمة	يقطعن كل ساعد وجمجمة
ضرب فلا يسمع الا غمغمة	لهم نهيت خلفنا وهمهمة لم تنطقي باللوم ادنى كلمة

هذا مع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اوصاهم الابقا لكوا الا من بداهم بالقتال وهذا مع ما كان من اهل الاسلام حين قصدهم
الكفار يوم الخندق والمشركون في عشرة الاف وهم لا يبلغون ربعهم ولا مدد لهم ممن حولهم ولا ناصر الا الله بل جاءتهم
الاعداء كما قال تعالى من فوقهم ومن اسفل منهم وما زادهم ذلك الا ايمانا وتسليما والى هذا ايضا اشار بلوغ عدد كلمات النصر
خطبتها واصطلاحا ظاهرها ومستترها الى عدد كلمات الكافرون الخطبة نفى لك رمزا الى ان اضعف اهل الاسلام لا يضعف
عن مقاومة اهل الكفر واسخنهم في كل صفة يريدها والله الموفق ● سورة النصر وتسمى التوديع مقصودها
الاعلام بتمام الدين اللازم عنه لول اسمها النصر اللازم عنه موت النبي صلى الله عليه وسلم اللازم عنه العلم بانه ما برز
الى عالم الكون والفساد الا لاعلاء كلمة الله وادحاض كلمة الشيطان اللازم منه انه صلى الله عليه وسلم خلاصة الوجود واعظم
عبد للولي الودود وعلى ذلك ايضا اسمها التوديع وحال نزولها وهو ايام التشريق من سنة حجة الوداع بسم الله الذي
له الامر كله فهو العليم الحكيم الرحمن الذي ارسلك رحمة للعالمين فعمهم بعد نعمة الايجاد بان بين لهم اقامة معاشهم ومعادهم
بك طريق النجاة غاية البيان بما انزل عليك من معجز القران الذي من سمعه فكانما سمعه من الله العلي العظيم الرحيم الذي
خص من اراده بالاقبال به الى حزبه وجعله من اهل قربه بلزوم الصراط المستقيم ولما دلت التي قبلها على
ان الكفار قد صاروا الى حال لا عبرة لهم فيه ولا التفات اليهم ولا خوف بوجه منهم ما دام الحال على المتاركة
كانه قيل فهل يحصل نصر عليهم وظفر بهم بالمعاركة فاجاب بهذه السورة بشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين ولكنه لما لم
يكن هذا بالفعل الا عام حجة الوداع بعد فتح مكة بسنتين كان كانه لم يستقر الفتح الا حينئذ فلم ينزل سبحانه هذه
السورة الا في ذلك الوقت وقيل منصرفه من غزوة حنين فقال تعالى تحقيقا لانه ينصر المظلوم ويعلي دينه ويمهل
ولا يهمل فانه لا يعجزه شيء حاثا على التفويض له والاكتفاء به مقدما معمول سبح تحميلا للبشارة اذا ولما
كانت المقدرات متوجهة من الازل الى وقتها المعينة لها تسوقها السواق القدرية فتقرب منها شيئا فشيئا
كانت كانها اتية اليها فلذلك حصل التعبير بالمجيء عن الحصول فقال جاء اي استقر وثبت في المستقبل بمجيء وقته المضروب
له في الازل وزاد في تعظيمه بالاضافة ثم بكونها الى اسم الذات فقال نصر الله اي الملك الاعظم الذي لا مثل له ولا امر
لاحد معه على جميع الناس في كل امر يريده ولما كان للنصر درجات وكان قد اشار سبحانه بمطلق الاضافة
اليه ثم بكونها الى الاسم الاعظم الى ان المراد اعلاها صرح به فقال والفتح اي المطلق الصالح لكل فتح الذي نزلت
سورته بالحديبية مبشرة به لغلبة حزبه الذين انت قائدهم وهاديهم ومرشدهم لا سيما على مكة التي بها بيته
ومنها ظهر دينه وبها كان اصله وفيها استقر عموده واعز جنوده وذلك بذل جميع العرب وقالوا اتركوه لما ظهر من
اظفره الله باهل الحرم بعزوا بهذا الذل حتى كان بعضهم تمام هذا الفتح وتكون بهم كلهم فتح جميع البلاد وللاشارة
الى الغلبة على جميع الامم ساقه تعالى في اسلوب الشرط وتحقيقها عبر عنه باذا اعلاما بانه لا يخلف الوعد ولا ينقض ما قدره
وان توهمت العقول انه فات وقته وابدا بان القلوب بيده يقلبها كيف شاء ليحصل لمن علم ذلك الاخلاص والخوف
والرجا فاشعرت العبارة بان الوقت قد قرب كان المعنى فكن مترقبا لوروده ومستعدا لشكره ● وقال الامام ابو جعفر

ابن الزبير ولما كملت دينه واتضحت شريعته واستقر امره صلى الله عليه وسلم وادى امانة رسالته حق اداها عرف عليه
الصلاة والسلام نفاد عمره وانقضاء اجله وجعلت له على ذلك علامة دخول الناس في دين الله جماعات بعدما كانوا يتوقف ويتثبط
حكم بالفئة ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وامر بالاكثار من الاستغفار المشروع في اعقاب المجالس وفي اطراف النهار وخواتم الساعات
مما عسى ان يتخلل العمر ونور فشرع سبحانه الاستغفار ليحرز العباده من حفظ احوالهم ورعي اوقاتهم ما يبقي لهم اجورهم
وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وقد بسطت ما اشارت اليه هذه السورة العظيمة وكل كلام ربنا عظيم
فيما تبينه في غير هذا وان ابا بكر رضي الله عنه عرف منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت اليه نفسه الكريمة على
ربه وعرف بدنو اجله وقد اشار الى هذا الغرض ايضا بالعدد من الواقع في هذه السورة قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
الاية وسورة براءة وافعاله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع لكن لم يبلغنا استشعار احد من الصحابة رضي الله عنهم
بقرب الامر الا من هذه السورة وهي عرفت بسورة براءة وانه المائدة لم يبلغنا شافيا واستشعر الناس عام حجة الوداع وعند
نزول براءة ذلك لكن لم يستيقنوه وعلقوا رجاءهم في حياته صلى الله عليه وسلم ومنهم من توفي فلما نزلت اذا جاء نصر الله
والفتح استيقن ابو بكر رضي الله عنه ذلك استيقانا حمله على البكاء لما قراها صلى الله عليه وسلم انتهى ولما
عبر عن المعنى بالمجيء عبر عن المرئي بالرؤية فقال ورايت اي بعينك الناس اي العرب الذين كانوا احقر من عندك جميع الامم
فصاروا ابابهم الناس كما دلت عليه لام الكمال وصار سائر اهل الارض لهم اتباعا وبالنسبة اليهم رعاعا حال كونهم
يدخلون شيئا فشيئا متجددا دخولهم مستمرا في دين الله اي شرع من لم يزل كلمته هي العليا في حال ابا الخلق بعمهم لهم على الكفر
الذي لا يرضاه لنفسه عاقل بترك الحظوظ وفي حال طواعيتهم بقسرهم لهم على الطاعة وعبر عنه بالدين الذي معناه الجزاء لان
العرب كانوا لا يعتقدون كل العبادة التي لا يتم ظهور الجزاء الا بها افواجا اي قبائل وزمرا زمرا وجماعات جماعات كقبيلة
باسرها امة بعد امة كاهل مكة والطائف وهوازن وهمدان وسائر القبائل من غير قتال في خفة وسرعة ومفاجأة
ولين بعد دخولهم واحدا واحدا ونحو ذلك لانهم قالوا اما اذ ظفر باهل الحرم وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل الذي
لم يقدر احد على ردهم فليس لنا به يدان فتبين ان هذا الناس المنتج هذه النتيجة البكر بهمة بعضهم اصحاب الفيل ما زينه
الله الا ارهاصا للنبوة وتاسيسا لدعوته فالقوا بايديهم واسلموا قيادهم حاضرهم وباديهم ولما كان التقدير
فقد سبح الله نفسه بالحمد بابعاد نجس الشرك عن جزيرة العرب بالفعل ايذانا بانه منزه عن النقائص التي منها اخلاف
الوعد وان له مع ذلك الجلال والجمال عبر بما يفيد التعجب ليثمر ذلك الاجلال والتعظيم والتذلل في التقبل لجميع الاوامر
ويفهم امره تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بالاشتغال بخاصة نفسه بدنو اجله وان اشتغاله بالناس قد انتهى لان الدين قد كمل
فلم يبق له صلى الله عليه وسلم شغل في دار الكدر فسبح اي نزه انت بقولك وفعلك بالصلاة وغيرها موافقة لمولاك فيما
فعل وزد في انواع العبادة تسبيحا ملتبسا بحمد اي بكمال ربك اي التي انجز لك الوعد باكمال الدين وقمع المعتدين المحسن اليك
بجميع ذلك لانه كله لكرامتك والا فهو عزيز حميد على كل حال تعجبا لتيسير الله من هذا الفتح ما لم يخطر بالبال وشكرا لما انعم
به سبحانه عليه من انه اراه تمام ما ارسل لاجله ولان كل حسنة يعملها اتباعه له مثلها ولما امره صلى الله عليه
وسلم بتنزيهه عن كل نقص ووصفه بكل كمال مضافا الى الرب تدليا الى مشاهدة الافعال
وصل الى نهاية التنزل من الخالق الى المخلوق مخاطبا لاعلى الخلايق فامره بما يفهم العجز عن الوفاء بحقه لما له من العظمة
المشار اليها بذكر مرتبين ما لاسم الاعظم الذي له من الدلايل على العظم والعلو الى محل الغيب الذي لا مطمع في ادراكه ما
تتقطع الاعناق دونه ليفهم عجز غيره من باب الاولى فقال معلما ان من كماله ان يأخذ بالذنب ان شاء ويغفران شاء
وان عظم الذنب ليحث ذلك على المبادرة الى التوبة وتكثير الحسنات وحسن الرجا واستغفره اي اطلب غفرانه بانه
كان غفارا ايذانا بانه لا يقدر احد ان يقدره حق قدره كما اشار الى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التي هي اعظم
العبادات لتقتدي بك امتك في المواظبة على الامان الثاني لهم فان الامان الاول الذي هو وجودك بين اظهرهم
قد دنا رجوعه الى معدنه في الرفيق الاعلى والمحل الاقدس الاول وكذا فعل صلى الله عليه وسلم كان يقول سبحانك لا
احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ودخل يوم الفتح مكة مطاطيا راسه حتى انه لا يكاد يمس واسطة الرحل
تواضعا لله اعلاما لاصحابه رضي الله عنهم بان ما وقع انما هو بحول الله لا بكثرة من معه من الجمع وانما جعلهم سببا لطفا منه
بهم ولذلك نبه من ظن منهم او يحسب في خاطره ان الجمع مدخل بما وقع من الهزيمة في حنين اولا وما وقع بعد النصرة بمن تبع النبي
صلى الله عليه وسلم وهم لا يبلغون الربع تعسا ما نافا للتسبيح الذي هو تنزيه عن النفس اشارة الى الكمال له مع ما كان يعدم
له وعدم التشريف والاستغفار اشارة الى العبادة صلى الله عليه وسلم التي هي اعظم العبادات قد شارفت الانقضاء
ولا يكون ذلك الا بالموت فلذلك امر بالاستغفار لانه يكون في خاتمة المجالس والاعمال جبرا لما لعله وقع فيها على نوع من الوهن

واعتراف بذلك العبودية والعجز ولما أمره بذلك فأرشد السياق الى أن التقدير وتب عليه علله مؤكدا لأجل استبعاد من يستبعد مضمون ذلك من رجوع الناس في الردة وفي غيرها بقوله انه أي المحسن اليك بخلافته لك في أمتك ويجوز أن يكون التأكيد لأجل ما تقدم من ذكر الجلالة مرتين على غاية العظمة والعلو عن الادراك بالاحتجاب بأردية الكبرياء والعز والتجبر والقهر مع أن المألوف ممن كان على شيء من ذلك بحيث لا يقبل عذرا ولا يقيل عثرة كان أي لم يزل توابا أي رجاعا بمن ذهب به الشيطان من أهل رحمته فهو الذي رجع بأنصارك عما كانوا عليه من الاجماع على الكفر والاختلاف فيما بعد وات فأيدك بهم حتى لم يبق في الدين شيئا فستأمن حتى أسرع بهم العمل سورة الفتح الى أن دخلت مكة في عشرة الاف وهو أيضا يرجع بك الى الحال التي تزداد بها ظهورا رفعتك في الدنيا الا على درج عن تخلل من أمتك في دينه بردة أو معصية دون ذلك الى ما كان عليه من الخير بسيرهم أحسن سير فقد درج آخر السورة الى أولها بأنه لو حقق وصفه لما وجد الناصر الذي جاء به الفتح والنجم مقطعها أي التحام بمطلعها وعلم أن كل جملة مسببة عنها عما قبلها فتوبة الله على عبده نتيجة توبة العبد باستغفاره الذي هو طلب المغفرة بشروطه وذلك ثمرة باعتقاده الكمال في ربه وذلك ما دل عليه إعلاؤه لدينه وقسره للداخلين فيه على الدخول مع أنهم أشد الناس شكايم وأعلاهم همما وعزايم وقد كانوا في غاية الاباء له والمغالبة للقائم به وذلك هو فائدة الفتح الذي هو آية النصر وقد علم أن الآية الآخرة من الاحتباك دل بالأمر بالاستغفار على الأمر بالتوبة وبتعليل الأمر بالتوبة على تعليل الأمر بالاستغفار • وعلم أن السورة أشارت الى وفاته صلى الله عليه وسلم بالحث على الاستغفار الذي هو الأمان الثاني ومن شأنه أن يختم به الأعمال والمجالس بعدما أشارت الى إعلائه بظهور الدين على الدين كله ونزولها في أوسط أيام التشريق من سنته عليه الصلاة والسلام سنة عشر كما ذكرته في كتابي مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور وكتابي الاطلاع على حجة الوداع وذلك بعد نزول آية المائدة التي نظيرتها في رد المقطع على المطلع في يوم عرفة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا • ومن المعلوم أنه لا يكون في هذه الدار كمال الا يعقبه نقصان ولذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وخطب الناس فيها فعلمهم أمور دينهم وأشهدهم على أنفسهم وأشهد الله عليهم بأنه بلغهم وودعهم • وقال لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وأشار الى ذلك بالتوبة أيضا والى وقوع الردة بعده صلى الله عليه وسلم ورجوع من ارتد الى أحسن ما كانوا عليه من اعتقادهم في الدين وثباتهم عليه وقتل من كان مطبوعا على الكفر المشار اليهم بقوله ولو أسمعهم أي اسماع فهم وعلم وقسر لتولوا وهم معرضون فكان وجودهم ضررا صرفا من غير منفعة وشملهم نفعا لا ضرر فيه بوجه ولأجل أنها نعيه حلول الأجل للايذان بالتمام بكى العباس رضي الله عنه وفي رواية ولده عبد الله عند نزولها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نعيت اليك نفسك فقال انه لكما تقول كما بكى عمر رضي الله عنه عند نزول آية المائدة وعلل بهذا والله الهادي • فقد ظهر أن حاصلها الايذان بكمال الدين ودنو الوفاة لخاتم النبيين والنصر على جميع الظالمين • وذلك من أعظم مقاصد المائدة المناظرة لهذه في التطبيق بين البادية والعادية كما أشار اليه قوله تعالى اليوم أكملت لكم الآية وقوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون • وقوله تعالى لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير • ومن أعظم لطائف هذه السورة ودقيق بدائعها ولطيف منازعها أن كلماتها تدل باعدادها على أمور جليلة واشارات جميلة فانها تسع عشرة من الهجرة موت قيصر طاغية الروم وذلك أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما فتح الاسكندرية قال القيصر لئن غلبونا على الاسكندرية لقد هلكت الروم فتجهز ليباشر قتالهم بنفسه فعندما فرغ جهازه صرعه الله فمات وكفى الله شره وذل الروم بذلك ذلا كبيرا واستأسدت العرب • وفي هذه السنة أيضا فتح الله قيسارية بلاد الشام فلم يبق بالشام لهم عدو وفرح المسلمون بذلك فرحا شديدا وكان فيها أيضا فتح جلولاء من بلاد فارس وكان فتحها يسمى فتح الفتوح لأن الفرس لم يجتمع بعدها هذا ان عددنا ما يوازي كلماتها من سنة الهجرة وان عددنا من سنة نزول السورة في سنة عشر فقد فتحت سنة تسع وعشرين من الهجرة وهي التاسعة عشرة من نزولها بلاد اصطخر واشتد ضعف الفرس وأمر ملكهم يزدجرد واجتهاده في الهرب من العرب حتى قتل سنة احدى وثلاثين من الهجرة بعد ذلك بسنتين وذلك هو العدد الموازي لعد كلماتها ظواهر وضمائر مع كلمات البسملة واذا نظرت الى ما هنا من هذا وطبقته وبعيما ذكر في سورة الفتح من مثله زاد عجبك من باهر هذه الآيات • والله الموفق • ثم انا اذا اعتبرنا اعتبارا آخر وجدت هذه السورة كما دلت بجملتها على انقضاء النبوة بموت النبي صلى الله عليه وسلم دلت بمفردات كلماتها على انقضاء خلافة النبوة لتمام ثلاثين سنة كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه عن سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه خلافة النبوة ثلاثون ثم يؤتي الله الملك من يشاء وذلك أنك اذا اعددت كلماتها مع البسملة كانت باعتبار الرسم ثلاثا وعشرين كلمة وذلك يشير الى انقضاء الخلافة التامة بقطع خلافة مثلها وهي خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه باستشهاده

في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة فاذا ضممنا الى ذلك الضمائر البارزة وهي خمسة والمستترة وهي ثلاثة فكانت احدى وثلاثين وحسبت من حين نزول السورة على النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة سنة عشر كان ذلك مشيرا الى انقضاء خلافة النبوة كلها باصلاح أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما في شهر ربيع الأول سنة احدى وأربعين وذلك عند مضي ثلاثين سنة من موت النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة لا تزيد شهرا ولا تنقصه وان أخذت الضمائر وحدها بارزها ومستترها دلت على فتح مكة المشرفة بعينه فانه كما مضى ثمانية وقد كان الفتح سنة ثمان من الهجرة

ومن لطائف الأسرار ومطامح الأنظار

الهادية الى السنين بحسب المفصل في البارز يدل على سنة النصر والظهور على قريش لأنهم المقصودون بالذات لأن العرب لهم تبع والمستتر يدل على ضد ذلك وشرح هذا انه لما كانت قد خفقت في السنة الأولى من الهجرة رايات الاسلام في كل وجه وانتشرت سراياه في كل صوب وانبثت سراياه في كل قطر أشار اليها الباقي وهي التي ضمن صلى الله عليه وسلم أشار الى ما خص نعيمهم من البشارة ولما كان في السنة الثانية بغزوة بدر من واضح الظفر وعظيم النصر ما هد قلوب الكفار وشد قلوب الأنصار في سائر الأقطار وأعلى لهم العز أشار الى ذلك واو يدخلون ولما حصل في السنة الثالثة ما لم يخف من المصيبة في غزوة أحد التي ربما أوهمت بعض من لم يرسخ نقصا أشار الى ذلك المضمر المستتر في فسبح ولما كان الخبر في الرابعة باجلاء بني النضير واخلاف قريش الموعد في بدر جبنا وعجزا حيث وفى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم شجاعة وقوة بحول الله وانقلبوا منها بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء أشار الى ذلك الكاف في ربك ولما كان في الخامسة غزوة الأحزاب أشار اليها المستتر في واستغفره ولما كان في السادسة عمرة الحديبية التي سماها النبي صلى الله عليه وسلم فتحا وأنزل الله فيها سورة الفتح لكونها كانت سببا للفتح وكان ذلك علما من أعلام النبوة وبعث النبي صلى الله عليه وسلم فيها الى الملوك يدعوهم الى الله تعالى أشار الى ذلك الضمير البارز في استغفره والذي يليه كونه للرب تعالى ولما كان في السابعة غزوة خيبر وعمرة القضاء أشار اليها الضمير الظاهر في انه ولما كان ضمير كان لله وكان له سبحانه حضرتان حضرة غيب وبطون وحضرة شهادة وظهور وكانت حضرة الغيب هي حضرة الجلال والكبرياء والعظمة والتعالي وحضرة الشهادة حضرة التنزل بالأفعال والاستعطافات بالأنوال كانت الحضرتان للتحضر وكانت حضرة الغيب أعظمهما نفعا وأشدهما أثرا فلذلك كان ضمير الاستتار دالا على الفتح الأكبر بالانتصار على السكان والديار ولسطوة الواحد القهار على أنا اذا نظرنا اليه من حيث كونه جائز البروز كان كالبارز فله حكمه فسبحان من شمل علمه ودقت حكمته فنفذ حكمه

سورة تبت مقصودها البت

والقطع الحتم بخسران الكافر ولو كان أقرب الخلق الى أعظم الفائزين اللازم عنه أن شارع الدين له من العظمة ما يقصر عنه الوصف فهو يفعل ما يشاء لأنه لا كفؤ له أصلا حثا على التوحيد من سائر العباد ولذلك وقعت بين سورتي الاخلاص المعروف بتضمنها النصر وكثرة الأنصار واسمها تبت واضح الدلالة على ذلك بتأمل السورة على هذه الصورة بسم الله الجبار المتكبر المضل الهادي الرحمن الذي عم الولي والعدو بنعمة البيان بعد الاكرام بالايجاد الرحيم الذي خص بالتوفيق أهل الوداد ولما قدم سبحانه في سورة النصر القطع بتحقيق النصر لأهل هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة والأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذي مر عليهم من القلة وختمها بأنه التواب وكان أبو لهب من شدة العناد لهذا الدين والأذى لاتباعه النبي صلى الله عليه وسلم سيد العالمين مع قربه منه بالمحل الذي لا يجهل بل شاع واشتهر واخترق الآفاق وبهر بحيث كان يسأل عن حاله اذا قيل هل تبت عليه أو يتشفى به عداه السؤال • وارتياب بما يكون له من النكال ولكون ذلك بعد وقوع الفتح ونزول الظفر المصرح بالاظهار على الأعداء بالعز والقهر مذكرا له صلى الله عليه وسلم بما كان في أول الأمر من جرأتهم وأذاهم وقوتهم بالعدد والعدد وأن لم يغن عنهم شيء من ذلك بل صدق الله وعده في قوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد وكذبوا فيما كانوا فيه من التعاضد والتناصر والتحالف والمعاقدة فذكر الله تعالى أعداهم وأقربهم اليه في النسب اشارة الى أنه لا فرق في ذلك بين القريب والبعيد والى أنه لم ينفعه قربه ليكون ذلك حاملا لأهل الدين على الاجتهاد في العمل من غير ركون الى سبب ولست غير ما شرعه سبحانه فقال تعالى معبرا بالماضي دلالة على أن الأمر قد قضي بذلك وفرغ منه فلا بد من كونه ولا محيص تبت أي حصل القطع الأعظم والحتم الأكمل بأنها خابت وخسرت غاية الخسارة وهي مؤدية الى الهلاك لأنه لا نجاة الا اخرى وجعل خطاب هذه السورة عن الله ولم يفتتحها بقل كأخواتها لأن هذا الكتاب باد أدخل في باب التعدد وأولى في مراعاة ذوي الرحم ولذلك لم يكرر ذكرها في القرآن وأشد في انتصار الله سبحانه له صلى الله عليه وسلم وأقرب للتخويف وتحوج سرعة الوقوع ولما كانت

محل قدرة الانسان فاذا اختلتا اختل امره فكيف اذا حصل الهلاك في يديه جميعا قال البشير بالتثنية الى عموم هلاكه بان قوته لم تغن عنه
شيئا ولان التثنية يعبر بها عن النفس مثيرا بالكنية وان كان يأتي بها مالنا للتشريف الى مطابقة اسمه لحاله ومجانسته
الموجبة لعظيم نكاله **يدا ابي لهب** فلا قدرة له على اعطاء ولا منع ولا على جلب ولا دفع واشار الى ان حسن صورته لم يغن عنه شيئا
من قبح سريرته لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم لانه انما كني بهذا
لاشراق وجهه وتوقد وجنتيه ولانها اشهر فالبيان بها اقوى واظهر والتعبير بها مع كونه اوضح ابعد في قول النبي من احتمال ان
اسمه عبد العزى وهو قبيح موجب للعدول عنه غيرة على العبودية ان تضاف الى غير مستحقها **وقال الامام ابو جعفر بن الزبير**
هذه السورة وان نزلت على سبب خاص في قصة معلومة فهي مع ما بعدها مما اتصل بها في قوة ان لو قيل قد انقضى عمرك يا محمد
وانتهى مما قلدته من عظيم امانة الرسالة امرك وادّيت ما حملته وحان اجلك وامارة ذلك دخول الناس في دين الله افواجا
واستجابتهم بعد ملكوتهم والويل لمن عاندك وعدل عن متابعتك وان كان اقرب الناس اليك فقد فصلت سورة قل يا ايها الكافرون
بين اوليائك واعدائك وبان بها حكم من اتبعك ومن عاداك ولهذا اسماها عليه الصلاة والسلام المبرئة وليعلم كفار
قريش وغيرهم انه لا اعتصام لاحد من النار الا بالايمان وان القرابات غير نافعة ولا مجدية شيئا الا مع الايمان لكم دينكم
ولي دين انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وهمنا انتهى من الكتاب
بجملته انتهى ولما كان ربما خص التباب بالهلاك وحمل على هلاك اليدين حقيقة وكان الانسان لا يدوم لجميع
منفعته بفوات يديه وان كان يعبر بهما عن النفس قال مصرحا بالمقصود **وتب** اي هو بجملته بتمام الخسران والهلاك
تحقق بهذا ما اريد من الاسناد الى اليدين من الكناية عن الهلاك الذي لا بقاء بعده والظاهر ان الاول دعاء والثاني
خبر وعرف بهذا ان الانتماء الى الصالحين لا يغني الا ان وقع الاقتداء بهم في افعالهم لانه عم النبي صلى الله عليه وسلم ومادة تب
وبت الجامعة بجمع التاء والباء المستبين الادنى للباطن والاعلى للظاهر تدور على القطع المؤدي في اغلب احواله الى
الهلاك لان من انقطع الى الاسباب معرضا على مسببها كان في اعظم تباب وربما كان القطع باستجماع الاسباب فحصل
الفوز بالمقاصد والمحاب قال ابن مكتوم في الجمع بين المحكم والعباب التب والتباب الخسار وتبا له على الدعاء وتبا تتبيبا على
المبالغة كانك قلت خسرا ناله وهو المصدر نصب نصب سقيا له قال ابن دريد
وكان التب المصدر والتباب الاسم والتب والتباب والتتبيب النقص والخسار وكل هذا اوضح في القطع عن الخير
والفوز قال والتاب الكبير من الرجال والانثى تابة • وقال القزاز اذا سألت الرجل عن المرأة قلت اشابة ام تابة اي
ام هي عجوز فانية ومعلوم ان كبر السن معرب من القطع والهلاك والتاب الضعيف والجمع اتباب هذا ابنه وحمار تاب الظهر
اذا دبر وجمل تاب كذلك نادرة ولا اشك ان الدبر والضعف هلاك في المعنى وتقطع مثل تب تقدم الموحد وقعوا
في بتوت منكرة وهو بتة اي بحالة شديدة والتبي بالفتح والكسر ضرب من تمر البحرين قيل هو رديء يأكله سقاط الناس
واتب الله قوته اضعفها وتببوهم تتبيبا اهلكوهم وتبتب شاخ وكل ذلك ثابت في القطع بالهلاك والخسار والتبوب
يعني بالضم ما انطوت عليه الاضلاع كالصدر والقلب وهذا احتمل الخير والشر فان العلقة اذا فسدت فسد الجسد كله واذا
صلحت صلح الجسد كله فيكون حينئذ القطع بالفوز والنجاة او لان انطواء الاضلاع عليه قطعة عن الخارج واستتب
الامر تهيأ واستوى • وقال القزاز ويقال لهذا العمل لا استتب في نظام وهذا القول لا يجري في نظام كانه من باب
الازالة وان السين لما جامعت احد في السببين اذنت بالنجاح والفوز والفلاح فانها حرف تدل على الاستيفاء في الانبا
عن الشيء والتتمة والالفة واحسن من هذا انها حرف في النظام او صحتهما وكشفت معانيهما ففصلتهما وابانتهما وقطعتهما
عن غير النظام بما ازالت من الالباس بهما والذي يحقق معاني التب وينظمه انه يؤول الى القطع مقلوبه وهو البت تقدم
الموحدة التي هي للسبب الظاهر الذي هو اقوى من حيث انه لا يتحقق الاكمال السبب الباطني يقال بت الشيء يبته بتا وابته قطعه
قطعا مستاصلا وبت هو يبت ويبت بتا وانبت ولعله استوى فيه المجرد والمزيد في التعدية دلالة على ان ما حصل من
المجرد من القطع هو من الكمال الحبث لا مزيد عليه وكذا استوا القاصر مجردا او مطاوعا والمتعدي في اصل المعنى وصدقه
نية بتله باته من صاحبها وطلقها ثلاثا بتة وبتاتا اي قطعا لا عود فيه ولا افعله البتة كانه قطع فعله كالبتة
وقالوا لا افعله البتة مؤكدا ولا تستعمل الا بالالف واللام وبت عليه القضاء بتا وابته قطعه وسكران ما يبت كلاما وما
يبت وما يبتا اي ما يقطعه قال القزاز بت من ابت وبت من بت وسكران بات منقطع عن العقل بالسكر وابت يمينه
امضاها اي قطعها عن الحنث وتمشي وحنث وحلف بتا وبتة وبتاتا وكل ذلك من القطع وابت بعيره اي قطعه
بالسير والمنبت في الحديث الذي اتعب دابته حتى عطب ظهره فبقي منقطعا به • وقال القزاز هو الذي اتعب دابته حتى قطع
ظهرها فبقي منبتا به وبت عليه الشهادة وابتها قطع عليه بها والزمه اياها وبت عليه القضاء وابته قطعه والبات

المهزول لا يقدر ان يقوم كانه قد انقطعت قوته وفي الحديث لا صيام لمن لم يبت الصيام من الليل فمعناه يوجبه اي يقطعه على نفسه
قبل الفجر اي يبت عليه الحكم اذا قطعه وروي يبيت من بيت اذا قطع وكلاهما بمعنى وهما لغتان فصيحتان • وروي في حديث سلمان لم يبت
من الميت واحموبات شديد الحمق كذا قاله الليث وقال الازهري هو تاب بالجيم الموحدة والبت كساء غليظ مهلهل مربع اخضر
وقيل هو من وبر وصوف والجمع بتوت والبتات اي بالتخفيف متاع البيت والزاد كان ذلك يقطع صاحبه عن الحاجة وبتته
زودوه او ان ذلك من الازالة لانه صلة لصاحبه وزفد لان لا استقرار حاصل لان كل مادة لها حتى على البعد ورغبته ونهايتي
لازالة ذلك المعنى وفلان على بتات امر اذا اشرف على فراغه فانه ينقطع حينئذ وتقول طحنت بالرحى بتا اذا ابتدأت الادارة عن شمالك
كانه دال على القطع بتمام العزيمة لان ذلك اقوى للطاحن وامكن وانبت الرجل انقطع ما ظهره ويقال هذا حبل بت اذا كان
طاقا واحدا كانه لما كان كذلك كان سهل القطع اطلق عليه القطع مبالغة مثل عدل وقد انبت فلان عن فلان اذا انقطع وانتقض
ولما اوقع سبحانه الاخبار بهلاكه على هذا الوجه المؤكد لما كان لصاحب القصة وغيره من الكفار من التكذيب بلسان
قاله وحاله لما له من المال والولد وما هو فيه من القوة بالعدد والعدد زاد الامر تحقيقا اعلاما بان الاحوال الدنيوية
لا غناء لها فقال منكرا **ما اغنى** اي اجزأ وناب وسد **عنه** اي عن ابي لهب **ماله** اي الكثير الذي جرت العادة بانه ينجي من الهلاك
ولما كان الكسب اعم من المال وكان المال قد يكتسب منافع هي اعظم منه من الجاه وغيره وكان الانسان قد يكون فانيا
ولا مال له بامور انما تسبب خارجة عن المال قال معبرا لذلك مبينا انه لا ينفع الا ما امر الله به **وما كسب** اي وان كان
ذلك على وجه هائل من الولد والاصحاب والعشيرة التي كان يرضيها باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في المحافل يؤذيه ويكذبه
وينهى الناس عن تصديقه وكان ابنه عتيبة شديد الاذى للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فكان ابو لهب يعرف ان هذه الدعوة لا بد ان تدركه فسافر الى الشام فاتى الرفاق ليحجزوه زعم من هلكه
الدعوة فكانوا يجعلونه اذا ناموا ليكون وسطهم والحمول محيطة به وهم محيطون بها والركاب محيطة بهم فلم ينفعهم
ذلك بل جاء الاسد فتشمم الناس حتى وصل اليه فاقتلع راسه ولم ينفع اباه ذلك بل سمي على ضلاله حتى كانت وقعة
بدر فلم يخرج فيها فلما جاء الفلال كان منهم ابن اخيه ابو سفيان بن الحرث فقال له هلم يا ابن اخي فعندك الخبر فقال نعم ما هو الا
ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل
بلق بين السماء والارض ما تليق شيئا اي ما تبقيه وما يقوم لها شيء فقال ابو رافع غلام العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
وكان جالسا في حجرة في المسجد يبري نبلا وكان الاسلام قد دخلنا اهل البيت وكنا نكتم اسلامنا فما ملكت نفسي ان قلت
تلك والله الملائكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة قال وثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك
علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل يعني سيدته ابنة العباس رضي الله عنهما الى عمود الحجرة او الخيمة فضربته
به ضربة فلعت في راسه شجة منكرة وقالت استضعفته اي عدو الله ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش
الا سبع ليال وسنا حتى رماه الله بالعدسة فقتلته وما نفعه العادة عن الحظر يخلعه عن بدر والعدسة بثرة تشبه العدسة
تخرج في مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل غالبا • قال القزاز كانت تعدي في الجاهلية قل ما يسلم منها احد يقول
عدس الرجل فهو معدوس كما تقول طعن فهو مطعون اذا اصابه الطاعون فتحامى لاجل تشاؤم العرب بها ترك ابا جهل ابن
غير دفن ثلاثا حتى انتن ثم استأجر بعض السودان حتى دفنوه ويقال انهم حفروا له حفيرة تعدل عنه من شدة نتنه ثم
دفعوه بخشب طوال حتى دموه فيها ورجموه بالحجارة والتراب من بعيد حتى طموه وكان ذلك سنة في ذجرة فهو يرجم الى الاخر
من اول اعجاز هذه الآيات انه كان سنة في العرب دون ان يغني عنه شيء مما يظنه مغنيا عنه ولما اخبر سبحانه
بوقوع هذا التباب الاعظم به وكان لا عذاب بدني اعذاب الاخرة بينه بقوله **سيصلى** اي عن قرب بوعد لا خلف فيه
ولما كان المقصود شدة ذكائها باشد ما يكون من الحرارة كما احرق
نارا فيلبس فيها ويتعطف عليه ويختلط به
اتقاد الاولياء وكانت النار قد يكون جمرا لا تنطفي عن قرب قال **ذات لهب** اي لا تسكن ولا تخمد ابدا لان ذلك مدلول الصحبة
المعبر عنها بذات وذلك بعد موته وليس في السورة دليل قاطع على انه لا يؤمن لجواز ان يكون الصلي على الفسق ولا
دليل فيها لمن يقول ان فيها التكليف بما علم انه محال الكون فقد كلف بان يؤمن وقد علم انه حكم بانه لا يؤمن وان كان الله قد
حقق هذا الخبر بموته كافرا في السنة الثانية من الهجرة عقب غزوة بدر وهي الخامسة عشر من النبوة لكن ما عرف بحتم كفره الاعوة
كافرا الا بشي في هذه السورة ولا غيرها ومن الغرائب ان الكلمات المتعلقة به في هذه السورة خمس عشرة كلمة فكانت مشيرة الى سنة
موته بعد ان رأى تبابه في وقعة بدر وغيرها بعينه فاذا ضممنا اليها كلمات البسملة الاربع وازت سنة ست من الهجرة وهي
سنة عمرة الحديبية سنة الفتح السببي التي حقق فيها تبابه وخسرانه عند كل من عنده ايمان بالغيب ودفع المؤمن اذا ضممت
اليها الضمير من البادرين الذين ما اقرب الى الكلمات الاصطلاحية من المستترة وازت سنة ثمان من الهجرة التي كان فيها الفتح

الحقيقي فيحقق عند قريش كافة ما انزل فيه في هذه السورة فاذا ضممت اليها الضمائر الثلاثة المستترة وارت سنة احدى عشر
على انك اذا بدات بالضمائر المستترة حصلت المناسبة ايضا وذلك انها توازي سنة تسع وهي سنة الوفود التي دخل الناس فيها في الدين
افواجا وحج فيها بالناس ابو بكر الصديق رضي الله عنه اميرا ونودي في الموسم ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك فتحققت خيبة ابي
لهب عند كل من حضر الموسم لا سيما من كان تعلم درايته وراء النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه له من مسلم وغيره فاذا ضممت اليه الضمائر
البارزة وارت سنة احدى عشر اول سني خلافة الصديق رضي الله عنه التي تحقق فيها جميع جزيرة العرب بعد ان لعب الشيطان
بكثير من اهلها ورجعوا لتعلم ان قتل الله منهم من علم انه مخلوق لجهنم وتحقق خيبة ما لابي لهب من التباب والنار ذات اللهب عند
العرب كافة ايابهم عامة في السنة الحادية عشر من الهجرة بعد مضي سنة ثلاث وعشرين من الهجرة النبوة واستقر الامر حينئذ
وعلم ان الدين قد تحقق وتاده وتمت عماده وان الذي كان يحميه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قد حماه بعده وهو سبحانه حي لا يموت
وقادر لا يعجزه شيء وعدد جميع كلمات السورة ثلاث وعشرون وهي توازي سنة حجة الوداع سنة عشر فانها السنة الثالثة والعشرون
من المبعث وفيها كمل الدين ونزلت سورة المائدة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد ايس ان يعبد بارض العرب فتحقق
كل الناس لا سيما من حضر الموسم تباب ابي لهب الذي كان يدور في تلك المشاهد وراء النبي صلى الله عليه وسلم يكذبه ويؤذيه ان في ذلك
لعبرة ... اخبر عنه بكمال التباب الذي هو نهاية الخسار وكان اشق ما على الانسان هتك ما يصونه من حريمه حتى
انه يبذل نفسه دون ذلك لا سيما العرب فانه لا يدانيهم في ذلك احد زاده تحقيرا بذكر من يصونها معبرا عنها بما يصور
باذى صورة واشنعها فقال مشيرا الى ان خلطة الاشرار غاية الخسار فان الطبع وان كان جيدا يسرق من الردي فكيف اذا كان رديا
وان ارضا الناس بما يسخط الله اعظم الهلاك **وامرأته** اي ام جميل اخت ابي سفين بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي
زوجها في التباب والصلي من غير ان يغني عنها شيء من مال ولا حسب ولا نسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لان صفتها القباحة
وهي ضد كنيتها ومن هنا يؤخذ كراهة التلقيب بناصر الدين ونحوها لمن ليس متصفا بالعلية لفنه ثم اشار الى خستها واكمل
قبح صورتها فقال **حمالة الحطب** اي الحاملة اقصى ما يمكن حمله من حطب جهنم بما كانت تمشي به وتبالغ فيه من حمل الحطب
والنميمة التي تحمل بها على معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وشدة اذاه وايقاد نار الحرب والخصومة على النبي صلى الله عليه وسلم
من قول الشاعر
من البيض لم تصطد على ظهر لامة ... ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب
اراد النميمة وعبر بالرطب للدلالة على زيادة الشر بما فيه من التدخين شبهت النميمة بالحطب لانها توقد الشر فتفرق بين الناس
كما ان الحطب يكون وقود النار فتفرقه وكذا بما كانت تحمل من الشوك وتنثره ليلا في طريق النبي صلى الله عليه وسلم لتؤذيه وكانت
تفعله بنفسها عنادا ونهاوتنا شره ليلا لتستخفي بها لانها كانت شريفة فلما نزلت السورة صورتها باقبح صورة فكان في ذلك اعظم
فاضح لها وقراءة عاصم بالنصب للقطع على الشتم تؤيد ان امراته مبتدأ وان الخبر **في جيدها** اي عنقها واجود ما فيها وهو حال
على التقدير الاول **حبل** كالحطابين تخسيسا لامرها وتحقيرا لحالها **من مسد** اي ليف وليف المقل ومن شيء قد فتل واحكم فتله من
قولهم رجل ممسود الخلق اي مجدوله وقد رجع اخرها على اولها فان من كانت امراته مصورة بصورة حطابة على ظهرها حزمة
حطب معلق حبلها في جيدها فهو في غاية الحقارة والتباب والخساسة والخسارة وحاصل هذه السورة ان ابا لهب قطع
رحمه وجار عن قصد السبيل واجتهد بعد ضلاله في اضلال غيره وظلم الناصح له الرؤوف به الذي لم يال جهدا في نصحه فلم يغن عنه شيء
من انه لم يال هو جهدا في اذاه واعتمد على ماله واكتسابه فضل واهلك امراته ومن تبعه من اولاده واعظم مقاصد سورة النساء
المناظرة لها في رد المقطع على المطلع التواصل والتقارب والاحسان لا سيما لذوي الارحام والعدل في جميع الاقوال والافعال
فكان شرح حال الناصح الذي لا ينطق عن الهوى وحال الضال الذي انما ينطق عن الهوى قوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم
سنن الذين من قبلكم الايات وختمها اشارة الى التحذير من مثل حاله فكانه قيل يبين الله لكم ان تضلوا فتكونوا كابي لهب في التباب
وصلي النار كما بين لكم فكونوا على حذر من كل ما شابه حاله وان ظهر لكم خلاف ذلك فان الله اعلم منكم والله بكل شيء عليم

سورة الاخلاص وتسمى الاساس والمقشقشة ... مقصودها

حقيقة الذات الاقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف باقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للاخلاص في التوحيد باثبات
الكمال ونفي شوائب النقص والاختلال المثمر لحسن الاقوال والافعال وثبات الجأش والاعتماد في جميع الاحوال وعلى ذلك دل اسمها
الاخلاص الموجب للخلاص وكذا الاساس والمقشقشة قال في القاموس المقشقشتان الكافرون والاخلاص اي المبرئتان من النفاق
والشرك كما يقشقش الهناء الجرب والقطران وهذه السورة في كتابه الواعي كما يبرأ المريض من علته اذا برأ منها
انتهى وهو ماخوذ من القش بمعنى الجمع فسميتا بذلك لانهما جمعتا النفاق بجميع انواعه وكذا الشرك والكفر فجمعاه ونفتاه
على قارئهما حق القراءة وقد تقدم الكلام على هذا الاسم مبسوطا في براءة وكذا اسمها قل هو الله احد الدال على مقصدها بتامل
جميع السورة وما دعا اليه من معاني التنزيه البين الكبير وقال الامام حجة ... اعظم مفيد للتوحيد في القرآن قال الرازي

والتوحيد مقام يضيق عنه نطاق النطق لانك اذا اخبرت عن الحق فهناك مخبر عنه ومخبر به ومجموعهما ذلك ثلاثة فالعقل
يعرفه ولكن النطق لا يصل اليه سئل الجنيد عن فقال معنى تضمحل فيه الرسوم وتتشوش فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل
وقال الجنيد ايضا اشرف كلمة في التوحيد ما قاله الصديق رضي الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته
الا بالعجز عن معرفته **بسم الله** الذي له جميع الكمال بالجلال والجمال **الرحمن** الذي فاض من طوله على جميع الموجودات عموم الافضال
الرحيم الذي خص اهل وداده من نور الانعام بالاتمام والاكمال لما كانت الكوثر علة للنهي عما تضمنته التكذيب من مساوي
الافعال وعلم بها انه صلى الله عليه وسلم مختص بالخير المستلزم لان شانيه هو الابتر فكان موضع السؤال عما يفعل مع الشانئ
من مشاركة او متاركة جاءت الكافرون للمتاركة لعلة اهل الدين اذ ذاك اشارة الى ان هذه الدار مبنية على الاسباب فعلم
بالكافرون ان الشاني بما لا يعبأ به فتحركت النفس الى السؤال عن وقت الصلاحية للمعاركة بعد هذه المتاركة وما يترتب على المعاركة
من قهر الشاني بالفعل فجاءت سورة النصر لذلك مع الاشارة الى انه مما لا يسال عنه متى لتغيير ذلك في وجه الاختتان
في التعبد معبرا باداة التحقق اعلاما بانه آت لا محالة فالسؤال عن وقته ليس من اداب الشاكرين ولما ظهرت
ذخائر هذه الكنوز بذا فايق تلك الرموز وما انضم اليها من القرآن الظاهر استحضرت حال ابي لهب لما كان فيه مع قرابته
القريبة من شدة العناد والاجتهاد العظيم في كل ما يضيق دائرة العباد واشتد التشوف الى انقلاب حاله اذ ذاك هل يكون
بما حمت به النصر من التوبة او بخذلانه وانقلابه باعظم الخيبة والحوبة فجاءت سورته لذلك بيانا لانه غلبت عليه الشقاوة
تنزل به في دركاته ما تعاني من معالي درج الارتقاء فلما بين سبحانه بذلك اهلاكه عدوه صلى الله عليه وسلم وختم باعدى اعدائه
لحكم بهلاكه وهلاك زوجه هلاكا لا اخر له على وجه بين انه في دركات الخسارة واعظم انواع الخسارة فرض الفكر
طربا من هذه الامور وسكر اللب من عجائب المقدور وزاهيا لسامع غاية الاهتزاز الى وصف الفاعل لذلك الذي
هو خارج عن طرق البشر وخارق للعوائد وهو اظهار تخصيص احد على انه كما فمع شدة عداوته له جاءت الاخلاص
كاشفة لما تثبت من العظمة لولي النبي صلى الله عليه وسلم سبحانه الذي امره بهذا الدين وفعل له هذه الامور العظيمة
الموجبة لمن له لب او القى السمع وهو شهيد لانه لا يستبعد عليه سبحانه شيئا من ذلك ولا غيره وان يمتثل جميع ما يامر به
كائنا ما كان وكائنا فيه ما كان على اي وجه كان نحو افقه لامره وطاعة له وتبينه للاعتقاد الحق الذي اوجب هذه
النصرة وزاده على جميع فرق الضلال هكذا في انعطاف الاخر على الاول بالنسبة الى السور ومن اعظم المناسبات
في ذلك بالنظر الى الايات انه سبحانه شرح بالفيل وما تعلق بها من السور بايات الفاتحة كلها ثم من اول البقرة الى اية
التوحيد فاشار بالفيل الى استجماعه لصفات الكمال بان له الحمد بما جرت به سنته من الملوك وحماه من كيد الجبابرة واحسن
التربية لقريش الذين هم اشرف العالمين وبصلاحهم صلاحهم وبلدهم ام القرى وبصلاحها صلاحها فدل ذلك على
انه رب العباد يوم التناد ولذلك اعطى راس الهداة الذين افردوه بالعبادة والاستعانة الكوثر وهداه الى الصراط
المستقيم واعاذه من طريق الكافرين المعاندين والضالين واشار اول البقرة الى دخول المتقين الذين الكتاب هدى
لهم بالدين افواجا وان اعلى اهل الكفر واعتاهم سواء عليه الانذار وعدمه بانه لا يؤمن وهو ابو لهب ومن سار بسيرته
في مجاهرة ومساترة وتعميم الخسارة ويشملهم الهلاك والنار وختم الواحد القهار المامور بعبادته وتوحيده في الاية الجامعة
لدعوات التوحيد يا ايها الناس اعبدوا ربكم المتصف بما في سورة الصمد الذي لم يزل في وصفه مثلها فتم الدين عند
بما له سبحانه من كمال الاوصاف وجلال النعوت بالجبروت والالطاف فلم يبق الا تعويذ اهل الدين من ان يدخل
عليهم خلل او يلحقهم زيغ او زلل فختم بالمعوذتين لذلك والله المسؤول في الانعام بغاية السؤال الكمل لما لك ولما
كان المقصود من القرآن دعوة العباد الى المعبود وكان المدعو الى شيء احوج ما يكون الى معرفته وكان التعريف تارة
للذات وتارة للصفات وتارة للافعال وكانت هذه اشرف الامم لان نبيها اعلى الانبياء عليهم السلام وكانت في
الختام اشبع الكلام في تعريفه سبحانه في القرآن وانهى البيان في ذلك كتاب من الكتب انا نعنيه ولكنه لما كان الكبير
اذ انتهى كبره عزت معرفة ذاته وكان الله تعالى هو الاكبر مطلقا فكانت معرفة ذاته كما اشار اليه الغزالي في الجواهر
والفخر الرازي في كتبه اضيق ما يكون مجالا واعسره مقالا واعصاه على الفكر منالا وابعده عن قبول الذكر استرسالا
كان القرآن لا يشتمل من ذلك الا على تلويحات واشارات اكثرها يرجع الى ذكر التقديس المطلق كقوله تعالى ليس كمثله شيء
والى التعظيم المطلق كقوله سبحانه وتعالى عما يصفون فكان الغاية ان تقتصر على ذلك مع التعريف بالصفات والافعال
لكن لما كانت هذه الامة في الذروة من حسن الافهام مع ما نالته من الشرف حباها سبحانه بسورة الاخلاص كافلة ببيان
لا يمكن ان تحمل عقول البشر زيادة عليه وذلك ببيان انه ثابت ثباتا لا يشبهه ثبات على وجه لا يكون لغيره اصلا
وانه سبحانه منزه عن الشبيه والنظير والمكافئ والمثيل فلا زوجة له ولا ولد ولا والد ولا حاجة بوجه الى احد بل له

الخلق والامر فهو يهلك من اراد ويسعد من يشاء وفقا لامر النبيه صلى الله عليه وسلم لتكون اول كلمة شهادة له على رسالته ردا على من زعم انه
في خاصة نبيه وعلى البراهمة القائلين في العقل غنى عن الرسل ويكون البيان جاريا على لسانه صلى الله عليه وسلم ليكون الى فهم الخلق
عنه لنيل الصفات العلى اقرب لما لهم به من المجانسة **قل** اي يا اكرم الخلائق ومن لا يفهم عن مرسله حق الفهم سواه والاطلاق لاجل
لعدم التقييد بمقول له يفهم عموم الرسالة وان المراد كل من يمكن القول له سواء كان سائلا عن ذلك بالفعل او بالقوة حاثا على
استحضار ما ورث هذا الدين الذي حاطه بهذه الحياطة ورباه بهذه التربية من العظمة والجلال والكبرياء والكمال ففي الاطلاق
المشير الى التعميم رد على من اقر برسالته صلى الله عليه وسلم الى العرب خاصة ويدل على ان مقول القول لا ضرر فيه على احد فان
ظواهره مفهومة لكل احد لا فتنة فيها بوجه وانما تاتي الفتنة عند تعمق الضال الى ما لا يحتمله عقله **ولما** كان ام المقاصد
الرد على المعطلة الذين هم ضرب ممن يقول نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر اثبت وجوده سبحانه على اتم الوجوه واعلاها
واوفاها واجلاها بما معناه ان حقيقته ثابتة ثباتا لا يتوجه نحوه شك بوجه فقال مكاشفا للاسرار فانه لا يمكن غيبته
عنها اصلا وللواجدين **هو** فابتدا بهذا الاسم الشريف الذي هو ابطن الاسماء اشارة الى انه غيب الغيب بالنظر الى ذاته
كالالف والى انه واجب الوجوب لذاته وان هويته ليست مستفادة من شيء سواها ولا موقوفة على شيء سواها فان كل ما كان
هويته مستفادة من شيء سواها او لا موقوفة على شيء سواها فان كل ما كانت هويته مستفادة من غيره او موقوفة عليه فمتى لم
يعتبر غيره لم يكن هو هو وما كان هو هويته لذاته فهو هو سواء اعتبر غيره او لم يعتبر فاذن لا يستحق هذا الاسم غيره اصلا على
ان الهاء بمفردها مشيرة بكونها من ابطن حروف الحلق الى انه هو الاول والباطن المبدع لما سواه والواو بكونها من اظهر
حروف الشفة الى انه الاخر والظاهر وان اليه المنتهى وليس وراءه مرمى وانه المبدئ المعيد كما يشير الى ذلك تكرير الواو
في اسمها والى انه محيط بكل شيء لما فيها من الاحاطة **ولما** كان وجوده سبحانه لذاته ولم يكن مستفادا من الغير فان ما
استفيد وجوده من غيره كان ممكنا كان لا يمكن شرح اسمه الذي هو هو لا اسم لحقيقته غيره بمقوم من جنس ولا نوع ولا فصل
لانه لا جنس له ولا نوع له ولا سبب يعرف به والذي لا سبب له لا يمكن معرفته الا بلوازمه واللوازم منها سلبية ومنها
اضافية ومنها قريبة ومنها بعيدة والتعريف بالاضافية وبالقريبة اتم من التعريف بالسلبية وبالبعيدة لان البعيد
كالضاحك الذي هو بعد المتعجب بالنسبة الى الانسان لا يكون معلولا للشيء بل معلولا لمعلوله وبالجمع بين السلبية والاضافية
اتم من الاقتصار على احدهما فلذلك اختير اسم جامع للنوعين ليكون التعريف اتم وذلك هو كون تلك الهوية الهاء فاختير
لذلك اسم ذال العلمية وهو مختص غير مشترك وهو اول مظاهر الضمير كما ان الهمزة اول مظاهر الالف • ولهذا اتى العظيم الاسم
الاعظم احد الظواهر من الاسماء ولهذا كانت كلها صفات له وهو اول البواطن فقيل مكاشفة للارواح وللموحدين **الله** اي
الموجود الذي لا موجود في الحقيقة سواه هو المسمى بهذا الاسم واختير هذا الاسم للاخبار عنه لدلالته على جميع صفات
الكمال والجلال والجمال لانه اسم جامع لجميع معاني الاسماء الحسنى وهو اقرب اللوازم للهوية لانه لازم لها اقرب من
وجوب الوجود الذي هو مقتضى الذات على ما هي عليه من الصفات لا بواسطة شيء اخر وبواسطة وجوب وجوده كان
مفيضا باختيار الايجاد على كل شيء اراده وبمجموع الوجوب الذي هو سلب روحه والايجاد الذي هو اختيار للجود باضافة
الوجود واضافة هو الالهية التي جمعتها الجلالة وهو اقرب اللوازم اي الذات لا قدرة ودل التعبير به على انه لا مقوم
للهوية من جنس ولا غيره ولا سبب والا كان العدول عنه التعريف باللازم قاصرا ودل على ان الهيته على الاطلاق لجميع
الموجودات فكان شرح تلك الهوية باللازم ابلغ البلاغة واحكم الحكمة لانه مع كونه هو الحق مشير الى ما ذكرنا من
الدقائق **ولما** ذكر الذات التي لا سبب لها ولا مقوم من جنس ونوع وغيره اصلا بل هي مجرد وحدة وتنزه عن تركب
لا كثرة لها ولا اثنينية بوجه وعرفها باسم جامع لنوعي السلوب والاضافات اللازمة لها هو اقرب اللوازم اليها
فالشرح وجودها المخصوص على ما هو عليه فكان ذلك تعريفا كاملا لان تعريفها لا تركب فيه باللوازم الغريبة
في الكمال كتعريفنا المركبات بمقوماتها فان التعريف البالغ هو ان يحصل في النفس صورة مطابقة للمعقول وكانت
الزيادة في الشرح مطلوبة لانها اكمل لاستعمالها في الامور الباطنة الخفية اتبع ذلك باسم سلبي اشارة الى ان النظر
في هذه الدار الى جانب الجلالة ينبغي كونه اعظم وذلك الاسم قريبه من الجلالة كقربها من الهوية فانه دال على الوحدة
الكاملة المجردة وهي منزل الجلالة كما انها منزل الهوية وهو كما ان الجلالة لم يقع فيها شركة اصلا فقد ضاهاها
فانه لا شركة لغيره تعالى فيه عند استعماله مفردا بمعناه الحقيقي الا في النفي اشارة الى ان كل ما عداه سبحانه
عدم فقال مكاشفا للقلوب وللعارفين مكذبا للنصارى القائلين بالاب والابن وروح القدس وللمهود القائلين
بانه جسم وللمجوس الذين يقولون بانه اثنان نور يخلق الخير وظلام يخلق الشر وللصابئة الذين يعبدون الى النجوم
والمشركين القائلين بالهية الاصنام مجبرا اخبارا اخرا ومبدلا من الجلالة او مخبرا عن مبتدا محذوف **احد** وهو لاجل

كونه خاصا في الاثبات حال لانفراده تعالى معرفة غني عن الى المعرفة وهو اعرف في الدلالة على صفات الجلال كما ان الجلالة
اعرف في الدلالة على صفات الكمال كما ان الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما
كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الكاملة والحكمة التامة المقتضية
للالوهية من غير لزوم دور ولا تسلسل من جهة تركب او غيره وقرئ باسقاط قل هنا وفي المعوذتين مع الاتفاق على اثباتها
في الكافرون ونفيها في تبت **ولعل** الحكمة ان الكافرون مخاطبة للكفار بما فيه مشاققة ومنابذة فناسب الحال ان يكون
ذلك منه صلى الله عليه وسلم والاثبات هنا فيه توحيد وتعوذ فناسب ان يؤمر بتبليغه وان يدعو به ورتب الاحدية
على الالهية دون العكس لان الالهية عبارة عن استغنائه عن الكل واحتياج الكل اليه وكل ما كان كذلك كان مطلقا
واحدا والا لكان محتاجا الى اجزائه فالالهية من حيث تقتضي الوحدة والوحدة لا تقتضي الالهية وعبر به دون الواحد
لان المراد الابلاغ في الوصف بالوحدة الى حد لا يكون شيء اشد منه **قال ابن سينا** الواحد معول على ما تحته بالتشكيك
والذي لا ينقسم بوجه اصلا اولى بالواحدية مما ينقسم من بعض الوجوه والذي ينقسم انقساما عقليا اولى مما ينقسم بالحس وهو
بالقوة اولى من المنقسم بالحس بالفعل واذا ثبت ان الوحدة قابلة للاشد والاضعف وان الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك
كان الاكمل في الوحدة الذي ان يكون شيء اخر اقوى منه فيها والا لم يكن بالغا اقصى المرام والاحد جامع لذلك دال على الواحدية
من جميع الوجوه وانه لا كثرة هناك اصلا لا معنوية من المقومات من الاجناس والفصول ولا بالاجزاء العقلية كالمادة
والصورة ولا حسية بقوة ولا بفعل كما في الاجسام وذلك لكونه سبحانه منزها عن الجنس والفصل والمادة والصورة
والاعراض والابعاض والاعضاء وعز جلاله ان يشبهه شيء او يساويه لان كل ما كانت هويته انما تحصل من اجتماع اجزاء
كانت هويته موقوفة على حصول تلك الاجزاء ولا يكون هو هو لذاته لغيره فلذا كان منزها عن الكثرة بكل اعتبار
ومتصفا بالوحدة من كل الوجوه فقد بلغ هذا النظم من البيان اعظم شان فسبحان من انزل هذا الكلام ما اعظم شانه
واقهر سلطانه فهو منتهى الحاجات ومن عنده نيل الطلبات ولا يبلغ ادنى ما استاثره الممتنع ازيد منه هو الذي ذكره
في كتابه العزيز واودعه وحيه المقدس الحكيم وبالكلام على معناه ومعنى الواحد يحقق ما تقدم **قال الامام ابو العباس**
الاقليشي في شرح الاسماء من اهل اللسان من ساوى بينهما جعلهما مترادفين فمنهم من قال اصل احد واحد سقطت منه الالف ثم ابدلت
الهمزة من الواو المفتوحة ومنهم من قال ليس اصله واحدا بل اصله وحد من الوحدة وحد يحد فهو وحد
ثم حسن يحسن فهو حسن من الحسن ابدلت الواو همزة واما من فرق بينهما فمنهم من قال احد اسم على حاله لا ابدال فيه ولا تغيير
ومنهم من قال اصله وحد ابدلت الواو همزة انتهى **ثم** تخلصت الكلام على الاسمين الشريفين من عدة شروح من
الاسماء الحسنى وغيرها منها شرح الغزالي الذي والغزالي وغيرهما ان الواحد الذي لا كثرة فيه بوجه لا بقسمة ولا
بغيرها مع اتصافه بالعظمة ليخرج الجوهر الفرد وهو ايضا الذي لا يثنى **ومنه قال الامام ابو [illegible]** الاقليشي في شرح الاسماء
هذه حقيقة الوحدة عند المحققين فلا يصح ان يوصف شيء مركب بها الا مجازا كما تقول رجل واحد ودرهم واحد وانما
يوصف بها حقيقة ما لا جزء له كالجوهر الفرد عند الاشعرية غير انك اذا نظرت توحدت وجوده من غير علمنا ان استحقاق
هذا الوصف ليس كاستحقاق موجده له وهو ايضا انما يوصف به حقارته وموحده سبحانه موصوف به مع الاتصاف
بالعظمة فاتصافه بالوحدة على الاطلاق واتصاف الجوهر بالنظر الى عدم التركب من الجسم مع ان صحة اتصافه بانه جزء
يزيل عنه حقيقة ذلك والوحدة ايضا بالنظر الى المعنى الثاني وهو ما لا نظير له لا تصح الا بالحقيقة الا له سبحانه
وكل ما نوعيته في شخصيته كالعرش والكرسي والشمس والقمر يصح ان يقدر لها نظائر وله معنى ثالث وهو التوحد بالفعل
والايجاد فيفعل كل ما يريد من غير توقف على شيء والفرق بين هذا الوجه والذي قبله ان الاول ناظر الى نفي الثاني
وهذا ناظر الى المعين ووزير وكلاهما وصف ذاتي سلبي **والحاصل** ان النظر الصحيح دل على ان لنا موحدا يعني انه لا يصح
ان يلحقه نقص لقسمة بوجه من الوجوه وبمعنى انه معدوم النظير بكل اعتبار وبمعنى انه مستبد بالفعل مستقل بالايجاد
متوحد بالصنع منفرد بالتدبير فقضى بهذا شاهد العقل المعصوم من ظلمة الهوى وكدر الطبع وورد به قواطع النقل
وتواطئ السمع ولهذا كان من اعظم الحق دعاؤه سبحانه لجميع الخلق وكانت دعوة رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم للخلق
كافة **وقال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي** في اخر شرحه للاسماء في بيان رد الاسماء الكثيرة الى ذات واحد بسبع
صفات الاحد المسلوب عنه النظير وقال في الشرح المذكور الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يتثنى اما الذي لا
يتجزى فكالجوهر الواحد الذي لا ينقسم فيقال انه واحد بمعنى انه لا جزء له وكذلك النقطة لا جزء لها والله تعالى واحد
بمعنى انه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته واما الذي لا يتثنى فهو الذي لا نظير له كالشمس مثلا فانها وان كانت قابلة
للانقسام بالوهم متجزية في ذاتها لانها من قبيل الاجسام فهي لا نظير لها الا انه يمكن ان يكون لها نظير وليس في الوجود

موجود متفرد بخصوص وجوده متفرد بخصوص وجوده متفرد لا يتصور ان يشاركه فيه غيره اصلاً الا الواحد المطلق ازلاً وابداً والعبد انما يكون واحداً اذا لم يكن له في ابناء جنسه نظير في خصلة من خصال الخير وذلك بالاضافة الى ابناء جنسه وبالاضافة الى الوقت اذ يمكن ان يكون في وقت آخر مثله وبالاضافة الى الوقت اذ يمكن ان يكون في وقت آخر مثله وبالاضافة الى بعض الخصال دون الجميع فلا وحدة على الاطلاق الا لله تعالى

وقال الامام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتاب الملل والنحل

واختلفوا في الواحد اهو من العدد ام هو مبدا العدد وليس داخلاً في العدد وهذا الاختلاف انما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد اذ هو علته ولا يدخل في العدد اي لا يتركب منه العدد وقد تلازم الواحد به جميع الاعداد لا على ان العدد تركب منها بل كل موجود فهو جنسه او نوعه او شخصه واحد يقال انسان واحد وشخص واحد وفي العدد كذلك فان الثلاثة في انها ثلاث واحدة فالوحدة بالمعنى الاول داخلة في العدد وبالمعنى الثاني علة العدد وبالمعنى الثالث لازمة للاعداد وليس من الاقسام الثلاثة قسم يطلق على الباري تعالى بمعناه فهو واحد لا كالاحاد اي هذه الواحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه القسمة انتهى

وقال بعضهم الواحد يدل على الازلية والاولية لان الواحد في الاعداد ركنها واظهار مبدا اها والاحد يدل على بينونته من خلقه في جميع صفاته ونفي ابواب الشرك عنه فالاحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد

وقال الامام ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي في كتابه الزينة

قال بعض الحكماء انما قيل له سبحانه واحد لانه عز وجل لم يزل قبل الخلائق متوحداً بالازل لا ثاني معه ولا خلق ثم ابدع الخلق فكان الخلق كله مع احتياجه اليه محتاجاً بعضهم الى بعض متمسكاً بعضه بعضاً متعدداً ومتضاداً او متشاكلاً او مزدوجاً متصلاً ومنفصلاً واستغنى عز وجل عن الخلائق فلم يحتج الى شيء فيكون ذلك الشيء معتوراً به لحاجته اليه ولا يناويه شيء فيكون ذلك الشيء ضداً له مضاداً به فيكون ذلك الضد والقرين له ثانياً بل توحد بالغنى عن جميع خلقه لانه كان قبل كل شيء والاولية دلت على الوحدانية فالواحد اسم يدل على نظام واحد يعلم باسمه انه واحد ليس قبله شيء والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء بل هو قبل كل احد وهو خارج عن العدد والواحد كيف ما ادرته لم يزد فيه شيء ولم ينقص منه شيء تقول واحد في واحد فلم يزد على الواحد شيء يدل على انه لا شيء قبله دل على انه محدث للشيء فاذا دل على انه مفني الشيء واذا كان مفني الشيء دل على انه لا شيء بعده فاذا لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء فهو المتوحد بالازل لعني فهو الواحد الذي لا نظير له فهو الاحد فان قيل لك قيل هو واحد واحد وقلنا ان الاحد هو اسم اكمل اي اعم من الواحد الا ترى انك لو قلت فلان لا يقوم له واحد جاز في المعنى ان يقوم له اثنان وثلثة فما فوقها واذا قلت فلان لا يقوم له احد فقد حرمت انه لا يقوم له واحد ولا اثنان ولا ما فوقهما فصار الاحد اكمل من الواحد وفي الاحد خصوصية ليست في الواحد تقول ليس في الدار واحد يجوز ان يكون واحد من الدواب والطير والوحش والانس فكان الواحد يعم الناس وغير الناس واذا قلت ليس في الدار احد فهو مخصوص بالادميين دون سائرهم والاحد ممتنع من الدخول في الضرب وفي العدد وفي القسمة وفي شيء من الحساب وهو متفرد بالاحدية والواحد منقاد للعدد والقسمة وغيرها داخل في الحساب تقول واحد واثنان وثلثة فهذا وان لم يكن من العدد فهو علة العدد وداخل في العدد لانك تضرب واحداً في واحد لم يزل واثنان هو حد الحساب وتقول واحد في اثنين واي ثلثة فما فوقها فهكذا هو الضرب وتقول في القسمة واحد بين اثنين وثلثة لكل واحد من الاثنين نصف ومن الثلثة ثلث فهذه القسمة والاحد ممتنع من هذا لا يقال احد واثنان ولا احد في احد ولا احد في واحد ولا في اثنين وثلثة فما فوقهما تقول جزء واحد من جزئين او ثلثة فما فوقهما ولا يجوز جزء احد من جزئين فما فوقهما وقد سمى الله نفسه واحداً احداً ووصف نفسه بالوحدانية والاحدية فالواحد نعت يلزمه على الحقيقة لانه كان قبل الاثاني معه والثاني خلاف الواحد فهو واحد لا تحاده بالقدم والخلق اثنان لاقترانه بالحدث لان الحدوث ثاني القدم وبه ظهرت التثنية فالواحد هو الاحد في ذاته فهو لا شيء قبله ولا من شيء ولا في شيء ولا على شيء ولا لشيء ولا مع شيء فيكون ذلك الشيء ثانياً معه بل هو واحد منشئ الاشياء والاشياء كلها له وهو المتحد بذاته ممتنع من ان يكون له شيء ثانياً يوحد من الوجوه والخلق كله وان كان يسمى بالواحد او كانت هذه الصفة قد لزمت جميع الاشياء في وجه فانها تزول عنها في وجه كما يقال انسان واحد وفرس واحد وبعير واحد وكذلك يقال لسائر الاشياء وهذه صفة تلزمها في اللفظ والمسمى لا يخلو من معان كثيرة مجتمعة فيه كالجسم والعرض وهو واحد مجموع من اشياء متفرقة وكل شيء لا يخلو من ازدواج وتضاد وتشاكل وحد وعد فهذه الصفات كلها تنفي عنه معنى الاحدية والواحدية • وفي الواحد عن العرب لغات كثيرة يقال واحد واحد ووحد ووحيد ووحاد واحاد وموحد واوحد وهذا كله راجع الى معنى وان كان في ذلك معان لطيفة ولم يجئ في صفة الله عز وجل الا الواحد والاحد قلت والوحيد على لبعض الاعرابات في المدثر • قال وكلها مشتقة من الواحد وكان ذلك ماخوذ من الحد كان الاشياء كلها انتهت اليه وهي حدوده كلها غيره عز وجل وهو غير محدود بل هو غاية الحد وحدود وغاية الغايات لا غاية له والاحد يجيء في الكلام

معنى الاول وبمعنى الواحد فاذا جاء بمعنى الاول وبمعنى الواحد جاز ان يتكلم به في الخبر كقولك هذا واحد احد والعرب كانت تسمي يوم الاحد في الجاهلية اول وقولك يوم الاحد دليل على انه اليوم الاول والاثنين دليل على انه اليوم الثاني • وفي التوراة ان الله عز وجل اول ما خلق من الايام يوم الاحد قلت يمكن ان يكون يوم الاحد يوم الله اصطفاه لنفسه لكونه اول مخلوقاته من الايام فلما وجد الثاني سمي الاثنين لانه ثاني يوم الاحد • قال وضد الواحد اثنان وضد الاحد الاخر • قال الله تعالى قال احدهما اني اراني اعصر خمراً ثم قال في ضده وقال الاخر فهذا دليل على ان معنى قولهم يوم الاحد هو اليوم الاول لانهم قالوا لما بعده اثنان ولم يقولوا الاخر لان الاحاد لم يكن بمعنى الاول فضده الاخر واذا كان الاحد بمعنى الاول جاز في الخبر والجحد واذا لم يكن بمعنى الاول وكان بمعنى الواحد جاز في الخبر وجاز في الجحد قال الله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم هذه فهذا من الخبر فاذا لم يكن احد بمعنى الاول وبمعنى الواحد لم يجز ان يتكلم به الا في الجحد تقول ما جاءني احد ولا يجوز جاءني احد وكلمني احد • قال الله عز وجل في معنى الجحد ايحسب ان لن يقدر عليه احد واحد يستوي فيه المذكر والمؤنث قال الله تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء وواحد لا يستوي فيه المذكر والمؤنث حتى يدخل فيه الهاء فيقال واحد لا يجوز كواحد من النساء واحد يكون بمعنى الجمع تقول العرب بطل احدنا الايام ولا ايام كل بمعنى كلنا الا بالكل فاحتمل معنى الواحد والجماعة انتهى فالواحد من الاسماء النسبية الاضافية تكون في اصل اللغة بالنسبة الى ثان هو نصفه وثالث هو ثلثه وهكذا وهو في صفات الله تعالى بمعنى التوحد في الاتصاف بالالوهية حتى لا يقبلها غيره بوجه فلا شريك له والاحد من النعوت السلبية بل هو بمجموعها هو احد في نفسه لا يقبل العدد ولا التركب بوجه لا بالقسمة ولا بغيرها سواء نظر اليه بالنسبة الى الغير او لا فهو متمحض للسلب فهو وصف راجع الى نفس الذات بمعنى انه كامل في ذاته لا يوثر في مفهومه النظر الى شيء اصلاً والعدد ناظر الى نفي العدد فانترق الاوصاف الثلثة وان كانت متقاربة في المعنى

وقال الامام ابو الخير القزويني الشافعي في كتابه العروة الوثقى في اصول الدين

نا قلاً عن بعض من فرق بينه وبين الواحد ان الاحد نفي ما يذكر معه وعن بعضهم انه الذي لا يجوز له التبعض لا فعلاً ولا وهماً فهو احد بذاته واحد بصفاته وتوحيد الله لنفسه علمه بانه واحد واخباره بذلك وتوحيد العبد له علمه بذلك مع اقراره فالله سبحانه احد في ذاته احد في صفاته احد في فعاله احد لا مع اقران به

وقال الامام فخر الدين الرازي في شرح الاسماء وبعضهما

عن احد غير متجزي ولا متبعض احد غير مركب ولا مؤلف احد لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئاً احد غني عن كل احد انتهى معنى ما نقله المعربون عن ثعلب انه فرق بينهما بان واحد يدخله العدد والحد لا يدخله ذلك يقال الله احد ولا يقال زيد احد لان الاحد خصوصية لله تعالى وزيد يكون منه حالات ونقض عليه بالعدد المعطوف يقال احد وعشرون واثنان وعشرون ورد بان احد فيه بمعنى واحد

وقال الامام فخر الدين في شرح الاسماء انه احتص به الباري سبحانه

اما الواحد فيحتمل فيه المشاركة ولهذا السبب اعري من لام التعريف لانه صار نعتاً لله عز وجل على الخصوص فصار معرفة وقال الازهري سئل احمد بن يحيى عن الاحاد هل هي جمع احد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولا يبعد ان يقال انه جمع واحد كالاشهاد جمع شاهد انتهى • وقال الاقليشي في شرح الاسماء الاحد هو الذي ليس بمنقسم ولا متجزي فهو على هذا اسم لعين الذات فيه سلب الكثرة عن ذاته فتقدس بهذا الوصف عن صفات الاجسام القابلة للتجزي والانقسام والنقطة والجوهر الفرد عند مثبته يعني من المتكلمين والجوهر البسيط عند مدعيه يعني من الفلاسفة وان كانت مما لا يتجزى ولا ينقسم فانها مخالفة للباري تعالى في احديته اما النقطة فعرض عند بعضهم اذ هي عبارة عن طرف في الخط اذا كان الخط عرضاً فالنقطة اولى بالعرضية واما الجوهر الفرد فانه وان كان لا ينقسم فهو متقدر متحيز فلا يخلو من الالوان وهو كيف ما كان على راي من اثبته من المتكلمين وان كانوا في اصنافه متنازعين فلا يخلو من الاعراض واما الجوهر البسيط عند من اثبته فوجوده عندهم ليس عينه اذا ابقيته عنها هيئته وما هو بهذا الوصف عندهم ففيه اثنينية تفارق الباري سبحانه باحديته هذه الموجودات كما فارق بذاته الاجسام فوجوده عين ذاته وليست صفاته تعالى مغايرة لذاته • واما الواحد فهو وصف لذاته فيه سلب الشريك والنظير عنه فانترقا بان الاحد الى نفس الذات والواحد الى امر خارج عنها

وقال البيهقي في كتاب الاسماء والصفات

في الاحد فيما يدعوه المشركون الهاً من دونه لا يجوز ان يكون لها اذ كانت امارات الحدث من التجزي والتناهي قائمة فيها لازمة لها والباري سبحانه لا يتجزأ ولا يتناهى فقد علم ان الاحد خاص لله تعالى انه لا فرق في اطلاقه عليه سبحانه بين تعريفه وتنكيره لانه معرفة في نفسه فطاح اعتراض من قال من الملحدين ان الجلالة معرفة والاحد نكرة لا ينعت بعد على تقدير التسليم يجوز جعله بدلاً كما تقدم ولا مانع من ابدال النكرة من المعرفة مثل لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة • قال صاحب كتاب الزينة وعلى هذه القراءة اي قراءة التنكير احمد الائمة • وروى قوم عن ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق انه قرا قل هو الله احد الله الواحد الصمد

وقال ابو الحسن الحرالي في شرح الاسماء الحسنى

الاحد اسم اعجز الله العقول

عن ذلك انه في الخلق اثباتا مالم تستعمله العرب مفردا قط الا في ذو هو بمعناه الحقيقي لا بمعنى واحد ولا بمعنى اول مثلا الا في النفي ولا ندرك
في الاثبات فيقولون ما في الدار احد لكل انسان ولا يسوغ في عقولهم ان يقولوا في الدار وفي الوجود احد اذ لا يعقل عندهم
ذات انسان هي جامعة لكل انسان فلما ورد عن الله اسمه في القرآن تلقاه المؤمنون بالايمان واحبت قلوبهم سورة ذكرهم جهلها الالا
يحيى من شاء الرحمن وهي احد الانوار الثلاثة في القرآن نور ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ونور سورة
ذكره الاحد في خمسة وآية الكرسي في ابتداء آية وسورة يس التي هي قلبه في محلها منه واحد مبين عن اسم الله الذي يكل في محيط
لا يتطرق اليه شرك في حق ولا باطل وواحد مبين عن اسم الاله الذي لا يصح فيه الشرك حقا وقد يتطرق اليه بالظلم
والجهل وامتزج من الله الهية وذلك لان الواحد يضايقه ثان وانه جامع محيط لم يبق خارج عنه فيضايقه يعني ان مفهومه
ناظر الى كونه تعالى الان كما كان في الازل وحده فان الخلق فان هو في الحقيقة عدم فكانه ما كان لاحاطته به وكونه في قبضته
وطوع مشيئته فلا خارج يكون له مضايقا تعالى الله لانه لا يضايق الشيء الا مناظر بمساواة او مضاراة بمعاندة او غيرها فالكل بالنسبة
اليه عدم انك ميت وانهم ميتون كل من عليها فان فان كل شيء هالك الا وجهه هذا مراده به بدليل سابقه ولاحقه فلا
شبهة فيه لاهل الوحدة عليهم الخزي واللعنة **قال** والوحدة من الواحد هي حد النهاية والغاية نابية دونه
وجماع احاطات كل ذلك اعلى وادنى الاحدية التي لا يشذ عنها شاذ ولا يخرج عنها خارج ثم من الاسماء معلوم لخليقته
من خليقته بما اتاهم منه كالرحيم والعليم ومنها ما يعجز عنه خلافهم كالاسماء المتعلقة من اسمه المحصي ولكن نال مثلا
من عقولهم ومنها ما لم تنله العلم ولا ادركته العقول وهو اسمه الاحد فالله هو الاحد الذي لا احد الا هو انتهى
وقال الامام ابو الحكم بن برجان في شرح الاسماء وهو اي الاحد اصل لباب الوحدة يدل على محض الوحدة الا
ترى انه ناف لما يأتي بعده اذا قلت لم يأتني احد انتفى الاثنان ولا تقول جاءني احد كما تقول جاءني واحد لان واحدا
تزول عنه الوحدة بضم ثان اليه خلافا للاحدية فانها لازمة للواحد تفارقه حكمها عند ضم الثاني اليه لانه
جهة محفوظة عليها نظير ذلك بالاشفاع والاوتار فانك تقول لما جاءني احد فتنتفي الاشفاع كما تنتفي الاوتار
وهذا دليل على زيادة شرفه فان الاسم كلما غمضت دلالته وتعذرت معرفته عن الافهام وعزب عن العقول علمه
كان ذلك دليلا على قربه من الاسم الاعظم **وقال بعض العارفين** في كشف معنى الاحد وتنبيه ان الذات الاعظم غيب
محض والاحد اول تعينها ولذلك بدئ بالهمزة التي هي اول التعينات الالف التي هي غيب محض وذلك سر تخالفهما للاحرف
في ان كل حرف يدل على مسماه او لحرف اسمه الا الالف لكونه غيبا فكان اسمها الهمزة التي هي اول التعينات والهمزة لكونها
مرتقى الى غيب الالف كان اول اسمها ايضا غير دال على مسماها ثم بعد التعين بالاحدية الشاملة المستغرقة تتنزل
الى الالهية ثم منها الى الواحدية ولذلك ابتدئ الواحد بالواو التي هي وصلة لما فيه من الالف التي هو غيب
فالواحد مرتقى الى فهم الاله والاله مرتقى الى تعقل الاحد والاحد مرتقى الى التعبد للذات الاقدس الانزه
ومن اعتقد احديته سبحانه انتج له ذلك حبه وتعظيمه وهو توحيد الالوهية لان التفرد بذلك يقتضي الجمال
والكمال والله الموفق **وقال الامام ابو جعفر بن الزبير** لما انقضى مقصود الكتاب العزيز بجملته عاد الامر الى ما كان
واستقر العالم بحالهم من ترددهم بين عدم ثم من الله ينشئ النشأة الاخرى فوجودهم منه سبحانه وبقاؤهم به وموجد
جميع ما يصدر عنهم من افعالهم واقوالهم كل ذلك خلقه واختراعه وقد كان سبحانه ولا عالم ولا زمان ولا مكان
وهو الان على ما عليه كان لا يفتقر الى احد ولا يحتاج الى معين ولا يتقيد بالزمان ولا يتحيز بالمكان • فالحمد لله
رب العالمين اهل الحمد ومستحقه مطلقا له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم • قل هو الله احد • الله الصمد •
لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا احد • هو الموجود الحق • وكلامه الصدق • وما هذه الدنيا الا لعب
ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون • فطوبى لمن استوضح آي كتاب الله واتى الامر من بابه وعرف نفسه ودنياه
واجاب داعي الله ولم ير فاعلا في الوجود حقيقة الا هو سبحانه **ولما** كمل مقصود الكتاب والفرح عظم
رحمه الله به لمن تدبر واعتبر واناب كان مظنة الاستعاذة والالتجاء من شر الحاسد • وكيد الاعداء • فختم
بالمعوذتين من شر ما خلق وذرأ وشر الثقلين انتهى **ولما** تم البيان لهويته سبحانه على هذا الوجه
الذي تمامه الاحدية المعللة بالتنزه عن التسمية والنظير وكان بيان القرآن بالغا اقصى نهايات البيان وكان الاحد من
النعوت المتوغلة في السلب وكانت الشركة تقع في الصمدية في النفي وهو بمعناه الحقيقي وتقع فيه من الاثبات وهو بمعنى
الواحد مثلا بين احديته واسمه المكنية بيانها انتهى غاياته باسم جامع بين الاضافة والسلب على حد سواء ودلالته على الكمال
والاضافة اكمل وبناه على الاسم الاعظم الذي هو احد الاسماء الظاهرة واول الاسماء الباطنة ولم يقع فيه شركة بوجه
دفعا لكل تعنت واشعارا بان من لم تسم به لم يستحق الالوهية واخلى الجملة عن عاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها فقال

من ص

مكاشفا النفوس المؤمنين والعلماء معينا الاسم ولم يضمر لئلا يظن نفيه بحيثيته غيبا وغيرها **الله** اي الذي ثبتت الهيته واحديته لا غيره
الصمد الذي تناهى سودده المطلق في كل شيء الى حد ينقطع دونه الامال فكان بحيث لا يحتاج الى شيء وكل شيء اليه محتاج وتنزه عن الجوفية
فلم يكن من يحتاج به بفعل ولا قوة لانه تنزه عن القسمة بكل اعتبار وذلك مفهوم الاحدية عبارة واشارة فكان مصمودا اليه في الحوائج
اي مقصودا لاجلها فهو الموصوف بهذا الاسم على الاطلاق وبكل اعتبار فكان موجدا للعالم لان العالم مركب بدليل المشاهدة فكان
ممكنا فكان محدثه واجبا قديما نفيا للدور والتسلسل المحالين وخلقه له بالقدرة والاختيار لانه لو كان بالطبع والايجاب
لكان وجوده مع وجوده لان العلة لا تنفك عن المعلول فيلزم من قدم الباري قدم العالم ومن حدوث العالم حدوث الباري
وذلك جمع بين النقيضين وهو محال وقصر الصمدية عليه لان اسناد الالف لحاجة الشيء الى غيره ربما كان موجبا لخفاء اختصاصه
ولم يقصر الاحدية اما للتنبيه على ان ذلك لشدة ظهوره غني عن التاكيد واما استيلاء فالهم لئلا يتقيدوا قبل سماع تمام السورة
على انه نظمه قصر الصمدية التي ظهور معنييها لازم الاحدية فظهر الاختصاص بالاحدية **قال العلماء** والصمد من
صمد اليه اذا قصده وهو كالاحدية بني على هذا الوزن لانه لا يلحقه المضارعة ولا يدنو منه المشابهة لانه اسم خاص فهو السيد
المصمود اليه وهو ايضا الذي لا جوف له ولا رخاوة بوجه فيه لان الاجوف وعاء وكل وعاء محتاج الى موعيه يقال بيت مصمد
اي صلب وحجر صمد املس لا يقبل الغبار ولا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء **قال ابن قتيبة** وهو على هذا الدال فيه مبدلة
من التاء وهو المصمت وهو ايضا العالي الذي تناهى علوه تقول العرب لما اشرف من الارض صمد باسكان الميم وبناء صمد
اي معلى فهو على التفسير الاول من الصفات الاضافية بمعنى انه سيد لكل موجود والكل يحتاجون اليه في بقائهم الدائم
وفي تربيتهم فهم يصمدون اليه في الحوائج ويقصدون اليه في الرغائب وهو غني على الاطلاق وذلك هو اتصافه
بصفات الالهية **قال الاقليشي** نقل هذا اي انه هو الذي يلجأ اليه ويعتمد عليه لتناهي سودده تتشعب من صفته
الصمد صفات السودد كلها من الجود والحلم وغير ذلك • واذا قلنا ان الصمد العالي تشعبت منه صفات التعالي كالقاهر والعزة
والقهر والعلو ونحوها انتهى **وقد** روى البيهقي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الصمد • قال السيد الذي
كمل في سودده والشريف الذي كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والغني الذي قد كمل في
غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه والذي قد كمل في حكمه وهو الذي كمل في انواع الشرف والسودد
وهو الله عز وجل هذه صفته لا تنبغي الا له ليس له كفو وليس كمثله شيء فسبحان الله الواحد القهار • **وقال ابو العباس**
ابن تيمية الحنبلي في كتابه الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان اجمع سلف الامة وائمتها ان الرب سبحانه بائن من
مخلوقاته يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف
ولا تمثيل يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ونعلم انه ليس كمثله شيء ولا كفو له في شيء من صفات الكمال كما قال تعالى
قل هو الله احد الله الصمد **قال** ابن عباس الصمد الذي احرز ما مضى عنه **وقال** ابن مسعود رضي الله عنه وغيره هو
الذي لا جوف له والاحد الذي لا نظير له فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفي النقائص عنه واسمه الاحد يتضمن
انه لا مثل له **وقال الحرالي** الصمد يعني بالسكون التوجه بالحاجات الى ملي بقضائها لا يحتاج الى سواه فلذلك يكون الصمد
سيد الاسناد التي كملت لله انتهى • وعلى التفسير الثاني هو من النعوت السلبية فهو دال على نفي الماهية التي تعنت بها غيره
لاقتضائها المقومات المستلزمة للحاجة الى ما به التقويم وعلى اثبات الهوية المنزهة عن كل شائبة نقص فان كل ما له ماهية
هية كان له جوف وباطن وهو تلك الماهية وما لا باطن له وهو موجود فلا جهة ولا اعتبار في ذاته الا الوجود فهو
واجب الوجود غير قابل للعدم • وقد علم بهذا انه جامع لما ذكر فان هذا التفسير الثاني يتشعب منه من الاسماء ما ينطق على
نفي التركيب كالاحد ونحوه ويمكن ان التفسيرين الاول والثاني جامعان لجميع ما فسر به ولما عسى ان يقال فيه سبحانه
من صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال فمن كان مصمودا اليه في جميع الحاجات ومتعاليا عن كل سمة حدث وشائبة
نقص كان موجدا لكل ما يريد من دفع وضر ونافع وضار وقادرا على حفظ ما يريد وكان معلوما انه لا شريك له
وانه موجد المستحق للعبادة لاحتياج الكل اليه الاحتياج المطلق وغناه عنهم الغنى المطلق وتفرده بصفات الكمال
والانقطاع عن قرين والى الصمد انتهى التوجه وهو الابتداء بالكلية وفي ذلك رد على الفلاسفة القائلين بتدبير
العقول والصابئة القائلين بتدبير النجوم وعلى غيرهم من كل من ادعى تدبيرا لغير الله سبحانه وتعالى ومن اقتضى
صمديته المقتضية لكمال الذات والصفات وشمول التدبير انتج له كمال التفويض والتوكل وهو توحيد الربوبية
وهذه الاسماء الاربعة مشيرة الى المقامات الثلاثة ومراتب السائرين والحائرين فالمقربون نظروا الى الاشياء
فوحدوا الكل ما سواه سبحانه معدوما بالذات فكان ذكرهم هو واصحاب اليمين نظروا الى وجود الممكنات فميزوا
مرادهم ومميز والمذكور ربهم بالجلالة واصحاب الشمال جوزوا الكثرة في الاله فاحتاجوا في ذكرهم الى الوصف

بالأحدية والصمدية وفي ذلك رد على أهل الاتحاد أعظم رد فإنهم يقولون إن الإله هو هذا العالم وهو منقسم بالجنس فضلاً عما عداه ومحتاج
أشد احتياج ولما انتهى بيان حقيقته سبحانه وأنه غير مركب أصلاً وبين سبحانه بصمديته المستلزمة لوحدانيته أن لكل
مستنداً إليه ومحتاجاً إليه وأنه المعطي لوجود جميع الموجودات والمفيض للجود على كل الماهيات فلا يجانس شيئاً ولا يجانسه
شيء ولا يكون له نظير في شيء من ذلك وكان ربما أغلق بوهم واهم أن يتولد غيره عنه يكون من تمام سودده المعبر به عن قدرته
بين أن ذلك لكونه محالاً لا يتصف به الحاجة بما لا يتعلق به القدرة لأن القدرة من شأنها أنها لا تتعلق بالمحال وهذا المحال
لأنه سبحانه صمد فكان ذلك بياناً للصمدية في كلا معنييها فقال من غير عاطف دالاً على انتفاء الجوف الذي هو أحد مدلولي
صمد مكاشفاً للعقلاء شارحاً لأنه لا يساويه شيء من نوع يتولد عنه ولا جنس يتولد هو عنه ولا غير ذلك بموازنته في وجود ولا غير
لم يلد أي لم يصح ولا ينبغي بوجه من الوجوه أن يقع يتولد الغير عنه مرة من المرات فكيف بما فوقها لأن ذلك مستلزم للجوف
وهو صمد لا جوف له لأن الجوف من صفات النقص المستلزم للحاجة وهو مستغن بذاته وأمه في بدايته عمن يخلفه أو يعينه لامتناع الحاجة
والفناء عليه فهو رد على من قال الملائكة بنات الله أو عزير أو المسيح أو غيره ولما بين أنه لا فضل له ظهر أنه لا جنس له
فدل عليه بقوله **ولم يولد** لأنه لم يتولد عنه غيره يتولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول فهو قديم لا أول له بل هو الأول الذي لم
يسبقه عدم لأن الولادة لا تكون ولا تتحصل إلا بواسطة المادة وعلاقتها وكل ما كان مادياً أو كان له علاقة بالمادة كان متولداً عن
غيره فكان لا يصح أن يتولد عنه شيء لأنه لا يصح أن يكون هو متولداً عن غيره لأنه لو تولد من غيره لم يكن هو هو لذاته ولا يكون أحداً حقيقياً
ولا صمداً يستغني من أصله ولا يكون له من ذاته إلا العدم وقد تبين أنه واجب الوجود فوضح كالشمس أنه ليس مادياً لأنه غير
محتاج فلا يصح أن يتولد عنه غيره لأنه لم يصح أن يتولد هو عن غيره ومن كان كذلك لم يكن له مثل ولم يصح بوجه أن يساويه شيء
ليصح أن يقوم مقامه فيما بين ما انتفى من الأول والآخر فدل على ذلك إتماماً لشرح حقيقته المعبر عنها بهو بقوله **ولم يكن** أي
لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولا بتقدير من التقادير **له** أي خاصة **كفواً** أي مثلاً ومساوياً **أحد** على الإطلاق في الإيجاد
في قوة الوجود لأنه لو ساواه في ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس والفصل فيكون وجوده متولداً عن الازدواج الحاصل
من الجنس الذي يكون كالأم والفصل الذي يكون كالأب وقد ثبت أنه لا يصح بوجه أن يكون في شيء من الولادة لأن وجوب وجوده
لذاته فانتفى أن يساويه شيء في قوة وجوده فانتفى قطعاً أن يساويه أحد في شيء من قوة أفعاله فعطفها بين الجملتين على
الجملة التي قبلها لأن الثلاث شرح الصمدية النافية لأقسام الأمثال فهي كالجملة الواحدة وقدم الظرف في لكنه لأن المقصود
الأعظم نفي المكافأة عن الذات الأعظم فكان تامة وكفواً حال من أحد ويجوز أن يكون كان ناقصة ويكون كفواً خبرها وسوغ خبريته
تخصيصه بله كما قالوا في إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله وقد وضح أن هذه السورة أعظم مبين للذات لأن ذكر
بترتيب لا يتصور في العقل أن يكون شيء يساويه وكلمات لا تقع في الوهم أن يكون شيء يساويهما أو يساوي شيئاً منهما فأثبت ال
حقيقة المحضة وهو سبه بأنه هو لا اسم لتلك الحقيقة من حيث هي إلا ذلك فعلم أنه واجب الوجود لذاته لأنه لا شيء أخفى إلا
ثم عقب ذلك بياناً له بذكر الإلهية التي هي أقرب اللوازم لتلك الحقيقة وأشدها تعريفاً ولما اقتضت
الإلهية الوحدة لأنهما عبارة عن الاستغناء المطلق واحتياج الغير إليه الاحتياج المطلق دل عليهما بالأحد ودل على
تحقيق معنى الإلهية والوحدة معاً بالصمدية لما لها من المعنيين وجود الوجود لعدم الجوف وجوداً أو بعدم وا السيادة
المقتضية لكل وجود على كل موجود وجود الإلهية وجوده سبحانه وإن التزيا من يد المتناول الأمر أعظم من مقالة قائل
وبين المعنيين كليهما لعدم صحة التولد منه وله وعدم التساوي فمن أول السورة إلى آخر الأسماء في بيان حقيقته سبحانه ولوازم
الأقرب فالأقرب ووحد بها بكل اعتبار ومن ثم إلى آخرها في بيان أن لا مساوي له لأنه لا جنس له ولا نوع حتى يكون
هذا متولداً عنه شيء أو يكون شيء موازناً له في الوجود وبهذا القدر حصل تمام معرفته ذاته وأنه لا يساوي شيء في قوة
وجوده فلا يساويه في تمام أفعاله بدلالة شاهد الوجود الذي كشف عنه الشهود بنصر نبيه صلى الله عليه وسلم
يدعوا بالحطب وجميع الكافرين بالشائنين وحده وهم ملء الأرض ويخبرهم مع تخاذلهم كلهم عليه أنهم مغلوبون وأنه
أتاهم بالذبح لأن من أرسله الإحاطة بجميع الكمال وقد كان الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم فقد صدقت مقالته فثبت
إلى الخلق كافة رسالته وثبت جميع مضمون السورة بما ثبت من هذه الأدلة المشهورة والبراهين القاطعة المنصورة
وقد ثبت أنه صمد بما دل على أحدية حقيقته الذي هو انتفاء الجوف بعدم التولد وعلى المعنى الآخر الذي هو بلوغ المنتهى من
السيادة بعدم المكافي وبان أنه هو لذاته فلا إله غيره فانطبق آخرها على أولها والتحم التحاماً مفصلها بموصلها فعلم
أنه هو هو لا غيره بزيادة أنه الأحد ولا أحد حقاً غيره ومن تحقق آخرها أقبل بكليته إليه سبحانه فلم يلتفت إلى غيره لأن الكل
في قبضته **وقد** نقلت في كتابي مصاعد النظر عن الإحياء للإمام الغزالي في شيء من أسرار هذه السورة كلاماً هو في
غاية النفاسة **وروى** الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله تبارك

وتعالى قل هو الله أحد إلى آخرها قال لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله تبارك وتعالى لا يموت
ولا يورث ولم يكن له كفواً أحد انتهى ومن كان كذلك فهو الجامع للأسماء الحسنى والصفات العليا كلها وعلم أن حاصلها تنزيه المعبود
عن أن يكون له مجانس أو يكون له مكافئ والرد على كل مخالف في شيء من ذلك وأعظم مقاصد آل عمران المناظر لها في رد المقطع على المطلع
المفتتحة بالحي القيوم المودعة أوضح الأدلة على كفر من كفر بالله لا سيما من ادعى أن عيسى عليه السلام إله وأنه ولده سبحانه وكذا غيره
الدلالة على بطلان مذهب من ادعاه إلهاً وعلى أن عيسى عليه السلام عبد من عبيده أوجده على ما أراد كما أوجد من هو أغرب حالاً
منه وإبطال قول من ادعى فيه غير ذلك **ولما** عرفت هذه السورة حقيقة الذات تم تعريف وكان الغرض الأقصى من طلب
العلوم بأسرها معرفة ذاته سبحانه وصفاته وكيفية صدور الأفعال عنه وكان القرآن العظيم كفيلاً بجميع هذه العلوم وكا
هذه السورة منه قد تكفلت بجميع ما يتعلق بالبحث عن الذات على سبيل التعريض والإيماء كانت معادلة لثلث القرآن وهي ثلث
أيضاً باعتبار آخر وهو أن الدين اعتقاد وعمل لساني يترجم عن الاعتقاد وعمل يصحح ذلك وهي وافية بأمر الاعتقاد بالوحدانية
الذي هو رأس الاعتقاد وباعتبار أن مقاصد كلها محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص وهذه السورة على وجازتها
قد اشتملت على جميع المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيهما ولأجل أن هذا هو المقصود بالذات التي تبعته **وحاصل** شرح
هذه السورة العظمى أنه سبحانه دل على الذات الأقدس بالهوية وعبر عنها بالضمير إشارة إلى نفي الماهية التي غلط أو غالط فيها
الكفور الأعظم فرعون لعنه الله عليه وعلى أتباعه أهل الإلحاد والضلال وأشياعه من أهل الاتحاد ودل على ذلك بالاسم الأعظم
المجمع عليه ودل عليه بالوحدة الجامعة للغنى النافية للكثرة الموجبة للحاجة ودل عليهما بالصمدية النافية للجوفية المثبتة
للسيادة الحقيقة ودل على وليها معنييها بانتفاء الولادة منه وله الدالان على نفي الجنس المقوم والفصل المقسم ودل على الثاني
بعدم المكافئ ودل على هذا العدم بأفعاله العظيمة المشاهدة التي أشار قطعاً ترتيب السور بما انتهى إليه وضع هذه السورة
في هذا الموضع إلى استحضارها وتأمل ما كان منها من نصرة هذا الدين بنصر نبيه الذي أرسله صلى الله عليه وسلم لإقامته
وسلط الكافرين وهم ملء الأرض على أذاه وجعل أعظمهم له أذى أقربهم إليه نسباً عمه أبا لهب الذي كان يتبعه في تلك المشاهد
والمجامع يلبن منه في هاتيك المواسم والمعاهد والمحافل ويصرح بتكذيبه كلما دعا الناس إلى الحق ويواجهه بما هو أشد الأشياء
على النفس كراهة وأشق وكانت تلك الشهرة عين الرفعة والنصرة لأن الشيء إذا خرج عن حده انقلب إلى ضده فإنه إذا شاهت
شهرته ثم بان بطلانه أو صحته رجعت شهرته بكونه باطلاً أو صحيحاً أعظم منها لو لم يقع منها شهرة بغير ذلك فانقلبت
النصرة وعظمت الكثرة فجعلت المعاونة وزالت المباينة وحصل الوفاق وزال الشقاق فدل هذا الفعل الأعظم من صدق
الرسول صلى الله عليه وسلم وهو وحده وكذب المعاندين وهم من لا يحصيهم إلا الله في كل ما قال وجميع ما قالوا على عزته سبحانه
بكونه نصر عبده على ذلك الوجه الخارق للعادة وعلى حكمته بما سلطهم به عليه حتى أسرعت الشهرة وعمت النصرة فعلم بتلك
المشاهد أنه العزيز الحكيم كما دلت عليه سورة التوحيد المناظرة لهذه في رد المقطع على المطلع وهي آل عمران المناظرة
لهذه في الدلالة على التوحيد والمحاججة لمن ادعى أن له صاحبة وولداً فعلم قطعاً أنه لا كفؤ له فعلم أنه لا يصح أصلاً
أن يلد ولا أن يولد فبطلت دعوى إلهية عيسى عليه وغيره ممن ادعى فيه الولدية بالأحدية لما تقتضيه الولادة من المادة
المقتضية للكثرة الموجبة للحاجة وعظم البيان بما دل عليه الاسم الأعظم من الإجماع بما تقتضي الإلهية ولا إجماع على غيره
وجل الأمر وانقطع النزاع بما دل عليه الضمير من وجوب الوجود النافي لما سواه من كل موجود والله الهادي
فلقد أبانت السورة على أعظم الوجوه أن مرسله صلى الله عليه وسلم أجل موجود وأشرف حقيقة وأعظم ذات وأنفس
معلوم وذلك يستلزم نفي كل ما لا ينبغي وحصول كل ما ينبغي أسلوباً أما ما لا يقبل الانفكاك العودية في الوتر والزوجية
في الشفع وتفصيل ذلك بعشرة أشياء تبسط على كلمات السورة على الترتيب **الأول** أنه تعالى له الوجود الذي ما
مثله فليس هو كالممكنات المسبوقة بالعدم والمنقطعة بالانعدام والمنصرمة في الدوام بل هو أزلي لا أول له أبدي
لا آخر له قيوم لا انصرام له **الثاني** أن له السبوحية الإلهية على نفي كل نقص وعيب **الثالث** أن له القدسية المشتملة
على الاتصاف بكل كمال من جلال وجمال ونعال **الرابع** أن له العظمة والجلالة عن أن يكون عرضاً أو كالأعراض أو جوهراً أو كالجواهر
أو جسماً أو كالأجسام **الخامس** أن له العلو عن أن يحل في شيء ويحل فيه شيء أو يتحد بشيء أو يتحد به شيء **السادس** أنه
تعالى له الغنى عن الموجد كالرب والموجب كالأب والمفيد لشيء من الكمالات **السابع** أنه تعالى له الوحدانية
التي ليس فيها شبيه أي في صفاته ولا مثيل أي في نوع ولا نسيب أي كالقرابة **الثامن** أنه تعالى له العزة أي التي لا يصح فيها
شرك لا في الملك بكسر الميم ولا في الملك بضمها ولا في التدبير ولا في التأثير **التاسع** أنه تعالى له الكبرياء المنافية لفوت
كمال أو كمال كمال **العاشر** أنه تعالى له العزة المنافية لأن يكون له ضد وهو المعاند لما يفعله أو ند وهو الموجد لمثل ما
يوجده وتنزل هذه العشرة على السورة واضح لمن تأمل الكلام وتدبره وأسند سبحانه السورة بالضمير قبل الظاهر

بعد التفريع بالنصر والفتح وخسارة أهل الكفر أبي لهب الذي هو أعلى لام وأعظم إشارة إلى أن من صحح باطنه باسم الله نصره وفتح له كما أشار إليه تعقيب الأمر في آخر سورة البقرة بالرغبة إليه سبحانه في النصر على الكافرين بقوله الله لا إله إلا هو الحي القيوم لأنه ترجمة أو تفصيل السورة التالية للنصر والكافرين سواء بالضمير والاسم الأعظم والتوحيد الأعظم المعروف بذلك وهو القيوم فيه ولما بين آخر السورة الذي هو نتيجتها ورد مقطعها على مطلعها أنه أحد حاضر في كل ذهن لا يغيب أصلا ولا أحد يكافئه أو يشابهه لأنه لم يتولد عنه شيء ولا تولد هو عن شيء لأنه صمد لا جوف له مطلقا لا في ذاته ولا بالعقل لا يحيط بحوزة الوهم لأنه أحد محيط بكل شيء لأنه الله الذي جامع لصفات الكمال وهو غيب محض لأنه لا يقوى غيره على معرفته إلا بالآثار من الصفات المعقولة تعريبا والأفعال المشاهدة آثارها وهو هو الذي مع كونه غيب الغيب مستحضر في كل لب لا يغيب عن أحد بما له من الآثار التي ملأت الأقطار ولذلك استحقت التسمية بهو ولم يستحقها غيره لحضوره لكل قلب وغيبة غيره عن كل أحد لأنه ليس المعتبر منه إلا الغيبة بالعدم وأما هو فهو الواجب وجوده وهو الذي أوجد غيره وذكر في كل وطن ذكر ما له سبحانه من الكمال ولعين من نفي الحاجة إليه وللإخلال فكان سبوحا قدوسا جامعا محاسن الوصفين بأنه ممدوح بالفضائل والمحاسن فالتقديس مضمر في صريح التسبيح والتسبيح مضمر في صريح التقديس وقد جمع تعالى بينهما في هذه السورة بالأسماء التي جلاها أولها فهو صريح التقديس ومن سم إلى آخرها صريح التسبيح والأمران راجعان إلى إفراده وتوحده ونفي الشريك والتشبيه عنه وذلك هو الجمع بين الإثبات والنفي على نحو ما وقع في كلمة الإخلاص ليعلم أن الإثبات لا يكمل إلا بالاختصاص عن كل ما يتضمن مخالفته لكن كلمة الإخلاص تركبت من نفي ثم إثبات وسورة الإخلاص من إثبات ثم نفي فأولها إثبات وأوسطها نفي وآخر الإثبات الصمد وهو جامع بين الأمرين فإنه جمع كل صفة لا يتم الخلق إلا بهما لأن أحد مدلوليه في اللغة السيد الذي يرجع إليه فاقتضى ذلك إثبات صفات الكمال التي بها يتم الإيجاد والأفعال ونفي كل صفة ينزه عنها لأن ثاني مدلوليه في اللغة الذي لا جوف له وذلك يتضمن نفي النهاية ونفي الحد والجهة والجسم والجوهر لأن من الضعف نفي من ذلك لم يستحل اتصافه بالتركيب ووجود الجوف فتقررت هذه الكلمة وجوب المعرفة بالنفي والإثبات ليتميز بين الحق والباطل لأنه ثم لم يتحقق صفة الباطل لم يتقرر له المعرفة بالحق ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الحق لصحة الاعتقاد والمعرفة وعن الباطل والشر للتمكن من مجانبته حتى قال حذيفة رضي الله عنه كان الناس يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر وذلك لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه وإنما خالفته كلمة الشهادة في الترتيب لأن تلك إنما للإدخال في الدين والإلزام لمن كان خارجا أو ضعيفا فيه وهم الأكثر بنفي الباطل والمحو من لوح القلب ليأتي إثبات الحق فيه وهو فارغ فيقر فيه فلما ثبت ولا كل غير كان سببا للمجانسة والبعد عن حضرات القدس ثم أثبت الذات الأقدس والمسمى الأشرف لأنفس الكدت سورة الإخلاص لأنها للكمل الذين تخلقوا بما قبلها من السور بهذا الإثبات عند استحضار وشهود الجميل من آثاره ثم ختمت بنفي الأغيار ليكون ذلك تخلية تمام الإعمار عند الرجوع إلى الآثار بالعرض على الواحد القهار وقد تبين بهذه السورة أنه طوبق بين الخلق والأمر فلما فتح الخلق بمتشابه خلق آدم عليه السلام لأن المتشابه ما خرج عن أشكاله وختمت أنساحه الأربعة بمتشابه خلق عيسى عليه السلام كما تقدم عند إن الله اصطفى في آل عمران المناظرة لهذه كذلك فتح الأمر لعدا بأم الكتاب بمتشابه الحروف المقطعة وختم دون المعوذتين اللتين هما في الحال المرتحل كالمقدمة والافتتاح بالتعوذ لأم الكتاب المتشابه هو سورة الإخلاص وكان متشابهه أوله متشابها من جميع وجوهه لا يمكن أحدا أن يقول فيه قولا مقطوعا به أو مظنونا ظنا راجحا ومتشابه آخره لا يتبع فيه بدون القطع في وله فيما كلفنا أمره في هذه الدار وهو أصول الدين وراء ذلك مما لا يدركه أحد من الأبرار ولا المقربين وهو الذات الأقدس فمن رام منشأ الخلق فوق منزلته كفر ومن وضع متشابه الأمر عن رتبته العلية كفر وجعل آخره أجلى من أوله من بعض الوجوه إشارة إلى أن فيه الموفق في أمره وأنه في الآخرة يكون أجلى انكشافا وأوضح معرفة وتلاه بالمعوذة إشارة إلى حق الاعتصام في شأنه والحفظ التام في حضار عرفانه كرر بالتثنية لأجل الإحاطة بأمر الظاهر والباطن وللتأكيد تنبيها على عظم المرام وخطر المقام ولما افتتح القرآن بسورة مشتملة على جميع معانيه ختم بسورتين يدخل معناهما وهو التعوذ وندب ذكره في جميع أجزائه ومبانيه وفي ذلك لطيفة أخرى عظيمة جدا وهي أنه لما علم بالإخلاص تمام العلم وظهور الدين على هذا الوجه الأعظم فحصل بذلك غاية السرور وكان التمام في هذه الدار مؤذنا بالنقصان جاءت المعوذتان لدفع شر ذلك وقد انقضى الكلام على ما يسره الله من كنوز معاني سورة الإخلاص بحسب التركيب والنظم والترتيب وبقي الكلام على ما فتح الله به من أسرارها في الدلالة على مقصود الصورة بالنظر إلى كلماتها معدودة ظواهر وضمائر ثم حروفها فعلمها من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي أسس عليها بنيانها وانبنت عليها أركانها خمسة هي العشر من كلمات آية الكرسي كما أن الصلوات المكتوبات خمس هي خمسون في أم الكتاب الحسنة بعشر أمثالها ومن لطائفها اشارا انها كرعام

الدين الخمس في الضمير مشيرا إلى تصحيح ضمير القلب للإيمان وصحة القصد والإذعان حتى يقوم بناء العبادة والاسم الأعظم إشارة إلى أن ذلك التصحيح لأجل التأله بالخضوع للإله الحق باستحضار اسمه الأعظم كما أن الجلالة أعظم عبادات البدن هذا للتهيئة للدخول في العبادة ثم إن الدخول فيها شرطه أحدية التوجه تحقيقا للصدق في صحة العزم عليها كما أن الكون يكون مصدقه للإيمان وذلك التوحيد في التوحيد يكون لأجل الصدق في التأله بما يشير إليه إعادة الاسم الأعظم كما هو شأن الحاج الأشعث الأغبر المتجرد ويكون ذلك التأله باستحضار افتقار العابد إلى المعبود وتداعيه إلى الجلال بكل اعتبار لأنه أجوف وغني المعبود على الإطلاق بما يشير إليه الاسم الإضافي الصمد كما هو شأن الصائم في عبادته واستحضار حقارته وشدة حاجته وجلالة مولاه وتعاليه في غناه فمن صحت له هذه الدعائم الخمس كانت عبادته في الذروة العليا من القبول والإكثار اسم الحصول من غير كبير محصول والله الموفق • وكونها خمس عشرة كلمة إشارة إلى أنهم في السنة الخامسة عشرة من النبوة يعلمون تعليته لهم وسطوة سلطانه وناسخ للمستضعفين من حزبه وتقويته لهم في وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة أن مرسله لا كفؤ له ليعلم شهودي لا يفتقر أحد على تكذيبه ودفعه يقوم به دليل الإخلاص ولات حين مناص وإذا ضممت إليها الضمير الواجب الاستتار في قل كانت ستة عشر إشارة إلى أنه في السنة السادسة عشرة من النبوة وهي الثالثة من الهجرة في غزوة أحد يكون الظاهر فيها اسمه تعالى الباطن فإنه كان فيها من المصيبة ما هو المذكور في السير بقتله من قتل سبعين من الصحابة رضي الله عنهم منهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد أن ظهر فيها النبي صلى الله عليه وسلم في أول النهار ظهورا بينا حتى كانت هزيمة الكفار لا شك فيها كما قال الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه إلا أنه ثم أخفى الله ذلك في إزالة الكفار في أثناء النهار بهزم الصحابة رضي الله عنهم حتى لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم منهم إلا نفر يسير جدا أكثر ما ورد في عددهم أنه يقارب الأربعين وهو ثابت صلى الله عليه وسلم في نحر العدو وهم نحو من ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس بحالهم ولم ينصاعوا ولم يستطيعوا عليه مرة ويفترقون عنه أخرى ليعلم أن الناصر إنما هو الله وحده وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ما نصر النبي صلى الله عليه وسلم في موطن من المواطن ما نصر في غزوة أحد وقال أبو سفيان بن حرب يوم إسلامه في عام الفتح للنبي صلى الله عليه وسلم ما قاتلتك من مرة إلا ظهرت علي فلقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئا ولكن الذي ظهر منها إنما كان في آخر النهار من ظهور الكفار فأخفى الله تعالى نصر نبيه صلى الله عليه وسلم فيها باسمه الباطن إلا على أرباب البصائر فما علم ذلك إلا بوجه خفي جدا مناسبة للضمير الواجب الاستتار وإذا ضممت إلى ذلك الضميرين المستترين الجائزي الظهور فكانت الكلمات بذلك ثماني عشرة كانت إشارة إلى أن السنة الثامنة عشرة من النبوة وهي الخامسة من الهجرة ذات دلالة عظيمة على أنه لا كفؤ له توجب الإخلاص على وجه أجلى مما كان في غزوة أحد وإن كان فيه نوع خفاء وذلك في غزوة الأحزاب وبني قريظة حين رد الله الكفار بغيظهم لم ينالوا خيرا بعد أن كانوا في عشرة آلاف مقاتل غير بني قريظة يقولون إنه لا غالب لهم وكفى الله المؤمنين القتال بريح وجنود لم يروها وأمكن من بني قريظة وكان الله قويا عزيزا وذلك في شوال وذي القعدة سنة خمس من الهجرة فإذا ضممت إليها الضمير الآخر البارز بالفعل سنة ست من الهجرة فإنه كان فيها الفتح السببي الذي أنزل الله فيه سورة الفتح وكان فيها من دلائل الوحدانية أمور كثيرة توجب الإخلاص وإن كان في ذلك نوع خفاء مناسبة للضمير وإن كان بارزا بالفعل فقد خفي على كثير من الصحابة رضي الله عنهم حتى بينه لهم النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ضممت إليها كلمات البسملة الأربع كانت ثلاثا وعشرين توازي السنة العاشرة من الهجرة وهي الثالثة والعشرون من النبوة وفيها كان استقرار الفتح الأكبر والإخلاص الأعظم بنفي الشرك وأهله من جزيرة العرب بحجة الوداع التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها إن الشيطان قد أيس أن يعبد في أرض العرب ولذلك توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عقبها بعد إظهار الدين وإذلال الكافرين وإتمام النعمة وقام سبحانه بنصر الأمة وحده بعد أن مهد أسباب النصر بنبيه صلى الله عليه وسلم حتى علم قطعا في الربع وآخرها وهوج الفتنة وأهوالها وغلبة رعبها على القلوب وزلزالها في تلك الأصلح بالشك بأنه الإله وحده الذي لا كفؤ له لحفظ الدين في حياة نبيه صلى الله عليه وسلم وبعده وكذا فيما بعد ذلك من فتوح البلاد وإذلال الملوك العتاة الشداد مع ما لهم من الكثرة والقوة بالأموال والأجناد والتمكن العظيم في البلاد وجعل النصر عليهم لأهل الضعف والقلة آية في آية ودلالة بالغة في ظهورها الغاية وإذا سلكت طريقا آخر من الترتيب في الكلمات الخطية والاصطلاحية ذلك على مثل ذلك بطريق آخر وذلك أن تضم إلى الكلمات الخمس عشرة كلمات البسملة الأربع لتكون تسع عشرة فتوازي سنة ست من الهجرة وذلك سنة عمرة الحديبية التي سماها الله فتحا وأنزل فيها سورة الفتح لكونها كانت سببا للفتح الذي هو عمود الإخلاص فإذا ضممت إليها الضمير المستتر كانت عشرين فوازت سنة سبع التي كانت فيها

عمرة القضا فاظهر الله فيهما الاخلاص على عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم بان اظهر المشركين في البلد الذي كان بعثه منه وفيه على وجه
ظهر فيه انه لا كفو له ولكن كان ذلك بوجه خفي فاذا ضممت اليهما الضمير من المستتر الجاري في لم يكن كانت ثمنين وعشرين موازية
لسنة تسع سنة الوفود ودخول الناس في الدين افواجا وحجة ابي بكر رضي الله عنه وتطهير المسجد الحرام من نجس الاشراك بالبراءة من
المشركين وزجرهم عن ان يحج بعد ذلك العام مشرك ونفيهم عن قربانهم المسجد الحرام لانهم نجس وانتشار الاخلاص في اغلب بلاد
العرب وذلك اجلى مما مضى مناسبة لما دل عليه وفيه نوع خفا عند من كان بقي من المشركين واذا ضممت اليهما الضمير الآخر البارز
بالفعل كانت ثلاثا وعشرين توازي سنة حجة الوداع سنة عشر وهي التي تم فيها الاخلاص ولم يحج بها مشرك ويئس الشيطان من ان
يعبد في جزيرة العرب • وفي ذلك لكون الكلمة ضميرا نوع يسير من الخفا بما دل عليه بعد ذلك من الردة وكان ذلك انسب الاشيا
بالكلمة المتحملة لذلك الضمير وهي له هذا ما في السورة من اسرار كلماتها بحسب الاعداد • واما حروفها فمن الاسرار العظيمة
فيها صفة الله وان حروفها مع البسملة بالنظر اليهما من حيث اللفظ وكذا من حيث الرسم ستة وستون حرفا وكذا عدد حروف
الجلالة الملفوظة وكذا المرسومة بحساب الجمل فكل ما دعت اليه متلول لهذا الاسم الاعظم وهذه العدة اذا اخذت من اول مولد النبي
صلى الله عليه وسلم كان اخرها منطبقا على موت صديقه الاكبر الذي سبق غيره بما وقر في صدره وهو ابو بكر رضي الله عنه وذلك
دلالة على انه لا انواع بما احد في الاخلاص وانهما وصلا فيه الى الرتبة العليا وان كان النبي صلى الله عليه وسلم اعلى الخلق فيه
وفي ذلك ايضا دلالة على انه لا كفو له لانه نفى الاشراك بعده امره من جميع جزيرة العرب بعد ان كانوا مطبقين عليه واطلعهم
سبحانه على من يليهم من ملوك الامم حتى اظهر الله بهم الدين وقد كانوا اذل الامم على الدين كله وبقوا اجابر الملوك صغرهم بعدان كان
عندهم انه لا غالب لهم وحروفها الملفوظة بعدد كلمات اية التوحيد وهي اية الكرسي اعظم اية في القرآن وذلك خمسون
حرفا الا واحدا هو الفكموا الذي هو مرسوم غير ملفوظ وهو الدال على الضمير الذي هو غيب الغيب فهو غيب من جهة عدم اللفظ
به ووجود وظهور من جهة شاهدها الرسم ومسموع الاسم كما ان الذات غيب محض من جهة الحقيقة بدرك بمشاهدة الافعال
ومسموع الاسماء العوال • والله الهادي •

سورة الفلق مقصودها

الاعتصام من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر
والباطن واسمها ظاهر الدلالة على ذلك بسم الله الذي له جميع الحول الرحمن الذي اسبغ كمال الطول الرحيم الذي اتم على اهل وداده
جميل النول بالسلام من علي القول • ولما افتتح سبحانه الذكر الحكيم بالهداية في قوله اهدنا الصراط المستقيم وبالهداية
والتقوى التي هي شعار التائب في قوله هدى للمتقين • وذلك اول منازل السائرين • وختم بتقرير امر التوحيد على وجه لا يتصور
ان يكون اكمل منه وتقرير الاخلاص فيه كما تقرر به الامر تعلق ذلك هو نهايات المقامات عند العارفين فيم بذلك الدين واتى
سير السالكين • وختم الاخلاص المقرر لذلك بانه لا كفو له فوقت الدواعي على الانقطاع اليه والعكوف عليه
• والتقصي عما سواه والاطمئنان بما التوى • كما وقع عنا بالاياب المسافر • امر بالتعوذ بذلك هذا الدين موافقة لاياك نعبد
واياك نستعين من شر ما يقدح فيه بضر في الظاهر او في الباطن وهم الخلائق حتى على القيامة وبدا بما يعم شياطين
الانس والجن في الظاهر والباطن الذي يستلزم صلاحه صلاح الظاهر اعلاما بشرف الباطن على وجه لا يخل بالظاهر وفي ذلك
اشارة الى الحث على معاودة القراءة من اول القرآن كما يشير اليه قوله تعالى فاذا قرات القران اي اردت قراءته فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم فقال قل اي لكل من يبلغه القول من جميع الخلائق تعليما لهم وامرا فانهم كلهم مربوبون مقهورون لا نجاة لهم
في شي من الضرر الا بعصمته سبحانه فعلى كل منهم ان يفزع اول ما تصيبه المصيبة الى مولاه القادر على كشفها تصحيحا
لتوكله فانه يرقي بذلك الى حال الرضى بمر القضاء ولا يأخذ في الاعتماد على جلادته وتدبيره بحوله وقوته فانه يشتد اسفه
ولا يرد ذلك عنه شيئا اعوذ اي استجير والتجئ واعتصم واحترز ولما كان هذا المعنى اليق شي بصفة الربوبية
لان الاعادة من المضار اعظم تربية قال برب الفلق اي الذي يربيه ويخرج منه ما يريد وهو الشي المفلوق بايجاده ظلمة العدم
كالعيون التي فلقت بها ظلمة الارض والجبال وكالامطار التي فلقت بها ظلمة الجو والسحاب وكالنبات الذي فلقت به ظلمة
الصعيد وكالاولاد الذي فلقت بها ظلمة الاحشاء وكالصبح الذي فلقت به ظلمة الليل وما كان فيه من الوحشة العامة حصل
بذلك النور من الطمانينة والسكون والانس والسرور والى غير ذلك من سائر الخلق قال الملوي والفلق بالسكون
والحركة كل شي انشق عنه ظلمة العدم واوجد من الكائنات جميعها انتهى • وخص في العرف بالصبح فقيل فلق الصبح ومنه قوله
تعالى فالق الاصباح لانه ظاهر في تغير الحال ومحاكاة يوم القيامة الذي هو اعظم فلق يشق ظلمة الفنا والهلاك بالبعث
والاحيا فان القادر على ما قبله بما نشاهده قادر عليه لانه لا فرق بل البعث اهون في عوائد الناس لانه اعادة وكذا سائر
الممكنات ومن قدر على ذلك قدر على اعادة المستعيذ من كل ما يخشاه ولما كانت الاشياء قسمين عالم الخلق وعالم
الامر وكان عالم الامر خيرا كله فكان الشر منحصرا في عالم الخلق خصه بالاستعاذة فقال معمما فيها من شر ما خلق اي من
كل شي سوى الله وصفاته والشر تارة يكون اختياريا من العاقل الداخل تحت مدلول ما وغيره من سائر الحيوان كالكفر

والظلم ونهش السباع ولدغ ذوات السموم وتارة طبيعيا كاحراق النار واهلاك السموم وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير
تقدم اشارتي في الكلام على وتباط الاخلاص الى وجه ارتباطهما اتفاقا وذلك واضح ان شاء الله انتهى ولما كان عطف
العام على الخاص يعرف بان ذلك الخاص اولى افراد العام بما ذكر له من الحكم وكان شر الاشياء الظلام فانه اصل كل فساد وكانت
شرارته مع ذلك وشرارة السحر والحسد خفية خصها بالذكر من بين ما عمه الخلق لان الخفي ياتي من حيث لا يحتسب الانسان فيكون اضر
ولذا قيل شر العداة المداجي وكانت مادة غسق تدور على الظلام والانصباب فالغسق محركا ظلمة اول الليل وغسقت العين
اظلمت ودمعت واللبن انصب من الضرع والليل اشتدت ظلمته والغسقان محركة الانصباب والغاسق القمر وكانه سمي به
لسرعة سيره وانصبابه في البروج ولانه ليس له من نفسه الا الاظلام والثريا اذا سقطت قال في القاموس لكثرة
الطواعين والاسقام عند سقوطها والذكر اذا قام كما قاله جماعة • وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو سبب الحمل الذي هو ظلام
كله فقال تعالى ومن شر غاسق اي مظلم بارد منصب ظلامه وبرده سواء كان اصلا في الظلام حسيا او معنويا وكان حاملا ظلمة
مثل الذكر اذا قام لما يجر اليه من الوساوس الرديئة بغلبة الشهوة واستحكام سلطان الهوى ومثل القمر لما يحدث منه من
الرطوبات المفسدة للابدان وغير ذلك انصبابا بالغاية القوة كانصباب ما يفيض عن امتلاء في انحدار وتنكيره اشارة
الا انه ليس كل غاسق مذموما ولما كان الشي الذي اتصف بالظلام يكثف فيشتد انصبابه واخذه في السفول
الى ان يستقر ويستحكم فيما صوب اليه مجتمعا جدا كاجتماع الشي في لونه وهي النقرة في الصخرة وكان الظلام لا يشتد
اذاه الا اذا استقر وثبت قال معبرا باداة التحقق اذا وقب اي اعتكر ظلامه ودخل في الاشياء بغاية القوة كدخول الثقيل
الكثيف المنصب في النقرة التي تكون كالبئر في الصخرة الملساء وهذا اشارة الى انه يسهل علاجه وقد والله قبل عندابي يعلى بكمه
وفي الحديث نظرا الى الشمس قد وقبت فالهذا احين حلها يعني صلاة المغرب وفيه عند ابي يعلى انه قال لعايشة رضي الله عنها
عن القمر تعوذي بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب واكثر الاقوال بانه الليل خص بالاستعاذة لان المضار فيه تكثر ويعسر
دفعها واصل الغسق الظلام ويلزم منه الامتلا وقيل ان الامتلا هو الاصل واصل الوقوب الدخول في وقبة اوما هو كالوقبة
وهي النقرة ولما كان السحر اعظم ما يكون من ظلام الشر المستحكم في العروق الداخل في دقيقها لما فيه من تفريق المرء
من زوجه وابيه وابنه ونحو ذلك وما فيه من ضنى الاجسام وقتل النفوس عقب ذلك بالتعوذ منه ومن شر ولما
كان كل ساحر شريرا خلافا لغاسق والحاسد وكان السحر اضر من الغسق والحسد من جهة انه شر كله ومن جهة انه اخفى من غيره
وكان ما هو من النساء اعظم لان مبنى صحته وقوة تاثيره قلة العقل والدين ورداءة الطبع وضعف اليقين وسرعة الاستحالة
وهن اعرق في كل من هذه الصفات وارسخ وكان ما وجد منه من جمع وعلى وجه المبالغة اعظم من غيره عرف وبالغ وجمع وانث
ليدخل فيه ما دونه من باب الاولى فقال النفاثات اي النفوس الساحرة سواء كانت نفوس الرجال او نفوس النساء اي التي
تبالغ في النفث وهو النفخ مع بعض الريق هكذا في الكشاف وقال صاحب القاموس وهو كالنفخ واقل من
التفل • وقال تفل بصق • وفي التفسير عن الزجاج انه التفل بلا ريق في العقد اي التي تعقدها للسحر في الخيوط وما اشبهها
وسبب نزولها ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم فمرض كما ياتي تخريجه فان السحر يؤثر باذن الله المرض ويصل الى ان
يقتل فاذا اقر الساحر انه قتل بسحره وهو مما يقتل غالبا قتل بذلك عند الشافعي لا يناني قوله تعالى والله يعصمك من الناس
كما مضى بيانه في المائدة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في وصفه صلى الله عليه وسلم بانه مسحور فانهم ما ارادوا الا الجنون
او ما يشبهه من فساد العقل واختلاله والمبالغة في ان كل ما يقوله لا حقيقة له كما ان ما ينشا عن المسحور يكون مختلطا
لا تعرف حقيقته ولما كان اعظم حامل على السحر وغيره من اذى الناس الحسد وهو تمني زوال النعمة عن المحسود قال ومن
شر حاسد اي ثابت الاتصاف بالحسد معرق فيه وتنكيره لانه ليس كل حاسد مذموما واعظم الحسدة الشيطان الذي
ليس له دأب الا السعي في ازالة نعم العبادات عن الانسان بالغفلات ولما كان الضار من الحسد انما هو ما اظهر وعمل بمقتضاه
بالاصابة بالعين وغيرها قال مقيدا له اذا حسد اي حسد بالفعل بعينه الحاسدة واما اذا لم يظهر الحسد فانه لا يتاذى به الا
الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره وفي اشعار الاية الذم لما يحسد عليه من نعم الدارين لان خير الناس من عاش محسودا ومات محسودا
ومن لم يلق بالا للدعا بذلك ويهتم بتحصيل ما يحسد عليه صحك منه ابليس اذ لا هدف الاية لكونه ليس له فضيلة يحسد عليها
ولعله عبر باداة التحقق اشعارا بان من كان ثابت الحسد متمكنا في الاتصاف به بما اشعر به التعبير بالوصف تحقق منه الظلم
ولم يقدر على مدافعته في الاغلب الا من عصمه الله وقد علم بكون الحسد علة السحر الموقع في القتل الذي هو اعظم المعاصي
بعد الشرك وفي الشرك لانه لا يصح غاية الصحة الا مع مشرك ان الحسد شر ما انفلق عنه ظلام العدم والشاهد لذلك
علبته على الامم السالفة وتحذير الامة التي هي خير امة اخرجت للناس منه لتنهاه بها دينها صلى الله عليه وسلم • اخرج
الامام احمد وابو داود الطيالسي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد

والبغضاء الاول البغضاء هي الحالقة لا اقول انما تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وفي الباب عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم واعظم اسباب الحالقة او كلها الحسد فعلم بهذا رجوع اخر السورة على اولها والعطاف مفصلها على موصلها ومن اعتد من هذه المذكورات انطلق تماما فلبه عن شمس المعرفة بعد ظلام • ليل الجهل فاشرقت ارجاؤه بانوار الحكم التي ان تضيق الوصف له عن بدائع الكشف •

• مناظر مما تملأ العين قرة • وتسلي عن الاوطان كل غريب •

فينقطع التعلق عما سوى الله بمحض الاتباع والبعد عن الابتداع بمقتضى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقد بطل بالامر بالاستعاذة قول الجبرية انا كالالة لا فعل لنا اصلا وانما نحن كالحجر لا يتحرك الا بمحرك لانه لو كان المحرك لنا بغير اختيار لم يكن للامر فائدة وقول القدرية انا نخلق افعالنا • وقول الفلاسفة اذا وجد السبب والمسبب حصل التاثير من غير احتياج الى ربط الهي كالنار والحطب لانه لو كان ذلك لكانت هذه الافعال المسببات اذا وحدت من فاعلها الذين هم الاسباب والافعال التي هي الاسباب والمسببات التي هي الابدان المرادة بتاثيرها اثرت ولم ينفع الاستعاذة والمشاهد خلافه وثبت قول الاشاعرة من اهل السنة والجماعة انه اذا وجد السبب والمسبب توقف وجود الاثر على ايجاد الله تعالى فاذا اتقد السبب وجد الاثر وان لم يسعده لم يوجد والسورتان معلمتان بان البلاء باكثره وهو قادر على دفعها فهما حاملتان على الخوف والرجاء وذلك هو لباب العبودية وسبب نزول المعوذتين على ما نقل الواحدي عن المفسرين والبغوي عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم اليهودي فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر راسه ويرى انه ياتي النساء ولا ياتيهن يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم ذات يوم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان في بئر بني زريق والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في اسفل البئر يقوم عليه المائح فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا عائشة اما شعرت ان الله اخبرني بدائي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فنزحوا البئر كانه نقاعة الحناء ورفعوا الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راسه واسنان مشطه واذا وتر معقد فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالابر فانزل الله سورتي المعوذتين وهما احدى عشرة اية الفلق خمس والناس ست فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة فقام كانما انشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك ومن حاسد وعين والله يشفيك فقالوا يا رسول الله افلا ناخذ الخبيث فنقتله فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس شرا • وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم اتى البئر بنفسه ثم رجع الى عائشة رضي الله عنها فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤوس الشياطين قالت فقلت له يا رسول الله هلا اخرجته قال اما انا فقد شفاني الله وكرهت ان اثير على الناس منه شرا وجمع بانه انما صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة فلم يخرجه ثم انه وجد بعض الالم فارسل اليه فاخرجه فزال الالم كله • وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه قال اشعرت يا عائشة ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال اتاني ملكان فذكره • وروى النسائي في المحاربة من سننه وابو بكر بن شيبة واحمد بن منيع وعبد بن حميد وابو يعلى الموصلي في مسانيدهم والبغوي في تفسيره كلهم عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ له فسحر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود فاشتكى لذلك اياما فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بئر كذا وكذا او قال فطرحه في بئر رجل من الانصار فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجوها فجيء بها فحلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لذلك اليهودي ولا راه في وجهه قط • وفي رواية فاتاه ملكان يعوذانه فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما اتدري ما وجعه قال كان الذي يدخل عليه عقد له والقاه في بئر فارسل اليه رجلا • وفي رواية عليا فاخذ العقدة فوجد الماء قد اصفر قال فاخذ العقد فحلها فبرا فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيئا ولم يعاتبه فيه • وهذا الفضل بمنفعة المعوذتين كما منح الله تعالى رسوله به صلى الله عليه وسلم فكذا تفضل به على سائر امته روى ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي مسندا ومرسلا قال النووي بالاسانيد الصحيحة عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك كل شيء والاحاديث في هذه السور الثلاث كثيرة جدا وجعل التعويذ في سورتين اشارة الى استجابة تكرير وجعلتا احدى عشرة اية ندبا الى تكثيره في تكريره وقدمت الفلق التي

هي خمس ايات مع ما مضى من المناسبات لان اخرتهما بسورة التوحيد انسب وشفعهما بست ايات التي هي ست ايات انسب ليكون الشفع بالشفع والابتداء بالوتر بعد سورة الوتر خاتمة هذه السورة العظمى في معناها الابدع الاسمى الاستعاذة بالله بذكر اسمه الرب المقتضي للاحسان والتربية بجلب النعم ودفع النقم من شر ما خلق ومن السحر والحسد كما كان اكثر البقرة المناظرة لها في المقطع على المطلع بكونها ثانية من الاول كما ان هذه ثانية من الاخر في ذكر اعداء النبي صلى الله عليه وسلم الحاسدين على ما اوتي من النعم وفي تذكيرهم بما منحهم من النعم التي كفروها واكثر ذلك في بني اسرائيل الذين كانوا اشد الناس حسدا له صلى الله عليه وسلم وكان من اعظم ما ضلوا به السحر المشار اليه بقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن حتى قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه الى ان قال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وكان السحر من اعظم ما اوذي به النبي صلى الله عليه وسلم من كيدهم حتى انزل فيه المعوذتان وكان الساحر له منهم وقد انقضى ما يسر الله من الكلام على انتظام معانيهما بحسب تركيب كلماتهما وبقي الكلام على كلماتهما من حيث العدد فيما يشير اليه من البركات والمدد هي ثلاث وعشرون كلمة اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم في الثالثة والعشرين من النبوة يامن من اذى كل حاسد وذلك بالوفاة عند تمام الدين ويامن الحاسدين من كل شيء من الاذى في الدين والدنيا وخلاص النبي صلى الله عليه وسلم من كل كدر فاذا ضممت اليها الضمائر وهي خمس كانت ثمانيا وعشرين وهي توازي سنة خمس عشرة من الهجرة وذلك عند استحكام امر عمر رضي الله عنه في السنة الثانية من خلافته ببثه العساكر وانقياد الجيوش الى ملكي الفرس والروم وتغلغل هيبته في قلوبهم وتضعضع الفرس بغلبة العرب على رستم اكبر امرائهم والروم بغلبهم على ماهان اعظم رؤسائهم فاضمحل امر المنافقين والحاسدين واسوا من بآرائي يكيد من احد من الكائنين فاذا ضم اليها الاربع كلمات البسملة كانت اثنتين وثلثين اذا حسبت من اول النبوة وازتها السنة التاسعة عشرة من الهجرة وفيها كان فتح قيسارية من بلاد الشام وبفتحها كان فتح جميع بلاد الشام لم يبق بها بلد الا وهي في ايدي المسلمين وزالت عنها دولة الروم وفيها ايضا كان فتح جلولاء من بلاد فارس وكان فتحا عظيما هد اجنادهم وملوكهم وبذلك تسمى فتح الفتوح وحصل حينئذ اعظم الخزي للفرس والروم الذين هم احسد الحسدة لما كان لهم من العزة والقوة بالاموال والرجال وان حسبت من الهجرة وازتهما سنة انقراض ملك اعظم الحسدة الاكاسرة الذين سقق ملكهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وارسل الى عامله باذان الذي كان استخلفه على بلاد اليمن يامره ان يغزو النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر الله نبيه بانه يقتله سبحانه في ليلة سماها فلما اتت تلك الليلة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم باذان بذلك فرجعوا الى باذان فاخبروه فقال ان كان صادقا فسياتي الخبر في يوم كذا فاتى الخبر في ذلك اليوم بصدقه صلى الله عليه وسلم فاسلم باذان ومن معه من الابناء الذين كانوا في بلاد اليمن لم يتخلف منهم احد واوفد منهم وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وتولوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم

سورة الناس مقصودها الاعتصام بالاله الحق من شر الخلق الباطن واسمها ادل على ذلك لان الانسان مطبوع على الشر واكثره بالمكر والخداع واحسن من هذا انها للاستعاذة من الشر الباطن المانوس به المستروح اليه فان الوسوسة لا تكون لا بما تشتهي والناس مشتق من الانس وان اصله ناس وهو ايضا اضطراب الباطن المشير اليه الاستعاذة من النوس فطابق حينئذ الاسم المسمى ومقصودها هذه السورة معلول المقصود الفاتحة الذي هو المراقبة وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان لبراعة الختام • وفذلكة النظام • كما ان الفاتحة شاملة لذلك لانها براعة الاستهلال ورعاية الجلال والجمال فقد اتصل الاخر بالاول اتصال العلة بالمعلول والدليل بالمدلول والمثل بالممثول • والله المسؤول في تيسير المسؤول وتحقيق المامول **بسم الله** المحيط علما بكل باطن كاحاطته بكل ظاهر **الرحمن** الذي عمت نعمته كل باد وحاضر **الرحيم** الذي خص اولياءه باتمام النعمة عليهم في جميع امورهم الاول منها والاثناء والاخر

لما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار البدنية وغيرها العامة للانسان وغيره وذلك هو جملة الشر الموجود في جميع الاكوان والازمان ثم وقع فيها التخصيص بسورة رباعيتها من الغاسق والساحر والحاسد فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب الخارجة التي ترجع الى ظلم الغير والمعائب الداخلة التي ترجع الى ظلم النفس ولكنها في المصائب اظهر وختمت بالحسد فعلم انه اضر المصائب وكان اصل ما بين الجن والانس من العداوة الحسد جاءت سورة الناس متضمنة للاستعاذة من شر خاص وهو الوسواس وهو اخص من مطلق الحاسد ويرجع الى المعائب الداخلة اللاحقة للنفوس البشرية التي اصلها كلها الوسوسة وهي سبب الذنوب والمعاصي كلها وهي من الجن امكن واضر والشر كله يرجع الى المصائب والمعائب وقد تضمنت السورة كالفلق استعاذة ومستعاذا به ومستعاذا منه وامرا بايجاد ذلك فالامر **قل** والاستعاذة **اعوذ** والمستعاذ به هو الله لكن لما كانت صفة الربوبية من صفات كماله سبحانه التي بالحماية والاعانة والرعاية والخلق والتدبير والتربية والاصلاح المتضمن للقدرة التامة والرحمة الواسعة والاحسان الشامل والعلم الكامل قال **رب الناس** اي اعتصم به اي اساله ان يكون عاصما لي من العدو ان يوقعني في المهالك

الملتوى والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من السماء والارض وابقاؤها ودفع الشرور ورفعها والنقل من النقص الى الكمال
والتدبير العام العائد بالحفظ والتتميم على المربوب وخص الاضافة بالمرتين المضطرين في الابدان والاديان من الانس والجان
الخصوص المستعاذ منه وهو الاضرار الذي يعرض للنفوس العاقلة وتختصها خلافها في الفلق فانه المضار البدنية التي تعم الاناسى
وغيرهم وجه تاخرها عن سابقتها عموم الاولى وخصوص الثانية الا ترى عموم قوله من شر ما **وقال الامام ابو جعفر بن الزبير**
خلق وابهام ما وتنكير غاسق وحاسد والعقد فيها استعيذ من شره في سورة الناس وتعريفه وتعينه فبدأ بالعموم ثم اتبع بالخصوص
ليكون ابلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه واوفى بالمقصود ونظير هذا في تقدم المعنى الاعم ثم اتباعه بالاخص ليتناول
الدقائق والجلائل قوله سبحانه بسم الله الرحمن الرحيم فمعنى الرحمن ومعنى الرحيم واحد الا في عموم الصفة الاولى وكونها في المبالغة
وقد تعرض لبيان ذلك المفسرون ولذلك نظائر انتهى **ولما** كان الرب والملك متقاربين في المفهوم وكان الرب اقرب
في المفهوم الى اللطف والتربية وكان الملك للقهر والاستيلاء واظهارا لعدل الذم وكان الرب قد لا يكون ملكا فلا يكون
كامل التصرف فاقتضت البلاغة تقديم الاول واتباعه الثاني فقال **ملك الناس** اشارة الى ان له كمال التصرف ونفوذ القدرة
وتمام السلطان فاليه المفزع وهو المستعان والمستغاث والملجأ والمعاذ **ولما** كان الملك قد لا يكون الها وكانت
الالهية خاصة لا تقبل شركا اصلا بخلاف غيرها انهى الامر اليها وجعلت غاية البيان فقال **اله الناس** اشارة الى
انه كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك احد فلذلك هو وحده الههم لا يشركه في الهيته احد وهذه ذاتا طريقة
القران يحتج عليهم باقرارهم بتوحيدهم له في الربوبية والملك على ما انكروه من توحيدا الالهية والعبادة فمن كان ربهم وملكهم
فهم جديرون بان لا يتالهوا سواه ولا يستعيذوا بغيره كما ان احدهم اذا دهمه امر استعاذ بوليه من ابناء جنسه واستغاث
به والاكثر من ظهر بلطيف صنائعه التي افادها مفهوم الرب والملك لقلوب العباد فاجوه واستانسوا به ولجأوا اليه
في جميع امورهم وبطن احتجابا بكبريائه عن ان يحاط به او بصفة من صفاته او شيء من امره فهابه العباد ودعاهم الحب الى الوله
شوقا الى لقائه وزجرتهم الهيبة فجزعوا وخافوا من طرده لهم عن فنائه وكرر الاسم الظاهر دون ان يضمر فيقول مثلا ملكهم الههم
تحقيقا لهذا المعنى وتقوية له باعادة اسمهم الدال على شدة الاضطراب المقتضي للحاجة عند كل اسم من اسمائه للمعنى المطلق
ودلالة على انه حقيق بالاعادة فادى علمها لبيان انه المتصرف فيهم من جميع الجهات وبيانا لشرف الانسان ومزيد الاعتنا
بمزيد البيان ولئلا يظن ان هذه الاشياء تستعيذ بما اضيف اليه الذي قبله من ذلك الوجه لان الضمير اذا اعيد
كان المراد به عين ما عاد اليه فاشير بالاظهار الا ان كل صفة منها عامة تفيد لشيء اصلا واندرج في هذه الاستعاذة
جميع وجوه الاستعاذات من جميع وجوه التربية وجميع الوجوه المنسوبة الى المستعيذ انهم من جهة انه في قهر الملك بالضم
وجميع الوجوه المنسوبة الى الالهية لئلا يقع خلل في وجه من تلك الوجوه تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات
اشعارا بعظم الافة المستعاذ منها ولم يعطف بالواو لما فيها من الايذان بالمغايرة والمقصود الاستعاذة بمجموع هذه
الصفات الواقعة على ذات واحدة حتى كانها صفة واحدة وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب على حد سواء
فلا تعلق لاحد الا وهو خلقه سبحانه وهو الباعث عليه واخر الالهية لخصوصها لان من لم يتعبد باوامره ونواهيه فقد
اخرج نفسه من ان يجعله الهه وان كان في الحقيقة لا اله سواه ووسط صفة الملك لان الملك هو المتصرف بالامر
والنهي وملكه لهم تابع لخلقه اياهم فملكه من كمال ربوبيته وكونه الههم الحق من كمال ملكه فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه
وملكه تستلزم الهيته وتقتضيها وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان وتضمنت معاني اسمائه
الحسنى فان الرب هو القادر الخالق الى غير ذلك مما يتوقف الاصطلاح والرحمة والقدرة الذي هو معنى الربوبية عليه
من اوصاف الجمال والملك هو الامر الناهي المعز المذل الى غير ذلك من الاسماء العائدة الى العظمة والجلال واما
الاله فهو الجامع لصفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل فيه جميع الاسماء الحسنى فلتضمنها جميع معاني الاسماء الحسنى كان
المستعيذ جديرا بان يعاذ وقد وقع ترتيبها على الوجه الاكمل الدال على الوحدانية لان من راى ما عليه من النعم الظاهرة
والباطنة علم ان له مربيا فاذا تغلغل في العروج في درج معارفه سبحانه علم انه غني عن الكل والكل اليه محتاج
وعن امره تجري امورهم فيعلم انه مليكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد ابداعهم انه المستحق للالهية بلا مشارك له
فيها **ولما** اجمع القراء في هذه السورة على اسقاط الالف من ملك بخلاف الفاتحة كما مضى لان المالك اذا اضيف الى اليوم
افهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض وانه لا امر لاحد معه ولا مشارك في شيء من ذلك وهو معنى الملك بالضم
واما اضافة المالك الى الناس فانها لا تستلزم ان يكون ملكهم فلو قرئ به هنا لنقص المعنى واطبقوا في ال عمران على اثبات
الالف في المضاف وحذفها من المضاف اليه لان المقصود بالسياق انه سبحانه يعطي الملك من يشاء ويمنعه من يشاء
والملك بكسر الميم اليق بهذا المعنى واسرار كلام الله اعظم من ان يحيط بها العقول وانما غاية اولي العلم الاستدلال

تما ظهر منها على ما وراءه وان بادية الى الخافي ليشير **ولما** اكمل الاستعاذة من جميع وجوهها التي مدارها الاحسان والعظمة
والقهر والاذعان والتذلل ذكر المستعاذ منه فقال **من شر الوسواس** هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة والمراد به
الموسوس سمي بفعله مبالغة لانه صيغته التي هو في غاية الضراوة عليها كما يولع في العادل تسميته بالعدول والوسوسة
الكلام الخفي القاء المعاني الى القلب في خفاء وتكرير كما ان الكلمة الدالة عليها وس مكرر واصلها صوت الحلي وحديث النفس
وهمس الكلاب صوعف لفظه مناسبة لمعناه لان الموسوس يكرر ما يبثه في القلب ويؤكده في خفاء ليقبل ومصدره
بالكسر كالزلزال كما قال تعالى وزلزلوا زلزالا شديدا وكل مضاعف مثل الزلزلة والرضوضة معناه متكرر والموسوس
من الجن يجري من ابن ادم مجرى الدم كما في الصحيح فهو يوسوس بالذنب سرا ليكون احلى ولا يزال يزينه ويثير الشهوة الداعية اليه
حتى يوقعه الانسان فاذا واقعه وسوس لغيره ان فلانا فعل كذا حتى يفضحه بذلك فاذا افتضح ازداد جراءة على امثال ذلك لانه
يقول قد وقع ما كنت احذره من القالة فلا يكون شيء غير الذي كان وشره التحبب الى الانسان بما يميل اليه طبعه حتى يشاركه في
رذيلة الطبع وظلمة النفس فينشأ من ذلك شرور رذائل وتتعدد به اضرها الكبر والاعجاب اللذان اهلكا الشيطان
فيوقع الانسان فيهما او في نفسه فيه وينشأ عن الكبر الحقد والحسد ويترشح منه بطر الحق وهو عدم قبوله ومنه
الكفر والفسوق والعصيان وغمص الناس وهو احتقارهم المعلوم من قول الشيطان انا خير منه ومنه تنشأ الاستهانة
باولياء الله بترك احترامهم ومنع حقوقهم والاعتداء عليهم والظلم ويترشح من الحقد التي هو العداوة العظيمة امساك الخير
والاحسان وبسط اللسان واليد بكل سوء وايذاء ويترشح من الحسد افساد ذات البين كما يشير اليه قابيل ويترشح عنهما
السخرة الاية والكذب والمخادعة كما عرف به وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور ويترشح عن الاعجاب التسخط
للقضاء والقدر كما اذن به قال لا اسجد لمن خلقت طينا ومقابلة الامر بالعلم بما اشعر به لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
واستعمال القياس في مقابلة النص بما هدى اليه انا خير منه الاية واستعمال التحسين والتقبيح بما افهمه لم اكن لاسجد لبشر خلقته
من صلصال من حما مسنون والادلال وهو الجراءة على المخالفات فينشأ عن ذلك شرور متعددة وهي السعي في افساد الخلال
والاخلاق والاعمال والابدان والارزاق ثم لا يزال يحبب الى الانسان بما يميل اليه طبعه من هذه الخبائث وهو يوافقه فيها حتى
تصير له اخلاقا راسخة فيصير ردي الطبع فلا ينفع فيه العلاج بل لا يزيده الا خبثا كابليس ومن كان اصله طيبا واكتسب ما
يخالفه بسبب عارض كان ممكن الازالة بالعلاج كما وقع لادم عليه السلام **ولما** كان الملك الاعظم سبحانه لم ينزل
داء الا انزل له دواء وكان قد جعل دواء الوسوسة ذكره سبحانه فانه يطرد الشيطان وينير القلب ويصفيه وصف سبحانه اسم
الموسوس عند استعمال الدواء اعلاما بانه شديد العداوة للانسان ليشتد حذره منه وبعده عنه **الخناس** اي الذي عادته
ان يخنس اي يتوارى ويتاخر ويختفي بعد ظهوره مرة بعد مرة كلما كان الذكر خنس وكلما بطل عاد الى وسواسه فالذكر كالمقامع
التي تقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلا كما عن بعض السلف ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي
الرجل بعيره في السفر **قال البغوي** له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان ويقال راس كراس الحية واضع راسه على
ثمرة القلب يحدثه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكر رجع ووضع راسه **ولما** ذكر صفة المستعاذ منه ذكر ابرازه
لصفته بالفعل فقال **الذي يوسوس** اي يلقي المعاني الضارة على وجه الخفاء والتكرير بحيث تصل مفاهيمها من غير سماع واشار
الى كثرة وسوسته بذكر الصدر الذي هو ساحة القلب ومسكنه فقال **في صدور الناس** اي المضطربين اذا غفلوا عن ذكر
ربهم فانها دهاليز القلوب منها تدخل الواردات اليها وذلك كالقوة الوهمية فان العقل يساعد في المقدمات الحقة
المنتجة للامر المقطوع به فاذا وصل الامر الى ذلك خنست الواهمة ربما يعتري العقل عن النتيجة فربما تاخذ الواهمة في
الوسوسة وتقبل الطبعة بما لها بما من مجانسة الظلمة الجهلية والناس **قال في القاموس** يكون من الانس ومن الجن جمع انس
اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال انتهى **ولعل** اطلاقه على هذين المتقابلين بالنظر الى النوس الذي اصله الاضطراب
والتذبذب فيكون منحوتا من الاصلين الانس والنوس ومن نالث وهو النسيان **ولما** كان الذي يعلم الانسان الشر
تارة من الجن واخرى من الانس **قال** مبينا للوسواس تحذيرا من شياطين الانس كالتحذير من شياطين الجن معلما ان الاسم الاخير
يجوز ان يكون بيانا للناس ولا تعسف فيه لما علم من نقل القاموس **من الجنة** اي الجن الذين هم في غاية الستر والتمرد والخفاء
والناس اي اهل الاضطراب والذبذبة سواء كانوا من الجن والانس فيكون المعنى ان الجن مسلط بعضهم على بعض كما هم مسلطون
على الانس فيدخل شيطان الجن في الجن كما يدخل في الانس ويوسوس له قاله البغوي عن الكلبي وقال ذكر عن بعض العرب انه قال جاء قوم
من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا ناس من الجن قال وهذا معنى قول الفراء **وقد** ختمت السورة بما بدئت به والمعنى
الثاني وفق بين اخرها على وتلها فانه يكون شر الناس الذين اضيفت اليهم الصفات العلا والخواطر الواردة على
الانسان قد يكون وسوسة وقد يكون الهاما والالهام تارة يكون من الله بلا واسطة وتارة يكون بواسطة الملك ويكون كل

سيما في القلب والوسوسة تارة من الشيطان وأخرى من النفس وكلاهما يكون في الصدر فإن كان الإنسان مراقبا دفع عن نفسه الضار
والأهجمة الواردات عليه وتمكنت منه ويتميز خير الخواطر من شرها بقانون الشرع على أن الأمر مشكل فإن الشيطان يجتهد في التلبيس
فإن وافق الشرع فلينظر فإن كان فعله ذلك الحين من غير فوت لفضيلة هي أولى منه بادر إليه وإن كان الخاطر دنيويا وأدى
الفكر إلى أنه نافع من غير مخالفة للشرع زاد على ذلك تأمله للاستشارة لمن يثق بدينه وعقله ثم الاستخارة لاحتمال أن يوافق
عليه العقول ويكون فيه خلل للتقصير وقع في النظر • وقد جعل بعضهم قانون الخاطر الرحماني أن ينشرح له الصدر ويطمئن
إليه النفس والشيطاني والنفسي أن ينقبض عنه الصدر وتقلق النفس بتمادي الحديث لتسوي بعضهما فإذا حصل الذكر
زال ذلك والنفساني يلزم شيء بعينه سواء كان نفعا أو ضرا ولا ينصرف عنه بالذكر وقد يكون الشيطان إنسانا من الأزواج
والأولاد ومعارف وربما كان أضر من شيطان الجن فدواؤه المقاطعة والمجانبة بحسب القدرة ومن أراد فأنفع ما عليه من صاحب
ومن يجانس فعليه بآية الكهف واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه إلى قوله تعالى
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ولما رجع مقطعها على مطلعها لذلك كان من المناسبات
العظيمة مناسبة معناها للفاتحة ليرجع مقطع القرآن على مطلعه ويلتحم مبداه بمرجعه على أحسن وجه كما تقدم بيان ذلك
من سورة قريش إلى هنا سورة سورة فنظرت السورة إلى الفاتحة والتحامها بها من جهة أن الفاتحة اشتملت على أسماء الله
والرب والملك وزادت لكونها أم القرآن بالرحمن الرحيم لاشتمالها على جميع النعم الظاهرة والباطنة التي تضمنتها صفة الربوبية
وسورة الناس على الرب والملك والإله الذي هو الأصل في اسم الجلالة واختصت الفاتحة بالاسم الذي لم يقع فيه شركة أصلا
فلما تعود في جميع القرآن أنه الإله الحق وأنه لا شركة لغيره في الإلهية بحق بوجه من الوجوه كما أنه لا شركة في الاسم الأعظم
الذي افتتح به القرآن إصلاحا ولا باطلا ختم القرآن الكريم به معبرا عنه بالإله لوضوح الأمر وانتفاء اللبس بالكلية وصار
الاختتام بما كان به الافتتاح على الوجه الأجلى والترتيب الأولى فيتفق الإيمان الآخران على نظمهما فيصير النظم إذا عقب
آخر الناس بأول الفاتحة إله ملك رب الله رب رحمن رحيم ملك إعلاما بأن مسمى الاسم الأعظم هو الإله الحق وهو الملك الأعظم
لأن له الإبداع وحسن التربية والرحمة العامة والخاصة • وحاصل سورة الناس الاستعاذة بهذا الرب الموصوف من وسوسة
الصدر المثمر للمراقبة كما أن حاصل الفاتحة فراغ السر من الشواغل المقتضي لقصر الهمم عليه سبحانه والبقاء في حضرته
الشماء بقصر البقاء عليه والحكم بالفناء على ما سواه وذلك هو أعلى درجات المراقبة فإذا أراد الحق إعانة عبد حمله على الاستعانة
بالاستعانة فيصير عليه صدق التوكل فحينئذ يصير عابدا صادقا في العبودية فيكون إلهه سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وينبغي أنه كلما زاده سبحانه تقريبا ازداد له عبادة حتى ينقطع عن مكر الشيطان
بالموت كما قال الله تعالى لأقرب خلقه إليه صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ومن نقص من الأعمال شيئا اعتمادا على أنه
وصل فقد تزندق وكان مثله مثل شخص في بيت مظلم استسرج فيه سراجا فأضاء فقال لما أوقدت السراج إلا ليضيء البيت
فقد أضاء فلا حاجة لي الآن إلى السراج فأطفأه فعاد الظلام كما كان وقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى افتتاح القرآن
العظيم بعد ختمه كما أشار إليه إيضاحا للمعنى بما بيناه وسمي ذلك الحال المرتحل وكان الفاتحة ذكرا بالأمر بالاستعاذة إرادة افتتاح
قراءته فكأنه قيل استعذ بالله من الشيطان الرجيم لتفتتحه وكأنه لما استعاذ بما أمر به في هذه السورة قيل له ثم ماذا أفعل
فقال افتتح أو أنه لما أمر بالاستعاذة قال لماذا أفعل فقيل افتتح بسم الله الرحمن الرحيم الذي يجب مراقبته عند جوانح الأمور
وقوا الحمد لأنه لا يكون أمرا بالأبد أو أن البسملة مقول القول في قل على سبيل البدل من أعوذ أو بدل من رب الناس وكأنه
أمر بالتعوذ والتسمية أمرا بالدفع والجلب وذلك لأنه لما أمر بهذا التعوذ وكان قد قال سبحانه وتعالى فإذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم علم أن المراد ابتداؤه بالقرآن فنسبة الفاتحة نسبة المعلول إلى علته فكأنه
قيل استعذ بهذا الرب الأعظم الذي له الملك ولا إله غيره لأن له الحمد وهو الإحاطة بكل شيء وهو القادر على كل شيء فهو القاهر
لكل شيء فهو المعاذ وهو الملجأ والمفزع لا إله إلا هو فإن الاسم هو الوصف والمراد به الجنس فمعنى باسم الله أي بوصفه أو بأوصافه
الحسنى والحمد هو الثناء بالوصف الجميل فكأنه قيل أعوذ برب الناس بأوصافه الحسنى لأن له الحمد وهو جميع الأوصاف الحسنى
فإن كان المبتدأ فيه يحتاج إلى قدرة فلله القدرة التامة أو إلى علم فالعلم صفته أو كرم فكذلك • والحاصل أنه كأنه
قيل أعوذ به من الشيطان بما له من الاسم الذي لم يسام فيه أحد لكونه جامعا لجميع الأسماء الحسنى إلى الصفات التي لا يشوبها
نقص خصوصا صفة الرحمة العامة التي شملتني أكنافها وأقامتني لسعادتها ثم الرحمة الخاصة التي أنا أحد رجالها راجيا باستيطان
لما عندي من النقص المانع لي منها والمبعد لمن اتبع الحظوظ عنها فأسأله أن يجعلني من أهلها ويجعلني في الدارين بوصفها
لأكون من أهل رضاه فلا أعبد إلا إياه • ولله أن نعترف الاعتصام والانحصار بوجه أحفظ من الكمال لبديع النظام
فنقول لما قرب التقاء نهاية الدائرة السورية آخرها بأولها ومفصلها بموصلها اشتد تشاكل الرأسين فكانت هذه السور

الثلاث

الثلاث الأول في المقاصد وكثرة الفضائل والفوائد الإخلاص لسورة التوحيد آل عمران وهو واضح والفلق للبقرة طباقا ووفاقا
فإن الكتاب الذي هو مقصود سورة البقرة خير الأمر فهي للعون بخير الأمر والفلق للعوذ من شر الخلق المحصل الحل خبر وفي البقرة
أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين يعلمون الناس السحر الآيات ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند
أنفسهم الآية والناس للفاتحة فإنه إذا فرغ الصدر وهو مسكن القلب الذي هو مركب الروح الذي هو معدن العقل كانت المراقبة
فكان ذلك بمنزلة تقديس النفس بالتوحيد والإخلاص ثم الاستعاذة من كل شر ظاهر وكل سوء باطن المناهل لتلاوة سورة
المراقبة بما دعي إليه الحال المرتحل وما بعدها من الكتاب على غاية من السداد والصواب وكأنه اكتفى أولا بالاستعاذة
المعروفة كما يكتفى في أوائل الأمور بما يسر من المأمور فلما ختم الختمة جوز تعود من القرآن ترقيه إلى مقام الإحسان فاتصل الآخر
بالأول أي اتصاله بلا ارتياب واتحد به كل الاتحاد إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب هكذا أما تيسره الله من مدلولاته نظومها
وحملها بالنسبة إلى مفهوماتها وعللها وبقي النظر إلى ما تشير إليه أعداد كلماتها بلطائف رموزها وإشاراتها فهي عشرون
كلمة توازيها إذا حسبت من أول النبوة سنة عمرة القضاء وهي السابعة من الهجرة بها تبين الأمن بهذا الشيطان سنة عمرة الحديبية
من أجل رد النبي صلى الله عليه وسلم لدخول البيت والطواف به فإذا ضممت لها الضمائر الثلاث كانت ثلاثا وعشرين
توازن السنة العاشرة من الهجرة وهي سنة حجة الوداع وهي القاطعة لتأثير وسواس الشيطان الذي كان في أول السنة الحادية
عشر عند موت النبي صلى الله عليه وسلم إلى العرب بأمر الردة فأعاذ الله من شرها بهمة الصديق رضي الله عنه حتى رد الناس للدين
وأزال به وسواس الشياطين المفسدين فانتظمت كلمة المسلمين تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أن
الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب بعد اليوم فإذا ضممت إليها كلمات البسملة صارت سبعا وعشرين توازي سنة
استحكام أمر عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه الذي ما سلك فجا إلا سلك الشيطان فجا غيره وذلك سنة أربع عشرة
من الهجرة هذا بالنظر إلى كلماتها فإن نظرت إليها من جهة الحروف كانت لها أسرار كثيرة من جهة أخرى منها أن كلماتها مع كلمات
الفاتحة انتظمت من ستة وعشرين حرفا وهي ما عدا الثاء المثلثة والزاي والظاء المعجمة من حروف المعجم التسعة والعشرين
كل واحدة منهما في اثنين وعشرين حرفا اشتركتا في ثمانية عشر منها واختصت كل واحدة بأربعة الفاتحة بالحاء والطاء المهملتين
والصاد والغين المعجمتين والناس بالجيم والخاء والشين المعجمتين والفاء • وقال ابن ميلق سقط من الفاتحة سبعة أحرف
ثج خز شظف انتهى • فلعله في ذلك والله أعلم إشارة إلى أن تكامل نزول القرآن من أوله إلى آخره في عدد الحروف الذي اشتمل
عليها كل من سورتي وله واحدة من السنين وذلك اثنان وعشرون والثالثة والعشرون سنة القدوم على منزله الحي
القيوم سبحانه ما أعظم شأنه وعز سلطانه وأقوم برهانه • وهذا تمام ما أردته من نظم الدرر من تناسب
الآي والسور • ترجمان القرآن • مبدي مناسبات الفرقان • التفسير الذي لم يسمح الأعصار بمثله • ولا فاض عليها
من التفاسير على كثرة أعدادها كصيب وبله • فرغته في المسودة • يوم الثلاثاء سابع شعبان سنة خمس وسبعين وثمانمائة
بمسجدي من رحبة باب العيد بالقاهرة المعزية • وكان ابتدائي فيه في شعبان سنة إحدى وستين فتلك أربع عشرة
سنة كاملة • وفرغته في هذه المبيضة بمصر يوم الأحد عاشر شعبان سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة بمنزلي الملاصق
للمدرسة البادرائية من دمشق فتلك اثنتان وعشرون سنة بعدد سني النبوة • الزاهرة الأنيسة العلية
الطاهرة المباركة الزكية • ولولا معونة الله أضحى معدوما • أو ناقصا مخروما • فإني بعد ما توغلت فيه • واستفاضت
لي مبانيه • توصلت إلى قرب من نصفه • فبالغ الفضلاء في وصفه • بحسن سبكه وغزارة معانيه • وإحكام
رصفه • دب داء الحسد في جماعة أولي النكد • ومكر ولدد • يريدون الرياسة بالباطل • وكل منهم من حلية العلم عاطل
مد ليل الجهل فيهم ظلامه • وأنار نقع السفه على رؤوسهم سواده وقتامه • صوبوا سهام الشرور • والأباطيل وأنواع
الزور • وأكثروا التشنيع للتشنيع • والتقبيح والتبشيع • والتخطئة والتضليل • بالنقل من التوراة والإنجيل
فصنفت في ذلك الأقوال القويمة • في حكم النقل من الكتب القديمة • بينت فيه أن ذلك سنة مستقيمة • لتأييد الملة
الحنيفية العظيمة • وأخرجت بذلك الشافعي • وكلام النووي والرافعي • واستكتبت على الكتاب • العلماء الأنجاب
فكتبوا أماما ودعته مصاعد النظر • للإشراف على مقاصد السور • فأطفأ الله به نارهم • وأظهر عوارهم • وشهر
خزيهم وعارهم • ثم قاموا في بدعة دائم المعروف • فصنفت فيها القول المعروف • وبينت مخالفتهم للكتاب
والسنة • ووقف عليهم في عين الفتنة • وحرقتهم لأعظم الجنة • وصرح نص الشافعي ونقول العلماء • فكانوا
كمن ألقم الحجر وملأ فمه بالماء • ثم قاموا في فتنة ابن الفارض • وكلهم معاند معارض • والتبسوا على رعاع الناس
فأشبه شعاع الباس • فكادوا أن يطبقوا على الانعكاس • وصوبوا طريق الاتحاد • وبالغوا في الذم من أهل
الإلحاد • ولجوا بالخصام في العناد • وأفتوا بمحض الباطل • وتبوا السم القاتل • الأنام أنا فكلا • كان الله

بنصرهم على صحبهم كبلا ۞ فسالتهم شالا ۞ جعلهم ضلالا لا جهالا ۞ فتداولوه فيما بينهم وتناقلوه ۞ وعجزوا عن
جوابه بعد ان راموه اشد الروم وحاولوه ۞ فظهر لاكثر الناس حالهم ۞ واشتهر بينهم ضلالهم ۞ وعتهم الواضح
ومحالهم ۞ وصنفت في ذلك عدة مصنفات ۞ بانت فيها مخازيهم وظهرت المخبآت ۞ منها ثواب الجواب ۞ للسائل
المرتاب ۞ ومنها القارض ۞ لتكفير ابن الفارض ۞ ومنها تدمير المعارض ۞ في تكفير ابن الفارض ۞ ومنها
تنبيه الغبي ۞ على تكفير ابن عربي ۞ ومنها تحذير العباد ۞ من اهل العناد ۞ ببدعة الاتحاد ۞ انفقت
فيها عمرا امدا ۞ وبددوا فيها اقوالى بددهم الله تبددا ۞ صباحا ومساء ۞ واعادة وابداء ۞ الحلم
التقريع ۞ والتوبيخ والتبجيع ۞ على كتابة جواب ۞ لم يخل من ارتجاج واضطراب ۞ وشك وارتياب ۞ بينت
ان جامعه اخطأ في جميعه الصواب ۞ وكفر في اربع مواضع كفرا صريحا ۞ وكذب في ثمانية فصار بذلك جريحا
بل هالكا طريحا ۞ فاطلت بذلك التقريع ۞ والتوبيخ والتشنيع ۞ فذلت اعناقهم ۞ وضعف شقاقهم
وخبى نفاقهم ۞ غير انه حصل لي كل واحد من هذه الوقائع من الشرور ۞ وعجائب المقدور ۞ ما غطى ظلامه
الشموس الطوالع ۞ وطال الامر في ذلك سنين ۞ وعم الكرب حتى كثر الانين ۞ والتضرع في الدعاء والحنين
والتجا الى الله ۞ ورزق الصبر والاناة ۞ حتى اكمل هذا الكتاب على ما تراه من الحسن والصواب ۞ وقد
قلت مادحا للكتاب المذكور ۞ بما ابان عنه من عجائب المقدور ۞ وغرائب الامور ۞ شارحا لحالي وحال اهل
وطرفا من حاله ونبذة من احوالهم ۞ من مجزوء الرجز وضربه مقطوع ۞ والقافية متواتر مطلق ۞ مجرد مسميا له بكتاب
لما ۞ لان حل مقصوده ۞ بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض ۞ حتى ان كل جملة تكون اخذة بحجزة ما امامها متصلة بها
وذلك هو المظهر للمقصود من الكلام وسره ۞ ولبابه الذي هو للكلام بمنزلة الروح ۞ وبيان معاني
المفردات ۞ وكل جملة على حيالها بمنزلة الجسد ۞ فالروح هو المقصود الاعظم ۞ بيسر ذلك من يذوق
ويفهم ۞ ويسري ذهنه في مبادئ التراكيب ويعلم ۞ ولما ظفر يراد بها ثبوت الثاني لما تدخل عليه
لثبوت الاول على غاية المكنة بمعنى انها كالشرط تطلب جملتين يلزم من وجود مضمون الاولى حصول مضمون الثانية ۞
فالجملة الاولى ملزوم ۞ والثانية لازم لذلك الملزوم ۞ سمي الكتاب في هذا النظم بلما ۞ لاني اكثرت من استعمالها لهذا الغرض

هذا كتاب لما — لم المعاني لما
بشرت من بحكمه — بان يموت غما
فربنا بفضله — كيفية وكما
كابدت فيه زمنا — من حسدي ما عما
وكم دهوني مرة — وكم رموني سهما
وكم بغوني عثرة — فما راوا لي جرما
واوعدوني بالاذى — واوهموا هم رجما
التي اذا الليل دجا — وبالبلا ادلهما
استصرخ الله بهم — اولوا بالدهما
لا ذنب لي عندهم — الا كتاب لما
صنعته وفي جود — علمه ما طما
عمله نصيحة — لمن يحب العلما
يجلو العمى من لطفها — وتسمع الاصما
نطق من يعني بها — وان يكونوا بكما
سهل ذي امره — علي حتى تما
قال لسان عدها — دونك بدرا تما
اعيذ بالمصطفى — من شر وغد ذما
فليس ينفي ذمه — الا بغيض اعمى
ورد في تدبيرهم — بد مرهم والعزما
وزاده سعادة — ولا زمته النعما

غدت بحور علمه — تمد مدا جما
فان فضلي صالح — جاهدت فيه الهما
فبالذي اردته — لقد احاط علما
عدوا اسنى عددا — يسقون قلبي السما
واوسعوا قلبي اذى — واوسعوني ذما
وغروا من ناصحي — همه وعزما
التي اذا اشتد لظى — اذاهم وجما
اذاهم وظلمهم — يدعوه في الظلما
يا رب اني جاهد — فافرج الهي الغما
جرت ينابيع الهدى — منه فصار تلما
وقد علا تركيبه — وعاد حلو نظما
او دعه فرائدا — ترقص منه الفهما
حض بنفيس علمها — وكلانا في عمى
افعالها جلتله — اعيذها بالاسما
في اربعة عشرة — من السنين صما
وليس يلفي ناقصا — يا صاحبي يوما ما
ومن حسود قد غدا — من اجله مهتما
كفاه ربي شرهم — وزان منه الاسما
وردهم بغيظهم — لما بنا لوا غنما
فالحمد لله منشه — احوج الخلائق

إلى عفو الخالق ٥ أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر
البقاعي الشافعي قائلاً الحمد لله رب العالمين ٥ ونقلت هذه النسخة
من نسخة كتبها المؤلف بخطه بن غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولمالكها
ولمستكتبها ولكاتبها وللناظر فيها ولمطالعها ولكل المسلمين أجمعين
وحسبنا الله ونعم الوكيل ٥ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم آمين

وتمت
كلمات ربك صدقاً
وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو
السميع العليم صدق الله العظيم
وبلغ رسوله الكريم ونحن
على ذلك من الشاهدين

مناسبات البقاعي قد علت وسمت — وقدر تفسيرها سام بها وعلي
قالوا هي الشمس وضحاها فقلت لهم — نور سماحق مولانا الوزير علي